

فهرس موضوعات أعداد
مجلة "الأصالة" الجزائرية
[١٣٩١-١٤٠٢ هـ / ١٩٧١-١٩٨١ م]

الأصالة

مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

السنة الأولى - العدد الأول - محرم ١٣٩١ هـ - مارس ١٩٧١ م

شورة متكاملة أصيلة
نقل الرئيس هواري بومدين

ندوة الأصالة:
مقومات الشخصية الوطنية

اللغة العربية
طرق تكييفها
ومناهج تعليمها

البيئة وسير
التاريخ الوطني



يوغورطة

السنة الأولى، العدد الأول
محرم ١٣٩١ هـ، مارس ١٩٧١ م

- ١- هذه المجلة، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢-٣
 - ٢- ثورة متكاملة أصيلة، بقلم: الرئيس هواري بومدين، ص: ٤-٥
 - ٣- الإنية والأصالة، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، الصفحات: ٦-٢٠
 - ٤- دور الشباب في حياة الأمة، بقلم: أحمد طالب الإبراهيمي، ص: ٢١-٢٦
 - ٥- من خصائص الثورة العربية، بقلم: بديع الكسم (سوريا)، الصفحات: ٢٧-٣٠
 - ٦- الأفلاطونية في فلسفة الجمال عند المسلمين، بقلم: عمار طالبي، ص: ٣١-٣٦
 - ٧- ملاحظات نحو تعريف الفكر الذاتي، بقلم: محمد العربي ولد خليفة، ص: ٣٧-٤٢
 - ٨- نشأة المدارس الفقهية في الإسلام، بقلم: عبد القادر زبادية، الصفحات: ٤٣-٤٥
 - ٩- اللغة العربية.. طرق تكييفها ومناهج تعليمها، بقلم: عبد الرحمن حاج صالح، ص: ٤٦-٥٤
 - ١٠- بيتهوفن، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٥٥-٥٧
 - ١١- الشرق كما يراه الغرب، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٥٨-٦٨
 - ١٢- البيئة وسير التاريخ الوطني، بقلم: لقبال موسى، ص: ٦٩-٧٥
 - ١٣- يسقط الروتين (مسرحية)، بقلم: أبو القاسم خمار، ص: ٧٦-٨٢
 - ١٤- بجاية في عهد الحماديين، بقلم: رشيد مصطفى، ص: ٨٣-٩١
 - ١٥- مقومات الشخصية الوطنية (ندوة الأصالة)، أدار الندوة: عثمان شوب، شارك فيها: عبد الحميد مهري، عمار طالبي، محمد العربي ولد خليفة، عبد الرحمن حاج صالح، الشيخ بو عمران، ص: ٩٢-١٠٠
 - ١٦- ابن حماد الصنهاجي، بقلم: جلول بدوي، ص: ١٠١-١٠٣
 - ١٧- الاستبداد والمجتمع الصناعي (عرض كتاب)، تأليف: فرانسوا بيرو، تقديم: الشيخ أبو عمران، ص: ١٠٤-١٠٦
 - ١٨- ضلال أم تضليل، بقلم: موسى بن عمار، ص: ١٠٧-١١٠
 - ١٩- مع التيارات الفكرية العالمية، ص: ١١١-١١٦: في المجلات الإنجليزية، إعداد: محمد طاع الله، ص: ١١١-١١٣. الإنية في نظر جاك بيرك، ص: ١١٤. في المجلات الفرنسية، إعداد: عبد القادر برهومي، ص: ١١٤-١١٦
- القسم الفرنسي:**

- 1- Editorial, par : Mouloud Kassim, P:1-2
- 2- Identité et Authenticité, par : Mouloud Kassim, p: 3-8
- 3- Témoignage chrétien : Ne fermons pas trop vite le dossier «Missions», p: 9
- 4- La croix : Proclamer la parole a temps et a contretemps, p: 9
- 5- La croix : Des parents qui n'en dorment plus, par : André Ironde, p: 10
- 6- La croix : Ce que peut être le dialogue entre chrétiens et musulmans, p: 11
- 7- Tunisification et Arabisation, p: 12

السنة الأولى، العدد الثاني

ربيع الأول، ١٣٩١ هـ، ماي ١٩٧١ م^(١)

- ١- مولد النبي.. مولد لعالم جديد، بقلم: عمار طالبي، ص: ٢-٨
- الذكرى المئوية لثورة ١٨٧١
- ٢- التنقيب عن التراث وتطهير التاريخ من الأكاذيب، بقلم: بوعلام بن حمودة، ص: ١٠
- ٣- مغزى الاحتفال بذكرى أمجادنا، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١١-١٥
- ٤- انتفاضة ١٨٧١: مقاومة شعب يحركه الإيمان، بقلم: محفوظ قداش، ص: ١٦-٢١
- ٥- ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٢-٢٩
- ٦- الشيخ ابن الحداد الصوفي الثائر، بقلم: عمار طالبي، ص: ٣٠-٣٩
- ٧- "المسبلين" الفدائيون الجزائريون الأولون، بقلم: مبارك الخليجي، ص: ٤٠-٤٣
- ٨- الذكرى المئوية لثورة ١٨٧١، شعر: عمر شكيري، ص: ٤٤-٤٦
- ٩- قلعة وثائر، شعر: أحمد شقار الثعالبي، ص: ٤٧
- ١٠- ندوة الأساتذة حول ثورة ١٨٧١، أدارها: محمد العربي ولد خليفة، شارك فيها: عبد القادر حلومي، عمار طالبي، جمال قنان، أبو القاسم سعد الله، ص: ٤٨-٥٩
- الذكرى ٣١ لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس:
- ١١- ابن باديس والشخصية الجزائرية، بقلم: تركي رابح، ص: ٦٢-٧٢
- ١٢- ندوة الأصالة: مناقشة حول كفاح ابن باديس، أدارها: عثمان شبوب، وشارك فيها: عبد الحميد مهري، عبد المجيد مزيان، عمار طالبي، محمد العربي ولد خليفة، ص: ٧٤-٨٧
- دراسات:
- ١٣- الجزائر في تاريخ الحضارة، ج: ١، بقلم: مصطفى الأشرف، ترجمة: حنفي بن عيسى، ص: ٨٨-٩٦
- ١٤- الإسلام كدين عالمي، بقلم: المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس (المجر)، ص: ٩٧-٩٩
- ١٥- المرأة والأسرة في الإسلام، بقلم: علي عبد الواحد وافي (مصر)، ص: ١٠٠-١٠٥
- ١٦- دراسة تحليلية نقدية لكتاب (تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب)، بقلم: لقبال موسى، ص: ١٠٦-١١٣
- ١٧- فجر التاريخ في المغرب العربي، بقلم: محمد الملي، ص: ١١٤-١١٨
- ١٨- كتاب قديم: صور شمسية جزائرية، بقلم: أبو العيد دودو، ص: ١١٩-١٢٦
- ١٩- دور اليهودية العالمية في سياسة التوسع الإسرائيلية، بقلم: هشام الصفدي (سوريا)، ص: ١٢٧-١٣٤
- ٢٠- مدينة المديّة عبر العصور، بقلم: مولاي بلحميسي، ص: ١٣٥-١٤٣
- ٢١- قضية الحياد في العلوم الاجتماعية، بقلم: عثمان شبوب، ص: ١٤٤-١٤٨
- ٢٢- فلسفة ابن باجة الخلقية، بقلم: زهور طالبي، ص: ١٤٩-١٥٢
- ٢٣- كتاب الأصالة: سوسيولوجية الجزائر، تأليف: ب. بورديو، عرض ونقد: محمد العربي ولد خليفة، ص: ١٥٣، ١٥٥
- ٢٤- مقابلات: مع المستشرق الفرنسي لوي غاردي، ص: ١٥٦-١٥٨
- ٢٥- النشاط الثقافي، عرض وتلخيص: محمد الصغير بن الأعلام، ص: ١٥٩-١٦٤

(١) - عدد خاص حول ثورة ١٨٧١.

ركن الطلبة:

- ٢٦- أصالتي، شعر: صليحة مومن، ص: ١٦٥
٢٧- نقطة الانطلاق، بقلم: صالح رويبي، ص: ١٦٦
٢٨- الاستقلال والتعريب، ص: ١٦٦-١٦٧
٢٩- سنة التعريب، شعر: بوغفل أحمد، ص: ١٦٧
٣٠- بطل المعارك (شعر)، معهد التعليم الأصلي بعنابة، ص: ١٦٨
٣١- مع التيارات الفكرية العالمية: في المجلات الإنجليزية، إعداد محمد طاع الله، ص: ١٦٩-١٧١
٣٢- الخطر الأكبر على الإنسانية يكمن في الإنسانية نفسها، استجواب مجلة (الإكسبرس) لكلود ليفي سترافوس، ص: ١٧٢-١٧٤
٣٣- بين الأصالة والعصرية، إعداد: عبد القيوم بوكعباش، ص: ١٧٦-١٧٥
٣٤- ندوة القراء: رسالة من الكاتب البلجيكي فرنسيس منهايم، ص: ١٧٧-١٧٨. حول مقال: ضلال أم تضليل، من: محمد العدوي، ص: ١٧٩. الموسيقى في الإسلام، من: أحمد قاسم، ص: ١٨٠-١٨١. أمين الغريب، ص: ١٨١-١٨٢. من تقاليدنا البالية، ص: ١٨٢-١٨٣

القسم الفرنسي:

- 1- L'Algerie dans l'histoire de la civilisation, par : Mustpha lacheraf, p: 1-6
- 2- L'insurrection de 1871, p: mahfoud keddache, p: 7-10
- 3- Lettre de l'écrivain belge Francis monheim, p: 11-12
- 4- Interview de M.Gardet, p: 13

السنة الأولى، العدد: ٣

جمادى الثانية ١٣٩١ هـ / أوت ١٩٧١ م

- ١- تناقضات في حياتنا الفكرية، بقلم: عثمان شوب، ص: ٤-٧
- ٢- القانون خير حارس لمبادئنا الاشتراكية، خطاب للرئيس هواري بومدين، ص: ٨-١٣
دراسات ثقافية وأدبية:
- ٣- طريق الذهب وطريق الثقافة، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١٥-٢٠
- ٤- أبو بكر محمد بن داوود كاتب يغمراسن بن زيان بتلمسان، بقلم: رابح بونار، ص: ٢١-٢٧
- ٥- الاستعمار المقنع، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٢٨-٣١
- ٦- فلسفة ابن خلدون الواقعية، بقلم: ابن عمار الصغير، ص: ٣٢-٣٨
- ٧- الأندلس تاريخ اسم وتطوره، بقلم: الطاهر أحمد مكي (مصر)، ص: ٣٩-٤٦
- ٨- الاستئصال، بقلم: لبيار بورديو وعبد المالك صياد، ترجمة: عبد الرحمن بوزيدة، ص: ٤٧-٥٤
- ٩- من مشاكل الشعوب النامية: الهجرة الخطرة، بقلم: موسى بن عمار، ص: ٥٥-٦٠
- ١٠- جورج لوكاتش الفيلسوف الإنساني المتحرر، بقلم: نبيهة تربش، ص: ٦١-٦٤
- ١١- ندوة الأصالة: الفكر الفلسفي الإسلامي وتحديات الفكر المعاصر، أدارها: بوعمران الشيخ، وشارك فيها: عبد الحليم محمود، محمود قاسم، يحيى هويدي، عبد المجيد مزيان، محمد العزيز الحبابي، الشيخ بوعمران، ص: ٦٦-٨١
دراسات تاريخية:
- ١٢- استفتاء الأصالة: كيف نكتب تاريخنا؟ شارك فيه: عبد القادر زبادية، محمود بوعباد، عبد المجيد مزيان، أبو القاسم سعد الله، ص: ٨٦-٩٤
- ١٣- الجزائر في تاريخ الحضارة (٢)، بقلم: مصطفى الأشرف، ترجمة: حنفي بن عيسى، ص: ٩٥-١٠١
- ١٤- هرمان هاون واحتلال الجزائر، بقلم: أبو العيد دودو، ص: ١٠٣-١٠٦
- ١٥- الأثر الحضاري لقوافل التجارة السودانية عبر العصور، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ١٠٦-١١١
دراسات إسلامية:
- ١٦- التقدم العلمي والإيمان، بقلم: الشيخ بوعمران، ص: ١١٢-١١٧
- ١٧- الإسلام كدين عالمي، بقلم: عبد الكريم جرمانيوس (المجر)، ص: ١١٨-١٢٢
كتاب الأصالة:
- ١٨- ديناميكية الاقتصاد العالمي، تأليف: فريتس باد، عرض وتعليق: طيب لحضيري، ص: ١٢٣-١٢٦
- رسائل جامعية:**
- ١٩- الاستجابات السيكلوجية للعاهة الحركية المرئية لدى المجاهد معطوب الحرب، إعداد: محمد العربي ولد خليفة، ص: ١٢٨-١٣٠
- ٢٠- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية، إعداد: عمار طالبي، ص: ١٣٢-١٣٤
- ٢١- مع التيارات الفكرية العالمية، إعداد: محمد طاع الله، ص: ١٣٥-١٣٧.

السنة الأولى، العدد: ٤
شعبان ١٣٩١ هـ / أكتوبر ١٩٧١ م

- ١- جمعة أو أحد، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢-٣
 - ٢- الشباب عنصر البقاء والخلود، بقلم: أحمد طالب الإبراهيمي، ص: ٤-٧
 - ٣- أصالتنا تعني لا إغلاق الأبواب والنوافذ ولا إزالة السقوف والرفوف، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٨-١٨
- دراسات ثقافية وأدبية:**

- ٤- رسالة الجامعة في العصر الحديث، بقلم: عثمان أمين (مصر)، ص: ٢٠-٢٣
- ٥- التربية والشخصية الجزائرية، بقلم: تركي رابح، ص: ٢٤-٣٣
- ٦- الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر قبل الثورة، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ٣٤-٤٠

- ٧- الوجه الحقيقي لديمقراطية التعليم، بقلم: عبد القادر فضيل، ص: ٤١-٤٧
- ٨- من أعلامنا: الشريف أبو عبد الله التلمساني، بقلم: أحمد جلول بدوي، ص: ٤٨-٥٥
- ٩- سيكولوجية المحارب، بقلم: محمد العربي ولد خليفة، ص: ٥٦-٥٩
- ١٠- نحو اثنوغرافية جديدة، بقلم: الصغير بن عمار، ص: ٦٠-٦٢
- ١١- الاستعمار المقنع (٣)، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٦٣-٦٦
- ١٢- التعليم الأصلي في الجزائر، بقلم: عبد المجيد الشريف، ص: ٦٧-٧٤
- ١٣- الجامعات والمشاكل الصناعية في الدول المتخلفة، بقلم: حمزة الجاري، ص: ٧٥-٧٨

دراسات تاريخية:

- ١٤- الجزائر في تاريخ الحضارة (٣)، بقلم: مصطفى الأشرف، ترجمة: حنفي بن عيسى، ص: ٨٠-٨٥
- ١٥- حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ، بقلم: عبد الحميد زوزو، ص: ٨٦-٩٦

مقابلات:

- ١٦- مع المؤرخ الفرنسي أجرون، ص: ٩٩-١٠٢
- دراسات إسلامية:**
- ١٧- الروح الإسلامي ومشاكل النهضة والتطور، بقلم: الحبيب بن الخوجة (تونس)، ص: ١٠٤-١١١

- ١٨- فتوى في أوجه خاصة بالحالة العائلية للمهاجرين الجزائريين، ص: ١١٢-١١٣
- كتاب الأصالة:**

- ١٩- الثورة العالمية ومستقبل الغرب، تأليف: فريدمان، تقديم: محمد العربي ولد خليفة، ص: ١١٤-١١٨
- ٢٠- بعض الانطباعات عن الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامي، ص: ١١٨-١٢١

- ٢١- توصيات الملتقى، ص: ١٢٢-١٢٦

مع التيارات الفكرية العالمية:

- ٢٢- آخر حديث للفيلسوف ماركيز، ص: ١٢٦-١٢٨

السنة الأولى، العدد: ٥
شوال ١٣٩١ هـ / نوفمبر ١٩٧١ م

افتتاحية:

- ١- ماذا في الجامعة، بقلم: عثمان شيوب، ص: ٢-٤
- دراسات ثقافية وأدبية:**
- ٢- التعريب شرط للثورة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية، بقلم: عبد الحميد مهري، ص: ٦-٩
- ٣- مشاكلنا التربوية وكيف يعالجها ابن خلدون، بقلم: عبد الله شريط، ص: ١٠-٢٨
- ٤- الإسلام والثورة الزراعية، بقلم: محمد عبد العزيز، ص: ٢٩-٤٢
- ٥- وجه الجزائر العربي، بقلم: علال الفاسي (المغرب)، ص: ٤٣-٤٧
- ٦- الثورة الجزائرية في الشعر المعاصر، بقلم: أحمد بن زياب، ص: ٤٨-٥٣
- ٧- علاقة الجامعة بالمجتمع (ندوة الأصالة)، أدارها: محمد العربي ولد خليفة، شارك فيها: عمار طالبي، بديع الكسم، علي عيسى، ص: ٥٤-٦٢
- ٨- فكرة الخير والشر عند ليبنتس في ضوء الفكر الإسلامي، بقلم: محمود قاسم (مصر)، ص: ٦٣-٧٧
- ٩- اليونسكو وآفاق التفاعل بين الثقافات الإنسانية، بقلم: مصطفى عبادة، ص: ٧٨-٨١
- ١٠- ما فائدة الأنتولوجيا؟ بقلم: جان بيون، تعريب: الصغير بن عمار، ص: ٨٢-٨٧
- ١١- وصف الجامع الكبير بقسنطينة، بقلم: رشيد بورويبة، ترجمة: حنفي بن عيسى، ص: ٨٨-٩٩
- ١٢- أبو اليقظان أحد رواد الإصلاح في الجزائر، بقلم: عبد الرزاق قسوم، ص: ١٠-١٠٧
- ١٣- الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر قبل الثورة (٢)، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ١٠٦-١١٤
- دراسات تاريخية:**
- ١٤- الجزائر في تاريخ الحضارة، بقلم: مصطفى الأشرف، ترجمة: حنفي بن عيسى، ص: ١١٦-١٢٤
- كتاب الأصالة:**
- ١٥- الصراعات الثقافية في الجزائر في عهد الاستعمار (المدارس، الطب، الدين) ١٨٣٠-١٨٨٠، تأليف: ايفون تورين، تقديم: مولاي بالحميسي، ص: ١٢٥-١٢٧
- التعريف بترائنا المخطوط:**
- ١٦- أزهار الرياض، لأحمد بن يوسف التيفاشي، إعداد: رابح بونار، ص: ١٢٨-١٣٠
- ١٧- مع التيارات الفكرية العالمية، إعداد: الصغير بن عمار، ص: ١٣١-١٣٦
- وثائق:**
- ١٨- نص الكلمة التي ارتجلها وزير العدل بوعلام بن حمودة بمناسبة الذكرى المئوية لثورة بني مناصر، ص: ١٣٧-١٤١
- ١٩- نص الكلمة التي ارتجلها وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية مولود قاسم نايت بلقاسم بمناسبة الذكرى المئوية لثورة بني مناصر، ص: ١٤٢-١٥٢

السنة الأولى، العدد: ٦
ذو الحجة ١٣٩١ هـ/ جانفي ١٩٧٢ م

- ١- تصحيح مفاهيم، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٤-٧
دراسات ثقافية وأدبية:
- ٢- طوفان الاستلابات، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ٩-١٦
- ٣- نيتشة والأخلاق الدولية المعاصرة، بقلم: عبد الله شريط، ص: ١٧-٢٥
- ٤- وجه الجزائر المسلم، بقلم: علال الفاسي (المغرب)، ص: ٢٦-٢٩
- ٥- الالتزام الإيديولوجي في البحث الاجتماعي(١)، بقلم: محمد العربي ولد خليفة، ص: ٣٠-٣٥
- ٦- التحرر والعنصرية، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٣٦-٤٤
- ٧- تصحيح المفاهيم عن اللغة العربية، بقلم: عثمان أمين (مصر)، ص: ٤٥-٥٣
- ٨- ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة ١٨٧١م، بقلم: أحمد بوزيد قصيبة، ص: ٥٤-٦٤
- ٩- القاضي سعيد العقباني التلمساني، بقلم: رابح بونار، ص: ٦٥-٧٢
- ١٠- مشكلة الصدق والكذب في الأدب، رشيد مصطفى، ص: ٧٣-٧٥
- ١١- أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر، بقلم: عبد القادر حليمي، ص: ٧٦-٨٢
- ١٢- المنعكس الشرطي في ضوء النظرية والتطبيق، بقلم: مصطفى عباده، ص: ٨٣-٨٧
- ١٣- الثورة الزراعية وبعض مشاكل الفلاحين، بقلم: جمال مصباح، ص: ٨٨-٩٠
- ١٤- التربية والشخصية الجزائرية، بقلم: تركي رابح، ص: ٩١-٩٦
دراسات تاريخية:
- ١٥- العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي(١)، بقلم: سلفاتور بوني (إيطاليا)، ترجمة: أبو القاسم بن التومي، ص: ٩٨-١٠٣
دراسات إسلامية:
- ١٦- عالمية الإسلام وخلوده، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ١٠٥-١١٥
كتاب الأصالة:
- ١٧- المجابهاة الثقافية في الجزائر المستعمرة من ١٨٣٠ إلى ١٨٨٠، تأليف: ايفون تورين، تقديم: الشيخ بو عمران، ص: ١١٦-١٢٠
التعريف بترائنا المخطوط:
- ١٨- علي بن أبي الرجال التاهرتي القيرواني، إعداد: رابح بونار، ص: ١٢١-١٢٤
النشاط الثقافي:
- ١٩- من نشاط وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص: ١٢٥-١٢٧
- ٢٠- الثقافة ونهاية العام، بقلم: علاء الدين مكي، ص: ١٢٧-١٣٠
مع التيارات الفكرية العالمية:
- ٢١- قراءات في المجلات الفرنسية، إعداد: مرزاق بقطاش، ص: ١٣١-١٣٧
- ٢٢- قراءات في المجلات الإنجليزية، إعداد: حكمت ياسين، ص: ١٣٨-١٤٥
- ٢٣- حوار مع كلود ليفي ستراوس، ترجمة: الصغير بن عمار، ص: ١٤٦-١٤٨
- ٢٤- ندوة القراء، ص: ١٤٩-١٥٠

السنة الثانية، العدد: ٧

صفر، ربيع الأول ١٣٩٢ هـ/ مارس، أفريل ١٩٧٢ م

١- معركة التنمية والأصالة وجهان لمعركة واحدة في مغربنا العربي الكبير، نص كلمة الرئيس هواري بومدين في مسجد القيروان، ص: ٢-٣
دراسات ثقافية وأدبية:

٢- مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ نشأتها وتطورها، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٥-١٢

٣- طوفان الاستلابات (٢): الاستلاب الحضاري، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١٣-٢١

٤- دور اللغة في الثورة الثقافية، بقلم: عبد العزيز بن عبد الله (المغرب)، ص: ٢٣-٣١

٥- الحقيقة عند نيتشه، بقلم: عبد الله شريط، ص: ٣٣-٤٠

٦- الالتزام الإيديولوجي في البحث العلمي الاجتماعي (٢)، بقلم: محمد العربي ولد خليفة، ص: ٤١-٤٨

٧- النزعة الإنسانية والجمالية عند ابن باديس، بقلم: عمار طالبي، ص: ٤٩-٥٤

٨- المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي، بقلم: أحمد بن زياي، ص: ٥٥-٦٠

٩- الملكية والمزاحمة، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٦١-٧٢

١٠- القروض والنقود في مدينة الجزائر أثناء العهد التركي، بقلم: عبد القادر علي حليمي، ص: ٧٣-٧٩

١١- دور الأديب في بناء المجتمع العربي المعاصر، بقلم: أحمد عروة، ص: ٨١-٨٧

١٢- نهضة التعليم الأصلي في الجزائر، بقلم: علال الفاسي (المغرب)، ص: ٨٩-٩٠

١٣- جوانب من علم الاجتماع الثقافي ببلاد المجر، بقلم: يوسف نسيب، ترجمة: حنفي بن عيسى، ص: ٩١-٩٥

١٤- تاريخان ومجتمعان، بقلم: عبد الرحمن بوزيدة، ص: ٩٧-١٠٢

نقد:

١٥- حول كتاب "نقد الفكر الديني" للدكتور صادق جلال العظم، بقلم: عبد الله شريط، ص: ١٠٣-١٠٥

دراسات تاريخية:

١٦- معركة زاما، بقلم: محمد الميلي، ص: ١٠٧-١١٢

١٧- العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي (٢)، بقلم: سلفاتور بونو، ترجمة: أبو القاسم بن تومي، ص: ١١٣-١١٨

دراسات تاريخية:

١٨- دور الإسلام في تاريخ الإنسانية، بقلم: عبد الكريم جرمانوس (المجر)، ص: ١١٩-١٢٩

كتاب الأصالة:

١٩- ازدواج الدلالة في الثقافة العربية، إشراف: جاك بيرك وجان بول شارنيه، تقديم: محمد بديع الكسم، ص: ١٣١-١٣٦

٢٠- النشاط الثقافي، ص: ١٣٧-١٤٨

٢١- مع التيارات الفكرية العالمية: قراءة في المجلات الفرنسية، إعداد: مرزاق بقطاش، ص: ١٤٩-١٥٧

٢٢- ندوة القراء، ص: ١٥٨-١٦٠

السنة الثانية، العدد: ٨

ربيع الثاني، جمادى الأولى ١٣٩٢ هـ، ماي، جوان ١٩٧٢م^(٢)

الذكرى الألفية لتأسيس مدينة الجزائر:

- ١- العيد عيدان عاشر وألفي والذكرى ذكريات، بقلم: مولود قاسم، ص: ٤-٥
- ٢- أصول النشأة لمدينة الجزائر، بقلم: عبد القادر حليمي، ص: ٧-١٨
- ٣- بلقين بن زيري، بقلم: رشيد بورويبة، ص: ١٩-٢٨
- ٤- مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم ١٧٣١، بقلم: أبو القاسم سعد الله، ص: ٢٧-٣٦
- ٥- الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر إبان الاحتلال، بقلم: أبو العيد دودو، ص: ٣٧-٤٨
- ٦- ترفانتس قمة الأدب الاسباني كان أسيرا في مدينة الجزائر، بقلم: الطاهر أحمد مكي (مصر)، ص: ٤٩-٥٨
- ٧- مدينة الجزائر من خلال النصوص العربية والأجنبية، اختارها وأعدّها وعلق عليها: مولاي بلحميسي، ص: ٥٩-٧٦
- ٨- مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية، بقلم: رابح بونار، ص: ٧٧-٩٠
- ٩- غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر (١٥٤١م/ ٩٤٨ هـ) بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية، بقلم: مولاي بلحميسي، ص: ٩١-١١٢
- ١٠- الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١١٣-١٢٨

- ١١- أبو راس المعسكري وتاريخ مدينة الجزائر، بقلم: رابح بونار، ص: ١٢٩-١٣٨
- ### الذكرى الألفية لتأسيس مدينة مليانة:

- ١٢- مدينة مليانة عبر العصور، بقلم: مولاي بلحميسي، ص: ١٣٩-١٥٤
- ### الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال:
- ١٣- مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١٥٥-١٦٤
 - ١٤- نحو وعي افضل لتاريخ الجزائر، بقلم: هشام الصفدي (سوريا)، ص: ١٦٥-١٧٨
 - ١٥- الحقيقة والزيف في المجتمع العربي، بقلم: عبد الله شريط، ص: ١٧٩-١٩٤
 - ١٦- أصالة الثقافة الجزائرية في القديم والحاضر والمستقبل ومدى انتشارها وتأثيرها في العالم الخارجي، بقلم: عثمان الكعاك (تونس)، ص: ١٩٥-٢٠٢
 - ١٧- فلسطين.. هل يعيد التاريخ نفسه؟ بقلم: شكري فيصل (سوريا)، ص: ٢٠٣-٢١٢
 - ١٨- أصالة الشخصية الجزائرية، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ٢١٣-٢٢٨
 - ١٩- التعليم الأصلي في الجزائر خلال عشر سنوات من استرجاع الاستقلال، بقلم: أحمد درار، ص: ٢٢٩-٢٤٠
 - ٢٠- السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات: واجبات وحقوق، بقلم: محمد الصغير بن الأعلام، ص: ٢٤١-٢٥٤
 - ٢١- العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر، بقلم: أحمد بن ذياب، ص: ٢٦٥-٢٧٢
 - ٢٢- أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط (الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني)، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٢٧٣-٢٩٢
 - ٢٣- الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط، بقلم: عبد الحميد بن أشنهو، ص: ٢٩٣-٣٠٤

(٢) - عدد ممتاز، بمناسبة الذكرى الألفية لتأسيس الجزائر والمدينة ومليانة، والعيد العاشر لاسترجاع الاستقلال.

- ٢٤- الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٣٠٥-٣٢٠
- ٢٥- النشاط الثقافي، إعداد: حكمت ياسين: مهرجان تيمقاد، ص: ٣٢١. الأسبوع الثقافي الخامس في قسنطينة، ص: ٣٢٢. المهرجان الثقافي الجزائري في المشرق العربي، ص: ٣٢٣. الأسبوع الثقافي الجزائري في باريس، ص: ٣٢٤. مهرجان دمشق الأول لسينما الشباب، ص: ٣٢٥. معرض للرؤسوم الفنية المصرية في المانيا الديمقراطية، ص: ٣٢٦. بليغ حمدي وصلاح عزام في الجزائر، ص: ٣٢٦. الثورة الثقافية محاضرة لعهد الشريف مساعدي ص: ٣٢٦. فيلم الفتح، ص: ٣٢٧. كتب، ص: ٣٢٨. كتبت مجلة تايم، ص: ٣٢٩. الأصالة والتقدم محاضرة لجاك بيرك، ص: ٣٣١
- القسم الفرنسي:

ALGER.. RENDEZ-VOUS DE L'HISTOIRE :

- 1- Alger : La position, p: R. Lespes, p: 3-4
- 2- L'origine du nom français d'Alger traduit EL DJEZAIR, p: René Lespes, p: 5-7
- 3- Alger : Essai de topologie poétique, p: 8-10
- 4- GEZEIR c'est-à-dire ALGER, p: 12
- 5- Importance du marche d'Alger au 16eme siècle, p: F.D.de Haédo, p: 13
- 6- Les monnaies a l'époque turque, p: F.D.de Haédo, p: 14
- 7- Alger au début du 17eme siècle, p: Nicolas de Nicolay, p: 15
- 8- Parallèle entre Alger et Tunis, p: J.B.Salvago, p: 16-18
- 9- Industrie et activité artisanales d'Alger a la fin du 17eme siècle, p: 19
- 10- Alger vue par FROMENTIN, p: 20-21
- 11- La casbah, p: 22-23
- 12- Alger a l'époque turque : les femmes- la toilette, p: Pierre Boyer, p: 24-27
- 13- le commerce, p: PANANTI, p: 28
- 14- Richesses d'Alger, p: W.Shaler, p: 29
- 15- Edifices religieux confisques au début de l'occupation française, p: H.Klein, p: 30-34
- 16- Les édifices religieux de l'ancien Alger, p: Albert Devoulx, p: 35
- 17- Les français et leurs auxiliaires associés dans les exactions des premières années de la conquête, p: Ives Lacoste, p: 36

السنة الثانية، العددان: ٩-١٠

جمادى الثانية، رمضان ١٣٩٢ هـ/ جويلية، أكتوبر ١٩٧٢م^(٣)

- ١- الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي وبعض المخربشين هنا وهناك، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢-٩
- ٢- الإسلام ثورة شاملة، خطاب الرئيس هواري بومدين في افتتاح الملتقى، ص: ١٠-٢١
- ٣- الإسلام صالح لكل زمان ومكان، بقلم: محمد محمد الفحام (مصر)، ص: ٢٣-٣٨
- ٤- إلياذة الجزائر، شعر: مفدي زكريا، ص: ٤٠-١٠٢
- ٥- الإسلام دين ودولة ونظام اجتماعي كامل، كلمة مولود قاسم نايت بلقاسم في اختتام الملتقى، ص: ١٠٤-١١٤
- ٦- دور العروبة والإسلام في النهضة العلمية والفنية والتقنية في أوروبا وأمريكا، بقلم: عثمان الكعاك (تونس)، ص: ١١٧-١٣١
- ٧- من الاستيلاء إلى استرجاع الإنية، بقلم: سيغريد هونكه (ألمانيا)، ص: ١٣٣-١٤٠
- ٨- أناشيد سادت الملتقى، ص: ١٤٢-١٥٣
- ٩- توصيات الملتقى، ص: ١٥٥-١٦٦
- ١٠- انطباعات عن الملتقى، ص: ١٦٨-١٧٥
- ١١- فتوى حول العمل بالحساب الفلكي لتعيين مواقيت العبادات، لجنة الإفتاء بالوزارة، ص: ١٧٧-١٨٧
- ١٢- المفهوم المعكوس عن توحيد التعليم لدى بعض المخربشين، إدارة التعليم الأصلي، ص: ١٨٩-١٩٠
- ١٣- النشاط الثقافي، إعداد: حكمت ياسين، ص: ١٩١-٢٠١

القسم الفرنسي:

- 1- Le 6eme séminaire pour la connaissance de la pensée islamique et certains griffonneurs de tous bords, p: Mouloud Kassim Nait Belkacem, p: 1-6
- 2- L'allocution de monsieur le président HOUARI BOUMEDIENE a l'occasion de l'ouverture du 6eme séminaire pour la connaissance de la pensée islamique, p: 7-16
- 3- L'ILIADE ALGERIENNE, p: MOUFDI ZAKARIA, p: 17-59
- 4- L'allocution de Mouloud Kassim Nait Belkacem cloturant Le 6eme séminaire pour la connaissance de la pensée islamique, p: 60-67
- 5- Vers une renaissance du monde musulman de l'aliénation au retour sur la propre personnalité, p: 68-74
- 6- Recommandations du séminaire, p: 75-86

(٣) - عدد خاص بمناسبة الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامي في الجزائر العاصمة من ١٣ جمادى الثانية إلى ١ رجب ١٣٩٢ هـ، الموافق ٢٤ يوليو إلى ١٠ أغسطس ١٩٧٢م.

السنة الثانية، العدد: ١١
شوال، ذو القعدة ١٣٩٢ هـ/ نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٢ م

- ١- دور التعليم الأصلي في ثقافتنا الحديثة، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٣-٩
دراسات ثقافية وأدبية:
- ٢- طوفان الاستلابات (٣): الاستلاب السياسي، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١١-١٧
- ٣- الوحدة الثقافية للمغرب العربي، بقلم: عثمان الكعاك، ص: ١٩-٢٤
- ٤- الإيديولوجية الثورية في الحركة الوطنية الجزائرية، بقلم: أحمد قنانش، ص: ٢٥-٣٠
- ٥- الإنسان الأعلى عند نيتشة (٣)، بقلم: عبد الله شريط، ص: ٣١-٤٥
- ٦- دراسة حول ديوان محمد العيد، بقلم: محمد رشدي حسن، ص: ٤٧-٦٤
- ٧- الجزائر في الأدب المغربي الحديث والمعاصر، بقلم: عباس الجراري، ص: ٦٥-٧٤
- ٨- الكتاب والحضارة، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ٧٥-٨٤
- ٩- مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ: نشأتها وتطورها وآثارها (٢)، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٨٥-١٠٧
- ١٠- الموشحات فن أصيل ومتطور، بقلم: الطاهر أحمد مكي، ص: ١٠٩-١١٩
- ١١- الأرض والهجرة، بقلم: عمار بوحوش، ص: ١٢١-١٣٠
- ١٢- ابن هانئ الأندلسي، بقلم: أحمد بن زباب، ص: ١٣١-١٣٧
- ١٣- إبراهيم بن أحمد الفجيجي وقصيدته المطردة "روضة السلوان"، بقلم: رابح بونار، ص: ١٣٩-١٤٤

نقد:

- ١٤- ردا على تقرير كتاب "مسيرة شمال افريقيا"، بقلم: محمد شريف ساحلي، ترجمة: هيئة التحرير، ص: ١٤٥-١٤٨
 - ١٥- ويخلق ما لا تعلمون، بقلم: مفدي زكريا، ص: ١٤٩-١٥٣
 - ١٦- التعريب الجامعي في الميزان، بقلم: عبد القادر حليمي، ص: ١٥٥-
- دراسات تاريخية:**
- ١٧- ثورات العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند، بقلم: دنس ووكر (استراليا)، ص: ١٥٩-١٧٢

رسائل جامعية:

- ١٨- دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية، إعداد: موسى لقبال، ص: ١٧٣-١٧٦
- ١٩- الشعر الديني الحديث في الجزائر، إعداد: عبد الله ركيبي، ص: ١٧٧-١٨٣
- ٢٠- النشاط الثقافي، ص: ١٨٥-١٨٨

السنة الثالثة، العدد: ١٢
ذو الحجة ١٣٩٢، محرم ١٣٩٣ هـ/ جانفي، فيفري ١٩٧٣ م

- ١- افتتاحية: بعد أربعة عشر قرنا من نزول "اقرأ": أمة أمية لا تقرا ولا تحسب، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٩-٣
- دراسات ثقافية وأدبية:
- ٢- حدود الخيال السياسي عند الفارابي، ص: ١١-١٨
- ٣- محمد بن تومرت وتوفيقه بين الحكمة والشريعة، بقلم: يحيى هويدي (مصر)، ص: ١٩-٣٠
- ٤- فن المقامة في النثر الجزائري الحديث (١)، بقلم: عبد الله ركيبي، ص: ٣١-٣٩
- ٥- هانريش شليمان أو ميلاد جديد، بقلم: هشام الصفدي، ص: ٤١-٥٠
- ٦- أبعادنا الخمرية والغلاميات وأعطونا موسيقى وطنية ذات بعد عالمي، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٥١-٥٥
- ٧- أغناتي كراتشوفسكي وأثاره في ميدان الاستشراق العربي، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٥٧-٦٨
- ٨- من جوانب الازدواج اللغوي في ندرومة، بقلم: جيلبير جران جيبوم، ص: ٦٩-٧٥
- ٩- حوار جديد، بقلم: عبد الله شريط، ص: ٧٧-٨٣
- ١٠- الحواجز التي منعت أوروبا من فهم العرب، بقلم: بول بالطا (فرنسا)، ص: ٨٥-٩١
- ١١- دور التراث العربي في تحديد نظرة العرب لأنفسهم ولأوروبا في القرن التاسع عشر، بقلم: محمد عمارة (مصر)، ص: ٩٣-١٠٨
- دراسات تاريخية:
- ١٢- بين الشاذلي القسنطيني والأمير عبد القادر، بقلم: أبو القاسم سعد الله، ص: ١٠٩-١١٢
- ١٣- أشير عاصمة بني زيري، بقلم: رشيد بورويبة، ص: ١١٣-١١٩
- ١٤- مقاومة الجزائر للتكنل الأوربي قبل الاحتلال، بقلم: محمد العربي الزبيري، ص: ١٢١-١٣٠
- ١٥- في تاريخ جامع مستغانم العتيق، بقلم: مولاى بلحميسي، ص: ١٣١-١٣٦
- دراسات إسلامية:
- ١٦- يقظة العالم الإسلامي اليوم ونهضته غدا، بقلم: عبد الله ولد بوية (موريتانيا)، ص: ١٣٧-١٤٧
- ١٧- الحساب الهجري على أساس الرؤية العلمية، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٤٩-١٦٣
- ١٨- النشاط الثقافي، ص: ١٦٥-١٧٦
- ١٩- نافذة على العالم، إعداد: ن. شوربجي، ص: ١٧٧-١٨٣

السنة الثالثة، العدد: ١٣
صفر، ربيع الأول ١٣٩٣ هـ/ مارس، أبريل ١٩٧٣ م

- ١- افتتاحية:
- التوجيهات الحديثة للدعوة الإسلامية، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢-٨
- دراسات إسلامية:
- ٢- ضمان حياة عائلية هادئة مستقرة، بقلم: بوعلام بن حمودة، ص: ٩-١٠
- ٣- حول مشاكل الأسرة، بقلم: أحمد حماني، ص: ١١-١٧
- ٤- الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٩-٣٧
- ٥- التكافل الاجتماعي في الإسلام، بقلم: فتحي الدريني (سوريا)، ص: ٣٩-٤٩
- دراسات ثقافية وأدبية:
- ٦- على هامش مؤتمراتنا الأدبية: الأديب العربي والشعب، بقلم: عبد الله شريط، ص: ٥١-٥٧
- ٧- الجراح التي لا تنام، شعر: مفدي زكريا، ص: ٥٩-٦٤
- ٨- فن المقامة في النثر الجزائري الحديث (٢)، بقلم: عبد الله ركيبي، ص: ٦٥-٧٦
- ٩- الأمراض والعاهات والعيوب وما يتصل بها في عاميتنا، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ٧٧-٨٣
- ١٠- أدباؤنا والمسيرة الثورية، بقلم: محمد مصايف، ص: ٨٥-٩٠
- ١١- جان بول سارتر يتحدث عن الإصلاح والعنف والثورة، بقلم: هشام الصفدي، ص: ٩١-١٠٨
- ١٢- العلاج والقرامطة، بقلم: محمود قاسم (مصر)، ص: ١٠٩-١٢٠
- ١٣- نظرية العصبية عند ابن خلدون وابن الأزرقي، بقلم: الحسن السايح (المغرب)، ص: ١٢١-١٢٤
- دراسات اجتماعية:
- ١٤- الأرض والهجرة، بقلم: عمار بوحوش، ص: ١٢٥-١٣١
- ١٥- جمع أم تشنيت؟ بقلم: فتيحة بغي، ص: ١٣٣-١٣٧
- ١٦- ندوة الأصالة: الغزو الثقافي، أدارها: عثمان شبوب، شارك فيها: عبد الله ركيبي، عبد المجيد مزيان، الشيخ بوعمران، هشام الصفدي، جمال قنان، ص: ١٣٩-١٦٨
- ١٧- في ممارسة البحوث الاجتماعية وما يجب أن يلقاه الباحث الاجتماعي من تشجيعات، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١٦٩-١٧٦
- ١٨- علم الاجتماع العربي هل هو ممكن؟ ملاحظات في العلاقة بين علم الاجتماع والإيديولوجيا، بقلم: الطاهر الجديري، ص: ١٧٧-١٨٥
- ١٩- اتجاهات في منهج البحث في الدراسات الاجتماعية، بقلم: عمار طالبي، ص: ١٨٧-١٩١
- دراسات تاريخية:
- ٢٠- مدرسة بجاية الأندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط، بقلم: عبد الله عنان (مصر)، ص: ١٩٣-١٩٧

- ٢١- جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٩٩-٢١٢
- ٢٢- من آثارنا المغمورة: "بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد" لأبي زكريا يحيى ابن خلدون، بقلم: محمود بوعبيد، ص: ٢١٣-٢٢٢
- ٢٣- المظهر الاقتصادي والاجتماعي وصلته بالبيئة الجغرافية في بلاد العرب قبل الإسلام، بقلم: موسى لقبال، ص: ٢٢٣-٢٣٣
- ٢٤- نافذة على العالم، إعداد: ن. شوربجي، ص: ٢٣٥-٢٤٨

السنة الثالثة، العددان: ١٤-١٥

ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب ١٣٩٣ هـ

ماي جوان، جويلية، أوت ١٩٧٣م^(٤)

- ١- افتتاحية: إنما الأمم الأخلاق، بقلم: مولود قاسم، ص: ٢-٤
- موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر:
- ٢- منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر، بقلم: أبو القاسم سعد الله، ص: ٧-٢٦
- ٣- النظريات التاريخية بين التفسير والتحريف، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ٢٧-٣٤
- ٤- الدفاتر التركية والعربية في الجزائر، بقلم: عبد الجليل التميمي (تونس)، ص: ٣٥-٤١
- ٥- البولونيون وتاريخ المغرب الوسيط، بقلم: إبراهيم فخار، ص: ٤٣-٥٥
- ٦- نماذج من تشويه بعض المؤرخين الجانب لتاريخ الجزائر، بقلم: محمد الميلي، ص: ٥٧-٦٣
- ٧- تعريف بالمجلة التاريخية المغربية، ص: ٦٤
- ٨- نظرة تقييمية لدراسات تاريخية حديثة عن حركات الخوارج في المغرب العربي في العصر الوسيط، بقلم: الحبيب الجناحاني (تونس)، ص: ٦٥-٦٩
- ٩- المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني، بقلم: مولاي بلحميسي، ص: ٧٩-٧١
- ١٠- كلمة مقتضبة لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية، بقلم: شارل روبير أجرون (فرنسا)، ص: ٨١-٨٦
- ١١- حول جنسية التاريخ، بقلم: ايفون توران، ص: ٨٧-٩٨
- ١٢- أضواء جديدة على تاريخ المغرب، بقلم: هشام الصفدي، ص: ٩٩-١١١
- ١٣- الجزائر وأقطار العالم الثالث في نظر الإثنولوجيا في القرن التاسع عشر، بقلم: يوسف نسيب، ص: ١١٣-١١٦
- ١٤- المؤرخون المان والجزائر، بقلم: أبو العيد دودو، ص: ١١٧-١٢٣
- ١٥- موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٢٥-١٥٣
- ١٦- من بواعث الاستشراق وأهداف المستشرقين، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٥٥-١٥٩
- ١٧- الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة ١٨٧١، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٦١-١٧٢
- ١٨- تاريخنا يحتاج على إعادة نظر، بقلم: الطاهر قيق (تونس)، ص: ١٧٣-١٧٥
- ١٩- دور فرنسا في النهضة القومية الجزائرية من خلال مزاعم مؤرخين أجبيين، بقلم: محمد برج، ص: ١٧٧-١٨٥
- ٢٠- مساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح أساسا لتنمية تاريخنا القومي؟ بقلم: إسماعيل العربي، ص: ١٨٧-١٩٨
- ٢١- ندوة الأصالة في تونس: موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ المغرب العربي، أدار الندوة: عثمان شبوب، شارك فيها: مصطفى زبيس، محمد الطالب، عبد الجليل التميمي، الحبيب الجناحاني، الطاهر قيق. ص: ١٩٩-٢١٣

(٤) - عدد خاص بتاريخ الجزائر وموقف المؤرخين الأجانب منه.

٢٢- ندوة الأصالة في المغرب: موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ المغرب العربي، أدار الندوة: عثمان شبوب، شارك فيها: عبد الكريم كريم، إبراهيم حركات، محمد كريم، سعيد النجار، توفيق أحمد، مفدي زكريا، محمد المنوني، إبراهيم الخلادي، جان كاني (بالفرنسية). ص: ٢١٥-٢٣٠

دراسات تاريخية عامة:

٢٣- من آثارنا المغمورة: الذخيرة السنية في الدولة المرينية، بقلم: محمود بوعباد، ص: ٢١٣-٢٤٠

٢٤- الغزو الإسباني للجزائر في القرن السادس عشر أسبابه مراحل نتائجه، بقلم: حكت ياسين، ص: ٢٤١-٢٥٥

٢٥- نبذة تاريخية عن الدولة الجزائرية، بقلم: وليام شالير، ترجمة: محمد العربي الزبيري، ص: ٢٥٧-٢٦٤

٢٦- تراجم بعض مشاهير علماء زواوة القبائل الصغرى والكبرى، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٢٦٥-٢٧٥

٢٧- أصالة الشعب الجزائري، بقلم: محمد البشير الإبراهيمي، ص: ٢٧٦

مقابلات:

٢٨- آخر حديث لعميد الصحفيين الجزائريين المرحوم أبي اليقظان عن التاريخ النضالي للصحافة الوطنية، إعداد: الزبير سيف الإسلام، ص: ٢٧٧-٢٨٨

ملف:

٢٩- صفحات من تاريخ جامع كتشاوة، إعداد الطاهر بوشوشي، ص: ٢٨٩-٢٩٠

٣٠- مدوا يدا نين دنينا موحدة، شعر: مفدي زكريا، ص: ٣٠١-٣٠٣

رسائل جامعية:

٣١- دولة بني حماد في الجزائر، عبد الحليم عويس، ص: ٣٠٥-٣٠٩

النشاط الثقافي:

٣٢- تدشين الرئيس هواري بومدين لثانوية محمد بن عثمان الكبير في وهران، ص: ٣١١

٣٣- توصيات مؤتمر المراكز والهيئات الثقافية الإسلامية يف أوروبا، ص: ٣١٩-٣٢٧

٣٤- دور المؤرخين المغاربة، ص: ٣٢٩-٣٣١

٣٥- حياتنا الثقافية، إعداد: سهيل الخالدي، ص: ٣٣٣-٣٤١

٣٦- ماضي النشاط الثقافي في القصبة، ص: ٣٤٢

٣٧- مجلة المجالات، إعداد: حكمت ياسين، ص: ٣٤٣-٣٥٥

القسم الفرنسي:

- 1- Il n'est pas de nations.. p: Mouloud kassim nait belkacem, p: 1-2
- 2- Tirer la sonnette d'alarme, p: Mouloud kassim nait belkacem, p: 3-11
- 3- Revue d'histoire maghrébine, p: 12
- 4- L'histoire et sa nationalité, p: Yvone turin, p: 13-22
- 5- Simple note en faveur de la décolonisation de l'histoire algérienne à propos d'un pseudo-historien de l'algérie française, p: Charles robert Ageron, p: 23-26
- 6- Les historiens français et l'algerie à l'époque ottomane, p: Moulay Belhamissi, p: 27-34
- 7- L'algerie et le tiers-monde pour l'ethnologie du 19eme siècle, p: Youcef Nacib, p: 35-37

السنة الثالثة، العدد: ١٦

شعبان/ رمضان، ١٣٩٣ هـ، سبتمبر/ أكتوبر ١٩٧٣ م

- ١- الامبريالية الثقافية.. ثلاثة نماذج، بقلم: عثمان شوب، ص: ٣-١٠
- ٢- وحدة وحصانة، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١١-١٤
- دراسات ثقافية وأدبية:**
- ٣- اتهام ابن خلدون بالتحامل على العرب، بقلم: علي عبد الواحد وافي (مصر)، ص: ١٥-٢٢
- ٤- حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن ١٩، بقلم: الحبيب الجناحي (تونس)، ص: ٢٣-٣٨
- ٥- جوانب من الكفاح الثقافي للمرحوم نعيمة النعيمة، بقلم: بلقاسم النعيمة، ص: ٣٩-٥٠
- ٦- الجديد في الثقافة والحضارة، بقلم: علي عيسى، ص: ٥١-٥٦
- ٧- ملامح من حياة الشيخ الطاهر بن عاشور، بقلم: الصادق بسيس (تونس)، ص: ٥٧-٦٢
- ٨- مليانة، بقلم: هاينريش مالستان، ترجمة: أبو العيد دودو، ص: ٦٣-٧٠
- ٩- الإنسان حيوان يتكلم، بقلم: محمد العزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٧١-٨٢
- دراسات اجتماعية:**
- ١٠- الأرض والهجرة، ج: ٣، بقلم: عمار بوحوش، ص: ٨٣-٩٦
- ١١- العمل الجماعي وأسس التعاون، بقلم: فتيحة بغي، ص: ٩٧-١٠٦
- دراسات سياسية:**
- ١٢- من مؤتمر باكو إلى مؤتمر القمة في الجزائر، بقلم: بول بالطا، ص: ١٠٧-١١٦
- ١٣- ندوة الأصالة: التبشير، أدارها: عثمان شوب، شارك فيها: محمد الفاسي (المغرب)، عثمان الكعاك (تونس)، عمر فروخ (لبنان) سيدي محمد يوسف جيري (مالي)، المهدي البوعبدلي (الجزائر)، عمار طالبي (الجزائر)، الحبيب الجناحي (تونس)، عبد الرحمن شيبان (الجزائر)، ص: ١١٧-١٣١
- ١٤- نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر، ج: ٢، بقلم: محمد الملي، ص: ١٣٣-١٤٠
- ١٥- صنهاجة وكتامة وغيرها من البربر سكان شمال إفريقيا الشمالية، بقلم: اسماعيل العربي، ص: ١٤١-١٦٠
- ١٦- لالا فاطمة نسومر، بقلم: حسن حموتن، ص: ١٦١-١٦٦
- ملف الملتقى:**
- ١٧- كلمة أنور السادات، ص: ١٦٧
- ١٨- كلمة أحمد توفيق المدني، ص: ١٦٨-١٧١
- ١٩- تعقيب السيد مولود قاسم، ص: ١٧٤-١٧٦
- ٢٠- كلمة راشد عبد الله الفرخان، ص: ١٧٧-١٧٨
- ٢١- كلمة الدكتور التجاني هدام، ص: ١٧٧-١٧٨
- ٢٢- كلمة الاختتام، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١٧٩-١٨٢
- ٢٣- التوصيات، ص: ١٨٣-١٩٢
- انطباعات الملتقى:**
- ٢٤- طلائع نهضة إسلامية جديدة، بقلم: محمد عبد الله عنان (مصر)، ص: ١٩٥-١٩٨

- ٢٥- خواطر عن الملتقى، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ١٩٩-٢٠٦
- ٢٦- التطوع والإسلام، الإمام موسى الصدر (لبنان)، ص: ٢٠٧-٢٠٨
- ٢٧- سياسة فرنسا تجاه العرب من ديغول إلى بومبيدو (كتاب الأصالة)، تأليف بول بالطا، عرض: إسماعيل العربي، ص: ٢٠٩-٢٢٠
- ٢٨- من وراء البحار أفكار ومذاهب، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٢٢١-٢٣٢
- ٢٩- الحياة الثقافية: نشاط المركز الثقافي الإسلامي، دور المثقف في المعركة، ص: ٢٣٣-٢٤٢
- ٣٠- مع المجالات العربية: الفكر الوطني المبدع هو طريق النجاة، رحلة المصير، كتب، ص: ٢٤٣-٢٤٦
- ٣١- رسالة تونس، مراسلة: صالح الحاجة: ابن هانئ لم يكن تونسيا فهو مغربي، دماء وحب وبلاستيك، مصطفى محمود والتفسير العصري، ص: ٢٤٧-٢٥٣
- القسم الفرنسي:**

- 1- Tout milite en faveur du regroupement de la oumma, p: Mouloud kassim Nait belkacem, p: 1-6
- 2- Recommandations du 7ème séminaire pour la connaissance de la pensée islamique, p: 22
- 3- Séminaire du consensus, par: Mouloud kassim Nait Belkacem, p: 23-25
- 4- Du congres de Bakou au sommet d'Alger, p: Paul Balta, p: 27-33
- 5- Le volontariat de l'islam, p: L'imam Moussa Assadr, p: 34-35

السنة الرابعة، العددان: ١٧-١٨
شوال، ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٩٣، محرم ١٣٩٤ هـ
نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٣، جاتفي، فيفري ١٩٧٤م^(٥)

- ١- الافتتاحية:
من اللغة تبدأ ثورة التجديد، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٥-١١
- ٢- على هامش المؤتمر الثاني للتعريب
نحو خطة شاملة لتطوير اللغة العربية، بقلم: عبد الحمدي مهري، ص: ١٣-١٦
- ٣- التعريب قضية إرادة ثورية، بقلم: بوعلام بن حمودة، ص: ١٧-٢٢
- ٤- التعريب من الوجهتين الاجتماعية والسياسية، بقلم: عبد المجيد مزبان، ص: ٢٣-٣١
- ٥- الثورة الثقافية تعريب والتعريب ثورة ثقافية، بقلم: أحمد طالب الإبراهيمي، ص: ٣٣-٣٧
- ٦- الجامعة والتعريب، بقلم: محمد الشريف مساعدي، ص: ٣٩-٤٧
- ٧- اللغة والشخصية في حياة الأمم، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٤٩-٦٩
- ٨- دور اللغة العربية في الحفاظ على الشخصية الوطنية عبر التاريخ، بدون توقيع، ص: ٧١-٧٣
- ٩- التعريب واقعه ومستقبله في المغرب العربي، بقلم: عبد الكريم غلاب (المغرب)، ص: ٧٥-٨٥
- ١٠- أضواء على قسم اللغة الوطنية في كلية العلوم، بقلم: عبد الحميد شنيني، ص: ٨٧-٩١
- ١١- التعريب بين الأمس والغد، بقلم: محمد زنيبر (المغرب)، ص: ٩٣-٩٩
- ١٢- تعريب التفكير أولاً، بقلم: عبد الله ركيبي، ص: ١٠١-١٠٥
- ١٣- التعريب ووسائل تحقيقه، بقلم: محمد الفاسي (المغرب)، ص: ١٠٧-١١٨
- ١٤- حركة التعريب وصل بين الماضي والمستقبل، بقلم: شكري فيصل (سوريا)، ص: ١١٩-١٢١
- ١٥- واقع ومستقبل حركة التعريب بالجزائر، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٢٣-١٢٩
- ١٦- لغة التاريخ، بقلم: هشام الصفدي (سوريا)، ص: ١٣١-١٤٢
- ١٧- دور الأسنية في المساهمة في التعريب، بقلم: صالح القرماي (تونس)، ص: ١٤٣-١٤٧
- ١٨- مشكلة اللغة والمجتمع، بقلم: عبد الله شريط، ص: ١٤٩-١٦١
- ١٩- خطوات في طريق تعريب التعليم في الجزائر، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ١٦٣-١٧٣
- ٢٠- تجربتان في التعريب، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ١٧٥-١٨٥
- ٢١- التعريب والشخصية الوطنية، بقلم: محمد مصايف، ص: ١٨٧-٢٠٠
- ٢٢- التعريب، بقلم: عبد القادر حجار، ص: ٢٠١-٢٠٨
- ٢٣- ملاحظات حول تطوير اللغة العربية لمسايرة التطوير العلمي والتقني، بقلم: محمود الجليلي (العراق)، ص: ٢٠٩-٢١٢
- ٢٤- خصائص اللغة العربية في التعبير العلمي، بقلم: عبد الحليم منتصر (مصر)، ص: ٢١٣-٢٢٧

(٥) - عدد خاص بالتعريب.

- ٢٥- أن نكون أو لا نكون تلك هي المشكلة، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٢٤٢-٢٢٩
- ٢٦- مستقبل اللغة العربية بالمغرب الأقصى، بقلم: محمد محيي الدين المشرفي (المغرب)، ص: ٢٥٢-٢٤٣
- ٢٧- التعريب بين اللغة والفكر، بقلم: فتيحة بغاي، ص: ٢٥٨-٢٥٣
- ٢٨- واقع اللغة العربية في الصحافة الإصلاحية الجزائرية، بقلم: محمد ناصر، ص: ٢٥٩-٢٦٩
- ٢٩- في قضايا اللغة العربية ومستوى التعليم العربي، بقلم: أحمد الأخضر غزال (المغرب)، ص: ٢٨٧-٢٧١
- ٣٠- لغو في اللغة، بقلم: محمد عزيز الحبابي، ترجمة فاطمة الجامعي الحبابي (المغرب)، ص: ٢٩٤-٢٨٩
- ٣١- التعريب والازدواجية في تونس، بقلم: الطيب البكوش (تونس)، ص: ٣٠٤-٢٩٥
- ٣٢- عبد الله بن المقفع زعيم التعريب في عصره، بقلم: عبد الحميد حاجيات، ص: ٣٠٥-٣١١
- ٣٣- التعريب قديما وحديثا، بقلم: أحمد فؤاد الأهواني (مصر)، ص: ٣١٩-٣١٣
- ٣٤- الرصيد اللغوي المغربي، بقلم: أحمد العابد (تونس)، ص: ٣٢٤-٣٢١
- ٣٥- إنصاف لا تشريف، بقلم: عبد الكريم غلاب (المغرب)، ص: ٣٢٨-٣٢٥
- ٣٦- خصوم العربية في المغرب العربي، شعر: عبد الله كنون (المغرب)، ص: ٣٢٩-٣٣٠
- ٣٧- حول التعريب، بقلم: عبد الوهاب حسن، ص: ٣٣٨، ٣٣١
- ٣٨- تجربة لغوية من العالم الثالث: الوضع اللغوي في الهند، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٣٤٦-٣٣٩
- ٣٩- من الأرشفة:
- وختاما.. لك ألف سلام، بقلم: م. دين، ص: ٣٥٣-٣٤٧
- ٤٠- تحذير المسلمين من بدعة استخدام الحروف اللاتينية بدل العربية، ص: ٣٥٤
- ٤١- مقابلات:
- دور معهد اللسانيات في التعريب، مع: عبد الرحمن حاج صالح، ص: ٣٦٠-٣٥٥
- ٤٢- أوربا والعالم العربي من حرب الويس إلى حرب أكتوبر، بقلم: بول بالطا (فرنسا)، ص: ٣٦٥-٣٦١
- ٤٣- مشاكل اللغة العربية، (ندوة الأصالة) أدارها: عثمان شبوب، شارك فيها: عبد المجيد عطية (تونس)، أحمد صوة (تونس)، محمد خليل (المغرب)، عبد القادر بن الشيخ (تونس)، السيدة محفوظ (تونس)، محفوظ شرشان (تونس)، محمد بشوش (تونس)، ص: ٣٧٨-٣٦٧
- ٤٤- اللغة العربية وكيف حلت محل اللغات القديمة (كتاب الأصالة)، تأليف: مورييس لومبارد، ترجمة وتعليق: إسماعيل العربي، ص: ٣٨٧-٣٧٩
- التعريب في الجزائر (تقارير الوزارات):**
- ٤٥- التعريب في المرحلتين الابتدائية والثانوية، ص: ٤٢٠-٣٩٠
- ٤٦- تجربة الجيش الوطني الشعبي في ميدان التعريب ونشر اللغة الوطنية، ص: ٤٢١-٤٢٦
- ٤٧- التعريب في وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، ص: ٤٣٢-٤٢٧

- ٤٨- تعريب الموظفين في وزارة الشبيبة والرياضة والمؤسسات التابعة لها، ص: ٤٣٣-٤٣٦
- ٤٩- التعريب في وزارة الصحة، ص: ٤٣٧
- ٥٠- تقرير حول سير عملية التعريب لوزارة الأشغال العمومية والبناء، ص: ٤٣٩-٤٤١
- ٥١- تقرير عن سير خطوات التعريب في وزارة البريد والمواصلات، ص: ٤٤٣-٤٤٩
- ٥٢- من وراء البحار أفكار ومذاهب، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٤٥١-٤٦٤
- ٥٣- مع المجالات، إعداد: بهية. ع، ص: ٤٦٥-٤٧٤
- ٥٤- توصيات المؤتمر الثاني للتعريب، ص: ٤٧٥-٤٨٠

السنة الرابعة، العدد: ١٩
صفر، ربيع الأول ١٣٩٤ هـ/ مارس، أبريل ١٩٧٤م^(٦)

- ١- الافتتاحية، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٢
تاريخ بجاية:
- ٢- ملاحظات عن ميزات بجاية وأهمية دورها في مسيرة التاريخ، بقلم: موسى لقبال، ص: ١١-٣
- ٣- دور بجاية في الحضارة، بقلم: إبراهيم حركات (المغرب)، ص: ١٣-١٧
- ٤- سياسة الناصر بن علناس تجاه بلاط المهديّة، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ١٩-٣٠
- ٥- لمحة عن زحف علي بن غانية الميورقي على بجاية (٥٨٠ هـ / ١١٨٤م)، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ٣١-٣٧
- ٦- بجاية، بقلم: هايزيس فون مالتسان (ألمانيا)، ترجمة: أبو العيد دودو، ص: ٣٩-٤٥
- ٧- نضال بجاية ومنطقتها ضد الاستعمار الفرنسي، بقلم: رشيد قايد، ص: ٤٧-٦٠
- ٨- بجاية من خلال بعض الرحالة المسلمين، بقلم: رابح بونار، ص: ٦١-٦٩
- ٩- بجاية من خلال النصوص الغربية، جمعها وترجمها وقدم لها: إسماعيل العربي، ص: ٧١-٨١
- ١٠- نظرة على تاريخ بجاية، بقلم: السيدة عالمة، ص: ٨٣-٨٨
- ١١- مخطوط ينشر لأول مرة: تاريخ بني حماد للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ)، تقديم: رابح بونار، ص: ٨٩-٩٥
- ١٢- بجاية في حقائق الكتب، نصوص اختارها وعلق عليها: مولاي بلحميسي، ص: ٩٧-١٣٢
- الحياة الفكرية في بجاية:
- ١٣- الحياة الفكرية ببجاية في عهد الدولتين الحفصية والتركية وآثارها، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٣٣-١٤٧
- ١٤- الفيلسوف ريمون لول في بجاية سنة ١٣٠٧م، بقلم: بوعمران الشيخ، ص: ١٤٩-١٥٢
- ١٥- الحياة العقلية في بجاية: الفلسفة والكلام والتصوف، بقلم: عمار طالبي، ص: ١٥٣-١٧٢
- ١٦- أعلام أقاموا بجاية في القرن السابع الهجري، بقلم: محمد بلغراد، ص: ١٧٣-١٨٠
- ١٧- ابن خلدون في بجاية، بقلم: عبد الله عنان (مصر)، ص: ١٨١-١٩٠
- ١٨- ابن خلدون في بجاية، بقلم: عبد الحميد حاجيات، ص: ١٩١-٢٠٣
- ١٩- إقامة ابن خلدون في بجاية ودوره فيها، بقلم: محمد سعيد رعد، ص: ٢٠٥-٢٢٦
- ٢٠- دقة ابن خلدون وصرامته في شؤون العلم والقضاء ومرونته في شؤون السياسة، بقلم: علي عبد الواحد وافي (مصر)، ص: ٢٢٧-٢٣٢
- ٢١- إقامة ابن تومرت ببجاية وملالة، بقلم: رشيد بورويّة، ص: ٢٣٣-٢٤٠
- الحياة الفقهية في بجاية:
- ٢٢- عباقرة من رجالنا تزهى بهم عواصمنا الصنهاجية، بقلم: أحمد حماني، ص: ٢٤١-٢٥٨

(٦) - عدد خاص عن مدينة بجاية بمناسبة انعقاد الملتقى الثامن للفكر الإسلامي بها.

٢٣- عبد الحق الإشبيلي البجائي محدث القرن السادس الهجري، بقلم: رابح بونار، ص: ٢٥٩-٢٧٢

الحركة الأدبية في بجاية:

٢٤- الحركة الأدبية في بجاية بني حماد، بقلم: رشيد مصطفى، ص: ٢٧٣-٢٨٦
٢٥- جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٨٧-٣٠١

٢٦- عبقرية المشداليين العلمية في بجاية على عهدها الإسلامي الزاهر، بقلم: رابح بونار، ص: ٣٠٣-٣١٦

٢٧- عبد الجبار بن حمديس الصقلي شاعر بني حماد، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٣١٧-٣٢٦

٢٨- بجاية، شعر: عبد الكريم العقون، ص: ٣٢٧-٣٢٩

الحياة الاقتصادية:

٢٩- العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر في عصر بني حماد، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٣٣١-٣٦١

كتاب الأصالة:

٣٠- بجاية، تأليف: شارل فيرو، عرض ونقد: إسماعيل العربي، ص: ٣٦٣-٣٧٢

٣١- كتب عن بجاية، ببليوغرافيا أعدتها السيدة عالمة، ص: ٣٧٣-٣٧٤

السنة الرابعة، العدد: ٢٠

ربيع الثاني، جمادى الأولى ١٣٩٤ هـ/ ماي، جوان ١٩٧٤م^(٧)

- ١- افتتاحية، ص: ٢
- ٢- كلمة افتتاح الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٦-٣
- النقطة الأولى من جدول أعمال الملتقى:
- ٣- وضع الأقليات والجاليات عموما والإسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين ورجال الإعلام نحوها، بقلم: فرنسيس منهايم (بلجيكا)، ص: ١٥-٧
- ٤- وضع الأقليات والجاليات عموما والإسلامية خصوصا في كثير من بلدان القارات الخمس وواجب العلماء والمفكرين ورجال الإعلام نحوها، بقلم: عبد الكريم سايتو (اليابان)، ص: ٣٠-١٧
- النقطة الثانية من جدول أعمال الملتقى:
- ٥- دور المفكر اليوم وعلى مر العصور في أمته وتجاه الإنسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل، بقلم: محمد عزيز الحبابي (المغرب)، ص: ٤٠-٣١
- النقطة الرابعة من جدول أعمال الملتقى:
- ٦- مصنف عصري لطب العين من القرن السادس الهجري: "مرشد الكحالين" لمحمد بن أسلم الغافقي، بقلم: سعيد شيبان، ص: ٥٥-٤١
- ٧- بين التعصب والإسلامية أو الإسلام من خلال بعض الشخصيات في العالم المسيحي، بقلم: ميغال دي ايباليزا (اسبانيا)، ص: ٦٤-٥٧
- ٨- الحضارة الإسلامية والنزعة الإنسانية، بقلم: إحسان عباس (لبنان)، ص: ٧٨-٦٥
- النقطة الخامسة من جدول أعمال الملتقى:
- ٩- الإنية والأصالة مع التفتح والعالمية، بقلم: عبد الله بن بيه (موريتانيا)، ص: ٨٦-٧٩
- ١٠- التاريخ كملتقى ممتاز للأصالة والعالمية، بقلم: ايفون تورين، ص: ٩٩-٨٧
- ١١- بين الأصالة والمعاصرة، بقلم: زكي نجيب محمود (مصر)، ص: ١١٠-١٠١
- ١٢- رسالة من الدكتور جرمانوس إلى الملتقى، ص: ١١٢-١١١
- ١٣- حماية فلسفة التشريع الإسلامية، بقلم: عبد الكرم يوليوس جرمانوس، ص: ١١٣-١١٦
- ١٤- أمجادنا تتكلم: ملحمة تاريخية عن بجاية، شعر: مفدي زكريا، ص: ١٢٦-١١٧
- ١٥- توصيات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، ص: ١٤٢-١٢٧
- ١٦- كلمة اختتام الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١٤٣-١٤٧
- ١٧- محمد علال الفاسي المجدد المجتهد: حياته يف سطور، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٥٣-١٩٠
- مقابلات:
- ١٨- الإسلام نظام شامل والنقص فينا، حوار صريح مع مولود قاسم نايت بلقاسم، أجراه: عاطف يونس، ص: ١٩٩-١٩١
- ١٩- مسلم ومفكر ياباني يتحدث إلى "الشعب"، حوار مع الدكتور عبد الكريم سايتو، ص: ٢٠٣-٢٠٠

(٧) - عدد خاص بمحاضرات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، من ١ إلى ١٢ ربيع الأول ١٣٩٤ هـ، الموافق من ٢٥ مارس إلى ٥ أبريل ١٩٧٤م.

- ٢٠- وشهد شاهد من غير أهلها، حوار مع الدكتور مانفريد فلايشهامر، أجراه: عاطف يونس، ص: ٢٠٤-٢٠٦
- ٢١- الأقليات الإسلامية في اسبانيا، حوار مع الدكتور ميغال دي ايباليزا، ص: ٢٠٧-٢١٣
- ٢٢- لقاء مع الدكتور عبد الكريم سايتو، أجرى الحديث: محمد بليدي، ص: ٢١٤-٢١٦
- ٢٣- ملتقى بجاية، استجواب مع الدكتورة ايفون توران، أجرى الحديث: أحمد بليدي، ص: ٢١٧-٢٢٠
- أصداء الملتقى:**
- ٢٤- موضوع الأصالة والتفتح يسود مناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بقلم: بول بالطا (فرنسا)، ص: ٢٢١-٢٢٢
- الحياة الثقافية:**
- ٢٥- حوار حول كتاب "٨٠ سنة على الجزائر العثمانية"، بقلم: أحمد توفيق المدني، ص: ٢٢٣-٢٤٠
- ٢٦- سياسة ثقافية في خدمة السلم (١)، بقلم: محمد عزيز الحبابي، ترجمة: فاطمة الحبابي الجامعي، ص: ٢٤١-٢٤٧
- ٢٧- الأسبوع الثقافي التونسي، ص: ٢٤٨
- ٢٨- معرض الكتاب العربي ندوة عن التأليف والتداول والترجمة، بقلم: محمد امغار، ص: ٢٤٩-٢٥٢
- ٢٩- تأسيس اللجنة الدولية لتشجيع البحوث التاريخية العربية، ص: ٢٥٣-٢٥٤
- القسم الفرنسي:**

- 1- Allocution de Mr Mouloud-kassim Nait Belkacem à l'ouverture du 8ème séminaire sur la pensée islamique, p: 2-5
- 2- La situation des minorités et des communautés d'émigration en générale et musulmanes en particulier dans les divers pays des cinq continents et le devoir des savants, penseurs, et hommes de mass-media a leur égard, p: Francis Monheim, p: 6-14
- 3- La situation des minorités et des communautés d'émigration en générale et musulmanes en particulier dans les divers pays des cinq continents et le devoir des savants, penseurs, et hommes des mass-media a leur égard, p: Abdelkrim Saito, p: 15-26
- 4- Rôle du penseur a travers les ages, et particulièrement aujourd'hui, dans sa nation et a l'égard de l'humanité, de ses problèmes de l'heure et ses perspectives d'avenir, p: Mohamed Aziz Lahbabi, p: 27-35
- 5- Ouvrage moderne d'ophtalmologie datant du 6eme siècle de l'hégire (12eme siècle): (Guide des ophtalmologues) de Mohamed ibn aslam el-ghafiqui, p: Said chibane, p: 36-50
- 6- Entre le fanatisme et l'islamisation: L'attitude de Ramon llul a Bidjaia, p: Miguel de Epalza, p: 51-57

- 7- La civilisation musulmane et la tendance humaniste, p: Ihsane Abbas, p: 58-72
- 8- Identité et authenticité dans l'ouverture de l'universalité, p: Abdellah ben Bih, p: 73-80
- 9- L'histoire rencontre de l'authentique et de l'universel, p: Yvone Turin, p: 81-90
- 10- Entre l'authenticité et la contemporanéité, p: Zaki Nadjib Mahmoud, p: 91-100
- 11- Nos gloires parlent, poème : Moufdi Zakaria, traduction de: Tahar Bouchouchi, p: 101-110
- 12- Les recommandations du 8eme séminaire sur la pensée islamique, p: 111-127
- 13- Allocution de cloture du 8 eme séminaire sur la pensée islamique, prononcée par: Mouloud kassim Nait Belkacem, p: 128-131
- 14- Un entretien avec le docteur Abdul-karim saitoh, p: 132-133
- 15- Les minorités musulmanes en Espagne, p: 134-138
- 16- Un entretien avec le docteur Yvonne Turin, p: 139-141
- 17- Le débat sur la modernité et l'authenticité a domine le huitième séminaire sur la pensée islamique, p: Paul Balta, p: 142-143

السنة الثالثة، العدد: ٢١
جمادى الثانية، رجب، شعبان ١٣٩٤ هـ/ جويلية، أوت، سبتمبر ١٩٧٤

- ١- بعد أربعة عشر قرناً من نزول "اقرأ".. أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٩-٣
- ٢- فتوى حول العمل بالحساب الفلكي لتعيين مواقيت العبادات وفي إخراج تقويم قمري موحد، لجنة الإفتاء بالوزارة، ص: ٢١-١١
- ٣- اعتبار التقويم في ثبوت شهر الصوم وصحة العمل بالحساب الفلكي في دخول الشهر القمري، آخر حديث للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (تونس)، ص: ٢٣-٢٧
- ٤- الحساب الهجري على أساس الرؤية العلمية، بقلم: أحمد حماني، ص: ٢٩-٤٣
- ٥- حوار مع مولود قاسم نايت بلقاسم حول موضوع توحيد الأهلة، أجراه: عثمان شوب، ص: ٤٥
- ٦- رأي الأستاذ أحمد حسن الباقوري (مصر)، ص: ٥٣-٥٥
- ٧- دراسة حول تغيرات سرعة دوران الأرض حول نفسها، بقلم: عبد الكريم غزلون، ص: ٥٧-٥٨
- ٨- تعقيب مولود قاسم في الملتقى السابع بتييزي وزو، ص: ٥٩-٦١
- ٩- إثبات شهر رمضان وبحث العمل فيه وفي غيره بالحساب، ص: ٦٣-٦٧
- ١٠- نصيحة دينية تقدمها جمعية العلماء للأمة المسلمة الجزائرية، ص: ٦٩-٧١
- ١١- ماذا يجب على قضاة الأهلة في العالم الإسلامي؟ بقلم: محمد بخيت المطيعي (مصر)، ص: ٧٢
- ١٢- رأي المرحوم علال الفاسي في العمل بالحساب الفلكي في الصوم والإفطار، ص: ٧٣-٧٨
- ١٣- تحديد وتوحيد العمل بالشهور وأيام المناسبات الإسلامية، بقلم: حسن خالد (لبنان)، ص: ٧٩-٨٥
- ١٤- رأي الإمام موسى الصدر (لبنان)، ص: ٨٦
- ١٥- رأي عبد الله الشماحي (اليمن)، ص: ٨٧
- ١٦- تقويم إسلامي موحد يجمع بين الحكم الشرعي والحساب الفلكي، بقلم: مبروك عوادي، ص: ٨٩-٩٢
- ١٧- توحيد المواسم والأعياد من مظاهر الوحدة الإسلامية، بقلم: أحمد حماني، عبد الكريم غزلون، ص: ٩٣-١٠٤
- ١٨- قرارات وتوصيات المؤتمر الإسلامي العالمي في كوالالامبور-ماليزيا (١٩٦٩)، ص: ١٠٥-١٠٦
- ١٩- المراكز الفلكية وتحديد أوائل الشهور العربية وتوحيد مبدأ الصيام ونهايته والأعياد في البلاد الإسلامية، بقلم: محمد محمد الفحام (مصر)، ص: ١٠٧-١٠٩
- ٢٠- حول توحيد التقويم الهجري: تحديد بداية شهر رمضان لعام ١٣٩٢ هـ، بقلم: ثلاثة من الأساتذة الفلكيين المصريين، ص: ١١١-١١٤
- ٢١- إنشاء مرصد فلكي إسلامي بالسعودية لضبط التوقيت علمياً واعتماده من الشعوب الإسلامية، ص: ١١٥-١١٧
- ٢٢- رأي الشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي، ص: ١١٨

٢٣- الحاجة إلى تقويم هجري موجه يكون عليه عمل المسلمين في الأرض جميعا، بقلم:

محمد عبد الرؤوف، ص: ١١٩-١٢٦

٢٤- من وراء البحار أفكار ومذاهب، إعداد: إسماعيل العربي، ص: ١٣٠-١٤٠

٢٥- نافذة على العالم، إعداد: ن. شوربجي، ص: ١٤١-١٥١

٢٦- صدر أخيرا: المجلة التاريخية المغربية، ص: ١٥٢-١٥٣

القسم الفرنسي:

1- Quatorze siècles après la révélation de la sourate (IQRA).. nous demeurons une nation analphabète ne sachant ni écrire ni compter, p: Mouloud-kassim Nait Belkacem, p: 1-5

2- L'unification du calendrier concernant les solennités et fêtes religieuses constitue l'un des aspects les plus importants et les plus nobles de l'unité islamique, p: AHMED HAMMANI, ABDELKRIM GHAZLOUN, p: 6-19

السنة الرابعة، العدد: ٢٢

رمضان، ذو القعدة، ذو الحجة، ١٣٩٤ هـ / أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٤م^(٨)

- ١- للأمم أيامها، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢-٣
- ٢- بعض دروس ثورة فاتح نوفمبر، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٤-٧
- ٣- أحداث مهدت لفاتح نوفمبر، بقلم: عبد الحميد مهري، ص: ٨-١٨
- ٤- الثورة والأصالة الواعية، بقلم: محمد الصالح يحيلاوي، ص: ١٩-٢٣
- ٥- من سجل الجهاد الجزائري في الخارج، بقلم: أحمد توفيق المدني، ص: ٢٤-٣٧
- ٦- دراسة مقارنة للتيارات الفكرية قبل الثورة واثرائها، بقلم: عبد الله ركيبي، ص: ٣٨-٤٩
- ٧- البعد الريفي في الثورة الجزائرية، بقلم: محمد ابراهيمي الميلي، ص: ٥٠-٥٩
- ٨- الثورة الثقافية كيف ولماذا؟ بقلم: عبد المجيد مقراني، ص: ٦٠-٧٨
- ٩- جان سرفيه وثورة أول نوفمبر ١٩٥٤، بقلم: الشيخ بو عمران، ص: ٧٩-٨١
- ١٠- الجانب الروحي لثورة نوفمبر، بقلم: يوسف يعلاوي، ص: ٨٢-٩٠
- ١١- طرح القضية الجزائرية على المستوى الدولي، بقلم: علي بلحاتم، ص: ٩١-١٠٢
- ١٢- ملحمة منتصف الليل (شعر)، بقلم: عثمان الكعاك (تونس)، ص: ١٠٣-١١٢
- ١٣- مقاومة الفلاحين لعملية الاستيلاء على الأرض خلال حرب التحرير، بقلم: ميشال لوني، ص: ١١٣-١١٦
- ١٤- نشأة الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين ودوره في معركة التحرير، بقلم: حسن السعيد، ص: ١١٧-١٣٧
- ١٥- مكانة ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ بين الثورات العالمية ودورها في تحرير الجزائر وأفريقيا، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٣٨-١٥٠
- ١٦- جوانب من مساهمة المرأة في صنع النصر، بقلم: زهور ونيسي، ص: ١٥١-١٥٩
- ١٧- دور الشبيبة الجزائرية في معركة التحرير، بقلم: أحمد بن نعمان، ص: ١٦٠-١٦٩
- ١٨- تطور الاستعمار في الجزائر وفي سائر المستعمرات، بقلم: عبد الحميد بن شنهو، ص: ١٧٠-١٨٠
- ١٩- المجندون ضد أنفسهم، بقلم: محمد فضيل عمرو، ص: ١٨١-١٨٣
- ٢٠- نوفمبر العشرون المنطلق لتحرر متجدد، بقلم: خير الله عصار، ص: ١٨٤-١٩١
- ٢١- شهداء بني يعلا (شعر)، بقلم: ع. مصطفى، ص: ١٩٢-١٩٣
- ٢٢- المسرح بدأ مع جيش التحرير، بقلم: جروة علاوة وهبي، ص: ١٩٤-٢٠٢
- ٢٣- الإلياذة (شعر)، بقلم: مفدي زكريا، ص: ٢٠٣-٢٢٤

(٨) - عدد خاص بمناسبة الذكرى العشرين لاندلاع الثورة الجزائرية (١٣٧٤-١٣٩٤ هـ / ١٩٥٤-١٩٧٤م).

السنة الرابعة، العدد: ٢٣

محرم، صفر ١٣٩٣ هـ/ جانفي، فيفري ١٩٧٣ م

١- الافتتاحية:

- ١- ثقافة وسياسة، بقلم: عثمان شوب، ص: ٢-٤
- ٢- تعريب الأمخاخ والقلوب، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٥-١٠
- دراسات تاريخية:
- ٣- أضواء على مذكرات الأمير عبد القادر التي أشرف على تسجيلها بقصر أمبواز، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١١-٢٢
- ٤- موقف بايات تونس من ثورة الأمير عبد القادر، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٣-٣٤
- ٥- الأخلاقيات القتالية عند الأمير عبد القادر، بقلم: علي عيسى، ص: ٣٥-٤١
- ٦- نظام الحكم في إمارة الأمير عبد القادر، بقلم: رابح بونار، ص: ٤٢-٥٠
- ٧- ثورة سنة ١٨٧١ ونتائجها، بقلم: مولود قايد، ص: ٥١-٦٢
- ٨- رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني، بقلم: عبد الجليل التميمي (تونس)، ص: ٦٣-٧٥

٩- تحقيق موقع مدينة (برشك)، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ٧٦-٧٧

دراسات ثقافية وأدبية:

- ١٠- ضمير الأمة في كتابها، بقلم: زكي نجيب محمود (مصر)، ص: ٧٨-٨٤
- ١١- تأملات عن الفوارق وهل ينبغي تشجيعها؟ بقلم: إيفون تورين، ص: ٩٤
- ١٢- الجزائر والعالم الثالث، بقلم: محمد العربي الزبيري، ص: ٩٥-١٠١
- ١٣- على هامش ملتقى الضمير الإسلامي والضمير المسيحي.. من الذهب الأسود إلى الحجر السود، بقلم: هشام بوقمرة (تونس)، ص: ١٠٢-١٠٨
- ١٤- العالم العربي يبحث عن وحدته، بقلم: كلود جانو، ترجمة: فتيحة بغاي، ص: ١٠٩-١١٣

دراسات لغوية:

- ١٥- من فصيح العربية في العامية الجزائرية (١)، بقلم: محمد الصالح رمضان، ص: ١١٤-١١٨

مقابلات:

- ١٦- الأستاذ محمود المسعدي في حديث خاص مع الأصالة، أجرى الحديث: عثمان شوب، ص: ١١٩-١٢٤

دراسات قانونية:

- ١٧- جريمة الرشوة ومسؤولية المرتشي في قانون العقوبات الجزائري، بقلم: أحمد مطاطلة، ص: ١٢٥-١٣٠
- ١٨- ندوة الأصالة في تونس:

من مشاكل الثقافة العربية المعاصرة، أدار الندوة: عثمان شوب، شارك فيها: محمد العروسي المطوي، المنجي الكعبي، الحبيب الجحاني، محجوب بن ميلاد، محمد المختار جنات، حمادي الساحلي، عبد المجيد الذويب، محمد اليعلاوي، الجيلاني بن الحاج يحيى. ص: ١٢٥-١٧٩

- ١٩- الخصوصية والأصالة، بقلم: أنور عبد الملك (مصر)، ص: ١٨٠-١٩٠
- ٢٠- الأبعاد التاريخية لأزمة التطور الحضاري العربي، بقلم: شاكر مصطفى (الكويت)، ص: ١٩١-٢٣٥

مؤتمرات:

- ٢١- اللقاء الإسلامي المسيحي بقرطبة، ص: ٢٣٦
- ٢٢- الدورة الثالثة للجنة المرأة العربية، بقلم: زهور ونيسي، ص: ٢٣٩
- ٢٣- بيان قرطبة، ص: ٢٤٠-٢٤٣
- ٢٤- المؤتمر السابع للمستشرقين المختصين بالدراسات العربية الإسلامية بلمانيا الاتحادية، بقلم: إحسان عباس (لبنان)، ص: ٢٤٤-٢٤٦
- ٢٥- مؤتمر السكان العالمي بوخارست، ص: ٢٤٦-٢٥١

السنة الرابعة، العدد: ٢٤
ربيع الأول، ربيع الثاني ١٣٩٥ هـ / مارس ، ابريل ١٩٧٥ م

- ١- افتتاحية:
قيمة اللغة في نظر بعض الأمم، بقلم: مولد قاسم نايت بلقاسم، ص: ٧-٢
دراسات ثقافية وأدبية:
- ٢- لمحة من تاريخ العلوم عند العرب، بقلم: محمد سويس، ص: ٢٣-٨
- ٣- عودة الأشباح المشبوهة، بقلم: هشام بوقمرة، ص: ٣٠-٢٤
- ٤- الموسيقى الكاملة، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٣٥-٣١
- ٥- نهضة الأدب العربي، بقلم: الحاج عبد الكريم جرمانوس (المجر)، ص: ٤٧-٣٦
- ٦- بلاط بني حمدون بالمسيلة من خلال شعر ابن هاني، بقلم: محمد اليعلاوي، ص: ٦١-٤٨
- ٧- تلوث البيئة، بقلم: عبد القادر حلومي، ص: ٧٣-٦٢
- ٨- ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر، بقلم: تركي رابح، ص: ٧٤-٩٤
- ٩- لمحات من حياة الشيخ ابن باديس، بقلم: علي مرحوم، ص: ١١٥-٩٥
دراسات تاريخية:
- ١٠- تأسيس شركة بكري وبوجناح ودورها في عهد الدايبين حسن ومصطفى باشا، بقلم: محمد العربي الزبيري، ص: ١٢٣-١١٦
- ١١- رحالة مصري يزور الجزائر في القرن التاسع، بقلم: محمود بوعباد، ص: ١٣٥-١٢٤
- ١٢- الوزير الزياني في الجزائر العاصمة ووصفه للجامع الجديد، تقديم: مولاي بالحميسي، ص: ١٤٣-١٣٦
- ١٣- عبد الملك بن مروان أصالة عربية إسلامية يف قيادة الدولة، بقلم: ليلي الصباغ (سوريا)، ص: ١٥٨-١٤٤
- ١٤- البتر والبرانس والمظهر الاجتماعي لسكان بلاد المغرب قبل الغسلام، بقلم: موسى لقبال، ص: ١٦٦-١٥٩
- ١٥- عبد الرحمن الجامعي الفاسي حامل راية الأدب على مستوى المغرب الكبير، بقلم: محمد المنوني (المغرب)، ص: ١٨٦-١٦٧
- ١٦- صلة إسرائيل بأرض فلسطين صلة قوم تابعين وعالة غيرهم طول حياتهم، بقلم: محمود دياب، ص: ١٩٢-١٨٧
- من محاضرات ملتقى بجاية:
- ١٧- جدلية الانحطاط الاقتصادي في الحضارة الإسلامية، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ٢٠٥-١٩٣
- ١٨- دور الشمال الإفريقي في الحضارة والفكر الإسلاميين، بقلم: مصطفى عبد الله بعيو (ليبيا)، ص: ٢١٤-٢٠٦
- ١٩- المثقف المغربي بين الفاعلية والسلبية، بقلم: محمد زنيبر (المغرب)، ص: ٢١٥-٢٢٦

ندوات:

٢٠- العائلة والتطور الحضاري في المجتمع العربي، بقلم: هشام شرابي، ص: ٢٤٧-٢٢٧

٢١- تعليق على دراسة "العائلة والتطور الحضاري في المجتمع العربي"، بقلم: إسحق يعقوب القطب، ص: ٢٤٨-٢٦٦

٢٢- أزمة التطور الحضاري معانها وملابساتها بالنسبة للجامعات العربية الحديثة، بقلم: محمد جواد رضا، ص: ٢٦٧-٢٨٨

دراسات لغوية:

٢٣- من فصيح العربية في العامية الجزائرية (٢)، بقلم: محمد الصالح رمضان، ص: ٢٨٩-٢٩٧

مناقشات:

٢٤- حول مقال "المسرح الحديث بدأ مع جيش التحرير"، بقلم: محي الدين باش تارزي، ص: ٢٩٨-٣٠٠

السنة الرابعة، العدد: ٢٥
جمادى الأولى، جمادى الثانية ١٣٩٥ هـ/ ماي، جوان ١٩٧٥ م

- ١- تكلم لغة قومك، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: أ-ط دراسات إسلامية:
- ٢- فتوى بجواز تعويض الذبح في الحج نقدا، ص: ٨-١
- ٣- النظرة الإسلامية إلى الحياة، بقلم: عبد الكريم جرمانوس، ص: ٢٢-٩
- ٤- ابن حزم الظاهري الأندلسي ونشأة المذهب الظاهري، بقلم: مبروك العوادي، ص: ٤٧-٢٣ دراسات ثقافية وأدبية:
- ٥- الخطابة في النثر الجزائري الحديث، بقلم: عبد الله ركيبي، ص: ٦٦-٤٨
- ٦- الإطار النظري للتعريب: علاقة العامية بالفصحى أو محاولة إحلال العاميات محل اللغة الفصحى في الوطن العربي، بقلم: تركي رابح، ص: ٨٦-٦٧
- ٧- ملحمة بنت العشرين: صدق الوعد، شعر: مفدي زكريا، ص: ٩٥-٨٧
- ٨- الأمير عبد القادر ومشروع قناة قابس والبحر الإفريقي، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١١٨-٩٧
- من محاضرات ملتقى بجاية:
- ٩- وضع الجاليات الأوربية في العالم العربي الإسلامي إبان الحكم العثماني، ليلي الصباغ (سوريا)، ص: ١٣٧-١١٩
- ١٠- وضع الجاليات الأوربية في المغرب قبل الاستعمار، سلفاتوري بونو (إيطاليا)، ص: ١٥٢-١٣٨
- ١١- الإسلام والمسلمون في الهند، محمد نجات الله صديقي (الهند)، ص: ١٥٩-١٥٣
- ١٢- دور المفكر اليوم وعلى مر العصور في أمته وتجاه الإنسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل، صلاح الصاوي (إيران)، ص: ١٨٢-١٦٠
- ١٣- دور المفكر اليوم وعلى مر العصور في أمته وتجاه الإنسانية في كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل، راشد الراجح (السعودية)، ص: ١٩١-١٨٣
- ١٤- مسؤولية المؤرخ كمفكر نحو المجتمع، هوريست غريكة (ألمانيا)، ص: ١٩٢-١٩٨
- ١٥- نشأة علم الكلام في الإسلام، جوزيف فان ايس (ألمانيا) ص: ٢١٣-١٩٩
- ١٦- أصالة الفلسفة الإسلامية وأثرها في الفكر الغربي، عثمان أمين (مصر)، ص: ٢٢٠-٢١٤
- ١٧- بين التعصب والإسلامية أو الإسلام من خلال بعض الشخصيات في العالم المسيحي، ميغال دي ايباليزا (اسبانيا)، ص: ٢٣٠-٢٢١
- ١٨- الفكر الإسلامي آثاره وأسباب قوته وضعفه، الحبر يوسف نور الدايم (السودان)، ص: ٢٤٥-٢٣١
- ١٩- الوحدة والتنوع في الثقافة الإسلامية، ايفادي فكري مايبيرفيتش (فرنسا)، ص: ٢٥٩-٢٤٦

ندوات:

٢٠- التخلف السياسي وأبعاده الحضارية، بقلم: خاشع المعاضيدي، ص: ٢٦٠-٢٧٥

٢١- تعليق على بحث الدكتور خاشع المعاضيدي، بقلم: حسن صعب (لبنان)، ص: ٢٧٦-٢٨٣

٢٢- الاستعمار وأزمة التطور في الوطن العربي، بقلم: إبراهيم أبو لغد، ص: ٢٨٤-٢٩٦

مناقشات:

٢٣- حول قرية موقع برشك، بقلم: زهير الزاهري، ص: ٢٩٧-٢٩٨

دراسات لغوية:

٢٤- من فصيح العربية في العامية الجزائرية (٣)، بقلم: محمد الصالح رمضان، ص: ٢٩٩-٣٠١

السنة الرابعة، العدد: ٢٦
رجب، شعبان ١٣٩٥ هـ/ جويلية، أوت ١٩٧٥م^(٩)

دراسات تاريخية:

- ١- المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٩-٣
 - ٢- نهاية دولة بني زيان، بقلم: مولاي بالحميسي، ص: ٣٠-٣٦
 - ٣- تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين، بقلم: أحمد توفيق المدني، ص: ٣٧-٤٥
 - ٤- الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين، بقلم: محمد الطالبي (تونس)، ص: ٤٦-٩٠
 - ٥- زناتة والأشراف الحسنيون في مجال تلمسان والمغرب الأوسط، بقلم: موسى لقبال، ص: ٩١-٩٨
 - ٦- العلاقات التجارية بين المغرب والسودان عبر الصحراء من القرن السادس إلى القرن الثامن الهجري ودور تلمسان في هذا الميدان، بقلم: عطاء الله دهينة، ص: ٩٩-١٠٣
 - ٧- تلمسان والقدس الشريف، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٠٤-١١٠
 - ٨- دولة بني يفرن الإباضية بتلمسان، بقلم: سليمان داود بن يوسف، ص: ١١١-١١٩
 - ٩- تلمسان ونشأة الدولة الموحدية، بقلم: عثمان الكعاك (تونس)، ص: ١٢٠-١٢٣
- الحياة الفكرية والحضارية:**
- ١٠- أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذ مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٢٤-١٣٥
 - ١١- الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان، بقلم: عبد الحميد حاجيات، ص: ١٣٦-١٥٧
 - ١٢- الموسيقى الكاملة، بقلم: مولود قاسم، ص: ١٥٨-١٦٢
 - ١٣- النشاط العقلي والتقدم الحضاري للجزائر في عهد الزيانيين، بقلم: مفدي زكريا، ص: ١٦٣-١٧٠
 - ١٤- جولة عبر مساجد تلمسان، بقلم: رشيد بورويبة، ص: ١٧١-١٨٢
 - ١٥- الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب، بقلم: غبراهيم حركات (المغرب)، ص: ١٨٣-١٩٤
 - ١٦- الفكر الإسلامي والإنسان المعاصر في رأي عبد الله المنصوري التلمساني (١٨٩٥-١٩٧٢)، بقلم: الشيخ بوعمران، ص: ١٩٥-٢٠٢
- التراجم:**
- ١٧- التلمساني محمد بن عبد الكريم المغيلي، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ٢٠٣-٢١٥
 - ١٨- المقرئ التلمساني، بقلم: الطاهر أحمد مكي (مصر)، ص: ٢١٦-٢٣٠
 - ١٩- لسان الدين بن الخطيب وتراثه الفكري في تلمسان، بقلم: محمد الشريف قاهر، ص: ٢٣١-٢٥٩
 - ٢٠- البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان وقيمه التوثيقية، بقلم: محمود بوعباد، ص: ٢٦٠-٢٦٩

(٩) - عدد خاص عن تاريخ تلمسان وحضارتها.

- ٢١- أبو عبد الله آخر ملوك غرناطة دفين تلمسان أم فاس؟ بقلم: عبد الحميد بن شنهو، ص: ٢٧٠-٢٨٣
- ٢٢- أبو مدين الغوث دفين تلمسان (٥٢٠-٥٩٤ هـ / ١١٢٦-١١٩٧م)، بقلم: عبد القادر الخلادي، ص: ٢٨٤-٢٩٥
- دراسات ادبية:**
- ٢٣- تلمسان، بقلم: محمد بلغراد، ص: ٢٩٦-٣١٠
- ٢٤- حركة الشعر المولدي في تلمسان على عهد ابي حمو الثاني، بقلم: عبد الملك مرتاض، ص: ٣١١-٣٣٢
- ٢٥- العروبة في شعر العفيف التلمساني، بقلم: عمر موسى باشا، ص: ٣٣٣-٣٤٥
- ٢٦- تلمسان في الأدب العربي، بقلم: رشيد مصطفى، ص: ٣٤٦-٣٦٠
- ٢٧- تلمسان موطن السحر والشعر، بقلم: جلول بدوي، ص: ٣٦١-٣٧٤
- القسم الفرنسي:**

- 1- Pour un véritable enseignement de la musique classique universelle en algerie, p: Mouloud Kassim Nait belkacem, p: 1-

السنة الرابعة، العدد: ٢٧
رمضان، شوال ١٣٩٥ هـ/ سبتمبر، أكتوبر ١٩٧٥ م^(١٠)

- ١- أما تزال براقش؟ بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٦-٣
 - ٢- النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزباني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها، بقلم: وداد القاضي (لبنان)، ص: ١٠٠-٧
 - ٣- موقف القسطنطينية وباقي العالم الإسلامي من سقوط الأندلس وآخر مسلميها وأمام الغزو الأوربي للعالم الإسلامي عموماً، بقلم: محمد عبد الله عنان (مصر)، ص: ١١٥-١٠١
 - ٤- ثورة مسلمي غرناطة عام ٩٧٦ هـ وآخر عام ١٥٦٨ م والدولة العثمانية، بقلم: ليلي الصباغ (سوريا)، ص: ١١٦-١٧٥
 - ٥- انهيار بلاد الأندلس وموقف دول الإسلام واسطنبول من ذلك، بقلم: أحمد توفيق المدني، ص: ١٧٦-١٨٨
 - ٦- هل كان الشعر في الأندلس سبباً في انحلال أخلاقها ثم سقوطها أم كان لها مجرد مرآة عاكسة؟ بقلم: إحسان عباس (لبنان)، ص: ٢٠٨-١٨٩
 - ٧- دور الشعر والفن في تعزيز أخلاق أمة أو انحلالها (مصر)، شعر: صالح جودت، ص: ٢٠٩-٢١٣
 - ٨- الشعر.. دوره في أخلاق المجتمع ورأي الشريعة فيه، بقلم: جعفر شهيد (إيران)، ص: ٢١٤-٢٢٣
 - ٩- طبيعة الشعر وصلتها بالأخلاق، بقلم: زكي نجيب محمود، ص: ٢٢٤-٢٣٤
 - ١٠- أثر الفنون والآداب في حياة الأمة، بقلم: عمر فروخ، لبنان، ص: ٢٣٥-٢٤٣
 - ١١- دور الشعراء الأتراك في إيقاظ الوطنية في تركيا فيما بين ١٨٦٥-١٩٢٣ م، بقلم: أرجمند كوران (تركيا)، ص: ٢٤٤-٢٤٩
 - ١٢- مصادر الثورة وتداولها في شريعة الإسلام، بقلم: محمد علي رفعت (مصر)، ص: ٢٥٠-٢٧٣
 - ١٣- مقصد الشريعة من الحج والطريقة التي يؤدي بها اليوم، بقلم: عبد الله إبراهيم الأنصاري (قطر)، ص: ٢٧٤-٢٨٣
 - ١٤- رأي الأستاذ أحمد محمد جمال في تعويض الهدي نقداً (قصاصه صحفية)، ص: ٢٨٤
 - ١٥- الحج المؤتمر الإسلامي الكبير، بقلم: أحمد محمد جمال (السعودية)، ص: ٢٨٥-٢٩٥
 - ١٦- حول تعويض الذبائح في الحج نقداً، كلمة لموسى الأحمد نويوات، ص: ٢٩٦
 - ١٧- مقصد الشريعة من الحج والطريقة التي يؤدي بها اليوم، بقلم: إبراهيم محمود جوب السنغالي، ص: ٢٩٧-٣١٦
 - ١٨- أتبقى الأمة غمة؟ (كلمة اختتام الملتقى)، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٣١٧-٣٢٢
- انطباعات عن الملتقى:**
- ١٩- فلتستمر المسيرة، خير الله عصار، ص: ٣٢٣
 - ٢٠- من إيجابيات الملتقى، يوسف العظم (الأردن)، ص: ٣٢٤
 - ٢١- الملتقى دعوة إلى استرجاع دور المسلمين، علي عيسى (تايلاند)، ص: ٣٢٥
 - ٢٢- ملتقى الحوار الحر، صبحي الصالح (لبنان)، ص: ٣٢٦

(١٠) - عدد خاص بالملتقى التاسع للفكر الإسلامي.

- ٢٣- موضوعات هامة، جعفر شهيدى (إيران)، ص: ٣٢٧
- ٢٤- نحو تحديد مصالح النظرية الإسلامية، أحمد سيد محمد، ص: ٣٢٧-٣٢٨
- ٢٥- حتى يزداد الملتقى إشعاعا، محمد أركون (فرنسا)، ص: ٣٢٩
- ٢٦- الملتقى ليس كسبا للجزائر فقط ولكن لسائر شعوب العالم الإسلامي، عبد الهادي التازي (المغرب)، ص: ٣٣١
- ٢٧- اللقاء النزيه المجرد لخدمة الإسلام، الحبيب المستاوي (تونس)، ص: ٣٣٢
- ٢٨- اقتراحات، عبد الحميد حاجيات، ص: ٣٣٣
- ٢٩- بحثنا وناقشنا بروح علمية وبمنتهى الحرية، إبراهيم جابو (افريقيا)، ص: ٣٣٤
- ٣٠- من أجل اتحاد المسلمين، سليم حيدر (لبنان)، ص: ٣٣٥
- ٣١- موضوعات الملتقى تمس حياة المسلمين ماضيا وحاضرا ومستقبلا، صبري أبو المجد (مصر)، ص: ٣٣٦
- ٣٢- مطبوعات الوزارة ثروة للباحثين، عمر فروخ (لبنان)، ص: ٣٣٨
- ٣٣- توصيات الملتقى، ص: ٣٦٣-٣٣٩

السنة الرابعة، العدد: ٢٨
ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٩٥ هـ/ نوفمبر ، ديسمبر ١٩٧٥ م

- ١- هل يعيد التاريخ نفسه؟ مواقف الملوك وموقف الشعوب، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٢-١٦
- ٢- موقف ملك المغرب من الجزائر إثر الاحتلال الفرنسي، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٣٢-١٧
- ٣- رحلة المرحوم "أبو زهرة" إلى المغرب وانطباعاته عنها، بقلم: محمد أبو زهرة، ص: ٤٤-٣٣

ندوة حول الصحراء الغربية:

- ٤- الساقية الحمراء ماضيا وحاضرا، المهدي البوعبدلي، ص: ٥٤-٤٦
- ٥- الاحتلال الاسباني للساقية الحمراء ووادي الذهب، مولاي بالحميسي، ص: ٦٠-٥٥
- ٦- حقيقة مطالب المغرب الأقصى التاريخية حول الساقية الحمراء ووادي الذهب، يحيى بوعزيز، ص: ٦٩-٦١

ندوة حول المفهوم الديني الصحيح للبيعة:

- ٧- البيعة والشوري في الإسلام وتطورهما عبر التاريخ، المهدي البوعبدلي، ص: ٧٠-٧٥
- ٨- الإمامة وأهميتها وشروط من ينتخب لها، أحمد حماني، ص: ٩٣-٧٦
- ٩- الخلافة وإمارة المؤمنين أو البيعة ومبدأ الشورى في الإسلام، عبد الرحمن الجليلي، ص: ١٠١-٩٤
- ١٠- الإسلام وأصول الحكم، السعيد الصالحي، ص: ١٠٨-١٠٢
- ١١- الخلافة في الإسلام لا علاقة لها بالإرث، سليمان داود بن يوسف، ص: ١١٦-١٠٩

السنة الخامسة، العددان: ٢٩ - ٣٠
محرم، صفر ١٣٩٦ هـ/ جانفي، فيفري ١٩٧٦ م

دراسات تاريخية:

- ١- المقاومة في الجزائر (١٨٣٠-١٨٤٨)، بقلم: محمد العربي الزبيري، ص: ٢-٢٠
- ٢- المعز لدين الله وجيل جديد من كتامة من خلال وثيقة فاطمية معاصرة، بقلم: موسى لقبال، ص: ٢١-٤٢
- ٣- موقف وجهاء الإيالة الوهرانية من ثورة المقراني والحداد عام ١٨٧١، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٤٣-٤٨
- ٤- دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس (١٨٣٠-١٨٨١)، بقلم: عبد الجليل التميمي (تونس)، ص: ٤٩-٦١

دراسات ثقافية وأدبية:

- ٥- مشاكل تطوير اللغة العربية وكيفية معالجتها، بقلم: عبد الرحمن الحاج صالح، ص: ٦٢-٧٣
- ٦- التخلف الفكري وأبعاده الحضارية، بقلم: فؤاد زكريا (مصر)، ص: ٧٤-٩٦
- ٧- تعليق على بحث (التخلف الفكري وأبعاده الحضارية)، بقلم: قسطنطين زريق، ص: ٩٧-١٠٦
- ٨- هوامش على مقاطع ابن عبد الحق الخزرجي في الرد على صليبية الأندلس، بقلم: المنجي الكعبي (تونس)، ص: ١٠٧-١٢٦
- ٩- الثقافة المغربية أو قضية حوار، بقلم: الطاهر اللبيب الجديدي (تونس)، ص: ١٢٧-١٣٠

في الذكرى الألفية لابن زيدون:

- ١٠- ابن زيدون، شعر: جعفر ماجد (تونس)، ص: ١٣١-١٣٣
- ١١- شاعر الخلد، شعر: محمد الأخضر السائحي، ص: ١٣٤-١٣٦
- إلى ابن زيدون في ذكراه، شعر: نور الدين صمود (تونس)، ص: ١٣٧-١٤١

دراسات إسلامية:

- ١٢- الشيخ محمد أمزيان بن الحداد وقضية الحج، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٤٢-١٥٩
- ١٣- دور الإسلام في تاريخ الإنسانية، بقلم: عبد الكريم يوليوس جرمانوس، ص: ١٦٠-١٧٥
- ١٤- حول الملتقى التاسع للفكر الإسلامي ملاحظات واقتراحات، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٧٦-١٨٥

من محاضرات الملتقى التاسع للفكر الإسلامي بتلمسان:

- ١٥- الثقافة والحضارة، عثمان أمين (مصر)، ص: ١٨٦-١٩٢
- ١٦- تصحيح أكبر خطأ في تاريخ الإسلام المعاصر، أنور الجندي، ص: ١٩٣-٢١٠
- ١٧- بلاغ من مسلمي الفلبين، ص: ٢١١-٢١٣

القسم الفرنسي:

- 1- Les nations ont leurs jours de gloire, p: Mouloud Kassim Nait Belkacem, p: 1-3

السنة الخامسة، العدد: ٣١
ربيع الأول ١٣٩٦ هـ / مارس ١٩٧٦ م

- ١- كونوا الرعاة الوعاة والدعاة السعاة، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢٧-٢
- ٢- قضية الصحراء الغربية والقانون الدولي العام، بقلم: بوعلام بن حمودة، ص: ٣٧-٢٨
دراسات تاريخية:
- ٣- المفتي الجزائري المصري ابن العنابي وكتابه "السعي المحمود في نظام الجنود"، بقلم: أبو القاسم سعد الله، ص: ٧٨-٣٨
- ٤- أضواء على ثورة بوعمامة ١٨٨١، بقلم: عبد الحميد زوزو، ص: ٩٨-٧٩
- المقاومة في الجزائر ١٨٣٠-١٨٤٨ (٢)، بقلم: محمد العربي الزبيري، ص: ١١١-٩٩
- ٥- كتاب الأصالة: الحقيقة تفقد خطواتهم، تأليف: منديس فرانس، عرض ونقد: محمد الميلي، ص: ١٢٥-١١٢
دراسات إسلامية:
- ٦- محبة الرسول في طاعته والأسوة به، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٣٩-١٢٦
- ٧- روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي (١)، محمد أبو زهرة، ص: ١٤٨-١٤٠
- ٨- النشاط الثقافي، ص: ١٦٠-١٤٩

السنة الخامسة، العدد: ٣٢
ربيع الثاني ١٣٩٦ هـ / أبريل ١٩٧٦ م

- ١- مفهوم العدالة الاجتماعية في الإسلام، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١٧-٢
دراسات تاريخية:
- ٢- ماضي وادي الذهب والساقية الحمراء وحاضرهما، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٣٠-١٩
- ٣- مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة ١٨٣١، بقلم: عبد الجليل التميمي (تونس)، ص: ٤٥-٣١
- ٤- دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي بالجزائر، بقلم: ناصر الدين سعيدوني، ص: ٦٣-٤٦
دراسات ثقافية وأدبية:
- ٥- كيف تم التعريب في وزارة العدل؟ بقلم: بوعلام بن حمودة، ص: ٧٢-٦٤
- ٦- كتاب الأصالة: شبكات التخريب والتخريب تتبع من السلطة، تأليف: بادريس شايروف، عرض ونقد: محمد الميلي، ص: ٨٨-٧٣
- ٧- دراسات في أدب الرحلة عند العرب، بقلم: حسني محمود حسين، ص: ١١١-٨٩
- ٨- ابن باديس وعوامل نجاحه في أداء رسالته، بقلم: أحمد بن ذياب، ص: ١٢٤-١١٢
من محاضرات الملتقى:
- ٩- روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي (٢)، محمد أبو زهرة، ص: ١٤٣-١٢٥
مناقشات:
- ١٠- حول جواز تعويض الهدي نقدا، بقلم: محمد المأمون القاسمي الحسني، ص: ١٤٥-١٤٧
- ١١- على هامش رحلة المرحوم أبو زهرة إلى المغرب، بقلم: فاروق منصور (مصر)، ص: ١٥١-١٤٨
- ١٢- جولة بين المجلات، إعداد: مولاي بالحميسي، ص: ١٦٠-١٥٢
القسم الفرنسي:
- Le concept de justice sociale en islam, p: Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM, p: 1-16

السنة الخامسة، العدد: ٣٣
جمادى الأولى ١٣٩٦ هـ/ ماي ١٩٧٦ م

١- على هامش مناقشة المشروع التمهيدي للميثاق: التقديمية الأصلية، بقلم: عثمان شوب،
ص: ٦-٢

دراسات تاريخية:

٢- المجاعة بالجزائر أواخر عقد الستينات من القرن ١٩ ومواقف وآراء الجزائريين من
ادعاءات الفرنسيين حول أسبابها، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٩-٧

٣- وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب، بقلم: أبو القاسم سعد
الله، ص: ٤٧-٣٠

دراسات ثقافية وأدبية:

٤- دور الآداب والفنون عموما والشعر والموسيقى خصوصا في تعزيز أخلاق أمة أو
انحلالها وفي شحذ عزائمها أو قتل روحها، بقلم: عمر فروخ (لبنان)، ص: ٦٩-٤٨

٥- لمحة حول الاتجاه الفكري في فرنسا خلال حرب الجزائر، بقلم: ايفون تورين
(فرنسا)، ص: ٨٧-٧٠

٦- معابد الطرافة في فكر ابن خلدون، بقلم: عثمان أمين (مصر)، ص: ٩٣-٨٨

٧- انطباعات عن ملتقى الدراسات العربية والإسلامية بمعهد تكوين الدعاة للجامعة
السيفية ببومباي، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١١٠-٩٥

كتاب الأصالة:

٨- بعد أن تسكت المدافع، تأليف: محمد سيد أحمد، عرض وتحليل ونقد: محمد الملي، ص:
١٢٨-١١١

من محاضرات الملتقى:

٩- روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي (٣)، محاضرة: محمد
أبو زهرة (مصر)، ص: ١٤٩-١٢٩

١٠- جولة بين المجلات، إعداد: مولاي بالحميسي، ص: ١٥٩-١٥٠

السنة الخامسة، العدد: ٣٤-٣٥
جمادى الثانية، رجب ١٣٩٦ هـ / يونيو، يوليو ١٩٧٦م^(١١)

- ١- طموحنا كقيادة وكشعب هو خلق مجتمع متطور نظيف، خطاب للرئيس هواري بومدين، ص: ١٥-٢
- الدراسات التاريخية:**
- ٢- عنابة عبر التاريخ، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٧-٢٥
- ٣- هيبون القديمة، بقلم: محمد البشير شنييتي، ص: ٢٦-٣٩
- ٤- عنابة قبل الإسلام، بقلم: عثمان الكعاك (تونس)، ص: ٤٠-٦٥
- ٥- عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحيدي، بقلم: رشيد بوروبة، ص: ٦٦-٧٣
- ٦- عنابة في عهد الحفصيين، بقلم: عبد الحميد حاجيات، ص: ٧٤-٨٥
- ٧- الحياة الاقتصادية بعنابة أثناء العهد العثماني، بقلم: ناصر الدين سعيدوني، ص: ٨٦-١٠٩
- ٨- حول ثلاثة أحداث غير معروفة من العلاقات التاريخية بين عنابة واسبانيا، بقلم: ميكال دي ايباليزا (اسبانيا)، ترجمة: عبد الحميد حاجيات، ص: ١١٠-١٢١
- ٩- عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي حتى الاحتلال الفرنسي، بقلم: ليلي الصباغ (سوريا)، ص: ١٢٢-١٦٢
- ١٠- أحداث لواء جديد في الجزائر في أواخر القرن السادس عشر يتركب من بلد العناب وباستيون ومتبارقة وقلعة باجة، بقلم: خليل ساحلي أوغلي (تركيا)، ص: ١٦٣-١٦٩
- الحياة الفكرية والحضارية:**
- ١١- أغسطس العنابي ومقاومة الحركة الدونانية، بقلم: أبو عمران الشيخ، ص: ١٧٠-١٧٨
- ١٢- مدينة العناب في آثار الأدباء والكتاب، بقلم: مولاي بالحميسي، ص: ١٧٩-١٨٣
- ١٣- حول جامع سيدي بومروان العتيق بعنابة، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٨٤-١٩٨
- ١٤- عنابة في نظر الرحالين الألمان، بقلم: أبو العيد دودو، ص: ١٩٩-٢٠٥
- ١٥- جوانب من تاريخ بونة الثقافي والسياسي عبر العصور، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٢٠٦-٢٢١
- ١٦- جولة في متحف عنابة، بقلم: سعيد دحماني، ص: ٢٢٢-٢٤٣
- ١٧- من أعلام عنابة، بقلم: محمد بلغراد، ص: ٢٤٤-٢٥٥
- ١٨- حول اقتصاد مدينة عنابة في عهد الاستقلال، بقلم: جلول مكي، ص: ٢٥٦-٢٦٨

(١١) - عدد خاص عن تاريخ وحضارة عنابة عبر العصور.

عناية في معركة التحرير:

١٩- معركة عناية التي تحدث الحلف الأطلسي، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ٢٨١-٢٦٩

الدراسات الإسلامية:

٢٠- الحياة العائلية في الإسلام، بقلم: فاطمة هيرين (ألمانيا)، ص: ٢٨٢-٢٩٥

جولة بين المجالات:

٢١- لا معارضة بين الإسلام والاستفادة من تجارب الأمم الأخرى على أساس جوهري، حديث مولود قاسم نايت بلقاسم مع جريدة "الشعب"، ص: ٢٩٦-٣٠٢

السنة الخامسة، العددان: ٣٦-٣٧
شعبان، رمضان ١٣٩٦ هـ / أوت، سبتمبر ١٩٧٦ م^(١٢)

- ١- كلمة افتتاح الملتقى: صناعة ومناعة، بقلم: مولود قاسم، ص: ٢-٦
النقطة الأولى من جدول أعمال الملتقى:
- ٢- ازدهار الحضارة والفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي ودورهما في تغذية النهضة العلمية والحضارة الأوروبية، بقلم: محمد عبد الله عنان (مصر)، ص: ٧-٢٣
- ٣- تأثيرات ابن رشد في أوروبا وتصحيح التفسيرات الخاطئة عنه، بقلم: سلفادور غوميث نوغاليس (اسبانيا)، ص: ٢٤-٤٠
- ٤- دور الفكر الإسلامي في ميلاد النهضة في أوروبا: كيف استطاعت الثقافة الإسلامية أن تمارس تأثيرها القوي في أوروبا بالذات؟ بقلم: سيغريد هونكه (ألمانيا)، ص: ٤١-٥٢
- ٥- ازدهار الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي ودور هذه البلدان في النهضة الأوروبية، بقلم: عثمان أمين (مصر)، ص: ٥٣-٥٨
النقطة الثانية من جدول أعمال الملتقى:
- ٦- ضرورة تصنيع العالم الإسلامي واختيار أحسن الطرق لتفادي الأمراض التي تعرفها المجتمعات المصنعة، بقلم: محمد الهاشمي بوجلين، ص: ٥٩-٨٦
- ٧- كيف يمكن للمجتمع الإسلامي أن يتفادى آفات التصنيع؟ بقلم: عمر التومي الشيباني (ليبيا)، ص: ٨٧-١١٠
- الأستاذ المرحوم عثمان الكعاك في الملتقى العاشر للفكر الإسلامي:**
- ٨- آخر تعليق للمرحوم عثمان الكعاك في الملتقى، ص: ١١١-١٢١
- ٩- عثمان الكعاك علم من أعلام الإسلام والإنسانية الخالدين، ص: ١٢٢
- ١٠- تأبين المرحوم عثمان الكعاك في قاعة الملتقى، ص: ١٢٣
- ١١- برقيات التعازي، ص: ١٢٥-١٢٦
- ١٢- الأبعاد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعبادات وأهميتها لكل من الأمة والفرد، بقلم: عثمان الكعاك، ص: ١٢٧-١٥٠
- ١٣- كلمات تأبين المرحوم الأستاذ عثمان الكعاك في مطار عنابة، ص: ١٥١-١٦٦
(كلمة مولود قاسم، ص: ١٥١-١٥٣. كلمة المنجي الكعبي-تونس، ص: ١٥٤. كلمة محمد المبارك-سوريا، ص: ١٥٦. قصيدة صلاح الصاوي-إيران، ص: ١٥٧. كلمة سليمان داود بن يوسف، ص: ١٥٩. كلمة كامل البوهي-مصر، ص: ١٦٠. كلمة سليم كلالشة، ص: ١٦٢. كلمة طالب تونسي، ص: ١٦٢)
- ١٤- كلمة أحمد حماني على قبر الفقيد عثمان الكعاك، ص: ١٦٣-١٦٦
- ١٥- بمناسبة ذكرى يوم الأربعين لوفاة الأستاذ عثمان الكعاك: كنت عظيما ورحلت كذلك.. بقلم: العروسي وادي، ص: ١٦٧-١٧٠
النقطة الثالثة من جدول أعمال الملتقى:
- ١٦- مراعاة العبادات هي أسس سعادة الإنسان المسلم، بقلم: داود كاون (بريطانيا)، ص: ١٧١-١٧٨

(١٢) - عدد خاص بالملتقى العاشر للفكر الإسلامي بعنابة.

١٧- حضارة ومنازة، كلمة مولود قاسم نايت بلقاسم في اختتام الملتقى العاشر للفكر الإسلامي بعنابة، ص: ١٧٩-١٨١

١٨- توصيات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، ص: ١٨٢-١٩٣

١٩- فتوى حول ما يرخصه الشرع للعاملين بمصنع (مركب الحديد والصلب بعنابة) في مواجهة الفرن الناري والحديد المصهور، وكذلك العمال بالمصانع الأجنبية، ص: ١٩٤-١٩٥

من خطب الجمعة:

٢٠- عادت الجمعة كما عاد كتشاوة والعود أحمد، ص: ١٩٦-١٩٨

القسم الفرنسي:

- 1- CHEMINEE ET MINARET, MOULOU KASSIM NAIT BELKACEM, p: 1-3
- 2- Recommandations du 10 éme séminaire sur la pensée islamique, p: 4-16
- 3- FETWA, p: 17-19
- 4- PROSPERITE ET IMMUNITE, MOULOU KASSIM NAIT BELKACEM, p: 20-21
- 5- Voici que vendredi et revenu comme revient ketchawa, p: 22-25

السنة الخامسة، العدد: ٣٨
شوال ١٣٩٦ هـ / أكتوبر ١٩٧٦ م

دراسات تاريخية:

١- عبد الرزاق بن حمادوش الجزائري ورحلته (لسان المقال)، بقلم: أبو القاسم سعد الله، ص: ٢٤-٢

٢- وثائق جديدة عن دور محيي الدين بن الأمير عبد القادر في ثورة ١٨٧١ وعن موقف أبيه والسلطات التونسية، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٦٢-٢٥

دراسات ثقافية وأدبية:

٣- تطور مفهوم الثقافة في العالم العربي، بقلم: فولف ديترش فيشر (ألمانيا)، ص: ٦٣-٧٢

٤- ملاحظات على تحقيق الرسالة المنسوبة لابن سينا في ترتيب الأدوية، بقلم: المنجي الكعبي (تونس) ص: ٧٣-١٠٠

٥- الطريقة العلمية عند ابن طفيل، بقلم: مدني صالح، ص: ١٠١-١١١

٦- خواطر نقدية حول شعر المناسبات، بقلم: الحبيب الجحاني (تونس)، ص: ١١٦-١١٢
من وحي الملتقى العاشر للفكر الإسلامي بعناية:

٧- تجربة الجزائر الرائدة، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١١٧-١٣٧
مقابلات:

٨- نهضة وتوحيد العالم الإسلامي، مقابلة مع مصطفى أحمد الزرقا، أجراها: خير الله عصار، ص: ١٣٨-١٤٣

٩- ظلال في الملتقى الثامن: صلاة العصر في قلعة بني حماد، بقلم: أنور الجندي (مصر)، ص: ١٤٤-١٥١

رسائل جامعية:

١٠- مشكلة الحرية الإنسانية في فلسفة المعتزلة، إعداد: بوعمران الشيخ، ص: ١٥٢-١٥٥

مع المجالات:

١١- بهذه الفتوى اقتحم الإسلام باب التصنيع الحديث، مقابلة مع مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١٥٧-١٦٤

١٢- أزمة التغذية العالمية، بقلم: ليستر براون وإيريك إيكهولم، ترجمة: عبد القادر زبادية، ص: ١٦٥-١٧٠

القسم الفرنسي:

- DE PLAIN-PIED DANS L'ERE INDUSTRIELLE, Entretien avec MOULOUD KASSIM NAIT-BELKACEM , p: 1-6

السنة الخامسة، العددان: 39-40
ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٩٦ هـ / نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٦ م

الأحداث الدينية والوطنية:

- ١- خطبتا عيد النحر، ص: ٢-٥
من محاضرات ملتقيات الفكر الإسلامي:
- ٢- المعادلة الحرجة في حياة الأمة الإسلامية وتشريعها اليوم، بقلم: محمد عبده يماني (السعودية)، ص: ٦-٢٠
- ٣- مصادر التشريع ووسائل تطبيقه مع واقع التشريع وواجب المسلمين حيال ذلك، بقلم: عبد الرحمن الصابوني (سوريا)، ص: ٢١-٥٠
- ٤- روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي، الإمام موسى الصدر، ص: ٥١-٦٤
- ٥- روح الشريعة الإسلامية وواقع التشريع اليوم في العالم الإسلامي، مصطفى الزرقا (سوريا)، ص: ٦٥-٨٩
- دراسات إسلامية:
- ٦- من آثار ابن العنابي، بقلم: أبو القاسم سعد الله، ص: ٩٠-١٠٠
- ٧- باب التفسير: التذكير بالقرآن (تقوى الله والثبات على الإسلام)، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٠١-١١٢
- ٨- المرأة في الإسلام، بقلم: عائشة لمو، ترجمة: سامي سلطان، ص: ١١٣-١٣٢
- مناقشات:
- ٩- عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، زكريا القزويني: توضيح حول ما نشرته جريدة "لوموند" بخصوص حجز بعض منشورات النساء الفرنسيات بمعرض الجزائر الدولي، ص: ١٣٣-١٣٦
- ١٠- ملاحظات وانطباعات حول ثورة المقراني والشيخ الحداد، بقلم: سليمان داود بن يوسف، ص: ١٣٧-١٤٣
- ١١- فتاوى: حول مشروب مالطا، أحمد حماني وعلي شنتير، ص: ١٤٤-١٤٦
- ١١- توضيح حول برقيتي رابطة العالم الإسلامي فيما يخص ثبوت هلال شهر ذي الحجة، ص: ١٤٧
- رسائل جامعية:
- ١٢- السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في المغرب، مرمول محمد الصالح، ص: ١٤٨-١٥٦
- ١٣- حول الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، ص: ١٥٧
- القسم الفرنسي:

1- Curieuses créatures et êtres étranges, p: Zakaria el-qazouini, p: 1-

الدراسات التاريخية:

- ١- التوسع الروماني نحو الجنوب الجزائري وآثاره الاقتصادية والاجتماعية، بقلم: محمد بشير شنيّتي، ص: ٢-٢٤
- ٢- مصادر ثورة ابن يزيد مخلد بن كيداد، بقلم: إحسان عباس (لبنان)، ص: ٢٥-٤٢
- ٣- الحركة الإباضية في تاهرت وسدراتة وغرداية، بقلم: محمد بلغراد، ص: ٤٣-٥٠
- ٤- من قضايا التاريخ الرستمي، بقلم: موسى لقبال، ص: ٥١-٥٩
- ٥- مدينة ورقلة في رحلة العياشي، بقلم: مولاي بلحميسي، ص: ٦٠-٧٠
- ٦- ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني، بقلم: ناصر الدين سعيدوني، ص: ٧١-٩٥
- ٧- الوضع في منطقة ورقلة قبل الاحتلال الفرنسي، بقلم: عبد الحميد زوزو، ص: ٩٦-١١٦

- ٨- نماذج من مقاومة سكان الواحات، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١١٧-١٣٤

الدراسات الاقتصادية:

- ٩- ورقلة عروس مدائن الجنوب الجزائري، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ١٤١-١٤٦
- ١٠- تطور ناحية ورقلة ما بين ١٩٦٢-١٩٧٥، بقلم: جلول مكي، ص: ١٤٧-١٦١

التراجم:

- ١١- أبو يعقوب يوسف الورجلاني وكتابه الدليل والبرهان، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٦٢-١٧١
- ١٢- أبو عمار الكافي والنسق الكلامي، بقلم: عمار طالبي، ص: ١٧٢-١٧٩

الدراسات الحضارية:

- ١٣- الفن الرستمي بتاهرت وسدراته، بقلم: رشيد بورويبة، ص: ١٨٠-١٩٢
- ١٤- لمحات من دور الدولة الرستمية في ميادين الحضارة والفكر لبعض الباحثين القدامى والمتأخرين، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٩٣-٢٠٦
- ١٥- ورقلة من خلال النصوص الأجنبية، إعداد: مولاي بلحميسي، ص: ٢٠٧-٢١٤

^(١٣) - عدد خاص عن تاريخ ورقلة-سدراتة بمناسبة انعقاد الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي بها.

السنة السادسة، العددان: ٤٢-٤٣
صفر، ربيع الأول ١٣٩٧ هـ / فيفري، مارس ١٩٧٧ م^(١٤)

١- منسيين لستم يا بني رستم، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٣-١٢

النقطة الأولى من جدول أعمال الملتقى:

٢- ملامح عن الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس الهجري، عمرو خليفة النامي (ليبيا)، ص: ١٤-٣٣

٣- دور الرستميين في وحدة مغرب الشعوب، إبراهيم فخار، ص: ٣٥-٤١

النقطة الثانية من جدول أعمال الملتقى:

٤- مشاكل تواجه الإسلام في إفريقيا اليوم، وليام مونتقومي وات (بريطانيا)، ص: ٤٣-٥٠

٥- المسلمون في إفريقيا بين الحاضر والمستقبل، عبد الحليم عويس (مصر)، ص: ٥٢-٧٧

النقطة الثالثة من جدول أعمال الملتقى:

٦- الدور المفيد للمرأة في مجتمع اليوم، شارل ل. جيدز (الولايات المتحدة الأمريكية)، ص: ٧٩-٨٥

٧- نحن الساحرات، كزافيير قوتيي (فرنسا)، ص: ٨٧-٩٣

٨- ماذا تريد النساء إذن؟ فرانس كيري (فرنسا)، ص: ٩٥-١٠٣

٩- ما أعطاه الإسلام للمرأة كاف وكفيل بأن يجنبنا التجارب والنكسات، محمد الصادق بسيس (تونس)، ص: ١٠٥-١٢٤

١٠- المرأة بعد عام المرأة، كيلي سارنيلي تشركوا (إيطاليا)، ص: ١٢٦-١٣٧

النقطة الرابعة من جدول أعمال الملتقى:

١١- لا تنمية بدون استثمار موارد الثروة الباطنية والتحكم المباشر فيها، الجيلالي صاري، ص: ١٣٩-١٥٠

١٢- البترول العربي نعمة أم نقمة على العرب؟ محمد علي صبري (سوريا)، ص: ١٥٢-١٥٨

١٣- توصيات الملتقى، ص: ١٦٠-١٧٧

١٤- كنوز الأرض للشعب المالك وهذا وحده خير المسالك، كلمة مولود قاسم نايت بلقاسم في اختتام الملتقى، ص: ١٧٨-١٨٤

القسم الفرنسي:

1- Allocution d'ouverture de travaux du 11eme séminaire sur la pensée islmiq, Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM, p: 2-6

2- Aperçu du mouvement scientifique à Ouardjlane et dans ses environs depuis l'extinction de la dynastie rostomide jusqu'à la fin du 6eme siècle higirien, Amar Khalifa En-Nami (libye), p: 7-20

(١٤) - عدد خاص بأعمال الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي بورجلان (ورقلة)، من ١٧ إلى ٢٦ صفر ١٣٩٧ هـ، الموافق من ٦ إلى ١٥ فبراير ١٩٧٧ م.

- 3- Role des rostomides dans l'unité du Maghreb des peuples, Ibrahim Fekhar, p: 21-25
- 4- Les problemes qu'affrontent L'islam en Afrique de nos jours, William Motgomery Watt (Grande Bretagne), p: 26-32
- 5- Mes musulmans en Afrique entre le présent et l'avenir, Abdelhalim Aouis (Egypte), p: 33-47
- 6- Efficacité du role de la femme dans la société contemporaine, p: Charles L. Geddes (U.S.A), p: 48-52
- 7- Nous les sorcières, p: Xavière Gauthier (France), p: 53-56
- 8- Que veulent donc les femmes, France Quèrè (France), p: 57-61
- 9- Ce que l'Islam a conféré à la femme est suffisant et apte à nous épargner les expériences et les déboires, p: Med Sadek Bessyès (Tunis), p: 62-78
- 10- La femme après l'année de la femme, Célia Sarnelli Cerqua (Italie), p: 79-85
- 11- Pas de développement sans l'exploitation et la maitrise directe des richesses du sous-sol, p: Djilali Sari, p: 86-92
- 12- Recommandations du séminaire, p: 86-92
- 13- Allocution de cloture de travaux du 11 eme séminaire sur la pensée islamique, Mouloud Kassim Nait Belkacem, p: 103-106

السنة السادسة، العدد: ٤٤
ربيع الثاني ١٣٩٧ هـ/ أبريل ١٩٧٧ م

ذكرى المولد النبوي الشريف:

- ١- وهران تحتفل بذكرى مولد الرسول الأعظم بقلم: عبد القادر الزبير، ص: ١٠-٢
- ٢- اهتمام الأمم بأيامها، محاضرة: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢٤-١٠
- الذكرى الثمانون لوفاة جمال الدين الأفغاني:**
- ٣- دور جمال الدين الأفغاني في يقظة الشرق ونهضة المسلمين، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٤٠-٢٧

ذكرى بيتهوفن:

- ٤- بيتهوفن الفنان العبقري والثوري الأخلاقي، محاضرة: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٥٢-٤١
- ٥- الجوانب الفنية في مؤلفات بيتهوفن، محاضرة: سليمان البدعش (سوريا) ن ص: ٥٣-٥٧

الذكرى السابعة والثلاثون لوفاة ابن باديس:

- ٦- عبد الحميد بن باديس الرجل العظيم، محاضرة: أحمد توفيق المدني، ص: ٧٦-٥٨
- ٧- عباس محمود العقاد، بقلم: عبد الكريم جرمانوس (المجر)، ص: ٨٢-٧٧
- من أصداء الملتقى الثامن للفكر الإسلامي:**
- ٨- المسلمون بين الأصالة والتفتح، بقلم: صبري أبو المجد (مصر)، ص: ٨٨-٨٣
- من محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي:**
- ٩- المرأة التركية وقرارات مؤتمر مكسيكو، بيريكان اريبوران (تركيا)، ص: ٩٢-٨٩
- دراسات ثقافية وأدبية:**
- ١٠- الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، بقلم: محمد أركون، ص: ١٠٣-٩٣
- مؤتمرات:**
- ١١- حول الأسبوع الأول للدراسات الإيطالية-العربية، بقلم: مولاي بالحميسي، ص: ١١٥-١٠٤
- دراسات إسلامية:**
- ١٢- الجانب الاقتصادي في الإسلام، بقلم: محمد نجات الله صديقي (الهند)، ص: ١٢٩-١١٦
- قصة:**
- ١٣- رجال صنعوا التاريخ، بقلم: محمد نسيب، ص: ١٤٠-١٣٠
- القسم الفرنسي:**

- 1- BEETHOVEN : le compositeur génial et le révolutionnaire a principes OU : le sens d'une commémoration, p: Mouloud Kassim NAIT-BELKACEM, p: 1-4

السنة الخامسة، العدد: ٤٥
جمادى الأولى ١٣٩٥ هـ/ ماي ١٩٧٥ م

- ١- مغزى ملتقيات الفكر الإسلامي، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١٩-٢
من محاضرات الملتقى ١١ للفكر الإسلامي:
- ٢- المجتمع التاهرتي في عهد الرستميين، بقلم: إحسان عباس (لبنان)، ص: ٣٦-٢٠
- ٣- ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية، بقلم: وداد القاضي (لبنان)، ص: ٥٨-٣٧
- ٤- محمد وعبد الرحمن بن رستم في قرطبة، بقلم: ماريا خيسوس فيغيرا (اسبانيا)، ص: ٨٠-٥٩
- ٥- الإسلام في إفريقيا اليوم، بقلم: محمد عبد الله عنان (مصر)، ص: ٨٦-٨١
من أصداء الملتقى الثامن:
- ٦- الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بقلم: صبري أبو المجد (مصر)، ص: ٩٣-٨٧
دراسات تاريخية:
- ٧- الطاهريون والدولة العباسية، بقلم: المنجي الكعبي (تونس)، ص: ١١٥-٩٤
من أصداء الملتقى ١١ للفكر الإسلامي:
- ٨- لقاء مع مولود قاسم، أجراه: عبد العال الحمامصي (مجلة الثقافة المصرية)، ص: ١١٩-١١٧
- ٩- الجزائر والملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، بقلم: فهمي عبد العليم الإمام (مجلة الوعي الإسلامي المصرية)، ص: ١٣٣-١٢١
كتب جديدة:
- ١٠- أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، تأليف: عبد الحميد حاجيات، عرض: محمد بلقراد، ص: ١٤٩-١٣٦
رسائل جامعية:
- ١١- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، إعداد: محمود بوعباد، ص: ١٥٠-١٦٠

السنة الخامسة، العددان: ٤٦-٤٧
جمادى الثانية، رجب ١٣٩٧ هـ/ جوان، جويلية ١٩٧٧ م

- ١- المسجد جامع وجامعة، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٢-٩
من محاضرات الملتقى ١١ للفكر الإسلامي:
 - ٢- الرستميون قنطرة صلة بين الجزائر والأندلس من خلال الإباضية، سلفادور غومث نوغاليس (اسبانيا)، ص: ١٠-٢٤
 - ٣- المرأة في صدر الإسلام، سيغريد هونكه (ألمانيا)، ص: ٢٥-٣٣
 - ٤- المرأة التركية الوارثة للتقاليد الوطنية الإسلامية، آمال ايزين (تركيا)، ص: ٣٤-٤٥
من أصداء الملتقى ١١ للفكر الإسلامي:
 - ٥- الإسلام والعالم المعاصر، بقلم: سالفاتوري بونو (إيطاليا)، ص: ٤٦-٥٠
 - ٦- الملتقى الحادي عشر للفكر الغسلافي، بقلم: ميكال دي ايباليزا (اسبانيا)، ص: ٥١-٦٢
 - ٧- الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، بقلم: ارجمند كوران (تركيا)، ص: ٦٣-٦٦
 - ٨- حول الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي، بقلم: ابن الطيب (ليبيا)، ص: ٦٧-٧٠
 - ٩- انطباعات جزائرية، بقلم: فاطمة هيرين سيركا (ألمانيا)، ص: ٧١-٨١
 - ١٠- ورجلان الجزائريين تعيش أياما إسلامية حافلة، مقابلة مع عبد الحليم عويس (مصر)، أجرى الحديث: خالد الرجيجي (السعودية)، ص: ٨٢-٨٦
 - ١١- الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي في ورقلة، بقلم: آمال ايزين (تركيا)، ص: ٨٧-٩٩
 - ١٢- المرأة بعد عام المرأة أحد موضوعات الملتقى ١١ للفكر الإسلامي، بقلم: كزافيير غوتيي (فرنسا)، ص: ١٠٠-١٠٤
- مناقشات:**
- ١٣- حول ملاحظات وانطباعات الشيخ سليمان داود بن يوسف عن ثورة ١٨٧١، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٠٥-١١٧
 - ١٤- طفل عمره سبع سنوات يحفظ مائة حديث، ص: ١١٩
- القسم الفرنسي:**
- 1- 11ème Séminaire sur la islamique à Ouargla, p: Emel Esin (Turquie), p: 2-10
 - 2- L'Islam et le monde contemporain, p: Salvatore Bono (Italie), p: 11-13
 - 3- Le 11ème Séminaire sur la islamique, p: Ercumend à Kuran (Turquie), p: 14-16
 - 4- La femme après l'année de la femme, p: Xavière Gauthier (France), p: 18-20

السنة الخامسة، العدد: ٤٨
شعبان ١٣٩٧ هـ / أوت ١٩٧٧ م

دراسات وأبحاث:

- ١- جهود الأمير عبد القادر وحلفائه في تدعيم جهود الجبهة الشرقية القسنطينية، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢-٤٢
- ٢- عالم جزائري ساهم في إحياء التراث والثقافة الإسلامية في العالم الإسلامي: الطاهر الجزائري، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٤٣-٤٨
- ٣- الفلسفة الإسلامية الإسبانية، بقلم: سالفادور غومث نوغالييس (اسبانيا)، تعريب: ب. دفيلا، ص: ٤٩-٨١
- ٤- الخليفة العباسي المأمون ودوره في تطور فكرة السيادة الإسلامية، بقلم: تلمان ناكل (ألمانيا)، ص: ٨٢-٩٤
- من محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي:**
- ٥- المرأة بعد عام المرأة، بارفين شوكت علي (باكستان)، ص: ٩٦-١٠٣
- ٦- بطون الأرض نعمة وليست نقمة، محمد رشيد (أندونيسيا)، ص: ١٠٤-١١٤
- من أصداء الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي:**
- ٧- ملاحظات حول الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي ورجلان-ورقلة، بقلم: خير الله عصار، ص: ١١٦-١٢٢
- رسائل جامعية:**
- ٨- ابن عبد ربه حياته وشعره، إعداد: محمد عيسى موسى، ص: ١٢٣-١٣٦
- قصة:**
- ٩- عباس والبحر، بقلم: محمد نسيب، ص: ١٣٨-١٤٣

السنة السادسة، العددان: ٤٩ - ٥٠
رمضان، شوال ١٣٩٧ هـ/ سبتمبر ، أكتوبر ١٩٧٧ م

دراسات وأبحاث:

- ١- أبو عبد الله محمد بن خميس التلمساني، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٣-٢
- ٢- الإسلام والتاريخية والتقدم، بقلم: محمد أركون، ص: ٤٥-١٤
- ٣- السياسة المالية للدولة الفاطمية في المغرب، بقلم: الحبيب الجحاني (تونس)، ص: ٦٥-٤٦
- ٤- فكرة الالتزام في الأخلاق والقانون، بقلم: بوعبد الله غلام الله، ص: ٨١-٦٦
من محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي:
- ٥- مجهودات الدولة الرستمية في نشر الحضارة الإسلامية وتركيزها، سليمان داود بن يوسف، ص: ١٠٣-٨٢
- ٦- المرأة المسلمة والفرنسية أمام القانون، إيفادي فيتراي مايروفيتش (فرنسا)، ص: ١١٥-١٠٤
- ٧- المرأة بعد عام المرأة، عبد الكريم سايتوح (اليابان)، ص: ١٢٢-١١٦

من أصداء الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي:

- ٨- نعمة تخرج من بطون الأرض، بقلم: عبد العال لحمامصي (مصر)، ص: ١٢٦-١٢٣

السنة السادسة، العدد: ٥١
ذو القعدة ١٣٩٧ هـ/ نوفمبر ١٩٧٧ م

دراسات وأبحاث:

- ١- المخطط الأمريكي المحكم في الشرق الأوسط من أجل السيطرة على المحور بين أوروبا وآسيا وأفريقيا، بقلم: فولف شينكه (ألمانيا)، ص: ١٣-٢
- ٢- عبد الكريم بن الفقون القسنطيني (٩٨٨-١٠٧٣) والتعريف بتأليفه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٣٢-١٤
- ٣- حول كتاب "القومية وصراع الطبقات"، بقلم: الحبيب الجنحاني (تونس)، ص: ٣٣-٣٨
- ٤- التفسير الإسلامي للمشكلة الاقتصادية، بقلم: شوقي دنيا (مصر)، ص: ٤٧-٤٠
- ٥- أبو القاسم الحفناوي وكتابه "تعريف الخلف برجال السلف"، بقلم: خديجة بقطاش، ص: ٥٧-٤٨

قصة:

- ٦- حرب التحرير الوطني (١٩٦٠-١٩٦٢) الحدود الغربية- منطقة الشمال، بقلم: عبد المالك واسطي، تعريب: محمد بلغراد، ص: ١٠٦-٥٨
- من محاضرات الملتقى الرابع للفكر الإسلامي:

- ٧- المرأة والأسرة في الإسلام، علي عبد الواحد وافي (مصر)، ص: ١١٨-١٠٨
- ٨- الفقه الإسلامي وحرية الفكر، محمد بن سالم الفهري (المغرب)، ص: ١٣٢-١١٩

مناقشات:

- ٩- حول مقال "خطبة الجمعة وابتعادها عن واقع المسلمين المعاش"، عن هيئة التحرير الدينية: سليمان المدني، ص: ١٣٣-١٣٥

السنة السادسة، العدد: ٥٢
ذو الحجة ١٣٩٧ هـ / ديسمبر ١٩٧٧ م

دراسات وأبحاث:

- ١- الجزائر في العهد التركي، بقلم: محفوظ قداش، ص: ٢-١٤
 - ٢- الجزائر في كتابات محمد عبده، بقلم: محمد برج، ص: ١٥-٢٣
 - ٣- بعض الوثائق الإسبانية المتعلقة بتاريخ المغرب العربي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر / الثاني عشر والثالث عشر من الهجرة، بقلم: ميغال دي ايباليزا (اسبانيا)، ص: ٢٥-٣٠
 - ٤- شواهد من حضارات عالم البحر الأبيض المتوسط، بقلم: هشام الصفدي، ص: ٣١-٤٦
 - ٥- الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، بقلم: ورنير أند (ألمانيا)، ص: ٤٧-٦٣
- من محاضرات الملتقى:
- ٦- جمال الدين الأفغاني والتجديد الإسلامي، عثمان أمين (مصر)، ص: ٦٥-٧٢
 - ٧- الثقافة الإسلامية بين الأمس واليوم، الحبيب بلخوجة (تونس)، ص: ٧٣-٩١
 - ٨- قضية المرأة كما أراها، الحبر يوسف نور الدائم (السودان)، ص: ٩٣-١١١

السنة السابعة، العدد: ٥٣
محرم ١٣٩٨ هـ / جانفي ١٩٧٨ م

أبحاث ودراسات:

- ١- دور البترول في تنمية الجزائر، بقلم: جيلالي صاري، ص: ٨-٢
- ٢- ملامح الحركة التعليمية في تمبكتو خلال القرن السادس عشر، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ٢٠-٩
- ٣- عبد الرحمن الأخضرى وأطوار السلفية في الجزائر، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٣٥-٢١
- ٤- تطور النثر الجزائري الحديث (١٩٧٤/١٨٣٠)، تأليف: عبد الله ركيبي، تقديم: محمد مصايف، ص: ٥١-٣٦
- ٥- العربية خارج حدودها، بقلم: يشاد رجباًغيتش (يوغسلافيا)، ترجمة: محمد موفكو (يوغسلافيا)، ص: ٦١-٥٢

مناقشات:

- ٦- كلامنا لفظ مفيد كاستقم، بقلم: أحمد حماني، ص: ٧٢-٦٥

من محاضرات الملتقى:

- ٧- حوادث ٨ ماي ١٩٤٥ حقائقها وأسبابها ونتائجها، الشاذلي المكي، ص: ٨٨-٧٤
- ٨- الزواج بالأجنبيات والأجانب وخطره على الأسرة، زهور ونيسي، ص: ١٠٠-٨٩
- ٩- مقارنة بين تزويج المرأة في الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، الأكل بن حواء، ص: ١٢٧-١٠٢

السنة السابعة، العددان: ٥٤-٥٥
ربيع الأول، ربيع الثاني ١٣٩٨ هـ/ فيفري، مارس ١٩٧٨ م

دراسات وأبحاث:

- ١- وجوه ازدهار الفكر العربي في المغرب الإسلامي، بقلم: محمد أركون، ص: ٢-٣٠
- ٢- المجهولون من زعماء المقاومة في الشرق الجزائري، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٣١-٥٨
- ٣- المكانة التاريخية للشرق الجزائري في نهاية القرن الثالث الهجري، بقلم: محمد الصالح مرمول، ص: ٥٩-٧١
- ٤- جوانب مجهولة من آثار زيارة محمد عبده للجزائر عام ١٩٠٣ هـ/ ١٣٢٢ م، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٧٢-٨٨

كتب جديدة:

- ٥- حياة كفاح، محاضرة لأحمد توفيق المدني، ص: ٨٩-١٠٢
- ٦- حول مذكرات "حياة كفاح"، بقلم: بشير التليلي (تونس)، تعريب: محمد بلغراد، ص: ١٠٣-١٠٦

محاضرات:

- ٧- وضع تعليم وعزف الموسيقى الكلاسيكية العالمية في الجزائر، حكيم بن عطية، ص: ١٠٧-١٢٠

قصة:

- ٨- إن بعض الظن إثم، بقلم: محمد نسيب، ص: ١٢٢-١٢٨

من محاضرات الملتقى:

- ٩- الحرية المدنية في الإسلام، علي عبد الواحد وافي، ص: ١٣٠-١٤٠
- ١٠- مشكلة الحضارة، مالك بن نبي، ص: ١٤٢-١٥٩

السنة السابعة، العدد: ٥٦
جمادى الأولى ١٣٩٨ هـ/ أبريل ١٩٧٨ م

دراسات وأبحاث:

- ١- لسنا يتامى التاريخ، حديث لمولود قاسم نايت بلقاسم مع جريدة "المجاهد"، ص: ١٠-٢
- ٢- الفتوحات الإسلامية الأولى وأثارها الاقتصادية في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، بقلم: موريس لومبارد، ترجمة: إسماعيل العربي، ص: ٢٢-١١
- ٣- دور الشعر النضالي في تحرير بيت المقدس، بقلم: عمر موسى باشا (سوريا)، ص: ٣٩-٢٥
- ٤- مساهمة الفلسفة في النهوض بالتربية، محاضرة لحنفي بن عيسى، ص: ٥١-٤٠
- ٥- تشجيع الاختراعية والابتكار في البلدان النامية، بقلم: يحيى زكرياسن (الدانمارك)، ترجمة: خير الله عصار، ص: ٦٠-٥٢

علوم:

- ٦- ما وصل إليه العلم في ميدان الأشعة الشمسية، محاضرة: عبد القادر حلّيمي، ص: ٦٧-٦١

شعر:

- ٧- جامع قرطبة، شعر: محمد إقبال (باكستان)، ترجمة: سلمى خضراء الجيوسي، ص: ٧٢-٦٨

مناقشات:

- ٨- حول مقال: "أبو القاسم الحفناوي وكتابه: تعريف الخلف برجال السلف"، بقلم: خرشي محمد بن أبي القاسم الديسي، ص: ٧٧-٧٣

تفسير القرآن:

- ٩- إن خير الحديث كتاب الله، خطبة: أحمد حماني، ص: ٨٢-٧٩
- ١٠- الفاتحة سر من اسرار الله لا يعرفه إلا مولاة، خطبة: سليمان المدني، ص: ٨٦-٨٣
- ١١- الله الرحمن الرحيم، خطبة: أحمد حماني، ص: ٩٠-٨٧

فتاوى:

- ١٢- إفطار المجاهدين في رمضان، بقلم: أحمد حماني، ص: ٩٣-٩١

من محاضرات الملتقى:

- ١٣- الإسلام وكرامة الإنسان، عبد السلام الهراس (المغرب)، ص: ١٠٤-٩٥
- ١٤- من مسالك إصلاح الفكر والأخلاق، الشاذلي النيفر (تونس) ن ص: ١١٨-١٠٥
- ١٥- مشكلة المسلمين اليوم، محمد أسد (النمسا)، ص: ١٢٦-١١٩

السنة السابعة، العدد: ٥٧
جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ/ ماي ١٩٧٨

دراسات وأبحاث:

- ١- نشاط البحوث التاريخية حديثا في البحر الأبيض المتوسط وفي العالم، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٤-٢
- ٢- الإسلام في بلاد المجر، بقلم: عبد الكريم يوليوس جرمانوس (المجر)، ص: ١٥-٢٥
- ٣- القانون والتعريب من خلال التجربة الجزائرية، بقلم: أحمد مطاطلة، ص: ٢٦-٣٨
- ٤- أخلاق الأوروبيين وخصائص شعوبهم، بقلم: علي عيسى، ص: ٣٩-٤٤
- ٥- الحلاج والقرامطة وماسينيون، بقلم: محمود قاسم (مصر)، ص: ٤٥-٦٦
- ٦- من قضايا النخبة المثقفة في الأقطار العربية، بقلم: الحبيب الجناحاني (تونس)، ص: ٦٧-٧٢

تفسير القرآن:

- ٧- إن هذا القرآن هداية ورحمة للإنسان، بقلم: سليمان المدني، ص: ٧٣-٧٦
 - ٨- صفات المتقين، بقلم: سليمان المدني، ص: ٧٧-٨٠
- في أربعينية الشاذلي بلقاضي:**
- ٩- الذكرى الأربعينية لوفاة الشيخ محمد الشاذلي بن القاضي، بقلم: عبد الرحمن شيبان، ص: ٨١-٩٠
 - ١٠- محمد الشاذلي بن القاضي العالم المصلح، بقلم: أحمد حماني، ص: ٩١-١٠٠
- من محاضرات الملتقى الحادي عشر للفكر الإسلامي:**
- ١١- فلسفة اللغة العربية، عثمان أمين (مصر)، ص: ١٠١-١١١
 - ١٢- الفكر الإسلامي والتيارات المعاصرة، عبد الحي العماروي (المغرب)، ص: ١١٢-١٢٦

السنة السابعة، العددان: ٥٨ - ٥٩
رجب، شعبان ١٣٩٨ هـ/ جوان، جويلية ١٩٧٨ م

دراسات وأبحاث:

- ١- الجزائر وابن خلدون: تأثيرها في حياته ومقدمته، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٥-٢
- ٢- وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبولت الضابط بهيئة أركان الحرب الفرنسية بتاريخ شهر مارس ١٨٣٢، بقلم: ناصر الدين سعيدوني، ص: ٦-١٣

- ٣- مدينة أرزيو، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٤-٢٠
 - ٤- ميتافيزيقا علم الاجتماع، بقلم: علي عيسى، ص: ٢١-٢٦
- رسائل جامعية:**

- ٥- مملكة سنغاي في عهد الأسقيين (١٤٩٣-١٥٩١)، عبد القادر زبادية، ص: ٢-٣٥
 - ٦- العرف وأثره على التشريع في الفقه الإسلامي، محمد سعود المعيني، ص: ٣٦-٥٤
- من أعلام الجزائر:**
- ٧- رائد الدعوة إلى التضامن الإسلامي عمر بن قدور الجزائري، بقلم: محمد ناصر، ص: ٥٥-٦٤

كتب:

- ٨- العهد الذهبي لتجارة المسلمين في شمال إفريقيا وغربها، تأليف: وو. بوفيل، عرض: حمزة ج، ص: ٦٥-٧١
- ٩- التيسير في احكام التسعير، تأليف: أبي سعيد المجيلدي، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، عرض: عمرو بن خروف، ص: ٧٨

تفسير القرآن:

- ١٠- قلوب خيم الله عليها فلم تسمع نداء ربها، سليمان المدني، ص: ٧٩-٨٢
- ١١- المنافق يظهر الإيمان ويخفي المخادعة والعصيان، سليمان المدني، ص: ٨٣-٨٦

مناقشات:

- ١٢- دور المسجد في بث الوعي والثقافة والحضارة الإسلامية، بقلم: أحمد حماني، ص: ٨٧-٩١

من محاضرات الملتقى:

- ١٣- تأملات حول مستقبل الحضارة العربية الإسلامية، بقلم: إبراهيم غافة، ص: ٩٢-١٠٦
- ١٤- الروح الديني في الإسلام: مصدره وأثره في السلوك، بقلم: الحبيب بلخوجة (تونس)، ص: ١٠٧-١٢٨

السنة السابعة، العددان: ٦٠-٦١
رمضان، شوال ١٣٩٨ هـ/ أوت، سبتمبر ١٩٧٨ م^(١٥)

- ١- مات عثمان أمين فيلسوف الجوانية ومفند "الخواجات"، بقلم: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٧-٢
- دراسات في التاريخ القديم:
- ٢- أوراس محطم الاستعمار الروماني، بقلم: أحمد توفيق المدني، ص: ٢٣-٨
- ٣- حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن الرابع الميلادي، بقلم: محمد البشير شنييتي، ص: ٤٠-٢٤
- دراسات في التاريخ الوسيط:
- ٤- التطور المذهبي بناحية أوراس في العصر الوسيط، بقلم: عبد الحميد حاجيات، ص: ٥٤-٤١
- ٥- الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن ٤هـ/ ١٠م وأثره في تطور مدن افريقية والزاب والحضنة والأوراس، بقلم: موسى لقبال، ص: ٦٤-٥٥
- ٦- مصادر ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد، بقلم: إحسان عباس (لبنان)، ص: ٨٢-٦٥
- ٧- طبنة مدينة الزاب والأوراس في العصور الوسطى، بقلم: موسى لقبال، ص: ٨٣-١٠٢
- ٨- شخصيات لامعة من الأوراس، بقلم: عبد الرحمن الجليلي، ص: ١١٤-١٠٣
- دراسات في التاريخ المعاصر:
- ٩- الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة.. دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة الأوراس قبل واثناء العهد العثماني، بقلم: ناصر الدين سعيدوني، ص: ١٥٦-١١٥
- ١٠- مواقف الرسميين التونسيين من ثورة الصبايحية والكلوتي في منطقة الحدود الشرقية عام ١٨٩١، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٠٢-١٥٧
- ١١- وثيقتان عن ثورتي الأوراس لسنتي ١٨٥٩-٦٠-١٨٧٩، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ٢٢٢-٢٠٣
- ١٢- انتفاضة سكان الأوراس ١٨٧٩، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٣٤-٢٢٣
- ١٣- القرآن في شعر محمد العيد، بقلم: شلتاغ عبود شراد (العراق)، ص: ٢٥٨-٢٣٥
- ١٤- برنامج الملتقى ١٢ للفكر الإسلامي، ص: ٢٧٠-٢٥٩

(١٥) - عدد خاص عن تاريخ منطقة الأوراس بمناسبة انعقاد الملتقى ١٢ للفكر الإسلامي بعاصمتها باتنة.

السنة السابعة، العددان: ٦٢-٦٣
ذو القعدة، ذو الحجة ١٣٩٨ هـ / أكتوبر، نوفمبر ١٩٧٨ م^(١٦)

١- إيه سيدتنا الجامعة.. أتبقين في ضلالك هامة؟ كلمة مولود قاسم في افتتاح الملتقى الثاني عشر للفكر الإسلامي، ص: ٧-٢

النقطة الأولى: الأوراس أمجاد وأنجاد:

٢- الاضطرابات الثورية في الجنوب القسنطيني (نوفمبر ١٩١٦ – يناير ١٩١٧)، شارل روبير أجرون (فرنسا)، ص: ٣٨-٨

٣- توصيات لجنة النقطة الأولى، ص: ٤٠-٣٩

النقطة الثانية: الدين والعلم:

٤- الدين والكتب المقدسة والعلم، مورييس بوكاي (فرنسا)، ص: ٥١-٤١

٥- توصيات لجنة النقطة الثانية، ص: ٥٦-٥٣

النقطة الثالثة: إلام تسير في العالم الأسيرة إلى اليسرى أم العسرى؟

٦- تكوين (وحل) الأسيرة العصرية، إدوارد شورتر (كندا)، ص: ٧٦-٥٧

٧- توصيات لجنة النقطة الثالثة، ص: ٨٠-٧٧

النقطة الرابعة: نظرة جامعة على الجامعة:

٨- فضل العرب على أوروبا في ميدان نشأة وتطور النظام الاجتماعي في العصور الوسطى، رفعت ي. عبيد (بريطانيا)، ص: ٩١-٨١

٩- توصيات لجنة النقطة الرابعة، ص: ٩٧-٩٢

النقطة الخامسة: ماض ومضى هي الجزائر:

١٠- سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه الثورة الجزائرية، شارل ل. قيدز (الولايات المتحدة الأمريكية)، ص: ١٠٣-٩٨

١١- توصيات لجنة النقطة الخامسة، ص: ١٠٦-١٠٤

١٢- فليدق إذن جرس الخطر والحيطة بالطبل والمزمار والغيطة، كلمة مولود قاسم في اختتام الملتقى، ص: ١١٠-١٠٧

١٣- أبعاد ثقافية وتربوية، مقابلة مع مولود قاسم، أجراها: مولود عاشور، ص: ١١١-١٢١

١٤- بلاغ حول الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي، ص: ١٢٣

القسم الفرنسي:

1- O, Madame L'université, p: Mouloud Kassim NAIT BELKACEM, p: 2-7

2- Les troubles insurrectionnels du sud-constantinois (Novembre 1916 – Janvier 1917), p: Charles Robert Ageron, p: 8-29

3- Religion, Ecritures Saintes et Sciences, p: Maurice Bucaille, p: 31-38

4- Edification et Dissolution de la famille moderne, p: Edward Shorter, p: 36-54

^(١٦) - عدد خاص بأعمال الملتقى الثاني عشر للفكر الإسلامي، المنعقد بعاصمة الأوراس باتنة، من ٤ إلى ١١ شوال، الموافق من ٧ إلى ١٤ سبتمبر ١٩٧٨ م.

- 5- Mérite des Arabes sur L'Europe dans la naissance et le développement du système universitaire au Moyen-Age, p: Rifaat Y. Ebied, p: 55-62
- 6- La politique des Etats-Unis d'Amérique à L'égard de la révolution algérienne, p: Charles L. Geddes, p: 63-67
- 7- Un Cri d'alarme, p: Mouloud Kassim NAIT BELKACEM, p: 68-70
- 8- Recommandations du 12 eme séminaire sur la pensée islamique, p: 71-87
- 9- Une portée culturel et pédagogique, entretien avec Mouloud Kassim, réalisé par: Mouloud Achour, p: 88-94
- 10- Communiqué sur le 13ème séminaire sur la pensée islamique, p: 95

السنة السابعة، العدد: ٦٤
محرم ١٣٩٩ هـ/ ديسمبر ١٩٧٨ م

١- إنا لله وإنا إليه راجعون: وفاة الرئيس هواري بومدين، ص: ٢
٢- الأمة تكبر فيك تفانيك لبعث دولة لا تزول بزوال الرجال، كلمة عبد العزيز بوتفليقة
في تأبين الرئيس بومدين، ص: ٩-٤
دراسات وأبحاث:

٣- مساهمة ابن خلدون في تحليل علاقات المدينة والريف، بقلم: جيلالي صاري، ص:
١٩-١٠

٤- الحاج أحمد باي وبابيك قسنطينة، بقلم: عبد الجليل التميمي (تونس)، ص: ٢٦-٢٠
٥- عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين، بقلم: عبد الحميد حاجيات، ص: ٤٢-٢٧
٦- الحلاج والقرامطة، بقلم: محمود قاسم (القاهرة)، ص: ٥٧-٤٣
٧- حسان بن النعمان ودوره في نشر الإسلام بالمغرب، بقلم: صالح بن قربة، ص: ٥٨-
١٠٦

٨- المكانة التاريخية للشرق الجزائري في نهاية القرن الثالث الهجري، بقلم: محمد الصالح
مرمول، ص: ١٢٦-١٠٧

مناقشات:

٩- حول انتقادات الشيخ حسن بغداددي، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٣٧-١٢٧

من أصداء الملتقى:

١٠- القرآن والشعر أو الإسلام والأدب، عبد الرشيد مصطفى، ص: ١٤٧-١٣٩
١١- واقع الجالية العربية الإسلامية في أوروبا والأخطار التي تهدد شخصيتها، عبد
الكريم غريب، ص: ١٦٣-١٤٨

القسم الفرنسي:

- IBN KHALDOUN ET L'ALGERIE , par: Mouloud Kassim NAIT
BELKACEM, p: 1-4

السنة الثامنة، العددان: ٦٥-٦٦
صفر، ربيع الأول ١٣٩٩ هـ/ جانفي فيفري ١٩٧٩ م

ملف خاص بمناسبة المؤتمر الرابع لحزب جبهة التحرير الوطني:

- ١- حزب جبهة التحرير الوطني الحارس الأمين لاستمرارية الثورة، خطاب: رابح بيطاط، ص: ٨-٢
- ٢- أعز ما يفخر به الجزائري: دينه ولغته، خطاب: محمد الصالح يحيوي، ص: ٩-٤٠
- ٣- احترام الشرعية الدستورية وتطبيق الميثاق الوطني، الشاذلي بن جديد، ص: ٤١
- ٤- عروبة وإسلام، خطاب: بوعلام بن حمودة، ص: ٤٢-٤٥
- ٥- تأكيد أصالتنا وانتمائنا العربي الإسلامي، حوار وكالة الأنباء مع الشاذلي بن جديد، ص: ٤٦-٤٩
- ٦- الرئيس الشاذلي بن جديد يؤدي اليمين الدستورية، ص: ٥٠
- ٧- كل من الغرب والشرق (الأوروبي) متخلفان: رأي آية الله الخميني في دور الدين في الدولة، ترجمة: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٥٢-٥٨
- ٨- الإسلام فينا عريق ونحن فيه عريقون فهل نستورد حتى الأئمة؟ خطاب: أحمد حماني، ص: ٥٩-٦٧

دراسات وأبحاث:

- ٩- العلم القسنطيني أثناء حكم الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة، بقلم: عبد الجليل التميمي (تونس)، ص: ٦٨-٧٥
- ١٠- موقف العائلات الأرستوقراطية من محمد المقراني وثورته وأحداث أخرى من خلال الوثائق عن ثورة ١٨٧١، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٧٦-٩٥
- ١١- الثقافة العربية المعاصرة ومصير الوطن العربي، بقلم: الحبيب الجناحاني (تونس)، ص: ٩٦-١٠٥
- ١٢- الدين واللغة والتربية عند فيخته، ترجمة وتعليق: مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ١٠٦-١١٦

ملف عن الملتقى الثاني للإمام المازري بتونس:

- ١٣- الحرية والحمية في الفلسفة الإسلامية، عرض: عثمان شبوب، ص: ١١٧
- ١٤- حول مشكلة القضاء والقدر في الفكر الإسلامي، بقلم: الحبيب الفقي (تونس)، ص: ١١٨-١٣٨
- ١٥- الجبر والاختيار في التفكير الإسلامي الحديث، بقلم: محيي الدين عزوز (تونس)، ص: ١٣٩-١٥٤
- ١٦- الصوفية والعقيدة الجبرية، بقلم: توفيق بن عامر (تونس)، ص: ١٥٥-١٦٥

باب التفسير:

- ١٧- اتصاف أهل الفساد بالنفاق والعناد (خطبة جمعة)، سليمان المدني، ص: ١٦٦-١٧٠
- ١٨- أهل الهداية عُمي عن الضلالة (خطبة جمعة)، سليمان المدني، ص: ١٧١-١٧٤

من محاضرات الملتقى:

- ١٩- موقف الإسلام من العقل، محاضرة: مصطفى كمال التارزي (تونس)، ص: ١٧٦-
١٨٧
٢٠- اللغة العربية في جنوب شرق آسيا، محاضرة: محمد العربي دماغ العتروس، ص:
١٨٨-٢٠٠

قصة:

- ٢١- الكنز.. الكنز، بقلم: محمد نسيب، ص: ٢٠١-٢٠٧

السنة الثامنة، العدد: ٦٧
ربيع الثاني ١٣٩٩ هـ/ مارس ١٩٧٩ م

افتتاحية:

- ١- أسلوب جديد في الصراع الثقافي، بقلم: عثمان شبوب، ص: ٢-٣
أبحاث ودراسات:
- ٢- تقييدات ابن عيسى عن حصاري قسنطينة، بقلم: عبد الحميد زوزو، ص: ٤-١٧
- ٣- مشاكل البحث العلمي في الجزائر، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٨-٣٠
- ٤- في ضرورة المعجم الفلسفي والاجتماعي باللغة العربية، بقلم: عثمان أمين (مصر)، ص: ٣١-٣٣
- ٥- دروس يملئها عثمان أمين، بقلم: إبراهيم مذكور (مصر)، ص: ٣٤-٣٨
- ٦- خواطر حول موضوع الحرية، بقلم: عبد الكريم المراق (تونس) ص: ٣٩-٤٨
- ٧- سياسة الخلافة الأموية تجاه المغرب ولاسيما في الميدان المالي، بقلم: الحبيب الجنحاني (تونس)، ص: ٤٩-٦٣

فكر إسلامي:

- ٨- الإمامة والزعامة الدينية، بقلم: المنجي الكعبي (تونس)، ص: ٦٤-٧٣
- ٩- الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة الفكرية الحديثة في بلاد الشام، بقلم: محمود الأرنؤوط (سوريا)، ص: ٧٤-٧٨
- ١٠- الحضارة الإسلامية ودور الإيرانيين في نشرها، بقلم: جعفر شهيدي (إيران)، ص: ٧٩-٨٨

ندوة حول آراء ومواقف الفيلسوف الفقيه عثمان أمين:

- ١١- آراء ومواقف الفيلسوف عثمان أمين، مولود قاسم نايت بلقاسم، ص: ٩٠-٩٢
- ١٢- عثمان أمين فيلسوف، البخاري حماته، ص: ٩٣-٩٦
- ١٣- في ذكرى الفيلسوف عثمان أمين، إسماعيل العربي، ص: ٩٧-١٠١
- ١٤- عثمان أمين فيلسوف الجوانية بين اللغة والديكارتية، الربيع ميمون، ص: ١٠٢-١٠٧
- ١٥- الجلسة العلنية لمجمع اللغة العربية بالقاهرة لتأبين المرحوم عثمان أمين، ص: ١٠٨-١١٣

من محاضرات الملتقى:

- ١٦- فلسطين أرض العروبة والإسلام، أحمد وافي أبو خليل (فلسطين)، ص: ١١٥-١٢٧
- ١٧- الخصائص الحضارية في الإسلام، عمر بهاء الدين الأميري (سوريا)، ص: ١٢٨-١٥٠

السنة الثامنة، العددان: ٦٨-٦٩
جمادى الأولى، جمادى الثانية ١٣٩٩ هـ/ أفريل، ماي ١٩٧٩ م

دراسات وأبحاث:

١- المجتمعات العربية الإسلامية بين الجماعية والقبيلية، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١٧-٢

٢- القيم السائدة في تفكير ابن رشد وأبعدها، بقلم: الربيع ميمون، ص: ٣٧-١٨

٣- مسيرة الكتاب، بقلم: محمد بلقراد، ص: ٤٥-٣٨

٤- صدق وفاة ابن باديس في التقارير الفرنسية والصحافة الأهلية عام ١٩٤٠، بقلم: عبدالكريم أبو الصفصاف، ص: ٥٤-٤٦

ندوة عن الإمام آية الله الخميني:

٥- رأي في الثورة الإيرانية، بقلم: عثمان شوب، ص: ٦٤-٥٧

٦- إرادة الشعب من إرادة الله، بقلم: أحمد حماني، ص: ٨٠-٦٥

٧- أهم إنجاز للثورة الإيرانية هو القضاء على الحكم الوراثي، بقلم: الطاهر بن عائشة، ص: ٨٦-٨١

٨- الإسلام ثورة سماوية، بقلم: عبد الرحمن شيبان، ص: ٩٢-٨٧

٩- الثورات والانتفاضات الشيعية، بقلم: صالح ماجدي، ص: ٩٤-٩٣

من أعلام الجزائر:

١٠- الأستاذ مبارك الملي والصحافة، بقلم: أحمد بن ذياب، ص: ١٠١-٩٥

في الفكر الإسلامي:

١١- من هدي القرآن وتربيته، بقلم: أحمد حماني، ص: ١١٠-١٠٢

من محاضرات الملتقى:

١٢- تأثير الثقافة والبيئة الجزائريتين في شخصية ابن خلدون، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١١٩-١١١

فتاوى:

١٣- إمامة المتجنس، بلية كتب الجنس، الخلوة بالأجنبية، إعداد: أحمد حماني، ص: ١٢٥-١٢١

السنة الثامنة، العددان: ٧٠-٧١
رجب، شعبان ١٣٩٩ هـ/ جوان، جويلية ١٩٧٩ م

- ١- مذكرة حول إقليم قسنطينة، بقلم: ناصر الدين سعيدوني، ص: ٢-١٩
- ٢- العقلانية الرشدية في علوم الشريعة، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ٢٠-٤١
- ٣- الانعزالية وانعكاساتها الخطيرة، بقلم: علي عيسى، ص: ٤٢-٤٦
- ٤- أثر الثقافة الإسلامية في حركتي الكثرية والتروبادور، بقلم: ميسوم عبد الإله، ص: ٤٧-٦٢
- ٥- نظرية الخلق عند الفارابي، بقلم: حين آتاي (تركيا)، ص: ٦٣-٧٤
- ٦- خرافة الحياد الإعلامي الغربي والثورة الإسلامية في إيران، بقلم: محمد العربي ولد خليفة، ص: ٧٥-٨٣

ندوة بمناسبة ذكرى وفاة الأستاذ محمد الصادق بسيس:

- ٧- كلمة المنجي الكعبي، ص: ٨٥-٩٧
- ٨- كلمة محمد الطيب بسيس، ص: ٩٨-١٠٥
- ٩- كلمة التهامي نقرة، ص: ١٠٦-١١٥
- ١٠- كلمة الشاذلي النيفر، ص: ١١٦-١٢٧

السنة الثامنة، العدد: ٧٢
رمضان ١٣٩٩ هـ / أوت ١٩٧٩ م

- ١- لقطات من تاريخ منطقة الهجار في المجالات الثقافية والحضارية والسياسية، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ١٧-٢
- ٢- هؤلاء التوارك الملتمين، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ٣٥-١٨
- ٣- الحياة الاقتصادية والاجتماعية عند طوارق اهجار، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٣٦-٥٠
- ٤- اهتمامات الفرنسيين بالتوارق ومنطقة الهقار من خلال ما كتبوه، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٦٨-٥١
- ٥- المحتوى التاريخي للرسوم الصخرية: المعطيات الجغرافية والمناخية، بقلم: محمد الصغير غانم، ص: ٨٢-٦٩
- ٦- الهقار والمرحلة الحاسمة، بقلم: الجيلالي صاري، ص: ٩٦-٨٣

السنة الثامنة، العددان: ٧٣-٧٤
شوال/ ذو القعدة ١٣٩٩ هـ، سبتمبر/ أكتوبر ١٩٧٩ م^(١٧)

- ١- اليوم الخالد، بقلم: محمد نسيب، ص: ٢-٥
 - ٢- الجانب الأخلاقي والاجتماعي في ثورة نوفمبر ١٩٥٤، بقلم: يوسف يعلاوي، ص: ١١-٦
 - ٣- الدرس المستفاد من ثورة الجهاد، بقلم: أحمد بن نعمان، ص: ١٢-٢٢
 - ٤- ملامح عن ثورة أول نوفمبر الجزائرية ومواقف دوغول تجاهها لغاية مظاهرات ديسمبر ١٩٦٠، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٢٣-٤٠
 - ٥- في مفهوم الثورة والنقد الثوري، بقلم: عمار طالبي، ص: ٤١-٤٧
 - ٦- من خصائص الجيش الوطني: البطولة، العفة، الشهامة، التسامح. بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ٤٨-٦٥
 - ٧- نوفمبر والمجاهدون بالكلمة، بقلم: عبد الرزاق قسوم، ص: ٦٦-٧٣
 - ٨- من أبعاد الذكرى ٢٥ لثورة نوفمبر، بقلم: عباس مدني، ص: ٧٤-٧٨
 - ٩- الثورة الجزائرية في مذكرات دوغول، بقلم: محمد الهادي الحسني، ص: ٧٩-٨٥
 - ١٠- حول دور جماهير البادية في ثورة نوفمبر الكبرى، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ٨٦-٨٧
- من وثائق الثورة:**
- ١١- استشهاد الشيخ العربي التبسي، بقلم: علي مرحوم، ص: ٨٨-١٠٩
 - ١٢- نوفمبر (قصيدة)، شعر: محمد الأخضر السائحي، ص: ١١٠-١١١
 - ١٣- تحيا الجزائر (قصة)، بقلم: محمد نسيب، ص: ١١٢-١٢٨

^(١٧) - عدد خاص بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لفتح نوفمبر (١٩٥٤-١٩٧٩).

السنتان: ٨-٩، الأعداد: ٧٥-٧٦-٧٧-٧٨
ذو الحجة ١٣٩٩، محرم، صفر، ربيع الأول ١٤٠٠ هـ
نوفمبر، ديسمبر ١٩٧٩، جانفي، فيفري ١٩٨٠م^(١٨)

- ١- الافتتاحية، بقلم: بوعلام باقي، ص: ٢-١٢
- ٢- المعجزة الخالدة، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ١٣-٨٠
- ٣- بداية مظلمة ونهاية مشرقة، بقلم: أحمد حماني، ص: ٨١-١٠١
- ٤- الوحي والعقل في الإسلام عند المعتزلة وبعض المفكرين المتأخرين، بقلم: أبو عمران الشيخ، ص: ١٠٢-١١٢
- ٥- ازدهار الحضارة والفكر الإسلاميين في الغرب الإسلامي ودورهما في نهضة أوروبا ويقتظها، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١١٣-١٤٤
- ٦- مجهودات المسلمين في علم الجغرافيا، بقلم: عبد القادر حليمي، ص: ١٤٥-١٨٠
- ٧- أربعة عشر قرنا حافلة من تاريخ الإسلام في افريقيا والتطورات الجديدة، بقلم: عبد القادر زبادية، ص: ١٨١-١٩٣
- ٨- تأملات فلسفية في الذكرى الهجرية، بقلم: أحمد بن نعمان، ص: ١٩٤-٢٠١
- ٩- الفن الإسلامي أصوله وخصائصه، بقلم: صالح بن قربة، ص: ٢٠٢-٢٦٥
- ١٠- التجديد والمجددون في الإسلام، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ٢٦٥-٢٧٠
- ١١- نحو منهج إسلامي أفضل، بقلم: عبد الرزاق قسوم، ص: ٢٧١-٢٧٨
- ١٢- من قواعد البناء لمنهج العمل في القرن الخامس عشر، بقلم: أنور الجندي (مصر)، ص: ٢٧٩-٢٨١
- ١٣- الإسلام والنهضة الحديثة، بقلم: عبود علواش، ص: ٢٨٢-٢٩١
- ١٤- العالم الإسلامي في مواجهة التحدي والخلق الحضاري، بقلم: عبد اللطيف عبادة، ص: ٢٩١-٢٩٧
- ١٥- هل يصبح العالم الإسلامي كتلة دولية ثالثة في القرن الخامس عشر؟ بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٢٩٨-٣٠٦
- ١٦- الأخلاق والنظم الإسلامية أسس عقيدية وآفاق، بقلم: أحمد عروة، ص: ٣٠٧-٣٢٣
- ١٧- هل إلى عزة المسلمين من سبيل؟ بقلم: محمد الهادي الحسني، ص: ٣٢٤-٣٢٩
- ١٨- الإسلام عامل رئيسي لإثبات الشخصية الجزائرية أمام محاولات الاندماج خلال القرن ١٩، بقلم: الجيلالي صاري، ص: ٣٣٠-٣٣٧
- ١٩- لمحات من تاريخ الهجرة النبوية ونبذة من حياة عمر بن الخطاب، بقلم: علي مرحوم، ص: ٣٣٨-٣٥٦
- ٢٠- تحية لرأس السنة الهجرية ١٤٠٠، شعر: أحمد بن ذياب، ص: ٣٥٧-٣٥٩

(١٨) - عدد خاص بمناسبة حلول القرن الخامس عشر الهجري.

السنة التاسعة، الأعداد: ٧٩-٨٠-٨١-٨٢
ربيع الثاني، جمادى الأولى، جمادى الثانية، رجب ١٤٠٠ هـ
مارس، أبريل، ماي، جوان ١٩٨٠ م

- ١- افتتاحية، بقلم: بوعلام باقي، ص: ٢-٦
- ٢- انتشار أم الخبائث في البلاد العربية الداء والدواء، بقلم: محمود شيت خطاب (العراق)، ص: ٧-٣١
- ٣- الاجتهاد وقضايا الحياة المعاصرة، بقلم: وهبة الزحيلي (سوريا)، ص: ٣٢-٤٢
- ٤- حاجة البشرية إلى التشريع السماوي، بقلم: عبد الرحمن الجليلي، ص: ٤٣-٥٥
- ٥- تأملات في كتاب الله: اختلاف الألوان والأشكال في عالم الحيوان، بقلم: حامد صادق قنبي، ص: ٥٦-٦١
- ٦- الإسلام والعلاقات الدولية، بقلم: عبد الحليم عويس (مصر)، ص: ٦٢-٦٥
- ٧- العلاقات الأبدية بين الإسلام والعربية، بقلم: أحمد بن نعمان، ص: ٦٦-٧٣
- ٨- مقاومة أحمد بن سالم خليفة الأمير عبد القادر في بلاد القبائل، بقلم: إسماعيل العربي، ص: ٧٤-٨٧
- ٩- مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ٨٨-٩٩
- ١٠- مذكرة حول إقليم قسنطينة (٢)، ترجمة وتعليق: ناصر الدين سعيدوني، ص: ١٠٠-١١٤
- ١١- الشاعر الخالد محمد العيد، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ١١٥-١٢٩
- ١٢- مزيدا أيها الصديق، بقلم: محمد نسيب، ص: ١٣٠-١٤٠
- ١٣- أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بقلم: عمار طالبي، ص: ١٤١-١٤٤
- ١٤- تأملات في القصص القرآني، بقلم: أحمد سيد محمد، ص: ١٤٥-١٤٨
- ١٥- حكم نقل رفات الشهداء إلى مقابر صالحة، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٥٠-١٥٥
- ١٦- من الخطب الجمعية: الوحدة ودعوة الإسلام إليها، ص: ١٥٦-١٥٩

السنة التاسعة، العددان: ٨٣-٨٤
شعبان، رمضان ١٤٠٠ هـ / جويلية، أوت ١٩٨٠م^(١٩)

- ١- المقاومة في جبال الونشريس وحوض الشلف وجبال الظهرة ضد الاستعمار الفرنسي (١٨٦٤-٤٠م)، بقلم: يحيى بوعزيز، ص: ١٨-٢
- ٢- الجوانب المجهولة من ترجمة حياة الإمام أحمد بن يحيى الونشريسي، بقلم: المهدي البوعبدلي، ص: ٢٨-١٩
- ٣- الونشريس مهد كفاح بعيد وقريب، بقلم: الجيلالي صاري، ص: ٣٨-٢٩
- ٤- الشهيد عبد الواحد الونشريسي (٩٥٥ هـ / ١٥٤٩م)، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ٤٥-٣٩
- ٥- الونشريسي، بقلم: عمار طالبي، ص: ٤٧-٤٦
- ٦- في موكب الخالدين: سي محمد قائد الولاية الرابعة، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ٥٤-٤٨
- ٧- الأسقف لافيجري ونشاطه التبشيري في وادي شلف (١٥٩٢-٦٧م)، بقلم: أبو عمران الشيخ، ص: ٦٣-٥٥

^(١٩) - ملحق خاص وزع بمناسبة الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، الجزائر العاصمة ٢٠-٢٧ شوال ١٤٠٠ هـ، ٣١ أغسطس، ٧ سبتمبر ١٩٨٠م.

السنة التاسعة، العددان: ٨٥-٨٦
شوال، ذو القعدة ١٤٠٠ هـ/ سبتمبر، أكتوبر ١٩٨٠ م

- ١- كلمة افتتاح الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، عبد الرحمن شيبان، ص: ٢-٢١
- ٢- الإسلام والمذاهب الاجتماعية الحديثة، بقلم: أحمد طالب الإبراهيمي، ص: ٢٢-٣٢
- ٣- البنك الإسلامي للتنمية، بقلم: الصديق تاوتي، ص: ٣٣-٣٩
- ٤- الدولة وتنظيم السلطة في الإسلام، بقلم: عبد اللطيف عبادة، ص: ٤٠-٧٢
- ٥- الحصانة الدينية للشخصية الجزائرية، بقلم: أحمد بن نعمان، ص: ٧٣-٨٤
- ٦- آفاق الدعوة الإسلامية في القرن الخامس عشر الهجري، بقلم: محمد معروف الدواليبي (سوريا)، ص: ٨٥-٩١
- ٧- بخصوص تفاسير القرآن وترجماته الحديثة.. أفكار أوحى بها التجربة الشخصية، بقلم: مورييس بوكاي (فرنسا)، ص: ٩٢-١٠٠
- ٨- تعدد المدارس الاجتماعية في العالم الإسلامي وعواقبه الثقافية، بقلم: عبد المجيد مزيان، ص: ١٠١-١١٠
- ٩- ضوء على تفكيرنا الديني في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، بقلم: محمد الغزالي (مصر)، ص: ١١١-١٣٠
- ١٠- على ضوء منعطف قرن جديد.. خطوط عريضة في منهج الدعوة إلى الإسلام، بقلم: محمد سعيد رمضان البوطي (سوريا)، ص: ١٣١-١٤٩
- ١١- كلمة اختتام الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، عبد الرحمن شيبان، ص: ١٥٠-١٦٦
- ١٢- توصيات الملتقى الرابع عشر للفكر الإسلامي، ص: ١٦٨-١٨٢

السنة التاسعة، العددان: ٨٧-٨٨
ذو الحجة ١٤٠٠، محرم ١٤٠١ هـ/ نوفمبر، ديسمبر ١٩٨٠م

- ١- من روائع الإعجاز في التصوير القرآني، بقلم: حامد صادق قنبي (السعودية)، ص: ١٧-٢
- ٢- القرآن معجزة أبدية، بقلم: البسيوني قنعان، ص: ٢٣-١٨
- ٣- معنى الوحي في القرآن، بقلم: عمار طالبي، ص: ٣٦-٢٤
- ٤- محمد ﷺ في نظر المفكرين الغربيين، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ٦٠-٣٧
- ٥- نظرة محمد ﷺ إلى المرأة، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ٦٦-٦١
- ٦- مميزات التربية الإسلامية، بقلم: محمد ناصر بوحجام، ص: ٧١-٦٧
- ٧- الأسس الدينية للبيع في الإسلام، بقلم: عبد اللطيف عبادة، ص: ٩٢-٧٢
- ٨- مساهمة بعض الشخصيات السودانية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا السوداء، بقلم: عمار هلال، ص: ٩٦-٩٣
- ٩- عاشوراء وزكاة النقد والتجارة، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٠٥-٩٩
- ١٠- ثورة ١٨٨١-١٨٨٣، بقلم: جيلالي صاري، ص: ١١٤-١٠٦
- ١١- تطور ولاية باتنة ما بين ١٩٦٢-١٩٧٨، بقلم: جلول مكي، ص: ١٤٧-١١٥

السنة العاشرة، العددان: ٨٩-٩٠
صفر، ربيع الأول ١٤٠١ هـ/ جانفي، فيفري ١٩٨١ م

- ١- افتتاحية، قلم التحرير، ص: ٢
- ٢- في رحاب القرآن: التشريع الإسلامي، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ٣-٤٣
- ٣- الجهاد في القرآن، بقلم: البسيوني قنعان، ص: ٤٥-٥٨
- ٤- مملكة النبات كما يعرضها القرآن ويصفها، بقلم: حامد صادق قتيبي (الكويت)، ص: ٥٩-٧٢
- ٥- مميزات التربية الإسلامية، بقلم: محمد ناصر بوحجام، ص: ٧٣-٧٦
- ٦- العالم الإسلامي بين مواجهة التحدي والخلق الحضاري، بقلم: عبد اللطيف عبادة، ص: ٧٧-٨٣
- ٧- الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالجزائر أواخر العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي، ص: ٨٥-١٠٧
- ٨- الحضارة عند العرب، بقلم: عبد القادر حليمي، ص: ١٠٨-١٢٠
- ٩- الأصالة في شعر ثورة نوفمبر، بقلم: محمد ناصر، ص: ١٢١-١٣٣
- ١٠- الشعر العربي بين المنهج الفني والمنهج الإسلامي، بقلم: حامد حفني داود، ص: ١٣٤-١٤١
- ١١- العلاقات بين بني حماد والمسيحيين، بقلم: عبد الحليم عويس (مصر)، ص: ١٤٢-١٤٧
- ١٢- بيان من رئيس المجلس الإسلامي الأعلى، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٤٩-١٥٤
- ١٣- إقامة التماثيل الرخامية أو النحاسية (فتوى)، بقلم: أحمد حماني، ص: ١٥٥-١٦٠

السنة الحادية عشر، العدد: ٩١
محرم ١٤٠٢ هـ/ نوفمبر ١٩٨١

- ١- كلمة العدد، بقلم: عبد الرحمن شيبان، ص: ١
- ٢- ذكرى خالدة، بقلم: محمد نسيب، ص: ٧-٤
- ٣- تأملات في الهجرة، بقلم: البسيوني قنعان، ص: ٢٢-٨
- ٤- المظاهر السياسية للهجرة، بقلم: عبد اللطيف عبادة، ص: ٣١-٢٣
- ٥- الإسلام ومشاكل التخلف، بقلم: محمد الثمني، ص: ٤٩-٣٢
- ٦- فلسفة العمل في الإسلام، بقلم: البخاري حمادة، ص: ٧٤-٥٠
- ٧- العمل والعامل في المفهوم الإسلامي، بقلم: محمد الاكل شرفاء، ص: ٧٩-٧٥
- ٨- حسدا من عند أنفسهم، بقلم: أبو المجد أحمد، ص: ١٠٦-٨٠
- ٩- إنسان القرآن وإنسان الشيطان، بقلم: محمد الصالح الصديق، ص: ١١٢-١٠٧
- ١٠- الهجرة ودار الندوة (تمثيلية)، بقلم: عبد الرحمن الجيلالي، ص: ١٣١-١١٣

فهرس العدد

| | |
|-----|--|
| ص | |
| 2 | — هذه المجلة |
| 4 | — ثورة متكاملة أصيلة بقلم : الرئيس هوارى بومدين |
| 6 | — الانية والاصالة بقلم : مولود قاسم |
| 21 | — دور الشباب فى حياة الامة بقلم : د . احمد طالب |
| 27 | — من خصائص الثورة العربية بقلم : د . بديع الكسم |
| 31 | — الافلاطونية فى فلسفة الجمال عند المسلمين بقلم : عمار طالبي |
| 37 | — ملاحظات نحو تعريف الفكر الذاتى بقلم : محمد العربى ولد خليفة |
| 43 | — نشأة المدارس الفقهية فى الاسلام بقلم : د . ع . زيادية |
| 46 | — اللغة العربية : طرق تكييفها ومناج تعليمها بقلم : ع . الرحمن حاج صالح |
| 55 | — بيتسوفن بقلم : مولود قاسم |
| 58 | — الشرق كما يراه الغرب بقلم : محمد عزيز لحبابى |
| 69 | — البيئة وسير التاريخ الوطنى بقلم : لقبال موسى |
| 76 | — يسقط الروتين (مسرحة) بقلم : أبو القاسم خمار |
| 83 | — بجاية فى عهد الحماديين بقلم : د . رشيد مصطفى |
| 92 | — مقومات الشخصية الوطنية (ندوة الاصاله) |
| 101 | — ابن حماد الصنهاجى بقلم : جلول بدوى |
| 104 | — الاستبداد والمجتمع الصناعى تأليف : فرانسوا بيرو — تقديم الشيخ |
| 107 | — ضلال ام تضليل بقلم : موسى بن عمار |
| 111 | — مع التيارات الفكرية العالمية . |

هذه المجلة

ستحاول هذه المجلة ان تعبر عن هذا القطاع من النشاط القومى كما ينبغي ان يكون ، والا فالاحسن الا يكون !

وسوف تصدع بما تظن انها مأمورة به من وحي ضميرها ومنطق كيانها هذا ، ولا يمكنها ان تكون الا كذلك ، خاصة والبلاد مقبلة على ثورة ثقافية روحية تقتلع اوتادا ناشزة من اصولها، وتجتث اوضاعا شاذة من الفرائب المستوردة بغروعا وجذورها وحيثها لا تستطيع الاقتلاع ستعتمد الى الاقتاع ، اقتاع عجائب المخلوقات لدينا ، بضرورة الرجوع الى الجادة المستجدة ، والصراط المستقيم المستعاد .

لقد كافح شعبنا اكثر ما كافح لا من اجل مستوى من المعيشة يضاهاى مستوى السويد او كندا ، ولا من اجل ترف اوبذخ ، ولا مظاهر ، او شكليات وسطحيات ، وانما كانت اقوى الدوافع له فى كفاحه هى بطاقة تعريفه ، هى هويته ، هى استرجاع شخصيته وذاتيته ، هى انيته واصالته ، اللتان هو بهما من هو ، وليس شيئا بدونهما اطلاقا !

فمن اجل ذلك كافح ، وباسم ذلك ذاق ما ذاق من زقوم ، وتجرع ما تجرع وابتلع من سموم ، وباسم ذلك نجح وطفا من اعماق الانكار ، والتجاهل ، والالاسمية ، رافعا فى كفتى يديه بطاقة تعريفه ، وهو يدوس بكتفى قدميه تلك المشارة البالية التى سجل فيها كنكرة من التكرات وضرب فيها بجرة قلم على ماضيه الطويل المجيديين الشعوب والامم .

هذا من حيث المبدأ والمخبر ، ومن حيث المنهج والمظهر فنستصدر هذه المجلة كل شهرين مؤقتا . وسيحتل مظهرها الخارجى من حين لآخر برسم من رسوم ماضينا التقليد المجيد ، من اقدم ما يوجد فى بطون التاريخ ، ممن كانوا مرجعا من مراجع وطنيتنا اثناء الكفاح التحريرى على اختلاف عصوره واطواره ، من الثورى السياسى الى الثورى المسلح ، او بمنظر طبيعى من تضاريس هذا البلد الجليل الجميل ، او بصورة لشخصية مغربية ، او اسلامية عامة ، او من التراث الانسانى المشترك الواسع .

ولمساعدة قرائها من المبتدئين ستجعل جزءا من مقالاتها مشكولا ، رغم الصعوبات الفنية ، كما سيكون جزء منها باللغة الفرنسية كما هو شأن بعض الجلات فى بلدان شقيقة ، لتخاطب بعض الناس لدينا بما يفهمون ، وقد يكون ذلك احيانا فى شكل مقتطفات من صحف اجنبية ، تعبر عما تود ان تقوله هذه المجلة ، وتستغنى به عن اى شرح او تعليق .

كلمة الأصالة

وفي هذا المجال أيضا ترحب مقدما بكل من يدفعه وازعه الى المساهمة فيها ، بالعربية او الفرنسية ، وحتى بارسال مقتطفات ذات دلالة ومغزى ، كما ترحب بكل نقد أو انتقاد ، وبأي لفت نظر أو تنبيه .

ومن جهتها فسوف لا تقصر لا في التنويه ولا في التنبيه : تشيد بالمكرمات ، وتنبه برفق الى كل ما يبدو لها شاذا ناشزا ، وسبحان من لا يخطئ ولا يضل !

وسوف تفضل دائما الإثهار على التشهير ، وتبدأ بالتلويح قبل التصريح ، ولكنها أيضا ستكون طبقا لمبدأ : « كونوا ضد العصاة قساة » !

وانها سوف لاترحم لائتامي الثقافة المستهين في عنادهم وجهلهم المركب ضد كل ما يتصل بثقافتنا ومقومات شخصيتنا ، لان الاستعمار لا يزال متعششا في امخاخهم ، واثينا في قلوبهم ، من حيث يدرون او لا يدرون !

ولا اولئك الذين يظنون ان مجرد معرفتهم بلغتهم القومية يخولهم الحق في ان يجعلوا من معركة البلاد لاسترجاع لغتها موضوعا للاحاديث الطوال على سطوح المقاهي ، او فرصة للكسب السريع ، ويطلبون احيانا خمسين دينارا للدرس الواحد ، وهي كل مساهمتهم في انجاح التعريب !

ولا اولئك المشعوذين الذين ينصبون من انفسهم مالكا ، واما حنيفة ، والشافعي ، وابن حنبل ، ويودون ان يرجعوا باسلامنا الى الدائم الى عصور الانحطاط ، وهو الذي جاء صالحا لكل زمان ومكان .

ولا طبعا اولئك المبشرين الذين يسرون على خطى دوفوكو ، ولا فيجري ، وغيرهم من النجاليين باسم المسيح ، الجواسيس السائرين في ركاب الاستعمار والاستغلال ، ويحاولون حتى بعد استرجاع استقلالنا تسعيم عقول ابائنا ، وحل نظام اسرتنا ، عوض الاهتمام بابنائهم واسرهم في بلدانهم وراء البحار ، وهي التي تعاني الآن أزمة حضارة اتخذت احيانا اشكالا في غاية الحدة والخطورة على مجتمعاتها واستقرارها !

ولا اولئك الذين ينكرون علينا ديننا ، ويخلقون بذلك دينا مضادا يقصدون به الهيمنة على كل من تدفعه سذاجته وسخافته الى الوقوع في مثل هذه المصيدة ، التي يعززونها بسلسلة من الاوتاد ، تتمثل في انكار القيم الاخلاقية وبث الانحلال ، وانفكاك النظام العائلي ، ويرمون كل من يقف في وجههم ، وينبه الى حائلهم ، بالرجعية ، والتعصب ، والاقطاعية .

ومن حيث المحتوى فزيادة عن نشر محاضرات الملتقى الرابع للتعريف على الفكر الاسلامي بقسطنطينية والمؤتمرات التالية ، حسب تتابعها الزمني ، ستحاول ان تكون متنوعة شاملة ، وعلى كل فهدا ارادتها ، وهذا عزمها ، بل واجبها ، اذ تؤمن بحقيقة معروفة لا جدال فيها في نظر كل مسلم حق ، وهي ان الاسلام عبادات ومعاملات ، ودين ودولة ، دين علم وعمل ، وحضارة وثقافة ، دين حتى يتصل بكل ما في الحياة .

ثورة متكاملة

بِدُخُولِ الْمُخَطَّطِ الرَّبَاعِيِّ فِي سَنَتِهِ الثَّانِيَةِ تَنْطَلِقُ ثَوْرَتُنَا
بِأَعْمَدَتِهَا الثَّلَاثَةِ : الثَّقَافِي ، وَالصَّنَاعِي ، وَالزَّرَاعِي ،
إِنْطِلَاقَتِهَا الْحَقِيقِيَّةَ نَحْوَ تَحْقِيقِ مُجْتَمَعِنَا الْأَشْتِرَاقِيَّ
الْعَادِلِ الْمُزْدَهَرِ ، عَلَى أَسَاسِ سَلِيمٍ مَتِينٍ ، هُوَ ضَمَانُ بَقَاءِ
كُلِّ بِنَاٍ أَصْلَى أَصِيلٍ .

وَإِذَا كَانَ الْإِزْدِهَارُ الْاِقْتِصَادِيَّ وَالْاِجْتِمَاعِيَّ ، وَتَوَزُّعُهُ الْعَادِلُ
عَلَى جَمِيعِ أَبْنَاءِ الشَّعْبِ يَفْتَرِضَانِ نَجَاحَ ثَوْرَتِنَا
الصَّنَاعِيَّةِ وَالزَّرَاعِيَّةِ وَتَنْسِيقَ جَمِيعِ جُهُودِنَا فِي سَائِرِ
مَجَالَاتِ الْاِقْتِصَادِ وَالْاِنْتِاجِ ، فَإِنَّ ثَوْرَتَنَا الثَّقَافِيَّةَ هِيَ رُوحُ
كُلِّ هَذَا الْبِنَاءِ ، إِذْ هِيَ الَّتِي سَتُتَوَجُّ أَعْمَالُنَا ، وَتُعْطِيهَا
تِمَاسُكًا وَانْسِجَامًا ، وَتُضَمِّنُ لَهَا الشُّمُولِيَّةَ ، وَالْخُصُوبَةَ ،
وَالدَّوَامَ ، وَتُضَبِّغُ عَلَيْهَا مَعْنَاهَا الْحَقِيقِيَّ ، وَمَغْزَاهَا التَّامَ !
وَلِهَذَا وَإِذْ أُحْتُ عَلَى أَقْصَى الْاهْتِمَامِ بِهَذِهِ الثَّوْرَةِ الثَّقَافِيَّةِ
الَّتِي سَتُعَزِّزُ مَقُومَاتِ شَخْصِيَّتِنَا وَعُنَاصِرَ ذَاتِيَّتِنَا ، وَالَّتِي هِيَ



أصيلة

بقلوب الرئيس

هواري بومدين

بالتَّالِي عَمِيقَةُ الْمَغْزَى، سَامِيَةُ الْمَبْدَأِ، وَاسِعَةُ الْأَبْعَادِ ، وَإِذْ
أَوْكَدُ مِنْ جَدِيدٍ تَشْجِيعَ مَجْلِسِ الثَّوْرَةِ وَالْحُكُومَةِ
لِجَمِيعِ مَجَلَّاتِنَا ، وَجَرَائِدِنَا ، وَسَائِرِ أَجْهَزَةِ إِعْلَامِنَا ، فِي
هَذَا الْمُنْعَرِجِ مِنْ تَارِيخِنَا ، وَتَطَوُّرِ بِلَادِنَا وَالْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ
كُلِّهِ ، أَرْحَبُ بِصُدُورِ مَجَلَّةِ « الْأَصَالَةِ » ، الَّتِي تُصَدِّرُهَا
وِزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْأَصْلِيِّ وَالشُّؤُونَ الدِّينِيَّةِ ، وَبِزِمِيلَتِهَا (الثَّقَافَةُ)
الَّتِي سَتُصَدِّرُهَا وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ وَالْإِعْلَامِ ، وَأَتَمَنَّى لَهُمَا
الْقِيَامَ بِدَوْرِهِمَا أَحْسَنَ قِيَامٍ .

الإنسية والأصالة

مولود قاسم

وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية

حَضَارَةٌ مِنْ أَعْظَمِ الْحَضَارَاتِ
وَأَشْمَلِهَا لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ نَشَاطِ
الْإِنْسَانِ عَبْرَ الْأَزْمِنَةِ وَالْإِمْكِنَةِ !
وَأَوْدُ فِي بَدْءِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ أَنَّ
أَرْحَبَ بِكُمْ جَمِيعًا ، وَأَنْ أُخْصَّ
بِهَذَا التَّرْحِيبِ حَضَرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ
مِنْ الْأَفْطَارِ الشَّقِيقَةِ وَجَمِيعِ

يُشَرِّفُنِي أَيَّمَا تَشْرِيفٍ أَنْ أَفْتَتِحَ
هَذَا الْمُلْتَقَى الرَّابِعَ الَّذِي هُوَ
بِالنِّسْبَةِ لِلْأَسَاتِذَةِ الْأَفَاضِلِ تَعْرِيفُ
بِالْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَبِالنِّسْبَةِ لَنَا
جَمِيعًا تَعَرُّفٌ عَلَى هَذَا الْفِكْرِ الَّذِي
كَانَ نِتَاجَ ثِقَافَةٍ مِنْ أُخْصَبِ
الثَّقَافَاتِ الْعَالَمِيَّةِ ، وَمَحْصُولِ

نص المحاضرة التي القاها الاخ مولود
قاسم في افتتاح الملتقى الرابع للتعرف على
الفكر الاسلامي بقسنطينة 8 — 17 جمادى
الثانية 1390 هـ — 10 — 19 أغسطس 1970 م

إلى نتائج إيجابية ، بفضل ما
سُتدأول فيه من آراء حول ماضي
ثقافتنا ، وما يكتنف حاضرها من
تحديات واستفزازات ، بل وما
يُحدقُ بها من مخاوف وأخطار ،
وأخيراً ما يفتحهُ لنا مُستقبلُها من
آفاقٍ هي في مُحيطِ أنظارنا ،

الأخوة الطلّة الذين أتوا من
خارج القطر بصفة عامة ، وأن
أبلغكم صادق تحيات الأخ هواري
بومدين ، رئيس مجلس الثورة
والحكومة ، وخالص تمنياته لكم
بطيب المقام في الجزائر وبنجاح
هذا الملتقى ، والتّوصّل من خلاله

نَرْنُو إِلَى مَا وَوَاءَهَا مِنْ تَمَخُّضَاتٍ
خَصْبَةٍ ، يُعِيدُ بِهَا التَّارِيخُ نَفْسَهُ ،
وَيَتَجَدَّدُ بِهَا مَا كَانَ لِلْإِسْلَامِ مِنْ
قُوَّةٍ ذَاتِيَّةٍ وَقُدْرَةٍ جَبَّارَةٍ عَلَى
الْإِعْتِمَادِ عَلَى نَفْسِهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ
فِي إِسْتِيعَابِ آخِرِ تَطَوُّرَاتِ الْعُلُومِ
وَالْفُنُونِ ، لِيُقِيمَ عَلَى أَسَاسِهَا
ثَقَافَتَهُ وَحَضَارَتَهُ الْأَصْلِيَّتَيْنِ ،
الَّتَيْنِ بِهِمَا ، وَبَيْنَهُمَا فَقَطْ ، يُسَاهِمُ
فِي سَيْرِ الْبَشَرِيَّةِ نَحْوَ مَزِيدٍ مِنَ
النُّورِ وَالتَّقَدُّمِ الْمُطْرَدِ .

وَإِنَّ مِمَّا يَزِيدُ مِنْ شُعُورِي بِهَذَا
الشَّرَفِ أَنْ يَنْعَقِدَ هَذَا الْمُلتَقَى فِي
هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَرِيقَةِ ، الَّتِي كَانَتْ
الْعَاصِمَةَ الثَّقَافِيَّةَ لِبِلَادِنَا فِي حَقَبٍ
مُخْتَلِفَةٍ مِنْ تَارِيخِهَا الطَّوِيلِ ،
وَرَمَزَ الْكِفَاحِ وَالْمُقَاوَمَةِ لِلْبِلَادِ
كُلَّهَا مِنْ عُهُودِ مَاضِيهَا ، وَيُوغُورُطَةُ
إِلَى أَحْمَدَ بَايَ ، وَعَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ
بَادِيَسَ الَّذِي كَانَ شِعَارُ عَمَلِهِ
طَوَالَ حَيَاتِهِ : « الْجَزَائِرُ وَطَنِي
وَالْإِسْلَامُ دِينِي ، وَالْعَرَبِيَّةُ لُغَتِي »

إِلَى 8 مَآيُو 1945 الَّذِي كَانَتْ
مِنْطَقَتُهَا مَسْرَحًا لَهُ ، وَالَّذِي نَحْتَفِلُ
بِذِكْرَاهُ الْخَامِسَةَ وَالْعِشْرِينَ ، وَإِلَى
عَهْدِ النِّشَاطِ السِّيَاسِيِّ الثَّوْرِيِّ الَّذِي
مَهَّدَ لَانْطِلَاقَةِ فَاتِحِ نُوْفَمْبَرِ الْخَالِدَةِ
وَإِلَى الْعِشْرِينَ أَغُسْطُسَ 1955 الَّذِي
دَفَعَ بِكِفَاحِنَا التَّحْرِيرِيِّ خُطُواتِ جَبَّارَةٍ
إِلَى الْأَمَامِ ، سَاهَمَتْ الْمُسَاهِمَةُ
الْكُبْرَى فِي مَسِيرَتِنَا نَحْوَ اسْتِرْجَاعِ
سَيَادَتِنَا الْمُسْلُوبَةِ وَاسْتِرْدَادِ
اسْتِقْلَالِنَا الْمَغْضُوبِ .

وَبِهَذِهِ الْمُنَاسِبَةِ وَنَحْنُ بِصَدَدِ
الْكَلَامِ عَنِ الثَّوْرَةِ وَالْكَفَاحِ
التَّحْرِيرِيِّ فِي عَرِينِ ابْنِ بَادِيَسِ
الَّذِي كَانَ دَوْمًا يَقْرُنُ إِسْمَ فَلَسْطِينِ
بِاسْمِ الْجَزَائِرِ فِي كِتَابَاتِهِ وَمَوَاقِفِهِ أَوْدُ
أَنْ أَطْلُبَ مِنْكُمْ مُرَاعَاةَ دَقِيقَةِ صَمْتِ
تَرْحُمًا عَلَى شُهَدَاءِ الْكِفَاحِ
التَّحْرِيرِيِّ فِي الْجَزَائِرِ وَفِي بَقِيَّةِ
الْمَغْرِبِ الْكَبِيرِ ، وَالْمَشْرِقِ الْعَرَبِيِّ
وَسَائِرِ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ ، وَفِي
فَلَسْطِينِ الْيَوْمِ ، وَفِيهَا بِالذَّاتِ !

حَضَرَاتِ السَّادَةِ

نَجْتَمِعُ هُنَا لِنَتَصَفَّحَ سِجِلَّ بَعْضِ
مَشَاكِلِنَا ، وَنُرَاجِعَ ضَمَائِرِنَا ،
وَنَنْظُرَ بِشَيْءٍ مِنَ الْعُمِقِ فِي أَنْفُسِنَا
وَنُحَاوِلَ أَنْ نَضَعَ الْأَصْبُعَ عَلَى مَوَاطِنِ
الدَّاءِ ، لِنَتَحَسَّسَ حَقِيقَةَ شُعُورِنَا
وَمَشَاعِرِنَا ، وَنُدَقِّقَ وَعَيْنًا ، وَنَخْرِجَ
مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِنَظَرَةٍ وَاضِحَةٍ بَعْضَ
الشَّيْءِ عَنْ كُنْهِهِ وَاقِعِنَا ، وَعَمَّا
يَنْتَظِرُنَا إِذَا لَمْ نُسَارِعْ إِلَى اتِّخَاذِ
الْحُلُولِ النَّاجِعَةِ لِبَعْضِ مَا نُعَانِيهِ مِنْ
مَشَاكِلَ وَأَمْرَاضٍ ، إِذَا مَا زَادَتْ
إِسْتِفْحَالًا قَدْ تُؤَدِّي بِنَا إِلَى الدَّرَكِ
الْأَسْفَلِ ، وَنَحْنُ لَمْ نَكَدْ نَسْتَرْجِعْ
زِمَامَ أُمُورِنَا ، وَنَسْتَعِيدُ حُرِّيَّةَ
التَّصَرُّفِ فِي شُؤُونِنَا ، وَالتَّحَكُّمِ
فِي مَصِيرِنَا كَشُعُوبٍ حُرَّةٍ وَدُوَلٍ
ذَاتِ سِيَادَةٍ .

إِنْ شُعُوبًا لَمْ تَعْرِفْ تَوَقُّفًا فِي تَطَوُّرِهَا
أَصْبَحَتْ الْيَوْمَ تَشْعُرُ دَقِيقَ الشُّعُورِ
بِمَا تُسَمِّيهِ أَزْمَةً حَضَارَةً وَبِدَايَةَ
الْأَنْحِدَارِ وَالْأَنْهِيَارِ ، بِسَبَبِ

تَسَامُحِهَا فِي بَعْضِ الْمَبَادِيءِ وَقَوَاعِدِ
السُّلُوكِ الْعَامِ كَأَفْرَادٍ ، وَجَمَاعَاتٍ ،
وَأُمَمٍ ، وَإِنْ مَشَاكِلَ الْأُسْرَةِ ، بِمَا
فِيهَا الْمَرْأَةُ وَالشَّبَابُ ، لَتَلْعَبُ
الدَّوْرَ الْأَسَاسِيَّ ، بَلْ الْفَاصِلَ فِي
هَذِهِ الْأَزْمَةِ الَّتِي قَدْ تَعُودُ نَكْبَةً
وَبِدَايَةَ النِّهَايَةِ .

وَأَسْمَحُوا لِي إِذَا كُنْتُ هُنَا صَرِيحًا
أَكْثَرَ مِنَ اللازِمِ وَلَمْ أَكُنْ عِلْمِيًّا ،
مَوْضُوعِيًّا ، هَادِنًا ، كَمَا يُقَالُ ،
وَذَلِكَ أَنَّ الْقَضِيَّةَ فِي غَايَةِ
الْخُطُورَةِ فِي نَظَرِي ، وَلَمْ تُلَاقِ
إِلَى الْآنَ كُلَّ مَا تَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِنَايَةٍ
وَاهْتِمَامٍ فِي عَالَمِنَا الْعَرَبِيِّ
الْإِسْلَامِيِّ ، وَفِيمَا يُسَمَّى بِالْعَالَمِ
الثَّلَاثِ بِصِفَةِ عَامَّةٍ .

وَلَقَدْ اخْتَرْتُ كَعُنْوَانٍ لِهَذِهِ
الْكَلِمَةِ « الْإِنِّيَّةُ وَالْأَصَالَةُ » ،
وَأَقْصَدُ بِالْإِنِّيَّةِ ذَلِكَ الْوَعْيَ الْحَادِّ
بِالذَّاتِيَّةِ وَالشَّخْصِيَّةِ ، وَهِيَ تِلْكَ
الْإِنِّيَّةُ الَّتِي يَتَكَلَّمُ عَنْهَا ابْنُ سِينَا
وَالَّتِي تَتَلَخَّصُ فِي أَنَّهُ كَانَ قَدْ

تَصَوَّرَ نَفْسَهُ مُعَلَّقًا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ ، وَأَنَّ جِسْمَهُ قَدْ انْتَزَعَ مِنْهُ
وَفِي حُكْمِ الْعَدَمِ ، وَلَمْ يَبْقَ لَهُ
فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ وَهُوَ بَيْنَ عَالَمَيْنِ
إِلَّا ذَلِكَ الْوَعْيُ الْحَادُّ بِوُجُودِهِ ،
وَشُعُورُهُ بِذَاتِهِ الْمُتَمَيِّزَةِ ، الْقَائِمَةِ
بِذَاتِهَا ، الْمُسْتَقْلَةِ عَنْ غَيْرِهَا ،
وَهَذَا التَّصَوُّرُ لِابْنِ سِينَا هُوَ الَّذِي
كَانَ الْأَصْلَ فِي ذَلِكَ الْكُوجِيْتُو
الدِّيكَارْتِي الْمَعْرُوفِ ، الَّذِي يَقُولُ
« أَفَكَّرْتُ فَأَنَا إِذَنْ مَوْجُودٌ » .

لَقَدْ كُنَّا فِي الْعَهْدِ الْأَسْتِعْمَارِيِّ
مُعَلَّقِينَ فِي الْهَوَاءِ بَيْنَ عَالَمَيْنِ
مَنْزُوعَةً عَنَّا جَنْسِيَّتُنَا الْجَزَائِرِيَّةُ ،
وَعَبْرَ مُعْتَرَفٍ بِنَا وَلَا مُعَامِلِينَ
كَفَرَنْسِيِّينَ ، وَمَعَ ذَلِكَ كُنَّا كَأَكْثَرِ
مَا نَكُونُ اعْتِرَازًا بِذَاتِنَا ، وَتَعَلُّقًا
بِمُقَوِّمَاتِ شَخْصِيَّتِنَا ، مِنْ دِينٍ ،
وَلُغَةٍ ، وَتَقَالِيدٍ ، وَبُعْدًا عَنْ كُلِّ
مَا يَمْسُ مِنْهَا أَوْ يَنَالُ مِنْ قُدْسِيَّتِهَا
وَلَقَدْ كُنَّا نَقَاوِمُ جَمِيعِ الْأَمْرَاضِ
الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْآفَاتِ الْمُسْتَوْرَدَةِ

إِلَيْنَا ، الْغَرِيبَةِ عَنَّا ، وَكَانَ ذَلِكَ
بِدَافِعٍ مِنَ الدَّوْدِ عَنْ هَذِهِ الْأَثِيَّةِ
وَتِلْكَ الْأَصَالَةِ ، رَافِضِينَ كُلَّ مَا
يَفْصِلُنَا عَنْ مُحِيطِنَا الطَّبِيعِيِّ ،
وَلَجَمِيعِ مَظَاهِرِ الْإِدْمَاجِ وَالْمَسْخِ
وَسَائِرِ مُحَاوَلَاتِ الْإِذَابَةِ وَالسَّلْخِ ،
وَكَانَ هُنَاكَ إِجْمَاعٌ عَلَى تِلْكَ
الْبِدِيهِيَّاتِ بَيْنَ أَغْلَبِ أَفْرَادِ
الْمُجْتَمَعِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الْحَصَانَةُ
هِيَ سَلَاحُنَا الْأَوَّلُ فِي الدَّوْدِ عَنْ
أَنْفُسِنَا ، وَبِذَلِكَ ضَمْنَا لَأَنْفُسِنَا
الدِّيمُومَةَ وَالْحَيَاةَ عَبْرَ الْعُصُورِ
وَالْأَعَاصِرِ .

وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا الْيَوْمَ أَنْ
نَعْتَرِفَ أَنَّهُ ، بَعْدَ زَوَالِ الْخُصْمِ
وَاخْتِفَائِهِ مِنْ سَطْحِ أَرْضِنَا ، قَدْ
بَدَأَتْ تِلْكَ الْحَصَانَةُ تَضْعُفُ ،
وَأَخَذَ ذَلِكَ الشُّعُورُ بِالْإَثِيَّةِ وَالْأَصَالَةِ
يَتَضَاعَلُ ، وَأَصْبَحَ الْكَثِيرُ يَتَسَاهَلُ
فِيمَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَسَاهَلَ فِيهِ
إِطْلَاقًا وَبَيَّانَةً صُورَةً مِنَ الصُّورِ ، إِذَا
لَمْ نُرِدْ الْأَمَحَاءَ وَالذُّوْبَانَ .

وَلَقَدْ نَجَحَ أَعْدَاؤُنَا عِنْدَمَا عَقَدُوا
بَعْضَ قَادَةِ الْعَالَمِ الثَّالِثِ ، وَكَوْنُوا
لَدَيْهِمْ اِزْدَوَاجًا فِي الشَّخْصِيَّةِ ،
إِنْجَرَ عَنْهُ اِزْدَوَاجُ النَّقَائِصِ
وَالسَّلْبِيَّاتِ ، وَانْعِدَامُ كُلِّيٍّ لِلْمَزَايَا
وَالْفَضَائِلِ ، إِذْ تَجَرَّدُوا مِنْ مَزَايَاهُمْ
وَلَمْ يَكْتَسِبُوا مَزَايَا أَسْيَادِهِمْ ،
بِدُونِ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ عِيُوبِهِمْ
الَّتِي ضَمُّوا إِلَيْهَا عِيُوبَ الْمُجْتَمَعَاتِ
الْغَرِيبَةِ عَنْهُمْ ، وَالَّتِي حَاوَلُوا أَنْ
يَتَقَمَّصُوا شَخْصِيَّتَهَا عَبَثًا وَسُدَّى .
وَبَقُوا فِي تَخَلُّفِهِمْ يَعْمَهُونَ .

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي نَرَى فِيهِ دُولًا
صِنَاعِيَّةً ، دُولًا قَوِيَّةً مُتَقَدِّمَةً ، دُولًا
مُتَبَيِّنَةً الْأَرْكَانَ ، دُولًا اشْتِرَاكِيَّةً
كُبْرَى ، تُكَافِحُ بِكُلِّ صَرَامَةٍ وَحَزْمٍ
وَعَزْمٍ كُلَّ مَا قَدْ يَضُرُّ بِتَمَاسُكِ
شَخْصِيَّتِهَا وَسَلَامَةِ مُجْتَمَعِهَا ، نَجِدُ
أَفْرَادًا مَمْسُوحِينَ فِي مُجْتَمَعِنَا
يَرْمُونَ كُلَّ نِدَاءٍ عِنْدَنَا إِلَى الْفَضِيلَةِ
بِالتَّزَمُّتِ وَالْجُمُودِ ، بَلْ وَالرُّجُوعِ
إِلَى الْقُرُونِ الْوُسْطَى وَعُصُورِ

الظُّلَامِ ، ذَاهِبِينَ فِي جَهْلِهِمْ إِلَى
حَدِّ الْخَلْطِ بَيْنَ الْقُرُونِ الْوُسْطَى
الْأَوْرُبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ ، وَنَاسِينَ أَنَّ
الْقُرُونِ الْوُسْطَى لَدَى الْأَوْرُبِيِّينَ هِيَ
عَصْرُ الظُّلُمَاتِ وَالتَّأَخُّرِ ، بَيْنَمَا هِيَ
فِي الْإِسْلَامِ تُمَثِّلُ الْعُهُودَ الذَّهَبِيَّةَ
لِلْحَضَارَةِ ، وَالثَّقَافَةِ ، وَالنُّورِ .

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي نَرَى فِيهِ
بِلَدِيَّةٍ مُوسَكُو مَثَلًا تَمْنَعُ بَيْعِ
الْمَشْرُوبَاتِ الْكُحُولِيَّةِ قُرْبَ
الْمَصَانِعِ ، وَالْمَعَاهِدِ الْعِلْمِيَّةِ ،
وَالْمَسَارِحِ ، وَقَاعَاتِ السِّنِمَا ،
وَجَمِيعِ أَمَاكِنِ التَّجَمُّعَاتِ الشَّعْبِيَّةِ
وَلَا تَسْمَحُ لِغَيْرِهَا مِنَ الْمَحَلَّاتِ
الْآخَرَى الْبَعِيدَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَمَاكِنِ
بِبَيْعِ الْخُمُورِ بَيْنَ السَّاعَةِ
الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ نَهَارًا وَالثَّامِنَةِ مَسَاءً
وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تَسْبِقُ هَذَا الْمَنْعَ
حَمَلَةٌ وَاسِعَةُ النُّطَاقِ فِي جَمِيعِ
مُدُنِ الْإِتِّحَادِ السُّوْفِيَّتِيِّ ضِدَّ
الْمَشْرُوبَاتِ الْكُحُولِيَّةِ ، يَدْعُو
أَنَّهَا تُخَدِّرُ الشَّعْبَ ، وَتُضِرُّ بِالْإِنْتِاجِ

نَجِدُ أَبَوَاكَ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا تَدْعُو
إِلَى التَّعَالَى عَنْ مِثْلِ هَذِهِ السَّخَافَاتِ
وَتُطَالِبُ بِاحْتِرَامِ الْفَرْدِ لِيَشْرَبَ
مَا يَشَاءُ !

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تَمْنَعُ فِيهِ
جُمْهُورِيَّةُ الصِّينِ الشَّعْبِيَّةُ مِثْلًا
الزَّوْاجَ بَيْنَ الصِّينِيِّينَ وَالْأَجْنَبِيَّاتِ
وَبَيْنَ الصِّينِيَّاتِ وَالْأَجَانِبِ ، وَتَمْنَعُ
فِيهِ دَاخِلَ الصِّينِ مُجَرَّدَ الصَّلَاتِ
الْوُدِّيَّةِ بَيْنَ الصِّينِيَّاتِ وَالْأَجَانِبِ ،
وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تَكْتُبُ فِيهِ
الْبَرَأفَدَا أَنَّ الرُّوسِيَّاتِ اللَّائِي
يُخَالِطْنَ الْأَجَانِبَ لَا يُشْرَفْنَ لِبَنِينَ
وَلَا الْوَطْنَ السُّوفِيَّتِي ، نَجِدُ أَوْلَئِكَ
الْمُنْسَلَخِينَ عِنْدَنَا يُنَادُونَ بِمَا
يَسْمُونَهُ تَحْرِيرَ الْمَرْأَةِ ، وَيُطَالِبُونَ
بِأَنْ يَتْرَكَ لَهَا حَبْلُهَا عَلَى غَارِبِهَا ،
تَتَزَوَّجُ مَنْ تَرْغَبُ وَتُخَالِطُ مَنْ تَوَدُّ
تُسَافِرُ مَتَى وَإِلَى حَيْثُ أَرَادَتْ ،
تَعُودُ مَتَى تَشَاءُ أَوْلَا تَعُودُ !

وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي نَرَى فِيهِ
حَاخَامَ تَلِّ أَبِيبَ يَرْفُضُ عَقْدَ

زَوَاجِ حَفِيدَةِ ابْنِ غُرْيُونِ بِضَابِطِ
إِسْرَائِيلِيٍّ كَبِيرٍ ، لِأَنَّ أُمَهَا لَمْ تَكُنْ
يَهُودِيَّةً الْأَصْلَ ، وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي
يَرْفُضُ فِيهِ بَرُلْمَانُ إِسْرَائِيلَ
السَّمَاخَ بِتَقْدِيمِ الْخَنْزِيرِ فِي
بَوَاحِرِهَا السِّيَاحِيَّةِ لِعِغْرِ الْيَهُودِ ،
فِي جَمِيعِ الْبَحَارِ ، لِأَنَّ دِينَهُمْ يَمْنَعُ
ذَلِكَ ، نَجِدُ الْمُتَحَرِّرِينَ لَدَيْنَا مِنْ
كُلِّ وَازِعٍ مَانِعٍ يَدْعُونَ إِلَى سَعَةِ
الْأَفْقِ ، وَرُوحِ التَّسَامُحِ ، وَعَدَمِ
التَّعَلُّقِ بِمَا يَسْمُونَهُ الْأَفْكَارَ
الْبَائِدَةَ .

مِنْ هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ وَمِنْ عَنَاوِينِ
الْمُحَاضَرَاتِ تَرَوْنَ أَنَّ الْمَرْأَةَ
سَتَكُونُ فِي هَذَا الْمُلتَقَى أَحَدَ
الْمَوَاضِعِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّذِي سَيُطْرَقُ مَرَارًا
وَتَحْتَ أَوْجُهُ عِدَّةٌ وَبِإِلْحَاحٍ وَإِصْرَارٍ
وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ تَصْغِيرًا لَشَأْنِهَا ،
وَتَقْلِيلًا مِنْ أَهْمِيَّتِهَا بِالنِّسْبَةِ
لِلْمُجْتَمَعِ ، بَلْ بِالْعَكْسِ مِنْ هَذَا
سَنُرَكِّزُ عَلَيْهَا الْحَدِيثَ لِأَهْمِيَّتِهَا
الْقُصْوَى بِالنِّسْبَةِ لِلْأُسْرَةِ وَالْأُمَّةِ

ولخطورة دورها في حياتهما، وذلك
أنه إذا كانت الأسرة هي الخلية
الأولى في جسم الأمة كما يقول
علماء الاجتماع، فإن المرأة هي
عماد هذه الأسرة، ونقطة الارتكاز
فيها، إذ بسلامتها تستقيم حياة
الأسرة، وبسقمها تسقم وتندثر
وتنهأ أركانها !

وإذ نقول هذا فلننا من أنصار
رأى بسمارك الذي حدد للمرأة
الألمانية ثلاثة واجبات فحسب
وهي :

الأطفال والمطبخ والكنيسة !
بل نحن من أنصار ابن باديس
الذي كان يلح كل الإلحاح على
ضرورة تعليم البنات وإشراكها في
حياة الأمة، بصفة أكثر فعالية
مما قدره لها بسمارك المستشار
الحديدي كما يسميه الألمان !
يقول ابن باديس، مستشهداً
بأحاديث نبوية تحث على تعليم
البنات، ما يلي :

« وسيراً على ما استفاض في
تاريخ الأمة من العالَمات ،
الكاتبات الكثيرات ، علينا أن
ننشر العلم بالقلم في أبنائنا من
رجال ونساء ، على أساس ديننا ،
وقوميتنا ، إلى أقصى ما يمكننا أن
نصل إليه من العلم الذي هو
تراث البشرية جمعاء وثمار جهادها
في أحقاب التاريخ المتطاولة ،
وبذلك نستحق أن نتبوا منزلتنا
اللائقة بنا والتي كانت لنا بين
الأمم » .

ويضيف فيقول : « علينا أن
نشارك معنا نساءنا فيما نقوم به
من مهام مصلحنا ، ليقمن بقسطهن
مما يليق بهن في الحياة ، على
ما يفرضه عليهن الإسلام من
صون ، ووقار ، وحشمة ، وعدم
زينة ، وعدم إختلاط ، ولن تكمل
حياة أمة إلا بحياة شطريها الذكر
والأنثى »

ويردف قائلاً : « وذلك أن

المرأة هي ربة البيت وراعيته ،
والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة
للقيام به ، فعلى أن نعلمها كل
ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها ،
ونربّيها على الأخلاق النسوية التي
تكون بها المرأة امرأة ، لا نصف
رجل ، ولا نصف امرأة ، فالتى
تلد لنا ولداً يطير خير من التى
تطير بنفسها .

هذا ما يقوله ابن باديس عن
المرأة . وإن اهتمامه هذا بها لرفع
من شأنها ، وتمجيد لدورها ،
وتشريف لمكانتها فى الأسرة
والمجتمع ، والأمة ، ولأنها
المربية الأولى للنشأ ، والمدرسة
الأولى التى إذا أعددتها أعددت
شعباً طيب الأعراق ، كما يقول
حافظ إبراهيم ، فباديس يقبل
منها أن تكون مثل فاطمة نسومر
التي قادت المسلمين أو المجاهدين
سنة 1857 فى جبال جرجر ضد
جنرالات الجيش الفرنسى ، ولكن

باديس لا يقبل منها أن تكون
ضحية الانجراف والانجراف فى
تيار توافه وسطحيات ما يسمى
بالحياة الاجتماعية العصرية ، ولا
يريد منها أن تكتفى من الحضارة
بقشورها وجوانبها السلبية ، ولا
يريد منها أن تكون ضحية التقليد
الأعمى ، وتتهافت على عادات
سيئة ليست من تقاليدنا ولا
تتماشى مع مبادئنا ، ولا يريد
منها أن تكون من ذلك النوع
الذى يبرع فى اللعب بالسجارة
وفى مسك الكأس ، ولا فى
التسكع على سطوح المقاهى ،
والحذقة باللهجة الباريسية ،
التي لا تستعملها حتى جميع
الفرنسيات ، وأخيراً ، فهو لا
يريد منها أن تتجرد من شخصيتها
وتصبح مفسوخة ، ممسوخة ومزيجاً
مزعزعا من رقع لا انسجام ولا
تجانس بينها فتعود وبالأعلى على
سطها ، وشرّاً على مجتمعها .

حَضَرَاتِ السَّادَةِ ،

قَبْلَ أَنْ أَتْرِكَ مَوْضِعَ الْمَرْأَةِ
وَأَهْمِيَّتَهَا فِي الْأُسْرَةِ وَالْأُمَّةِ ، أَوْدُ
أَنْ أَطْرُقَ نُقْطَةً حَسَّاسَةً مِنَ الدَّرَجَةِ
الْأُولَى وَتَتَّصِلَ بِهِ مُبَاشَرَةً وَبِالْإِنِّيَّةِ
وَالْأَصَالَةِ ، وَأَكْتَفِي بِإِشَارَةِ قَصِيرَةٍ
إِلَيْهِ لِأَنَّهُ سَتَتَعَرَّضُ لَهُ سَيِّدَةٌ هُنَا
مَعْنَا فِي مُحَاضَرَةٍ خَاصَّةٍ بِهِ ، وَهُوَ
مَوْضِعُ الزَّوْاجِ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ
وَالْأَجَانِبِ .

فَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ يَسْمَحُ لِلْمُسْلِمِ
بِالزَّوْاجِ بِالْكِتَابِيَّاتِ ، مِنْ مَسِيحِيَّاتٍ
وَيَهُودِيَّاتٍ ، فَإِنَّ مِنَ الْحَلَالِ مَا هُوَ
مَرْغُوبٌ عَنْهُ ، وَمُبْغَضٌ فِيهِ ، وَلَيْسَ
أَدَلَّ عَلَى هَذَا مِنْ قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللَّهِ
الطَّلَاقُ ، وَإِنَّ فِي تَبْغِضِ بَعْضِ
الْحَلَالِ لَأَكْثَرَ مِنْ حِكْمَةٍ وَمَغْزَى !
وَإِذَا كُنَّا نَفْهَمُ وَضْعَ أَوْلَئِكَ
الْمُوَاطِنِينَ مِنَ الطَّلَبَةِ وَالْعُمَالِ
الَّذِينَ اضْطَرَّتْهُمْ ظُرُوفُ الْمَهْجَرِ
فِي أَوْرِبَا إِلَى التَّزْوُجِ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ ،

وَلَا نُنْكِرُ أَنَّ بَعْضًا مِنْهُنَّ صَالِحَاتٌ
فَإِنَّ هَذَا يَنْبَغِي أَلَّا يَحْدُثَ بَعْدَ
الْيَوْمِ مَهْمَا كَانَتْ الْأَعْذَارُ ، وَقَدْ
زَالَتْ تِلْكَ الظُّرُوفُ الْإِضْطِرَّارِيَّةُ
كَالْمَنْفَى وَالْغُرْبَةُ الطَّوِيلَةُ ، وَيَجِبُ
بَعْدَ الْيَوْمِ أَنْ نَعْمَلَ كُلَّ مَا فِي
وُسْعِنَا لِمَنْعِ تَكَرَّرِ مِثْلِ هَذِهِ
الْحَالَاتِ وَأَنْ نَتَّخِذَ التَّدَابِيرَ الصَّارِمَةَ
خَاصَّةً ضِدَّ مُوظَّفِي الدَّوْلَةِ الَّذِينَ
تُحَدِّثُهُمْ نَفْسُهُمْ بِذَلِكَ ، لِنَحُولَ
دُونَ أَنْ تُصْبِحَ الْجَزَائِرُ بَرْجَ بَابِلَ
وَخَاصَّةً أَنَّ هَذِهِ الْحَالَاتُ تُمْسُ مِنْ
لَهُمْ مُسْتَوًى مُعَيَّنٌ مِنَ التَّعْلِيمِ
وَالثَّقَافَةِ ، أَيْ تُمْسُ الْأَطَارَاتِ
الَّتِي تُنْفِقُ عَلَيْهَا الدَّوْلَةُ الْأُمُومَاتِ
الْكَثِيرَةَ ، وَالَّتِي عَلَيْهَا الْمُعْمُولُ فِي
بِنَاءِ الْبِلَادِ ، وَضَمَانِ تَمَاسِكِ
الْأُمَّةِ ، وَانْسِجَامِ نُمُوهَا وَازْدِهَارِهَا
وَإِذَا كَانَ هَذَا كُلُّهُ بِخُصُوصِ
الرِّجَالِ الَّذِينَ يَسْمَحُ لَهُمْ الدِّينُ
بِالزَّوْاجِ بِالْأَجْنَبِيَّاتِ فَمَاذَا يُمَكِّنُ
أَنْ يُقَالَ عَنْ أَوْلَئِكَ

النَّعَاجِ الْجَرَبَاءِ اللَّائِي يَتَزَوَّجْنَ
بِالْأَجَانِبِ ، وَاللَّائِي وَإِنْ كُنَّ
يُعَدَّدْنَ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ ،
إِلَّا أَنَّهُنَّ خِزْيٌ وَعَارٌ ، وَفَضِيحَةٌ
عَلَى عَائِلَتِهِنَّ وَالْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ .
فَزِيَادَةٌ عَلَى تَحْرِيمِ الدِّينِ
الْإِسْلَامِيِّ لِزَوَاجِ الْمُسْلِمَةِ بِغَيْرِ
الْمُسْلِمِ ، فَهَنَّاكَ أَيْضًا بِقِيَّةٍ مِنْ
الْإِحْسَاسِ بِالشَّرَفِ ، وَبِمَا نُسَمِّيهِ
النِّيفَ يَجِبُ أَنْ يَمْنَعَ حُدُوثُ
مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَاتِ .

وَهُنَا يَجِبُ تَعَاوُنُ الْأَبَاءِ مَعَ
السُّلْطَاتِ لِمَنْعِ احْتِمَالَاتِهِ وَقُرْصِ
حُدُوثِهِ بِالسَّهْرِ عَلَى هَؤُلَاءِ
وَمُرَاقَبَةِ مُخَالَطَاتِهِنَّ ، وَخَاصَّةً مَنْعَ
سَفَرِهِنَّ إِلَى الْخَارِجِ وَحُدُوثِ مَهْمَا
كَانَتْ الْأَسْبَابُ وَالتَّعْلَلَاتُ .

وَأِنِّي لَا أَجِدُ أَيَّ حَرَجٍ فِي
الْكَلَامِ عَنْ هَذِهِ الْمَأْسَاةِ بِحُضُورِ
إِخْوَانِنَا هُنَا مِنَ الْبِلَادِ الشَّقِيقَةِ ،
خَاصَّةً وَأَنَّ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَإِنْ كَانَتْ
لَا تَزَالُ قَلِيلَةً ، إِلَّا أَنَّهَا عَامَّةٌ

بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْبُلْدَانِ الشَّقِيقَةِ ،
وَقَدْ كُنَّا أَيَّامَ إِقَامَتِنَا فِي أوروپَا
نَحْزَنُ وَنَأْسَى وَنَخْبَلُ عِنْدَ رُؤْيَةِ
أَخَوَاتِ لَنَا مِنَ الْبُلْدَانِ الشَّقِيقَةِ
يَتَزَوَّجْنَ بِالْأَجَانِبِ ، وَإِذَا بِهَذَا
يَحْدُثُ الْآنَ حَتَّى لِلْجَزَائِرِيَّاتِ .
وَكُلُّنَا فِي الْهَمِّ مَغْرِبٌ وَمَشْرِقٌ !

وَيَكْفِي أَنْ أَلْخَصَ هَذَا كُلَّهُ فِي
الْإِشَارَةِ إِلَى كَلِمَةٍ وَرَدَتْ آخِرًا
فِي جَرِيدَةِ بَلَدِ شَقِيقٍ عَنْ خَطَرِ
هَذِهِ الْمُؤْضَةِ ، مُؤْضَةٍ تَعْلُقُ كَثِيرٌ
مِنْ شَبَابِ الْيَوْمِ بِالْأَجَنْبِيَّاتِ ،
وَشَبَابَاتِهِ بِالْأَجَانِبِ ، وَفِي الشَّغْفِ
بِكُلِّ مَا هُوَ أَجْنَبِيٌّ مِنْ مُتَوَجَّاتٍ
وَمُنْتَجِبِينَ !

وَفِي هَذَا الصَّدَدِ أَوْدٌ أَيْضًا بِهَذِهِ
الْمُنَاسِبَةِ أَنْ أَوْجَّهَ إِنْذَارًا إِلَى
جَمِيعِ تِلْكَ الْمُنْظَّمَاتِ الَّتِي
تُسَمَّى نَفْسَهَا خَيْرِيَّةً ، مِنْ تَبَشِيرِيَّةٍ
وَعَبْرِيَّةٍ ، وَلَا تُرِيدُ بِنَا خَيْرًا ، إِنَّمَا
لَهَا بِالْمُرْصَادِ ، وَسَنَحْرُصُ عَلَى
تَتَبُعِ أَعْمَالِهَا. التَّخْرِيبِيَّةِ بِعَيْنِ

يَقْظَةً سَاهِرَةً ، وَسَرَّاقِبَهَا وَنَعَامِلُهَا
بِكُلِّ حَزْمٍ ، وَعَزْمٍ وَصَرَامَةٍ إِذَا مَا
اسْتَمَرَّتْ فِي غَيْهَا وَإِخْلَالِهَا
بِوَاجِبِهَا نَحْوَ الْبَلَدِ الْمُضِيفِ . .

حَضَرَاتِ السَّادَةِ ...

قَبْلَ أَنْ أَخْتِمَ كَلِمَتِي هَذِهِ ، أَوَدُّ
أَنْ أَشِيرَ بِغَايَةِ الْإِيجَازِ إِلَى مَوْضِعٍ
مِنْ أَهَمِّ مَوَاضِعِ هَذَا الْمُتَقَى
وَيَتَّصِلُ الْإِتِّصَالُ الْوَثِيقُ بِالْأَصَالَةِ ،
وَهُوَ الْعَلَاqَةُ بَيْنَ الْأَشْتِرَاقِيَّةِ
وَالْإِسْلَامِ . لَقَدْ كَثُرَتِ الْمُنَاقَشَاتُ
حَوْلَ هَذِهِ الْعَلَاqَةِ ، فَمِنْ قَائِلِي
مُغْرَضٍ دَسَّاسٍ أَنَّ أَلَاqَةَ
لِلْإِسْلَامِ بِالْأَشْتِرَاقِيَّةِ ، وَأَنَّ
الْإِسْلَامَ كَدِينٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّفِقَ
وَالْأَشْتِرَاقِيَّةِ الَّتِي لَهَا أَصُولُ
إِلْحَادِيَّةٌ أَوْ عَلَى الْأَقْلَ لَا دِينِيَّةٌ ،
وَهَؤُلَاءِ يُحَاوِلُونَ أَنْ يُبْعِدُونَا عَنْ
الْأَشْتِرَاقِيَّةِ لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِ
يَعْقُوبَ ، وَهَذِهِ هِيَ الْقَوَى الرَّجْعِيَّةُ
وَمِنْ قَائِلِي آخَرٍ أَنَّ الْإِسْلَامَ
كَدِينٍ فَهُوَ رَجْعِيٌّ بِحُكْمِ الطَّبِيعَةِ

وَلَا يُمَكِّنُ بِالتَّالِي أَنْ يَتَّلَاقِيَ
وَالْأَشْتِرَاقِيَّةَ ، وَلِهَذَا فَعَلَى مَنْ
يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ أَشْتِرَاقِيًّا أَنْ
يَنْسَلِخَ عَنْ دِينِهِ الْإِسْلَامِيِّ ،
وَهَؤُلَاءِ لَا يَقْلُونَ غَدْرًا وَخِدَاعًا ،
وَخُبْنًا عَنِ الْأَوَّلِينَ لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ
أَنْ يُعْقِدُونَا ، بِحَيْثُ نَبْذُلُ الْجُودَ
لِنَنْسَلِخَ عَنْ دِينِنَا ، وَفِيمَنَا ،
وَعَنَاصِرِ شَخْصِيَّتِنَا ، وَمُقَوِّمَاتِ
أَصَالَتِنَا ، وَنَتَحَمَّسَ فِي ذَلِكَ الْأَنْسِلَاحِ
وَالْأَمْسَاحِ ، وَنُبَالِغَ وَنَعْمَلَ أَكْثَرَ
مِمَّا يَطْلُبُونَ مِنَّا ، لِنَبْذُو فِي نَظَرِهِمْ
قَادِرِينَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى نَادِيهِمْ
الصَّعْبِ الْمَدْخَلِ ، وَلِنَحْصَلَ عَلَى
رِضَاهُمْ عَنَّا ، وَقَبُولِهِمْ أَيْانَا فِي
زُمَرَةِ الْمُقَرَّبِينَ .

وَأَخَرُونَ مِنَّا ، وَلَكِنَّهُمْ عَلَيْنَا ،
انْطَلَتْ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْحَذَلَقَةُ
الْغَدَارَةُ ، فَأَصْبَحُوا يَسْتَجِيبُونَ طَبَقَ
تَجْرِبَةٍ بِأَفْلُوفٍ ، وَهُمْ الَّذِينَ فِيهِمْ
الْقَابِلِيَّةُ لِأَنَّهُمْ يُسْتَعْمَرُونَ ، وَالتَّبَعِيَّةُ
لِصَاحِبِ السَّاعَةِ مِنْ أَيْ شَكْلٍ أَوْ

لَوْ كَانَ .

وَلَجَمِيعِهِمْ نَوْدٌ أَنْ نَقُولَ أَنَّ
الْإِسْلَامَ دِينَ وَدَوْلَةً ، وَأَنَّهُ بِصِفَتِهِ
دِينًا سَمَويًّا كَامِلًا ، وَالدِّينُ عِنْدَ
اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، فَهُوَ فَيَاضٌ
بِالرُّوحِيَّاتِ ، وَالْأَخْلَاقِيَّاتِ ،
وَالْمَعْنَوِيَّاتِ عَامَّةً ، كَمَا أَنَّهُ دِينُ
الْعَمَلِ وَالْجُهْدِ ، وَدِينُ الْقُوَّةِ
وَالْجِهَادِ ، وَلَيْسَ دِينُ الْاِسْتِكَانَةِ ،
وَالْمَهَانَةِ ، وَقَبُولِ الْجُورِ وَالْاِذْلَالِ
بَلْ هُوَ دِينُ الْعَدَالَةِ وَالْاِنْصَافِ ،
وَدِينُ الْعِزَّةِ وَالْاَنْفَةِ ، وَالشَّرَفِ ،
وَدِينُ التَّسَاوِي فِي الْفُرْصِ
وَالْاِمْكَانِيَّاتِ بِالنِّسْبَةِ لِلْجَمِيعِ ،
وَبِالتَّالِي فَهُوَ دِينُ الْاِشْتِرَاقِيَّةِ
بِمَعْنَاهَا الْاَصْلِي الْاَصِيلِ الشَّامِلِ .

فَالْإِسْلَامُ لَيْسَ دِينُ الْفَقْرِ ،
وَالضَّعْفِ ، وَالْحَاجَةِ ، بَلْ هُوَ دِينُ
الْقُوَّةِ وَالْاَزْدِهَارِ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ
الْإِمَامُ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « كَادَ
الْبَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا » ، كَمَا كَانَ
أَبُو ذَرٍّ الْغَفَارِيُّ يَقُولُ : « عَجِبْتُ

لِمَنْ تَجَوَّعَ بَطْنُهُ وَلَا يَخْرُجُ شَاهِرًا
سَيْفَهُ » ، وَيَقْصِدُ بِذَلِكَ تَسَاوِي
الْفُرْصِ فِي الْعَمَلِ وَالْاِمْكَانِيَّاتِ ،
وَتَوَازِيْعِ الثَّرَوَاتِ بِالْعَدَالَةِ بِالنِّسْبَةِ
لِلْجَمِيعِ .

وَيَخْصُوصُ مُكَافَحَةَ الْاِسْتِغْلَالِ
وَالرَّبَا يَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
وَمَنْ كُنْتُ خَصْمَهُ خَصْمَتُهُ » ، وَيَقُولُ
فِي آخِرِهِ : وَثَالِثُهُمْ هُوَ مَنْ اسْتَأْجَرَ
أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُوفِهِ أَجْرَهُ »
وَيَقْصِدُ طَبْعًا الْأَجْرَ الْعَادِلَ .

وَفِي هَذَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ الْمُبَارَكُ ،
الْاِسْتَاذُ بِكَلِّيَّةِ الْحُقُوقِ وَعَمِيدُ
كَلِّيَّةِ الشَّرِيعَةِ بِسُورِيَا سَابِقًا ،
وَعَضُو الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَرَبِيِّ
بِدِمَشْقَ ، وَالْمُقِيمُ حَالِيًا بِالْمَمْلَكَةِ
الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ ، مُسْتَنِدًا إِلَى
ابْنِ تَيْمِيَّةَ ، مَا يَلِي : « إِذَا كَانَتْ
الْاِشْتِرَاقِيَّةُ اِشْتِرَاكَ جَمِيعِ أَفْرَادِ
الشَّعْبِ فِي الْمَنَافِعِ وَالْمَصَالِحِ ،
وَعَدَمَ اسْتِثْنَاءِ فِتَّةٍ مِنَ النَّاسِ

بِالْمَنْفَعَةِ ، وَتَدْخُلُ الدَّوْلَةُ فِي تَقْيِيدِ الْفَعَالِيَّاتِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ ، كَتَحْدِيدِ حُقُوقِ الْمَلِكِيَّةِ وَثِمَارِهَا تَقْيِيدًا يُؤَدِّي إِلَى الْعَدَالَةِ فِي تَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ ، وَإِلَى تَكَافُؤِ الْفُرْصِ بَيْنَ النَّاسِ ، بِحَيْثُ يَعِيشُونَ عَلَى مُسْتَوًى مِنَ الْحَيَاةِ يُؤْمِنُ لَهُمُ الْحَاجَاتِ الْاِنْسَانِيَّةُ الْمَادِّيَّةُ وَالْمَعْنَوِيَّةُ ، فَإِنَّ الْاِشْتِرَاكِيَّةَ بِهَذَا الْمَعْنَى لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهَا وَالْاِسْلَامَ ، بَلْ أَنَّ الْاِسْلَامَ عَلَى طَرِيقَتِهِ الْخَاصَّةِ يَتَّبِعُهُ فِي هَذَا الْاِتِّجَاهِ الْمُؤَدِّي إِلَى تَعْمِيمِ النِّفْعِ ، وَإِقَامَةِ الْعَدَالَةِ ، وَإِنْصَافِ النَّاسِ ، بَلْ يُجِيزُ تَدْخُلَ الدَّوْلَةِ فِي فَعَالِيَّاتِ الْاَفْرَادِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ وَغَيْرِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ إِذَا اقْتَضَتْ الضَّرُورَةُ أَوْ الْمَصْلَحَةُ الْعَامَّةُ ذَلِكَ وَيُضِيفُ قِيْقُولُ : وَالْاِسْلَامُ يَقُولُ بِتَدْخُلِ الدَّوْلَةِ وَمِنْ ذَلِكَ مِنْهَا الْاِخْتِكَارُ ، وَأَخْذُهَا مِنْ أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَالًا غَيْرَ الزَّكَاةِ إِذَا كَانَتْ

الدَّوْلَةُ فِي حَالَةِ حَرْبٍ لِلدِّفَاعِ عَنْ حَوْزَةِ الْمُسْلِمِينَ ، أَوْ كَانَ فِي النَّاسِ فَقَرَاءٌ وَلَمْ تَكْفِهِمُ الزَّكَاةُ ، أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِنْ الْحَاجَاتِ ، فَالْاِسْلَامُ إِذَنْ يَقُولُ بِتَدْخُلِ أَوْلَى الْأَمْرِ ، أَيْ الدَّوْلَةُ ، لِإِحْقَاقِ الْحَقِّ ، بَلْ لِلرَّحْمَةِ بِالضُّعْفَاءِ ، وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ فَوْقَ الْعَدْلِ وَأَكْثَرَ مِنْ الْعَدْلِ . فَالْقَوْلُ أَنَّ لَيْسَ فِي الْاِسْلَامِ اِشْتِرَاكِيَّةً يَنْطَوِي عَلَى جَهْلٍ بِحَقِيقَةِ الْاِشْتِرَاكِيَّةِ ، وَعَلَى قُصُورٍ فِي فَهْمِ الْاِسْلَامِ ، وَتَعَالِيْمِهِ وَأَهْدَافِهِ ، وَبُعْدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ أَحْكَامِهِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِهَذَا الْمَوْضُوعِ .

وَيَرْدُفُ قَائِلًا : « وَلَا يَتَّصِرُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنَّ تُؤَدَّى أَحْكَامُ الْاِسْلَامِ إِلَى مَوْتِ فَرِيقٍ مِنَ النَّاسِ جَوْعًا أَوْ وُقُوعِهِمْ فَرِيسَةً لِلْبُؤْسِ وَالْفَقْرِ وَالْمَرَضِ ، وَيَنْعَمُ فَرِيقٌ آخَرُ مِنَ النَّاسِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ بِالْمَلَادِّ ، وَالطَّيِّبَاتِ ، وَالْكَمَالِيَّاتِ لِأَنَّ هَذَا مُخَالَفٌ لِأَهْدَافِ الْاِسْلَامِ

الوَاضِحَةُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِثْلُ
قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« الْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا
اشْتَكَى مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ
الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى ، » وَقَوْلُهُ
« إِنَّ الْأَشَاعِرَةَ كَانُوا إِذَا أَمَحَلُّوا
أَوْ افْتَقَرُوا جَمَعُوا مَا عِنْدَهُمْ
وَأَقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ بِالسَّوِيَّةِ ، فَهُمْ
مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ » وَقَوْلُهُ أَيْضًا : « فِي
الْمَالِ حَقٌّ سِوَى الزَّكَاةِ » ، أَيْ أَنَّ
الدَّوْلَةَ لَهَا أَنْ تَأْخُذَ عِنْدَ الضَّرُورَةِ
أَكْثَرَ مِنَ الزَّكَاةِ ، وَمَا رَوَى عَنْهُ
أَيْضًا عَنْ أَحَدِ أَصْحَابِهِ قَالَ :
« بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ (ص)
إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ ،
فَجَعَلَ يُدِيرُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا
فَقَالَ « ص » مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ

ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ
وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ
بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ ، فَذَكَرَ مَنْ
أَصْنَفَ الْمَالِ مَا ذَكَرَ ، حَتَّى رَأَيْنَا
أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ «
وَمِنْ هَذَا يَتَضَحُّ أَنَّ أَصُولَ ،
الْإِشْتِرَاقِيَّةِ قَدْ وَجِدَتْ مُنْذُ أَرْبَعَةِ
عَشَرَ قَرْنًا وَذَلِكَ فِي رُوحِ الْإِسْلَامِ
وَنَصِّهِ وَهُوَ دِينُ الْعَدَالَةِ ،
وَالْأَنْصَافِ ، وَالتَّضَامُنِ ، وَالرَّحْمَةِ
مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى حُرِّيَّةِ الْبَادِرَةِ ،
وَالْتَّنَافُسِ فِي الْعَمَلِ الْبِنَاءِ ، مَعَ
الْإِحْتِفَازِ بِالْقِيَمِ الرُّوحِيَّةِ
وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الْعُلْيَا ، الَّتِي بِهَا
يَتَمَاسَكُ الْمُجْتَمَعُ وَيَقْوَى بِنْيَانُهُ
وَذَلِكَ كُلُّهُ مَا نَوَدُّ أَنْ نَسَمِّيَهُ
بِأَصْلَةِ مُجْتَمَعِنَا الْإِشْتِرَاقِيَّةِ .



* نص المحاضرة التي
القاهه د : احمد طالب
الابراهيمى امام الملتقى الرابع
للتعرف على الفكر
الاسلامى المنعقد بمدينة
قسنطينة فيما بين 8 - 17
جمادى الثانية 1390 هـ
الموافق 10 - 19 اغسطس
1970 م

دور الشباب في حياة الأمة

د : أحمد طالب

وزير الاعلام والثقافة

اننى مبتهج بهذا اللقاء الإسلامى الذى
دعت اليه مشكورة وزارة التعليم الاصلى
والشؤون الدينية وهذا اللقاء ، هو ثمرة
من ثمرات الاستقلال، من ثمرات استقلال
هذه البلاد العربية المسلمة ، فلقد كان وما
بالعهد من قدم ، مضروبا بسور من حديد بيننا
وبين اشقائنا فى المشرق ، فلا لقاء ، ولا اتصال

ولا تزاور الا في القليل النادر تحت المراقبة والتهديد الاستعماري واليوم ، وبفضل الاستقلال الذي انتزعناه بالتضحية والفداء ، والثمن الغالي ، اصبحنا نجتمع باخواننا المسلمين حيث ما كانوا ونعقد معهم الاجتماعات ، ونقيم اللقاءات ونبحث معهم فيما يهم شؤون الاسلام والمسلمين ، ولا نخشى واش ولا رقيب ، والحمد لله ، والله اكبر . وما يزيد في اهمية هذا الملتقى ، اقامته في مدينة قسنطينة ، عاصمة الشرق الجزائري ، وقلعة المقاومة الصامدة ، ايام الاحتلال ، بلد عبد الحميد بن باديس ، رمز التضحية والتفاني ، في ايقاظ الجزائر من غفوتها ، وتنبيهها من غفلتها ، وانقاذها من كبوتها ، فلكم الرجل الذي عاش للاسلام والعربية والجزائر ، وما ترك ميدان العمل والكفاح ، الى ان فارق الحياة .

جيش فيه كبار الصحابة ، اسامة بن زيد ، وهو دون سن العشرين .

وقد نجد في تاريخ الامم كثيرا من العظماء ، وصلوا الى قمة العظمة والبطولة والعبقرية ، في سن الشباب ، فما هو السر في هذه الظاهرة يا ترى ؟ ان الشباب قلب الامة النابض ، وامل الوطن الباسم ، ولست اعنى بالشباب ، ذلك الفتى سنا فحسب ، وانما اعنى بالشباب ذلك الكائن الحي ، القوى الساعد ، المفتول الذراع ، الفتى عزما وحزما ، الفتى جدا ونشاطا ، الفتى روحا وعقلا ، الفتى علما وعملا ، والذين يزنون الامور بالقسطاس المستقيم ، وينهجون المنهج القويم ، لا يستغنون بطموح الشباب وحماهم طبعاً عن تجربة الشيوخ وحكمهم .

ايها الاخوة ، ايها الاخوات :

ان الشباب كالعود الطرى ، ميال مع الريح فان لم يسق بماء الحياة نبل ، واذا كانت الريح عاصفة هائجة قصفته فانكسر ، ماء الحياة لهذا العود ، مصدره الامل الذين انبتوه والمجتمع الذي يتلقفه ، والمدرسة التي تربيته وتثقفه ، والدولة التي تركز حاضره وتخطط لمستقبله .

اولا : على الاسرة ان تحبه حبا ، لا تنتظر من ورائه جزاء ولا شكورا ، وان تراقب حركاته وسكناته ، فانها مسؤولة بالدرجة الاولى على تربيته وتاديبه ، وتوجيهه الوجهة الصالحة ،

لقد تعودت في هذه المواطن ان اخاطب الشباب ، واليوم اريد ان اتحدث عن الشباب ، ان الشباب في كل امة من الامم ، عنوان صادق على ما تبلغه تلك الامة من تقدم او انحطاط ، واذا اردنا ان نصدر حكما على امة مهما كان ماضيها وحاضرها ، هل هي جديرة بالرقى والصعود ، والبقاء والخلود ، ام هي جديرة بالخمود والجمود ، والاضمحلال ، والزوال ، فانما ننظر الى ما فيها من شباب ، وما يقومون به من اعمال ، فاذا كان شبابها من الطامحين العاملين على ما يرسى بنيانها ، ويرفع شأنها فانها باقية ما اتسمت بتلك السمات ، وهبت عليها تلك النفحات ، واذا كان شبابها من المتواكئين القانعين فهي امة تنتظر الساعة وما ادراك ما الساعة ، وهي ساعة تودع فيها الحياة الى حيث لا رجعة .

فالامة التي لا شباب لها ، لا مستقبل لها ، وقد اشد القرآن الكريم بذكر الشباب وثباتهم على عقائدهم ، فقال : « اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لذك رحمة ، وهى لنا من امرنا رشدا » . وقال : « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » ، فابراهيم عليه السلام ، بعد تأمله في ملكوت الله وآياته في الكون اهتدى الى وحدانية الله ، فقلب الاوضاع بما له من قوة ، وفتوة ، وحرر العقول ، وكسر الاصنام ، التي كانت تعبد من دون الله ، وقد اقتضت حكمة الله ان تكون غالب الرسالات بين الثلاثين والاربعين ، وقد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيادة

رابعا : على الدولة ان توجه هذه الطاقات الهائلة للخبر والبناء وترعاها ، وتحببها ، وتيسر لها اسباب العيش والرخاء ، والراحة والهناء ، لان الدولة تستمد قوتها من قوة شعبها ، ولا غرابة اذا رايناها تسعى جاهدة بكل امكانياتها لتحقيق هذه الاسباب والوصول الى هذه الامنية الغالية

ايها الاخوة :

بعد ان استعرضت ما يرتجى لشبابنا ، اتوجه الى شباب الجزائر لاعبر لهم عن بعض ما نرجو منهم :

اولا : ان يدركوا ان الجزائر ، جزائر الاستقلال ، هي في طور الشباب مثلهم ، بل في طور الطفولة ، فوطنهم لم يرتق الى عهد السيادة والحرية ، الا منذ سنوات ، وفي الواقع انه منذ ان اصبح سيد مصيره قد خطا خطوات واسعة نحو الاستقرار والتنظيم فللرجاء من شبابنا الا يتسرعوا والا يقطوا او يياسوا ، فنحن على الطريق سائرون ، والنجاح آت لا محالة ، ولعل من باب فخرهم ان يعيشوا في المهد ويراقبوه ، ويسهموا فيه ، ليستعيد وطنهم صفحات مشرقة من مجده التليد ، وتاريخه الخالد .

ورجاؤنا الثاني : على شبابنا ان يدركوا ايضا ، ان العالم قد اجتاز في السنوات الاخيرة وسيجتاز في السنوات القليلة المقبلة مراحل ومسافات لم يقطعها طوال قرون عديدة مضت ، فهذا الغليان وهذه القفزات الجبارة علما ، وتقنية ، وفلسفة ، تولد هزات عنيفة في النفوس ، قد تؤثر في المقومات والمعتقدات والمعطيات ، وهنا يجب مع مواكبة السير الحفاظ على القيم الاساسية ولا سيما القيم الخلقية والروحية منها ، نريد من الشباب الجزائري ان يحب الحياة ، الحياة الصاعدة التي توجهه الى ادراك كل ما يستلزمه ووجود امته من دواعي البقاء ، ودعوى الخلود ، وفهم كل ما يجتمع كيانه من اجل التعبير عن الارادة القوية المتبنقة من ابعد مطاوى نفسه وخبايا ضميره ، نريد من الشباب الجزائري

التي ينفع بها امته ووطنه ، وينتفع بها هو واسرته في مستقبل الايام ، اما اذا أهملت تربيته وبخلت عنه في صغره ، فانه ينشأ نشأة سيئة تتجرع الاسرة مرارتها ، وتتحمّل عارها واوزارها ، ويؤاخذها المجتمع بهذه الجريمة ، واي جريمة اعظم من عدم القيام بالواجب ، وعدم الشعور بالمسؤولية ؟ فهي عوض ان تهء للامة وتقدم لها من يزيد في الفضائل ، قدمت اليها من يقترف الاثام والردائل .

ثانيا : على المجتمع الا يسيء اليه بالمنظر والمسمع ، وان يجعل له مثلا عليا ، تسمو عن الكسب المادى والترف ، لان الكسب المادى قدر مشترك بين الانسان والحيوان ، والمولى تبارك وتعالى كرم الانسان بالعقل ، وقد جاء في القرآن الكريم : « ولقد كرمنا بنى آدم » ، فاذا كان الانسان يعيش في مجتمع ، لا يرى فيه من المناظر ، الا ما يحرك الفرائز ، ويوقض نار الشهوات ، ولا يسمع من الكلام الا الباطل والزور من القول ، او ما يبعث الاحقاد والخصومات ، فانه بحكم الجوار يصبح فردا من تلك المجتمع الفاسد ، وان كان قبل ذلك صالحا في نفسه ، واذا كان المجتمع يتكون منا جميعا لا فرق بين عالم وجاهل ، وغنى وفقير ، بل وحاكم ومحكوم ، فان المسؤولية على ما يقع فيه من فقر ، وجهل ومرض ، وجور وغسوق وشور ، تقع على كاهلنا جميعا ، اذ كل واحد منا مسؤول امام الله وامام الوطن عن نفسه ، وعن زوجه ، وعن ولده ، وعن ابنته ، وقد جاء في الحديث : « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » ، فليقم كل منا بواجبه ولا يلسق التبعة على غيره .

ثالثا : على المدرسة الا تعتنى بحشو ذاكرته دون تحريك الذهن ، وبتحصيل الشهادة ، دون اعداده للحياة العامة ، فنحن نريد من شبابنا ان يكونوا ممن يتعلم العلم للعلم لا للشهادة ، وان يشتغلوا بالبحوث الهامة ، والابتكارات التي لها قيمتها في هذا العصر ، حتى يرفعوا راس امته عاليا ، في الجامعات العلمية ، فتسترد الجزائر مجدها العلمى ، الذى قضى عليه عصر الاستعمار والانحطاط .

وعبثا وفسادا ، ليس لهم من السيادة فيها نصيب ، فالصالحون اذا هم البناة ، التقاة العالمون العاملون .

رابعا : في التكنة مدرسة لرعاية الوطن واذا تسلح شبابنا بالعلم والاخلاق ، والقوة والايمان لا ينطبق عليه قول الشاعر :

عجبا لقومي والعدو بياهم
كيف أستطابوا اللهو واللعب

هذه ايها الاخوة ، ابنتها الاخوات ، بعض الخواطر حول الشباب ، وفي الازمة التي يعانيها العالم اليوم ، لابد ان نقول كلمة عن الجامعة ، لان الجامعة تلعب دورا في اعداد الاطارات لتطوير البلاد . يدخل اليها الشباب ، بعد تحصيلهم الثانوي ، ليتوزعوا على فنون العلم المختلفة فيكون منهم الاستاذ ، والطبيب والمحامي ، والمهندس ، والعالم ، والباحث ، والاداري ، ورجل الاقتصاد ، وغير ذلك . . هؤلاء الشباب يعلمهم ، وايمانهم القوي يسدون الثغرات الموجودة في هذا الوطن ، ويدفعون به الى الامام ، في طريق العزة والكرامة ، والحضارة التقنية الحديثة ليكون في مصاف الامم الراقية ، ولقد توجهت الى اخواني الاساتذة والطلبة منذ سنوات . بكلمة قلت فيها :

ان الرسالة الاولى للجامعة الجزائرية ، هي مكافحة التخلف ، والمهمة في دقتها لا يمكن ان تضطلع بها الا الاطارات الوطنية ، التي تجمع الى جانب الكفاءة الشعور بالحاجة اليومية للعمل والنضال لتوفير وسائل الحياة الكريمة لجماهير الشعب الذي انبثها ، وبالرغم من الخطوات الكبيرة التي قطعناها الى اليوم ، في هذا الاتجاه ، فاننا كلما تقدمنا في الزمن ، ازداد شعورنا باننا ما نزال بعيدين عن الهدف وبانه يجب على هذه المبالغ الا تبقى سجين في الخطب الرسمية ، بل هي مدعوة بفضل الجامعة ، والجامعة في الدرجة الاولى ، الى ان تكون كالبنرة متصلة بالحياة ، والنماء نراقب تطورها فنشخبها حيناً ، ونطعمها احيانا حتى يصبح اصلها ثابتا وفرعها في

ان يجدد في نفسه تمسك القوة ، القوة التي تجعله يحقق في لحظة واحدة ملايين الاحلام والامال ، نريد له بكلمة مختصرة الفتوة ، فتوة الروح والجسم ، فتوة المشاعر والخواطر نريد ان تكون الفتوة شارته في العصر الحاضر ولا يلعب دوره كاملا الا اذا كانت النزاهة غايته ، والاخلاص رائده ، لان كل عمل في الحياة لا يقوم على الاخلاص ، فهو فاشل ، ولا بد ان ينهار .

ان الشباب الذي نريده ، ونتمناه لهذا الوطن العزيز ، شباب يقضي اوقاته ، بين المسجد والمخبر ، والبحث والتنقيب في الارض والتنظيم والتدريب في التكنة ، فهذه الدعائم الاربع ، لا يقوم بناء امة الا عليها ، وليس لها بدونها في الحياة نصيب .

اولا : في المسجد اتصال الضمير الانساني بالله جل جلاله ، وهذا يقضي ان تتخذ العقيدة الدينية قاعدة اساسية للتربية الفردية او الاجتماعية ، وهو يحقق غاية الانسانية ، تتسم بالرغبة في ارضاء الله وحده ، والتضحية بكل شيء . ابتغاء وجهه الكريم ، فيصبح القلب عامرا بالايمان ، وتصبح النفس راضية مرضية ثانيا في المخبر تجرى التجارب العلمية ، وتستطيع الامة بشبابها الذين يدخلون المخبر ، مجارة الامم الحية ، وتلتحق بركب العلم ، ومن تخلف عن الركب خسر الدنيا والآخرة ، فما له في الدنيا من نصيب ، وما له في الآخرة من خلاص وقد جاء في القرآن : « ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ، ولا تبغ الفساد في الارض ، ان الله لا يحب المفسدين » صدق الله العظيم .

ثالثا : في البحث والتنقيب في خبايا الارض اصلاح وعمران لها ، وقد جاء في القرآن الكريم : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ، ان الارض يرثها عبادي الصالحون » ، هذه سنة من سنن الكون ، ان البقاء للاصلح ، ارشدنا اليها القرآن ، منذ قرون ، فالصالحون لعبارة الارض ، هم الذين كتب الله لهم السيادة فيها ، اما الذين يعيشون فيها لهما

السماء واننا سنظل حريصين على تحقيقها
مهما قلت وسائلنا لان الوسائل قد تتعدد
ولكنها تبقى وكلها راجعة الى وسيلة واحدة
هى ارادة الانسان .

هذه اللغة ، لغة علم متطورة نامية ، هو
اديب ولغوى ، لا يستطيع ان يؤدى رسالته
الثقافية ، ومسؤوليته نحو مجتمعه .

ورجل القانون الذى يتبحر فى الفقه الدولى،
او القانون الجنائى المسطر فى الكتب ، ولا
يسلط معارفه القانونية على المشاكل
الاجتماعية فى مجتمعه ، ولا يدرس بها عادات
بلاده وتقاليدها ، فيستخرج منها الامراض
التي يعانىها مجتمعه ، ويجد لها اقرب
العلاجات واسهلها تناولا ، هو رجل لا ينتظر
منه ان يكون مصلحا اجتماعيا ، او مشرعا ،
لما تفنقر اليه البلاد من أنظمة سياسية
 واجتماعية وإدارية ، تتمشى مع وضعه
المتخلف وترقى به نحو الخروج من ظلمته
القائلة ، عن مستوى شعبها ، دون ان تعمل
على الحاقه بمستواها ، هى جامعة لا تؤدى
رسالتها نحو شعبها .

ان كل هذا ، ايها السادة ، يطلق عليه
كلمة « الازدواجية » كل مثقف عندنا يعيش
هذه المأساة الازدواجية ، دون ان يشعر بها
شعورا ايجابيا واعيا ، فيعيش ثقافته فى عالم
وحياته العلمية فى عالم آخر ، فاذا بقينا
مكتفين بهذه الطرق فى حياتنا الثقافية ، فان
الهوة بين المثقفين وبين مجتمعنا لن تزداد الا
اتساعا ، لان ما تخرجه المؤسسات الثقافية
عندنا من اطارات ، من هذا الطراز ، سيبقى
دائما اقلية سلبية ، بالنسبة للاعداد الهائلة،
التي تتكون سنويا مع ازدياد المواليد وانتشار
الامية ، ولكن من اين جاءت هذه الازدواجية؟
لا شك ان هناك اسبابا تاريخية لعبت دورها
الرئيسى وجعلتنا نأتى الى العالم المتحضر
متأخرين عن القافلة ، الا ان هناك سببا
آخر هو استسلامنا العقلى امام هذا الوضع
المتناقض ، الذى وجدنا انفسنا فيه ، اننا
استسلمنا من ناحية للتيارات الثقافية الحديثة
واساليبها المعقدة ، وادواتها الالكترونية ، ولم
نحاول تبسيطها وتبسيطها لفائدة مجتمعنا ،
واستسلمنا من ناحية اخرى لتخلف هذا

قلنا ان حقيقة الرسالة التى يجب ان
تضطلع بها الجامعة هى مكافحة التخلف فى
المجتمع ، ويبدو انه اذا كان كل الناس،عندنا
متفقين على هذه التسمية ، فانهم فيما يتعلق
بمضمونها يذهبون مذاهب بعيدة عن الاتفاق
واكثرينهم ترى ان مقاومة التخلف بالنسبة
للجامعة هى الاكتفاء بتكوين اطارات علمية
نقارن بها خريج الجامعات فى اوربا ، وفى
العالم المتقدم ، الذى يسبقنا بمراحل بقطع
النظر عن مستوانا الاجتماعى ، والحضارى
المتخلف ، وبقطع النظر عما نستطيع ان
نهضمه ، او لا نهضمه من الثقافة ، وما
نستطيع ان نستفيد منه ، او لا نستفيد،فكون
النتيجة فى هذه الحالة ان تخرج الجامعة عندنا
اطارات قد تصلح للعالم المتقدم ، الذى قلدناه
ولكنها لا تصلح للمجتمع المتخلف الذى نعيش
فيه ، والذى نتحمل مسؤولية رفع مستواه ،
فمثلا ، الطبيب الذى لا يقرن ثقافته
الطبية الحديثة ، بحالة شعبه الصحية ، ولا
يعمل على تسليط اضوائها على الهوة المظلمة
التي تفصل بين مجتمعه ، وبين تلك الثقافات
الحديثة فى مجال الصحة ، ليكشف اقرب
السبل ، واقصر الوسائل لسد تلك الهوة ،
ولا يبحث ما عند شعبه من ادوية واعشاب
صالحة وغير صالحة ، ولا يلتفت الى ما فى
تراثه الطبى من تجارب صحيحة او خاطئة،هو
طبيب لا يستطيع ان يؤدى رسالته العلمية ،
ومسؤوليته نحو مجتمعه .

والاديب او اللغوى الذى يبقى مكتفيا فى
مجال اختصاصه بالقواعد والاساليب الرفيعة
المعقدة ، التى تعلمها دون ان يهتدى بها الى
الطرق التى يسهل بها ايصال هذه الثروة
الثقافية الى مجتمعه المتخلف ، ويشركه معه
فى مستواه الادبى ، ولا يبحث لغة شعبه ،
وما فيها من صحيح وخاطئ ، حتى يصير

المجتمع ، لاننا عجزنا بروحنا الاستسلامية وبوسائلنا القليلة ، عن الحاقه بالقافلة المتحضرة ، لقد وجدنا انفسنا بين امرين ، اما أن نبقي مع مجتمعنا في تخلفه وعجزه الحضارى ، واما ان نبني حضارة جاهزة ، غزتنا في بلادنا فقبلناها كما هي لانفسنا فقط في حين ان هناك طريقا ثالثا لم نأخذ به ، وهو تسخير ثقافتنا لخدمة شعبنا ، اى تسخير روح البحث العلمى الذى تعلمناه في دراسة اوضاعنا الاجتماعية والحضارية . اننا حتى الان ، ولا اقصد هنا الجزائر وحدها ، لم نقيم تراثنا الثقافى والحضارى ولم ندرس ما هو صالح منه للحياة والتطور ، وما حكم عليه الزمان بالاعدام والزوال ، وبعد هذا كله ، فلم نستطع المحافظة على حريتنا واستقلالنا، الا بالمحافظة على تقاليدنا وديننا ، واستعمال لغتنا العربية في مخاطبتنا ، وكتابتنا ، سواء كان ذلك في المنزل ، او السوق ، او في الادارة والدواوين ، بل في سائر الميادين ، وهذه هي الاسس التى قامت من اجلها ثورتنا وبها نجحت وما زالت تعمل في سبيلها رغم كل العراقيل والاباطيل ، وهى المميزات الوحيدة التى تميز هذه الامة عن غيرها من الامم ، فليس بجزائرى من لا يحاول التكلم بالعربية، سواء اكانت فصيحة ام دارجة ، ومن يهجر تقاليد الجزائر ، ودين الجزائر ويتقمص تقاليد اجنبية ، فهو اجنبى عن الجزائر ، وان كان مولودا من اب جزائرى وام جزائرية ويعيش

تحت سماء الجزائر ، ويتمتع بالجنسية الجزائرية ، وهذا واقع لا يقبل الجدل ، هذه هى الرسالة المقدسة الملقاة على عاتق شبابنا زيادة على دوره الطلائعى في مكافحة ثالوث التخلف : الفقر ، والجهل ، والمرض .

فعلى شبابنا ، ايها الاخوة ، ايها الاخوات ان يكونوا في مستوى الامل المعقودة عليهم ، وان يكونوا مواطنين مؤمنين بوطنهم وشعبهم وهذا يتطلب منهم الايجابية في العمل ، فالمواطن الصالح هو الذى يدرك مسؤولياته الكبيرة التى يتحملها ، ويعمل لانجازها ، بوحي من ضمير حى ، اساسه العلم والخلق ، متعاوناً متكافلاً مع ابناء الوطن جميعاً ، وان يشعر بانه جزء من المجتمع ، ويضع مصالح الجماعة قبل مصلحته الفردية .

يا شباب الجزائر : كونوا اصحاب عقائد، تعيشون لها ، لا اصحاب عقائد تعيشون بها ، فان ائذى يعيش للعقيدة يبقى حياً خالداً ، ولو اخنته المنيّة منذ قرون ، اما الذى يعيش بالعقيدة فهو يمشى فوق الارض كمن دفن تحتها .

هذه كلمتى اليكم ، وفي الختام اسأل الله تعالى ان يجعل اجتماعنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وان يجعلنا من جنوده الصالحين المصلحين ، وان يمدنا بروح منه حتى نتصير قضية الاسلام في جميع الميادين . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



* الحرية في مستوى الاخلاق
الراكدة ، تعنى توكيدا مباشرا
للذات بحيث لا تعد المسؤولية
الا نتيجة لاحقة بها .

من

خصائص

الثورة
العربية

دكتور بديع الكسسم

* ان حرية الافراد في جدل
الاخلاق النائرة ، لا تكسب
معناها وقدسيتها الا من
خلال الاعياء التي يقوم بها
هؤلاء الافراد .

* الثورات الكبرى التي تعبر
عن انتفاضات حضارية ،
تمثلها على صعيد الفكر ثورة
في المفاهيم والافكار ، اى ثورة
في الفلسفة .

* ان الثورة الروحية التي نهر
بها جعلنا ننق ان الوجدان
العربي الذي عاش تجربة الالم
والتمرد والتضحية سوف
يتمخض عن فكر خلاق يتحرق
الى الارتقاء بالانسان في سلم
الوجود .

عندما تألق وجودنا العربى بنور من ذاته، وأنوار فاضت عليه ، أضاء الزمان قرونا موصولة ، وحرر المكان من الظلم والظلام ، فتوجهت الحياة، ثم نمت كاشفة عن إمكاناتها، ثم أزهرت ثم أثمرت ، فكان لقاء المشرق بالمغرب ، وكان لقاء العقل بالحرية ، واخذنا نتسلق القمم ونبلور الإرادة واقعا صلبا ، ونفشر في الأفاق ما كان مطويا في الأعماق .

ولكن المعجزة العربية لم تتحقق مثل فعل بسيط ، أو مثل حركة اليد في الفضاء . لا ، ولم تسلك طريقا لا عوج فيه كأنه خط مستقيم أو شعاع من ضوء . وإنما كانت تجربة ابداع . فكان لا بد لها إذن من أن تخضع لمنطق الواقع الحى بكل ما يضح فيه من قوى متحركة ، تتعارض أو تتكامل . وكان لا بد لها من أن تخضع لمنطق المادة المقاومة ، ومنطق العقل المنظم ، ومنطق الإرادة التى ترسم الأهداف ثم تتجاوزها هدفا بعد هدف .

متحركة ، ثابتة في وجودها متحركة في تطالعاتها .

وهكذا تبلور المجتمع الإسلامى في بنية جديدة كان الوجود العربى بمثابة النواة أو المركز .

ثم حلت المفاجعة ، فقد انزلق الوجود العربى من المركز الى المحيط . لم نعد نذكر كيف تم ذلك . كل ما نذكره أن دوامة ملعونة كانت تلفنا وتدور بنا بعنف وحشى لتسلطنا الى امواج مجنونة ، ونذكر اننا كنا نقاوم عبثا حتى ارتمينا على شاطئ مهجور . وغفونا ، ثم افقنا على أوجاعنا ، وتحسنا قوانا فوجدنا أن الانهالك لم يستنفدها كلها ، وأن عزيمة فينا مخزونة كانت اقوى من المفاجعة . وسار التاريخ بنا الى بدء الثورة التى نعيشها اليوم . ونعتقد اننا في اطار هذه الثورة وحدها ، بل بوحى منها ، انما نفكر جميعا ، ونعمل .

ان ثورتنا المعاصرة امتداد حى للثورة العربية التاريخية . ونحب أن نؤكد اليوم على بعض الخصائص التى تميز انطلاقتنا ، والتى تستند الى حدس عميق لما بين المبادئ الكبيرة من علائق خفية .

فمن ذلك مثلا ان الحق والواجب يمثلان في مستوى الاخلاق الراكدة طرفين متقابلين بحيث يعتقد الفرد انه حر التصرف بحقوقه ، بمعنى انه يستطيع أن يطالب بها كما يستطيع أن يتنازل عنها ، وأن واجباته مفروضة عليه

ولهذا كانت التجربة العربية تشق طريقها بالجاهدة والمكابرة ، تصطدم بالمعقبة فتصارعها ، أو تلتف حولها أو تمتصها بقدرة عجيبة كأنها السحر . لقد انطلقت تهديم وتبنى ، تسابير وتداور ، تأخذ وتعطى ، تكرر وتفر ، تقبل وتدبر معا كأنها فرس امرئ القيس . فليس عجيبا إذن أن تجفل مرة قرب منحدر ، أو تكبو عند صخرة عاتية . ولكن الشوق الذى كان يحدها ، كان يطيب جراحها ، ويفتح أمامها الأفق ، ويدفعها الى أن تبلغ مداه .

نقول بعبارة أخرى . ان بنية المجتمع العربى في الجاهلية كانت تتكون من دوائر ضيقة ، مغلفة ، متناثرة ، متباعدة ، تركز الى عصبية قبلية وتستهلك طاقاتها دون أن تستولدها . وجاء الاسلام يهدم أسوار هذه العصبية ويقوض بنية معوجة ، يحكمها تناقض يمزق القوى الكامنة فيها . ولما انهارت الاصنام تحرر الكيان العربى ، وتجمع حول نفسه ، فتشكلت بنية جديدة يربط بين عناصرها تماسك باطن قوى ، ويوجهها هدف موحد . ثم كانت الفتوحات ، فانفتح الوجدان العربى على عوالم جديدة ، وكان الفعل ورد الفعل ، وكانت التحديات والجابحات ، ثم كانت من ذلك كله حضارة ذات اللون ، حضارة واحدة متصلة ، يغذيها التنافس كما يغذيها التأزر . ومعنى ذلك كله أن الامة العربية عبر الزمان والمكان كل موحد ، أو متحد طبيعى يصوغ نفسه في صور متجددة ، وهو في كل صيغة مجسدة يتألف من عناصر ثابتة



في نظر هذه الاخلاق ليس انتهاكاً للمعدالة او ظلماً ، وذلك لاستحالة تعيين الظالم ، انه يؤس فحسب قد يثير المواطن الشفقة والاحسان دون ان يجرح حس العدالة في الضمير . ولكن الاخلاق الثائرة ، لكونها ترتبط بروح النضال المشترك في سبيل هدف مشترك ، تستطيع ان تكشف في يؤس المواطن المحروم ظلماً يناقض العدالة في اصولها الطبيعية ، كما تستطيع ان تكشف عن الظالم في مجموعة النظم الاجتماعية . وعند ذلك يتسامى معنى الاحسان الى معنى تحقيق العدالة . وهنا يمكن منبع اصيل من منابع الاتجاه الاشتراكي .

ومن خصائص الوعي الجديد انه قد ادرك ان الفرد لا يستطيع تحقيق ذاته الا خلال عمل مشترك مع الآخرين . فالمجتمع هو الجو الطبيعي الذي يتنفس فيه . ولكل مجتمع انساني شخصية حية دائمة تميزه عن المجتمعات الاخرى وتجعله يتصف بمجموعة من الشروط المادية والروحية التي من شأنها ان تطبع تقاليده وتطلعاته بطابع الاستمرار . واذا كانت هناك روابط كثيرة تربط الفرد بالمجتمع ، فان المحبة اكثر هذه الروابط عمقا وشمولا . وذلك لان كل فرد يقدم عن طريق عمله وجهده ، شيئاً من ذاته الى مواطنيه . ولا شك ان هذا العطاء المتبادل هو الاساس الاول للمحبة القومية .

من خارج بمعنى انه لا يخضع الا بمقدار ما نلزمه ، وان اعفاه منها يرضيه ولا يسىء اليه ، فالحق بهذا المعنى ملك للفرد ، والواجب ضريبة يدفعها ثمناً لهذا الحق . ولكن توتر الحياة الاخلاقية الذي يستلزمه كل جهد لتحقيق قيمة عليا يلقى هذا الفاصل بين الحق والواجب ، من حيث هما فكرتان متقابلتان ، ويجعل كلا منها عنصراً مقوماً للآخر . وعندها لا يحس الفرد بأنه حر التصرف بحقوقه وانما يحس بأنه ملزم بالمطالبة بها ، وبأن واجبه بالمعنى الكامل لكلمة الواجب ، ان يعمل على استردادها في كل مرة تسلب منه . ان التفريط في حق من الحقوق ، في مستوى الاخلاق الثائرة ليس تنازلاً مشروعاً ولكنه اهمال لواجب . اما الواجب فانه يصبح بدوره حقاً من الحقوق ، بمعنى ان الاعفاء منه ووضع العقوبات التي تحول دون تحقيقه يعدان في اخلاق الثورة اهداراً لحق اصيل .

ومن خصائص هذا التفتح الاخلاقي ايضا انه يعمق معنى كل من الحرية والمسؤولية ويكشف عن الرابطة الحقيقية بينهما . فالحرية في مستوى الاخلاق الراكدة في حدود المفهوم الفردي للحياة تعني توكيداً مباشراً للذات بحيث لا تعد المسؤولية الا نتيجة لاحقة بها . فشعار الفرد هنا : انا مسؤول بمقدار ما اعطى من حرية . ولكن الايمان يهدف كبير يقلب هذه العلاقة رأساً على عقب ويجعل من المسؤولية مبداً اولياً ومن الحرية ثمرة حمل المسؤوليات . ان حرية الافراد في جدل الاخلاق الثائرة لا تكسب معناها وقدسيته الا من خلال الاعباء التي يقومون بها ، والانتصارات التي تحققها جهودهم . وهكذا ينقلب الشعار ويصبح : انا حر لاني مسؤول ، بمعنى اني لا اطبع بطابع الحرية الا بمقدار ما اكافح .

ومن خصائص التفتح الاخلاقي انه يرتد بمفهوم العدالة الى اصولها في الطبيعة والضمير بدلاً من ان تظل رهينة الاصطلاح الموقوت . ذلك ان الاخلاق الراكدة تفهم العدالة من زاوية التشريع الوضعي والعادات المستقرة . نبؤس المواطن المحروم

تعرف كيف تهلك زمام نفسها ، ولا تدري كيف تحدد وسائلها وخطواتها . انها على النقيض من ذلك لا تكون ثورة حق الا بمقدار ما تعرف اين تتجه ، اى بمقدار ما تتأمل .

بقى ان نقول اذا كان منطق الفلسفة لا ينقض منطق الثورة فذلك لان روح هذه من روح تلك ، لو لان الواحدة والاخرى تعبيران متكاملان عن نشاط واحد . فالفلسفة لا تقنع بان تحب الحق وانما يدفعها هذا الحب الى ان تبشر بالحق والى ان تحققه في الوجود . وعند ذلك تستحيل الى ثورة . وهذا يعنى ان الفلسفة تهيب للثورة ، وان الثورة تجسّد للفلسفة .

واخيرا فلعل اكبر كسب حققناه خلال الخطوات الاولى في ثورتنا المعاصرة اننا عدنا الى ذاتنا عودة واعية خصبة . فمنذ عهد ليس بالبعيد كانت لفظة « العرب » رغم كل ايحاءاتها العاطفية ورغم ما تولده في النفس من رعشة الحنين والامل ترمز اول ما ترمز الى اجدافنا العرب في انطلاقتهم الكبير . لقد كان هؤلاء يملؤون فلسفتها ويستنفدون شمولها بحيث لا تصدق علينا نحن الاحياء سكان الوطن العربى ، الا بمقدار ارتباطنا التاريخى بماضيها . فكان شعورنا بالذاتية قد تقلص حتى غدا بمستقلا اصيلا . ونشأ عن ذلك احساس بما يشبه الضياع . ولكن تفجر الوعي قد رد الينا هويتنا واصبحت لفظة العرب تعنى اولاً نحن العرب لا هم العرب . ان هذه الوثبة نحو الشعور الميء بالوجود قد جعلتنا اكثر قدرة على مجابهة التحديات والصعوبات واكثر وعياً لحقائق الواقع وقواعد الحركة الصاعدة .

ان الثورة الروحية التى نمر بها تجعلنا نفق منذ اليوم ان الوجود العربى الذى عاشى تجربة الالم والتبرّد والتضحية سوف يتمخض عن فكر خلاق يتحرّق اكثر من اى فكر آخر الى الارتقاء بالانسان فى سلم الوجود . وذلك لان الروح العربية تؤمن بان للذات الانسانية زيادة على ابعادها الافقية ، بعدا رأسيّا يصلها بالانتهاية .

بديع الكسم استاذ الفلسفة بجامعة الجزائر

ومن خصائص الوعي الجديد ايضا انه ادرك العلاقة العضوية بين الفكر والثورة . واذا فهنا من الفكر ههنا نظرة متباعدة الى الحياة في جميع ابعادها ، اى فلسفة ، فهنا لماذا يرافق النهضة الاجتماعية فكر فلسفى يعكسها وينعكس عليها . فالثورات الكبرى التى تعبر عن انتفاضات حضارية ، تمثلها على صعيد الفكر ثورة في المفاهيم والافكار ، اى ثورة في الفلسفة . قد يقال هنا ان بين الثورة والفلسفة ضربا من التناظر يرجع الى البنية الذاتية لكل منهما . فمفهوم الفلسفة قد ينحل في الذهن الى معنى العقل او التعقل ويوحى اليه بفكرة الحركة البطيئة ، بل بفكرة الحركة الدائرية التى تنتقل على ذاتها وتتفصل عن تيار الزمن . اما الثورة فقد تعنى اول ما تعنى تجاوز العقل والمعقول وتحطيم الحركة المتصلة بوثة في قلب الزمن ، زمن الناس والحوادث والاشياء . الفلسفة في هذه النظرة تساؤل طويل وتأمل اطول وتحفظ مستمر ، بينما الثورة جواب قاطع فاصل ، وفعل بات ، واطاحة عنيفة بمنطق الوسوسات .

ولكن يكفى ان نقف عند المعنى الحركى لكل من الفلسفة والثورة ، اى عند المعنى الذى يفصح عن نزوع كل منهما الى ان تتكامل وفق بنيانها العميق ، حتى تكشف التشابه الواضح بينهما . فالفلسفة تفكر . والفكر لا يعمل الا اذا احس بالعقبة وتبرّد عليها . ان اخص خصائصه روح نقدية ترتكز الى مثل أعلى لتفضح كل خلل ينحرف بالوجود الانسانى او امكانياته عن دروب النمو المتصل . وبما ان اشكال الانحراف لا تتبدد وتزول كلها الا حين يزول الوجود نفسه ، فقد قدر للفلسفة ان تحصل ، في كل وقت ، علم الثورة المستمر .

ولكن الثورة بدورها لا تحقق معناها الا اذا انطلقت من شعور حاد بالفارق الذى يفصل الواقع عن نموذجه في العقل . ان اول شرط فيها هو هذا الوعي المتقد وهذا التبرّد الروحى على ما يشوه حقيقة الانسان . فلا بد للثورة ان من ان ترتوى جذورها بماء الفكر ، ولابد لها ان تنفتح حيث يتطلع الفكر . والثورة بعد ذلك ليست مجرد انتفاضة لا

الأفلاطونية

في فلسفة الجمال

عند المسلمين

اتجه الباحثون في مجال الفلسفة الإسلامية إلى أن المشائية أو الأرسطية هي التي هيمنت على فلسفة الإسلام ، ابتداء من الكندي (ت ٢٥٢ هـ - ٨٦٤ م) إلى ابن رشد (ت ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م) ولكن الدراسات الأخيرة انتهت إلى أن الأفلاطونية لا تقل أهمية عن المشائية في تيارات الفلسفة الإسلامية ، وخاصة تيار التصوف ، الذي نفذ إليه أفلاطون ، واحتل منه مكان الصدارة ، إلا أنه لم ينفذ إلى المتصوفة صافيا ، بل شأبته عناصر أفلاطونية محدثة ، وغنوصية فارسية ، وعناصر أخرى هندية . وقد درس هذا التيار الأفلاطوني في الفلسفة الإسلامية استأنفا الدكتور على سامي النشار وإبان عنه وأثبتته من خلال النصوص ، والوثائق الصريحة .

ونحن نريد أن نتعرض في هذه المقالة إلى مجال معين ، وهو الفلسفة الجمالية ، وخاصة تصوف ابن الدباغ القيرواني (٦٩٦ هـ - ١٢٩٦ م) .

عمار طالبي

تغل الحب والجمال طائفتين من المفكرين في تاريخ الأدب الإسلامي : طائفة الأدباء ، وطائفة المتصوفة ، غير أن الأدباء اعتبروا الحب ظاهرة انسانية ، تنشأ عن مشاهدة الجمال المخلوق في مجاله الطبيعي والانسانى ، فعبثوا عن عواطفهم الجمالية في صور شعرية خلابة ، سواء في صيغتها الحسية الواقعية أو في شكلها الخيالى الخلاق ، أو في صورة تحليلية حية في التعبير النثرى .

والغريب أن الذين تولوا تحليل هذا اللون من الحب ، ونفذوا إلى حقائقه الداخلية ، ومنازعه النفسية ، إنما هم الأدباء من الفقهاء ، الأخذين بالظاهر ، في مذاهبهم الفقهية ، ابتداء من مؤسس المذهب الظاهرى ، أبى بكر محمد بن داود (ت ٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م) إلى ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ - ١٠٦٤ م) ، إلى ابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ - ١٣٥١ م) السلفى . ولقد نفذ العنصر الأفلاطونى في كتاب ابن داود المسمى بـ « الزهرة » وهو عبارة عن مختارات من الآثار الأدبية الرفيعة من شعر ونثر ، مجمدة للحب العذرى ، وطاقحة بمعانى الجوى ، والوجد ، والهوى ، والبث ، والشكوى ، والحرقة ، والنوى . إذ ذكر في كتابه هذا أفلاطون ، ونقل نصا من « المائدة » Banquet لأفلاطون .

وتسرب من خلال ذلك ، الاثر الأفلاطونى إلى فيلسوف الجمال والحب ، وأديب الظاهر الأكبر ، ابن حزم الذى يبدو أنه اطلع على كتاب « الزهرة » لشيخه وإمامه ابن داود ، وأغاد منه ، ويستطيع القارئ أن يلح العنصر الأفلاطونى من خلال مطالعته لكتاب ابن حزم الرائع الموسوم بـ « طوق الحمامة » وقد ورد في ثنايا هذا الكتاب الفريد من نوعه في تاريخ الأدب الإسلامية ، نص يعود إلى كتاب « المائدة » أيضا ، قال ابن حزم : (قد اعتقد بعض أهل الفلسفة أن الله قد أعطى لكل من العقول التى خلقها شكلا كرويا ، ثم جعله قسمين ، ووضع كلا منهما في جسد) . أن ما ذهب إليه ابن حزم من أن الشبيه يجذب لشبيهه ، ويسعى إليه ، وأن النفس بما فيها من جمال تشاق ، وتتوق إلى كل ما هو جميل

وتنهو إلى الاتحاد به ، ليزكرنا بمحاورة أفلاطون « فادر » Le phèdre وبها ورد في المأدبة أيضا من المناسبة ، والمشكلة أو المشاركة ، بل يمكن القول بأن نظرية ابن حزم في الحب قد انتقلت إلى أوروبا إذ توجد أوجه من التشابه بينه وبين Guillaume d'Aquitaine IX في كتابه « العلم المرح » Gaie science . وبين الشعراء الفرنسيين المتجولين أيضا كما لاحظ نيكول المستشرق الإنجليزي ، وهنرى كوربان المستشرق الفرنسى .

أما الطائفة الثانية فهم المتصوفة الذين اعتبروا الجمال المخلوق الحسى في شتى مظاهره ، مجلى للجمال الإلهى المطلق ، وأن الحب اللواقى أو العاشق الولهان ، إنما ينتقل من الجمال المفرد المنظور ، إلى الجمال الكلى اللامرى .

وإن كان أفلاطون قد تحدث لأول مرة عن الإنسان الجميل الذى يتجلى فيه الجمال المطلق ، فإن فلسفة المتصوفة في الجمال والحب قد اكتست صبغة أفلاطونية تكاد تكون محضة ، إذ من الجميل بالذات يستمد كل جميل جماله عند أفلاطون ، وعند المتصوفة على السواء . وقد وقع أمام المتصوفة الستين نفسه ، ألا وهو الإمام الغزالى (ت ٥٠٥ هـ - ١١١١ م) تحت تأثير أفلاطون في هذا الجانب من فلسفته الصوفية ، وما حبره قلبه الساحر في كتابه الغنى بالتأملات الفلسفية والتحليلات النفسية وهو كتاب « أحياء علوم الدين » الذى احتوى على قطعة نفيسة في تحليل الجمال ، والمحبة والعشق ، أكبر دليل ، وأوضح شاهد على ما نقول . إذ طبق في ذلك كله الجدل الأفلاطونى ، تطبيقا كاملا ، وإذا كانت مراحل الجدل الأفلاطونى متمثلة في أربع درجات : الجمال الجسمانى ، فالأخلاقى ، فالمعنى ، فالمطلق ، فإنا نجد ما يناظر هذه المراحل لدى الغزالى ولدى ابن الدباغ .

لا نريد أن نتحدث عن جميع المتصوفة ، وإنما قصدنا الحديث عن أحد الأفلاطونيين المغاربة من المتصوفة ، ألا وهو ابن الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الانصارى القيروانى (ت ٦٩٦ هـ - ١٢٩٦ م) صاحب كتاب

« مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار

الغيوب » الذى حققه المستشرق الكبير ه . ريتزر حينما عثر عليه ضمن مجموعة من الرسائل فى مكتبة ولى الدين فى استانبول يرجع تاريخ نسخها الى ١٧ ذى القعدة سنة ٨٠٦ هـ وهى تقع من ورقة ١ - ٣٩ من المجموعة المذكورة وقد وصلنا من آثار هذا الصوفى أيضا كتاب فى تاريخ القيروان يسمى « معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان » وهو الذى أضاف إليه القاسم بن عيسى الناجى (ت ٨٣٧ هـ - ١٤٣٤ م) تعليقاته المعروفة .

ان « مشارق أنوار القلوب ، ومفاتيح أسرار الغيوب » رسالة موجزة فى تحليل المحبة والجمال ، تحليلاً عليه مسحة أفلاطونية واضحة لا تدع مجالاً للشك ، كما يبدو فيها أثر الفزالى ، والحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩ هـ / ٩٢٢) الغنوصى الإسماعلى ، الذى ذكره ابن الدباغ فى رسالته غير ما مرة ، ونقل عنه تعريفه للمحبة وقطعها شعيرة عديدة وترجم عليه .

ان معنى الجمال مرتبط فى تصور ابن الدباغ بمعنى الكمال ، لان معنى الكمال هو سر الجمال ، والكمال هو : « حضور جميع الصفات المحمودة للشيء » غير انه ينقسم الى كمال ظاهر ، وكمال باطن ، فالظاهر يتبدى فى المحسوسات المشاهدة بإجتماع محاسن صفاتها ، وهو يختلف باختلاف الأشياء ، فكمال عالم النبات غير كمال عالم الحيوان ، وكمال الآخر غير كمال عالم الإنسان أى ان « كمال كل شيء بحسب ما يليق به » وقد أوضح لنا أوجها من الكمال الظاهر فى ثلثي الموجودات الحسية فقال : « فكمال صورة الإنسان الظاهرة فى تناسب أعضائها واعتدال مزاجها ، وامتزاج البياض والحمرة فى لونها ورقة بشرتها وكمال الغرس فى قبوله لما يراد منه ، من الكر والفر ، وحسن تاديبه لى يتم المقصود منه ، وكمال النبات ، غضارته ونضارته ، وبدائع أزهاره ، واختلاف ألوان أنواره » ولم ينس ان ينتبه أيضا الى كمال

الصوت وموسيقاه ، فبين لنا ان « كمال الصوت فى رخامته وعذوبته »

وهذه الكمالات الظاهرة الحسية هى مجلى الجمال ، ومظهره ، وبه تعلق النفس بالطبع ، وتميل بالفريزة ، وتنجذب بالمشاكلة أو المشاركة .

أما الكمال الباطن فهو كمال أخلاقى فى حقيقته ، وحاول ابن الدباغ ان يعرفه بقوله : « اجتماع الصفات الفاضلة فى الإنسان على اعتدالها ، وتطبعه بها » وحصر الصفات الأخلاقية فى أمهات أربع ، ألا وهى الحكمة والشفقة والتشجاعة والعدالة ، وكمال هذه الصفات هو اعتدالها ، وكمال الإنسان أن تجتمع فيه معتدلة ، غير أنه فسر الاعتدال هنا تفسيراً إسلامياً فقال : « واعتدالها بكونها تجرى على قوانين الشرع المؤيد لقضايا العقل » ولم يمر صاحبنا دون ان يوفق بين الحقيقة الشرعية والحقيقة العقلية فى ثنايا كلامه على حقيقة الحقائق كلها وهذه النزعة فى بيان الفضائل الخلقية نزعة أفلاطونية بدون أدنى شك ، وبها قال الفزالى فى كتابه « ميزان العمل » وغيره من الفلاسفة الإسلاميين ، وهى النزلية التى انتقدها أبو بكر بن العربى (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٩) نقداً لا ذعاً ، ثم جاء من بعده ابن تيمية (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧) فبين أنها يونانية . وان الفزالى لم يزد على أن جاء يميزان يونانى ، والبسه لباساً إسلامياً مكشوراً ، كما فعل بالمنطق اليونانى حيث عبر عنه بمصطلحات عربية إسلامية وزعم أنه استمده من موازين القرآن . وأكبر دليل على ذلك كتابه « القسطاس المستقيم » . وجلة القول ان الكمال الباطنى أو الصفات الخلقية النفسية ، ترجع فى النهاية الى كمال العلم بهذه الأخلاق ، والى كمال القدرة على استخدامها ، والإتساف بها .

يبنى الدباغ معنى الجمال على معنى الكمال ، فيقسم الجمال الى قسمين : جمال مطلق وجمال مقيد ، ويوجد هذا التقسيم عند ابن الفارض ، فى شعره الصوفى ، وفى شعر غيره

كمال الشكل ، وتنام الهيئة » ويتمثل
الجمال الباطن في المعرفة الربانية التي تؤدي
الى المحبة الحقيقية ، انه ما تشرق به الانوار
الالهية على العقول ، وهذا الوجه من الجمال
لا يدرك بالحواس ، وانما يدرك بالعقل الصافي
فهو جمال يتجلى في القلب المصقول ، المظهر ،
البريء ، ولا يمكن انكار الجمال المعقول ،
كما لا يمكن انكار الجمال المحسوس « ومن انكر
الذات العقلية فقد عدم البصيرة الباطنية كما
ان من انكر جمال الصور الحسية فقد عدم
البصر » وقد عبر ابن الدباغ عن صور
الجمال بتعابير أخرى ، وباصطلاحات مغايرة
فالجمال الجزئي سماه « عالم حسن الصورة »
والجمال المجرد عن عوارض الاجسام عبر عنه
« بعالم صورة الحسن » وعبر عن الجمال
المطلق بمصطلح آخر هو « الجمال القدسي »
هو الجمال الذي لا يستحقه الا واجب
الوجود . وبحسب اقسام الجمال انقسم
الناس في ادراكه ، وبذلك ربط بين المعرفة
والجمال ، وبين الاخلاق والخير ، فقسم الناس
الى عوام ، وهم المرتبطون بالجمال الحسى ،
وخصوص وهم الذين ادركوا الجمال الحقيقى ،
ووصلوا الى الله ، وبين ذلك ، من ادركوا
الجمال الظاهر ، المبدى في سائر الموجودات ،
ولم يقتصروا على جمال موجود دون موجود ،
وهو الذين ادركوا الجمال الكلى ، ولكن ينبغى
ان نلاحظ ان ادراك الجمال الحقيقى المطلق
ليس مكتسباً للانسان ، ولذلك قال ابن الدباغ :
« وهذا عسير جدا لانه ليس من كسب الانسان
اذ النفس لا تدرك بمجرد ذاتها شيئاً حتى
يمدها الحق بنوره » ان الله هو الذى يهب
المعرفة والوجود ، كما ان مثل افلاطون مبداً
للمعرفة والوجود معا ونرى هنا وجه التشابه
الواضح بين ابن الدباغ وافلوطين ايضا ، وذلك
في قول ابن الدباغ : « وانما مثلها (النفس) في
ذلك مثل العين التى هى آلة الابصار لا يمكنها
الابصار حتى يتصل بها الروح الحيوانى
المستعد من القلب ، ثم لا تتبين لها الاشياء حتى
يشرق على تلك الاشياء نور الشمس ، فتظهر
في نفسها فيدركها اذ ذاك البصر ، كذلك النفس
لا تدرك الامور الروحانية حتى يمددها العالم

من المتصوفين ، فالجمال المطلق هو الجمال
الالهى ، واما الجمال المقيد فهو : « نور قدسى
فائض من جمال الحضرة الالهية ، سرى في
سائر الموجودات علوا وسفلا ، باطنا
وظاهرا . » وهذا الفيض يذكرنا بفيض
افلوطين ، اذ ان هذا الجمال المقيد قد سرى في
اوصال جميع الموجودات عن طريق الاشراق او
الفيض وصرح بذلك ابن الدباغ فقال : « فاول
اشراق على عالم الملكوت ثم على عالم الجبروت
وهو عالم النفوس الانسانية ، ثم على النفوس
الحيوانية ، ثم النباتية ، ثم على سائر اجسام
العالم السفلى على اختلاف انواعها ، وتباين
اجناسها ، فما من ذرة من العالم الا وقد اشرق
عليها من هذا النور الالهى ، والجمال القدسى
بقدر احتمالها » ولكن هذا الجمال المقيد
ينقسم عنده بدوره الى كلى وجزئى ، فالكلى
هو ما فاض ، واشرق على سائر الموجودات
كما سبق ان اشرنا ، اما الجزئى فهو « نور
هلوى يسبح للنفس الانسانية ، عند ادراك
الصورة الجميلة الحاصلة في لوح الخيال .
المنتقش بقلم الحس البصرى . » فهو
جزئى بسبب انه متعلق بصورة جميلة واحدة ،
مدركة عن طريق الحس .

ومن جهة أخرى فانه قسم الجمال المقيد الى
ظاهر وباطن ، فالظاهر هو جمال الموجودات
الحسية ، والباطن هو الجمال العقلى المجرد ،
وبما ان الجمال نور ، والعقل نور ، فانه لا
يدرك النور الا النور ، فالحواس لا تدرك
شيئاً من الجمال الا مع اشكال الاجسام
واوضاعها ، ولذلك فانه لا تدرك الا مظهر
الجمال .

اما ذات الجمال فانه ممتعة عنها ، ولكن
الحواس حين تؤدي ما ادركته الى الخيال ،
فان النفس تدرك من ذلك روح الجمال مجردا
عن اوضاعه ، وعلائقه ، واشكاله ، ولا يدرك
الجمال الحسى الا في صورة اجسام في غاية
الكمال ، فاذا ما وجد لها كمالها وجد الجمال ،
وان عدم عدم . وانتهى ابن الدباغ الى
تعريف للجمال الظاهر فقال : « هو المعنى
اللائح على الهياكل الانسانية التى في غاية

العلوى ولا تظهر لها الحقائق حتى يشرق عليها نور الحق القدسي الواجب لذاته، وهذا امر لا يتوصل اليه الا بالتأييد الالهي » ، ولكن يختلف ابن الدباغ عن افلاطون اليوناني الوثني في انه يعتبر الجمال صفة من صفات الله ، ويبدو انه يرد على افلاطون حين قال : « واما من احب الجمال واعتقد انه غاية الطلب ، وان لا شيء فوقه اكمل منه ، ولا اشرف ، وجدد رب الجمال الذي الجمال خلق من خلقه — كما يحكي عن طائفة من الكفار — فهذا كافر بالله عابد وثن » فطائفة لكفار عنده يبدو انها افلاطون واتباعه ممن جعل من الجمال موجودا من موجودات عالم المعنويات ، ومثالا من المثل قائما بنفسه وهو ما انتهى اليه النظر الفلسفي المحض ، فلم يؤله هذا المتصوف المسلم الجمال ولم يجعله ربا من الارباب ، والها من الالهة كما فعلت اساطير اليونان ، ويمكن ان يهيمه ان يقارن بين الاداب ان يلجم من هذا النص ان المسلمين امكن لهم الاطلاع على اساطير اليونان ولكنهم لم يأخذوا بها لتنافيها مع التوحيد الاسلامي .

فرق ابن الدباغ بين مصطلحات ثلاثة من اهم المصطلحات الجمالية عنده ، وهي الجمال ، والجلال ، والكمال ، وذلك انه اذا تجلى المحبوب بصفات الرحمة ، والعطف والاحسان ، مما يدعو للانبيساط ، والانس ، فذلك هو الجمال . واذا تجلى بصفات العز ، والقهر ، والعظمية ، مما من شأنه ان يجعل المحب يشعر بالدهشة والذهول ، والضعف حتى تكاد تطمس معالم ذاته ، وتذوب انيته فان ذلك هو الجلال ، اما اذا تجلى له بصفاته الواجبة له من العلم ، والارادة ، والانفراد بالخلق ، والغنى المطلق ، فان ذلك هو معنى الكمال .

ومن المعاني الافلاطونية التي اخذ بها ابن الدباغ القيرواني معنى المناسبة ، او المشاركة اذ قال : « وبقدر هذه المناسبة يكون عشق احدي النفسين للآخرى ، اذ تتصور نفس العاشق انها هي المحبوب ، وان ادراكها لمحبوبها هو نفس ادراكها لذاتها ، وهذا معنى الاتحاد » واخذ بنظريه المثل ايضا ، رغم نقد المشائين الاسلاميين لها ، تبعا لشيخهم

ارسطو ، كما فعل ابن سينا (ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٧) في « الشفاء » قال ابن الدباغ : « واعلم ان اصل التآلف ، التعارف الازلي في عالم الغيب ، فمن تحققت نسبتته هنالك ، ظهرت هنا ، اذ العالم الاسفل ظل للعالم الاعلى ، وهذه الاشباح امثلة لتلك الارواح ، فما من صورة في عالم الشهادة ، الا وهي مثال لذات روحانية ، من عالم الغيب ، فاذا تحركت تلك الحقيقة هنالك ، لزم ان يتحرك مثالها هنا ، كما ان الظل تابع للشخص في حركته وسكونه ، فالتعارف هنا ثمرة ما هنالك .

بيني وبينك ذمة مرعية . :

بدأت هناك وأخراها هنا »

ان الجمال يؤدي الى التآلف ، والى الحب والعشق ، لان الحب متوقف على المعرفة ، معرفة الجمال والكمال ، ان العشق عند ابن الدباغ عنصر كوني يحكم الكون كله ، حتى عالم الجهاد ، « حتى نجد هذا التعاشق بين الجادات ، مثل الحديد يجذب للمغناطيس ، وعيون الافاعي تنسلب لحجر الزمرد ، والتبر يجذب للقهر ، والزئبق لبرادة الذهب »

وهذا اللون من العشق ، نجده لدى المشائين ، لان عالم المادة يتحرك شوقا الى عالم الصورة المحضة ، والعقل المحض ، وهو الله عند ارسطو ، ولابن سينا رسالة في العشق ، كما ان ابن الدباغ اشار الى اقوال بعض الحكماء القدماء ونقل نصا من مادبة افلاطون ، وهو الذي سبق ان اشار اليه ابن داود الظاهري ، وابن حزم قال ابن الدباغ : « ان النفوس خلقت شبه دوائر ، وقسمت كل دائرة منها بين شخصين ، فكل واحد في العالم يطلب الشخص الذي به تكمل دائرة نفسه » ونجد في كتابه ايضا ما يشبه ما ورد في محاوراة « فيدر » لافلاطون « ولهذا قالوا : « الاشكال لاحقة بأشكالها » وقالوا : « القلوب تآلف من تجانس وشكل الشيء منجذب اليه » كما قيل .

الى الملا الاعلى سموت بهمتي

كذلك شان الشكل للشكل يجنح

بل نجده ينقل قولاً لافلاطون ذكر أنه قول لبعض المتقدمين وهو :

« العشق جنون الهى » .

ومن جهة أخرى فإنه ورد في كتابه نص ذو مسحة أرسطية وهو قوله : « قال بعضهم : كل جوهر في العالم العلوي والسفلي ، إما عاشق وإما معشوق » يعني : عاشق لمن فوقه ومعشوق لمن تحته ، حتى أن حركة الفلك عند هؤلاء عشقية ، فإن كل متلازمين في العالم إنما تلازما بأمر عشقي ، كان ذلك ظاهرا ، أو باطنا .

ان المتصوفين أمثال ابن الدباغ ينقدون الاتجاه الذي يقتصر على الإدراك الحسي ، والإدراك الخيالي للجمال ، ذلك ان الإدراك عند ابن الدباغ ثلاث درجات : الإدراك الحسي والإدراك الخيالي ، والإدراك العقلي ، فالإدراك الحسي أخذ الصورة بحاسة البصر دون تشكل في الخيال الا بقدر زمان الرؤية ، والإدراك الخيالي هو ارتسام صورة المحبوب الذي هو الجميل في الخيال ، ارتساما ذا نوع من الثبات غير أنه لا يلبث أن ينصرم ، ويفنى أو يختفى ، وإما الإدراك العقلي فهو انتقال صورة المحبوب الى ذات النفس ، مجردة عن العوارض لذلك أخذ ابن الدباغ في نقد الادباء الحسنيين ، الذين حبسوا أنفسهم في عالم صور الاجسام واشكالها ، وفتنوا بتناسب هياتها ، وبجمال المرثيات ورونتها وبدائعها ، فهم عنده عوام المحبين ، قال : « فلذلك نجد أرباب هذه المحبة قد أغفوا أعمارهم في ندب الربوع الدارسة ، والبكاء على الاطلال الطامسة ، والحنين الى عرصات الديار ، والتلهف على الكتبان ، والاحجار ، شوقا الى ربات الحجال ، ووجدا على ذات الخال والخلخال ، فقلوبهم بنار الوجد على المغاني محترقة ، ودموعهم ، أثر الظاعنين مستبقة ، يتزايد وجدهم عند رؤية الهوادج تحملها الجمال ، ويتجدد غرامهم لمعاينة الآثار بين احجار ورمال ، كل هذا من غلبة الوهم والخيال ، فإن الوهم يخيل لهم ان عين الجمال المطلوب هو حسن الهيئة الحالة في الاجسام ، ليس وراء ذلك شيء ، فاستحوذ هذا الوهم عليهم حتى عشقوها ، وانلفوا نفائس نفوسهم

فيها ، فأعياهم عشقهم عما وراءها من الجمال الحقيقي ، المتجلى عليها ، الذي هو رسول عالم القدس الى النفوس الزكية . »

ولعل الشعراء الذين طردهم افلاطون من جمهوريته كانوا على شاكلة هؤلاء الشعراء ، الذين نقدهم صاحبنا ابن الدباغ ، لانهم تعلقوا بالخيال ، وتمسكوا بالظلال ، والاهوام ، ولم يستطع الجواد الذي قاد عربتهم من أن ينال جمال الحقيقة الابدية الثابتة ، الذي لا تدرس معالمه ، ولا يفيض مأوه على مر الزمن .

وإذا كان لنا أن نربط مفهوم الجمال عند المتصوفة بمفهومه عند المعاصرين فإننا نجد أن ابن الدباغ يذهب الى أن الجمال ليست له صلة بالنفع بل هو أمر زائد على النفع ، يتمثل في الانس به ، وفي الاستمتاع أو اللذة الروحية قال ابن الدباغ : « ولهذا نانس بالحيوان ، ونلذ بأصوات الطيور الرخيمة ، وتستحسن أجياد الظبا ، والحظا لها ، أكثر من عيون النوار ، وأغصان الأشجار ، ولذلك نجد كثيرا من الناس يحب شيات الخيل ، وتناسب أعضائها ، وهو زائد على المنفعة المرادة منها » بل يذكر لنا أن طائفة من الأمم القديمة عشقوا بعض الحيوانات لجمالها فعبدها ، واتخذوها آلهة « ولهذا نجد طائفة من الأمم من شدة افراط عشقهم لجمال الحيوان البهيمة عبده ، كما يحكى ذلك عن طائفة من الكفار من جهال الأمم ، اذ لم يكن لهم نظر الى صانعها الذي وهبها ذلك الجمال . » بل ان جماعة أخرى عبدت النار وهم المجوس ، وآخرون أحبوا الحجارة وعبدها وهم الهنود ومن تابعهم على ذلك من الروم والعرب ، وعبد بعض الاعراب الشجر ، ومعنى ذلك ان البدائيين هم الذين يتعلقون بالجمال النافع ويعبدونه ، أما من ترقى ادراكه فإنه لا يتعلق الا بالجمال ، من حيث هو جمال .

عمار الطالبي

أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر

محمد العربي ولد خليفة

ملاحظات



نحو تعريف

الفكر الذاتي

- ١ -

على الرغم من غيوم اليأس والشك التي لفت سماءنا غداة الخامس من جوان ١٩٦٧ وفي زحمة الاعترافات وما تلاها من مرائي «وعكاظيات» يلاحظ المترصّد للواقع العربي الراهن خيطا رقيقا من الأمل يلوح في الأفق البعيد... انه مطالع الفكر الذاتي الذي يؤذن بأنبلج ليلنا عن صبح جديد وينبئ بأننا على وشك الخلاص من متاهة الخيبة والضياع التي هوم تفكيرنا التقليدي في مسارها طويلا فما هو يا ترى هذا الفكر الذاتي الذي سوف يصلق أنيتنا ويوقد جذوة الاصالّة فيها ؟

لقد عودنا المنطق التقليدي قبل الشروع في تناول موضوع أن نبادر الى تعريفه وتحديد ماهيته وتصنيفه الى ضرب ثنائيه تتقابل بالتضاد وهى سنة « مدرسية » شغف بها العقل منذ امد طويل ولم يثبذ عن هذه القاعدة حتى المحدثون وبعض المعاصرين فنحن لا نكاد نفتح كتابا أو نطالع بحثا في موضوع ذى صلة بشؤون الفكر وشجونه حتى يواجهنا في الصدارة تعريف جامع مانع يسطر الحدود ويشعر البنود . غير أننا لن نسارع الى صياغة تعريف يحدد المقصود بالفكر الذاتى بقدر ما نعى بتعرف مواقفه وتتبع مسيرته وتحسس بواكيره ، ولعل مما يسوغ ذلك ان حد الشيء يكون تاليا لمعرفته والالام بأطرافه وضبط مجال انتشاره .

واذا تفاضنا الآن عن المشاكل التى يواجهها مثل هذا البحث على المستوى النظرى وارتأينا مع ك . ليفين بأن النظرية الصائبة هى خير ما يمكن التقدم به الى الحياة العملية وأن العلم ليس أكثر من فعل صناعة العلم » أقول اذا تفاضنا عن ذلك لاحظنا أن السمة الاساسية التى تستثنى الانسان من عالمى الاله الصماء والحيوانات العجماء ، هى الشعور بالذاتية أو التفرد فان الانسان كما يقول اريك فروم هو الحيوان الوحيد الذى يستطيع أن يقول انا والذى يستطيع أن يكون مدركا لنفسه باعتبارها وحدة مستقلة فالحيوان جزء من الطبيعة وداخل فيها وليس له وعى بنفسه وليست به حاجة الى الاحساس بذاتيته أما الانسان فلانه ينفصل عن الطبيعة ولانه يتمتع بالعقل والخيال فهو بحاجة الى تكوين فكرة عن نفسه وبحاجة الى أن يحس بذاتيته .

وادراك المرء لانتيته لا يتم بالطفرة أو القفزة الفجائية بل هو يمر بمراحل يكون — الانا — فى أولها مندمجا فى النحن غير متميز عنه فلا يتبين الرضيع حدود جسمه والفواصل القائمة بينه وبين ما حوله من أشياء ثم تعقبها مباشرة مرحلة ثانية تتحدد فيها معالم الانا وتصبح الذات وسيلة وغاية فى آن واحد فكل شئ يدرك من خلالها ويتجه فى النهاية

اليها . الا أن انتفاء الذات مثل التركز حولها لا يحل المشكلة بل يضعها فى صورة أخرى ، فلا بد إذن من العودة مرة ثانية الى النحن . ويبدو ، كم وكيف المسافة التى ينبغي أن يقطعها الانا فى اتجاه النحن وكأنها محور الاهتمام وقطب النزاع فى الفلسفة ومختلف العلوم الاجتماعية .

وبدون أن نوغل فى فحص اشكال هذا النزاع ومضامينه التى افتتحها سقراط بمقولته المشهورة « أعرف نفسك » فان الفكر الفلسفى ما فتئ منذ ذلك الحين يتردد فى التوفيق بين طرفى المشكلة يغريه القالب المثالى الواحد والصورة الثابتة فوق كل تغير ويقلقه النوع والتفرد الذى تكشف عنه منابع الحياة وتكسوه برونى الجدة والثراء . فلا رضى هذا الفكر بالوجود المجرد فى الأذهان ولا هو قنع بالوجود الشخصى فى الاعيان وقد بقيت المشكلة معلقة طوال العصور الوسطى المسيحية فكان السؤال الذى يتردد هو : من نحن ؟ وعند الاجابة يدخل الفرد نفسه فى اطار الطبقة التى ينتمى اليها أو الدور الذى يؤديه فى نطاق نظام اجتماعى سرمدى ، وهى كما يظهر نظرة سكونية (سنتاجيك) تهيم بالمطلق والثابت وراء العارض والجائر ، فالانسان اكرم المخلوقات وسيدها بيده زمام الكون الذى استخلف عليه ودنياه فى يد ملك قويم وأخراه فى حصن الكنيسة الحصين والسبيل الوحيد لنجاحه اليوم وخلاصة غذا هو أن يسلم أمره الى سيد يسوسه وينسلخ عن أنيته لتحقيق غاية أعظم هى الخير الاسمى والحقيقة الثابتة .

غير أن هذه النظرة السكونية ومحاولة الالتحام بالنحن تبدو فى تاريخها أسبق من ظهور المجتمع الإقطاعى ، فان الانثر وبولوجيين يشيرون الى هذه النزعة عند البدائيين الذين يعرفون أنفسهم بالانتماء الى قبيلة أو بالولاء الى أحد بطونها أو بالاندماج فى فئة من فئات السن فيها وكل خروج عن ذلك يستتبع اللعنة والنبد ويستحق مقترفه العقاب .



رسل

ولم يكن عجباً والحالة هذه أن يستيقظ الفكر الحديث على صيحة لم يالفها من قبل قلب النسق التقليدي رأساً على عقب ويصبح الانا فيها مفتاح الظلمة وجسر الأمان الى الحقيقة ، تلك الصيحة هي المقولة الديكارتية التي رجمت شيطان الشك وفاضت باليقينات من مجرد الوعي بالانية والعودة الى تأمل باطن الذات .

غير أن الانقلاب الديكارتي على الواقعية الارسطية السانحة لم يلبث أن أذعن الى تصويرة اعتقادية تسير في خط مواز لفلسفات الماهية أو النحن ويمكن تعليل هذه الردة بجملة أسباب :

١ - أن التصور الديكارتي للانية لم يكن إلا تعبيراً منظماً عن المزاج الفكري السائد في عصره عندما بدأت البرجوازية الأوروبية تقتحم الميدان وتحل بمبناها اليسر والثروة وتحمل بشمالها الكفاءة ولم تكن بحاجة الى حذف التصور القديم للانية بقدر ما هي في حاجة الى تعديله لتفصح لنفسها مكاناً بين صفوف الارستوقراطية المتراجعة على أعقابها فقد اخذ نجم « الدم الأزرق » في الانحلال . وقد غسر « كارل مانهيلم » هذه الظاهرة في مؤلفه الذائع الصيت - الانسان والمجتمع - فهو يقول ما مؤداه : اذا استرجعنا الاشكال الجوهرية لانتخاب الصفوات التي ظهرت على مسرح التاريخ الى الوقت الحاضر أمكننا أن نميز ثلاثة مبادئ الانتخاب على أساس الدم والثروة والكفاءة فكان المجتمع الارستوقراطي يختار صفواته

طبقاً لبدا الدم أولاً وبالتدريج اضاف المجتمع البرجوازي الى ذلك مبدأ الثروة الذي ثبت أيضاً بالنسبة للصفوة المفكرة فقد كان التعليم ميسراً لابناء الاغنياء وحدهم ، حقاً ان مبدأ الكفاءة قد افترن أحياناً بالمبدئين السابقين في عصور سابقة الا أنه اليوم يوشك أن يصبح معيار النجاح الاجتماعي في الديمقراطية الحديثة .

وبذلك تكون عند ديكارت تلويها خادعاً لنفس الصورة التقليدية إذ لم تكن في الواقع سوى منفذا مفتعلاً وحلاً مؤقتاً يعيد الذات الى غياب مقمها القديم .

وكانى به يقول في النهاية على لسان سلفه الصالح افلاطون الحيد لله الذي جعلنى انساناً لا حيواناً واغريقيا لا متوحشاً وسيدا لا عبداً ... !

٢ - يتضمن الانا عند ديكارت بعددين فحسب هما الذات والفكر فهو كلما شك أدرك أنه يفكر ولا ريب أن الذي يفكر هو حتماً ذات موجودة غير أن هذا الكشف لا يعطى للذات صفة التفرد الخلاق الا اذا أضفنا اليه بعداً ثالثاً هو العمق أو الشعور إذ أن الاختصار على التصور الثنائي الديكارتي يجعل الانسان كائناً وسطاً بين الآلات والعجماوات يشبه الاولى عند تلقيه المثيرات ويقترب من الثانية عند الاستجابة لها .

ان حذف الحد الاوسط أو العمق يلقي بنا في غمار النزعة الميكانيكية الفجة التي طاب لها أن ترى في الانية مجرد تلقى وارجاع آلية حقا ان المعرفة امتداد للحياة عبر الزمان والمكان امتداد يكتب لونه ومذاقه من التنظيم الحيوى الذى يعطيه وهو الذى يسبغ عليه تلك الشحنة الذاتية التي تسميها الخلق والابداع ولذلك ينبغى القول مع بياجيه ان الذات والفكر لا يستوفيان وحدهما أبعاد المنظومة الانية الا اذا توسطهما العمق وبذلك يضاف الى الصورة الثنائية للمثير والاستجابة بعداً ثالثاً هو التمثيل بالشكل التالي :

مثير تمثيل - استجابة او (ر - ا - س)

وإذا كان ديكرت قد قرع باب الانية دون أن يلجّه فان مفكرا آخر قريب العهد به قد أحس أكثر بوطأة المشكلة فاضطرت له لوقفه أطول انه فيلسوف المانيا جوهان جوتليب فيشته (١٧٦٢ - ١٨١٤) الذى سجل موقفه فى مؤلفه غاية الانسان (١٨٠٠) الذى صاح فيه بذاته قائلا : **تكلمى ايتها الروح العجيبة فمهما كنت سائنست أسألى وسأجيبك** وكان الجواب ذا حدين اولهما يركز الانا ويعطيه القوة الباطنية وثانيهما ينتشل - الانا - من التمرکز ويوجهه نحو المحيط بدون أن يخرج عنه أو بمعنى أوضح ان الانا يكافح سلبيته بالارادة وعندئذ تتحد الشحنة النفسية أو التجربة المباشرة للذات بصفاتها المنطقية . فيجيب فيشته عن سؤال تطرحه عليه الروح مؤداه : كيف وعن طريق أى شىء تعرف أنك متأثر ؟ قائلا : « والانا هو الذى يجيب » يصعب على أن أجد تعبيرات استعين بها فى اجابتي لان وعيى باعتبار أنه ذاتى وباعتبار أنه تعين للانا فى حدود كونى كائنا عاقلا على العموم يقع مباشرة على هذا التأثير كما لو كان يقع على شىء يعيه أصلا ويتحد به بطريقة لا تقبل النقص والحقيقة أنه لا يحدث فى الوعي بصفة عامة الا اذا وصل الى هذا التأثير ومعرفتى لهذا مهائلة لمعرفتى للانا .

لقد تصور فيشته الانية على أنها احتكاك بين الانا واللاتا يحدث جزء منه فى الباطن لكن أثره لا يرى الا فى الاطراف وهو بذلك قد « ابتلع » اناه وسار بطريقته الخاصة فى ركب الديكارتية وغمرته الكانطية ، فأخذت بلبه النزعة التوفيقية فى الفلسفة النقدية ، فسجد فى محرابها ولم يجد بدا من اعطاء الانا دور التركيب القبلى لكل ما يدرك فى نطاق الزمان والمكان غير أنه لم يال جهدا فى اطلاق العنان للذات لتعطى أكثر مما تأخذ وتبذل أكثر مما تتلقى وإعل هذا ما جعله ينكر على معاصره العملاق عما نويل كانط تصوره للواجب على انه تقبل الامر الواقع والسير فى ركابه اذ ليس فى الامكان أحسن مما كان ، فلا يكون الانا عند فيشته حقيقيا الا اذا كان فعلا مناضلا ، كما أوضح

ذلك فى خطبه النارية الى الشعب الالماني . وعلى أى حال كان لا بد من مضى زهاء قرن بطوف فيه الفكر بهذه المشكلة ويتصورها فى أوضاع مختلفة لا تخرج فى مجموعها عن حلقة مفرغة يتجه الفكر نحو الانا بقدر ما يتراجع عنه فكان أشبه براكب الأرجوحة يندفع الى الامام بقدر ما يتقهقر الى الوراء ولا يمكن تفسير هذه الظاهرة خارج التنظيم الاجتماعى الذى ساد فى أوروبا منذ القرن السابع عشر حتى مستهل القرن العشرين الذى دار فيه صراع مرير لا هوادة فيه بين مبادئ الدم والثروة والكفاءة بين الارستوقراطية والبرجوازية « والقطيع » بين الفردية والتفرد والتجانس والفجوات الكامنة بينها .

وتد حدد **هارولد لاسكى** معالم هذا الصراع فى حديثه عن نشأته التحررية الأوروبية : ان البرجوازية التى أخذت معها وهى تتقدم افكارا ومبادئ لم تكن تقصد تشجيعها انها فى حاجة الى دولة زمنية متسامحة ولكى تصل الى هذا النوع من الدولة كان عليها أن تهدم بناء الوحدة اللاهوتية الذى كانت تقوم عليه . والذى انبعث من زواله البطيئ الدولة العلمانية ولكى يحقق البرجوازيون هذه الازالة كان عليهم أن يقبلوا فلسفة جديدة تقضى فى النهاية على المبادئ الدينية التى يعتنقونها والتناقض بين (باكستر) و (هوبز) وبين (ديكرت) و (بوسويه) حاسم فى هذا المجال . ان البورتينانى والكاثوليكي يتلفهان مثل رجل العصور الوسطى لوضع حدود لبحت العقل ولامبراطورية الاشياء الارضية ان كلا منهما يدرك نصف ادراك انهما يقومان بمهمة مستحيلة غالفيلسوف الكاثوليكي والإنكليزى المؤمن بالله دون الوحي قد يقبلان الواجب التقليدى لزمتهما ، وقد يكونان حذرين أو حتى خائفين فى طريقة تعبيرهما ولكن كلا منهما خلف واجهة نصف تقليدية مفتون فى الواقع بالشعور بامبراطورية لا حد لها للعقل تصنع من الفرد سيدا لهذا العالم ، بالبحث لا بالوحي وببحث النفس لا بالايمان . وكان

فيلسوف العصر لا يقتل عن رجل الاعمال
أدراكا للقوة التي يمكن أن يصل إليها وهو
يعرف أيضا أن شرط الوصول إليها هو أن
يترك شأنه أن الفردية الاقتصادية لاحدهما
تناظر الفردية العقلية للآخر .

وفي ظل هذا الوضع بلغ التفاؤل أقصى مداه
ورسيت مختلف الفلسفات بما غنمته في هذه
الجولة التي أصبحت فيها المعرفة خادما
للثروة والثروة حامية للذات وبذلك قدم التفرد
قربانا على مذهب الفردية .

وما إن لاحظت تبشير هذا القرن حتى أتضح
أن هذه النزعة قد ظلت سواء السبيل وإن
ألمها لم يكن أكثر من وهم باطل يحمل في طياته
الخيبة والضياع وكان عليها أن تختار أحد
اتجاهين فهي إما أن تضرب عن الفردية صفحا
وتولى وجهها شطر طريق آخر وإما أن تغرق
فيها وتتعلق بأهدابها طلبا للانية وهو ما
حاولته الوجودية بمختلف اتجاهاتها التي
رفضت علم النفس التقليدي الذي يضحى
بالفرد في سبيل النوع ويتلف لمياعة قوانين
عامة تدوب فيها الذاتية وتلاشى الانية
ولتحقيق ذلك لا بد من الإنكباب على الشخص
والفردى في أنفسنا أي أن تبدأ بالفيتومونولوجي
فيها فنصف الوقائع الوجدانية التي تكايدوها
الذات والخلجات الباطنية التي لا تنالها
مناهج علم النفس ووسائله العتيقة يقول
— لويس لوفيل — في تقرير هذا المبدأ الذي
يتفحص الانية من الداخل ما مؤاده : أن

الفلسفة لا ت اخترع شيئا وهي في كل واحد منا
ذلك الوعي بالوجود وبالحياة هي ذلك المجهود
الفكري الذي نحاول به أن نصل في أعماقنا
إلى منبع وجود يبدو أنه فرض علينا فرضا
دون أن نستشعر فيه والذي نقبل رغم ذلك
أن نتحمل أعباءه ، أن هذا الوجود الذي قد
يعرف كل آلام الوحدة والعزلة هو في حاجة
إلى العالم كله لكي يستند إليه ويدعم به أنه
في علاقة مع كثير من الموجودات الأخرى هي
علاقة تبادل لا ينقطع من الذات والجروح
تحاول أن تقبض على ناحية الواقع من الداخل
بواسطة عمل من أفعال المشاركة الوجدانية
الحية بدلا من أن تعطينا عن الواقع منظرًا

خارجيا نكون نحن أنفسنا عنه غائبين .
فالانية إذن ليست أكثر من فعل يتقدم
يضمنه دوام الاختيار ويجذبه سراب الحرية
التي يشيدها ذلك الفعل بالانخراط فلا تدعن
الذات لمسلمات العقل ولا للقيم المفروضة عليها
بل عليها أن تسير في ليل حالكة وتكشف طريقها
خطوة خطوة وتتخمل في سبيل ذلك وخشعة
الوحدة ومغبة العثرات وفي نهاية المطاف لا
تجد الذات ظالتها لأن الطريق طويل يستغرق
العمر كله وقد تصادف في أحد منعرجاته الموت
فيطلبها العدم لقد جعلت هذه النزعة الانية
مطلبا يتحقق بالموت أي لكي يتحقق ينبغي أن
ينعدم ويزول فكان الإنسان هنا أشبه بدابة
علق علفها أمام أنفها فهي تشم رائحته ولكنها
لا تزال تطالبه حتى تهلك جوعا .

إن الانية الوجودية وليدة الازمة التي أناخت
على أوروبا غداة الحروب الطاحنة التي شهدت
ضراوتها وويلاتها لأول مرة فقد كانت الحروب
السابقة كما يقول سترنبرغ ما عدا الحرب
السبعينية (١٨٧٠ — ١٨٧١) قد نشبت كلها
« خارج حدود العالم الأروبي المتحضر » وكانت
الفكرة السائدة أن الحرب بين القوى الصناعية
الكبرى أمر مستحيل ومن هنا كانت الحرب
العالمية الأولى مفاجأة مؤلة للملايين من الأروبيين
واتضح للفكرين بالدرجة الأولى أنهم يعيشون
في عالم هش سريع الانهيار ولا سبيل لإصلاح
شأنه إلا بالاتفات إلى الوجود الذاتي
والمجاهدة في سبيل تحقيقه وراء القيود وعبر
السودود .

إن فكرة الخلاص المسيحية تعود مرة
أخرى وتجد أصداءها العميقة في الانية
الوجودية ولكنها في الواقع فكرة جوفاء ترمي
الإنسان في صحراء قاحلة لا مسالك فيها ولا دروب
لا يجد فيها واحة الأمان إلا بعد أن يخر صريعا
وتحرقه الرمضاء .

ولعل هذا الطريق المظلم المسدود هو الذي
جعل راسل في حديثه عن المجتمع القادم يرسم
صورة أخرى فيها ومضة أمل تخترق سحابة
اليأس وشعاع يتلوى خلف حجب الحيرة
فالعالم الذي نعيش فيه في رايه — عالم تبرز
إمكانياته أكبر الآمال وأبشع المخاوف بدرجة

الافكار او يحد من وظيفتها اذ ان اعتبار الافكار حقائق مجردة ومعلقة مستقلة عن معطيات الزمان والمكان قد يؤدي بنا الى مخاطرة تعيدنا مرة اخرى الى المفهوم السكوني وتجعل الفكر أشبه بشجرة برزت عروقها من الثرى فأنقطع عنها الغذاء وحرمت اسباب الحياة والنماء .

لقد أسالت هذه القضية الكثير من المداد وتفاعرت في معمعتها الأقلام وبلست هذه الجولة الخاطفة أكثر من قفز حثيث بين القيم والان يمكن أن نستعيد السؤال الذي صدرنا به هذا الحديث ولكي نتمكن من الإجابة لا بد أن نتفحص على ضوء ما سبق محتويات الواجهة التي طالما عرضها فكرنا التقليدي لنتبين ما تعج به خليفتها من وهج الاصالـة أو بهرج التبعية والاستلاب لقد أتى على هذا الفكر حين من الدهر استمد فيه حقائقه من ملام آخر غريب من ذاتيته يكن له في أعبائه حيننا ممزوجا بالرهبة والاستسلام . فإذا نطق جاك برك فذلك هو الحق المبين وإذا صرح سارتر أو كتب ماركوز فذلك هو القول الفصل ولم يبق سوى الشرح والتأويل والتهليل والتكبير ، لقد بقى ابن خلدون نشازا في عصره مغفورا في العصور التي تلته حتى قبض الله له رجلا من الغرب وعندئذ فقط أنكب عليه القوم نهشا ومضغا فأصبح بين عشية وضحاها شيخ المؤرخين وأمام المفكرين الاجتماعيين فان كارل مينيشر وكومت ودور كايم ومن لف لفهم ليسوا أكثر من حجاب على بابهِ ألم يكن ترانسا الحضاري كله بالأمس القريب نسيا نسيا يزدرية البعض ويعتكف البعض الآخر في صومعته حتى بعثه من سباته ونفض رفوفه سدة العلم الإنشاء ! لقد غرق هذا الفكر التقليدي في التبعية الى الانذنان فالهاه الانبهار عن ذاته فاخذ يضرب في كل اتجاه ويغير الاتجاهة والمساحيق وبعد أن أعياه التوهم وجد نفسه لا هو هو ، ولا هو غيره .

محمد العربي ولد خليفة

استاذ علم النفس بجامعة الجزائر



متساوية والاحساس بالخلاف منتشر جدا ويعمل على خلق عالم كليب غير مطمئن أما الآمال فلانها تحتاج الى خيال وشجاعة فهي أقل وضوحا في عقول معظم الرجال ، وهي تبدو خيالية لا لشيء الا لانها غير واضحة وليس هناك ما يعترض الطريق سوى نوع من الكسل العقلي فاذا تغلبنا عليه فان الجنس البشري لديه السعادة في تناول يديه .

لقد اشتبك الفكر الاوروبي مع ذاته في مواقع كثيرة خرج منها في كل مرة وهو يجزر أذيال الخيبة لقد كان يعتمد عن فهم الطبيعة الانسانية كلها امعن في الغوص فيها ، ولا يمكن فهم هذا الفشل الذي جعل عضلاته تتضخم وقلبه يضمر خارج الشروط النفسية والاجتماعية التي نما في ظلها وترعرع .

وهذا التأويل لا يخل بالموضوعية فالعقل نعمة وثقمة في آن واحد تمتد بدرجة متساوية الى العالم المادي والانساني فهو يتعامل مع جزئيات الاشياء مذلما يتعامل مع الموقف الايكولوجي بأجمعه ولكي يدخل في علاقة مع التنظيم الاجتماعي لابد ان يدخل بادنى ذي بدء في علاقة مع نفسه أي أن يعي ذاته وبالتالي فان الفكر وحدة تتعمق مع الاشياء والاشخاص والعلاقات بمنظور واحد تختلف عدساته ولا يتغير جوهره الا ان كل ذلك لا يمنعنا من القول مع — مانهايم — بأن ادراك العلاقة بين الفكر ومحيطه الاجتماعي وبؤثرته النفسية ، « لا يتقص مطلقا من قيمة الفكر او المعرفة في حد ذاتها » ولا يقلل من فاعلية

ان مبدا الاجتهاد يحث عليه الواقع الانساني
في الحياة ، وهو مبدا مقرر في الشريعة
الاسلامية السمحة .

نشأة المدارس الفقهية

في الإسلام

تنصرف كلمة (الفقه) في اللغة للدلالة
على معنيين ، يوجزهما الشريف الجرجاني في
كتاب (التعريفات) بقوله : الاول : — مطلق
الذهم ، يقال فلان ، يفقه الخير والشر ، أى
يفهمه . والثاني : — فهم غرض المتكلم من
كلامه ، وهو أخص من المعنى الاول .

ويذكر الباحثون أن كلمة (فقه) قد
ورد ذكرها في القرآن الكريم عشرين مرة ،
أما في مصادر التشريع الأخرى ، فقد ورد
ذكرها كثيرا ، وفي كل ذلك كانت الدلالة منها
تنصرف الى مصطلح أخص ، يعنى به عادة
الاحكام الدينية والاحاطة بها ، سواء ما
تعلق منها بالعبادات أو المعاملات أو السلوك
الخلقى المنسجم مع روح الإسلام .

ويتفق الباحثون في تاريخ الفقه الاسلامى
على أن الفقه بهذا المعنى نشأ من الحاجة الى
حل المشاكل التى تعترض الناس ، سواء في
حياتهم العملية أو في أمور ممارستهم لفروض
العبادة . وكانت نشأته تستند الى اعتبار

د: عبد القادر زبادية

مبدئي يتعلق بحقيقة الاسلام ، من حيث كونه دين شمول ، لا يقتصر على أمور العبادات وحدها ، وانما يتسع للمعاملات وضروب السلوك التي لا مندوحة للفرد عنها اثناء احتكاكه بالآخرين من ابناء مجتمعه او الغرباء عنه .

والنقطة التي ينطلق منها وجود الفقه الاسلامي منذ البداية ، كانت تجد مظنة لها في أن مصادر التشريع الأساسية لا يمكن أن تحتوى من التفاصيل ما يغطي كل القضايا ، وانما تحتوى منها في الغالب الأدلة العامة فقط . ومن هنا فان لفظ (الشريعة) هو أعم من لفظ (الفقه) ، والفقه ما هو الاجراء متعلق بها .

وبالنظر الى أن الفقه يتصرف مدلوله العام الى القضايا التفصيلية المتعلقة بالشريعة ، فانه كان قد وجد منذ البداية ، وفي أيام الرسول صلى الله عليه وسلم بالذات . ومع نشوء الفقه ، ظهرت الملامح الاولى لما يسمى بـ (المدارس الفقهية) في تاريخ التشريع الاسلامي ، ولا يعنى بالمدارس الفقهية الاختلاف أو التباعد بينها ، وانما يعنى بها الطرق المتبعة من قبل الفقهاء في تفريع المسائل واستخراج الاحكام لها .

ويذهب جل الباحثين في هذا الموضوع الى حصر جميع المدارس الفقهية في فئتين اثنتين ، هما :

١ - مدرسة اهل الحديث ،

٢ - مدرسة اهل الرأي .

اما مدرسة اهل الحديث ، فطريقة اصحابها في العمل ، هي أنهم يلتزمون بمنطوق النصوص الى حد كبير ، ولا يجيزون لانفسهم الاجتهاد في توسيع مدلولها الا في نطاق ضيق جدا .

واما مدرسة اهل الرأي ، فان اصحابها يلتزمون ايضا بالنصوص ، ولكنهم أكثر من غيرهم اقتناعا بفائدة التوسع في مدلول النصوص وتفريع المسائل عنها .

واذا كان الفرق دقيقا كما نرى بين طريقتي اصحاب المدرستين ، فان مما يجب ان نلاحظه في هذا الصدد ، هو أن اصحاب المدرسة

الاولى ، قد نل وجودهم مرتبطا بالحجاز أكثر وبنة الحجاز بقى نظام العيش فيها يتسم بالبساطة ، ومعظم المشاكل التي تعترض حياة الناس بها كانت قد وجدت لها الحلول المناسبة في الغالب منذ أيام الرسول صلى الله عليه وسلم . أما اصحاب الرأي ، فان مدرستهم قد ارتكز وجود رجالها غالبا في الامصار أى خارج اقليم الحجاز ، حيث ملتقى الحضارات القديمة واحتكاك الشعوب التي كانت تختلف مشاربها في الماضى .

ومن هنا ، فان البنية كما لها دور هام في طريقة كل من المدرستين ، وأن الأساس لكل منهما كان قد وجد منذ أيام التشريع الاولى ، بكل تأكيد . فعلى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان التنزيل هو المعول عليه بالدرجة الاولى . في حل المشاكل التي تعترض حياة المسلمين ، وكان المسلمون كلما أعوزهم الامر الى معرفة حكم الله في شىء ، هرعوا الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان اما أن يلبي حاجتهم في الحال ، أو يستشير أصحابه ويأخذ برأيهم ، ثم ينتظر التنزيل ، أو أنه يجتهد رايه وينتظر التنزيل .

وبما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عمل بكل هذا ، فان في علمه ذلك ، البذرة المثمرة الاولى ، لكل من تبنك المدرستين الكبيرتين في الفقه الاسلامي .

وتتمثل امامنا تلك الاسس التي اختلطها الرسول بنفسه ، في أن النصوص هي المعول عليها بالدرجة الاولى ، غير أنه في حالة وجودها بشكل شديد الاختصار مثلا ، أو عدم وجودها بالمرّة ، فان على المتفقهين في الدين أن يبذلوا جهدهم في تفريع الاحكام من النصوص بشكل تكون فيه الاسباب والعلل واضحة فيها يتعلق باستنادها الى حكم شرعى عام .

والثابت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعتمد الى تشجيع اصحابه على مثل هذا الاجتهاد ، وقد فعل ذلك في عديد من المرات ، وكان هدفه من ذلك ، أن يعودهم على حل المشاكل التي قد تبدوا أمامهم ، وما أكثرها ، على ضوء الاحكام العامة في الاسلام

ومن امثلة ذلك ، ما روى من ان الرسول صلى الله عليه وسلم حين هم بإرسال معاذ بن جبل الى اليمن ، قال له : كيف تفعل ان عرض لك قضاء ؟ قال : اقضى بما في كتاب الله . قال له : فان لم يكن في كتاب الله ؟ قال : فيسنة رسول الله . قال له : فان لم يكن في سنة رسول الله ؟ قال اجتهد رأيي ، لا آلو . ثم ذكر معاذ بعد هذا ، ان الرسول صلى الله عليه وسلم ضرب على صدره قائلا : « الحمد لله الذى وفق رسول الله ، لما يرضى رسول الله » .

وفي مناسبة اخرى ، دفع الرسول صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص ليفتى بحضرته في نزاع كان قد رفع امره الى الرسول بحضور ابن العاص . وقد استنكف ابن العاص على ان يقضى بين الناس في حضرة الرسول قائلا : الاجتهد وانت حاضر ؟! فقال له الرسول : « نعم ، ان اصبت فلك اجران ، وان اخطأت فلك اجر » . وكان سعد بن معاذ الصحابي المعروف ، قد اجتهد رايه في قضية بنى قريظة ، فقال له الرسول : لقد حكمت فيهم بحكم الله . اما على بن ابي طالب رضى الله عنه فقد روى عنه وكيع في (اخبار القضاة) انه قال : بعثنى النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، فازبى قبائل الناس زبية الاسد ، فاصبحوا ينظرون اليه وقد وقع فيها ، فتدافعوا حول الزبية ، فخر فيها رجل فتعلق بالذى يليه وتعلق آخر بآخر ، حتى خر فيها أربعة ، فجرهم الاسد ، فتناولوه رجل برمح فقلعته ، وأخرج القوم منها ، فممنهم من مات وممنهم من جرح وهو حى ، فماتوا كلهم ، فقالت قبائل الثلاثة لقبيلة الاول : هاتوا دية الثلاثة ، فانه لولا صاحبكم لم يسقطوا في البئر ، فقالوا : انما تعلق صاحبنا بواحد ، فنحن نؤدى دية واحد ، فغاضبوا حتى أرادوا القتال بينهم . فأنيتهم ، فقلت : انريدون ان تقتلوا انفسكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى ، وانا الى جانبكم ؟! انى قاض بينكم بقضاء ، فان رضيتوه فهو نافذ بينكم ، وان لم ترضوه ،

فهو حاجز بينكم ، فمن جاوزه فلا حق له ، حتى نأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو اعلم بالقضاء منى ، فرضوا بذلك ، فأمرتهم ان يجعلوا دية من الذين شهدوا البئر ونصف دية وثلاث دية وربع دية ، فقضيت ان يعطى للاسفل ربع دية ، من اجل انه هلك فوقه ثلاثة ، ويعطى الذى يليه الثلث من اجل انه هلك فوقه اثنان ، ويعطى الذى يليه النصف ، من اجل انه هلك فوقه واحد ، ويعطى الاعلى الذى لم يهلك فوقه احد الدية ، فممنهم من رضى ، وممنهم من كره ، فقلت :

تمسكوا بقضائى ، حتى تأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فوافوه بالموسم ، فلما قضى الصلاة ، جلس عند مقام ابراهيم فساروا اليه ، فحدثوه بحديثهم ، فاحتبى ببرد عليه وقال : انى اقضى بينكم ان شاء الله فقصوا عليه القصة ، فأجاز رسول الله القضاء كما قضيت بينهم . اه .

ومن كل ما سبق ذكره ، فلعلنا نستطيع ان ننتهى الى عدد من النقاط التى كانت بمثابة الاسس الاولى التى ارتكز عليها وجود المدارس الفقهية الاولى وهى :

١ - ان النصوص لا يمكن ان تتوفر بشكل يحتوى التفاصيل لحل جميع القضايا التى يتعرض لها الفرد والجماع في الحياة ، ولكنها تحتوى على المبادئ العامة ، وهذه المبادئ يستطيع المتفقهون ان يفرعوا عنها ويستخرجوا منها حلولاً للقضايا الجزئية ، وهو ما يسمى بالاجتهاد .

٢ - ان مبدأ الاجتهاد يحث عليه الواقع الانسانى في الحياة ، وهو مبدأ مقرر في الشريعة الاسلامية السمحة .

٣ - وبالنظر لما سبق ، فقد بدأ الاجتهاد لاستنباط الحلول المناسبة لمشاكل الناس في أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكان في ذلك البذرة الاولى ، لنشأة الفقه ، ولنشأة المدارس الفقهية الاولى . اما عن تطور تلك المدارس ، فذلك مما سنتعرض له في مقال قادم بحول الله .

د . د عبد القادر زبادية
استاذ التاريخ بجامعة الجزائر

اللغة العربية

طرق
تكييفها
ومناهج
تعليمها

لقد اثار منذ زمان بعيد جماعة غير قليلة من المربين والادباء مشكلة تبسيط النحو العربي على الخصوص ، وتكييف اللغة على وجه عام ، ثم اصلاح تعليمها من جهة اخرى . وتمددت المحاولات للحصول على اللغة المثالية والمناهج التربوية الناجحة رغم النية الطيبة التي كانت تحفز هؤلاء المجددين ورغم جهودهم المحمودة لحل هذه المشاكل الخطيرة كانت النتيجة ضعيفة المفعول قليلة الفائدة . والذي يبدو لنا ان هذه الجماعة من المصلحين كانوا يعملون بغير عقيدة تماما او عقيدة غير منبثقة من الواقع وبدون علم سابق بما يرجع الى نوااميس التطور اللغوى واسرار النظام الذى بنيت عليه الالسنه البشرية .

عبدالرحمن مالح صالح

وأكثرهم ذهب مذهب المقلد لم يتروى .
نمنهم من يظن مثلا أن النحو الذى اتخذه
الأوربيون لتدريس لغاتهم صالح أيضا للغة
العربية لا لشيء إلا لأنه يدرس في بلدان راقية
ولأنهم وجدوا بعض الأتبع بين المفاهيم النحوية
والحال أن هذا النحو الذى وضعه اليونانيون
للغةهم وقد اقتبسته روما وانتشر بعد ذلك في
أوروبا كلها - قد عابه كل العلماء الغربيين في
زماننا وما راوا فيه كبير فائدة بالنسبة إلى
اللغات الأوروبية الحديثة وخصوصا بعد ما
حصلوا على هذه الحصيلة العظيمة من
المعلومات اللغوية الدقيقة بفضل تقدم العلوم
اللسانية في القرن العشرين . ورغم ذلك فإن
المجددين العرب أخذوا يستوحون من كتب
النحو المدرسية الجارية استعمالها في الغرب (١)
بعض المفاهيم فلما منهم أن هذا أحدث ما
توصل إليه العلم الحديث فراحوا يستبدلون
اصطلاحها بأخر كاستبدالهم كلمة « مفعول »
بكلمة « تكملة » وركوا المشاكل الحقيقية على
ما كانت عليه فبقيت إلى أيامنا . ه بدون حل .

وهذا الذى قلناه من التقليد بقوله أيضا عما
انسمت به حركة التأليف والترجمة في موضوع
اللغة من نزعة غريبة . فقد روج بعض
المؤلفين العرب في زماننا هذا آراء ونظريات

ومعلومات شتى تخص قضايا اللغة والشيء
الغريب أن هذه المعلومات النظرية ترجع كلها
إلى ما لا يقل عن نصف قرن ، راجت في أوساط
اللغويين الغربيين ثم تعداها العلماء وتداركوا
ما فيها من نقصان أو فساد منهجى أو غير ذلك
من النقائص وما كانت إلا مرحلة من مراحل
التطور العلمى فاتخذها العرب في زماننا
هذا - أى في النصف الثانى من القرن
العشرين - على ما كانت عليه أبان ظهورها
وشيوعها وقدموها لجمهور الدارسين على أن
ان هذا أيضا أحدث ما توصل إليه العلم
الحديث (٢)

وزاد الطين بلة أن الهيجان العاطفى الذى
تصطبغ به غالبا الأعمال العشوائية صار كأنه
مشروع بمبدأين : الدعوة العامة إلى التعريب
وقضية استعجال الحلول وإيجاد الوسائل .
فهذان المبدأان لا ينازع في صحتها أحد من
الناس . الأول مبدأ شريف للغاية بل هو ما
يصبو إليه جميع العرب واللثانى معقول لأن
موكب الحضارة والعلم لا ينتظر المتخلفين .
إلا أن الغاية والوسائل شيان مختلفان . فأننا
بالنسبة إلى اللغة العربية في حاجة ماسة
إلى عقيدة علمية سليمة ومؤاتية لعصر الرحلات
الفضائية والآلات الالكترونية . فان هذه العقيدة
ينبغى أن تعتمد على الواقع المشاهد المعنوى
والمادى منه ، اعنى بذلك نزعات الشعوب
العربية العميقة من جهة ومن جهة أخرى
الإمكانيات الجبارة التى تكسبها في الوقت
الراهن العلوم الحديثة وتكنولوجيا هذا النصف
الثانى من القرن العشرين .

فأما النزعات وما تصير إليه الشعوب أثناء
تحولها الذى نشاهده الآن فهذا حقيق بالدراسة

(١) نخص بالذكر النزعة التاريخية التطويرية التى اتسمت بها العلوم الانسانية في القرن التاسع عشر في
أوروبا ، فقد كان العلماء في ذلك العصر يرجعون كل موقف العلماء اليوم وبين أولئك الباحثين من النظرة
غير التاريخية من هي صناعة للبحث العلمى . وهيات بين العلماء اليوم وبين أولئك الباحثين من النظرة التاريخية
البحث .

(٢) ونعنى بذلك العلم الذى ماله العمل والانجاز وهويسبق بالضرورة كل عمل مفيد أو يقترن به ، ولا نعنى
العلم كما يتخيله بعض العلماء « الشعراء » الذين دعوا إلى العلم من أجل العلم . فهذا من تركة الثقافة
اليونانية الأرستوقراطية .

لأنه يمكننا من أن نستنبط من ملاحظتنا له عددا من الثوابت أو كما يسميه قدامى علمائنا بعض « الأصول المستمرة » تشبه شيئا ما القوانين الديالغية وعليها نستطيع أن نعتد في تخطيط عمليات التعريب لأن جهلها يؤدنا الى التعارض والتناقض معا فالإليق بنا أن نكشف عنها ثم نسخرها طبقا لأهدافنا .

أما العلم الحديث فلا يمكن أبدا أن يتجاهله أى واحد فقد غزت الفكرة العلمية جميع المفكرين وجميع الميادين وتبوت مكانها في جميع المشاريع الاجتماعية والاقتصادية فلا سبيل أبدا لردّها . وأعني بذلك فكرة الباحث المعين المستنبط القائس الذى لا يترك أية جهة من جنات نشاطه عرضة لخطر الحكم الذاتى ولا يسمح أبدا لنفسه ولا لغيره بالتساهل في أحكامه ومقاييسه . هو الذى يتشدد في تطبيق مبدأ الاجتهاد المتواصل كما فهمه العرب في القديم . هو الذى يتخرج من المجازفة في القول ولا يتخرج من قلب الأوضاع النظرية إذا اقتضى الحال وأيقن بالدلائل القاطعة أنه لا بد من ذلك . هو الذى يرى أنه قد يضطر الإنسان الى هدم ما كان قد ابتناه غيره ولكن يرى مع ذلك أن الهدم أسهل بكثير من البناء وأن كانت العمليات الهدامة قد تحتاج الى إيمان راسخ وأعمال جديّة فإن البناء يحتاج الى علم ومهارة وفطنة وكفاءة زيادة على الإيمان والعمل الجدى

فخلاصة القول أن ما يجب اعتقاده بربوخ هو أن الوسائل لبلوغ أهدافنا لا بد وأن تكون علمية بحتة (٣) لا عاطفية ديماغوجية لأنه إذا جاز للأهداف أن تصطبغ بالعاطفة فهذا لا يضرها لأنها الدافع والمحرك . أما الوسائل وأساليب العمل فإنها لا تنجح ولا تبلغ غايتها إلا إذا كانت موضوعية لا خيالية رومانتيكية .

أن الغاية التى ينشدها كل عربى هي أن تكون اللغة العربية مثل اللغات الأوروبية الراقية على الأقل أو مثل ما كانت عليه في زمان ازدهار الحضارة العربية ومعنى ذلك أنه لا بد من أن تكون :

— في متناول الكافة : من خواص وعوام والا تخص طبقة دون طبقة وهذا يقتضى قابليتها للنشر في المصانع والمعامل الكبرى .

— أداة تعبير عن جميع الأشياء وفي جميع الميادين والا تكون لغة أدبية فقط أو لغة عادات فقط أو لغة فن خاص . وهذا يستلزم من الناطقين بها أن ينزلوا بها الى ميدان المعاملة اليومية والتخاطب الإدارى وغيره .

أما من الناحية العلمية فانه ينبغي أن ننظر الى مشاكل اللغة من زاويتين مختلفتين :

— الأولى تخص مادة اللغة وجوهرها .

— الثانية تنظر الى طرق تلقينها .

ولا شك أن هذين المظهرين وأن كانا مختلفين إلا أنهما مرتبطان أشد الارتباط في مضاعفة المردود التربوى وذلك لسببين :

الأول هو أن تعليم اللغة لا يتم بوسائل تربوية فحسب بل بعلاج سابق للمادة اللقنة فليس كل ما في اللغة يصلح لأن يلحق المتعلم المبتدئ وخصوصا الصبية فإن في اللغة — وفي النصوص المحررة التى يستعملها المعلم — شواذ وشوارد لغوية كثيرة كشواذ المفردات والتراكيب التى كان يقل استعمالها

حتى في عهد الفصحاة (أى في عهد الفطرة اللغوية) وفي اللغة مترادفات كثيرة تعسوق المتعلم في تخطيه اكتسابى للمفردات وفي اللغة كلمات وصيغ قديمة ممانّة يجهلها المثقفون أنفسهم (٤) وهى

(٣) كما أنه ليس كل ما في علم الجبر مثلا — يصلح لأن يلحق متعلموه — فإن هناك من يحتاج الى مفاهيم أخرى تمهد له السبيل الى ذلك ، وهناك من لا يحتاج منه الأعلى قدر ينفع به في حل بعض المشاكل الخاصة ، وهناك أيضا مفاهيم جبرية قدمت بحيث تعدها العلم الحديث الى ما هو أرقى منها أو على الأقل ما هو أقيد بالنسبة الى المشاكل الحيوية الكبرى ، وذلك مثل ما تجده بين الجبر التقليدى والجبر الحديث ، فهذا الآخر قد أصبح أداة لا مثيل لها في يد الباحث .

(٤) أما دراسة هذه الشوارد والاطلاع على أسرارها فهذا يهم المختصين وهو مفيد جدا إذا اعتبرناها ظاهرة كسائر الظواهر الطبيعية . أما المتعلم فاهتمامه بتجهنحو شيء آخر غير هذا ، لأنه يريد أن يكسب في أقرب وقت ممكن ومن أخصر الطرق وأنجعها أداة للتعبير وأداة لاكتساب المعارف التى تنقصه .

أثار بالية يوجد ما يقوم مقامها وما يغنى عنها في الكلام الفصيح الشائع المشهور . ولو كانت كل هذه الأشياء مما يحتاج اليه المتكلم ولم يوجد على الإطلاق ما يقوم مقامها من الألفاظ الساعده لما كانت عائقا للمبتدئ بل كانت تكون حينئذ من الأدوات البيانية التي لا يستغنى عنها الناطق وتحصيلها أمر ضروري لأنه سد لفراغ فكرى لغوى والاهتمام الذى نلاحظه عند المتعلمين بتحصيل هذا النوع من الألفاظ ناتج عن الحاجة وليس من الأعمال الترفية في شيء

والسبب الثانى هو أن الدراسة العلمية للغة بقضى بالمعنيين بها إلى اصلاح النظرية التربوية وتوجيه المعلمين في استعمال أساليب انتقاء اللغوى . لأن دراسة الكيفية التى يتم اجراء المتكلم لآليات اللغة بما فيها المظهر الفيزيولوجى والمظهر الوضعى البنائى وغيرها من وجهات نظر البحث العلمى قد توحى للغوى متباجا خاصا في اكساب المتعلم هذه الآليات وهذا السلوك اللسانى . فيستفيد معلم اللغة من دراسة اللغوى لظاهرة التخاطب فوائده نظرية هامة ترشده وتوجهه في نشاطه التعليمى

ان العلاج « ه » الذى نريده يمس كما قلنا المادة اللغوية ونحن نشاهد أن التغييرات الاجتماعية والسياسية قد جعلت الامة العربية — من قرون طوال — تختلف لهجاتها أحيانا اختلافا شديدا وذلك لانعزالها ، بعضها عن بعض وتطور كل لهجة على حدة . لا شك أن الاختلاف اللهجى كان موجودا يوم أنتشرت القبائل العربية في خارج شبه الجزيرة (٦) إلا أن هذا التطور الذى يصيب كل لغة قد زادها تنافوتا وهذا الذى يجعل كل لهجة في زماننا غير صالحة لأن تكون لغة التفاهم بين الشعوب العربية ومن ثم استحال أن تكون أية واحدة منها لغة الدراسة لأن ذلك يؤدى — طبعا —

إلى انعزال كل دولة عربية عن الأخرى وقطع الحلة الروحية والثقافية والاجتماعية بينها . صفة نهائية ثم قطع كل صلة بالماضى والتراث العربى العظيم . ومهما كان من أمر فإن اختيار لهجة معينة حتى في داخل بلد واحد سيكون مجرد تحكم بل ظلما واقترافا على الامة العربية .

بالنسبة إلى اللهجات الأخرى لأنه ليس لأية لهجة عربية فضل على غيرها لا من حيث التأثير والنفوذ المعنوى ولا من حيث الغلبة السياسية أو الاجتماعية . فكلها في ذلك سواء

غير أن هذه اللهجات التى يتخاطب بها أصحابها في معاملاتهم اليومية والتي ابتعدت عن اللغة الفصحى المشتركة ابتعادا ملحوظا ما هي إلا امتداد للهجات الفصيحة القديمة التى أتت بها القبائل النازحة وعلى هذا فإن جل مفرداتها وكثيرا من تركيبها فصيحة في جوهرها وأحيانا حتى في صيغتها ولولا التغيير الصوتى العميق (٧) الذى طرأ عليها لما رأينا فيها إلا اختلافا يسيرا ينحصر في استعمال بعض الألفاظ في غير ما وضع لها من مدلول . إلا أن هذا التنوع في أداء العربية لم يمنع من أن يكون مجرد تنوع لمادة واحدة وجوهر واحد ولذلك لا ينبغي أن يستهان بالمادة اللغوية التى تشترك فيها جميع اللهجات الحالية لكونها محولة في صورتها عن الأصل الفصحى . لأن كل ما هو مشترك وأصيل في نفس الوقت فهو من التراث اللغوى

(٥) تعنى اللفظة : العملية التحويرية والانزعاجية ذات المفاهيم العلمية كالمعالجة الاختصاصى في علم الإفادة لمجموعة من المعلومات المخرومة في البطاقات بتعرض لها بالتركيب والتصنيف والإحصاء وغير ذلك من العمليات المعقدة . ومعالجة النحاة العرب لما كانوا يأخذونه من فضاء العرب فيخلطونه ويرتبونه ويحصون مفرداته وتركيبه .

(٦) اختلاف في الفروع لا في الأصول كما يقول ابن جنى أنظر الخصائص : ١ — ١٤٤ .
(٧) وقد سبب هذا التغيير الصوتى سقوط الحركات الاعرابية وكثيرا من الحركات الضعيفة المختلطة ومن ثم اختزلت الكلمات من حيث بنائها وتغيرت الصيغ الفعلية لمخصوص . وسبب سقوط الإعراب جهود الترتيب في داخل الجملة وغير ذلك .

الذي يجب الاحتفاظ به بل الحث على استعماله قبل غيره بشرط واحد فقط وهو أن يوافق النطق الفصيح ويتفق مع مقاييس اللغة (٨)

والواقع أن هناك لهجات محلية ولغة مشتركة — ولا نغنى بها لغة التحرير والكتابة بل لغة المشافهة — يخاطب بها كل عربي عربيا آخر من قطر آخر شقيق يحاول فيها — ما استطاع الى ذلك سبيلا — أن يتجنب المفردة أو التركيب المحلي الذي ربما لا يفهمه مخاطبه وهذا يتفاوت بين الأشخاص .

وقد نمت وترعرعت هذه اللغة الفصيحة منذ أن ازدادت الاتصالات المباشرة بين الناطقين بالضاد كثرة وخصوصا بعد استقلال الدول العربية . وبما أنها وليدة الاحتياج الاجتماعي المسمى بالتفاهم والتخاطب والاتصال اللغوي فكانها بعث للتخاطب الشفاهي الفصح الذي تقلص ظله منذ أن انزوت الشعوب العربية وتقوقعت . ونحن لا ننكر أن تكون هذه اللغة المشتركة قد تأثرت باللهجات المحلية والحق أن التفاوت كبير جدا بين المتكلمين والمتخاطبين المنتهين الى دول مختلفة فمن محسن لا يعثر لسانه الا قليلا ومن مقصر تغلب عليه لهجته المحلية وهذا يرجع الى عدم نضوج الوضع اللغوي وإذا صح لنا أن نتنبأ فإنه يمكننا أن نقول أنه لا يبعد الزمان الذي سنرى فيه ظاهرة التوارد اللغوي تتحقق دفعة واحدة بفض انتشار الثقافة وذبوع المناهج العلمية .

فهذه اللغة الفصيحة المشفوه بها الحية النشيطة هي الاداة التي نريد تدوينها وتقنينها ما دامت هي العربية الفصحى في أنشط عناصرها وأشدّها حيوية بما فيها من صيغ

سليمة اقتصادية ونطق سليم واعراب خفيف غير ثقل (٩) .

ونستطيع بناء على ما سبق أن نستخلص مبدئين رئيسيين هما غاية النظرية العامة التي سيبنى عليها عملنا التحويري :

(١) مبدأ استمرار اللغة العربية وبقاء كيانها

ان اللغة الاساسية — أو الرصيد اللغوي الاساسي — التي سوف يبنى عليها التعليم في البلدان المغربية يجب أن يستوفى شرطين حتى تحقق وتستمر الصلة بين الناطقين بالضاد زمانا ومكانا وهذان الشرطان هما :

- ثبوت هذه اللغة في العربية الفصحى القديمة ،
- الاشتراك في الاستعمال بين كل الشعوب العربية أو أكثرها .

(٢) مبدأ حيوية اللغة العربية

لا يمكن بحال من الاحوال أن يسهل تلقين هذه اللغة للمتعلم — وخصوصا الصبية — الا اذا كانت حية شائعة مشهورة او على الأقل قابلة للذبوع لاجل علاقة لفظية توجد بينها وبين لغة التخاطب اليومي الناتج عن احتياج حيوي .

ولربما صعب أو تعذر التوفيق بين المبدئين فحينئذ يلجأ الى اثبات الكلمة أو التركيب الأكثر شيوعا وان لم يثبت في اللغة القديمة لعدم وجود المدلول أو المفهوم الموضوع له اللفظ في ذلك الزمان على شريطة أن يكون اللفظ المحدث أو المولد يجري على قياس كلام العرب . وفي عكس هذه الحالة أي اذا لم يتم الاتفاق عند أكثر المتكلمين في كلمة أو تركيب ، اعتمد على اقرب الالفاظ الفصيحة الى الانهماء أو أكثرها دورانا في لغة التحرير وان لم تكن

(٨) أثرت كتب البلاغة في عهد الانحطاط ايما تأثير في نفوس المعلمين وكان لها أسوأ تأثير مع الاسف، إذ قلن أكثر المعلمين بعد ذلك أن الكلمة أو التركيب الذي هو مبتذل في السنة العامة — حتى ولو كان عربيا فصيحاً — يجب اجتنابه وطرحه من التعبير المبلغ لا لشيء الا أنه تكرر العوام من استعماله .

(٩) ليس من المعقول أن يعتقد أن فصحاء العرب كانوا ينطقون كما ينطق اليوم المعلمون وكثير من المثقفين عند تشدهم ومط حركات الاعراب وعدم الوقف أبداً على متحرك واشباع الحركات التي كانت تغفل (كما يفعله أكثر المعلمين في المدارس في تعليم النحو وعذرهم في ذلك — وهل لهم عذر في تعميم وتويع العربية ؟ — أنهم يحاولون دائماً تنبيه المبتدئين على نوعية الحركة الاعرابية من ضم وفتح وكسر) .

جارية على اللسان في التخاطب اليومي لعدم وجود لفظ فصيح مشترك . ولا تثبت من الالفاظ الكتابية الا ما يتبادر الى السامع لاجل علاقة بين الصيغة والمعنى يسهل ادراكها لوجودها في لغة التخاطب .

هذا ويجدر بنا ان نتساءل كيف يتم علاج المادة اللغوية المراد تلقينها للمبتدئين؟ او بعبارة اخرى ما هي الوسائل العملية التي تساعدنا على التدوين والتحويل (١٠) واستخراج العناصر اللغوية المفيدة في تعليم اللغة في ابتداء الامر ؟ لقد شاهدنا ان اللغويين العرب كانوا قديما يقيسون على الكثير الشائع وراينا ان اقيستهم وقوانينهم قد بنيت على كثرة الاستعمال كما رايناهم ايضا يجوبون الافاق في داخل الجزيرة العربية وفي ارض الفصاحة لجمع اللغة وشاهدنا ايضا الغربيين - وهم شديداو الاعتناء بلغاتهم - قد اعتدوا في استخراج النماذج اللغوية الصالحة للتلقين على هذه المفاهيم والمناهج بعينها فذهبوا يلاحظون المتخاطبين اثناء اتصالاتهم ويأخذون من افواه الناطقين اللغة الحية النشيطة ثم احصوا - كما فعل اسلافنا - مفردات وتركيب لغاتهم . فوضعوا رصيذا اساسيا للتعليم واستمروا في ذلك منذ بداية القرن العشرين الى ايامنا هذه ولم يتم بعد هذا العمل بالنسبة الى بعض اللغات الاوربية القليلة الذبوع .

اما فيما يخص اللغة العربية ورصيدها التعليمي فاننا نرى استخراجها بالكيفية الآتية :
تقوم في كل بلد جماعات من الاختصاصيين بتحريات لغوية (يتوزعون على مختلف الاقاليم والنواحي في ذلك البلد) وذلك بحسب التوزيع اللغوي الاجتماعي وبالاعتماد على مخطط سابق

لهذا النوع من العمليات ومناهج البحث في ذلك ، هي المناهج الحديثة وهي عبارة عن تسجيلات صوتية لمحاورات وخطب وكل كلام عفوى لا تكلف فيه . ويضاف الى هذا تحر آخر على شكل قوائم من الاسئلة يجيب عنها المتكلمون الموثوق بعربيتهم ونعنى بذلك من عرف بصحة استعمالهم للعربية على اختلاف طبقاتهم واجناسهم . ولا بد من اختيار دقيق لهؤلاء واختيار البيئات . كما تجرى تحريات اخرى في اوساط مختلفة لا تشترط فيها صحة الاستعمال للغة الفصحى وذلك للحصول على القدر المشترك الفصيح بين اللهجات العربية ويجرى ذلك بنفس الطريقة .

وعندما يتم هذا البحث ويتوفر لدينا عدد معين من العينات (تعد فيها الالفاظ المكررة المسجلة بعشرات المالاين) ، تجرى عملية الصياغة الاصطلاحية لهذه المعطيات الكثيفة ومعنى ذلك ان كل المقول المسجل ينقل رموزا يصطلح عليها اللغويون وتختم في بطاقات خاصة ثم تبرمج برمجة تمكن الباحث الرياضي من اجراء عملية الاحصاء عليها وهذا الاحصاء يخص مختلف الاقاليم ثم نحصل بعد ذلك على قوائم تواترية تبين مدى انتشار المفردة او التركيب او درجة شيوعها بصفة موضوعية اى بواسطة الاعداد والارقام . وبها ان المعطيات تبلغ عشرات المالاين فلا بد من استعمال الآلات الحاسبة الالكترونية العظمى لان احصاء مثل هذا العدد الهائل اذا كلفنا الانسان بالقيام به يحتاج الى استعمال المئات من الافراد ولا يتم الا في عشرين او ثلاثين سنة ! (هذا يقطع النظر عن الاغلاط) .

(١٠) ربما يظن البعض ان عملية التحويل تؤدي الى افقار اللغة . ان هذا التحويل فاسد بالمره لان افقار المادة اللغوية التي نريد تلقينها للمبتدئين ليست افقارا في الحقيقة انما هي حذف للحشو واللفظ الذي لا يحتاج اليه المتعلم في بدء امره (ونحن لا نقصد الا المتعلم) فهو بالعكس اغناء اذ حذف الفضول هو في الحقيقة تقوية للجانب الكسبي الاجبابي ثم لا ننسى ان الصعوبات التي يلاقها المتعلم لا تنحصر فقط في المفردات بل في الصيغ والتركيب ايضا ، فاذا استعملت مفردة غريبة او غير مألوفة تماما في تركيب غير معروف في لغة التخاطب كانت اشق على المبتدئ من ان تنحصر الصعوبة في شيء واحد كان يريد ان يعمل عمل (ليس) ونستعمل جملة فيها مفردات غير مفهومة لدى الطفل مثلا . وقد يقال ان العربية ليس فيها حشو ولا فضول . هذه سفسطة لان هذا يقال - وهو صحيح - بالنسبة الى الكلام البليغ الذي يحدثه العربي الفصيح ، فالعربية بهذا المعنى هي هذا الكلام ارائع واللفظ من هذه الحبيبة هي استيفان هؤلاء البلغاء وانتقاهم العناصر اللغوية المناسبة . اما المادة اللغوية في ذاتها ففيها الفث والسمن ولا ينكر احد ان في جميع اللغات حوشى وغريب ونادر ومهجور وممات وغير ذلك من العناصر العامشية .

ولربما يبدو هذا العمل للبعض بسيطا متنيا وليس بسيطا اذ تدخل فيه عمليات رياضية معقدة (١١) كما ان محصول هذه العمليات ليس بسيطا ايضا اذ يمكن ان نعرف على شكل رياضى العلاقات والنسب التى تربط بين درجة شيوع العنصر اللغوى وبين عدد المعانى التى يتضمنها وموضوعية هذه النتائج ضمن صحة التطبيق ونحن بذلك نلقى كل حكم ذاتى اذ كثير من الناس يقطعون بان هذه اكثر استعمالا من تلك وليس الامر كذلك فى الواقع .

اما ما نستلهمه من العلاج للمادة اللغوية ومن الدراسة العلمية لوضع القوانين التى تجرى عليها الالسنه من قوانين عامة يمكن ان تطبق على الاساليب التربوية . فمن ذلك القانون المسمى ببدا الاقتصاد اللغوى وهو ان المتكلم يحاول دائما وبدون ما يشعر ابلاغ اكبر كمية ممكنة من الفوائد (المعلومات) . باقل ما يمكنه من الجهود العضلية او الذهنية فهو سري توازن النظام اللغوى فاذا فقد النظام هذا التوازن انتقضت بعض اوضاعه ، فلما ان تجهد اللغة جهودا يجعلها تموت شيئا فشيئا فتصبح لغة تحرير محسب ، اولغة ادب يكثر فيه التصنع والتكلف ، واما ان تتغير تغيرا ملموسا يجعلها تتطور الى لغة اخرى ليس لها شبه كبير باللغة الاصلية وهذا ما حصل للغة اللاتينية اذ اصبحت كلغة تخاطب الى لغة كنائس او لغة اثرية وتفرعت عن المشافهة باللاتينية لغات مغايرة لها تمام المغايرة . وهذا ما كنا نخشى على اللغة العربية لولا ان الله بلطفه ورحمته رعاها وما شاء الا ان تنبعث من سباتها الى حياة

جديدة تحتفظ بكيانها بخلاف ما اصاب اللغات العتيقة الاخرى .

فنستنتج من ذلك ان المتعلم ايضا . وهذا قد شاهدته علماء النفس - يختار (بدون وعى واضح) من مقاييس اللغة ومادتها ما لا يستغنى عنه ليستطيع التفاهم مع غيره . فتعلم اللغة يكون اذا افيد اذا بنى كما قلنا على العناصر الاساسية الشائعة التى لا بد منها وهو اقل ما يمكن ان يكسبه المتعلم لكى يؤدى ما يحتاج الى تبليغه من مقاصد واغراض . هذا الرصيد اللغوى يمتاز عن بقية العناصر اللغوية بكثرة دورانه على الالسنه ، والملاحظ فى المخابر اللغوية هو ان اكثر العناصر جريانا وتواترا هى ايضا اسهلها تلقنا .

والقانون الثانى هو ان اللغة نظام منسجم الاطراف مترابط الاجزاء لانه آلة وجهاز كسائر الآلات والاجهزة التى يسخرها الانسان لقضاء اغراضه الا انها جهاز شديد التعقيد ، تتداخل وتترابط اجزاؤه ، تداخل وتراكبا عجيبا ، لا يكاد يوجد له مثيل ولا يمكن استعمال هذه الآلة الا اذا كانت دواليبها متكاملة متكافئة يؤدى كل دولاى منها وظيفته التى وضع من اجلها ، فى موضعه الخاص لغرض خاص . ويكفل بذلك لجميع الدواليب الاخرى مجراها وسيرها لانها منوطة بوجوده كما ان مجراها منوط بوجودها وحسن مجراها . فينبغى ان ينظر الى كل جزء من اجزاء اللغة والى كل مستوى من مستوياتها على انه لا يتم مفعوله الا مع غيره وفى داخل المجموع .

فنستنتج من ذلك شيئين ، الاول : هو ما تفتن اليه منذ زمان الربون وهو ان تعليم

(١١) منذ ان دعونا الى هذا العمل الجبار فقد تحققت امنيتنا بفضل التفاهم التام الذى حصل فى لقاءات اخرى ونسم التحرى بالنسبة الى صبيان المدارس الابتدائية (السنة الاولى والثانية) وستلونها تحريات اخرى . ونم ايضا خرم الاوراق وعملية الاحصاء فى هذه المرحلة .

القراءة والمحادثة وغير ذلك من احوال التربية اللغوية لا تنجح الا عن شكل اجمالي وان النظرة الى الجملة تسبق النظرة الى المفرد . ثم ما هو ادنى من ذلك المستوى اى الحروف . الا ان كل ذلك يحتاج الى تلميح من الصناعة لان واقع اللغة اشد تعقدا من اى واقع آخر . ولابد من ربط التجارب التربوية اللغوية بما توصل اليه علماء النفس ، في هذا الميدان اخس بالذكر تلك الابحاث القيمة التي خرجت الى نظرية تعليمية جديدة اساسها برمجة التعليم التي تمكن التلميذ من أن يتابع الدراسة دون أن يرتبط بالتلاميذ الآخرين الذين ربما يعوقونه في خطبه وتقدمه اذ منهم من هو بطيء التحصيل ومنهم من لا يحتاج في كسب المعارف الى وقت طويل . وزد على ذلك ان التعليم المبرمج لا يترك للطالب اى فرصة للاهمال أو التهاون لانه تخطيط شامل للمادة الملقنة ومن ثم لنشاطه .

والثانى وهو مهم جدا : هو ان اكثر مجارى اللغة (ونعنى بذلك العمليات الذهنية العظيمة التي يقوم بها المتكلم عند استعماله لاوزاع اللغة) هي مجار آلية لا شعورية فمن ثم يحتاج المكتسب لها الى اجراء عمليات خاصة مبرمجة مخططة اشد التخطيط . وليست هذه العمليات من قبيل التلقين العقلى التعليمى لانا قد لاحظنا ان الفصيح من الناس هو الذى اكتسب أولا وقبل كل شئ ذلك القوام اللغوى اللاشعورى الذى أشرنا اليه نعمله التحصيلى كان من جنس العمل الالى الذى تقوم عليه اللغة في مجاريها العادية . ولا ننسى ان الحصول على آليات اللغة هو اول المراحل الطبيعية التي يمر عليها الطفل وكذلك كل من عاش مدة طويلة في بلد اجنبى . ولا نعنى بذلك أن التلميذ ينبغي له ان يستمع الى معلمه وان يقلده بصفة عفوية . انما

المقصود هو ابقاء الصفة العفوية في التحصيل فقط ، اما العمليات التحصيلية في ذاتها فانها يجب ان لا تكون مجرد تقليد عشوائى بل تكون على مثيرات واستجابات تعتمد على مادة لغوية مرتبة ترتيبا علميا جامعا مانعا . وبهذا ان اللغة انظومة من المثل والانحاء (نماذج) ترسخ في الذهن شيئا فشيئا فينبغى أن يتخير الملقن هذه المثل حتى تكون مستودعة في ذاكرته وتحت تصرفه وكل ذلك يصير لا شعوريا في مدة قليلة . هذا سر كسب اللغات . فطريقة التعليم الناجعة اذا هي طريقة اقامة النماذج الاساسية للغة وتلقينها للطالب بكيفية آلية ايضا . وفي نفس الوقت منطقية من حيث ترتيب المادة اللغوية . اما النحو والصرف والبلاغة فغذا في نطاق التحليل العلمى للغة لان هناك فرقاً بين تحصيل آليات اللغة والبحث التحليلى لهذه الآليات . غلابد ان يأتى التحليل بعد المرحلة الاولى اى بعد اثبات القوالب النطقية الانفرادية التركيبية بدون ما تعليل لان تفسير القواعد هو من العمليات العقلية الشعورية التي ربما تعوق المتعلم في كسب مبادئ اللسان . ولا نريد بذلك أن القواعد النحوية غير ناعمة اذ اننا نؤمن ان القواعد هي أكثر اللغة . انما مقصودنا أن تقدم هذه القواعد على شكل نماذج تحصل في الاستعمال ، تستخدم فيها طريقة خاصة في ترسيخها في الذهن . وهو ان يجرى على هذه النماذج تحويلات وتبديلات لغوية يقيم فيه المعنى بتغير اللفظ والعكس (١٢) وبذلك التحويل يحصل المتعلم بدون ما

(١٢) وهناك مناهج كثيرة متنوعة كطريقة استبدال غردات الجملة بأخرى (على شكل منه يرسله الملقن) مستلزم من التلميذ جهدا عاليا - لا ذاكريا غفليا فقط - للتوفيق بين احلال هذه المفردات محلها من الجملة ثم محلها من الاعراب وكل ما يقتضيه الاستبدال من تغيير . وكذلك طريقة توسيع الجملة وما يستلزم ذلك من تكيف حتى يسلم المتكلم من الاستحالة ومن اللحن .

يشعر على الشيء الثابت المستمر في الاستعمالات وعلى العلاقات التي توجد بين المعنى المراد وطرق أدائه ثم على كل ما يجوز وما يمتنع . وكل ذلك قد يدركه الالمعى بنفوذ ذهنه الا ان ادراكه على شكل تعليمي تقليدي غير ضروري بل غير نافع ابدا اثناء هذه المرحلة .

ويستعين المعلم بقدر الامكان بالوسائل السمعية البصرية على شرط ان يتفهم مهمة الادوات على مفهومها الصحيح اى على انها مجرد وسائل عملية ومجرد معينات لانها ليست كل الوسائل وليست غاية يرمى اليها . فمعمل اللغة او مخبرها هو عبارة عن بيوت صغيرة منعزلة صوتيا يجلس فيها التلميذ ايام مغناط (مسجلة مغناطيسية) فيستجيب للمنبهات المسجلة على الشكل المشار اليه وليس هذا العمل الا وسيلة للتمرين والتدريب اللغوي ولا يستغنى التلميذ ابدا عن الدرس .

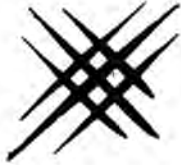
ولا ننسى ايضا ان هذه المناهج التربوية في تعليم اللغات لا تزال في طور التحسن ولا

يحق لنا ان نرميها بأى شيء او ان نفلو في اطرائها غلوا غير معقول قبل ان تتم الابحاث القائمة الان بهذا الشأن وان كانت قد قطعت اشواطا عجيبة في بضع سنين . اذ البحث العلمى محاولة متواصلة تتفاوت قيمة انتاجه واكتشافاته على ممر الايام ، الا انه لايد من الايمان الوثيق العميق بصلاحيته ونفعه بل لايد من الايمان بانه الطريق الوحيد الذى يؤدى الى نتيجة ملموسة .

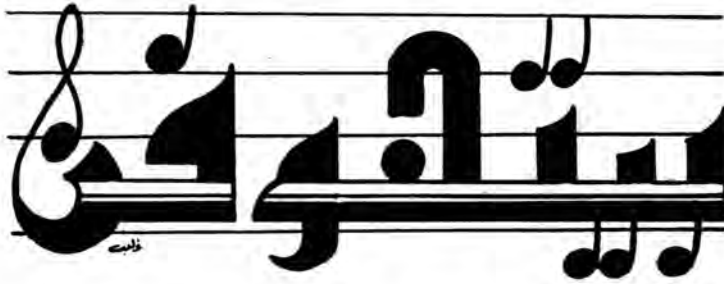
وحاصل الامر هو انه لايد من ان نوجه انظارنا الى ما يقوم به علماء اللسانيات في زماننا هذا حتى لا يفوتنا الوقت وحتى لا تضيع جهودنا ونحن في عالم منعزل ، وان نقى بما تشبه العلوم الدقيقة ونعتمد في محاولتنا على المشاهدة والاستقراء والتجربة العلمية ولا نتسرع في الحكم قبل الاختيار .

عبد الرحمن حاج صالح

استاذ فقه اللغة بجامعة الجزائر



ف الذكرى المئوية الثانية لميلاد



أصبحت الحرية

فوق كل شيء

ولا تنكر الحقيقة

حتى أمام التيجان



احتفلت الجزائر ، مثل بلدان العالم ، في
آخر سنة ١٩٧٠ بالذكرى المئوية الثانية لميلاد
الفنان العبقري الخالد لودفيغ فان بيتهوفن
(١٧٧٠ - ١٨٢٧ م) .

ولقد ظلت اذاعات وتلفزات العالم المتقدم
تعرض طوال السنة الماضية ، سنة بيتهوفن
كما سميت هناك ، موسيقى هذا الرجل
العظيم ، من اول يناير حتى آخر ديسمبر ،
حيث ان ميلاده وقع في اول المنتصف الثانى
من شهر ديسمبر .

مولود قاسم



كنط

نابليون حتى بعد ان احتل بلاده ، تغير موقف
بيتهوفن من القائد الفرنسى راسا على عقب
اثر حوادث سياسية معروفة :

لقد اعجب في اول الامر بنابليون عندما بدأ
يحطم الاستبدادات في اوربا ، من اقطاعيات
ودوقيات ، وامارات ، وملوكيات وقيصريات
وكان بيتهوفن يظن ان نابليون سيحرر اوربا
من كل ذلك ، ولهذا اهدى له سيمفونيته
الثالثة وسماها « نابليون » .

ولكن عندما توج نابليون نفسه قيصرا ،
غضب بيتهوفن ، ومزق ذلك الاهداء مزجرا
وقائلا : « **انما انت دكتاتور مثل الآخرين ،**
تدوس حريات الشعوب » ، واعطى
سيمفونيته هذه اسما جديدا هو : « **البطلة** »
اي بعد ان كانت باسم نابليون اصبحت ضدّه!
وبخصوص موقف بيتهوفن من غوته
والارستوقراطية الالمانية فيحكى انه بينما كان
هو وغوته يتفصحان قرب كارلوفسباري

والجزائر ، اذ اقامت له حفلة ذكرى ،
انما تحى فيه لا الفنان العبقرى فحسب ،
وانما تمجد فيه ايضا الانسان بكامل ابعاد
الانسانية الحقّة ، الرجل الاخلاقى ، الذى
كرس موسيقاه للتعبير عن الجوانب العليا
للانسان ، والذى لم يؤلف من ذلك النوع
الخفيف ، الاوبرا ، الا واحدا ، وفي موضوع
هام جدا في نظره ، وهو تقديس الوفاء الزوجي
وهو ما جعله عنوانا للاوبرا .

وتحى فيه الجزائر ايضا الناصر العظيم
الذى لم يخضع لضغط ولا استبداد ، بل
قاومهما حيث لقيهما ، معبرا في ذلك عن روحه
العظيمة ، ومتاثرا ايضا باستاذة الروحي كنط
وصديقه الروحي ايضا شيللر .

ولقد كان يكرر طوال حياته تلك العبارة
المشهورة لاستاذة الروحي كنط : « **هناك**
شيئان هما اعظم ما في الوجود : السماء
المتألّلة بنجومها فوقى ، والقانون الاخلاقى
في نفسى ! » وهنا ينبغي لنا ان نذكر ان
بيتهوفن درس فلسفة كنط في جامعة بون .
مسقط رأسه .

وبقدر ما كان بيتهوفن يحب شيللر الثورى
المتأثر بفلسفة كنط هو ايضا ، والذى عانى
السجن والتشرد لامكاره السياسية
الجمهورية ، كانت خيبته من لقاء غوته مريرة
لموقف هذا الاخير من كل من الارستوقراطية
المحلية والمحتلين الاجانب لبلاده ، وهو موقن ،
يناقض كل المناقضة موقف بيتهوفن .

ويكى هنا ان نذكر حادثتين تعبران عن
موقف كل من الرجلين :
فبينما كان غوته يجد القوة والعبقرية في



غوته ينحني محيا ، وبيتهوفن يواصل سيره

والاخوة الانسانية : « آه يالها من تعاسة !
انى اتصور جوعا ، ولم انق طعم الخبز منذ
سنة ايام ! »

ويوم وفاته خرجت غيبنا بكاملها ، تشيع
جثمان العبرى الخالد الى مثواه الاخير !
ومما كان يردده بيتهوفن طيلة حياته :
« احب الحرية فوق كل شيء ! ولا تنكر
الحقيقة حتى امام التيجان ! »

ونكتة اخيرة :
فى آخر احدى مؤلفاته التى كلف بيتهوفن
ناسخه بنسخها ، كتب هذا الاخير :

(تم بعمون الله)
ولما اطلع بيتهوفن عليها ، ضحك واضاف
« ايها الانسان المسكين اعن نفسك بنفسك ! »

مولود قاسم

(كارلسباد) : وكان ذلك لقاءهما الاول ،
وبرغبة ملحة من بيتهوفن الذى كان معجبا
بعوته الشاعر ، واذا بالامبراطور وامبراطورة
النمسا يقبلان عليهما ، وكان غوته قد وضع
ذراعه مشبوكا بذراع بيتهوفن ، ولدى منظر
العائلة القيصرية ارتبك غوته ، وسحب
ذراعه من ذراع بيتهوفن ، ونزع قبعته ،
وانحنى انحناء عميقة !

وماذا فعل بيتهوفن ؟ فعوض ان ينزع
قبعته ، خفظها على جبينه حتى نزلت على
عينيه ، واستمر فى مشيه على الراس ، ولم
يقف ... واذا بالامبراطور والامبراطورة هما
الذان يحييانه : والجمهور يتفرج معجبا
ومندهشا !

وبعد ان الحق غوته ببيتهوفن قال له
هذا الاخير : « هو انت غوته الذى كنت
معجبا به » ؟ فقال له غوته :
« لانس يا صديقى انى موظف ! »

وكذلك كانت جميع مواقف بيتهوفن ، فلتد
كان يعانى الاندفاع الفاحش ، ومع ذلك يرفض
ان يكون تابعا لقصر هذا او ذاك من الامراء
والملوك والباطرة ، وكان يعلق على عروضهم
« امراء ، وملوك ، وقيصرة ، وجدوا ،
وموجودون الان ، وسيوجدون ، اما
بيتهوفن ، فليس هناك الا واحد ! »

وكان مؤمنا كل الايمان بتفوق الموسيقى
على كل وسيلة اخرى للتعبير ، ويقول :
« ان الموسيقى هى وحى اعلى من كل فلسفة
واعمق من كل حكمة ! والذى تنفتح له
موسيقاى ، يتحرر من كل المحن التى تثقل
كواهل الآخرين ! »

وفى آخر عمره ، بعد ان اشاحت عنه
غيبنا ، فى تعلقها بموسيقى شتراوس
(النعامة) ، ولانر ، وروسيني ، وغيرهم
انواع الموسيقى الخفيفة ، كتب بطلنا فى
مذكراته وهو يؤلف فى السيمفونية التاسعة
الرائعة ، سيمفونية الامل ، والسرور ،

السري

أركب النقص علاج ، أما مركب
الكمال فلا التمام له . العالم الأول
بفتح قد تتسرب إليه أشعة من
الخارج ، تعين على تبديده ، أما
الشمسور بمركب الكمال ، فيفلق
النوافذ ولا يعرف إليه النقد الذاتي
سبيلا .

كنا يبراه

العرب



الخوارزمي



ابن رشد



ابن سينا

محمد عزيز العجاوي

المعاصرة ليست في متناول
جميع المثقفين ، ولو كانوا
غربيين من دم آرى صرف .
فالقضية قضية اطلاع وتعلم ،
لا علاقة لها بالجنس أو الدين
أو اللغة .

آمن مفكر الاسلام بالحتمية
العلمية ، ومارسوا التحليل
والتركيب ، اذ ليس في هذا
ما يناقض دينهم ، بل ان
الاسلام يحضهم على ذلك .

— التفكير افعال تتجسد في اختراعات ، واكتشافات ، أو آثار مكتوبة وغير ذلك . وليس
من وظيفة الفيلسوف ان يقوم بعملية تاريخية ، فلذلك اختصاصيون يقومون به .
نقصد بالعقل هنا ، الجهاز الذى يباشر التفكير وللعقل البشرى تاريخ يتصل بتطور
النوع الانسانى . وفي مراحل التطور المختلفة حصل شىء من التباين في كيفية استعمال
العقل ، وهو تباين اقتضته انماط الحياة ، فالعقل جهاز ذهنى تركيبى ، ينمو ويتحسن
بالاستعمال الملائم ، ويتعطب او يسوء بالاستعمال ، فالذين ينعثون بالبدائين لهم نفس
العقل الذى للعقلانيين ، ولكن سيطرة السحرة والكهنة والمشعوذين ، والفكر الكبشى
تقف دون انطلاقة العقل الخلاقة ، فاذا كان العقل معطى من المعطيات الطبيعية
الاصلية النوعية ، فكيفيات استعماله تكتسب بالممارسة ، وهذه الممارسة تتطلب قواعد
اساسية ، هى المنطق ، لكن الانسانية لم تعرف منطقا واحدا ، فهناك « مناطق »
(ولا اقصد بمناطق المعنى الجغرافى اى جمع منطقة بل جمع منطق) . كثير هم
الغربيون الذين يعتقدون ان المنطق واحد ومطلق ، وهو منطقهم هم طبعاً ، وبمقتضاه
يحكمون على سواهم . فكيف يرون العقل العربى ، او العقل السامى بصفة عامة ؟
هذا ما سنجيب عنه في الصفحات الآتية ، فنعطى بعض الامثلة ونحللها ، لنبرز
ان كثيرا من المفكرين والجامعيين بالغرب كانوا ، ومازالوا ضحية لذهنية
ميثولوجية معادية للمنطق ، بل للمناطق ، الغربى منها والشرقى .

الشعوب « النامية » (اى المتخلفة
اقتصاديا وثقافيا) مصابة بانحراف شنيع :
يعدمها مركب النقص الثقة في قدراتها العقلية ،
وفي ذوقها ، وفيها ، وفيها ، وفيها ، فيتغفل
فيها الشعور بالعجز من الاقتباس من
الاخرين ، ما يمكن اقتباسه من المفاهيم
الحضرية .

ولكن ، رغم الشعور بالنقص والتفاهة
والهوان ، هناك مركب الكمال الذى هو اكبر
وافظع اذ عنه يتولد اخطر انحراف اخلاقي
ومجتمعي وسيكولوجي يصاب به فرد او
شعب . لمركب النقص علاج ، اما مركب
الكمال فلا التأم له . العالم الاول متفتح قد
تتسرب اليه اشعة من الخارج تعين على
تبدده ، اما الشعور بمركب الكمال فيغلق

المنافذ . ولا يعرف اليه النقد الذاتى سبيلا .
هناك طبائع مخضمة من المركبين ، وتلك
هى الكارثة الكبرى ، والانحراف الاقصى .
فالذى يود ، عن صدق ، السير الى الامام ،
يلزمه ، مسبقا ، ان يتفحص اجهزته المادية
والمعنوية ، ماضيا وحاضرا ، لان ذلك زاده
في الموعد مع المستقبل . سنخصص هذا
البحث لمناقشة بعض الاساطير التى راجت
عن ماضى العالم العربى الاسلامى حتى
ترعرعت بذور مركب النقص عند البعض منا .

التمايز بين الشعوب ، كالتباين بين
الثقافات الوطنية ، ليس الا « فترات »
في الجدال الديالكتيكي الذى يسير عليه
التداخل بين الجباعات البشرية ، في الميادين

العتيق السامي ، غانه ، بطبيعة نكويته .
معاد للفلسفة ومعاد للعلم » . ويتحدث ،
في الصفحة التالية عن :

« احتقار الساميين للعلم » ، مبررا ذلك بما
« في الفكر السامي من سذاجة مهولة تضيق
الدماغ الانساني ، وتغلته امام كل معنى
لطيف ، وكل غاطفة رقيقة ، وكل بحث معتول .
ولا تفتح الا على تكرار سرمدى تلخصه
العبارة : **الله هو الله** التي انما هي تحصيل
الحاصل كما يقول الاصوليون والمناطقية ،
يختم (رومان) حديثه ، وقد غمرته نشوة
النصر . متوجها الى مستمعيه :

« ان المستقبل ايها السادة ، لاوروبا اذن .
ولاوروبا وحدها ! » . مقتطف من الدرس
الافتتاحي بكوليج دوغرانس سنة
١٨٦٢ ، ص ١٨) .

فما هي « البساطة » التي اعطيت الفكر
السامي ؟

المتمايزيتا الدينية ، عند الاسرائيليين وعند
المسلمين ، تركز على « لا اله الا الله » .
وهذه العبارة خلافا لما ادعاه (رومان) .
ليست « بسيطة » ، وليست « تكرارا » .
على اننا ، ولو فرضنا انها عبارة
« طوطولوجية » (محصول حاصل) .
فالمناطقية لم يقولوا بان التعبير الطوطولوجي
علامة على عقم في الذهن .

ان حصول حاصل (الطوطولوجيا) من
طرق البحث والتفكير المستعملة ، باحترام ،
عند الاغريق وعند مفكرى العصر الوسيط .
بل انها لا تزال تستعمل حتى اليوم . عند
المحدثين الاوروبيين . ليس ضروريا ان يعتبر
حصول حاصل مرادفا للغلط المنطقي الذي
تحتوى عليه اية اعادة بالفاظ مختلفة . دونما
تقدم للتفكير . فعندما يجرح الساميون :

المادية والمنعوية . فعلى هذا التمايز تتأسس
حركات النمو التاريخي والرقى الحضارى .
بيد انه ، وبلا لاسف ، مازال ، الى اليوم ،
الجانب الخرافى من الذهنية البشرية يحدث
خللا في ذلك التداخل ، فيغير من وجهته
الدبايكيتيكية الطبيعية ، الى اتجاه عدائى
عدوائى . وهذا ما حصل بالنسبة لموقف
الثقافات الاوروبية من الثقافتين العبرانية
والاسلامية . وسنضرب على ذلك امثلة
محسوسة تظهر ان الكثير من المفكرين
والاساتذة الجامعيين ، يبقون ضحية لصور
ميثولوجية .

من هؤلاء الكتاب (جورج دوها ميل
عضو الاكاديمية الفرنسية الذى يؤكد فيكتيب
سماء « حضارة فرنسا » (١) ان الذهنية
الشرقية عاجزة ، تمام العجز ، عن التفكير
التركيبى وعن تجاوز الذات . هذا تصريح
خطير جدا ، لانه اقرار لادعاء يروج منذ القرن
الماضى ، يمكن تلخيصه كما يأتى :

**الفكر الشرقى ناقص ، وما ينقصه هو
القدرة على عملية التركيب .**

ان التركيب شئ اساسى للعقل البشرى .
انن : الفكر الشرقى ليس بفكر انساني ،
او على الاقل ليس فكرا سويا ، وتنتج عن
هذا نتيجة ثانية :

**بما ان الفكر الشرقى ناقص وغير سوى ،
لا يجوز ان نعامل الرجل الشرقى معاملة
العقل الرشيد .**

ومن ثمة يجب اعتباره دون مستوى الانسان
مما يبيع ، منطقا واخلاقا ، استعباده
واستعمار اراضيه .

ان اول من « لاحظ » وروج عدم كفاءة الفكر
الشرقى هم (ارنيست رومان) و (لويز
بيرطران) ، بواتباع (دوغوبينو) (٢)
بيدا (رومان) بفرض عام : « . اما الفكر

(١) ظهر كتاب (دوهاميل) بباريز ، عند هاشيط ، عام ١٩٤٤ .
(٢) ان افكار هؤلاء لم تمت بموتهم ، فالى اليوم يرجع اليها
« احاديث مع السيد رومان » (باريز جولييار ١٩٦٢ . نجد صفحات كثيرة في هذا
الكتاب عن الساميين ، خصوصا من ٦٥ الى ٧٢ (الفصل الثالث) ومن ٧٣ الى ٧٧ (الفصل الرابع) .



سؤال آخر :

ان الشهادة تتجاوز التعبير اللفظي ، فـ
« يهود » ، اى « الله » ليس مطلق اله . انه
الله القديم الدائم الاوحد الازلى .

من هنا نستطيع إبراز ما بين التكرار و « الشهادة » من تباين عظيم :

« الله هو الله » يستعملون عبارة تعد نموذج
الهوية الكاملة : فالمشهود من « الله هو الله »
اتفاق ووحداية الله . فليست مع لها يقول السيد
(مانتري Mentré) في قاموس
(لالاند Lalande) : « ان كل تعريف ليس في
الحقيقة الا حصول حاصل ، لانه يعبر عن
معادلة بين مفهومين ... (ص ١١٣ ، طبعة
١٩٥٩) .

تعتمد الرياضيات الى حد اليوم على القضايا المتناهية ، هكذا يرى (برطان رومل) أن كل الحساب طوبولوجي لأنه خلو من العنصر الانساني ، أي من الزمان .

يمكننا أن نقلص الشهادة بحذف طرفها الآخر ، فنقول : « لا اله » ، البست هذه العبارة قضية تامة متكاملة بذاتها ؟ أنها اقرار لعدم وجود الوهية : فالجملة قد قامت بمهمتها التعبيرية .

فلنتلفظ الآن بالطرف الآخر من الشهادة ، على حدة : « الله » . فهذا لفظ ومفهوم من المفاهيم قابل لأن يوصف بأوصاف لا تعد ، ويمكنه أن يضم الى مجموعة من الكلمات ليكون معها جملة ، فيكتسب معنى في التركيب الجديد ، ويسمى هو بدوره (بصفته جزءا من جملة) كيما تحصل الجملة على معنى .

أن كل اسم يدخل في جمل تعترية إحدى الحالات الثلاث : الإثبات ، أو النفي ، أو الاستثناء وكل حالة منها تكون كسبا جديدا للجملة . وهذا ما حصل في : (لا + اله + الا + الله) .

يجب الآن أن نتعرض للدور الذي تلعبه « الا » الاستثنائية . أنها في الواقع أداة لا كلمة ، فلا مفهوم لها خارج الجملة ، مثلها في ذلك مثل و ، أو ، أن ، اذا ، حتى ...

التكرار والطوبولوجيا لا يتعان بين الأدوات بل بين الكلمات ، لأن لكل كلمة مفهوما ودلالة خاصة . فوجود « الا » في الطرف الثاني من الشهادة ، أضاف الى الجملة معنى جديدا . وهو المعنى الذي اكتسبته من برهان التمانع . أن معنى جديدا تبينه آية قرآنية أخرى : (لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا) — ٢١ ، ٢٢ —

الله هو المبدأ الاول ، منشأ الابداع والتعقل « واجب بذاته » ، كما يقول ابن سينا . فالوحدانية من حيث هي وحدانية ، لا تحتوى

على حيثيات ، ولا تحتاج الى غيرية ، ولا الى كثرة : تكاملها في ذاتها . هذا التكامل الذاتي يصبح كاملا تاما عندما يثبت لدينا أن (ا) هي (ا) باطراد ، ولا تعترتها أعراض أبدا . فلو أن (ا) تحولت شوقا لاحسن مما كانت عليه لقلنا : أن (ا) كانت ناقصة في حالتها الاولى . أما اذا تغيرت (ا) الى دون ما كانت عليه سابقا ، قلنا : أن (ا) غير مكتملة الذاتية . هكذا ، في كلتا الحالتين نستنتج أن (ا) تغيرت ، وأن كل متغير ناقص ، وأن كل ما هو ناقص فحادث .

« الله » كامل لأن الوحدانية كمال : « لم يكن له كفوا أحد » (قرآن ، ١١ ، ٤) . وأن من صفات الكمال القدم (فالواثن حادثه لأنها من مصنوعات الانسان) . فالله تام الوجود ، مادامت وحدانيته لا تنقسم ، وكامل الوجود لأن الوحدانية استتلال وكمال . فالله ، إذن ، وحدة كاملة مستقلة بذاتها ، وقدم : أنه « الاول والاخر ، والظاهر والباطن » (قرآن ، ٥٧ ، ٣) . الله هو الكائن الاوحد الذي يمتزج فيه الواقع بالمثل . فالقرآن يعبر بـ : « كان الله » لا بـ : « سيكون الله » .

لقد قمنا فيما تقدم بتعليق على مزاعم (رونان) من أن التفكير السامي طوبولوجي محض ، لا يقدر على تجاوز التكرار (مع اعطاء معنى قد حي لطوبولوجيا) . أما الآن فسيوجه اهتمامنا الى نظريات غربية أخرى حول التفكير السامي .

يدعى (رينان) ، في مؤلفه عن التاريخ المقارن للغات السامية ، أن الساميين يجهلون ، جهلا كليا ، المنهج العلمي المجرد النزيه عن كل منفعة شخصية ، عند الحكم على الاشياء ، فالمنهج الرفيع الذي يصاحب الروح العلمي في البحث والحكم ، ميزة خاصة بالفكر الارى (٣) .

يظهر من خلال هذا أن لـ (رونان) تفكيرا يتألف من النرجسية ومن العنصرية الارية . وسيردد صدى هذه العقيدة ، في عام ١٩٣٦ ،

(٣) ينطبق هذا على « الشهادة » في الإسلام ، كما ينطبق على ما جاء في الكتاب المقدس (سفر تثنية الاشتراع ، ٤ : ٣٥) : « أن الرب هو الاله ، ليس الهسواه » .

مهلهلة وغير مجهزة ، وذراتية ، (انظر ص ٨٩) .

هل تلك هي خصائص الفكر العربي الاسلامي ؟
فلنفرض ان هناك ميلا ، في فكر انسان ما الى « الذراتية » فهل معنى هذا ان ذلك الفكر معاد بطبيعته ، لكل قابلية للتركيب ؟ هل توجد « ذراتية » محض ، مطلق ؟

اذا اجيب بنعم ، استنتجنا ان صاحب الفكر الذراتي ليس انسانا ، وانما هو كائن ينتمى الى جنس من الحيوانات التي تفرعت عن غصن عام كان يضم ، من بين ما يضم ، الجنس البشري . لقد تأنسن وتطور الجنس البشري ، لكن جنس الذراتيين وقف عن التطور ، لانهم من اخوة او ابناء عمومة الحيوانات العليا . مثل الشامبانزى ، واصناف اخرى من القردة ... وما اخالنى مبالغا في استخلاص هذا النتيجة !

من المنهجية العلمية المعاصرة ، او المنطق الحديث ، يتحقق لدى الباحث ان التحليل والتركيب عمليتان متكاملتان : فليس التحليل غاية في ذاته ، وانما هو وسيلة من ومائل البحث ، او على الاصح ، جانب (وان كان جانبا أساسيا) من جوانب كل منهج يقصد تحليل شيء ما الى عناصره ، او تقليص معطى من متشعب المعطيات الطبيعية او الذاتية ، الى مكوناته البسيطة . اما التركيب فهو العملية المضادة : الذهاب من العناصر ، الى البسيط الى المعقد . فالتركيب يستلزم التحليل ، كما ان التحليل لا يحقق اهدافه الا بتكامله مع التركيب .

ربما اعترض علينا الاستاذ (جيب) بأنه ، وان كان لا ينكر التكامل والاسلتزام بين التحليل والتركيب ، يرغب شرحنا لاننا نفرض مسبقا ، قدرة الفكر العربي الاسلامي على التحليل ، في حين ان « الذراتية » لا تعنى التحليل . ان الاستاذ (جيب) يذهب بعيدا في تطرقه ، اذ يرى ان « الفكر » المسلم يعنى عمليات (تفكيره) على انطباعات متقطعة ، غير متصلة ، لا على معانى واضحة بينة تتسجم

(الويزيرطران) - وهو من العنصريين المرموقين . ان السلالة نتاج الدم « بحيث انه من الصعب جدا امتزاج الاجناس البشرية » . يذكر تصريح (بيرطران) بنظرية (دوغوبينو) الشهيرة التي تزعم ان السلالة كيان روى وميتافيزيقى ايضا وهذه الميزة الاصلية الثابتة تجعل امتزاج الاجناس محالا . من هذين التصريحين ، نستخلص ان بعض المفكرين الغربيين يضعفون اراء ارسقراطية ثقافية ، مما يترلق بهم عن الموضوعية . فالسيد (جرج دوها ميل) كان ، ولا شك ، ضحية خداع مخيلته ، وهو الكاتب الروائى . لانه غير متخصص في شؤون الشرق . لكن توجد جماعة من المستشرقين ، ذوى اتجاه جامعى محترم ، لهم آراء في موضوع حديثنا ، نرى من المفيد ان نقف عندها قليلا . من هؤلاء الاساتذة (ماكدونالدا Macdonald

الامريكى - و (جيب Gibb) البريطانى . و (بيلا Pellat) الفرنسى . فاحكام هؤلاء الاساتذة جديرة بالعناية لما لهم من اختصاص .

حاول الاستاذ (جيب) ، في كتابه « **الاتجاهات الحديثة في الاسلام** » (٥) ان يبرز القاسم المشترك لدى مفكرى الاسلام : على اختلاف اجناسهم ، فكانت النتيجة هى ان الذهنية الاسلامية تمتاز بـ L'atomisme « الذراتية » (٦) .

فما هذه « الذراتية » ؟

يجيب الاستاذ (جيب) بانها نزعة الفكر الاسلامى الى اعتبار المفاهيم وظواهرات الطبيعة واحداث التاريخ ، منعزلة متفرقة يعنى ان الفكر الاسلامى غير قادر على عمليات التركيب (نفس نظرية روتان ودوها ميل ... ولكن في قالب آخر !) .

ويرى (جيب) ايضا ، ان المعرفة ، بالنسبة لجمهرة طبقة المثقفين المسلمين تنقصها القوة الدينامية لانها لا تزال (حتى ايامنا هذه)

(٥) اعتدنا على الترجمة الفرنسية التي قام بها (فيرنى) باريز ، عام ١٩٢٦ .
(٦) اخترنا هذه اللفظة ، رغم ما فيها من زيغ على الاشتقاق العربى ، احتفاظا على المعنى الحرفى الذى ارضاه الاستاذ (جيب) ، ولان « ذرية » مصطلح علمى موقر لا يلائم هنا .

فيما بينه داخل منظومات علمية. وهذا وضع ناتج . كما يدعيه (جيب) عن انحراف أصيل في ملكة التخيل عند العرب : ان لها « طبيعة ذرّاتية تنقيطية » Pointiste — ص ٩٠ —
هذه الطبيعة اللاسوية هي التي تجعل التفكير الاسلامي ، في مظهره الصوفي يميل ، عفويا ، الى تفضيل الجانب الذاتي ، وتعلقه بتسلسل النقاط الفردية الموضوعة جنباً الى جنب ، مما يجعله عاجزاً عن العمليات التركيبية ويتقرّر دائماً من استعمال التحليل (ص ٩٠) .

فلنتخذ التاريخ حكماً بين المدعى (الأستاذ جيب) والمتهم (الفكر العربي الاسلامي) فهو كفيّل بأن يعرف الأستاذ (جيب) تاريخ الثقافة العربية والى اى حد ساهمت في نمو الحضارة الإنسانية ، بفضل فعاليات التحليل والتركيب التي قام بها المفكرون المسلمون ، من القرن التاسع (اى منذ ايام الكندي ، « فيلسوف العرب ») الى القرن الرابع عشر الميلادي (ايام عبد الرحمن ابن خلدون صاحب العمران البشري) . كما يعرف (جيب) ان الفضل في تقدم الجبر يرجع الى اولئك المفكرين ، فهم الذين نفخوا فيه روحاً جديدة ، بعد ان كان جامداً يتهاوت منذ (ديوفانتس) (٧) فانتعش ودخل في مرحلة الاكتمال .

فكلمة *Algèbre* العربية (الجبر) اصطلاح وضعه الخوارزمي ، اذ سمي كتابه الشهير بـ « الجبر والمقابلة » ، وهو كتاب يعد اول محاولة ناجحة في فصل الجبر عن الحساب واعتباره علماً قائماً بذاته . (٨) ونذكر ، كذلك ، بأن الخوارزمي هو اول من عمل جيباً حاول ان يوفق فيه بين الطرق اليونانية والطرق الهندية في الحسابات الفلكية (٩) .

ومفكرو الاسلام ، هم الذين أدخلوا ، ايضاً ، في الرياضيات نظام المنازل ، والسلم العشري والصفر . اخذ الغرب الارقام التسعة عن العرب وسموها « الارقام العربية » . وان اقدم نص عربي يذكر (الصفر) ويصف الارقام هي صفحات جاءت في كتاب اليعقوبي (سنة ٢٦٩ هـ ، ٨٧٢ م) . « واذا خلا بيت منها يجعل فيه صفر ، ويكون الصفر دارة صغيرة » (ص ٨٤) (١٠) .

هذه وقائع تاريخية لن يستطيع نكرانها احد . فعندما نسلم بها ، يلزمنا ان نسال : هل تعد تلك المساهمة « علماً » ، والذين قاموا بها « علماء » ، أم لا ؟ فالذي يشارك في العلم لا بد له من فكر قادر على « التحليل » (لا الذرّاتية) وعلى التركيب لاختيار ما يصل اليه بالتحليلات !

لقد كان من الضروري على العلماء المسلمين ان ينقلوا الى ميادين التركيب ما وصلوا اليه بالفكر « الذرّاتي » لان المرأ لا يصبح « عالماً » الا اذا اظهر القدرة على ادماج ملاحظاته واكتشافاته في مجموع نظري متناسق من المعلومات ، ولا نظرية دون امكانية الانتقال من التحليل الى التركيب ، والعودة من التركيب الى التحليل .

اليس البرهان الجبري نموذجاً للبرهنة المنطقية المستوفية لكل شروط العقلانية (المعادية ، طبعاً ، للذرّاتية) ؟
أيجوز ان يعتقد عالم معاصر ان محمد البيروني (٣٦٢ — ٩٧٣/٤٤٠ — ١٠٤٨) الطبيب الفلكي الرماضي استطاع ان يحلّ المتواليات العددية دون ان يكون ، قبل ذلك ، قد كون نظرية تركيبية عن مجموع المعارف الرياضية على عهده ؟

البيروني اول من وضع ان نصف القطر

(٧) رياضي يوناني الاصل ازداد بالاسكندرية حوالي ٢٥٠ م اليه ينسب اختراع علم الجبر .

(٨) للخوارزمي كتاب آخر : « صورة الارض » يصحح فيه اخطاء بطليموس في الجغرافية .
(٩) انظر ، في هذا الصدد ، دراسة الأستاذ أحمد سليم سعيدان ، في مجلة الابحاث ، بيروت ج ٤ ، سنة ١٩٦٢ ، ص (٧٢ و ٧٣) ، ان الأستاذ الباحث يصرح بأنه يكاد يجزم « ان العرب اخذوا الترتيم الهندي في وقت كان امر الصفر فيه غريب عنهم » ، ثم يضيف : « خلاصة القول ان الارقام الهندية سامية الاصل ، استعملت في الهند واستعملت في خط التجارة البحرية بين المحيط الهندي والبحر الابيض المتوسط » .

وحدة ، واعطى الجيوب النسب التي مازالت مستعملة الى اليوم .

يقول (كانط) : « ان كل منطوق حسابي لا يعطى الا في صيغة تركيبية » ، فلو ان الفكر الاسلامي كان « ذراتيا » مصابا بمعنى في كل ما يتصل بالتركيب ، كما يدعيه (جيب) لما احتفظ تاريخ العلم بأسماء لامعة ، مثل الخوارزمي وابي الوفاء ، اللذين عملا على تقدم علم المثلثات . ، بوجابر بن افلح الذي اصلح « الجسطى » لبطليموس . أما الادريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ / ١١٠٠ - ١١٦٥) فقد أبدع الجغرافية الرياضية ...

نحن لا نريد هنا ان نعطي عرضا لتاريخ العلم عند المسلمين ، فهذا ليس موضوعنا . وانما ضربنا امثلة عن موضوعية ومنهجية الفكر الاسلامي لرسالتها لامعة على اسطورة « الذراتية » والعجز عن عمليات التركيب .

يبدأ العلم عندما الحجة تنادي ما - ضد - الحجة . فالتركيب . كما يعرفه (كانط) ، ضروري لتمكين من قراءة التجربة . لكن ، اذا كانت التجربة قراءة تفهيمية ، وجب ان تشمل ، في آن واحد ، الكل والجزء ، فالذي لا يحسن الا تهجي الكلمات منعزلة كل واحدة عن الباتى . لن يستطيع . أبدا ، ان يفهم النص المكتوب . ومن جهة اخرى ، ان فهم النص المكتوب يتوقف على فهم سابق للالفاظ التي يتكون منها . فالمؤرخ يضع مشاكل ويحاول بناء وتلفيق الاحداث ثم يقدمها كمعرفة تقريبية (لانه توجد بين الواقع وما تحكى عنه ، ثغرات : من ضياع الوثائق ، او تدخل الذاتية ، والتزوير في الشهادة ...) وعلى العكس من المؤرخ ، ان العالم لا يضع مفاهيم مكان « ما - قد - وقع » ، بل يلاحظ « ما - يقع فعليا » ، يلاحظ المعطيات الحاضرة . يشاهدها الواحدة تلو الاخرى ، فيحللها . ثم يقارنها مع ما كانت عليه ، في نظرة عامة ، تركيبية .

من هنا ، نرى ، الى اى حد ، ان نظريات الاستاذ (جيب) ، ونظريات بعض الغربيين غير واقعية ولا موضوعية ، خصوصا اذا تعدت ميدان الملاحظة الى ميدان احكام القيمة .

لا يكتفى الاستاذ (جيب) بمحاولة اثبات « الذراتية العربية الاسلامية » ، بل يضيف بأن « الطريقة التحليلية حديثة العهد في عالم الفكر الاسلامي . فمن العسير عليه ان يتحرر من سيطرة الذراتية الالفيه ... » (ص ٩١) . فلا أمل لنا ، اذن ، في الالتحاق بالنوع الانساني بل سنبقى جنسا من الحيوانات ، بين الجنس البشرى وجنس القرودة .. تقضى الامر !

نجد شيئا يشبه « السيطرة » المذكورة كذلك في كتاب السيد (جورج دوهاميل) ، وقد تحولت الى عدم مقدرة وعاهة من عاهات الفكر الشرقي . فلننظر الى السيد (دوهاميل) وهو يربط انواع الفكر البشرى : « ان شعوب الشرق تظهر جليا ، بواسطة موسيقاها الاحدية النغمة ، عدم كفاءتها على متابعة أكثر من نغم ، في آن واحد ، وبالتالي عدم كفاءتها على متابعة أكثر من فكرة في آن واحد ، في حين ان شعوب الغرب يقدرون على ان يفهموا وان يتذوقوا افكارا كثيرة ، وانغاما كثيرة ، وجوانب مختلفة تجمع وتقدم طبقا لقوانين الهارمونية » (ص ٣٦) .

فما معنى هذا الحكم ؟

يدعى الاكاديمي المحترم :

اولا : ان الذوق الفنى ، في الموسيقى على الخصوص منعدم ، او مصاب بعطب لدى الشعوب الشرقية .

ثانيا : ان هذا العطب ناجم عن عاهة ذهنية الشرقيين او ان العطب والمعاة متصاحبتان متلازمتان .

لا شك ان السيد « دوهاميل » كان ضحية لبعض الغموض والالتباس مما ينزلق بالقراء الى تاويل حكمه تاويلا عنصريا (١٠) .

(١٠) رغم نصريته ، في نفس الصفحة : « ان الفرنسيين يشتمون ويعرون ، طبيعيا ، من كل خلط يمكنه ان يؤدي الى الغموض » (ص ٣٦) .

فمحمل كلام الدكتور (دوهاميل) ان للغرب ميزة لا تقاس ، وهى الثروة الهائلة من الذوق والفكر ، ثروة خاصة بالغربيين ، دون سواهم فليس على الشرق الا ان يقنع بما قسم الله له ، طبعاً ، مثل هذه الاحكام تحمل في طيها ، ضمناً انه لا حرج على الغرب اذا استعمل السلاح دفاعاً عن حضارة الذوق السليم والفكر الاخصب ، التى هى ملك للغرب ، وللغرب وحده . فلنصح ، اذن ، مع (رينان) ، مرة اخرى : « ان المستقبل لاوروبا - ولاوروبا وحدها ! » . ولنقل للباقي من الشعوب : « موتوا بغيتكم ! »

اذا قارنا بين هذه الاستنباطات العجيبة والاحكام القطعية التى يصدرها بعض المحدثين من رجالات الغرب وبين ما كتبه بعض قدماء مفكرى الاسلام عن مفكرين اجانب عنهم جنساً ، وديناً ، ولغة ، اكبرنا الانصاف والتسامح . فلتنتهعن هذه السطور التى كتبها ابن رشد عن ارسطو . انها اعتراف واعجاب بـ « المعلم الاول » ، فلا ترجسية ، ولا عنصرية ، ولا صليبية ، وانما الحق فوق كل اعتبار ، يقول ابن رشد ، فى مقدمة كتاب الطبيعة :

« مؤلف هذا الكتاب هو ارسطو (...) واضع المنطق والعلم الطبيعى وما بعد الطبيعة ، اقول : انه مرتب تلك العلوم ومقرر قواعدها ، لانه لا قيمة لما كتب عنها قبله . فهو اول من رتب مسائلها ، واحسن بسطها ، حتى فاق من تقدمه . واقول : انه متمم هذه العلوم ، لان كل الذين جاءوا بعده اخذوا فيها غلطا . فمن العجب ان يجتمع ذلك كله لانسان واحد . فهذا الرجل العجيب جدير ، بما جمع الله فيه من الحكمة ، بان يسمى الرجل الالهى » .

اننا لا ننكر مطلقاً ، ان مناهج البحث تختلف من عصر لآخر ، ومن علم لآخر . ولكن هناك

اسماً لا تتغير ، بدونها ما كان بحث ولا منهج ولا علم : مثل تلازم التحليل والتركيب فى تكاملية تامة ، والتوجيه الشمولى للبحث العلمى ... حقاً ، تطرا على المنهجية تغيرات تبعاً لتغيرات المفاهيم والادوات والمخابر ومختلف الوسائل التى هى فى تطور دائم ، مما يطور البحث ذاته . انه لخطأ علمى الاعتقاد بان التفكير يسير على منهج واحد قار . بيد ان اول ما يطلب من العالم هو ان ينظر الى عناصر اى مشكل فى فردية كل عنصر ، وفى تلاحمه داخل المجموع ، وليسم هذا بـ « الفرادية » من شاء ! . فالعالم ملزم بعملية مزدوجة اساسية : فى البداية كان موضوع الرياضيات ، سواء فى الشرق او فى الغرب ، هو الحساب والهندسة . اما اليوم فقد اتسع هذا الموضوع واصبحت الرياضيات تشمل مجموعة من البنيات ، فاضطر الحساب الى ان يغير أسلوبه عندما يريد تحديد خاصيات مجموعة رياضية ما .

فلو اتيح لكبار رياضى العصر الوسيط ، من الشرق والغرب ان يبعثوا اليوم ، ليفتحوا اعينهم اكثر من النافذة لاندعشوا امام أسلوب الرياضيات المعاصرة ، ولاعترفوا بجهلهم لنظام البنيات الترتيبية من نوع (س - ي) مثلاً ، ولبقوا مشدوهين امام نظام بنيات العلاقات التعاديلية ، والبنيات الجبرية ، والبنيّة الطوبوغرافية . ورغم هذا « الجهل » الصريح لن يستطيع احد ان ينكر فضل اولئك الوافدين من القرون الوسطى على تقدم الرياضيات . ان الاكسيوماتيكا (١١) المعاصرة ليست فى متناول جميع المثقفين ، ولو كانوا غربيين من دم آرى صرف . فالقضية قضية اطلاع وتعلم لا علاقة لها بالجنس ، او الدين او اللغة .

فلننظر الان الى تصريح الاستاذ (جيب) عن التفكير العربى الاسلامى الذى لا يتسم بـ « التمييز والوضوح » . انه تصريح يظهر انه

(١١) دراسة تحليلية تسبق العرض المنطقى وهو فرع من فروع الرياضيات ويرى الى ان تحدد تحديداً دقيقاً ، المسلمات والمصادرات اى كل الفروض الاولى (وهى قضايا غير بدئية ولا يبرهن عليها ، ومع ذلك يسلم بها كأساس للاستدلال فى المسائل النظرية والعلمية) .

انتقاد ، وقد قسمه كذلك صاحبه ، ونحن نعتبره على العكس ، مدحا وتقديرا . فلك ان التمييز والوضوح ليسا من لوازم النتائج العلمية الصائبة والأفكار النيرة ، بل ان التجربة الوضعية الحسية هي التي تكون في مستوى التمييز والوضوح فعندما طالب (ديكارت) بان تكون المعاني « متميزة واضحة » نظر الى القضية من جهة المنهج لا من جانب المحتوى . على ان (ديكارت) قد طالب بذلك انتقادا لأساليب البحث والتدريس المتبعة في عصره (بأوروبا) ! ، وقبل زمانه ، عند المدرسين (الغربيين ، المسيحيين ، الآريين) . لقد كانوا . على ما يظهر منغمسين في « الذرانية » أو شيء من هذا القبيل كالبيزنطيين ، فحاول (ديكارت) انقاذهم . فهو لم يفكر . مطلقا ، في شعوب الشرق عامة ، وشعوب العروبة والاسلام خاصة . عندها وضع تأليفه الخالد « حديث المنهج » .

وتهمة أخرى . . الثالثة ، وليست الأخيرة : يدعى الاستاذ (جيب) ان الفكر العربي الإسلامي يرفض الحتمية . رغضا مطلقا . ان الواقع هو ايضا ، « يرفض » هذه القولة رغضا باتا . للحتمية العلمية مبدأ يثبت : ان بين الظواهر علاقات ضرورية بحيث ان وجود أية ظاهرة مقيد بالظواهر التي سبقتها أو بالظواهر المصاحبة لها . اذا كان هذا هو التعريف العلمي للحتمية العلمية ، يصعب ، ويستغرب ، نكران وجوده في التفكير الإسلامي . اولم يؤسس الفكر العربي الإسلامي الادراج الرحبة التي تتلخصها « علم الصناعة » كيما يصبح علم « الكيمياء » ، و « الفلك » ، و « التنجيم » ، كيما يغدو علم « الفلك » ان الكيمياء و « الفلك » يعتمدان على قوانين . والتفكير في « القانون » (في القواعد المطردة) هو التفكير الضروري في الحتمية العلمية ! ايهم الفكر العربي الإسلامي

بـ « الاحتمية » ، وهو الفكر الذي ساهم ، ايما ساهم ، في نقل التفكير العلمي الانساني من الرياضيات الفيثاغورية النظرية ، ومن الماهيات الاغلاطونية ، الى الجبر العلمي ؟ لقد تعرف الاطباء المسلمون على الحتمية العلمية . فالتشخيص الطبي . يدرس الامراض . اى يحدد علاقات المسببات بالاسباب ، اى بالعوامل السابقة او اللاحقة التي نشأت عنها الظواهر المرضية الحاضرة : علاقات الشروط بالشروط ، نهل يتمور ان الاطباء المسلمين ، ومنهم من كانوا أساتذة الشرق والغرب في هذا المضمار . خلال قرون ، جهلوا الحتمية ؟

فلنتأمل كيف يحدد ابن سينا الطب : انه العلم الذي بواسطته نعرف حالات الجسم البشري . وبواسطته نحفظه في صحة جيدة . فان كان كل علم ملزما بان يعرف اسباب المواضيع التي يهتم بها . فان الطب ملزم . هو كذلك . بان يعرف اسباب المرض والعافية . ان كتاب « القانون في الطب » لابن سينا ككتاب « الكليات » لابن رشد . موسوعتان تعطيان نظرة عامة عن اصول الطب . انهما نموذجان مما احسن ابداعه الفكر الانساني المؤمن بالحتمية (١٢) .

في القرن الثالث عشر الميلادي قام أحد الاطباء العرب الدمشقيين (ابن النفيس) بدراسات علمية اهدى بها الى اكتشاف الدورة الدموية الرئوية . ويوجد وصف دقيق لهذا الاكتشاف في الشرح الذي وضعه ابن النفيس للجزء الخاص بالتشريع من كتاب ابن سينا « قانون في الطب » .

في ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٥٣ تقدم الدكتور هيربان Hirpin لأكاديمية الطب بباريس بمذكرة أكد فيها ان ابن النفيس قد قام باكتشافه العظيم بثلاثة قرون قبل العالم الاسباني (ميغيل سيرفيتو M. Servet) الذي

١٢(١٢) تقدم في باريز ، عام ١٩٥٣ ، طالب سورى بطروحة نيل الدكتور في الطب ، من موضوع مهم « الدورة الدموية الرئوية » . أو « الدورة الصغرى » قبل هذا الدفاع بثلاثين سنة ، كان باحث آخر قد قدم أطروحة في نفس الموضوع ببرلين .

أحرق بجنيف سنة ١٥٣٣ .

آمن مفكرو الاسلام بالتحتمية العلمية ،
ومارسوا « التحليل » و « التركيب » ، اذ ليس
في ذلك ما يناقض دينهم ، بل ان الاسلام
يحضهم على ذلك ، كما يوضحه ابن رشد في
صفحات نختار منها ما يلي :

« ان كان فعل الفيلسوف ليس شيئا اكثر من
النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها
على الصانع ، اعنى من جهة ما هي مصنوعات ،
فان الموجودات انما تدل على الصانع لمعرفة
صنعتها وانه كلما كانت المعرفة بصنعتها اتم
كانت المعرفة بالصانع اتم ، وكان الشرع قد
ندب الى اعتبار الموجودات وحث على ذلك ،
فبين ان ما يدل عليه هذا الاسم اما واجب
بالشرع واما مندوب اليه .

فاما ان الشارع دعا الى اعتبار الموجودات
بالعقل وتطلب معرفتها به ، فذلك بين في غير
ما آية من كتاب الله تبارك وتعالى ، مثل قوله :
(فاعتبروا يا اولى الابصار) وهذا نص على
وجوب استعمال القياس العقلي ، او العقلى
والشرعى معا . ومثل قوله تعالى (او لم
ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق
الله من شيء) ، وهذا نص بالحث على

النظر في جميع الموجودات ، واعلم تعالى ان
ممن خصه الله بهذا العلم وشرفه ابراهيم عليه
السلام ، فقال تعالى : (وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السماوات) . وقال :
(الذين يتفكرون في خلق السماوات والارض)
الى غير ذلك من الآيات التى لا تحصى كثرة .
واذا تقرر ان الشرع قد اوجب التطبر
بالعقل في الموجودات واعتبارها ، وكان الاعتبار
ليس شيئا اكثر من استنباط المجهول من
المعلوم واستخراجه منه ، وهذا هو القياس
او بالقياس ، فواجب ان نجعل نظرننا في
الموجودات بالقياس العقلى . وبين ان هذا
النحو من النظر الذى دعا اليه الشرع ، وحث
عليه ، هو اتم انواع النظر باتم انواع القياس .
وهو المسمى برهانا .

واذا كان الشرع قد حث على معرفة الله
تعالى وموجوداته ، بالبرهان ، وكان من
الافضل او الامر الضرورى لمن اراد ان يعلم
الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات
بالبرهان ان يتقدم اولا فيعلم انواع البرهان
وشروطها » (١٣) .

محمد عزيز الحبابي

(١٢) فصل المقال ، وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من اتصال ، الجزائر ١٩٤٨ ، ص ١ ، ٢ .

ابعدوا بتبرعاتكم لبناء مسجد الامير عبد القادر

بقسنطينة الى القرض الشعبى الجزائرى

C.P.A. Constantine

C.C.B. 30141.1291

البيئة ..

— وسير التاريخ الوطنى

تضافرت العوامل الطبيعية والبشرية على
تهيئة بلدنا . نوميديا (المغرب الاوسط —
الواسطة — الجزائر) منذ عهد قديم ، لكى
يكون مركزا من مراكز الحضارة الانسانية ،
سواء فى شرق البلاد حيث مدينة (سرتة
قسطنطينة) او فى غربها حيث مدينة
(سيقه على مصب نهر تافنة) .

وهذه العوامل المزدوجة ، التى هيات
لابناء الوطن ان يمثلوا منذ عهد قديم ، الدور
الذى يضاهى قيمة ، واهمية بلادهم ، هى
نفسها التى فرضت عليهم أيضا مسؤوليات
محددة ، وكتبت عليهم ان يدفعوا الثمن دائما،
من أجل أمن ، وراحة ، واستقلال جيرانهم ،
فى بلاد المغرب ، وقارة افريقيا .

وتوسط موقع بلادنا بالنسبة لبقية اقطار
المغرب العربى ، وكونها نافذة تطل على
افريقيا ، السودان ، ان كانت آثاره الطيبة
بارزة ، فى المناخ الطبيعى ، وفى الانتاج ، وفى
الاخلاق ، وفى العقلية الخاصة ، ثم فى
التجارب الثرية ، فان صيرورة بلادنا بحكم
هذه الميزة الجغرافية ، مركز ثقل ، عرضها
دائما لاشد الاخطار ، وكان الرومان من أوائل

لقبال موسى

الشعوب التي أدركت قيمة نوميديا في هذه الناحية ، ومن ثم سارعوا الى ربط صلات ودية ، مع ملوك نوميديا ، وموريطانيا ، ومنحهم مساعدات فنية ، وامتيازات خاصة قبل أن يبدأوا مشروع غزو قرطاجنة . في صميم أرضها ، وكان هدفهم في النهاية ، الافادة من موقع نوميديا المتوسط ، لضرب النفوذ القرطاجنى وتصفيته اعتمادا على حلف ملوك المنطقة .

وعلى نفس الدرب صار الفرنسيون . حيث احتلوا الجزائر ، ومنها توسعوا سياسيا ، واقتصاديا ، وعسكريا ، غيبا جاورها . من أرض المغرب ، وافريقية . أما اشراف بلادنا عبر ساحل طويل ، على البحر الابيض المتوسط ، فانه ميزة طبيعية كبرى . تعنى التفتح على العالم الخارجى ، والاهتمام بما يجرى فيه من أحداث ، وبالعلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية على مستوى اوسع من اطار شمال افريقيا .

وقد افاد الملوك البونيقون من هذه الميزة منذ عهد قديم ، حيث ربطوا صلات واسعة مع كثير من مراكز الحضارة والتجارة والثقافة في العالم القديم . واهتموا بالبحرية ، وبناء الاساطيل بنوعها التجارى والبحرى . وفى هذه الناحية يبرز اسم الملك ماسينيسا كأول ملك نوميدي أنشأ أسطولا قويا كانت هبون (عنابة) وصدلای (بجاية) من مراكزه . وكان الساحل الشرقى للبلاد ، يحتضن عدة مراكز ، ودور لصناعة السفن ، تحدث البكرى والادريسي ، وغيرهما من (الرحالة) على ثلاثة منها ، كانت توجد في كل من مرسى الخرز (القالة) (بلد العناب) وبجاية . ويلاحظ أن نشأة مثل هذه الصناعة ، في تلك العصور ليس أمرا عسيرا بسبب توفر البيئة المحلية على المواد الأولية لهذه الصناعة ، ولئن كان الموقع البحرى فيه من المميزات الطيبة ما يربو على ما ذكرنا ، فانه كان ولا يزال ، نقطة ضعف بارزة ، والسبب أن جميع انواع التسلل ، والغزو كانت تتخذ طريقها الى البلاد ، عن طريق البحر ، فالرومان ، والوندال ، والبيزنطيون ، وعنصر النورمان

والأتراك العثمانيون ، والفرنسيون ، جميع هؤلاء نفذوا الى داخلية البلاد ، وسيطروا عليها حيناً من الدهر ، بواسطة البحر . ولو لم تتوفر البلاد على مناطق عزلة مثل الصحراء ، ومعامل حصينة مثل الكتل الجبلية في أوراس . وجرجرة (جبال الحديد) والونشريس . وبابور وشمال قسنطينة . وبو طالب في الحضنة . لكانت وجهة البلاد غير التي نراها ونعيشها الآن .

فالكتل الجبلية كانت داتها مهدا لأنقى صور القومية في مراحلها الاولى . ومنها كانت تنطلق المقاومة الوطنية . للتيارات الاجنبية المختلفة ، منذ عصر القرطاجيين ، الى نهاية عهد الفرنسيين .

وفى ظل ما توفره من حماية ومناعة للعناصر الثورية . كانت البلاد لا تستكين لای طارئ جديد . الا بمقدار ما تهى نفسها . وتعبد قواها . ومواردها لانتصائه عن حوزتها .

وهكذا نلاحظ ان انطلاق الشرارة الثورية الاولى من أوراس نوفمبر ١٩٥٤ وانتشار لهبها في جرجرة ، والونشريس وشمال قسنطينة ، كان منسجما مع الدور التاريخى لهذه الظاهرة الجغرافية ، وحلقة أخيرة في سلسلة حركات المقاومة الوطنية للاحتلال الاجنبى منذ عصر قديم . أما الصحراء فكانت أيضا مركز ايواء وراحة للمقاومين ، اذ كان رجال المقاومة منذ القديم يعتصمون بها ، وبالمناطق الداخلية في البلاد ، التي كان لا يجرؤ المحتلون قبل الأتراك والفرنسيين على التوغل فيها للاحتقتهم ، بعد أن يقوموا بواجبهم ضد مراكز النفوذ الاجنبى المنتشرة في السهول ، والهضاب ، أو على السواحل . وكان الجيتوليون ، وهم سكان الصحراء قديما يهيئون لعناصر المقاومة من نوميديا ، وموريطانيا ، في أرضهم ، مكانا آمنا وحرزا حصينا للراحة وللتموين ، وللمعاودة الهجوم .

وتظهر أهمية الصحراء في تاريخ بلادنا ، في الميادين الثقافية والحضارية عموما ، اذ أصبحت منذ القديم معبرا للتيارات الشرقية السامية . ومنها الاسلام ، واللغة العربية ، وجميع مظاهر الحضارة الاسلامية ، التي

نعيش الآن على فيضها الزاخر ، ونتغذى من تراثها الغنى المتجدد تجدد الحياة . وعن طريق الصحراء أيضا . تكونت الصلات التاريخية بين المغرب الأوسط . ومجموع افريقية الزنجية . اذ هاجرت منها جماعات واستقرت في بلادنا كما انطلقت من تاهرت . وورقلة وواحة توات . البعثات . والهجرات وخرج الرواد والسفراء والرحالة الى مناطق من افريقية الغربية منذ عصر الرستميين . وآثار هذه الحركة ما زالت ملحوظة هنا وهناك . في اصول السكان وفي الوانهم . وفي ثقافتهم واديانهم وعاداتهم . وحتى في مظاهر لباسهم .

وعبر طريقين تاهرت . عبر سجلياسة الى مملكة غانة القديمة ثم ورقلة عبر غدامس الى الليجر وغيرها . نفذت القوافل التجارية من المغرب الاوسط . فدخلت اودغشت وغانة . (اسم مدينة ومملكة) . وتمبكتو (اسست 1100 م وهي في جمهورية مالي) . ومع هذه القوافل كانت تنتقل مختلف التيارات الثقافية والاجتماعية والعقائدية . ومن المعروف عن التجار والرحالة المسلمين في العصور الوسطى انهم كانوا دعاة ، ومعلمين ، وقد اثرت جهودهم السلمية في مد رقة الاسلام . الى أماكن ، من افريقية ، وآسيا ، وأوروبا ، لم تطرقها حملات الفتح الاسلامي حتى في عهد الاتراك العثمانيين . ومن هؤلاء الرواد الوطنيين عبد الكريم المغيلي (15 م) الذي بذل جهودا مشكورة في كشف اساليب اليهود في واحة توات . وفي تنوير الطريق أمام الحاج أسقيا ، رأس أسرة الاسيقيين في مالي . اذ افتناه في مسائل كانت تشغل باله حول واجب الحكام المسلمين . في محاربة البدع ، والعادات المخالفة للدين . والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكان لهذا الرائد الجزائري نشاط آخر . في بعض مناطق تيجريا . (كانوا) حيث يحتفظ مسلموها له ، بذكرات حميدة ويعتقدون فيه الولاية . ويخلعون عليه كل مظاهر التشريف . وحياء المغلي . التي تحتاج الى عناية . تقوم برهاننا على أن الاسلام لا يعرف حدودا كما لا تنفي عزم رجاله . صعب ، في

سبيل أداء رسالته ونشرها في الافاق البعيدة . وهذه الصحراء التي كنا نتصورها مركز عزلة وخلاء . كانت في العصر القديم والوسيط ، بغسل الرواد ، والرحالة . والقوافل التجارية ، مركز وصل . وعمران ، وطريقا لاهم تجارات العالم في العصور الوسطى ، وهي تجارة التبر (الذهب غير المضروب) الذي كانت توجد منابعه الاصلية في مناطق من السودان الغربي . وكان التجار . يحملون الى هذه البلاد عبر تاهرت . او ورقلة ، منتجات البيئة المحلية ، ومن اهمها الملح ، الذي يستخرج من السباح ، والملاحات . ويجلبون منها ، التبر ، وریش النعام ، وأدوات الزيتة المحلية .

وقد لاحظ الرحالة : البكري ، والادريسي ، والقزويني . أن سجلياسة (تافلات) وهي باب السودان الغربي ، ومحطة صحراوية كبرى لتجارة التبر ، كان سكانها يتبايعون في الذهب جزافا بدون وزن ، بينما يتبايعون في الكرات بالوزن .

وبسبب هذه السلعة الهامة ، تمكن سكان سجلياسة من انشاء نظام سياسي قار ، احتفظ بقوته حتى ظهر الصراع الحاد بين الامويين في قرطبة (الاندلس) والفاطميين في المهدية (تونس) من اجل السيطرة على طرق تجارة السودان ، وعندئذ انتاب امارة سجلياسة ، الضعف وتداولها الامويون والفاطيون الذين اثروا من تجارة التبر ، ومن رسوم العبور بدرجة أن آخر حملة وجهها الفاطميون ضد مصر الاخشيدية كانت تصحب معها الفا وخمسمائة حمل من الذهب المضروب . اما المعز لدين الله رابع الخلفاء الفاطميين في المغرب ، فقد سبك الذهب المخزون عنده ، على هيئة طواحين ضخمة ، وصحبها معه عندما ترك بلاد المغرب نهائيا . الى مصر .

وحادث الانتقال الى مصر كان يعنى ان طرق التجارة مع السودان الغربي ، أصبحت تحت اشراف الامويين ، وانصارهم في سجلياسة .

ويلاحظ أن موقع بلاد الملثمين الصحراوية عبر طريق التبر ، هو الذي أتاح لهم ان يلعبوا دورا رئيسيا . في حياة شمال افريقية وبلاد

السودان، من النواحي الاقتصادية والسياسية والدينية .

وعندما انحلت قبضتهم القوية ، بسبب انغماس بعض سلاطينهم ، في الترف والتعيم ، في المغرب ، والاندلس ، أخذ زمام الامر منهم ، المصامدة الجيليون الذين ورثوا دورهم واهميتهم في مناطق السودان وفي المغرب العربي .

واهتمامهم بتوفير الامن ، وبالاشراف على الطرق التجارية ، انعكست آثاره في الارباح الوفيرة ، وفي مظاهر الرخاء ، التي استغلها الموحدون ، في بناء الاساطيل التي ظهر غناؤها في تجدة مسلمى الاندلس ضد الاسبان الشماليين أثناء حركة الركونكستا (حركة غزو مضاد ضد المسلمين) ، وضد غارات النورمان المخزية على طول سواحل شمال افريقية .

وقد كانت الرغبة في الحصول على التبر ، والسيطرة على منابعه في السودان ، هي احدى الدواعي وراء حملات السعديين وسلاطينهم احمد المنصور ، الذي عرف بسبب ذلك بلقب الذهبي .

وتأمل هذه الاعتبارات التي اسلفنا الحديث عنها ، يقود حتما الى التسليم بان بلادنا اسهمت في اقتصاديات العالم الافريقي ، وفي الحضارة الانسانية ، والاسلامية منها ، اسهاما معقولا ، وكان لبعض رجالها منذ القديم أدوار رئيسية وتأثير ، تجاوز في احيان كثيرة ، نطاق الحدود التقليدية للمغرب الاوسط ، فمثلا ، صراع ماسينيما وصفاقص ، من اجل هدف سام هو الوحدة الوطنية ، الذي حمل كلا منهما على التماس حليف يساعده ، سرعان ما تحول الى حرب دولية ذات صبغة عامة اشترك فيها الى جانبهم الرومان والقرطاجيون .

أما يوغرطة الذي اقتنع باهمية الوحدة الوطنية ، والاستقلال السياسي والاقتصادي ، وتنبيه الى الدور التخريبي الذي تقوم به الجاليات والعناصر الاجنبية ، في سرتا (قسنطينة) وغيرها من حواضر نوميديا ، فقد قاوم الرومان ، وصفي العناصر الاجنبية وقضى على الانهزاميين . وعلى نفس الخط سار الامير عبد القادر

وكان للقديس اوغسطين ، وليد سوق اهراس (تاقست) أهمية في ميدان الفكر تجاوزت الوطن والامبراطورية الرومانية ، الى أوروبا العصور الوسطى . حيث كان كتابه « مدينة الله » الذي يحمل سمات البيئة الوطنية شرارة ايقظت العقول ، واضافت جديدا .

وهذا الشاعر الزناتي بكر بن حماد التاهرتي ، كان انتاجه الشعري الرفيع الذي يحمل تأثيرات البيئة الحضارية في عصر الرستيين ، يجعله في مصاف فحول الشعراء في العصر العباسي ، لا غرابة اذا نال اعجاب المعتصم العباسي ، فأجزل له الصلات .

أما ابن خلدون فرغم انه عربي من حضرموت اصلا ، الا ان البيئة الجزائرية بجاية وتلمسان ، هي التي كونته وهأت له الظروف المصالحة كي يظهر لاول مرة . في عالم الفكر وفي ميدان الدراسات الاجتماعية والحضارية ، بقوانين مبتكرة ، صاغها في مقدمة كتابه الكبير « العبر وديوان المبتدأ والخبر » . وكانت تعتبر في وقتها ، وحتى تطور الدراسات الاجتماعية في العصور الحديثة ، كشفا جديدا

أما المقرئ (مقرة - ولاية الاوراس) . وآل الطيني (طينة قرية بركة) ، والونشريسي - وآل العقباني (تلمسان) ، الذين كانوا من صميم البيئة الجزائرية ، وازدهروا في الاندلس أو في فاس ، أو في مصر ، حيث كانت لهم فروع . وبقي لهم انتاج طيب ، فيعتبرون جميعا ، مفخرة للبلاد التي انبثوا اليها بأصولهم ، لان آثارهم تحمل تأثيرات البيئة الاصلية .

ومن ثم فالبلاد التي اهلتها الطبيعة لان تكون على هذه الصورة ، وبيبرز فيها رجال على هذا المستوى ، لا يصح قطعا ان يقال عنها انها « الشخصية السلبية » . الا من طرف مؤرخي الاستعمار ، كي يبرروا عللة وجودهم الاستعماري فيها ، ولينظفوها امام غيرهم ، بانهم هم وحدهم الذين اكتشفوا هذه

البلاد ، ومنحوها ميزاتنا المعروفة .

ولاعتقادهم في هذا الرأي ، ولسرغبتهم ، في حمل الناس على الاقتناع به . جانبوا الصواب . وأغرقوا في الافتراء وبالقوا في التشويه ، ومن ذلك :

اطلاقهم على كل الثورات الوطنية ضدهم . حتى ثورة نوفمبر ١٩٥٤ م صفة التمرد والعصيان ، كى يجردوها من دوافعها القومية ، أو نوازعها الدينية والاجتماعية . ثم تصورهم بأن التناقض قائم بين سكان الجبال . وسكان السهول ، بين الداخل ، والساحل أو بين الشمال ، والجنوب ، كما ان العداء مستمر . بين البتروا ليرانس ، أى بين المستقرين من السكان وبين الرحل منهم . والهدف من ذلك كله : انهم الذين أوجدوا التوازن بين الظواهر المحلية ، وبين السكان ومهدوا السيادة والأمن والاستقرار حسب زعمهم .

— ثم محاربة اللغة العربية ، بحجة انها ليست لغة البلاد . وليست لغة حضارية !! والهدف من ذلك عزل السكان عن ماضيهم العربى الاسلامى — وتحويرهم للالقاء ، والكتنى . والاسماء العربية ، واشعار السكان بانهم لا ينتمون الى العربية ، على نحو يثير الاستغراب والاسف . لبعدها عن الاشتقاق ، وهجنتها ، الهدف منه : التشويه واشعار السكان بانهم لا ينتمون الى العربية حتى في شكل اقباهم وكناهم .

وأما نشاطهم في الناحية الدينية ، فكان له مظاهر كثيرة : منها ارسال البعثات التبشيرية الى الاماكن النائية ، والمتعزلة خاصة ، تحت ستار القيام بالخدمات الاجتماعية ، والهدف : تخذيل الناس عن دينهم ، وزعزعة ايمانهم .

ويلاحظ ان مظهر بعض مدننا كما خططها المستعمرون يوحى أحيانا بأن البلد مسيحى اذ اول ما يرى الإنسان من بعد برج الكنيسة والصليب . كذلك تكثر الكنائس ، وتتركز في اماكن حساسة حتى في القرى ، بينما نلاحظ قلة المساجد وعزلتها حتى في بعض المدن والخواضر الكبرى .

واذا كان تأثير البعثات التبشيرية ، ظل محدودا ، في العهد الاستعمارى ، لتغلغل الروح الدينية وقوة المنعة الذاتية ، واقتصار على قلة من الفقراء والايتام ، وبعض ضعاف النفوس ، وظهر في اتخاذ بعض النساء لعلامة الصليب وشما ، بقصد طرد العين عن الاولاد فان الخطر في نشاط هذه البعثات ، قوى في وقت أصبح فيه الوعي الدينى ضعيفا ، والتوجيه الاسرى منعما ، مع هذه الحرية المطلقة التى يتمتع بها شباب اليوم .

— أما مظاهر التشويه في الحياة الفكرية ، فمنها اعتقاد البعض بأن المغرب الاوسط على عكس. المغربيين الأدنى والاقصى ، كان باستمرار بؤرة جهل ، وخلصوا من سمات الثقافة الرفيعة ، انسياقا وراء مظاهر شكلية وتجاهلا لحقائق الاشياء . والحقيقة أن الظروف الصعبة التى مر بها وطننا ، الذى كتب عليه أن يتصدر الاحداث منذ عصر الرومان ، ويمتحن بقوى الغزو وينتصب ، جبارا للدفاع عن مقدساته وعن الحق ، والعدل ، هى التى كانت سببا في ضياع تراثه منه ، وهجرة رجاله المثقفين الى بيئات اخرى مجاورة .

ويلاحظ أن وطأة الوندال ، وتخريبهم لمظاهر الحضارة والعمران ، كانا في نوميديا بسبب كونها نقطة ترسب لهؤلاء المغامرين . من بربر اوربا الذين اضحى اسمهم مرادفا للوحشية والهمجية (القند الزم) ، اللتين لم تقفهما غير همجية المغول (التتار) في بلاد الشرق الاسلامى .

— أما ما أنتجته البيئة الجزائرية في عصر الرستميين الاباضية ، وكان شيئا معتبرا ، فقد تلف اكثره في عصر الفن الداخلية بين أواخر الرستميين ، وما بقى أخذه الشيعة الفاطميون وضموه الى خزائنهم ، أو احرقوه

وما زخرت به البيئة في عصر الفاطميين تولى نقله هؤلاء ، مع بقية ذخائرهم الى مصر

عند استقرارهم فيها ، وما بقى يحبل تأثيراتهم
أثله المآلفون لهم من أهل السنة ، وفقهاء
المالكية خصوصا في القرن (٥ هـ) ، الذى
يعرف بأنه عصر محنة الشيعة ، ونهضة
السنة في بلاد المغرب العربى . أما انتاج أبناء
الوطن في عصور بنى زيرى وبنى حماد
الصنهاجيين وبنى عبد الواد الزيانيين والأتراك
العثمانيين ، فقد توزعت بينات كثيرة ، ويوجد
منه في خزائن المغرب الأقصى ، وتونس ،
وقبوسراى باسطنبول وفى دور المحفوظات
ببعض جامعات فرنسا . أما التزير اليسير
منه فيوجد في المكتبة الودانية .

وتتوفر الزوايا ، والمكتبات الخاصة
بالامر ، وبالأشخاص على آثار خطية من
انتاج علماء وطنيين في عصور مختلفة ، وفى
قرية (بنى يسجن) قرب غرداية ، توجد
مكتبة قطب الأئمة اطفيش وهى تشتمل على
بعض الآثار التى لا تخلو من أهمية .

وبلاحظ ان بيئة المغرب الاوسط ، كانت
منذ القديم مهدا لنشأة الحركات المذهبية
والاجتماعية فعلى أرضها ازدهرت الحركة
الدونانية ، التى كانت حركة مقاومة للنفوذ
الاجنبى في شكله السياسى والمذهبى كما
ازدهرت الحركة الخارجية ذات النزعة
الجمهورية ، التى نجحت بمساعدة السكان ،
في تأسيس نظام سياسى مذهبى مستقر في
ناهرت ، سرعان ما تحول الى شكل امامة
كبيرة ، فأصبحت البلاد بواسطة هذا التطور
مركز جذب جميع فئات الخوارج الإباضية
والصفورية ، من تونس ، وسجلماسة ، وليبيا ،
وبلاد المشرق . وكانت هذه الامامة عنوانا
على نجاح التجربة الاستقلالية الاولى في بلاد
المغرب الاوسط في العصر الاسلامى .

وكانت هذه الامامة أيضا ، بمثابة الدليل
الحى على الروابط القومية التى يجب ان تكون
وتستمر بين المشرق العربى وبلاد المغرب
لا سيما ، جزءه الاوسط . وإلى جانب حركة
الخوارج ، يلاحظ أن بيئتنا احتضنت الحركة

العلوية الشيعية ، التى تقوم على مناصرة آل
البيت وحمائهم ، وتأييدهم ، لاسترجاع
حقهم في الخلافة ولذلك تبدو نزعتها ملكية لانها
تستمد حقها في الخلافة من - نسبتها للرسول
(صلى الله عليه وسلم) . وكان لابناء كتامة
(شمال قسنطينة) دور كبير في اقامة مجد
العلويين في أرض المغرب ثم في المشرق ،

**وطنا الذى يستقبل أبناء فلسطين ، ويؤيد
قضيتهم ، ويفتح أرضه للمضطهدين ، ولرجال
حركات التحرر ، ينسجم مع ماضيه في الوفاء
للمبادئ الصحيحة ، وفى الوقوف الى جانب
أصحابها ، والمدافعين عن الحق والعدل .**

ودعوة بلادنا الى وحدة المغرب العربى ،
كخطوة أولى نحو بناء الوحدة العربية الشاملة
ليست وليدة الظروف الانية . وانها هى ذات
أصول موغلة في القدم ، اذ انطلقت الدعوة
اليها من قلاع شمال قسنطينة ، وتبنتها كتامة
ودفعت أبناءها وزهرة شبابها ليكونوا جنود
الوحدة ، ووقودها ، وحربا على التجزئة في
تشتى مظاهرها ، وهكذا أصبح المغرب العربى
وبلاد الحجاز ، ومصر وبلاد الشام وحدة
سياسية مركزها القوى في القاهرة المعزية
وجنودها الحارسون لها : هم أبناء كتامة
وصنهاجة ، وهم من قبائل المغرب الاوسط .

ولقد حافظ الزيريون (صنهاجة) على
طابع الوحدة المغربية ، من طرابلس الى سبتة
كما احتفظوا بالروابط التاريخية مع الفاطميين
في مصر .

وعندما بدا أن الفاطميين انغمسوا في
شؤون المشرق ، واصبحوا لا ينهضون بواجب
المحافظة على هذه الوحدة ، واصل الزيريون
مهمتهم حتى ظهر من أبناء الوطن موحد جديد ،
انجبته كومية (دائرة ندرومة) فنهض بالعبء
وواجه الاخطار الاسبانية والنورمانية ضد
المسلمين في المغرب والاندلس ، وحافظ على

الوحدة كما كانت ، وكان يمكن لخلفاء عبد المؤمن بن علي ، أن يقدموا الكثير للمسلمين في مصر والشام ، أثناء الحركة الصليبية ، لولا تأثير أبي يعقوب المنصور من معاملة صلاح الدين الأيوبي ، الذي أرسل اليه يطلب النجدة ولم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين .

وبذلك لم يقدر لهذه الدولة العتيذة (الموحدية) أن تشارك رسميا ، في الجهود ضد الصليبيين وأن تمكن كثير من رعاياها ، من مد العون والمساعدة لآخوانهم في مصر والشام ، بالاشتراك في حركة الجهاد ، أو بمراقبة أساطيل الإعداء ، وبتعطيل ما يمكن تعطيله منها ، أو بإرسال أخبار عن تحركات الحملات ، والجيش والاستعدادات الصليبية ، إلى آخوانهم في مصر الأيوبية .

ويلاحظ أن حركة الضغط التي واجهها مسلمو المغرب من طرف الأسبان في الأندلس ، والنورمان في صقلية ، كانت هي البداية الحقيقية للحركة الصليبية ضد دار الإسلام في الجناح الغربي ، ومن ثم صرف المسلمون ، هنا ، وعاقبتهم حركة الاعتداء عن الاشتراك الفعال في الجهود الحربية ضد الصليبيين القاسيين في المشرق العربي . وإن أمكنهم فيها بعد ، أن ينزلوا هزيمة ساحقة ، ببعض هذه الحملات الصليبية التي تخاضت ميدان مصر والشام ، وحطت رجالها في تونس الحنصية .

والخلاصة :

أن العوامل الجغرافية التي كانت عائقا ضد الغزاة المعتدين ، وعونا للوطنية لعبت أيضا دورا كبيرا في التوجيه السياسي والاقتصادي والثقافي والعرقى لسكان بلادنا منذ عهد قديم تأملت عليهم أن :

- يهتموا بأدوات الدفاع والهجوم برا وبحرا .
- ويتصدروا الأحداث ، ويمثلوا أدوارا رئيسية على نطاق المغرب وأفريقية .
- ويكونوا حراسا على المبادىء السامية ، ومعنى ذلك أن يقبلوا التضحية لفائدة الآخوان والجيران .
- ويبقوا متفتحين على التيارات العالمية في الشرق والغرب .
- ويقبلوا الدفاع عن الحق والعدل ، والهجوم ضد قلاع الظلم والاستعمار .
- ويسهموا في تحقيق الوحدة العربية في أى صورة من صورها الناجعة .
- ويشاركوا في أمعاش اقتصاديات المنطقة ، وفي ازدهار ثقافتها بقدر معقول .

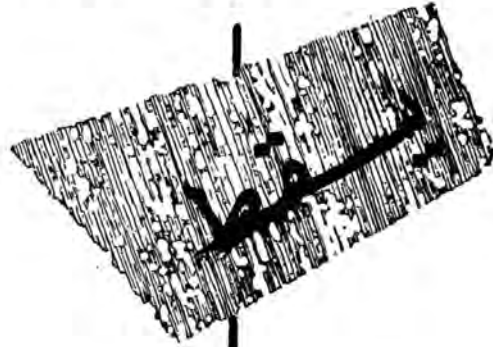
لقبال موسى

أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر

مَسْرُحِيَّة

الإهداء الى :

كل الصائين الفلسطينيين مناضلين
تموينت فوق أرضهم المقدسة



الروتين

يقوم بالادوار اربعة اشخاص •
المشهد الاول :

الروتين - اسمعى ايتها القضية
الشائكة .. من سمع لك
بالدخول الى قصرى .. الهم
اقل لك كم مرة اثنى غارق في

محمد بنو القاسم حماد

مشاكلى ؟ وليس لدى الوقت
لمقابلتك . ! .. الم تسمى هذا
.. والان هيا .. اغربى عن
وجهى .. اخرجى .

القضية - (تمثلها فتاة) ..

ولكننى ياسيدى الروتين .. لتد
جنتك فى امر هام .. ولولا انك
الوصى ، على ، لما دخلت قصرك
الروتين - انك مازلت قاصرة ايها
القضية ، وباعتبارى الوصى
عليك ، فاننى آمرك بالخروج
حالا من قصرى .

القضية - قلت لك لقد جنتك فى امر هام .
الروتين - (بغضب) وانا قلت لك :

انك قاصرة وهذا يعنى انك لا
تستطيعين التفريق بين ما هو
هام ، وما هو غير هام ، ...
اننى انا الوحيد الذى احدد أهمية
الامور ، ... اخرجى ..

القضية - انها مسألة موت وحياة
يا سيدى الروتين ..

الروتين - اعرف ذلك .. انك مريضة
.. ولقد ارسلت الى الخارج
بمن ياتيك بأطباء مختصين
ليعالجوك اخرجى ..

القضية - اننى لم ادخل قصرك بسبب
المرض ..

الروتين - اذن .. ما هى اسباب
تدومك ... تكلمى .

القضية - اقد جاءتنى رسالة تهديد
من احد الجرمين يقول لى فيها:

اما ان ارضى به زوجا لى او
يقتلنى .

الروتين - (بتعجب) .. جاعتك
رسالة تهديد .. ! قولى رسالة
خطوبة .. ؟ من ارسلها لك ؟
اعترفى .

القضية - ارسلها لى : قاتل ابى .
الروتين - تقصدين الاستعمار ..

ولكنه اصبح عجوزا لا يقدر على
الزواج .. خاصة مع بنت
صغيرة ؟ مريضة مثلك .

القضية - انه لا يريد ان يتزوجنى
هو نفسه ، ولكنه يريدنى لاحد
ابناؤه الجرمين ..

الروتين - هل سمع اخوك الشعب
بقصة هذه الرسالة .. ؟

القضية - نعم يا سيدى الروتين ..
سمع ...

الروتين - (بغضب) ومن اخبر بها
.. انت ؟ ..

القضية - لا .. لقد عرف ذلك من
تلقاء نفسه ؟ ويحكم عمله ،
وتنقلاته فى كل مكان ..

الروتين - (ببأس) آه ... سيفسد
هذا الشعب كل شىء على ..
انه جاهل .. ولا قدرة له على
استعمال العقل والمنطق ، ومع
ذلك يحاول دائما ان يتدخل فى
شؤونى .

القضية - ان اخى الشعب لم يقتل
شيئا عندما سمع بقضية الرسالة

الروتين - وابنه .. ! ابشه ذلك
الذى تسمونه الثائر ماذا قال .. ؟
القضية - قال له سيقتل كل مجرم
يحاول الزواج منى ..
الروتين - (بتهمك) يقتل كل مجرم ..
وكيف يستطيع ذلك .. ياله
من شباب مغرور ..
القضية - ولكن ياسيدى .. هل
لديك حلا آخر .. ؟
الروتين - نعم .. وهل تشكين فى
ذلك .. ؟
القضية - لا .. العفو ياسيدى
الروتين ... انك صاحب الحل
والربط ..
الروتين - احسنت .. هكذا احبك
عاقلة يا قضية ..
القضية - هل استطيع ان اعرف ماذا
ستفعل من اجلى حتى اطمئن ..
الروتين - ستعرفين ذلك .. ولكن
بعد ان افكر طويلا فى الطريقة
المناسبة لك .. والان اخرجى ..
القضية - متى اعود اليك لاراك .. ؟
الروتين - لا تعودى ، سأبعث انسا
لاستدعائك عندما احتاج اليك ..
القضية - اذن .. الى اللقاء ..
الروتين - مع الف سلامة يا قضية ..
القضية - (متدركة) سيدى ...
سيدى الروتين ..
الروتين - (بحدّة) ماذا .. ؟
القضية - لقد اوصانى اخى الشعب
بان ابلغك رغبته فى مقابلتك ..

الروتين - (بحدّة) قولى له اننى
ارفض مقابلته .. ليس لدى وقت
القضية - ولكنه يلح على مقابلتك ..
الروتين - يلح .. ! ياله من ملحاح
.. ! قولى له : ليس الان ..
اننى مشغول ..
القضية - متى تقابله .. غدا .. لا
الروتين - لا .. ولا بعد غد ..
القضية - اذن .. متى ؟
الروتين - بعد عام .. قولى له بعد
عام .. هل فهمت .. ؟
القضية - نعم .. بعد عام ..
الروتين - والان .. اخرجى .. هيا
.. اخرجى ..
المشهد الثانى :

الشعب - (ينادى) : ثائر .. ثائر ..
اين انت ؟ ..
ثائر - نعم يابى الشعب ..
انا هنا ..
الشعب - اين اختى القضية ..
هل مازالت مريضة .. ؟
ثائر - نعم يا ابى .. انها طريحة
الفراش تعاني الام المفاصل ؟
وتكاد الحمى ان تقضى عليها ..
الشعب - مسكينة .. اختى ..
ويا ليتنى استطيع ان اعلم من
اجلها شيئا ..
ثائر - لماذا لا تستطيع يا ابى ..
انك قادر على صنع كل شئ ..
حتى المستحيل ..

الشعب - حقا يا ولدى .. اننى قادر .. ولكن هل استطيع أن اعمل بدون أوامر سيدنا الروتين ..؟

ثائر - انه سيدك انت اما انا فلا .. ولكن .. لماذا لاتذهب لمقابلته ، وتطلب منه ان يسمح لك بالعمل لانقاذ حياة اختك ، ؟

الشعب - لقد طلبت مقابلته ، واعطانى موعدا لمقابلته بعد عام

ثائر - بعد عام ؟ .. يالك من رجل طيب القلب يا ابى الشعب .. ! ومن قال لك ان اختك ستقاوم المرض مدة عام كامل .

الشعب - لقد طلبت مقابلته ، قال سيدى الروتين انه سيأتيها باختصاصيين من الخارج فى

امراض المفاصل ..

ثائر - وعندنا .. الا يوجد اختصاصيون .. ؟

الشعب - قال : انه سيفكر طويلا ، اختصاصيون حسب الطريقة الحديثة ، ولا يريد ان يعالجها بطريقة اجدادنا القدامى ، قال انها لا تنفع .

ثائر - ولكنه لم يجربها .

الشعب - هكذا قال الروتين .

ثائر - وبالنسبة لرسالة التهديد التى جاءت من طرف احد المجرمين .. ماذا كان موقفه منها ..

الشعب - نعم .. انك ولدى ، ونعم

حتى يجد لها حلا مناسباً .
بواسطة العقل والحكمة ..

ثائر - انا اخطر منه يا قضية .. طرف مجرم خطير ، والمجرمون لا يعترفون بعقل ولا بحكمة .

الشعب - هكذا قال الروتين .. !

ثائر - هكذا قال الروتين ..

هكذا قال الروتين ... ! ولكن

ما هو موقفك انت يا ابى .. ؟

الشعب - موقفى انا يا ولدى هو كما

ترى .. قادر على كل شيء ،

ولا اعمل شيئاً .. اعرف كل

المجرمين ، واستطيع ان اعدمهم

جميعاً ولكنى لا اقدم على ذلك .

ثائر - (بغضب) لماذا يا ابى ..

لماذا .. ؟

الشعب - هدىء من غضبك يا ولدى

.. اننى ادرك انك ثائر - ولكن

لا تنس اننى والدك - وانا الذى

صنعتك ...

ثائر - اعرف ذلك يا ابى الشعب

.. وارجو عفوك ..

الشعب - الله معك يا ولدى .. وقلبي

معك .. اما يدى ام اقدمى

.. فانت ادرى ..

ثائر - لا تتألم يا ابى .. اعتمد

على .. ولا تياأس (ينادى)

القضية .. القضية ..

الشعب - لقد قلت انها طريحة

الفراش .. ماذا تريد منها ..

ثائر - (يعيد النداء) القضية

.. القضية .. ستعرف يا ابي
 ماذا اريد ..
القضية - (تتكلم بصوت ضعيف) :
 ماذا تريد مني يا نائر .. ؟
ناير - اريد اوجه اليك هذا
 السؤال ؟ وارجو ان تجيبين
 بصراحة ..
القضية - تفضل .. اسأل يا نائر ..
ناير - هل تؤمنين بما قاله لك
 ذلك الروتين الماثل ، من انه
 قادر على حمايتك بواسطة
 الحكمة والمنطق .. ؟
القضية - واذا كنت لا اومن مماذا
 سيقع .. ؟
ناير - اجيبى عن سؤالى بكل
 صراحة ووضوح ..
القضية - ان الروتين هو الوصى على
 .. ولكننى لم اقتنع او اعترف ،
 ولا مرة بوصايته .. ولا اومن
 بمواعيده او عهوده
ناير - اذن .. هل تسلميننى
 رسالة التهديد التى جاءتك لارد
 عليها ..
القضية - ولكنه مجرم خطير يا نائر ..
ناير - انا اخطر منه يا قضية ..
 انتى ابن الشعب ..
الشعب - نعم .. انك ولدى ونعم
 الابن انت ، اعطيه الرسالة
 يا قضية
القضية - وهل سترد على المجرم
 بدون استشارة الروتين.

ناير - بدون استشارته .. !
القضية - الا تخاف منه .. ؟
ناير - لماذا اخاف .. انتى اذا
 انتصرت على المجرم سيفرح لانه
 تخلص من مشاكله ؟ واذا انتصر
 على المجرم فالروتين لا يخسر
 شيئا ، وتبقى الضعية لا يخسر
 هى الان ..
القضية - ماذا سيكون ردك على
 المجرم .. ؟
ناير - (بحماس) :
 سأتحدا .. فلما ان اقتله او
 يقتلنى .. انه لن يستطيع ان
 يقترب منك وانا حى .. اعطينى
 الرسالة ..
القضية - خذها يا نائر .. الله معاك ..
الشعب - خالفك النصر يا ولدى
 الحبيب ..
ناير - الى اللقاء ؟ والموت
 والدمار للمجرمين ..

المشهد الثالث :

الروتين - ايها الخدم ؟ ايها الحجاب
 .. افتحوا الابواب ودعوا
 الشعب والقضية يدخلان ..
 (اصوات قوم يدخلون) ..
الروتين - كيف حالك يا قضية .. ؟
القضية - كما ترى ياسيدى الروتين ..
الروتين - وانت يا شعب ..
الشعب - الحمد لله على كل حال ..
الروتين - لندخل فى الموضوع مباشرة

هذه الخطة المشينة .. ثم ان
ولدى الثائر لن يرضى بها ابدا
وانه الان فى طريقه يبحث عن
الجرم .

القضية - وانا افضل الموت على قبول
هذه الفكرة .

الروتين - (بهدوء) مهلا .. مهلا ..
لقد قلت لكما اننى قد لا اوافق
على اقتراح زوجتى ، .. والان
اتركونى افكر ، واتدبر ..

الشعب - لماذا لا تدعنا نفكر معك .
هل نحن بلا عقول ؟

الروتين - انا لم اقل انكما بلا عقول ،
.. ولكن انت بكل اسف ، جاهل
واختك مريضة وقاصرة .

القضية - حقا اننى مريضة .. ولكننى
لست قاصرة كما تتصور .

الروتين - من الخير لك يا ابنتى ان
تستريحى .. لقد قيل لى ان
احسن علاج لك هو الراحة ،
وعدم الانشغال بالتفكير .

القضية - ان هذا لا يمكن .. اننى قد
اعمل اى شىء الا الراحة وعدم
التفكير ، فهذا مالا استطيعه .

الشعب - ان خير دواء لها هو ان
نعالجها حسب الطريقة العربية
القديمة ... ؟

الروتين - ما هى هذه الطريقة .. ؟

ولنتكلم حول القضية .

الشعب - ذلك ما نريده منك دائما
يا سيدى ..

الروتين - انكم بدون ريب تعرفون
زوجتى المصونة .

الشعب - ومن لا يعرفها .. انها
السياسة الحكيمة ، سيدة القصر
العامر ، حفظها الله .

الروتين - لقد تقدمت لى زوجتى
باقتراح هام لحل مشكلة الرسالة
التي بعث بها المجرم الى القضية
الا اننى ربما لا اوافق على
اقتراحها ..

الشعب - ما هو هذا الاقتراح يا
سيدى .. ؟

الروتين - لقد اقترحت على بان ارد
على رسالة المجرم واخبره باننى
رضيت به زوجا للقضية ؟ ثم لا
اسلمها اليه ، ولا اسمح له
بالدخول عليها ، بحجة انها
مريضة وضعيفة ، واماطله الى
ان يموت من تلقاء نفسه ، ار
اكون انا قد استعديت غاية
الاستعداد واقضى عليه ..

كما اقترحت على زوجتى
المصونة ، ان اتنع الثائر بالهدوء
والتريث حتى لا ينتبه المجرم لهذه
الخدعة ، ويفسد علينا خططنا .

الشعب - اننى افضل الجنون على

الشعب - الطريقة هي ان تعض
يهوديا فتذهب عنها الدمى ، اما
مرض المفاصل ، فخير دواء له
هو الكى ..

الروتين - تعض يهوديا .. ! الكى
.. خرافة .. انها لخرافة ..
اسمعا .. اسمعا .. لقد
خطرت لى فكرة ..

الشعب - ما هي .. ؟
الروتين - لقد بلغنى ان المجرمين
يخافون من ابنك ثائر عما راىك
لو نتركه يفعل كما يشاء وننتظر
النتيجة .

الشعب - ولكن .. اليس من الاحسن
ان نمده بالمساعدة ..

الروتين - اننى سأساعده بعقلي
وحكمتى ... وانت بماذا ؟

الشعب - انه ابنى .. روحى وقلبي
كله معه ..

القضية - اما انا فحياتى بين يديه ..
(هنا تسمع طرقات متتالية على
الباب واصوات اقدام) ..

الروتين - (يصرع) .. ماذا .. ماذا

جرى .. افتحوا الباب .
ثائر - لا تتعب نفسك يا سيدى
لقد فتحت الباب بيدى .

الروتين - (بتعجب) ثائر .. ثائر ..
من اين دخلت ؟

ثائر - لقد حطمت كل ابواب
قصرك ودخلت ...

الروتين - ما ذا تريد .. ؟
ثائر - اننى لا اريد منك شيئا
مطلقا .. وانما جئت لاخبرك .

الروتين - ماذا .. قل .. ؟
ثائر - لقد خطبنا لك الثورة .

الروتين - وزوجتى القديمة ..
ثائر - زوجتك القديمة .. لقد

حكمتنا عليها بالاعدام .. انها
خائنة ..

الروتين - (بدهوة) خائنة ..
ثائر - نعم .. خائنة والموت

والدمار للمجرمين .

الجميع - الموت والدمار للمجرمين ..
يسقط الروتين .. عاشت
فلسطين .. العربية الحرة .

نهاية

كان البجاويون مولعين بالموسيقى حتى زعم لبون الإفريقي
عندما زارها أنه كل بجان يحسن الضرب على الآلة الموسيقية

بجاية

في عهد الحماديين

لعبت بجاية أيام بني حماد دورا هاما في
تشبيد صرح الحضارة الاسلامية بالجزائر .
ان الحماديين ينتمون الى اهم قبيلة بربرية
بافريقية الشمالية تدعى صنهاجة وهي تضم
حسب ابن خلدون تلك البربر ولما قامت
دعوة العبيديين ناصرتها صنهاجة وايدتها
حتى اذا انتقل العبيديون الى مصر استخلفوا
آل زيري بن مناد الصنهاجي على المغرب
الذي كان يضطرب فتننا نشأت من النزاع بين
العبيديين والامويين اذ كانت قبيلة اخرى
عظيمة تنافس صنهاجة وهذه القبيلة هي
زناتة التي ناصرت الامويين وهكذا طيلقتم
نرى مغربنا العربي تتنازع سياسات مختلفة
ويفترق اهله فريقين متعاديين ذ ناصر
اجدها سياسة ناصر الاخر سياسة معاكسة

دكتور رشيد مصطفى

فلا يحصل للمغرب اتحاد شباثل الا في العهد الموحدي .

ولذلك لما اعانت صنهاجة العبيديين على تأسيس دولتهم ناصرت زناتة الامويين الاندلسيين اعداء العبيديين فنشبت بذلك بين القبيلتين حروب من اجل السيطرة على البلاد فكان الذي تولى قتال الزناتيين هو حماد اخا المنصور بن بلقين بن زيري بن مناد الصنهاجي فلما تولى المنصور تولى ابنه باديس واقر عمه على عمله ولكن حمادا اراد ان ينتفع بجهوده وان يؤسس له ولايته دولة فلم يجد بدا من ان يشيد القلعة على جبل عياض قرب المسيلة . وبعد حرب دامت عامين بين حماد وابن اخيه باديس ثم المعز بن باديس وقع الصلح بين حماد والمعز وهكذا تثبت اركان الدولة التي يؤسسها حماد بفضل جهاده وثباته وبعد ان ازدهرت القلعة مدة من الزمن وهي حافلة بالعلماء والادباء والطلاب الوافدين اليها من كل ناحية وكانت قاعدة ملكة ذات باس حدث حادث عظيم الا وهو دخول عرب بني هلال وسليم افريقيا فانتشروا في سهولها فخربت القيروان عاصمة افريقيا فاضطروا اهلهما الى مغادرتها وهكذا ذهب الى القلعة كثير من علمائها وطلابها كما غادرها ابن رشيق الى صقلية فلم يلبث الناصر بن علناس ان اشتبك مع العرب في حروب طاحنة فرأى لزاما عليه لتحصين قاعدة دولته ان ينقلها الى مكان آخر فارسل جماعة من الخبراء يبحثون فاستقر رأيهم على صلاى الفتيقية فبنى الناصر بقربها مدينة سماها الناصرية نسبة اليه اما لفظة بجاية التي سبقتي علما لها على الدوام فتدل على اسم القبيلة التي تسكن المدينة ونواحيها وكان تأسيس بجاية سنة ٤٦٠ الموافقة لسنة ١٠٧٨م بنيت هذه العاصمة على شاطئ البحر المتوسط وبساحل جبل عال وامامها خليج من اجمل خلجان العالم فكانه والنهر يصب فيه ذيل العروس .

ثم اخذت منازلها البيضاء ترتفع وتمتد على جنبات الجبل وهي ذات طابق واحد بداخلها

احواض لجمع الماء وخزنه وحولها اشجار لها منظر عجيب على الخليج والبحر وعلى ضفتي النهر منتزهات سكانها وقصورهم وبساتينهم التي غرست بالبرتقال والتين والرمان والعنب المعش ولقد زارها حسن ابن الفكون الشاعر القسنطيني المشهور فوصفها واحسن وصفها اذ قال :

دع العراق وبغدادا وشامهما

فالناصرية ما ان مثلها بلد

بر وبحر وموج للعيون به

مسارح بان عنها الهم والتكد

حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع

حيث الفنى والفنى والعيشة الرغد

والنهر كالصل والجنت مشرفة

والنهر والبحر كالمرآة وهويد

فحيثما نظرت راقت وكل نوا (م)

حي الدار للفكر والابصار تنقد

ان تنظر البر فالازهار يانعة

او تنظر البحر فالامواج تطرد

يا طالبا وصفها ان كنت ذانصف

قل جنة الخلد فيها الاهل والولد

هذه هي بجاية التي زارها هذا الشاعر في

اوائل عهد الموحدين اى بعد عهد الحماديين بقليل وابياته تفيض بالاعجاب الذي هي جدرة به الم يجعلها الادريسي (١٠٩١ - ١١٦٦ م) الذي زارها في عهد الحماديين عين بلاد بني حماد لجمالها الساحر وعظمة منزلتها .

وإذا اردنا الان ان نقدر عدد سكانها بالتقريب فلنعلم انه كان بها ثلاثة وسبعون مسجدا بقببها ومنارتها البيضاء فلما احتلها الاسبان هدموا عشرة منها وكان قرب قصر اللؤلؤة مسجد عظيم يصل في الملك وكان من اجل مساجد الدنيا وكان له اثنتان وثلاثون سارية من الرخام الجيد وكان المسجد كله مبطلا بالمرمر وكان له اثنتان وعشرون بابا منها باب يدخل منه النساء لاداء صلاتهن تحت حراسة شيخ طاعن في السن .

وكان لبجاية ساحات جميلة ويحكى الاهالي انه كان بها خمسة انهج كبار مظلة بالنخيل الذي استجلبه الملك من الواحات الصحراوية .

ويحكى كذلك ان الناصر بن علناس الحمادي كان شديد الاهتمام والعناية بتشجيعها وكان يكلف رعاياه ان يبنوا منازلهم وكان يحضر المواد المنائية حتى لايتلکا احد في رفع منزله وانه اصدر امرا لكل داخل اليها بحمل حجرة او دفع ناصري وجعل للمدينة سورا الا من الناحية الجبلية التي سيرفع لها (حائط) في عهد الموحدين بعد احتلال ابن غانية لها وطرده منها وكان لها ارضعة ودار صناعة لانشاء الاساطيل ومبان عمومية ومدارس تعجب كل من زارها وقد كانت تضم كثيرا من العلماء والادباء وكان الطلبة يدرسون التوحيد والفقه وعلوم اللغة والادب والحساب والطب وعلم الفلك وحتى الفلسفة ولكثرة صلاحاتها واوليائها صار اهلها يلقبونها بمكة الصغيرة .

كان الملك الناصر يركب سفينة في صحبة اكابر الدولة والمغنين ويخترق بها الخليج ليتأمل صنغه وكانت تأخذه زوعة جمالها الطبيعي الذي لاشك انه كان يشجعه ان يجعل من بجاية مدينة عظيمة اذ وهبها الله منعة وجمالا وهنا يعجبني ان الاحظ ان عاصمة اخرى بغربي الجزائر اعنى تلمسان قد حازت نصيبا وافرا من هذا الجمال الطبيعي الساحر فصار شاعرها ابن خميس يلهج بذكرها ويصبح .

تلمسان لو ان الزمان بها يسخو منى النفس لادار السلام ولا الكرخ ندرك هنا ذوق العرب الفني وقيمته الرفيعة سواء في اختيار مواقع العواصم في ممالكهم او في الآثار الفنية العجيبة التي تركوها لنا كقصر الحمراء وغيره .

كنا اشرفنا من قبل ان بجاية كانت مشهورة بكثرة اوليائها يحكى اهلها بجاية ان احدهم وهو سيدي تواتي صاحب الزاوية الصوفية المشهورة عندما ذهب به الناصر في سفينته الى وسط الخليج وقال له تأمل كيف يلعب بنيان هذه المدينة التي تزدهر ازدهارا بمنارات مساجدها العديدة الا تستحق لقب مكة الصغيرة اما الولي فلم يتأثر بجمال المدينة ولم

يتحس لها بل اخذ يعظ الناصر وعظا شديدا ويعنفه على عمله هذا وحبه للترف وانشاء القصور وقال له انك نسيت زوال الاشياء فاعلم انك تبني للخراب وان سمعتك ستتلاشى وتسقط سقوط محينتك فلم يابه الملك لهذا الكلام فلما رأى الشيخ ذلك نزع برنسه ورفعته بين الملك والمدينة حتى غابت عن عينيه وقال له انظر فنظر الناصر فلم ير سوى خراب واطلال تتراعى في برنسه فلم يبق قصور ولا بساتين ولا مساجد فرأى ما ستؤول اليه بجاية في عصورها المتأخرة من خراب وقلة عمران .

اوردنا هذه الحكاية لانها تذكرنا بحكاية شبيهة بها عن عبد الرحمان الناصر عندما بنى مدينة الزهراء ولامه عليها احد فقهاء لوماس شديدا وهو القاضي منقر بن سعيد .

ولا نشك ان الناصر بن علناس كان يتشبه بالناصر الاموي العظيم وهذا يجعلنا ندرك في هذا التشبه رغبة في المساواة او التفوق لاننا اذا نظرنا الى المغرب والاندلس والشرق نجد التنافس شديدا بين هذه الاقطار الثلاثة وان غرض هذا التنافس هو التفوق وذلك في كل ميادين الحياة في الادب والعلوم والصناعات والبطولات الحربية وفي هذا التنافس عند الملوك رغبة في السيطرة وتعميم حكمهم وهكذا نرى بين ابناء العمومة من الصنهاجيين تشب حروب لاجل فرض السيطرة على الخصم بعد التغلب عليه .

ونرى في الادب ابن شهيد الاندلسي يحاول في كتابه التواضع والزواجع ان يبين لنا تفوقه على فحول ادباء المشرق كأمريئ القيس وغيره لان المشاركة كانوا يحتقرون ادب المغاربة . وكذلك نجد هذه الرغبة عند المغاربة الذين يريدون ان يتفوقوا على الاندلسيين والمشاركة معا .

فلا عجب ان نرى الناصر بن علناس يرفع شأن عاصمته الجديدة ببنائه من القصور ما بهر العقول وما يستطيع ان يباهى به احسن قصور الدنيا الا وهو قصر اللؤلؤة وسيقتنو

ولده المنصور بعده اثره بتوسيع القصور
الموجودة وابتناء قصور اخرى وسيتحف قصر
اللولؤة بالساريتين العجيبتين المصنوعتين
من حجر نفيس وقد عثر عليهما في اطلال
كنيسة قديمة ويقال ان البابا سال المنصور ان
يبيعهما له فامتنع وزين بهما قصره ان الذين
راوا هاتين الساريتين يشهدون انهم لم يروا في
الدنيا احسن منهما .

وعلى كل حال ان الفن الصنهاجي حسب
الاستاذ مارصى متأثر بالفن الشرقي والعراقي
والفارسي والمصري والفاطمي ولكن
الصنهاجين تفتنوا في زخرفته حتى استطاعوا
ان يباهوا بقصورهم اجمل قصور الدنيا وتجد
اثر فنهم في كنائس بالرم وقصورها بصقيليه
التي كانت لها علاقة تجارية مع بجاية وقد مدح
ابن حمديس الصقلي المنصور ووصف قصره
وابدع في وصفه الذي يدل على ما ذكرنا من
حسنه الباهر قال ابن حمديس :

واعمر بقصر الملك ناديك الذي
اضحى بجندك بيته معمورا
قصر لوانك قد كحلت بنوره
اعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الجنان نسيمه
فيكاد يحدث بالعظام نشورا
نسى الصبيح مع الملح بذكره
رسما ففلق خورنقا وسديرا
لو ان بالايوان قويل حسنه
ما كان شيئا عنده مذكورا
اعيت مصانعه على الفرس الاولى
رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور وما بنوا
للوكرم شبها له ونظيرا
انكرتنا الفردوس حين اريتنا
غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالحسنون تزيدوا اعمالهم
فرجوا بذلك جنة وحريرا

والخنيون هدوا الصراط وكفرت
حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا انه
حقر اتدور فاطلع المنصورا
ابصرته فرايت ابداع منظر
ثم انشيت بناظري مسحورا
فظننت اني حالم في جنة
لما رايت الملك فيه كبرا
واذا الولاند قححت ابوابه
جعلت ترحب بالعفة صريرا
غضت على حقايقهن ضراغم
ففرت بها افواهها تكبرا
فانها ابدت لتهصر عندها
من لم يكن بدخولها مامورا
تجرى الخواطر مطلقات اعنة
فيه فتكبو عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب انه
فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه
مسكا تضوع نشره وعبرا
تستخلف الابصار منه اذا اتى
صبحا على غسق الظلام منيرا
ثم وصف بركة فيه فقال :
وضراغم سكنت عرن رئاسه
تركت خريرا الماء فيه زئيرا
فكاذما غشى النصار جسامها
واذاب في افواهها البلورا
اسد كان سكونها متحرك
في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكاذما
اقعت على اديارها لثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها
نارا والسنها اللواحي نورها
فكانما سلت سيوف جداول
ذابت بلا نار فعدن غديرا

وكانما نسج التسيم لآله
درعا فقدر سردها تقدير
وبديعة الثمرات تعبر نحوها
عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعته الى
سحر يؤثر في التهي تائيرا
قد صوفحت اغصانها فكانها
قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكانما تابى لوقع طيرها
ان تستقل بنهضتها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها
ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فان شحت
جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكانما في كل غصن فضة
لانت فارسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها
فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كانما
جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الابواب تبرا نظروا
بالنقش فوق شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت
تلك النهود من الحسان صدورا
خلعت عليه غلائلا موشية
شمس ترد الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفه
ابصرت روضا في السماء نصيرا
وعجبت من خطاف عسجده التي
حامت لتبنى في ذراه وكورا
وضعت به صناعاتها اقلامها
فارتك كل طريدة تصويرا
وكانما للشمس فيه ليقة
مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكانما للزورد مخرم

بالخط في ورق السماء سطورا
وكانما وشوا عليه ملاءة
تركوا مكان وشاحها مقصورا
يا مالك الأرض الذي اضحى له
ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور الملوك تقدمت
واستوجبت لقصورك التأخيرا
هذه القصيدة تدل على براعة ابن حديس
وعظمة المنصور الحمادي وتدل كذلك دلالة
قاطعة على هذا التنافس الذي ذكرناه آنفا اذ
فضل قصره على ما بنى العرب والفرس والروم
من القصور .

ويظهر كذلك هذا التنافس فيما احتشد في
بجاية من علماء وأدباء اثار اليهم الغبريني
في كتابه عنوان الدرايه في سياق الكلام على ابى
على المسيلي الذي كان يلقب بأبى حامد الصغير
قال ابو على هذا : ادركت ببجاية ما ينيف على
تسعين مفتيا ما منهم من يعرف ابا على الحسن
المسيلي من يكون واذا كان من المفتيين
تسعون فكم يكون من المحدثين ومن النحاة
والادباء وغيرهم ممن تقدم عصرهم .

كان الناس على اجتهاد وكان الامراء لاهل
العلم على ما يليق ويراد وهذه الفترة التي
اشار اليها الغبريني والتي لم يشتهر فيها ابو
على المسيلي هي فترة بنى حماد وهذا يدل على
ان الناس قد حفظوا من هذا العهد الزاهر
ذكرا يبعث على الاعجاب والاجلال ولا شك
ان بجاية كانت تزخر بالعلماء والادباء وارباب
الصنائع من الجزائريين ومن قدم اليها من
الاندلس وافريقيا والمغرب الاقصى والمشرق
حتى ارتفع شأنها بين العواصم ولا سيما
عواصم شمال افريقيا .

ويظهر التنافس كذلك بين مؤلفي الغرب
ومؤلفي الشرق اذ كان اهل المغرب سواء في
بجاية او غيرها من العواصم المغربية يطلعون

على كل ما يؤلف في الشرق ويدرسونه ويجعلونه المرجع الصحيح في تلقيهم العلوم والأدب ولكن كانوا يجارونهم في التأليف في نفس المواضيع ويحاولون أن يتفوقوا عليهم وهذا ما ذكره الغبريني عن أبي على المسيلي إذ تعرض لتعليق لقبة بابي حامد الصغير إذ قال إن ذلك راجع إلى تأليف له طرق فيه ما كتب الغزالي في الأحياء فكان كلامه أحسن فيه من كلام الغزالي واسلم وكتابه كثير الوجود بين الناس .

وكثرة وجود الكتاب دليل على اعتناء الناس به وإثارة له وفيه دليل عندنا على أن لغارية لم يكونوا يحتقرون ما يؤلفه مواطنوهم بل كانوا يعتزون به ويباهون به أهل المشرق

وما قلنا في علوم الدين نقول في الأدب فالمنافسة فيه قوية نجد مثلاً أهل المغرب يعتزون بأدبائهم ويفخرون بهم أهل الاندلس وأهل المشرق وكثيراً ما نجدهم مثل الاندلسيين يتلقبون بأسماء أو القاب أدباء المشرق وفي عهد بني حماد وما يليه كان أهل المغرب يطلعون على كل ما يؤلف في الأدب وما يخبر من مقالات ويقال من شعر وكانوا في دراساتهم يعطون أهمية كبرى لأبي تمام (١٨٠ - ٢٢٨ هـ) والمتنبي (٣٠٣ - ٣٥٤ هـ) والمعري (٣٦٣ - ٤٤٩ هـ) ولعمري في هذا التفضيل دلالة على أن ذوقهم سليم وأنهم يميلون إلى الأدب القوي الحافل بالحكمة ومعاني القوة والرجولة ولكن أعجابهم بهؤلاء الفحول لم يصرفهم عن الإعجاب بأدبائهم وشعرائهم كالذي ورد عن الغبريني عن عمارة الشاعر الذي اشتهر بتواشيعه الحسن وكان الناس معجبين بها حتى إذا شط الإنسان في الطلب يجيبه واغنى لك موشحاً لعمارة كأنه طلب شيئاً نفيساً رفيعاً جيداً ولعمارة هذا بنت يقال لها عائشة تعطيناً صورة لما كان عليه النساء من مشاركة الرجال في

العلوم والأدب إذ كانت عائشة أديبة مشهورة بالنسخ لحسن خطها وكانت تجالس الأدباء منهم أبو على الحسن بن الفكون الشاعـ القسنطيني المشهور شاعر وقته كما يقول الغبريني كما تشارك فيها العوام وهكذا كان بعض العلماء يدرس الفلسفة في منزله لبعض نبهاء الطلبة وكانت تقوم محاورات ومذكرات بين الأستاذ وطلبته النبهاء إذ يبدون رأيهم حتى لا يأخذوا العلوم كحضائيا مسلعة لا تقبل الجدل بل يناقشون حتى يستقر فهمهم وإدراكهم للمسألة على أمر صحيح تسلمه عقولهم وهذه الطريقة لا شك أنها طريقة حية تشجع على الاستقلال في الرأي والجرأة على التأليف والمساهمة في الانتاج العلمي والأدبي ولذلك كثر العلماء والأدباء في أبناء الجزائر في هذا العهد الزاهر وحتى في العهد الموحدى الذى يليه كما يدل على ذلك كتاب الغبريني .

أما العلوم التى كانت تدرس فعمدتها في بيان ذلك على ماورد في عنوان الدراية إذ نرى العصر يورد لها سنداً إلى ما قبل العصر الحمادى بحيث هذه العلوم هى التى تدرس في المشرق بكتب الفت فيه ووصلت إلى المغرب فنظر فيها أهل المغرب ودرسوها وزادوا عليها ونقحوها حسبما كان يبدو لهم إذ كانوا يتصرفون فيها بحرية ويؤلفون ما هو أحسن منها في نظرهم كما نبهنا إلى ذلك لما تحدثنا عن أبى على المسيلي وفي هذا دليل على حيوية الفكر المغربى في هذا العصر وعلى غدهم جوده

أما العلوم فهى على نوعين علوم الدراية وعلوم الرواية ، وتشتمل علوم الدراية على علم الفقه وعلم أصول الدين وأصول الفقه وعلم العربية وعلم التصوف وعلم المنطق .

وتشتمل علوم الرواية على علوم تفسير القرآن العزيز وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم العربية وعلوم التصوف .

فمنستطيع من هذا التفصيل أن ندرك طريقة

التعليم عندهم ولا سبيل العالى منه فهم يدرسون كتباً لائمة المؤلفين عن شيوخ اجلة مجازين من شيوخ مشهورين وهكذا حتى نصل الى الشيوخ الذين تلقوا محتويات الكتاب من المؤلف نفسه بحيث استطاعوا ان يتمكنوا من روح معانيه وأن يلقنوها لتلاميذهم تلقينا صحيحا وهذه هي ناحية الرواية .

اما طريقتهم في الدراية فهي مبنية على القاء الاسئلة والمحاورة والمذاكرة حتى يستقر الفهم في ذهن الطالب فيكون من المحصلين . اما المعاملة بين الاساتذة والطلبة فكانت على احسن مايرام اذ كان الطلبة يجدون من شيوخهم كل مساعدة وتنشيط وترغيب وان كان من الشيوخ من يتشدد في الاجازة اذ لايجز الا بعد الاختيار الشديد وبعد ان يتبين ان الطالب من المحصلين تحصيلاً تاماً دقيقاً لا سطحيًا وهذه في نظرنا هي امانة تبليغ العلوم وتلقيها .

ومع هذه العلوم والاداب كانت تدرس علوم اخرى لها صلة بالصناعات والحياة المدنية كالطب وغيره وكان يرد على بجاية طلبة من كل قطر حتى من اقطار النصارى يروون ان ليونارد فيبوناتشي العالم الإيطالي الرياضى المشهور تلقى علومه ببجاية وفي هذا شرف لها اذ يعترف لها الاجانب بتفوقها على بلدانهم ويشجعونها الثقافي العالى واذ نحن نتحدث عن الجانب الجدى من الحياة في بجاية نذكر النزعة الصوفية التى اخذت تسيطر على العقول في ذلك العهد وفي العهد التى جاءت بعده هذه النزعة كانت لا محالة توجه الناس الى الآخرة وتصرفهم عن الحياة اللاهية وتفرس فيهم ايماناً قويا بالقول والعمل وهذا الايمان ستظهر ثمرته في الدفاع عن الوطن عندما يوالى الغربيون هجوماتهم عليه كالترمان والاسبان ولا باس ان نورد مثالا من امثلة البطولة التى اشتهر بها فريق من الصوفيين وقانتهم وان ناخرت الحكاية عن العهد الذى نتحدث عنه .

يحكى انه عندما احتل الاسبان بجاية وتحصنوا في حصونها لدفع المسلمين الذين يريدون اجلاءهم عنها حاول المسلمون يوما ان يقتحموا برجا له برج موسى اهتمى به

الاسبان الذين اخذوا يرمون المهاجرين بقنابل مدافعهم القتالة حتى بعثوا الياس والفشل في قلوب المسلمين فلما احس بعض الصوفية بذلك برز سبعة منهم وخطبوا في المقاتلين خطبا حماسية حارة وتقدموا انفسهم الى الحصن واسندوا اليه السلالم ولم يصرفهم قذف المدافع فاستطاع احدهم ان يصعد الى رأس الحصن ولكن احاطت به اسلحة العدو فخرقت جسمه قنابلهم فسقط على الارض شهيدا واما رفيقاؤه فاستشهدوا قبل ان يصلوا الى ما وصل اليه ولكن هذا المثل الحى الذى ضروبه كان كافيا لبعث الحماس في المسلمين وروح التضحية فيهم فهجوا على الحصن كرة اخرى بقوة اشد من ذى قبل واستماتة لا نظير لها حتى استطاعوا ان يحتلوا الحصن ويقتلوا كل من فيه من الاسبان قنبى بعد ذلك صالح رايس التركى لاولئك الابطال السبعة اضرحة في الامكن التى سقطوا فيها وصارت تلك الاضرحة تزار وتحكى الاهالى ان اتقياءهم اذا مروا عليها بالليل شاهدوا سبعة اضاء تتحرك خلال الحصن واما شرارهم فاذا مروا عليها بالليل قذفوا بالحجارة التى لا يمتصمون منها الا بالفرار .

وعلى كل جال فكان للصوفية جانبان جانب ايجابى صالح نافع يتمثل في كثير من العلماء العاملين الواقفين عند حدود الشرع وجانب سلبى مفسد يتمثل في بعض الدجالين الذين كانوا يسخرون التصوف لاغراض دينية وقد حدث في ذلك العهد ان دخل احد هؤلاء بجماعة من مريديه الى المسجد وجلسوا ولم يؤدوا تحية المسجد فلما اراد الامام ان ينبههم الى ذلك قال له شيخهم دعهم فثار العالم في وجهه واخرجه من المسجد هو واتباعه ثم نفى عن البلدة وهذا يدل على ان الحرب كانت قائمة بين صلحاء الصوفية وبين دجالهم .

وازاء هذه الحياة الجدية حياة لاهية كانت نتيجة لما بلغته الحضارة المادية ببجاية من ازدهار وهذه الحضارة سواء في بجاية او في مصر من امصار الاندلس او المشرق كانت ذات طابع متشابه وذات فنة قوية على

ونفسا حتى اندفع الحاضرون يأخذون منها نصيبا وافرا وهي نتيجة اليسر الكبير الذى كان يعيش فيه المسلمون والذى جعلهم يستكثرون من طيبات الحياة الدنيا ويستعجلونها حتى يبالغ بعضهم ان يجعل جنة الخلد فيها كما فعل ابو نواس في بغداد وكما فعل ابن خفاجة في الاندلس وكما فعل ابي الفكون القسنطينى عندما وصف بجاية اذ قال :

يا طالبها وصفها ان كنت ذانصف

وهذه الحياة التى تشمل الجوارى والفناء قل جنة الخلد فيها الامل والولد والخمر صارت ويا للأسف شائعة في كثير من امصار المسلمين وهي التى ستفقدتهم رجوليتهم عن مراقبة العدو الذى كان يترصد بهم الدوائر .

اخذت بجاية حظا كبيرا من هذه الحياة فصار التنافس كثيرا في اقتناء القصور والمنزهات على شاطئ البحر او ضفتى النهر الكبير فكانوا يقضون فيها اطياب اوقاتهم وكانهم يتنهلون بقول ابن زهر في موثحه البديع .

ما للمولة .. من سكره لا يفيق .. ياله سكران
من غير خمر ما للكثير المشوق .. يندب الاوطان
هل تستعاد .. ايامنا بالخليج .. وليالينا
او يستفاد .. من النسيم الارج .. مسك دارينا
او هل يكاد .. حسن المكان البهيج .. ان يحيينا
روض اظله .. دوح عليه اتيق .. مورك الافنان
والماء يجرى .. وعائمه وغويق .. من جنى الرحان
وكان البجائيون كغيرهم من المتحضرين مولعين بالموسيقى حتى زعم ليون الافريقى عندما زارها ان كل بجائى يحسن العزف على آلة الموسيقى وان البجائيين كلهم مخثنون لا يهمهم الا ان يأخذوا متعتهم من الحياة ولم يبق من الرجولة ما يدافعون به عن اوطانهم .

وعلى كل حال قد روى لنا التاريخ مرور محمد بن تومرت بها في عهد العزيز الحمادى واخذ يغير فيها المنكر بیده فكسر آلات الموسيقى وارق دنان الخمر ، حتى صار السكان يضيقون به ذرعا وحتى اخرجهم الملك منها .

ان يكون لهذه الحياة الالهية جانب سئى فقد دلت على مقدار الرفاهية التى كان عليها الناس في عهد الحماديين ورغد العيش كان شاملا في سائر مدن مملكتهم التى كانت تحتوى على ثلاثة ارباع الجزائر الحالية وقد ذكر ذلك الادريسي في كتابه المشهور نزهة المشتاق في اختراق الآفاق .

واشهر مدنها الجزائر واشهر القلعة وبجاية وقسنطينة وكلها كانت تنعم بحال مادية وادبية حسنة بحق لهذا العهد الزاهر ان يفتخر بها .

ونالت بجاية اسمى منزلة في عهد الناصر وابنه المنصور من قوة وحسن تدبير لشؤون الدولة ما اعظم امرها في اعين ملوك عصرها حتى بابا روما كريكوار السابع كان يتوود للناصر ويكتبه مكاتبات يلاطفه فيها ويوصيه خيرا برعاياه من النصارى اذ كانت في القلعة كنيسة للنصارى ولا يبعد ان يكون مثلها في بجاية التى كانت تحتوى على جماعات من نصارى رومة وجنوه وكاصالونيا وهـذـه الجماعات كانت تشتغل بالتجارة وكانت تکرع كذلك من مآهل العرفان الذى كان منتشرا في مدن المسلمين ولا سيما بجاية .

وفي وثيقة تاريخية قديمة عثر عليها شارل

فيرو نجد أن المنصور قد أرسل البابا من رومة
بنائين لتزيين عاصمته فبنوا له برجاً عظيماً
يدعى برج شوف الرياض لحراسة ثلاثية
أبواب منها باب البنود الكبير الذي يفتح على
البساتين والواد الكبير وفي أعلى البرج آلات
لها مراكب تجاوب بإشارات أمثالها في
جهات مختلفة وبفضلها يمكن التخابر مع جميع
نواحي المملكة ومدينتها كقسطنطينة والقلمنة
وغيرها وفي الليل تحصل الإشارات بنيران
موضوعة بكيفية ملائمة ولذلك يسمى برج
شوف الرياض بالمنارة أو برج النيران .
وأحدث ملوك بني محاد أسطولا عظيماً
استطاعوا أن يحافظوا به على شطوط البلاد
رغم هجومات النورمان وغيرهم من النصارى
الذين كانت لهم مطامع في بلدان المسلمين مع
ما اشتهروا به من روح صليبية عدائية حتى
النرمان الذين اشتهروا في عهد رجار الثاني
بحسن معاملتهم للمسلمين لم يسلموا من هذه
الروح العدائية ومن هذه المطامع الاستعمارية
فلا ننس غزوهم للمهدية .

ولذلك اشتهرت بجاية ثم الجزائر بجماعة
أغلبها أندلسيون همها غزو الجزر والشطوط
الرومانية وغيرها وكانوا يعدون ذلك جهادا
في سبيل الله إذ كانوا يخمسون غنائمهم
وكانوا يسوقون السبي الكثير وينزل الناس
لشرائه بحومة المنيح من جهة ربض سفنهم .

اذ عظمة بجاية في عهدها الزاهر يرجع الى
هيئة مرساها الذي كان يلثم حاجات الملاحة
وعاداتها في القديم ولهذا المرسى قيمة دفاعية
كبيرة لانه في مآمن من العواصف التي تهب من
حين الى آخر بالبحر المتوسط وتجعل الشط
الأفريقي صعب الارساء فيه .

وقد يلخص الادريسي هذه العظمة بقوله :
ومدينة بجاية في وقتنا هذا مدينة الغرب
الاووسط وعين بلاد بني حماد والسفن اليها

مقلعة وبها القوافل منحة والامتعة اليها
برا وبحرا مجلوبة والبضائع بها نافقة واهلها
مياسير تجاروبها من الصناعات والصناع ما
ليس بكثير من البلاد واهلها يجالسون تجار
المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق
وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالاموال
المنطرة ولها بواد ومزارع والحنطة والشعير
بها موجودان كثيران والتين وسائر الفواكه
بها منها ما يكفي لكثير من البلاد ولها دار
صناعة لانشاء الاساطيل والمراكب والسفن
والحرابي لان الخشب في اوديتها وجبالها كثير
موجود ويجلب اليها من أواليها الزفت البالغ
الجودة والقطران وبها معادن الحديد الطيب
موجودة ومكة وبها من الصناعات كل غريبة
وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب
من نحو جبال جرجرة وهذا نهر عظيم يجاز عند
ثم البحر بالمركب وكلها بعد عن البحر كان مأوّه
قليلاً ويجوز من شاء في كل موضع منه .

« ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد . ه »

وهكذا لم تزل بجاية مزدهرة تنع ثقافتها
وحضارتها في عهد الحماديين وعهد الموحيدين
والحفصيين حتى احتلها الاسبان سنة عشر
وتسعمائة فخرّبوا كثيرا منها وخرّبوا قصرها
المشهورين الباقيين الى عهد احتلالهم وهما
قصر اللؤلؤة وأميمون ثم أخرجهم الاتراك منها
فأخذت بجاية في الاضمحلال ولولا انها مرسى
من المراسي ذات الاهمية لكان شأنها شأن
القلعة وقد خرب الفرنسيون ما بقي من آثارها
فلم يبق اليوم الا باب البحر الذي يسميه الفرنج
الباب الشرقي .

وهذا الباب يشير الى ذلك العهد الزاهر
وان أربابه لم يكونوا أنكاسا كما قال البحري
في أيوان كسرى

د . رشيد مصطفى
استاذ الآداب بجامعة الجزائر .

مقومات الشخصية



عبد الحميد مهري

قضية الشخصية الوطنية تحتل مكان الصدارة في مشاكلنا الفكرية والخلقية والاجتماعية وحتى السياسية والاقتصادية لانها موضوع الساعة الذي تجرى فيه مناقشات واسعة في مختلف الاوساط . فمن الضروري ان نبسط هذا الموضوع ، ونحدد معالمه بوضوح ، حتى نعرف وجهتنا ، وطريقنا الى المستقبل .

واود ان الاحظ منذ البدء ان المحلة عندما فكرت في تنظيم لقاء يضم بعض المثقفين ، لمناقشة موضوع الشخصية الوطنية ، وعرضت الفكرة عليهم اصطدمت بنوع من الحذر والحيرة عند بعضهم . وكان من اسباب هذا الحذر وتلك الحيرة ، ان هذا الموضوع معقد وشاق ومخوف بالآثار ونتائجه مشكوك فيها .

وفي رأي هؤلاء ان الحديث عن شخصية الامة - ايا كانت - يواجه من حيث المبدأ اعتراضات علمية منهجية ، اذ من الصعب - في نظرهم - تشبيه الامة بالفرد من حيث وجود سمات ثابتة للشخصية ، اذ ان مثل هذا التشبيه ينطوي على تعميم لا يستساغ في العلم

اذ من رايهم ان الحديث عن الشخصية الوطنية يتطلب اجراء بحوث ودراسات منهجية على عدد كاف من الافراد ، حتى يتسنى لنا ان نحكم بان هذا الشعب مثلاً ، له خصائص مشتركة تنطبق على جميع افرادة .

والاعتراض الثاني يتلخص في ان اصحابه يرون ان طرح هذا الموضوع في الوقت الراهن يخلق لنا مشاكل كثيرة ، ونحن في مرحلة انتقالية احوج ما نكون الى وحدة الصفوف . فرائي ، ولعل الاساتذة يتفقون معي في هذا ، ان نبدا نقاشنا بمعرفة مدى وجاهة هذين الاعتراضين :

ادار الندوة عثمان شبيب

شارك في الندوة

عبد الحميد مهري
الامين العام لوزارة التعليم
الابتدائي والثانوي
عمار طالبى
استاذ الفلسفة بالجامعة
الشيخ بوعمران
استاذ الفلسفة بالجامعة
محمد العربى ولد خليفة
استاذ علم النفس بالجامعة
عبد الرحمن حاج صالح
مدير معهد اللسانيات واستاذ
بالجامعة .

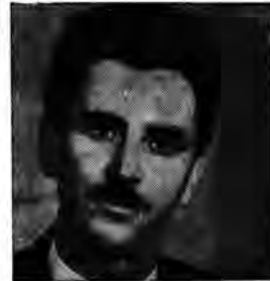
الوطنية



عبد الرحمن حاج صالح



الشيخ بوعمران



عمار طالبى

المقصود بالنسبة الى الشخصية اذا فكرنا في هذا الموضوع ربما يصعب علينا مناقشة اى موضوع يتعلق بواقعنا . مثلا الثقافة الوطنية هل يمكن تقييدها والتعليم والتربية ، والاقتصاد ؟ هل كل هذه المسائل ليست لدينا اذا فتحنا هذا النقاش ولا نملك جميع المعلومات والاحصاءات التى تسمح لنا بأن نناقشها على ضوء مناهج سليمة ، واظن بأن هذا الاعتراض ليس له فائدة بالنسبة لموضوعنا هذا ، أو لموضوعات أخرى ، الا اذا كان المقصود منه التعمق في الموضوع ، والتركيز على بعض القواعد ، سواء كانت منهجية

مهري : اعتقد أن الحديث عن الشخصية الجزائرية اذا وقع تناوله في مناقشة من المناقشات ، او بطريقة من الطرق بقصد البحث ، وبقصد بغية التوصل الى الحقيقة ، وبدون افكار مسبقة ، فان هذا سيكون ولا شك عنصرا ايجابيا ، في المرحلة الراهنة ، ولكن محاولة اعطاء تعريف مرتجل ، او غير مدروس للشخصية ، والانطلاق منه بدون درس وبدون تحييص هو الذى يكون غير مقبول .

بوعمران : رأى ان اعتراض هذا الذى يدعى المنهجية ، ربما يؤدي بنا الى أكثر من

الظواهر الطبيعية ، فلا بد من المشاهدة ومن العيان ومن الملاحظة ، وهذه الملاحظة لا تتم الا بتلك الوسائل العلمية ، الا اننا مادمنا مستعجلين في قضية الكشف عن الشخصية فلا بأس من الاجتهاد الشخصى الذى يمكن ان نسميه الاستبطانى ، اى التأمل الباطن الذى ربما ساعدنا شيئا ما الا اننى شخصا لا اظن انه يصل بنا الى كبير فائدة ، فانا متيقن ان قضية ضرورة وجود شروط معينة لموضوعية البحث ، هذا شيء لا بد ان يصبح كل شيء ، لكن هذا لا يمنع من ان يتناقش الالماعيون والناس الاذكىاء وذوو البصر ، من المواطنين .



محمد العربى

او غير منهجية ، هذا مقبول طبعاً .

الطالبى : ان من يعترض مثل هذا الاعتراض لا يفترض ان هناك شخصية جزائرية ، ولكن الواقع ان هذه الشخصية هى التى استطاعت ان تدافع عن نفسها ، فيمكن لنا ان نستعرض هذه الصفات التى استطاعت بها هذه الشخصية ان تقاوم وان تثبت ذاتيتها واستقلالها ، وتثبت انها لم ترض أبداً ان تندمج في شخصية اخرى او في حضارة اخرى اندمجا تاماً ، والمقاومة المستمرة للشعب الجزائري تدل على ان هناك شخصية وهذا يبرر لنا البحث في هذه الشخصية ومعرفة هذه الصفات في النواحي الحركية مع تغير التاريخ ، وفي النواحي الثابتة ايضا خلال هذا التاريخ. اظن انه باستطاعتنا ان نبحث هذا المشكل ، وان تنتهى الى صفات مشتركة ولو كانت قليلة ، اظن ان الانسانية كلها تنتمى الى عنصر واحد من الناحية البيولوجية لا يختلف انسان عن انسان ، فنحن لا نفكر البحث في النواحي البيولوجية التى يشترك فيها بنو آدم كلهم ، وانما نشير النواحي الاجتماعية لا باعتبار انها علم ، او تيار عقائدى فقط .

حاج صالح : نعم انا موافق تماماً على هذا الراى ، الا اننى ، اؤكد ضرورة ايجاد وسائل لاثبات هذه الشخصية للكشف عن كنهها بوسائل علمية ، اى بأبحاث ، واحصاءات وغير ذلك ، فانا طبعاً اعتقد ان كل موضوع يدور حول الشخصية ، بما ان الشخصية مثل

محمد العربى : فيما يخص موضوع الشخصية بقطع النظر عن كوننا نبحث عن الشخصية القومية ، او الشخصية الوطنية ، وبهذه المناسبة اسمح لنفسى ان الاحظ ملاحظة للاخ عثمان شبوب ، تتعلق بحصره موضوع المناقشة في شخصية وطنية ، هناك اغفال ، لبعد ثانياً ، او دائرة اوسع تغذى الشخصية الوطنية هى الشخصية القومية .

الشخصية الوطنية ليست الا دائرة صغيرة في دائرة اكبر ، هى الشخصية الوطنية ، هذه ملاحظة جانبية فقط ، نثرها حول تعليقكم الاول ، اما موضوع الشخصية نفسه ، فهو موضوع من أعقد الموضوعات سواء كان في علم النفس او علم الاجتماع ، فكل بحث يبدأ بمعالجة الشخصية وينتهى الى محاولة ايجاد حل لها ، لكن انا ارى ، وفي هذا اوافق بعض الشيء الاستاذ عبد الحميد ، في ان موضوع التعريف ليس مهماً ، في المرحلة الاولى فمن البديهيات الواضحة وهذا في مجال الرد على دعاة النهجية في هذا الموضوع اننا في كل يوم ندفع لحصل الكهرباء ثمن ما استهلكناه ، ولكن لا يعرف احد من عامة الناس او من خاصتهم ما هو كنه الكهرباء ويبدو على اغلب الظن ان موضوع الشخصية بالنسبة لنا ينبغى ان يطرح في نطاقين .

نطاق تاريخى وآخر حضارى بمفهوم نفسى اجتماعى ، في هذه الناحية ينبغى لكل من

في المنهجية ، ما هو الا تمهيد ، ويبدو لي ان ندخل الان في مفاهيم الشخصية الوطنية حتى ندرس ما فيها من سمات ثابتة ، وما هي الجوانب التي يمكن ان نحصر فيها الشخصية الوطنية ، انطلاقا من واقعنا في الجزائر بالذات .

الطالبي : الحقيقة اننا في تناولنا لهذه المشكلة ، لا نبدا من نقطة الصفر . بل ان هنا ك وثائق تاريخية وهنا لك وثائق مسجلة في مختلف الآثار التي تركها الفكر في هذه البلاد ، نستطيع ان نطلق منها وان نجعلها بمثابة مادة نستأنس بها ونعتمد عليها ، وهذا لا يمنع اننا سنبحث هذا الموضوع بحثا قائما على دراسات منهجية ، وعلى احصاءات ، وعلى تحليل هذه الاحصائيات وما الى ذلك ، من المناهج العلمية المعروفة في الدراسات الاجتماعية والنفسية والتاريخية ايضا ، ولكن ينبغي ان نعترف باننا نعيش في هذا المجتمع المستمر في التاريخ ، ومن جهة أخرى فاننا نقرأ وثائق وتاريخ لهذا المجتمع ، ومن خلال هذه الاشياء التاريخية نستطيع ان نستخلص وان نستخرج المقومات الاساسية لهذه الشخصية التي نستطيع ان ننهي فيها الى رأى فيما اظن في هذه التدوة .

سؤال : الان يبدو لي من

الفائدة ان ننقل الى مناقشة
الاعتراض الثاني الذي يعتقد ان
اثارة هذا الموضوع في الظرف
الراهن ، سيهدد وحدتنا ،
ويصيب تماسكنا ،

مهرى : اعتقد ان هذا العذر الذي يقدمه البعض لعدم بحث هذا الموضوع ، لا اساس له من الصحة لان هذا الواقع عرفته جميع الشعوب وتعرفه جميع الشعوب فليس هناك شعب يتميز بخصائص مستقلة تماما عن المجتمع البشرى او مستقلة تماما عن التبادل الحضارى والفكرى ، وليس هناك شعب تتساوى فيه خصائص وتشجع الى درجة انها لا تمثل الا وحدة منسجمة ، فانا لا ارى ان هذا يكون مبررا كافيا لعدم طرح القضية

يدرس هذا الموضوع ان يلاحظ ظاهرتين حدثتا في الشخصية القومية .

الظاهرة الاولى اسميها : ظاهرة الاحتواء وهو ان الشخصية الوطنية - او القومية بصفة عامة واجهت في بداية امرها عملية امتصاص ، ان الانهيار الذي حدث في بداية الاحتلال جعل الشخصية القومية اما ان تندفع في اتجاه القوة الاستعمارية بعنادها الفنى ويهرجها الحضارى الى غير ذلك ، واما ان تنكش ، ففى المرحلة الاولى فضلت الانكماش لى تتقى الاحتواء ونتج عن ذلك الانكماش ظاهرة أخرى اسميها « بالنبذ » ، وهو ان المستعمر أغفل هؤلاء الناس وطرحهم تماما ، فانزوا في القباب ، وظهرت بعض المظاهر مثل الطرقية واجترار الماضى الى غير ذلك ، في خلال هذا الجال يمكن - يعنى مجال عملية النبذ والاحتواء - يمكن ان نجد طريقتنا الى وضع الشخصية القومية موضعها الصحيح .

بوعمران : اعتقد اننا في هذه المرحلة من البحث يمكن ان ننهي الى نتيجتين :

الاولى : اهمية الموضوع والثانية اهمية مناقشته مناقشة علمية هادئة ، وهذا طبعا لا يتوقف مثل ما يرى البعض على توفر عدد من الدراسات ، او من الاحصاءات ،

ثانيا : اما الهدف من هذه المرحلة التي نجتازها ينبغي ان يكون الوصول الى تحديد عام للشخصية ، ينفي النظرات الضيقة او النظرات التحزبية ، التي تريد ان تستعمل شعار الشخصية وقضية الشخصية لهدف سياسى قريب فاذا كان البحث في هذا الموضوع يرمى الى تحديد الخصائص الاساسية الثابتة الدائمة التي من شأنها ان تكون عوامل في تطور المجتمع اعتقد ان هذا من الاهمية بمكان ، وان هذا الموضوع يرتبط تماما بالارتباط بمستقبلنا وحاضرنا ، كما يرتبط بماضيها .

انا يودى ان اضيف الملاحظة التي هي : انا دخلنا بعد ، في بحث مفهوم الشخصية الوطنية ، والتمهيد طبعا الذي تناقشنا فيه

خلاصة هذا القول ، أريد أن أركز على حقيقة وهي :

لا وجود لشعب مهما كان الا وكانت له شخصية ، ونحن نبحث فيما يتعلق بنا في هذه الشخصية ، وهي موجودة كما تفضل بقية الزملاء ، موجودة لا ينكرها أحد ، وهي غير مبنية على جزئيات أو اختلافات ، أو عناصر ، متباينة ، وإنما هي تجمع أبناء الوطن كلهم في مقومات ، ويبدو لي أن الوقت حان لننتحدث على هذه المقومات .

**سؤال : إذا سمح لي
الاستاذ بوعمران ، أريد قبل
أن نشرع في مناقشة المقومات،
أن نناقش مسألة تبدو لغوية
في الظاهر ، ولكنها في الحقيقة
لها أبعاد سياسية، هي مسألة
استعمال كلمة الوطنية بدلا
من القومية .**

محمد العربي : اظنني طرحت من قبل هذا الموضوع ، الحقيقة أن الوطنية بتعبير مبسط وربما ساذج نوعا ما ، هو « عملة » القومية يعني هناك شيء كلي ، وهناك تنوع داخله ، وهذا التنوع هو ما نطلق عليه الوطنية ، والحقيقة يمكن النظر الى مستويين في طرح هذه المشكلة . هناك شخصية قومية بما تجمع من مقومات عامة يشترك فيها كل أبناء الوطن الذين لهم لسان واحد ، ودين واحد ، وراث مشترك من قديم ، وهناك تنوع داخلي يميز بعض المظاهر الاجتماعية والحضارية الجزئية التي تخص كل منطقة داخل الوطن الواحد ، وعلى مستوى الوطن كله ، انما أريد أن أضيف تمييزا آخر ، وربما هذا داخل في اختصاص الاستاذ الحاج صالح وهذا بمجرد طرحنا لكلمة الشخصية وحتى من الناحية اللغوية كلمة شخص على ما اعتقد لست أدري هل يوافقني الاستاذ الحاج صالح فمفهوم شخص يعني ظهر وبرز ، فكلمة شخصية نفسها ، ليست في حاجة بمعناها المنهجي الى الدوران في الحلقة المفرغة ، وهذا

هناك طريق تناول القضية ، وهذا أثرت اليه في السابق اذا تناولنا البحث في قضية الشخصية وانطلقنا من عاطفة عابرة أو موقف سياسي وقتي ، أو نظرة ضيقة للأمور فان هذا حتما لا يؤدي الى نتيجة ايجابية .

ولكن أعتقد ان هذا ليس ما نعنيه عندما نطلب أو نؤكد على ضرورة البحث لهذا الموضوع فنحن نعني البحث السليم والبحث العلمي ، وتبادل الاراء في مشكلة من أهم مشاكل نهضتنا في العصر الحاضر .

بوعمران : انا في رأي هذا الاعتراض يرمى الى حقيقة لو اعتنينا بها ربما تبعدنا عن الموضوع ، وهي ربما في الحالة التي نعيشها الان ، ثمة مجهودات ، ثمة مساعي تتطلب منا بحث مسائل أخرى غير هذه المسألة ، في رأيي هذا الرأي غير سليم من نواحي :

اولا : لا أرى ما يمنع من بحث قضية جوهرية مثل هذه وهي الشخصية الوطنية ، ولا أرى كيف يرى البعض عدم بحث موضوع مثل هذا ، فانا نبحث في موضوعات أخرى مثل الثقافة العالمية ، أو التقدم العلمي أو الاستقلال الاقتصادي ، أو السياسي ، وكل هذه المسائل لا تركز الا اذا كانت هناك شخصية وطنية .

والناحية الأخرى : التعريف بالشخصية الوطنية أو بحث الشخصية الوطنية ، لا يتناق مع تفتحنا نحو العالم ، العلمي ، أو الثقافي ، لان العالم الذي نعيش فيه الان لا يمكن ان ينزوي على نفسه وكل المعلومات وكل الحداث اليوم أصبحت متبادلة ، ولكن أخشى أن يرمى البعض بتقديم هذا العذر أو الاعتذار الى أن نذوب في غمرنا ، في شخصية غمرنا أو في ثقافة غمرنا ونهمل هذا الجانب الأساسي الذي في الواقع يقره التاريخ ، تاريخنا القديم ، أو القريب ، وحاضرنا ومسيرنا ، كل هذا مرتبط بتعريف شخصيتنا الوطنية ، في أوصافها العامة كما قلنا ، لا في التركيز على بعض الفوارق الجزئية التي توجد من قرية الى قرية ، أو من جهة الى جهة ، أو في عوائد عابرة وفي

رد على دعاة المنهجية المتذرعين باسم المنهجية لاثبات أن الشخصية الوطنية الجزائرية غير موجودة في وقائع مجسدة في احصائيات ومواقف تاريخية ودراسات الخ ..

ليس هناك شعب يخلو من الشخصية على ان هذه الشخصية قد تتكامل ، وقد توجد فيها بعض الثغرات ، بالنسبة لنا ، وجدت بعض الثغرات والغموض المفتعل ، نتيجة التصادم الحضارى الذى وقع بيننا وبين حضارة اخرى مختلفة عنا ، اذا فنبغى ان نميز بين التنوع وبين التفتت ، فالتفتت هو ان ينسلخ شعب عن شخصيته ، مثلما حاول الامريكيون ان يفعلوه بالنسبة للهنود الحمر او الاسكيمو ورد الفعل او الثبات ، والسمادة والتكامل مثل ما حدث عندنا .

حاج صالح : القضية صحيحة ، لها مساس باللغة ، يظهر لى هنا انها نسبة الى وطن ، ونسبة الى قوم ، الفارق ظاهر ، ان الشيء الوطنى ، المنسوب الى الوطن ، كانه شيء فردى ، لان السلوك الشخصى يكون وطنيا ، كذلك لكن بنوع من المجاز ، كذلك السلوك الجماعى ، الا ان السلوك القومى لا يكون الا جماعيا ، يعنى من الممكن ان نطلق على الفرد الواحد ان له موقفا مشرفا ، من حيث الوطنية ، اما القومية فهى اشمل ، يظهر ان القومية هى اشمل ، لان القومية ظاهرة لا تخص الوطن كوطن ، لكن تخص الوطن بما فيه . المواطنون ، وبما فيه الماضى ، والمستقبل ، والاقتصاد ، وكل شيء ، لست ادري هل هذا معنى .

س : هناك مسالة اخرى ، ونحن طبعا ما تزال في اطار العموميات ، تحتاج في رأى الى تحديد ، وهى مسألة الشخصية البربرية . هناك من يحرف مفهوم الشخصية الوطنية ، ويعتقد ان المقصود بذلك ، هو الشخصية البربرية .

حاج صالح : لا ، هو بالعكس ، قضية الوطنية هنا لا تخص فئة من الفئات خاصة من الفئات التى تتكون من البلد ، هذا البلد الذى نعيش فيه ، الوطنية لا ترادف الاهلية اذا قلنا الاهالى الاولون لامريقية الشمالية هم البربر غلا شيء ، اما الوطنية فكانها شيء متعلق بالارض ، وكلية وطن لم تعن ابدا عند العرب القومية ، انما هى عندهم دائما مثلا حب الوطن من الايمان هذا فى الحقيقة له معناه ، هو حب مكة ، بالنسبة الى النبى عليه الصلاة والسلام هو مسقط رأسه ..

الطالبى : يبدو اننا دخلنا فى تحديد اللفاظ اللغوية وما الى ذلك ، لكن المهم هو المعنى ويمكن القول بان هناك طريقتين للتعبير عن الشخصية اما ان ننسبها الى الوطن ، واما ان ننسبها الى القوم الذين يعيشون فى الوطن . فيمكن ان نقول ان كلمة وطن ، وكلمة قوم متطابقتان ، فالحق يعيشون فى وطن ، والوطن يعيش فيه قوم ، فلا يقصد بالوطن النواحي الجغرافية والترابية فقط ، ولكن ان هؤلاء القوم ربما يكونون جزءا من قومية اعم ، فبهذا اعتبرنا ان هؤلاء القوم ، الذين ينسبون الى وطن خاص ، اما اذا نظرنا الى هؤلاء القوم كجزء من قومية اعم ، فيمكن ان نقول بان القومية اعم من الوطنية ، فيصبح الوطن اقلية بالنسبة لقوميته العامة ، واما كون هؤلاء يقولون بان القومية هى البربر ، اظن ان هذا من الناحية التاريخية لا يجوز ان تقتصر عليه ، لان الاقوام قد اختلطت فى هذه البلاد وتمازجت ، فلا يمكن ان نميز تميزا واضحا تماما بين عربى او او بربرى ، او غير عربى ، او رومانى او غير هؤلاء من العناصر العرقية والاجناس .

مهري : اعتقد ان الفارق بين الشخصية الوطنية ، والشخصية القومية هو ان نصطى الاولوية الاولى فى التعريف الى العامل الجغرافى بمعنى اننا نعتبر السكان الذين يسكنون فى

الكلمات قد يعيننا على تحديد مفهومها لا بالنظر لاصلها اللغوي، ولكن بالنظر للاستعمال المستعمل الآن، وعلى هذا فيكون تفضيلنا، للتعريف، سواء بالشخصية الوطنية أو الشخصية القومية، بل لتحديد مفهوم هذه الشخصية.

أبو عمران: في رأي إذا اردنا الجواب على هؤلاء الذين يقولون بأن الشخصية الوطنية عندنا مثلا هي فقط الشخصية البربرية، يجب ان نرد عليهم من ناحية التاريخ أولا. ومن ناحية الواقع، من الناحية التاريخية حقيقة

منطقة جغرافية موحدة لهم من الخصائص ومن السمات الاجتماعية ما يميزهم حتى عن جيرانهم الاقربين وسواء كان هذا الشعب محصورا في هذه المنطقة الجغرافية من اصل بشري واحد، او من معتقد واحد، او كانوا مختلفين في هذه النواحي، فالهم اننا اذا تحدثنا عن الشخصية الوطنية، فاننا لا نعتبر ان حدود الوطن، الحدود الجغرافية السياسية، لا تقف حاجزا دون شمول هذا التعريف سواء لجماعات مجاورة قريبة او بعيدة، واعتقد ان الاستعمال اليوم لهذه



توجهنا الى الاستاذ ابراهيم مزهودى مدير الشؤون الثقافية بوزارة التعليم الابتدائي والثانوى بسؤالين:

- ١ - القنوات التى تصل الشخصية الوطنية بالشخصية القومية.
- ٢ - تحديد الشيخ ياديس لمقومات الشخصية الوطنية وهل ما يزال يحتفظ بقيمته ام تجاوزته الاحداث؟

وهذا نص جوابه:

لعل الدراسات التاريخية والجغرافية من جهة، والسوسولوجية من جهة أخرى باستطاعتها تحديد نطاق الوطنية والقومية، أو الشخصية القومية على حدة والوطنية على أخرى، وهي ظاهرة منطوية عبر العصور والأزمنة لم تخضع في عصر من العصور الى مقاييس ثابتة، بل كانت تتبع مفهوم المرحلة المتطور حسب الأزمنة والامكنة.

فلذاخذ على سبيل التمثيل هذه الظاهرة عند الشعوب السامية في الجزيرة العربية، فاننا نجد ان المفهوم القومى كان باستمرار عبر التاريخ القديم محاولة للخروج من اطار القبلية الضيق، الى اطار اكتر منه اتساعا ومرونة وفي هذا الاطار القومى نجد بعثة الانبياء، ورسالات الرسل، اذ كانت تلك المجتمعات القبلية يحاطبها زعمائها وانماؤها - بالقوم -:

(يا قومى احيوا داعى الله) وقوم عاد وقوم فرعون. ولعل في هذه العصور القديمة لم تتبلور فكرة الوطن بل كانت مضارب الاقوام ومنازلهم هي اوطانهم تنفس بنفخ حولهم عنها الى غيرها. ولعل هذا المفهوم بدوره هو الذى برز لنا بعدد الهجرات من صقع الى صقع طلبا للحفاظة على كيان القبيلة الذى كان يعتبر الخلية الاساسية للمعمران في تلك العصور، كلما داهمه ما

حضى عليه منه، من نفث او صمدع، كالايراص والمجاعات، والابوة، والحروب المدمرة والافات الطبيعية.

واستمر الحال فيها عرفه التاريخ القديم على هذا النوال او قريب منه، حتى كانت العصور الحديثة، وفي ارض أوروبا تبلورت فكرة الوطن داخل حدود معينة، وتكاد، واصبح عنصر الارض يلعب دوره في هذا المفهوم الذى لا يزال مستمرا حتى الان، وعمت فكره الوطنية بمفهومها هذا في سائر ارجاء الارض المتحضرة، او التى هي في طريق التحضر.

والقومية بدورها في عصرنا الحاضر احدث لها مفعوما اشمل واوسع من العصور القديمة، اذ اصبحت نجل بما تحمله من معانى وحدة اللغة المشتركة، والمقيدة الواحدة، والخصائص الثقافية والحضارية الجامعة. وارتفعت بالمستوى الانسانى فوق اعتبارات الجنس والقبيلة والحدود الوطنية الضيقة. وفي هذا الاطار نجد خصائص الشخصية الوطنية لا اقول تلذوب، ولكنها بضائل وتتفاعل وتتسق لتصبح بخصائصها وخصائص ومقومات الشخصية القومية تتكون الامة بمفهومها الحضارى الحديث.

اما الجزء الثانى من الموضوع المتعلق بتحديد ابن ياديس لمقومات الشخصية بعناصر ثلاثة، فاني اريد

ان السكان الاولين كانوا ينتمون الى هذا العنصر البربري ، ولكن أتت حضارات كثيرة على هذا الوطن ، لا على الجزائر فقط ولكن على المغرب بأكمله ، وربما حتى أبعد من المغرب. الوطنية لا تقوم عندنا على عنصر معين ، فالواقع لا يبرز ما ذهبوا اليه ، والماضي لا يبرر ما ذهبوا اليه ، والعلم لا يثبت ما ذهبوا اليه ، وانما اذا اردنا أن نفهم الشخصية الوطنية بمفهوم أوسع ينبغي أن نفكر في الطابع الحضاري الذي تنتمي اليه الشخصية الوطنية ، وهذا ما يأتي غيبا بعد في

حديثنا .
محمد العربي : انا عندى ملاحظتان :
اولهما : تتصل برأى الاستاذ الحاج صالح ثانيتهما : برأى الاستاذ عبد الحميد .
فيما يخص رأى الاستاذ الحاج صالح بالتفريق بين الشخصية القومية ، والشخصية الوطنية قال ان الشخصية الوطنية هي شخصية فردية ، وأن الشخصية القومية هي شخصية جماعية ، الوطنية مفهومها اللغوي غردى ، والقومية مفهومها جمعى ، قد يجوز هذا من الناحية اللغوية البحتة ، لكن

الوقوف عند عنصر واحد من عناصر مقومات الشخصية الوطنية في رايه ، وهو عنصر العقيدة والدين . والامام ابن باديس في هذا المقام يتحدث عن الاسلام . في اعتقادي ان الدعوة الاسلامية في جوهرها تتجاوز حدود مفهوم القومية بمعناها القديم والحديث ، كما تتجاوز حدود مفهوم الوطنية كما عرفت في المصور الفابرة اذ ان هذه الظاهرة الاجتماعية والتاريخية في جميع عصورها واصقاعها ، لم تكن تهدف لتحقيق الوحدة البشرية الا في حدود اقليمية ، او جنسية او قبلية ، او قومية . وهي ظاهرة مهما بلغ بها التطور والشمول لم تكن بالغة الهدف الذي من أجله جاءت الدعوة الاسلامية في تجاوز جميع الحدود الشخصية الوطنية او القومية ، القلبية منها والحديثة .

ذلك ان الاسلام جاء بمفهوم جديد للوحدة الانسانية ونقطة الانطلاق من هذا المفهوم تبدأ اول ما تبدأ من عنصر فكري هو الايمان بالتوحيد ، توحيد الخالق ، وتسلم البشرية قيادتها لهذا المبدأ اسلمت وجهها للتشريع والتنظيم والتوجيه الصادر عن هذا المبدأ ، والمنبثق عن عنصر الايمان بتوحيد الله . وفي هذا الاطار نشأت قاعدة مفهوم جديد للوحدة الانسانية يتجاوز جميع حدود المفاهيم السابقة واللاحقة ، تلك المفاهيم الضيقة المحدودة للوطنية والقومية . وهي ظاهرة تاريخية ثورية اتبنت مع الاسلام وتعاليم القرآن ، اذ جعلت من العقيدة حجر الزاوية في البناء الاجتماعي الجديد ، ومن التعاليم التي جاءت بها هذه العقيدة عناصر ومقومات للوحدة الانسانية ، تتجاوز حدود الوطن والوطن ، والقومية والقوميات ، ولاول مرة في تاريخ الانسان فوق الارض تتبلور الوحدة الاسلامية في اوطان العرب وقبائلها على ان تعم هذه الوحدة قومية اوطان اخرى من ارض البربر في الغرب ، الى مطلع الشمس من ارض الهندوس وعبدة النار في المشرق .

وعلى ضوء هذه الظاهرة التي ذكرت ، في اعتقادي أن جعل الاسلام مقوما من مقومات الشخصية الوطنية منسوبيا الى الامام ابن باديس فيه من تضيق الواسع ما فيه ، الا على ضرب من التجاوز والتسامح ، ولعل ابن باديس يعنى الاسلام كيقوم للشخصية الجزائرية ، هو حفظها من الانحلال ومحاولة المسخ والدمار التي

حاولها الاستعمار لتدمير كياننا الروحي والحضاري . وبجعله الاسلام احدى مقومات شخصيتنا كان يهدف الى الابقاء على هذا الكيان الصغير محفوظا سليما في هذه البقعة الصغيرة من الارض ، ضمن الكيان الاسلامي الكبير الذي لا يعرف له حدودا سوى حدود العقيدة من مطلع الشمس الى مغربها . ولعل باديس هو القائل ما معناه : (يخدمتي لوطني الجزائر الصغير فاني اخدم وطني العربي الكبير ، وبمساهمتي المتواضعة في العمل من أجل الاسلام فاني اعتبر نفسي في رباط في نفس من ثغور الدعوة لكتاب الله ، ومختلف أمم الارض تسعى لاعداد المواطن الصالح ولكن الاسلام يسعى لاعداد الانسان الصالح ليستحق خلافة الله فوق الارض) .

ومن هذا المنطلق الفسح الذي اتخذه الادبولوجية الاسلامية مجالا لها ، اسهمت الدعوة الاسلامية في بناء الحضارة البشرية بتصور للحياة جديد ، وامتد الفكر الانساني بالآلة تفوق في اهميتها آلة البخار والكهرباء الالكترونية التي ابدعت الحضارة المادية للانسان . ذلك ان الجانب المجهول في الانسان الذي لم تستطع الحضارة البشرية المادية والعقلية ، وضع يدها على مغلق سره ، الا وهو الجانب الذي رشح به الانسان لخلافة الله في الارض ، اعنى جانب الروح .

وجميع فلسفات الارض التي بحثت طويلا عن هذا الاكسر ، والسر المفقود في الانسان المجهول ، لم توفق في بحثها توفيق العقيدة الاسلامية في وضع يدها على السر المحجب ، بحفظها التوازن بين مادية الانسان والكون . وعقل الانسان ، وروح الانسان . وبالتالي نشأ عن هذا التوازن بين القيم الثلاث : المادة ، والعقل ، والروح ، تساقوت وانسجام مع سنة الكون والممران . وتحدد مفهوم جديد لرسالة الانسان على الارض بعيدا عن طغيان القيم الثلاث بعضها عن بعض بفضل النصور الاسلامي للحياة . ولو مضت الانسانية في مسيرتها بسلك طيق هذا التصور ، لتجنبت الارض كوارث الحروب والدمار ، ولا زهرت مدنية انسانية ، وحضارة بشرية تكون بدايتها فوق الارض ، وفي آفاق السماء ، ونهايتها في الآخرة وعلى مشارف الجنة .
ابراهيم مزهودي

وجهة النظر الفكرية ، القضية يبدو لي أن هناك اندماجا أو تقيصا أن صبح أن نستعمل إحدى مقولات التحليل النفسى ، فإن هناك ترددا أو ذهبا وعودة ، بين « أنا » و« نحن » الان لا يكتب خصائصه إلا في نطاق الكل الذى هو « نحن » ، والعكس صحيح لا يوجد نحن بدون أنا ، لا يوجد هناك تجريد ماهية مستقلة عن خصائص فردية فيها ، أما فيما يتصل بالاستاذ عبد الحميد قال : اننا ينبغي أن نركز على العامل الجغرافى ونبنى عليه تمييزنا بين الشخصية القومية والوطنية ان هذا التفسير بعامل واحد قد يثير القضية ، أو قد يعطيها تفسيراً غير كامل . وهو مالا يعنيه الاستاذ مهري .

اسمح لي يا حاج صالح :

في وجهة النظر هذه ، فقد ساد في القرن الثامن عشر من تفسيرات مونتسكيو بالمناخ وحده أو بالجنس أو بالاقتصاد الخ ... وقد تبين أن هذه التفسيرات التى تعطى جانباً واحداً ، أو عاملاً واحداً ، لتفسير قضية بهذا التعقيد ، لا تستوفى الموضوع كله ، فيبدو لنا على أغلب الظن أن التفسير الصحيح للقضية ، هو أن توضح هذه القضية في النسبة للبلاد الأمريكية ، نجد أن فيها أجناساً مختلفة من الناحية العنصرية .. عناصر ، — يعنى نستطيع أن نقول عناصر ، كل عنصر ينتمى إلى سلالة مختلفة — هناك الألمان وأنكليز وبلغار .. لكن رغم ذلك هناك وحدة حضارية تجمع هؤلاء الناس كل منهم يقول أنا أمريكى ، مع أن جده الرابع أو الخامس قبل ذلك كان المائى أو ارلاندى ، أو غير ذلك ، وأذكر بهذه المناسبة أن الإنجليز الذين هاجروا أو اندمجوا وأصبحوا أمريكيين بعد أن استقلت ، وعادوا بعد الحرب العالمية الثانية إلى بريطانيا كانت الوصية الأولى التى يوصون بها هى أن يحذروا من السخرية بلهجة الإنجليز ، لأنهم يعتبرون أنهم نسوا أصلهم ، وأصبحوا يشعرون أنهم أمريكيون ، ولا صلة لهم بما

هو إنجليزى خلاصة القول ان التفسير الشامل ينبغي أن يكون متعدد العوامل يحلل الموضوع في نطاق حضارى ، الحضارة التى يدخل في نطاقها كل فئات المجتمع العربى بهما كانت نوعية وكيفية الاختلافات الجزئية والتي تثرى مضمون الشخصية الوطنية وتعطيه سندا من الماضى والحاضر لتلتقى به مع المستقبل .

مهري : أنا لم أنه الى فكرة ، ولم أقترح تحديد معنا ، وإنما ظهر لي أنا إذا قيدنا الشخصية بالوطنية أننا بدنا في تحديد معناها ، ونعتبر أن العامل الجغرافى هو العامل الأول في تحديد الشخصية ، بمعنى أن المجتمع الجزائرى ، إذا قلنا الشخصية الوطنية للجزائر ، فمعنى هذا أننا نعتبر أن المجتمع الجزائرى له من الخصائص ما يكفى لتمييزه حتى على التونسى أو المغربى ، وإذا قيدنا الشخصية بالقومية فإننا نكون بدنا بالفعل في تعريف هذه الشخصية ، واعتبرنا أن المجتمع الذى نريد تعريفه لا يمكن حصره في الحدود الجغرافية المعروفة للجزائر ، ولهذا بدا لي أن الفارق بين استعمالنا للشخصية الوطنية والشخصية القومية ، هو تقديرنا لأهمية العنصر الجغرافى وإنما لم أقل بأنه أهم عنصر في تعريف الشخصية أو تحديد الشخصية ، هو العنصر الجغرافى ، وإنما للتفريق فقط ، بنفسنا اطلاق إحدى التعتين على الشخصية .

حاج صالح : قضية بناء الشخصية على عامل واحد ، فهذا طبيعياً لا ، لم أقلها ولا يقولها أى واحد ، هناك عوامل كثيرة تتفاوت على كل حال ، وربما يكون العامل الفلانى مثلاً أشد تأثيراً على الآخر ، لكن التحديدات اللغوية لابد منها ، لأن التحديد اللغوى للمعاني ليست أشياء ملموسة لابد أن نبحث في ما وراء الفاظها ، بالافاظ بما أنها مركب للمعاني لابد أن ندرس ، كاداة لحمل هذه المعاني من شخص لآخر ، فإذا قلنا أن الشخصية الوطنية هى كذا ، فلا بد من تحديد ما يقصده الناس ، من وراء هذه الألفاظ ، فانا يظهر لي أن الحضارة وخصوصاً اللغة العربية ، تطورت في السنوات الأخيرة ، ووقع نوع من الموازنة بين تطور المصطلحات الأخلاقية والفلسفية والعلمية في أوروبا من جهة ، وفي الشرق العربى والمغرب العربى كذلك . أنا تتبعت شخصياً هذا التطور من ناحية وطنية وقومية ، صار الناس الآن في الشرق لا يطلقون وطنية إلا على ما يسميه الفرنسيون (Patriotisme) فاحتاج في يوم من الأيام الى ترجمة كلمة (National) فكان بعض الكتاب (Nationalisme) وبعض العلماء شعروا بنقص فقالوا ان الوطنية فيها نوع من الاشتراك فلجأوا الى هذه اللفظة « قومية » ، لأنها تدل على ما يدل عليه اللفظ الاوروبى ، وهذا ليس بعناء أن كلمة « قومية » كما كانت موجودة عند العرب وكانت بهيئة أو بذسة غائبة عن جدي .

« القسم الثانى في العدد القادم »

ابن حماد الصنهاجي

جلول بدوي

تسائر الجزائر برصيد نادر ، «لخيرة فذة» من خيرة أبنائها الذين رعوا لواء مجددها اللقائي اجيالا متتالية ، في المشارق والمغارب ، منذ ان اشرق نور العرفان السماوي في هذه الربوع ، وتالق نجم الهدى النوي في سمانها ، يهتدي به الضالون في الليلة الليلية ، ويستنيره المذللون الجباري في المساهات

لقد خف أبناء هذه الارض التي تناول ذلك المشعل الوهاج الحضاري لتقفون من أيدي القادة البهاليل الذين تغفلت في نفوسهم دعوة الحق، ودفعتهم الى تمكين هذه الدعوة انما توجهوا وحيثما حلوا رغبة في

تبليغ كلمة الله لعباده ، امانة تمهّدوا بآدائها يوم ان بايعوا محمد ابن عبدالله ، المبعوث الى الناس كافة ، دانهم وقاصيهم ، صلوات الله وسلامه عليه ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، اثابهم الله على ما اتوا ، وجزاهم بالحسن .

هرقت التربة الجزائرية بانها تربة خصبة ، ليس فيها اجادب ، تؤتي ثمار نباتها كلما جادت السحاب

واحيتها بغيث من وابل مدرار ، لا ينفك ينبت على اديمها انذاذا من اثم كانت لهم مقامات جلى في ميادين العلم والمعرفة ، ظلوا بها همزة وصل بين العلماء ، المصادر والواردين من المشرق الى المغرب ، ومن هذا الى ذلك .

وناسف لكون الايام التي تعرف عددا منهم ليس بالقليل كيف ظاب لها ان تسحب عليهم ذيل النسيان ، بينما نجد لها فضلى بأخبرين دون مستواهم شائنا ومقاما . ! ظاهرة عزيز علينا ان نراها بادية على مر الايام ، ثم تبقى هي الى يوم الناس هذا ؟ وهو امر باعد بين الناشئة وبين ماضيها حتى أصبحت تجهل تاريخ بلادها العلمي ، جهلا يخدم مداركها ، ويحرمها من الانتفاع بما تروى .
والحق ان النعمة تعود أولا وبالذات علينا ، نحن الذين جمدوا على ما حصر ، ففقرت الهمم عن التفكير في محاولة الكشف عن تراث الاجداد العلمي الذي عرف بعضه عند الاباعد .

ولقد كنت فيما مضى كتبت شيئا عن بعض علمائنا وادبائنا ، نشر في جنيه ببعض الصحف المحلية . واليوم اعود الى الموضوع من جديد ، . واول ما تيسر في خاطري تجلية شخصية مغمورة ، طوتها الاحقاب فيمن طوت ، وبانت نكسة ، تد لا يعرف عنها الكثير من القراء شيئا ، مع انها جديرة بان تعرف ، وقيمة بان تبرز للظهور ، شأن نظائرهما من رجالات الادب والعلم . اوليس ان هناك رجلا انجبته بلاد الجزائر في عهد من عهودها الفخري المزدهرة بدعى (ابن حماد الصنهاجي) فمن هو ؟ ومن عساه ان يكون ؟

التعريف به

هو الامام ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى ابن ابي بكر ، ينحدر من قبيلة صنهاجة العتيقة التي كانت تشغل مساحات مترامية الاطراف من القطر الجزائري . ولد باحدى القرى المنبثة حول « قلعة بني حماد » تدعى باسم « حمزة » في اواخر النصف الاول من القرن السادس ، وعلى وجه التقريب سنة ٥٤٨ هـ ١١٠٥ م

وتنشأ بالقرية المذكورة في عهد الناصر بن علناس اعظم ملوك بني حماد ، تلك القلعة التي عاشت مزدهرة برجال الفكر والادب والسياسة ، بفضل تشجيع مؤسسها واهل العلم حينئذ من الدهر ، حتى كانت كعبة القصد ، ومنتجع الرواد ، وفيها بدا ابن حماد يتعلم ويتقلب في مدارج العلم والعرفان ، يأخذ عن كبار علمائها وادبائها حتى قضى لسانته من ذلك ، ثم تحول الى مدينة بجاية

حيث أتم ما بداه بالقلعة .

نذكر من بين مشائخه وأساتذته الذين تخرج على أيديهم :

أ - المربي الشهير الشيخ أبا مدين شعيب بن الحسن الأشبيلي البجائي المتوفى بقرية « العباد » من ضواحي تلمسان سنة ٥٩٤ هـ ومن جملة ما روى عنه كتاب : (المقصد الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى) .

ب : عبد الرحمن بن عبد الله ، أبا محمد الأزدي الأشبيلي المولود سنة ٥١٠ هـ بأشبيلية ، والمتوفى ببجاية سنة ٥٨٢ هـ صاحب التآليف القيمة ، في الفقه والحديث واللغة ، روى عنه كتباً كثيرة في الحديث وخاصة موطأ الإمام مالك .

ج - الإمام حسين بن علي بن محمد الشهير بـ « أبي علي الموسيلي » والملقب بأبي حامد الصغير ، بسبب تأليف له سلك فيه مسالك الغزالي في الأحياء ، قال فيه بعض العلماء : ان كلام أبي علي فيه أحسن وأسلم من كلام الغزالي . مات ببجاية ، ودفن عند باب « أميسون » ولم يعلم تاريخ وفاته .

د - : الشيخ ميهون بن جبارة - أبا تميم البارودي الذي كان قاضياً ببلنسية بالاندلس ، ثم ببجاية - الى أن استدعى منها الى تولى خطة القضاء بمرسية . وفي طريقه اليها أدركته الوفاة بلمسان ، رحمه الله .

- : الشيخ أبا العباس بن مبشر . ونأسف لكوننا لم نعثر على شيء من أخبار هذا الشيخ ، في أى مصدر من المصادر التى رجعنا اليها .

٣ - تلامذته

لم نتمكن من معرفة أسماء تلامذته الكثيرين الذين لازموه وأخذوا عنه الا واحداً عرف بالشيخ العالم القاضى محمد بن عبد الحق بن سليمان التلمساني الذي كان حياً سنة ٥٨٤ هـ

٤ - معلوماته

أبرز ما تلقى من العلوم عن مشائخه هو (١) العلوم القرآنية من تفسير وقرآيات وتجويد ، (٢) مصطلح الحديث وعلومه ، (٣) علم الأصول ، (٤) علم النحو والصرف ، (٥) علم الادب ، (٦) علم التاريخ (٧) علوم الرقائق والاذكار . وقد كان له من هذه الفنون حظ وأقر وباع أى باع

٥ - رحلاته ووظائفه

لقد تقلب في البلاد ورحل الى مدينة الجزائر وتلمسان ، والى المغرب الأقصى ، ولقى عديداً من العلماء أخذ عنهم وأعطاهم . ثم انتقل الى الاندلس حيث أسند اليه القضاء بالجزيرة الخضراء ، وصرف بعد حين عنها ليتولى خطة قضاء مدينة « سلا » بالمغرب سنة ٦١٣ هـ

٦ - آثاره العلمية والادبية

انتسج ابن حماد في ميادين مختلفة من الفنون كما قدمنا وكتب فيها عدة تأليف لم نعرف من اسمائها الا هذه :

أ - شرح كتاب « الاعلام بغوائد الاحكام » تأليف شيخه عبد الحق الأشبيلي .

ب : شرح مقصورة ابن درية .

ج : التبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة بافريقية وبجاية . وهو أكبر كتاب في التاريخ الصنهاجي يتضمن فوائد لا يجدها الباحث في غيره . نقل منه كثيراً علامتنا عبد الرحمن بن خلدون في تاريخه الكبير عند حديثه عن بجاية وما حولها . وقد اهتم به المستشرق الفرنسي (شريونو) فنشر قسماً منه في « المجلة الاسيوية » سنة ١٨٥٢

د - برنامج كبير ذكر فيه شيوخه وأسماء الكتب التى قرأها ونص فيه على أنه لخص « تاريخ الطبرى » الكبير وقد ضاعت هذه الكتب فيما ضاع من آثار الرجل لم نعرف منها الا اسماءها ، وعسى أن يأذن الله في العثور عليها أو على بعضها ، انه جواد كريم .

هذا وقد حفظت لنا الايام كتاباً آخر له في التاريخ سماه « أخبار بنى عبيد » من

الفاطمين عنى فيه بأخبار دولتهم في الجزائر وتونس ، لم تذكره المصادر القديمة ، وتوجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية بالعاصمة . وهناك من هو منكب على تحقيقه والتعليق عليه ، بغية نشره وتعميم فائدته .

٧- شعره وشيء منه

كما يعد ابن حماد عالما بين العلماء يعدا أيضا شاعرا يجرى مع الشعراء ، ويطلق الأغراض الحساسة من مكان الشعاعية ، مثل الرثاء والوصف . وشعره ، على قلة ما وصلنا منه يمتاز بالبرقة وصدق اللمحة . يدلنا على ذلك ما نقرأه من رثائه للقلمة ، ملعب صباه ، ومسرح هواه ، يعد أن أتى عليها الدهر هدا وتخريبا على قصورها ومعالها محوا يطمسا ، فهو يقول :

ان (العروسين) لا رسم ولا ظل
فاتظر هنا ليس الا السهل والجبل
وقصر (بلارة) اودى الزمان به ..
فاين ما شاد منه السادة الاول (كذا)
الى ان يقول :

وقد عفى قصر حماد فليس له
رسم ولا اثر باق ولا ظل
وقال في شوقه الى (الوادى) او (وادى
الجوى كبا دعاه) :

... وما رسوم (النار) الان ماثلة
لكنها خبر يجرى به المثل ..
ليت شعري هل ابين ليلة
بواى الجوى ما بين تلك الجداول ؟
... وهل اردن « عين السلام » على الصدى
فابرد من حر الضلوع النواهل
وانظر طبقان « النار » مظلة
على الدجنات الزاهرات الخمايل
كان القباب المشرقات بافقه

نجوم تبدت في سمود المنازل
عصبرا جميلا غير أن اصابتني
ستبقى بقاء الطالعات الاوائل ،
وقال في ناحية قريته من القلمة تدعى عين
للسلام :

على عين السلام سلام صب

غذاؤه ماؤه العذب النمر
تاود ايكها وجرت صباها
وشم لها - كما فتى - العبير
وابرد ما يكون الجو فيها
واندى ، حين يحتدم الهجير
وما ادرى : ايجرى فوق در
ام ابتسمت بمنبعها الثغور ؟
وقد قام (النار) على نراها
كما قام العروس أو الامير
بناء يزدرى ايوان كسرى
لديه ، والخورنق والسدير

٨ - رأى الناس فيه

قال عنه ابو العباس أحمد الغبرنى في كتابه (عنوان الدراية) ، « الشيخ الاجل الفقيه الرئيس الاجل ، العالم الاوحد ... كان من روى عنه فها هو الا من الجللة لقد بارك الله في عمر ابن حماد حتى الاعلام »

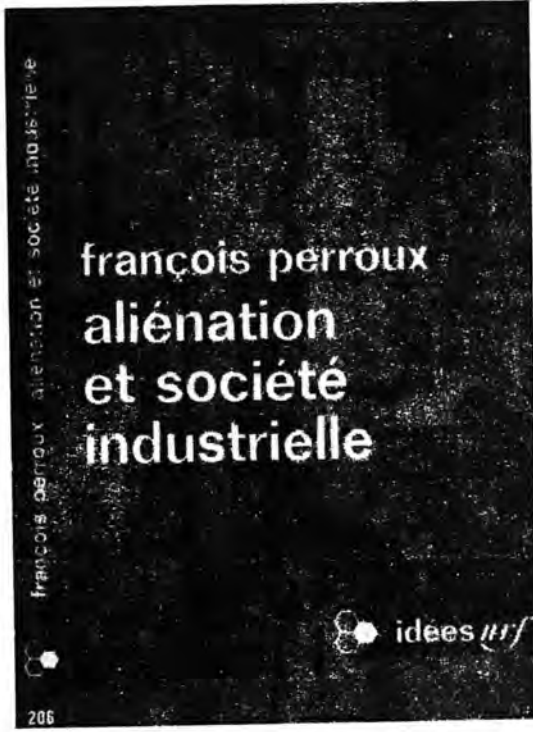
٩ - وفاته :

تجاوزت سنة الثمانين وأدركته الوفاة على المشهور سنة ٦٢٦ هـ ١٢٣٠ م رحمه الله واجزل ثوابه على ما قدم من نفع وما ترك من طيب الاثر .

جلول البدوى

مصادر البحث :

- أ- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية - طبع بالفرنسية ١٩١٠ م
- ب - موجز التاريخ العام للجزائر ، لعثمان الكعك ، طبع بتونس
- ج - بلاغة العرب في الجزائر
- د - البستان في ذكر الاولياء والعلماء بتلمسان ، لابن مريم التلمساني - طبع الجزائر ١٩٠٨ م
- هـ - نيل الابتهاج ، لاحمد بابا السبكى المطبوع بهامش الدياج المذهب لابن فرحون طبع مصر سنة ١٣٥١ هـ
- تاريخ الجزائر العام ، للشيخ عبد الرحمن الجيلالى المطبوع بالمطبعة العربية بالجزائر سنة ١٩٥٥ م



الاستبداد والمجتمع الصناعي

من جملة الكتب المهمة التي صدرت أثناء
١٩٧٠ نقدم للقراء كتاب الاستبداد والمجتمع
الصناعي ، نظرا لاهمية الموضوع والبحث .

قد ألف الأستاذ « بيرو » عدة كتب قيمة بحث
فيها صلة الاقتصاد بالمجتمع وعالج الكثير من
مشاكل الساعة ويعتبر المؤلف من الخبراء في
هذا المجال وهو يدرس الاقتصاد بالمعهد
الفرنسي المعروف « بكوليج دي فرانس »
بباريس .

تأليف : فرانسوا بيرو
تقديم : الشيخ بوحران

وقد اهتم الاستاذ « بيرو » بدراسة العالم الثالث وهو رئيس جمعية العالم الثالث (مقرها بباريس) وقد اكتسب هذا الباحث شهرة كبيرة في الاوساط المثقفة . يعالج الكتاب استبداد المجتمع الصناعي على الانسان ويبحث كيف يمكن التحرر من ذلك الاستبداد بعد عرض ومناقشة عدة آراء وتحليل بعض المجتمعات المتقدمة والمتخلفة في عصرنا هذا .

لا نريد ذكر كل ما جاء في البحث بالتفصيل وانما نقتصر على اهم الجوانب .

ينطلق الكتاب من تعريف الفيلسوف الالماني « هيجل » لمفهوم الاستبداد ويبين كيف حول « ماركس » هذا المفهوم الى مفهوم آخر بناء على دراسة المجتمع الصناعي الاوربي . يرى الاول ان الانسان يعاني من الاستبداد الديني والسياسي ويرى الثاني ان السبب غير ماذكر « هيجل » لان الاقتصاد هو اهم شيء في نظام المجتمع ولهذا يذهب « ماركس » الى ان استغلال الانسان ناتج عن النظام الراسمالي الذي لا يسمح للعامل بأن يتمتع بثمره كده (ص ٨ - ٩) ان هذه النظرية معروفة ولا حاجة الى الاطالة فيها ، وانما المقصود من الاشارة اليها هو ان تحرر الانسان من الاستغلال والاستبداد مرتبط بنظام اجتماعي جديد يجعل السلطة في يد العمال . ويتساءل المؤلف اذا كان المجتمع الصناعي قد حقق هذه الغاية المنشودة ويبدو لصاحب الكتاب ان دراسة المجتمع السوفياتي هو احسن طريق للجواب (ص ١٧) - وانما الانسان ليس شيئا او آلة ولا يمكن ان نهمل شخصيته وارادته وحرية تصرفه مهما كانت العوامل الاجتماعية وتأثيرها عليه (ص ٢٢ وبعدها) انه يتحكم في مصيره وفي مواقفه انطلاقا من وضعه الخاص والمستقبل الذي يريده لنفسه معتبدا على امكانياته الفردية والاجتماعية .

ويبرز وجوده في نشاطه اليومي والانجازات المختلفة التي يحققها (ص ٢٦) تظهر شخصية الانسان في الحوار الفردي والاجتماعي مع الغير (ص ٢٧) ويمكن تطور الانسان بفضل هذا الحوار وليس هذا التطور حتميا بل هو

مرتبط بها يقوم به كل شخص من المصاعى والاعمال وكل ما يحققه الانسان له صلة وثيقة بمجهوداته وثقافته ، ولهذا تعتبر الاشياء التي ينجزها اشياء ثقافية لا مادية فقط لانها تحمل معانى ورموزا وتدل على نشاط كائن حي يتكيف ويتفاعل مع الواقع متبادلا الخبرة والفكرة مع الغير (ص ٢٩) . ولهذا يتصف التزامه بالتبصر لا بالالية (ص ٣١) وكلية سارتر غير صحيحة عندما زعم بان « جهنم هي الآخرون » . هكذا يستطيع الانسان ان يتحرر من الاستبداد والاستغلال وان يتمكن من تحقيق انسانيته في اعماله اليومية .

غير ان تحرر الانسان لا يتحقق آليا في المجتمع الصناعي وذلك يظهر بديهيا لكل من يدرس هذا المجتمع ، يلاحظ أولا ان الاستبداد يتمثل في الجهاز الميكانيكي وفي الجهاز النظامي بحيث ان العامل يشعر بأنه مسير نحو غايات حتمية لم يشارك في وضعها ويبدو له ان الجهاز قد تسلط عليه (ص ٣٢ - ٣٣) واصبح العامل وسيلة في خدمة الآلة واخذ يسعى في تحقيق مشروع لاحظ له فيه . ولهذا ظهر عليه القلق والحيرة .

يركز الاستاذ « بيرو » في منهجه على التحليل الاقتصادي والاجتماعي وعلى التحليل الفلسفي (ص ٢٨) . ويذكر ان انتقاده لآراء « هيجل » و « ماركس » يعتمد على مذهب الوجودية المعاصرة التي عرفت بالشخصية الانسانية تعريفنا واضحا (ص ٤٢) . ان التحرر في نظر « هيجل » يتجسم في التاريخ اذا شارك الفرد في نشاط المجتمع ومجرى الحوادث او بعبارة اخرى ان التحرر جماعي لافردى . ولهذا ينبغي ان نحول من « انا » الى « نحن » وفلسفة « هيجل » فلسفة الجماعة وعلى الفرد ان يذوب في الجماعة باستثناء الابطال الذين يلعبون دورا خاصا في تطور التاريخ . ونظرية ماركس لا تختلف في جوهرها عن نظرية « هيجل » مع التحويل الذي اشرنا اليه آنفا . ان الاساس هنا هو العلم والثقافة ، والعمل له طابع جماعي ولكن الجماعة هي الطبقة الاجتماعية ويقضى التطور

ولا يعنى هذا القول ان الانسان يستطيع ان يتصرف كما يشاء في جميع الامور ، ومن يعتقد ذلك يقع حقيقة في اخطاء المثالية المجردة وانما الانسان يتفاعل مع المجتمع ومع الاشياء ويتكيف حسب الظروف والاهداف التى سطرها لنفسه في الحياة . وليس الانسان جسدا ماديا غقط . وانما هو مركب حى يتداخل فيه الجسم والروح بحيث لا يمكن فصل الواحد عن الآخر (ص ٦١) وغاية الحضارة هى سعادة الانسان وليس غايتها الاستبداد على الانسان من اجل بناء مجتمع سناعى يضمن له - في يوم ما - التقدم والعدالة الاجتماعية والرغاهية دون مراعاة حقوقه وقيمه الاساسية .

يرى الاستاذ « بيرو » ان العلوم والصناعة والتكنولوجيا تمكّن الشعوب والمجتمعات من التقدم ومن المنافسة في نفس الوقت (ص ٦٥) وتجعل مصيرنا في خطر اذا فسحنا لها المجال دون شرط او قيد ، ولا سيما في عصرنا هذا لان طبيعة الانسان والدول تقودنا الى التسلط والوحشية الحيوانية (ص ١٨١) وتتجسم قوه الشعوب الصناعية في منافسة الدول الكبرى من اجل السيطرة على العالم واحتلال المراكز الاقتصادية والثقافية والسياسة الكفيلة بنشر نفوذها في البلاد المتخلفة . سواء كانت هذه الدول من الغرب او من الشرق (ص ١٠٨) . نحن طبعيا في حاجة ماسة الى العلوم والصناعة والتكنولوجيا ولكن ما هى الوسائل التى تمكن من استخدامها لصالح الانسان ؟ من جملة الوسائل يذكر المؤلف الحوار المثمر بين الافراد في المجتمع والقضاء على الاستغلال والاستبداد والخوف واستهداف العدالة الاجتماعية ومراعاة حقوق الانسان واسهام الافراد في التخطيط والبناء والتركيز على القوة الابداعية والتغلب على روح البيروقراطية والتعاون الدولي بين الامم وبين المؤسسات الدولية ومساعدة البلاد النامية ...

أبو عمران الشيخ
استاذ الفلسفة بجامعة الجزائر



هيجل

الجدلى للتاريخ بتحرر الطبقة العاملة من الاستبداد الراسمالي . ولاقيمة للضمير الفردى اذا انعزل عن المجتمع أو تناوبه (ص ٥٠) ويتصدى المؤلف الى انتقاد النظريتين المعروضتين ابتداء من الغاية التى يرمى اليهاكل من « هيجل » و « ماركس » وهى تحرر الانسان من الاستبداد مهما كان نوعه ، مبينا ان النظام الذى تشخصت فيه آراء المفكرين المذكورين لم يحقق هذا التحرر المنشود لان المفكرين اهملا اعمالا ناهما تلك الغاية التى اراد ابناء المجتمع من اجلها . وذلك لان الانسان افتقد فيه حريته ومسيره وذهب ضحية المجتمع الصناعى الذى نام على حساب الفرد (ص ٥٣) . وقد ساءت شخصية الانسان في « الموضوعية » وتجرد الفرد من انسانيته . وفي الواقع ان انفا . (الانا) والاعتماد على الجماعة وحدها غير كاف اذا اهلنا حقوق الانسان . وقد بينت الفلسفات الوجودية حقيقة الشخصية الفردية وتمييزها عن المجتمع (ص ٥٨) ان الفرد يتفاعل مع المجتمع وفي نفس الوقت انه يشعر بحريته ويفكر في شؤونته ويكتشف الواقع ويتعلم ويجرب ولا يعتبر نفسه مقيدا بقوانين ومناهج الا اذا تفهمها واقتنع بصحتها في العلوم والثقافة العالمية تبرهن على ذلك

ضلال أم تضليل!

موسى بن عمار

اقول هذا لاننى لاحظ ان طائفة من الكتاب والمفكرين العرب قد ابتدعوا هذا الفرع واولعوا به وادمنوه فى كتاباتهم حتى اصبح شيئا مزعجا لا يحتمل ولا يطاق . وقد استغل هؤلاء الكتاب صراحة الاوروبيين مع انفسهم حين يتعرضون لمعالجة مشاكلهم واستغلوا روحهم العلمية التى تلزمهم الصراحة والنقد الذاتى وقول الحقيقة ولو كانت مرة فى معالجة قضاياهم العويصة ومشاكلهم الشائكة التى تطرحها طبيعة المرحلة الحضارية التى يمرّون بها فراحوا يطبلون ويزمرّون ويبالفون ويضخمون ويرون ذلك دليلا على قرب انهيار هذه الحضارة « المادية » المجرمة التى ابعدت الانسان عن خالقه وجعلته عبدا للعلم ونظرياته وخادما للمادة واسيرا لها !! فاذا راوا « شبنغلر » فى كتابه « سقوط الغرب » او « الكسس كارل » فى كتابه « الانسان المجهول » او « كولن ولسن » فى كتابه « سقوط الحضارة » قد تنبأوا بقرب انهيار الحضارة الغربية او ابدوا تخوفاتهم تجاه هذه القضية وجدنا كتابنا هؤلاء قد اتخذوا ذلك امرا مسلما وقضية مفروغا منها .

وهؤلاء الكتاب المساكين لا يعرفون انهم بذلك يظهرون سذاجة محزنة اذ يظنون ان هذه الحضارة سوف تنهار وتموت فى وقت قريب او ان العلم سوف يتقهقر او يتوقف فى يوم من الايام . كما يظهرون سوء نية لا لزوم لها تجاه ما حصله الانسان من نصر فى ميادين

ننشر هذا المقال فى اطار حرية الرأى والمناقشة ، دون ان نلتزم بكل ما جاء فيه من آراء واحكام .

فى مقدمة هذا الموضوع اريد ان اتساءل . لماذا الفرع بكل ما يبشر بقرب انهيار الحضارة الاوروبية الحديثة ؟ لماذا الفرع كلما ظهر نوع من عجز الانسان امام مشكلة من مشاكله الكثيرة فى صراعه الخالد مع الطبيعة ؟ لماذا الفرع كلما انتحر العلم فى ميدان من الميادين وبدا عاجزا عن النجاح فيه واعترف العلماء بذلك العجز ، حتى لو كان العجز امام المرض والموت والايوثة وكل ما هو عدو للانسان ؟ لماذا الفرع كلما اظهر العلماء جهلهم بالانسان او ببعض اسرار الكون التى كان من المرجح التوصل اليها ؟ لماذا التشفى اذا ظهرت بوادر من عجز الانسان عن الوصول الى الكواكب او سكنائها او فشلت العمليات التى تم فيها زرع القلب ؟ لماذا الاستشهاد بكل كاتب وبكل كتاب ابرز بعض النقص فى جانب من جوانب الحضارة الغربية والعلم الحديث ، واتخاذة قرآنا يقرأ ويرتل ؟ واخيرا لماذا الفرع كلما شكى الغربيون من ازمة اجتماعية او اقتصادية او اخلاقية .. الخ ؟

المعرفة المختلفة وتجاه نجاح الحضارة الحديثة
المبنية على التجربة والنظرة العلمية الى الكون
والحياة . كما يحاولون ان يجعلوا من العرب
خصما للحضارة الحديثة ولروح العلم والتطلع
الى المجهول ، او هذا على الاقل ماتوحى به
كتاباتهم وافكارهم للمطلع الاجنبى . وهم
بذلك يوهمون انفسهم من حيث لا يشعرون او
يشعرون ويصرحون انهم يدافعون عن
الاسلام كان الاسلام يحتم عليهم محاربة النور
ومعاداة العلم ومجافاة الحضارة .

مع ان الاسلام برىء مما يحمّلونه او
يحاولون ان يحمّلوه من مبادئ وافكار هو منها
براءة . بل اننا لا نعرف ديناً قدس العلم واحترم
العلماء كما فعل الاسلام حتى ان اول سورة
في القرآن تظهر هذا التقديس « اقرا وربك
الاکرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم
يعلم » وامثال هذه الآية كثير في القرآن لا
داعى لنكرها هنا .

وامامنا الآن كاتب عربى مشهور ينتسب
الى هذه الطائفة وهو الاستاذ المرحوم
« سيد قطب » فى كتابه « الاسلام ومشكلات
الحضارة » يتخذ كتمودج لهذا النوع الذى
لا يحصى من الكتاب الذين يميلون الى
التضخيم والتحويل ، والى المبالغة التى لاتخدم
الحقيقة اذ يوهموننا اننا خیرامة اخجرت للناس
وان البشرية تتخبط فى مشاكلها وانه لانجاة
لها مما هي فيه الا اذا لجأت الينا لتأخذ الدواء
وتأخذ الشفاء وتعيش الحياة السوية التى
تنقصها الان .

ومعظم كتابه هذا يحتوى على عرض
ومناقشة وتأييد لكتاب « الكسب كارل »
اشرنا اليه آنفا وقد اعتبره وثيقة هامة تدين
الحضارة الغربية بقلم احد ابنائها الخالص
ناخذته فرحة غامرة لم ينجح فى كتمانها ، وقد
عثر على هذا الكتاب كائنا عثر على كنز
فأخذ معظم نصوصه وزين بها كتابه .

ويطول بنا الحديث لو تعرضنا لكل
النصوص التى تظهر فيها المغالطات فى هذا

الكتاب وانما يكفينا ان نأخذ نصا او نصين
كتمودج لبقية النصوص . يقول سيد قطب
صفحة ١٢٠ من الكتاب يصف حالة المجتمعات
الاروبية « المنحلة » بسبب اتجاهها « المادى
والحيوانى » : « وكتب على البشرية ان تؤدى
الضريبة فادحة صارمة ثقيلة : حروبا رهيبية
ضحاياها بالملايين قتلى وجرحى ومشوهين
ومعتوهين ومعذبين ، وازمات تلو ازمات .

ازمات اذا قل الانتاج ، وازمات اذا زاد
الانتاج ، ازمات اذا مال الميزان التجارى الى
العجز وازمات اذا مال الميزان التجارى الى
الزيادة ، ازمات اذا نقصت المحصولات
وازمات اذا فاضت المحصولات . ازمات اذا
قل النسل وازمات اذا زاد النسل ، وتخطب
من هنا وتخطب من هناك وقلق وحيرة
واضطراب وعدم استقرار ، وضغط على
اعصاب الناس لا تطيقه بنيتهم فيخرون
امواتا بالسكتة وتنجز المخ . الى ان يقول :
وما كان ذلك الا نذيرا لله الذى لم تتفتح له
القلوب والاذان »

ونحن نقول تعليقا على كلامه : ان هذه
المشاكل التى تحدث عنها الكتاب واثار اليها
هنا موجودة فعلا فى البلدان الغربية ولكنها
ناجمة عن المرحلة الحضارية التى يبرون بها
الان وما دمنا نحن لم نبلغ تلك المرحلة فائنا
لا نستطيع ان نعطي الحكم الصحيح فكثيرا
ما تبدو الاشياء سهلة للمتفرج من بعيد ، حتى
اذا تحمل المسؤولية واصبح وسط المشكلة
ظهرت له الاشياء على حقيقتها وعرف
الصعوبات التى كان يجهلها . ثم ان الكاتب
يحلو له ان يرى مشاكل الغرب وعيوبه ولكنه
ينسى او يتناسى انه يوجد فى الشرق ما هو
افظع واسوا من هذه العيوب بمئات المرات
ولكن الفرق ان الناس فى الشرق لا يحسسون
بمشاكلهم او هم يحسسون بها ولا يتحدثون
عنها لانهم لا يملكون الجراءة ولا الصراحة
اللذين اكتسبهما الغربيون بعد تجارب كثيرة
وكفاح طويل وهذا هو الفرق بين الشرق

والغرب ، الغرب الذى يعيش فى اعلى مستوى تهيأ للإنسان على الارض منذ اقدم الازمنة ومن جميع الوجوه ومع ذلك نراه يثور ويتمرد ويشكو اذا وجد اى انخفاض فى مستوى حياته او اقل تدهور فى واقعه لانه يعلم ان الثورة والنقد هما الوسيلة الناجحة لتغيير الواقع الفاسد والسير نحو واقع اصلى واحسن ، كان الشاعر العربى كان يعينهم حين قال :

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين او القبر
اما الشرق الخانع الراكع الذليل فانسه يقاسى فى صمت كالحيوان الاعجم ، انه يتلقى لطمات الواقع فى صمت ، ويحاول ان يغلفها بغلاف من الرضا بالقضاء والقدر والرضا بالكتب وما اثبه ذلك من فلسفات عتيقة ، وتبريرات فاسدة ، هذا فضلا عن ان النقد الذاتى والجرأة على كشف عيوب النفس هى مرحلة من التطور لم يصل الشرق اليها لانه مازال يخل من ذلك ويعدده ضعفا بسبب عقلية الطفيلية وبسبب ما ترسب فى نفسه من النفاق والمبالغة فيه .

اما وقد عرفنا الاسباب التى تجعل الغربيين ينقدون انفسهم بكثرة ويتحدثون عن عيوبهم بصراحة فانه لا ينبغى لنا ان نسرع الى الفرح الطفلى الساذج كلما وجدنا مفكرا منهم ينقد مجتمعه او يتحدث عن بعض العيوب التى انتجت الحضارة الحالية . لا ينبغى ان نبنى ذلك بساذجة وسرعة ونتخذ قضية مسلمة فنعتبر انهيار الحضارة وشيك الوقوع كما يفعل هذا النوع من الكتاب .

وفى كتاب سيد قطب ما هو اكثر تطرفا واشد تحاملا من المقطع الذى ناقشته قبل قليل ، يقول فى صفحة ١٦٧ من كتابه معلقا على الكسب كاريل صاحب كتاب « الانسان ذلك الجاهل » : « لامر اذن - لامثال هؤلاء المخلصين المساكين الا ان يلجأوا الى العلم

وحده ، حتى فيما يحسون هم انفسهم ان العلم لن يصل بهم فيه الى نتائج حاسمة قاطعة كالتى وصل اليها فى علم المادة » ولكن ماذا بيدهم ؟ ماذا يملكون للبشرية غير هذا ؟ ثم قال :

« ولكننا نحن نملك ، نحن اصحاب المنهج الاسلامى للحياة - نملك للبشرية مالا يملكه احد آخر على ظهر هذا الكوكب ونملك ان ننقذ الدكتور كاريل نفسه من حيرته . نحن نملك منهجا للحياة لا يعادى العلم مطلقا الخ » .

فانظر الى هذه المبالغة الصارخة التى يتبرا منها كل مفكر يحترم نفسه ، فهم يملكون للبشرية مالا يملكه احد على ظهر هذا الكوكب ! مهلا انتقدوا انفسهم وشعوبهم الخائفة الجائعة اولا . ؟

لماذا يفكرون فى انقاذ الامريكيين والاروبيين وهم عاجزون عن انقاذ شعوبهم المسكينة ؟ افلا يصدق عليهم المثل القائل ان فاقد الشيء لا يعطيه ؟

افلا يكفون عن هذه المبالغات التى تجعلهم يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم ويجدون الحلول لمشاكل العالم وينسون شعوبهم واطنانهم ؟

اما السيد انور قسبياتى فبعد ان تحدث فى كتابه « الحضارة العربية الجديدة وحتمية الثورة » على ان الحضارة الغربية فى نزعتها الاخير وبين ان هناك سؤالا بدا يرتسم فى الافق الانسانى الواسع هو لن الدور اليوم فى ابداع حضارة جديدة ؟ قال فى صفحة ٥٣ من الكتاب :

« اما نحن فلن نترك للمستقبل امر تحديد هذا الجواب لاننا نريد استعجاله . ولاننا نملك كل المبررات التى تدفعنا الى ضرورة الاجابة عليه الان فنقول بكل تهور : ان الدور

الآن ، لابداع حضارة جديدة هو لنا نحن العرب .

فالامة العربية مدعوة من قبل القدر والتاريخ لتأدية رسالتها الحضارية ، مستجيبة بذلك الى النداءات الحارة ، التى تنبعث واضحة صافية الرنين ، من اعماقها فى كل لحظة وآن ، والتى تنبعث باستجداء انقاذ من الوعى الانسانى كله . »

ونحن لا ننكر عليه ان يرشح الامة العربية لتساهم فى صنع وابداع الحضارة ، وانما ننكر عليه ان يجعل امة وحدها تتفرد بابداع الحضارة وقيادة البشرية دون بقية الامم والشعوب ، كما اننا ننكر عليه ان يقول :

« ان الامة العربية مدعوة من قبل القدر والتاريخ لتأدية رسالتها الحضارية مستجيبة الى النداءات الحارة التى تنبعث باستجداء انقاذ من الوعى الانسانى كله » فهذه مبالغة لا تصدر عن كتاب يحترم نفسه ويحترم قراءه فلا بأس ان تلعب الامة العربية دورها الحضارى ، اما ان تتجه الانسانية كلها اليها بنداءات الاستجداء لتنقذها من مهاوى الجهل والتخلف فهذا لا يصدر الا عن انسان مغرور ضعيف التفكير .

ومن هذا النوع من المبالغات التى تصدر عن السذاجة والغرور ما قاله السيد احمد عبد الرحيم مصطفى فى مقدمته لكتاب « موجز تاريخ الاشتراكية » صفحة ٩ -

« اذا كنا نجد اليوم ان المجتمع الغربى يحاول ان يحقق لافراده الامن المعنوى ، وان المجتمع الشرقى الذى ينزع الى الاشتراكية

يحاول ان يحقق لافراده الامن المادى ، افليس من سبيل ان يقدم الشرق العربى للمعسكرين مبادا شاملا يقوم على تحقيق الامن المادى والمعنوى معا ؟ »

فهذه نغمة جميلة طالما ردها الكتاب المثاليون الحالمون ، والا فكيف يستطيع الشرق العربى ان يقدم الحلول للعالم وهو لم يجد ابسط الحلول لقضاياه ومشاكله الكثيرة المتراكمة والتى هى دون هذه الدرجة بكثير ؟ لقد قلت آنفا « ان فاقد الشئ لا يعطيه » فلماذا يحاول هؤلاء الكتاب ان يضلوا قراءهم ويعبثوا بمقولهم ويزيدون فى بعث الغرور فى نفوسهم حين يخلون اليهم اسمهم فى موقف من ملك الحلول لمشاكل العالم .

هذه نماذج فقط واعتقد ان فيما نشرته الكفاية لاننا لو اردنا ان نقتبع امثال هؤلاء الكتاب لطلال بنا الحديث لان كثيرا من الكتب تزرع بمثل هذه الافكار ، وكثيرا من الكتاب يحلو لهم ان يتلقوا الجمهور ويعبثوا بمقول والقراء المساكين الذين يقرأون كتبهم ويتأثرون بهم .

وقد ساهم هؤلاء الكتاب فى خلق جيل عربى مخدوع مفتر بنفسه حين علموه الاوهام والاضاليل ومن واجب كل مخلص ان يكشف الاعيهم واضاليلهم بما يستطيع .

موسى بن عمار

اسناد ثانوية خمار - المدبة -

مع

التيارات

الفكرية

العالمية

... في المجلات الانجليزية

إعداد : محمد طاع الله

قدمت بعض الحوادث التاريخية فرصة العثور على مبررات لضبط الوقت لدى الانسانية ، وبالطبع فقد مضت الصحافة وكتب المناسبات الانفلو سكسونية خلال الاسبوعين الماضيين في تعداد التاملات والواقع والقياس بها تعاقب وانتقال العالم المسيحي من عام الى عام آخر الى جانب مظاهر الاحتفالات الدينية .

وكان مسألة حساب الوقت لم تعد تثير اهتماما بحدود بالابعاد الجغرافية او المجتمعية وحدها ، وهي ملاحظة ابداهها الان بريان في مقدمة مقال له في مجلة « نيوستيس مان » حيث قال : لقد كانت الشعوب القديمة تحسب وقتها لنفسها لانه لم يكن هناك ما يرغب اغلبية الانسانية على غير هذا الموقف ، اما الان ، فتحسبه الانسانية لكل فرد من افرادها ، واننى استطيع ان اضع حدا لمسيرة عقارب ساعتى ، ولكن الزمن لن يتوقف لا بالنسبة لى ، ولا بالنسبة للآخرين ، وسوف نأتمكن فيما بعد ، من استعادة الفترة التي توقفت فيها دون الآخرين ، وهذه هى حيرة الانسان الحالى .

ويقول جوزيف الوب في « هيرالدييون » لا استطيع ان اتذكر عاما يصعب فيه الخروج بخلاصة او تقييم كما هو الحال بالنسبة لعام ١٩٧١ ، وان اكثر المراقبين السياسيين دقة في التقديرات يشق عليهم ان يعثروا على اهتمام واحد للانسانية كلها .

لقد استغرق العام المنصرم في ملاحقة الاحداث التي وقعت في السنوات السابقة ، خاصة في المجال الدولي . غير ان راي اكثر المعلقين قد استقر على الحرب والموت والجنس ما تزال اكثر العوامل المؤثرة على مصير البشرية .

فما زالت حروب كثيرة تمارس او في حالة هدنة في بقاع كثيرة من العالم . وما تزال آلاف الضحايا تتساقط فيها كل شهر ، ولم تكن سنة ١٩٧٠ سنة الوفيات الناجمة عن الحروب وحدها وعن الشيوخوخة وحدها ، فقد ، توقفت حياة عدد كبير من السياسيين والادباء وغيرهم وقد كان موتهم في حد ذاته جزءا من الاثارة التي رافقت علاقاتهم مع الجماهير . وسواء كان الامر يتعلق بالوفيات التي جاءت صدفة او لتلك التي سببتها الحروب والامراض ، فان الانسانية ما تزال بعيدة عن القدرة على الخروج بعبء مفيدة من حياة الضحايا والراجلين ، فقد ودع العالم عددا من الوفيات بينما يذكر غيرهم يوما بالارقام فقط ، ومازال الجنس والتفاقم السكاني في العالم يلعب بدوره اثرا كبيرا في جدل الانسان مع شروط وجوده .

وصدرت بعض الاعترافات والتكهنات غير المشجعة في الكتابات الانغلوسكسونية ، وهي اعترافات وتكهنات لا تتعلق به سير الذين صدرت عنهم وحدهم ، فقد اعترف مستشار الشؤون الخارجية للرئيس نيكسون « ان التنبؤ بالكوارث اسهل واكثر واقعية من التنبؤ بالمناسبات السعيدة » . وفي هذا التكهن ،

يساهم بفاعلية في تخطيط سياسة الولايات المتحدة ربما لم يتصورها صاحب هذا التصريح المنشائم نفسه .

وفي مجلة نيوزويك يدعم الصحفي ستوارت الوب هذا التشاؤم وهو يسوق تعبير كسينغر فيقول : « ان التنبؤ بالكوارث يقدم في الغالب على فهم لواقع هذا العالم ، فسوف يشهد العالم مثل هذه الكوارث عاجلا او آجلا وهي كالموت نفسه ذات توقيت غير مؤكد ، ولكنها مؤكدة » .

وفي بريطانيا اختارت الامة البريطانية في شهر جوان من العام الماضي حكومة عيث بدلا من حكومة ويلسون بينماكانت التقديرات توحى بفوز ساحق للعمال . وقد كانت قطاعات من هذه الامة نفسها وخاصة العمال ضد الحكومة التي فازت في الانتخابات . ومع انقضاء النصف الثاني من العام ، لم يعثر الذين استبدلوا حكومتهم ، كما اكدت جريدة « التايمز » على سبب لتصرفهم في تلك الانتخابات .

ومع الساعات الفاصلة بين عامين جاء اعتراف الفيزيائي الامريكى ، ادوارد تيلر الالماني الاصل الذي يعتبر اب القنبلة الذرية التي اسقطت على هيروشيما وناجازاكي عندما قال : « ان الناس لايفهمونه ، لقد هرب من النازية ولكنه ارغم على ارتكاب عمل اكثر نازية من خلال حروب الولايات المتحدة التي منحها خدماته » وقال : « هل استكملت القنبلة الذرية في منتصف ١٩٤٥ وكان السؤال هل تلقى على اليابان فجأة ام نخيف اليابان بهذا اولا بعد ان شرح لها احوالها ، وقد شاركنى الدكتور زيلارد ليو الفيزيائي المجري في ذلك الحين ، ولكن راي كل منا لم يقبله الذين امروا بالقاء القنبلة وكان اوينها يمر صاحب النفوذ الكبير وراء ما حدث » .

الإسود والقوة السوداء » ، وقد دعم الكتاب بمقتطفات لفرانز فانون .

ويبحث كتب أخرى مع نهاية العام مصر الكنيسة خلال الاحتباب القليلة القادمة . وقد أخذ نقاد هذه الفئة من الكتب ان الكتاب الصادر عن مارتن مارتى هو أفضلها وهو بعنوان « البحث عن مستقبل معقول » ، وقال فيه : « ان محاولة علماء اللاهوت ان يقرأوا المستقبل بدون المعطيات التى تقدمها لهم فروع المعرفة الأخرى قد أدى بالبعض منهم الى سلوك عصبى خلال الستينيات » +

ولذلك يتوقع المؤلف سيرا أكثر من حقبة السبعينيات التى مضى منها عام ، وان هذا السبر سيكون خليطاً مع عدم التأكد والمخاطرة وهو الشيء الذى يحرص جميع الأوقباء على استبعاده .

وفي ميدان العلاقات الإنسانية أيضاً اكتشف بول صامويلسون مؤلف أشهر كتاب لمبادئ الاقتصاد الرأسمالى والفائز أخيراً بجائزة نوبل ان كتابه يحتوى على هفوة كبرى ، اذ تنقصه فقرة عن اقتصاديات الحب . وقال ان هذا الاكتشاف يتناقض مع الدروس التى كان يلتقها لتلاميذه فى جامعة شيكاغو حول المبدأ الاول والوحيد من نوعه فى الاقتصاد وهو : « ليس هناك افضل من وجبة مجانية » .

ومن خلال المساعى التى تبذلها الصهيونية

ايضاً على صعيد العلاقات الإنسانية ، حرص علماء اللاهوت اليهود مع نهاية العام على ان يقدموا الدليل القاطع من اجل تقارب افضل مع المسيحية ، على ان المسيح كان يهودياً ، فما الذى ينتظره العالم المسيحى أكثر من ذلك .

وفي مجلة نيوزويك صدرت احصائية تفيد ان معدل ٢٠٠٠ كتاب دينى تصل الى المكتبات كل عام . وهو اكبر عدد يسجل فى فئة واحدة من الاهتمامات . وبالرغم من ان معظم هذه الكتب من الاناجيل وكتب القساوسة فان كل موسم يدفع الى السوق بعدة مجلدات تساهم فى اعادة تشكيل وتعديل نوعية الفكر والتجربة الدينية . وقد كانت السنتان الماضيتان حسب هذه الاحصائيات مثلاً على ذلك وخاصة تلك المساهمات التى كتبت عن الدين والعلاقات الروحية من خارج الحدود المألوفة للكتابات الدينية .

ويعتبر كتاب « البحث عن الله فى الزمن وفى الذاكرة » من بين هذه الكتب ومؤلفه هو الاب — جون دون — من جامعة نورثردام بالولايات المتحدة الذى يعتبر نفسه الخليفة المباشر لبول تليش فى ميدان علم اللاهوت المنهجى .

والمؤلف مسيحى وجودى يسلم بنزعته الانسان المعاصر التى تتجه نحو التخلص من كل ما هو تجرىدى . ولذلك فقد دعا الانسان من خلال كتابه الى البحث عن فهم « الله » من خلال تجاربه وتأمله الخاص لسير الاشخاص البارزين فى التاريخ ، وكيف حدث لهم ذلك ؟ .

وقد أدى ظهور القوة السوداء فى الولايات المتحدة الى الاهتمام بالفكر الدينى وسقط التحولات الاجتماعية ، فظهر ما سمي أخيراً فى الولايات المتحدة بعلم اللاهوت الزنجى . واصدر جيمس كون كتاباً لخص فيه الاراء التى وقع عليها اختياره فى كتاب بعنوان « علم اللاهوت

الآلة في نظر جاك بيرك

المجلة : « ألا ترون أن اليابان
مثل حسن للتوفيق بين العالم الحديث
والتراث الوطني ؟ »

بيرك : « تذكرون مثل اليابان
بحق ، ولكن ماذا تفعلون بمثل آخر
أهم وأعظم وهو مثل الصين ؟ إن
الصينيين يحققون الآن منجزات
عظيمة وبدون أدنى تنازل للخارج .
ولا تمل تقريط في كل ما يتصل
بشخصيتهم الصينية . »

على أننى قد عثيت على الصين في
أحد غسول مثالى عدم أخذها الغير
بالاعتبار بكفاية .

وفي العالم العربى نفسه نشاهد
منذ نصف قرن اتجاهها الى الجمع بين
العصرية والحفاظة على الانية
الجماعية ، بل تأكيد هذه الانية ،
وأحسن مثل لهذا التوفيق هى
الجزائر التى أخذت بعد قرن وثلاثين
سنة من الاستعمار تكافح لاسترداد
انيتها ، فى الوقت الذى تقتحم فيه
القرن العشرين من بابه الواسع ،
وذلك أنه لا يمكن أن يكون هناك أى
تقدم لآى بلد يتخلى عن أنيته . »



جاك بيرك

في حديث جرى بين مجلة افريقيا
الافنية (جون افريك) والمستشرق
الفرنسى المعروف جاك بيرك (فى
العدد ٥١٦ بتاريخ ٢٤ نوفمبرالآخر)
جاء ما يلى :

بيرك : « ... الى جانب ما
تشيرون اليه من خطر التطرف فى
الحفاظة والتعلق بالتقديم البالى أود
أن انبه الى تطرف آخر معاكس يتمثل
فى تصور ساذج فى الشرق العربى عن
العصرية والتفتح وهو تصور سطحي
جدا يدفع كثيرا من العرب الى
السطحية وبالتالي الى البتر الذاتى
والقطع مع انفسهم . »

... فى المجلات الفرنسية

إعداد : عبد القادر برهوى

الى تقييم الفكر السياسى للفيلسوف الفرنسى
« جان بول سارتر » ودور المرأة الفلسطينية
فى الكفاح المسلح الفلسطينى ، والضجة التى
أثارت حول تهريب كتاب المؤرخ السوفياتى
« أندرى امالديك » هل « يعيش الاتحاد

كثرة هى القضايا السياسية والفكرية التى
تناولتها المجلات الفرنسية — خلال الشهر
الماضى — فمن جولة البابا ، بولس السادس
الى اقطار آسيا وتناجها ، وابعادها السياسية
والدينية ، « والثورة البيضاء » فى الشيلي ،

السوفيياتى حتى سنة ١٩٨٤ « الى فرنسا ..

فبالنظر للمسألة الأخيرة افردت مجلة « لكسبريس » سبع صفحات لترجمة بعض فصول الكتاب الذى نشره المؤرخ الفرنسى بيارنوا تحت عنوان « سفر قاهر الى سبيريا »

وقد صدرت المجلة فصول الكتاب بتدريج الاديب الروسى « اندرى امالديك » الذى قالت عنه : انه مؤرخ يبلغ من العمر اثنين وثلاثين سنة ، الف كتابا وصل الى فرنسا عن طريق التهريب اسمه هل « يحيا الاتحاد السوفيياتى حتى سنة ١٩٨٤ » :

وتقول لكسبريس : « يعد اندرى امالديك فى طليعة المثقفين السوفييات الذين عارضوا صراحة الحكم فى بلادهم .. » وقد حكم عليه سنة ١٩٦٥ بالسجن سنتين ونصف قضاهما فى سبيريا وبعد « سفره القاهر الى سبيريا » واصل مهاجمته لبعض مظاهر الحكم فى الاتحاد السوفيياتى .. فزج به من جديد فى السجن .. ولا يزال حتى الان نزله .

والصفحات السبع التى ترجمتها لكسبريس هى عبارة عن تسجيل للأحداث التى عاشها « اندرى امالديك » منذ ان داهمت منزله — حيث يعيش مع والده المعطوب الحال على التقاعد — الشرطة .. ووجهت له تهمةتين : الاولى اجراء اتصالات مشبوهة مع الاجانب « صحفى ودبلوماسى امريكى » والثانية رفضه للعمل .. لان مرسوما سوفيياتيا صدر فى ٤ ماي ١٩٦١ ينص على محاربة الاشخاص الذين يرفضون المساهمة فى معركة البناء ويحيون حياة طفيلية ولا يمارسون اى عمل ..

وينفى « اندرى امالديك » فى يومياته تلك عن نفسه تهمة الاتصالات المشبوهة مع الامريكيين اللذين زارا بيته .. ويقول : ان انصحفى الامريكى وزميله الدبلوماسى لم يزورا الا ليشاهدوا لوحات صديقه الرسام « زفيرف » .. الذى دخل فجأة الى المستشفى .. والذى ابدى موافقته لاندري امالديك على مقابلته الصحفى الامريكى ليجرى معه حديثا صحفيا ...

ويستمر الاديب السوفيياتى فى تسجيل الاحداث التى صاحبت مدامه الشرطة لمنزله واعتقالها له .. فيصف قاضى التحقيق الذى استنطقه بأنه « يجهل القوانين السوفيياتية » . ويصف المرأة التى وشت به الى مصالح الامن بأنها « عجوز معتوهة » الجميع يعرف انها فى سنة ١٩٣٠ كانت سببا فى اعدام زوجها رميا بالرصاص بعد ما اخبرت الشرطة بأنه يقوم بنشر الدعايات المضادة للاتحاد السوفيياتى . وهو فى الواقع لم يقم بهذا العمل .. انها كان يخونها مع امرأة اخرى ، كما ندد جاراته وجيرانه الذين قالوا عنه للشرطة كلاما ملفقا ..

ويمضى الاديب السوفيياتى فى تسجيل الاحداث التى صاحبت تنقلاته بين مكاتب الشرطة . ومكتب قاضى التحقيق ودخوله السجن ، الى ان يصل الى ذكر تدرج التهم الموجهة اليه . فقد بدأت برفضه العمل ، واجراء اتصالات مشبوهة مع الاجانب وقيامه بأعمال معادية للاتحاد السوفيياتى ، وانتهت باعتباره مجرما يستحق النفى الى سبيريا .. وفى نفس العدد من مجلة لكسبريس كتب مبعوثها الخاص الى « شيلى » تحقيقا عن « الحكم الاخر » فى هذا البلد الذى وصل فيه الشيوعيون الى الحكم عن طريق الانتخابات الحرة . لا عن طريق الثورة الدموية .. وعن هذا تقول لكسبريس : لأول مرة فى تاريخ امريكا اللاتينية يتمكن الشيوعيون من تأسيس دولة فى الشيلى .. بواسطة الطرق الشرعية « الانتخابات .. »

ولا يخفى الصحفى الفرنسى الانطباع الذى ارتسم فى نفسه عندما قام بجولة فى ربوع الشيلى .. وفحوى هذا الانطباع هو ان الحكم الجديد فى الشيلى .. لقي تايدا ملبوسا لدى الجماهير الشعبية الكادحة .. لان اقتصاد البلاد بكامله كان بيد قبضة اقلية ، من البرجوازيين والشركات الاحتكارية الاجنبية . كل الشعر المكافح الفلسطينى يصدر اليوم من العرب الفلسطينيين الذين يعيشون تحت الاقامة الجبرية او فى السجون داخل

اسرائيل .. بهذا صدرت مجلة جون افريك
الصادرة يوم ٨ ديسمبر الماضى .. موضوعها
عن « الفلسطينيين » حيث تقول :

ان معظم اشعار سالم جبران ، ومحمود
درويش وسامح القاسم وغيرهم من شعراء
فلسطين المحتلة ... هي اغاني حب يائسة
لفلسطين التي مثلوها بصورة الام ، والحبية
... والمرأة .

ويستعرض تحقيق « جون افريك » عن
الفلسطينيات دور المرأة الفلسطينية في ثورة
بلادها .. فهي « تحمل السلاح وتقوم
بالعمليات الفدائية » داخل اسرائيل والاراضى
الفلسطينية المحتلة بعد ٥ جوان ١٩٦٧ وهى
تشغل ممرضة ومعلمة ، داخل مخيمات
اللاجئين ... وباختصار ..

فالمرأة الفلسطينية هي اليوم مجاهدة ،
ومناضلة في صفوف ثورة شعبها . الذى صمم
على مواصلة الثورة المسلحة ، حتى النصر
النهائى واسترجاع وطنه السليب .

• اين وصل جان بول سارتر ؟ هذا هو
السؤال الذى حلت فيه مجلة لوفغارو لىتيرار
الفرنسية الصادرة يوم ٦ ديسمبر الماضى ..
شخصية زعيم الفلسفة الوجودية الفرنسية
« جان بول سارتر » وقيمت فكره السياسى
والادبى ، بقولها :

ان جان بول سارتر عظيم في الادب والفن
طفل في السياسة .. والحركات السياسية ..
• « لا ماركس ولا المسيح » هذا عنوان

لكتاب جديد له الصحفى الفرنسى « جان
فرانسوار يفال » موضوعه الرئيسى « الثورة
الامريكية » ويرى في كتابه هذا ان الثورة
العالمية الجديدة ستندلع في الولايات المتحدة
الامريكية وليس في اى بلد آخر ..

ويقول : « ان ثورة القرن العشرين
ستندلع في الولايات المتحدة الامريكية .. ولن
تندلع في اى مكان آخر من العالم .. فقد
بدات هذه الثورة في الولايات المتحدة ولن
تنجح في بقية انحاء العالم الا اذا نجحت في
امريكا الشمالية نفسها ..

واعتمد « جان فرانسوار يفال » في توصاه
الى هذا الاستنتاج على تحليله للادوات والوقائع
التي تعيشها الولايات المتحدة الامريكية منذ قيام
الحرب الباردة بين الشرق والغرب بعد الحرب
العالمية الثانية حتى اليوم ..

فهو يعتقد ان بذور ثورة الطلاب شهدت
النور في امريكا بعد مظاهرات طلبة جامعة
« باركلي » سنة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ ثم انتقلت
الى بقية انحاء العالم ..

وكذلك مظاهرات العمال الامريكان سنة
٦٩ - ٧٠ كانت لها استمرارية في مظاهرات
واضراب عمال اوربا .. ويلاحظ المؤلف :
ان طابع الحياة السياسية والاقتصادية
والاجتماعية في الولايات المتحدة الامريكية ..
حمل بذور الثورة العالمية في القرن العشرين
التي ستندلع من امريكا الشمالية لا من روسيا
او الصين او من امريكا الجنوبية او العالم
الثالث ...

طريق الوحدة

ان العرب لا يلهم الا دين ، ولا ينهضون الا بايمان ، فاذا تخلى الدين عنهم او تخلوا هم
عن الدين ، فان الموجة الصاعدة ترد ، والامة المستجبة ترجع متفرقة ، والذين وحدتهم طريق
الحق ستوزعهم طريق الباطل ، والنفس العربية نفس مصابة بالفردية ، بالمفاخرة ،
بانشياء كثيرة يقول الله فيها « لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
الف بينهم »
ابن خلدون

Editorial

Ces pages n'ont pour seule ambition que de servir ce secteur d'activité national ainsi que d'exprimer le contenu qui doit être le sien et sans lequel il serait préférable qu'il n'existât pas.

Il ne pourrait en être autrement et ce, au moment où le pays entreprend une importante révolution culturelle et spirituelle qui extirpera chez nous à jamais les étranges mœurs — produit d'une importation involontaire.

Notre peuple a consenti d'énormes sacrifices et a lutté des années durant, non pas dans l'unique but d'atteindre un niveau de vie tel celui de la Suède ou du Canada, ou pour quelque luxe et vie superficielle. L'un des objectifs pour lesquels il a tant combattu a été celui de recouvrer son identité et par là même sa personnalité et son authenticité, d'affirmer son moi et son originalité sans lesquels il n'aurait qu'une existence artificielle.

C'est pour ces objectifs qu'il a tant lutté et c'est au nom de cela qu'il a enduré les pires souffrances, supporté les pires poisons ; et c'est au nom de ce même objectif qu'il a triomphé et émergé des profondeurs de l'oubli et de l'anonymat infligé par le colonialisme, brandissant des deux mains à la face du monde son identité et abolissant à jamais ce parchemin terni sur lequel on a voulu, d'un trait de plume arbitraire, lui contester une existence propre et nier son glorieux passé parmi les autres peuples et nations.

Quant à la méthode et à la présentation, cette revue sera bimestrielle et, dans la mesure du possible, elle paraîtra une fois par mois pour les numéros qui suivront. Sa couverture comportera à chaque numéro des esquisses ou des photos des grandes figures de notre glorieux passé qui ont toujours fait notre fierté et constitué en quelque sorte nos références pendant les différentes phases de notre lutte de libération, de la lutte révolution-

naire politique à la lutte révolutionnaire armée. Elle comportera également des paysages de notre majestueux et beau pays, ou bien quelquefois la photo d'une célèbre personnalité maghrébine ou musulmane en général, ou encore des photos prises dans l'important héritage commun à l'humanité toute entière.

La revue sera reconnaissante à tous ceux qui voudront bien lui indiquer ou, encore mieux, lui envoyer de tels photos, gravures, paysages ou autres susceptibles d'être publiés. Elle réservera — pour être abordable — certains articles vocalisés à l'intention de ses lecteurs débutants, quoique cela comporte des difficultés énormes d'ordre technique.

Quelques pages seront rédigées, pendant un certain temps, en langue française comme c'est le cas dans certaines revues de pays frères. C'est ainsi que des articles significatifs seront glanés dans certains journaux étrangers. A ce sujet, la revue se fera un plaisir d'accepter toute participation ou contribution, en arabe ou en français. Comme elle ouvrira ses pages à toutes suggestions ou critiques,

Pour sa part, elle aura toujours pour devise de louer plutôt que de dénoncer, d'attirer l'attention plutôt que de chercher la polémique. Mais elle s'emploiera contre ceux qui s'obstinent à vouloir rester dans l'erreur, car si Dieu seul et ses Prophètes sont infaillibles, et si *errare humanum est*, *perseverare (est) diabolicum* !

Elle n'aura aucune pitié pour les orphelins de la culture et pseudo-intellectuels qui s'acharnent à dédaigner tout ce qui a un lien avec notre culture et les valeurs de notre personnalité ; car une certaine dépendance du colonialisme est restée incrustée dans leur tête et souvent dans leur cœur, que ce soit de façon consciente ou inconsciente.

Comme elle ne sera pas clémentine à l'encontre de ceux qui croient que le fait de connaître leur langue nationale leur confère le droit de faire du combat que mène le pays pour le recouvrement de sa langue nationale un sujet de discussions stériles, chaque fois qu'ils se retrouvent à la terrasse d'un café. Ce sont ceux-là-mêmes qui n'éprouvent aucune gêne à exiger cinquante dinars pour un cours d'arabe d'une heure, considérant que c'est là un grand « sacrifice » et une « contribution efficace » à la tâche d'arabisation de l'enseignement et de l'administration.

Elle sera sévère à l'égard de toutes sortes de prestidigitateurs obscurantistes qui s'érigent en Malik, en Abou Hanifa, en Chafaï ou Ibnou Hanbel voulant mutiler ainsi notre Islam pour le renvoyer aux siècles de la décadence, cet Islam-même vivant et permanent qui est valable pour tous temps et tous lieux.

Il est évident qu'elle ne ménagera pas ceux qui ont pris pour habitude de suivre la trace de Foucauld et de Lavigerie, ceux qui, au nom du Christ, servent le colonialisme et tendent — oubliant que nous sommes indépendants — à inoculer leur poison dans les esprits de nos enfants pour semer le désordre dans nos foyers. Ne devraient-ils pas plutôt s'occuper de leurs enfants et familles outre-mer ? Oublient-ils que leur société ne cesse de se débattre dans une crise de civilisation dangereuse pour la stabilité de leurs pays. ?

Il va sans dire que nous ne ménagerons pas non plus ceux qui nous reprochent notre respect pour notre religion et qui veulent nous proposer une contre-religion, pour s'imposer à tous ceux dont la volonté est faible, afin de les précipiter dans des idéologies néfastes à notre société musulmane. Ils essaient de renforcer leurs menées par une série d'arguments-

pièges tendant à renier nos valeurs morales, à semer le désarroi et la confusion dans les esprits, à dissoudre la morale et les traditions familiales, et à faire de la dissolution des mœurs le symbole du progrès et de l'émancipation pour naïfs éternellement disponibles... !

C'est ainsi qu'ils n'hésitent pas à taxer de réactionnaires, de fanatiques et de sectaires tous ceux qui leur barrent la route et qui restent imperméables à leur dénigrement, à leurs menées et à leur idéologie !

Dans cette entreprise ardue, la revue sera reconnaissante à tous ceux qui l'aideront par toutes sortes d'informations ou qui attireront son attention sur les méfaits de tous ceux qui s'obstinent à demeurer dans l'erreur.

Pour ce qui est du contenu, outre la publication dans leur ordre chronologique des conférences du quatrième séminaire sur la pensée islamique, qui s'est déroulé à Constantine, ainsi que des prochains séminaires, cette revue essaiera d'être très variée dans ses articles et embrassant tous les sujets, dans la mesure du possible.

En tout cas, telle est notre volonté et tel est notre devoir, car nous croyons en une vérité qui ne laisse aucune place à la discussion aux yeux de tous vrais musulmans : à savoir que l'Islam est valable en tous temps et en tous lieux. Il est religion et Etat, droit, morale, culte et culture.

C'est enfin et surtout la religion de lumière, d'action et de civilisation.

Une religion vivante embrassant tout ce qui se rapporte à la vie.

Mouloud Kassim

IDENTITE ET AUTHENTICITE

Conférence de M. Mouloud KASSIM

Ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses

**lors de l'inauguration du 4e Séminaire
sur la Pensée Islamique**

(Constantine le 8 djoumada II 1390 - 10 août 1970)

C'est un grand honneur pour moi de procéder à l'ouverture de ce quatrième séminaire qui donnera l'occasion aux professeurs de faire connaître la pensée islamique, et à nous mêmes de nous pénétrer davantage de cet esprit qui a donné naissance à l'une des plus fertiles cultures, l'une des plus florissantes civilisations que l'humanité ait connues à travers les âges.

Permettez-moi, tout d'abord, de vous souhaiter la bienvenue à tous et, en particulier, aux professeurs des pays frères et aux étudiants venant du dehors.

Permettez-moi également de vous transmettre le souhait de bienvenue du président Houari Boumediene, Président du Conseil de la Révolution et Chef du Gouvernement, qui exprime le vœu pour la réussite de ce séminaire grâce à l'échange des idées sur le passé de notre culture, sur les dangers qui menacent son présent ainsi que sur les perspectives de son avenir qui, à nos yeux, peuvent redonner à l'Islam sa grande force, sa grandeur de capacité d'assimilation des derniers progrès de la science et de la technique, pour édifier, à partir de ces bases, sa culture originale et sa civilisation propre, par lesquelles il pourra participer à la marche de l'humanité vers la lumière et le progrès.

C'est pour moi également un grand honneur que de voir le séminaire se tenir dans une ville qui a été à différentes époques de notre Histoire le berceau de la culture de notre pays et le symbole de sa résistance, depuis Massinissa et Youghourtha jusqu'à Ahmed Bey et Abdelhamid Ben Badis qui avait pour devise pendant toute sa vie : « l'Algérie est ma patrie, l'Islam ma religion, l'arabe ma langue », jusqu'au 8 mai 1945, dont nous commémorons le 25ème anniversaire, jusqu'à la période de l'action politique révolutionnaire qui ouvrira la voie au 1er novembre, jusqu'au 20 août 1955 qui donnera un grand essor à notre lutte de libération et un grand pas en avant dans notre marche pour recouvrer notre indépendance et notre souveraineté.

A cette occasion, alors que nous évoquons la Révolution et le combat libérateur dans la ville de Ben Badis, qui a toujours dans ses écrits et ses prises de position lié le nom de la Palestine à celui de l'Algérie, je voudrais vous demander d'observer une minute de silence à la mémoire des martyrs de la lutte armée tombés en Algérie, au Grand Maghrib, au Machrik, dans toutes les contrées islamiques et à l'heure actuelle en Palestine.

Nous nous sommes réunis pour évoquer certains de nos problèmes, faire un examen de conscience et un profond retour sur nous-mêmes dans le but de toucher du doigt les aspects de la maladie dont nous souffrons, afin de les cerner pour avoir une vue claire de nous-mêmes et de notre réalité et de ce qui peut nous attendre si nous n'apportons pas au plus vite les solutions radicales à certains problèmes et maladies qui, en s'aggravant, risqueraient de nous porter un très grand préjudice alors que nous venons à peine de prendre en charge nos affaires et recouvrer notre liberté d'action en tant que peuple libre et pays souverain.

Des peuples qui n'ont pas connu d'arrêt dans leur évolution ressentent aujourd'hui ce qu'ils appellent crise de civilisation et début de décadence, à cause de leur relâchement dans certains principes et modes de vie en tant qu'individus, sociétés et nations.

Les problèmes d'ordre familial, y compris ceux de la femme et de la jeunesse, jouent un rôle déterminant dans cette crise qui peut se transformer en débacle.

Permettez-moi cette franchise dans le langage car, à mon sens, le problème est beaucoup plus grave qu'on le pense généralement et qu'il n'a pas trouvé jusqu'ici toute sollicitude voulue dans notre monde arabo-islamique et dans ce que l'on a convenu d'appeler « tiers-monde ».

J'ai choisi comme thème à cette conférence « Identité et Authenticité », en donnant au premier mot le sens de la conscience aiguë de soi, de sa personnalité. Cette identité-même à laquelle faisait allusion Ibn-Sina lorsqu'il imagina son être complètement détaché de son corps comme suspendu entre ciel et terre pour ne suivre en cet instant que sa conscience d'exister et sentir son moi en tant qu'entité propre et indépendante.

Cette recherche de soi d'Ibn-Sina fut à l'origine du célèbre cogito de Descartes : « Je pense, donc je suis ».

Nous étions à l'époque coloniale comme suspendus entre deux mondes, démunis de notre citoyenneté algérienne.

Nous n'étions ni reconnus comme tels, ni traités comme citoyens français, et pourtant nous n'avions jamais cessé d'être nous-mêmes, fiers et attachés aux valeurs de la religion, de la langue, des traditions qui constituent notre personnalité et étions contre tout ce qui pouvait les entâcher ou leur porter atteinte.

Nous combattions alors toutes les maladies sociales importées et qui nous étaient étrangères. Nous le faisions avec la force d'auto-défense pour la sauvegarde de cette identité et de cette authenticité, et nous nous opposions à tout ce qui était de nature à nous détacher de notre environnement naturel, à nous dépersonnaliser.

La société était unanime pour rejeter de telles érosions. Cette auto-défense fut en quelque sorte notre première arme pour la sauvegarde de notre personnalité et la garantie de notre survie à travers les âges et les péripéties de l'Histoire.

Il nous faut reconnaître qu'après l'élimination de notre adversaire, cette immunité commençait à s'éclipser, le sentiment de l'authenticité et de l'identité s'affaiblit, et que nombreux sont ceux qui deviennent indulgents là où il ne faudrait pas et ce, pour éviter un désastre.

Nos ennemis sont arrivés à complexer quelques dirigeants du tiers-monde et à former en eux une double personnalité, fait qui a entraîné une accumulation de défauts et une suppression totale de qualités.

Ces derniers s'étant dépouillés des qualités et vertus de leurs aïeux, n'ont pas pour autant acquis celles des pays qu'ils ont essayé de singer, et aux défauts de ces derniers ils ont ajouté les leurs, sans sortir de leur sous-développement, tout au contraire.

Au moment où nous voyons de grands pays industrialisés, développés et socialistes, en lutte fermement contre tout ce qui est en mesure de porter atteinte à leur intégrité et au salut de leur société, nous trouvons aujourd'hui au sein de la nôtre des personnages dépersonnalisés qui répondent à tout rappel au droit chemin d'une manière négative, ou encore par l'accusation d'un retour au moyen-âge et aux siècles de l'obscurantisme, allant jusqu'à ignorer que le moyen-

age en Europe est le siècle des ténèbres, alors qu'en pays d'Islam, cette même période était un âge d'or, de culture, de lumière et de civilisation.

Au moment où nous voyons la municipalité de Moscou, par exemple, interdire la vente de l'alcool près des usines, des instituts scientifiques, des théâtres, des cinémas et tout endroit public, et ne permettre aux établissements loin de ces lieux la vente de l'alcool qu'entre onze et vingt heures, interdiction qui a été précédée d'une importante campagne, expliquant que les boissons alcoolisées droguaient le peuple et nuisaient à la production du pays, nous entendons parfois dans notre société des voix demandant de dépasser ce qu'elles appellent « des futilités », et de permettre aux gens de s'adonner à la boisson. Au moment où la Chine populaire interdit aux Chinois d'épouser des étrangères et aux Chinoises d'épouser des étrangers, et interdit les moindres contacts entre des Chinoises et des étrangers ; au moment où la « K. Pravda » écrit que les femmes russes qui fréquentent les étrangers déshonorent Lénine et la patrie soviétique, nous trouvons chez nous des renégats qui revendiquent ce qu'ils appellent « l'émancipation de la femme », afin qu'elle épouse ou fréquente qui bon lui semble, qu'elle voyage quand et où elle désire, qu'elle revienne quand bon lui semble où qu'elle ne revienne plus !

Au moment où le grand rabbin de Tel-Aviv refuse d'unir la petite fille de Ben Gourion, sinistre fondateur de l'« Etat » sioniste, avec un officier supérieur de l'armée sioniste, parce que la mère de la fille, bru de Ben Gourion, n'était que convertie au Judaïsme et non juive de naissance ; et aussi au moment où la Knesseth refuse l'autorisation de servir même aux non-juifs et partout du porc même à bord de bateaux de tourisme israéliens, car leur religion hébraïque l'interdit expressément, nous trouvons chez nous des « libéraux » de tout bord et de tout accabit parler au nom de la tolérance et de la largesse d'esprit et ne point s'attacher à ce qu'ils prétendent être « les pensées archaïques ».

Messieurs,

De ces exemples et à travers les sujets de conférences, vous constaterez au cours de

ce séminaire que la femme est l'un des principaux points qui sera discuté sans cesse, sous divers angles et avec une insistance particulière, ce qui ne signifie point une diminution et de sa personne et de l'importance qu'elle revêt dans la société. C'est à partir de là, bien au contraire, qu'elle sera le centre des débats en raison de l'importance qu'elle a dans la vie de la famille et de la nation.

Car si la famille est la cellule première dans le corps de la nation, comme disent les sociologues, la femme, par contre, est le pilier de cette famille et son centre de gravité : c'est du salut de la femme que dépend celui de la famille, de même que la faillite de la femme conduit à celle de la famille.

En disant cela, nous ne faisons point nôtre le point de vue de Bismarck qui n'a assigné que trois tâches à la femme allemande et qui sont : les enfants, la cuisine, et l'église (les « 3K » : Kinder, Kueche und Kirche). Au contraire, nous sommes avec Ben Badis qui souligne avec très grande insistance la nécessité d'instruire la fille et la faire participer à la vie de la nation d'une manière bien plus efficace que celle précisée par Bismarck, le chancelier à la main de fer, comme l'appellent les Allemands. Se référant à des Hadiths exhortant à l'instruction de la fille, Ben Badis déclare : « Suivant le digne exemple des nombreuses femmes savantes, écrivains, qui jalonnèrent l'histoire de notre nation, nous devons instruire nos enfants garçons et filles et leur faire répandre sans limite le patrimoine de l'humanité et les fruits de ses efforts au cours des siècles.

« C'est grâce à cela que nous serons en mesure d'atteindre la place qui nous convient, celle que nous occupons dans le concert des nations.

« Nous nous devons, poursuit Ben Badis, de faire participer nos femmes à toutes nos entreprises, afin qu'elles accomplissent leur juste part dans la vie, conformément aux obligations morales de l'Islam, tout en s'écartant de l'indécence et des fréquentations douteuses et en veillant à leur pudeur, la vie de toute nation exigeant la complémentarité entre ses hommes et ses femmes. Car, ajoute Ben Badis, la femme est la maîtresse de la

maison, la protectrice du foyer et la gardienne des traditions. Elle est tenue d'accomplir ses obligations. Nous devons lui apprendre tout ce dont elle a besoin pour l'accomplissement de sa tâche, l'éduquer selon la morale féminine grâce à laquelle la femme est femme, et non mi-femme, mi-homme !

« A nos yeux, la femme qui donne naissance à un enfant aviateur est préférable à une aviatrice ».

Voilà ce que proclame Ben Badis au sujet de la femme. Cette importance qu'il accorde à la femme est un honneur pour elle et un hommage à son rôle, à sa place dans la famille, la société et la nation. Elle est l'éducatrice de l'enfant, « la maîtresse première qui, si elle est bien éduquée, saura éduquer un peuple de bonne race » comme le dit si bien Hafidh Ibrahim.

Ben Badis accepte de la femme qu'elle soit à l'instar de Fatima N'Soumer qui a dirigé les moussabiline et les moudjahidine en 1857 dans les monts du Djurdjura, contre les généraux de l'armée française, mais il refuse qu'elle soit victime de la déviation et de tout ce qui est superficiel et qu'il est convenu d'appeler la vie sociale « moderne ».

Ben Badis ne veut pas d'elle qu'elle se contente des aspects négatifs de la civilisation, ni qu'elle soit victime de l'imitation aveugle et servile, s'empressant d'adopter de mauvaises habitudes qui ne font pas partie de nos traditions et contraires à nos principes. Il ne tient point à voir en elle cette personne qui ne songe qu'aux cigarettes, aux boissons, aux fréquentations des cafés et au pédantisme, tout en imitant l'accent parisien que pas toutes les Françaises mêmes utilisent.

Ben Badis, enfin, ne veut point qu'elle renie sa personnalité et devienne de la sorte perverse, c'est-à-dire une mosaïque et un mélange chatoyant de pièces dissemblables et bigarrées, devenant ainsi un fléau pour son milieu et un être nuisible à sa société.

Avant de terminer avec le problème de la femme et l'importance de celui-ci par rapport à la famille et à la nation, je voudrais en évoquer un autre, non moins important : celui des mariages mixtes. Je ne m'éten-

drai nullement là-dessus, car ce sera le thème de la conférence que donnera une dame ici présente parmi nous.

Si l'Islam permet aux Musulmans de se marier avec des femmes de confessions chrétiennes ou juive, il est toutefois préférable d'y renoncer. Bien qu'on comprenne le cas de certains citoyens, étudiants ou travailleurs, contraints par les conditions d'émigration en Europe d'épouser des étrangères, et nous ne contestons nullement l'honnêteté de certaines d'entre elles, cela ne doit plus désormais se reproduire, quels que soient les prétextes invoqués. D'ailleurs, toutes les conditions qui les y ont obligés, tel que l'exil, la longue absence, sont maintenant à jamais révolus. Aussi est-il de notre devoir d'œuvrer afin d'empêcher que de telles situations persistent. Comme il est de notre devoir de prendre les mesures nécessaires afin d'empêcher que l'Algérie ne devienne la « Tour de Babel ».

En invoquant ce problème, je vise plus particulièrement les intellectuels et les cadres pour la formation desquels l'Etat consent les plus grands sacrifices et sur lesquels la nation tout entière ne cesse de fonder les plus grands espoirs pour sa prospérité et son développement. Si tels sont les problèmes en ce qui concerne les mariages mixtes pour les hommes, que peut-on dire de ces brebis galeuses qui épousent des étrangers et qui, même si elles se comptent sur le bout des doigts, ne sont pas moins une honte pour leur famille et la société entière.

Outre que la religion islamique interdit à la femme le mariage avec un étranger, le sentiment d'honneur qui anime chacun de nous doit empêcher l'existence de telle situation.

Aussi, c'est avec franchise et sans complexe que j'évoque aujourd'hui cette tragédie sociale devant nos frères venus de pays qui connaissent le même phénomène.

Je me contenterai de résumer tout cela par l'article d'un journal paraissant dans un pays frère et relatif au danger de cette vague qui consiste pour plusieurs de nos jeunes à épouser des étrangères ou des étrangers, poussés en cela par l'attrait de tout ce qui est étranger, produits et producteurs.

A ce sujet, j'aimerais saisir l'occasion qui m'est offerte pour lancer un avertissement à ces organisations dites de charité, à caractère religieux ou autre, et qui, en fait, ne nous veulent aucun bien. Nous sommes vigilants, nous suivrons avec une attention soutenue leur travail de sape. Nous exercerons sur elles un contrôle rigoureux sans relâche et avec une détermination à toute épreuve si ces organisations continuaient à abuser de l'hospitalité de notre pays.

Messieurs,

Avant de terminer mes propos, j'aimerais aborder très succinctement un sujet qui revêt une grande importance pour ce séminaire et qui est étroitement lié à l'authenticité. Je veux parler de la relation qui existe entre le socialisme et l'Islam.

Plusieurs discussions ont eu lieu à ce sujet. Pour certains, il n'existe aucune relation entre l'Islam et le socialisme, l'Islam étant, pour ces derniers, une religion incompatible avec le socialisme, lequel est fondé sur l'athéisme, ou tout au moins sur la négation de la religion. Une pareille attitude vise donc à nous éloigner du socialisme et n'est point désintéressée.

Pour d'autres, l'Islam en tant que religion est réactionnaire de par sa nature. Il est, par conséquent, selon les tenants de cette opinion, incompatible avec le socialisme. Ils soutiennent que pour être socialiste, il faut se désislamiser. Ces derniers ne sont pas moins hypocrites que les premiers. En effet, ils désirent nous voir dépourvus de religion, de valeurs, de personnalité, des composantes de notre authenticité, manifestant un chaud enthousiasme pour la négation de la religion, déployant plus d'effort en ce sens qu'ils ne nous demandent, afin que nous paraissions, à leurs yeux, en mesure d'entrer dans leur « club inaccessible », que nous soyions agréés et acceptés par eux comme faisant partie de leur famille !

D'autres, qui sont des nôtres, mais en fait militent contre nous, réagissent selon l'expérience de Pavlov, sous le couvert d'un pédantisme trompeur. Il s'agit de ceux qui sont disponibles à être colonisés.

A toutes ces opinions, nous répondrons que l'Islam est religion et Etat. En tant que

religion complète, l'Islam est spiritualité, éthique et morale en général. Il est également action et effort, force et combat, non point résignation et humiliation, ou acceptation de l'injustice et de l'oppression. Bien mieux, il est celle de la justice et de l'équité, puisqu'il offre à chacun sa chance et ses responsabilités. Par conséquent, l'Islam est la religion du socialisme, dans le vrai sens du mot.

L'Islam n'est pas la religion de la pauvreté, de la faiblesse, du besoin, mais celle de la force et du bien-être. A ce sujet, l'Imam Ali devait dire : « La pauvreté est presque une impiété ». Abu Dhar Elgheffari a déclaré, pour sa part :

« Je suis étonné de voir un homme au ventre creux, qui ne dégage pas son sabre ». Il faut entendre, à travers ce propos, l'égalité des chances dans le travail et les possibilités offertes et la répartition des richesses pour tous, d'une manière équitable.

Parlant de l'exploitation et de l'usure « Alriba », le Prophète a dit : « Lors du jugement dernier je serai l'adversaire implacable de trois sortes de gens : ..., « en troisième lieu, je serai l'adversaire de celui qui, payant un salarié, ne s'en acquitte pas complètement », c'est-à-dire équitablement.

Toujours dans ce domaine, il nous plaît de rappeler la théorie de M. Mohammed El-Moubarek, ancien professeur à la faculté de Droit musulman de Damas, membre de l'Académie de la langue arabe, qui réside actuellement en Arabie Saoudite.

Citant Ibn Teimayah, le Professeur Mohammed El-Moubarek écrit :

« Si le socialisme est la participation de tous les individus aux intérêts du pays, et l'intervention de l'Etat dans la limitation de la propriété a pour conséquence la juste répartition des biens et l'équitable des forces parmi les individus, dont les besoins humains et matériels seront garantis, le socialisme n'est point en contradiction avec l'Islam.

« En effet, tenant compte de sa propre mission, l'Islam n'est pas opposé à la généralisation des profits garantis et à l'instauration de la justice ».

TEMOIGNAGE CHRETIEN :

NE FERMONS PAS TROP VITE LE DOSSIER « MISSIONS »

Où est le paternalisme

«... Seulement, en même temps, il faut se rappeler que certaines Eglises ont encore besoin d'aide, en personnel comme en ressources. Pour la tâche primordiale de l'évangélisation qui est l'annonce de la Bonne Nouvelle, et pas seulement pour creuser des puits ou nourrir les affamés. Les institutions internationales officielles sont les premières à reconnaître — sans oser le crier trop fort —

que ceux qui évangélisent sont parmi les meilleurs artisans du développement. N'y aurait-il que nous à ne pas le savoir, et à négliger de les aider ?

On a déjà répété bien des fois cette parole saisissante d'un archevêque malgache : « Je peux vous envoyer la photo d'un malgache qui a faim, mais pas celle d'un malgache qui attend la lumière de l'Evangile. Ça ne se voit pas ! »



Au Burundi, un prêtre indigène au milieu de ses jeunes paroissiens.

LA CROIX :

PROCLAMER LA PAROLE A TEMPS ET A CONTRETEMPS

Par Antoine Wenger

Si la lettre de Paul VI se fait si pressante et si elle est en un sens dramatique, si elle fait aux évêques le devoir de parler en rappelant la grave recommandation de Paul à Timothée : « Je t'adjure de-

vant Dieu... Proclame la Parole, insiste à temps et à contretemps » (2 Tm 4, 1-2) c'est que l'équilibre semble aujourd'hui rompu.

DES PARENTS QUI N'EN DORMENT PLUS

par André Ironde

Pas méchants, ces grands gosses, mais viscéralement obsédés par leur indépendance. Aussitôt libérés des horaires scolaires ou professionnels, les voilà qui s'envolent à tire-d'aile...

Où vont-ils ? Où sont-ils ? Qu'y font-ils ? Quand rentreront-ils au nid ?... Autant de points d'interrogation pour les parents ! Interrogations souvent anxieuses..

Il en est en effet de ces jeunots qui ont pris l'habitude de rentrer à l'aube. Ou de ne point rentrer du tout. Des garçons. Des filles aussi qui découchent allègrement. J'ai cours des nuits du samedi au dimanche. J'ai été ainsi surpris de découvrir, vers les 3 heures du matin, de grands cafés pleins d'une clientèle de jeunes gens et de jeunes filles, dont certaines n'avaient pas 16 ans. On buvait des « pots » et l'on élucubrait dans la tabagie.

On accuse facilement les parents de ces filles de démission et les réquisitoires pleuvent sur eux, impitoyables et à l'emporte-pièce. A l'examen, les choses ne sont pas si simples. Comment en est-on arrivé là ? Le plus souvent, à « l'usure ».

Je connais un certain échantillonnage de cas où les parents, objectivement, ne sont en vérité que les victimes d'un contexte extérieur autrement plus puissant que leur pauvre « autorité » morale battue et contre-battue par un système de contestation et de provocation. Rien ne compense l'attrait des séductions extérieures qui s'exhibent librement ; pas même le témoignage d'une vie de parents toute consacrée à la fidélité au devoir de chaque jour, vertu dont on se gausse gentiment.

Je pourrais même citer des situations où l'autorité de la mère va devoir s'affronter au chantage.

— Monique, je ne veux pas que tu sortes encore ce soir !

Suit tout un scénario fait de cris, de heurts, de larmes et qui peut finalement déboucher sur une tentative de suicide qui se résoudra par quelques jours d'observation à l'hôpital. C'est rarement dramatique, sauf

cette fille qui avait aspiré un petit berlingot d'eau de javel concentrée...

A défaut de suicide, on fugue... pour se faire rattraper au terme d'aventures lamentables qui pèsent lourdement sur une toute neuve et encore fragile adolescence. Car si l'on se donne, en apparence, des allures émancipées, on reste intérieurement toujours faible.

Pour des mamans de la quarantaine, c'est l'effondrement à l'état chronique, l'insécurité permanente, la panique latente et quelquefois l'angoisse pathologique, qui s'installe sans qu'on ose l'avouer. Les pères, de guerre lasse, se sont bouchés les oreilles aux boules Quiès !...

Cas extrêmes ? Sûrement pas ! Il n'est que d'être à l'écoute des confidences. La seule consolation qu'on puisse se donner, c'est de savoir qu'en Angleterre, la situation est pire. Mais les mères anglo-saxonnes « encaissent » mieux. L'humour sauve de la dépression.

Chez nous, je sais des parents qui vivent des nuits d'insomnie. Celles où leurs enfants, vers les 9 heures du soir, les ont quittés pour filer en voiture avec une bande de copains et de copines pour quelque virée nocturne et excentrique. Des mères avouent passer la nuit au carreau, anxieuses, tendues au moindre vrombissement d'un moteur de voiture.

— C'est peut-être eux ?... Non !

Et les heures s'égrènent, interminables.

L'imagination s'affole, échafaude les pires drames. On appréhende la sonnerie du téléphone. On réveille les amis et connaissances.

— Allô ! Allô ! Isabelle ne serait pas chez vous, par hasard ?

Non, Isabelle n'y est point ! Alors, où ? L'aube va naître d'ici à deux heures d'horloge...

J'ai connu un père de la quarantaine qui a payé cher ces attentes anxieuses ; l'infarctus l'a terrassé ; il en a péniblement guéri. Pour se préserver d'une rechute, il avait loué en ville une chambre à son fou de fils.

— Je préfère ignorer.

Ce que peut être le dialogue entre Chrétiens et Musulmans

Les musulmans forment, en France, la confession religieuse la plus nombreuse après le catholicisme : presque un million de fidèles venus du Maghreb, du Mali, du Sénégal, de la Turquie, de la Yougoslavie. Le monde chrétien, pourtant, manifeste une grande ignorance des réalités musulmanes. Pour l'Agence missionnaire Fides, un grand connaisseur de l'islam, le P. Joseph Cuq, Père Blanc, qui est à la tête de la section islamique au Secrétariat pour les non-chrétiens, a étudié les possibilités d'un véritable dialogue entre musulmans et chrétiens.

A l'universalisme géographique qui met les musulmans à notre porte, il faut ajouter un réel apparemment culturel et religieux avec le christianisme. On se rend vivement compte de ce fait quand on passe de l'hindouisme ou du bouddhisme à l'islam : avec ce dernier, nous nous retrouvons dans le même enracinement philosophique, la philosophie de la Grèce antique, en face de problèmes qui ont été débattus aussi bien en chrétienté que dans le Dar al islam.

Mais il y a plus : l'islam plonge ses racines dans l'Ancien et le Nouveau Testament, participe au monothéisme abrahamique et reconnaît la présence de la parole de Dieu dans l'humanité. Tout un vaste terrain commun existe entre musulmans et chrétiens. Les échanges intellectuels, sans doute, en sont facilités et, l'on peut se sentir proche de beaucoup par la pensée et la piété, notamment avec certains mystiques ou avec des âmes simples entièrement soumises à la volonté de Dieu.

Les musulmans ne sont donc pas loin de nous. Si, par ignorance, nous disons que oui, eux se plaisent à affirmer le contraire, prenant à témoin, pour nous en convaincre, leur reconnaissance de Jésus comme prophète, leur dévotion à la Vierge et leur foi aux Ecritures antérieures au Coran.

UNE COMPREHENSION SYMPATHIQUE

A notre époque d'œcuménisme, notre attention se porte avec raison, vers nos autres frères chrétiens, protestants et orthodoxes. Dans un avenir proche, les musulmans viendront demander, eux aussi (comme ils l'ont déjà exprimé ici et là), de participer aux échanges religieux entre chrétiens, au nom de l'« œcuménisme des gens du livre », (c'est-à-dire de ceux qui ont une religion basée sur une révélation).

Il est évident qu'avant dix ans surgiront de plus en plus de chez eux des esprits formés dans leur langue nationale à la culture moderne, qui interrogeront sur le sens et le but de la vie, sur l'homme, son origine et sa fin, sur les religions et le mystère dernier vers lequel nous

tendons. Les musulmans, dans leur ensemble, n'attendent pas de nous, chrétiens, et de l'Eglise des réponses à leurs inquiétudes. Ils estiment que l'islam a réponse à tout. Cependant, si nous sommes prêts à entrer en rapports avec eux, en nous mettant à leur point de vue, une compréhension sympathique peut en naître et se développer en dialogue et service.

LES ROCHES DESSECHÉES

DU DESERT

Les chrétiens n'échappent point à cette interpellation de l'islam et des musulmans. Dès les origines, le Coran avait déjà sommé les chrétiens de justifier leur foi. Cette interpellation s'est poursuivie de siècle en siècle, sous des formes diverses, le plus souvent tragiques.

Jusqu'ici, la réponse donnée n'a pas été satisfaisante. Le sera-t-elle jamais ? Peut-elle même être donnée dans l'histoire ? En effet, ce que l'islam demande aux chrétiens, dans son exigence fondamentale, c'est une purification de leur foi, une religion « en justice et en vérité », bannissant tout anthropomorphisme, tout exclusivisme historique et culturel, politique et sociologique, une foi nue et dépouillée comme ces roches desséchées du désert, calcinées par le soleil.

Quand le chrétien a pénétré au cœur de cette religion dépouillée qu'est l'islam, il y éprouve une purification de sa foi qui, loin d'être amoindrie, en sort plus vive, plus limpide, plus en état de communication avec les autres. Cette constatation, plus d'un chrétien engagé dans le monde de l'islam, saisi par l'ambiance spirituelle et simple de certains milieux islamiques, peuvent témoigner. Il n'y a pas eu que Psichari et Foucauld à sortir bouleversés de telles rencontres avec l'islam.

L'ISLAM NOUS INTERROGE

Si l'islam interpelle les chrétiens, ce n'est point pour apprendre d'eux ce qu'il enseigne à ses fidèles, à savoir la grandeur transcendante de Dieu, mais pour connaître — ce qu'il pressent chez les disciples de Jésus — comment le

Très-Haut peut être l'Emmanuel, le Dieu-avec-nous, et comment le fidèle adorateur du Dieu très grand peut aspirer à vivre avec lui. C'est cela qu'ont recherché les mystiques de l'islam et c'est cela même que les musulmans voudraient découvrir chez les chrétiens.

Ce que l'on veut souligner ici ce sont les exigences fondamentales, nulle part écrites mais

vécues partout, que l'islam pose au monde chrétien. Nous ne pouvons y échapper. Quelle que soit la voie suivie pour le dialogue avec les musulmans, nous aboutirons toujours, tôt ou tard, à une exigence à notre égard d'une authenticité sans faille de notre témoignage dans une expression de notre foi sans concession anthropomorphe.

TUNISIFICATION ET ARABISATION

Dans son numéro de novembre, la revue culturelle tunisienne « AL FIKR » a publié l'éditorial suivant :

« Notre souci de voir tous les tunisiens, et en particulier les intellectuels et les éducateurs, prendre conscience de l'ampleur des efforts à entreprendre dans le domaine de l'esprit pour sauvegarder notre personnalité, nous dicte entre autres obligations de distinguer lorsqu'il s'agit entre tunisification et arabisation d'élaborer un système éducationnel authentique.

En effet, la tunisification en matière d'enseignement implique la concrétisation des fondements de la nation, la mise en valeur de la foi patriotique chez les jeunes qui, de ce fait, se persuaderont qu'ils appartiennent à une patrie possédant sa civilisation propre, son histoire et ses aspirations. C'est sur cette base que ces jeunes accepteront de s'intégrer en elle, se dévoueront et accepteront des sacrifices pour lui assurer la pérennité.

Tout ceci ne s'accomplira que lorsque la tunisification aura été réalisée et établie au niveau des valeurs spirituelles et morales qui inspireront les jeunes dans leurs actions. Cependant, il est faux de croire que la tunisification se limite à prodiguer des cours d'éducation civique. Bien au contraire, ce sont toutes les disciplines de l'enseignement qui sont à revoir et à réformer radicalement de telle sorte qu'aussi bien les objectifs que l'esprit du système éducationnel puissent tendre à cimenter le lien entre les jeunes et leur patrie sans chauvinisme ni fantisme :

Ceci est valable pour l'enseignement de la langue arabe, l'Histoire, la Géographie, la Philosophie et même les langues étrangères. Il apparaît paradoxal de revendiquer la tunisification des programmes d'arabe en réalité nous visons par là l'obligation de fournir aux élèves des textes extraits d'œuvres tunisiennes, se relevant au milieu tunisien, capables de susciter en eux la connaissance et l'amour de leur environnement et la fierté d'appartenir à leur peu-

ple. Car, aussi bien au terme du cycle primaire et qu'à celui du secondaire dans les programmes actuels, rien ne prouve à l'élève tunisien que son pays a engendré des sommités en maintes sciences. A l'Université, il se retrouve spirituellement orphelin, atteint qu'il est de cette boulimie pour tout ce qui provient d'Occident ou d'Orient. Malgré ses hauts diplômes, il ne sera qu'un déraciné.

Quant à l'arabisation, c'est une nécessité inéluctable, l'arabe étant notre langue nationale. Ceci implique un audacieux effort pour arabiser des disciplines essentielles et principalement l'Histoire, la Géographie et la Philosophie. Il n'est pas superflu de rappeler que des matières comme la Morale, la Sociologie, la Psychologie la Pédagogie étaient, du temps de M. Lucien Paye, Directeur de l'Instruction Publique en Tunisie à l'époque du Protectorat, enseignées en arabe dans les Ecoles Normales d'Instituteurs, sans parler des Sciences Naturelles dans certaines classes du Collège Sadiki. L'arabisation pourra s'accomplir suivant des étapes raisonnables dans le cadre d'une politique nationale énergique de formation des cadres. Il sera alors aisé de fixer un délai pour que l'Enseignement des Sciences Exactes se fasse en arabe en même temps que se forment les enseignants et les chercheurs d'un niveau honorable, au contact des dernières découvertes et techniques dans le monde, étant entendu que le Français en Primaire, et l'Anglais au Secondaire, doivent être enseignés comme langues étrangères.

En conclusion, si certaines données historiques humaines et pédagogiques ont freiné ou ralenti en Tunisie le rythme de l'arabisation de l'enseignement des sciences exactes, il s'avère impossible aujourd'hui, si nous tenons à être sincères avec nous mêmes et soucieux de l'honneur et de l'indépendance de notre patrie, d'hésiter dans le sens de la tunisification. Bien plus, il urge de la réaliser et d'en imprégner nos programmes dans les limites de la modération bien entendu et aussi de l'efficacité.

Le Professeur Mohamed El-Moubarek ajoute par ailleurs :

« L'Islam n'a jamais permis de voir des gens mourir de faim pendant que d'autres vivent dans le faste et la prospérité, car cela est en contradiction avec les objectifs de notre religion rapportés dans le Coran et dans la Sunna. N'est-il pas dit dans le Hadith que les Musulmans sont comparables à un seul et unique corps, si l'un de ses membres venait à se plaindre tout le reste du corps en serait malade ? ».

Enfin, un des compagnons du Prophète rapporte :

« Pendant que nous voyagions un jour avec le Prophète, un homme se présente sur son charneau et regarda à droite et à gauche, satisfait et embrassant du regard les voyageurs à pieds, le Prophète lui dit alors ; « Celui qui a plus d'une monture,

qu'il la cède à celui qui n'en a pas et celui qui a un surplus de nourriture, qu'il le cède à celui qui n'en a pas.

« Il a continué à citer tant de choses qu'il faut partager que nous avons fini par penser qu'il allait interdire tout surplus ! ».

Tout ceci explique que le socialisme, dans son essence, existe depuis plus de 14 siècles. Il existe dans l'Islam qui est la religion de la justice, de l'équité, de la solidarité, de la liberté d'action, de la stimulation dans l'effort, de la liberté d'initiative et de la compétition dans le bien.

Ces mêmes valeurs qui sont la force même de ce qu'on peut appeler à juste titre la société musulmane socialiste.

« Tels sont les points que j'ai essayé d'exposer, je ne pouvais être bref. Je vous remercie et vous souhaite plein succès dans vos travaux. ».

فهرس العدد

س

- * مولد النبي ... مولد لعالم جديد
 * التنقيب عن التراث ، وتطهير التاريخ من الاكاذيب
 * مغزى الاحتفال بفكرى أمجادنا
 * انتفاضة ١٨٧١ : مقاومة شعب يحركه الايمان
 * ثورة محمد المقراني والشيخ ابن الحداد
 * الشيخ ابن الحداد الناصر
 * « المسيلين » او القداثيون الجزائريون الاولون
 * الذكرى المئوية لثورة ١٨٧١ (شعر)
 * قلعة وثائر (شعر)
 * ندوة الاساتذة حول (ثورة ١٨٧١)
 * ابن باديس والشخصية الجزائرية
 * ندوة الاصاله
 * الجزائر في تاريخ الحضارة
 * الاسلام كدين عالمي
 * المرأة والاسرة في الاسلام
 * دراسة تحليلية لكتاب : « تحفة المحبين والاصحاب »
 * فجر التاريخ في المغرب العربي
 * صور شمسية جزائرية
 * دور اليهودية العالمية
 * في سياسة التوسع الاسرائيلية
 * مدينة المديّة عبر العصور
 * قضية الحياض في العلوم الاجتماعية
 * فلسفة ابن باجة الخلقية
 * كتاب الاصاله
 * مقابلات
 * النشاط الثقافي
 * ركن الطلبة
 * مع التيارات الفكرية العالمية
 * ندوة القراء
- 2 عمار طالبي
 10 د . بوعلام بن حمودة
 11 مولود قاسم
 16 محفوظ قداش
 22 يحيى بوعزيز
 30 عمار طالبي
 40 مبارك الخليجي
 44 عمر شكري
 47 أحمد شقار الشعالبي
 48
 62 تركي رابح
 74
 88 مصطفى الاشرف
 97 د . عبد الكريم جرماتوس
 100 د . علي عبد الواحد وافي
 106 لقبال موسى
 114 محمد الميلي
 119 د . أبو العيد دودو
 127 د هشام الصفدي
 135 مولاي بلحميسي
 144 عثمان شبوب
 149 زهور طالبي
 153 محمد العربي ولد خليفة
 156 مع لوى غاردي
 159 محمد الصغير بن الاعلام
 165
 169
 177

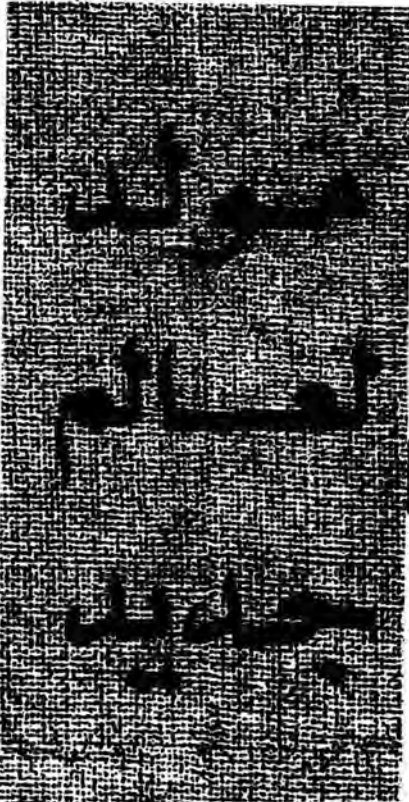
مولد

وَشُوِّهَتْ بِالْجَذَالَاتِ الْمَذْهَبِيَّةِ وَالرُّسُومِ
وَالْأَوْضَاعِ الْمُتَحَرِّفَةِ الْمُتَبَدِّعَةِ ، وَتَدَاعَتْ مَعَالِمُ
الْحَضَارَاتِ بِمَا نَهَكَ النَّاسُ مِنْ حُرُوبِ الرُّومَانِ
وَالْفَرَسِ ، فَاسْتَفَلَّتْ بِبِرْنِظَةِ بِالْجَدِلِ الْعَقِيمِ ،
وَعَرِقَتْ فَارِسُ الْمُجُوسِيَّةِ فِي الْفِتَنِ ، وَنَضَبَتْ
فِيهَا بَوَاعِثُ الْحَيَاةِ ، وَمَدَدَ الْقُوَّةَ فَاصْبَحَتْ أُمَّةً
أَيَّلَةً إِلَى التَّدَاعِي وَالْأُمُورِ (١) .

وَأَمَّا هَذَا الْعَالَمُ الْمُتَدَاعِي الَّذِي كُتِبَ عَلَيْهِ
أَنْ يَنْقُصَ جِدَارُهُ ، وَتَهْوَى صُرُوحُهُ ، أُمَّةٌ
تَتَاهَبُ وَتَبْحَثُ عَنْ مَصِيرِهَا بَوْتَسْخِ وَجُودِهَا
فِي عَالِمِ الْمُسْتَقْبَلِ قَدْ تَقَطَّنَ أَنْكِيَاؤُهَا إِلَى مَا هُمْ
فِيهِ مِنْ فَرَاغٍ ، وَمِنْ حَاجَةٍ إِلَى عَقِيدَةٍ صَحِيحَةٍ ،
وَأِلَى وَهْنٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ بَيْنٍ ، وَخَفَازَةٍ مَا هُمْ
عَلَيْهِ مِنْ وَبْئَةٍ وَتَعَلَّقَ بِالْأَصْنَافِ ، فَقَالَ لَهُمْ :
(وَاللَّهِ مَا مَوْكُمُ عَلَى شَيْءٍ وَإِنَّهُمْ لَمِنَ ضَلَالٍ

كَانَ الْعَالَمُ فِي عَصْرِ وَلَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَالِمًا مُتَدَاعِيًا ، شُوِّهَتْ عَقَائِدُهُ ،
وَاخْتَلَّ نِظَامُهُ ، فَلَمْ يَعُدَّ الْإِنْسَانُ فِيهِ مَطْمَئِنًّا إِلَى
صَمِيرِهِ . كَمَا لَمْ يَعُدَّ يَأْنِسُ إِلَى نِظَامِ تَوَلَّاهُ تَعْدِلُ
بَيْنَ النَّاسِ وَتُسَوِّيَ بَيْنَهُمْ أَمَامَ الْقَانُونِ ،
وَتَحْمِي الْخُلُقِ ، وَتَحَافِظُ عَلَى كَرَامَةِ الْكَائِنِ
الْبَشَرِيِّ . أَمَّا التَّوْحِيدُ فَقَدْ غَشِيَتْهُ غِشَاوَاتُ
وَدَنَسَتْ طَهْرَهُ ضَلَالَاتٌ ، وَذَهَبَتْ بِصَفَائِهِ
انْحِرَافَاتٌ ، وَأَصَابَهُ فِي صَمِيمِهِ تَشْوِيهِ ،
وَرَأَتْ عَلَيْهِ مَظَاهِرَ الشَّرِكِ ، وَأَوْضَارُ الْوُثْنِيَّةِ ،
وَأَوْهَامُ التَّشْبِيهِ الْغَلِيظِ ، وَالتَّجْسِيمِ الذَّمِيمِ ،
وَأَصَافَتْ إِلَيْهِ الْعَقْلِيَّةُ الْوُثْنِيَّةُ الْحَيَسِيَّةُ مَا
أَصَافَتْ مِنْ صُنُوفِ الْأَهْوَاءِ ، وَظُنُونِ الْكُهَانِ ،
وَنَزَعَاتِ ذَوِي الْأَطْمَاعِ وَالشَّهَوَاتِ وَرَغَبَاتِ
طَوَاغِيَتِ الْكُهْنُونِيَّةِ فَاثْتَرَتْ حَقَائِقُ الدِّينِ

النبي



.. فَمَا حَجَرَ نَظِيفٌ بِهِ ، لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ ،

وَلَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قُوَّةِ يَجْزِي كَمْ

الْفُحُورِ ، يَا قَوْمَ التَّيَسُّوا لَكُمْ دِينًا غَيْرَ هَذَا

الدِّينِ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ (وَيَالْجَهْلَةَ بِلِإِنَّ الْعَالَمَ

فِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَى مَنْ يُجِدُّ حَيَاتَهُ ،

وَيَتَوَرَّعُ عَلَى أَوْصَاعِهِ ، مَهْجَمٌ مَا فَسَدَ بَوَيْتِي

مَعَالَهُ الْقَارِيفَةُ الْإِسْخَابِيَّةُ ، بِلُحْيَاءِ ضَمَائِرِ

النَّاسِ ، وَإِرْسَاءِ الْأَخْلَاقِيَّةِ الْفَعَالَةِ وَالصَّلَاقِيَّةِ

الْهَائِيَّةِ ، وَالْحَرَكَةِ الطَّيْبَةِ الْمُبْدِعَةِ ، أَيْ إِنْ

الْعَالَمُ أَصْبَحَ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يُوَلَّدَ وَلَادَةٌ

جَيِّدَةٌ .

إِنَّ وَلَادَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

إِعْلَانٌ عَنْ طُلُوعِ مَجَرِّ عَالَمٍ جَدِيدٍ ، وَعَنْ مَلَامِجِ

أُمَّةٍ تُخْرِجُ النَّاسَ ، وَسِمَاتِ حَضَارَةٍ تُشْرِقُ

بَيْنَهُمْ ، وَحَقَائِقِ تَارِيخٍ تُتَبَيَّنُ مِنَ الصَّخَرَاءِ

وَمِنْ ضَمِيرِ إِنْسَانِيٍّ أَصِيلٍ ، يُوجِّهُ السُّلُوكَ ،

وَعَنْ رُوحِ عَالَمِيَّةٍ شَامِلَةٍ تَكُونُ رَحْمَةً وَطَمَائِينَةً

لِكُلِّ قَلْبٍ مَحَبَّرٍ ، قَلْبِي ظَلَامِي .

وَلَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أُسْرَةٍ

وَسَطَى فَلَا هِيَ مُتَوَكِّرَةٌ مُتَجَبِّرَةٌ ، وَلَا هِيَ

ضَعِيفَةٌ تَحْتَلُّ الْأَذَى وَتَضِيرُ عَلَى الْكَرِيهَةِ ،

إِنَّمَا هِيَ أُسْرَةٌ ذَاتُ نَسَبٍ عَرِيقٍ ، وَسَمَاحَةٍ

وَتَقْوَى ، وَخَلْقٍ وَشَهَادَةٍ ، هِيَ يَبْتَ حَبِيدُ

الطَّلِبِ سَيِّبَةُ الْحَمْدِ مِنْ صَمِيمِ قُرَيْشٍ ، وَمِنْ

بَيْنِ الْكَرَمِيِّينَ فِيهَا ، نَشَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ ، بَيْتِيًّا وَلَكِنَّهُ لَيْسَ كَالْيَتَامَى ، مَانُطَوَى

عَلَى التَّامِلِ وَالنَّظَرِ فِي أَحْوَالِ قَوْمِهِ ، تَكُونُ
لِسَانَهُ بَيْنَ أَمْضِجِ الْأَلْسِنِ وَأَبْيَنَهَا ، وَتَرَبَّتْ
سَلِيقَتُهُ بَيْنَ أَصْلَى السَّلَاقِ وَأَجْمَلَهَا ، اخْتَبَرَ
ضُرُوبًا مِنَ الْحَيَاةِ عَاشَ فِي الْبَلِيَّةِ وَفِي الْخَيْبَةِ ،
رَعَى الْفَقْمَ ، وَاسْتَقَلَ بِمُعَامَلَةِ النَّاسِ فِي
التَّجَارَةِ ، وَشَهِدَ الْمَوَاقِفَ الْخَاسِمَةَ فِي الْأَخْلَاقِ
وَالْعُرُوبِ ، عَرَفَ الْفُقَرَاءَ ، وَشَهِدَ سَادَةَ
قُرَيْشٍ وَأَثَرِيَاءَهَا ، عَوَّلَ حَيَاتَهُمْ ، فَكَبَّرَ نَدُو
صَبَاحَةٍ مُحِبِّبٍ إِلَى كُلِّ مَنْ رَأَاهُ ، عَرِيقُ الْقَسْبِ
لَكِنَّهُ نَارٌ عَلَى الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ، وَعَلَى مَا
كَانُوا بِهِ مِنْ ضَلَالٍ فِي الصَّيْدَةِ ، وَانْحِرَافٍ فِي
التَّقْلِيدِ فَذَعَاهُمْ إِلَى اتِّبَاعِ الصُّورِ وَإِلَى مَا
اهْتَدَى إِلَيْهِ مِنْ حَقٍّ ، وَإِلَى تَبْذِيرِ التَّقْلِيدِ ،
وَالْجُوءِ إِلَى الْعَقْلِ ، وَإِلَى ضِيَاءِ الْفِكْرِ ،
وَهِدَايَةِ الصَّبْرِ : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَى نَتَّبِعُ مَا أَنفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا
أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَتَّبِعُونَ شَيْئًا وَلَا
يَهْتَدُونَ) .

إِنْ مُحَمَّدًا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) رَجُلٌ
حَتَّى مَنَعَهُ بِدَوَائِعِ الْعِيَاةِ وَلَيْسَ نَائِكًا هَزِيلًا
مِنْ عِبَادِ السَّوَامِعِ الَّذِينَ كَبَتُوا كُلَّ مَا بَيْنَ
جَوَانِحِهِمْ مِنْ مَشَايِرِ الْحَيَاةِ وَأَمَلَتْوَهَا ، كَانَ
عَابِدًا وَلَكِنَّهُ كَانَ مَكْرًا ، وَكَانَ مُحْتَبِنًا يَنْفُذُ
إِلَى الْقُلُوبِ وَالْعُقُولِ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ عَامِلًا يَغَيِّرُ

تَنْبِيَا النَّاسِ ، وَوَاتِعَهُمُ الْخَارِجِيَّ ، كَمَا يَغَيِّرُ
نُفُوسَهُمْ وَبَوَاطِنَهُمْ ، كَانَ إِذَا مَشَى يَمْشِي
كَأَنَّهُ يَنْحَدِرُ مِنْ جَبَلٍ ، لِأَنَّهُ حَتَّى الْقَطْبِ ، قَوَى
النَّفْسَ ، فَحَرَكَاتُهُ حَرَكَاتُ حَيَّةٍ قَوِيَّةٍ ، وَإِذَا
الْقَتَتِ انْقَطَعَتْ بِجِسْمِهِ كَمَا يَرْكَبُ الْفَرَسَ مُتَوَكِّفًا
وَيَذَاعِبُ بِالمُسَابِقَةِ فِي الْجَرْيِ ، وَقَدْ دَاعَبَ
عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، فَسَابَقَهَا وَهُوَ يَقَارِبُ
السَّيِّئِينَ مِنْ عَمْرِهِ ، وَكَانَ يَمْزَحُ وَيَتَنَكَّرُ وَلَكِنَّهُ
لَا يَجُلُّ بِحَقِّ الصِّدْقِ وَالزُّوَّةِ انْقَرَضَتْ فِيهِ
الْقُوَّةُ بِالنَّشَاطِ فَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ (٢)
فِي أَخْلَاقِهِ وَسِمَاتِهِ وَسُلُوكِهِ كُلِّهِ ، إِنَّهُ زَاهِدٌ فِي
حَيَاتِهِ لَمْ يَسْتَمْتِعْ بِطَيِّبَاتِهَا رَغْمَ وَفَرَّتْهَا إِذَا
شَاءَ ، فَلَمْ يَشْبَعِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَتَوَالِيَةً ، قَالَتْ
عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَقَدْ كُنْتُ أَبْكِي رَحْمَةً
لَهُ ، وَمَا أَرَى بِهِ وَأَمْسَحُ بِيَدِي عَلَى بَطْنِهِ مِمَّا
أَرَى بِهِ مِنَ الْجُوعِ ، وَأَقُولُ : (نَفْسِي لَكَ
الْيَدَاءُ ، لَوْ تَبَلَّغْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِقُوَّتِكَ لَقِيلَ :
يَا عَائِشَةُ مَا لَوَالِدُنَا إِخْوَانِي مِنْ أَوْلِي الْعَزَمِ ،
مِنْ الرُّسُلِ صَبَرُوا عَلَى مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا)
وَقَالَتْ زَوْجُهُ أُمُّ سَلَمَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَاصِلَةٌ
بَيْتِ الرُّسُولِ لَيْلَةَ عَرُسِهَا : (فَإِذَا جَرَّةٌ يَبْهَا
سَمَى مِنْ شَعْرِ بَوَائِدِ رَحَى وَبُرْمَةٍ وَقَرُّ وَكُتْبٍ
فَأَخَذْتُ نَاكِ الصَّيْحَرِ فَمَطَحْتُهُ ثُمَّ عَصَنْتُهُ فِي
الْبُرْمَةِ وَأَخَذْتُ الْكُتْبَ فَأَنْفَعْتُهُ فَكَانَ نَاكِ طَعَامٍ

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَعَامُ اللَّهِ
لَيْلَةَ عُرْسِهِ) . لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عَنْ عَجْزٍ وَلَا عَنْ
كُزْهِ لَطِيفَاتِ الْحَيَاةِ وَإِنَّمَا تَنَجَّ بِذَلِكَ ، وَأَرَادَ
أَنْ يَكُونَ قُدْوَةً ، مُزْتَمِعًا عَنِ الظُّلُونِ ، إِذْ لَمْ
يَكُنْ غَرَضُهُ حُطُوطُ الدُّنْيَا ، إِنَّمَا رَاحَةُ صَمِيرِهِ
وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ هُمَا فَائِتُهُ .

إِنَّ وَلَادَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
كَانَتْ قَاصِلًا بَيْنَ عَالَمٍ ، وَعَالَمٍ ، بَيْنَ تَارِيخٍ ،
وَتَارِيخٍ ، لَمْ يَكُنْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَاتِحًا لِلْبَدَائِنِ بِمِقْدَارِ مَا كَانَ فَاتِحًا لِلْقُلُوبِ
وَالْعُقُولِ وَالضَّمَائِرِ .

وَقَدْ مَرَّ بِمَرَحَلَتَيْنِ مِنَ الْوَعْيِ النَّبَوِيِّ ،
مَرَحَلَةٍ كَانَتْ لِلتَّهَيُّةِ وَالْإِسْتِعْدَادِ ، وَمَرَحَلَةٍ
أُخْرَى أَعْتَبَتْهَا التَّبْلِيغُ ، قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : إِنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَرَادَهُ
اللَّهُ بِكَرَامَتِهِ وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ كَانَ إِذَا خَرَجَ
لِحَاجَةٍ أَبْعَدَ حَتَّى تَحْسِرَ عَنْهُ الْبُيُوتُ وَيُنْفِضِي
إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ وَبُطُونِ أَوْدِيَّتِهَا فَلَا يَمُرُّ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَجَرٍ وَلَا شَجَرٍ إِلَّا
قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَيُلْقِيَتْ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَوْلَهُ وَعَنْ
بِعِينِهِ وَشِمَالِهِ وَخَلْفِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا الشَّجَرَ
وَالْحَجَرَ فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
كَذَلِكَ يَرَى ، وَيَسْمَعُ مَا شَاءَ
اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ . ثُمَّ جَاءَ جِبْرِيلُ بِمَا جَاءَهُ مِنَ
كَرَامَةِ اللَّهِ وَهُوَ بِحِرَاءَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ .

(وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : وَحَبَّبَ اللَّهُ
إِلَيْهِ الْخُلُوةَ فَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ
يَخْلُو وَحْدَهُ) . وَهَكَذَا فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ مَرَحَلَةَ
الْوَعْيِ الْكَامِلِ وَالنُّضُوجِ أَخَذَ فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ
الَّتِي امْتَلَأَتْ بِهَا نَفْسُهُ حَتَّى أَصْبَحَ يَشْعُرُ أَنَّهَا
تَحْتِجُهُ الْخَبَرُ ، وَأَصْبَحَ الْعَالَمُ الْخَارِجِيُّ كُلُّهُ
نَاطِقًا بِهَا . وَجَاءَتْهُ الرِّسَالَةُ كَلِمَاتٍ حَيَّةٍ تَنْفُذُ
إِلَى الْقُلُوبِ فَتَهَزُّهَا ، وَتَبْعَثُ فِيهَا الْحَيَاةَ ،
وَتَضْمِنُ دَعْوَتَهُ جَانِبَيْنِ : جَانِبًا رُوحِيًّا وَجَانِبًا
سِيَاسِيًّا يَتِمُّلُ فِي النِّظَامِ وَفِي الْقَانُونِ ،
وَأَصْبَحَتْ دَعْوَتُهُ دَعْوَةً بَيْتِيَّةً سِيَاسِيَّةً فِي آنٍ
وَاجِدٍ ، فَأَذْهَبَ الْفَوَاسِقَ الَّتِي غَشِيَتْ عَقِيدَةَ
التَّوْحِيدِ وَشَوَّهَتْهَا ، وَأَوْضَحَ الصِّلَةَ بَيْنَ
الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ اللَّهِ عَلَى حَقِيقَتِهَا ،
وَبَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الرَّسُولِ أَيْضًا
بِذَلِكَ الصِّلَةِ الَّتِي شَوَّهَتْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الدِّيَّانَاتِ ،
فَقَلَّتْ فِي النَّبِيِّ وَالْهَيْئَةِ أَوْ شَيْءٍ بِاللَّهِ أَوْ حُورَتْ
الْعَقِيدَةُ فِي صُورَةٍ قَوْمِيَّةٍ جُنُسِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَبَيْنَ
النَّبِيِّ نَبِيِّ الْإِسْلَامِ أَنَّهُ مَكْمَلٌ لِسُلْسِلَةِ النُّبُوَّةِ
وَأَنَّهُ لَا تَفْرِيقَ بَيْنَ الرُّسُلِ ، وَأَنَّ الرِّسَالَةَ
رِسَالَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ مُضَرَّرَهَا إِلَهِيٌّ . وَلَمْ تَنْظُرْ
الصَّحَابَةُ إِلَى النَّبِيِّ نَظْرَةَ تَأْلِيهِ وَلَا تَقْدِيرِ
وَلَمْ تَعْتَبِرْهُ مَعْصُومًا فِي الرَّأْيِ غِيَا عَدَا الْوَحْيِ ،
فَنَظَرُوا هُوَ لِنَفْسِهِ نَظْرَةَ إِنْسَانٍ كَمَا يَنْظُرُ إِلَى
الصَّحَابَةِ أَيْضًا ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى الْإِنْسَانِ سِوَى
أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ وَأَنَّهُ مِثَالُ حَمِيٍّ عَظِيمِ الْخَلْقِ

مَاذَا صَدَرَ عَنْ رَأْيِهِ لَا عَنْ وَحْيٍ فَالْمُسْلِمُونَ
غَيْرُ مُلْزَمِينَ بِاتِّبَاعِهِ وَلَا هُمْ يَمْلِكُونَ لَهُمْ بَلَدٌ قَدْ
يَرْجِعُ إِلَى رَأْيِ أَصْحَابِهِ إِنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَلَى
غَيْرِ صَوَابٍ وَهُوَ مُعَرَّضٌ لِلْخَطَأِ مِنْ حَيْثُ هُوَ
إِنْسَانٌ يَرَى وَيُبْكَرُ وَهُوَ يَشَارِكُ الْمُسْلِمِينَ وَلَا
يَتَمَيَّزُ عَنْهُمْ فِي ظَاهِرِهِ فِي مَلْبَسِهِ وَمَطْعَمِهِ ،
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَعْمَلُ بِمَا يُشِيرُ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ
وَيَتَحَوَّلُ عَنْ رَأْيِهِ الْخَاصِّ كَمَا وَقَعَ فِي غَزْوَةِ
الْخَنْدَقِ وَغَزْوَةِ بَثْرٍ (٢) . لَمْ يَكُنْ يَوْمَ وَلَادَةِ
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْإِسْلَامِ لِأَنَّ
مِيلَادَهُ لَمْ يَكُنْ مُعْجَزَةً الْإِسْلَامِ كَمَا مَثَلْنَا وَلِئَلَّا
لَمْ يُورَخْ تَارِيخُ الْإِسْلَامِ بِمَوْلِدِهِ ، وَإِنَّمَا أُرِخَ
بِهِجْرَتِهِ وَبِیَوْمِ نَجَاةِ الدَّعْوَةِ وَسَيَانَتِهَا وَتَمَكُّنِهَا
فِي الْأَرْضِ وَفِي الْقُلُوبِ ، فِي عَالَمٍ كَانَ فِي
حَاجَةٍ إِلَى عَقِيدَةٍ وَإِلَى مَنْسُوجٍ يُسَوِّغُ وَجُودَهُ
لِأَنَّ الْوُجُودَ وَحْدَهُ تَوْنٌ مَسْوُوعٍ لَا غِنَاءَ فِيهِ
وَلَا كِفَايَةَ .

وَإِذَا كُنَّا الْيَوْمَ نَحْتَلِلُ بِتُكْرَى مَوْلِدِهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَإِنَّمَا نَحْتَلِلُ بِالْمَطْنِ الْخَوَالِدِ
الَّتِي آتَى بِهَا لِهَذَا الْعَالَمِ الَّتِي لَمْ يَصْبَحِ الْيَوْمَ
فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ مَمْلُوكًا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ فِي عَصْرِ
النَّبِيِّ ، يَازُ أَنْ الْعَالَمَ الْيَوْمَ فِي حَرَةٍ وَقَلَقٍ
وَقَلَمِلٍ إِلَى عَقِيدَةٍ أَوْ تَصَوُّرٍ جَدِيدٍ لِكَوْنِ
وَالْإِنْسَانِ يُسَوِّغُ بِهِ وَجُودَهُ وَمَكَانَتَهُ فِي هَذَا
الْكُونِ الَّتِي أَضْحَى الْإِنْسَانُ فِيهِ غَرِيبًا عَنْ

نَفْسِهِ تَقَدَّمَ فِي عَلَيْهِ ، وَتَخَلَّفَ فِي ضَمِيرِهِ حَقَّقَ
اِنتِصَارًا عَظِيمًا فِي سَيِّطَرَتِهِ عَلَى عَالَمِ الطَّبِيعَةِ
الْخَارِجِيَّةِ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَنْتَصِرَ فِي مَجَالِ
طَبِيعَتِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَا أَنْ يَنْتَفِذَ إِلَى حَقَائِقِهَا
وَعَجَزَ عَلَى السَّيْطَرَةِ عَلَيْهَا وَالتَّحْكُمِ بِهَا لَمْ يَكُنْ
صَحِيحَةً نَفْسِهِ وَصَحِيحَةً عَلَيْهِ .

وَرِسَالَةُ الْمُسْلِمِ الْيَوْمَ تَدْعُوهُ لِأَنْ يَحْقِيقَ
الْمَعْنَى الْإِسْلَامِيَّةَ الَّتِي تَبَرَّرَ وَجُودَ الْإِنْسَانِ
وَتَهْدِي ضَمِيرَهُ وَتَذْهَبُ بِقَلْبِ عَقْلِهِ وَحَرِيرَةٍ
نَفْسِهِ وَلَكِنْ لَا يَجُوزُ لِلْمُسْلِمِ الْيَوْمَ بِحَالٍ أَنْ
يَعْتَقِدَ أَنَّ هَذِهِ الرِّسَالَةَ سَهْلَةٌ . بَلْ إِنَّهَا شَاقَّةٌ
وَعَسِيرَةٌ فَلَا نَزْعَمُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَعْبَاءِ هَذِهِ
الرِّسَالَةِ بِبَسَاطَةٍ وَعَلَى بَيَانِهَا لِلنَّاسِ ! إِنْ لَمْ
يَبْدَأْ هُوَ أَوَّلًا بِتَحْقِيقِهَا فِي نَفْسِهِ كَمَا تَوَلَّى مَا
يَكُونُ التَّحْقِيقُ وَآتَدَّى مَا يَكُونُ التَّعْمِيقُ ،
وَأَصْفَى مَا يَكُونُ الْقَهْمُ ، عَلَى أَنْ يَتَخَلَّصَ
مِنَ التَّخَلُّفِ وَأَنْ يَخْلُقَ الشُّرُوطَ الَّتِي تُؤَهِّلُهُ
لِلدَّعْوَةِ ، وَتَحْتَمِلَ الرِّسَالَةَ لِأَنَّ الظُّرُوفَ
الْحَضَارِيَّةَ فِي هَذَا الْعَصْرِ مُعَقَّدَةٌ وَصَعْبَةٌ فَلَا
بُدَّ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنَ التَّخَلُّفِ الَّتِي سَطَا عَلَى
الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ ، وَكَانَ حِجَابًا كَثِيفًا بَيْنَ
الْإِسْلَامِ وَبَيْنَ النَّاسِ ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ
بِحَالَتِهِمْ هَذِهِ مِنَ التَّخَلُّفِ فِتْنَةً لِلنَّاسِ فِي الْعَالَمِ ،
إِذْ تَصَوَّرُوا الْإِسْلَامَ عَلَى صُورَةِ الْمُسْلِمِينَ ،
وَالْبَسُوهُ لِبَاسَهُمْ فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِيقَةِ ، وَمَا

كَانُوا مُهْتَبِينَ ، إِذْ كَادَ أَنْ يَنْسَوِيَ الْمُسْلِمَ وَقَعَرُ
الْمُسْلِمِ فِي الْإِنْفِصَالِ عَنِ الْحَقِيقَةِ الْقُرْآنِيَّةِ الَّتِي
لَيْلَهَا كُنْهَارُهَا فِي نَصَائِجِهَا وَصَفَائِهَا وَوُضُوحِ
مَنْهَجِهَا .

إِنَّ الْحَضَارَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا عَلَى أَسَاسٍ مِنْ
نَظَرَةٍ كَوْنِيَّةٍ تَنْصَحُنْ دَوَائِعَ تَنْفَعُ الْحَرَكَةَ ،
وَنَظَرَةٍ أَخْلَاقِيَّةٍ مُتَقَابِلَةٍ ، وَالْإِسْلَامُ يُمَثِّلُ
تَصَوُّرًا لَكُونِيٍّ يَنْصَحُنْ دَوَائِعَ لِلْحَرَكَةِ وَبَوَائِعَ
لِلْعَمَلِ التَّارِيخِيِّ ، كَمَا يَنْصَحُنْ التَّفَاوُلُ الَّذِي
يُمَثِّلُ فِي الْأَمَلِ الْقُوَى فِي الْقُدْرَةِ عَلَى تَغْيِيرِ
الْمُجْتَمَعِ وَالْعَالَمِ ، فَلَمْ يَكُنْ التَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ
يُنْكِرُ الْحَيَاةَ وَلَا الْعَالَمَ ، وَلَمْ يَكُنْ مُتَشَائِمًا ،
وَلَمْ يَدْعُ إِلَى إِمَانَةِ الْجِسْمِ وَاحْتِقَارِ الْمَادَّةِ كَمَا
يُوجَدُ ذَلِكَ فِي بَعْضِ التَّصَوُّرَاتِ فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْأُمَمِ ، وَالْحَقِيقَةُ الْقُرْآنِيَّةُ تُؤْمِنُ أَنَّ الْأَخْلَاقَ
أَسَمَى مِنَ الطَّبِيعَةِ وَلِهَذَا تَرْمِي إِلَى السَّمَوِ
بِالْإِنْسَانِ وَبِالْعَالَمِ إِلَى مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ الْحَقِيقِيِّ ،
نَالًا أَخْلَاقِيَّةً الْإِسْلَامِيَّةَ بِذَلِكَ مُتَوَاصِلٌ لِلْجُهْدِ
مِنْ أَجْلِ تَغْيِيرِ الْعَالَمِ ، فَهِيَ أَخْلَاقِيَّةٌ مُعَالَةً ،
وَعَلَاةُ الْمُسْلِمِ بِالْحَيَاةِ عِلَاقَةٌ حَيَّةٌ ، وَغَايَةُ
الْأَخْلَاقِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ تَكْمِيلُ الذَّاتِ وَتَكْمِيلُ الْغَيْرِ
بِالْإِيتَارِ ، وَالتَّصَوُّرُ الْإِسْلَامِيُّ يُؤَكِّدُ الْحَيَاةَ ،
وَيَنْفَعُ لِلنَّشَاطِ الْمَوْجَّهَ إِلَى إِصْلَاحِ أَحْوَالِ
الْمُجْتَمَعِ الْبَشَرِيِّ ، فَهُوَ نَشَاطٌ مُوجَّهٌ إِلَى الْبَاطِنِ
وَالِى الْخَارِجِ أَجْمَعًا .

وَلِذَلِكَ كَانَتْ عَوْدَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مِنْ اعْتِكَافِهِ فِي غَارِ حِرَاءَ عَوْدَةً «مُبْدَعَةً»
تَشُقُّ بِهَا طَرِيقَهُ إِلَى مَوْكِبِ الزَّمَانِ ، لِتَقْيِصِ
مَعَالِمِ مُجْتَمَعِهِ ، وَلِتُوجِّهَ التَّارِيخَ ، وَإِنْشَاءَ
عَالَمٍ مِنَ الْمَثَلِ جَدِيدٍ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَبْقَظَ مَا فِي
أَعْمَالِهِ مِنْ قُوَّةٍ تَهْدِي الْكَوْنَ هَرًّا ، وَتَزَلُّزِ
الْأَوْضَاعِ زَلْزَلًا لِيُفْتَقِرَ الْعَالَمُ الْإِنْسَانِي تَغْيِيرًا
تَامًا وَحَوْلَةً إِلَى قُوَّةٍ عَالَمِيَّةٍ حَيَّةٍ تَحَقِّقُ
وُجُودَهَا فِي عَالَمِ الْإِنْسَانِ وَفِي عَالَمِ التَّارِيخِ .
وَإِنْ فِي خَتَمِ النُّبُوَّةِ نَفْسُهَا فِي الْإِسْلَامِ لِمَعْنَى
عَظِيمًا ، فَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لِلْإِنْسَانِيَّةِ أَنَّهَا
بَلَفَتْ مَرَحَلَةَ نَضْجِهَا ، فَأَعْلَنَ أَنَّ النُّبُوَّةَ بَلَفَتْ
كَمَالَهَا الْأَخِيرَ ، وَدَعَا الْإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يُثْنِيَ
أُمُورَهُ عَلَى الْعَقْلِ ، وَأَوْضَحَ لَهُ أَنَّ الْأَوَانَ قَدْ
أَنَّ لَخْنَمِ النُّبُوَّةِ نَفْسُهَا ، بَعْدَ أَنْ كَمَلَتْ وَبَلَفَتْ
غَايَتَهَا ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ نَبَّهَ الْإِنْسَانَ إِلَى أَنَّهُ
يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتْرَكَ إِسْرَافًا عَمِيقًا وَجُودَهُ ، وَأَنَّهُ
أَصْبَحَ مِنْ غَيْرِ الْمَجْدِيِّ أَنْ يَبْقَى الْوُجُودُ
الْبَشَرِيُّ غَيْرَ رَشِيدٍ إِلَى الْأَبَدِ ، مُعْتَدًا عَلَى
مَقْوَرٍ يُقَادِرُ بِهِ ، وَأَنَّهُ لِكُنْ يَبْلُغُ الْإِنْسَانُ كَمَالَهُ
وَكَمَالَ مَعْرِفَتِهِ لِنَفْسِهِ لِأَبَدٍ أَنْ يَتْرَكَ لِيَسْتَعْدِمَ
وَسَائِلَهُ الْخَاصَّةَ الَّتِي نَضَجَتْ وَمِنْ ثَمَّ أَبْطَلَ
الْإِسْلَامُ الرَّهْبَةَ وَالْكَهْنُوتَ وَوَرَاثَةَ الْمَلِكِ وَدَعَا
إِلَى نَزْعَةِ حُرْقٍ فِي التَّقْدِيرِ وَالتَّمْجِيسِ وَأَنْكَرَ كُلَّ
اتِّجَاهٍ أَوْ زَعْمٍ يَزْعُمُ بِهِ صَاحِبُهُ أَنَّ لَهُ سُلْطَانًا
شَخْصِيًّا خَارِقًا لِلطَّبِيعَةِ (٤) لِأَنَّ ذَلِكَ قَدْ مَاتَ

أَوَانُهُ فِي تَارِيخِ الْبَشَرِيَّةِ ، فَكَانَ الْإِسْلَامُ ثَوْرَةً
عَقْلِيَّةً ، وَثَوْرَةً أَخْلَاقِيَّةً ، أَوَكَلَتْ الْإِنْسَانَ إِلَى
ضَمِيرِهِ ، إِلَى يَطْرَتِهِ ، إِلَى عَقْلِهِ ، بَعْدَ أَنْ بَيَّنَّتْ
لَهُ الْأَصُولَ الْأَسَاسِيَّةَ وَالْمَبَادِيءَ الْكَلِمِيَّةَ الَّتِي
اسْتَكْمَلَتْهَا الْحَقِيقَةُ الْقُرْآنِيَّةُ .

وَبِذَلِكَ كَانَ مَعْنَى التَّوْبَةِ فِي الْإِسْلَامِ مَعْنَى
وَاضِحًا كَيْسَ فِيهِ مِنَ الْمَزَايِمِ وَلَا مِنَ السُّحْرِ
وَلَا مِنَ الْكُفُوفِ وَلَا مِنَ الظُّلُمِ شَيْءٌ .
فَالنَّبِيُّ فِي الْإِسْلَامِ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا مَا عَلَّمَهُ
اللَّهُ ، وَكَانَ أَقْلُ كَاهِنٍ فِي الْأَيَّامِ الْأُخْرَى يَدْعِي
لِنَفْسِهِ الْعِلْمَ بِالْغَيْبِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا
وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ
لَا سْتَكْبَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) . وَقَالَ
(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلِمُ
الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُكَ مَا
يَوْحَى إِلَيَّ فَلْيَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا
تَتَفَكَّرُونَ ؟) . وَقَالَ أَيْضًا (وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ
الْغَيْبِ لَا يُعْطِيهَا إِلَّا هُوَ) . إِنْ الْمُعْجِزَةُ فِي
نَظَرِ الْقُرْآنِ غَيْرُ مُجَدِّدَةٍ وَلَا مُتَعَدِّلَةٍ إِنْ لَمْ يَقْتَضِعْ
الْقَوْلُ وَأَصْرٌ صَاحِبُهُ عَلَى بَاطِلِهِ (٥) . قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : (وَلَوْ فَتَحْنَا قُلُوبَهُمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ
فَنَظَلُوا فِيهِ يَعْرجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سَكِرَاتُ أَبْصَارِنَا
بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ) . وَقَالَ
(وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ
إِنَّمَا الْغَلِيبُ لِلَّهِ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ

الْمُنْتَظَرِينَ) إِنَّ الدَّعْوَةَ الْإِسْلَامِيَّةَ تَوَجَّهَتْ لِإِهْدَايَةِ
الضَّمِيرِ الْبَشَرِيِّ وَخَاطَبَتْ الْإِنْسَانَ فِي وَعْيِهِ
وإِدْرَاكِهِ وَاسْتَبَدَّتْ كُلَّ حِيلَةٍ وَكُلَّ مَا كَانَ يُصْنَعُ
لِلتَّأْثِيرِ عَلَى النَّاسِ ، فَلَا عِلَاقَةَ بَيْنَ حَوَائِثِ
الْفَلَكَ ، وَحَادِثَةِ مَوْتِ أَحَدٍ : إِنَّمَا الشَّمْسُ
وَالْقَمَرُ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَا تَكْفِيَانِ لِمَوْتِ
أَحَدٍ . . . إِنْ التَّوْبَةُ فِي الْإِسْلَامِ وَاضِحَةٌ لَا كَهَانَةٍ
فِيهَا وَلَا سِحْرًا وَلَا أَخِيَّةً شِعْرِيَّةً قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى : (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ يَقُولُ
شَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا
مَا تَتَكَبَّرُونَ) .

وَيَكْفِي أَنْ تَكُونَ الرِّسَالَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ ،
أَعَادَتْ لِلْإِنْسَانِ كِرَامَتَهُ وَمَكَانَتَهُ بَعْدَ أَنْ
تَصَوَّرَهُ النَّاسُ عَلَى أَنَّهُ كَائِنٌ حَقِيرٌ مُنْغَمِسٌ فِي
الْخَطِيئَةِ ، مُتَلَيِّسٌ بِالْإِثْمِ ، وَارِثٌ لَهُ لَأَخْلَاصُ
إِلَّا بِمَحْوِ ذَاتِهِ ، وَالْقَضَاءُ عَلَى طَبِيعَتِهِ وَتَغْيِيبِ
نَفْسِهِ ، وَأَشْعَرَتْ رِسَالَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، الْإِنْسَانَ لِلنَّسَانِيَّةِ ، وَأَضَاعَتْ
فِي قَلْبِهِ ثَوْرَهَا الدَّاعِيَةَ إِلَى الْحَقِّ وَإِذَا كَانَ مُحَمَّدٌ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَدْ مَاتَ فَإِنَّ رِسَالَتَهُ
خَالِدَةٌ لَمْ تَمُتْ وَلَنْ تَمُوتَ لِأَنَّهَا تُخَاطَبُ
الْإِنْسَانَ بِمَا هُوَ إِنْسَانٌ وَتُعْطِيهِ بِاسْتِمْرَارٍ
تَصَوُّرًا لِلْكَوْنِ مُتَقَاتِلًا ، تَعَالَا مُبْدِعًا ، وَتَشَقُّ
لَهُ طَرِيقَ تَغْيِيرِ نَفْسِهِ ، وَتَغْيِيرِ مَنْ حَوْلَهُ مِنْ
الْأَعْيَارِ وَالْأَشْبَاهِ فِي الْعَالَمِ .

(أَمَّا الزَّيْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ
النَّاسَ فَيَمْكَنُكَ فِي الْأَرْضِ) . . .

الذكرى المئوية

لثورة

١٨٧١

التنقيب عن التراث

وتطهير التاريخ من الأكاذيب



نص الكلمة التي القاها الاخ الدكتور بوعلام بن حمودة وزير العدل بقلعة بنى عباس يوم ١٠ ربيع الاول ١٣٩١ هـ الموافق لـ ٥ مايو ١٩٧١ بمناسبة احياء الكرى المئوية لثورة ١٨٧١ ، واستشهاد المقراني في ١٤ صفر ١٢٨٨ هـ الموافق ٥ مايو ١٨٧١ .

النواحي البعيدة الشاسعة
حتى نكون أوفياء لشهادتنا
الذين سقطوا عبر التاريخ
ويجب كذلك أن نشمر على
السواعد للقضاء على الفقر
والمرض والجهل ، وأخيرا
رحم الله شهداءنا الذين
ضحوا بأنفسهم في سبيل
الوطن .

والسلام عليكم ورحمة
الله

هذا الاجتماع ، فنحث
طلبتنا على التنقيب على
آثارنا والبحث على
المخطوطات حتى يطهروا
تاريخنا من كل الرواسب
والاكاذيب ليخرج صافيا
ظاهرا لجيلنا الصاعد ، هذه
هى العبرة الاولى ، أما
الثانية فيجب أن نعقد العزم
على الاعتناء بالطبقة الكادحة
طبقة الفلاحين سكان الجبال
الذين كانوا عماد جميع
الثورات ، فيجب أن تشمل
ثمرات الاستقلال هذه

بعد أن شكر اهالى مجانة
بالقلعة على احياء هذه
المناسبة قال ان يمثل هذه
التضحيات والمجهودات حطنا
على استقلالنا السياسى
ولكننا لم نقف في هذا المكان
بل مضينا لتحقيق الاستقلال
الاقتصادى ، فشنت ثورتنا
اكبر حرب على مخلفات
الاستعمار حتى نتحصل
على الاستقلال الاقتصادى
ونرجع الى شخصيتنا
العربية الاسلامية ، ويجب
ان نستخلص العبر من مثل

مغزى الاحتفال بذكرى أمجادنا

نص الكلمة التى ارتجلها الاخ مولود قاسم ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، فى قلعة بنى عباس يوم الاربعاء الموافق من ربيع الاول ١٣٩١ هـ مايو ١٩٧١ ، بمناسبة الذكرى المئوية لثورة ١٨٧١ واستشهاد المقرانى ، (وهى تكلمة لما كان قد قاله فى كل من صدوق ومجانة فى نفس الاطار) .

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخ الوزير الدكتور ابن حمودة ، حضرات السادة .

بودى اولاً فى بدء هذه الكلمة ان اعيد ما تلتته قبل فى صدوق وصباح اليوم فى مجانة من ضرورة تقديم الشكر لهذه البلديات وطبعا جميع السلطات العسكرية والمدنية فى هذه الولاية ، لهذه البادرة التى اتخذت لاحياء ذكرى أمجادنا ، لاننا باحياء ذكرى أمجادنا نستحق الحياة بالسير على دربهم ومواصلة عملهم .

وان احياء مثل هذه المآثر ، احياء هذا التراث ، احياء هذه الامجاد، لضرورة قصوى، وخصوصاً ان تاريخنا قد تعرض منذ حقبة طويلة منذ دخول الغزو الاستعماري للتشويه والمسخ ، ولهذا لابد لنا اليوم ونحن قد سترجعنا استقلالنا الان منذ ما يقرب من عشر سنوات ان نشمر عن ساعد الجد وندخل الاكسيجين والهواء على امخاضنا لنطرد نباب الكسل الذى تعشش فيها حتى نزيح السقار عن تاريخنا لنظهره فى ثوبه الطاهر ، فى ثوبه الجيد ، كما كان وكما تركه لنا أمجادنا لاسلاف .

وان ما سنجده فى السنوات المقبلة وفى هذه السنة بالخصوص من احياء تكريات عديدة ، لما يفسح لنا المجال لنؤدى هذا الدور ونقوم بهذا الواجب ، ففى هذه السنة مثلاً التى هى سنة احياء ذكرى ثورة ٧١ والتى احييناها يوم ٨ ابريل فى صدوق بمناسبة اعلانها فى سوق صدوق من طرف الشيخ الحداد ، ونحتفل بها اليوم ، احتفلنا بها صباح اليوم فى مجانة فى دار المقرانى ، قائد هذه الثورة ، احد ابطال هذه الثورة ، ولكن المحرك الاساسى فى الواقع لهذه الثورة ، اقول فى هذا كله ما يفسح لنا المجال لاداء هذا الواجب !

وإذا ما رجعنا الى كتابة تاريخنا ، لوجدنا ان علينا عبئا ثقيلا جدا ، عبئا جسيما ، وإذا لم نقم به فسنكون مسؤولين امام التاريخ ، مسؤولية عظمى ، وسيكون ذلك اجرا ما منا ، فالفرنسيون — ولسنا نلومهم على ذلك فهم كانوا معنيين بالدرجة الاولى في هذا المجال ، اذ كانوا يحتاجون الى تبرير استعمارهم ، فمن المعقول جدا طبعا ان يشوهوا تاريخنا وان يبرروا استعمارهم للبلاد ، بان هذه البلاد لم يكن لها تاريخ ، لم تكن لها امجاد ، لم يكن لها وجود تاريخي كدولة ، وكامة ، وكشعب ، فطبعا كان معقولا جدا من طرفهم ان يحاولوا مسح هذا التاريخ ، ولكنه ليس من المعقول من طرفنا أبدا أن نبقي متمسكين بالكسل ، وأن نتهاون في تصحيح الوضع ، في تصحيح تاريخنا ، وابرار تلك المآثر وتلك الامجاد ، لتربية شبابنا وجيلنا الصاعد ، وأمانة للأجيال المقبلة ، التي ستلومنا لوما مريرا على تقصيرنا اذا لم نقم بهذا الواجب .

فثورة ١٨٧١ لم تكن في الواقع الا حلقة في سلسلة محكمة الحلقات ، في سلسلة طويلة جدا بدأت في سنة ١٨٣٠ ، بدأت في اليوم الذي غزا فيه الاستعمار الفرنسي بلادنا ! فمباشرة قام ذلك البطل العظيم عبد القادر في سن مبكرة جدا واشعلها ثورة فوارة على الاستعمار شملت البلاد واقامت نواة دولة حديثة ، واثناء هذه الثورة وفي تلك الايام قامت ثورات اخرى وان لم تكن منظمة مدبرة في نفس النسق ومحكمة ومربوطة ، كثورة مدينة قسنطينة ، قلعة المجد ، قلعة الكفاح ، قلعة الصراء ، قلعة الاصلالة الجزائرية ، قسنطينة ! وكانت بقيادة احمد باي الذي هو من سلالة المهراني ، دامت سبع سنوات واثناء تلك الايام من سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٧ ، كتب احمد باي باسم سكان مدينة قسنطينة رسالة الى الجيش الفرنسي وهو محاصر للمدينة تحت قيادة لاموريسير ودون ريمون وغيرهما يقول فيها من جملة ما يقول : « من سكان مدينة قسنطينة المحافظة على دينها وشرفها الى الجيش الفرنسي المعتدى على حقوق غيره » ، والى ان يقول في آخر الرسالة — ونص الرسالة موجود بكامله في كتاب امين سعيد المؤلف المصري تحت عنوان — « الاستعمار الفرنسي والايطالى لشمال افريقية » اقول الى ان يقول : « فاعلموا ان الموت تحت جدران مدينتنا اشرف لنا من الحياة تحت علم فرنسا » ... الخ !

ولم تنته مقاومة الشعب الجزائري تحت قيادة الامير عبد القادر التي كانت منظمة ومنسفة بخلفاء له في سائر المقاطعات نستطيع ان نقول انهم كانوا قواد حرب وكانوا ولاة ، كانوا يحملون اسم الخليفة ، منهم مثلا احد سنذكره في اطار ثورة ٧١ في سياق آخر ، اقول لم تنته تلك المقاومة التي دامت اكثر من ١٥ سنة حتى قامت ثورة ابي معزة في هذه الجبال وقامت ثورة ابي بغلة كذلك في سنوات ٥٦ — ١٨٥٧ شملت اجزاء كثيرة من البلاد من سطيف في شرق البلاد الى الظهرة واجزاء اخرى كثيرة من غرب البلاد ، وقامت ثورة ٥٦ — ١٨٥٧ في جبال جرجرة تحت قيادة السيدة فاطمة نسومر ، السيدة اقول السيدة بحق ، قامت تلك الثورة ضد جيش الجنرال روندون الذي اصبح فيما بعد المارشال روندون ، وغيره من قواد الاستعمار ، ولم تنته تلك الثورة الا وقامت ثورة اولاد سيدي الشيخ في الصحراء الوهرانية في سنة ٦٤ ودامت تلك الثورة كثيرا جدا دامت حتى بعد سنة ١٨٨٠ .

وفي سنة ١٨٧٠ عند قيام الحرب الفرنسية والالمانية بدا الجزائريون يشعرون بان الفرصة قد حانت لاستئناف القتال وان كان القتال لم يقف ابدا طوال هذه المدة كما قال الاخوان من قبلي ، واكبر دليل على ذلك دائرة المعارف الاستعمارية الفرنسية ، التي تقبل حرفا ومعنى بان مقاومة الشعب الجزائري المسلحة دامت ٨٠ سنة من ١٨٣٠ الى ١٩١٠ م .



محمد بن تومي المعروف بناصر بن شهرة

وسنرى فيما بعد انه كانت هناك ثورات مسلحة أخرى حتى بعد ١٩١٠ ، قبل فاتح نوفمبر ، اقول انه عندما شعروا ان الوقت قد حان وهذا يبدو واضحاً في رسائل المقراني ورسائل الشيخ عزيز ابن الشيخ الحداد الى كثير من مناطق الجزائر من ان الوقت قد حان وان فرنسا الان في وحلة كما نقول ، ولابد من استئناف الكفاح لتحرير البلاد ، وكان هذا في آخر سنة ١٨٧٠ .

وكان هناك بوشوشة في الصحراء جنوب الاغواط ، وكان هناك ناصر بن شهرة في الصحراء كذلك قد بدأ ينظمان في نفس الوقت الذي كان فيه بومزراق والمقراني ينظمان في الشمال ، وكان الابن الثاني للأمير عبد القادر محيي الدين قد جاء من دمشق ، رأى هو

ايضا ان الفرصة قد حانت ، الفرنسيون يدعون بأنه جاء بغير علم ابيه ، وان اياه قد وبخه على ذلك ، ولكن احد مؤرخينا ، وهو الساحلي ، كتب في كتابه الاخير الذي نشر منذ ٣ سنوات او ٤ بأن هذا ليس صحيحا وان هذا لا يمكن ابدأ ولا يمكن ان يلوم الامير عبد القادر ابنه الثاني محيي الدين عن استئناف القتال ، وانظم محيي الدين الى بوشوشة وناصر بن شهر في الصحراء .

وفي هذا الوقت بدأ المقراني يتصل باصدقائه وخاصة الشيخ الحداد فزاره يوم ٨ يناير سرا في صدوق وتبادل معه النظر في ضرورة قيام الجهاد ، وفي ١٤ مارس من نفس السنة ١٨٧١ اجتمعت عائلة المقراني كلها في مجانية في الدار التي زرناها صباح اليوم وقرروا اعلان الجهاد في نفس الليلة وعلن المقراني الجهاد بطريقة مأخوذة من الاسلام بعدم مباغته العدو عند اعلان الجهاد ، وكذلك حسب مبادئ الامم المتحدة ، كما ذكر لي ذلك الدكتور بوعلام بن خمودة صباح اليوم ، التي تؤكد قوانينها على ضرورة اعلان الحرب للعدو وعدم مباغته ، وهذا ما فعله المقراني في رسالة رسمية ارسلها الى الحاكم العام في ذلك الوقت ، الى الجنرال الفرنسي في العاصمة ، يعلن الحرب ويقول له رسميا ، النص موجود في الكتب الفرنسية : (اعلموا اننا في هذا اليوم قد اعلنا الجهاد عليكم وضدكم وغدا يتبدى الجهاد) وبعت كذلك بتسليمه من وظيفته كباش آغا ، ورد الحوالة التي بعثها له فرنسا كذلك مع هذه البرقية ، وفي اليوم التالي ، يوم ١٥ هاجم برج بوعريريج واحتلها ومن هناك انطلقت ، ولكن كان يحتاج الى مساندة معنوية ولذلك اتجه الى صدوق بعد مراسلات بينه وبين الشيخ الحداد ، واتصل بالشيخ عزيز وبالشيوخ الحداد نفسه في صدوق ، وفي يوم ٨ ابريل ١٨٧١ اعلنها الشيخ الحداد وهو قد تجاوز الثمانين من عمره ، اعلنها في سوق صدوق والقي بعضاه بعد صلاة الجمعة وبعد الذكر في وسط الجمهور ، وقال

سنرمى بالفرنسيين الى البحر كما رميت انا هذه العصا الى الارض ، وتقول المصادر الفرنسية انه في يوم ٩ ابريل وصلت الثورة الى باتنة شرقا ودلس غربا . وبعد ايام قليلة امتدت الى اغلب نواحي البلاد ، وفي اليوم الذي القى عليه القبض وهو قد تجاوز الثمانين كما قلنا وكان مشلولاً ومحمولاً على نعش ، في نواحي بجاية ، ظن الفرنسيون ان الثورة قد انتهت ، ولكن ابنه الشيخ عزيز ومحمد واصلا كفاحهما الى ان القى القبض عليهما بدورهما ، ولكن المقراني القائد العسكري والقائد السياسي كان يمد خطوته الى جميع انحاء البلاد ، وبدأت الثورة تنتظم وتتسع عسكريا وسياسيا ، وكان ما هو موجود في ثورتنا الاخيرة من المحافظين السياسيين موجودا في وقته وهم المقدمون في نظام الشيخ الحداد ، وهم عناصر سياسية ، فكانوا يقومون بالتنظيم وبالتوعية السياسية ، وكان بومزراق اعظم من شقيقه المقراني في القيادة العسكرية كما تقول الكتب الفرنسية ، وقد استشهد المقراني يوم ٥ مايو ١٨٧١ في مثل هذا اليوم منذ قرن في سوفلات قرب عين بسام ، واستمر اخوه بومزراق .

وفي اليوم الذي القى فيه القبض على الشيخ الحداد يوم ١٣ يوليو ١٨٧١ في نواحي بجاية كما قلت ، وفي الوقت الذي استمر فيه بومزراق في كفاحه وامده الى الجنوب ونظم ذلك مع بوشوشة وناصر بن شهرة في الصحراء جنوب الاغواط ، اعلنها مالك البركاني في اليوم نفسه الذي القى فيه القبض على الشيخ الحداد وهو ١٣ يوليو - وهو ابن اخ عيسى البركاني ، احد خلفاء الامير عبد القادر - ، اقول ان مالكا البركاني اعلنها في سوق الحد بضواحي شرشال وجبال بني مناصر في ولاية الاصنام بنفس الطريقة التي اعلنها من قبل الشيخ الحداد ، باسم الجهاد ، وفي الوقت الذي كان فيه مالك البركاني الذي اثار اليه الاخ في القصيدة يقود الكفاح في جبال بني مناصر والظهرة كان هناك آخرون يسرونه في الشمال ، مثل الشيخ الصداوي في جبال جرجرة ، وكان شيخا في زاوية ودريس ، في هذا الوقت كان بومزراق يسير النضال في الجنوب ابتداء من الاغواط مع ناصر بن شهرة وبوشوشة ، ولما استشهد مالك البركاني في بني مناصر استمر اخوه ابراهيم البركاني حتى استشهد كذلك فاستمر ابنه ، اي ابن مالك ، حتى اسر ، وذلك في سنة ١٨٧١ ، وحتى عندما هذا الحال بالنسبة للاستعمار في الشمال ، استمر الكفاح في الجنوب الى ان اسر بومزراق قرب عين صالغ وهو مفقود عليه ، واستطاع ناصر بن شهرة الاختفاء في الصحراء الى ان دخل الى تونس ، ومن هناك الى سوريا .

واذا كان المقراني قد استشهد ، والشيخ الحداد وابناه عزيز ومحمد قد اسروا في سنة ١٨٧١ ، فان بومزراق لم يأسر الا في اواخر ١٨٧٢ ، ولم ينته الجهاد بذلك ، لان بوشوشة استمر في كفاحه حتى سنة ١٨٧٤ حيث اسر جريحا .

ومن هنا نرى هذه الثورة قد بدأت اول مبادرات في اواخر سنة ١٨٧٠ بالمشاوشات ، وبدأ التنظيم ، واشتعل وطيسها كما ينبغي في ربيع ١٨٧١ ، واستمرت حتى آخر ١٨٧٤ . هذه هي الثورة التي تسمى ثورة ١٨٧١ ، ولكن في نفس الوقت كان آخرون كذلك يناضلون ،

كان اولاد سيدى الشيخ فى الصحراء الوهرانية يستمرون فى الكفاح الذى بداوه فى سنة ١٨٦٤ ولم يقف ، وقوى وطيس تلك الثورة خاصة فى سنة ١٨٨١ تحت قيادة ابي عمارة من اولاد سيدى الشيخ ، واستمر الكفاح مدة طويلة ووصلت جيوش ابي عمارة حتى المدينة ، وضواحي العاصمة ، وحتى لما انطفت ثورة ابي عمارة واولاد سيدى الشيخ ، كان آخرون فى الصحراء ينظمون هنا وهناك ، والكتب الفرنسية تشهد بان ثورات لم تحتل الا سنة ١٩٠٠ ، والثورة مستمرة هنا وهناك ولم تخذ ابدا .

ولما خمدت ثورة اولاد سيدى الشيخ ، وثورة توات وعين صالح فى سنة ١٩٠٠ ، واصل الطوارق الكفاح فى الهوقار تحت قيادة الشيخ آمود حتى سنة ١٩١٢ . واستمرت حتى عندما التجا الشيخ آمود الى ليبيا ، فى الهوقار وفى نواح اخرى من الجزائر ، وفى سنة ١٩١٦ قامت ثورة اخرى مسلحة فى عين توتة بولاية الاوراس ، ثم حوادث ١٩٤٥ ، الى ان جاءت ثورة اول نوفمبر ١٩٥٤ ، وكانت الثورة التى نعرفها كلنا والتى عشناها وكان لنا الشرف العظيم لحياة هذه الثورة التى استشهد فيها ما نعرفه كلنا من اكثر من مليون ونصف من خيرة ابناء هذه البلاد ، واستشهد فيها ابطال عظام ، وفى الوقت الذى نحتفل فيه فى ولاية سطيف بثورة ٧١ واستشهد المقرانى يوم ٥ ماي ٧١ ، تحتفل ولاية المدية بالذكرى الثانية عشرة لاستشهاد محمد بوقرة فى ثورة فاتح نوفمبر ١٩٥٤ .

ربما اطلت كثيرا عليكم ايها الاخوان ، لكن هذا فقط لاعود لكلمة اخيرة هى المقصودة والتى اشرت اليها فى بدء هذا الحديث ، وهو ضرورة العناية بتاريخنا ، ولابد من اعادة النظر فى كتابة تاريخنا ، ولابد من مراجعة مصادرنا ، ولابد من جمع تراثنا اينما كان ، وفى هذا السياق اود ان اعود فائس الى البوادر التى اتخذت فى صدوق ، وفى مجانة ، وفى اغيل على ، والمدية ، وغيرها ، لاحياء هذه المناسبات ، فليكن هناك سباق ومنافسات ايجابية بين مختلف مؤسساتنا وخاصة البلديات وقسمات الحزب ، ليكون هناك تنافس بين مختلف جهات البلاد فى احياء هذا التراث ، فلنتخذ البوادر محليا ، فمثلا كما احتفلت صدوق بالامس ، وكما احتفلت مجانة واغيل على اليوم ، وكما تحتفل المدية اليوم ، لابد لبنى مناصر وسوق الحد ان تحتفل يوم ١٣ يوليو بالذكرى المئوية لثورة ١٨٧١ هناك ، ولابد للصحراء من الاغواط الى ورقلة وحتى عين صالح من احياء امتداد هذه الثورة الى هناك ، ولابد للصحراء الوهرانية ان تحيي ثورة اولاد سيدى الشيخ وابي عمارة ، ولابد للاوراس وعين توتة ان تحيي ذكرى ثورة ١٩١٦ ، ولابد لتامراست ان تحيي ذكرى ثورة الشيخ آمود ، الخ .. ولابد لنا من احياء ذكرى مرور قرن على وفاة الامير عبد القادر سنة ١٨٨٣ ، ان عشنا الى ذلك الوقت ، ولابد قبل ذلك ان نحيا فى السنة المقبلة كما ينبغى وذلك بالمؤلفات وبالكتب الفنية والادبية والتاريخية وبالموسيقى واللوحات الزيتية وبكل شئ ، بالذكرى العاشرة لاستعادة استقلالنا ، ولابد كذلك ان نحيا الذكرى الالفية لتأسيس العاصمة والمدية ومليانة ، فى السنة المقبلة ان شاء الله .

والسلام عليكم

انتفاضة ١٨٧١

مقاومة شعب

يحرره
الايمن



محفوظ قد اش

وقد كتب السيد ريسن في مقدمة لكتابه ان « انتفاضة ١٨٧١ بالجزائر ، لم تكن تمرد المضطهد (بفتح الهاء) ضد المضطهد (بكسرهما) ، ولا مطالبة بوطنية ولا حربا دينية أو عرقية .. ولقد قام الباشا الحاج محمد بن الحاج أحمد المقراني وحده باثارة هذا التمرد الضخم . وهو الذي دفع السكان الذين كانوا يخضعون منذ قرون لنفوذ عائلته ، وكذلك السكان الخاضعين لتأثير العمل السياسى والدينى لآخوان الرحمانية ، وحصل على تحالفهم واستطاع أن يجتد الشيخ الحداد ابن شيخ الطريقة عن طريق تأجيج اطماعه .. اما نبلاء مجانة وشيوخ صدوق فانهم لم يحاربوا الا للمحافظة على نظام الامتيازات والظلم اللذين كانا مفروضين على الفقراء والمستضعفين المجندين تحت الويتهم . وكما حدث مع جماعات « البريتون » و « الفانديين » فان هؤلاء البؤساء ، سواء كانوا عربا أو قبايليين ، قتلوا في قضية لم تكن قضيتهم . »

وقد ذكرت صحافة الكولون الصادرة في ذلك الوقت ان المكاتب العربية (اى الادارة العسكرية الفرنسية) وشيوخ الاهالى تحالفوا للدفاع ، بأى ثمن ، عن امتيازاتهم وسلطتهم واستقلالهم »

ان احياء واكاد أقول عبادة المراحل الكبرى من تاريخنا ، وعام ١٨٧١ واحد منها ، يفرض علينا ان نعيد النظر بدقة فيها جميعا ، وذلك في نطاق المراجعة الضرورية لتاريخنا الذى شوهته الروح الاستعمارية ، ولا بد أولا من الاشارة الى ان الامر لا يتعلق بتمرد في احد اجزاء بلاد القبائل ، وانما هى حركة عامة تندرج في خط المقاومة العسكرية التى انطلقت من عام ١٨٣٠ حتى نهاية القرن التاسع عشر .. وذلك ان استسلام عبد القادر ، وبن سالم والباى أحمد ، وهزيمة شرغاء القبائل ، والصعوبات التى واجهها محاربوا أولا سيدى الشيخ ، والأوراس والأغواط وتوقرت والشعانية ، لم تضع للمقاومة الجزائرية . ان نهاية معركة ما ، لم تكن تعنى ايدا الاستسلام . وقد عرفت الجزائر في سنة ١٨٧١ أكثر وأشمل تمرد عاشته قبل حرب تحرير ١٩٥٤ . وبدا التمرد بالهجوم على سوق أهراس من طرف المقاتلين المنتهين الى قبيلة الحناشنة بقيادة الشيخ

هناك كتابات كثيرة تمجد الذكرى المئوية لانتفاضة ١٨٧١ . وقد لمع في هذه الحركة كل من الشيخ الحداد والمقراني اللذين كان لهما الشرف بحمل علم الانتفاضة وبان يكونا رمز المقاومة الجزائرية . وهناك أسماء كثيرة لمقاومين امجد مجهولين . ولا بد من تدبير صفحات طويلة لاعطاء شعوب الفلاحين الصغير والاخوان ومآت الآلاف من المكافحين المكنة التى يستحقونها بين شهداء هذه الانتفاضة . وذلك لا بد ان يقود الى اعادة النظر في تأكيدات المدافعين عن الاستعمار والمجدين له ، اللذين كانوا يعتبرون انتفاضة ١٨٧١ تمردا محليا سببه معارضة المسلمين لليهود بعد حصول هؤلاء على حق المواطنة الفرنسية ، واثارته مناورات المكاتب العربية (الادارة العسكرية الفرنسية) ، وانه يرجع بالاساس الى اطماع الزعماء الاهليين الكبار »

هبة عامة لجميع القبائل . وحيثما كانت الظروف كان الجزائريون يتسلحون ويبتكلون . وقد كان الشعب الجزائري مصابا بـ « حمى التمرد » على حد تعبير الجنرال بيجو . وارتفعت الحرارة بصورة استثنائية في سنة ١٨٧١ ، كما حدث في السنوات السابقة بين أعوام ١٨٣٩ مع عبس القادر ، و١٨٤٥ مع بومعزة ، و١٨٥٧ مع شرفاء القبائل و١٨٦٤ مع أولاد سيدى الشيخ .

فما هي الاسباب الحقيقية التى تفسر ارتفاع حمى الانتفاضات عام ١٨٧١ ؟ انها ليست على كل حال الاسباب التى قدمها مؤرخوا العهد الاستعماري . فالواقع أن المسلمين لم يتردوا لانهم ضد اليهود . ان الرسائل التى وجهها المقراني الى القبائل يدعوها الى التمرد لا تتضمن كلمة واحدة عن تجنيس اليهود . كذلك فإن القائد بومزراق لم يتحدث عن اليهود وهو يدعو الجزائريين الى حمل السلاح . ان المسلمين لم يهانوا اطلاقا بسبب رفع اليهود الى مستوى المواطنين ، لانهم لم يكونوا يشعرون أن المواطنة الفرنسية يمكن أن تزيد من كرامتهم . وقد برهنوا على ذلك برفضهم لطلب التجنس الفردى . وقد ذكر اعيان قسنطينة لوجهاء الطائفة اليهودية فيها ان « مرسوم كريمة لم يثر الغضب ولا الحسد لدى المسلمين » . ومن المفيد أن نشير الى أنه لا وجود لليهود في المناطق النائية ولا سيما في بلاد القبائل . ونشير كذلك الى أن مسؤولين فرنسيين من امثال قائد حامية قسنطينة ذكروا ان « مرسوم تجنيس اليهود لم يكن هو السبب المباشر لانتفاضة ١٨٧١ . وكان المسبب « لوسيه » الوالى الفرنسى لمدينة قسنطينة قد طرح سؤالا على رؤساء الانتفاضة حينما قدموا لحكمة الجنائيات فأجابوا كلهم بأن « تجنيس اليهود لم يكن له دخل في إثارة التمرد » . يضاف الى ذلك أن كثيرا من الثوار اختاروا محامين من اليهود للدفاع عنهم وهو أمر لم يكونوا يقدمون عليه لو أنهم حملوا السلاح ضد اليهود . والذين يقولون بأن تجنيس اليهود كان الباعث على الثورة يعتمدون على التصريح التالى للمقراني :

« لن أطيع يهوديا على الاطلاق . واذا وقعت أرضكم بين ابني يهودى فقد انتهت كل شئ أنا

الكيوتى (يناير ١٨٧١) . ثم بعد ذلك حدثت انتفاضة قبيلة اولاد عيدون في الشمال القسنطيني (فبراير) ، تلتها النمامشة وأولاد عبس استجابة لنداء محى الدين بن عبد القادر الذى قدم من تونس بناء على « أوامر السلطان » ، لقيادة الانتفاضة ، والذى ذكر في نداء قرء في الجوامع أن « ساعة الخلاص قد دقت » . وقد تم حصار مدينة تبسة . وفي الجنوب قام الشعابنة الذين كان يتزعمهم بوشوشة بالاستيلاء على مدينة ورقلة (مارس ١٨٧١) . وفي الرابع عشر من نفس الشهر عقدت عائلة المقراني مجلسا حربيا في مجانة قررت بعده الانتقال الى الهجوم وقامت بمحاصرة برج بوعرييج . وفي نفس اليوم شنت قبائل هاشم هجوما عاما بزعامة أحمد بومزراق المقراني . وفي ١٨ أبريل وجه الشيخ الحداد من صدوق نداء الى الجهاد . وقد استجابت له كل القبائل من النتيجة الى سكيكدة . وتعرضت جميع المراكز الفرنسية في بلاد القبائل الى هجومات منظمة . وهاجمت جماعات أخرى كلا من باتنة ووسطيف . وهددت قبائل بنى مناصر طريق السكة الحديدية الرابطة بين وهران والجزائر . أما في القطاع الوهراني فقد استأنفت قبائل أولاد سيدى الشيخ القتال . وقاد الوطنيون الجزائريون أكثر من ٣٥ معركة في اراضى كانت تمتد في الناحية القسنطينية من بلاد القبائل الى توقرت وورقلة ، وفي منطقة الجزائر من النتيجة الى شرسال ، وفي القطاع الوهراني كانت تشمل كل المناطق الصحراوية . واذا كانت الانتفاضة قد وصلت الى أوجها عام ١٨٧١ ، فإنها قد بدأت كما رأينا قبل شهر إبريل ١٨٧١ بكثير ، واستمرت طويلا بعد اعتقال بومزراق الذى سقط مغيبا عليه من قرط التعسب في الصحراء (٥ يناير ١٨٧٢) . وقد التقطت الشعلة جماعات متفرقة من الانصار وبخاصة بوشوشة حتى عام ١٨٧٤ ، ثم رفاقه الذين نجحوا في السيطرة على الصحراء الشرقية من عام ١٨٧٤ الى عام ١٨٨٣ . وقد قاوموا حتى آخر واحد منهم واستشهدوا جميعا في المعركة .

واذن فنحن بعيون من أن نكون أمام تمرد محلى أو واقعة معزولة . لقد كانت الانتفاضة

نفوذ القادة الكبار ، ولكنها امتدت فشملت
الجزائر كلها . وإذا كان الكولون قد اتهموا
العسكريين ، رؤساء المكاتب العربية ، فذلك
لأسباب سياسية داخلية فرنسية محضة : لقد
كان العسكريون المؤيدون لنابليون الثالث
يعارضون الكولون الذين يؤيدون الحكومة
المدنية وعلى الصعيد الجزائري ، فإن القادة
العسكريين الذين يرغبون في سيادة الهدوء
بمناطقهم ، لم يكونوا يريدون مضاعفة بواعث
الاستياء لدى القبائل ، وكانوا يحذون في جشع
الكولون للاستيلاء على جميع الأراضي ، وهنا
منشأ عداة الكولون إزاء المكاتب العربية ، التي
كانت توصف بأنها « **حامية العرب** » .

كانت الظروف السياسية ملائمة : هزيمة
فرنسا ، وسقوط الامبراطور ، والصراعات بين
المدنيين والعسكريين الفرنسيين ، والاهانات التي
وجهت للزعماء المسلمين التقليديين ، مثل الاهانات
التي تعرض الباشاغا المقراني : مصادرة جزء من
أملكه ، وفقدانه لموارده الجبائية التقليدية ،
واقامة ادارة فرنسية فوق أرضه يوجهها ضباط
فرنسيون ، وتخفيض عدد فرسان قياده ، والغاء
نظام التوزيع الذي كان يستخدمه لمصلحته ...
ولكن هذه كانت مجرد ظروف سياسية . بيد أن
الشروط الاقتصادية المتدهورة للفلاحين لم يكن من
شأنها إلا أن تدفع الجزائريين إلى الانتفاضة
المسلحة .

لقد كان النضال من أجل حماية الدين ، ومن
أجل الحرية والاستقلال يمتزج مع النضال في
سبيل الدفاع عن الأرض . ولقد خرجت الجماهير
القروية وقد ازدادت فقرا ، من الأزمة الزراعية
(١٨٦٦ إلى ١٨٦٩) ومن الأزمة المالية عام
١٨٧٠ . لقد أفرغ الاحتلال الفرنسي المدخرات
التقليدية من محتوياتها . وكان محكوما على
الجماهير بالهلاك ، وانتشر التثويد والكوليرا ،
واندثرت قبائل بكاملها . وكان الفلاحون ورؤساء
القبائل يستدينون بكثرة . ولقد اضطر المقراني ،
الذي كان قد اقترض مبالغ من المال لاسعاف
منطقته إلى ارتهان أملكه لدفع ديون الصيارفة
الفرنسيين ، وما هو أخطر من ذلك هو خوف
الفلاحين من ضياع أراضيهم ، وتغيير للنظام

أقبل أن اضع نفسي تحت سيف حتى ولو قطع
رأسي ، ولن أرضى إطلاقا أن أخضع ليهودي .
أنا أقبل أن أطيع جنديا ولكني لا أنحنى أمام
يهودي أو مركانتي » . ويجب أن نشير هنا أن
عبارة اليهودي تعنى عند المقراني ، المدنى الذى
يمثل الحكومة الفرنسية ، وأن كلمة « مركانتي »
تعنى التاجر ، أى الكولون . وهكذا ، فإن
الانتفاضة لم تكن انفجارا عنصريا ضد اليهود .
وبالعكس ، وهذا ما يؤكد عدة شهود من تلك
الفترة ، فإن الثوار كانوا يعتقدون أن مرسومها
سببها بذلك الذى ألغى الوضع القانونى الخاص
للإهود ، يمكن أن يصدر في حق المسلمين ويفرض
على الجزائريين مواطنة لا يريدونها . وليس
صحيحا كذلك الادعاء القائل بأن الانتفاضة من
صنع مطامع المقراني وعزيز بن الشيخ الحداد ،
الذين زعم أنها كانا يدافعان عن امتيازاتهما
فقط . ولا شك أن نفوذ الرؤوس كان قويا ،
لكن ما لا ينبغي أن ننساه هو أن المبادرة والضغط
جاءا من الجماهير الشعبية ، وأن العمل الشعبى
في حالات كثيرة هو الذى دفع القادة إلى الخروج
من التردد . لقد كان التمرد موجودا قبل اعلان
الحرب من طرف الرؤساء ، وقد استمر بعد موتهم
أو اعتقالهم . وفي سنة ١٨٧٠ ، وفيما كان بعض
الرؤساء يبعثون برسائل التأييد إلى نابليون
الثالث ، قامت مبادرات شعبية بتنظيم اغتيالات
وبتخريب خطوط الطغراف ، ونظم التلاميذ
الاضراب ، وأسست مجالس شعبية تقوم
بمراقبة القادة وشراء الأسلحة . وقد اضطر
القياد والشيوخ المهددون مباشرة بأن يضعوا
أنفسهم في خدمة المقاومة وقاموا أحيانا بقيادة
قبائلهم في الحرب التي كانت تريد هذه القبائل
خوضها ضد فرنسا . وبالنسبة للجماهير الشعبية
فإن الاستسلام كان شكليا فقط ، وكان يكفى أن
تتغير موازين القوى لتنفجر الانتفاضة .
وقد ذكر المقراني في رسالة بعث بها إلى
باشاغا التتري :

« يوجد هنا حماس عام للجهاد ، وإذا ثاروا
في كل الجهات ، فأقسم لكم بالله أنهم لن يحتاجوا
إلى الثورة مرة ثانية » . ولا يغيب عن أذهاننا
أيضا أن الانتفاضة لم تكن محصورة في مناطق

العقارى لاراضى « العرش » التى اعترف بملكيتها للقبائل . ان النظام المدنى كان معناه انصار الكولون والاستعمار ، وضياح الاراضى بالنسبة للجزائريين . ومن البديهي ان افكار الجاهل القروية ، والتهديد الذى تعرضت له الاراضى قد خلقا حالة من التوتر .

ومع ذلك فاننا نجد الاسباب الحقيقية فى القوى الاخلاقية والدينية للجاهل الشعبية والقروية منها بصورة خاصة ، التى جابهت التهديد الذى كانت تتعرض لها اراضيها . ويذكر « روهين » ان القبائل لم تكن تحب « لا السلم ولا الازدهار الاستعماريين » ، وان اى شئ لم يخلق بعد ذكرى الاستقلال الذى تمتعت به قرونا طويلة . ويذكر لامى ان مسلحا جزائريا تمكن من الاثراء بواسطة التعاون مع الفرنسيين ذكر انه « اذا وصلت الانتفاضة الى ميناء الجزائر ، وكانت تكفى صفعه واحدة للقاء بالفرنسيين فى البحر ، فانى سأقوم لذلك » . وكثير من مراقبى تلك الفترة قدروا الانتفاضة حق قدرها . وقد ذكر أوربان : « اننا نجد انفسنا ، وسوف نجد انفسنا لمدة طويلة ، امام شعب يتحمل سيطرتنا بمشقة ويبحث عن كل الوسائل وكل الفرص للتخلص منها . وللحفاظ على هذه السيطرة لا يمكن ان نعتد الا على جيشنا ، وسوف يكفى الجيش لهذه المهمة ، مادامنا لا نواجه تعقيدات اوروبية كبرى ، ولكن الامق سيظل قائما مع ذلك . ويكفى ان تنفجر زوبعة فوق السقارة القديمة لنضطر الى تخفيض جيشنا فى افريقيا . ان عاطفة الاستقلال ، وعاطفة التعصب الدينى ما زالت حية . وقد استغلوا الفرصة فنحصل تمرد . واعلن الحاكم العام ماكهاون نفسه ، فى عام

١٨٧٢ ، ان الامن يوشك ان يصبح مهددا ، وذكر فرنسى آخر الاسباب الحقيقية عندما قال : « لا تزال هناك كلمات سحرية ترتعش لها البلاد ، وكلما تحدثوا لها عن الجنسية الاسلامية ، وعن الارض المقدسة التى يجب تطهيرها من الكفار كانت مستعدة للتحرك . » ان الاسباب الحقيقية كامنة فى حب الوطن ، فى الدفاع عن الحرية والاستقلال ، التى ظلت طوال التاريخ المغربى أحد الملامح المميزة لشعبنا . ان الايمان الدينى الذى لا ينفصل عن حب الوطن هو الذى امد شعبنا بقوة الكفاح . وان العاطفة الدينية التى غالبا ما اختلطت بالعاطفة الوطنية كانت على الدوام عامل مقاومة . والضباط الفرنسيون الذين كانوا يرون فى الايمان تعصبا دينيا ذكروا ان :

« الحج الى صدوق تكاثر وان التعصب الدينى الذى كان حيا كما رائنا ، تعزز بشكل مخيف . ان جماعات الحجاج الذين كانوا يتوجهون الى الشيخ الحداد ، يتودهم المقدمون ، كانوا يسلكون الطريق واقدامهم عارية وهم يربطون الذكر . وكانت النساء يقمن بزيارة الشيخ وهى لسن اقل حماسا من الرجال . كان هناك شئ يعد فى الخفاء » .

وقد كتب بعض القبائل الذين كانوا يتعرضون لمحاولة ترمى لدفعهم لاعتناق الديانة المسيحية ، الى الضابط الفرنسى يقولون :

« اننا لن نتخلى ابدا عن ديننا . واذا كانت الحكومة تريد ارغامنا على ذلك ، فنحن نطلب منها الوسيلة لمغادرة البلاد . واذا لم نجد هذه الوسيلة فنحن نفضل الموت على اعتناق ديانتم . اما فيما يخص محاولة دفعنا الى

اعتناقها فاننا نفضل الموت على التخلي عن
ديانتنا . »

ان كل هذه المحاولات الدينية كانت قليلة الاثر،
ولكنها كانت تشكل تهديدا مباشرا بالنسبة لبلاد
القبائل . وقد أكد المطران لاغيجرى عد مرات
نواياه في هذا الباب . « يجب ان تنتهى من عزله
(يقصد المسلم عن القرآن ، كما حدث ذلك لمدة
طويلة ، وكما يزداد ان يستمر ذلك بالنسبة
للملكة العربية المزعومة ، ولا بد من ان نوحى
اليه ، عن طريق اطفاله على الاقل ، بعواطف
ومبادئ أخرى . ينبغي ان تعطيه فرنسا ،
وبالاحرى ان تسمح بان نعطيه مبادئ الانجيل
وان ندخله في حياتنا او نطرده الى الصحراء بعيدا
عن العالم المتحضر » . وكان الكولون ، يؤكدون
في جريدة الاخبار « ان الجميع متفقون على
الحالات افضل من المبادئ العقيمة ، اللااخلاقية
والموتحشة للقرآن » .

لقد كانت مساهمة انصار الطريقة الرحمانية
في انتفاضة ١٨٧١ هامة . ان هذه الطريقة
الصوفية جزائرية صرفة ، وقد أسسها محمد عبد
الرحمن بوكبرين (بوكبرين ؟) الذى ينتمى الى
قبيلة كشمولة بحكم مصالحه وتقاليده . وكانت
طريقة وطنية تضم جزائريين من كل الجهات ،
رجالا ونساء من مثيلات خدوجة بنت احمد بن

كنون من اهالى « ايسر » التى قادت اولاد قاسى
ودفعتهم للاشتراك في الانتفاضة . وقد كون
« الاخوان » المنسجمون الذين تعودوا على
الانضباط والعمل السرى ، جماعات محاربة
عرفت بشجاعتها وبطولتها . وكان المقدمون
يحملون اعلام هؤلاء المحاربين الذين لم يكن
امامهم اختيار بين النصر أو الاستشهاد .

واذن فان ما هو مهم في هذه الانتفاضة هو
ايمان الشعب وتعلقه بقيمه الدينية والاخلاقية .
وما ينبغي الانتباه اليه هو رسالة آلاف الشهداء
الذين سقطوا عام ١٨٧١ ، الى الاجيال التالية
التي عرفت الاستعمار في اعنى صورته . وقد كان
نظريوا العهد الاستعماري ، يؤكدون ان « عام
١٨٧١ هو آخر الانتفاضات العسكرية الجزائرية
الكبرى » . وقد اخطأوا في هذا الاستنتاج مثلما
حاولوا ان يضلوا حول الاسباب ، ان رسالة
المسبلين لكى لا ننكر هنا سوى محنة اولئك
الالفين منهم ، الذين بعد ان استمعوا الى صلاة
الموتى حاولوا ان يتسلقوا اسوار حصون عين
الحمام ، « وطحنوا في عين المكان » ، ظلت
منقوشة في الصخر ، حتى قام احفاد هؤلاء
المسبلين انفسهم باستئناف المعركة التى ادت الى
الاستقلال . انهم مجاهدوا اول نوفمبر ١٩٥٤ .
لقد كان يحركهم هم ايضا نفس الايمان وكانوا
يعبرون عن مقاومة شعب .

الشيخ عزيز ابن الشيخ الحداد



ثورة

محمد المقراني

والشيخ

ابن الحداد

يحيى بوعزيز

من ميزات ماضى الجزائر ،
وخصائصه ، انه تاريخ
بطولة وكفاح متواصل طوال
حقب التاريخ ، فلم يستكن
شعب الجزائر ابدا لاي طغيان
يلم يقلل الخضوع والاستسلام
لاى معتد على بلاده وسيادته
واستقلاله . وقاوم الغزاة
بعنف وضراوة عبر الاجيال
والعصور .

وفي خلال الاحتلال الفرنسى
للجزائر ، تزعم هذا الشعب
ثورات مسلحة بطولية ، تعتبر
مفاخر كفاحنا الوطنى من
ضمنها ثورة المقرانى والحداد
التي هزت اركان الاستعمار
الفرنسى هذا ، وتعتبر احدى
اللبينات فى ذلك الاساس
الشامخ . لكفاحنا التحريرى
الذى لم يتوقف حتى تحقق
عام ١٩٦٢ حلم الاجداد ،
وآمال الاجيال . وثورة
المقرانى والحداد عام ١٨٧١
لا يمكن فهمها على حقيقتها
الا من خلال التعرف على
اوضاع الجزائر فى تلك الفترة
فقد كانت الجزائر فى اواخر
الستينات (١٨٦٥ - ١٨٧٠)
تعيش اوضاعا ومشاكل
معقدة فى الميادين السياسية
والاقتصادية والاجتماعية
والعسكرية هى التى مهدت
فى النهاية لقيام ثورة عام
١٨٧١ م ، ويمكن ايجازها فيما
يلى :

اولا: كانت الامبراطورية الثانية تقوم بعملية تهجير
واسعة للاروبيين من فرنسا واروبا الى الجزائر
من اجل التوطين والتوسع فى الاستعمار ، وصحب
عملية التهجير هذه ، مصادرة املاك الجزائريين من

اراضى ، ومبانى ، وقطعان الحيوانات لتملكها
لهؤلاء المهاجرين الاروبيين الذين كان الكثير منهم
من المحكوم عليهم بسوابق عدلية اجرامية فى فرنسا
وجيء بهم الى الجزائر للتخلص من مشاكلهم
واستغلالهم واستغلالهم فى حركة التوسع
الاستعماري . ونتج عن هذه العملية تضاعف
البؤس والشقاء والحرمان ، بين الجزائريين اصحاب
الارض والبلاد الشرعيين والغريب
فى الامر ان الامبراطورية الثانية
ونابليون الثالث بالذات كان يتظاهر باتباع
مادعى بالسياسة العربية ، التى تعنى حماية
الجزائريين واملاكهم ، ومقاومة تسلط المعمرين
عليهم ، وانشاءها ما دعى بالملكية الشخصية
العربية . وهذا مما يؤكد تفاهة السياسة
الاستعمارية مهما يكن طابعها . ويكفى الانسان
ان يعيد تصفح جرائد المبشر والاخبار الصادرة
بالجزائر فى تلك الفترة ليرى القوائم الطويلة لمصادرة
الارض وتوزيعها .

ثانيا : كانت البلاد ما تزال تعيش حالة الحرب
بسبب العمليات العسكرية التى كان يقوم بها
جيش الاحتلال ، وخاصة فى المناطق الجنوبية
العربية حيث ما تزال ثورة اولاد سيدى الشيخ
متواصلة منذ عام ١٨٦٤ بينما تعرض سكان القبائل
الكبرى والصغرى خلال احداث راندون للمزيد من
التقتيل ، والتشريد ، والمصادرة لارضيتهم واملاكهم ،
واخضعوا للحكم المزجرى الارهابى تجاوز الحدود
المعقولة ، واصبحوا يتحملون اعباء طالية فوق
الطاقة اقتصاديا ، واجتماعيا ، وعسكريا ، بل
ودنيا كذلك حيث اخذت الكنيسة تسعى بكل
الوسائل لتنصير الناس وتمسيحهم ، خاصة أثناء
مجاعة عام ١٨٦٨ القاسية ، ومارست المزيد من
العقاب على قبائل فرجيوة عام ١٨٦٤ .

ثالثا : واكثر من هذا فقد تعاقبت على الجزائر
سنوات الجفاف ، وهجمات الجراد ، وتفشت الامراض
والاوبئة ، وحدثت زلازل مخرية . ونتج عن كل
ذلك حدوث مجاعة حادة ، وازمة اجتماعية فريدة
ن نوعها .

ففى خلال اعوام ١٨٦٥ - ١٨٦٨ تواصل
الجفاف والقحط على البلاد ، ادى الى انعدام
وجود المواد الغذائية والحبوب للناس ، وانعدام
العلف للحيوانات .

— وفي أعوام ١٨٦٧ — ١٨٦٨ حصل مرض الكوليرا والتيفويد أدى الى موت عشرات الآلاف من الناس .

وفي عام ١٨٦٩ تفجر الوضع الاجتماعي بصورة خطيرة جدا ، فحصلت مجاعة حادة لا نظير لها في تاريخ هذا البلد ، مات من جرائها عشرات الآلاف من أخواننا وأجدادنا ، وعشرات الآلاف من قطعان مواشهم نتيجة لغلة الحبوب والعلف . ولم تفعل السلطات الاستعمارية شيئا تجاه هذه المأساة واضطر سكان الهضاب العليا بصورة خاصة الى الزحف على مدن الشمال أفواجا وجماعات بحثا عن مورد للرزق ، ومنعهم الأوروبيون حتى من التفتيش في المزابل ، وأكوام القمامة على بقايا الأطعمة والعظام ، وكثير صياحهم وندائهم للسلطات الاستعمارية حتى تبعدهم عنهم فجعلوا بمحتشدات عامة بليانة والاصنام وغيليزان ، للجوع والعطش وقساوة الحرارة ، مما ضاعف من يؤسهم ، وأدى الى تفشي الأمراض فيهم ، وموت المزيد منهم ، وقد اضطر الكثير منهم الى النش عن الموتى في القبور لاكل لحومهم كما يعترف بذلك الفرنسيون انفسهم ، ونحن نذكر هذا ليعرف من لا يعرف ، رسالة التموين التي كانت فرنسا تدعى القيام بها في هذه البلاد .

والغريب في الامر أن هذه المأساة لم يتعرض لها الاوروبيون لانهم كانوا يملكون اراضى خصبة تستقى بالرى ، ولديهم في المخازن المزيد من الحبوب وسلطات الاحتلال تدللهم وتوفر لهم كل ما يحميهم من مثل هذه الاخطار . ولقد استغلت الكنيسة ولايجرى هذه المجاعة المحزنة ، وأخذت تجمع الايتام المسلمين لتتصرهم وتسيحهم مقابل اعطاء قطع الخبز لهم . وهذه هي رسالة التموين .

اما الجزائريون فليس هناك الا الرب يحميهم ، والا بعض الاثرياء ، من اخوانهم قدموا ما استطاعوا من معونة ومساعدة . فعندما عجز الفلاحون الجزائريون عن ايجاد الحبوب الضرورية للحث بعد أن نفذ ما عندهم في المخازن ، توجهوا الى رؤسائهم من اخوانهم لمزيد المساعدة ، ومن هؤلاء الباشاغا محمد المقراني الذي قدم كل ما عنده من حبوب ومال الى فلاحى منطقة مجانة

والبرج ، ولما لم يكف ذلك تسلف بأسمه من بنك الجزائر ، ومن بعض الاثرياء اليهود مجموعة من القروض المالية تزيد على نصف مليون فرنك تقديم مع الفوائد التي زيدت عليها . وتعهد له الحاكم العام ملكماهون بتسديد ديونه من ضرائب القبائل اذا ما عجز أصحابها عن الاداء ، ولكن السلطة المدنية التي خلفت السلطة العسكرية تنكرت لذلك ، واضطر ان يرهن املاكه لسداد الديون التي عليه للبنوك والسماسرة اليهود .

فلو كان المقراني اقطاعيا لا يغار الا على مصالحه وامتيازاته فلماذا يتكبد مثل هذه الصعاب والخسائر ؟ اتنا نقول هذا لمن يحاول أن يرمى المقراني بعدم الفيرة الوطنية .

رابعا : كانت السلطات الاستعمارية في هذه الفترة تطبق سياسة تحطيم نفوذ الاسر الكبيرة الجزائرية ذات السمعة والنفوذ في البلاد وبعد ان حصلت على غرضها منها ..

ذلك أن هذه السلطات في بداية الاحتلال حاولت استمالة هذه الاسر والعائلات الكبيرة ، كوسيلة لفرض سيطرتها على البلاد فقربت اليها اسرة اولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني ، واسرة المقراني في بجاية ، واسرة بن قانة في بسكرة والزيبان واسرة بوعكاز بن عاشور في فزجوية ، واسرة أوقاسي في تيزي وزو . ومنحت لرؤساء هذه العائلات لقب الخليفة ، وشيخ العرب ، ومكنتها من امتيازات واسعة .

ولكن بعد أن ركزت السلطات الاستعمارية نفوذها في البلاد ، وتمكنت من تحطيم الكثير من الثورات ، قلبت ظهر المجن لهذه العائلات وأخذت تسعى في الستينات بصورة خاصة لتحطيم كبريائها ، ونفوذها شيئا فشيئا في محاولة اذابتها ضمن المجتمع الفقير الكادح حتى لا يبقى للشعب أى سند اذا ما اراد الحركة . وقد أوضح لويس ربنى هذه الفكرة وأكدها ، وقال بأن رؤساء هذه الاسر لم يريدوا أن يفهموا بأنهم أوتى بهم من أجل خدمة السلطة الفرنسية فقط وأوامرها .

ومادمننا نتحدث عن ثورة ١٨٧١ فلنأخذ اسرة المقراني مثلا لهذا التحطيم . فزعيم هذه الاسرة

محاولة مساعدة صديق أبيه بوعكاز بن عاشور في محنته التي تعرض لها في قسنطينة وفرجيوة في نفس السنة واستدعى الى البرج ليجيب على عدد من الاسئلة بسبب اجتماعه بأبناء عمه في الدريعات في لقاء عائلي وهذا من غرائب الامور ، مما يدل على ان الفرنسيين كانوا غير مرتاحين للباشاغا منذ بداية تعيينه ، والا لماذا كل هذه المضايقة .

وفي عام ١٨٦٨ أسست بمدينة برج بوعزيريج بلدية مختلطة ، عين الليوطان اوليفى رئيسا عليها ، وتقلص نفوذ المقراني واقتصر على تعيينه عضوا بسيطا في مجلسها البلدى . هكذا ، وبهذا الأسلوب ، والخطوات ، تم تحطيم اسرة الباشاغا ونفوذها ، ومن الطبيعى ان يكون لهذه السياسة رد فعل لان الباشاغا ومن على شاكلته وان ارغمتهم الظروف على مسايرة السلطات الاستعمارية والخدمة تحت تصرفها ليسوا حجارا أو تمائيل ، بل هم رجال ذوو احساس وكرامة وطنية قبل ان تكون شخصية ، وذلك من ضمن اسباب ثورة ١٨٧١ على اى حال .

الاسباب العامة للثورة

ان الظروف التي استعرضناها سابقا كافية لان تكون سببا للثورة في مجموعها بعضا يتصل بشخص المقراني ، والبعض الآخر مرتبط بظروف البلاد نفسها اما ما يتصل بشخص الباشاغا ، فتلك المضايقة الطويلة التي امتدت طوال سبعة عشر عاما وزيادة ، وتعرضه لمشاكل مادية ومعنوية لا يمكن تجاهلها ، ومن ضمنها تحديد سلطته ونفوذه واخضاعه لسلطة ضباط صغار قليلي الشأن وتوبيخه برسالة قاسية ، وهو الباشاغا المسوع الكلمة والمطاع في منطقة واسعة من شرقي البلاد .

ولما ما يتصل بظروف البلاد العامة فمنها :

أولا : مأساة المجاعة الحادة الاليمة التي راح ضحيتها الالاف من الجزائريين ، وامتناع السلطات الاستعمارية عن تقديم المساعدات الضرورية للمتكوبين ، مما اقنع الباشاغا بأن هذه السلطات لا يهمها سوى مصالحها . وحفر ذلك جرحا عميقا في جوارحه واحساساته .

الحاج احمد جد الباشاغا ، شارك مع قوات الحاج احمد باي في مقاومة حملة الاحتلال عام ١٨٣١ ، وبقي خارجا عن طاعة الفرنسيين حتى عام ١٨٣٨ ، ثم استسلم بواسطة ضرخة بوعكاز بن عاشور شيخ فرجيوة الى الجنرال غالوا ، فأسند اليه مشيخة مجانة في شهر جويلية . واحتفل رسميا بتقليده منصب الخليفة يوم ٣٠ سبتمبر ١٨٣٨ في قسنطينة بحضور المارشال دوغالي الحاكم العام كما أسند لمنصب شيخ العرب لاولاد بن قنانه في يسكرة . وامتد نفوذ الخليفة المقراني بين مشيخة فرجيوة شرقا ، وحدود شيخ العرب جنوبا ، والقيطري غربا ، وهو الذي سبيل للفرنسيين عبور منطقة الببان بين الجزائر وقسنطينة عام ١٨٣٨ .

وكان مفروضا ان يبقى نفوذ المقراني واسعا ، ولكن سلطات الاحتلال بعد عام ١٨٤٠ أخذت تضغط من شأنه وقوته ، فاقتطعت منه ومن سلطته جانبا من قبائل وادي الساحل ، والوانوغة الغربية ، عينت عليها قيادا جددا تابعين مباشرة لسلطتها ، وأسست عام ١٨٤٩ مركز بوسعادة وعينت فيه ضباطا يشرفون مباشرة على جانب من قبائل الحضنة .

وعندما توفي الحاج احمد المقراني عام ١٨٥٣ عين الفرنسيون في مكانه ابنه محمد بلقب بسيط اقل قيمة ونفوذا من الخليفة وهو لقب الباشاغا . وفي عام ١٨٥٧ عينت السلطات الفرنسية الليوطان كولونيل مارمى حاكما أعلى لمنطقة برج بوعزيريج وضابطا صغيرا في مركز تازمالت الذي انشأه شقيق الباشاغا الاخضر المقراني ، وبذلك ضعف وتقلص نفوذ الباشاغا . وطولب في السعام الموالي بدفع كل اموال المخالفات التي يستخلصها الى خزينة الدولة الفرنسية ، وكان قبل ذلك يحتفظ بها للصرف على غرساته وقواته .

وفي عام ١٨٦٠ نقل مارمى من البرج ، وعين في مكانه ضابط صغير برتبة كابيتان اظهر صلفا تحاه الباشاغا وطالبه بتقديم حسابات مدققة وتقارير عن اعماله الادارية ، والمالية ، في حين ان مركزه لا يسمح بذلك .

وفي عام ١٨٦٤ تلقى الباشاغا رسالة توبيخ قاسية من الجنرال ديفو بسبب

بالديون التي عليه . وتعلم الدرس الاول عن سياسة السلطة المدنية المقبلة وتؤكد ان مصر الشعب كله سيكون على غرار هذا المثال ، وهذه السياسة الفادرة لا محالة ، وهو ما برز في نفسه ضرورة الاعداد للثورة .

خامسا : وفي بداية عام ١٨٧١ حدثت مشكلة ذات مغزى عميق في نفسية الباشاغا فلقد كانت هناك حضرة عمل في البيان تقوم بمد الطريق بين الجزائر وقسنطينة يعمل فيها حوالى خمسمائة عامل معظمهم من منطقة البرج ، وفيهم بعض الاوروبيين اسبان ، وايطاليين وغيرهم ، ومارست السلطات الاستعمارية سياسة التفرقة بين العمال فالأوروبيون تدفع لهم اجرا عالية ، وتجنّبهم الاعمال الشاقة ، والجزائريون تشغلهم ساعات أطول بأجور أقل من الأوروبيين ، وأكثر من هذا انها امتنعت عن دفع أجورهم . وحدث أن قتل أربعة عمال أوروبيين في الغابة المجاورة لحضرة العمل ، مصدرت الأوامر بإيقاف العمل وإعادة العمال الى قراهم ، واضطر الباشاغا أن يدفع من ماله الخاص تسبيلات للعمال ، وأكثرى لهم الدواب والاحمرّة لحمل أمتعتهم الى البرج تحت حراسة أخيه بومزراق وحاولت الدعاية الأوروبية أن تلصق التهمة بالباشاغا ، وقد اعترف ريني بهذا الحيف وهذه الحقائق وأكدها ، وأثرت هذه الحادثة تأثيرا كبيرا على الباشاغا وزادته ايمانا بالنية السيئة للسلطات الاستعمارية تجاهه وتجاه الشعب .

وعمل الباشاغا الآن في المجال الوطني تجاه عمال حضرة اشغال البيان ، وموقفه من منكوبي مجاعة ١٨٦٩ ، تكفى وحدها لتدحض دعوى كونه رجلا اقطاعيا لاهم له الا الحفاظ على مصالحه وامتيازاته ان الذى يشعر بأساة اخوانه ، ويقدم ثروانه فداء لهم ، وخدماته سندا لهم ، في مستوى الرجال الوطنيين المحترمين .

سادسا : اما الذى فجر الوضع وكان كالفيتيل لايقاد واشغال نيران الثورة فهو نداء كريميو وزير العدل اليهودى في مندوبية تور من بوردو الى سكان الجزائر المسلمين في منتصف شهر جاتفى ١٨٧١ عند بداية تطبيق النظام المدني بعد انهيار الامبراطورية وتابوليون ، فقد اعتبر الباشاغا هذا النداء من كريميو اليهودى الرجل البسيط ، تحقيقا

ثانيا : سعى الكنيسة المسيحية لتمسيح يتامى المسلمين بمبالغة في النكاية بالشعب الجزئى ، والاهانة لمقدساته . وبالتأكيد تألم الباشاغا لذلك وزاد في احقاده وضفائنه ضد الادارة الاستعمارية .
ثالثا : نظر الباشاغا للنظام المدني الجديد الذى أعد للجزئر واعلن في مرسوم ٢٤ اكتوبر ١٨٧٠ ، على أنه تشجيع وتمكين للمعمرين الاوروبيين في التحكم في الشعب الجزائري وقهره أكثر ، خاصة وأن المعمرين كانوا يقومون في هذه الفترة بحملة مسمومة في الصحافة والنوادي ضد الجزائريين وضد النظام العسكرى الموجود . فقد نص مرسوم ٢٤ اكتوبر ١٨٧٠ على ثلاثة أشياء :

— الغاء النظام العسكرى وتعويضه بالنظام المدني .

— الغاء المكاتب العربية التى كان يرأسها الضباط .

— اعطاء الجنسية الفرنسية بصورة جماعية ليهود الجزائر وكانو حوالى ٣٨ الف يهودى . وتأكد الباشاغا ان استلام المدنيين الاوروبيين بالجزائر للسلطة ، واليهود معهم بعد تجنيسهم سيضعف من مآسى للجزائريين ، ولهذا اعلن رفضه للخضوع لمثل هذه السلطة المدنية ، واعلن أنه ، وهو الرجل الذى ينحدر من أسرة شريفة محاربة ، مستعد لان يضع رقبته تحت السيف ليقطعها على ان يطيع بمثل هذه السلطة المدنية .

ولا ننسى أن نصيف هنا ما كان يقوم به بونفالى منذ ديسمبر ١٨٧٠ من محاولة الايقاع بين الباشاغا ، وابن عمه عبد السلام المترانى قائد عين تاغروط ، في محاولة دفعه الى الانفجار .

رابعا : هناك مشكلة الديون التى اقترضها الباشاغا من بنك الجزائر ، والثرى اليهودى مسرين اثناء ازمة المجاعة عام ١٨٦٩ لمساعدة المنكوبين والفلاحين . فقد تعهد الحاكم العام ماكماهون على أن تسددها له الحكومة من ضرائب القبائل اذا ما عجز الدينون عن أداء ديونهم ، مما شجعه على امضاء وصولات باسمه للبنك ، والسمسار اليهودى . ولكن السلطة المدنية التى خلفت النظام العسكرى بعد رحيل ماكماهون رفضت الايفاء بهذا التعهد ، ووجد الباشاغا نفسه في ازمة واضطر الى رهن املاكه للايفاء

لما كان يتوقعه من تسلط المدنيين الأوروبيين على الجزائريين ، واثارت لذلك ثائرتة ، وقال قولته الشهيرة ، ا طرح راسي للسيف لقطع ، ولا اطيع احدا من غير الجنود ، وقرر بصورة نهائية القيام بثورة مسلحة ليحيى شريفنا او يموت كريما شهيدا ، وهو ما حصل .

بؤادر الثورة :

لقد انضج من خلال عرضنا السابق ان الغضب كان عاما وشاملا ضد الاحتلال والسياسة الاستعمارية الجائرة ، التي سلطت على شعب الجزائر الحرمان ، والفقر ، والجهل ، والمرضى ، والجوع ، والطرده من املكه وخيراتهم وثروات بلادهم . وفي مطلع عام ١٨٧١ بلغت الامور ذروتها في التعفن ، والسوء ، والتدهور ، واصبحت الثورة لا مفر منها ، وبقي فقط بروز قائد يترجمها وجدته في الباشاغا الحاج محمد المقراني وسند قوي وجدته في الشيخ الحداد واتباعه . ورغم ان ثورة المقراني لم تنطلق رسميا الا في ١٦ مارس ، الا ان البؤادر الاولى للحوادث بدأت منذ شهر جانفي . ففي شهر جانفي تمرد جنود السبايس الجزائريون في بلدة مجبر قرب بوغار ، وفي الطارف وبوججار وعين قطار ، قرب سوق اهراس ، ورفضوا الذهاب الى فرنسا واوروبا للحرب في معارك لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، والتحقوا بالجمال ، وانضم اليهم افراد قبيلة انماشة وحاصروا مدينة سوق اهراس ، وكان من اسباب هذه الثورة هو تنكسر السلطات الاستعمارية لتعهداتها ، فالسبايس حسب عقود العمل لا يعملون الا في تراب الجزائر ولا يرحلون الى خارجها ، ومهمتهم هي مراقبة القبائل ، وفي شهر فيفري قامت جماعة من قبيلة اولاد عبدون في اليلية بمحاصرة برج المدينة والقوات الفرنسية المتمركزة بها وظهرت حركة ثورية في تبسة وضواحيها كان من زعمائها الكلوئي بينما كان محي الدين بن عبد القادر يتقدم من طرابلس الى نقطة الالتقاء بالشريف بوشوشة وناصر بن شجرة لتنظيم حركة الجهاد .

انطلاق ثورة المقراني :

ما سبق من الحوادث خلال شهرى جانفي وفيفري ، هي بمثابة بؤادر اما الثورة الحقيقية فهي ثورة الباشاغا التي انطلقت في مارس ، ومن غريب الامور ان نرى ايفون لاکوست ، واندري نوشي ،

واندري برنار في كتابهم : الجزائر في الماضي والحاضر ، يعتبرون بداية الثورة هو أحداث جانفي وفيفري ، ويعتبرون المقراني كمنضم اليها فقط بعد ان قامت . ان هذا المنطق لا يتماشى مع حقائق الأحداث ، فلو كان المقراني انضم الى الثورة فقط وليس زعيمها ، فلماذا توقفت بسرعة تلك الحوادث الاولى ؟ ولماذا لم يرتسم الاخوان الرحمانيون في الثورة خلالها ، وبقوا بعداء عنها حتى شهر ابريل ؟ المبرر الوحيد لهذا الادعاء ، هو محاولة الفرانسيين التقليل من شأن المقراني . وثورته بالتبعية . والا فالثورة ثورته ، والعالم عامه ومازال الناس حتى يومنا هذا يسمونه عام المقراني ، وحتى لاکوست ورفيقاه نقضوا انفسهم في نفس الكتاب عندما اكدوا ان الفترة في مارس الى ماي ١٨٧١ كانت ذروة الثورة لوجود زعيمها المقراني ، قبل ان يواصلها الاخوان الرحمانيون بعده .

بعد الاعلان عن قرارات مرسوم ٢٤ أكتوبر ١٨٧٠ القاضية بالغاء النظام المدني قدم المقراني استقالته من منصب الباشاغاوية ، كما استقال ضباط المكاتب العربية ، وماك ما هون نفسه الحاكم العام غضبا من الاتجاه الجديد . ولكن ظروف الحرب البروسية جعلت فرنسا تبقى ما كماهون في منصبه فرجا من المقراني ان يعبر عن اخلاصه بالبقاء في منصبه فقبل دون ان يسحب استقالته .

وفي يوم ٢٧ فيفري ١٨٧١ قدم استقالته الى كل من الجنرال اوجور في قسنطينة ، والجنرال لالمان في الجزائر ، فحاول لالمان تهدئته بأسلوبه الاداري المراوغ تمشيا مع ظروف فرنسا المتدهورة . غير ان الباشاغا كان مصمما على قراره فجدد استقالته مرة اخرى يوم ٩ مارس ، واعاد مرتبه الشهري عن شهر فيفري ، كما اعاد شارة الباشاغا الى وزارة الحرب الفرنسية ، وقضى الايام ما بين ١٠ و١٥ مارس في الاجتماعات المتواصلة مع رجال عائلته وكبار قواده آخرها هو الاجتماع الخرس الموسع مساء ١٥ مارس الذي تقرر فيه اعلان الثورة في صباح اليوم التالي ومع اشراقة شمس صباح يوم ١٦ مارس كان المقراني الباشاغا يزحف على مدينة برج بوعريبيج على راس ثمانية آلاف فارس ومن برج بوعريبيج امتدت الثورة لتشمل معظم البلاد الجزائرية من زكار وشرشال غرب

وارتقاء الاخوان الرحمانيين في الثورة على هذا الشكل اعطى لها دفعا قويا وامتدت الثورة حتى شملت معظم البلاد الجزائرية من جبال زكار وشرشال غرب الجزائر العاصمة ، الى جيجل والقل شرقا ، والى الحضنة ، والمسيلة ، وبوسعادة وباتنة ، ويسكرة ، وتوقرت ، وورقلة ، وعين صالح جنوبا وفوض الثوار الحصار على المعمرين وجيش الاحتلال في معظم مدن الشمال ، مثل : بجاية ، وعين الحمام ، ودلس ، ، وتيزي وزو ، وذراع الميزان ، وغيرها . ولقد اعتبرت السلطات الاستعمارية دخول الرحمانيين للثورة ، خطرا كبيرا جدا ، وحدث لديها رد فعل تجاوز الحد . وكل من كتب على هذه الثورة من الفرنسيين ، الا ما قل ، رعى الاخوان بالتعصب الديني ، وبالعنصرية ، وحاولوا ان يزعوا منهم الروح الوطنية والهدف الوطني ، بل ان البعض منهم مثل فاوتي حاول ان يتهم الاخوان بكونهم مشوشين مدفوعين من قوى اجنبية خارج حدود البلاد . وهو امر مدهش ومدعاة للحيرة .

— اليس الفرنسيون اجانب عن البلاد ، غزاة ، محتلين ومعتدين ؟

بالتأكيد نعم ! والعدو نفسه يقر ذلك :

— اليس الاخوان الرحمانيون ابناء البلاد ؟ اليس اعلانهم للجهاد كفاحا وطنيا صميما يندرج في اطار الكفاح الوطني للبلاد ؟

— بالتأكيد نعم : والعدو نفسه يعترف بذلك .

— هل للاخوان الرحمانيين طموح لشيء آخر غير تحرير البلاد من العدو الاجنبي حتى يرموا بالتعصب الديني ، والخلو من الهدف الوطني ؟

— واذا كان عزيز متهم بخصومته لابن علي الشريف ، فهل لابيه الشيخ امزيان الحداد الطاعن في السن هدف من وراء دفعه لاتباعه الى احضان الثورة ؟ ؟

— بالتأكيد لا لانه اذا اراد السمعة فسمعه طُبقت الافاق قبل عام ١٨٧١ ولا يعقل ان يكون له هدف الطمع في منصب وهو قد تجاوز الثمانين واذا فخرافة اتهام الاخوان الرحمانيين بالتعصب الديني والعنصري ، ما هي الا بهتان ، ومن صنع الفرنسيين الحاقدين والمعاجزين عن مواجهة هذه الحقائق الناصعة .

مدينة الجزائر الى جيجل والقل شرقا ، والى الحضنة والميلية وبوسعادة ، وتوقرت وباتنة ويسكرة وعين صالح جنوبا ، وليس بالامكان في مثل هذه الدراسة القصيرة تتبع الاحداث في التفصيل ولكن الذي لا بد من تكيده هو ان حزم المقراني وحيويته ، ونشاطه هو الذي دفع الثورة هذا الدفع قبل ان يرتقى الاخوان الرحمانيون في احضانها .

دور الشيخ الحداد واتباعه الرحمانيين في الثورة :

ادرك الباشاغا ان الدين سلاح قوى في مقاومة الاعداء ، كما تأكد انه لولا سلاح الدين لنجحت الكنيسة ، ولا فيجري وكل الرهبان ، والقساوسة ، في تمسيح هذه البلاد وتنصيرها . وعلى هذا الاساس سعى اولا لاصلاح ذات البين بين زاوية صدوق وباشاغا شلاطة ابن علي الشريف قبيل اعلان الثورة بعدة اسابيع ، ثم لما أعلن الثورة ادرك ان اقتناع الشيخ الحداد بمبدأ الثورة سيزداد الحركة بعشرات الالاف من المجاهدين الابطال ابناء زاوية صدوق ، وهو ما حصل .

فبعد انفجار الثورة في مجانة والبرج صباح ١٦ مارس توالى رسل الباشاغات الى صدوق لاقتناع الشيخ امزيان الحداد بمبدأ الثورة . وهو رجل مسن يزيد عمره على الثمانين آنذاك ، ولم يخرج من خلوته منذ عدة سنوات . وفي يوم ٦ ابريل حل بصدوق آخر هذه الوفود من المقراني الباشاغا ، وفي اليوم الموالي استدعى الشيخ الحداد مقدميه بالمنطقة ، للتشاور ، وفي صباح يوم ٨ ابريل احتشد بصدوق عدد كبير من اتباع الزاوية ، وخرج لأول مرة منذ عدة سنوات الشيخ امزيان من خلوته متكئا على كنفى ابنه : الشيخ عزيز والشيخ امحمد وصلى بالناس ، ودعا بالنصر ، ثم اعطى اشارة الضوء الاخضر لاتباعه ليقتحموا ميدان الجهاد المقدس في سبيل الله وتحرير الوطن .

وكان هذا اعلان مرحلة ثانية وكبيرة وخطيرة في ثورة الباشاغا المقراني الى عام ١٨٧١ ، اذ في خلال نصف شهر من اعلان الجهاد بصدوق انضم الى الثورة وحركة الجهاد اكثر من مائة وخمسة وعشرين الفا .

تزعّمها ليست الا وسيلة للعمل ، وليست تعصبا دينيا ، ولا حربا دينية ، وان القاب والعناوين التي الصقت به مثل امير المجاهدين ، والمدافع عن الدين ، ما هي الا تصورات نتجت من الظروف .

ورابعا : وأخيرا الظروف العامة التي تعيشها البلاد كلها ، من الاقدام على اعادة التنظيم الاداري وتطبيق الحكم المدني ، وتجنيس اليهود الجماعي ، وارهاق الناس بالضرائب والمقارم ، والتهديد بانتزاع اراضيهم ، واعطائها للمهاجرين الاوروبيين بعد هزيمتهم في حرب السبعين مع الالمان ، وما سبق ذلك من مجاعة ، وامراض واوبئة ، واطلاق العنان للصحافة الاستعمارية لتشتم وتهين الشعب وتبالغ في احتقاره واذلاله . وهي امور كلها ذات صلة بالوضع السياسي للبلاد ومستقبلها .

ان هذه الامور لا تستدعي ، ولا تدعو فقط للتمرد والعصيان والخروج عن القانون حسب منطق الاستعمار ، وللثورة حسب التعبير الوطني الصحيح ، وانما تستلزم ان يجمع المستعمرون كلهم ويصب عليهم البترول وتشعل فيهم النيران ، ويشرب دماء البعض منهم احياء .

فكيف يقال اذا ان الاخوان الرحمانيين ، متعصبون ، عنصريون ، قاموا بحرب دينية غير شريفة او غير وطنية ، وكيف سمح المفكرون الفرنسيون لاقلامهم ان تكتب مثل هذه الشعوذة والاباطيل ، والتزييف على التاريخ ، ان الذين مارسوا الحرب الدينية غير المقدسة ، والغير الشريفة هم الفرنسيون منذ حملة الاحتلال ، وتحويل جامع كتشاوة ومعظم مساجد الجزائر الى كنائس يشهد بذلك ، واستغلال لافيجري لمأساة المجاعة عام ١٨٦٨ من اجل تنصير أبناء المسلمين الايتام يشهد على ذلك . غير ان الفرنسيين كما يقول الاثر ، يرون القذا في عيون غيرهم ، ولا يرون اشجار الزان في عيونهم هم انفسهم . ولقد جاء الوقت لتكشف الحقائق التاريخية ، وليعرف العالم وتعرف الاجيال المسخ الفرنسي الاستعماري الذي مارسه الفرنسيون في كل الميادين بهذه البلاد .

يحي بوعزيز

استاذ بالثانوية الفنية — وهران

اننا نقول : اذا كان الجهاد من اجل تحرير الوطن وطرد الاعداء ، تعصبا دينيا ، فنحن نرحب به ، ونتشرف بان نوسم به نحن واجدادنا ، واحفادنا ابد الابدين . واذا كان استغلال الروح الدينية من اجل استنهاض الهمم لطرد الغزاة المعتدين على الوطن والبلاد ، تعصبا دينيا ، فنحن نرحب به ، ونتشرف بان نوسم به نحن واجدادنا واحفادنا . اكثر من هذا هناك امور واضحة عامة ، وخاصة ،

تزيل كل غموض ، حول ثورة الاخوان وتقتضى عنهم هذا التعصب الديني والعنصري .

فاولا : تحامل ابن على الشريف يشاغا شلاطة ، وتطاوله على اخوان زاوية صدوق ، ودفعه السلطات الفرنسية لاذيتهم ، وتسليط الاهانة والمذلة عليهم لا لشيء الا لكونهم يتسمون بالروح الديمقراطية ، ويمثلون الطبقة الكادحة ، ويرون في شيخهم بصدوق الرجل الملهم الذي لا يتصف بالمظاهر الاقتطاعية الارستقراطية التي يتصف بها باشاغا شلاطة الذي لم يتورع حتى على رميه وعائلته بكونهم ابناء حداد لا قيمة له ولا وزن ولا نسب . ولكن عزيز يتصدى للرد عليه في مذكراته ، ويثبت العكس بأنه هو الذي لا اصل له ولا نسب وهو ما ذكره الكولونيل روبيش واثبته ريني كذلك وغيرهما ، وفي هذا المعنى قال عزيز بأنه لا عيب في ان ينحدر الانسان من جزار او خهايس او حداد ، او حمال ، وانما العيب ان يجهل الانسان اصله .

وثانيا : السلوك السيء الذي كان يتبعه القواد والموظفون وضباط الجيش تجاه الشعب خاصة الاخوان وهذا الموقف اوضحه عزيز في رسالته الى ريلهاك . حاكم بجاية الفرنسي بتاريخ ١٤ جوان ١٨٧١ حيث اكد له ان السياسة الاستعمارية المتغطرسة هي السبب في ثورة الاخوان ، وذكر مثلا كذلك ما شاهده اثناء زيارة ولد ابن على الشريف لقرية صدوق حيث تحمل الناس عبء استضافته اربعة ليال كاملة فوق طاقتهم .

وثالثا : الازواج الاقتصادية والاجتماعية السيئة التي كان عليها الشعب خلال تلك الفترة ، والتي لا مخرج منها الا بطرد المحتلين ولو باستغلال الروح الدينية وهنا نجد عزيز نفسه في مذكراته خلال دفاعه في محكمة قسنطينة يوضح هذا الامر ويبينه بصورة جلية حيث قال بأن الحرب الدينية التي

الشيخ ابن الحداد الصوفي

الشار

عمار الطالبي

سادت ظاهرة التصوف المجتمع الاسلامي في القرن الثالث عشر الهجري (القرن التاسع عشر الميلادي) فانطوى الناس على انفسهم ، ونضبت القوة الخلاقة للحضارة ، واستنفدت طاقتها المبدعة الموجهة للتاريخ ، وانطمست معالم الحركة التاريخية الحية ، واصبح المجتمع الاسلامي مجتمعا ساكنا ، منطويا على ذاته ، سادرا في غفلة عن العالم وعملياً في غفلة ، فتقسمة الاستعمار ، واكله من اطرافه ونفذ الى قلبه ، وقبض على شرايين الدم فيه ، فسقط امامه صريحا في شتى ميادين الحياة في السياسة والاقتصاد وفي الثقافة ، وكان المنهج الصوفي قد تحنط وجهد ايضا وتوقفت الاخلاقية الاسلامية ذات الحركة المبدعة فاضحت خامدة مجمدة في رسوم وفي مظاهر فقدت كل حياة ، وكان شعار الناس « اعتقد ولا تنتقد » « سلم للرجال » ورغم هذا كله فان التقوى الاسلامية التي ران عليها ركام من الظلمات بقيت كالنار تحت الرماد حتى اذا ما هبت عاصفة ورفعت شيئا من الرماد اتسقت شعلة ، وثار وميض نار ليحرق الظلم والظالمين ، ولكن ما يلبث ان ترتد عليه اكوام اخريات من الرماد فيبقى دون غرضه ، ومعنى ذلك ان التقوى الاسلامية كامنة لم يات عليها العدم المحض وان علتها طبقات من ظلام ، وغشاها جلاب قاتم من الهمود .

ومن القلوب التي كمن فيها التقوى واستقرت بين جوانحها ومضات الايمان وانوار اليقين بالله ، قلب صديق ولد في جبل اشم في قرية صدوق الاعلى ليشرف على القلوب ، وليحرك النفوس الى العلو ، وليرفعها الى المعاني المتعالية معاني الجهاد ، ودفع لظلم ، وليعلم الناس اصول الثورة وليبين لهم ان الجهاد ماض الى يوم القيامة ، مفروس في نفس الانسان المسلم ، وان يكتب لاية قوة ان تقهر ، ولا ان تطفئ نوره لانه نور خط بالنور ، وحفظ باللهب .

المقبرة بالقبائل وأصدر الامر لنا بدفنه في هذا الوقت بقسنطينة (٣) ولكن السلطة الفرنسية أبت أن تنفذ وصيته لفزعها من رجوعه ميّنا إلى قريته، وعمره ثلاثا وثمانين عاما (٤) وكان قد أخذ الطريقة الرحمانية التي نشرها في تلك المواطن من بلاد زواوة الشيخ محمد بن عبد الرحمن القشطلوي الجرجري الأزهرى (١١٢٦ - ١٢٠٨ هـ / ١٧١٥ - ١٧٩٣ م) الذي أخذ بدوره الطريقة الخلوتية عن شيخه الأزهرى المسمى بالشيخ الحفناوى (٥)

وعندما عاد محمد بن عبد الرحمن إلى الجزائر أصبح شيخا كبيرا في التصوف وتبعه الناس وأخذوا بمنهجه . أما ابن الحداد فانه لم يأخذ هذه الطريقة عن شيخها محمد بن عبد الرحمن مباشرة وإنما أخذها عن تلميذه فتلقاها عن الشيخ الحاج عبد القادر بن المختار التفيشي الذي تولى بعد وفاته محمد بن عبد الرحمن أمر خلافته (٦) ولكنه اختلف معه بعد ذلك وأخذ أيضا على الشيخ على بن عيسى وذكر أنه لازمه ثمانية عشر عاما طلبا لخلاص نفسه من عللها فعالجه ولكنه لم يلبث أن تركه عيلا وتعلمذ على شيخ آخر هو تلميذ على بن عيسى يدعى الحاج المهدي السكلاوي اليراتني الزواوى (٧) وأصبح بعد ذلك كله الشيخ الحقيقي للطريقة الرحمانية وبلغت شهرة تقواه الافاق . أما قريته فهي قرية صدوق أوغله (الأعلى) واقعة في جبل سيدي على أوشتوق المقابل لسلسلة جبال اكفادو وهو جبل مشرف على واد جميل وبهذه القرية منزله وخلوته التي كان يتبعد بها ، وبجدارها طاقة تؤدي إلى الخارج كان يمد منها يده ليأخذ المريدون عنه العهد ، ويدل ذلك على كثرة المريدين كما يوجد بهذه الخلوة رغوف للكتب من حجر الصوان ويقال ان هذا المنزل الذي توجد به خلوته مضى عليه أربعة قرون ، وقد كتب ابن الحداد على حجر في جدار الخلوة هذه الآية (ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف) كما يوجد بهذه القرية مسجد بناه الشيخ ابن الحداد وبه مصلى خاص بالنساء ، ويوجد داخله مصباح حديدى يرجع إلى عهد ابن الحداد نفسه ، وقد أخفاه أهل القرية عن الفرنسيين في زمن الثورة، وأعيد للمسجد بعد الاستقلال وهو مصباح يضئ بالزيت ، ان الفرنسيين حولوا هذا المسجد إلى مكان للتعذيب وهذا يدل على مدى احترام الفرنسيين المتحضرين لاماكن العبادة ! ! .



القرية التي اعلن فيها ابن الحداد الجهاد

ترجمة ابن الحداد

يدعى محمد أمزيان بن على بن الحداد ويكنى بابن الحداد (١) ولد كما اشرنا الى ذلك في قرية صدوق الاعلى في سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩٠ م) وتوفي ليلة الثلاثاء أول ليلة من شهر ربيع الأول سنة ١٢٩٠ هـ (٢٩ أفريل ١٨٧٣ م) ودفن بمقبرة قسنطينة رغم انه أوصى أن يدفن في مقبرة أسلافه بقرية صدوق قال ابنه عزيز: (وقد دفن وسط مقبرة المسلمين بقسنطينة عشية يوم الثلاثاء وأحسن له (٢) علماء البلد وخاصتهم وعامتهم وشرفوا قدره بما يناسب أمثاله من حضورهم للصلاة عليه وتشيع جنازته بالذكر والدعاء والصدقات فجزاهم الله تعالى خيرا واجزل لهم ثوابا واجرا ، ورفع لهم في الملا الاعلى ذكرا عن فعلهم الحسن بولييه لقول الجليل في محكم التنزيل : « هل جزاء الاحسان الا الاحسان » وذلك بعد ما كنا عزمنا على ارساله إلى مقبرة أسلافنا بقرية صدوق من بلاد القبائل في ضريح اجدادنا كما أوصانا رحمه الله تعالى بذلك فاذا بحاكم الجزائر الكبير عجز عن ارساله لتلك

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

يقولون الحمد لله البشير لرحمة ربنا الجواد على من يات به على الجهاد علمه الله بلطفه الخفي وحال له في الترحيل والهيعة

الصفحة الاولى من
مخطوط رسالة في التصوف
للشيخ الحداد

الحمد لله الذي بدأ الدين محمدًا وختمه بمحمدًا وجعله عز بن الذي من اختص به هذا الله وذكره شغله والهاء
حتى كاشفه بعيسى عليه السلام أو لا على محبوب غيره اعماءه واغناؤه ثم شهادته جلاله وحاله عن حبه غيبه والعداء
ثم كماله من مقامه الى اعلاؤه الى حيث شاء الله ومع ذلك لم ير لنفسه خطا ولا فدايا بل يجرى ويكشف
له في كل مقام انما تصفت بكما بين عديده وقد اجمع غويصة ولا تخلص له من ذلك الله فلم يحصل امر ولا فتوى بل كان
يس ذلك قواما بجمع بين الشريعة والخفية وتاميا برسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة والسلام
على من ختم به الرسالة وشرقه على جميع الانبياء وجعله غليظتهم في الارض واما مع في السماء صلاة وسلاما
حاديثي لا يخطعان ما دام ملك الله ورضي الله تعالى عن اهل وازواجه واصحابه وانبايهم با حسنا الى يوم النجاة والهيعة
وعلى الذين اتبعوا اجد **وبعد** فعدا ذكرنا الزمان الذي وصفه المصطفى صلى الله عليه وسلم
وسلم بقوله لم يبق من الاسلام الا اسمه ولا من الغزاة الا رسمه بل لا ريب وقد شاهدنا ذلك في كل قطر وفي كل
مصر بلغ اليه علمنا فتجدد هم يدعوه مسلموه وهم يملوه ولا يصومون ولا يزكون ولا يجرون عنه الا ستمائة ولا
يوصون بلاته ورسله حق الايمان فان فعلوا ذلك او بعضه فعلى غير وجه شرعي بكل ما خالف الشرع وهو
باطل فان صلوا لم ياتوا بشروط الصلاة وان كانوا جرحهم يتنلسون الغسل والوضوء قبل الاستبراء او بعده
مع عدم ذلك والتعميم الواجبين اما التعميم فلا اعلم فيه خلافا في مذهب مالك رضي الله عنه اما
فيبلغ مسح الرأس في الوضوء واما ذلك فمستهور المذهب الله واجب لنفسه وفيل لا يمال الفاء لكثرة
وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه وهذه الوصف جيمي يدعي العلم ويتعاه حتى اذا نهيت بعضهم عن ذلك
ولمته عليه قال ان المطلوب في الوضوء العجلة والتجفيف ويفسر ذلك بالغير الذي هو الموالاة التي هي الايمان
باجل البوصة والغسل في جور واحد ففسر بالغير المعنى الموضوع له متابقة بالذمة فاختارت بعضهم
العمامة حتى فرطوا في الطهارة فصار بعضهم يغسل الأعضاء دون البعض وبعضهم يلحم الوجه كلها وبعضهم
يصمحه مسحا الى غير ذلك من اباحيل افعالهم المضحكة للشيطان ولم يعلموا ان الحلة التي يتدلى بها اية
كل موبر يدخر مته وقاعدة عظيمة من قواعد دينه وان الطهارة اساسه الله تنبى عليه اركانها من احكم
الاساس استغفر واستغفر عليه النبيان ودام ومن كافلا كما هو مشاهد في الامور المحسوسة وكان الطهارة
مفتاح الصلاة كما في الحديث فمضى لا معتاد له لا يجوز ان يتصور له خول لفوله تجللي واول السبوت من ابوابها
واذا ارادوا الدخول في الصلاة فجعلهم يتحركون الائمة ويبدون لونه بالا استغفار هتلا وبعضهم لا يملك بصورته
انما اكتشفت كاسما اذا كان المكان خاليا او كما يمدون تكبيرة الا اهل مكة الطيبين والحنون في الصلاة عمدا
وجفلا وقد علمت ان الجهل في العبادة كما عمد فيها الا لا يعذر احد فيها لفوله تجللي في سئلوا اهل
الله كرام كتمه لا تجللي **ولس** فوله صلى الله عليه وسلم كلب ابعلم جريضة على كل مسلم

ولا ينحنون

الجبال الشماء ، ورددت صدها ، تلك الصخور
وتعالى في ذلك الوادى الجبيل غلبت اتصلى الجبال
واعاليها وسمعه الناس من كل مكان ، وما لبث
ان اخرجهم الذين تجبروا وطغوا في البلاد وهم طغاة
الاستعمار غصادروا امواله ونهبوا كل ما يملك
ووزعوه على المعمرين .

مؤلفات ابن الحداد

مما ألف ابن الحداد رسالة في التصوف وشرحا
لنظومة ابن راشد (٩) .

تحليل رسالته في التصوف .

تعتبر هذه الرسالة اهم مصدر لتصوف ابن
الحداد وتوجد لدينا من هذه الرسالة نسختان (١٠)
نسخة تفضل الاخ الكريم ابن الشيخ محمد الشريف
مفتش التعليم ببجاية فمكننا منها وهى تقع في ٢٩
ورقة وفي كل ورقة ٣٦ سطرا وحجمها ٢٨ سم x
٢١ سم اولها : يقول العبد الفقير لرحمة ربه
الجواد محمد امزيان بن على الحداد عامله الله
بلطفه الخفى وخار (١١) له في الرحيل والميعاد :
الحمد لله الذى بدأ السدين ... وآخرها : ووقع
الفراغ من تقييده يوم الاربعاء الرابع عشر من شهر
الله المعظم رمضان وقت الضحى عام ١٢٦١ هـ
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما كبيرا الى يوم الدين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم . وهكذا فان تاريخ تأليف
هذه الرسالة يعود الى سنة ١٢٦١ هـ الموافق لسنة
١٨٤٥ م اى انه ألفها قبل وفاته بثلاثين عاما اما
الناسخ فهو محمد الطاهر بن محمد السعيد بن
اسماعيل بن على الزواوى نجل محمد والحاج قرية
تفريت نيح الحاج عرش بن عيسى المنصوري
الوغيليسى البجائى الذى ينتسب للطريقة الرحمانية
وتاريخ نسخها هو الخميس ١٠ ربيع الثانى سنة
١٣٩٧ هـ وجاء في وصفه لمؤلف الرسالة قوله :
(العلامة امام السالكين وقدوه العارفين وخاتمة
المحققين حامل لواء الشريعة والحقيقة شيخنا
ووسيلتنا الى ربنا سيدى محمد امزيان ابن الحداد
رضى الله عنه) (١٢) وكتب بخط واضح . اما
النسخة الثانية فقد مكنى منها تلميذى سابقا

ولابن الحداد زاوية اسفل القرية غير ان السلطة
الاستعمارية حولتها الى مدرسة بعد ان القت
القبض عليه وقد زرنا هذه الاماكن ، وشاهدنا هذه
الاثار بنزل الاخ المناضل وزير التعليم الاصلى
والشؤون الدينية الذى تكرم فأوفدنى بمعينة الاخ
عثمان شيبوب وسليم بن الحفناوى هالى الذى صور
هذه الآثار التى يراها القارىء على صفحات هذه
المجلة وذلك حرصا من الاخ الوزير على احياء
التراث وبعث الامجاد .

وقبل وفاة ابن الحداد أوصى ولديه محمد
(بفتح الميم الاولى) وعزيز (بضم الميم وفتح
الزاي) (٨) بسبع وصايا وان كان يحيط ببعض هذه
الوصايا الشك وقد كان للشيخ ابن الحداد دور
كبير في ثورة ١٨٧١ ، اذ انه خطب في جموع شعبية
حاشدة اثر الصلاة وأعلن الجهاد في سبيل الله ،
وفي سبيل نصرته دينه ، ونصرة المسلمين ، ورمى
بعضه انى الارض وهى اشارة الى التهيب والقاء
الرعب في قلوب الاعداء كأنها عصا موسى التى تبتلع
كل ما صنعه السحرة من الاعيب زائفة وسطوة



منزل الشيخ ابن الحداد على حاله القديم

مفتعلة ، ودعت الجماهير ، وسألت الله النصر
والتأييد فأوقد اعلان ابن الحداد للجهاد امام
الجماهير ومريدى الطريقة الرحمانية نار الثورة
واشعل جذوتها اذ انه حرك القلوب ودفع النفوس
للنضال ، ومنازلة العدو ، فدوى صوته في تلك

الأوضاع الدينية في ذلك العهد وذكر أن المسلمين بعدوا عن الحقيقة الإسلامية بعدا شديدا وأشار إلى أن أهل المغرب قد سقط عنهم الحج لأن شرطه وهو الاستطاعة غير متوفر (١٥) أما فيما يتعلق بالإيمان فقد أصبح المسلمون - فيما يقول - متقلدين تقليدا ردينا فلا يفرقون بين الرسول ومرسله ولا بين النبي وأصحابه إذ أنهم يعتقدون نبوة الخلفاء الأربعة ويؤمنون بالولاية في بعض الأشجار والأحجار ويكذبون بأحوال الآخرة ، وتجدهم يحفظون القرآن بغير فهم ولا دراية قال ابن الحداد : (وأما القرآن فقد أهمل العمل به أصلا فترى يحضون على حفظ الفاظه دون معانيه المقصودة فلا يحللون حلاله ولا يحرمون حرامه فيزعمون أنهم حملة القرآن وأنهم أهل الله وأحبائه وأنهم لا يضرهم ما هم فيه من المخالفة مع حفظهم له قال الله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) الآية وقال : (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) وقال تعالى : (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) (١٦)



مصباح زيتي في عهد الشيخ ابن الحداد

وشرح انتشار البدع والضلالات والانحراف عن العقيدة الصحيحة الأصلية ، وبعد الناس عن الكتاب والسنة فقال : (وانتشرت البدع وقامض بحرهما في الأرض كلها فلم تخل بلدة ولا قرية بل ولا بيت من بدع شتى ، وشاهدت ذلك بنفسى ...) (١٧)

وصديقي الأخ حسيني عبد الرحمن الاستاذ بالتعليم الثانوي مشكورا وهي نسخة تقع عن ٤٥ ورقة في كل ورقة ٢٣ سطرا وحجمها ٢٠ سم x ١١ سم وأولها وآخرها يتفقان مع النسخة الأولى غير أن تاريخ البراع من تأليفها مسجل في هذه النسخة على أنه كان في يوم الأحد ٢ رجب سنة ١٣٤٧ هـ وهو خطأ لأن المؤلف مات قبل هذا التاريخ ، ويبدو أن الناسخ أخطأ في كتابة رقم ٢ فكتبه ثلاثة وبذلك يكون المؤلف قد أتم هذه الرسالة في سنة ١٢٤٧ هـ الموافق لسنة ١٨٣١ وهو مخالف لما سجل في النسخة الأولى ، أما الناسخ فهو أحمد بن عبد الرحمن بن الحاج السعيد بن حمان وعلى بن محمد البهلولي الأمليكي من قرية تحرفت في أعلى زاوية مجاجة وهو أيضا من أخوان الطريقة الرحمانية وقد نسخها في يوم الخميس ٢٠ شعبان سنة ١٣٠٤ هـ الموافق ليوم السبت ١٤ ماي ١٨٨٧ م وتمتاز هذه النسخة بما حوته من تعاليل على هوامشها ومن المقابلة على الأصل وهي أقدم من الأولى أيضا .

تتكون هذه الرسالة من مقدمة في الاعتقاد ومن ١٢ بابا ومن خاتمة ، غالباب الأول في الترغيب في ذكر الله ، والباب الثاني في الترهيب والتحذير من تركه والباب الثالث في فوائد الذكر والسبب الرابع في الجهر بالذكر الباب الخامس هل الذكر أفضل أم التلاوة الباب السادس هل الذكر أفضل أم الفكر الباب السابع في آداب الذكر الباب الثامن في ذكر بعض أحوالهم الطارئة عليهم الباب التاسع في المشيخة وما يتعلق بها الباب العاشر في التلميذ وطلب الاستاذ ، الباب الحادي عشر في موت الشيخ الباب الثاني عشر في الفرق بين الأبرار والمقربين أما الخاتمة فتشتمل على مسائل مفترقة (١٣)

بين في غاتحة هذه الرسالة رسالة المسبيين الاعتقادية والاجتماعية وما وصل إليه الإسلام من غربة عن أهله ، وذكر أنه لم يبق من الاسم إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه وقال : (بعد شاهدنا ذلك في كل قطر وفي كل عصر بلغ أنيه - أما فتجدهم يدعون مسلمين وهم لا يعملون ولا يصومون ولا يزكون ولا يحجون عند الاستطاعة ولا يؤمنون بالله وزسوله حق الإيمان فان فعلوا ذلك أو بعضه فعلى وجه غير شرعى ...) (١٤) وأخذ في نقد

فقهاء المذهب المالكي ، واحتاط ابن الحداد أكثر فنقل لنا عن زروق الفاسي رأياً يذهب فيه الى انه لا ينبغي الاعتقاد فيمن لم يتحقق من علمه ، ولم يتأكد من سلامة ديانتهم ، وان كان قد أكثر من نقل النصوص التي تدل على معنى التسليم لشيوخ التصوف وعدم نقدهم وتجريحهم ، وذهب الى رأى ابن عبد السلام الذي قرر ان معرفة الولي أصعب وأشد من معرفة الله تعالى) ولكن تساهل من ناحية أخرى في تحديد معنى الولي فذهب ابن الحداد الى القول : (بأن كل مؤمن يوحد الله تعالى ولا يشرك به شيئاً مع اقراره برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ولي الله بلا نزاع (٢١) ثم عقد باباً في الترغيب في ذكر الله على أساس من الكتاب والسنة واقوال



مسجد الشيخ ابن الحداد الذي بناه بنفسه

المتصوفة مثل ابن عطاء الله الاسكندري في كتابه « مفتاح الفلاح » الذي أورد فيه أحاديث متعددة ترغب في ذكر الله رواها عن مالك وعن عمر وعائشة وعن معاذ بن جبل كما نقل من كتاب نور الانوار للامام الثعالبي الجزائري ومن كتاب « بغية السالك في اشرف المسالك » لابن عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الرحمن بن ابراهيم الانصاري المشهور بالساحلي ومن كتاب « تحفة السالكين » للشيخ السنودي الشافعي . (٢٢)

عصم الله بفضلته وهو يسير جدا وخمدت السنة واندرست رسومها لكثرة الجهل وغلبة اتباع الهوى فانقلبَت السنة بدعة. والبدعة سنة (١٧) كما أوضح ان الولاة والقضاة كانوا من الجهلة المبتدعين اما العارفون بالسنة فقد امسوا غرباء : (غاهل السنة غرباء اذلاء اذا حضروا مجلساً لا يشاورون واذا غابوا عنه لا ينتظرون ، واما اهل البدعة فهم الرؤساء والولاة والقضاة والعمال في كل الاقطار والأمصا (١٨) وذكر السبب الذي دفعه الى تأليف هذا الكتاب وهو غيرته الشديدة على الايمان ثم ان شيخه الذي رباه وكونه وهو الحاج المهدي السكلاوي الراتني وهو شيخ من شيوخ بني يرائن ولادة ونشأة اثار عليه ان يكتب تقييداً يرد فيه على الفقهاء الذين تمسكوا بالظاهر وانكروا على المتصوفة بعض الامور التي يستخدمونها في مناهجهم الصوفية فآلف في الرد عليهم معتمداً في ذلك حسب رايه على صريح الكتاب والسنة وكلام ائمة الشريعة، منتصراً للصوفية مقيماً لهم الحجج والادلة منكراً على اهل الظاهر والغفلة على حد تعبيره (١٩)

اما المقدمة التي ذكر فيها مسألة الاعتقاد فقد قصد فيها الى اثبات نظرية المتصوفة في تربية المريدين حيث ذهبوا الى ان المريد ينبغي له ان يعتقد ويسلم ، ولا يجوز له ان ينقد او يعارض وهذه النزعة تنسجم مع مذهبهم في المعرفة التي تعتمد على الذوق والبصرة لا على الاستدلال العقلي ولا على النقد والتحليل لان النقد يتنافى مع الروح الصوفية التي لا ترى للعقل أهمية في طريقها ولذلك فانه أورد قول أبي مدين التلمساني وهو : « اعتقد ولا تنتقد » وهي العبارة التي كان ابن باديس ينكرها ويرد عليها لانها لا تربي العقل ، ولا تعلم المنهج السديق في المعرفة ولكن ابن الحداد بين انه اذا وجب الانتقاد فليكن على شرطه وهو عدم الاضرار كما ان الاعتقاد لا يجوز ان يعتمد على الاعزاز بالرجال ولا ان يبنى على مجرد التسليم للرجال ، ونقل عن الفقيه ابن عبد الله المغربي قوله : (ان مبني التصوف على التسليم ومبني الفقه على البحث والتحقيق) (٢٠) فالاصل الاخلاقي في التصوف هو حمل الناس على حسن الظن حتى يبدو منهم ما يثبت خلافه اما الاصل الاخلاقي عند الفقهاء فهو حمل الناس على غير العدالة حتى تثبت عدالتهم ، وذلك حسب نظرية

ان الذكر عنده سبب المحبة وهو يؤدي الى المراقبة التي توصل صاحبها الى مقام الاحسان زيادة على ان الذكر يزيل الهم والغم من القلوب ، ويجلب الفرح والبهجة ويفتح باب المعرفة في القلب وهو قوت الارواح كما ان الغداء قوت الاشباح والاجسام ، ويجلى القلب ويذهب عنه الصدا والغفلة والوحشة القائمة بين العبد وربه (٢٣) وأشار ايضا بهذا الصدد الى بعض العادات الاجتماعية السيئة في عهده وهى شطح الرجال مع النساء في الاعراس فقال : (الذى عمت به البلوى وجرت به عادتهم الفاسدة في البلد ... وعدم الحياء بالغناء والفسق والفواحش في المحافل) (٢٤) وتعمى عليهم هز البطون في الرقص وما الى ذلك من العادات السيئة في ذلك العهد .

وتجدر الإشارة ايضا الى انه نقل من كتاب الشيخ السنوسى التلمسانى المسمى « بنصرة الفقير في الرد على ابي الحسن الصغير » (٢٥) وأخذ منه عدة نصوص في مواضيع مختلفة من الكتاب (٢٦) واعتد على كتاب « نخبة الفكر في الجهر بالذكر » للحافظ عبد الرحمن السيوطى (٢٧) وانتهى من ذلك كله الى جواز الذكر جهرا واثبت قصيدتين احدهما لابي عبد الله محمد بن غازى والاخرى لابي العباس أحمد بن زكرياء التلمسانى في هذا المعنى (٢٨) ونقل من كتاب مختصر الاحياء للغزالي الذى اختصره ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن الموصلى البلالى (٢٩) كما استدلل على ما ذهب اليه من كلام الغزالي نفسه في احياء علوم الدين حيث رأى جواز الذكر جهرا (٣٠) ومن مصادره كتاب « الجواهر الحسان من تفسير القرآن » للثعالبي وكتاب « عنوان الاسرار المصون في قواعد قوله صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون للشيخ العارف محمد بن محمد على الزواوى النجارى البجائى .

وعقد بابا آخر تحدث فيه على فضل الذكر والتلاوة وهاجم الفقهاء الذين انكروا على المتصوفة الاشتغال بالذكر وترك تلاوة القرآن وذكر ان الفقهاء يقتصدون من عليهم بالظاهر الى الرئاسة والزعامة والى احتقار غيرهم من اهل الحقيقة وذهب الى ان علم الظاهر وعلم الباطن متلازمان فمن اقتصر على احدهما دون الآخر فقد زلت به القدم فقال : (ان الاقتصار على العلم الظاهر دون الباطن فسق ، وعلى الباطن دون الظاهر زندقة وأن الجمع بينهما

كمال وتحقيق ولكن الجهل مهلك لصاحبه) (٣١) ونقل نصوصا وآراء من كتاب « الاسئلة والاجوبة » للشيخ احمد بن يوسف المليانى ومن كتاب البغية لابي عبد الله الساحلى الذى قسم الناس الى طبقتين عامة وخاصة والخاصة الى صنفين فقال : (واما الخاصة فعلى قسمين اهل بداية واهل نهاية اما اهل البداية فهم الذين اخذوا في تخليص انفسهم من شوائب الاهواء وتطهيرها من دنس الشهوات بطبها من علل متعلقاتها مجاهدة على سبيل الرياضة تربية وتديرجا وسلوكا على طريق التزكية والتحلية بذكر الله تطمئن القلوب) (٣٢) ورأى ان سر القرآن ولبابه ومقصده العميق انها هو دعوة الانسان الى معرفة الله وتحريك النفس لتتصف بمعنى التوحيد الذى يجذب القلب الى المعرفة الحقيقية ، والذكر انما هو تطهير النفس من كدوراتها لتشرب من عين الصفاء ويكون ذلك بالطريقة الذوقية والتربية الحكيمة (٣٣) وحلل طريقة رسوخ المعانى في النفس وبينها بيانا تحليليا جميلا يدل على مدى غوص الساحلى في اعماق النفس وعلى تجربته للمعانى الروحية العميقة وفرق بين الاثر العلمى في النفس والاثر الذوقى فيها . اما اهل النهاية فهم الذين رسخ سر التوحيد في بواطنهم ويتلمحون ذلك السر في كل تصرفاتهم (٣٤) وهناك قسم آخر يسميه بأهل التمكن وللمتصفين بالتمكن حالان حال الاستغراق وحال الصحو ثم أخذ بعد ذلك فى عرض رأى ابن عطاء الله السكندرى والغزالي فى مسألة الذكر والتلاوة وفى بيان اهمية تلاوة القرآن وتفهم معانيه واسراره فى تربية النفس وتطهيرها والسمو بها الى المراتب العليا من الصفاء والمعرفة والمحبة وأوضح ابن الحداد ان الانكار التى تتعلق بأسماء الله السبعة فى طريقته الخلوتية انما هى اذكار قرآنية ، وأطال فى نقل نصوص من كتاب الاحياء للغزالي (٣٥) وفى المقارنة بينه وبين كلام الساحلى (٣٦) وجاء بمذهبه فى الذكر والفكر وإيهما افضل فأورد نصوصا من رسالة القشبرى عن ابي الحسن السلى الذى ذهب الى أن الذكر افضل من الفكر (٣٧) بيد أنه نقل من كتاب اختصار الاحياء للغزالي لمختصره ، البلالى ان الفكر غاية الذكر ولله ومن ثم فهو اولى وأحرى بالصوفي الحقيقى (٣٨) وبين ابن الحداد ان الخلاف بين انصار الفكر وانصار الذكر خلاف لفظى اذ ان كليهما بصقل القلب ويؤدي

الى معرفة النفس والى معرفة الخالق (٣٩) وحلل رأى الصالحى فى ذلك وائسار الى تأثر الثعلبى الجزائرى به ونقله عنه فى تفسيره الجواهر الحسان .

ثم اورد آداب الذكر وذكر ان اساس الطريق انما هو الادب واتى بنصوص من كتاب « الامر المحكم المربوط فيها لاهل الله من الشروط » لحنى الدين بن عربى ، ورجع الى رسالة القشبرى وشرح احوال الذكر المختلفة وبين مذهب الشيخ مصطفى البكرى فى حاشيته الوصية الجليلة وذهب الى ان الاهتزاز فى حال الذكر يدل على ان صاحبه ذو شوق وغرام وان التمكن فى ذلك دليل على الوصول اما عن طريق المكابدة الشديدة مع العنابة الالهية واما عن طريق محض الجود الالهى ويبدو ان الشيخ ابن الحداد يدافع عن الاهتزاز متأثرا فى ذلك بشيوخه وشيوخ التصوف عامة فى ذلك العصر (٦) واستعرض رأى الشيخ السنوسى التلمسانى وجلال الدين السيوطى فى هذا المجال ثم اتى بقصيدة تنسب لابى مدين التلمسانى فى الوجد والشوق .

رغم تأثر ابن الحداد بالتصوفة فانه هاجم اصحاب البدعة منهم وأوضح انهم على ضلال فى كثير من الاشياء التى اتصفوا بها فى عصره فقال : (ولقد رايت كثيرا من الناس يعتقدون النولاية فى غير اهلها وهم اهل البدعة الشنيعة كترك الصلاة ومنع الزكاة وترك الصوم والذكر وجميع افعال البر وهم من اهل السحر والشعوذة والمكاشفة لا سيما ان كانوا اولاد الصالحين فيعتقدون على ولاية وشرف آبائهم واجدادهم ويقولون لهم بتسويل انفسهم نحن مسرحون من التكاليف الشرعية وقد كفروا بتجاهرهم على الله تعالى وتكذيبهم بالشريعة المحمدية فلانها جاءت بتكليف جميع العقلاء من غير تخصيص فلا احد اشرف ولا احد ارفع قدرا وجاها من شرفه وقدره وجاهاه صلى الله عليه وسلم (٤٠) ثم اورد مذهب الثعلبى الجزائرى الذى يرى انه ينبغى تاويل اقوال الصوفية المخالفة للشرع لان التأويل فى نظره اوسع وهذا يجعلنا نبعد الثعلبى من دائرة السلفية وندخله فى زمرة المتصوفين الذين يحاولون ان يدافعوا عن مذاهب دخيلة وان يبرروا مخالفة الصوفية للشرع بتاويلها قال الثعلبى : (لا تعترض اقوال الصوفية

وان تجد اقوالهم مخالفة للشرع فاولها وصف القلب من الكدرة والغل والغش لان التأويل واسع (٤١)

ثم اخذ فى الكلام على منهج التربية الصوفية وعلى شروط المربين من الشيوخ معتمدا فى ذلك على محى الدين بن عربى وعلى زروق الفاسى فقسم الشيوخ الى ثلاثة اصناف : شيخ تعليم وشيخ تربية وشيخ افادة وترقية فشيخ التعليم هو الذى تتوفر فيه شروط ثلاثة : (عقل راجح وعلم صحيح ولسان فصيح فبالعلم يهتدى وبالعلم يقتدى وباللسان يبين ومتى بطل واحد منها فلا عبرة به) (٤٢) ويشترط فى شيخ التربية ثلاثة شروط ايضا : (العلم الثابت والذهن الثاقب والسياسة التامة فبالعلم يهتدى وبالذهن يدرك الكمال من النفوس وغيرها وبالسياسة يتصرف) (٤٣) ونقل فى ذلك آثارا عن الجنيدى وعن ابن على الثقفى وابن مدين التلمسانى وابى محمد عبد السلام بن مشيش وابن عطاء وتاج



الخلوة التى كان يتعبد بها الشيخ ابن الحداد

الدين العثمانى فى رسالة بيان الطريقة النقشبندية والمليانى وذهب الى ان أكثر اهل زمانه فقدوا الشيوخ الذين تتوفر فيهم الشروط (٤٤) ثم تكلم على المريدين والتلاميذ معتمدا فى ذلك على أحد شيوخ التصوف وهو البجائى وعلى أبى يعقوب يوسف العجمى الملقب والشيخ زروق فى كتابه الفصول وعبد الله الحضرمى صاحب رسالة المريد ،

والشيخ مصطفى البكرى في رسالة الوصية الجليلة
ورسالة النصيحة السنية في معرفة آداب كنسوة
الخلوية وعلى الفيتة في السلوك وهى التى مطلعها :

واعلم أن نسبة الروحاني

أقرب عندهم من الجسماني (٤٥)

كما اتخذ له مصدرا كتاب تاج الدين الثعالبي في
طريق التقييدية وعلى أبى على الدقاق أيضا
حيث بين ضرورة الشيخ للمريد لأن الشجرة التى
تذبت وحدها لا تنهر كما قال أبو على الدقاق فلا بد في
نظره من السبب فكما أن التوالد والتناسل لا يحصل
بغير نوالد والوالدة كذلك التوالد المعنوى لا يحصل
بغير مرشد وملهم ، ونقل عن عز الدين بن عبد
السلام من كتابه « حل الرموز ومفاتيح الكنوز » انه:
« من لا شيخ له لا قبله له ومن لا شيخ له فالشيطان
شيخه » وما الى ذلك من آراء المتأخرين من
لمصوفة الذين راوا أن الشيخ ضرورة ملحة في نقل
إراث الروحى الى المريدين وذكر الخلاف الذى وقع
بين سح شيوخه محمد بن عبد الرحمن وبين مولاى
الطيب أحد الصوفية المعاصرين له ونقل نصوصا
عديدة من كلام محمد بن عبد الرحمن الجرجرى
الازهرى التى اوضح فيها أن الشيخ الذى اخذ عنه
محمد بن عبد الرحمن التصوف والطريقة الخلوتية
انها هو الشيخ الحفناوى الازهرى المصرى (٤٦)
انه مخالف للحاج عبد القادر بن المختار السديشى
الذى اتى ببعض البدع بعد وفاة شيخه محمد بن
عبد الرحمن وتبين من هذه النصوص أيضا أن الشيخ
ابن الحداد في التصوف هو أحد تلاميذ محمد بن عبد
الرحمن وهو على بن عيسى ومن شيوخه أيضا تلميذ
على بن عيسى وهو الحاج المهدى .

ثم عقد بابا أوضح فيه الفرق بين المقربين
والأبرار وختم الكتاب بخاتمة تتضمن عدة مسائل
نقلها من عدة كتب فذكر مسائله مسند الخرقه ،
ومسألة النفس والروح نقلها عن أحمد المليانى
ومسألة اهل الدائرة ومسائل من رسائل
القشبرى مثل مخالفة النفس والقناعة والاخلاص
والفتوة والبرزخ والتوبة والخوض في التوحيد ناقلها
من رسالة الغزالى السماع بقواعد العقائد
ومسألة الاتحاد والحلول ومذهب أبى يزيد البسطامى
وسهل بن عبد الله القسرى في هذا الصدد .

وبعد غا بن ابن الحداد حاول أن يجمع في
رسالته (٤٧) هذه أهم الموضوعات التى يدور حولها
التصوف وسلوك اهل الطريق ، ودل بذلك على أنه
اطلع على مصادر كثيرة في التصوف سواء ما كان
منها من مؤلفات قدماء الزهاد أو من مؤلفات
المتأخرين من اهل الطريق ولا نستطيع القول بأنه
مجدد في التصوف بل هو سائر على منهج الخلوتية
وهو منهج الطريق الرحمانية التى انتشرت على
يديه وكتب لمريديها أن يشاركوا في ثورة ١٨٧١ وأن
يكتبوا صفحة ناصعة من تاريخ النضال الجزائرى
والذود عن الذات ، وعن المعانى الخوالد التى
غرست جذورها في تلك الجبال الشامخة وامتدت
رسوخا وتأصيلا ، وكل من حاول أن يقتحم عرينها
أصولها في الأرض فلن تبديد ولن تزيدها الايام الا
أنت عليه أسود غابها وسحقته كما سحقته كل معتد
أنهم من قبل .

(١) التعليق على هامش رسالته في التصوف ، نسخة

د ورقة ٢ .

(٢) في الاصل واحسنوا به .

(٣) الوصايا السبع لابن الحداد ورقة ١ ، ولقد تكرم الزميل

سعد الله فمكتنى من نسخة مصورة منها .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) رسالة التصوف لابن الحداد ورقة ١٩ نسخة ش ورقة ٣١ هـ

(٦) ابن الحداد ، رسالة التصوف ورقة ٢١ س ، وذكر أنه كان يزور قبر الشيخ محمد بن عبد الرحمن ، ويجتمع الحاج عبد القادر وأعجبه حال المزخرف .

(٧) المصدر نفسه .

(٨) وقد ضبط ذلك في الوصايا .

(٩) وقف على هذا الشرح السعيد أبو داود مفتش وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بولاية سطيف .

(١٠) واخبرني الشيخ السعيد أبو داود أن لديه نسخة اخرى ناقصة لم اطلع عليها .

(١١) في الاصل وحازوا النصيحة نسخة هـ .

(١٢) الرسالة ورقة ٢٩ ش

(١٣) ش ورقة ٢

(١٤) ش ورقة ١

(١٥) ش ورقة ٢

(١٦) ش ورقة ٢

(١٧) ش ورقة ٢

(١٨) ش ورقة ٢

(١٩) ش ورقة ٢

(٢٠) ش ورقة ٢

(٢١) ش ورقة ٢

(٢٢) ش ورقة ٣

(٢٣) ش ورقة ٤

(٢٤) ش ورقة ٥

(٢٥) توجد منه نسخة في المكتبة الوطنية في الجزائر وفي

مكتبات أخرى في المغرب .

(٢٦) ش ورقة ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٣

(٢٧) ش ورقة ٦

(٢٨) ش ورقة ٧ ، ٨

(٢٩) ش ورقة ٨

(٣٠) ش ورقة ٨

(٣١) ش ورقة ٩

(٣٢) ش ورقة ١٠

(٣٣) ش ورقة ١٠

(٣٤) ش ورقة ١٠

(٣٥) ش ورقة ١٠

(٣٦) ش ورقة ١١

(٣٧) ش ورقة ١١

(٣٨) ش ورقة ١١

(٣٩) ش ورقة ١١

(٤٠) ش ورقة ١٥

(٤١) ش ورقة ١٥

(٤٢) ش ورقة ١٦

(٤٣) ش ورقة ١٦

(٤٤) ش ورقة ١٦

(٤٥) ش ورقة ١٧

(٤٦) ش ورقة ٢٠

(٤٧) ش رمزت اليه الى نسخة ابن الشيخ محمد الشريف

بحرف ش والى نسخة الحسيني عبد الرحمن وهو من أسرة

أبي الحداد بحرف هـ .

عمار طالبي أستاذ الفلسفة بجامعة الجزائر



«
المسلمين
»

أو
المدائيون
الجزائريون
الأولون

« المسلمون »؟ من هم ؟ متى واين ظهوروا وما
هو دورهم في مقاومة الفزاة المتدينين
وبالخصوص في ثورة ١٨٧١ التي نحى نكراها
الماثوية في هذه الاسابيع ؟
هذه هي الاسئلة التي سحاول ان اجيب عنها
في هذه الكلمة :

مبارك الخليجي



المسبلون أو الفدائيون

فهو غير الجندي العادي الذي قد يضطر
أحيانا الى الاستسلام أو الى التصالح المؤقت مع
العدو .

ترتيب الاستبسال ، أو كيف كان يتم هذا التطوع ؟

عندما يحدد الخطر بالوطن ، يشرع أهل
الراى فى تنظيم الدفاع عن عشاثرهم ، ولهذا
كانوا يبعثون مناديا ، ينادى بالجهاد فى المداشر
والاسواق ، فيؤجج العزائم ، ويعلن فى الملا أن
الدفاع لا يكتفى بالمجاهدين العاديين فقط ، بل
يحتاج الى « المسبلين » .

وفى اليوم الموعود يحشد هؤلاء الإبطال ،
فيجتمع الناس من جميع القرى ، وبمحضر
أئمة العشيرة كلها ، وأحيائها ، يسجل

عندما دخل الفرنسيون بلدنا فى جوان ١٨٣٠
أنهار الحكم المركزى فى مدينة الجزائر بسرعة
مدهشة ... ولكن شعبنا لم يرض بهذا
الانهيار ولم يرضخ للاستعمار ، بل انه قاوم
الغزاة المعتدين عشرات السنين : دامت مقاومته
ما يقرب من نصف قرن ! وفى هذه الحقبة
الطويلة من الكفاح بشتى أنواعه ورجاله برهن
أجدادنا على تفانيهم فى حب الوطن . وقدموا آلاف
الشهداء قرابين على مذبح الحرية .

وان اصدق صورة لهذا التفانى واكثرها عبرة
فى تقديرى لهى ظاهرة « المسبلين » التى لم اعثر
على مثلها فى التاريخ الا عند اليابانيين فى صورة
« الكاميكازى » أو عند الفيتناميين فى أيامنا هذه .

فكلمة « المسبلين » نفسها من حيث مدلولها
— ان كانت من مادة « سبل » — فمعناها فى
الاصطلاح—عندنا هو : كل متطوع مستميت
للجهاد يعمل بشعار : النضر أو الاستشهاد .

الضرب من الجهاد ، وينتسب امام الملا ،
ويمسح ذويه ورضاهم .

ب (الشُّروط

قد تتلى عليهم شروط « الاستبسال » (ان
صح التعبير) وتعطى لهم تعليمات الجهاد ،
فيناقشون الخطة التى ينبغى اتخاذها اثناء
المعركة ، ويعين لكل واحد منهم ، مركزه الذى
يجب ان يحتله فيها ، ونوع السلاح الذى
يستعمله ، ومسافتا الكر والفر عند الحاجة ،
ويطلعون كذلك عما لا يجوز لهم اتيانه اثناء
المعركة ، كالاختلاط بالمجاهدين الاخرين ، او
رفع جثمان شهيد منهم ، بل وحتى ابعاد الجرحى
منهم لا يتم الا بأمر من رئيسهم الذى يعينونه
بأنفسهم ، الى غير ذلك من التراتيب الدقيقة
التي تضم أسماءهم .

ثم يؤدون اثر ذلك يمين الشرف على المصحف
الكريم .. ويختتم هذا الحفل بشئ رهييب :
صلاة الجنازة على المتطوعين ، وهم واقفون
واجبون .

في انتظار المعركة

وبعد هذه التلاوة ، وهذه الصلاة الغريبة ،
وفي انتظار الحرب ، يعيش « المسبل » فى كفالة
اهل القرية الذين يقدمون له اطيب طعام ،
وافخر لباس ، وأمضى سلاح . فالكى ينظر اليه
باكبار وتقدير ، كأنه شهيد بعث من جديد !

بعد المعركة

و « المسبلون » الذين يستشهدون اثناء هذه
الحروب ، يدفنون فى مقابر خاصة يقصدها
الناس جيلا بعد جيل ، زائرين خاشعين للرحم
على ارواحهم ، او للتبرك والاقتداء بهم .

اما اراملم وأعقابهم ، فانهم يصيرون فى
كفالة جماعة المواطنين الذين يقومون بالنفقة
عليهم ، ويحترمونهم ايما احترام .

وكذلك الابطال الذين لا يستشهدون ، اما لان
النصر كان حليفهم ، واما لانهم ابلوا من جراحهم
فانهم يعيشون اعزاء بمجلىين ، ولهم الصدارة
فى قومهم الذين يعولون العجزة منهم والمعطوبين

اما « المسبلون » الفارون من القتال — وكان
هذا لا يقع الا نادرا — فانهم يصيرون متبوزين ،
لا ينطق باسمهم احد كأنهم غير موجودين ، بل
لا يكلمهم احد ولا يصاهرهم ولا يتعامل معهم ،
ولو كان من عشيرته الاقربين .

متى واين ظهرُوا

ان « المسبلين » قاموا فى ثورة سنة ١٨٧١
بدور نستطيع ان نعتبره بحق ، مثالا للتضحية
والفداء . فبالرغم من ان هذا المقال ليس مجالاً
للحديث عن دعائم الثورة ، فانى أجدنى
مضطرا الى ان اؤكد هنا . ان الطريقة
« الرحمانية » هى التى ساهمت بالحظ الاوفر
فى تحريك الهمم ، وايقاظ الشعور الوطنى ضد
الغزاة الدخلاء ، ولهذا فجل « المتقدمين »

الرحمانيين ، كانوا بمثابة أئمة حرب في كثير من الانحاء الثائرة .

غفى ناحية ارساء بتي ايرائن تجند « الاخوان » وقام مقدمهم السيد محمد على السخونى بتنظيم الهجوم على هذه المدينة المحصنة التى حاصرها بجيشه اكثر من شهرين ، فأمر فى البداية بحفر خنادق للولوج تحتها الى معقل الدفاع ، كما قذف المدينة بالدفع الوحيد الذى استعمله اجدادنا طيلة هذه الثورة كلها .

ولما فشلت هذه الوسائل ، فكر فى الهجوم ليلا على اسوار المدينة وبفضل « المسبلين » الذين كان عليهم ان يتسلقوها فيحرروا المدينة ويطردوا منها ومن الناحية كلها المستعمرين الفرنسيين ، فحشد ما يزيد عن الفى « مسبل » قسمهم قسمين : الاول تعهد باقتحام الاسوار على السلاالم ، والثانى بدخول المدينة والاستيلاء عليها . فحدد تاريخ الهجوم بليلة ٢٢ مارس ١٨٧١ - ولكن احد الخونة ، دخل المدينة خلسة واخبر اسياده من « البيرو آراب » فتأهب العدو لآبادة « المسبلين » بالحديد والنار .

ولقد وصف احد الغزاة المحاصرين فى المدينة هذه الليلة قائلا : « كانت الليلة هادئة ساكنة ، يخيم على الطبيعة ظلام كثيف رهيب ، لا عهد لنا ببثله من قبل ، لا صيحات ولا طلقات ... ثم بعد ما مضى ، من الليل اكثره تعالت من الفضاء من ناحيتين اثنتين ، اصوات تردد نشيدا دينيا مخيفا ينبئى باقتراب الهجوم ... وفجأة سمعنا فى الشعاب المحيطة بالمدينة تعقمة عظمى ، تبعتها صيحات مزعجة ، وطلقات متتالية ... فتحققنا ان العدو ، وصل الى الخنادق ، وانه يستعد لصعود الاسوار ... ولكننا كنا لهم بالمرصاد ... فحصدناهم بالرشاش حصدا ،

ولجهزنا عليهم بالمدافع طردا ، فكانت وهادهم لهم لحدا ... »

وفعلا فقد سقط فى هذا الهجوم اكثر من ٣٠٠ مسبل ، بقيت اسماء بعضهم حية ، الى ايام حربنا التحريرية .

ولنا مثال آخر من هذا الجهاد ، جرت حوادثه سنة ١٨٥٤ فى ايام السيد محمد بن عبد الله المكنى « ببوغلة » عندما حاول الفرنسيون لاول مرة ان يفتحوا جبال جرجرة التى كانت تتحداهم بشموخها وصمودها ، فحشد الفرنسيون جيوشهم وجلاءهم ، وقرر ببوغلة من جهته بارشاد من الزعيمة الروحية السيد فاطمة نسومر . ان يستنجد بـ « المسبلين » ، فتطوع من اهل الناحية عشرات الشجعان ، اتخذوا اخاديد واسوارا ليربطوا ، وليردوا منها هجمات العدو ، وكانوا موزعين على ثلاثة مراكز ... وعندما استولى الفرنسيون على احدهما بفضل عددهم وعدتهم ، وجدوا ثلاثة من هؤلاء الابطال فى اخدودهم ثابتين ، وفى أرجلهم قيود بها مترابطين كيلا يتقهتر احدهم او يلين ... !

وفعلا فلم يقبلوا بالاستسلام ، حتى سافهم العدو سيفا ، ولكنهم بفضل تضحياتهم هذه صدوا العدو عن الناحية كلها ، فبقيت حرة عددا من السنين ، ولم تقهر الا فى ١٨٥٧ .

ولنا امثلة اخرى كثيرة من هذا الجهاد، جرت حوادثها فى جهات مختلفة من بلدنا ، منها ما يذكره آباؤنا ، فيفتخرون به فى احاديثهم واسماهم ، ومنها ما اختلط فى ذاكرتنا ، فامسى عندنا من اساطير الاولين ، ومهما يكن من امر هذا او ذاك ، وايا كان مصدره وزمانه، فلكم اود ان تجمع كل هذه الامجاد ، لتكون عبرة لاولى الالباب .

مبارك الخليجي استاذبثانوية الامر عبد القادر

الذكرى المئوية

هل جلت ساحاتنا الا رجلا
وكسوه بالبطولات جلالا
ميتة ظلت على الدهر مثالا
لم يسد في الارض من هاب القتالا
ان في تربتها عما وخالا
حقبا شتى واجيالا توالى
وانالوا عدلهم خصما والا
لم يرووه دما رمت المحالا

سل قرى الصفصاف (٣) تصدق للمقالا
وعلى هاماتها راسوا النبلا
عن رجال لا يهابون النزالا
وعلى اشياخها الق السوالا
عزمت لم تهن يوما فلالا
حافظا يملى ولا يشكو ملالا
عن شهادات الاولى سلوا النصلا
و «ابومزراق» (٧) أضراها اثناعلالا
ضربات لم تزل تكسو الجبالا
انه اعلم بالثاوين حالالا

سرهما المدفون اعصارا طوالا
ايها الاحرار ! فانالوا انثيالا
ريحه ، نلق به بحرا تكالالا
لعوادى البطش لم يمصرف كالالا
اوعدوه ، وقضى شهما فلالالا

سائل الصحراء عنا والجبالا
توجسوا تاريخهم تاج على
عشقوا المجد ، فماتوا دونه
علموا الاجيال من احفادهم :

لا تطا ارضك الا ذاكرا
مهجا سالت على هذا الثرى
ورغاة للاولى سادوا الدنى
ان ترم شبرا على رعب بها

سل ذرى «السيد» (١) سل . ميلية (٢)
من ثناياها ومن ادغالها
عج على «البيان» واسال سفحها
وانزل «القلعة» (٤) واطرق حصنها
ان بالقلعة اجداثا حوت
واصعد «البرج» (٥) فلا تعدم به
هذه «مجانة» (٦) سل اهلها
ها هنا «المقراني» احماها لظى
في ذرى «ديرا» وفي «ونوغة» (٨)
قف على «سفلات» (٩) واسال ربعها

ان تزر «صدوق» (١٠) تظلمك على
هزها صوت : الى ساح الفدا
جيش الاستعمار مهما عصفت
في الثمانين تصدى «شيخها» (١١)
جالد الاعداء لم يحفل بما

- (١) جبل في سوق اهراس بدأت المناوشات الاولى في ٢٣ / ١ / ١٨٧١
- (٢) بلدة المليية حيث بدأت المناوشات الاولى في نفس الفترة
- (٣) واد الصفاف قرب عزاية بدأت فيه المناوشات في نفس الفترة كذلك
- (٤) قلعة بنى عباس حيث يوجد ضريح المقراني
- (٥) برج بومريج
- (٦) بلدة مجانة مكان اندلاع الثورة في ١ / ٣ / ١٨٧١
- (٧) اخو الحاج المقراني
- (٨) جبلان الاول بالقرب من سور القزلان والثاني في الحفنة
- (٩) بلدة سفلات بالقرب من عين بسلام حيث استشهد المقراني في ٥ / ٥ / ١٨٧١
- (١٠) بلدة صدوق المكان الذي أعلن فيه الشيخ محمد
- (١١) امزيان بلحداد الحرب يوم ٨ / ٤ / ١٨٧١ هو الشيخ بلحداد

ثورة ١٨٧١

شعر: عمر شكيري

مل الى « المداد » (١٢) وانزل دوحه
« مالكا » (١٣) اكرم به من نائر
تواما حرب وخلصا غارة
اقسما لا يعرف الطرف كرى
اقسما نفسيهما في غمرة
وتبارى القوى في سحق العدا

اججوا الحرب فعادت جذعة
وسرت كالنار في جنح الدجى
ركزوا الرايات في اجبالهم
ناصر (١٥) يوغل في غاراته
نو مرؤات تقيبا ظلها
كانت الصحراء ظلا وارفا
طحنتهم لم تدع فيهم فتى
عصفت بالخصم « اغواط » (١٧) وعمو
ورمت من نخلها ظلا ومن اعذا
وغدت تحنو على اينائها
ايها السائل عن امجادنا
عزة الماضى ، تلاها حاضر

تلق بالمداد من صال وجالا
واخاه (١٤) فى الوغى انعم خصالا
فجرا الغرب نجودا ودغالا
لا ولا طرفا هما يوما شكالا
فتحا منها الى الخلد مجالا
صعدا شرقا وغربا وشمالا

ثورة عمت سهولا وتلالا
تلهب الشعب يمينا وشمالا
والى الصحراء مدوها ظلالا
يتحدى البقى جهرا لاختالا
من نجا من قبضة البطش وعالا (١٦)
لبنيتها وعلى الاعدا ثقالا
وازى العزم ولم تترك رحالا
ر (١٨) ومقرار (١٩) وصالح (٢٠) والتلالا ٢١
قها رطبا واقداها حفالا
تغدى الدر وتسقيهم زلالا
هذه امجادنا عزت منالا
صفحات كللت غارا وهالا

(١٢) المداد جبل بالونشريس
(١٣) هو مالك البركاني الذى اعلن الحربى بالونشريس فى اليوم الذى فيه القبض على الشيخ بلحداد قرب بجاية فى ١٣ / ٧ - / ١٨٧١
(١٤) هو ابراهيم البركاني شقيق مالك البركاني
(١٥) هو ناصر بن شهرة الذى انضم اليه ابو مزارق وبوشوشة وقادوا الثورة فى جهات متعددة
(١٦) اشارة الى محافظته على أسرة المقرانى بعد استشهاد الحاج امحمد واسر ابو مزارق والتجا بها الى تونس ثم الى الشام
(١٧) بلدة الاغواط
(١٨) جبال عمور
(١٩) جبال مقرار
(٢٠) بلدة عين صالح

شامخ العرنين مرهوبا جلالات
تنثنى عنه صفاء وجمالا
جنة فيجا واغصانا غلالا
نه غابا وبحرا ورمالا
من جليل وبها خط مالا
يؤثر الحكمة لا يالو جدالا
صارم الضربة فتاكا عضالا
وطردتم عن مغانيها الثعالا
مجد الماضي اثره فعالا
وبلغتم في امانيكم كمالا
من فخر الاولى سنوا النضالا
يحتنيها كل من بر الرجالا

معشر الاحرار حياكم حمى
ساحرا ترتاده العين فلا
ايما سرت تمليت ربي
فتنة ابدعها الخالق في شطأ
سامقا يزهو بما انجزتم
يحكم الفكرة ، جبار الخطى
فاذا ما سيم حيفا رده
صنتم الارض وصنتم كنزها
وغدوتم اسوة مثلى فمن
يا دعاة الحفل جوزيتم ندى
حزتم السبق بما احببتم
وسننتم سنة محمود

لقى هذا القصيد بمجاعة وقلعة بنى عباس بمناسبة الذكرى المئوية لثورة
١٩٧١ واستشهاد المقراني



• ادار الندوة : محمد العربي ولد خليفة •

ندوة الأساندة

حول ثورة ١٨٧١

نظمت اللجنة الثقافية بكلية
الآداب بمناسبة الذكرى المئوية
لثورة ١٨٧١ ندوة ضمت عددا من
الاساتذة والطلبة .
وأدار الندوة الاستاذ محمد
العربي ولد خليفة

محمد العربي

ايها الزملاء الكرام ، ايها السيدات والسادة ان نظرة فاحصة الى تاريخنا القريب لتبعت فينا الزهو والاعتزاز فمئذ وطأت اقدام المحتل هذه الارض وهو يواجه بركان الثورة اينما ولى وجهه ، ثورة لم يخمد سعيها ، - وان كمن احيانا - حتى لاحت تباشير ثورة فاتح نوفمبر ، التي اختمرت فيها بذور الحق والمقدس المتأجج في اعماق الشعب منذ قرن ونيف من السنين ، وهي حقيقة طالما انكرها وتنكر لها سدنة الاستعمار الذين سخروا العلم لتسويه اصالتنا ومثسوا في ركاب الاستعمار يمهدون له الطريق بيت الفرقة

وثورة - ١٨٧١ - التي غمرت بلادنا من اقاصها الى انهارها واستجاب لها الشعب الجزائري في لمح البصر وقدم اثناءها مواكب من الابطال الشهداء ، لانها خاطبت فيه قلبه وروحها ، اياه ورفضه للخضوع ، هذه الثورة هي فصل من قصة طويلة تكذب احداثها ومواقفها مزاعم الاستعماريين وسدنتهم ، وقد آن الاوان لتكشف اليوم عن هذه الذخيرة التي بقيت رجا طويلا من الزمان طي النسيان يكتنفها الغموض وتتضارب في تحليلها وتفسيرها الآراء والتاويلات . ولا ريب ان خير مكان لطلب الحقيقة في تاريخنا والاجتهاد في تفهم مغزاه وابرار احداثه وتجديد مدلولها هو هذا المكان ، فلا بد ان تخرج كليتنا ، واعنى كلية الآداب بوجه خاص ، من سباتها وعزلتها وربطها بمجموع الاحداث الثقافية والاجتماعية والوطنية بحيث تكون صورة صادقة تعكس واقعنا كما هو وكما ينبغي ان يكون .

ايها الاخوة ، لقد غفلنا ونحن نتطلع الى الرزنامة لتحديد يوم فاتح افريل موعدا لهذه الندوة ان هذا اليوم ، قد اصطلح البعض على السماح فيه بالكذب الابيض ولذلك فحسن لنتمسك المعذرة عن التقصير وعدم الايفاء بما وعدنا .
ويشترك في ندوتنا هذه الاخ الاستاذ عمار طالي الذي كلف نفسه مشقة زيارة المناطق التي حدثت فيها ثورة ١٨٧١ وتسلق الجبال ليتشاهد عيانا خلوة الشيخ ابن الحداد ويجمع الوثائق النادرة والمفقودة وسوف يحلل لنا العوامل المختلفة التي ارهصت بالثورة ويرسم لنا ملامح شخصية البطل ابن الحداد وابنائهم في هذه الثورة وكذلك الاخ الاستاذ عبد القادر حلومي الذي سيحدد لنا بواسطة الخرائط المنطقة التي دارت فيها رحى المعارك واهمية المواقع من الناحية الجغرافية .

شعبية الثورة

وشمولها

لأغلب

أنحاء الوطن

الاستاذ حليمي :

الذي يمتد من جبال فرجيوة شرقا الى جبال تيطرى وجرجرة غربا الى ساحل البحر شمالا وهو اقليم واسع ومتنوع طبيعيا كان تحت نفوذ الباشا الذي كان مركزه في سهل مجانة ، ونظرا لاسباب عديدة سيشرحها زملائي من اصحاب التاريخ بدأت الثورة في هذا الاقليم الجبلي ومنه انحدرت الى سهل مجانة ثم انتشرت في بقية المناطق من جبال البيان المشهورة بانحداراتها الشديدة وخوانقها الغربية منها شعبة الآخرة ، وممر باب الحديد ، وحافات وادي قرقور .

انتشرت الثورة في هذا الاقليم كله في سنة ٧١ لم توسعت لتشمل سهل متيجة غربا لغاية خط عرض مدينة شرشال امتدت ثورة المقراني على طول الجزء الشرقي من سلسلة جبال الاطلس التلي وعمت مدن جبال جرجرة مثل تيزي وزو ، والاخضرية وازراع الميزان وصندوق واقبو ، ومدن جبال فرجيوة مثل المسيلة والميلية الى غير ذلك من المدن الجبلية في هذا الاقليم الذي لا يتميز بشدة تضرسه فقط بل وبغاباته الكثيفة واحراشه الواسعة ومياهه المتوفرة . فالوضع يساعد تماما على نجاح المقراني الا ان الثورة

الذي يهمني من هذا الموضوع هو الجانب الجغرافي . فالاقليم الذي انطلقت منه ثورة المقراني في مطلع سنة ١٨٧١ يتكون من جبال مرتفعة شديدة التضرس وهي جبال البابور والبيان التي تعد جزءا من جبال جرجرة وجبال الاطلس الذي الشرقي بصفة عامة . والمتتبع لخريطة الاقليم يلاحظ ان وعورة المنطقة ساعدت على ان تكون هذه الجبال ، ملجأ للثوار ، منها ينطلقون وبها يحتشون . واضرب لذلك مثلا بثورة ١٩٥٤ ، عندنا في الجزائر ، بدأت في مناطق معينة هي الجبال الوعرة ثم تسربت من تلك المناطق الجبلية الى المناطق السهلية ثم الى المدن اي ان الجبل كان دائما يمثل المعقل الطبيعي ، والاقليم الذي تتبلور فيه الافكار التحررية بهدوء ثم تنطلق . وتعالوا معي الى ثورة المقراني كيف بدأت واين بدأت وما هو الاقليم الذي اختارته .

كان محمد المقراني الباشا يتصرف ويشرف باذن السلطة الاستعمارية الفرنسية في الاقليم

كانت غير منضبطة وربما كان هذا سبب فشلها ولهذا نترك المجال للأخ عمار طالبي الذي سيحدثنا عن هذا الجانب ، وأريد أن ألفت الانتظار إلى أن ثورة المقراني تحركت من الشرق إلى الغرب لغرض وهدف معين وهو القضاء على السلطة المركزية وبالقضاء على السلطة المركزية يمكن القضاء على الاستعمار ، وهذه هي نية محمد المقراني الذي استشهد في معركة بسوفلات في ٥ ماي سنة ١٨٧١ وأترك الآن المجال للأخوان لكي يشرحوا لنا الدوافع الدينية لهذه الثورة .

الاستاذ عمار طالبي :

حضرات الزملاء أيها الاخوان . الواقع اني لست من المؤرخين وانما تطلعت على هذا الموضوع تطفلا ولا أريد أن أقحم بنفسى في بيان النواحي التاريخية والاسباب الاجتماعية الكثيرة التي أدت إلى هذه الثورة ، وانما أريد فقط أن أوضح ظاهرة اجتماعية ذات أهمية بالغة وهي تأثير شيوخ الطرق وخاصة الطريقة الرحمانية في هذه الثورة التي أجها الشعب الجزائري وبين تأثير الشيخ ابن الحداد على المريدين وعلى الاخوان وبما أن الوقت لا يساعدنا على أن نتحدث عن هذه الطرق كلها فإنتنا نريد أن نشير إلى طريقة الرحمانية باعتبار أن ثورة ٧١ التي قام بها المقراني وعزيز ابن الشيخ بن الحداد وشارك فيها الشيخ بن الحداد نفسه بتأثيره الروحي في المريدين ولذلك نستقصر الكلام على هذه الطريقة التي ينتسب إليها الشيخ ابن الحداد الذي اعتمد عليه القرنى نفسه واستند اليه في كسب المؤيدين له من طوائف الشعب التابعين لطريقة الرحمانية وبهذا سنتكلم باختصار على الطريقة الرحمانية وعن آثار الشيخ ابن الحداد في هذه الثورة أما الطريقة الرحمانية فهي ترجع إلى محمد بن عبد الرحمان القشطلولى الجرجرى الأزهرى فهذا الرجل ولد في سنة ١١٢٦ هـ . الموافق لـ (١٧١٥) للميلاد في قبيلة آيت اسماعيل في جرجرة وهي قبيلة تتفرع عن قشطلولة ويبدو أن هذه الاسرة أقبلت من المغرب الأقصى ونشأ هذا الرجل نشأة صوفية فدرس على الشيخ الصديق واعراب عند آيت ارائن ، وجاء إلى مدينة الجزائر أيضا فأخذ بعض المبادئ في

العلوم المختلفة ثم بعد ذلك ذهب إلى الحج ورجلته هذه مر على البلاد المصرية ومكث مدة طويلة في الأزهر يدرس على أساتذة هذا الجامع حيث أخذ عن سالم النفراوى وعمر الظحلاوى والشيخ العمروسى وغيرهم ولما كمل تكوينه ثقافيا وصوفيا أمره شيخه أن يقوم بالدعوة وأن يسير إلى الهند والسودان والمهم أنه أقام في السودان مدة طويلة ثم رجع إلى الجزائر ومدة غيابه عن الجزائر تبلغ أكثر من ثلاثين عاما ، وبعد مضي هذه المدة أمره شيخه بأن يعود إلى الجزائر كي يكون الطريقة الرحمانية في الجزائر فعاد في سنة ١١٨٣ هـ / ١٧٧٠ م فأخذ يعلم الناس مذهب الخلوتية وسمع به الطلاب فاتوه من كل مكان وقصده المريدون وأصبحت له شعبية وعارضه بعض فقهاء الجزائر العاصمة واتهموه بالبدعة وأوصى بأن يخلقه في هذه الطريقة السيد على بن عيسى المغربى وبعد مدة توفى وذلك في سنة ١١٨٣ - ١٧٩٣ وقادها هذا الرجل وهو السيد على بن عيسى إلى سنة ١٨٢٥ أى ما يقرب ٤٣ سنة وفى سنة ١٨٥٢ خلفه السيد الحاج البشير المغربى ولالة خديجه زوجة سى محمد بن عيسى الذى بقى في زاوية آيت اسماعيل وأصبح القائد الحقيقى لهذه الطريقة وتوفى في سنة ١٨٥٤ ، وخلفه في الطريقة سى الحاج عمر زوج لاله عاطمة بنت سيد الحاج محمد بن عيسى وهذا هو الذى نظم الطريقة تنظيمًا محكمًا ونظم مقاومة ضد الفرنسيين في سنة ١٨٥٧ ولما أن تغلب على هذه الانتفاضة المارشال راندو هاجر الحاج عمر إلى تونس وبقي هناك ثم اتجه الناس إلى الشيخ الحقيقى للطريقة الرحمانية ، الذى أصبح لامعا في هذا السبيل في بلاد القبائل وهو سى محمد آمزيان بن الحداد من قرية الصدوق وهو الذى نستطيع القول بأنه لعب دورا هاما في ثورة ١٨٧١ ، وقد كان له تأثير كبير في الاوساط المختلفة التى نفذت إليها الطريقة الرحمانية .

ويمثل الشيخ محمد بالحداد في قسنطينة مصطفى بن عبد الرحمن بن باش تارزى الذى ألف بعض الكتب في الطريقة الرحمانية في قسنطينة وطعم أحد كتبه ، وتابع السير في هذه

الطريقة كذلك محمد بن عزوز من الصحراء في الزيبان ولما احتلت بسكرة غادر الجزائر واتجه الى نفطة جنوب تونس واسس زاوية تابعة للرحمانية ايضا وان كان ترك من يخلقه في الصحراء وهذه الزاوية خلفتها زاوية على بن عمر في طولقة وكذلك للشيخ المختار بن خليفة في اولاد جلال وسى المبارك بن قويدر وتوجد زاوية اخرى متفرعة عن الطريقة الرحمانية في خيران وهي قرية موجودة في جبل ششار في اوراس . والحاج صدوق مؤسس زاوية المصمودى هو الذى شارك وآثار الناس في ثورة ١٨٥٩ ومات في سجن الحراش الكبير عام ١٨٦٢ ، وقد هدم زاويته الجنرال ديفو في عام ١٨٥٩ ، وكذلك هناك فرع آخر من هذه الزاوية اسسه عبد الحفيظ من خنقة سيدى ناجى في اوراس . وقد اتهم هذا ايضا بالاشتراك في ثورة ١٨٥٩ وكانت زاوية الهامل ايضا قرب بوسعادة وهي التى تتبع الطريقة الرحمانية ، وقبل ان يتوفى محمد آمزيان هذا عين السيد الحاج الحملوى مقدما لهذه الطريقة وفكر تفكيراً يبدو انه نجح فيه لانه لم يعينه من المنطقة والاهالى الذين ينتسب اليهم كى يستطيع هذا الرجل ان يحتفظ بهذه الطريقة وان كان من جعل خليفة له ابنه عزيز لما تربت وفاته ولكن المهم هو ما بيناه من ان الطريقة الرحمانية لها مراكز كثيرة في البلاد الجزائرية ونريد ان نبين اثر او مشاركة محمد بن الحداد الذى اصبح الزعيم الكبير لهذه الطريقة في الصدوق وفي تلك المناطق المحيطة بها في ٨ افريل ١٨٧١ اتصل به طبعاً قبل هذا المقرانى وكذلك ابنه عزيز فما كان من هذا الشيخ الذى طعن في السن ، بلغ ٨٠ عاماً الا ان أعلن الجهاد ورمى بعضاه ودعا الناس للثورة ضد الاستعمار الفرنسى .

وكذلك ابنه فانه كان هو الدافع الاساسى ايضا لهذا الشيخ الكبير ان يعلن بالجهاد، بعث رسائل الى بعض الزعماء الذين يعتقدون ان لهم تأثيراً كبيراً في الاوساط الشعبية ، من جملة هذه الرسائل رسالة كتبها الى صهره ورد فيها ، اننا قمنا للجهاد وقررنا ان نحارب اعداء الله ورسوله وتحدث عن وحدة المسلمين في الجزائر

وعن ضعف فرنسا وانه متأكد من ان المسلمين متحدون من بجاية الى سطيف ، الى الحضنة ، وقال ان غرضه انما هو اعلاء كلمة الاسلام وختم الرسالة وهي طويلة بالدعاء ، تطلب من الله ان يوفقنا وان يعيننا على الاعداء وتاريخ هذه الرسالة في ٢٢ صفر ١٢٨٠ للهجرة الموافق ٤ ماي ١٨٧١ وكتب في آخر الرسالة كتبه ناصر الدين عزيز خليفة الشيخ محمد بن الحداد لكى يترك اسمه وحده لاية كان رمز كانه عينه خليفة في هذا الوقت قبل ان يلقي عليه القبض الاستعمار الفرنسى والواقع ان الطريقة الرحمانية تعتبر هي من الطرق التى تشارك في الثورة ضد الاستعمار بالاضافة الى طريقة اخرى وهي طريقة معروفة بالطريقة الدرقاوية باعتراف الكتاب الفرنسيين ان هاتين الطريقتين الطريقة الرحمانية والطريقة الدرقاوية بالخصوص هما الطريقتان المعاندتان للوجود الفرنسى ، وهما اللتان تساعدان على اشعال الثورة ، ودفع الناس للقيام بها ولكن مؤرخا من الفرنسيين اظن انكم تعرفونه طبعاً وهو لوى رين كتب عبارة يوصى بها الفرنسيين للتغلب على وسائل الطريقة يقول وهو يعتمد على شيء من الحنكة السياسية حتى يسيطر على الموقف ، يقول هذا السيد بان العمل الاساسى في هذه الثورة ليس عملاً دينياً وانما هو بالدرجة الاولى عمل سياسى اقتصادى ويرجع الى غضب بعض العائلات او الاسر التى كانت لها مكانة ويبدو انها لم يعط لها ما يرضيها ، ومن ثم قامت واثارت على فرنسا . وان الفكرة الدينية ليست هي الا اداة وان الشيخ بالحداد نفسه ليس الا اداة في هذه الثورة وهي قد صيغت بصيغة سياسية اقتصادية وبصيغة اقطاعية لبعض الاشخاص الذين يريدون ان يكون لهم مجد وان تكون لهم مكانة في المجال السياسى .

وذكر ان الشيخ بالحداد نفسه ليس الا اداة في يد المقرانى ولكن الواقع ان الظاهرة الدينية هي السلاح الذى يلجأ اليه هؤلاء القواد لكى يستطيع جمع الشعب اى الطاقة الاساسية للثورة فلولاً هذه الرموز الدينية التى استعملوها لما استطاعوا ان يجمعوا الناس ولما استطاعت

الثورة ان تقوم وهذه تفسيرات طبعاً لا تقوم على أساس علمي صحيح ان هناك اسباباً سياسية واقتصادية ، ولكن الناحية الشعبية لا يمكن ان تقوم الا على الاساس الكبير العميق المتصل بنفوسهم وهو الظاهرة الروحية التي تتمثل في هذه الطرق التي تمثل في ذلك الحين الاخلاق الاسلامية التي حنطتها شيئاً ، واضعفتها وجعلتها تتمثل في الاساليب وهي الاخلاق والتربية الجامدة .

نستطيع ان نقول ان الطريقة الرحمانية لها جمهور كبير واتباع ، زعمائها لهم تأثير في هؤلاء الناس او المريدين وامامى الآن احصائية قام بها احد الفرنسيين يبين لنا انتشار هذه الطريقة في الجزائر ، مقاطعة الجزائر العاصمة فيها (٧٩) زاوية و (١٧٧) مقدم و (١٩٧٣٥) من المريدين ضواحي الجزائر فيها (١٣) زاوية (٦٢) مقدم (١٦٩٢٥) اخوان ، قسنطينة فيها اكثر من الجزائر (٩٣) زاوية (٣١٨) مقدم هذا على طريق الرحمانية (٣٤١٢٦) مريد ضواحي قسنطينة فيها (٢٠) زاوية (١٠٤) مقدم (٢٢١٧٧) اخوان ، وهران فيها (١٠) زوايا (٨٢) مقدم (٢٦٧٧) اخوان ضواحي وهران فيها (١٠) من الزوايا (٥) مقدمين ، منطقة وهران فيها الطريقة صنيعة ، المجموع كله (٢٢٠) زاوية (٧٥٤) مقدم (٩٦١٦١) اخوان واذا اضعنا احصائية اخرى للطرق الاخرى نجد ان السكان كلهم تقريباً موزعون على الطرق ائ ان الشعب كله دخل في الطرق الصوفية فهو شعب صوفي ومن هنا تعلمون مقدار تأثير التصوف في هذا العصر ، القرن التاسع عشر بالخصوص اصبح التصوف مهيمناً على التربية وعلى الاخلاق وعلى الدراسات الدينية واللغوية وما الى ذلك ومن ثم بعد فان الاستعمار عرف هذه الحقيقة فحاول ان يسيطر على زعماء هذه الطرق وان ينفذوا اليها باساليب مختلفة سياسية واقتصادية ، ولذلك نجد ان هذا الفرنسي ينصح حكومته كثيراً في كتابه بان تحاول ان تمسك بقبضة شديدة هؤلاء الزعماء وخاصة زعماء الرحمانية وزعماء الطريقة الدرقاوية اما الشيخ بالحداد فقد قلنا ان له اثراً كبيراً في اعلان الجهاد

وانه حينما خرج من بيته او اخرج من بيته ، كتب على حجر صوان آية قرآنية ، هي « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الالف » كتبها عدة مرات ، وقد زرنا في الايام الاخيرة خلوته وهي صغيرة واقعة في جبل سيدى على واشطوق مقابل سلسلة جبال اكادو في قرية صدوق الاعلى ، والغريب ان له طريقة في مبايعة الاخوان وهذا يدل على كثرتهم بالخلوة (عمل طائفة صغيرة شبك ، هذا يدل على انهم يأتون بالمئات ليعاهدهم ويبايعهم ثم ينصرفون) ، وانما بقيت لنا وثيقة مكنى منها الزميل الدكتور سعد الله وهي عبارة عن وصية اوصى بها حينما شعر بان الموت قد قرب اوصى بها ولديه تتكون من سبع وصايا بين فيها اسفه على عدم نجاحه في العمل الذي قام به والاضرار التي لحقتهم من جراء هذه الثورة ولكن حاول ان يسليهم وان يدخل عليهم الصبر والسلوان وانى اقرا عليكم بعض الفقرات واذا كانت لديكم مناقشات او آراء تستطيعون ان تبدوها فيما بعد .

« اعلام »

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

اعلان للواقفين على كتابنا هذا من العلماء والفقهاء والاخوان وغيرهم من كبراء الاعراض وعامتهم السلام عليكم غاية السلام ولطائف التحية والاكرام ان كنتم بخير فالحمد لله وبعد نخبركم بوفاة ابينا وشيخنا السيد امحمد آمزيان بن الحداد تغمده الله تعالى برحمته وقد عمر ثلاث وثمانين سنة واشتهرت طريقة الرحمانية على يده وباسمه في القبائل ، بعد وفاة شيخه رضى الله عنه بجبل جرجرة منذ ٤٠ سنة فأكثر وقد توفي قدس الله تعالى روحه ونفعنا ببركاته وببركات اشياخه آمين ليلة الثلاثاء اول ليلة من شهر ربيع الاول الانور بمولد سيد البشر صلى الله عليه وسلم من عام التاريخ ١٢٩٠ وذلك خارج السجن بعد طلبنا الاذن لاجراجه عشية يوم الاثنين من حاكم البلد ، فقبل مطلوبنا واستكثرنا خيره (تعبير شعبي) وهو البريفي ، فأخرجناه من السجن الى قسنطينة ولما وصل

رحمه الله الى الدار التي اعدت لنزوله بها مكث رضى الله تعالى عنه قدر ساعة ونصف وتوفى رحمه الله تعالى عليه وقت العشاء الاخرة وكانت وفاته ربحم الله تعالى غريته وقدس تربته على الشهادتين والذاتية الحسنى والحمد لله على حياته مسلما طائعا ووفاته شهيدا غريبا ومدة مرضه ١٢ يوما فقط وقد دفن وسط مقبرة المسلمين بقسنطينة عشية يوم الثلاثاء وأحسن (١) به علماء البلد وجأصتهم وعامتهم وشرعوا قدره بما يناسب أمثاله من حضورهم ، للصلاة عليه، وتشيع جنازته بالذكر والدعاء والصدقات فجزاهم الله تعالى خيرا واجزل لهم ثوابا واجرا ورفع لهم في الملا الاعى ذكرا عن قطعهم الحسن لقوله الجليل في محكم التنزيل (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) وذلك بعدما كنا عزونا على ارساله الى مقبرة اسلافنا بقرية صدوق من بلاد القبائل في ضريح اجدادنا كما اوصانا رحمه الله تعالى بذلك فاذا بحاكم الجزائر الكبير عجز عن ارساله لتلك المقبرة بالقبائل اصدر الامر لنا بدفنه في هذا الوقت بقسنطينة ولاشك ان اعتراضه هذا عن ترك ارسال الجنازة الى مقبرة الاهل والاقارب ليس منه انما هو من بعض الحساد الجارين بالاخبار الكاذبة بين الدولة ورعيتهما فامتثلنا امر ولاتنا حتى يزول الغمام الوارد على سمعهم وننال (٢) المسامحة من الله سبحانه بفضله وكرمه ومن الحكام فينقل الى صدوق لمقبرة اجدادنا كما اوصانا رضى الله تعالى عنه بحول الله سبحانه وقوته انه على ما يشاء قدير ، هذا ولقد كان المرحوم الشيخ قدس الله روحه اوصانا بسبع وصايا واكد علينا في تبليغها واظهارها ، وذلك بعد ما صدر الحكم بالسجن وقبل وفاته وما هو نص وصاياه رحمه الله فانه قال اوصيكم يا ولدى الاثنان انما قد اخذتما حكما معا فيما لحقنا من تعب والم وهم وكبير غم يا محيد بفتح الميم ويا عزيز بسكون الياء رحمكما الله تعالى ونجاكما من عذاب الدنيا

(١) في الاصل احسنوا

(٢) في الاصل نتالوا

(٣) كذا في الاصل

(٤) كذا في الاصل

والآخرة ، اوصيكم-اولا واوصى اخواني بتقوى الله العظيم مع التسليم والتواضع لبعضكم بعضا واعتصموا بالصبر على ما حكم الله تعالى علينا وقضاه ان الصبر يورث الرضا ويجلب الهناء وقد قال صلى الله عليه وسلم ، اذا أحب الله عبدا سلط عليه ليلاء لينال شبه الانبياء ، عليهم الصلاة والسلام والاولياء رضوان الله تعالى عنهم لقول الجليل في محكم التنزيل ، « فاصبر لحكم ربك باعينا » ولقوله سبحانه ، « وانما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب » وفي الحديث النبوي ايضا « اشدكم بلاء الانبياء ثم الانبياء ثم الامثل في الامثل » وليس الحكم النازل علينا من غير اذنه جل وعلا فيشقى عليكم ، بل هو حكم سيدكم ومولاكم خالقكم ورازقكم ، القائم باحسانه اليكم وقد كان تعالى يقضى ما تحبون ، فاصبروا الآن يقضى ما يحب فيكم ويكفيكم امثالا قوله سبحانه « وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون » واعملوا رحمكم الله تعالى ان الاهتمام والتدبر والمنازعة لا يدفع شئ منه عنكم ما قدر عليكم كما لا يجلب لكم ما لم يقسم لكم فسلموا لقضاء الله سبحانه تسلموا من ضيق الصدر وعذاب القلب ولا تتغبروا (٣) يا ولداي ويا اخواني مما نزل بنا وبالحكم الصادر علينا من ارباب الشرع ، بعضنا بالسجن وبعضنا بالنفى مع نهب اموالنا واهمال حريتنا واولادنا للفاقة والاحتياج مع نزع املكنا من ايدينا فيه (كلمة غير مفهومة الثقاب او العقاب) فالواجب عليكم ان لا تنكروا ما لحقكم غنا من الدولة وغيرها الا بعد ما تتذكروا ذنوبكم الصادرة منكم مع الله سبحانه ومع العباد ، فاذا تذكروا ذنوبكم قبل ذنب غيركم تستسفرون ما لحقكم من العقوبة وتتلون الراحة في قلوبكم وانفسكم وتبالون ايضا رضى الله تعالى ورضى العباد ان شاء الله سبحانه وما ذلك على الله بعزيز والشدة لاتدوم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّيْ اللَّهَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ



للموافيق على كتابنا هذا من العلماء والفقهاء والأخوان وغيرهم وكما أبلغناهم
وعلمهم السلام عليهم غارة السلام والكرامات والتحية والكرامات أن كنتم حينئذ لم تحركوا
وبعد خبركم بوفاته أينا وشيخنا السيد محمد ابن بابن الخرداد تقوا الله تعالى بحمده
وفد عمر ثلاثه وثلاثين سنة واستشهد في الكوفة التي كانت على يدك وبصره بالقبائل بعد
وفاته فتبعه رضي الله تعالى عنه بجبل جرجة منفرار بعين سنة بكنة وفردن في نفس الله تعالى
روحهم ونفعنا بركاتهم وبكراتهم في الدنيا والآخرة والبلد من شهر ربيع الأول
الآخر في يوم السبت البدر صلي الله عليه وسلم من علم النسخ تسعين ومائتين والف وثلثمائة
خارج السجدة بعد ما علمنا أن في آخر جمعة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول من سنة
واستكثرنا خبره وصوره بغيره من السجدة التي في سنة ثمان مائة وثمانين من الهجرة النبوية
التي في الدرر التي أعوت لنبي الله صلى الله عليه وسلم في مكة رضي الله تعالى عنه في هذا قدر وساعة ونصب وقوى
رحمت الله تعالى عليه وقت العشاء الأخيرة وكرات وفاته رحم الله تعالى غيبتة وفردن في سنة
على أنتم ما ترون في الحاشية الحسن في الجبل على حياته مسلما طارعا وفردن في سنة ثمان مائة
في بصره وصوره في العشاء بيوم في فرك وفردن في سنة ثمان مائة في سنة ثمان مائة في سنة
يوم الثلاثاء واحسنوا به علماء البلد وخاصتهم وعامتهم وشيوخهم وفردن في سنة ثمان مائة
استلهم من حضورهم للصلاة عليه وتشيع جنازته بالركن والركن والعزلة في يوم الجمعة
خير وأرجح النعم ثوابا وأرجح النعم في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
في الحكم التثليل في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
مغيرة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
بذلك في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
بفردن في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
مغيرة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
العلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
الحكمة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم
كذلك في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم والعلامة في العلم

على كل حال ففى مرور الشهور والسنين المقبلة عليكم الحكام من الاخبار الواردة عليهم فيجدونها زورا عليكم وحسدا فيكم فترتفع عنكم التهم النازلة عليكم بشهادة الزور عليكم فيزيلونها عنكم ويصير بغضكم هذا حبا فيكم وكرامة ان شاء الله تعالى آمين .

وأما الثانية فانه قال :

أوصيكم ان تبلغوا سلامى لكافة المسلمين بغير تخصيص وانى طالبهم المسامحة والدعاء الصالح كما لهم منى مثل ذلك وعلى الله سبحانه **والثالثة :**

قال أوصيكم ان تدفنونى فى مقبرة اجدادى بين قرايتى فادفنونى فى قبر أبى وامى قدس الله تعالى ارواحهم جميعا .

والرابعة : قال : تخبروا (٤) كافة الاعراض كتابة بوصيتى هذه لكم ولهم .

والخامسة : قال : نوصيكم ان لا تصودوا لعداوة الدولة ولا لاتباع من يخاطبكم بذلك ، فسلموا لجميع الاوامر الصادرة من اربابها ولا تتعرضوا لها تسلموا من غضب الرب سبحانه وغضب العباد معا ، جريتم عواقب الزمن وغدز الرجال فيكنفيكم ما شاهدتم فى هذين السنتين او ثلاثة وانا حاضر معكم من المبتدأ الى المنتهى ولاجل حضورى معكم وتجربتى معكم الزمن اموت (٥) متنهنا من جانبيكم ولا نخاف عليكم مرة اخرى حيث لحقكم فى وقت واحد ما يلحق غيركم طول حياته وكل ذلك ان شاء الله تعالى يصير لكم راحة ، وما بعد المرض الا الشفاء وما بعد الليل الا النهار .

والسادسة : قال رحمه الله تعالى نوصيكم بطاعة الله سبحانه وطاعة والدتكما وطاعة بعضكما بعضا .

والسابعة : نوصيكم ونوصى الاخوان مرة ثانية بدوام نيتهم واستدامة اورادهم وعافيتهم

اذ بالعافية والهناء تثبت الطاعة فى القلوب وتفرغوا لكثرة اعمال الطاعات والحسنات ولا تشغلوا بما يؤديكم لابطال ذلك ثم اؤكد عليكم بالتسليم لبعضكم بعضا مع غيركم وخدمتكم على عيالى بعد غيبتى مع انى تركت لكم من يقوم مقامى ان شاء الله تعالى بعدى ، من نسلى علما وطريقة وعرفتكم بذلك مصليا ومسلما على سيد الاولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انتهى ما سمعناه منه على سبيل الايصال والابلاغ لغيرنا والحمد لله حمدا كثيرا دائما الى يوم الدين وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين .

تعليق الابن : وقد فعلنا نحن اولاد المرحوم ما وجب علينا وحكىنا كلامه وما أوصانا به فى حياته وكتبناها بخط ايدينا ورسمناها فى ورقة واحدة وأرسلناها مع وكيلنا القائم بحوائجنا بالنصح التام المسمى مسيولى يد التاجر بمدينة قسنطينة الى المطبعة بها لطبعوا لنا عدة اوراق مثلها ونفرتوها (٦) للناس كما أوصانا الشيخ المرحوم بذلك ... واطلع عليها المصنفون من فرنسيين وغيرهم ، والسلام على الواقف عليه وكتب عزيز وشقيقه محمد ولدى الشيخ المرحوم الحداد وكتب بسجن الكدية بقسنطينة فى ١٤ ربيع الاول ١٢٩٠ .

هذه هى الوثيقة واطلن انها لا تحتاج الى تعليق وما نريد ان نطيل ، والواشى انى لم استعرض الموقف بجميع جوانبه لان هذا يحتاج لعدة اخوان متخصصين وان كان هناك جماعة هربوا ، وبودنا ان يعاد النظر فى مناسبة اخرى فى هذه المشكلات وانما قممت بعمل بسيط هو دراسة وقراءة هذه الوثيقة وبيان كيف ان الطريقة الرحمانية لها قوة شعبية ولذلك تعتمد عليها الثورات التى وقعت وان هذه ظاهرة عامة فى الثورات التى وقعت فى الجزائر سواء فى سنة ١٨٧٦ و ١٨٧٩ ثورة اوراس وعين التوت وغيرها وثورة ١٨٨٠ جنوب وهران هذه الثورات

من الزمن وكانت له علاقات مع القنصل الالماني ودخل الى الجزائر ومكث بها ما يقرب من ستة اشهر ثم مرجع الى الشرق مرة أخرى ولم تكشف السلطات الفرنسية امره الا اثر عودته من الجزائر على اثر التقارير التي بعث بها القنصل الفرنسي بتونس الى وزارة الخارجية الفرنسية هذا الحديث يمكن ان ندرجه كدليل على ان موقف الامير عبد القادر من ثورة ١٨٧١ هو في الواقع موقف محبذ انما السلطة الاستعمارية كانت تحاول ان تستعمل سمعته للحد من انتشار الثورة ونموها . وقد ذكر الاستاذ الاشرف في كتابه « الجزائر امة ومجتمع » ، الذي هو مجموعة مقالات جمعت في كتاب ، ان ثوار سنة ١٨٧١ عندما وصل اليهم محتوى « الوصية » التي قيل ان الامير عبد القادر قد بعث بها اليهم ردوا بان الامير كان يجهل الاوضاع السبينة التي هم عليها ولو يدركها لحمل معهم السلاح وحارب الى جانبهم .

هاته الوصية المنسوبة للشيخ الحداد يمكن ان ندرجها ضمن « الوصايا » التي تعتمد السلطات الاستعمارية الى خلقها عندما تجبرها الظروف فهي « وصية » مطبوعة والمطابع في تلك الفترة كانت تسيطر عليها الادارة والمطابع العربية بالذات تشرف عليها المكاتب العربية . والراجع ان الادارة هي التي ضغطت سواء على الشيخ الحداد او على ابناء الشيخ الحداد على كتابة هذه « الوصية » ونشرها بين الاتباع والمريدين بقصد الحد من الثورة ووقف حركة التعبئة الشعبية . وهذا هو الهدف الذي كانت ترمى اليه السلطات الاستعمارية . فالأورخ يجب ان يقف متحفظا امام هذا النوع من « الوصايا » ويعمد الى نقدها لاستخراج جانب التزييف من الحقيقة .

الطالبى : يبدو انه ادخل في وصيته ما لم يوصى به واستطاع القول انه نص على انها طبعت بمطبعة مارل بقسنطينة ، وعلى حال طبع يعلم الحكومة وبأنها ربما هي التي دفعت بطبعها ولما سمعت ان هناك وصية قالت اطبعوها وزيدوا كذا وكذا واما قضية الامير عبد القادر فانه طبعا بما قساه من الخذلان والخيانة من

كلها وكذلك ثورة عام ١٩٥٤ نفسها فالرمز الذي يحمله الثوار هو اسم الجهاد هذا كله يدل على ان هناك خيطا أساسيا يربط هذه الثورات كلها وهو الجهاد وهو المعنى الدينى المتصل بالاسلام ولكن هذا الفرنسى - لوى رين - يقول ان الاسباب ليست دينية وانما اقتصادية وغيرها وانما الدين مستعمل كعلامة على الحركة فقط يقول : واللجنة التي كلفت بالبحث الخاص بالاضطرابات التي وقعت في أوراس قررت هذا المعنى وهو ان اسباب الثورة ترجع الى مسائل اقتصادية وإلى مسائل شخصية لا غير لكن هذه التأويلات لا تهمنا ، انما يهمنا السياق التاريخي والمعنى الذى تجده يكمن وراء هذه الحركات كلها وهو المعنى النفسى والمعنى الروحى الذى يوجد في نفوس الجماهير التي تقوم بهذه الثورات المختلفة وأرجو ان اكون لم اقلقكم ولم اطل عليكم وشكرا والسلام .

محمد العربى : اشكر الاخوين حليمى وعمار طالبى ، واترك الكلمة الآن للاخوان المستمعين لالقاء الاسئلة .

الاستاذ جمال قنان .

ان هذه الوصية التي قراها الزميل عمار طالبى تثير بعض الملاحظات ، ولا يمكن قراءة هذه الوصية او السماع اليها دون ان نتذكر تلك الوصية التي قيل انه بعث بها الامير عبد القادر في فترة الاحداث التي وقعت في ١٨٧١ هذه الوصية التي يؤكد فيها للشعب الجزائري على ضرورة التزام الهدوء وطاعة الدولة وقد عالجها الاستاذ ساحلى في كتابه « ازالة الصبغة الاستعمارية عن التاريخ » وبطبيعة الحال ، فالاستاذ ساحلى اعتمد في نقد هذه الوصية على نقد النص نفسه والتعابير التي استعملت فيها مما أدى به الى الافتقار بإمكانية تزييف هذه الوثيقة وان السلطات الفرنسية هي التي قامت بوضعها . وهذا راجح ويحتمل ان يكون القنصل الفرنسى في دمشق قد زورها على حساب الامير لاستغلالها داخليا (في الجزائر) والشيء الثابت من ناحية أخرى هو انه في نفس هذه الفترة بالذات كان واحد ، من ابناء الامير عبد القادر وهو عبد الملك قد جاء الى تونس ومكث بها مدة

في دمشق نفسها .

وانتم اذا قرأتم كتابه المواقف ستعلمون كيف أصبح يعتقد انه يوحى اليه ومواقفه عبارة عن وقوفه عند آيات معينة ويقول : انه اوحى اليه بان تفسير هذه الآية كذا وكذا .

وصل الى مثل ما وصل اليه محي الدين بن عربي الذي زعم في الفتوحات اى كتاب الفتوحات المكية ان الله فتح عليه في مكة بهذا الكلام ودخل في تلك المرحلة الصوفية في تلك الازمة الشديدة التي أصابته في جهاده الطويل الذي انتهى بهزيمة شديدة على النفس هقا وفي ظروف قاسية الاعداء من الداخل ومن الخارج ، السلطان مولاي عبد الحفيظ في المغرب الأقصى وبعض الخونة الذين خذلوهم من الجزائريين أنفسهم فأصيب بصدمة نفسية ، ادت به الى مرض عقلى لا الى مرض نفسى فقط ولكن كان هذا على كل حال حقيقة ودخل في عالم التصوف ، واذا كان هؤلاء الذين قادوا ثورات جهاد في ظروف صعبة وقاسية ، فان هذا لا يجعلنا نتهمهم بالخيانة ، فيمكن ان يكون هذا عن حسن نية في تلك الظروف ولكن الزعم بأنه كتب وصية يوصي بها الشعب الجزائري وجميع الناس بان لا يقوموا وان لا يثوروا على الدولة الفرنسية ، اظن ان هذا غير صحيح ، ولكن ابناءه فيما بعد واحفاده اخذوا يتناضون المال من فرنسا ويتعلمون في فرنسا .

واصبحوا اصدقاء للسلطة الفرنسية وتخلوا عن التقليد الثورى وأصبح أحد الاحفاد خائنا كبيرا اظن انه ذهب الى اسرائيل فنحن نعتبرنا منه تبرا تاما ، ولا نستطيع ان ندافع عنه فهؤلاء منحرفون وفي كل الثورات يوجد خونة ويوجد منحرفون ويجب ان نفصح هذا وبدون شك لا بد

بعض الاوساط سواء كانت من المغرب الأقصى او من الجزائريين انفسهم اى من بعض الجزائريين ربما جعلته يتوقف لحد ما عن الموافقة على الثورات حتى تتغير الظروف وتتاح الفرصة ونحن لا نريد ان ندفع كل شيء طبعاً ، جميع التهم ندفعها عن الجزائريين ، لانهم قاموا بالثورات ، بطبيعة الحال هذا ليس عيبا اذا تحفظ شخص ازاء حركة معينة لا نستطيع ان نقول ان هذا خيانة قطعاً ، وقد اطلعت على مخطوط في الخلدونية في تونس اسمه الرحلة الحجازية لمؤلف اسمه السنوسى ، قام برحلة الى الحجاز حج والتقى بالامير عبد القادر في الشام واستضافه في بيته ، وكتب عن حياة الامير عبد القادر وعن اعماله وذكر بعض نماذج من شعره وذكر انه اعلنت الجرائد انه توفى وهو حى فمدحته ورثته الى آخره ثم بعث برسائل يشكر هذه الصحافة التي مدحته ورثته وهو حى وقال هذا السيد الكاتب الرحالة التونسي ان ابنه حاول ان يقوم بثورة فعلا في الحدود الشرقية ، للجزائر ، ولكنه لم يكن راضيا على كل حال هذا شاهد مسلم عربى غير فرنسى .

هل هو تآثر بالدعاية الفرنسية أم انه فهم هذا من التقائه مع الامير عبد القادر نفسه هذا لا نستطيع ان احكم عليه الان وانها هناك احتمال ان يكون قدر الظروف الصعبة القاسية وظن انه من الأحسن ان يترك الامر الى ان تتاح فرصة اخرى ، ان الامير عبد القادر في هذه المرحلة دخل في تصوف غريب وأصبح صوفيا ودخل في عالم آخر وهو عالم محي الدين بن عربي عالم قطع صلته بجميع اشياء العالم الخارجى ولذلك اوصى ان يدفن بجانب محي الدين بن عربي في الشام

ان يكون لنا تاريخ حقيقى فيه نقد وفيه بيان
الوقائع وتمحيصها .

ملاحظات قصيرة في مسألة المطابع :

الاستاذ حليمي : المطابع في الجزائر في العهد
التركي كانت مفقودة ، فالمتتبع لتاريخ المطابع
والجرائد بالجزائر ، يجد أنها بدأت تظهر في عهد
الاحتلال الفرنسي فقط . ولهذا فان المطابع
بالجزائر كانت تعمل تحت ادارة واشراف
الاستعمار الفرنسي الذي يولى عليها ما يخدم
مصلحته فقط .

الاستاذ سعد الله : هناك ملاحظة على هذه
الوصية فقد قال الاستاذ عمار طالبى اننى
مصورها تصويرا وفرح لما عثر عليها كوثيقة
تاريخية ، انكم تعرفون ان المؤرخ اذا وجد وثيقة
مكتوبة فانه يعتبرها كنزا ان هذه الوثيقة تساعد
على فهم ثورة ١٨٧١ وتكشف على نفسية الفترة
كتبت فيها سواء من الاشخاص الذين حرروها
أو الذين املوها ، وعلى كل حال بالنسبة للمؤرخ
فهي مهمة والوصية الاولى بالذات والمقدمات
تكشف (اذا صح انها منسوبة للشيخ الحداد)
على ان الشخص كان ايضا يكتب ويتكلم بمرارة
وانه غير يائس . ولو كنا من علماء النفس وحللنا
هذه الكلمات لوجدنا مثلا « ان الليل يعقبه
النهار » وان « بعد الشدة الفرج » وان « الصبر
تعقبه نتيجة طيبة » الى آخره .

ومعنى ذلك ان هناك عبارات واحدة في مرحلة
يأس ، لكن ليس هو يأس من المستقبل على
فرض انها منسوبة اليه . لكن هناك شيئا فيها
توحى بالشك كما لاحظ بعض الاخوان . ولاشك
ان كثيرا من الفرنسيين ، وبالاخص جماعمة
المكاتب العربية المستعربين فكثيرا ما كانوا

يكلفون بعض الجزائريين بكتابة اشياء تخدر
الشعب وتخدم المصالح الفرنسية .

وخلاصة الفكرة ان هذا يحقق الفكرة
الاستعمارية التي كانت تريد تهدئة الناس عندئذ
بعد الثورة مباشرة .

النقطة الثانية حول موقف الاجانب او بعض
الاخوان سال على ثورة ١٨٧١ فنى احد الاضياف
كنت في سورية والتقيت مع جماعة من احفاد
الامير ومنهم حفيد كان كبير السن وجدته على
الفراش وسمعت بأنه توفي اخيرا فقلت له اتيت
لكى آخذ بعض المعلومات عن اسرة الامير في
دمشق فقال لى انتم اخذتم منا الحكم ، واخذتم
منا السلطنة ، قلت من نحن ، قال انتم
الجزائريون . على كل حال قلت هذا شيخ كبير
ولعله اصبح لا يسيطر على كلماته في مرحلة من
هذا النوع ، ولكن مع ذلك استفدت من الكلام
معه ، ومما قال لى وانا اسجل هذا في مذكراتى
الخاصة بأن الامير عبد القادر هو الذى ارسل
ابنه محى الدين عن طريق طرابلس ، التي كانت
تابعة للدولة العثمانية ، ثم جنوب تونس .

ودخل محى الدين الى الجزائر على طريق
الجنوب الشرقى ، وكما قال الاستاذ جمال ، ان
الامير هو الذى ارسل ابنه محى الدين لتأييد
الثورة ولاعطاء تأييده للثورة ولكن في نفس الوقت
قال لى الحفيد المذكور ونظرا لان الامير قد تعمه
لفرنسا بأنه لا يحمل السلاح وان الامير رجل
دين يحافظ على كلماته فانه لم يذهب بنفسه
وانما ارسل ابنه سريرا ، وكتب في نفس الوقت
رسالة يتبرا فيها من ابنه رسميا واعطاها
لالجرائد ، يعنى انه غير مؤيد له لا يقف معه في

هذا الموقف وانه ذهب رغما عنه السخ . واذا صح فهذا موقف يحتاج ايضا الى فهم نفسية الامير والحرص الذي كان فيه . واذا صح ايضا فهو موقف يؤيد ابنه على الثورة فهو عندما ياتي الى الجزائر سيأتي لتأييد الثورة باسم والده ، باسم الامير عبد القادر بن محي الدين المرابط المعروف ، لكن في نفس الوقت تبرأ منه حتى لا يخون كلماته وتعهده على الاقل في الظاهر بالنسبة للاجانب . والاستاذ عمار طالبي فيما اظن اطلق حكما عاما وفي الحقيقة نحن نعرف ان اسرة الامير كان فيها وفيها كما يقال . مثلا الامير على ابن الامير عبد القادر لعب دورا كبيرا ، وقد كان نائبا في البرلمان العثماني وأيد الثورة ضد الفرنسيين أثناء الحرب العالمية الاولى وكان هناك ابن آخر للامير وهو اصغرهم وهو الامير عيد المالك، الذي قام بثورة ضد الفرنسيين في المغرب الأقصى وظل يحارب الفرنسيين حوالي ١٥ سنة وقد مات في معركة أوف ١٩٢٤ بالمغرب ظن الفرنسيين . طبعا قصته ليست معروفة للجميع ولا تزال في الغموض . وهي تحتاج ايضا الى تفسير تاريخي وقد مكنتني ابنه الذي ما زال حيا في دمشق من وثائق والده الامير عبد المالك ودوره في ثورة المغرب الأقصى التي قام بها بتأييد من المانيا والدولة العثمانية أثناء الحرب العالمية الاولى . وهناك نقطة أخيرة بالنسبة لموقف الاجانب ، من ثورة ١٨٧١ ، لكن ليس لدينا وثائق مهمة على موقف المانيا لثورة ٧١ ، لكن نعرف بان هناك تأييدا سياسيا ومعنويا للثورة اما التأييد المادي فليس لدينا دليل عليه الآن ويحتاج الى الدراسة . اما موقف الدولة العثمانية بالذات من ثورة ٧١ فلدينا

وثائق تحتاج الى دراسة لكن حصلنا على دراسة في هذا الموضوع ستظهر قريبا انشاء الله حول موقف الدولة العثمانية من ثورة ٧١ ، بالوثائق ونفس التعبير في هذه الايام يحتاج الى تحديد فهل نكتب ثورة المقراني او ثورة الشيخ الحداد او ثورة الجزائر في ١٨٧١ . لان الشيخ المقراني لم يلعب دورا رئيسيا في الحقيقة ولكن الشيخ الحداد والطريقة الرحمانية لعبت دورا رئيسيا غير ان الثورة في الواقع كانت ثورة شعبية ، ثورة جزائرية وعلى كل حال انتم ثرون ان الموضوع لا يزال في حاجة الى دراسة من الناحية التاريخية .

الطالبي : هذا كلام فيما يتعلق بالامير عبد القادر وبراعته هو نفس الكلام الذي قاله هذا الرحالة التونسي في الرحلة الحجازية قال بالبراء وذكر شخصا آخر جاء الى سوق اهراس ، وعمل ثورة وفر الى تونس وطلبت فرنسا من الباي سجنه فسجن في تونس في حلق الوادي الى انه مات ، اظن انه فيما يتعلق باولاد الامير عبد القادر بطبيعة الحال انا لا اقدر ان اتهم الجميع وانما البعض فقط واني اعلم دور عبد المالك في الريف وثورته فيه .

محمد العربي : ارجو ان نكون قد انتهينا من الحديث الآن واشكر الاخوة الزملاء والاخوان الذين شاركوا في المناقشة ولن شاء الله نعدكم ان نلتقي مرة اخرى ولا تكون هذه المرة اول اغريل ان شاء الله سلسلة من هذه المحاضرات وهذا النشاط الثقافي ونحاول ما امكن ان نعطي صورة احسن لفائدة ثقافتنا وتاريخنا ولغائدة جامعاتنا وبلادنا والسلام عليكم .

من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية حول الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى

تعقد وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، فى وهران من ٢٧ جمادى الاولى الى ٩ جمادى الثانية ١٣٩١ هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٩٧١ م الى ٣١ منه . الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى الذى سيحضره طلاب جامعات الجزائر ووهران وقسنطينة وتلاميذ السنتين السادسة والسابعة من الثانويات (الاولى والثانية سابقا)

وقد دعيت لهذا الملتقى شخصيات جامعية بارزة من العالم الاسلامى .
والملتقى مفتوح لكل طالب مسلم ، حيثما كان .
ونظام الملتقى هو النظام الداخلى ، ويمكن السماح بالنظام الخارجى لمن يطلبه .

ويسمح للاطارات الادارة الجزائرية - بقدر الامكان - بالمشاركة فى الملتقى .
هذا وستحمل الوزارة ، فى اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب الوطنى ، الا انه سيطلب من المشاركين اسهام رمزى لا يتجاوز خمسين دينارا جزائريا .

وترسل طلبات المشاركة الى وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ٤ نهج تيمقاد ، حيدرة الجزائر ، مع نكر كلمة « الملتقى » على زاوية الغلاف .
وأخر أجل لقبول طلبات المشاركة هو ٢٠ ربيع الاول ١٣٩١ الموافق ١٥ ماى ١٩٧١ م .

وعلى كل مترشح ان يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية .

حول الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى

طلبتهم بشهادة طبية وشهادة مدرسية ، اما المترشحون من سلك التعليم والموظفين الذين سيسمح لهم بالمشاركة فى حدود الامكان فمطالبون بالشهادة الطبية وشهادة العمل ، وترسل طلبات المشاركة الى وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية

٤ - شارع تيمقاد حيدرة الجزائر ، مع كتابة كلمة الملتقى على زاوية الغلاف .

١ (اللغة والثورة الثقافية .
٢ (مشاكل الاسرة الاسلامية وتربية الجيل فى مجتمع اليوم .
٣ (الاسلام ومتطلبات التنمية فى الاقتصاد الحديث .
هذا ونذكر بان آخر أجل حدد لقبول طلبات المشاركة هو ٢٠ ربيع الاول ١٣٩١ هـ الموافق ١٥ ماى ١٩٧١ م .
وعلى كل مترشح من طلبة وتلاميذ السنتين الاخيرتين من التعليم الثانوى ان يرفقوا

استعدادا للملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى الذى سينعقد بعاصمة الغرب الجزائرى وهران من ٢٧ جمادى الاولى الى ٩ جمادى الثانية ١٣٩١ هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٩٧١ الى ٣١ منه .

نود ان ننهى الى علم كل من يهمه هذا الملتقى من اساتذة وطلبة وغيرهم ، ان مدار البحث سيكون مركزا حول المواضيع الاتية :

الذكرى ٣١ توفاة

الشيخ

عبد الحميد بن باديس



إبن باديس

والشخصية

الجزائرية

قتل اللغة العربية
والقضاء على
التراث العربي
الاسلامي في
الجزائر من اهداف
الاستعمار ليتوصل
الى خلق اجيال
من الجزائريين بلا
اصالة ولا عمق.

ترك رابح



يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس احداً الرجال القلائل الذين ناضلوا بصلافة وايمان طيلة ربع قرن من الزمن عن الشخصية الجزائرية التي تتكون في رايه من ثلاثة عناصر هي :

- ١ - الاسلام ،
- ٢ - العروبة ،
- ٣ - الوطنية الجزائرية .

ولعل عبقرية ابن باديس في هذه الناحية تعود الى انه كان من الرواد الاوائل الذين ادركوا بعمق نظرتهم ، ونفاذ بصيرتهم الى ان تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي انما تبدأ الخطوة الاولى فيه من المحافظة على الشخصية الجزائرية ، والعمل على بعث مقومات هذه الشخصية من سباتها العميق ، بعد ان عمل الاستعمار بكل جهوده على محاولة القضاء عليها ومسح ملامحها العامة .

لذلك فان اشادتنا واشادة الشعب بشخصية ابن باديس انما ترمز في الواقع الى هذا المعنى الكبير ، وهو وجوب المحافظة على الشخصية الجزائرية حتى يصبح لاستقلالنا الوطني مضمونه الايجابي في حياتنا العامة .

ولا يمكن ان نفهم عظمة الدور الذي نهض به الشيخ عبد الحميد بن باديس في تاريخ الجزائر الحديث الا اذا القينا نظرة ولو خاطفة على العصر الذي عاش فيه ابن باديس واثار في توجيهه هذه الوجهة التي سار فيها وهي وجهة النضال عن الشخصية الجزائرية الذي يقود حتما الى تحرير الجزائر في النهاية في نطاق حضارتها العربية الاسلامية لافي نطاق التجنيس او الاندماج او الفرنسة كما كان البعض من الجزائريين منذ بداية هذا القرن وخلال العشرينات ينادون بذلك .

وهو ما حققته فعلا ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ حيث اعلنت منذ البداية بان تحرير الجزائر يجب ان يكون في نطاق الحضارة العربية الاسلامية .

الخطوط العامة لسياسة فرنسا في الجزائر

إذا تتبعنا ملامح السياسة الفرنسية منذ الأيام الأولى للاحتلال في عام ١٨٣٠ الى غاية خروج الاستعمار من الجزائر في عام ١٩٦٢ فاننا نجد لها قد سارت في أربعة خطوط متوازية تلتقي كلها في النهاية عند نقطة واحدة وهي الحق الكامل للشخصية الجزائرية حتى لا تقوم للجزائر قائمة في يوم من الأيام . هذه الملامح او الخطوط العامة للسياسة الفرنسية في الجزائر يمكن اجمالها في الخطوط الاربعة التالية :

اولا : التفجير ،

ثانيا : التجهيل ،

ثالثا : الفرنسية ،

رابعا : التنصير .

فالتفجير يتمثل في اغتصاب الارض من الجزائريين التي هي مصدر حياتهم الاساسي وارهائهم بالضرائب والغرامات الجماعية الفادحة التي تسببت في افقار معظم الجزائريين وخروج مصادر الثروة الوطنية من ايديهم وهي الارض والعقارات .

ومن المعروف ان ملكية الارض في الجزائر كانت قبل دخول الاحتلال الفرنسي الى البلاد عام ١٨٣٠ تسير حسب القواعد الاصلاحية ، وكانت هناك اربعة انواع من الملكية الزراعية في الجزائر هي :

١ - اراضى الاوقاف الاسلامية ،

٢ - اراضى الدولة الجزائرية ،

٣ - اراضى القبائل او العروش ،

٤ - اراضى الاملاك الفردية .

وقد رسم الجنرال بيجو سياسة الاستعمار الفرنسي فيما يخص الاستيلاء على املاك الجزائريين فقد اعلن في ١٤ ماي ١٨٤٠ في مجلس النواب الفرنسي قائلا . حيثما وجدت مياه غزيرة ، وارض خصبة ، يجب ان يقيم المعمرين دون الاهتمام بالسؤال عن اصحاب هذه الارض . . وطبقا لهذه السياسة تم الاستيلاء على اراضى الاوقاف الاسلامية وضمتا معا الى املاك الدولة الفرنسية في عام ١٨٤٣ ، وقد قررت سلطات الاحتلال عدة

اسباب للاستيلاء على اراضى المواطنين الجزائريين تلخص فيما يلي :

١ - القيام باعمال عدائية ضد الاحتلال الفرنسي او اعانة الثوار ضد فرنسا ،

٢ - ترك الارض والالتحاق باعداء فرنسا من الثوار ضد احتلالها ،

٣ - احراق القابلات .

وبما ان المقاومة للاحتلال قد شملت معظم انحاء الجزائر واستمرت الثورات متوالية ضد فرنسا سنين طويلة ، فقد استولت فرنسا على مآت الالوف من الهكتارات وضمتها الى املاك الدولة الفرنسية .

ثم قامت بتوزيعها على المواطنين الاوروبيين الذين جلبتهم الى الجزائر من كافة انحاء اوروبا ، وقد سلكت فرنسا في مسألة الارض في الجزائر سياسة المهاجرين الاوروبيين لافريقيا الشمالية في اراضى الهنود الحمر في أمريكا وتركهم احرارا في ان يموتوا جوعا . . وكذلك فعلت فرنسا بالنسبة للجزائريين .

ولم يصل عام ١٩٠٠ حتى وصلت جملة الاراضى التي صودرت من الجزائريين الى ٢٢٥.٠٠٠ هكتارا من اجود الاراضى الزراعية وصار معدل ما يملكه كل فلاح اوروبى من الاراضى الفلاحية ١٠.٨ هكتارات في مقابل ١٤ هكتارا لكل فلاح جزائرى .

وخلاصة القول ان سياسة فرنسا في الجزائر كانت سياسة اسكان ما امكن من المستوطنين الاوروبيين في الاراضى الجيدة ، وابعاد الجزائريين عن تلك الاراضى وحصرهم في الجنوب الصحراوى وفي المناطق الجبلية في الشمال ، وقد وضعت الحكومة الفرنسية نصب عينها عملية انتزاع الارض من الجزائريين وخاصة في مناطق التل الخصبة وقد ترتب على تنفيذ هذه السياسة ان خرجت مصادر الثورة الرئيسية من ايدى الجزائريين الامر الذى ادى الى تدهور اقتصادى عام في حياتهم ظهر في حركات الهجرة الواسعة النطاق الى فرنسا للعمل من اجل كسب القوت .

أما سياسة تجهيل الجزائريين فتتضح في أن فرنسا قد قضت على معظم المدارس والمعاهد التي كانت موجودة في الجزائر قبل الاحتلال ، ثم استولت على أملاك الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بالانفاق على التعليم والثقافة في البلاد وبذلك ماتت معاهد العلم التي سلّمت من الدمار الاستعماري وتفرقت الطلبة والأساتذة شذروا مذر . كما عمد قادة الاحتلال إلى نهب المكتبات الجزائرية ولم تسلم حتى مكتبة الأمير عبد القادر حيث قام جنود الجنرال « دوق دومال » بتخريب هذه المكتبة العامرة حتى أن المؤرخين يقولون بأن الأمير عبد القادر أصابته نوبة من الحزن الشديد وهو يتتبع أثر الطابور الفرنسي مسترشدا بالاوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيين من الكتب التي عانى الكثير في جمعها ..

أما عدد التلاميذ الجزائريين في المدارس الابتدائية الفرنسية فقد بلغ في عام ١٨٥٠ (٦٤٦) تلميذا ، ووصل عددهم في عام ١٨٧٠ إلى ١٣ ألفا ثم هبط عددهم بعد قيام ثورة المقراني المشهورة إلى ٣١٧٢ تلميذا ، وذلك في ١٨٨٠ ، في حين أن عدد الأطفال الأوروبيين قد وصل في عام ١٨٧٠ إلى (٤٤٣٢٦) تلميذا وتلميذة ومما يدل على سياسة التجهيل التي كانت تسير عليها فرنسا في الجزائر أن ميزانية إدارة الأمن العام (البوليس) الخاصة بمكافحة الحركات الوطنية الجزائرية قد خصص لها في ميزانية عام ١٨٤٧ مبلغ مالي يقدر بمليار من الفرنكات ، بينما لم يخصص لتعليم أبناء الجزائريين في نفس الميزانية سوى ٨٠ مليون فرنك فقط .

لذلك كانت الأمية منتشرة بين النساء الجزائريات بنسبة ٩٩ ٪ وبين الرجال بنسبة ٩٥ ٪ ، أما سياسة فرنسا في الجزائر فتتضح في موقف الاستعمار الفرنسي من لغة البلاد وهي اللغة العربية ، فقد اتخذت الإدارة الاستعمارية منذ البداية موقفا عدائيا من اللغة العربية وابتعدتها أبعدا كاملا من من الإدارة الحكومية ومن معاهد التعليم في جميع مراحلها تقريبا كي تتمكن من فرنسا

الجزائريين فرنسا كاملة يدل على ذلك ما جاء في إحدى التعليمات التي صدرت في أوائل أيام الاحتلال عقب الشروع في تنظيم الإدارة الحكومية في الجزائر فقد ورد فيها ما يلي : « أن بلاد الجزائر لن تصبح حقيقة — مملكة فرنسية — الا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية . العمل الجبار الذي يترتب علينا انجازه هو السعى وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي الجزائريين بالتدريج الى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن » .. وجاء في تقرير فرنسي رسمي في عام ١٨٤٩ ما يلي :

« لا ننسى أن لغتنا هي اللغة الحاكمة فان قضاءنا المدني كذلك يصدر احكامه على العرب الذين يقفون في ساحته بهذه اللغة ، وبهذه اللغة (اي الفرنسية) يجب أن تصدر باعظم ما يمكن من السرعة جميع البلاغات الرسمية ، وبها يجب أن تكتب العقود ، وليس لنا أن نتنازل عن حقوق لغتنا ، فان اهم الامور التي يجب أن يعتنى بها قبل كل شيء هو السعى وراء جعل اللغة الفرنسية دارجة وعامة بين الجزائريين الذين عقدنا العزم على استمالتهم لنا وتمثيلهم وادماجهم فينا ، وجعلهم فرنسيين » .

والواقع أن المخطط الاستعماري قد ركز سياسته منذ البداية على ضرب الشخصية القومية للشعب الجزائري متمثلة في اللغة العربية أولا ثم في تراثها الثقافي والحضاري ثانيا كي يعوق عملية البعث القومي العام في مستقبل الأيام ولذلك اقام انظمته التعليمية في الجزائر معزولة ومقطوعة عن التاريخ الجزائري ، وارضية التراث الثقافي القومي وبذلك أراد قتل الاثنين معا :

قتل اللغة العربية ، ثم القضاء على التراث العربي الاسلامي في الجزائر كي يتوصل الى الهدف الاساسي وهو خلق اجيال من الجزائريين بلا أصالة ولا عمق يمكن فرنستهم بسهولة ويسر ، وقد عمد الاستعمار الى فرنسا سائر مظاهر الحياة الجزائرية حتى المدن أصبحت تحمل أسماء حكماء وجنرالات فرنسيين مثل : باسكال ، وفولتير ، وفيتكتور

- ١ - القضاء على الدين الاسلامى قضاء تاما ،
- ٢ - القضاء على الثقافة العربية الاسلامية ،
- ٣ - القضاء على اللغة العربية التي هي وعاء الفكر والثقافة في الجزائر ،
- ٤ - القضاء على الجنسية الجزائرية ،
- ٥ - العمل على تشويه تاريخ الجزائر في ظل الحضارة العربية الاسلامية ،
- ٦ - العمل على تفكيك عرى الوحدة الوطنية للشعب الجزائري عن طريق اثارة الشقاق والفتن بين ابناء الجزائر بدعوى ان الجزائر يسكنها عنصران من الاجناس لا عنصر واحد وهما : العرب والبربر تمشيا مع سياسة فرق تسد .

وبالاضافة الى كل هذه الامور فقد كان الجزائريون يعيشون في ظل احكام قوانين الانديجينا الرهيبة التي كانت منذ بداية صدورها في عام ١٨٧٤ - وتوسيع نطاق العمل بها في عام ١٨٨١ وهي مطلقة على رقاب الشعب الجزائري بحيث لا تترك له متنفسا يتنفس فيه . وقد وصف لنا قسوة هذه القوانين التي لم تلغ الا في عام ١٩٣٠ الزعيم المصري المعروف محمد فريد بك الذي قام بزيارة للجزائر في عام ١٩٠١ في مقال نشره في جريدة اللواء المصرية في ٩ أكتوبر ١٩٠١ فقال : « يعامل المسلمون في الجزائر بقوانين مخصصة في غاية الشدة والصرامة فهم محرومون من حرية الكتابة وحرية الاجتماع ، بل ومن السفر والانتقال ، وحرية مطالعة الكتب ، والجرائد ، ومن الغريب في بلاد الجزائر انه لا يوجد للعربي ان يسافر خارج المركز الذي يقيم في دائرته الا باذن من البوليس يبين له فيه الجهة التي يقصد الذهاب اليها ، والمدة التي يمكنه التغيب فيها عن قريته او مدينته ، وعليه ان يتوجه لمركز البوليس في الجهة التي يقصدها بمجرد وصوله اليها كي يعلم له على الجواز .. ثم يقول : وبالجمله فقد كانت حالة الجزائريين في ظل القوانين الاستثنائية (الانديجينا) المذكورة حالة لا تطاق . وكان الضيق الاكبر

هيجو ، والجنرال سانتارنو ، وروفيكو ، ولا فاييت ، وميشال الخ .. وكذلك اسماء الشوارع والبيادين والساحات الى آخره .. اما سياسة التنصير وهي النقطة الرابعة في المخطط الاستعماري للقضاء على الشخصية القومية للشعب الجزائري . فتتمثل في موقف الاستعمار الفرنسي من الاسلام واوقافه ومحاكمه ومساجده ومعاهده العلمية ، فمنذ البداية عمد قادة الاحتلال الى الاستيلاء على المساجد الاسلامية وتحويلها الى كنائس كما حصل لجامع كتشاوة في العاصمة ، وغيره من المساجد الاخرى في كافة المدن الجزائرية وبعد احتلال مدينة الجزائر ارسل قائد الحملة الى القسيس الذي رافقها خطابا قال له فيه : « انكم جئتم معنا الى هنا لتفتحوا من جديد ابواب المسيحية في افريقيا » ..

وكان الجنرال بيجو احد قادة الاحتلال يجمع الاطفال الجزائريين اليتامى ويأتي بهم الى القسيس فيسلمهم له قائلا : « حاول يا ابني ان تجعلهم مسيحيين واذا فعلت ذلك فلن يعودوا الى دينهم ليطلقوا علينا النار » ، وقد تولى الكاردينال «لافيجري» مسؤولية تنفيذ سياسة تنصير واسعة النطاق في الجزائر حددها بقوله : « علينا ان نجعل من الارض الجزائرية مهدا لدولة مسيحية تضاء ارجاؤها بنور منبع وحيها الانجيل .. تلك هي رسالتنا » ..

والامر الذي يثير الدهشة حقا هو ان فرنسا اصيحت تنشر المسيحية بين الجزائريين بواسطة اموال الاوقاف الاسلامية التي استولت عليها ، وعن طريق المساجد الاسلامية التي حولتها الى كنائس في مختلف مدن القطر ثم جعلتها مصيدة لتنصير الجزائريين .

وقد تعاونت الادارة الاستعمارية في الجزائر مع رجال التبشير المسيحي على اختلاف مذاهبهم ونحلهم في محاولة تنصير الجزائريين واخراجهم من دينهم الاسلامي وبالجمله فقد تجلت سياسة الاستعمار الفرنسي لتحطيم الشخصية الجزائرية في في الامور التالية :

يكتنفهم من كل جهة واحكام الانديجينا الصارمة تنزل على رؤوسهم كالكابوس الرهيب .. » ، هذه باختصار كبير هي حالة العصر الذي نشأ فيه ابن باديس الذي ولد في عام ١٨٨٩ وتوفي في ١٦ ابريل ١٩٤٠ ، وهذه هي استراتيجية فرنسا والخطوط العامة التي سارت فيها السياسة الفرنسية منذ بداية الاحتلال في عام ١٨٣٠ حتى فجر يوم الاستقلال في عام ١٩٦٢ لتحطيم الكيان الجزائري . ومحاولة القضاء عليه بكل الوسائل الممكنة كما قلنا - التفجير ، والتجهيل ، والفرنسة ، والتنصير - فما هي استراتيجية ابن باديس لمقاومة هذه الاستراتيجية الاستعمارية واجباط مخططاتها العدوانية ضد الكيان الجزائري او الشخصية الجزائرية ؟

نقوم استراتيجية ابن باديس على اساس عمل نشيط ومضاد لاهداف السياسة الاستعمارية يتمثل في العمل بكل وسيلة ممكنة للحفاظ على مقومات الشخصية الجزائرية بكل ابعادها الثقافية ، والحضارية ، والروحية . ولقائل منا ان يقول لماذا لم يتجه ابن باديس منذ البداية عندما شرع يعمل في ميدان التربية والتعليم والاصلاح الديني في عام ١٩١٣ الى السياسة مباشرة كما كان يفعل معظم الجزائريين في ذلك الوقت ؟

والجواب هو ان ابن باديس لم يتجه الى السياسة لعدة اعتبارات في نظرنا :
١ - عدم جدوى العمل السياسي الذي كان في ذلك الوقت يتمثل في الخطاب ، والاجتماعات والمظاهرات فقط لانه غير مجد في نظر ابن باديس في الحد من خلافة وعنف السياسة الاستعمارية حيث ان الاستعمار لا يفهم الا لغة واحدة فقط ، هي لغة القوة ، وما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، كما يقول المثل ، والسياسة لا تؤمن بالقوة ، وانما تعمل في نطاق الشرعية .

٢ - ان العمل السياسي المجدي غير ممكن في ظل قوانين الانديجينا الرهيبة التي كان الشعب الجزائري ابتداء من عام ١٨٧٤ حتى عام ١٩٣٠ يعيش تحت سيفها المسلط على رقابه وهي تحصى عليه حتى انفاسه التي

يتنفسها خصوصا وان الوعي الشعبي العام كان في هذا الوقت في ركود وخمود تامين .
٣ - ان الاخطار كانت تهدد الكيان الجزائري في صميمه تهديدا مباشرا - كما سبق أن ذكرنا - لهذه الاعتيارات التي ذكرنا وغيرها مما لم نذكره لضيق المقام ، قامت استراتيجية ابن باديس على اساس احباط خطط فرنسا ضد الكيان الجزائري التي ذكرناها وهي التفجير ، والتجهيل ، والفرنسة ، والتنصير ، وذلك عن طريق العمل بكل همة ونشاط على المحافظة على الشخصية الجزائرية التي يلخصها ابن باديس في في شعاره المشهور وهو :

« الاسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا » . ولا ينبغي ان يفهم من كلامنا هذا ان ابن باديس لم يخض في السياسة او لم يشارك في النشاط السياسي الذي كانت تقوم به الهيئات والمنظمات الجزائرية خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى ، وانما نقصد ان التركيز في عمل ابن باديس كان في البداية موجها كله تقريبا الى الجانب القومي من الشخصية الجزائرية . وعلى كل حال يمكننا ان نميز ثلاث فترات في نشاط ابن باديس القومي :

الفترة الاولى تبدأ من عام ١٩١٣ الى غاية عام ١٩٢٥
والفترة الثانية تبدأ من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٣١ وهو العام الذي احتقلت فيه فرنسا بمرور قرن كامل على احتلالها للجزائر
اما الفترة الثالثة فتبدأ في ١٩٣١ وهو العام الذي كون فيه ابن باديس وصحبه جمعية العلماء حتى عام ١٩٤٠ وهو العام الذي توفي فيه .

ففي الفترة الاولى او المرحلة الاولى فقد ركز عمله وجهوده كلها في التربية والتعليم بالنهار للأطفال والشباب ، وبالليل للشباب والكبار في دروس التفسير والحديث ، والحضارة الاسلامية ، وكان هدفه من ذلك هو تكوين مجموعة من الرجال يتلقون عنه الدعوة الاصلاحية والتوجيه العربي الاسلامي الرشيد ، حتى يعملوا على نشر العلم

هامة في الأفكار السياسية التي تشغل بس المواطنين . ويعمل على الخروج بدعوته القومية من دائرة مدينة قسنطينة وضواحيها فقط الى نطاق القطر الجزائري كله . وفي هذه الفترة اصدر جريدة المنتقد في الثماني من شهر جويلية ١٩٢٥ ثم جريدة الشهاب في نفس العام التي استمرت في الصدور كجريدة اسبوعية من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٩ ثم تحولت الى مجلة شهرية حتى عام ١٩٣٩ حيث توقفت نهائيا عند بداية الحرب العالمية الثانية .

يقول ابن باديس في اول افتتاحية كتبها في العدد الاول من جريدة المنتقد ١٩٢٥ تحت عنوان : خطتنا ... مبادئنا ، وغايتنا ، وشعارنا . يقول :

« لسم الله ، ثم باسم الحق والوطن ، ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن اليها ساعون والمبدأ الذي نحن عليه عاملون ، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها لا مقصرين ولا متوانين ، راجين أن ندرك شيئا من الغاية التي نرعى اليها بعون الله ثم بجندا وثباتنا ، واخلصنا ، وإيمان أخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن

... ولاننا جزائريون نعمل لاسعاد شعب الأمة الجزائرية ، واحياء روح القومية في ابنائها ، وترغيبهم في العلم النافع والعمل النافع والعمل المفيد ، وحتى ينهضوا كامة لها حق الحياة ، والانتفاع في العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للانسانية .

ثم يقول : واننا نحب الانسانية ونعتبرها كلا ، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الانسانية ويخدمها ، ونبغض من يبغضها ويظلمها .. وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ، ونبغض من يبغضه ويظلمه ، فلهذا نبذل غاية الجهد في خدمة وطننا الجزائري ، وتحبيب بنيه فيه، ونخلص

والاصلاح بعد توزيعهم في مختلف أنحاء البلاد كي يمكن الاعتماد عليهم في بث الوعي القومي والاسلامي العام في أفراد الشعب أي أنه بدأ بخلق أرضية ثابتة تقف عليها دعوته الإصلاحية وعمله التربوي قبل أن ينغمس في التيارات السياسية يقول ابن باديس : في مقال له بعنوان « عبداويون ثم وهابيون » ثم ماذا ؟ لا ندري والله نشره في العدد الثالث من جريدة السنة الصادرة في ٢٩ ذي الحجة ١٣٥١ هجرية يقول :

« لما قتلنا من الحجاز وخلصنا بقسنطينة عام ٣٢ هجرية (أي عام ١٩١٣ ميلادية) وعزمنا على القيام بالتدريس ادخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة وادبها ، والتفسير والحديث ، والاصول ومبادئ التاريخ ، ومبادئ الجغرافيا ومبادئ الحساب الى ان يقول ... « ومضينا على ما رسمنا من خطة وحمدنا الى ما قصدناه من غاية ، وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشر علمي لم نخلط به غيره ، من عمل آخر ، فلما كملت العشر (أي عشر سنوات) وظهرت يحمده الله - نتيجتها راينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة الى الاسلام الخالص ، والعلم الصحيح الى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة ، وطرح البدع والضلالات ، ومفاسد العادات ، فكان لزاما علينا أن نؤسس لدعوتنا صحافة تبلغها للناس ، فكان المنتقد ١ جريدة المنتقد التي اصدرها ابن باديس في عام ١٩٢٥ وكانت جريدة « الشهاب » التي خلفت جريدة المنتقد التي اوقفتها فرنسا بعد صدور ثمانية عشر عددا فقط منها في عام ١٩٢٥ أيضا ، اذن فقد كانت هذه المرحلة من عمل ابن باديس عبارة عن مرحلة اعداد للجيل واعداد التربة الصالحة للدعوة الإصلاحية السلفية .

اما المرحلة الثانية فتبدأ من عام ١٩٢٥ الى عام ١٩٣٠ وفي هذه الفترة أو المرحلة بدأ ابن باديس الى جانب عمله الاساسي في التربية وتكوين الرجال والاصلاح الديني والاجتماعي للمجتمع الجزائري ، بدأ يساهم مساهمة

**لكل من يخلص له ، وناوى كل من يناوئه
من بنيه وغير بنيه » .**

ويتطرق الى الحديث عن حقوق الجزائري
التي ينبغي على فرنسا أن تسلم بها طبقا
لمبادئ الثورة الفرنسية فيقول :

« ان الامة الجزائرية قامت بواجبها نحو
فرنسا في ايام عسرها ويسرها ، ومع الاسف
لم نر الجزائر نالت على ذلك ما يصلح أن
يكون جزاءها ، فنحن ندعو فرنسا الى ما
تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية « الحرية -
والمساواة - والاخوة » من رفع مستوانا
العلمي والادبي بتعميم التعليم الحديث .
وتشريكنا تشريكا صحيحا سياسيا واقتصاديا
في ادارة شؤون وطننا الجزائري .

ويختم هذه الافتتاحية الهامة جدا في نظرنا
بقوله : « هذه مبادئنا وهي مبادئ الصحافة
الحرّة الصادقة التي هي قوة لا غنى لامة
ناهضة في هذا العصر عنها .

**هذه مبادئنا وسيرضى عنا بها الاحرار
المفكرون اصحاب الصدور الواسعة والقلوب
الكبيرة من الوطنيين والفرنسيين، وسيغضب
بها علينا المستبدون الظالمون والدجالون
المحتالون وصغار الادمغة وضيق الصدور
من بغات البشر .**

ونحن بين الجميع لا نخدم الا الحق ،
والوطن ، والدين ، ولا نسمع الا لصوت
وهي : « سعادة الامة الجزائرية بمساعدة
فرنسا الديمقراطية » « صارخين دائما
بشعارنا الرسمي وهو « الحق فوق كل احد
والوطن قبل كل شيء » وعلى الله ثم على
اجتهادنا واخلاصنا ومناصرة انصار المبادئ
الحرّة الاعتماد والانتكال » .

لقد اطلنا في نقلنا فقرات كبيرة من هذه
الافتتاحية الهامة لانها في نظرنا تشرح شرحا
واقيا عقيدة ابن باديس ومبادئه بكل وضوح
وقد يقال ان ابن باديس تحدث فيها عن
الروابط التي تربط الجزائر بفرنسا كقوله :
« سعادة الامة الجزائرية بمساعدة فرنسا
الديموقراطية » ولكن يمكن الرد على ذلك
بكل سهولة فان باديس كان دائما يستعمل

التقية حتى لا يتيح الفرصة للسلطات
الاستعمارية كي تقتضى على حركته الوليدة
ومن هنا رأينا يعقب على الشعار السابق
مباشرة بشعار آخر هو قوله : « صارخين
بشعارنا الرسمي وهو « الحق فوق كل احد ،
والوطن قبل كل شيء » ومعنى هذا بكل
بساطة ان سعادة الامة الجزائرية لن تكون
ابدا بمساندة فرنسا حتى ولو كانت حكوماتها
ديمقراطية حقا لان الواقع قد اثبت انه لن
يرجى خير للجزائر من فرنسا عن طريق
العمل السياسي وحده بدون ثورة شعبية
مسلحة تجبر الاستعمار الفرنسي على
الاعتراف بالحقوق الشرعية لاصحابها كما
حدث مثلا في ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤ التي
اجبرت فرنسا على الاعتراف بالاستقلال التام
للجزائر .

وان باديس بوجه عام كان يتبع سياسة
مرتبة في الوصول الى اهدافه البعيدة بدون
اية تضحية بالمبادئ الاساسية التي يعمل
من اجلها ، يوضح هذا قوله في أحد شعاراته
المشهورة « تستطيع الظروف ان تكيفنا -
ولكنها لا تستطيع ان تقهرنا » فهو قد يقول
كلاما تبدو فيه رائحة التعاون مع سلطات
الاحتلال مثلا ولكنه انما يقوله كي يدارى
سلطات الاحتلال فقط فهو من باب التقية كما
قلنا . اما المبادئ الاساسية التي يؤمن بها
ويطمح اليها الشعب الجزائري كله فهو لا
يتزعزع عنها قيد أنملة يوضح هذا قوله في
أحد مقالاته في الشهاب « من رام أن يحول
بيننا وبين فكرتنا التي نؤمن بها ويؤمن بها
المؤمنين الصادقون - فقد حاول عبثا قلب
الحقائق - ونحن لذلك لا نتزعزع عن تلك
الفكرة قيد شعرة - مهما طغى سيل الكوارث
على أمة لها ما للشعب الجزائري من الصفات
المرغوبة فيها، الكامنة كمن النار في الكهراء»

اما الفترة التابعة التي تبدأ من عام ١٩٣١
عند خاض ابن باديس في السياسة والنشاط
بقيط وافر واصبحت له كلمة نافذة في كل
الاحداث السياسية التي مرت بالوطن وفيها
المؤمر الإسلامي سنة ١٩٣٦ .

الجبهات التي حارب فيها ابن باديس

فاذا تساءلنا عن عدد الجبهات التي حارب فيها ابن باديس دفاعا عن الشخصية الجزائرية او الشخصية القومية للشعب الجزائري ؟ فالجواب عن ذلك هو ان ابن باديس حارب في اربع جبهات في وقت واحد وهى :

- ١ - الاستعمار .
- ٢ - رجال التبشير المسيحي .
- ٣ - رجال الطريقة الذين اصبحوا العوبة في يد الاستعمار .
- ٤ - دعاة التجنيس والاندماج والفرنسة .

فاما محاربته للاستعمار فلم تكن بطريقة مباشرة لانه كما سبق لنا ان ذكرنا لم يكون حزبا سياسيا في حياته على غرار الاحزاب السياسية التي عرفتها الجزائر منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ولكنه حارب الاستعمار وافسد سائر خطته ضد القومية العربية الجزائرية وبالتالي ضد حرية الجزائر واستقلالها عن طريق نضاله عن المقومات الاساسية للشخصية الجزائرية .

واللاحظ ان فرنسا لم تحسب اى حساب لعمل ابن باديس في البداية لانها كانت تظن انه كرجال الدين الاسلامى الجامدين في عصره وقد كانت تستهين بهم وتعتقد انهم جميعا بما فيها الشيخ عبد الحميد بن باديس على شاكلة واحدة يعيشون في غياهيب الاوراق الصفراء او الثقافة التقليدية الجامدة ولا يفقهون لتطورات العصر شيئا ولم تظن الى ان ابن باديس هو طراز فريد من العلماء وطراز فريد كذلك من الرجال ، وانه هو الذى سوف يهز الارض من تحتها في النهاية . وهكذا كان وعندما تنبعت فرنسا الى خطورة الدور الذى يلعبه ابن باديس على استعمارها في الجزائر بعد تكوين جمعية العلماء - وانتشار تلاميذ ودعوة ابن باديس - القومية في كافة انحاء الجزائر حاولت الحد من نفوذه وعرقلة اعماله والتضييق على نشاطه الاصلاحى والصحافى والتربوى ولكن زمام

الموقف كان قد افلت من يدها الى الابد فلم تستطع ان تفعل شيئا .

اما محاربته لرجال التبشير المسيحي الذين كانوا يعتبرون طابورا خامسا لخدمة الاستعمار واهدافه الخبيثة في البلاد فتجلى في النهضة العلمية والدينية التي بثها ابن باديس في الشعب وفي النوادي ، والجمعيات العديدة التي كونها هنا وهناك وفي المساجد الحرة التي انشأتها جمعية العلماء بقيادته ، وفي المقالات الدينية والاخلاقية التي كان ينشرها في جريدة المنتقد ثم في جريدة ومجلة الشهاب ، وفي جرائد جمعية العلماء ، وهى السنة ، والشرية ، والصراف ، والبصائر وكل هذا النشاط الاسلامى والعربى قد تضافر على احباط نشاط رجال التبشير المسيحي في تنصير ابناء وبنات الجزائريين ومما يدل على فشل اعمال المبشرين في الجزائر ما ذكره الدكتور غوستاف لوبون في كتابه « روح السياسة » حيث ذكر واقعة تدل على فشل اعمال المبشرين وهى ان الكاردينال « لافيجرى » جمع اربعة آلاف طفل يتيم جزائري ، وقام بتربيتهم تربية مسيحية ولكن معظمهم رجع الى الاسلام بعد ان بلغوا سن الرشد .

اما محاربة ابن باديس لرجال الطريقة فقد كانت بسبب البدع والضلالات التي أحدثوها في الدين الاسلامى من ناحية ، وبسبب ان معظمهم قد اصبح العوبة في يد الاستعمار الفرنسى ضد مصالح بلادهم العليا من ناحية اخرى .

يقول ابن باديس في مقال له نشره في الشهاب تحت عنوان :

« لماذا حارب الشهاب الطريقة ؟ »

« حاربنا الطريقة لما عرفنا فيها - علم الله - من نلاء على الامة من الداخل ومن الخارج ، فعملنا على كشفها وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب وقد بلغنا غايتنا والحمد لله . »

اما دعاة التجنيس بالجنسية الفرنسية وكذلك دعاة الاندماج فقد كان ابن باديس لهم بالمرصاد لان ذلك يمس باسس الكيان

الجزائري في الصميم وقد كانت له مع هؤلاء وهؤلاء معركة فاصلة . وعندما كتب أحد الساسة الجزائريين من دعاة الاندماج في عام ١٩٣٤ مقالا باللغة الفرنسية انكر فيه وجود الشخصية الجزائرية في التاريخ ، رد عليه ابن باديس في مجلة « الشهاب » رداً مفحماً أسكنه به .

يقول ابن باديس : **اننا نحن فتنسنا في صحف التاريخ ، وفتنسنا في الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية ، واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة ، وعواندها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبح ، شأن كل أمم في الدنيا . ثم ان هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ، ولو أرادت ، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد ، في لغتها وفي أخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين ، هو الوطن الجزائري ، بحدوده الحالية المعروفة ..**

مقومات الشخصية الجزائرية في نظرية

ابن باديس .

كان ابن باديس يرى أن مقومات الشخصية الجزائرية تتمثل في ثلاثة مقومات أساسية لا يمكن بقاء الشخصية الجزائرية قائمة في الوجود إلا ببقائها مجتمعة وهي :

١ - الإسلام .

٢ - اللغة العربية .

٣ - الجزائر بحدودها المعروفة .

وقد عبر عن هذه المقومات في الشعار الذي رفعه لنهضة الجزائر وهو « الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا . » فالشيخ عبد الحميد بن باديس لا يتصور مستقبلاً آخر للجزائر خارج دائرة الإسلام ، فالإسلام هو الذي تبنى عليه العزة القومية للشعب الجزائري . لأنه يشكل مانعاً حصيناً لشخصية هذا الشعب القومية ضد كل تبديد داخلي أو خارجي ولذلك بذل ابن باديس جهوداً كبيرة في تطهيره من البدع ، ومحاولة

أحياء جذوته في النفوس حتى يصبح قوة دافعة للجزائريين إلى النضال من أجل تحرير بلادهم . فعلى عام ١٩٣٨ القى ابن باديس خطاباً في جماهير المحتفلين يختم تفسيره للقرآن الكريم في كلية الشعب بمدينة قسنطينة تحت عنوان : « الإسلام دين الحياة والعلم والفن » ختمه بالقسم التالي :

« انني اعاهدكم على انني اقضى بياضى على العربية والإسلام ، كما قضيت سوادى عليهما ، وانها لواجبات - واننى سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن ، ولغة الإسلام والقرآن .. »

اما اللغة العربية فإن الشيخ عبد الحميد بن باديس يراها الرابطة التي تربط بين ماضى الجزائر المجيد ، وحاضرها الاثري ، ومستقبلها السعيد . ولا توجد هناك رابطة أخرى أقوى وأمتن من هذه الرابطة لذلك تجب المحافظة عليها . فاللغة العربية هي لغة الدين ، ولغة الجنس . ولغة القومية ، ولغة الوطنية المغروسة حسب تعبير ابن باديس لذلك يقول عنها :

« انها وحدها الرابطة بيننا وبين ماضينا ، وهي وحدها المقياس الذي نقيس به ارواحنا بأرواح أسلافنا ، وبها يقيس من يأتي بعدنا من ابنائنا وأحفادنا الغر الميامين ، أرواحهم بأرواحنا وهي وحدها اللسان الذي نعتر به ، وهي الترجمان عما في القلب من عقائد ، وما في العقل من أفكار ، وما في النفس من آمال وآمال . »

... ان هذا اللسان العربي العزيز الذي خدم الدين ، وخدم العلم ، وخدم الانسان . هو الذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان ، ونعمل لحيائه منذ سنين فليحقق الله آماتينا وقال في مقال آخر :

« ان الأمة التي لا تحترم مقوماتها من جنسها ، ولغتها ، ودينها ، وتاريخها ، لا تعد أمة بين الأمم ، ولا ينظر اليها الا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والاندحار . »

الجزائرية وهي القوميات التي كافح ابن باديس طيلة حياته من أجل المحافظة عليها والدفاع عنها في وجه أعدائها من المستعمرين والمبشرين ودعاة الفرنسة والاندماج والتجنيس .

وتبقى نقطة واحدة نختم بها هذا البحث وهي أن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان من المتحمسين لاستقلال الجزائر وقد تنبأ به في أحد مقالاته في الشهاب ١٩٣٦ حيث يقول :

« أن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمة الدنيا ، وقد استقلت أمة كانت دوننا في القوة والعلم ، والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ، ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد فكما تطلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ ، وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عبادة وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر » .

رحم الله ابن باديس رحمة واسعة والهمنا جميعاً للسير على مثاله في المحافظة على مقومات شخصيتنا القومية .

وحقا لقد كانت اللغة العربية دائما هي المشعل النير الذي يثير في الشعب الجزائري البطولات التي تدفعه إلى التحرر من ربتة الاستعمار ، وتشعل في نفوس أبنائه الروح الوطنية ، وتوحد أهدافه وأفكاره وشعوره وأحاسيسه ، وتعبّر عن أصالته وطابعه ، وتدفعه إلى النضال في سبيل الحرية والاستقلال والانتصار .

والملاحظ أن القوميات المتهورة في جميع مراحل التاريخ قد ركزت نفسها على النضال الثقافي من أجل البقاء وأهم شيء في الثقافة هو اللغة لأنها وعاء الثقافة .

والعنصر الثالث والآخر في مقومات الشخصية الجزائرية في نظر ابن باديس هو الوطن الجزائري بكل تاريخه وأمجاده ، وانتصاراته وهزائمه ، وهو يرى أن شرف الإنسان من شرف وطنه ، يقول ابن باديس : « أنها ينسب للوطن أفراد الذين ربطتهم ذكريات الماضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل ، والنسبة للوطن توجب عليهم تاريخه ، والقيام بواجباته . من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه ، وسعة ابنائه ، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه .. »

هذه هي المقومات الأساسية للشخصية

- (١١) انظر جريدة « السنة النبوية » العدد الثالث - الصادر في ٢٩ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ .
- (١٢) انظر جريدة « المنقذ » العدد الأول - الصادر في ٢ جويلية سنة ١٩٢٥ .
- (١٣) المرجع السابق .
- (١٤) الأستاذ عادل زعير .
- (١٥) انظر الشهاب ج ١ م ١٤ ص ١ - ٧ عدد مارس سنة ١٩٣٨ .
- (١٦) الشهاب ج ١ م ١٢ ص ٤٥ - ٥٠ عدد أبريل سنة ١٩٣٦ .
- (١٧) انظر الشهاب ج ١ م ١٤ ص ١ - ٧ عدد مارس سنة ١٩٣٨ .
- (١٨) انظر الشهاب ج ٤ م ١٤ ص ٢٨٨ - ٢٣١ عدد جوان وجويلية سنة ١٩٣٨ .
- (١٩) انظر جريدة « البصائر » السنة الرابعة العدد ١٧١ ص ٤٢٢ - ٤٤٤ عدد نوفمبر سنة ١٩٣٥ .
- (٢٠) انظر الشهاب ج ٨ م ١١ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ عدد نوفمبر سنة ١٩٣٥ .
- (٢١) انظر الشهاب ج ١ م ١١ ص ١٥٥ عدد أبريل سنة ١٩٣٥ .
- (٢٢) انظر الشهاب ج ٣ م ١٢ ص ١٤٥ - ١٤٦ عدد جوان سنة ١٩٣٦ .

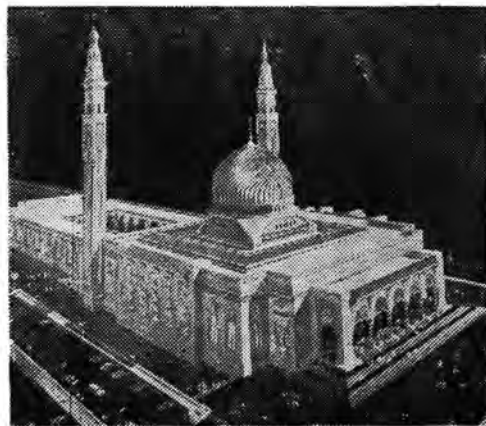
- (١) انظر مجلة الشهاب ج ١ م ١٤ ص ١ - ٧ عدد مارس سنة ١٩٣٨ .
- (٢) انظر كتابنا « الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم » الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص ٧٩ - ٨٥ .
- (٣) المرجع السابق ص ٨٣ .
- (٤) انظر الأمر شكيب أرسلان « حاضر العالم الاسلامي » ج ٢ ط ٢ القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ ص ١٨٢ .
- (٥) تركي رابع « الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم » ص ٩٣ .
- (٦) المرجع السابق ص ١٣٠ .
- (٧) المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٨ .
- (٨) المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٢ .
- (٩) انظر محمد فريد بك « الحرية الشخصية في الجزائر » مقال منشور في جريدة « اللواء » المصرية عدد ٦٠٩ الصادر في أكتوبر سنة ١٩٠١ .
- (١٠) يقول الأستاذ أحمد توفيق المدني : أن هذا الشعار قد أطلقه هو في عام ١٩٢٦ في خطاب عام وليس ابن باديس ، لذلك فإن نسبته إلى ابن باديس ليست صحيحة تاريخيا .

مسجد الأمير عبد القادر
بقسنطينة

ابعثوا بتبرعاتكم لبناء
مسجد الأمير عبد القادر
بقسنطينة

الى العنوان التالى :

C.P.A. Constantine
C.C.B. 30141. 1291



حوار



شارك في الندوة

- عبد الحميد مهري
- عبد المجيد مزيان
- عمار الطالبي
- محمد العربي ولد خليفة
- عثمان شبوب

عثمان شبوب : على كل حال نرحب بكم باسم مجلة « الاصاله » ونريد في هذه الجلسة أن يكون حديثنا امتدادا للحديث الذي كنا نثرعنا فيه ، في الندوة السابقة وهو الشخصية الوطنية ، وان كان الحوار الذي دار في الندوة السابقة كان حوارا شبه أكاديمي تناول جملة أشياء نظرية ، والدوم بمناسبة ذكرى ابن باديس نريد أن نتعرض لهذا الموضوع من خلال الشيخ ابن باديس وحركته . ومواقف ابن باديس .

وسؤالى الاول هو : هناك وجهات نظر نقول ان ابن باديس رغم الدراسات التي كتبت حوله ، فانه لم يدرس حتى الآن دراسة تاريخية واجتماعية من شأنها ان تفسر بعض الجوانب من تفكيره ، فما رأيكم في هذا الموضوع ؟



عمار طالبي : الواقع ان شخصية ابن باديس شخصية غنية لها جوانب كثيرة جدا ، وهذه الجوانب كلها تحتاج الى دراسة علمية والى بحث ، فهو مصلح وهو مربى ، وهو مفسر ختم تفسير القرآن في ربيع قرن وهو محدث أيضا استطاع ان يشرح كتاب الموطأ ، واقام احتفالا بمناسبة ختمه لهذا الشرح ، وهو اديب له اسلوب وله خصائص ، ولا تنقصه أيضا الموهبة الشعرية وهو خطيب ، وهو صحافى أيضا من أوائل الجزائريين الذين انشأوا الصحافة الناطقة بالعربية في الجزائر ، ولحد الآن لا نستطيع القول

بأن ابن باديس قد درس بل هو في حاجة الى دراسة ، فاذا قام البعض بكتابة بعض المقالات او بعض الدراسات فهذه في نظري ليست كافية ابدا لمعرفة جوانب هذه الشخصية التى ينبغى ان نتعاون جميعا على دراستها وابرار جوانبها الكثيرة للناس خاصة وللشباب الجزائري ليعرفوا عظمة هذا الرجل والظروف القاسية التى ناضل فيها ودافع عن مبدا يؤمن به ، وسلك في ذلك منهجا معيننا ربما سنشير الى هذا المنهج فيما بعد . والمهم اننا لا نستطيع القول بأنه قد درس ولم يبق فيه جانب لا يحتاج الى دراسة .

تحالف ابن باديس مع الحركة الإصلاحية السياسية هل هو موقف فرضته الظروف أم هو تجاوب حقيقي ؟

لغفل الترجمة كما نفهمه بالمعنى الحديث ، وهناك أيضا جانب الحركة الباديسية أو الثورة الباديسية كما سماها الأخ عبد المجيد مزيان ، لا تنفصل عن شخصية ابن باديس ، ولا يمكن أن تفصل ترجمة شخصية عبد الحميد بن باديس عن هذه الحركة هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن كل هذه الحقة لا يمكن أن تنفصل عن مجموع العوامل الاجتماعية والسياسية الأخرى لفهمها على وجهها الصحيح . ولهذا فاعتقادي أن هذا الجانب من تاريخنا المعاصر ، يدل دلالة واضحة على مدى تقصيرنا في دراسة حقب تاريخية ما زالت آثارها تمتد حتى الآن على صعيد مختلف النشاطات الوطنية . ولكن هناك جانب آخر ، هل نكتب عن شخصية الشيخ ابن باديس وعن الحركة التي ترعّمها لمجرد التاريخ ، أم أننا يجب أن نرعى إلى أكثر من ذلك ونطرح على أنفسنا السؤال عن امكانياتنا امداد هذه الحركة في صورة أو أخرى إلى العمل الملتزم الذي يقوم به المناضلون في هذه البلاد . واعتقد أن هذا الجانب أيضا لم يوف له حقه في عملنا الأدبي وما أنتجته الجزائر حتى الآن عن هذه الحقل .

محمد العربي : أنا أوافق تماما على التسمية التي عبر عنها السيد عبد المجيد عن حركة الشيخ ابن باديس . ولا أرى أن هناك خلافا بأن الباديسية باعتبارها ثورة . هذا صحيح ، ليس من قبيل الصدفة أن يظهر رجل في مثل هذه الظروف التي كانت فيها الجزائر في أحوج ما تكون لظهور رجل من هذا النوع ؟ يبدو لي شخصا أن سر العظمة في شخصية ابن باديس هو استطاعته الاستفادة من كل الظروف ، التي كانت موجودة حوله . واستطاع أن يقدم أكبر مجهود ممكن في توعية الشعب . يبدو لي كذلك أن الجانب الأكثر غموضا والأكثر حاجة إلى الدراسة هو الظروف التي أعدت لظهور الحركة أو الثورة التي قادها

عبد المجيد مزيان : أضيف إلى ما قاله سي عمار عن شخصية ابن باديس ، أن هناك جوانب أخرى أي أبعاد لابد أن ننتبه إليها ، وهي الأبعاد الاجتماعية لما يمكننا أن نسميه **بالثورة الباديسية** استعمال كلمة ثورة عوضا عن نهضة فقط ، لأن هناك انقلابا فكريا ثقافيا ، وقع بسبب هذه الثورة الباديسية ، التي لها جوانب مختلفة : الجانب الديني الجانب اللغوي ، الجانب السياسي ، وبالجملة يمكننا أن نقول ، الجانب الاجتماعي .

يعنى هناك تحولات جذرية وقعت في المجتمع الجزائري ، بسبب هذه النهضة الباديسية . وهذه الجوانب لم تدرس لحد الآن بكيفية علمية ان أمكننا أن نعبر هكذا ، أي أن هناك دراسات اجتماعية لابد أن نقوم بها ، وأن نحدد تاريخنا من فترة كذا إلى فترة كذا ، ما هي التحولات الجذرية التي وقعت في الشعب الجزائري ثقافيا ، سياسيا دينيا لغويا الخ . إذا درست هذه الجوانب فأننا سنكتشف من خلالها ظواهر تحول مهمة جدا بالنسبة لبروز الثورة العامة التي دخلت فيها الجزائر ابتداء من سنة ١٩٥٤ ، أي أن هذه الثورة الثقافية الكبرى التي أتى بها ابن باديس ورفاقه لها امتداداتها حتى في عصرنا الحاضر . . بعد الاستقلال . وهذه الامتدادات سنرى بأنها نقطة تحول بالنسبة للمجتمع الجزائري . من هنا يمكننا أن نقول بأن شخصية ابن باديس كما قال سي عمار ، ثم الحركة الباديسية أو الثورة الباديسية في جملتها لا زالت موضوعا غنيا بالنسبة للدارسين في ميادين مختلفة سواء في الميدان الديني أو الاجتماعي والأدبي أو التاريخي أو العلمي بصفة عامة .

عبد الحميد مهري : اعتقد أن ما تفضل به الأخ عمار طالبي والأخ عبد المجيد مزيان صحيح ، لأن الترجمة لشخصية ابن باديس أن بذلت فيها جهود حتى الآن ، فأنها لم تستوف كل الجوانب



عبد الحميد مهري



عبد المجيد مزيان



عمار الطالبي



محمد العربي

الى انشاء وطن جزائري له مقوماته وله حدوده الخ... ولكن كان لابد من ابراز ذلك في مستوى ثقافى ، وهذا المستوى الثقافى طبعاً كان يقوم به ابن باديس ورغائته وهذا ما نسميه بالثورة الباديسية في الميدان الثقافى . ونزيد على هذا اننا مثلاً اذا اردنا ان نطلع على الوضعية كما كانت في ذلك الوقت فاننا سنرى بأن الفترة التاريخية الموجودة سنة ١٩٣٠ هي الفترة التي تدعو فيها فرنسا الى ادماج الشعب الجزائري في فرنسا اى ان الحركة الاستعمارية أصبحت في ذلك الوقت حركة متكاملة خصوصاً كما اننا لا ننسى بأن فرنسا عندما أحيت الذكرى المئوية للاحتلال ، قد أحست بنوع من الاستقرار وكأنها اطمانت من ناحية الجزائر بأنها سوف لا تكون دولة يوماً ما زد على هذا فان الحركات الثقافية الفرنسية المختلفة قد بدأت في خلق ما نسميه بنوع من الخواص تثقفوا بالثقافة الفرنسية الى درجة انهم صاروا يؤمنون بالادماج في ذلك الوقت، اى انها خلقت برجوازية ثقافية وهذه البرجوازية الثقافية تدعو الى الادماج وكانت الثورة الباديسية في ذلك الوقت هي ثورة الرافض الذى يقول لا ، للوضعية الاستعمارية وهذا الرافض هو مرحلة التحول في المجتمع الجزائري ، اذا هذا هو المحتوى التاريخي الذي اعتقده شخصياً ، لانه ثورة بمعنى الكلمة لاننا رفضنا الاستعمار في ذلك الوقت ورفضنا كذلك التواكل .

مثلاً على مستوى الشعب نقول بأن الحركات الثقافية الشعبية كانت ضعيفة في ذلك الوقت وكانت متواكدة الى اقصى حد . بينما يعنى عنف

شخصية ابن باديس كان لها الدور الحاسم في زرع بنور هذه الثورة الإصلاحية ، حيث اننا لو نضع الشيخ ابن باديس مع رفاقه لوجدناه قائداً عبقرياً بمقياس الظروف التي كان فيها وبالمقياس العصر الذي كان عاش فيه . واظن ان الاستاذ عبد الحميد قد اشار الى نقطة مهمة جداً ، وهى اننا بعد كل هذه السنوات التي مرت ، وبعد هذه الاحداث العظيمة التي عاشتها بلادنا بعد الثورة الإصلاحية والتي كانت في الحقيقة من بعض نتائج هذه الثورة .

ويبدو ان الجيل الناشئ من ابناء المدارس الجيل الذي سيجد فيما بعد ان هذه الآثار تنحى شيئاً فشيئاً ينبغي ان نقدم لهم تراث هذا الرجل بشكل يجعلهم يستلهمون شخصيته ويتخذون من اعماله الفذة نبراساً وطريقاً للمستقبل .

عثمان شبوب : انا اردت من سؤالي بان ابن باديس لم يدرس دراسة تاريخية اجتماعية بمعنى ان المواقف العملية و المواقف الفكرية للشيخ ابن باديس لو درست من هذه الناحية لكان بالامكان تفهم مراميها وتقدير اتجاهاتها بشكل علمي سليم ولهذا فانا اعتبر ان سؤالي مازال قائم الذات ، وفي حاجة الى اجابة مقنعة .

عبد المجيد مزيان : نعم يمكننا مثلاً ان نعطي محتوى تاريخياً لمناقشة هذا الموضوع . مثلاً اذا نظرنا الى الوضعية الاجتماعية المتدهورة في المجتمع الجزائري في ذلك الوقت ، في سنة ١٩٣٠ مثلاً كانت الحركة الوطنية مقبولة في ذلك الوقت اى حركة وطنية تدعو الى الاستقلال ، وتدعو

هل كانت حركة إبن باديس مجرد امتداد للتيار الإصلاحى فى المشرق أم كانت لها مميزات خاصة ؟

الاستعمار . من هنا يمكننى ان أقول بأن هذه
المواقف مواقف ثورية .

عثمان شبوب : هل توافقون على ان
حركة الشيخ عبد الحميد بن باديس مجرد
امتداد للحركة الإصلاحية فى المشرق
حركة الشيخ محمد عبده وجمال الدين
الافغانى أم ان حركة الشيخ عبد الحميد ابن
باديس لها مميزات خاصة :

عمار طالبي : اضيف الى ما ذكره الاخ عبد
المجيد من أن هناك عوامل داخلية ساعدت على
الثورة التى قام بها ابن باديس عوامل اجتماعية
سياسية ، دينية ، ثقافية ، وعوامل أخرى
استطيع القول بأنها خارجية ، مساعدة للحركات
الإصلاحية التى يريدتها فى العالم الإسلامى خارج
الجزائر فهذه النقائص والعيوب الاجتماعية
الموجودة فى الجزائر والتى تتمثل بالخصوص فى
الطرقية التى أخذت بقيادة الشعب الجزائرى فى
ذلك الحين والتى جمدت الأخلاقية الإسلامية
وخنطتها فى الصورة الجامدة ، ومن ناحية أخرى
عن ناحية السياسة كان الشعب الجزائرى يتخبط
فى استعمار مظلم تهما .

بل ان هناك شخصيات جزائرية قامت قبل
ابن باديس او معاصرة له ، وحاولت ان تنهض
وان تقوم بهنضة دينية اجتماعية . فابن باديس
عاش فى هذه الفترة التى نجد فيها حركات
اصلاحية قوية فى المشرق ابتداء من حركة
محمد عبد الوهاب الى جمال الدين الافغانى الى
محمد عبده الى المنار ، مجلة المنار التى يديرها
رشيد رضا فهو دائما كان يطالع المنار بل ينقل
من المنار اشياء فى جريدته ونستطيع القول بأنه
ثائر لان اول جريدة أصدرها هى جريدة المنتقد وأود
أن اشير الى أن منهجه الإصلاحى منهج نقدى فهو
ثائر ناقد قال فى أول جريدة أصدرها اسمها المنتقد
ينقد فيها الأوضاع السياسية والأوضاع

الحركة الباديسية الاتجاه نحو رفض الثقافة
الاستعمارية ، رفض الاستعمار سياسيا ورفض
الوضعية التوكلية التى كان يعيش عليها الشعب
ومقاومة الدجل والطرقية ، كل هذه الاشياء التى
ثار ضدها ابن باديس ، يمكننا أن نقول اذا رجعنا
الى التاريخ بأن هذه الفترة التى هى فترة الثورة
الباديسية هى فترة تحول ، عميق بالنسبة
للمجتمع الجزائرى وفترة توعية ووعى باتم معنى
الكلمة .

عثمان شبوب : فى إطار المزيد من
التوضيح لهذا الجانب من الموضوع ، أود أن
اطرح للمناقشة تفسيرا آخر ، يتمثل فى قول
البعض بأن مواقف الشيخ ابن باديس فى
الميدان السياسى خاصة ، والتى ظهر فيها
وكانه متحالف مع الطبقة البرجوازية اذ ذاك
مواقفه فى هذا الموضوع ليس تكنيكا سياسيا
عابرا ، وانما هو تجاوب حقيقى
هذا من جهة ومن أخرى ،
لقد استعمل الاستاذ مزيان تعبير « الثورة
الباديسية » وهنا أريد أن اتساءل ، اذا كان
ابن باديس ثائرا ففى أى ميدان ؟

عبد المجيد مزيان : حينما نقول انسان ثورى
او انسان يشعر بوجود تحقيق تحول جذرى فى
مجتمعه ويناضل من أجل هذا التحول الجذرى
ان هذا لا يتنافى مع التاكتيك كما تقول : يعنى
الثورة بدون تاكتيك ليست بثورة يعنى ثورة غير
واعية الثورة تقضى كذلك أن يفكر الإنسان
فى كيفية تطبيق مبادئه . اذا لم يفكر تاكتيكيا فى
تطبيق المبادئ فليس بثورى . اذن هذه الجوانب
فيها اعتقد كانت متوفرة عند ابن باديس والدليل
على ذلك ، ان مواقفه السياسية كانت تتماشى
مع الظروف وكانت تستعمل التاكتيك فى كثير من
الاحيان لكن المبادئ باقية هى هى يعنى فى
مسودها ، فى قوتها ، فى عنفها ، وفى رفض هذا



جمال الدين الافغانى



محمد عبده

الاجتماعية والاوزاع الدينية يقول فيها : ننقد الحكام والمديرين والمقاديم يقصد مقدم الزوايا وكل صغير وكبير ممن له اتصال بالشؤون العامة للمسلمين فهو ينقد الفرنسيين وينقد الجزائريين المتعاونين مع فرنسا أو الذين يقومون بسلوك غير مشرف للامة الجزائرية أو الشعب الجزائري من جعلتها كتب في جريدة المنتقد يعنى عنده عنوان صغير نقدرات نقد عنوان صغير ليس فيكم رجل واحد هكذا العنوان قال سمننا ان اهالى عين البيضاء ، رشحوا لمجلس العمالة السيد موترونسكى وشيء عن هذا واحد فرنسى هذا يدل على شيئين اما يدل على فقر في الرجال واما يدل على فقر في الافكار ، قال وكلا الصنفين ذميم ونحن ننزه اهل عين البيضاء الذين عرفوا بالشهامة والرجولة عن هذا واكتفى . (ثلاث أسطر وشيء) وكذلك وجه النقدرات لجماعة البلديات ، قال لهم : مقبرة المسيحيين مثلا تبون لها سورا وتهتمون بها واشجار وورود ، وان مقبرة المسلمين مهملة لا يوجد بها سور يحيط بها ، وكان ينقد حتى العامل ويقول في أول عدد من المنتقد غزف شكوى الظالمين ، وننقد كل من يعتدى على الضعفاء ، فهو لاشك انه اخطأ والشيخ الابراهيمى نفسه يحكى لنا ان هناك طريقتان في الاصلاح ، طريقة ثورية مزلة للاوضاع وطريقة اخرى مسالمة اصلاحية . قال ولكن ابن باديس اختار الطريقة الثورية ، وجريدته سماها المنتقد ، للنقد ، حتى ان فرنسا لما اوقفتها اصدر مجلة الشهاب وقال : « شهاب ناقب يحرق الظالمين ، ويحرق المعاندين والمفسدين » فهذه العناوين تدل على ان نزعة الرجل ، نزعة ثورته . . . نزعة هدفها تغيير الاوزاع الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية ، ولاشك ان له ارتباطا بحركة المشرق . فهو ليس مستقلا تمام الاستقلال ، لانه ولد في بيئة معينة . فهو ليس مستقلا عن الحركة الاصلاحية التى قادها جمال الدين الافغانى ومحمد عبده ومن بعده رشيد رضا كما اشرت من قبل .

عبد الحميد مهري : الاخ عثمان شبوب التى سؤالا يرتبط بطابع الحركة أو الثورة الباديسية

حركة ابن باديس ثورية في الميدان الديني والاجتماعي

إصلاحية في الميدان السياسي

فهو كان على ما يظهر ، يعتبره عنصرا مساعدا فقط وأما الثورة لا تكون الا بعمل جذري آخر يعتمد على اصلاح مفهوم الدين ونشر التعليم الى آخره .

عماز طالبى : الواقع ان ابن باديس كان يعطى الاهمية الاولى للثورة الثقافية لانها هى الأساس التى ستعتمد عليه فيما بعد الثورة السياسية ونجد له كلاما في هذا الموضوع كثيرا . مثلا زار تونس بمناسبة ذكرى بشير صفر المؤرخ التونسي المعروف فطلبوا اليه ان يحاضر فحاضر بعنوان العلم والسياسة وقال : لا يمكن ان نفصل بين النواحي الثقافية وبين النواحي السياسية بالنسبة للاوضاع التى نعيشها في المغرب العربى . قال : انا لا أتكلم بصفتى رئيسا لجمعية العلماء وانما أتكلم باسمى الشخصى . انا أؤمن ان الناحية السياسية والناحية الثقافية تسيران جنبا الى جنب . ولكن من الناحية العملية نجد ان ابن باديس قد سار خصوصا في المرحلة الاولى من حياته الثقافية الثورية على أساس المنهج التربوى : من تكوين الوعى عن طريق التعليم ، وعن طريق الرجوع الى الاصول ، الكتاب والسنة وغير ذلك . وهذا يساير فيه ابن باديس طريق محمد عبده الذى اعتمد على التعليم حتى هاجمه أستاذه جمال الدين الافغانى وقال له انك رجل مثبط ، انك تعتمد فقط على التعليم والتعليم يحتاج الى مرحلة طويلة ، ونحن ليس عندنا الوقت ، لننتظر هذه المرحلة الطويلة ويبدو ان ابن باديس كان في مرحلته الاولى عبدويا ان صح هذا القول ، ثم بعد ذلك رأى نفسه مضطرا لان يخوض غمار السياسة . وقد عقد المؤتمر الاسلامى في جوان سنة ١٩٣٦ . وهنا قام بنشاط طبعيا فيه نقائص وعرض عليه ان يترأس هذا المؤتمر ولكن سلم الرئاسة لابن جلول في ذلك الحين وانما الشيء الذى لا ينبغى ان يتطرق اليه الشك هو ان ابن

كما سماها الاخ مزيان ، واعتقد ان لهذه الثورة جوانب . فهناك المحتوى الاساسى وهى الثورة الاجتماعية والثقافية ، او الثورة الدينية التى كان يعتمد عليها الشيخ عبد الحميد بن باديس رحمه الله في الاساس . وهناك جانب العمل السياسى الذى ارتبط بهذه الحركة . لاشك ان هذه الحركة في مجموعها كانت ثورية باعتبارها كانت تهدف الى تغيير جذرى للمجتمع الجزائرى ، بل انها لم تكتف بالدعوة النظرية ، بل انها اتخذت اساليب عملية لتطبيق هذه الثورة في العمل اليومى . وهذا ما يميز من جهة أخرى حركة الاصلاح الدينى في الجزائر ، عن بقية الحركات الاصلاحية التى قامت في المشرق العربى . ولكن المتتبع لهذه الفترة ، يلاحظ ان هناك تناقضا واضحا عندما تعبر هذه الحركة عن نفسها في المجال السياسى . فهمي عندما تحاول ان تعبر عن نفسها في المجال السياسى تنقمص عندئذ الاساليب والشعارات التى كانت تتبعها الحركة السياسية اذ ذاك والتى لم تكن ترمى الى ثورة في الواقع ، وانما كانت ترمى الى مجرد اصلاحات ، ولعل هذا التفسير يرجع الى ان ابن باديس لم يكن يعبر اذ ذاك للجانب السياسى الاهمية الاولى في نظره للثورة .

عثمان شبوب : اسمح لى سى عبد الحميد هل ترى في الجانب السياسى من حركة ابن باديس نقطة ضعف ؟

مهري : اعتقد ان هذه النقطة بالذات ، هى التى نلاحظ . يعنى لا يمكن ان يلاحظها المتتبع لتاريخ الحركة وهو ان حركة الشيخ ابن باديس كانت تتردد بين الاسهام في الحركة السياسية والبعد عن هذه الحركة . وكانت عندما تشارك تساند في بعض الاحيان تيارا اصلاحيا في مجال العمل السياسى . وقتلت ان تفسير ذلك يرجع في رأى الى ان ابن باديس بالذات لم يكن يعبر جانب العمل السياسى الاولوية في تحقيق ثورته .

باديس كان يرمى الى استعادة الشخصية الجزائرية من الناحية الاجتماعية والثقافية والسياسية ايضا وهناك نصوص كثيرة يقول فيها لا يمكن ان نقول ان الشعب الجزائري لا يصبح في يوم ما من الايام مستقلا سياسيا ، وقال انا لا اُرهب هذه الكلمة وأنا اول من نادى ان الوطن قبل كل شيء أن يعرف أحد في الجزائر معنى الوطنية . فعلا ثب هذا الشعار في معهده وفي جرائده : **الوطن قبل كل شيء** .

عبد المجيد : معروف في القصيدة الصغرى التي قالها ابن باديس : هذا نظام حياتنا بالدم خط وباللهب ، هذا تعبير ثوري سياسى يدعو الى الثورة ألسلحة ، متفقين مع ابن باديس .

عثمان شبوب : **سى عبد المجيد بصفتك مدرسا لعلم الاجتماع في الجامعة . هل ترى أن تطبيق المنهج الاجتماعى أو المنهج الماركسى في دراسة الشيخ ابن باديس من شأنه ان يؤدي بنا الى تفسير الجوانب السياسية عنده .**

مزيان : الواقع ان في علم الاجتماع ينبغي ان يتخذ الانسان المنهج العلمى . في بعض الاحيان المنهج العلمى قد يطابق النظريات الماركسية وفي بعض الاحيان قد يتخذ امام هذه المناهج مواقف خاصة معينة . . مواقف انتقاد أو مواقف محايدة . ولكن حينما نتكلم عن طبقة برجوازية ، وعن طبقة شعبية يعنى . هذا واقع جزائرى . نحن نعرف مثلا انه في سنة ٣٠ - ٣٥ - كانت عندنا طبقات شعبية ، وطبقات أخرى وصلت الى درجة من الثروة والفنى والاتصال بالفرنسى وربط مصالحهم بالفرنسيين جعلهم طبقة مميزة عن الشعب الجزائري وبالضبط هذه الطبقة التي كانت تؤمن بالادماج ، وتدعو له حتى في سلوكها العادى . مثلا أنت ترى بأن هناك امتدادات في عصرنا الحاضر : هناك طبقة تريد ان تكون لها ارتباطات مع البرجوازية العالمية الاخرى . هذا معروف . طبعاً قد تقول هذه اعتبارات أو تحليلات أصلها ماركسى ، ولكن هي جائزة أيضا بالنسبة لجميع المفكرين الاجتماعيين الذين يريدون ان يدرسوا الوضعية الجزائرية بكيفية علمية . في بعض الاحيان هناك افكار اسلامية متفقة مع الماركسية،

وهناك افكار اسلامية غير متفقة مع الماركسية هذا لا ينفي ان العلم ينبغي ان يقف موقفا محايدا تجاه هذه الفكرة أو تلك . حين نقول كانت هناك طبقة برجوازية كانت موجودة سنة ١٩٣٠ هذا واقع . وكان لها مواقف سياسية معينة وهذا هو الادماج أو الدعوة الى الادماج . وسنرى في فترة اخرى طلعت الطبقة الشعبية وهى التي تدعو الى الاستقلال ، الى الشخصية الجزائرية الى المقاومة المسلحة . وطبعاً هنا يمكننا ان نقول ان البرجوازية الجزائرية المرتبطة مع فرنسا لم تكن مؤيدة لهذه الحركة ، وانما التحقت بالثورة بعد ان أدركت أن مصالحها في جزائر مستقلة . هذا لا يعنى اننى اذكر مثلاً امتداد هذه الطبقة الى عصرنا الحاضر . هذا يحتاج الى تحليلات من نوع جديد . وانما الادماج وفكرة الادماج ، فكرة برجوازية مستوحاة من طرف الفرنسيين . تفكر مثلاً دى غول وفكرته فيما يخص القوة الثالثة . ما معنى القوة الثالثة . . . معناها خلق برجوازية جزائرية مرتبطة مصلحياً بالبرجوازية الفرنسية لتقهر الشعب الجزائري .

أذن كانت هناك محاولات لخلق برجوازية جزائرية ، كانت موجودة فعلاً من سنة ٣٠ - ٣٥

محمد العربى : الاخ عثمان يلج على تفسير اجتماعى للحركة الاصلاحية . الحق ان المنهج الاجتماعى يدرس بالضرورة حسب المنهج الاكاديمى ، ظواهر موجودة فعلاً ، ليست في الماضى ، وانما هى موجودة في الحاضر وايضا المستقبل . وانما نستطيع ان نقول تفسير الوضع الاجتماعى من الناحية التاريخية يعنى فلسفة التاريخ ربما من الناحية العلمية للاوضاع التي كانت تحيط بابن باديس . كيف واجهها يعنى ارضية الصراع التي كانت موجودة في هذا الوقت اما التشكك في ثورية ابن باديس ، فهذا يمكن الرد عليه من عدة وجوه :

اولا : **الناظر** وهذا في تاريخنا دائماً كان في الجزائر بالذات ، حتى ثورة ١٩٥٤ كان الشعار الاول والمنطلق الاول الذى انطلق منه هو الدين . سواء كانت هذه الثورة ثورة مسلحة أو ثورة اصلاحية في شكل تغيير وضع موجود بطرق

سلمية . واكبر دليل على ذلك هو الاسم الذي يطلق على الثوريين في الجزائر هو المجاهد .

ثانيا : ان ابن باديس كان يصرب المثل بنفسه فيما كان يدعو الغير اليه . اعنى انه لم يكن يطلق شعارات ليسفيد هو منها ، واعنى انه لم يكن انتهازيا .

اما صفة المرونة في شخصيته ، اظن ان هذه من مزاياه . الثورى ينبغي ان يكون مرنا يستطيع ان يستفيد من الظروف التي حوله لكي يحصل على النتائج التي يرمى اليها . وبالنسبة للعوامل الاجتماعية التي كانت سائدة اذ ذاك . انا كنت اثرت آنفا الى ان الفترة التي سبقت ابن باديس لم تحظ بدراسة . هذا صحيح . يلاحظ الدارس ان هناك عوامل نفسية اجتماعية ، وان الشعب الجزائري بعد ان اندهش من الصدمة الاولى التي تلقاها في بداية الاحتلال بدأ يستخدم نوعا من الآلية ... نوعا من الدفاع التلقائي وهو الرغص والعزلة . وهذا السبب هو الذي جعل انتشار ظاهرة الطرقية والانزواء كان سببها الابتعاد عن المستعمر للحفاظ على بعض التقاليد المحنطة كما اشار الى ذلك الاخ طالبي ، وهذه الحقيقة أدت دورا في فترة ما ثم بعد ذلك أصبحت ضرا . فابن باديس حاول ان يغير هذه الوضعية ، يعنى كانت هناك مقاومة . فمرحلة ابن باديس نستطيع ان نسميها مرحلة المقاومة قبل ان تأتي مرحلة الهجوم عليه وهي التي ابتدأت في سنة ١٩٥٤ .

شيبوب : من خلال كل ما رايناه وما سمعناه من العروض والتحليل ، هل الآن نستطيع ان نقول ان ابن باديس مصلح أم ثورى ؟

عبد الحميد مهري : اعتقد ان الجواب على هذا السؤال ، ليس من البساطة كما قد يتصور . اعتقد انه من الوجهة الدينية والاجتماعية لاشك ان ابن باديس كان ثائرا ، ولكن كما أثرت الى ذلك ، ان هذه الثورة لم تكن تتضمن البعد السياسى الثورى ، لان الذى نلاحظه ان حركة ابن باديس كان المفروض ان يكون تعبيرها السياسى هو الشعار الطبيعى ، كان المفروض ان تكون شعارات حزب الشعب الجزائرى او

حركة « نجم شمال افريقيا » مثلا ، ولكن لا يمكن للورخ الا ان يلاحظ ان هذه الحركة الثورية في مضمونها الدينى والاجتماعى كثيرا ما تعبر عن نفسها بالشعارات التي كانت ترفعها اذ ذاك الطبقة الاصلاحية في الناحية السياسية . ولا اعتقد ان هذا كان قاصرا على حركة الشيخ ابن باديس ، ولا نحتاج الى تطيل ذلك ، تحليلا ماركسيا ، لان حتى دعاة الماركسية اذ ذاك كانوا يسرون في نفس الاتجاه ، اعنى ان الحزب الشيوعى اذ ذاك ، كان يساند حركة المؤتمر الاسلامى ، ولهذا ، فاعتقادى ان التطور في الثورة الجزائرية لم يكن يسير بنفس السرعة . ففى المجال الدينى والاجتماعى كانت الثورة ، والاسلوب الثورى معتمدا من طرف جمعية العلماء ومن طرف الشيخ ابن باديس ولكن هذا العمل الثورى والمفهوم الثورى السياسى كان قاصرا اذ ذاك على فئة قليلة . وان الالتحام الذى كان لابد منه ، لم يتم الا بعد فترة معينة . لم يتم الا بعد خيبة الطبقة الاصلاحية في الجانب السياسى ، وعند ذلك اجتمع المفهوم الثورى الدينى والاجتماعى ، والمفهوم الثورى السياسى في ثورة ١٩٥٤ .

عمار طالبي : حتى يقتنع الاخ عثمان شيبوب الذى يلح على هذه الناحية ، فالواقع ان المنهج الماركسى يكتسب صبغة تعسفية ، في البحث حتى انه يريد ان يسحب هذا المبدأ على الماضى الى الازلية في التاريخ ، وعلى المستقبل .

وارجع الى ابن باديس فيما يتعلق بالطبقة التي نسميها رجوازية التي اشار اليها الاخ عبد المجيد وهي طبقة تنحصر في المعلمين ، في المدارس الفرنسية وفي الموظفين . والنخبة المثقفة التي نسميها نحن ، نخبة مثقفة منفصلة عن المجتمع الجزائرى . وقع انفصالها نفسيا واجتماعيا ، هذه الطبقة هي التي كانت تريد ان تحصل على حقوق سياسية في نطاق الجنسية الفرنسية ، الاندماج في القومية الفرنسية لتحصل على حقوق سياسية . ولكن نجد ان ابن باديس يخالف تمام المخالفة هذه النزعة ، ويقاومها ، فهو يريد ان يثبت الشخصية الجزائرية ، وأن يبين مقوماتها وعناصرها المتمايزة . وقد قاوم أحد زعماء هذه

يخلصه مما علق به طيلة قرون الانحطاط ، من صفات اتصلت بالحياة الاجتماعية ومن تقاليد نسبها الناس الى الحقيقة الاسلامية واعتبروها من سمات الاسلام ومن عناصره ، فهو قد حاول محاولة نقدية ثورية ايضا في هذا الجانب ، واراد أن يرجع الى اصل الاسلام الاول وهو القرآن والسنة وحاول بكل ما له من قوة أن يقاوم هذه البدع والتقاليد التي نسبت الى الدين وليست منه في شيء . فهو قد قام بثورة في هذه الناحية لها جانب اجتماعي طبعيا يتمثل في محاربة الطرقية التي تمثل الحقيقة الدينية في ذلك الوقت ، فهو قاومها ليقم الاسلام على أساس من أصوله الاولى ، وهذه الطريقة نسميها سلفية ، وأعطى مفهومها سلفيا للاسلام .

عثمان شبوب : ان الاسلام كجزء من مقوماتنا الشخصية الاجتماعية ، هذا لا جدال فيه ولكن هل هناك مفاهيم جديدة يمكن أن نعطيها لهذا الشعار ، أي نفريه بعناصر جديدة أم ان مفهوم الشيخ ابن باديس مازال يمثل جوابا عن كل التساؤلات التي يمكن أن تطرح في عصرنا عن هذا الموضوع ؟

عبد المجيد مزيان : نحن نعلم ان الشيخ ابن باديس لما تكلم عن الاسلام كأساس للمقومات الشخصية الجزائرية ، لم يذكر الأشياء هكذا كما نريدها نحن في عصرنا الحاضر حينما نتكلم عن الاسلام كعنصر من عناصر الشخصية الجزائرية ، يعني هذا موقف جديد بالنسبة لنا ، لان في عصر ابن باديس كان الدين هو كل شيء ، أو يمكن أن نقول هوكل الشخصية المميزة بالنسبة للجزائري . كان هناك مسلمون في الجزائر وهناك مسيحيون ، وحتى مثلا في بطاقة التعريف في ذلك الوقت كان هناك الفرنسي المسلم ، والفرنسي . هذه هي التعريفات القانونية في ذلك الحين .

في الحقيقة لا يمكننا أن نقول على الشيخ ابن باديس ما لم يقل ، بمعنى ان الشخصية الجزائرية من جملة مقوماتها الاسلام ، ولكن الاسلام يختل المكانة الاولى عنده أي عند ابن باديس . ولكن رغم هذا يمكننا الآن أن نتكلم عن الاسلام كما نفهمه الآن بعد الاستقلال . نحن نعلم مثلا بأن

الطائفة صراحة وكتب في ذلك وثيقة ما تزال الى اليوم بين أيدينا ، فهو أذن ضد هذه الطائفة التي تريد الاندماج سياسيا مع فرنسا . ولا يمكن أن نلحقه في نظري بها ، بل هو يكون تيارا خاصا يحافظ على مقومات الشخصية التاريخية للشعب الجزائري ، ولكنه لم يتخذ صورة سياسية واضحة كما أشار الى ذلك الاخ الاستاذ مهري . صحيح انه لم يتخذ صورة سياسية واضحة المعالم ولكنه كان يسير في هذا النطاق ، رغم ان الصورة الواضحة هي صورة الوعي الثقافي التربوي الاجتماعي ، المتمثلة في مقاومة النقائص الاخلاقية المتمثلة في الطريقة التي تتعاون بطريقة أو بأخرى مع السياسة الاستعمارية بانها تمثل الشعب الجزائري في صورة معينة ، وهي الصورة الصوفية التي لها نوع من التأثير الروحي على العقلية الشعبية في ذلك الحين . ومن هذه الناحية

ارتبط بها الاستعمار . ولكن نطعن الى هذه الظاهرة الاجتماعية الشيخ ابن باديس وقاومها كما انه نطعن الى الظاهرة الاخرى المرتبطة بالشخصية الفرنسية وقاومها وأبرز المعالم الذاتية للمجتمع الجزائري في صورة نهضة ثقافية تربوية ، ولكنه لم يفصلها تمام الانفصال عن النواحي السياسية أيضا . لا يمكن أن نقول انه فصل هذه النواحي الثقافية عن النواحي السياسية وقال لا شأن لي بالاستقلال السياسي .

عثمان شبوب : يبدو لي أننا قد تكلمنا في هذا الموضوع بما فيه الكفاية ، وأود أن ننقل الى نقطة أخرى . ان الشيخ عبد الحميد كان له مفهوم للشعارات التي حملها وهي : **العروبة والاسلام . فهل ترون ان المفهوم الذي كان يعطيه لهذين الشعارين بالخصوص مازال يحتفظ بقيمته أم ان الظروف قد تجاوزت ذلك المفهوم ؟**

عمار طالبی : في الحقيقة ابن باديس أراد أن يرجع الى العنصر الاصيل وهو الاسلام وأن

هناك الإسلام الذي سميناه في بعض الأحيان اسلاما فولكلوريا وهو اسلام الطرقية الذي حاربه ابن باديس ... اسلام الزوايا ، اسلام الشعوذة ... الخ .

عثمان شبوب : ويسميه الشيخ ابن باديس الاسلام الورائي .

عبد المجيد مزيان : أو نسميه بكيفية علمية ؛ الاسلام السوسيولوجي ، طبعا هناك عنصر لا بد أن ننتبه اليه في عصرنا الحاضر ، وهو الناحية التقدمية في الاسلام . حينما نتكلم عن الاسلام فهناك اناس يفسرون الاسلام تفسيرا تعسفيا أو غير لائق : الاسلام ومعنى السلفية هو الرجوع الى الظروف الاجتماعية السياسية الثقافية التي كانت موجودة في عصر هارون الرشيد أو غير ذلك أي هناك رجوع الى الوراء ، هذا النوع من التحديد الضيق للإسلام بصفته اسلاما منقولا عن العصور الأخرى . هذا تفسير للإسلام ضيق ومنحرف . لماذا لانني أعتقد كذلك من جانب آخر إن الإسلام في بداية أمره ، وخصوصا في الأربعين سنة الأولى كان ثورة بأتم معنى الكلمة ... ثورة على وضعية سياسية واجتماعية واقتصادية معينة . قلنا ننتبه نحن أو قلنا انتهينا في تاريخنا الى هذه الناحية . أي أن هذا الإسلام التقدمي الذي يدعو الى العدالة الاجتماعية والاقتصادية الى المساواة بين البشر ، الى الانهاض بالشعوب الامية ... أي المخلفة ثقافيا في ذلك الوقت .

مع خلق نوع من الحكم الديمقراطي ، وليس الحكم الخلافي الورائي . إن التحديدات التاريخية والتحديدات الفكرية للإسلام ، لا بد أن يعاد فيها النظر . إن ابن باديس بصفته سلفيا لم يكن يريد أن يعود بنا الى الوراء . هذا النوع من السلفية ، كان لا يؤمن به ابن باديس ، أنا أعتقد بأنه كان يؤمن بالإسلام الثائر التقدمي . وهنا يمكننا أن نقول أن هذا المفهوم للإسلام لازال في عصرنا الحاضر نوع التفكير الذي يجب أن نأخذ منه كثيرا في تفكيرنا الاجتماعي والاقتصادي والثقافي . إذن القضية إذا تكلمنا عن الإسلام كمبدأ وكمقوم من مقومات الشخصية يجب أن نفهمها بهذا المعنى ، إن الإسلام بصفته التقدم والانفتاح . وبصفته ثورة اجتماعية جذرية .

محمد العربي : لا يمكن أبدا أن نغفل أن مفهوم الإسلام عند ابن باديس باعتباره أحد الأركان للحركة . فهمه لمضمون الإسلام كان يقصد الى عملية تأصيل . ما معنى تأصيل . لا يعني إعادة الى السلفية ولكن الى أسس من المبادئ الإسلامية الصحيحة مع تطهيرها من كل الشوائب التي أشار اليها الأخ عبد المجيد . أما مفهومنا نحن الآن للإسلام ، فهو لا يقتصر على مجموعة من العبادات والمعاملات ، بل يجاوز ذلك الى مجموعة من القيم أو أسلوب حياة . لا نستطيع أن نقيم المسلم فقط بأدائه لواجباته والتزامه بالعبادات العادية في الإسلام ، بل نحكم عليه بمجموعة القيم وأسلوبه في الحياة الذي استمد من تنشئته الأولى . إذن حركة ابن باديس كانت تقتصر ، الى تأصيل الإسلام أي أعادته الى أصله الحقيقي ، ثم في مرحلة ثانية تطهيره من الشعوذات .

عبد الحميد مهري : الدعائم التي قامت بها حركة ابن باديس معروفة لدينا ، وأولها الإسلام والعربية لأن جانب اللغة العربية في الجزائر أيضا أخذ مكانة ممتازة في الحركة الثورية التي قام بها الشيخ ابن باديس لكن أعتقد أن البحث حول هذه المقومات لا يهدينا الى مفتاح الثورة الباديسية كما سماها الأخ عبد المجيد وأعتقد أن جوهر هذه الدعوة هو الموقف الاساسي للشيخ ابن باديس من هذه المقومات ، فهو موقف تجديد ثوري . فصلاحيية هذه العناصر يتوقف على الموقف الذي نتخذه منها ، فمع تطور الزمن والاستمرار مثلا في الدفاع عن اللغة العربية بفتح مدارس على الشكل الذي كان يواجه به الشيخ ابن باديس حملة محو اللغة العربية من البلاد لم يعد كافيا بل أن اللجوء الى هذا الأسلوب يعتبر اليوم رجوعا الى الوراء ، وما يصدق على اللغة العربية ، يصدق أيضا على الإسلام ، وغن مجموع المواقف التي كان يعبر عنها الشيخ عبد الحميد في حركته طيلة حياته .

وإن فجوهر الحركة الباديسية هو موقف التجديد الملتزم ، أعني الثوري تجاه هذه المفاهيم . واعتقد أننا إذا ذكرنا قبل مدة ، لاحظنا عدم امتداد هذه الثورة أو وقوفها عند حدود معينة ، فلان الذين عاصروها ورافقوها والذين ساهموا فيها

يخلصه مما علق به طيلة قرون الانحطاط ، من صفات اتصلت بالحياة الاجتماعية ومن تقاليد نسبها الناس الى الحقيقة الاسلامية واعتبروها من سمات الاسلام ومن عناصره ، فهو قد حاول محاولة نقدية ثورية أيضا في هذا الجانب ، وأراد أن يرجع الى أصل الاسلام الأول وهو القرآن والسنة وحاول بكل ما له من قوة أن يقاوم هذه البدع والتقاليد التي نسبت الى الدين وليست منه في شيء . فهو قد قام بثورة في هذه الناحية لها جانب اجتماعي طبعاً يتصل في محاربة الطريقة التي تمثل الحقيقة الدينية في ذلك الوقت ، فهو قاومها ليقوم الاسلام على أساس من أصوله الأولى ، وهذه الطريقة نسبها سلفية ، وأعطى مفهومها سلفياً للإسلام .

عثمان شبوب : أن الإسلام كجزء من مقوماتنا الشخصية الاجتماعية ، هذا لا جدال فيه ولكن هل هناك مفاهيم جديدة يمكن أن نعطيها لهذا الشعار ، أي نثريه بعناصر جديدة أم أن مفهوم الشيخ ابن باديس مازال يمثل جواباً عن كل التساؤلات التي يمكن أن تطرح في عصرنا عن هذا الموضوع ؟

عبد المجيد مزبان : نحن نعلم أن الشيخ ابن باديس لما تكلم عن الإسلام كأساس للمقومات الشخصية الجزائرية ، لم يذكر الأشياء هكذا كما نريدها نحن في عصرنا الحاضر حينما نتكلم عن الإسلام كعنصر من عناصر الشخصية الجزائرية ، يعني هذا موقف جديد بالنسبة إلينا ، لأن في عصر ابن باديس كان الدين هو كل شيء ، أو يمكن أن نقول هو كل الشخصية المميزة بالنسبة للجزائري . كان هناك مسلمون في الجزائر وهناك مسيحيون ، وحتى مثلاً في بطاقة التعريف في ذلك الوقت كان هناك الفرنسي المسلم ، والفرنسي . هذه هي التعريفات القانونية في ذلك الحين .

في الحقيقة لا يمكننا أن نقول على الشيخ ابن باديس ما لم يقل ، بمعنى أن الشخصية الجزائرية من جلة مقوماتها الإسلام ، ولكن الإسلام يختل المكانة الأولى عنده أي عند ابن باديس . ولكن رغم هذا يمكننا الآن أن نتكلم عن الإسلام كما نفهمه الآن بعد الاستقلال . نحن نعلم مثلاً بأن

الطائفة صراحة وكتب في ذلك وثيقة ما تزال الى اليوم بين أيدينا ، فهو أذن ضد هذه الطائفة التي تريد الاندماج سياسياً مع فرنسا . ولا يمكن أن نلحقه في نظري بها ، بل هو يكون تياراً خاصاً يحافظ على مقومات الشخصية التاريخية للشعب الجزائري ، ولكنه لم يتخذ صورة سياسية واضحة كما أشار الى ذلك الأخ الأستاذ مهري . صحيح أنه لم يتخذ صورة سياسية واضحة المعالم ولكنه كان يسير في هذا النطاق ، رغم أن الصورة الواضحة هي صورة الوعي الثقافي التربوي الاجتماعي ، المتمثلة في مقاومة النقص الأخلاقي المتمثلة في الطريقة التي تتعاون بطريقة أو بأخرى مع السياسة الاستعمارية بأنها تمثل الشعب الجزائري في صورة معينة ، وهي الصورة الصوفية التي لها نوع من التأثير الروحي على العقلية الشعبية في ذلك الحين . ومن هذه الناحية

ارتبط بها الاستعمار . ولكن نغتنم الى هذه الظاهرة الاجتماعية الشيخ ابن باديس وقاومها كما أنه نغتنم الى الظاهرة الأخرى المرتبطة بالشخصية الفرنسية وقاومها وأبرز المعالم الذاتية للمجتمع الجزائري في صورة نهضة ثقافية . تربوية ، ولكنه لم يفصلها تمام الانفصال عن النواحي السياسية أيضاً . لا يمكن أن نقول أنه فصل هذه النواحي الثقافية عن النواحي السياسية وقال لا شأن لي بالاستقلال السياسي .

عثمان شبوب : يبدو لي أننا قد تكلمنا في هذا الموضوع بما فيه الكفاية ، وأود أن ننقل الى نقطة أخرى . أن الشيخ عبد الحميد كان له مفهوم للشعارات التي حملها وهي :
العروبة والإسلام . فهل ترون أن المفهوم الذي كان يعطيه لهذين الشعارين بالخصوص مازال يحتفظ بقيمته أم أن الظروف قد تجاوزت ذلك المفهوم ؟

عمار طالبي : في الحقيقة ابن باديس أراد أن يرجع الى العنصر الأصيل وهو الإسلام وأن

طالبى : انا لا اقصد كلامك اصلا . كلمة اشار اليها الاخ عثمان واود التعليق عليها .

مهري : لقد تحدثت عن الاسلام التقليدى والاسلام الذاتى ، وارتدت ان اوضح ان استمرار الثورة الباديسية لا يكون بمجرد التقليد لابن باديس .

عمار طالبى : نلاحظ ابن باديس يعطى سمة اساسية لحركته الاسلامية ، يعتقد ان الاسلام حقيقة تعتمد على نزعة عقلانية ، وانه لابد من الفهم والادراك لحقائق الاسلام لا مجرد تناقل البدع الملحقة به ، ونلاحظ ان تفكير المصلحين المعاصرين قد انصب على ظاهرتين : ظاهرة اجتماعية سياسية ، وظاهرة اللغة بالخصوص . يكاد ينحصر من المصلحين في هذه الاشياء مع اتصالها بالحقيقة الدينية . من هنا نربط ابن باديس بهذا التيار الذى يهتم بالمشكلات الاجتماعية والمشكلات اللغوية ، لانه ادرك ان اصلاح الدين الذى يقوم به لا يمكن ان يتم الا عن طريق اصلاح اللغة . ولذلك بدأ حركة اعتبرها كوسيلة لبلاغ افكاره الإصلاحية ابتداء بحركة اصلاح اللغوى .

صحيح ان الاسلام واحد ، اصوله واضحة لا يمكن ان نغيرها وان الذى نغيره هو الظروف . واذا قال ابن باديس بالسلفية فلا يقصد بها الرجوع الى نفس الظروف الاقتصادية والاجتماعية بل هو يقصد بها الاصول الاولى اى الكتاب والسنة ، وعمل الصحابة والسلف الذى ينبغى ان ندخله في حياتنا . وان ما اشار اليه الاخ مهري في منهجنا الجديد ، صحيح لابد ان نغير منهجنا ، لان البدع التى نواجهها الآن غير البدع التى واجهها الشيخ عبد الحميد ، فاذا كانت في عصر ابن باديس طبقة برجوازية تدعو الى الاندماج ، مع فرنسا غنى عهدنا طبقات اخرى متعلقة بمبادئ معينة تريد ان تلحقنا بأصحاب تلك المبادئ من الناحية السياسية والعقائدية والاقتصادية ، وهذا في نظرى أخطر من الصراع العسكرى . ان هذا الصراع الفكرى العقائدى الخفى لا يتفطن اليه جميع الناس ، وانما تتفطن اليه فئة قليلة واذا قهرت هذه الطائفة القليلة في منهجها ، لا أقول الدفاع فقط ، بل ينبغى أن نكون

لم يسبها الى هذا الشيء الاصلى ، وهو موقف التجديد المستمر في هذه الثورة . وعلى هذا الاساس اعتقد ان الاسلام واللغة العربية مازالتا دعامتين في كل نهضة ، وفي كل بناء للمجتمع الجزائرى ، ولكن هذا يتوقف أيضا على النظرة التى ننظر بها الى هذين العنصرين .

فكرت قبل قليل مثلا ، ربما كاريكاتوريا عن محاولة استمرارية دعوة أو ثورة الشيخ عبد الحميد ، وان كان انقلابها الى حركة رجعية اذا بقينا جامدين على الاسلوب القديم .

واذكر ايضا نفس الشيء فيها يخص نظرنا الى الاسلام فاعتقد ان محاربة البدع التى لصقت بالاسلام اذ ذاك ، كان شيئا ضرورة تاريخية اذ ذاك ، امام الجمود الذى كان يخيم على المجتمع الجزائرى . كان لابد من مواجهتها بالاسلوب الثورى ، ولكن الحقيقة الراهنة الآن ، حقيقة الاسلام في عصرنا الحالى والمشاكل التى ينبغى ان يواجهها الاسلام في مجتمعنا تختلف تماما عما عرّفه الشيخ ابن باديس في حياته . ونحن اذا بقينا متمسكين بالشعارات التى رغبنا اذ ذاك ، فاننا نوشك ان نضل الطريق . نحن اليوم نواجه مشاكل الحياة العصرية بها فيها من تعقيد ، وبها فيها من مذاهب وتيارات فكرية ، نواجه جيلا صاعدا ومفتتحا على العالم اكثر مما عرف الناس في الماضى بفضل اجهزة الاعلام والاتصال . ويجب ان نواجه هذه المسؤولية بأسلوب جديد وبمنظرة ثورية جديدة .

عمار طالبى : اشار الاخ عثمان الى قول ابن باديس المعروف الاسلام الورائى ، والاسلام الذاتى وبطبيعة الحال ، هو ادرك ان الاسلام جوهره علاها غبار وصدا . وهذا الصدا الذى توارثه الناس ، هو الذى يسمونه الاسلام وهو الاسلام القائم على مجرد التقليد والسمع والعاطفة فقط ، دون فهم ولا هضم لاصول الاسلام . ففرق بين الاسلام الورائى والاسلام الذاتى . كالاسلام القائم على الفعل وادراك اصوله . اما الاسلام الورائى فهو مجرد البدع . **مهري :** اذا سمحت سى عمار اعطينى فرصة ربما لتوضيح فكرتى . اعتقادت ان مجرد تقليد الشيخ ابن باديس يؤدى بنا الى الاسلام التقليدى .

في موقع هجوم أيضا كما كان يفعل ابن باديس عندما يقوم بعملية النقد على الأوضاع .

عثمان شبوب : نحن الآن نكلمنا ونناقشنا في هذا الموضوع وكأننا اتفقنا على **المبدأ .** ولكن هناك بعض التيارات عندنا ترى أن الدين على المستوى العالمي ، هو مجرد اختيارات شخصية لا غير . فهل يمكن أن نفر بهذا الرأي ، أم أن الدين عندنا له معناه الخاص ، باعتباره مكونا أساسيا من مكوناتنا الاجتماعية ومرتبطة بنظرتنا إلى الحياة والكون وقيمنا الأخلاقية والسلوكية واعتقد أن مناقشة هذا الرأي مهم ، بل أن أنه من الخطأ أن نصم آذاننا ونبتعد عن الحوار مع التيارات التي نرى أننا لا نتفق معها ؟

عبد الحميد مزيان : في هذا الموضوع يمكننا أن نجيب حتى بالدين نفسه الذي يقول لا اكراه في الدين . أو كذلك الآية : « من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » إذن قضية الاختيارات الشخصية أو الالتزام الديني بالنسبة لبعض الأشخاص . الإنسان لابد أن يؤمن بدين مجتمعه . هذه في الحقيقة مناقشة من نوع فلسفي ، وإنما المعروف أن الدين المتصلب الذي يريد أن يكون بعمليات اضطهادية . نحن نعلم أن الفرق الإسلامية التي استعملت الوسائل الاضطهادية مثل المعتزلة في عهد المأمون ، أو السنة في وقت المتوكل . هذه تيارات في الحقيقة يمكننا أن نقول أنها استثنائية بالنسبة للحرية الفكرية والدينية ، لكن هذا جانب ، أما الجانب الآخر يمكننا أن نقول بأن فكرة اللائكية ، الحقيقة أن هذه دعوة إلى اللائكية ، الإسلام بصفته تيارا فكريا يقبل اللائكية ويتمشى معها أم لا . نحن نعرف مثلا بالنسبة للمسيحية في عصرنا الحاضر . إذا قمنا بمقارنة المقارنة طبعاً ليست من نفس النوع لكن لا يهم ، بالنسبة للمسيحيين عندهم مبادئ في قبول اللائكية كشخص آخر يتعامل معه ، ويتبادل معه ، هل هذا ممكن بالنسبة للتفكير الإسلامي في عصرنا الحاضر . هذه نقطة استفهام . وأنا لست رجلاً دين لا أقول هذا جائز أم غير جائز ، ولكن هناك شيء ينبغي أن ننتبه إليه ، وهو أننا نعيش في

عصر كثرت فيه التيارات الفكرية والعقائدية المختلفة ، والإسلام الذي يبقى محصوراً كما قال زميلي عمار طالبي في موقف دفاعي ولا يدرس هذه التيارات الفكرية ولا يتخاطب معها في بعض الأحيان ولا يلتقي معها ولا يعرفها ولا يكسبها شيئاً . أي أنه نفس الإسلام الذي عرفناه في العصور الوسطى وفي القرن ١٩ ، وعرفناه في القرن التاسع الخ . من هنا الموقف الصحيح الذي يعطى للإسلام قوة وحيوية هو الموقف الذي يجعله لا يتجاهل ولا يجهل التيارات الفكرية الأخرى . إذن هذا نوع من الانفتاح الذي لا يضحي بمبادئه وإنما طرق الحياة وطرق التعايش إنما يبتدىء من الوعي بهذه التيارات . وطبعاً التيار اللائكي اللاديني أو ما نسميه بالعلمانية يجب أن يحسب لها حسابها . إذن نحن هنا في عصر ينبغي أن نغير فيه ذهنيتنا . هذه الذهنية بصفتنا مسلمين . أي يجب علينا أن لا نتجاهل الآخرين . بل يجب أن نتحدث معهم ونتصارح معهم ، وأن نعرفهم وأن نعطيهم لا أن نأخذ منهم فقط . وبالمجمل ، فإن التيارات الفكرية الأخرى الموجودة هي واقع ، لا بد أن نقول أنه موجود ، والاعتراف بوجوده والحوار معه شيء ضروري في عصرنا .

عبد الحميد مهري : اعتقد أن موضوع الإسلام ، من الصعب حصره في نطاق الجزائر ، الإسلام دعوة للبشر كله ، ووضع الإسلام في عصرنا الحديث لا يمكن النظر إليه من زاوية الحدود الضيقة للجزائر ، واعتقد أن مناقشة هل الإسلام عنصر من الشخصية أو هو شيء لا يمثل من شخصيتنا شيئاً ، اعتقد أنه نقاش لا يفرض بنا إلى حل ، لأن الإسلام واقع يفرض نفسه على الجميع ، ولكن اعتقد أن تناولنا لهذا الجانب يحيطه الغموض بعض الشيء ، فكثير من المواقف التي نراها تعارض الإسلام في مجتمعاتنا ، هي على ما اعتقد الحاد حضاري أكثر من الحاد عقائدي . ونحن عندما نواجه هذه التيارات نواجهها بالسلاح العتيق ، الذي يكتفي بتكرار أن الإسلام هو كل شيء في حياتنا ، ولكن الدعوة ثم يلبسوا لباساً عصرياً ، فهناك أديان أقل استعداداً لمجاراة العصر والطبيعة ، وأقل قوة ذاتية ومحتوى

أخرى تصدر في جميع أفعالها وتقاليدها وسلوكها عن هذه المعاني التي يمثلها الإسلام . فالإسلام تد طبع حياتها السلوكية بطابع معين ، فلا يمكن أبدا أن نتجاهل هذه الظاهرة كعلماء اجتماع ، أو أن نقول أنها لا قيمة لها ولا أثر لها من الناحية النفسية ومن الناحية التاريخية . ومن الناحية الثورية ، هذا شيء غير علمي ، والكلام الذي استعرضته حتى من الناحية العلمية غير صحيح . ونحن إذا استعرضنا الثورات المعاصرة في إفريقيا وآسيا نجد روادها من المسلمين . فالهند مثلا ، البوذي يقتصر على أن يحرق نفسه إذا بلغ أقصى درجة من الدفاع يفنى ذاته ، لكن المسلم ، يقاوم ويكافح ، وكذلك في إفريقيا ، هناك ثورات أساسية قام بها المسلمون ، لأن الإسلام يأبى الظلم والسيطرة .

وأما فيما يتعلق بأسلوب مواجهة التيارات الأخرى . فالإسلام له تجربة خصبة ، فقد حاور المسلمون الفلسفة اليونانية وقد حاور المعتزلة المانوية وجميع المذاهب العنصرية وغيرها . الغزالي مثلا اتصل بالفلسفة اليونانية ، ولكن قام بحركة نقدية لهذه الفلسفة ، ونحن اليوم لا نقول بانغلاق ، بل يجب أن نتحاور مع هؤلاء ، ولكن محاورة الند للند ، لا محاورة الخاضع لمبادئ معينة على أساس أنها في حضارة . نحن صحيح متخلفون اجتماعيا وحضاريا وهذا أدى إلى ضعف موقف الإسلام . ولكن رغم ذلك لا ينبغي أن ننغلق على أنفسنا ، ولا أن نخضع أيضا ، وان ننكر ذاتيتنا ، وانما ينبغي أن نهتم بأساليب تربيتنا ، لنخلق شبابا أصيلا .

عثمان شبوب : ان ما تفضلت به يا اخ
عمار رائع ، ونحن نأخذ هذا القول على
أنه من قبيل امانينا في المستقبل ونحن نعمل
طبعاً على أن يتحقق في حياتنا العامة .

ز آخر ، استطاعت أن تنقبض ولو في الظاهر لباسا جديدا لتواجه به التحديات . رأينا مثلا في أوروبا ظاهرة الرهبان العمال الذين تطوعوا للعمل في المعامل حتى يفهموا الدوافع العميقة للثورة الاجتماعية المعاصرة ، فإذا قارنا أسلوب وعاطفنا في المساجد نجد البون شاسعا ، وإذا رأينا مثلا علماء الدين المسيحي يلتفتون في ملتقيات منظمة مع رواد الفكر الماركسي على طريقة المعارضات القديمة ، ويتارعون الحجة بالحجة ، ويستعملون أسلحة العلم في الدفاع عن عقيدتهم ، واعتقد أننا لو انتبهنا إلى هذه النواحي وجعلنا دفاعنا عن الإسلام نفهم أولا الدوافع العميقة التي تدفع بعض شبابنا إلى ما أسميته بالالحاد الحضاري الذي قد يقضى في النهاية إلى الالحاد العقائدي ، لو تفهمنا هذه الدوافع لكيفنا دعوتنا وأسلوب دفاعنا عن الإسلام .

محمد العربي : في الحديث عن الإسلام باعتباره أحد المقومات الشخصية ينبغي أيضا العودة إلى الطريقة التي فهم بها ابن باديس الإسلام فمفهومه للإسلام نظر إليه باعتباره ذخيرة واستراتيجية فالإسلام واقع موجود ، ومحرك أساسي لحفز الشعب إلى خوض معركة من المعارك . ولكن الآن هناك أزمة ، يعني هناك إسلام بدون مسلمين إسلام لم يجد من يثريه . الإسلام عندما يتصارع مع التيارات الحضارية المحيطة به ، ليس له حتى إمكانيات الدفاع . إذن وضع الإسلام باعتباره واقفا في قوالب جامدة كما تركها السلف ، يعني قوالب مقدسة ، جعل الجيل المعاصر لا يجد بديلا لا يجد سلاحا جديدا يواجه به هذه التيارات المعاصرة . فهو سريع الاستهواء ، وهو إذ يقبلها لا يقبلها عن طريق عقائدي ، وانما يقبلها في كثير من الأحيان ليقل عنه أنه يعيش عصره .

عمار طالبى : الحقيقة إذا تناولنا الإسلام كظاهرة اجتماعية ندرسها علميا بقطع النظر عن كونها عقيدة ، فاننا نجدها ظاهرة اجتماعية تاريخية مرتبطة بضمير هذا الشعب وشعوب

الجزائر في تاريخ

نص المحاضرة التي القاها الاستاذ
مصطفى الاشرف بتاريخ ١٤ نوفمبر
١٩٦٧ ، في مدينة بوانس أيرس ،
عاصمة الأرجنتين .

ان الحديث عن دور الجزائر في تاريخ
الحضارة يقتضى منا ان نعطي لهذا
الموضوع بعدا يتجاوز الحدود الجغرافية
الضيقة لقطر صغير ، ويمتد الى كثير
من اقطار البحر الابيض المتوسط
واقريقيا ... وما لاشك فيه ان الاطار
الجغرافية ومسرح التاريخ ، هما البوتقة
التي تكونت فيها حركة الفكر ،
وهي حركة ما فتئت منذ فجر التاريخ
تفوح بجذورها في الاعماق ، وتمتد
فروعها الى اهم الثقافات التي عرفت
اوربا في العصر الوسيط وفي العصور
الحديثة .

مصطفى الاشرف

مستشار بالوزارة

ترجمة: د. منفي بن عيسى



الحضارة

والروابي المكسوة بالأشجار ، المترامية في تناسق ناعم بديع ، والمجازات والشعاب والمضايق والجبال والهضاب ، والنجوم المتتابعة أحيانا ، والمتكئة على بعضها أحيانا أخرى . والانهار غير المنتظمة ، والبحيرات ذات المياه المالحة ، والعيون الجارية ، والغابات التي استوحى منها الإنسان مختلف القصص والاساطير واستمد منها كل خير ، ووجد فيها قوته في أيام الجذب والقطط . .

ذلك هو الوسط الطبيعي الذي عاش فيه سكان المغرب ، وتأثروا به من حيث الاستجابة والحركة والنظر الى الأشياء والحساسية ، وتلك هي العوامل التي تركت في نفوسهم اثرا عميقا أحيانا ، وسطحيا أحيانا أخرى ، لانه على أية حال ، اثر لم يخضعوا له خضوعا تاما . انه اثر يتجلى في العمل الدائب ، وفي الرعب من الكوارث الطبيعية ، وفي الفرحة التي تغمرهم عندما يجنون ثمار أعمالهم ، وفي التناوب بين الحرب والسلم ، والترحل والاستقرار . . . كما

ان الوضعية الجغرافية — وحكمها في ذلك حكم الظروف التاريخية — لم تكن أبدا بالنسبة الى المصير المغربي مما يبعث على الاستسلام لحتمة القدر ، والجمود الذي يؤدي بالشعوب الى ان ترضى بوضعيتها الجغرافية، وتخضع لعوامل المكان والمناخ والسكن ، ولا تتغير آفاقها أبدا . ومما لا ريب فيه ان الظروف الطبيعية تشحذ الهمم أحيانا . . . الا انها أحيانا أخرى تبعث فيها الخمول القاتل . فالتضاريس في هذه المنطقة من العالم ، مليئة بالالتواءات الشديدة كما ان البحر الابيض المتوسط الذي قال عنه ألبوتان بأنه بنفسجي اللون وهادئ كثيرا تجتاحه العواصف الهوجاء .

انظر الى الصحراء التي يهلك من يريد أن يقطعها ولا يهلك من يعبر المحيطات . . وانظر كذلك الى الرياح المحرقة والثلوج المتراكمة في المرتفعات ، والارض القاحلة المجذبة في السهول الشبيهة بالسهب ، والارض الخصبة المثمرة في الساحل ،

الا صفحة تطالع فيها الشباب أو الشيخوخة ، وترى فيها التجاعيد الصغيرة ، أو البشرة الناعمة ، واللون الكامد أو اللون الزاهر . ما التاريخ الا كوجه البشر بآثاره القبيحة وتآليه ...

ان هذا الامر ينطلق ايضا على الاقطار والبلدان . فلكل منها وجه او اديم تؤثر فيه العوامل الجغرافية والعوامل التاريخية . اما الاولى من هذه العوامل ، فمقدد يكون تأثيرها مباشرا او غير مباشر . واما الثانية فان تأثيرها لا يزال ملحوظا فوق اديم الارض وفي اعماق اعماقها ، وفي كل شبر من التربة التي استصلحها المحراث والمعمل والمجرة ، وعاد اليها السلام وزال عنها الصراع والخصام ، بعدما تقاسمها الناس فيما بينهم ، ووضعوا لها حدودا معلومة ... كما ان تأثيرها لا يزال ملحوظا في بقايا منشآت الري التي خلفها العرب ، وفي الطرق العابرة للقارات ، الحافلة بالحواضر والمراكز التي امحت آثارها اليوم كأنها الحصى المنثور فوق اديم الارض ... ولا يزال ملحوظا في مخلفات الرومان الاثرية التي تشهد - رغم تقادم السنين - بعظمة العقل . وهذه المخلفات الاثرية تبدو اليوم بامتدادها على ارض المغرب ، كأنها حدود داخلية تفصل بين منطقتين متميزتين في الخصائص الطبيعية وفي انماط المعيشة ... بل لا يزال ملحوظا حتى في الاحجار التي ، اذا استنطقتها ، حدثتك عن ركب التاريخ وتناولت العصور ما بين حضارة وهمجية . وبالفعل فانك الى حد اليوم قد تقع على اطلال وخرائب واحجار متبرئة وانتقاض من الاسوار العتيقة متداعية ، وبلاطات بالية واطلال من المدن الاثرية متراكمة ، وشقف لاوانى خزفية وقطع من البرونز وكسر من الزجاج ... كما انك قد تعثر على جزء فسيفساء ونصب منقوش وجذع لاحتد الاعمدة ورخامة مشتمة ونواة كعبة من الزيتون ، وحبسة مسودة من القمح ، ومصباح ، وآنية تسترعى الانظار بين الانتقاض المتراكم بعضها فوق بعض على مر السنين ... ان جميع هذه الأدوات التي لم يبق منها سوى الهيكل ، ينبئ للحضارة ان تعنى بها وان تقدرها حق قدرها ، لكي تجعل منها آثارا حية بها تربط حاضرا بماضيها البعيد .

وهكذا فان التاريخ يستبد عناصره من اطلال المدن ومن بقايا الأدوات التي استعملها الانسان

يتجلى في الجهد الذي لا ينقطع رغم المحن والعراقيل ، ذلك الجهد الذي بفضلته تتبدل الظروف الطبيعية من حالة توحش الى حالة التانس والاستثمار ، وتتمكن الامم من السيطرة على الطبيعة المستعصية ، وتتغلب شيئا فشيئا على القوى الجبارة المخزونة في عالم الجهاد والنبات ، وفي العالم الذي لا يزال مجهولا لان الكشف عنه لم يبدأ بعد ..

واذا نظرنا الى التاريخ على هذا الاساس ، واعتبرنا انه مقترن بهذا الجهد الدائب المتواصل ، وبذلك الانطلاقة التي حولت صفحة البحر الهائج ، وصخور الاطلال الاشم ورمال الصحراء العائقة ، حولتها الى طرق آمنة ، ومساالك مطروقة ، ومدن عامرة بالخيرات وقائمة على سفوح الجبال ، ومراسى مقصودة ، ومراكز تجارية معروفة ، وحواضر تتوافد اليها القوافل ، وواحات ينعم فيها الانسان بالماء العذب الذي فجره السكان من اعماق الارض ، ولم يجدوه هناك على هوى المصادفة ... اقول ، اذا نظرنا الى التاريخ على هذا الاساس ، فانه لن يكون مجرد سلسلة رتيبة من الاحداث المتتابعة التي يطلعون الرواة على مآثر الامراء وقادة الحرب ، وعلى مناقبهم ... ان التاريخ الذي يعبر بأسلوب غير منمق ، عن احداث بسيطة كثيرا ما تتصل بالحياة اليومية ، ويرينا كيف تتسلسل الوقائع التي يتألف منها نسيج حياة البشر اليومية ، من حيث نشاطهم واتعابهم واوقات فراغهم ، وسعيهم في الارض ، واكتشافاتهم ، مهما كانت تلك الاكتشافات بسيطة .

ان التاريخ بهذا الاعتبار هو التاريخ المجرد من النظرة المتتابعة للاحداث والوقائع ، وهي في اغلب الاحيان نظرة ذاتية غير موضوعية ، حتى انك لتجد من المؤلفين من يضي على التاريخ طابع الخرافات والاساطير ، ويظن ان التاريخ هو التغنى بامجاد الماضي .

ان التاريخ بالمعنى الذي قصدناه ، وسواء لمسنا فيه طابع التعممة او الخشونة ، وسواء وجدنا له طعما حلوا او مرا ... هذا التاريخ ليس على اية حال من النوع الذي لا يثير اهتمام الانسان ، او على العكس ، من النوع الذي يثير لديه الاستغراب والتعجب . انه اثنى ما يكون بالوجه الذي تقرا في تسامته البشاعة او الوسامة ... ما التاريخ

في الزراعة . وهذا يتحقق بانقاذ ما يمكن انقاذه من البلى ، والتقاط تلك الاواني الصغيرة التي لا تزال تشهد بحياة انتهت ولن تعود . وبهذه الطريقة يحدثنا التاريخ بلسان بليغ ، بل هو ابلغ من النصوص المكتوبة والطلاسم والخرافات التي تحفل بها الاساطير الشعبية او النظريات المتحذلة التي يضمها بعض الباحثين . وهنا نلاحظ ان الحادثة تقترب دائما بالظاهرة الاجتماعية ، بل هي التي تكشف عنها ، اى ان الحادثة بالنسبة الى التراث الاجتماعى المطموس بمثابة القرينة المادية . ولذلك فان الحادثة تزيد الحقائق التاريخية وضوحا تلك الحقائق التي لا يتوصل اليها الباحث الا بعد استنباطها من اعماق اعمق الارض ، واستخراجها من غياهب الماضى الدفين ، وحياتها من النسيان التام او من اعماق ذاكرة الشعوب . وبالفعل ، فان الانار الباقية من تاريخ امة من الامم تبدو للباحث كأنها الطلاسم او الحروف الهيروغليفية المستغلة على الفهم . وكما ان الابجدية المجهولة تستلزم بذل الجهود لادراك سرها ، فكذلك تلك الاثار الباقية من التاريخ القديم لا تنكشف للانسان الا اذا تسلىح بقسط ولو بسيط من الثقافة ، واستعان بوسائل الحضارة ، مهما كانت تلك الحضارة متأخرة . ولقد تكون معلومات الانسان بسيطة نوعا ما ، ولكنها على كل حال نقطة الانطلاق بالنسبة الى الانسان والمجتمعات البدائية او المتحضرة . ان تلك المعلومات ضرورية حينها يأخذ الكائن البشرى في التعرف بصورة تدريجية على العالم الطبيعى والمحيط الفيزيائى الذى يعيش فيه ويتكيف معه ، وعلى الوسط الحافل بال مخلوقات المنثورة هنا وهناك والعلامات التى يعرف بعضها ويجهل بعضها الاخر فاذا تم له ذلك فانه سيسعى فى استكناه اسرار الكون اللامتناهى ، ذلك الكون الذى اثبتت عنه الانسان ، فكان منه المتبصر فى الامور ، وكان منه الغافل الجهول ، وكان منه المبدع الخلاق ، وكان منه الفاتح المقدم . كل ما فى الكون اذن يستحق الاهتمام ... حتى تلك الاشياء التى قد تحتقرها لانك قد تعثر عليها متناثرة ومترامية بعضها على بعض ، من غير ترتيب ولا نظام .

كل شيء اذن موجود منذ ان كان التاريخ ... وان لم يكن الشيء موجودا ، فمرمه الذى يدل

عليه ويقوم مقامه ، وما من مجتمع ، حتى ذلك المجتمع المتأخر او المنحط بسبب انعزاله فى صحراء « كالاهاى » او مفازات « الامازون » ، ما من مجتمع الا وله نصيبه الخاص وسهمه فى هذه الابجدية من الحروف التى قد تزيد او تنقص ، او تظل ثابتة ، وذلك كله بحسب المواقع الجغرافية والعصور التاريخية ومصائب الدهر وكوارثه . وفى تلك المجموعة من الحروف يكمن السر الذى به تحقق الامم مستقبلا زاهرا ، او تنتهر الى ما كانت عليه فى عهود التاريخ المظلمة .

اترانا بعد هذا سنصل الى موضوعنا عبر هذه الطرق الملتوية التى ما فتئت خلالها نشير الى المغرب على سبيل التلميح ، ونذكر القارىء به فى كل منعطف ؟ الحقيقة ان الطرق مهما تشعبت ، تؤدي كلها الى هذا البحر الابيض المتوسط الذى كان مركزا للعالم المعبور ، كما ان الطرق الممتدة على طول سواحل ذلك البحر المتوسط ، تؤدي كلها الى ارض المغرب الذى جعلت منه وضعيته الجغرافية واحداث التاريخ وتقلبات الدول والمجتمعات والحضارات والمصالح الاقتصادية الدولية ، جعلت منه كل هذه العوامل محطة لا غنى عنها ، وملقى طرق هام ، ومسرعا كبيرا للبطولة والابداع والصراع ، للشعوب الخلاقة المتوقفة التى وجدت هناك ميدانا فسيحا لتحقيق احلامها ونشر حضارتها ، او لتعيث فى الارض فسادا وخرابا .

ان المؤرخ الفرنسى فرنان برودال Fernand Braudel موفق جدا حينما اطلق على شمال افريقيا ، وعلى غيرها من المناطق المستقلة من الناحية الجغرافية ، والتميزة بطابع خاص (كالاناضول والبلقان) ، تسمية « العوالم الشبجزيرية للبحر الابيض المتوسط » . فكل بلاد منها عالم بذاته ، الا انها جميعا منسوبة الى حوض البحر الابيض المتوسط . وهكذا ، فان التاريخ الحديث قد اكد بالنسبة الى شمال افريقيا ، التسمية القديمة التى اطلقها العرب على هذا الجزء من العالم ، منذ العصور الوسطى ، اى منتصف القرن السابع . وسواء سميناها شبه جزيرة ، او جبل الجبابرة ، فان الامر واحد رغم اختلاف التسميات التى قد توحى بها التجربة او الملاحظة . وهناك اشباه جزر اخرى ، وهى فعلا اشباه جزر بالمعنى الحقيقى لا بالمعنى المجازى ،

شبه جزيرة يمتزج فيها التنافر بالتناسق ، والتنوع بالوحدة .

وتحتل الجزائر التي هي قلب المغرب النابض ، الجزء الأهم من هذه المنطقة ، وتطل على البحر شمالا ، والصحراء جنوبا ، بحسب نظام متناظر ومتعادل يكاد يكون تاما . والجزائر مرتبطة ارتباطا وثيقا بتونس والمغرب الأقصى ، ولها معها تاريخ طويل مشترك ، وحدود جغرافية مشتركة . ان شمال افريقيا التي تكاد تكون لوحدها قارة ، رغم طول شواطئها الذي يقدر بألفي كلمتر ، وامتدادها عبر الصحراء المتاخمة لافريقيا السوداء ، على مسافة تبلغ عدة آلاف من الكلمترات ، ورغم كونها تشكل رقعة واسعة جدا من الاراضى المتشوعة ، فاننا نستطيع مع ذلك ان نقول بان وحدة ترابها هي في حد ذاتها الصورة المصغرة لوحدة جميع الاقطار التابعة لحوض البحر الابيض المتوسط . وهي وحدة ليس لها نظير لعدة اسباب :

اولا : لان الوحدة هي الميزة الرئيسية للبحر الابيض المتوسط ، باعتبار ان هذه الوحدة تمثل الواقع الملموس في القديم والحديث ، وتفسر الدور الذي لعبه في مختلف العصور . ولولا هذه الوحدة لفقد هذا البحر كل اهمية . وكان المؤرخ لوسيان لوفابر Lucien Leferbure يقول : « ان الشيء الهام في حوض البحر الابيض المتوسط هو الطرق . وانه لامر غريب ان نلاحظ كيف ان اشباه الجزر ، او الجزر الداخلية او المجموعات من الجزر ، وكيف ان هذين البحرين من الامواج والرمال (اى البحر الابيض والصحراء) ، توجد بينهما صفة مشتركة قد يعتبرها البعض ثانوية ، لانها مقصورة على التبادل الحضارى الذى قد يزول احيانا وينقطع ... الا ان هذه الصفة التى تربط بين تلك الجزر او اشباه الجزر ، وبين البحر والصحراء ، اوتى مما يتصور البعض ، باعتبار انها هي التى تفسر لنا الامر كله ، وتبرر بالادلة القاطعة وجود هذا البحر الواسع الاطراف في وسط الاراضى المحبطة به ، وتوضح الدور الذى لعبه من الناحية البشرية . ان المؤرخ السابق الذكر (لوسيان لوفابر) ، يتميز بالدقة في الملاحظة ، لان تعاريفه تحيط بالشيء من جميع الوجوه وتحتوى على جميع الجزئيات التى قد تبدو لأول وهلة تافهة ، في حين انها ، تكشف لك عن معان

كاسبانيا وايطاليا ، وهى تؤلف العناصر المتممة لهذه المنطقة الجغرافية الواسعة من حوض البحر الابيض المتوسط الذى يرى المؤرخ السابق الذكر ، **فرنان برودال** ، ان حدوده - مع شىء من التوسع والمجاز - تمتد الى النيبافى والقفار من آسيا وافريقيا . فهو الذى يقول في كتاب من كتبه : - « الصحراء هي الوجهة الثانى المقابل للبحر الابيض المتوسط . »

ونحن نضيف الى ما سبق ، ان شمال افريقيا ، بطابعها الخاصة من الناحية الطبيعية والبشرية ، ليست شبه جزيرة فحسب ، بل هي كذلك شبه قارة . وقد راينا لزاما على انفسنا ان نشير الى هذه الظاهرة المغربية الجزائرية ، الا اننا لن نتوسع فيها ، لانها لا تحتاج الى دليل ، ولان حجج علماء الاجتماع والتاريخ تخالف احيانا من الناحية الشكلية حجج علماء الجغرافيا ... وهى على كل حال ظاهرة مهمة جدا لفهم الحضارات المتعاقبة في تلك المنطقة ، عن طريق الهجرة والغزو ... كما انها تفسر لنا كيف امتزجت الشعوب وكيف اجتمع شملها في نفس المناطق الجغرافية ، كالنجد والسهوب المشجعة للترحال والتنقل بحسب الفصول ومقتضيات الاحوال ، وكالجزال التى قد تبدو لك منيعة مغلقة على نفسها ، في حين انها نقطة انطلاق نحو السهول الفسيحة بالنسبة الى الرعاة والفرسان ورجال الحرب والسلام ، والدعاة لشتى المذاهب ، والحمالين والفلاحين ، ورؤساء العصابات الفناكة التى يضطرها الجوع او ظلم الحياة لحمل السلاح ، والخروج الى البرارى والقفار .

ان المغرب لهو بحق شبه قارة وشبه جزيرة . وشأنه في ذلك شأن المناطق الاخرى التى لها نفس الوضعية الجغرافية . فالمغرب يعتبر ميدانا واسعا للانطلاق ، وعالما من « **الجزر التى لا يحيط بها البحر** » ، على حد تعبير أحد المؤرخين بصدد حديثه عن اقطار البحر الابيض المتوسط . وهو ، بجباله الداخلية القاحلة وصحاريه المهلكة ونجوده العليا ، واحواضه الطبيعية المحفورة في الصخر ، مكان فسيح للتنقل داخل الحدود ، او للانطلاق والخروج من تلك الرقعة الواسعة التى تربط البحر بالصحراء . وتشكل ، ببروزها فوق البحر ،

وحقائق تاريخية في منتهى العمق . وهو الذى أوحى الى تلميذه وصديقه « **برودال** Braudel » ، بصدد الحديث عن منطقة البحر الابيض المتوسط ، أوحى اليه بعبارة موفقة فيها ايجاز وتوكيد ومقابلة ، فقال ان المنطقة يكن سرها في الصيغة الاتية :
« الطرق — المدن . المدن — الطرق »

وليست هذه العبارة من تلك الكلمات التى تقال جزافا ، بل هى ، رغم ما فيها من ايجاز وتلميح ، تعطى صورة اجمالية عن حركة لا تكاد تنقطع ، وعن ترجح بين حضارتين كل منهما متفاعلة مع الاخرى . ولقد ترجح الكفة من جانب احدى الحضارتين أو تتأثر هذه بتلك . ومن الممكن أيضا أن تكون بينهما وجوه اتفاق واختلاف في نفس الوقت . وعلى كل حال ، لا يحصل بينهما انفصال ، بل تعبران معا ، بترائهما المشترك ، عن واقع يتفتح على الخارج أحيانا ، وينغلق أحيانا أخرى ، ويستمد ويمد ، في حركة جابذة نابذة ، وتنبعث منه تيارات لا تلبث أن تتفرع وتنتشر في كل مكان ، فيحصل بين الناس تعاون ، وتفتح المحلات التجارية لارضاء الحاجات المتزايدة ، وتنشط الحركة الفكرية والثقافية ، وتنقل تلك الحركة الى الاقطار الاخرى سواء بالسلم أو بالسيف . وهكذا فإن بناء صرح الحضارة يتطلب جهودا متواصلة ، ومثابرة في العمل .

لقد صدق من قال : **« ان الوحدة البشرية لمنطقة البحر الابيض المتوسط قائمة على اساس تمديد شبكة الطرق من جهة ، وعلى اساس بناء الحواضر والمدن من جهة أخرى ... »** أى أنها معتمدة على خطوط النقل وعلى المراكز التى تتجمع فيها الطاقات والامكانيات الفكرية والمادية . فالمدن والطرق ، أو قل اذا شئت : الطرق والمدن ، ليست الا مظهرها يتجلى فيه تجهيز الانسان للكان وتنظيمه له . فالمدينة في حوض البحر الابيض المتوسط ، مهما كان شكلها وهندسة بنائها والحضارة التى تنتهى اليها ، هى دائما مولدة للطرق ، كما أنها في نفس الوقت وليدة تلك الطرق ... والنظام الذى تخضع له الطرق والمدن هو الذى غرضه سكان هذه المنطقة ، وهو نظام يهيمن على جميع شؤون الحياة ... فالزراعة مثلا ، مهما كانت بسيطة ، مآلها الى المدينة ، والمدينة هى التى تتحكم فيها ... »

ويبدو لنا أن الشيء المهم بالنسبة الى تلك الشبكة الطويلة من المدن والطرق والمحطات ، ليس هو الإشارة الى ما فيها من مظاهر التمدن والاتقان والجمال والرفاهية والفقر ، أو ما فيها من روعة تلفت انتباه العالم وتأخذ بلب المسافر ... ان الشيء المهم فيها ، كما قال برودان : **« هو أن ندرك بأن تلك الشبكة تفترض وجود اتصالات دائمة بين سكان المنطقة ، ووجود تاريخ يوحد شملهم . وينبغى الا ننسى في هذا المجال بأن حركة السفن والدواب والعربات والسكان ، هى التى وحدت منطقة البحر الابيض المتوسط ، كما انها ، الى حد ما ، وحدت انماط حياة السكان ، رغم بعض الفروق المحلية . »** ان منطقة البحر الابيض المتوسط تتميز بشيء اساسى وهو انها **« منطقة لا يتوقف فيها النشاط »** ان ما يجرى في تلك المنطقة من حروب ، وما يدور فيها من صراع ، وما يوجد فيها من فنون وصنائع وما ينتشر فيها من أوبئة ، وما ينتجه السكان من مواد، سواء كانت ثقيلة أو خفيفة ، ثمينة أو رخيصة ... كل ذلك مشحون في تيار حياتها المتدفق ، ومنقول الى البعيد ، حيث يتوقف ، ثم يشحن من جديد وينقل دوما الى البعيد ، بل يصدر أو يبعث الى خارج حدودها . »

« المنطقة التى لا يتوقف فيها النشاط ... الطرق — المدن . المدن — الطرق ... »

ذلك هو الاطار ... ولكن الشيء المهم ليس هو الاطار في حد ذاته ، بل هو الدور الذى يلعبه ذلك الاطار .

ان حضارات البحر الابيض المتوسط تطورت كنتيجة حتمية للفراغ : فراغ البحر من جهة ، وفراغ الصحراء من جهة أخرى ، وذلك ان الصحراء لا تقل عن البحر حركة ونشاطا . وسنرى فيما بعد كيف ان المجتمعات المغربية ، وخاصة منها الجزائرية نشأت كنتيجة لمقتضيات الاحوال ، وأهمها تنقل الناس من مكان الى مكان ، والحاجة الماسة الى الترحال وتعمير المكان ، وانشاء مبادلات وتأسيس محطات للاقامة هنا وهناك .

ان الوحدة البشرية لمنطقة البحر الابيض المتوسط ليست ، كما يزعم البعض **« ناتجة عن الظروف »**

وحقائق تاريخية في منتهى العمق . وهو الذى أوحى الى تلميذه وصديقه « **برودال** Braudel » ، بصدد الحديث عن منطقة البحر الابيض المتوسط ، أوحى اليه بعبارة موفقة فيها ايجاز وتوكيد ومقابلة ، فقال ان المنطقة يكن سرها في الصيغة الاتية :
« الطرق — المدن . المدن — الطرق . »

وليست هذه العبارة من تلك الكلمات التى تقال جزافا ، بل هى ، رغم ما فيها من ايجاز وتلميح ، تعطى صورة اجمالية عن حركة لا تكاد تنقطع ، وعن ترجح بين حضارتين كل منهما متفاعلة مع الاخرى . ولقد ترجح الكفة من جانب احدى الحضارتين أو تتأثر هذه بتلك . ومن الممكن ايضا ان تكون بينهما وجوه اتفاق واختلاف في نفس الوقت . وعلى كل حال ، لا يحصل بينهما انفصال ، بل تعبران معا ، بترائهما المشترك ، عن واقع يفتتح على الخارج أحيانا ، وينغلق أحيانا أخرى ، ويستمد ويمد ، في حركة جابذة نابذة ، وتنبعث منه تيارات لا تلبث ان تتفرع وتنتشر في كل مكان ، فيحصل بين الناس تعاون ، وتفتح المحلات التجارية لارضاء الحاجات المتزايدة ، وتنشط الحركة الفكرية والثقافية ، وتنقل تلك الحركة الى الاقطار الاخرى سواء بالسلم أو بالسيف . وهكذا فان بناء صرح الحضارة يتطلب جهودا متواصلة ، ومثابرة في العمل .

لقد صدق من قال : **« ان الوحدة البشرية لمنطقة البحر الابيض المتوسط قائمة على أساس تهديد شبكة الطرق من جهة ، وعلى أساس بناء الحواضر والمدن من جهة أخرى ... »** أى انها معتمدة على خطوط النقل وعلى المراكز التى تتجمع فيها الطاقات والامكانيات الفكرية والمادية . فالمدن والطرق ، أو قل اذا شئت : الطرق والمدن ، ليست الا مظهرها يتجلى فيه تجهيز الانسان للكان وتنظيمه له . فالمدينة في حوض البحر الابيض المتوسط ، مهما كان شكلها وهندسة بنائها والحضارة التى تنتهى اليها ، هى دائما مولدة للطرق ، كما انها فى نفس الوقت وليدة تلك الطرق ... والنظام الذى تخضع له الطرق والمدن هو الذى فرضه سكان هذه المنطقة ، وهو نظام يهيمن على جميع شؤون الحياة . . . فالزراعة مثلا ، مهما كانت بسيطة ، مألها الى المدينة ، والمدينة هى التى تتحكم فيها ... »

ويبدو لنا أن الشيء المهم بالنسبة الى تلك الشبكة الطويلة من المدن والطرق والمحطات ، ليس هو الاشارة الى ما فيها من مظاهر التمدن والانتقان والجمال والرفاهية والفرح ، أو ما فيها من روعة تلفت انتباه العالم وتأخذ بلب المسافرين ... ان الشيء المهم فيها ، كما قال برودان : « هو ان ندرك بأن تلك الشبكة تفترض وجود اتصالات دائمة بين سكان المنطقة ، ووجود تاريخ يوحد شملهم . وينبغى الانسى في هذا المجال بأن حركة السفن والدواب والعربات والسكان ، هى التى وحدت منطقة البحر الابيض المتوسط ، كما انها ، الى حد ما ، وحدت انماط حياة السكان ، رغم بعض الفروق المحلية . ان منطقة البحر الابيض المتوسط تتميز بشيء أساسى وهو انها **« منطقة لا يتوقف فيها النشاط »** ان ما يجرى في تلك المنطقة من حروب ، وما يدور فيها من صراع ، وما يوجد فيها من فنون وصناعات وما ينتشر فيها من أوبئة ، وما ينتجه السكان من مواد، سواء كانت ثقيلة أو خفيفة ، ثمينة أو رخيصة ... كل ذلك مشحون في تيار حياتها المتدفق ، ومنقول الى البعيد ، حيث يتوقف ، ثم يشحن من جديد وينقل دوما الى البعيد ، بل يصدر أو يبعث الى خارج حدودها . »

« المنطقة التى لا يتوقف فيها النشاط ... »
الطرق — المدن . المدن — الطرق ... »

ذلك هو الاطار ... ولكن الشيء المهم ليس هو الاطار في حد ذاته ، بل هو الدور الذى يلعبه ذلك الاطار .

ان حضارات البحر الابيض المتوسط تطورت كنتيجة حتمية للفراغ : فراغ البحر من جهة ، وفراغ الصحراء من جهة أخرى ، وذلك ان الصحراء لا تقل عن البحر حركة ونشاطا . وسنرى فيما بعد كيف ان المجتمعات المغربية ، وخاصة منها الجزائرية نشأت كنتيجة لمقتضيات الاحوال ، واهمها تنقل الناس من مكان الى مكان ، والحاجة الماسة الى الترحال وتعمير المكان ، وانشاء مبادلات وتأسيس محطات للإقامة هنا وهناك .

ان الوحدة البشرية لمنطقة البحر الابيض المتوسط ليست ، كما يزعم البعض **« ناتجة عن الظروف**

الزهور ، ونذكر من بينها : البندقية وجنوة وبرشلونة واشبيلية والجزائر ونابولس والقسطنطينية والقاهرة . « ولكن هذا موضوع آخر ، وسنعود اليه فيما بعد .

ومع ذلك ، غانا اعتقد ان المسألة قد لا تخلو من فائدة ، لمن شاء أن يدرس تاريخ المغرب والجزائر دراسة منهجية ، ان نقدم له هذا الاطار ، وان نعرض ، على سبيل التمهيد والشرح ، للبنية الطبيعية ، وان نعطي لمحة موجزة عن منطقة البحر الابيض المتوسط النشطة ، وان نتجاوب مع الاطار الجغرافى الخلاب . وقد تدرج بنا الحديث — فى شىء من التعثر — من العام الى الخاص . فالمغرب والبحر الابيض المتوسط منطقتان تعتبر كل منهما منمجة فى الاخرى . اما الجزائر فكانها الزبدة لما فى ذلك البحر الابيض المتوسط من عناصر جغرافية واقتصادية وبشرية . التى خلقت للمغرب تاريخه ، باعتبار ان موقعها فى الوسط جعلها اقرب الى خصائص منطقة البحر الابيض من البلدين الشقيقتين : المغرب الأقصى وتونس ، وباعتبار ان موكب التاريخ عندما بدا زحفه من الشرق لينهى سيره المتباطئ فى الغرب ، انها بلغ اوجه ، واستجمع قوته ، وأعد العدة ، وعرف الهزيمة والمحنة ، واسند المقاليد الى زعمائه ، فى قلب تلك المنطقة الشبيهة بالقارة ، اى فى الجزائر . انها انسب مكان فى حوض البحر الابيض ، من حيث الموقع الجغرافى والتضاريس ، برقعتهما الواسعة التى وجدت فيها الهمم والعزائم مجالا كبيرا للعمل والتفتح ، وانطلقت منها مواكب التاريخ للنصر المظفر . وبطبيعة الحال لا يمكن وضع تاريخ اى قطر من اقطار شمال افريقيا ، اذا لم نأخذ بعين الاعتبار كونه جزءا لا يتجزأ من هذا العالم الشبجيزيرى ، وكون سكان المغرب قد ساهموا كلهم بأعمالهم وتجاربهم ، فى تمهيد الطرق وبناء المدن وتشديد العواصم وتأسيس الممالك وانشاء الاسواق لتبادل السلع ، وتكوين المدارس والجمعيات الثقافية والتجارية والبحرية ، وتدبير الثورات ... كما انهم جميعا تعرضوا لنفس المحن ، وعرفوا آلام الهجرة والاغتراب .

وبعبارة مختصرة لا يمكن وضع تاريخ اى قطر من اقطار المغرب اذا لم ننظر الى تلك المنجزات

الطبيعية ، وعن مياه البحر على وجه الخصوص « وذلك ان هذا البحر الاوسط ، ما لبثت السفن ان تغلبت على امواجه واخذت تمخر عبايه وتربط ما بين مختلف الجهات وتنشئ تدريجيا ، ويضل ابناء المنطقة ، صرح الحضارة المتين .

ان تلك الوحدة اذن ليست ناتجة عن الوسط الطبيعى ، بل حقتتها سواعد ابناء تلك المنطقة ، وان حوض البحر الابيض المتوسط لم يكن ولن يكون له وزن على الصعيد العالمى . الا اذا اشترك جميع سكانه فى تشييد صرح الحضارة ، بالسعى والجد والجهد والتفانى فى العمل . ولهذا فنحن نعتقد ان الرابطة الاساسية بين اقطار البحر الابيض المتوسط هى شعوب المنطقة ، لا مياه البحر .

ولقد رأينا من خلال الامثلة التى استشهدنا بها فى موضوعنا ما هى العوامل الجغرافية التى يتجلى فيها الجانب الحركى بوضوح . وهذه العوامل توجد بيننا علاقات وثيقة :

كعلاقة الزمان بالمكان ، ونقطة الانطلاق بنقطة الانتهاء ، والمحل الثابت بالسفر ، والاقامة بالترحال ، والطرق بالمدن ، ومقتضيات الاحوال بالانشاء والتعمير ، والادوات المادية بالعناصر البشرية ، وبكلمة مختصرة ، نعلم بذلك جميع مقومات الحضارة حينما تتكيف مع متطلبات الوسط الطبيعى او تستجيب لها او توجد لها الحلول المناسبة باعمال الفكر واستخدام العقل .

ويرى احد المؤرخين ان المكان الذى وجد فيه ابناء منطقة البحر الابيض فى القرن السادس عشر ، يعتبر من الناحية الجغرافية « مكانا على غابة من الاتساع ، ولا يكاد ينتهى الى حد » . ويضيف بأنه لم تكن هناك منطقة فى العالم بها آنذاك من المدن العامرة ما بتلك المنطقة . ويقول : « ان باريس ولندن لا يزالان فى بداية التمدن . اما مدن الاراضى المنخفضة (هولندا) ، والمانيا الشمالية ، وكذلك المدن النشطة الصغيرة فى منطقة الهانس ، فهى ، رغم جمالها ونشاطها ، لا تكاد فى عمرانها وتعمدها تبلغ ما بلغته مدن حوض البحر الابيض المتوسط ، حيث نجد الحواضر الكبرى كأنها شريط طويل من

لا يعيش فيها الا من يصرع الموج المتلاطم ورمال الصحراء المحرقة ... كما ان هذا الطابع جعل منهم قوما اذا ما اغتربوا ، عملوا وخاضوا غمار القتال ، واذا كانوا في بلادهم ، رحبوا بالضيف وكرموا وتفتحوا لكل جديد ياتيهم من الخارج .

وهنا ، اما ان نفترض بأن السكان الاوائل الذين استوطنوا هذه الارض منذ ما قبل التاريخ ، وعمروها واستثمروا خيراتها ، اما ان نفترض بانهم ظلوا ردحا طويلا من الزمن يقيمون في الاراضي الداخلية ، ثم اخذوا يتقدمون شيئا فشيئا نحو الساحل والبحر الذي لم يكن احد منهم يجرؤ على ان يبحر عبابه ، في حين ان الفينيقيين كانوا قد بداوا يعبرونه طولا وعرضا بقواربهم المستديرة ...

او نفترض بانهم اضطروا للاقامة في الشعاب والجبال بسبب عدم امتلاكهم للالات اللازمة للزراعة ، فبقوا على تلك الحالة الى ان اخذت تقنيات الحضارة تحل محل الانماط البدائية من الحياة ، كالصيد والقطف واستصلاح الاراضي وتربية المواشي .. ومهما يكن من امر ، فان البربر كان لديهم استعداد ، منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، للمساهمة في ثقافة البحر الابيض المتوسط ، ذلك البحر الذي يعد موطنهم جزءا منه ، وان كانوا متخلفين بعض الشيء عن مسايرة التيارات الجديدة التي نشأت عند الشعوب المطلة على البحر .. وكان اليونان والفينيقيون متهرسين في خوض غمار البحر ، فالفينيقيون الذين كانوا محشورين في منطقة ضيقة بجنال لبنان ، عقدوا العزم على ان يخرجوا من عزلتهم تلك ، فركبوا متن البحار . ولما راوا زوال السلالة الطلسية في جزيرة كريت ، وكانت تسيطر بقوتها البحرية على القسم الشرقي من البحر الابيض ، انشأوا سفنا قادرة على السفر البعيد ، فوصلوا بها الى المغرب . ويمكن القول ان التاريخ الحقيقي لشمال افريقيا والجزائر يبتدىء من تلك الفترة ، وذلك ان وصول الفينيقيين كان بمثابة الكاشف ، بالمعنى الكيميائي لهذه الكلمة .

ان اسم الليبيين ، او « الليبو » — وهو الاسم القديم الذي كان يطلق على البربر — ورد ذكره في الخطوط الهروغليفيّة التي خلفها « منفقة » ، وهو

التي حققها اهالى المغرب في سيرهم المشترك خلال مختلف العصور . وانه لمن المبعث ان يحاول الانسان ، بدافع النزعة الاقليمية ، تفريق مصر هذه الاقطار الثلاثة التي لها مصالح مشتركة عديدة . واذا راجع الانسان صفحات التاريخ في اقدم العصور ، فانه سيجد انه ، ما من شيء حصل في مكان ما من بلاد المغرب ، الا وكان له تجاوب سريع بحسب خط افقى يمتد من الشرق الى الغرب ، او العكس ، فلكم رأينا من رجال عاملين وفاتحين ومهاجرين ياتون من الشرق العربى او من المغرب الاوسط ، اى من الجزائر ، وينتهى بهم المطاف في المغرب الاقصى ... كما انه انطلقت من هذا البلد الاخير حركات كبرى اصلاحية ، وسلالات من اكبر السلالات المالكة التي تفرعت فيما بعد ، وآل بها الامر الى الاستقلال عن بعضها في كل قطر من اقطار شمال افريقيا الثلاث .

ولذلك يبدو لنا من السابق لاوانه ، ان نتحدث ، في بداية تاريخ هذه المنطقة ، بل حتى فيما بعد ، عن هذا الاقليم او ذاك من اقليم المغرب ، وان نعزو اليه كيانا مستقلا عن غيره . وتنظيما سياسيا للدفاع عن اراضيه . وليس هذا الامر راجعا الى مسألة الجوار فحسب ، او الى الاصل المتقارب او الى اللغة المشتركة او الى الحدود التي تكاد تكون بينها معدومة ، او الى نفس الالام التي عانت منها الاقاليم الثلاثة نتيجة للغزو والاستعمار ... ان هذه الظاهرة في نظرنا ، مرجعها الى ان شمال افريقيا ائسبه ما تكون بالجزيرة ، وهو امر ليس له نظير ، لان المناطق الشاسعة التي تحدد بشمال افريقيا ، — وهى المحيط الاطلسي والبحر الابيض المتوسط ، وكذلك الفياض والقفار المترامية الاطراف — جعلت شمال افريقيا مخالفة للنوع المتعارف لدى الناس من الجزر الصغرى او المتوسطة التي لا يحيط بها الا عنصر واحد هو الماء ، كما انه لا توجد في داخلها مناطق واسعة مترامية الاطراف من اليابسة .

على ان هذا الطابع الشبجيزيرى لم يعط لسكان هذه القارة المغربية عقلية انعزالية او سلوكا انكماشيا . بل ان هذا الطابع ، على العكس ، قد قرب بينهم من اجل تامين اواصر التعاون بين اقوام ذات مصالح اقتصادية واحدة او متقاربة ، في بلاد

مدينة قرطاجنة التي اعتبرت كأنها مدينة صور Tyr ثانية ، لأنها نظيرتها في العظمة ، ولأنها هي التي حلت محل المدينة الأم البعيدة . ورغم الامكانيات الكبرى التي توفر لقرطاجنة، فلم تبلغ أوج عظمتها الا بعد مضي خمسة قرون ، وظلت مدة طويلة تؤدي ضريبة الى ممالك البربر ، مما يدل على أن تلك الممالك بلغت درجة من القوة والتنظيم تمكنها من ممارسة السيادة على اراضيها .

والمركز الاساسي لهذه الممالك ، وعواصمها واسواقها، وكذلك أهم المراكز التجارية التي أسسها الفينيقيون بعد قرطاجنة ، تقع كلها في السهول العليا من نواحي قسنطينة ، وعلى الشاطئ الشرقي من الجزائر . وقد واكبت الحضارة الاقتصادية والتقنية التي أتت بها الفينيقيون، التاريخ السياسي والثقافي الذي سجلته السلالات الوطنية الكبرى وبقي محفوظا في المدن والقرى . وتبنى السكان من تلقاء أنفسهم اللغة البونيقية وأنماط المعيشة ومؤسسات ذلك الشعب الفينيقي المتعود على البحر ، فلما استقر به المقام على اليابسة ، تبين أنه لا يقل تجربة ومهارة في ميدان الزراعة عن تجربته ومهارته في الملاحة والتجارة .

ان هذه الفترة تعتبر حاسمة في تاريخ شمال افريقيا ، خاصة اذا عقدنا مقارنة بين هذه الفترة التي ربح فيها السكان بحضارة اجنبية انتهت بطريقة سلمية ، فاستفادوا منها ، وتعلموا منها الشيء الكثير . وبين عهود أخرى مرت بها البلاد فيما بعد ، وهي عهود تميزت بالغزو الثقافي الموسوم بطابع السيطرة والقهر والتحكم ، اذ ان الثقافة أصبحت مفروضة من طرف دولة ، وان تكن متقدمة حضاريا ، الا انها تستعين بعدد كبير من المستوطنين الاجانب ، وتستحوذ على الاراضي والطرق ، وتسلب على البلاد ولاية طفاة ، وطواير من الجيش الذي ليس له من عمل سوى القمع والبطش .

(يتبع)

من مراعاة القرن الثالث عشر قبل الميلاد . وهؤلاء الليبيون ، نجدهم فيما بعد يشتركون مع الفينيقيين ابتداء من 1100 ق . م ، في تأسيس المراكز التجارية وممارسة مختلف الحرف ، على طول شواطئ شمال افريقيا .

ولابد هنا ان نؤكد بأن التاريخ اخذ منذ ذلك الحين ينجلي ويكشف عن خطوطه العامة وعناصره الاساسية التي تألفت منها الحياة في منطقة المغرب . فلأول مرة استطاع بعض السكان الاصليين ان يقيموا على ساحل البحر بعد ان كانوا يقيمون في الجبال والنجد العليا في داخل البلاد ، حيث أسسوا دويلات صغيرة . Gades, ou Cadix

وقد تأسست آنذاك مدينة قادس على الساحل الاسباني القريب ، فاتخذها الفينيقيون نقطة انطلاق للقيام باستكشافات في افريقيا السوداء . وقد تأسست بعدها مدينة ليكسوس Lixos الهامة ، على الشاطئ الاطلسي من المغرب الاقصى . ولا شك ان هذا الحادث المزدوج الذي اكتمل برحلة هانون Hannon

في القرن الخامس ق . م . ، ما لبث ان أصبح من اعظم الاحداث الحضارية التي كان لها اثر بعيد في اقتصاد اقطار البحر الابيض المتوسط ، وفي الاقتصاد الاوربي . وبقي هذا الاثر ملموسا الى القرن الخامس عشر . واعنى بذلك معادن الذهب الافريقي التي كانت لا تزال مجهولة . فالمتاجرة بهذا المعدن هي الاساس الذي اعتمدت عليه السياسة المالية للممالك العربية في العصور الوسطى ، والممالك الاسبانية في عصر النهضة ، والدول الاوربية في العصور الحديثة . وظل الامر كذلك الى ان تم العثور على الذهب في امريكا الجنوبية .

ان دخول البربر الى مسرح التاريخ موافق لنهاية العهد الميسيني Période Mycénienne ، وبداية ما يمكن ان يسمى العصر الوسيط اليوناني الذي يمتد من 1200 الى 800 ق . م .

المستشرق المجري
د. الحاج عبد الكريم جرمانوس

الإسلام

كدين
عالمى

كنا دعونا المستشرق المجري الكبير الحاج الدكتور عبد الكريم جرمانوس الذى الف عشرات الكتب عن الاسلام بالعربية والمجرية ، لفته الوطنية ، والامانية ، الى حضور الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامى الذى انعقد فى الصيف الماضى بقسنطينة ، ولاسباب صحية لم يتمكن من الحضور ، وقد ارسل الينا فيما بعد هذا المقال القيم . واذ ننشره شاكرين نود ان نعلن الى اننا قد اعدنا الكرة ودعواناه مرة ثانية للملتقى الخامس الذى سينعقد قريبا فى وهران ، ونرجو ان لا تعوقه هذه المرة ظروفه الصحية عن الحضور والقاء محاضرة فى هذا الملتقى وهو الشيخ المسن الذى اشرف على التسعين .

النظام الطبقي والطبقات . لقد قسم كل ظاهرة ،
وعين الاجناس والفصائل ، مظهرها الخارجى
وخصائصها حسب ما هيئتها وعناصرها الداخلى .
ونظم فيثاغورث عالم الرياضيات ظواهر العالم

حسب اتساع وحجم المساحات . لقد كان كل من
المفكرين رائدا ، لانه حث على قواعد الفكر . خلق
ارسطو المنطق وابدعه . الحد الاصطلاحي هو

(منطق) . وهذه الكلمة مأخوذة عن الفكرة ، كما
كانت تدحذت ان الفكرة يمكن فقط ان تكون مفهومة
ويمثل ادراكها بواسطة الكلمة وحدها .

لقد ترجم العرب المنطق الاغريقى بامانة الى كلمة
منطق ، من الفعل نطق . وهكذا بنيت العلوم على
قواعد المنطق ووصلت الى حدود الفكر الانسانى .
وبذلك منعت هذه الحدود الوجود الخرافى (غير
الموجود) . لكنها فى نفس الوقت قد طورت من
التنظيمات الصحيحة المناسبة للظواهر بالنسبة
لعنصر الانسان وجوهره وصفاته .

ان الفكر المنطقى هو الذى اتى بالعلوم الطبيعية ،
وهو الذى وفر للانسان وضمن له تكتيك الاستعمال .
فالفيلسوف يستطيع ان يحقق فكرة تماما فى العلوم
الطبيعية عن طريق الفكر المنطقى . ولكن عليه ان
يعترف بان فى الوجود والكيان ما هو ابعد بكثير عن
العنصر والجوهر ، وما يتخطى حدودها . . وقد
اعترف ارسطو نفسه بـ « ماخلف المعرفة الفيزيائية »
واطلق عليها اسم « الميتافيزيقية » . وهى مسلمات قد
لا يمكن انكار تأثيراتها على اى حال من الاحوال .

ان المنطق هو الرقابة او الحكم المطلق فى العلوم
الطبيعية . لكنه عند العلوم الذهنية لا يكون غير
متوافق او متطابق او هو ليس بالضرور كذلك . خاصة
فى علم الاحياء (البيولوجيا) وعلم وظائف الاعضاء
(الفزيولوجيا) . وهو غير مناسب ايضا لعلم التاريخ
الذى هو امتداد علم الاحياء . الى جانب ان هناك
قوى مادية تتدخل فى تكويناته وتحركاته . ان موضوع
التاريخ ومبحثه هو الانسان الحى الذى هو وجود
بيولوجى حى بحكم مزاياه المتعددة الفهم ، وطبائعه
الموروثة ، واحاسيسه ومادته الخارجية ، وتأثيراته
الاجتماعية . ولهذا لا يمكن الزج به فى تصنيف محدد
او داخل نظام رياضى او حسابى . .



الحاج عبد الكريم
جرمانوس فى لباس
الاشرام

منذ عشرات السنين ، ومن خلال الدراسات
المختلفة ، وانا احاول المقارنة بين النظم الدينية
الانسانية والبناءات الاجتماعية وافكار النظرية
للفلاسفة المختلفين ، وبين القوانين الطبيعية
للمجتمعات الانسانية والخصائص الجغرافية وهذه
التأثيرات الاقتصادية التى اثرت فيها . . بل وشكلت
صورتها ووجهتها فى بعض الاحيان .

فاذا ما عرجنا الى التفاصيل ، نجد انها فى العصور
القديمة لم يكن لها مجال عند اليونانيين اذ كانت
ضعيفة الانتاج والاحصاب نتجية قريتهم الى البحر
وانتمائهم اليه . بينما نجدها فى البلاد البعيدة قد
خلقت وكونت مستعمرات عدة وتعرفت على انتاج
هذه المساحات الارضية الغربية ، وعلى شعوبها ،
واتركت ووصلت الى مواد معرفتهم ، ووسعت من
افكارهم الخاصة . لقد رفعت العبقرية اليونانية
الحية - وبفضل من قوة خيالها - مادة المعرفة فى
العصور القديمة الى قمة فلسفية عظيمة . فخلقت
عالم تكتيك حياتها ، كما خلقت عالم ابداع خيالها .
لقد عرف افلاطون عالم الانسان فى الصور الذهنية
الجردة ، بينما حصر ارسطو التفكير ووجهه الى

ومع هذا فالإنسان هو الحقيقة . وهو كشيء ذاتي أو كعضو في المجتمع فانه يتكون ، ويتشكل ، ويتطور ويتغير . والحقيقة في عالم الاحساس عند الإنسان هي السعادة ، والالام ، والرغبة بعد الجمال ، والبحث عن الخير ، والمواساة بعد الخسارة ، والامل في الرضاء والهدوء .

تتبع الاديان من هذه الكينوتة ومن هذا الوجود الحر مع انه ليس بالاستطاعة عزائبعها الى احساس الحقيقة تماما . ولا يوجد على وجه الحقيقة مجتمع انساني لم ينتم الى فكرة دينية . والانظمة الدينية المتعددة هي دائما فوق خوارق الطبيعة واعاجيبها ، فهي تتبع من الوحي والالهام ، وكل نظام ديني يبنى بحكم الضرورة على الاحاسيس والمشاعر الانسانية ، اذ يحاول مساعدة الانسان ليتغلب على مصاعبه وعثراته وسقطاته المستمرة المتلاحقة . وهو لهذا انما يبنى مساعدة الانسان ليعيش مع البرية في سلام واطمئنان ، وليحب اقرابه واصدقائه والخليقة الانسانية جمعاء . فاذا ما دعت الطبيعة الى التضحية فليقدمها في تمام وكمال وليشارك بالنجاح فيها حتى تعم السعادة عليه ، واذا ما لحقته الخسارة وجد المؤازرة والعزاء .

وبهذا قبلت كل النظم الدينية بالاضطرار هذه القواعد الاخلاقية التي تحكم العالم اجمع وعملت على توجيهاها . وبما ان الانسان لم يكن بمستطيع ان يتعرف على عناصر هذه الاساسات الاخلاقية وجوهرها فقد حدد رمزا خاصا لها ، حيث كان الرمز يمثل ما بعد الكمال والتفوق على كل الحدود ، اذا ما تورن بمعرفة الانسان . وهو رمز غير مقيد بحدود الزمان او المكان ، يقف شامخا ويعلو على خصائص الانسان ، وهو رمز ابدى وفوق كل القوى واقدر من كل القدرات . وقد اطلقت اللغات المختلفة اسماء وتعريف كثيرة على هذا الرمز ، فهو جويتر ، ديوس براهما ، جود ، ديبه ، الوخ . . ثم الله ، لكنها جميعا تحس بالحقيقة التي لا يمكن انكارها ، والتي لا تصل او تستطيع الوصول الى العبقرية الحكيمة .

ان لكل ديانة على مر التاريخ وديعة هي بمثابة الوحي او الاعلان الالهي . . ولقد كان الوحي الالهي الاخير من نصيب النبي محمد عليه الصلاة والسلام آخر الانبياء وخاتم المرسلين . ان هذه الدعوة الالهية الاخيرة والخاتمة تقبل كل الديانات السابقة عليها ، لكنها تكملها ، وتمنح كل الانسانية جمعاء اللغسة والخاصية والنوع دون انحراف ، وتجنبد نفسها لخدمة الحياة ، وتخفف من هلع الموت . هذا هو الاسلام . . الذي يعني أن الانسان هو من اراد قربه ولا رادته ، وهو بالتالي يكون خاضعا لارادة نظم الارض والقوى الاخلاقية ومشارك في القوانين الاخلاقية المتماكة على هذه الارض .

ليس الاسلام طبقة مفضلة ممتازة فقط ، يعطى دورا قياديا لمعتقيه وشيوخهم ، لكنه يمنح الذاتية كل الذاتية للذين يعترفون به ويدركون تعاليمه بمقولهم وامايتهم ، ويحسون واجباتهم تجاه اخوتهم ورفقاتهم بقلب رحيم ، وللذين يقفون امام الله سبحانه وتعالى خاشعين يخدمون بسلوكهم وتصرفاتهم النظام الاخلاقي في المجتمع الانساني .

لهذا كان التعرف على الاسلام يعني المعرفة والقلب ودين الواجب . ومن خلال هذه النظرة تتضح رؤيا النظام الاجتماعي ، لانه لا يقوم على خبرة الفرد وحده ، التي قد تكون خبرة خاطئة غير سليمة في بعض الاحيان ، لكنه يشيد ويبنى على التفكير ، وعلى مالا تخطئه العين . لان هدف الديانة الاسلامية هو قيادة المجتمع الانساني الى الطريق السليم ، فوق كل اعتبارات الاخطاء الفردية والمعاناة اللانسانية ، وكذلك وضع القانون الاخلاقي كسلطة عليا تحكم بالحق والعدل . وفي هذا يبلغ القانون اوج العلى حينما يمتنع الانسان عن ارتكاب الضغينة ضد اخيه الانسان ، مثلما يحس بأنه لا يقبل على نفسه ان ترتكب ضده مثل هذه الضغينة .



نص الماضرة التي القاها د . على
عبد الواحد واقي استاذ علم الاجتماع بجامعة
القاهرة ، والاستاذ بجامعة قسنطينة حاليا ،
أمام الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامي
بقسنطينة بتاريخ ٨ - ١٧ جسادى الثانية
١٣٩٠ هـ الموافق لـ ٦ - ١٩ اغسطس
١٩٧٠ م .

المرأة

والأسرة

في

الاسلام



لقد حفّض الاسلام ايها السادة . للمرأة جناح
الرحمة ، وشملها في جميع تشريعاته بعطف كريم
ورعاية رحيمة ، وسمى بها الى مستوى رفيع لم
تصل الى مثله في اية شريعة اخرى من شرائع
العالم ، قديمه وحديثه ، وسوى بينها وبين الرجل
في معظم شؤون الحياة ، ولم يفرق بينهما الا حيث
تدعو الى هذه التفرقة . طبيعة كل من الجنسين
وما يصلح له ومراعاة الصالح العام وصالح
المرأة نفسها .

د: على عبدالواحد واقي

فقد سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في القيمة الانسانية المشتركة ، فكلهما في نظره من عنصر واحد ومن طبيعة واحدة ، وليس لاحدهما من مقومات الانسانية اكثر مما للآخر ، وفي هذا يقول الله تعالى : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » ، اى ان المرأة مخلوقة من الرجل ومن عنصره نفسه لا من عنصر آخر ، وقد اثبت منهما جميع الرجال والنساء ، فكلما الجنسين يرجعان الى اصل واحد . ويقول الله تعالى في آية اخرى : « فاستجاب لهم ربهم ائني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض » ، اى ان الذكور من الاناث والاناث من الذكور وليس بينهما فرق في جوهر الطبيعة . وبذلك قضى الاسلام على جميع الآراء الفاسدة التى كانت سائدة في كثير من الملل والنحل من قبله بشأن طبيعة المرأة واختلافها عن طبيعة الرجل . فقد كان بعض هذه الآراء يذهب الى ان المرأة من طبيعة انسانية وضعيفة بالقياس الى طبيعة الرجل ، وبعضها كان يذهب الى انها من عنصر غير طاهر وغير زكى ، بل لقد ذهب بعضها الى ابعاد من هذا كله ، فاعتقد انها رجس من عمل الشيطان ، او من عمل اله الشر . وعلى اساس هذه العقيدة انتشر في كثير من الشعوب عادة التخلص من البنات بقتلن او وادهن عقب ولادتهن ، حتى يتخلص من هذا الكائن الذى هو رجس من عمل الشيطان او من عمل اله الشر . ومن أشهر الشعوب التى انتشرت لديها هذه المادة على اساس العقيدة التى نتحدث عنها بعض قبائل العرب في الجاهلية خاصة بعض بطون من قريش وتميم وطى وكندة وربيعة .

وكما سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في القيمة الانسانية المشتركة وقرر انهما من طبيعة واحدة ومن عنصر واحد ، وان ليس لاحدهما من مقومات الانسانية اكثر مما للآخر ، كما قرر ذلك وسوى بينهما في هذه الناحية ، سوى بينهما كذلك في شؤون المسؤولية والجزاء في الدنيا والاخرة . وفي هذا يقول الله سبحانه وتعالى : « من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحسبته حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون » ويقول في آية اخرى : « ومن يعمل من الصالحات

من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا » ، ويقول في آية ثالثة « للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن » وكما سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في القيمة الانسانية المشتركة وفي شؤون المسؤولية والجزاء ، سوى بينهما كذلك في الحقوق المدنية بمختلف انواعها ، فاعطى المرأة الحقوق المدنية نفسها التى اعطاها للرجل ، لا فرق في ذلك بين ان تكون متزوجة او غير متزوجة ، فمن قبل الزواج يكون للمرأة في نظر الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة المستقلة عن شخصية ابها او من هى تحت رعايته ، فان كانت بالغة كان لها الحق في اجراء مختلف العقود ، وتحمل الالتزامات ، وتملك العقار والمنقول ، والتصرف فيما تملك ، ولا يجوز لولها ان يجرى اى اجراء قانونى يتعلق بها او بأموالها الا اذا اذنت له بذلك او وكلته في اجراء عقد بالنيابة عنها ، وان كانت قاصرة وجب على وليها اذا كان له مال انتقل اليها عن طريق الهبة او الوراثة او الوصية وما الى ذلك ان يحتفظ لها بما لها وان يمتيه ويستثمره ما استطاع الى ذلك سبيلا ، حتى تصل الى مرحلة البلوغ فيؤديه اليها مع ما عسى ان يكون قد أنتجه من فوائد ، ولا يحق له ان يأخذ شيئا من مالها ، وقد نهى القرآن عن ذلك نهيا شديدا وتوعد مرتكبيه بأشد عذاب في الآخرة ، وفي هذا يقول الله تعالى : « وآتوا اليتامى اموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ، انه كان حوبا كبيرا » ، ويقول : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا » ، ويقول : « ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما انما ياكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » ، ويقاس على اليتيمات غيرهن اذا انتقل اليهن مال عن طريق الهبة او الوراثة او الوصية او غير ذلك ، هذا فيما يتعلق بوضع المرأة من الناحية المدنية قبل الزواج ، وكذلك شأنها في نظر الاسلام بعد الزواج ، وذلك ان الزواج في الاسلام يختلف اختلافا جوهريا عن الزواج في معظم امم الغرب المسيحية في انه لا يفقد المرأة اسمها ولا شخصيتها المدنية ولا اهليتها في التعاقد ولا حقها

في التملك ، بل تظل المرأة المسلمة بعد زواجها محتفظة باسمها واسم أسرتها ، وبكامل حقوقها المدنية ، وبأهليتها في تحمل الالتزامات وأجراء العقود بمختلف أنواعها من بيع وشراء وهبة ورهن ووصية وما الى ذلك ، ومحتفظة كذلك بحقها في التملك تملكاً مستقلاً عن غيرها وبحقها في التصرف فيها تملك ، فللمرأة المتزوجة في الاسلام شخصيتها المدنية الكاملة وثروتها الخاصة المستقلتان عن شخصية زوجها ووثورته ، ولا يحق لزوجها ان يأخذ شيئاً من مالها قل ذلك الشيء أو كثر . وفي هذا يقول الله تعالى : « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتموا احداهن تنطارا فلا تأخذوا منه شيئاً ، أتأخذونه بهتانا وإثماً مبيناً ؟ ! وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، ويقول في آية أخرى « ولا يحل لكم ان تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً » ، وإذا كان لا يحل للزوج ان يأخذ شيئاً مما اتاه لزوجته فانه لا يحل له من باب أولى ان يأخذ شيئاً من مالها الاصيل ، الا ان يكون هذا او ذاك برضاها وعن طيب خاطر منها ، وفي هذا يقول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً » ، ولا يحق للزوج كذلك ان يجرى اى اجراء قانونى باسم زوجته الا اذا اذنت له بذلك او وكلته في اجراء عقد بالنيابة عنها ، وفي هذه الحالة يجوز لها ان تلغى وكتالته وتوكل غيره اذا شأته .

ويبدو ايها السادة سمو هذه المبادئ الاسلامية بالموازنة بينها وبين الشرائع السابقة للإسلام . فالشريعة اليهودية مثلاً تجرد المرأة من معظم حقوقها المدنية وتجعلها تحت الوصاية المطلقة لابيها قبل زواجها ، وتحت الوصاية المطلقة لزوجها بعد زواجها ، وتنزلها في كلتا الحالتين منزلة لا تزيد كثيراً عن منزلة الرقيق ، بل ان هذه الشريعة ، لتتيح للوالد المعسر ان يبيع ابنه ببيع الرقيق لقاء ثمن يفرج به أزمته .

وكذلك كان الشأن عند قدماء اليونان والرومان حتى في ازهى عصورهم وادناها الى النظام الديموقراطى ، فالقانون الرومانى يجرّد المرأة الرومانية نفسها من معظم حقوقها المدنية ويضعها قبل زواجها تحت سيطرة

رئيس الاسرة ، الذى قد يكون اباهاً او جدّها لابيها ، وتعطيه هذه السيطرة كافة الحقوق عليها حتى حق الحياة او الموت ، وحق اخراجها من الاسرة وبيعها ببيع الرقيق . وبعد زواجها واعتراف الزوج بها تصبح في نظر القانون الرومانى بمثابة بنت من بنات الزوج ويحل زوجها محل ابيها او جدّها لابيها في كافة الحقوق السابق ذكرها .

ولا يقتصر القانون اليونانى على تجريد المرأة اليونانية من معظم حقوقها المدنية ووضعها تحت السيطرة المطلقة للرجل في مختلف مراحل حياتها ، بل انه ليعتبرها هى نفسها من « ممتلكات » ولى امرها قبل زواجها ومن « ممتلكات » زوجها بعد زواجها ، ولا يميزها في الحالة الأخيرة الا بمميزات نافهة عن ملك يمينه من الجوارى والسريات .

بل ان هذه المنزلة من المساواة التى تقررّها الاسلام بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية لم تصل الى مثلها احدث القوانين في ارقى الامم الديموقراطية الحديثة . فحالة المرأة المتزوجة في فرنسا مثلاً كانت الى عهد قريب أشبه شيء بحالة الرق المدنى ، فقد جردها القانون من معظم حقوقها المدنية كما كانت تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون المدنى الفرنسى اذ تقرر : « ان المرأة المتزوجة ، حتى لو كان زواجها قائماً على اساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها ان تباع ولا ان تهب ولا ان ترهن ولا ان تملك بعوض او بغير عوض وبدون اشتراك زوجها في العقد او موافقته عليه موافقة كتابية » ، ومع ما ادخل على هذه المادة فيما بعد من قيود وتعديلات فان آثارها لا تزال عالقة بوضع المرأة الفرنسية المتزوجة من الناحية القانونية الى الوقت الحاضر ، ولتوكيد هذا الرق المدنى الذى فرضته الشعوب الغربية على المرأة المتزوجة تقرر قوانين هذه الشعوب ويقتضى عرفها ان المرأة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم أسرتها ، فلا تعود تسمى فلانة بنت فلان ، بل تحمل اسم زوجها واسم أسرته ، وفقدان المرأة الغربية لاسمها واسم أسرتها وحملها لاسم زوجها واسم أسرته ، كل ذلك يرمز الى اهدار شخصيتها المدنية واندماجها في شخصية الزوج ، يرمز الى ان الزوج قد أصبح

وقد ضرب الرسول عليه الصلاة والسلام أروع مثل في الحرص على تعليم المرأة وتثقيفها بما فعله مع زوجه حفصة بنت عمر أم المؤمنين فقد ذكر البلاذري في كتابه فتوح البلدان . ان الشفاء العدوية ، وهي سيدة من بنى عدى رهط عمر بن الخطاب كانت كاتبة في الجاهلية ، وكانت تعلم الفتيات القراءة والكتابة ، وان حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالنبي عليه الصلاة والسلام . ولما تزوجها النبي (ص) طلب الى الشفاء العدوية أن تتابع تعليمها وتثقيفها وان تعلمها تحسين الخط وتزيينه كما علمتها اصول الكتابة ، وتدلنا شواهد تاريخية كثيرة ان ابواب التعلم والثقافة كانت مفتحة على مصاريعها للمرأة المسلمة في جميع عصور الاسلام الزاهية في عصر الرسول (ص) وعصر الخلفاء الراشدين وعصر بنى امية وعصر بنى العباس ، وانه بفضل ذلك تبع عدد كثير من النساء العربيات والمسلمات وبرزن في علوم القرآن والسنة والفقه والادب واللغة وشتى انواع المعارف والفنون ، بل لقد كان منهن معلمات فضليات تخرج على ايديهن كثير من اعلام الاسلام، فقد ذكر ابن خلكان ان السيدة نفيسة صاحبة المقام المعروف في مصر كان لها بمصر مجلس علم شهده الامام الشافعي نفسه وسمع عليها فيه الحديث ، وذكر ابو حيان من بين اساتذته ثلاثا من النساء درس عليهن واخذ عنهن العلم ، هن مؤنسة الايوبية بنت الملك العادل اخي صلاح الدين الايوبي وشامية التيمية وزينب البغدادية بنت الرحالة الطبيب المؤرخ الكبير عبد اللطيف البغدادي الذي زار مصر بع موت صلاح الدين الايوبي وكتب عن احوال مصر كتابا جعل عنوانه (الافادة والاعتبار في احوال مصر) .

ويظهر سمو هذه المبادئ التي سنّها الاسلام فيما يتعلق بالمساواة بين المرأة والرجل في حق الثقافة والتعلم بالموازنة بينها وبين الشرائع السابقة للإسلام ، فقوانين اثينا نفسها التي يعدونها من ارتقى القوانين في العصور القديمة وادناها الى النظام الديموقراطي ما كانت تتيح فرصا للتعليم والثقافة الا للذكور الاحرار من المواطنين ، بينما كانت توصدها ابصادا تاما في وجه النساء ، وقد عبر عن وجهة نظرهم هذه بكبر

هو المثل لها في جميع الشؤون ، على حين ان الاسلام يحيط الشخصية المدنية للمرأة المتزوجة بسياج من الحماية والاحترام ، فيحتفظ لها باسمها واسم اسرتها ولا يحملها اسم زوجها ولا اسم اسرته، مهما كانت مكانة هذا الزوج ، فزوجات الرسول عليه الصلاة والسلام انفسهن كن يسمين باسمائهن واسماء آبائهن فكان يقال « عائشة بنت ابي بكر » « وحفصة بنت عمر » ولم تحمل واحدة منهن اسم زوجها ، مع انهن كن زوجات لخير خلق الله ، واحتفاظ المرأة المسلمة المتزوجة باسمها واسم اسرتها وعدم حملها اسم زوجها كل ذلك يدل على احتفاظها بشخصيتها وعدم ذوبانها في شخصية الزوج ، ومن الغريب ان كثيرا من سيداتنا العربيات المسلمات يحاولن ان يتشبهن بالغربيات ، حتى في هذا النظام الجائر ، ويرتضين لانفسهن هذه المنزلة الوضيعة ، فتسمى الواحدة منهن نفسها باسم زوجها ، او تتبع اسمها باسم زوجها بدلا من ان تتبعه باسم ابائها واسرتها ، كما هو النظام الاسلامي ، وهذا هو اقصى ما يمكن ان تصل اليه المحاكاة العمياء ،

وكما سوى الاسلام بين الرجل والمرأة في القيمة الانسانية المشتركة وفي شؤون المسؤولية والجزاء وفي الحقوق المدنية بكافة انواعها ، فقد سوى بينهما كذلك في حق التعلم والثقافة، فاعطى المرأة الحقوق نفسها التي اعطاها الرجل في هذه الشؤون ، واباح لها ان تحصل على ما تشاء الحصول عليه من علم وادب وثقافة وتربية ، وقد ذكر لكم الاخ مولود قاسم في محاضرة الصباح نصوصا كبيرة عن المجاهد الكبير عبد الحميد بن باديس في هذا الموضوع ، نصوصا تدل على ان الاسلام لا يفرق بين الرجل والمرأة في حق التعلم والثقافة ، واضيف انا الى ما قاله في هذا الصدد ان الاسلام لم يكف باباحه التعلم والثقافة وبالمساواة بينها وبين الرجل في هذا الحقل ؛ بل انه ليجب عليها التعلم والثقافة في الحدود اللازمة لشؤون دينها وحسن قيامها باعبائها في الحياة ، ولقد حث الرسول عليه الصلاة والسلام النساء على طلب العلم وجعله فريضة عليهن في هذه الحدود . وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ،

بشارك الذى حدد للمرأة الألمانية — كما أشار الى ذلك معالى الاخ مولود قاسم فى الكلمة التى القاها صباح اليوم — حدد للمرأة الألمانية ثلاث مجالات لنشاطها لا تخرج عنها ، وهى : تربية اطفالها ، وشؤون مطبخها ، واداء شعائرها الدينية فى الكنيسة .

ومن هذا يظهر ان الاسلام — على عكس الشرائع السابقة واللاحقة له — قد هيا للنساء فرصا كثيرة لا للتعليم العادى بل كذلك للثقافة العالية ، ويظهر كذلك ان الجهالة التى كانت متفشية بين النساء المسلمات فى الاجيال السابقة لا يرجع سببها الى النظم التربوية فى الاسلام ، وانما مردها الى انحراف المسلمين عن النظم القوية التى سنّها الاسلام فى شؤون التربية والتعليم ، واذا كانت الامم الاسلامية والعربية قد اخذت فى العهد الحاضر تتجه ، الى تعليم المرأة وتثقيفها فاتها بذلك لم تأت بدعا من العمل ، وانما احييت سنة صالحة قوية سنّها الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه وسار عليها اجيال كثيرة من بعده من المسلمين .

وكما سوى الاسلام بين الرجل والمرأة فى القيمة الانسانية المشتركة وفى شؤون المسؤولية والجزاء وفى الحقوق المدنية وفى حق الثقافة والتعليم سوى بينهما كذلك فى حق العمل ، فاباح للمرأة ان تضطلع بالوظائف والاعمال التى تحسن اداءها ولا تتناقض مع طبيعتها ، ولم يقيد هذا الحق الا بما يحفظ للمرأة كرامتها ويصونها عن التبدل وينأى بها عن كل ما يتنافى مع الخلق الكريم ، فاشتراط الاسلام اذا كانت المرأة تؤدي عملا فى خارج منزلها ، ان تؤديه فى وقار وحشمة ، وفى صورة بعيدة عن مظان الفتنة ، وان لا يكون فى عملها هذا ما يؤدي الى ضرر اجتماعى او خلقى ، او ما يعوقها عن تادية واجبها نحو بيتها وزوجها واولادها ، او يحملها ما لا طاقة لها به ، وان لا تخرج فى زياها وزينتها وسترها لاعضاء جسمها واختلاطها بغيرها من الرجال ان لا تخرج فى هذا كله عن الاوضاع التى سنّها الاسلام فى هذا الصدد ، هذا هو كل ما يتدب به الاسلام حق العمل للمرأة ، وهذه القيود منصبة على ما تؤديه المرأة من عمل فى خارج بيتها ، وقد كانت النساء

فلاستفهم « ارسطو » وصاغها فى صورة نظرية علمية اذ يقول فى كتابه « السياسة » ان الطبيعة لم تزود المرأة بأى استعداد عقلى يعتد به ، ولذلك يجب ان تقتصر تربيتها على شؤون التدبير المنزلى والامومة والحضانة وما الى ذلك ، ولم يكن ارسطو فى ذلك معبرا عن رايه الشخصى وانما كان مترجما لنظام كان يجرى عليه العمل فى اثينا التى يعدونها كما قلت لكم من ارقى الامم فى النظام الديموقراطى فى العصور القديمة ، ولذلك لما نادى استاذة افلاطون فى كتابه « الجمهورية » بوجوب المساواة بين الرجل والمرأة فى حق التعلم والثقافة وفى حق الانتخاب كانت اراؤه هذه موضع سخرية وازدراء من جميع مفكرى اثينا وفلاسفتها وشعرائها ، حتى ان ارسطوفان عميد شعراء الكوميديا فى ذلك العصر قد وضع تمثيليتين كاملتين وقفهما على السخرية بآراء افلاطون والتهكم بها . وهما : « برلمان النساء » و « بلوكوس » .

بل لقد ظلت الامم الاوربية الحديثة نفسها تنكر على المرأة حق التعلم والثقافة حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، وقد عبر عن ذلك اصدق تعبير فى منتصف القرن السابع عشر الميلادى شاعر فرنسا موليير اذ يقول فى مسرحيته التى جعل عنوانها « النساء المتحذلقات » على لسان احد ابطالها ، « انه لا يليق بامرأة لعدة اعتبارات ان تنسج وقتها فى التعلم والثقافة ، فوظائفها الاساسية التى ينبغى ان تستأثر بكل جهودها ، واستفها لا تتجاوز تربية الاولاد ، وشؤون التدبير المنزلى ، والسهر على حاجة افراد الاسرة الاقتصاد فى نفقات البيت » .

وفى اواخر القرن السابع عشر الميلادى ظهرت اصوات ضعيفة تنادى بتعليم المرأة فى حدود ضيقة كل الضيق ، وكان على راس المنادين بذلك العلامة الفرنسى « فنلون » فى كتابه الذى ظهر فى اواخر القرن السابع عشر تحت عنوان (تربية البنات) ، ولكن هذه الاصوات — مع شدة تحفظها وتواضعها فيما نادى به — لم تلق استجابة يعتد بها من معظم الامم الاوربية فى ذلك العهد .

بل لقد ظلت التيارات المعادية لتعليم المرأة مسيطرة على اوروبا الحديثة حتى اواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، واليك مثلا عاهل بروسيا

ولا يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة الا حيث تدعو الى هذه التفرقة طبيعة كل من الجنسين وما يصلح له او حيث تدعو الى هذه التفرقة مراعاة الصالح العام وصالح الأسرة وصالح المرأة نفسها واليكم مثلاً تفرقة الإسلام بين الرجل والمرأة في الميراث اذ يقرر ان المرأة لها في معظم الاحوال نصف نصيب الرجل المساوي لها في القرابة ، فقد بنيت هذه التفرقة على اساس اقتصادي سليم ، بنيت على اساس التفرقة بين اعباء الرجل في الحياة وابعاء المرأة وذلك ان مسؤولية الرجل في الحياة اوسع كثيراً في مسؤولية المرأة وابعاءه فيها اشق واثقل كثيراً من اعباء المرأة ، فالرجل هو رب الأسرة وهو القوام عليها والمكلف الاتفاق على جميع افرادها ، على حين ان المرأة لا يكلفها الإسلام حتى الاتفاق على نفسها ، فنفتها واجبة على ابائها او ولى امرها مادامت غير متزوجة ونفتها ونفقة بيتها واولادها واجبة على زوجها بعد زوجها ، لا فرق في ذلك بين ان تكون موسرة او معسرة ، فاقترضت العدالة ان ان يكون نصيب الرجل من الميراث اكبر من نصيب المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه عن القيام بهذه الاعباء الثقيلة التي وضعها الإسلام على كاهله ، واعنى منها المرأة رحمة بها وحذا عليها وحفاظاً على سعادة الأسرة ، بل ان الإسلام قد بالغ في رعايته للمرأة اذ قرر لها نصف نصيب نظيرها من الرجال في الميراث مع اعفائه ايها من جميع الاعباء ، ووضعها جميعها على كاهل الرجل .

وقبل ان اختم كلمتي هذه ، اريد ان اعقب تعقيباً يسيراً على الكلمة القيمة البليغة التي القاها في افتتاح هذا الموسم صديقتي معالي الاستاذ مولود قاسم فيما يتعلق بزواج المسلمين من الاجنبيات ، فقد ذكر سيادته ان هذا الزواج مباح في الإسلام ولكن على الرغم من انه مباح ومن انه هلال فانه يتنافى مع واجب قومي ، وانا اعقب على هذا بان زواج المسلم بالنصرانية او اليهودية ليس مباحاً في جميع المذاهب الاسلامية بل ان هناك مذاهب اسلامية صحيحة تحرم زواج المسلم بالنصرانية واليهودية ، وهذا هو مذهب الامام جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين رضى الله عنه الذي كان استاذاً لا بى هنيئة وهو المذهب الذي يسر عليه الان نحو خمسين مليوناً من المسلمين .

اقول قولى هذا واستغفر الله لى ولكم ، واساله لى ولكم الهداية والتوفيق .

في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام يقمن بكثير من الاعمال في داخل بيوتهم وفي خارجها ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقرهن على ذلك ، واليكم مثلاً اسماء بنت ابي بكر الصديق وهى اخت عائشة ام المؤمنين ، وزوجة الزبير حواري الرسول عليه السلام وابن عمته ، كانت تؤدي جميع الاعمال اللازمة لبيتها وزوجها وانعامها في داخل بيتها وفي خارجه لا تستنكف عن شىء من ذلك ، وهى نفسها تقول : « كنت اخدم الزبير خدمة البيت كله وكنت اسوس فرسه ، واعلفه ، واختمس له ، وكنت احرز الدلو ، واسقى الماء ، واحمل النوى على راسى من ارض له على ثلثي فرسخ » ، بل لقد اضطلعت المرأة المسلمة ببعض شئون الحرب في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ومن بعده ، فلم تخل غزوة من غزوات الرسول عليه السلام من نساء يقمن بمساعدة المحاربين واعمال الاسعاف للجرحى ، ومن بين هؤلاء من سجل لهن التاريخ مواقف بطولية مجيدة كالسيدة امية بنت قيس الغفارية التي اكبر الرسول عليه الصلاة والسلام حسن بلاتها في غزوة خيبر فقلدها قلادة تشبه الاوسمة الحربية في هذا العصر ، وظلت هذه القلادة تزين صدرها مدة حياتها ولما دفنت دفنت معها عملاً بوصيتها .

ويظهر ايها السادة سمو هذه المبادئ التي قررها الإسلام فيما يتعلق بالمساواة بين المرأة والرجل في حق العمل ، يظهر سموها بالموازنة بينها وبين كثير من المبادئ التي كانت مقررة في العصور القديمة بل بين كثير من المبادئ التي كانت مقررة في العصور الوسطى والحديثة ، وقد ذكر معالي الاخ مولود قاسم بعض امثلة وبعض نصوص جاءت على السنة قواد ومصلحين وقادة يقولون فيها ان المرأة لا ينبغي لها من الاعمال الاعمال التي هي في داخل البيت او في داخل الكنيسة او في داخل المطبخ .

هذه ايها السادة هي اهم وجوه المساواة التي قررها الإسلام بين المرأة والرجل : مساواة في القيمة الانسانية المشتركة ، ومساواة في المسؤولية والجزاء ، ومساواة في الحقوق المدنية ، بمختلف انواعها ، ومساواة في حق التعلم والثقافة ، ومساواة في حق مزاوله العمل ، وهذه هي اهم وجوه المساواة في الحياة .

” تحفة المحبين والأصحاب

في معرفة

ماللمدنيين من الأنساب “

اتحفنا الاستاذ الجليل محمد العروسي المطوى بتحقيق اثر
عربي هام ، هو « تحفة المحبين والأصحاب في معرفة
ماللمدنيين من الأنساب » مؤلفه عبدالرحمن الانصاري (١)
كما قدم للمكتبة العربية ، وللمهتمين بالانساب ،
وبالطبقات ، وبالدراسات التاريخية ، وللمختصين في
فترة الحكم العثماني للحجاز ، مصدرا اساسيا لاغنى لاي
باحث عنه خاصة في الفترة التي سبقت بيسير عصر المؤلف
او عاصرها وسجل احداثها .

وقد اكتفى الاستاذ المطوى ، بمقدمة مختصرة ، ومعبرة عن
الاهمية الخاصة لهذا النص الجديد ، ولتواضعه الجم ،
ترك للباحثين مهمة القاء الاضواء الكاشفة حوله ، كما
طلب منهم ان يمدوه بما يعن لهم من آراء وملاحظات قد
تفيد في بعض جوانب من النص .

لقبال موسى

ومن يتنبع مقدمة المحقق ، يلاحظ انه امضى في العناية بتحقيقه واخرجه مدة ست سنوات ، وهى مدة ان كانت طويلة نسبيا ، فقد املت فيها يبدو لى طريقة الاستاذ المطوى ، القائمة على التمهّل ، والتمحيص ، والتدقيق . وبفضلها ظهر الكتاب فى صورة مشرفة ومناسبة ، من حيث الشكل والمضمون .

والذى يلفت النظر حقا ، هو مدى سيطرة الاستاذ على منهجه فى التحقيق ، فهو لا ينساق وراء التعاليق الفضفاضة ، والهوامش الطويلة التى تغرق النص الاصلى حتى يبدو بسبب طولها وتشعبها متضائلا ، كما انه لا يهتم كثيرا بالشرح اللغوى للكلمات ، لانه يتقل جو النص ، بقدر اهتمامه بتوفير جانب كبير من تحقيقاته اللطيفة لشرح الكلمات الفنية . والمصطلحات الخاصة . اما فى ناحية التعريف . بالاشخاص ، وبالاماكن فيكتفى باللمح . او بالاحالة على المصادر والمراجع كما هى عادة الباحثين المحققين .

وقد لخص الاستاذ المطوى اهمية الكتاب بعبارة وجيزة وجامعة عندما لاحظ « انه ليس مجرد كتاب انساب فقط . بل هو يصور مجتمع المدينة المنورة فى القرن ١٢ هـ فى مختلف اوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية » لكنه ضمن علينا هذه المرة بنظرة علمية تحليلية مفصلة لمحتوى الكتاب . ويبدو لى ان هذه النظرة ينبغي ان تكون على اساس ما يستفاد من الكتاب عن :

— طريقة حكم الحجاز (خاصة الحرمين الشريفين وثغرى ينبع وجدة) . ونوع حكمه وجنسياتهم فى العصر العثمانى ، وفى القرن ١٢ هـ / ١٨ م بنوع اخص .

— عن القوميات المختلفة التى استقرت فى المدينة ، واهية كل منها ، فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

— عن نشاط حركة الهجرة الخارجية الاسلامية الى الحرمين ، والى اى حد استفاد

سكانها من المهاجرين ، الذين اصبحوا « مجاورين » ؟

— عن ملامح المجتمع الجديد فى المدينة المنورة ، والى اى حد كان الانسجام والتعاون بين طوائفه التى فرقت بينها اعتبارات كثيرة ، وجمع بينها الاسلام ، والمجاورة ؟

— عن دور طائفة المغاربة فى الادارة وفى الجيش العثمانى فى الحجاز .

— عن نوع الاسر المغربية التى هاجرت الى المدينة ، وعن ظروف هجرتها ، وكيفيتها ، وحجمها والى اى حد كانت هذه الاسر فى مهرها الجديد ايجابية ومغيدة للمجتمع ، ومندمجة فى اطارها . ؟

ويلاحظ ان تنوع نشاط الاسر المغربية ، وانسجام حكام الحجاز العثمانيين مع كثير من رجالات المغاربة ، وهو الانسجام الذى ترجع اصوله الى ظروف التدخل العثمانى فى بلاد المغرب العربى ، والى نظرة المغاربة الى الاتراك العثمانيين ، كاخوة وكحماة للاسلام والمسلمين ، لا كمستعمرين — هيا لطائفة المغاربة مركزا ممتازا فى الباشوية ، وتقديرا لدى طوائف السكان .

وقد تمكن كثير منهم من احتلال مناصب ادارية ودينية كبرى ، منها : ولاية الحسبة ، وامانة ثغر ينبع ، ووظيفة الكتابة ، وخطط الافتاء المالكى ، والخطابة ، والامامة فى المسجد النبوى ، والاشراف على الحجرة المطهرة ، الى جانب مشيخة طائفة المغاربة والاشراف على الاوقاف الخاصة بهم ، والخدمة فى الجيش . وفى مجال النشاط الحر ، كان منهم التجار ، والصناع ، والزراع ، والمعلمون . ومعنى ذلك كله ان وجود طائفة المغاربة فى المدينة كان مفيدا من الناحية الاقتصادية والثقافية والادارية ، ووسيلة لبعث الازدهار والرفاهية فى مجتمع المدينة .

وفى اكثر من مكان ، يشير المؤلف ، الى هذا المعنى معتمدا على تجاربه الشخصية معهم ،

ومعرفة السابقة بكثير من عناصرهم ، وقد أوضح ان بعضهم كان جاوره في السكن (٤٦٩ - ٤٧٠) وارتبط ببعضهم بروابط الصداقة والمعاصرة ، والنشأة الاولى ، او جمعت بينهما حلقات الدراسة في المسجد النبوي .

وكم كنت اود ان تكون ملاحظات المؤلف عن علاقات بعض الاسر المغربية بأسرته ، في مكانها اللائق بها في اطار مقدمة المحقق ، وذلك لاهميتها في توضيح حجاب من العلاقة بين عناصر من مجتمع المدينة الاصيل ، وبين عناصر طائفة اختارت الحياة في اطاره ، سواء كانت مغربية او غير مغربية (١) ومن تتبع ما جاء في النص ، حول هذا المعنى ، نلاحظ ان المؤلف ، يقول ، اثناء الحديث عن أسرة ابن عبد الله الفاسي : (وبيننا وبينه صحبة وحبة من الصغر الى الكبر ، لم يشبها شيء من الكدر) (٣٦٤) ، ويكرر مثل هذه العبارة مع بيت الدقاق (٢٢٣) ومع بيت الدرعي (٢٢٤) ، وبيت الغزواني (٣٧٧ - ٣٧٨) وبيت الحريشي (١٨١) ، ويذكر بصدد الحديث عن جيرانه في حارة الاغوات وهم من أسرة مولاي المغربية ، انهم « كانوا في غاية الصلاح والعبادة ، وبلغوا الحسنى وزيادة » (٣٦٩ - ٤٧٠) وكان عميد أسرة ابن الطيب الفاسية صاحب ثروة ، وعالما جليلا ، وعندها انتصب للتدريس ، حضر المؤلف دروسه فاستفاد منه (٣٣٥ - ٣٣٦) ، كما استفاد من الشيخ على الحريشي المغربي الذي وصفه بقوله : « شيخنا العلامة على الحريشي شارح الشفاء والشمالك وغيرها (١٨٢) كما وصف جاره محمد العياشي المغربي بقوله : « شيخنا وبركتنا الولي الشهير والقطب الكبير » (٣٦٧) . وعن أسرة تنقو ، يشير المؤلف الى ان رئيسها عليا ، برغم فقره ، كان يتمتع بحظوة كبرى عند ولاية المدينة العثمانية ، وبسبب ذلك كثر ماله ، واتسعت احواله « (٣٨٧ - ٣٨٨) .

ومن بغض الاشارات التي وردت في النص ، يتضح انه كان لطائفة المغاربة في المدينة المنورة اوقاف كثيرة تفي بحاجتهم ، وتغنيهم عن الكسب غير المشروع (٢) ومعنى ذلك ان فقراء المغاربة

لم يكونوا عيب على المجتمع في المدينة ، اما اغنياؤهم فكانوا عناصر ايجابية ومنتجة ، وسببا في بعض الرخاء والنشاط . ومما حفل به النص ، يتضح لنا ان الاسر المغربية التي كان لها دور في انعاش الحياة الاقتصادية في المدينة ، وفي الحجاز عامة منها :

— أسرة السلاوي (٢٩٥) التي كان عبد السلام منها ، (صاحب اموال كثيرة ، ويتعاطى البيع والشراء ، ويسافر الى جدة المعمورة للتجارة) ثم

— أسرة الطالب السونسي وكان رئيسها احمد صاحب ثروة ونشاط تجاري (٣٤٠) وكان له من عقبه « العابد » الذي اهتم بالفلاحة ، وزراعة النخيل (٣٤١) ثم

— أسرة ابن عبد الله الفاسي ، وكان عميدها ، محمد بن عبد الله ، عالما جليلا ، انتصب للتدريس في الروضة الشريفة فاستفاد منه المؤلف ، كما أصبح ابنه محمد ، صاحب ثروة كبرى بسبب اهتمامه بتجارة الحبوب ، كما انتصب للتدريس في الروضة مثل ابيه ، واشتهر بارتفاع ، مستوى اخلاقه ، وحسن ادائه للقرآن الكريم (٣٦٤) ثم

— أسرة الغزواني المراكشي ، وكان رئيسها محمد تاجرا في القماش ، وعيد الرحمن منها ، عمل في الجيش ، وولى الحسبة ، وامانة ثغر ينبع ، اما محمد وعبد الله ، اللذان كانا معاصرين للمؤلف فقد اهما بصناعة الزجاج (٣٧٧ ، ٣٧٨)

— أسرة القبيطي — وقد كان عميدها الحاج عربي — تاجر قماش ايضا ، ومثله ابنه عبد الخالق اما حفيده العربي ، فتقلب بين الخدمة في الجيش بوصفه جورجيا (٣) كما ولى خطة الحسبة ، وامانة ثغر ينبع ، اما اخوه غذيب فتقلب خطة الحسبة وخدم في الجيش ، غير ان نهايته كانت سيئة اذا امتحن واخرج من المدينة وسجن بالقنفذة مدة ثم سرح وعفى عنه . ويبدو ان احدي سيدات هذه الاسرة — وهي فاطمة —

أصبحت زوجة للمؤلف الذى عبر عن نفسه بلقب « الحجير » تواضعا . (٣٩٧ - ٣٩٨) .

— أسرة قصارة وعرف رئيسها ، عبد الله بالثروة الطائلة التى اشترى بها ، ممتلكات عقارية ، ونخيلا أوقفها على أولاده ، ثم تؤول من بعدهم الى خطباء الحرمين وائمة (٣٩٨) .

— أسرة ميارة — وكان محمد بن عبد الله الفاسى ، رأس هذه الاسرة على حظ كبير من الثروة ، بسبب نشاطه التجارى ، لا سيما تجارة القماش فى دكان يملكه فى باب « الحدره » ، كما كان على مستوى اخلاقى رفيع ، حتى وصفه المؤلف بأنه « كان من أحسن المجاورين » (٤٢٩)

— أسرة المشاط — وكان رئيسها — عربى — من أصحاب الثراء ، ولكنه كان بآدى الفقر ويعيش عيشة التقشف ، ومن أولاده من اهتم بالتجارة وسافر من أجل ذلك الى مصر ، ولما لم يوفق فى ذلك ، اتجه نحو الفلاحة ، فكان الفشل نصيبه ايضا ، ويعقب المؤلف على عدم توفيقه ، تعليقا نخبين منه تعاطفه معه وتأثره لحاله « وكل ذلك من قلة الحظ ، وعلى الحظ لا عليه الملام » (٤٣٧) .

وقد وجد من غير هذه الاسر افراد آخرون ، كانت لهم نشاطات ادارية ودينية ومن ذلك ، ان محمدا من أسرة الخالدى المغربية ، باشر بمكة الخطابة والامامة والافتاء المالكى ، ثم غارقها الى المدينة خوفا من شريفها بسبب دعوى أقيمت عليه (٢١٦) ومثله محمد ، من أسرة مولاى فقد حصر اهتمامه فى تحصيل العلم ، وتدريس صحيح البخارى فى المسجد النبوى اثر صلاة العصر ، كما أوقف حديثه « العريضة الخواجية » لسد حاجة من يقومون بقراءة البخارى فى المسجد النبوى ، وكان اخوه احمد يهتم بالصياغة ، ثم ابتسم له الحظ عندما صار مستحفظا على بيت مال الاسباهية ، ثم جورجيا ايضا (٤٦٩) — (٤٧٠) ، وكان محمد بن الطيب ، العالم بأسرار العربية ، والمؤلف للقدير ، رحالة يتنقل بين مصر ، والشام ، وبلاد الروم ، والحجاز ، من

أجل التجارة ، فلما حصلت عنده أموال كثيرة استقر فى المدينة ، وورث ابنه محمد مكي ، طريقته فى الرحلة ، من أجل التجارة ، حتى أثرى وتوصل الى احتلال مناصب رفيعة فى المدينة المنورة ، منها نيابة القاضى ، والخطابة والامامة ويلاحظ انه كان من معاصرى المؤلف ، ومن الذين جمعتهم حلقات الدراسة على والده محمدين الطيب ، (٣٣٥ - ٣٣٦) .

ومن اشارات المؤلف ، يظهر ان أسرة احمد المغربى التونسية حازت مكانة رفيعة فى المدينة المنورة فمحمد سعيد منها عمل فى الجيش ، فصار جورجيا غير ان اهتمامه بصناعة الكيمياء ، كان سببا فى ضياع أمواله حتى صار مفلسا . وقد انخرط ابنه من بعده لفترة مؤقتة ، فى أوجاق النوبتجية كما ولى الحسبة ، ثم عين كتخدا القلعة السلطانية بالمدينة ، ثم عزل واخرج الى الشام (٤٦٨ - ٤٦٩) اما عبد العزيز ابن عبد اللطيف التتمام التونسى فيبدو انه كان من أصحاب الثراء الذى مكنته من شراء دارين بزقاق التتمام بخط الحدره بالمدينة ، أوقفهما على ابنائه ، على ان تؤولا من بعدهم الى طائفة المغاربة (١٣٣) .

وكان احمد بن عبد الرحمن جسوس المغربى ، ايضا من أصحاب الثراء ومن الذين عاشوا فى المدينة فى ترف وسعة ، وقد اشترى ايضا دارين بخط زقاق الطوال ، واتخذها سكنا له ، فلما توفى اضطر ابنه عبد الرحمن لبيع الدارين بسبب كثرة عياله ، وقلة حظه فى التجارة ومن بين الاسرات المغربية التى كان لها دور فى الحياة العسكرية فى المدينة بيت الجزائرى ، وكان رئيسها : خليل بن محمد ، وهو أول من قدم المدينة المنورة سنة (١٠٨٠) هـ / ١٦٦٩ م (« كاملا عاقلا » وقد أعقب اولادا ، منهم محمد ، الذى عاصر المؤلف وولى وظيفة الكتخدا ، فى القلعة السلطانية بالمدينة ، ثم اخوه خليل الذى كان جورجيا فى نفس القلعة ، وحامت حوله شبهة تزيف العملة الرسمية ، فنفاه أيوب اغا شيخ الحرم (٤) من المدينة لكن ابنه احمد ، توصل الى الانخراط فى الجيش وأصبح ضمن أوجاق القلعة السلطانية .

ويبدو أن الخدمة في الجيش ، والمسؤوليات التي تولها رجال هذه الاسرة ، درت عليهم اموالا كثيرة ، استغلوها في شراء الممتلكات العقارية ، إذ كانت لهم في المدينة أوقاف كثيرة كانت توزع إيراداتها عليهم في كل سنة (١٥٤) .

وأما بيت العنابي - فكان رئيسها على الذي قدم ، الى المدينة المنورة (١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م) « صالحا فتيها يعلم الصبيان القرآن » ، كما لاحظ المؤلف أنه كان حسن الهيئة وملازما للمسجد غالب الاوقات وسار ابنه على طريقته في الاهتمام بالقرآن ، وبمظهره ، وكان الى ذلك ، وقد نشأ نشأة صالحة مثل أبيه . (٢٧١) .

ومما ذكره المؤلف في أكثر من مكان ، تفهم . ان البيوتات الغربية كانت كثيرة بدرجة ان السلطة العثمانية في الحجاز ، اهتمت بشاكلها هتاما خاصا ، وجعلت لها مشيخة خاصة اسندتها الى عناصر مغربية . وكانت الاوقات ايضا كثيرة وتنازل رعاية خاصة من السلطة ، اذ اقامت لها نظارا مختصين من بين المغاربة ايضا (٢٢٣) ومنغ ذلك ، فيلاحظ ان الاسر المهاجرة من اقطار المغرب لم تعد من بينها ، بعض العناصر الثقيلة التي عرفت بتهالكها على الدنيا ، وعلى طلب الاموال من كل وجه ، والمثل على ذلك ، فيها سجله المؤلف عن افراد بيت الحمودي من عرب درعة في صحراء المغرب الأقصى الذين اتصفوا بالحرص على جمع الاموال وشحوا حتى علي انفسهم ، فلم يهتموا بمظهرهم ولا بأراء الناس فيهم . (٤٤٤) - ٤٤٥ ، وقد اشار المؤلف الى احدهم بقوله « فهو بجمع المال مشهور » اذا رآه الرائي يظنه مقطوعا مكسورا وكف بصره في آخر عمره . فطلب منه الطبيب شيئا ، ليداويه فأبى الا الحالة التي هو فيها .

وعلى كثرة الاسر المغربية المجاورة فالذى يلاحظ ان اغلبيتها الساحقة من المغرب الأقصى ، لان الهجرة من هذا البلد ، وحسب اشارة المؤلف - كانت لا تقتصر على فرد واحد بل تأخذ أحيانا شكلا عاما ، فيصطحب المهاجر معه ، اولاده واهله (١٣٥) .

أما أقلها فكانت تنتمي اما الى المغرب الأوسط ، « الجزائر » ، مثل بيت العنابي ، وبيت الجزائري ، او الى تونس ، مثل بيت المغربي وبيت التمتام ، او الى طرابلس ، مثل بيت التاجوري .

ويبدو أخيرا ان ظاهرة هجرة المغاربة الى الحرمين الشريفين مازالت ملحوظة ونشيطة ، ويتم بطرق مختلفة ، ولا تقتصر على الاغنياء فقط ، لان الاحساس الديني ، والارتباط الروحي بالعتبات المقدسة ، والرغبة في المجاورة لقبر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وسلم) أمور يشترك فيها جمهور المسلمين في بلاد المغرب العربي . ويعتبر بعض الحجاج ، لا سيما ، الطاعنون في السن منهم ان لقاءهم ربهم في الارض المقدسة بعد اداء واجبه الديني شارة على السعادة واليمن ، والرضا الالهي .

- واذا تجاوزنا هذه الاعتبارات الهامة التي يجب ان تحظى بعناية الباحثين المختصين في المستقبل ، فان الاستاذ المحقق ، لم يشر في مقدمته اللطيفة ، الى عدد اوراق كل نسخة من النسختين اللتين اعتمد عليهما في التحقيق ، وقد عرفنا من الترقيم الخاص الذي وضعه في الكتاب ان مجموع اوراق النسخة التي فضلها على غيرها ، واعتبرها قريبة من الاصل بلغ (٢٢٩ ورقة) .

كما اننا لم نستطع من خلال المقدمة ، ان نتعرف (على ناسخ المخطوطة الثانية (هـ) ، ولا على نوعية خطها ، وبالعكس ، اشار المحقق الى ناسخ المخطوطة الاولى (ت) والى نوع خطها ووصفها بأنها « مشرقة النسخ » ويبدو انه قصد « مشرقة النسخ » غير ان تسرب الخطأ المطبعي الى الكلمة ، اوهم ان يكون المقصود منها الاثراق والجودة . وعلى قصر المقدمة ، مع شدة تعبيرها على جوهر الموضوع ، يلاحظ ان المحقق ، سلك في ترقيمها مسلكا جديدا لا يخلو من الطرافة وذلك لعدم شيوعه (مثلا : يا = ١١ ، يج = ١٣) ، لان الشائع الاستمرار مع بقية الاحرف الاخرى

حسب قيمتها العددية في حساب الجمل نمثلا :
هناك بعد الياء (ك - ل - م - ن - هـ) .

وجرت عادة المشتغلين بتحقيق النصوص القديمة ان يميزوا بين المخطوط والمطبوع فيشيروا الى الاول ، بمصطلح : الورقات ، والى الثانى بمصطلح الصفحات (انظر مثلا (ص يـج من المقدمة) . كذلك لا يكتفى مجرد اشعار القارئ ، فقط عند الانتقال من ورقة الى أخرى ، مثلما فعل المحقق ، وربما كان مضطرا الى ذلك ، (حسب طبيعة كتابة المخطوط) وانما ينبغى أيضا اشعار القارئ حتى عند الانتقال من وجه الورقة ، الى ظهرها .

اما بالنسبة للتواريخ التى حفل بها الكتاب ، فكان يستحسن ، عدم اهبال العلامة المميزة للتاريخ الهجرى (هـ) حتى لا يختلط الامر على القارئ ، ورغم ان الكتاب كله قد أسس على التاريخ الهجرى ، فان الانسب الاشارة احيانا الى ما يوافق ذلك فى التاريخ الميلادى ، تيسرا على الباحثين . ولا يقتضى ذلك غير الرجوع الى الجداول المطبوعة التى وضعها بعض الباحثين امثال (وستفالد . (٥) وغيره (٦) .

وانكر بهذه المناسبة اننى كثيرا ما كنت احتاج الى وقفة يسيرة وأنا اتصفح الكتاب ، لكى اتذكر ، اننى امام توقيت بالسنة الهجرية ، والسبب فى ذلك ، عدم وجود العلامة المميزة ، أو ما يوافق التوقيت بالسنة الميلادية ، وقد لا يكون للمحقق ، دخل فى هذا الخلال الفنى ، مثلما لم يكن له دخل فى تسرب بعض الاخطاء الشكلية مثل شكل كلمة الحسبة بضم الحاء ، مع انها بالكسر (٧) (٥٠٦) ، ووضع ضمة على حرف الميم من كلمة مشد ، حتى تصير على صيغة اسم الفاعل ، مع انها بالفعل (٦٩) .

ويبدو ان الاستاذ المحقق رغم انه اشار بصدد التعليق على تاجورة ، بطريقة تشعر بان موقعها فى ولاية طرابلس الغرب ، الا انه لم يوضح انها فى اطار هذا العصر - عصر المؤلف - كانت تحت نفوذ اسرة القرماتلى ضمن باشوية طرابلس

العثمانية المستقلة ، ولا ترجع الى اعمال تونس الخضراء كما اشار المؤلف . (١٣١) هامش ١ ولا داعى هذا للايقاع فى اللبس بعد التوضيح ، لانه اذا كان هناك جبال تاجرا ، بين قابس ومدنين ، فهناك قرية مندثرة وجبال باسم تاجرا عند ندرومة يظن انها مستقط رأس عبد المؤمن بن على الكومى خليفة الموحدى (٨) .

وقد اهلل المحقق تقويم النص احيانا ، فى وقت كان من الواجب ان يقوم فى الهوامش ، بسبب ان المؤلف وقع فى خطأ فى التحديد الجغرافى ، مثلا ، يذكر المؤلف بصدد الترجمة لبنت الجزائرى ، ان النسبة لمدينة الجزائر ، وهى مدينة مشهورة بأرض المغرب الادنى (١٥٤) . هنا كان من الاولى للمحقق ان يقوم هذا النص ، فى الهامش فيشير الى انها ضمن اقليم المغرب الاوسط ، وبعيدة كل البعد عن اطار المغرب الادنى (ولو ان الاثنين كانا من الاقاليم التى تدين بالتبعية للخلافة العثمانية فى الاستانة) . لا سيما وقد فعل المحقق ذلك ، فى مكان آخر ، بسبب وقوع المؤلف فى خطأ مشابه . (انظر مثلا ٣٧١ هامش ١) ولا ادري اذا كان قول المؤلف (١٣١) عن احمة التاجورى ، انه قدم المدينة ١٠٠٠ هـ وتوفى بها ١١٤٨ هـ .

لا يحتاج الى تعليق من الاستاذ المحقق !! ؟

وقد لاحظت فى مكان آخر ان المحقق ، يمس النص ويفضل كلمة على أخرى ثم يترك الامر بدون تعليق ولو وجيز يوضح فيه سبب ارجحية هذه الكلمة على غيرها ، فمثلا اثبت المحقق كلمة « البربرى » وفضلها عن كلمة « البرى » ، التى وردت فى نسخة (هـ) (٥٠٧) ولم يشر الى شىء آخر يدعم اختياره ، كما لم يشر الى تحديد المقصود من كلمة البربرى ، هل هى منسوبة للبربر ؟ وهم اقوام معروفون ، او لمدينة بربر بالسودان ؟ او لبربره فى منطقة الصومال ؟ .

ويبدو ان اشارة الى الموسوعة اليسيرة والمراجع فى الحواشى ، اتباع الطريقة المحددة التى اشتهرت بين الباحثين ، وذلك بالاشارة الى

وبالرغم من هذه الملاحظات الشكلية ، فإن الذى لاشك فيه أن جهد الأستاذ العظيم محمد العروسي المطوى ، كان مثمرا ومنيدا للباحثين الذين اكتسبوا مصدرًا هامًا ، وللمكتبة التاريخية التى اثرت بنص جديد ، اضيف الى قائمة المطبوعات . واذا كنا نرجو أن يسدد الله خطانا جميعا لحفظ تراثنا من الضياع ، ويمتدح الأستاذ الكريم ، بدوام الصحة ويهبه القوة على الاستمرار فى هذا العمل البناء ، فائنا ايضا نرجو أن لا يكون

قد حصل فى اطار هذه الاستجابة تجاوز ما نحو أستاذ كريم تربطنا به منذ القدم صلات روحية لطيفة الخيوط ، وثيقة العرى ، واذا كان قد وقع شئ من ذلك ، غفى رحابة صدر الأستاذ وفى سعة أفقه ما يتسع لأكثر من هذا . والله من وراء القصد .

وحيا ربي تونس الخضراء وساكنها
سحب من السعد ترويه وتروينى .
موسى لقبال أستاذ بقسم التاريخ جامعة الجزائر

- ط تونس ١٩٣٠ هـ - ١٩٧٠ م . ٥٧٤ صفحة حققه الأستاذ محمد العروسي المطوى ونشرته المكتبة العتيقة .
هوامش :
- (١) عن علاقات المؤلف واسرته بغير الاسر المغربية انظر مثلا : ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٣٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٧ ، وغيرها من كتاب « تحفة المحبين » .
- (٢) عن اوقاف المغاربة فى المدينة انظر ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٤٥ ، ١٨٤ ، ٢٢٤ ، ٤٧٠ . وغيرها من كتاب « تحفة المحبين » .
- (٣) يعرف ايضا بالشوريجى ، وهو قائد الاورطة التى تتألف من مائة فرد ، وكان يساعد كاتب يعرف باليازيجى ثم حامل العلم ، ويعرف بالبير قدار . انظر عبد الكريم غرابية : مقدمة تاريخ العرب الحديث ١ ، ٧٢ . دمشق ١٩٦٠ .
- (٤) عن أغوات الحرم النبوى ابي شيوجة . انظر ٥٢ ، ٦٥ ، من نفس الكتاب .
- (٥) انظر للمؤلف كتاب : « جداول السنين الهجرية والميلادية » بالالمانية لينزج ، ١٨٥٤ .
- (٦) انظر شارل برنوا : « توافق السنين الهجرية والغريغورية » الجزائر ، ١٨٨٥ .
- وقد استفاد ناشر كتاب الترجمانة الكبرى للزيانى من جداول وستفاد ، وترجم جانبًا كبيرًا منها فى آخر الكتاب . انظر عبد الكريم الفلالى « الترجمانة » وما بعدها مطبعة فضالة بالمغرب ١٩٦٧ .
- (٧) عن شكل الكلمة ومدولاتها : انظر مثلا : ابن منظور لسان العرب ، التهانوى ، كشاف ، اصطلاحات الفنون ١ ، كلكتا ١٨٦٢ . حسن ابراهيم : انظر الاسلامية ٢٩٧ وما بعدها ، ابن زيدان العز والصولة ٢ ، ٦١ . دائرة المعارف الاسلامية (مادة حسبة مجلد ٢ ، ٢٢٧) .
- (٨) الكبرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقيا والمغرب ٨٠ طالجزائر ١٩١١ (ط دوسلان) ، الاستثمار فى عجائب الامصار (لجهول) ١٢٥ ، مطبوعات جامعة الاسكندرية ١٩٥٨ تحقيق ونشر زغلول عبد الحميد .
- (٩) انظر مثلا : ولاية دمشق فى العصر العثمانى ٨٥ تحقيق ونشر صلاح الدين المنجد ط دمشق ١٩٤٩ ويلاحظ أن المصطلح بقى فى تونس ، باسم مقارب للاصل ، وهو أسم الصبايحية كما بقى فى الجزائر حتى وقت قريب باسم عسكر «السيابى» انظر احمد تويق المدنى : محمد عثمان باشا ٢٠٥ ط الجزائر ١٣٥٦ هـ .
- (١٠) ابن عذارى : البيان المغرب فى اخبار افريقية والمغرب ١ ، ٩٦ - ٩٧ ط القاهرة بيروت ، ١٩٤٧ - ١٩٥٠ الرقيق القيروانى : تاريخ افريقية والمغرب ١٤٩ ، ط تونس ١٩٦٨ ، تحقيق ونشر الكعبي .

ويمكن ان نصيف الى هذا التقسيم بين الشمال والجنوب تقسيما آخر بين الشرق والغرب : فنحن نلاحظ ان هناك ثلاث مناطق متميزة : منطقة شرقية يصل خطها الاقصى الى الحضنة وجبال الباسور ، ومنطقة وسطى تقف عند واد ملوية ، ومنطقة غربية يحدها المحيط الاطلسي .

على ان التقسيم لا يتطابق دائما مع الحدود السياسية ، لان الحدود السياسية كانت تتغير تحت ضغط الظروف المختلفة للهجرات أو الحروب ، ولذلك لم تتطابق دوما مع الحدود المناخية والطوبوغرافية .

المغرب العربي

الافريقي يشتمل على نموذجين اوروبيين : هما نموذج « الحوانيت » ونموذج « الدولن » ، فالحوانيت — كما سماها الاثريون الفرنسيون — هى عبارة عن مقابر مدفونة فى جنبات صخور منعزلة ، أو مرتفعات تنحدر شاقوليا . وينتشر هذا النموذج فى منطقة الوجه القبلى بتونس . والجهات الواقعة شمال واد مجردة ، والمنطقة المحصورة بين الحدود الجزائرية — التونسية الحالية ، وبين واد السيبوس . وترجع هذه « الحوانيت » فى صقلية وسوردينيا الى عصر البرونز وعصر الحديد . وهى تنتشر أكثر ما تنتشر بتونس والجزائر على الجهات الساحلية . وان كانت توجد أيضا ، لكن بصفة أقل ، فى المناطق الداخلية مثل التى توجد قرب دوقنة فى تونس . وقرب تبسة وقسنطينة فى الجزائر ، ويرى الاستاذ كومبس أن « الحوانيت » الموجودة فى المناطق الغربية للشمال الافريقي ، قد انتشرت فى عهد متأخر . على يد البونيقيين .

ونظرا لانتشار هذا النموذج بكثرة فى شمال تونس ، فقد كان المؤرخون يظنون انها من أصل فينيقي . لكن التحقيق كشف عن رجوعها الى عهد اسبق من العهد الفينيقي . ويرى الاستاذ كومبس أن ذلك يكشف عن مدى تأثير الثقافات الشرقية السابقة للعهد الفينيقي ، وأن انتشارها فى شمال تونس يرجع الى كون هذه المنطقة ما انفكت ذات هوية شرقية .

اما نموذج « الدولن » فقد انتشر فى عدة مناطق هى : منطقة الساحل الشرقى الواقع فى تونس ابتداء من الوجه القبلى والذى يتوسطه مركز النفیضة بمعابده الجنائزية . وهناك الساحل الممتد بين طبرقة وبين جيجل . وهناك منطقة ثالثة تشمل تونس الوسطى والغربية وتمتد من أقصى الشرق الجزائرى الى قسنطينة .

وتتميز معابد الدولن فى المنطقة الاولى وخاصة بالنقضة بالسرداب الذى يؤدى اليها وبجسارة ضخمة موضوعة على الارض لتشكل قاع القبر . ونفس الطابع نجده فى مقابر الدولن بالمنطقة الثانية ، لكن مقابر هذه المنطقة تتميز عن الاولى

العلاقات مع اوروبا : اذا كانت العلاقة بين الشمال الافريقي وبين اوروبا منعقدة قبل العصر الحجري الحديث ، فانها قد قامت خلال هذا العصر . لكن الجدير بالتسجيل أن هذه العلاقة تمت بين الشمال الافريقي وبين اوروبا عبر اراضى كانت على اتصال بثقافات الشرق الادنى وحضاراته اكثر من اتصالها بأراضى القارة الاوروبية الاخرى . فمقد تم هذا الاتصال مع بلدان الحوض الشرقى من حوض البحر الابيض المتوسط وخاصة مع صقلية وسوردينيا . ويدل على هذا الاتصال وجود مخلفات جنائزية من جنية ، وبقايا صناعة الفخار الملون من جهة اخرى . ففيها يتصل بالمخلفات الجنائزية نجد أن الشمال

بكونها أضخم وأهم حجبا . وأهم مقابر هذه المنطقة الثانية هي الواغة في شبه جزيرة القل . وتتميز مقابر الدولن في المنطقة الثالثة بامتداد مساحاتها وضخامة معابدها الجنائزية التي تعد أحيانا آلاف الدوامن . وفي مقابر هذه المنطقة الثالثة تختفي السراذيب .

أما الدليل الآخر على علاقة الشمال الإفريقي بالحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، فيتمثل في صناعة الفخار التي تحمل طابع تأثير شرقي سابق على العهد الفنيقي . والواقع أنه لا يوجد دليل قاطع على أن تشابه صناعة الفخار بين تونس وشرقي الجزائر من جهة وبين جزر ومناطق الحوض الشرقي من المتوسط من جهة أخرى يرجع إلى تسرب قام به اليونانيون أو سكان الجزر الأيونية إلى النواحي الشرقية من الشمال الإفريقي . نعم توجد عدة إشارات في الكتابات التاريخية القديمة إلى هذا التسرب وخاصة إشارات ثلاث :

١ - ما ورد في كلام ديدور الصقلي عن مدينة « ميشيلة » - وهي مدينة لم يعرف موقعها بعد وتوجد على أغلب الظن في تونس أو في شرقي الجزائر - من أن الإغريق هم الذين بنوها بعد عودتهم من حرب طروادة .

٢ - إشارة هيكتة المليتي إلى أن مدينة « كويوس » الموجودة على ما يظن في نفس المنطقة كانت مدينة من أصل أيوني .

٣ - مقالة هيرودوت عن الماكسيس (شمال الجريد) بأنهم من أصل طروادي حسب أقوالهم ، لكن هذه الانتشارات ليست لها قيمة كبيرة حسب ستيفان غزيل نفسه . ولعل تنقيبات مقبلة ستكشف في المستقبل عن وثائق أكثر تدقيقا .

هذا فيما يتصل بالعلاقة بين الجهات الشرقية من الشمال الإفريقي مع أوروبا .

أما فيما يتصل بعلاقة المناطق الغربية بأوروبا ، فيبدو أن العلاقة بين المغرب وبين شبه جزيرة

إيبيريا كانت موجودة بصفة أكيدة منذ عصر المعادن : فبقايا الفخار التي عثر عليها في المغرب سواء في السواحل المتوسطة أو السواحل الأطلسية والتي ترجع إلى النصف الثاني من القرن الثالث للميلاد ، ترجع إلى نموذج الفخار الإندلسي الذي هو أقدم منها . وقد تطورت العلاقة بين المغرب وإيبيريا في عصر البرونز ، إذ تجد صناعات هذا العصر قد وصلت إلى المناطق الداخلية من الأطلس ، ولم تقتصر على الساحل كما كان الشأن بالنسبة لصناعة الفخار في العهود السابقة .

ويستخلص كامبس ، من المقارنة بين نوعي العلاقة مع أوروبا ، أي مع الحوض الشرقي من المتوسط ومع شبه جزيرة إيبيريا ، أنه ، على الرغم من كون العلاقة هنا وهناك بدأت في عهد واحد تقريبا ، فإن المناطق الشرقية قد تنظمت في شكل ممالك وإمارات قبل المناطق الغربية . ويرجع كامبس ذلك إلى وجود تأثير ثقافات وحضارات شرقية سابقة على العهد الفنيقي الذي وجد الميدان مهبطا والذي عمق التأثير الشرقي .

العلاقة مع إفريقيا : في الجنوب ، تمتد مساحات شاسعة تتخللها السباح . والطابع المميز للحياة في الجنوب هو الحياة الرعوية المتنقلة . وقد كانت الصحراء . بسبب موقعها ، أداة وصل في أقدم العصور بين جنوب شمال إفريقيا والبلاد الواقعة جنوب الصحراء . ويستطيع المؤرخ أن يتكهن بوجود هجرات قليلة أو كثيرة من الجنوب ، أي من البلاد الإفريقية في اتجاه الشمال . ولا يستبعد أن تكون هذه الهجرات هي التي أدخلت إلى شمال إفريقيا . الحيوانات الأهلية أو فكرة استئناس الحيوان . وعلى هذا الأساس تكون الصحراء والنجد هي الطريق الذي اقتضته بعض المبادي والخضارية وكذلك بعض المعتقدات التي عرفتها صحاف النيل . وفعلنا فنستطيع أن نتبين من دراستنا للأوابيد

الجنائزية مدى تأثير الثقافات الافريقية والمصرية
بصفة خاصة

ويبدو ان العادات الجنائزية اكتسبت طابعا خاصا
في ولاية وهران وفي المناطق الشرقية من المغرب ،
ليست له ادنى علاقة مع ثقافات العهود التاريخية ،
اي انه لم يتأثر لا بالرومان ولا بالبونيقين . ومن
العادات الجنائزية التي تميزت بها وهران والمناطق
الشرقية من المغرب نجد عادة دفن السلاح مع
الميت . ونظرا الى انه قد وقع العثور على السلاح
في مقابر بجهات تقع في الجنوب مثل عين الصفراء ،
مقد رجح بعضهم كون هذه العادة وردت من
الصحراء .

شعوب الشمال الافريقي في فجر التاريخ :
الكتابات التاريخية القديمة أسماء مختلفة للشعوب
التي سكنت الشمال الافريقي ابرزها هي :

**النوميديون — المور — الجيتوليون . وهؤلاء
الاخرون يخاضهم الفاروزيون في جنوب المغرب
والغرامنت في فزان .**

لكن دلالات هذه الاسماء اختلفت باختلاف
مستعملها . فالاغريق — مثل القرطاجيين كانوا
يطلقون — تسمية النوميديين على جميع السكان غير
الخاضعين لقرطاجة ، ويطلقون اسم « اللبيين »
او « اللوبيين » على السكان الخاضعين لسيادة
قرطاجة . لكن السكان الذين يطنعون اقصى
المغرب ، عرفوا باسم « المور » بدل النوميديين .
لكن هذا التمييز لم يتم بصفة نهائية الا في العهد
الروماني . فقد كان ارتيميدور ، في القرن الثاني
قبل الميلاد يطلق اسم النوميديين على سكان المناطق
المجاورة لاعمدة هرثل .

وقد اعطى « بوشار » منذ القرن السابع عشر
تفسيرا اصبح معتادا منذ ذلك ، لتسمية « المور »
فقال انه مستمد من كلمة سامية هي Mahourin

التي تعنى الغربيين او سكان الغرب . وهذا
التفسير معقول نسبيا اذ نجد مثيلا له في المشرق ،

في اطلاق « الاموريين » على سكان المناطق الواقعة
غرب دجلة . لكن اذا كان هذا التفسير مرضيا لكلمة
المور ، فان تفسير اصل كلمة « النوميديين »
اصطلم بعده تأويل .

فقد حاول مختلف المؤرخين من لدى رين الى
ستيغان غزيل الى صاحب تاريخ شمال افريقيا الى
كامبس ان يقدموا تفاسير مختلفة لاصل كلمة
« النوميديين » . فبينما يرى شارل اندري جوليان
انها مشتقة من عبارة محلية ، يرى بعض المؤرخين
المعاصرين ، اعتمادا على سترابون بان كلمة
النوميديين تعنى « النوماد » اي البدو غير
المستقلين . لكن كامبس يرفض هذا التفسير ،
ويستشهد بهيرودوت الذي يفرق بين « النوماد »
« والنوميد »

الا ان ايف لاکوست يرى انه لا يجوز ان نستنتج

من ذلك بان سكان نوميديا كانوا كلهم بدوا غير
مستقرين . ويعتمد في هذا المجال على نظرية
ستيغان غزيل الذي يرى بان الاغريق وجدوا في
شمال افريقيا من يطلقون على انفسهم وصفا يقترب
من حيث النطق المحلي من الكلمة اليونانية التي تعنى
البدو المتنقلين . فجمعوا بين الكلمتين واطلقوا على
السكان الوصف السابق ، خصوصا وقد لاحظوا ان
عددا هاما من اولئك السكان كانوا رعاة غير
مستقرين .

ومهما يكن من شيء ، فان هذه التسمية ،
« النوميدين » ، التي عرفت في الكتابات الاغريقية
منذ القرن الخامس قبل الميلاد . قد اشتق منها في
عهد ماصينسا اسم « نوميديا » . الذي اصبح علما
على مملكة واسعة الارحاء ، تمتد من نهر ملوية غربا
الى حدود الممتلكات القرطاجية شرقا . فنحن نجد
مثلا هذه التسمية في كتاب ساللويست « حرب
يوغرتا » اذ يقول في الفقرة الخامسة ما تعرييه

(عن النص الفرنسى) : « اعترزم كتابة (تاريخ) الحرب التى خاضها شعب روما ضد يوغرطا ملك نوميديا » وفى نفس الفترة يتحدث ساللوست عن « ماصينسا ملك النوميديين » .

أما شعب الجيتوليين فيبدو أنه كان يقطن الجنوب الذى يمتد من تونس الى المغرب وقد ظهرت هذه النسبة لسكان جنوب الشمال الافريقى ، لأول مرة فى كتابات ساللوست . ويبدو أن حدود منطقة الجيتول لم تكن معروفة سواء من ناحية الجنوب أو الشمال . فمن ناحية الجنوب ، يبدو ، حسب بعض الكتابات القديمة أنها تمتد الى « بلاد الايتوبيين » وإذا قلنا بأن « الايتوبيين » يعنى السكان الملونين ، فإن الجيتوليين — الذين هم بيض — يكونون فى هذه الحالة قاطنين لمنطقة النجود ، وللقسم الاعظم من الصحراء . لكن بعض المؤرخين ، مثل فونتى ، يرى أن تسرب البربر الى الصحراء لم يتم إلا فى مرحلة متأخرة ، تحت ضغط الاحتلال ، الرومانى الذى دفعهم عن الشمال الى الجنوب .

ومن الناحية الشمالية أيضا نجد أن الحدود غير واضحة : فهناك اشارة عند سترابون تفيد بأن الجيتوليين يقطنون بعض مناطق نوميديا الوسطى . كما نجد اشارة واضحة عند سترابون أن قصبة تقع فى بلاد الجيتول على عهد يوغرطا . لكن الوصف الدقيق الذى اطلقه سترابون نفسه على المناطق التى تفصل بين الساحل المتوسط وبين بلاد الجيتول ، والذى ينطبق على الجنوب القسنطينى ، يبعد هذه المنطقة من الجيتول .

ويرى ستيغان غزيل أن تسمية الجيتوليين تطلق على « الشعوب التى بقيت خارج مصيلىا ومصيلىا بعد تشكل الممالك التى عرفت بهذا الاسم . لكن كامبس يعارض فى هذه النظرية ، ويرى أن تسمية الجيتوليين لا مدلولها سياسيا ، ولا

مدلولها عرقيا ، ولكنها تعنى نمطا من انماط المعاش ، الذى يتمثل فى الثقل والحياة الرعوية — وعلى هذا الاساس يرى أن ماصينسا قد سيطر على الجيتوليين الواقعين جنوب نوميديا الشرقية .

والواقع أن هذا التفسير له ما يؤيده فى كتابات تيت ليث الذى ينص على أن الجيتوليين كانوا من جملة من تشكل منهم جيش حنبعل عاذا عرفنا أن قرطاجة لم تصل سيطرتها الى بلاد الجيتول ، استطعنا أن نستنتج بأن الجيتول شعب متنقل وليس مستقرا مثل معظم النوميديين .

وبناء على النظرية التى ارتآها ستيغان غزيل حول الجيتوليين ، كان يرى أيضا أن قبيلة الموسولام تنتمى الى شعب الجيتول . لكن كتابات تاسيت صريحة فى نسبة قبيلة الموسولام الى الشعب النوميدي يضاف الى ذلك أن المعطيات والحفريات الاثرية لا تكشف عن وجود أى فرق فى نظام حياة وعادات المناطق التى يسكنها الموسولام ومناطق بقية النوميديين ، أى بين الجهة الواقعة ، بين مجردة وخليج عنابة من جهة ، وبين الجهة الواقعة بين مجردة وجبال تبسة من جهة اخرى .

والخلاصة أن الجمع بين المعطيات الايديولوجية وبين النصوص القديمة يسمح بتحديد مكان شعوب الشمال الافريقى فى بداية العصور التاريخية :

فالمرور يقطنون فى الناحية الغربية ، بين الاطلسى وواد ملوية . والنوميديون التابعون لمملكة مصايصليا ، فى الوسط أى من ملوية غربا الى واد الكبير شرقا ، والنوميديون التابعون لمملكة مصيلىا فى الناحية الشرقية أى من واد الكبير غربا الى حدود قرطاجة شرقا . أما كل من شعب الجيتول ، وشعب القرامت فهما شعبان متنقلان يقطنان النجود والمناطق الصحراوية .

محمد الميلى مدير الاخبار بوزارة الاعلام والثقافة

التصرفات المعينة في ظروف خاصة ، هذا بالإضافة الى أنها تربط حاضرننا بماضينا ، وتكون جزءا من تكويننا الخلقى ، وشخصيتنا القومية .

وهذا المؤلف الغزبي يتقبل الينا حتى مشاعره نحو الجزائر ، فللمح بين سطورهم وكلماته ، بين جملة والفاظه الخوف حينا ، والحد حينا آخر . ومن شأن هذا الحد ايضا . . هذا الحد التاريخي أن يفسر لنا بدوره مسلك بعض الدول والافراد تجاه الجزائر المعاصرة التي بدأت تستعيد مكانتها التاريخية وتستعد للقيام بدورها في بناء حضارة الانسان . فهناك أشياء كثيرة وتصرفات متعددة ليست جديدة ، وانما هي مواقف تاريخية كتب لها الاستمرار والبقاء ، سجلها غيرنا ولم نسجلها نحن . . لم يسجلها اجدادنا .

واذا كان اغلب من تحدث عن الجزائر من المؤلفين والرحالين الغربيين ، وخاصة في الفترة التي أعقبت الاحتلال ، قد اقتصر على معالجة الجوانب المذكورة ، فان المؤلف النمساوي أدولف شترال قد تناول ، بالإضافة الى ذلك ، جانباً لم يتعرض اليه ، فيما اعلم ، غيره . فهو يقدم لنا في كتابه « صور شمسية جزائرية » ، الذي نشره في مدينة فيينا سنة ١٨٤٤ ، قصصا وحكايات عن الجزائر . قدم لنا في جزء منه شخصيات جزائرية واجنبية ، وحلل عواطف بعضها نحو البعض الآخر ، وقد اخضع أسلوبه فيها لموجة الرومانسية التي كانت قد ظهرت قبل ذلك بسنوات ، كما صور طبيعة بعض المعمرين والجشع الذي حملهم على المجيء الى الجزائر .

وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة اقسام :
١ - يحتوي القسم الاول منها على القصصية :

٢ - انتقام الحضري ، وهي قصة ملازم في جاء الى الجزائر في الشهر الثاني بعد

الاحتلال ، وقد لعبت براسه طيوف الف ليلة وليلة ، وخيل له انه يستنشق روائح البلسم ، ويرتاد ملاهى الرقص الشرقي ، ويعيش في نعيم ما بعده نعيم . وشاهد ذات يوم احدى نساء أحمد بن حمود ، وهو من اثرياء مدينة الجزائر ، فوق سطح المنزل المجاور لمنزله ، فهم بها ، واخذت تبادل بعض الاشارات ، ولكن سيدها علم بأمرها ، ولزمها مطلوبة بجريمتها ، فاستسلمت له استسلام الحماة لمخالب الصقر الحادة ، غمضى بها الى ضيعته قرب معسكر بير خادم ، وهناك انتقم منها في فجر احد الايام . وعند عودته ناداه احد الحراس مناداة برنردولفرنسكو في مسرحية هاملت ، ولكن أحمد بن حمود لم يجب ، فأطلق عليه الحارس النار وأرداه قتيلًا !

٢ - المعبر المخدوع ، يتحدث شترال في هذه الحكاية عن معمر قدم الى الجزائر . . بحثا عن الثروة والهناء فمر في طريقه ببنائية ، يسكنها بضعة جنود فرضت عليهم الإقامة الجبرية ، فاقترب منهم وأعرب لهم عن رغبته في الحصول على منزل يكون قريبا من الجزائر . . وبعدا عن النار والبارود ! واذا بولئك الجنود يعرضون عليه ، دون استشارة حارسهم ، التنازل له عن تلك البناية مقابل ستين فرنكا ودلو من النبيذ ! وعندئذ تجتاح المعمر موجة من السرور والبهجة ، ويهتر لهذه البداية البديعة . وحين يطلب منهم أن يقدموا له ضامنا على صحة الصفقة ، يجيبه احدهم : « هذا امر غير معمول به في هذا البلد . يكفى أن يقول المرء في ذلك : هذا البيت لى ! ونحن شهود ! » وهكذا تتم الصفقة بكل سهولة ، ولكنه ما كاد يستقر بها حتى جاء بعض الضباط وأخرجوه منها بالقوة .

٣ - مفامرة خطيرة ، وهي تصف لحظات حرجة مرت بضابط فرنسي ومرافقه الصباغى ، عندما كانا يقومان باحدى المهمات على طريق وهران ، حيث خرج اليهما رجال من بنى عامر واعترضوا طريقهما ، ولكن ظهور دورية فرنسية على حين غرة حفظ عليهما حياتهما وأبعد طيف الخوف وبالتالي الموت عنهما ، فاقتفى رجال بنى عامر كما خرجوا فجأة .

الكتاب القديم

صور شمسية جزائرية

لا يكاد القارئ يفتح اليوم كتابا قديما ، يتحدث عن الجزائر في عصر من عصورها بلغة أجنبية ، حتى يجد نفسه قد انتقل إليها بالفعل ، يعيش ظروفها التاريخية المختلفة ، وأوضاعها الفكرية المتباينة ، ويستعرض معالم تقاليدها وعاداتها ، ويشاهد مبانيها ومساجدها وأزمته ، بل كثيرا ما يخيل إليه أنه يسمع حركة شوارعها ، وأصوات باعتهاء ، وصياح دلاليتها ، وأحاديث مقاهيها ، وأغانى أطفالها العراة ، ويشعر أنه يحيا في أجوائها الخاصة . ذلك أن المؤلف القريب ، الذى أتبع له أن يعيش فيها فترة من حياته ، كان حريصا على الحرص على ذكر جميع التفاصيل والجزئيات التى لا يهتم بها الكثير منا اليوم ، ويرى فى الحديث عنها ، فى أى مناسبة كانت ، ضربا من اللغو وإضاعة الوقت ، مع أنها تفتح أمام الدارس مجالا كبيرا لدراسة نفسية الشعب والتطورات التى تطرأ عليها بين وقت وآخر ، وتساعد على تفسير بعض

د . أبو العياد دودو

• لا تكاد توجد فى الجزائر نبذة واحدة غير صالحة للاكل أو للاستغلال وإن الأرض الجزائرية تتمتع بحياة فريدة ، تمكنها من احتضان نباتات كل من أوروبا وأمريكا دون عناية خاصة .

التصرفات المعينة في ظروف خاصة ، هذا بالإضافة الى أنها تربط حاضرننا بماضينا ، وتكون جزءا من تكويننا الخلقى ، وشخصيتنا القومية .

وهذا المؤلف الغزبي ينقل الينا حتى مشاعره نحو الجزائر ، فلملح بين سطورهِ وكلماتهِ ، بين جملة والفاظهِ الخوف حينا ، والحقد حينا آخر . ومن شأن هذا الحقد ايضا .. هذا الحقد التاريخي ان يفسر لنا بدوره مسلك بعض الدول والافراد تجاه الجزائر المعاصرة التي بدأت تستعيد مكانتها التاريخية وتستعد للقيام بدورها في بناء حضارة الانسان . فهناك أشياء كثيرة وتصرفات متعددة ليست جديدة ، وانما هي مواقف تاريخية كتب لها الاستمرار والبقاء ، سجلها غيرنا ولم نسجلها نحن .. لم يسجلها اجدادنا .

واذا كان اغلب من تحدث عن الجزائر من المؤلفين والرحالين الغربيين ، وخاصة في الفترة التي اعقبت الاحتلال ، قد اقتصر على مغالطة الجوانب المذكورة ، فان المؤلف النمساوي أدولف شترال قد تناول ، بالإضافة الى ذلك ، جانباً لم يتعرض اليه ، فيما أعلم ، غيره . فهو يقدم لنا في كتابه « صور شمسية جزائرية » ، الذي نشره في مدينة فيينا سنة ١٨٤٤ ، قصصا وحكايات عن الجزائر . قدم لنا في جزء منه شخصيات جزائرية واجنبية ، وحل عواطف بعضها نحو البعض الآخر ، وقد أخضع أسلوبه فيها لموجة الرومانسية التي كانت قد ظهرت قبل ذلك بسنوات ، كما صور طبيعة بعض المعمرين والجشع الذي حملهم على المجيء الى الجزائر .

وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة اقسام :
١ - يحتوي القسم الاول منها على القصص التالية :

١ - انتقام الحضري ، وهي قصة ملازم فرنسي جاء الى الجزائر في الشهر الثاني بعد

الاحتلال ، وقد لعبت برأسه طيوف الف ليلة وليلة ، وخيل له انه يستنشق روائح اللبسم ، ويرتاد ملاهى الرقص الشرقي ، ويعيش في نعيم ما بعده نعيم . وشاهد ذات يوم احدى نساء أحمد بن حمود ، وهو من أثرياء مدينة الجزائر ، فوق سطح المنزل المجاور لمنزله ، فهم بها ، وأخذت تبادل بعض الاشارات ، ولكن سيدها علم بأمرها ، ولزمها متلبسة بجريمتها ، غاستسلت له استسلام الحمامة لمخالب الصقر الحادة ، فمضى بها الى ضيعته قرب معسكر بير خادم ، وهناك انتقم منها في فجر احد الايام . وعند عودته ناداه احد الحراس مناداة برنردولفرنسكو في مسرحية هاملت ، ولكن أحمد بن حمود لم يجب ، نأطلق عليه الحارس النار وأرداه قتيلًا !

٢ - المعمر المخدوع ، يتحدث شترال في هذه الحكاية عن معمر قدم الى الجزائر ... بحثا عن الثروة والهناء فمر في طريقه ببناية ، يسكنها بضعة جنود فرضت عليهم الإقامة الجبرية ، فاقترب منهم وأعرب لهم عن رغبته في الحصول على منزل يكون قريبا من الجزائر .. وبعيدا عن النار والبارود ! وإذا بأولئك الجنود يعرضون عليه ، دون استشارة حارصهم ، التنازل له عن تلك البناية مقابل ستين فرنكا ودلو من النبيذ ! وعندئذ تجتاح المعمر موجة من السرور والبهجة ، ويهتز لهذه البداية البديعة . وحين يطلب منهم ان يقدموا له ضامنا على صحة الصفقة ، يجيبه احدهم : « هذا امر غير معمول به في هذا البلد . يكفى ان يقول المرء في ذلك : هذا البيت لى ! ونحن شهود ! » وهكذا تتم الصفقة بكل سهولة ، ولكنه ما كاد يستقر بها حتى جاء بعض الضباط وأخرجوه منها بالقوة .

٣ - مغامرة خطيرة ، وهي تصف لحظات حرجة مرت بضابط فرنسي ومرافقه الصباحي ، عندما كانا يقومان باحدى المهمات على طريق وهران ، حيث خرج اليهما رجال من بنى عامر واعترضوا طريقهما ، ولكن ظهور دورية فرنسية على حين غرة حفظ عليهما حياتهما وأبعد طيف الخوف وبالتالي الموت عنهما ، فاختفى رجال بنى عامر كما خرجوا فجأة .

L'ALGERIE

DANS l'Histoire de la Civilisation

Le Professeur Mustapha LACHERAF

(Texte d'une conférence prononcée le 14 novembre 1967 à « Las Salas nacionales de Exposición de la Secretaria de Estado de Cultura ».)

Parler de l'Algérie dans l'Histoire de la civilisation, c'est évoquer une dimension qui dépasse de loin le cadre géographique d'un petit pays pour s'étendre à une partie considérable de la Méditerranée et de l'Afrique. Mais la géographie, autant que l'histoire, ont été le tremplin privilégié de cette grande aventure de l'esprit, qui, dès l'aube de l'Humanité et au cours de siècles innombrables, a plongé ses racines et poussé de fécondes ramifications dans les cultures maîtresses de l'Ancien Monde, du Moyen Age et de l'ère moderne. Et la géographie, comme l'histoire, ne fut jamais, dans le destin maghrébin, cette fatalité inerte ou absurde à travers laquelle se fixe un choix millénaire et statique qui plie et asservit la volonté d'un peuple à un site, à un climat, à un habitat, à des horizons immuables. Certes, elle modèle les énergies ou les pénètre, au contraire, d'une douceur mortelle. Son relief bouleversé par des plissements heurtés ; la mer Méditerranée que les Grecs disaient violette et paisible mais que de brusques tempêtes désolaient périodiquement ; le Sahara, désert plus infranchissable encore que l'Océan ; les vents chauds ou la neige tourbillonnante et rageuse des hautes vallées ; la terre fauve et sèche des plaines semi-steppiques ; la terre fertile et sûre du Littoral, le tendre déploiement des collines boisées ; les trouées, couloirs naturels, passages abrupts, montagnes et piémonts contrastés ; les plateaux interminables ou resserrés, les fleuves irréguliers, les lacs salés et les eaux vives, les forêts nourricières dont la légende couvrirait le pays comme d'un recours contre les calamités du sol ; tout cela a laissé dans l'homme et dans sa mémoire des réflexes, des gestes, une vision des choses, une sensibilité ; pour tout dire, une marque plus ou moins indélébile mais jamais exclusive qui s'est longtemps traduite par l'effort tenace ou la terreur des cataclysmes imprévus ou la joie du travail récompensé ; des modes de vie et de subsis-

tance, des habitudes tour à tour guerrières et pacifiques, transhumantes et sédentaires ; le labeur incessant et parfois contrarié grâce auquel un paysage prend sa forme rassurante et utile, et une nation apprivoise la nature rebelle et triomphe petit à petit des forces titaniques que font peser sur elle un univers oppressant de pierres et de végétaux ; une nébuleuse inextricable et à peine entamée. Et l'histoire elle-même, liée à cet effort incommensurable et patient ; à cet élan par quoi l'espace hostile de la mer et les murailles rocheuses de l'Atlas et les sables nouveaux du Désert se transforment en routes familières, en jalons, en villes-greniers accrochées aux montagnes, en mouillages de fortune, en comptoirs permanents, en cités caravanières et en oasis de fraîcheur où l'eau profonde témoigne davantage de la création que du pur hasard, l'histoire elle-même, disons-nous, n'est plus cette suite paresseuse d'événements dont on s'est longtemps complu à illustrer les exploits des princes et des guerriers, les fastes et les honneurs : elle est l'expression laborieuse et sans fard de menus faits souvent prosaïques, l'enchaînement de réalités fugaces ou durables qui sont la texture quotidienne de la vie collective des hommes, de leurs travaux, de leurs peines, de leurs loisirs, de leurs recherches et de leurs découvertes les plus modestes, les plus pathétiques. Cette histoire ainsi considérée en dehors d'une optique événementielle que parfois la subjectivité dilate jusqu'aux dimensions du mythe et du panégyrique ; cette histoire donc, rude ou douce au toucher, âpre ou savoureuse, jamais indifférente ou fastidieuse, ressemble aux mille traits burinés ou gracieux, aux formes adolescentes ou vicieuses, aux rides les plus imperceptibles, au grain ténu de la peau, au teint hâve ou fleuri, aux flétrissures même et aux verrues d'un visage humain, d'un visage terrestre. Et quand c'est le visage d'un pays, se mêlent alors intimement la géographie encore à l'état brut ou façonnée par les besoins de l'homme, et l'histoire qui s'inscrit en termes secrets ou visibles sur la face de la terre et dans ses proches entrailles ; dans les moindres recoins du sol conquis par la

charrue, la pioche et la houe ; pacifié par le bornage, délimité, libéré des querelles agraires ; dans les restes d'un ouvrage hydraulique arabe ; à travers les voies continentales jalonnées de postes aujourd'hui effacés comme une mince traînée de graviers ; le long du « limes » romain, frontière intérieure dont le tracé archaïque mais rationnel séparait déjà et tout ensemble deux zones naturelles et deux genres de vie majeurs ; dans les pierres-mêmes qui cessent alors d'être muettes ou insensibles à la marche toujours recommencée, toujours disputée de la civilisation et de la barbarie. En effet, les ruines aussi, le roc dégradé, les pans dérisoires des anciennes murailles, les dalles usées, les strates amoncelées des villes mortes, les tessons de poterie, les morceaux de bronze, les éclats de verre, un fragment de mosaïque, une stèle gravée, un fût de colonne, un marbre tronqué, un noyau d'olive, un trop fragile grain de blé tout noirci, une lampe, un outil qu'on retire des décombres tassés et retassés par le temps, ces objets-là, ces squelettes de pierres, il faut que la civilisation les exhause, les élève au jour pour en faire de vivantes reliques et comme le fil renoué de sa lointaine genèse. Ainsi, l'histoire s'inventorie dans les cendres des villes et l'ortie des champs abandonnés en ramassant les humbles dépouilles sauvées du désastre, les témoins minuscules d'un monde aboli, et, ce faisant, elle se raconte avec autant d'éloquence si ce n'est plus, que les textes et les grimoires ; que les récits fabuleux dont les chroniques populaires sont prodigues ; que les savantes suggestions des chercheurs. Ici, l'événement est le contrepoint du fait social ancien, l'indice matériel d'un patrimoine enseveli, et quand il s'en tient à ce rôle, la clarté devient complémentaire d'une plus grande lumière paradoxalement tirée des profondeurs obscures de la terre, soustraite aux ténèbres millénaires des ruines ravalées et chaotiques, libérée d'un oubli opaque ou somnolent dans la pénombre de la mémoire collective. Et déjà les éléments premiers de l'existence historique d'un pays à l'origine des temps humains s'énoncent pour nous comme un alphabet, comme des hiéroglyphes qu'on déchiffre, et, à l'instar d'un alphabet, ils imposent déjà un moyen de culture alphabétique c'est-à-dire de civilisation balbutiante ; une connaissance peut-être naïve mais par laquelle tout commence quand l'homme, quand les sociétés primitives et plus tard outillées, s'initient de proche en proche à cette totalité géophysique à laquelle ils s'identifient eux-mêmes ; à cet environnement debris épars et de signes épelés ou reconnus ; à l'immense matériau cosmique dont ils sont à la fois et deviendront le produit aveugle ou sensible et le maître-d'œuvre aux mains sûres, à la conquérante. Car rien n'est à dédaigner dans

un tel inventaire ; dans cet amas hétéroclite et parfois sommaire et pitoyable comme les accès de théâtre d'une pauvre troupe ambulante. Tout y est, ne serait-ce qu'à l'état de symboles révélateurs ou didactiques, et chaque société, même la plus démunie, la plus hébétée par les solitudes stériles du Kalahari ou de l'Amazone, a sa part subjectivement magnifiée dans cet alphabet primordial, qui selon les latitudes, les époques, les infortunes et les cataclysmes, se multiplie comme le pain de la Cène qu'on s'amenuise ou demeure inchangé : réserve fruste et féconde de futurs insoupçonnés, ou rétrospective d'une préhistoire à jamais aboutie.

Est-ce par de tels chemins capricieux, le long desquels le Maghreb n'a cessé d'être évoqué en sourdine mais présent à chaque tournant, que nous atteindrons notre sujet ? A la vérité, tout converge vers cette Méditerranée qui fut le centre du Monde habité, et, sur les bords de la Mer Intérieure, vers ce Maghreb dont la présence physique, les transfigurations de l'histoire, le mécanisme dialectique des empires, des sociétés, des civilisations et des économies inter-continentales, ont longtemps fait un relais nécessaire, un carrefour vital, un haut lieu d'épopée, de réalisation humaine et d'avatars pour les peuples créateurs ou turbulents qui trouvaient là un champ illimité à la mesure de leurs rêves, de leur génie, ou simplement de leurs dévastations et de leurs errances. « Mondes péninsulaires de la Méditerranée » — c'est ainsi que le grand historien français Fernand Braudel appelle fort justement, en même temps que l'Afrique du Nord, d'autres régions géographiquement bien typées et autonomes — (L'Anatolie et les Balkans), et qui dépendent cependant à plus d'un titre du Bassin Méditerranéen. Ainsi, la science historique moderne a confirmé pour l'Afrique du Nord le nom que, déjà, au Moyen Âge, dès le milieu du VII^e siècle, les Arabes lui avaient donné. Péninsule, île, promontoire cyclopéen : la chose est la même sous différents vocables que suggère l'observation la plus perspicace. D'autres péninsules qui relèvent, celles-là, du sens propre le plus strict — l'Espagne, l'Italie — Complètent les éléments constitutifs de cette immense aire géographique et humaine de la Méditerranée dont le même Fernand Braudel prolonge les frontières envahissantes et vigoureuses jusqu'aux déserts froids et chauds de l'Asie et de l'Afrique. « Le Sahara, second visage de la Méditerranée », dit-il quelque part.

Nous ajouterons quant à nous, qu'en plus de son caractère physique sinon humain de « péninsule », l'Afrique du Nord est aussi un sous-

ب - اما القسم الثانى فيتضمن بدوره الحكايات
الآتية :

١ - **الساحر** ، يعترف المؤلف فى مقدمة هذه
الحكاية انه استمدّها من مذكرات رجل عاش فى
الجزائر مدة تزيد عن ثمانى سنوات ، ويروى
قصة عراف كرفلى ، حدث جلساءه عن نتائج
حملة قسنطينة الثانية قبل القيام بها بمدة
قصيرة ، ووصف مراحل معاركها ، ووقوع قائد
الحملة عن ظهر فرسه واصابته وموته ، وتنبأ
كذلك للفتاة نجمة بمستقبلها مع حبيبها
الفرنسى !

٢ - **صيد الضباع فى نواحي الجزائر** .
فى هذه القصة يصف المؤلف لحظة يلتقى فيها أحد
الصيادين بالضبع فى منطقة حسين داي ، فيكتشف
ان بنديقه غارغة وان حزامه خال من الفخيرة !
واجمل ما فى هذه الحكاية هو تحليله لمشاعر هذا
الصيد ، حين يدرك الخطر المحدث به ، ويشعر
بالحيوان يلقيه أرضاً ، فيتصور القمر يدور فى
حلقاته ، والنجوم تتعاقب متراقصة فى سمر
غريب ، وذلك بعد ان احس بشعر الحيوان يلامس
وجهه وينشر فيه البرودة والجمود .

٣ - **حسن واسماعيل** ، وهى قصة العربى ،
اسماعيل ، الذى ضحى بابنه حسن ، لانه تغدى
على حرمته عندما قتل ضيفه احمد حقداً وغيره .
فقد كانت تعيش فى خيمته فتاة ، تدعى عائدة ،
يحبها حبه لبنته ، وكانت تبادل احمد حبا بحب ،
الا ان احمد اكتشف ان مضيفه ينوى تزويجها من
ابنه حسن ، ولذلك قرر ان يتركه ويرحل عنه .
فاجتمع قبل رحيله بعائدة وحدثها بما عزم عليه ،
فألحت عليه فى البقاء ، الا انه رفض ان يسيء
الى مضيفه بأى شكل من الاشكال . وراه حسن
فى موقفه ذاك ، فحقد عليه . ولما عزم احمد على
السفر ، عرض عليه ان يرافقه مسافة من
الطريق ، فكان ذلك آخر عهد اسماعيل بمضيفه .
وما ان عرف نهايته حتى صمم على استرداد
كرامته التى دنسها ابنه امام القبائل الاخرى .
وهذه القصة اروع ما فى الكتاب على الاطلاق ،
ويجد القارئ ترجمتها فى مكان آخر .

٤ - **اليهود فى افريقيا** ، يحتوى هذا العنوان
على ثلاث حكايات عن علاقات اليهود ببايات
تونس ودايات الجزائر ووهران . وقد ركز
المؤلف حكاياته فى معاملات اليهود التجارية التى
تقوم عليها كل علاقاتهم بها فى ذلك العاطفية منها .
ج - يتضمن القسم الثالث من هذا الكتاب
القديم :

١ - **نبذة عن تاريخ الجزائر** . ويتحدث المؤلف
فى هذه الدراسة عن أهمية الجزائر وكبر مساحتها
وحدها ، ثم يعدد أسماء أبطالها والدور الذى
لعبوه فى تاريخ الجزائر القديم ويذكر الدول
المختلفة التى تعاقبت عليها خلال العصور
الطويلة ، وينهى هذه النبذة بالحديث عن سنوات
الاحتلال الاولى .

٢ - **مملكة النباتات فى الجزائر** ، تحت هذا
العنوان يتحدث المؤلف عن طبيعة بلاد الجزائر ،
ويشير فى مقدمة مقاله الى انه لا تكاد توجد فى
نواحي الجزائر نبتة واحدة غير صالحة للاكل او
للتجارة او للاستغلال فى المعامل ، وان الارض
الجزائرية تتمتع بحيوية فريدة ، تمكنها من
احتضان نباتات كل من اوروبا وامريكا دون عناية
خاصة ! ثم يذكر الاشجار المختلفة والثمار
المتنوعة التى تنشر عطورها وروائحها الزكية فى
اتجاه اشعة الشمس الرائعة ، ويؤكد ان لكل
شهر براعمه وثماره وان نتائج الارض الخصبة لا
ينقطع ابداً بصورة تامة . ان المؤلف فى مقاله
هذا يجد خصوصية الجزائر وما تقدمه لاهاليها من
خير ونعمة وعطاء .

٣ - **الجزائر فى صورتها الحالية** . يحاول
شترال فى هذا المقال ان يقدم صورة عن الجزائر
بعد الاحتلال ، فيتحدث عن بعض الصناعات
الوطنية ويصفها بأنها لم تتعد بعد مرحلة الطفولة ،
ثم يشير الى ما طرأ على طبيعة الجزائريين من
تحولات بفعل احتكاكهم بالدخيل الاجنبى ، من
ذلك انه لا يوجد من يفوق الجزائري فى تعاطيه
للنبيذ ، فهو لا ينقطع عن تناول الخمر الا عندما
يفقد الشرارة الاخيرة من وعيه ! وبعد هذا يرسم

المؤلف صورة للجزائر ببنائياتها الجديدة ،
وشوارعها الحديثة وطرق مواصلاتها ،
وحركتها المعمارية المتزايدة ، التي تجعل الانسان
يشعر بأنه يعيش في مدينة أوروبية ، ومنجزاتها
بعد ثمانى سنوات من الاحتلال .

٤ - **حمام حضري** . يتحدث المؤلف هنا عن
تجربة دخوله الحمام ، فيصف داخله ، وجدرانه
المغطاة بالمرمر ، وغرفته ، وزواره وعملية
الاستحمام من أولها الى آخرها ، ويحلل مشاعره
تجاه كل ما شاهده واختبره جسدا وعقلا لأول
مرة !

٥ - **حضريات الجزائر** . يتناول شترال في
هذا المقال بعض مظاهر المرأة الجزائرية ، ويقدم
وصفا لحياتها المنزلية ، وخروجها لحضور
الحفلات الدينية التي كانت تقام يوم الاربعاء
من كل اسبوع ، او لزيارة قبور الاولياء ،
وللثياب التي ترتديها في مثل هذه المناسبات ،
ويستعرض حتى الحركات التي تصدر عنها عندما
تريد ان تلفت الانظار اليها أو تعرف بنفسها أو
تظهر رشاقة قوامها بشكل معين .

٦ - **سهل متيجة** . يعود المؤلف لتجديد
الطبيعة الجزائرية ، فيتصور سهل متيجة حزاما
غاخرا تحترم به منطقة الجزائر تارة ، ويتصوره
في بعض فصول السنة بساطا اخضر تطرزه
الازهار والورود تارة اخرى ، ويرى في آثار
الضياع والقنوات ما وصل اليه سهل متيجة من
ازدهار وعمران خلال العهد الماضي .

وينفى ما ذكره البعض من أن سهل متيجة كان
حتى وقت غير بعيد مرعى لقطعان العرب لا غير .
وبالتالي يصف الضجة التي قامت حول متيجة
بعد الاحتلال ، وذلك حين أراد كل معمر ان يكون
له نصيبه في خصبها وتربتها المعطاء !

٧ - **قبر الرومية** . يصف شترال موقع هذا
الضريح ، ثم يروي الاسطورة التالية :

قبل زمن طويل كان يعيش بين أفراد قبيلة
حجوط رجل سعيد يدعى يوسف بن القاسم .
وكانت امراته جميلة خيرة ، وكان ابناؤه في صحة
وعافية ، يدينون له بالطاعة . وكان هو نفسه
محاربا شجاعا ولكنه وقع ، رغم شجاعته هذه ،
أسيرا في أيدي النصارى ، فآخذوه الى بلادهم
وباعوه رقيقا . وكان سيده رقيقا به . ومع ذلك
فقد كان يوسف يشعر بشقاء كبير ، وما أن يتفكر
ما فقدته حتى تنفجر الدموع من عينيه .

وذات مساء اشتد به الحزن بعد انتهائه من
عمله ، فجلس تحت شجرة وأخذ يناجي نفسه
قائلا : « ويلاه ، من سبزرع حقل في الوقت الذي
أزرع فيه أنا هنا حقل غري ؟ وما هو مصير
زوجتي وأطفالى الآن ؟ - هل سأحرم من رؤيتهم
مرة أخرى ، وهل سأنهى حياتي بين الغرباء ؟ »
وبينما هو في مناجاته هذه ، رأى ساحرا مقبلا
نحوه . ولما اقترب منه قال له : « من أية قبيلة
أنت ، أيها العربي ؟ » يوسف : « أنا حجوطى . »
« لا بد أنك تعرف ضريح قبر الرومية ! » « آواه !
انى لاعرفه معرفة جيدة ! - ان مغزلى ، الذى
تركت فيه دلا ما هو عزيز على ، يقع بعد ساعة
من ذلك الضريح . » « اتريد ان تصود الى
اهلك ؟ » . « أتسألنى هذا السؤال ؟! ولكن لم
الحديث عن امر لن يكون أبدا ! » « ان ما سأمر
به ليس امرا مستحيلا . فغنى امكاني ان افتح
لك طريق العودة الى الوطن واتودك الى
أسرتك . ولكنى اطلب منك في مقابل ذلك عملا .
فهل أنت على استعداد للقيام به ؟ » « تكلم وكن
على يقين - اننى سأفعل كل شيء من أجل
الوصول الى أسرتي . أنا على استعداد للقيام
بكل ما يرضى ضميرى . » . « كن على اطمئنان
فيما يخص هذا . اعزنى الان سمعك ليتضح لك
ما أريده منك : سأحررك في هذه الساعة وأهوى
لك سبيل الوصول الى الجزائر . ولك ، بعد
عودتك ، ان تعيش بين أفراد عائلتك ثلاثة أيام
على ان تذهب في اليوم الرابع الى ضريح
قبر الرومية ، وتشعل نارا صغيرة ، ثم تحرق
الورقة التي سأسلمها اليك . ها أنتذا ترى ان
هذا من السهولة بمكان . انقسم لى اذن بانك
ستفعل ما اطلبه منك وسأمنحك حريتك في الحين »

فجعل ابن القاسم ما طلبه منه الساحر ، واخذ منه ورقة تحوى على حروف ورسوم لم يتوصل الى فهم دلالتها . واستعاد حريته في اليوم نفسه ، نقاده ولى نعمته الى مرفأ ، ركب منه الى الجزائر . فلم يبق بها سوى لحظات من شدة شوقه الى رؤية اهله ، وسافر في الحال الى منطقة قبيلته . وفي وسع المرء ان يتصور البهجة التي عمت أسرته ! وقد تقاطر اليه اصداقؤه ايضا ليشاركوه فرحته بعودته ، فظل منزله مزدحما بالضيوف لمدة ثلاثة ايام .

لمحرره ، فتوجه مع الفجر الى ضريح قبر الرومية واشعل النار ، واحرق الورقة الغريبة كما امره الساحر . وما كادت النار تأتى على الورقة ، حتى اعترته دهشة كبيرة . فقد برزت من شقوق الضريح آلاف القطع الذهبية والفضية ، كأنها اسراب نحل اقمزها حادث ما فطارت على غير هدى . وبقيت هذه القطع تحوم حول الضريح مدة ، ثم غرت اتجاهها فجأة وسارت نحو بلاد النصرى ، وقد اتخذت شكل عمود لا نهاية له ... تماما كما تبدأ الخطاطيف او طيور الهجرة رحلتها البعيدة .

وكان ابن القاسم ينظر بالأم كيف تطير هذه الثروات كلها فوق راسه ، ثم راح يقفز . محاولا ان يمسك البعض منها . وبعد ان اتعب نفسه دون فائدة ، خلع برنوسه ورمى به في الجو ، فاستطاع بهذه الطريقة ان ينزل حوالى مائة قطعة فضية وعشرين قطعة ذهبية . وما كادت هذه القطع تلامس الارض حتى غلق الكنز ولم تتسرب بعد ذلك اية قطعة خارج الضريح .

ولم يحدث ابن القاسم احدا عن مغامراته هذه باستثناء عدد قليل من اصداقائه ، ومع ذلك فقد سمع الباشا بذلك وارسل العمال لهدم الضريح والاستيلاء على الكنز . الا أنه ما كادت تسقط ضربة المطرقة الاولى ، حتى ظهر شبح على شكل امرأة فوق قمة الضريح واخذ يصيح : « علولة ، علولة ! تعالى الى وساعدنى ! انهم ينهبون كنوزك . » فلبى نداها سرب من البعوض بحجم

الجرذان العادية ، وخرج من البحيرة المجاورة وطارد العمال بلسعانه القوية الحادة . ومنذ ذلك الحين فشلت جميع المحاولات التي استهدفت فتح ضريح قبر الرومية . وقد ذكر الحكماء انه لن يتمكن غير النصارى من استلام الكنوز التي بقيت داخل الضريح !

د - في القسم الرابع والآخر يتحدث المؤلف عن مجموعة من المدن الجزائرية ، فيذكر شيئا من تاريخ قسنطينة بعد الاحتلال ، ويصف موقعها وجسورها وشوارعها وما فيها من بنايات وقصور ، وينوه بحيوية تجارها وصناعها ، ثم يتعرض لتاريخها في العصر الرومانى والعصور التي تلتها بصورة مختصرة . ويذكر مثل هذا او قريبا منه عن مدينة وهران ، وغنابة ، وبجاية ومعسكر ، وشرشال ، ومستغانم ، والقل ، ومليانة ، وندرومة ، وينهى ذلك بالحديث عن آثار تكدست ومعامل الاسلحة ، التي نقلها الامر عبد القادر اليها .

وصاحب الكتاب يقدم آراء حول الجزائر بصورة عامة ، الا انه لا ينبغى ان يفهم من هذا ان تلك الآراء صائبة دائما ، وانما هو يخطئ احيانا كما أخطأ غيره قبله او بعده . ويرجع خطأه اما الى القاصر بالافكار الخاطئة التي كانت تشيعها . الذهنية الاستعمارية في ذلك الحين او الى سطحية الملاحظات عن الجزائر ونفسية سكانها . وهذا النوع من الآراء خاضع ، على اية حال ، للمناقشة والرفض .

واذا كان لى ان اقدم نموذجا من القسم الاول الذى يتضمن قصصا وحكايات ، وهو شيء جديد بالنسبة لى على الاقل ، في الدراسات التي نشرت عن الجزائر في القرن الماضى ، فانى اختار القصة التالية ، وهى « حسن واسماعيل » وقد اشرت اليها وقدمت خلاصة قصيرة لها اثناء عرض الكتاب .

كانت هناك عدة خيام قد ضربت تحت أشجار الطلح ، التي نفضت أغصانها من حين لآخر قطرات الصبح ، فتلتمع كالزبرجد في ألح الشمس المغاربة ، وقد جلس أمام تلك الخيام خمسة أشخاص ، هم : الشيخ اسماعيل ، وهو عربي لا يزال ، رغم تقدم السن ، يحتفظ بوقته ونشاطه ، وزوجه ، وابنه حسن ، وفتاة شابة ، وغريب يرتدى الزي التركي .

كان الشيخ قد حدث الغريب قبل ذلك بقليل عن السبب الذي جعله يلحق الفتاة ، وهي بنتمة فقيرة ، بأسرته . وبعد أن قبلت عائدة يد مربيها ، وأصل الشيخ حديثه قائلاً وقد أدار وجهه نحو الغريب :

— لقد أتبع لك أكثر من مرة أن تلاحظ ، خلال المدة التي أقمتها معنا ، مدى جبي لعائدة ، أليس كذلك ؟ — أتى اعتبارها ابنتي وأرجو أن —

ظن حسن أن كلمات أبيه تعنيه هو لا غيره ، ولذلك ألقى على عائدة نظرة متشبهة ، فاهتزت الفتاة وارتعدت فرائسها كما لو أن هبة السموم المجرقة قد ألهمت بها . أما الغريب فقد أطرق مفكراً . أن كلمات الشيخ الواضحة ونظرات حسن قد أثارت في نفسه مشاعر لا توصف . وعندما انتهت الجلسة اقترب من الفتاة ، وهمس في أذنها كلمة لم يفهمها سواها ، ثم ابتعد ، وعلامات الحزن بادية عليه ، دون أن يهتم بما ارتسم على جبين حسن من مخالب الغضب والعنف .

لم يخطر بباله ، منذ أن سكن منزل هذا العربي ، أن عائدة يمكن أن تكون عرومين حسن ، ولهذا أطلق اللعان لحبسه . كان هو الوحيد الذي نجا من السموم التي قضت على القافلة ، فوجد عند هؤلاء الناس الطبيب كريماً حقيقياً وضيفة أصيلة ، وتعود على الحياة البسيطة الهنيئة إلى درجة أنه لم يفكر خلال ذلك في الانفصال عنهم ، وكانت عائدة تحبه ، إلا أنه عرف ، في الوقت الذي أراد فيه أن يفتح قلبه للشيخ اسماعيل ويطلب منه يد ربيبه ، أن عائدة مخطوبة لشخص آخر .

وهكذا قرر ، وذلك لكيلا يحول بين الشيخ وبين تنفيذ ما عزم عليه ، أن يضحي بحبه لعائدة من أجل المحافظة على واجبات الضيافة ، وأن يهجر الأسرة إلى الأبد ، ولكنه أخفى ذلك عن الشيخ اسماعيل حتى لا يسوء إلى كرمه ، وحسن ضيافته ، ولم يذكر له الحقيقة كاملة ، وإنما جعله على الاعتقاد بأنه سيعود إليه بمجرد أن تسمح له أعماله بذلك .

وعندما عاد جميع أفراد العائلة إلى شامهم ، ترك الغريب حبيته وأتجه إلى العين القريبة . كان الليل هادئاً ، وكانت الحشرات تلعب بين الأعشاب كنجوم السماء . وفي تلك اللحظة تهادت فوق المرح قائمة رائحة — ها هي العروس تقف أمام أحمد ، فيقول لها :

— أتى أحبك ، ويسعدني أن نبادلني هذا الحب ، ولكن بما أن الشيخ اسماعيل قد اختارك لتكوني زوجة لابنه ، فيجب أن تكوني زوجته . ولا يبق لنا نحن الاثنين أن نقضى على آماله ، لانه ولي نعمتنا .

— أعجبت الفتاة ، وهي تحاول أن تجد في نظرات أحمد ما يثبت دعواتها :

— ولكن حسن لا يحبني ..

— تقولين أنه لا يحبك ؟ ألم تلاحظي نظراته المشتهية عندما أعلن اسماعيل أنك خطيبة ابنه ؟

قالت :

— انصت ! هناك حركة بين الإغصان .. فاجاب الشاب :

— لعله حيوان يصفي إلى حديثنا من مريضه ..

ثم أضاف :

— هذا آخر لقاء لنا .

فساءلت عائدة :

— ما ذا تريد أن تفعل ؟

— انها مشينة الله — سأسافر —

— ما هذا الكلام يا أحمد ؟ أتراك نسيت ؟ ..

— لم أنس أنك جديرة برجل ، هو ابن ولي نعمتنا الذي أقدمت معنا خبثته وخيظه . لم أنس أن ناكز الجليل أسوأ من ذلك الذي لا يقرى ضيوفه . ومع ذلك فإن هذا الآخر نفسه يغضي إلى الله ، فيما يالك بناكز الجليل . — عائدة ! اعتبريني منذ الآن أخاك !

أخذت الفتاة المسكينة رأسها ، واعترفت أمام نفسها ، والدموع تنهمر من عينيها ، أن أحمد على صواب . واعتراها الفرع فجأة وقالت ، وهي تشير إلى الأدغال القريبة منهما :

— انظر يا أحمد ! أليست هذه نظرات الفهد النارية ؟ فمسك أحمد مقبض خنجره ، واتجه نحو المكان الذي أشارت إليه عائدة . وحين اقترب من الأدغال سمع خطوات هارب يبتعد . ولا رجع إلى عائدة قال لها :

— انها غزالة ..

— أضاف بعد لحظة :

— سأترككم بعد يومين . وإذا قلت لك ، يا عائدة ، أني سأعود بعد فترة قصيرة ، فلا تصدقيني : سأتركك إلى الأبد .

— ولكن كيف يمكن أن أكون زوجة لحسن ، وأنا أحب غيره ؟ — وأنت نفسك .. أنا يا عائدة ؟ أتى أحبك حباً فاعترضت الفتاة :

صادقا ! ولكن لا أحب خطيبة حسن .. فلتقطع هذا الحديث
عودى الى خيمتك ! لقد استخرفت الله ، وهذه إرادته ..
الا تريدن طاعته ؟

اجابه عائدة :

— نعم .. لقد قال كلمته على لسانك ؟

وابتعدت عائدة بعد هذه الكلمات . اما احمد فقد بقي
واقفا في مكانه كأنه مقروص في الارض ، وعيناه تتبعان عائدة
الذاهية . وعندما اختفت تحت خيمتها خيل اليه أنه رأى
شيئا يقترب منها . وبعد يومين ودع الغريب الأسرة ،
وكانت عائدة عاجزة تقريبا عن اخفاء اليها عندما تحدث احمد
عن رجوعه القريب ، لانها كانت تعرف معنى ذلك .

وفي اللحظة الذي كان فيها احمد يهيه نفسه للسفر ،
ظهر حسن ممطيا صهوة جواد ، واقترب منه وقال :

— اسمح لي ايها الاخ ، يرافقتك حتى تلك العين .
فقال الشيخ العربي :

— احسنت يا بني ! رافق ضيفنا .. حفظه الله وأعاده
الينا قريبا ..

كانت عائدة لا تزال منتصبه كالتمثال في المكان نفسه
بعد ان اخفى الراكبين عن نظراتها المتطلعة ببدء طويلة .

قال اسماعيل لزوجته وهو ينظر الى الفتاة مبتسما في
اعجاب :

— سجد حسن فيها زوجة رفيقة طيبة .

ولكن المعجوز أطرقت مفكرة ولم تجب . وفي المساء عاد
حسن الى البيت . ومرة الايام التالية ثقيلة بطيئة . فقد
ترك سفر احمد فجوة محسوسة بين افراد الأسرة التي احبته
باستثناء حسن الذي أبدى ملاحظة خبيثة ، وهي أنه لا
يستطع أن يفهم كيف اختفت البهجة من وسط الأسرة باخفاء
الغريب . ولكي الشيخ قال :

— ان يد الله ، التي قادت الغريب الى خيمتنا ، قد
ادخلت البهجة الى وسطنا . ذلك ان وصول المسافر انما
هو هبة من الله . وانى لارجو أن يعود احمد قريبا ، فقد
أباح لي أكثر من مرة بأنه يأمل أن يحصل على زوجة من بين
بنات قبيلتنا .

اجاب حسن ، وهو يلقي نظرة نافذة على عائدة المرتجفة :

— ان العين الشريرة تنقنا وتضع الفسادة على ابصارنا وتشل
حركتنا كالهوة تحت اقدامنا . ان الضيافة عيباء ، والله لم
يضع على جبين أى انسان علامة تدل على أنه خير أو
شرير . الا تشبه الحية الوديمة الاعمى السامة ؟؟
فقال اسماعيل يشدة :

— ارجوك يا ابني ، الا تتضمن كلماتك اتهاما ضد الغائب
الذى لا يستطيع أن يسمع ولا أن يدافع عن نفسه !

— هل تقتضى الضيافة أن يصبح الغريب ابنا اضعفه
وبعدو الابن غريبا ؟

— الك ، يا ابني ، لنحمل معك افكارا شريرة : أنت
غيران . فهل يستلقي الغريب ، عند عودته ، فيك عدوا ؟
— وكيف يكون الامر اذا كان الغريب يحب خطيبة
ابنك ؟

— في هذه الحالة سأترك الفتاة حرية الاختيار بين الاثنين .

— اذن .. فلا أعاد الله الغريب ابدا ! ..

قال الشيخ العربي ، وهو يترك مكانه :

— طهر الله قلبك من الحسد الجائم فيه .

ثم سار اسماعيل وقد قطب ما بين عينيه ، وأثقل صدره
الظن والهم . وفي صبحه اليوم التالي ترك مضرب خيامه ،
ولم يعد اليه الا بعد يومين . كان وجهه شاحبا ، وحاجباه
تقاربان في أغلب الاحيان وبصورة متشنجة . وعندما اجتمعت
الأسرة لتناول الطعام ، قال اسماعيل للعربي الشاب بهدوء :

— لماذا لا تحيل خنجرك في حزامك ، يا حسن ؟
فاجاب حسن في ارتباك :

— لاأدرى ، يا ابني ! يبدو انى نسيت أن أغرزة في
جزامي !

— امض للبحث عنه ، يا بني ! فاننا اريد أن أقارنه بخنجر
آخر عثرت عليه يوم أمس .

قال حسن ، وهو يحاول أن يتمالك نفسه :

— انى أفقد الخنجر ، يا أبى منذ بضعة أيام . وأذكر
انى انخبت مرة لأطيل الركاب . فاضعت خنجرى ، ولم
أعثر عليه .

فأرى اسماعيل ابنه خنجرا ، أخفى سفرته عنه :
— اهو هذا ؟

اجاب حسن في حزم :

— نعم انه هو .

فقال اسماعيل ، وهو يلقي نظره النافذة بحسن :
— انظر الى هذه الشفرة !

فراجع حسن فرعا عند ما رأى الشفرة المألوفة بالسهم
والصدا . فنهض الشيخ وهو يقول :

— والان اتبعنى !

وسارا الرجلان صامتين جنباً الى جنب ، وعندما اجتازا
أشجار الطلع والجبيز ، توقف اسماعيل فجأة وقال بصوت
جليل رزين :

— ابن تركت الغريب ، يا حسن ؟

— قرب عين الملح .

— هل تعرف ما اذا كان قد حل به مكروه ؟

— وهل لي أن أعرف ما اذا كانت نمر الصحراء قد رفقت به ؟

فصاح الشيخ بصوت غاضب وقد التبتع عيناه كالبرق :

— حسن ! وهل للنمر خناجر ، وهل يغتال الشجاع من خلق ؟!

— عندما ينسل الثعبان الى الخيمة ، فإن الانسان يسحقه بدون رحمة .

— حسن ! لقد قتلت ضيف ابيك ..

فصاح حسن وقد فقد السيطرة على نفسه :

— أجل . لقد قتلت الشقى الذى خدع مضيفه وكافأ جيله بالخيانة .

ثم روى له اللقاء الأخير الذى تم بين أحمد وعائدة .. مستنجا كل شيء من حركاتهما وإشارتهما ، لانه لم يسمع حديثهما .

وكان اسماعيل يصغى اليه بانتباه ، وبعد ذلك أخذ يندقيته تحت ذراعه وهك الصوانة يابهامه ثم غرز طرف البندقية فى الأرض وانكأ عليها وقال :

— حسن ! ان الضيافة واجب مقدس ، ومن اغتال ضيفه ولو كان مجرماً ، حل به عقاب الله . لقد جلبت على الحار ! قتلت الرجل الذى كنت تسميه « أخا » بطريقة غادرة دنينة جبان . واذا كنت متيقناً من ذنبه وعدالة عقابه فلماذا لم

تتهمة أماننا وتهاجمه علاناً ؟ ها انذا أجيبك على ذلك : انك لم تقتله بعيداً عن خيامنا لانك تخاف أن ينسب دم رجل شرير أرضنا المضياف ، وانما قتلته لانك كنت تعرف انى اصغى الى صوت العدالة لا الى ما تلمبه نزوة عمياء . لقد تركت بذرة الافكار الشريرة تنمو فى وجدانك والتمزمت الصمت الفادر . فبينما كنت تقدم بمرآك للضيف الوائق بك ، الذى كنت تسميه « أخا » كانت يمينك تتلمس رأس الخنجر . لقد نسلك كالكلب الحقر لتقبل يد ذلك الذى كنت تريد أن تقتله . فراققت الغريب بدعوى أنك تريد أن تدافع عنه وتحميه ، ثم عززت الخنجر بين كتفيه ، ولملحه كان فى تلك اللحظة يدعو لضييفنا المضيافة باليمين والبركة ! غالظت ذنبك اذن اذا طردت قبيلتى وارغمت على اللجوء الى القبائل المجاورة التى ستحتقرنى بحق وتشير الى بالبنان وانى لاسمع الآن الاطفال يسفرون من « اسماعيل المضياف » بينما الشيوخ يوجهون الى السؤال الذى وجه الى اول من أجرم فوق الأرض : « ما ذا فعلت بأخيك ؟ » . لا ينبغي أن يحدث هذا ! أريد أن أسير مرفوع الرأس وأن يكون فى وعسى أن أعرض على ابن السبيل ضييفى . فلتضكم الان الى الله . وغدا ستحكم بيننا القبيلة فى اجتماع أفرادها جميعاً . اتنعنى !

وعندما رجع اسماعيل الى خيمته ، اعترضت طريقه زوجته باكية ملوحة يديها ، وصاحت بصوت راى :

— ماذا فعلت يا اسماعيل ؟

فأجاب الرجل ، وهو يضع يده فى جيبه فى احدى زوايا الخيمة ويخفى رأسه فى ثيابا ثيابه :

— لقد سلمت المذنب الى قاضيه وانقذت شرف قبيلتى !

ومنذ ذلك اليوم لم يظهر أثر لحسن قط ، ولعل أباه قد أبعد عنه ، فى سورة غضبه ، الى الأبد .

د . أبو العيد دودو
أستاذ الأدب بالجامعة



سياسة التوسع

دور اليهودية

العالمية في

الإسرائيلي



إسرائيل الكبرى كما حددها هيرتزل

الكتور

لصام الصفي

لعب المال وما زال يلعب دورا رئيسيا في قيام دولة إسرائيل وفي استمرار بقائها، وقد بدأ هذا الدور عندما أبدى هيرتسل رغبته في إنشاء بنك صهيوني (صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار) ، ثم تزايد دور المال بشكل مطرد مع عمليات شراء الأراضي في فلسطين (الصندوق القومي اليهودي) ، وإقامة المستعمرات من قبل الوكالة اليهودية وإشراف هذه الوكالة على تنظيم وتحويل عمليات تهجير يهود العالم إلى « الأرض الموعودة » في فلسطين .

وقد كان الجانب الرئيسى من الاموال يجمع من تبرعات اليهود ، وخاصة يهود الولايات المتحدة . وباحصاء اولى بلغت الاموال السبى تبرع بها يهود العالم لاسرائيل منذ انشائها عام ١٩٤٨ حوالى ٣٥ ملايين من الدولارات ، يضاف اليها ما قدمه اليهود من قروض لها تقارب ٥٠ مليار من الدولارات او ما قدمته المانيا الغربية من تعويضات نقدية وعينية . كل هذه الحقن المالية تشير الى ان اسرائيل لا تستطيع الحياة بدون المساعدات الخارجية .

بلغت موجة التبرعات فروتها عقب حرب عام ١٩٦٧ ، فكانت حسب وصف ناخوم جولدمان رئيس « المؤتمر اليهودى العالمى » دليلا على خوف اليهود على اسرائيل ، وتعبيرا عن الفرح الذى امتلكهم بعد الانتصار ... ومهما كانت التفسيرات التى يقدمها قادة الحركة الصهيونية : من ان التبرع بالمال يعتبر بمثابة ضريبة « الدياسورا » اى ضريبة على يهود العالم الذين يعيشون خارج اسرائيل ، او ان كل يهودى يتكفل بكل يهود العالم ، او ان لاسرائيل جيشان : احدى فى اسرائيل ، واحتياطى موزع فى ارجاء العالم ... الخ - تبقى هناك حقيقة اساسية مفادها انه فى كل مرة تشعر اسرائيل فيها بالخطر يتوجب على اليهودية العالمية ان تظهر استعدادا مماثلا للتضحية بالمال . لذلك سيكون من مصلحة اسرائيل استمرار حالة التوتر فى الشرق الاوسط هذه الحقيقة يعترف بها جولدمان ، ويؤكدها جوتفريد هامر - احد كبار قادة الصهيونية فى الولايات المتحدة - بقوله : **عندما يسيل الدم يسيل المال ايضا** » ومن البديهي ان استمرار حالة التوتر يؤخر نمو وتطور البلاد العربية المجاورة ولضمان استمرار يهود العالم فى التبرع لاسرائيل ، يحرص زعماء الحركة الصهيونية على ترسيخ الزعم القائل : « بأن بقاء الشعب اليهودى الموزع فى العالم يتوقف على استمرار وبقاء دولة اسرائيل » ، وان انشاء دولة اسرائيل غاية الاولى ضمان الوجود اليهودى « ، وبالتالي يجب على كل من يريد الحفاظ على يهوديته ان يساعد اسرائيل . وهذا ما يطلقون عليه اسم « ضريبة الدياسورا » . ولقد ثبت ان يهود العالم اخذوا يشعرون بالضيق من الضريبة

الثقيلة المفروضة عليهم ، والتى لا يعرفون متى تنتهى جبايتها منهم . علاوة على ذلك اصبح على اليهودى الساكن فى فرنسا مثلا اداء ضريبتين : ضريبة الى الدولة التى يحمل جنسيتها ، واخرى الى اسرائيل . هذه الحقيقة تعكس جانبها من الصراع الداخلى الذى يعانيه ذلك الفرد من ازدواج فى الولاء الى المجتمع الذى ولد وعاش فيه ، والى اسرائيل التى لم تقع عينه عليها قبل اليوم .

من الواضح ان التبرعات لليهود اتسعت عقب الحرب العالمية الثانية وبعد ان استغلت الصهيونية العالمية قصة الانسحاب النازى الى ابعد مدى لدى الشعوب التى تقيم فيها جاليات يهودية . فالتبرع كان اصلا نتيجة لردود انسانية بحثة . وكانت غايته التخفيف من مصائب الافراد ومساعدتهم . اما ان يتحول التبرع من مساعدة الافراد فى مجالات الصحة والثقافة والاجتماع الى دعم دولة - كما هو الامر فى المساعدات الالمانية والتبرعات الامريكية - نصبت نفسها وريثا ليهود العالم ، فيعتبر حتى فى رأى بعض المسؤولين الاميركيين تحولا خطيرا وغير شرعى . خاصة وان اموال التبرعات فى أمريكا تخصم من التكلفة الضريبية . ويشترط عندها ان تذهب التبرعات الى مؤسسات انسانية خيرية . والوكالة اليهودية التى تتصرف فى اسرائيل باموال التبرعات ما هى الا منظمة حكومية وعميلة اجنبية لدى حكومة الولايات المتحدة .

نظر العرب الى التبرعات اليهودية العالمية والى اعتماد اسرائيل الشديد على عناصر خارجة عن المنطقة بأنه برهان قاطع على ان دولة اليهود تشكل جسما غربيا ، وانها راس جسر للاستعمار فى قلب المنطقة العربية . فاموال التبرعات التى تنصب على الوكالة اليهودية تحمل عن ميزانية الحكومة الاسرائيلية جانيا ضخما من اعبائها . وبذلك تساعد التبرعات الحكومة الاسرائيلية على تحويل وشن سلسلة الحروب العدوانية التى لم تنقطع منذ عام ١٩٤٨ هذا من الناحية المالية السبى لا تنفصل عن الناحية البشرية فى الصراع العربى الاسرائيلى . اذ ان الحروب التى شنتها اسرائيل على الدول



**ميرتزل : مهمتنا نقل شعب لا وطن له الى
وطن لا شعب فيه**

تنوعت في السنوات الاخيرة الشعارات التي
خلق في حملات جمع التبرعات لاسرائيل ، وذلك
لحض يهود العالم على دفع المال . ولعل أبرز
هذه الشعارات وأكثرها تصويرا للواقع النداء
الذي توجه به مواطن يهودي من جنوب افريقيا
الى ثمانية عائلة يهودية تعيش في مدينة بورت
اليزابيث قائلا : « ادفعوا حتى تتزوجوا من
أدفع ، بل ادفعوا الى أن يؤلّمكم الدفع فعلا » .
وكانت حصيلة تبرعاتهم تلك السنة عشرة ملايين
من الماركات امارجل المال الباون روتشليدقندادي
مواطنيه من يهودي فرنسا مهيبا بهم أن
يخصصوا ١٠ ٪ من دخلهم لبناء الدولة اليهودية
ولنفس الهدف خاطب رئيس منظمة « النداء
اليهودي الموحد » في نيويورك الستة ملايين يهودي
أمريكي قائلا : « ان اضحيات الاسرائيليين تقدر
بكمية ما يفقدوه من قتلى ومن جرحى ومن دماء ،
أما اضحياتنا نحن فتقدر بمقدار ما نتبرع به » .
وطالب الجالية اليهودية في أمريكا بجمع ٥٠٠
مليون دولار خلال عملية التبرعات .

العربية المجاورة استهدفت التوسع في الاراضى
فغدا التوسع الاسرائيلي منسجما مع الشعار
الذي رفعه زعماء هذه الدولة بأنها وطن قومي
لثلاثة عشر مليونا من اليهود ومحققا له . وعند
حرض المسؤولين الاسرائيليين الى امد تصويبه
هذا الشعار بشكل أو بآخر . واليوم يرغب
سهيوتى مسؤول كناحوم جولدمان التنازع لوضع
النقاط على الحروف في موضوعين اساسيين
مرتبطين ببعضهما بشكل وثيق :

١ - دور الرأسمالية العالمية اليهودية المقبل
في العالم العربى .

٢ - مستقبل العلاقات العربية الاسرائيلية .
غنى حديث صحفى اجراه جولدمان مؤخرا
استغرب مهاجمة العرب تبرعات
اليهودية العالمية لاسرائيل . فحاول ان يطمئن
العرب بأنه « عندما يسود السلام سيكثرون
لليهود العالمية مغزى كبير بالنسبة للعالم العربى
ففى تنوى استثمار المليارات في هذا العالم .. »
وبعض هذه الاموال سيخصص على سبيل المت
لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين !!

ولكى يسود السلام يجب على العرب أن
يقبلوا بالامر الواقع الذي يتلخص في « ان اسرائيل
مرتبطة باليهودية العالمية ، وبأنها لن تقتصر على
اسرائيل فقط . كذلك لكل يهودى الحق في ان
يهاجر الى اسرائيل وأن يصبح مواطنا لتلك
الدولة » . « واذا رفض العرب قبول ذلك .
أو رفضوا السماح للهجرة اليهودية فلن يوجد
هناك اى تفاهم ... » . وباختصار يريد
رئيس المؤتمر اليهودي العالمى أن يغرق العالم
العربى في موجتين : موجة الرأسمالية العالمية
اليهودية واستثماراتها ، وموجة المستعمرين
الجدد .

لايضاح دور المال في تنفيذ المخططات
الصهيونية في المنطقة العربية رأينا من الضروري
فيما الى تقديم تلخيص للتقرير الهام الذى نشرته
مجلة « المرأة » الالمانية الغربية مؤخرا رغم
اسلوبه التحيز لاسرائيل . وهو بعنوان : « كل
يهودى يكفل كل اليهود : تقرير عن المساعدات
المالية التى تقدمها اليهودية العالمية لاسرائيل » :



يعتبرها الصهاينة الاقتحاح « كفارة » يدفعها أولئك اليهود الذين لا يتمكنون — خلافاً لواجبهم القومي — من المجيء لاسرائيل .

اشكال التبرع :

لا يكفر اليهود عن تخلفهم عن الهجرة لاسرائيل خلال حياتهم فحسب ، فالبعض منهم يقوم بذلك بشكل أو بآخر بعد الموت ، فيهبوا ثرواتهم الى دولة اسرائيل او الى مؤسساتها . فقد خلف احد المخرجين السينمائيين من اليهود الالمان ثروته البالغة ٦٠٠ الف مارك « للصندوق القومي اليهودي » . وآخر من تجار الذهب في جنوب افريقيا يوصى لنفسه الصندوق بثروة بلغت اربا مليون من الماركات . وهناك مليونير يهودي من هولانده اشترط لوهب ثروته — المؤلفه من مليونين من الدولارات — الى معهد وايزمان ان يذفن بعد موته الى جانب قبر وايزمان مؤسس الدولة الاسرائيلية . ولكي يحصل المعهد على هذه الثروة اضطر المسؤولون الاسرائيليون لتلبية الشرط فدفنوا ولكن على مبعده قليلة من قبر وايزمان . والعديد من اثرياء اليهود في المهجر خلدوا اسماءهم في : المعاهد والمباني والمدارس التي شيدها بأموالهم في اسرائيل مثل : « آبي فاينبرج » و « مسرح برونفان » و « معهد دانزيغر للأبحاث الفيزيائية » ... الخ

بحقن المال المنظمه التي تزرعها اليهودية العالمية في شرايين دولة اسرائيل نمت اسرائيل الفقيرة بالسكان خلال عشرين سنة حتى أصبحت اقوى دولة صناعية في الشرق الاوسط . وبدون هذه الحقن لربما غدت تلك الدولة السقي تشن الحروب عاجزة اليوم عن دفع التزاماتها المالية الى الخارج . ومن الأدلة التي تؤكد ذلك أن اليهود في أرجاء العالم ضخخوا الى اسرائيل بحوالى مليارين من الماركات في العام الفائت . فخفضوا عجز ميزان المدفوعات التجارى الاسرائيلي الى النصف تقريبا . ويحاولو للاسرائيليين أن يمزحوا بأنهم أوجدوا التزاوج بين الزراعة والبقرة : فالحيوان المستحدث يتناول القوت في المهجر ويعطى الحليب في اسرائيل . ويتمثل الحليب هذا في طائفة من المنجزات التي تحققت مثل بناء ٢٥ ألف منزل للمهاجرين الجدد في اسرائيل ، وحوالى ٤٩٠ قرية جديدة ، وتربية حوالى ٧٠٠ ألف طفل ... علاوة على المدارس والجامعات والمستشفيات والمشاريع الاقتصادية والحليب ايضا هو التسليح .

تبتلع آلة الحرب الاسرائيلية حوالى ٨٥ ٪ من دخل الدولة من الضرائب . « وطالما أن اليهودية العالمية تحمل عن اسرائيل أعباءها الإجتماعية ، يستطيع الاسرائيليون — حسب تعبير ابا ايان — أن يفرضوا أنفسهم في كل ميدان آخر » . ففي حرب عام ١٩٦٧ جمع يهود العالم ٣٧٠ مليوناً من الدولارات لاسرائيل . وهو ضعف المبلغ الذى تم جمعه في السنة السابقة . وحتى اليهود في أقصى امتداد المعمورة اكتشفوا ذلك الحين محبتهم لاسرائيل . إذ استقبل اليهود في أمريكا اللاتينية وزير مالية اسرائيل خلال جولته هناك بالشكاك والاموال والحبلى التي تبرعوا بها لاسرائيل . هذه الضريبة أى « ضريبة الدياسبورا » يراد منها التأكيد بأن اسرائيل ليست مجرد بلد للمليونين ونصف من اليهود الاسرائيليين . بل انها وطن لجميع يهود العالم . وبذلك تعتبر دولة اسرائيل نفسها من ابداع كافة أفراد الشعب اليهودي ...

أما مناهضوا الصهيونية مثل أورى افنزى العضو اليسارى في الكنيسة فيهزأ من العملية عندما يلاحظ بأن الاموال المتدفقة من يهود العالم

منظمات جمع المال :

تتف « الوكالة اليهودية » ومركزها في القدس في طليعة هذه المنظمات ، واليهما تتدفق اموال التبرعات لتستغل داخل اسرائيل وخارجها . اما جمع الاموال فتقوم به منظمة « الكيرن هايسود » والتي لها فروع موزعة في اربعة وثلاثين بلدا . ويشرف مديروا هذه المنظمة على توجيه الدعاية لاسرائيل ، وعلى تنظيم حملات جمع المال . وتحرص المنظمة على استيراد الخطباء الطويلي الباع من اسرائيل ، مثلما تحرص على ارسال اغنياء اليهود الى الارض المقدسة في زيارات لاسرائيل .

ويكفي لبيان دور منظمة « الكيرن هايسود » المديح الذي قاله لها سينموند فرويد مرة : « لقد غدت هذه المنظمة اهم اداة في كفاح شعبنا لانشاء وطن جديد في ارض اجدادنا . » . وبواسطة رسالة واسعة من اساليب جمع المال يلائم موظفوا المنظمة انفسهم بلباقة مع الخصائص المحلية لليهود العالم .

اساليب جمع المال

تختلف اساليب الجمع بحسب كل منطقة ، فاليهود السويسريون يقيمون كل عام حفلات راقصة خيرية يخللها « يا نصيب » واسواق خيرية . اما في فرنسا فترسل الخطابات السرية الى اليهود هناك ترجوهم دفع انصبتهم من التبرعات ، خاصة وان يهود فرنسا اصبحوا متمثلين الى مدى بعيد ضمن المجتمع الفرنسي . والكثير من يهود افريقيا الجنوبية يرسل التبرعات بشكل حوالات مالية منتظمة لمساعدة اسرائيل . ويهود فينلندا يقارب احتفالهم بعملية جمع الاموال السنوية مرتبة الاحتفال بعيد ديني كبير ، اخيرا تبقى تبرعات اليهود الامريكيين السند الاكبر لاسرائيل . وبما ان عددهم يبلغ حوالي ستة ملايين فلا عجب ان كل حوالي ٨٠ ٪ من التبرعات والقروض المرسلة لاسرائيل تتألف من دولارات امريكية .

وفي الولايات المتحدة نفسها تمكن معتنوا جمع المال من اليهود الى تطوير هذا العمل الى حد اقصى . ومن بناية في مانهاتن في نيويورك يسير

مديروا منظمة « النداء اليهودي الموحد » جيشا من محترفي ومتطوعي جمع المال . وتتصل الادارة المركزية بواسطة جهاز « التلكس » مباشرة بحوالي ثلاثمائة جماعة يهودية .

وزعماء هذه المنظمة يرتبون سنويا اقامة حوالي عشرين الف احتفال خيري لصالح اسرائيل كما يوفدون الساسة الاسرائيليين في رحلات . عاتية من الشاطئ الشرقي الى الشاطئ الغربي للولايات المتحدة ، ويستأجرون لدعايتهم اساندة اسرائيليين وفنانين وصحفيين . واعتبارا من حرب ١٩٦٧ يتزايد طلب الضباط لهذا الغرض . واما رجال الكونغرس الامريكي فيلبون بسرور دعوة المنظمة لهم لحضور الاحتفالات الخيرية ، لانهم يتقاضون عليها مكافآت تصل الى الف دولار على الاقل مقابل كل محاضرة يلقونها .

وفي نيويورك التي تضم من اليهود مقدار مافي اسرائيل من يهود تقريبا ، يعقد حوالي ثمانمائة اجتماع خلال حيلة مدتها ستة اشهر . فتتروح هذه الحفلات بين دعوات عشاء سخية في فنادق هيلتون ووالدورف استوريا الى حفلات منزلية سرية . وكانت اكبر حفلة تقام بمناسبة زيارة جولدماير للولايات المتحدة . اذ لبي الدعوة حوالي ٣٠٠٠ يهودي من ابناء الطبقة الامريكية الراقية . واذيغت الحفلة على شبكة تلفزيون خاصة ليتمكن اليهود في تسعة عشر مدينة امريكية من مشاهدة وقائع ذلك الحفل النادر في تاريخ الجالية اليهودية الامريكية . وفي هذا الحفل نادت جولدماير الحاضرين قائلة : « اسرائيل مركز كل شيء يهودي » وبواسطة الاحتفال تم جمع عشرة آلاف دولار وسيطا من كل فرد من المدعوين ، مقابل الاحتفالات الكبرى الاستثنائية يحرص موظفوا جمع المال على دعوة الناس الى احتفالات صغيرة ضمن وسط من المعارف ، وتنتج الاحتفالات الصغيرة عنديادعي اليها اناس معينون من اصحاب المهن او الاعمال الواحدة « كرجل الصناعة » مثلا . وفي تفسير ذلك يقول راخايل ليفي رئيس منظمة « النداء اليهودي الموحد » : اذا اردت من احدهم ان يدفع بشكل لائق . يتوجب عليك ان تدعوه للدفع وهو موجود بين اقاربه ونظرائه . وعلا بهذه الحكمة غطت المنظمة

دوريا بسحب قروض كبيرة من البنوك الامريكية والاجنبية تكلفها بها شقيقتها منظمة « النداء اليهودى الموحد » . وفى عام ١٩٦٧ وصلت المبالغ التى يدين بها المتبرعون للمنظمة ٥٨.٣٣٧.٧١ دولارا .

اساليب الضغط للكره على التبرع :

تتم الوعود بالتبرع بشكل علنى فى معظم الحفلات الخيرية . وقد كشف مراسل جريدة الديلى ميل الاسلوب الذى يمارسه جامعو الاموال لاجبار المدعويين على اداء التبرع . ويضرب مثلا على ذلك ان احد المحاسبين اليهود الامريكيين يقرر الاشتراك فى حفلة عشاء خيرية وينسوى ان يتبرع بـ ٢٥٠ دولارا . وخلال الحفل يقف رئيس الحفل قائلا : لقد تبرع السيد (س) بعشرين الف دولار ، والسيد (ع) بمثل ذلك المبلغ فبكم تريد انت ان تتبرع ؟ وهنا يقف المحاسب خجلا ليتبرع بخمسة وعشرين الف دولار . ويكاد يكون من المتعذر الامتناع عن الدفع ضمن عوامل الضغط الاجتماعى الذى يصفه الحاخام بيرجر - احد مناهضى الصهيونية - بأنه عمل غير اخلاقى ، فاذا اراد المرء تجنب المتاعب فعليه ان يدفع ، ولقد حدث فى مدينة دالاس فى تكساس ان كفى ماركوس تاجر الاقمشة اليهودى عن تهيب المتاعب ، وسمح « للمجلس الامريكى لليهودية » المعادى للصهيونية بأن يطبع اسم ماركوس على مراسلات هذا المجلس ، خاصة وان ماركوس كان لمدة طويلة مؤيدا له . الا ان التاجر الجريء ما لبث ان علم من زبائنه اليهود بانهم تحولوا عن شراء منتجاته . ويكفى اليهودى الامريكى ان لا يتبرع بما فيه الكفاية حتى ينظر اليه بازدراء او ليقال عنه بان تجارته متدهورة حسب تعبير ناحوم جولدمان

كل الولايات المتحدة بشبكة كثيفة من « لجان الصناعة » . ويحرص مديروا المنظمة فى اختيار رؤساء هذه اللجان ان يكون الرئيس من بين رجال الاعمال الواسعى النفوذ . فعليه ان يدعو الناس لحفلات عشاء خيرية ، او الى « افطارات يوم الاحد » او يدعو « لامسيات اسرائيلية » مع عرض صور بالفانوس السحرى . اما فى منزله فيستقبل رئيس اللجنة الميسورين القادرين على التبرع بشكل خاص . وبعد ان يختار موظفوا المنظمة اسماء المدعويين بعناية ويرسلوا لهم بطاقات الدعوة ، يقوم رئيس اللجنة فى نيويورك مثلا (وقد اغفل ذكر اسمه فى التقرير) ولنطلق عليه اسم التاجر (س) . يقوم هذا التاجر شخصا بمخابرة المدعو الذى يتردد فى قبول الدعوة ، ليفهمه مدى الاهمية التى يعلقها على هذه الحفلة . وفى خلال الاستقبال الذى يتم فى منزله الفخم يتولى خدام المنظمة تجهيز الكوكايل المفضل لدى كل من المدعويين . وقد قدم خبر من المنظمة تحليلا لصراع الشرق الاوسط من وجهة نظر اسرائيلية . وبعدها قام المدعوون بتسجيل ما سيتبرعوا به لاسرائيل فبلغت التبرعات نصف مليون من الدولارات .

طرق لدفع التبرعات :

بما ان معظم الوعود بالتبرعات لا يتم دفعها مباشرة ، بل بعد عدة اشهر واحيانا بعد سنوات ، يعتمد المشرفون على عملية جمع الاموال الى تغطية الفترة الزمنية الفاصلة بين الوعد بالتبرع ودفع المبلغ المتبرع به ، وذلك باعطاء الوكالة اليهودية فى القدس قروضا مصرفية تساعدها فى املاء حساباتها المصرفية بشكل منتظم اما منظمة « النداء الاسرائيلى الموحد » فتقوم

والخلاصة غدت التبرعات بالمال لاسرائيل نوعا من الاعتراف المدنى بالعقيدة الدينية بالنسبة لليهودية الاميركية . فالذى لا يدفع لا ينتمى الى هذه الطائفة . ومن يتبرع كثيرا يتمتع بكثير من الاحترام . وبالتالي تكاد لا توجد شخصية يعول عليها فى اليهودية الاميركية لا تدين بمركزها الى التبرعات المالية والى النشاط الذى تتيده فى عمليات جمع الاموال لاسرائيل . اما مبررات الضغط الاجتماعى الذى يمارس فى عملية جمع المال فانها تتركز على ان اسرائيل ضمان المستقبل اليهودى فى العالم . وكما يقول جولدلمان « بدون اسرائيل ، وبدون مركز يهودى بشكل دولة لسوف يتعرض مستقبل اليهودية لأكثر من الخطر » وبالمثل يقرع المحامى اليهودى جنسبرج رئيس منظمة النداء اليهودى الموحد ناقوس الخطر ، فيصح فى احدى الحفلات الخيرية فى مكبر الصوت « ان الامر يدور حول البقاء ، يدور حول بقائكم وبقائنا »

موجة النقد لسوء استعمال اموال التبرعات

تصطدم تبرعات اليهود الاميركيين ومساعدتهم للاسرائيليين على الحرب ضد العرب تصطدم منذ مدة طويلة بالانتقاد . اذ ان التبرعات لمنظمة النداء اليهودى تدخل حتى ١٥ ٪ من الدخل فى المواد المعفاة من الضرائب — لكونها تمنح لاعمال خيرية وبذلك تكون التبرعات حتى ٧٠ ٪ من اموال الدولة الاميركية . وكما يقول الحاخام بيرجر « ان الولايات المتحدة تقدم بسبب الاعفاء الضريبى مساعدات مالية لسياسة الاحتلال الاسرائيلية » .

وسواء اشترت اسرائيل طائرات الفانتوم او الدبابات مباشرة من اموال التبرعات الاميركية

او بعد ان تقوم الوكالة اليهودية بحمل اعباء الخدمات الاجتماعية عن الحكومة الاسرائيلية . تساهم التبرعات بالدولارات الاميركية فى تحويل ميزانية الحرب الاسرائيلية . ويؤكد السناتور فولبرايت ان التبرعات الاميركية تملأ احتياطي اسرائيل من العملات النادرة وتسهل لها شراء كل شئ ممكن بها فى ذلك الاسلحة . وبحيلة بسيطة تستطيع الوكالة اليهودية التصرف باموال التبرعات . فبعد ان تحول الى مركز الوكالة اليهودية فى القدس ، تعيد الوكالة ارسالها الى « المجلس الصهيونى الامريكى » . وبهذه الطريقة تم نقل حوالى خمسة ملايين دولار فى الفترة الواقعة بين ١٩٥٥ و ١٩٦٢ .

الاتهامات الموجهة الى الوكالة اليهودية :

تستمر الوكالة اليهودية فى عملية تحويل اعمال الدعاية الاسرائيلية فى البلدان الاجنبية ، وفى مساعدة نوادى الصداقة الاسرائيلية ، وفى تحمل نفقات رحلات الفرق الفنية الاسرائيلية . الا ان التهمة الرئيسية التى يوجهها اعداء الصهيونية الى الوكالة اليهودية تتركز فى ان الوكالة تحرك بسياسة اسرائيل التوسعية . وكادلة على ذلك يقدمون الحقائق التالية :

٢ — هناك تقرير لم ينشر قدم الى المؤتمر الصهيونى السابع والعشرين فى شهر يونيه عام ١٩٦٨ تطلب فيه الوكالة اليهودية تعمير الاراضى المحررة حديثا — اى الاراضى التى احتلت نتيجة حرب ١٩٦٧ — تطلب اسكان اليهود فيها .

ب — هناك كتيب صغير باللغة الانكليزية نشره « الصندوق القومى اليهودى » وهى منظمة وثيقة الارتباط بمنظمة « كيرن هايسود » . وفى

هذا الكتيب جاء ما يلي : اليوم يتلو تراكتور الصندوق القومي اليهودي دبابة الجيش. وتسقط الاراضى التى وقعت من نصيب اسرائيل نتيجة حرب الايام الستة - تسقط الان تحت سلك المحراث »

دور الوكالة اليهودية السياسى والاقتصادى:

تعتبر الوكالة اليهودية ذراع الحكومة الاسرائيلية الايمن ، فهى مسؤولة فى اسرائيل عن تطوير وتعمير الاراضى . والى جانب الزعماء الصهاينة يجلس فى مجلس ادارة الوكالة الذى يقرر طريقة استثمار الاموال - عدد موازى من اعضاء الحكومة الاسرائيلية يشكل نصف الاعضاء وميزانية الوكالة كبيرة الى درجة انها تماثل دخل مؤسسة اوروبية كبيرة . وفى عام ١٩٧٠ بلغ ما انفقته . ٥ مليون دولار ، كان حوالى ٦٠ ٪ منها من اموال التبرعات .

وفى طليعة مهام الوكالة تجهيز اليهود الى الارض الموعودة . وقد استطاعت منذ انشاء دولة اسرائيل نقل ١٣٠ منهم الى اسرائيل . وبالمثل ظم خبراءها علميتى : « البساط السحرى » لنقل اليهود من اليمن و « عزرا ونحيم » لنقل اليهود من العراق .

وفى اسرائيل نفسها يهيمن مديروا الوكالة اليهودية على امبراطورية اقتصادية هامة : فهناك خمسة وستون مؤسسة اقتصادية تملكها الوكالة كلية او جزئيا وتقدر ثروتها الاقتصادية

فهى تشارك فى شركة (المال) للطيران به اليوم بمليار مارك على الاقل .

١٤ ٪ ، وفى شركة الملاحة الاسرائيلية (نريم) بمقدار ١٠ ٪ من رأسمالها . وتمتلك ٩٠ ٪ من اسهم شركة (راسكو) للبناء ، والتى يتبعها ايضا بيارات للحمضيات وفنادق ، وبعض الصناعات الخفيفة . ومن المرافق التى تقع فى ملكية الوكالة اليهودية كلية شركة (ديجور لاعول) للبناء ، وشركة بناء المنازل الجاهزة (باتيم ترومين) ، وحتى ان الوكالة لها اسهم فى اكبر بنك من بنوك اسرائيل المسمى (بينك يومى) .

الى متى تستمر التبرعات لاسرائيل :

كرمز للترابط العالمى لليهودية تحرص الوكالة اليهودية على تخليد كلمة قديمة وردت فى التلمود تقول : « كل يهودى يكتل كل اليهود » . لذلك يؤكد زعيم اليهود الامريكى روتبرج بأن على يهود الدياسبورا ان يتكفلوا لمد طويل ايضا بسكان اسرائيل من اليهود . ويعبر عن ذلك بقوله : « فى كفاحنا لدعم اسرائيل لن يكون هنالك هدنة اطلاقا » . ولكن على الرغم من هذه الشعارات الحماسية يلتفت احد اليهود الامريكيين مؤخرا الى موظف من موظفى النداء اليهودى الموحد صائحا به : « الى متى سوف تستمرون فى جز صوفنا كل عام من اجل اسرائيل ؟ » فيجيبه جامع التبرعات : « اتمنى ان يطول بك العمر حتى ذلك الحين » !!

د . هشام الصفى استاذ بقسم التاريخ بالجامعة



مدينة المدينة

عبر العصور

(١) اسمها الحقيقي ومعناه .

اختلف المؤرخون في تسمية هذه المدينة ، رتعددت الروايات في صيغة الاسم وفي نسبه وفي تاريخه . فهل المدينة من Lambdia القرية الرومانية التي سبقت في نفس المكان مدينة المدينة ؟

وهل هي كلمة بربرية كما زعم بعضهم وقال ان معناها العلو ، والارض المرتفعة ؟ وهل رواية ابن خلدون (كتاب العبر ج ٧) هي الصحيحة وقد قال في حديثه عن عثمان بن يغمسان الزباني (٦٨١ — ٧٠٣ هـ) .

« نهض عثمان بن يغمسان الى المدينة وبها اولاد عزيز من توجهيين (وهم بربر من زناتة) فنازلها وقام بدعوته فيها قبائل يعرفون لمدينة واليهم تنسب . وفي موضع آخر يقول ابن خلدون : لمدينة . هو اسم بطن من بطون صنهاجة وقد استولى محمد بن القوي (أيام بني عبد الواد) على حسن هذا البطن المسمى بأهله ونطق بعضهم بلمدونة والنسبة اليها لمداني .

مولاي بلحميسي



مدينة المدية في سنة ١٨٣١

(٢) تأسيس المدينة

متى كان ؟ ومن المؤسس الحقيقي لها ؟
لا نعرف شيئا عن ذلك بالضبط .
وأما رواية من قال ان بلوكين بن زيرى هو
الذى أسسها حوالي ٢٥٠ هـ - فغير صحيحة .
فقد وجدت المدينة قبل العهد الزيرى بكثير .

فعندما قال الشيخ سيد أحمد بن يوسف
(ولد بقلعة بنى راشد بين ١٤٦٨ و ١٤٧٥
توفي سنة ٩٣١ هـ - ١٥٢٤ م ودفن بمليانة)
المدية المهدية يدخلها الشر الصباح ويخرج
منها العشية لو كانت هي امرأة ما ناخذ الا هي
.. زعم بعضهم ان المهدية معناه ان البلدة
قديمة عتيقة وانهاجيت في مكان آخر ثم نقلتها
الملائكة الى مكانها هذا . وقد أسس الرومان
في عهد لا يذكرونه مدنا كثيرة بما كان يسمى
Maurétanie Césarienne مثل (الجزائر

المدية) Rusguniae وتبازا Tipaza وتنس
Cartenae كما أسسوا مدنا أخرى بنوميديا
شرق القطر ووسطه مثل Auzia سـور
الغزلان (Thamarammaة ترب البرواقيا
و Lambdia المدية .

وقال ابو عبيد البكرى الاندلسى (من رجال
القرن (٥ هـ - ١١ م) في كتاب المسالك والممالك
« المدية ... بلد جليل قدم » .

وقال الحسن بن محمد الوزان الفاسى
الاسد الغرناطى Léon L'Africain ان الافارقة
الدقاء بنوا هذه المدينة في حدود ما كان

يعرف بنوميديا Numidie وقال Marmol

مرمول (مؤرخ اسباني من القرن ١٦ عاش
مدة في المغرب الاوسط في جيوش النصرى)
ان المدينة عتيقة قديمة أسست في سهل خصب
جميل، فيؤكد كل ما ذكرناه - ان المدية سبقت
بنى زيرى وانها أقدم من اشير .

(٣) المدية في القرون الوسطى الى بنى زيان

أجمع الكتاب على أن زيرى بن مناد (في
أيام الخليفة الفاطمى الثانى ابو القاسم القائم
٣٢٢ - ٣٢٤ هـ - ٩٣٤ - ٩٣٦) أسس
اشير قرب حصن عرف غيما بعد بمنزه بنت
السلطان على جبل تيطرى (ولعله الكاف
الاخضر اليوم) .

وكان تأسيس اشير حوالي ٣٢٤ هـ - ٦ -
٩٣٥ م

وبنو زيرى من صنهاجة ومن أعوان
الفاطميين على الخوارج وامتدت دولتهم في
القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى)
من تيارت غربا الى الزاب شرقا وضعت
مراكز مثل الجزائر ومليانة والمدية . وفضلهم
الفاطيون على غيرهم لانهم أقدر الناس على
محاربة بدو الزناتة جيرانهم في الناحية الغربية
ولما تسلم زير بن مناد سنة ٣٤٩ هـ - ٩٦٠ م
حكم تيارت من يد الفاطميين ، اذن لابنـه
بولوغين بتأسيس ثلاثة مراكز الجزائر - مليانة
- المدية ما بين ٣٥٠ و ٣٦٠ هـ

ون الواقع غان بولوغين لم يؤسس هذه المدن التي كانت موجودة من قبل بل ادخل عليها تعديلات واصلاحات وبنى بها وشيد . يقول ابن خلدون في حديثه عن المدينة في ذلك العهد وكان المخطط لها بولوغين بن زيري (كتاب العبر ج ٧) .

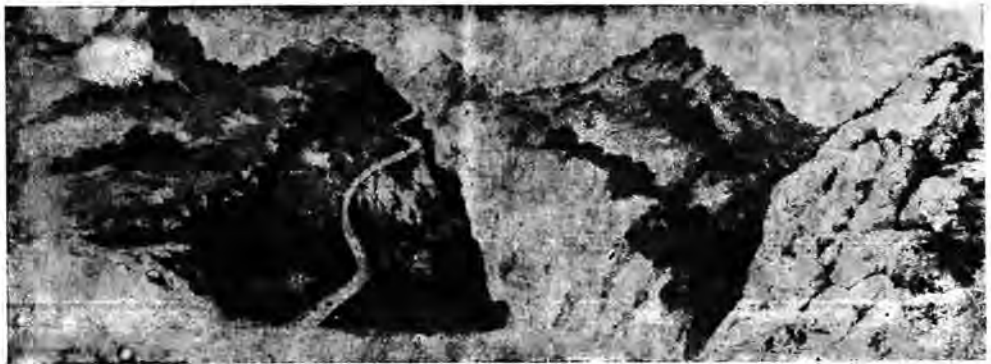
حتى اذا كان القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) احتل الثعالبة (وهم بطن من المعقل) الناحية بين تيطري والمدينة كما حكم ابو الفتوح بن خنوش أمير سنجاس نواحي المدينة في نفس القرن .

(٤) المدينة في عهد بنى زيان اصحاب تلمسان
قال ابن خلدون في الخبر عن ابي يحيى يغمرسان بن زيان (مؤسس هذه الدولة بتلمسان) مع مغراوة وبنى توجين (وهم زناتة منتقلون دفعهم التيار الهلالي نحو الغرب واصبحوا في القرن السابع الهجري الى الثالث عشر الميلادي ما بين الونشريس والسرسو والمدينة ولهم قلعة بنى سلامة التي آوت ابن خلدون وعندما انتشر عهد الخلافة (خلافة الموحدين بمراسخ حوالى ٦٤٦ - ١٢٤٨ م . . وكثر الثوار والخوارج بالجهات . . تغلب بنو عبد الواد على نواحي تلمسان الى وادي وتغلب بنو توجين على ما بين الصحراء والتل من بلدة المدينة الى جبل الونشريس . . . » وبادر ملوك تلمسان بالاستيلاء على المدينة بما لها من أهمية استراتيجية - اذ هي في

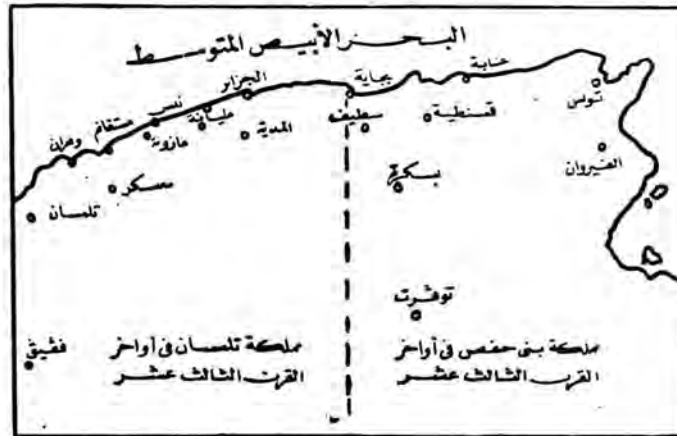
طريق الجنوب وفي طريق الشرق الجزائري . تغلب بنو عبد الواد على عامة اوطان بنى توجين وكانت حالتهم مع هؤلاء تختلف بين الحرب والسلام ، ولما استولى محمد بن عبد القوي على المدينة وعلى ضواحيها انزل بها اولاد عزيز بن يعقوب من حشمه وجعلها لهم موطنًا وولاية وجاء في خبر ابي سعيد عثمان (٦٨١ - ٧٠٣ هـ - ١٢٨٢ - ١٣٠٣)

مع مغراوة وبنى توجين ما يلي : لما عقد عثمان بن يغمرسان السلم مع يعقوب بن عبد الحق المريني صرف وجهه الى الاعمال الشرقية من بلاد بنى توجين ومغراوة (من زناتة) .

فصارت بلاد بنى توجين كلها من عمله . . ثم نهض بعدها الى المدينة (سنة ٦٨٨) وبها اولاد عزيز (من توجين) فنزلها وقام بدعوته فيها قبائل يعرفون بلمدية واليهم تنسب هؤلاء المدينة غدروا - حسب قول ابن خلدون بأولاد عزيز ومكنوا السلطان الزياني من البلدة ، فقام يحيى بن عطية كبير بنى تغرين ومال الى السلطان المريني المناهض لبنى زيان وباع يوسف بن عبد الحق ورغبه في ملك الونشريس ثم عاد الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها وانتهى الى المدينة فافتتحها واختط قصبتها وبعد مدة بعث اهل المدينة بطاعتهم للسلطان عثمان بن يغمرسان فتقبلها منهم واوعز ببناء قصبتها . . . ابن خلدون .



ثنية موزاية في سنة ١٨٣٦



ولما رأى أبو سعيد هذا خلفه ابنه أبو زيان
٧٠٣ هـ - ١٣٠٤ م .

فتقلب على المدينة ... وانتهى الى جبل
حصين بن زغبة في جبل التطرى .. ثم اجلبوا
على المدينة .. وملكها أبو زيان .. وعاد حصين
وامتلك نواحيها وامتنع عليهم مصرها .. ولما
هلك أبو زيان ١٣٠٨ م / ٨ - ٧٠٧ هـ قام
اخوه أبو حمو واراد أن يقسم أعماله بين اولاده
فعين المنتصر على ملىانة ونواحيها وابازيان
على المدينة وما اليها من بلاد حصين وعندها
رجع السلطان المرينى أبو الحسن بن تونس
ونزل بالجزائر واراد أن يحارب بنى زيان
انظمت اليه قبائل من المغرب الأوسط مثل
الشعالبة وصاحب الونشريس (وهو نصر بن
عمر بن عثمان) وسويد وزناته . وانظم لابي
ثابت الزيانى مغراوة .

فأخذ أبو ثابت على منداس وخرج على
المرسو ولحق به مدد السلطان ابي عنان
المرينى (الخارج على ابيه) فشرذ الزيانى
اثار الاعراب ولحق احياء حصين بجبل
التيطرى ثم عطف على المدينة ففتحها وعقد
عليها لعمران بن موسى الجلولى وخلع
السلطان المرينى ابي عنان (اياه ابا الحسن
وزحف الى تلمسان وحاصرها سنة ٧٣٢ -
١٣٣٢ هـ فهزم ملكها واباد بنى عبد الواد ونزل
المدينة ثم اطل على بجاية (ابن خلدون) .
ودب الضعف في دولة تلمسان واصبح

ملوكها في اواخر القرن ١٥ م لا يستطيعون
تمتع الفتن ولا منع الاعراب من غزو أعمالهم .
فانفصلت المدينة عنهم ومالت الى أمير تنس في
مطلع ١٦ هـ - وأمر تنس من الزيانيين استقر
بعيدا عن تلمسان .

وكان أمير تنس أقدر من ملوك تلمسان على
حماية المدينة لانه أقرب اليها وبيده ما ليس بيد
ابن عمه هنالك ..

وفي هاتئ المدة مطلع السادس عشر - زار
المدينة الرحالة الشهير الحسن بن محمد الوزان
الفاسى والمعروف عند الغربيين Léon L'Africain
فقد اعجب بالمدينة وبموقعها وبأهلها . فالمدينة
مبنية في سهل جميل خصب تسقيه أنهار كثيرة
وأهلها أغنياء يسكنون دورا جميلة . قد
استقبلونى بحفاوة واکرام كأننى أمير المدينة
... وإذا زارهم اجنبت ذو علم ومعرفة فانهم
يعظمونه ويبجلونه ويقتونهم عندهم لفصل ما
بينهم من القضايا ويعملون بقوله ويصوبون
رايه ... واقمت عندهم شهرين ...

(٥) المدينة في العهد التركى (١٥١٦ الى ١٨٣٠)
ما هو سبب دخول الاتراك الى المغرب
الأوسط ؟

في القرن السادس عشر عندما عمت
الفوضى في المغرب ودب الضعف في الدول
القائمة (بنو حفص في تونس بنو عبد الواد في
تلمسان وبنو مرين في فاس) غزم الأسيان على
ضرب الاسلام في دياره بعد اخراجه من آخر

مصر من الاندلس سنة ١٤٩٢ بسقوط
غرناطة. فاحتل النصارى المرسى الكبير ١٥٠٥
ووهران ١٥٠٩ وبجاية ١٥١٠ واحتلوا كذلك
الصخرة الوسطى Le Penon d'Argel
١٥١٠. فضاقت حالة المسلمين لا سيما بمدينة
الجزائر فاستدعى شيخها سالم التومى
واعيانها الاخوين عروج وخير الدين لاعتنتهم
على الاسبان - وقد اشتهر الاخوين في تونس
بالحزم والاقدام والجزء في البحر وانقاذ
المسلمين .

فجاء عروج الى الجزائر وانتصب ملكا على
المدينة وانطلق في بسط نفوذه داخل البلاد .
واحتل عروج المدينة بعد انهزام امير تنس حماد
بن عبيد بالنتيجة حوالي ١٥١٧ . ثم ترك بالمدينة
حامية مؤلفة من الاتراك وبعض الاندلسيين
وعاد الى الجزائر .

وخلفه اخوه ١٥١٨ والحق الايالة بالملكة
العانية فزوده السلطان العثماني بالمدد فعزيز
خير الدين المراكز الهامة في البلاد بتأسيس
قواعد عسكرية تسمى (التوبة) وبعد ذلك
فكر الاتراك في ادارة هذه البلاد فقسموها الى
بايلاكات .

(١) دار السلطان (تقرب عمالة الجزائر
اليوم وديس) يحكمها الداى المقيم بالجزائر
(٢) بايلك الغرب وعاصمته مازونة ثم
المعسكر ثم وهران .

(٣) بايلك الشرق وعاصمته قسنطينة

(٤) بايلك الجنوب وعاصمته المدية .

وكان هذا اصغر الثلاثة - وقد ادخلت عليه
تنظيمات عديدة ما بين ١٥١٨ و ١٧٧٥ .

وقد نظمه للهرة الاولى حسن بن خير الدين
(الذى عين على رأس الايالة مرارا بين ١٥٢٦
و ١٥٦٧) . واصبح هذا البايك يسمى ببايك
التطرى متى ؟ فاننا لا نعرف التاريخ بالضبط .

لكن بين ايدينا مرسوم فى سنة ١٥٤٨ م /
٩٥٥ هـ . بمقتضاه يعنى الباي رجب الشرفاء
من نوع الغرامة والضرائب وكان باى التطرى
- فى اول الامر يقيم تارة بالمدينة وتارة ببرج
سباوو حيث توجد للقادة الاتراك مزارع
وبساتين بوادى ايسير (Isser) وكانت

قبائل وادى سباوو الى ١٧٧٥ تابعة لبايك
التطرى .

وعين على رأس هذا البايك - بين ١٥١٦
و ١٧٧٥ حوالي ١٨ بايا نذكر منهم :

رجب ١٥٤٨

شعبان ١٦٣٣

مرحات ١٦٦٣

عصمان ١٧٦٣

سنة ١٧٧٥

ولم يتركوا فى ميدان من الميادين ما يفكرون
به . واشتهر من بين هؤلاء الباي عصمان
الثانى والباي سفطة .

فاما عصمان فانه عين على التطرى سنة
١٧٦٣ واشترى مزارع عرفت فيها بعد ببلاد
سيدون عند اولاد حسن بن على كما عرفت
بحوش عصمان - وبني مخازن ومستودعات
واصطبلات ومنه كانت تنطلق الغارات على
النواحي الجنوبية .

وكان عصمان يغزو القبائل حتى وقع يوما
فى قبضة اولاد سيد احمد (وهم فرع من اولاد
نايل) فقتلوه - بجنوب زاغر توجد الى يومنا
كدية تعرف بكدية الباي ..

وامتنع من خلفه من غزو قبائل الجنوب
الى ان عين الباي سفطة فحاول تجديد
الغارات على اولاد نايل فلقى حتفه اثناء
معركة . وحدث فى سنة ١٧٧٥ تعديل على
ادارة بايلك التطرى فبعد ٢٢٧ سنة من
الحكم التركى بقيت مشاكل هامة بدون حل .

(١) خروج قبائل سباوو عن الطاعة
بصفة مستمرة .

(٢) ثورات قبائل الجنوب الغير المنقطعة

(٣) فشل الغارات على الجنوب .

(٤) انسحاب عدد من القبائل اعلنت
استقلالها .

فاعاد الاتراك النظر فى نظام البايك
الادارى وكونت بلاد القبائل بين امير وختشة
قيادة (Caidat) يحكمها آغا الجزائر -
بعد اعوام جرد بايلك التطرى من ناحية
طابلات والبويرة - واصبح مقرباى التطرى

واحدة هي المدية كما أصبح للبايلك حدود معينة :

(١) في الشمال قبيلة مزايا وبنى صالح فوق البلدية وبنى مسعود .

(٢) وفي الشرق قبيلة بنى سليمان وعريب

(٣) وفي الغرب قبيلة جندل وأولاد خليف

وتقسم البايلك الى اوطان (لحل القبيلة

... يحكم بعضها آغا العرب (مثل مزلييا

وعريب وبعضها الآخر خوجة الخيل وهو

عضو في الديوان ومسؤول مالي (مثل زناخة

وعبادلية) وأولاد سيدى عمر وأولاد سيدى

موسى وتسمى هذه القبائل العزل تدفع جميع

انواع الضرائب وتقوم بجميع الخدمات لفائدة

الباى او الداى .

وكان على المدية حاكم تركى يعينه داى

الجزائر (وكان هذا الاخير يخشى سلطة باى

التطرى - والمدية قريبة من الجزائر) .

وتتبد سلطة هذا الحاكم الى ضواحي

المدينة .

ومابقى قسم الى تل اعلى وتل اسفل او

تل جنوبى وكان الاول يضم قبائل بنى حسن :

حسن بن على

بنى يعقوب

وزرة

عوامرى

ريفة

هوارة

وهذه القبائل مستقرة تتعاطى الفلاحة .

والثانى يضم قبائل الجنوب المتنقلة في بعض

الفصول الخاضعة لشيخوخا المحليين .

دواير

تطرى

أولاد حمزة

اما قايادة ديرة فهي منطقة خاصة بشرى

البايلك مركزها سور الغزلان حيث كانت توجد

حامية تركية ويضم قايادة ديرة .

أولاد عبد الله

» « بركة

» « دريس

واخيرا كان جنوب البايلك يضم قبائل من الرحالة .

زيانة

عبادلية

أولاد نايل

» « سيدى عيسى

واسس الاتراك قايادة أولاد المختار في

الجنوب حتى يكون حاجزا بينهم وبين البدو

ويمنع هؤلاء من غزو الشمال . وعين الدو

مصطفى بن سليمان أوزناجى (من ١٧٧٥ الى

١٧٩٤) .

ومطماطة

وجندل

وبعض قبائل شلف

وتقدمت نحو المدية لطرد الاتراك منها .

فتصدى لهم الباي بقومه وشرذ جمعهم وجيء

بزعمائهم فقتلوا وعلقت رؤوسهم على اسوار

المدينة ...

وبعد درقاوة تزعم التيجانية حركة محاربة

الحكم التركى وحاول الباي حسن (١٨٠١)

الاستيلاء على عين ماضى ولم يستطع وكرر

الحملة على التيجانية سنة ١٨١٨ . وانتصرت

دعاية التيجانية وكان آخر باى التطرى هو

مصطفى بومزراق ١٨١٩ - ١٨٣٠ وكان قبل

تعيينه خليفة للباى فغزا أولاد المختار بالجنوب

وأولاد أمرج وأولاد شعيب .

ويقال انه بنى جامع مزارى ..

وكان ضابطا ماهرا وقد شارك في وتعة

اسطاوبلى (Staoueli) وبعد الهزيمة عاد

الى المدينة الا انه وجد الوضع قد تغير

والاهالى قد ثاروا فنهبت البرواقية وبادرت

وزرة بالاستيلاء على خيل الباي وبغاله

الموجودة بجنان الباي فانسحب بومزراق من

المدية مدة ثم عاد اليها ثم غادرها والتحق

بالاسكندرية وبها ثوى .

(٦) المدية بعد ١٨٣٠ :

كانت المدن الجزائرية منذ القرن ١٨ م في

انحطاط مستمر فقدت نشاطها وحضارتها

وخلت من عدد كبير من سكانها فالجزائر مثلا

كانت من اعظم الامصار في القرن ١٧

(١٠٠٠ ر. ١٠٠٠) نسمة ولم يبق فيها الا ٣٠٠٠٠
حوالى ١٨٣٠ .

وافترقت وهران وافترقت من اهلها
واصبح هؤلاء ٩٠٠ .

وكذلك شأن تلمسان منذ استيلاء الاتراك
عليها (١٥٥٥) اما المدينة فانها مع قلة عدد
سكانها (يتراوحون بين ٤٠٠ و ٥٠٠) قد
حافظت على اهميتها وعلى دورها السياسى
والاقتصادى ففى عاصمتها بايك التبرى -
وهى قاعدة عدد كبير من الاتراك والكفلان -
وهى فى طريق تجارى بين الجنوب والشمال .
الحملة الفرنسية الاولى على المدينة :

من نتائج ثورة جويليت ١٨٣٠ فى فرنسا ان
جيشها هنا أصبح يشعر بعدم سيطرة القادة
والساسة بشؤونه وأصبح الجزائريون بعد
سقوط شارل العاشر (Charles X) يتوقعون
انسحاب الفرنسيين من ارضهم - وتساءل
الجنود ما غائدة احتلال الجزائر العاصمة
وحدها .

وعين كلوزيل (Clauzel) فى سبتمبر
١٩٣٠ (الى اغسطس ١٨٣١)

فكانت سياسته ترمى الى اهداف ثلاثة :
(١) بقاء الفرنسيين فى الجزائر العاصمة
(٢) انشاء ادارة فرنسية للاماكن المحتلة
(٣) التوغل داخل البلاد حتى يكون
للمعمرين قواعد ثابتة لا ينازعهم فيها احد .
لا سيما وان الراى العام الجزائرى بدا
يميل الى المقاومة مثلا :

استمال بومزراق الاتراك :
وهاجم ابنه القوافل الفرنسية عدة مرات .
وها هو بن مزمون قائد غليسة يعلن عن
عدم خضوعه للفرنسيين .

فقرر (Clauzel) كلوزيل حملة على
المدينة (التى هى فى نفس الوقت حملة
استطلاع) لماذا ؟ ليتخطى المسلمون عن كل امل
فى انسحاب فرنسا من الجزائر ولرفع معنوية
الجيوش ولماقية باى المدينة الذى كان فى
نظرهم رمز المقاومة . واخبر لان المدينة تحكم مع
البرواقية طريق الجنوب فخرج الفرنسيين من
الجزائر فى ١٧/١١/١٨٣٠ فى ١٠٠٠٠ جندي
ودخلوا البلدة ونهبوها نهبا وكانت المقاومة

شديدة ثم استولوا على ثنية مزايا (Cole de
Mouzaï) ثم دخلوا المدينة فى ٢٢/١١/١٨٣٠
فغزلوا بومزراق وعينوا بايا آخر هو مصطفى
بن الحاج عمر ثم عادوا الى الجزائر .

يكان سلطان المغرب - مولاي عبد الرحمن
قد احتل تلمسان وجعل على رأسها مولاي
على - الا ان الاهالى ثاروا على السلطان
وطردوا مثله فبعث مولاي عبد الرحمن قائدين
للدواير كانا معتقلين بفاس فجمعاه جيوشا
ونصبا ممثلين للسلطان العلوى احدهما فى
مليانة والآخر فى المدينة ولم يطل نفوذ السلطان
هنا وعاد برتوزين (Berthezene) الى المدينة
ودخلها فى ٢٩ جوان ١٨٣١ .

عهد الامير عبد القادر

كان الامير بعد تاهبه للمعركة بعد ١٨٣٤
يفكر فى ضرورة توسيع دولته من الناحية
الشرقية بضم القبرى والمدينة وبلاستيلاء على
مليانة حتى يتمكن من محاربة الاجانب .

ففى ١٨٣٥ دخل مليانة ونصب اخاه الحاج
محي الدين الصغير على رأسها ثم فكر فى
المدينة وكان عالما باهميتها الجغرافية
ولاستراتيجية (هى فى طريق الجزائر ولجنوب
وهى قاعدة ستنتقل منها غارات على النواحي
الشرقية - وهى حصن يحصى الناحية
الغربية) . وكانت نواحي المدينة خاضعة لنفوذ
ولى من اولياء درقاوة هو :

الحاج موسى الدرقاوى الذى اعلن الجهاد
على النصارى فقدم الى المدينة فى افريل ١٨٣٥
وطلب من سكانها ان يسلموا له يهود المدينة
واياضيها فامتنع السكان ثم صالحوا هذا
الشيخ وسمحوا له بدخول المدينة ومنها انطلق
نحو الجزائر على حماره لقتال الفرنسيين
(غسمى بوحمار ٥٠٠) ولم يرض الامير بغيره
ليتزعم الجهاد . ونزل عبد القادر من مليانة
فى ٢٠ افريل ١٨٣٥ واصطدم بالحاج موسى
فى حوش عمورة على ١٢ كلومتر من لربة
بنى جندل وانهزم الحاج موسى فمكنه هذا
النصر من فتح المدينة وعين خليفة له بها محمد
بن عيسى البركانى واعدم انصار الحاج موسى
ثم عاد الى معسكره وقبل مغادرته المدينة
استقبل الامير مبعوثا فرنسيا وهو القبطان

(Capitaine St Hippolyte) الذي جاء
ليهنته ويسلمه بعض الهدايا .

وتعكر الجو بينه وبين الفرنسيين فكان
الامير يغزو القبائل المايعة لفرنسا وكان
كلوزيل (Clauzel) يغزو القبائل المناصرة
لعبد القادر وهكذا عاد (كلوزيل) مرة أخرى
الى المدينة في مارس ١٨٣٦ ليفرض على السكان
البابى محمد بن حسين الذى عينته السلطة
الفرنسية وكان رد فعل الامير سريعا فهاجم
انصاره المدينة واستولوا على المدينة وبعثوا
البابى الى وجدة حيث قتل لكن في ٧ افريل
١٨٣٦ دخل ديمشال (Desmichelas) المدينة من
جديد .

وتطور الوضع شيئا فشيئا وعاد الامير الى
وادى شلف سنة ١٨٣٧ ثم الى المدينة والقى
القبض على ٨٠ من الكرغلان وبعث بهم الى
مليانة وفي اثناء اقامته بالمدينة استقبل الامير
ايعان البليدة ثم نصب بعد ذلك اخاه الحاج
محطفى خليفة له على المدينة .

ثم زحف اول ديسمبر ١٨٣٧ الى اولاد
المختار جنوب المدينة وكان يوجد بينهم رجل
يدعى الحاج عبد الله اتى من المغرب الاقصى
وتنبا وادعى انه المهدي فوكة هذا في قبضة
الامير فبعثه الى سلطان المغرب الذى كان في
طلبه ولكن خصوم الامير مثل الدواير والمبيد
وناخا واولاد نائل واولاد المختار لازالوا
يتربصون الفرص واضطر الامير الى غزو
زناجة جنوب بغار مدة ثلاثة ايام حتى
النصر ، وفي المدينة توجه الامير لمحاربة
الزواتنة وهم كرجلان نزلوا
وادى الزيتون غرب يسر ثم عاد الى
المدينة وبهذا استقبل مبعوث الوالى فالى
(Valée) لمباحثة مشروع معاهدة التافنة
كما استقبل بها الحاج عيسى الاغواطى فعينه
خليفة على الاغواط وكان كلاهما ضد زاوية
التيجانية عين ماضى . قبل نهوضه لمحاربة
الشيخ التيجانى بعث الامير كلغلان المدينة
الى تاقدمت وكان يتوقع فيهم الميل الى فرنسا .
وفي طريقه الى عين ماضى اختط حص تازا
في الجنوب الغربى للمدينة .

وعندما دذات حكمة الامير في عصرها
الذهبي وبلغت سلطته اقصى ما عرفه قرر ان
تكون المدينة مقر الخليفة وعين البركانى
بها واصبحت المدينة مع تلبسان ومعسكر
ومليانة عبارة عن جبهة تسارير
الساحل وتقف في وجه العدو وفي
نوفمبر ١٨٣٩ رجع عبد القادر الى المدينة
ليستأنف الحرب فكانت المدينة عاصمة دولته
فتوجه اليها الاعيان والانصار ونشبت الحرب
ولعب خليفة مليانة (او هو* بن علال ولد سيدى)
ببارك وخليفة المدينة وهو البركانى دورا هاما
مثل تعطيل مواصلات العدو وقطع الماء على
معسكر البليدة .

الاحتلال الفرنسى للمدينة

قرر الوالى العام تعالى احتلال المدينة ومليانة
فدخل عاصمة التطرى في ١٧ ماي ١٩٤٠
فوجدوها خالية من اهلها الذين كانوا قد
غادروها فغززها وحسنها وترك بها حامية
بقيادة الجنرال دوفيفى (Duvivier) الى ان
قدم اليها بوجو (Bugeaud) في ١ افريل
١٨٤١ ففر البركانى الى الجنوب بعد ما خانه
اعوانه وفارقه جنوده (الى ضواحي شرشال)
وفي ١٨٤٢ الدائرة العسكرية بالمدينة التى
كلفت بالقبض على سمالة الامير تلك العاصمة
المنتقلة في الجنوب .

ثم كان دخول المعمرين الى المدينة وضواحيها
(في ١٨٤٧ بلغ عددهم ٢٣٢٢) .

واصبحت المدينة بعد ١٨٥٠ تحت الحكم
المدنى فكان يتصرف في شؤونها مندوب مدنى
وبدأت الجائيات الزراعية تنزل بضواحي المدينة
كلودى Lodi ودمياط Damiette في جانفى ١٨٥٣
وبسطت السلطات الفرنسية نفوذها شيئا
فشيئا وهكذا قررت في جوان ١٨٥٤ ان تكون
المدينة بلدية على رأسها شيخ منتخب كما قررت
احداث نيابة العمالة في سنة ١٨٥٨ واستمر

اهل الحضرة واهل الوبر وفي ناحية خصبة فلا
عجب اذا كان الصراع من اجل ضمها غنيا
وتاريخها كله من اجل هذه الغاية ...
مولاي بلحميسي استاذ بقسم التاريخ بالجامعة

عهد الاحتلال هذا هو تاريخ المدينة الى منتصف
القرن التاسع عشر تاريخ ثغر ممتاز من ثغور
المغرب لانه في قلب المغرب الاوسط وفي
الطريق بين الشمال والجنوب وفي الحدود بين

مصادر ومراجع

(١) العربية :

عبد الرحمن بن خلدون : كتاب العبر ج ٧

يحيى بن خلدون : بغية الرواد .

ابو عبد الله البكري : كتاب المسالك .

(٢) الغربية :

LEON L'AFRICAIN : Description del'Afrique... Tome III
MARMOL : L'Afrique Tome II page 411.

FOURNEL : La Conquête de l'Afrique par les Arabes Tome II..

REVUE AFRICAINE : Notice sur l'histoire et l'administration du Beylik du Titteri
(par Federman et au Capitaine) 1865 et 1867.

Le Bey Mohamed Ad-Dabbâh 1873.

P. BOYER : Evolution de l'Algérie Mé-diane de 1830 à 1956. (1960).

ISMAIL URBAIN : Notice sur l'ancienne province du Titterie (tableau de la situation
en Algérie - Année 1834 - 1844).

JOURNAL ASIATIQUE : XIII Série pp ; 111-112.

E.I. : Art. Médéa (G. Yver) Tome III page 449-500.

H. Guyon : Le département du Titterie, son passé son histoire.

L. Cortès : Monographie de la Commune de Médéa. Alger 1909 ; (Brochure).

Léon L'Africain.

قضية

الحياة في العلوم الاجتماعية



نظمت وزارة التعليم العالى والبحث العلمى في
أفريل الماضى ملتقى دوليا حول ((اصلاح تعليم
العلوم الاجتماعية وتقنياتها وادماجها في التنمية
الاقتصادية وهياكلها))

وقد طرحت خلال هذا الملتقى الهام عدة قضايا
تتصل بهذه العلوم ، سواء من حيث تحديد
تعريفها او تعيين المهام المخطط بها ، او بعض
المقترحات الخاصة بتعليمها بما يحقق اندماجها
وارتباطها بالتنمية الاقتصادية . كما طرحت
للمناقشة قضية الحياد في هذه العلوم ، باعتبارها
— عند البعض — ضمنا لموضوعيتها وعلميتها ،
ويبدو لى ان المسألة الاخيرة تحتاج الى وقفة ولو
قصيرة عندها لما نها من الاهمية ، لكن قبل ذلك ارى
انه من الاهمية ايضا وضع هذا الملتقى في اطاره
التاريخى والحضارى والفكرى العام .

يستمد هذا الملتقى اهميته ولاشك من هذا
المستوى المتقدم ، والتطور المستمر للمعرفة
العلمية والتكنولوجية . واتجاه التعليم ، بفروعه
المختلفة في اغلب البلدان ان لم نقل كلها ، الى ان
يسبح خدمة ينتظر منها عائد او مردود . كما انه
يعبر اصدق تعبير عن هذا الاتجاه . الى اعتبار ان
اساسيات المعرفة وحقائقها تتطور وتتعدل بسرعة
كبيرة . خصوصا في مجال العلوم والتكنولوجيا ،
ومن هنا كان من المحتم ان تواكب العلوم الاجتماعية
هذا التطور وتتفاعل معه .

وقد ادرك المشتغلون بهذه العلوم انفسهم انهم لا
يستطيعون البقاء بعيدين عن هذه المتطلبات
والحاجات الجديدة التى يفرضها التطور في العالم .
وتؤكد هذه الحقيقة اكثر لدى المجتمعات
النامية التى اصبح المفهوم العام للتنمية فيها يتخذ
شكلا خاصا بها نظرا لطبيعتها الخاصة وظروفها
المعنية . اذ كما هو معلوم ان ابناء هذه البلدان
النامية يقبلون على العلوم الاجتماعية اكثر من
غيرها . ومن هنا اصبح التفكير في ربط هذه
العلوم بخطة التنمية الاقتصادية ومشاريعها
وابجاد حالة من التفاعل الخلاق بينها ، يكتسب
اهمية خاصة .

فهذا الملتقى اذن . يمثل تطورا في النظرة الى
العلوم الاجتماعية . باعتبار ان هذه العلوم . وحتى
العلوم الطبيعية . كانت جزءا من الفلسفة . وقد
تقدمت الاخيرة قبل العلوم الاجتماعية بما تبنته
من طرائق علمية موضوعية . واستطاعت ان
تحدث ثورات اقتصادية واجتماعية شاملة .
وبحكم هذا المفهوم الشمولى الجديد للتنمية
الذى يضم كل ما قديمت الى الاقتصاد والاجتماع
بصلة . وتدخل فيه كل انواع النشاط الانسانى
بما في ذاك العلوم الاجتماعية فان العلوم الاخيرة
اصبحت تحل مكانتها الى جانب بقية العلوم
الطبيعية . واخذت تستخدم طرائق علمية بما
يناسب طبيعة موضوعاتها . رغم الصعوبات
الهائلة في هذا الموضوع .



عثمان شبوب

لو كانت مادة مخدرة ، لاعوامل تحريك وتغيير للواقع الحضارى لمجتمعاتهم ، وكل من يطالع صحافة ومجلات هذه البلدان ، يصادف هذا الاتجاه وان كان اسلوب طرحه ومستواه يختلف بطبيعة الحال من حيث النضج والوعى ويسمى اصحاب هذا الاتجاه الان فى البلدان العربية بـ « التكنولوجيين » .

والواقع ان هذا الاتجاه ليس ما يعنيه سوى هذا التطرف الذى يتصف به ، والصبغة الانفعالية التى تجعله وليد الصدمة اكثر منه وليد التفكير الناضج ، والتأمل الهادى الرزين لان الدعوة الى مجاوزة حالة التخلف ، والاعتماد على العلم والتكنولوجيا دون افعال دور النظريات والقيم الفكرية فى رسم خطى التقدم العلمى واعطائه روحه ، يمثل الجانب الايجابى لهذا الاتجاه

واذا وضعنا هذا الاتجاه فى سياقه التاريخى والحضارى وجدناه يعبر عن وعى ويقظة فكرية ، ونزوع اصيل مخلص الى التقدم والنهضة الشاملة ونجد شبيها لهذه الوضعية ، ما وقع عشية الثورة الفرنسية من اهتزاز فى القيم والمفاهيم وصراع فكرى عنيف بين مختلف الاتجاهات . وكان موقف اغست كونت شبيها بموقف هؤلاء . فقد كان يرى ان من اسباب هذه الفوضى الاجتماعية والعقلية تواجد اسلوبين مناقضين للتفكير ، احدهما يسميه الاسلوب العلمى الوضعى الذى يتجه اليه الناس فى عصره عندما يفكرون فى الظواهر الكونية والطبيعية والبيولوجيا ، وثانيهما التفكير الميتافيزيقى الذى يتجه اليه الناس اذ يفكرون فى

لقد مرت هذه العلوم لحداثتها كما قلت سابقا بمرحلة صراع عنيف مع العلوم الطبيعية لتحصل على اعتراف باصالتها العلمية ، وما تزال تناضل من اجل هذا الاعتراف ، ولقد صاحبت مرحلة الصراع هذه ، نزعة من بعض علمائها تهدف الى ايجاد نوع من الحماية لها حتى تضمن لنفسها اللحاق بالعلوم الطبيعية ، ومن بين انواع هذه الحماية تأتى قضية « الحياد » التى اشرت اليها سابقا والتى يقصد منها الاعتماد على المناهج العلمية ، ورفض التصورات المسبقة والافكار الجاهزة . ويعتبر انصار هذه النزعة ان اتباع نمط البحث العلمى فى العلوم الطبيعية ، الذى يعنى عدم الالتزام بشيء سوى البحث ، يمثل نقطة تحول فى تاريخ هذه العلوم اولا ، وخطوة كبيرة نحو تحقيق الاهداف المنتظرة ثانيا .

ولقد لعبت هذه النزعة ، نزعة الحياد فى العلوم الاجتماعية ، هوى خاصا لدى عدد كبير من ابناء المجتمعات النامية وخاصة بعض ابناء البلدان العربية الذين اعتنقوها فى شيء من الانفعال وليس عسرا على الملاحظ ، ان يضع هذا الانفعال فى اطاره الحضارى والتاريخى .

لقد نشأ هذا الاتجاه ، او بالاحرى اتخذ هذه الصبغة الانفعالية الحادة ، فى البلدان العربية بعد هزيمة الخامس من جوان ، التى جعلت ابناءها يفتقون على وضعية التخلف العام التى عليها مجتمعاتهم ، فاصبحوا يتشككون فى كل القيم التى كانوا ينادون بها ، ويستهيئون بجميع الشعارات التى اعطوها لنضالهم قبل ذلك ، ويصورونها كما

الظواهر التي تتعلق بالإنسان والمجتمع ، فالمنهج الأول يعتمد على الملاحظة وتقرير الواقع كما هو ، والمنهج الثاني يقوم على التأمل النظري والبحث المطلق ، ولا سبيل للخلاص الا بالالتزام بالمنهج الأول أى العلمى ، واستبعاد الفكر النظرى التاملى . فهذا النقاش الدائر الآن اذن فى البلدان العربية

حول هذا الموضوع له جوانب ايجابية الى جانب جوانبه السلبية فهو كما قلت يعبر عن مرحلة نهضة ويقظة ، وبحث عن سبل انجع للحاق بركب الامم المتقدمة ، والحديث عن الشعيرات بهذه اللهجة الساخرة ، ليس كله سلب ، وانما هو فى بعض جوانبه تطور فى الوعى او ان شئت ، يمثل امتدادا متطورا لمرحلة الشعيرات فالشعيرات مرحلة ادت دورها ، واتى دور تقنينها فى الحياة الاجتماعية .

ظهرت الدعوة الى الحياد اذن فى العلوم الاجتماعية ، كضمان لعلميتها وحمايتها من الوقوع فى ضباب التاملات و « الاوهام المتعالية » كما يقول « كونت » يعنى ان الباحث الاجتماعى لا يهيمه — مثلا — اى صراع فى مجتمعه ، انه يكتفى فقط بالمراقبة والملاحظة ، يصف ولا يصدر حكما ، يقول « جورج لنديرج احد اعمدة الوضعية فى علم الاجتماع » لا ينبغي على العالم ، ان يتورط فى اصدار اية احكام تقييمية ، ذلك ان القضايا العلمية والقضايا الاخلاقية ، لا يمكن رد احداها للآخرى .

ويدعو ماكس فيبر احد علماء الاجتماع المشهورين لنفس الفكرة ، وكان يرى ان ذلك ليس مجرد التزام بقواعد المنهج العلمى فحسب ، وانما هو وسيلة للتخلص من سيطرة الحكومات والسلطات فى اى مجتمع . والامثلة فى هذا عديدة لكن السؤال المطروح مبدئيا قبل مناقشة هذه الاراء هو هل : صحيح ان بين العلوم الانسانية ، والعلوم الطبيعية فارقا كبيرا فى درجة العلمية ، ام ان هذه التفرقة وهمية فقط ؟

ان الجواب عن هذا السؤال يتطلب وضع سؤال آخر وهو : ما هو العلم ؟ فاذا اعتبرنا بان العلم هو جملة قوانين عامة ، والقانون هو كشف

عن علاقة بين طرفين او اكثر . واذا صح ان العقل هو منبع هذه العلاقة وليس الواقع لاننا اذا قلنا عكس ذلك مثلا ، اى ان العلاقة آتية من الواقع ، لكان القانون هو عبارة عن تصوير طبق الاصل للواقع ، ولكننا اذا تتبعنا العلم فى سره عبر التاريخ ، وجدنا ان قوانينه مستمدة من طبيعته التطورية ، اى انها فى تطور دائم ، فالعلاقة — بهذا التحليل — ، ليست محتضنة فى الواقع ، وانما هى مضافة اليه . وهذه الاضافة بدون شك ، آتية من العقل بصفته المنظم لهذه العلاقات .

بهذا نصل الى ان القانون العلمى له طابع انسانى ، وان الانسانيات موضوع علم ومن ناجية اخرى ، فالدعوة الى الفصل بين النظرية والمنهج لم تعد ذات قيمة علمية ، والاعتقاد بان النظرية تنبثق من الواقع ، وان الامر يتعلق فقط بايجاد واستخدام الوسائل المضبوطة التى تمكن من اكتشافها ، واعتبار ان النظرية ثابته ، وتالية للواقع ، وانما غوى ذلك محتواة فى الواقع ان هذا الاعتقاد يجهل الدور الخلاق الذى تقوم به المعرفة المسبقة .

لقد دعا الكثير من العلماء الغربيين الى فكرة الفصل هذه ، ولكن هل كانوا فعلا مخلصين لما دعوا اليه ، ام فى التطبيق كانوا غير ذلك ، ولغات بامثلة .

اغست كونت الذى اشرنا اليه سابقا ، كان من اوائل الدعاة الى محاربة التفكير النظرى يقول فى « مقال عن الروح الوضعية » : « يختص علم الاجتماع الوضعى ببحث الوقائع ، بدلا من الاوهام المتعالية ، وبالمعرفة النافعة ، بدلا من التأمل المقيم ، وباليقين بدلا من الشك والتردد ، والتنظيم بدلا من السلب » .

وكان كونت يدعو الى اقامة « المجتمع الصناعى الذى لا يقوم على الاديولوجية ، وانما يقوم على التنظيم . ان المجال لا يتسع هنا للتفصيل فى نظرية كونت او الرد عنها ، وانما المهم لموضوعنا ان نلاحظ ان كونت عمليا لم يلتزم لبقاواعد

المنهجية التي دعا اليها ، وكان يصدر عن اديولوجية نظرية مثالية تجلت في دينه الجديد « الانسانية » وقد ساهمت مساهمة كبيرة في تدعيم القوى المحافظة في عصره .

ونستطيع تأكيد هذه الحقيقة .. الصبغة اديولوجية لكل النظريات الاجتماعية ، من خلال التحليل التاريخي لحركة المجتمع الاوروسي في القرن التاسع عشر ، وما نشأ خلالها من صراع حاد بين الوضعية من ناحية والاشتراكية من ناحية اخرى ومن خلال الدراسات النقدية المستفيضة للنظريات الاجتماعية التي نشأت في هذا القرن من ناحية ثانية ، المعتمدة على منهج علم اجتماع المعرفة ، الذي يربط بين البناء الاجتماعي والفكر ، ويحرص على ابراز الاتجاه اديولوجي للمفكرين كوسيلة لفهم نظرياتهم .

ونستطيع ان نقول ايضا ان الطابع اديولوجي للنظريات الاجتماعية لم يكن مجرد مرحلة تاريخية انتهت كما يتصور البعض وانما هو سمة مميزة لها وانما يبقى فقط تحديد نوع اديولوجية التي تخاز لها مخلف هذه النظريات .

ويعتقد بعض السطحين ان مسألة الالتزام بنسق من النظريات الاجتماعية والفلسفية ظاهرة موجودة فقط في البلدان الاشتراكية ، وان الانظمة الراسمالية تكون فيها الابحاث مستقلة غير ملتزمة بأي شيء سوى البحث نفسه .

والوقائع التي كشفت عنها الاحداث الاخيرة حول نشاط وكالة المخابرات الامريكية المتبلة فيما يسمى بمشروع كاميلوت لضرب الثورة في البلاد النامية تكذب ذلك ، فقد كان الهدف من هذا المشروع هو : « القيام ببحوث في مجال العلوم الاجتماعية والسلوكية ، وذلك لتدعيم المهام التي يقوم بها الجيش » .

ويقرر الباحث الامريكي جيدون سويرج ، انه « ليس من قبيل التعسف استخلاص الهدف الرئيسي لهذا المشروع ، من كونه يبحث مشكلة

كيفية مجابهة الثورات الوطنية ، وذلك باعتبار انه ينهض على افتراض اساسي مؤداه ان البيانات المتزايدة التي يمكن تجميعها في هذا الصدد ، من شأنها ان تمكن الجيش الامريكي من مجابهة الثورات الداخلية في مختلف الدول التي توجد للولايات المتحدة الامريكية مصالح فيها » . وقد خصص للمشروع ميزانية مقدارها ستة ملايين دولار على اساس القيام بدراسات مسحية ميدانية في مختلف بلاد امريكا اللاتينية وآسيا وافريقيا ، (انظر الكاتب . مارس ١٩٧١ - العدد ١٢٠) .

وقصة هذا المشروع تبين كيف تؤثر اديولوجية الراسمالية المسيطرة لتحقيق اهدافها الاستغلالية ، وقد اكد هذه الحقيقة الدكتور احمد ابو زيد في كتابه : « البناء الاجتماعي - مدخل لدراسة المجتمع » (ص ٢٣١-٢٣٢) « كيف اهتم عدد من علماء الانثروبولوجيا في امريكا لاسباب تتعلق بالحرب والدعاية بدراسة شعوب الاعداء والحلفاء على السواء - فالوقائع التاريخية تقول ان الحكومات واجهزت المخابرات قد زادت من استعانتها بالعلماء ابان الحرب العالمية الثانية لتحقيق اهداف معينة تتوافق مع مصالحها » .

ويقول ابو زيد ايضا « ان مجلة علم الاجتماع الامريكي لم تشر ولو مرة الى الازمات الطاحنة التي يمر بها العالم الان والتي تتمثل بالنسبة لامريكا نفسها في التفرقة العنصرية ، وحرب الفيتنام ، والظلم الاجتماعي ، وانتشار الجريمة ... الا يتعلق الامر بقضية التوجيه الخارجي والتدخل من قبل السلطات » .

فالقول اذن بان الانظمة الراسمالية تتيح المجال للموضوعية ليس مايؤيده والوقائع التي ذكرناها اكبر دليل على هذا التوجيه والاستغلال .

لكن السؤال المطروح الان ، وقد اثبتنا الطابع اديولوجي لهذه العلوم ، وصعوبة - ان لم نقل استحالة ، تجرد الباحث من احكامه الذاتية ،

ومعاملة الظواهر الاجتماعية كأنها أشياء خارجة عن ذاته ماهو موقف الباحث الاجتماعى فى البلدان النامية ، وما هى الايديولوجية التى يتعين عليه ان يصدر عنها .

ان الصعوبات التى تواجه الباحث الاجتماعى فى الدول النامية ، يمكن حصرها فى نوعين : صعوبات منهجية خاصة بمجال العلوم الاجتماعية ، وصعوبات خاصة بالباحث نفسه . وقد اشرنا الى بعض المشاكل المتعلقة بهذا الموضوع وهى مشتركة بين الدول النامية والدول المتقدمة منها : تخلف هذه العلوم عن العلوم الطبيعية ، ضعف الامكانيات المتاحة للبحوث فى العلوم الاجتماعية بمقارنتها بالبحوث فى مجال العلوم الطبيعية وغير ذلك .

واما الصعوبات الخاصة بالباحث نفسه ، فتتمثل خاصة فى هذا الضياع بين اديولوجيات مختلفة فالبلدان التى ينتمى اليها لم تتضح فيها بعد ، الفلسفة التى تتبناها ، او الاختيار الايديولوجى المحدد للعالم ، فهى قد رفضت الرأسمالية كدليل نظرى لمسيرتها نحو التقدم ، وهى فى نفس الوقت لم تقبل بالاشتراكية العلمية فى صورتها المتكاملة .

وبإزاء هذا الوضع هناك وجهات نظر مختلفة تحاول ان تجد الحل المناسب لهذا المشكل ، هناك من يدعو الى الالتزام بمشكلات وقضايا هذه المجتمعات . واعتبار ان واقع هذه المجتمعات هو المختبر الحقيقى لاختلاف التيارات الفكرية والاجتماعية .

واصحاب هذا الاتجاه لا يرون ضرورة وجود اطار نظرى واضح ، وانما يكفى فقط « وجود مجرد صورة تنظيمية عامة واولية عن الظاهرة المحددة المراد دراستها ، ذلك ان الخطة الطويلة المدى للعمل العلم سوف تبدأ مباشرة من النتائج الواقعية ثم نسعى بعد ذلك الى كشف القضايا العامة التى تفسر تلك النتائج » .

ويرون ان كافة العلوم قد بدأت بالتفسير البعدية وكانت بمثابة الاساس الذى نهضت عليه نظريات ذات قدرة فائقة على تفسير مجموعات كبيرة من الوقائع الجزئية (الدكتور محمود عودة علم الاجتماع بين الوحدة والتمدد

الطليلة - يناير ١٩٧١) .

والواقع ان القول بعدم ضرورة وجود اطار نظرى يعتمد عليه الباحث ، كانت احدى الاسباب التى اثرت على قيمة الدراسات الاجتماعية ، اذ كان لها طابع المسح او الوصف العام ، او الوصف الكمي (القياس) كما اتسمت بالجزئية والتجريبية الساذجة والتأويلات الذاتية .

ويبدو لى ان طرح صيغة النقاش بهذا الشكل : الاختيار او الاختبار ، هو طرح خاطيء من الاساس ، ان المجتمعات النامية تواجه مشاكل خاصة مثلاً : مرحلة التحول من مجتمع ريفى الى مجتمع صناعى ، والمشكلات المترتبة عن الهجرة ، واستمرار التفكير الغيبى ، والتعامل مع التكنولوجيا الصناعية بعقلية زراعية ، والتعبد البيروقراطى وارتباطه بالتحول الاشتراكي ، والانار الاقتصادية والاجتماعية للقوانين الاشتراكية ، بالنسبة للبلدان التى اصدت هذه القوانين .

ويتعين على الباحث الاجتماعى ان يلتزم بالمشاكل الخاصة بهذه المجتمعات ، وعليه ان يقوم فى نفس الوقت بدراسات نقدية تزيهه لاختلاف التيارات النظرية الاجتماعية ، ليستعين بها فى الوصول الى نتائج ناضجة .

وهذه النظرة المتكاملة التى تجمع بين النظرى والعملى تستلزمها طبيعة هذه العلوم ، ومتطلبات هذه المجتمعات النامية نفسها ، وفى رايى ان النظرة المباشرة كما هى فى العلوم الطبيعية والتى ينادى بها هؤلاء لا تكفى فى ميدان العلوم الاجتماعية ، فلا بد من نظرة غير مباشرة اى الى استدلال يدل على فاعلية اية نظرية من النظريات .

فالنظرة الاولى « محافظة » بحكم التصاقها بالواقع ، والنظرة الثانية ثورية بحكم تجاوزها للواقع ، ولذلك فنحن ندعو للتلاحم العضوى بين الفكر والواقع ، لانه بهذا التلاحم نحى انفسنا من خطر الاصابة بالبيروقراطية والجمود والفصام الاجتماعى والسياسى ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الدعوة الى التقدم العلمى تستلزم الرؤية المستقبلية وهذه الرؤية لا تتحقق من غير رؤية فلسفية .

فلسفة ابن باجة

الخلقية

ان المشكلة الاخلاقية والاجتماعية تتصلان بصميم الحياة البشرية ولذا فانه لا تخلو فلسفة فيلسوف ، ولا مذهب من المذاهب الفلسفية ، من التعرض لها ، وابداء الراى فيها .

وابن باجة لا يعد من الذين تناولوا الحديث عن المشكلة الاخلاقية فحسب ، بل يعتبر من الفلاسفة المبدعين فى هذا الميدان ، وان ارسطو والفاربى وجميع من تقدموه لم يتناولوا المشكلة الاخلاقية كما تناولها ابن باجة .

ونحاول ان نلخص افكار مذهبه من خلال المؤلفات التى تركها بين ايدينا ويعد كتابه « تدبير المتوحد » من اهم مؤلفاته عرض فيه ابن باجة مذهبه الاخلاقى كاملا ، وهو يفترض فى هذا الكتاب وجود كيان سياسى واخلاقي واجتماعى فى المدينة المثالية التى يديرها متوحدون ، اعطى فيها كل واحد منهم افضل ما هو معد له ، وان آراءهم كلها صادقة ، واعمالهم هى الفاضلة بالاطلاق ، وان افعالهم كلها صواب ، ولكى يصل ابن باجة الى تعرف اى افعال البشر تؤدى الى هذه الغاية نراه يقسم افعال الانسان الى قسمين : بهيمية وانسانية ، وذلك ان اعمال الانسان تصدر عن الغزيرة او عن العقل والتأمل ويقول فى هذا الصدد :

« وكل ما يوجد الانسان من الافعال المختصة بما اختص به من طباعه المتميزة عما سواه ، فهو بالاختيار ، واعنى بالاختيار الارادات الكائنة عن روية ، والحيوان غير الناطق انما يتقدم فعله ، ما يحدث فى النفس البهيمية من افعال ، والانسان قد يفعل ذلك من هذه الجهة كما يهوى من فزع ، ومثل :

زهور طابى

(١) ابن باجة من فلاسفة العرب الذين ظهر وائى الاندلس . ولد فى سرقسطة حوالى نهاية القرن الحسادى عشر الميلادى - الخامس الهجرى . قتل مسموما سنة ٥٢٢ هـ - ١١٣٨ -

ما يكسر عودا لانه خدشه فقط ، وهذه
وأمانها افعال بهيمية ، فاما من يكسره لثلا
يخدش غيره أو عن روية توجب كسره فذلك
نعل انساني ٢ » .

نفوذ من طرف النوازع الغريزية الاخرى غير
العقل وهو جدير بأن يسمى فعلا الهيا باعتبار
ان غاية الفلسفة هي التشبه بالله يقول :

« وأما من يفعل لاجل الراى والصواب ،
ولا يلتفت الى ما يحدث في النفس البهيمية .
وهذا يجب أن يكون فاضلا بالفضائل ، حتى
يكون متى قضت النفس الناطقة بشيء لم
تعاند فيه النفس البهيمية بل قضت بذلك الامر ،
من جهة أن الراى قضى به ، ففعله بأن يكون
ليها . أولى من أن يكون انسانيا » ٣

وهكذا فان العقل هو مصدر للتشريع
الاخلاقي عند ابن باجة ، وليس معنى هذا
انه يريد القضاء على النوازع والعزائز البشرية
الاخرى وانما شرطه فيها ان تكون خاضعة
وخادمة للعقل .

هذا هو الاساس والمبدأ الاسمي الذي بنى
عليه ابن باجة فلسفته الاخلاقية فما هي
المستويات يقتضيها تطبيق هذا المبدأ من
السلوك الانساني . ان الغاية من السلوك
الانسانى شغلت ابن باجة سواء من الناحية
الاخلاقية او الاجتماعية ، والملاحظ انه يصف
سلوك الناس في زمانه ويذكر امثلة لذلك ،
ويتعرض لذكر اسماء اشخاص مما يدل على
انه انتهج منهجا علميا وضعيا من اجل
استخلاص المبادئ والقوانين الاخلاقية انه
يقسم سلوك الناس الى ثلاثة اقسام طرفين
بوسط :

(١) الصنف الاول يدخل فيه سلوك الناس

ان تحليل ابن باجة للفعل البشرى يعتمد
هنا على تحليل نفسى دقيق ، اذ يعتبر ان
الفعل الانسانى الخالص يمكن له ان يستقل
عن العناصر الحيوانية وهذا بعد ان يذكر
انواع الافعال الغريزية وانواع الانفعالات
الانسانية وما هو الاساس الذى تبنى عليه :

« فالفعل البهيمى هو الذى يتقدمه في النفس
الانفعال النفساني فقط مثل الشهية والغضب
او الخوف وما شاكله . والنفساني هو ما
يتقدمه امر يوجبه عند فاعله الفكر ، سواء
تقدم الفكر ، انفعال نفساني او اعقب الفكر
ذلك ، وسواء كانت الفكرة يقينية او مظنونة ،
وقلما يوجد للانسان الفعل خلو من الانساني
لانه يفكر في الاكثر كيف يفعل ذلك الفعل
البهيمى : »

غلغلة وجود العنصرين في الانفعالات
الانسانية نراه يلاحظ ان الفعل البهيمى لا
يخلو ابدا من الفعل الانساني ، لان الانسان
في كل حالة من افعاله متميز عن الحيوان
الاختيار ، كما ذكر لنا ابن باجة قبل هذا ، وان
غاب الاختيار في بعض الحالات ، فالفكر
وجود يقينا في كل الحالات .

والدرجة الاخلاقية الرفيعة عنده انما تتمثل
في ذلك الفعل البشرى الذى ليس عليه ادنى

(٢) كذا في الاصل المخطوط وصوابه في
(٧) المقالة الاولى من كتاب تدبير المتوحد في مجموعة من الاخلاق مخطوطة

الذين لا يباليون بأجسادهم بل انهم خاضعون لدوافع اللذة والشهوة ، ويعبر ابن باجة عن الدافع بالحرك ، ويضرب مثلا لهذا الصنف بالمتهورين في المخاطرات بأنفسهم ، والمنهمكين في اللذات المفسدة لأمزجتهم ، والمرضى في شهوات أنفسهم ومثل لذلك بمحمد ابن عبد السلام من أهل بلنسية وبحال اللصوص وقطاع الطرق وحال المتمردين ، والمتوثبين على الملوك .

(٢) والطائفة الثانية الذين يكثرون من التوقي ، ولا يرون الا وجود أبدانهم ، فهم يخافون كل شيء ، ويطلبون السكون والدعة بما أمكنهم ، لا ينهضون عند ملمة ، ولا يتأهلون لنيل الآمال العظيمة وضرب لذلك مثالا بالجماعة التي توالى الحمية وتخشى من كل غداء مثل على السلمى الذى لم يأكل مدة عشرين عاما الا صنفا واحدا من الطعام .

(٣) الصنف المتوسط وهم الذين قد يبذلون حياتهم اذا تعين ذلك لدفع مذلة ، او لجهاد العدو ، ولكنهم يحافظون على أنفسهم فيما عدا ذلك .

والطرفان المتطرفان عنده خارجان عن الطبع قليلا الوجود ، وأما المتوسط فهو الموجود كثيرا ، وهو الطبيعى الذى ورد به القرآن « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما . »

ويرى ان الناس مختلفون فيما ينبغى ، ومعيار السلوك انما هو ما ينبغى ، لا ما هو كائن ، وبهذا يخالف الوضعيين حيث يرى ان ما ينبغى انما هو أبدا شيء آخر غير العمل ،

نعمل الناس الطبيعى يتقوم بما ينبغى . والغايات كثيرة عند الناس اذ هي تختلف باختلاف المعايير التى يضعونها ، ولكن الغاية القصوى عنده ، او الخير الاعظم . انما هو فيما يكون جوهره فعله فجوهر الانسان جوهر عقلى ومن ثم فعله الاخلاقى الحقيقى هو ما كان مستندا الى العقل وما دفع اليه دافع عقلى وما صدر عن الروية والتأمل وأبعد من هذا كله فالفعل الخلقي الخالص يتمثل في الغاية القصوى وهى الاتصال ، وادراك العقول المارقة .

يصف ابن باجة غايات الناس في عصره ويحصرها في قسمين :

(١) الغاية الاولى ما يحسب اهل كل مذهب انه يرضى الله .

(٢) غايات تتمثل في اليسار ، وسير الكرامة من التهويل بالاهتمام باللباس والتزيين وواللذات بشتى أنواع اللذة ، فأعمال الصنف الاول الذين غايتهم رضا الله محدودة عندهم ، وكثيرا ما يخل بها أكثرهم الا عند أخيارهم المتمسكين بمذاهبهم ، وهم يقللون ويكثرون حسب الدول والعصور .

وأما الذين يقصدون اللذة فهم أنواع :

أ - من يقصد اللذة الحسية وهؤلاء انعقد الإجماع على ذمهم وخطئهم

ب - من يقصد سائرا صناف اللذات الأخرى من جاه وغلبة ، ومال وهؤلاء تختلف آراء الناس فيهم بين ذام وحامد .

ويلاحظ ابن باجة ان هناك لذة داخلية في هذا الصنف ، وهى اللذة العلمية ، تلك اللذة التى

تغلب على بعض الناس حتى تصبح غابتهم الوحيدة ، وهو يقسم هذه اللذة العلمية الى لذة علمية تكون نحو علم واحد ، والى لذة علمية نحو العلم بصفة عامة ، كيف كان واى علم كان ، وبما ان العلوم مراتب من حيث الشرف ، فأصحاب اللذة العلمية على الإطلاق يطلبون الالتذاذ بأشرف العلوم ويصبح ذلك همهم الوحيد ، وهذا من قواعد التفلسف الضرورية وابن باجة يضع نفسه في هذا الصنف من رواد اللذة العلمية فيقول :

« وفي هذا الصنف كنت انا وكنت انت وسائر اصحابنا على اختلاف انواعهم اذا تنكرتهم علمتهم من غير ان يحركنا شيء غير هذا الالتذاذ فقط (٤) »

فالعلم هو الفضيلة الاخلاقية ، وعليها تقوم سائر الفضائل ولا يخفى ما في هذا من تشابه بين ابن باجة وبين سقراط الذي ينادى بان الفضيلة علم ، وبان الرنيلة جهل . فالعلم امل الوصول الى امور ، لا يقدر الانسان ان يعبر عنها .

يقول ابن باجة : وايدا فمعنا رجاء انا نصل الى امر عظيم لا نعلم ما هو على التحصيل غير ان عظمه لا نجد موقته من النفس ولا تقدر العبارة على ادائه لعظمته وجلالته ، ورونته ، حتى ان بعض الناس يعتقد انه يصير نورا وانه يصعد الى السماء . ولذلك قال ابن الجلاب :

محيط السماوات اولى بنا

فماذا الخلود الى المركز (٥)

فالنشوة العلمية ، واللذة العقلية ، ليست في الواقع غاية عند ابن باجة ، وانما هي دافع الى العلم ، لانه ينقد من يجعل اللذة هي الغاية ، كالفزالي في نظره ، اذ يقول بصدد حديثه عن الامام الفزالي : الى سائر ما يقوله مما يفهم به ان الغاية القصوى من علم الحق الالتذاذ « ومما يدل على هذا قوله في رسالة

الوداع : « لكن متى طلبنا العلم فلسنا نطلبه لهذه اللذة بل هذه ربح ، لانها لازمة لوجود الحق ، اذ كل لذة فهي ابدأ لطل لشيء آخر . فمن طلب العلم للذة كمن يطلب من الاكل والشرب الالتذاذ به لا ليصح به جسمه . » وهذا يرجع الى ان اللذة عنده انفعال والانفعال تغير ، وكل متغير منقسم وهذا لا يوجد الا في مصاحبة العناصر العضوية اى البدن .

« ان المحرك الاول ، او الدوافع الى السلوك البشرى في نظر ابن باجة تنحصر في الخيال ، والنزوع ، والقوة الفكرية وهو يجعل القوة الفكرية في مضادة النزوع الذي يعبر عنه بالنفس ، والشوق والرغبة في الشيء ، قد تكون عن طريق الخيال ، وقد تكون عن طريق الفكر ، والشوق الخيالي خاصة الحيوان غير الناطق ، واما التشوق الفكرى فهو ما يمتاز به الانسان ، وقد يتنازع هذان الشوقان فيقال : « نازعتنى نفسى » « وقلت لنفسى في خلاء الومها » « اقول لها وقد طارت شعاعا » . وغير هذا من اقوال الشعراء التى كثيرا ما يستشهد بها ، ولا غرابة في هذا ، ففيلسوفنا قد جمع بين هوانف الشعر ومنطق العقل ، وهو في شعره اروع اسلوبا واجمل تعبيراً منه في كتاباته الفلسفية .

يحال ابن باجة هذه العبارات فيقول : « ان القائل في : قلت واقول ، هو القوة الفكرية . » وان المحرك للانسان في كل افعاله الانسانية انما هو الفكر ، والراى الصائب ، ويضاف الى هذا عنصر الارادة التى تتبع الروية . وهذا يشبه الى حد ما فلسفة الاخلاق عند كانط ، تلك الفلسفة التى تعتمد على الواجب الذى يقرره العقل مجردا عن الهوى منزها عن الغرض وعلى الارادة الخيرة التى هي خير مشروط ، وهى العنصر الجوهرى للاخلاق . وسنعالج الموضوع في بحث آت ان شاء الله

زهور طالبى



سوسيولوجية الجزائر

كثيرة هي كتب التاريخ والاجتماع التي تتحدث عن ماضى الجزائر وحاضرها عن خصائص شعبها ومظاهر ثقافتها ، وما دار فوق اديمها من أحداث ، ولكن قليلة هي تلك الكتب التي تتحدث عن كل ذلك بصدق وتجرد ، فقدانساق واضعو هذه الكتب — الا من رحم ربك — وراء عملية طمس وتضليل منظم لتزييف ماضينا وتشويه حاضرننا ، فكانت جهودهم « العلمية » تسير في خط مواز للاستعمار تجهز بالقلم على ما لم يجد فيه السيف وتهب الميكان لفزو من الداخل ، لا تدوى فيه المدافع ولا ترهق الارواح ، ولكنه يتسرب في يسر الى العقول فيوهنها ويمتد الى شخصية الامة وثقافتها فيفكك اواصرها ويجعلها من حيث لا تشعر تابعا قليلا يستمد غذاءه العقلى والروحي من خارج الحدود ، وينقاد الى سيد الامس فيقدم له مجانا ما حصل عليه منه باغلى الاثمان .

تأليف : ب. بورديو

عرض ونقد :

محمد العربي ولد خليفة

وفي هذا السياق يمكن أن نضع كتاب سوسيلوجية الجزائر للاستاذ بورديو الذي ظهر في طبعة ثالثة في أواخر السنة الماضية ١٩٧٠ وقد طبع لأول مرة سنة ١٩٣٨ .

ويعتبر المؤلف من أبرز الاخصائيين الذين عكفوا على دراسة المجتمع الجزائري ، والتغيرات التي طرأت عليه ابان فترة الاحتلال الاستعماري البائد ، وقد اشتهر بوجه خاص بدراسته لظواهر التثقيف . وهو يشغل حاليا منصب مدير الدراسات في المعهد التطبيقي للدراسات العليا بباريس وكتاب « سوسيلوجية الجزائر » يقع في نحو ١٢٧ صفحة من الحجم الصغير ، ويشتمل على ستة فصول خصص المؤلف الاربعة الاولى منها للحديث عن التجمعات السكانية واجمل في الفصلين الاخيرين بعض العناصر الثقافية المشتركة في هذه التجمعات .

وسوف لا نتعرض بالتفصيل لما ورد في هذا الكتاب وانما نكتفى فقط بالإشارة الى بعض الملاحظات التي تتعلق بالمنهج الذي استخدمه المؤلف وبعض النتائج التي توصل اليها :

١ - ينطلق المؤلف من مسلمة أساسية هي أن الشعوب القاطنة في شمال افريقيا والجزائر بوجه خاص تتكون من قبائل ذات أصول عنصرية مختلفة كل الاختلاف (Groupes ethniques) لا يجمع بينها الا التجاور في المكان والتواجد في الزمان ، ولذلك ينبغي أن تدرس باعتبارها وحدات منفصلة . ويروي المؤلف أن الخليفة عمر بن الخطاب قد جلل لغويا كلمة افريقيا وقال انها تعني : « الفرقة والاختلاف والتباين » ولا يجمع هذا الاختلاف الى الاصول العنصرية المتباعدة فحسب بل هو يظهر أيضا في الثقافة السائدة لدى كل مجموعة سكانية (ص ٥) .

واطلاق مثل هذا الحكم يقتضى دراسة ميدانية واسعة ومقارنة لم يكلف المؤلف نفسه عناء القيام بها . بل اكتفى بوصف الموقف الايكولوجي لكل مجموعة قبلية (البربر ، الشاوية ، المزابية ، العرب .) وبناء على هذا الوصف صمم لكل مجموعة بناءها الاجتماعي ونسقها الثقافي ونمط الحياة السائد والسمات المميزة التي تجعل كل

مجموعة قبلية « تطلب هويتها وتحاول التميز عن غيرها » (ص ٧) .

ومن السهل تبين دوافع هذا الالاح على تقسيم المجتمع الجزائري الى عناصر اثنولوجية مختلفة وهو الحاح يصل احيانا الى حد التعسف في الحكم وتلفيق الحجج ويبدو ذلك عندما يقارن الكاتب بين نمط العائلة الممتدة (التي تجمع عدة أسر ينتمون الى جد واحد) في كل من بلاد القبائل والشاوية والعرب والمركز الذي يحتله الفرد تبعا لطبقة العمر التي ينتمى اليها ويغض النظر عن كفاءاته .

وعلى الرغم من أن الباحث قد عجز تماما عن اثبات التمايز العنصري في المجتمع الجزائري بواسطة دراسة ميدانية اثنوغرافية فانه لم يأل جهدا في تضخيم التنوع الايكولوجي وافترض الحدود الثقافية الوهمية المتمثلة في العلاقات الاجتماعية واسلوب الحياة .

غير أن المؤلف يتغافل عن حقيقة لا جدال فيها هي : أنه لا يوجد اليوم على وجه الارض مجتمع يتكون من سلالة واحدة حافظت على نقائنها العنصرية عبر العصور ، ولعل المجتمع الفرنسي نفسه اكثر هذه المجتمعات تعددا في سلالاته وتباينا في ثقافته فمن يا ترى يستطيع الجزم بأن سكان الازراس لورين والكورس والبرتون من عنصر واحد وينتمون الى ثقافة واحدة ، وعلى حد ما نعلم لم يتطرق باحث فرنسي أو أوروبي الى دراسة التثوغرافية تستهدف تفتيت وحدة الشعب الفرنسي ثقافيا وعنصريا بل العكس هو الصحيح فقد دأب هؤلاء الباحثون على التقليل من شأن هذه الفوارق وادماجها في نسق حضاري وثقافي واحد فلم تدرس المجموعات السكانية في بريطانيا (الغال والانكليز والا يقوس) - على سبيل المثال - الا باعتبارها تمثل تكترا في وحدة وتنوعا في تكامل تذوب خلاله الخصائص التي ينظر اليها باعتبارها مدعاة للاستمرار والاتصال والانسجام لا مثارا للفرقة والتباعد .

٢ - ومن الناحية النظرية يبدو أن المدرسة الاجتماعية الفرنسية هي المدرسة الوحيدة التي لم تتحرر بعد من المنهج الاثنوغرافي الكلاسيكي ، الذي يرى ان قوام الحياة الاجتماعية هو وحدة

أكثر حيوية ورشياً وأسرع تقدماً وأقدر على الإبداع
ويبدو مثال أمريكا الشمالية دليلاً على ذلك .

٣ - لقد جهد هذا الباحث نفسه منذ البداية
في التدليل على أن الشعب الجزائري لا يمثل
مجموعة ثقافية منسجمة وليست له أنظمة
اجتماعية واحدة مؤيدا دعواه بنوع الاجتلال الذي
امتحن به الجزائر وبالجزيرة التي امتحن بها
الجزائر ردحا طويلا من الزمن ، وإذا جاز لنا أن
نأخذ هذه المزاعم باعتبارها وجهة نظر باحث لا
يعرف خصائص البيئة التي يبحثها ولم يتعرف
على ديناميات ثقافتها فإنا لا يمكن أن نغفر له
انكاره وتجاهله لكل ما حدث أثناء ثورة فاتح
نومبر ١٩٥٤ وبمدها فعلى الرغم من اعادته
طبع كتابه في أواخر السنة الماضية فإنه لم يشر
على الإطلاق للتغيرات الاجتماعية الراسية
والافقية التي تعرض لها مجتمعنا فإذا نستطيع
القول بأن هذا الباحث لا زال في الغيبوبة
الدوركايمية التي تفصل الظواهر الاجتماعية عن
المجتمع وكأنها كائنات خرافية يمكن أن تبحث
مجردة عن صانعها : أفراد المجتمع فبدل أن تبحث
المجتمع نفسه ، مشاكله واتجاهاته دينامياته
والتغيرات التي تطرأ عليه تعكف على صياغة
التعريفات والتفلسف حول المجتمع والاهتمام
بوصف ظواهره بالجبرية والشئبة ، وهي آراء لم
يعد يأخذ بها الا الظالمون عن جادة المنهج القويم ،
وأولئك الذين يحلو لهم أن يجلسوا بين رفوف
الكتب في مكتبات باريس ليشوهوا حقائق العلم
ويزيفوا الواقع الاجتماعي لشعوب أخرى
يسمونهم تارة بدائية وأخرى نامية وثالثة باراضي
ما وراء البحار . وهم لو عرفوا أن بيوتهم من
زجاج لما قذفوا بيوت الغير بالحجر !

ان بلادنا التي تقبل اليوم على بناء مجتمع جديد
في حاجة الى محض هذه الافتراءات وتطهير العقول
التي أغوتها هذه الادعاءات ، ولن يتم ذلك الا اذا
عملنا على صقل شخصيتنا الوطنية وأحيينا تراثنا
القومي الاصيل وخلقنا مفاهيم جديدة تنبع من
واقعنا الثقافي وتلائم تحولاتنا الاجتماعية .

الجنس فلا وجود للمجتمع كقوة ذاتية وانما
الوجود هو وحدة الجنس الذي عليه أن يكافح
كفاحا مريرا حتى يصمد عنصريا ، ويؤكد
غوبينو (١) ان المجتمعات لا تموت اذا انهزمت
عسكريا أو حلت بها كوارث طبيعية بل هي
تضمحل اذا ما ضعفت عنصريا عن طريق الامتزاج
والاختلاط ويؤيد اصحاب هذه المدرسة دعواهم
بحجج كثيرة نذكر منها :

أ - ان المجتمعات لا يمكن أن ترد الى جنس واحد
(سلالة واحدة) فهي خليط من اجناس متباينة
ويخطئ أولئك الذين يعتقدون أن البشر ينتمون
الى جد واحد من الناحية العرقية .

ب - ان الاجناس تتفاوت في خصائصها وسماتها
فمنها الجيد النفيس ومنها المنحط الخسيس ،
والجنس الابيض هو وحده خالق الحضارة
وحاميها .

ج - ان عامل الجنس هو العامل الوحيد والكافي
لتفسير كل ما يحدث في المجتمع من مشاكل
وأمرض واتجاهات وتغيرات والواقع أن هذه
الحجج لا تصمد للنقد ولا تخلو من مأخذ لانها
تستند الى مسلمات واهية :

أ - من الناحية التاريخية ليس هناك ما يدعو
لاقرار انفراد جنس واحد بالمجد الحضاري وليس
هناك أي أساس علمي لتفسير الحضارة على
أساس الجنس ، فان ذلك يتطلب قبل كل شيء
تحديد الاصول العنصرية ومعرفة نشأتها والطرق
التي سلكها ولم ينجح علماء الاثنولوجيا
والاثنولوجيا والاثنوغرافيا في وضع نظرية
دقيقة يفسر على أساسها تمايز
الاجناس ومما يعقد هذه المهمة تلك الهجرات
والحروب التي عرفتتها الإنسانية منذ ما قبل
التاريخ الى اليوم .

ب - ان البلاد التي انعزلت لم تبدع اية حضارة
بل عاشت في شبه بدائية مثل الاسكيو والشعوب
الاسكندنافية . ومهما كانت الخصائص
المورفولوجية للمجموعات السكانية ، فقد انضج
أن الشعوب التي اختلطت فيها الاجناس كانت

Gobinan Essai sur l'inégalité des races
humaines, Paris 1855 P 15-30

مع المستشرق المرسيني

لوي غاردى

- اشتغالي بالفلسفة المسيحية جعلني
أحمل في نفسي صداقة فكرية
للفكر العربي الاسلامي
- الثقافة الحققة منفتحة على
ما سواها من الثقافات
بكل عدل وتعامل
- لا أوافق جاك ماريان مطلقاً
على مسألة فلسطين

قام المستشرق الفرنسي المعروف لويس غاردى استاذ الفلسفة الاسلامية بجامعة تولوز بفرنسا ،
بزيارة للجزائر بدعوة من قسم الفلسفة بالجامعة .
وقد القى بهذه المناسبة محاضرات على طلبة الفلسفة ، كما اشرف على ندوة خاصة باساتذة
قسم الفلسفة .
تأليفه : له عدة كتب حول الفلسفة الاسلامية منها : « مدخل الى علم الكلام نقل الى العربية منذ
سنتين في بيروت ونشر .
ويتناول هذا الكتاب تاريخ علم الكلام ومدارسه وقام بمقارنة تفكير المتكلمين مع الفكر الغربى
المسيحى .
وكتاب : « المدينة الاسلامية » بحث فيه النظام السياسى فى الاسلام ويعتبر من اهم المراجع فى
هذا الموضوع .
وكتاب : فى التصوف الاسلامى . ونقلت الكثير من هذه الكتب الى العديد من اللغات الاوربية ،
وقد اغتنيما فرصة وجوده بالجزائر فاجرينا معه الحديث التالى :

**سوال : ارجو ان تعطونا فكرة عن قصة
استشراقكم ؟**

جواب : انا لا اعد نفسى مستشرقا ، فاننا
فيلسوف عشت فى دار الاسلام ولا استطيع
من هذه الوجهة الا اهتم بفكر البلاد الاسلامية
وثقافتها ، وسرعان ما انتبهت الى وجود قيم
روحية وثقافية كبرى طالما جهلها الغرب بيد
ان اشتغالى بالفلسفة المسيحية جعلنى احمى
فى نفسى صداقة فكرية للفكر العربى الاسلامى
فاننا لست مستشرقا بل فيلسوفا مسيحيا
للثقافات .

**س : الى متى يعود الاستشراق من الناحية
التاريخية ؟**

ج : ظهرت فى عرفانى دراسات للاستشراق
ابتداء من القرن التاسع عشر بخاصة . واطن

انه وقعت تأثيرات مرتبطة بالتوسع الذى كان
الاستعمار الغربى يمارسه . واريد ان اقول
هنا ، ان بعض العقول على الاقل ، اخذت وهى
تعيش فى هذا الجو من الامبريالية الثقافية ،
تنفتح على ثروات غير مغيرة لثروات الثقافة
الغربية . ومن الواضح انه ساد زمنا طويلا
اسلوب دراسة للثقافات الشرقية يستند الى
الغرب الذى كان يظن انه متفوق بصورة قبلية
وان ايرنيسست دينان يمثل هذه النظرة ،

**س : الى اين اتجهت جهود الاستشراق
فى البداية ؟ كانت بعض المدارس الاستشراقية
مثل المدرسة الفرنسية التى كانت تابعة لوزارة
الخارجية الفرنسية والمدرسة الالمانية التى
كانت تابعة لوزارة الخارجية الالمانية ، تخدم
اهدافا استعمارية ، واحيانا نزعات دينية**



جاك ماريتان
مفلسفة في خدمة الصهيونية

**معينة ، فهل هناك تطور في اتجاه هذه المدارس
بحيث تخدم العلم والحقيقة ؟**

ج : يجب الاعتراف بأنه من الوجهة الدينية نفسها كان الاستشراق بادیء الامر يتم على صعيد الدفاع والهجوم لا على صعيد التعاطف المنفتح . وسواء اتعلق الامر بالاوساط الجامعية او الدينية او الادارية فقد كان ذلك كله مرتبطا بعصر معين — وكل انسان يتأثر بالعصر الذي يعيش فيه — هو العصر الذي كان ينظر فيه الى التقدم التقني للغرب على أنه نوع من مطلق السلطة الكاملة . وهكذا انضاف الى الامبريالية السياسية نوع من الامبريالية الثقافية نتيجته الحتمية ان يؤدي الى ماآرق لان الثقافة الحق هي بالطبع منفتحة على ما سواها من الثقافات بكل عدل وانصاف وبكل تعاطف ثقافي . ولحسن الحظ نستطيع القول انه منذ بضع عشرات السنين ظهر فكر جديد في الاستشراق ، وانا اسمع بذكر اسماء لويس ماسينيون وهنري لاووست وروجر ارنالديز وباك برك وآخرين هذا اذا لم اذكر غير الفرنسيين . واعتقد ان عهدا جديدا للتفاهم يمكن ان يبدأ ، وهذا ما اسميه الحوار الصادق بين الثقافات وبهذا لنبتعد عن ان ندرس الاخر دراسة كما لو كان قطعة اثرية او ان نحكم عليه من عل . وآمل في ان نتمكن جميعا من اتباع اتجاه للعمل المشترك والتفاهم والاغناء الثقافي المتبادل . واذا عدا الى النظرة الدينية التي تحدثنا عنها آنفا فاني اتمنى من صميم قلبي ان يقع تجاوب بين ما يقوم به المسيحيون من دراسات اسلامية تتفق مع نظرة المسلم لنفسه ، وبين ما يقوم به المسلمون من دراسات

مسيحية تتفق هي الاخرى مع نظرة المسيحي
لنفسه .

سؤال : يقول جاك ماريتان ان فلسطين يجب ان تكون لليهود ، فما رأيكم في هذا ؟
جواب : ان جاك ماريتان فيلسوف مسيحي عظيم ، وهو صديق لي ، ولكنه يجهل انني لا اوافقه مطلقا على مسألة فلسطين هذه واعتقد ان رايه صادر عن قراءة مثالية للتوراة بيد ان اجتهادي في هذه المسألة ان وعد الله لشعبه بمنحه ارضا كان محصورا في زمن معين لم يكن يعني مطلقا حلا سياسيا زمانيا لعصرنا ومن الوجهة السياسية ارى ان حق الفلسطينيين في البقاء في وطنهم بوصفه وطننا . ولا يمكن ان يسلب منهم هذا الحق بالاستناد الى نصوص التوراة بأي معنى من المعاني . .

• النشاط الثقافي •

محاضرات

عرض وتلخيص محمد الصغير ابن الاعلام

قصة الكتابة العربية

ما هي مغامرة الحرف العربي الذي نكتب به الان عبر التاريخ من اين جاء وما هي المراحل التي قطعها حتى وصل الى اسلافنا قبل ظهور الاسلام في الجزيرة العربية ، هذه الاسئلة وغيرها هي التي حاول ان يجيب عنها الدكتور ابراهيم جمعة استاذ التاريخ الاسلامي بجامعة الجزائر ، في محاضرة قصة الكتابة العربية .

بدا الدكتور محاضرتة بتقرير حقيقة يراها سلمة وهي ان كتابتنا العربية الحالية ميراث جاهلي اخذها عرب الحجاز عن ابناء عمومهم عرب الانباط (او النبتين) الذين كونوا حضارة زاهرة في الجنوب الشرقي للبحر الميت حتى الحجاز ثم انتقل الاستاذ المحاضر الى استعراض آراء المؤرخين في اصل الكتابة العربية فصنفها الى ثلاث نظريات :

حتى استقر في مكة والمدينة ، ويذكر هؤلاء ثلاثة اسماء قالوا انهم اجتمعوا في بقعة من بلاد الحيرة وقاسوا هجاء العربية على هجاء السريانية ثم انتجوا هجاء العربية ثم يذكر هؤلاء اسم بشير بن عبد الملك الكندي اخي الاكيدر صاحب دومة الجندل على ان هذا الذي اخذ على عاتقه نشر الهجاء العربي وجال من اجل هذه المهمة حتى بلغ الحجاز وادى مهمته .

ويرى الدكتور المحاضر ان هذا القول قريب من الصواب اذ دعمته الكشوف الاثرية التي عثر عليها في حران وشرق الاردن وسيناء التي دلت على الشبه الكبير الموجود بين هجاء عرب الانباط وهجاء العربية (نقوش زيدوحران والنعمارة وسيناء)

وبهذا الخط كتب عرب الجاهلية ودونوا اشعارهم ، وعندما نزل القرآن على النبي (ص)

١ - نظرية التوقيف : التي تذهب الى ان الخط شيء من عند الله وجده العرب على شاطئهم عندما اتحصروا الطوفان مثلما وجد كل قوم خطهم على شاطئهم وهذه نظرية من السذاجة بحيث يرفضها العقل ويأبأها المنطق لان الكتابة حرفة من حرف المدنية كما يقول ابن خلدون تنعدم مع البداوة وتكسب بالتحضر .

٢ - نظرية الخط المسند اي ان الكتابة العربية مأخوذة من الخط المسند الحميري ، وقد دلت الكشوف الاثرية التي اجريت في خرائب اليمع على بطلان هذه النظرية اذ ثبت بان الخط الحميري منفصل الحروف ويبعد كثيرا عن الخط العربي .

٣ - نظرية الخط النبطي : يؤكد اصحاب هذه النظرية بان خطنا العربي قد نبت في اقليم الحيرة ثم هاجر الى الحجاز مارا بالانبار ودومة الجندل

كتب بهذا الخط على سعف النخيل والعظام وورق الغزال والأشجار ومن هذه الكتابات جمع القرآن في مصحف الإمام الذي أمر الخليفة عثمان رضي الله عنه بتوزيعه على الأمصار .

على أنه ليس لدينا نسخ من القرآن كتبت في القرن الأول والثاني للهجرة بالخط اللين كل ما لدينا من ذلك مصاحف كتب بخط قوى كبير هو الخط الكوفي ، الذي كان مفضلا لكتابة القرآن لوضوحه وجلاله .

ويلاحظ أن المصاحف التي كتبت بهذا الخط خالية من النقط والشكل وذلك دليل على قدمها غير أن الشكل والنقط وجدا ضروريين لحفظ كلام الله عن اللبس والتحريف ، ووقع أول ضبط للقرآن الكريم في ولاية زياد بن ابن أبيه وإلى العراق ، فهو الذي كلف العالم اللغوي أبا الأسود الدؤلي بضبط القرآن ضبطا اعرابيا فقامت أولى مراحل الضبط ، ثم تمت المرحلة الثانية من الضبط في خلافة عبد الملك بن مروان على يد كل من يحيى بن يعمر ، ونصر بن عاصم أما الإصلاح الثالث فقد تم في العصر العباسي على يد العالم الخليل بن أحمد الفراهيدي وبهذا الإصلاح تم نقط القرآن وشكله على النحو الذي نراه الآن .

والواضح أن الخط الكوفي ظل مستخدما في كتابة المصحف حتى العصر العباسي حين اخترعت أقلام نسخ بها القرآن واشتهر من هؤلاء المبتكرين الخطاط ابن مقلة والوزير ابن البواب ، ويجب أن نعرف بأنه منذ البداية كانت هناك خطوط لينة تخالف الكوفي استخدمت في التدوين والتراسل وكتابة المخطوطات ، وفي شمال العراق ابتكرت صور الخط النسخي وعندهم أخذها العثمانيون الذين كانوا يعشقون الخط الجيد ويجيزون أصحابه ويقربونهم ويجزلون لهم العطاء أما في إيران فقد كتب القرآن الكريم بالخط الفارسي المعروف أما الهند فقد استعارت الخط الفارسي لكتابة المصاحف ، وفي مصر في عصر المماليك كتب المصحف بخط الثلث وخط الثلث ، أما في المغرب فقد كتب المصحف منذ البدايات بالخط اللين المغربي وهو المستخدم حتى الآن في

نسخ القرآن بتجويد خاص يليق بجلال كتاب الله وخطوط المشرق والمغرب خطوط عربية اختلفت من الناحية الزوقية الفنية ولكن الجوهر الخطي العربي واحد وتأتي فيهما بدرجة سواء ، وقد بعث الخط الكوفي من جديد لاتخاذ نوعا من الزخرف الكتابي وكثيرا ما يعجب الخطاطون بقواعد الخط العربي ويخرجون عن أصوله المرعية التي توارثها المسلمون جيلا بعد جيل .

ولم تحظ كتابة أمة من الأمم بمثل ما حظيت به الكتابة العربية من عناية وتجويد ، لأنها الكتابة التي شرفت بالقرآن الكريم فسجلته وكأنها كانت قد اعدت في الحجاز لتلقى هذا الشرف العظيم وقد اكتسبت مكانتها من الشرف لأنها كانت في خدمة كتاب الله .

وزادت الكتابة العربية شرفا على شرف عندما صاحبت الاسلام في انتشاره فكانت سجلا للمعارف العربية الاصلية وللمعارف المكتسبة ووعاء للتراث العربي الاسلامي ، دخلت حينها دخلت الى بقاع الارض مقتزنة بالاسلام تخدمه في اغراض الدين والدنيا ، مغززة لدى المسلمين محبة اليهم ، وكان حرصهم على تجويدها وتدوين المصحف بخير ما لدى الكاتبين من قدرات الاجادة شيئا يشبه التقديس والتشكك تقربا الى الله وزلفى وابتغاء لرضائه وثوابه .

فرانز فانون والثورة الجزائرية

هذا هو عنوان محاضرة القاها الاستاذ محمد الميلي مدير الاعلام ، ومدير جريدة المجاهد الاسبوعية ، في قاعة الموقار بالجزائر مساء يوم الخميس ١٨ مارس ١٩٧١ م .

ولقد استهل الاستاذ المحاضر كلامه بالاشارة الى قلة المراجع بالعربية في الموضوع وكثرة الدراسات باللغة الفرنسية ثم استرسل في كلامه قائلا ومع ذلك فسيبقى فانون موضوع دراسات لان المنون قد اختطفه عندما وصل الى مرحلة النضج ، وكتابات فانون هي كتاباته اثناء الثورة الجزائرية وعلى هذا الاساس اعتبر فانون ذا تأثير

في الثورة الجزائرية ثم اشار السيد المحاضر الى نقطة بقيت في الضل حتى الان هي مدى تأثير الثورة الجزائرية في قانون ، وبعد هذا اعطى الاستاذ المحاضر صورة مختصرة لحياة قانون ثم انتقل مباشرة الى الحديث عن الاسباب التي جعلت الغرب يهتم بقانون ونلخص هذه الاسباب كالآتي :

١ - ان قانون كان معروفا لدى الحركات اليسارية في اوربا .

٢ - وجود اصول فكرية غربية واضحة في كتابات قانون وفكره ، وهذا ما جعل الغرب يتقبل فكر قانون الثوري .

٣ - كان عنفه يرفض الارتباط بالماضي (لا اريد ان اكون ضحية عالم اسود ، فيجب ان لا تخضع حياتي للتقيم الزنجية) كما كان لا يعتبر التاريخ مصدرا للتقيم ، وهذا العامل جلب له عطف الفكر الغربي (الزنجي لم يخط المعركة من اجل الحرية) و (الابيض سيد سمح لعبيده بان يجلسوا الى مائدته) فهذا الماضي الزنجي لم يجد فيه قانون ما يعتز به ، وفي اعتقادنا لو ان قانون ينتهي الى بلد افريقي اسلامي لتغير رايه في الزنجية .

هذه هي بعض العوامل التي تفسر عناية الغرب بقانون .

ولكي نفهم تأثير الثورة الجزائرية في تفكير قانون لا بد ان نقرأ كتابه حسب تسلسلها التاريخي وهذا ضروري لان العنف الذي نلعبه عند قانون قبل اتصاله بالثورة الجزائرية يختلف عنه بعد اتصاله بالثورة .

فمنعه قبل الثورة لم يكن ذا طبيعة ثورية خلاقة فكتابه (بشرة سوداء ، اقنعة بيضاء) يطرح مشكل كفاح الفرد الانتدلي من زاوية الفرد المستعمر داخل الوطن الفرنسي ، انه كفاح من اجل حياة افضل في نطاق الوطن الفرنسي وليس كفاحا من اجل الحرية فالاستعمار مجرد وضع طبقي يقف فيه العامل المارتينكي مع العامل الفرنسي ضد البورجوازي المارتينكي والفرنسي ويقول في نفس الكتاب (اية حكاية

هذه حكاية الشعب الاسود ، فاننا فرنسي وثقافتى فرنسية اننا نرفض ان نعيش على الهامش بل في وسط المشكلة الفرنسية) فموقفه هنا انساني وليس وطنيا فقانون هذه الفترة احس بالاستعمار من خلال العنصرية والطبقية . غير ان قانون بعد اتصاله بالثورة الجزائرية تعرف على جوانب جديدة كان قد اهلها من قبل ولم يقرأ لها ابي حساب ولمس عن كتب مدى ما تعرضت له الثقافة القومية الجزائرية من محاولات التشويه والمسخ ، كما ادرك خطورة الدور الذي تلعبه الثقافة في الثورة المسلحة ، وتبعنا لذلك بدات كتابات قانون تتخذ وجهة جديدة ويتجلى ذلك بوضوح في مقاله (عنصرية وثقافة) الذي يعتبره الاستاذ المحاضر يمثل فترة انتقال بين قانون (بشرة سوداء ، اقنعة بيضاء) وقانون (الثورة الجزائرية في عامها الخامس) حيث ظهرت في هذا المقال لأول مرة عند قانون مقابلة بين الهلال والصليب (مؤتمر الكتاب والفنانين الزوج سبتمبر ١٩٦٦) .

وفجأة يتطور التاريخ من كونه سجنا لمن يستشهد به الى ان يصبح منارة يستضيء بنوره من يستشهد به ، يتأكد هذا الخط بعد احتكاكه بالثورة الجزائرية ، وقانون في هذا الموقف لايزيد على ان يتبنى الموقف التقليدي للحركات السياسية والثقافية الجزائرية وهذا يرجع الى انه احتك بالثورة في قمة معركتها المسلحة ، لقد استطاع قانون ان يرى المجتمع الجزائري بعين مزدوجة : عين المثقف الغربي ، والمتعاطف مع الثورة ، فملاحظة قانون هذه عن المجتمع الجزائري التي اعتبرت عبقرية عند المفكرين الغربيين وبعض المشاركة يجد له في تقارير فترة بعد الاستعمار تظهر مدى احساس المقاومة الشعبية الجزائرية ، وقد اعتبر دونوفو انها مقاومة دينية ، وظهور الطابع الديني لاينبغي ان يحجب عنا الطابع الثقافي لعلاقة الثقافة بالدين وهذا ما قاله (لاموريسير) من ان الجزائري يرفض المدرسة الفرنسية لانها مدرسة الكفار . هذه الحقائق هي التي اكتشفها قانون وسجلها في كتابه « الثورة الجزائرية في عامها الخامس » ان الثقافة الفرنسية لم تشبع نهم قانون الى

التحرر ، وقد وجد هذا التحرر في الثورة الجزائرية لأنه لا يمكن أن يرفض فيها بسبب لونه ، وفي هذا يقول (انه لو كان فرنسيا أبيض اللون وانظم الى الثورة فستقبله لكن ببعض التحفظ اما هو فان لونه قد كان بمثابة جواز الدخول له) وهكذا نميز ثلاثة مراحل في تفكير نانون .

١ - المرحلة الاولى وتسجلها كتاباته ما قبل الثورة الجزائرية حتى ١٩٥٥ .

٢ - المرحلة الثانية ويسجلها كتابه في (الثورة الجزائرية ، في عامها الخامس) وبعض مقالاته

في المقاومة الجزائرية والمجاهد وتمتد هذه المرحلة من ١٩٥٦ الى ١٩٥٩ .

٣ - المرحلة الثالثة التي انتقل فيها فانون من التفكير داخل الثورة الجزائرية الى الاممية في العالم الثالث ويسجلها كتابه معذبوا الارض وبعض مقالات من اجل الثورة الافريقية وقد بالغ في الاعتماد على التلقائية والعفوية مستندا الى التجربة الجزائرية متناسيا ما كان وراءها من اعداد وتنسيق استطاعت بفضلها ان تحافظ على مقومات الشخصية الجزائرية التي تستمد جذورها من ماض بعيد يعود الى ما قبل ١٨٣٠ .

التكافل الاجتماعي في الإسلام

محاضرة القاها الدكتور فتحي دريني استاذ بكلية الحقوق جامعة الجزائر .
بدا السيد المحاضر كلامه بالإشارة الى خطورة هذا الموضوع الذي حاول كثيرون من قبل ان يتناولوه بالبحث والدرس فأتوا بأدلة جزئية ارتأوها ولكن الموضوع من الخطورة كما قال لا يمكن ان يكتفى فيه بدليل جزئي ، ثم اشار السيد المحاضر الى ان المسألة ليست مسألة عاطفية او تعصبية وانما هي مسألة علمية يجب ان تطرح على بساط البحث .

أقد عرفنا ان القوانين التي تحكم أوروبا كلها تقوم على مذهب الفلسفة القردية التي مؤداها ان جميع الاحكام والقوانين يجب ان توجه الى خدمة الفرد وصيانة حقوقه لانه زود بهذه القوانين منذ ولادته ، وهذا تجاهل كامل للجماعة ، وقام على النقيض من هذا المبدأ التضامن الاجتماعي الذي أسس ليرعى ويسهر على المصلحة الجماعية

اذ تعتبر الشريعة هي اساس الحق لانها هي التي تنشأه انشاء ، فالاحكام والمصالح منها تعبدية ومعنى هذا انها من وضع الشارع ، ومهمة المجتهدين هو التفريع والقياس ، ويقرر هذا الامام الشاطبي في كتابه الموافقات .

ما هي الثمرات التي تترب على هذا الاصل ؟
١ - ان كل حق فردي وضع للمصلحة ، وان هذه المصلحة مشوبة بحق الله ، ومعنى ذلك ان فيها حقوق الغير ، ومن هنا تنشأ اصول التكافل الاجتماعي ، ولكن بادىء ذى بدء يجب ان نلاحظ بان الشريعة الاسلامية لا ينفصل فيها المعنى الديني عن التشريع الالزامي ، ومعنى ذلك ان التكافل الاجتماعي يشمل جميع شؤون الحياة .

فاعتبر الفرد آلة مسخرة للجماعة وبذلك الفى هذا المبدأ كل حقوق الافراد .

كلا المذهبين اذا متطرف في آرائه ، وقد صرح العميد د ، ح ، بأنه اقام المذهب الثانى ليناقض المذهب الاول ، نخلص من هذا الى ان الفلسفة الاجتماعية لا يلتبس عندها حل للتكافل الاجتماعي في الشرق والغرب على السواء .

ثم خلس السيد المحاضر بعد هذه المقدمة الى السؤال التالى : ما موقف الشريعة الاسلامية من لاذهين ؟

الشريعة الاسلامية لا يمكن ان يفهم التكافل الاجتماعي فيها الا على اساس النظرية العامة التي قامت عليه ، وهى على النقيض من المذهب الفردي

وقد انطلقت الشريعة الإسلامية في هذا انطلاقاً طبيعياً لأنها لم تمنع بالجانب المادى فحسب إذ أن مهمتها الأساسية هي أعداد الفرد للحياة ، وهذا لا يتأتى من الجانب المادى فقط فلا بد إذا أن تنصب العناية على الإنسان ككل فكانت التوجيهات الخلقية والدينية ، ومن الخطأ الاعتقاد بأن العلاقات الاجتماعية تقوم على الجانب المادى فحسب والغاء كل القيم كالأيثار والمحبة والاخوة الى غير ذلك من المثل ، ومن هنا نخلص الى أنه يجب أن يكون المنهج المصطنع هو منهج الغاية والإرادة أى ادخال المثل العليا في القانون واعتبار الخلق أساس القانون ، والشريعة الإسلامية على هذا الأساس هي أغنى شريعة في العالم ، لأنها تسعى الى خلق الإرادة في الإنسان أولاً وهذا ما نسميه التكافل الذاتى ، والشريعة الإسلامية ربطت الإنسان بالمثل الأعلى وهو الله (والله المثل الأعلى) ثم جعلت هذه الإرادة تتحكم في تصرفات الفرد في السر والعلن فينتج من ذلك إنسان فاضل في نفسه يراقب جميع تصرفاته فيصون نفسه من الانهيار ، ومن هنا جاءت النداءات الالهية لتثير في الإنسان انبل المشاعر وتوجهه الى أسس الغايات .

ما هي هذه التوجيهات الدينية والخلقية وما فلسفتها وتحليلها ؟

أول مبدأ وجهت اليه الإنسان هذه التوجيهات هي الكرامة ، الإنسان كرامة ، وكرامته مصونة عند الله وفي الشريعة ، سواء أكان مسلماً أو غير مسلم (ولقد كرّمنا بنى آدم) .. وهذا إشعار للإنسان بأنه ينبغي أن يصون هذه الكرامة لا بالقول ولكن بالعمل لأن الكرامة تستدعى السيادة والعزة والحرية (والله العزة ورسوله وللمؤمنين) ومن صور هذه العزة ، التي أظهرها القرآن في آياته تسخير الكون للإنسان وهذا التسخير يدل دلالة ظاهرة بأن على الإنسان أن يحقق ذاتيته لينتفع بهذا التسخير وهذا لا يكون إلا بأمرين : بالعلم والعمل وهما إعلان من أصول التكافل الاجتماعى في الإسلام .

أما المبدأ الثانى : وهو الاخوة ، والاخوة شعور واحساس عميق بالاعتبار الإنسانى من كل فرد لآخيه لأنه يشاركه الحياة فكرة وهدفاً وهي مصدر

إلتزام كل إنسان نحو أخيه فلا يسه في شخصه أو ماله أو عرضه أو بأى ضرر آخر ، وهذا المعنى الذى قرره الرسول صلى الله عليه وسلم « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره » بحسب امرئى من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » والاخوة مقتضاها المحبة ، والمحبة قد ربطت بالإيمان « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه » فالإيمان لم يربط بالمعاملة الحسنة لأنها قد تكون نتيجة رغبة أو رهبة ، أما المحبة فهي حقيقة قلبية ، فالإسلام إذا يقيم القيم الأخلاقية مقامها الأول في المعاملة ومن مستلزمات الاخوة ، الولاية أو التضامن « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » . ثم أن الاخوة تقتضى الرحمة ، والرحمة ليست مجرد عاطفة مجرد عاطفة قلبية ولو كانت تركز عليها ، فالعدل رحمة ، والمساواة رحمة ، وإغاثة الملهوف رحمة ، ورمع الظلم رحمة ، وتعليم الجاهل رحمة ، وعلاج المرضى رحمة ، ومن هنا غاب عن بعض الناس كيف تجتمع الرحمة مع الغلظة (أشداء على الكفار رحماء بينهم) .

والإيثار وهو تفضيل الغير عن النفس في حظوظ الدنيا والمنافع ، وقد ضرب لنا القرآن الكريم مثلاً يفيماً في موقف الانتصار من إخوانهم المهاجرين « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » فالإيثار وهو تفضيل الغير عن النفس يبلغ قمة الفضيلة الإنسانية إذ صدر ممن هو أشد حاجة ، بعد ذلك أحاط هذه القيم بسياج منيع ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمقصود من النهي عن المنكر والأمر بالمعروف هو التغيير ولهذا يجب أن يكون أمراً حقيقياً « والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليعذبكم الله بعداً » .

هذا هو السياج المنيع وهو تكوين رأى عام فاضل لا ينحرف ولا يجبن ولا يتقهقر . فالشريعة الإسلامية تتيح لكل فرد أن يحقق فضائل بتدوين الزام حتى إذا لم يجد كل هذه المثل جاء التشريع الملزم بفروض عينية يجب على كل فرد أن يؤديها ، وكل حق الغير من أفراد المجتمع ، وهو أمر لم تصل

بالعقيدة أو بالقانون الاساسى للمسلمين لان
ثابتهم لها خصائصها ، وان كل اجنبى اذا عادى
المسلمين فانه يعاديه لانه لا يشاركهم هذه
الخصائص « التكافل الانسانى » ثم ان الاسلام
يوجب على اتباعه ان لا يكونوا ذوو منافع او
اغراض ذاتية كالاستعمار ، انهم ذوو رسالة ،
وايضا فاذا كانت المعاهدات الدولية تتخذ كوسيلة
من وسائل الاكراه للدول الضعيفة ، فان الاسلام
قد حذر من ذلك تحذيرا كبيرا (ولا تكونوا كالنسى
نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم
 دخلا بينكم ان تكون امة هى اربى من امة) اى لا
تتخذوا المعاهدات وسيلة للخداع والفضيل .

نخلص من هذا الى ان الاسلام قد حافظ على
السلم العالى ولكن لا يقر هذا السلم الا اذا حقق
اغراضه واهدافه في المجتمع البشرى ، فليس معنى
السلم وضع السلاح فالجهاد مفروض ابدى والذين
يقفون امام الجاهدين ليس لهم حظ في الاسلام
لانهم غير متكافلين وحكم التكافل في الاسلام فرض ،
فالزكاة فرض وهى مظهر من مظاهر التكافل وأمر
الزكاة ابسط من الجهاد لانه قائم ابدى .

اليه الشرائع الا فى شكل بسيط فى القرن العشرين ،
ولقد تفرغت الاحكام على هذه المراجعة لا فى المجاوزة
والاعتداء فحسب بل فى التعسف والتمكن كذلك .
والشريعة الاسلامية قد جعلت للمصلحة العامة
كيانا مستقبلا بل قد جعلت للمصلحة العامة
الاسبقية على المصلحة الفردية اذ تعارضتا ولم يمكن
التوافق بينهما . وهنا انتقل السيد المحاضر الى
الحديث عن الواجبات الملقة على المجتمع كله كاجاد
المرافق العامة للدولة فى كل ما تحتاج اليه الامة
لتقوية كيانها والحفاظ على نفسها فهذه امورها
يجب على المجتمع ان يوجددها ، ويجب على الامة
كذلك ان توفر هذه المرافق فى انبائها لتحقيق الاكتفاء
الذاتى ولا تلجئ الى الغير الا فى الضرورة حتى
لا يطمع فيها الاجنبى .

ويجب استثمار الامكانيات ويجب منع الصناعات
الاجنبية ان كان مما يصنع فى الوطن ، على ان هذا
التكافل الاجتماعى لا يعنى اننا لا نؤمن بالتعاون
الانسانى المثمر فالحاله سبحانه يقول :
(وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على
الاثم والمعدون) وهى آية واسعة شريطة ان يكون
هذا التعاون على قدم المساواة وان لا يكون ماسا

المشكلة الايديولوجية فى العالم العربى

لقى مساء الاثنين الماضى الاستاذ عبد الله العدوى استاذ كلية الآداب بجامعة الرباط محاضرة بقاعة المحاضرات
بجامعة الجزائر عنوانها : « المشكلة الايديولوجية فى العالم العربى » حضرها عدد من طلبة واساتذة الجامعة ..
وقد تعرض الاستاذ المحاضر الى مضمون الايديولوجية وتعريفها فى العالم العربى فركز على ضرورة طرح هذه
المشكلة « الايديولوجية » فى جوانبها المتعددة بما فيها الاقتصادية والاجتماعية
وهنا تكمن خاصية تحليله لهذا الموضوع اذ قبل هذا انرى معظم المفكرين فى العالم العربى يهتمون بجانب واحد
اقتصادى او اجتماعى ، او ايديولوجى . وعندما تعرض الى الايديولوجية ركز على ضرورة انتقادها فذكر من الامثلة
على هذا الجانب « الحركة الوهابية » فى الجزيرة العربية فى القرن (١٨ - ١٩) ومميزات ايديولوجيتها وتحديداتها التاريخى
والاجتماعى والاقتصادى وانتهى الى انها تمثل رد فعل ضد السيطرة العثمانية وتجديد للحركة السلفية فى الرجوع الى
منابع الدين وهى كذلك تعبّر عن التحولات الاقتصادية التى شهدتها المنطقة فى ذلك الوقت بتحول التجارة
الى غرب البحر الابيض المتوسط ورد فعل ضد الاطماع الاستعمارية فى المنطقة .
وفى نقطة ثانية حلل المحاضر وضعية البرجوازية الحضارية فى المغرب خلال القرن ١٩ فى قضية « المكوس » التى
فرض النفوذ الاجنبى عدم استيفائها من التجار الاجانب ، وكيف كان رد الفعل لدى التجار المغاربة وقد طرح هذه
المشكلة على الصعيد الايديولوجى البحت ان التجار المغاربة كانوا عاجزين عن طرح المشكلة فى قالب لصالحهم واكتفوا
بالاخذ بوجهة نظر الدين فى هذه المسألة ، ومن هنا استنتج المحاضر سلبية الايديولوجية التى اعاققت التطور
الاجتماعى ، وهذا فى رايه يمثل تاخرا فى العقلية التى عجزت عن مسايرة التقدم الحضارى الذى وصلت اليه اوروبا عن
طريق التجارة الحرة المدعومة بالافكار الليبرالية .

• ركن الطلبة •

هذا ركن جديد نخصه للطلبة والطالبات يعبرون فيه عن آرائهم وافكارهم في مشاكل مختلفة تهتم بتطوير مجتمعنا وتحرير الانسان الجزائري في جميع مظاهر المسخ والتشويه .
ونحن ندعو كافة الطلبة والطالبات ليساهموا بكتاباتهم في انجاح هذا الركن الذي هو ركنهم .



أصالي

والقلب منى صانق العزيمات
قد سجلتها أعظم الصفحات
لا ارتضى الا اصالة ذاتى
ايدى الاله وواهب النفحات
في عالم الروضات والجنات
تسرى بانقاسى التمدى المظرات
لعمرت فيها منبوع الخيرات
تشجيك في الروضات والنفحات
كالارد الماضى بغير انفاة
كشبابها في قوة وثبات
موتى زواما للبغى الماتى
يحنو الى ايماننا النظرات
هم النفوس واغظم النفحات
بالجد يمضى واسع الخطوات
أصل الجدود وانبىل المعادات
وطفت عليه عوامل التكبات
ستظل رغم تكائر الازيمات
وعلى رباهما رغرت خلجاتى
في ثورة من اشجع الثورات
شيخ الشيوخ وسيد السادات
ستحرق الامل القريب الاتى
وقراضى وتعلمى وحياتى
قد أنزل الله بها الايات
وعزيمة لا تعرف العقبات
فالنور يحو داجى الظلمات
لغة العربىة رغم كل عداة
يزهوا السنأ في سائر الجنبات
فخرج من لاصله والذات
اضحت سدى في عالم الاموات
بل تعتريه عوامل التكبات
قوموا تحققكم يد الرحات
لن يكتفى بشعائر الكلمات
صرحا منيعا ثبات اللينات

صليحة مؤمن

تكملة عنابة للتعليم الاصلى

المجد مجدى والعبادة حياتى
ساعيد للتاريخ سيرته التى
واقول للدينيا اشهدى انى هنا
هذى بلادى نفحة جادت بها
هذى بلادى جنبة اكرم بها
هذى بلادى نسوة سحرية
هذى بلادى لىو عرفت اصولها
هذه بلادى غنوة عربية
سائل زمانا كان فيه شياها
سائل زمانا كان فيه شيوخها
سائل زمانا كان فيه نساؤها
سائل زمانا لم يزل في لهفة
واليوم عدنا للزمان نريه من
في كل ناحية نشاط قائم
والكل يسلمى للرقى ويتقى
فلاصل بل باق لىو تطاول عهده
ذاتى انى حقيقى وحقيقى
اولست من ترب الجزائر منشأ
اولست من جيل تربى واحتمى
شعب الجزائر مسلم قد قالها
بالجد بالمعرق المبرر بعزمتا
لغة العربىة منطقى وكتابتى
لا ارتضى ابدا بديلا غيرها
سنى في طرق الكفاح بقوة
سنميدها عربىة واصيلة
هذى معاهدنا تعلم نشانها
ومنائر الاسلام شع ضياؤها
من كان يبنى عزه وكيانه
ان الشعبوب اذا تهدم اصلها
فالفزع لا يبقى بغير جذوره
ابناء جيلى والحياة تحفز
فاليوم نعلنها بان نضالنا
نلسوف نبني للجزائر مجدها

نقطة الانطلاق

ان النكسة التي لحقت العرب من طرف اعدائهم ، قد اثرت ياسا في قلوب ضعفاء العقول من ابناء الشعب العربى ، ولكن ابناء الشعب العربى الاصيل قد استفادوا منها استفادة لا مثيل لها ، لقد كانت النكسة محرصة على مزيد من الكفاح في نظرهم والاستمرار في طريق تقرير المصير .

لان المهم ان نجعل من النكسة نقطة الانطلاق ببداية لاعادة النظر في اساليب الكفاح ، ومن هنا يجب علينا ان نخطط للأساليب القمعية لمواجهة اعدائنا ، ومن الطبيعى ان يكون الخطا الى جانب الصواب ، ولكن على ان نستفيد من اخطائنا ونعمل على خلق الصواب ، ونفكر باستمرار لازالة كل العراقيل والسيطرة على العقبات ، وماذا يهمنا دعم امريكا لاعدائنا ؟ ولكن المهم الانبئاس .

ان اسرائيل صامدة وتتكلم بعيونها فكن ايها العربى ممن يفهمون لغة العيون ، وحطم اطباع العدو على صخرة العزيمة والصمود ، اخى العربى زن نفسك كل يوم قبل ان تشكو من قوة عدوك ومساندة العملاء له ، فاذا ارتقى سواك ، وبقيت انت فاعلم انك قد ضعيت وقتك دون جدوى انا ادرك باننى لا اشعل فيك نار الغيرة والالم ، لان ذكرى النكسة وان كانت مرة فهي لا تخلو من الحلاوة ، ولولا المر ما عرفنا قد الحو وهى كفيفة بان تدفع كل عربى الى الغيرة على وطنه فليحسن كل عربى السباحة ، فنهر اسرائيل هادى مأكراً ، وليتعلم الرمايسة حتى

لا يكون كبرة وما دام الموت بدرتنا فى كل زمان ومكان ، فلنمت فى ساحة المعركة من اجل اعلاء كلمة الله ، فلاحير من ان تعيش اجسام وتموت الضمائر بين اقبال وادبار وسكوت واستسلام .

للطالب : روى صالحي

بالسنة : ٤ / ٢

معهد وهران

للتعليم الاصلى

الاستقلال والتحرير

ان ثورتنا تنحصر فى اطار المبادئ الاشتراكية وعلى ضوء هذا النبراس فان الحكم بين يدي الشعب وان الطموح نحو الاشتراكية السليمة هو هدف لكل الشعوب المغلوبة على امرها والتي كان تأخرها من صنع الاستعمار وتخطيطه والجزائر احدى هذه الدول التى كابدت المحن بأشنع انواعها للحصول على حريتها واستقلالها وليعلم كل جزائري ان الاستقلال معناه القضاء على مخلفات الاستعمار ومعناه ايضا انه يجب ان نعمل على تثبيت المبادئ الثورية التى نادى بها الشعب ونادت بها قيادتنا الثورية ، يجب ان نمحو الاستعمار من ارضنا كما يجب علينا ايضا ان نقضى على مخلفاته الثقافية المسمومة يجب علينا ان نعيد شخصيتنا العربية بالرجوع الى لغتنا الاصلية لغة الضاد ولغة الدستور الاسلامى . . لابد ان نشيد حصن لغتنا وان نحافظ على لغتنا التى هى احدى الاسس التى يبنى عليها الشعب وحدته واهدافه ومجده وكل مقومات تقدمية لان الابتعاد عن العربية والتبسك

بلغة اجنبية هي دخيلة عليه معناه الانفصال عن
مقومات شخصيتنا العربية والاسلامية والركون الى
العبودية العقلية وهي اكثر شرا من العبودية
السياسية فاستعباد العقول واستذلال الروح
واعتناق لغة اجنبية وحرمان شعب من لغته
الاصيلة هو موت للقومية التي لا تقدر على احيائها
طبيب ولا سلاح فتاك .

واذا كان الشعب الجزائري قد طرد اصحاب
الاقدام السوداء من ارضه فعليه ايضا القضاء
على لغة اصحاب الاقدام السوداء واحياء لغتنا
العربية حتى يصبح تراب الوطن حرا لابناء
الوطن قيادة ولغة

لقد نجحت القيادة الثورية في مجالات البناء

والتشييد وتمكنت بالقضاء على كثير من المشاكل
التي خلفها الاستعمار فكما استطعنا ان نقضى
على جميع هذه النقائص يجب ان نقضى ايضا
على لغة المسميرين ونعيد الوجود للغتنا القومية
ان مشكلة التعريب لم تحل بعد رغم ان بلادنا
قطعت شوطا كبيرا في ميدان التشييد ... فعلى
شعبنا ان يعمل لاحياء لغته العربية ويحارب
اكثر من اجل الحفاظ عليها .. يجب ان يتحطم
حاجز السميت المنيع الذي يحول دون وصول
شعبنا الى هدفه .. ان الجزائر يجب ان تكون
معمرة في جميع ميادينها سواء منها الادارية
والثقافية والاجتماعية لتدرك مقامها المرموق
بعد ان نجحت في التشييد والبناء ونشر العدل

سنة التعريب

بت نجوم الدجى في الليل ساطعة
فبددت عن غواذى كل احزاني
وصاح داعى الهدى في الفجر فانبلجت
عين تلبى النداء من كل وسنان
واشرقت في جبين الحق ساطعة
شمس بها لم تكحل قبل عينان
لتبدا السنة الموعودة ناظلا
بها نعيد اليها مجدنا الغاني
فنحن كنا يدا في الحق واحدة
فبعثرت شملنا احداث ازمان
كنا هلالا يضيء الكون معرفة
واليوم جهلا نرى في قعر بركان
فالآن عدنا الى الفصحى الى لغتي
والويل من غضبي للحاقد الشاني
فدميت خفاقة في العرب تجمعهم
اذ حقق الوعد من اقطاب اوطاني

بوغفل احمد
معهد وهران
للتعليم الاصلى

والمجد يرفع قدره
يعلى ويظهر فكره

السيف يحفظ ذكره
والمرء في الدنيا بما

بيدي لنا اسراره
ف ان اضللت مناره
ف يا اخي مد ثوره
كيف اعلن كره
صعب الطريق ووعره
ت وعرض صدره
لا يولى ظهره
لله آثاره
يهب الزمان نظيره

هذا الوجود وهل ترى
ابدا فسر الكون يكشف
فارجع الى التاريخ واعر
يخبرك عن شهم الجوائر
يخبرك عن لم يخف
يخبرك عن قام للمو
يخبرك عن بطل الممارك
يخبرك عن تذكر الهيجا
هذا هو « المقراني » لم

والفخر يجنى خيره
مجرر معقلا اعصاره
حربا والقوى جمره
ين هناءه وسروره

انف الحياة ذليلة
فانقض كاليث المز
فوق الجبال اقامها
وراي في قتال الفاصب

فتزلزلت اقدامهم
رعبا وخافوا باسه
والسهم يعضى مارقا
والطير يعرف وكره

مذممة اخبره
اخذ الخداع نصيره
يمنح للكفاح مصيره
د يكمل دوره
خلاص سار مسيره
كل يدبر اميره
فليشدد اليه ازره

وبشائر النصر تلوح
لكن عدو السوء قد
وكذلك شان الحر
من خلفه قام ابن حدا
وعلى طريق الحق والا
ابناء امتنا انهضوا
من رام نيل المجد

بطل الممارك

معهد التعليم الاصلى بعنابة

مع

التيارات

الفكرية

العالمية

في المجلات الانجليزية :

أعداد : محمد طاع الله

في محاولة المصور على مصاور الاهتمام في الصحافة الانجلو سكسونية يلاحظ ان هذه الصحافة تكتب عن شؤون الآخرين ، كما تكتب عن شؤون البلدان الانجلو سكسونية نفسها . وغالبا ما تكون الكتابات عن العالم الاخر عبارة عن مقالات سياسية . وفي نفس الوقت من الواضح ان الاهتمام بالسياسة المحضة بموضوع تطرق اليه اليوميات الاخبارية ، ولذلك فان تقريرنا أثناء مظلمة تلك الصحافة سيعتني بالإبصار الثقافية والفكرية للقضايا السياسية .

لا يمر يوم جديد دون ان تتكشف اتجاهات فكرية جديدة ، ولا شك ان رفض الروتين يحمل في حد ذاته بعض عناصر التطور ، وأول ما يلتفت النظر هو تلك المدرسة الجديدة في الشعر التي ظهرت على أعمدة مجلة « نيوز ستيمان » فقد عرفت كثير من المدارس الرومانطيقية والرمزية وغيرها في الشعر ، ويمكن القول ان المذهب البرجماني قد لحق هذا الميدان الابى بدوره .

وقصيدة روجر وودز التي يصف فيها مداولات مجلس العموم البريطاني لا غبار عليها كمثال لهذا الاتجاه الجديد سوى هذه الترجمة التي أفقنتها الإيقاع دون المعنى .

أخذت أوراخي الى البرلمان

لألقاء بيان عن الميزانية

وأجهت المصورين

وزعت الابتسابت لهذا وذاك

سكت المعارضة على أسنانها

عندما سمعت أسوأ الأقوال

ولكن جميع أنصاري

كأهوا ينتجرون لمرحاً

عتوا قائلين

توني ... ليس لك من مثيل

الحمد لله

فالرجل عبقري

كلما كانت لديه أموال تستثمر .

تنبلة السكان من جديد

وقد أصبح موضوع السياسة السكانية يشغل الرعب في أوساط السياسيين . ويقول الآن ويتكئز في مجلة العلوم الاجتماعية الأمريكية : « ان الدرس الذي تقدمه الولايات المتحدة هو انه من الجوهري البدء في الحديث عن التناقص السكاني بمصطلحات سياسية » وخلال الأشهر الماضية حدثت مجابهة بين اثنين من الباحثين في شؤون البيئة والمجتمع .

قال عمدة نيويورك « لدينا ٢٠٠ مليون دولار عجز في السنة الحالية وسيصل العجز الى مليون دولار في العام القادم . ولست متأكدا اذا كان في استطاعتنا العثور على حل لزمة العمران » .

ولفكرت نيوزويك « ان دراسة اعنتها الحكومة الامريكية اوضحت ظاهرة الازق العمراني . فان معدل جرائم العنف الخطيرة التي يرتكبها السود في الولايات المتحدة يفوق ١٠ او ١٨ مرة معدل تلك الجرائم بالنسبة للبيض . ويصل المعدل الى عشرين ضعفا بالنسبة للطفولة المتحرشة السود » .

وليس من السهل اتهام العنصر العرقي بما توحى به هذه الارقام . اذ يتفق علماء الاجتماع والعرقية على ان هذه الاحصائيات ليس فيها ما يمكن ان يعزى للوراثة ، بل انه ناجم عن الفقر والتفرقة العنصرية والامية وقد تعقدت كل هذه العوامل حاليا بمدى الهويين في الكواخ .

وتضيف نيوزويك « ان علم الاجتماع لا يخفف من الهجرة الداخلية بل هو يسجل وجودها فقط . وقد اصدر مكتب الإحصاء ارقاما تنمى « الرعب » في هذا الصدد . فغالل عقد واحد نفذت مدينة مانهاتن ١٥ ٪ من سكانها البيض ونقلت شيكاغو ١٨ ٪ وديترويت ٢٠ ٪ وسان لويس ٢١ ٪ ونيويورك ١٦ ٪ وواشنطن حوالي ٤٠ ٪ . وقد تضاعف عدد السود في تلك المدن بنفس النسبة تقريبا وكذلك عدد البيض في الضواحي » .

وتوضح هذه الاحصائيات على ان عشر سنوات اخرى تكفى لجعل هذه المدن تتكون من السود في الغالب . اما بعض المدن مثل نيويورك وواشنطن فهي مرشحة لكي تكون مدنا للسود وحدهم مع طبقة بيضاء متوسطة قليلة او لا شيء ابيض .

اما كلير مورجيلو المعلق الاقتصادي في « وول ستريت » فقد اختار لقائه عن أزمة صناعة الطائرات الضخمة في الولايات المتحدة عنوانا جاء فيه « شذوا أزمة مقاعدكم » .

الكنيسة أغنى الأغنياء

ومن الصعب فهم بعض النقاط الهامة في التقنيات السابقة بدون

تقنيات متطورة واجورا أفضل وامكانيات الصحة والتربية . ولكن مادام الهدف الرئيسي في العملية كان هو جلب الارباح للاقطار الاستعمارية فقد تطور السكان فقط دون ان تتطور المؤسسات الاقتصادية والاجتماعية في المستعمرات .

وتبرز كل هذه المحاولات بين العالمين مسألة المسؤولية الاجتماعية للعلماء . وضرورة ان يشارك السكان في اتخاذ القرارات السياسية التي توجد لها ادلة في الاستنتاجات العلمية والتكنولوجية . وان الواجب الخلقى على العلماء يفرض عليهم اطلاق الجمهور على استنتاجاتهم .

ضحايا العنف العمراني

كان العنف العمراني يقاس حتى الان بمدى القتلى والجرحى . ولكن ما هي آثار هذا العنف على الصلوات النفسانية ؟ . قام عالمان نفسانيان من بلقاس (برلندا) باجراء تجاربهما عن العواقب النفسية للعنف في الوسط خلال الاضطرابات بين الكاثوليك والبروتستانت عام ١٩٦٩ . وتوسعا في تفاصيل الصحة العقلية لأولئك الذين يعيشون في مناطق التوتر ، واخيرا صدرت مقالات في « المجلة البريطانية للطب النفسي » وخلاصة ما جاء فيها ان تلك القلائل لم تحدث اضطرابات نفسانية خطيرة . ووضح العالمان ان السبب في قلة العواقب النفسية هي انها ليست حربا بالمعنى الواسع للكلمة فان المواقف النفسية المعتدة للبروتستانت والكاثوليك كانت موجودة — كل نجاه الآخر — وقل ان تنشعب الاضطرابات . وهي حالات ثقافية نفسانية وتشكل احد اسباب الاضطرابات .

هل انتهى عصر المدن ؟

كتب المعلق المعروف ستيفوارت السوب في نيوزويك . عندما يهرب الاغنياء من المدن ويتدفق الفقراء اليها ، فان الموارد الأساسية للضريبة في المدن مهددة بالتلاشي . ويبحث الفقراء اكثر فائكر من ابواب العمل والوارد المالية . وقليل من الاغنياء يريدون تحمل الاعباء الجبائية لوجودهم في المدينة . والنتيجة لا يمكن تجنبها وقد اشار اليها شيوخ البلديات الامريكية اثناء اجتماعهم الاخرى في نيويورك .

اهدعها الاستاذ يارى كومينر الذي جاء الى لندن للاقاء محاضرات عن البيئة الجغرافية والبشرية وهو استاذ في جامعة واشنطن . وقد شن حملة مفتوحة على الدكتور بول اهرليخ العالم البيولوجي الشاب بجامعة ستانفورد .

وبول اهرليخ هو الذي اثار مشكلة التناغم السكاني الى درجة الغليان في مقالته الشهيرة « قنبلة السكان » منذ ثلاث سنوات . ويكون منذ ذلك الحين جماعة تدعى « النمو السكاني صفر » اي ثبات تعداد السكان ، وهي الجماعة التي توغلت الى حد كبير في الجمعيات المحلية الامريكية .

وقد ازدهر مذهب اهرليخ بين الطلاب بصفة خاصة ، وانتشرت نظريته كدين شعبي جديد . وكان مقال « قنبلة السكان » هي الكتاب المقدس ، اما اهرليخ نفسه فقد لعب دور الرسول والمسيح في آن واحد .

اما كومينر الذي اصبح لامعا ويحظى بالتأييد الطلابي ايضا فقد مضى في اتجاه آخر خرج منه بوجه نظر اخرى . وهو يرى ان الخطأ في التوجيه التكنولوجي وليس في الانتاج البيولوجي . وقال بان جميع الدلائل الديمغرافية توضح ان أزمة السكان تبرز او تختفي لاسباب اقتصادية واجتماعية .

وليس من الانصاف ان نطلق على الرجلين اى بطاقة سياسية فكلهما من العلماء . ويقول كومينر : كيف يمكن ان نقتنع الناس باستخدام اساليب منع الحمل ؟ وهل يمكن ان يكون من محض الصدفة ان نلاحظ ان جميع الذين يطالبون حاليا بتحديد النسل هم من الفقراء او غير البيض ؟

ويجب اهرليخ على هذا السؤال بتقديم احصائيات عن معدلات استهلاك المواد الحيوية . فان الاقطار الغنية البيضاء هي المذنبة قبل غيرها ويضيف « رغم الحساسية التي يثيرها العالم الثالث حول هذه النقطة فان الاختيار القائم هو تحديد النسل او الفناء » .

والامر في نظر كومينر ليس بهذه السهولة . فهو يرى ان الاقطار الغنية البيضاء تتحمل مسؤولية التناغم السكاني في بقية بلدان العالم لان القوى الامبريالية ارادت الحصول على اسواق اليد العاملة الرخيصة فوفرت لسكانها

معرفة يمشون هذه المقنطرات من مجلة « لوك » .

يقول كاتب المقال « ذات مساء توقفت شاحنة ضخمة امام كنيسة سان باتريك في مانهاتن وكانت مهروسة بالرشاشات . وقد تم شحنها بالقيم المالية من مختلف الانواع النقدية والمعدنية ثم ارسلت لوضعها في ارقام الحسابات السرية في البنوك الكبرى . ونفس هذا المنظر يتكرر يوميا في عشرات المدن الامريكية .

يحدث هذا بكثرة في نيويورك وهي المدينة التي قررت تخفيض المنح العالمية للأطفال والتي ترهق سكانها بالضرائب بحيث يدفع كل مواطن ثلث كل دولار يكسبه لخزينة الحكومة كضرائب . ومع ذلك فان ممتلكات الكنيسة في عاصمة الثروة في العالم - نيويورك - ما زالت غير خاضعة للضريبة كما ان اضعف المؤسسات الاقتصادية الخاصة فيها مغطاة من الضريبة لانها ملك للكنيسة .

ويضيف المقال « بينما يطارد النظم حياه المواطنين الامريكيين فانهم يتجهون بانظارهم الى مركز القداسة الغني وهو الكنيسة التي لم تجرأ الايدي على لمسها . وهي تزداد براء يوما بعد يوم وسط بؤس الاخرين المساكين .

كم يملك الكنيسة الامريكية ؟ ان الله وحده يعلم . وقد جرت عدة محاولات لفهم اتساع ثروة الكنيسة التي لا تخضع للضرائب . ولكن كل صور الاتهامات وجهت لمن يحاولون انجاز مثل هذه المهمة . وربما يضطرب رجل الشارع الامريكي اذا علم انه لا يوجد اى قانون يرغم الكنيسة على كشف حساباتها . وبالعكس فان ما يوجد من قوانين يقصد بها خدمتها . وقد حاول قسيس كاثوليكي من بروكلين ان ينسرب الى بعض الاسرار ولكنه نفي الى احد الاحياء السوداء وقال « ان عددنا كبيرا من الخبراء العسكريين ورجال المخابرات يستخدمون بصفة سرية وخاصة لحماية حسابات الكنيسة

وفي عام ١٩٦٧ حاولت جريدة « وول ستريت » ان تنفذ الى بعض ارقام استثمارات الكنيسة فكان ردود الفعل ايضا خليط من كل تهمة . وبدأت احدى دور الاستقصاء عملية

دراسة تقريبية . وبعد دراسة للظاهر من ثروة الكنيسة توصل الباحثون الى ان يبلغ استثماراتها يصل الى ٣ بليون دولار وانهم ما زالوا في سطح البحث . وبالرغم من كل الصعوبات فان التقديرات تشير الى ان ممتلكات الكنيسة تصل الى ١٠٠ بليون دولار على الاقل وان هذه الممتلكات موزعة من الاراضي حتى محلات الازياء الفاخرة .

ولابد من القاء نظرة على بربريد القراء في بعض الصحف الانفولسكسونية . وقد وقع الاختيار على هذه الرسالة المختصرة التي بعثت بها روندا ويليامز الى مجلة التايم :

« يبدو ان جميع النقاد تمنوا فوز فرايزر على محمد علي ... لماذا ؟ لانهم عبروا عن ذلك بكلمات بسيطة . فان فرايزر ملاك جاهل لا مبالى . وهو من ذلك النوع من الرجال السود الاقوياء الذين يفضل البيبي وجودهم في خدمته . هؤلاء النقاد يتصورون ان الرجل الاسود عندما لا يندى اهتماما بقضية السود فان ذلك يعنى ببساطة انه لم يعد اسودا ! .

وقد اثارت قضية الضابط الامريكي كالى جدالا كبيرا حول الجريسة في الحرب . وهل يمكن الفصل بينها . وفي المقال الذى كتبه ابل بجريدة نيوز ستسمان عرضا لاهم ابعاد هذه المعضلة .

« قال المدعى جورج لانجر بعد المحاكمة ان الذى يدافع عنه ما هو الا نتاج للنظام . فقد ارغم على الانتقال من وطنه وسلمت له الاسلحة الاوتوماتيكية ودربوه كيف يقتل ثم امره ان يقتل . ان المجتمع هو المتهم وربما اتوسع في هذه النقطة فيما بعد ، ولكن من المؤكد ان هيئة المحلفين التي تتألف من رجال المدفعية المذنبين يوجهون المحكمة كجزء من اذاتهم لواجبهم العسكري لا ينتظر منهم ان يحاكموا المجتمع ، عليهم ان يحاكموا كالى طبقا للقانون الذى امروا بتطبيقه واننى لا اتصور كيف يمكن لهؤلاء العسكريين ان يرفضوا الاوامر التي وجهت لهم .

وليس دور الجيش اقل عرضة للاتهام ، فاذا كان كالى مذنباً ،

تكتفون ايضا غيره . هناك قائد ثروة الكابتن ارستست مدينا وهناك تسلسل القادة العسكريين والمذنبين المذنبين اعطوا الحرب والقتل كل صفات المشروعية .

وبالنسبة للوضع القضائى الراهن انا اعتقد انه من المهم اعتبار المناخ المعنوى العام الذى كان يخلق تصرفات كالى والذى ما يزال يخلق تصرفات المحاربين حتى اليوم . فقد ترددت اشياء محاكمة كالى عبارة « قساعة فوك المجردة » وطبقا لهذه القاعدة التي يستخدمها الجنود الامريكيون من مختلف الرتب العسكرية ، فان اى شيء يتحرك وله جلد اصفر يعتبر عدوا الا اذا كانت الايلة على كس تلك قاطعة . ولم لا فان كل جندي يعرف وجود « مناطق اطلاق النار بحرية » ، وهي المناطق التي يمكن فيها ارتكاب اعمال القتل والقتيلة بدون شفقة ولا تمييز . وكثيرا ما قامت الطائرات القنبلة بسحق قرى ذنب اطفالها وشيوخها وتسلاتها ان يفسح نوار قد تسريوا منها او اليها .

تلك هي السياسة الرسمية وهي جزء من الحياة اليومية ، وليس فيها اتهام لاي جندي امريكي وهي واضحة لنا نحن الصحفيين الذين اتاحت لهم فرصة التنقل في تلك البلاد ، وهي سياسة مقصودة ترمى الى خلق اللاتجئ في كل مكان . وقد تعرفت على جنرال في الجيش جيد الاطلاع على نظريات وافكار ماونسى تونغ فشرح لى فكرته بدوره ، علينا ان نجفف البحر الذى يسبح فيه النوار انه بحر الفلاحين ، وافضل شيء لانجاز ذلك هو ان نجعل من الريف جهنم ، وعندها ينسحبون الى مخيمات اللاتجئ . فلا قرى ولا نوار .

وقد كان ويست مورلاند يتبع هذه الخطة وما زال ابرامز يسير عليها وهو ما فعله ايضا جونسون وبفعله نيكسون .

الخطر الأكبر على الإنسانية يكمن في الإنسانية نفسها

ترجمة:

بسمية تريتش



أجرت مجلة « الأكسبريس » الفرنسية استجوابا لكلود ليفي سترواس مؤسس
الانثروبولوجية البنيوية ، والذي كرس أبحاثه منذ اثنين وثلاثين سنة لدراسة الاساطير والعادات
لدى الشعوب البدائية بأمريكا . وقد شرح السيد ليفي سترواس وهو استاذ بالكوليج دى فرانس
اهمية أشغال الانثولوجيين وكيف أن الخطر الأكبر على الإنسانية يكمن في الإنسانية نفسها ، وعرف
الانسان العالم بأنه ليس ذلك الذي يحسن الاجابة بل العالم هو من يجيد طرح الاسئلة . الى هذا العالم
وجهت « الأكسبريس » عدة أسئلة نورد هنا بعضا منها .

المتغيرات ذات معنى داخل ظواهر غاية في
التركيب . أما بالنسبة للعلوم الإنسانية فانها لا
تزال تحت وطأة عدد ضخم من المتغيرات .
ومن جهة أخرى فان العلوم تدرس الأشياء ،
ومن الصعب على الانسان قبول فكرة اعتباره
شيئا والتغاضى عن وجوده كموضوع ، اذ ان
الانسان هنا شيء وموضوع في آن واحد .
والعلوم الإنسانية ستواجه في تطورها هذا

س - باعتبارك أكبر الانثولوجيين في عصرنا
الحاضر ، وبما أن فضل تأسيس الانثروبولوجية
البنيوية يرجع اليكم ، هل تدخل العلوم الإنسانية
في عداد العلوم في نظركم ؟

ج - ان العلوم الإنسانية بعيدة كل البعد عن
ميدان العلوم - ولا ادري ان كان هذا يدعو
للاسف - فالعلوم الفيزيائية والطبيعية أصبحت
تعد علوما لانها استطاعت أن تعزل عددا من

التناقض الحتمى اكثر من العلوم الاخرى .
س - ما هو المعنى الذى تريدونه لاجتاتكم ؟

ج - ان ما نسميه علم البنية يشكل محاولة -
في مبادىء محدودة - للتخلص من هذا العارض ،
وهو يميل الى الموضوعية بان يختار للدراسة
ظواهر موجودة خارج خيال الفكر الواعى ،
وبهذه الطريقة يصبح امنا محاولة تعميق
فهمنا لكشف ما هو غامض ، والنسعى وراء
الفهم هى الوسيلة الوحيدة التى نملكها لكى
نقضى قليلا على الملل . هذا احسن تبرير لعلم
البنية بل قد يكون هو مبرره الوحيد .

**س - هل هناك تعارض عميق بين علم
البنية والوجودية فى نظركم ؟**

ج - هناك اختلاف جوهري بين طريقة
تحرى الظواهر الانسانية ، فقد حلى للبعض ان
يجعل غرض علم البنية هو تغيير الاهداف
الخلقية والميتافيزيقية تغييرا جذريا ، مع انه فى
الحقيقة لا يعدو ما نسميه فى الفلسفة الاتجاه
الى بستمولوجى ازاء ظواهر ليست حتميا
انسانية . وهذا الاتجاه قديم يعود فى الغالب الى
غوتة .

**س - درستكم فى اجتاتكم الانتولوجية الاولى
صلة القرابة ، فهل العادات واحدة فى جميع
المجتمعات ؟**

ج - ان العادات تختلف من مجتمع الى
آخر . فهناك مجتمعات صغيرة تربط بين
افرادها روابط قرابة حقيقية او مختلفة ، يخضع
الزواج فيها بالاقارب لشروط خاصة ، فبينما
الزواج من ابنة العم محبذ فى البلاد العربية نجده
مستبعدا تماما فى مجتمعات اخرى لا تقبل سوى
الزواج من ابنة العم ، وحتى فى هذا النوع
الاخير محرم عند بعض الشعوب التى تحلل
الزواج من ابنة الخال فقط ، فالتقواعد فى هذا
الميدان معتدة جدا .

س - ولكن ما السبب فى هذا يا ترى ؟

ج - تعود هذه التعقيدات فى الغالب لوضع
الافراد الذين يعتبرون انفسهم جميعا اثرياء ،
فالقرابة هنا بمثابة اللغة التى تعبر عن الحقوق
والواجبات ، وهى العامل المشترك للسياسة
والقانون والاقتصاد . وقد فهم كل من انجلز
وماركس هذا ، وغرقا بين مجتمعاتنا التاريخية
التي تخضع للروابط القائمة بين الطبقات
والمجتمعات البدائية حيث تغلب الروابط
الدموية العتيقة .

**س - بما انكم تحدثتم عن ماركس ، فما
رايكم فى الماركسيين الذين ينسبون انفسهم
اليكم ؟**

ج - لا اعتقد ان الماركسيين ينسبون
انفسهم اليى ، بل انا الذى اعتمدت فى بعض
اتجاهاتى على ماركس .

**س - هل اثرت الماركسية فى حقبة معينة من
حياتكم**

ج - اثرت ولا تزال تؤثر . فماركس هو
الذى علمنا ان الضمير الاجتماعى يغالب نفسه ،
وان وراء هذه المغالطة تنكشف الحقيقة . ويعود
اليه الفضل كذلك فى تلقينا ان ايدولوجية مجتمع
ما لا تصبح قابلة للفهم الا على ضوء العلاقات
المحسوسة القائمة بين الافراد بعضهم بعضا ،
وبين هؤلاء الافراد والعالم الذين يعيشون فيه
ويعملون . كما ان ماركس هو الذى ميز بين
البنيات التحتية والبنيات الفوقية ، وكرس
اهتمامه للاولى . اما انا فانسى للمساهمة فى
وضع نظرية البنيات الفوقية .

**س - يدور محور دراستكم حول المجتمعات
التي بادت او فى طريقها الى ذلك ، فما هى
الفائدة التى نستخرجها نحن اليوم من هذه
الدراسة .**

ج - تشكل آلاف المجتمعات الانسانية
الموجودة حاليا او التى وجدت فى السابق تشكل
التجارب الجاهزة الوحيدة لدينا لوضع
افتراضات واقامة البرهان عليها . فاننا على

عكس زملائنا بالعلوم الفيزيائية والطبيعية لا نستطيع اجراء التجارب بالمخابر . وتعطينا هذه التجارب احدى الوسائل المضمونة لفهم ما يدور في فكر الانسان وكيف يعمل ، هذه هي فائدة الانتولوجية وهدفها البعيد المدى .

س - وما هي فائدتها في المدى القريب ؟

ج - تعلمنا الانتولوجية ان هناك انماطنا متعددة للحياة ، ويشهد الانتولوجيون أن طريقة معاشنا ليست هي الطريقة الصالحة الوحيدة ، بل ان هناك طرق أخرى مكننت مجموعات بشرية على العيش في سعادة . فالانتولوجيا تدعونا لاحترام جميع انماط الحياة ، فالمجتمعات التي يتعرض لها الانتولوجيون تلقن دروسا غاية في الاهمية ، خاصة وأن هذه الجماعات عرفت كيف تحقق التوازن بين الانسان والبيئة الطبيعية من حوله ، ذلك التوازن الذي فقدنا نحن معناه وسره .

س - هل بإمكان الانتولوجيا أن تصل يوما الى تجديد معرفتنا بالانسان وأن تجعلنا أكثر تفهما وأكثر « انسانية » ؟

ج - هذا أقصى ما أتمناه ، وأمل في تحقيقه صفر .

فالانتولوجيا تعلمنا شيئا قريبا من قانون الحالات الثلاث لاوغست كونت الذي يفترض أن الإنسانية مرت بأطوار ثلاثة هي الطور اللاهوتي - والطور الميتافيزيقي - والطور الوضعي أو العلمي . الا أن محوى ومعنى كل حالة يختلف عن افتراض كونت .

فهناك شعوب معروف عنها أنها بدائية ، تجهل الزراعة والرعى وتعتبد على القطف في غذائها ولا ينغص عليها حياتها قلق تخزين قوتها أو خطر الموت جوعا . فقلة عدد السكان ومعرفتهم العميقة للثروات الطبيعية ، تسمح لهم بتوفير قوتهم ، فثلاث ساعات من العمل أو أربع كافية لضمان تغذية كل أسرة . فيبقى لهم الوقت الكافي والحرية اللازمة للانصراف الى عالم الخيال . فلنفترض أن الإنسانية عاشت هكذا مئات الآلاف من السنين ، فهي بالتالي تخرج تدريجيا من هذه الحالة لتفوص في الواقع أكثر فأكثر .

أما عالمنا فهو يختلف تماما لان الإنسانية تواجه مشاكل خاصة ناتجة عن العدد الديمغرافي ، وعن ضيق المساحة الفضائية الشاغرة وعدم وفرة الهواء الطلق جميع هذه الامور اللازمة لضمان الحاجات البيولوجية والنفسية للبشرية .

بين الإصالة والعصرية

عقدت في جامعة لوفان المسيحية ببلجيكا في الأشهر الأخيرة ، ندوة فكرية عن النهضة العربية المعاصرة ومشكلاتها ، دعى إليها عدد من المفكرين والباحثين العرب في مختلف مجالات العلوم الإنسانية ، وقد طرح في هذا اللقاء عدد من القضايا الهامة والنظرية الهامة ، بجانب بعض القضايا التقنية التي يفرضها الواقع العربي الماصر .

وقد بدأ الباحثون ندوتهم بتحديد الإطار التاريخي العام للنهضة العربية تمهيدا لبحث المؤثرات الخارجية والداخلية ، واتفق المشاركون في الندوة على أن اليقظة العربية تتحدد تاريخيا بلحظة الصدام بين الغرب الرأسمالي الاستعماري بحضارته العلمية والتقنية والشرق المستيقظ من سبات طويل استمر أكثر من أربعة قرون .. تلك اليقظة المؤلمة التي عبرت عنها صرخة مفكر النهضة الأولى « لماذا أصبح العالم جحيم المؤمنين وجنة الملحدين » اليقظة تتحدد إذن بلحظة الشعور بالخطر المحقق القادم من الغرب ، الشعور بالتحدي المخيف للحضارة العلمية والفكرية الجديدة ، وهذا يفسر الأهمية المعطاة تاريخيا للمؤثرات الخارجية في النهضة العربية .

فالصراع مع الغرب المستعمر شكل على استمرار تاريخ الأمة العربية الإطار العام التي تحركت في داخله

وتحت تأثيره كل مقومات ومكونات ما اصطلح على تسميته بالنهضة العربية (أبنية اجتماعية - اتجاهات ايدولوجية) .

وتحت تأثير الصدمة ، صدمة اللقاء بحضارة الغرب المسيطرة بدأ مفكرو النهضة في التساؤل عن اسباب تاخر الشرق وتخلفه .

سؤال واحد ولكن الاجابات ما لبثت ان تعددت ومع هذا بدأت تتضح أولى ملامح الصراع ايدولوجي الداخلي . واما كان مضمون هذه الاجابات ، فالنائب انها مازالت حتى اليوم تجثم نقلها على الواقع ايدولوجي والمقاي العربي ، وتفسر الكثير من الصراعات الفكرية التي تدور رحاها اليوم في عالمنا العربي وتجثم أيضا على الأبنية الاجتماعية نفسها وتعمق في الكثير من الاحيان تطورها .

من هذا نخرج بملاحظة منهجية أولى : ضرورة العودة الى التاريخ لفهم الواقع العربي المعاصر ، تاريخ يحدد اطاره الخارجي الصراع ضد الاستعمار الغربي واطاره الداخلي الصراعات ايدولوجية في مواجهة التحدي الغربي .. صراعات تعكس بالضرورة تناقضات اجتماعية أكثر عمقا .

نعود الآن الى مضمون تلك الاجابات التي جاء بها مفكرو النهضة الأولى ردا على التحدي الغربي وبمعنى آخر كيف اجاب مفكرو النهضة على تساؤلهم : لماذا انتكس الشرق وما السبيل الى نهضته .. وامام التحدي

إعداد :

عبد الصيوم بكعباش

برز اتجاهان أساسيان : اتجاه يرى في المستقبل امتدادا للماضي المشرق ماضى الحضارة العربية الاسلامية قبل انكاسيا ، الحل اذن هو في العودة الى الماضى بعد تنقيته من الشوائب والبذع .. وهذا هو الاتجاه التقليدي ، واتجاه اخرين يرى السبيل الوحيد للنهضة في نقل الحضارة الغربية الى الشرق مع قطع كل صلة بالماضى المسؤول عن التخلف والتاخر وهذا هو الاتجاه التجديدي .

وبين التقليد والتجديد يبدأ صراع طويل ، ولكن هذا الصراع الفكري لا يدور في الهواء ولكن على الارض الوطنية وفي اطار صراع محتدم بين الأمة العربية وبين المستعمر المسيطر من ناحية ، وبين القوى الاجتماعية المختلفة في الداخل من ناحية أخرى .

ومن خلال هذه التناقضات والصراعات ونناجا لتجربة تاريخية طويلة مليئة بالآلم والامل يبرز اتجاه ثالث مؤداه ، ان الحضارة العربية الجديدة لا يمكن أن تكون مجرد نقل على الطريقة اليابانية للحضارة الغربية ولا أن تكون استمرارا للحضارة العربية القديمة ولكنها ستكون المحصلة الجدلية للمحلية والعالمية .. التقليد والتجديد ، الإصالة والعصرية .

ومن هنا تبرز القضية النظرية الأولى : كيف يمكن التوفيق بين اعتبارات الإصالة ومقتضيات التجديد والعصرية وما هو السبيل ؟

هذه القضية النظرية تطرح بدورها عدة قضايا نظرية ومنهجية أساسية ، فلاا كانت النهضة العربية نفسها رهينة بذلك الالتقاء الجدلي بين الإصالة والعصرية أو بين المحلية والعالمية ، بين التقليد والتجديد ، فكيف يمكن تحديد عناصر التقليد وعناصر التجديد ،

وإن تكن في كل مجتمع عربي قوى التقليد وقوى التجديد .

بعبارة أخرى : أن حل هذه القضية يقتضى دراسات تفصيلية للمجتمعات العربية المعاصرة وهذا يقتضى طرح قضية مناهج مثل هذه الدراسات .

وساد بين الباحثين العرب المجتمعين في لوفان اتفاق عام على رفض مناهج البحث والمفاهيم التى خلفها الاستشراق الغربى التقليدى في ميدان دراسة المجتمعات العربية ، ذلك أن الاستشراق التقليدى كان ينظر الى تلك المجتمعات العربية من خلال دراساته المقارنة للآسيان ، لا من خلال الواقع التاريخى الذى لكل منها ، ومن خلال تلك الدراسات خرج الاستشراق بعدة مفاهيم انتولوجية عن الإنسان الإسلامى وما هيأت هذا الإنسان الإسلامى في مواجهة الإنسان الغربى ، ثم انتهى به الطراف إلى أن يطبع هذه المفاهيم والمناهج على الواقع العربى كله بحيث أصبحت هي المرأة التى تنظر من خلالها الى هذا الواقع . وغنى عن الذكر أن مثل هذا المنهج للتاريخى يودى وادى بالفعل الى كل المفاهيم العنصرية عن العرب وعن الاسلام .

إلا أن هذا الاتفاق بين الباحثين العرب لم يدعم وقد برز في هذا الصدد اتجاهان رئيسيان : الاتجاه الأول : يرى إمكان الاستعانة بالمفاهيم الأساسية للنظرية الماركسية في دراسة المجتمعات العربية مع الأخذ في الاعتبار أن بعضها لا ينطبق بشكل ميكانيكى على المجتمعات العربية ، وأن مثل هذا التطبيق يقتضى صياغة جديدة لهذه المفاهيم ومثل ذلك فكرة الاقطاع . فالمجتمعات العربية لم تعرف الاقطاع الغربى ، ولذلك فإن تطبيق هذا المفهوم

على هذه المجتمعات يقتضى صياغة جديدة ابتداء من الواقع العربى وحتى يتم مثل هذا التحديد فمن اللازم وضع مثل هذا المفهوم بين قوسين واستخدامه بحذر .

كذلك فإن مفهوم نمط الانتاج الآسيوى يحتاج الى تحديد أدق وأعمق من خلال الدراسات المختلفة للتاريخ وللواقع العربى ، حتى يستطيع أن يقوم بدوره كأداة نظرية لفهم الكثير من الظواهر الخاصة بالمجتمعات العربية .

الاتجاه الثامن : يرى عدم إمكان الاستعانة بالنظرية الماركسية ومفاهيمها الأساسية في هذا الصدد ، وضرورة الاستعانة بمناهج علم الانتروبولوجيا الأمريكى .

فاذا نظرنا الى المغرب العربى مثلا وبالذات الى المجتمع الغربى التقليدى أى المجتمع الذى كان قائما عشية الاحتلال الأوروبى.. فلا يمكن ، وصف مثل هذا المجتمع بأنه اقطناعى بالمفهوم الأوروبى ، كما أنه من غير الممكن أن يطبق عليه مفهوم نمط الانتاج الآسيوى الذى يفترض بالضرورة أن السلطة المركزية تلعب دورا هاما في تنظيم الانتاج . وهو ما لم يكن متوافرا في هذا المجتمع التقليدى .

وينتهى هذا الرأى الى أن السبيل الوحيد لفهم حقيقة المجتمع المغربى التقليدى هو الاتجاه الى مناهج علمى الاناثولوجيا والانتروبولوجيا الأمريكيتين .

وهنا ثار الخلاف بين أنصار هذا الاتجاه ، وأنصار الاتجاه الأول حول تحديد معنى التقليد والمجتمع التقليدى وهو خلاف سنعرض له فيما بعد .

علم الكلام ، أم علم الإنسان تحت عنوان « علم الكلام أم

الانتروبولوجيا » وليس المقصود من هذا البحث كما قد يفضى اليه عنوانه محاولة لإحلال الانتروبولوجيا أو علم الإنسان محل علم الكلام ، ولكن المقصود هو تحويل علم الكلام ذاته الى انتروبولوجيا .. أى علم موضوعه

الاساسى هو الإنسان . وليس بحثا للإنسان حول الله . ذلك أننا اذا نظرنا الى التراث الثقافى الإسلامى وأنى العلوم الأربعة الرئيسية التى تكون لب هذا التراث ، علم الكلام ، الفلسفة ، التصوف ، والفقه لوجدنا أن كل هذه العلوم وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة تعتبر أن الله هو الموضوع الاساسى لها وهو حجر الزاوية في كل تحليلاتها ويبدو هذا بشكل واضح فيما يتعلق بعلم الكلام .

ويرى الدكتور حسن حنفى في هذا قلبا للأوضاع ، إذ أن الله لا يمكن أن يكون موضوعا لعلم فليس للإنسان أن يجعل الذات الإلهية موضوعا لبحثه ، إذ ليس لديه ما يقوله هو عنها . أما الموضوع الوحيد الممكن للعلم فهو خطاب الله فعلم الكلام ينبغي أن يكون هو علم الوعى ، أى علم خطاب الله الى الإنسان ، فموضوع الوعى في النهاية هو الإنسان ، فالوعى إذن هو علم الإنسان ويعنى آخر فإن موضوع علم الله هو الإنسان .

ورغم ذلك نجد أن علم الكلام التقليدى قد قلب هذا الموضوع رأسا على عقب وحل الوعى من علم الإنسان الى علم البحث عن الله ، ماهيته وصفاته .

ويرى الدكتور حسن حنفى أن تحريل علم الكلام الى علم الإنسان هو السبيل الوحيد لكى يصبح الدين ايدولوجية ثورية في خدمة الإنسان وفي خدمة النهضة .



ندوة القراء

ان مجلتكم الجديدة « الاصاله » لجديرة بأن يذيع صيتها لا في الجزائر فحسب بل وفي كل مكان يوجد فيه من يرغب في معرفة اوسع للاسلام والحضارة العربية الاسلامية . ولكن يجب ان نلاحظ ان دينكم وحضارتكم لا يعرف عنهما الا القليل في العالم الغربي ان ذلك ليس من محض الصدفة بل يرجع الى نشاط مقصود ومنسق من قبل الاستعمار وحلفائه .

من تعلم « الاداب » صورة مزيفة عن الاسلام والعالم الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية . وقد نعتت الحضارة العربية الاسلامية دائما بالرجعية والتعصب والانحطاط سواء كان الامر يتعلق بدروس التاريخ او الدين او الادب والاخلاق . اما فيما يخص الجزائر بالذات فقد كان هذا التعليم يزعم عدم قيام حضارة عربية اسلامية بها . .

ان تزيف التاريخ هذا هو القاعدة العامة في جميع مستويات التعليم في سائر البلاد الغربية . ويعمل بهذه القاعدة الى يومنا هذا بعد مرور عشر سنين على الحرب بالجزائر غير ان الملايين من الشباب لا يزالون يتلقون كل يوم اكاذيب المدرسين الغربيين رغم ردود الفعل الصادرة عن بعض الاساتذة الجامعيين الذين يحاولون احقاق الحق .

فقد اراد الاستعمار وانذابه بذلك هدم الاسلام في الجزائر، فكان من بين الوسائل المستعملة لنيل هذا الغرض بالطبع تشويه دينكم وانكار قيمكم الحضارية ، ذلك هو ما فعله ويفعله الغرب منذ قرون عديدة .

ويحمل التعليم المتوسط في بلدى تسمية ينبغي ان يطابق لفظها محتواها وهذه التسمية هي « الاداب » ففى بلجيكا لا يتلقى الطالب التعليم الثانوي كما هو الشأن في فرنسا بل يتعلم « الاداب » وكانت هذه التسمية تعنى بدون شك في نظر من اختارها ان التعليم الثانوي كان ينبغي أن يلتزم الطالب مبادئ القيم والفضائل الانسانية اى ان يمكنه من التعمق في هذه القيم وتطبيقها تطبيقا احسن .

ولكنى لاحظ ان اساتذتي قد قدموا لى خلال ست سنوات

رسالة من الكاتب البلجيكي السيد فرانسيس منهام

ولد سنة ١٩٢٤ بانفيسر بلجيكا كان رئيس فيدرالية طلبة بلجيكة في سنتي ٥٨ و٥٩، كما انه قام بعدة اتصالات مع الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وشارك في انشاء لجنة السلام في الجزائر والتي كانت في الحقيقة شبكة معاونة ومساعدة للطلبة الجزائريين الذين كانوا يرزحون تحت ظفط وحراسة الشرطة الفرنسية ، ودخل السيد منهام ميدان الصحافة سنة ١٩٥٤ م ، حيث نام بعدة دراسات في افريقيا الوسطى وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط العربي وفيتنام . . . كما قام بعدة برامج متلفزة بلجيكية ابرز فيها حالة مفترى شمال افريقيا ثم ترك الصحافة منذ سنة ونصف واتجه الى الدراسات ، وخاصة عن الجزائر كما ألف كتابا عنوانه « الثورات الجزائرية » تحت قيادة الاستاذ « ارتور دوسى » رئيس معهد علوم الاجتماع بجامعة بروكسيل

. وهذا نص الرسالة :

واخشى فيما يخصنى ان يستمر هذا الوضع مدة طويلة ، خاصة وان هناك اغراضا لا تحصى تتحالف ضد معرفة ابسط الحقائق وخاصة تعليمها .

وتعلا فان الباكين على عهد السيطرة والنفوذ ومعهم انصار الاستعمار الجديد ودعاة التبشير وخليط العنصريين ، كل اولئك يرون انه ليس من مصلحتكم تغيير الصورة النسي اصطنعها الغرب لنفسه عن العالم العربى .

وليس بالتقريب ذلك اليوم الذى سيعيد فيه هؤلاء القوم كتابة التاريخ الذى يلتقوه لابنائهم لان الحق سيكون فى غير جانبهم اذا ما عرف التاريخ على حقيقته .

ومن اجل هذا كله فانى اعتقد ان ظهور مجلة مثل « الاصاله » اتى فى اوانه بالنسبة للجزائر بدون شك وهى فى مرحلة ثورتها الثقافية ، واكرر انه اتى فى اوانه بالنسبة لكل من يرغب فى معرفة قيمكم والتعمق فى فهمها ولا اعنى بذلك ربط حوار بين « مسلمين » و « مسيحيين » وليس لى ما يخلو لى صلاحية

الادلاء برأى فى هذا الموضوع ، ولا ادري هل الظروف مواتية لذلك ، واننى اجهل ايضا اذا كان المسيحيون قادرين حاليا على ربط هذا الحوار ، مثلا على سعيد رجال دينهم .

وارى فيما يخصنى ان الامر يتعلق بشيء اكثر بساطة وواقعية واستعجالا .

لقد تعرفت الملايين من الناس على الجزائر من خلال ذلك الكفاح البطولى الذى خاضه شعب بأكمله من اجل استقلاله السياسى .

وقد فهم هؤلاء الناس عندما فوجئوا بشجاعة هذا الشعب وامرارته وروح تضحيته ان ما كان يقال عن الجزائر هو مجرد افتراء وكذب .

وليس فى استطاعة اى شعب ان يتحمل الالام التى فرضت على الجزائر اذا كان غير قادر على الاستناد الى قيم متينة وممكنة من اعماق الجاهلير بالتالى وحدته بمقدرته .

لا معجزة فى تاريخ البشرية ، واذا كانت الجزائر قد تمكنت من القضاء على استعمار خاصيته الوحشية

والعنصرية تسبب ذلك هو انها استبحت من كيانها القوة والطاقت التى كانت فى حاجة اليها .

لقد برهن لنا هذا الكفاح نحن معشر الغربيين انه كانت نمة محاولة مستمرة للاستيلاء على عقولنا ، وكثيرا ما نجحت هذه المحاولة .

فاليوم يريد البعض منا ان يذهب الى ابعد من ذلك . ونود - نحن الذين شهدنا كفاحكم - ان نعرف معرفة اكثر القوة الادبية التى كانت الدافع لهذا الكفاح ، بعد ان ميزنا الدوافع السياسية - فهذا هو الميدان الذى تستطيع « الاصاله » ان تاتينا فيه بالكثير

وان تعلمنا ما لم نعلم ، وان ما ننتظره هو صورة حققة عن الجزائر كما تريد هى نفسها ان تكون . وان انتظارنا لىتميز بالتعطش بقدر ما غصت اذهاننا بصورة عن الجزائر اختلقها العنصرية وشوهها سوء الطوية واوجدها حب السيطرة والنفوذ .

وان ما تقوم به يا سيادة الوزير لهو عمل من اجل العدل واحقاق الحق . وبالتالي فانه يندرج فى منطق الكفاح المسلح الذى استعدتم بفضلته شخصيتكم . وعليه فاننا نرى من واجبا ان نؤازركم فى ذلك . فرانسيس مونهام .

حول مقال : ضلال أم تضليل

تحية الى مجلة « الإصالة » التي انشئت لتعبر عن الإصالة الفكرية الإسلامية التي تجابه هذه الأيام أغنى أنواع الغزو . ألا وهو الغزو الفكري . ولقد أطلع صديقي بصدورها بلبه موضوعاتها وخاصة كلمة « الإصالة » للسيد الوزير ، ولكن القلم أراد ان يكتب شيئاً حول ما جاء في مقال « ضلال أم تضليل » للسيد موسى بن عمار الأستاذ بثنائية غفار بالمدينة في الصفحة : ١٠٧ . وأنه مقال طافح بالمغالطات وتشويه الحقائق ومنها سخريته من الأمة المسلمة التي نعتها القرآن في قوله تعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ومعروف بدهيا الساخر بأية من القرآن . ولعل هذا المقال يترجم حال التيه الفكري الذي يضل فيه الكاتب والضياع والانسلاخ القومي الذي يجعله يتباكى لقرب سقوط حضارة الغرب ويسخر من حضارة الإسلام العظيم . ولست بمحلل ومفنه لمقاله في هذه المجلة ، ولكني انشر الحقائق التالية :

١ - يتساءل الكاتب عن سبب الفرح بسبب عجز العلم - أحيانا - في تذليل بعض مظاهر الطبيعة . والحق انه ليس من فرح حيال هذا الموضوع . بل اننا نحن المسلمين - مطالبون قبل غيرنا بسبر اغوار الارض والنفوذ في اقطار السماوات . وليس من كتاب اسلامي فرح بعجز العلم وانما المفرحون هم بعض الجهلاء من عامة مسلمي هذا الزمان .

٢ - يدعى الكاتب ان مشكلات الحضارة الغربية ناتجة عن التقدم ويوحى الينا بأننا سوف نرجمها حينما نصل الى درجتهم تلك . ولست ادري اذا كنا قد وصلنا الى الحد الذي يفرض فيه علينا دخول كل حجر يدخلونه كي نلقى من الظلام والضياع ما يلقون . وشتان بين ما يصدر عنه الكتاب الاسلاميون وبين ما يتخبط فيه الاستاذ موسى هذان الله واياه .

وان سيد قطب - عملاق الفكر الاسلامي الحديث - عندما يقدم للعالم منهجا يخرج من حياة الرسالية ووطاة الشيوعية والويلات النفسية - انها يقدم الاسلام العظيم الذي صنع خريفة والنتج اروع حضارة وقاد الانسانية عشرة قرون .

والكتاب الاسلاميون يخاطبون قادة الفكر وطلانع البعث الاسلامي والاستاذ موسى يبيد في مسارب الضياع التي اوجدها التخلف عن المنهج الاسلامي في ربوعنا .

٣ - يقول سيد قطب : « نحن نملك ما ينقذ البشرية » غيضك الاستاذ موسى منه ويقول له : انتذ شمسك ! ونحن نقول للكتاب المحترم : ان المنهج الاسلامي الذي يدعو اليه سيد قطب والكتاب الاسلاميون هو الذي انتذ البشرية ويتنقذها ايضا عندما تتاح له طليعة ثورية تطبقه وتنشره بين الناس وفي النهاية اشكر مجلة الإصالة التي اتاحت للكاتب ان يفصح نفسه ويجعل انقراء يحترسون من امثاله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الاستاذ محمد العدوي المعهد الاسلامي بباتنة



بدون تعليق

لقد دارت امامى محاوره في المسجد وبعد الصلاة حول الموسيقى في الاسلام ، هل هي محببة ؟ ام مكروهة ؟ وهل كان في السابق موسيقى ؟ وما موقف الخلفاء والامراء والولاة منها ؟ ... الخ لذا وبعد ان سمعت اجوبة مختلفة منها الخاطيء ومنها قليل الصحة ، ولعدم اشتراكى في ذلك النقاش ، فقد وقفت على مراجع في هذا الموضوع فاقنبتسته وكتبته لينشر في مجلتكم .

الموسيقى في صدر الاسلام

مما لا ريب فيه ان النغمة التي استهل بها صدر الاسلام هي نغمة الاذان فكانت من اولى البوادر الفنية التي طرات على المسلمين الاول والثاني من الهجرة ، وكان بلال الحبشى اول من قام بتأدية الاذان ، وقد أمره به النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعتبر بلال وهو ابن جارية اعتقه ابو بكر ، امام المؤمنين ، ومما يروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا بلال غنى الغزل » . وقد مات في دمشق ، ولا يزال قبره باقيا حتى اليوم .

وللاذان طابع تعبيرى يحاكى تعبير القرآن ، وقد اباحتها المذاهب كلها ما عدا الحنابلة . كما ابيحت في الاسلام اغاني الحرب ، لاثارتها الحمية ، وبثها الشجاعة في النفوس ، وقد برزت في هذا العصر اهم النواحي العلمية في الموسيقى ، وادرجت لها القواعد والاسس وما تحتاجه من المصطلحات اللغوية ، وقد نعمت بالتأييد والتشجيع من علية القوم والاشراف الذين تعشقوا الموسيقى وأغدقوا على المحترفين الموسيقيين الاموال الطائلة . وكان كل من عائشة بنت طلحة رضى الله عنها وسكينة بنت الحسين والحسن وغيرهم من اشد المولعين بالموسيقى ، وقد نذروا انفسهم لرعايتها وحماية العاملين بها .

وقيل لما استدعت عائشة بنت طلحة زوج مصعب بن الزبير ، عزة الميلاء تلك المغنية البارزة للترفيه عن ضيوفها في احدى الحفلات ، اكرمت وفادتها ، واعتبرتها من طبقة سيدات قريش . واتخذ عبد الله بن جعفر وهو ممن عظمت هوايتهم للموسيقى ، من قصره معهدا موسيقيا جلب اليه اكابر الموسيقيين امثال طويس ، وسائب خاثر ، وعزة الميلاء ، وحنين الحيرى .

— طويس —

كان طويس (الطاؤوس الصغير) راسبه في الاصل ابو عبد المنعم عيسى بن عبد الله الذائب ، اول موسيقار ظهر في الاسلام وهو مولى لبنى مخزوم . نشأ في المدينة وفي دار اروى القرشية ، كما نشأت ميوله الموسيقية لدى سماعه الخان الارتقاء من الفرس ، وبدأ يجاريهم ويقلد اسلوبهم حتى اشتهر امره ، وسجلت له في التاريخ صفحة مجيدة بقدرته الموسيقية .

وقد وصفه ابن سريج (تلميذه) بأنه اوحده عصره في الغناء ، وفي الهزج اصبحت له الزعامة ، ولم يكن يصطحب في غنائه غير الدف الذي كان يحمله في رداءه . وكان طويس من المختئين ، ولذلك فقد نبذه المجتمع كما نبذه اكثر الموسيقيين الاوائل ، بخلاف الاشراف فقد اعجبوا به غاية الاعجاب . وعند تولي معاوية الاول الخلافة كان مروان بن الحكم عامله في المدينة قد أمر بجمع المختئين وقتلهم ، فاعتصم طويس في السويداء (سورية) بقية حياته . وقد توفي عام (٧١٠ م) ومن تلاميذه كل من ابن سريج ، والبدلال ، ونؤوم الضحى .

— سائب خاثر —

ويدعى ابا جعفر سائب بن يسار ، وهو من موالى الفرس ينتمى اصله للفرع المدنى من بنى الليث . استهل حياته بالتجارة ، وكان يقضى بعض الوقت في الاستماع الى النوائح ، مما جعل ميوله تتجه نحو الغناء ، فآخذ يوالى دراسة الفن ، ويستقى من مناهله . وحالفه النجاح حتى ان عبد الله بن جعفر ، وهو من اشراف قريش استمع الى غنائه ، فآلحقه بخدمته ، وكان سائب اذ ذاك يصطحب القضيبي كالمعتاد ولدى الموسيقيين المبتدئين ، ولكنه سرعان ما استبدله بالعود . وهو اول من اصطحب العود في اغانيه

النساء» وقد برعت في العزف على العود فضلا عن
أبداعها في الضرب على المزهري والمعزقة ، توفيت
الميلاد عام (٧٠٥) م .

— حنين الحيري —

وهو من الحيرة كما يستدل من الاسم . ويدعى
في الأصل أبو كعب بن بلوغ الحيري ، ومن العرب
المسيحيين من بنى الحارث بن كعب . استهل
حياته كبايع للزهار ، أو صلته هذه الحرفة إلى
منازل الأغنياء ، حتى هام بها بحفلات القيان ،
وعول على الاشتغال بالموسيقى ، فبدأ دراسته
على كبار الموسيقيين ، حتى أصبح في مقدمة
العوادين والمغنين ، واشتهر أمره بين
الملحنين ، واليه ينسب ادخال الأغنية الفنية من
نوع (السناد) وتطويرها في العراق في زمن
الاسلام .

أما حياة حنين الموسيقية ، فقد بدأت في عهد
عثمان رضى الله عنه ، بيد أن خالد بن عبد الله
القسري والى العراق كان قد حظر على
الموسيقيين مزاوله العمل مدة خلافة عبد الملك
بن مروان . ولم يسمح لحنين باحتراف الغناء الا
بشرط عدم الغناء بحضور الفساق والاشرار .
وعندما انتقلت ولاية العراق الى بشر بن مروان
أخى الخليفة ، قرب حنينا من قصره في الكوفة ،
وبقى ملازما للأمير .

وفي عام (٧١٨) م . اراد فنانوا الحجاز ان
يحتفلوا بزميلهم الكبير حنين ، فدعوه الى حفلة
موسيقية كبرى في دار سكينة بنت الحسين . وفي
ثناء الحفلة تودم المنزل المزدهم بالمستمعين وقتل
حنين ويدعى ابنه عبيد الله أن أباه أحد المغنيين
الاربعة المعدودين في الاسلام .

أحمد قاسم العقلة .

أمين الغريب

أولا : شكرى الحارث للوزارة على هذا الاهتمام
المواصل الذى توليه حقا نحو احياء التراث
السالف وكذلك جهودها المبذولة لتوعية المجتمع
وثانيا : اعجابى المتزايد لدعوتها ونشاطها الدائم

بالمدينة . ولما طار صيت نشيط الفارسي
واشتهر بجودة أغانيه الوطنية ، حذا سائب
حذوه ، فسير الغناء مثله في الشعر العربي ،
ولسائب يعزى ابتكار الايقاع Rhyme من
النوع المسمى « الثقل الاول » وأول أغنية صاغها
من هذا النوع كانت الاولى من نوعها في
الموسيقى العربية .

وحينما زار عبد الله بن جعفر الخليفة معاوية ،
كان في صحبته سائب خاثر ، وكان فقهاء دمشق
قد حرموا الموسيقى ، فاضطر عبد الله أن يقدمه
في البلاط على أنه شاعر مجود للشعر ، فقال من
الخليفة جائزة ، وفي عهد يزيد الاول قامت في
البلاد ثورة طاحنة كان سائب أول ضحاياها في
وقعه الحرة . توفي عام (٦٨٣) م ، وكان من أبرز
تلاميذه ، عزة الميلاد ، وابن سريج ، وجميلة ،
ومعبد .

— الميلاد —

أطلق عليها هذا الاسم بسبب مشيتها ،
اشتهرت بجمالها وكانت تلميذة لغنية عجزوز
تسمى رائقة ، أخذت عليها دروسا في الموسيقى
التدبيرة التى كانت تتناولها ، سرين ، وخوله ،
وسلمى ، والرباب ، ثم انتظمت الالحن الفارسية
فيها بعد من : تشيط ، وسائب ، وكانت تشترك
مع استاذتها رائقة وحسان بن ثابت الشاعر في
حفلات المدينة الكبرى . وفي حفلاتها الاسبوعية
اجتذبت عددا لا يستهان به من صغار المغنيين ،
وقد تجاوزت شهرتها المدينة حتى بلغت مكة . وقد
قال فيها طويس بعد أن حضر بعض حفلاتها :

« اذا جلست الميلاد جلوسا عاما فكان الطير
على رؤوس مجلسها » وكان من الفروض على
كل مستمع ان يحافظ على السكون التام . فمن
يدرت منه ادنى حركة جوزى بالعصا . ولكن
شدة محبة الناس لها انار حفيظة المترمتين من
المسلمين فشكوا أمرها الى سعيد بن العاص والى
المدينة في عهد معاوية فحاول ابعادها لولا التوسط
الذى قام به عبد الله بن جعفر . وقد أشاد
الشعراء بمدحها فقال حسان بن ثابت : ان
عزفها ذكره بما كان يسمعه عند الفساسة في
الجاهلية ، وقال طويس انها « سيدة من غنى من

الى ترك اساليب الآخرين والتمسك بأساليبنا الوطنية الخاصة والعربية العامة من دين ولغة .

وتمسكنا يعنى مباشرة استرجاع شخصيتنا الكاملة ، والاعتزاز بأصالتنا ومقوماتنا ، والأخذ من حضارتنا واعطاء العناية والاهتمام بما تركه أسلافنا اذ به نبني صرح الحاضر والتحضير لبناء المستقبل الخالص .

اذ لا نستطيع ان نتصور امة او شعبا بلا ماضى ان ماضى الامة لهو بمثابة روحها تنفخه في هيكل مستقبلها فتبعثه بشكل جديد الى الحياة الحرة الكريمة وتنطلق ان ذاك الى حيث تبقى وتريد لتحقيق مجدها المنتظر . والانية والاصالة واجب التحلى بهما ومن مقدمهما فقد احساسه .

وبعد هذا الشكر الجزيل الذى قدمه الاخ امين غريب الى الوزارة لاعتنائها باماضينا ومجندنا ومحاولتها الحادة لنشر تراثنا ومثلنا التى تكون اسس شخصيتنا .

قدم لنا هدية متواضعة كما سماها هو وهذه الهدية هي قصيدة شعرية تحية للاصالة تكفى منها بهذه الابيات الثلاثة

رحبى يا ارض بالصور بالاصالة
بشرى قوما فلن تلقى جهالة
واهتفى بالانية في كل حارة

من تقاليدنا البالية

كل امرئ يحبى ويضحى بذاتيه .. من اجل احياء ونشر عقائده وآرائه التى يؤمن بها . فكل له عقيدته التى يؤمن بها . ولا يرضى لها بديلا الا بالقوة فيستكين لذلك وحتى بها - غربيا لا يميل الى ذلك الا ظاهريا ولكن بعد المران وذوق لذة تلك العقيدة الجديدة فيؤمن بها ظاهريا وباطنيا ...

فهو لا يستكين ولا ينزوى زاوية ويترك مـ اعتقد به تعبت به ايدى الآخرين . وهذا ما جعل الانبياء وجميع المصلحين يلقون صعوبات ومصاعب جمة من طرف الذين ارادوا اصلاحهم . وما هجرة النبى وايداه من تجاه

قريش الا تفسر لهذه الظاهرة وهذه النفسية الفطرية في كل نفس .

واذا تصفحنا كتب التاريخ والسيرة فاننا نجد ما لا يحصى من المصلحين لاقوا اشد الايلام وتعرضوا للمخاطر والنفى والرمى بالزندقة والكفر . لا لشيء الى انهم استباحوا لانفسهم الى النقد وتجريح عواطفهم باستعراض الاحيان . قصد استحالتها بعقائد اخرى صحيحة عقائدهم بالنقد .. والذم والشتم في بعض او مزيفة وهى في نفس معتققيها لا تشويها اية شائبة . ولكن كما اراد هؤلاء نشر آرائهم الصالحة بقدر ما يحتضن هؤلاء بعقائدهم الموروثة والحرص عليها . وما من أحد ينكر ما للعقيدة من اثر في اصلاح وتقدم الامة . كما هو شاهد في الامة الاسلامية . فتقدمها يتناسب تناسباً طردياً بتمسك أفرادها بعقيدتهم التى لا يدخلها الباطل من الخلف ولا من بين أيديهم .. فالمسلمون تقدموا وسادوا وزرعوا ودوخوا الممالك الجبارة يوم كانوا يعيشون لعقيدتهم . ويضحون بانفسهم وأموالهم وبنيهم لاعلاء كلمة ربهم ودحض الباطل ومزاعم المشعوذين الباطلين . ويوم يقتحمون المعركة قصد مباتهم في ساحة الشرف ليفوزوا بالجنة التى وعد الله بها الشهداء الأبراء .

وهذه العقيدة التى لا تشوبها شائبة قد حافظت على كيانها وكيان المسلمين لاحتفاظ معتققيها بزمائها لا ترزعزع ايمانهم اية ظاهرة من الترف والغناء ... ولكن ما ان انحرفوا عن هذه العقيدة قليلا حتى زالت كوتلتهم وتقلصت . فاصبحتا كلمتا نذكرنا هذه ملأت قلوبنا الحسرة والقلق ، وكلها جادلنا أحد أجبنائه بـ « كان . ولا بد كنا » .. وهذا نتيجة أسباب عدة أهمها فساد عقيدتنا لعدم تمسكنا كما تمسك واحتفض بها أجدادنا الأولون . فتسرب اليها كثير من الامور ليست من الدين في شيء وانما هى من كلام وابا طيل المشعوذين والدجالين الذين لا يفقهون من الاسلام سوى القشور والمظاهر . فغنت هذه الامور المزيفة الباطلة من عقائد الدين يؤمن بها بعض العامة . وهم لا يريدون

لها ... بديلا ولا نقدا أو مسا من قريب أو من بعيد . لاعتقادهم أن مسا معناه مسا الدين .

ولكن في الحقيقة هذه ليست من الاسلام في شيء . وانما هي عادات وتقاليد تواتها الجيل عن الجيل . ومن الواجب القهم والادراك أن الدين الصحيح شيء لا يقبل التغير والتحريف . لأنه صالح لكل زمان وعصر . أما العادات والتقاليد فهي قد تقبل النقد والانتقاد ... حذفنا وخلقا ... لان لكل وقت عاداته وتقاليد . وإذا قلت هذا لا يعنى من ذلك نبذ كل تقاليد شعبنا . لان هذا معناه القضاء على فكر وروح الشعب . وانما حذف التقاليد الرذيلة من المهور الباهظة والشاجر الناشب من مثل الاسباب . والزواج بالأجنبيات للحفاظ على شخصيتنا وقوميتنا . وعدم سجن المرأة داخل الجدران الاربعية وحرمانها من العلم والثقافة بعد وصولها الى المرحلة التي يجب مساعدتنا فيها ... الخ .

ولكن الاعتقاد السائد في نفوس بعضنا هو « زيارة القبور وجعلها مساجد » واتخاذ أضرحة الاولياء شكلا من العبادات والتدسية . فإى حديث وآية تأمرنا بجعل القبور مساجد . فالحديث الذى يدل على هذا يقول :

— لا تتخذوا القبور مساجدا — فهذا الشيء نلسمه كثيرا نوعا ما فى القرى والارياف ننقصى الوعى الوازع الدينى فيها . فكم نجد من النساء فى القبور يزغردون ويوقدون الشمعات ويضعن ما تيسر لهن من النقود فى صندوق ضريح الوالى ان كان هناك واليا . أو توضع فوقه — الرمس — أنواع شتى من الاقمشة الحريرية والاساور ويضعن كثيرا من السحور فيه ناهيك عن الدعوات التي يدعون بها الى الوالى قصد

الحاجات الذاتية من انجاب مولود . واشفاء مريض غاين كل هذا من الدين الاسلامى فى السمح النقى . من كل هذه الاباطيل الكاذبة .

يجب علينا القضاء على هذه الامور المريئة كما تقضى غير ابن الخطاب على تلك الشجرة التي يتدسها بعض العرب . الشجرة التي بنت تحتها البيعة الاولى والثانية امر بقطعها لان هذه التدسية لا فرق بينها وبين عبد الاصنام والوثان فى الجاهلية . فمتى تزول هذه العادات السيئة الى الدين والمجتمع معا .

ومن الخصال الرذيلة المتصفة كذلك فى بعضنا تشبثهم بسيرهم وراء مطامعهم الذاتية ولو ادى ذلك الى فساد الوطن والغير . وهذا ما يعكس مفهوم الحديث التالى : « احب لغيرك ما تحب لنفسك . واكره له ما تكره لها » ومثل هؤلاء الطماعين لسنا هم اiban الانتخاب البلدى الاخير . حيث انهم يبنذون ويشمئزون ويغضون الطرف حتى من رؤية من كان ليس فى حزبهم ولو يصوتوا لفائدتهم . اما يدرون أن الانتخاب من المفروض أن يتم بحرية تامة لاختيار ذوى الكفاءة والقذرة على خدمة الوطن والاخلاص والتفانى فى المسؤولية الملقاة على عاتقه .

اما اذا انحاز عن هذا فهو يماثل مقدسى وعابدى الشخصيات وهذا نوع من الوثنية والوساطة بشكل آخر .

فمتى تزول هذه الاعات الرذيلة فى مجتمعنا . وكيف السبيل الى الرجوع الى اصل الدين ولبه . الى الاصاله الاسلاميه فى مبادئه الجذابة التي تحرص على حرية الفرد والاعتراف بشخصيته .

charrue, la pioche et la houe ; pacifié par le bornage, délimité, libéré des querelles agraires ; dans les restes d'un ouvrage hydraulique arabe ; à travers les voies continentales jalonnées de postes aujourd'hui effacés comme une mince traînée de graviers ; le long du « limes » romain, frontière intérieure dont le tracé archaïque mais rationnel séparait déjà et tout ensemble deux zones naturelles et deux genres de vie majeurs ; dans les pierres-mêmes qui cessent alors d'être muettes ou insensibles à la marche toujours recommencée, toujours disputée de la civilisation et de la barbarie. En effet, les ruines aussi, le roc dégradé, les pans dérisoires des anciennes murailles, les dalles usées, les strates amoncelées des villes mortes, les tessons de poterie, les morceaux de bronze, les éclats de verre, un fragment de mosaïque, une stèle gravée, un fût de colonne, un marbre tronqué, un noyau d'olive, un trop fragile grain de blé tout noirci, une lampe, un outil qu'on retire des décombres tassés et retassés par le temps, ces objets-là, ces squelettes de pierres, il faut que la civilisation les exhause, les élève au jour pour en faire de vivantes reliques et comme le fil renoué de sa lointaine genèse. Ainsi, l'histoire s'inventorie dans les cendres des villes et l'ortie des champs abandonnés en ramassant les humbles dépouilles sauvées du désastre, les témoins minuscules d'un monde aboli, et, ce faisant, elle se raconte avec autant d'éloquence si ce n'est plus, que les textes et les grimoires ; que les récits fabuleux dont les chroniques populaires sont prodigues ; que les savantes suggestions des chercheurs. Ici, l'événement est le contrepoint du fait social ancien, l'indice matériel d'un patrimoine enseveli, et quand il s'en tient à ce rôle, la clarté devient complémentaire d'une plus grande lumière paradoxalement tirée des profondeurs obscures de la terre, soustraite aux ténèbres millénaires des ruines ravalées et chaotiques, libérée d'un oubli opaque ou somnolent dans la pénombre de la mémoire collective. Et déjà les éléments premiers de l'existence historique d'un pays à l'origine des temps humains s'énoncent pour nous comme un alphabet, comme des hiéroglyphes qu'on déchiffre, et, à l'instar d'un alphabet, ils imposent déjà un moyen de culture abécédaire c'est-à-dire de civilisation balbutiante ; une connaissance peut-être naïve mais par laquelle tout commence quand l'homme, quand les sociétés primitives et plus tard outillées, s'initient de proche en proche à cette totalité géophysique à laquelle ils s'identifient eux-mêmes ; à cet environnement de débris épars et de signes épelés ou reconnus ; à cet immense matériau cosmique dont ils sont à la fois et deviendront le produit aveugle ou sensible et le maître-d'œuvre aux mains sûres, à l'esprit conquérant. Car rien n'est à dédaigner dans

un tel inventaire ; dans cet amas hétéroclite et parfois sommaire et pitoyable comme les accessoires de théâtre d'une pauvre troupe ambulante. Tout y est, ne serait-ce qu'à l'état de symboles révélateurs ou didactiques, et chaque société, même la plus démunie, la plus hébétée par les solitudes stiles du Kalahari ou de l'Amazone, a sa part subjectivement magnifiée dans cet alphabet primordial, qui selon les latitudes, les époques, les infortunes et les cataclysmes, se multiplie comme le pain de la Cène ou s'amenuise ou demeure inchangé : réserve fruste et féconde de futurs insoupçonnés, ou rétrospective d'une préhistoire à jamais aboutie.

Est-ce par de tels chemins capricieux, le long desquels le Maghreb n'a cessé d'être évoqué en sourdine mais présent à chaque tournant, que nous atteindrons notre sujet ? A la vérité, tout converge vers cette Méditerranée qui fut le centre du Monde habité, et, sur les bords de la Mer Intérieure, vers ce Maghreb dont la présence physique, les transfigurations de l'histoire, le mécanisme dialectique des empires, des sociétés, des civilisations et des économies inter-continetales, ont longtemps fait un relais nécessaire, un carrefour vital, un haut lieu d'épopée, de réalisation humaine et d'avatars pour les peuples créateurs ou turbulents qui trouvaient là un champ illimité à la mesure de leurs rêves, de leur génie, ou simplement de leurs dévastations et de leurs errances. « Mondes péninsulaires de la Méditerranée » — c'est ainsi que le grand historien français Fernand Braudel appelle fort justement, en même temps que l'Afrique du Nord, d'autres régions géographiquement bien typées et autonomes — (L'Anatolie et les Balkans), et qui dépendent cependant à plus d'un titre du Bassin Méditerranéen. Ainsi, la science historique moderne a confirmé pour l'Afrique du Nord le nom que, déjà, au Moyen Age, dès le milieu du VII^e siècle, les Arabes lui avaient donné. Péninsule, île, promontoire cyclopaéen : la chose est la même sous différents vocables que suggère l'observation la plus perspicace. D'autres péninsules qui relèvent, celles-là, du sens propre le plus strict — l'Espagne, l'Italie — Complètent les éléments constitutifs de cette immense aire géographique et humaine de la Méditerranée dont le même Fernand Braudel prolonge les frontières envahissantes et vigoureuses jusqu'aux déserts froids et chauds de l'Asie et de l'Afrique. « Le Sahara, second visage de la Méditerranée », dit-il quelque part.

Nous ajouterons quant à nous, qu'en plus de son caractère physique sinon humain de « péninsule », l'Afrique du Nord est aussi un sous-

continent. Ce fait maghrébin, algérien, que nous croyons devoir avancer sans trop l'étayer parce qu'il apparaît jusqu'à l'évidence et parce que les raisons des sociologues et des historiens diffèrent parfois, morphologiquement parlant, de celles des géographes, ce fait est déterminant pour la connaissance des civilisations successives, des mouvements migratoires ou aventureux qui les animent; des brassages qui s'y opèrent, de l'unité qui s'y manifeste autour et le long des mêmes éléments de relief : dorsales ininterrompues, steppes ouvertes à d'éternels cheminements, transhumances qui se croisent, s'attardent ou interfèrent selon les saisons et les dispositions du moment ; montagnes apparemment closes, verrouillées, cadénassées mais d'où sortent vers la plaine mobile des pasteurs et des cavaliers, des hommes de paix et des hommes de guerre, prédicateurs mystiques, colporteurs, arboriculteurs, chefs de bande justiciers quand la faim ou les abus du fisc les contraignent à une sorte d'exil armé. Sous-continent péninsulaire, assez semblable à d'autres régions de même structure géographique, le Maghreb est une terre d'émission, un univers d'« îles que n'entoure pas la mer », selon l'expression d'un historien quand il parle du monde méditerranéen : montagnes arides et reculées, déserts inexpugnables, hauts plateaux, cuvettes naturelles creusées dans le roc, sont de grands exportateurs d'hommes, soit à l'intérieur des frontières, soit à l'extérieur de ce vaste périmètre qui jouxte la Méditerranée et le Sahara et dont la saillante nature paradoxalement composite et homogène, recèle dans ses espaces comme un archipel terrien à la fois divers et unifié. Et là-dedans, pièce maîtresse d'un ensemble qui est aussi le cœur du Maghreb et domine de haut la mer et le Désert suivant un équilibre et une économie quasi-parfaite de l'espace ordonné, l'Algérie a partie étroitement liée avec la Tunisie et le Maroc, dont l'histoire, longtemps commune, est à l'égal de la géographie. Si, à cette échelle presque continentale et en dépit de ses 2.000 km de long et de plusieurs milliers de kms. de profondeur à travers le Sahara et jusqu'aux abords du monde noir, le Maghreb se présente comme un ensemble en même temps diversifié et se répétant fidèlement sur une ligne horizontale à l'intérieur de ses limites et au fil de ses rivages, on peut dire que l'unité qui est la sienne est paradoxalement le microcosme, l'image en miniature de l'unité de toute la Méditerranée. Unité singulière à plus d'un titre, et d'abord celle qui est à l'origine de toutes les autres parce qu'elle constitue la caractéristique par excellence de la Méditerranée en tant que seule définition de sa réalité ancienne et permanente, de son rôle dans l'histoire, de sa raison d'être. « La Méditerranée, disait Lucien

Febvre, ce sont les routes ». Chose étonnante : ces péninsules, ces îles intérieures, ces archipels, ces océans d'eau et de sable, trouvent, dans une même destination, un lien qui ne serait ailleurs que latéral, voué à la simple communication d'un fait de civilisation temporaire, vulnérable peut-être, aboutissement parfois électrique mais qui, en l'occurrence, explique et détermine une totalité, justifie péremptoirement, mathématiquement, l'existence et la fonction humaine de cette Mer Intérieure aux prolongements infinis. C'est le même Lucien Febvre dont la science subtile n'est jamais gratuite parce qu'elle draine tous les détails d'une définition, toutes les miettes apparemment dérisoires de la connaissance, les demi-teintes et les quarts de ton d'un langage historique plus précis qu'un bistouri, c'est Lucien Febvre qui suggérait à son disciple et ami F. Braudel cette réflexion ramassée, répétée, inversée, à propos de la Méditerranée : « Routes et villes, villes et routes ». Ce n'est plus une tête de chapitre qu'on énonce sèchement par habitude ou conformisme ; c'est davantage l'expression globale, quoique lapidaire et allusive, d'un mouvement, je dirai perpétuel ; d'une oscillation entre deux termes de civilisation s'engendrant l'un l'autre, celui-ci allant au devant de celui-là, ou recevant son impact ; les deux soudés et distincts, mais jamais autonomes et recouvrant de leur sens bivalent, conjugué, une réalité qui traduit tout ensemble, évoque, indissolublement liés et répartis, un circuit sans cesse ouvert et refermé, des pôles attractifs, des fonctions centrifuges et centripètes qui créent des ondes partagées, étendues, impliquant une complémentarité créatrice d'hommes, de besoins, d'espaces organisés, d'instruments de culture, de courants d'idées, de conquêtes pacifiques ou brutales, d'efficacité, d'apports, de mutations, de relais historiques aux bases immuables comme autant d'éléments naturels nés à l'unisson de la Terre, et contemporains de ses premiers âges. Ainsi qu'on l'a affirmé, « L'unité humaine de la Méditerranée c'est à la fois cet espace routier et cet espace urbain, ces lignes et ces centres de forces, ... villes et routes, routes et villes ne sont qu'un seul et même équipement humain de l'espace... Quelles que soient sa forme, son architecture, la civilisation qui l'éclaire, la ville de Méditerranée est créatrice de routes et, en même temps, est créée par elles... L'ordre routier et urbain est, par excellence, l'ordre humain de Méditerranée. Il domine tout. L'agriculture, même modeste, aboutit à la ville, est commandée par elle... ».

Il nous semble que l'essentiel, quand il s'agit de ce réseau confondu ou mouvant de villes, de routes et d'escaliers ; de ce réseau schématique ou

dense, de ces carrefours à peine perceptibles, ce n'est pas d'en montrer l'aspect familier, linéaire ou esthétique ou autonome, plein de dépaysement, fertile en plaisirs vagabonds, en agréments, en impressions de pouilleries ou de faste, susceptible de capter la curiosité inébranlable de l'ethnologue ou la béatitude mitigée du voyageur. « L'important, comme l'écrit F. Braudel, est de voir ce qu'un tel réseau implique de rapprochements, d'histoire cohérente ; à quel point le mouvement des bateaux, des bêtes de somme, de voitures, des gens eux-mêmes rend la Méditerranée une, et, d'un certain point de vue, uniforme malgré les résistances locales. L'ensemble de la Méditerranée est cet *espace-mouvement*. Ce qui l'aborde : guerres, ombres de guerre, modes, techniques, épidémies, matériaux légers ou lourds, précieux ou vils, tout peut être pris par le courant de sa vie sanguine, porté au loin, déposé, entraîné à nouveau, véhicule sans fin, voire rejeté hors de ses limites. » Espace-mouvement, routes et villes, villes et routes ; le cadre est là, mais un cadre plus fonctionnel que pittoresque. Les civilisations de la Méditerranée ont grandi sous la détermination du vide : vide de la mer, vide du désert. Car, comme la mer, le désert est mouvement, et nous verrons plus loin que les sociétés du Maghreb, l'Algérie en particulier, sont nées de ces contraintes qui se résument en grande partie en la mobilité des hommes et en leur besoin biologique de franchir l'espace, de le meubler, d'y créer des échanges, des présences itinérantes. L'unité humaine de la Méditerranée n'est pas seulement, comme on l'a dit « le fait de la nature, ou plus spécialement de l'eau méditerranéenne ». Cette mer intérieure, « peu à peu, les barques l'auront vaincue, tendant leurs liens, construisant par degrés l'ensemble cohérent de la Méditerranée des hommes et de l'histoire. Mais *construit*, disons-le bien, et de main d'homme. Une Méditerranée des hommes n'a existé — n'existe que dans la mesure où continuent à la créer l'ingéniosité, le travail, la peine de ces mêmes hommes. *Ce n'est pas l'eau qui lie les régions de la Méditerranée, mais les peuples de la mer* ».

Nous avons vu à l'aide de touches plus générales, plus rapprochées de notre propos, de quelle façon peut se définir l'ensemble déterminant de ces mécanismes géographiques de la Méditerranée dont les éléments constitutifs sont régis entre eux par une étroite et dynamique relation de temps et d'espace, de point fixe et de projection, de base immuable et de mouvement, d'attaches statiques et de circuits mobiles, de chemins et de cités, de contraintes naturelles subies ou déjouées, de créations et d'aménagements, de matériaux et d'hom-

mes, c'est-à-dire le propre de la civilisation quand elle répond ou s'adapte aux sollicitations, aux impératifs de l'ordre physique et les transcende à son tour par l'initiative de l'esprit. « Immensité et démesure » tel paraît être l'espace méditerranéen au XVI^e siècle selon un historien qui ajoute qu'aucune région du monde n'offre encore à cette époque un aussi puissant réseau urbain. « Paris et Londres, écrit-il, n'en sont qu'au début de leur modernité. Les villes des Pays-Bas et de la Haute-Allemagne ; plus au nord des cités laborieuses mais menues de la Hanse, toutes ces villes, si belles ou si vivantes soient-elles, ne forment pas des ensembles aussi drus et complexes que ceux de la mer Méditerranée où les agglomérations urbaines se succèdent en interminables guirlandes avec de très grands centres ; Venise, Gênes, Barcelone, Séville, Alger, Naples, Constantinople, le Caire. « Mais voilà que nous anticipons un peu trop sur notre sujet !

Je pense, cependant, qu'il n'est pas tout à fait superflu dans une approche méthodique de l'histoire du Maghreb et de l'Algérie, de planter ce décor, d'évoquer en guise de préambule et d'explication ces structures naturelles, cette physiognomie active de la Méditerranée, ces appels irrésistibles du cadre géographique et de la nécessité tout court. Nous nous sommes acheminés progressivement — maladroitement, aussi — du général vers le particulier. Le Maghreb, la Méditerranée, sont deux ensembles inclus l'un dans l'autre : quant à l'Algérie, elle est à la fois le résumé géo-économique et humain de la Mer Intérieure, et le générateur de l'histoire maghrébine, en ce sens que sa position centrale la rend plus méditerranéenne que ses voisins, le Maroc atlantique et la Tunisie des Syrtes. En ce sens également que le mouvement de l'histoire, s'il s'est amorcé à l'Est pour aboutir en vagues plus ou moins atténuées à l'Ouest a trouvé son point culminant, ses lignes de forces, ses réserves, ses chutes, ses épreuves, ses conducteurs d'hommes, ses initiateurs, dans ce cœur du sous-continent maghrébin qu'est l'Algérie, région la mieux typée sans doute, géographiquement parlant, de toute l'Afrique méditerranéenne, la plus contrastée aussi, avec un vaste champ attractif d'action et de déploiement d'énergies ; un tremplin qui a propulsé depuis la naissance de la civilisation un tumultueux et pacifique va-et-vient de groupes humains. Bien sûr, l'histoire de l'un ou l'autre pays de l'Afrique du Nord ne peut se concevoir sans une imbrication dynamique à l'ensemble de ce monde péninsulaire ; sans une participation épisodique ou permanente à la totalité des hommes du Maghreb, de leurs œuvres et de leurs aventures : les routes et les

villes, les villes et les routes, c'est-à-dire les capitales, les métropoles, les dynasties, les centres d'intérêts, les tribulations, les échanges, l'exode et les retrouvailles, les institutions, les courants culturels et commerciaux, les pérégrinations pastorales, les fondations maritimes, les révolutions : en somme tout le viatique d'une marche commune à travers les siècles. Il n'est même pas besoin d'essayer, par je ne sais quel régionalisme aléatoire, de séparer les destins convergents et les vocations intimes et complémentaires de ces trois pays. Ce qui, dans l'histoire la plus reculée, a commencé en un lieu donné de l'espace maghrébin, s'est très vite développé selon une ligne horizontale d'Est en Ouest ou inversement. Des idées, des hommes d'action, des conquérants et des émigrés venus de l'Orient arabe ou du Maghreb central - c'est-à-dire d'Algérie - ont poussé jusqu'aux confins du Maroc, et, de ce pays, sont partis de vastes mouvements de réformateurs et deux grandes dynasties qui se sont ramifiées plus tard d'une façon autonome quoique épisodique, dans chacune des trois régions d'Afrique du Nord.

Aussi, nous paraît-il prématuré, à l'origine des temps et même plus tard, de parler de telle ou telle province du Maghreb comme d'une entité distincte du reste, prémunie contre les dangers qui la menaçaient. Et ce n'était pas le seul fait, la seule conséquence du voisinage, de la parenté ethnique, d'une langue commune, de frontière presque inexistantes, des mêmes dominations subies ou repoussées. Le phénomène relève peut-être d'un caractère insulaire à nul autre pareil puisque l'immensité environnante, faite d'espaces marins atlantiques et méditerranéens, de solitudes continentales plus grandes encore, contribue à sortir l'Afrique du Nord de la catégorie classique de ces îles de petite ou moyenne envergure qu'entoure un seul élément ; auxquelles manque le recul suffisant et parfois illimité de la terre ferme. Mais ce caractère para-insulaire n'a jamais inspiré aux habitants du sous-continent maghrébin une mentalité d'isolationnistes, des réflexes de repliement sur soi. En les rapprochant entre eux pour mieux favoriser

par leurs efforts l'implantation de groupes humains de même vocation économique ou presque, dans un pays difficile, battu des flots multipliés de la mer et du désert, il les a aussi ouverts sur l'extérieur, les a rendus entreprenants, voire belliqueux loin de leurs propres rivages, ou, bien au contraire, accueillants, hospitaliers et réceptifs aux apports étrangers. Ou bien, nouveaux venus dès la préhistoire dans une terre à transformer, à réduire à travers ses horizons démesurés, ils se sont attardés sur le continent, atteignant de proche en proche le littoral et la mer, pour eux indomptable, que les Phéniciens commençaient à hanter de leurs barques rondes ; ou bien, voués, par manque d'outillage approprié, au seul habitat de la vallée et de la montagne, les premiers autochtones se sont trouvés à un stade où la civilisation des techniques allait remplacer dans leur existence d'immigrants et de rescapés les genres de vie primaires de la chasse, de la cueillette, du défrichement et de l'élevage. Toujours est-il que la destination de l'homme berbère dès le XIII^e siècle avant J.C. le prédisposait à participer à la culture du monde méditerranéen dont il faisait partie intégrante bien qu'un peu en retrait des courants nouveaux qui étaient le fait exclusif des peuples de la mer. Les Grecs les Phéniciens étaient de plain-pied avec l'élément marin. Les Phéniciens, acculés, sur une bande étroite, au mont Liban, se jetèrent résolument à l'eau, et, profitant de la disparition de la *Thalassocratie* crétoise, de cette puissance maritime qui régnait sur la Méditerranée orientale, ils créèrent des flottes de longue portée qui bientôt les menèrent jusqu'aux colonnes d'Hercule. L'histoire active de l'Afrique du Nord, de l'Algérie, commence là. Il s'agit plutôt d'un événement révélateur, dans le sens que l'on donne généralement à une réaction chimique. Les Libyens ou Lebou, nom primitif des Berbères, est déjà mentionné dans les hiéroglyphes du Pharaon Menephtah au XIII^e siècle avant J.C. Plus tard, on les trouve associés à l'active dispersion phénicienne qui, à partir de 1100, essaima le long des côtes nord-africaines pour y établir des comptoirs et des ateliers. Redisons-le : l'histoire

manifeste là ses premiers effets ; elle dégage d'emblée les lignes et les constantes de ce que sera plus tard l'univers maghrébin en soi ou à l'unisson de l'Europe et de l'Afrique. Des hommes d'une trempe exceptionnelle, endurcis à la peine, mobiles, ayant dompté les chevaux et l'espace, rebelles, échappé à un Sahara en partie tropical et humide, apprivoisé la montagne et organisé de petits royaumes claniques s'approchent, enfin, du rivage. Gadès — aujourd'hui Cadix — tête de pont des lointaines et futures explorations phéniciennes vers l'Afrique noire venait d'être fondée sur la côte espagnole toute proche, complétée par l'importante colonie de Lixos sur l'Atlantique marocain, et ce double événement qui trouvera, après le Périple de Hannon au Ve. siècle avant J.C., un prolongement d'une singulière continuité, va constituer l'un des plus grands faits de civilisation qui aient jamais commandé à l'économie du monde méditerranéen et européen jusqu'au XVe. siècle. Je veux parler des sources encore inconnues de l'or africain et du trafic laborieux de ce métal dont seront tributaires, par la suite, les politiques monétaires des empires du Moyen Age arabe, de la Renaissance ibérique et des Temps Modernes européens à la veille de l'ère d'exploitation des ressources précieuses du continent sud-américain récemment conquis et prospecté. L'entrée en scène des Berbères coïncide avec la fin de la période mycénienne et les débuts de ce qu'il est convenu d'appeler le Moyen Age hellénique qui s'étend de 1200 à 800 avant J.C. Aux environs de cette dernière date, Carthage, la Nouvelle Tyr, c'est-à-dire la réplique et la future héritière de sa lointaine métropole, est fondée à l'autre extrémité du monde maghrébin. La grandeur de Carthage, mal-

gré les moyens considérables dont elle disposait, mit 5 siècles à s'édifier, et pendant longtemps elle acquitta un tribut aux royaumes berbères, preuve que ces Etats ou ces peuples avaient déjà atteint un certain degré de force cohérente et d'organisation pour assurer le contrôle de leurs territoires. La base essentielle de ces domaines royaux comme leurs capitales, leurs marchés et, bien sûr, les comptoirs phéniciens les plus notables après Carthage, se situaient dans les hautes plaines du Constantinois et sur la côte orientale, en Algérie. L'histoire de la civilisation économique et technique suscitée par l'exemple ou l'apport phéniciens va marcher de pair avec celle, politique et culturelle, des grandes dynasties autochtones, des cités et collectivités rurales volontairement acquises à la langue punique, aux modes de vie, aux institutions de ce peuple de la mer qui avait pris pied sur la terre ferme et s'était révélé aussi expert en agriculture et en prospection minière qu'en navigation et en échanges commerciaux. Le moment est décisif dans l'existence historique de l'Afrique du Nord, surtout si l'on compare cette période d'initiation consentie et féconde à une civilisation étrangère proposée pacifiquement, cet apprentissage autonome, en un mot, à d'autres périodes ultérieures pendant lesquelles les cultures se faisaient conquérantes, oligarchiques, de caste, portées ou imposées par un ordre organisationnel perfectionné certes, mais à l'aide d'une immigration nombreuse, maîtresse du sol et des routes, et de proconsuls tout-puissants, de légions en perpétuel état d'alerte et de répression.

A suivre

L'INSURRECTION DE 1871

Docteur Mahfoud KEDDACHE

De nombreux écrits ont déjà célébré le centenaire de l'insurrection de 1871. Deux noms émergent, ceux de Cheikh Al Haddad et de Mokrani ; ils ont eu l'honneur d'avoir été les portedrapeaux de cette insurrection et le symbole de la Résistance algérienne. Combien d'autres noms de glorieux résistants restent cependant oubliés. Que de pages restent à écrire pour donner au petit peuple des fellahs, des khouans, aux centaines de milliers de combattants la place qui leur revient dans le douloureux palmarès des martyrs de cette insurrection. Ce qui revient à revoir les affirmations des apologistes de la colonisation et du colonialisme qui considéraient la grande insurrection de 1871 comme une révolte localisée, causée par l'hostilité des Musulmans aux Juifs à l'occasion de l'octroi de la citoyenneté française à ces derniers, provoquée par les manœuvres des Bureaux arabes (administration militaire française) et due essentiellement aux ambitions personnelles des « grands chefs indigènes ». Rinn écrivait en effet dans la préface de son livre « L'insurrection de 1871 en Algérie n'a été ni la révolte de l'opprimé contre l'opresseur, ni la revendication d'une nationalité, ni une guerre de religion, ni une guerre de race... Ce fut en effet le Bachagha Al Hadj Muhammad Ben Al Hadj Ahmed Al Moqrani qui seul déclencha cette lutte formidable. Ce fut lui qui entraîna les populations soumises à l'influence plusieurs fois séculaire de sa famille, et aussi, celles plus nombreuses encore, subissant alors l'action politique et religieuse des Khouan Rahmaniya dont il avait sollicité l'alliance et obtenu le concours en flattant les visées ambitieuses d'Aziz Ben Cheikh El Haddad, le fils du grand maître de l'ordre... Les nobles de la Médjana et les seigneurs religieux de Seddouq ne combattirent que pour la conservation de privilèges, d'immunités et d'abus qui pesaient lourdement sur les pauvres et les humbles enrôlés sous leurs bannières. Ceux-ci, Arabes ou Qbaïl, comme jadis Vendéens ou Bretons, se firent tuer pour une cause qui n'était pas la leur ».

La presse colonialiste de l'époque nota « les Bureaux Arabes et les chefs indigènes ont fait alliance

pour défendre par *fas et nefas* leurs privilèges, leur autorité et leur exploitation ».

La célébration, j'allais dire le culte que nous devons aux grandes dates de notre Histoire, et 1871 en est une, nous impose de les restituer exactement, et ce, dans le cadre de la révision impérative d'une Histoire falsifiée par l'esprit colonial. Pour 1871 tout a été dénaturé, les causes, les caractères et surtout le sens. Tout d'abord il convient de souligner qu'il ne s'agit pas d'une révolte d'une partie de Kabylie, mais d'un mouvement généralisé s'inscrivant dans la ligne de la Résistance militaire qui de 1830 va jusqu'à la fin du XIX^e. En effet la reddition d'Abdelkader, de Ben Salem, du Bey Hadj Ahmed, celle des Chorfas de Kabylie, les difficultés rencontrées par les combattants des Ouled Sidi Cheikh, de l'Aurès, de Laghouat, de Touggourt, des Chaâmba n'avaient pas mis fin à la Résistance algérienne. La fin d'un combat n'a jamais signifié la soumission. En 1871 l'Algérie connut l'insurrection la plus longue et la plus généralisée de toutes celles qui eurent lieu avant la guerre de libération de 1954. L'insurrection commença avec l'attaque de Souk Ahras par les partisans de la tribu des Hanencha dirigés par Cheikh Keblouti (janvier 1871) ; ce fut ensuite le soulèvement de la tribu des Ouled Aïdoun dans le Sud constantinois (février) puis celui des Nemencha et des Ouled Abid répondant à l'appel de Mahieddine fils de Abdelkader venu de Tunisie par « ordre du Sultan » pour prendre la direction de l'insurrection et qui dans son appel lu dans toutes les djemmaas affirmait : « le moment de votre délivrance est imminent ». Tebessa fut assiégée. Au Sud les Chaâmba entraînés par Bouchoucha s'emparèrent de Ouargla (mars 1871). Le 14 du même mois un Conseil de guerre tenu à Medjana par la famille Mokrani décida de passer à l'attaque, Bordj Bou Arreridj fut assiégé.

L'offensive était également lancée le même jour par les Hachem dirigés par Ahmed Boumezrag Mokrani. Le 8 avril 1871 Cheikh al Haddad lançait à Seddouk son appel au djihad. Toutes

les tribus de la Mitidja à Skikda répondirent à son appel. Tous les postes français en Kabylie étaient attaqués. Des groupes de partisans marchèrent sur Batna, sur Sétif ; les Béni Menaceur menacèrent la voie ferrée Alger-Oran, les Ouled Sidi Cheikh dans le Sud-oranais reprenaient la lutte. Plus de 350 combats furent livrés par les patriotes algériens sur un territoire qui dans le Constantinois allait des Kabylies jusqu'à Touggourt et Ourgla, dans l'Algérois de la Mitidja à Cherchell et dans l'Oranie s'étendait sur toute la région saharienne.

Si l'insurrection a atteint son paroxysme en 1871, elle avait commencé, nous l'avons vu, bien avant avril 1871 et s'est poursuivie bien après l'arrestation de Boumezzrag tombé évanoui épuisé dans le désert (5 janvier 1872). Le flambeau sera repris par les groupes de partisans dispersés d'abord par Bouchoucha jusqu'en 1874, puis par ses compagnons les Medaganat qui réussirent à être maître du Sahara oriental de 1874 à 1883, et résistèrent jusqu'au dernier.

Nous sommes donc loin d'une révolte locale, d'un fait isolé. L'insurrection a été un soulèvement général, celui de toutes les tribus. Partout où les circonstances les permettaient les Algériens se groupaient et s'armaient. Le peuple algérien était atteint comme l'avait fait remarquer Bugeaud de « la fièvre des insurrections ». La température avait monté d'une façon exceptionnelle en 1871 comme ce fut le cas quelques années auparavant entre 1839 et 1847 avec Abdelkader, 1845 avec Boumaza, 1857 avec les Chorfa kabyles et 1864 avec les Ouled Sidi Cheikh.

Quelles sont les causes réelles qui expliquent cette forte poussée de la fièvre des insurrections en 1871 ?

Elles ne furent pas celles avancées par les historiens de la colonisation ? En effet les Musulmans ne sont pas révoltés par hostilité aux Juifs. Dans ses lettres pour appeler les tribus à se soulever Mokrani ne dit aucun mot sur la naturalisation des Juifs. Le Chef Boumezzrag n'a lui aussi, pas parlé des Juifs pour appeler les Algériens à prendre les armes. Les Musulmans n'ont nullement été humiliés par l'élévation des Juifs au rang des citoyens, ils n'avaient pas le sentiment que la citoyenneté française pouvait augmenter leur dignité. Ils l'ont prouvé en refusant de faire leur demande de naturalisation individuelle. Les notables Musulmans de Constantine avaient fait savoir au consistoire israélite de la ville que le « décret Crémieux n'avait excité ni la colère, ni l'envie des Musulmans ». Il est aussi intéressant de noter que dans les régions insurgées particulièrement la Kabylie il n'y avait pas de Juifs. Soulignons égale-

ment que des responsables français comme le général commandant la division de Constantine avaient reconnu « que le décret de naturalisation des Juifs n'a pas été la cause déterminante de l'insurrection de 1871 ». Le préfet Lucet du département de Constantine avait fait poser la question aux chefs de l'insurrection qui passaient devant la cour d'assises et « tous sans exception avaient répondu que la naturalisation des Israélites n'avait été pour rien dans les causes de l'insurrection ». Par ailleurs, de nombreux insurgés avaient pris comme avocats des Juifs, ce qu'ils n'auraient pas fait s'ils avaient pris les armes contre les Juifs. On s'est appuyé pour justifier la thèse de l'insurrection - conséquence du décret Crémieux sur la déclaration de Mokrani :

« Je n'obéirai jamais à un Juif. Si une partie de votre territoire est entre les mains d'un Juif, c'est fini. Je veux bien me mettre au dessous d'un sabre, dut-il me trancher la tête, mais au dessous d'un Juif, jamais, jamais... ».

« Je consens à obéir à un soldat, mais je n'obéirai ni à un Juif, ni à un mercanti ». Ce qu'il faut préciser c'est que par juif, Mokrani visait le civil, le représentant du gouvernement français, comme par mercanti il entendait le marchand et surtout le colon. L'insurrection n'a pas été l'explosion d'un quelconque racisme contre les Juifs. Au contraire et de nombreux témoins de l'époque l'ont affirmé les Musulmans se sont révoltés parce qu'ils considéraient qu'un décret analogue au décret Crémieux qui avait supprimé le Statut personnel hébraïque pouvait être pris à l'encontre du Statut musulman et imposer une citoyenneté dont les Algériens ne voulaient pas. Non moins fautive est l'affirmation qui considère cette insurrection comme le fait des ambitions de Mokrani et d'Aziz Ben Cheikh Al Haddad qui n'auraient combattu que pour leurs privilèges. Certes, l'influence des chefs a été grande mais ce qu'il ne faut pas oublier c'est que l'initiative, la pression sont venues des masses populaires, que dans de nombreux cas, c'est cette action des masses qui a fait basculer les personnalités et les chefs hésitants. L'insurrection existait avant les déclarations de guerre des chefs et elle a continué après leur mort ou leur arrestation. Alors qu'en 1870 plusieurs chefs avaient envoyé à Napoléon III une adresse de fidélité, des initiatives populaires organisaient des attentats, sabotaient des fils télégraphiques, des écoliers faisaient grève, des Chartistes sortent d'assemblée populaire se constituaient pour surveiller les caïds et acheter des armes. Les caïds et les cheikhs directement menacés furent obligés de se mettre au service de la Résistance, et souvent se mirent à la tête de leurs tribus dans

la guerre que ces derniers voulaient mener contre la France. Pour les masses populaires la soumission était de pure forme, que le rapport de forces change et l'insurrection éclatait. Dans sa lettre au Bachagha du Titteri, Mokrani notait « Ici il y a un enthousiasme général pour le Djihad, et si les Musulmans s'insurgeaient de tous les côtés, je vous jure par Dieu qu'ils n'auraient plus besoin de s'insurger une autre fois ». Ce qu'il faut aussi avoir à l'esprit c'est que l'insurrection ne s'est pas limitée au fief des grands chefs, elle a gagné toute l'Algérie. Si les colons ont accusé les militaires, chefs des Bureaux Arabes, c'est uniquement pour des raisons de politique intérieure française : les militaires partisans de Napoléon III s'opposaient aux colons favorables au gouvernement civil. Sur le plan algérien les chefs militaires tenant à avoir la tranquillité dans leur secteur, ne voulant pas ajouter aux causes de mécontentement des tribus avaient voulu limiter la rapacité des colons qui voulaient accaparer toutes les terres, d'où l'hostilité des colons à l'égard des Bureaux arabes baptisés de « protecteurs des Arabes ».

Les circonstances politiques étaient favorables, la défaite de la France, la déchéance de l'Empereur, les luttes politiques entre civils et militaires français, les humiliations subies par les chefs traditionnels musulmans comme, par exemple, celles subies par le bachagha Mokrani : confiscation d'une partie de ses terres domaniales, perte de ses ressources fiscales traditionnelles, mise en place sur son territoire d'une administration dirigée par des officiers français, réduction du nombre de cavaliers de ses caïds, suppression de touizats faites en sa faveur... mais ce ne furent que des circonstances. Les conditions économiques désastreuses pour les fellahs ne pouvaient aussi que pousser les Algériens à la révolte armée.

La lutte pour la foi, pour la liberté pour l'indépendance s'identifiait avec la défense de la terre. Les masses rurales étaient sorties très appauvries par la crise agricole (1866 à 1869) et la crise financière de 1870. « L'occupation française avait vidé les silos traditionnels de réserve. La masse était condamnée à périr : le typhus le choléra faisaient rage, certaines tribus fondaient ; les fellahs, les chefs de tribus s'endettaient, Mokrani qui avait emprunté de l'argent pour secourir les gens de son secteur, dut hypothéquer ses biens pour rembourser les banquiers français. Ce qui était le plus grave c'était la crainte pour les fellahs de perdre leurs terres, c'était la remise en question du régime foncier des terres arch dont la propriété avait été reconnue aux tribus. Avec le régime civil c'était le triomphe des colons et de la colonisation et donc la perte des terres pour les

Algériens. Il est évident que l'appauvrissement des masses rurales, la menace de perdre leurs terres ont provoqué un climat de tension.

Cependant les vraies causes nous les percevons dans les forces morales et religieuses des masses populaires et particulièrement rurales qui ont fait face aux menaces qui pesaient sur leurs terres. Robin reconnaissait que les tribus n'appréciaient « ni la paix ni la prospérité » coloniales, et que rien n'avait encore étouffé le souvenir de l'indépendance absolue dont elles avaient joui pendant des siècles ». Lamy notait qu'un Musulman d'Alger qui s'était enrichi avec les Français aurait déclaré : « Si l'insurrection arrivait jusqu'aux portes d'Alger, et qu'il ne fallut qu'un coup d'épée de moi pour jeter les Français à la mer je le donnerai ». La plupart des observateurs de l'époque annonçèrent la révolte. Urbain signalait : « Nous nous trouvons et nous trouverons encore pendant fort longtemps en face d'un peuple qui supporte avec peine notre domination et cherche tous les moyens, toutes les occasions de s'en affranchir ; pour le maintenir, nous ne pouvons compter que sur notre armée : elle y suffira tant que nous n'aurons pas quelque grosse complication européenne mais l'horizon est noir ; que quelque orage vienne à éclater sur le vieux continent, nous sommes forcés de réduire notre armée d'Afrique ; le sentiment de l'indépendance et les sentiments du fanatisme religieux veillent. Il profitent de la situation ; un soulèvement a lieu... ». Le gouverneur général Mac Mahon lui-même annonçait en 1872 que « la sécurité risquait d'être compromise ». Les véritables causes un Français les avait notées « Il y a encore des mots magiques qui font tressaillir le pays et chaque fois qu'on lui parlera de nationalité, d'Islam de terre sainte à purger des infidèles on le trouvera prêt à marcher ». Les causes réelles résident dans cet amour du sol natal, dans cette défense de la liberté et de l'indépendance qui restent à travers toute l'histoire maghrébine l'un des traits caractéristiques de notre peuple. La foi religieuse inséparable de l'amour de la patrie, donna au peuple la force de combattre. Le sentiment religieux, se confondant souvent avec le sentiment national a été toujours un facteur de résistance. Les officiers français pour qui la foi était du fanatisme religieux notaient :

« Les pèlerinages à Seddouk se multipliaient de plus en plus, le fanatisme religieux, déjà réveillé, comme nous l'avons vu, s'accentuait encore d'une manière alarmante. Les bandes de pèlerins qui se rendaient chez le Cheikh Al Haddad, conduits par leurs mokaddems, suivaient les chemins pieds nus, avec des mines farouches, psalmodiant leur

dékeur ; les femmes elles-mêmes se rendaient chez le vieux et elles n'étaient pas les moins exaltées. Quelque chose se préparait ».

Les Kabyles d'une tribu qu'on voulait convertir écrivaient à l'officier français :

« Nous ne renoncerons jamais à notre religion ; si le gouvernement veut nous y contraindre, nous lui demanderons un moyen de quitter le pays ; si nous n'en trouvons pas nous préférons la mort plutôt que d'embrasser votre religion.. Quant à ce qui regarde notre conversion, nous aimons mieux la mort que de renoncer à notre religion ».

Toutes ces tentatives de prosélytisme religieux n'avaient certes pas de grande portée mais pour les Kabyles c'était une menace réelle. L'archevêque Lavigerie avait affirmé à plusieurs reprises ses intentions : « il faut cesser de le (le musulman) parquer dans le Coran comme on l'a fait trop longtemps, comme on veut le faire encore avec un royaume arabe prétendu ; il faut inspirer, dans ses enfants du moins, d'autres sentiments, d'autres principes. Il faut que la France lui donne, je me trompe, lui laisse donner, ceux de l'Evangile, en le mêlant enfin à notre vie ou qu'elle le chasse dans les déserts loin du monde civilisé ». Et les colons affirmaient dans l'Akhbar : « tout le monde tombera d'accord pour reconnaître que les principes du christianisme, avec tous les défauts qu'on pourra leur trouver, sont, à tous égards, préférables aux principes débitants, immoraux et barbares du Coran ».

L'apport de la confrérie des Rahmaniya à l'insurrection de 1871 est indéniable. Cette confrérie

est essentiellement algérienne, par son origine puisque fondée par Mohamed Abderrahmane Bou Qobraïn, qui appartenait à la tribu des Guechtoula, par ses traditions et ses intérêts. Elle était la confrérie nationale groupant des Algériens de toutes origines, des hommes et des femmes, comme Khedoudja Bent Ahmed Ben Kanoun des Isser qui amena les Oulad Ou Kassi à rejoindre l'insurrection. Les Khouans, très homogènes habitués à une sorte de clandestinité, très disciplinés formèrent des groupes de combattants réputés par leur courage et leur héroïsme. Les mokadems furent les porte-drapeaux de ces combattants, pour lesquels il n'y avait d'autre issue que la victoire ou la mort.

Ce qui domine dans les origines de cette insurrection c'est donc la foi d'un peuple, son attachement aux valeurs morales et religieuses, ce qu'il faut retenir c'est le message des milliers et des milliers de martyrs de 1871 légué aux générations qui ont subi la colonisation au fait de sa force. Les théoriciens de cette colonisation affirmaient : « 1871 est la dernière grande insurrection militaire algérienne ». Ils se sont trompés dans la conclusion comme ils avaient voulu nous tromper sur les causes. Le message des mousseblin, et n'en rappelant que celui des deux mille qui, après avoir entendu la prière des morts tentèrent d'escalader les remparts de Fort National et se firent hacher sur place », était resté gravé sur le roc et ce sont les descendants de ces mêmes mousseblin qui ont repris le combat qui a mené à l'indépendance. C'étaient les moudjahidin, de 1954. Ils étaient eux aussi animés par une même foi et exprimaient eux aussi la Résistance d'un peuple.

Lettre de l'Ecrivain Belge

Francis MONHEIM

— Né en 1934 à Anvers

— Président de la Fédération des Etudiants de Belgique en 58 - 59

— Nombreux contacts avec l'U.G.E.M.A. - cofondateur du Comité pour la paix en Algérie qui est, en fait, un réseau d'aide aux étudiants algériens persécutés par la police française.

— Journaliste depuis 1954 : reportages en Afrique centrale, en Amérique latine, au Moyen-Orient, au Vietnam etc. ; plusieurs émissions

pour la télévision belge notamment sur la condition des immigrés nord-africains.

— Abandonne le journalisme il y a un an et demi pour se consacrer à des travaux plus approfondis sur l'Algérie.

— Vient d'achever la rédaction d'un livre intitulé « Les Révolutions Algériennes » sous la direction du professeur Arthur Doucy, président de l'Institut de Sociologie de l'Université de Bruxelles.

— Etudes de sciences politiques et diplomatiques à l'Université de Louvain.

Votre nouvelle publication, « Al Aqala », mérite la plus large audience non seulement en Algérie même, mais auprès de tous ceux qui veulent mieux connaître l'Islam et la civilisation arabo-islamique.

Or, il faut constater que, dans le monde occidental, votre religion et votre civilisation sont très mal connues. Bien entendu, il ne s'agit pas d'un hasard : il s'agit d'une action voulue et concertée par les autorités coloniales et leurs alliés.

Les uns et les autres ont voulu détruire l'Islam en Algérie ; un des moyens d'y tendre fut évidemment de défigurer votre religion et de nier vos valeurs culturelles. C'est ce que l'Occident a fait depuis des siècles et c'est ce qu'il continue de faire.

Dans mon pays, l'enseignement moyen porte un nom qui devrait en inspirer le contenu : « humanités ». En Belgique, on ne fait pas « le secondaire » comme en France, on y fait « les humanités ». Cela signifiait sans doute, dans l'esprit de ceux qui avaient choisi ce nom, que le secondaire devait initier l'élève à l'humanisme ; c'est à-dire, à une plus grande connaissance et à une meilleure pratique des valeurs humaines et des vertus humanistes.

Or, je constate que pendant mes six années « d'humanités », mes professeurs m'ont toujours donné une image fautive de l'Islam, du monde musulman, de la civilisation arabo-islamique. Que ce soit dans les cours d'histoire, de religion, de littérature ou de morale, la civilisation arabo-islamique a toujours été présentée comme rétrograde,

intolérante, décadente. Dans le cas concret de l'Algérie, elle n'aurait même jamais existé...

Cette falsification de l'histoire constitue la règle générale à tous les niveaux de l'enseignement et dans tous les pays de l'Occident. Et dix ans après la fin de la guerre d'Algérie, elle est toujours en vigueur. Si quelques professeurs d'université ont réagi et tentent de rétablir la vérité, il n'en demeure pas moins que des millions de jeunes subissent chaque jour les mensonges de leurs maîtres.

Je crains pour ma part que cette situation se poursuive pendant longtemps encore. Car, en l'occurrence, trop d'intérêts sont ligés contre la connaissance — et, surtout, contre l'enseignement — des vérités les plus élémentaires.

Nostalgiques de la domination, tenants du néo-colonialisme, partisans du prosélytisme chrétien, racistes de tout bord : ils ont tous intérêt à ne pas modifier l'image que l'Occident s'est faite du monde arabe. Et ce n'est pas demain que ces gens-là vont réécrire l'histoire qu'ils enseignent à leurs fils ; parce que l'Histoire — la vraie — leur donnerait tort !

Pour toutes ces raisons, je crois qu'une revue comme « Al Açala » vient à son heure. Pour l'Algérie — sans aucun doute — dans cette phase de révolution culturelle : mais aussi — je le répète — pour tous ceux qui veulent mieux connaître et mieux comprendre vos valeurs.

Il ne s'agit pas, dans mon esprit, d'établir « un dialogue entre Musulmans et Chrétiens » ; je n'ai pas qualité pour me prononcer sur ce point ; je ne sais pas si les temps sont mûrs ; je ne sais pas non plus si les Chrétiens seraient capables actuellement d'assumer ce dialogue, au niveau de leur clergé par exemple.

Il s'agit, pour moi, d'une chose beaucoup plus simple, beaucoup plus réaliste et beaucoup plus immédiate.

Des millions d'hommes ont découvert l'Algérie à travers le combat héroïque de tout un peuple pour son indépendance politique.

Confrontés brusquement avec le courage, l'obstination, l'esprit de sacrifice de ce peuple, ces hommes-là ont compris qu'on n'avait cessé de leur mentir à propos de l'Algérie.

Aucun peuple n'est capable d'assumer les souffrances qui furent imposées à l'Algérie s'il ne peut s'appuyer sur des valeurs solides, profondément ancrées dans les masses et qui déterminent, finalement, son unité et sa faculté de résistance.

Il n'y a pas de miracle dans l'histoire des hommes ; et si l'Algérie est venue à bout d'un colonialisme particulièrement sauvage et raciste, c'est parce qu'elle a trouvé, en elle-même, les ressources et la force dont elle avait besoin.

A nous Occidentaux, cette lutte a démontré qu'on avait tenté de coloniser nos cerveaux et, bien souvent, d'ailleurs, avec plus ou moins de succès.

Aujourd'hui, un certain nombre d'entre nous veulent aller plus loin. Témoins de votre lutte, nous aimerions mieux connaître la force morale qui en fut le ressort, après en avoir discerné les motivations politiques. C'est dans ce sens-là que « Al Açala » peut nous apporter beaucoup et beaucoup, nous apprendre.

Une image de l'Algérie authentique, telle qu'elle est et telle qu'elle veut être : voilà ce que nous attendons. Et notre attente est d'autant plus avide que nous fûmes gorgés d'images algériennes, faussées par le racisme, défigurées par la mauvaise foi, secrétées par la soif de domination.

Ce que vous entreprenez, Monsieur le ministre, est une œuvre de justice, de réhabilitation, de vérité. Par conséquent, elle se situe dans la logique de la lutte armée qui vous a permis de redevenir vous-mêmes. Par conséquent aussi, nous nous devons de l'appuyer !

Francis Monheim.



● INTERVIEW DE M. GARDET

Professeur d'Islamologie au Collège philosophique de Toulouse

— Question. : Pouvez-vous nous donner une idée sur votre orientalisme ?

— Réponse. : Personnellement je ne me considère pas comme orientaliste, en ce sens que je suis un philosophe qui s'est trouvé vivre dans des pays d'islam et c'est en tant que philosophe que je ne pouvais pas ne pas m'intéresser à la pensée et à la culture des pays musulmans ; et très vite, je me suis aperçu qu'il y avait de grandes valeurs spirituelles, culturelles que l'Occident à trop longtemps ignorées.

Philosophe Chrétien, j'ai ressenti une grande amitié intellectuelle pour la pensée arabo-musulmane. Je ne suis pas « orientaliste », mais bien plutôt philosophe Chrétien des Cultures.

— Question. : A quelle époque remonte l'orientalisme du point de vue historique ?

— Réponse. : A ma connaissance il y a eu des travaux d'orientalisme surtout à partir du 19^{ème} siècle. Je crois qu'il y a eu des influences liées à la poussée du colonialisme de l'Occident. Je voudrais dire que dans cette atmosphère d'impérialisme culturel, il y a eu tout de même des esprits qui ont commencé à s'ouvrir aux richesses autres que celles de la culture de l'Occident.

Evidemment, il y a eu pendant trop longtemps une façon d'étudier les cultures orientales qui prenait ses points de repère dans un Occident considéré comme supérieur à priori.

Le cas d'Ernest Renan relève bien de ce point de vue.

— Question. : Vers quoi ont convergé les efforts de l'orientalisme au début ? Certaines écoles orientalistes, comme l'école française qui dépendait du ministère français des Affaires Etrangères et l'école allemande qui dépendait du ministère allemand des Affaires Etrangères également, étaient au service d'objectifs colonialistes et parfois de tendances religieuses définies. Y a-t-il une progression dans la tendance de ces écoles de sorte que celles-ci soient au service de la science, de la vérité ?

— Réponse. : Il faut reconnaître que d'un point de vue religieux même, on est parti, au début, sur un plan d'apologétique combative plutôt

que sur un plan de sympathie ouverte. Qu'il s'agisse des milieux universitaires, religieux ou administratifs, tout cela était lié à une époque et chaque homme reçoit les imprégnations de son époque — époque où le progrès technique de l'Occident était considéré comme une sorte d'absolu donnant tout pouvoir. C'est ainsi qu'à l'impérialisme politique s'est joint une sorte d'impérialisme culturel qui ne pouvait aboutir qu'à des impasses car une culture authentique est de soi ouverte sur l'autre, en toute justice et donc sympathie intellectuelle.

Heureusement, depuis quelques décennies on peut dire qu'un esprit nouveau se fait jour dans l'orientalisme. Je me permettrais ici de citer les noms de Louis Massignon, Henri Laoust, Roger Arnaldez, Jacques Berque, pour ne nommer que des français, et bien d'autres avec eux. Je pense qu'une ère nouvelle de compréhension peut s'ouvrir, ce que j'appellerais un authentique dialogue des cultures. Loin de n'étudier l'autre que comme un objet de musée ou pour le juger d'en haut, j'espère que nous pourrions tout aller dans un sens de travail en commun, de compréhension et d'enrichissement mutuels. Pour revenir à la perspective religieuse que nous évoquions tout à l'heure, je souhaiterais vivement qu'à une islamologie chrétienne en laquelle le Musulman puisse se reconnaître tel qu'il est et se veut être, réponde une christianologie musulmane où le Chrétien se reconnaisse également.

— Question. : D'après Jacques Maritain, la Palestine doit rester entre les mains des juifs. Qu'en pensez-vous ?

— Réponse. : Jacques Maritain est pour moi un grand philosophe Chrétien et un ami. Mais il n'ignore pas que sur cette question de la Palestine, je ne suis absolument pas d'accord avec lui. Selon moi, sa position vient d'une lecture idéaliste de la Bible ; mais j'estime que la promesse que Dieu a faite à son peuple d'une terre était pour un temps et ne signifiait absolument pas une solution politique-temporelle pour notre époque.

Politiquement parlant, le droit des Palestiniens à rester dans leur patrie comme patrie ne peut à aucun titre être dénoncé par des textes bibliques.





الأصالة

مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية



السنة الأولى العدد الثالث جمادى ٢ 1391 هـ أوت 1971 م



مناقضات

في

حياتنا الفكرية

عثمان شبوب

لكلمة المنطوقة أو المكتوبة في عالمنا اليوم ، وبفضل انتشار وسائل الاعلام من القوة والتأثير على تفكير الافراد والجماعات ، او على شعورهم وسلوكهم واراوتهم ما لم يسبق له مثيل . فمنذ وجد الانسان على الارض ، وجدت معه اللغة التي يتخذها وسيلة للتفاهم والتخاطب ونقل المعلومات ، ولقد ذهب اصحاب النظرية اللغوية الى ان البناء اللغوي لاحدى اللغات ، يخلق بناء فكريا وسلوكيا ذا طابع خاص . وان اللغة انما هي «عالم لقوى وسط» يقوم بين الواقع الموضوعى وبين الناس ، أى ان اللغة هي التي تحدد للافراد والجماعات طريقة رؤيتهم للعالم وتجربتهم له ، كما تحدد موقفهم منه ، واسلوب تعاملهم معه

ولعل هذا القول من الشيوع الى درجة ان اعادته تكاد تكون من البديهيات ، لكن الظاهرة التي تفرض نفسها على الملاحظ هو هذا التطور السريع الذى يطرا على عدد من التعبيرات ، وهذه المصطلحات الجديدة فى اللغة التى تنشأ عن التطور الدائم التجدد فى الازواص الاجتماعية والثقافية بحيث لم يتمكن الانسان - بعد - أن يحدد مدلول هذه المصطلحات والتعبيرات اللغوية بالدقة المطلوبة .

ولو تأملنا تعبير «الاصالة» الذى دخل قاموس حياتنا الثقافية والسياسية الآن ، لوجدناه واحدا من أهم التعبيرات التى ما تزال تفتقر الى تحدد المعنى ، ووضوح المدلول ، ولعل قيامنا بسد هذه الثغرة ، يمثل خطوة فى تحليل الاشكالات التى يمكن أن يؤدى تعمقها الى القاء مزيد من الضوء على التناقضات التى نعانيها فى حياتنا الفكرية فى مرحلتنا الراهنة .



لا شك ان فترة التحرر من الاستعمار ، قد خلت واقعا جديدا اقتضى استخدام تعبير يكشف عن نزوع شعب لم يعان فقط من الاستقلال الاجتماعى بأشكاله المختلفة ، وانما عانى مما هو افضح منه وهو الغبن القومى وهدم الشخصية .

لقد كان هناك نوع من التجريد ، تجريد شعب من ثقافته ولغته ، واحلال لغة وثقافة دخيلة محل ثقافة أصيلة . ومن هنا كانت غاية الشعوب المستقلة اليوم هى اعادة تنصيب الثقافة اليومية ، واخراجها من الظل لمواجهة مشاكل الواقع .

والواقع انه منذ الاستقلال بدأت تتبلور فى حياتنا الفكرية والثقافية اتجاهات وتساؤلات فى كثير من معطياتنا الوطنية ... وهذه الظاهرة لم تبرز أثناء عهد الاحتلال أو أثناء الثورة المسلحة لانه كان من الضرورى تعبئة كل القوى والطاقت الوطنية لمقاومة الاستعمار . ولا يهمنا فى هذه الكلمة السريعة أن نركز على الجانب التاريخى وانما يهمنا فقط محاولة معرفة مدى توفيق هذه التيارات والاتجاهات فى تصور جلور وآفاق نهضتنا الثقافية واصالتنا الوطنية .

وهنا يمكننا أن نشير الى اتجاهات ثلاثة بازاء هذه المشكلة :

(1) اتجاه الرفض والانطواء : وقد ركز هذا الاتجاه على مقاومة الفكر الحديث والبحث الحر المجدد ، والتمسك بالمنهج التقليدى الذى يقتصر على التراث القديم ، ويفلق باب الاجتهاد والنقد .



ويعتقد ان الاصاله ، اجراء ضدى او رد فعل على الحضارات الاخرى ، ومن هنا نجد
يركز على صفة الاختلاف التى تتسم بها بلاده ، ويقفل صفة التخلف . وقد ساعد على تعميق
هذا التصور الساذج ، اتجاه بعض المثقفين الاوربيين الرومانطيين الى رفع شعار الاصاله
ودعوة المجتمعات النامية الى التمسك بها ، ومقصودهم فى ذلك كما قال احد الكتاب ان
«تظل المجتمعات» متحفا للقيم الاثرية يأتى اليه العلماء ، ليجلوا فيه الماضى متجسدا فى
الحاضر .

وهذا هو الذى دفع بعض علماء الاجتماع فى امريكا الى المطالبة بضرب نطاق حديدى
على الهنود الحمر ليعافظوا على ثقافتهم حتى يبقوا نماذج للدراسة والبحث .

وقد وجدت هذه الدعوة فى نفوس هؤلاء ارتياحا لانها تمثل تبريرا لجمودهم ، وتجعل
من التخلف فضيلة ، وتشعرهم بان اسلوب حياتهم مرغوب فيه اى انها تريد ان يكونوا
شعبا فولكلوريا يتضمن اشياء سياحية غريبة وطريفة .

(2) اتجاه المسخ والتنكر للاصاله الوطنية ويتبناه بعض تلاميذ الفكر الغربى .

وهذه الجماعة ترى ان النهضة الفكرية والثقافية تكمن فى قطع كل صلة بالتراث والماضى
وحتى باللغة ذاتها لنتخار لانفسنا منطلقا حرا فى مستوى العصر .

وداخل هذا الاتجاه ينبغى ان نميز ثلاث نزعات :

1 - نزعة تنطلق من الجهل الكلى بما تمثله الثقافة الوطنية من تراث ولغة ، وترتكز على
احكام ذات صبغة تعميمية مسبقة .

والنتيجة المنطقية لهذا الموقف او التصور هو : الدعوة الى الانطلاق فى مسيرتنا
الثقافية على اساس الثقافة الاجنبية واعتبار اللغة العربية عاجزة على ان تكون كعامل اساسى
فى النهضة الثقافية . ولكن من دون ان يصدروا فى هذا الاتجاه عن عدائى مبيت ، وهؤلاء
بالامكان تمكينهم من الاطلاع على امكانيات وظروف الثقافة الوطنية واجراء حوار معهم .

2 - وهناك الذين كونهم التعليم الاجنبى فمسخهم روحا ومحتوى ولغة ، وهؤلاء هم الذين
يلون اليوم البلاء الحسن فى خدمة الاستعمار ومساعدته على تدارك هزيمته فى الابقاء على
امبراطوريته السياسية ، بتشبيد صرح امبراطورية ثقافية .

ويحلوا هؤلاء ، عملاء الاستعمار الثقافى ، ان يرموا الاتجاه الوطنى الاصيل بالجمود
والتعصب ورفض تعلم اللغات الحية ، وينسبون ان اصحاب هذا الاتجاه الاخير فى موقف يمكنه
ان يميز بوضوح بين ازدواجية اللغة وثنائية الثقافة ، وانه اذا كنا فى حاجة الى لغة بل الى
لغات عالمية متعددة للاتصال بالفكر الانسانى والثقافة الانسانية ، فاننا فى نفس الوقت
فى حاجة الى الاحتفاظ بثقافتنا المتميزة وتنميتها وتطويرها . وليس فى هذا ابدا ما يتنافى
مع التفتح والمشاركة فى اغناء التراث الانسانى .

(3) الاتجاه السلفى المتفتح : وقد انتشر هذا التيار فى العالم العربى الاسلامى بعد الاحتكاك
بالحضارة الاوربية والتقدم العلمى والفكرى فى اوروبا . وكان رجال مثال جمال الدين الافغانى ،



ومحمد عبده والكواكبي وعبد الحميد بن باديس قد ادركوا خطر الانفلاق والعزلة والجمود التي غلبت عليها العالم العربي والاسلامي فحملوا لواء التفتح واستنكار الجمود والتعصب ، والدعوة الى الاتصال بالحضارة والثقافات الانسانية الاخرى في حدود اسلامية متسامحة .
هذا الاتجاه يحاول اليوم أن يربط بين ماضينا ومستقبلنا ، بين منابع تراثنا ومصادر تقدمنا في التطورات الفكرية العالمية المعاصرة .

غير انه في داخل هذا الاتجاه نلاحظ نوعا من التردد والبلبل لدى البعض من مثليه وذلك لسببين :

اولا : عدم وضوح فكرة التراث نفسها في اذهان الكثيرين من القاديين به ، بمعنى عدم القدرة على صياغتها صياغة علمية تضعها امام الباحثين والمفكرين وعامة الناس وضعا صحيحا ، واقتصارهم على التردد اللفظي لها .

ثانيا : ان الربط بين التراث والمعاصرة يبدو في كثير من الاحيان ربطا آليا ، لا ينظر بعين الاعتبار لفكرة التفاعل ومنهج الجدل ، ويوشك أن يكون مجرد اضافة حسائية .
ويمكن خلف هذين السببين مفهوم مبتسر ، قاصر ، عن الشخصية الوطنية ، والاتجاه الى اقتطاع جزء من تاريخها فحسب هو مثلا عروبته واسلامها فقط ، او بربريتها فقط .

* * *

وهناك نزعة اخرى ، ولكنها من نسيج آخر ، تدخل - في رأي - في نطاق الثورة العالمية للشباب ، فهذه تناقش كل القيم والتقاليد ، وتضع نقطة استفهام امام كل وضع ، وهذا اتجاه طبيعي ومشروع ، ولكن ادعا بعضهم ان التشبث بالعربية والتراث والاصالة ما هو الا اهتمامات شكلية سطحية امام جوهر المشكلة الانسانية التي تتمثل في الامبريالية والصراع الاجتماعي والثورة التكنولوجية . فهذا فيما ارى نظرة جزئية للمشاكل ينمنا انهية الثورة المتناسكة شمولية بطبيعتها فلا يمكن اقامة ثورة صناعية وزراعية بدون ثورة ثقافية تعززها وتدفعها الى الامام .

هذه باختصار فكرة عن التيارات والاتجاهات التي تتوزع حياتنا الفكرية ، واعتقد ان الحوار بين هذه التيارات الموضوعية منها بصفة خاصة ، سيقربنا من الصيغة المشتركة المعبرة عن حقيقة واقعنا وتطلعاتنا ، لانني ارى ان هذا الحوار لم يبدأ بعد ، فكل تيار يعيش منعزلا عن الآخر ويعوض عن اسلوب الحوار باسلوب التخريب المنفعل او المكر الخفي .

وبهذا الاسلوب ، اسلوب الحوار الصادق ، سنحقق في حياتنا الفكرية ما يسمى بالوحدة في ظل التنوع ، ونقيم حياة ثقافية اصيلة متفتحة تجابه في مركز قوة كل اشكال الاستعمار الثقافي والفكري الذي هو دعامة الاستعمار السياسي والاقتصادي ، كما تعكس حياتنا الوطنية في مختلف الميادين وهي حين تسعى للتعبير عن كل ذلك تسلك طريق الابتكار والابداع ، وتنبذ كل جمود وتعصب ضيق وهذا هو معنى اصالتنا .

وساعد الى هذا الموضوع في العدد المقبل .

القانون خير حارس لمبادئنا

نظام الشريعة الإسلامية نظام اشتراكي وله صفة

ننشر فيما يلي نص خطاب الاخ هوانى بومدين رئيس مجلس الثورة
والحكومة الذى القاه بمناسبة تنصيب اللجنة الاستشارية المكلفة
بمناقشة مشاريع القوانين الاساسية ، يوم 12/3/ 1971 .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ،

حضرات السادة :

تَسْتَهْلُونَ الْيَوْمَ الْعَمَلَ فِي هَذِهِ
اللَّحْنَةِ الْإِسْتِشَارِيَّةِ الَّتِي عَاهِدَ إِلَيْهَا
بِالنَّظَرِ فِي التَّشْرِيعَاتِ الْقَائِمَةِ فِي
بِلَادِنَا وَمَا تَطْلُبُهُ مِنْ إِصْلَاحٍ
وَتَعْدِيلٍ لِنَسْجُونِ مُلَانِمَةٍ لِمَا نَطْمَحُ
إِلَيْهِ مِنْ تَقْدِيمِ ٠٠٠ وَلِتُعْزِيزِ مَكَاسِبِ
بُشُورَتِنَا بِمَا يَصُونُهَا وَيَكْفُلُ لَهَا
الْحَصَانَةَ وَالنُّمُوَّ وَالذَّوَامَ .

إِنَّ التَّشْرِيعَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا
النَّظَامُ الْإِسْتِعْمَارِيُّ عَلَى بِلَادِنَا
فَرَضًا مُدَّةَ قَرْنٍ وَرُبْعٍ وَالَّتِي
سَلَبْنَا بِهَا مُكْتَسَبَاتِنَا الرُّوحِيَّةَ
وَالْمَادِيَّةَ وَحَاوَلَ بِهَا طَمَسَ مَعَالِمَ

مَاضِينَا وَمَحَوَّ عَنَاصِرِ شَخْصِيَّتِنَا
قَدْ بَقِيَ مَعْظَمُهَا جَارِيًا بِهِ الْعَمَلُ
بِمُقْتَضَى قَانُونِ 31 دَيْسَمْبَرِ 1962
وَهِيَ الْغَرِيبَةُ عَنْ دِيَارِنَا وَالَّتِي وُضِعَتْ
لِاسْتِغْلَالِنَا وَإِنْكَارِ جُودِنَا وَذَاتِيَّتِنَا .
يَجِبُ أَنْ نَتَخَلَّصَ نَهَائِيًّا مِنَ الْقَوَانِينِ
الذَّخِيلَةِ عَلَيْنَا .

وَالْآنَ وَقَدْ أَنْفَكْتَ الْأَغْلَالُ وَمَلَكْنَا
زِمَامَ أَمْرِنَا لِتَسْيِيرِ شُؤُونِنَا بِأَنْفُسِنَا
فَعَلَيْنَا أَنْ نَتَخَلَّصَ نَهَائِيًّا مِنَ الْقَوَانِينِ
الذَّخِيلَةِ عَلَيْنَا وَمِنْ التَّشْرِيعَةِ
الْتَّشْرِيعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ فِي خِدْمَةِ
الْإِحْتِلَالِ الْعَسْكَرِيِّ وَالْإِسْتِغْلَالِ
الْاِقْتِصَادِيِّ .

أيها الاخوة

نُطْرَحُ عَلَى الثَّوْرَةِ فِي كُلِّ مَرَحَلَةٍ

لا اشتراكية

مخلود لما فيه من سعة ودقة



**السُّلْطَةُ الثَّوْرِيَّةُ أَنْصَرَفَتْ لِبِنَاءِ
أَجْهَزةٍ ثَابِتَةٍ تُوفِّرُ الْأَمْنَ وَالطَّمَأْنِينَةَ
لِلْوَطَنِ وَالْمُوَاطِنِ .**

وَفِي هَذَا السِّيَاقِ أَيْضاً أَنْصَرَفَتْ
السُّلْطَةُ الثَّوْرِيَّةُ لِبِنَاءِ أَجْهَزةٍ ثَابِتَةٍ
تَمَّ بِهَا تَوْفِيرُ الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ
لِلْوَطَنِ وَالْمُوَاطِنِ وَالْعَثُ بَعْضُ
التَّشْرِيعَاتِ وَأَنْشَأَتْ أُخْرَى أَكْثَرَ
مُلاءِمَةً مَعَ وَاقِعِ بِلَادِنَا وَاخْتِيَارَاتِنَا
الْأَسَاسِيَّةِ وَرَاجَعَتِ النِّظَامَ الْبَلَدِيَّ
الْمُوروثَ عَنِ الْعَهْدِ الْإِسْتِعْمَارِيِّ
وَأَقَامَتْ مَحَلَّةً نِظَاماً شَعْبِيّاً يَتَلَاءَمُ
وَتُورَتِنَا وَيَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا
وَعَزَّزَتْهُ بِنِظَامٍ أَشْمَلَ مِنْهُ وَأَوْسَعَ
هِيَ الْمَجَالِسُ الشَّعْبِيَّةُ لِلْوِلَايَاتِ .

مِنْ مَرَاجِلِ سَيْرِهَا مَهَامٌ مَعَيَّنَةٌ تَتَطَلَّبُ
التَّحْقِيقَ وَالْإِنْجَازَ وَإِنَّ طَبِيعَةَ هَذِهِ
الْمَهَامِ هِيَ الَّتِي تَفْرُضُ وَتُحَدِّدُ
الْأَسْبَقِيَّةَ فِي إِيجَادِ الْحُلُولِ حَسَبَ
دَرَجَةِ الْأَهْمِيَّةِ وَالِاسْتِعْجَالِ . وَقَدْ
تَحَتَّمَ عَلَى الثَّوْرَةِ مِنْذُ سَنَوَاتٍ أَنْ
تُجَابَهُ مَشَاكِلُ مُلِحَّةٍ لَمْ تَكُنْ تُقْبَلُ
التَّأْجِيلُ أَوْ تَتَحَمَّلُ الْإِنْتَظَارَ لِمَا لَهَا
مِنْ أَثَرٍ مُبَاشِرٍ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الثَّوْرَةِ
نَفْسِهَا . وَهَكَذَا عَمِلَتِ السُّلْطَةُ
الثَّوْرِيَّةُ عَلَى تَصْفِيَةِ الْمَظَاهِرِ
الصَّارِخَةِ فِيمَا خَلْفَهُ الْإِسْتِعْمَارُ مِنْ
التَّشْرِيعَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَمَسُّ بِمَبْدِ
أَسْتِقْلَالِنَا وَسِيَادَتِنَا وَعَمِدَتِ بِجِدِّ
وَحَزْمٍ إِلَى قَطْعِ دَابِرِ التَّبَعِيَّةِ الَّتِي
تَعَمَّقَتْ جُذُورُهَا وَاتَّسَعَتْ نِطَاقُهَا وَإِنْ
عَمَلُ الْيَوْمِ لَيْسَ إِلَّا حَلَقَةٌ فِي سِلْسِلَةٍ
التَّدَابِيرِ الْمُتَخَذَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ
تَسْتَمِرَّ حَتَّى نَهَايَةِ شَوَاطِئِهَا وَتَحْقِيقِ
أَهْدَافِهَا .



كَمَا أَسَّسَتْ نِظَامَ التَّسْيِيرِ الذَّاتِي
وَمَكَّنَتْهُ مِنْ أَدَاءِ الدَّورِ الْمُنَاطِ بِهِ
فِي إِطَارِ تَنْمِيَةِ الْبِلَادِ وَتَحْقِيقِ
أَسْتِقْلَالِهَا الْاِقْتِصَادِي وَإِقَامَةِ
مُجْتَمَعِهَا الْاِشْتِرَاقِي الْمُرْدَهِي .
وَسَتُنْشِئُ قَرِيبًا مَجَالِسَ الْعُمَمَالِ
الَّتِي يُشَارِكُونَ بِفَضْلِهَا فِي تَسْيِيرِ
الْمُؤَسَّسَاتِ الَّتِي يُمْكِنُ فِيهَا
إِرْضَاءُ لِرُوحِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ وَضَمَانًا
لِمَصْلَحَةِ الثَّوْرَةِ . . وَضَبَطَتْ قَانُونَ
الْوُظُفِ الْعُمُومِي . . وَوَضَعَتْ
الْقَضَاءَ الْعَسْكَرِي وَأَسَّسَتْ نِظَامًا
قَضَائِيًّا يُقَرِّبُ الْقَضَاءَ مِنَ الْمَوَاطِنِ
وَيُبَسِّطُهُ وَبِهَذَا كَلَّهَ أَصْبَحَ جِهَارُنَا
الْقَانُونِي يَتَمَرَّكُ وَيَسِيرُ نَحْوَ
الِإِسْتِقْرَارِ .

عَلَى أَنَّهُ قَدْ بَقِيَتْ جَوَانِبُ كَثِيرَةٌ
تَتَطَلَّبُ أَنْ يُنْظَرَ فِي أَمْرِهَا وَتَدْعُو
إِلَى الْمُرَاجَعَةِ وَقَدْ كَانَ الْوَقْتُ
لِتَطْوِيرِهَا بِمَا يَتَّفَقُ وَمَتَطَلَّبَاتِ
مُجْتَمَعِنَا الْاِشْتِرَاقِي الَّذِي يَتِمَاشَى
مَعَ شَخْصِيَّتِنَا وَأَصَالَةِ شَعْبِنَا
وَتَجَارِبِهِ .
عَلَيْكُمْ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ قَانُونَ كُلِّ أُمَّةٍ

قِطْعَةٌ مِنْ مَاضِيهَا الطَّوِيلِ وَحَاضِرِهَا الْمَآئِلِ .

فَالْجَزَائِرُ الْيَوْمَ وَهِيَ مُنْطَلِقَةٌ فِي
ثَوْرَتِهَا الثَّقَافِيَّةِ الشَّامِلَةِ تَعْلَمُ أَنَّ
قَانُونَ كُلِّ أُمَّةٍ قِطْعَةٌ مِنْ مَاضِيهَا
الطَّوِيلِ وَحَاضِرِهَا الْمَآئِلِ يُمَثِّلُ
نَشْأَتَهَا وَتَطَوُّرَهَا وَأَخْلَاقَهَا
وَتَقَالِيدَهَا وَدِينَهَا وَمُعْتَقَدَاتِهَا وَتَعْلَمُ
أَنَّ قَوَانِينَنَا الْحَالِيَةَ غَرِيبَةٌ عَنَّا
تَتَعَارَضُ مَعَ أَحْسَنِ مَا فِي تَشْرِيعِنَا
الْاِسْلَامِي الثَّقَلِيدِي وَتَنْقُضُ مُقَدِّمًا
مَا نَوَدُّ أَنْ نُسَنِّهَ مِنْ قَوَانِينِ حَدِيثَةٍ
نَسْجَمُ وَأَهْدَافِنَا الثَّوْرِيَّةِ .

فِيحِبُّ اذْنُ اِعَادَةِ النَّظَرِ فِيهَا
جَذْرِيًّا لِتُرَدَّ إِلَى الْمَصَادِرِ التَّشْرِيعِيَّةِ
الْاِسْلَامِيَّةِ وَلِتُسْتَطِيعَ ثَلَاثِيَّةُ حَاجِيَاتِ
وَأَهْدَافِ ثَوْرَتِنَا الْاِشْتِرَاقِيَّةِ .

وَأَنَّ مَا فِي خِصَائِصِ التَّشْرِيعِ
الْاِسْلَامِي مِنْ سَعَةِ وَدَقَّةٍ فِي بِنَاءِ
الْأَحْكَامِ وَمَكَانَةِ الْعُرْفِ فِيهِ وَجَرِصِهِ
عَلَى التَّوَازُنِ فِي الْحُقُوقِ بَيْنَ الْفَرْدِ
وَالْجَمَاعَةِ مِثْلُ مَنْعِ التَّعَسُّفِ فِي
اِسْتِعْمَالِ الْحَقِّ الْخَاصِّ وَمَنْعِ الْاِخْتِكَارِ
فِي التَّجَارَةِ وَمَوْضُوعِيَّةِ أَحْكَامِهِ

اصالتنا هي الجوهر الدائم

نظام اشتراكي حق . . فقد أخرج فقهاؤنا من نطاق الملكية الفردية الأشياء التي تكون ضرورة لجميع الناس فأوجبوا أن تكون ملكيتها ملكية جماعية حتى لا يستبد بها فرد أو أفراد والضروريات في حياة الجماعة تختلف باختلاف البيئات والعصور .

وذلك أنه إلى جانب المصاير الأربعة الكبرى للتشريع الإسلامي هناك مصاير أخرى أهمها الاجتهاد الذي يسائر تغير الظروف ويراعي في الدرجة الأولى مصلحة العباد ومصلحة الأمة .

ولقد كان الاجتهاد بمثابة الروح للشريعة الإسلامية ومنبع الحياة لفقهاء ولا يعقل أبداً أن تؤدي الشريعة وظيفتها وأن يكون لها فقه حتى ينظم مصالح الأمة دون الاجتهاد .

لذلك وجد الاجتهاد منذ ولدت الشريعة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم قد اجتهد الرسول نفسه

وتجربتها عن كل عصبية أو عاطفة خاصة سوى فكرة العدل والحق المطلق ومرونة أصوله ومصادره . أقول إن هذا كله قد أكسب الشريعة الإسلامية صفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعاً لمصلحة الأمة في مختلف مراحل نموها على مر الزمن وعلى أساس المحافظة على أصالتها وروحها في تطورها وتطور الحضارة الإنسانية الشاملة .

فقد وضع مشرعو السلف نظاماً حكيماً من التشريع تحول دون تضخم الثروات في أيدي أقلية وتقيم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم متينة من التكافل والتعاون والعدل وتكفل لكل فرد حياة إنسانية كريمة وتحفظ له حقوقه ومقوماته .

النظام الإسلامي نظام اشتراكي حق

وإذا كنا لا بد من وصف هذا التشريع بصفة من الصفات المتداول استعملها على السنة المحدثين من علماء الاقتصاد فإننا نضيفه بأنه

عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَوَادِثَ عَدِيدَةٍ
وَاجْتَهَدَ أَصْحَابُهُ فِي حَيَاتِهِ بِتَوْجِيهِ
مِنْهُ .

وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ تَوَقُّفَ الاجْتِهَادِ
مَعْنَاهُ جُمُودُ الْفِقْهِ الْإِسْلَامِيِّ وَعُقْمُهُ
فِي تَقْدِيمِ الْحُلُولِ الشَّرْعِيَّةِ لِلْحَوَادِثِ
وَالْمُشْكَلَاتِ الْمُسْتَجِدَّةِ وَبِالتَّالِي
عَجْزُهُ عَنِ مُسَايَرَةِ التَّطَوُّرِ . . . وَقَدْ
جَاءَ الْإِسْلَامُ صَالِحًا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ .

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ :

إِنَّكُمْ لَتُدْرِكُونَ كُلَّ الْإِذْرَاكِ أَنَّ
الْقَانُونَ لَا يَكُونُ عَادِلًا إِلَّا إِذَا كَانَ
مُعَبَّرًا عَنْ أَهْدَافِ الْجَمَاهِيرِ وَأَنَّهُ
لَا يُحَقِّقُ الْغَايَةَ الْمَثَالِيَّةَ مِنْهُ
إِلَّا إِذَا كَانَ فِي خِدْمَتِهَا ضَامِنًا
لِمَبْدِإِ اشْتِرَاكِ الشَّعْبِ فِي
تَسْيِيرِ شُؤُونِهِ وَتَحْقِيقِ ثَوَرِيهِ .
وَبَذَلِكَ تَتَعَزَّزُ الْمُبَادِئُ الْأَسَاسِيَّةُ
لِثَوَرَتِنَا الْاِشْتِرَاكِيَّةِ كَالرُّجُوعِ إِلَى
الْقَاعَدَةِ . . . وَالتَّسْيِيرِ الْجَمَاعِيِّ
وَتَوْزِيْعِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَسَدِّ الطَّرِيقِ
عَلَى الْفَرْدِيَّةِ وَدَعْمِ الدِّيمُقْرَاطِيَّةِ
الْحَقَّةِ الْمُتَأَصِّلَةِ فِي رُوحِ شَعْبِنَا
مُنْذُ الْقَدَمِ وَالتِّي هِيَ شَعَارُ دَوْلَتِنَا
الْاِشْتِرَاكِيَّةِ الْحَدِيثَةِ الْقَائِمَةِ عَلَيْهِ
وَالْعَامِلَةِ عَلَى تَجْسِيمِهِ .

وَإِنَّ خَيْرَ حَارِسٍ لِهَذِهِ الْمُبَادِئِ
الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ نَعْتَنِيَ بِهَا هُوَ

الْقَانُونُ وَأَفْضَلُهُ مَا يَنَاسِبُ ظُرُوفَ
بَلَدِنَا وَعَقْلِيَّةَ شَعْبِنَا وَإِذَا كَانَتْ
التَّشْرِيعَاتُ غَيْرَ مُلَائِمَةٍ مَعَ الرُّوحِ
الشَّعْبِيَّةِ تَعَطَّلَتْ وَلَمْ تَحَقِّقِ الْغَايَةَ
الْمُنْشُودَةَ مِنْهَا .

وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَظَاهِيرِ عَصْرِنَا
التَّطَوُّرَ السَّرِيعَ وَتَعَاقُبَ الْحَرَكَاتِ
الَّتِي تَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ فَالتَّطَوُّرَاتُ الَّتِي
كَانَتْ تَسْتَعْرِقُ حَقْبَةً مِنَ الزَّمَنِ
فِي أَوَائِلِ الْقُرُونِ نَرَاهَا فِي الْوَقْتِ
الْحَاضِرِ تَتَعَاقَبُ أَدْوَارَهَا وَتَتِمُّ
بِسُرْعَةٍ مُضَاعَفَةٍ فَلَا تَكَادُ نَأْلِفُ حَالَهُ
حَتَّى تَتَبِعُهَا حَالَةٌ أُخْرَى تَخْتَلِفُ عَنْهَا
تَمَامَ الْاِخْتِلَافِ .

وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ التَّشْرِيعَاتِ
الْمُصَادِقَةِ عَلَيْهَا بَعْدَ الْاِسْتِقْلَالِ وَالتِّي
كَانَتْ تُنَسِّمُ بِنَزْعَةٍ اِصْلَاحِيَّةٍ وَاضِحَةٍ
قَدْ كَلَّ الْعَمَلُ بِهَا عَلَى أَنَّ بَعْضَ
النُّصُوصِ مِنْهَا قَدْ تَجَاوَزَتْهَا
الْأَحْدَاثُ وَهِيَ فِي حَاجَةٍ أَكِيدَةٍ إِلَى
الْمُرَاجَعَةِ وَالتَّعْدِيلِ .

الْقَوَانِينُ الْمُوَرَّوثةُ عَنِ الْاِسْتِعْمَارِ يَجِبُ أَنْ نَضَعَ لَهَا حَدًّا . .

فَهُنَاكَ مَفَاهِيمُ قَانُونِيَّةٌ كَثِيرَةٌ
وَرَنَّاهَا عَنِ الْمُسْتَعْمِرِ يَجِبُ أَنْ نَضَعَ
لَهَا حَدًّا لِأَنَّهَا صَالِحَةٌ لِمَجْتَمَعٍ لِيُسِيرَ إِلَى
لَا لِمَجْتَمَعٍ اِشْتِرَاكِيٍّ مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ
الْمَثَالِ مَفْهُومُ الْحَرِّيَّاتِ الْعَامَّةِ الَّذِي

الرَّأْسَمَالِيَّةَ .
نُريدُ تَشْرِيعَاتٍ مُتَجَدِّدَةً مَعَ الزَّمَنِ
مُسَايِرَةً لِلتَّطَوُّرِ .

اخواني
لَقَدْ أَلْقَيْتَ عَلَى كَوَاهِلِكُمْ نَبْعَةً
ضَخْمَةً أَلَا وَهِيَ التَّشْرِيعُ الثَّوْرِيُّ أَوْ
الإِطَارُ القَانُونِي الجَدِيدُ الَّذِي يَتَلَاءَمُ
وَتَوَرَّتْنَا الشَّامِلَةَ بِأَعْمِدَتَيْهَا الثَّلَاثَةِ :
« الصَّنَاعِي » وَ « الزَّرَاعِي »
وَ « الثَّقَافِي » فَعَلَيْكُمْ إِذَنْ أَنْ تَأْخُذُوا
هَذَا كُلَّهُ بِالِاعْتِبَارِ وَتَتَّخِذُوا التَّدَابِيرَ
الْفَعَالَةَ لِكَيْ يُصْبِحَ التَّشْرِيعُ فِي
بِلَادِنَا مُلَائِمًا لِمُتَطَلِّبَاتِ مُجْتَمَعِنَا
الجَدِيدِ . فَأَرْجُو مِنْ لَجْنَتِكُمْ أَنْ
تُوجِّهَ هَذِهِ الْمُهْمَةَ الدَّقِيقَةَ بِاجْتِهَادٍ
وَإِحْلَاصٍ وَتَقُومَ بِهَا أَحْسَنَ قِيَامٍ
بِفَضْلِ الْكِفَاءَاتِ الَّتِي تَلَاقَتْ فِي
رِحَابِهَا .

وَمَهْمَا تَبَذَّلُوا مِنْ جُهُودٍ فِي
النُّهُوضِ بِالْمُهْمَةِ الْمُنَاطَةِ بِكُمْ فَإِنَّهُ
لَنْ يَقِفَ بِكُمْ الْجُهدُ عِنْدَ حَدٍّ . .
فَأَمَّاكُمْ أَعْبَاءٌ مُتَّصِلَةٌ فَعَلَيْكُمْ أَنْ
تَسْهَرُوا وَتَكُونُوا دَقِيقِي الْوَعْيِ
بِثِقَلِ الْمَسْئُولِيَّةِ وَتَعُدُّدِ أَعْبَائِهَا
. . . حَتَّى تَظَلَّ تَشْرِيعَاتُنَا مُتَجَدِّدَةً
مَعَ الزَّمَنِ مُسَايِرَةً لِلتَّطَوُّرِ نَامِيَةً
مَعَ الْحَضَارَةِ عَلَى أُسَاسِ أَصَالَتِنَا
الَّتِي هِيَ الْجَوْهَرُ الدَّائِمُ . . . سَدَّدَ
اللَّهُ خُطَاكُمْ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

كثيراً مَا يُعْطَى الْاِسْتِقْلَالَ الْاِقْتِصَادِيَّ
لِفَائِدَةِ الْبَعْضِ عَلَى حِسَابِ الْآخِرِ
وَفِكْرَةُ الْفَضْلِ بَيْنَ الْقِطَاعِ الْعَامِّ
لِلدَّوْلَةِ وَالْقِطَاعِ الْخَاصِّ لَهَا رَغْمَ
أَنَّهُمَا يَكُونَانِ قِطَاعًا وَاحِدًا مِلْكِيَّةً
تَابِعَةً لِلدَّوْلَةِ بِصِفَتِهَا مُمَثِّلَةً لِمَصَالِحِ
الْجَمَاهِيرِ الْكَادِحَةِ وَقَوَاعِدِ تَسْيِيرِهِ
تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْمُؤَسَّسَاتِ الَّتِي
وُكِّلَ إِلَيْهَا .

هَذَا لَا يَعْنِي إِطْلَاقًا أَنَّنَا نَغْلِقُ
عَلَيْكُمْ بَابَ الْمُقَارَنَةِ بَيْنَ التَّشْرِيعَاتِ
بَلْ نَحْكُمُ عَلَيْهَا بِشَرْطِ أَنْ تَأْخُذُوا
بِعَيْنِ الْاِعْتِبَارِ خُصَائِصَ مُجْتَمَعِنَا
وَمَبَادِيءَ ثَوَرَّتْنَا الْاِسْتِرَاكِيَّةَ . .
فَإِذَا كَانَتْ بَعْضُ التَّشْرِيعَاتِ
الْعَرَبِيَّةِ قَدْ أَدَّتْ إِلَى انْحِلَالِ الْأُسْرَةِ
فَإِنَّهُ بِالْعَكْسِ يَجِبُ عَلَى قَوَانِينِنَا أَنْ
تُحَافِظَ عَلَى الْأُسْرَةِ وَعَلَى تَمَثُّنِ
رَوَابِطِهَا كَخَلِيَّةِ أُسَاسِيَّةٍ لِلْمُجْتَمَعِ
وَأَوْدَّ أَنْ أُرِدَ مِثْلًا آخَرَ فِي هَذَا
السِّيَاقِ وَهُوَ أَنْ إِشْرَاكَ الْعَمَالِ فِي
تَسْيِيرِ الْمُؤَسَّسَاتِ قَدْ غَيَّرَ تَمَامًا مِنْ
الْعَلَاَقَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَمِنْ هَيْكَلِ
الْمُؤَسَّسَاتِ وَالْقَوَاعِدِ الَّتِي تَسِيرُ
عَلَيْهَا مِمَّا سَيُحْدِثُ بِلَا شَكٍّ تَغْيِيرًا
جَذْرِيًّا فِي قَانُونِ الْعَمَلِ .

وَالْمُقَارَنَةُ هُنَا مَعَ التَّشْرِيعِ فِي
الدَّوْلِ الْاِسْتِرَاكِيَّةِ أَوَّلِي طَبْعًا مِنْ
الْمُقَارَنَةِ مَعَ تَشْرِيعِ الدَّوْلِ

دراسات

ثقافية
وأدبية



طريق الذهب وطريق الثقافة

* الثقافة الحققة وعى قوى لما نعلم ، وهد فواضح
لتطبيق ما نعلم ، وايمان بالشعوب التى نعمل من
اجلها •

* اذا اردنا ان ندخل فى عهد الثورة الثقافية
فلنعلم ان لكل ثورة روحانيتها التى هى الايمان
بالعقيدة والايمان بالشعوب •

* ان مشاربنا الشعبية فى افريقيا تجعلنا نتجه
الى كل حركة فكرية تدعو الى المساواة والاخوة
والبساطة •

عبد المجيد مزيان

قد تتكون ثورات ثقافية من منظومة فكرية مبسطة اذا وجد لها مناضلون يحملونها بحراة وبشونها بايمان وتضحية . وتاريخنا مملوء بالامثلة الحية لهذه الظاهرة . وليس مقصودنا في هذه اللوحة الخاطفة من تاريخنا الاجتماعى أن نفرض نظريات الماضى على الحاضر لان عالمنا الثقافى اصبح ذا تشعبات وتعقيدات تستدعى مجهودات جبارة للتحليل من أجل التطوير . وليس مقصودنا ان نبين ايضا ان المجتمع يمكنه ان يفصل بمحض ارادته ، حياته الثقافية عن حياته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية . ولكن اطوارا من الحياة تاتى على بعض المجتمعات تتجند فيها اغلبية الطاقات للثقافة ، واطوارا اخرى تاتى لبناء اقتصاد قد ينجح مدخرا او قد ينهار بالاستهلاك التبذيرى

البحر المتوسط . ان الاستقرار السياسى هنا هو الذى خلق الازدهار الاقتصادى وهو الذى «عبد» الطرق ، وجلب الاموال من الشمال والجنوب ولكن ماذا وقع لكل هذه الاموال المجلوبة ؟

لماذا لم توطب في بناء اقتصادى جديد ؟ لماذا لم تودى الى خلق منافسة تجارية في البحر وفي نفس الطرق البعيدة التى اختارها الاوروبيون ؟
هنا ايضا يمكننا ان نجيب بأن عدم الاستقرار السياسى هو الذى عجل بالانهيار الاقتصادى والانهيار الكامل فى الاخير . وكلما حاولنا ان نبسط تحليلاتنا لئردھا الى السبب الاقتصادى الرئيسى فى حياة الامارات المغربية الا وعثرنا على أسباب سياسية لا تقل عنها أهمية «وحدرية» . وليس معنى هذا أننا نعطي الاسبقية للأسباب السياسية مبالغين ، ولكن التداخل بين الاسباب يستدعى كثيرا من التدقيق .

هذا اعتراض أول على تخلص التفسيرات الخاصة بانحطاطنا فى تحويل طرق الذهب والتجارة .

أما الاعتراض الثانى فسأضفه جوابا عن سؤال يستدعى كل الاهتمام . هل كان طريق الذهب والتجارة هو الطريق الوحيد للاتصال بين شمال الصحراء وجنوبها ؟ اذا أردنا الجواب على هذا السؤال فلا بد من دراسة البناء المجتمعى لامارات اقرون الوسطى . وسيلوح لنا من أول وهلة أن

من هنا نريد أن نشرح طريق الذهب وطريق الثقافة . طرق الذهب كثيرة فى عالمنا القديم ، وليس من الاسراف أن ندعى أن جل الامارات الاسلامية بنيت على طرق التجارة . فمنذ «رحلة الشتاء والصيف» الى رحلة الاندلس والسودان ، تكونت البنيات الحضارية بطرق تكاد تكون متماثلة فى هذا الجزء من العالم . وقد تناول المؤرخون الجدد بالبحث هذه الظاهرة وأكدوا أن قيام الامارات الاسلامية على أساس تجارى وطرق تجارية هو الذى أدى الى انهيارها بسرعة بمجرد ما اتجه العالم المستهلك الذى هو العالم الغربى الى طرق أخرى : طريق البحر البعيد للاتصال مباشرة بآسيا وطريق أمريكا الذى حول الاتجاهات التجارية .

وانه لتحليل يستحق كل العناية لانه تحليل موضوعى فى أغلب مظاهره لولا توغل كثير من التزييفات فى صلب التحليلات التى قدمت الينا عن الظاهرة نفسها .

آخذ مثلا من تاريخنا : امارة بنى زيان تأسست سياسيا قبل انشاء طريق الذهب الى السودان ، ثم «عبد» طريق الذهب والعبيد بعد الاستقرار وصار الخط كما يلى : تلمسان كسوق وسطى لها اتجاهان : القوافل الى توات ثم الى «السوادين» والسفن من مرسى حنين الى غرناطة وامارات شمال

قوة ابداع وبطولات عند الطبقات السفلى من صغار الصناع والفلاحين وطلبة ذلك العهد .

نحن نعلم أن طريق الذهب الذى عبد فى قرون
قد أكلته صحراء التبذير والملذات والانحطاط فى
سنين وذهب أدراج الرياح بين الجوارى والقصور
والخمور فى غرناطة وتلمسان وفاس . هكذا
دمرت هذه القرى الفاجرة لان «مترفيا بسقوا
فيها» .

ونفذ الذهب وتنوسيت مسالك الذهب ولكن
الطبقات الشعبية الفقيرة من صغار التجار وقادة
القوافل ، والصناع والطلبة استمرت متصلة
بافريقيا لاقتناء الذهب والعبيد ولكن لتبادل المعاش
البسيط ، وللاتصال الفكرى والحضارى المستمر
ولا زالت هذه التبادلات تجرى حتى الآن لم يحدد
من شأنها لا انقراض الممالك ولا الاستعمار .

وفى اطار هذا التبادل نريد أن نقف فترة
قصيرة لتكون صورة عن التبادل الثقافى بين
افريقيا والجزائر فى عصور الانحطاط ، ونستخرج
وصفا مختصرا لحملة هذا التبادل ، ولا يهنا اذا
كانت العملية مصطنعة بعض الشيء ، اذ المقصود
أن نلتفت الى أبطال مجهولين ، لا بد من اعطائهم حقهم
فى التاريخ ، ثم علينا أن ندقق الواقع بعد ذلك .

يقال ان الاسلام لم يعرف حركة تبشيرية
منظمة ، ويقارن المؤرخون بين المسيحية والاسلام

الامصار التى كانت تعد قاعدة لملك هذه الامارات
تعيش على نظام اقطاعى من نوع خاص . وهذا
موضوع يتطلب كثيرا من البحث ، وسنعود اليه ،
اما الاوصاف البارزة لهذه الاقطاعية فمرجعها الى
تأسيس طبقات فى داخل المدينة وفى أنحاء الامارة
كلها . والمشروعية او الا مشروعية السياسية
كانت ترجع آنذاك الى مواقف الطبقات . فكلما
أسرف الامراء وحاشيتهم فى الترف غضبت عنهم
الشعوب وهيئت لهم الهجومات . وكان التجار حلفاء
للاستقرارية احيانا وعرضة لنهب الاموال من طرف
هذه الارستقراطية احيانا اخرى . وغالبا ما كانت
تأتى أطوار الانحطاط الاقتصادى من مثل هذه
الصراعات ، اذ ان التاجر الذى كان يخشى على مدخره
من نهب الامراء ، كان يفضل استهلاك أمواله حالا فى
تبذيرات مهلكة ، وكان الامراء اiban الانحطاط
لا يعرفون أى نوع من الاستهلاك باستثناء المسالك
التبذيرية من اكل مفرط وشراء الجوارى وبناء القصور
فلا تستطيع مقاومة أو منافسة المجتمعات الغريبة
واكرام المغنين . وهكذا كانت تتفتت مجتمعاتنا
من الداخل ، فلا تستطيع مقاومة أو منافسة
المجتمعات الغريبة الصاعدة .

واذا كانت مجتمعاتنا فى القرن الرابع عشر
والخامس عشر توصف بهذه الطبقة التى تجعل
ارستقراطية البلاد فى القمة فإن التبلور المجتمعى
لم يكن ثابتا عبر الأزمنة . وسواء كانت هناك
دورية ، كما يثبت ذلك ابن خلدون أو حركية
خطية ، فاننا نلاحظ الى جانب مظاهر الانحطاط

فى هذه الظاهرة فيدعون أن الاسلام كان دين
جهاد بالسيف والمسيحية دين تبشير بالتى
هى أحسن . ولا أرى تكديبا لهذا الادعاء، مثل
انتشار الاسلام فى افريقيا ، وانتشار المسيحية
فى امريكا . لقد قتلت شعوب امريكا تقتيلا لانها
رفضت المسيحية ، ودخلت شعوب افريقيا فى
الاسلام بالدعوة والاتصالات الروحية . وان
مشاربنا الشعبية فى افريقيا لتجعلنا نتجه تلقائيا
الى كل حركة فكرية تدعو الى المساواة والاخوة
والبساطة الانسانية التى ترفض الماديات المزيفة
ولا ننسى أن الاسلام كان ولا يزال مبدئيا دين
الشعوب الامية ، أى دين الشعوب الفقيرة التى
رفضت منذ العهود البعيدة امبرياليات فارس
وروما ومصر الفرعونية بصفتها تجسيدا للحضارة
الكاذبة المبنية على الجبروت واستعباد الشعوب .
وظهور ممالك من النوع الفارسى والرومى تتنسب
الى الاسلام انما هو انتساب كذب على الاسلام
لمخادعة الشعوب .

من أجل هذا كانت الدعوة الى الاسلام بين
شعوب افريقيا ظاهرة متبوعة بالنجاح . والدعوة
هنا ليست بالعملية المخطط لها من الجامعات
والمجامع ، ولا من البلاطات وقلاع لتفكير الرسمى
وانما هى عملية بسيطة تلقائية ، يقوم بها رجال
بسطاء ، ويخططون لها تخطيطا واقعا تجريبيا
مرنا يماشى الظروف ، ويتكيف مع الواقع ، ويغير
الاتجاه حسب مقتضيات التجربة اليومية .

لدعاة الاسلام فى افريقيا أجيال متعددة .
فهنالك الفاتحون الاولون الذين كانوا يذهبون الى
حياتها ويتعلمون لغتها ، وهناك أجيال تابعة
أرض مجهولة يندمجون فى الشعوب ويحيون
حياتها ويتعلمون لغتها وهناك أجيال تامة
متعددة تذهب لتعليم القرآن والفقه الاسلامى ،
وأخرى لنشر الطرق والصوفية ثم يتحول الافريقى
نفسه الى داعية لدى أخيه الافريقى فتتوالى الدعوات
أجيالا أجيالا وأمواجا وأمواجا دون انقطاع .

أما الصفات الاكثر بروزا للداعية فيمكننا أن
نلخصها فى الطالب . بالمعنى الدقيق الذى تطلقه
عليه لهجاتنا المحلية فى الجزائر .

فمن هو هذا الشخص ؟ انه فى الغالب طالب
فى العلوم الدينية انقطع عن الدراسة وأصبح
معلما للقرآن . وقد كانت أسواق المدن والقرى
الجزائرية مملوءة بالطلبة الذين ينتقلون من
الدرس الى الحرف السهلة مثل الخياطة والتجارة
الصغيرة ، وتعليم الاولاد القرآن والكتابة .
وكان من بينهم من يسبح فى الارض اما بحثا
عن معاش ، أو بحثا عن علم يقتنيه من شيوخ
يسمع عنهم ، وأصبح الطالب طيلة قرون عديدة
مثال السائح المتجول فى طرق البوادي واسواق
المدن، ومثال الرجل الملازم للمساجد المشهورة بالعلم
والرباطات الذائعة الصيت . وكان هؤلاء الطلبة
الشباب أقدر الناس على التكيف وتحمل شرائد
السفر مشيا على الاقدام ، كما كانوا أكثر الناس
تحملا للجوع ، وأكثرهم صبرا لو طاة المجتمع .
وقد عرفنا منهم بقايا انقرضت منذ سنين فقط ،
ورأيناهم مشاهدة عيان يحيون هذه الحياة كما
لو كانوا أشخاصا شاربين عن قبضة القرون .
ونريد أن ننبه الى أنه لا يمكن وجود مثل هؤلاء
السياحة العلمية الا فى مجتمعات تقدر العلم
وتهىء له الاسباب المادية التضامنية ، رغم
ما فيها من صرف وعجز فى بعض الاحيان .
فضيوف المساجد عديدون فى كل قرية من قرانا
وتزويد المسافر للعلم وكل ابن سبيل فرض من
فرائض الاسلام ، فلا غرو أن تسفر هذه الظاهرة
عن ايجاد أشخاص يضربون الاراضى ضربا لتعلم
الدين وتعليمه .

من هنا بدأت طرق الثقافة ، ثم امتدت أطرافها
أبعد فأبعد الى أقاصى الجنوب من الصحراء ،
فالطالب القادر على الجمع بين التعلم والتعلم
والحرفة البسيطة والتجارة الصغيرة والدفاع

عن النفس بالسلاح اذا داهمته الاخطار . هو داعية الاسلام بين شعوب الزراعة وتربية المواشى اى بين الاميين فى هذه القارة الافريقية .

واذا اردنا أن نأخذ نماذج تاريخية معروفة فانه يمكننا الرجوع الى القرن الخامس عشر مثلاً . فالتاريخ هنا يخبرنا أن الفقيه محمد بن عبد الكريم المغبلى انتقل من تلمسان حيث حصل على العلوم الدينية تحصيلًا وافرا قصد توات حيث أنشأ مركزا ثقافيا ذا اشعاع هائل وهو مدرسة تمنطيط بقرب أدرار . ثم تابع حركته التثقيفية بين شعوب افريقيا فى مملكة كانو بنيجريا الحالية ، وترك هناك مدرسة دينية مالكية أشعرية لازالت على أثره حتى الآن . هذا فقيه مشهور حفظ على التاريخ اسمه ، ولكن التاريخ لم يحفظ آلاف الاسماء لدعاة مثله ذهبوا الى أبعد من « كانو » وتركوا عقيدة دينية بسيطة فى قليل من القرآء وقليل من الفقه والتصوف . وما القرن التاسع عشر منا ببعيد حيث انطلقت من قرى مازونة وعين ماضى وتماسين ، ووركلة قوافل من الطلبة للدعوة الدينية بتشاد وكامرون وساحل العاج .

ويبدو لى أن البضاعة العلمية كانت هزيلة فى غالب الاحيان عند هؤلاء الطلبة ، ولكن أنفسهم الروحي كان قويا الى أقصى حد .

فبضاعتهم العلمية قرآن محفوظ مع فهم بسيط لمعانيه ، ثم قليل من الفقه المالكي لا يتعدى منظومة ابن عاشر الاندلسى ، وتوحيد أشعرى يتلخص فى متن السنوسية ، وقواعد العربية لا تتعدى عندهم الاجرومية . وقد سموا أنفسهم طلبة تواضعا وتشخيصا لواقع . ذلك أنهم متفتحون حقا على التعليم طول حياتهم ، يذهبون اليه أين وجد ، وينشرونه أين فقد .

أما أنفسهم الروحي فيظهر فى صبرهم على كل المكاره المادية والمعنوية . فتحملهم لصعوبات الاسفار فى الصحارى والادغال وتعودهم على المعاش القاسى يمثل المكاره المادية ، أما المكاره المعنوية فكانت تظهر فى احتقار أهل اليسر لهم (I) وكان العداء بينهم وبين التجار عداء روحيا وسياسيا يرجع أصله الى أن جل الطلبة من أبناء الفلاحين وصغار الصناع وجدوا تعويضا لفقرهم فى الثقافة واكتسبوا فى مجتمعهم الفقير نوعا من المكانة التشريفية كثيرا ما استعملوها لتحطيم مكانة التجار فى المدينة التقليدية . ثم ان الشائعات الكثيرة كانت تشاع عنهم كلما دخلوا قرية وهم غرباء فيتهمون بالمكر والخديعة والسحر فكان الناس يتقونهم ويتخوفون من معاملتهم . ولا ينكر أن منهم دجالين ومحتالين حقا ، ولكن ما أقل هؤلاء العاجزين المنحرفين أمام ذوى الايمان القوى والاخلاق السوية .

فالطالب الداعية فى الاوساط الافريقية كان يمثل «المربط» أحسن تمثيل . ورجال الرباط آنذاك مجاهدون حقا لانهم أكثر الناس صبرا فى كل أنواع الشدائد وأنواع الكفاح . وانه ليظهر لى أن الاتجاه نحو الامم الامية لمشاركتها معاشها القاسى هو الفضيلة الاساسية التى يتحلى بها هذا الطالب المربط . انها فضيلة تقتضى كثيرا من الرحمة فى المعاملات ومجبة لبنى الانسان لاتقاس بمقاييس فلسفية أو تقنيات فكرية للاخلاق ، وانما هى مجبة ورحمة عملية تظهر فى الحياة اليومية وفى المواقف تجاه الاحداث . فالرجل الذى يتواضع فى سلوكه ويدعو الى التواضع ، ثم يبرز شجاعته الفكرية فى الصبر على أنواع الاذى من أجل أفكاره، والرجل الذى يدعو الى المساواة ،

(I) يوجد فى المدن التجارية مثال يحقر من شأن طلبة القرآن وهو «اللم اغن التاجر وافقر الدار» وقد اجببت هذه الدعوة مسبقا - والدار هو معلم القرآن لانه يشتغل بالدرارى اى الذرية «الاطفال الصغار

بمثلها أو أحسن منها . اذ للقرن العشرين فضائله الخاصة به .

فضيلة الصبر والنضال من أجل عقيدة كان من فضائل «طلبتنا» في القديم ، ونريد لطلبة عصرنا أن يكونوا طلبة للعلم «من المهد الى اللحد» متواضعين متفتحين أبدا الدهر ، ونريد لهم أن يتحلوا بنفس الصبر والعزيمة التي كان يتحل بها القدماء ، وليس القدماء بأفضل من أهل هذا الزمن .

ومن العجب أن فضائل الطلبة القدماء هي نفس الفضائل التي كانت تتحل بها «نخبة المثقفين المناضلين» أي الانتلجانياسيا من الاجيال الثورية الكبرى ، في هذا القرن العشرين .

فليس تكديس المعارف المتناثرة المتناثرة هو الذي يمثل الثقافة الحققة ، ولكن الثقافة الحققة هي قوى لما نعلم وهدف واضح لتطبيق ما نعلم ، وإيمان قوى لا تزغزعه الاحداث ، بالشعوب التي نعمل من أجلها .

إذا اردنا أن ندخل في عهد الثورة الثقافية ، فلنعلم أن لكل ثورة روحانيتها وهي ، وإن تعددت مناهجها ، وتجسيماتها ، روحانية واحدة أساسية نسبها الإيمان بالعقيدة والإيمان بالشعوب .

ويعيش هذه المساواة في الفقر والجوع بين الفقراء والجاهل والرجل الذي يتعلم لغة الآخرين محبة في الآخرين والرجل الذي يتزوج ويندمج في مجتمعات غريبة عنه، في سبيل فكرته، والرجل الذي يحارب العرقية بذوبانه في العرق الآخر، هو حقا رجل يبرهن في سلوكه عن حقيقة فكره الداعي الى العدالة والمساواة والانسانية العميقة .

بواسطة هؤلاء الاشخاص تكونت طرق الثقافة، بعد أن انقرضت طرق الذهب ، وذهب النحاسون الى خزي الاجيال ، وحل محلهم دعاة الانسانية في افريقيا ، وفشل التجار بنظرتهم الى العالم نظرة سطحية محدودة ، ونجح «الطالب» المتواضع لانه كان تواضعه يحمل ايمانا عميقا بالاخوة الانسانية . ولم يقن «الطالب» درهما ولا معاشا ولكنه اكتسب ثروة روحية لا تعرف الفناء .

« ما عندكم ينفد وما عند الله باق »

ليس بي حنين الى الماضي حينما أنبش هذا الماضي ولكني أريد أن أعرف مجتمعي بماضيه وحاضره ، ولا يمكن للماضي ألا يمتد الينا على الاقل في مبادئه الاجتماعية والروحية الاساسية . أريد أن أعرف النماذج البطولية الحققة وأراها أصدق ما أراها في صميم الشعب وأعماقه ، لا في العينات المزيفة التي جمعت الذهب فأكلته أكلة خنازير في الملذات المتعفنة .

وانى حينما أريد استقصاء البحث عن فضائل مجتمعي لا أدعي أنها فضائل أبدية . فقد يمكن التحول عن الاصل ولكنى لا أريد لمجتمعي أن يستبدل فضيلة برذيلة بل أن يستبدل فضيلة

أبو بكر محمد بن داوود

كاتب يغمراسن بن زيان

بتلمسان

رابح بونار

مهيد : اننا نلاحظ عند دراستنا لتاريخ نشأة الدولة الزيانية على يد مؤسسها يغمراسن بن زيان سنة 633 هـ ولتاريخ الدول الاخرى التي انفصلت مثلها عن الامبراطورية الموحدية كالدولة المرينية بفاس سنة 668 هـ والدولة الحفصية بتونس سنة 626 هـ والدولة النصرية بالاندلس سنة 626 هـ ، انها دول خلفت الامبراطورية الموحدية في أنظمتها الادارية وفي تراثيها الحرية ونشاطها الاقتصادي، وحاولت ان تسبقها في مجال العناية بالحركة العلمية وتشجيع اعلامها في كل فن ، وقد سعت بعض هذه الدول لتخلفها في اتساع رقعتها وضخامة ملكها .

ثم ابتكر سياسة مرنة تركز على الولاء لآخر خلفاء الموحدين بمراكش ولامراء بني نصر بالاندلس ليدعم بذلك مركز حكمه ، وعلى العداء لبني مرين الذين كانوا يحاولون القضاء على دولته ليوسعوا بذلك رقعة دولتهم ويخلفوا الموحدين في امبراطوريتهم .

وكان يتظاهر بالولاء للحفصيين - تقية منه - ما كانوا اقوياء وعند ما ضعفوا أخذ هو وخلفاؤه يوسعون رقعة دولتهم على حسابهم في قسنطينة وبجاية ، وهكذا تتجلى لنا سياسة يغمراسن في

ولما قامت الدولة الزيانية انبرى يغمراسن مؤسسها على قرب عهده بالحياة البدوية الساذجة الى اقامة دولته الفتية على أسس حضارية يتطلبها عصره ، فاهتم بتنظيم ادارته على غرار ما كانت عليه الادارة الموحدية بتلمسان ، وأنشأ قوة عسكرية متألفة من قبيلة بني عبد الواد وغيرهم ليتقى بها الاخطار التي كانت تهدق به من قبل بني مرين بفاس غربا ، وبالحفصيين بتونس شرقا وليدافع بها القبائل الاعرابية والبربرية المناوئة له داخل رقعة دولته .

مساعدته الجادة لتدعيم أركان دولته مرنة حكيمة قد تكللت بالنجاح ، وتوجهت بالانتصار ، رغم ما كان يتهدها من أخطار في الداخل والخارج
تشجيعه للحركة العلمية :

ولم يقتصر نشاطه يفراسن على العناية بالناحية السياسية والحربية والإدارية وحدها بل انصب نشاطه أيضا على العناية بتشجيع الحركة العلمية والأدبية وعلى تزيين بلاطه بلعلماء والادباء منافسا بذلك غيره من أمراء عصره .

فدعا إليه أبا اسحاق التنسي وكان من أكابر العلماء بعصره وألح عليه حتى غادر موطنه ووقد عليه بتلمسان وانتصب للتدريس بجامعها الأعظم ثم أغدق عليه يفراسن كل انعام (1) .

ووقد عليه أبو بكر محمد بن خطاب من الاندلس لما بلغه عنه من تشجيع للعلم وأهله فرحب به ، «وأحله المحل الرفيع من دولته» (2) وأكرم أبا عبد الله محمد بن محمد بن مرزوق من علماء تلمسان وأجله وأوصى أن يدفن بأزانه من الجامع الأعظم بتلمسان (3) ، كما أكرم غير هؤلاء من علماء تلمسان أو الوافدين عليها .

وقد كانت العناية بتشجيع الحركة العلمية ظاهرة عامة للدولة التي خلفت الامبراطورية الموحدية ، وكان التنافس بينها على هذا التشجيع قائما أشده وقد استأثر الحفصيون بالنصيب الاوفر منه في القرن السابع الهجري ، وحاول المستنصر من خلفائهم أن يستأثر بأبي بكر بن خطاب لما وفد على تلمسان وكاتبه في ذلك وبعث إليه بهدية مغرية فرد الهدية وآثر الإقامة تحت كنف الدولة الزيانية .

ان الازدهار العلمي الذي نشاهد آثاره في القرن السابع الهجري بالمغرب عامة تعود بعض أسبابه الى هذا التنافس الذي كان يقع بين الملوك حول استقدام العلماء الى بلاطهم واغداق ضروب الانعام عليهم ، والى تدهور الوضع السياسي والاجتماعي بالاندلس الذي حفز كثيرا من رجال الفكر على الهجرة الى أقطار المغرب طلبا للامن والحياة الرضية .

وقد كانت هجرة أبي بكر بن خطاب الى تلمسان مبعث حياة أدبية ملحوظة كما كانت هجرة ابن الأبار وابن عميرة وحازم القرطاجني منطلق ازدهار أدبي لامع في تونس ، وبهنا هنا أن نذكر نبذة من ترجمة أبي بكر بن خطاب وما تركه من آثار فكرية في الجو الأدبي بتلمسان .

لمحة عن حياته ونشأته :

أبو بكر بن خطاب هو محمد بن عبيد الله (4) بن داود بن خطاب المرسى ، ولا نعلم عن نشأته الا انه ينسب الى مرسية ، وانه كان على حد تعبير ابن الخطيب «شكس الاخلاق متقاطبا زاهيا بنفسه» (5) .

شيوخه :

وذكر ابن الخطيب جملة من الشيوخ أخذ عنهم أبو بكر وانتفع بعلمهم فروى عن القاضيين أبي عيسى بن أبي السداد ، وأبي بكر بن محرز وأبي بكر محمد القرشي وغيرهم (6) ويضيف يحيى بن خلدون والعبدري الى هؤلاء الشيوخ جماعة أخرى منهم «أبو بكر بن جهور ، وأبو بكر الغافقي ، وأبو الحسين بن عبد الرحمن الرفاء ، وأبو عيسى محمد بن محمد بن أبي السداد ، وأبو المطرف بن عميرة وغيرهم» (7) .

(1) الحافظ التنسي : محمد بن عبد الجليل : الدر والعقيان مخطوط مج 1 ص 139

ابن مريم : البستاني ط الجزائر سنة 1908 م ص 67

(2) ابن الخطيب : الإحاطة في اخبار غرناطة مج 2 ص 275

ابن خلدون يحيى : بغية الرواد ط الجزائر سنة 1903 ج 1 ص 48

(3) المصدر السابق ج 1 ص 48

(4) وفي بغية الرواد ج 1 ص 48 ورد اسمه عبد الله بدون تصغير ووافقه عليه ابن مريم في البستان ص 227

(5) الإحاطة ج 2 ص 275 — (6) المصدر السابق ج 2 ص 276

(7) العبدري : الرحلة المغربية تحقيق أحمد بن جلو ص 16 — بغية الرواد ج 2 ص 48

ارتحالہ الى تلمسان :

التجأ أبو بكر بن خطاب الى تلمسان في صحبة ابن وضاح والجلالية الاندلسية التي آثرت الوفادة عليها وأشار الى ذلك ابن خلدون فقال : «ووفد عليه (أى يغمراسن) لاول دولته ابن وضاح اثر دولة الموحدين ، أجاز البحر مع جلالية المسلمين من شرق الاندلس فأثره وقرب مجلسه وأكرم نزله وأحله من الخلّة والشورى بمكان اصطفاه له ، ووفد في جملة أبو بكر بن خطاب المباح لآخيه بمرسبة» (8) . ويبدو أن ورود أبي بكر بن خطاب على تلمسان إنما كان على اثر الفتنة التي وقعت بمرسبة وأشار اليها ابن الخطيب بقوله : «انه رجع الى مرسية وقد ساءت أحوالها فأقام بها مدة ثم انفصل عنها واستقر بالعدوة بعد مكابدة» (9) وابن خلدون يذكر انه بايع أخاه بمرسية (10) ، ولم تساعده القلاقل التي كانت تهاينها مرسية على المقام بها فارتحل عنها الى المغرب وتقلب في أنحائه وكان ارتحاله في تاريخ غير معروف ، وقد يكون قبل سنة 661 هـ بقليل ، ويؤيد ذلك ما جاء في احدى رسائله التي كتبها عن أميره يغمراسن بعد التحاقه به لتهنئة المستنصر بانتصاره على ابن عمه أبي القاسم بن أبي زيد بقسنطينة وجاء فيها : «وصل الى العبد كتاب مولاه ... يعرفه بأنه توجه الى قسنطينة في هذه الايام الفارطة قاصدا معالجة دائها بما أعد الله له من دوائها» (11)

وفاته :

إذا كان تاريخ ميلاد أبي بكر غير معروف فان تاريخ وفاته يكتنفه غموض وقد اختلف مترجموه في ذلك فذهب يحيى بن خلدون : «الى أنه توفي يوم عاشوراء سنة 636 هـ (12) ووافقه ابن مريم في بستانه (13) على هذه الرواية وهي لا شك

تصحيح واضح من النسخ ، وذهب ابن الخطيب في احاطته (14) الى أنه توفي بتلمسان يوم عاشوراء بعد الثمانين وستمئة وهو قريب من الصواب رغم ما فيه من عموم وعدم تحديد ، على أن الاصول أن نقول في تاريخ وفاته أنه توفي بعد سنة 681 هـ لانه كان حيا في هذه السنة وقد كتب فيها رسائل ، ومن ذلك ما كتبه عن أميره أبي سعيد ابن يغمراسن وقد تولى الإمارة سنة 681 هـ بعد موت أبيه جوابا عن تعزية الأمير النصرى بالاندلس وجاء فيها : «عن الأمير عثمان بن الأمير أبي يحيى يغمراسن بن زيان ، سلام كريم عليكم ورحمة الله تعالى ... وبعد حمد الله مقدر الآجال ، المحمود على جميع الأحوال ...» (15) وكذلك رسالته التي عزي بها أميره أبا سعيد عثمان عن أبيه يغمراسن وجا. فيها «مولاي السلطان أبو سعيد أدام الله مدة حياته ، وعرفه من التأيد ما يتكفل لامره بالتأييد» (16) وهكذا يتضح لنا أنه توفي بعد سنة 681 هـ جزما وبقي تحديد سنة وفاته بالضبط وهو متعسر ، ولكن يمكن أن نحصر هذه السنة بما بعد سنة 681 هـ وما قبل سنة 688 هـ وفي هذه السنة الأخيرة من العبدري بتلمسان ووجد أبا بكر قد توفي وسأل عنه تلميذه ابن خميس وروى عنه بعض شعره .

منزلته في الشعر :

بلغ أبو بكر بن خطاب منزلة سامية في الشعر كما يذكر مترجموه ولكن ضالة ما عثرنا عليه من مقطوعاته الشعرية لا يساعدنا على تحليله ولا الحكم عليه وإنما تكتفى بما ذكره مترجموه عنه «وهم قد أجمعوا على الاعجاب بشعره ونثره ، فابن الخطيب يقول عنه نقلا عن صلة بن الزبير «أن أبا بكر بن خطاب كان كاتباً بارعا ، وشاعرا مجيدا مشاركاً في أصول الفقه وعلم الكلام وغيرهما» .

(8) ابن خلدون عبد الرحمن : كتاب المعرى لبيان سنة 1909 مج 7 ص 163 (9) (ابن الخطيب : الإحاطة ج 2 ص 275
(10) كتاب المعرى مج 7 ص 163 — (11) فصل الخطاب من رسائل أبي بكر بن خطاب مخطوط ص 2 — (12) بغية الرواد ج 1 ص 48
(13) البستان ص 227 — (14) الإحاطة ج 2 ص 278
(15) فصل الخطاب ص 13 — (16) المصدر السابق ص 14

ويحيى بن خلدون يقول عنه انه «كان من أبرع الكتاب خطا وأدبا وشعرا ، ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه» (17) ووصفه الحافظ التنيسي «بأنه خاتمة أهل الآداب ، المبرز في عصره على سائر الكتاب» (18) وأما العبدري فانه كان معجبا كثيرا بشعره وقد روى له بعض مقطوعات وعلق عليها ومن ذلك ما قاله في هذه المقطوعة :

- 1) اشكرن لربك وانتظرون
في أثر عسر لامر يسرا
- 2) واصبر لكربك وادخرن
في ستر ضر الفقر اجرا
- 3) فالدهر يعثر بالورى
والصبر بالاحرار اخرى
- 4) والوفر اكثر معشران
والفقر بالاحرار يفرى

ان نظام هذه الابيات يدل على باع من الادب مديد ، وطبع فاضل ومقول مجيد ، وناظمها رحمه الله متمكن الجلالة ، معارف الاصاله (19) وقال فيه عبد الرحمن بن خلدون: انه كان شاعرا محسنا (20) وروى له ابن الخطيب مقطوعات متعددة منها مقطوعة في الحكم مطلعها :

«أقنع بما أوتيته تنل الغنى ن
واذا دهتك مصيبة فتصير»
وثانية في الابتهالات مطلعها :

رب أنت الحليم فاغفر ذنوبي ن
ليس يعفو عن الذنوب سواك
مترلته في الترسل والكتابة :

ونبع أبو بكر بن خطاب في الترسل والكتابة الفنية وبها اشتهر أكثر من اشتهاره بالشعر ، وقد بلغ فيها درجة كبيرة فاق بها معاصريه في المغرب والاندلس ، وقد ذكرنا من قبل ما حلاه به مترجوه من براعته في فن الكتابة والشعر، ومن آثاره ايثاره بمنصب رئاسة ديوان الرسائل السلطانية بفرنطنة .

ولما انتقل الى تلمسان تقلد هذا المنصب في بلاد يغمراسن وأنشأ رسائل عديدة كانت نموذجا يحتذى ، وكان يوجه هذه الرسائل عن يغمراسن أو ولده أبي سعيد الى الموحدين بمراكش والى الحفصيين بتونس والى ملوك بنى الاحمر بالاندلس في مناسبات مختلفة يقول عبد الرحمن بن خلدون في ترسله «انه كان مترسلا بليغا وكاتبا مجيدا . . . فستكتبه (أى يغمراسن) وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظه» (21) وذكر أن حافظ التنيسي أن يغمراسن «جعله صاحب القلم الاعلى» في تلمسان (22) على أننا رغم بحثنا الكثير عن آثاره الكتابية فاننا لم نجد منها الا بضعة رسائل مخطوطة من مجموع جمعه أديب يدعى الحاج عبد القادر ودعاه فصل الخطاب من رسائل أبي بكر بن خطاب» وقد ذكر فيه تسعة أبواب ، ويبدو أن أكثر رسائله ضاع فظهر لذلك تقسيم الكتاب غير مرتب ولا منسق تنسيقاً منطقياً وهذه الرسائل الباقية من المجموع قد صدرت عن أبي بكر وهو بتلمسان، وروى له ابن الخطيب رسالة اخوانية أنشأها في الاندلس (23) وخاطب بها صديقين له بمرسية ، وقد بعث بها من مدينة اشبيلية .
وقبل أن نذكر أسلوب هذه الرسائل وخصائصها نذكر كلمة عن أسلوب الرسائل الديوانية وغيرها في الاندلس والمغرب .

أسلوب الرسائل الديوانية في هذا العصر :

لقد أثبت مؤرخو الادب في هذا العهد أن كتابة الرسائل قد تأثرت بطريقة القاضي الفاضل المتوفى سنة 596 هـ وهي تمتاز بالتزام السجع وإطالة الفقرات وبلاستعارة والطباق ومراعاة النظر ، والغلو في التورية والجناس وإثار المعاني الخيالية (24) وجاء بعده محي الدين بن عبد الظاهر المتوفى سنة 692 هـ وقد سلك طريقته واعتمد أسلوبه .

(17) بغية الرواد ج 1 ص 48 — (18) الدر والعقيان ج 1 مخطوط ص 276 — (19) الرحلة المغربية ص 16

(20) كتاب العبر مج 7 ص 163 — (21) المصدر السابق مج 7 ص 163 — (22) الدر والعقيان ج 1 ص 139

(23) الاحاطة مج 2 ص 277 — (24) الاسكندري احمد : الوسيط في الادب العربي وتاريخه ص 295 — (24) الرحلة المغربية 23

والإطلاق ، وجمعت عصمته أهل الاجتماع على طاعته والاتفاق ، ونمت نعمته تماما على أبلغ وجوه الانتظام والاتساق (27) ويقول من رسالة أخرى مخاطبا ابن هود النائر : «وتقدمت بشارتنا به جملة ، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة» (28) .

وقد لاحظ ابن خلدون في القرن الثامن أن ظاهرة السجع قد غلبت على الكتاب فقال : «واستمر المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطبات السلطانية وقصروا الاستعمال في المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه وخلطوا الأساليب فيه وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصا أهل المشرق والمحمود في المخاطبات السلطانية الترسل وهو إطلاق الكلام وإرساله من غير تسجيع إلا في الأقل النادر حيث ترسله الملكة أرسالا من غير تكلف له ثم أعطاه الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال . . . (29)

ترسل أبي بكر بن خطاب :

ولم يكن أبو بكر بن خطاب ليخرج عن هذا الأسلوب الشائع في عصره في الرسائل وهو السجع والعناية بالمحسنات البديعة فكان ذا عناية بالسجع وإطالة الفقرات كما في قوله من رسالة أخوانية «ونزلنا في الأخبية خارج البلد بموضع يعرف بالقنب قد تفجر عيوننا ، جمع ماؤه وهواؤه عن المحاسن فنونا ، وعرض علينا النزول في الديار داخل المدينة ، فراينا المقام بالقنب أحد الأسباب المساعدة على حفظ الصحة المعينة (30) » وكقوله من رسالة أخرى «الفقيه الأجل أبو طالب أبقاه الله للمجد يحمي شرائعه ، وينمي بضائعه ، ويبني مصانعه ، ولا زال الاعتناء الرباني يسعد مقاصده ويجمع جمع السلامة أوابد أمله

وشاعت هذه الطريقة في المشرق والمغرب وكان كتاب المغرب والاندلس يتأثرون بكل التيارات التي تحدث في المشرق يحاكونها ويحتذونها ، وهذا ما لاحظته ابن بسام في القرن الخامس الهجري ولاحظه آخرون بعده وانتقدوه .

وصار السجع في الرسائل الأدبية والأخوانية ونحوها بعد ذلك حلية مرغوبا فيها بل قد طغى السجع على غيرها من فنون الأدب كالمؤلفات الأدبية والرحلات وكتب التاريخ .

والعبدري هو معاصر لابي بكر بن خطاب يقول في وصف بجاية في رحلته : «ثم وصلنا الى مدينة بجاية ، مبدأ الاتفاق والنهاية ، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة بركة بحرية، سنينة سريه، وثيقة البنين ، عجيبة الاتفاق» ، وكذلك ابن جبير فإنه يميل الى السجع في رحلته ، ومثله الرحالة أبو البقاء خالد البلوى الذي زار تلمسان في أوائل القرن الثامن الهجري وقال فيها : «فرايت مدينة قل مثلها ، وجل عراها وبانها وأثلها ، بطاح وأدواح ، وربى ملاح ، وضيا»

ومن المؤرخين نجد يحيى بن خلدون يميل الى السجع في بعض فصول كتابه : فيقول أبي حمو موسى بن يوسف «ولما كان مولانا الخليفة الامام السلطان الهمام ، الجواد الضرغام ، كبير الملوك وناظم السلوك ، وناهج سبيل الفخر المسلوك» (25) ويقول أيضا في ذكر السلطانين أبي سعيد وأبي ثابت «قمرا الخلافة وفرقدا الشرف والاناقة ومقرا الامان المنتجع والاخا ، هذا قطب الاسلام والدين ، وهذا يوم الكفاح اسد العرين» (26) .

وأما كتاب الرسائل في عصر الموحدي فأشهر من يمثلهم ابن عطية وقد كتب رسالة ديوانية هن عبد المؤمن الى أهل تلمسان جاء فيها : أما بعد فالحمد لله وسعت رحمته كل شيء على العموم

(25) تاج المغرب مخطوط ، الخزانة العامة بالرباط ص 4 —

(26) بقية الرواد ج 1 ص 4 — (27) المصدر السابق ج 1 ص 149

(28) كنون عبد الله : النبوغ المغربي ج 2 ص 96 — (29) المصدر السابق ج 2 ص 100 — (30) مقدمة ابن خلدون ص 424 425

وشواذه ، (31) « وفي هذه الفقرة سجع مختلف بين قصير وطويل كما فيها تورية بجمع السلامة التي يريد بها الجمع اللغوي والجمع الاصطلاحي في النحو ، ويهتم بالاقتباس من القرآن وغيره كما في قوله : واستفهم لسان السيف لمن الملك اليوم (32) وكقوله من رسالة تعزية لابي سعيد بن يغمراسن «فقد أدال الله من جزعه صبيرا ، وجعل مع عسره يسرا (33) » أو كقوله من رسالة تعزية وتهنئة وجهها عن أميره يغمراسن الى المستنصر بتونس «فلم يكن الا قدر ما يلصح البصر ، أو تنداح دائرة في الماء يرمى فيه بالحجر (34) » .

وهو يهتم أيضا بالتورية كثيرا فيوري بالفاظ نحوية وفقهية ونحوها كقوله من رسالة الى فقيه «والشكر لما حزنتم من مآثر الفضل ينقسم بانقسام الزمان كالفعول غير أنه لا ينفي ولا يجزم (35) » وقوله في رسالة في الصدقات أو خطبة النكاح «ورسم فيه أثر فعله الذي لا يتصف بالجبر والاكتمال (36) » ويهتم بأنواع الاستعارات وضروب الاخيلة كقوله : «وكتائبه المتعودة لشن الغارة ضراغم آجامها الرماح الخواطر ، وبرائنها السيوف البواتر (37) » وقوله : «وصل النبا الذي طاشت له الاحلام ، وتعثرت في الطروس الاقلام (38) » وقوله : «قد طفت جثث قتلاهم في بحر الزقاق امثال الزقاق » وقوله : وصل كتابكم الخطير ينصع بيانا ، ويخلو من مصافاتكم صورا حسانا (39) وقوله : «ما أهدى الجدل الى الصدور ومحا أثر الحزن منها بيد الضرور (40) » وقوله في تنزيه صفات الله عن النقص وغوص الافهام الكاملة لادراكها كأن طيور الاقلام خلال أوراق غصون سطور الكلام تلقط منها عناقيرها حبا (41) وفي العبارة ضعف تركيب لكثرة الاضافات فيها .

وهكذا نصل الى جملة نتائج وهي أن الاسلوب الفني للرسائل الديوانية قد نقله أبو بكر بن خطاب الى تلمسان وقد بثه بين طلبتها وشاع عنه هذا الاسلوب في منتصف القرن السابع وما بعده وكان هو أكبر مهتل له في تلمسان والمغرب وكان يقابله شيخه أحمد بن عميرة ومواطنه ابن الأبار بتونس .

أثر أبي بكر بن خطاب في الحركة الادبية بتلمسان:

اننا لا نجد مراجع كافية تحدثنا عن مدى تأثير أبي بكر بن خطاب في الحياة الادبية بتلمسان ، ولكن بعض الاشارات التي وردت عرضا في بعض المراجع قد تكشف لنا عن هذا التأثير أو بعضه ومن ذلك ما ورد في رحلة العبدري (42) من أن ابن خميس كان راوية عن أبي بكر بن خطاب وتلميذا له ، وكان ابن خميس هو أكبر شاعر وكاتب أنجبته تلمسان في هذا القرن وقد تأثر به في اتجاهه الادبي وأسلوبه ونجد رسالته الصوفية تنتهي منحي رسائل شيخه في التزام السجع ، وفي اطالة الفقرات ، وقد يكون قلده في رسائله الديوانية التي لم نعر على أي رسالة منها بعد أن شغل منصب كاتب الرسائل بديوان أبي سعيد خلفا عنه بعد وفاته ، ولا يبعد أن يكون أبو زكرياء يحيى بن عصام (43) وكان أدبيا شاعرا ملازما لابن خميس قد أخذ عنه وتأثر به .

وكما لا يبعد أن يكون أبو عبد الله محمد بن المعلم وكان من كتاب يغمراسن (44) قد أخذ عنه وتأثر به ، كما تأثر به الجو الادبي في تلمسان عامة .

وقد حدثنا ابن خلدون عن أثر رسائله في المغرب كله فقال : وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين براكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوّل وحفظ (45) وفي هذه العبارة الموجزة ما يفيد أن رسائل أبي بكر صارت ترانا أدبيا يدرس ويحفظ ونماذج مثالية يحاكيها الكتاب ويقيسون منها في رسائلهم الديوانية وغيرها .

(31) ابن الخطيب : الإحاطة 2 : 277 — (32) فصل الخطاب ص 7 — (33) المصدر السابق ص 7 — (34) المصدر السابق 14
(35) المصدر السابق ص 6 وفيه اقتباس من بيت ابن الرومي (36) فصل الخطاب ص 8 — (37) المصدر السابق ص 15
(38) المصدر السابق ص 15 — (39) المصدر السابق ص 6 — (40) المصدر السابق ص 12 — (41) المصدر السابق ص 13
(42) المصدر السابق ص 16 — (43) الرحلة للعبدري ص 15 (44) المصدر السابق ص 19 — (45) بغية الرواد ج 1 ص 111

تحليل مضمون بعض رسائله :

ونبدأ من ذلك برسالة عزا بها الامير ابا سعيد عثمان في أبيه يغمراسن وفيها يقول في مقدمتها «مولاي السلطان أبو سعيد أدام الله حياته وعرفه من التأييد ، ما يتكفل لامره بالتأييد ، ويقضى بتقديم ملكه واثباته، عبده وخديمه، ومولى الشكر لاحسانه الجزيل ومديه ، محمد بن خطاب سلام الله ، وبعد حمد الله الذي لا يموت والصلاة على سيدنا محمد رسوله الذي آتاه من المعجزات ما يفوق الحصر ويفوت»

ثم يدعو له ويخبره انه كتب اليه من تلمسان حول «وفاة مولاه السلطان ابي يحيى والدكم قدس الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ، ما جرى به القدر وشاب لاجله صفو الحياة بالكدر» .

ويعظم المصاب ويوضح اثره على النفوس فيقول : «فيا له رزء فادحا ، وتكلا جرى بنا في ميدان الاسى جامحا ، ونقص العيش ، وعلم الحليم الوقور الطيش» ثم يستلم لمشيشة الله التي لا تدفع ، ويرضى بأحكامه في الارواح التي هي عواري تسترجع لوقتها وتسترد ، وذلك ما لا يغيب عن علم مولانا السلطان .»

ثم يستطرد الى تهنيئته بالسلطان الذي آдал الله به «من جزعه صبوا وجعل مع عسره يسرا ، وهو ما يسر من الاتفاق على بيعتكم السعيدة ، وحلولكم في مرتبة الملك المشيدة ، وهنيئا لها فاليكم كان ميلها ، وبصبح ولايتكم انجلي عنها ليلها» وأخيرا يختم بالدعاء له بدوام السرور والاعتذار عن تقصيره في ايفائه حق السلطان ويسجل تاريخ الرسالة التي كتبت في 5 ذى الحجة من عام 681 هـ

رسالة ثانية له :

ومن هذه الرسائل رسائله في الجواب عن تعزية الملك النصري من بني الاحمر بالاندلس لابي سعيد حول وفاة أبيه يغمراسن فيقول له في مطلعها : ان الصداقة التي تربط بين الملكين متينة «لا تحيل صفاءها الايام» ويسبغ عليه من الانقلاب ماجرت به العادة السلطانية في ذلك العصر ويشيد بامارته ذات المآثر الجليلة على لسان سلطانه ابي سعيد ثم يحمد الله ويصلي على النبي ص راضيا بما قدر الله من مصاب يصيب العام والخاص مثبتا ان الصبر هو بمنزلة الرأس من الجسد

كما جاء في الحديث ، ويخبره انه كتب اليه من تلمسان حرسها الله «وفضل الله تصفو مشاعره وتصفو مذارعه ، وصنع الله الاجمل تتلاحق طلائعه» وأخاؤكم الكريم عقده وثيق ، ووجهه سافر أنيق والوفاء بأذمته المؤكدة لا يسلك غير طريقه طريق ، ولا يتخذ عن فريقه فريق ، والتعظيم لجنابكم الرفيع موصول أبدا ، موافق قولاً ومعتقداً وأنه بذلكم لحقيق»

وبعد أن يؤكد علائق المودة بينهما واللزوم على عهودهما السابقة يخبره انه وعى كتابه الذي عزا فيه عن أبيه ويشكره عليه ويشيد بحبه لصفيه الراحل ولئن فقدوه فقد بقي لهم من ولده «أخ معاضد في كافة الاحوال مساعد، يقاسمكم في المر والحلو»

وأخيرا يعذرهم عن تأخر كتبهم اليه لانه «قد تقرر بيننا وبينكم من خلوص السر والجهر ما لا يحتاج معه الى تكلف العذر ، فاننا ننظر الى كل ما يصدر عنكم بعين الرضا ، ونقيس مستقبل حالكم في الوفاء على ماتيقنا منه فيما مضى بحول الله ، وهكذا تنتهي هذه الرسالة التي توضح لنا مدى العلائق السياسية الوطيدة التي كانت تصل بين مملكتي غرناطة وتلمسان في القرن السابع الهجري وقد تأكدت هذه العلائق لاسباب سياسية واجتماعية واقتصادية في القرنين التاليين : الثامن والتاسع وكانت تتسم دائما بالصفاء والتعاون ولم يشبها طيلة هذه القرون الثلاثة ما تكدر صفوها أو يضعف من فعاليتها .»

وأخيرا نذكر خلاصة لهذه الالمامة التي بدانها نبذة عن حياة يغمراسن ونشاطه السياسي وتشجيعه للحركة العلمية ، ثم ذكرنا المامة عن حياة كاتب يغمراسن ابي بكر بن خطاب في الاندلس وتلمسان ، وحاولنا أن نذكر أقياسا عن عبقريته الشعرية والنثرية وأن نلمح بإيجاز عن مدى تأثيره على الحياة الادبية ، ثم عرضنا بإيجاز الى تحليل بعض خصائصه النثرية والى تحليل رسالتين له وهكذا نكون قد القينا ضوءا خافتا على شخصية علمية كبيرة كان لها تأثير على حياتنا الثقافية بتلمسان في بعض عهودها الزاهرة ومن الوفاء لها أن نذكرها بالاكبار ، وأن نشيد ببعض ما تركت لنا من آثار فكرية تستحق منا العناية بالدرس والتحليل .»

الاستعمار المقنع (٥)

(للتخلف مظاهر شتى معروفة
وشتى هي أسباب التخلف •
سنتناول ، في الصفحات التي
تلى ، عوامل الاستعمار الاجنبى
فى التخلف الثقافى ، دون أن
نتعرض الى علاقات هذا التخلف
بالاوضاع الداخلية والذاتية
(مثل تأمر «النخبة» الاهلية على
التراث القومى وادوارها فى
مسخ ذهنية المواطنين ،
فلذلك حديث آخر •)

محمد عزيز الحجابي

نقوش تعرض بعض فصولها (2) • أن الاستعمار
يقوم قبل كل شيء ، بتفكيك شخصية السكان
الاصليين • فافطع جرح تعانیه الانسانية هو
اقتلاع جذور كثير من الشعوب المغلوبة الملقاة
فى أحضان الضياع مهملة مشردة فوق تراب
وطنها ، مفصولة عن تراثها القومى وقد اصبح
غريبا بالنسبة لـ «الاهالى» «وأهالى» هنا تتخذ
معناها القدحى ، طبقا لما اصططلحته لغة
الاستعمار •

لقد أمست الثقافة ، اليوم ، بالنسبة للأفراد
والشعوب ، ضرورة حياتية ، بالمعنى العميق لهذا
اللفظ • ذلك أن الثقافة ، كما أوضحناه فى حديث
سابق • نستمد مصدرها من العمل ، بصفتها
ملتجما بالطبيعة الانسانية • ان الثقافة فعالية

يعتبر الاستعمار سلاحا خطيرا يفتك بالانسانية
لانه يعوق تطور ثقافة المستعمرين (بفتح الميم) ،
بل يعمل جاهدا ليحملهم على نسيان تراثهم القومى
ومشاركتهم فى الحضارة • «اننا ، فى بعض الحالات
نقدم للدول التى نسميها متخلفة الآلات والتقنيين
ولكننا لم نقترح قط منهاجا كاملا واقعيا يساعد
فعليا ، هذه الشعوب على مواجهة مشاكلها أو على
تحقيق مطامحها المشروعة» (1) •

لنضرب مثلا بحالة هنود أمريكا : انها عملية
اجتثاث لاصول الثقافة • فلا يكاد يعرف شيء عن
ثقافتهم ، وكل ما تبقى هي كمية ضئيلة من الشعر
الهندي يرجع الى ما قبل الاستعمار ، ولا يتوفر
الباحث الا على ترجمة رديئة باللغة الانجليزية
للملحة الهندية Wallam Ollun ، وقد عثر على

• صفحات من كتاب عن مشاكل الثقافات القومية والحضارة الانسانية ، تحت الطبع (القاهرة الانجلو
المصرية)

(1) انظر Tibor Mend, in journal Le Monde 7-7-1956.

(2) انظر Alain Bosquet, Anthologie de la Poésie Américaine, Paris, Stock 1956.

صادرة عن الوعي بالذات ، الوعي الذى يشمل التكوين التقنى والاقتصادى والمجتمعى، والسياسى والفكرى ومن هذا المستوى الثقافى الطبيعى، يستطيع الفرد أو الشعب ، أن يتخطى المرحلة التى يرتفع منها الى ما هو شامل ، أى التى تجعل منه متحضرا لقد كان أمانويل مونى محقا عندما أبرز قيمة الرابطة الاصلية التى تجمع بين الطبيعة والوجود والعمل فى الشخص . ذلك أن الشخص لا يستمر ويتقوى ويتفتح ويعبر عن ذاته الا بفضل جهود متجددة يوجه بها ذاته وعالم الاشياء (3) . ولكى نحقق الشمولية ونرتفع الى مستوى الجوهر ، يجب أن نتخلى ، كما قال (هيغل) عن الكائن - لذاته ، أى عن قيمته المباشرة «لكن من هنا يكتسب الجوهر فعاليته» (4) . وهذا هو المستوى السوى للتفتح الواقعى التام للشخص : فبقدر ما يتسع مدى الشخص بقدر ما تتقوى فعاليته وقدراته «ان الشخص يستمر فى تثقيف ذاته الى أن يدرك ما هى الثقافة فى ذاتها ، وحينئذ فحسب تصبح فى الذات وتكتسب بذلك كينونة فعالة» (5) .

*
* *

بغية اباداة ثقافات الشعوب المستضعفة وفق منهج منظم ، يعضى المستعمرون ومؤرخوا الاستعمار يعللون ما قامت به ، وما زالت تفعله الامم «الناشرة للحضارة» ، فيعطون تفسيرات أصبحت كلاسيكية ، مثل قولهم :

«الآن وقد حمل الغرب الاهالى فضائل الحضارة فما عليهم الا أن ينتفعوا بها . فان هم لم يستفيدوا فذلك راجع الى طبيعتهم المتوانية المتراخية اليسوا احرارا فى أن يعملوا لبعث ثقافتهم ، ان كانت لديهم ثقافات ؟ لقد منحوا المساواة المدنية والسياسية بالبيض ، ولكنهم لا يعرفون كيف يستغلونها انهم مفطورون على ذلك ولا احد يستطيع ان يغير من طبيعتهم» .

يالها من سفسطة . .

جميع ذى النوايا الحسنة يدركون لا معقولة النظرية القائلة بوجود طبيعتين متباينتين ، طبيعة «البيض» المتحضرين والمسؤولين عن الرسالة الحضارية ، وطبيعة بقية أجزاء البشرية التى لا تنتمى الى الغرب ، ولذلك فهى ليست «متحضرة» (6) . ولم تؤد قط رسالة حضارية ، وليست لها قابلية للتحضر ، كل هذا مجرد مغالطات وسفسطة يدحضها التاريخ ويكافحها الواقع : لا وجود لاختلاف نوعى بين شعوب لها جوهر بدائى ، وأخرى لها جوهر قابل للتطور .

لقد برهن (رومانيس) على بهتان تلك الدعااء بصفة غير مباشرة ، فى نهاية القرن الماضى عندما نشر كتابه «التطور الذهنى عند الانسان» (7) يأتى المؤلف بمثال على التواصل المتبادل ، مستندا الى التجربة التى أجراها (ماليرى) فى الولايات المتحدة وقوام هذه التجربة أن مقابلة نظمت ، فى 6 مارس 1880 بين اناس صم بكم من الجنس الابيض

(3) انظر J.M. Domenach, in esprit, N° 2. 1956 P. 70.

(4) انظر La Phénoménologie de l'esprit I, II, Paris Aubier P. 53

(5) نفس المصدر ص 5

(6) انظر John Dewey, Freedom and culture (New-York Putman's sons)

(7) Romanes, l'évolution mentale chez l'homme TRA, gr, H de Voligny, Paris Alcau 1891.

يضاف الى هذا القيد فى الكم ، قيد آخر يفرض على نوع الحريات الممنوحة ، فغالبا ما تكون هذه الحريات مرتبطة بفكرولوجيا مركزة على نظام «الاقتصاد الحر» الذى لا يكفل للمستعمرين حق الثقافة ، وانما يضمن لهم فحسب حرية نسبية تخولهم أن يصبحوا عمالا متخصصين

صحيح أن نوعية الاقتصاد ، فى النظام الاستعماري ، تسمح أحيانا للسكان الاصليين أن يتعاقدوا مع من يشاؤون ، وأن يتمتعوا بحقوقهم فى المساواة مع الجميع ، الا أن هذا النظام يغفل دراسة ما اذا كانت الاوضاع الحقيقية تفسح المجال للجميع ، أم أن القوانين هى مجرد ضمانات وضعت لكى يظل الاقوياء اقوياء. يمتلكون الموارد المادية الاولى والثقافية التى تناسس عليها قواهم ويبقى المستضعفون «أحرارا» أمام جهلهم وضعفهم ...

انه نظام تسابق بين اناس قواتهم غير متساوية على الاطلاق ، نظام مباراة بين خرفان حرة ، وذئاب حرة ، فى نفس الحلبة ! وهى نتيجة مرة لنظام الاقتصاد الحر ، تتمسك بها حتى الدول المترفهة . فاولئك المنسيون فى الولايات المتحدة سواء منهم البيض او السود ، وسواء الصفر او الحمر (والذين لا يقل عددهم عن ثلث مجموع السكان !) يمثلون المهجورين المنفيين فى أرض

غير متعلمين وبين فئة من الهنود الحمر ، فاستطاع الصنفان من الاشخاص أن يتفاهموا عن طريق لغة الإشارة ، لان الاساس البشرى الخام متشابه (8) . فمثلا «عندما لامست اليد اليمنى اليد اليسرى كان معنى ذلك «لاشى» وعندما عانقت اليد اليمنى اليسرى ، واستقرت الاصابع فوق ظهر اليدين ، كانت دلالة هذه الإشارة «الصدقة» . وقد استطاع الصم البكم أن يفهموا ذلك ، وأن يفهموا أيضا الإشارة التى ترمز الى حلب البقرة وشرب اللبن (ص II3 من نفس الكتاب)

اذن ليست هناك سوى طبيعة انسانية واحدة اما الاختلافات فمنشؤها أوضاع الحياة التى تتغير من مجتمع لآخر .

«المساواة» التى يدعى البعض أنها منحت لـ «الاهالى» فى الاقطار المحتلة (سياسيا أو اقتصاديا ...) لا تعدو أن تكون بندا شكليا محضا مسطرا فى القانون العام . ذلك أنه لا تعطى للمستعمرين سوى حريات ثانوية باستثناء أفراد قليلين يحصلون على هذه الامتيازات ، لكن فى شكل مساومة : يمنحون بعض «الحريات» أو الامتيازات ، على حساب مواطنيهم «الاهليين» وعلى شرط أن يصيروا «متعاونين» أى سداة لهيكل الاستعمار .

*
* *

(8) Garrick Mallory Sing, langage among the North American Indians, First Annual Report of the Bureau of Ethnology, Washington, 1881. (9) انظر كتابنا «أحرية أم تحرر ؟» الفصل المتعلق بالعندية والملكية

من نفس الدرجة ، ويستحقون ما نالوه عن
جدارة» (II) •

تلك بعض مغامرات «التآمر» على الثقافات
«الاهلية» فاذا تجاوز الباحث المظهر الى المكنون ،
ماذا يجد ؟

* *

ذلك ما سنحاول الاجابة عليه في العدد المقبل

النعم ، وكأنهم بمثابة نفايات لفظها المجتمع ،
الا أنه، كلما أتيحت الفرص للبعض من المستعمرين
المتخلفين ، البدائيين ، حصلوا على نفس النتائج
التي يحصل عليها الآخرون ، وأحيانا يتفوقون
على المتمدنين ، المستعمرين ، الممرنين • فكما
يلاحظ (اليبر ميمى) فى كتابه «الصور الذاتية
للمستعمر» • (IO) ان : المستعمرين الذين
ينجحون يكونون «عادة متفوقين على الاوروبيين

(10) A. Memmi, Portrait du colonisé.

II يمكن الرجوع ايضا الى قصة لنفس الكاتب بعنوان : La Statue de Sel



فلسفة ابن فلدوت الواقعية

ان الدراسة العلمية تقتضى النزاهة والابتعاد عن العاطفة التى قد تشوه الحقائق وتسببها بنوع من الانحياز. وان المفكر الحقيقى هو الذى لا يظهر الجانب الايجابى من ظاهرة معينة او عامل معين ، بل فى مقابل ذلك عليه ان لا ينسى الجوانب السلبية التى قد توجد فى الظاهرة ، وذلك ليعطيها صورة امينة وحقيقية واضحة ، ان الابتعاد ونسيان الجوانب السلبية فى الظاهرة يجعل البحث فيها يتسم بنقصان وعدم كمال - وليس هذا من قبيل التفكير الحر السليم - حقا ان الحقيقة تصبح مخرجة فى بعض الاحيان وخاصة اذا كانت هذه الحقيقة تتعلق بالدارس او عقيدته او شعبه وبنى جنسه ، ها هنا تظهر قيمة المفكر اذا استطاع ان يطفو على مجتمعه ويتعدى العاطفة ، ويزيح الحجاب عن كل نقیصة - ان وجدت - وعن كل الكمال .

ابن عمار
الصغير

اللاعرقية أو مفهوم كلمة "عرب" عند ابن خلدون

وان لكل شعب من الشعوب عباقرة - وان طمسوا - فالعبرى اذا قدر له ان يعيش ظروفًا غير الظروف التي أنتجته لما استطاع ان يبلغ المستوى الذى بلغه ، «فبتهوفن» - مثلاً - لو وجد في منطقة جغرافية قاحلة كوسط افريقيا لما أنتج ما أنتجه في ميدان الموسيقى ولما خلد اسمه بين كبار الموسيقيين ، ولكنه عاش ضمن ظروف مكنته من الوصول الى ما هو عليه ، فتوفرت لديه كل الوسائل التي تمهد له الطريق للخلق والابداع - أى لا بد للمجتمع أن يقدم رصيда من الثقافة لهذا المواطن او هذا المفكر - واما ان يخلق عبقرى في صحراء قاحلة أو في غابة بعيدا عن الحضارة والثقافة فهذا ما لم يقدمه لنا التاريخ ولو مرة واحدة . واذا كان هناك من الباحثين من يلقب ابن خلدون بالفيلسوف - وهو نفسه يقفد الفلسفة فانما فلسفته وتفكيره هو تفكير واقعي وليس عرقيا ، أى أن تفكيره علمي موضوعي .

ان ابن خلدون أدلى ببعض الآراء فيما يخص كلمة - عرب - فاثارت ضجة في الاوساط العربية في أيامنا هذه اذ رأوا فيه عدوا لدودا لما يسمى

ونظرة تأمل الى تاريخ التفكير البشرى في هذا الصدد تبين لنا بأن المفكرين أو الفلاسفة كانوا دائما ينحازون الى بنى جنسهم . فأفلاطون لا يرى شعبا متمدنا خارج الشعب اليوناني . والفيلسوف الحاكم - مارك أوريل - الروماني لا يرى شعبا متمدنا منظمًا خارج روما وأثينا . «وتوسيديد يبرز لنا قوة اسبارطا» والشعوبيون يظهرون قوة المسلمين من غير فضل العرب . اما هيجل فلا يرى تاريخا ولا سياسة خارج أوروبا وعند الجرمان خاصة . واما «ارنست رينان» فيبعد التفكير السليم ، والتحليل والتركيب والربط في التفكير العلمى عند العرب . فالعربى عنده لا يمكن أن يتعمق في بحث ما لان ميدانه السطحيات .

ان النظرية العلمية الحديثة أبعدت هذه الخرافات ، وفندت هذا التزوير وذلك بوسائل علمية . واطهرت بان الانسان يساوى الانسان الآخر . وانما النتاج العلمى وليد ظروف جغرافية واقتصادية واجتماعية وتاريخية - أى انه لا بد من ايجاد ظروف معينة لكي تتمكن من هذا النتاج - ان العبقريه نفسها ليست خاصة بجنس معين

اليوم بالقومية العربية • كما ان هذه الآراء استغلت من طرف بعض الغربيين الذين يخفون حقدا وكرهية للعرب فوجدوا الفرصة سانحة اذ يقدمها لهم عربي قدير ومفكر محترم •

يبدو ان اول ضجة أثرت في هذا الصدد كانت في العراق اذ راوا بأن ابن خلدون عدو للعرب ومن الكافرين بالعروبة ولذلك يجب حرق كتبه نبش قبره وذلك باسم العروبة - I -

ثم قامت حملة أخرى ضد ابن خلدون في مصر وكان منظمها الاول الدكتور طه حسين الذي غير الاتجاه وحاول أن يجد عاملا آخر وهو التشكك في نسبة العربي ولعل هذا التشكك يكون حلقة من سلسلة تشككاته المتعددة في الادب الجاهلي، والعربي • ويرى الدكتور بأن الكره الذي يكنه ابن خلدون للعرب راجع الى بربريته - 2 - ثم يأخذ بهذا الرأي مرة أخرى عبد الله عنان - 3 - ويقرر بأن حديث ابن خلدون عن العرب طريف رغم ما يطبعه من شدة وتحامل. فالعرب في نظره أمة وحشية تقوم فتوحاتهم على النهب ولا يتغلبون الا على البسائط ، ولا يقومون على اقتحام الجبال والهضاب لصعوبتها، واذا تغلبوا على أوطان أسرع اليها الخراب (ص II2 من كتابه ابن خلدون وتراثه الفكري) ثم يبين لنا الاسباب والدواعي التي جعلت ابن خلدون يحكم هذا الحكم القاسي فيقول : قد نفهم سر هذا التحامل الذي يطلق رأى ابن خلدون في العرب بمثل هذه الشدة اذا ذكرنا رغم انتسابه الى أصل عربي بأنه ينتمي في الواقع الى ذلك الشعب البربري الذي افتتح العرب بلاده بعد مقاومة عنيفة وفرضوا عليهم دينهم ولغتهم واضطروا بعد طول النضال والمقاومة والانتفاض أن يندمج أخيرا في الكتلة الاسلامية وان يخضع راغما لرئاسة العرب في افريقيا واسبانيا حتى تحين الفرصة لتحرره ونهوضه •

والخصومة بين العرب والبربر في افريقيا واسبانيا شهيرة في التاريخ الاسلامي ، وقد ورث البربر بغض العرب من بعيد ، ونشأ ابن خلدون وترعرع في هذا المجتمع البربري يضطرم بمشاعره وتقاليد وذكرياته • ونشأت فيه أسرته قبل ذلك بمائة عام ونعمت برعاية الموحدين البرابرة وتقلبت في نعيمه فليس غريبا بعد ذلك أن نسمع منه أشد الاحكام وأقساها على العرب (ص II3 - II4 من نفس المصدر) • ويبين الاستاذ عنان بأن ابن خلدون لسان حال البرابرة ولهذا السبب فان ابن خلدون ينطق هنا بلسان الوطن البربري الذي غزاه العرب وأثخنوا فيه مدى أحقاب وبسطوا عليه سلطانهم الديني والسياسي • ولبت عصورا يقاتل في سبيل حرياته واستقلاله (ص II4 من نفس المصدر) • ان الاستاذ عنان يظهر لنا مغزاه الحقيقي - حسب برأيه - والانتقادات التي وجهها لابن خلدون انما هي انتقادات مبنية على مفاهيم عرقية أي هناك عرق عربي مداس وداسه بربري • ومن ذلك فان هجوم الاستاذ عنان موجه للبربر وعلى رأسهم ابن خلدون • ويبين لنا مرة أخرى الاستاذ عنان انحياز ابن خلدون للبربر حين يفرغ فصلا خاصا للحديث عن خلال البربر • ولم يعقد فصلا للتحدث عن خلال أمة من الأمم الاخرى (فهو هنا ينم عن هواء خاص ونعرة بربرية واضحة ومن ذلك ما يفسر لنا صرامته من الحملة على العرب غزاة افريقيا المتغلبين عليها • • • • • ص II4 من نفس المصدر) وأحمد أمين نفسه وقع في هذه الازمة غير انه يختلف عن الآخرين ورأى بأن ابن خلدون وقع في تناقض وذلك لانه لم يحدد مفهوم كلمة «عرب» (في كتابه ظهور الاسلام ص 293 - 294) وتحاشى أن يظهر ابن خلدون بمظهر المتعصب الناقذ الحاقد على العرب • ويرى «غوتيه» في كتابه ماضي شمال افريقيا حين يذكر قول ابن خلدون ليعزز آراءه الهدامة :

ابن خلدون في اطلاق هذه الاحكام العارية من كل مجاملة ؟ وما هي التعليقات التي يوردها لبيان أسباب هذا النوع من الطبايع والاخلاق ؟

ان ابن خلدون بعيد جدا عن الحديث العاطفي لانه لا يدلى بحكم الا ويعلله بعلم جغرافية واقتصادية وتاريخية .

اننا نجد ابن خلدون وكأنه يقول : ان كل شعب أو مجتمع احييت به مثل هذه الظروف ، أو كانت حالته على هذا المنوال الا وكانت طباعه على مثل ما كان عليه العرب . ان ابن خلدون جعل من كلمة عرب معنى ومرحلة من مراحل الاجتماع البشري أي البداوة والتوحش - والتوحش هنا لا يعنى معنى اخلاقيا وانما حالة طبيعية أى لا دخل لحكم القيمة في ذلك - وهي المرحلة الاولى لتكوين المجتمعات وسيرها في طريق الحضارة . وان اصل الحضارة نفسها انما هي البداوة . ففي هذه المرحلة التي عليها العرب تنسب لهم كل النقائص التي تنسب الى مرحلة بدائية بالنسبة الى مرحلة اكمل منها . انه لم يتحدث عن العرب بوصفهم جنسا من اجناس البشر - وان هذه هي خاصته وسيبقى كذلك كما يدعى بعض المتعصبين الغربيين - ولكنهم بوصفهم سكان منطقة جغرافية معينة ، وحالة اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة ، سواء كان سكانها جنسا من العرب أو من الترك أو من الصقالبة . انه يستعمل كلمة «عرب» كأنها مرادفة لمعنى من المعاني الاجتماعية ، وليست اسما لجنس من اجناس البشر ، وهو نفسه يوضح ذلك بقوله : «ومن كان في معناه» .

ولنعد الى النصوص ونأمل ما قاله في هذا الصدد ، ونتتبع تعليقاته لتبين هل كانت دراسته مبنية على عاطفة أم هو حكم نتيجة لبحث علمي دقيق .

(ان ابن خلدون مولع باستطلاع الامور فما اغرب هذه الخصلة الغربية من امرى مسلم - ص 101) ويضيف (هل نفرض ان رياحا من رياح نهضتنا الغربية قد هبت عبر الاندلس حتى نزلت على روح ابن خلدون الشرقية - ص 96) أى ان ابن خلدون ككل العرب لا يمكن «لطبيعته» ان يفكر تفكيرا موضوعيا سليما .

هذا سرد لأهم الآراء التي قيلت في هذا الصدد عن ابن خلدون وقبل أن نرد عليها علينا أن نعود الى آراء ابن خلدون نفسها . ونسأل : ما موقف ابن خلدون من كل ذلك ؟ وهل حقا يظهر كراهية للعرب وهو العربى النسب وهل فضل البرابر على العرب ؟

فلنسرد آراءه التي أدلى بها في ما يخص كلمة عرب ولنتابع مفاهيمها ، وفي أى نطاق ذكرت ليتضح لنا مفهومها الحقيقي .

في الباب الثاني من المقدمة نجده يعقد أربعة فصول (25 - 26 - 27 - 28 - أى من صفحة 260 - 269) لدراسة هذه الكلمة وهي : في ان العرب لا يتقلبون الا على البسائط . وفصل في ان العرب اذا تقلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب . وفصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم . وفصل في ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك . ثم يعود ابن خلدون في الباب الخامس من المقدمة ويعقد فصلا وهو (الحادى والعشرون) ليتكلم مرة ثانية على العرب بقوله : في ان العرب ابعد الناس عن الصنائع .

هذه هي الفصول التي يقرر فيها حكمه . وقد ذكر في مقدمته وفي تاريخه كلمة «عرب» في مواطن ومعاني مختلفة ٥ والسؤال الهام الذى نطرحه هنا هو : ما هي الادلة التي استند عليها

يقول ابن خلدون في الفصل الحادى عشر ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط ، وذلك لانهم بطبيعة التوحش الذى فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مقابلة ولا ركوب خطر ، ويفرون الى منتجعهم بالقفر (4) .

ان هذا الوصف وصف حقيقى لحالة طبيعة التوحش - التسلط على اسهل الاشياء واخذ ما امكن اخذه - وهذه الاغارات معروفة فى كتب التاريخ أى هناك قبيلة تفسر على أخرى وان الاغارات كانت تأخذ أسهل هدف لان الضحية لا بد أن تكون سهلة الوصول وأوهن قوة من القبيلة المغيرة لكى يتمكن من مغالبتها وارضاعها ويقول ابن خلدون فى نفس الفصل (فكل معقل أو مستعصب عليها فهم تاركوه الى ما يسهل عنه ولا يعرضون له) واما البسائط متى اقتدروا عليها لفقدان الحماية وضعف الدولة فهى نهب لهم وطعمة لآكلهم) .

اما اذا انتقلنا الى فصل آخر ، ولعله الفصل الذى أثار الحمية العرقية عند الناقدين العرب هو الفصل الذى يقول فيه (ان العرب اذا تغلبوا على اوطان أسرع اليها الخراب) واما البرهنة التى يقدمها على هذا الحكم فهى : ان السبب فى ذلك انهم أمة وحشية ، وباستحكام التوحش واسبابه فيهم صار لهم خلقا وجيلة ، وكان عندهم الفسا لما فيه من الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة . هذا الحكم هو وصف للحالة الطبيعية للتوحش ، المقابل للتجمع أو التمدن . وهذا الوصف فى الحقيقة ليس خاصا بالعرب ، وانما يمكن أن يطبق على كل الشعوب فى هذه الحالة أو فى هذا الطور، والتوحش حالة طبيعية يعيشها الكائن الحي انسانا كان أو حيوانا عيشة منفردة ومنعزلة وبعيدة عن العمران والتنظيم . ان هذا الكائن الحى الذى تعرض لشظف العيش، والجفاف

والرمال لا بد أن تكون طباعه على هذه الحالة ، وذلك لعدم توفر انظمة تقهره وتوقفه عند حده . ويضيف ابن خلدون فى نفس الفصل شرحا وتعليقا (فغاية العادية كلها عندهم الرحلة والتغلب وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له) ، أى ان السر هنا فى الترحال وعدم الاستقرار اذ ان المدنية تتبع حتما السكون أما الترحال فغاياته مؤقتة ، يأخذ ما قدر عليه ، ويستغل الثمين والخسيس لحل أزمة مؤقتة .

ويعقد فصلا آخر - وهو الفصل الحادى والعشرون من الباب الخامس (ص720) - للحديث مرة أخرى عن العرب ويرى بأنهم ابعد الناس عن الصنائع . انه لا يعطى ذلك بقلة الذكاء او تأخرهم العقل كما يفعل «رينان» وانما يعطى ذلك بأسباب منها : انهم اعرق فى البدو ، وابتعد عن العمران الحضري وما يدعو اليه من الصنائع - أى انهم فى مرحلة أقل من مرحلة الصنائع - وهى مرحلة البداوة - ولكى تتبين لنا فكرته - اللاعرقية - أكثر فهو يعطى امثلة لأجناس أخرى فى نفس الفصل (وعجم المغرب من البربر مثل العرب فى ذلك لرسوخهم فى البداوة منذ احقاب من السنين) واذا قال بانهم ابعد الناس عن العلوم علل ذلك بأن العلوم محتاجة الى التعليم وهو مندرج فى جملة الصنائع . والصنائع لا تكون الا فى المدن أى فى مرحلة الاستقرار ونشوء الحضارة

ثم نتقل بعد ان ذكرنا الاغارات ونتائجها التى هى من صفات التوحش ومن المتطلبات الاقتصادية - أى المعاشية - وفقدان الصنائع والعلوم فى هذه المرحلة لنفس الاسباب ، لنصل الى مرتبة تأسيس الملك . فكيف يكون ؟ أو ما هى الاسباب التى تمكن العرب من تكوين الملك وتسييره ؟ ان ابن خلدون يرى بأن العرب لا يحصل الملك لها الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو اثر عظيم

التعصب والتحزب وكيف يكون كذلك وقد أدلى برأيه في التاريخ اذ يرى بأن التحزب والتشيع مفسد لرواية الاخبار وصحتها ، ومفسد للعلم نفسه .

أما اقتصاره على دراسة المغرب . وهذا رد على الاستاذ عبد الله عنان - فهذا ما يخبرنا عنه ابن خلدون نفسه موضحا ذلك (وانا ذاكر في كتابي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي اما صريحا ومندرجا في اخباره وتنميحا لاختصاص قصدي من التأليف بالمغرب وأحوال اجياله وامه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الاقطار) لماذا ؟ (لعلم اطلاع على احوال المشرق وامه واما الاخبار المتناقلة لا توفي كنه ما اريده منه فالمسعودي انما استوفى ذلك ابعد رحلته...) هنا تظهر لنا طريقته العلمية لا التعصبية او التشيعية وهي قيمة المشاهدة وتقلبه في البلاد وهذا ما يسميه علماء الاجتماع بالممارسة والمشاركة كما ذكر في كتابه مع انه لما ذكر المغرب قصد في استيفاء احواله . - 6 -

ان هذا اللفظ الصريح ليس تعصبا للبربر ، ولا تعصبا على العرب وانما النزاهة العلمية تقتضي ذلك ، وابن خلدون الذي نقد اسلافه كيف يمكنه ان يرتد عن رايه الاول وان يخالف ما اوصى به ، ولذا نجده يتحاشى الكلام عن ظاهرة يجهلها ، او عن اخبار لم تمكنه الظروف من تصحيحها وتحيصها واما ذكره للمغرب فلانه شاهد تقلباته واحواله وفهم بذلك كل ما يدور به من بنيات اقتصادية واجتماعية وسياسية .

ان دراسته للعرب انما هي دراسة وتحليل اجتماعي لمرحلة من مراحل التجمع البشري . انه وصف وتعليل لكل النشاطات والسلوكات واطهار للعلل . وبذلك نعد دراسته دراسة علمية موضوعية لا دخل للحكم الاخلاقي او العاطفي فيها .

من الدين عن الجحلة . فيما ذا يعلل ذلك ؟ يرى ابن خلدون ان السبب في ذلك انهم لخلق التوحش الذي فيهم أصعب أمة انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظة والانفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة . فقل ما تجتمع أهواؤهم . فاذا كان الدين بالنبوة او بالولاية كان الوازع لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة الوازع عن التحاسد والتنافس . . اي ان الدين عنصر لتغييرهم من حالة التوحش والانعزال الى حالة قابلة للاجتماع والتمدن .

ولنا أن نتساءل أخيرا هل ذكر ابن خلدون نقائص العرب فقط أم ذكر فضائلهم مقابل ذلك ؟ - وهي الفضائل الموجودة عندهم وفي حالة التوحش - وذلك ليتبين لنا اذا كان منصفاً أم متحيزاً ، اذا كان يحكم احكاما عقلية أم عاطفية ؟ اننا نجد ابن خلدون يقرر في الفصل نفسه الذي يتكلم فيه عن النقائص في حالة التوحش يبين كذلك الجانب الايجابي فيها (وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق الا ما كان من خلق التوحش القريب المعاناة المتهى . لقبول الخير (. . .) - 5 -

نجد ابن خلدون في هذه الفترة يلتقي مع «روسو» الذي يرى : بان الحالة الوحشية هي الحالة الطبيعية والمرحلة الاولى للانسانية .

هذه هي الآراء التي أدلى بها ابن خلدون والتي أدت الى كثير من الفهم الخاطيء ، لقد درس ابن خلدون وضعية اجتماعية دراسة موضوعية ، ووصف مرحلة من مراحل البشرية في حالة تجمعها وذكر الحقائق التي تتسم بها هذه الظاهرة من نقائص وفضائل . ان ابن خلدون أبعد الناس عن



مبالغة في القدرة والقوة والمهارة وهي أحيانا
امعان في الضعف والتخلف والتأخر . وهذا ما
يبين لنا بأن الانسان يدرك دائما ان هناك انماطا
معاشية أخرى ممكنة ، وهذه التحركات والاغارات
من الوسائل المغيرة لنمط الحياة البدوية ، أو
حياة الترحال .

**واما الدرس الذى يمكن ان نستخلص من هذه
الفصول فهو ان ابن خلدون وصف حالة اجتماعية
في طور من أطوارها . ان هذه الدراسة الموضوعية
ستعيننا على تفهم المجتمع البدوى في هذه
البلاد في أيامنا هذه على الرغم من تعاقب الاجيال
فان الحالة الاجتماعية في هذا العصر مضاهية
في كثير من الاوجه للحالة الاجتماعية في عصر
ابن خلدون . وان الحركية - أو الصراع -
ما زال قائما بين طبقتين : البدوية والحضرية .**

ان كلمة عرب تعنى معنى لمجتمع في الحالة
الطبيعية المتوحشة . ونجد ابن خلدون في هذا
الصدد يقدم صورة حية للحياة المجتمعية في جميع
ابعادها . انه يصفها من الداخل حين يكلمنا عن
حياتهم الاقتصادية والنفسية والعلاقات الاجتماعية
كل ذلك وهو مجتهد من الذاتية . ونجده في دراسته
يراعى العامل الحركى لان المجتمع في تحرك دائم
وهذا ما يذكرنا بموقف المدرسة الاجتماعية
المعاصرة المختصة بالمجتمعات البدائية ويمثلها
- ليفي برونل - ومن ذلك يبدو لنا جليا بأن كل
مجتمع لا يكتفى بما اجتمعت له من وسائل المعاش
دون ان يمتد بصره الى ما وراء ذلك من امكانيات
حضارية أخرى . وقد مرت الشعوب حتى فسى
بدايتها ان تتصور عوالم أخرى خارج عالمها
الضيق في صور شديدة الاختلاف ، فهي أحيانا

مراجع خاصة :

- 1 - الاستاذ ساطع الحصرى يورد الرد على هذه الآراء في كتابه : دراسات في
مقدمة ابن خلدون . ويدافع عن ابن خلدون ليثبت عروبتة غير اننا نتفق معه في بعض
آراء أخرى اذ غايتنا ليست اثبات عروبتة وانما تتبع طريقته العلمية .
- 2 - الدكتور طه حسين : دراسة نقدية وتحليلية للفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون
- 3 - عبد الله عنان : ابن خلدون حياته وثوراته الفكرية
- 4 - المقدمة (ط لبنان دار الكتاب ص 261)
- 5 - المقدمة (ط لبنان دار الكتاب ص 266)
- 6 - المقدمة (ط لبنان دار الكتاب ص 530 - 540)



الأندلس

تاريخ اسم وطوره

مع اول جماعة من المسلمين
وطئت اقدامها الشاطئ الجنوبي
من مضيق جبل طارق ، تهيأ
التاريخ لمرحلة اخرى في سيره:
افريقية تفتح اوربا، وفي جانب
منها لاتيني وكاثوليكي ،
يستقر الاسلام ، وتغلو كلمة
الله ، وتتخذ العربية لسانا ،
وعلى سطح الجزيرة الايبيرية
تتعاش اجناس من البشر
واللغات والعقائد ، ويظل
الاسلام ييسره ويسماحته
ومساواته الناس جميعا .

د. الطاهر
أحمدكي



لم يعد الملوك مرده جبارين ، متعتهم القهر ،
ومسهم الاذلال ، ولم يعد المستعبدون في
الأرض رقيقا، يصنعون الرفاهية دون أن يشاركوا
فيها ، ويصوغون الحياة دون أن يأخذوا بحظ
منها ، وأقام دون الامس ، وما هو غير صالح
من عاداته وتقاليده ونظمه ، حجباً كثافاً وأستارا
صفاقا ، ليواجه المجتمع الجديد مستقبلا أكثر
تفاؤلا ، وأخف أثقالا . وكان من بين الجديد الذي
جاء به ، اسم جديد لشبه الجزيرة لم تعرفه من
قبل ، وما زال حتى أيامنا هذه يثير من حين لآخر
شيئا من الفضول العلمي ، لاستكنائه أصله ،
والتوصل الى مصدر اشتقاقه ، ورغم كل ما كتب
عنه ، وبخاصة في دراسات المستشرقين ، فإن
تفسيرنا له ، مجرد ظن مصدره التبصر ، وليس
حقيقة تقطع بها الوثائق ، وتدعمها الشواهد ،
ونجد لها بين مصادر التاريخ دليلا .

كان المسلمون الفاتحون أول من أطلق اسم
الاندلس على هذا الجانب من الأرض ، أما قبل
ذلك فعرفت اسمين مختلفين : أطلق عليها الاغريق
لفظ ايبيريا IBERIA الى جانب أسماء أخرى
ذات طابع اقليمي . وهو اسم كان في البدء يعني
شواطئ شبه الجزيرة التي تطل على البحر الابيض
المتوسط ، الجنوبية والشرقية ، ثم توسع في
استعمالها حتى شمل شبه الجزيرة كلها ، ونجد
اللفظ مستخدما لأول مرة في مؤلفات HECARTEE
DE MILET وهو اغريقي ، مؤرخ وجغرافي ،
عاش في القرن السادس قبل الميلاد . وهي
حقيقة لم يغفل عنها الجغرافيون العرب القدامى ،
يقول الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله
ابن عبد المنعم ، المتوفى عام 866 هـ ، في كتابه
«الروض المعطار في خبر الاقطار» (ص 2 طبعة
القاهرة 1927) ، وهو يتحدث عن الاندلس ، وقيل
اسمها في القديم اباريه . IBERIA

والاسم الثاني ، وأطلقه الاغريق أيضا ، أو على
الاقل أول ما نثر عليه نجده في كتاباتهم ، فهو
ISPANIA ولو أن أصل الكلمة يجب أن
تبحث عنه في لغة قوم هم أقدم من اليونان ،
والكاتب BOCHART يرى في كتابه «الجغرافية
المقدسة» وصدر في مدريد عام 1712 ، أن الاسم
مشتق من الكلمة الفينيقية SPAN بمعنى
بلاد الارانب ، لان شبه الجزيرة كان غنيا بهذا
النوع من الحيوان . واحدى العملات القديمة التي
وصلتنا من عصر ADRIANO تمثل اسبانيا
في شكل أم جالسة بين قدميها ارنب ، وهو تفسير
يرفضه الباحثون المعاصرون دون أن يقدموا له
بديلا . نعم ، هناك من يرى أن الكلمة ربما كانت
من أصل سلتى ، وأن أصلها في هذه اللغة هو
نفس أصل الكلمة الالمانية SPANN ومعناها
قدم ، ولكنه افتراض أبعد عن التصور من افتراض
الأصل الفينيقي ، وقد استخدم اليونان شكلا ثانيا
للكلمة وهو SPANIA ، وربما كان الكاتب
الاغريقي ARTEMADORO هو أول من استخدمها .

أما الرومان فقد استخدموا الكلمة اليونانية
ISPANIA بعد أن زادوا عليها حرف H في
البدء فأصبحت HISPANIA وأول من استخدمها
مكتوبة بهذا الشكل الشاعر الروماني TITO LIVIO
وعاش من 59 ق م الى 17 ق م ، واستخدم الشاعر
لها ، يعنى أنها كانت معروفة بين الناس قبل هذا
التاريخ ، وقد استخدموا اللفظة الأخرى SPANIA
استخدما قليلا ، ومن هذه الأخيرة اشتقت لفظة
اسبانيا ESPANA الحديثة . ويشير الحميري
أيضا الى هذه الحقيقة فيقول ان «اسم الاندلس في
اللغة اليونانية اشبانيا» .

أما كلمة هيبيريا HESPERIA ، وترد أحيانا
في بعض المصادر الاغريقية مراد بها شبه الجزيرة
نفسها ، فانها ليست مختصة باسبانيا ، وانما

وهو خلاف لا تترتب عليه أية نتائج عملية ، لان
المواضع الثلاثة تكاد تكون متصلة .

ووفقا لهذه النظرية ، فان الفاتحين المسلمين
من العرب والبربر ، أطلقوا اسم الاقليم او
المدينة ، التي هبطوا فيها لأول مرة على شبه
الجزيرة كلها ، بل وعلى ما دان لهم من ولايات في
جنوب فرنسا ، مثل سبتمانيا SEPTIMANIE

ونربون NARBONNE .

هذا التدرج في التسمية تدعمه رواية للحميري
يقول فيها : ان شبه الجزيرة في القديم كان
يسمى أبييريا ، ثم سميت بعد ذلك باطقة

BETICA ، ثم سميت اشبانيا ، اسم
رجل ملكها في القديم ، او الاشبان الذين ملكوها
في الاول من الزمان ، ثم أطلق عليها الاندلس ،
أخذا من اسم الاندليش الذين سكنوها . لكن
الرواية العربية ، وهي بازاء تسمية غامضة تحاول
أن تجد لها تفسيرا ، لا تقف عند التاريخ الخالص
وحده وانما تضرب في ببداء الاسطورة على غير
هدى ، والحق أن أكثر ما نجد ذلك في كتب
التاريخ ، وأقل ما نجده عند الجغرافيين .

فهى سميت بالاندلس ، لان أول من سكنها
الاندلس بن طوبال بن يافث بن نوح ، أو الاندلس
بن يافث مباشرة دون عبور بطوبال . ولتتعادل
الحكاية ، وتجد لها من قلوب الناس مكانا ، وان
لم يكن لها من عقول المفكرين نصيب ، فان سبت
بن يافث ، أخو الاندلس بن يافث ، عبر المضيق
ونزل بالعدوة بالمقابلة للاندلس ، وحط رحاله
في مكان نسب اليه ، وحملت المدينة التي نزلها
اسمه ، فكانت مدينة سبتة CEUTA ، وما
تزال قائمة عامرة حتى أيامنا هذه .

وتضطرب الاسطورة فتجعل اسم الاندلس
سابقا لاسم اسبانيا ، وتجعل من الاخير اسم

نعنى ، في اللغة الشاعرية ، كل الاراضى التى
تقع غربا على شاطئ البحر الابيض المتوسط .

لم يعرف العرب قبل الفتح كلمة الاندلس
وبتعبير يافوت ، في معجم البلدان : «هى كلمة
اعجمية لم تستعملها العرب في القديم ، وانما عرفت
العرب فى الاسلام» ، وباستثناء الاشارات العارضة
والنادرة الواردة فى كتب الرحالة والمؤرخين
والجغرافيين الاندلسيين ، فان المصادر العربية
لا تعرف أيضا كلمة «اسبانيا» ، ولا تتحدث عنها .
والمؤلفون العرب عدا قلة يقولون «بلاد الاندلس»
فمن أين أخذ العرب هذا الاسم ؟ .

* * *

كان المستشرق الهلندى رينهاردت دوزى R. DOZY
المتوفى عام 1883 ، أول من طرح مشكلة
الاسم ، وحاول أن يجد لها تفسيراً علمياً ، وهو
نفس التفسير الذى قبله سيبولد C. F. SEYBOLD
محرر مادة أندلس فى دائرة المعارف الاسلامية
وتوسع فيه شيئا كلاهما يرى انه مشتق
من كلمة WANDALUCIA ، وهى صيغة ربما
أطلقت على إقليم باطقة BETICA الذى احتله
الوندال قريبا من عشرين سنة . من 411 م الى 429
ويشمل منطقة واسعة فى الجنوب الشرقى لشبه
الجزيرة ، يخترقها نهر الوادى الكبير . وربما
أطلق أيضا على ثغر TRADUCTA الذى عبر
منه الوندال فى طريقهم الى أفريقيا . ويظن ان
موقعه هو ما يطلق عليه حاليا الجزيرة الخضراء .
ALJECIRAS . بينما تشير الروايات العربية
الى أن موقعة هونفس المكان الذى حط فيه طريف
رحاله مستطلعا ، والذى حمل اسمه الى الابد ،
فعرف باسم جزيرة TARIFA ، غير أن
تحديد الموضع بالدقة ، هل هو مدينة الجزيرة
الخضراء ، أو جزيرة طريف ، أو الصخرة التى
حملت اسم طارق بن زياد ، ما زال موضع خلاف



ملك اجتاح الاندلس وملكها وعمرها ، اسمه اشبان بن طيطش ، ولا يجد القاص معنى لكلمة اشبان ، فيوشيهيا بشىء من التوابل ، تجعلها ذات فكهة ومذاق ، فيضيف اليها : وذكر بعضهم أن اسمه اصبهان ، لان مولده كان بها ، وانه احتحل في لسان العجم فاصبح اشبان . وهو استنتاج ذكى تدعمه قوانين اللغات ، فالهاء حرف غير منطوق في اللغات اللاتينية ، والسين والشين والصاد من مخرج متقارب ، ويحل أحدهما مكان الآخر ، ولما كانت اللاتينية ، وبالتالي الاسبانية لا تعرف حرفا لصوت الصاد ، فهي تستعيز عنه عند نقل كلمة اجنبية اليها تضم ذلك الصوت ، بأقرب الحروف اليه مخرجا ، فكانت السين أو الشين . غير أن هذه الاشارة وان اتسمت بالذكا ، يبعدها عن الواقع ، أن التاريخ يقف منها في الحانب المقابل ، ان اسم اسبانيا أقدم بكثير من مجيء اصبهان الى الحياة .

ويمضي المقرئ في نفع الطيب مع الاسطورة الى نهايتها ، ورواية عن ابن حيان في المقتبس ، يزيد فيقول : وذكر رواية العجم أن الخضر عليه السلام وقف على اشبان المذكور وهو يحترق الارض ، فخاطبه ، ودعا له ، وبشره ، في حديث مسجوع مصنوع ، أشبه بسجع الكهان ولئن كان الخضر في عالم الاساطير يتحدث بكل اللغات فلم يقل لنا الراوى بأياها تحدث الى هذا الشيخ اشبان !

ومع اشبان هذا تستطيع أن تمضي لحظات ممتعة عبر خيال خصيب ، فهو أحد الذين ملكوا أقطار الدنيا ، فيما زعموا - والاحتراز من المقرئ ! استوت له الاندلس بأسرها ، ودان له من فيها واتخذ اشبيلية دار مملكته واستغلظ سلطانه في الارض ، وكثرت جموعه فعظم عتوه ، وغزا ايليا ، وهي بيت المقدس الشريف ، بعد سنتين من ملكه ، خرج اليها من اشبيلية في السفن ، فغنمها وهدمها ، وقتل فيها من اليهود مائة ألف واسترق مائة ألف ، ونقل رخام ايليا وآلاتها الى الاندلس .

لقد أورد المقرئ في الجزء الاول من تاريخه فبضا من هذه الروايات ، وليست كلها صنعة قاص ، وانما فيها تاريخ حقيقي وكثير ، مضطرب نعم ، ومتداخل دون شك ، ولكنه مادة خصبة لفترة تفتقد المؤرخ والتاريخ واشارة المقرئ ، منسوبة الى ابن حيان ، الى أنه كان ينقل عن رواية العجم ، صحيحة الى حد كبير ، بل ويخيل الى أن أن المؤرخين الاندلسيين عاشوا على هذه الروايات ، يلتقطونها من أفواه عامة المستعربين في الاندلس ، أو العجم بتعبير ابن حيان ، وهي روايات يتناقلونها شفاه ، وهذا التداول الشفوي هو مصدر هذا الخلط والاضطراب . لقد وجد ابن حيان ، شيخ مؤرخي الاندلس دون منازع ، ان هذه الاخبار لا تستقيم مع موازينه في الرواية ولا منهجه في الاداء ، غير أنها سبيله الوحيد الى معرفة شيء عن تاريخ الاندلس القديم ، فأوردها واعتذر لنفسه . والحق أن هذه الاساطير لا تختص بها المؤلفات العربية ، رغم ايهام بعض المستشرقين بذلك ، وانما نجدها في المؤلفات الاسبانية المسيحية التي كتبت باللغة اللاتينية نجدها في «مدونة تاريخ اسبانيا العام» التي أمر الفونسو العاشر الملقب بالحكيم بكتابتها ، تاليفا في جانب منها ، ونقلا عن العربية في جوانب أخرى ، في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي وفي مؤلفات Rodrigo Jiménez de Rada

مطران طليطلة ، وعاش في النصف الاول من القرن الثالث عشر ، وفي مؤلفات أخرى كتبت باللغة اللاتينية خلال هذا القرن أو بعده . وتعكس قصة غزو بيت المقدس وقتل اليهود وأسرهم طابع الصراع العنيف الذي كان قائما بين اليهود والاسبان الكاثوليك في الاندلس ، قبل مجيء المسلمين ، وخلال حكمهم ، وبعد سقوط دولة الاسلام هناك .

مهما يكن من أمر فقد انتشر اسم الاندلس سريعا بعد الفتح الاسلامي ، وشاع استخدامه في كتب التاريخ والجغرافية والرحلات والوثائق ، ومعا من المدونات



بها ، التي قامت في الشمال ، وتكونت في وقت مبكر على الطرف النائي لشبه الجزيرة ، على أرض لم تتأصل فيها الحضارة الإسلامية يوما ، وان مل بها المسلمون من حين لآخر غازين أو عابرين ، أو ملاحقين لجيوش المسيحيين ، ومن ثم لم يرها المؤرخون الاول جزءا من الاندلس الاسلامي ، وبين المصادر المتأخرة حين اتسعت هذه الدول ، وقوى شأنها ، على حساب الاندلس الاسلامي ، فضمت اليها مدنا ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية ونفقت سوق الادب ، وعمرت بالمدارس والمساجد ، وشغلت عقول الناس ، واحتلت من قلوبهم مكانا ، مثل طليطلة وشنترين وبلنسية ، وسرقطة ، ثم اشبيلية وقرطبة ومرسية أخيرا ، فاعتبروها أندلسا ، وان كانت في يد المسيحيين .

يقول ابن سعيد : «وأعظم الملوك الذين توارثوا المملكة عند النصارى بالاندلس وقسموا بلادها أربعة : أذفونش ، وهو مالك فشتالة ، وهي أعمال في جهة طليطلة إلى البحر المحيط ، كانت قاعدتها قبل أن تصير لهم طليطلة مدينة غليسية (I) ، وهي على البحر المحيط . ثم البرجلوني وهو ملك شرق الاندلس ، ويقال لمملكته أرغون ، لانه كان في مدينة أرغون حتى ملك طرطوشة وبرجلونة (برشلونة) وغيرها . ثم البيجوج وهو في بلاد الشمال مجاور لبطليوس ، قاعدته ليون . ثم ابن الريق ، وهو ملك جليقية ، وهي في الشمال والغرب من الاندلس ، كانت قاعدته مدينة شانت ياقوه ، وهي عظيمة الى نهاية ، فيها معدن الذهب ، وقد صارت له أشبونة وغيرها من بلاد الاسلام (2) » .

بقي أن أشير إلى أن المؤرخين المسلمين ، فيما قرأت ، لم يطلقوا أبدا اسم اسبانيا على الاندلس الاسلامي ، ولا على ما تبقى منه في يد الكاثوليك ، أو استولوا عليه عنوة فيما بعد من المسلمين . كذلك فإن المدونات الكاثوليكية ، وهي متأخرة وقليلة ، وكما سجلها رجال الدين في اللغة اللاتينية ، لا تطلق على الجانب الاسلامي اسم الاندلس الا نادرا ، وانما تتحدث فقط عن العرب والمسلمين . ويرى سيبولد SEYBOLD

وذوكر الناس كلمة اسبانيا محووا تاما ، تحت أية صورة ، وفي البدء ، وكانت دولة الاسلام تشمل كل شبه الجزيرة الايبيرية تقريبا ، وجانباً من جنوب فرنسا ، كان لفظ الاندلس يطلق عليها جميعا . غير أن الامر لم يستمر على هذا النحو طويلا ، فقد انحسر سلطان المسلمين سريعا عن جنوب فرنسا ، ومنذ القرن العاشر بدأت حركة المقاومة الكاثوليكية تشتد في الشمال من الاندلس وتجد من البابا وبقية العالم الكاثوليكي عوناً وتشجيعاً ، دون أن تأخذ في أي من أطوارها معنى قويا ، وبدأت الدولة الإسلامية تتآكل شيئا فشيئا ، حتى انحسرت في القرن الثالث عشر داخل اقليم ضيق ممتد من ساحل جبل طارق حتى المرية ، ويمتد داخلا حتى سلسلة جبال رندة وجبال البيرة ، ويرى معظم الباحثين المحدثين ، وجلهم من الاسبان والمستشرقين أن اسم الاندلس كان مرتبطا بالدولة الإسلامية وحدها ، مهما كان امتدادها ، يتسلسل معها ويضيق بانكماشها . ويجد هذا الرأي سنداً في أن المدونات الإسلامية درجت على أن تطلق على الدويلات المسيحية المختلفة التي قامت في الشمال أسماء مختلفة ، غالبا ما تكون اسم المقاطعة التي يملكها الحاكم مثل : نبرة وأرجون وقشتالة و أشتورياش والبرتقال ، وتسميهم بالروم أحيانا وبالنصارى أحيانا أخرى .

وهو رأي لا يقبل على إطلاقه ، ذلك أننا نجد على بن موسى من بنى سعيد ، والمتوفى عام 673 هـ ، ومكمل تصنيف كتاب «المغرب في حلل المغرب» ، يضمن الكتاب جزءا خص به الاندلس المسيحي ، وأسماء وكتاب لحظة المريب فيما بقي من جزيرة الاندلس لعباد الصليب ، أي أنه يمتد بالتسمية فيجعلها تشمل تلك الدويلات المسيحية التي تكونت على حساب الدولة الإسلامية ، وانتزعت منها عدد من المدن الكبرى والهامة .

وفيما أرى يجب التفرقة بين المصادر العربية الاولى حين تشير إلى هذه الدويلات ، أو الشبهية

1 - هكذا في الاصل وتحتاج هذه الفقرة إلى تصحيح ، لأن عاصمة قشتالة قبل أن تستولى على طليطلة ، كانت في مدينة برغش وهي وسط المملكة ، وبعيدة عن البحر المحيط تاما وعلانية هي صورة عربية أخرى للفظ جليقية اسم مقاطعة في الشمال الغربي — 2 - بنو سعيد ، المغرب في حلل المغرب ، ج 2 ص 473 الطبعة الثانية ، تحقيق الدكتور شوقي الفيف ، دار المعارف بالقاهرة - بلا تاريخ -



في دائرة المعارف الاسلامية ، مادة أندلس ،
 أن نصارى اسبانيا الشمالية كانوا يجهلون
 اسم الأندلس جهلا تاما ، وكانوا يطلقون على
 الجزر العربية الجنوبي الاسم القديم اسبانيا
 HISPANIA ، أو سبانيا SPANIA ، أما
 موطنهم الشمالي فاطلقوا عليه أسماء خاصة
 مثل : اشتورياش وليون وقشتالة وأرجون .
 وهي فكرة تحتاج الى إعادة تحرير . فالحق أن
 المسلمين هم الذين أطلقوا الاسماء الأخيرة على
 الدويلات المسيحية التي قامت في الشمال ،
 وهي تسمى دويلات تجوزا ، لأنها مجرد اقطاعات
 يقوم عليها اقطاعي ، فارس أو أمير أو نبيل ،
 وقد سبقت المدونات الاسلامية في ذلك أية
 مدونة مسيحية ، على نحو ما أشرنا اليه .

أما القول بأن نصارى الشمال كانوا يجهلون
 اسم الأندلس جهلا تاما فدعوى لا تحتاج الى
 فصل بيان . ذلك أنه ينبغي أن نفرق بين
 المعرفة والتدوين . لا أظن أن ملوك الشمال
 حين كانوا يهبطون قرطبة طلبا للعلاج عند كبار
 أطبائها ، أو الدارسون المسيحيون حين كانوا
 ينزلونها التماسا للعلم عند شيوخها ، كانوا
 يجهلون في عاصمة دولة تسمى الأندلس . ولا
 اعتقد أن المسيحيين الذين كانوا يعيشون
 المسلمين في دولتهم ، وعرفوا باسم المستعربين
 LOS MOZARABES ، لانهم اتخذوا العربية
 لسانا ، فتحدثوا بها ، وشعروا فيها ، ثم هاجروا
 الى الشمال يعملوا مترجمين أو خبراء ، أو
 ناقلين لما عرفوا من علوم ، كانوا يجهلون هم ،
 أو الذين يستخدمونهم ، انهم قادمون من عند
 الأندلسيين ، وانهم - رغم كاثوليكيتهم -
 يتكلمون لغتهم ، ويحتذون عاداتهم ، تقاليد
 وملبسا وأنماط حياة . وتجاهل للواقع أن
 المترجمين الذين عكفوا في طليطلة على امتداد
 القرنين الثالث عشر والرابع عشر على نقل
 التراث الاسلامي من العربية الى اللاتينية ، ثم
 الى القشتالية فيما بعد ، كانوا يجهلون أن شبه
 الجزيرة يسمى بلاد الأندلس ، أو الأندلس
 فحسب ، في مؤلفات المسلمين . وأما أن
 المسيحيين كانوا يسمونها اسبانيا ، فذلك
 قاصر على الكتب المدونة ، وكتابتها دون استثناء .

لغتهم اللاتينية ، وجلهم من رجال الدين ، وهم
 يحكم ثقافتهم الدينية واللغوية المحافظة ، ان لم
 نقل المتعصبة ، يتمسكون بالقديم ، ويقفون
 عند مفردات اللغة اللاتينية لا يتجاوزونها الى
 لفظ آخر لم تعرفه . وكانت اللاتينية تعرف
 لفظي HISPANIA و SPANIA وتجهل لفظ
 الأندلس ، لانه جديد مستحدث . وهم عند ما كانوا
 يستخدمون هذه التسمية كانوا يعنون بها شبه
 الجزيرة كله ، سواء في ذلك الاراضي الاسلامية
 أو التي في حوزة الكاثوليك . فاذا اتصل الامر
 بالمسلمين وحدهم سموهم : المسلمين LOS MOROS
 أو المحمديين ، أو الافريقيين ، أو العرب في
 القليل .

يوجد اسم «الأندلس» أو «بلاد الأندلس» في
 أقدم المصادر التاريخية والجغرافية التي لدينا ،
 وأقدمها يعود الى مطلع القرن التاسع ، أي أن بين
 الفتح الاسلامي وتدوين وقائعه فترة تبلغ المائة
 أنقص أو أزيد قليلا ، فهل جاء هذا الاسم مع
 التدوين ، أم عرفه المسلمون قبله؟ وفي أي عام؟
 لا توجد وثائق أو نصوص تعيننا على هذا
 التحديد ، غير اننا اذا لجأنا الى المسكوكات ،
 لا نجد الاسم في العملة التي ضربت أيام الفتح
 نفسه ، ويظن أن الذي أمر بسكها موسى بن
 نصير ، أيام أن كان محاصرا لمدينة ماردة
 ADIRAM وصنعت من ذهب متوسط الجودة .
 وأقدم ما نحفظ به منها دينار مثير يوجد في
 مكتبة باريس الوطنية ، ويعود الى عام 93 للهجرة
 الموافق 711 ميلادية ، على وجهه كتابة باللغة
 اللاتينية ، ويستخدم التاريخين الهجري والميلادي
 وهما يتطابقان أحيانا ويختلفان أحيانا أخرى ،
 وفي هذا الدينار نجدهما متوافقين ، وصورة
 الكتابة على الوجه الذي يحمل التاريخ جاءت على
 هذا النحو ANN XCIII H e INDCXI (1)
 وفي العام التالي ، 94 هـ = 712 م ، ضربت
 دنانير أخرى وصلنا عدد كبير منها ، وفي سنة
 95 هـ = 712 م ضرب نوعان آخران من الدنانير ،
 وهي أندر وجودا الآن من دنانير العام الذي سبقه
 وفي هذه الدنانير كلها استخدم العرب الاسم
 اللاتيني لشبه الجزيرة ، وهو كلمة اسبانيا :



لكن ذلك لا يعنى بأية حال أن استخدام المسلمين لهذا الاسم بدأ فى نفس العام ، لأن استخدام اسم فى عملية رسمية ، يعنى أن يكون الاسم المستخدم دائما وشائعا ومعروفا بين الناس ، ان لم يكن للجميع ، فللكثرة الغالبة التى ضرب لها على الأقل . وانا أرجح أن اسم «بلاد الاندلس» كان معروفا للكثرة الغالبة من المسلمين ، ليس بعد الفتح فحسب ، وانما عشيته أيضا ، وحتى قبله بزمان ، على نحو ما سنعرض له بعد قليل . أما عدم استخدامه فى الدنانير التى ضربها موسى ابن نصير ، فلانها لم تستخدم العربية اطلاقا ، وانما كانت تقليدا أميناً لدنانير لقيها فى افريقية ، تونس الحديثة ، جرى الناس على التعامل بها هناك منذ أيام هرقل ، ابان احتلال الرومان لقرطاجة .

ليس ثمة شك فى أن اسم الاندلس يرتبط على نحو ما بالوندال ، وهم قبائل جرمانية غازية ، هبطوا جنوب اسبانيا الشرقى لمدة قصيرة لا تتجاوز الثمانية عشر عاما ، من 411م 429 م ، فعاثوا فيه فسادا ، ودمروا فى طريقهم كل شيء ، ثم عبروا المضيق الى شمال افريقية فاستقروا فيه زمنا ، ولم يكونوا هنا بأحسن حالا مما كانوا عليه هناك ، وتركوا فى حياة الناس وذواكرهم أسوأ الاثر . فالذين اشتق منهم الاسم اذن معروفون للاسباب الذين فى شبه الجزيرة ، ومعروفون أكثر لسكان شمال افريقية ، وكان هؤلاء لا يعرفون عن الغزاة الجدد الا أنهم قادمون من وراء المضيق ، والارض التى قدموا منها هى بلاد الوندال .

ثم تفسير ساذج وكسول يقول ان العرب اشتقوا اسم الاندلس من كلمة VANDALOS ، أما كيف تم ذلك دون أن يخضع لاي قانون صوتى أو لغوى فلم يقف عنده أحد . واذا بحثنا الامر علميا ، وتأملناه مليا ، وجدنا اسم الوندال له صورتان ، واحدة جرمانية والاخرى لاتينية ، أما صورته الجرمانية فهى WANDAL ، والحرف الاول منها ينطق فى اللغة الالمانية واوا ، ومن ثم يجب أن ينطق جمعها فى العربية وندلس ، وانقلاب الواو همزة لا تعرفه العربية أبدا . واذا قيل ان العرب أخذوها عن الاسبانية فان نفس الكلمة يجب أن تكون فى الاسبانية GUANDALUZ

ويلحظ الدارس لهذه المسكوكات أن المسلمين اتبعوا فى كتابتهم لللاتينية نفس الطريقة التى يتبعونها فى اللغة العربية ، فكتبوا فرنسية الحروف الصامتة دون ان يتبعوها بالحركات ، مما يعنى أن كاتبها كان مسلما يعرف اللغة العربية ، وشيئا محدودا من اللغة اللاتينية .

ونفتقد بضد ذلك عملات جديدة ، الى أن يجيء الحر بن عبد الرحمن القيسى وأبنا على الاندلس ، فيأمر فى عام 98 هـ = 716 م بضرب عملة جديدة ، تحمل لأول مرة لغة مزدوجة ، النص اللاتينى على وجه ، وترجمته العربية على الوجه الآخر ، كلمات النص اللاتينى جاءت على الصورة التالية:

Feritus Solidus In Spania anno XCVII

ويقول النص العربى المقابل له : «ضرب هذا الدينار بالاندلس سنة ثمان وتسعين» . وهذا الدينار هو أقدم وثيقة بين أيدينا نجد فيها الاسم اللاتينى SPANIA مترجما الى اللفظ العربى «الاندلس» . وإلى جانب ذلك يشير هذا الدينار عددا من الملاحظات . فنجد ، على غير ما تعودنا فى العملات السابقة ، يحمل الكتابة اللاتينية كاملة ، بحروفها وحركاتها . ولو أن الرسم كتبوه على نحو ما رنت فى آذانهم الكلمات ، وليس كما تقتضيهما قواعد اللغة

واقصرت الكتابة على التاريخ الهجرى وحده ، سواء فى ذلك الوجه العربى أو اللاتينى ، وان ثمة فارقا بين التاريخين فى النص العربى والنص اللاتينى فالنص الاول يحمل تاريخ 98 هـ ، بينما يحمل الثانى تاريخ عام 97 هـ . واذا كان الفارق فى هذا الدينار لا يتجاوز العام ، فانه فى دنانير أخرى يتسع أحيانا حتى يبلغ ثلاث سنوات . وفى عدد منها نجد أخطا فى النص العربى ، مثلا نجد الجملة مكتوبة على النحو التالى : «سنة مان وتسعين» بدلا من ثمان ، و «ضرب هذا الدينار بالاند ثمان وسنة تسعين» ، وذلك يعنى ان صناعة لم يكونوا متمكنين لا من اللغة اللاتينية ولا من اللغة العربية ، أو بتعبير أدق ، لم يكونوا عربا من المشرق ، ولم يكونوا اسبانيا من أهل شبه الجزيرة ، وفيما يبدو لى كانوا بربرا من الذين دخلوا الاسلام حديثا ، وحظهم من كلتا اللغتين كان محدودا .

أول استخدام رسمى اذن لاسم «الاندلس» يعود الى عام 98 هـ ، أى بعد ستة أعوام من الفتح ،

الجر ، فاشتقوا منها اسما في حالة الرفع ، هو على قواعد لغتهم ، ودون استثناء ، يصبح **ANDALUS** أي ان كلمة **ANDALUS** تكون بالنسبة لكلمة **WANDALUS** ما تكونه كلمة **AMAN** البربرية مرفوعة ، بالنسبة الى **WAMAN** مجرورة ، وجاء العرب من المشرق فالتقطوها من أفواه البربر ، فهي اذن دخلت اللغة العربية عن طريق اللغة البربرية ، وليس من اللاتينية ، أو الجرمانية ، أو الاسبانية مباشرة . وهكذا يمكن حل المشكلة صوتيا وتاريخيا . ان غياب حرف من كلمة أندلس لا يمكن تفسيره الا في ضوء هذا الفهم .

لم يتلاش الاسم يسقط دولة الاسلام في الاندلس ، وانما بقي في اسبانيا الحديثة في صورة **ANDALUCIA** يطلق على ما يسميه أبناء سعيد في كتاب «المغرب في حل المغرب» موسطة الاندلس ، أي على المنطقة التي تشمل محافظات المرية وغرناطة ومالقة ، وجيان وقرطبة واشبيلية ، وقادس وولبة . وقبل ذلك عبرت التسمية مضيق جبل طارق مع ثلاثمائة أسرة قرطبية ، نفاها الحكم الاول خلال ثورة الربض الشهيرة ، فاتجهوا نحو فاس ، واستقروا فيها ، وأطلقوا على حيهم اسم الاندلس ، وعرفوا هم بالاندلسيين . كذلك أدت كثرة الوافدين من الاندلسيين على القاهرة ، في طريقهم للحج ، أو ينزلونها طلبا للعلم ، أو يستقرون بها عاملين ، إلى أن تكون لهم بالفسطاط أي القاهرة القديمة ، محلة يطلق عليها اسم الاندلس ، تضم رجة ومسجدا ومصل ، وضم إليها مع الزمن رباط للعجائز المنقطعات الصالحات ، وآخر للارامل العابدات ، وبستانا . ومنذ نهاية القرن الخامس عشر حمله معهم أولئك المسلمون الذين أكرهوا على الخروج من الاندلس بعد انتصار الكاثوليك هناك ، إلى الامكنة الاسلامية التي لاذوا بها في تونس أو الجزائر أو المغرب . وقبل ذلك وبعده ، بقي لفظ «الاندلس» في أعماق كافة المسلمين ، جوهرها مشعا ، يبعث التأمل والاعجاب ، ويحرك الشجي والندم ، ويشير إلى الحسرة على الدوام .

لان الاسبانية درجت على أن تحول حرف **W** الاجنبى الى **GU** هكذا صنعت مع المفردات الالمانية ، فكلمة **WILHEM** أصبحت في الاسبانية **GUILLÉN** ومع المفردات العربية ، فكلمة «وادي الرمل» أصبحت **GUADARRAMA** وإذا قلنا ان العرب عرفوا اللفظ في صورته اللاتينية **VANDALES** ، فيجب أن ينتقل إلى العربية في صورة بندلس ، ولم يحدث كذلك أن انقلبت الباء همزة في اللغة العربية . ان تصور أن تكون لفظة **WANDALOS** أو **VANDALOS** قد أخذت طريقها إلى العربية مباشرة أمر بعيد الاحتمال .

لكن الذى أراه أن شمال افريقية ، كانت تعرف اسبانيا ، وهي منهم على مرأى البصر ، في الفترة التي سبقت الفتح باسم «بلاد الاندلس» أي البلاد التي جاء منها الوندال ، وقد ارتبط هؤلاء في مخيلة الناس بقسوتهم وجبروتهم ، وعاشوا في أذهانهم شيئا مرعبا ، وإن التسمية شاعت في كل شمال افريقية ، وأصبحت تطلق على الجانب الآخر المقابل لطنجة ، حتى بعد أن آل حكم شبه الجزيرة إلى القوط وإن الاسلام حين جاء إلى شمال القارة فاتحا ، عرف العرب اسبانيا باسم الاندلس حتى قبل أن يعبر إليها المسلمون فاتحين ، عن طريق البربر المسلمين ، افتراض يدعمه أن المدونات العربية الاولى التي عرضت لاحداث الفتح ، كثيرا ما تتحدث عن «بلاد الاندلس» ، ولا تذكر كلمة «الاندلس» مفردة الا في القليل .

أضف الى ذلك أن تطور الاسم إلى الصيغة التي عرف بها في العربية ، يتفق مع اتجاهات اللغة البربرية ، فنجد في هذه اللغة عددا من الاسماء تضاف إليها الواو بدءا في حالة الجر ، وتجرد منها في الحالات الأخرى . فكلمة **ADU** ، أي عاصفة ، تصبح في حالة الجر **WADU** ، وكلمة **AMAN** بمعنى ماء ، تصبح **WAMAN** ، وكلمة بمعنى اليوم تصبح **WASS** و **AYYUR** بمعنى القمر تصبح **WAYYUR** . فهم يقولون مثلا : **FKIID AMAN** أعطني ماء ، فأذ قالوا أعطني قليلا من الماء أصبحت **FKIID IMIK WAMAN** . لا يمكن الافتراض اذن بأن البربر تصوروا أن كلمة **WANDALUS** الجرمانية جاءت في صورة

الاستشغال

لبيار بورديو - وعبدالمالك صياد
ترجمة: عبدالرحمن بوزيدة

● للسياسة الزراعية التي كانت تنزع الى تحويل الملكية الجماعية الى ملكية فردية ، قد ساهمت في تفكيك الوحدات المجتمعية التقليدية والقضاء على التوازن الاقتصادي .

● ان قرى التجمع تتشابه كلها في الخطوط العامة لانها ناشئة عن تطبيق انماط لا شعورية اكثر من نشوئها عن نظرية صريحة او ضمنية .

● ان سياسة مراكز التجمع تعبر عن الرغبة المرضية الكامنة في الجهاز الاستعماري .

«نترجم هذا الفصل من كتاب صياد و بورديو - لانه يعبر في نظرنا اكثر من غيره عن دخول الرسمالية بطريقة غير اصيلة الى مجتمعنا - كما يصف بعق ودقة الصراع الذي دار ويدور بين الاسلوب الانتاجي الاصيل والراس مالية

وفي هذه المرحلة الاولى حيث كان الجيش يسير وفق اهتمامات استراتيجية محضة - أولى اهتمامه على ما يبدو لتفريغ المناطق التي كانت تصعب عليه مراقبتها وذلك بدون اكرثات منه على وجه الدقة بمصير الاهالي الذين تم اجلاؤهم ودون أن يضع لنفسه كهدف علني تنظيم تقطينهم وبالتالي تنظيم كل «حياتهم» .

ان الفلاحين المنتزعين من مقر اقامتهم الاعتيادي حشروا في مراكز غير مناسبة اختيرت في اغلب الاحيان لاغراض عسكرية محضة ، ولنا معرفة بحالة البؤس المادية والمعنوية التي عرفها سكان التجمعات الاولى مثل تجمعات « تماالوست وام طوب وبسنبورغ في ناحية القل » . وليس هناك اقل تدبيرا ومنهجية أكثر من هذه العمليات . وبلا جدوى نحاول العثور على نظام في دوامة التنقيلات الفوضوية المترتبة عن حركة القمع ، وقد كان «المجمعون» يجدون انفسهم في وضعية تبعية مطلقة بالنسبة لرجال «الصاص» ، وهكذا تحت ضغط الظروف التي خلقها هو بنفسه اضطر الجيش أن يتكفل فعلا بأشخاص كان ينوي شل نشاطهم ومراقبتهم ، وشرع اذ ذاك في تحقيق الضغط والتفريق .

وهكذا اذن تحول التجميع في المدة الاخيرة من مجرد نتيجة للاجلاء ليصبح الموضوع المباشر للاهتمامات ، بل أيضا أصبح تدريجيا محورا لسياسة منتظمة . وعلى الرغم من المنع الصادر في بداية عام 1959 لعدم تنقل الاهالي بدون رخصة من السلطات المدنية فقد تضاعفت التجميعات . ففي عام 1960 بلغ عدد الجزائريين المجمعين 2157000 أي ربع مجموع الاهالي ، وإذا ادخلنا في الحاسب علاوة على التجميعات، الهجرة الى المدن نستطيع أن نقدر بثلاث ملايين على الأقل (أي ما يعادل نصف اهالي الريف) عدد الافراد الذين يوجدون خارج مقر اقامتهم الاعتيادي . ان هذا الترحيل يعد من اعنف الترحيلات التي عرفها التاريخ .

من بين كل الهزات التي تعرض لها المجتمع الريفي الجزائري من عام 1955 الى عام 1962 فما من شك في ان تلك التي نتجت عن تجميع الاهالي هي اكثرها عمقا واثقلها نتائج على المدى البعيد . وكان نقل الاهالي ، في فترة أولى ، متصلا بأحداث «مناطق محرمة» ، فما تم بين 1954 - هو طرد عدد من الفلاحين من قراهم لا أقل ولا أكثر ، اذ لم تكتسب سياسة التجميع شكلا منهجيا منظما في النواحي مثل شمال قسنطينة ، الا ابتداء من سنة 1957 على الخصوص . ان الهدف الاول للمناطق المحرمة حسب احدى التعليمات الرسمية هو احداث فراغ في بلد غير مراقب وفصل اهاليه عن هيمنة المتمردين .

والمفروض من تجميع الاهالي المكثف قرب المراكز العسكرية هو تمكين الفرنسيين من مراقبة مباشرة عليهم ومنعهم من مد جنود جيش وجبهة التحرير الوطني بالاخبار ودلهم « على المسالك » وتموينهم وايوائهم .

وكان متوقعا منه أيضا تيسير عمليات القمع على اعتبار كل من بقى بالمناطق المحرمة متمردا ، ولقد تم الابعاد عنوة في جل الحالات . وفي أول الامر كان يبدو أن الجيش الفرنسي يطبق بانتظام سياسة الارض المحروقة ، في ناحية «القل» ، على الأقل ، من اضرار النار في الغابات ، واتلاف للعولة «الذخيرة» والماشية ، واستعملت كل الوسائل لارغام الفلاحين على هجر اراضيهم ومنازلهم ، وعلى الرغم من كل شيء فقد قابِل الاهالي هذا التكتيك بمقاومة جنونية، فكان الكثير منهم يفضلون خطر الموت العنيف على حالة الحشر والخنوع والموت البطيء في (بيوت التبن) والخيام وبيوت القصدير المخصصة للتجميع (٠٠) وهذه النسوة المعتقلات بعد عمليات «التطهير» بعد أن خربت أغلبية المشاتي ، قد تحملن مشقة الترحيل الاجباري أربع أو خمس مرات ولكنهن كن في كل مرة يأخذن طريق العودة الى الدوار .

تجميع الاهالى ومنطق الاستثمار :

فعلا ، ان الاساسى هو تجميع هذا الشعب الموجود فى كل مكان واللى لا يعثر على مقر له ، ان الاساسى هو ان نجعله فى قبضتنا ، ليصبح التحكم فيه ممكنا . وعند مانسكه سوف نستطيع حينئذ القيام بعدة اشياء مستحيلة علينا اليوم وقد تسمح لنا بالاستيلاء عليه معنويا ، بعد ان استولينا عليه ماديا . قبطان شارل رشارد (1846 - 1945)

« اصلى من اللودين واحب الخطوط المستقيمة ، والناس هنا فى خصام مع الخط المستقيم »
« ملازم دوكر كركرة » 1960

من جملة الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية التى اتخذت فى اطار «التهدئة» يأتى تجميع اهالى الريف كاجراء يندرج باكثر وضوح فى استمرار القوانين العقارية الكبرى للقرن «19» أى بالاخص قانون حصر الاملاك العقارية (1857 - 1856) والقانون الامبراطورى (1863) وقانون قارنى (1873) ، وما يلفت النظر فعلا هو لجوء الموظفين المكلفين بتطبيق «سيناطس كنسلط» ولجوء الضباط المسؤولين على تطبيق سياسة التجميع الى اجراءات متماثلة بحكم وجودهم فى وضعتين متماثلتين رغم قرن يفصل بينهما .

التجمعات والقوانين العقارية :

سواء اقرت بكل وقاحة بانها «آلة حرب» قادرة على «ضعضة نظام القبائل» ، العقبة الاساسية للتهدئة «أو أعلنت انتهاءها الى ايدىولوجية اندماجية اكثر سخاء من حيث النوايا» . فان السياسة الزراعية التى كانت تنزع الى تحويل الملكية «العشائرية» الى ممتلكات فردية قد ساهمت بقوة فى تفكيك الوحدات المجتمعية التقليدية بالقضاء على التوازن الاقتصادى الذى كانت الملكية القبلية والعرفية تشكل احسن ما يحويه ، وكانت فى نفس الوقت تسهل حشد

احسن الاراضى بين ايدى المعمرين الاوروبيين عن طريق التلاعبات وصفقات البيع الجائرة . وكانت وظيفة القوانين العقارية الكبرى تاسيس الظروف الملائمة لتنمية اقتصاد عصرى يرتكز على الملكية الفردية ، وكان الادماج القانونى معتبرا كشرط اول وضرورى للتحويل الاقتصادى غير ان الوظيفة الكاملة لهذه السياسة توجد فى موضع آخر .

فقد كان المقصود فى مرحلة اولى تسهيل نزع الملكية من الجزائريين وذلك بعد المعمرين بوسائل تملك تبدو ، وكأنها شرعية ، وذلك بوضع جهاز قانونى يفترض نظرة للاقتصاد وللزمن ، غريبة عن ذهنية المجتمع الفلاحى . اما فى المرحلة الثانية فكان المقصود ضرب الوحدات التقليدية «كالقبيلة مثلا» التى كانت روح المقاومة ضد الاستعمار وذلك بضرب القواعد الاقتصادية التى تكون التحامها ، وقد تم ذلك بالفعل سنة 1875 ، وكانت نتيجة ذلك فشل التمردات القبلية الكبرى .

فلاحون بدون ارض :

وتحت تأثير عوامل مختلفة مشتركة «معاونة» من أهمها : الاعتصاب العقارى والضغط الديموغرافى والانتقال من اقتصاد «بدائى» الى اقتصاد الاسواق ، وجدت الطبقة الفلاحية الجزائرية نفسها منجرة فى تيار الكارثة . فاحصا (5 - 1950) يظهر أن 438483 مزرعة يملكها الجزائريون الذين يكونون 69٪ من المجموع ، مساحة كل واحدة منها تقل عن 10 هكتارات ، ويفطى مجموعها مساحة تبلغ 13876164 هـ . أى نسبة 18.8٪ من المجموع ، فتوسط المساحة لكل مزرعة (بالنسبة لمجموع الجزائريين الملاك) هو 3.1 هكتارا عرض (4/7 فى عام 1940) أى مساحة تقل على الضرورى اللازم لا عائلة عائلية فلاحية (ريفية) ، وقد ازداد عدد الذين يملكون أقل من عشر هكتارات بنحو 50 000 بين 1950 -

وفي أقرب وقت على ما تقتات به العائلة ٥ وهكذا إذا وبدون تردد ، تقع التضحية بمستقبل الانتاج الغير مضمون ، والخارج عن كل حوز في سبيل الاستهلاك المقبل الذي هو وشيك وفوري .

ونظرا لعدم وجود أى تحسين لتعويض فقر الارض المتجر عن استغلالها الشديد المستمر ونظرا أيضا الى أن ضغط الحاجة أدى الى فلاح أراضى (تافهة) MEDIOCRE قليلة المحسوبة يسهل تصور بقاء الانتاج منخفضا جدا ، أى 4,65 لهكتار الواحد سنة 1955 . ان فلاح الاراضى التى كانت بورا فى السابق أو غايا لا يؤدى الا لتقوية الانجراف ، فبين 54 و 1940 كانت الاراضى المفلوحة من طرف الجزائريين قد انخفضت بـ 321000 هكتارا بدون أن تزيد أراضى أملاك الاوروبيين بنفس المقدار ونظرا لجوع الفلاحين للارض فمن غير المتوقع أن تكون هذه المساحات قد عادت بورا . فنستطيع إذا أن نعددها قد تلفت نتيجة للانجراف الذى يذهب فى كل سنة بعشرات الآلاف من الهكتارات .

فزرع الفلاحين لأرضهم بدون انقطاع ، حتى حد الانهاك ، واحتلال القمح الصلب والشعير لصنع الكسكس ، والخبز ما يناسب 87٪ من مساحة الاراضى المزروعة للملاك الصغار ، وبتعاطى كل الفلاحين تقريبا لزراعة الحبوب وانحسار القسط المخصص للماشية فى الضيعات الصغار واتساعه الموازى لمساحة الضيعة كل هذا يدل على أن النشاط الفلاحي ليس له ولا يمكن أن يكون له هدف سوى الارضاء المباشر للحاجيات القريبة ، واستغلال الارض بشدة يجب أن ينسب الى ضغط الحاجة لا الى الرغبة فى مضاعفة الانتاج ، وأكثر من هذا فان الجمع بين الحبوب والماشية الذى يبقى (ثبت) مهما كانت مساحة الضيعة . (الملاحظ أن ملاك الضيعات التى تتجاوز ال 100 هكتار يباشرون التسميد مرة كل سنتين، ولا يهتمون اهتماما شديدا بالموشى . وتعدد الزراعات POLY-CULTURE الطاغى فى المزارع التى لا تتجاوز الهكتار الواحد والفلح المباشر الذى يقل بارتفاع الضيعة ، واشغال الفلاحة الجزائرية التى تملك مساحة تفوق ثلاث مرات مساحة الفلاحة الاوروبية لعدد من العمال أقل

1940 أى بنسبة 12٪ ، فى الوقت الذى نقصت فيه المساحة العامة التى يملكها الجزائريون ، بـ 471 000 هكتارا ، والامر الاعمق تأثيرا هو ان بنية المجتمع الزراعى قد أصابها تغيير خطير فى الثلاثين سنة الاخيرة ، فبين سنة 54 - 1930 نقص عدد ملاك الارض بنسبة 20٪ بينما ازداد عدد عمال الارض بين قارين ومؤقتين بنسبة 29٪ من التقاليد الفلاحية . وفى هذا النطاق دفع وقد أدى انتزاع العقار والملكية الى التخلي عن عدد من التقاليد الفلاحية . وفى هذا النطاق دفع تقلص الارض، والضغط الديموغرافى اللذان يتطلبان زيادة الانتاج بكل ثمن، عددا من الفلاحين الى التخلي عن تسميد الارض فى كل سنتين، وبالطريقة القديمة

فبالنسبة للسنوات 51 - 1950 (لم تكن تمثل طريقة التسميد القديمة الا 62,7٪ من التسميدات) أما بالنسبة للسنوات (51-1950) فيسمد بالطريقة القديمة JACHERE ما يعادل 62,7٪ من الاراضى . والدليل على أن هذا التجديد محتتم وليس تغييرا فى النظرة الاقتصادية ، هو ما نلاحظ من ان طريقة التسميد القديمة قد استمرت فى الضيعات الاكثر اتساعا . ونلاحظ نفس الشيء بالنسبة لاتساع الاراضى المزروعة على حساب المراعى الذى سببه البحث عن أكثر ما يمكن (من الطمانينة) أو من الضمان . يقول المسير الادارى للشلالة :

«توجد عدة عوامل تؤثر على الزراعة وهى الامطار الغير منتظمة ، وجليد الربيع ، والطبيعة الحجرية للحقول . ومن المؤسف أن نلاحظ انها تتسع فى كل سنة على حساب المراعى ، مع أن تربية المواشى اكثر دخلا . ان زراعة الحبوب كاسدة ، فرغم المصاريف الطفيفة فهى لا تكاد تسمح للفلاح بأن يحصل جزءا مما يستحقه رفقته من القمح والشعير . انها تبقى فى حالة تسويم يجب أن يخلص منه» .

فعند الفلاحين الذين لم يتركوا ¼ من أرضهم كل سنة JACHERE بدون زراعتها كما عند الذين يحرقون كل أرضهم . نجد نفس القلق الذى يوحى بتصرفات مستعجلة ، ومتوترة . صحيح ان فلاحه الحبوب باثرة ، ولكن هل السؤال المطروح يتلخص فقط فى الانتاج لبيعه فى السوق ؟ ان المراد هو الحصول بأقل ثمن ،

بكتير من هذه الاخيرة ، اقل 2,4 بالنسبة للعمال القارين و (I,2) بالنسبة لغير القارين ولجوتها الى الخماسة الذي هو نوع من الشركة يتميز بطابعه القبل رأس مالى ، يدل على أن النشاط الاقتصادي بقى الى الآن متجها نحو الضرورى من المعاش . لا الى تقوية الانتاج . والتجديدات ليست فى أغلب الاحيان الا مخالافات للعادة التى يفرضها البؤس ، وفى تخوفه الذى يفوق كل ما مضى ، من المستقبل ، «يخلق» الفلاح أكثر فأكثر فى تصرفات يملئها عليه بحته عن أكبر ضمان ممكن .

فبمقدار ما يفلت منه الحاضر بمقدار ما يتشبث هو به مضجيا بكل نوع من النشاط يتعلق بالمستقبل البعيد ومتنبعا ارضاء الحاجات المباشرة القريبة فقد تولى أكثر الفلاحين فقرا عن التفكير فى الغد الذى كان من مقتضيات العادة . فالتوازنات التقليدية التى انفصمت (انقطعت) أخذت معها ايضا السعى (المحاولة) لاتقاء المستقبل اذ ذهب المجد الأدنى من الضمانات التى صيرها ممكنة . واذا تيقن الفلاح من انه لن يتمكن مهما فعل من السيطرة على (الزمن) فقد أصبح يعيش على يومه ملتجأ الى القروض القروض، مضيفا الى مدخول أرض الاجرة التى يتقاضاها، من عمله فى ضيعة المعمر فى بعض الايام فالأيس الضرورى من التفكير فى الغد هو تعبير عن الرفض الكلى للمستقبل الذى يقرر (يجبر) عن تسليم اتكالى • DEFIANCE

تقليدية اليأس :

وهذه التقليدية المريضة تتعارض مع تأمين الغد السائد فى المجتمع الريفى التقليدى التى كانت بوسائله التقليدية ضمن أقصى ما يمكن من التشوف PREVISIKILITE فى الحدود التى تسطرها وسائل الانتاج الضعيفة وعدم استقرار الاحوال الطبيعية ، وعلاوة على هذا فان هذا التقيد المريض ، كان يقرن دائما ، وخاصة فى الجهات التى يسيطر فيها المعمرين سيطرة كبيرة، بالمعرفة والاعتراف لتفوق وسائل الاشتغال العقلانية التى يستعملها المعمر . فاذا واصل الفلاحون استعمال المحراث القديم عوض الآلات الحديثة ، واذا انتجوا للاستهلاك العائلى عوض التسويق واذا استثمروا (صرفوا)

أقل ما يمكن وقتنوا بنتاج تافه، واذا لم يستعملوا الاسمدة ولم يغيروا طرق الفلج فليس ذلك دائما باسم التقاليد القديمة التى شرع البؤس فى محوها فاذا رفضوا التحسينات الطويلة المدى ، فلم يعد ذلك راجع دائما لعدم قدرتهم على معرفة التضحية بمستقبل ملموس فى سبيل مستقبل خيالى، ان ذلك يرجع خاصة لفقدانهم وسائل الانتظار، وعلى الرغم من أنهم يعترفون VILONTIERS على الصعيد المجرد المثالى بفعالية التقنية المستعملة من طرف المعمر والمدخول المتفوق للفلاحة المخصصة للسوق (لفلاحة السوق) هم مضطرين لابقاء على تصرفاتهم التقليدية لان ذلك النوع من الاستثمار يتطلب ، وهم يعرفون ذلك ، وسائل تقنية ونقدية ضخمة ، ولأنهم لم يضمّنوا العيش الضرورى حتى يبحثوا عن الفائدة (الربح) ، ولان الانتاج المنذور للسوق يبدو لهم وكأنه رهان غير مضمون ما دامت حاجيات الجماعة لم توفر . ان «الكولون» يقول فلاح من CARNOT

يستطيعون الانتاج للتسويق لأنهم ضمّنوا الاستهلاك ، فيستطيعون من أجل ذلك أن يهتموا بالزائد لأنهم ضمّنوا الاساسى او لأنهم متيقنون من أن هذا الذى ينقصهم .

وهكذا عوض الاسلوب التقليدى العتيق الذى يوافق مجتمعا شديد الالتحام بأسلوب تقليدى يائس متصل باقتصاد متهم وبمجتمع متفكك ، وخاص، بطبقة تحت بروليتارية (شغيلة) موثوقة الى ماض تعلم أنه قد مات ودفن .

وبعد اندثار كل امل الا جمع ما يسد الرمق ، بقى لافقر الفلاحين الاختيار بين الاتكال اليائس الذى لا علاقة له بالاسلام ، او الهجرة الضرورية الى المدينة او فرنسا

وعوضا ان تكون هذه الهجرة نتيجة لإرادة ورغبة حقيقية، فى حياة المدن ، كانت فى أغلب الاحيان عبارة عن نهاية المطاف المحتوم لسلسلة من التخليات والهزائم ، فسنة غير صائبة تكفى لبيع الحمار والثيران ، وتقع القروض سربح عجيب لسد الدورة الفلاحية او لشراء الزريبة ، وفى الاخير عند ما تكون كل الوسائل قد استنفدت لا تقع مفادرة المكان ، بل التخلص منه ، ابعد التعب والجهد الكثير لتيسير العيش الطفيف ، يقع الاتجاه للمغامرة وترك الارض للغاس ، وفى كل الحالات يكون الالتحاق بالمدينة ضرب من الفرار الى الامام يعليه البؤس

الموجودة بين مستوى العيش في المدينة والريف حيث يسود التخوف من قلة التغذية ، والفقر في الوسائل الطبية والاجهزة المدرسية .

فكان اريفيون الذين أقاموا في المدينة أحسوا بصورة ملموسة ما أثبتته الاحصائيات موضوعيا من أن المدن وخاصة الكبيرة منها تسمح بفرص أكثر في التشغيل ، أى بعمل حقيقى بالنسبة للفلاحة التى لا تأتى تماما (او الا قليلا) بالنقود، وهكذا يبدو العمل بها وكأنه شغل للوقت لا عمل وبأنها تضمن أجورا منتظمة وأكثر ارتفاعا وخاصة الكبيرة منها ، حيث توجد المنشآت العصرية ، وأخيرا بأنها تسمح بحياة أكثر رفاهية إذ أن الاستهلاك في المدينة يفوق الاستهلاك في الريف فالتاجر مثلا في المناطق المدنية يستهلك ما قدره 96,5 للشخص الواحد في الشهر بينما يستهلك التاجر الريفى 65,97 فقط . وهكذا سواء كان بطريق مباشر أو غير مباشر يعنى سوله . بزيادة الهجرة الى المدن وبمعاونة انتشار النمط المدني أو بطريقة مباشرة ، بنزع الفلاحين عن قروض وجودهم العادية وبأحداث فجوة حاسمة مع الروتين التقليدى ، قد أسرعت التجميعات من (لا تريفية) التى كانت قدم ابتداء بعد .

الاهانة و الاستهانة :

لقد آتت الحرب والقمع ما بدأتها السياسة الاستعمارية وانتشار التعامل النقدي والنواحي التى أصيبت أكثر من غيرها فى هذه المرة هى النواحي التى نجت نسبيا حتى الآن ، لأنها بقت فى مأمن من أعمال الاستعمار، فقد استطاعت فى الحقيقة المجموعات الريفية الصغيرة الموجودة فى المناطق الجبلية ، والمنكشحة على نفسها والمخلصة بأصرار لتقليدها ، أن تحافظ على الخطوط الاساسية لثقافة لا نستطيع اليوم الكلام عنها الا بصفة الماضى ، كما هو الشأن «بالقبائل والاوراس والنماش والبيون والهدنة والاطلس المتيجي وسلسلة التيتري والورسنيس» أين بقيت الثقافة التقليدية نسبيا غير متغيرة على الرغم من حجز الاراضى الذى وقع مع الثورات وعلى الرغم من الاكثار من الوحدات الادارية

ان أغنى القوم ، الذين يملكون مقدارا من النقود ، فينبون الإقامة كثيرا بالمدن الصغيرة المجاورة التى تعودوا مخالطتها من أجل الاسواق (أو عند الذهاب الى الاسواق) فالتجارة مع الاعمال اليدوية التقليدية يكونان فى الحقيقة نمط النشاط الوحيد المناسب لملاك الارض ، الذين يرغبون فى عدم المروق عن العادة ، خاصة عند ما يبقون فى ناحية هم معروفون فيها . والملاك الصغار السابقون الذين فقدوا أرضهم والحماسة القدماء أو العمال الزراعيين الذين ليس لهم ما يؤهلهم لحياة المدينة ، والذين لا يملكون لا المرافق ، ولا الصلاحيات اللازمة للتعود عليها لا يطمحون الا (الى حالة) الاجير اليومي أو البائع الصغير المتنقل أو البطل الذى ينتظر «جنة» العمل الدائم .

ولم تزد الحرب وخاصة التجميعات الا فى بؤس الجماهير الريفية . فالغير مأجورين الذين يعدون بـ 560 000 تقريبا فى سنة 1954 من ملاكير ، وخماس (وشريك) أصبحوا فى سنة 1960 الا 373 000 أى وقع نقصان بنسبة 33٪ وفى خط موازى نزل عدد المأجورين من عمال قارين وغير قارين الى 421 000 أى وقع نقصان بنسبة 28 ٪ وليس هناك شك من أن قسم من الفوارق يرجع الى أن عددا من الفلاحين أو العمال الزراعيين قد سجلوا أنفسهم عاطلين عن العمل فى سنة 1960 سواء لانهم فقدوا جزئيا أو كليا عملهم أو لانهم اتخذوا ازا، أشغالهم موقفا جديدا ، وعلاوة على هذا فانهاء تحطيم التوازن الاقتصادى بتحطيم الاتزان الزمانى والمكانى اللذان يكونان هيكل كل الوجود الاجتماعى ، وبتفتيت الوحدات التقليدية ، تكون التجميعات قد قوت الهجرة الى المدن ، فراد لا يملكون شيئا تمكن خسارته . فبين سنة 195-1960 ازداد عدد سكان المدن والقرى بـ 67٪ فى عمالة الجزائر بـ 63,1 بعمالة قسنطينة و بـ 48٪ بعمالة وهران، وأهمية التزايد الملاحظ مرتبطة بوجود المدن المتمتعة، تقليديا، بجاذبية شديدة ، كالجرائر، ومرتبطة خاصة بأهمية حركة التجميع فى الناحية المذكورة وهكذا تكون هذه قد أدت الى تغييرات لارجعة فيها فى النظرة الاقتصادية، فى نفس الوقت الذى سرت فيه عدوى الحاجيات ، فالاكتكاف بالمدينة قد طور الوعي بالفوارق (التى هى فى ازدياد)

الجديدة وغيرها من الاجراءات وعلى الرغم من التغييرات الناتجة عن العدوى الثقافية ، وفي سنة 1960 كانت المناطق الجبلية أين استطاع جيش التحرير الوطني أن يتركز بسرعة وبقوة قد أجلى منها كل سكانها ، وجمعوا في السهول القريبة من الجبل أو ذهبوا للمدينة ، وكذلك مناطق الحدود ، وكان الحرب أعطت الفرصة لتنفيذ النية الكامنة للسياسة الاستعمارية وهي نية عميقة التناقض .

لقد ترددت السياسة الاستعمارية دائما بين هذه الاقطاب المتعارضة ، تشتيت (الفلاحة التقليدية) أو دمجها . تشتيتها لدمجها أم دمجها لتشتيتها ، بدون أن يقع الاختيار بوضوح ودون أن يتم تطبيقه بصورة منتظمة ، مما جعل المسؤولين المختلفين يحملون نوايا متناقضة في نفس الوقت ، أو نفس المسؤول يحمل نوايا مختلفة في أوقات مختلفة ، ان ارادة تحطيم بنيات المجتمع الجزائري قد استطاعت في الواقع أن تستلهم من ادلجيات متعارضة : احداها تسيطر عليها المراعات البالغة لمصلحة المعمر ، والاغراض الاستراتيجية والتكتيكية أو التبشيرية قد عبرت عن نفسها في كثير من الاحيان بكل وقاحة ، والاخرى ادماجية أو تذويبية لست أكثر سخا. الا في الظاهر .

وبالنسبة لبعض المسؤولين الذين يحدوهم اهتمام مسيطر ، «كسب الاهالي» يحدد دور الجيش بهذا «الثالث : يحمي ، يلزم ، ويراقب» ويكتب الآن جاكوب : الحماية هي قبل كل شيء . ، التجميع وفي كل تجميع «خليفة عسكرية» عسكري لكل ثلاثين أو أربعين شخصا ليضمن الحماية القريبة ، ويحصى السكان ، ويقيم المذكرات ، والقيام بالاستنطاقات المستمرة ، أما الالتزام فهو يتبع «بنية» الاهالي ، مما يفترض مسؤولين قد تكونوا في مراكز خاصة (٠٠٠٠) وفي الاخير فان المراقبة الشاملة والمستمرة وحدها هي التي تسمح لهذه الطرق بأن تعطى ثمارها . وبعض «النظار» في العمل النفسي ذهبوا الى أبعد من هذا اذ يرون في التخطيط المنظم وسيلة لتكسير المقاومة .

وتتعارض مع هذه الايديولوجية التي تسيطر عليها الاعتبارات الاستراتيجية والتكتيكية ، ذات النزعة الانسانية المتمثل في ضابط «SAS» كما يعرف رسميا ، فهو في نفس الوقت بناء ، ومعلم بالمدرسة ، وشيخ بلدية وفي بعض الاحيان طبيب : فاحلال السكان الذين كانوا متفرقين أو في مواقع نائية حيث كان في قرى مجهزة بمرافق خاصة جماعية موجودة حول محاور المواصلات كان المقصود من كل هذا «احداث تغيير مريح» .

وباختصار ان كانت التجميعات قد استعملت في الاصل «للقبض» على الاهالي ومراقبتهم وذلك بوضعهم بمقرية من مركز عسكري ، فقد اعتبرت شيئا فشيئا من طرف البعض ك «عامل تحرري» كان يسمح به ، وفي الواقع مهما تكن نية الافراد، فان «العمل الانساني» يبقى موضوعا سلاح حربي موجه الى مراقبة الاهالي .

ولم يجد الاستعمار ملجاء الاخير الايديولوجي في التصريحات ادماجية ، بمحظ الصدفة ففي الحقيقة لا تتعارض التفرقة العنصرية المحافظة على ادماج الا ظاهريا . . ففي حالة يستظهر بالفروق الموجودة في الواقع لرفض التساوي في الحقوق ، وفي الحالة الاخرى ترفض الفروق الموجودة في الواقع باسم التساوي في الحقوق . . . فاما ان تمنح مرتبة الرجل ، ولكن للمتفرنس فقط ، واما تعطى هذه المرتبة وذلك بان يستظهر بالطابع الخاص لحضارة المغرب العربي ، ولكنه طابع خاص كله سلبى مسبقا .

والمسؤولون الاداريون أو العسكريون لا يتصورون سخاء أكثر من اعطاء الجزائريين حق أن يكونوا ما يجب أن يكونوا . أى على صورة الاوروبيين وهذا في النهاية رفض لما هم عليه في الواقع ، في طابعهم الخاص ، كأناس خاصين مشاركين في ثقافة خاصة - وذلك لانهم سجناء المصالح الاستعمارية أو «العالية المكثفة للحضارة الغربية» كما تسمى ذلك «روث بندكت» ويستطاع من هنا أن يتخلى عن مساعدتهم لجعلهم تابعين ، أو أن يعطى لهم كيانا على شرط أن يكفوا عن صيغة وجودهم الحالية .

شعورية للتنظيم هي وليدة لجنون الهيمنة الشاملة والمنظمة .

والكل يمر ، وكان المستعمر اكتشف بفرزته القانون الاتلوجي الذي يعتبر إعادة تنظيم السكني ، يؤدي الى تغيير شامل للمنظومة الثقافية . والسيد «لفي ستراوس» يلاحظ مثلا أن تغيير السكن الذي أجبرت عليه قبائل البرور كان الوسيلة الأكثر فعالية لتغيير معتقداتهم .

فاعادة تنظيم أماكن السكن قد فهمت بغموض على انها الطريقة الفاصلة لمحو الماضي وذلك بفرض اطار جديد وطبيع على التربية اشارة ورمزا لمليكتها .

فان كانت سياسة «الحشد» قد لاقت عند العسكريين قبولا حماسيا واسعا ، فذلك لانها تحقق حلما قديما قدم الاستعمار الا وهو «تغيير» (كما يقول) وإعادة بناء (كما يقول الكولونات) مجتمع باسره .

وبستشهد مصطفى الاشرف بالنقيب ريشار الذي نادى منذ عام 1945 بالحشد المكشف للامالي الجزائريين : «ان اول شيء يجب ان نقوم به لننزع للمشوشين سلاحهم هو تجميع اجزاء الشعب المفرقة ، وتنظيم كل القبائل القابعة في الزمالات ، وان نفصل بين الدواوير المختلفة بحاجز من شجر الشوك (السدر) او اى نبات آخر . وان نحيط كل زمالة بخندق مملوء بالاشواك» ، ثم يزد : «ان الاساس هو حشد هذا الشعب الموجود في كل مكان والذي لا يعثر على مقر له ، ان الاساسي هو ان نجعله في قبضتنا وعند ما نمسكه سوف نستطيع حينئذ القيام بعدة أشياء مستحيلة علينا اليوم ، قد تسمح لنا بالاستيلاء عليه معنوي بعد ان استولينا عليه ماديا» .

ان الامور الثابتة في السياسة الاستعمارية ليس فيها ما يدهش : فالظروف المتماثلة تفرز نفس الطرق رغم فارق قرن من الزمن .

ان سياسة الحشد تمثل النتيجة المرضية لازمة الخائفة للجهاز الاستعماري ، كما انها تعبر في جلاء عن الرغبة المرضية المستولية على هذا الجهاز .

ان رفض - عن وعي أو غير وعي - الاعتراف بأن للجزائر ثقافة خاصة ووطنا ، وبأنها أمة استعمل دائما كأساس لسياسة متضاربة جاهلة لقوتها وضعفها ، قادرة على تقويض النظام القبلي ، وغير قادرة أن تضع في مكانه نظاما أحسن .

فهذه السياسة التي تجمع بين الوقاحة وعدم الوعي ، تسببت في تخريب الاقتصاد الريفي وانهيار المجتمع التقليدي وجدت ذروتها في تجميع السكان .

وعلى الرغم من أن المبادرة الواسعة قد تركت في أغلب الأحيان لسلطات ثانوية ، فان قرى النجم تتشابه كلها في الخطوط العامة ، لانها ناشئة عن تطبيق أنماط لا شعورية ، تلك التي كانت طاغية منذ قرن مضى . فرق الاستعمار أكثر من نشوئها عن نظرية صريحة أو ضمنية . لقد كانت الجزائر ميدان تجارب : ان اطرار الجيش التي كانت تتمتع في أغلب الأحيان بسلطة مطلقة ، قد قررت كل شيء : موضع القرية ، وهندستها ، واتساع شوارعها والهيئة الداخلية للمنازل . متجاهلين أو يريدون تجاهل الأقوانين والانماط التقليدية غير راغبين في استشارة الاهالي المعنيين الذين وضعوا في ظرف كانوا فيه يرفضون ضمينا أى استشارة على فرض وقوعها .

فكل شيء قد وضع تحت شعار الزى ، والاصطفاف : فهذه المنازل المبنية حسب قواعد ومواقع مفروضة ولها طرق طويلة وعريضة ومستقيمة ، أتحدى المخطط الروماني ؟ أم قرى الاستعمار ؟ ففي الوسط توجد الساحة ، مع النالوث المميز للقرية الفرنسية ، المدرسة ودار البلدية ، والنصب التذكارى للموتى ، نستطيع أن نقول ان ضباط (الصااص) المغربين بالهندسة لم يكن ينقصهم الوقت ولا الوسائل لاستعمال مجل التجارب .

ان الضباط الذين يخامرهم شعور بانهم يطبقون أمرا عظيما وهو «تطوير الجماهير» وتهزم عاطفة التنظيم والخلق مستعملين في بعض الأحيان كل حماسهم ووسائلهم في هذه العملية ، يعبرون في الواقع وبدون استثناء عن أحلام لا

الهجرة الخطرة

من مشاكل
الشعوب
النامية :

موسى بن عمار

مشاكل الشعوب النامية كثيرة كما هو معلوم ، وقد اخلت الدول النامية بتحسس هذه المشاكل وتبعثها كلما ازداد الوعي فيها واليقظة لدى افرادها وشعوبها . وان الحديث عن مشاكل الدول النامية لا يكاد ينتهى لكثرة هذه المشاكل وتنوعها وحاجتها الى الحلول السريعة وطابع الالاحاح الذى تكتسيه ؛ وقد كثر الحديث فى الفترة الاخيرة عن واحدة من اهم المشاكل التى تتعرض لها الدول النامية فى هذه المرحلة الصعبة من حياتها ، ألا وهى مشكلة « هجرة العقول » او الكفاءات كما يسمونها من هذه الدول الى الدول المتقدمة صناعيا حتى كاد ذلك ان يكون موضوع الساعة الذى لا ينتهى الحديث عنه .

بالدرجة الاولى قبل الامكانيات المادية او غيرها من الامكانيات ، وقد يظن الناس ان القوة المادية هى الفارق بين الشعوب فى القوة والضعف والتقدم او التخلف ولكنهم ينسون أن الانسان هو الاساس فى كل ذلك ، فهو البذرة التى ان صلحت صلحت الامة كلها حتى ولو كانت الظروف الطبيعية غير صالحة وان فسدت فسدت الامة كلها حتى ولو كانت الظروف الطبيعية صالحة ومواتية . ولذلك كانت الشعوب النامية أحوج الى الانسان الصالح والمثقف الممتاز ، وكانت

هذه المشكلة من المشاكل الهامة التى تواجه الاقطار النامية وهى لا تقل عن مشاكل التنمية ، والتعليم ، والتصنيع ، والصحة ، وغيرها من مشاكل هذه الاقطار ان لم تفقها فى الاهمية . وهى لذلك تستحق كل عناية واهتمام من الباحثين والمهتمين سواء فى هذه الاقطار أو فى غيرها .

ومن المعلوم أن حضارات الشعوب متفاوتة بقدر تفاوت هذه الشعوب فى امتلاك الكفاءات الحسنة والاطارات الصالحة تقريبا ، وهذا يعنى أن التفاوت بين الامم راجع الى الامكانيات البشرية

هجرة العلماء والمثقفين منها الى الدول المتقدمة يكبدها خسائر فادحة ويعتبر من أهم المشاكل التي تعانيها هذه الشعوب وأكثرها حساسية وأشدها ضررا .

يقول قسطنطين زريق في كتابه «في معركة الحضارة» : «إذا أردت أن تقيس القدرة الحقيقية لأي مجتمع من المجتمعات فاسأل عما يضمه من أيد وسواعد مدربة ومن عقول مجهزة منظمة . اسأل عن عدد الفنيين في الزراعة والصناعة والتجارة والمهندسين ورجال الميكانيك والكهرباء والنقل والمواصلات والأطباء والصيادلة والمعلمين وأمثالهم من المختصين في شتى حقول التطبيق . فبارتفاع مستوى هؤلاء ووفرة عددهم تقوم قوة الشعوب المتقدمة اليوم قبل أن تقوم بمظاهرها التقدم المادية . ان هذه الثروة البشرية المكتسبة هي من أبلغ الأدلة على تقدم المجتمع ومن أهم المقاييس لتقدير تحضره» .

ويجدر بنا أن نلاحظ هنا أن مشكلة هجرة العقول في الحقيقة غير مقتصورة على الدول النامية وحدها بل انها مشكلة عامة وظاهرة عالمية ؛ فاذا كانت الشعوب النامية تشكو من هجرة أبنائها المتعلمين الى اوروبا وأمريكا فان الدول الأوروبية نفسها تشكو من هجرة أبنائها الى أمريكا شكوى لا تقل عن شكوى الدول النامية ، ولكن لاشك ان الذي يتضرر من هذه الهجرات أكثر هي الشعوب النامية لشدة حاجتها الى رجالها المختصين ولشدة الخسائر التي تتكبدها في تخريجهم من المدارس واعدادهم للحياة المثمرة ، ولتخلفها عن الدول المتقدمة بمراحل كثيرة .

ملاحم من هذه الهجرة

ان البلدان المتقدمة صناعيا تملك أنواعا شتى من الاغراءات تجعلها منطقة جذب للعلماء والمختصين وذوى المواهب على اختلاف أنواعهم بينما الظروف الخاصة بالدول النامية تجعل هذه البلدان منطقة دفع لهؤلاء العلماء . وسبب ذلك أن الانفجار الصناعى والتقدم التقنى فى الدول الصناعية قد خلق حاجة متزايدة الى الفنيين والعلماء المختصين مما جعل هذه الدول

تجذبهم بمختلف أنواع المغريات وأساليب الدعايات حتى ان بعض الشركات والمؤسسات فى الولايات المتحدة تبثت بسماسرة خصوصا لاقتناص الفنيين والعلماء من البلدان النامية أو من أوروبا واغرائهم بالذهاب الى أمريكا والتعاقد على العمل لصالح تلك الشركة أو المؤسسة بعروض مغرية وشروط حسنة، وكثيرا ما تنجح فى ذلك . هذا بينما التخلف الصناعى والتجارى الموجود فى البلدان النامية لا يتيح الفرص الملائمة لنشاط العلماء فى بلدانهم الاصلية ولا يشجعهم على استغلال مواهبهم بطريقة مرضية بل كثيرا ما تكون الظروف فى بلدانهم الاصلية عاملا مثبطا لهم ومعاكسا لنشاطهم بحيث لا يصبر على هذه الظروف المعاكسة الا من قويت فيه الروح الوطنية وتغلبت على الانانية فاخترت التضحية بمصالحه الشخصية فى سبيل الوطن ، وهؤلاء أقلية قليلة بطبيعة الحال .

واذا كانت أوروبا متقدمة بالنسبة الى دول العالم الثالث فان الولايات المتحدة - بالمقابل - متقدمة بالنسبة الى أوروبا فى مجال الصناعة ، وأوروبا نفسها تعاني من أجل هجرة العلماء والفنيين منها الى أمريكا بنفس الدرجة تقريبا .

فقد دلت الاحصائيات على أن أمريكا هي أول دولة تجتذب الكفاءات من سائر أنحاء العالم ، ثم تأتي بعدها بريطانيا ثم بقية الدول الأوروبية . ودلت الاحصائيات أيضا على أن هجرة الفنيين من أوروبا الى أمريكا قد زادت عما كانت عليه ست مرات فى العشر سنوات الاخيرة وان المشكلة أخذت فى التفاقم والازدياد يوما بعد يوم . ومن الحقائق المدهشة التى أظهرتها الاحصاءات أنه يوجد فى مدينة نيويورك وحدها من الأطباء الإيرانيين مثلا - المتخرجين من جامعات أمريكية أكثر مما يوجد منهم فى ايران كلها . وان عدد المهندسين الموجودين فى أمريكا من إيران وفورموزا وكوريا الجنوبية يفوق عدد العاملين منهم فى بلدانهم . ودلت الاحصائيات على حقيقة رهيبة أيضا وهى أن الأطباء العاملين فى الولايات المتحدة وبريطانيا وكندا هم أكثر من الأطباء العاملين فى جميع الدول الأخرى فى العالم كله

أما فيما يتعلق بالعالم العربي فقد دلت الإحصاءات والدراسات على أن هجرة الكفاءات منه في تزايد مستمر بشكل يهدد مستقبله تهديدا حقيقيا ويؤثر على حركة التطور فيه بشكل ظاهر. فان 70% من العلماء العرب الذين يدرسون أو يتدربون في أوروبا وأمريكا لا يعودون أساسا إلى بلدانهم وإن 80% من الطلاب الاردنيين الذين يتعلمون في الغرب لا يعودون إلى بلادهم ، وإن جميع الطلبة اللبنانيين في أمريكا قد قرروا عدم العودة إلى بلادهم بعد التخرج ، وإن من بين 120 طالبا يخرجون من المملكة السعودية كل عام للدراسة في الخارج لا يعود الا حوالي 30 منهم ، وإن نسبة العلماء المصريين الذين فضلوا الحياة في الخارج تبلغ 58% من مجموع المصريين الذين يعيشون خارج بلادهم .

فهذه الحقائق المدعومة بالأرقام تبين كيف أن الدول النامية تخسر خير أبنائها الذين جعلتهم عدة للمستقبل وأساسا للبناء وتبقى صفر اليدين في الوقت الذي تتمتع بخيراتهم دول وبلدان أخرى لم تنفق على تعليمهم ولم تتعب في تخريجهم واعدادهم . وفي هذه المشكلة الخطرة يقول قسطنطين زريق في كتابه المتقدم : «انه لمن المؤسف حقا أن جزءا غير قليل من المواهب التي ننميتها لا يبقى لنا بل يجد سبيله إلى مواطن أخرى مع جسامته ما يكون قد كلفنا اعداده وشدة حاجتنا إليه . ذلك أن فريقا من شبابنا الذين يذهبون إلى مواطن الاختصاص ويقضون فيها سنوات للتهيء والتجهز ، اما انهم يبقون فيها، أو اذا عادوا إلى بلادهم لا يجدون مجالات وافية لنشاطاتهم أو اجواء تقدير وتشجيع فلا يلبثون ان يتسربوا إلى الخارج وتحرم بلدانهم في الحالين امكان الاستفادة من القدرات التي حصلوها » .

أسباب الهجرة :

بعد أن عرضنا الظاهرة وألقينا ضوءا كافيا على طبيعتها وظروفها نود الآن أن نعرف الاسباب الكامنة وراءها أو على الأقل بعض هذه الاسباب وإن كنا قد أشرنا إلى بعضها عرضا في السطور السابقة .

1 - ان أهم عمل يأتي في المقدمة هو أن **الفنيين والعلماء في بلدان العالم الثالث لا يجدون أعمالا تناسب اختصاصاتهم في بلدانهم الأصلية** فكم من مهندس أو عالم في الذرة أو غيرها من فروع الهندسة لا يجد العمل في مجال اختصاصه فيضطر إلى الهجرة إلى البلد الذي يقدر مواهبه ويفتح له المجال واسعا ليمارس اختصاصه ويشبع رغباته الطبيعية وميوله. وهذا في الحقيقة سبب أو عامل مزدوج تشارك فيه البلدان المتقدمة والبلدان النامية على السواء . ففي البلدان المتقدمة نجد طلبا كبيرا على العلماء والفنيين لأن الثورة الصناعية تطلبهم بالحاح نظرا لاحتياجاتها الكثيرة إلى أمثالهم فتصبح هذه البلدان منطقة جذب لهؤلاء العلماء كما قلنا سابقا . بينما نجد العكس تقريبا في البلدان النامية حيث لا يجد الكثير من العلماء والفنيين أعمالا تناسب اختصاصاتهم فتصبح هذه البلدان منطقة دفع لهؤلاء العلماء تحملهم على الهجرة وتدفعهم إليها ، ولهذا قلنا ان هذا السبب مزدوج تتوزع المسؤولية فيه بين الدول النامية والدول الصناعية على السواء . ومن المتناقضات العجيبة أن يصبح خريجو الجامعات في كثير من البلدان النامية يمثلون نسبة كبيرة من البطالين والعاطلين عن العمل حتى انه في الهند وحدها قد بلغ عدد العاطلين من خريجي الجامعات مليون ونصف مليون وهي نسبة هائلة تدعو إلى العجب ، وما ذلك الا لأن المرحلة الصناعية التي تمر بها بلادهم تجعلها غير قادرة على استيعابهم في تخصصاتهم العلمية ولا على إتاحة الفرصة لهم ليجدوا أعمالا تناسبهم .

2 - **السبب الثاني الذي يشبه الأول بعض الشبه هو أن العلماء لا تتوفر لهم وسائل البحث العلمي في بلدانهم الأصلية فيصيبهم ذلك بالجمود والبطالة** وقد يؤدي إلى القضاء على مواهبهم فيفضلون الهجرة إلى البلدان الصناعية حيث المجال رحبا والوسائل متوفرة هروبا من الموت العلمي ان صح هذا التعبير .

3 - وهناك العامل المادي بلا شك وهو من أهم العوامل أيضا حيث يجد العلماء اغراء متزايدا من طرف الدول المصنعة يدفعهم إلى ترك

المثال لا على سبيل الحصر والتقصي ، واعتقد أن في ذلك ما يكفي لالقاء الضوء على هذه الظاهرة وأتارة جوانبها . أما الآن فسنحاول أن نبين آثار هذه الهجرة على الدول النامية .

الآثار المترتبة على هذه الهجرة :

تترتب على هذه الهجرة آثار كثيرة ومختلفة وكلها ليست في مصلحة الدول النامية وسنحاول أن نوجزها فيما يلي :

1 - هناك أولا خسائر مالية كبيرة تتحملها الدول النامية من جراء هجرة الكفاءات منها ، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا .

وهذه الاموال تربحها بالمقابل الدول الصناعية مما يؤدي الى زيادة الغنى غنى والفقير فقرا ويزيد في توسيع المسافة التي تفصل بين الشعوب المتقدمة والشعوب المتخلفة التي ترغب في اللحاق ، حتى ان الخبراء ورجال الاحصاء قد قدروا أن الولايات المتحدة تربح سنويا 2000 مليون دولار بسبب الاطباء الوافدين عليها من الخارج ، اذ كان تخريج كل طبيب يكلفها 20 مليون دولار فأصبح هذا الطبيب يأتيها جاهزا لا تتكلف في تخريجه أية نفقة ؛ وفي مقابل ذلك تخسر أمريكا اللاتينية والهند والدول النامية بصفة عامة هذا المبلغ الذي تربحه الولايات المتحدة نتيجة لهجرة هؤلاء الاطباء . وهذا المبلغ تربحه من الاطباء وحدهم فما بالك بالهندسين والعلماء في شتى فروع المعرفة ؟

2 - ان هذه الهجرة تجعل التنمية تتخلف وتسير ببطء كبير في البلدان النامية التي هي في أشد الحاجة الى الاسراع وحرق المراحل بينها تزداد سرعة في الدول المصنعة المتقدمة وبذلك يزداد الفارق بين الشعوب وتقل فرص المساواة وتنعدم العدالة .

3 - ان هذه الهجرة تساعد على جعل التنمية في البلدان المتخلفة تعتمد دائما على المعونة الفنية التي تتلقاها من الدول الصناعية هذا في الوقت الذي تدل التجارب ويقرر الخبراء أن التنمية الحقيقية الناجعة لا بد أن تنبع من داخل البلد نفسه سواء في الكفاءات البشرية

اوطانهم والتخلي عن واجباتهم أحيانا . وقد بينت الدراسات أن المهاجرين الى أمريكا من الفنيين والعلماء تبلغ مرتباتهم فيها ستة أضعاف مرتباتهم في بلدانهم الأصلية وأن المهاجرين من العلماء الى أوروبا تبلغ مرتباتهم فيها ثلاثة أضعاف مرتباتهم في بلدانهم الأصلية ، وهكذا يظهر الفارق في المرتبات كبيرا جدا ويشكل اغراء لا يقهر .

4 - ولا ننس ان من أهم الأسباب المشجعة لهذا النوع من الهجرة هو ما يسمى ، بالارتباط الثقافي ، وهو يمثل احدى الأسباب المساعدة على الهجرة خصوصا الى الدول الاستعمارية القديمة مثل فرنسا وانجلترا وألمانيا وهولندا وغيرها . فالمثقفون في مستعمرات فرنسية قديمة هم مرتبطون بفرنسا بحكم الرباط الثقافي ولذلك يهاجرون اليها ، بينما المثقفون في مستعمرات انجليزية أو أمريكية يهاجرون الى أمريكا وبريطانيا بحكم الحنين وسهولة التفاهم والتأثر الثقافي .

5 - ومن الأسباب الهامة لهذه الظاهرة ، عدم الاستقرار السياسي وتوالي الثورات والانقلابات وكثرة القلاقل في البلدان النامية بحكم المرحلة الانتقالية التي تعيش فيها هذه البلدان ، مما يخلق جوا من عدم الاستقرار وكثيرا ما يفقد الثقة بالمستقبل والاطمئنان على المصير ويحمل بعض الناس على الهجرة الى البلدان الأكثر استقرارا وهدوءا .

6 - ولا ننس أيضا أن الرجعية في التفكير والعمل والسلوك في النظم الاجتماعية والسياسية ومختلف المؤسسات لا تزال تسود في أغلبية البلدان النامية ، مما يخلق جوا من عدم الانسجام بين المثقف وبيئته المتخلفة التي تسيء الظن به وبافكاره دائما وحتى بسلوكه ونظريته الجامعية في البلدان وعدم توافر أسباب البحث العلمي ووسائله ، والروح البيروقراطية السائدة فيها ، وتحكم الروتين الإداري ، ونظم الترقية والتوظيف المبنية على المحسوبية وعدم مراعاة الكفاءات واحترام المواهب .

هذه بعض أسباب هجرة العلماء من البلدان النامية الى البلدان الصناعية أوردناها على سبيل

أ - فمن جهة ينبغي أن يقع التوفيق بين احتياجات البلاد النامية وبين الميول الفردية في الدراسة فيوجه الطلاب الى الفروع التي تكون حاجة البلاد اليها أكثر واشد الحاجة . وقد تنبه المفكرون الى هذه القضية منذ وقت مبكر حتى قال توفيق الحكيم في مقال نشره سنة 1938 بصدد هذه القضية ، وهو موجود في كتابه «تحت شمس الفكر» : لقد قيل ان فتح أبواب التعليم على مصاريعها في بعض الكليات لا يؤدي في مصر الى خير ، لماذا ؟ لان النشاط التجاري أو الصناعي الذي يستوعب في أوروبا أكثر الحريجين متخلف في بلادنا عن النشاط العلمي النظري ، لا بد اذن من إيجاد نوع من التنسيق بين نشاطنا التعليمي ونشاطنا الاقتصادي» .

ب - ومن جهة أخرى ينبغي تغيير سياسة التربية في المدارس منذ المرحلة الابتدائية فلا يكتفى بالتعليم وحده بل لا بد من ادخال التوجيه الوطني والتوعية القومية فيدبى التلميذ على حب الوطن وفهم وضعيته المتخلفة ومشاكله الكثيرة ومرحلة الحضارية التي تتطلب العمل المخلص لتخطي الواقع المتردى والنهوض من التخلف المزمن بحيث تتحول هذه الافكار الى سلوك وأخلاق ولا تبقى في حيز النظريات . وليس هذا من قبيل الاحلام التي لا تتحقق ولا تنجح في الواقع العلمي ، فقد سبق لبعض الامم الحديثة مثل اليابان وألمانيا وإيطاليا أن نجحت في مثل هذا التوجيه في فترات معينة من حياتها، ومع أنها استغلت ذلك في أغراض حربية غير انسانية الا أن التجربة مع ذلك تبقى دليلا على امكانية النجاح في مثل هذا التوجيه الذي أشرنا اليه ووجدت الوسائل الكفيلة بانجاحه . ولكن هذا طبعا متوقف على أن تكون الحكومة ثورية شعبية تقدمية تفهم مشاكل الوطن وتدرك أبعادها وتعمل على حلها والا لم يمكن تطبيق مثل هذه السياسة في التعليم .

والفنيين أو في الظروف الملائمة . ولذلك فإن بعض المفكرين يرون أن هذه الظاهرة هي نوع من الاستعمار الجديد المقنع ؛ فالاستغلال الذي كانت تمارسه الدول الاستعمارية في أشكال أخرى مثل سرقة ثروات البلاد وخاماتها وامكانياتها المختلفة أصبحت تمارسه الآن في شكل جديد هو سرقة العقول والادمغة واقتناص الكفاءات البشرية من دول العالم الثالث مما يتركها عزلاء أمام متطلبات الحياة الحديثة تعاني التخلف والسير البطيء . الا أن هذه التهمة تنطوى على شيء من الباطلة التي أملتها العاطفة بلا شك ، فمن الانصاف أن نعترف - كما تشهد بذلك الوقائع - بأن المتسبب في هذا النوع من هجرة الكفاءات والعقول ليست هي الدول الصناعية تماما بل هو في الحقيقة راجع الى ظروف كثيرة وأسباب مختلفة أكثرها تابع من داخل البلدان النامية نفسها كما رأينا ذلك بوضوح عند ما تحدثنا عن أسباب هذه الهجرة .

اقتراحات للعلاج :

لكل داء دواء ينبع من طبيعة الداء نفسه وان لم يكن ناجحا في بعض الاحيان ؛ ولذلك فإن اقتراحات العلاج يمكن أن نستقيها من أسباب الهجرة نفسها كما عرضناها آنفا ، لانه بالقضاء على هذه الاسباب والعوامل يمكن أن يقضى على الهجرة نفسها بحكم ارتباط الظاهرة بسببها وجودا وعدما كما هو معروف ، وبذلك تنتهي هذه الظاهرة الجديدة التي تمثل شكلا من أشكال الاستغلال المسلط على الدول النامية ، أو على الأقل تخف شيئا فشيئا ان لم يقدر لها أن تزول تماما خصوصا في الظروف الراهنة . ويمكن أن نورد فيما يلي عددا من الاقتراحات والحلول التي اتفقت على أغلبها معظم وجهات النظر بالنسبة للمعنيين بهذه القضية :

١ - ان النقطة الاولى التي يتفقون عليها والتي يمكن أن تشكل حلا جديا وناجحا هي قضية إعادة النظر في سياسة التعليم والتربية في المدارس والجامعات من جهتين :



2 - يمكن أن تعطى الوظائف المناسبة والاجور المغرية لكل الاخصائيين العائدين الى بلادهم او المتخرجين منها وخلق الفرص امامهم للبحث المشعر والعمل الجدى حتى يتخلصوا من الضياع المادى والمعنوى الذى يجدون انفسهم فيه فى كثير من الاحيان مع محاولة خلق الجو المناسب لهم فى اعمالهم وظروف حياتهم .

3 - ينبغى أن تكون الدولة التى ترسل طلبتها للدراسة فى الخارج على اتصال مستمر بهؤلاء الطلبة للعمل الدائم على توعيتهم وربط عواطفهم وأفكارهم بوطنهم وتوجيههم باستمرار نحو قضايا الوطن فى مرحلته التاريخية الصعبة التى تجتازها البلاد وتحاول فيها اللحاق بركب المدنية

الزاحف الى الامام والمتصارع دوما من اجل اثبات الوجود الفعال المجدى .

* * *

هذه بعض وجوه المشكلة واسبابها وبعض اقتراحات لعلاجها ، وان كنت اعتقد - كما توحى بذلك الظروف - ان المشكلة لن تحل حلا جذريا الا بالتقدم العام الذى ستحصل عليه المجتمعات الانامية فى المستقبل حين تصبح الصناعة والتجارة والخدمات العامة - كما قال توفيق الحكيم - قادرة على أن تستوعب الفنيين والاختصاصيين ، وعند ذلك فقط ستضعف هذه الظاهرة وربما تختفى نهائيا ، وحتى ذلك الحين ستبقى سياسة اقامة التوازن فى التعليم بين الميول الفردية فى الدراسة والتخصص وبين احتياجات البلاد هي احسن حل لهذه المشكلة .



جورج لوكاتش

الفيلسوف
الإنساني
المتحرر

بهيبة تربت



جورج لوكاتش □

توفي في الشهر الماضي جورج لوكاتش عن عمر يناهز السابعة والثمانين . وهذه نبذة عن حياته وبعض افكاره اخذناها بتصرف عن مقدمة الترجمة الفرنسية لكتابه : «التاريخ والوعي الطبقي» لكوستاش اكسلوس .

برلين ، وجنوب غرب ألمانيا فتعرف على زملاء وأساتذة كبار من بينهم الفلاسفة : هسرل ، وباسبرس ، وهيدغر ، وعلماء الاجتماع ماكس فيبر ومونهايم ، والكتاب : غندولف وتوماس مانه ووطد علاقته ببعضهم ، فكان هذا بمثابة اتصال مباشر مع الكانتيّة المحدثّة ، والفينومولوجيا والهلجية الماركسية وعلم الاجتماع ، واستطيقا الاشكال والمحتويات .

ولد جورج لوكاتش في الثالث عشر من شهر أبريل 1885 ببودابست من أبوين ينتميان الى الطبقة النبيلة المجرية ، فتمكن من متابعة دراسته دون انقطاع ، وأسس وهو لا يزال طالبا ، مسرحا حرا ببودابست ، بمساعدة اصدقائه استعرض فيه انتاج كتاب واقعيين وطبيين ، وفي سنة 1908 نشر «تطور الدراما الحديث» باللغة المجرية وهذا هو كتابه الاول ، ثم بدأ يتردد على جامعات

وفي سنة 1921 نشر باللغة الالمانية «الروح والاشكال» جمع فيها باكورة مؤلفاته .

وبينما ربح الحرب العالمية الاولى دائرة بدأ يتقرب من الحركة العمالية ، وبعدها عاد الى المجر وانخرط في الحزب الاشتراكي وشارك في الجمهورية السوفياتية الاولى واسند اليه منصب محافظ الثقافة الشعبية في حكومة بلاكون ، ثم غادر المجر بعد الهزيمة وعاش حيث ألف كتاب «التاريخ والوعي الطبقي» وكتب أخرى .

كما مكث بألمانيا الا أنه اضطر لمغادرتها نهائيا بعد انتصار الاشتراكية الوطنية الجأ الى موسكو التي كان قد قضى بها سنتين، وراح يشتغل في المعهد الفلسفي باكاديمية العلوم ، وأخذ في نشر عدد من المقالات ، وفي اعداد بعض الكتب التي تم طبعها بعد الحرب ، وعاد الى المجر سنة 1945 حيث عمل كاستاذ للاستيقاظ بجامعة بودابست وبدأ ينشر مؤلفاته من بينها «بالزال» - «استندال» - «زولا» - «نيتش والفاشية» - «هيجل» - «ماركس وانجلز كمؤرخي الادب» - «الواقعية الروسية في الادب العالمي» - وجودية أم ماركسية» - نظرة سريعة حول تاريخ الادب الالمانى» - «غوتة وعصره» - تدمير العقل : وهو ينقسم الى : «بداية اللاعقلية الحديثة : من شلنج الى نيتشه» - و «اللاعقلية المحدثه : من دلتى الى تويني» وغيرهم .. وفي سنة 1949 بدأ لوكاتش يتعرض لهجوم الايديولوجيين ذوى النزعة الستالينية الذين يأخذون عليه التأثير البرجوازي البادى في انتاجه ، وكان من أشد مهاجميه «روفيه» تلميذه القديم وأحد مؤيديه المتطرفين فى السابق والذي أصبح فيما بعد وزيرا للثقافة، فلم يلبث لوكاتش أن رضخ واعترف بما وجه اليه وقام بنقده الذاتى واعترف بأخطائه ولم ينكر

انه تجاهل قليلا الواقعية الاشتراكية والواقعية السوفياتية ونشر نقده الذاتى فى المجلة الايديولوجية الرسمية للحزب الشيوعى المجرى ، وعلى اثر هذا نشر كتبه المتعلقة « بالواقعية السوفياتية » - «وتدمير العقل» الذى يعتبر اشارة «فلسفية» لعبقريه ستالين ، ثم أصبح لوكاتش سنة 1956 من محركى الثورة المجرية ، فشارك فى حكومة ناجى الاولى بشغله منصب وزير الثقافة ثم كون مع «ناجى» و «كدار» و «دوناث» وغيرهم لجنة تنظيم حزب شيوعى جديد مناهض لستالين تولى كدار مهمة تقديمه للشعب .

ولكن بعد ان انتصرت الفرق الروسية لجأ كل من تاجى ولوكاتش ودوناث الى سفارة يوغسلافيا بعد أن تحول عنهم كدار ، وفشلت جميع محاولات هذا الاخير الساعية الى استجلاب لوكاتش اذ ان لوكاتش البالغ الواحد والسبعين رفض أن يدعى هذه المرة وأبى أن يقوم بنقده الذاتى والخضوع الى السلطة البيروقراطية التى تدعى الاشتراكية ، مما أدى الى نفيه الى رومانيا ، ولم يسمح له بالعودة الى المجر الا سنة 1957 .

ان كتاب «التاريخ والوعي الطبقي» عبارة عن مجموعة دراسات حول الجدلية الماركسية وقد ظهر فى برلين 1923 ، وتعرض لهجوم عنيف من طرف بوخارين وزونوفاف اثناء انعقاد المؤتمر الخامس للعالمية الاشتراكية سنة 1924 .

وأصبح هذا الكتاب فيما بعد يدخل فى عداد الكتب الرجعية الاصلاحية الميثالية ، ولم يرفض لوكاتش هذا الحكم بل قبله بدون معارضة ، والاحظر من هذا انه أخذ فى انتقاد ، ولم يتلق هذا الكتاب ضربات الماركسية اللينينية الارثودكسية فحسب بل هوجم كذلك من طرف الاشتراكية الديمقراطية .

وتجدر الإشارة هنا الى أنه ظهر في سنة 1923 كتاب «الماركسية والفلسفة» لكال تورش والذي يعد مع كتاب «التاريخ والوعي الطبقي» المحاويلتين الوحيدتين لتأسيس الاشتراكية بطريقة فلسفية فكان لاختفاهما مغزى عميق .

وفي سنة 1924 هاجمت صحيفة «البرافدا» كلا من لوكاتش وتورش واستعرضت مبادئ الفلسفة الماركسية وهي التعريف الواقعي للحقيقة بكونها اتفاق الصور مع الاشياء التي توجد في العالم الخارجى ، وقد انتقل كورش الى المعارضة اليسارية المتطرفة وقام سنة 1930 بطبعة ثانية منقحة لكتابه «الماركسية والفلسفة» .

ان كتاب «التاريخ والوعي الطبقي» الذى يعد مؤلفا جوهريا حول التفكير الماركسى فى القرن العشرين قد أقصى عن التاريخ بدون أن يفرض أية سلطة على اليقظة البروليتارية .

ان التيارات المختلفة قد قضت على هذا الكتاب بما فى ذلك الماركسية اللينينية الستالينية ، والاشتراكية الديمقراطية ، والتفكير اللينينى المتطرف ، والتفكير البرجوازى ، الا أن «التاريخ والوعي الطبقي» الذى لم يتبوأ مكانا فى سجل التاريخ الرسمى كان له أعمق التأثير فقد صبغ تيارات كثيرة وحركات البحث الفلسفى والاجتماعى والنفسى وحركات علم النفس المرضى .

ان لوكاتش قد غدا اخصائيا فى النقد الذاتى برفضه التضحية متبعا فى ذلك مسار العقليسة الدكارية والغاليلية ، وان تاريخ الفكر والايمان حافل بأمثلة أولئك الذين ابوا أن يتراجعوا عن مواقفهم ولو كان ذلك على حساب حياتهم، فسقراط والمسيح وغيرهما قدموا حياتهم فداء لمبادئهم .

أفلا نجد «برتول برشت» يصرح على لسان بطله «غاليليه» ان رجلا مثل لا يمكنه أن يحافظ على كرامته الا بالركوع .

ولكن يمكننا أن نموت من أجل الحقيقة العلمية ، وأين تكمل الفعالية ؟ وهل ينبغى على الفكر النظرى أن يقدم أئمن التضحيات !

فمنذ بدا الفكر يفزو العالم ، جلب المفكر لنفسه جميع ألوان الهوان ، فهذه الضغوط الاجتماعية من جهة والاحزاب السياسية من جهة أخرى تحاول - كل فى مجاله وميدانه - أن تسيره وفقا لمصالحها وطبقا لمعتقداتها .

ان المفكر بحاجة ان يصرح عاليا بأرائه، ولكن ايحتم عليه هذا ان يطأ راسه الذى يكون لصدى دويه اكبر الاثر فى حالة ما اذا عبر عن رايه ومات منتصبا ؟ غير انه يبدو أن عصرنا الحاضر والعصر المقبل عاجزان عن الاجابة عن هذا السؤال ، خاصة وان التقنية والانتاج والاستهلاك الماديين قد تركوا بصماتهم على كل ما هو كائن وسيكون .

ان الهدف الذى يرمى اليه لوكاتش من وراء مؤلفاته هى الكلية ، والكلية التى يريد لها ليست كلية العالم الخاضع للضرورة وانما هى كيفية سير وتطور التجربة الاجتماعية والتاريخية التى تتكون وتكشف عن نفسها فى العمل الاجتماعى وفى كفاح الطبقات .

فالكلية عنده بمثابة جمع لكل الاحداث المعروفة والتى هى من انتاجنا والفكرة المتغلبة عليه هى كونه يريد ابراز فكرة تاريخية جدلية مادية ونظرية للعمل الاجتماعى تعتمد بل تنبع من ضمير الطبقة البروليتارية .

الاستلاب ، وما يحلله ماركس الى مظاهر الاستلاب
أو فيتيشية البضاعة ، يصبح عند لوكاتش خال
من كل جوهر حى •

ان هذه الظاهرة التى أصبحت تغزو تصامما
العالم البرجوازى والرأسمالى ، من واجب الطبقة
البرولتارية أن تضع لها حدا باستخدامها اداة
قوية ألا وهى الحزب •

هذا ما يعتقد لوكاتش وما نجده خاصة فى
كتابه «التاريخ والوعى الطبقي» •

كان لوكاتش فى المجال السياسى يعارض
ديكتادورية الطبقة الكادحة بالديمقراطية الثورية
ويستعفى عن صراع الرأسمالية والشيوعية بصراع
القوى الديمقراطية ضد القوى اللاديموقراطية •

ان من أبرز مزايا جورج لوكاتش بالاضافة الى
نزعته الانسانية الثابتة المتقدمة هذه المرونة
الذهنية الرائعة التى تجعله يذود عن التراث
الكلاسيكى لشعبه ولغيره من الشعوب فى وجه
من ينعته بالخلف والانحطاط والرجوع الى
الورا ، فى الوقت الذى يظهر للعالم الرأسمالى
غنى الفكر الاشتراكى وخصوبته •

فهو محافظ بالمعنى الافضل لهذه الكلمة ،
وثورى متفتح فى آن واحد •

ان القضية الرئيسية عند ماركس وهى تجاوز
الفلسفة كفلسفة عن طريق تحقيقها فى الواقع ،
لا نجدها عند لوكاتش ، رغم أن ماركس قد وضع
هذه المشكلة الجوهرية فى عدة مؤلفات كان
لوكاتش نفسه قد أشار اليها •

وهكذا ليس من الاجدر أن نبحث عند لوكاتش
عن مشكل مصير الفلسفة ومستقبل الفكر اللذين
لا يدوبان تماما فى التطبيق الواقعى ، فان هذه القضية
الخطيرة التى عرف هيدجر على الاقل كيف يطرحها
لم تخطر أبدا ببال لوكاتش ، نجد أن المقولة
الرئيسية التى يعتمد عليها لوكاتش هى مقولة
الوساطة التى تكون الرابطة بين المباشرة
المصطنعة والكلية الصائرة ، اذ أن الصورة التى
يتخذها وعى الطبقة البروليتارية ، والقوة التى
تنقل من المباشرة الى الكلية ، والعامل الموحد
بين النظر والعمل هو الحزب بنظامه وقانونه
«وبارادته الكلية الواعية» •

وبهذه الطريقة يجتمع فى الحزب التاريخ
والتطور الاجتماعى ، وعى الطبقة البروليتارية
والتنظيم الثورى ويتحدون فيه • ان هم لوكاتش
الأكبر هو جعل الكائنات والاشياء خالية من كل
جوهر ومن كل معنى حى ، فهو يحول كل شىء
الى بضاعة ، ان ما يسميه هيجل صيرورة

... على ان هناك نقطة هامة ، وان لم
نغفلها أبدا ، الا أنها تستحق منا ابتداء من
اليوم جهودا مضاعفة ، وسهرا مستمرا ، اذ
انها بالنسبة لجميع جهودنا بمثابة الروح
للجسد ، الا وهو الجانب المعنوي ، الجانب
الروحي ، أى الثورة الثقافية التى هى تاج
ثورتنا الشاملة ، بأعمدها الثلاثة الصناعى ،
والزراعى ، والثقافى .

هوارى بومدين

• ندوة فلسفية •

الفكر الفلسفي الإسلامى

نظم قسم الفلسفة ندوة فلسفية فى شهر ماى الماضى كان موضوعها « الفكر الفلسفى وتحديات الفكر المعاصر » أشرف عليها الاساتذة د . عبد الحليم محمود وكيل الأزهر ، و د . محمود قاسم عميد كلية العلوم بجامعة القاهرة ، و د . يحيى هويدى عميد كلية الآداب بجامعة القاهرة .

وحضر هذه الندوة عدد من الاساتذة والطلبة . وتولى الاستاذ بوعمران رئيس قسم الفلسفة ادارتها .

ونحن ننشر هذه الندوة كنموذج لوجهة نظر فى موضوع يمس صميم حياتنا الاجتماعية والثقافية ، وفى اطار تشجيع الحوار الفكرى الذى يهدف فيما يهدف اليه ، تطوير ثقافتنا وتعميق نظرنا الى الحياة والكون وترقية مجتمعاتنا الى مصاف المجتمعات الانسانية التى بلغت اليوم درجة كبيرة فى مجال التقدم الفكرى والعلمى والحضارى .

ونحن نؤمن اعلى الايمان بجدوى اسلوب الحوار الهادى الموضوعى فى تحليل المشاكل والبحث عن الحقيقة .

وباب النقاش مفتوح لكافة المثقفين ، وسننشر كل رأى موضوعى يأتينا فى هذا الموضوع .

الفلسفة لا راي لها ولا تتحدى ، ولا يتانى مطلقا

ان تتحدى .

د. عبد الحليم محمود

على ضوئه هو :
الفلسفة هى البحث العقلى فى أمور ما وراء الطبيعة وفى الاخلاق ، والواقع ان كل فيلسوف تجد فلسفته تنشط الى شطرين : شطر هو

اريد ان ابدأ بهذا السؤال ما هى قيمة تحديات الفكر الفلسفى المعاصر ، وبعبارة آخر ، ما هى قيمة الفكر الفلسفى ، واريد ان ابدأ فأحدد معنى الفلسفة ، التعريف الذى أسير على منهجه وأسير

وتحديات الفكر المعاصر

هي السفينة أو لوح من خشب ، السفينة الآمنة في ما رأى سقراط وفي ما رأى الفيثاغوريون السفينة الآمنة المتينة هي الوحي، أما لوح الخشب فهو العقل ، مثل العقل في خوض ما وراء الطبيعة وفي خوض الاخلاق مثله كمثل لوح من خشب في عبور البحر المادى المحسوس ، ومثل الوحي فيما يتعلق بما وراء الطبيعة ، وفيما يتعلق بالاخلاق كمثل السفينة الآمنة المتينة في عبور البحر المادى ، اذا لم تكن هناك سفينة آمنة متينة فلا مناص اذن من أن يركب الانسان لوح الخشب ليعبر به محيط ما وراء الطبيعة او محيط الاخلاق . ولوح الخشب لا امان له ولا ينتهى مطلقا الى عبور البحر المحيط : يفرق الانسان بعد فترة طويلة أو قصيرة من الخوض في محيط ما وراء الطبيعة ، لوح الخشب هذا حينما بدأت به الانسانية منفصلة عن الدين ، أو منفصلة عن السفينة الآمنة المتينة ، ماذا أنتج ؟ ماذا أصبح العقل فيما يتعلق بعالم الفلسفة ؟ لا شيء نظريات متضاربة ، متعارضة ، وتساؤل اليس هناك من فيصل بين الحق والباطل في محيط ما وراء الطبيعة ، في محيط الفلسفة في محيط الاخلاق ، اليس هناك مقياسا نقيس به الحق من الباطل فنفصل الحق عن الباطل ، ونعرف الحق ونهتدى اليه ونبتذ الباطل ونرفضه ؟ وأقول بكل بساطة ليس هناك هذا المقياس .

البحث في ما وراء الطبيعة وشطر هو الاخلاق . وفي هذا المجال نبدا بقصة لها مفزاها العميق: اثنان من فلاسفة المدرسة الفيثاغورية أحدهما شخصية من كبار فلاسفة المدرسة الفيثاغورية ، اسمها سيمياس . هناك سقراط أبو الفلسفة ، وهناك سيمياس ، وهناك شخصية ثالثة من كبار فلاسفة الفيثاغوريين ، وكانوا يتحدثون في موضوع محدد : هل النفس باقية خالدة بعد الموت أم أنها فانية مع الجسم ، ويحاولون هم الثلاثة وهم من كبار الفلاسفة ، واحد منهم يسمى أبو الفلسفة وأبو الفلاسفة مجتمعين ، يحاولون ما استطاعوا الى ذلك سبيلا : جهدا في الفكر واعمالا في الادلة يحاولون أن يبرهنوا على أن النفس باقية بعد الموت وبرهنوا وبذلوا كل ما يستطيعون من جهد في البرهنة ، ثم سكتوا ومكنوا هنيئة صامتة ثم قال أحدهم بعد هذا الجهد الكبير : ولكن المسألة مازالت بعد في حاجة الى يقين أكثر وقال سقراط ردا على هذا : نعم ولكن هذا نهاية شوط العقل، نهاية شوط العقل ألا يصل الى اليقين في موضوع محدد ، وهو الذي نتحدث فيه ، أعني ما وراء الطبيعة والاخلاق وتتضمن الاخلاق السلوك فيما يتعلق بالمجتمع وتتضمن النظريات الاجتماعية ، ثم قال : ان المسألة فيما يتعلق بما وراء الطبيعة مثلها كمثل البحر المحيط ، ما وراء الطبيعة يشبهه ببحر محيط ، ووسيلة العبور في ما وراء الطبيعة هي الدين والعقل . وسيلة العبور فيما يتعلق بالبحر المادى المحسوس :

عالم ما وراء الطبيعة ، أو في عالم الاخلاق الى اليقين .

اذن نحن في مجال الفلسفة في عالم الظن ،
الظن المطلق نحن في مجال ما وراء الطبيعة
وفي مجال الاخلاق فلسفيا في عالم الظن ولا أمل
أن يكون هناك مقياس أو يكون هناك يقين وإذا
هناك في كل قضية من القضايا منذ أن بدأت
الفلسفة من العصر اليوناني الى الآن هناك في
كل قضية من القضايا الانكار والاثبات ، الرأي
وضده ، هناك ابيقور ، الانكار المطلق وهناك
افلاطون ، الانكار المطلق والايان المطلق ، أو
الانكار المطلق والاثبات المطلق وكلاهما ظني
هناك من يثبت واثباته ظن وهناك من ينفي
ونفيه ظن .

إذا كان الامر كذلك فيمكننا ان نقول بكل
بساطة : ان الفلسفة لا رأى لها في أى موضوع
من الموضوعات ، لا رأى لها لانه مادام ان هناك
الاثبات وهناك النفي في كل قضية من القضايا فلا
يمكنك أن تقول ان هذا الرأي الفلسفي سواء كان
اثباتاً أو كان نفياً ان الرأى في الفلسفة لا وجود له
في أية قضية من القضايا لا نفياً ولا اثباتاً .
لان كل قضية من القضايا فيها النفي وفيها الاثبات
كل قضية من القضايا فيها الرأى المتيث وفيها
الرأى النافي وإذا لا يتأتى مطلقاً أن نقول
ان الفلسفة لها رأى وإذا بالتالى لا يتأتى مطلقاً
أن نقول ان الفلسفة تتحدى ... تتحدى الاسلام
كلا انه لا رأى لها فلا يمكن مطلقاً أن تتحدى
الاسلام وأظن أنه يمكن أن نقول مثلاً في مجال
السخرية ان فلاسفة العصر الحاضر لا يزالون
يتخبطون فيما أعلنه زينون من سخریات بالفلسفة
لقد أعلن زينون عدة قضايا سخر بها من الفلاسفة
وهو فيلسوف ، من هذه القضايا مثلاً ، أنا أقول
حبة المسبحة هذه اما ان تكون أكبر من العالم
واما أن تكون لا شيء ، وعقلياً لا يتأتى الامر انه
يكون غير ذلك اما انها أكبر من العالم واما انها
لا شيء .

إذا سألنا في البرهان وأرجو الانتباه قليلاً الى
هذا البرهان . نقول اننا سنجرى حبة المسبحة

لقد حاول ارسطو أن يخترع هذا المقياس
فاخترع المنطق ، المنطق الارسطي المنطوق
الصوري ، اخترعه كفيصل بين الحق والباطل في
محيط ما وراء الطبيعة ، وفي محيط الاخلاق .
ولكن هذا المقياس أو هذا الفصيل لم ينتج شيئاً
وهي دعوى عريضة طويلة مستفيضة التي تقول
ان المنطق مقياس للحق والباطل ، انه ليس
مقياساً للحق والباطل ، والمسألة بسيطة . ان
نتيجة القياس حينما نحسب أن تكون يقينية لا بد
أن يشترط في المقدمات ولم يشترط منطقي
مطلقاً اليقين في المقدمات لم يشترطه ارسطو
ولم يشترطه ابن سينا ولم يشترطه الفارابي ولم
يشترطه ابن رشد ، لم يشترط فيلسوف من
الفلاسفة اليقين في المقدمات وبقيت الآراء في
الفلسفة والآراء في الاخلاق ظنية لا أكثر ولا أقل
لم يخترع أحد المقياس الذي مثله في عالم
العقلانيات كمثّل التجربة في عالم المحسوسات
وحاول ديكارت ، أن يخترع هذا المقياس الذي
يفصل بين الحق والباطل وأثار ديكارت العالم
بمزاعمه وقالوا انه يعتمد فيما يتعلق بالموضوع
على قضية يقينية وينطلق منها ، وبدأ يعبر عن
الشك . ووضع الشك في صورة جميلة وقوية
ثم قال : إذا وجدنا يقيناً نركز عليه يمكننا أن
نصل الى اليقين في كل أمر من الامور ، ووجد
هذا اليقين الذي اعتبره عقلياً ، أنا أفكر إذا أنا
موجود ، وأخطأ ديكارت في ان هذه القضية قضية
عقلية ، انها ليست عقلية ، اليقين لم يأتها من
ناحية كونها عقلية لان اليقين أتاها من ناحية
كونها شعورية يشعر بها الانسان ولو لم يكن
هذا لما كانت يقينية من قبل زال اليقين الذي
أضفاه على أنا أفكر اذن أنا موجود لم يأت من
ناحية العقل وانما أتاها من ناحية كونها
شعورية ولو كانت عقلية بحته ولم تكن شعورية
لما كان فيها هذا اليقين ، وحاول ديكارت ما
استطاع الى ذلك سبباً أن ينطلق من هذا اليقين
الى يقين آخر ، فلم يوفق مطلقاً ، والواقع أن
ديكارت يعتبر هو ومدرسته في الشك الى الآن
لم يخرجوا من الشك الى الآن لانهم لم يستطيعوا
أن يأتوا بعد هذه القضية الشعورية التي يشعر
بها كل انسان والتي أتاها اليقين من انها
شعورية لم يصل ديكارت مطلقاً ان يصل في

أيها الاخوة : انى فى هذا كنت أنتقد نفسى
اننى درست الفلسفة وأدرسها منذ ثلاثين قرنا
ولا أزال أدرسها الى الآن فى كل عام وكنت
أدرسها فى هذا العام الحالى واذا اطال الله فى
العمر فسأدرسها فى العام المقبل ان شاء الله،
ومع ذلك انها كلمة القيا ، للتفكير فيها واذا
أثارت التفكير فيكفينى هذا نجاحا .

الاستاذ بوعمران :

قبل ان نحيل الدلمة الى الدكتور محمود
قاسم اريد ان اعلق تعليقا ، القصد منه الربط
ما بين الموضوعات فقط .

سمعتم راي د . عبد الحليم ، وله موقف من
تعريف الفلسفة ووصيغه الفلسفه ، وفي خلاصة
اذن فيما ذهب الله هناك مذهب او موقف من
الفلسفة وهو : ان الفلسفة ليست بتىء امام
الايمان وهى نوع من نوع الظن والآن احيل الكلمة
الى د . محمود قاسم وادرجو ان يبين لنا راي آخر
غير راي د . عبد الحليم محمود حتى يفسح لنا
مجال المناقشة ، وأنا اعرف د . محمود قاسم صاحب
فلسفة عقلية ، ونحن فى مناهجنا نعتد على هذا
المنهج النقدي كل له راي وله ان يدل عليه . اذن
ستشاهدون هذه الحرية الفكرية فى الفلسفة والفلاسفة
والمفلسفة ولكن ينبغي فى نهاية المطاف ان
تكون هذه الفلسفة ملتزمة .

القول بان الفكر الفلسفى المعاصر لا يستطيع ان

يعوق مسيرة الاسلام هو تبسيط للمشاكل اكثر مما ينبغي

الدكتور عبد الحليم محمود الذى قرر اننى
صاحب اتجاه عقلى فصدقه الناس جميعا ، اذا
اتجهت الى هذا الموضوع الذى طرحناه للمناقشة
وهو فى الفكر الاسلامى وتحديات الفكر الفلسفى
بالواقع ولذلك سوف أقدم لرأى ببعض الاحداث
التاريخية التى تتصل بتاريخ الفكر الفلسفى
الاسلامى والفكر الاوروبى ، وفى آخر الامر
سوف أشير باختصار الى نموذجين من تحديات
الفكر المعاصر للاسلام .

سنجزئها الى أجزاء ، اما ان تنتهى هذه التجزئة
الى حد او لا تنتهى الى حد ، اذا كانت هذه
التجزئة تنتهى الى حد فمعنى ذلك انها تنتهى
الى أجزاء لا حجم لها ، لان ما له حجم يقسم ،
واذا انتهت الى أجزاء لا حجم لها فمجموع ما لا حجم
له لا حجم له فحبة المسبحة لا شىء ، لكن اذا لم
تنته التجزئة الى حد معنى هذا اننا نأخذ فى
التجزئة اليوم وغدا وهذا الاسبوع والاسبوع
المقبل ، وهذا الشهر والشهر الذى يليه ، وهذا
العام وهذا القرن والقرن الذى يليه الى ما لا نهاية
ما لا نهاية له من أجزاء مهما كانت صغيرة ما دامت
لا نهاية لها فانها تتكسد شيئا فشيئا ، فتملا
الكف وتملا الغرفة وتملا الشارع وتملا ما بين
السماء والارض وتفيض عن كل ذلك لانها لانهاية
لها فهى اذا أكبر من العالم . لا يزال برغسون
وغيره من فلاسفة العصر الحاضر يحاولون حل
المسائل التى عرضها زينون على الفلاسفة متحديا
لهم ولم يستطيعوا الى الآن حلها ، لقد برهن لهم
ان السهم اذا انطلق لا يتحرك فى الانطلاق .
وضع لهم مسألة ان السلحفاة اذا سبقها الارنب
بمتر فلا يتأتى مطلقا عقليا أن يدركها الارنب ،
وهكذا أمور كثيرة من المسائل التى تحداهم
عقليا فى أن يصلوا فيها الى حل ولا يزالون منذ
25 قرنا يتحدثون فيها فلا يستطيعون حلها .

الفلسفة اذن لا راي لها واذا لا تتحدى ولا
يتأتى لها مطلقا أن تتحدى ومحيط عالم الفلسفة
من أوله الى آخره انما هو محيط الظن .

د . محمود قاسم

أشكر جامعة الجزائر ان اتاحت لنا فرصة
لقاء مع أبنائنا من دارسى الفلسفة ومن طلائع
الحضارة العربية والاسلامية فى هذا القطر الشقيق

ان الاخ الشيخ بوعمران قد حدد لى ما يريد
ولكننى سبقته عند ما حددت لنفسى ما أريد
وأنا أحب الاستقلال ولذلك فأنا أختار الاحتمال
الثانى لا الاحتمال الاول وهو أن أعرض رأيسى
مستقلا دون أن أعرض لرأى صديقى وزميلي

الى الفكر الاوروبى ، لكن نلاحظ ان الحضارة الاسلامية بلغت الى مرحلة سيئة فى القرن التاسع عشر فادى ذلك الى الاستعمار الاوروبى لشمال افريقيا ول مصر ولكثير من اقطارنا العربية ، والصراع الحربى والسياسى ما زال مستمرا ، ونحن نحيا فى هذه الفترة العصيبة مأساة العرب ومأساة الاسلام فى فلسطين .

الى جانب هذا الصراع السياسى والحربى والاقتصادى فى عصرنا الراهن نجد صراعا فكريا مستمرا ويتخذ ثوب الفلسفة ٥ فى سنة 1955 قرأت فى احدى نشرات الكاثوليك انهم يدعون المسيحيين الى أن يبشروا بالدين المسيحى فى أوروبا ، وكل ما يخافونه هو امتداد الاسلام بخطى العملاق فى قلب قارة افريقيا ؛ وهم يريدون أن يقف هذا الزحف ويرون ان يعتمدوا على بعض المذاهب الالحادية يعنى من العجيب أن صاحب المقال فى النشرة الكاثوليكية كان يتمنى أن تقف الشيوعية فى وجه دخول الاسلام الى قلب افريقيا . هذا موقف عجيب جدا يبين لنا الصراع بين دينين مختلفين: دين يدعى انه دين المحبة ولكنه يتمنى أن يقف الالحاد فى وجه الاسلام . هناك نماذج معاصرة حاولت ضرب الاسلام من الداخل فى بلادنا الاسلامية وهى تلبس ثوبا فلسفيا ومن العجيب أن نجد أن هذا الاتجاه منقسم الى فرعين : فرع يتخذ ثوبا صوفيا ودينيا ونوعا آخر يتخذ اتجاهها الحاديا ، ولكن يبدو أن التخطيط ان لم يكن شعوريا فهو غير شعورى لكنه موجود .

فمثلا امضى ماسينون حياته لكى يدرس الحلاج ولكى يبين أن هناك وسيلة للربط بين المسيحية وبين الاسلام السننى عن طريق الحلاج . وكتابات ماسينون كما تعلمون بعد المرجع الكبير الذى يعتمد عليه كثيرون ممن يريدون ان يأخذوا عن المستشرقين لكن اذا نحن حللنا كتب ماسينون تحليلا دقيقا نجد أنه يهدف الى تقنيت العالم الاسلامى المعاصر والى بث الفرقة بين المسلمين وبين الفرق الاسلامية لا يريد أن يتنيه المسلمون الى أن زمن الفرقة قد انتهى وانه ينبغي التقارب

من الواضح فى ذهنى وفى أذهانكم ان هناك تخطيطا مسيحيا من عصور طويلة وان هناك صراعا بين دينين مختلفين : دين الاسلام ودين المسيحية ، وهذا فى ظنى صراع طبيعى بين دينين مختلفين يمثلان حضارتين مختلفتين لا أريد أن اعترف من التاريخ فاشير الى الحروب الصليبية والى بدء حركة الاستعمار الاوروبى للاقطار الاسلامية منذ أن أخرجوا المسلمين من الاندلس فذلك شيء نعرفه جميعا . انما أود ان أشير الى نوع آخر من الصراع الفكرى بين الحضارة الاسلامية والحضارة المسيحية ابتداء من القرن الثانى عشر ، وهو الصراع الذى نشب بين ممثلى الفكر الكاثوليكي توماس الاكوينى وابن رشد ، وهذا موضوع أشرت اليه فى كثير من مؤلفاتى عند ما بينت أن توماس الاكوينى يعتبر مجدد الدين المسيحى الكاثوليكي ولكنه جده على أسس اسلامية لانهم أرادوا أن يستخدموا أسلحة الاسلام فى نقد الاسلام ، من الغريب أن بعض المفكرين الاحرار بأوروبا فى القرن الثالث عشر أطلقوا على أنفسهم اسم الرشيديين اللاتينيين وقد خيل للكنيسة انها انتصرت على الفكر الاسلامى لكنها لم تنتصر ، ذلك أن الفكر الرشدى وإن لم يكن رشديا خالصا استطاع أن يشق طريقه وتمكن من أن يفتح الباب على مصراعيه للتفكير العلمى والفلسفى الاسلامى وأنا لا أغلو فى شيء اذا قلت ان حركة النهضة الحديثة ترجع الى عناصر اسلامية ، اما معتدلة واما متطرفة فالعلوم والدراسات التجريبية دخلت أوروبا بمجهود المترجمين للعلم العربى كما أن بعض المذاهب الباطنية قد توغلت فى أوروبا ابتداء من القرن الثالث عشر فى بلاط فيريديريك الثانى امبراطور صقلية ، وانها أدت فيما بعد الى ما نسميه بحركة النهضة وظهور الماسونية الاوروبية الحديثة

هذا التأثير كان متنوعا وأنا الآن بصدد بيان أثر الفكر الاسلامى فى الفكر المسيحى الحديث وأحدد طريقة واضحة اننا نستطيع أن نعترف فلسفة ليبنتز على ضوء ما انتهى اليه محى الدين ابن عربى . معروف ان محى الدين بن عربى متصوف ، واعتقد أن محى الدين بن عربى كان فيلسوفا من طراز ممتاز ، وان آراءه قد تسربت

نحن اذا رجعنا الى التاريخ وحللنا هذه الحركات المختلفة سواء كانت سياسية أو عقلية نجد أن روجي غارودي يجمع بين عناصر لا سبيل للربط بينها ، فالقراطة ليست الا نزعة طائفية وابن رشد كان يفضل دين الاسلام على أى دين آخر وابن خلدون وضع لنا أسس المنهج العلمى فى الدراسات الانسانية ، انما أصبح غارودي ولا أريد أن أفصح عن كل شيء أن يشغل نفسه بالبحث عن الاصول الفلسفية لفلسفة هيجل لانه اذا بدأ بمعرفة هذا ربما وجد سلاحا ، لكن لحسن الحظ هو لا يعرف ما هي الاصول الفلسفية لفلسفة هيجل فله اذن أن يشغل نفسه بحضارته الاروية بدلا من أن يصنع لنا نموذجا أو يحدد لنا قوالب نصب فيها تفكيرنا ، اننا فى الواقع لا نهون مطلقا من شأن الفلسفة وهنا يعذرني صديقي وزميلي الدكتور عبد الحليم محمود مخالفتي اياه فى رأى ، ان هذه المذاهب الفلسفية البراقة ممكن أن تؤثر تأثيرا سيئا جدا ويجب أن لا نعتقد أن المشكلة قد دخلت ، وان الفكر الفلسفى المعاصر لا يمكن أبدا أن يكون له وجود أو انه لا يستطيع أن يعوق مسيرة الاسلام ، أعتقد ويفر لى الزميل الاستاذ الدكتور مرة أخرى ان هذا تبسيط للمشاكل أكثر مما ينبغى ، هناك صراع فكرى وهناك نظام مخطط ومدرّس وهناك محاولة لاستجلاب كثير من مفكرى المسلمين الى أن يقوموا فى هذا الشباك الذى ينصبه بعض المفكرين فى أوروبا .

اخيرا شكرا لكم

لكى يقفوا فى وجه الغزو الأوروبى ولكنه يبعث النزعات الفردية والعصبية واطنكم تعرفون كثيرا عن محاولات ماسينون فى الشمال الأفريقى ، فربما كنتم أكثر معرفة بذلك من اخوانكم فى المشرق . لقد ذهب ماسينون ولكن ارلانودز أيضا يتابع حركة ماسينون فى اتجاه صوفى ، وه ويصدر كتابا له باسم الحلاج أو دين الصليب وهذا هو عنوان الكتاب ، وهو عنوان مثير هذا اتجاه صوفى ، وهناك اتجاه مدرسى يسمونه التومية الجديدة وله ممثلون كثيرون منهم جلسمون ومنهم الأب قنواى عندنا وبعض الدينكان ومنهم لوى غارودى الذى يبدو أنه ليس من القسس ، ولكنه له روحه . هذه التومية الجديدة خطيرة جدا وسبب ذلك انهم يسعون الى ما يسمونه اللقاء الفكرى بين الاسلام والمسيحية وهم يعتمدون على أسس اسلامية وهذا هو وجه الخطر انهم اتخذوا أسلحتنا لكى يناقشوا الاتجاه الآخر أنا لا أريد أن أطيل فى الحديث حتى أدع الفرصة لأخى وصديقى الاستاذ الدكتور يحيى هويدي ولكم ، حتى تناقشوا الاتجاه الآخر وما نلاحظه عند بعض اليساريين ولا أستعرضهم جميعا وانما أشير الى روجي غارودي ، يعنى هو جاء الى مصر لكى يرشدنا الى العناصر العلمية التى يجب أن نتخذها حتى نصل الى الاشتراكية العلمية .

وهو يعتمد على عناصر جمعها لا أدري كيف، هو يتكلم عن القراطة ويقول انهم اشتراكيون ثم يخلط بينهم وبين ابن رشد ويقول ان ابن رشد ذو اتجاه اشتراكى ثم يتكلم عن ابن خلدون ،

د . يحيى هويدي

الصراع الفكرى والحرية الفكرية لا بد أن تنتهى الى خير ولا يمكن أن تنتهى الى شر .

* الفلسفة موجودة من أجل خير الانسان والمجتمع وتعميق الواقع .

* ربط الفكر بالواقع فى كل فكر متفتح لا يعنى أبدا الابتعاد عن الدين .

فى مصر ولعلكم قد لاحظتم من الكلمتين اللتين تفضل بهما الزميلان ، ان هناك اختلافا ، فى

هذه فرصة طيبة لكى نسمع قطرا عربيا شقيقا عزيزا علينا نفحات متنوعة تتردد عندنا

**موجودة وهي موجودة من أجل خير الإنسان ومن أجل
خير المجتمع ومن أجل تعميق الواقع وكل هذا
مشروع وطالبنا به ديننا حسن الحظ .**

ان موضوع الندوة الفكر الفلسفي المعاصر
وتحدياته في مواجهة الفكر الاسلامي الفلسفي
المعاصر . لي تعليق بسيط على هذا العنوان ،
ليس هناك فكر موحد في الحقيقة وانما نحن
بصدد عدة افكار وعدة اتجاهات ، وعدة تيارات
فلسفية معاصرة لكن نستطيع أيضا أن نقول ان
هناك فكرا موحدان لان هناك عنصرا مشتركا بين
هذه التيارات المعاصرة وهذا **العنصر المشترك هو
الفكر المتفتح على مشاكل المجتمع ومشاكل
الشعوب وعلاقات الانسان بالاعيار او بالآخرين
وكل هذا موجود في تقاسم مشترك اعظم بين
الاتجاهات الفلسفية المعاصرة .**

فالفكر الفلسفي المعاصر اذا نتفق ، هو هذا
العنصر المشترك بين التيارات المعاصرة الفلسفية
سواء كانت ماركسية أو بوزية أو فينومولوجية
أو كاثوليكية أو شخصانية أو شخصية الى آخر
التيارات المعاصرة ، هناك محاولات مشروعة من
جانب الانسان لدراسة الواقع لدراسة المجتمع
وتعميق الواقع وتعميق المجتمع وهذا الربط بين
الفكر والواقع هو العنصر المشترك بين التيارات
الفلسفية المعاصرة وهذا العنصر المشترك يلقي في
وجه الاديان تحديات معينة لانه قد فهم أو قد
فهم بعض السذج ان ربط الفكر بالواقع قد يعنى
الابتعاد عن الايمان وقد يعنى أيضا الاحاد في
بعض وجهات النظر ومن اجل هذا على المؤمن الحق
أن يواجه هذا التحدى ، وهذا موضوع الندوة
أى يواجه هذا التحدى ويبين للناس ان ربط
الفكر بالواقع فى كل فكر متفتح لا يعنى أبدا
الابتعاد عن الدين وان لدى ديننا الاسلامي
عناصر كثيرة الحمد لله تقربنا من هذا العنصر
المشترك بعقل متفتح . وهو خدمة الواقع خدمة
المجتمعات .

الفكر الاسلامي الجزء الثانى من موضوع
الندوة . الفكر الاسلامي كما نعلم عقيدة
وشريعة ، فهذا موضوع طويل لا نستطيع ان نغطي
حتى العشر فى ندوتنا هذه ، لكن انا سأتناول

الاتجاهات الفكرية فى مصر وهذا شئ طبيعى ،
ونحن فى مصر نخلق كل هذه الاتجاهات ونترك كل
الزهور تتفتح واللقاء والصراع الفكرى لابد فى
آخر الامر ان ينتهى الى خير ولا يمكن ان ينتهى الى
شر ابدا ، فالحرية الفكرية لا يمكن ان تؤدى الى
شر . الفلسفة عندما تسمع يفهم منها غير
المتخصص انها علم عقلى بحث لا صلة له بالايمان،
والدين أيضا . عندما تسمع كلمة الدين توحى
عند غير المتخصص بأنه يعتمد على مجال النقل
والايمان فقط ، دون ان يكون للعقل فيه مجال .
واعتقد ، ان تصورنا للامور على هذا النحو سيؤدى
حتما الى عداة مسبقة يشنه كل فريق ضد الفريق
الآخر . هذا العداة للعقل من جانب رجل الدين
ليس له ما يبرره فى تصورى وديننا والحمد لله
دين العقل وبالتالى فليس لنا ان نقره فى تصوره
على الفلسفة باعتبارها محاولة عقلية من جانب
الانسان وهذا شئ مشروع كلفنا به وطالبنا به
الشرع ، محاولة عقلية من جانب الانسان لتعميق
واقعنا لا للجري وراء ما بعد الطبيعة ، فما بعد
الطبيعة فى اعتقادى أيضا يجب ان لا نفهم منها
الغيبات وانما هو الجزء الخفى من الواقع الذى
علينا ان نفحص فيه ونفحص فيه بعقولنا وبالأفعال
التي تقربنا من هذا الواقع . ومن أجل هذا فانا
أعتقد ان الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة كما
قال ابن رشد : اثنان رضيعتان و لا يمكن أبدا
ان يختلفا ، ولا يمكن أن نشحن العداة على
الفلاسفة لمجرد انهم احتكموا الى العقل ،
فديكارت احتكم الى العقل لكنه مؤمن ومؤمن بالله
وقد قدم لنا الاها هو الاله الاسلام بالرغم من انه
استأذن الدكتور عبد الحليم فى هذه الكلمة
تعقيبا على كلمته : **ولا يمكن ان نقول ان الفلسفة
او الاتجاهات الفلسفية لا تتحدى الاسلام
الفلسفة لها اتجاهاتها هناك تحديات فعلا من
جانب الفكر الفلسفي المعاصر للاسلام كما تحدثت
الفلسفة والاتجاهات الفلسفية المعاصرة
الكاثوليكية نشاهدنا اليوم فى كثير من
الكاثوليكية . هناك مرونة من جانب الكنيسة
الاتجاهات الكاثوليكية نحو العقل والتحديات
العصرية . ليس لنا اذا بعد هذا ان ندفن رؤسنا
فى الرمال ونقول ان الفلسفة لا رأى لها وان
الفلسفة ظنية وانه لا وجود لها 0 الفلسفة**

اسبينوزا لكن الواقع هذا التصور لا يمكن ان يكون في الاسلام لان هناك صلة بين العبد والرب بين الانسان والله في الاسلام ، لكن هذه الصلة هي اقرب الى العبد من الحبل الوريد اقرب الينا رسده الصلة لا يمكن ان تكون صلة قائمة على أسس اطنولوجية كما هو الحال في الفلسفة المسيحية ، فهناك صلة اذن وعلاقة قوية بين الانسان والله وباب الايمان مفتوح امام العبد المؤمن الذي يتجه الى الله في خشوع وايمان صادق ، وهذا ما قصده الاسلام في علاقة العبد بالرب ومن أجل هذا فانا نعتقد اننا اذا اتجهنا الى العقيدة الاسلامية سنجد هذا التصور الفلسفي سيساعدنا فعلا على ان نتحدى ما يقال ضد الدين من انه دين بعيد عن الواقع وما يقال من ان الفلسفة هي بالضرورة الحاد ، فهذا شيء لا نعرفه في الاسلام والاسلام يفاخر الاديان كلها بهذا التصور الذي قدمه وهو تصور فريد يستحق الدراسة وقد طلبت في بعض كتيبي بدراسة الفلسفة القرآنية الحققة فهي ملاذنا وهي منقذنا من كل هذه التخبطات : تخبطات تقال باسم الدين ولكنها ضد الدين وتخبطات تقال باسم العقل ولكنها ضد العقل ، اذا سرنا في هذا الاتجاه فلا بد حتما اننا سنبتعد عن الصوفية المتطرفة ، سنبتعد عن التوماسية الجديدة ، وسنقوم فعلا بدراسة القرآن وما قدمه القرآن من فلسفة ، فهذا مطلوب منا كمسلمين في هذه الايام لتتحدى الفكر الفلسفي المعاصر لان هناك تحديا حقا واكتفى بهذا ولكن أوصى بالاتجاه الآن الى هذا الاسلام النقي الصافي الذي عرفناه هنا في الشمال الافريقي وعرفته مصر أيضا

الشيخ بوعمران

نشكر الحاضرين ونفتح باب المناقشة

نقطة بسيطة من موضوع العقيدة الاسلامية كنموذج لان الاسلام به من العناصر الفلسفية والاسس الفلسفية الذي تستطيع ان تتمشي مع التيارات الواقعية في الفكر الفلسفي المعاصر وهذا هو الجزء المشترك بين الفلسفة وتيارات الفلسفة المعاصرة ، الحقيقة ان تصورنا او تصور الاسلام لله بصفة خاصة تصور اطنولوجي ، هذا شيء جدير بالعناية * حقيقة ولا بد ان يحس الله في الاسلام الى دائم عن الخلق ، وهو بهذا يترك الفرصة للعبد لكي يمارس حريته كاملة في محيط العمل تقارن في هذا بين الاسلام والمسيحية ، فاعتقد ان التصور المسيحي لله الباطن المتجسم باعتباره الاله الحال ، هذا التصور يؤدي وقد أدى بالفعل في انظار بعض الكاثوليك انفسهم وهذا هو سر عداوة الفلسفات الواقعية للدين لان الفلسفات الواقعية المعاصرة تصورت ان كل دين لابد ان يقدم هذا التصور لله ، الله باعتباره باطنا محابثا حالا في كل جزء من اجزاء الكون ومن اجل هذا شعروا بان وجود هذا الاله الباطن في الكون وفي الانسان سيؤدي حتما الى عرقلة الفعل وانه نوع من الاحباط للفعل والناس . ومن اجل هذا كان العداء بينهم وبين الدين . لكن الاسلام يقدم لنا صورة اخرى للدين صورة اخرى لله فكلمنا قلت الصورة التي يقدمها الاسلام هو هذه الصورة الفريدة وهي صورة ديكرات الاله الذي قدمه ديكرات هو أيضا هو هذا الاله وليس الاله الكاثوليكية على كل حال هو خالق الحقائق الابدية الازلية البعيد عن الحلول والمباطنة ، ولكن هذا التصور لله في نظر البعض قد يؤدي او قد يفهم على انه سيؤدي حتما الى نوع من الجبرية والحتمية ، ونوع من المكتوب ، نوع من القدر ، المكتوب سطره الله البعيد عن الكون البائن على البشر ولا يملكون بازائه أي تحول ، كما هو الشأن في

عبد المجيد مزيان

موقف المسلمين من التحديات المختلفة كان دائما

موقف الانطواء على النفس لا المصارعة الحقيقية .

حضاري بين حضارة تسمى الحضارة الغربية وحضارات أخرى من جملتها الحضارة الاسلامية

اولا ، أريد ان نبدأ بتدقيق كلمة تحدى ، وما معنى التحدى ؟ نحن الآن بصدد عراك

وقبل ان نشرع في المناقشة الفلسفية اريد فقط ان ابدا بنكتة للنكت ، اذا كانت هناك تحديات فنحن نلمسها في أنفسنا ، لان المظاهر الحضارية هي ليست مظاهر فكرية فقط ولكن هناك مظاهر مادية ووجودنا في هذه الجامعة ببذلة اوروييه ورؤوسنا عارية ، وكل أساليب معاشنا في الشارع وفي بيوتنا تبين اننا غلبنا وفهرنا حقا في مظاهر حياتنا المادية باستثناء واحد منا فقط (ضحك وتصفيق) لا يزال محافظا على زيه مربوط بحضارته المادية الاسلامية (يقصد الاستاذ الدكتور عبد الحليم محمود) هذا دليل على انه وقع تحدى وكان المنتصر في هذا التحدى هو عالم الغرب .

والآن يمكنني ان أرجع الى بعض المظاهر العلمية لهذا التحدى ، قلنا ان هناك انماط حضارية تتصارع والنمط الغربي لا زال هو المنتصر منذ اوائل القرن العشرين اعنى ماديا وعلميا وتكنولوجيا ، وفكريا في كثير من المظاهر ، حينما نتكلم عن الاسلام بصفته عقيدة وشريعة اريد ان اعرف اين بقيت الشريعة الاسلامية الحية المعمول بها ، فحينما أخذ الاجهزة القانونية الموجودة في جميع البلاد العربية الاسلامية التي تنتسب الى الاسلام فأننى اجد بقايا او ما يسميه علماء الاجتماع بـ

فقط ، من هذه الشريعة الاسلامية بينما قوانيننا الاخرى بما فيها القوانين السياسية والقوانين الادارية والقوانين المالية والقوانين الاقتصادية كلها قوانين منشقة عن قوانين غربية وهذه القوانين الغربية هي الاخرى ، لها اصول مختلفة منها اصول رومانيا واصول يونانية واصول فلسفية واصول علمية واصول مسيحية واخذناها في بعض الاحيان بدون ان نفرق بين هذه العناصر بل اخذناها برمتها وطبقناها على مجتمعاتنا ، لماذا ، لاننا كنا عاجزين على ان نقابل التحدى الذى اتانا من هذه الحضرة التى كنا نعتقد سواء عن وعى او عن عدم وعى ، بانها حضارة متفوقة بالنسبة اليها ، وحينما تأخذ كذلك الجانب الآخر الذى هو الجانب العقائدى نعتقد بان ليس هناك اسلام واحد بل هناك اسلام مشتت متعدد ان هناك اسلامات سوسيولوجية كما

سميناها . وشتان ما بين الاسلام الاول او الاسلام الحى اسلام المبادئ ، والاسلامات المختلفة التى نعيشها الآن وهى الاسلامات السوسيولوجية فى نظرى ، والدليل على ذلك تعدد الفرق والانظمة السياسية ، ونحن كنا دائما نعتقد بان الاسلام مر وخصوصا فى هذا المظهر الاقتصادى والسياسى مر على المسلمين الكرام ، اى انه اتاهم محدقا فوق رؤوسهم ولم يتوغل فى عقائدهم واعماق حياتهم والدليل على ذلك اننا الآن اصبحنا فى كثير من صراعاتنا وفى اجوبتنا عن التحديات التى تأتينا من الخارج فى كثير من الاحيان ، نقف بجانب الرأسمالية سواء عن شعور او عن غير شعور ، وندعى بان الاسلام يدعو الى الحرية الاقتصادية والى الطبقة والى تفوق بعض الناس عن الآخرين بدعى ان الله فضل بعضنا على بعض فى الرزق ، هذه مشكلة ، حينما نظرحها من هذا الجانب العقائدى المتخصص فى ميادين سياسية واقتصادية واجتماعية نجد بانها غير مقنعة بالنسبة لشبابنا ، مثلا حينما أخذ الشباب الجزائري او الشباب المغربى او الشباب السورى او الشباب المصرى ايضا فاننا نجد بان هذا الشباب غير مقتنع بهذا الاسلام السوسيولوجى الذى كان اسلاما عمليا مخالفا لاسلام المبادئ ، هذه نقطة ايضا وحينما وقعت مناقشات او صراعات او تحديات قولوا كما شئتم ، بين هذا الاسلام السوسيولوجى وبين ما نسميه فى عصرنا الحاضر بالمذاهب الاقتصادية والسياسة المعاصرة فاننا سنجد ان كثيرا من الشباب يقولون : « نحن نفضل هذه الفلسفة السياسية المعاصرة التى اتتنا من الغرب وخصوصا من الماركسية لانها تدعو الى المساواة ولا تدعو الى الطبقة » ، وهنا هذه الجامعة وخارج هذه الجامعة وفى تونس وفى المغرب وفى مصر وفى سوريا كذلك عندنا شباب غير مقتنع الآن بهذه العقيدة المنبثقة عن الاسلام السوسيولوجى والتى هي فيما اعتقد غير الاسلام الحقيقى

هذه جملة تحديات موجودة فعلا . أما فى الميدان الفلسفى فلا يمكننا ان نتجاهل التحدى ، اذ نعرف اننا نعيش فى عصر العلم وفى عصر التكنولوجيا ونقول بان الفلسفة سايرت هذه

هذا الموقف الضعيف الى الآن .

الاستاذ بوعمران :

اطن اننا الآن دخلنا في صميم الموضوع لان المقدمات التي سمعناها بسطت للموضوع تبسيطات عامة ودقيقة ولكننا نحن في الجزائر نعيش تجربة خاصة مادمننا نحن معشر الفلاسفة في الجزائر قد اتفقنا مع زملائنا في المشرق ومع الغربيين والشرقيين في أوروبا على ان الفلسفة مرتبطة بالواقع ينبغي ان نتباحث في مشاكل الساعة وفي طرق الرد على التحديات ان دورنا في الجامعة هو ان ندرس هذه المشاكل ونجابه هذه التحديات

الروح العلمية وهذه الروح التكنولوجية وهي الفلسفة التي لها تأثير على الشباب فهل يمكن ان نقول بان شبابنا غير مقتنع بهذه الروح العلمية وهذه الروح التكنولوجية وهو يعيشها يوميا ؟ فماذا كان موقف المسلمين من هذه التحديات ! كان دائما الانطواء على النفس لا المصارعة الحقيقية اذا -
ومع تحديات حية بمعنى الكلمة بينما كانت مواقفنا نحن - كما هي مواقف يمكنني ان اسميها نقوم باحصاء للتحديات التي اتتنا من الخارج نرى بانها تحديات واقعية مربوطة بالحياة الاجتماعية انهمزية ومعنى هذا اننا : سواء في المظهر المادي او المظهر الفلسفي كنا دائما نخضع لهذه التحديات الآتية من الخارج وهذه الهجمات الآتية من الخارج واعتقد شخصيا اننا لا زلنا في

لماذا لا يوجد عندنا في المشرق او في المغرب

متخصصون في اللاهوت المسيحي .

د . محمد عزيز الجبابي

في حين اننا نحن ننتمي الى عالم التخلف المادي والفكرى : نحن في حاجة الى المعونات للتغذية الى ما هو ضروري للحياة في حين ان الآخرين قد وصلوا الى مرحلة التبذير . وللمقارنة نقول : هم وصلوا الى « البوينق » او الى « الكونكورد » التي تتعدى بكثير سرعة الصوت ، ونحن ما زلنا في طور الجمل والحمار . فمثلا ، الاغلبية من مواطني في المغرب يستعملون ، لحذ الساعة ، الحمار ، ينتقلون به من قبيلة الى اخرى في حين ان الآخرين يزرعون بالطائرة وينتقلون من مكان الى مكان بالبوينق .

هذا قوس او أقواس فتحتها قبل ان أقول اني متفق كامل الاتفاق مع صاحب الفضيلة الشيخ عبد الحليم محمود على التعريف بان « الفلسفة هي البحث العقلي في ما وراء الطبيعة والاخلاق » لكنني أضيف : شريطة ان نتقبل ما قلته سابقا : ان لا نستعمل في هذا التعريف المنطق الصوري الارسطي ، اي المقولات المعهودة سابقا والتي لا يؤمن بها العلم الحديث ، فان أى عالم اذا دخل المخبر واستعمل المنطق الصوري ، وقف عن التفكير وعن الاختراع والاكتشاف كلكم تعرفون، منذ فرانسوا بيكون ، الاتهامات الموجهة الى ارسطو

أنا متفق مع الاخ عبد المجيد مزيان لانه حدد النقطة الاساسية في الموضوع ، وهي التحدى ، لقد اشار الى مظاهر هذا التحدى الذي نحياه يوميا ، هنا كمظاهر اخرى لهذا التحدى ، مثلا : السرعة التي اكتسبناها حديثا فغيرت ذهنيتنا ، فلولا السرعة ما كانت هذه الآلة المسجلة ولما اجتمع معنا هؤلاء الاساتذة ، هناك مكتسبات اخرى هي نظرتنا الى الزمان وإلى المكان ، انها جديدة اذ نحن اليوم لا نحيا بمقولات ارسطو ، لذلك يجب ان لا نعرف الفلسفة بمقولات ارسطو ، اليوم ، النظرة الى الزمان والمكان ، منذ (انشتاين) نظرة جديدة ، هناك مفاهيم اخرى اضيفت الى فكرة الزمان مثلا الديومة وما اعطته التحليلات النفسانية لفكرة الزمن . فكيف نفكر بذهنية المنطق الصوري ، المنطق الارسطي ؟ هذا غير ممكن ، اوروبا التي ذكرناها سابقا كنموذج ، هي ايضا تتحداها أمريكا ، وقد صدر كتاب احدث ضجة صاخبة ، وهو كتاب جان جاك شريير ، « التحدى الامريكى » واعنى هنا أمريكا الشمالية طبعا ، وبالخصوص الولايات المتحدة التي دخلت عصر التبذير ، أى ان الانتاج يتعدى بكثير الاستهلاك فصار الامريكانيون يبذرون

خرافة قديمة لم استطع بعد ان اتعالى عنها فاحرم نفسي من الشاميان ذات اللون الذهبي الرائع واحرم نفسي من كذا وكذا . اذن أنا رجعى . اتصل بهؤلاء وأريد أن أدافع ، لذلك ابحت عن وسائل للدفاع أنا دائما متهم ، فماذا سأجد اذا قولت لهم « الفلسفة بدون الدين لا شيء » ؟ يجيبوننى « والدين بلا فلسفة لا شيء » ، وسنبقى ندور حول انفسنا ، هم يستعملون الجملة بالسلب وأنا استعملها بإيجاب ، ونخرج عن الموضوع . حقا المنطق ليس مقياسا للحق وللباطل ، هناك الوجدان ، قينا اشياء لا تنطق . أحب الشعر ، والشعر لا يخضع للقوانين المنطقية ، والشعر فى نظرى معبر اصدق تعبير عن الوجدان الانسانى اكثر من المنطق . ان أتيت وقلت لى « أنا أحب ، وحى لابنائى كذا وكذا » لن أفهم بدقة ولكن حينما تعبر بصور شعرية فنية يقع تجاوب داخلى . والفلاسفة أشاروا الى هذا ، ومنهم (بيرغسون) الذى يقول ان العقل غير كاف للتفاهم .

ولا بالعقل . هناك عالم خاص ، ولكن هذا العالم العميق ، الداخلى ، الحقيقى الذى لا يمكن ان يعبر عنه بلغة العامة (اللغة المكتوبة واللغة المقروءة)

العقل مستعمل للتفاهم عن طريق الكلمات ، والكلمات خلقت للمحسوس . لكن عالم الانا لا ينفى عالم العقل ، عالم العقل له مكانته وعالم الوجدان له مكانته ، لانه اذا قلنا ان « المنطق ليس مقياسا للحق والباطل » يمكن ان نعدم ، ولكن بدون منطق ، امكانه لتنظيم الحياة . انى واياكم نتعامل لاننا متفقون على مبادئ منطقية . والسلوك الشخصى والعاملات العامة تفترض تلك المبادئ .

وهناك افتراضات نفترضها لتوجيه تصرفاتنا ، بنظمها المنطق . ان اليقين الدينى هو ايضا لا يبلغ الشمول . فهل الشعور معيار لليقين ؟ لا ! الشعور ضرورى ولكن ليس هو كل شيء . لذلك لا فائدة فى معارضة الفلسفة بالدين أو العكس . فابن رشد ، رضى الله عنه ، وغيره من الفلاسفة ، كانوا يكتبون : « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال » . ذهبت الى الصين ، ذهبت الى الهند ، ذهبت الى أمريكا ، ذهبت الى كثير

ان منطق ارسطو ومقولات ارسطو افقرت التفكير الانسانى وعرقلته عن التقدم . لماذا ؟ لانه يدور حول نفسه ، نجد فى النتيجة ما هو موجود فى المقدمتين الكبرى والصغرى . لذلك فمنطق ارسطو ومقولاته اظهر العلم واظهر التفكير الحديثان انها غير مقبولة اليوم ، لان من سقراط الى اليوم تغيرت الارض والسموات . اليوم الفلسفة تشتغل بأى شيء ؟ الفلسفة تشتغل بعلم اللسانيات وهو علم جديد ، وان كان الحفارىجى والسيوطى وغيرهم اشاروا الى مثل هذا وتفسفوا فى اللغة ، ولكن لا بالطريقة العلمية المعروفة اليوم . هذا شيء جديد . والفمينولوجيا الحديثة هى ايضا جديدة وتشتغل الفلسفة بالتحليل النفسانى لمعالجة كثير من الحالات المرضية

وهناك علم معالجة الامراض العقلية ، هناك الانثربولوجيا الحديثة التى اعطتنا فكرة عن الانسان غير الفكرة التى كانت فى العصر الوسيط . فانظروا مثلا الى خادمة هنا فى الجزائر ، أية خادمة لنشاهد كيف نما شعورها بكرامتها وبمساواتها للآخرين . هذا مكتسب ، مكتسب المساواة الفردية وان كانت اصول هذا فى الاسلام ، لكن كنا دائما نعيش فى جو الاقطاعية والبيه والباشا واحتقار الضعيف . هذه الانثربولوجيا الجديدة اى الفلسفة الجديدة اعطتنا مفهوما آخر وابعاد آخر للانسان .

قلت ان المنطق تجدد ، منذ انشتاين والفيزياء الحديثة ، فلا يمكننا ان نقول ان الثورة الفيزيائية الجديدة التى قام بها غاليلى كانت ممكنة لا ولا (روجى بيكور) ولولا (ديكاكارت) فى المنهج الجديد . ان الفلسفة دائما توازى فى التقدم ، مدا وجزرا العلم ، والعلم كذلك ، فنحن لا نخترع ولا نكتشف أى شيء اليوم ، لانه ليست لنا فلسفة . فالיום الذى نستطيع فيه ان نتفلسف فى الواقع ونتمعق ، كما قال الاستاذ هويدى ، اذ ذاك يمكننا ان ندخل الى المخابر لنكتشف ونخترع .

جاءت جملة أخرى عن الفلسفة للشيخ عبد الحليم . « الفلسفة أشكر الله الذى لا يشكر على مكروه سواء ، انى متهم من كثير من اصدقائى الذين درسوا معى فى اوربا وبعض طلابى باننى رجعى وبدائى ، لاننى اؤمن ، وهذه فى نظرهم

الانسان التاريخي المؤطر مكانيا وزمانيا . ما هو وضع هذا الانسان في الكون ؟ الفلسفة هي تأمل لتعميق الواقع .

وهنا اضع سؤالا : ما هو الفكر الاسلامي المعاصر ؟ اجاب محمد اقبال على هذا السؤال ، وركز جوابه على الفلسفة ومعطيات العلم المعاصر فهو يذكر بريكسا كما يقول بيرغسون وابن العربي وغيرهم ، عندنا الآن ليستورستى هذه مقولة جديدة أيضا في التفكير لفهم الانسان مصير الانسان التاريخية وعندنا البناوية في علاقتها بالبيولوجيا ولكن ما هو مقدار الاصاله فيما جاء به اقبال ؟ ومن وفاة اقبال رحمه الله الى اليوم يجهل العلوم ومعطياتها الحديثة لا يمكن ان يقوم بالفلسف ، لا بد ان نعرف ما وصلت اليه البيولوجيا والرياضيات ، وفي فرنسا عندما يريد الانسان ان يهيء للتبريز ، يطالب بأن يهيء شهادة علمية لماذا ، لان الانسان لا يمكن ان يعرف المنطق الجديد الا اذا عرف العلم الجديد علم جديد يضع امامنا تساؤلات هناك تنبؤات بالغد .

وقعت في اكتوبر عام 1969 في بيريجيا بايطاليا ندوة حول عالم القد واستدعيت انا كممثل للعالم الثالث فسخرت منهم وقتلت لهم لقد اتيتم بي ، انا الذي لم ادخل عالم اليوم ما زلت فيما قبل التاريخ تقريبا أو في العصر الوسيط على الأقل ، لاجدثكم عن المستقبل ، مستقبلكم انتم الذين تجاوزتم الحاضر ، كيف يمكنني انا ان اشارككم في الحكم على الحاضر بأنه غير صالح ونزيم بأبصارنا الى ما بعد ! اذا تحدثوا ما شئتم عن المستقبل وعن الحاضر اما انا فما زلت في مجتمع ، المتقدم فيه هو الذي انتقل من مرحلة الحمار أو الجمل الى مرحلة الدراجة .

نعود الى الموضوع فنقول ان المسيحية وخبرائها في جميع ميادين المعرفة المعاصرة يجتمعون لفلسفة اسسها من جديد ولتتخذ مواقف أمام تحديات الفلسفة المعاصرة والفكر المعاصر ، والعلوم المعاصرة ، فما موقفنا نحن ؟

اعطى تعريفا للفلسفة وأخاطر بهذا التعريف ،

من بقاع الدنيا ، فلم اجد حرجا في ان اكون متفلسفا عاشقا للفلسفة ، وفي نفس الوقت مسلما ، لا حرج اطلاقا . نحن المؤمنون ، اصبحنا ، ويا للأسف ، سخرية للملاحظة . اننا في حاجة الى اعادة النظر في بنيات تفكيرنا الديني ، ان العالم يتحدانا ، بمعنوياته ومادياته (اقصد المادية في معناها الفلسفي) . ويتحدانا بالادبيولوجيات او الفكرولوجيات . (فأين هو الفكر الاسلامي المعاصر ؟ هذه هي النقطة الاساسية . هناك تفكير قبيح او جميل ، هناك الوجودية ، هناك الماركسية وهناك وهناك . . . اذن ، فأين الفكر الاسلامي المعاصر الذي يمكن ان يواجه هذه التيارات ؟

الاحصائيات تظهر على ان العالم لا يذهب الى الايمان بل يبتعد عن الايمان ، ويا للأسف . وهذا ما لوحظ في احصائيات المعامل وفي البوادي الأوروبية . المسيحية كانت مسيطرة مهيمنة على كل القطاعات في اوربا ، ومنذ القرن العشرين أصبحت اقلية . اصدر الفاتيكان ، منذ قليل كتابا في أربعة اجزاء ، بكل اللغات الكبرى ، حول الاتحاد في العالم . هذا الكتاب صدر كإشارات خطر لان المسيحية تعاني الآن من الاتحاد ما لم تعانیه قط ، فلم تعد الآن هي المهاجمة ، بل أصبحت مهاجمة في عقر دارها . اذن الاسلام في صراع مع المسيحية ، ولكنه في صراعات اخرى . فنحن لا نخاف من المسيحية ، المسيحية نفسها تستغيث بنا ، تريد ان تقيم وحدة دينية ابراهيمية ضد الخطر الذي يهدد الجميع ، وهو الاتحاد ، تاريخ حضارتنا كان في مد وجزر يماشي الفلسفة . ان المعتزلة هم احب طائفة او مدرسة اسلامية عند طلبتي . لان « الكلام » لديهم ملهم بالفلسفة . ان الصراع الآن ، في نظري ، مع الماركسية ، مع الوجودية ، مع غيرها من المذاهب الفلسفية المعاصرة . . . ولكن هناك الوجودية المسيحية والموجودية لا المتدنية ، وهناك الشخصانية المسيحية والشخصانية اللا متدنية الى غير ذلك ، كل تلك المذاهب تضع هذا السؤال : ما ومن الانسان ؟

هذا هو السؤال الذي تضعه الفلسفة الآن ، ولم تعد تبحث عن ما وراء الطبيعة بل عن هذا



الفلسفة في نظري نسق يتركز على نقطة استفهام .
لان المقولة الفكرية قد تغيرت . اذا ، المفاهيم قد
تغيرت أيضا فايانا اذا وفلسفة النعمة ، أو
سياسة النعمة . النعمة أيضا تتفلسف يعني انها
حين ترى الخطر ماذا تفعل ، تفرس رأسها في
الرمل حتى يأتي الخطر اليها عوض ان تتجنبه .
اذا نحن سنبقى في مكاننا حتى يحدق بنا الخطر
اكثر مما هو محيط بنا ، وتكون النتيجة لا قدر
الله هي اننا نصبح من الحيوانات المعروضة في
المتاحف في القرن الواحد والعشرين ، يقولون هذا
نمردج من العالم العربي في القرن العشرين في
حين اننا لنا امكانيات . الامة التي انجبت ابن
خلدون وامثاله يمكنها ان تعطي ايضا مثله وانثر
فمن الواجب ان نواجه هذه التحديات . وحذار
من مفادرة الميدان .

قبل ان اودع هذه المنصة اسأل زملائي الافاضل
ان يدلوني على كتاب انصح له للشباب ليستطيع به
ان يقف من التحديات الاجنبية . اظن ان هذا
الكتاب هو كتاب الله . ولكن من منا يعرف اللغة
بالقدر الوافي ليفهمه ؟ هناك التفاسير القرآنية
ولكن حينما قام احد المجددين المعاصرين وهو
صديقنا الدكتور مصطفى محمود بتفسير جديد
قامت القيامة ضده في حين ان قراءه وصلوا
سبعين ألف حينما كان ينشر مقالاته في إحدى
الاسبوعيات ولكن القراء للتفاسير الاخرى قليلون
لماذا ؟ لان الطريقة لم تتبدل ، ولاننا نمطق
تفسيراتنا بمنطق ارسطو ووارسطو يجب ان نقضى
عليه ونصلي عليه صلاة الجنازة بالفاتحة والتكبير .

الاستاذ بشير الصادق :

ورد على لسان الاخ مدير الندوة الشيخ ابو
عمران ان هذه التجربة التي نعالجها خاصة . وأنا
استطيع ان اقول انها ليست خاصة . بدليل انني
من سوريا واشعر انها مرت بنا ، وهذا هو الشيء
الذي وددت فقط ان الفت اليه النظر ، مرت بنا
منذ نحو ثلاثين سنة وقطعت مرحلة ليست بقصيرة
وتكاد تكون هذه المرحلة في نهايتها وان هذه
التجربة التي اسمها الاخ الشيخ ابو عمران تجربة
خاصة بالقطر الجزائري ، ربما يكون القطر الجزائري
يعانيها الآن فتسمى بهذا المعنى خاصة ولكنها في

الواقع ليست خاصة ، واذا كنا قد بدأنا معاناتها
منذ ما يقرب من ثلاثين سنة فاننا نعاود الآن ايضا
معاناة مثلها تماما .

السيد حجار (طالب) :

السؤال الاول حول مفهوم التحدي ولقد اشار
الاستاذ الحبابي والاستاذ مزيان الى تحديده نوعا
ما ولكن هذا التحديد يبدو ظاهريا وارجو من
الاساتذة توضيحا او تعليقا حول مفهوم التحدي
الآن ، التحدي الذي سمعناه الآن يبدو كأنه تحدي
مادى لا بالمفهوم الفلسفي ولكن بالمعنى المادى
المحسوس ، ثم اقول للاستاذ الحبابي ان تعريفه
للفلسفة يحتاج ايضا بدوره الى تعريفات كثيرة او
ربما يواجه تحديات كثيرة .

ثم اشار الاستاذ مزيان الى هذا التحدي الذي
نتج عن الحاد في وسط الشباب ولكن هل اننا
ملحدون فعلا أم هناك متلاحدون ان صح هذا
التعبير اى يتظاهرون بالالحاد وليس هناك الحاد
حقيقي وهو في رأيي ناتج عن الفراغ الذي لم يعتن
به الشباب فبحث الشباب بدوره عن سراب او
اشياء براقة ليضع نقطا توضح نوعه او معالمة ليكون
له مدلول ، واضرب مثلا على ان هذا التحدي ليس
قويا ، من اساليب الاستعمار في الجزائر واخص
بتجربة الجزائر فقط ، استسمح الاخ السوري انه
بقي مائة وثلاثين سنة واستعمل وسائل كثيرة
للتحدي والقصد من هذه التحديات هو طمس معالم
الشخصية الجزائرية التي تعتمد اساسا على العقيدة
الدينية ولكن عندما انطلقت الثورة اول شيء ركزنا
عليه دون فهم له وبدون تحديد لفلسفاته هو مفهوم
الدين والذين قاموا بالثورة كثيرا منهم اميون بل
اغلبهم .

اذا ، في رأيي المشكلة لا تبقى في التحديات
الفلسفية وانما تتجه الى الامكانيات الموجودة في
شبابنا وفي شعبنا لابرازها واعطائها قيمة ومفهوما
جديدا ليساير العصر .

انا كطالب ارى ان الجدال دار كثيرا حول
الحاد الشباب وانا كشاب لا امس في هذا زملائي
الشباب لان للشباب حقا في ان يلحد الآن ،
والشباب اليوم بعيد عن الدين ، الدين شيء غريب



يجد فيه اى شيء يتمسك به فهو يتمسك بأى شيء
وجده فى طريقه فقد وجد الاتجاهات الحديثة
الفكرية التى عرفتموها لذا أنا أطلب من السادة
الدكاترة والسادة الاساتذة ان يعطونا أشياء وأفكارا
مدعمة يمكن لنا ان نتمسك بها وان تهدينا الى
الطريق القويم لا ان نفكر فى أشياء ممكن ان نقول
انها بزنطية *

عنه • واذا عرفه عرفه ملوثا فماذا قدمه لنا اخواننا
المتمسكون بالدين ؟ قدموا لنا لا شيء وماذا قدمه
لنا الغير قدموا لنا الكثير ، قدموا لنا افكارا
بضعناها فى الحليب افكارا اخذناها من المدرسة
وناخذها ولا زلنا نأخذها ، اذا الذنب ليس ذنبنا
الذنب يقع على المجتمع والمدرسة والثانوية والجامعة
فالشباب غريب عن نفسه بعيد عن شخصيته فهو
يتخبط فى بحر لا يجد فيه اى شيء يرتبط به ولا

**الاصالة ليست فقط المحافظة على الماضى ، بل لا بد
من غربلة هذا الماضى عن طريق العقل ، وعلى ضوء متطلبات
العصر •**

الشيخ بو عمران

مصر وفى سوريا وفى غير هذه الاقطار العربية
لان الفكر الاسلامى لا يقتصر على الاقطار العربية
وانما يتسع الى جميع الشعوب الاسلامية ، فى
افريقيا وآسيا وأمريكا ، لاني سمعت منذ قليل
او منذ ايام بأن فيه 12 مليون من العرب فى أمريكا
الشمالية ، ولم نسمع بهم وسمعنا بأربعة ملايين
من الصهاينة اقاموا الارض والسموات اما 12
مليون من العرب الذين يقيمون فى أمريكا اندمجوا
فيها وذابوا ولم نسمع عنهم شيئا •

هذه التحديات الثلاثة : تحدى المسيحية لنا قد
أشار اليه الدكتور محمود قاسم منذ العصر
الوسيظ ولا يزال هذا التحدى مستمرا فى
الشكل كثيرة واستغرب من موقف الدكتور الحبابي
وهو صديقنا وزميلنا لانه يرى بأنه يمكن ان نتفق
مع الفاتيكان فى مسألة من المسائل •

الاستاذ الحبابي يتدخل محتجا :

لا لم أقل هذا •

الاستاذ بو عمران :

نعم سمعتك واسمح لى ان اوضح فكرتى ، سمعت
منك عبارات غريبة ، وانا استغرب هذا ، البابا
لا يمكن ان تتفاهم معه فى شيء ولا يمكن فى رأى
- هذا رأى خاص - لا يمكن ان اقدم مقالة للبابا
والبابوات منذ خلقوا على هذه الارض لان الكنيسة
اختارت موقفا حضاريا لا يمكن ان توافق عليه ،
فهى اختارت النظام الراسمالى وكلهم تعرفون بان

الآن يمكننى ان اقول كلمتى كشخص ثم اطلب
من الاساتذة المحاضرين ان يجيبوا كم سبق لى ان
قلت على أهم الاسئلة •

عندما طرحنا هذا الموضوع كموضوع للندوة
كنا نشعر بان هذا موضوع الساعة ، لاننا نعيش
بين القديم والحاضر والمستقبل على الابواب ، وورثنا
من العهد القديم سواء كان من العهد الاستعماري
القريب او من عصور لا نخطط أشياء كثيرة لا زلنا
نعانى منها ونريد ان نتخلص منها فى اقرب وقت
ممكن لندخل القرن العشرين ونسأير الركب
الحضارى ونعيش فى حضارة 1971 لا فى حضارة
1940 ، ولا طبعا فى حضارة الصدر الاول للاسلام
لان من طبيعتنا ان نعيش مع الظروف ، وعندنا
فى الفكر الاسلامى مجددون كثيرون حاولوا ان
يطبقوا مفهوم الاسلام والحضارة الاسلامية على
مشاكل الساعة ، ونرى من وظيفتنا نحن كمفكرين
مسلمين او غير مسلمين وانما نعيش فى مجتمع
اسلامى نرى من واجبتنا ان نجيب على تحديات
الفكر الفلسفى المعاصر • والتحديات قد ذكرها
اكثر من واحد فى هذه الندوة واكثر التحديات
فى رأى تتلخص فى عداوة المسيحيين للثقافة
الاسلامية ومقاومة الماديين لكل ثقافة دينية بقطع
النظر على الثقافة الاسلامية ، وهناك تحدى آخر
فى رأى لم يذكره احد الا باشارات خفيفة وهو
تحدى الحضارة المعاصرة لنا وأشار اليه فى كلمته
زميل الاستاذ عبد المجيد مزيان ، اود ان اقول
انه من واجب المفكرين عندنا فى الجزائر وفى

الكنيسة لها ثروات هائلة لا يمكن تقديرها ولهذا قاومتها في إيطاليا في عقر دارها العناصر التقدمية اليسارية مهما كان نوعها ، وحاربها في فرنسا التقدميون وفي غير هذين البلدين ولا يمكن ان نتحالف نحن في بلاد اشتراكي واتكلم الآن كجزائري ختار لنفسه نوعا من التنمية وهي التنمية الاشتراكية حتى تشمل العدالة الاجتماعية جميع أعضاء هذا الشعب هذه الاشتراكية التي ليست بغريبة عن الاسلام وعن الفكر الاسلامي وبان الفكر الاسلامي لا يتنافى مع الاختيار الاشتراكي الذي نريده لقطارنا ، طبعاً هناك اختلاف هناك من يقول باشتراكية علمية مادية وهناك من يقول باشتراكية مؤمنة ولكنها مرتبطة بحل مشاكل العصر ونحن لا نريد ان نتفلسف كثيراً كما فعلنا اليوم ان لم يكن هدفنا حل مشاكل الساعة وان نقضى على الفقر وعن الجهل وعن التخلف في جميع اشكاله وجميع انواعه . والآن اريد ان اتوجه الى الاخ السورى واستسمح له في هذا ، انا لم اقل بان هذه الندوة خاصة بالجزائريين وانما قلت بانها خاصة بطلقة من المفكرين والاساتذة والطلبة ثم ستكون محاضرة اخرى لعامة المثقفين في عاصمة الجزائر . هذا ما كنت اقصد ، اما تجربة سوريا فقد سمعنا بانه وقعت تجربة في مصر وتجربة في اليمن ولكن ماذا استخلصنا من هذه التجارب ؟ لم نستخلص شيئاً ولم نستفد ، لان التحديات قائمة فينبغي ان نرد على الماركسيين بأدلة تقنعهم ولا نتفلسف عليهم من زوايانا الخاصة ، ونقول لهم انتم كفار ملحدون فهذه اللغة غير مقنعة . ينبغي ان نتجاوز معهم ونتجرأهم كما تحدثوا وتأخذ منهم ما اصلوا فيه ونترك ما اخطأوا فيه ونحتفظ باصالتنا . ومفهوم الاصاله هنا ليس فقط المحافظة على الماضي فينبغي ان نقرّب هذا الماضي عن طريق العقل ومشاكل الساعة ونبعد ونلغي المقامات الحزبية والسجع والتصوف المتطرف كما اشار الى هذا الدكتور هويدى ونحتفظ بالتصوف السنّي اذا كان حقيقة اسلامياً وينبغي ان نبحث في هذا كمفكرين . وقد سبقنا الدكتور محمود قاسم في هذا باشارات خفيفة وانما أعلم بان الدكتور عبد الحليم محمود رئيس التصوف السنّي وقد وضع في رسالته في السوربون موضوع بحثه الحاسب ، وهو عقل ، والغريب اني اكتشفت

انه تأثر بالمعتزلة . واخذت من كلمة الدكتور الحبابي اشياء كثيرة ولكن وجدت تناقضات كثيرة ، وانا أدرس المنطق في هذه الجامعة والمنطقة لا يرضون بالتناقضات . عرفوا الفلسفة تعريفات مختلفة متضاربة فلا ادري لو كنت طالبا كيف افعل مع هذا ، الاستاذ الذي يعرف الفلسفة تعريفات متضاربة فقال مرة تهتم بالفسيات وبالاخلاق وقال الدكتور الحبابي انه يوافق الدكتور عبد الحليم محمود في تعريفه لها في هذين الجانبين ثم قال لنا الاستاذ الحبابي فيما بعد ، انها تهتم بالمسائيات والانتروبولوجيا وبالعلوم ، أنا اعرف الفلسفة بدوري بانها معالجة مشاكل العصر الذي نعيشه ، وليست معالجة مشاكل عصر ارسطو فنحن نعيش القرن العشرين ، فلنا ان نحل مشاكل القرن العشرين وان نفكر عملياً في بناء مجتمع يوفر المعاش لجميع الناس ، وهذه الفلسفة التي لا تريد السعادة الا للفلاسفة ليست بفلسفة ففلسفتنا فكر وعمل ، وفي عضورنا الاسلامية المزدهرة فعلنا هذا . جمعنا ما بين الفكر والعمل ، وجمعنا ما بين الايمان والعمل ، والآن نتخط في رواسب عضور الانحطاط ، وقد طالت عندنا اكثر مما طالت عند غيرنا ، اظن ان الزملاء يوافقون على انها طالت عندنا لا اقل من ستة قرون . كنا نشع الحضارة على اوروبا في العصر الوسيط . لانه عصر ازدهار بالنسبة لينا وعصر ظلمات بالنسبة الى اوروبا . ثم نمنا نومة عميقة واخذنا نؤلف الموشحات ونحلم بذكريات غرناطة ، وبغداد ، ودمشق ، والغوطة الخضراء ، فدخلنا من باب الشعر الى الانحطاط وانغمسنا فيه وبقينا فيه ستة قرون ، وهذا من اغرب ما يمكن ما نلاحظ في تاريخ فكرنا .

أريد أن أقول كلمة اخيرة : مادام موضوع الندوة ، التحديات بالجمع ، ما هو وموقعهم من المستشرقين المجددين مثل جاك بيرك وماكسيم رودنسون وروجي غارودي وان كان قد اشار الدكتور محمود قاسم الى الجدل الذي جرى بينه وبين غارودي وعلمت كما علمت بان النقاش نشر في مجلة الهلال ولكن أقول لهؤلاء الاساتذة بان الشباب الاخير الذي تكلم والذي قال اذا كنا ملحدون ، فالذنب ليس ذنبنا واذا كنا متطرفين فالذنب ليس ذنبنا ، واذا كان الشباب عندنا في العالم العربي

الاسلامى من نوع الهيبى ، فهذا كله ذنبنا نحن لان الشاب تحدانا ، قال : الذنب ليس ذنبه اذن ذنب من ؟ ذنبنا نحن ، فالיום نحن فى حاجة الى مفكرين فى العالم العربى الاسلامى الى اعادة النظر فى تراثنا وفى حاضرنا لبنى مستقبلا يوفر المعاش لجميع طبقات الامة ولتخلص من الصراع الموجود ما بين الغنى والفقير ، وما بين المشعوذ والمفكر ، وما بين المحافظ والتقدمى . وفى الختام اسأل زملاؤنا ماذا فعلوا وما يمكن ان نفعل معهم لنرد على هذه التحديات ولنتغلب عليها اتمنى ان نكون عمليين مفكرين او مفكرين عمليين فى نفس الوقت .

وللدكتور الحبابى حق الرد على ما تحديته فيه وهذا من واجبي .

الاستاذ الحبابى :

اذ الكلمة مرة اخرى لاعد الاشياء الى نصابها . نحن فى الفلسفة نعلم الطلبة الوضوح فى الكلام حتى لا يحصل سوء التفاهم ، اذن اعيد توضيحا لما قلته : اعطيت مثلا على ما يقوم به غيرنا ، وهم المسيحيون الذين هم فى تطور دائم . ان الخطر اليوم ليس فى الاسلام بل فى المادية والاحاد فقاموا بدراسة لهذا الوضع ليتغلبوا عليه وانا كتبت فى الكتاب الذى اشرت اليه كما كتبت فيه آخرون ، واحدى يعمل التفكير فى الهند ، وواحد فى الصين ، وانا طلبوا منى ان اصنف ما يعاينيه العالم لاسلامى الآن فى موقفه من الاحاد وغير ذلك .

واريد ان اتساءل : لماذا لا يوجد عندنا لا فى المشرق ولا فى المغرب متخصصون فى اللاهوت المسيحى مثلا ، لاننا حينما نريد ان نصارع يجب ان نعرف ما هى اسلحة الخصم . هذا نقص فى تكويننا .

اما التناقض فى التعريف ، فأظن ان السى بو عمران لم يأت بتعريف وان منشأ التناقض عنده هو انه لم يفهم ما قلته ، وسأعيده عليه ، ان المثاليات ليست هى الفلسفة ، وان العلوم الجديدة ليست هى الفلسفة ! ولكنها المواد التى يتفلسف

فيها الفيلسوف ، فاذا حذفنا القيمولوجيا والمنطق والسيكولوجيا والى غير غير ذلك فأى شيء تريد ان يتفلسف فيها المتفلسف ، فى الميتافيزيقا ؟ تريد ان يعود الى ما انت تنهاه عنه الى ارسطو ؟ انى اعتقد انه يجب ان نكون مع عصرنا وان ندخل القرن العشرين ، ولكن القرن العشرين يروج عدة مفاهيم جديدة وعلوما جديدة ، اذن على الفيلسوف ، اذا اراد ان يكون فيلسوفا حقا ، لا محسوبا على الفلسفة ، ان يهتم بتلك المواضيع ، وهذا لا ينفى المحاولة فى التعريف الذى اقترحتة بالمناسبة ، وهو ان الفلسفة نسق تأمل يتركز على نقط استفهام . أى ما هى السوسيولوجيا ؟ ما هو النقد ؟ فاذا انمحت نقط الاستفهام انتهى التفكير ، فنقطة الاستفهام هى محاولة فى التفكير ويجب ان تركز هذه النقط على المعطيات الحالية للعلوم والفنون والصنائع والتقنيات .

هذا ما أردت ان أقوله .

ان الفيلسوف يتساءل دائما ليفهم وعندما يحصل الادراك تبدأ عمليات التغيير . واؤكد ان التعريف السابق لا يفيد الحصر ، وانما هو تعريف تقريبي قابل للمناقشة . الفلسفة دائما فى تساؤل :

يحي هويدى : تعليقا على التعريف الذى قدمه الدكتور الحبابى للفلسفة باعتبار انها نسق تأمل يضم مجموعة من علامات الاستفهام

الفلسفة بهذا تلعب دورا نظريا بحثا ، وتضع من مهمتها مجرد تصورات . التيارات الفلسفية المعاصرة مهمتها تغيير وجه الواقع فهى ملتحة بهذا الواقع .

فالدين ايضا وخاصة دين الاسلام ليس فكرة . الدين الاسلامى وظيفة مرتبطة بالمشاكل الواقعية للناس .

انا اقابل بكثير من الحذر التعريفات التى قدمها الغربيون . ونكون فى كثير من الاوقات مخدوعين . فالفلسفة ليست فقط علامة استفهام فقط ، انما هى وظيفة .

ملاحظة : بقيت فقرات قليلة من تعليق الدكتور هويدى وتعليق الدكتور عبد الحليم محمود لم نتمكن من نشرها بسبب تعطل جهاز التسجيل فمعدرة للاستاذين وللسادة القراء .

المحرر :

... ولهذا ننتهز فرصة الاحتفال بالعيد
التاسع لاستعادة استقلالنا ، واسترجاع
سيادتنا ، وقد تعزز استقلالنا الاقتصادي
لننادى بضرورة العناية كل العناية بالجانب
المعنوي والروحي لثورتنا ، وبجانبها
الثقافي ، وذلك بالحرص على ابراز جميع
مميزاتنا وخصائصنا ، وتأکید جميع مقومات
شخصيتنا واصالتنا ، والاعتزاز بتراثنا ،
كاساس متين ، نبني عليه يومنا وغدنا ،
وبالتخلص من سائر روااسب عهد
الاستعمار ، ومحاولات الادمج ،
وبالاستنكاف عن كل مظاهر التبعية ،
والتقليد الاعمي ، لنكون من نحن كامل
الوعي والثقة بانفسنا ، جديرين بأسلافنا
وماضيها ، وبذلك فقط نستحق الاحترام
الكامل من غيرنا ، ومن انفسنا قبل كل شيء .

من خطاب الرئيس
هوارى بومدين
في 5 جويلية 1971

... فلقد كانت مكونات شخصيتنا هي
حصانتنا من الاندماج والدوبان ، فبفضلها
حافظنا على ذاتيتنا المميزة لنا ، وبقينا من
نحن ، رغم جميع محاولات المسخ ، والمحو ،
والابادة المعنوية .

من خطاب الرئيس
هوارى بومدين
في 5 جويلية 1971



... واذا كنا قد عينا حتى الآن بالجانب
الاقتصادي في بنائنا عناية خاصة ، فقد حان
الوقت وقد خطونا خطوات عملاقة في هذا
البناء المادي ، ان نغير الجانب المعنوي كل ما
يستحقه من جهد ، وسهر ، واهتمام .

هواري بومدين



كيف نكتب ..

استفتاء
الأصالة



د. عبد القادر زبادية
استاذ التاريخ الحديث - جامعة الجزائر

ما هي في نظركم المصادر
الحقيقية لتاريخ الجزائر في عهد
الاستعمار الفرنسي ، وكيف
تصورون المحتوى الذي يجب
ان تشمله الكتابة التاريخية
عن الجزائر في تلك الحقبة ؟

الواقع أنني أجد في هذه المناسبة الفرصة
الطيبة للتعبير عن الواقع الذي كنت ولا أزال
أعيشه مع هذه القضية بالذات . إذ يلاحظ ان
الكثيرين يهمهم الاكثار من ذكر المصادر في
الابحاث التي يتصدون لها ، وهذا ليثبتوا سعة
الاطلاع ، أو لكي يبرهنوا على انهم اجهدوا انفسهم
لكتابة تاريخ الجزائر خلال فترة ما ، أو قد يكون
هذا وذاك معا . ولكن المسألة ظلت كما هي ، ولم
يطلع علينا أحد بجديد حتى الآن ، وهذا بالرغم
من الرغبة الاكيدة التي تراود الجميع في اعادة

ج - السؤال ذو شقين ، ولذا فان الجواب عليه
يتجزأ تبعاً لذلك :

1 - المصادر الحقيقية لتاريخ الجزائر خلال العهد
الاستعماري :

تاريخنا

في نطاق الرغبة
التي تراودنا جميعا
لإعادة تقييم تاريخ
الجزائر وكتابته
بأسلوب يتناسب
ومحتواه الحقيقي، رأت
مجلة « الأصالة » أن
تقوم باستجواب بين
بعض الأوساط
الجامعية التي تعتنى
بالأبحاث التاريخية
وهذا في شكل
استفتاء، والفرض هو
توجيه الجهود للسبل
الكفيلة بأرشاد
الباحثين في هذا المجال
وخاصة الشباب منهم،
وتطهير تاريخنا من كل
التشوهات
الحقت به

تقييم تاريخ شعبنا خلال الفترة الفرنسية بالذات،
والراجع أن تحقيق مثل هذا الطموح لم يحصل
منه شيء حتى الآن، لأن قضية المصادر الأساسية
لم يقع تبينها بالشكل المطلوب، فضلا عن الوصول
إلى معرفتها بدقة. وإذا كان من الثابت أننا لم
نهدد لكيفية العثور عن تلك المصادر الحقيقية إلى
اليوم، فإن كل ما يبعث على الأمل في الوصول إلى
تصور كنه تلك المصادر في وقت ما، هو الإرادة
الجارية لدى معظم باحثينا في التصدي للكتابة في
تاريخ الجزائر، وخاصة خلال الحقبة الاستعمارية
الآخرة، وهذا لاقتناعهم بأن استجلاء معالمها لم يتم
بعد وفق الصورة الواقعية المطلوبة.

لقد كتب الباحثون الفرنسيون الكثير عن
تاريخ الجزائر خلال هذه الحقبة، ولكنهم ظلوا
يعتمدون على المصدر الفرنسية وحدها، أي
الارشيفات الإدارية أو المذكرات الشخصية، وكذلك
الصحف والمجلات، ولكن كل هذا، لا يبين، في
نظرنا، إلا على جانب واحد، لأنه لا يغطي إلا
وقائع المظهر الخارجي للجزائريين، ومن هنا فإن
التوقف عنده غير كاف بالمرّة لكتابة تاريخ الشعب
الجزائري خلال هذه الفترة. نقول هذا، لأننا
نعتقد بأن الجزائريين كانوا قد انكمشوا على

أنفسهم أمام إرادة الفرنسيين في مسخهم، وأن
ذلك الانكماش هو الذي جعلهم يتخلون نوعا من
الباطنية، فهم لا يظهرون للإدارة الفرنسية إلا
الجانب المصطنع، وإلى جانب ذلك بي لهم وضع
اجتماعي خاص هو وضعهم الحقيقي، الذي ظلوا
يحافظون عليه ويتشبثون به في شكل عادات
جماعية وتقاليد عائلية ومفاهيم خاصة بهم كذلك.

ومهما تنوعت تلك العادات والتقاليد بين القرية
والمدينة والجبل والسهل، فإن المفهوم الذي كان
يكيف السلوك العام، هو الذي ظلت تتجسم فيه
فكرة جميع الجزائريين عن الوجود الفرنسي
بالجزائر، ولقد ظل موحدا وتمثل فيه القدر
المشترك بين أغليبيتهم الساحقة وأن هذا الجانب
الحفي عن الإدارة الفرنسية والكتاب الفرنسيين،
هو الذي يمكن أن يفسر - من الناحية التاريخية -

التاريخية عن جزائر العهد الاستعماري الأخير ، خاصة وان الاهالي حافظوا رغم معارضة الفرنسيين على بعض مؤسساتهم القديمة ، مثل مجالس الجماعات والمدارس القرآنية والزوايا وغيرها . وكان للتمسك بتلك المؤسسات - رغم جمودها في كثير من الحالات ، دلالة الهامة التي تثير طريق المؤرخ وتسمح له بالتعمق في خفايا التقاليد الاهلية ليضع في النهاية يده على الحقائق كما هي .

ان المحتوى الذي من هذا النوع ، يمكن ان يكون اقرب شيء الى البحث الاجتماعي ، ورغم ذلك ، فانه التاريخ الصحيح ، اذا تصورنا ان الاهالي مارسوا في البداية المجابهة مع المحتلين ، ولكن هؤلاء الاخيرين ما لبثوا بعد منتصف القرن التاسع عشر ان تفوقوا في العدة والتنظيم ، ومنذ ذلك الحين اختار الاهالي حياة الانزعال والتمسك بها الى ابعد الحدود ، وكان هذا من اكثر مظاهر المقاومة ايجابية ، وذلك حينما تحول هدف المحتلين الى التعلق بفكرة تمزيق المجتمع الجزائري ، والى سلبه مع لم شخصيته بمختلف الاساليب ، لكي يسهل اندماجه في الفرنسيين نهائيا والى الابد .

ان الجزائريين في طور الانزعال تحملوا مصاعب كبيرة وجمة : (اغتصاب الاراضي - الانحصار في الجبال والبوادي الفقيرة - الفاقة والجهالة والحرمان كنتيجة لكل ذلك) ، ومع ذلك فانهم اختاروا هذه الوضعية على وضعية اخرى يمكن ان تكون افضل منها بعض الشيء ، ولكنها لم تكن لتؤدي بهم في النهاية الا الى المسخ .

اما تلك الانتفاضات التي رآها النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، فقد غلب عليها عدم الانتظام ، ومع ذلك ، فهي تعبر عن ذلك الفوران الكامن في النفوس ، وهو الذي ظل يتفجر كلما

بالعزلة التي التجأ اليها الجزائريون ، امام محاولات الفرنسيين لسلبهم قيمهم الذاتية ومعالم شخصيتهم الوطنية ، وهذا لكي يسهل مزجهم في الامة الفرنسية الى الابد ، هو الجانب الذي لا تزال مصادره غير متوفرة امام الباحثين ، ولا نعتقد ان الوصول الى تلك المصادر من الصعوبة بـمكان ، ولكنه يتطلب نظائر الجهود والاتفاق الواعي المسبق ، حول المبدأ الذي يمكن الانطلاق منه لتحقيق هذه الغاية .

2 - المحتوى الموضوعي للكتابة التاريخية عن جزائر خلال العهد الفرنسي :

الحقيقة ان الكتابة التاريخية في شكلها الموضوعي ، انما تحدد نوعيتها المصادر التي تتوفر امام الباحثين قبل اي شيء آخر ، ومن هنا ، فان للمصادر علاقة كبيرة بالمحتوى الذي ينتهي اليه ويسجله المؤرخ الموضوعي في أبحاثه .

واذا كان ما كتب حتى الآن عن تاريخ الجزائر خلال العهد الاستعماري ، لا يرضينا ، فذلك لانه لم يعتمد الا على المصادر التي تغطي جزء ضئيلا او سطحيا من واقع الحياة لدى الجزائريين في تلك الحقبة ، وهو ذلك الجانب الذي اتخذ عن اضطرار شكلا من الاصطناع اللاواقعي .

اما الكتابة التي تتعمق الى السوايق الخفية عن الادارة الفرنسية ، وتبرز المطامح والاهداف التي كان الجزائريون يضعونها نصب اعينهم ، كما تلقى الاضواء على واقع الحياة اليومية وتجسم لنا معنى الصلابة واسلوبها الذين يتمثلان في اختيار الاهالي حياة الحرمان والانزعال ، كي لا يجرفهم تيار الانسلاخ عن شخصيتهم الوطنية ، فان هذا كله لا يزال لحد الآن لم يكتب ، وهو مما نرى انه من ابرز عناصر المحتوى الموضوعي في الكتابة

كما ان تفسيرنا تاريخيا رؤينا لظاهرة تغلب
اس 'وبى المجابهة او الانعزال لدى الجزائريين ، عن
الاساوب السياسى فى شكله المعروف ، وهذا طيلة
القرن الماضى على الاقل ، مما نرى انه يكون ايضا
احد عناصر الكتابة التاريخية الموضوعية فى هذا
المجال .

أما عن الثلث الاول من القرن العشرين ، فان
التوازن بين الفاقة والانعزال ، على الصورة التى
اسلفناها ، والالتجاء الى اسلوب المقاومة
السياسية أيضا مع عدم اختفاء الاتجاه الى المجابهة
وحده فى الآخر ، لانه اصبح فى أعين الناس
الملجأ الوحيد ، كل ذلك مما لا يزال يستلزم جهود
الباحثين .

وخلاصة القول ، القول ، اننا نريد ان نؤكد مرة
اخرى ، اقتناعنا بانه لن يكون هناك تكامل فى
محتوى الكتابة التاريخية عن جزائر العهد الفرنسى ،
اذا هى لم تعتمد على محاولة استقاء السند من
وجدان الاهالى ومن حياتهم اليومية ، وكذا من
شكل وتطور مؤسساتهم الخاصة مثل الزوايا
وغيرها ، قبل الاعتماد على وثائق الادارة الفرنسية
وحدها ، كما جرت العادة الى يومنا ، وهذا لان
تلك الوثائق لم تكن لتتناول من واقع الجزائريين
الا مظهره الخارجى المصطنع .

وجد الى الثورة سبيلا ، كما تعبر ايضا عن محتوى
العزلة فى وجدان الاهالى ، وانه التربص المستمر
بغية تغيير الوضع وتحسين الفرص لطرد المحتلين ،
وليس مجرد الانعزال للاستكانة الابدية لما كان
مفروضا بالقوة والغطرسة .
وبالرغم من ان تلك الثورات كانت تخمد لما كان

يغلب عليها من نص فى التنسيق ، الا انها كانت
تجد دائما الاستجابة العامة والسريعة بين الاهالى
فى جميع الجهات ، وهذه الثورات معروفة جميعها ،
وربما كانت - لحد الآن - هى المظهر الوحيد فى
حياة الاهالى الذى نال ما يستحقه من عناية
الباحثين ، ولكن مكابدة الاهالى لصعوبات العزلة
وصمودهم ضد رغبات الادارة الفرنسية ومضايقاتها
لهم ، والتزامهم التلقائى تجاهها بموقفهم الخاص
الذى كانوا قد حددوه مسبقا ، كل ذلك لا يزال
يشكل المحتوى القويم للكتابة التاريخية عن
الجزائر فى عهد الاستعمار الفرنسى ، ومن هنا فان
الحديث عن الفاقة وعن الحياة الاجتماعية البئيسة ،
وكذا عن الخلجات النفسية التى كانت تراود
الاهالى وعن دور هيئات اللجان الشعبية فى
مجتمع اولئك الاهالى ، هى ايضا من معالم الكتابة
التاريخية الموضوعية بدون شك

سؤال :

كيف نستجلى معالم تاريخ
الجزائر خلال العهد التركى ؟

الاستاذ محمود بوعيداد
مدير المكتبة الوطنية



« أليس من الرشد والصواب ان
نلقى عبارة العهد التركى من تعابيرنا
الخاصة بالتاريخ وان نتكلم على المملكة
الجزائرية المستقلة فى العهد العثمانى
أى فى عهد الخلافة العثمانية مثلما قلنا
العهد العباسى والعهد الاموى فيما
يخص عهودا أخرى ومقاطعات أخرى
من العالم الاسلامى ؟ »

مع علاقات دبلوماسية ، وتجارية .

فهى يتخصص بعض ابنائنا في
لغة التركية اولا ومتى يتوجه آخرون
لمختلف تلك البلدان الحافظة لمصادر
تاريخ بلادنا فيبحثون تلك المحفوظات
من مدافنها اذ لن نتوصل الى معرفة
حقيقة التاريخ في ذلك العهد قبل
القيام بهذه العملية .

2 - موقفنا من العهد العثماني بالجزائر :

2 - ان النقطة الثانية وهى نظرتنا لذلك
التاريخ متوقفة قبل كل شئ على دراسة تلك الفترة
على ضوء المصادر الجديدة غير انه من الممكن ان
نلقى سؤالا من الآن على الاختصاصيين وعلى كل من
يهمه الامر قبل ان نجد جديدا في المحفوظات . الا
نجد بعض التناقض في مواقف الذين كتبوا من
المؤرخين والصحافيين وغيرهم من الكتاب ، عن تلك
الفترة ؟ فاذا تكلمنا على العدوان الفرنسى سنة 1830
قلنا ان الجزائر كانت دولة ذات سيادة واذا تكلمنا
على الاستعمار الفرنسى قلنا ان الجزائر حصلت سنة
1962 على استقلالها بعد 132 سنة من الاحتلال
منميين حتما الى ان البلد كان مستقلا قبل العدوان
فالاحتلال . وقد وقع في نفس التناقض
اختصاصيون اجانب ايضا واننا نلقى على سبيل
المثال عند المؤرخ الفرنسى شارل اندرى جوليان
في كتابه الاخير « تاريخ الجزائر المعاصرة » في
الصفحة الاولى من الكتاب جملتين متناقضتين
فيقول في الاولى « ان الجزائر كانت سنة 1830
ايالة من ايالات الدولة العثمانية وكانت في الواقع
مستعمر استغلال تديرها اقلية من الاتراك » ويقول
المؤرخ الفرنسى بعد ذلك في نفس الصفحة « ان
سلطة الباب العالي رغم شرعيتها لم تكن في الحقيقة
الا وهما » . وامثال هذه التناقضات موجودة
بكثرة في كل ما كتبه قبل سنة 1830 الرحالة
والساسة والدبلوماسيون الاجانب فمنهم من تكلم
على مملكة الجزائر وسلطان الجزائر والدولة
الجزائرية بدون الاشارة الى السيادة العثمانية
ومنهم من تكلم خلافا لذلك على ايالة على رأسها
حاكم يعينه الخليفة المقيم باستمبول .

ولتمام نص السؤال على المعنيين بالامر نزيد
قائلين :

كلما تأملت تاريخ بلادنا في الفترة التاريخية
المسماة بالعهد التركي اتجهت افكارى الى الوجهتين
التاليتين :

1 - ان هذه الفترة من تاريخ بلادنا
تحتاج اكثر من غيرها من الفترات الى
التنقيب عن المصادر الخاصة بها .

2 - اننا في حاجة الى توضيح
موقفنا ازاء هذه الفترة . هل كانت
بلادنا في ذلك العهد دولة ذات سيادة
ام مستعمرة تركية ؟

فلنتعرض الى النقطتين على التوالى :

1 - بحث المصادر :

ان في تناول الباحث في ماضى الجزائر ما عدا
العهد العثماني ، مصدر عربية واجنبية كثيرة
نسبيا ، وان كانت طبعيا بعض الجوانب من تاريخ
تلك العهود والجانب الحضرى منها على الخصوص
تحتاج الى مستندات جديدة . وهذا لا يعنى ان تلك
المصادر قد درست دراسة متقنة كافية فتاريخنا
بحذا فيه في حاجة الى ابناء هذا الوطن من الباحثين
لإعادة النظر فيه واثبات الحقائق التى شوهدت
غيرنا ، اما فيما يخص العهد العثماني فانه لم يدرس
الى يومنا هذا دراسة علمية كاملة ولم تنشر كل
المصادر من محفوظات وكتب الخاصة بتلك الحقبة من
ماضى بلادنا . وهذه المحفوظات من مراسلات
وتقارير وعقود وكتب لا زال غالبها مدفونا بمختلف
دور المحفوظات الموجودة في بلدان البحر الابيض
المتوسط التى كانت لها علاقات مع الجزائر قبل
العدوان الفرنسى سنة 1830 وفي مقدمتها دور
المحفوظات باستمبول مقر الخليفة من آل عثمان
وعاصمة العالم الاسلامى فى تلك الازمنة .

وقد زرت بعض تلك الدور التركية منذ سنوات
فبعت من أهمية المحفوظات المذكورة بها والتي
تنتظر من يخرجها للناس ويتناولها بالبحث
والدراسة وكل ما شهدت من تلك الوثائق مكتوب
باللغة التركية بحروف عربية . كما توجد
محفوظات باللغة العربية وباللغة التركية وبمختلف
اللغات المستعملة آنذاك على ضفاف البحر الابيض
المتوسط فى موالى ومدن لبلدان كانت للجزائر



الاستاذ عبد المجيد مزيان
استاذ علم الاجتماع - جامعة الجزائر

التاريخ الاجتماعي ودوره في تاريخ الجزائر

ليس من السهل ان يتجو الانسان من اخطار الذاتية عندما ينزل من سمائه النظرية الى صلب الواقع الحي في التاريخ الاجتماعي ، بكل ما تكلمنا عن الموضوعية التاريخية وحصرنا كلامنا في ميدان منهجي ، كنا مدققين وموفقين ايما توفيق ، ولكن تطبيق هذا المنهج بكيفية تضمن اكتشاف الواقع ، يتطلب شروطا قلما يفي بها الباحثون ، ذلك ان التاريخ ذو حركية وسيلان عارم من جهة وذو تشعبات اجتماعية لا حصر لها من جهة اخرى .

وليس بوسعنا في هذه النظرة الحافظة التي نحاول من خلالها ابراز اهمية التاريخ الاجتماعي ان نقوم بسرد لكل التشويشات المتسلطة على الواقع التاريخي ، ولكننا نستطيع ، على الاقل ان نذكر بعض الحرافات الفكرية التي تروج حتى الآن عن مفهومنا للتاريخ :

1 - فمن الحرافة ان نتصور التاريخ احداثا ليست من صنع المجتمعات :

ان التاريخ كما يقال ذاكرة الشعوب ، ولكنها ذاكرة مسخت مسخا الى حد انتسابها لغير الشعوب ، ذلك انها كانت عرضة للصدف والغموض أحيانا ، وللتدليس في أغلب الاحيان . وبحكم هذه الصدف

التي هي روايات المؤرخين القدماء ، فرض على الشعوب ان تنسى تاريخها الحقيقي ، وتذكر صورا كالاوثان ، لافراد وضموها على قمم التاريخ ، لانهم كما يقال لنا ، صنعوا أحداث التاريخ .

تقول النظريات الفردانية التي تدافع عن هذه الحرافة ان كتابة التاريخ عملية تركيبية تلخص الاحداث الجزئية في الحادث الممتاز ، وتركب ارادة المجتمعات في ارادة قادتها ، وتصهر مجموعة الازواضع الاجتماعية في المظهر الأكثر بروزا ، وليس كمثال الحادث السياسي ، والقائد العسكري ، والمفكر الكبير تشخيصا حيا للاحداث والتطورات . ونقول هذه النظريات ايضا ان الشعوب لا تصنع شيئا بل يصنع لها ، ولا تريد بل يراد بها ، وخير دليل على ذلك عدم وعيها للتشعبات السياسية ، وتيه الافراد في تفسير حياتهم الاجتماعية ، وانفلات الاحداث من ايديهم الى حد اندهاشهم أمام تطورها . نعم ان هذه المشاهدات صحيحة في حد ذاتها ولكنه من الخطا ان نستنتج عنها الاستنتاجات الفردانية ، بل لابد من تدعيم هذه المشاهدات بملاحظات تزيد في تشخيص هذا الاستلاب ، ولكنها لا تنفي مصدره الاجتماعي . انه لمن العناد الفلسفي الفارغ ان نقول ان الفرد لا يصنع شيئا في الاحداث الاجتماعية التاريخية ، ولكننا ندعي انه يساهم بقدر مهم أو يسير في هذه الاحداث بصفته عضوا في المجتمع وانه لا يفارق هذا المجتمع كالكنز المخلق في العلويات ، انه والآخرون

يكونون المجتمع ، ولا يجوز ان ننزع من المجتمع ما هو منه واليه . هذه ملاحظة اولى ، والثانية هي ان الشعوب تبني مجتمعاتها بيدها وتصنع احداثها التاريخية متداخلة او متصارعة مع شعوب اخرى ، ولا يهنا حل تكون هذه الاحداث منضبطة لارادة المجتمعات او معاكسة لهذه الارادة ، انما المهم ان ننفي خرافة المصدر اللامعتمى للاحداث التاريخية . والملاحظة الثالثة ترجع الى ان الفرد الذي يعيش ظاهرة اجتماعية ، قليلا ما يمكنه ان يعيها ويعيا علميا موضوعيا ، ومن هنا يضع مخاولة الاجتماعي هذا خارجا عنه ، فاما ان ينسب الى السامع والسامع منه بريئة واما ان ينسب الى الاوثان البشرية ، والاوثان البشرية عاجزة عن ان تتحمل وحدها مسؤولية التاريخ ولو في الجزء اليسير والزمن القصير .

هذه خرافة اولى .

2 - والخرافة الثانية ان نعطي للتاريخ كينونة

تجعل منه كائنا روحيا او ضميرا انسانيا . وقد تعود كثير من المفكرين ان يقولوا هكذا اراد التاريخ ، و « هذه هي اتجاهات التاريخ » كان التاريخ كائن روحاني يطفو على البشرية فينسج لها الاحداث ويرسم لها التخطيطات وليس الانسان في هذه الحالة الا منجزا لاوامر هذا الكائن الروحاني المتعالى . ان هذا لحقا قلب الواقع رأسا على عقب حتى أصبح مخلوق البشر يقوم مقام خالق لاعمال البشر . ويقالى المغالون « ناصحاب هذه النظرية الماروائية الى درجة انهم يتخيلون طبيعة تاريخية لها سننها وقوانينها التي يخضع لها الناس مقهورين ، لا يستطيعون الا الانزلاق مع الاحداث الى هدف لا يعلمه احد ، ذلك لان التاريخ في نظرهم كائن مسير وليس بالمخلوق المتكون من الاحداث المخلوقة .

ثم ان هناك طائفة من المفكرين يتكلمون عن التاريخ كضمير انساني عام موحد ، انتصب فوق الامم ليحكم الامم فتجدهم يعرضون الاحداث والامم على هذا الضمير المزعوم ويدعون انهم ينجزون للتاريخ وانهم يحكمون التاريخ وانهم مائلون امام التاريخ . وليس في مثل هذه المواقف الا تبريرات لافتراءات المفترين ، وعمادا خرافيا للمزورين .

باسم هذا الضمير التاريخي صُنِّقَت الامم طبقات منها القادرة على التحضر ومنها المحكوم عليها بالبداية الابدية - وباسم هذا الضمير قسمت الحروب الى حروب عادلة ومشروعة واخرى غير عادلة فنسب العدل الى ابناء الامم الغالبة والفتنة والغزو البدائي الى ابناء الامم المغلوبة . وباسم هذا الضمير حكم على بعض المجتمعات بالانحطاط ونفاذ القوى وخصصت لمجتمعات اخرى وسائل النهوض والتقدم . فليس هذا الضمير الا مطية للتدليس والزور التاريخي ، وليس افتراء الفيلسوف الالمانى هيجل منا ببعيد حينما عرض تصنيفاته الفكرية والسياسية للامم على ما سماه بالتاريخ كضمير . وحينئذ ادعى ان الهمجية كلها في غير اوروبا والحضارة والفكر كله في اوروبا . واقرب اليانام ذلك ما يقوله مؤرخو الاستعمار عنا من اننا في المغرب العربي اعراق متنافرة لا تعرف الا الفتنة والتشتيت ، واننا استنفذنا قوانا المضارية منذ سبعة قرون بحكم قوانين التاريخ وبحكم الضمير التاريخي الذي حكم بعجزنا ، فيما يزعمون . ان كل هذه الاضاليل ترجع الى رواج الخرافات الروحانية حول التاريخ .

ثم ان الخرافة الثالثة التي نريد ان نشير اليها خرافة منهجية تدعى ان الموضوعية في كتابة التاريخ لا يمكن ان تتحقق اذا كان المؤرخ من المجتمع المؤرخ له .

ان هذا الموقف يطرح مشكلا منهجيا وعقائديا في نفس الوقت . اننا لا ننكر ان كثيرا من الذين ارخوا لمجتمعاتنا من ابناء امتنا غلبت عليهم عواطفهم ، او قل وعيهم ، ولكن الذين ارخوا لنا من الاجانب كانوا اكثر عاطفة باحقادهم ، واقل وعيا لجهلهم بأحوالنا . واذا كان كل من الوطني والاجنبي ينتسب لعقيدة ما ، فمن الاحسن ان تحك العقيدة بالعقيدة وان يقرع المنهج بالمنهج حتى نقرب من الموضوعية في التاريخ . فلا ضمير اذا ان تقف الشعوب مواقف عقائدية احيانا تجاه مواقف عقائدية اخرى مشووعة للواقع . ألم نقل اننا نريد استئصال جرثومة الاستعمار في نظرتنا لتاريخنا ؟ ان هذا توجيه وموقف عقائدي لا يمكن انكاره ، ولكنه موقف مجتمع باجمعه نفى بكل ما

لديه من عزم ، وضعية تاريخية نسميها الانحطاط والاستعمار ، وقد نفاها في الواقع الى وصنع بذلك تاريخه بيده ، ثم اصبح عليه ان يسترجع من ماضيه ما هو له حقا وان ينفي ما ينسب اليه زورا وبهتانا .

3 - ولا تكون مراجعة التاريخ الا بالرجوع الى المجتمع :

قد تعودنا اليوم ان نسمى التاريخ شيخ العلوم لاننا اذا ارخنا للبشرية في جميع مظاهر حياتها فقد نكون مؤرخين للمجتمع ونشاطاته وللانسان وعلاقاته بالطبيعة ولكل علم بمفرده ولكل العلوم في تداخلها وتعاونها ، ولكل علم حدث فكري او

مادى في انمزاله ولكل الاحداث في شبه نسيج يجمعها ، ان كل ظاهرة انسانية لها بعدها التاريخي او كما نقول اليوم لها تاريخيتها وصيرورتها . ولو فرضنا في المستقبل وجود مادة تلتقي حولها جميع المواد لبدأنا من هذه المادة التي تعتنى بالصيرورة والتاريخية . ولا يمكن للتاريخ الجزئي والمجزئي ان يفي بهذا الغرض . ولا يمكن للتاريخ المحلق على أعلى القمم الا ان يعطينا نظرات خاطفة عن الواقع المتشعب . اما التاريخ الاجتماعي الذي يرد الاحداث الى مصادرها الحقيقية فهو اقرب مادة ، فيما يبدو لنا لاسترجاع الواقع الانساني ، ولاعطائنا عنه صورة جد قريبة من الموضوعية الحقة .

ما هو دور النخبة في تاريخ الجزائر المعاصر ؟

يشعرون بأنه لا مكانة لهم في المجتمع . والذي يتتبع التطور السياسي للجزائر اثناء الفترة الاولى للاحتلال يلاحظ بدون عناء ، مدى الدور الذي لعبته الطبقة المذكورة . فالفتى ابن النابى ، والمتنفذ حمدانى خوجة ، وقضاة قسنطينة وبعض مرابطى معسكر وتلمسان كلهم قاموا بدور نشيط في الفترة المذكورة .

ولكن هذا الدور الفعال سرعان ما كبه الفرنسيون خشية من العواقب التي تتهددهم لو تسامحوا مع قادته ، لذلك تشنت اولئك القادة في مختلف البلاد العربية الاسلامية ، بل في فرنسا ايضا ، وحل بعضهم فراغ مخيف في الحياة الروحية والفكرية وبالتالي السياسية في الجزائر ، وظل الامر كذلك الى نهاية القرن الماضي . حقا لقد ظهرت عناصر

د . ابو القاسم سعد الله استاذ التاريخ الحديث - جامعة الجزائر

قبل الاجابة على هذا السؤال « لابد من تعريف النخبة » يراد بالنخبة عادة فئة قليلة تمتاز بثقافة معينة راقية وتفتح ذهني وحرية فكرية وطموح اجتماعي وسياسي احيانا . وهي في العادة فئة تمشي خارج المجتمع ولها آمالها وبرامجها وافكارها الخاصة ، ويجب الا يختلط معنى « النخبة » بمعنى « الانتيليجنسيا » . ذلك ان هذه تعني فئة متميزة ثقافيا وسياسيا واجتماعيا وليس من الضروري ان تكون عناصرها من المثقفين البارزين .

وقد ساعدنا احد الجزائريين فعرف النخبة بأنها جماعة تعيش فوق المجتمع بحكم تكوينها واهدافها . واذا عدنا الى تاريخنا الحديث فاننا نجد ان هذه النخبة كانت موجودة حتى في العهد العثماني . ذلك ان هذا العهد قد شهد تركيبا طبقياً يشبه الى حد كبير التركيب الطبقي الاوروبي في القرن الثامن عشر . وكان بعد النخبة في هذا العهد بعض المفاتي والقضاة وبعض المثقفين الذين كانوا

روحية يمثلها رجال مؤمنون بقضيتهم
امثال الشيخ الحداد والشيخ بوعمامة
وغيرهما ، ولكن موجة الاستعمار
كانت اقوى فيما يبدو من موجة
المقاومة في النهاية .

وبنهاية القرن الماضى ظهرت فئة
جديدة وليدة العهد الاستعماري ، ولا
نستغرب ان يكون قادة هذه الفئة
من المثقفين بثقافة المحتل والمتأثرين
بطرق معيشته . وماداموا كذلك فقد
زعموا انهم غرباء في مجتمعهم بل انهم
فوق هذا المجتمع وانهم يريدون تحوله
لكي يرقى الى مستواهم الثقافي
والاجتماعي .

ولقد دخل هؤلاء في صراع اجتماعي
وسياسي احيانا مع طائفة اخرى من
الجزائريين كانت تتمسك بالتقاليد
العربية الاسلامية كضمان في وجه
موجة الانحلال والتفكك وتحويل
المجتمع الجزائري الى مجتمع اودوبي .
وقد احتد هذا الصراع اكثر في فترة
ما بين الحربين ، فاصبح لكل فئة

حزبها وصحفها ونوابها واتباعها .
وبنهاية الحرب العالمية الثانية نجد
ان كفة الصراع قد رجحت لصالح
النخبة الوطنية سواء منها من يمثل
التيار التقليدي او من يمثل التيار
التقدمي المتفتح ، وتبلور هذا
الانتصار في ذوبان هذين التيارين
معا في ثورة 1954 .

وهذا التاريخ يمثل في الحقيقة نهاية
النخبة التي كانت تزعم بانها فوق
المجتمع الجزائري والغريبة عنه .

والخلاصة ان النخبة الجزائرية قد
مرت بثلاثة ادوار : دور ايجابي فعال
اثناء الفترة الاولى للاحتلال ، ودور
متذبذب في مطلع القرن الحالي ، ودور
طلائعي ثوري ، ابتداء من سنة 1954 ،
ولكن هذا لا يعني ابدا ان العناصر
المضادة للتيار الوطني قد انتهت .

والخلاصة ان النخبة الجزائرية قد
التاريخ الاجتماعي ودوره في تاريخ
الجزائر

الجزائر

في تاريخ

الحضارة

(1)

2

مصطفى الأشرف

مستشار بالرئاسة

ترجمة: د. منصف بن عيسى

مما لا شك فيه ان بلدان البحر الابيض المتوسط ، باعتمادها على امكانياتها الخاصة في تقرير المصير والاخذ باسباب التقدم ، ما كانت ليستطيع ان تضرب بسهم في الحضارة وان تبرهن عن كفاءتها في ميدان الثقافة ، لو لم يحدث امر وحيد في نوعه ، وهو ان هذه المنطقة من العالم دبت فيها حركة ثقافية مبدعة ، اتسع نطاقها حتى امتدت الى اقصى البلاد ، وتواصلت على مر الدهور ، وعادت بالخير على المنطقة بأسرها .

(1) راجع الملفة الاولى من مقال الاستاذ الاشرف في المجلد الثاني من هذه المجلة

(ماتيغو) (2) وغيرها من المدن الاخرى ، فاننا نلاحظ ان التأثير كان متبذلا ومتنوعا بين الطرفين ، من حيث البيع والشراء مع البربر ، ومن حيث الاقبال على السلع المعروضة ، وطرق التعامل ، بل ومن حيث اللغة التي هي قريبة من اللبينة القديمة ، مما جعل الاهالي يتقبلونها بنفوس رافية ، وهكذا ازدهرت الحضارة نتيجة الامتزاج والاشتراك على مدى التاريخ في الالام والامال

انها حضارة متميزة في غيرها ، لان الفينيقيين كانت لديهم قابلية خلصة لتعلم لغات الاهالي ، والتزاوج مع البربر ، ولان سياستهم تتميز بالتفعل والحكمة ، وقد استطاعت قرطاجنة ، بهذه السياسة الحكيمة ، وبشأنها الاقتصادية الناجح ، ان تعلم الاهالي كيف يستثمرون المعادن وكيف يزرعون القمح وكيف يفرسون الكروم واشجار الزيتون ، وهي لم تحاول ان تخضع ملوك البربر وزعماءهم ، وان تفرس عليهم امرا ما ، بل استدرجتهم بالرغى لمقد اخلاف ومعهدهات كان لها تاثير كبير بالنسبة الى ميزان القوى في حوض البحر الابيض المتوسط Etrusques

ولقد اخلت لغة ملوك البربر وزعماءهم بمسقبل الامبراطورية البونيقية تضط فيما بعد ، بسبب المناورات السياسية وتسلط بعض الفئات من الوجهاء والاعيان ، ولان قرطاجنة حاولت بعد ما تغل عنها حلفائها الاتروسك ان تصد الخطر الذي يهددها من طرف الرومان ، ولكن ضعف لغتهم ربما كان راجعا بالدرجة الاولى الى ان الممالك الكبرى التي اسسها البربر آنذاك بلغت مرحلة لا يأس بها من حيث النضج الوطني ، فخلد ملوك البربر وزعماءهم

ان الدور الذي قام به اليونان في مضمار الحضارة شبيه بالدور الذي لعبه الفينيقيون في حضارة البحر الابيض المتوسط ، اى في اطار عالم كان مغلقا على نفسه ، فاصبح من الضروري ان يفتح على الحياة ، وان يساهم كل قدر يطل عليه بنصيب ، وان يشارك في الثراء التراث المشترك وصيانة الخصائص المميزة للمنطقة ، ولقد قال الفيلسوف اليوناني ديون كريسوستوم Dion Crystosome الذي عاش في القرن الاول الميلادي بـ : « اهالي قرطاجنة الذين تحولوا الى ليبيين (اى الى بربر)

بعد ان كانوا صوريين Tyriens جعلوا اموالا طائلة وانشاءوا اسواقا عديدة وموانى وسفنا حربية وبسطوا نفوذهم برا وبحرا الى مناطق بعيدة ، ومن المعروف ايضا ان مؤرخي العصور الفائرة كانوا يسمون سكان المدن البونيقية الواقعة على الساحل المغربي ،

الليبينيقيين Libyphéniciens ، وان دل هذا على شيء ، فانما يدل على ان فئة من سكان البحر الابيض المتوسط القادمين من الشرق استطاعوا بحكم تفوقهم الحضاري ، وبدون حرب ولا ظلم ، استطاعوا ان يصبحوا من العناصر النشطة النافذة للبلاد ، حتى انهم انتمجوا في الفئة الاخرى من سكان البحر الابيض المتوسط ، وربطوا مصيرهم بالمصير الافريقي ، ونقلوا الى الشواطىء النائية من البحر المشترك ، بعض الجوانب الحضارية المجهولة او الصنائع التي برعوا فيها

واذا نظرنا الى المراكز التجارية والمدن المنشأة على الساحل الجزائري وهي يومنيوم Iomium (تيجزيرت) واكوسيم Icosium (الجزائر) ويول (شرشال) وروسيكاد Rusicade (سكيكدة) وروسوكورو Rusuccuru (دلس)

يفكرون في امكانية التغلص من التبعية البونيقية وتقرير مصير بلادهم تبعا للوضع السياسي والاقتصادي السائد في حوض البحر الابيض المتوسط ، الا ان الممالك البربرية في الجزائر كانت آنذاك لا تزال دولا تعتمد على القوى البرية ، في حين ان صفحات التاريخ كانت تسجل في البحار ، وفي الاراضي المطلة على البحار ، لا في السهول والقفار ، وهذا الامر لم تمره روما ، فدارت عليها الدائرة خلال الحروب البونيقية الاولى

على ان روما كانت في تلك المرحلة الانتقالية الثقيلة ، تجرب سياسة جديدة في التعامل ، وطرائق تدل على المهارة ، وتسلك مع بعض ملوك البربر سلوكا جعلهم يميلون اليها ، وبما ان روما بعيدة من حيث المكان عن شمال افريقيا ، فلا مجال للتخوف منها ، ولذلك اخذ ملوك البربر يعملون من اجل التغلص من كل تبعية ومن كل تدخل في شؤونهم ، حتى ولو كان خالصا من الاغراض الاستعمارية ، ومبات مدينة « سيرتا » « Cirta » (قسنطينة اليوم) تحتل مكانتها فوق الصخرة التي شيدت عليها ، كعاصمة كبرى ، وكان الملك آنذاك هو مينييا ، وهو رجل حازم ، عمل كل ما في مقدوره لتمديد بني قومه وتثقيفهم ، وهو الذي اثل على عاتقه مهمة توطينهم بمسند ان كانوا رجلا ، واسكانهم في الاراضي المستصلحة وتعميدهم على الحياة المثمرة الهادئة في الحقول والبساتين ، مع تجنبهم عند اللزوم لشن الغارات التوميدية المكثرة على اسبانيا وايطاليا ، وادرك مينييا ان « سيرتا » هي اجدر مدينة للاشراف على هذا العمل الجبار ، وعلى نوميديا بأسرها ، ولعل امة البربر كانت قد اخلت تسلم امرها الى ملوكها من اجل قيادتها واحتلالها المحل اللائق بها بين الامم

وتخاصم مسينيسا مع سيلفاكس Syphax (ملك نوميديا الغربية) ، فاخذ يفكر في استبدال حلفائه القدامى بغيرهم واقنعه سيبون اميليان Scipion Emilian بالانضمام الى صفه ، فساهم مسينيسا بذلك مساهمة قوية في هزيمة حنه بعل (القائد القرطاجنى الشهير)

في زامه Zama عام 202 ق م ، وتعتبر هذه المعركة نقطة تحول بالنسبة الى نوميديا وشمال افريقيا باسرها : فافريقيا ، بعد ان كانت منطلقا للتفوحات البحرية القرطاجنية ، أصبحت ، لمدة قرون ، حليفة روما في مشاريعها الاستعمارية ، مما قضى على جميع المساعي والجهود التي بذلت من اجل النهوض بامة البربر من شعب متخلف ، الى امة متقدمة ، تلك المساعي والجهود التي كانت تنجح في تكوين دولة كبرى موحدة منظمة وذات سيادة

ولئن كانت شمال افريقيا ، بالنسبة الى الفينيقيين ، مركزا من مراكز الحضارة ومحطة للتجارة والاستكشاف في سيرهم نحو الاقطار المجهولة ، وحلقة وسلى بين البحر الابيض المتوسط المعروف لديهم ، وبين المناطق المجهولة التي يريجون الوصول اليها من وراء هياض الصحراء ، الى القارة السوداء ، لئن كان الامر كذلك بالنسبة الى الفينيقيين ، فان شمال افريقيا - وهى البلد الكبير المجاور لصقلية واروبا ، الفنى بموارده الطبيعية وامكانياته البشرية - ما لبثت ان صارت بالنسبة الى الرومان الذين اطاحوا بالحكم القرطاجنى ، ارضا للاستيطان ، ومسرعا للناودرات والحروب ، حيث كانت غواير روما تعيش فيها فسادا

ونحن لا نغنى من وراء هذا الكلام ، ان حكم الرومان لم يكن على وجه الاطلاق مبيدا لشمال افريقيا والجزائر ، ولكن الشئ الذى يهم مؤرخ الحضارة وعالم

الاجتماع بالدرجة الاولى ، هو انتشار القيم الحضارية بصورة تلقائية ، والاقبال العلوى على الثقافة والصنائع ، لان الحضارة ، كما نلهمها ، معناها النشاط الذى تساهم فيه الجماهير من غير اكراه ولا ظلم ، ومعناها العمل فى بوتقة البشرية جمعا ، من اجل ايجاد الحلول المناسبة للحاجات اليومية والمشاكل العملية

وبعد ان غرّب الرومان قرطاجنة ، اعلنوا ضمها الى الامبراطورية لكي يمنحوا حلفاءهم ملوك البربر من الاستيلاء على هذا البلد ، والتفكير فى استعادته بعد ان خرج من يدهم

ان القرطاجنيين الذين نجوا بالنسهم من التقتيل والتخريب - وهو امر يكن له ، فيما يقال ، سيبون الافريقى نفسه Scipion L'Africain علما بانه هو الذى امر بتلك المجازر الرهيبة - هؤلاء القرطاجنيين استجادوا بالبربر فاجادوهم ، واخذوا يواصلون رسالتهم الحضارية السامية ، وهكذا ، فقد انتشرت اللغة البونيقية اكثر مما مضى ، حتى ان الكتابات المنقوشة بهذه اللغة تكاثرت فى الجزائر عام 118 ق م ، اى بعد ما يزيد على ثلاثين سنة من دخول الرومان ، وكذلك فان اللهجات البربرية تطورت الى لغات مكتوبة ، واخذ الملوك النوميديون الذين نعموا لو ينفع التسلم ، يجمعون الكتب من المكتبات البونيقية التى اراد سيبون اميليان ان يخرّبها ، رغم انه كان معروفا بالثقافة والعلم ، كما اعدوا تشغيل المعامل الفينيقية ، ونهضوا بتلك المهمة على احسن وجه ، واستأنفوا تشييد صرح الحضارة فى حقل الزراعة والصناعة تلك الحضارة التى انشأها الليفيينيقيون منذ عشرة قرون خلت ، فأتى من بعدهم الرومان ، وقضوا على تلك المحاولة المباركة ، وقد كتب المؤرخ جيروم كاركرو

بينو Jérôme Carcopino فى هذا الصدد يقوه : « لم يبق من قرطاجنة شئ ، بعد ان غرّبها الرومان

تخريبا كاملا : لقد أصبحت هى واهلها اثرا بعد عين »

اما الحقيقة لمعروفة : لقد اخذ خلفاء مسينيسا وورثة عرشه يتناحرون ويتقاتلون ، وفرض الرومان حمايتهم على ما يشكل اليوم الجزائر والمغرب الاقصى ، ثم نشبت الحرب الطويلة التى دامت عشر سنين وتصارع فيها يوغورطا مع اكبر قادة الحرب فى روما ، ونشان الاحزاب السياسية وانخرط فيها الامراء النوميديون ، بعضهم يتناصر قيسر ، والبعض الآخر يتناصر انطوان واوكتاف وروبيس ، الى ان جاء عهد اغسطس الذى بفضلته عرفت آخر مملكة بربرية تسست فى الجزائر ، عهدا من الرخاء والازدهار لم تعرفه من قبل ، تحت حكم يوبا الثانى ، وهنا ايضا ، فان هذا الجانب المزدوج المتعلق بالسلطة والحضارة يدنونا الى ان نقف لحظة لكي نتأمل قليلا فى الثقافات المروضة بالقهر والقوة ، او القبول من طرف شعب من الشعوب حينما تلبى تلك الثقافة بعض الحاجات الوطنية الملحة ، لابد كذلك من ان نقف قليلا لكي نرى كيف يستيقظ الشعب بعد طوول غفلة ، وما هى الخصائص العامة للمجتمع البناء ، المجتمع الذى يتفتح على الخارج لكي يستفيد من تجارب الغير ، وينتقل الى الماضى ، لكي يوحد الصف ويحيى التراث ويعيد مجده الغابر وسيادته المفقودة

او اوكتاف الذى أصبح يعرف ، بعد تقلده للحكم وتعزيز سلطته ، باسم اغسطس ، كان لا يزال مشغولا بتركيز دعائم الامبراطورية الرومانية الواسعة ، والقضاء على الحرب الاهلية فى ايطاليا بالذات ، ولذلك التى عن كاهله شؤون شمال افريقيا واراد ان يتخلص من مشاكلها فقام بتنصيب امير شاب من امراء البربر ذو يوبا الثانى ، واسند اليه الحكم فى لثى البلاد

ان هذا الملك الذى هو من سلالة نوميديية عريقة ، لم يتأثر بالحضارة

البونيقية ، لانه تربى في روما وتصلم اليونانية واللاتينية ، واقام في ديار القرية ، وعين حرب ، منذ تومعة نظره ، بعيدا عن الريقيا بلاد الاجداد ، وقد اخذ هذا الملك الشاب منذ عام 29 ق م ، يعمل من اجل احياء عهد الحضارة المزدهرة التي انشأها اجداده الاولون ، وقد تصافرت عدة عوامل في حياة هذا الملك ، فوعسته في قلب التيارات الكبرى ، وفي معتزك الاحلاف والشدائد والايام التاريخية المشهودة التي برهنت فيها منطقة البحر الابيض المتوسط بانها ارض التعاون العالي ، والوحدة الثقافية الشاملة ، والبطلولات الحارقة ، والاماطير التي رفعت بعض الملوك والرجال الطام الى مرتبة الآلهة ، وفي عام 19 ق م ، زوجه الإمبراطور أوغسطس بكيولبطرة سلىنى ، بنت كيلوباطرة الشهيرة في التاريخ ، واصبح بلاط يوبا الثاني مكانا يقصده الفنانون اليونان ، والنحاتون الكبار ، والعلماء الذين اخلوا يجمعون في مكتبته المخطوطات النادرة ، ومما لا شك فيه ان تشربه للثقافة الرومانية قد سهل عليه المهمة التي كلفه بها أوغسطس ، وهي نشر الحضارة الرومانية ودعوة بني قومه الى مجادلتها ، لكي ينسوا حصاراتهم الاصيلة التي هي مزيج من الثقافة القومية ومن التقاليد والصناعات الموروثة عن قرطاجنة وعن الليبيين ، على ان يوبا الثاني كان ميالا للثقافة اليونانية المجردة من الاغراض والاطماع ، ولم يكن متأثرا بثقافة الرومان الا لانه ظل مخلصا لروما ومعتزلا لها ولقيصر أوغسطس بالجميل ، وكان عالما وكاتباً وممن يقدر الروائع الفنية حق قدرها ، ولم يقتصر في نشاطه الثقافي على المجال الفكري ، وينبغي ان نذكر هنا بان مملكته كانت تشمل ثلثي مساحة الجزائر الحالية ، ومساحة المغرب الاقصى الذي لم يتمكن المعمرين والتجار والحكام الرومان من الوصول الى اطرافه النائية ، ومن تنظيم شؤونه الادارية ، ونحن نشير الى هذه النقطة لانها ستكشف لنا

عن صفتين غريبتين ودراسيتين في نفس يوبا الثاني ، رسوخا لا يكاد يترك له مجالا للاختيار

ان العاصمة الجزائرية في ذلك الوقت هي مدينة شرشال ، وكانت تسمى قيصرة TESSARAE ، وهي تكاد تفوق المدن اليونانية والرومانية المعاصرة لها في العظمة ، اذ كان لها أنظمة بلدية نموذجية وكانت حافلة بالمعابد والمباني الفخمة ، فتوالد اليها رجال الفن والعلم من كل حذب ووصوب ، وهنا نلاحظ ان يوبا الثاني وجه نشاطه الى المقاطعات القريبة من مملكته الواسعة ، فاعتم بها اهتماما كبيرا ، وكان يحب الإقامة في قصره الملكي بمدينة فولوبيليس (شمال مكناس) (3) Volubilis التي بنيت هي كذلك على غرار مثيلاتها من المدن الرومانية ، وكان يحب ان يتردد ، رغم بعد المسافة ، على المغرب الاقصى ، حيث وضع الفنيقيون والليبيين قواعدهم اساس المراكز التجارية الاولى ، واكتشفوا طريق الذهب والمعادن الثمينة ومهدوا السبيل للمتاجرة مع القارة الافريقية ، وقام يوبا الثاني ، اما شخصيا او مستعينا باعوانه ، قام باستكشاف المناطق النائية من المغرب الاقصى ، ودرس عالم الحيوان والنبات وروم المراكز التجارية الفينيقية المهمة طيلة قرون عديدة ، واقام في جزر الكاناري المصانع الشهيرة التي ما فتى مؤرخو العصور القديمة يمتدحون مزايها الحسنة ،

(3) تسمى اليوم قصر فرعون او ليل وانشأ السفن للقيام بابحاث علمية استكشافية ، وجعلها احسن تجهيز

وهكذا اخذ يوبا الثاني يربط الماضي بالماضي ، ويواصل - من غير ان يتنكر لروما التي اجلسه على عرش الملك - الجهود التي بذلها الاوائل في اقامة حضارة اصيلة ومستقلة بالمغرب

وكانت سياسة يوبا الثاني هي اغناء التراث ، والقيام بالاستكشاف

والتزيم ، والرجوع الى الاصل ، اي الى الثقافة التقنية التي برع فيها الليبيين ، وقد نهض بتلك السياسة ، متحسنا لها ، لانه مدفوع الى ذلك بحاجة ملحة للتنف والمعمل الجنا ، لا يحكم التبعية للرومان ، ولئن وفق في سياسته وجهوده التي ظلت يبدلها طيلة حكمه ، اي مدة 49 سنة ، لانه كان بعيدا الى حد ما عن الرقابة الحفية او المباشرة من طرف السلطة الامبريالية ، وبمعزل عن التدخلات والمخازنات الشخصية والتأثيرات المفردة من طرف المستوطنين والمعمرين والتجار الرومان الذين لا يدينون له بالولا ، لانهم مواطنون رومان ويتمتعون بامتيازات خاصة فيما وراء البحار ، ومن المعروف مثلا ان مجلس الشيوخ الروماني قرر الاطاحة بحكم يوغورقة وشن عليه حربا شعواء عندما وافق هذا الملك لدى الاستيلاء على مدينة سيرتا ، على معاقبة جماعة من المهريين الايطاليين ، اي من الرعايا الرومان الذين لا يجوز مسهم باثي

وهكذا عرف يوبا الثاني ، بالتعاون مع شعب البربر ، كيف يوفق - في صبر واثابة ، وبمنتهى البراعة - بين مختلف الحضارات التي ازدهرت في حوض البحر الابيض المتوسط ، فعمل من اجل احياء الصنائع الفينيقية ، ونهل واخط متنها مستقلا للتهوى ببلاده نويميدا ، معتمدا في ذلك على الامكانيات من معين الحضارتين اليونانية والرومانية الوطنية ، الا ان هذا العمل الجبار الذي نهض به يوبا الثاني ، ما كان ليقاوم على طول الزمان ، غزو الاستعمار الروماني الذي الحق ضربا قاضية ، في مدى قرنين ، بحضارتين اصيلتين من اكبر الحضارات التي نشأت في حوض البحر الابيض المتوسط ، وهما حضارة الاتروسك Etrusques وحضارة قرطاجنة

وقد بدأت روما تعارس سياسة الهيمنة على الممالك البربرية على اثر معركة تابسوس معركة تابسوس (4) Thapsus

(4) - تسمى اليوم : رأس ديماس ،

وهي توجد بتونس (المترجم)

عام 46 ق م ، ولكن شمال افريقيا لم تصبح مستعمرة تابعة لروما الا عام 40 ميلادي ، او بالاحرى أصبحت مجموعة من المستعمرات ، ومنذئذ اختل التوازن في تاريخ شمال افريقيا وتاريخ الجزائر على وجه الخصوص ، فقد اختلفت كفتا الميزان في الاضطراب ، وهنا نلاحظ من جهة ، كيف ضاعت الفرصة مرة اخرى من اجل السير بالبلاد نحو الوحدة والاستقلال ، ومن جهة اخرى نلاحظ كيف تمت تلك العملية المنظمة في غزو البلاد ، وفرض حضارة دخيلة ، حضارة قاسية ، شديدة القسوة ، لانها مفروضة على الناس بالقوة ، ومعملة على النخبة المختارة من الطبقة الراقية ، ومع ذلك كله ، فهي حضارة وظيفية ، انتفع منها الناس في كثير من المجالات

ومهما يكن من امر ، فان هذا الحادث في حد ذاته مهم جدا ، لانه يكشف لنا لدى عن شخصيتهم العميقة ، تلك الشخصية التي تتميز بالتطرف من جهتين : فهم يحبرون الاستقلال بانفسهم ، وهذا الحب مرتبط بحبيبتهم للسلام والامان ، من غير استكانة ولا هوان ، ان هذه الروح المغربية نجدها تارة متمردة وتارة اخرى طيبة ، فالمغربي ميال للمقبول تارة والرفض تارة اخرى ، مدفوعا الى ذلك بمواظف الكرم والعنف والابساء والشم ، حتى انه ليرضى في سبيل ذلك ان يتجرد من كل شيء ولو كان عزيزا ، وان يضحي بحياته ، فهذه النفس المباشرة الطموحة جعلت المغربي يميز دائما عن عواطفه بالمرط والهدوء تارة ، والاستماتة في العيش والفضجج والعنف ، تارة اخرى

ويقول احد المتخصصين في افريقيا على عهد الرومان ، وهو كريستيان كورتوا

بان تاريخ بلادنا في تلك الفترة يشبه تاريخ المقاطعة الامريكية المسماة

« الفارويست » ، اي « الغرب الاقصى » لانها ، كذلك ، لا تقهر ابدا ، ويبدو لنا ان هذا التشبيه لا يخلو من مبالغة ، وذلك ان « السلام الروماني » لم يكن له من الحقيقة سوى الاسم ، لان الثورات والتمردات وحركات العصيان تواصلت بدون انقطاع مدة اربعين سنة ، طيلة الحكم الروماني الذي دام قرنين ، ويقول جبرائيل اوديسيو

بان القرون الاربعة الفاصلة بين هذه الفترة وبين دخول العرب كانت حافلة بالحروب والثورات

ولكن ، هل يعني هذا ان الامر اقتصر على ما ذكرنا ؟ يقول الكاتب جبرائيل اوديسيو ، وهو من ابناء منطقة البحر الابيض المتوسط ، ومن تبنيتهم الجزائر التي تمثل بالنسبة اليه المركز الحساس ، والارض المتجاوية باستمرار مع المغرب اجمع ، يقول في مقال رائع خصصه لبلادنا : « كل شيء في شمال افريقيا متطرف ، واسم « المغرب » في حد ذاته اكبر دليل على ذلك ، ومن طبيعة الاطراف انها تتجاوب فيما بينها ، بل تجاوب كل من يعد اليها يدا ، وكل مكان فيها مقر لاجتماع يعقد او لقضاء يتم بين تلك الاطراف » الى ان يقوه : التوازن عندهم يختل ذلك التوازن ، والتجاذب او التناظر بين الاطراف »

ان حكم كريستيان كورتوا موسوم بشيء من العجلة والسطحية ، لقد وصف الجزائري كما كان في عهد الرومان فقال بانها « الفارويست الذي لا يقهر » وهذا حكم ليس صحيحا الا اذا كان المقصود منه هو الإشارة الى بعد من ابعاد هذه البلاد التي لم تلتصق امكانياتها الحضرية على الوجه الكامل في عهد الفينيقيين ، فلما اتى عهد القيصرية الرومان ، ماتت تلك الامكانيات وقضى عليها تماما ، اما الابعاد الاخرى ، فهي حافلة بالامكانيات الفسحة التي يتمتع بها هذا الشعب المدهش بما فيها من مغارقات عجيبة : فتارة تجده موحدا

الشمل ، وتارة اخرى مفرق الصف ومن هذا الشعب تجد الفارس المقدام والفلاح المسالم ، والفظ القليل والمهذب اللطيف ، والمشرقة باله والموحد لربه ، والمحارب للموالد والتقاليد والمؤمن بالمغارات والاباطيل

ان الجرمود التي بذلك لبناء المدن المزدهرة بالمحضرة مثل تيمقاد Timgad

ولانزه Tipasa

ويونة (عنابة) Hippone

وقيصرة (شرشال) Tesarae

وجميلة Djemila

وصلداي (بجاية) Saldae

وميليف Mileve

هذه اليهود لم تكن من عمل الفينيقيين وحدهم ، او من صنع المؤجرين والمهندسين المعماريين واصحاب الحرف القادمين من بلدان اخرى من حوض البحر الابيض المتوسط ، ان ارض الجزائر التي انحطت الادب العالمي كاتبت بعد من اكبر الكتاب وهو « ابولي دي

مادور Apulée de Madaure

صاحب كتاب « التحولات Metamorphoses

(وهي اقصية الوحيدة الباقية من التراث اليوناني) ، وانجبت واحدا من اكبر دعاة الكنيسة الافريقية واعظمهم في الجدل ، وهو تروتيان Tertullien

، وتربى فيها حتى صار من

الناخبين المحطوفين بالتقدير والاحترام ،

رجل فذ في الفكر المسيحي والتبشير

بالدين ، رجل عرف بالزهد والعلم

والحجة القوية ، واعنى به اوغسطينوس

من تاغاست (سوق اهراس)

اسف مدينة بونة (عنابة) Hippone

ان هذه الارض تستطيع كذلك ان

تنجب رجلا آرين ذهب اخبائهم

فاصبحوا من الفايبرين

ولعل اكبر شاهد على ما نقول ان

يوفينال Juvénal

في القرن الاول الميلادي بان شمال

افريقيا هي موطن الفصحى ، ويفيد

لوى فيو Louis Veuillot

مؤيدا هذا الكلام ، لانه ممن يقدر

الفصاحة حق قدرها : « ان العيفرية الافريقية تتجلى في كون الفريquia أصبحت من أكثر الاقطار غنى بالفصحا والبلغاء » ويقول هذا الصحافي الكاثوليكي النزعة الذي اشتهر اسمه في القرن التاسع عشر ، يقول متحدثا عن « تروتوليان » ومعبرا عن اعجابه بشجاعته وفصاحته لسانه : « ان الكنيسة الافريقية قد انعمت على البشرية برجل يعد من اكبر العاملين في سبيل اظهار وجه الحقيقة » اما

ارنيست رونان Ernest Renan فقد ذهب الى ابعد من هذا ، اذ صرح بان البشرية مدينة لشمال افريقيا بكتاب اساسي وهو الكتاب المقدس La Bible باللغة اللاتينية ، ويضفي قائلا بان « النص اللاتيني ظهر اول ما ظهر في افريقيا ، على الأرجح ، ومن المعتقد ان النص اللاتيني للصلاة ، والاقسام الرئيسية من التثناوات المسيحية ، اصلها كذلك الفريقي » وينتهي رونان بعد هذا الى النتيجة الآتية : « وهكذا ساهمت اللغة اللاتينية الدارجة في افريقيا ، ساهمت الى حد بعيد في وضع لغة الدين المستعملة في الغرب ، وبذلك كان لها اثر كبير في لغاتنا الحديثة »

ونعبد الى الازدهار ان جبرائيل اوديسيوس ، قال ، بعد ان تحدث عن خرافة « السلام الروماني » المزعوم الذي تغلغلت ثورات عديدة وعمليات قمع شديدة : « واستمرت نفس المسألة طيلة القرون الاربعة التي سبقت وصول العرب ، فعرفت البلاد غزو الوندال والبيزنطيين ، ولعل اسماء الزعماء

امثال فاراكسين Faraxen وفيرموس Firmus وجيلدون Gildon وانطالاس

Jabdas وجنداس Antalas وكوتزيناس Cutzinas وظهرت حركات الموناتيست Donatistes واسبركونسيليون وغير هؤلاء كثيرين ، فهل يمكن بعد

هذا ان نقول بان البلاد عرفت عهدا من الاستقرار هو السلام الوندالي ؟

ان هذه اللمحة الموجزة عن التسلسل التاريخي تدعونا الى ان نتدبر ونفكر كي نفهم الامور على حقيقتها : فزعماء البربر الواردة اسماؤهم آنفا ، والحركات المنشقة التي ذكرها المؤلف السابق الذكر ، كل ذلك يشكل وجهتين ، بحسب ما اذا وقفنا بجانب السلطة الاستعمارية الشرعية الخاضعة لروما وللكنيسة المسيحية التي اخذ نفوذها يتزايد بتشجيع من الرومان ، او بجانب الثورات المشروعة المطالبة بالعدالة ، وقد كتب احدهم فقال : « ان افريقيا هي البلاد التي انجبت كثيرا من القديسين » ونحن نقول : ان القديسين في هذه المنطقة من حوض البحر الابيض المتوسط مثلهم كمثل الشهداء ، لان ظهورهم علامة على وجود حالة مزرية لابد من معالجتها ، وامارة تنبئ بالخراب والدمار بالنسبة الى دولة من الدول

واكبر دليل على ذلك ان البرابرة اخلوا منذ بداية القرن الثالث الميلادي ، يتجمعون على حدود الامبراطورية الرومانية التي ضعف شأنها بسبب تهاون عائلاتها العريقة وتعدد جنودها ، وبسبب الصراع السياسي او العسكري بين القياصرة واعادتهم ، وبسبب الحالة الاقتصادية المتردية التي عانت منها كثيرا المقاطعات البعيدة ، بل حتى روما بالذات روما التي كانت في السابق تستنزف بدون شفقة ولا رحمة خيرات البلاد الخاضعة لها ، لكي ترضى بها حاجات الشعب الروماني وجشع الاعيان من مجلس الشيوخ ومن لف لفهم ، وكانت الامبراطورية مقبلة على انقسام خطير ما لبث ان حصل بالفعل في القرن الذي يل

وقد عاصر القديس اوغسطينوس هذا التحول الخطير الذي تم في تاريخ البشرية ، في مراحلها الحاسمة ، ورغم جهود قسطنطين Constantin

الذي وضع اسس الامبراطورية المسيحية ، ورغم مرسوم ميلان ، ورغم المجد الدني الذي انعقد في مدينته نيسي Nicée عام 325 ، ورغم تنظيم الكنيسة المسيحية التي اعترفت بها الدولة وانشأت معها علاقات رسمية ، رغم ذلك كله فلان بلور الاضطراب والشك والعنف والفوضى والصراع انفكروا بدات تختمر في هيكل الامبراطورية الموحدة سياسيا ، المنقسمة جغرافيا ، فالاجتماع كله ، والنخبه المخشاة منه ، والافكار السائدة فيه ومذاهب الفلسفة وصراعاته ومطامحه وآماله ، كل ذلك ما لبث ان آل به الامر الى عهد من المحن والشدائد ، عندما برزت الشعوب الجرمانية المتطهرة ، وهي الشعوب التي قضت على حضارة البحر الابيض المتوسط القديمة وحطمت النظام الروماني الحكم ، واخذت تتبنى عن غير ما تجربة قوانين روما ، وتتقاسم فيما بينها اطراف امبراطوريتها الغربية ، وقد نجم عن هذا الانقلاب الشامل في الوضع العالي ان اتجهت الامبراطورية الرومانية السفلى (وهو الاسم الذي اطلق عليها بين 476 - 275 م) نحو النظام الاستبدادي باتم معنى الكلمة ، ويروي هانري مارو Henri Marrou صاحب ترجمة حيصة القديس اوغسطينوس ، بان هذا المفكر الكبير الذي عاش حتى شهد انحطاط الدولة الرومانية وافول نجمها ، لم يكن مخطئا في تقديراته عن مستقبل الامبراطورية الرومانية الجديدة ومصرها ، ان هذا الحكم الاستبدادي ما لبث ، منذ منتصف القرن الرابع ، ان اخذ يفسطهد الشعوب بحسب طريقة جديدة تقسوم على تالية الامبراطور ، وفرض غرائب باهظة ، ومراقبة حركات الناس وسكناتهم ، وتسلط بعض الفئات بصورة وراثية ، واقامة عيشة البذلح والترف ، ومهما يكن من أمر ، فلان هذه الدولة القائمة على الاقتصاد الموجه وعلى الاوهاب ، والسلطة العسكرية ، قد انقلبت الامبراطورية من الازدهار الى

فى حين ان الغرب كانت تجتاحه الشعوب البربرية ، وبينما نشاهد الجناح الشرقى البيزنطى من الامبراطورية ينهض وينتفضع ابتداء من عام 400 ، عن طريق اقامة الحكم الاستبدادى الاقطاعى ، فان الجناح الغربى من الامبراطورية اخذ ينهار تحت ضربات جمهر الفلاحين المسخرين فى بلادالقال (فرنسا) ، وفى نوميديا ، كما اخذ يتعرض لهجوم الشعوب الجرمانية ، وبضيف صاحب الترجمة : « لقد مضت

حياة القديس اوغسطينوس كلها فى هذه الظروف ، وان فى ذلك للقارىء اليوم ، لمبرة واية عبسة ، انه يعلمنا كيف يواجه المرء ظروف الشدة والمحنة ،وقد شهد فى طفولته الانتفاضات الاخيرة للدولة الرومانية ، كما شهد فى كهولته سقوط اسوار روما ، فى 24 غشت من عام 410 ، امام الفيزيقوط ، بقيادة ملكهم الاريك

وعندئذ اخذ يتأمل فى المعنى العميق الكامن وراء سقوط عاصمة الحضارة ،

تلك العاصمة التى ظنت نفسها خالدة، مما جعله يؤلف كتابه الرائع المشتمل على اثنين وعشرين جزءا ، وهو « مدينة الله » ، حيث نجده يعالج موضوعين اساسيين : اولهما ان الحضارات مآلها الى الزوال ، وثانيهما ان البشرية توافقة الى الآخرة ، ولا يزال هذان المبدآن هما اساس الفكر المسيحى فى التأريخ »

(يتبع)

هرمان هاوف

واحتلال الجزائر

ومن بين أولئك الذين اثاروا مثل هذه التساؤلات المؤرخ الالماني هرمان هاوف . فقد اصدر عام 1835 بمشاركة صديقه ادوارد نيدرمان كتابا صغير الحجم ، طبع في مدينة شتوتغارت ، وضع له عنوان «الجزائر كما هي» . ويتضمن الكتاب في مجموعة معلومات عامة ، لا تختلف عما نجده في بقية الكتب الاخرى التي تحدثت عن الجزائر من الناحية الجغرافية الطبيعية والمعمارية وغير ذلك . ولهذا لا يهمنا من هذا الكتاب سوى مقدمته . فالمؤلف لا يبدى اعجابه بجرأة فرنسا الى الحد الذي ينسبه واجبه كمؤرخ ولا يعتبر مسألة احتلالها للجزائر قضية مسلمة كما فعل غيره ، وانها يحاول ان يناقش الاسباب التي ادت اليه مناقشة هادئة ، كما يناقش موقف بريطانيا منه .

يرى هاوف ان الاستيلاء على الجزائر اهم حادثة في القرن الماضي ، اى حتى الوقت الذي وضع فيه كتابه ان الجزائر ، على حد تعبيره ، قد اربعت الشعوب التجارية واستبدت بالبحر الابيض المتوسط ، وارغمت شارلا الخامس على الفرار امامها بصورة مخزية . ومع ان انجلترا نفسها كانت سيدة البحار فانها لم تستطع ان

عندما سقطت الجزائر في ايدى الفرنسيين يوم 5 جويلية سنة 1830 ، اخذ بعض الاوروبيين يتساءلون عن الاسباب الحقيقية التي ادت الى احتلال الجزائر وعن موقف بريطانيا من هذا الاحتلال والمعروف ان بريطانيا قد ابدت في ذلك الحين تخوفها من ان تتخذ من دعوى القضاء على القرصنة وسيلة لاحتلال الجزائر وجعلها مستعمرة فرنسية والمعروف ايضا ان فرنسا قد اعتبرت تخوف بريطانيا تدخلا في شؤونها الخاصة ، وتكفى هنا الاشارة الى ماقالته على لسان شاتوبريان بهذا الصدد .

تبلى اتفاقياتها على الجزائر الا بصورة مؤقتة . وكانت الجزائر ، في نظره ، قد فرضت على الشعوب المتخلفة خلال قرون عديدة دفع اتاوة لها نظير مرور سفنها التجارية في البحر الابيض المتوسط . ثم كانت هذه الجزائر نفسها غنيمة للجيش الفرنسي ، فاختمت اختفاء الظل ، وتمكنت فرنسا من احتلال هذه المنطقة الجميلة بكل هدوء مع انه من الممكن ان تؤدي الى نشوب حرب بين انجلترا وفرنسا وتركيا (ص 1) .

وبعد ان يعترف هاون بهذا كله ، يشير الى ان هذه الاسباب كلها لم تكن كافية لاحتلال الجزائر والقضاء على سيطرتها قضاء تاما . ثم يقرر ان فرنسا عندما قررت ارسال حملتها الى الجزائر لم تكن تنظر الى ان وضع حد للقرصنة هو السبب الوحيد في الاقدام على خطوة جريئة كهذه . مما لا شك فيه ، في اعتقاده ، ان هذه الحملة التي بدت في ظاهرها عملا انسانيًا وحضاريًا ، قد ارتبطت بأطماع شخصية بحتة .

ويضيف هاوف ان انجلترا قد راقبت الاعداد لتلك الحملة والاتفاق عليها بسخاء ثم القيام بها بنجاح ، بنوع من اللامبالاة لم يعهد فيها ، الامر الذي استغربه منها اوروبا كلها . وقد راحت في ذلك الحين اشاعة مؤداها ان فرنسا قد تعهدت لانجلترا بالتخلي عن الجزائر بعد القضاء على القرصنة ، وبعد ترك سرب من الجنود فيها لحماية الحركة التجارية في البحر الابيض المتوسط غير ان ثورة جويلية قد وضعت لعملية الاستيلاء على الجزائر اهدافا اخرى لم تكن مقصودة في اغلب الظن في بداية سنة 1830 ، (ص 2) وبذلك أصبحت مشكلة الجزائر في رأي

هاوف ، مشكلة وطنية بعد ان كانت مجرد قضية وزارية . واذا كان ملك فرنسا قد حدد في ذلك الوقت نوع تلك الحملة التي كان ينوي القيام بها ، وبين طبيعتها فقد أصبح من الصعب عليه آنذاك ان يقرر مصير الجزائر او التخلي عنها دون الرجوع الى الشعب . واذا كانت انجلترا ، حتى لو فرضنا انها قد ابرمت بالفعل اتفاقا مع فرنسا ثم تطالب بعد ذلك الاحداث بتنفيذ الامور المتفق عليها ، فان ذلك يرجع الى رغبتها في المحافظة على تحالفها مع فرنسا بأى ثمن وعدم المساس بوضعها الخاص ! ولا يمكن ان يصدق الانسان ان فرنسا لم تتخذ قرارا بشأن الاستيلاء على الجزائر خوفا من اى دولة اخرى غير انجلترا ، لان حكومة فرنسا قد اخذت تستهين بدول القارة كلها وتعتدى على مصالحها بشتى الطرق والوسائل

منذ ثورة جويلية . وسواء تم هذا الاتفاق المشكوك فيه من بين انجلترا وفرنسا او كان مجرد أسطورة ، فان فرنسا كانت في حيرة من امرها بشأن احتلال الجزائر او التخلي عنها .

ويبدى هارف بعد هذا كله رايه في احتلال الجزائر ، فيقول :

ان عملية احتلال الجزائر في ظروف من هذا النوع لا تفيد فرنسا في شيء ، وانما تلحق به ابلغ الضرر ، مستدلا على ذلك بارقام المبالغ التي كانت فرنسا تدفعها سنويا من اجل المحافظة على المناطق المحتلة . ويضيف انه اذا حدث سوء تفاهم بين انجلترا وفرنسا وتعرضت هذه لاهداث سياسية غير متوقعة ، فان قضية الجزائر

ويستبعد المؤلف أن تكون فرنسا قد اقبلت على تلك التضحيات الجسام لو أنها لم تكن تعتقد أن في امكانها الحصول على مبالغ مناسبة من جهة من الجهات ، كما أن اهانة موظف صغير ما كانت لتؤدي بالضرورة إلى الحرب مع الجزائر ، لو أن فرنسا كانت في وضع يسمح لها بالتجاوز عن الأمور البسيطة . ويقدم هاوف دليلا قويا على هذا ، وهو أن الاهانات المتكررة التي لحقتها من طرف « الدون ميكايل » ماكان في مقدورها أبدا أن تنتهي بها إلى اعلان الحرب على البرتغال ! وعلى هذا فأن فرنسا قد مسحت اثر ضربة المروحة من وجه قنصلها بالدم ، لأن ذلك يعود عليها بالفائدة ! (ص 3 - 4) .

لم تبق عندئذ غامضة لدة طويلة .

وينتقل المؤلف في نهاية مقدمته إلى الحديث عن الجزائريين فيقول أنهم كانوا يعتقدون ، بعد طرد الأتراك ، أن في مقدورهم الآن أن يرفعوا رؤوسهم ، خاصة بعد أن ألحق بعضهم بوظائف معينة ، غير أن الفرنسيين سرعان ما اظهروا لهم أن عليهم أن يخضعوا للفرنسيين كما خضعوا للأتراك قبلهم . ومنذ تلك اللحظة عاودهم ، في نظره ، إلى اسيادهم السابقين ، لأن عهدهم كان

انسب لهم من جميع الوجوه . وقد دفعهم هذا الحنين إلى الهجرة للشرق للالتحاق بهم هناك . ومن الواضح أن هاوف قد أخطأ في رايه ، فالجزائريون ، في اعتقادي ، لم يهاجروا إلى الشرق لانهم اشتاقوا لرؤية الأتراك وانما هاجروا إليه لانهم فقدوا حريتهم ، وارغموا على التخلي عن اراضيهم ، ففضلوا العيش في بلاد اسلامية سواء كانت هذه البلاد تونس أو مصر أو الشام أو الحجاز أو غيرها .

وكيفما كان الامر ، فإن هاوف بما يكون ، من بين الألمان ، الوحيد الذي حاول مناقشة الأسباب التي أدت إلى احتلال الجزائر ، بهذه الصورة ، وأثار قضية المروحة دون أن يجعلها سببا فيما حدث بعدها . ومن هنا فإن مناقشة هذه جدية بأن يتعرض لها الباحثون عند التاريخ لهذه الفترة والظروف الناتجة عنها . ولا بد أن يبحث كذلك موقف بريطانيا من قضية الاحتلال حتى يتضح لأولئك الحريصين على معرفة تاريخ بلادهم معرفة سليمة ، ويعرفوا كيف استطاع أحد المؤرخين الفرنسيين أن يقول بعد ذلك بسنوات كثيرة ، أن الجزائر قد كانت وستكون لنا إلى الأبد ! ، وبالتالي حتى يعرف هؤلاء قيمة ما بين أيديهم اليوم .

الأثر أ- نبذة عن ماضي الصحراء

الحضارى

لقوافل

التجارة

السودانية

عبر العصور

إذا ذكرت الصحراء اليوم فكثيرا
ما يرتبط اسمها في الأذهان بمعانى
الجفاف والقحط ، وما ذلك الا لان
رمال الصحراء وقفارها الشاسعة
قد ندرت فيهما معطيات الحياة
خلال الاحقاب الاخيرة من تاريخ
الانسان على الارض ، وانحصرت
فى بعض المنخفضات الضيقة المساحة ،
حيث تنفس بعض الظروف الطبيعية
لبعض الينابيع ان تسبب فى تكون
الواحات المتناثرة هنا وهناك .

د. عبدالقادر زبادية

(X) هناك شبه اجماع على ان العصور التاريخية تبدأ مع اختراع الكتابة فى حدود خمسة آلاف سنة قبل الآن ، وما سبق
من حياة الانسان على الارض ، يدرج ضمن عصور (ما قبل التاريخ)

الإفريقية الكبرى قبل التاريخ

الأوائل الذين سبقوا إلى تكوين المستقرات الحضارية الأولى على ضفاف الأنهار ، في شرقي أفريقيا وشمالها الشرقي قد أثبتت كثيرا من التحريات أن أغليبتهم قد نزحت من الصحراء ، وربما كان نزوحها عن الصحراء قد اقترن ببداية تحولها إلى حالة الجفاف ، وقد حدث هذا عند نهاية الفترة الجليدية الثالثة (1) أما أثناء الفترة الجليدية السابعة للحقبة التي نحن فيها الآن ، فقد انحصرت الحياة الإنسانية في الصحراء ، وتكاثر بها وجود الإنسان والنبات والحيوان ، ويحتوى حاليا كل من سطح الصحراء ، وجوفها على العديد من الآثار التي تدل على ذلك .

ولا شك أن الصحراء في تلك المهود التي غص خلالها سطحها بمظاهر الحياة كانت قد رأت نشوء معالم حضارية عديدة تدل عليها الرسوم التي أثبتتها الأقدمون على صخور التاسيلي ، ومن أكثرها جلبا لانتباه الباحثين لا يزال استعمال العربات التي توصل إليها شعب الجرامونت يحظى بالعناية الفائقة . ومن هذا كله فإن الملقى الحضارى الصحراء من الأمور التي لا يتطرق إليها الشك ، في عصور ما قبل التاريخ ، ولا شك أن ذلك كان قد ارتبط بحقبة كانت الصحراء خلالها تتمتع بمناخ غزير الأمطار ، ويختلف عن المناخ الذى يسودها الآن .

ب - أثناء العصور التاريخية

ويظهر أن هذه الوضعية التي عليها الصحراء اليوم تختلف عن تلك الوضعية التي كانت عليها في القديم ، اذ يفتق معظم الباحثين على أن الصحراء كانت في القديم تنقسم بالخصب وتوفر على أديمها كل أسباب الحياة أكثر أى منطقة أخرى على سطح المعمورة ، وهم يستدلون على ذلك بمعدد من البراهين منها :

1) أن هناك كثيرا من المعالم التي تنبئ عن وجود خدود ومنخفضات ، وكانت تجرى في الأولى مياه غزيرة في شكل أدوية وأنهار ، وربما كانت قد وجدت في الثانية بحيرات أو مسطحات مائية في شكل بحيرات أو مصبات لينابيع ومجاري مائية غنية المحتوى وثرة المصدر .

2) وبما أن الجيولوجيين يتفقون على أن المساحات المحراوية اليوم هي من أقدم أقسام القشرة الأرضية ، بدليل أن عوامل التعرية والنحت قد أحالت معظم صخورها إلى رمال وأتربة أكثر من أى منطقة أخرى على سطح الأرض ، فانهم يذهبون أيضا إلى أن مخزنات الصحراء من النفط ومشتقاته ، إنما هي إحدى نتائج تحليل المواد العضوية والنباتية التي كانت المساحات المحراوية في عهود خصبها ، تضم على سطحها أنواعا عديدة وكميات هائلة منها .

3) وهناك حقيقة ثالثة تتوفر في دعمها الوقائع التاريخية والطبيعية معا ، فالما الوقائع التاريخية فتنبئ في أن السكان

(1) يفترض الباحثون في عمر الأرض ، أنها مرت بثلاثة أحوار جليدية ، تفصل بينها ثلاثة أحوار عم خلالها الصحو ، وأثناء كل فترة جليدية كان يمتد الجليد على كل سطح الأرض ، ويبقى حزام يتوسطها تنحصر فيه الحياة البشرية والحيوانية والنباتية ، أما حينما ينحصر الجليد في منطقة القطبين وتأتي فترة الصحو ، فإن الحزام الوسطى ينقلب على الجفاف ، وبما أن صحارى العالم تقع في الحزام الذى يتوسط الأرض ، فإن فترة الصحو بقدر ما يطول أمدها يقدر ما يشتد الجفاف في الصحارى وتضيق مصادر الحياة الحيوانية والنباتية بها ، وعلى هذا الاعتبار فنحن الآن في فترة الصحو الثالثة أو الرابعة ، والجليد محصور الآن في منطقتي القطبين ، والصحراء في حالة من الجفاف الشديد

بالقياس مع دور التجار الذين كانوا يأتون من مصر ، وبمثل تلك النسبة ذاتها يتجلى لنا الدور الحضارى لكل من الطرفين يتفق المؤرخون على أن قبائل السودان الغربى اسلمت عن طريق تجارة القوافل ، ولم يرسل المسلمون في يوم من الايام جيشا الى تلك المناطق بقصد ادخال الناس في الاسلام (2)

اما الطريقة التي تم بها اسلام السودانيين ، فقد كانت لاتتجاوز التأثير الثقافى والفكرى الذى يحثه رجال التجارة من المغاربة والمصريين بالدرجة الاولى ، على رؤساء القبائل في البداية ، ثم لا يلبث اتباع اولئك الرؤساء من أن يقتدوا برؤسائهم .

وقد كتب الرحالة والتجار المسلمون كل مشاهدتهم عن افريقيا الغربية ، ودونوا كل ما عرفوه عن طبائع السكان وسلوكهم واسلوبهم في التعامل ، كما كتبوا الكثير عن أنظمة الحكم لديهم ، ومن هنا فان الباحثين اليوم ، لا يجدون من مصادر حقيقية وجديرة بالاعتناء والاستناد الى محتوياتها غير المصادر العربية ، وذلك خلال الفترة بين القرن السابع الميلادى وبين القرن السابع عشر (3)

وبما يكن ، فان الوضعية التي كان عليها سكان الغرب الافريقى قبل وصول العرب ، كانت على غاية من البدائية اذا قارناها بدرجة التطور التي بلغها المسلمون في ذلك الوقت ، فقد كان معظم السكان لا يزالون لم يتجاوزوا مرحلة العرى ، كما ان الاستقرار كانت مميزاته المفيدة لم يصلوا الى مرحلة الاستفادة منها ، اما الطراز المعمارى لم يكن يدرسون من انواعه الا استعمال الاخصاص للوقاية البسيطة من عوارض الطبيعة المميتة . واكثر من هذا ، فان تصورهم عن الكون ، كان لم يتخط مرحلة الطوطمايكت السحرية بعد .

اما بعد وصول المسلمين ، فقد تكونت في البداية عدة مدن هامة على طول مشارف السودان الشمالية وحافات الصحراء الجنوبية ، وقد نشأت تلك المدن كمحطات للقوافل التي تعبر الصحراء نحو الجنوب ، وكان من اهمها والاثنى - تيبكو - غاو - وتيمكة ، وفي هذه المدن كان يتلقى تجار الجنوب بتجار الشمال ، ويتبادلون البضائع المتنوعة الاصناف ، وقد كانت

اذا كان الغموض يكتنف العديد من الجوانب عن الدور الحضارى للصحراء الافريقية الكبرى في عصور ما قبل التاريخ فان ذلك الدور الذى لعبته هذه الصحراء في ميدان الحضارة الانسانية اثناء المصور التاريخية كان واضح المعالم الى حد بعيد . ولا تمنينا هنا المصور التاريخية القديمة بمقدر ما تعطينا المصور الوسطى والحديثة ، لان العصور التاريخية الاولى لا يزال المؤرخون يعتبرون الوضع البدائى من اهم سماتها ، نقوم هنا ونحن لا نسكر قيام عدد من الامارات القبلية التي ظهرت اثناءها سواء في شمال الصحراء او في جنوبها .

اما اختلاط السكان الشماليين والجنوبيين وتعاملهم بمختلف الطرق فهو مما لا ينكره احد كذلك في تلك الحقبة ذاتها . ويبدو أن الموقع الجغرافى قد يكن سكان الشمال من التطور أكثر مما يكن سكان الجنوب ، وهنا لعبت طرق الصحراء في نقل الحضارة وتمكين الجنوبيين من الاستفادة مما توصل اليه سكان الشمال ، دور لا يملعه المحيط الاطلسى في يوم من الايام (1)

فقد ظلت الصحراء طوال العصور الوسطى وخلال جزء كبير من المصور الحديثة كذلك ، تخترقها القوافل دون انقطاع وكان الباعث الاول على تجهيزها وتحمل الصعاب في سبيل عدم توقتها في يوم من الايام ، هو الارباح الوفيرة التي كان يجنيها التجار من ورائها بدون شك ، ولكن نتائج ذلك في المجال العام كانت غزيرة المحتوى يحق ، وذلك ما يتمثل فيه الدور الحضارى الجليل القيمة ، وقد اخص به المسلمون عامة والمغاربة بشكل خاص .

لقد كان العجار في العالم الاسلامى ينتسبون غالبا الى طبقة الفقهاء والمتكلمين ، وهذا ما جعل لعلمهم التجارى ، نتائج تتمعدى ميدان التجارة وحده ، واذا عرفنا أن نسبة المسلمين الآن في السودان الغربى كله تتجاوز التسعين بالمئة ، فاننا نستطيع ان نفكر بسرعة مدى اثر القوافل التجارية التي كان يجهزها المسلمون الى تلك البلاد ، اما اذا تذكرنا أن كل مسلمى السودان الغربى ، هم على المذهب المالكى ، فاننا نفكر بيسر نسبة دور المغاربة في التجارة مع السودان وذلك

(1) في العصور القديمة ربما وصل الفينيقيون الى سواحل الغرب الافريقى ، ولكن عملهم قد اقتصر على التبادل التجارى المحدود ولم يتجاوزوا في اتصالهم بالسكان مياه الساحل ، اما في المصور الحديثة فقد كون الاوروبيون عدة مراكز تجارية على السواحل وبادشروا منها تجارة العبيد على نطاق واسع ، ويقدر المؤرخون النسبة التي اخذها الاوروبيون كمبيد (خلال القرنين 17 و 18) بأكثر من ثلث السكان في المناطق التي وصل اليها نفوذهم ، ومع نهاية القرن التاسع عشر استعمر اولئك الاوروبيون المنطقة كلها واستغلوها استغلالا مباشرا

(2) تستثنى هنا ما ذكره ابن عبد الحكم من ان عقبة بن نافع الفهري ، كان قد ارسل حوالى سنة 665 م سرية من برقة بقصد معرفة جنوب قزان ، وقد حدد العلامة (برونشويك) المكان الذى بلغته تلك السرية بين قزان والنيجر الحالى ، ويدعى (ماء الفرس) ، ولم يذهب رجال تلك السرية للمفتوح وانما للاستطلاع ، ثم عادوا

(3) وضع جماعة من اليهود خريطة في نهاية القرن الثالث عشر ، وربما كان مركز عملهم في (منورقة) وهى الخريطة المعروفة بخريطة (كنانان) ، ولم تحتو عن داخل افريقيا الغربية سوى اسم غانا وبعض الصور الخيالية التي استقوا معالمها من اتصالهم بالمسلمين في بلاد المسلمين في الاندلس على الاكثر ، ومع ذلك اعتبرت تلك الخريطة آنذاك عملا عظيما في اوربا باجماعها ، وفى ذلك الوقت كان الرحالة والتجار المسلمون قد عرفوا كل شئ تقريبا عن داخل السودان الغربى ، واصبحوا على اتصال به وثيق ، اما الاوروبيون فانهم حتى نهاية القرن السادس عشر كانوا لا يعرفون عن داخل الغرب الافريقى الا ما توفر لهم بعض كتابات الرحالة العرب ، وخاصة كتاب (وصف افريقيا) للحسن الوزانى الذى وقع بأيديهم في الثلاثينيات من القرن السادس عشر

تلك البضائع تشمل معظم ما ينتجه العالم الاسلامي من اقاصم الى اقاصم ، كما اشتملت ايضا على عدة اصناف من منتوجات الغرب الاوروبي التي كانت ترد الى الغرب عن طريق موانئه الشمالية .

وقد كان لتلك البضائع اثرها الهام في ترقية الذوق لدى السودانيين ، وساعدت الناس على تنويع رغبتهم الاستهلاكية وخاصة الطبقة الموسرة من بينهم .

والواقع ان اول من تأثر بالحضارة العربية الاسلامية من السودانيين كانوا هم الملوك والرؤساء ، فسارعوا الى العمل على جلب العلماء والخبراء المسلمين الى جانبهم ، وانسحوا لهم المجال في الاقامة والاستقرار ببلدانهم (1) ، وهذا مما يفسر لنا المغزى من تصريح امير مدينة جنى ، حينما اسلم في بداية القرن الثاني عشر ، فقد رفع يديه الى السماء امام ملا من قومه قائلا : (اللهم اجعل هذا البلد موئلا يتكاثر به التجار ويستقرون به ، وتروق لهم الاقامة فيه) . اما امير البورنو فقد كتب رسالة الى سكان نوات في القرن الرابع عشر يرجوهم فيها بذل كل ما في استطاعتهم ليتكاثر ورود القوافل على بلده . ولما تجول ابن بطوطة في السودان الغربي اثناء القرن الرابع عشر كان يجد في معظم المدن التي زارها تجار وعلماء مغاربة مقيمين بها وكان قسم هام من بينهم ، من معارفه .

ويتفق كل الرحالة العرب على ان امراء السودان الغربي كانوا يبذلون كل ما في امكانهم لتوفير الامن والاستقرار لرجال القوافل في بلدانهم ، كما يتفقون على ان السكان كانوا يعاملونهم بمنتهى اللطف . ويذكر العلامة ابن خلدون ان القوافل التي كانت تجهز من المغرب باتجاه السودان الغربي تلبا كان عدد جمالها المحملة بمختلف البضائع يقل عن اثني عشر الف جمل ، كما يذهب الى القول بان معظم المدن والقرى في بلدان المغرب ، كانت تشترك في تجهيز قوافل التجارة السودانية (2) .

وقد بدأ استقرار المثلثين التجاريين العرب بالسودان منذ القرن التاسع الميلادي ، ثم أخذ عددهم يزداد شيئا فشيئا وبما ان قسما هاما من بينهم كانوا من المثقفين فقد باثروا الى جانب عملهم التجاري ، التدريس . وكان الباعث لهم على ذلك هو المجال الفسيح الذي افتتح لعلمهم الثقافي مع

اعتناق الناس للاسلام (3) . اذا يكفي ان يدل الشخص اسلامه ، وانما يلزم ان يتبع ذلك مجهود خاص ليستوعب ذلك الشخص متطلبات واهداف الدين الجديد .

وقد كان القرن السادس عشر ، هو الفترة التي بلغ خلالها ازدهار الحضارة الاسلامية في السودان الغربي مرحلة الاوج ، ففتيرت مفاهيم السودانيين القديمة عن الكون ، وظهر في مدينة تيبكو التعليم الجاهلي لأول مرة في تاريخ السودان الغربي حتى ذلك الحين ، وهذا بعد ان كانت قد اتسمت قاعدة التعليم الابتدائي والثانوي خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر . ولما زار الحسن الوزاني (المعروف بليون الايرقي) تلك المدينة في النصف الاول من القرن السادس عشر ذكر ان بها كثيرا من العلماء والفقهاء والطلبة واننى على الازدهار الذي كانت عليه المدينة آنذاك في ميدان الثقافة . وفي تلك الفترة بدأ سكان السودان الغربي يجتازون مرحلة الاخذ وظهرت جماعة من بينهم كعلماء ومثقفين في مختلف فروع المعرفة فشاركوا في حركة التدريس والانتاج الفكري والتأليف العلمي ، وقد كان ولا يزال من اشهرهم لدينا :

(1) العلامة احمد بابا ، صاحب (نيل الابتهاج بتطريز الديباج) ، وكتبه من المصادر الهامة عن فقهاء المالكية ، وقد ألفه كتكملة لكتاب ابن فرحون في نفس الموضوع ، ولاحمد بابا كذلك ، كتاب آخر لا يزال مخطوطا ، وقد عالج فيه موضوع التجارة بالمعبد المسلمين ، وعنوانه : (نيل السعود الى حكم مجلوب السود) .

ولما هاجم جيش المنصور الذهبي ملكة سنغاي السودانية في سنة 1591 م كان احمد بابا من بين الذين انكروا على المنصور عمله ذاك ، فحل الى مراکش ، وهناك التف حوله جمع كبير من الطلبة واعترف له الاساتذة الكبار في المغرب الاقصى آنذاك بعلو كعبه في العالم ، ولما رجع الى بلاده ودعه الطلبة والاساتذة وهم يبكون لغرائه وترجوه العودة الى بلادهم ليستفيدوا من غزير علمه * .

(2) عبد الرحمن السعدى ، صاحب تاريخ السودان ، وهو من مصادر الدرجة الاولى لدى الباحثين حتى الان عن تاريخ السودان الغربي الى حدود منتصف القرن السابع عشر .

(1) يذكر البكري منذ القرن الحادى عشر ، ان معظم الحبراء والموظفين في بلاط ملك غانا كانوا من العرب ، ويثبت ان الملك ورعيته كانت تكن لهم كل الاحترام والتبجيل . وقد سارت معظم الامارات السودانية بعد ذلك على هذا المنوال

(2) ينظر ابن خلدون ، عبد الرحمان - التاريخ - ج 6 ص 405

(3) رجس التذكير هنا ، بان المغاربة الذين دخلوا الاسلام في النصف الاول من القرن السابع الميلادي ، بقيت اغليبيتهم حتى نهاية ذلك القرن في حاجة الى معرفة قواعد الاسلام ومفاهيمه في الحياة ، وهذا مما جعل عمر بن عبد العزيز يرسل جماعة من الفقهاء الى المغرب لتفقيه الناس امور دينهم ، ومع ذلك لم يستطع سكان البوادي القصية مثل منطقة السنوس (في اقصى الجنوب الغربي للمغرب الاقصى حاليا) التنسك من استيعاب الاسلام حتى القرن العاشر للميلاد ، ومن هنا يتضح لنا مدى الحاجة لتكاثر المعلمين في بلاد السودان حتى يتمكن سكانه من الدين الجديد ، اما بعد تمكنهم منه ، فان دور رجاء القوافل من العلماء يبدو على غاية من القوة والمداورة بالتقدير والاحترام

(3) الغاشي محمود كمت ، صاحب تاريخ الفتاش في تاريخ السلاطين والجيوش واكابر الناس ، وكتابه من مصادر الدرجة الاولى كذلك ، في موضوع تاريخ السودان الغربي حتى نهاية القرن السابع عشر.

وقد كان القرن السادس عشر قد رأى أيضا العديد من التأليف التي انتجها علماء سودانيون في علوم الفقه والشريعة والتفسير والمنطق. ومن الجدير بالذكر هنا أن هناك مؤلفات لعلماء المغرب مثل كتب المغيلي والتلمسي عرفها السودانيون وتدارسوها كما عرفها المغاربة ، ولكنها لم تعرف في المشرق ، أما مؤلفات المشارقة فقد عرفت في المغرب كما عرفت في السودان .

وقد كتب الكتب من بين أهم البعثات التي كانت تحملها القوافل إلى غرب أفريقيا ، وكان للسودانيين إقبال عظيم على اقتنائها بأغلى الأثمان ، فقد حدث في سنة 1584 مثلا أن أحد العلماء السودانيين تملقت هبته بشراء كتاب كان قد ورد لتوه من المغرب مع أحد القوافل ، ولم يجد في يده ما يمكنه من الحصول عليه ، ثم وافته الفرصة في أن الأمير « اسقيا داود » أراد أن يكرمه ، فعرض عليه أن يحق له كل ما يطلب منه ، فطلب ذلك العالم من الأمير أن يشتري له ذلك الكتاب ، ففعل الأمير ، وكان ثمن ذلك الكتاب يقارب المليون وستمئة ألف من نفودنا الحالية (1)

ومن هذا كله نستطيع الاستنتاج بأنه من طريق القوافل التجارية بين السودان والمغرب ، وصل السودانيون في القرن السادس عشر إلى أن يعيشوا عصرهم ، ويتسل ذلك في تنغم على ثقافة العصر الأول في ذلك الوقت ، وبهذا عرفوا العالم وعرفهم .

وقد كان الأسلوب المعماري قبل وصول المسلمين إلى السودان لا يتجاوز نظام الكواخ ، ولكن السودانيون ما لبثوا أن عرفوا ما عند المسلمين من هندسة معمارية راقية ، وهذا ما دفع السلطان المال كنان موسى من أن

يبدل عيك سخية ليجلب إلى السودان الغربي ، أحد مهتمى غرملطة اللامعين ، وهو (السلطي) ولما قدم هذا ، كان أول أعماله تخطيط قصر للملك ومسجدين ، نقلده الناس في ذلك الطراز الذي كان يخطط على أسسه وبالتفريخ ، تجاوز السودانيون الأسلوب القديم إلى أسلوب حديث ، ويظهر أنهم مزجوا بين ما كان عندهم وبين ما جلبه السلطي ، فأسفر ذلك عن بروز أسلوب جديد خالص بالسودان ، يمكن أن نسميه (الطراز المغربي السوداني في فن الصارة) . وهو يمتاز بتساع الفناء وكثرة الأعمدة ، أما المظهر الخارجي فلا يخلو دائما من امتدادات هرمية بقصد الزينة في الغالب .

ومن الآثار الأخرى لقوافل التجارة السودانية عبر الصحراء الكبرى ، كثرة القوافل التي ساهمت فيها حركة تلك القوافل التجارية مساهمة عظيمة فعلا ، فبرافقة القوافل استطاع كثير من الطلبة أن يجزوا على قطع الفياق الصحراوية القاطلة ليمضوا إلى بلدان المغرب وإلى مصر ليزدادوا ثقافة واطلاعا ، ويأخذوا عن أبرع الأساذة في هذه البلدان . كما أن الحجيج كانوا يسرون في جموع كبيرة رفقة رجال القوافل ويشاطرونهم متاعب القفار الصحراوية الشاسعة ، وبذلك يستفيدون من اطلاع على ما بلخته البلدان التي يرون بها من تقدم حضاري ، فينقلون أخباره إلى قومهم بعد العودة ويحزنونهم على الحركة والنشاط في ذلك الاتجاه .

ج - خاتمة

لقد نظمت مناطق السودان الغربي ، حتى حدود الغابات الاستوائية ، (2) أسلوبا جديدا في الحضارة يختلف عن الأسلوب البدائي القديم ، وقد تم ذلك عن طريق القوافل التي كانت تفتقر الصحراء الأفريقية الكبرى ، منطقة من بلدان المغرب ومن مصر إلى تلك المنطقة الشاسعة المساحة ،

(1) ينظر ، تاريخ السودان - ص 61

(2) بقي سكان الغابات الاستوائية الذين لم يستطع رجال القوافل الوصول إليهم على الحالة البدائية القديمة وربما كانوا يأكلون اللحوم دون طبخها ولذا أطلق عليهم الرحالة العرب اسم أصحاب (اللحم)

وقد بدا ذلك مع بداية القرن الثامن الميلادى تقريبا .

وبهذا لعبت الصحراء الكبرى في تاريخ السودان الغربى ما لم يلعبه المحيط الاطلسى من الادوار الحضارية الهامة . اما الذين قلموا بهذا الدور في خدمة التمدن الانسانى ، فهم العرب المسلمون، وقد قام منهم باكر نصيب في هذا المجال سكان المغرب بالدرجة الاولى سكان وادى النيل .

وقد نتج عن جهود المسلمين في هذا الميدان ان سكان الغرب الافريقى اصبحوا جزء لا يتجزأ من العالم الاسلامى، ورغم الاعمال المعاكسة التى يقوم بها الاوروبيون في تلك المنطقة منذ نهاية القرن التاسع عشر ، بقصد تحويل الناس عن الاسلام او ابعادهم عن الشعور بانتسابهم للعالم الاسلامى على الاقل ، فان مساعيهم في هذا السبيل لم

تسفر لحد الان الا عن نتائج طفيفة الى حد كبير . حيث ان الجواهر الشعبية في غرب افريقيا لا تزال شديدة التعلق بالدين الاسلامى والحضارة الاسلامية ، وهنا يبدو الى اى حد يحسن بالعرب عامة والمغاربة بشكل خاص الاعتراف بتوثيق الصلة اكثر من اى وقت مضى ، مع اخوانهم في جنوب الصحراء الافريقية الكبرى التى كانت بحر الاتصال والعلاقات الانسانية المثمرة منذ اقدم العصور .

د . عبد القادر زبادية

استاذ بقسم التاريخ بالجامعة

من بين المصادر الهامة لهذا المقال :

1 - ابراهيم حسن - انتشار الاسلام في القارة
افريقية - القاهرة 1964

2 - احمد بابا - نيل الابتهاج - فاس 1317 هـ

3 - عبد الرحمن السعدى - تاريخ السودان - باريس
1964

4 - محمد كعت - تاريخ الفتاش - باريس 1964

5 - زاهر رياض - الممالك الاسلامية في غرب افريقيا
وتجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى - القاهرة 1968

(6) Mauny R., Tableau géographique de l'Ouest Africain , Dakar 1961.

(7) J. Léon L'Africain, Description de l'Afrique, T. 3, Paris 1898.

(8) Briggs, L. Cabot, Tribes of the Sahara, Cambridge 1960.

(9) Fage, J., An introduction of to the history of wst Africa, Cambridge 1965,

(10) Lhote, H., A la découverte des fresques du Tassili, Paris 1958.

التقدم العلمي

هذه المشكلة قائمة في الغرب منذ
أكثر من قرن وقد قامت في المشرق
الإسلامي منذ السنين : هل يؤدي إلى
الإنحاد أو بعبارة أخرى هل الدين
يتناسب مع التقدم العلمي ، هذا
السؤال نجده في تيارات فكرية عديدة
انتشرت غربا وشرقا تحت أسماء
مختلفة ابتداء من القرن التاسع
عشر على الخصوص تحت أسماء
Positivisme العلمية
Laïcité أو اللاتينية *scientifique*
ومعناها فصل الدين عن شؤون الحياة
Séparation du temporel et du spirituel
أو في لغة اليوم « *Progamisme* »

دراسات إسلامية

والإيمان

الشيخ بوعمران

• العلم ضروري ولكن فوق
هذا هناك مفهوم اوسع للفكر
الانساني تدخل فيه الفلسفة
والدين والمقائد بصفة عامة •

• يقول باشلار : الحقائق
العلمية نسبية فقط ، اما
الحقائق الاخلاقية فهي مطلقة •

وجدت في تاريخ الغرب الفكرى بعض العراقيل
لهذا التقدم العلمى منهامواقف الكنيسة الكاثوليكية
ضد كل تقدم فكرى علمى حتى القرن السادس
عشر عندما انشقت الكنيسة على نفسها وقامت
الثورة الدينية التى تزعمها الفكر الالمانى لوثر وقد
وجه هذا المصلح بعض التهم للبابا وللكنيسة
الكاثوليكية من ضمنها انها جمدت الفكر ومما يدل
على صحة هذه الاتهامات موقف الكنيسة مثلاً من
غاليلية (GALILEE) وهو العالم الفلكى
المشهور الذى اكتشف فى القرن السادس
عشر ان الارض تدور ، فنشر هذه الفكرة
بعد ان جربها وتيقن من صحتها ، فحاكمته
المحاكم الدينية الكاثوليكية بدعوى انه
تدخل فى شئ يمس الدين المسيحى ، وقصة
المحاكمة مشهورة • وقد أرغم على نفي آرائه والا
كان يعدم ، وعندما فكر فى الموضوع تراجع فى
رايه امام المحكمة الدينية ولكنه كان متيقناً بأن
الارض تدور ولذلك قال عبارته المشهورة الحقيقة
ان الارض تدور وهذه كارثة كبرى فى العالم الغربى
وهو تدخل الدين فيما لا يعنيه ، فقد اتت المسيحية

هذه التيارات بصفة عامة لها مواقف معروفة
من صلة العلم بالعقيدة • وقبل ان تعرض التيارات
اود ان اغره بسرعة الاسباب التاريخية التى
ادت بالغربيين الى هذه المواقف لاننا اخذناها فى
الغالب عن الغربيين وذلك بوسائل شتى : اما
عن طريق البعثات العلمية الى اوروبا ومنها بعثات
طلابية الوافدة من البلاد الاسلامية الى الجامعات
الغربية لتتعلم وتعود لتقوم فى بلادها بما سميناه
(صلاحيات) باما بوسائل اخرى عن طريق الترجمة
من الكتب الاجنبية الى اللغات المنتشرة فى العالم
الاسلامى ، وخاصة منها اللغة العربية اما عن
طريق ثالث وهو التدريس من طرف اساتذة
اجانب مثل المستشرقين الذين درسوا فى جامعات
البلدان الاسلامية والذين قد كانوا وكونوا فى
جامعاتهم الغربية البعض من الاساتذة الذين
اصبحوا يشرفون على التدريس فى الجامعات
الاسلامية وبطرق اخرى عن طريق الاذاعات
والصحافة والافلام وقد برزت فكرة العلمانية
(SCIENTISME) عند الغربيين فى القرن
التاسع عشر وقد بنواها المفكرون الذين
قالوا بالعلمانية وجعلوا العلم هو الفلسفة
والعقيدة والتقدم • والعلم هنا له مفهوم
محدود فهو العلم التجريبي الطبيعى وينحصر فى
العلوم الفيزية والكيميائية بصفة خاصة وفى علوم
الاحياء لماذا انتشرت هذه الفكرة عند الغربيين.
لان التصنيع تقدم كثيراً وانتشرت الآلة تقدمت
العلوم التجريبية هذا ما من ناحية. وقد برزت فوائد
العلم التجريبي بصفة ملحوظة ومن ناحية اخرى

في هذا المعنى كثيرة معروفة الجثة للفقراء السماء الخ ..

فشارت هذه الطبقة الاجتماعية أى طبقة الفقراء ضد الكنيسة كسلطة وكانت الكنيسة تعتبر دولة وحتى عصرنا هذا يعتبر الفاتيكان دولة ونجد في الفاتيكان سفراء البابا يعامل معاملة رئيس دولة حين يسافر لبلد ما وهذا يتنافى تماما مع التعاليم المسيحية القديمة مما جعل بعض المفكرين من المسيحيين وحتى من رجال الكنيسة يثورون ضد هذه الأوضاع الاجتماعية التي كانت تعيشها المسيحية وعدد المضطهدين من رجال الكنيسة كثير نذكر منهم فقطفيلسون في فرنسا وهو الذي

FENELON

وجه رسائل للملك فرسا لويس الرابع عشر تدور حول قضية فقر الفلاحين وذلك بصفته رجلا الكنيسة فاضطهاده الملكة الفرنسية ورجال الكنيسة الكاثوليكية وبأن كان من زعمائها .

بعد هذه الثورات الاجتماعية المتعددة جاء دور الثورات السياسية ضد الكنيسة واشهرها الثورة الفرنسية الكبرى سنة 1781 وقد تميزت هذه الثورة باضطهاد رجال الكنيسة فأبقت ممتلكات الكنيسة وزج بكثير من رجالها الى السجون وأعدم البعض منهم بصفقتهم معارضين للثورة ومن الملحوظ أن بعض رجال الكنيسة من الطبقات الشعبية ايدوا الثورة الفرنسية وبقيت الكنيسة على هذا الوضع حتى دخلت فيها عناصر جديدة ابعدت هؤلاء الثوار المسيحيين وفي القرنين السابع والثامن عشر برزت في بريطانيا وفرنسا على الخصوص فكرة الاتحاد القديمة وتزعم هذه الفكرة بعض المفكرين الذين اشتهروا فيها بعد بفلاسفة الانوار وهم ديدو وفولتير

VOLTAIRE

د'ALEMBERT وريسو ROUSSEAU وغيرهم ومنهم ملحدون ماديون أشهرهم ديلفيسوس D'HELVETIUS وله كتاب في هذا الموضوع وأراد هؤلاء الفلاسفة أن يتقدموا بالعلوم التجريبية والاجتماعية وأن يحرروا الطبقات الضعيفة من الشعب فقاومتهم الكنيسة فظهرت مثلا مجوعة رسائل الديد والرومي الخواطر الفلسفية التي تمثل السلاح الاكبر ضد الكنيسة وكذلك كان فولتير المعجم الفلسفي والمقالات الكثيرة والرسائل التي كان ينشرها قبل

مثل الاديان الاخرى بقواعد دينية وبمبادئ سامية موجودة في الكتب المقدسة ولم تتناول قط الامور العلمية بأشارات رمزية ، وانما تجددت الافكار في الكنيسة فأصبحت ليست فقط سلطة دينية وانما ايضا سلطة اجتماعية وسياسية وكانت لها صلات وثيقة بالحكومات المسيحية لأن الكنيسة سيطرت على الوضع السياسي في أوروبا الغربية كلها وتحالفت مع الامبراطوريات واشهر تحالفها هو الذي كون الامبراطورية الكاثوليكية الرومانية وهو تحالف بين امبراطور جرمانيا وهي المانيا والبابا حتى سيطرت الكنيسة على أوروبا الغربية في القرون الوسطى بحيث أن الدارس لتاريخ الغربيين يتحقق بأن الكنيسة كانت هي صاحبة الكلمة في جميع المجالات طيلة العصور الوسطى ولهذا يقال بأن الحضارة الغربية في ذلك العصر كانت مسيحية والعبارة التي كانت تمثل هذه الحقيقة هي عبارة (CHRETIENNE) ونحن اليوم نقول ان هناك كنائس مسيحية كثيرة قد تخلت شيئا عن هذه السلطة الاجتماعية والسياسية ولكن لم تتخل الكنيسة عن هذه السلطة من تلقاء نفسها وانما ارغبتها الظروف على ذلك فقد وقعت ثورات ضدها ثورا تدينية أولا منها ثورة لوثر التي اشرنا اليها وثورة كالفين الفرنسي الذي أسس جمهوريته البروتستانتية في مدينة جنيف وحينما زار البابا أخيرا جنيف استقبله السكان ببرودة تامة لانهم انصار الفكرة البروتستانتية التي قام من اجلها كالفين ولا تزال كنائسه ومدارسه ومعابده هناك

وقد لعبت هذه الحركة دورا خطيرا في تاريخ الغرب ان الثورة الاولى ضد الكنيسة كانت دينية ثم حدثت ثورات اجتماعية لان الكنيسة اعتمدت على الطبقات المثيرة والتبلاء والتجارة وكان في الكنيسة نفسها طبقات طبقة الرؤساء الزعماء وطبقة شعبية كانت متصلة بالفلاحين والفقراء والمستضعفين . اعتمدت الكنيسة على اهل السلطة من نبلاء وتجار واغنياء واهلك تعاليم المسيحية لان المسيحية الحقة تقول بالاعتماد على الفقراء وعبارات المسيح عليه السلام

وهو ليس بقانون ، وفي هذا يقول ان الفكر
الانسانى يمكن حصره في مراحل ثلاث :

المرحلة الاولى : هي المرحلة الميتافيزيقية
بمعنى ان الميتافيزيقيا تشخص بعض القوى
الطبيعية مثلا يعتبر بعض اليونانيين والافارقة
والاسياويين القدماء ان فى السماء قوة فى الشجرة
قوة وفى القمر قوة ولهذا كان هؤلاء يقدسون هذه
القوى ويخشونها لانها فوق الطبيعة الملموسة .

المرحلة الثانية : هي المرحلة الدينية او
اللاهوتية وقد اختار عدة مفكرين هذه القوى
المختلفة وشخصوها ونسبوا اليها اوصاف البشر
وكانت هذه الفكرة تقول بتعدد الالهة عند اليونان
فنجذ آلهة القمر وآلهة الحصاد وآلهة الصيد
وغرها ، وفوق هذه الالهة كلها اله رئيس وهو
جوبيتر . وكان الحال كذلك عند الرومان والفرس
والعبريين القدماء واسماء الالهة تختلف ولكن
الفكرة واحدة .

وقد تطورت الفكرة حتى وصلت الى فكرة
اله واحد حكيم تدبر كامل فيه جميع الاوصاف
الانسانية كما يقول اوغست كونت في درجة
الكمال . لانه من غير المعقول ان توجد خلافت بين
الالهية كما فى الالياذة والاودسية ثم عندما
انتشر العلم التجريبي تبين ان هذه الفكرة لاصلة
لها بالواقع لانها بعيدة عن التجربة والواقعية
العلمية وقد كان اوغست يقول ان التقدم الفكرى
هو فى نكرة هذه الفكرة المجردة .

المرحلة الثالثة : والاخيرة هي المرحلة العلمية
العلمية الوضعية وقد تطور اوغست كونت بعد
ذلك وعدل عن فكرته السابقة وبعد ما قال بأنه لا
وجود للاديان وضع ديناً جديداً وسماه بدين
الانسانية والسبب فى وضع هذا الدين بسيط
فقط تعرف على امرأة وقامت بينهما علاقة فأصبح
يتأمل من جديد فى ضرورة وجود دين ما فوضع
هذا الدين غير انه فصله عن الكنيسة وبذلك قضى
هو نفسه على فكرته السابقة وهى ان المرحلة
العلمية تنفى المرحلة الدينية فوضع ديناً جديداً ،
لان الانسان حيوان اجتماعى كما قال ارسطو كما
هو حيوان شلسمى وحيوان دينى فى نفس الوقت
هذا ما فعله اوغست كونت نفسه وكل المفكرين
وصلوا لنفس الفكرة حتى من يقول بالاحاد لان

ان تنتشر الصحافة وكانت الحكومة تضطهد
نولتير فلجأ الى سويسرا وحكايته معروفة مع
النبلاء ، فقد قال له احد النبلاء يوما انت راع
ابن راع ابن فلاح ولا تستحق الاحترام « وضربه
بالعصا »

**لهذه الاسباب اعتقد المفكرون فى
القرب ان التقدم يتنافى مع الدين فاذا
اراد مفكر او عالم ان يقدم علميا او
ان يكتشف شيئا فعليه ان يبتعد عن
الكنيسة لانها عبارة عن تجسيد فكر
وتسلط على المفكرين وطفيان سياسى
اجتماعى .**

وبعد هذا ازدهرت الحركة الصناعية وتطورت
الاتات واكتشفت قوة البخار ثم اخترعت الباخرة
ثم السكة الحديدية والهاتف ... وهذه الاكتشافات
العلمية جعلت الانسان يعتقد بان عقيدة البحث
العلمى هي كل شىء اما عقيدة الكنيسة
الكاثوليكية فاصبحت قديمة لا تأتى بطائل للجدع
الاروبى وادرك هذا الخطر بعض رجال الكنيسة
فحاولوا ان يسايروا العصر ولكنهم اخطوا فى
اختيار المناهج فبدلا من ان يدرسوا العلوم
ويستنتجوا منها ما يسمح لهم بالدفاع عن عقيدتهم
حاربوا العلوم بصفة عامة لانها مصدر الاحاد
والعلمانية فكان رد المفكرين عنيفا واشهرهم
اوغست كونت AUG COMTE الفيلسوف الاجتماعى
الفرنسى المعروف الذى اخذ عنه جل العلماء
نينا بعد فهو صاحب المذهب المشهور ب
POSITIVISME اى الوضعية وقد سماها
هو الوضعية الفلسفية وجاء الكثير من اتباعه
وحوروا المذهب قليلا وسماه الوضعية وقد تعلم
اوغست كونت فى دير ليكون من رجال الكنيسة
ثم تخلى عن هذا الاتجاه لانه فقد الايمان وكان هذا
يقع للكثير من رجال الكنيسة منهم ارنت رينان
ERNEST RENAN المستشرق المعروف
الذى له دراسات فى ابن رشد والرشدية وفى
اللغات السامية .

وكان رينان ايضا من انصار الفكرة العلمية
وله كتاب مستقبل العلم

اما اوغست كونت فقد وضع اسس المذهب
الفلسفى على ما سماه بقانون المراحل الثلاث

ان الاسلام يأتى بتعاليم دينية موجودة في القرآن الكريم وفي احاديثنا الصحيحة وفي تراث الفكر الاسلامي ولكن الاولوية ليست للعقل وحده كما يقول المعتزلة ولكن السنة الاسلامية التي وقع عليها اجماع المسلمين تذهب الى ان الاسبقية للرسالة النبوية وللتعاليم الدينية وللوحى ثم يأتى العقل ولا يخلق العلوم وانما يتأمل الطبيعة ويوجهها ليكتشف ويسيطر عليها ويتجاوز العالم المعاصر حدود العقل عندما يقول ان العقل يستطيع ان يسيطر على كل ما يدور في فكر الانسان وهناك علوم لا تتر هذا المبدأ فمثلا علم النفس السلوكي لا يعتمد الا على الظواهر فاذا تحرك انسان واذا وقع له خلل فكري عصبى يقوم بحركات يدرسها العالم النفساني ولكنه لا يستطيع ان يعتمد على العقل وحده وكذلك علم الطبيعة والكيمياء يبحث عن الظواهر ويستعين بمبكرات ليرى الامور كما هي الوسائل التي يمكن للعالم المعاصر ان يتحكم بها في الغيبيات انه يستطيع ان يصل الى القمر لان القمر موجود يستطيع بالعمليات الحسابية التي تنقل المركب أبولو Apollo الى سطح القمر القمر ولكن هل يستطيع العلم ان يقول لنا مسبقا ما يدور في فكر هؤلاء الطيارين عندما يصلون الى القمر .

ان هناك فوارق بين الظواهر العلمية التي يعتمد عليها العلم المعاصر والغيبيات بصفة عامة هل يستطيع ان يحدد لنا متى تكون نهاية العالم الذي نعيش فيه . هذه غيبيات فوق العقل الانساني وكذلك يعتقد العالم المعاصر ان التقدم مستمر وهذا يدل على شيء من التفاؤل ولكن هذا التفكير قاصر فحينما ندرس تاريخ الفكر الانساني نجد ان هناك تقدما ماديا بالفعل فقد انتقلنا من المصباح بالزيت الى الكهرباء واكتشفنا الكثير ، ولكن هل تقدما مذنيا وخلقيا بشكل مطرد ، هناك تفاوت فنحن تارة نتقدم وتارة نتقهقر فنحن قد تقدمنا علميا حتى اكتشفنا القنبلة الذرية وتقهقرنا حضاريا واخلاقيا حتى ابادت هذه القنبلة الذرية الالاف من سكان مدينة هيروشيما هناك .اذن هناك تقدم مادى وتأخر حضارى في نفس الوقت مثلا وصل الامريكيون الى القمر واضطهدوا السود في أمريكا وهنا يتدخل العالم الفكر اذا كان قادرا

الاحاد ذاته دين جديد له كتبه المقدسة وله انبياءه ورسالته وفرقه فتوجد فيه كل المظاهر الدينية والاحاد عقيدة غير انها تنكر وجود الاله وهي مبنية على أسس عقلية واذا درسنا التيارات اللاحادية المعاصرة نجد فيها كتابا تعتمد كالكتب المقدسة ولكل مدرسة ملحدة كتبها المقدسة ولو كان الاحاد عقليا فقط ما كان يعتمد على هذه الكتب والغير العلمية لان الاحاد المعاصر يعتمد على العلم من حيث هو علم تجريبي فقط فاذا قال بأنه لا وجود للاله وانما توجد المادة والعقل فقط كيف يمكنه ان يبرهن على ان الاله غير موجود عقليا اذا اعتبرنا ما اقترحه بعض المفكرين من ترك الكتب المقدسة جانبا لنفكر بمقولنا ونهتدى الى فكرة معينة واضحة عن وجود الاله او عدم وجوده فلن نستطيع ان نصل الى نتيجة مرضية لان العقل وحده قاصر وهذا ما اكتشفه بعض العلماء الفزيائيين انفسهم لان الفكرة التي تقول بان العلم هو كل شيء تغفلت في الفزياء الحديثة والكيمياء وسبب هذا ان العالم الادوات المادية في ابحاثه ولا يفكر الا في الظواهر والفكرة العلمية مبنية على هذا والعالم المعاصر يفكر في الاحداث فقط وفي الانسان ولكن يفكر في مصير الانسان ولا في نفسية الانسان لانه يعتقد ان الانسان لا يملك وهذا هو ما يسمى بالمادية او هو يفكر في العالم كعالم بدون اله وهذا هو الاحاد .

ان العقلية المعاصرة تدعى بأنها هي كل الفكر الانساني وفي نفس الوقت يتبين لنا ان العلوم المعاصرة الحديثة لا يمكنها ان تتجاوز بعض الحدود نالعلم الطبيعي مبنى على دراسة اللبعية **الالهية وكل ما وراء اموره فان ذلك طمع في محال .**

العقل ميزان صحيح واحكامه يقينية لا كتب فيها غير انك لا تطمع ان ترن به امور التوحيد والاخرة وحقبة النبوة وحقائق الصفات الصفات الالهية وكل ما وراء اموره فان نلك طمع في محال .

وهذه فكرة موجودة عند جل المفكرين المسلمين وهي بعيدة عن الفكر الغربى لان الفكر الاسلامى يميز ما بين العقل والدين ومعنى هو

على التفكير لان من ظواهر هذه العلوم العصرية ان العالم لا يفكر الا في علمه وقد ذكر لنا العالم بينيه استاذ الفيزياء في جامعة جنيف GENEVE بان العالم الفيزيائي لا يستطيع في الغالب ان يفكر في مشاكل الانسان وحاجاته النفسية لانه يعيش بين ادواته ويفكر في بعض النتائج المحدودة وقد كثرت التخصصات الفرعية في مجال العلوم ففى مجال الفيزياء مثلا هناك الفيزياء الذرية وفيزياء الجوامد وغير ذلك وهؤلاء العلماء يهتمون ويحتقرون كل ما هو بعيد عن هذه العلوم المادية لان العالم العصري الفيزيائي والطبيعى لا يعتبر من لا يسير على هذه المناهج العلمية يستعمل قوة غير عقلية . فالفلسفة والدين والثقافة العامة كلها امور تبدوله غير عقلية لانه يعتقد ان الحقيقة هى فقط ما يلاحظه الانسان ويراه من اجل تغيره وان الانسان لا يستطيع ان يصل الى حقيقة ما الا بحواسه وذكائه فيجب علينا اذن ان نبين لهذا العالم العصري ان العلم شئ والدين شئ آخر والحكمة شئ ثالث فالعلم هو جمع معلومات نحن فى حاجة ماسة اليها لتغلب على الطبيعة او كما يقول ديكرت العلم يجعل الانسان سيد الطبيعة والسيطرة عليها فوظيفة العلم هى

التغلب على المشاكل المادية ونتقدم لنتجتج بمرافو احسن فتغلب على الحر باللات التكيف مثلا ، اما مشاكلنا العقلية والنفسية والعقائدية فلا يمكن للعلم ان يسيطر عليها لانه قاصر على المادة فقط وذلك باعتراف العلماء التجريبيين فمثلا الامردى بروى وهو من علماء الفيزياء المشهورين وقد نال جائزة نوبل فى الفيزياء يقول العلم الان لا يمكنه ان يصل الى اليقين فى جميع المجالات وقد بين باشلار العالم الفيلسوف المعروف فى كتبه بان الحقائق العلمية نسبية فقط اما الحقائق الاخلاقية والدينية فهى مطلقة .

هذا ما جعل الفكر المتدين يقول ان العلم ضرورى ولكن بعد هذا هو وفوق هناك مفهوم اوسع للفكر الانسانى تدخل فيه الفلسفات والاديان والعقائد بصفة عامة وهذه الاشياء تسلط على العلم، وهناك تأثير متبادل بين الجانبين

والمهم ان نضع الميزان بين الجانبين فتكون لنا حضارة انسانية لبشر يتحكم فيها انسان متعقل فى اوضاعه متاملا فى مصيره محاولا ربط المصير بالعالم وبخالق العالم .

الإسلام

كدين

عالمى

ان القانون - وهو الحق

الانسانى حسب تعاليم الاسلام - قد ولد وتتطور في ظل الاخلاقيات . فهو الذى يوجه الناس ، وهو الذى يحميهم وهو فى التسليم والاعتراف بذلك انما ينبع من منبع ومصدر اخلاقى ميتافيزيقى ، اساسه الدعوة الالهية ، حسب ما هو مثبت فى القرآن الكريم وحسب ما وصى به وما تبع النبى صلى الله عليه وسلم من تقاليد .

لقد حقق العلماء بعد وفاة النبى وعلى مر القرون - نظاما قانونيا محكما ، يعتبر الكمال المذهل الخارق للعقل الانسانى ، وذلك بفضل استنادهم الى المنبع القانونى من ناحية والى عقل الانسان وفهمه من ناحية اخرى .

وهكذا كانت الشريعة بمدارسها الاربعة المعروفة .

الحنفى الشافعى ، المالكى ، الحنبلى التى اشتركت فى البناء المائل العظيم الذى ضبط وتعد بانتظام كل لحظة فى حياة الانسان وعمله .

للمستشرق المجرى

د. عبد الكريم جرمانيوس

ليس في الاسلام طبقة
القساوسة المقدسة ،
فكل مسلم يقف أمام ربه
دون وساطة .

كانت الشريعة الاسلامية ،
وقد حددت ماهية الانسان
الذاتي الحر ، تعتبر أعلى
مستوى وأكثر اكتمالا من
نظم القوانين الاوروبية .

وحتى قبل ان تصدر نظم القوانين الاوروبية التي
تعدت العلاقة بين الدولة وبين الحياة الطبيعية
للمجتمع ، وقبل ان يؤخذ الانسان على انه
شخصية ذاتية لا يمكن التدخل في تصرفاته
الداخلية والخارجية ، واعنى بها الروحية
والطبيعية ، كانت الشريعة - وهى القانون
الاسلامى - قد انتشرت وحددت ماهية الانسان
الذاتي الحر ، حياته ، وظيفته ، وهى بهذا السبق
ومن هذه الزاوية تعتبر أعلى مستوى وأكثر
اكتمالا من نظم القوانين الاوروبية .

من العيب ان احاول تعريف الشريعة ، خاصة
امام اخوتى المسلمين . لقد شرحت وفسرت
الشريعة خلال محاضراتى الجامعية للمجربين
والالمان والهنود سنوات طويلة ، وفى بقاع عديدة
من العالم اقيمت سلاسل محاضرات خصصتها
لتفسير الشريعة ، وهو ما اعتقد انه من الاهمية
بمكان لاهوتى ورفقاء دينى المسلمين ، لان هذه
المعرفة الاسلامية التى كانت تمثل العمود الفقرى
للتقافة الاسلامية ونقطة الارتكاز الاساسية فيه ما
تزال اليوم هى الحقيقة الحية ، على الرغم من ان
بعض المسلمين فى بعض البلاد قد اخذوا بسياسة
العدل الاوروبية معتبرين ان الشريعة ما هى الا
شرط او نص ، او حق موروث او حق شخصى
وعلى اساس هذا الاعتبار وسعوا من قوانينهم
الارضية استنادا الى قوة هذا القانون المفرد .

من الطبيعى ان نظم القوانين الغربية بالنسبة
للتكوينات الانسانية انما تتغذى من منبع الفكر

الانسانى . هذا الفكر الذى يتغير من وقت لآخر
حاملا فوق كتفيه عذاب الانسان ومتاعبه وطابع
الامواج المتقلبة فى حياة المجتمع ، وهو بهذا الشكل
فى الحقيقة يكون مؤقت الفعلية والشرعية ، دائم
التغير ، مما يجعل العلاقات المتصلة بعضها
البعض متعارضة متناقضة .

ومن رأى الشريعة انه اذا عرفنا هذا التناقض
عن طريق المنطق وحده ، واذا ما دققنا النظر فى
بحثها فاننا سنضع ايدينا على نظم الحياة وقواعدها
المكتلة التى يمنحها الفكر للانسان . ان المنطق
الاساسى فى نظام الشريعة هو انه لا بد من وجود
خالق لهذا الكون عامة ، هذا اقتناع لا مجال
لنناقشته ، لانه حقيقة اولية تعادل الحقيقة
الاولية عند العلوم الطبيعية ، التى لا تؤكد او
تدحض عقل الانسان ، والتى بانكارها تهدم كل
نظم العلوم الطبيعية .

والخالق هو السبب الاول ، وهو المسبب الاول
الذى يستمد منه العالم اجمع امتداده . لكن هذا
السبب الاول (والنوععالى) ، العقل ليس
بمستطيع فهمه او الإمساك به او التقرير بشيء
فيه ، وهو مع ذلك له من القوة التأثيرية فى الارض
جمعاء الكثير ، وبما يؤثر كل لحظة فيها . وهو فى
نفس الوقت الالهية التى تفوق تصور الانسان
وعقله وادراكه ، وهو ايضا النظام الاخلاقى
للارض جمعاء .



لقد قرر ذلك المفكرون العرب وعلماء المعتزلة سابق هذيل محمد العلاف (توفى عام 226 هجرية) النظام (توفى عام 231 هجرية)، بشر بن المعتبر معمر بن عباد، ثمامة بن أثرس (توفى عام 213 هجرية). لقد حاول كل هؤلاء المفكرون - بمساعدة من منطق أرسطو - أن يقربوا بين التعبير الإلهي وخصائصه وتأثيره على سير العالم أجمع وبين قوة الإنسان وتفكيره، وقد وصلت أبحاثهم وتجاربهم إلى النتيجة التالية: وهى أن الألوهية بالنسبة لعقل الإنسان لا يمكن التعرف إليها، لكن وجودها لا يمكن إنكاره.

تكون من أعمال وتصرفات علماء الدين على مر القرون، وبفضل من الشريعة، فقه المذاهب الأربعة. وهو قانون محكم نجده بين أيدينا الآن وقاعدته أن يحكم الأرض عامة بقوة أخلاقية، وضمن سبيل التعرف على هذه القوة الأخلاقية بالقرآن وبوصايا النبي صلى الله عليه وسلم وحسب ما يفسره العقل من تفسيرات وفهم وإدراك. وفي هذا تقود الشريعة الإنسان إلى التعرف على كيفية حفظه لجسده وممارسته له حتى يبقى سليماً معافى، وكيف يمكن أن يتطهر روحانياً عند الصلاة عندما يقف خاشعاً أمام ربه، وهى كلها أشياء لها مغزاها ومعناها حتى لا تكون حركات لتحريك الغم أو مظاهر خارجية، وإنما هى فى الحقيقة تعمق خالص وغراق فى شئ. وهو ما يعنى الاقتناع بأننا مسؤولون مسؤولية تامة عن كل أعمالنا وأفكارنا وتصرفاتنا أمام الناس، ثم أمام الله.

هذا الوجود الذى يكون القوة الأرضية والسماوية فى كل مكان، هذا الإرشاد والتوجيه يتأكد ويتقرر فى كل زمان وفى كل تكوين تاريخى وفى كل حركة اجتماعية.. وهو فى نفس الوقت يتضمن السلوك الإنسانى للمرء تجاه أخيه، كما أنه يؤثر فى التطهر الجسدى وفى التطهر الروحى أيضاً.

وهو ما يعلمه الإسلام عند ما يقول: «الطهارة من الإيمان». وفى التعاليم الأخلاقية للإسلام كوحى، نراها تحفظ المجتمع من الذنوب التى تسببها البراءة المطلقة والتمرد والعناد وشدة الشكيمة. فتعاليم الإسلام تحرم بشدة تعاطى الخمر وتعاطى أى نوع من أنواع المخدرات أو المنومات لأنها - بتحكيم العقل الإنسانى - تعنى شروع فى الاعتداء على حياة الإنسان نفسه. وهذا المنع فى الإسلام يمكن أن يكون مثلاً لكل الشعوب وكل المجتمعات ومجسداً فى قوانينها ومقرراً، على اعتبار أن هذا المنع إنما يسبق ويتقدم على تأثير المخدر أو المنوم قبل أن تحل الجريمة.

والإسلام يحافظ على سلامة الأسرة ويحرسها. وهو يعاقب بشدة على تحطيم الحياة الزوجية وتدهورها، وكذا على الفسق والفجور. فحياة الأسرة عند الإسلام مقدسة، وهى مثل الهرم، شاهقة عالية لا تمس، حيث يعلن الزوج فيها زوجته ورغبتة حياته كاملاً لأولاده وكلاك حارس تقف إلى جانب زوجها تؤيده وتعضده.

ويتبع الإسلام فى ارتداء الملابس والهندام حكماً أخلاقية تؤيد وجهة نظره ويضمن الحياة والعفة والحجاب يجسد هذا الرمز، وهو يعنى أنه لا يجب على النساء أن توقضن بتصرفاتهن من خلال سترة طائشة مستهترة الرغبة الحسية بطريقة خاطئة حتى لا تصيب طهارة المجتمع بالعدوى لقد أثرت الموضوعات الغريبة عند النساء والرجال سواء بسواء بشكلها الفاضح على السلوك الإنسانى بما أفسد التوازن الأسرى، فضلاً عما فجرته من أضرار وتخريب داخل المجتمعات والدول.

يعاقب الإسلام بشدة وفى سمو على السرقة والانتهاك وقطع الطريق، ولهذا نادراً ما تقترب أمثال هذه الذنوب فى الدول الإسلامية.



عزفوا عن غرور الحياة وخيلاء الأرض وارتفعوا
عن مظهرها الخارجى أن يتخلصوا من قيود الجسد
وهؤلاء هم الصوفية ، الذين أرادوا أن يتحدوا
بارواحهم مع الالهية . وهم في تجليهم وتطورهم
للدننى عرسوا أن الاخاء والمحبة والمدة هى القوة
العظيمة فى العالم جمعاء ، ورفعوا من هذه
الخاصية فى اشعارهم واعمالهم .

واقدم هذه الاعمال الصوفية الروحانية من
تأليف أبو طالب المكى (المتوفى عام 996) بعنوان
« قوت القلوب » ، ومن تأليف عبد الحق سبعين
(المتوفى عام 1269) بعنوان « اسرار الحكمة
المشرقية » . عمر بن الفارض (توفى عام 1235)
كتب « نظم السلوك » و « خبرية » وهى شعر
رمزى متجل كتبه عندما ظهرت امامه روح النبى
صلى الله عليه وسلم . ثم ابن العربى (توفى عام
1240) ومؤلفيه « فتوحات المكية » وفصوص
الحكم « حيث يكتب عن رؤيا صوفية غامضة .

والاسلام كدين لا يقيد المؤمن به — على اعتبار
المؤمن لا بد أن يؤمن بشيء — لا يقيد بالآ يعرف
قوانين الطبيعة ، او يكف النظر عن عملها وكيفية
تشغيلها نتيجة خبرته الشخصية وتجاريه وافكاره
وعند ما كانت شعوب أوروبا تتلمس طريقها فى
غاية الجهل كان العلماء المسلمون يبحثون بالعربية
فى العلوم الطبيعية . . فى الجبر والحساب والكيمياء
والفلك والطب ، كاشفين اسرار الفلسفة عاملين
على نشر تعاليمها فى حرية . لقد كان المدرسون
فى مدارس المساجد الاسلامية على اعلى مستوى
علمى ، وكانت تعاليمهم هى الاساس الذى سارت
عليه أوروبا عندما نهضت من سباتها مؤخرًا .

ان الاسلام لا يعرف الفروق او الدرجات بين
الانسان .. ليس الفنى او القوى من هو فى الدرجة
الممتازة عند الله سبحانه وتعالى ، لكنه هو العالم
المفكر الذى يجد طريقه الحر فى بحونه الحرة ليلقى
بها القوانين الاخلاقية ويفتح مجال التعرف عليها ،
وهو فى هذا يوضح متطلبات الحياة وتجاربها
وتجاربها فى تناسق وانسجام .

والاسلام لا يعرف كذلك طبقة القساوسة او
الخاصة . لكن تعاليمه تقول بأن على كل مسلم
أن يعرف قوانين الاسلام واتجاهاتها الاخلاقية ،
وعليه أن يقف ويوازن من نفسه امام الله سبحانه
وتعالى خاشعا خاضعا دون وساطة .

والاسلام الى جانب العلوم الطبيعية التى سبق
ذكرها قد ابدع ادبا ضخما تتجلى عظيمته فى
انتاجات الشعر والنثر التى أصبحت مثلا ونموذجا
يحتدنى به فى الماضى ، ولا زالت باقية حتى اليوم
تخدم شعوب العالم المثقفة .

وفى نظام العالم الاسلامى ولدت الرغبة
والاشتياق الى العالم الروحى الذى انبثقت منه
اصلا . فقد حاول الناسكون والمتقشفون الذين

كل شيء يتحرك ويستمر ولا يتوقف دون
مسببات او مقدمات ولا يوجد شيء دون نتائج
او عائدة . لكن هذا العقد والارتباط ليس ميكانيكيا
ولا يعمل من تلقاء نفسه ، لكنه هو الوعى
الانسانى وهو ارادة الانسان نحو التطور
والاستمرار .

ليكن امام كل مسلم طريق سلفه في ظل وعى
كامل منه .. لتكن امامه دائما حياة السالفين
واعمالهم ، وليحس بواجبه نحو تجديد هذه الحياة
وهذه الاعمال ، تمامها كتحاليم الاسلام سوا عيسوا
التي تجد الحقوق والواجبات

لقد وجد ابن خلدون هذه التعاليم الاخلاقية
في استمرار قوة المجتمع وسماها « عصبية » .
فاذا ما تراخت اوطاط هذه الواجبات او نال منها
او من احترامها وتقديرها شيء ، خفض من
الاعتقاد واصاب قوة المجتمع بالضعف والاضمحلال .
لنكن فخورين باعمال اسلافنا المسلمين ..
ولنتابع بكل قوانا اعمالهم ، حتى نرعى هذه
العصبية « بمزيد من التقدير والاحلال ، وحتى
ندخل في عصر الاسلام الذهبى مشاركين فيه
بنصيب جليل .

لقد هاجم العلماء الفوامض الصوفية في
البداية . وظل هذا الهجوم حتى كتب الغزالى
(المتوفى عام 1111) كتابه « احياء علوم الدين »
التي اعلن فيها عن سمو بصيرة النفس وحطم
الجسر القائم بين العلماء والتصوف . ان نظرية
الغزالى تكمن في فلسفته الشعور التي وصل فيها
الى التعبير عن الخوف عند الانسان ، وهو قد
احس بالوحدة عنده وهذه المعرفة في تعلقه
بشخصية محبوبة مفكرة يمكن ان ينادى عليها
في يأسه وقنوطه فتستجيب لندائه ورجائه ،
وهي التي تعم رحمتها في الارض والسماء دون
حدود .

ان مقدمة ابن خلدون (المتوفى عام 1406)
احد كبار عباقرة الاسلام قد قررت هذه الحقيقة
.. وهي انه طالما تنمو وتترعرع شجرة من بذرة
فلا بد من ان تثمر الشجرة ثمارا ، وهي نفس
العلاقة بين المجتمع الانسانى وبين التطور . وهذه
القوانين تتحقق ضمن التطور في مختلف بقاع
الارض .. في نظام الحياة اليومية ، في التركيب
الجيولوجى للارض ، وكذلك في حياة المجتمع
الانسانى ايضا .

Dynamische Weltwirtschaft

Von Fritz Baadde

List Verlag 1969



ديناميكية الاقتصاد العالمي

تأليف : فريتس باد

عرض وتعليق

د : طيب الحصري

يعتبر الاستاذ باد من النظريين الاقتصاديين في العالم ومن قادة مدرسة اقتصادية خاصة في ألمانيا ويمكن اطلاق تعبير «الفلسفة الاقتصادية» للتعريف بهذه المدرسة : اي انها مدرسة تنظر الى الاقتصاد العالمي على انه وحدة متكاملة رغم جميع ظواهر التجربة التي قد توحى بوحدات اقتصادية مختلفة في العالم وتمنع من الناحية النظرية معالجة مشكلة الاقتصاد كوحدة متكاملة باختصار ان هذه المدرسة ترى ان تقسيم العمل على المستوى العالمي شيء كان دائما موجودا وسيوجد . وظاهرة تقسيم العمل هذه هي وحدها التي فرضت مظاهر التجربة لوحدة لا يمكن تجزئتها باية حال من الاحوال وهذه الوحدة لا يمكن معالجتها بصفة فعالة الا عن طريق تناولها بالبحث ككل وكوحدة وهل هذا سر العنوان الذي يعطيه الاستاذ باد لكتابه «ديناميكية الاقتصاد العالمي» ولكن

النظرية الوحدوية في الاقتصاد العالمى .

المثال الذى اشرنا اليه اعلاه هو عبارة عن عرض جدولى لمنهجية المؤلف ، وتصوير حى لدرسته حسبما حاولنا بكل اختصار ، ان نعرفها كمدرسة فلسفية ترى فى الاقتصاد العالمى وحدة متكاملة رغم تعدد الصور والاشكال التى يفرضها واقع التجربة فيه الى وحدات متعددة : ان الاقتصاد العالمى وحدة وكل منا يعيش داخل هذه الوحدة ، وما صور واشكال التجربة الا انواع لا عد ولا حصر لها من انواع تقسيم العمل . للبرهنة على هذه الحقيقة يختار المؤلف سيدايسيه (السيد x 1968) ويتبعه مبينا ان جميع حركاته وسكناته اليوم منسوجة بشكل دقيق التنظيم الى وحدة الاقتصاد العالمى . (I)

يقول المؤلف ان السيد x 1968 يستيقظ فى الصباح تاركاً فراشه بدون ان يفكر من ان الافرشة القطنية التى قضى فيها ليلته من اصل مصرى ، هندى ، وباكستانى ، وامريكى ، وان الشعر الذى ملئت به اوسدته من بولونيا . انه يدخل الى حمامه بدون ان يفكر ايضا من ان المادة التى تسخن له الماء عبارة عن بترول آت من العربية السعودية والكويت وليبيا ويغسل يده بصابون مصنوع من زيوت افريقية . ان السيد x 1968 يرتدى قميصه المصنوع من قطن مصرى او من صوف استرالى افريقى . ان حذاءه من جلد مستورد ايضا من افريقيا . انه يجلس ليتناول نظوره بدون ان يتفطن لحظة من ان جل الاثاث المحيط به عبارة عن قطع خشبية وغيرها آتية ربما من القارات الخمس التى تتكون منها الكرة

النظرة لاستستفاد فقط من عنوان الكتاب بل لا نبالغ اذا قلنا ان جميع الافكار والاحصائيات ، والازمات الاقتصادية التى عالجها المؤلف فى كتابه الضخم (502 صفحة) توضح لهذه النظرية بصفة تكاد تكون اطلاقية وسوف نتعرض باختصار لمثال يسوقه المؤلف لاثبات نظريته الوحدوية بالنسبة للاقتصاد العالمى .

ولكن قبل ذلك نلقى نظرة عابرة جدا عن نشاط المؤلف ، لان فى نوعية النشاط الذى زاولة ولا يزال يزاولة مايوحى بهذه النظرية الفلسفية الوحدوية فى الاقتصاد العالمى .

اشتغل الاستاذ باد لسنوات عديدة كمدير للمعهد العالمى للاقتصاد العالمى التابع لجامعة كيرل . واشتهر بمعرفته الدقيقة بتاريخ الاقتصاد العالمى ، وكان نشاطه كمدير لهذا المعهد الذى يوحى الاسم المعطى له باتجاه هذه المدرسة ، من جملة الاشياء التى مكنته من جمع معلومات عن تاريخ وحاضر الاقتصاد العالمى قلما يوجد مثلها فى العالم اذا لم يكن معدوما .

ويدير الاستاذ باد حاليا مؤسسة للبحث العلمى فى المشاكل الاقتصادية العالمية وخاصة مشاكل اقتصاد بلدان العالم الثالث ، وفى هذا الكتاب خاصة يبين الاستاذ باد بكل دقة ووضوح عن توسعه وتعمقه فى البحث فى مشاكل الاقتصاد العالمى ، ويمكن اعتبار هذا الكتاب فى آن واحد نوع من نظرية فلسفية عميقة فى الاقتصاد العالمى وموسوعة ضخمة ومدعمة بجميع انواع الاحصائيات والدلائل لمجمل المشاكل التى عان ويعانى منها هذا الاقتصاد .

(I) هذا المثال عبارة عن مدخل عام ، ويعالج المؤلف فى هذا المدخل القطن ودوره فى الاقتصاد العالمى ولعله اختار القطن لهذا المدخل من اجل ان هذه المادة الخام اول مادة بدأت تكتسح الاسواق العالمية اثناء الثورة الصناعية فى بريطانيا التى بدأت كشورة فى ميداني الغزل والنسيج تستورد هذه المادة من مصر والهند وباكستان وامريكا لا تعطى لا ترجمة دقيقة للمثال ولا سردا كاملا ، انما نلخص فقط روح هذا المثال من اجل الهدف الذى اشرنا اليه

- (4) — الانفجار السكاني في العالم والمشاكل التي تتولد عنه (خاصة مشاكل المجاعة) .
- (5) — القوانين العامة التي تتحكم في الانفجار السكاني في العالم
- (6) — الارض كمصدر للتراث الطبيعى
- (7) — البحار والمحيطات كمصدر من مصادر انتاج المواد الغذائية في العالم .
- (8) (الطاقة ودورها في الاقتصاد العالمى .
- (9) — المواد الاولى ودورها في الاقتصاد العالمى .
- (10) — دور المواصلات في الاقتصاد العالمى
- (11) — الثورة الصناعية في العالم واثرها في نمو المجتمع البشرى .

هذه بكل اختصار امهات المشاكل التي عولجت في هذا الكتاب ، والتحليل العلمى الدقيق لكل مشكل مدعم بمختلف الاحصائيات والصور والرسوم والخرائط الاقتصادية ، وفي الكتاب 82 صورة وخريطة رسم اقتصادى تبين حالة التطور لكل مشكل عولج ، كما يحاول المؤلف ان يدمج نظرياته بواسطة الارقام كلما استدعى الامر ذلك ولا بد من الاشارة بصدد هذا العرض الخاطف لحتوى الكتاب الى قائمة المراجع التي تحتوى على مئات من الكتب والمجلات والتقارير الصادرة في جميع مناطق العالم . ولانباغ اذا قلنا ان هذه القائمة عبارة عن سجل ضخمة مكتبة عالمية حول الاقتصاد العالمى ، ولهذه القائمة أهمية عظيمة للباحثين في

الارضية . ان السيد xx 1968 يدخل سيارته ليذهب الى عمله ، ولكن لو حلت هذه السيارة الى جزيئاتها الاولى لعرف ان العالم كله يمثل في عربته . وفي العمل لو فكر السيد xx 1968 لحظة واحدة لأدرك انه عبارة عن ذرة صغيرة جدا في وحدة هائلة هي الاقتصاد العالمى . ان معلمه محكوم عليه بالشلل التام اذا انقطعت عليه جميع المواد الخام التي تستورد من شتى اصقاع العالم . ان السيد xx 1968 تابع تبعية تكاد تكون مطلقة في جميع انواع حركاته وسكانه ، في نموه في عمله وفي اوقات راحته للاقتصاد العالمى . انه جزء لا يتجزأ من هذه الوحدة ، وتحركه في داخل هذه الوحدة ما هو الا نصيبه من ملايين الانصبه التي يفرضها قانون توزيع العمل في المجتمع الانسانى .

عرض موجز لمواد الكتاب

ان عرض فلسفة الكتاب شيء ممكن ، لا لانها فلسفة تتحلل الهيكل النظرى كله للمواد المعروضة والمناقشة في الكتاب ، ولكن لعل عرض المثال يعطى صورة واضحة ولو غير كاملة عن اتجاه هذه المدرسة والمنهج النظرى الذى تحاول ان سسعمله فى البحث ويتناول الكتاب وفقا لهذه المنهجية بالبحث والشرح والتعليق المشاكل الاقتصادية الاساسية التالية :

- (1) — نمو ومستقبل الاقتصاد العالمى
- (2) — المانيا ودورها في الاقتصاد العالمى بين الامس واليوم وغدا .
- (3) — الاقتصاد العالمى من وجهة نظرانتاج المواد الغنائية .

بمشاكل الاقتصاد العالمى .

نقد

لأنريد أن نزعج هنا أنه فى إمكاننا توجيه نقد على بناء للكاتب ، ذلك ليس من اختصاصنا وحتى لو كنا اختصاصيين فى الموضوع لتعلم مثل هذا النقد لضيق المجال وضخامة المادة التى يعرضها المؤلف فى أسلوب على فى غاية الدقة لا يمكن نقده الا بتدقيق الدراسة والتخصص فى الموضوع .

ولكن ذلك لا يمنع من المناقشة النظرية العامة لكتاب ، والمنهجية المستعملة فى هذه المناقشة ان الوحودية فى الاقتصاد العالمى تكون من عنصرين أساسيين يستنتجان حتى من دراسات المؤلف نفسه : العنصر الاول هو المواد الخام .

إذا اردنا ان تستعمل تعبيرا اقتصاديا محضا . او جميع تلك البلاد المنتجة لهذه المواد الخام أى بلدان ما يسمى بالعالم الثالث (I)

والعنصر الثانى هو الصناعة الميكانيكية المحولة لهذه المواد الخام ، والبلاد المصنعة ان معالجة هذين العنصرين فى اطار وحدة مغلقة من شأنه ان يترك قضية التوازن والعدالة بين هذين العنصرين لا تدخل فى الحساب وهذا ما حدث للمؤلف الذى لم يعالج فى نظرنا هذه القضية ، قضية العدالة والتوازن فى التلاؤم الطبيعى الذى يفرضه تقسيم العمل

لمعالجة الاقتصاد العالمى لا يمكن الا ان تكون نقطة الانطلاق فى تبرير للمشاكل الاقتصادية التى يعانى منها العالم اليوم . انه لا يمكن ان يوجد تقسيم عمل بين عالم يتخبط فى الفقر والجهل والجماعات وذلك لعظم مصادر الثروات الطبيعية فى العالم ، وبين آخر ينغم فى الرفاهية والثراء فقط لانه يملك فى تحويل هذه الثروات صناعيا .

أهمية الكتاب :

(I) هذه النظرة النقدية الحافظة لا يمكن مع ذلك ان تقلل من أهمية الكتاب العظيمة التى يمكن فى المجتمع الانسانى ، ومن هنا فان الانطلاق من قضية تقسيم العمل لنخصها فى النقاط الآتية :

1 - ان المؤلف يعرض المشاكل الاقتصادية فى قالب اجتماعى جديد ، فجميع المشاكل درست فى اطار واسع تبين بدقة أهمية عنصر الاقتصاد كقاعدة أساسية للتقدم الانسانى فى مختلف الميادين .

2 - ان الكتاب يعطى مجموعة من المعلومات عن حالة الاقتصاد العلمى قل ان توجد ربما فى غيره من الكتب حول الموضوع ، وجميع الارقام مدعومة بنقاس ومقارنات نظرية شائقة انه فعلا عبارة عن موسوعة رائعة فى الاقتصاد العالمى .

(د) افريقيا التى تعد شطرا عظيما من العالم الثالث تزود الدول الصناعية والاستثمارية بالنسب الآتية لبعض المواد الخام :
95% من الماس 69% من الكوبالت 63% من الذهب 34% من الكروم 32% من النحاس 66% من الكالكاو 65% من زيت النخيل
95% من القطن السودانى 64% من القطن 65% من البن

رسائل
جامعہ

الاستجابات السيكولوجية للعاهة الحركية المرئية لدى المجاهد معطوب الحرب

يرجع تفكيري في هذا البحث الى مصدرين اولهما خاطرة طالما عنت لي وارتقتني فقد كنت اسائه نفسي عن جدوى دراساتي في علوم الانسان وعلم النفس بوجه خاص اذا دابنا على اجترار نظرياتها ومناهجها دون ان نروضها وان نطيقها على واقعنا الخاص وان نخلع عليها خصائص شخصيتنا القومية الاصيلة ونحولها الى اداة مخدمة تطورنا على المستويين المادي والانساني

نقد اثر انتباهي وانما احاورهم بما يبدو عليهم من مظاهر الجذ والحرس والحماس ومضاء العزم وسرعان ما تحول انتباهي الى اهتمام وثقف بما تعج به اعماقهم من مشاعر وانفعالات واتجاهات . وكنت على يقين بأن اولئك الرجال الذين كفوا بالامس القريب ظليمة الكفاح المسلح ليسوا اليوم أقل استمداذا للمساهمة في معركة فاصلة لا يتمتع فيها السلاح ولكنها ستعطى لهذا الكفاح مضمونه الايجابي المتمثل في بناء قوة ذاتية فلا عجز أكثر من الرغوخ للعجز ولا قوة أكثر من ارادة تبني الحياة وتوزع بذور الامل .

وكنت اطمح في بادي الامر الى القيام بدراسة شاملة لسكولوجية المجاهد معطوب الحرب مهما كان نوع عاهته الا ان الحاجة الى نتائج عملية جعلتني اقرر دراستي على قطاع واحد من ميدان رحب هو المعاهة

وقد اغرنتني هذه الفكرة عندما أدركت ان الجانب التطبيقي في علم النفس الذي يكاد يطغى اليوم على الجانب النظري فيه - يمكن اعتباره احد المزايا التي تمكس واقمنا في حيويته وراثته في ثقافته وسلبيلاته : وقد خيل لي اننا اذا سرنا في هذا الاتجاه فسوف نحقق هدفين في آن واحد فنشرع من جهة في وضع صياغة وطنية لعلم النفس ولا نكتفي بنقد اولئك الاجانب الذين ييحثون واقمنا بالنيابة عنا بينما نتطفل نحن على بحث شجونهم وشؤونهم ونعتبر واقمنا منطقة حرام ونساهم من جهة أخرى في تفضية العلم نفسه بما نقدمه من جهد يحمل في طياته الحق والابتكار .

اما المصدر الثاني الذي استلهمت منه هذا البحث فيرجع الى ذلك الصيف من سنة 1966 عندما طلب مني التدريس لمجموعة من قداماء المجاهدين كان من بينهم بمعنى المعطوبين في حرب التحرير الوطني

د: محمد العربي
ولد فليضة

الحركية البتر والتشوه وفي ضوء ذلك قمنا بتحديد جوانب المشكلة موضوع البحث ووضعها في إطارها العلمي الصحيح فيما أن الإنسان وحدة بيولوجية نفسية اجتماعية فإن للمعطل جوانب ثلاث فهو في الدرجة الأولى مشكلة فردية لأن المعاملة تتصل مباشرة بالذات ويظهر ذلك من الناحية الجسمية في اضطراب الفرد إلى التبعية لغيره وفي أحسنه بما لميز والصور المعنوية ومن الناحية النفسية تبدو آثار المعاملة في الشعور بالنقص والحرمان والتمرض لمواقف الزمن والاحباط ، كما يعتبر المعجز في الدرجة الثانية مشكلة اجتماعية لأن النية تساهم إلى حد كبير في الفكرة التي يكونها المعطوب عن حالته وهي فكرة وثيقة الصلة بتجاهلات الآخرين نحوه وبنبط الثقلة السائدة في المجتمع فهو في الواقع ينظر إلى معاقته بعيون الآخرين ويمكن النظر في المعجز الجسدي في الدرجة الثالثة باعتباره مشكلة اقتصادية تتمثل في إبقاء فئة كبيرة من أفراد المجتمع عالة على الدولة تأخذ ولا تعطى وتعيش في الظل سجين الوحدة وتحت رحمة القصور والتعوق .

نضع أهمية هذا البحث على المستويين العلمي والنظري إذا وضعنا في حسابنا الاعتبارات التالية

1 - أن دراسة شخصه وسلوك المعطوبين عموما ما زالت في حاجة إلى بحث علمي أكثر عمقا وشمولاً على الرغم من أهمية النظريات التي قدمت البحوث التي نمت في هذا الميدان فإن تغييراتها وتطبيقاتها تعتبر مساهمة جزئية في حاجة أن يعاد تنقيحها في ضوء منظور شامل يعنى بسيكولوجية الجهاد المسرح بعد حرب تحريرية تختلف في جوهرها عن الحروب التلاصكية المتعارفة .

2 - ندوة الدراسات الميدانية التي تناولنا واقعا المحل فما أكثر ما درس الباحثون الماضي البعيد والقريب واليوم آن الأوان للانتفاضة إلى واقعنا الخاص لننفخ عنه الغبار ونصقله ونظهر ملامحه الحقيقية

أن بلادنا تقبل على نهضة اقتصادية اجتماعية تتخذ من التخطيط العلمي دعائمها الأولى وتلتصق من امكانياتها الذاتية وسائل الانطلاق وما أشد حاجتها في هذه المرحلة بالذات إلى بحوث علمية تتصل بالإنسان ذخر الثروة وخسائره استمرارها

3 - افتقار مكتبتنا العربية إلى بحوث سيكولوجية في هذا الميدان وما تم منها - على حد ما نعلم - يكاد يقتصر على سيكولوجية الجماعات الخاصة وكان لملء النفس التربوي اليد الطولى في دراسة ضروب التفوق الحسي والمركبي الولادي والمكتسب لدى الأطفال

4 - تمثل فئة المجاهدين المعطوبين قطاعا ضخما يتوزع أفرادهم في هضبة الواقعة بين 30 و 50 سنة وهي المرحلة التي تصل فيها القدرة الانتاجية للشخص إلى حدها الأقصى وهذا ما يجعل إعادة تكوين هذه الفئة وتأهيلها أمرا جديرا بالدراسة والاهتمام

5 - تشير التوقعات الاحصائية إلى تزايد انتشار ظاهرة المعطل في العالم بسبب الحروب وحوادث العمل والمروء والتشوهات الولادية

أن المعطوب عندما يتخلص من وطأة الاحباط بعمل جهازه النفسي على اكتشاف السبيل الصحيح للتغلب على تعوقه وعجزه فيعيد تنظيم مجاله السيكلوجي، وقد افضح من دراسته ظاهرة الاحباط أن مدى قدرة الفرد على تحمل التوتر الناتج عن التعوق والصعد والحرمان يتوقف على مجموعة من العوامل التكوينية الكامنة في الفرد نفسه مثل تعود على مجابهة الزمن منذ صباه وإلى عوامل أخرى في الموقف الخارجي وأن هذه العوامل تتبادل التأثير

وقد لوحظ أن أكثر الاستجابات التمويضية الايجابية لدى المجاهد معطوب الحرب هي الاعلاء وتقبل المعجز ومحاولة التسامح عليه فينتظر المجاهد إلى عاقته على أنها امتحان من الله ولاراد لقضاء الله ويبدو ذلك بوجه خاص في انخفاض استجاباته العدوانية والهروبية واعترافه بالحدود التي تقف عندها امكانياته فهو يعتمد على نفسه فيما يستطيع اداؤه من أعمال وينتظر العون والسند فيما يعجز عنه

وقد تبين أن الاعلاء عند الكثير من الحالات يأخذ مظهر التقوى والانتكباب على العمل بحرص واعتصام بالغ والتدرب على استخدام الجهاز الاصطناعي بدون شكوى أو تأفف

أن المجاهد معطوب الحرب يشعر في قرارة نفسه بأنه يفضل أولئك الذين خاضوا حروبا لا تستهدف اعلاء كلمة الحق وانقاذ الدين من برائن « الرومي » مهما سجلوا من بطولات

لأن المجاهد يعتقد انه لم يخض حربا من أجل الحرب وإنه لم يكره على الانخراط في صفوف الجيش بل انه فعل ذلك تلبية لنداء ضميره ودفاعا عن دينه ما « المحاربون القدماء » فهم في نظره في درجة أدنى

أن المفهوم الديني للجهاد يلعب دورا رئيسيا في صياغة فكرة المجاهد معطوب الحرب عن ذاته وطريقة تمييزه عنها وقد حدد القرآن الكريم تحديدا واضحا مكلفة المجاهد بين قومه ومنزله عند ربه ، يقول تعالى :

« لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وانفسهم على القاعدون درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدون أجرى عظيما »

(النساء آية 95)
« ولنبلوكم حتى تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم »
(محمد آية 31)

اذن فالمجاهد يعتبر عافته دليلاً على انه أبلى البلاء الحسن وكثر عن دنوبه عند ما وهب نفسه لله والوطن واذا اخذنا بعين الاعتبار التصور الخطط التي لمطومة الشخصية فمنا نلاحظ ان ارتفاع درجة الصلابة الاجتماعية لدى معطوب حرب التحرير هو في الواقع نتيجة الاستجابة لموضعية زائدة صادرة عن الجهاز النفسي بأجمعه ويستهدف هذا النمط من التعويض الاشمار بالمعانة نتيجة تضم الاتا الاعلى ومحاولته السيطرة على الاتا ماذا كان البتر والنسوء عند الآخرين علامة على المعجز والقصور تجعل الشخص يشعر بالدونية فهو عند معطوب الحرب للامة على الشرف ومصدر للزهد والافتخار ولكي يحتفظ الاتا بوجده ويتحلى الثباتية .

المعانة من جهة علابة على المعجز والنقص وهي من جهة أخرى علابة على الشرف والتضحية « نستجد المنظومة النفسية بالية دفاعية مناسبة هي الاعلاء الدين يتخذ شكل صلابة اجتماعية تتبل في تفسيته نظام العلاقات الاجتماعية والتبمسك الشديد بالقيم والمعايير التي تباركها المجاعة حتى يحتفظ المجاهد برمزية المعانة ويستثنى نفسه من أولئك الذين امسيبوا بمعاملت في ظروف عادية .

تتخلص الخطوط الرئيسية لهذا البحث في انه محاولة لاقابة فكرة حكمة عن شخصية المجاهد معطوب الحروب وهي محاولة ترتكز على محورين اولها دراسة تجريبية وثانيها تحليل نظري فلم نكتف في دراستنا بمجرد تطبيق الاختبارات وتصنيف البيانات ورصد النتائج بل حرصنا على مرض وتحليل الاسس النظرى لكل ذلك .

و يتكون البحث من قسمة اقسام واحد عشر فصلا .

ومن خلال التحليل والمقارنة حاولنا تسير الجوابب المختلفة للظاهرة في حدود مينة البحث وفي ضوء الواقع الحفارى لمجتمعنا الراهن فقدمنا صورة واضحة عن شخصية المجاهد معطوب الحرب في سلوكه وتعبيره عن حجابته وفي فكرته من ذاته وفي اتجاهاته نحو غيره من الناس .

ونجز فيها إلى اهم ما توصلنا اليه من نتائج :

1 - ان الاستجابات التعويضية الفعلة لدى المجاهد معطوب الحرب تتجه في الغالب الامم الى الخارج لان الاتا عنده لا يعانى من اى شعور بالنقص او الذنب بيتبا ترتد الاستجابات الفعلة لدى الفئة المثقفة الى الداخل نظرا لتخلص الاتا وعجز الفرد عن اعادة تنظيم مجاله السيكولوجى ومن جراء ضغط الاحساس بالنقص ووطاة الشعور بالذنب .

2 - ان درجة الصلابة الاجتماعية تتخلص تدريجيا من المجموعة الاولى حتى الثالثة ، لان المعانة عند المجاهد ملاية على الشرف ومصدر للزهد والافتخار وهذا ما يجعله يستخدم آلية الاعلاء ويضيف من نطابق علاقته ويتمسك بالقيم والمعايير الاجتماعية لكي يحتفظ برمزية المعانة .

3 - لا يمكن فهم اثر المعانة على شخصية المعطوب الا في ضوء كل نفسى اجتماعى سوماتى .

4 - ان تضخم اعباء المعطوب المعاللة وعجزه عن الوفاء بالتزاماته المعلية والمعنوية يجعله يعيش فيمراع عنيف يؤثر على خورته عين ذاته وعلى علاقته بغيره .

5 - يتعرض المعطوبون من المجموعة الثانية الى شعور ملح بالاحباط في مجتمع ما زالت فيه قدرات الفرد الفيزيائية تلعب دورا هاما .

كما يتعرض الحاصلون على مستوى تعليمى فوق المتوسط من نفس المجموعة السابقة الى مواقف الزمت والتثبيط لاسباب كثيرة أهمها حدة شعور المتعلم بما يتهدد مكانته الاجتماعية واعتباره لذاته وشدة اهتمامه باتجاهات الآخرين نحوه .

وبناء على هذه النتائج فقد تقدمنا بمجموعة من التوصيات يتصل بعضها بالجانب الفنى الذى ينبغى اتباعه فى مثل هذا البحث ويتصل بعضها الآخر بالجانب الانسانى من المشكلة ونجمل اهم هذه التوصيات فيما على

1 - نظرا للصعوبات التى واجهتنا خلال الاجراءات العملية للبحث فأننا نوصى باستخدام المنهج الاكليميكى الذى يتيح للباحث فرصة اقامة علاقات انسانية مباشرة مع الحالات .

2 - تنظيم المحفوظات والاحصاءات تنظيميا فنيا باصدار نشرات ووثائق تبوب فيها المعلومات بطريقة تسهل على الباحثين مهمتهم .

وحيدا لو قامت المصالح المختصة باحصاء وتصنيف فئات المعطوبين بوجود افراد اصحاء جسميا واسوياء عقليا .

3 - نوصى بضرورة توعية البيئة الانسانية المحيطة بالمعطوب لانه فى الواقع ينظر الى عاهته بعيون الآخرين .

4 - نظرا لاعتبارات منهجية واخرى خاصة بحدود الامكانيات المتوفرة اقتصر هذا البحث على قطاع صغير من ميدان فسيح ما زال الكثير من جوانبه بكرا ، ولكي تكتمل الصورة العلمية والعملية لهذا البحث ينبغى القيام بدراسة شاملة لضروب التفوق الحسى والحركى والمتعدد .





آراء أبي بكر العربي الكلامية ونقده للفلسفة اليونانية وتحقيق كتابه "عواصم من لقواصم"

تأليف رسالة دكتوراه
الدولة المقدمة من
الاستاذ عمار طالبي

د. عمار
طالبي

ان اصول المنهج النقدي الذي نجده عند الباحثين المسلمين ترجع في اساسها الى القرآن نفسه ، ذلك الكتاب الذي يمثل قطب حياة المسلمين العقائدية والفكرية والحضارية فالقرآن بدر بلور النقد ، فنقد نقدا واضحا مختلف التيارات العقائدية المعروفة ونزوله ، من مجوسية ويهودية نصرانية وصابئة ، ودهرية ، ومتركى النجوات ، ونهج في هذا النقد نهجا عقليا ظاهرا في اتجاهين رئيسين : نقد عقائدي ، ونقد اخلاقي اجتماعي اى نقد في ميدان التفيزيقا ، ونقد في ميدان الاخلاق التي لا يمكن ان تبني بناء عميقا الا على اساس ميتافيزيقي او ارضية غيبية ، لذلك كله اتسمت ابحاث المسلمين وكتبهم العقائدية بهذه السمة النقدية ففي اول اتصالهم بلوى العقائد الاخرى والفلسفات المخالفة من يونانية وغيرها اخلوا في نقدها ومعارضتها ، وقد تصدى السلف لعقائد دخلت في المجتمع الاسلامي وراوا انها مخالفة لعقائدهم فقاوموها وفندوها ، واتى الاعتزلة فكانت فكانت لهم صولات نقدية عنيفة في مناضلة المانوية وغيرها من التيارات الفلسفية والمذهبية حتى اتهم بعضهم بانه دنس نفسه بالفلسفة واخذ بها عن طريق مطالعتها والاتصال بها والرد عليها

والذي يتصل ببحثنا هنا انما هو بيان نضال الاشاعرة ضد الفلسفة

لذلك وقع اهتمامي بكتاب وبشخصية يبدو انها مغمورة بعض الشيء لدى المهتمين بتاريخ الفلسفة الاسلامية ، وهي في واقع الامر شخصية غنية ، كلها اثر ، عقل ، وجراة علمية نقدية الا وهي شخصية ابي بكر بن العربي (543 هـ 1138) ، الناقد المتكلم الاصول الفيلسوف المسلم الذي تتلمذ للفزالي ، وتمثل منهجه النقدي ، وطبقه على الفلسفة اليونانية ، وعلى المتصوفة والباطنية ، كما طبق منهجا آخر نقديا تاريخيا على احداث الفتن الكبرى فنتج صفيين فواضح انها اصل لما تولد عنها بين المسلمين وترك لنا وثيقة من اهم الوثائق الفكرية التي تبصر عن روح الحضارة الاسلامية وعن نضالها ضد من فتن ومذاهب وآراء ، وانشقاق وتنازع النزعات العقائدية الاخرى المناهضة لها ، هذه الوثيقة هي كتاب « العواصم من القواصم » الذي اقام فيه مؤلفه عواصم عاصمة من قواصم قاصمة ، عواصم عقائدية تعصم من قواصم عدامة تقصد الى قسم ظهر المسلمين الحضاري ، والى نقض بنائهم العقائدي الذي يكون عصب هذه الحضارة القوي ، ولجها النابض وروحها الوثابة

واهم وجه من وجود هذه الرسالة انما هو المنهج النقدي الذي اتبعه ابو بكر بن العربي ، وسلكه في كتابه المذكور اذ ليس يخفي ما لهذا المنهج النقدي من صبغة فلسفية ، وروح علمية بالغة الاثر

لا يمكن القول بان دراسة الفلسفة الاسلامية قد اشرفت على الكمال بل ان الطريق ما يزال امام الباحثين شاسعا ومفتوحا في آن واحد ، ونعتقد ان اول خطوة جدية في دراسة هذه الفلسفة انما هي بحث ذخائرها الدفينة في مختلف مكتبات العالم العامة والخاصة ، واخراجها للباحثين في صورة نقدية علمية ، وقد بدا دارسون كثيرون في بناء هذا العمل ، ولكنه لم يبلغ بعد المدى الذي نريده له



أرسطو في القياس وفي العلية أما العلية الطبيعية فقد أثبتنا ونملك في كتابه «التقسيم لحد الحقل» لذلك نرى أبا بكر بن العربي يهلهجه مشيراً إلى أنه أخذ هذا المطلق اليوناني من القدي (252هـ) .

والحقيقة أنه لم ينفرد الإشاعرة بنقد الفلسفة اليونانية ، وإنما شارك في بيان تهاونها تيارات فكرية أخرى مثل المعتزلة والشيعة والكرامية أيضاً إذ نص ابن تيمية على أن سائر طوائف النظر من المسلمين كتبوا يمينون المطلق اليوناني ويثبتون ضده ، ولا نجد الحقيقة أن قلنا أن أبرع من تصدى لنقد المطلق الأرسطي من الحضارة إنما هو ابن تيمية في كتابه الكبير (الرد على المتكلمين) وفي كتابه «نفس الحق» وكتاب نصيحة أهل الإيمان في الرد على منطق اليونان ، وفي كتابه أيضاً «جهد القرعة في تجريد النصيحة» ولم يقتصر على نقد المطلق وإنما نقد ما استخدم فيه المطلق لأثباته ألا وهو الميتافيزيقا اليونانية والفلسفة الخلقية الأفريقية ونظرية المعرفة أيضاً وقد ألف رسالة سماها «الرد على عقائد الفلاسفة» (مجلة أثار المجلد 10 ص 616 - 621) وليس من شك في أن ابن تيمية استفاد من منهج الغزالي ومن منهج تلميذه ابن بكر بن العربي وتأثر بهما غير أنه امتاز عنهما بنقده المطلق الذي رهب به ابن حزم ومن بعده الفسزالي وأخلاه في صميم القامح الإسلامية في مختلف المعارف .

ورد التوبيخ من الإمامية في كتابه «الآراء والديانات» على المطلق وألف في ذلك كتاباً آخر سماه «الرد على أهل المطلق» .

بل إن المتصوفة أنفسهم شاركوا في نقده إذ تصدى شهاب الدين عمر السهرودي وألف في ذلك كتاب «كشف القبائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية» وكتاب «أحلة العيان على

ثلاث مجلدات ذكر فيه من مذاهب الفلاسفة فيها آراء كثيرة ولكنه تأثر بمذهب الروافيين في النفس فأخذ به. ونجد في كتابه «الإرشاد» نقداً لفكرة الفيض وترتيب الموجودات والمقول.

ولكن الذي نقد الفلاسفة نقداً منهجياً متكاملًا هامسًا إنما هو الغزالي (500 هـ) الذي نفذ إلى آرائهم ، ثم توجه بعد ذلك إلى بيان تهاونها وإلى نقد ما حرك ابن رشد للدفاع عنها ونقض ما اتهم به الغزالي من التناقض والتهاول والبطلان .

وقد نطق أبو بكر بن العربي إلى منهج الغزالي النقدي فأوضح لنا أنه غالى منهج كل من تقدمه من ناقضي الفلاسفة ونقضهم وبين لنا أنه «ليتهم بداهم» أي أنه استخدم منهجهم المطلق للرد عليهم بسلاتهم، وإذا كان من تقدمه من المتكلمين ناقضي الفلاسفة بمنافضات جدلية فهو قد ناقضهم ببراهين حاسمة .

والواقع أن الغزالي لم ينتقد الفلسفة اليونانية في جملتها ، وإنما اهتم بنقدها في مجال الآلهيات وفي بعض المشكلات الطبيعية . أما المطلق وهو منهج الفلسفة فقد أخذ به . وبين لنا أنه لا يظلم من المطلق الأرسطي إلا في الإصلاحات ، وأنه من القادر أن يتطرق الخطأ إلى المطلق الفلسفي إما الرياضيات فهي لا تخالف العقل ولا الدين ومن ثمت فإنه لم يتناولها بالنقد .

وإذا كان ابن تيمية قد ذهب إلى أن أول من أدخل المطلق اليوناني في القامح الإسلامية كان الواقع التاريخي برهن لنا أن أول من أدخل المطلق اليوناني في القامح الإسلامية كان الواقع التاريخي برهن لنا أن ابن حزم (456 هـ) قد سبقه إلى ذلك حيث أنه ناصر المطلق الأرسطي وألف فيه ودافع عنه ضد الفقهاء وحسبه منهجاً سليماً للمعلوم كلها وأن كان قد خالف

لأن أبا بكر بن العربي اشتمى في انتصاهه السلام ، غزالي في منهجه النقدي ، لذلك نجد أبا بكر بن العربي يصرح بأن أول من تصدى لنقض آراء الفلاسفة ونقضها إنما هو أبو الحسن الأشعري (324) وإذا رجعنا إلى كتب الأشعري التي ذكرها المؤرخون فاعلمنا نجد أنها ذات صيغة نقدية ، إذ أنه تصدى للمنطق الأرسطي فنقده ورده ، كما رد على كتاب «الآثار العلوية» لأرسطو ، وناقض ابن الراوندي وغيره من الفلاسفة والمحدثين والطالميين ، وألف كتاباً في «بقات الفلاسفة» وكتاباً في «الرد على الفلاسفة» وبين ابن تيمية (728 هـ) أن أبا الحسن الأشعري ذكر في كتابه «مقومات غير الإسلاميين» ما لم يذكره الفارابي ولا ابن سينا ولا أمثالهما من المقالات والمذاهب .

ثم جاء المؤسس الثاني للمذهب الأشعري ولتعليماته الطبيعية والمنطقية وهو أبو بكر الباقلاني (403 هـ) فسار على ذلك النهج النقدي الأشعري وألف كتاب «الدقائق» الذي رد فيه على الفلاسفة وعلى ما يذهبون إليه من آراء في النفوس والمقول ، والافلاك والنجوم وعلى نظريتهم في واجب الوجود والفيض وما إلى ذلك من المشكلات الطبيعية والميتافيزيقية كما رد على المطلق الأرسطي وخاصة المقولات ورجع في ذلك كله منطق المتكلمين المسلمين على منطق اليونان .

أما أبو المعالي الجويني (478 هـ) فقد تولقت صلته بالفلسفة ومع ذلك فإنه لم يتردد في نقدها ، ونجد ذلك فيما وصلنا من كتبه مثل الشامل الذي خصص فيه فصلاً عدة للرد على الفلاسفة مثل فصل الرد على القائلين بقم العالم وفصل الرد على القائلين بقم المادة . وحدنا أبو بكر بن العربي أن الجويني ألف كتاباً «في النفس» في

البرهان في الرد على الفلاسفة
بالقرآن .

رغم سهم النقد العنيف التي وجهت
الى الحق فانه وجد انتشارا وقبولا في
العالم الاسلامي بنائى الفزالي ،
وتسرب المنهج النقدي للفلسفة
اليونانية الى المغرب الاسلامي الا انه
قلبت على الناس النزعة التطبيقية
الفزالية بعد ان اضلها ابن تومرت
(+ 524 هـ) وابو بكر بن العربي
وبقيت لدى الناس الى يومنا هذا ،
لذلك نجد احد علماء تلمسان وفقهاها
وهو محمد عبد الكريم المغيلي (+ 909
هـ - 1503) يلاحظ بها ويرد على
السيوطي الذي رفض ان يلاحظ بالخط
ونقده وكانت له صلة بعلماء المسلمين
في افريقيا يرأسهم ويرأسونه ، واذا
كان السيوطي قد هاجم الخط متأثرا
الى ذلك بابن تيمية في مصر فان المغيلي
دافع عنه متأثرا في ذلك بالفزالي الذي
بقى مذهبه سائدا في المغرب .

وينبغي ان نشير الى ان الفلاسفة
الاسلاميين ايضا قد ردوا على مناهج
المتكلمين واهنوها ، وبينوا طابعها
الجدلي ، وخاصة منهج المعتزلة
والاشاعرة لذلك نجد ان اكثر نقد ابن
سينا (+ 428 هـ) انما هو موجه الى
المعتزلة ، واكثر نقد ابن رشد
(+ 595 هـ) انما هو موجه الى
الشاعرة . ووصف ابن تيمية منهج
المتكلمين في تقديم للفلاسفة بانه منهج
فاسد ، ولكنه بين ان منهج الفلاسفة
ادى الى اخطاء في مسائل الميتافيزيقا
والتنبؤات افدح واعظم من خطاء
المتكلمين اما فيما يتعلق بالمعلوم
الطبيعية والرياضية فان صواب
الفلاسفة اكثر من صواب المتكلمين
فيها ، ايضا فان الفزالي نفسه نقد

آراء المتكلمين ومنهجهم خاصة وتابعه
في ذلك ابن رشد ومن بعده ابن تيمية .

وقد تأثر ابن خلدون بمنهج الفزالي
وابو بكر بن العربي في نقده للفلسفة
فعمد فصلا في بيان نهات الفلسفة
وابطالها فنقد المنطق والالهييات
والطبيعية وبين لنا ان الفلسفة من
ظواهر الحضارة ، وعوارض المدن ،
كما أوضح الطابع الصوري للمنطق اذ
انه اسرك الصبغة التجريدية او
الانتزاعية التي اتسم بها المنطق
الارسطي فذهب الى ان صناعة المنطق
غير ماثولة للفظ لا فراقها في التجريد
والبعد عن الواقع المحسوس ، ولكنه
لم يغفل عن اهمية المنطق الصوري في
الاستدلال وترتيب الادلة وضبط الذهن ،
واجادة البرهنية على ما هو معلوم
ولكن الوسيلة لادراك الحقائق عنده
انما هي الفكر الطبيعي ، وليس المنطق
الا وصفا لفعل هذا الفكر الفطري
وبيانا لخطواته ، وبهذا فقد امتاز ابن
خلدون عن الفزالي وابو بكر بن تيمية
للمنطق والجدير بالاشارة ان هناك
توافقا غريبا بين ابى بكر بن العربي
وابن خلدون في وجهة نظرهما الى
الفلسفة والى الاخلاق والى القوانين
العلمية .

لقد وجدت بعض الصعاب في دراسة
آراء ابى بكر بن العربي وذلك من
جاء عدم توفر دراسات حول مذهبه ،
ولعدم استكمال المنشور على جميع
مؤلفاته ولانه لم يبعث فيها اعلم لحد
الآن لا من قبل المسلمين ولا من قبل

المستشرقين ولكن ذلك كله لم يمننا
من محاولة تركيب مذهبه ، وبينان
منهجه الذي يعتبر ميثاق المنهج الفزالي
في المغرب ولا من اقتحام المخطر في
سبيل آرائه وابرازها للناس .

سلك في هذه الدراسة منهجا
تاريخيا موضوعيا فعالجت حياة الرجل
ورحلته الى الشرق ، وملاح الحياة
العقلية في عصره خلال دراساتي
لاستلذه الذين اخذ عنهم وتأثر بهم ،
وبيان المواطن التي نزلها واقام فيها ،
وصنفت تأليفه تبعا للموضوعات التي
عالجتها واشرت الى الكتب التي ورد
بها من الشرق واظهرها الى المغرب
ممتدا في ذلك كله على نصوص ترجم
فيها لحياته بنفسه ، وان كانت هذه
النصوص مبثورة في مختلف كتبه
المخطوطة والمطبوعة ا وقد اخبرنا ان
نقدمه يتحدث بنفسه عن رحلته و عن
اساتذته احيانا كثيرة فاوردنا من هذه
النصوص ما يؤدي الغرض في البحث .

اما المنهج الموضوعي المقارن فقد
استخدمناه في بقية اجزاء الدراسة
معتددين في ذلك على التحليل والتركيب

يتكون هذا البحث من قسمين تناولنا
في القسم الاول منه نقد ابى بكر بن
العربي للفلسفة اليونانية ، بجانب
آرائه الكلامية ، وتناول القسم الثاني
تحقيق كتابه « المواعظ من القوامص »
تحقيقا نقديا .

اختبار حاسم للصحافة الأمريكية

داخل أو دول ولا حتى حقوق مجلس الشيوخ أو متطلبات الدستور وحسينات الحلفاء. وضع الشخصيات وحقوق المواطنين الأمريكيين أو حتى لادني مستويات العدل

ولا شك ان في نشر مثل هذا السجل الياس لشل الحرب التي تفوقها الولايات المتحدة نفسها سيضيق الحكومة في عيون العالم وفي عيون مواطنيها أنفسهم ، وقد يفسر بالجملة المعروفة عن بعض المثاليين الرئيسيين في الدراسة

وقد رحبت حكومة نيكسون من جهة بالفوائد التي يأتي بها نشر تلك المواد الصريحة على الصعيد الداخلي الى ان المتهمين في تلك الوثائق هم من الحزب الديمقراطي ، والوثائق نفسها عبارة عن تاريخ لسلوك الحزب الديمقراطي في الفيتنام ، ولكن حكومة نيكسون تفتي من ان تكون وثائقها هي موصوع الاهتمام اصحى في المستقبل ، وهي تواصل غرض حرب الهند الصينية من جهة اخرى ، وبساليب مماثلة ، وقد وصلت ادارة نيكسون جريدة تايمز بانها تريد خلال الامة بشاعة مروقة وكتب ماكس فرانكل في جسريرة نيويورك تايمز يقول : لقد طرحت هذه القضية صراحة بين الحرية الشخصية وبعض المصالح حول الامن الوطني ، وقد كانت من الناحية السياسية نتيجة علمين من التوتر بين ادارة نيكسون ووسائل الاعلام السائدة ، وقد اخذ استخدام قوانين التجسس لمعالجة نيويورك تايمز لم واشنطن بوست كافي كجبر للجا اليه ادارة نيكسون للاخلاق هاتين الصحيفتين بعد المحلات التي شنها آنيو نائب الرئيس على الصحافة عامة .

اختبار حاسم للصحافة الأمريكية

بدا هذا الفصل الغريب في حياة الصحافة الأمريكية في صيف 1967 ، في أوج معركة الفيتنام ، فقد اراد روبرت مكنامارا ان يؤلف لجنة لكتابة تاريخ نظم عن صناعة القرارات في الهند الصينية

وقام ليزلي غيلب من موظفي مكنامارا بجمع فريق من الأكاديميين ما بين 30 الى 40 وكلهم من الرسميين المدنيين والعسكريين داخل الحكومة وخارجها ، وكل منهم على اطلاع جيد على أحد مظاهر الحرب الفيتنامية

وقد اتاح لهم الحصول على جميع ملفات البنتاغون وعدد كبير من ملفات وزارة الخارجية وكالة المخابرات المركزية وبعض الإدارات الاخرى ، بينما لم يسمح لهم الحصول على الاوراق الشخصية للاوراق

وخلال عام انتجوا ما يمكن ان تطلق عليه كل سلطة حكومية - دراسة أكاديمية رزينة لمرحلة صناعة القرارات - وهي ليست متكاملة او نهائية ولكنها قائمة على اساس النصوص الموجودة في اوراق الحكومة السرية والمعاصر والبرقيات ومشاريع المقترحات التي لم يكن من المعتاد ان يطلع عليها الجمهور ، وهي سجل لتتالية العمل السياسي والعسكري من طرف اربع ادارات حكومية امريكية

وان دراسة البنتاغون التي جاءت في 47 مجلداً تتحدث في تحليلاتها وتشير في نصوصها الى ان التهميدات الأمريكية في الحرب الباردة والساخنة لا تقيم وزناً في أي مرحلة لأي قانون

مع

التيارات

الفكرية

العالمية

إعداد:

محمد طاع الله

وقد شكلت المقالات المنقولة ، وليس المحررة ، وثيقة اتهام لا مثيل لها لادارة الرئيس السابق جونسون وكثير من الرسميين الذين اتى بهم جسون كيندى الى الحكم

وبالرغم من ان اعلماءا كبيرة من القراء سيشكون في سهولة هذا التسرب ، المقصود ، للاسرار والولائق الحكومية من طرف الادارة الحالية الجمهورية

سبر الدماغ الانساني

قيل ان مشكلة العلاقات الانسانية ناجمة عن جهل الانسان لنفسه وللطبيعة وبينما تتجه طفرات التطور الى اعمال التربة ويغزو الانسان القمر ، نراه يتجه بنشاط وعزيمة مرتدا نحو نفسه ، بحيث يختار من جسمه مركز القيادة وهو الدماغ ليكون مادة جديدة للدراسة

وفي العيادات والمستشفيات والمخابر الامريكية تلتصق اجهزة قياس تموجات الدماغ برؤوس المرضى والاصحاء وانواع الحيوانات المختلفة للحصول على معلومات دقيقة عن مختلف الانفعالات

وفي دكن الطب كتب المعلق الطبي لمجلة نيوزويك يقوه « ليست هذه المحاولات سوى عينات من المعالجات والابحاث الكثيرة التي يقوم بها رواد الدماغ ، واذا جا المستقبل ليؤكد آمال الحاضر فان المغامرة الكبرى التي وضعت اكتشاف الدماغ الانساني مهمة لها يمكن ان تؤدي الى تحولات كبرى في البحث الطبي والعلاج النفسي ، وهناك تقنيات ومعلومات جديدة البتت فائدتها المباشرة للانسان في مختلف ميادين حياته

وتجد هذه التقنيات والمعالجات الجديدة انتشارا كبيرا في المخابر والمستشفيات الامريكية ، ويتحدث البعض منذ الآن عن « جزئيات الذكاء »

وامكانية تعلم كل شئ ابتداء من النحو الفرنسي حتى الرياضيات المتقدمة بواسطة تناول الاقراص المناسبة ، ويناقش آخرون بكل جدية امكانية اقران نتائج مجهودات رواد الدماغ بالاكشافات الاخيرة في ميدان البيولوجيا الجزئية خلق مهندسين عبقارة او ادمغة خارقة تفوق طاقة دماغ انشستين او موهبة باخ

ثمن المناصب الدبلوماسية

واوضحت دراسته صدرت في شهر جوان الماضي « ان الرئيس نيكسون تلقى حوالي 300 الف دولار من التبرعات من مسانديه الاغنياء ، وقد عينهم الرئيس نيكسون فيما بعد سفراء في عدد من البلدان بعد ان استطاع ان يقنع مجلس الشيوخ بجدارتهم بهذه التعيينات

ومن بين هؤلاء السفراء ادور واطسون الذي كان رئيسا تنفيذيا لمؤسسة الآلات الالكترونية الحاسبة (اي بي ام) ، وقد دفع المبلغ للرئيس نيكسون تحت ستار عمليات خاصة ، ومن بين السفراء الآخرين اولئك الذين عينوا في جاميكا والنمسا ومغشقر ومالطا ولكسمبورغ وهولندا وايسلندا وترنماد

وقد نشرت قائمة من المتبرعين الذين دفعوا الاموال في حملة الانتخابات للحصول على مناصب اعضاء في مجلس الشيوخ فقط

تكاليف الانتخابات

وذكرت جريدة واشنطن بوست الامريكية « ان تكاليف حملة انتخابات 1968 بلغت حوالي 300 مليون دولار ، اي اكثر من تكاليف اية حملة اخرى مفتت ، وهي عبارة عن زيادة 50٪ خلال اربع سنوات ، وقد انفق الجمهوريون الذين فازوا غطف الديمقراطيين

والسبب في دفع لمن الفوز في الانتخابات هي التكاليف الضخمة التي انفقت على التلفزة ، وحقيقة ان عددا امريكي نائب لثمان صوته 60 ستمتا (اي حوالي ثلاثة دنانير)

وقد صدرت هذه الخلاصة المرفقة بالاحصائيات عن استقصاء واسع اجرته مؤسسه ابحاث المواطنين في برنستون (نيو جرسى) ونشر بعنوان « تمويل انتخابات 1968 »

الكاثوليك في الفيتنام

عندما تفلس سياسته ما بالجملة ، فانها لا تلبث ان تتخذ لها مواقع من خلاله التفاصيل ، ويبدو ان « الانسحاب » التدريجي للقوات الامريكية من جنوب الفيتنام يشتر قلق مليون و 700 الف كاثوليكي روماني من الفيتناميين ومظلمهم من الطبقة الحاكمة في سايفون ، وهم يمثلون طبقة المعمرين في الجزائر سابقا ، ويتضح هذا القلق في واشنطن وسايفون والفاتيكان

وقد حدث في الشهر الماضي حوار حاد داخل مجلس الشيوخ الامريكي عندما حذر زعيم الاقلية هيو سكوت من ان 650 الف فيتنامي شمال كانوا قد هربوا الى الجنسوب عام 1954 سيكونون اول ضحايا النظام الشيوعي لو وصل الشيوعيون الى الحكم في الجنوب ، وقد اقترح الشيخ الامريكي ان عام 1954 هو عام 1971 دون ان ياتخذ في الاعتبار لفرق الاجيال او الاتجاهات الجديدة لهم في « جنه الجنوب » كما رد عليه احد معارويه

وفي الفاتيكان رغم انه لم يتخذ موقف رسمي علني ، فان الرسميين يوضحون ان الفاتيكان حثت الكاثوليك الفيتناميين خلال الاشهر الماضية على الوفاق من اجل الحياة في ظل حكومة ائتلافية في سايفون ، كما نوقش في باريس مصر كاثوليك جنوب الفيتنام

الزواج على الطريقة اليهودية

واشارت صحيفة نيوزويك الى ظاهرة تلوق الابعاد الاجتماعية في مدلولها ، وقد كتب احد مراسليها من الشرق الاوسط يقول « كان الزواج المختلط يعتبر باستمرار تهديدا للمجموعة اليهودية وقد اصبح الآن احد المشاكل التي تواجه ترمت القوانين الاسرائيلية ، ففي الشهر الماضي قله وزير الشؤون الدينية الاسرائيلي ان 207 يهوديا وكلهم من النساء قد تحولن الى الاسلام للزواج من مسلمين

وتعتبر هذه اعل نسبة في التحول عن الدين اليهودي في حياة الوجود الاسرائيلي ، وحذر احد الرسميين من ان نهاية هذا السلوك ليست جيدة وقلة اننى لم اسمع قط عن تحول رجل يهودي الى الاسلام ، وربما يحدث مرة واحدة خلال جيل ان تتحول مسلة الى اليهودية ، ولكن الفتيات اليهوديات هن المشكل ،

ويقول ياكوف يهوشا اليهودي الذي يسير الشؤون الاسلامية انه قام بدراسة عينات من الزواج المختلط « ان الفتيات الاسرائيليات يجنن من اسباب الاغراء ما لا يجدهن مع الشباب اليهودي ، فالمحاورة بهن بالقة من طرف الشباب المسلمين الذي يمثل لتلك الفتيات عالما جذابا جديدا ووضعها اقتصاديا افضل او هروبا من حياة بانسة احيانا ، بالإضافة الى وفرة الاسلوب الرومانطيقي.

ومع ذلك فالزواج لا يحل مشكلة فالاطفال في الشريعة الاسلامية يبقون مسلمين اذا كان آبائهم كذلك ، والاطفال في الشريعة اليهودية يبقون يهودا اذا بقيت امهاتهم يهوديات ، وحتى اذا تحولت امهاتهم الى دين آخر

اما في الجنوب ، فقد وضع هؤلاء المقتربون في قرى اللاجئين ولم يتبدل وضعهم في العالم الذي لجأوا اليه ، وما زالوا يعيشون تحت تأثير القساوسة الذين انتقلوا معهم والذين يحلون نزعة عنيفة معادية للشيوعية

« هؤلاء القساوسة هم سادة الحرب » كما يعترف قسيس شاب ، فهم يجعلون الناس يخشون جهنم وشياطين الشيوعية ، وبالنسبة لكثير من الناس ، فان جهنم والشيوعية يعنيان نفس الشيء »

مخاض الكنيسة الهولندية

وحول النزاع داخل الكنيسة الهولندية كتب جيمس جونسون في الطبعة المولية لجريدة هيرالد تريبيون يقول :

« رجل هولندي واحد يساوي فقيه واثان كنيسة وثلاثة يكونون شيعة »

وقد كان السرومان الكاثوليك يستشهدون بهذا القول المأثور خلال اربع سنوات مضت عند الحديث عن المخاض الذي تعيشه الكنيسة الهولندية ، فقد ظهرت وجوه جديدة بعد احقاب من الركود الداخلي ، وانشقت « البحار المقدسة » لتقبل بالخاف والتخذيرات ، وطاف بالبلاد حجاج كثيرون من الصطحين والكاثوليك المتحررين

وفي البلاد لم ينعم المتفائلون الذين يرون ان مراجعة الكنيسة لنفسها لا يعني قطعا ضعفا ، اما المتشائمون فهم يرون في الاضطرابات السطحية علامة غليان داخل اخطر من الخلافات الملنية

وفي نفس الوقت ، فان القساوسة الهولنديين يدركون باس ان المعارك مع روما والمحافظة من صفوفهم سوف لا تسفر عن فائز وربما تؤدي فقط الى تغير طفيف ، ولكن هذه المعارك تستهوي كثيرا من التقدمين

مع ممثل هانوي وجهة تحرير جنوب الفيتنام ، ومن سايغون كتب مراسل مجلة نيوزويك نيكولاس برويت يقول : « كان احد الفرنسيين الجزويت (اليسوعيين) وهو الاب الكسندر دو رودس هو الذي منح الطابع اللاتيني للغة الفيتنامية ، ثم كتب دليلا للمبشرين الاوروبيين سخر فيه من الجوزيه والكنفوشية وغيرها من العقائد المحلية

وفي القرن الثامن عشر ، كان القسيس الفرنسي بير بينو دو بيهن مسؤولا مباشرا عن اول تدخل استعماري في شؤون الفيتنام السياسية وفي ظل النظام الفرنسي خلال القرن العشرين وصل الفيتناميون الكاثوليك الى السيطرة تدريجيا على الجيش والشرطة والتقدمت المدينة ، وقد اتبعت لهم فرصة التثقيف ، كما انهم اشد نزعة غريبة من الفيتناميين العاديين ، وقد اصبح الذين اعتنقوا الكاثوليكية يشكلون طبقة المتم للفرنسيين الذين استعملوهم صلة وصل بينهم وبين بقية السكان العاديين للوجود الفرنسي وكتيجة لذلك ، فان الكاثوليك الفيتناميين يشكلون الآن 25 في المائة من النخبة الفنية والثقفة في جنوب الفيتنام رغم انهم يمثلون 15 في المائة فقط من مجفوع السكان ، والرئيس فان ثيو نفسه من الذين اعتنقوا الكاثوليكية متأخرين

وبالإضافة ، فان اكثر حكام الاقاليم وقادة الفرق العسكرية ونسبة مؤدو كبيرة من الضباط هم من الكاثوليك ، ولهذا من الصعب ان ياتي التغير من الكنيسة ، فهناك الكثير من الكاثوليك الذين يستمدون مصالحهم من الوضع الحال للنظام ومن الحرب نفسها

وقد شاعت هجرة 1954 من الروح المحافظة التاريخية لدى الطائفة الكاثوليكية الفيتنامية ، اذ جاء الغلب اللاجئين من قرى الشمال الكاثوليكية حيث كان القساوسة اصحاب السلطة الاولى في المجموعة المحلية

المحتوى

| | | |
|-----|--------------------------|---|
| 4 | عثمان شبوب | تناقضات فى حياتنا الفكرية |
| 8 | | القانون خير حارس لمبادئنا الاشتراكية |
| | | خطاب الأخ الرئيس هوارى بومدين |
| | | دراسات ثقافية وأدبية |
| 13 | عبد المجيد مزبان | طريق الذهب وطريق الثقافة |
| 21 | رابح بونار | أبو بكر محمد بن داوود |
| 28 | محمد عزيز الحبابي | الاستعمار المقنع |
| 32 | ابن عمار الصغير | فلسفة ابن خلدون الواقعية |
| 39 | د. الطاهر أحمد مكي | الاندلس |
| 47 | ترجمة عبد الرحمن بوزيد | الاستنصال |
| 53 | موسى بن عمار | الهجرة الحطرة |
| 61 | نبيلة تربش | جورج لوكاتن |
| 66 | | ندوة فلسفية |
| | | دراسات تاريخية |
| 86 | | استفتاء الاصاله |
| | مصطفى الاشرف | الجزائر فى تاريخ الحضارة |
| | ترجمة | |
| 95 | د. حنلى بن عيسى | هرمان هادف واحتلال الجزائر |
| 103 | د. أبو العيد دودو | نبذة عن ماضى الصحراء الافريقية قبل التاريخ |
| 106 | د. عبد القادر زبادية | دراسات اسلامية |
| 112 | الشيخ بو عمران | التقدم العلمى والايمان |
| 118 | د. عبد الكريم جرمانوس | الاسلام كدين عالمى |
| 123 | د. طيب الحضرى | ديناميكية الاقتصاد العالمى |
| | | رسائل جامعية |
| 128 | د. عمار طالبى | آراء أبى بكر العربى الكلامية |
| | | الاستجابات السيكولوجية للعامة الحركية الميثية لدى |
| 132 | د. محمد العربى ولد خليفة | المجاهد معطوب الحرب |
| 135 | محمد طاع الله | مع التيارات الفكرية العالمية |



| | |
|------|-----|
| كتاب | ١ |
| كتاب | ٢ |
| كتاب | ٣ |
| كتاب | ٤ |
| كتاب | ٥ |
| كتاب | ٦ |
| كتاب | ٧ |
| كتاب | ٨ |
| كتاب | ٩ |
| كتاب | ١٠ |
| كتاب | ١١ |
| كتاب | ١٢ |
| كتاب | ١٣ |
| كتاب | ١٤ |
| كتاب | ١٥ |
| كتاب | ١٦ |
| كتاب | ١٧ |
| كتاب | ١٨ |
| كتاب | ١٩ |
| كتاب | ٢٠ |
| كتاب | ٢١ |
| كتاب | ٢٢ |
| كتاب | ٢٣ |
| كتاب | ٢٤ |
| كتاب | ٢٥ |
| كتاب | ٢٦ |
| كتاب | ٢٧ |
| كتاب | ٢٨ |
| كتاب | ٢٩ |
| كتاب | ٣٠ |
| كتاب | ٣١ |
| كتاب | ٣٢ |
| كتاب | ٣٣ |
| كتاب | ٣٤ |
| كتاب | ٣٥ |
| كتاب | ٣٦ |
| كتاب | ٣٧ |
| كتاب | ٣٨ |
| كتاب | ٣٩ |
| كتاب | ٤٠ |
| كتاب | ٤١ |
| كتاب | ٤٢ |
| كتاب | ٤٣ |
| كتاب | ٤٤ |
| كتاب | ٤٥ |
| كتاب | ٤٦ |
| كتاب | ٤٧ |
| كتاب | ٤٨ |
| كتاب | ٤٩ |
| كتاب | ٥٠ |
| كتاب | ٥١ |
| كتاب | ٥٢ |
| كتاب | ٥٣ |
| كتاب | ٥٤ |
| كتاب | ٥٥ |
| كتاب | ٥٦ |
| كتاب | ٥٧ |
| كتاب | ٥٨ |
| كتاب | ٥٩ |
| كتاب | ٦٠ |
| كتاب | ٦١ |
| كتاب | ٦٢ |
| كتاب | ٦٣ |
| كتاب | ٦٤ |
| كتاب | ٦٥ |
| كتاب | ٦٦ |
| كتاب | ٦٧ |
| كتاب | ٦٨ |
| كتاب | ٦٩ |
| كتاب | ٧٠ |
| كتاب | ٧١ |
| كتاب | ٧٢ |
| كتاب | ٧٣ |
| كتاب | ٧٤ |
| كتاب | ٧٥ |
| كتاب | ٧٦ |
| كتاب | ٧٧ |
| كتاب | ٧٨ |
| كتاب | ٧٩ |
| كتاب | ٨٠ |
| كتاب | ٨١ |
| كتاب | ٨٢ |
| كتاب | ٨٣ |
| كتاب | ٨٤ |
| كتاب | ٨٥ |
| كتاب | ٨٦ |
| كتاب | ٨٧ |
| كتاب | ٨٨ |
| كتاب | ٨٩ |
| كتاب | ٩٠ |
| كتاب | ٩١ |
| كتاب | ٩٢ |
| كتاب | ٩٣ |
| كتاب | ٩٤ |
| كتاب | ٩٥ |
| كتاب | ٩٦ |
| كتاب | ٩٧ |
| كتاب | ٩٨ |
| كتاب | ٩٩ |
| كتاب | ١٠٠ |

أصاثلنا

تعني

الابواب والنوافذ

السقوف والرفوف

١٤٨١
١٩٨١

٥٤١

المحتوى

| صفحة | الكاتب | الموضوع |
|------|-----------------------------|-------------------------------------|
| 2 | مولود قاسم | • جمعة أو أحد |
| 4 | د احمد طالب | • الشباب عنصر البقاء والخلود |
| 8 | مولود قاسم | • أصالتنا |
| | | دراسات ثقافية وأدبية |
| 20 | د عثمان أمين | • رسالة الجامعات في العصر الحديث |
| 24 | تركي رابح | • التربية والشخصية الجزائرية |
| 34 | د عبد الملك مرتاض | • الصراع بين العربية والفرنسية |
| 41 | عبد القادر فضيل | • الوجه الحقيقي لديمقراطية التعليم |
| 48 | احمد جلول البنوي | • الشريف أبو عبد الله التلمساني |
| 56 | د محمد العربي ولد خليفة | • سيكولوجية المحارب |
| 60 | ابن عمار الصغير | • نحو انثرافية جديدة |
| 63 | محمد عزيز الحبابي | • الاستعمار المقنع |
| 67 | عبد المجيد الشريف | • التعليم الاصل في الجزائر |
| 75 | حمزة الجاري | • الجامعات و المشاكل الصناعية |
| 80 | مصطفى الاشرف | • في الدول المتخلفة |
| 86 | ترجمة حنفي بن عيسى | دراسات تاريخية |
| 99 | عبد الحميد زوزو | • الجزائر في تاريخ الحضارة |
| | | • صدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ |
| | | • مع المؤرخ الفرنسي أجرون |
| | | دراسات اسلامية |
| 104 | د الحبيب ابن الخوجة | • الروح الاسلامي ومشاكل النهضة |
| 112 | | والتطور |
| | | فتاوى |
| | تأليف فريد مان | • الثورة العالمية ومستقبل الغرب |
| 114 | تقديم محمد العربي ولد خليفة | |
| 119 | علال الفاسي | • انطباعات عن الملتقى الخامس للتعرف |
| 120 | د عثمان أمين | على الفكر الاسلامي |
| 121 | د محمد ابراهيم | توصيات |
| 122 | | • الاسلام ومشاكل الاسرة |
| | | • الاسلام ومتطلبات التنمية |
| 123 | | في الاقتصاد الحديث |
| | | مع التيارات الفكرية |
| 126 | | • آخر حديث مع الفيلسوف ماركيز |

جمعة .. أو أحد ..

من المعلوم ان هناك سورة في القرآن ، سميت سورة الجمعة ، وفيها وردت آيتان بخصوص هذا اليوم المبارك :

1 - « يا ايها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » .

2 - « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله » صدق الله العظيم . ومن هنا يتضح امران :

(أ) ان وقت صلاة الجمعة لا بد فيه من التوقف عن العمل لادائها .

(ب) ان الاسلام لا يطالبنا بيوم كامل كعطلة اسبوعية ، ولكنه اذا كان لا بد من مراعاة يوم كامل ، فالمنطق ، والتاريخ ، والنطق السليم ، والحشمة ، والاحترام لانفسنا ، كل ذلك يفرض علينا ان يكون يوم العطلة - اذا كان لا بد من عطلة يوم كامل - بيوم الجمعة .

وفي حديث للبخاري : « هدانا الله ليوم الجمعة ، والناس لنا تبع : اليهود غدا والنصارى بعد غد » .

وفعلا ، فمنذ البخاري وقبل البخاري حتى اليوم وجميع اليهود في العالم ، اينما كانوا ، في ترينيداد وتوباغو او في رأس الخيمة ، في موسكو او واشنطن ، في الجزائر او كوستاريكا ، يراعون يوم السبت كعطلتهم الاسبوعية ، مع ظهيرة الجمعة ، كما ان جميع المسيحيين اينما كانوا في العالم ، في روما او باريس او الجزائر او برلين ، بغربها المسيحي وشرقها الشيعي ، في واشنطن او موسكو ، وفي جميع البلدان الشيعية يراعون يوم الاحد كعطلتهم الاسبوعية ، مع ظهيرة السبت .

وكذلك كان الوضع عند المسلمين ، وعندنا في الجزائر خاصة ، حتى سنة 1830 كما اشارت الى ذلك بعض الجرائد الفرنسية الكبرى منذ اشهر !

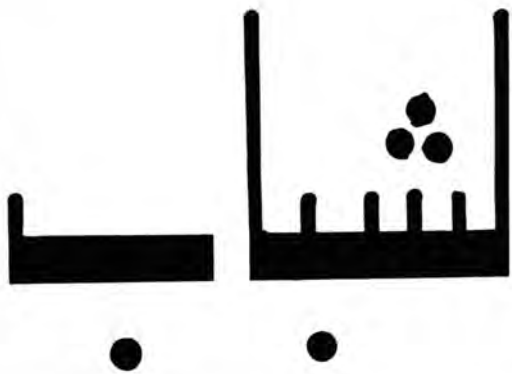
ومنذ 1830 وعطلة الاسبوع عندنا بيوم الاحد عوض الجمعة ، اى اصبحت فرنسية كغيرها من مظاهر الحياة القومية واليومية ...

وكان ينبغي ان يصحح الوضع في هذه النقطة بالذات منذ استرجاع الاستقلال والسيادة سنة 1962 ، وهي لا تكلفنا كثيرا ، ولا قليلا ، ولا تتطلب اطارات ومتعاونين ، ولا رؤوس اموال !

وقد فعلت ذلك جميع البلدان العربية ، من ليبيا ومصر حتى الخليج ، وبعض البلدان الاسلامية الاخرى ، من التي لديها صناعة وانتاج ، ويكفي ان نذكر ايران وافغانستان وباكستان .

وبقينا نحن في الجزائر مع تونس والمغرب ولبنان !
 بل ان تونس تراعى النصف الثانى من يوم الجمعة كعطلة اسبوعية وان كانت
 تضيف اليه يوم الاحد كاملا غير منقوص !
 وقد يقول البعض عندنا وفي البلدان الشقيقة المذكورة ، اننا بحكم اتصافنا
 باوروبا وامريكا نحتاج فى هذه المرحلة من البناء الى اتباعها فى يوم العطلة الاسبوعية ،
 وهنا نقول لهم ان ايران وباكستان وافغانستان ، ليست اقل احتياجا الى الاتصال
 باوروبا منا ، وانها هى ايضا تخطط وتبنى ولها صناعات !
 بل ان اسرائيل نفسها التى هى اكثر اتصالا باوروبا وامريكا منا واكثر احتياجا
 اليها ، وهى التى تبنى احدث الصناعات واكثرها تنوعا ، لم تتردد فى جعل عطلتها
 الاسبوعية بالسبت ، بل وان الحزب الدينى فيها تدخل ليمنع سباق الخيل فى ايام
 السبت ، كما ذكرت ذلك جريدة لوموند الفرنسية .
 وقد يقول البعض الآخر لدينا ، اننا نفقد الاتصال بالبنوك الدولية التى تغلق
 مكاتبها ابتداء من العاشرة صباحا حتى يوم الجمعة ، وهنا نقول لهم ايضا ان هذه
 الحجة فى صالح الجمعة ، فاذن لا نخسر شيئا بجعل العطلة الاسبوعية بيوم الجمعة .
 ثم ان البنوك التى تتصل بالخارج قليلة جدا والموظفين المختصين بذلك فيها اقل ،
 ويمكن ان يكون فيها دوام مساء الخميس - اذا اعتبرناه جزءا من العطلة - وصباح
 الجمعة حتى العاشرة صباحا . وهى الساعة التى تنهى فيها البنوك الدولية فى
 الخارج عملها .
 واخيرا قد يقول البعض الآخر ان هذه كلها ليست الاشكليات ، والا فما الفرق
 بين الجمعة والاحد ؟ ولهؤلاء نقول ان غلواءكم فى التضحية بما تسمونه الاشكليات ،
 كالتعريب ، والجمعة ، والعادات القومية ، قد يحولنا الى مجموعة اشكال ، بدون روح !
 لماذا تتعلق هذه الدول كلها بهذه الاشكليات ، كاللغة ، والعادات ، والاعباد ، لانها
 جزء من تراثها الثقافى والروحى ، وارتباطها بالتاريخ ، وهو شئ مهم جدا لكل امة
 تحترم نفسها وتريد ان تحترم !
 ومن الامثلة المذكورة ، من ايران وباكستان وافغانستان الى اسرائيل والبلدان
 الشيوعية يتضح لنا ان التعلق بيوم الاحد كعطلة اسبوعية ليس الا بقية من بقايا
 الرواسب الاشعورية ... وليس له اى مبرر اقتصادى او غيره .
 جمعة او احد ؟ بقينا نحن ، والمغرب ، وتونس ، ولبنان !

مولود تاسم
 وزير التعليم والاعمال والى



بِسْمِ اللَّهِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ ..

أَحْيَيْكُمْ بِمَا حَيَّا بِهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ لِإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ
« وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا
فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى

رِيشْمَا يَصْدُرُ كِتَابُ الْمُلْتَقَى فَإِنَّا
سَنُبْدَأُ بِنَشْرِ مَحَاضِرَاتِ الْمُلْتَقَى الْخَامِسِ
لِلتَّعَرُّفِ عَلَى الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ بِوَحْرَانِ
حَسَبِ التَّسْلُسِ التَّارِيخِيِّ . وَسَنَتَوَقَّفُ
عَنْ نَشْرِ هَذِهِ الْمَحَاضِرَاتِ فَوْرَ صُدُورِ
الْكِتَابِ قَبْلَ نَهَايَةِ السَّنَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَفِيهَا يَلِي نَصَّ الْكَلِمَةِ الَّتِي الْقَاهَا
الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ طَالِبُ الْإِبْرَاهِيمِيِّ وَزِيرُ
الْأَعْلَامِ وَالثَّقَافَةِ فِي الْفَتْحِ الْمُلْتَقَى
وَتَلِيهَا كَلِمَةُ الْإِخِ مَوْلُودِ قَاسِمِ وَزِيرِ
التَّعْلِيمِ الْأَصْلِيِّ وَالشُّؤُونِ الدِّينِيَّةِ

عنصر البقاء والخلود

د. احمد طالب الابراهيمى

وزير اعلام والثقافة

وَرَاةِ التَّعْلِيمِ الْأَصْلِي وَالشُّؤُونِ
الدِّينِيَّةِ أَصْبَحَ هَذَا الْمُلْتَقَى مِنَ
السُّنَنِ الْحَسَنَةِ الْمَتَّبَعَةِ بِالْقَطْرِ
الْجَزَائِرِيِّ وَأَصْبَحَتْ أَيَّامُهُ مِنَ
الْأَعْيَادِ السَّنَوِيَّةِ يَجْتَمِعُ فِيهَا
عُلَمَاءُ وَمُفَكِّرُونَ وَطَلَبَةٌ وَمُصْلِحُونَ
يَأْتُونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ عَلَى
تَبَاعُدٍ مَسَاكِينِهِمْ ، وَلَا أَقُولُ عَلَى
أَخْتِلَافٍ دِيَارِهِمْ لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ فِي
دَارِ الْإِسْلَامِ هُمْ فِي دَارِهِمْ .
فَالْإِسْلَامُ دِينُ تَوْحِيدٍ وَاتِّحَادٍ
وَعِلْمٍ وَعَقْلِ وَأَخْوَةٍ وَتَسَامُحٍ وَهُوَ
لَا يَقُولُ بِالتَّفْرِقَةِ بَيْنَ النَّاسِ وَلَا
بِالْعَصِيَّةِ وَلَا بِحِمِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ ،

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ، فَسَلَامٌ عَلَيْكُمْ
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .
فَإِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَرَحْمَتِهِ
بِنَا إِقَامَةَ هَذَا الْمُلْتَقَى الْإِسْلَامِيِّ
الْعَظِيمِ هَذِهِ السَّنَةِ بِعَاصِمَةِ
الْعَرَبِ الْجَزَائِرِيِّ بَعْدَ أَنْ أُقِيمَ فِي
السَّنَةِ السَّالِفَةِ فِي عَاصِمَةِ الشَّرْقِ
الْجَزَائِرِيِّ ، وَهَكَذَا بَسْعِي وَفَضْلِي

وَجَاءَ فِي حُطْبَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ قَوْلُهُ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمُهَا بِالْآبَاءِ .. النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ » . وَحِينَ سَأَلَهُ أَحَدُهُمْ مَا الْعَصِيَّةُ ؟ .. كَانَ جَوَابُهُ : « أَنْ تُعَيِّنَ قَوْمَكَ عَلَى الظُّلْمِ » عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ يَبْدُو جَلِيًّا أَيُّهَا الْأُخُوَّةُ أَنَّ كُلَّ دَعْوَةٍ إِلَى طَائِفِيَّةٍ مَذْهَبِيَّةٍ أَوْ عَصَبِيَّةٍ عِرْقِيَّةٍ فَهِيَ فِي ظَاهِرِهَا وَجُوهَرِهَا دَعْوَةٌ ضِدَّ الْإِسْلَامِ .

فَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ يَحَرِّمُ التَّعَصُّبَ الطَّائِفِي وَيَأْمُرُ بِالتَّوْحِيدِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ ، فَمِنْ بَابٍ أُخْرَى وَأَوَّلَى أَنْ لَا يُجِيزَ التَّحَرُّبَاتِ الْمَذْهَبِيَّةَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْفُسِهِمْ ، فَالْمُسْلِمُونَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ وَحُمَةُ الدِّينِ أَقْوَى وَأَمْتَنُ مِنْ حُمَةِ النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ ، وَشَتَانُ بَيْنِ الرُّوَاطِطِ الرُّوْحِيَّةِ الَّتِي تَبْقَى بَبْقَاءِ الرُّوحِ وَتَخْلُدُ بِخُلُودِهَا ، وَبَيْنِ الرُّوَاطِطِ الْمَادِيَّةِ الَّتِي تَفْنَى بِفَنَاءِ الْجَسَدِ وَقَدْ تَزُولُ قَبْلَ زَوَالِهِ .

وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَهَلْ مِنَ الْإِسْلَامِ وَنَحْنُ فِي مَعْرَكَةٍ حَاسِمَةٍ مَعَ مَنْ أَخْرَجُوا الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَمِنْ دِيَارِهِمْ وَشَرَّدُوهُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ .

وَهَلْ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَالْكَرَامَةِ وَالْحَالَةِ هَذِهِ وَمَا يَزَالُ بَيْنُنَا إِلَى

الْيَوْمِ مَنْ يَتَنَازَلُونَ بِالْأَلْقَابِ وَيَتَقَاتِلُونَ بِالْحِرَابِ وَهُمْ بِمَرَأَى وَمَسْمَعٍ مِنَ الْعَدُوِّ الْمُشْتَرِكِ الَّذِي شَنَّهَا غَارَةٌ شَعْوَاءٌ وَحَرْبًا عُدْوَانِيَّةً عَلَى الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ فَأَخْرَجَ مَنْ أَخْرَجَ مِنْهُمْ وَهُوَ يَتَرَبَّصُّ الدَّوَائِرَ بِالْدِّيَارِ الَّتِي لَمْ تَطَّأَهَا قَدَمُهُ .

فَهَلْ قُمْنَا نَحْنُ كُْمُسْلِمِينَ بِمَا يَطْلُبُهُ مِنَّا الْإِسْلَامُ كَدِينٍ .. إِنَّنَا مَا زَلْنَا نَكْتَفِي بِالْخُطْبِ الرَّنَائَةِ فِي الْأَذَاعَاتِ وَالْمَقَالَاتِ الْبَلِيغَةِ فِي الصُّحُفِ ، هَذَا بَعِيدٌ كُلُّ الْبُعْدِ عَمَّا يَطْلُبُهُ الْإِسْلَامُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى الصُّلْحِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ بَعَثَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَالْإِسْلَامُ يَأْمُرُ بِقِتَالِ الطَّائِفَةِ الْبَاغِيَةِ حَتَّى تَفْئِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ .

بُودَى أَنْ يَكُونَ هَذَا الْمُلْتَقَى يَبْعَثُ فِي حَاضِرِنَا وَمُسْتَقْبَلِنَا ، فَإِنَّا عَشْنَا زَمَانًا وَنَحْنُ إِذَا اجْتَمَعْنَا نَحَاوِلُ نَسِيَانًا وَاقِعَنَا ، فَتَلْتَفَتُ إِلَى الْمَكَاسِي فَتَفْتَخِرُ بِانْتِصَارَاتِ صَلاَحِ الدِّينِ ، وَلَا تُفَكِّرُ فِيمَا يُوَوِّلُ إِلَيْهِ أَمْرُ فَلَسْطِينَ . أَمَّا وَقَدْ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ فَلَا نَنْسَى هَزِيمَتَنَا بِفَلَسْطِينَ لَا أَقُولُ نَكَسْتَنَا ، فَيَجِبُ أَنْ نُسَمِّيَ الْأَشْيَاءَ بِأَسْمَائِهَا وَلَا نَهْرُبَ مِنَ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ فَمَنْ كَتَمَ دَاهٍ قَتَلَهُ .

وَبُودَى مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى أَنْ تَكُونَ

بَسَبَبٍ وَلَا نَسَبٍ وَيَتِهَآوُنْ فِي
حَقُوقِ وَطَنِهِ فَهُوَ غَيْرُ جَدِيرٍ
بِالْمَحَافَظَةِ عَلَى اسْتِقْلَالِ الْبِلَادِ
وَالدَّفَاعِ عَنْ كِرَامَتِهَا فِي مُسْتَقْبَلِ
الْأَيَّامِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَرَضٌ مِنْ
الْأَمْرَاضِ الَّتِي يَنْبَغِي حِمَايَةَ
الْمَجْتَمَعِ مِنْهَا بَلْ هُوَ غَضُوٌّ أَشْلُ فِي
الْمَجْتَمَعِ لَا يُسْتَرَاخُ مِنْهُ إِلَّا بِبَثْرِهِ
وَأَهْمَالِهِ .

وَإِذَا شُلَّ فِي الْجُمَاعَةِ عُضْوٌ
فَمِنْ الرَّأْيِ فَصْمُهُ لَا خِصَامُهُ
بِهَذَا الْبَيِّنِ لِشَاعِرِ الْجَزَائِرِ
الْكَبِيرِ مُحَمَّدِ الْعِيدِ أَخْتَمْتُ كَلِمَتِي
الْقَصِيرَةَ هَذِهِ وَأَتَمَّنِي لِلتَّقَاكُمُ كُلِّ
نَجَاحٍ وَتَوْفِيقٍ وَسَدَادٍ .

النَّجَاحُ أَنْ تَخْدُمُوا الْإِسْلَامَ
بِأَسَالِيبِ الْعَصْرِ الْحَدِيثِ .

التَّوْفِيقُ أَنْ تُحَطِّمُوا الْأَصْنَامَ
وَتَقْضُوا عَلَى كُلِّ جَاهِلِيَّةٍ جَدِيدَةٍ
وَتَمْحُوا صَفَحَاتِ الْخَرْبِ وَالْعَارِ
وَالْحَدِيدِ وَالتَّارِ الَّتِي يُضْطَهَدُ بِهَا
إِخْوَانُكُمْ فِي كُلِّ بَقَاعِ الْمَعْمُورَةِ .

السَّدَادُ أَنْ تَدْفَعُوا الْجَمَاهِيرَ
الشَّعْبِيَّةَ الَّتِي تَنْتُمُونَ إِلَيْهَا عَلَى
أَخْذِ حَقُوقِهَا وَتَحْقِيرِ جَلَادِيهَا .

هَذَا وَأَسْأَلُهُ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ
اجْتِمَاعَنَا هَذَا خَالِصًا لَوَجْهِهِ
الْكَرِيمِ وَأَنْ يَمُدَّنَا بِرُوحٍ مِنْهُ حَتَّى
تَنْتَصِرَ قَضِيَّةُ الْإِسْلَامِ فِي جَمِيعِ
الْمِيَادِينِ . . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . .

الْعَنَايَةُ بِالشَّبَابِ فِي سَكَاتِ
الْمِيَادِينِ مِنَ النُّقْطِ الرَّئِيسِيَّةِ الَّتِي
يَكُونُ الْإِنْطِلَاقُ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا فَإِنَّ
الشَّبَابَ هُوَ غَنْصُ الْبَقَاءِ وَالْخُلُودِ
فِي الْأُمَمِ ، وَبِالشَّبَابِ ، نَسْتَطِيعُ أَنْ
نَحْكُمَ عَلَى مُسْتَقْبَلِ الْأُمَّةِ ، فَشَبَابُ
الْيَوْمِ هُوَ الدَّلِيلُ الصَّادِقُ لِمَا
يَأْتِي بِهِ الْغَدُ الْقَرِيبُ ، لِذَلِكَ نَأْسَفُ
إِذَا رَأَيْنَا مِنْ بَعْضِ الشَّبَابِ
انْجِرَافًا عَنِ الْجَادَةِ وَانْجِرَافًا فِي
الْهَوَايَةِ ، فَيَا لَأَمْسٍ كَانَ شَبَابُنَا
يَذُوقُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ فِي
عَهْدِ الْإِحْتِلَالِ ، فَفَجَرَ ثَوْرَةَ أَوَّلِ
نُوفَمْبَرٍ وَنَفَضَ عَنْهُ غُبَارَ الذِّلِّ
وَالْهَوَانِ يَحْدُوهُ حُبُّ الْإِسْتِشْهَادِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْوَطَنِ .

وَنَحْنُ الْيَوْمَ فِي مَعْرَكَةِ الْبِنَاءِ
وَالْتَّشْيِيدِ لَا بُدَّ لَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ
هَلِ الرُّوحُ الَّتِي كَانَتْ تُسَيِّطِرُ عَلَى
شَبَابِ مَعْرَكَةِ التَّخْرِيرِ بِالْأَمْسِ
تُسَيِّطِرُ الْيَوْمَ عَلَى شَبَابِ مَعْرَكَةِ
الْبِنَاءِ ؟ ذَلِكَ مَا لَا نَرَاهُ (وَيَا لِلْأَسَفِ)
فِي كُلِّ شَبَابِنَا الْيَوْمَ .

إِنَّ الْأَخْلَاقَ السَّامِيَّةَ وَالْعَادَاتِ
وَالْتَّقَالِيدَ الْوَطَنِيَّةَ هِيَ الَّتِي تُكُونُ
الشَّبَابَ الصَّالِحَ وَتَحْمِيهِ مِنْ
التَّفْسِيخِ وَالْإِنْجِلَالِ وَالتَّمَرُّقِ
وَتَوْهَلَهُ لِأَنْ يَسُوسَ أَمْرَ الْبِلَادِ .
وَإِذَا كَانَ مِنَ الشَّبَابِ مَنْ
يُعْرِضُ عَنْ هَذِهِ الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ
وَالْتَّقَالِيدِ وَيَعْدِلُ عَنْهَا إِلَى عَادَاتِ
وَتَقَالِيدِ لَا تَمُتُ إِلَى دِينِهِ وَأُمَّتِهِ

حَضَرَاتِ السَّادَةِ أَعْضَاءِ مَجْلِسِ الثَّوْرَةِ وَالْحُكُومَةِ ،
حَضَرَاتِ الْأَسَاتِذَةِ الْأَفَاضِلِ ،
إِخْوَانِي الطُّلَبَةِ وَالطَّالِبَاتِ ،
حَضَرَاتِ السَّادَةِ وَالسَّيِّدَاتِ
السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ

مولود قاسم

وزير التعليم الأعلى وشؤون البيئة

بِمُنَاسَبَةِ افْتِتَاحِ هَذَا الْمُلْتَقَى أَوْدُّ أَنْ أَرْحِّبَ بِاسْمِ الرَّئِيسِ
هُوَارِي بَوْمَدِينِ ، فِي بَدْءِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، بِالسَّادَةِ الْأَسَاتِذَةِ
الْأَفَاضِلِ مِنَ الْأَقْطَارِ الشَّقِيقَةِ الَّذِينَ تَجَشَّعُوا مَتَاعِبَ السَّفَرِ
لِمُشَارَكَتِنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْحَافِلَةِ بِدِرَاسَاتٍ قِيِّمَةٍ عَنْ ثِقَاتِنَا
وَتُرَاتِنَا الْمَشْتَرَكِ الْمَجِيدِ ، وَمَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُومَ بِهِ لِلْحِفَاطِ عَلَيْهِ ،
وَالْبِنَاءِ عَلَى أُسَاسِهِ الْمَتِينِ !

فَبَعْدَ اجْتِمَاعِنَا مِنْذُ سَنَةٍ مَضَتْ فِي قُسْنُطِينَةِ عَاصِمَةِ
الشَّرْقِ الْجَزَائِرِيِّ ، هَا نَحْنُ نَلْتَقِي الْيَوْمَ فِي عَاصِمَةِ غَرْبِهِ ،
هَذِهِ الْمَدِينَةِ الرَّائِعَةِ ، وَهَرَانِ ، الَّتِي كَانَتْ مَعْقِلًا مِنْ مَعَاقِلِ
مُقَاوَمَةِ الْمَدِّ الصَّلِيبِيِّ بَعْدَ سُقُوطِ الْأَنْدَلُسِ ، حَيْثُ ظَلَّتْ صَامِدَةً
مُسْتَبْسِلَةً حَتَّى انْتَصَرَتْ فِي حَرَكَةٍ عَارِمَةٍ شَمِلَتْ الْبِلَادَ كُلَّهَا
وَطَهَّرَتْهَا مِنْ قُلُوبِ الْمُنْهَزِمَةِ النَّاكِصَةِ !

وَفِي هَذِهِ الظُّرُوفِ الَّتِي تُعَانِي فِيهَا بِلَادُ إِسْلَامِيَّةٍ عَزِيزَةٍ
عَلَيْنَا جَمِيعًا مَدًّا اسْتَعْمَارِيًّا غُنْصَرِيًّا آخِرُهُ هُوَ الْمَدُّ الصَّهْيُونِيُّ ،

الذِي بَعْدَ أَنْ أُعْتِدِيَ عَلَى أَرْضِ أُولَى الْقِبْلَتَيْنِ وَثَانِي الْحَرَمَيْنِ
أَصْبَحَ يَبْنُوخُ بِمُخَطَّطِهِ الْقَدِيمِ الرَّامِي مَا بَيْنَ النَّيْلِ وَالْفُرَاتِ ،
أَدْعُوكُمْ إِلَى مُرَاعَاةِ دَقِيقَةِ صَمْتٍ تَقْرَأُ فِيهَا الْفَاتِحَةُ عَلَى شَهْدَاءِ
فَلَسْطِينَ الْعَزِيزَةِ وَعَلَى جَمِيعِ شَهْدَاءِ الْإِسْلَامِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ !
سَادَتِي ...

مِنْ جَدُولِ أَعْمَالِنَا وَمِنْ عَنَاوِينَ مُحَاضَرَاتِ مُلْتَقَانَا تَرَوْنَ
أَنَّ دَرَسَاتِنَا تَنْصَبُ عَلَى ثَلَاثِ نِقَاطٍ جَوْهَرِيَّةٍ تَشْمَلُ فِي
مُحْتَوَاهَا أَوْجُهًا عَدِيدَةً مُتَشَعِّبَةً مُتَنَوِّعَةً :

I) النُقْطَةُ الْأُولَى تَتَّصِلُ بِاللُّغَةِ وَدَوْرِهَا فِيمَا أَصْبَحَ يُسَمَّى
بِالثَّوْرَةِ الثَّقَافِيَّةِ ، وَالذِي نَقْصُدُهُ مِنْ هَذَا هُوَ دَخْضُ تِلْكَ
التَّرَهَاتِ وَالْأَبَاطِيلِ الْمُغْرَضَةِ مِنْ طَرَفِ الْبَعْضِ ، وَالسَّادِجَةِ
الْجَاهِلَةِ مِنَ الطَّرَفِ الْآخَرِ ، الَّتِي تَدَّعِي خَارِجَ الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ
وَالْإِسْلَامِيِّ وَدَاخِلَهُ ، لِمَغَالِطَتِنَا ، أَنَّ اللُّغَةَ لَيْسَتْ إِلَّا أَدَاةٌ أَوْ
شَكْلًا أَيْ كَانَا ، وَأَنَّ الْمُحْتَوَى هُوَ الْأَهَمُّ ، وَبِالتَّالِي نَسْتَطِيعُ أَنْ
نَسْتَمِرَّ فِي تَدْرِيسِ الْعُلُومِ بِاللُّغَاتِ الْأَجْنَبِيَّةِ .

وَلِهَؤُلَاءِ نَقُولُ إِنَّ اللُّغَةَ لَيْسَتْ شَكْلًا أَوْ أَدَاةً فَحَسْبُ ، بَلْ هِيَ
مُحْتَوَى أَيْضًا ، إِذْ هِيَ قَالِبٌ تُصَاغُ فِيهِ أَفْكَارُنَا وَأَحَاسِيسُنَا ،
نُعَبِّرُ بِهَا عَنْ كُنْهِنَا وَحَقِيقَتِنَا ، تَصْطَلِغُ بِهَا هَذِهِ الْأَفْكَارُ
وَالْأَحَاسِيسُ بِالضَّبْطِ كَمَا تَتَأَثَّرُ هِيَ ، أَى اللُّغَةُ ، بِهَذِهِ
الْأَفْكَارِ وَالْأَحَاسِيسِ الَّتِي تَعْبُرُ عَنْهَا ، وَالَّتِي تُحْمَلُهَا شَحْنَةٌ
مَعْنَوِيَّةٌ قَوِيَّةٌ تَعْطِيهَا طَابَعَهَا الْمُمَيِّزَ لَهَا وَالْخَاصَّ بِهَا .

وَإِذَا كَانَتِ اللُّغَةُ شَكْلًا فَقَطْ ، أَى قَالِبًا ، كَمَا يَدَّعِي
هَؤُلَاءِ ، فَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْقَالِبَ يُؤَثَّرُ فِي مُحْتَوَاهُ ، إِذْ يُعْطِيهِ
شَكْلَهُ ، وَحَيْثُ أَنَّ الْقَالِبَ يَوْضَعُ خَصِيصًا لِلشَّيْءِ الذِي يُرَادُ
صُنْعُهُ ، فَمَاذَا نَرِيدُ يَا تَرَى أَنْ نَصْنَعَهُ بِأَذْهَانِ أَطْفَالِنَا الْغَضَةِ ؟
وَإِنْ فِي الْإِشْرَافِ الْمَعْنَوِيِّ لِرَأْسِ الدَّوْلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْحَالِ
عَلَى مُنْظَمَةِ الْفِرْنَكُوفُونِيَّةِ لَأَكْثَرُ مِنْ دَلَالَةٍ وَمَعْنَى لِمَا لِلُّغَةِ مِنْ
أَهْمِيَّةٍ قُصْوَى ، كَمَا أَنَّ فِي مُعَارَضَتِهِ مَثَلًا لَا نَضْمَامَ بَرِيطَانِيَا
إِلَى السُّوقِ الْأُورُوبِيَّةِ الْمَشْتَرَكَةِ ، خَوْفًا مِنْ سَيْطَرَةِ اللُّغَةِ
الْأَنْجَلِيزِيَّةِ عَلَى الْفَرَنْسِيَّةِ ، لَأَكْثَرُ مِنْ إِشَارَةٍ وَمَغْرَى ! وَلَقَدْ
صَرَّحَ بِذَلِكَ هُوَ نَفْسُهُ فِي الْأَسَابِيغِ الْأَخِيرَةِ .

وَهَكَذَا قَدْ تَضَحَّى دُولُ وَأُمَمٌ بِمَصَالِحِ اقْتِصَادِيَّةٍ هَامَّةٍ فِي سَبِيلِ قَضَايَا ثَقَافِيَّةٍ ، رُوحِيَّةٍ وَمَعْنَوِيَّةٍ تَعْتَبِرُهَا أَعْظَمَ وَأَهَمَّ ! وَرَبَّمَا يَتَّضِحُ هَذَا الْمَوْضُوعُ أَكْثَرَ مِنْ خِلَالِ تِلْكَ الْكَلِمَةِ الرَّائِعَةِ لِلْفِيلْسُوفِ الْأَلْمَانِيِّ الشَّهِيرِ يُوَهَانُ غَوْتْلِيْبُ فَيُخْتَهُ فِي اللُّغَةِ ، إِذْ قَالَ إِنَّهَا الْقُوَّةُ الطَّبِيعِيَّةُ الْأُولَى لِأُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ ! وَلِهَذَا أَنْتَهَزُ فُرْصَةَ هَذَا الْمُلْتَقَى لِأَوْجِهَ نِدَاءٍ بِاسْمِكُمْ جَمِيعًا إِلَى سَائِرِ جَامِعَاتِنَا فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ الَّتِي لَا تَزَالُ تُدْرَسُ الْعُلُومُ بِاللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ أَنْ تَرَاوِجَ هَذَا الْمَوْضُوعَ بِكُلِّ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عَنَافَةٍ وَاهْتِمَامٍ .

هَذَا بِخُصُوصِ الْأَدَاةِ وَالْمَحْتَوَى .

أَمَّا بِشَأْنِ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَيْسَتْ قَادِرَةً عَلَى التَّعْبِيرِ عَنِ الْعُلُومِ الْحَدِيثَةِ وَيُسْتَمَرُّونَ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِبْقَاءِ عَلَى اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ فِي جَامِعَاتِهِمْ لَا كَلِّغَاتِ أَجْنِبِيَّةٍ ، وَلَكِنْ كَأَدَوَاتٍ لِلتَّعْلِيمِ ، فِي الْكُلِّيَّاتِ الْعِلْمِيَّةِ خَاصَّةً ، وَهَذِهِ الْمُصِيبَةُ نَجَدُهَا عَامَّةً فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ - أَللَّهُمَّ يَا جَامِعَةَ دِمَشْقَ ، فِيمَا نَعْلَمُ ، يَكْفِي أَنْ نَقُولَ إِنْ فَيْتَنَامَ اسْتَطَاعَتْ وَهِيَ فِي حَرْبِ صُرُوسٍ ضِدَّ أَقْوَى دَوْلَةٍ فِي الْأَرْضِ أَنْ تُحِلَّ لُغَتَهَا مَحَلَّ اللُّغَاتِ الْأَجْنِبِيَّةِ الْمُتَعَاقِبَةِ ، بَلْ وَاسْتَأْصَلَتْ حَتَّى الْكَلِمَاتِ الْمُتَبَقِّيَةِ مِنْهَا فِي لُغَتِهَا وَعَوَّضَتْهَا بِكَلِمَاتٍ فَيْتَنَامِيَّةٍ ، وَأَصْبَحَتْ - تُدْرَسُ أحيانًا فِي الْكُهُُوفِ تَحْتَ وَابِلِ الْقَنَابِلِ الْأَمْبِرِيَالِيَّةِ - جَمِيعَ الْمَوَادِّ وَمِنْهَا الْعِلْمِيَّةُ طَبْعًا بِاللُّغَةِ الْفَيْتَنَامِيَّةِ !

وَحَتَّى الصَّهَابِيَّةُ فِي فَلَسْطِينَ الْمُخْتَلَّةِ وَهُمْ مَزِيحٌ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ دَوْلَةٍ أَحْيَاوُا لُغَةً مَاتَتْ مُنْذُ أَكْثَرِ مِنْ أَلْفِي سَنَةٍ وَأَصْبَحُوا يُدْرَسُونَ بِهَا جَمِيعَ الْمَوَادِّ ، وَأَكْثَرُ مِنْ هَذَا أَنَّهُمْ عِنْدَمَا تَعَوَّزُهُمْ كَلِمَةٌ مَا فِي لُغَتِهِمْ يَعْمِدُونَ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ ، أَقْرَبُ لُغَةٍ إِلَى لُغَتِهِمْ ، لِيَأْخُذُوا مِنْهَا وَيَتَرَوُا بِهَا لُغَتَهُمْ .

فَالصَّهَابِيَّةُ إِذَنْ لَا يُشَارِكُونَ الْعَرَبَ فِي الرَّأْيِ أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ عَاجِزَةٌ أَمَّا الْعُلُومُ الْحَدِيثَةُ ! غَرِيبٌ وَاللَّهُ غَرِيبٌ ، وَشَرُّ الْبَلِيَّةِ مَا يُضْحِكُ ، كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ !

حضرات السادة ،

الموضوعُ الثاني في جدول أعمالنا هو الاسلامُ ومشاكلُ
الأسرةِ وتربيةِ الجيل ، في عالمِ اليوم ، وهو موضوعٌ واحدٌ
أو هما موضوعان متكاملان .

وواضحٌ من العنوان أننا ننظرُ الى موضوعِ الأسرةِ بما
فيها تربيةُ النشءِ ، من زاويةِ إسلاميةٍ وتعتبرُ كمثلِ أعلى لنا
الأسرةُ الإسلاميةُ الأصيلةُ ، المحترمةُ لعاداتها وتقاليدها ،
والتي تسودُ فيها التربيةُ ، لينشأ فيها جيلٌ صالحٌ يُشرفُ
أسرتهُ ، ويكونُ عُدَّةً لأمتهُ ، بل ويشرفُ الانسانيةَ كلها .

وهنا أيضاً نصطدمُ بدعاةِ التحللِ ، والانحلالِ ، والاختلالِ ،
التي جاءتْ كلها معَ الاختلالِ ! الذين يتشددونَ علينا بحريةِ
المُراةِ ، وحريةِ الرَّأيِ ، ومساواةِ المرأةِ في غيرِ مواضعها ،
كالاختلاطِ ، والسَّباحِ بالتَّسكُّعِ في الطُّرقاتِ ، وعلى سطوحِ
المقاهي ، وأعماقِ الحاناتِ باسمِ التطوُّرِ ، والتَّقدُّمِ ، والتَّفتُّحِ ،
الى غيرِ ذلكِ ممَّا اسْمُهُ صالحٌ وفي حقيقتهِ طالحٌ ، مُضِرٌّ لِلْجَمْعِ
والأمةِ كلها !

وانَّ هذهِ التَّصوُّراتِ المُستوردةِ لَهي أخطرُ من جميعِ
المُخدراتِ والسُّمومِ المادِّيَةِ الأخرى ، إذ تَغزو العَقْلَ ، والعاطفةَ
معاً ، وتحوِّلُ الانسانَ الى آلةٍ تتحرَّكُ بأصابعِ تَمَسُّكِ بَطْرِفِ
الحَيْطِ مِنْ بَعِيدٍ ، مِنْ وَرَاءِ البِخارِ والمُحِيطاتِ !

هنا أيضاً يتَحَتَّمُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ مِنَ الانْجِرَافِ وَرَاءَ هَذِهِ
التَّيَّارَاتِ ، التي تُعاني منها مُجتمعاتٌ كاملةٌ في أمريكا
وأوروبَّا ، غَرِبها وَشَرْقها ، وتُعْرِضُهَا لِلتَّفَكُّكِ والانْهيارِ ، معَ
الفارقِ أَنَّهُمْ فِي تِلْكَ الْبُلْدانِ يُعَانُونَ ذَلِكَ وَيَأْسِفُونَ لَهُ
وَيُحَاوِلُونَ أَنْ يُعَارِبُوهُ أَوْ أَنْ يَحْدُوا مِنْهُ عَلَى الْأَقْلِ وَيَعْتَبِرُونَهُ
مِنْ عُيُوبِ حَضَارَتِهِمْ ، وإنَّ البلادَ التي هي في طريقِ النُّمُوِّ
- مثَلنا - تَعْتَبِرُ ذَلِكَ تَقْدِماً ، وَتَفْتَحُ ، وَتَطْوُرُ ، وَتَمَدُّنا ،
وَبُورَةً ، وَتَبْذُلُ أَقْصَى الْجُهودِ لِتُظْهَرَ فِي ذَلِكَ الْمَظْهَرِ
المُخْزِي المَشِينِ !

فالاسلامُ أَوَّلُ مَنْ أَعْطَى الْمُرَاةَ حَقُوقَهَا الْكَامِلَةَ ، التي لَمْ

تُحْصَلُ عَلَى بَعْضِهَا فِي مُجْتَمَعَاتِ أُرُوبَا وَأَمْرِيكََا إِلَّا فِي الْعَصْرِ
الْحَدِيثِ وَلَا تَزَالُ لَمْ تُحْصَلْ بَعْدُ عَلَى بَعْضِهَا ، فَحَقُّ الْعَمَلِ
وَمُبَاشَرَةُ أُمُورِهَا وَأَمْوَالِهَا بِنَفْسِهَا بَلْ وَالْمُسَاهَمَةُ فِي التَّشَاطِ
الاجْتِمَاعِيِّ كَالْتَعْلِيمِ وَغَيْرِهِ مِمَّا يَبْقَى مَعَهُ الْإِحْتِرَامُ لَمْ يَمْنَعَهُ
الْإِسْلَامُ فِي أَيِّ عَصْرِ كَانَ .

أَمَّا تِلْكَ الْحَيَوَانِيَّةُ الْعَارِمَةُ الَّتِي تَسُودُ فِي الْإِحْتِلَاطَاتِ
الْكُثْرَى الَّتِي تُسَمَّى بِالْحَفَلَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الصَّاحِبَةِ ، الرَّاقِصَةِ
مِنْهَا وَالسَّاهِرَةِ وَتَرْكُ الْجُلُ عَلَى الْغَارِبِ لِلْمَرْأَةِ تَلْعَبُ بِالْكَاسِ
الَّتِي تُذْهَبُ الرَّأْسُ ، تُسَافِرُ أَيْنَ تَشَاءُ وَحَدَهَا ، تَارِكَةً
وَالِدَيْهَا أَوْ زَوْجَهَا وَأَبْنَاءَهَا وَرَأْسَهَا ، وَمَا يَتَّبِعُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ
اِتِّسَالٍ عَنِ الْقِيَمِ ، وَتَفْكِكِ لِلْأَسْرِ ، وَتَخْرِيبِ لِلْمُجْتَمَعِ ،
فَالْإِسْلَامُ ضِدُّهُ وَيَتَنَافَى مَعَهُ تَمَامَ التَّنَافِي ، وَهُوَ مَا يَتَنَافَى
أَيْضًا مَعَ قَوَاعِدِ كُلِّ مُجْتَمَعٍ يُرِيدُ أَنْ يَبْقَى مُنَظَّمًا سَلِيمًا !

وَيَكْفِينَا أَنْ نَذْكُرَ هُنَا مَثَلًا يُرَوَّى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ أَنَّهُ رَأَى مَرَّةً رَجُلًا يَتَحَدَّثُ مَعَ أَمْرَأَةٍ عَلَى
نَاصِيَةِ الطَّرِيقِ ، فَضَرَبَهُ بِدِرَّةٍ كَانَتْ فِي يَدِهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ
إِنَّهَا زَوْجَتُهُ ، وَأَجَابَهُ عُمَرُ : إِذَا كَانَتْ زَوْجَتُكَ أَلَمْ تَجِدْ مَكَانًا
آخَرَ غَيْرَ الطَّرِيقِ الْعَامِّ تَتَحَدَّثَانِ فِيهِ ؟ أَتَسْتَنَانِ لِلنَّاسِ هَذِهِ
السَّنَةِ السَّيِّئَةِ ؟ وَاعْتَذَرَ لَهُ عُمَرُ فِيمَا بَعْدَ عِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّ الرَّجُلَ
وَزَوْجَتَهُ غَرِيبَانِ عَنِ الْمَدِينَةِ وَأَنَّهُمَا لَيْسَ لِهَمَّا سَكَنٌ بِهَا .

وَقَدْ يَقُولُ قَائِلٌ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَرْجِعُوا بِنَا إِلَى مُجْتَمَعٍ كَانَ
سَائِدًا فِي الْمَدِينَةِ مِنْذُ ثَلَاثَةِ عَشَرَ قَرْنًا ؟ فَنُورِدُ لَهُ مَثَلًا آخَرَ
مِنْ فَيْلَسُوفٍ عَظِيمٍ فِي عَصْرِنَا الْحَدِيثِ ، مُعَاصِرٍ لَنَا ، هُوَ الْمَفْكُرُ
الْأَنْجَلِيزِيُّ بَرْتَرَانْدَ رَاسِل ، الَّذِي كَتَبَ فِي مُؤَلَّفِهِ « الْأَخْلَاقُ
وَالزَّوْاجُ » :

« هُنَاكَ شَرْطٌ مُهِمٌّ يُسَاعِدُ فِي دَعْمِ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ ، ذَلِكَ
هُوَ خُلُوقُ الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ مِنَ النُّظْمِ الَّتِي تَسْمَحُ بِالْمُضَادَّةِ
وَالْمُخَالَطَةِ بَيْنَ الْمُتَزَوِّجِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ، سَوَاءٌ فِي الْعَمَلِ
أَوْ فِي الْمُنَاسَبَاتِ وَالْحَفَلَاتِ وَمَا شَاكَلَهَا .

« إِنَّ الْعَلَاقَاتِ الْعَاطِفِيَّةَ بَيْنَ الْمُتَزَوِّجِينَ وَغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ مِنْ
رِجَالٍ وَنِسَاءٍ خَارِجٌ دَائِرَةُ الْحَيَاةِ الزَّوْجِيَّةِ هِيَ سَبَبُ شَقَاءِ

الأزواج وكثرة حوادث الطلاق ، وليس عسيراً أن نجتمع
أمثلة كثيرة عن البيوت التي أنهكت بسبب اتصال الأزواج
والزوجات بغزو شركائهم في الحياة الزوجية ، سواء في العمل
أو في المناسبات الاجتماعية . »

ويرتبط بالأسرة مباشرة موضوع تربية النشء ،
فالذين هم الذين يرون أن هذه التربية من شأن الأسرة
وحدها ، أو وزارات التعليم وحدها ، وقليلاً هم الذين
يلحون بحق على أن كلاً من المؤسسات مسئولة .

وليس من الصدفة أن يُقرن دائماً التعليم بالتربية في
أسماء مؤسسات التعليم في العالم ، وأن يُسمّى ابن باديس
مدارسه الحرة التي كان يرمي بها إلى غرس الزوج الإسلامية
في نشئنا مدارس التربية والتعليم .

وأن التربية الإسلامية وحدها هي التي تضمن لنا نشأً
صالحاً ، لنفسه وأسرته ، وأمتيه .

ولعل في اهتمام أغلب دول العالم اليوم بالعنصر الديني
على مستوى الأمة والبلاد كلها لأكثر من معزى ، بعد تجارب
مرت بها وعانت منها .

وأود هنا أن أقتصر على مثلين اثنين :

(1) لقد خصّصت فرنسا التي فصلت بين الدين والكنيسة
منذ أكثر من قرن هذه السنة مبلغ تسعين مليار فرنك قديم
مساعدة للتعليم الديني في فرنسا ، الذي يحظى كما نعلم
بمساعداً أخرى من الشعب نفسه ، زيادة عن الوسائل
العديدة للكنيسة .

(2) وفي الاتحاد السوفيتي احتفل أخيراً في زاقورسك
Zagorsk بتنصيب الارشمندريث بيمن Pimen بأبهة
عظيمة وصفتها الجريدة السويدية Dagens Nyheter بأنها
فضامة ووضخامة العصور الوسطى ! Medeltida Pompa
وكلنا سمعنا عن الاهتمام الذي أخذت السلطات تجدد به في
موسكو الكنائس وتصلحها وترممها ، وهذا كله بعد نصف
قرن من ثورة أكتوبر .

وَفِي هَذَا الْوَقْتُ بِالذَّاتِ نَسْمَعُ أَحْيَانًا أَنْصَافَ الْمُتَعَلِّمِينَ
فِي الْبُلْدَانِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَلُوكُونَ أَلْفَاظًا بَغِيرَ وَعْيٍ عَنِ الْغَضَرِ
الرَّجْعِيِّ فِي الدِّينِ .

وَأَنَّ مَوْضُوعَ التَّرْبِيَةِ هَذَا لَهُوَ إِحْدَى مُشْكَلَاتِ الْعَصْرِ
بِصِفَةِ عَامَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنْ قَبِيلِ الصَّدَفِ أَيْضًا أَنْ يُسَمَّى هَذَا
الْمَوْضُوعُ بِالثَّوْرَةِ الثَّقَافِيَّةِ ، وَأَنْ تَحْمِلَ الصِّينُ الشَّعْبِيَّةُ
هَذِهِ الرَّايَةَ بِاسْمِ الثَّوْرَةِ الثَّقَافِيَّةِ ، مُوضَّحَةً فِي كُتَيْبٍ يَحْمِلُهُ
جَمِيعُ الشَّبَابِ الصِّينِيِّ وَيَخْرُصُونَ عَلَيْهِ وَيَحْفَظُونَهُ وَيُخْرِجُونَهُ
مِنْ جُيُوبِهِمْ فُجْأَةً فِي مَحَطَّاتِ الْقَطَارِ وَقَاعَاتِ الْإِنْتِظَارِ وَغَيْرِهَا
مِنَ الْمَحَلَّاتِ الْعَامَّةِ بِنَفْسِ الْحِمَاسِ وَالْحُبِّ اللَّذِينَ نَجِدُهُمَا عِنْدَ
الشَّبَابِ الْأَكْثَرِ إِيْمَانًا وَأَصْدَقَهُ !

وَفِي نَقْدِ كُتَيْبِهِ الْأُسْتَاذُ فِيلِهَيْلِمُ شُوسْتِرَانْدُ
Wilhem Sjostrand
الأُسْتَاذُ بِجَامِعَةِ سْتُوكَهُولْمِ ، فِي جَرِيدَةِ
Svenskadagbladet السُّوَيْدِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ عَنْ كِتَابِ أَصْدَرْتِهِ الْهَيْئَةُ
التَّرْبَوِيَّةُ الْجَامِعِيَّةُ فِي سْتُوكَهُولْمِ تَحْتَ عُنْوَانِ : « التَّعْلِيمُ
الْجَامِعِيُّ » ، حَتَمَ الْأُسْتَاذُ يَقُولُ : « هَلْ يُمَكِّنُ الْاِكْتِفَاءُ بِالتَّعْلِيمِ
بِدُونِ تَرْبِيَةٍ ؟ إِذَا حَدَثَ هَذَا فَسَتَنْقَلِبُ حَضَارَتُنَا بِسُرْعَةٍ إِلَى
نَوْعٍ مِنْ آلَةِ جَهَنَّمِيَّةٍ تَنْفَجِرُ بِنَا جَمِيعًا فِي الْهَوَاءِ ! » .
حَضَرَاتِ السَّادَةِ ،

بَقِيَ لِي أَنْ أَقُولَ كَلِمَةً قَصِيرَةً جَدًّا أَخْتُمُ بِهَا هَذَا الْحَدِيثَ ،
وَتَتَّصِلُ بِالنَّقْطَةِ الثَّلَاثَةِ فِي جَدْوَلِ أَعْمَالِنَا ، وَهِيَ الْإِسْلَامُ
وَمُتَطَلِبَاتُ التَّنْمِيَةِ فِي الْاِقْتِصَادِ الْحَدِيثِ .

وَهُنَا أَيْضًا يَجِبُ رَفْعُ التَّبَاسَّاتِ وَتَشْوِيهَاتِ كَثِيرَةٍ تُوَجَّهُ
لِلْإِسْلَامِ الَّذِي يُظْهِرُ وَنَهَ فِي مَظْهَرِ التَّوَاكُلِ ، وَالتَّهَاقُوتِ ، بِتَفْسِيرِ
خَاطِيٍّ لِمَعْنَى الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ ، بِقَصْدٍ طَبْعًا وَعَنْ دَرَايَةٍ ،
لِتَعْقِيدِنَا وَتَشْيِيطِ عَزَائِمِنَا ، مَعَ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْجُهْدِ
وَالْعَمَلِ ، إِذْ يَدْعُو الْقُرْآنُ فِي أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ آيَةٍ إِلَى الْعَمَلِ ،
كَمَا أَفَادَنَا بِذَلِكَ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ الْحَبِيبُ بَلْخُوجَه .

وَمُحَاوَلَةٌ تَشْوِيهِ أُخْرَى مِنْ طَرَفٍ مَنْ يُعْنِيهِمْ تَشْوِيهِ
الْإِسْلَامِ تَدْعِي أَنَّهُ رَجْعِي ، يَدْعُو إِلَى تَكْدِيسِ الْأَمْوَالِ ، وَضَدِّ

كُلُّ تَطَوُّرٍ فِي الْاِقْتِصَادِ ، وَكُلُّ تَوْزِيعٍ عَادِلٍ لِلثَّرَوَاتِ ، وَكُلُّ تَوْزِيعٍ مُنْطَقِي وَظِيفِي لِلْعَمَلِ فِي الْمَجْتَمَعِ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ الْاِدْعَاءَاتِ الَّتِي يُرَدِّدُهَا مِنْ حِينٍ لِآخَرَ مُسْلِمُونَ جَاهِلُونَ بِاسْلَامِهِمْ وَحَضَارَتِهِمْ .

وَالْوَاقِعُ الْمَعْرُوفُ لِكُلِّ ذِي عَقْلٍ وَرَغْبَةٍ فِي الْاِطْلَاعِ بِمَوْضُوعِيَّةٍ وَصِدْقٍ أَنَّ الْاِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْعَمَلِ بِحَقٍّ ، دِينُ الْعَدْلِ وَالْمُسَاوَاةِ بِحَقٍّ ، كَمَا هُوَ مُبَيَّنٌ فِي آيَاتِهِ وَمُؤَسَّسَاتِهِ الَّتِي هِيَ نَفْسُهَا آيَاتٌ !

وَالْوَاقِعُ هُوَ كَمَا بَيَّنَّهُ الشَّهِيدُ حَسَنُ الْبَنَّا فِي مُقَدِّمَةِ لِكِتَابٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اِذْ كَتَبَ رَحِمَهُ اللَّهُ :

« وَمِنْ الْمُشَاهَدِ أَنَّهُ كَلَّمَا ارْتَقَى الْعَقْلُ الْاِنْسَانِي الْحَاضِرُ فِي فَهْمِ حَقَائِقِ الْحَيَاةِ ، وَاِكْتِشَافِ خَوَافِيهَا ، وَاقْتِرَاجِ شَتَّى الْحُلُولِ لِمَا يُوَاجَهُ مِنْ مَشَاكِيلِهَا غَدْنَا نَحْنُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى دِينِنَا ، بَعْدَ رُؤْيَاةِ هَذِهِ الْحُلُولِ ، عَوْدَةَ الْمَرْءِ الذَّاهِلِ إِلَى مَاضِيهِ الْحَافِلِ ، وَقَدْ اتَّصَلَ بِهَذَا الْمَاضِي فَجَاءَ مَا أَشْرَقَتْ بِهِ صَفْحَتُهُ ، وَتَجَدَّدَتْ بِهِ ذِكْرِيَاتُهُ ، وَسَرَتْ فِيهَا كَرَّةٌ أُخْرَى حَيَاتِهِ ، لِأَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَبْرُقُ خِلَالَ طَائِفَةٍ مِنْ مَنَاهِجِ الْإِصْلَاحِ الْمُعَاصِرِ اِنَّمَا هُوَ بَعْضُ مِيرَاثِنَا ، فِيمَا آلَ إِلَيْنَا مِنْ دِينٍ عَظِيمٍ ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » .

وَيَقُولُ عَنِ الْكِتَابِ : « وَبَيْنَ يَدَيِ الْقَارِيءِ بَحْثٌ عِلْمِيٌّ دَقِيقٌ فِي الْاِشْتِرَاكِيَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ ، يَجْلُو هَذِهِ الْحَقِيقَةَ ، وَيُؤَكِّدُهَا » « وَمِنْ الْمُهِّمِّ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ أَنَّ الْاِسْلَامَ لَا يُحَارِبُ الثَّرَوَاتِ الْعَامَّةَ أَوْ الْخَاصَّةَ ، وَاِنَّمَا يُحَارِبُ تَجَرُّدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الثَّرْوَةِ عَلَى حِسَابِ تَضَخُّمِهَا فِي نَاحِيَةٍ أُخْرَى » .

وَيُضِيفُ حَسَنُ الْبَنَّا فِي مُقَدِّمَتِهِ :

« وَقَدْ وَصَفَ الْمُؤَلِّفُ فِي اِيضَاحٍ مَوَاقِفَ أَبِي ذَرٍّ ، وَأَظْهَرَ بَوَاعِثَ الْإِيْمَانِ الْحَالِصِ فِي حَيَاتِهِ الْمَلِيَّةَةِ بِالْكَفَاحِ ، وَالنُّصْجِ لِدِينِ اللَّهِ ، وَالْحَدَبِ عَلَى جُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَشَرَحَ وَجْهَةَ نَظَرِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْاِغْتِرَاضِ عَلَى مَظَاهِرِ التَّرَفِّ ، وَأَخْلَاقِ

الرَّفَاهِيَةِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تَعْمَلُ عَمَلَهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ » .
وَيَخْتُمُ مُقَدِّمَتَهُ هَذِهِ بِقَوْلِهِ :

« وَنَحْنُ نَسْرُّنَا أَنْ يَتَجَعَ الشَّبَابُ الْمُثَقَّفُ هَذِهِ الْوَجْهَةَ
الصَّالِحَةَ ، مُهَنْتَيْنِ الْمُؤَلَّفَ ، وَمُؤْمَلِينَ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي نُفُوسِ
الْقَارِئِينَ أَثَرُهُ الْمُنَشُودُ » .

وَقَدْ صَدَّقَ شَوْقِي إِذْ قَالَ عَنْ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
الْأَشْتَرَاكِئُونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ
لَوْلَا دَعَاوِي الْقَوْمِ وَالْعُلُوءُ
دَاوَيْتَ مُتَتِّدًا وَدَاوُوا طَفْرَةَ
وَأَخَفْتُ مِنْ بَعْضِ الدَّوَاءِ الدَّاءُ !

إِلَى أَنْ يَقُولَ :
أَنْصَفْتُ أَهْلَ الْفَقْرِ مِنْ أَهْلِ الْغِنَى
فَالْكُلُّ فِي حَقِّ الْحَيَاةِ سَوَاءُ
فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا تَخَيَّرَ مِلَّةً
مَا اخْتَارَ إِلَّا دِينَكَ الْفُقَرَاءُ !

وَيَطُولُ بِنَا الْحَدِيثُ - وَهُنَا أَسَاتِذَةُ مُتَخَصِّصُونَ
سَمِعَ رُضُونَ ذَلِكَ عَلَيْنَا لَا شَكَّ أَثْنَاءَ الْمَحَاضِرَاتِ - لَوْ أَرَدْنَا أَنْ
نَذَكِّرَ نَبْذًا عَنْ تَفْسِيرِ أَبِي ذَرٍّ لِأَشْتَرَاكِئَةِ الْإِسْلَامِ ، وَعَنْ
تَطْبِيقِهَا مِنْ طَرَفِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
وغيرِهِمَا مِنْ رَجَالَ الدَّوْلَةِ فِي الْإِسْلَامِ .

هَذِهِ أَسُسُنَا ، وَبَعْدَ هَذَا الْأَسَاسِ لَيْسَ هُنَاكَ مَانِعٌ مِنْ
الِاسْتِفَادَةِ مِنْ آخِرِ التَّجَارِبِ النَّاجِحَةِ فِي الْعَالَمِ فِي تَطْبِيقِ
الْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ وَالِاشْتِرَاكِئَةِ الْحَقَّةِ فِي الْمَجَالِ الْاِقْتِصَادِيِّ ،
عَلَى أَلَّا نَكُونَ إِمْعَاتٍ ، قَوْمًا تَبَعًا ، فَلَدَيْنَا أَصَالَتُنَا وَمَنَاعَتُنَا ،
وَلَدَيْنَا دِينُنَا الْحَنِيفُ .

فَنَأْخُذْ مَا يُلَاطِمُنَا مِنْ تَجَارِبِ الْغَيْرِ ، وَنَسْتَفِيدُ مِنْ أَحَدِثِهَا ،
بِإِذْرَاجِهَا فِي قَالِبِنَا الْإِسْلَامِيِّ ، لِنَصْقِلَهَا وَإِدْمَاجَهَا فِي جَوْهَرِنَا .
فَإِسْلَامُنَا يُسَوِّغُ لَنَا ذَلِكَ ، بَلْ يَدْعُونَا إِلَيْهِ وَيَأْمُرُنَا

بِالْمُقَارَنَةِ ، وَالِاسْتِنْتَاجِ بِالنَّظَرِ ، وَالتَّفَكُّرِ ، وَاسْتِعْمَالِ الْعَقْلِ ،
وَأَنَّ الْآيَاتِ الَّتِي تَدْعُونَا إِلَى ذَلِكَ لَتَتَخَلَّلُ الْقُرْآنَ فِي جَمِيعِ
سُورِهِ !

وَلَقَدْ أَخَذَ أَجْدَادُنَا عَنْ تَجَارِبِ الْغَيْرِ ، وَاشْتَقَوْا مِنْهَا مَا
يَلِيْقُ بِهِمْ ، وَيَلَانُهُمْ بَيْنَتُهُمْ ، وَيَتَجَانَسُ مَعَ دِينِهِمْ ، وَتَسْتَسِيغُهُ
عَبْقَرِيَّتُهُمْ .

وَأَنَّ الَّذِي يَحُلُّ لَنَا جَمِيعَ الْمُعْضَلَاتِ هُوَ اسْتِعْمَالُ الْعَقْلِ ،
اسْتِعْمَالُ الْاجْتِهَادِ الَّذِي هُوَ مَصْدَرٌ مِنْ مَصَادِرِ التَّشْرِيعِ
الْإِسْلَامِيِّ ، وَالَّذِي وَصَّى بِهِ وَأَقْرَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، كَمَا يَتَضَحُّ ذَلِكَ فِي حَدِيثِهِ الْمَشْهُورِ مَعَ سَيِّدِنَا مُعَاذِ
بْنِ جَبَلٍ عِنْدَمَا أَرْسَلَهُ إِلَى الْيَمَنِ مُعَلِّمًا وَقَاضِيًا وَسَّالُهُ :
« قَالَ » بِمَاذَا تَقْضِي فِيهِمْ يَا مُعَاذُ ؟ قَالَ : بِكِتَابِ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنْ
لَمْ تَجِدْ ؟ قَالَ : فَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ . قَالَ : فَإِنْ لَمْ تَجِدْ ؟ قَالَ :
أَجْتَهِدُ بِرَأْيِي وَلَا أَلُو . »

حَضَرَاتِ السَّادَةِ ،

قَبْلَ أَنْ أَخْتِمَ كَلِمَتِي هَذِهِ أَوَدُّ أَنْ أُلْخِصَ جَوَابَنَا - وَأُظَنُّ
أَيْضًا أَنَّهُ جَوَابُكُمْ جَمِيعًا - عَلَى فَرِيقَتَيْنِ أَثْنَيْنِ ، أَحَدُهُمَا يَدْعُونَا
إِلَى إِغْلَاقِ جَمِيعِ الْأَبْوَابِ وَالنَّوَافِدِ ، وَالْآخَرُ يَدْعُونَا إِلَى تَفْتِيحِ
يَقْصِدُ بِهِ أَنْ نَفْتَحَ حَتَّى السَّقْفِ ، وَأُجِيبُهُمْ بِكَلِمَةٍ لِلرَّئِيسِ
بَوْمَدَيْنِ فِي خُطَابِهِ آخِرًا بِمُنَاسَبَةِ الذِّكْرِ التَّاسِعَةِ لِاسْتِعَادَةِ
الِاسْتِقْلَالِ إِذْ قَالَ :

« بِأَقْدَامِ رَاسِخَةٍ عَلَى أُسَاسِنَا الثَّابِتِ فَقَطُّ نَسْتَطِيعُ أَنْ
نُتَطَّلَعَ إِلَى آفَاقٍ أُخْرَى ، وَمَعَ الْإِنْغْرَاسِ فِي أَصَالَتِنَا فَحَسْبُ
يُمْكِنُ لَنَا ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْنَا ، أَنْ نَتَفَتَّحَ عَلَى مُخْتَلَفِ ثَقَافَاتِ
وَحَضَارَاتِ الْعَالَمِ ، كَمَا فَعَلَ أَجْدَادُنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنْتَجُوا أَخْصَبَ
الثَّقَافَاتِ وَأَرْقَى الْحَضَارَاتِ ، وَكَمَا فَعَلْتُ بِالْأَمْسِ وَتَفَعَّلَ الْيَوْمَ
جَمِيعُ الشُّعُوبِ الَّتِي تَعْتَبِرُ مَا تَأْخُذُهُ عَنِ الْحَارِجِ بِمَثَابَةِ
مُكَمَّلَاتِ لِأَصُولِهَا ، وَفُرُوعِ لِجُذُورِهَا . »

وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ

دراسات
ثقافية
وأدبية



رسالة

الجامعة فكرة ، ولكل جامعة
في العصر الحديث رسالة يجب
ان تؤديها ، ورسالة الجامعة
تنظم غرضين اساسيين : الاول
تكوين صفوة مختارة من شبيبة
الامة واعدادها لقيادة بلادها .
والثاني العمل على تقدم المعارف
الانسانية بتشجيع البحث
العلمي البري .

الغرض الاول للجامعات هو تربية الصفوة وتكوين
رجال قادرين على العمل في تنمية موارد البلاد
المادية والعقلية والاخلاقية والفنية ، وهذا
الغرض هو الذي دعا الى تنظيم الجامعات بحيث
تنقسم كل جامعة منها الى كليات مختلفة ،
وبعبارة أخرى ان تكون الجامعات اشبه بمدارس
مهنية كبرى تتناول جميع المهمات الاجتماعية
التي تقتضى تطبيق المعارف المكتسبة .
وهذا النوع من التعليم يتطلب من جانب
من ينقطعون له استعدادا عقليا واخلاقيا خاصا ،
يقوم في صميمه على الاخلاص للعلم واحترام



للنجاح في معترك الحياة ، ويؤهلها لان تكون دائما شبيبة عصرية متطورة طامحة متوثبة ، لا شبيبة رجعية راكدة قانعة .

ومن أجل هذا وجب على الشبيبة ان تكون عالمة بما يجرى في بلادها وخارج بلادها ، اى ان تكون واقفة على الحركات السياسية والاجتماعية الكبرى التى تسيطر على شؤون امته وسائر امم العالم فى العصر الذى نعيش فيه . وطريق الشبيبة الجامعية الى ذلك هو الدرس الجدى والاطلاع الدائم على الكتب والبحوث لا التقليد المنفعل ولا

الحقيقة . واذا رسخت هذه العقلية عند القائمين بالتعليم الجامعى - سواء كانوا رياضيين او جيولوجيين او مؤرخين او لغويين او اجتماعيين - أصبحوا جميعا علماء فضلاء . قد تجاوزوا مهنة المعلمين وصاروا المربين الاوائل فى الامة . وهذا الاعتبار وحده يجعل من اوجب الواجبات على الدولة ان تكفل لاساتذة الجامعات بين خدام الوطن منزلة رفيعة .

ولما كانت المهمة الاولى للجامعة ان تعمل لاعداد الصفوة من الشبيبة لقيادة بلادها ، فلا بد من توجيه هذه الشبيبة توجيهها صحيحا يعدها

مطاطوعة النزوات الشخصية العابثة ، ولا

الانسياق وراء الدعايات السياسية الفاسدة

او الاهواء الحزبية المضللة . ويجب ان يكون

واضحا لعملاء الطلاب ان الاشتغال بالسياسة

القومية العامة شيء ، والانتماع في مظاهرات

الخصومات الحزبية المقرضة شيء آخر .

ويديهي ان آفة التعليم الجامعي هو الانحصار في

الدائرة الضيقة دائرة الشهادات أو الدبلومات

التي هي الد أعداء الثقافة كما قيل بحق . ومن

أكبر الاخطار التي تتهدد ذلك التعليم ، السعي

الى النجاح في الامتحانات بالطرق الآلية التي

تنتهي غالبا بخلق الفكر ، وصد النفس ، وحشو

الذاكرة بالمحفوظات ، وانقطاع الصلات الشخصية

بين الاستاذ والطلاب ، والنظر الى هؤلاء وكأنهم

« ارقام » توضع لسد خانات ... وشيوع هذا

الميل الخطير يجعل التعليم الجامعي على هامش الحياة

وبصره تعليميا « مدرسيا » عقيما لا يلائم تطور

المجتمع الحديث ولا يوافق غاية التربية الاصلية .

وينبغي ان لا ننسى ان هدف التعليم الجامعي هو

تربية المواطن الصالح وتكوينه تكوينا مدنيا

اجتماعيا انسانيا . ومن اجل ذلك وجب ان يعنى

استاذ الجامعة بتفسير الوقائع التي يدرسها تفسيراً

علميا محايدا ، وان يهتم بغرس الثقافة المنهجية

الدقيقة ، واشاعة روح النقد النزيه ، وتركيز

الشعور بالمسؤولية ، وهذا هو ما يعبر عنه باسم

« الروح الجامعية » . واذا سيطرت هذه الروح على

التعليم الجامعي نتج عنها تقديس الحرية في مختلف

مظاهرها ، حرية القول والكتابة والتفكير ، ونتج

عنها التسامح ازاء الغير ، والترحيب باختلاف

الآراء والعقائد ، متى توافر في اصحابها الصدق

والاخلاص .

واذن فليس من حق السلطات الحاكمة ان تتدخل

في التعليم الجامعي في ناحيته العلمية أو الفنية :

لا يحل لها ان تعهد الى استاذ الجامعة تعليم بعض

المبادئ المعينة دون بعضها الآخر ، وان تجعل منه

داعية الى مذهب بعينه أو مبشرا لعقيدة مفروضة ،

بل ينبغي ان تترك التعليم الجامعي مفتوحا لجميع

التيارات الفكرية والشعورية ، مستقبلا لجميع

المطامح البعيدة الصادرة عن الامة ، بحيث يكون

معبرا عن هموم عصرنا وشكوكه وآماله واحلامه ،

تعبيرا بعيدا عن اهواء الساعة ومنازعات السياسة

ومعارك الصحافة وصخب الشارع .

مهما تختلف آراء المربين فان الغاية العليا من

التربية هي تحقيق الحرية للناس ، بتحرير عقولهم

ونفوسهم وتحقيق المساواة المدنية بينهم ، ومحو

ما بينهم من فروق غير طبيعية ، اعنى تلك الفروق

الاجتماعية التي تجعل الفروق الطبيعية الية

لا تطاق . ولا شك ان ارتقاء التعليم العام ، والتعليم

الجامعي بوجه خاص ، يجعل من الحرية امرا واقعا ،

لا كلمة رخيصة تدور على كل لسان ويسمعاها

الناس في المجالس والاجتماعات ، وبقراؤها في

الصحف والكتب ، وبعبارة اخرى يجعلها حقاً

من حقوقهم يعرفون كيف يمارسونه ويستمتعون

به ويناضلون عنه ولا يستطيعون الحياة بدونه .

واذا قمنا التعليم الجامعي على مبادئ سليمة كمحبة

المواطن بعضهم بعضا ، والاحترام العميق لكل

عقيدة مخلصه والتسامح المتبادل ، وممارسة الحرية

ممارسة حكيمة ذكية ، اصبحت مهمة الجامعة

هو عقلى لانه خالق للحقيقة ، وهو اقتصادى لانه مولد للثروة ، وهو اخلاقى لانه موزع للنور فى المثل العليا التى يستطيع الناس ان يترسوموها . والانقطاع للبحث العلمى هو رسالة الجامعة الاصلية ولكن الجامعات لا تستطيع ان تؤدى هذه الرسالة الا اذا تم عملها فى جو من الحرية التامة . والا اذا تأزر جميع الاعضاء فى كل هيئة جامعية . وبالتالى الا اذا تأزرت جميع العلوم التى تمثلها ، وساهمت فى حياة واحدة تتجاوز التخصص الذى لا غنى عنه وتخلق عند الجميع وجدانا واحدا يخضع لقانون واحد .

ولا ينبغى ان يكون للبحث العلمى الا غاية واحدة ، هى الظفر بالحقيقة . فليس اشبع من ان نجعل الجامعات آلات لاصحاب السلطان . او ابواقا تردد ما يريده الحكام . بل الشرف الصحيح والفضل الحقيقى للدولة انما يكون فى التضحيات البرينة التى تبذلها الجامعات لكى تصبح محاريب للثقافة الانسانية الحرة ، التى تتحمس للحقيقة وحدها . ولا تتأثر بالاهواء والعصبية .

ان جمال العلم وجلاله ان يكون مقصودا لذاته لا لشيء سواه . ومن اجل ذلك وجب ان يقبل العلماء على بحوثهم خالين من كل غرض . متجردين من طلب المنافع التى يمكن ان تنتج عنه . وتاريخ العلوم يشهد بان المعارف العلمية ما ازدهرت ولا ارتقت الى رتبة العلم الحقيقى الا بعد ان انقطع العلماء للبحث لذاته مبراين من طلب المصلحة غير ناظرين الا الى جلال الموضوع وشرفه : وهذا هو صميم العلم وجوهره الباقي على الزمن .

اقامة الانسجام بين تربية الشبيبة وبين الفكر الحديث ، وتسليحها ضد الزيف والضلال . ولكن ليست مهمة الجامعة ان تقرر اين يكون الخطا ولا اين يكون ما ينبغى ان يعتقد ولا ما ينبغى ان يرفض . وليست وظيفتها ان تعد اى قيد للعقول والنفوس وانما وظيفتها الحقيقية ان تكشف عن الطالب غطاءه ليكون بصره حديدا : وعندئذ يستطيع ان يميز بين الامور مختارا ويتيسر له ان يحكم بنفسه على الاشياء والاشخاص احكاما خالية من التعصب والهوى . ويتيسر له فى جميع الاحوال ان يشاهد وان يحكم وان يستنتج ، لكى يعمل عند الاقتضاء وفقا للقانون الاعلى الذى هو قانون العقل . وذلك هو صميم الروح الجامعية .

والغرض الثانى من اغراض الجامعة هو العمل على تقدم المعارف البشرية عن طريق البحث العلمى البرى . ولهذا وجب على اولى الامر ان يهيئوا للجامعة وسائل ايجاد البيئة العلمية اللازمة للتوفر على البحث . ولاشك ان اول الوسائل لهذه الغاية اختيار اساتذة من ذوى الكفايات الحقيقية مشهورين بالاخلاص والنزاهة العقلية . بعيدين عن الدعاية والتهريج ، ثم رفع مرتباتهم وتقليل عدد محاضراتهم . وتزويد الكليات بما يلزمها من معامل ومكتبات . وبالاجمال يجب ان تهيأ لاساتذة الجامعة كل وسائل الحياة من اجل العلم . حتى يكون لديهم دائما من الوقت والمال وهدوء البال ما يعينهم على المضى فى بحوثهم على خير الوجوه .

فالعمل على تقدم العلم وتشجيع البحث العلمى من اهم اغراض الجامعة : لان للعلم ثلاث وظائف كبرى كما قيل : عقلية واقتصادية واخلاقية

التربية والشخصية

تخوض الجزائر في الوقت
الحاضر ثورة ذات أبعاد ثلاثة
هي :

ثورة صناعية ،

وثورة زراعية ،

وثورة ثقافية .

وذلك كي تستكمل مقومات
الاستقلال الذي دفعنا فيه مليوننا
ونصف مليون شهيد .
وموضوع مقال هو - التربية
والشخصية الجزائرية او
الشخصية الوطنية - ولا شك
ان الحديث عن الشخصية

عهدا طويلا وتعرجا طموحا
الطبيعي الى البروز الى العالم
بابتكارات اصيلة وفي حالتنا
الخاصة بنا ونحن نعرف ان لكل
شيء شكله ومحتواه المتكاملين .

ان لغتنا القومية تحفظ
لشعبنا خاصية من خاصيات
استقلاله الوطني وتندرا عن
عن شخصيته كل شائبة ، اذ
ان الامة لا يلوم وجدانها الا
بلوام لغتها التي هي لسان
حالتها . المعبر حقيقة على جميع
مقاصدها » .

الرئيس هواري بومدين
في افتتاح السنة القضائية

1969 - 1970

« ان ثورتنا الحالدة قامت
على أسس متينة عتيقة لبناء
مجتمع جزائري معتر بماضيه
العربي الاسلامي ، فخوره بتراثه
الفني الشاسع ، غيور على
تاريخه الذي منه انبثقت قوى
عزيمته لاسترجاع سيادته
وعزته وكرامته ... وكيف
تتمتع بهذه الشخصية ،
ونفرض وجودنا كشعب متمسك
بتقاليده المستوحاة منها انظمتها
الحوية ان لم نتحرر من عادة
التعبير باللغة الاجنبية - تلك
اللغة التي هيمنت على تفكيرنا

ترکی رابح

الجزائرية

ودينها ، وتاريخها ، لا تعد امة بين الامم ، ولا ينظر اليها الا بعين الاحتقار مع القضاء عليها في ميادين الحياة بالتقهقر والانحدار » ، ثم يضيف الشيخ عبد الحميد بن باديس « وان الفرد الذي لا يحافظ على ذلك من امة لتأخرها في سير الزمان بما احاط بها من ظروف الحياة. وان تحل باعظم واحسن ما يتحل به الراقون من امة اخرى. لا ينظر اليه الا بالعين التي ينظر بها الى امة » .

اسس متينة عديدة لبناء مجتمع جزائري معتر بماضيه العربي الاسلامي ، فخور بترائه الفنى الشاسع ، غيور على تاريخه الذى منه انبثقت قوى عزيمته لاسترجاع سيادته وعزته وكرامته . « ومن هنا فان اى انحراف عن هذا الخط يعتبر خيانة للماء الشهداء وتضحيات الملايين .

ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس :

« ان الامة التى لا تحترم مقوماتها من جنسها ، ولغتها ،

الوطنية وكل ما يتصل باحد مقوماتها الاساسية هو قضية حيوية تهتم كافة الجزائريين والجزائريات فى هذا الوطن العربى المسلم . الذى يعمل اليوم على تحديد كيانه اقتصاديا وفكريا ، وثقافيا بين دول العالم ولذلك فان موضوع التربية والشخصية الوطنية ، هو موضوع هام وخطير فى نفس الوقت ، ذلك ان ثورتنا الخالدة كما قال الرئيس بومدين فى افتتاح السنة القضائية لعام 1969 - 1970 « قامت على

مادية . فالعناصر المعنوية تتمثل ، فى اللغة ، والفنون ، والعلوم ، والآداب ، والنظم ، والقوانين ، والعادات ، والتقاليد ، والاخلاق .

اما العناصر المادية فهي تتضمن كل مرافق الحضارة المادية التي يستعملها افراد المجتمع كالمواصلات - والمباني - والطرق - وانواع الملابس - والمعامل - وكل ما تزخر به الحضارة فى كافة مجالات الحياة المادية .

وظيفة الثقافة :

اما وظيفة الثقافة الاساسية فى حياة المجتمع فهي انها وسيلة المجتمع الرئيسية فى الابقاء على حياته وكيانه ، فكل مجتمع سواء كان جزائريا أو غير جزائري وسيلته الاساسية فى المحافظة على نفسه ووجوده هو ثقافته القومية الخاصة به .

ولذلك فان كل المجتمعات فى سائر مراحل التاريخ تحاول دائما ان تحقق وظيفة الابقاء على نفسها معنويا عن طريق المحافظة على ثقافتها القومية وليس للمجتمع وسيلة أخرى غير هذه الوسيلة للمحافظة على كيانه حتى ان المجتمعات اذا اضطرتها الظروف فى بعض مراحل التاريخ ان تضحي بعدد من افرادها من اجل المحافظة على ثقافتها القومية ، ومدنيتها الخاصة فانها لن تتردد فى ذلك مطلقا .. وهذا هو التفسير الحقيقى لبعض الحروب التي تخوضها المجتمعات فى بعض الاوقات دفاعا عن ثقافتها وكيانها الخاص .

فالغرب كما يقول علماء التربية والاجتماع ليست فى الحقيقة والواقع سوى تضحية ضرورية من المجتمعات ببعض افرادها فى سبيل الابقاء على تراثها الثقافى كمظاهر من مظاهر ابقاء الجماعة لنفسها لان الافراد زائلون دائما ، ويمكن تعويضهم دائما بكل سهولة .

والمعروف أن هناك ارتباطا وثيقا بين الثقافة التي تعمل التربية على نقلها من الاجيال الماضية الى الاجيال الحاضرة من جهة وبين الشخصية الوطنية من جهة أخرى . ومن هنا فان الحديث عن الشخصية ومقوماتها الاساسية يجرنا الى الحديث عن الثقافة القومية التي تحدد أبعاد وملامح الشخصية الوطنية تحديدا واضحا .

والثقافة القومية كما نعلم تتمثل فى اللغة القومية ، والفنون ، والعلوم ، والآداب ، والنظم ، والعادات ، والتقاليد ، والاخلاق التي تعبر عنها مقومات الشخصية الوطنية اصدق تعبير ولا يمكن لأية لغة أجنبية أن تعبر عن مقومات الشخصية الوطنية لأية أمة من الأمم لأن ذلك يتناقض مع خصائص اللغة والثقافة التي تعبر عنها هذه اللغة .

تعريف الثقافة :

اذن ما هي الثقافة ؟ وما هي وظيفتها فى تكوين الشخصية القومية ؟

الثقافة لها معنيان ... معنى فى اللغة ، ومعنى فى الاصطلاح . اما معناها لغة فهي التهذيب والصقل - فالشخص المثقف هو الشخص المهذب المصقول فى اخلاقه وسلوكه العام أو هكذا ينبغي ان يكون .

اما الثقافة فى الاصطلاح فهي ذلك النسيج الكلى المعقد من الافكار والمعتقدات ، والعادات والتقاليد واساليب التفكير ، والعمل ، وانماط السلوك وكل ما ينبني عليها من تجديدات أو ابتكارات أو وسائل فى حياة الناس ، مما ينشأ فى ظل كل عضو من اعضاء المجتمع .

ومعنى هذا ان ثقافة الأمة تتسع لكل ما ابدعته عبقريتها خلال مراحل التاريخ التي مرت بها منذ بدأت تعيش حياة متحضرة على وجه الارض حتى الوقت الحاضر . يتضح من هذا التعريف ، ان الثقافة تتضمن عناصر معنوية كما تتضمن عناصر

اما الثقافة فهي اذا ضاعت فسيترتب عليها
ضياع الجماعة نفسها . وهذا ما فعله الشعب
الجزائري في ثورة الفاتح من نوفمبر سنة 1954 .
فقد ضحى شعبنا بكل سخاء وكرم بمليون ونصف
مليون من خيرة ابنائه في ساحات الجهاد المقدس
دفاعا عن شخصيته القومية - بكل مقوماتها
الاساسية .

هذا بالاضافة الى محاولة استرجاع سيادته
الوطنية المغتصبة . فهؤلاء الشهداء الابرار الذين
سقطوا في ثورة الفاتح نوفمبر المجيدة يمكن
تعويضهم . كما انهم افراد زائلون مهما طال
عمرهم . اما التراث الثقافي الذي تتكون منه
شخصية الشعب الجزائري القومية وكيان الوطن
الجزائري الذاتي فهو الباقي وهو الخالد . وهو
المستمر . ما استمرت الحياة على وجه الارض .

دور المدرسة في المحافظة على الثقافة القومية :

والثقافة القومية او التراث القومي ، لا يمكن
المحافظة عليها الا بوسيلتين :

الوسيلة الاولى هي العلم بها .

والوسيلة الثانية هي تعليمها . للجيل الناشئة
من ابناء الامة . وكلتا الوظيفتين العلم بالثقافة .
وتعليمها تدخلان في نطاق التربية .

ومن هنا كانت خطورة المدرسة في المجتمع -
فهى التى تعد الاطفال الصغار لان يكونوا افرادا
صالحين فى مجتمعهم عن طريق تزويدهم بالثقافة
القومية - وهى التى تعمل على ادماجهم فى مجتمعهم
عن طريق تطبيعهم بالطابع الاجتماعى لآمتهم .
ولذلك كانت الوظيفة الاساسية للمدرسة فى
جميع المجتمعات الانسانية هى المحافظة على التراث
الثقافى للمجتمع . فالمدرسة هى التى تعلم لغة
الامة ، وتاريخها وآدابها ، وعلومها ، وفنونها ،
وعاداتها ، وتقاليدها . لآبناء الامة منذ نعومة
أظفارهم الى ان يشبوا عن الطوق .

والمدرسة هى التى تغرس فى نفوس الاطفال
الصغار ، حب هذا التراث الثقافى والتمسك به ،
والاعتزاز به ، وبهذه الطريقة ، يبقى للجماعة
الانسانية كيانها وتماسكها ، وشخصيتها المتميزة
بها عن بقية المجتمعات الانسانية الاخرى .

ومن المعلوم ان تراثنا الثقافى الذى تقوم على
اساسه علاقاتنا الاجتماعية هو عبارة عن ديننا
ولغتنا ، وآدابنا ، وفلسفتنا ، أى هو كل ما
يجعلنا نعرف انفسنا على حقيقتها ونعرف حريتنا
وانسانيتنا ، ونرى من اجله الحياة جديرة بأن
نحياها ، وهو من اهم مكونات شخصيتنا ، وانما
ثقافتنا ، وتحديد معالم ذاتيتنا بين الامم .

فالحاضر هو حصيلة الماضى ، وليس هناك
حاضر مهما بلغت درجته من الحضارة والرقى
والعمران والازدهار ، من غير ماضى يقوم عليه لان
البناء الثقافى لا يقوم فى الفراغ ولكن لا بد له من
اساس يرتكز عليه وتراثنا العربى الاسلامى الذى
ارتبطنا به فكرا وعقيدة ، وثقافة ، وتاريخا يحتم
علينا ان تكون لغة الثقافة التى نتعلم بها هذا
التراث هى اللغة التى تبقى على هذا التراث
وتحافظ عليه ، وتعمل على نشره وازدهاره بين
ابنائنا وبناتنا واعنى بها اللغة العربية .

**ان هذا التراث العربى الاسلامى الضخم هو
الذى كرس له ابن باديس فى بداية نهضتنا
المعاصرة قبل الحرب العالمية الاولى حياته العاصرة
للمحافظة عليه من عوامل الهدم والتخريب من
ناحية ثم فى محاولة احيائه وبعثه بعثا جديدا
يناسب الحياة العصرية والتطور العالمى من ناحية
اخرى .**

وهناك ملاحظة هامة ينبغى التنبيه اليها فى هذا
الصدد الا وهى ان الثقافة القومية او التراث
القومى هى عملية هامة جدا بالنسبة للعملية
التربوية فى المدرسة . اذ من المعروف ان العملية

التربوية في المدرسة تقوم على عاملين اساسيين هما :

اولا : الطفل البشرى مع عجزه وجهله الاجتماعيين من ناحية .

ثانيا : الثقافة التى تسود الحياة الاجتماعية للمجتمع الذى يولد فيه هذا الطفل البشرى وينشأ بين احضانه من ناحية أخرى .

فالثقافة تكيف الفرد الانسانى على اساس النموذج السائد فيها ولذلك فان الطفل الذى ينشأ مثلا فى مجتمع عربى أو متعرب لا بد ان يتطبع ويتخلق بالاخلاق العربية والطفل الذى ينشأ فى مجتمع فرنسى أو متفرنس ، لابد ان يتطبع ويتخلق بالاخلاق الفرنسية وهكذا . ولذلك ينبغي العمل على سرعة تعريب التعليم وتعريب المحيط الاجتماعى فى بلادنا كى نساعد ابناءنا على التخلق باخلاقنا وطباعنا .

فالثقافة .. هى كما قلنا منذ قليل وسيلة التربية الاساسية لادماج الافراد فى مجتمعاتهم وتطبيعهم بالطابع الاجتماعى المميز لكل منهم ولذلك تحرص الامم الواعية على العناية بثقافتها القومية ، ومن بينها اللغة القومية ، والتاريخ القومى ، والجغرافيا الوطنية والآداب القومية . فتعمل على غرسها فى نفوس ابناءها منذ المراحل الاولى من عمرهم حتى يشبوا على الولاء لمجتمعهم ، والحب لوطنهم ، والتفانى فى خدمة امتهم ، والدود عنها ضد كل عدوان يقع عليها .

فالانسان لا يمكن ان يحب وطنه حبا حقيقيا الا اذا عرفه معرفة جيدة ، فى ثقافته الخاصة ، وفى لغته القومية ، وفى جغرافيته وتاريخه وحضارته وكذلك موقعه الاستراتيجى بين اوطان الشعوب والامم الاخرى .

تحديد الشخصية القومية :

والآن أنتقل الى الحديث عن العنصر الثانى وهو « الشخصية القومية » فما هى هذه الشخصية ؟ وما هى مقوماتها الاساسية ؟ وما هو دور التربية فى المحافظة عليها والعمل على ازدهارها ؟

تعتبر الشخصية من ابرز الميزات الانسانية واشدها تعقيدا ، ويعرفها علماء التربية وعلم النفس بأنها « مجموعة الصفات والخصائص الجسمية ، والعقلية ، والخلقية ، والنفسية ، والوجدانية والمزاجية ، التى يتصف بها الانسان على المستوى الفردى وكذلك على المستوى الاجتماعى ، وتميزه عن غيره من الناس أو من الشعوب الاخرى » ومعنى هذا ان « الشخصية » هى جماع ما لدى الانسان من صفات جسمية ، وصفات عقلية ، وصفات خلقية ، وصفات نفسية ومزاجية ، سواء كانت موروثه عن الآباء والاجداد أو مكتسبة من البيئة المحلية .

وقد اختلف علماء النفس اختلافا كبيرا فى امر تحليل الشخصية الى اصولها وعواملها .. ويرون ان افضل وسيلة لفهم الشخصية هى ان تدرس على اساس ظاهرها فى سلوك الافراد وكذلك فى سلوك المجتمع ، فكرا ، وقولا ، وعملا .

والملاحظ ان معنى الشخصية قريب جدا فى مدلوله العام من معنى الاخلاق فكلتاها أى الشخصية والاخلاق تدلان على معنى سلوك الانسان .

وعلى هذا فان شخصية الشعب الجزائرى القومية مثلا هى عبارة عن مجموع الخصائص العقلية ، والخلقية ، والنفسية ، والمزاجية التى تظهر فى سلوك افراد الشعب الجزائرى بمجموعهم وتميزهم عن غيرهم من افراد الشعوب الاخرى . يقول الدكتور نقولا زيادة فى تحديد شخصية الامة العربية فى كتابه « العروبة فى ميزان

القومية » يقول : « نحن امة لاننا وحدة روحية ، لنا بلاد نقطنها ، وتاريخ نرجع اليه ، ولغة حية نتكلمها ، وادب نستعذبه ، وذكريات نتغنى بها وآمال مشتركة نصبو الى تحقيقها ، ومثل عليا متفقة نسعى اليها ، وقوة نبذلها في سبيل آمالنا ومثلنا ، وارادة تحملنا على السير في سبيل الوصول الى ما نؤمل » .

مقومات الشخصية القومية :

اما مقومات الشخصية القومية فان معظم الباحثين الاجتماعيين يتفقون على ان اهم المقومات الاساسية لكل شخصية قومية هي اربعة عوامل رئيسية نلخصها في العوامل الآتية :

1 - اللغة المشتركة .

2 - التاريخ المشترك .

3 - الثقافة القومية المشتركة .

4 - الوطن المشترك .

ويلاحظ ان اللغة القومية المشتركة تعتبر من أوثق الروابط القومية بين افراد الشعب الواحد ، وذلك لسببين جوهريين :

السبب الاول : هو ان استعمال لغة قومية واحدة هو ادعى الى التقارب والتفاهم والانسجام بين ابناء الامة الواحدة وصهرهم جميعا في بوتقة فكرية واجتماعية واحدة ، وهذا ما نلاحظه في بلادنا في المدن بالذات حيث تنعدم الوحدة الفكرية بين المثقفين الجزائريين بسبب الاختلاف في لغة الثقافة فاحدى اللغتين عربية - والاخرى فرنسية . وبالتالي تنعدم وحدة النظرة والحكم على الاشياء لديهم في بعض الاحيان .

ولعل قائلا يقول : ان دولة مثل سويسرا توجد فيها اربع لغات رسمية وهي الالمانية والفرنسية والايطالية ولغة رابعة سويسرية محلية ، ومع ذلك فان شعب سويسرا يكون امة واحدة ، وقومية

واحدة . ونفس الشيء يصدق على بلاد مثل كندا التي لها لغتان رسميتان : فرنسية وانجليزية ، وبلجيكا التي لها لغتان كذلك وجمهورية الهند التي لها مجموعة لغات وطنية وكلها رسمية . في الادارة كل ولاياتها تسير امورها وشؤونها في الادارة والتعليم بلغتها الخاصة .. والجواب عن هذا التساؤل هو ان الروابط القومية في الدول المذكورة ذات اللغات المتعددة كانت تكون اقوى وامتن واصلب عودا لو كانت لها لغة قومية واحدة . والدليل على ذلك هو هذه الاضطرابات السياسية والدموية التي تنشب في بعض الاحيان في الهند وبلجيكا وكندا ، بسبب تعصب كل مجموعة من السكان الى لغتها الخاصة ضد لغات المجموعات الاخرى .

اما السبب الثاني : الذي يجعل اللغة القومية المشتركة تعتبر من اوثق الروابط القومية بين افراد الشعب الواحد ، فهو ان اللغة القومية هي في الحقيقة والواقع مستودع ثقافة الامة ، وتراثها الاجتماعي ، ولذلك كانت الاداة الرئيسية لنشر الثقافة المشتركة في صفوف ابنائها .

ولا شك ان الثقافة المشتركة التي تشيع في صفوف ابناء الشعب الواحد هي من اكبر العوامل على بناء الكيان القومي لذلك الشعب . وبقدر ما يكون هذا العامل راسخا في النفوس ومستوليا على الحياة الاجتماعية والفكرية لابناء ذلك الشعب بقدر ما يكون الشعب قد اندمج في قومية واحدة قوية راسخة من هنا كانت اهمية اللغة الواحدة أو اللغة المشتركة ومما يدل على خطورة اللعبة في حياة الشعوب وتكوين الامم ما نلاحظه في تكوين الامة الامريكية في العصر الحديث ، فقد كان للغة الانجليزية التي شاع استعمالها في الولايات المتحدة منذ القرن السابع عشر الميلادي الدور الاكبر في صهر الامة الامريكية في قومية واحدة

مع ان الامة الامريكية تتركب من جنسيات مختلفة هاجرت اليها منذ اكتشاف القارة الامريكية وهي جنسيات من معظم دول اوربا واقريقيا والشرق الاقصى ما بين ايطالية وفرنسية ، واسبانية ، والمانيّة ، ورنجية وصينية ويابانية وغيرها من الاجناس الاخرى . غير ان انتشار اللغة الانجليزية بين سكان امريكا وتغلب هذه اللغة على بقية اللغات الاوربية والافريقية والهندية الاخرى طبع هؤلاء السكان بطابع واحد ، وصهرهم جميعا فى بوتقة اجتماعية وثقافية واحدة نشأت عنها الامة الامريكية الواحدة . والقومية الامريكية المشتركة . التى اصيحت اليوم تمثل القوة الدولية الاولى فى العالم بلا منازع .

دور اللغة القومية :

ولذلك فان كل امة تتمسك بلغتها القومية . وتعمل على المحافظة عليها انما تعمل فى الواقع على المحافظة على اهم مقوم من مقومات شخصيتها ، ويكون هذا العمل منها دليلا على بقائها حية بين الامم حتى وان اضاعت استقلالها السياسى والدليل على ذلك هو الجزائر . فقد بقيت الجزائر عربية مسلمة رغم ما تعرضت له من محن ، واضطهاد ، وتنكيل . من الاستعمار الفرنسى طيلة 132 سنة . وبالرغم من ان الجزائر قد اضاعت استقلالها السياسى فى عام 1830 نتيجة للاحتلال الفرنسى . فقد بقيت عربية مسلمة لانها حافظت على اللغة العربية ، وتمسكت بها . كما حافظت على الاسلام وتمسكت به وذلك بصمودها فى وجه سياسة الفرنسة . والتنصير . والاندماج والتجنيس التى سلطها الاستعمار الفرنسى عليها وبذلك حافظت على شخصيتها القومية وبالتالى بقيت الجزائر فى عهد الاحتلال هى هى الجزائر التى كانت قائمة قبل الاحتلال قطر عربى مسلم له شخصيته الخاصة وكيانه الخاص به بين مختلف اقطار العالم . ولم

يستطع الاستعمار الفرنسى ان يذيبها فى كيانه العام .

ان اللغة القومية : هى بمثابة الوعاء الذى تتشكل به ، وتحفظ فيه ، وتنقل بواسطته افكار الشعب ، وعاداته ، وتقاليده ، وروحه ، وطموحه . من جيل الى جيل من السلف الى الخلف الى ان يرث الله الارض ومن عليها . فقلب الشعب انما ينبض حقا وصدقا فى لغته القومية . وروح الشعب انما تكمن حقا وصدقا فى لغة الآباء والاجداد ، ومن هنا فان كل امة تنبذ لغتها القومية . او تهانوا بشأنها . وتصطنع لغة غيرها فى حياتها العامة او الخاصة ، الا وتفقد شيئا فشيئا حياتها وكيانها حتى تذوب فى نهاية الامر فى كيان الامة التى اقتبست لغتها شعرت بذلك ام لم تشعر لان هذه سنة من سنن العمران وهى كذلك سنة من سنن الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا .

ولعل هذا ما يفسر لنا ظاهرة السياسة الاستعمارية تجاه البلدان المغلوبة على امرها حيث يبادر المستعمرون منذ البداية الى توجيه سهامهم المسمومة الى لغة وثقافة الشعوب التى تقس تحت سيطرتهم حتى يعمتوا فيها كل شعور بالعزة والكرامة والشخصية القومية كى يلحقوها بهم الحاقا .

فرنسا اقامت جهازها التربوى فى الجزائر

من اجل القضاء على اللغة العربية .

لعله ليس غريبا عليكم ان فرنسا قد ركزت سياستها فى الجزائر منذ بداية احتلالها على طعن الشخصية القومية للشعب الجزائرى فى لغتها القومية وهى اللغة العربية أولا - ثم بعد ذلك وجهت طعناتها الواحدة بعد الاخرى الى تراثه الثقافى والحضارى . حتى تفوق عملية البعث القومى للشعب الجزائرى التى يمكن ان تنهض فى يوم من الايام . ومن هنا يتضح لنا لماذا اقامت

خطوة من خطوات الكفاح الوطني في الجزائر كان التعليم والعمل على نشره ، والمطالبة بتوفيره للجزائريين يبرز في المقدمة كسلاح ينشر الوعي القومي بين الجزائريين ، ويدعم قوة الشعب ويكتل قواه ، ولذلك يمكننا القول بكل ثقة بأن مقاومة الاستعمار سياسيا كانت تسير جنباً الى جنب مع العمل على نشر التعليم والمطالبة بأن تصبح اللغة العربية لغة رسمية في المدارس والمعاهد على اختلافها .

وابتداء من عام 1930 أى بعد احتفال فرنسا بمرور قرن على احتلالها للجزائر بدأ ايمان المواطنين الجزائريين يزداد بأهمية التعليم القومي كواجب قومي يجب ان ينهض به الشعب من ناحية التمويل ، وتنهض به المنظمات الوطنية من ناحية التنظيم والتوجيه ، ووضع الخطط والبرامج ، حتى تتحطم سياسة الفرنسة من الاساس ، وهذا ما يفسر لنا نهضة التعليم العربي الحر منذ الثلاثينيات واحتضان الشعب كله لمعاهده ، ورجاله ، ومنظماته ، رغم الحرب الضارية التي شنتها فرنسا على التعليم العربي وعلى القائمين به كما تعرفون .

وكان من الطبيعي ان تتولد عن هذه الحركة التربوية الشعبية نهضة واسعة في المعارف ، والافكار ، كان من نتائجها نمو الوعي القومي عند الجزائريين نموا عظيما مضطربا . كما تولد عنها اعتزاز كبير بالشخصية القومية ، والتراث الثقافي العربي الاسلامي وكانت السياسة والتربية القومية بصفة عامة تخوضان معا معركة الحرية والاستقلال والمحافظة على الشخصية القومية في وجه المحتل الغاصب . منذ نهاية الحرب العالمية الاولى حتى اندلاع ثورة الفاتح نوفمبر سنة 1954 .

وليس من الغرابة في شيء ان يتعلق الشعب الجزائري هذا التعلق الكبير بلغته القومية فلسفة الشعب هي رمز رقيه ، وهي عنوان حضارته ، بل هي الدليل على وجوده شعبا حيا بين الشعوب الحية ، لذلك فان مصير كل شعب مرهون بمصير

فرنسا كل جهازها التربوي في الجزائر ، على اساس القضاء على اللغة العربية وكذلك القضاء على الثقافة العربية الاسلامية بقصد اماتتهما معا ، حتى تتكون الاجيال الجزائرية الناشئة تكوينا مشوها وممسوخا وبالتالي تنشأ تلك الاجيال بلا اصالة ولا عمق ، لانهم يجهلون لغة امتهم وتاريخ وطنهم . وثقافة شعبهم .

وهذا ما يفسر لنا سياسة مطاردة اللغة العربية من سائر الادارات الجزائرية ثم من سائر معاهد التعليم على اختلاف انواعها في ايام الاحتلال ثم في محاولات التشويه والمسخ التي قام بها المبشرون والمستشرقون للثقافة العربية في الجزائر وهم كما تعلمون طلائع الاستعمار الاوربي في البلاد العربية والاسلامية ومنها الجزائر .

ومن الملحوظ في التاريخ المعاصر ومنه تاريخ الجزائر . ان القوميات المهورة مثل القومية العربية في الجزائر بعد الاحتلال الفرنسي ومثل القومية الالمانية بعد احتلال نابليون بونابرت لالمانيا في القرن الثامن عشر انها تركز نشاطها وعملها تركيزا كبيرا على النضال الثقافي من اجل البقاء وهذا ما قام به الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله ابتداء من عام 1913 ثم قامت به جمعية العلماء بعد تكوينها في عام 1931 برئاسة ابن باديس حيث اتجه ابن باديس ثم جمعية العلماء كما اتجه الالمان من قبل ذلك بقيادة الفيلسوف الالمانى فيخته في القرن التاسع عشر الى النضال في الميدان الثقافي بدل النضال في الميدان السياسى حتى لا تضيع الثقافة القومية ، واللغة القومية . وبالتالي تنهار الشخصية القومية للشعب الجزائري والشعب الالمانى .

اقتران الكفاح السياسى بالعمل على نشر التعليم .

هناك ظاهرة هامة يلحظها الباحث في التاريخ الجزائري الحديث وهي اقتران الكفاح الوطنى من اجل الحرية والاستقلال ابتداء من نهاية الحرب العالمية الاولى بالعمل على نشر التعليم ففى كل

لغته القومية قوة وضعفا ، رقيا وانحطاطا ، حياة وموتا ، هذا قانون من قوانين الاجتماع وال عمران كما يقول ابن خلدون . قد صدقته الاحداث طوال مراحل التاريخ . ومن هنا نصل الى قضية تربوية هامة جدا وهى : ان تربية الاطفال الصغار باللغة الاجنبية ، وتعويدهم على التحدث بها كما هو الحال فى الجزائر فى الوقت الحاضر مع الاسف الشديد يجعلهم اطفالا جزائريين من ناحية جنسهم ولكنهم اجانب من ناحية فكرهم ، وعاطفتهم . ولغة ثقافتهم وهذا اخطر ما فى الامر وهنا تبدو خطورة التعليم باللغة الاجنبية وحدها او معها اللغة القومية ولكن بشكل ضعيف وهزيل . فاللغة كما يقول علماء التربية وعلماء الاجتماع « تكون الناس اكثر مما يكونها الناس . وتصنع العقول والافكار اكثر مما تصنعها العقول والافكار » .

يقول المربي الانجليزى نيقولا هانز . فى كتابه « التربية المقارنة » شارحا خطورة التعليم باللغة الاجنبية على كيان الاطفال وشخصياتهم يقول « هناك فوضى كثيرة تحدث لأولئك الذين يستخدمون اللغة الاجنبية كأداة للتعليم فى مدارسهم بدل لغتهم القومية . فقبل الالتحاق بالمدرسة يكون الاطفال قد ملكوا ناصية الحديث بلغتهم الاصلية . ويكونون قد كونوا حصيلة لغوية تغطي معظم موضوعات الانطباعات الحسية ، وجوه النشاط اليومي - ثم عليهم فى المدرسة ان يصيغوا الى هذا الاساس اللغوى الذى يغطي وجوه النشاط الحسى يضيفون اليه لغة الافكار والعلاقات المجردة معبرا عنها جميعا بلغة اجنبية . فعقولهم حينئذ تصبح منقسمة الى قسمين منفصلين تمام الانفصال احدهما للاشياء العادية والاعمال التى يعبر عنها باللغة الاصلية او اللغة الوطنية او لغة الام . والاسرة . والثانى : للاشياء التى ترتبط بالمواد الدراسية فى المدرسة وبالعالم الافكار المعبر عنها بلغة اجنبية ونتيجة لذلك ، كما يقول هذا المربي - فان هؤلاء الاطفال يعجزون عن التحدث

عن شؤونهم العائلية بلغة المدرسة . كما يعجزون فى نفس الوقت عن التحدث عن المواد التى تعلموها فى المدرسة بلغتهم الاصلية . وهذا ما يطلق عليه السيد نيقولا هانز اسم « العقل المبلبل » أى العقول المضطربة المبلبله ومعنى هذا بمباراة اوضح ان شخصية هؤلاء الاطفال الذين يتعلمون بلغة اجنبية عنهم سوف تتكون تكوينا قلقا مضطربا ، ومبلبلا وبذلك يكونون ضحية الازدواج اللغوى الذى سيطرت فيه اللغة الاجنبية على اللغة القومية الحيوية التى تدرس بها . وما يدل على خطورة اللغة فى حياة الشعوب انها العامل الاساسى فى قيام وحدتها على اسس صلبة قوية . فقد وجدت على سبيل المثال لا الحصر ، اللغة الالمانية فى اواخر القرن التاسع عشر بين الالمان بعد ان كانت المانيا منقسمة الى 360 دويلة صغيرة ضعيفة . ووحدت اللغة الايطالية بين سكان ايطاليا وجعلتهم دولة واحدة بعد ان كانوا عددا كبيرا من الدويلات الصغيرة الضعيفة .

وعلى اساس اللغة المشتركة استقلت دولة بولوتيا . ووحدت اقطارها الثلاثة التى كانت من قبل تحت سيطرة روسيا ومانيا-والنمسا . وانفصلت هولاندة عن بلجيكا على اساس اللغة كما انفصلت البلاد العربية بعد الحرب العالمية الاولى عن تركيا بسبب الاختلاف فى اللغة مع ان الدين الاسلامى يجمع بين العرب والأتراك مما يدل على خطورة اللغة فى شخصيات الشعوب وكيانها القومى .

سواء فى الزمان المحدد لها أو فى المواد العلمية ويحدثنا تاريخ اوربا منذ فجر عصر النهضة ان هناك العشرات من الشعوب قد انفصلت عن غيرها وتجمعت مع بعضها بعضا على اساس من اللغة المشتركة .

ولقد كانت اللغة العربية فى الجزائر طوال فترة الاحتلال المظلمة هى المشعل الذى ينير لانباء الشعب الجزائرى طريق الجهاد المقدس ضد فرنسا .

ويثير في نفوسهم البطولات الرائعة التي تدفعهم للعمل من أجل التحرر من رقبة الاستعمار الفرنسي ، وتلهب في نفوسهم الروح الوطنية والثورية ، وتوحد اهدافهم وافكارهم وشعورهم ، وتعبر عن طموحهم اصدق تعبير . ولازلنا جميعا ننفلعل بكلمات تشيد شعب الجزائر مسلم ، والى العروبة ينتسب وبكلمات تشيد من جبالنا طلع صوت الاحرار ينادنا للاستقلال الى آخر الاناشيد الوطنية التي كانت تلهب الحماس والوطنية في نفوس الكبار والصغار معا حتى ولو لم يفهموا معانيها تمام الفهم وتدفعهم الى التضحية بالنفس والنفيس من اجل الحرية .

مكانة اللغة العربية في حفظ كيان الامة العربية

فاذا التفطنا الى دور اللغة العربية في حفظ شخصية الامة العربية وكيانها الذاتى فاننا نجد ان اللغة العربية كانت وما تزال وستبقى حافظة التراث العربى الاسلامى ، ومحتضنة الشعور العربى فى سائر اقطار الامة العربية - فاللغة العربية هى التى ابقت على عروبة كثير من الاقطار العربية ومن بينها الجزائر . وعن طريق عنصر اللغة ترتبط اكثر العناصر الاخرى الهامة بالقومية العربية ، فالتاريخ المشترك الذى يجمع بين ابناء الامة العربية تراث حضارى ثقافى تلعب فيه اللغة العربية الدور الاكبر .

والدين الاسلامى هو قبل كل شىء القرآن الكريم ، وهو كتاب اللغة العربية الاكبر ، وقد جعلت معجزة هذا الدين الكبرى « القرآن » الكريم بل ان ارادة الحياة المشتركة التى تجمع بين ابناء الامة العربية اليوم يفذيها قبل كل شىء آخر ارتباطهم بلغة واحدة هى اللغة العربية . والشعور الحى الذائع فى قلوب ابناء الامة العربية هو شعورهم بالانتساب الى حضارة مشتركة هى حضارة اللغة العربية . لذلك كانت اللغة العربية وما تزال لها أهمية فى حياة الشعوب العربية .

اللغة صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها

هناك ملاحظة هامة ينبغى التذكير بها دائما

وباستمرار وهى « ان اللغة كما يقول علماء التربية وعلماء الاجتماع ليست مجرد وسيلة لا يصلح الافكار بين المتكلمين بها فقط بحيث يستطيع الانسان ان يستبدل لغة بلغة اخرى كما يغير مثلا وسائل المواصلات التى يستعملها فى تنقلاته العامة او يغير نوع ملابسه وانما اللغة وظيفة اجتماعية عبر عنها احد المربين بقوله « ان وظيفة اللغة ليست مجرد وسيلة للتفاهم او للتوصيل ، بل وظيفة اللغة هى انها حلقة فى سلسلة النشاط الانسانى المنتظم هى انها جزء من السلوك الانسانى انها ضرب من العمل وليست اداة عاكسة للفكر فقط » يقول الفيلسوف الالماني « فيخته » ان الذين يتكلمون بلغة واحدة يكونون كلا موحدا ربطته الطبيعة بروابط متينة وان كانت غير مرئية » ومن هنا كانت لغة الامة هى الهدف الرئيسى لمحاربة المستعمرين الطامعين فى استعباد الشعوب ومحاولة السيطرة عليها .

يقول الاستاذ مصطفى صادق الرافعى فى كتابه وحى القلم (ج 3 ص 36 - 37) تحت عنوان لغة الامة هى الهدف الاول للاستعمار ، يقول : « واما اللغة فهى صورة وجود الامة بأفكارها ومعانيها ، وحقائق نفوسها وجودا متميزا قائما بخصائصه فهى قومية الفكر تتحد بها الامة فى صور التفكير واساليب اخذ المعنى من المادة » ثم يقول « لا جرم ، كانت لغة الامة هى الهدف الاول للمستعمرين فلن يتحول الشعب اول ما يتحول الا من لغته ، اذ يكون منشأ التحول من افكاره وعواطفه وآماله وهو اذا انقطع من نسب لغته ، انقطع من نسب ماضيه ، ورجعت قوميته صورة محفوظة فى التاريخ ، لا صورة محققة فى وجوده . فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر ، حتى ان ابناء الاب الواحد لو اختلفت السننهم فنشأ منهم ناشئ على لغة ونشأ الثانى على اخرى ، والثالث على لغة تالفة لكانوا فى العاطفة كابناء ثلاثة آباء . وما ذلت لغة شعب الا ذل . ولا انحطت الا كان امره فى ذهاب وادبار .

الصراع

بين

العربية

و

الفرنسية

في الجزائر قبل الثورة

يعود الصراع بين العربية ، وهي لغة الجزائريين الوطنية وبين الفرنسية ، وهي لغة دخيلة اكتسحت نفوس بعض الجزائريين وتسربت اليهم عن طريق الاستعمار السياسي للجزائر من قبل الفرنسيين الى نحو قرن ونصف من الزمان . ونحن حين نستنطق التاريخ ، ونستفسر بعض ما بقي لنا من آثاره وذكرياته ، يجيبنا بأن العربية كانت هي اللغة الرسمية للدولة الجزائرية والشعب الجزائري معا ، قبيل الاحتلال الفرنسي . ومن آيتنا على ذلك ان الامير عبدالقادر ، وهو رئيس هذه الدولة ايام حرب المقاومة اثناء القرن الماضي ، كان عربيا ، بل لم يكن عربيا فحسب ، ولكنه كان شاعرا واديبا حفظت لنا الايام كثيرا من قصائده الشعرية التي ان لم تكن في ذرى الفنون الشعرية فانها تدل بحق على روح عربي صاف ، وعلى عواطف انسانية رفيعة .

وانما كانوا يفعلون ذلك مع المتجسدة ممن لم يكن لهم دين سماوى .

واذن ، فانما كان دور العرب المسلمين ، فيما فتحو من اقطار ، دورا تمدينيا وتهذيبيا . كما أن نشر اللغة العربية لم يتم عن طريق تعدد محو اللغات التى كانت سائدة قبل الفتح ، وانما تم فى معظم الاحوال ، عن طريق التمازج التام بالسكان ، والتزوج منهم ، وعدم الترفع عنهم فى الحياة اليومية الاجتماعية . (I)

على حين انك ترى الدول الغربية المستعمرة فى العصر الحديث ، تسلطت على شعوب أخرى فاحتلتها ، واكتسحتها بقوة العدد والعدد ، واستولت على أرزاقها واقتصادها وخيراتنا ، فافقرتها وحرمتها ، وجهلتها وأخرتها . وإن وقع فى بعض الحالات ، تمدين أو تحضير ، فانما كان على حساب محو التاريخ الوطنى، ومسح الشخصية الاصلية ، وطمس الحضارة القومية وهدم أركانها . كما كان يحدث بالقياس الى الاطفال الجزائريين الذين كانوا يتعلمون فى المدارس الفرنسية فان هذه المدارس الفرنسية ، كانت تعلمهم مع الفرنسيين تعليما فرنسيا محضا :

وفكرة الصراع بين لغتين : لغة غازية ، ولغة مغزوة ، ليس مما يخلو فيه الحديث ، اذا اعتبرنا انها فكرة معروفة فى التاريخ السياسى ، والتاريخ الادبى جميعا . فليس الفرنسيون وحدهم هم الذين محوا لغات الشعوب التى استعمروها واستبدوا بسيادتها بقوة الحديد ، ولكن معظم الدول الأخرى - ان لم أقل جميعها - القديمة والحديثة فعلت ذلك ايضا . وفى طليعة أولئك العرب .

وعلى اننا لا نملك الا ان نخرج العرب من قائمة المستعمرين ، سواء علينا أراد ذلك مؤرخو الغرب أم لم يريدوا ، لأن التاريخ أصدق منهم ، ولأن الحق أفصح من كتاباتهم التى كثيرا ما تزوغ عن قصد السبيل حين يتناولون مسألة من مسائل التاريخ الإسلامى ، أو قضية من قضايا الفكر العربى بوجه عام . اقول : لا نملك الا ان نقرر بان العرب كانوا فاتحين ، ولكنهم كانوا ناشرين للحضارة الروحية التى كانت تتمثل فى الاسلام ومبادئه السمحة ، فى ذلك الحين . فلم يكن العرب يرغمون المتسحرة ، ولا المتهودة ، على الاسلام ، أو يحضونهم عليه ويفرونهم باعتناقه .

وان كنا ننادى بالغناء تعليم الفرنسية من المدارس الابتدائية الغاء تاما ، والابقاء عليها في المدارس الثانوية والجامعات فقط .

وكان الفرنسيون : سواء منهم من كانوا عمالا بسطاء ، أم موظفين في الشرطة ، أم موظفين في ادارات حكومية أخرى ، كثيرا ما يندهشون ويلم عليهم ما يشبه الذهول ، حين كانوا يتصلون بالجزائريين فيجدون معظمهم لا يتحدثون الفرنسية لانهم لا يتقنونها . فقد كان يبدو للباحث الاجتماعي ، أو الباحث في علم النفس الاجتماعي للشعوب ، وهو يشاهد هذه الظاهرة المذهلة ، ان أمل كثير من مستعمري الفرنسيين قد خاب ، وان خططهم قد فشلت ، وان خطواتهم قد شلت فأصبحوا من الخاسرين . والا فكيف يمضي قرن على وجود هذا الاستعمار في الجزائر . حتى اذا يم مواطن جزائري الربوع الفرنسية طلبا للعمل ، لم يجد جملة واحدة صحيحة يحدث بها الفرنسيين في المعامل والمتاجر والشوارع ، والحال انه كان يحمل الجنسية الفرنسية ؟

ومن أغرب ما رأيت من الفرنسيين ، اني لما كنت طالبا بفاس في مطلع النصف الثاني من هذا القرن ، مرض احد الطلاب الجزائريين منا ، فارتأينا ادخاله المستشفى . فلما قصدنا ادارة البلدية لملء استمارة معلومات ، اتفق ان كان رئيس مكتب تلك الادارة فرنسيا ، فانشأ يسائل الطالب المريض الذي كان لا يفهم من الفرنسية شيئا ، فغضب الموظف الفرنسي غضبا شديدا وقال لنا في امتعاض مر :

— ما رأيت عجباً عجاباً كالذي ؟ اجزائري ولا يتكلم الفرنسية ؟ انه يخيل الى ان هذا جاسوس متستر بستار الجنسية الفرنسية ليس غير . والا فكيف يعقل ان يكون جزائري على الارض وهو يجهل لفته ... ؟

وقد اجاب الطالب في شيء كثير من التحدي

يمجد الحضارة الفرنسية . ويدرس التاريخ الفرنسي ، ويمقت كل ما هو عربي . وهذا حق مبين لا يرتاب فيه الا من كان جاهلا بالامور الثقافية التي كانت سائدة في النصف الاول من هذا القرن في الجزائر .

لا غرو اذا رأينا الفرنسيين اول ما يفعلون ، بعد ان استقر بهم المقام بعض الاستقرار ، هو ان يبادروا الى محاولة محو الشخصية الجزائرية الاصلية عن طريق فرنسة الالسنه والعقول . ولكن هل وجد الفرنسيون في مهمتهم بعض السهولة واليسر ؟ ثم هل استطاعوا ان يقنعوا الجزائريين المخلصين بان اللغة الفرنسية هي اللغة التي ينبغي ان يتخذوها لهم لسانا ، او يصطنعوها حين الكتابة والتفكير ، أو يعتقدوا — الى جانب كل ذلك — انها لغة العلم والحياة ؟

وانا نزعم لانفسنا ان الاجابة على هذه الاسئلة مما يسهل علينا ، ومصدرنا في ذلك معاصرنا للاستعمار الفرنسي في الجزائر . والجواب : ان المستعمرين الفرنسيين كابدوا في ذلك كل عناء . فلم يكن غرس لغتهم في قلوب الجزائريين بالامر الهين عليهم . اذ كان الجزائريون أصلب الناس عودا ، وأشدهم عنادا ، وأكثرهم تمسكا بشخصيتهم التاريخية المريقة . ولم ينجح المستعمرون في بعض ذلك الا في المدن الكبرى . وفي العقود الاخيرة من وجودهم بوجه خاص . وذلك حين تقدمت الوسائل العلمية التي كانوا يصطنعونها لهذه الغاية اصطناعا .

ولسنا نتحدث عن اللغة الفرنسية بعد الاستقلال ، فقد كان لها دور تعليمي بحت . فلم يعد الجزائريون ينظرون اليها اليوم على انها لغة الغالبين المتسلطين المتعنتين ، وانما اصبحوا ينظرون اليها نظرة مجردة عن مثل هذه العواطف والاحقاد ، فاقبلوا على تعلمها باعتبارها احدى اللغات الحية الهامة . الى جانب اقبالهم على تعلم لغتهم العربية ، دون ان يجدوا في ذلك شيئا كثيرا من التناقض والياس .

والاعتزاز ، بأن الفرنسية في الجزائر لا تكاد توجد الا في المدن ، حيث ان معظم السكان فيها فرنسيون . اما السواد الاعظم من الشعب الجزائري الذي يقطن البوادي والارياف في غالبيته ، فهو لا يعرف عن الفرنسية شيئا كثيرا . وانا الذي تراني ، وتحدثت معي ، احد اولئك الذين لا يفهمون الفرنسية فما تنكر من امرى ؟ فقد وجدت آيائي يتحدثون العربية فاننا اتحدثها ، كما اتنفس الهواء في الفضاء . وكما أشرب الى النور . وكما أحب الحرية . وكما أحرص على الحياة .

اني جزائري ، ولغتي عربية - بالرغم من أن القانون الدولي يعتبرني - ظلما - فرنسيا . ولكن القانون سواء كان دوليا أم محليا ، لا يعنى انه يحترم الحقائق الثابتة ويقوم عليها قايما . فكم من قانون كان جائرا ، وكم من قانون جر على الانسانية كثيرا من الشقاء والآلام . وكم من قانون حرم الانسان من التعليم . بل كم من قانون حظر عليه الجبز والماء ، وهما قوام الحياة للبدن .. ولكن المترجم كان لبقا . فلم ينقل كل كنه هذا الحديث الى الموظف الفرنسى الذى كان الحقد باديا على صفحات وجهه ، فكفى الطالب النائر المريض كثيرا من الاذى . ان هذه الحادثة النفسية تدلنا بوضوح على مدى العسر الذى كان المستعمرون من الفرنسيين يكابدونه فى نشر اللغة الفرنسية واحلالها محل العربية فى الجزائر .

واذن . فلم يستطع المستعمرون الفرنسيون ينجحون كل النجاح فى فرنسة العقول الجزائرية . ولكن ما شأن هؤلاء الكتاب الذين يكتبون باللغة الفرنسية وهم جزائريون ؟ اليس ذلك دليلا على توفيق المستعمرين فى غرس لغتهم فى قلوب الجزائريين ؟ ثم كيف اننا نجد كثيرا من الجزائريين يحسنون الحديث بهذه اللغة ؟ اما تحليل عدم نجاح الفرنسيين فى فرنسة الجزائريين نجاحا باهرا ، فلأن الامة الجزائرية

عريقة فى عروبتها ، اصيلة فى تاريخها . عنود فى اباتها ، شديدة التمسك بما تراه حقا . فلم يكن الجزائريون يوما ينظرون الى الفرنسية الا على انها لغة الاجانب . ثم ان احدا من عقلائهم ومفكرهم ، وعوامهم ايضا ، لم يكن يعتقد او يحاول ان يعتقد بأنه فرنسى من الفرنسيين . فقد كانوا يرون ذلك ، تلقائيا ، خيانة ليس من بعدها خيانة ، وائى خيانة أشجع من أن يتنكر المرء لاصله ، ويخرج عن دائرة جنسه ، ويهجر لغة قومه ؟

بل اننا نستطيع أن نذهب الى اكثر من ذلك . فنزعم بأن الامة الجزائرية كانت من الحصانة اللغوية والوطنية ، ما لم يكن من السهولة واليسر ان يؤثر فيها وجود الاستعمار ولو دام قرونا طويلة . ولا يعود ذلك الى عوامل نفسية صرفة . بل يعود ايضا الى الطبيعة والجغرافيا . فقد كانت كثير من القبائل العربية الجزائرية متحصنة وراء جبال شامخة . وبين انهار وواديان ، تعيش آمنة فى دينها ، مطمئنة فى نفسها ، لا تعرف عن الفرنسيين المستعمرين قليلا أو كثيرا . وكانت تقيم قراها تلك الحصينة ، وكأنها منفصلة عن ذلك الاطار العام الذى فرضه الاستعمار على الجزائريين فى المدن والخواضر فرضا .

ثم ماذا ؟

ان المستعمرين كانوا يزدردون الجزائريين ويحتقرونهم - واقول هذا لا للثلب ولكن للتاريخ - ودليلنا على هذا الازدراء ، انهم لم يؤسسوا لهم مدارس فى بواديهم وقراهم . ولم يجبروهم على التعليم ، بل لم يحثوهم عليه . ولكن الفرنسيين لم يربحوا من وراء هذا التجهيل شيئا . وخسروا كل ما كانوا يرمون اليه من ذلك . فهم خسروا من حيث ارادوا ان يربحوا ، واخفقوا من حيث ارادوا ان يوفقوا . لان الجزائريين حين حرموا من المدارس الرسمية العصرية . اقبلوا بابنائهم على الكتاتيب القرآنية ، ثم على المدارس العربية الحرة التى اسسها ابن باديس ونفر آخر من مخلصي الجزائريين

الوطنيين ، فانتسعت الشقة بين العربية والفرنسية ، وازداد الصراع بينهما واحتد احتدادا .

ولو فتح الفرنسيون مدارسهم في وجوه الجزائريين ، وعاملوهم معاملة ابنائهم ، فسكبوا عليهم المنح ، وساعدوهم بالتشجيعات المختلفة ، لكان لتاريخ اللغة العربية في الجزائر شأن غير هذا الذي كان لها .

ولم يكن ميسورا على الاستعمار ان يعلم الجزائريين جميعا لبعض هذه الاسباب :

1 - ان الاستعمار كان يحتقر الجزائريين ، ويراهم ، فيما يبدو ، ليسوا اهلا للتعليم .

2 - ان تعميم التعليم في جميع ربوع الجزائر بما فيها القرى النائية ، يسبقه تعبيد الطرقات ، وتهيئة جيش من المعلمين الكفاء أو غير الكفاء ، وهذا ما لم يكن الاستعمار متاهبا ليحتمل تبعته الثقيلة .

3 - ان اجبار الجزائريين على التعلم من جانب آخر ، كان يتطلب تخصيص ميزانية ضخمة لهذه الغاية ، ولم يك مثل هذا ميسورا للاستعمار الجشع ، لان معظم خيرات البلاد من مزارع ومعامل ومتاجر ضخمة ، وشركات عامة ، كانت تحت قبضة كمشة من المعمرين ، بحكم النظام الرأسمالي . فكانت خيرات الجزائر تتقاسمها السلطة الاستعمارية والمعمرين والشركات الاحتكارية بدون مراعاة لحقوق الشعب الذي جوع وجهل .

وقد رأينا ان الحكومة الجزائرية خصصت اليوم ما يقرب من مائة مليار فرنك قديم ، ولا يزال التعليم لم يشمل ابناء الجزائريين قاطبة .

وننتج عن ذلك نتائج ايجابية بالقياس الى الشعب الجزائري منها :

1 - ان الجزائريين ظلوا بمعزل في معظمهم عن الاحتكاك بالفرنسيين المستعمرين .

2 - ان الجزائريين ظلوا ، من اجل ذلك ، جاهلين بلغة الفرنسيين وحضارتهم ، فزادهم ذلك

تعلقا بالحضارة الاسلامية ومقوماتها الروحية السامية ، وتشبثا بلغتهم الوطنية .

3 - ان هذا الحرمان اقنع الجزائريين بان الاستعمار لا يريد لهم اى خير .

وأما ان هناك كتابا باللغة الفرنسية وهم جزائريون ، فهم بالرغم من انهم لم يكونوا يصطنعون غير هذه اللغة في التعبير عن آرائهم ، وافكارهم ، ونظراتهم الى الوجود ، ومذاهبهم في الحياة ، فان هذه الآراء في حد ذاتها لم تكن تعدم في كثير من عناصرها ، واصولها ، الروح الجزائرى النابض . فقد كان الذين يكتبون منهم عن الحياة في فرنسا مثلا ، يحثلون في ان يتحدثوا عن موضوع له صلة قوية ، أو ضعيفة بحياة الجزائريين هناك ، كما نجد في قصة « رصيف الازهار لم يعد يجيب » . اما الذى كان يعالج الحياة في القبائل الكبرى ، أو الحياة الجزائرية في غير القبائل من ارض الوطن ، فانك لا ريب تشعر وانت تقرأ ما كتب ، بان الشخصية الجزائرية تتجلى بقوة ووضوح في هذا الادب .

ولو نجح الفرنسيون في فرنسة العقول الجزائرية نجاحا كاملا ، لما راودت اى جزائرى منا فكرة العربية والعروبة ، ولما حن احد منا الى ما ضيه العظيم ، ولا الى تاريخه المشرق ، ولا الى اصله العريق ، ولا الى حضارته الفنية بالمقومات الروحية والانسانية والاخلاقية .

وعلى انى لا اريد ان اعطى لهذه الآداب الجزائرية التى كتبت بالفرنسية كل هذه الاهمية التى قد تدرك من بعض ما قررت ، وان اضعها في غير ما وضعت له ، فان رأيى في هذا الادب سىء جدا ، وقد اكون مخطئا فيما ارى ، وقد اكون قاسيا فيما احكم ، ولكننى لا اريد ان اكون منافقا في آرائى ، فاجهر بغير ما اخفى ، واظهر غير ما ابطن .

اليوم ، وهى انهم اقبلوا على محاربة العربية مع من يحاربها من الفرنسيين ، متهمين أهلها بالجمود ، رامين اصحابها بالقصور ، مسلطين عليهم كل وصمة ، وملحقين بهم كل عار وشنار .

والذى يتأمل هذا الامر ويسير أغواره ، يعذر هؤلاء القوم ... فهم ليسوا مذنبين من حيث انهم أقحموا فى مدارس فرنسية وهم أطفال لا يملكون من أمرهم شيئا ، فشرّبوا من اللبن هذه اللغة ، وتغذّوا بغذائها ، وألّوا بتاريخها ، وتشبعوا بأدائها . فهم اذن من هذه الوجهة معذورون .

ولكن العذر الذى التمسناه لهم ، لا يلبث ان يزول ، اذا ذكرنا انهم تنكروا للثقمة ، وحكموا عليها بالقصور والجمود وهم لها جاهلون . ومن الخطا العظيم ، والاثم الكبير ان تحكم على شيء وانت أجهل الناس له ، وأبعدهم عن معرفة حقائقه ، وفهم كتبه . ولو حكم قاض على متهم بجريمة أو مخالفة بالسجن أو الاعدام ، دون ان يكون قد ألم بلف المتهم فأشبعه دراسة ، معتبرا كل القرائن والظروف التى تحيط بالجريمة أو المخالفة . لما ارتبنا فى انه قاض غشوم ظلم لا يعرف الحق ، ولا يحترم العدل والانصاف .

فكيف هؤلاء الذين حسبوا العربية لغة الجمود والتأخر ، فراحوا يكيلون لها التهم ، ويرجفون فى شأنها بالباطيل التى لا تقال ؟ ولعل أشد هؤلاء مغالة كاتب ياسين الذى لا يبرح يغط فى بعض النوم . حين يزعم ان العربية قد تبقينا متأخرين ...

فكأنى هؤلاء السادة وهم يحسبون ان اللغة هى التى تقدم الشعوب . ولو أدركوا الحق واهتدوا الى سبيله ، لعلموا ان الشعوب الحية العاملة هى التى تقدم اللغات . فكم من شعب متأخر وهو يتحدث الفرنسية ، ولم تنفعه هذه اللغة فى شيء . وكم أمة خاملة لا شأن لها فى النباهة والمجد ، وهى مع ذلك تتحدث الانجليزية !

ولو اردت ان اقول ما اعتقد ، لقررت بان هذا الادب غريب فى نفسه . ومنفى من موطنه الذى كتب فيه . ولم يستطع ان يلعب دورا كثيرا فى نهضة الادب المعاصر بالجزائر . فضلا عن ان يلعب دورا خطيرا فى اذكاء نار الثورة التى قيظت للشعب الجزائري ان يكسر قيود الاستعمار الثقيلة . وقد قررنا منذ قليل بان حرمان معظم الجزائريين من التعليم الرسمى الفرنسى ، ادى الى نتيجة عكسية خطيرة بالقياس الى وجود الفرنسيين فى الجزائر . وانما يدل هذا على ان الجزائريين الذين لم يتعلموا الفرنسية . أو تعلموها الى جانب تعلمهم العربية ، ظلوا ينظرون الى هذه اللغة الاستعمارية نظرة حذرة فيها كثير من الخوف والاشفاق . فكان ذلك مما باعد الشقة بين الجانبين . وعسر التفاهم بين الفرنسيين كمستعمرين ، وبين الجزائريين كمواطنين وطنيين .

وقد ظل هؤلاء الكتاب الجزائريون بالفرنسية ، فى معظمهم ، معجبين كل الاعجاب بالحضارة الفرنسية بوجه خاص . والحضارة الغربية بوجه عام . جاهلين بالتاريخ العربى ، غير ملمين بمعالم الحضارة الاسلامية . اذ أنى لهم ان يدركوا شيئا من ذلك وهم محرومون من الامام الكافى بلغتهم التى بواسطتها يطلعون على التراث العربى وكنوز حضارته الغنية بمعطياتها الانسانية ؟

فقد كانت هذه الحضارة العربية ومعطياتها ، بالقياس الى كتابنا بالفرنسية ، فى بيت مغلق وهم لا يملكون مفتاحه . ولم يكن لهم سبيل ليملكوه .

لسنا نتهمهم بغير هذا . فلم تكن تنقصهم الوطنية . ولم يكن ينقصهم الشعور بالمسؤولية كما يقال . وانما كان ينقصهم شيء واحد فقط ، ولكنه عظيم الاهمية . وهو الامام باللغة العربية التى كان شعبهم يتحدثها . فحرموا كل شيء . وعلى ان تعلمهم الفرنسية جر عليهم مصيبة لا تبرح بعض آثارها ماثلة فى المجتمع الجزائري الى

وقد وجدنا اللغة الصينية من اللغات التي لم تنتشر في العالم ولم يقبل على تعلمها الناس ، ومع ذلك فإن الصينيين صنعوا بها القنبلة الذرية ، وأمسوا من الدول التي يحسب لها الحسبان . وقل مثل ذلك في اليابان وما حققته من تقدم صناعي عظيم ، دون أن تتبنى لغة أجنبية أكثر انتشارا ، واشهر في العالم ذكرا .

أما اللغة كائن حي يتطور ويجمد ، ويتأخر ويتقدم ، ويحيا ويموت ، كالإنسان بالذات . فعسى أن يقتنع بعض هؤلاء الناس ، بأن الأمة التي تريد أن تتقدم حقا ، وتسود حقا ، فإن أول ما ينبغي أن تفعله ، هو أن تقبل على لغتها فتحيتها وتنشئ بها ، ولا سيما إذا كانت لغة حضارية كالعربية . والا فهي أمة مهرجة لن يكون لها شأن في التاريخ إذا راحت تبحث عن نفسها في لغات غيرها من الأمم .

وعلى أن هنالك مسألة نفسية لا بد من إثارها في هذا المقام ، ولا بد من إعطاء رأينا فيها واضحا . ذلك بأن كثيرا ممن يجهلون حقيقة روح المواطن الجزائري ، يرون أن الجزائري متفرنس بالطبع ، طالما كان يصطنع الفرنسية ويرطن بها . ونحن نحسب أن هذا الرأي سيء جدا ، وهو غير قائم على أساس من الحق والنصفة ، فلم يكن الجزائري بمتفرنس القلب البتة .

وتدل على ذلك دلائل ، وتشهد له شهادات ، وتبرهن عليه آيات بينات . وما أخال إلا أن أكبر هذه الآيات وأعظمها ثورة الجزائريين على وجود الاستعمار الذي نحن بصدد الحديث عن لغته ، ومدى تأثيرها في حياة وتفكير الشعب الجزائري . هذه واحدة .

وأما الثانية ، فهي أن الثقافة الفرنسية - كما أسلفنا - لم تتمكن تمكنا عميقا إلا من نفوس نسبة ضئيلة من الجزائريين الذين أتيح لهم أن يدرسوا في المدارس الفرنسية على نحو واسع ، مما جعل عامة الشعب الجزائري يظل جاهلا بالأدب الفرنسي ، والتاريخ الفرنسي ، والفكر الفرنسي في عمقه وأصالته .

وحتى أولئك الذين كنت تجدهم في المسد

الجزائرية ، يتحدثون اليك بالفرنسية ، حين يدعومهم داعي الاضطراب ، أو داعي الاختيار سواء . ليسوا في حقيقة أمرهم ، إلا أصحاب كلمات فرنسية معدودة لا تكاد تعبر إلا عن المعاني السطحية والمظاهر الحسية . أما ما وراء ذلك من المعاني العميقة ، والأفكار العالية ، فقد تجدهم عنه بعيدا .

وأذن ، فأصالة الشعب الجزائري ، وحنينه إلى عروبه ، وأعمال الإنسان الجزائري في البادية أهمالا كليا وإغلاق أبواب المعرفة في وجهه ، كل هذه العوامل تجعل الباحث يقرر بحق ، بأن الجزائر كانت مستقلة من الناحية الاجتماعية ، عن الاستعمار الفرنسي استقلالاً يكاد يكون تاما . ولا تكاد نستثنى من ذلك إلا بعض المدن التي كانت تكتظ بالأوروبيين كبلعباس ووهران مثلا .

فهل يحق لنا أن نقول بعد كل هذا : أن البادية والقرى الجزائرية لم تفد من وجود الاستعمار الفرنسي الذي كان طويل العمر في هذه الأرض . لا اقتصاديا ، ولا حضاريا ، ولا ثقافيا ، ولا اجتماعيا ، ولا لغويا ، بل ظل المجتمع الجزائري في البوادي والقرى النائية ، على ما كان عليه قبل الاحتلال الفرنسي : لم يتقدم ولم يتأخر ، ولم يتبدل ولم يتغير ؟

أنا نميل إلى ذلك كل الميل .

ذلك بأن تحويل المجتمع من طور إلى طور ، يستدعي التمازج والتخالط والتعامل على نحو من المساواة تام . وقد وجدنا الاستعمار الفرنسي منطويا على نفسه . بحيث لم يكن أهله يمازجون الجزائريين ، ولم يتعاملوا مع الشعب على نحو من المساواة قط . ولم ينظروا إلى هذا الشعب في مجموعه على أنه يتألف من بشر جديرين بالاحترام والحرية والحياة ، فساء ظن الجزائريين بالمستعمرين ، وعزفوا عن عاداتهم ، ونظروا إليها نظرات حذرة فيها كثير من الأشفاق .

وقد ظل هذا الصراع الاجتماعي الحاد قائما بين الجانبين إلى أبان الثورة الكبرى ، بل إلى سنة اثنين وستين من هذا القرن . وهي السنة التي اعترفت فيها فرنسا بسيادة الشعب الجزائري بعد حرب ضروس قدم فيها الجزائريون أكثر من مليون شهيد .



عبد القادر فضيل

تتلخص مثل التربية المعاصرة في المناداة بضرورة العناية بجميع الافراد او ما يعبر عنه « بالتربية للجميع » ذلك ان توسيع نظام التعليم وجعله يشمل كل الفئات من الامور التي اصبحت تطالب بها المجتمعات الحديثة وبخاصة المجتمعات الاشتراكية التي تؤمن بحق كل فرد في الحياة الكريمة ، ومن هنا نجد ان التخطيط التربوي في هذه المجتمعات تصرف كل جهودها لجعل التعليم حقاً لكل فرد مهما كان مستواه الاجتماعي والاقتصادي . ومن هذا الاتجاه انبثقت فكرة « ديمقراطية التعليم » حيث اننا نتحدث اليوم كثيراً عن المقادير الكمية التي تستطيع النظم التربوية ان تفسح لها المجال وتوفر لها المكان والزمان لتأخذ حقها في التعليم . كما اننا نتحدث كثيراً عن نوع الجهود والتدابير التي تسمح باستيعاب كل الاطفال الذين اهلته اعمارهم لتلقى الخبرات التعليمية ومن المعلوم ان (الجزائر) من البلدان التي تعمل جاهدة وبكل عناية لتحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم بل انها اشد البلدان حرصاً على استثمار كل امكانياتها بغية تحقيق آمال المجتمع في الحصول على قدر من المعرفة والتكوين يمكن افراده من التمتع بالحياة المستقرة والعيش المنسجم ويؤهلهم للاندماج والتوافق مع الظروف والاضاع الاجتماعية المختلفة ، بيد انه من الصعوبة بمكان تحقيق هذا الهدف ما دام نظامنا التربوي لا يعنى الا بالاستثمارات الكمية - فالجانب الكمي في العمل التربوي لا يمثل الا جانباً واحداً من جوانب عديدة ومختلفة تتظافر كلها لتجعل الحقيقة التربوية ذات اثر في الحياة والظروف والناس جميعاً . ولكن لا ينبغي ان يقودنا هذا الى الاستهانة (جملة) بقيمة الخطوات التي تخطوها والانجازات التي تحققتها يوماً بعد آخر في هذا الصدد ، حتى ولو كانت النتائج غير كافية .

وفي نفس الوقت تخلق منهم اطارات تتحمل دورها المتواضع في مختلف النشاطات . ان نظام التعليم بوضعه الحالي لا يحقق الاغراض التي وجد من اجلها (لا يستطيع تلبية حاجات الافراد ولا حاجات المجتمع) وبالتالي لا يحقق مبدأ الديمقراطية في حين انه وحده المسؤول عن تكوين الانسان بوصفه غاية يتولى مختلف النشاطات بصفته وسيلة للانتاج فقط .

واذا كان كثير منا ما زال يعتقد ان هذه الخطوات التي نخطوها كافية لجعل الديمقراطية التعليمية شيئا واقعا وملوسا . (في امد قريب) فلانهم يرون ان الديمقراطية متمثلة فقط في توزيع التعليم توزيعا عادلا من الوجهة الاقتصادية (او من الوجهة الشمولية) وهذا خطأ تربوي - يجب في رأي تصحيحه ، اذ لا ينبغي الاعتقاد بان تحقيق مبدأ ديمقراطية التعليم الذي هو أحد الدعائم الكبرى (2) لسياستنا التعليمية في الجزائر معناه : جعل المدرسة تسع كل الاطفال الذين بلغوا السن الدراسية لان توفير المكان للطفل ليس كل شيء في العملية التربوية ، فقد نستطيع في ظروف قصيرة - ان نقوم باجراءات ثورية حازمة نتمكن بواسطتها من توفير المدارس الكفيلة بالاستيعاب الكلي لمجموع الاعداد القادرة على التعليم . ولكن الشيء الذي لا نستطيعه في ظروف قصيرة - هو القيام بتدابير حاسمة من شأنها ان تغير وجه العملية التربوية في حد ذاتها . تدابير تخلق لنا أولا النظام التربوي المناسب الذي يستطيع تلبية واشباع حاجات الطفولة من جهة والمواطنة بينها وبين الظروف الخارجية من جهة ثانية . وتخلق لنا ثانيا المعلم أو المربي القادر على الاضطلاع بهذه المهمة الصعبة . اذ ليس كل من يمارس التعليم شخصا قادرا على رسالة التعليم - خاصة وان التعليم أصبح الان لا يقتصر على اكساب المتعلم مهارات وانماط من السلوك والمعارف وانما أصبح يهدف الى اكساب القدرة على التكيف .

قلت : اننا لا نستطيع - في امد قصير - (بالنظر الى امكانياتنا البشرية) ان نغير من

ان الجهود التي تبذل في هذا المجال لتعبر بصدق عن رغبة الحكومة في تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص الذي هو أحد اركان الديمقراطية الحققة - غير اننا ما زلنا بعيدين عن السبيل الذي سيمكنا من التطبيق الحقيقي لديمقراطية التعليم التي لا تتمثل في الاستثمارات الكمية فحسب بل تتمثل بالاضافة الى ذلك في الاستثمارات النوعية - كما سنشرح ذلك .

نحن نعرف ان طاقة الاستيعاب (استيعاب الاطفال) ترتفع سنة بعد أخرى نظرا للمجهودات الضخمة التي تبذلها السلطات في مجال التربية والتعليم . ونحن واثقون من ان الثورة زاحفة الى الامام لا يصدها عن زحفها شيء . ويكفي كدليل على ذلك ان نتتبع الاحصائيات السنوية الخاصة بتطور معدلات الاستيعاب لنرى الانجازات التي تمت في هذا الميدان . فلقد كان عدد التلاميذ بالمدرسة الابتدائية في عام 1963 أقل من مليون تلميذ وقد ارتفع هذا العدد في ظرف سبع سنوات الى مليونين . وهذا ما يدل على ان المساعي التي تبذل من اجل تحقيق الاهداف الكمية مساع حميدة يجب تشجيعها . ولكن هذا كله لا ينبغي ان ينسينا العديد من الضحايا الذين ترمى بهم المدرسة الى الشوارع كل عام دون ان تمكنهم من السلاح الذي يؤهلهم للحياة .

لقد بلغ عددهم في عام (64 - 1965) حوالي 54٪ وفي عام 67 - 1968 41٪ (1) .

واذا نظرنا الى البيانات الاحصائية التي تصدرها مديرية التخطيط والتوجيه المدرسي بوزارة التعليم نتبين ضخامة هذه المشكلة (مشكلة الفاشلين الذين ينقطعون عن المدرسة دون ان يتموا دراساتهم ، والذين تقدر اعدادهم بأكثر من 50٪) ان الاغلبية الساحقة من أبنائنا يكبو بهم الحظ عند نهاية التعليم الابتدائي وسواء حصلوا على الشهادة ام لم يحصلوا فالنتيجة تكاد تكون واحدة .

وليتهم يجدون بعد ذلك مراكز مهنية أو مدارس خاصة تعنى بهم وتحفظهم من الضياع الذي يهددهم ويحفظ المجتمع مما قد يحدثوه من اضطراب .

(1) احصائيات 69 (مديرية التخطيط والتوجيه المدرسي)

(2) تقوم سياستنا التعليمية على دعائم ثلاث : (1) ديمقراطية التعليم (2) تعريب التعليم (3) اعطاء الاولوية للعلوم .

الاضاع التعليمية حتى نجعلها اوضاعا تعنى فيها بالناحية النوعية الى جانب الناحية الكمية كما نراعى فيها المشاكل المتعلقة بالمستوى التحصيلي والعوامل المعوقة لهذا المستوى وعلاقة ذلك بالصحة النفسية التي هي هدف التربية الاسمي . واذا كنا لا نستطيع تحقيق ذلك في امد قصير فلا يعنى اننا عاجزون كلية عن تحقيقه خاصة واننا نتمتع بميزتين قلما توجدان في بلدان العالم الثالث هما :
(1) توفر الامكانيات المادية .

(2) وجود الحماس الثوري ، وهاتان الميزتان - كقيمتين - بان تزداد كل صعب .

ولعله من المفيد هنا ان نذكر اننا في الجزائر نستهلك في مجال التعليم موارد ضخمة تقدر بالملايين من الدينارات (3) وغرضنا هو اتاحة الفرصة لجميع ابنائنا وبناتنا لكي يجدوا اماكنهم في المدرسة غير اننا لا ننظر الى ما بعد ذلك ، فهناك الالاف ممن يدخلون المدرسة ولكن يخرجون منها كما دخلوا ، كما سبقت الاشارة الى ذلك . لان المدرسة ما تزال عاجزة (4) عن فهم دورها كمؤسسة تربوية مهمتها تخريج القادة والمواطنين القادرين على النهوض بانفسهم وبمجتمعهم . فما الفائدة في ان نستنفد طاقاتنا ونجند امكانياتنا لبناء المدارس ولكننا بعد ذلك لا نحاول ان نجعل هذه المدارس قادرة على بناء البشر .

فالمدرسة كما يراها المربون ، انما تنشأ من اجل الطفل لتهيء له بيئة يعيش فيها وينمو وفقا لقوانين النمو الطبيعية الخاصة به .

ومهمة العاملين بها بناء الذات البشرية بناء يقبها عوامل الصراع ويحفظها من التدهار ويمتحنها الشعور الجماعي العميق الذي على اساسه يقوم تمثل القيم الاجتماعية والانماط الثقافية ، بناء تشترك فيه الذات نفسها باعتبارها مجموعة من القوى والاهتمامات والنوازع ، ومن المعلوم ، ان بناء الذات هو المثل الاعلى للتربية الحديثة .

يقول (دوركايم .) ان الانسان الذي تريد التربية ان تحققه ليس الانسان كما صنعتها الطبيعة ولكن الانسان الذي يريده المجتمع (5) ولكن البيئة المدرسية عندنا ما تزال بيئة تقليدية (اي بيئة تعليمية وليست بيئة تربوية) تستقبل في رحابها حشودا ضخمة من الطلاب يختلفون ميولا واستعدادا وقد يصل عددهم في الفصل الواحد اكثر من (60) تلميذا الامر الذي يؤدي الى تشتت الجهد وتضاؤل العائد واستحالة القيام بعملية (البناء) التي هي عملية اساسية . ولننظر بعد ذلك من هو الشخص الذي تستطيع المعاناة التي يتطلبها تكوين وبناء مثل هذه المجموعة الضخمة ، لا اعتقد ان احدا يستطيع القيام بهذه العملية على الوجه المرضي مهما كانت خبراته ، ولو كان (المعلم الاول) (6) خصوصا اذا علمنا ان المقياس الوحيد الذي نعتمده في استقبال وتصنيف هؤلاء هو قياس العمر الزمني الذي لا يدل دائما على نضج الطفل واستعداده ، ومن هنا برزت مشكلة الفروق الفردية التي كثيرا ما تعرق سير العمل المدرسي وتعد مشكلة التعليم ومن هنا ايضا تبرز مشكلة المتخلفين الذين لا يستطيعون مسايرة زملائهم الاذكي منهم وينتج عن ذلك كله جذب واختلال في العملية التربوية (تضاؤل في الانتاج المدرسي وتضخم في العادم) يتبع ذلك حتما ضياع في الجهد والمال .

ان الديمقراطية تستوجب منا تلافي هذه النقائص وتهيئة الغذاء العقلي المناسب لقدرة واستعداد كل متعلم . وتقتضي كذلك تقديم العلاج الناجع لكل انحراف دراسي مهما كان نوعه . لاننا ان لم نفعل ذلك فسنظل مجموعة كبيرة (قد يصلون الى ربع المنتمين الى المدرسة) لا تستطيع مستوياتهم العقلية ان ترقى الى مستويات النخبة او المتوسطين - وظلمنا لهؤلاء يكون بتطبيق المنهج العادي الذي لا يناسب جميع المستويات العقلية على الجميع .

(3) بلغت ميزانية التعليم الخاصة بالتسيير فقط سنة 1970 (980 000 000) دج

(4) المعجز هنا معناه عدم الادراك .

(5) معالم التربية العربية ص 135

(6) المعلم الاول هو ارسطو

وما ذنب هؤلاء الذين حرمتهم الطبيعة الاستعداد الكافي والموهبة اللازمة ؟ ليس لهم ذنب الا كونهم لم يجدوا من يفهمهم ويدرك بعق حقيقة وضعهم . وكثيرا ما تكون المعاملة والجسو المدرسي والمنهاج المطبق سببا من الاسباب التي تؤدي الى ركود الموهبة وتبلد الذهن وتعطل الاستعدادات ثم اننا بعد ذلك نعتبر هذا الطفل أو ذاك عاجزا عقليا أو نفسيا عن ممارسة العمل المدرسي بنجاح . اليس المدرسة هي المسؤولة عن كل هذا ؟ السنا مسؤولين عن فشل مجموعة كثيرة من الاطفال في حياتهم الدراسية . وبالتالي في حياتهم الاجتماعية ؟ يجيبنا عن ذلك جماعة من الباحثين في جامعة (آيو) عندما يقولون : « ان العباقرة يصنعون واننا نحن المسؤولون عن بعض ضعاف العقول من الاطفال » (7) واذا كان العباقرة يصنعون فإين يا ترى يصنعون ؟ لا شك ان العمل الذي يصنع القادة ويكون العباقرة هو المدرسة التي تدرك دورها في الحياة وتعلم ان الذين يأتونها يتفاوتون استعدادا ويختلفون ميولا ومن واجبه ان تسامر كلا حسب استعداده وتفسح المجال لمعالجة كل وضع ظهر شيذوه .

يقول الدكتور جيلبرت Gilbert : « انه لا يوجد اطفال كسالى وانما هناك اطفال مرضى ان الكسالى هم الآباء والمربون والاطباء الذين لا يبحثون عن اسباب الضعف الذي يصيب الطفل » وكانى به هنا يذكر بمسؤولية المجتمع (بما فيه آباء ومربون واطباء ازاء الطفولة) اذن نحن مطالبون بالعناية بجميع الاطفال مهما كانت قدراتهم حتى نحقق لهم - على الاقل - قدرا ولو يسيرا من التعليم والتكوين يؤهلهم للحياة العامة ويجعل نهم مواطنين منتجين لا مستهلكين فقط . كما اننا مطالبون باستغلال قدرات المتفوقين أو مسانيرة استعداداتهم الى اقصى حد لان ذلك يجعلنا نوزع الخدمات التعليمية توزيعا عادلا لا من الناحية الكمية فقط ولكن من الناحية النوعية ايضا . وعند ذلك نحس بارتياح في أعماقنا ونشعر باننا قمنا بواجبنا فعلا نحو الاجيال الصاعدة .

وما دمنا لم نقم بكل هذا فإن الوجه الحقيقي للديمقراطية التعليم ما يزال غير واضح المعالم باعتبار ان الفرص التعليمية التي نتيحها لاطفالنا - غير متكافئة من الوجهة التربوية - بحيث اننا لا نقدم التعليم المناسب للاستعدادات والميول ولا نراعى عند التقديم الشروط النفسية والتربوية المساعدة على جعل عملية التعليم عملية تلقائية مثمرة .

واذا كانت هذه الجهود التي نبذلها والمشاريع التي نقوم بتحقيقها عاما بعد آخر لا تحقق الغرض المطلوب ولا تجسم الواجهة الحقيقية للديمقراطية التعليمية فما هي التدابير التي بقى علينا أن نقوم بها لتحقيق الديمقراطية الحققة وبعبارة أخرى ما هي الجوانب التي تتمثل فيها الديمقراطية التعليمية ؟ وكيف يتم تطبيقها على الصعيدين النظرى والعمل ؟ ثم ما هي المشاكل التي يثيرها هذا التطبيق ؟ كل ذلك نستعرضه فى النقاط التالية :

لا يمكن تحقيق الديمقراطية التعليمية الا برعاية أمور منها :

- 1 - تطبيق مبدأ تكافؤ الفرص تطبيقا علميا وتربويا .
- 2 - العناية بمشكلة المتخلفين دراسيا وعقليا .
- 3 - جعل الصحة النفسية أسما اهداف التربية .
- 4 - تصحيح الاوضاع التعليمية والانظمة التربوية .
- 5 - تحسين المستوى المعيشى والصحى ، وضمان مجانية الكتاب .

أولا : مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية :

من الدعائم الكبرى التي تقوم عليها (ديمقراطية التعليم) مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية الذى سبق ان المعنا الى بعض جوانبه فى اشارات موجزة ، ونريد هنا ان نركز أكثر ونبحث الموضوع بحثا مفصلا بغية إبراز القيم التربوية التى ينطوى عليها . ان مبدأ تكافؤ الفرص ليس معناه المساواة فى الفرص كما يتبادر الى الذهن أو ضمان مقعد دراسى لكل تلميذ ، وانما معناه ان يجد كل فرد الظروف والشروط التعليمية المناسبة له بحيث يتمكن من استغلال قدراته فى التعلم الى اقصى حد تؤهله له هذه القدرات .

1 - مشكلة التفاوت في الاستعدادات :

من المعلوم ان بين الاطفال تفاوتاً في الاستعدادات كما اثبتت ذلك مقاييس الذكاء ، فهناك من يستطيع التكيف مع المناهج العادية واستيعاب فقراتها دون مشقة ، وهناك من لا يستطيع ذلك الا بجهد ومشقة ، ولفترة أطول ، وهناك صنف لا يستطيع ذلك ولو استنفد كل جهوده ، ثم ان هناك بين الاطفال من يستطيعون اجتياز المراحل التعليمية في المدة المقررة لها دون رسوب أو تخلف (وهم أقلية) (8) ولكن هناك آخرون لا يستطيعون ذلك لان امكانياتهم لا تسمح لهم بذلك ، ولذا تمنحهم المدرسة أحياناً فرصاً أخرى ليستطيعوا تدارك ما فاتهم واللاحق بالقافلة من جديد ، ومن هنا نجد ان مبدأ تكافؤ الفرص يحتم على القائمين بالتربية أن يراعوا كل هذا (سواء في وضع المناهج أو في تكوين المعلمين أو في اختيار الطرق أو في اقامة النظام التعليمي العام) حتى يهيئوا لكل صنف الحبرة المناسبة والمنهج اللائق والمدة اللازمة .

وقد يضطر القائمون بالتعليم تحقيقاً للمبدأ المذكور وتمشياً مع قدرات الاطفال الى انشاء مدارس وقصود خاصة تعنى بذوى القصور العقلي توضع لها مناهج خاصة ونظام مخالف للنظام العادي ، وليس هذا كل شيء بل المعلم هو الآخر مطالب عند قيامه بالعملية التعليمية (في الفصول العادية) وغيرها باحترام هذا المبدأ ، وبتطبيق اصوله المتمثلة في مراعاة الفروق الفردية بحيث يوزع خدماته توزيعاً يتناسب وقدرة كل فرد على الاستفادة من هذه الخدمات ، وهذا يدعو الى تنويع العلاقات وتعير الاساليب في الحصة الواحدة ليستطيع تلبية حاجات طلابه المتنوعة ، وتمكينهم من التفاعل مع الخبرات المقدمة حتى يكون التعليم ايجابياً ومثمراً . ويشر التعليم متى وجد المتعلم رغبة ملحة تدفعه الى التحصيل والاستفادة . وتعنى بالتحصيل حدوث عملية التعلم (تعلم الحقائق والمعلومات بما في ذلك الاتجاهات والقيم والاهتمامات وغير ذلك) من الاشياء أو المهارات التي تهدف اليها المدرسة والنظام التعليمي عموماً ، غير انه ينبغي التفريق

بين الاستعداد للتعليم وبين التحصيل ونقصه بالاستعداد (الذكاء) كما تقيسه اختبارات الذكاء ، وعلى هذا يفترض ان لو تساوت الفرص امام كل المتعلمين فان الفروق بين درجاتهم تبقى قائمة بالنظر الى اختلاف استعداداتهم للتعلم ، اللهم الا اذا وزعت الفرص وفق هذه الاستعدادات .

(ب) هل واجب الدولة ينتهي بانتهاء التعليم الاول ؟

ان معظم الباحثين يتفقون على ان واجب الدولة في مجال الخدمات التعليمية يجب ان يستمر الى المرحلة التي تتحملها ميزانية الدولة وكلما ارتفعت هذه المرحلة كان ذلك دليلاً على شعبيتها وديمقراطيتها وعنواناً على انها شاعرة بمسؤوليتها الانسانية . على ان لا تقل هذه المرحلة عن مرحلة التعليم الابتدائي الذي يعتبر القاسم المشترك بين جميع المواطنين .

وهذا ما نجد صداه في المخطط الرباعي الذي يعبر عن اهتمامات واختيارات الثورة (في الجزائر) ولكن ما دامت بلادنا تتمتع بإمكانات مادية هائلة فان اتاحة الفرصة التعليمية للفرد يجب ان تستمر ما دام الفرد قادراً على التعلم . وما دامت إمكانياته العقلية تسمح له بذلك ، اذ ليس من الديمقراطية في شيء ان تسمح للبعض بمواصله التعلم ونرفض البعض الآخر بحجج سفسطائية واعتماداً على مقاييس اعتبارية واحكام تكاد تكون ذاتية الامر الذي يخلق غيباً في نفوس الافراد الذين لم يكن الحظ بجانبهم من اجل الاستمرار في مزاولة التعلم .

وهذه حالة سيئة ستكون لها آثار سيئة لا على الافراد فحسب بل على المجتمع نفسه لانها تجعل كثيراً من الجهود المادية والبشرية ضائعة أو غير متكافئة مع المكاسب ولانها تجعل المجتمع يضحي بكثير من الطاقات الحية التي لو استعملت واستثمرت خاوماتها لكانت مصدر خير وثرء ، ثم انها تخلق نوعاً من الطبقة (طبقة تصل الى قمة الثقافة بفضل مواهبها المتنازة أو حظوظها السعيدة وطبقة يبقى افرادها في شكل أميين) في حين ان مجتمعنا الاشتراكي يعمل جاداً على اذابة الفوارق بين الطبقات والقضاء على كل المميزات (الثقافية

(8) حوال 20٪ واحياناً اقل (حسب دراسة تجريبية قمت بها في منطقة بوزريعة)

4 - الظروف العلاجية المناسبة لذوى القصور العقل والعاهاات .

ينبغي ان يتم كل هذا دون تفريق بين فرد وآخر وفئة وأخرى وبغض النظر عن المستويات الاجتماعية والاقتصادية التي أتوا منها . وهنا يبرز دور التوجيه التعليمي كعامل هام فى عملية التصنيف وتوزيع التلاميذ بين انواع التعليم المختلفة .

(ج) نوع الاطارات العاملة فى حقل التعليم وعلاقة ذلك بتكافؤ الفرص :

من الاسس التى يرتكز عليها مبدأ تكافؤ الفرص جعل المتعلمين سواسية امام الخدمات التعليمية التى تقدم لهم أو لا يتم ذلك الا اذا كان القائمون بالخدمات متساويين فى الكفاءات أو قريبين من التساوى لان التفاوت الفاحش الذى نجده بين اطاراتنا يخلق نوعا من الغرضى فى توزيع الفرص ويجعل التكافؤ امرا غير واقع ، الامر الذى يؤدى الى تفاوت فى التحصيل أو تعطيل لبعض المواهب مما يترتب عنه حرمان طائفة من المتعلمين من الفرص الثمينة التى كان يمكن ان يتمتعوا بها لو وجدوا الاطارات القادرة ، فالذى يتلقى تكوينه على يد معلم لا يفرق بين الاسم والفعل ولا يعرف عن التربية شيئا غير الذى يتلقى تكوينه على يد معلم مؤهل علميا وتربويا ، ولننظر مثلا الى التعليم الاعدادى عندنا - فان الذين يمارسون العمل بالاعداديات هم من صنف المدرسين واحيانا اقل من المدرسين فى حين ان الذين يباشرون العمل نفسه فى الثانويات هم من صنف اعلى من حاملي (ليسانس) (9) مع ان المرحلة واحدة فتصور اليون الذى قد يكون بين المدرسين الا يعتبر هذا نوعا من الاجحاف فهذا يتلقى تعليمه على يد استاذ مجاز ، والآخر على يد شخص اقل منه كفاءة وعلميا . ومع ذلك فنحن لا نراعى هذه الفوارق فى نهاية المطاف أى اننا لا ندخل فى الاعتبار نوع الظروف التى تم فيها تعليمهم - يوم الامتحان أو اثناء عملية النقل من فرقة الى اخرى ، بل اننا نعاملهم معاملة واحدة ونحاسبهم حسابا متساويا كاننا مكناهم جميعا من فرص متساوية ووفرنا لهم جميعا ظروفًا مناسبة . ما من شك فى

وغيرها) ، ولا يقال : ان مجتمعاتنا الحاضرة يكفيتها انصافا وعدلا انها تحاول ان تضمن لكل الناس حق مزاوله التعليم الاولى على الاقل .

وليس يمكن ابدا ان يصل مجتمع من المجتمعات بجميع افراده الى قمة الثقافة والتعليم ، لان هذه مثالية لا يستطيع تحقيقها الا فى الخيال ، ثم ان الافراد انفسهم ليس جميعهم مؤهلا لهذه المثالية .

هذا الاعتراض صحيح من وجهة ولكنه ليس صحيحا من وجهة ثانية - اذ لست اطالب المجتمع بتعليم كل افراده تعليما أكاديميا ، اذ هذا ليس فى مكنته ولا فى مكنة كل الافراد ، ولست اطالبه ايضا بتأمين عموميات وخصوصيات الثقافة للجميع ، ولكنى اطالبه بان لا يجعل امر ذلك موكولا الى الصدق وبان لا يجعل عملية الاختيار والتقدير مبنية على اعتبارات عشوائية ذاتية ، قد تضر بالبعض وتظلم البعض الآخر ، ولنفرض اننا سلمنا جدلا بصدق كلية هذا الاعتراض فهل يعقل - ونحن فى عصر الكشوف العلمية - الاكتفاء بمبادئ التعليم الاولى . اننا فى عصر ارتفع فيه مفهوم التعليم من مجرد محو الامية الى تكوين افراد منتجين وقادرين على الارتفاع بمستواهم الذهني والاقتصادى من جهة وعلى النهوض بمستوى المجتمع من جهة ثانية . على ان الذين وقف بهم الحظ عند نهاية التعليم الابتدائي لا يلبثون ان ينضموا الى رصيد الاميين الذى هم غالة على المجتمع دائما باعتبارهم اشخاصا مستهلكين فقط .

والحل العلمى السليم هو الاسترشاد بالمقاييس العلمية التى تحدد مستوى واستعداد كل فرد من الوجهة النظرية والعملية ، ومدى ما يستطيع بلوغه بالاعتماد على هذه الاستعدادات والميول ، وعلى ضوء ذلك تهيم :

1 - الظروف التعليمية المناسبة لذوى القدرات العقلية المحدودة .

2 - الظروف التعليمية المناسبة لذوى الميول والنزعات التخصصية .

3 - الظروف التعليمية المناسبة لذوى القدرات العقلية العالية .

(9) اخذ التفكير يتجه حسب ما جاء فى المخطط الرباعى الى تخصيص الثانويات للمرحلة الثانية فقط لتترك المرحلة الاولى الى مؤسسات التعليم المتوسط فاذا تم هذا فان التكافؤ يصبح امرا واقعا .

ان هذه المعاملة بعيدة عن الصواب والمنطق ايضا . صحيح ان الاطارات لا تكون دائما فى مستوى واحد من الخبرة والثقافة ، ولكنها لا تكون ايضا بهذا التفاوت الذى نشهده عندنا (من الشهادة الابتدائية الى البكالوريا) فى التعليم الابتدائى على الخصوص .

(د) نوع الخبرة المقدمة (نوع التعليم)

ومما يدخل فى هذا الباب نوع التعليم الذى تقدمه لطلابنا .

هل هناك اساس نعتدها فى تقديم التعليم المناسب لميول واستعداد كل فرد أم اننا لا نعتد أى اساس فى اختيار الخبرة المراد تقديمها ؟ هذا سؤال قد يجيبنا عنه نظام الامتحانات الذى لا يقيس الميول والاستعدادات وانما يقيس كميات المعلومات المحصل عليها فى فترة معينة ، وحتى هذه لا يستطيع قيامها بدقة لان اسئلته وضعت بشكل لا يسمح بالتعرف على حقيقة التلميذ ثم ان التلميذ قد يدفع الى هذا الامتحان دفعا ، لانه اخفق فى امتحانات أخرى كان يود لو نجح فيها أو أن عمره لم يسمح له بذلك . (كما يقع فى الامتحانات الخاصة بالمعاهد التكنولوجية أو بالدخول للمعاهد الفلاحية وغيرها) .

ومن هنا قاننا نظلم بعض الافراد عندما نقحبهم فى تعليم لم يهيئوا له أو لا ينجحون فيه مثل نجاحهم فى نوع آخر من التعليم ، وإذا أردنا ان نتبين ذلك بوضوح فلننظر الى الطريقة التى يتم بها دفع التلاميذ الى معاهد التعليم الفنى أو الفلاحى أو ثانويات التعليم العام أو التعليم العرب انها طريقة غير علمية لانها لا تعتمد على مواهب التلميذ الحقيقية التى نتعرف عليها بواسطة البطاقات المدرسية والمقاييس وملاحظات المعلمين . انها تعتمد فقط على كشوف الامتحانات التى لا تعبر عن الحقيقة كما أسلفنا . وأحيانا تستعين برأى الاولياء والآباء الذين لا يفهمون من هذه القضية الا الجانب المادى أى المرتبة المرفوعة التى سيصل اليها ابناؤهم عن طريق هذا التعليم ، ولذا تراهم يقبلون كثيرا على التعليم العام فى المراحل الثانوية (20) ويفضلون الطب والهندسة فى المراحل الأخيرة باعتبار ان هذه التخصصات

تدر على صاحبها خيرا كثيرا . ثم ان صاحبها يستطيع ان يحيا معززا مكرما فى أى بقعة من الدنيا . اما التلميذ صاحب الكلمة فلا دخل له فى هذا الاختيار لان الأب هو الذى يختار له أو حاجيات البلد هى التى تفرض عليه اتجاهها معينا . وقد يكون هذا معقولا لو تسبقه مرحلة اعداد وتهينة واختيار نتأكد بواسطته من صلاحية الفرد لهذه الخبرة أو صلاحية الخبرة لهذا الفرد . اعتقد ان عملية التوجيه عملية صعبة ولكن لا بد

منها فلمواهب التلميذ الكلمة الاولى . ثم رأى المدرس وأخيرا رأى الموجه المدرسى الذى يجب ان تنصب ملاحظاته على رأى المدرسين وعلى نتائج البطاقات المدرسية التى تسجل فيها اهتمامات الطفل ونشاطه داخل القسم وخارجه حتى يمكن التكهن ما اذا كان فى الامكان تكييف مواهب الطفل بحيث تناسب الاتجاه المختار .

ومهما يكن فإن ضمان تكافؤ الفرص من المشاكل التى أخذت الجزائر على عاتقها ان تحلها مهما كلفها ذلك لان الديمقراطية التى تنشدها لا تتحقق اذا بقى الامتياز الثقافى محصورا فى أقلية بحيث تشغل هذه الأقلية مكائنها الثقافية لفرض سلطانها المادى والمعنوى على الطبقات الأخرى غير المثقفة والتى يصبح لديها شعور بالنقص أمام الطبقات المثقفة مما يترتب عنه خلق برجوازية فكرية تشعر بالتعالى والعظمة المزيفين - ولا يعنى كل ما ذكرت انى متشائم من الوضع التعليمى الراهن أو أن لى أفكارا أفلاطونية غير مرتبطة بالواقع الجزائرى الذى هو فى صميمه ليس الا فترة انتقالية تشهد تحولا جذريا فى أغلب الاتجاهات . ولا ينبغي ان يفهم من حديثى انى متجاهل قيمة المعارك التى تخوضها البلاد فى شتى الميادين - كلا : لست من المتشائمين ولا من المتجاهلين وانما الذى اعنيه هو رغبتي الشديدة فى أن يرى مجتمعنا مندفعاً نحو المستقبل شاقا طريقه فى زخم الحضارات يواكب الامم المتقدمة ويرافق التطور العلمى ، وبحثى هذا محاولة من المحاولات التى ينبغي ان يسهم بها المثقفون فى توجيه الرأى العام الى الاسس التى يشاد عليها البناء والتى يجب ان تسبق كل عملية حتى يكون البناء ثابتا والاتجاه أصيلا

(20) هذا ما ادى فى السابق الى أن الذين يلتحقون بالثانويات الفنية هم من فضلات الاقسام النهائية للتعليم الابتدائى لان النخبة أخذتها معاهد التعليم العام .

الشريف أبو عبد الله

اساتذته :

وليس بالبعيد عن هذا الرجل أن يبلغ هذه المنزلة بين جمهور حاشد من أعيان العلماء ، وهو الذى تخرج على أيدي جهابذة أفذاذ كل منهم رأس فيما يتحلى به من فنون العلم ، وهؤلاء هم :

1 - الرجلان العظيمان الاخوان أبو زيد عبدالرحمان وأبو عيسى موسى الشهيران بابنى الامام (2) .

2 - أبو موسى عمران بن موسى المشدالى البجائى (3) الذى استوطن تلمسان . أخذ عنه الفقه والحديث والاصلين والفرائض والمنطق والمجدل .

3 - محمد بن ابراهيم الآبلى التلمسانى (4) الذى كان نسيج وحده فى المعقولات . وقد

انتفع به الشريف انتفاعا عظيما حتى انتزع اعجاب أستاذه به ، فاهتم به وأفرده بالعطف والتقدير . وكان من شأنه معه أنه حين يستشكل مع طلابه مسألة من المسائل العلمية العويصة ، أو حين تعترضهم مباحث دقيقة يقول : انتظروا حضور أبى عبدالله !

4 - القاضى أبو عبدالله بن هدية القرشى .

5 - عبدالله بن عبدالواحد المجاصى ، الرجل الصالح .

6 - أبو عبدالله محمد بن محمد البرونى .

7 - القاضى ابن عبدالنور .

8 - القاضى على بن الرماح .

9 - محمد بن يحيى بن على الشهير بابن النجار (5) .

التعريف به :

الامام الحجة شيخ المشايخ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي التلمساني الإدريسي ، ولد بتلمسان سنة : 710 هـ ونشأ تحت رعاية والده الفقيه أحمد ابن علي التلمساني العلوي (1) وحينما استوى على قدميه اتجه إلى الكتاب « الكتاب » ليقرا القرآن على الشيخ المربي أبي زيد ابن يعقوب حتى أتى عليه حفظا وتجييدا . ثم أخذ يتدرج في مدارج العرفان ، يغلى عقله بالعلم ، ويحشو دماغه بالحكمة ، حتى بلغ رتبة انتهت إليه فيها إمامة المالكية بالمغرب العربي .

أحمد جلول بدوي

التلمساني

IO - محمد بن عبد السلام الهواري

وآخرون غيرهم .

قال عنه صاحبه وتلميذه المؤرخ عبدالرحمن ابن خلدون في « التعريف » : « أخذ العلم عن مشيخة تلمسان ، واختصر بأولاد الامام ، ثم لزم شيخنا الأبلى رحل إلى تونس سنة أربعين (740) هـ فلقى شيخنا ابن عبدالسلام وأفاد منه ، واستعظم رتبته في العلم . وكان ابن عبدالسلام يصفى إليه ، ويؤثر محله ، ويعرف حقه » . (6)

ومن بوادر حذقه وإدراكه في أيام الطلب أنه حضر ذات يوم مجلس شيخه عبدالرحمن بن الامام ، وكان الدرس في تفسير القرآن ، وفيه تعرض الشيخ للكلام على نعيم الجنة ، فابتدره التلميذ قائلا : ليت شعري ، هل يدرس العلم في الجنة ؟ فقال : نعم يا ولدي ، ان فيها ما تشتهي

الانفس وتلذذ الاعين ، فابتهج التلميذ وقال : لو كان جوابكم نفيا لقلت اذن ليس في الجنة لذة (7) . وهكذا كان صاحبنا يرى أن الغاية التي يجب أن تتوخى إنما هي في العرفان ، ولذلك كان يحرم نفسه من راحتها وترويحها ، فيمتنع عن النوم الا اذا ألح عليه النعاس ، فيغفو قليلا ثم يفيق ويقول : يكفى هذه النفس ، فلقد أخذت حظها من النوم ، ثم يستأنف ما كان عليه من مواصلة التحصيل ، وتمكنت من نفسه هذه العادة طوال حياته .

ذكر ولده أبو محمد عبدالله (8) أنه مر على أبيه ، في فترة من الفترات ، نحو من ستة أشهر لم ير فيها أولاده ولم يروه . إذ كان يفيق باكرا وهم نائمون ، ولا يعود إلى المنزل الا في وقت متخلف من الليل ، فيجدهم قد ناموا ، وهو خبر

عجيب لم يكذب يتفق لاحد ! واذا صح فأين واجب
الرعاية الابوية ؟

فوجب كون اللسان هو محل ضده ، فيكون
حقيقة فيه .

قال الشريف فامسكت عن مراجعته تأديبا
معه ، وقد كنت أعلم أن الصمت ضده النطق
لا الذكر .

وفي الغد عاد الى مجلس الدرس وعند ذاك
اقبل عليه نقيب الدولة (II) واخذ بيده حتى
اجلسه الى جانب الشيخ ، وعلم بعد ذلك أنه هو
الذي أمر بذلك . وما ان أتم الدرس حتى التفت
الى ضيفه يسأله سؤالا دل على معرفته به قبل أن
يراه . اذ قال : أفدني . هل أنت أبو عبدالله
الشريف ؟ قال نعم ، هو ذاك ، فرحب به ، ثم
راح يجلسه دائما الى جانبه في حلقة الدرس .
ولم يقف معه عند هذا الحد ، بل كان يدعو الى
منزله حيث يتهيأ لهما أن يطلع كل واحد منهما
على ما عند الآخر من نوادر المسائل وغرائب
المباحث . وسرعان ما انقلب الشيخ الى تلميذ
ياخذ عن التلمساني فصل التصوف من كتاب
« الاشارات » لابن سينا ، ودروسا من تلاخيص
(أرسطو) لابن رشد . كما كان يأخذ عنه
دروسا في الحساب والهيئة والفرائض . ثم قفل
راجعا الى بلده وقومه الذين أوحشهم غيابه .
وما أن حل بينهم حتى أقبل عليه الناس يقصدونه
من كل جهة ليأخذوا عنه ويتشرفوا بالانتساب
اليه ، وأكبر شأنه الملوك فقربوه وبالغوا في
الحفاوة به . فهذا سلطان تلمسان أبو سعيد
عثمان بن عبدالرحمن كان في طليعة من يجله ،
ويخاطبه بقوله : « يا سيدي ... » وعندما أحس
بزوال ملكه عرض عليه أن يترك أمواله ودبعة
عنده فأبى أن يجيبه الى رغبته ، وأحاله على غيره
ورضى بأن يشهد على من يختاره أمينا على حمل
الامانة : فعصل السلطان بأشارته .
ولما استولى أبو عنان المريني ملك المغرب على

وذكر ولده ، أيضا ، ان الشيخ كان يتفق بياض
نهاره بين اقراء ومطالعة وتلاوة ، ينام ثلث الليل ،
ويكب على المطالعة ثلثه ، ويقوم يصلي ثلثه ، وكان
يقدم له طعامه أحيانا في رمضان فيشغله النظر
عن تناوله ، ثم يؤتى بسحوره فيذهل عنهما معا
حتى يصبح ويواصل الصوم ! (9) ورآه ولده
المذكور يوما منهما في تصفح كتب كانت منتشرة
حوله . ليحقق منها ما يهمه من المسائل العلمية
ظن أنها تبلغ سبعين كتابا ، وبهذه الهمة وهذا
المجهود عنت رقاب علماء زمنه واعترفوا له بالتفوق
والتبريز . ودعاه داع الى زيارة (تونس) فلم
يرق لتلاميذه أن يغادر بلده ، اما لحرصهم على
ملازمته ، أو اشفاقا عليه من عنت السفر ، ما عدا
تلميذه الخطيب ابن مرزوق الجد قال عندما بلغه
ذلك : كنت كرهت مفارقة أبي عبدالله بلاده .
ولكنني عدت ، فحمدت الله على ذهابه حتى يراه
أهل افريقية ويعلموا أن بالمغرب (الاوسط)
علما مثله .

وفي هذه الرحلة دخل مدينة تونس مجهولا
لا يعرفه أحد . وحضر مجلس ابن عبدالسلام (IX)
فجلس حيث انتهى به المجلس حين كان الشيخ
يقرر كلاما في شأن تحديد معنى كلمة (الذكر) ،
وجعل يتساءل ويقول : هل يعتبر الذكر حقيقة
في الحركة التي يجرى بها اللسان أولا ؟
فانتفضها الشريف فرصة للاعلان عن نفسه ،
وابتدر قائلا : من الواضح يا سيدي أن الذكر
يكون ضد النسيان ، والنسيان محله القلب ،
ومن المقرر أن الضدين يجب أن يتحدا في المحل .
فسكت الشيخ ولم يلتفت اليه ومضى يقول : ان
الذكر هو ضد الصمت ، وهذا محله اللسان .

المجلس العلمي ، فبدا له أن يأمر شيخ المقرئين بالقاء درس في التفسير فتخرج هذا واعتذر ، للسلطان طالبا اغفاه وقال : أبو عبدالله الشريف أول منى بذلك ، فالح عليه مرة ثانية وقال : أنت المختص بمعرفة علوم القرآن وبأهل تفسيره فاقرا علينا ، فأعاد هذا الشيخ اعتذاره وسجلها شهادة نادرة المثال في حق السيد الشريف حين قال : ان أبا عبدالله خير من يخوض في هذا الميدان ، لانه أعلم منى وأقوى عارضة في ذلك ، ولا يسعني الاقراء وهو حاضر ...! شهادة لفتت الانتظار الى الشريف ، وجعلت أبا عنان يثنى عنانه اليه ، ويرجو منه أن يستجيب لرغبته . وهنا أخذ الشيخ في القاء الدرس ، وانبرى يفيض سحرا وبيانا ، ويصول حجة وبرهانا ، وما زال يعلو وأبو عنان يسفل حتى نزل عن سريره وجلس مع القوم على الفراش ، وعند انتهاء الدرس توجه أبو عنان الى الشيخ وهو يقول : انى لارى العلم يخرج من منابت شعرك . وبعد انقضاء الجمع تقدم اليه القاضى الفشتالى وطلب منه أن يعل عليه ما صدر منه في الدرس ، فأحاله على مصادر ذكرها ، وكانت معروفة عند الجميع .

علومه ومعارفه :

تمددت مناحي العلوم التي ينطوى عليها صدر الشريف ، فهو امام في جميع ما يتعلق بعلوم التفسير ، ومحدث بارع في علوم الحديث النبوى من متن وسند والقباب ورجال ، الى الامامة في الدين ، والقيام على الفروع والاصول ، والرياسة في العلوم العقلية كلها ، من منطق وحساب ، وتنجيم وهندسة وموسيقى . خبير بعلوم العربية وآدابها ، وقواعدها ، حجر في غريب اللغة وأخبار الناس ومذاهبهم ، قيم بفنون الطب والتشريح والفلاحة . ولما كان ذوو الفضل مبتلون في كل

تلمسان أمر بتكوين مجلس علمى يشكل من كبار علمائها ، فكان صاحبنا في طليعة من اختير لهذا المجلس ، وقد استرعى نظر أبى عنان بعلمه وفضله ، فعرض عليه أن يكون الى جانبه بمقر ملكه مدينة « فاس » فعز عليه فراق بلاده ، وتردد أول الامر ، غير أنه أذعن في الاخير ، وعلم انه لا بد مما ليس منه بد . وطال مقامه بالمغرب ، وثقلت على نفسه وطأة الغربة ، فتبرم بها ، وأبدى شكواه لمن حوله، وسرعان ما بلغت الشكوى أبا عنان، فأثارت حفيظته على الشيخ، وصادف أن علم بخبر الوديعة المالية التي أسلفنا ذكرها ، فأرسل اليه في الحال ، وأخذ يعاتبه وينهى عليه باللائمة من أجل كتمان أمر الوديعة ، وامتن عليه بتقريبه اياه .. فثارت ثائرة الشريف . ووقف في وجه الملك يقول : شهادة كانت عندي لا يجب على رفعها بل على العكس .. انه يجب على كتمانها . وأما تقريبك اياى فقد أضر بى أكثر مما نفعنى . اذ قصص به علمى وضعف دينى .. فى كلام لم يتحملة منه الملك . واشتد غضبه عليه . ولم يفتأ أن امر باعتقاله . وأن تنتزع الوديعة من يد المؤتمن عليها ، وفى تلك الاثناء صادف أن وفد يعقوب بن على شيخ العرب بالجنوب الجزائرى (12) على أبى عنان بالمغرب ، فسأله عما يقول الناس فيه فقال : انهم يلهجون بالثناء عليك ، ولا يقولون الا خيرا ، بيد أنهم يستنكرون اعتقالك لآبى عبدالله الشريف ذلك العالم الرفيع المنزلة ، وفعل هذا الجواب فى نفس السلطان فعله فاصدر أمره بإطلاق سراح الشيخ بعد أن مر على اعتقاله شهر كامل . وذلك سنة 776 هـ ولما رآه العاهل اعتذر له وبالح في ذلك . وبعد امتلاكه قسنطينة سنة 749 أعاد الشيخ الى مجلسه استثنافا لسالف عهده ، وساد الصفاء من جديد بين الرجلين .

وفى ذات مرة اجتمع بمجلس أبى عنان أعضاء

زمان بالحساد وأهل الغيرة . أراد بعض علماء فاس أن يحطوا من قيمته وشأنه ، فاعزوا الى من يبلغ الملك بأن الشريف قصير الباع في الفقه والتشريع ، فأراد أن يختبر منه هذا الجانب . فبعث اليه وأمره ، بمحضر من الفقهاء ، أن يشرح الحديث المعروف : اذا ولغ الكلب في اناء أحدكم ... فلم يتردد لحظة . وأخذ في الحال يتكلم ، دون مراجعة أو نظر ، فأول ما قال : ان هذا الحديث يتفرع الى خمس وعشرين مسألة ، ومضى معها واحدة بعد أخرى حتى استخرجها كلها ، مرجحاً ومدلاً ، كأنه يملئها من كتاب . وهنا فطن أبو عنان للدسيسة التي أعدها له خصومه ، فأقبل عليهم يلومهم ويعنفهم حين انكشف حالهم ، وتبددت أغراضهم ، وبقي الشريف بفاس الى أن هلك أبو عنان سنة 759 هـ .

وفي ذلك العهد افتك أبو حمو موسى بن يوسف ملك تلمسان من يد بني مرين وحصر على استدعاء الشريف من فاس فبعث اليه في ذلك ، فأذن له الوزير القائم بالأمر ، عمر بن عبد الله بمغادرة المغرب ، ولما بلغ تلمسان تلقاه السلطان بكلتا راحتيه فرحاً وابتهاجاً بمقدمه ، ولما استقر به المقام زوجه ابنته ، وبني له مدرسة يبت فيها علومه على من أراد ذلك .

تلامذته :

لا سبيل الى استيعاب أسماء الذين أخذوا عنه من العلماء والطلاب فهم كثيرون ، وانما نأتي على ذكر بعض المشاهير من أعلام وأدباء ، وهم :

1 - الامام ابراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي الشاطبي (13)

2 - الوزير الشاعر محمد بن يوسف الصريحي الشهير بابن زمرك (14)

3 - ابراهيم الثغري التلمساني

4 - أبو عبدالله القيسي

5 - عبدالرحمن ابن خلدون

6 - محمد بن أبي اسحاق ابراهيم الرندي الصوفي الشهير بابن عباد (15)

7 - محمد بن أبي البركات المكناسي الشهير بابن السكاك (16)

8 - محمد بن علي الميورقي

9 - ابراهيم المصودي

10 - يحيى ابن خلدون

11 - محمد بن عبدالسلام (17)

12 - ولده العلامة المتبحر أبو محمد عبدالله شيخ ابن عاصم صاحب التحفة

13 - ولده الثاني الامام البحر عبدالرحمن أبو يحيى شيخ ابن مرزوق الحفيد (18) .

هذا وقد كانت للسيد الشريف صلة وثيقة بالعلماء والادباء الذين كانوا من أعرف الناس بقدره ومقامه ، نخص بالذكر شيخ علماء الاندلس أبا سعيد بن لب (19) الذي كان يستعين به فيما يشكل عليه من المسائل والفتاوى . وكذلك الشاعر النائر الوزير الخطير لسان الدين ابن الخطيب الذي تعود أن يرسل اليه بما يؤلفه من الكتب ، ليرى رأيه فيها قبل أن يخرجها للناس .

آثاره :

لما كان الشيخ ميالا الى الافادة والتبليغ ، حريصاً على بث العلم والعرفان ، سالكا مسلك المشافهة والتلقين ، أنفق جل أوقاته في التعليم والاقراء ، يقضى النهار كله في ذلك ، فقلت تأليفه بالنظر لما كان يرجى منه ، وهو الذي عرفنا ما

عنده من كنوز وذخائر . أما تأليفه التي ذكرتها المصادر فهي :

1 - كتاب فى القضاء والقدر ، جلى فيه وجه الحق من تلك المباحث الغامضة .

2 - شرح الجمل للخونجى ، ذلك الكتاب الذى أقبل عليه العلماء قراءة واستنساخا .

3 - كتاب فى المعاوضات ، وهو أجوبة عن مسائل وردت عليه من عالم (توزر) الشيخ يحيى الرهونى .

4 - منارات الغلط ، ذكره التنبكتى فى نيل الابتهاج .

5 - مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول ، طبق فيه المسائل الفقهية على القواعد الخلافية فى علم الاصول وقد دل هذا الكتاب على طول باع صاحبه فى هذا الفن .

ومما يؤسف له أن بعض هذه الآثار ضاع أو هو موجود كالمفقود ، عدا الأخير منها الذى طبع بتونس والقاهرة ، وهو معروف عند القراء ، متداول بينهم .

أخلاقه وعاداته :

كان الشيخ الشريف معروفا بالسماحة والحلم ، يلتبس لاهل الفضل فى عثراتهم أحسن الوجوه ، يجل اخوانه العلماء فى محالس الملوك ، يتوخى التوسط فى جميع أموره ، ولقد نعم الطلاب فى كنفه يعيش رخى . وسعادة شاملة ، لا يفشى لاحد سرا ، ولا يضيع أمانة . يزوى أن قاضى قسنطينة حسن « ابن باديس » أودع عنده نقودا ذهبية كانت محفوظة فى قرطاس ، وبقيت عنده حتى طلبها صاحبها ، فذهب يتفقدما ، فوجد مكتوبا على قرطاسها هذه العبارة : « مائة ذهب » ففكه ليعدها فاذا هى خمسة وسبعون ذهبا ، فزاد

عليها خمسة وعشرين ليكمل عد المائة ، ولم ينتبه ابن باديس عندما تسلمها منه للزيادة التي زادها الا بعد زمن . فعاد اليه وقال له : عندما عدت نقودى وجدت زيادة قدرها كذا وكذا ، وهى ليست لى ، فقال الشيخ : فاتنى أن أعداها عند تسلمها ، فلما وقع بصرى على الخط اختبرتها ، فلم أجد العدد المذكور ، فأكملتها طانا ضياع ما نقص منها وهى عندى . ورد له القاضى ما زاده من النقود بعد شكره وأثنى على تحريره وصدقه .

أحوال الناس فيه :

قال عنه الامام ابن مرزوق الحفيد : هو شيخ شيوخنا وأعلم أهل عصره باجماع . وقال تلميذه أبو زكرياء السراج فى فهرسته : شيخنا الفقيه الامام العالم ... كان أحد رجال الكمال علما وذاتا وخلقا .. بلغ رتبة الاجتهاد أو كاد .

وقال شيخه الأبل :

قرأ على كثير شرقا وغربا فما رأيت فيهم أنجب من أربعة .. أبو عبد الله أرجحهم عقلا ، وأكثرهم تحصيلا .

وقال الامام ابن عرفة يخاطبه :

غايترك فى العلم لا تدرك . ولما سمع بموته قال : ماتت بموته العلوم العقلية .

وقال عنه أبو يحيى المطهرى :

حضرت مجالس كثير من العلماء ، فما رأيت مثل أبى عبدالله .

وقال عنه تلميذه يحيى بن خلدون فى « بغية الرواد » :

.. شيخنا أحد رجال الكمال علما ودينا ، لا

عليه مرض حال بينه وبين لقاء الناس ، واضطر الى ملازمة الفراش يعاني شدة وطأة المرض طيلة ثمانية عشر يوما ، أيقن عندها بمجيء أجله ، وعاجلته المنية ، وهو يقبل المصحف الشريف ، ويمسح به على وجهه ويقول : اللهم كما أعزّزني به في الدنيا فأعزّزني به في الآخرة (20) ثم أسلم الروح الى بارئها ، فلتحق بربه خاشعا منيبا ، وكان ذلك ليلة الاحد الرابع من ذى الحجة سنة : 771 هـ 1370 م . ودفن بالمدرسة اليعقوبية بتلمسان ، رحمه الله وأثابه (21) .

يغرب عن علمه فن عقل ولا نقل الا وقد أحاط به .. وبلغ الغاية القصوى من الادراك والتبحر ، مع فصاحة عند الالتقاء ...

وفاته :

كان علم التفسير في طليعة ما يعتنى به من الفنون ، وقد دأب عليه خمسا وعشرين سنة ، يفسر كل يوم ربع حزب من القرآن الكريم ، وعندما انتهى به الدرس الى تفسير قوله تعالى : يستبشرون بنعمة من الله وفضل .. الآية ، طرأ

الهوامش :

- (1) نسبة الى احدى قرى تلمسان تدعى « العلوين » بفتح العين وسكون اللام -
- (2) كانا من أعجيب الدهر غزارة علم وقوة عارضة في علو شان ومكانة مرموقة وقد ذكر عنهما صاحب « نيل الابتهاج » انهما رحلا الى المشرق ، وفي دمشق التقيا بالامام ابن تيمية وناطرا في مسائل من العلم الفحام فيها على قوة حجة الرجل وكونه فارس الحلبة المجل الذي لا يشق له غبار .. على أننا نحن ننقل هذا بكل تحفظ . وقد توفي عبدالرحمن سنة : 743 هـ 1348 م وعاش اخوه بعده ست سنين - الاعلام للزركلي ج : 5 ص 294 .
- (3) المتوفى سنة 745 هـ
- (4) المتوفى بتلمسان سنة 757 هـ
- (5) تلميذ الأيمل والمتوفى بتونس في حدود سنة 750 هـ
- (6) التعريف صفحة (757 هـ)
- (7) لقد ضيق الشيخ رحمه الله أمرا واسعا
- (8) كان من كبار علماء زمنه ، نزح الى الاندلس وبقي بها زمنا ثم أزمع العودة الى تلمسان من غرناطة فلم يبلغ مئاة ومات غريفا سنة 792 هـ
- (9) راجع ترجمة الشيخ في « نيل الابتهاج » ونحن نستغرب أن يقع هذا منه وهو يعلم أن الوصال في الصوم منهي عنه شرعا
- (10) هو محمد بن عبدالسلام بن يوسف الهواري العلامة المتبحر ، ولد بالمستير وولى قضاء الجماعة بتونس ، توفي بوباء الطاعون سنة : 749 هـ

- (11) لعل المقصود ذلك الشخص الذي يتولى قراءة ما في المتن « من موضوع الدرس المقرر » يسبق المدرس بقراءته ليتولى هذا بدوره شرحه وتحليله « وتلك هي المادة التقليدية في الدرس »
- (12) الذي كان صديقا للمؤرخ ابن خلدون *
- (13) المتوفى سنة 790 هـ
- (14) المتوفى مقتولا سنة 793 هـ
- (15) المتوفى سنة 792 هـ
- (16) المتوفى سنة 820 هـ بمدينة فاس
- (17) ذكرنا هنا هذا الامام للمرة الثانية وعددناه من تلامذة الشريف لانه اعطاه واخذ عنه * فهو أستاذه وتلميذه *
- (18) المتوفى سنة 783 هـ
- (19) المتوفى سنة : 776 هـ *
- (20) يبدو من هذا أن الشريف كان عند الاحتضار حاضرا ذهن منطلق اللسان *
- (21) تنبه على أن هناك رجلا آخر يدعى أيضا إبا عبد الله ويعرف بالشريف التلمساني * عاش بعد صاحبنا بزمان *
- وقد كان هو الآخر عالما محققا * توفي سنة : 847 هـ - ذيل الديباج ص : 308 *

مصادر البحث :

نفتت هنا أسماء المصادر التي اعتمدنا عليها في تحرير هذه الترجمة * ليرجع إليها من شاء الاستزادة والتوسع :

- 1 - نيل الابتهاج للتبكي * المطبوع على هامش الديباج المذهب *
- 2 - البستان في ذكر علماء تلمسان لابن مريم المطبوع بالجزائر *
- 3 - تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي * المطبوع بالجزائر *
- 4 - التعريف بابن خلدون * طبع بيروت *
- 5 - نفع الطيب للمقرى ج : 7 تحقيق محي الدين عبد الحميد ط : بيروت *
- 6 - بغية الرواد * ليحيى ابن خلدون * طبع بالجزائر *
- 7 - تحلة اللبيب لابن عصار مفتي الجزائر * طبع بالجزائر *
- 8 - القول المنيف في ترجمة أبي عبد الله الشريف للونفريسي *
- 9 - الفتح المبين في طبقات الاصوليين * لمبدالله المرامى ج : 2 طبع بالقاهرة *
- 10 - الاعلام * للزركلي ج : 6 الطبعة الثانية *

سيكولوجية

المحارب

د. محمد العريبي ولفيلفة

الحرب احلى الظواهر التي لا يخلو منها زمان او مكان فقد عرفتھا المجتمعات البدائية منذ عصورها الضاربة في القلم ووضعت لها طقوسا وشعائير يقوم بها المحاربون عندما يشرعون في القتال وبعد ان يفرغوا منه ، ومن هذه المجتمعات من لا يتصور امكانية حياة آمنة مطمئنة الا ان تستوجب اللعنة او تستتبع العقاب (1) حتى كان الصراع والعنوان جيلة فطر عليها الانسان . وقد بدا الاهتمام بهذه الظاهرة منذ بدا الانسان يتأمل ما يجري حوله من احداث فيبدل فيها برأى او يتخذ منها موقفا ، وتراوحت هذه الآراء والمواقف بين مؤيد للحرب وداع لها ، وبين معارض يتنبا بزوالها واختفائها .

١ - جان كازانوف : سيكولوجية المحارب ص ١٣ - مطالعات

في علم النفس ترجمة د . مصطفى سوييف الانفلو - المصرية

القاهرة 1962

الاغريق

| القرن | النسبة |
|----------------|-------------|
| الحامس ق . م . | 29 |
| الرابع ق . م . | من 45 الى 6 |
| الثاني ق . م . | من 3 الى 40 |

روما (الامبراطورية الايطالية)

| | |
|----------------|-------------|
| الرابع ق . م . | 14 |
| الثالث ق . م . | 36 |
| الاول ق . م . | من 2 الى 30 |
| الاول م . | من 6 الى 08 |
| الثاني م . | من 3 الى 13 |

اوروبا

| | |
|-------------------|----|
| الرابع الثاني عشر | 2 |
| الثالث عشر | 20 |
| الرابع عشر | 68 |
| الحامس عشر | 04 |
| السادس عشر | 86 |
| السابع عشر | 1 |
| الثامن عشر | 1 |
| التاسع عشر | 1 |
| العشرون | 12 |

وعلى الرغم من أن ظاهرة الحرب قديمة قدم المجتمع الانساني نفسه . وعلى الرغم من قدم الاهتمام الفلسفي والادبي بها (الالياذة والاذويسة في الادب الاغريقي . وسيرة عنترة وأبي زيد الهلالي في الادب العربي ، والحرب والسلام لتولستوي في الادب الحديث) ، فإن تاريخ البحث العلمي فيها لا يتجاوز العقود الاولى من هذا القرن ويرجع ذلك الى عدة أسباب :

- 1 - الاعتقاد السائد بأن الحرب مسألة بديهية تدرك بالحدس ولا تحتاج لاي دراسة أو بحث .
- 2 - تبدو الحرب وكأنها شيء كامن في الشخص وليست شيئا خارجا عنه يمكن أن يخضع للدراسة الموضوعية .
- 3 - الاعتقاد بأن الحرب ذات طابع شعوري بالنسبة للأفراد وتتم داخل اطار قانوني يبرم الاقدام عليها من طرف الجماعة .

وحجة اصحاب الاتجاه الاول أن الحرب « أم الفضائل » وهي التي تبقى على الاصلح من بني الانسان وتستأصل الاتجاهات العدمية من المجتمع ومن الذين يمثلون هذا الاتجاه ماكيافيلي MACHIA VEL وكلو سيفيتز CLAUSEWITZ وهربرت سبنسر H. SPENTER ونييتشه NIETZSCHE (2) .

وأما اصحاب الاتجاه المعارض فيرون أن الحرب ظاهرة مؤقتة وأن العصور التالية ستشهد اختفاءها نهائيا وذلك عندما تبلغ المجتمعات مرحلة التصنيع الكامل ومن ممثلي هذا الاتجاه سان سيمون Saint Simon واوغيسست كومت A. Comte (3) .

ولا ريب أن الاهتمام بظاهرة الحرب عن طريق تأمل أسبابها والتنبؤ بمسارها ، وإن كان مفيدا في تعرف منطقتها فإنه لا يستجلى أبعادها ولا يحدد عواملها وآثارها على الفرد والمجتمع . ولذلك رأينا حجج فلاسفة التاريخ - مجبذين ومعارضين - لا تؤيدها الوقائع . فإن الحروب هي التي تخلف وراءها الامراض النفسية والاجتماعية وتنتشر بعدها الاتجاهات العدمية المتمثلة في الاجرام والانتحار والطلاق والموجات اللااخلاقية بوجه عام . وهذا ما حدث فعلا في كثير من البلاد التي عانت من ويلات الحرب .

كما أن التنبؤ باختفاء الظاهرة عندما يعم التصنيع لم يكن أكثر من أضغاث أحلام فقد شهد عصر التصنيع أشد الحروب ضراوة وفتكا . وقد تتبع سروكين SOROKIN في بحث نشره سنة 1934 نسبة الخسائر في الارواح التي منيت بها الانسانية من جراء الحروب طوال خمس وعشرين قرنا وحسب النسبة بالآلاف من السكان فكان القرن العشرون - وهو عصر التصنيع - أكثرها في عدد الضحايا (812 ٪) (أستخرج المؤلف النسب المئوية للذين سقطوا ضحية الحروب من مجموع السكان في كل دولة أو امبراطورية واستخدم عينات تمثل أكثر البلاد التي خاضت حروبا وأكثر القرون التي تعرض فيها بنسب الانسان لويلات الحرب) . كما هو مبين في الجدول التالي (4) :

G. Bouthoul : Phénomène-guerre P. 8 Payot Paris 1962

4 - ج . كازانوف : ن . م . ص 6

3 - ن . م . م . ص 22

1 - المعنوية الدفاعية أى رفع الروح المعنوية للامان جنودا ومدنيين .
 2 - المعنوية الهجومية أى العمل على تحطيم معنويات الاعداء .
 3 - سيكولوجية القيادة .
 4 - اختيار الجنود .
 5 - سيكولوجية الحياة العسكرية .
 6 - سيكولوجية القتال .
 وأثناء الحرب العالمية الثانية شرع مجلس الابحاث فى الولايات المتحدة فى دراسة مشكلة التوافق النفسى الاجتماعى للجندي وقد أشرف على هذه الدراسة خمسة من العلماء هم :
 صموئيل ستوفر S. Tsouffer وادوارد ستيتسمان E. Suchman وويلاندس ديفنى L. Deviney وشيرلى ستار Ch. Star وروبن ويليامز R. Williams . وقد عنى هؤلاء الباحثون بدراسة نجاح توافق الاخوان باختلاف أصولهم الشخصية واختلاف الخبرات التى تعرضوا لها أثناء خدمتهم فى الجيش ومدى توافقهم مع العمل الذى يؤدونه .
 كما قام أطباء العمل بدراسة الانحرافات السلوكية فى الجيش الأمريكى وبلغ عدد الحالات التى قاموا ببحثها حوالى نصف مليون حالة وقد عتوا بتتبع حالات الجنائيات العسكرية مثل الهرب والتمازى والسكر ، والجنسية المثلية ، وادمان المخدرات ، والمشكلات الانفعالية المتعلقة بالتدريب والانتقاء والتعبئة وانمام الخدمة العسكرية والعودة الى الحياة المدنية .
 وأما فى بريطانيا فقد اقتصر السيكولوجيون على اختبارات الانتقاء لاستقصاء حالات الاضطراب الانفعالى واستبعادها منذ البداية .
 وهكذا أصبحت سيكولوجية المحارب تشغل جانباً كبيراً من جهود الباحثين فاهتموا بدراسة شخصيته وروحه المعنوية قبل المعركة واثناءها . وتتبعوا حالته بعد أن يسرح ويعود الى الحياة المدنية .

يضاف الى ذلك حداثة الدراسات السيكولوجية وعلم النفس التطبيقي بوجه خاص فقد كانت ظاهرة الحرب تدرس ضمن علوم التاريخ والاقتصاد والاجتماع ، حتى تبين للباحثين « أن للحرب أسسها السيكولوجية الجوهرية وأنها اذا ما بدت مرتبطة بظروف مادية فان ذلك الارتباط عرضي لانه متغير وعابر » .

وعندما اندلعت الحرب العالمية الاولى ، كانت الولايات المتحدة الامريكية أول من عنى بتطبيق مبادئ علم النفس فى الميدان العسكرى فتكونت سبعة عشر لجنة لتطبيق الوسائل السيكولوجية : وقد تناولت أبحاث هذه اللجان المسائل التالية (5) :

- 1 - وضع اختبارات نفسية لاختيار قدرات الجنود واستعداداتهم وتنظيم اختيار الجنود .
- 2 - المشاكل السيكولوجية المتعلقة باستخدام الحواس وخاصة البصر والسمع فى ميدان القتال .
- 3 - المشاكل السيكولوجية المتعلقة بالطيران .
- 4 - تنظيم البرامج التعليمية والتدريب العسكرى على أسس علمية صحيحة .
- 5 - علاج المصابين بالصدمات النفسية الناتجة عن أهوال القتال .
- 6 - تقوية الروح المعنوية للجنود .
- 7 - الدعاية .
- 8 - توجيه الجنود لحياة مدنية سعيدة بعد انتهاء الحرب .

وقام بارتليت F. G. Bartlett سنة 1926 بدراسة توافق الجندي وروحه المعنوية والآثار التى تنجم عن انتقال الفرد من المحيط المدنى الى المحيط العسكرى .

وفى هذه الفترة كان السيكولوجيون الالمان يوجهون عنايتهم نحو الحرب السيكولوجية ، وبعد أن تدبروا أسباب هزيمة المانيا فى الحرب العالمية الاولى أخذوا يوالون اهتمامهم الى موضوعات أخرى وخاصة أثناء حكم النازى ومن بين المسائل التى درسوها (6) :

5 - بونيهولن . م . م . ص 107

6 - عثمان نجاني علم النفس الحربى ص 14 ط : 3 - النبعة العربية - القاهرة 1960 .

ومن أهم الأسباب التي جعلت السيكلوجيين
يعتبرون بهذا الميدان (7) :

1 - ان الجيش أصبح اليوم منظمة تضم أكبر
عدد من الافراد وتمثل أضخم تجمع في الأمة
بعد المجموعة المدرسية وهو بذلك يضع على عاتق
القيادة مشاكل لا نظير لها في أى مؤسسة أخرى
2 - يعتبر موقف الحرب من اشد المواقف خطرا
وأطولها زمنا فيها يتعرض الانسان لاعنف صراع
بين واقعين يدعوه الاول الى المحافظة على حياته
وتجنب الهلاك ويحرضه الثاني على أداء الواجب
وأثناء العار .

وتنجم بعض أسباب هذا الصراع عن المعركة التي
تجعل الجندي يتردد بين حاجته الى الامن وبين
الواجب الذي يدعوه الى القيام بمهمته والمخاطرة
بحياته وينجم بعضها الآخر عن ضروب الالتزام
Contraintes التي يتعرض لها الفرد ابان خدمته
العسكرية وتضطره الى التخلي عن المثل وأنماط
السلوك التي تعود عليها في حياته المدنية وتقبل
النظام العسكري بما فيه من دواعي الضبط
الصارم .

3 - ان الوسط العسكري يضخم بطريقة
ملحوظة بعض مظاهر السلوك الانفعالي ، اذ لا
يوجد في أى تجمع آخر ظروف أكثر مساعدة
على ظهور السلوك الانفعالي .

وقد وجد الادب في هذه الظاهرة مجالا خصبا
للوصف والتصوير لكنها قلما حظيت بدراسة
موضوعية ، فبمجرد أن ينخرط الفرد في الخدمة
العسكرية يواجه أزمة حادة اذ عليه أن يقطع
صلته فورا بمحيطه المعتاد فيتخلى عن جو العائلة
والمدرسة والمهنة ، وهو يجد نفسه مع اقران
ينتمون الى أصول مختلفة من الناحيتين الجغرافية
والاجتماعية ، ينبغي أن ينشئ معهم نسيجاً جديداً
من العلاقات الاجتماعية ويتخلى في نفس الوقت
عن مجموعة من الروابط الوجدانية والعاطفية التي
اكتسبها من قبل .

وعلى الرغم من دواعي الانضباط فان الفرد يجد
نفسه فجأة متحرراً بطريقة لم يألها من قبل حتى

لتبدو له هذه الحرية وكأنها وحدة او عزلة خالية
من كل سند ويعمل فرانز ألكسندر F. Alexander
فشل بعض المجندين في التوافق مع المواقف
الجديدة بفشل استجاباتهم القديمة في التألؤم
مع المثيرات الجديدة وعجزهم عن استبدالها
باستجابات أخرى تستعيد لهم حالة التوازن
النفسى .

وقد تبين من دراسة تتبعية قامت بها الوحدة
العلاجية في دارتفورد (بريطانيا) بإشراف جونز
Maxwell Jones على مائة حالة من الجنود
الذين تعرضوا للأسر وأمضوا في الحرب فترة تصل
الى خمس سنوات ، أن الاسر قد عانت الكثير من
المتاعب بسبب محاولات الفرد التوافق مع البيئة ،
وتمثل الارقام التالية الصورة العامة للمرضى في
الدراسة التتبعية وذلك فيما يتعلق بالاعراض
المرضية :

22 شقوا تماما

66 تحسنوا

12 لم يتحسنوا

أما الذين ذكروا أنهم شقوا تماما فقد قرروا
أنهم عادوا الى الحالة التي كانوا عليها قبل الحرب ،
أما الذين لم يتحسنوا فقد أكدوا أن حالتهم قد
تحسنت نوعا ما خلال اقامتهم بالمستشفى ولكنها
سأت مرة أخرى بعد مواجهتهم لظروف المجتمع
الخارجي . أما الباقيون فقد قرروا أنهم ما زالوا على
حالتهم السابقة .

وفيما يتصل بناحية العمل فقد كانت الصورة
العامة كما يلي :

34 عادوا الى عملهم السابق للحرب .

18 اشتغلوا بنفس حرفهم القديمة مع تغيير
مكان العمل .

40 اشتغلوا بحرف جديدة تماما .

8 كانوا متعطلين .

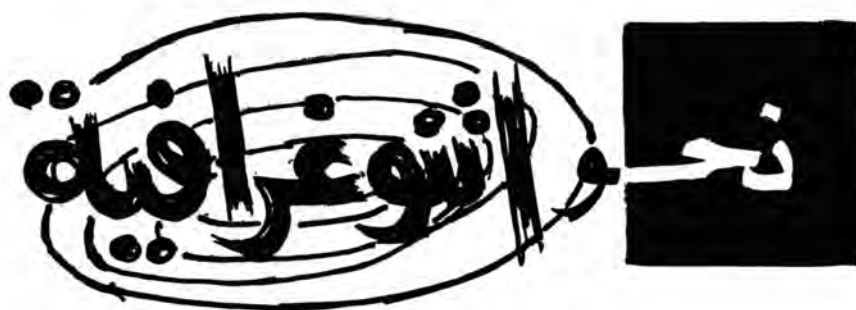
ويعمل فرانز ألكسندر F. Alexander

فشل بعض المجندين في التوافق مع الموقف
الجديد بفشل استجاباتهم القديمة في التألؤم مع
المثيرات الجديدة وعجزهم عن استبدالها باستجابات
أخرى تستعيد لهم حالة التوازن النفسى .

8 - Charles Chondessais : La psychologie dans l'armée P. 9, P. 32, Paris P.U.F. 1959

10 - محمد عاطف السعيد

9 - بول موكر علم النفس العسكري ص 118 - 119



جديدة

ان هذه الیقظة هی وعی . هذا الوعي الذي تمخضت عنه حروب تحريرية أدت بالمجتمع العربي الى نوع من التمزق في الشخصية . وان الثورات والحروب التحريرية التي اجتاحت الوطن العربي أدت الى تحولات - بدرجات متباينة - وفتحت مجالا للشعب للتنفس ، غير أن الجو يبقى مكدرا ما لم يعقبه استقلال اقتصادي وثقافي .. ونهتم في هذا الحديث الموجز بالتححرر الثقافي أي التحرر من الطرق التقليدية في التفكير. وأول شيء يصادفنا هو ما يسمى بالعلوم الانسانية . ان العلوم الانسانية تأخذ القسط الوافر أو سهم الاسد من اهتمامنا اذا أردنا أن لا نبقي ميدان تجربة للباحثين الغربيين الذين نادرا ما يتصفون بالنزاهة العلمية عندما يتصدون لبحث

في الوقت الذي بدأ الزحف العربي يخطو خطوات متباينة في الايقاع ليحطم تدريجيا اسوارا من الحمول والخرافات ، ويستيقظ بعد سبات عميق ، ويتوقف متاملا الدرب الطويل الذي قطعه في زمن قصير يتحتم علينا أن نتوقف بدورنا وأن نعيد النظر في بعض المفاهيم ، وبعض المعايير التقليدية التي ورثناها وحفظناها واحتفظنا بها - عن حسن او سوء نية - وذلك لنخرج من حصار وان لا نلج سياجا آخر ..

ابن عمار الصغير

مجتمعنا . واذا كانت المجالات الغربية المختصة تهتم يوميا بالمناهج في العلوم الانسانية . واذا كانت الدول المتقدمة تعقد مؤتمرات للبحث والمناقشة في هذه المادة بالذات وترى بأن المنهج ملتصق دائما بالايديولوجية . فنحن أولى بهذا الاهتمام لاننا لم نتحرر بعد من المناهج العقيمة التي تجاوزتها الاحداث وتخل عنها الغرب وفضحها بعض الغربيين .

واود في هذا الحديث العابر أن القى نظرة على الاتنوغرافيا . هذه المادة التي نجد لها في بعض جامعات العالم الثالث كرسيا وهيئة تدرسها وتقوم بالبحوث المتعددة ضمن مناهجها ..

فما هي الاتنوغرافية ؟

الاتنوغرافية هي دراسة المجتمعات العتيقة : أي المجتمعات التي ما زالت فيها رواسب بدائية . ولتعريف المجتمع العتيق لنا أن نقول بأنه مجتمع ضيق في مظهره التقني والقانوني . وعلماء الاجتماع يفضلون نعته بالمجتمع العتيق . ويتهربون من نعته بالبدائية لان البدائية تتضمن حكما معياريا وبالتالي فهو ادخال عنصر قيمي في الموضوع .. ويقال كذلك بأن المجتمعات العتيقة ليست لها صبغة تاريخية أي انها مجتمعات لا تتصف بتشعب الحضارة .. فالمجتمع العتيق اذن هو مجتمع بسيط وضيق .

كذلك نجد العالم الفرنسي دوركايم E. Durkheim يخصص كتابا لدراسة المجتمعات الطوطمية وحاول تقديم تعريف للمجتمع البدائي وذلك في كتابه : الاشكال الاولى للحياة الدينية.

Les temps modernes le N° de Mars 1971

ويرى بأن المجتمع البدائي هو : أبسط المجتمعات وتبجلى بساطته في أنه يفهم ويشرح بدون أن نستعين بمجتمعات سابقة له ... ونجد وصفا آخر للمجتمع العتيق هو كونه متماسك . وهذا التماسك يؤدي الى وحدة المظهر Uniformité

أي اننا اذا أخذنا عينة فهي ممثلة . فالاسرة مثلا نموذج ممثل وعينة صالحة للدرس . فالاسر متشابهة متماثلة وكذلك السلوكات والذهنيات . ففي المجتمعات الطوطمية أو البدائية نجد وقوع كارثة أو افراح تؤدي الى استجابة تلقائية وعامة بل ان الفرد صورة للمجتمع وعينة ممثلة له .

وما هي مهمة الاتنوغرافي ؟

ان مهمة الاتنوغرافي تنحصر في الوصف المحلي أي : ان الدارس الاتنوغرافي ينتقل الى المحيط المدروس أي الى البيئة التي يعيش فيها هذا الشعب الذي هو موضوع للدرس .. ولكن قبل أن نستمر في ذكر مراحل البحث لنا أن نتوقف قليلا لنلاحظ بأن الدراسة الوصفية الشاملة قد لا تتغلغل الى صلب الموضوع للتعرف على الظاهرة في مختلف مظاهرها . بل أن الملاحظة الدقيقة قد تمكننا من التعرف على كثير من وجوه الظاهرة ولكن . قد لا نفهم الاسباب الاولى المنشئة لهذه الظاهرة ... هذه هي العقبة الاولى التي تصادفنا في البحث .

وأما الصعوبة الثانية فتبرز عندما نريد الادلاء بنتائج البحث . فهذه النتائج يدورها تتضمن

- حتى فى أبسط أشكاله - الأساس الاول لقيام العمران الحضارى نظرا لانه يتطلب ارتباط الناس بالارض والاستقرار فى مكان محدد بالذات وما يترتب على ذلك من الرغبة فى الارتفاع بمستوى المعيشة وتحسين ظروف الحياة من كل النواحي ، والميل الى الخلق والابتكار والعمل على المحافظة على التراث الاجتماعى والثقافى .

وكذلك الرعى الذى يرتبط بالتنظيم القبلى وحياة البداوة والنبعة التى تحتها نفس الظروف العامة السائدة فى الصحراء وبخاصة الظروف الجغرافية والحالة الاقتصادية (والمعاشية التى تجعل الإقامة من مكان واحد أمرا صعبا الا حيث تتوفر شروط معينة بالذات . ويقوم النمطان جنبا الى جنب فى العالم العربى ككل وفى كل بلد من البلاد العربية على حدة مع اختلاف حظوظها منها . ولكن هذا التسرع فى الحكم قد يجعلنا نتناسى عاملا هاما هو العامل الذهنى . ان هذه المجتمعات بل هذه الانماط لم تكن قارة ومنغلقة ، وهذه المجتمعات لم تكن تحيا منعزلة . لها حياة خاصة وبعيدة عن التيارات الفكرية السائدة بل استفادت ولو قليلا من فوائد الحضارة العالمية . فالتأثير الخارجى موجود ولو كان ضئيلا .. أما ان يقال بأن هناك مجتمعات بعيدة عن الحضارات الانسانية وعاشت منعزلة تحيا حياة خاصة ولم تكن لها أى علاقة مع المجتمعات البشرية الاخرى فهذا من قبيل الميثولوجيا .

ان الدراسة الاثنوغرافية والانتولوجية قد تكون لها فائدة حقيقية . هذه الفائدة تتمثل بالدرجة الاولى فى بعث التراث الحضارى .. وهذا البعث ليس بعثا للانغماس فيه ولكن لانتقاء الصالح والاغراض عن الطالح .. هنا فقط تكون للانتولوجية فائدة وفائدة حقيقية .. ولنا عودة الى الموضوع .

غيبين : فالعيب الاول هو كون النتائج مرتبطة بأيدولوجية الباحث ، والعيب الثانى هو ادخال النتائج فى نسق مذهبى معاصر للباحث وبعيد عن واقع المبحوث . هذه الفكرة الاخيرة قد تثير نقاشا وقد يقال بأن مهمة الباحث هو الجمع ثم الهدف الذى يريد الوصول اليه هو تكوين نظرية وادخالها فى نسق معين . ان تكوين النسق فى حد ذاته شئ مرغوب فيه اذا لم تكن العملية عملية تليفقية بدل التوفيق بين الاجزاء المختلفة . وان محاولة التوفيق او الحصر فى نسق معين عليها ان لا تنسينا الوحدات المتباينة وفى الرياضيات نعلم بأنه لا يمكن جمع وطرح وحدات مختلفة ... ان قولنا هذا لا يقضى على علم الاجتماع كعلم ولكن الدفاع عن العلمنة شئ والتوصل الى معرفة الحقيقة فى مجتمع معين شئ آخر ..

ولعل من الاحسن أن نذكر بهذا الصدد رأيا آخر حول خطورة هذا النوع من الدراسة كما فعل صاحب مقال « الانتولوجية ما فائدتها ؟ » (مجلة طان مدارن عدد مارس 1971) .
Les Formes Élémentaires de la Vie Religieuse
وصاحب المقال يرى بأن الدراسات الانتولوجية والاثنوغرافية لم تكن فى يوم ما دراسة تزيهية اذ أن وراء كل انتولوجى شرطى أو سياسى لا تهمة الدراسة فى حد ذاتها بقدر ما تهمة النتائج العملية التى ينبغى التوصل اليها .. وهذه النتائج هى الفهم لتسلط أحسن واستغلال أكثر . ولكن هل المجتمع العربى صالح لهذا النوع من الدراسة ؟

وهذا السؤال يؤدى بنا الى سؤال آخر : ما نوعية المجتمع العربى ؟ .. لقد قيل بأن المجتمع العربى مجتمع زراعى . فاذا سلمنا بذلك بدون أن نتطرق الى بحث دقيق لهذا الجانب الذى يستحق وحده اهتماما خاصا . واذا علمنا بأن الزراعة ترتبط بالتنظيم البدوى الذى يعتبر

لاستعمار المفنع

2

محمد
عزير
الحبابي

الاستعمار مدفوع الى تأمر بشع بطبيعة تكوينه :
يتآمر ضد خيرات الارض وما تحت الارض ، وضد
كرامة « الاهليين » . تتجلى فعاليات القضاء على
تلك الكرامة ، مباشرة وبكل وضوح ، في اقبار
الثقافات الوطنية بالبلدان المستعمرة . فأيضا
مر أشبال وعشاق (أتيل) المعاصرون ، تقلص
الفكر وذبلت الثقافة القومية . من أولئك الهدامين
من يعمل عن جهل ، ومنهم من يخرب ليستقيم الامر
لارباحه واستغلاله . نعم ، « ما ضاع حق وراه
طالبه » ، ولكن ، اذا قضى على شخصية هذا
« الطالب » سهلت السيطرة على « المطلوب » :
بلدوا ووحشوا « الاهليين » ، باسم الحضارة
والتمدين ، يستقر لكم الامر ! تلك هي « الفلسفة »
السياسية للاستعمار .

مع الامكانيات الحربية : الدبابات أولا ، والمفاهيم الحضارية ، ثانيا ، وبتعبير أصح : فى البداية ، توجد القوة النارية الصماء ، ثم عنها تتولد أسس الباقى .

اليس تقدم الحضارة هو الذى مكن الانسان من الاختراعات والاكتشافات الهائلة . ومن بينها الاسلحة للدفاع عن تلك المكاسب وتوسيع نطاقها ؟

لكن جدلا دياكتيكيا غريبا وغريبا قلب الوضع راسا على عقب : قد أمست الاكتشافات والاختراعات موجهة لصالح الاسلحة والتسلح ! فالحضارة والتقدم جميلان وجيدان ، ولكن القوة غدت أجمل وأنبى : فلتركم ، ولنسجد للقوة ! (قوة النار والحديد والتفجير النووى ...) فما دامت الثقافات تعمل لصالح تلك القوة ، ولم تبق للقيم الاخلاقية والفنية والفكرية والروحية الا القدر النزر من الجاه والقداسة ، سهل طمس كثير من معالم الثقافات « الاهلية » .

هناك ما هو أنكى وأظع . عندما تتقدم الثقافات « الاهلية » مزيفة ، محنطة ، مشووعة الى ابنائها ، يستشبعها بعضهم ، ويتنكر لها ويهاجمها . مفضلا عليها ثقافة الغالب . ولغة الغالب ، وتاريخ الغالب ، لان النتيجة الحتمية لفعل القوة فى الضعفاء ، هى انحلال الشخصية الفردية والتنكر لشخصية الشعب ومقوماتها . وهنا الخطر الاكبر على مصير الانسان بوصفه انسانا .

يحاول « الاهليون » المتنكرون لشخصيتهم القومية أن يكونوا لانفسهم كيانا جديدا ، مقتبسين من ثقافات الاقوياء ، بعض العناصر . لكنهم سرعان ما ينطحون جباههم على الحصون المنيعه ويكسرون أرنبتهم . بنى المستعمرون المتطرفون ، بأسيا وبأفريقيا . السدود كي لا تتشرب ثقافتهم الا بالقطرات ، ولقلة من المحظوظين ، ويقيم العنصريون أمثال (فوبوس Faubus و) والاص Wallace بالولايات المتحدة نفس السدود : المدرسة لابناء لقدر النزر من الجاه والقداسة ، سهل طمس كثير من معالم الثقافات « الاهلية » .

البيض ، والجامعة لابناء البيض ، لان الاسود لا يستحق أن ينال حظه من الثقافة . ولأن الابيض لا

قد يكون ، احيانا ، من بين انصار الاستعمار . « مثاليون » يتخلعون بنظريات مغرية وبأساطير غدتهم ، منذ الصبا ، فترعرعت فى مخيلتهم ، اذ صادفت قالبا خاليا ، فتمكنت . « هؤلاء » ، عن حسن نية ، يندفعون والتيار ، مع شيء من العطف على « الاهلين » . قد تنطبق عليهم قولة سقراط : « لا أحد يفعل المنكر عمدا » .

لهذه الطائفة نخصص هذا الحديث .

ان الميثولوجيا ، اليوم ليست فقط تاريخا خرافيا عن القدماء . بل أيضا انعكاسا نرجيسيا لـ « المدينين » (بكسر النون) المعاصرين . فنحن ، وان كنا لا نعتز ، فى أساطيرنا ، على حروب بين الآلهة والابطال . نشاهد صراعا ، حاميا ، من نوع جديد ينبعث عن ذهنية خرافية : الصراع من أجل سيطرة بعض الشعوب وبعض الاجناس على أخرى . فى كل حليات الحياة ، باسم افضلية « الدم » . أو باسم الرقى ...

طبقا لتلك النظرية العنصرية ، تأخذ نشوة القوة بالشعوب المتقدمة تقنيا واقتصاديا ، وتلعب براسها . مما يجعلها تعتقد أن القوة تكسب الفضائل . وتفرض واجبات لها على الضعفاء . وأول مهام « العظماء » « التبشير » ، ولو عن طريق القوة . بأن الاشتراكية ، أو الاقتصاد الحر ... هو النظام الصالح لكل العالم . و « كل ما ليس عليه أمرنا فهو رد » ... فالقيم والمقاييس للتفكير والسلوك والحكم ، يجب أن تقتبس كلها من النظام الذى ارتضاه الشعب القوى لنفسه وللمجموع الشعوب . فمن اختار غير ذلك نظاما فى الحياة تعرض للمضايقات الاقتصادية والمؤامرات السياسية . « فاما أن تتعشقنى ، بالرغم عنك ، والا اعلنتها حربا شعواء عليك وعلى من يناصرك ! » لو كان التاريخ يعيد نفسه لصرحنا بأننا دخلنا مرحلة جديدة من الحروب الصليبية . حرب الفكرولوجيات . وأن العاقبة لمن هو أكثر قوة سلاحية تدميرية !.. اذ لا مكان للضعيف . .

من هنا كان انتشار الثقافة والمبادئ العليا لا يتجاوب سويا مع المثل وحاجيات الشعوب ، بل

عرضيا للعقلية المعاصرة . ولا تقوم على أى أساس فلسفى أو دينى أو فكرولوجى ؟

يمكننا تفسير هذا الوضع الغريب ولو جزئيا .

تقدم البيئة المعاصرة لبعض العنصريين: صورا ودلالات عنها وعنهم لا تمت الى الواقع بصلة . بل تستقى من الخرافات . فيفترون ظنا منهم أنهم حاملو رسالة التمدين وانهم الانبياء المنقذون . فبطريقة عفوية يصفون ، على ذواتهم ، معانى مصطنعة ثلاث ميو لهم وسلوكهم فى الحياة كما يتصورونها ، وكما يفهمون دورهم فيها . انهم كالعنكبوت تقتل خيوطها بيدها وتنسج منها الغلاف الذى يعزلها عن الخارج . أو مثلهم كمن ينظر فى المرأة لا يجد الا شخصه كما صبغه وزينه . فالمعاملة مع الذات ترمى فى أحضان الترجيسية . ان العنصريين نرجيسيون يغفلون على نظرهم الخاصة عن العالم ويتنكرون لنظرة الآخرين لهم وللواقعية ولعالم الآخرين . يعكس سلوكهم منظومة ضيقة ومنحرفة من المفاهيم والدلالات عن الدم والعرق . وعن الاخلاق . والذهنيات . والعلم . والتاريخ . وكل ذلك يتناغم فى عقليتهم ويسير على ايقاع منسجم داخل نظرية عامة .

انه خطر على تلك النظرية . من الداخل . وكل ما يمكن أن يهددها هو احتكاكها بما هو اجنبى خارجي . تقبل البعض ذلك الاحتكاك الى أن كشف له الغطاء . فتراجع عن خيوط عنكبوته الفكرية . أما البعض الآخر فامتنع . فى كبرياء . من الاحتكاك حتى لا يواجه الحقيقة . فساهم فى القضاء على الثقافات « الاهلية » . لان وجودها يرغم على الاحتكاك . ثم على اتخاذ موقف من النظرية الى الحياة والسلوك مما يقلق ويحدث مشاقات نفسانية النرجيسيون فى غنى عنها .

القضية . اذن اعمق مما يظهر لاول وهلة .

يختلط بالاسود . ولان الثقافة ميزة للابيض ... وقد استعملت القوة . ضد شبان وشابات سود يريدون مقعدا فى المدرسة والجامعة . وماتوا . ومعهم ظماهم وتمسكهم للثقافة . فانتصرت القوة على الثقافة وعلى مبادئ الحضارة (X) . القوة فوقك يا انسانية !...

القوة « قضت » . بمنطق البندقية والمدفع والرشاشة . أن « الاهليين » « والسود » « و « الحر » و « الصفر » ليسوا كالاخرين . بل ليسوا « آخرين » : انهم شيء . أو أشياء . انهم شيء من الاشياء . لكنهم ليسوا شيئا فى حد ذاته !..

فمن سوء الحظ أن النمو العلمى لم يقض على الميثولوجيا التى تعشش فى كثير من الادمغة . بل على العكس . قد ذكى خميرتها عند بعض الناس الى حد أنهم آمنوا بمعادلات غائبة : بقدر ما تتقوى اقتصاديات وأسلحة أمة . بقدر ما تزداد يقيننا أن الحقيقة الى جانبها . وأن التاريخ « يفرض » قيادتها على الامم الاخرى . هكذا . تتحالف الترجيسية مع نشوة القوة . فيتمخض عن اتصالهما طقس ذهني جديد تخلق فيه أنفاس العدل والمساواة والحق . وتنصر فيه العنصرية . اذ ذاك يضغى الاقوياء صبغة الحضارة على قوتهم ويغلفونها بطابع انساني ليخدروا الضمير ويهبوه طمانينة زائفة .

النرجيسيون لا يعون وضعهم كما هو . لانهم ثمالى يجترون ... مستواهم الثقافى قد يعلو عند هذا وينخفض عند ذاك . اذ الثقافة وحدها لا تكفى لاستئصال الترجيسية والعنصرية . فلا عجب أن نرى من بين السلايين المتطرفين . مفكرين كبارا وأبطالا عظاما . مثل (ايرنست رينان) و (روزامبرغ) .

فهل سبب ذلك أن العنصرية تشكل انحرافا

(X) تشير الى الحوادث المفجعة التى وقعت بمناسبة افتتاح العام الدراسى لسنة 1958 فى جنوب الولايات المتحدة حيث رجست جمهر البيض الاولاد السود الى أن لفظوا النفس الاخير وداست بأرجلها جثث الطلبة الذين ضحوا بأنفسهم دفاعا عن القيم الثقافية وعن المساواة التى منحهم اياها الدستور الأمريكى .

الديانات الابراهيمية . فعوضا من معرفة الكون والمجهول عن طريق الاسطورة (نتاج التخيل) ، نجد أن الميتافيزيقا الاسرائيلية (العهد القديم) واللاهوت المسيحي وعلم الكلام الاسلامي توجه كامل عنايتها لنبد اخوف الناجم عن المجهول الكامن وراء الاساطير لفهمه وافهامه . فآله هو السبب الاول ، الخير الاسمي وينبوع كل خير ، انه اله كل الاجناس والاكوان ، وهو عشق وعاشق ومعشوق لذاته . وتزيد الديانتان الاسرائيلية والاسلامية : بأنه اله متعال ، تعاليا مطلقا ، منزّه عن كل تشبيه ، مريد بارادة اُزلية ، أحكامه غير عرضية، وهو عقل عاقل ومعقول وينبوع الحياة والعقل . انه علة العلل المتجلية أبدا :

« وفي كل شيء له آية »

تدل على أنه الخالق »

أحد . أحد . فلا معارك بين الآلهة ، أو تدخلات حزبية لرب من الاديان في الحروب الانسانية . كما هو الشأن عند يونان القديمة . اعتقد القدماء أن للنواميس الطبيعية أرواحا ، فتمثلوا كل واحد منها في صورة مجسمة ، ثم ألها أهمها وأقواها ، مما جعل ذهنية القدماء . بالشرق والغرب . تسج في بيئات تلعب فيها الآلهة وأرواح الطبيعة دورا أعظم من دور الكائنات البشرية .

فدعوة الديانات الابراهيمية لم تكن دعوة اصلاح فقط ، بل ثورة جارفة زعزعت مقومات التفكير والسلوك ، أخلاقيا ومجتمعا ، ونفسانيا . فوحدانية الله وتعاليه المطلق سفتها خرافة الصراع بين الآلهة ومشاركتهم في الحروب الانسانية . وقضت على الاعتقاد بأن لظواهر الطبيعة أرواحا تناله ، كما قضت على الايمان بتعدد الآلهة . فلا آلهة ، الا « الوهيم » . الاحد :

« ان الرب هو الاله . وليس اله سواه » (3) . انه أحد . عالم . عنه تفيض المعرفة .

« وفوق كل ذي علم عليم » (قرآن 2 ، 6) وفادر « فعال لما يريد » (II : 107)

فالعنصرية ليست خلقا منطقيا أو تحديا للأخلاق : ان لها جذورا ميتافيزيقية (لانها تتولد عن نظرة الى الكون والحياة) ، وسيكولوجية (الميتافيزيقا توجه السلوك) . أما الميتافيزيقا ، بدورها ، فليست بالشئ البسيط ما دامت تتغذى من ميتولوجيا غامضة تهيمن على ارادتنا وشعورنا وتفكيرنا ، انها تقوم بفعالية كبيرة في حياتنا الفكرية والسيكولوجية . عن غير وعي منا ، كالغدد التي تسير . في عمق وبتستر . حياتنا الفيزيولوجية ونحن غافلون ، تمام الغفلة . عن نشاطها الهائل . ليس من خاصيات عصرنا أن نرى الاساطير تسير تفكيرنا ، فالعقل كان دائما يرضع من ثديي الميتولوجيا . فمن العبث أن نحاول فصل هذين الاخوين من الرضاع . فالمجتمع العصبي المتطور الذي يحتكم بأحكام العقل . لا يزال ، في الواقع . خاضعا لكثير من الخرافات والترهات . فتغلب المنطق على الخرافة هو أكثر صعوبة مما يظن للوهلة الاولى . وقد ذهب (رويير) . في بحث عن « فلسفة طبيعة الاسطورة » ، الى التأكيد بأن هذا التغلب ليس عملا عسيرا فحسب . بل عملا مستحيلا :

« اذ استقلال الفكر عن الاسطورة لا يمكن أن يكون استقلالا مطلقا كاملا دون تناقض . من الممكن أن نفكر بكيفية عقلية وعلمية في مسألة خاصة لا في الطبيعة أو في الانسان داخل الطبيعة . الانسان عندما يقوم بالنظر الحالص يمكنه أن يدرس الطبيعة ، بمجموعها . لكن . عندما يشعر أن تلك الطبيعة تتضمنه ، وأنه جزء منها ، لا يستطيع أن يبقى صاحب نظر مجرد » (2) .

كيف العمل على زحزحة الميتولوجيا . ولو الى حد ما . من فوق عرشها العتيق . عسى أن يتحرر العقل البشري . ولو قليلا . من سيطرتها ؟

ذاك ما حاولته بعض الديانات .

اول من قام بمحاولة من هذا القبيل هي

2) - R. Rayer, La philosophie de la nature du mythe, in, R. Intern de philosophie, n° 36 1056 p. 167.

(3) سفر تثنية الاشتراع 4 : 35 راجع كذلك القرآن 2 : 5

التعليم الأصلى فى الجزائر

عبد المجيد الشريف
مدير التعليم الأصلى

ان الجزائر عبر القرون التالية للفتح الاسلامى ، حافظت على الثقافة العربية الاسلامية بصلاية
ليس لها مثيل ، واغنت التراث العربى بكثير من الشروح ، والتعليقات ، والمؤلفات الهامة ، وانتفعت
بالتيارات الثقافية العربية التى قدمت اليها من الاندلس والاقطار العربية الاخرى .
وقد كثرت الجامعات ، والرباطات ، والزوايا ابان العصور الوسطى ، كثرة ادت الى ثورات
ثقافية قدر لها ان تستمر ردحا من الزمن ، وقد اشتهرت بعض هذه الرباطات باسماء اصحابها ،
 واصبحت مركزا للادب والامامة والارشاد .

ويقول « بولارد » المؤرخ الفرنسى فى كتابه (التعليم فى الجزائر قبل 1835) : « كان فى
الجزائر فى القرن الرابع عشر وما بعده مراكز ثقافية باهرة وكان فيها اساتذة متمكنون فى
علوم الفلسفة ، والفقه ، والادب ، والطب ، والنحو ، والفلك ، وكانت المدارس منتشرة فى
ربوع البلاد ، والتعليم فيها شرعى ودينى ، ومدنى » .

من مستوى الفرد الجزائري روحيا وخلقيا ، وجعله عضوا نافعا بناء ، تكاملت فيه شروط المعرفة والاخلاق ، وتفاعلت فيه مثالية الروح وتفتح العقل .

اهداف التعليم الاصل :

من جملة الاهداف التي تسعى لتحقيقها معاهد التعليم الاصل :

- تكوين جيل صاعد من الشبان والشابات ، يتوفر فيهم التكوين العلمي باوسع واحداث معانيه مع التربية الاسلامية المتينة .

- تركيز اللغة العربية حسب الطرق العلمية ، ونشرها على اوسع نطاق بالسرعة الكافية لدعمها وفق مقتضيات العصر .

- انقاذ ابنائنا الذين حرموا من التعليم العام ، او ممن فاتهم السن القانوني للدخول في المدارس ، او كانوا دون السن المطلوب للدخول في المدارس المهنية .

- تكوين اطارات دينية متينة ، قادرة على تحمل رسالتها بصدق ويقين ، وعاملة على ازالة ما يعلق بالتعاليم الاسلامية من شوائب المفرضين ، واقتراءات الدسائس .

الوضع الحالي لمؤسسات التعليم الاصل :

ان مؤسسات التعليم الاصل منذ نشأتها تتقدم

تقدما حثيثا من ناحية اقبال الشعب عليها ومن ناحية تطويرها واعادة بنائها حسب الاساليب العصرية الحديثة ، وفي مستوى الثانويات العامة الاخرى بفضل ما اولته القيادة الثورية من عناية خاصة بها ضمن المخطط الرباعي ، حيث قال الرئيس الاخ هواري بومدين غير ما مرة : لا أريد

وحتى في المدة الطويلة من ايام الاستعمار التي ابتليت بها البلاد ، ورغم الضغط والتنكيل برجال العلم ، ورغم المصادرة والابادة والعمل على محو كل اثر يجعل الفرد الجزائري يشعر بمقوماته ودينه ، حيث اغلق المستعمر المدارس ، واغتصب أوقافها ، ومنع التعليم العربي . وعاقب بالسجن والتشريد من يمارسه أو يطالب به ، حتى خبت منارات الاشعاع الثقافي من بجاية ، وتلمسان ، ويسكرة ، ومازونة ، وتيهرت (تيارت) ، وقسنطينة ، وغيرها من دور العلم والثقافة المنبثقة في كامل التراب الجزائري ، أقول حتى اثناء ذلك الليل الطويل المظلم ظلت الجزائر تبث بانبائها لكل مكان تأنس فيه علما طلبا للعلم وبحثا عن المعرفة ، وبفضل الارادة الشعبية ووفاء هؤلاء الابناء البررة استطاعت الجزائر ان تحافظ بكل صلابة على دينها ولفتها ، رغم الحديد والنار ، وبطش المستعمر وجبروته ودهائه ومكره ، وتجنيد كل الطاقات لتشويه ماضيها التليد ، وطمس معالمه ، والعمل على فصله عنها ، وفصلها عنه . وهكذا كانت المساجد والرباطات في الاول ، ثم المدارس الشعبية في المرحلة الاخيرة ، مراكز اشعاع للثقافة العربية الاسلامية ، وقلاعا حصينة للحفاظ على الشخصية الجزائرية الاصيلية .

واليوم ... وقد استعادت الجزائر حريتها واستقلالها يحق لها ان تستعيد مجدها الثقافي الاصيل ، وتتخلص من التبعية الفكرية البعيدة عن الواقع الجزائري .

كما يحق لها ان تسهم في بعث التراث الاسلامي ، وترفع في ميدان البحوث مشعلها المجدد . وللمساهمة في تحقيق هذا الهدف تسعى مؤسسات التعليم الاصل التي تبنت هذا النوع من التعليم وعملت على تطويره بما له من اهداف قربية وبعيدة ، ترمى من ورائها الى الرفع

فى التعليم العالى للعلوم الاسلاميه ايضا ، وبهذا تغدو هذه المؤسسات حقولا حيه لانتاج التفكير الاسلامى الحق المتماشى مع تيارات العصر السريع ، والاهداف الثوريه الطلائعيه فى بلادنا .
ويبلغ تعداد مؤسسات التعليم الاصلى حاليا عشرين ، وهى موزعه على الاماكن التاليه :
العاصمه - البلديه - المدينه - الاصنام - معسكر - وهران - بلعباس - تلمسان - بنى دواله - العثمانيه - قسنطينه - عنابه - باتنه -

ان تكون هذه المؤسسات من الدرجه الثانيه ، حتى لا تمتلك روادها مركبات وعقد ، ويوصم محتواها بالتخلف والرجعيه .

وبالفعل فقد تم لهذه المؤسسات ترسييمها والاعتراف بشهاداتها وتركيز الاطار المشرف على تسييرها وخولت له نفس الحقوق المتمتع بها نظراؤه فى التعليم العام .

وبذلك فتحت آفاق جديده امام هذه المؤسسات حسب متطلبات التعليم المتجدده ، فتمكنت من

مهد التعليم الاصلى بالوادي



مهد التعليم الاصلى بالوادي

بسكرة - بوسعادة - الهامل - الاغواط - الوادى - آدرار .
هذا وقد فتحت فى السنه الدراسيه الحاليه 91 - 1392 هـ (71 - 1972 م) مؤسسات اخرى فى كل من الاماكن الآتيه :
تيزى وزو - بجاية - سطيف - قسنطينه - وهران - تجديد (مستغانم) .

كما ان هناك عددا من مؤسسات اخرى قررت فى المخطط الرباعى او فى البرامج الخاصه وهى الآن بصدد الانجاز فى عدة مدن من مختلف انحاء الوطن .

اعادة النظر فى البرامج الدراسيه المتبعه لكافه السنوات وجعلها فى مستوى العصر ، مع اعداد ما يلزم لها من الكتب والمراجع الضرورية للاساتذه والطلاب معا ، والمتماشيه مع البرامج من جهة ، والمستجيبه للواقع الذى يعيشه الطالب من جهة اخرى .

ان مؤسسات التعليم الاصلى الآن تشرف على تخريج افواج من الطلبة المحصلين على اهليه التعليم الاصلى ، وبكالوريا التعليم الاصلى ، وهؤلاء بدورهم يفرد منهم من يرغب فى التخصص

برنامج التعليم الاصيل :

التكميلية (الاعدادية) يشتمل على جزئين اثنين :

1 - العلوم الشرعية والعربية ، وموادها :

القرآن الكريم - الفقه - التوحيد - الحديث -
السيرة - الفرائض - الاخلاق والتربية - النحو -
الصرف - الادب - النصوص - المحفوظات -
المطالعة - الخط .

وهذا الجزء هو خلاصة دراسة البرامج المتبعة
في المؤسسات المماثلة في البلدان الشقيقة . بعد
أن اضيف عليه من الطابع الجزائري ما جعله يتلاءم
واتجاهنا القومي ، وتاريخنا الاصيل .

2 - العلوم العصرية وموادها :

رياضيات - علوم - فيزياء وكيمياء - تاريخ
وجغرافيا - لغتان أجنبيتان - الرياضة البدنية -
الرسم - الموسيقى .

وفق برنامج وزارة التعليم الابتدائي والثانوي
حرقا بحرف وذلك للعمل على وحدة المدرسة
الجزائرية باقامة قاعدة من الثقافة العامة تربط بين
النوعين وتجعل منهما عنصرين متكاملين يعملان من
أجل هدف واحد للنهوض بالوطن ودفعه الى الامام
مع الحفاظ على الميزات الذاتية والمقومات
الشخصية .

الشهادة الاهلية للتعليم الاصيل :

ان ثمرة الاكتفاء بهذه المرحلة هو الحصول على
شهادة الاهلية للتعليم الاصيل التي بدأت بواكبرها
منذ سنة 1962 م . وشرعت هذه المؤسسات تتوفر
على تخريج مجموعات متفاوتة العدد ، تبعا لنموها
الطبيعي .

وبما أن الجزائر في هذه المرحلة الانتقالية في
حاجة الى الاطارات وخاصة في مجال التربية
والتعليم فان أفواجا كبيرة من هؤلاء الطلبة
والطالبات الناجحين في الاهلية التحقوا بالتدريس
في المدارس الابتدائية كمعلمين ومعلمات بعد أن
يكونوا قد مروا بفترة تدريب من طرف وزارة

ان التعليم ذا الاتجاه الواحد كثيرا ما يدفع
صاحبه الى الانزواء والانطواء على النفس ، أو ينمى
فيه روح المعاكسة أو المضادة للغير ، وذلك نتيجة
تفكير محدود الجوانب ، تنشأ عليه مدارس
واتجاهات فكرية غير متفاعلة ولا متلاحقة ولا حتى
متقاربة في المشارب والميول بين ابناء جيل واحد .
ووطن واحد .

وابتعادا عن الوقوع في هذا المضيق ، وتجنبنا
لزالقه الكثيرة جعلت مؤسسات التعليم الاصيل
برنامجها الدراسي في كل من المرحلتين التكميلية
والثانوية يشتمل على العلوم الشرعية واللغوية
والعصرية مما يسمح لحريجها بفرص التخصص
حسب اختيارات الشخص واتجاهه الدراسي .

وعندما يختار الدارس الاتجاه الديني مثلا
يكون في مستوى العصر ، لانه مشبع بمتطلباته من
أول مرحلة حتى لحظة التخرج ، ويصبح في امكانه
ان يناقش المثقف بلغته وفي مستوى تفكيره
دون مركب ولا ضعف مبعثه التعقيد ، ويخاطب
الشباب بروح طليقة يتحسس انحرافات عن خبرة
ويسعى الى توجيهه دون تبرم أو يأس ، ويعمل
على تقويم المجتمع ، وينير له سبيل الرشاد .

ومن المنطق ، ودون مبالغة ، ان مثل هذه
النوعية من المتخرجين والمتخرجات سيكونون حماة
طبيعيين للشخصية الجزائرية الاصيلية وامتدادا
للتفكير الاسلامي السليم المتفتح ، لذلك حرصت
مؤسسات التعليم الاصيل على ان يكون برنامجها
الدراسي في كل من المرحلة الاعدادية والثانوية
جامعا بين الاصاله والتفتح . آخذة بعين الاعتبار
ملايسات المستقبل بما تقتضيه من تنقيح أو
تعديل .

التعليم الاصيل التكميل :

وطبقا لما أشرنا اليه فان برنامج المرحلة

أخرى ، على ان الذين ما زالوا فى سن يسمح لهم
بمتابعة الدراسة ، ظلوا يدرسون المرحلة الثانية
من التعليم الثانوى .

التعليم الابتدائى والثانوى تمكنهم من ممارسة المهنة
ومنهم من ذهب فى بعثات دراسية الى بعض
البلدان الشقيقة ومنهم من فضل العمل فى قطاعات

جول الناجحين والتأجحات فى شهادة الاهلية للتعليم الاصيل

| عدد المعاهد التى شاركت | عدد الناجحين والتأجحات | السنوات |
|------------------------|------------------------|-----------|
| 04 | 0092 | 1965 - 64 |
| 07 | 0257 | 1966 - 65 |
| 12 | 0390 | 1967 - 66 |
| 12 | 0628 | 1968 - 67 |
| 14 | 0788 | 1969 - 68 |
| 15 | 0813 | 1970 - 69 |
| 17 | 1080 | 1971 - 70 |

عام 1391 هـ الموافق 13 مايو سنة 1971 م يقضى
بإحداثها عطفًا على شهادة الاهلية الآتفة الذكر ،
ولقد تحصل عليها فوج الطليعة هذه السنة
70 - 1971 كباكورة أولى بلغ مجموعها ثلاثة
وثلاثين طالبا نجحوا فى هذه الشهادة .

وهؤلاء حسب اختياراتهم فمنهم من يلتحق
بجامعات الجزائر ، ومنهم من يوفد الى جامعات
الدول الشقيقة لتابعة تخصصهم فى الشريعة
واصول الدين واللغة العربية ، ومنهم من يوجه
الى اوربا وذلك بطلب من وداية الجزائريين فى
اوروبا التى تحملت منحهم لتابعة دراستهم العليا
هنالك ، واعطاء دروس بالعربية لآبناء المقيمين .
وبهذا تقوم مؤسسات التعليم الاصيل بدورها
التكامل فى مجال التربية والثقافة ، وتسهم بجهد
مأثور على الصعيد الوطنى فى الداخل والخارج .

التعليم الاصيل العالى

ان تخريج عناصر واعية متشعبة بالروح الدينية
متفهمة لاسراره ومتوفرة فى نفس الوقت على
العلوم العصرية . يستوجب انبعث جامعة اسلامية
كنتيجة حتمية وملحة: دعيتها الضرورة كمرحلة
طبيعية يرتقى اليها التعليم الاصيل بعد التكميل
والثانوى ، ونظرا لذلك فقد اعدت الوزارة مشروعا
لاحداث ثلاث كليات تضمن لطلبتها المتابعة على
ارض الوطن . وتوفر لهم من الامكانيات ما يشجعهم
على المواصلة بنفوس مطمئنة وصدور منسجمة .

التعليم الاصيل الثانوى

لما كانت وزارة التعليم الاصيل والشؤون الدينية
تهدف الى تكوين نخبة متضلعة فى التشريع
الاسلامى ، قادرة على سبر غوره ، عارفة بمكوناته
فى جميع الاغراض التى يشتمل عليها الاسلام ،
من أحكام ، وفلسفة ، وتوجيه ، وتسعى فى ايجاد
اطارات صالحة فى ميدان التعليم والامامة والتربية
الدينية ، والوعظ والارشاد والافتاء ، والى ايجاد
اطارات وطنية كفوءة على مستوى التعليم العالى
فى مختلف فروع ، فقد عملت على انشاء ثانويات
للتعليم الاصيل فى مختلف المدن الجزائرية لتدريس
المرحلة الثانية من التعليم الثانوى . والبرنامج
الدراسى لهذه المرحلة يشتمل فى المرحلة الاعدادية
على جزئين اثنين ايضا :

1 - المواد الشرعية ، واللغوية ، وهى : القرآن
الكريم ، تفسير ، حديث ومصطلحه ، توحيد ،
فقه واصوله ، فرائض ، قواعد اللغة العربية ،
الادب العربى وتاريخه ، العروض ، البلاغة ،
منطق ، فلسفة ، تربية وعلم النفس .
2 - العلوم العصرية ، وموادها :

رياضيات - علوم - فيزيا وكيميا - تاريخ
وجغرافيا - لغات اجنبية - تربية بدنية .
وبانتهاء الطالب من دراسة هذه المرحلة يكون
محزرا على شهادة بكالوريا التعليم الاصيل ، التى
صدر مرسوم رئاسى بشأنها بتاريخ 18 ربيع الاول

ورواية ، وشعر ، ودراسات تتناول أهم شؤون الساعة ، وخاصة تلك التي تعنى بمشاكل الشباب.

وقد تمكنت بعض هذه اللجان من إبراز خامات دسمة ، وأقلام غزيرة ، استطاعت ان تقدم انتاجا حسنا صالحا للنشر ، وقد ظهر بعضه في شكل مجلات مدرسية تبادلتها المعاهد والثانويات فيما بينها ، كما أذيع البعض الآخر بواسطة الاذاعات المحلية والتلفزيون .

غير أنه بالنظر للامكانيات التي يجب ان تتوفر لمثل هذا وغيره والتي ما زالت بعد في طور النمو ، فان هذه اللجان لم تتمكن من نشر وتوزيع كل انتاجها على نطاق واسع .

كما كان من ضمن طلاب هذه المؤسسات لجان تعنى بالتوجيه الديني ، والوعظ والارشاد ، وذلك بحكم وضعيتها الهادفة الى خلق جيل متكامل الخبرات ، فسعت الى إبراز هذا الجانب الروحي وتنميته في نفوس الطلبة الذين آمنوا برسالة مؤسسات التعليم الاصيل ، ودورها الكبير في معركة التعريب ، والعودة بالامة الى الاصل الذي هو أساس شخصيتها والدعامة المتينة لمقوماتها ، وللتخلص من العادات النابية عن ثقافتنا فان هذه اللجان قامت وما زالت تقوم بحملة توعية شاملة ، انطلاقا من المسجد الى كل مكان يقام فيه نشاط ثقافي ، طبقا لما نادى به السلطة الثورية في بلادنا كهدف يجب تحقيقه .

وهكذا فقد كان للدرس والمحاضرات التي أقيمت بالمساجد والاندية ، والمساهمة الفعالة في حملة محو الامية والمواضيع الاخرى المقترنة بالمناسبات الدينية والوطنية عامل ايجابي في الدلالة على الدور الذي تلعبه هذه اللجان في معركة التعريب والتوعية .

اما في ميدان الفنون الجميلة ، فان اللجان المؤلفة لهذا الغرض قامت بمجهود ينم عن اهلية وولوع ، واستطاعت ان تقدم اعمالا فنية يصح القول فيها بأنها محاولات ناجحة في العديد من الرسوم التي لا تخلو من ابداع ، فقامت برسم خرائط جغرافية مختلفة ، عالمية واقليمية ، في شتى الاغراض . سياسية واقتصادية ، وديموغرافية وطبيعية ، كما قامت برسم لوحات تاريخية لبعض المشاهد الحربية التي تتصل بكفاح الشعب

لا ينفصها بعد او اغتراب . ولا تفكير في عدم كفاية المنحة او توقع تأخيرها ، فتنحصر جهودهم في التحصيل ، والدراسة ، والبحث ، ويحصل التنافس على الانتساب والتخرج ، وتتضاعف النتائج ، وهذا كله مع البقاء على صعيد الوطن . ان المشروع يشتمل على ثلاث كليات موزعة على القطاعات الثلاثة الكبرى : الجزائر ، قسنطينة ، وهران . على ان تدرس احداها الشريعة الاسلامية والقانون المقارن . والثانية اصول الدين والفلسفة المقارنة ، والثالثة ، اللغة العربية وآدابها وبعض اللغات القديمة المرتبطة بها .

والوزارة تسعى حثيثا للتطبيق وفق مراحل مدروسة . مبتدئة بكلية الشريعة والقانون المقارن للحاجة الماسة اليها في ميادين التعليم والاطار الديني والقضاء . وتليها باذن الله وعونه الكليتان الباقيتان .

النشاط المدرسي

لقد دأبت مؤسسات التعليم الاصيل منذ نشأتها على العمل دون ضجيج ، ايمانا منها بأن النتائج الايجابية التي ستحصل عليها من وراء هذا النشاط ستكون وحدها اللسان المعبر بصدق وواقعية عن مدى جهودها لتحقيق النتائج المشروعة . التي حرصت على ان تكون مسابرة لروح العصر بمعطياته من علم وفن محتضنة بذلك أهم المبادئ الحية لبلوغ الغاية من انشاء جيل مؤمن بشخصيته ومثله العليا . بعيد عن التعصب والتعقيد .

ولقد كان للتوجيه الهادف اثر بالغ في خلق روح متوثبة في اوساط طلاب هذه المؤسسات الذين وجدوا انفسهم امام منهج تعليمي يسمح باتاحة كل الفرص للخلق والابداع ، بما كشف عن طاقات علمية وفنية كامنة ، وساعد على صقل المواهب في مختلف النشاطات المدرسية ، وظهر بواكير ناطقة بالنبوغ ، ومبشرة بطالع موفق في شتى المداير الثقافية ، والفنية ، والرياضية الى جانب ما تفضل به من رسالة دينية ، واخلاقية . وقد أمكننا من ان تساهم بقدر في كل من المجالات المذكورة .

فعل الصعيد الثقافي تكونت لجان ثقافية من بين طلاب مؤسسات التعليم الاصيل للتدرب على الكتابة والمحاضرة ، ومختلف المواضيع الادبية ، من قصة ،

الاساتلة

ان المخطط الاساسى الهادف من وراء هذه المؤسسات ، والذي يرمى الى تكوين افواج من المتقنين الاكفاء المتخصصين فى مختلف المجالات سيما فى المواد الشرعية واللغوية والفلسفية ، يتطلب منا أن نوفر لها ما تحتاج من أساتذة ذوي خبرة ومهارة ، ودربة واختصاص لتخريج اطارات واعية بحسب الحاجة ، لها من القدرة والكفاءة والاستعداد ما يؤهلها لتحمل المسؤوليات فى ميدان التوجيه والارشاد ، وتربية الاخلاق . مما يساعد على تكوين جيل متكامل المواهب والخبرات.

الجزائرى ضد الاعداء . الى جانب صور الشخصيات العلمية والسياسية والوطنية .

وهذا بالاضافة الى رسوم المناظر الطبيعية الاخرى والرسوم العلمية على اختلافها ، كما أن هذه اللجان لم تهمل جانب النحت والتصوير المجسم ، والتطريز فى اشكال جمعت بين جدية العلم ومرح الفن .

أما الرياضة البدنية فان هذه المؤسسات أولتها اهتماما كبيرا لما لها من اثر سليم فى النفوس والاجسام ، فكونت فرقا لمختلف الالعاب سواء فى كرة القدم ، أو السلة ، أو الكرة الطائرة ، أو

تكميلية
التعليم
الاصلى
بسطيف



تكميلية
التعليم
الاصلى
بسطيف

ومجتمع فاضل مسبح بالعقيدة الحقّة والايمان العميق .

ونظرا لهذا فقد كانت الحاجة ملحة وأكيدة الى توفير العدد الكافى من الاساتذة الذين توفر فىهم شروط الاختصاص والدربة من حاملى شهادة الليسانس ، والاجازات العالية أو مما يعادلها للاضطلاع بمهمة التدريس بهذه المؤسسات . وقد عملت وزارة التعليم الاصلى والشؤون

فى مختلف العاب القوى ، وهى مزودة تزويدا عسريا بكل المعدات الضرورية لمثل هذا النشاط .

وقد أخذت هذه الفرق تحتل مكانها فى الاوساط الرياضية ففاز بعضها فى سباق العدو الذى اقيم على المستوى المدرسى داخل التراب الوطنى ، كما فاز بعضها فى كرة القدم على نفس المستوى فى جهات أخرى .

وهكذا فان هذه البراعم الرياضية ستتمو ويشند عودها بما يؤهلها لاقتعاد المكانة اللائقة بها فى دنيا الرياضة فى المستقبل .

الدينية على استجلاب العدد الكافي من هؤلاء منذ
أول انطلاقة حيث بلغ مجموعهم حتى غاية السنة
الدراسية 70 - 1971 : 483 أستاذ وهم موزعون
بحسب اختصاصاتهم على النحو التالي :

جدول الاساتذة وتوزيعهم بحسب المواد

| عدد اساتذة العلوم الشرعية والعربية | عدد اساتذة الرياضيات والعلوم | عدد اساتذة العلوم الاجتماعية | عدد اساتذة التربية البدنية | عدد اساتذة اللغة الأجنبية |
|---------------------------------------|---------------------------------|---------------------------------|-------------------------------|------------------------------|
| 315 | 73 | 52 | 20 | 21 |

جامعة اسلامية منبثقة عنه في القريب ، سيوفر
ولا شك حاجياته من الاساتذة ، وتطعيم المجالات
التربوية الاخرى بذوى الاختصاص منهم ، ويهيء
عناصر صالحة في ميدان الوظيفة وغيره من مختلف
القطاعات .

كما ان التعليم الاصلى يرمى الى ايجاد الاطار
الحقيقى في ميدان التوعية والتوجيه الدينى والافتاء
ويعمل على تكوين دعاة للإسلام ، ومرشدى فضيلة
على النطاق الواسع .

ولا يخفى على الأذهان ما نتعرض له اليوم من
تيارات دخيلة بعيدة عن طبيعتنا من غزو فكرى
يهدف الى ابقاء السيطرة الأجنبية والنفوذ
الاستعمارى ، ونحن الآن بحاجة ملحة الى دعاة
ومرشدين اسلاميين واعين لما يحيط بهم ، ومتفحجين
على العالم دون تهيّب او انحراف ولا انجراف .

ان الجزائر التى كافحت بصمود ، وكانت قدوة
حسنة في كفاحها الوطنى بالنسبة لشعوب افريقيا
تشعر اليوم بان عليها واجبا اكبر وابتعد شأوا ،
فى ان تظل تلك القدوة والرائدة في طريق المثل
العليا والاخلاق السامية لبعث جيل واع يقط .

من اجل هذا وغيره من الاهداف المتعددة كان
الزم مفعودا على النهوض بهذه المؤسسات وجعلها
فى مستوى نموذجى يسمح باتاحة النطق الطبيعى ،
كى تثمر بالنتيجة المرجوة منها فى اقرب وقت
وايسر سبيل . والله الموفق .

هذا وسيرتفع الاساتذة الى 554 أربعة وخمسين
وخمسائة استاذ فى مستهل السنة الدراسية
1972 - 71 م تبعا للنمو المطرد .

الطلبة الافريقيون والآسيويون

ان مؤسسات التعليم الاصلى عملت على ان تكون
ابوابها مفتوحة للجميع طبقا للمبدأ والهدف من
تأسيسها . ومنذ الانطلاقة الاولى غداة الاستقلال
الوطنى ومنذ ان ذاع عن هذه المؤسسات انها
تعنى بالثقافة الدينى والدينوى ، أخذت أفواج
من الطلبة الافارقة وغيرهم تؤمها وهى الآن تحتضن
عددا من مختلف البلدان الافريقية ، مثل :
السينغال . فولتا العليا . غينيا . ساحل العاج .
بورندى . الكونغو . موريتانيا . غينيا (بيساو) .
السودان . سيراليون . غمبيا . ارتيريا . تيلانده
(آسيا) وهم يحظون بالنظام الداخلى ، وبمنحة
دراسية من طرف الدولة ، تضمن كل الالتزامات
الدراسية .

وقد تحصل الفوج الاول من هؤلاء على شهادة
الاهلية للتعليم الاصلى وهم الآن يتابعون المرحلة
الثانية من الثانوى ، كما فاز بعضهم هذه السنة
فى بكالوريا التعليم الاصلى .

آفاق المستقبل

ان التعليم الاصلى بمؤسساته العاملة ، وانبعث

الجامعة

والمشاكل الصناعية

في الدول المتخلفة

حمزة الجارى

- ليس هناك شك في ان الدول المتخلفة تعاني مشكلتين رئيسيتين هما :
- 1 - التربص او الهجوم الاستعماري بواسطة الاستعمار المباشر او الانقلابات التي تؤدي الى استبدال النظم الوطنية بنظم تتيح للاستعمار القديم او الجديد ان يستمر في حرمان الدول المتخلفة من ثرواتها وان يوقف تقدمها .
 - 2 - قضية التخلف الراهن علميا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا . بل قضية استمرار هذا التخلف (بسرعة المتواليه الهندسية لا بسرعة حسابية) اذا ما قورن هذا التخلف بالتقدم العلمي والحضارى في الدول المتقدمة .

النضال فيها ضد الاستعمار وللقضاء على التخلف. وهذه الاولويات يحددها الشعب بتنظيماته الديمقراطية وبواقع احتياجات الغالبية المحرومة .

وحين تسرى في الامة الروح المقدسة للعمل ، وللعمل الجاد ، وللعدالة : العدالة في كل مؤسسة ومزرعة ومدرسة ومستشفى ومكان ، ولرابعة الشعب لكل طوبة في بناء ، وكل انتاج في صناعة وكل غلة في أرض ، وكل خدمة في مرفق . فان حصيلة هذا كله ، تستطيع ان تضيق الكثير الى الجامعات مالياً وانشائها وتدعيمها ومن ناحية الهدف الذي تعيش الجامعات من اجله .

ولقد اتسعت مجالات البحوث وتفرعت بشكل يفوق كل تصور سابق . ويفوق قدرات الجامعات المنفردة أيضاً ، بل يفوق قدرات الدول المنفردة ، واصبح هناك ميل واضح في العالم الى انشاء مؤسسات للبحوث على المستوى القومي بل المستوى الدولي . بل ان التعاون في بعض المجالات مثل ابحاث الفضاء ، أو فيزياء الاجسام الدقيقة والبيولوجيا والعلوم الطبية قد اصبح واجباً على مستوى عالمي شامل ، وي طرح هذا الوضع تحدياً وتساؤلاً خطيراً في وجه الجامعات في الدول النامية : كيف ستمكن من تنظيم عملها بصورة تمكنها من المشاركة الفعالة في مثل تلك المواضيع الضخمة ؟ ان مساهمة الجامعات في مثل هذه البحوث يجب ان يكون لها وزنها الحقيقي ، اذ ان اجراء البحوث الثانوية والوصول الى نتائج ثانوية امر غير هام ومضيعة للوقت . ومثل هذه المشاكل يروح تحت وطأتها كثير من الجامعات الكبيرة ويفرض تشعب البحث العلمي ظروفاً جديدة للعمل في المجتمع العلمي في العالم ، وستتجه مجالات البحث اكثر فأكثر في كل الدول المتقدمة والمتخلفة على السواء الى تحديد رقعة عملها والى التركيز في مواضيع بحوثها .

طبعاً ، تستطيع اي جامعة ان تفسح المجال فيها للبحوث البحتة ، ولكن من الضروري ان تكون هذه البحوث جيدة وذات قيمة . كما انها يمكن ان تصبح اكثر فائدة لو ارتبطت بالاحتياجات الملحة التي تواجه الامة . ومن هنا فان كل امة

واحِب ان تؤكد ان ايجاد الحلول لهايتين المشكلتين الحيويتين . لن يتم عن طريق العلماء أو الجامعات في الدول المتخلفة فقط ، وانما سيتم الى جانب ذلك بواسطة التحول الاجتماعي الثوري الذي يعتمد على سواعد ملايين العاملين المجتهدين في مؤسسات يملكها الشعب ، ويديرها الشعب بواسطة مؤسساته الديمقراطية الحرة ، التي توفر وسائل التعبير الحر ، والنقد والمراقبة الشعبية الحازمة فيها ، الشروط والمناخ الملائم لارتفاع صرح البناء الاقتصادي والحضاري والاجتماعي . هذا الطريق السياسي والاجتماعي هو الذي يمكن ان يفتح للجامعات وكلياتها العلمية في الدول النامية مجالات لكي تسهم اسهاماً له شأنه وخطره في اقامة الامة ، وانقاذها من التخلف . المجتمعات اذا ، يقدمها ويطورها التغير الاجتماعي والثوري الذي يساعد الجامعات على ان تؤدي وظيفتها بدورها في خدمة التقدم . واذا كنا سننعم في تطور جامعاتنا علمياً على اساس اقتطاع الاعتمادات الكافية بملايين الدنانير من الميزانيات المرهقة للدول المتخلفة لصالح البحث العلمي فتحن واهمون نجري وراء السراب يكفي ان ندرك ان الانفاق الشهري على التدخين بواسطة افراد الشعب البريطاني يصل الى 3500 مليون دولار ، وهو يزيد عن الدخل الكلي لعدد مماثل من افراد الشعب الهندي .

واذا كان الدخل السنوي للفرد الاوربي أو الامريكي يصل الى 400 جنيه استرليني ، فان دخل الفرد الافريقي والآسيوي واللاتيني يقل عن 40 جنيه استرليني ! فمن اين لدولنا النامية ان تعلم بان تخصص للبحوث العلمية نفس النسبة المالية التي تخصصها الدول المتقدمة ؟ ان ما ينفق على البحوث في بريطانيا (سنة 1962) كان 2.7% من الدخل القومي (630 مليون جنيه استرليني) في حين لم تكن تنفق الهند ما يزيد عن 0.2% من الدخل القومي .

ليس هناك طريق امام الجامعات في الدول النامية الا ان تشارك وتشارك اساتذتها في عملية بناء الامة بالوسائل التي تتيحها لها ظروفها ، وحسب الاولويات التي تفرضها عليها حركة

يطبقون ما سبقهم اليه علماء العالم المتقدم على ظروف بلادهم . فالأقتباس والتطبيق على ظروف البلاد المتخلفة في مجال العلوم والصناعة هو عمل مفيد جدا . ويحتاج الى تصور علمي مبدع وخلاق ، كما انه في النهاية اضافة حقيقية وجديدة للعلم والآلات التي يصنعها العالم المتقدم يتفق تشغيلها وانتاجيتها وتحملها مع الظروف الجغرافية والجوية في البلدان التي صنعتها ، ولكن تطويرها بحيث تلائم الجو والرطوبة والحامات الموجودة في الدول المتخلفة يعتمد على علماء الدول المتخلفة وقدرتهم على تطوير الآلات للظروف الجديدة في ميادين الفحوص والتشخيص والعلاج والدوار الى فتح الباب امام آلاف من الابحاث الجادة حين نطبق هذه الاكتشافات على الامراض المتفشية في البلدان المتخلفة . وليس هناك ما يمنع من ان تدور ابحاث الدكتوراه حول التطبيقات الجديدة لوسائل الفحوص المعروفة في العالم المتقدم على ظروف العالم المتخلف .

ويقول الاستاذ (برنال) : « ان كل الامم - حتى افقرها - هي في حقيقة الامر اغنى بكثير مما تتصور » وان مشكلة رفع مستوى المعيشة ، ان هي اساسا الا مشكلة اتقان استخدام مصادر الثروة . ونعني بها الثروة الموجودة في المنطقة . ولكن اهم من ذلك ، الثروة البشرية الكامنة في الشعب ؟ ان المسألة ليست مسألة بناء . بمقدار ما هي مسألة اطلاق الطاقات اللازمة لاقامة البناء . ان العامل الايجابي الكبير في التطور هو المساهمة النشطة للجماهير ، وهذا يضمن سرعة اكبر للتطور مما كان يعتقد ان في الامكان او في التمني حدوثه » .

ويضيف برنال « ان خلق ثقة الشعب بالنفس يجب ان تكون هدفا حاسما للتطور بحيث لا ينهر ولا تشل قدراته : امام القفزات التكنولوجية للعالم المتقدم ؟ » .

فاذا تواجدت ثقة الشعب وجامعاته وعلمائه بنفسه - ويجب ان تتوافر أولا - فاي الطرق تسلك الجامعات في بحوثها العلمية ؟ هل تجري البحوث العلمية في المواضيع التي لم تطرق من

ستسعى الى اختيار مجالات البحث التي يمكن ان تستمر فيها بنجاح ملحوظ وتتهرب من الموضوعات التي قد تلائم غيرها فقط . ويمكن للجامعات في الدول المتخلفة ان تطرق موضوعات جديدة للبحث ولكن ذلك يكلفها في احيان كثيرة مالا طاقة لها به . ولذلك فان جامعات الدول النامية يجب ان تعتمد اساسا على المعلومات العلمية والتكنيكية الكثيرة المعروفة في العالم المتقدم ، وان يقل اعتمادها في المراحل الاولى على خلق التطورات الجديدة في العلم والتكنولوجيا . ما تحتاجه الدول النامية - هو تطبيق ما هو معروف سلفا من معلومات علمية على مشاكلهم الخاصة . وتشكل المعلومات العلمية المتجمعة الآن لدى الدول المتقدمة ، اضافة ضخمة تقدمها هذه الدول المتقدمة مجانا للدول النامية . ولكن من المهم ان تطور الدول النامية بشكل فعال وسريع يتطلب قلب الاوضاع المتخلفة الموجودة حاليا لديها في مجال الاطلاع والمكتبات حتى تجعل المعلومات العلمية العالمية سهلة التناول امام علمائها وحتى يتم اقتباسها ومحاولة تطبيقها على ظروفها الخاصة بالسرعة اللازمة لملاحقة التطور في العلم والصناعة

ثم ان كثيرا من المشاكل الضاغطة يمكن حلها بتطبيق المبادئ العلمية المعروفة على المشاكل الحديثة .

الا ان مجرد اقتباس هذه الحلول العلمية يقتضي تصورا علميا خلاقا من علماء الدول المتخلفة ولا يجب ان يتصور احد ان الاستعانة بالمعلومات العلمية المعروفة . هو شيء لا يثير همة العلماء ولا يعطيهم الراحة النفسية أو السرور ، وان الذي يعطيهم هذه الاحاسيس هي البحوث الجديدة فقط . ان تطبيق المعلومات المعروفة في العالم عمل صادق وجاد من الناحية العلمية كما انه يؤتي نتائج عملية مفيدة جدا وبسرعة لصالح الامة . بل ان كل مشتغل بالبحوث العلمية لا يستطيع ان يفكر في بحث جديد او يضع له خطة - فما بالنا بالمضى فيه واستخلاص نتائجه - الا بعد ان يقرأ ويستفيد من كل ما كتب في العالم من قبل في موضوع بحثه ، حتى يأتي عمله الجديد اتماما لما تم عمله من قبل . واطافة حقيقية للعلم . ليس هناك اذن ما ينجل منه علماء الدول المتخلفة عندما

قبل ؟ أم تحاول اقتباس وتطبيق البحوث العلمية الجديدة التي توصلت فيها الدول المتقدمة الى نتائج ايجابية ؟

ومن الاهمية بمكان ان يدرك علماء الدول المتخلفة ضخامة الثروات الموجودة والمكنوزة في بلادهم والاحتمالات الكبيرة لاكتشافها من خلال البحث النشط . ولكم كانت كثير من البحوث الجيولوجية الماضية والقديمة سطحية . ففشلت في كشف النقاب عن الكثير من المعادن التي عادت البحوث الحديثة فتوصلت الى اكتشافها . وقد اصبح العلماء في الوقت الحاضر متأكدين من ان الارض التي نسكنها اغني بكثير مما كنا نظن منذ عشرين عاما خلت . ولا يزال هناك الكثير امام الامم الناشئة كي تبحث وتنقب صخورها ومعادنها وارضياتها ومساقط مياهها ومجرى انهارها ومسارب مياهها الجوفية ومصادر اسماكها واستغلال غاباتها وتنمية مراعيها وتخصيب اراضيها واستنبات بذورها واستثمار محاصيلها وتهجين حيواناتها وتصنيع منتجاتها ... الخ . ولا يزال عدد العلماء والباحثين في كل هذه المجالات في الدول المتخلفة قلة قليلة ، مما يشكل عقبة كؤودا في طريق التخطيط والتنمية (ولقد كانت الايدي العاملة في الزراعة في اوروبا تستهلك 80% من المحصول الزراعي فيما مضى . اما الآن فقد انخفض الاستهلاك الى 5% . وفي الولايات المتحدة الامريكية ينتج 25% من السكان اكثر من ضعف كمية الطعام اللازمة لاطعام الجميع) ! وتبشر الاكتشافات الرائعة في ميادين الكيمياء والبيولوجيا باضافات تطبيقية رائعة في ميادين الزراعة وتربية الحيوان واستزراع النباتات وتصنيع المخصبات والاسمدة)

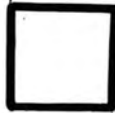
اما البحوث البيولوجية فتكشف عن مصادر غير متوقعة للثروة ، فالصحارى المهجورة لسنين طويلة يكتشف بها احواض البترول والمعادن والمياه الجوفية التي تعوض الاتفاق الكبير عليها ، كما ان الظروف الدولية مواتية للحصول على المزيد من المساعدات الفنية القيمة والتدريب في مجالات التنقيب والاستغلال والكشف .

وفيما يتعلق بتقديم العلوم الهندسية فان اختراع ماكينات جديدة واستعمال اساليب التشغيل الذاتي سيؤدي الى زيادة الانتاج ، ورغم توافر الايدي العاملة فانه لا مفر امام الدول النامية من اختيار الاساليب التكنيكية الحديثة والاكثر انتاجية مهما كانت مكلفة لاننا بذلك نحصل على فائز انتاج كبير يمكن من اتاحة الفرصة - باعادة التنظيم الاقتصادي السليم - لاعادة توزيع بقية قوى العمل والانشغال في بقية فروع الاقتصاد والى توزيع الزيادة الانتاجية - اذا توافرت العدالة - على الشعب .

واذا كانت هذه هي النظرة الجديدة لاتساع آفاق الثروة والانتاج امام البحوث العلمية الفاحصة فان على التعليم عموما ، وللتعليم الجامعي والعالي خصوصا - في الدول النامية - ان يعد نفسه حسب هذه النظرة للمساهمة العملية في اغناء الشعب بثرواته المطمورة بالربط بين نوع التعليم وظروف الامة المتخلفة .

ونظام التعليم في أي امة ينشأ ثم ينمو ويتطور في ظروف حياتية وجغرافية وتاريخية خاصة ، ويرتفع بناؤه فوق اساس ثقافي معين ويمهد له ويسبقه ميراث حضارى ومزاج انساني خاص بكل امة . وعلى الامم المتخلفة وهي تحاول جاهدة ان تبني صناعتها الناشئة وتنشئ من المدارس ما يساعدها على ذلك ، عليها الا تنسى في نفس الوقت ان يهدف التعليم الرقيق الى التمهيد للدراسة العملية والنظرية لمشاكل الريف . ومن هنا يصبح محتوى التعليم قضية هامة ، كما يصبح التوازن بين التعليم الابتدائي والثانوي بأنواعه والعالي قضية هامة ثانية . وتصبح العلاقة بين التعليم الثانوي ومختلف مواقع الانتاج قضية هامة اخرى . وكذلك يصبح تصنيف مختلف انواع التعليم العالي ، وتحديد القدر المناسب من العلوم التطبيقية او العلوم البحتة ، والقدر المناسب من التكنولوجيا أو العلم ، التي يدور حولها التدريس وتجري حولها البحوث ، يصبح كل ذلك قضايا هامة تستحق الجدل والبحث والمناقشة العميقة في مجال البحث الذي نظرقه .

دراسات
تاريخية



الجزائر

ف تاريخ الحضارة

مصطفى الاشرف

ترجمة منفي بن عيسى

3

شهدت الجزائر في القرن الخامس عهدا (1) من الظلم والجور والصراع الديني العنيف. وهو صراع تميز بالبدع التي ادخلتها الشعوب الآرية ، وبالحصومات التي قامت بين اتباع « مونتانوس Montanus ومريدي « بيلاج » Pelage واصحاب مذهب الفيلسوف « مانيس » Manès ، حتى ان اسقف هييون (عنابة) نفسه تأثر بها الى حد ما ...
كما شهدت الجزائر آنذاك جوا من الشقاق والاضطهاد والتقتيل الجماعي ، ونشأت فيها حركات ترمي الى اقرار المساواة والعدالة ، مثل حركة الدوناتيين النوميديين (اتباع دوناط ، اسقف قرطاجنة في القرن الرابع م) ، وحركة الفلاحين الفقراء في جبال اوراس .

(I) راجع العدد الثاني والثالث من مجلة الاصاله

بالشجاعة والاقدام ، ولا يهابون الفياض والقفار ،
ويشنون الغارات في تنقلاتهم الدورية ، على
حدود الامبراطوريتين الفارسية والبيزنطية .
فالعرب شعب موحد الشمل ، وإن كانت امكانياته
مشتتة في بعض المناطق . وله لغة واحدة مكتوبة ،
مكتمة النمو . وهي خير أداة لنظام اقتصادي
يتميز بالحياة والنشاط . كما أنها أحسن وسيلة
يعبرون بها عن ثقافتهم القائمة بالدرجة الاولى على
الحطابة والشعر . اللذين اعتبريا كأنهما من أركان
الدين ، لما كان للكلمة من سحر يأخذ بالالباب ،
ولما كان لها من نفوذ وقوة .

إن جميع هذه العوامل ، وغيرها مما لم نذكره .
قد تكون قليلة الاهمية ، لو لم يحدث في حوالى
القرن السادس ميلادي أمر تفتحت له عيون العرب
- وهم ذلك الشعب الحر المقدام . المحب للمغامرة
رغم الظروف المعاكسة - عندما شاهدوا الدولتين
الكبيرتين : الدولة الفارسية والدولة البيزنطية
(وهذه الاخيرة قد أخذت آنذاك بالانحطاط ، وتلك
كانت تحاول منذ زمن بعيد أن تجد منفذا على
البحر الابيض المتوسط) ... يتصارعان في
حروب فتاكة ، ويتطاحنان في معارك ضارية .
طلبا للمجد الذى لا طائل من ورائه بالنسبة الى
الشعبين اللذين دفعا الثمن غاليا . مما أدى الى
كراهية الناس للحكم السائد فى الامبراطوريتين .
أضف الى ذلك ظهور دين جديد هو دين الاسلام
الذى ما لبث أن وحد القبائل المتفرقة ، المتقاتلة
فيما بينها بدافع المصلحة الشخصية . فجمع
شملا بعد أن كانت ذات نظام عشائري ، وجعلها
أمة تدين بمذهب واحد وتؤدى رسالتها على مسرح
التاريخ لنشر مبادئ على غاية من البساطة : وهى
المساواة والقضاء على عبادة الاصنام مهما كان
نوعها . وقرار مبدأ التضحية بالنفس . وتحديد
السيرة المثلى للانسان . وهذه المبادئ يقوم
بخدمتها ونشرها قوم لا تزال فيهم روح النضال
متأججة . فعملوا على كسر شوكة الامبراطوريتين
اللتين سرى فيهما الفساد . ورغم قلة عددهم .
فإن العرب استطاعوا بفضل ما لديهم من رجال
اكفاء . وقادة محنكين ، وبفضل خبرتهم فى
التجارة والمبادلات . ودعائهم بالنسبة الى الوضع

وهكذا أخذ ذلك العهد من تاريخ الجزائر ينهار
ويتداعى بعد غزو الوندال واستيلاء البيزنطيين
للمرة الثانية على البلاد ... كما أخذ عهد جديد
يظهر ويمد بالعناصر الفتية تلك الحضارة التى
آل أمرها الى الانحطاط فى حوض البحر الابيض
المتوسط . وهنا نلاحظ أمرا يستحق الذكر .
خاصة أنه لم يحصل على سبيل المصادفة . وهو
أن الشعوب الغربية المتوحشة التى نهبت أملاك
الدولة الرومانية . وورثت قيمها وأمجادها الغابرة .
من غير أن تستفيد منها فائدة عظمى ... هذه
الشعوب لم تستطع أن تواصل العمل البناء الذى
بدأ به الرومان . بل إن أبناء حوض البحر
الابيض المتوسط هم الذين أخذوا من جديد
ينشئون حضارتهم الاصيلية ، بالتعاون مع جيرانهم
الاقربين . وأغنى بهم العرب الذين طالما رأيناهم
- وإن كانوا غير منتظمين - يخوضون عباب البحر
المتوسط ، ويجولون فى أرجائه وينشئون امارات .
وينقلون بذور الحضارة اليونانية - اللاتينية الى
الجزيرة العربية فى البتراء Petra وتدمر
Palmyre ، وفى الاراضى التابعة للفساسنة
بمسورية ... بل كان منهم أحد القياصرة فى روما .
وهو قليب العربى .

إن العرب مرتبطون بصلة مع الفينيقيين فى
اللغة . وتعاطى التجارة . وموطنهم هو شبه جزيرة
تعتبر كأنها لوحدها قارة من القارات . من حيث
التضاريس الجغرافية والامكانيات البشرية ، ومن
حيث انها مكان تجمعت فيه الطاقات الكبرى .
وانطلقت منه الهجرات العديدة . وتمازجت فيه
الحضارات المختلفة . وليس العرب كما يصفهم
بعض المؤرخين بكونهم رحلا ، ولا يستقرون
بمكان . فمدنهم وأسواقهم التجارية . مثل عدن
وصنعاء ونجران ومكة والطائف ويثرب والبتراء .
وواحاتهم . ومحطات قوافلهم فى شمال الجزيرة
العربية . مثل واحة تيماء ، والطرق التى أنشأوها
للاتصال بقرى ودمشق ... كل هذه تعتبر من أقدم
المنجزات الحضارية وأنشطها فى العالم . وكانت
قوافلهم لا تنى تجوب البلاد من الشمال الى
الجنوب ، وتصل أحيانا . بل مرارا وتكرارا . الى
الشاطئ الشرقى من افريقيا . ورجالهم مشهورون

ونلاحظ مرة أخرى أن التاريخ يعيد نفسه ، وأن هناك نظاما بسيطا ليس فيه تعقيد في بداية الامر . وما لبث هذا النظام أن ارتبط من جديد بالحضارات الام ، فأضاف اليها ما يفيد وينفع وبث بذوره الطيبة في شواطئ افريقيا ، حيث ترك السابقون الاولون من الفينيقيين آثارهم الروحية التي تتجلى لدى الطبقات الشعبية من بلاد البربر ، في اللغة والنظرة الى الحياة والعقلية والصنائع ... في حين أن روما ، بالرغم من أنها شيدت المباني وعمرت البلاد ، وفتحت الطرق ، لم تستطع مع ذلك أن تؤثر سوى في الفئات المتمتعة بالامتيازات ، وفي المواطنين المواليين لها . وفي المثقفين بالثقافة اللاتينية ، وفي الملوك الكبار من الاقطاعيين الموجودين في امبراطوريتها الافريقية ... وبصورة عامة لم تؤثر سوى في سكان المدن . ونحن نعلم أن الوندال كانوا ، خلال قرن من الزمان ، أي من حوالى 535 م ، قد خربوا المدن وأحدثوا الاضطراب في النظام الاجتماعى القديم الذى أخذ ، قبيل وصولهم ، يتميز بالظلم . فزادوا الطين بلة ، بإدخال عوامل الانشقاق الدينى والاضطهاد والثورة . وقد أشرنا على سبيل التلميح الى الفتح البيزنطى الثانى فى 535 م ، ورأينا كيف ان قادة الامبراطورية السفلى الذين عرفوا بالقصور والفساد ، حاولوا أن يجددوا فى الجزائر عهد الرومان المجيد ، ولعل الشعب النوميدي قد وجد آنذاك ، كما حدث له فى عهد انحطاط قرطاجنة ، لعله وجد فرصة للنهوض من كبوته والتحرر من قيود المجتمع البالية القائمة على أساس النظام الطبقي ، وخدمة مصالح الافراد . ولقد كان يتمتع بالحرية ، فاستعاد الجزء الاكبر من تلك الحرية فى عهد الاحتلال البيزنطى . ولذلك لا نستغرب اذا وجدنا البربر يبادرون الى المقاومة عندما دخل العرب شمال افريقيا عام 647 م . وقد كان فتح البلاد طويلا وشاقا ، وذلك ان الشعب النوميدي أصبح يدرك امام الدمار الذى خلفه الغزاة الاجانب ، والتخريب الذى أحدثه الرومان والوندال والبيزنطيون . وبعد الفتوحات المتكررة التى جلبت اليه الخير والبركة احيانا ،

الداخلى فى الامبراطوريتين ، استطاعوا رغم قلة عددهم أن يجندوا بين صفوف أمتهم الفتية ، قادة الجيش ، وولاة مقتدرين ، مما جعلهم يحرقون انتصارات باهرة ، بكتائبهم القليلة أمام جيوش أعدائهم الجائرة الكاملة العتاد . كما استطاع العرب فى مدة قليلة ، وبفضل فتوحاتهم الجديدة ، أن يتبوأوا مكانة سمحت لهم بالاستفادة من الشعوب السامية والآرامية . من حيث العادات والتقاليد والتجارب ... ومكنتهم من اقتباس أنماط الفكر والعمل السائدة فى الشرق وفى السواحل السورية من البحر الابيض المتوسط . وهى المنطقة التى ينتمون اليها من قديم الزمان ، ويتعاملون مع أهلها بالتجارة والصنائع البسيطة . واستقروا بها منذ أن هاجروا من سبأ ، وأصبحوا يمارسون بها نشاطهم ، ويقومون بشعائهم الدينية . ويتناقلون أخبار أديبهم الجاهلى .

وهكذا فإن الجزيرة العربية رغم عزلتها الجغرافية ، استطاعت منذ أن كانت تسمى أرض العرب السعيدة . ومنذ أن انضم اليها الشرق العربى ، استطاعت بفضل تجارها والمهاجرين منها النشيطين ، أن تبعث الى منطقة البحر الابيض المتوسط وآسيا وافريقيا وقسم من أوروبا ، رسلا جددا ما بين عرب رحل وبدو وحضر ... وأن تنشر لغة كانت منذ القرن الثامن . خير أداة للحضارة . وأن تبرهن بأن أهلها العرب والمستعربين يتمتعون بذكاء عملى ممتاز . إذ أنهم كانوا يتسامحون مع الثقافات الأجنبية . بل يستفيدون منها ، ويعملون على نشرها ، ويجهدون فكرهم لتعميق الفلسفة والعلوم اليونانية . وتطعيمها بحضارة أصيلة وأفكار غير معروفة الى ذلك العهد .

وأما من الناحية العسكرية . فإنهم ، بعد ما أخرجوا البيزنطيين من قواعدهم فى المنطقة الشرقية من البحر الابيض المتوسط ، أخذوا يعملون بدون هوادة من أجل السيطرة على الشواطئ المحيطة بهذا البحر . ونحن نعتقد أن هذا الدافع لفتح شمال افريقيا ، وتطويق البحر الى حد مضيق جبل طارق ، بعد ما كان خاضعا لسيطرة الشعوب اللاتينية ، كان لا يقل تأثيرا فى النفوس من دافع الجهاد فى سبيل نشر العقيدة .

وحكامه الظالمين . ونحن ممن لا ينساق للتبجيل الاعى ، ومع ذلك فلا يسعنا الا أن نلاحظ بأن الاسلام ، سواء فى المشرق أو فى المغرب حل فى قلوب الشعوب المسخرة المستضعفة المتعطشة للعدالة والكرامة ، حل فى قلوبها المكان الذى احتلته المسيحية الاولى فى قلوب العبيد من الامبراطورية الرومانية . وهناك عوامل كثيرة يمكن أن نفسر بها لماذا اعتنق عدد كبير من الاهالى الدين الحنيف ، بسرعة ، وبنية صادقة ، ومن جملة تلك العوامل الخلاف بين الناس والصراع بينهم والاضطهاد والاحاد وتعدد المذاهب المسيحية نتيجة الاختلاف فى تأويل العقيدة خلال القرنين الماضيين ، وخاصة فى افريقيا ... الا أن أهم تلك العوامل هو أن الظاهرة الاسلامية قائمة على أساس توحيد الامة ورفع المستوى الاجتماعى والاقتصادى ، وهذا أمر يهم الطبقات المحرومة من الشعب بالدرجة الاولى . وبالإضافة الى ذلك فإن مفهوم المواطنة Citoyenneté أصبح عالميا ، وهو خاضع لقوانين خاصة بالامة التى يدها واحدة وكلمتها واحدة ، مما أدى الى صيانة حقوق الناس أجمعين . حتى الفقراء منهم ، ورفع المظالم عنهم من أى كان . ولو كان هو الخليفة بالذات . ونحن نعرف كيف كانت افريقيا عندما اعتنق أهلها المسيحية ، وكيف كانت . الى حد القرن السادس موطن العلماء والشهداء الذين ضحوا بحياتهم فى سبيل الدين . ويقول أحد المؤرخين بأن : « الكنيسة الافريقية المضطهدة تفتخر برجس مثل القديس سيربان St Cyprien . وعندما انتصرت الكنيسة ارتفع صوت القديس أوغسطينوس يلقى فى جميع الاقطار المسيحية . » ويضيف هذا المؤرخ قائلا : « الا أنه لم يكدهم يمضى قرن حتى اعتنق اغلب المسيحيين الاسلام بحماس دفعهم الى الاستشهاد فى سبيل دينهم . »

ان السبب فى ذلك هو أن المغرب عندما فتح صدره لهذه العقيدة الروحية السامية التى ليس فيها فضل لاحد على أحد الا بالتقوى ، وليس فيها رئيس ولا مرؤوس ، ولا بابوية ولا كهنوت ، أدرك أهله البربر أن مصير وطنهم أصبح بيدهم . فقد استعادوا استقلالهم المفقود . نتيجة دخولهم فى

وحملت اليه الحراب والعذاب والانحطاط أحيانا أخرى ... أصبح هذا الشعب يدرك أن مصيره مهدد ، وأنه لا بد من استرجاع السيادة المفقودة .

ان المؤرخ بروكوب Procope الذى كان كاتباً للقائد البيزنطى بليزير Belisaire يرى أن شمال افريقيا فقدت خمسة ملايين من سكانها فى عهد يوستينيان Yustinien وحده . ولا شك أن هذا الرقم لا يخلو من مبالغة ، ولكن اذا قبلنا ثلاثة أرباعه فقط وأخذنا بعين الاعتبار معلومات أخرى تساعد على التقدير الدقيق ، فإننا نستطيع أن نتصور كيف كانت الجزائر آنذاك بسبب ما عرفته من محن وأهوال ، وكيف كان أبناؤها يستبسلون للدفاع عن حريتها واستقلالها . ومهما يكن من أمر ، فإن الاحداث أخذت تتطور بشكل غير معهود فى تاريخ شمال افريقيا ، حتى ان المؤرخ الفرنسى فليكس جوتى Felix Gautier قال رغم تحامله الشديد ، بأن دخول العرب الى المغرب ، وما نتج عن ذلك من امتزاج بين الشعوب ، يعتبر من أهم الثورات التى عرفها تاريخ البشرية .

واذا تساءلنا عن الخطوط العامة لتلك الثورة فإن النقاط الآتية تقدم ملامحها الرئيسية . ففى سنة 710 م تم نهائيا فتح بلاد البربر وتنظيمه الإدارى . بفضل العمل السياسى والمعنوى ، والى حد ما . بفضل العمل العسكرى الذى قام به موسى بن نصير الذى أصبح واليا على الاراضى المفتوحة فى افريقيا . ولم تمض الا سنة واحدة حتى تقلد فى 711 م أحد رجال البربر ، وهو طارق ، قيادة الجيش العربى . فأنقذ اسبانيا من سيطرة الفيزيغوت ، وربط مصيرها بالخلافة الاسلامية الجديدة الواسعة التى وصلت آنذاك الى أطراف الهند وتغلغل فى أعماق آسيا الوسطى . وكانت مقاليد الحكم بيد الدولة الاموية التى اتخذت دمشق عاصمة لها ، فأخذت على عاتقها النهوض بالمحالة الاقتصادية وتخفيف الضرائب الباهظة التى فرضها البيزنطيون والفرس . ووضع نظام سياسى وإدارى يتميز بالمرونة والعدل ، بحيث أن رعايا دولتى الفرس والعجم أصبحوا بفضل المساواة التى أقرها الاسلام ، متحررين تماما من الاستغلال والاضطهاد من طرف أعيان العهد البائد وقساوسته

الاسلام ، وهذا الدخول في الاسلام جعلهم في نفس الوقت يرتبطون بأمة متطورة وشعب أخذ ينهل من حضارات بلاد فارس ومنطقة البحر الابيض المتوسط ، ويقتبس الصنائع الفينيقية والفلسفة اليونانية والتشريعات الرومانية ويحيى كنوز حضارة بنى ساسان ، ويستخدم لغة جزلة هي خير أداة للتعبير عن الثقافة ، وأحسن وسيلة للتعامل بين الناس ... وربما أمكن القول بأن تلك اللغة هي التي استمالت القلوب الى الدين الحنيف .

وبعد فترة من الحكم المباشر دام أقل من قرن ، وأسهم فيه البربر بتصيب كبير (وطارق بن زياد ، فاتح الاندلس خير مثال على ذلك) ، فإن ممالك عديدة نشأت في أقطار المغرب ... على أن شمال افريقيا ، برقتها الواسعة الشبجزيرية ، أصبحت مرة أخرى ، من أقصاها الى أقصاها ميدانا فسيحا انطلق فيه ذلك الشعب الذي طالما كتبت طاقاته وقيدت حريته في العمل والحركة . ان السيطرة العربية الرسمية في حد ذاتها لم تدم الا بضع عشرات السنين ، لان دول البربر التي انقرضت بعد يوغورطا ويوبا الثاني ، بدأت تتأسس منذ نهاية القرن الثامن ، وتركزت دعائمها في القرنين التاسع والعاشر وما بعدها . ويمكن القول بأن تأسيس تلك الممالك تم بكل حرية ، وبقي دائما في الاطار الذي حدده ملوكها وأولو الامر فيها وشعبها الذي تبني بدون تحفظ اللغة والقوانين والثقافة العربية الاسلامية ، وأخذ يساهم في حل القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، ويعمل بحسب مقتضيات الحطة العالمية ، ومتطلبات أداء الرسالة الى البشرية جمعاء . وتلك هي المهمة التي نهض بها العرب بعد ما اجتمع شملهم في أمة ذات حضارة واحدة ، شغلت منطقة البحر الابيض المتوسط ، وجزءا كبيرا من الاقطار النائية في آسيا .

وقد تعرب البربر من تلقاء انفسهم . والى ذلك يشير جورج مارسي قائلا : « ان التعرب في حد ذاته لم يساير في تطوره الزمنى الدخول في الاسلام . فتعرب الاهالي لم يحصل عن طريق هجرة افراد او مجموعات كبرى من العرب الى تلك

المنطقة الواسعة من بلاد البربر ، من اجل تعريبها بشريا ، بل وقع التعرب عن طريق تبني الاهالي البربر لحضارة جعلتهم على قدم المساواة مع الوافدين العرب . ولا شك أن أعرق عناصر هذه الحضارة وأبعدها تأثيرا ، عنصر اللغة . ان نشر اللغة العربية في شمال افريقيا ، وكتابة تاريخ البلاد بتلك اللغة يعدان بحق نقطة البداية لعهد جديد . » . ولم يبق لنا بعد هذا الا أن نقول بأن تلك اللغة قبيض الله لها رجالا أفذاذا في الثقافة والعلم ، وأن الشعب الذي يرجع أصله البعيد ، بما فيه من البدو والحضر ، الى الشرق ، اندمج فيه العرب بالبربر ، وامتزج فيه البربر بالعرب ، فعاشوا في تلك الاراضي التي شملت المغرب كله أولا ، ثم انحصرت في الجزائر ثانيا ... في تلك الارض التي ارتبطت بعلاقات ، عن طريق الفتوحات والمبادلات ، مع اسبانيا وصقلية وجنوب فرنسا ، وذلك طوال العصور الوسطى والعصور الحديثة ، فأنشأوا حركات فكرية ، وأثروا في غيرهم من الشعوب ، وقاموا بأعمال ومنجزات اقتصادية واستحدثوا أنماطا من الحياة استطاعت بها بلادنا ان تساهم في تطور الحضارة العالمية وسيرها الحثيث أو البطيء نحو الرقي والازدهار .

وما ان انتهت فترة الفتح الذي كان القصد منه بالدرجة الاولى القضاء على الحكم البيزنطي ، وما ان بدأ عهد التنظيم السياسي والثقافي ، حتى أخذت الحكومات الوطنية تمسك بمقاييد الامور ، وتستقل عن الخلفاء الامويين والعباسيين المستقرين في دمشق وبغداد ، لان هؤلاء الخلفاء لم يكونوا يعتبرون الا كمتلين للسلطة الروحية الموحدة لشمل الامة ...

وهكذا أخذت مدن جديدة تنشا في الجزائر ، ومدن أخرى تستعيد نشاطها بعد أن هدمها الوندال أو خربتها الفوضى السائدة في عهد البيزنطيين ... وامتدت عبر الصحراء طرق كثيرة للوصول الى موارد الذهب الافريقي الذي احتكره العرب مدة قرون عدة ، كما أن السفن أخذت تشق البحار وتتجاوز في رحلاتها البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي .

وهكذا أصبحنا نرى فئة كثيرة من الرحالة

وبحق أكثر عهود الحضارة الإسلامية ازدهارا وأصاله . وتوسعه الى تونس والى مصر ، حيث تأسست عاصمتها القاهرة . والى سورية والى جزء من الجزيرة العربية . ولكن هذه النهضة ان هى الا حلقة من سلسلة طويلة الحلقات . وعهد من عهود التاريخ عرفت فيه البلاد الرخاء أحيانا والمحنة أحيانا أخرى ... الا أن الجزائر ما فتئت تبرهن خلال مختلف عهود التاريخ عن قدرتها على مسايرة التقدم ، رغم المحن والاهوال . وهكذا نشأت مدن كثيرة ، وبلغت أوج ازدهارها ثم انقرضت ، كقلعة بنى حماد ، وسدراته فى بلاد ميزاب ... كما نشأت مدن أخرى ، وتحولت الى عواصم ، وكثر فيها العلماء والفقهاء والمهندسون المعماريون ، مثل بجاية وعناية وتلمسان ، فازدهرت بفضلها البلاد كلها . وبذلك نجد فى تاريخ حضارة الجزائر مصداق الكلمة التى قالها لوسيان لوفير من أن سر الحضارة كامن فى العلاقة الوثيقة بين « **الطرق والمدن ، والمدن والطرق** » ... كما نجد أيضا فيه مصداق نظريات فرنان برودال حول أهمية أشباه الجزر فى تاريخ الحضارة ، وحول المسيرة التى يحتنها الوضع الجغرافى فى البحر الابيض المتوسط الحافل بالنشاط ، ذلك البحر الذى تتجه اليه الطرق ويتوافد اليه الناس وتتجمع فيه الافكار . وتصدر من شواطئه البضائع . فالبحر تمخض عن امارات نشيطة وجمهوريات من التجار والقرصان ... والجبل ازدهرت فيه ممالك متمسكة بأهداب الشريعة والفضيلة ، وتوسعت أحيانا حتى وصلت الى السهول ... وحتى الصحراء تأسست فيها دول ما لبث القائمون عليها أن ألفوا الحياة فى المدن وأصبحوا من العاملين فى سبيل النهوض بالعمران . وهكذا تمضى القرون ولا تنقضى معها تلك الصفحات المشتركة المتنوعة المتجددة باستمرار من تاريخ المغرب النوميدي القديم ، المغرب الذى امتزج فيه العرب والبربر ، واندمج فى الثقافة العربية وأصبح عربيا بلفته ومثله العليا ، مثلما أصبحت مناطق أخرى من العالم ذائبة الى الابد ، بحكم الضرورة والميل الطبيعى . فى بوتقة الحضارة الاسبانية أو الفرنسية .

(يتبع)

والعلماء والمستكشفين والفاتحين ، سواء منهم البربر العربون أو المهاجرون من الشرق المختلطون بالبربر ، أو اللاجئون من الاندلس ، أو غير هؤلاء . ممن ولد بأرض المغرب الغنية بالرجال العظام ... أصبحنا نرى هؤلاء جميعا يربطون مصيرهم بمصير الامة العربية ، ويتمتعون بجنسية واحدة قوامها التعامل بلغة واحدة ، والانتماء الى حضارة روحية ومادية واحدة . وينشرون أنوار علومهم فى شتى الاقطار .

ويحدثنا بعض المؤرخين من القرن التاسع عشر ، عن نهضة كبرى شبيهة بالحضارة التى ازدهرت فى عهد الرومان . بل هى أوسع نطاقا ، نظرا للحرية التى أصبح شعب العرب والبربر يتمتع بها ، وللأراضى الشاسعة التى يعيش فيها ذلك الشعب من غير أن يخضع لاي قيد ولا لاية سلطة أجنبية ... فقد أصبحت أراضى المغرب الفسيحة بيد ثلاث دول مستقلة ، ولكنها جميعا منتمية الى نفس الثقافة والحضارة العربية الاسلامية . وتسود فيها نفس الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، حتى انه تكون من مجموعها ما يشبه العالم المستقل بذاته ، اذ تشمل منطقة البحر الابيض المتوسط والاندلس والشرق الاوسط وبلاد فارس وآسيا الوسطى .

ويقول جورج مارسي فى هذا المجال :

« من الملاحظ أن حضارة هذه الدول الثلاث ازدهرت فى القرن التاسع بثلاثة مدن هى : مدينة القيروان التى بلغت آنذاك الاوج فى الازدهار ، ومدينة تيهرت الواقعة فى السهوب الجزائرية واخذت تنمو فى منطقة خالية من المدن الكبرى ، ووصلت شهرتها الى آسيا . ومدينة فاس التى ما لبثت أن برهنت عن قدرتها على البقاء عبر العصور ... ولا شك أن نمو هذه المدن وغيرها من المدن الأخرى يعد من أهم الأحداث المميزة لأزدهار الحضارة . »

وقد انطلقت فيما بعد . أى فى القرن العاشر والحادى عشر والثاني عشر . انطلقت من الجزائر حركة انبثقت عن انشاء الدولة الفاطمية التى تعد

حمدان خوجه

ومنهجه في

كتابة التاريخ

عبدالمجيد زور

مميزات الفترة التي عاشها حمدان خوجه

شهدت الفترة التي عاشها حمدان خوجه (1775 - 40 و 1845 م) (1) حدثين خطيرين ، حدثا في بلدين ، اوروبيين ، في وقت متقارب ، وقع اولهما بانجلترا ، وثانيهما بفرنسا ، وبقدر ما اتسم به الاول من تثبت وهدوء بقدر ما كان الثاني عنيفا ومدمويا ، وبالرغم من ذلك فلهما خصائص مشتركة كالحبوت في فترة واحدة تقريبا ، اى خلال العقود الاواخر ، من القرن 18 المعروف بقرن « الفلسفة » ، وقابليتهما للوصف بالثورية ، وما اسفر عنهما من نتائج هي في توالد مستمر حتى ايامنا هذه ، وان كانا يختلفان في طبيعتهما ، ذلك ان الاول كان ثورة صناعية اقتصادية احدثت انقلابا في وسائل الانتاج وطرقه ، وخلقت مقاييس ومفاهيم جديدة . اما الثاني فهو تلك الثورة الفرنسية التي امتازت بالقساوة ، والعنف الدموي لتتمكن من هدم اركان مجتمع كانت وطاته عنيفة على السواد الاعظم من الفرنسيين ، وتقوى على ازالة ما تبقى من ترسبات القرون الوسطى ،

قبله بقرن الفلسفة ، وما قبل هذا الاخير بقرن العلم واستعمال العقل . فتهب الشعوب فى ثورات عارمة ، فى كامل مناطق أوروبا بقصد التحرر على « شكل قوة تجمع » أو على شكل « قوة تفتت » (3) وما سائر ذلك من حركات فكرية وفنية أخرى . معبرة عن روح العصر ، كالرومانطيقية ، التى عبرت عن خيبة أملها وعدم قدرتها على تفهم روح العصر العقلانى ، فتركت مكانها لحركة أخرى واجهت الواقع بواقعيته ، بعد أن سادت نصف قرن تقريبا ، وتركت آثارها فى مختلف أوجه الحياة : الادبية منها والفنية .

أما تأثير الثورة الصناعية فقد كان عاما كذلك ، محدثا مشاكل اجتماعية وسياسية ، نتجت عنها مذاهب اقتصادية ، هى فى تناحر منذ أن ظهرت الى يومنا هذا .

كما تولدت عن الازدهار الصناعى نتائج سياسية كضرورة البحث عن مناطق النفوذ خارج أوروبا لغمرها بالمصنوعات التى عجزت الاسواق المحلية عن استيعابها وجلب المواد الأولية منها ، لضمان استمرارية هذا الازدهار ، وتعميرها . بمعمرين ضاقت بهم بلادهم .

تم كل هذا عمليا بتردد وبطء كبيرين ، فى النصف الاول من القرن - 19 - أما خلال النصف الثانى منه فقد انطلقت الحركة الاستعمارية المباشرة بأقصى سرعة لها ، لتكون لنفسها امبراطوريات جديدة من نوع جديد ، تغاير امبراطوريات ما بعيد الاكتشافات الجغرافية .

اننى اهدف من وراء هذا الاستعراض السريع لاهم الاحداث خلال الفترة التى عاشها حمدان خوجه ، وما بعدها بقليل ، أن اجعل القارى ، يتصور الاطار الكبير ، الذى وضعت فيه هذه الشخصية ، كسياسى مدرك للتطورات السياسية والاقتصادية ، وكمؤرخ عارف لمعظم مؤثرات العصر واتجاهات تياراته .

كما وليس فى امكان أى شخص ، خاصة فى عصر مثل عصر حمدان خوجه أن يكون فى مستوى هذا الفهم ، الا اذا اعد اعدادا خاصا ، ونهيات له ظروف اجتماعية ومادية .

واجتثاث جذور الانظمة القديمة الجائرة اجتثاثا كليا . وما قدر لكل هذا أن يحدث لولا ما بشر به الفلاسفة الانجليز فى بداية القرن الثامن عشر عصر الانوار ، وعبادة العقل والتفكير الديمقراطى والحقوق الطبيعية (2) . وغير ذلك من الافكار التى تصدت لنشرها الطبقة المستنيرة (جان جاك روسو - منتسكيو - فولتير ...) فى اوساط الطبقات المختلفة ، كما تصدت لانتقاد الاوضاع القديمة الموروثة ، والعمل على ضرورة التغيير ومسايرة العصر باقامة أسس جديدة لصرح مجتمع جديد . فساعدت بذلك على تعميم التوعية ، والاعداد للانتفاضات الجماهيرية ، فكانت الثورة الفرنسية ذروة هذه الانتفاضات ، التى أثبتت مفاهيم جديدة (الحرية ، المساواة ، الاخاء) حلت محل مفاهيم اجتماعية بائنة . كما قضت على خرافة « الحقن الالهى المقدس » الذى اقامته أسرة « البوربون » (1589 - 1830 م) وتوارثه ملوكها ودعموه .

وباختصار فان تأثير كل من هاتين الثورتين ، لم يقتصر على مكان الحادث ، بل تجاوز نطاق المحلية ليشمل القارة الاوروبية بأكملها أولا . ثم غيرها من القارات ثانية .

أو لم تكن شعارات الثورة الفرنسية المذكورة قد هزت عروش ملوك أوروبا وجعلتهم يتنادون . للوقوف فى شكل أحلاف ضدها . ومضادة من كان يلوح بها ، لتحقيق امجاد ومكاسب . فعرف العالم الاوروبى سلسلة من الحروب المتواصلة ، تعرف بحروب الثورة الفرنسية ، أو الحروب النابوليونية لتتحول الى حرب سياسية ، بين الدول المتحالفة ذاتها . كما كان الامر فى مؤتمر فينا (سبتمبر 1714 - جوان 1715 م) وفى غيره من المؤتمرات التى اعقبته .

أو لم تكن هذه المبادئ قد تفاعلت معها الشعوب الاوروبية ، دون ملوكها وأباطرتها . فتحول الصراع بين الملوك وشعوبهم . أو لم تتبلور هذه الشعارات لتأخذ أبعادا أخرى فتخلق مفاهيم جديدة . تجعل الشعوب تعى كنه ذاتيتها وتتعرف على نفسها تدريجيا ، طوال القرن التاسع عشر ، فاذا بالتيار القومى يطنى على غيره من التيارات ، فيسمى القرن بقرن القوميات . كما سعى الذى

المستوى الاجتماعي لحمدان خوجه

ولد حمدان خوجه بالجزائر سنة 1775 م ، من عائلة ذات مكانة اجتماعية عالية (4) ، في مجتمع يتأثر بكثير من الاعتبارات والمقاييس تبعا للعناصر المكونة له ، كالعرب والكراغلة واليهود والأتراك والقبائل ، تتجلى هذه المكانة العالية سواء في الوظائف ، التي تولاها ، كل من أبيه وعمه ، ثم هو ، من بعدهما أو فيما كانت تملكه هذه العائلة من أملاك بالجزائر العاصمة وضواحيها (5) ، وأى مقياس غير هذين المقياسين ، يصلح لقياس المستوى الاجتماعي لدى فرد من الافراد .

كان أبوه كاتباً أول للدولة ورئيساً للكتابة . شغل منصب « المكتوبجي » وهو « ... من أخطر المناصب في الدولة ، اذ هو في مستوى شيخ الاسلام ، أهمية واعتباراً ، يستشار في كل الظروف والمناسبات ، من جانب الداي ، وبذلك كان اتساع معارفه التشريعية مطلوباً ... ونظرا لأهميته ينعم عليه بلقب « افندي » الذي يختص به عادة ، الداي والمفتي . » (5) .

كما كان عمه موظفا ساميا في الدولة شغل منصب أمين السكة « أى أمين بيت المال ، وكلف بسفارة سنة 1784 م الى الباب العالي ، لتسليمه الهدية التقليدية ، وليس هذا التكليف بالامر الهين لان تسليم الهدية ، يتبعه احتمال تسليم مقابل للفرمان ، أو وعود بتقديم مساعدات مختلفة للنيابة ، لذلك كانت الدقة في الاختيار ، لتولى أمر هذه السفارة ، تتناسب مع الكفاءة والمكانة ، التي تجلت في أكثر من مناسبة ، كالتى كان حمدان خوجه وعمه موضع حفاوة واکرام ، عند توقفيهما بتونس ، سنة 1801 م ، عائدين الى الجزائر من قبل حموده باشا (1782 - 1814 م) ورئيس وزرائه ، وتشكى هذا الاخير لهما من بعض تصرفات الجزائريين (7) وتكليف حمدان خوجه باعباء أخرى أثناء عملية الاحتلال ، وبعدها ، هذا من ناحية .

أما فيما هو من شأن الاملاك فحمدان خوجه يذكر ذلك بنفسه فيقول : « على أن أصرح بملكيته لقطعة كبيرة من الارض كافية ، من هذا السهل توارثناها أبا عن جد » (8) ثم يقول : « فانا ملاك لاملاك بسهل متيجة يقدر ما أبذره بهذا السهل

سنويا 160 حمولة ابل من قمح وما بين 100 و 120 حمولة من شعير » (9) ، يتضح لنا اذن بمقارنة مقدار الجبوب التي تبذر سنويا بمدى اتساع الاراضى التي توارثها أفراد هذه العائلة التي تغلب الظن أنها من أصل العنصر العربي ، ومن طبقة اجتماعية حضرية (10) ، وان كان يخالف في ذلك البعض من الكتاب الذين اهتموا بهذه الشخصية .

ولربما كان هذا الرأى الاول صحيحا ، لما يذهب اليه حمدان خوجه من أن الكراغلة قد ابعدا عن الحكم ، وتولية المناصب الهامة في الدولة ، بعد ثورتهم سنة 1830 م ، ثم يضعف هذا الرأى عندما يذكر ، بأن تسامح الدايات المتأخرين ، والداى حسين منهم بصفة خاصة ، قد فتح المناصب العليا في وجه هذه الطبقة ، وقد تولى منهم الحاج أحمد باى قسنطينة (11) .

وعلى أى حال فسواء أكان حمدان خوجه من طبقة الكراغلة ، أو من طبقة العرب ، فهو مدين لهذا الوسط ، مدين له بالتكوين الذى أحرز عليه ، والمكانة التي تبوأها ، ومكنته من القيام بالدور الذى لعبه في فترة ما قبل وما بعد الاحتلال . اذ لولا هذه الامكانيات الاجتماعية والمادية لا استطاع أن يطوف بكثير من بلدان الغرب والشرق .

كانت سفرته الاولى الى (اسلام بول) مع عمه أمين السكة ، ولما يتجاوز التاسعة من عمره ، ويبدو أنه لبث طويلا خارج الجزائر ، ولم يعد اليها الا في سنة 1801 م مارا بتونس كما سبقت الاشارة الى ذلك (12) وزار خلال هذه المدة ، الشرق الادنى ، والبلقان . وفي حدود سنة 1820 زار فرنسا حيث تعلم اللغة الفرنسية ، ورأى لويس فيليب (ملك الفرنسيين فيما بعد) مع عائلته (13) . « ولم يكن حمدان خوجه متغافلا في اسفاره ... بل كان يزور المصانع والمتاجر ... ويتجسس على المسكرات ويتحسس على الادارات » (14) .

فمثل هذه الاحتكاكات والاسفار ، لمختلف الدول الاوروبية ، كاليونان وبلجيكا وفرنسا وسويسرا وانجلترا (15) ، وغيرها ... قد مكنته من المشاهدة العينية ، ودراسة الحالات الاجتماعية

لهذه الشعوب ، والوقوف على سر الاحداث التي كانت تمر بها اوروبا في هذه الفترة .

أما مقومات شخصيته الاولى فهي ثقافته التشريعية ، التي أخذها عن أبيه الذي كان استاذاً لهذه المادة ، كما يتمها من مواد أخرى ، كالاصول والمنطق والفلسفة والتاريخ والطب (16) ، ونظمه القليل للشعر (17) . وعلى العموم فان ثقافة حمدان خوجه هي ثقافة كلاسيكية بحيث أنه أخذ بطرف كل المواد المذكورة ، ولعل الشيء الذي ميزه عن الكلاسيكيين هو حذقه لأكثر من لغة واحدة ، كعرفته للغة الفرنسية ، وإن كان لا يستعملها في المواقف الدقيقة التي تتطلب السيطرة الكاملة على جزئياتها وأسرار أساليبها ، فكان يفضل في مثل هذه الظروف الاستعانة بمترجم ليرجم أفكاره ويوضح آراءه ، كما فعل عندما مثل أمام اللجنة الافريقية (18) . أما اتقانه للغة التركية فلا جدال فيه ، وترجمته لكتابيه « اتحاف المنصفين » لدليل على ذلك ، ولو كان الامر كذلك بالنسبة للغة الفرنسية ، لتكلف هو نفسه بكتابة المرأة ، أو ترجمتها الى اللغة الفرنسية بدون مساعدة شخص آخر ، ثم هو يقول في مكان آخر بأنه كان يعرف هذه اللغة كعرفة دوفال للغة التركية . فمعرفته بهاتين اللغتين المنتشرتين ، بانتشار السيطرة العثمانية الواسعة بالشرق والنفوذ الفرنسي الواسع في الغرب ، قد مكنتاه من الاطلاع على ما يجري في هاتين الامبراطوريتين .

انتاج حمدان خوجه ومحتوى كتبه

لحمدان خوجه كتب مختلفة المواضيع ، كالسياسية والتاريخية والفقهية والعلمية ، وأشهر كتبه على الاطلاق كتابه :

(I) لمحة تاريخية واحصائية عن نيابة الجزائر المعروف (بالمرأة) لسيدى / حمدان بن عثمان خوجه ابن كاتب الدولة السابق (المكلاجي) لنيابة الجزائر ترجمه عن الفرنسية ج ... د ... الشرقي .

وفي الصفحة الاولى هذه العبارات (لبن جمال كونستان) الفيلسوف الفرنسي « عندما تتمكن الانانية من الاطاحة بالطفان ، فهي لا تهتم الا باقتسام غنيمة الطاغى » (19) الجزء الاول - مطبعة

ابناء كوتشى وشركاؤه - نهج لوى لوجران - رقم 35 - 1833 م .

أى أن كتاب المرأة قد طبع في باريس في أكتوبر سنة 1833 م بعد أن أتمه صاحبه في شهر جويليه (20) .

كما يظهر من الصفحة الاولى للكتاب ، فان النسخة المتداولة الآن ترجمت من العربية الى الفرنسية ، بقلم حسونة دغيز الطرابلسي ، كما رمز الى ذلك . أما النسخة الاصلية فما زالت مفقودة (21) وعلى أى حال فمن المؤكد أن النسخة الاصلية العربية تغاير النسخة الفرنسية ، ولو شكلياً ، فعبارة « بن جمان » قد لا تكون موجودة في النسخة العربية ، كما يمكن جداً أن تكون الاشكال المثلثة للخيام ، التي أعلن عنها في النسخة الفرنسية بأنها ستنتشر في آخر الكتاب ، ثم اعتذر صاحبها عن نشرها في الاخير ، مثبتة في الاصل ، الى غير ذلك من اختلاف في الاساليب ومدلولات بعض الكلمات ، كترجمة كلمة « سبع » وهي عربية تعنى كل حيوان مفترس ، بعبارة « أسد » وكلمة سلطان ب « الامبراطور » واطلاق كلمة « الجزائريين » على سكان مدينة الجزائر العاصمة .

ويظهر على اخراج الكتاب بدون صور ، طابع العجالة ، حتى يكون في حوزة القراء الفرنسيين للاطلاع على الحقيقة في الوقت الذي تكون فيه اللجنة بصدد التحقيق ، في اوضاع الجزائر .

والنسخة المتداولة تنقسم الى كتابين . الكتاب الاول يتضمن فصولاً عددها ثلاثة عشر ، مسبقة بمقدمة (22) . وفيها يذكر الاسباب التي دفعته الى اخراج هذا الكتاب وذلك حسب قوله للحالة الشاذة التي يعاني منها هذا الشعب ، كما دفعه الى ذلك اظهار الحقيقة التي تغافل عنها سابقوه في الكتابة ، في هذا الموضوع ، ويذكر بأن لسكان الجزائر ، مثل ما للشعوب الاخرى عادات ، وتقاليد ...

أما مضمون الفصل الاول من الكتاب الاول

فمن اصل بلد الجزائر ، ويصنفهم الى صنفين ،

صيفاً ومجتمعين حول موقد نار شتاء ، ومآكلهم الشعير وزيت الزيتون والتين والبلوط ، أما لحوم الطير والحيوانات فأكلهم لها قليل ، اللهم الا فى مناسبات ، كمناسبة نزول ضيف عندهم ، فتكون تلك مناسبة لدعوة الجيران ، لهذه الوليمة ، أما الاولاد فما أعظم فرحتهم فى مثل هذه المناسبة .

الفصل الثالث ، تابع لطبائع وعرف البربر ،
وفيه يصف مساكن السكان والمواد التى أقيمت منها ، وطريقة حياتهم بها ، فهى مساكن لا أثر فيها لآى أثاث الا من الضروريات ، كقربة الماء ، والتين اليابس ، والحبوب ، والاسلحة النارية للدفاع ، يذكر فى هذا الفصل الاهتمام بصناعة الاسلحة النارية لوجود بعض مناجم الرصاص فى مناطق مختلفة (24) ، وسك العملة ... وينتهى الى القول بأن ما يورده ليس تاريخاً مفصلاً ، وإنما مجرد محاولة لاعطاء فكرة فقط ، عن البلاد وسكانها ثم ينتهى من الفصل ليحكم فى الآخر بأن هؤلاء عبارة عن أناس رخل لا يختلفون عن الوحوش ، وبذلك يعتقد أنه من الصعب على فرنسا ، وليس فى مقدورها ، ولا فى مقدور غيرها من القوى الاخرى أن تخضعهم . وهذا الاستيلاء غير جدير بعظمة فرنسا لانها تملك من الامكانيات البشرية والمالية ما يغنيها عن كل ذلك ... ويتساءل عن الفائدة التى ترمى اليها فرنسا من وراء اتلاف أموالها ، وارقة دماء جنودها والتعرض للمهالك التى يسببها جو البلاد ومناخها ، أفمن أجل إبادة السكان أم بنية امتلاك صحارى جدياء ؟

الفصل الرابع سكان السهل ، طبائعهم وعرفهم ،
يتعرض فيه لطبائع سكان التل ، ولطريقاتهم الاجتماعية فى الحياة من حيث الالبسة ، وتملك الحيوانات ، ونوع المساكن ، ثم ينتقل الى الحديث عن حياة سكان الصحراء كما سمعها من غيره لانه لم يشاهدها ، ثم يروى النزعات المختلفة ، لبعض المشيخات الصحراوية ، فى الفترة الاولى للاحتلال ، التى برزت فى الصراع بين أحمد باى المتغلب فى الاخير ، على ابراهيم باى وقريبه الشيخ فرحات ، ويذكر فى هذا الفصل ، فروسية أهل الصحراء ، والمخاطر الطبيعية لهذه المنطقة ، وهى فى نظره من أهم المناطق بالنسبة للايالة ،

يختلفان عن بعضهما ، وهما بدو السهل من أصل عربى وبدو الجبال ، وهم من أصل بربرى ، والفرق بينهما واضح فى اللسان المستعمل لدى كل صنف ، كما يتعرض لاصول نشأة فكرة « تقديس الاولياء » عند البربر ، فيضرب مثلاً بسيدى على بن عيسى تلميذ محمد بن عبدالرحمن المتوفى بالقرن الثامن عشر ، ويستحسن حمدان حوجه مثل وجود هذا المعتقد فى الاولياء من طرف السكان ، وخاصة فى مجتمع تقوم أسسه على النظام القبلى (23) .

وفى الفصل الثانى ، المعنون « بطائع وعرف البربر » يصف بعض الالبسة التى اعتاد البربرى أن يرتديها ، مثل : « القندوره » وهو يصف هذا الثوب وصفاً دقيقاً ليصوره للقارىء ، فيقول : « ان هذا الثوب عبارة على قماش من صوف اشبه ما يكون بكيس مثقوب من الوسط ، ليتمكن الانسان من ادخال رأسه عند ارتداد الثوب ، وبه فتحتان جانبيتان ، لاجراج اليدين أما طوله فحتى الركبتين ... فاذا قدر وأصابه بلل ، فان الثوب يطلق رائحة كريهة ، من كون الصوف لم تنظف تنظيفاً كاملاً ، قبل أن يصنع منها الثوب ، فيكون وزنه ثقيلاً . أما اغنياء القوم فلهم برانس هى بمثابة معاطف ، ولم يصف الثوب الاخير ، لكونه معروفاً باوروبا ... ويبقى البربرى مرتدياً لهذا الثوب الوحيد طوال حياته ، فاذا ما أصابه خرق رقع له لانه لباس العمر الوحيد ، يلبس شتاء وصيفاً ، وفى يوم الصحو والمطر . »

ثم يصف الحائك عند المرأة وهو كذلك مصنوع من الصوف ، لكن حواشيه مطرزة بالوان زاهية . والمترفات من النساء يربطن رؤوسهن بمناديل أو بقطع قماشية ... أما الاولاد فيبقون عراة ، ماداموا لم يصلوا سن البلوغ .

والانقضاء من الرجال يضعون على رؤوسهم « شواشى » لان ذلك من باب الاناقة ، ويحكم أن الشاشية لا تنزع من مكانها الا بعد مدة طويلة ، فان لونها الابيض يتحول الى لون أسود من كثرة الغبار والعرق . أما نعالهم فهى خفاف من جلد الماعز يشبه الخفاف التى كان ينتعلها الرومان . وثيابهم تستعمل للباس ، وتؤدي دور الوسادة عند النوم . أما أغلبيتهم فينامون على الارض كما تنام أقليتهم على الاحصرة ، بعيدين عن بعضهم

خلافًا لما يدعيه غيره من الكتاب الذين هم من أهل السيف لا من أهل القلم .

الفصل الخامس عن منطقة متيجة ، وعادات أهلها وتقاليدهم .

يرد على القائلين بصلاحية هذه المنطقة ، بذكر مساوئها الصحية ، والانتاجية ، والاجتماعية ، ويشير إلى مصلح القليعة ، وما أعقب سجنه من فقر ونقصان في المواد ، وسخط شعبي وثورة نفسية ... وبالرغم من ذلك فإن روفيقو يطالب السكان بدفع الضرائب ، كما كان هؤلاء يدفعونها في عهد الاتراك ، بينما كان السكان يفعلون ذلك في عهد الاتراك بمحض ارادتهم ، لانه كان عهد ازدهار تجارى وأمن ، أما العهد الحالى فهو عهد قتل وقلق ، واذا ما دفع السكان الضرائب فذلك خوفا من بطش روفيقو .

الفصل السادس ، سكان القسم الغربى حول تلمسان ، وسكانها ومكانتها التاريخية ، والاحداث التى حدثت بين العرب والاتراك ، وحسم الخلافات فى الاخير ، بعد جلاء النفوذ المغربى وتشكيل هيئة حكومية حاكمة . وهذه الصور يعرضها مأخوذة عن غيره - من الجزائريين القاطنين بتطوان ، ومدن أخرى بالمغرب الاقصى - ويذكر أهمية تلمسان كمركز تجارى نشيط ، لا بالمنطقة الغربية فحسب بل حتى بالنسبة للمغرب واواسط افريقيا ، اذا ما اعتنى بها ، ويشير باختصار إلى مناخ وعرف سكان المدينة ، ومليانة ، ووهران ، مدينة الرخاء والتجارة التى حلت محل مدينة معسكر (27) . ثم يرجع إلى ذكر المدينة ، وبعض الحوادث التى وقعت فيها كخيبة «بارتوزان» فى حملته على المدينة ، واسر صهره ، وينهى الفصل برسم حدود الولاية الغربية فيقول : بانها تمتد من مليانة حتى وجدة .

الفصل السابع ، حول الجزائر .

سكان مدينة الجزائر ، خليط من الاندلسيين والاتراك ، والعرب ، والقبائل ، والصنغان الاخيران اقلية ، تكون على مر الايام ، من امتزاج هذه العناصر ، سكان الجزائر العاصمة الذين يمتازون بالمسالمة والوفاء بالوعد ، وبروح التعامل الجماعى ، والنشاط للكسب ، ودفع الاحتياج ،

لان الاسلام يدعو للقيام بالمعروف ، والمعروف لا يأتى من المعوز ، لذلك ترى نشاطهم يزداد فى طلب الرزق ، وهم الى جانب ما يتحلون به من الاخلاق الفاضلة ، كاحترام الجار وتقديم المساعدة له . يمتازون بحذقهم لكثير من الصناعات ، كصناعة مختلف الالبسة . وحظهم من الذكاء والثقافة وافر ، فكان منهم الشعراء ، والعلماء ، والادباء ، والاساتذة وان امتزاج العنصر التركى والاندىلى ، فى نظره ، قد تولد عنه جنس متفوق ، سليم ، من شتى الامراض .

الفصل الثامن ، فى اصول الحكم التركى . ومختلف تنظيماته ، ثم تاتى الفصول الاخرى حتى ينتهى الكتاب . وكلها فصول تتناول تنظيمات مختلفة لاجهزة الدولة ، كالتنظيم العسكرى والديوان ، وعن الحكم التركى ، منذ دخولهم الى الجزائر ، حتى بداية الانحطاط ، الذى حدد بدايته بسنة 1791 م ، ويستمر حتى ولاية حسين داي ، ويتعرض لاسباب هذا الانحطاط وعن بعض الثورات ، والحملات ضد تونس .

اما الكتاب الثانى ، فيتناول فترة الاحتلال الفرنسى فى عهد دوبورمان ، و كلوزيل ، و روفيقو (28) .

اما مكملات كتاب المرأة فهى :

I - الرسالة التى ارفقها بالمذكرة ، وبعث بها الى اللجنة الافريقية التى كلفت بدراسة اوضاع الجزائر عن قرب ، وتقديم تقرير الى الحكومة الفرنسية تتخذ على ضوئه قرارا بالانسحاب من الجزائر ، أو البقاء بها ، فدام مكوث اللجنة حوالى ثلاثة أشهر بالجزائر ، من 2 سبتمبر 1833 الى 9 نوفمبر 1833 م (29) .

والرسالة « يناشد فيها حمدان خوجة اللجنة الافريقية باسم المحبة الانسانية ويستعطفها باسم العدالة ، أن تكون غير منحازة فى احكامها ، عادلة فى تقاريرها ، ناطرة الى الجزائريين بمنظار العاطفة نظرا لما يعانونه من ألم القهر والضغط ، وان ترق لحالهم وتعاستهم . فهذه النظرة - على حد آمال حمدان خوجة - يحظى الجزائريون ، كما حظى من قبلهم اليونان والبلجيكيون بمساعدة وعطف فرنسا ، فيرون (أى أعضاء اللجنة) ما كان يراه

حمدان خوجة من كون « ليس هناك أى حل سوى تغيير الوضع لاستعادة النظام ، وميلاد ثقافة جديدة » (30)

أما المذكرة ، فهي مختصر لكتاب المرأة بعث بها حمدان خوجة مع الرسالة الى اللجنة الافريقية (31) وهي موجودة بباريس بالمحفوظات الوطنية تحت رقم ف 9.80 (32) .

3 - ثم لحمدان خوجة نشرة أخرى تحت عنوان « الرد على تفنيد كتاب حمدان خوجة » . والمقال نشرته مجلة

Extrait de l'Observateur des Tribunaux

صدر هذا المقال في 25 جويلية 1834 بالفرنسية ومضى بالعربية كرد على من دحض كتاب المرأة بمقال ، في نفس المجلة ، وب نفس السنة ، والمرجح أنه كلوزيل .

4 - كتابه « رسالة اتحاف المنصفين ، والادباء بمباحث الاحتراز عن الوباء » (33) من تحقيق الاستاذ ابن عبد الكريم ، وفيه ينصح حمدان خوجة بالاخذ ببعض مظاهر التقدم الاوروبي ، كنظام « الكرنيتية » (العزلة الاربعينية) ، والكتاب مترجم عن الاصل العربي ، الى التركية ، بقلم الكاتب نفسه ، ومن هذا الكتاب نسخة تحت رقم 56 24 بالمكتبة الوطنية بباريس (34) .

5 - وله رسالة أخرى شخصية بعث بها من لندن ، الى استاذ محمد بن علي في الجزائر (35) .

6 - حكمة العارف بوجه ينفع ، المسألة ليس في الامكان ابداع مخطوط بالقسطنطينية 1836 م (36) .

المصادر التي اعتمد عليها حمدان خوجة واهميتها بالنسبة للكتابة التاريخية .

ان مؤلفات حمدان خوجة ، مختلفة المواضيع التاريخية (المرأة) والسياسة (المراسلات، والرسالة والمذكرة) والعلمية (اتحاف المنصفين) لتعد مصادر أولى للمؤرخ الباحث وللمتبع لمؤثرات العصر . في روح الكتابة والاتجاهات المختلفة ، التي سادت الفترة التي عاصرها او سبقته ، وتناولها بالكتابة وذلك لكونه استند هو نفسه ، على مصادر من الدرجة الاولى وهي :

1 - المشاهدة المباشرة وهي الاساس الذي اعتمده حمدان خوجة في كتابته « للمرأة » وكذلك

لكتابته « اتحاف المنصفين » ، ويصفها هو نفسه بالوثائق لانه في الوقت الذي تكونت لديه فكرة الكتابة عن الجزائر ، زار مناطق داخلية ، لهذه الاخيرة ، لم يكن قد زارها قبل الاحتلال ، ليتأكد من صحة ما سيكتبه ، فيقول بالنص : « لو لم أكن متخوفا ، ومتألما من وضعية بلدى البئيس بالاضافة الى المتاعب التي سببتها لي شيخوختي ، لجمعت مزيدا من عجيب الوثائق (ويقصد المعلومات) ، حول هذه المنطقة من افريقيا ، (37) ، اذن يدرك بنفسه أهمية المشاهدة المباشرة في الكتابة التاريخية ، ويعتبرها من باب الوثائق ، وحتى في كتابه اتحاف المنصفين ، عند ما ينصح بتطبيق نظام « الكرنيتية » يصف ما شاهده خلال أسفاره ، وخضوعه لمثل هذه الانظمة المعمول بها في أوروبا .

ب - الاخذ عن الثقة (38) ومن ذوى المكانة المباشرين لعمالهم كالبائيات مثلا ، فكثيرا ما يصرح بأنه لم يشاهد ما رواه بنفسه وانما أخذه عن غيره من الثقة ، كما هو الحال بالنسبة لسكان الصحراء فيقول : « أما بالنسبة لسكان الصحراء فاني لم أقم بزيارة هذه المنطقة بنفسى وانما تحصلت عن أخبارهم واحوال المنطقة ، من أشخاص ذوى ثقة » (39) .

ويقول في موضع آخر عند ما يتعرض لرسم حدود ولاية الغرب « ان هذه الجزئيات قد أخذتها عن باى تولى ادارة ولاية وهران ثم قسنطينة » ، وكذلك في شأن مؤسسة بوشناق، وبكري ، اللذين كانا أصل مشكل النزاع الفرنسي الجزائري ، فيقول : « لقد أخذت عن هذا الشريك نفسه هذه المعلومات » (40) ، ويقصد النزاع الذي تحول بين الشركاء الثلاثة عند ما تضخم ربحهم ، والامثلة على اسناد الاحداث الى روايتها كثيرة ، في كتاب المرأة .

أما قيمة محتوى كتبه تاريخيا فتتضح بعد استعراض الاعتبارات التالية :

أ - ان وصف حمدان خوجة للعادات والتقاليد الجزائرية في مختلف مناطقها ، والاحداث التي عاصرها ، تظهر واضحة للقارىء منفصلة عن الاحكام التي يوردها في نهاية كل فصل تقريبا ، وهذه الاخيرة تدخل في نطاق الاستنتاج والتنبؤ

اصلاحات ، أو تغيير لصالح الجزائريين ، حتى على حد قوله : يرصع كتابه بها .

ط - اعتراف اللجنة الافريقية ، ذاتها ، بخرق الحكام العسكريين للمعاهدات واقرارها كثيرا من تصرفاتهم ، التي ندد بها ، حمدان خوجة (44) .

الغرض من كتابة كتبه والطريقة التي سلكها :
لقد كتب حمدان خوجة المرأة الى قراء فرنسيين من الشعب الفرنسي ، ولم يكتبها ليقراها بنو وطنه كما كتب ذلك الى الرسميين في الحكومة الفرنسية مختصرة « المذكرة » التي بعث بنسخة منها الى اللجنة الافريقية (45) لأسباب أشار هو اليها من بينها أن « كثيرا من الكتاب ولو أنهم نشروا كتبنا ، حول الجزائر ، فمعظمهم لم يتناول الموضوع بكتابته ، الا من زاويته المادية (46) ، كما دفعه الى ذلك « الرغبة في القيام بأعباء مهمة المؤرخ الحقيقي بمنتهى الصراحة ، هذه المهمة التي لم تجد جراءة لدى أي واحد من كتاب تاريخ نيابة الجزائر لظهارها » (47) .

وليس من المستبعد أن تكون أغراض أخرى لدى حمدان خوجة من وراء كتابته المرأة الذي نشره بباريس ، كالتأثير على الشعب الفرنسي والحكومة معا .

أما التأثير على الشعب فكان بطريقة سرد صور للتصرفات الوحشية ، التي كان يتعرض لها الشعب الجزائري من طرف العسكريين كالقتل الجماعي والابادة والتشريد والمطاردة ، فهو بذلك يشبه حالة الشعب اليوناني الذي ، عانى من مذابح العثمانيين ، وذلك لانتارة عواطف الفرنسيين والهاب مشاعرهم ، وجعلهم يستنكرون مثل هذه الاعمال ، فيضغطون على حكومتهم بطريقة المظاهرات أو الاحتجاجات ، ويشير الى أن « قضية الجزائر قضية خطيرة ، ما دامت تتعلق بحياة أمة » (48) هذه الأمة التي لها مقومات شخصيتها ، كالدين والإعادات واللغة والتقاليد (49) ، اذن فهي أمة يحق لها ، أن تتمتع بسيادتها لما لها من عناصر ، تميزها عن غيرها كما كان الامر بالنسبة لليونان الذين حظوا بالتأييد للانفصال عن الدولة العثمانية ، وبالنسبة للبليجيكين الذين لعبت مبادئ دينية ، وسياسية دورها في فصمهم عن الهولنديين ، وأن الشعوب المتشعبة بالحرية لتتطلع الى اليوم الذي

بما سيقع من أحداث ، وبالتالي تدخل في نطاق الاغراض التي كتب من أجلها كتاب المرأة .

ب - بناء على ما ذكر آنفا من ان الاغراض غير الحقائق التاريخية ، فليس من المنطق في شيء أن لا نصدق أو أن لا نعتقد بصحة ما كتبه شخص شاهد الاحداث عن قرب ، وشارك في تسيير اتجاهاتها نظرا لمكانته في الدولة والمجتمع معا .

ج - توافق ما كتبه حمدان خوجة في فترة الاحتلال عن تصرفات الجيش الفرنسي ، بما كتبه غيره من الكتاب الفرنسيين المعاصرين للاحداث من امثال : بيشون ، وبروسارد ، حول كثير من الاشياء . أما ما يرويه عن الفترة التي لم يشاهدها كنظام الدولة في القرن السابع عشر ، ونظام الميليشيا ، وثورة الكورغلان ، وخضوع الحكام لرجال الميليشيا ، فيذكرها مشاهدو هذه الاحداث ، في كتبهم بنفس الدقة التي رواها حمدان خوجة (41) .

د - دام وصف حمدان خوجة للعادات والتقاليد المختلفة لسكان الجزائر من بدو وحضر وصفا دقيقا (42) ، وما دمنا لانزال نشاهد نفس هذه التقاليد والعادات ، فلماذا لا نقيس صحة هذه الاشياء على غيرها من الحوادث الأخرى ؟

هـ - وحتى ما كان من باب الاستنتاج بالنسبة لحمدان خوجة ، من ان هؤلاء السكان ، هم أشبه ما يكونون بالوحوش ، ويصعب على فرنسا وعلى غيرها أن تخضعهم ، فقد برهنت الايام بصحة هذه النظرية التي تجسمت في مقاومة الامير عبد القادر وبوقلة ، وغيرها ...

و - كما يمكننا أن نحكم بصحة أخباره من صراحته التي يقسو فيها على بعض العسكريين لما ارتكبوهم من وحشية ، والإشادة بأخلاق الآخرين كالجنرال (لويردو) رجل الشرف والعقلية المثيرة للاعجاب ، والجدير بالانتساب الى الأمة العظمى .

ز - كما ان ذكره لجميع التصرفات اللانسانية قد صاغها في شكل وثائق ، ومذكرات ، للحكومة الفرنسية على مستوى عال ، وليس من المعقول أن تخلو هذه الاشياء من أساس ، يستند هو عليه (43) .

ح - تأجيل اخراج كتابه « المرأة » على أمل وقوع

وتنتاجها من الحبوب ردى الطعم (58) . وتتضح فكرة حمدان خوجه هذه في قوله : « ان احتلال البلاد عديم الجدوى لفرنسا ، بالنسبة لامكانياتها الطبيعية والبشرية » (59) .

يكون حمدان خوجه اذن قد قصد ببعض ما أورده تزهيد فرنسا في الجزائر ، واضعاف لديها نسبة احتمال بقائها فيها ، ما دامت محفوفة باخطارها الطبيعية ، ومكتظة بسكانها البالغ تعدادهم عشرة ملايين نسمة ، الغير القابلين للخضوع بالمرة . وان كانوا قد رضوا بالحكم التركي فذلك راجع الى سياسة اللين التي سلكها الاتراك ، معهم ، مستغلا الفكرة السائدة في هذه الفترة ، ومفادها ، أن الاستعمار المباشر ، عديم الجدوى وخاصة بالنسبة لفرنسا التي كانت ، في تردد ، وحيرة بشأن الجزائر ، وخير لها أن تدخل في مفاوضات وعقد اتفاقيات لصالح البلدين ، على غرار ، ما هو قائم بمصر ، ويتحدث حمدان خوجه (وهو العارف بمجريات الامور) من يرى غير حله هذا بالنسبة لقضية الجزائر بعد أن ذكر حلين آخرين ، من الصعب تطبيقهما (60) .

أما كتابه اتحاف المنصفين والادباء الذي أظهر فيه حمدان خوجه ثقافته الواسعة ومقدرته العلمية (61) ومدى تشبعه بأوجه الحضارة الأوروبية المختلفة ، فقد كان يرمى من اصداره وتقديمه ، هدية للسلطان العثماني محمود الثاني ، عملية الاصلاح التي خطت خطواتها الاولى في عهد هذا السلطان ، الى الاخذ بأسباب العلم والدعوة الى تطبيق نظام الكارنتينه الذي شاع تطبيقه في أوروبا .

وكما فهم حمدان خوجه محور الاتجاهات الفكرية في أوروبا اذ خاطب قراءه الفرنسيين بأسلوب معين وبطريقة خاصة فانه متفهم ، كذلك للعقلية الشرقية ، فسلك طريقة خاصة لاقتناعهم بضرورة مساندة الموكب الحضاري . فلم تظهر في كتابته رومنطيقية ، ولم يحاول أن يقنع قراءه بتصديق ما يقول ، بالنظر الى مكانته ، بل استعمل لغة القرآن والسنة (62) في تحامل كبير على بعض المتزمتين والمتعصبين . يكون بذلك قد ساهم في حركة الاصلاح العامة التي كانت الدولة العثمانية لها مجالا ، وبخاصة في عهد السلطان المذكور .

ترى فيه بولندا قد استرجعت سيادتها (50) وبالطريقة العاطفية الرومنطقية التي يعبر بها حمدان خوجه عن مآسيه نتيجة ، ما تعانيه بلاده من آلام الاحتلال ، كقوله : « ان ما يرسف فيه وطني كان يقلقني باستمرار ، وكثيرا ما كنت خلال تسجيلي لهذه التعاسة ، أضع القلم ، لأترك دموعي تنهمر » (51) ، يعكس تيار العصر الذي ساد خلال هذه الفترة والذي كان مزيجا من الحركتين الرومنطقية والقومية ، هاتان الحركتان اللتان سادتا مختلف الدول الأوروبية ، والتي كانت بهما شعوب هذه الدول شديدة الحساسية ، فهو بذلك يريد أن يدخل الجزائر ، في هذا الإطار لعلها ، تحظى بشيء من حساسية الشعوب الأوروبية .

أما محاولة تأثيره على الحكومة فهو الى جانب الأسلوب النفسي الذي استعمله في مخاطبة مسؤولي الحكومة الفرنسية ، على مختلف مستوياتهم كالتماسه من الملك « لوى فيليب » بفعل شيء حتى لا يعاني (أى لوى فيليب) من قساوة التاريخ ، لان هذه الاعمال التعسفية قد حدثت في عهده (52) . وكذلك مخاطبته لأعضاء اللجنة الإفريقية بكونهم ممثلي شعب فرنسا ، المتشبع بأفكار الحرية . وبكونهم ينتمون الى دولة لها عظمتها ودورها في مناصرة قضايا القومية ، والحرية (53) وعلاوة على هذا فهو يستعمل أسلوب التخويف ، بأظهاره شتى المصاعب التي ستعرض لها فرنسا ، كاحتمال مواجهتها ، مقاومة الاهالي ، أو بدو الجبال الذين لا تقدر فرنسا ولا غيرها على اخضاعهم (54) وأن لهؤلاء من امكانيات الفروسية ، والقدرة على تجييش عدد لا يستهان به عند الحاجة (55) ، بالإضافة الى مخاطر الصحراء ، التي يعجز عن السير فيها كل غريب عنها ، مع ما فيها من حيات متنوعة قاتلة لا يعرف سر تجنبها ، الا من ألف حياة الصحراء (56) . ومع ذلك فهي من أهم مناطق الايالة أهمية ، بالنسبة للبلاد اقتصاديا ، في نظر حمدان خوجه (57) .

ويصر على أن يقلع من ذهن قارئه فكرة صلاحية الجزائر للاستعمار نظرا ، لسهولها ، الساحلية الواسعة ، فينفي ذلك حمدان ويؤكد بأنها أشد مناطق البلاد خطرا ، وأرداها انتاجا ، فهي مصدر للأمراض المختلفة ، نظرا لانتشار المستنقعات فيها .

طريقته في الكتابة

يلاحظ القارئ أن حمدان خوجه يربط الحوادث التي يريد ذكرها بالزمان والمكان ، كحديثه عن منطقة المدية فهو يشير إلى الحادث الذي وقع بها ، كحملة « بارتوزان » الفاشلة (63) . وفي حديثه عن قسنطينة يورد النزاع الذي تم بين أحمد باي وإبراهيم باي (64) إلى غير ذلك . كما يستعمل طريقة المقارنة لتقريب صورة الشيء أو الفكرة إلى ذهن القارئ كتشبيهه نظام الاوقاف الدينية بدار (الانفاليد) بفرنسا ، وأشياء أخرى كثيرة ... وكوصفه « للقدورة » بدل تسميتها ، وذلك لتقريب الصورة إلى ذهن القارئ (65) . وما عدا ذلك فافكاره مرتبة سلسلة وكتابه اتحاف النصفين والادباء في الاحتراز عن الوباء ، فقد صاغه بأسلوب معقد ، وسيت في مختلف الأدلة للتأثير على قارئه . وإن كان هذا الكتاب الأخير ثمرة تجارب طويلة ، ودعوة إلى الأخذ بمظاهر الحضارة الأوروبية فإن الكتاب الأول مرجع له قيمته السياسية والتاريخية ، يكتسب قيمته الأولى في عكسه لنا الصراع السياسي الذي خاضه حمدان خوجه ورفاقه في غمرة الأحداث العالمية في تلك الفترة ، ومرجع له قيمته التاريخية لمكانة المؤلف الاجتماعية والثقافية ، ومعاصره لفترة ما قبل وبعد الاحتلال ، والدور الذي ساهم به في توجيه سير الأحداث ، وصراحته المتناهية في تناوله لها .

وإن كانت الفترة التي سبقت ، وكان قد أرخ لها ، لا يتسرب إليها أدنى شك لصحتها بالمقارنة كما سبق ذكره ، فالفترة الأخيرة ، التي عاصرها وما كتبه عنها ، فإن أقل ما يقال في أحداثها أنها كتبت ، من وجهة نظر جزائرية ، معاصرة متمكنة من الكتابة ، لمعرفة بخطورة التاريخ ، ومقدرة اللامانة التاريخية ، وعارف بأسرارها ، وبمصاعبها معا (66) .

ولعل ما يؤخذ على حمدان خوجه وأضر به هو كتابته للقدمة وللرسالة ، بأسلوب رومنتيقي وبعاطفة فياضة ، جعلت القارئ المتسرع الذي لا يربط تأثير تيارات العصر في الكتابة التاريخية

يحكم على انحياز الكتاب (67) . كما أن البعض الآخر قد اتخذ من مطالبة حمدان خوجه ببعض حقوقه ، والدفاع عن بعض مصالحه ، منقذاً لجل حركة حمدان خوجه حركة ذاتية مصلحية (68) ، واعتبارها ثغرات يستدلون بها على ما يذهبون إليه كنفي بعض تصرفاتهم والتهم التي الصقت بهم .

ومن خلال بعض الفقرات من كتاب حمدان خوجه نستشف عجزه في فهم بعض حركات العصر ، كعدم فهمه ، للحركة الاستعمارية المعبر عنها بالاستعمار الحديث والتي ترمي إلى الاحتلال المباشر للأسباب المذكورة في التمهيد . فهو يتساءل تساؤلات تنم وتؤكد عدم فهمه لهذا الاتجاه الجديد . كقوله « بأن فرض الغلبة كان دائماً يتم على مستوى الحكومات بفرض شروط ، معينة على الحكومة المغلوبة على أمرها ، أما الاحتلال المباشر فلم يسبق أن مارسه متغلب » (69) هذا الاتجاه الذي سيندفع وراءه الشعب الفرنسي بعد سنوات قليلة يدفعه الحنين إلى الأمجاد القديمة ، والانتصارات السابقة ، ناسياً ما جلبه عليه نابليون بونابرت من آلام (70) لأن وطنية شعب حر مستقل ليست للحرية ولكن عليها فهي تطمح في مزيد من التوسع والاستعمار » (71) .

وبذلك يكون قد فاتته شيء لم يضعه في إطاره العام ، وإن كان قد ربطه بالأحداث المحلية (72) ومهما كانت نظرة المؤرخين إلى حمدان خوجه (73) ومهاجمة الكتاب المعاصرين له لأغراض مختلفة ، فالكتاب العسكريون قد استفادوا من كتابه « المرأة » فوائد جلي من حيث الاطلاع على أحوال الاجتماعية والنفسية لشعب الجزائر ، ومن حيث خصائص كل منطقة ، من مناطق الجزائر ، وعن تاريخ البلاد ، وبالأخص في العهد العثماني »

أما ما وعد به حمدان خوجه من اخراج الكتاب الثاني فقد حال دون ذلك قرار الحكومة الفرنسية القاضي بإلحاق الجزائر بفرنسا ، كما أن مثوله أمام المحكمة لتبرير التهم التي اتهم بها غيره ، جعله يشعر بخيبة أمل على حد تعبير إيفان ، وإن استمر في العمل بالصحافة وساهم في التيارات الإصلاحية ، بتأليف من نوع جديد .

الهوامش :

- (1) قدر تاريخ ميلاده د/سعد الله في كتابه « الحركة الوطنية الجزائرية » بسنة 1773 م ص 37 - كما قدره ايفار بسنة 1967 م
- (2) نور الدين حاطوم - تاريخ الحركات القومية ج 1 ط 1775 م بالمجلة الافريقية لسنة 1913 م
- (3) نور الدين حاطوم : المرجع السابق
- (4) خلافا للدكتور سعد الله في كتابه الحركة الوطنية الجزائرية الذي يقول : يانه من عائلة جزائرية متوسطة الحال ص 37
- (5) المرأة صفحة 103 - 104
- (6) نفس المرجع
- (7) المرأة ص 150
- (8) المرأة ص 49
- (9) المرأة ص 49
- (10) سعد الله - تاريخ الجزائر الحديث (بدايت الاحتلال)
- (11) المرأة - الفصل 13
- (12) يستبعد أن يبقى حمدان خوجة كل هذه المدة خارج الجزائر اذ من الممكن أن يكون قد عاد اليها مرات خلال نفس الفترة يفترض ذلك ايفار في مقاله بالمجلة الافريقية لسنة 1913
- (13) د سعد الله - الحركة الوطنية الجزائرية - ص 37
- (14) ابن عبد الكريم - حمدان خوجة - «اتحاد المنصفين والادباء في الاحتراس عن الوباء» ص 13 طبعة أولى - الجزائر 1968
- (15) المرأة في مقدمتها
- (16) ابن عبد الكريم نفس المرجع ص 15
- (17) من قصيدته التي مدح بها محمود الثاني وكالتى بعث بها الى أحد اساقفته بالجزائر
- (18) د سعد الله - تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال - ص 121
- (19) ترجمة بتصرف
- (20) ايفار المجلة الافريقية
- (21) يبدو أن هناك من ترجم النسخة الفرنسية الى العربية
- (22) اوردت الافكار دون النص
- (23) بتصرف كبير
- (24) انظر المرأة ص 19 - 20 - 21 - 22
- (25) المرأة صفحة 24
- (26) ان الفصول السابقة لهذا الفصل وبعده ليست ترجمتها حرفية بل ذكرت المعاني والافكار التي بها فقط
- (27) كانت مقر بايلك الغرب قبل استرداد مدينة وهران من الاسبان حوالى سنة 1792 م
- (28) لقد سقت ملخص هذه الفصول للاستدلال بالنص على بعض الافكار الواردة في البحث
- (29) د سعد الله - تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال - ص 94 و 98
- (30) د سعد الله - الحركة الوطنية الجزائرية ص 482
- (31) تكون اللجنة قد تسلمت كلا من الرسالة والمذكرة وهى بالجزائر يظهر ذلك من تاريخ الرسالة 26 أكتوبر 1833 م بينما اللجنة وصلت الى الجزائر في 2 سبتمبر من نفس السنة
- (32) عن ايفار بالمجلة الافريقية لسنة 1913 م ص 122
- (33) ايفار في الهامش ص 122

- (34) ابن عبد الكريم - اتحاف المنصفين والادباء ص 37
- (35) في حوزة ابن عبد الكريم ولا أعرف بالضبط مضمونها عدا انها تنتهي بقصيدة شعرية
- (36) انظر اتحاف المنصفين ص 32
- (37) حمدان خوجة - المرأة -
- (38) اشار الى ذلك تيسير في بحثه عن قيمة المرأة التاريخية
- (39) المرأة ص 35
- (40) المرأة ص 67
- (41) كتاب بيردان عن مجلة كلية الآداب عدد 2 لابی العيد دودو
- (42) انظر الفصل الثاني في المرأة وملخصه كما سبق في هذا البحث
- (43) انظر نسخ المراسلات بآخر كتاب المرأة
- (44) سعد الله - تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال - ص 108
- (45) سعد الله المصدر السابق
- (46) المرأة في المقدمة ص II
- (47) نفس المصدر السابق ص II
- (48) المرأة ص II
- (49) المرأة ص 42
- (50) المرأة الصفحة الاولى من مقدمتها
- (51) اشار الى ذلك ابن عبد الكريم في كتابه - اتحاف المنصفين والادباء - ص 9
- (52) المرأة ص 363
- (53) الرسالة التي بعث بها الى اللجنة
- (54) المرأة ص 24
- (55) المرأة الفصل الرابع
- (56) نفس المصدر نفس الفصل
- (57) نفس المصدر نفس الفصل
- (58) المرأة ص 24
- (59) المرأة الفصل الرابع
- (60) المرأة ص 324
- (61) سعد الله تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال - ص 79
- (62) انظر اتحاف المنصفين والادباء من تحقيق ابن عبد الكريم
- (63) المرأة الفصل السادس ص 25
- (64) نفس المصدر الفصل الرابع 37 و 38
- (65) انظر الفصل الثاني من المرأة
- (66) المرأة ص II
- (67) انظر المقدمة والرسالة
- (68) ايفار المجلة الافريقية ص 98
- (69) المرأة ص 83 و 84
- (70) تامليرى وجوانيت - تاريخ أوروبا في القرنين 19 و 20
- (71) نشرة حزب الشعب الجزائري
- (72) انظر بحث تيسير السابق ذكره
- (73) سألحق بالبحث فصلا عن نظرة المؤرخين المعاصرين وغير المعاصرين الى حمدان خوجة

المراجع المعتمدة في هذا البحث

- (1) حمدان خوجة :
لمحة تاريخية واحصائية عن الجزائر المحمية (المرآة) الاصل بالعربية مفقود ، ترجم الى الفرنسية من طرف الشرقى (حسونة دغير) باريس 1833 .
- (2) حمدان خوجة :
رسالة اتحاف المنصفين والادباء في الاحتراس عن الوباء ، تحقيق : محمد بن عبد الكريم « الشركة الوطنية للنشر والتوزيع » الجزائر ، الطبعة الاولى ، أكتوبر 1968 .
- (3) ايفغار :
سى حمدان بن عثمان خوجة ، المجلة الافريقية لسنة 1913 من ص 93 الى 138 .
- (4) د أبو القاسم سعد الله :
تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) قسم البحوث والدراسات التاريخية والجغرافية - 1970 .
- (5) د أبو القاسم سعد الله :
الحركة الوطنية الجزائرية - منشورات دار الآداب ببيروت ط أولى - مارس 1969 .
- (6) التميمي :
ثلاث رسائل من الحاج أحمد باى قسنطينة الى الباب العالي - مجلة المغرب العربى - عدد 3 .
- (7) شارل اندريه جوليان :
تاريخ الجزائر المعاصر (1827 - 1871 م) باريس 1964 .
- (8) بيشون :
الجزائر وضعيتها الراهنة وماضيها - باريس 1833 م .
- (9) بيليسيه دى رينو :
الحوليات الجزائرية - الكتاب السادس - ج I باريس 1836 م .
- (10) تيسير :
بحث عن قيمة المرأة التاريخية .
- (11) د أبو العبد دودو :
مقاله بعنوان «الجزائر من خلال تاريخ بيردان» عدد 2 من مجلة كلية من كلية الآداب .
- (12) هارولد تمبرلى ، وجرائيت :
ترجمة بهاء فهمى - أوروبا فى القرن 19 و 20 - 1950 م القاهرة - الطبعة السادسة .
- (13) جيفرى براون :
ترجمة عبلة حجاب - الحضارة الاروبية فى القرن 19 (1815 - 1914) بيروت 1963 .
- (14) محمد قاسم واحمد نجيب هاشم :
التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة دون ذكر تاريخ الطبع .
- (15) نشرة حزب الشعب الجزائرى 1951 .
- (16) نور الدين حاطورة :
تاريخ الحركات القومية ج I ط دار الفكر الحديث - لبنان - طبعة أولى 1967 .

مقابلات .

مع المؤرخ الفرنسي

أجرون

زار الجزائر الاستاذ أجرون بدعوة من قسم التاريخ بالجامعة لالقاء سلسلة من المحاضرات على طلبة قسم التاريخ . واغتنمنا هذه الفرصة فوجهنا له هذه الاسئلة ، واجوبته توضح وجهة نظر تستحق الاطلاع والبحث .

وهذه نبذة عن نشاطه وبحوثه :

الاستاذ أجرون مبرز في الجامعة ، مارس التعليم باحدى ثانوية باريس ثم بثانوية الجزائر ، ومن 1947 ، الى 1957 ، ادرس بمعهد الدراسات السياسية بالجزائر . ثم عين مساعدا فاستاذ مساعدا بالسوربون . وفي سنة 1968 حصل على دكتوراة الدولة فعين استاذ بكلية أورليانس ثم استاذ صاحب كرسي التاريخ المعاصر بكلية تورس .

بحوثه :

- التطور السياسي للجزائر في عهد الامبراطورية
الثانية (مجلة الاخبار الجزائرية) .

- هل كان الامير خالد أول وطني جزائري ؟

- حركة الشبيبة الجزائرية (مجموعة مقالات
تكريما لاندري جوليان) .

وهناك موجز لتاريخ الجزائر المعاصر
(سلسلة كوسيج ؟)

يقول الاستاذ : « بمجرد قدومي الى الجزائر
سنة 1947 ابدت اهتماما خاصا
وقررت أن اخصص لهم أطروحة الدكتوراة -
ولكن الموضوع ضخم وصعب لا سيما بالنسبة
لفرنسي قدم للجزائر للمرة الاولى ، فاستغرق
البحث مدة طويلة ، ولهذا شرعت في نشر عدة
مقالات بعد 1956 .

1) في المجلة الاشتراكية

I - ملخص لتاريخ سياسة الاندماج .

2 - الحركة الوطنية الجزائرية : من الاسلام
الى الثورة (جويلت 1956) .

2) في مجلة التاريخ الحديث والمعاصر

I - سياسة لبرالية نحو الجزائر في أيام
الجمهورية الثالثة (أفريل - جوان 1959) .

2 - جول فيري والقضية الجزائرية (أفريل
- جوان 1963) .

3) في مجلات مختلفة

I - جوريس والاشتراكيون الفرنسيون أمام
القضية الجزائرية (مجلة الحركة الاشتراكية
جانفي 1963) .

2 - الجزائر الجزائرية أيام نابليون الثالث ،
(مجلة بروف 1961) .

- المفاوضات الاولى بين الجزائر وفرنسا :
معاهدة التافنة (مجلة بروف) .

- السياسة القبائلية للامبراطورية الثانية :
(مجلة تاريخ فرنسا لما وراء البحار) .

- تخطيط سياسة بعد احتلال قسنطينة (..)

على أن البحث الاساسي والعمل العمدة هو
أطروحتي في مجلدين (200 ص) وعنوانها :
«الجزائريون المسلمون وفرنسا» (من 1871 الى
1919) .

س : لماذا اهتمت بهذه الموضوعات ولماذا
اشتغلت بتاريخ الجزائر ؟

ج : درست في بداية الامر - علاقات الجزائريين
المسلمين مع فرنسا لانني لاحظت - وأنا استاذ
شاب آنذاك - الجهل السائد المتعلق بتطور
الجزائريين خلال الفترة الاستعمارية ، وحاولت
عشياً أن اطلع فلم أجد شيئاً يرضيني .

ومن جهة أخرى كان الاروبيون يقولون ان
«الفرنكاوى» لا يستطيع أن يفهم شيئاً .

وكانت صداقتي للجزائريين الدافع على محاولة
الاطلاع والفهم . فهل بلغت الغاية ؟ لا أستطيع
الاجابة على ذلك .

على كل فان فرنسيي الجزائر لاموني بشدة وعنف
على ابحاثي لاسيما وان النتائج التي وصلت اليها
ضايقتهم . فقد بينت انه كان بفرنسا تقاليد
ليبرالية أصبحت معدومة التأثير في الجزائر
بسبب معارضة المعمرين ، ويريد هؤلاء أن يحملوا

فرنسا وحدها مسؤولية سياستهم القصيرة النظر.

ولكن المؤرخ الذى طالع - مدة 15 سنة -
الصحافة الفرنسية بالجزائر التى صدرت ما بين
1870 و 1919 يعرف جيدا مشاعرهم الحقيقية فى
الفترة الاستعمارية .

**س : يزعم بعض المؤرخين الاجانب ان الجزائر
لم تكن يوما من الايام دولة ذات سيادة ، فما
هو موقفكم ؟**

ج : كيفما كان جوابى فلا يستطيع ان يكون
له قيمة علمية ، لانى ما استعملت ابدا وثائق
يعود تاريخها قبل القرن التاسع عشر .

ومن المعلوم انى لاحظت ان الاتراك قبل 1830
كونوا دولة بالجزائر وقد قدرت - حدة الشعور
الوطنى المناهض للاتراك فى سنوات 1831-1834.

ولكن فيما يتعلق بالمعهد الذى سبق القرن 19
فليس لى اخبار من الدرجة الاولى تسمح لى بتقديم
جواب موضوعى .

**س : هل تعتقد ان المؤرخين الفرنسيين الذين
تصلوا لكتابة تاريخ الجزائر كانوا موضوعيين ؟**

ج : نعم ، ان بعض المؤرخين الفرنسيين كتبوا
تاريخ الجزائر بنظرة استعمارية مثل اقستين برنار
الجزائر ، ومثل فكتور ديمايس وغيره .

ولكن لا ينبغي ان نعمم ونقول ان جميع
المؤرخين كانوا فى خدمة الاستعماريين .

فقد ترك بيليسى دى ريتو فى حويلاته
1847 وقد سمى أحد ابنائه «حجوط» ، وأظهر

الجزائرية أحسن كتاب تاريخ لسنوات 1830-
- فى كتابه استقلالا كبيرا فى الرأى والحكم -

ومن جهة أخرى فان كتاب «تاريخ ثورة 1871
بالجزائر» الذى ألفه الكومندان رينى قيم من حيث
المعلومات ومن حيث عدم التبعية والمشاكلة .

وبلغت به الجراءة - سنة 1874 - الى أن تغنى
بشجاعة المسبلين وتضحياتهم بينما لم ير عدد
من الكتاب الفرنسيين - فى حرب 1871 - سوى
« مذابح باليسترو » .

وتجاسر المؤرخ الفريد رينبو - سنة 1891 -
على كتابة ما يلى : « ان هذا القتال فى الحقيقة
كان قتال شوارع ، ولم يؤذ نساء الفرنسيين
وأطفالهم وشيوخهم . ثم يضيف قائلا : انه لو
قمنا باحصاء الفضائع التى ارتكبتها الغير
النظاميين والتى مست بشرف الجنسين فان
الحساب الختامى ربما لا يكون لفائدتنا » .

وفى استطاعتنا أن نذكر مؤرخين آخرين
وبعضهم لازال على قيد الحياة .

وان المؤرخين الذين قالوا كل الحقيقة انما
أدوا مهمتهم لا أكثر .

وأول واجب يفرض نفسه على المؤرخ هو أن
لا يقول خطأ وان يقول كل ما هو صحيح .

وهناك آخرون كتبوا التاريخ بتوصية من اناس
والتاريخ لا يكتب بتوصية من أجل بيان هذا
القول أو ذاك أو اشهار مفاخر الغالب .

**س : أقيم محاضرة حول : « الجزائر فى
وثائق الجنرال برتوزين » فما هى أهمية هذه
الوثائق فى نظركم ؟**

ج : ان الوثائق التي تركها برتوزين تسمح
بإعادة كتابة التاريخ لسنة 1831 وتبين السياسة
التي اختطها هذا القائد حتى راسله يوما سي حمدان
خوجة قائلا : « ترك اشرافك القصير على الادارة
بالجزائر أسفا شديدا في نفوس جميع الجزائريين
... وان كنت لم اتحدث عنك ولا عن ادارتك
المعتدلة المستحقة للشكر في كتابي - المرأة -
وذلك من الواجب - فلان الحوادث التي أوردتها
تتبع التسلسل الزمني - ولن يفوتني الكلام
عنها في الجزء الثاني الذي سيصدر بعد قليل » .

وكانت سياسة برتوزين نحو الجزائريين سياسة
نزوية . فكان يكره المعمرين ويبذل كل ما في
وسعه لكسب ثقة الحضر والبدو . والتفتت الى
شيخ من القليعة ليكون على رأس القبائل المجاورة
للجزائر العاصمة ، واخذ على نفسه أن يوقف
العمليات العسكرية ، وقد أنجز وعده .

وتسمح لنا هذه الوثائق - من جهة أخرى -
بالاطلاع عن النشاط السياسي لحضر الجزائر
وذلك بصورة أدق .

وهؤلاء الحضر هم اما من الاعيان القدماء في
العهد التركي مثل سي حمدان واما من «حديثي
النعمة» في ظل الفرنسيين مثل بوضربة . وسبب
العرائض التي صدرت من «اللجنة العربية»
في 1832 وفي 1833 ، هو ان الحضر كانوا يتوقعون
تخلي فرنسا عن مدينة الجزائر أو تسليمها
للانكليز .

وكان قسمل انكليتيرا جوهن يفرى حكومته

على التدخل زاعما ان خزينة القسبة لازالت لم
يعثر عليها أحد .

وأقام الانكليز - وخاصة بانيستر ساكس -
ضجة كبيرة الغاية منها المطالبة بانسحاب
الفرنسيين . واتصلوا بحسونة داغر - الطرابلسي
زعيم الحزب المؤيد للانكليز بتونس كما اتصلوا
بسي حمدان .

وكان القنصل جوهن يطلع على جميع الاخبار
السرية من طرف سي حمدان ثم أوصى به سفير
انكليتيرا بباريس .

ومع ذلك يظهر سي حمدان لمواطنيه كعميل
لفرنسا . مع أن الفرنسيين حاولوا قتله .

وعند ما قدم حمدان الى فرنسا ظن جوهن وطن
الفرنسيون انه جاء طامعا في خلف لحسين داي .

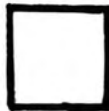
وكان سي حمدان يميل الى حكومة متوارثة
تكون في يد اسرة من الكرغلان ، مثل باشاوية
توتس المتوارثة . وفي باريس حاول حمدان
خوجة انشاء لجنة جزائرية يرأسها الجنرال
لافايث الذي عرف بليبراليته ، وكان يؤيد حمدان .

وفي نفس الوقت كان الجزائريون في المنفى
يسعون لارجاع الجنرال برتوزين الى الجزائر
ليخلف الجنرال السفاح والطاغية سافاري دوك
دي روفيقو .

وبعد 1834 يتصالح الجانبان ويراسل سي حمدان
المنفيين الذين عادوا الى الجزائر .

هذا هو ملخص العمل الذي لم ينشر والذي
قبعته لئيل الدكتوراة الاضافية سنة 1968 .

دراسات
اسلامية



د. الجيب بن الخزيمة

عميد الكلية الزيتونية
للشريعة وأصول الدين بتونس

الروح الإسلامي

ومشاكل

النهضة

والمطوّر

في القرآن الكريم آيتان جليلتان يتجه الرحمان سبحانه وتعالى بهما في الخطاب الى المسلمين كافة ، نمر بهما ونرددهما ، ولا نقف عندها لشدة ما ألفنا ذكرهما ، ولا تستوقفاننا او نلقى لهما السمع لنغيد من الدعوة ونذكر الاسرار التي تضمنتها ، فنحاول قدر الطاقة ان نجعل شعارهما في قلوبنا وفي الاعماق من نفوسنا ولا نتظاهر ابدا بحمله لبوسا ونخلعه حيناً بعد حين او مرة بعد اخرى .

يخاطب الرحمان الرحيم عباده المؤمنين وقد جاءهم الهللى والحق مقررا وممنا :

« كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فاذا هو سبحانه كاشف للعائى تكوين هذه الامة ، مصور لها ، منبه على خطر هذه الركائز الثلاث بما لم ينبه على مثله عند الحديث عن اية امة من الامم الاخرى السابقة المتقدمة .

وهذه الدعائم التي تقوم روح المسلم وتبرز في وضوح حقيقة الاسلام صفتان :

الاول منهما يتعلق بالفرد مرتبطا بالجماعة من الامر بالمعروف كل معروف امرأ ينتهى بالفرد الى توفير الخير واقامة العدل ونشر الامن وتحقيق السعادة المطلقة فيمن حوله . ومن النهى عن المنكر كل منكر نهيا يقضى قضا تاما على الشر . فينفى الجور والظلم . ويقضى على الابثة والامراض النفسية والاجتماعية قضاء يخلص به المجتمع الانساني من وبيلات الشرك والمروق والتفسخ والشهوة والمكائد والحروب .

والصنف الثانى ذاتى هو الايمان بالله يعطى المسلم يقينا ويرزقه سندا ويخلصه من كل تبعية ويسمو به سموا كاملا فيكون به قوام رشاده وحيثية وتمحضه للصالح . واذا هو مخلص لله فى عبادته لا يستعين بغيره ، غير شاعر بالحاجة الى احد سواه ولا يزيده ذلك مع الشعور وعند اليقين الا تمجيذا وحما لحالقه . ورفعة وسموا وكرامة وعلوا بين نظرائه من الناس .

ومتى توفرت هذه الصفات فى العلم كان النجاح حليفه وقرينه . وكان الحاضر والغيب له . تلك هى سمات عباد الله المخلصين واوليائه المقربين من المحسنين والصالحين والصادقين والمجاهدين . ونقف عند الآية الثانية فنستجلى عظم المنة وكبر النعمة بما مكن الله المجيد لهذا الدين واورث اهله من سلطان يظهرهم به على غيرهم . اذ جعلهم دعاة له تعالى ، متولين لدينه الحنيف . قوامين على الناس وذلك قوله جل وعلا :

« اليوم يشس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون . اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام ديناً » . فهو يعلن تعالى بما اكمل عندهم وفيهم من دعائم الايمان المستوجبة لتفوقهم والتي اشارت اليها الآية الاولى . أنهم اصبحوا فى منعة من عدوهم لا يقدر عليهم . فحرضهم على تقديم خشيتهم

ومراقبته على خشية العدو ومراقبته . اذ فى خشية الله كفاء وجنة ، وفى خشية العدو مروق وخذلان . ثم بشرهم بان دينهم هو الدين الكامل لا تعطيل لشرائعه ولا نسخ لاحكامه فهو الباقي السرمدى الى يوم القيامة ، « ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » . وامتن عليهم بعد ذلك بنعمته العظمى نعمة الاسلام التى اختارهم لها ورضيها لهم . ليرى بعد ذلك - وقد هداهم سبيله - ما هم صانعون . بهذه العناصر الايمانية مجتمعة وهذا الروح الاسلامى مكتملا انطلق المسلمون من الرعيل الاول ينشرون عقيدة ويفتحون عوالم ، ويملؤون الدنيا هدى ونورا . مؤسسين مجدا ومبتئين حضارة .

وقد كانت دعوتهم السمحة البسيطة المستندة الى الفطرة ملقية بين كل الافراد فوارق الجنس ، مبظلة للعنصرية وللعصبية الجاهلية ، منادية بتوحيد الخالق البارى والمصور الذى فطر السماوات والارض . وباعثه لاكتشاف الاكوان وادراك العوالم الحسية والغيبية على الاعتراف من فيوض العلم الحاصل من استخدام الوسائل والآلات . ومن الاستناد الى الاشراف السماوى فيما يتلقاه عباد الله المخلصون والانبياء المرسلون من وحي يهدى الناس من بعد الضلالة ويطهرهم ويزكيهم من ادران الشرك وارجاس الوثنية .

نلمس هذه الحقائق فى تعاليم الاسلام ونجدها فيما اخذ به معتنقيه الاولين من تربية وتهذيب ، حتى اذا عدنا الى تلك الاصول التوجيهية التى اعتمدها فى تنشئتهم . والى القوانين التربوية التى التزمها فى تخريجهم . وجدناه يعنى باثارة المدركات الفريزية التى هى من فطرة الانسان وكيانه ، ثم يحمل الفرد المسلم على طلب المدركات الحسية بما اوتى من وسائل لذلك . حتى اذا تجاوز ما بين غريزته وحسه ارتقى به الى المدركات العقلية المقضية بطبيعتها الى المدركات الغيبية . وعلى هذا الاساس من التوجيه فى طلب المعارف ما اتصل منها بالعالمين العلوى والسفلى ، تكون المدركات

بساتر انواعها لديه متماسكة متساندة متعاونة
مكونة للفرد المسلم المثالي الذي عرفته الاجيال الاولى
من الدعوة ، وكانت له قدم الصديق عند ربه بما
مكن لدينه ، ونشر واقام بين الناس من ثقافة
باهرة وحضارة زاهرة .

وهو في تلك الظروف ومع هذه الاحوال
الملازمة لتكوينه قد وجد من الروح الاسلامي ما
ملا قلبه هدى ونورا ، وصدره املا وانشراحا ،
وفكره قوة وعزما ، فلم يكن بالخائر القاتر ولا
الحائر المضطرب ولا المتردد الخائف . ولكنه وجد
من مدد تكوينه وأصول تخريجه استقرارا للذات .
وأمنًا داخليًا ، جعله يمتطي الصعاب ويركب
الاخطار في سبيل اكتشاف القدرة الالهية والوقوف
على التواميس الكونية ليزداد ايمانا وايقانا وينشر
بين العالمين هداية وسلاما .

وقد ظل كذلك واستمر عليه قرنين كاملين أو
ما يزيد عليهما قليلا . يستمد من روحه الديني
ما يكون له ارادته ، ويشحذ به عزمه ، ويقوم به
الحياة حتى امتدت آثاره وفتوحاته وكلمته ودعوته
الى جزر الفيليبين وبلاد الهند شرقا ، وإلى المحيط
الاطلسي من وراء العدوتين الافريقية والاندرلسية
غربا . وامتد شمالا الى بامير سقف الدنيا عند
التقاء جبال سليمان والهملايا ، كما بلغ جنوبا
الى جزر القمور ومدغشقر . وهو بعد أن جمع
الاجناس كلها من عربية وايرانية وطورانية وهندية
نشر فيها حضارته وانطلق الى البحوث التجريبية
والكونية والعلوم الرياضية والطبيعية ينقلها عن
الامم الحالية والحضارات القديمة ، مضييفا اليها
كل ما ابتدعته من نظريات وسبق اليه من
ابتكارات علمية ، وهو في ذلك كله مستجيب
لروحه الديني ومستمد منه ما يقوى عزمه ويؤكد
مضاهه . غير غافل في الوقت نفسه عن العلوم
الانسانية والدراسات الاسلامية الشرعية التي كان
السابق اليها ، والواضع لها ، والموجه فيها .

والدال عليها ، شهدت بذلك الرسائل والكتب
والمعالم والآثار ، واعترف به مؤرخو الحضارة
الانسانية من مسلمين وغير مسلمين فيما سبق
أوجد من بحوثهم ودراساتهم .

ووقفنا نحن في عصرنا الحاضر وفيما سبقنا من
عصور التدني والتدهور ننظر الى ماضى الاسلام
المشرق ومجده التالد وعهده الذهبي الزاهر الذي
كنا نصف . فاذا فيهم وفيما انماط مختلفة من
الناس متباينة المشارب والافكار والمواقف . لو
أردنا رسم خط بياني للتعريف بها وتصوير
احوالها وما يحول في نفوسها وضمايرها لرسمنا
مثلا ذا ثلاثة اضلاع ، لقاعدته زاويتان متقابلتان
وفي اعلاه زاوية . تبعد هذه عن الزاوية الاولى من
القاعدة مقدار ما تبعد به عن الزاوية الثانية منها .
وتمثل هذه الزوايا الثلاث - على الانفراد لا على
الجمع - فئة ندعوها بالمنتسبة ، واخرى ندعوها
بالهدامة وثالثة ندعوها بالوسطى أو المتفجعة
المتنكرة .

اما الفئة المنتسبة فهي المتغنية بذلك الماضى ،
الفاخرة المباهية به بالرغم مما نال روحها الديني
من شلل يمنعها من النهوض بعد الكبوة ، ومن
الانطلاق بعد الانحباس ، ومن تجديد تلك الايام
والعهود التي تحن اليها وتحلم بها بعد ما نالها
من عسف ومسها من ضر وباعد بينها وبين المثل
الاسلامي لديها من سلوك ووضع وتخلف وتأخر .
هي مقيمة عليه راضية به ، لا تحرك ساكنا ولا
تأتى جهدا لتغييره والخلص منه .

واما الهدامة وهي الفئة المقابلة للفئة المنتسبة
في القاعدة من المثلث ، فهي كالأولى أو شر منها ،
لكونها نظرت الى المادة دون الروح ، وطلت الاسلام
مملكة ودولة ولم تعتبره عقيدة وتشريعا ، وازادت
من اجل ذلك أن تجعله مثل غيره فيما قام به من
ادوار في تاريخ الحضارة الانسانية ، أتى بما عليه

وولى من غير رجعة ، فمثله مثل غيره من الحضارات ينسى فيها وينسخها بما يبني للمجتمعات الانسانية من نظم وأوضاع مبتكرة مستحدثة يقيمها عليها ، كما هو ملاحظ اليوم فى أطراف المعمورة ، من آثار قيام الحضارة الاوروبية الجديدة . وهى حضارة علمية تقنية ليست بالمادية ولا الروحية .

ونترك القاعدة بعد التنقل بين طرفيها المتقابلين لننتجه نحو القمة حيث نلتقى بالزاوية الثالثة او بالزاوية الوسطى عندما تقابلها بخط القاعدة المنتشر والممتد بين طرفيها . فاذا نحن مع نمط مغاير للنمطين الاولين ، وفئة مختلفة ومقابلة للفئة الاولى بقدر اختلافها عن الفئة الثانية . وهذا النمط الثالث الذى تتكون منه الفئة الوسطى او الفئة المتفجعة المتفكرة هو فى الواقع فئة الذين لم يحنوا الى الماضى ويرضوا مع ذلك ان يكونوا من القعديين كالفئة الاولى ، ولم يعتدوا بامجاد الاسلام ذكرا وتاريخا ، ولكنهم انصرفوا عنبا وظلوا من الهدامين المقوضين لها ، يريدون استبدال اوضاع جديدة بما فيها . باوضاع قدسية قديمة وان اودى ذلك بمقومات جماعتهم واتلف ما بينهم وبين ماضيهم من صلات وروابط كالفئة الثانية . ولكنه الصنف الثالث من الناس الذى آمن بماضيه واعتد به وانتسب له وهاله وساء ما مس الاسلام فى عصوره الاخيرة وفى عصره الحاضر ، ثم رآه ورأى المجتمعات الاسلامية خادمة خافتة بعد حيوية واشراق مضطربة حائرة بعد أمن واستقرار . فراح يبحث عن الداء يتعرف اليه ويصفه ، متطلبا من أجل ذلك العلاج ، مريدا من سعيه المجهود وعمله الشاق المضنى ان يضطلع برسائلته فى الرجوع بالاسلام والمسلمين الى عزتهم وما سلف من ايامهم الزاهرة . فهو لذلك داع مصلح ومكافح مجاهد .

ولا اقف عند الفئة الاولى فانها تمثل شئنا قديمة ووضعا ولى وانقضى بما فيه . وهى بما عليه أو بالاحرى بما كانت عليه من سلبية لا

تعتينا كثيرا فى هذا الحديث الا من حيث التسجيل لوجودها تسجيلا تشهد به كثير من الاقطار الاسلامية فى الفترات الزمانية الممتدة خاصة فيما بين انتصاب الانظمة والاوضاع الاستعمارية جائمة على صدر الاسلام وبين الانتفاضات المباركة والتحركات المقدسة التحريرية التى اعادت للبلاد العربية والاسلامية عزتها وارجعت لها سيادتها . فخرجت من محنة الاستعمار وذلل الاحتلال الى نعمة الكرامة وشرف الحرية تنشد الغد الافضل والمستقبل الاكرم الذى يقبها الاخطار ويمنعها ان تعود الى ما كانت عليه من قسر واسر .

ولا اقف عند الفئة الثانية الا بمقدار تصحيح اوضاع واسداء نصيحة ، وهى فى نظرنا خير من الفئة السابقة وشر منها .

هى خير من الفئة السابقة لانها لم تكن قعدية . اسهمت فى النضال التحريرى ، وشاركت فى تخليص العالم الاسلامى مما كان عليه وفيه من ويلات ومضائب ، وآمنت بعزها البعيد الماضى واسفت على فراقه ، ثم انطلقت فى حاضرها تنشد مجدا وتطلب عزا . فهم فئة متحركة يقظة ، تكد وتعمل من اجل تحويل الوضع بما فيه وتغيير الواقع بكل ما لديها من وسائل .

وهى شر من الفئة الاولى لكونها خضعت للتوجيهات المفرضة الهدامة التى قام بها الحكم الاجنبى فى ديار الاسلام ، فانطلى عليها ما كانت تسمع اليه وتشاهده من اوضاع كلها كيد للدين وتغيير لحقيقته ونيل من جوهره وابطال لاثره . كانت تستمع الى مقالات الميشرين وثلة من المستشرقين وزعماء وطفة المستعمرين يقولون : ان الدين الاسلامى هو الذى قضى على اهله بالتأخر والتخلف ، فهو يأخذ المسلمين بالامتنال والخضوع لاورامه ونواهيهِ التى لم تعد مواكبة للمجتمعات الانسانية فى عصرنا الحاضر ، فاذا بذلك الدين

يصرفها الى العبادة ، ويحملها على الاتصاف بالقناعة والرضا بال مكتوب ، ويحذرنا من المغامرة ، ويقعد بها عن الاخذ بوسائل التقدم التي اصبحت ضرية لازب في المجتمعات الحضرية اليوم .

وانطلقت هذه المزاعم على فئتنا المحفزة المتحركة الحائرة الضالة لا سيما وقد رأت من واقع الاشياء في الحياة العملية ما لا يستقيم الامر معه الا باحد ثلاثة : بنبذ الدين الذي لم يعد صالحا في نظرها لحكم الحياة العملية وتوجيهها والهيمنة عليها ، او يفهمه فهما آخر غير الفهم الذي عكفت عليه القرون السابقة فتقدم على تغييره وتبديله . او بالاصداغ بما لا حيدة عنه من وجود التفريق بين الدين والدنيا . وهذا كما قال شيخنا المرحوم محمد الفاضل ابن عاشور يصف هذه الجماعة :

« بقي المسلم وفيا لعقيدته الدينية ، غيورا عليها من جهة ، متقبلا لحياته العملية مطمئنا الى واقعها من جهة اخرى ، حتى اصبح المبدأ النظري والواقع العملي عنده متباينين . فسقطت في نفسه منزلة الحياة العملية التي يحياها باعتبار انها مباحنة لدينه الكريم ، فتلقاها تلقى المستهتر يعرف الشر ويعيش به ، فهانت نفسه ايضا في نظره لانها تعيش اسيرة حياة الشر لا تستطيع ان تغيره ولا ان تتنجى عنه ، وتولدت عن ذلك العقيدة النفسية الخطيرة عقيدة التسعور بالنقص الذاتي ، وعقيدة اليأس من استقامة الحياة الدينية ، وعقيدة الالف لحياة الشر مع موت الوازع الذي يصد عنها . وتولدت من ذلك نظرية تفكيك الدين عن الدنيا باعتبار ان الدين خير واقع ، والدنيا شر واقع ، وان العبد المسلم يحمل بين جنبه دينا لا يؤثر فيه الا لاما ، ويعيش في دنيا لا يعرف فيها الاكل ما يبعد به عن الدين . فاصبح الذي كان يصدر عن ارادته القوية ، صادرا عن ياسه من الدين الذي اضعفه وافناه . ثم هجمت عليه في حياته العملية مدنيات اجنبية عنه ، فيها العلم وفيها

الصناعة ، وفيها القوة وفيها الحكمة . فلم يجد من ارادته الدينية ما يتناول « هذه المدنية كما تناول المدنيين التي احتك بها من قبل يوم كانت ارادته ادينية قوية سليمة . فوقف امامها جامدا واعتبرها من جملة صور الحياة التي كان من قبل آمن بانفكاكها عن الدين » .

تلك هي الفئة الثانية التي احببنا ان نقف عندها وهي بانواعها ومواقفها الثلاثة ، تلك التي تندرج في معظم مجتمعاتنا الحاضرة . وهي التي بحكم هذه الملابس المختلفة تدفع الناس من حين لآخر وفي كل صقع من اصقاع البلاد الاسلامية بدافع الحيرة والقلق واردة الوصول الى الحل الناجع الى التساؤل او وضع اسئلة متعددة مختلفة متقاربة تريد الاستفسار من ورائها عن الاسلام ومقتضيات النهضة الحديثة ، وعن مفهوم الدين الاسلامي ، وعن مفهوم النهضة الحديثة وعما يوفره الاسلام من سلاح او طرق للانتصار في طريق النهضة والتقدم .

وهي مشاكل لعمري لا يمكن ان تعالج او تجد الحل الا عن طريق الفئة الثالثة المتألفة من ذلك النمط الوسط المتفجع المتفكر لانه لم يكن قسديا كالفئة الاولى وان اشبهها في تعلقه بالدين وبالحضارة الاسلامية ، ولم يكن متمزقا ولا نابذا او هداما احيانا كالفئة الثانية وان مائلها في الحيرة والتساؤل والجد والحماس . وهو بحكم جمعه بين الحيرين : التمسك بالقيم الروحية الدينية والحضرية الاسلامية ، والعمل على استرجاع العزة وتحقيق النهضة والتطور ، وبحكم مبادئه ونبذه للشرين القعدي والثورة على الماضي بما فيه . والتنكر لاصول المدنية الاسلامية ، يقدر بدون شك على بعث الامجاد القومية في العالم الاسلامي وجعله في هذا الظرف العصيب مواكبا للنهضة ، قادرا عليها . متطورا معها تطورا يكتب له التقدم ، ويعيد به وله من بهجة الاسلام ما سلب .

وتلاشت العلوم الإسلامية حين نظر الناس إلى أشكالها القائمة مسرفين في ذلك غير منتفعين بما تدعو إليه من حقائق وما وضعت من أجله من معارف . فكانت صحيحة الإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي الذي أسرع إلى وضع كتابه أحياء العلوم مريداً بذلك إحياء الفكر وبعث الحقائق العلمية الدينية بالتنبيه على المنجيات والتحذير من المهلكات .

ثم جاء العالمان الجليلان والمصلحان الشهيران أبو بكر الطرطوشي وأبو إسحاق الشاطبي . فخالفا الاتجاهين الأول والثاني . واعتبرا أن الادواء المهددة للجماعة الإسلامية مستقرة في السلوك الجماعي لا في الوضع الفردي . ومن ثم اتسعت دعوتهما ولم تقتصر على الفرد تصلحه أو تنبيهه وتحذره ، ولكنها تولت السلوك الجماعي للامة الإسلامية بالنقد منددة بما اقبلت عليه هذه من بدع ، وفرطت فيه من احكام . فدعوا إلى مقاومة البدع والاعتصام بالشرعية وتطبيق احكامها وأخذ الناس كافة بالقسطاس العدل وما تستوجبه النصوص .

وفي نهاية القرن السابع وفجر القرن الثامن ظهر بالشرق علم فذ ورائد اصلاح مبرز هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني . فإذا هو يتجه في دعوته الإصلاحية كالآخرين أيضاً إلى السلوك الجماعي ، ولكن من حيث اتصاله بالعقيدة وارتباطه بها . فنعى على الناس البدع أيضاً ، ودعاهم دعوة صريحة حازمة إلى اتباع مناهج السلفية والاقبال على ما جاءت به التعاليم الإسلامية البسيطة السبعة المشرقة . وقد كان لآثر دعوة هذا الإمام صدى بعيد في النفوس عرفنا من آثاره الثورة الوهابية التي تزعمها في العصر الحديث رائدها محمد بن عبد الوهاب .

وفترت فيما بين هذا وذاك الحركة الإصلاحية تمثل الأجيال المتلاحقة فيها أرجاع نداءات العاملين

صدر عن هذا الفريق الثالث من الناس أو كما سميناه النمط والفئة الثالثة التي تحتل من المثلث قمته في الزاوية العليا الوسطى - عن أصل لامراء فيه ولا جدال ، لا يقبل الطعن ، يستخف ويزار بالمقالات المفرضة والدعاوى والافتراءات الباطلة الفاتنة ، حسبما أكدت ذلك الدراسات والانظار والبحوث القديمة والحديثة الإسلامية والغربية على السواء . وذلك الأصل هو سلامة الدين وبراءته مما الصق به ، واحتفاظه دائماً بالطاقات والقوى التي يمكن أن تأتي بكل عجيب ويتفجر منها من الحياة ومظاهر الرقي والتقدم ما قامت عليه الدلائل في الماضي . وليس بمستبعد أن يحصل مثله في الحاضر أو الآتي القريب .

وهذا النمط من الناس ظهر في كل فترة من فترات التاريخ الإسلامي ، ابتداء مع الصحابة واستمر مضطرباً بالأمانة ، متحملاً لرسائله إلى هذا العصر . وهو من النمط الثاني واقف موقف الرقيب والموجه في كل طور . فكلما حلت بالمسلمين كارثة أو ظهرت في جماعتهم فتنة تصرفهم عن الجادة وتعرضهم للأخطاء الفادحة والأخطار الماحقة ارتفع صوته مدوياً بالاصلاح . منادياً بالعلاج على أساس ما يدركه في كل مرة من أوضاع دوله أنها سبب الداء وأصل الانحراف وموجب الخطر والعذاب .

واتسمت الحركة الإصلاحية الأولى بالفردية المطلقة حين استشعر الفرد ما يحيط به من مغريات الدنيا ومباهج الحياة التي قطعت لدى الكثيرين الصلات فيما بين العبد وخالقه ، والانسان وربّه . فكانت المتصوفة المحاربة لمساكن الغواية وسبل الضلال . وكان حرصها على اصلاح الفرد دافعا بها إلى توضيح المناهج الربانية ولفت الانظار إلى ما اصططلح عليه عدد كبير منها بالمعرفة والطريق إلى الله .

الاولين وآراء الدعاة المتقدمين السابقين الى ان كان العصر الحاضر بما يتطلبه من قوى وطاقت للخروج بالعالم الاسلامي مما هيمن عليه بل غرق فيه من فتن واحن وتأخر وانقسام وجهل وجمود .

وتكونت جمعية العروة الوثقى وجاء السيد جمال الدين الافغانى الذى صدع بما يناسب عصره هو ايضا من آراء فاتحه بدعوته لا الى اصلاح الفرد ولا الى محاربة البدع ولكن الى تدارك الكيان السياسى للامة والبحث عن وسائل تطبيقية . والخروج به من محنته والبلوغ به الى ساحل النجاة كى يبل من مرضه وتعود الى الجماعة الاسلامية عزتها المفقودة وسيادتها المصلوبة . وقد جعل شعار دعوته الصدوف أولا عما تميزت به الفئة الاولى التى اشرنا اليها فى طالع حديثنا من الاعتداد بماضى الاسلام والمفاخرة بامجاده مع الرضى بالدون والقيود عن العمل . ولوح اليه ثانيا فى الاشارات البيانية ونداءات الفزع التى استصرخ بها ضمير الامة كى تهب من سباتها مرددا من أجل تأكيد ذلك قوله تعالى « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

وتلقى من يده باليمين مشعل اصلاح ولسواء الدعوة اخص تلاميذه واقربهم اليه الاستاذ الامام محمد عبده . فكان - رحمه الله - فى دروسه ومحاضراته وخطبه ومقالاته ومواقفه ومجاداته يركز العقيدة الدينية ويدود عن الاسلام بقدر ما يشرح للناس واجباتهم ويهيب بهم للاخذ بقسطهم فى الكفاح التحريرى جاعلا من الفوارق القائمة بينهم وبين غيرهم من الامم الحجة للدين على الجماعة الاسلامية بسبب جمودها لا للجماعات الاسلامية على الدين لكمال قدرته وصفاء روحه .

وتلا هذين الامامين والمصلحين الشهيرين زعيم سياسى اشتهر بدفاعه عن الاسلام وذوده عن انظمتهم وقوانينه . حاول هو ايضا ان يتعرف على الداء الذى نخر كيان الامة واتلف قواها فلم يرد

الى ظهور البدع . ولا الى تغير الاوضاع مجملا غامضا . ولا الى الجمود الذى تحدث عنه الشيخ محمد عبده فى رسائله ، ولكنه اراد ان ينفذ الى الاعماق يشخصه ويتولى بعد ذلك وصف علاجه فوضع من اجل ذلك كتابه « لم تأخر المسلمون وتقدم غيرهم » .

وهذا الرجل هو فقيه العروبة والاسلام المغفور له شكيب ارسلان امير البيان ، تشهد مقالاته وكتبه وندواته وتعاليفه الثرة القيمة على حاضر العالم الاسلامي للكاتب الامريكى ستوارد بما كان له من فضل وما بذل من جهود فى سبيل اصلاح ، وتخليص المجتمع الاسلامي مما يتخبط فيه ويعانيه ، غير ان هذا الزعيم المصلح فكك بين الدين والمدنية وهو ينظر الى المجتمعات اليونانية والرومانية وأحوالها قبل التنصر وبعده حتى اذا عاد يتحدث عن الامة الاسلامية نقض الاصل الذى بنى عليه من التفكك بين الجانبين ورجع الى الربط بين الدين والمدنية . فلم يصل بذلك الى محل الداء ورجع الى العموميات والى ما رده المصلحون من قبل من « ان سقوط المسلمين كان بسبب ما صنعه المسلمون بايديهم وما حادوا به عن النهج السوى الذى اوضحه له دينهم وقرأتهم » .

وتنتهى هذه المرحلة التى كافحت فيها الشعوب الاسلامية وتظهر ثمرات اصلاح المختلفة التى اجتمع عليها رجال العروة الوثقى ومن لاذ باصولها واعتمد مناهجها فى الدعوة كالامير شكيب . فيخرج العالم الاسلامي دولة دولة واقلية اقلية من وضع الاحتلال والتبعية الى حال الاستقلال والحرية . ويعود المسلمون جميعا بعد ذلك فى سائر الانحاء والاقطار الى الاسئلة التى تعودناها يبحثون عن طريق النهضة وسبيل التطور راجعين بانفسهم الى موقف الاسلام من ذلك كله ورايه فيه .

وفى الرجوع الى القاء هذه الاسئلة على انفسنا لا نكون فى حاجة الى التذكير بما قلناه أولا ووصفنا

والاستبداد ، ونشرت في الكون معاني الفضيلة والخير بما يكون قد ساد العالم بظهور دعوتها من هيمنة الخير على الشر وسلطان الحق على الباطل وقيام العدل على جور والظلم . وليس هذا بدعا من الامر وقد « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » .

تلك هي الاهداف التي عمل من أجلها الاسلام ، حققها واضحة رائعة بارزة ملموسة ، واذا تخلفت اليوم وعادت الحال بالمسلمين الى فقيض ما كانوا يسعون الى تحقيقه داخل مجتمعاتهم وخارجها فذلك سببه ذهاب الروح الاسلامي منهم ، وفقدان العامل التربوي الاسلامي الذي نبتجج بمثل هذه اللقاءات العاملة على احيائه واذاكاته والذي نحصر في هذا البلد وفي غيره من البلاد الاسلامية على العناية به وتقويته للاستفادة منه والاعتماد عليه في بناء المجتمع الافضل .

قال الاستاذ الامام الراحل شيخنا محمد الفاضل ابن عاشور ، قدس الله روحه ، في الدراسة التي عنوان لها بروح الحضارة الاسلامية متحدثا عن الروح الاسلامي الديني وعن هذا العامل التربوي وأثره :

« فاذا كان الناس اليوم يحنون الى عهود ذهبية ازدهرت بها العواصم الاسلامية مثل دمشق وبغداد والقروان وقرطبة وسمرقند ، ويتحرقون على احيائها وتجديدها ، فاجدر بهم ان يعودوا الى العامل الاصلى الذي ولد تلك العصور الذهبية ، والذي بدوره لن تعود زهرة تلك الـ مسور وينعها الا وهو العامل التربوي الاسلامي فهو الذي كون الفرد عقلا ونفسا، وخلقاً وسلوكاً، وهو العامل الاصلى الذي ولد الحضارة وكون المجتمع الامثل ، ومهد للثقافة طريقها الى ان تتناول عناصر المعرفة وتؤلف كيائها ، فقامت الحضارة الاسلامية على ذلك المجتمع المتلائم ، وبرزت الثقافة بازهارها الياصرة من بلور تلك العناصر المتلاحقة » .

به العالم الاسلامي في ايام عزته وشبابه ، ولكننا ننتقل منه الى بحث ما يمكن ان تذلل به الصعاب لبحث الامجاد الاسلامية ودفع هذه الامة التي نعتز ونتشرف بالانتساب اليها الى تحقيق اليقظة الشاملة بمواكبة العصر اولاً ، ثم بالسير على منوال اسلافنا الامجاد في نشر اصول الحضارة الاسلامية الانسانية بما يكفل للمجتمعات في هذه المعمورة امناً واستقراراً ، ورخاء وسلاماً .

وعاتان الغايتان الجليلتان ابعدهما وايسرهما ، وادانها واخصهما لا يردنا عن بلوغها راد ، ولا يحول دون الوصول اليها مانع ، مهما كان نوعه أو شكله ، اذ الاسلام عزم وقوة ومدد للخيرات ومتفجر للقوى الغريبة والطاقات العجيبة .

وهذان الهدفان يتعلق احدهما بالامة الاسلامية خاصة لتحقيق النهضة وسبل الرقي والتطور ، فتخرج مجتمعاتنا من التخلف وتواكب الامم الناهضة المتقدمة في مجالات السيادة ومظاهر التمدن والحضارة . ويتعلق ثانيهما بما على هذه الامة من واجبات ازاء الانسانية كلها حيث استخلفها الله في الارض واصطفها وجعلها خير امة اخرجت للناس ، ونسخ بشريعتها ودينها كل الشرائع والاديان من قبل اذ لم تقف مفاهيم الدين فيها عند العبادات والطقوس الدينية كما كانت الاديان سابقاً ولكنها تجاوزت ذلك عندها الى ما دعا له الاسلام من أنظمة وأوضاع ، واقامه من اصول وقواعد لبناء المجتمعات السليمة وتحقيق التكافل الاجتماعي والنهوض بالانسان والحفاظ على كرامته وتنظيم ثرواته وتنمية مكاسبه بما لم تلمس له مثيلاً في أى دعوة من الدعوات الاخرى دينية كانت أو غير دينية .

وهي متى توصلت الى الاضطلاع بهذه الامانة وحقت للعالمين هذه الغاية قضت على المنافسات ، وأطاحت بكثير من المبادئ الهدامة ، وخلصت الدنيا من ويلات الانتهازية ومظاهر التحكم

فتاوى :

فتوى فى أوجه خاصة بالحالة العائلية للمهاجرين الجزائريين

والشؤون الدينية ، لدراسة مختلف جوانب هذه القضية ، واقتراح الحلول المناسبة .

وكانت اللجنة مؤلفة من موظفين بوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، وأعضاء من المجلس الاسلامى الاعلى ، ومحامين ، وفقهاء ، وأساتذة ذوى الاختصاص فى الشريعة الاسلامية . ومن بينهم موظف بوزارة العدل . كان يشغل سابقا منصب نيابة ادارة الشؤون الدينية .

وبعد دراسة الموضوع من كل نواحيه ، فى جلسات عديدة ، وبعد الرجوع الى مصادر التشريع الاسلامى ، وحفاظا على مصلحة الامة خاصة ، بما فيها أبنائنا المقربون ، وهم جزء منها لا يتجزأ ، واعتبارا للخطر الذى يهدد الاطفال الناتجين عن هذه الانكحة فى حالة ما لم يلحق نسبهم بأبائهم شرعا . رأت اللجنة اصدار الفتوى الآتية :

من المعروف أن الراى الراجع عند أغلب المذاهب الاسلامية . وفى المذهب المالكى بالخصوص . وهو المذهب المعتمد فى الجزائر ، وفى المغرب ، وفى عدد من البلاد الاسلامية يقضى بالانكاح الا بولى وصداق وشاهدى عدل .

الا ان اللجنة ، عملا بمبادئ التشريع فى الاسلام ، واعتبارا للواقع ، لجأت لحل هذه

بمناسبة الاجتماع الذى عقد بسفارتنا بباريس يوم 12 ذى القعدة 1390 هـ الموافق 9 جانفى 1971م تحت رئاسة السيد أحمد قائد عضو مجلس الثورة ومسؤول جهاز الحزب ، وبحضور السادة : مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ومحمد بجاوى سفير الجزائر فى باريس ، وعبد الكريم غريب رئيس ودادية الجزائريين بأوروبا ، طرح مندوبو الودادية والقناصل الجزائريون فى أوروبا مشكل الحالة العائلية للمهاجرين الجزائريين وعبروا بالحاح عن رغبتهم فى ايجاد حل شرعى لمشكلة الانكحة التى وقعت خارج القطر الجزائرى والاولاد الناتجين عنها . فقد ولد العدد العديد من الاولاد فى الهجرة ، من آباء جزائريين وأمهات جزائريات وغيرهن من المسلمات والكتانيات ، فى حالات خاصة . نظرا للظروف الصعبة التى كان يعانونها مواطنونا فى الخارج . بأنكحة لم تستوف بعض الشروط اللازمة شرعا .

وعند نهاية الاجتماع كلفت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بدراسة الجانب الدينى لهذه المشكلة وايجاد حل شامل ونهائى لها . بمشاركة وزارة العدل .

فتكونت لجنة ترأسها وزير التعليم الاصلى

المشكلة نهائيا ، الى آراء بعض الفقهاء الكبار ،
وان كانت ضعيفة . فصنفت حالة المقترعين
كما يلي :

(1) **الانكحة التي فيها شبهة** ، كانعدام
الشاهدين ، أو عدم تسمية المهر ، أو انعدام
الولي ، تفتي اللجنة بصحة هذه الانكحة ،
وبإثبات نسب الاولاد الذين نتجوا عنها ، عملا
بما جاء في الفقه الاسلامي ، فقد روى عن أحمد
ابن حنبل أحد الائمة الاربعة . أن الزواج يصح
من غير شهود ، وفعله ابن عمر ، والحسن بن علي ،
وابن الزبير ، وسالم وحمزة ابنا بن عمر . وقد
قال به كثير من الائمة ، منهم يزيد بن هارون ،
والعنبري ، وأبو ثور ، وابن المنذر ، بل ان ابن
المنذر لا يثبت في الشاهدين في النكاح خيرا .
وكذلك فإن النكاح بغير ولي فيه خلاف في الحد .
لان الحد يدرأ بالشبهات . فاذا ثبت هذا فان من
اعتقد صحة النكاح بدون ولي فليس عليه اثم .
قال ابن المنذر : اجمع كل من نحفظ عنه من
علماء الامصار على ان الرجل اذا وطئ امرأة
بنكاح فاسد . انها تحرم على ابيه وابنه واجداده
وولد ولده . وهذا مذهب مالك والاوزاعي والثوري
والشافعي وأحمد واسحاق وابي ثور واصحاب
الرأى . ولانه وطئ يلحق به النسب : «عن كتاب
المغنى لابن قدامة الحنبلي » (كتاب النكاح) .

(2) **المعاشرة :**

أ - بدون اولاد : في هذه الحالة تفتي اللجنة
بوجوب الاستبراء بحيضة واحدة ثم يجدد عقد
الزواج على اصول الشرع الاسلامي .

ب - المعاشرة مع وجود اولاد : بعد الرجوع الى
المصادر الفقهية المعتمدة وأت اللجنة استنادا الى
آراء كثير من العلماء ، منهم أبو حنيفة أحد الائمة
الاربعة ، واسحاق بن رهويه ، وعروة بن الزبير ،
وهو من التابعين . وسليمان بن يسار وهو كذلك

من التابعين . **الحاق هؤلاء الاطفال بأبائهم وتصحيح
عقد الزواج .**

قال ابن قدامة (في كتاب المغنى ، كتاب
الفرائض) في فصل وحكم ميراث ولد الزنا في
جميع ما ذكرنا كحكم ولد الملاعة ، والجمهور على
التسوية بينهما لانقطاع نسب كل واحد منهما
بأبيه . الا أن ولد الملاعة يلحق بالملاعن ، اذا
استلحقه . وخلاف قول الجمهور فان ولد الزنا
يلحق بأبيه ، قال الحسن وابن سيرين من مشايخ
التابعين : يلحق الواطئ اذا أقيم عليه الحد
ويرثه ، وقال ابراهيم : يلحقه اذا جلد الحد ، وقال
اسحاق بن رهويه يلحقه ، أى ولو لم يقم عليه
الحد .

وذكر عن عروة وسليمان بن يسار مثل ذلك .
وروى علي بن عاصم عن أبي حنيفة أنه قال لا أرى
بأسا اذا زنا الرجل بالمرأة فحملت منه أن يتزوجها
مع حملها ويستتر عليها والولد ولد له .

ملاحظات عامة

(1) ان النص المعتمد لهذه الفتوى هو النص
الاصلي العربي .

(2) ان هذه الفتوى لا يمكن بحال من الاحوال
ان تجعل ذريعة للتمسك بهذه الاوضاع والتمادى
فيها . وانما هي فتوى أعدت لظروف خاصة .
ولحل مشكلة معينة . ولفترة زمنية محدودة . اذ
استند فيها على آراء ضعيفة في الفقه الاسلامي .

(3) يجب القيام بحملة توعية في أوساط
مهاجريننا ، وخاصة في أوروبا ، تهدف الى افهامهم
قواعد الشرع الاسلامي في مثل هذه العقود .

(4) يتعين التأكيد على ضرورة اصدار تعليمات
دقيقة ومشددة لكي لا تعقد الانكحة في المستقبل
الا وفقا للشرعة الاسلامية ، ولدى هيئاتنا
الدبلوماسية والقنصلية . مثلما تفعل أغلب البلاد
الاسلامية - ومنها المغرب - بالنسبة لمواطنيها .



الثورة العالمية

ومستقبل الغرب

يعتبر هذا الكتاب على صغر حجمه من أهم الدراسات - في الفلسفة السياسية - التي ظهرت في أوائل الستينات من هذا القرن يكشف مؤلفه - و. فريد مان - عن علم غزير بالمذاهب الفلسفية والتيارات السياسية ، التي لاحت بوادرها في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وهو يستهدف من وراء هذا البحث القيام بعملية فحص للذات وتقويم لما تعطى وتتلقي ، وهو يرى أنه لكي تتم هذه العملية ينبغي أن يتحلل الدارس بالصلق والشجاعة على مواجهة معطيات الحضارة الغربية وتحليلها بدقة بدون خوف أو تردد . وتنبئ خطة التحليل والمناقشة التي انتهجها المؤلف على ثلاثة مبادئ أساسية :

تأليف : فريد مان
تقديم : د. محمد العربي ولد خليفة

عنها ، الا بقدرته على التحكم فيها بالفكر والسيطرة عليها بالعمل .

وقد تحدثت هذه العوامل أكثر في مطلع هذا القرن وأصبح مدلول المدنية الغربية يعنى على الخصوص المبادئ الستة التالية :

1 - الاعتقاد بأن الكون يسوده نظام موضوعي ، لا تتدخل فيه الغريزة ولا تؤثر فيه الرغبات والاهواء ويرى و . فريدمان أن هذه الفكرة تمثل اتجاهها عريقا في المدنية الغربية فهي تنسب الى السفسطانيين اليونان وقد تجلت بدقة ووضوح في الفكر الرواقى الذى يرى أن العقل جزء من الطبيعة ، ثم اندمجت على يد « توما الاكوينى » فى النظام الالهى للكون وعادت الى الانفصال من جديد على يد كل من جرينوس ، ولوك ، وباين وروسو .

2 - الاعتقاد بمثل أنسانية وعالية ، وهو اعتقاد لم ير النور فى سياسة الدولة اليونانية التى قسمت البشر الى طبقتين : سادة متفوقون بحكم الجنس وعبيد منحطون لانهم « برابرة » أو أجانب .

الا أن هذه المثل وجدت منفذا فى الفكر الرواقى المبني على مبادئ القانون الطبيعى . وقد تم تطبيق هذا الفكر على يد الاسكندر المقدونى . ولكن هذا الفكر ما لبث أن أصطبغ فى العصور التالية بصبغة دينية لازمته طوال القرون الوسطى . وفى العصر الحديث سقطت الفكرة الدينية لتفسح المجال لنظريات متصارعة . حاول بنها رجال القانون وفلاسفة السياسة وضع مبادئ للقانون الوطنى والدولى تبرر تصرفات الجانب الذى ينتمون اليه ، فقد وجدت كل الحروب التى دارت رحاها فى القرون القليلة الماضية من يدافع عنها على أساس القانون الدولى !

1 - تناول الموضوع بطرق ومناهج متعددة لا تركز الى التحليل المادى ولا ترى فى المتالية منفذا وحيدا للتفسير . « فان الآراء والمعتقدات والبيئة الاجتماعية والظروف الاقتصادية تبحث كلها على اعتبار أنها ناشئة فى تفاعلها بعضها مع البعض الآخر فى فترة معينة بدون أن يكون لاي من هذه العناصر أسبقية زمنية أو منطقية » .

2 - لا يمكن الحكم من الناحية العلمية على أن أسلوبا من أساليب الحياة السياسية أو الاجتماعية صحيح تماما .

3 - ان التقدم ليس عملية آلية أو محتومة فبين التقدم والتدهور خيط رفيع يمكن أن ينقسم ، ولا يضمن اتصال هذا الخيط سوى ارادة التقدم وحدها .

لا يحدد المؤلف معالم الازمة التى تهدد المدنية الغربية فى صورتين تتمثل أولاهما فى الاضطراب المستمر فى العلاقات والقيم وهو اضطراب بلغ قمته فى فترة ما بين الحربين وما تلاها .

وتظهر ثانيتها فى انتشار المذهب العدمى وتغلغله فى تلافيف الحياة الشخصية والاجتماعية للأفراد والجماعات .

ثم ينتقل المؤلف الى تحديد ماهية المدنية الغربية متتبعا مسيرتها منذ العصور الهلينية باحثا عن بذورها « العالمية » فى الرواقية والتشريع الرومانى والنظام المسيحى والفردية فى عصر النهضة والمذهب العقلى فى القرنين 17 ، 18 - وفى فكرة القومية والنزعة الرومانتيكية فى القرن 19 - ، فعلى الرغم من التغيرات العنيفة التى طرأت على هذه الحضارة فانها تميزت بالقدرة على الاستمرار والتوازن لسببين : أولهما الاعتقاد بأن فى الانسان جوهر روحى يسمى به عن المادة الحاملة . وثانيهما إيمانها بأن الانسان جزء من الطبيعة ولا يختلف

3 - تبلور فكرة القومية : يرتبط نمو المدينة الغربية الحديثة بنمو مجموعات كبيرة ومنظمة من الناس يوحدتها ولاء مشترك لحكومة مركزية ويعزز هذا الولاء عدة عوامل تأتي في مقدمتها اللغة والثقافة والجنس والجغرافيا والاحداث التاريخية التي عاشتها تلك المجموعات السكانية .

4 - الفردية : وهي من أهم خصائص المدينة الغربية وقد مهد لها رجال الإصلاح ودعمتها النهضة العلمية وقد اتخذت الفردية شكلين رئيسيين أحدهما أنغلو سكسوني عبر عنه كل من لوك وبأين بوجه خاص وثانيهما فرنسي أوحى به ج . ج . روسو .

5 - الايمان بالتقدم : من أهم سمات المدينة الغربية ايمانها الجازم بالترقى في مظاهره العلمية والمادية (الثروة) والاخلاقية . فقد سجل العلم انتصارات باهرة في ميادين العلوم الطبيعية والاجتماعية ضاعفت من ثقة الانسان في التحكم في العالم الخارجي . وقد عبر بنثام عن ذلك في تعريفه للمثل الاعلى فهو في رأيه « تحقيق أعظم قسط من السعادة لأكبر عدد من الناس عن طريق حرية الفرد في الابتكار والنشاط وخاصة في المجال الاقتصادي . كما جعل « كونت » العالم يتقدم في صورة مراحل يتولد بعضها من بعض . واستخدم « سبنسر » نظرية البقاء للأصلح الداروينية ليبرهن على ان النظام الاجتماعي يتقدم بسرعة تستدعي من الانسان تلاؤما وتكيفاً يحفظ حياته ويقيه من الهلاك .

وبعد أن يقرر المؤلف أسس المدينة الغربية متتبعا جذورها منذ أن تجلت في « الفتنة » اليونانية . يلاحظ أن تلك الاسس تحمل بين جنبها عوامل التوتر والتصارع وهي عوامل تجعل الفكر في حيرة وتوقف . ذلك لان القرن الحالى

لا يشارك القرن التاسع عشر اعتقاده الراسخ بضرورة الترقى ، فاننا نعلم بدون حاجة الى تقديم الدليل المتوفر على مصير المدن الاخرى أنه لا السعادة العظمى ولا المقياس الاخلاقية قادرة على أن تخلص الناس أو الامم أو المدن من الدمار ، فالقوة في الواقع لا تستطيع وحدها أن تقيم المدن ولكنها تستطيع بكل تأكيد أن تمحوها .

ويحدد فريدمان ثلاثة مشاكل رئيسية تواجه المدينة الغربية ويتوقف عليها مصيرها :

1 - العلاقة بين المانيا والغرب فان احداث التاريخ ووقائعهم برهنت دائما على أن الالمان كانوا يتحدثون المدينة الغربية في مذهبها واساليب حياتها وقد بلغ هذا التحدى ذروته في حربين عالميتين وضعتا المدينة الغربية قاب قوسين أو أدنى من الهلاك .

ويفسر الفيلسوف « سانتيانا » في كتابه الذائع الصيت (الاثرة في الفلسفة الالمانية - طبع سنة 1916 واعيد طبعه سنة 1936) ، هذه الظاهرة بأن تاريخ الفلسفة الالمانية يتركز في تمجيد الذات ويبدو ذلك في درجات متفاوتة في فلسفات كل من ليبنتز وعوالمه الصغيرة التي لا تحصى وكانط في اتجاهه الكوبرنيكي الذي يربط فهم العالم بملكات العقل النافذة ونيته في فلسفته المثالية ثم هيغل في عملياته المنطقية التي يوجد فيها بين الفرد والكون . وكذلك نيته الذي جعل ارادة القوة محور كل تفكير وتعقل . وحتى « غوته » الرجل العالمى المؤمن بوحدة الوجود يجعل « فاوست » هو مثله الاعلى وهو مثل يتركز فيه القلق الديناميكي الذي يحصر فيه الفرد تفكيره في ذاته فحسب .

كما تميز الفكر الالمانى بخاصية أخرى تبدو

معارضة للادلى وهى الاسراف فى الرومانتيكية الذى تولدت عنه نزعة قومية غامضة وعنيفة ، تتخذ صورة نظريات قضائية وسياسية لشكل الدولة ونظامها . بحيث يكون الفرد فيها مجرد ذرة صغيرة لا قيمة لها خارج الكل .

ومن خلال الاسراف فى المثالية والرومانتيكية يستخلص فريدمان مجموعة من الاتجاهات التى اتسم بها الفكر الالمانى :

أ - تكشف المقارنة بين فلسفات كل من كانط وفيشته وهيجل أن الفلسفة المثالية الالمانية ترى أن عقل الفرد وحده هو الذى يخلق على العالم معناه .

ب - تنزع الفلسفة الالمانية نزعة صوفية تمثلت بوجه خاص فى تعاليم لوتر وفى موسيقى فاغنر التى تجمع بين الغموض الرومانتيكى والعنف الذى يمجّد الحرب .

ج - يعتبر التفكير الالمانى الامة والدولة نظامان عضويان لهما شخصية معنوية قائمة بذاتها وحياة متصلة ويتضح ذلك بوجه خاص عند الشعراء أمثال شيللر ، ونوفاليس وشبيغل ، والفلاسفة أمثال فيشته وشيلنغ وهيجل والمشرعين أمثال سافينى وجيرك والمؤرخين أمثال تريتشكه ورائكه .

د - فكرة الرسالة البروسية فى العالم وتعنى هذه الفكرة أن الامة الالمانية تحمل على عاتقها رسالة فهى الامة الوحيدة التى تتمثل فيها الظواهر الكونية للبشرية قاطبة وقد عبر نيتشه عن ذلك بقوة اذ يقول : « ان الالمانى هو الشخص الوحيد الذى له امة ، وهو الذى يمكن أن يتوقع أن تكون له امة وهو وحده الجدير بأن يحب أمتة حبا حقيقيا معقولا . »

هـ - دأب الفكر الالمانى على احتقار الاتجاهات الانسانية والقانون الدولى نظريا وعمليا ويبدو

ذلك واضحا فى آراء فريدريك البروسى وتلاوزويتز وهيجل الذى ارتأى أن الحرب هى الحكم والقول الفصل فيما نأتى ونذر ، هذا فضلا عن آراء شبنغلر وتلاميذ المدرسة الهيجلية أمثال كوفمان وشميدت وبندر ولارنو وبوكهوف ... الخ .

و - عبادة القوة وتمجيد الحرب واحتقار التوسط والتعلق بالبطولة وقد أكد شبنغلر هذه الاتجاهات فى كتابه عن تدهور الغرب .

وبالاضافة الى هذه الاتجاهات التى تعتبر فى نظر الكثيرين انحرافات أو مظاهر سلبية للمدنية الغربية فإن الفكر الالمانى والاتجاه الرومانتيكى فيه - بوجه خاص - قد ساهم الى حد كبير فى تطور المدنية الغربية .

ولكى تنجو المدنية الغربية من تدمير نفسها بنفسها تدميرا لا تقوم لها قائمة بعده ينبغى فى رأى المؤلف أن تستعد لثورة جديدة تقوم على نسق جديد من القيم وأسلوب جديد من الحياة بدأت بعض بوادره تلوح فى الافق البعيد ، ويعتمد هذا النسق الجديد على خمسة دعائم متماسكة ومتماكة :

1 - توكيد حرية الانسان وحاجته الى النمو باعتباره فردا قائما بذاته .

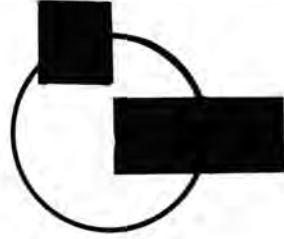
2 - ضرورة ترجمة هذه الحرية بلغة العدالة الاجتماعية والاقتصادية أى استبدال نظام اقتصادى فردى لا ضابط له توجهه حوافز الكسب بنظام اقتصادى موجه .

3 - التوفيق بين السيادة القومية ووحدة الانسانية .

4 - إعادة التوازن بين التقدم المادى (فى العلم والثروة) وبين التقدم الروحى والادبى .

5 - التعاون بين فئات تتفق فى الوسائل والاهداف على الرغم من اختلافها عقائديا .

بعض الانطباعات عن الملتقى الخامس



للتعرف على الفكر الإسلامي بوهـران

كان للملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى صدى كبير فى صحافة العالم العربى والاسلامى ، فبالاضافة الى التعاليق الضافية التى نوهت بالمواضيع التى درسها الملتقى وجرى فى اطارها حوار ايجابى مثمر ، وبالجو الحار المفتوح ، وبالحماس المتعقل الهادئ الذى تميزت به المناقشات . بالاضافة الى كل ذلك ، نشرت اغلب صحف ومجلات العالم العربى والاسلامى - وخاصة صحف حزب الاستقلال بالمغرب الشقيق - نصوص التوصيات التى صادق عليها الملتقى .

وهذه عينة عن بعض هذه الانطباعات :

كان الملتقى عربيا وساده جو من الحرية الكاملة

لقد كان هذا الملتقى ملتقى عربيا ايضا فالجميع تكلم عن مبدأ العروبة والوحدة العربية والمحاضرات والمناقشات جرت بالعربية ، ولئن القيت في بعض الاحيان كلمات بالفرنسية فان ذلك اثار احتجاج الطلبة العنيف والمطالب بالتكلم بالعربية لان الجزائر بلد عربي مما اضطر المحاضرين الى التكلم بالدارجة أو بالعربية المبسطة .

ولعمري انها لفرحة كبرى ان ترى الاشخاص الذين منعهم الاستعمار اثناء دراستهم من تعلم العربية يبذلون مجهودا جبارا لادراك ما فاتهم ، ويتحدثون للامة العربية بلغتها .

ولا ابالغ اذا قلت ان هذه العربية البسيطة التي تحترم قواعد النحو كان التعبير بها أحسن . لانها جاءت ثمرة لمجهود داخلي يستقى من العربية الاصلية الصافية .

والمشكلة كما قال قائد أحمد : ليست امكانية لغة ما من مواجهة التطور أو عدم امكانياتها بل مشكلة قدرة الانسان على التعبير عما يفكر بلغته .

وهناك ظاهرة أخرى هي ان الجزائر التي تطبق الاشتراكية لا تخرج عن نطاق مفاهيمها العربية الاسلامية ، فلم اسمع أى محاضر أو مناقش يستعمل المفاهيم الماركسية بل العبارات كانت ذات مفهوم عربي ولو عند الكلام عن الاشتراكية أو الاصطلاحات المختلفة ، لان الجزائريين يريدون الاستفادة من مدينة الغرب باخذ الاشتراكية ولكنهم يدركون في نفس الوقت ان المهم هو المحتوى وليست المظاهر . فنعم للاشتراكية ولكن على اساس المبادئ الاسلامية وبالعبارات القرآنية وبهذا تندمج الاشتراكية في حياة الشعب الجزائري وتكون اشتراكيته اسلامية عربية مغربية .

والمظهر الثالث للملتقى هو الحرية الكاملة التي تركت للمشاركين في التعبير عن افكارهم ، كما كان المحاضرون صرحاء عند الادلاء بأرائهم ولو عند الحديث عن النظام الرسمي للجزائر أو الاشتراكية وتطبيقها .

علام الفاسي

مترجم عن جريدة « لويينيون » المغربية .

ساد الملتقى جو مفعم بالمودة والحيوية وهذا ليس بالغريب فهو ملتقى اسلامي يتعلق بالمبادئ والسلوك .

وبالفعل فقد منعت ولاية وهران المقاهي طول مدة انعقاد المؤتمر من بيع الكحول ، وبعد نجاح هذا المنع فان الحكومة تفكر في تمديد مدة المنع شيئا فشيئا حتى يصبح دائما معمولا به وقد اوردت الحكومة عند تقديم هذه المشاريع ، النصوص الدينية المتعلقة بذلك ، وذكرت انها سوف تستشير مجلس الافتاء التابع لوزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدينية في الاجراءات التي تتخذها .

وكان هذا هو ما فعلته بالنسبة لقضية تحديد النسل عندما صرح العلماء انها محرمة من الناحية المبدئية غير ان هناك حالات شخصية يجب مراعاتها وشروطا يجب توفرها وخاصة في قضية العزل (عملية منع الحيوان المنوي من الوصول الى الرحم) حيث يجب اتفاق الزوجين على ذلك وعدم استعمال بعض المواد الخ .

اذ نظرا لهذه الفتوى ولاعتبارات اجتماعية أخرى قررت الحكومة التريث في اصدار قانون تنظيم الاسرة بشكله النهائي .

وكذلك عندما صرح الوزراء بانه سيتم قلع اشجار الكروم قالوا ان الجزائر بلد اسلامي يجب ان لا ينتج الخمر ويصدره .

واكثر من ذلك فان وزير العدل عندما تكلم على مبدأ التبنّي قال : انه بعد استشارة العلماء تبين انه مبدأ مخالف للقرآن لهذا تركت عملية التبنّي جانبا واعتمد ما جاء في « المدونة » المغربية بخصوص احوال طفل محل الابن في حدود الاشهاد الشرعي .

وبخصوص الاصلاح الزراعي وقيام التعاونيات هناك اشارة دائما للبادئ الدينية واختيار مذهب من المذاهب الاربعة غير ان المهم في كل هذا ليس اختيارا أو عدمه بل اعتماد مبدأ الرجوع الى النصوص الدينية ومصادر القانون الاسلامي وهو ما يؤكد العزم على تطبيق الاشتراكية الجزائرية في نطاق الدين وبموافقة الشعب الجزائري بأكمله .

المحافظة على التراث ، والتفتح على منجزات العالم

الوحدة اللغوية القائمة في المجتمع العربي هي وحدة حقيقية حية لا نظير لها في العالم المعاصر . وما على أبناء العربية الا أن ينموها وأن يزكوها على مستوى الافراد والجماعات ، وذلك باستغلال جميع الطاقات والامكانيات المتاحة اليوم . من طباعة ونشر واعلام ، لكي يحققوا من أهداف الثورة الثقافية في سنوات ما كان يعجز عنه أسلافنا في قرون .

والرابع ، هو المحاولة الجادة للانتقال من مرحلة النظر الى مرحلة العمل : فقد كانت الفكرة الغالبة لدى المنظمين لهذا الملتقى هي فكرة التغيير والثورة . لا مجرد «التعرف» والوصف . كما كان الشأن الغالب في الملتقيات السابقة . وقد كانت توصيات الملتقى ومقرراته معبرة عن صدق العزيمة على مجاوزة الآراء والتأملات ، والقصد مباشرة الى التحقيق والتنفيذ . مع الحرص الدائب على الجمع بين المحافظة على التراث الاسلامي والتفتح الواعي على منجزات العلم ومسايرة ركب التقدم .

وبعد فلا أستطيع أن أتحدث عن انطباعاتي عن ملتقى الفكر الاسلامي في وهران . دون أن أنوه بأمر كان موضع الإعجاب والتقدير لدى جميع المشتركين في هذا الملتقى : ذلك هو الجهد الفائق الذي نهض به وزير التعليم الاصل طوال أيام الملتقى وبعد انتهائه ، بهمة لاتعرف الكلل ، وإيمان راسخ بنيل الرسالة . وأمل كبير في مستقبل الاسلام والعروبة .

د. عثمان أمين

استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

يبدو لي أن هذا الملتقى قد أحرز تقدما حقيقيا بالقياس الى الملتقى الرابع الذي انعقد في العام الماضي بمدينة قسنطينة . وقد تجلى هذا التقدم في عدة أمور :

الاول ، هو الاهتمام الكبير من جانب المسؤولين في الجمهورية الجزائرية ومن جانب الهيئات والافراد : فقد افتتح الملتقى بخطابين هامين . أحدهما خطاب السيد وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية ، بين فيه المبادئ والاهداف والحاجة الى العمل على تحقيقها وتطبيقها في مجتمع اليوم . وثانيها خطاب وزير الاعلام والثقافة وفيه دعا الشبيبة الصاعدة الى الاستمسك بعري الاسلام في مواجهة تحديات العصر . كما أن ثلاثة من الوزراء قد حرصوا على أن يتحدثوا الى أعضاء الملتقى عن نتائج تجاربهم في وجوه الإصلاح في مختلف المرافق العامة للبلاد من تعليم وتشريع وصناعة وزراعة واقتصاد .

والثاني ، هو التركيز على القضايا الثلاث الكبرى التي تشغل بال الشعوب الاسلامية الناهضة في العالم الحاضر . واستبعاد قضايا أخرى فرعية قد يكون من شأنها إثارة الخلاف بين الاشقاء ، وهم أحوج ما يكونون الى الائتلاف . والثالث ، هو المكان المرموق الذي ظفرت به اللغة العربية فيما ألقى من محاضرات وما أثير من مناقشات عن اللغة والثورة الثقافية . ومما يلفت النظر في هذا الملتقى حرص جميع المسؤولين على أن تكون العربية لغة المحاضرات والتعقيبات والمناقشات . وأحسب أنهم قد أصابوا في هذه المحاولة نجاحا موفورا . هو ثمرة للجهود الدائبة المحمودة التي بذلت في هذا السبيل . وقد أثبتت هذه التجربة الواعية أن

حضارة الاسلام انسانية شمولية

هذه اول مرة اشهد فيها اجتماعا تشرف عليه حكومة عربية اسلامية من اجل التخطيط لقضايا خطيرة في حياة امتنا في اطار الاسلام
لم يكن الامر امر احاديث عامة عن الاسلام والثقافة الاسلامية بل امر بحث جاد يركز على قواعد علمية يقصد فيه ان لا تنفلت وجوه التطور في حياتنا من قواعد الاسلام وضوابطه

الطابع القطري الاكاديمي الذي اصطبغت به بحوث الكثير من المؤتمرات في العالم الاسلامي. ثم ان تجمع عدد من رجال الفكر الاسلامي في مكان من بلاد الاسلام بصورة منتظمة كل عام، مع ما يترتب على ذلك من لقاءات شخصية فيما بينهم ، يؤدي بصورة تلقائية الى تعميق الشعور بالانتماء الى الامة الواحدة ... وما أجمل ان يشعر المسلم أينما كان ، بأن همومه وتطلعاته ، غير منحصرة في اطار البقعة الجغرافية الصغيرة التي ينتمي اليها ، بل هي هموم الانسان المسلم، المرتبطة بحياة أمة الاسلام ، حيثما كان هناك مسلمون . وغنى عن البيان ، ان امتداد هذا الانتماء في دنيا الاسلام ليصبح شاملا جامعا ، له من الآثار العملية الشيء الكثير ، ولو بعد حين، في عصر تقاربت فيه الشعوب من أجل مصالح آنية تجمع فيما بينها ، فكيف بمجموعة من البشر ، تجمع فيما بينها وشائج العقيدة والحضارة والتاريخ ، وتهدها أخطار مشتركة الا يمكن دفعها الا بالتضامن والتكاتف وتوحيد الجهد ؟ !

وفي ختام هذه الكلمة القصيرة ، أرى انه لا بد أن تتوافر في الانسان المسلم الذي يسهم فكريا في هذه الملتقيات صفتان : أولاها أن يكون الاسلام بالنسبة اليه دعوى يحملها ، ورسالة يبلغها ، لا مجرد ثقافة يدرسها ، وثانيتهما أن يكون حظه من المعرفة أصيلا عميقا ، لكي يجمع في أي اسهام له ما بين حرارة الدعوة وعمق المعرفة ، ولن يفنى أحد الامرين عن الآخر ، ولا ريب أن وزارة التعليم الاصلى مدركة لذلك واعية له ، أخذ الله بيدها لما فيه خير الاسلام ، وجزاها عنم يخلصون للاسلام خير جزاء .

د. محمود ابراهيم

استاذ بالجامعة الاردنية

ولكن الحديث لم يقتصر على الضوابط التي تضبط وتربط ، وتحدد وتقيّد ، اذ أن ضبط ما هو وافد من الخارج ، لا يعدو أن يكون عملية تصفية وتنسيق وتوفيق لامور وافدة من الخارج ، غير منبثقة من الداخل . وهذه العملية على أهميتها لا تكون الا جزءا واحدا من عملية التطور التي تمر بها الامة . في اطار متطلبات الحياة الحديثة ...

لذا ، كان لا بد من عملية أخرى اعمق واوسع وابعد خطرا في حياة الامة . تلك هي الالتفات الى الاسلام في شكله الصادق الصافي لكي نشق منه وسائل الارتقاء والتقدم حتى لا نتأخر عن الركب الحضاري من جهة . وحتى يكون التقدم الذي نحرزه محفوزا بدوافع الاسلام وتعاليمه ، وهي الدوافع والتعاليم التي صنعت للبشرية حضارة متميزة ...

وفكرة صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان ، تصبح خالية من المحتوى اذا ما تحولت الى عبارة ترددها الافواه ، دون أن يوجد الانسان المسلم الذكي النقّال ، الذي ينفذ الى اعماق العقيدة ومعطياتها ، فيخرج منها دائما بالجديد الذي يساير الزمن ، بل ويسبق الزمن دائما ... والحضارة المنبثقة عن الاسلام ، كانت انسانية شمولية ، لا تنحصر في حدود الاقليم والعرق ، وهذا النوع من الحضارة ، هو الذي تحتاجه الانسانية في وقتنا الراهن . لتكون الحضارة عامل توفيق وتجميع ما بين بنى البشر، بدلا من ان تكون عامل تفرقة وتمزيق ...

وحين اختارت وزارة التعليم الاصلى في الجزائر الشقيقة موضوعات تتصل اتصالا مباشرا بحياتها كأمة مسلمة ورثت عبئا ثقيلا من مخلفات الاستعمار . وحين تكون هذه الموضوعات مرتبطة كذلك الى حد كبير بمشاكل المسلمين الحالية ، وبتساؤلات تدور على السنة الشباب المسلم بصورة خاصة ، فانها أضفت الصبغة الواقعية العملية على موضوعات البحث ، وخلصتها من

توصيات :

الاسلام ومشاكل الاسرة وتربية الجيل في عالم اليوم

2 - التأكيد على ضرورة توحيد القوانين الخاصة بالاسرة في جميع البلاد الاسلامية لضبط انظمتنا وتشريعاتنا في هذا الميدان طبقاً لمبادئ الاسلام .

3 - تشجيع الدراسات الاجتماعية والعلمية الخاصة بالاسرة في بلادنا العربية والاسلامية لأحصاء مشاكلها وفهم ظروفها واقتراح الحلول اللازمة لها .

4 - مقاومة كل التأثيرات والحركات التي تهدد كيان الاسرة الاسلامية سواء كانت ثقافية أو مادية أو اعلامية وتعبئة جميع الوسائل والامكانيات لتوعية المواطنين بهذه الاخطار .

5 - ابعاد النشء وخاصة البنت عن المدارس التبشيرية المنتشرة في جميع البلاد العربية والاسلامية .

6 - العناية بالاسرة المسلمة خارج العالم الاسلامي وخاصة في اوروبا وامريكا بشمالها وجنوبها حيث تتعرض هذه الاسرة للوبان والامحاء .

7 - لا نعارض تحديد النسل على مستوى الافراد في الحالات الضرورية وانما نعارضه على مستوى الامة لان ظروف البلدان تختلف ولاننا نرى ان هذه الحلول سلبية ويجب ايجاد المدارس ورياض الاطفال لا منع ايجاد الاطفال .

بما ان الشريعة الاسلامية تعتبر الاسرة الخلية الاساسية للحياة الاجتماعية وتربية النشء . وبما ان نظام الاسرة في البلدان العربية والاسلامية يواجه اخطار التفكك والانحلال الذي يظهر بصفة خاصة في سلوك الشباب . وذلك بسبب ازمت ناشئة عن تطوره السريع من جهة وتسرب تيارات ثقافية وحضارية اجنبية لايتماشى بعضها مع الاسس الاصيله لهذا النظام .

وبما ان وجود نظام متماسك للاسرة يمثل القاعدة الاساسية والشرط الاول للانطلاق في بناء شخصيتنا الوطنية والحضارية المتميزة والمتفتحة في نفس الوقت وبما ان الثقافة والتوعية يجب ان تصل الى داخل هذه الاسرة لقيامها بتربية اسلامية بناءة سوية فان الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي المنعقد بمدينة وهران من 27 جمادى الاولى الى 9 جمادى الثانية 1391 هـ الموافق لـ 20 - 31 يوليو 1971 م يوصى بما يلي :

1 - وجوب تعليم المرأة حتى تتمكن من القيام بمسؤولياتها في تربية النشء والمشاركة الفعالة في تطوير مجتمعاتنا النامية وذلك بايصال الثقافة الى داخل الاسرة بالوسائل الاعلامية المختلفة ومشاركة المرأة في الحياة الثقافية داخل المساجد والمعاهد والنوئات مع تشجيع المنشورات المتخصصة في مشاكل التربية والاسرة .

الاسلام ومتطلبات التنمية في الاقتصاد الحديث

المسلمون في عصورهم الزاهرة أن يبنوا حضارة روحية ومادية ومجتمعاً نامياً قوامه العدالة الاجتماعية .

ثانياً : ان الاسلام مذهباً اقتصادياً متميزاً وصالحاً لكل زمان ومكان أساسه العدل والاحسان والتعادل في الحقوق والواجبات وعلى المسلمين في كل عصر أن يستمدوا من تعاليمه ومذهبه ما يساعدهم على مواصلة سير التنمية الاقتصادية طبقاً لمقتضيات التقنيات الحديثة وعلم الاقتصاد .

ثالثاً : وفي حدود الاسلام يمكن للمسلمين أن يستفيدوا من كل ما استجد من وسائل تقدم الانسان والتجارب التي تقوم بها مختلف الشعوب والحضارات .

رابعاً : ويعتقد رجال الملتقى أن الهدف الاساسى لعملهم هو تحقيق تعادلة اقتصادية وأن واجب الدولة هو رفع مستويات المعيشة للمواطنين وأحداث تقارب بينها بتوزيع عادل للدخل القومى وتمكين المواطنين من الفرص المتكافئة وتحرير الفرد من جميع أنواع الاستغلال فى الظلم وبالأخص من سيطرة رأس المال وان كل عمل يجب أن يكون فى خدمة الجماهير الشعبية ومصلحة الامة .

خامساً : يعتبر الملتقى أن الشغل هو رأس الامة الاساسى وأنه واجب على جميع المواطنين وحق

ان الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى المنعقد فى وهران من 27 جمادى الاولى الى 10 جمادى الثانية 1391 هـ الموافق 20 - 31 يوليو 1971 م .

استجابة لدعوة السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالجزائر والذي شارك فيه عدد من العلماء والاساتذة لمختلف الجامعات الاسلامية . وبعد الاستماع الى المحاضرات التى القاها كل من السادة :

عبد السلام بلعيد

علال الفاسى

محمد المبارك

محمد بن البشرى

محمد بن عبدالعزيز

عبد المجيد مزيان

عن موضوع الاسلام ومتطلبات التنمية فى العصر الحديث . وبعد الاستماع الى التدخلات والمناقشات التى وقعت فى الموضوع كون لجنة من السادة المحاضرين التى اجتمعت وتدارست هذا الموضوع فاستخلصت مشروع توصية نظر فيها المجلس وأقرها على الصيغة الآتية :

أولاً : ان الاسلام فرض على معتنقيه العمل وجعله عنوان الكرامة الانسانية وبذلك استطاع

من حقوقهم الأساسية أن للعامل الحق في أجره
تتفق ومستوى المعيشة والانتاج وحاجة البلاد
إلى توظيف الأموال .

سادسا : يرى وجوب الاهتمام بسكان القرى
والمزارع بإصلاح شؤونهم وحياتهم وامتاعهم .
بجميع الحقوق التي يتمتع بها السكان الحضريون
مع تحقيق إصلاح زراعي يهتم بتنظيم الملكية
العقارية على أساس عادل كما يهتم بتجديد وسائل
الانتاج واعطاء كل ناحية ما يناسبها .

سابعا : ويرى الملتقى أن من واجبات الدولة
التدخل في الميدان الاقتصادي في إطار التخطيطات
العامة التي تؤمم أو تراقب بحسب المصلحة
القطاعات الاقتصادية الحيوية كالقروض والتأمين
والطاقة والنقل والمناجم والصناعات الأساسية
واحترام الملكية الخاصة والابتكار الفردي ما لم
يؤديا إلى تجريد الأموال أو عرقلة نمو الانتاج أو
تكونا سببا في البطالة والكسل .

توسيع وتنمية نظام التعاونيات الذي ييسر
أسباب المبادلات ويخفض من الائتمان وذلك برفع
الدخل القومي والقوة الشرائية للمواطنين كما
يمكن من تنظيم الأمة داخل وحدات اقتصادية
 واجتماعية تنمي روح التضامن بين المواطنين »

ثامنا : يوصي الملتقى قادة المسلمين وشعوبهم
بالتعاون على إقامة نظام اقتصادي متفق مع مبادئ
الاسلام وقواعد العدالة الاجتماعية .

بوضع أسس التعاون الاقتصادي بين الدول
الاسلامية ليكون هذا التعاون عاملا فعالا على
التنمية الاقتصادية التي هي أهم معركتنا ضد
الصهيونية والاستعمار ولتحقيق الرخاء ورفع
المستوى العام للشعوب الاسلامية .

وأهم الخطوات لذلك :

1 - انشاء مجلس اقتصادي اسلامي مشترك
تمثل فيه جميع الدول الاسلامية لتنسيق العلاقات
الاقتصادية على أساس التكامل والتعاون .

2 - وضع مخطط مشترك يهدف إلى تبادل
الخبرات والمعلومات وتشجيع التجارة والمبادلات
الاقتصادية .

3 - يقوم هذا المجلس باعداد المعاهدات
والاتفاقيات والتوصيات اللازمة للسير نحو وحدة
اقتصادية اسلامية .

أ - باقامة سوق مشتركة .

ب - بإزالة الحواجز الجمركية تدريجيا .

ج - بتسهيل استقبال الاشخاص والبضائع

د - بتشجيع المشروعات المشتركة بين
الدول الاسلامية واستخدام رؤوس الأموال
الاسلامية في داخل العالم الاسلامي لفائدة الشعوب
الصغيرة والبلدان المزدهمة بالسكان وانشاء
مصارف مشتركة تقوم بذلك على أساس لا ربوي .

4 - انشاء بنك دولي اسلامي للانشاء والتنمية
على أساس لا ربوي .

5 - تشجيع تبادل الخبرات الفنية ورؤوس
الأموال الاسلامية .

6 - انشاء غرفة تجارية وصناعية مشتركة
والتعاون في الدراسات الاقتصادية ونشر المعلومات،
والعناية بصفة خاصة بمباحث المذهب الاقتصادي
في الجامعات الاسلامية .

7 - تشجيع سياحة المسلمين للبلدان الاسلامية
وتنظيم وسائلها والتعاون في صناعاتها .

8 - عقد مؤتمر دوري لوزراء الاقتصاد في
الدول الاسلامية والعمل على تأسيس جامعة علمية
اسلامية كبرى لبعث الثقافة والفكر الاسلامي
والعمل على توحيد الاتجاه العام للمسلمين .

وان الملتقى الاسلامي الذي لمس أعضاؤه الجهود
التي تبذلها الحكومة والشعب الجزائري لإقامة
مجتمع متعادل مبني على أساس الشريعة الاسلامية
وقواعد اشتراكية مؤمنة ببناءة يحيي هذا الشعب
النبيل وقادته الكرام وعلى رأسهم السيد هواري
بومدين رئيس مجلس الثورة الجزائرية .

ويعرب عن أمله الكبير في أن تتبنى الحكومة
الجزائرية هذه المبادئ وتدعو إليها ليتحقق بذلك
معنى هذا الملتقى الاسلامي وما يرمز إليه من
تضامن اسلامي متين .

اللغة والثورة الثقافية

اللغة العربية لغة الادارة فى جميع المرافق الحكومية وغير الحكومية .

3 - القيام بتربية لغوية منظمة على مستوى الفرد والاسرة والمجتمع وخلق جو يمكن العربية من أن تحتل المكانة اللائقة بها ، وذلك عن طريق وسائل النشر والإعلام المختلفة .

4 - جعل اللغة العربية لغة التعليم فى جميع مراحلها ، ودراسة تجربة جامعة دمشق فى تدريس العلوم الطبيعية والطبية بالعربية والاستفادة منها فى امكان تعميمها فى سائر الجامعات العربية .

5 - بذل الجهود لتيسير نشر الكتب والصحف والمجلات العربية على أوسع نطاق ، والقضاء على جميع المعوقات التى تحول دون تداولها فى جميع الاقطار العربية والإسلامية .

6 - الحرص على كتابة الرسائل الجامعية عموما باللغة العربية والتوصية بأن يكون جامعاتنا الاشراف الفعلى على الرسائل المتصلة بالدراسات ذات الطابع العربى والإسلامى والعدل فورا عن الحطة المتبعة حتى الان من ترك الهيمنة على تاريخنا وثقافتنا للجامعات الاجنبية بدعوى انها أكثر تخصصا وموضوعية .

7 - التعاون مع الجامعات العربية والمجامع العلمية لوضع معاجم تقي بالمصطلحات الحديثة فى جميع فروع المعرفة الانسانية لتكون مراجع معتمدة موحدة ، والعمل على اعادة طبع ما نفد من المعاجم الموجودة وجعلها فى متناول الباحثين .

8 - منع جميع انواع النشاط البشرى الذى تقوم به المؤسسات الاجنبية تحت ستار الاعمال الخيرية .

9 - تنظيم دورات لغوية ثقافية فى البلاد العربية من أجل التمكين من اللسان العربى والتعرف على الحضارة الاسلامية . مع استخدام أحدث الوسائل فى تعلم اللغات .

بما أن هدف الثورة الثقافية تصحيح الوضع الثقافى الراهن فى الوطن العربى والإسلامى ، وصيانة التراث القومى واقامة حضارة أصلية . وبما أن اللغة العربية من حيث كونها لغة القرآن الكريم تقوم بدور هام فى الثورة الثقافية على مستوى الوطن العربى من جهة ، وعلى مستوى العالم الإسلامى من جهة أخرى .

وبما أن اللغة مكون أساسى من مكونات الشخصية والحضارة ، من حيث انها تجمع بين الحفاظ على التراث الإسلامى والاستفادة من منجزات العصر .

وبما أن ضرورات التنمية والبحث العلمى فى الاقطار النامية تستلزم التفتح على العالم الخارجى بمدومة الاطلاع على التراث العالمى .

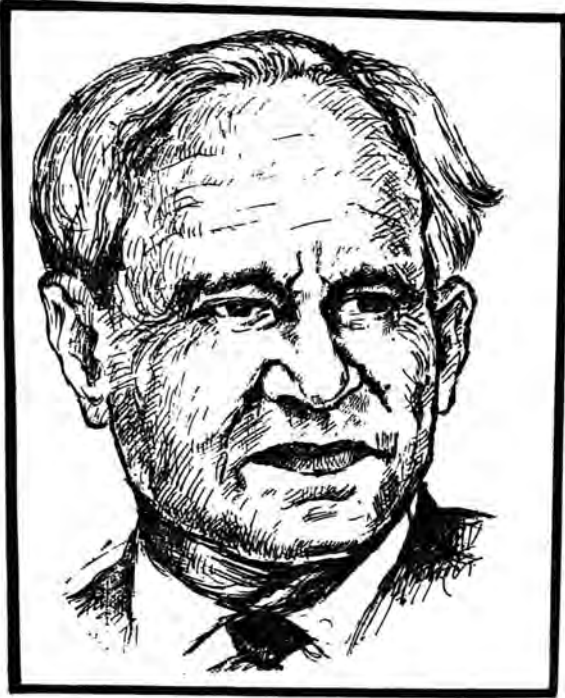
وبما انه قد كان واضحا من البحوث التى القيت فى الملتقى الخامس عن اللغة والثورة الثقافية أن اللغة العربية ، رغم الجهود التى بذلت حتى الان لتنميتها فى البلاد العربية لا تزال دون ما يرجى لها أن تبلغه ، وأنها معرضة فى بعض البلاد الإسلامية لتخطيطات استعمار ثقافى هدفه ابعاد المسلمين عن مصادر ثقافتهم الاصيلية .

فان الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامى المنعقد بمدينة وهران من 27 جمادى الاولى الى 9 جمادى الثانية 1391 هـ الموافق لـ 20 - 31 يوليو 1971 م :

اذ ينوه بالجهود المثمرة التى تبذلها الجزائر الناهضة فى ميدان التعريب ، واذ يعهد لوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية مساعيها المتواصلة فى تأكيد هذه المعانى فى جميع المجالات ، يوصى بما يلى :

1 - تعبئة جميع الطاقات والامكانيات لمحو الامية فى أوساط الجماهير الشعبية .

2 - اتخاذ ما يلزم الاجراءات الكفيلة بجعل



مع

التيارات

الفكرية

العالمية

اجرى هاريمان شيلر ، مدير مجلة دويتشه شبيجل
الالمانية حديثا مع الفيلسوف هربرت ماركيوز ، كان
هو آخر حديث ادلى به الفيلسوف قبل وفاته مباشرة .
ومجلة «الاصالة» تقدم نص هذا الحديث :

- هل مازلت عند الراى القائل بوجود بروليتاريا
جديدة فى المجتمعات المتقدمة مخالفة
(لبروليتارية) كارل ماركس ؟

آخر حديث للفيلسوف

ماركيوز

ليس هناك شك فى ان الدول المتخلفة تعاني مشكلتين رئيسيتين هما :

1 - التربص او الهجوم الاستعمارى بواسطة الاستعمار المباشر او الانقلابات التى
تؤدى الى استبدال النظم الوطنية بنظم تتيح للاستعمار القديم او الجديد ان يستمر فى
حرمان الدول المتخلفة من ثرواتها وان يوقف تقدمها .

2 - قضية التخلف الراهن علميا واقتصاديا واجتماعيا وحضاريا ، بل قضية استمرار
هذا التخلف (بسرعة المتوالية الهندسية لا بسرعة حسابية) اذا ما قورن هذا التخلف
بالتقدم العلمى والحضارى فى الدول المتقدمة

- أعتقد أنك تستند الى بعض المصطلحات التي كنت استخدمها في كتاباتي القديمة عن البروليتاريا الجديدة . واعترف أن هذا التعبير لم يكن موفقا ولكن قصدت منه تأكيد أن البروليتاريا الماركسية اهتز مكانها اليوم بعد أن تغيرت طبقة العمال مع تغير ظروف المجتمع الرأسمالي المتخلف . فالإحصائيات تؤكد اليوم ارتفاع أعداد المهندسين والفنيين والعلماء نتيجة للتقدم التكنولوجي وأصبح التساؤل اليوم عن تكوين الطبقة العاملة . . ولا بد من تغيير موقف العامل «بأنه من يملك فقط قوة عمله» . . . فالمهندس يملك قوة عمله مثل العامل اليدوي تماما . . ومع ذلك فمصلحته مع صاحب العمل ورأس المال أكبر من مصلحته مع العامل بالمعنى التقليدي . . لذلك فاختلاف ظروف المجتمع الرأسمالي نتيجة للتقدم التكنولوجي لا بد وأن يصاحبه تغير في التعريفات وتقسيمات الطبقات الاجتماعية .

- هل يعني هذا ان الطبقة العاملة يمكن أن تدخل في إطار برجوازي ؟

- أعتقد من الأفضل ان يكون السؤال : هل يمكن أن تصبح الطبقة العاملة «برجوازية» ؟ ! والإجابة « بنعم » خصوصا في الولايات المتحدة وكذلك في ألمانيا الغربية . . ثم تكون بدرجة احتمال أقل في فرنسا . . وأقل بكثير في إيطاليا . . فالتحول الكلي . . العميق . . الذي أصاب الطبقة العاملة نفسها يبدو واضحا وخاصة في الاتجاه المضاد للاتجاه البروليتاري وذلك لأن العامل الصناعي في أمريكا - مثلا - يحصل الآن على امكانيات تفوق حاجاته الضرورية (فيما عدا الزنوج بالطبع) . . وهذا هو الاتجاه السلبي في الحركة العمالية ، أما الاتجاه الإيجابي

فيتمثل في الوعي بتناقضات الرأسمالية وشروطها . . وهو أمر يمكن استثماره لصالح الثورة . . وهذا الاتجاه الإيجابي يسفر عن قوة متطرفة ضد النظام البرجوازي بأكمله .

- لو عدنا لحركة الشباب وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية . . فهل ترى في هذه الحركة . . وهذه الاحتياجات الجديدة في الحركة التي يتزعمها اليسار من الطلبة بدايات للانسان الجديد ؟ !

- نعم . . أرى البداية فيها . . لقد حاولنا وضعها في كتابي « دراسة عن التحرير » ولكنني أحب أن أشير الى شيء يؤكد ظهور قيم جديدة في الحركة الاجتماعية وأنا على علم تام بأنني بذلك سأعرض نفسي بحماس للسخرية .

ينبغي لنا أن نتعود على مناقشة فكرة لا يمكن تصورها بالفعل من اليسار القديم وهي أن الثورة في الدول المتقدمة صناعيا وإن أتت على الإطلاق فإنها على الأرجح لن تأتي نتيجة للفقر والبؤس . . لأن هذه البلاد غنية بتقدمها ومن الصعب الآن التعبير عن احتمالات المستقبل .

- هل ترى ان تشكيلات اليسار الجديد وتنظيماته قادرة على تغيير المجتمع البرجوازي ؟

- هذا السؤال لا يمكن الجواب عليه الا على أساس الارتباط التام بالتطبيق الفعلي . . وعلى العموم لا يمكن القول بأنه يجب على اليسار الجديد أن يجد أنظمة تناسب أشكال التنظيم والتركيب الرأسمالي الجديد . . وتناقضه . . وعلى كل حال لقد اتضح ان الأشكال التقليدية للنقابات والاحزاب الشعبية والتي تتصف بالمركزية

المطلقة الى حد كبير أو قليل قد أصبحت عتيقة
بالنسبة للعالم الرأسمالى .

فى أمريكا لا توجد على الاطلاق حركة عمالية
سياسية بالمعنى الثورى .

- لقد قيل عنك - استاذ ماركيز - انك
تفصل بين الحركة الطلابية والحركة
العمالية ، فما مدى صحة هذا الكلام ؟

- اخيرا .. ما هو موقع حركة الزنوج فى
امريكا من خريطة اليسار الجديد هناك ؟

- السود والملونون مازالوا حتى هذه الساعة
يتعرضون للاضطهاد اليومى .. فالسخرة مازالت
مستمرة فى امريكا والحركة السوداء هناك والتي
يطلقون عليها (الفهود السوداء) هى جزء من حركة
اليسار الجديد والتي يأخذ الاتجاه التقدمى
بالرغم من كل المحاولات المضادة لتخريبها
وتشويه صورتها .

- هراء .. لان هذا يعنى اننى أستطيع أن
أفصل كل ما هو متصل فى الواقع الاجتماعى ..
ولا أعتقد بأى حال ان التأكيد على دور الحركة
الطلابية يمثل الاستهانة بقوة النظام الرأسمالى .
بالعكس وأكرر ان النظام ليس فى وضع ثورى
فالمهمة تتمثل فى هذه الحالة فى الاستعداد .
أى فى الانطلاق الواعى .. لا مما يحدث للطبقة
العامة فقط .. بل ما يحدث لجميع الطبقات
الشعبية باستثناء الحكام .

ولن أكون قد قلت لك سرا يا صديقى من ان
المرأة الامريكية البيضاء مازالت تابعة للرجال..
ومازالت هناك فروق شاسعة بينها وبين الرجل..
وتعامل كمخلوق زنجرى أعلى مرتبة من الزنجرى
العادى .. زنجرى من الدرجة الاولى يعنى .. لذلك
فانا اعتبرها احدى القوى الثورية الهامة بعد
الطلاب للتخلص من هذا المجتمع البغيض .

أما بالنسبة لانفصال الحركة الطلابية عن
الحركة العمالية فهناك السؤال المضاد : أية
حركة عمالية ؟

في
هذا
العدد

افتتاحية

- 2 عثمان شوب
ماذا في الجامعة
دراسات ثقافية وأدبية
- 7 عبد الحميد مهري
التعريب شرط للثورة الاقتصادية والاجتماعية
والثقافية
- 29 محمد عبد العزيز
الاسلام والثورة الزراعية
- 43 علال الفاسي
وجه الجزائر العربي
- 49 احمد بن ذياب
الثورة الجزائرية في الشعر المعاصر
- 54 علي عيسى
عمار الطالبى
بديع الكسم
علاقة الجامعة بالمجتمع
- 63 محمود قاسم
فكرة الخير والشر عند لينتس
- 78 مصطفى عبادة
اليونسكو وآفاق التفاعل بين الثقافات
الانسانية
- 82 جان ييرون
تعريب : ابن عمار الصغير
ما فائدة الانتولوجيا
- 88 رشيد بورويبة
ترجمة : حنفي بن عيسى
وصف الجامع الكبير بقسنطينة
- 100 عبد الرزاق قسون
أبواليقظان أحد رواد الاصلاح في الجزائر
الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر
- 109 عبد المالك مرتاض
قبل الثورة
- دراسات تاريخية
- 116 مصطفى الاشرف
ترجمة : حنفي بن عيسى
الجزائر في تاريخ الحضارة
- 125 تاليف تودين
تقديم : مولاى بلحميس
الصراعات الثقافية في الجزائر في عهد
الاستعمار
- 128 اعداد رابح بونار
ازهار الاحجار
- 131 مع التيارات الفكرية العالمية
- 139 خطاب الاخ بوعلام بن حمودة في بنى مناصر
- 144 خطاب الاخ مولود قاسم في بنى مناصر

ماذا

في الجامعة

إصلاح

وتصالح

ومبادئ

تواصل معركة التحرر الاقتصادي ببلادنا كما تواصل عملية تصفية بقايا عهد التبعية في جميع الميادين . والقلاع الباقية للاستعمار ليست اليوم الا قلاع مقاومة ضئيلة يحتضر فيها اصحابها احتضار المعاندين .

سياسة واقتصاد لا تبعية فيهما ولا مراودة ولا طمع للمستعمر . هذه هي الاوضاع السليمة التي ارادها الشعب والتي ارادتها ثورته الطاحنة . ولكن الاستعمار يراود ويعاند ويطمع كلما بدا له الضعف والتردد في ميدان ما .

اما الثقافة فيجب ان تلتفت اليها ثورتنا اليوم . لان آخر محاولات الاستعمار تتمثل في لغتنا المسلوقة ، وفي الاجيال التي تجرى عليها تجارب التعاون ، وفي بث الخوف والتردد في قلوب الساهرين على الثقافة والتكوين .

عنا كل مسخ وانحلال وانحراف ثقافي . ولا نعرف
في هذا القرن العشرين امة تحررت من الاستعمار
بمطرق ثورية وبقيت متمسكة بلغة مستعمرها

سمعنا في اروقة الجامعة كلاما يروج حول
التعريب وعلمنا بعد التحقيق انه مجرد ايهاءات
لا علاقة لها بالواقع ، ايهاءات تأتي من الفرنسيين
المدافعين عن ثقافتهم أو من الجزائريين الفاقدين
تقتهم في بلادهم وأنفسهم .

ففيما يخص الطلبة يقولون : قبل كل شيء ان الطلبة
لا يقبلون التعريب ولقد اتصلنا بالطلبة فبحثنا
وكررنا البحث فلم نجد من الطلبة من يناوئ
التعريب الا الجماعات القليلة التي أوحى اليها
بان تتقول هذه الاقاول ، أما اغلبيية الطلبة
فيرفون مصالحهم ويعرفون انهم سيصبحون
مسخا بين أبناء شعبهم حينما تتعرب الادارة وكل
مصالح الامة في القريب العاجل .

وهناك طلبة تخرجوا من الثانويات المعربة فما
مصير هؤلاء اليوم ؟ يظهر أن جميع الابواب
مسدودة في وجوههم وذنبهم الوحيد انهم يعرفون
العربية . لقد سمعنا بفتح قسم معرب في كلية
العلوم ولكن المناورات التي حيكت حول هذا
القرار زيادة على التخوفات والترددات لا ينسب
عن حسن نية كل الموظفين . قيل عن عدد المسجلين
لهذا القسم لا يتجاوز بعض الافراد . ثم ظهر بعد
البحث ان الاعلانات لم تقع ، وان الاساتذة لم
يستعدوا في الوقت المناسب ، وان الطلبة
المرشحين طردوا من ابواب الادارة بدعوى
تأجيل التعريب في العلوم . فمن المسؤول عن
كل هذه المناورات ؟

لقد وقع الشروع في الاصلاح الجامعي تحت
شعار التخلص من قيود الاستعمار وتحت شعار
التعريب - وتحت شعار مسايرة الثقافة للتحرير
الاقتصادي والحروح من التخلف - وحددت المبادئ
تحديدا واضحا لم يبق معها شك ولا تردد . ولكن
تطبيق المبادئ لا يمكن الا أن يثير الصعوبات .

لقد تجولنا في اروقة الجامعة واقسامها واستمعنا
للطلاب والاساتذة والموظفين ، وحصلت لنا
انطباعات كان لا بد من الادلاء بها للمسؤولين
وللرأى العام الجزائري في هذه السطور .

ان اول انطباع حصل لنا كان شبه دهشة
من تباين المواقف امام هذا الاصلاح الجامعي فمن
محيد ، ومن ساخط ، ومن متردد ، ومن محايد .
ولا يمكن الا أن يقال عن هذا التباين بانه حالة
مرضية ترجع الى التشتت الثقافي الموجود في
بلادنا . فالأقليات الثقافية لازالت متنافرة أشد
التنافر ، ويظهر أن آمال الانصهار قد فقدت
في المستقبل القريب .

يبدو أن المواقف الشخصية سواء عند
الاساتذة أو رجال الادارة قد تغلبت على المبادئ
نفسها حينما وقع الشروع في التطبيقات فكل
يفهم هذه المبادئ حسب مشاربه وهواه ومصالحه
الخاصة .

لقد توجه بحثنا في هذا المضمار الى مشاكل
التعريب على الخصوص لان التعريب هو المبدأ
الاساسي الذي ينطوي على كل المبادئ الاخرى
فبالتعريب نسترجع شخصيتنا وبالتعريب نتخلص
من آثار الاستعمار والتبعية . وبالتعريب ننفي

اما فيما يخص مزاعم ذوى الاغراض : حول اللغة العربية نفسها فكثيرة .

يدعون ان العربية لا تستطيع ولن تستطيع ان تكون لغة العلم ، ومن أجل هذا يجب أن لا تفتح أقسام عربية في الكليات العلمية والفنية . ونحن نأسف لهذه الدعاية المغرضة التي تكشف عن روح استعمارية سواء عن وعى أو غير وعى ، فليست الجزائر هي الامة الوحيدة التي تريد الشروع في عملية تعريب للعلوم بل سبقتنا تجارب أخرى في بلاد شقيقة ، ويبدو ان العربية ليست دون العبرانية والفيتنامية في تحملها للتفكير العلمى . ولقد أخبرنا بعض الطلبة العربيين بأنهم اخرجوا من أقسام في كلية الآداب لأن بعض البرامج أصبحت علمية هناك وانه فرض فيها التدريس بالفرنسية لان الفرنسية هي اللغة العلمية الوحيدة ببلادنا ، فيما يزعم المشرفون على هذه الاقسام الفرنسية . يظهر أن هناك محاولة لاقتناع الطلبة بأن اللغة العربية لغة الادب ولغة الادب فقط . وهذا أكبر تدليس على كيان لغتنا وثقافتنا ومستقبلها التحررى .

اما فيما يخص المشاكل التربوية : فيظهر أنها موجودة حقا ، فهناك طلبة ضعاف المستوى في العربية ، ولكن يظهر أن السياسة التي اختيرت حتى اليوم ، مسائرة هؤلاء الضعاف عوضا عن العزم على تقويتهم ، أما الاقوياء في العربية فلا يحسب لهم حساب بل يبدو أن جميع الاسباب

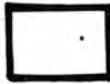
تسد في وجوه الطلبة العربيين باستثناء الآداب في أقسامها المؤدية الى التعليم الثانوى ، ويبدو ان هذا التماطل والتباطؤ في اتخاذ تدابير صارمة لتعريب الطلبة الضعاف ، نوع من التدليس حتى تستمر هيمنة اللغة الفرنسية ابد الأبدين .

وهناك اشاعة رائجة يدعى اصحابها ان التعريب يؤدي حتما الى انخفاض المستوى الثقافى ، على وجه العموم ، وقد أعطيت لنا بعض الامثلة بهذا الصدد . ولكن يظهر بعد البحث ان المستوى الثقافى قد عرف بعض الانخفاض فى كل من الاقسام الفرنسية والاقسام المعربة وليس لهذه الظاهرة أى اتصال بالتعريب .

التخوفات : أما الجو العام الذى يلاحظه الملاحظ في الجامعة اثناء معركة الاصلاح فهو التخوف والتردد فيما يخص تطبيق المبادئ ، وقد رأينا « ان المطبقين يخطون خطوة الى الامام يخطون الى الوراء فيتصالحون مع المتأولين ، ويسايرون الظروف ، ويدعون للصعوبات . ولا يستبعد ان تكون هناك قوى خفية منظمة تحرك الخيوط وتبنى الجبهات ضد التعريب ، فالتصالح مع أعداء المبادئ على حساب المبادئ خطر على مستقبل ثقافتنا ، وإذا اردناه اصلاحا صحيحا فيجب قبل كل شيء أن نوضح المواقف وان نقول بأن الاصلاح يكون بالتطبيق المخلص للمبادئ لا بالتصالح مع الظروف والرجال .

عثمان شبوب

دراسات
ثقافية
وأدبية



التعريب

شرط للثورة

فالتعريب هو اذن تصحيح
للموضع اللغوى المفتعل الذى خلفه
النظام الاستعمارى وبالتالى فهو جزء
لا يتجزأ من معركة التحرير الوطنى
الكبرى ، كما انه تصميم لوضع لغوى
سليم يجب ان يستجيب لرغبات
الشعب العميقة .

وبهذا الاعتبار فهو مطلب أساسى من متطلبات
الثورة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ولم تنل قضية التعريب - بالنظر للاهمية التى
تكتسبها - ما تستحق من دراسة وبحث ،
فالنصوص الاساسية التى صدرت حتى الآن عن
القيادات الثورية فى الجزائر سواء فى ذلك
مشروع طرابلس أو ميثاق الجزائر تكتفى فى
هذا الموضوع بالعموميات وقد يكون هذا الامر
مقبولا فى مثل هذه النصوص بالنظر الى الظروف

يمكن ان نعرف التعريب بأنه اقامة علاقة
جديدة بين اللغة العربية ، وهى اللغة الوطنية
للبلاد ، وبين اللغة الفرنسية التى احتلت فى ظل
النظام الاستعمارى ، وعلى حساب اللغة العربية ،
مكانة ممتازة وغير طبيعية فى مجالات الحياة
المختلفة ، الادارية والاقتصادية والثقافية .

وهذا التعريب على بساطته قد يساعد على وضع
قضية التعريب وضعاً صحيحاً ويبعد بعض المفاهيم
الغاطلة التى قد تلتصق بلغة التعريب .

عبد الحميد محرى

الأمين العام لوزارة
التعليم الابتدائي والثانوى

الاقتصادية والثقافية والاجتماعية

تطبيقها وقد ساعد على انتشار هذه النظرية أن أبرز مبادرات التعريب تمت فى ميدان التربية والتعليم وهو الميدان الذى تكتسى فيه هذه القضية صبغة من التعقيد لا جدال فيها وفيه تبرز كل جوانبها السياسية والاجتماعية والتربوية ، ولذا كان الانطلاق فى درس قضية التعريب من ميدان التربية الوطنية يساعد على ايجاد خطة للتعريب تشمل سائر الميادين الاخرى . وهذا ما يبرز أهمية المناقشات التى تدور الآن فى اطار لجنة اصلاح التعليم والتى يجب أن تستمر وتتعلم وتستهدف أولا القضاء على الرهبة من مناقشة هذه القضية مناقشة موضوعية هادئة .

واعتقد ان عناصر هذه المناقشة البناءة يمكن أن تتلخص فى النقاط التالية :

التي حررت فيها . ولكن المناقشات التى دارت بعد ذلك حول هذا الموضوع لم تتعد هذه الحدود الا نادرا بل كانت فى بعض الاحيان تنزلق نحو الجدال اللفظى العقيم الذى لا يشجع على الدرس والبحث .

ولم يكن حظ التعريب فى ميدان التطبيق اوفر منه فى ميدان الدراسة النظرية ، فقد اتخذت - منذ الاستقلال - مبادرات عديدة لاجراء التعريب الى ميدان التطبيق ولكن هذه المحاولات لم يكن يربط بينها منطق واضح ، وهذا طبيعى مادامت الاسس النظرية لم تتضح ومادامت الجهود المبذولة لا تندرج ضمن خطة عملية موحدة ، وهذا ما جعل التعريب فى نظر البعض قضية معقدة لا يعرف من أين يبدأ درسها ولا الى أين يؤدى

العربية نفسها والتقدم التي أحرزت عليه كأداة لنقل العلوم والمعارف الحديثة والتجربة التي مرت بها كلفة تدرس لجميع المواد وفي جميع المستويات في بعض البلاد العربية يجعلنا نطمئن الى هذا الحكم . صحيح ان اللغة العربية لم تتقلب على مشاكلها بعد ، سواء منها ما يتصل ببنيتها كلفة او ما يمس علاقتها بالمجتمعات العربية او اللغات العالمية الاخرى . ولكن هذه المشاكل لا يمكن ان تقوم حجة لحصر مجال اللغة العربية لان حل هذه المشاكل يتوقف - بقسط كبير - على استعمال اللغة العربية في جميع مجالات الحياة .

ثانيا - ان الهدف الذي يظهر اننا نرمى اليه من تدريس اللغة الفرنسية في مدارسنا هو مساعدتنا على الاتصال بالحضارة العلمية والتقنية الحديثة . ولكن مناهج اللغة الفرنسية وطرق تدريسها لم تتطور كثيرا عما كانت عليه قبل الاستقلال ما عدا بعض الاتجاهات التي ظهرت في المرحلة الابتدائية نتيجة التغيرات الناجمة عن التعريب . فتدريس اللغة الفرنسية مازال يعتمد على الوصف الادبي والمناهج مازالت مكثفة بالدراسات الادبية ، ونتيجة ذلك كله ضعف الطلاب في التعبير بلغة سليمة ودقيقة في جميع مستويات التعليم وفي جميع المواد وفي مقاديرها المواد العلمية بحيث نستطيع ان نقول بان اللغة الفرنسية كما تدرس الآن في مدارسنا لا تساعد على الانفتاح على العلوم والتقنيات الا لكونها تنفرد بتدريس هذه المواد .

ولهذا ينبغي ان نجدد نظرتنا لتعليم اللغة الفرنسية بحيث تدرس لغة وظيفية تمكن التلميذ

1 - الى اى مدى يمكن ان تفضلح
ان لغة العربية بدور اكبر في
نظام التعليم وفي مجالات
الحياة الاخرى ؟

2 - هل تخدم اللغة الفرنسية كما
نعلمها اليوم في مدارسنا
الاهداف المحددة لها نظريا ؟

3 - ما هي العلاقة الجديدة التي يجب
ان تقام بين اللغتين على ضوء
نتيجة بحث النقطتين
السابقتين ؟ وبعبارة اخرى
ما هو نوع ودرجة الازدواجية
اللغوية التي يمكن ان تطبق
في نظامنا التعليمي ؟

4 - ما هي الطريقة التي نسلکہا
للتدريج في تطبيق النظام
الجديد ؟

5 - ما هي الاطارات التي تعتمد
عليها لانجاح التعريب ؟

وانى ابادر باعطاء رأيي الخاص في النقاط
السالفة بايجاز وارجو ان تستمر المناقشة
حولها حتى تبرز النتائج واضحة يطمئن لها
الجميع .

اولا - اعتقادي ان اللغة العربية يمكن ان
تفضلح بدور اكبر في نظام التعليم كلفة وحيدة
لتدريس جميع المواد في جميع المستويات ، ولا
ابنى رأيي هذا على ما ادته اللغة في الماضي من
خدمة للحضارة الانسانية بل ان حضارة اللغة

من القدرة على التعبير الصحيح ومن التمكن من الاداة اللغوية مباشرة لا عن طريق الدراسات الادبية الموسوعية .

ثالثا - ان العلاقة بين اللغة الفرنسية واللغة العربية قائمة الآن على تخصيص كل من اللغتين بتدريس مجموعة معينة من المواد . فاللغة العربية هي الاداة لتدريس المواد الادبية . واللغة الفرنسية هي الاداة لتدريس العلوم والتقنيات . وهذا التخصيص في رأي خطأ كبير من الناحية القومية والتربوية واللغوية ولا يبرز الاعتقاد بمعجز اللغة العربية عن تدريس المواد العلمية او الميل لسلوك الطريق الايسر .

والعلاقة الجديدة بين اللغتين يجب ان تقوم على اساس وحدة لغة التدريس التي يجب ان تكون هي اللغة العربية . وابقاء اللغة الفرنسية كلغة اجنبية اولى يمكن البدء في تدريسها من السنوات الاخيرة للتعليم الابتدائي .

رابعا - اما كيفية التدرج في اقامة هذا النظام الجديد فهي مسألة هامة تحتاج الى دراسة مفصلة ولكن الطريقة المثلى هي التي تسمح بالبدء في تطبيق سياسة التعريب في الحين على ان يتدرج هذا التطبيق على مراحل مدروسة ووفق مخطط واضح . واعتقد ان الطريقة التي تتوفر فيها هذه الشروط والتي تضمن لاجيال الانتقال تعليما منسجما وحظوظا متساوية في متابعة التعليم الى ابعد مدى ممكن هي تعريب مجموعات من المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية في كل مرحلة . وتوسيع هذه المجموعات حتى يتم

تعريب النظام التعليمي كله . والذي يؤخذ على هذه الطريقة هو فصم وحدة النظام التعليمي في مرحلة الانتقال وتجاوز مدرستين مختلفتين طيلة هذه المدة . ولكنني اعتقد انه مادامت المناهج واحدة والمواد الادبية تدرس كلها باللغة العربية في المدرستين فان الفرق بينهما يبقى ضئيلا وهو ينحصر في تدريس المواد العلمية باللغة العربية في المدارس الجديدة وباللغة الفرنسية في المدارس الانتقالية .

خامسا - اما الجواب على السؤال الذي اصبح يتردد كثيرا وهو : من يقوم بالتعريب ؟ فهو في رأي جميع الاطارات الجزائرية لان قضية التعريب قضية وطنية لا تستغنى عن جهود جميع الجزائريين وكلاءاتهم مهما كانت لغة ثقافتهم الاولى .

وقد يختلف نوع المشاركة في معركة التعريب من منقذ لآخر وقد تختلف نقطة البدء في هذه المشاركة ولكن الذي يجب ان يجمع الجميع هو الشعور بخوض معركة واحدة لمصلحة الشعب الجزائري كله .

واعقادي ان هذا الامر ميسور ولازم في ميدان التعليم على الاخص . فالاتهامات التي توجه للبعض بان ما يهمهم من قضية التعريب هو التطلع لمراكز اجتماعية معينة او التي توجه للبعض الآخر من تشبههم بنفس هذه المراكز هو الذي يمل عليهم موقفهم من قضية التعريب لا تأخذ بعين الاعتبار واقعا اساسيا وهو ان المعركة التي تخوضها الجزائر ضد التخلف تتطلب جهودا مضاعفة من جميع ابنائها .

هذا أصل المقال الذي نشر بالفرنسية في مجلة «الثورة الافريقية» عدد 19 جوان 1970 .

مشاكلنا التربوية

وكيف يعالجها

ابن خلدون

عبد الله شريط

استاذ بكلية الآداب - جامعة الجزائر

ليس من السهل ان نبحث قضية التربية والتعليم عند ابن خلدون، او اى موضوع آخر ، اذا لم نفحص بدقة وانتباه ، كل صفحة من المقدمة ، لان غزارة الافكار التى ازدحمت عند الرجل ساعة كتابتها . وقد كتبها كلها فى مدة خمسة اشهر ، ومن ناحية اخرى فان عدم تقدم مزاهج البحث تقديما كافيا فى عصره . جعله يدون الافكار اكثر مما ينظمها . وهذه الصعوبة هى التى جعلت كثيرا من الباحثين يكتفون بدراسة المواضيع عند ابن خلدون لا حسب ما سجله عن هذه المواضيع فى كل المقدمة ، بل حسب عناوين الفصول التى لا تحوى فى الواقع الا جزءا من تلك المواضيع . وهذا سواء كان الامر يتعلق بالتعليم او غيره ، فانت تجد مثلا الطبعة الثانية من



ابن
خلدون

الديني المتزمت ولا بالمذهب التجريدي كما نجدها عند اهل السنة والمعتزلة . وليس هو بالوصايا والحكم وجمع الاقوال وتوزيعها يمينا وشمالا كما فعل الجماعون من اهل عصره . بل اقرب وصف يمكن ان نطلقه على مذهبه بشيء كثير من الصلق هو وصف الواقعية الذي أطلقه عليه الاستاذ ناصف ناصر في كتابه « التفكير الواقعي عند ابن خلدون » ولكن من الاسف ان الاستاذ ناصف ايضا لم يتعرض لموضوع التربية عند ابن خلدون. بالرغم من ان كتابه يعد من اهم ما كتب عن فيلسوف المغربي الشهير .

ولكن ليس معنى هذا ان مذهب ابن خلدون بلغ من الكمال حدا لا يضاهي وانما نحن واجدون فيه ما نحن واجدوه في غيره من النقاظ والتناقضات وعدم استيفاء كثير من المسائل حقها من البحث . أو الافراط في العناية بمسائل أخرى

كتاب « آداب المتعلمين ورسائل أخرى في التربية الاسلامية » وهي رسائل لآخوان الصفا وابن جماعة والغزالي وابن خلدون ونصير الدين الطوسي وابن حجر الهيتمي . هذه الطبعة التي تعد من آخر ما برز في الموضوع ، اذ طبعت سنة 1967 ، يعطى فيها جامعا أكثر من تسعين صفحة لابن جماعة نقلها عن كتابه « تذكرة السامع » ويخصص لابن (خ) عشر ورقات . في حين أن افكار ابن جماعة مثل افكار نصير الدين الطوسي أو ابن حجر لا نسبة لها من المستوى الذي تبلغه افكار ابن خلدون في هذه المادة . كذلك نجد ما نقله الاستاذ شلبي في كتاب « تاريخ التربية الاسلامية » من المقدمة لا يتجاوز تسع فقرات صغيرة في كتاب لا يقل عن 450 صفحة . وأكبر من أولى اهتماما لابن خلدون في هذا الموضوع حسبا نعلم هو الاستاذ المرحوم ساطع الحصري في كتابه « دراسات عن مقدمة ابن خلدون » اذ يخصص فيه ما لا يقل عن أربعين صفحة لموضوع التعليم من مجموع حوالي 650 صفحة . ولكن المؤلف مع ذلك اكتفى بنقل الفقرات نقلا على حساب التحليل واستخراج النتائج وإبراز المبادئ التي أقام عليها ابن خلدون فلسفته التعليمية . ونقول فلسفته التعليمية لان له مذهباً خاصاً لم يشاركه فيه غيره ، وهو وحده الذي نستطيع ان نقول عنه بان له مذهباً حقيقياً تتوفر فيه أغلب ، ان لم تكن ، كل عناصر المذهب من قاعدة عامة في التفكير وانسجام مطرد في الهيكل المذهبي ، ودقة في التحليل وتجرد خلقى وعلمى نادر المثال . ومذهبه هذا ليس بالمذهب المادى ولا بالمذهب العقلى ولا بالمذهب الروحي الى غير هذا من المذاهب التي تعودنا تعدادها في التفكير القريب الحديث أو اليوناني القديم ، ولا هو بالمذهب

لا تستحق كل تلك العناية . ولكن هذه النقائص لا نعثر عليها الا في مجال المقارنة مع أشباهه من المذاهب الكبرى التي سيطرت على الفكر الانساني منذ العصر اليوناني الى اليوم والتي لا يخلو واحد منها من تلك النقائص نفسها .

اننا اذا اردنا ان نتحدث عن خصائص مذهب ابن خلدون هذه فان ذلك سيتطلب منا معاصرة خاصة او كتابا كاملا . ونحن اليوم نأخذ قطرة من هذا البحر او قطعة واحدة من هذا المنجم الكبير . معتبرا سلفا عما يمكن ان يكون في هذا البحث من تقصير فإني لم أجد امامي ما استعين به على ايفاء الموضوع حقّه ، ولأن أغلب الذين كتبوا عن ابن خلدون ، استهوتهم منه المواضيع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، اما الناحية الفكرية والثقافية فما تزال فيما اعلم لم تبحث بعد .

بل حتى موضوع التربية والتعليم في فلسفة ابن خلدون سنضطر الى الاكتفاء منه بعنصرين فقط ، لان بحثه كاملا يستحق وحده مؤلفا خاصا .

ان ابن خلدون قد بحث هذا الموضوع من عدة زوايا : الزاوية الاجتماعية ، والنفسية ، والفلسفية الماورائية ، والدينية وحتى السياسية ، وهذه هي أهمية الموضوع في نظري عنده . لان التربية هي هذه الميادين كلها ، أو أن كل ميدان منها يلعب دوره في التعليم ، والتعليم لابد أن ينتهي الى كل منها .

ولكن هنا نجد صعوبة جديدة ، لان ابن خلدون لم يعقد فصولا معينة يتحدث في كل منها عن ناحية محددة من هذه النواحي . وعن كيفية ارتباط التعليم والتربية بها ، وانما هي تحليلات غاية

في الدقة وآراءه في منتهى الصحة موزعة هنا وهناك تتطلب تنظيما جديدا وعرضا خاصا وطريقة معينة واضاءة مستحدثة تكشف لنا تلك الكنوز فنجدها ما تزال محتفظة بروعتها ، بل نجدها لا تأخذ قيمتها العظمى الا على ضوء تجاربنا الانسانية الكبرى اليوم .

فنحن اذن لن نبحث كل هذه النواحي ، وانما انتهر هذه الفرصة لاقول لطلبتنا الذين يبحثون عن مواضيع لرسائلهم أو أطروحاتهم : ان هذا الموضوع - موضوع التعليم - يمكن أن يتوزعه عدد كبير منهم لبحثه . فمشكلة المعرفة التي هي الناحية الفلسفية للتعليم جدية بدراسة خاصة عند ابن خلدون ، والناحية الدينية في التعليم عنده تستحق وحدها رسالة . والعناصر النفسية في مشكلة التربية عنده قابلة للدراسة ، والناحية الاجتماعية مع مشكلة اللغة لارتباطهما الوثيق عنده . يمكن أن نتوسع فيها أكثر ونحتل من معينها أرزاقا فكرية لا تقدر بثمن . فضلا عن الناحية الفنية للمبادئ البيداغوجية ، ونظرية ابن خلدون في مشكلة الفصحى والعامية تستحق كل العناية وكذلك موضوع التعليم والاخلاق ... الخ .

اما انا اليوم فقد أخذت في الواقع جزءا معيناً من الناحية الاجتماعية واللغوية من التعليم ، وركزت بالخصوص على انعكاس الوضع الاجتماعي عن التعليم في بلاد المغرب التي ما تزال هذه المشكلة فيها تعد مشكلة اليوم ومشكلة الجيل الصاعد والايغال اللاحقة . واعتقد أن كل محاولاتنا لمعالجة موضوع التربية في بلادنا المغربية



ستبقى معللة ناقصة تموقنا فيها كثير من الصعاب المفتعلة اذا لم نتخذ ابن خلدون نقطة البداية في بحثها . لان علاج المرض في كل جسم ، سواء كان جسم فرد أو مجتمع جسما ماديا أو معنويا ان صبح التعبير ، يتطلب قبل كل شيء الفهم والاحاطة والوضوح ثم التحليل والتركيب . فقاعدة البحث الديكارتي ما تزال صحيحة . ورأى هو أن الحظ ، والحظ وحده ، قد أسعفنا بالقاعدة السليمة التي نبني عليها ملاحظاتنا لشؤون مجتمعنا المغربي هذا ، ومن بينها شؤون التعليم ، وهذه القاعدة هي دراسات ابن خلدون ، وهو حظ لا تتمتع به كثير من الامم . ولكن الحظ لم يحالفنا الى النهاية لانه لم يفتح ابصارنا على هذا الكنز العظيم الى اليوم ، حتى ان حظه من العناية من أجيال اليقظة في عهدنا اليوم ليست أسعد من حظ الاجيال التي خلقت ابن خلدون مباشرة في عهد الانحطاط ، وكان أمنية الرجل التي قال فيها : ولعل آخرين يأتون من بعدى يستكملون النقص الذي أكون قد وقعت فيه ، هذه الامنية ما تزال تنتظر ليس فقط أن تكمل بها نقصه هو ، بل تنتظر أن تستعمل آثاره لفهم مشاكلنا نحن أولا . ان الثروة الاولى التي نستخرجها من دراسة ابن خلدون هي هذا الفهم بالذات ، الفهم الواضح الذي نبني عليه الحكم الصحيح .

المستوى الذي يسمح لنا بأن نستمع الى آرائه يهدوء وبدون انفعال . فقد آن لنا أن ندرك مبلغ الضرر الذي الحقناه بثرائنا الفكري وبعياقرتنا في التاريخ من جراء احكامنا العاطفية على افكارهم التحررية . لان هذه الاحكام ليست خطأ علميا فقط بل هي خطيئة اخلاقية . فنحن ما نزال الى اليوم - كما قال الدكتور محمد مندور : « كثيرا ما تنشر مشاعر الحب والكراهة عن تفكيرنا ضيابة يعنى معالم الحق » !

اذن سنحاول أن نحصر بحث اليوم في عنصرين :

المجتمع والتعليم ، ومشكلة اللغة .

المجتمع والتعليم :

ان النظرة الى مشكلة التعليم من الزاوية الاجتماعية ، أو على ان هذا المشكل هو مشكل اجتماعي قبل ان يكون مشكلا فنيا ، هذه النظرة لا أعلم أننا بحثناها قبل اليوم ، أو أننا تفطننا

هذا وقبل البدء في الموضوع اود أن ألفت الانتباه لنقطة أخيرة هي من مستلزمات الفهم الواضح والحكم الصحيح ، وهي ضرورة التجرد الفكري والارتفاع العقلي فوق مستوى عواطفنا الوطنية والدينية ان لم يكن الى المستوى الذي نشارك فيه آراء ابن خلدون . فعلى الاقل الى

فى عصر نهضتنا الحديثة الى بحثها من كل الزوايا التى بحثها منها ابن خلدون . ان نظرتنا الى مشكلة التعليم ماتزال جزئية ضيقة ، هى نظرة محصورة فى جدران المدرسة لا تتعداها ، هى نظرة الى العلاقة بين التلميذ والكتاب وبين المتعلم والمعلم . وان خرجت الى اوسع من ذلك فالى البيت . وهذا القصور من اخطر العوائق التى تقف بيننا وبين الاهتداء الى حل صحيح لمشكلة التعليم ، فى حين ان النظرة الاجتماعية التى تعد من مستحدثات التفكير الحديث ، هى التى ركز عليها ابن خلدون بحثه لهذه المشكلة . فهو يرى ان مستوى التعليم فنيا مرتبط بمستوى المجتمع حضاريا ، اى اننا لا نستطيع ان نرقى بالتعليم ونحن منحطون فى الميادين الحضارية الاخرى .

1 - « ان تعليم العلم من جملة الصنائع ، والصنائع انما تكثر فى الامصار وعلى نسبة عمرانها فى الكثرة والقلة تكون نسبة الصنائع فى الجودة والكثرة » (991) فالكثرة نفسها فى الصنائع تؤثر على الجودة . والكم على الكيف . ان هناك تلازما يكاد يكون حتميا بين كثرة الصنائع وانتشار الفنون وبين جودتها وارتفاع مستواها . وبين قلتها وندرتها من ناحية الكم وبين انحطاطها وانكماشها من ناحية النوع .

فالمجتمعات التى يكثر عمرانها « تنصرف الى ما وراء المعاش من التصرف فى خاصية الانسان وهى العلوم والصنائع » اما من نشأ فى مجتمعات فاقدة للصنائع فانه حتى ولو كانت له مواهب فردية عالية ولا يجد فى المجتمع ما يشبع هذه المواهب فان مواهبه تبقى مقبورة . وبحرمانه من

التعليم الذى يقدمه له المجتمع يحرم المجتمع بدوره من مواهب الفرد ، وهكذا تكون العلاقة بين الفرد والمجتمع فى مادة التعليم كما فى غيرها ، علاقة تأثير متبادل ، ولكن كفة المجتمع لابد ان ترجح على كفة الفرد لقوة المجتمع العديدة والمعنوية ايضا فيما يرى دوركايم . يقول ن . خ : « واعتبر ذلك فى بغداد وقرطبة والقبروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها فى صدر الاسلام واستوت فيها الحضارة . كيف زخرت فيها بحار العلم وتفتتوا فى اصطلاحات التعليم واصناف العلوم واستنباط المسائل والفنون حتى اربوا على المتقدمين وفاتوا المتأخرين . ولما تناقص عمرانها انطوى ذلك البساط بما عليه جملة وفقد العلم بها والتعلم وانتقل الى غيرها من بلاد الاسلام » (991) ثم ان هناك تفاعلا حيويا بين حياة المجتمع المادية وحياته العقلية هذه تنطبع بتلك وينطبع معها التعليم واساليبه ونتائجه ومصيره . نعم ان المعرفة « تحصل بالفكر الذى يهتدى به الانسان لتحقيق معاشه » ، ولكن الى جانب هذا الفكر لابد من العنصر الاجتماعى الذى يتمثل فى « التعاون والاجتماع المهيء لذلك التعاون » (984) ويظهر هذا فى مستوى الحياة الاجتماعية الذى لا يؤثر على مستوى التعليم فقط بل يؤثر ايضا على الاستعدادات العقلية عند الفرد : « ألا ترى الى اهل الحضرم مع اهل البدو كيف تجد الحضرم متعلما بالذكاء ، ممثلا من الكيس (المهارة) حتى ان البدوى يظنه قد فاته فى حقيقة انسانيته وعقله . وليس كذلك فما ذلك الا لاجادته فى ملكات الصنائع والآداب من العادات والاحوال الحضرية ما لا يعرفه البدوى ، فلما امتلا الحضرم

والاقتان والاجادة ولا الى التوسط . لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع . . . حتى أن المصحف لما رسمه الصحابة بخطوطهم كانت غير مستحكمة في الاجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها . . . ثم اقتفى التابعون ذلك تبركا كما يقتفى لهذا العهد خط ولى تبركا . ويتبع رسمه خطأ كان أو صوابا » (955) وابن خلدون يعرف في عصره ونحن نعرف أيضا في عصرنا ان مثل هذا الكلام لا يحتمله الناس بارتياح لانهم يتصورون ان الصحابة كانوا يحسنون الخط والقراءة والكتابة ولو لم يكن في مجتمعهم ومحيطهم ما يسمح لهم بتعلم هذه الصنعة . ولكن الرجل لا يجاملنا في هذا التفكير فيسمينا « بالمففلين » لاننا « نتوهم النقص في قلة اجادة الخط . في حين ان الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية . والكمال في الصنائع اضافى وليس بكمال مطلق اذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الحلال . وانما يعود على أسباب المعاش . وكان النبي (ص) أميا وكان ذلك كمالا في حقه، وليست الامية كمالا في حقنا نحن ، اذ هو منقطع الى ربه ونحن متعاونون على الحياة » (955) فليس لنا اذن ان نعيب على الصحابة اميتهم من ناحية ولكن ليس لنا من ناحية أخرى أن نعتبر فقدان الكتابة في مجتمع من المجتمعات علامة على التقدم ؟ بل العكس هو الصحيح .

أما ظهور هذه الحقيقة في منطقة المغرب . فهي التي سنتوسع فيها أكثر . أو بالأحرى هي التي توسع فيها ابن خلدون أكثر من غيرها . وهي من ثم تحتل مكانة خاصة في التربية ورواق عمده

من الصنائع وملكاها وحسن تعليلها ظن كل من قصر عن تلك الملكات انها لكمال في عقله وان نفوس اهل البدو قاصرة بفطرتها وجبيلتها عن فطرته . وليس كذلك . فاننا نجد من اهل البدو من هو اعل مرتبة من الفهم والكمال في عقله وفطرته . انما الذى ظهر على اهل الحضرة من ذلك هو رونق الصنائع والتعليم ، فان لها آثارا ترجع الى النفس (990) ويوضح ذلك بدقّة أكثر في تحليله لما نسميه اليوم بالمحيط أو البيئة وتأثيرها على الحياة العقلية فيقول : « ان الحضرة لهم آداب في احوالهم في المعاش والمسكن والبناء وامور الدين والدنيا وكذا سائر اعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم . فلهم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من اخذ وترك حتى كانها حدود لا تتعدى .. ذلك ان كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا » (979) .

وان هذه الحقيقة عند ابن خلدون تظهر أكثر ما تظهر في مرحلتين من تاريخنا العربى والمغربى: او ان شئتم في منطقتين من البلاد العربية . الاولى هي الجزيرة العربية في صدر الاسلام . والثانية هي منطقة المغرب العربى في كل عصوره تقريبا . فاللتعليم في الجزيرة العربية في أول الاسلام لم يكن له شأن يذكر لان « الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتيا . والعرب كانوا امة أمية ، فاخص من كان منهم قارئاً لكتاب بهذا الاسم (القراء) لغرابته يومئذ وبقي الامر كذلك صدر الملة » (1012) ، « وكان العلم في مبدأ هذا الامر نقلا صرفا ، لانظرا ولا رأيا ولا تعمقا » (1004) كذلك « كان الخط العربى لاول الاسلام غير بالغ الى الغاية من الاحكام

ابن خلدون في بحثها الى منهج المقارنة مع المشرق ، مع المنطقة التي تحتل مكانة ارقى في سلم الحضارة او تعقد الحياة الاجتماعية ، وتأثير ذلك على مستوى التعليم: وهناك اصطلاح يستعمله ابن خلدون في مجال الحضارة بصفة عامة وفي المجال الثقافي بصفة اخص وهو اصطلاح تواصل البناء الحضارى من جيل الى جيل وازدهار « انقطاع السند او اتصاله » وهو يقصد به الحياة العقلية من مرحلة لآخرى ، او بالعكس بحيث لا أحد يجد أمامه بناء يزيد في اعلائه ، وانما كل جيل لا بد ان يبدأ من الصفر بالنسبة لمن تقدمه ولأن لحقه على السواء . ان هناك في هذه الحالة انقطاعا في جيل الاتصال بين الاجيال كانها امم مختلفة بعضها عن بعض تتوالى على ارض واحدة في أزمنة مختلفة . فاذا فقد هذا الترابط من حيث الزمن فان الترابط من حيث التراب يفقد معناه . فاذا كنا لا نستطيع أن نكون لانفسنا فكرة عن الزمان الا اذا ربطناها بفكرة المكان في المجال الميتافيزيقي . فان هذه القاعدة تحتفظ بكل قيمتها العملية في المجال الاجتماعى عند ابن خلدون . فتحن نجد بين خراب العاصمة العربية الاولى من بلاد المغرب وهى القيروان ، والعاصمة الاخيرة منها وهى قرطبة ، نجد انقطاعا في المجال الحيوى بين فئات المجتمع واجياله المتعاقبة انعكس في مجال التعليم بالذات ، يقول ابن خلدون « فلما خربنا انقطع التعليم من المغرب الا قليلا كان في دولة الموحدين بمراكش مستفادا منها ، ولم ترسخ الحضارة بمراكش لبداءة الدولة الموحدية في اولها وقرب عهد انقراضها بمبداها . ان هذا ما حدث في المشرق ايضا ، والمقارنة

هنا من ابن خلدون ولكن مع الفارق الهام وهو ان المجال المكاني للحضارة في المشرق كان اوسع ، وكانت هناك ملاجئ متعددة للثقافة تنتقل اليها عند ما يصيبها التدهور ويتعفن عنها الاقليم ، ولم يكن الامر كذلك بالنسبة للمغرب الذي كانت فيه عاصمتان فقط القيروان وقرطبة كانت الاولى بداية متواضعة القيروان ، والثانية نهاية فاجعة هي قرطبة . « واهل الاندلس قد ذهب رسم التعليم من بينهم وذهبت عنايتهم بالعلوم لتناقض عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين ، الا في العربية والادب ، فالفقه بقي اثرا بعد عين ، واما العلوم العقلية فلا اثر ولا عين . وما ذاك الا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقض العمران . . . وشغلهم بمعايشهم اكثر من شغلهم بما بعدها » واما في المشرق فانهم « لما خربت بغداد والكوفة والبصرة انتقل العلم الى عراق العجم ثم الى القاهرة فكانوا على الجملة ارسخ في صناعة تعليم العلم وفي سائر الصنائع » (ص986) ومن صنائع التعليم التي برزت فيها هذه الحقبة العمرانية الكبرى عندنا مسألة الكتابة : « فلما تراجع امر الحضارة بتراجع العمران نقص حينئذ حال الخط وفسدت رسومه وجعل فيه وجه التعليم بفساد الحضارة وتناقص العمران قصارت الخطوط بافريقيا والمغربين مائلة الى الرداء بعيدة عن الجودة وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لتصفحتها الا العناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية فام تتصل احوال الحضارة فيها الا في الاقل » . عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ الا بعد عسر . ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وقساد الدول » (958) .

ولنلاحظ بصورة عابرة أن العناية بالخط أي بالكتابة لا نقيم لها الا وزنا ثانويا عندنا في التعليم الى اليوم ، في حين ان اخواننا في المشرق يعتنون بالكتابة عناية لا تقل عن عنايتهم بدراسة العلوم ذاتها . وهذا الفارق قد لاحظته تلامذتنا الصغار اليوم بين معلميههم الجزائريين ومعلميههم المتعاونين من المشرق الشقيق . فهل هذا المشكل جديد ؟ يقول (ابن خ) في مسألة الكتابة هذه التي يوليها هو أيضا أهمية كبيرة انها « كانت بالمشرق والاندلس معبدة الطرق واضحة المسالك ، على غاية من الاتقان والاحكام والصحة في حين نجدنا قد ذهبت جملة ببلاد المغرب لانقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه ، بانتقاص عمرانها وبدادة أهلها . وصارت الامهات والدواوين ينسخها طلبة البربر صحائف مستعجبة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف ، فتستغلق على مستصفحتها ولا تحصل منها فائدة الا في الاقل النادر ، وايضا فقد دخل الخلل من ذلك في غالب الاقوال غير المروية عن أئمة المذهب . وانما تتلقى من تلك الدواوين على ما هي عليه . وتبع ذلك ما يتصدى له بعض ائمتهم من التأليف لقلة بصرهم بصناعته ، وعدم الصنائع الوافية بمقاصده » . ان الكتابة اذن ليست مجرد خط في نظر (خ) بل هي تكاد تكون اهم محور تدور حوله حياة المجتمع العقلية « فالحنكة في التجربة تفيد عقلا . والحضارة الكاملة تفيد عقلا . والملكات الصناعية تفيد عقلا . لانها كلها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل ومعاشرة أبناء الجنس وتحصيل الآداب في مخالطتهم ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائعها . وهذه كلها قوانين تنتظم علومها . فيحصل منها زيادة العقل ، والكتابة « من بين

الصنائع أكثر افادة لذلك لانها تشتمل على العلوم والانظار » (972) وهناك ظاهرة أخرى يسجلها (خ) كنتيجة حتمية لهذه الامية الحضارية وكيف تنعكس في فهم العلوم ودراستها وفي التكوين العقلي نفسه كما انعكست في الكتابة سوله بسواء وهي مسألة فهم الدين : فهو يعلل اختيارنا في المغرب للمذهب الامام مالك دون المذاهب الاخرى بعلمتين أولهما ذات اتصال جغرافي وهي كثرة اختلافنا الى الحجاز أكثر من الاقطار العربية الاخرى بسبب الحج . وهذه الصلة لا يلح عليها (ن خ) كثيرا وانما يذكرها بشكل يكاد يكون عرضيا . أما الصلة الاخرى فتتعلق أكثر بالمستوى الاجتماعي ، فهو يقسم دراسة هذه المادة الى مذهبين مذهب أهل الحجاز وهو مذهب القياس ، أو أن شتم هو مذهب أهل المجتمع البدوي . أهل الحجاز وأهل المغرب . ومذهب أهل الرأي ، وهم أهل العراق أو أهل الحضر . « فالبداوة كانت غالبية على أهل المغرب الذين لم يكونوا يسانون الحضارة التي لأهل العراق . فكانوا إلى المغاربة ، الى أهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة . ولهذا لم يزل المذهب المالكي غضا عندهم ولم يأخذوا تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب » (IOZI) وهنا نجد الاستاذ أبو زهرة في كتاب « مالك حياته وعصره » يفتح مناقشة مع (ن خ) في هذه القضية ويتهمة بالخط من قيمة المذهب المالكي اذ جعله « مذهب أهل البدو ولا أهل الحضر » ويعتقد الاستاذ أبو زهرة « ان قواعد هذا المذهب كانت من المرونة والاتساع والقوة والنفوذ الى اصلاح الجماعات وتنظيم شؤونها ما يجعلها تصلح لتنظيم الحضارات المختلفة » ويرد عليه الاستاذ

عبدالواحد وافى فى دفاع عن (ن خ) حاول فيه ان يرفع عنه هذه التهمة ويصرح بان هذا الاتهام لا يمكن أن يوجه الى مسلم . وما أجده غريباً فى هذه المناقشة - من اتهام ودفاع معا - هو أننا اليوم نعيش عصر النقد العلمى والبحث عن اسباب الظواهر الاجتماعية والعقلية بعيداً عن كل عقد أو مخاوف دينية وهمية ، ولكننا مع ذلك لم نبلغ بعد مكانة ابن (خ) الذى عاش فى عصر التقديس وكم الافواه ، فيكتب هو اشياء كانت طبيعية بالنسبة لعقله العلمى المتجرد . ونقرأ نحن آراءه بعد سبعة قرون وفى مطلع نهضة علمية مليئة بالافكار والمدارس والجامعات والتأليف ، ولكننا ما زلنا محتفظين بعقد ابن عرفة فى عصر (ن خ) وتبقى آراء الرجل كما كانت فى عصره ميداناً للاتهام والدفاع باسم الدين وباسم ما تنوّهه مقدسات . وهو أبعد ما يكون عن روح الدين التى يعرفها ابن (خ) أكثر من غيره ويحترمها احتراماً صادقاً أكثر من أى احترام يحترمه السذج فى عصرنا . ان كل ذنب الرجل أنه يميز جيداً بين ما هو دين والهمى ، وبين ما يرجع الى عجز الانسان وفقره . فابن خلدون لم يتردد فى مهاجمة الفلسفة ذاتها لانها عاجزة عن فهم الدين وعن القيام مقامه فى سد حاجة الانسان الروحية والاخلاقية . ولكنه لا يتردد ايضا فى تحليل ما يرجع لمسؤولية الانسان بكل تجرد وبدون أى تحيز دينى أو عنصري أو مذهبى ، فلا ننسى ان الرجل كان يعتقد المذهب المالكى ، وكان من أبرز قضاته ، ولا يخطر بباله حتى اذا كان تحليله لظاهرة من الظواهر هو انتقاص أو تقريظ . لقد كان أرفع من مستوى المدح والذم ، ان التعليل الذى

أتى به (ن خ) لمذهبنا المالكى يبدو متسعا تماماً مع منهجه العام فى بحث الظواهر العقلية وارجاعها الى عللها الاجتماعية والحضارية العامة ، ان المستوى الحضارى الذى كان يربط بيننا وبين أهل الحجاز كان أقرب من ذلك الذى كان بيننا وبين مصر أو العراق ، وهذا المستوى المتدهور كان ناتجاً عندنا جميعاً عن ظاهرة البداوة التى انعكست فى قلة استعمال الرأى وضور الشخصية الفكرية وما ينشأ عن ذلك من الميل الى التبعية وقلة الاقبال على مخاطر التحرر . ان كل ذلك لابد فيه من حد أدنى من المستوى الحضارى الذى كان شبه مفقود فى المناطق العربية التى احتفظت ببداوتها مثل المنطقة الحجازية والمغربية ، ومادة الفقه لا تقل التصاقاً بمستوى المجتمع عن مادة الكتابة أو اللغة أو العلوم العقلية . ان الفقه هو الذى ينظم حياة المجتمع من الوجهة القانونية والاخلاقية ، فاذا كانت الحياة الاجتماعية بسيطة ساذجة فانها لابد أن تنعكس لسذاجتها وبساطتها على مادة القانون كما تنعكس على أى مجال آخر من مجالات الحياة العقلية والثقافية . ان التقليد الذى يطبع المذهب المالكى هو منع مستلزمات الحياة الاجتماعية الساذجة كما ان الشعور بالشخصية الفكرية لا يمكن أن يكون الا نتيجة لمستوى رفيع من الحضارة وكل هذا ينبغي أن نقوله دون أن نشعر بانتقاص لأهل المغرب أو الحجاز كما كان الامر عند اجدادنا الذين لم يكونوا يشعرون بانتقاص . فقط فى هذه الناحية ازاء المشرق المتحضر ، بل بلغ بهم الامر الى تعليلها ايضا تعليلاً ساذجاً تولى (ن خ) محاربته فيهم . فقد كانوا يعتقدون أن هذا التفاوت العلمى بيننا وبين المشرق مرجعه الى تفاوت فى البيئة

اخرى . فاهل مصر يعلمون الحمر الانسية والحيوانات العجم من الماشى والطائر مفردات من الكلام والافعال ما يعجز اهل المغرب عن فعله . وحسن الملكات في التعليم والصنائع يزيد الانسان ذكاء . في عقله واضاءة في فكره لما يرجع الى النفس من الآثار العلمية فيظنه العامي تفاوتاً في الحقيقة الانسانية وليس كذلك ، فاهل المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع ارسخ رتبة واعلى قدماً . وكان اهل المغرب اقرب الى البداوة ظن المغفلون في بادئ الرأي انه لكمال في حقيقة الانسانية اختصوا بها عن اهل المغرب وليس ذلك بصحيح فتفهمه « (990) ومن هذا القبيل في قصورنا الحضارى وبداوتنا الاجتماعية وانعكاسها على التعليم مشكلة تعليم القرآن والفروق فيها بيننا وبين اهل الاندلس والمشرق ، « أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين أخذ به اهل الملة .. فصار القرآن اصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات .. لان تعليم الصغر اشد رسوخاً » ولكن « اهل المغرب اقتصروا على تعليم القرآن فقط لا يخلطون ذلك بسواه فى شئ من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب فكان انقطاع الطالب عن القرآن فى الغالب انقطاعاً عن العلم جملة . وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب من قرى البربر فى ولدانهم الى أن يجاوزوا حد البلوغ الى الشبيبة » أما اهل الاندلس فمذهبهم فى تعليم القرآن والكتاب أن لا يقتصروا عليه بل يخلطون فى تعليمهم للولدان رواية الشعر فى الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وتجديد الخط .. الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا



ديكارت

العقلية والاستعداد الفطرى . نعم لقد كان هناك تفاوت بارز فى مستوى التعليم بين المغرب والمشرق ولكن الذين لا يربطون قضية ازدهار التعليم بالظواهر الاجتماعية الاخرى والذين تعودوا على التعليل الميتافيزيكي لكل ما لا يفهمونه . لم يستطيعوا الاهتداء الى التعليل الصحيح لهذا التفاوت ، فراحوا يعتقدون أن سببه هو من الهيات الالهية التى خص بها الله تعالى اهل المشرق فى بنيتهم العقلية وحرّم منها اهل المغرب . انهم لم يفتنوا الى التأثيرات الاجتماعية التى تفتن لها (ن خ) حين يقول : « انهم يعتقدون التفاوت بيننا وبين المشرق هو فى حقيقة الانسانية ويتشيعون لذلك ويولعون به لا يرون من كيسهم فى العلوم والصنائع وليس كذلك ، ليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذى هو تفاوت فى الحقيقة الواحدة . وانما الذى فضل به اهل المشرق اهل المغرب هو ما يحصل فى النفوس عن آثار الحضارة من العقل المزيد - أى المتطور - .. اذ أن كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلاً جديداً تستعد به لقبول صناعة

بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتابة وتملق بأذيال العلم على الجملة . ثم يقول : « ان اهل افريقيا والمغرب قد أفادهم الاقتصار على القرآن قمودا عن ملكة اللسان جملة .. وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة . لان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن استعمال أساليبه والاحتذاء به ، فلا يتصل لصاحبه ملكة في اللسان العربي . وحظه الجسود في العبارة وقلة التصرف في الكلام .. أما اهل الاندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسه العربية من أول العصر حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي .. وكانوا لذلك اهل خط وأدب بارع أو مقصر على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا .. » ثم يروي (ن خ) كلمة للقاظي ابي بكر بن العربي عن حالة تعليم القرآن هذه في بلاد المغرب يقول فيها : « ويا غفلة اهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول أمره يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه .. وهذه مجرد نظرية لا يكتفى بها (ن خ) بل يبحث لها عن تحليل اجتماعي فيقول : « هذا لعمري مذهب حسن الا ان العوائد لا تساعد عليه وهي املك بالاحوال ، ووجه ما اختصت به العوائد من تقدم دراسة القرآن ايشارا للتبرك والثواب وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات والقواطع عن العلم فيفوته القرآن لانه ما دام في الحجر فهو منقاد للحكم فاذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر فربما عصفت به رياح الشبيبة فآلقته بساحل البطالة . فيفتنمون في زمان الحجر وربة الحكم تحصيل القرآن لئلا يذهب خلوا منه » (1243) فالعصر الديني اثنى أو العاطفة الدينية والحرص عليها بفهم غير مستقيم

عنصر بارز في التعليم عندنا وقد بلغ استحكام العاطفة الدينية فينا من ناحية ، واميتنا الثقافية والحضارية من ناحية اخرى أو أن شئتم هذه الامية المالكية المكتفية بالنقل والحفظ وعدم الرأي والتصرف جعلتنا نقلب فوائد تعلم القرآن الى مضار كما ذكرها (ن خ) في حين استطاعت المجتمعات غير الامية أن تستفيد منه لغة وأدبا وبلاغة كما ظهرت عند الزمخشري في التفسير . فهذا الفن « عند اهل المشرق يعتنون به شرعا وتعلما فكانوا غيه أقول من المخاربة وسببه أنه كمال في العلوم اللسانية ، والصنائع الكمالية توجد في العمران ، والمشرق أوفر عمراناً من المغرب ، وكذلك لناية العجم وهم معظم اهل المشرق .. أما اهل المغرب فلم يعتنوا من اصناف العلوم اللسانية الا بعلم البديع الذي فرعوا له القبا وعددوا ابوابا ونوعوا انواعا ، وزعموا أنهم احصوها من لسان العرب ، وانما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الالفاظ وأن علم البديع سهل ، وصعبت عليهم مآخذ البلاغة والبيان لدقة انظماهما وغموض معانيهما فتجافوا عنهما » (1266) ، فالعقلية الدينية واستعمالها في غير محلها قد عاقتنا عن تعلم البلاغة الحقيقية وصارت بنا الى تعلم اشكالها البديعية التافهة فان (ن خ) يذكر هنا أن « احوج العلماء لهذا الفن اى البلاغة هم المفسرون - ولكن أكثر تفاسير المتقدمين غفل عنه حتى ظهر الزمخشري ووضع كتابه في التفسير وتتبع اى القرآن بأحكام هذا الفن ، فانفرد بهذا الفصل على جميع التفاسير لولا أنه يؤيد عقائد اهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجود البلاغة ، ولجل هذا يتحاماها كثير من اهل السنة مع وفور بضاعته من البلاغة » (انظر 1287) وعقائد اهل البدع التي يشير اليها (ن خ) هنا هي عقائد

المعتزلة فهو لا يشارك الرمخسرى المعتزلى عقيدته الاعتزالية ولكن هذا لم يمنعه من الاعتراف له بتفوقه على جميع المفسرين فى توسيع الاستفادة من دراسة القرآن من مجال الاحكام الشرعية وحدها الى ميدان الاستفادة منه فى جمال الكلمة وفى التعبير . ولكن ذلك يتطلب مستوى اجتماعيا معينا من الرقى لم يحصل عليه المشرق الا بفضل قرون من الحضارة المتصلة . ولم يحصل عليه المغرب يوما لانه فى كل جيل يبدأ محاولاته فى الرقى من الصفر . فكان تاريخه بدايات متكررة يقطعها عدم الاستقرار وانقطاع السند . فينعكس على الحياة العقلية والعلمية والتعليمية ويتأثر بها ، لانها جميعا نشاطات اجتماعية يؤثر بعضها فى بعضها الآخر . ويكون بعضها سببا فى بعضها ونتيجة له فى وقت واحد . ويكاد (ابن خ) فى كل صفحة فى كتابه يكرر لنا هذه الحقيقة بشكل أو بآخر فى محاولة يائسة لايقاض الفكر العلمى عندنا . ولكن بدون جدوى . وهذا الاختلاف بين المشرق والمغرب فى ميدان التعليم والحياة الثقافية لا ينفصل عند (ن خ) عن الاختلاف الذى لاحظته بعد ذلك فيما رآه بنفسه فى الحياة المادية فى المشرق : البناءات والاسواق والتجارة والحياة العائلية والانسجام الاجتماعى والصناعات المادية . ونحن لا نريد أن نحمل ابن (خ) ما لا يتحمل ولكننا لا نملك انفسنا هنا عن تذكر القاعلة الماركسية التى تجعل الحياة العقلية والنفسية والحلقية انكاسا للحياة المادية . بالرغم من أن الحياة العقلية ايضا لها نصيبها من التأثير على الحياة المادية . وكل ما اجراء (ن خ) من مقارنات بين المشرق والمغرب وبين الحضرى والبدوى فى المجال العقلى انما كان المحاحا منه على الجانب الاجتماعى وتأثيره فى حياة الفرد العقلية . والمحاحا على الجانب

الخارجى وتأثيره على الذات ، ان أى تفوق عند هذا المجتمع أو ذاك فى الحياة العقلية والتعليمية سواء كانت لغة أو كتابة أو ديناً أو فقهاً أو فلسفة أو بلاغة . لا يمكن الا أن يكون نتيجة تسلسل متصل من كد الاجيال المتلاحقة . حتى اذا جاء الفرد الى الحياة فسيكون نصيبه من الثقافة والمعرفة ومن الفن والاخلاق ومن النظم والتقاليد ومن العقائد والافكار . هو ما يكون المجتمع قد هياه له من قبل كما يعبر دوركايم ، فيكون الانسان ابن عوائده ومالوفه لا ابن طبيعته ومزاجه كما يعبر ابن خلدون . أى هو ابن ما يقدمه اليه المجتمع والمحيط والبيئة .

هذه هى القاعدة العامة عند (ن خ) فى مسألة التعليم . أو هذا هو المبدأ الذى أقام عليه كل ملاحظاته وافكاره فى مادة التعليم وهى أن الفرد يستمد ثقافته وتكوينه من المجتمع . ولا مناص له من أن يكون نصيبه منها مرتبطا بما يقدمه له هذا المجتمع . ولا نستطيع أن نبحث النواحي الأخرى من مشكلة التعليم الا فى هذا الاطار الاجتماعى . والا فاننا سنطلب المعجزات والحوار وسنرى الآن كيف يبرز هذا المبدأ أكثر وضوحا فى تعليم اللغة : ففي اللغة أيضا . بل فى اللغة أكثر من أى مادة أخرى علمية . نجد (ن خ) لا يعتمد على القواعد فى تعليمها ولا على طريقة تعليمها من معلم الى آخر بقدر ما يعتمد على المحيط : المحيط أولا . ثم طريقة التعليم ثانيا .

فيما يتعلق بالمحيط يرى (ن خ) أن « اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة .. فالتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهل جيله كما يسمع الصبي استعمال المفردات فى معانيها فيلقنها أولا . ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك ، ثم لا يزال

سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة وعن كل متكلم . واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة » (1269) وهذه الملكة « اذا استقرت ورسخت ظهرت كأنها طبيعية ، ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم اعرابا وبلاغة أمر طبيعي . وليس كذلك ، وإنما هي ملكة تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي جبلة وطبعاً . هذه الملكة انما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع والتفطن لحواص تراكيبه » (1281) وبتعبير فخته نقول ان هذه الملكة انما تأتي من خارج الذات الى الذات وليس العكس . تأتي من المحيط الخارجي الى الذات الفردية ، وإن شئنا أيضاً بتعبير أرسطو نقول ان اللغة تكون استعداداتها موجودة في النفس بالقوة ولكنها لا تصبح لغة بالفعل عند الفرد الا بعد أن ينفخ فيها المجتمع من روحه . أى ان اللغة تبدأ عند الفرد عندما يبدأ هذا الفرد في الحياة مع جماعة . هكذا كانت اللغة العربية في المجتمع العربي الخالص . يقوم المجتمع نفسه بتعليمها مباشرة لأفراد الذين يتعلمونها منه بفضل التكرار والممارسة لا بالقوانين والقواعد ، وهنا أود أن أثير مشكلة مجرد اثارها لا لان ابحث لها عن حل الآن لان (ن خ) لم يتعرض لها . وهي هل هذه اللغة العربية التي هي اثر اجتماعي كانت أرقى من مجتمعا العربي أم ان المجتمع العربي كان من الرقى بحيث أنتج هذه اللغة التي بقيت خالدة في حين اندثرت حضارة مجتمعا ؟ اعترف هنا بأنني لم اعثر بعد على جواب لهذا السؤال ولم اعثر كذلك على أحد اثاره . وقد رجعت للدكتور عبد الواحد الوافي في كتابه « اللغة

والمجتمع » وتعتبر هذه المشكلة من صميم موضوعه فلم أعثر عليها ، واعتقادي هو ان اللغة العربية تعد أرقى من مجتمعا لان المجتمع العربي في حضارته العامة كما نعرفها لم يخرج عن طور البداوة والسذاجة والتوحش كما يعبر (ن خ) في حين أن لغته تمتاز بمزايا من الدقة في التعبير والمرونة في الاستعمال والحسوبة في الصورة والثروة الموسيقية في النطق ، بحيث لا تكاد تعثر على نسبة طبيعية لها مع انحياض المجتمع الذي يتكلمها . وباحت اللغة من الوجهة الاجتماعية لا يتمالك عن اثاره هذه المشكلة . وأنا اوردها هنا لالفت اليها انتباه من لهم طموح علمي الى محاولة البحث عن جواب صحيح لهذه الظاهرة التي لا تخلو من طرافة في نظري .

ولكننا اذا لم نجد بعد تفسيراً ، فإن هذا لا يمنعنا من السير مع (ن خ) في قاعدته المذهبية الكبرى في هذا الميدان وهي ان الوضع الاجتماعي هو الذي يتحكم في الوضع اللغوي . واليكم دليل آخر على صحة هذا المذهب : ان اللغة العربية عندما خرجت من موطنها الاصل غازیة اقطارا أخرى في ركاب الدين الاسلامي ، واصبحت تعيش في مجتمعات أخرى غير المجتمع العربي الخالص ، تلوت بهذا الطابع الاختلاطي الذي طبع به المجتمع الاسلامي الجديد . وهنا تحول تعليم اللغة العربية من كونه وظيفة يؤديها المجتمع بصورة عقوبة مباشرة الى الفرد . وأصبح يعتمد على الجهد العلمي أى أصبح « صنعة » من الصنائع يقوم بها الافراد لتصحیح الانحراف الاجتماعي الطاريء . ولكن هذه الصنعة مثل غيرها من الصنائع لم يقم بها العرب اصحاب اللغة لانهم ليسوا في حاجة لهذه



فُخْتِه

بالاختلاط ، ولكن اذا كانت هذه العملية الحكيمة قد انقذت لغة المجتمع العربي ولو الى حين فانها لم تحل مشكلة المجتمع الاسلامي غير العربي الذي كان لابد له من أن يتعلم اللغة الجديدة حتى يفهم الدين الجديد وهكذا كان غير العرب هم اول الذين وضعوا قوانين اللغة العربية كوسيلة لتعلم اللغة الجديدة لغة الدولة ولغة العقيدة ، فكانت قوانين النحو كما يسميها (ن خ) أو القواعد النحوية كما يسميها غيره . والذي يهمنا من كل ذلك ، هو ان تعلم هذه القوانين ليس هو تعلم اللغة ذاتها ، هذه القضية يلح عليها (ن خ) كثيرا . ويقسم العلوم ليس فقط كما يفعل المصنفون الى علوم شرعية ولغوية وعقلية وطبيعية وفلسفية .. الخ . وانما يصنفها قبل ذلك الى علوم آلية وعلوم مقصودة ، العلوم الآلية هي التي تكون آلة لتعلم

المنفعة من ناحية ، ولانهم من ناحية ثانية « ابعد الناس عنها بحكم البداوة » كما يقول (ن خ) ولانهم من ناحية ثالثة واخيرة كانوا مشغولين بالحكم لا بالعلوم (1248) .

وهنا يذكر صاحب كتاب « العربية » يوهان فوك الذي ترجمه الدكتور عبدالحليم النجار « أن السياسة الواسعة الافق التي امتاز بها الخليفة عمر الميموني قامت بقسط لا يستهان به في سبيل توحيد اللغة وانشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعا كما حفظت العربية من الاضمحلال ، فلما يحفظ العربية من التلاشي في جماهير الشعوب المقلوبة التي تنوفهم بكثرة العدد حرم العرب ان يمتلكوا الضياع في الاقاليم الجديدة أو ان يتخذوها لهم وطنا ومقاما ، كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة ، ما عدا سوريا التي كانت قد استعربت الى حد كبير قبل الاسلام بوساطة القبائل العربية التي هاجرت اليها ، فاسكنهم في معسكرات من الخيام كانت نواة للمدن العظمى في العالم الاسلامي التي نشأت في بضع عشرات من السنين كالبصرة والكوفة والفسطاط وغيرها .. وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر في جوار قريب ، نشأت لغة بدوية مشتركة ، وضعت الاساس لعربية القرون المتأخرة » .

اذن فعملنا هنا بعملية مزدوجة ، من ناحية جمع القبائل ذات اللهجات المختلفة فنشأ من اجتماعهم توحيد اللهجات في لغة عربية واحدة ومن ناحية أخرى حفظ المجتمع العربي بهذه العزلة عن المجتمع المختلط من ان تفسد لغته

فليرق له ما شاء من المراقى صعبا أو سهلا ، فكل
ميسر لما خلق له » (1239) .

الى جانب هذا العيب عندنا هناك عيب آخر
مرتبط به ويلج عليه (ن خ) كثيرا ، وهو عيب
الحفظ الذى لا يعزوه مباشرة الى الامية ولكن من
السهل أن نستنتج من تحليله شيئا من هذا
القبيل . ان هذه الامية هي التى نجدها سببا فى
ان المقارنة الى جانب قصرهم فى التصرف فى
العلوم وعدم التمييز بين العلوم الآلية والعلوم
المقصودة ، يقتصر على الاعتماد على الحفظ .
فالعلوم الآلية كاللغة لا يتعلمونها للاستيلاء عليها
والتصرف فيها ، بل يحفظون قواعدها ويكتفون
بهذا الحفظ . نعم ان العرب منذ القديم عندما كانوا
امة امية كانوا يعتمدون على الحفظ لا على الكتابة
ولكن هناك فرق كبير بين الحفظين : العرب كانوا
يحفظون ما يفهمون . اما المقاربة فيحفظون ما لا
يفهمون : اى اننا جمعنا السواتين علم فهم العربية
من ناحية وحفظ قواعدها واهمالها هي من ناحية
اخرى . وقد بدا المقاربة عملية الحفظ هذه بحفظ
القرآن والاحكام الشرعية ولكنهم منوها الى بقية
العلوم . واصبح تلقى العلم معناه الحفظ . يقول
(ن خ) « ان الملة فى اولها لم يكن فيها علم ولا
صناعة لمقتضى احوال السداجة والبداوة ، وانما
احكام الشريعة كان الرجال ينقلونها فى صدورهم
.. والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا امر التعليم
والتأليف . (1247) ولكن عندما احتيج الى وضع
التفسير ومعرفة الاسانيد وكثر استخراج احكام
القوانين . فسد اللسان فاحتيج الى وضع القوانين
النحوية ، (1248) .. ثم استمر ذلك الفساد

غيرها مثل قواعد النحو لتعلم اللغة والمنطق لتعلم
التفكير الصحيح ، والعلوم المقصودة مثل العلوم
الشرعية ، وهي المقصودة لذاتها . يقول (ن خ)
فى هذا التصنيف هناك « علوم مقصودة بالذات
وعلوم هي آلة ووسيلة لهذه العلوم ... فاما العلوم
التي هي مقاصد فلا حرج فى توسعة الكلام فيها
وتفريع المسائل واستكشاف الادلة والانظار . فان
ذلك يزيد طالبها تمكنا فى ملكته وايساحا لمعانيها
المقصودة . واما العلوم التي هي آلة لفهرها
كالمنطق والعربية وامثالها فلا ينبغي ان ينظر
فيها الا من حيث هي آلة لذلك فقط . ولا يوسع
فيها الكلام ولا تفرع المسائل لان ذلك مخرج لها
عن المقصود . اذ المقصود منها ما هي آلة له لا غير
فكلما خرجت عن ذلك خرجت عن المقصود وصار
الاشتغال بها لغوا مع ما فيه من صعوبة الحصول
على ملكتها بطولها وكثرة فروعها وربما يكون ذلك
عائقا فى تحصيل العلوم المقصودة بالذات لطول
وسائلها مع ان شأنها اهم والعمر يقصر عن
تحصيل الجميع على هذه الصورة فيكون الاستغلال
بهذه العلوم الآلية تضييعا للوقت وللعمى وشغلا
بما لا يعنى وهذا كما فعل المتأخرون فى صناعة
النحو والمنطق والفقه لانهم اوسعوا دائرة الكلام
فيها واكثروا من التفاريس والاستدلالات بما
اخرجها عن كونها آلة وصيرها من المقاصد .. فهي
من نوع اللغو . وهي مضرة بالمتعلمين على الاطلاق
لانهم اذا قطعوا العمر فى تحصيل الوسائل فهمتى
يظفرون بالمقاصد . فلماذا يجب على المعلمين لهذه
العلوم الآلية ان لا يستبحروا فى شأنها وينبهاوا
المتعلم على الغرض منها ويبقوا به عنده .. على ان
من نزعت به همته بعد ذلك الى شئ من التوغل

بملابسة العجم ومخالطتهم حتى تعدى الفساد الى موضوعات الالفاظ ، فاستعمل كثير من كلام العرب في غير موضوعه ميلا مع هجنة المتعربين في اصطلاحاتهم المخالفة لصريح العربية .

بعبارة أخرى لما انقطعت اللغة عن المجتمع وعن التفاعل الحى الذى يتم بالاستعمال اليومى لجأ متعلموها الى الحفظ ، والحفظ يقره ابن (خ) بل يعتبره فى اللغة أساسيا اذ يقول : « السمع ابو الملكات اللسانية » ولكن اى حفظ يعنى ؟ هذا هو صميم القضية . فى كتاب منهج البحث فى الادب واللفظة الذى ترجمه الدكتور محمد مندور نجد « باين » يقول : « ان علم اللسان موضوعه الاصل دراسة اللفظة لا كظاهرة صوتية او حسية تخضع للحركات او للدراك الحسى او للفهم الاصوات الصادر ، ولكن كوسيلة للاتصال بين كائنات تجتمع فى جماعات ، اعنى كظاهرة اجتماعية ، ان علم اللسان جزء من علم الاجتماع » (ص 62) ، ومفهوم السمع عند ابن (خ) هو هذا المحيط الاجتماعى الذى يتم فيه الاتصال بين كائنات تجتمع فى جماعات . فاذا فقد هذا المجتمع او طرأ انحراف على عضويته فيجب استعادته بطريقة اصطناعية تحقق الغرض الذى كان يؤديه المجتمع الفطرى . وهذا يكون فيما يتعلق بمجتمعنا العربى بحفظ البليغ من الاقوال ومخالطة هذه الاقوال وممارستها والاحتكاك بها كما لو كنا نعيش فيها حياة يومية متواصلة . وكل ذلك يكون طبعا قائما على الحفظ ولكن لا على الحفظ وحده ، بل على الحفظ والفهم والاستعمال .

اما الحطا الذى وقعنا فيه فى المغرب فهو مزدوج : قصرنا دراسة اللفظة على الحفظ ، حفظ المتن

والقواعد ، وحده دون فهم من ناحية ، وقصرنا هذا الحفظ لا على اللفظة ذاتها ممثلة فى اقوالها بل على القواعد التى وضعت لها . وتعلم اللفظة فى رأى (ن خ) بعيد كل البعد عن ذلك بل هو مندمج مع الادب ، لان الادب فى نظره « علم لا موضوع له ينظر فى اثبات عوارضه او نفيها ، وانما المقصود منه عند اهل اللسان ثمرته ، وهى الاجادة فى فنى النظم والنثر على اساليب العرب ومناحيهم . فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الملكة من شعر عالى الطبقة وسجع متساو فى الاجادة ومسائل من اللفظة والنحو ماثلة التاء ذلك متفرقة يستقرى منها الناظر فى الغالب معظم قوانين العربية مع ذكر بعض من ايام العرب يفهم به ما يقع من اشعارهم منها... ولا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهم فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه » (1267) فتعلم اللفظة عن طريق الادب كما ترون هو القصد ، اما تعلم قواعدهما فيكون بصورة عرضية نلتقى فيها من حين لآخر بمسائل نحوية ماثلة هنا وهناك . وحفظ الاشعار المجيدة والكلام البليغ من النثر هو الذى نعوض به ما فقدناه من مجتمع عربى سليم اللفظة ، وهذا الحفظ مع الفهم هو الذى يكون فينا الملكة العربية لان « اللغات كلها شبيهة بالصناعة اذ هى ملكات فى اللسان .. وليس ذلك بالنظر الى المفردات وانما هو بالنظر الى التراكيب .. ومراعاة التأليف الذى يطبق به الكلام على مقتضى الحال » ومجموع هذا « الجو » الذى يجب أن يعيش فيه الفرد هو الذى يمكنه من الاستيلاء على ذمام اللفظة والتصرف فيها ، بحيث لا تكون اللفظة الفصيحة البليغة عنده « حالة » من الحالات المتقطعة

– باستثناء البابلية القديمة – وذلك قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي .. لقد كان يعد فصيحاً من سلم من الخطأ في مراعاة الاعراب والتصريف ، ولاحظ قواعد العربية في صوغ الافعال والاسماء .. وصارت الفصاحة ضرباً من الحدق الفني يحسنه المرأ على تفاوت في المراتب والدرجات .. وفي المرحلة الحالية نجد بواطن القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب الأوروبية ، ونجد الجمل تصاغ على نموذج أوربي من أسماء عربية » .

اذن فموقف النحاة منذ القديم من العربية هو العناية بحركات الاعراب . وموقف المحدثين في العصر الحديث هو ا فراغ كلمات عربية في قوالب أوربية مع الاحتفاظ بالاعراب وحده ، وفي كلا الحالين اعتنينا بقشور العربية واهملنا لبها الصميم، ولكن ما هو رأى (ن خ) في هذه القضية ، قارنوا بين كلام « يوهان كوف » عن الاعراب وبين كلام (ن خ) يقول هذا الاخير : « لا تلتفتن الى خرفشة (خلط) النحاة ، اهل صناعة الاعراب القاصرة مداركهم عن التحقيق حيث يزعمون ان البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وان اللسان العربي فسد ، اعتباراً بما وقع في أواخر الكلم من فساد الاعراب الذي يتدارسون قوانينه . وهى مقالة دسها التشيع فى طباعهم والقاها القصور فى افئدتهم والا فنحن نجد اليوم الكثير من الفاظ العرب لم تزل فى موضوعاتها الاولى .. والتعبير عن المقاصد موجودا فى كلامهم .. ونجد الخطيب المصقع فى مجامعهم والشاعر المقلد على أساليب لغتهم . والنذوق والطبع السليم شاهدان على ذلك ، ولم يفقد من احوال اللسان المدون الا حركات الاعراب فى أواخر الكلم

كما هو الشأن عندنا اليوم بل تكون ملكة تتصف بالرسوخ والثبات . (هذا التمييز بين الحالة والملكة لابن خ) . واذن ماذا تفعل بالنحو ؟ وماذا فعل النحو والنحاة بالعربية وبتعليمها ؟ قبل كل شئ يجب أن نلاحظ أن العرب قد فسدت لغتهم بالاختلاط مع الفرس والترک والروم فى المشرق ومع الافرنج والبربر فى الاندلس والمغرب . ولكن ذلك لا يعنى أن العرب لم يعودوا عرباً . بل بقوا عرباً . والفرق الذى طرأ عليهم بهذا الاختلاط لا يتناول كل نواحي اللغة وعناصرها من تراكيب ومفردات ومميزات فى الصورة والتعبير ، بل نجد الفرق الاساسى فى لغتهم اليوم ، أو بعد الاختلاط هو التخلي عن اعراب أواخر الكلم . يقول « يوهان فوك » الذى اشرت اليه سابقاً فى كتاب « العربية » « لما كانت علامات الاعراب قد تلاشت منذ أجيال تفوق الحصر فى جميع العالم العربى سواء على لسان عامة الشعب فى القرى والمدن أم فى شتى أساليب الكلام الجارى على السنة الطبقات المثقفة . بل فى لهجات البدو انفسهم ، فقد صار التصرف بالاعراب هو الفارق الذى يميز اللهجات الدارجة واللهجات العامية . بيد أن هذا الاعراب . أى الطريقة الخاصة التى كان يتطق عرب البادية على مقتضاها هى فى ذاتها سطحية بحيث لا تكفى وحدها لتكون ميسماً مميزاً للغة الفصحى وليس من النادر أن نجد الاعراب مجرد حلية فارغة يقصد منها الى اعارة نوع من التعبير فى قالب مخالف للفصحى فى جوهره ، انه مجرد مسحة مزيفة من الفصحى .. لقد احتفظت العربية الفصحى فى ظاهرة التصرف الاعرابى بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية

فقط ، وهو الاعراب وهو بعض من احكام اللسان .. واللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكنا شأن سائر اللغات ، **ووجه التعليم ان يأخذ نفسه بحفظ** كلامهم القديم وكلام المولدين ايضا حتى ينزل منزلة من نشأ فيهم **حفظا واستعمالا ووعيا وتفهما حسنا وذوقا** ، فعل قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المصنوع ، وهكذا ينبغي ان يكون تعلمها .. فبذلك تحصل ملكة اللسان التي هي غير صناعة العربية ، بل هي مستغنية عنها في التعليم ، لان صناعة العربية انما هي معرفة قوانين هذه الملكة او مقاييسها خاصة ، فهو علم بكيفية لا نفس الكيفية ، وليست نفس الملكة ، وانما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا ، (ص 1271 وما بعدها) .. وأهل المغرب وافريقيا لما كانوا أعرق في العجبة من ناحية ولم يسلكوا الطريق الصحيح لاكتساب الملكة اللسانية من ناحية أخرى عندما اكتفوا بدراسة القواعد واهملوا مخالطة اللغة نفسها ممثلة في المنظوم والمنثور - كان أدبهم بعيدا عن الملكة تازلا عن الطبقة .. أما « أهل الإندلس فأقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة بكثرة معاناتهم وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظما ونثرا » (1283) **ان العربية عندنا أصبحت ، ومنذ عهد قديم ، مرادفة للاعراب حتى انا في عصرنا الحالى نلاحظ أن من يريد أن يتكلم بالعربية فما عليه الا ان يستعمل لفته العلمية ويزيد عليها حركات الاعراب في اواخر الكلم ، (لاحظوا مسرحيات قريش مثلا) . واذكر ان احد شبابنا تخاصم يوما مع أحد المتخرجين حديثا من جامع الزيتونة فقال له : اتجبر علينا لانك قرأت « بقرة تحلب » بكسر الباء . وفي هذا**

الصدد يقول (ن خ) « ان الاعراب لا دخل له في اللغة التي هي أعم من ذلك واوسع اذ تشمل مطابقة الكلام للمقصود ولتقتضي الحال سواء كان الرفع دالا على الفاعل والنصب على المفعول أو العكس وانما يدل على ذلك قرائن الكلام كما هو في لغتهم هذه ، ولا عبرة بقوانين النحاة في ذلك . لان تمييز الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر يكون بقرائن الكلام لا بحركات الاعراب » (1317) ونحن لا نذهب مع (ن خ) في ثورته على الاعراب وتعليم العربية الى هذا الحد ، ولكننا نكتفي بموقفه المعتدل الذي يدعو فيه الى ان لا نطن أن تدريس قواعد اللغة هو تعليم اللغة ، والى ان نميز بين العلوم الآلية كما يسميها والعلوم المقصودة وندرك ان فقرنا في الآداب والكتاب والشعراء والفلاسفة مرده الى هذا الخلط وعدم التمييز ، والى عبادة القواعد التي قال عنها الشيخ باديس يوما لعلماء الزيتونة « اتبعتم القواعد حتى بقيتم كالقواعد » يقصد القواعد من النساء ! واذكر اننى عندما كنت أدرس في الزيتونة كنت اجلس وراء البسارية لاطالع كتب جبران خليل وطه حسين والشنفرى بينما كان المدرس يتعب نفسه في قواعد اللغة ، واقرأ اليوم (ن خ) وهو يقول :

« نجد طلاب العلم بعد ذهاب الكثير من اعمارهم في ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاوضون ، وعنايتهم بالمحفظ أكثر من الحاجة . فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف في العلم والتعليم ، ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل ، تجد ملكته قاصرة في علمه ، ان فاوض أو ناظر أو علم ، وما أتاهاهم القصور الا من قبل التعليم وانقطاع سنده ، والا فحفظهم أبلغ من

حفظ سواهم لشدة عنايتهم به ، وطنهم أنه المقصود من الملكة العلتية وليس كذلك ، ومما يشهد بذلك في المغرب أن المدة المعينة لسكن طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وذلك لعسرها ولقلة الجودة في التعليم لا مما سوى ذلك « (987) واقرا مقلمة « الدكتور مندور » لترجمة كتاب « منهج البحث في الادب واللغة » للانسون وبلى فاجده يقول ، « في كثير من البلاد العربية ان لم يكن في كافيتها ، لم تستقم بعد نظم التعليم بحيث تسفر عن عقل مكون » لان التحصيل ما يزال طاعيا فيها على الفهم ، ولاننا ما زلنا الى اليوم في دراستنا وبحثنا ننسخ طائفة من المعلومات المتناقضة التي جمعها الرواة بين دفتي الكتب القديمة نعيد كتابتها او نقلها كما هي ثم نقدمها للطلاب والدارسين فلا يجدون فيها غدا ، ولا لغة .. بحيث لا يزال نعيش على ما خلفه علماء النحو والصرف والبلاغة الاقدمون .. وعندما نجد فاننا لا نعلمو التطريز على ثوب خلق متهرى .. حتى اصبحنا في بحوثنا اللغوية اشبه بفقر يصرق قرشا الى مليحات ليقرقع بها .. ان مسألة الصحة والخطا ما تزال هي محور مجادلاتنا اللغوية » عندما نقرا اليوم هذا الكلام الحديث ، ونقرأ لابن (خ) ذلك الكلام القديم نتصور قيمة الوقت الذي اضعناه .. سبعة قرون من تاريخنا ظل فيها هذا الكتاب مطوبا في طبقات كثيفة من غبار النسيان والقفلة والامية البالفة ، سبعة قرون ظل فيها هذا الكتاب وسادة تحت رؤوسنا الفارغة ، سبعة قرون ظلت فيها لفتنا ممزقة بتمزق المجتمع ، ظلت فيها لفتنا ، هذه اللغة الجميلة القوية ، لاجئة في البوادي ، ولكنها لا تتعدى حلود الحياة البدوية الامية .

واليوم ندخل مرحلة جديدة من هذا التمزق .
فضرورة الحياة الآلية والعلمية في الداخل وضبط

الاضواح الدولية في الخارج تدفعنا بسرعة الى استعمال أى لغة أجنبية نتغلب بها على تخلفنا الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والعسكري أيضا لندافع عن وجودنا المهدد ذاته ، ولكن شعورنا بأن هذه اللغة العزيزة علينا هي أمنا العاطفية والفنية ، وهي وطننا العقل والديني ، وهي ماضينا الممتد في حاضرننا ، وهي مستودع تراثنا ، وهي تربة جذورنا ، وهي التعبير الأمين عن ذاتنا ، كل ذلك يجعلنا نقف عاجزين مشلولين مستسلمين لهذا التمزق ، ونعتقد أن هذا الوضع المزيج المتناقض في حياتنا هو وضع مؤقت ، ولعله يكون كذلك ، ولكن على شرط أن لا نتعود بهذا الوضع الشاذ فيقلب في أعيننا وضعا طبيعيا ، وان نشعر أولا بأن هذا الوضع غير طبيعي وثانيا أن الانسجام يجب أن يتم لفائدة لفتنا لا على حسابها ، ولو أدى بنا ذلك الى زعزعة هذه اللغة من جلورها المتهرئة وغرسها في تربة جديدة وفي مناخ جديد ، وان ندرك ثالثا وأخيرا كما يقول أحد اصدقائي من السوريين وهو الاستاذ صدقي اسماعيل في مجلة المعلم العربي عند حزيران 1967 « أن نقطة البداية في كل ذلك تتناول المربين أنفسهم ، لا لانهم جزء من الواقع فحسب ، بل لان الشروط القاسية التي رضخوا لها في مراحل نموهم جعلت منهم استمرارا للماضي .. واعادة النظر في اخطاء الماضي تقتضي من التحرر والشجاعة اضعاف ما تقتضيه عملية التكوين من جديد .. ان التردى الذي تعانيه اللغة العربية في حياتنا الراهنة هو جزء من العبودية المتوارثة ، وان الخروج من الارتباك الذي تتعرض به اللغة العربية في مشكلة التعبير عن تجارب الانسان المعاصر وشؤون الحياة الحديثة .. هو مهمة جيل من المهوبين الذين ليس من الصعب أن توفر الشروط التربوية الملائمة ظهورهم يوما الى الحياة » .

الإسلام

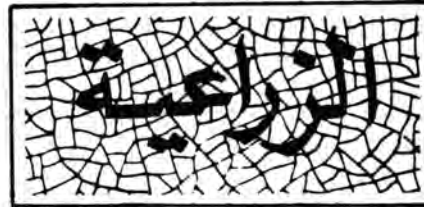
لعل من الاسباب التي دعت
الى انعقاد هذا الملتقى هو
احساس بواجب احياء النهضة
الفكرية الاسلامية .

هذه النهضة التي كانت في
وقت عاشعانا ومنارا للحضارات
الآخري التي كانت ابان القرون
الوسطى تعيش تحت سيطرة
التخلف الفكرى والاجتماعى .

ولم تلبث اوربا وقتا كبيرا
على هذه الحالة حتى بدأت تفيق
من هذا السبات العميق وشرعت
فى تحطيم القيود ، سبابة الى
بناء نهضتها الحديثة فى الوقت
الذى بدا فيه العالم الاسلامى
التخلى عن مواصلة الاجتهاد
الفكرى .

هذا التخلى ، وورث التخلف
الفكرى الذى خيم على العالم
الاسلامى طيلة قرون عديدة .
كان من الاسباب الموضوعية
التي ادت بالعالم الاسلامى الى
التاخر وسمحت فى نفس الوقت
للحضارة الاوربية ان تتقدم
بفضل اجتهادها فى جميع
الميادين .

فاحياء النهضة الفكرية
يتضمن استرجاع مكانتها ، اى
اعادتها الى ما كانت عليه
بوصفها المنار المضيء لجميع
الحضارات . ولا غرابة فى ذلك
حيث ان التاريخ يعيد نفسه .



محمد عبد العزيز

نص محاضرة الاستاذ محمد
عبد العزيز مدير الاصلاح
الزراعى بوزارة الزراعة
والاصلاح الزراعى التى القاها
بالمؤتمر الخامس للتعرف على
الفكر الاسلامى بوهران .

إذا كان هذا هو المبدأ الذي من أجله قامت الجزائر بدعوة مختلف الدول الإسلامية لان تلتقي وتتجمع على أرضها التي ارتوت بدم شهداء الحرية. بدم شهداء المعركة التحريرية المصرية فهذا إيمان منها به وإيمان نابع من عقيدتها الإسلامية التي كانت أولى أسباب يقظتها في تحرير أرضها .

هذه العقيدة التي تجلت بوضوح منذ اللحظة الأولى عند مقاومة الاحتلال 1830 . وعند مقاومة سياسة الاندماج . وكذلك حرب التحرير . وإيضاً عند استرجاع الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية . واني لأقول ان العالم الإسلامي والعربي أصبح الآن مسؤولاً عن هذا التخلف ، مطالباً بإزالة الآثار التي نتجت عنه والتي أصابت جميع فروع الحضارة من فكرية وثقافية واجتماعية واقتصادية. واليوم بعد أن استقلت معظم البلاد العربية والإسلامية سياسياً ، أصبح من الضروري أن نسمى جميعاً الى النهوض بالشعوب الإسلامية والارتقاء والوصول بها الى ما كانت عليه من مكانة مرموقة في جميع الميادين .

على ان هذا الاستقلال السياسي يصبح عديم الفعالية إذا لم يكن مرتكزاً على اقتصاد وطني قوى مزدهر .

فالجزائر منذ استقلالها لم تال جهداً للسير في هذه الطريق . ولم تدخر وسعاً لبناء اقتصادها . وفي سبيل ذلك لم تتوان عن السعي والبحث عن الوسائل والسبل الناجمة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتجنيد جميع طاقاتها المادية والبشرية .

وهذا الجهد الذي التزمت به الجزائر وتسعى الى تحقيقه يعكس صورته في نطاق المخطط الرباعي الذي شرع بالتنفيذ فيه ابتداءً من عام 1970 والذي

تضمن 28 ملياراً من الدينارات خصصت للاستثمارات . ومن هذا المقدار مبلغ 4140 مليون ديناراً أي ما يجاوز 15٪ من مبلغ الاستثمارات خصص للتنمية الزراعية . وان هذه الاموال كلها اموال وطنية خالصة .

وتظهر صورة هذا الجهد أيضاً بإشراك الشبيبة الجزائرية المجندة للخدمة الوطنية في البناء والتشييد حتى أصبحت عبارة عن جيش في سبيل التنمية .

وانما التنمية الاقتصادية والاجتماعية تتطلب ارادة سياسية قوية ووضع استراتيجي وتخطيط وتجنيد الطاقات المادية وتعبئة مختلف الاطارات والجماعير الكادحة .

وهذه التنمية ترتكز في الجزائر على الاستراتيجية التالية وهي كما عبر عنها الاخ هواري بومدين رئيس مجلس الثورة والحكومة في خطابه الذي القاه بمناسبة الاحتفال بالذكرى الخامسة لانتفاضة 19 جوان 1965 اذ قال :

« ان الاستراتيجية العامة للتنمية ترتكز على ثلاثة دعائم اساسية وهي الثورة الصناعية والثورة الزراعية والثقافية . وهذه الركائز الثلاثة المتكاملة تكون في نفس الوقت الاسس التي يقوم عليها البناء الاشتراكي الحقيقي »

ولا يفوتني في هذا المقام . ان اتوجه بالشكر الى السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية الذي اتاح لنا اغتنام هذه الفرصة القيمة للاشتراك في هذا الملتقى الاسلامي الخامس حتى نبين بشئ من الاجاز . وفي نطاق هذا المؤتمر ، ضرورة

وهذه التحديات التي واجهها الفلاح الجزائري بكل صبر وجسده تدل على النضوج السياسي والاحساس بالمسؤولية والاستعداد الشخصي للقيام بواجبه الوطني .

ولم يتوقف الامر عند هذه التحديات التي واجهها الفلاحون الجزائريون وتقديمهم الادلة والبراهين القوية على الادوار الهامة التي قاموا بها في مقاومة المستعمر والوقوف امامه دون تحقيق اهدافه وفي مشاركتهم الفعالة في حرب التحرير .

وما هم اليوم ما زالوا يقدمون هذه البراهين والادلة وذلك بتجنيدهم الواعي في معركة البناء والتشييد .

وطبقا لمنطق الاحداث والثورة الاشتراكية التي كان ينشدها المجاهدون والشعب الجزائري قد صدرت في شهر مارس 1963 قرارات اعطيت هذا النظام الصبغة القانونية والشرعية ونظمت استغلال المزارع الشاغرة على اساس التسيير الذاتي .

ولم ينته عام 1963 حتى اُمتت بمقتضى مرسوم اول اكتوبر 1963 جميع الاراضى الزراعية التي كانت وما زالت بأيدي المعمرين من الاشخاص الطبيعيين او الاعتباريين الذين لا يحملون الجنسية الجزائرية واولئك الذين لم يتخذوا الاجراءات اللازمة للحصول عليها . وقد ترتب على ذلك سقوط حق الاجانب المقيمين بالجزائر في تلك الاراضى الزراعية .

وهكذا قد تم نهائيا استرجاع اراضى المعمرين واصبح القطاع المسير ذاتيا يشمل (2 800 000) هكتارا . ومن سوء الحظ ، لم تستكمل قرارات

الثورة الزراعية ، فلسفتها ، مضمونها ومدى ارتباطها بالواقع الديني وتجاوبها واحكام الشريعة .

ضرورة الثورة الزراعية

تقوم ضرورة الثورة الزراعية على اسباب تاريخية واقتصادية واجتماعية .

فالسبب الاول هو ان المستعمر في الجزائر قد خلق نوعين من القطاعات الفلاحية ، قطاع عبرى وقطاع تقليدى .

الضرورة التاريخية :

فالاول كان يضم اجود الاراضى الزراعية واخصبها وكانت تبلغ مساحتها (2 800 000) هكتارا موزعة بين (22 000) معمر و كانت هذه الاراضى مجهزة باحدث الآلات ومزودة بجميع الامكانيات الفلاحية وكان انتاجها موجه الى فرنسا ويمادل 60% من الدخل الزراعى القومى .

وعقب طرد المستعمر فى ربيع 1962 واستقلال البلاد قد شرع فى استرجاع الثروات الوطنية بتأميم اراضى المعمرين واستغلالها من قبل العمال الذين وجدوا انفسهم امام وضعية طارئة تحكمها عدة ظروف قد اوجدها المستعمر قبل خروجه مثل تخريب المزارع ، وتحويل الاموال ، وتمزيق الوثائق ، ونقل بعض العنادر الى فرنسا واتلاف البعض الآخر ، بالاضافة الى قرب موعد الحصاد .

فبدافع من الغيرة الوطنية قام عمال الارض متكاتفين لتكوين لجان لتسيير مزارعهم من تلقاء انفسهم ، طبعا تحت رعاية جيش التحرير الوطنى .

وذلك لانقاذ المحاصيل الصيفية والقيام بموسم الحرت 1962/1963 . وبفضل هذه المبادرة كانت محاصيل 1963 من احسن المحاصيل التى عرفتها الجزائر .

مارس 1963 بأية نصوص تطبيقية لوجود بعض المشاكل الناتجة عن التطبيق فاضطرت الدولة الى تكليف الديوان الوطنى للاصلاح الزراعى للاشراف على هذا القطاع .

وبطبيعة الحال ، تحول شيئا فشيئا الى نظام مركزى ، مما ترتب عليه أن أصبح التسيير الذاتى شعارا سياسيا أجوفاً ، بعيدا كل البعد عن معناه الحقيقى .

واستمر الوضع على ذلك حتى انتفاضة 19 جوان 1965 حيث قررت السلطة الثورية اعادة تنظيم هذا القطاع الحيوى بالنسبة للاقتصاد الجزائرى على اساس اللامركزية حتى تتمكن 2 000 مزرعة من أن تباشر استقلالها بطريق التسيير الذاتى وكذلك بتنظيم المحيط الاقتصادى لتلك المزارع مما ادى الى انشاء دواوين مختصة فى التسويق والمحاسبة ، والمعتاد ، وتخصيص مصرف لتمويل هذا القطاع .

ويصدر امر 30 ديسمبر 1968 ومراسيم فيفري 1969 الخاصة بتطبيق احكامه قد اكتمل الشكل القانونى بصفة نهائية وكاملة للاطار الذى سينمو فيه التسيير الذاتى .

هذا وتمثل الاراضى المسيرة ذاتيا حوالى ثلث المساحة القابلة للزراعة أى مايقرب من (3 000 000) هكتارا وهى مجمعة فى 2 000 مؤسسة زراعية مزودة بمعدات عصرية كما انها تنتج القسم الاكبر من الصادرات الفلاحية وتزود بقسم معتبر من السوق الداخلية ويطلق على هذا القطاع اسم القطاع الاشتراكى الزراعى .

والجدير بالذكر ان هناك مساحة من هذا القطاع تقدر الآن بـ (285 000) هكتارا بعد ان كانت تبلغ

(356 000) هكتارا فى عام 1962 وهذه المساحة تمثل 90% من الكروم أى ما يعادل 8 ملايين هكتوليترا من الحمر مما يساوى 60% من صادرات مجموع القطاع الزراعى .

وقد قررت السلطة الثورية طبقا لاختيارها الذى يتفق مع اهداف الدين الحنيف اقتلاع الكروم بالجزائر رغم اهميته الاقتصادية . وكخطوة أولى فقد قرر مجلس الثورة والحكومة اقتلاع مساحة 25 000 هكتارا خلال الموسم الزراعى 1971/1972 وتحويلها الى محاصيل أخرى .

ويقوم بالعمل فى هذا القطاع (150 000) عامل دائم وحوالى (100 000) عامل موسمى وفى المجموع فانها مصدر دخل لـ (250 000) عائلة ريفية أى ما يجاوز مليون من السكان القرويين .

وينتفع هؤلاء العمال وعائلاتهم بمقتضى الامر المشار اليه اعلاه والمتعلق بالتسيير الذاتى فى الفلاحة بالاحكام المنصوص عليها فى التشريعات الاجتماعية وتشريع العمل .

وهذه النظم الاجتماعية قد تم تعديلها بمقتضى الامر الصادر فى 5-1971 والمراسيم الخاصة بتطبيق احكامه بحيث تتساوى والنظم المعمول بها فى القطاعات الاقتصادية الاخرى .

ومما هو جدير بالذكر فى هذا الخصوص ان اصبح عمال القطاع الاشتراكى الزراعى يتمتعون ، ولاول مرة فى تاريخ الجزائر ، بالمنح العائلية .

وبعد ان كان العامل الفلاحى فى هذا القطاع مسخرا بين ايدي العمر ، مسلوب الارادة ، مهضوم الحقوق ، مسيرا كآلة قد تحول الى منتج حر ، مسؤول عن انتاجه ، ومعترف له بحقوقه وحقوق اولاده ، يسير شؤونونه بنفسه .

وهذا ما عبر عنه سيادة رئيس مجلس الثورة والحكومة بعبارة بليغة ، اذ قال :

« ان الثورة الاشتراكية قد اعادت لمعمال الارض كرامتهم ومكانتهم بالاجتمع » .

وما افصح دليل على ذلك حيث ان العامل الفلاحي ، في اطار سياسة الاتصالات الدائمة بين القمة والقاعدة ، اصبح يجتمع في ندوات سنوية لي طرح ويناقش المشاكل التي يعانها هذا القطاع ، ويقترح على الحكومة الحلول المناسبة لها .

وبالرغم من أهمية هذا القطاع من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، الا انه قد اصبح قاعدة انطلاق للثورة الزراعية حيث يكون المرحلة الاولى لتحقيقها ، والمحرك للتنمية الزراعية في القطاع التقليدي .

اما الاسباب الاقتصادية والاجتماعية التي تقوم عليها ضرورة الثورة الزراعية فانها تظهر بوضوح تام ، خاصة عند تحليل وضعية القطاع التقليدي الذي تتركزت فيه مظاهر هذا التخلف .

الضرورة الاقتصادية والاجتماعية :

ولهذا فالمرحلة الثانية للثورة الزراعية تخص القطاع التقليدي الذي تجمع فيه 70٪ من الجزائريين نتيجة طرد المستعمر لهم والاستيلاء على اراضيهم وهو يمثل ثلثي الاراضي المزروعة وينتج 40٪ من الدخل الزراعي القومي .

ويوجد به (600 000) مستغلا معظمهم يعملون في اراضي فقيرة مجردة من أية وسيلة للتنمية ومن بين هذا العدد (423 000) يفلح الواحد اقل من عشرة 10 هكتارات ، وان (150 000) يفلحون ما بين 10 الى 50 هكتارا ، وان (17 000) تقريبا ما يزيد

عن 50 هكتارا من الاراضي الصالحة للزراعة . وهذا القطاع يتميز بانتاج المواد الخاصة بالاستهلاك المحلي ولا يصدر منه للخارج الا القليل .

صغر المساحات وتجزئتها وعدم توافر الامكانيات المالية لشراء الآلات والاسمدة والبذور من المواد الاساسية اللازمة للزراعة لتسمح بزيادة الانتاج بحيث اصبح اكثر من ثلثي الفلاحين يلتجؤون الى البحث عن مواد اضافية اخرى لسد الاحتياجات الغذائية الضرورية .

اذا كان هذا النوع من الفلاحة يوافق بين تربية الحيوان وزراعة الحبوب والخضروات الجافة واشجار الفاكهة في التل الجزائري ويوافق ارتياد الكلا في المراعي ، فالزراعة وتربية الحيوان ما هما في الواقع الا حركات توسعية .

لان هذا القطاع الثاني كان بعيدا عن التنظيم قبل استقلال البلاد باعتباره عديم الفعالية بالنسبة للمعمر ولذلك قد اهمله .

وزيادة على ذلك ، فان هذا القطاع تحمل اثر تبشئته الكاملة في الثورة ، أثقل عبء خلال حرب التحرير ، مما يدل ذلك على ما تحمله من تخريب وتحطيم ، وحرق ، وقتل .

ومما يجدر التنويه به في هذا الخصوص ، ان المستعمر قد حشد مليونين من الفلاحين الجزائريين لكي يفصل بين الشعب وجيش التحرير ، ولكن هيهات ، فقد حال دون ذلك ، بان كانت الثورة تنبعث من روح هذا الشعب وتنبع من ايمانه بالله وايمانه بالتحرر .

فالثورة الجزائرية طيلة حرب التحرير وعدت

هؤلاء الفلاحين بترقيتهم والنهوض بهم للوصول الى مستوى معيشة باقى الشعب الجزائرى .

وعقب الاستقلال ، قد قامت السلطة الثورية بمجهودات كبيرة من ضمنها التنازل عن ديون صغار الفلاحين فى هذا القطاع وتزويدهم بقروض سنوية مقدارها (150) مليون دينار واتخاذ الاجراءات اللازمة لانعاش هذا القطاع .

وبالرغم من هذه المبادرة الطيبة التى قامت بها الحكومة الا انها لصبحت بعيدة عن تحقيق الهدف المقصود . نظرا لعدم تجاوبها مع الاحتياجات المتزايدة التى يتطلبها هذا القطاع لتنظيمه وترقيته .

وهذا مما يدل على ضخامة المجهود الذى يشترط للنهوض بهذا القطاع وانضمامه فى النشاط الاقتصادى الوطنى .

وبالتالى اصبح هذا المجهود لا يمكن ان يتم فى نطاق اصلاح الزراعى العادى ولكن لابد ان يتم فى نطاق ثورة زراعية شاملة تتضمن وتتجاوز ليس فقط معنى اصلاح الزراعى العادى ، بل حتى الاساليب الزراعية التقنية الحديثة التى تعرف باسم الثورة الخضراء . لتتصل وتدفع بالفلاح الجزائرى الى الرقى .

فلسفة الثورة الزراعية

وذلك طبقا لاختيار السلطة الثورية بان التنمية يجب ان تكون دائما فى خدمة الانسان وبالتالي لم تصبح الثورة الزراعية ضرورة تاريخية فقط . ولكنها ايضا ضرورة اقتصادية واجتماعية مما جعل منها شرطا اساسيا للتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى البلاد .

وتقريبا على ذلك ، فالثورة الزراعية ما هى الا اداة لخلق الشروط اللازمة لتحويل ظروف العمل ووسائل المعيشة فى الارياف ، تحويلا جذريا ، لكى تمنح للمجتمع الريقى انطلاقة جديدة تسمح بتنظيمه وازالة العراقيل التى تحول دون تقدمه وان تفتح امامه آفاقا حقيقية للتنمية .

وفى هذا المعنى قد اشاد الاخ الطيبى العربى عضو مجلس الثورة ووزير الفلاحة والاصلاح الزراعى بعبارة الماثورة :

« ان الثورة الزراعية قد آتت لتمحى بصفة نهائية تلك الافكار الرجعية وتعمل للقضاء على الهياكل المتجمدة التى تصبغ عقبة فى طريق الازدهار والتقدم الاجتماعى والاقتصادى » .

فاذا كانت هذه فلسفة الثورة الزراعية واذا كانت تهدف الى الاستثمار المنطقى لوسائل الانتاج ورفع الانتاجية وزيادة الدخل الوطنى وتوزيعه توزيعا عادلا فانها لا تصبح وسيلة او غاية يفصد بها القضاء على حق الملكية وعلى وجه الخصوص الملكية الصغيرة ولكنها ترمى الى تحقيق اهداف الثورة الاشتراكية القائمة على اساس العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص . والفناء الفوارق الجهوية والاجتماعية والقضاء على استغلال الانسان لاخته الانسان وبالاخرى والاولى المسلم لاخته المسلم ، لكى تلتحق الجزائر بركب الدول المتقدمة الراقية . وتتمكن بفضل تسميتها ، ان تساهم فى تدعيم الحضارة العالمية مقيمة بالحجة ، بان الدين الحنيف هو دين العلم النافع والتقدم الحقيقى والثورة الصالحة .

وبذلك يتحقق قوله سبحانه وتعالى :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »

مضمون الثورة الزراعية

بعد ان تعرفنا على فلسفة الثورة الزراعية بقي ان نبين الاحكام الدينية التي تؤيدها والتي تفسر الاجراءات اللازمة لتحقيق اهدافها .

فالثورة الزراعية تقوم على اساس المصلحة العامة للشعب وتفضيلها على المصلحة الخاصة كما هي قائمة على اساس القاعدة العامة التالية :

« الارضى لمن يخلعها »

ومن ثم يجب ان نبين مضمون الثورة الزراعية والاساليب الشرعية التي تجيز وتسمح به .

وقد سبق القول لنا بان الثورة الزراعية لا تهدف الى الغاء حق الملكية ولكنها ترمى الى تحديد الملكيات الكبيرة وتأميم اراضى الملاك المتغيبين دون المساس بالملكية الصغيرة .

وبما ان الثورة تهدف الى ابقاء على الملكيات المسموحة بها شرعا ، فانها فى ذات الوقت تحافظ عليها وتمسدها بالوسائل اللازمة لاستثمارها .

هذا مع العلم بان الثورة الزراعية تتضمن عدة عمليات متسلسلة متعاقبة لتحقيق اهدافها .

هذه العمليات تكاد تتلخص فى الاستيلاء على الاراضى وتوزيعها ثم كيفية استغلالها .

الاستيلاء على الاراضى :

تكوين صندوق اراضى الثورة الزراعية :

يتم الاستيلاء على الاراضى بتأميمها وتحديد ملكيتها وتنظيم الاحباس وارضى العرش وكذلك

اراضى الدولة والجماعات المحلية التى تنازل عنها . ومن مجموع هذه الاراضى يتكون الصندوق الوطنى للثورة الزراعية .

1 - التنازل : وفى سبيل تحقيق اهداف الثورة الزراعية قررت السلطة الثورية تنازلها عن اراضى الدولة والجماعات المحلية . وهذا التنازل يشكل العنصر الاول الذى يتكون منه صندوق اراضى الثورة الزراعية .

وهذا يعكس المثل الاعلى الذى تعطيه لنا الحكومة وفاء منها للشعب ودليلا لسهرها على المصلحة العامة . وفقا لشعار البلاد :

الثورة من الشعب والى الشعب

ومن الاسباب التى يقوم عليها هذا التصرف هو عدم كفاية الاراضى الفلاحية بالنسبة الى عدد الفلاحين وعدم استغلالها بطريقة حديثة ومثمرة وتحقيق الاهداف التى نص عليها المخطط الرابعى .

2 - تأميم اراضى المتغيبين :

كما يشكل تأميم اراضى المتغيبين العنصر الثانى لهذا الصندوق والمتغيب هو مالك الاراضى الزراعية التى لا يفلحها مباشرة وبفسه . ومن الاسباب التى أدت الى تأميم الاراضى هى عدم استغلالها كما ينبغى ، وتحويل الموارد الفلاحية من الريف الى المدن بدون الانتفاع بها ، والاتجاه الى انواع التأجير والاشتراك مع الغير ، على أسس غير سليمة تمس فى بعض الاحيان كرامة الفلاح ، (كالخماس) مثلا فى الجزائر .

والتأميم قانونا هو نقل الملكية الخاصة الى الملكية العامة فى مقابل تعويض نقدى .

واول من مارس صور التأميم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حين ما اراد أن يبني مسجده في المدينة بعد هجرته اليها فقد كان مكان هذا المسجد مربدا لفلانين يتيمين من بني النجار فطلب شراءه واشتراه ودفع ثمنه . ثم بني مسجده عليه وجعل من طرف منه مساكنه .

ويلاحظ أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رغم أنه كان يعلم أن هذا المريد لفلانين يتيمين . إلا أنه قد فضل المصلحة العامة على المصلحة الخاصة .

كما فعل عثمان بن عفان رضي الله عنه حين اراد توسيع المسجد الحرام فقد ابتاع من قوم أرضا في جواره وأبى آخرون بيع أراضيهم . فهدم عليهم ووضع ثمن الأرض ببيت المال . فضجوا ، فأمر بحبسهم حتى ارتضوا أخذ الثمن .

والجدير بالذكر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه تحقيقا لمبدأ العدالة وضع تعويضا نقديا لهذه الأرض من بيت المال حقا لهؤلاء الأشخاص .

كما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال :

« الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار » .

وهذا يفسر ثبوت حق الناس في الاستفادة من هذه الموارد الطبيعية لحاجتهم اليها .

فإذا كانت الملكية الشخصية تعتبر السبيل المؤدى إلى احتكار الأشياء عن كافة الناس بحيث يصبح المالك هو المتحكم والمحتكر لها ، فقد أحاز الدين للدولة أن تتخذ من الوسائل ما يكفل إشراك الناس جميعا في الاستفادة منها تحقيقا

لمعنى الشراكة الواردة في الحديث بابتيلاء الدولة عليها ووضعها في متناول جميع الناس . والحديث الشريف السالف الذكر لم يرد على سبيل الحصر بل على سبيل المثال ، ومن ثم ، أصبح حكمه ومدلوله ينصرف إلى كافة الأشياء التي تتضمن عنصر الضرورة للشعب .

ومن مرتكزات تسوية فكرة التأميم ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حماية أرض النقيع بالمدينة وجعلها لعامة المسلمين ترمي فيها خيولهم فلا يمتلكها ولا يستقل بها أحد .

وبذلك قد جعلها ملكا للدولة . فالتأميم إذا مستمد من فكرة المصلحة العامة التي تبتغيها الدولة وتشتمل حاجة الشعب اليها .

فالتأميم بالإضافة إلى استناده إلى الشريعة الإسلامية فهو تفسير للأصول وللإمبادئ الفقهية المقررة كرفع الضرر ومنع الحرج وسد ذرائع الفساد وإن دفع الفساد مقدم على جلب المصالح . والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة والضرورات تبيح المحظورات .

ومن جهة أخرى يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« أن الله يحب العبد المحترف » .

ويدل هذا الحديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن كسل وبلادة العبد ويعتبر العبد المحترف الذي يعمل بنفسه وببيده هو حبيب الله سبحانه وتعالى .

ويقول أيضا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« من كانت له أرض فليزرعها أو يمنحها أخاه »

وهذا الحديث يدل على أنه إذا كان العبد يمتلك

عليها لان المال لله ويد الانسان عليه عارضة
امينة .

يقول سبحانه وتعالى :

« **وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه** »

(سورة الحديد 7)

فالمالك اذن مستخلف والمال بهذا الوصف
وسيلة لفعل البر ، بمعنى ان الاستعمال الذى
يهدف الى تحقيق مصلحة عامة شرط اساسى
للملك .

ونتيجة لما تقدم فان الاسلام يكره تجميع
وتكديس الثروات فى يد فئة قليلة من الناس
مما يجنح بهم الى الترف والميلذات والاسراف
والاستغلال . ويكون المال وسيلة للطغيان
والاستبداد والتحكم فى الناس .

ويقول سبحانه وتعالى :

« **كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين** »

وتدل هذه الآية الكريمة على ان الله ينهى
عن الاسراف فى الملذات والاسراف فى الترف
فى حين ان هناك انسانا طواهم الجوع وأنهكهم
المرض واحتواهم الجهل وهم يعيشون فى سجون
الحرمان والالم .

ويقول سبحانه وتعالى :

« **كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم** »

(سورة الحشر 7)

واذا كان الاسلام قد اباح التأميم لمصلحة
المجتمع فمن باب آخر انه يجيز تحديد الملكية
بحد معين متى اقتضت ذلك المصلحة العامة .

أرضا لا يفلحها بنفسه فان اخاه احق بزراعتها
وفلاحتها منه متى اقتضت ذلك المصلحة العامة
كما ان الحديث الثانى يحمل معنى ساميا ، معنى
عظيما يقوم على ان عدم فلاحه الارض يصيبها
بالتلف مما تصبح بورا أو أقل انتاجا مما يجز
معه فى نهاية المطاف ، الاضرار باقتصاد البلاد .

واذا كان التأميم هو القاعدة العامة التى تنطبق
فى حالة الملاك المتغيبين ورغم ان هذا التأميم
يستمد أسسه من الدين الحنيف الا أن هناك
بعض حالات استثنائية ترد على هذه القاعدة
توجبها عدة شروط اقتصادية واجتماعية .

واذكر على سبيل المثال :

- **ملاك المساحات الصغيرة جدا الذين تركوها
بحثا عن موارد اضافية اخرى فى داخل
البلاد او خارجها .**

- **الملاكين الذين اضطروا الى ترك اراضيهم
بسبب الحرب .**

- **الملاكين :**

أ - **العاجزين**

ب - **الشيوخ**

ج - **ارامل الشهداء**

د - **ابناء الشهداء**

هـ - **القصر وعديمى الاهلية القانونية**

و - **المعطلون الخ . . .**

3 - **تحديد الملكية الكبيرة :**

ان الاسلام يشترط ان تكون حيازة المال أو
ملكته بقصد مصلحة عامة أى مصلحة المجتمع .
وكذلك يوجب رعاية هذه المصلحة والمحافظة

هذا ولا يغيب عن أعيننا ، ما للملكيات الزراعية الكبيرة من آثار تضر بالمجتمع نتيجة إهمالها من قبل أصحابها وعدم الانتفاع بإنتاجها بدرجة تيساوى ومساحتها ، بالإضافة الى مستوى معيشة الفلاحين المنحط ، الفلاحين الذين يخدمونها بجهدهم وعرقهم ، محرومين من نتاج عملهم وثمرة مجهودهم نتيجة استغلالهم مما يؤدي الى افقارهم المزمن . ونحن نعلم بأنه قد قيل :

« كاد الفقر أن يكون كفرا »

وكما قال الامام على كرم الله وجهه :

« لو كان الفقر رجلا لقتلته »

ومن جهة أخرى ان النبي صلى الله عليه وسلم حماية لهؤلاء الكادحين من المستغلين قد أمرنا ان نعطى العامل حقه حيث يقول :

« أعطوا العامل أجره قبل أن يجف عرقه »

وذلك أن المحضور الوحيد الذى يرفضه ولا يجيزه الدين هو استغلال الانسان لاختيه الانسان . ذلك الاستغلال الذى اوجدته الرأسمالية التى تستهدف تجميع الثروات الضخمة فى يد فئة قليلة تسخر فئة أخرى لا تملك ولكن تمتلك .

وبالتالى يقوم تحديد الملكية على القضاء على استغلال العمال وحفظ حقوقهم كاملة مع العمل على إحالة دون تضخم الثروات تضخما متزايدا . يعدم كل أثر لتقريب الفوارق الاجتماعية كما ان يقاوم انحرافات الرأسمالية والاسراف فى الملذات والخلود الى الكسل .

هذا المعنى يقول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« اللهم انى اعوذ بك من العجز والكسل »

« والجبن والبخل واعوذ بك من التمر »

وهذه الاسباب مجتمعة او احداها تنهض دليلا على وجوب تحديد الملكية الزراعية بحيث يحدد الفلاحون على ما يزرعونه ويجعل من هذا التحديد عملا اصلاحيا كبيرا وضرورة اجتماعية لازمة .

وتحديد الملكية الكبيرة هو العنصر الثالث

فى تكوين صندوق اراضى الثورة الزراعية
4 - الاراضى المحبسة :

كما تكون الاراضى المحبسة العنصر الرابع فى تكوين هذا الصندوق .

فالوقف شرعا معاملة من المعاملات بين العبد وربّه يتقرب بها اليه وبين العباد .

وهو يتضمن منح التصرف فى رقبة العين التى يمكن الانتفاع بها ورصد منفعتها لجهة من جهات البر والاحسان . والوقف الاهل هو ما قصد به حبس الرقبة على الذرية واعاقبها مع الحرمان من التصرف فيها .

والوقف لا يستمد اصله من القرآن الكريم حيث لم يستدل عليه من بين آياته الكريمة ولكن الحبس « الوقف » قد استمد شرعيته من السنة المحمدية حيث يقول سيد المرسلين :

« اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث : صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يعمل له »

فالصدقة الجارية بهذا الحديث هى المقصود بها الوقف باعتباره نوعا من الصدقات .

وايضا ما روى الامام البخارى رضى الله عنه ان عمر بن الخطاب قد اصاب ارضا بخيبر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها فقال :

يارسول الله انى أصبت أرضا بخير لم أصب
مالا قط انفس عندي منه فما تأمر به . قال
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« ان شئت حبست أصلها وتصدقت بها »

وينبنى على ما تقدم ان الأصل فى الوقف هو
الصدقة وانها تصدر عن الانسان طوعية واختيارا
خالصة فى مصارف الزكاة .

وقد استمر هذا المعنى متداولاً حتى أواخر
عهد الصحابة رضى الله عنهم حتى اتخذ بعض
الواقفين من هذا المعنى وسيلة للخروج عن
مقصده والانحراف به عن هدفه وشرعوا يتخذون
منه سبيلا وطريقا مستترا لحرامان بعض الورثة
من الميراث الذى هو حق شرع لهم فى كتاب
الله العزيز .

هذا وان أول قرار اتخذ من طرف المستعمر
فى الجزائر كان بقصد الاستيلاء على أراضي
الاحباس الخيرية التى كانت موجودة على نطاق
واسع .

وامعانا من المستعمر فى سياسته نحو
الاستيلاء على الاراضى الزراعية الأخرى ، قد التجأ
بعض الافراد الى حبس اراضيهم على ذريتهم .

والمشاهد فى هذا الخصوص ان ما بقى من
الاراضى المحبسة للخير قليلة جدا والاحباس
الاهلية لا تزيد عنها بنسبة كثيرة . ذلك ان هذين
النوعين من الاحباس فى مجموعهما لا يمثلان
جزءا كبيرا من الاراضى الزراعية .

وبالتالى لا تصبح الاراضى المحبسة مشكلا
فى تطبيق الثورة الزراعية ولكنها تستخدمها
بالكيفية التى تتفق وطبيعتها فى سبيل التنمية

الاقتصادية .

واحتراما لصيغتها الدينية فقد اجتمعت الثورة
الزراعية بتنظيم الاحباس الخيرية ، وردها الى
أصلها الشرعى .

5 - اراضى العرش :

أما المنصر الخامس والاخير فى تكوين الصندوق
هى اراضى العرش الصالحة للرعى التى هاجر
اليها واستوطن فيها أولئك الذين طردهم
المستعمر الذين كانوا يملكون اراضى فى الجزائر
الشمال وكذلك غيرهم من القبائل التى كانت
موجودة فى هذه المناطق .

وقد قام المستعمر بتقسيمها وتوزيعها على
القبائل فى اطار سياسة الاستيطان ووضعت
لها حدود .

فالوضعية القانونية لهذه الاراضى تظهر فى
صورة حيازة او فى صورة وضع يد فالحائز او
واضع اليد ما هو الا مالك فقط للمنفعة دون ملك
الرقبة التى هى فى الاصل ملك للدولة .

بعد أن تعرفنا على عناصر تكوين الصندوق
الوطنى للثورة الزراعية ، وقبل بيان مبدأ توزيع
تلك الاراضى وشروط الانتفاع بها ، يجب أن
أشير الى ان هذه الاراضى لكونها ملكا للدولة
فانه لا يجوز التصرف فيها او الحجر عليها ،
التنازل عنها

توزيع الاراضى

مبدأ التوزيع :

واذا كان هذا اختيارنا باعتباره عاملا فعلا للتنمية وضمانا لرفع مستوى معيشة المستفيدين فما هو أصله في الدين ؟ يقول سبحانه وتعالى :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان »

ويتبين من هذه الآية ان الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالتعاون على البر أى فعل الخير الذى يتفق مع اهداف الثورة الزراعية وذلك فى اطار المصلحة العامة والنفع الذى يعود على سائر افراد الامة متبعين فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم :

« والله فى عون العبد مادام العبد فى عون اخيه »

وهذا مما يدعم العمل الجماعى الذى يقوم على اساس تظافر الجهود وعلى اساس انتشار الاخاء بين الناس لان من يعين اخاه فقد أعانه الله. الهدف الاساسى من التعاون فى المجال الفلاحي هو حشد القوة العاملة وتجميع وسائل الانتاج وتسخيرها من قبل الفلاحين مجتمعين للوصول الى رفع مستوى معيشتهم .

وهذا ما ينطبق عليه قول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

« خير الناس انفعهم للناس »

2 - المتفعون :

من هم اذن المتفعون من الثورة الزراعية ؟

يجب أن يتوافر فى المنتفع من الثورة الزراعية شروط سينص عليها قانون الثورة الزراعية ولكن بصفة مبدئية يمكن القول بانها هى :

فتوزيع الاراضى يقوم اساسا على مبدأ تقرير انتفاع على هذه الاراضى للفلاحين المنتفعين دون ملكيتها . وهم يستغلونها وينتفعون بشئرتها بصفة مستديمة كما يستفيد ذريتهم بعد وفاتهم .

واذا كان هدف الثورة الزراعية هو تنمية الاستثمار الفلاحي وانه فى ذاته لا يؤدي الى تفتيت الملكية وتجزئتها بحيث تصبح غير صالحة لانتاج متزايد اصبح من المحتم تجميع المساحات المؤمة فى اطار وحدات انتاجية قابلة للتطور الاقتصادى والتى تخضع لاساليب عمل وطرق انتاج كفيلة بتحقيق الغرض المقصود .

وهذه الوحدات تسير جماعيا لتتمكن الدولة من مدها بالمتطلبات الفلاحية وتزويدها بالاطارات التقنية وتنشيطها اقتصاديا وثقافيا .

هذه الوحدات تكون على شكل تعاونيات الانتاج مدعمة على مستوى البلديات بتعاونيات خدمات متنوعة تقوم بدور توزيع اعانات الدولة المالية والتقنية والادارية . وتشكل التعاونيات احدى طرق تنظيم الفلاحين بينما اتحادات الفلاحين تكون لهم اطارا لتعبئتهم سياسيا ومشاركتهم فى تنفيذ الثورة الزراعية .

على أنه فى حالة عدم توافر الشروط الفنية والاقتصادية اللازمة لاجداث هذه التعاونيات اصبح من الجائز توزيعها على الافراد .

وبجانب هذا النوع من التعاونيات ، تشجع الحكومة تكوين تعاونيات يمكن أن ينخرط فيها طوعية اصحاب ملاك الاراضى وعلى الاخص الملاك الصغار وذلك لوضع حد لتفتيت وتجزئة الملكية بحيث لا تصبح غير صالحة لانتاج متزايد وتكون عتبة فى تطور الاقتصاد القومى .

- صفة الفلاح

- عدم حصوله على أرض أو تصرفه في مساحة غير كافية

- الاهلية البدنية للعمل الفلاحي .

ولكن قد يتقدم بعض الافراد على غيرهم بالرغم من توافر الشروط السابقة اذا كانوا من بين العمال الموجودين فعلا بالمكان . أو كانوا من بين قدماء المجاهدين ولولاد الشهداء .

وفي أى حال من الاحوال فان الاولوية تمنح لارباب العائلات الكبيرة العدد .

ويستفيد المنتفع من الثورة الزراعية بالحقوق الاجتماعية التي تتمثل في نفقات التعليم ومحو الامية والصحة والاسكان وانشاء القرى الفلاحية الحديثة ووسائل الترقية كما يتمتع بحقوق اقتصادية في نطاق الاحكام التشريعية الجارى بها العمل .

اما واجباته فتلخص في وجوب انضمامه الى التعاونيات الفلاحية للنتاج والتزامه باستثمار الاراضى في نطاق مخطط التنمية الفلاحية مع احترامه للالتزامات الاخرى التي سينص عليها قانون الثورة الزراعية .

هذه الطريقة التي انتهجتها السلطة الثورية في تنظيم الفلاحين تساعدهم على القيام بواجباتهم نحو المجموعة الوطنية كما قامت هذه المجموعة بواجبها نحوهم مما يفسح المجال لظهور فكرة التوافق الضمنى واتحاد ارادة افراد الشعب واجماع كلمته للوصول الى الغاية المنشودة التي تركز على الاستثمار .

استثمار الاراضى

وبعد ان حصل المنتفع على حقه من الثورة الزراعية ، فما هى اهم الادوار التي يجب ان يقوم بها لتحقيق اهدافها ؟

يعد الاستثمار من العوامل الجوهرية لتحقيق اهداف الثورة الزراعية والالتزامات المترتبة عليه باعتباره شرطا اساسيا فى التنمية الاقتصادية . فالغناء مزارعة الغائبين عن الارض وتحديد الملكية الكبيرة هما من جملة وسائل الوصول الى احداث وحدات ممكنة البقاء بواسطة التعاون وتقوية الانتاج ، فمضاعفة الانتاج وحماية التربة بترتيبان على تطبيق قواعد الاستثمار .

وواجبات الاستثمار الزراعى هذه تكون على نوعين تطبق اولا على المنتفعين حسب نوع التربة والنواحي ، ويجوز ان تختص بتنمية الري وحماية التربة والتشجير وغيرها من الانجازات الاخرى .

وتطبق هذه الواجبات ثانيا بصفة دقيقة ومشددة فى المناطق التي تسمى مناطق الاستثمار أى فى المناطق التي تقوم باعدادها وتجهيزها الدولة واحداث هيئات خاصة بها نظرا لاهمية المنطقة من الناحية الانتاجية وحجم المصروفات . وهذه الواجبات سوف تكون محلا لنصوص تنظيمية دقيقة تضبط كافة الحالات التي يمكن ان تعرض ويتعلق الامر بصيانة تراثنا الوطنى والوصول الى استعمال تام لعواملنا الانتاجية .

وفي هذا الاطار فان عدم كفاءة الاستثمار تعتبر اساءة فى الاستعمال تستوجب المعاقبة عليها .

والاستثمار لا يقتصر عند الاراضى ذات الامكانيات القوية بل يتعداها الى استصلاح

الاراضى الفقيرة والاخرى الجرداء مثل المراعى وارضى الحلفاء والاراضى الصحراوية .

وهذا يتطلب ايضا استعمال المواد الزراعية الحديثة مثل الاسمدة والبذور المنتقا والآلات الحديثة واتباع وسائل الري والصرف واتباع احسن الطرق لوقاية النباتات وحمايتها من الآفات الزراعية .

وينبنى على ذلك وجوب الاستعمال الحسن لهذه الوسائل والامكانيات . الاستعمال المؤسس على عدم التفریط والاfrات ، وتحسين جودة الانتاج ومضاعفته ، وزيادة الطاقة الانتاجية بمضاعفة العمل والمثابرة عليه .

وهذا يقتضى منا استغلال جميع عوامل الانتاج وتشغيلها بطريقة فعالة والاستفادة منها بقدر المستطاع استفادة قصوى ، وبذلك يثرى المجتمع ماديا وجتماعيا فى سبيل الوصول به الى الرقى والرفاهية .

ويجب الاخذ فى الاعتبار ان الاستثمار لا يمكن ان يحقق الهدف المقصود منه اذا لم يكن معتمدا على دراسة وتخطيط فنى لجميع طرق الانتاج من رى ، وصرف ، وانشاء خزانات لحجز المياه وتوزيعها عند الحاجة .

ولهذا ، وبسبب قلة المياه المطرية فى الجزائر ، فقد رصد مبلغ 1700 مليون دينار اى ما يعادل 27٪ من الاستثمارات المخصصة للتنمية الزراعية .

كما يقتضى ذلك ايضا تكوين اطرار يعهد اليها بتنفيذ هذه المخططات والدراسات لانه لا يمكن القول بوجود استثمار حسن اذا لم يكن القائمون على تنفيذه اناسا يكتسبون بالصبغة العلمية والتقنية .

ويقوم المعهد الفلاحي التكنولوجى بمدينة مستغانم دليلا قويا على هذا النهج حيث ان الدراسات تصل الى الطلبة عن طريق استعمال

احدث الوسائل (السمعية ، والبصرية) حتى اصبح يضاهى ارقى المعاهد العالمية .

وطبقا لمخطط الدراسة فى هذا المعهد فانه سيعمل على تخريج الف مهندس تطبيقى ابتداء من عام 1973 .

ومما هو جدير بالاشارة اليه ان وزارة الفلاحة والاصلاح الزراعى قد بدأت فعلا منذ عامين فى تعريب المدارس الجهوية الفلاحية لتكوين الاطارات تقنية باللغة الوطنية .

هذه صورة موجزة لثورتنا الزراعية التى تبنتها السلطة الثورية هادفة الى خلق مجتمع افضل تسوده العدالة الاجتماعية والاخاء والرفاهية ، متمسكا بقيمه الروحية ، خاليا من استغلال الانسان لاختيه الانسان .

وها نحن قادمون على معركة بناء وتشبيد ليست باقل اهمية من معركة التحرير بل اشد صعوبة واكثر خطورة حيث لا يقف الامر عند استرداد حرية البلاد واستقلالها ، بل يعتبر نقطة انطلاق فى طريق استرداد واسترجاع الثروات الوطنية واستخدامها بكل فعالية لصالح الشعب . ولذلك يجب ان يساهم ابناء البلد ، كل فى ميدانه ، فى هذه المعركة البناءة ، بأن يساهم عن ايمان وعقيدة بابعاد واحداث هذه المعركة .

ان الشعب الذى آمن بمعركته التحريرية ، الذى آمن بمستقبله ، هو شعب حر ، قوى العزيمة ، مجند لآخذ مصيره بيده .

ولا شك فى ذلك من ان الشعب الذى يواصل تحدى اول نوفمبر 1954 سيظهر عبقرية الخلافة لرفع تحدى تاريخى آخر ، بالقضاء على التخلف الاقتصادى والفكرى بكل جد وثبات .

« وكل اعملوا فسرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

« وان الله لا يضيع اجر من احسن عملا » .

علاء الفاسي



الاستاذ علاء الفاسي يلقي نعي التوصية الثالثة في الملتقى الخامس الخاصة بالاسلام ومشاكل التنمية في الاقتصاد الحديث بصفته رئيسا لها .



الجزائر العرب

شعب الجزائر مسلم

والى العروبة ينتسب

بهذا البيت البسيط فى لفظه الواسع فى معناه
رد المصلح الكبير عبد الحميد بن باديس على السيد
فرحات عباس حين كان يبحث عن الجزائر فلا
يجدها ويطالب بتجنيس الجزائريين مع المحافظة
لهم على الاحوال الشخصية الاسلامية .

بعد أن عاد الاستاذ علاء
الفاسي الى المغرب حيث حضر
وشارك مشاركة فعالة فى
الملتقى الخامس للتعرف على
الفكر الاسلامي بوهان ، كتب
فى جريدة « العلم » سلسلة
من المقالات ضمنها انطباعاته
عن الجزائر .
وننشر فيما يلى اولى هذه
المقالات :

لقد تطور عباس وعاد الى حظيرة المجاهدين من أجل الاستقلال وكان من فضله على تحرير الجزائر ما يعترف له به الكل ، اما كلمة ابن باديس البسيطة فقد عملت عملها في تذكير الجزائريين ومنهم عباس بحقيقة ذواتهم وردتهم الى الاستماع للانسان العربي المسلم المستوطن في قـرارة انفسهم ، فباسم الاسلام ماتوا لتحتيا الجزائر وباسم العروبة رفضوا كل هيمنة استعمارية فرنسية .

واليوم وقد استقلت الجزائر بفضل المليون من الشهداء العرب المسلمين فان قادتها ورجال ثورتها يعربون عن اخلاصهم الكامل ووفائهم لهذه الروح التي حركت شعبيهم ودفعت بابنائهم للاستماتة في سبيل الوطن العربي المسلم .

ان الثورة الثقافية التي هي احدى دعائم الثورات الثلاث في الجزائر تقوم قبل كل شيء على اساس بعث الروح العربية واحلالها المركز الاول والاخير في الجزائر باعتبارها لغة الدين والدولة والشعب والحضارة والثقافة التي تنتمي اليها الجزائر وشقيقاتها العربيات المسلمات .

فالتعريب اليوم هو الشعار الذي تنادى به الدولة ويشر به كل مواطن ومواطنة . والجميع

يتعلم العربية ليظل في الصف الامامي للامة .
لئلا يتفصل عن الكيان الوطني ليكون في صميم الشعب الجزائري المسلم .

قال لي السيد هواري بومدين : لقد قلت للذين يعتبرون اللغة العربية مجرد ادلة ولا يرون في التعجيل بالتعريب الضرورة التي نراها ، من اراد الفرنسية فعليه ان ينتقل لفرنسا ، اما هنا فالعربية لغة الجزائر ، والعربية وحدها .

وقال لي : لقد ارسلت شعارا يقول : قضاء الشعب يجب ان يكون بلغة الشعب ، وهكذا فقد تقرر تعريب القضاء بجميع اقسامه ومراحله ابتداء من فجر السنة القضائية المقبلة ، والمحامون والقضاة يتهيأون بدراسة العربية للموسم التاريخي المقبل ، واللجان مكتبة على تعريب مدونات القانون الجزائري ، واعادة النظر في ما لا يتفق مع الروح الجديدة في الجزائر . وفي الاحوال الشخصية توضع لها مدونتها . وفي وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية لجنة من المفتين يراجعون احكام الشريعة في بعض المواد القانونية الموروثة من الاستعمار . ثم يجتمعون مع لجان التشريع للبت في المسائل المختلف عليها ، نشاط تشريعي ومهني وقانوني ،

ولغوى ، اسئلة توجه اليك فى شتى الموضوعات
اثناء المذاكرة والطعام ، كيف نترجم للعربية
هذه الكلمة ؟ ما هى عربية ذلك الاصلاح ؟

وقد قرر مجلس الثورة والحكومة ، عدم
قبول أى موظف فى أية وظيفة عمومية اذا لم يكن
عارفا باللغة العربية ابتداء من الآن ، أما
الموظفون القدماء فقد وقع تجميد ترقيةهم الا اذا
اجتازوا امتحانا ، مغنيا ، وفى سبيل ذلك نظمت
لهم دروس خاصة اجبارية طبقا لمنهج خاص .

لم يعد من الممكن الحديث فى مجلس الوزراء
او كتابة الاوراق الرسمية فى الادارة الا بالعربية
باستثناء بعض التقارير التقنية مؤقتا ، أى أبيع
كتابتها بالفرنسية اذا كان الموظف لا يستطيع
كتابتها بالعربية .

أما التعليم فقد تقرر تعريبه نهائيا فى كل
اقسامه ، الابتدائى والثانوى والعالى ، أما
الابتدائى والثانوى فيعربان على ثلاثة اعوام ،
كل عام منذ سنة ١٩٧١ - ١٩٧٢ يعرب ثلث
المدارس الموجودة او التى توجد فى القطر
الجزائرى برمتها ، وفى نهاية سنة ١٩٧٤ يكون
التعريب قد تم فى كل المدارس ، وتتغلب الجزائر

على صعوبة الاطر المعربة باستقدام الاساتذة
من أية جهة عربية كانت . وستستقدم فى هذه
الايام ٧٥٠ استاذا ثانويا من سوريا وحدها .
والتعريب عام لجميع مواد الدراسة ، للعلوم
والحساب والمواد الادبية .

أما التعليم العالى ، فقد بينت سابقا عزم
الدولة على الغاء كلية الحقوق الفرنسية وكلية
الآداب الفرنسية واحلال الكليتين العربيتين محلها
وفى انتظار تعريب كليات الطب والعلوم تعلم
العربية اجباريا لكل الطلبة المنخرطين فى الكليات
الطبية والعلمية .

قلت للرئيس يومين : هذا شئ حسن جدا ،
ولكن يجب عليكم أن تثبتوا ، فقد قطعنا أشواطا
فى التعريب ثم انتكسنا . فاجابنى قورا : الا اذا
لم ابق فى هذا المكان ، اما مادمت رئيسا للدولة
فاطمئن ياسيد علال اننى لن أراجع قيد انملة عن
تنفيذ البرامج التى أعلنتها فى التعريب وبعث
الثقافة الاسلامية . فقلت اذن أبقاك الله فى مكانك
لخير العربية وثقافة الاسلام .

يتعمق الجزائريون فى البحث عن ضرورة
التعريب ، ويقولون : لقد اختار اسلافنا العربية

كما اختاروا الاسلام ، فلماذا نقبل التفرس من جديد ؟ وعلى فرض انه ليست لنا لغة قومية هي العربية ، فلماذا سنختار الفرنسية بالذات لغة لنا؟

ان الانكليزية والروسية اليوم اولى بالاختيار من جهة القيمة الدولية والعلمية ، فاختيار الفرنسية لن يكون الا لسبب استيلاء الفرنسيين علينا واحتلالهم لبلادنا ، وهو سبب يجب أن يكون مرجحا لنهذ الفرنسية واثير العربية لغتنا القومية والدينية .

ويذكر الجزائريون في احاديثهم رفض دوجول دخول انكلترا للسوق الاوربية المشتركة مرددين قول بومبيدو اننا نخاف على اللغة الفرنسية من أن تتغلب عليها الانكليزية لو دخلت انكلترا السوق .

ولا يتأخر الجزائريون عن الاعراب عـر اعجابهم بالبلاد العربية التي استطاعت أن تتغلب على التأثير الفرنسى والانكليزى فى الشرق وتعرب اذارقتها ومدارسها وجامعاتها، فهل سيكون المغرب العربى اقل حيوية ومقدرة من هذه الشقيقات على تدارك ما فات ؟

اللغة العربية فى الجزائر مظهر التمهيد للثورة الثقافية ، فهى كلمة الامر التى على كل مواطن ومواطنة ان ينفذها .

يجب وضع كتب عربية جديدة للتعليم تناسب الروح العربية الجزائرية .

يجب تعريب المعاجم العلمية والاستعانة بالخبراء فى الترجمة من البلاد العربية .

يجب اصلاح الطباعة وتنظيم النشر للكتاب العربى . كل هذا وغيره من برامج العمل على التعريب يدرس ويبت فيه بطريقة علمية وتقنية .

الصحافة الجزائرية باللغة العربية يجب أن تعرب يجب أن تصير المجاهد بالعربية مثل الشعب ، فى الشهر المقبل تقرر اصدار الصحيفة الفرنسية اليومية التى تطبع فى قسنطينة باللغتين العربية والفرنسية فى انتظار اصدارها بالعربية فقط ، والجمهورية فى وهران سيشملها التعريب كذلك بعد صحيفة قسنطينة ، وهكذا يقول الوير تصبح صحفنا كلها عربية ، واسماء الشوارع يجب ان تعرب ، وقد بدأ ذلك بالفعل ، هناك مئات الشوارع وعشرات القرى اعيد لها اسمها العربى القديم او اعطي لها اسم عربى جديد ، واسماء الاعلام لماذا نقدم الصفة على الموصوف العزاوى محمد ، هذا تلاعب فرنسى لنقل محمد العزاوى . شغلت هذه القضية التلفزة والمذياع مدة ، وشغلت الراى العام كذلك ، وهى لما يجرى

فى حديث التحية ، كمظهر من مظاهر العبث
الاستعماري بالرجل الجزائري •

زرنّا معامل كيماوية بقرولية ، المدير درس أولا
فى مدارس جمعية العلماء ، ثم أتم دروسه فى
يوغوسلافيا ، يقول له السيد الوزير : اشرح
للاخوان مهمة المعمل واخباره بالعربية ، ومعمل
الغاز ، نفس الامر ، اشرح سيدى المدير لزوارنا
(بالعربية) قصة الغاز وطريقة تمييعه الجديدة •

وفى النهاية يتنفس السيد مولود قاسم وزير
التعليم الاصلى والشؤون الدينية الصعداء ويقول
وهو يبتسم : الحمد لله ، نجح اخواننا فى تعريب
انفسهم ، هذا المعمل ، معمل أرزو يديره شخص
من مازونة لم يدرس الا العربية واصبح مهندسا
كيماويا من يوغوسلافيا ، كان فيه مائة وعشرون
خبيرا فرنسيا وبعد عملية التاميم للصناعة
البتروولية ذهبوا واليوم يقوم عشرون فقط من
الجزائريين الدارسين بالعربية بعملية المائة
والعشرين فرنسى ، أنهم ابطال ، انهم يعملون اثني
عشرة ساعة فى اليوم ، لمقاومة التحدى، ويشغلون
بالعربية ، ويشرحون المسائل الفنية بالعربية ،
الحمد لله •

قلت له : ان هؤلاء ابطال التحرير الاقتصادى
والثقافى ، يجب أن توشح صدورهم بأوسمة
الشعب •

مدارس جمعية العلماء أعطت الجزائر العديد
من الرجال المجاهدين والذين يشغلون وظائف
مهمة فى كل الميادين ، فلا غرابة أن نرى الجزائر
اليوم تمجد ابن باديس وتنشط التعليم الاصلى
القائم على العربية وحدها •

ذلك وجه الجزائر العربى مشرقا وضاحا ،
ذلك الوجه الذى حاول الفرنسى أن يغطى عليه
زهراء قرن ونصف القرن ، معتقدا انه أصبح
فرنسيا لفظا ومعنى ، يثبت اليوم ان الروح
العربية الاصلية لا تنطفى •

قهل يقرأ المسؤولون فى الغرب هذه الاخبار
ويتعظوا ؟ هل يدركون من تجربة الجزائر أن كل
محاولة لاضعاف العربية والعلوم الاسلامية
مجرد تضيق للوقت وسير معاكس للتاريخ
ومقاومة مضادة لرغبة الشعب ، شعب المغرب
المسلم العربى ؟ •

الثورة الجزائرية

لم يكن أحد يصدق قبل غرة نوفمبر سنة 1954 - ان هذا الوطن الوادع يمكن ان تندلع فيه شرارة ثورة ، ولم يكن الشعب الجزائري الذي كان الآخرون يقدرون انه شعب اندمج في الشعب الفرنسي ، واندمجت حضارته في حضارة الغرب ، ليعول عليه في انتفاضة تلقائية ، او تتوقع منه ، لانه - كما يعتقدون - لم يعد شعبا ، وانما صار قطاعا من البشر ، يسام الهوان والذلة ، ويسخر تسخير العبيد تحت سياط الاسياد الطغاة . وقال بعض الكتاب : « ان الجزائر خسرتها العروبة والاسلام ، كما خسرت صقلية ، والاندلس ، وغيرها ، وان البقية الباقية من عروبتها واسلامها مقضى عليها - ان عاجلا او آجلا - » .

أحمد بن ذياب

اما الشعب الجزائري الفيور فكان يسمع ويبصر ، ويعي فريد أحيانا ردا هينا بالقول ، ويتطاول الشر من عينه نذير غضب مكتوم ، وسخط كامن ، أحيانا أخرى ، ويتفابي - في بعض تصرفاته - حين يشاء كأنه أصبح حقا كما يزعمون ، لكنه في قرارة نفسه ، وطوايا ضلوعه ما يزال وفيا كل الوفاء لاسلامه محافظا كل المحافظة على

ولعل برهانهم المبين ان الساسة الفرنسيين يذهبون - في غطرستهم وادعاءاتهم - الى حشد القول « بان الجزائر قطعة من فرنسا » الام ، ويدعون - فوق ذلك - ان الشعب الجزائري نفسه قد اختار ان يكون فرنسيا قلبا وقالبا ، الى آخر ما كان يروج في الصحف ، ويردد في الاذاعات ، ويعلن من مختلف المنابر السياسية في المناسبات .

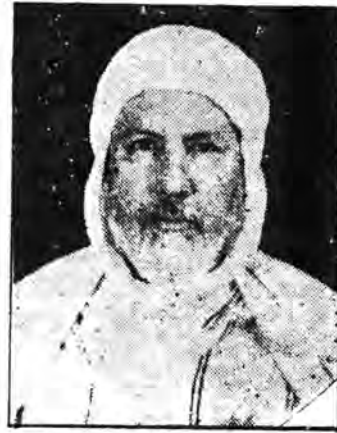
في الشعر المعاصر

عروبتة ، فخورا كل الفخر بمقوماته من لغة ودين
الى عادات وتقاليد ، الى موقع جغرافي بين جيرانه ،
وسجل تاريخي حافل بالجهاد والامجاد ،
وكان كل شيء ، في واقع امره ، ينشد مع
الشاعر القديم :

ارى خلل الرمد وميض جمر

ويوشك ان يكون له اضطرام

وكانت هناك ارهاصات تلوح معالمها من حين الى
حين ، وتثير حولها استفسامات وتساؤلات ، غير
أنها لا تلبث ان تختفي بين حوادث العالم الكبرى ،
فتنسى - وكم من نعمة في النسيان لا تقدر حق
قدرها - حتى اذا جاء فجر نوفمبر سنة 1954
احس العالم انه فجر غير عادي ، وانه قد يفقدو
حافلا بالمفاجآت ، جياشا بالحركة الثورية غاصا
بالمعجزات ، وقد تكون هناك ثورة عارمة لن تخدم
لها نار ، ولن ينطفئ لها اوار ، حتى تحقق الاهداف
المنشودة ، وتبلغ المقاصد المتوخاة ، ولكن
ما هذه المقاصد ؟ وما تلك الاهداف ؟ أهى
الاستقلال ؟ أم هى التعبير القوي عن الوجود



محمد العبيد



المرحوم الحفناوى هالى

الحى ؟ أم هى ثورة اجتماعية على الظلم والظفیان
ليس غير ؟

اما الجزائر فلم تشأ أن تقول ، بل شامت أن
تفعل . ولم ترد أن تصرخ أو تستغيث بل أرادت
أن تعول على سواعد بنيتها ، وكفافة رجولتهم .
وان تدع الناس يقولون - جادين أو هازلين .
متكهنين متخرصين ، أو دارسين متثبتين - وكانت
ترى وتسمع وتعى غير غابثة الا بما تصنع ، ولا
مبالية الا بالتحرك بحكمة وتؤدة وثبات فى الحطة
المسطورة ، والمراحل المبيتة . معتمدة على نفسها .
واقفة بجهودها . آملة فى غدها . ماضية فى
عزيمتها . وسارت اشواطا فى الطريق المرسوم ،
فانطلقت العفاريث من قماقمها . وصار الشعب
الحانع الذليل - كما يقال عنه - شعبا متمردا
عملاقا يكسر القيود . ويهدم الحدود ، ويقهر كل
ما يعترض مسيرته الثورية من عقبات وعراقيل .
فحرك الشاعرية الحامدة . وانطق الالسن
الحرساء . وفجر ينابيع للقول البليغ ، والبيان
الرائع . فاهتزت أريحيات الاكبار والاعجاب .
وعصفت بالاحاسيس زوابع الشعر نائرة فائرة ،
فكانت الثورة الجزائرية مستوحى خصباً عند
بعض . ومصدر الهام عند آخرين . ومجالاً للاخيلة
الحلاقة ، والاساليب الرشيقة والآيات الباهرات
هنا وهناك .

فهذا شاعر جبار يقف فى مطلع السنة الخامسة
للتورة يحييها تحية خالدة . ويشيد بها هذه
الاشادة التى يحس القارىء من خلالها لعلمة
صيحات الجهاد . وقعقة ضربات السلاح . وجمجمة
أصداء البارود ، فيتخيل أن الجزائر كلها تحولت
الى بركان يتلفظ لهيباً ودخاناً . ويسعر ناراً
وغباراً . وكان جبالها الشم ركبت ظهر عفريت
مارد جبار ، فهمى كلها زلازل مهولة . ودور منهارة

وقصور تتحول الى سراب وخراب وروؤوس الطفافة
المستعمرين تتطاير هنا وهناك هباء منثوراً .

وتكون اللوحة العبقريّة التى يقدمها مفدى
زكرياء بهذه الروعة :

هذا « نغمير » قم وحى المدفعا
واذكر جهادك والسنين الاربعاً
واقرا كتابك للانام مفصلاً
تقرا به الدنيا الحديث الاروعاً
وقل «الجزائر» واصغ ان ذكر اسمها
تجد الجبابر ساجدين وركعا
ان الجزائر فى الوجود رسالة :
الشعب حررها ، وربك موقعا
وقصيدة ازلية آياتها
حمرء كان لها نغمير مطلقاً
ويمضى الشاعر المقتدر كأنه ثورة جزائرية
أخرى فى ميدان القصيد والقريض ، وتكون
آيات القصيد كلها - أو أغلبها - مجالاً للروعة
والآثارة والقوة والابداع ، لا يكاد يستضعف منها
بيت . أو ينحرف فيها تركيب . فإذا تعرض لموقف
الشعب منها صوره التصوير الواقعى فقال :
شعب دعاه الى الخلاص بناته
فانصب مذ سمع النداء وتطوعا
نادى به جبريل فى سوق الفدا
فشرى وباع - بنقدها - وتبرعا
فلكم تصارع والزمان فلم يجد
فيه الزمان - وقد توحّد - مطعماً
واستقبل الاحداث منها ساخراً
كالشامخات تمنعاً وترفعاً
واراده المستعمرون مصدعاً
فأبى - مع الايمان - أن يتصدعا
وليكن « هذا الشاعر » من واقع الجزائر الآن
أنى شاء ، ولكن الذى لا يرتاب فيه احد ان الشعر



« صالح خرفي »

الجزائر - أو نيابة عنها - فيقول من قصيد تحت عنوان « هتاف الجزائر » :

ان أسداه ثورتي يانفمبر
لم تزل أسدها بأرضي تزار
أبدى صوت الجهاد وان —
سم له النصر ، في النضال المظفر
والأبي الطمّوح من كانت الآ
مال في نفسه هوى يتفجر
أمتي أبشري لقد فارق الجد
ب ، وولى مع الردى يتعثر
نحن في لحظة الشروق فتبهى
يا روابي به ، ويا ليل أدير
ان شعبي روض الربيع الذي آ
من بالفجر بالندى ثم أزهى
كل شبر به دماء شهيد
وبذور تفتحت للتحرر

ولسنا نستطيع أن نتابع الاخ خمار في أشواط
ملحمته حتى النهاية ، ولكننا نحيل القراء الى
العودة اليها في مظانها .

اما الشاعر الاستاذ صالح خرفي فنعود معه الى
الذكرى السادسة للثورة لنصاحبه في بعض
مقاطع من قصيدة تحت عنوان « نقمير » وهي
مطبوعة في « اطلس معجزاته » ويستهلها هذا
الاستهلال الخاص :

للجزائر لانها الموحية له ، ولان ثورتها الجبارة هي
صاحبة الإلهام ، ومبدعة الروعة . بل على الشاعر
أن يشكر الجزائر ، وثورتها لانها فجرت فيه
ينابيع للشعر لم تكن لولاها لتتفجر بهذه الغزارة .
وهذا التدفق ، وتلك الروعة .

اما الشاعر المرحوم الحفناوي هالي ، وهو شاعر
حيثا وغير شاعر أحيانا أخرى ، ومع ذلك فقد
خص عيد نوفمبر سنة 1963 بقصيدة محترمة
جاء منه :

الله اكبر - والعقبى لمن صبروا -

يا شعب - حييت - هذا المجد والغار

الله اكبر هذا يوم ثورتنا

يا يوم ثورتنا كم أنت جبار

نقمير في شهور العام درتها

وحرينا - في حروب الدهر - معيار

ويعرج ، أثناء انسياقه في قصيدته ، على ما

قبل حول الجزائر فيعطى الحق نصابه ، ويعيد
الأمر الى مجراه فيقول :

قالوا الجزائر فردوس كاندلس

أضاعه الشرق ، والأيام أطوار

لا . والذي خلق الأحرار ما ذهبت

منا الجزائر ، أو ضللت بنا الدار

أنا هنا وستبقى ذادة أبدا

عن أرضنا ، ولوجه الطامع القار

شعارنا : جبهة التحرير ، رائدنا :

الاسلام ، والعرب اخوان وانصار

ثم يتجه للشعب فيقول :

يا شعب ها أنت سيد بطل

ومن يقودك أبطال وأحرار

هذي الجزائر دار العرب أحرسها

ما عشت : «دومي بحفظ الله ياداره»

وكم كنت أود أن أعقب بشيء من النقد الخفيف
لكن النقد ليس هنا مجاله ولذلك نودع المرحوم
الحفناوي هالي لنقف قليلا مع الشباب المتحفز
لتبوية مكانه بين الشعراء الاخ ابى القاسم خمار ،
الذي يتعرض لشهر نوفمبر وهو يناغيه بلسان

« بايعت من بين الشهور نفيرا
ورفعت منه لصوت شعبي متبرا
شهر المواقف والبطولة قف بنا
في مسمع الدنيا وسجل للورى
فلانت مطلع فجرنا وزناد بر
كان اثرت كمينه فتفجرا
دوت بمطلعك الحضيبي رصاصه
فاهزت «البيضاء» وانتشت الذرى
وانداح فجرك عن مصب من دم
الاحرار فانتعش الجديب وازهرا
خبات معجزة تمخض ليله الدا
جى بها ، والارض فى سنة الكرى
الى ان يقول :

يا روضة الشهداء لولا كمبة
هى قبلتى سميتها « أم القرى »
اقسمت أن الاطلس الدامي يخبيء
للبرية هاديا ومبشرا
الله اكبر جل من خلق الجبا
ل . وشق فيها من دمانا أنهرا
الله اكبر سوف تبقى حرة

عربية حكم الاله وقدرنا
ونفادر صالح خرفى فى صلواته للثورة
والتوار ، لندعه غارقا فى ابتهالاته للامجاد
الحالدة ، والبطولات الصامدة ، ولترافق الشاعر
الشيخ الذى واكب النهضة الجزائرية خطوة
فخطوة ، والذى عرفته الجزائر شاعرا صادقا ،
ومعلما قديرا ، وصوفيا زاهدا فاكبرت فيه الشعر
والعلم والتصوف فأحلت له مكانته من القلوب
والارواح . ذلك الشاعر هو محمد العيد آل خليفة
ولمحمد العيد شعر كثير حول الثورة غير اننا لا
نستطيع ان نمكث معه الا لحظات خاطفة ، فى جانب
من القصيدة التى قالها تحية لنفمبر سنة 1964
والتي يفتتح مطلعها بقوله :

نفمبر قد وافى على اليمن والبشرى
بعاشرة الذكرى لثورتنا الكبرى
نفمبر قد وافى قاهلا ومرحبا
بشهر ركبنا فيه مركبنا الوعرا

نفمبر اذكى من فؤادى شعوره
والهب احساسي والهمنى الشعرا
نفمبر جلى عن بلادى ظلامها
نفمبر فى آفاقها اطلع الفجرا
ومن روائحه فيها قوله :

وفى النار والبارود أعظم حجة
نرد بها الدعوى على من طفى كبرا
اذا جيشنا لاقى الفرنسيين ساقهم
فلولا الى قفر يكون لهم قبرا
الى جبهة التحرير ذلت جبايعهم
ومن جيشنا ترتاع أبطالهم ذعرا
ثم يتجه الى الشعب يخاطبه بهذا الاسلوب :
الا أيها الشعب الذى بجهاده
أعاد جهاد الصاحب يقفهم اثرا
لقد ثرت فى التاريخ أعظم ثورة
تسجل تبرا فى الصحائف لا حبرا

وأحسب ان هذه الامامة كافية مع الشاعر محمد
العيد ، فلنددعه شاكرين لنفتح نافذة نطل منها
على أحد الشعراء العرب الذين اهتموا بالثورة فى
الجزائر وأعطوها من قلوبهم ومشاعرهم ، وأمدوها
بكل ما استطاعوا من وقود معنوى ، ورفعوا لها
منارا هاديا للايمان بها ، والتقدير لها ، والاشادة
بأبطالها ، والياديين التى تجرى فيها .

وهؤلاء الشعراء كثيرون ، ولكن الذى يمتاز
بأنه وهب لها القسط الاوفر من نشاطه ، ووجد
فيها مادة خصبة لبيانه ، وتتبع خطواتها خطوة
خطوة فى معاركها الشهيرة ، وجبالها الحصينة ،
وشعابها الحفية كأنه شاهد عيان رغم - البعد
عنها - يدفعه الى كل ذلك ايمان عميق بالثورة
وحرص دائم على خدمتها ، والاخلاص لقضاياها :
ذلكم الشاعر العظيم - فى هذا العصر - هو
سليمان العيسى فقد خص الجزائر بقصائد
رائعات ، وملامح خالدة من الشعر المبقرى
المتناز ، لكننا فى هذه العجالة نكتفى بالإشارة الى
احداها ، ولتكن هذه الفريدة التى أخرجها فى
ديوانه «قصائد عربية» ، والتى جاءت تحت عنوان



ابوالقاسم خمار

يتحدى قوى الجريبة في الارض
فتبدو كسيحة الانياب ؟
انها امتى تشد جناحيها
فوجه التاريخ وجه انقلاب
حادث الجيل عودة الفارس الاسمر
حل الميدان بعد الغياب
لا تسلى عنه ! تلفت تر الانجم
وشيا على جناح عقاب
لا تسلى ، « طلائى تملأ الافق
كان السماء بمض الرحاب »
لا تسلى : « جزائى تخضب التا
ريخ عطرا بحفنة من تراب »
انها امتى تعود الى السا
ح نبيا ، وآية من كتاب
هذه استعراضة سريعة نحى بها عيد نوفمبر
في الذكرى السابعة عشرة لاندلاع الثورة المجيلة
وليعلم الجيل الصاعد اثر معركة الجزائر في الادب
العربى المعاصر . لم تتوخ فيها الاختيار كما توخينا
التنوع والتلميح الى كثرة ما قيل - ويقال - حول
الثورة الجزائرية العتيلة .
وهؤلاء الشعراء الذين رافقناهم في هذه الجولة
ليسوا الا قلة من عشرات الشعراء ، والمئات من
الذين اكبروا في الثورة صمودها ، وروح التصميم
فيها . وما حفلت به من مفاجآت معجزة .
والله اسأل ان يوفقنا للبناء والاعلاء ، وان تكون
الاعياد القومية اعيادا تحى للاشادة بما انجز .
والتخطيط ، دائما ، للمستقبل المنشود .

« من ملحمة الجزائر » فيكون المطلع البارح في هذه
الترنيمة النشوى :

روعة الجرح فوق ما يحمل اللفظ
ويقوى عليه اعصار شاعر
اغنى هديرها ؟ ، والسماء
ت صلاة لجرحها ومجامر
الاناجى ثوارها ؟ ، ودوى النبا
ر ابياتهم ، وعصف المخاطر
بين جنبى نفحة من ثراها
ونداء . أنى تلفت . صاهر
ما عساني أقول ؟ ، والشاعر الر
شاش والمدفع الحطيب الهادر
والضحايا الممزقون وشعب
صامد كالاله يلوى المقادر
فوق شعري وفوق معجزة الالان
هذا الذى تخط الجزائر
اما حين يبدئ الله لبعده عن معركة المصير في
الجزائر فان حسرته تتجسم على النحو التالى :
ما عساي أقول . والنار لم تطفئ
جيبتي ، هناك . والشار دائر ؟
ودوى الرشاش لم يخترق سمعى
ويسكب فى جانحي المشاعر
لم اذق لغة الكمين يدوى
فاذا السفع للصوف مقابر
الف عذر يا ساحة المجد يا
أرضى التى لم أضنها يا جزائر
بيديك المصير فاقتلى الليل
وصوغيه دافق النور باهر
وشعر الشاعر المبدع سليمان العيسى جلله
أو اكثره جميل جليل . ومن ثم يعسر علينا ان
نفصل عنه مودعين شاكرين قبل ان نختم . هذه
الاستعراضة العجلى ببعض آياته ، أو عيونه فيها
من مثل قوله : متسانلا مجيبا فى هذه الصرخة ..
من سقى الرمل فى الجزائر رعشا
وحياة تمور مور العباب ؟
من أحال الجبال زار براك
بين وجدران معقل غلاب ؟

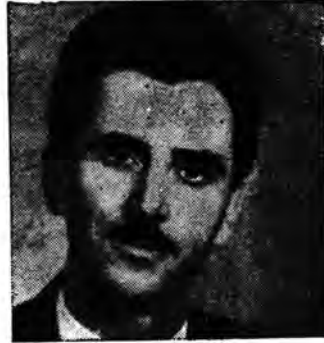
ندوة الأصالة



د. بدیع الكسم



د. علی عیسی



د. عمار الطالبي*

علاقة الجامعة بالمجتمع

نظمت اللجنة الثقافية بكلية الآداب ندوة في ماي الماضي ، حول علاقة الجامعة بالمجتمع ادارها الدكتور محمد العربي ولد خليفة وحضرها عدد هام من الاساتذة والطلبة . وفيما يلي نشر على التوالى نصوص الكلمات التي القيت في هذه الندوة :

■ تطبيق العلم على العمل عامل أساسي لتقديم العلم ذاته د. علي عيسى

■ فلسفتان في تحديد دور الجامعة د. عمار الطالبي

■ العلاقة بين الجامعة والمجتمع علاقة انفصال واتصال د. ببيع الكسم

أود أولا أن أقدم بأخلص الشكر للزملاء الافاضل القائمين على تنظيم هذه الندوات الجامعية على تفضلهم بدعوتي للاشتراك فيها . وأن هذا التقدير الذي لقيته وأنا في مستهل اقامتي لأول مرة في الجزائر لدليل على رغبتهم الصادقة في ادارة دفة اعمالهم ادارة ناجحة باذن الله . ولعله من المستحسن في هذه المناسبة ان اذكر ان القاعدة الذهبية الاولى في علم الادارة تتلخص في ضرورة تقدير العاملين . هذا التقدير الذي يساعدهم على مضاعفة الانتاج . وتطبق هذه القاعدة في دور الحكومة والمؤسسات على السواء .

د . علي عيسى :

ندلنا العلوم الاجتماعية على أن في كل مجتمع توجد بقايا عادات وتقاليد تسم إلى فصول طويلة وأن تغييرها ليس سهلا . وفي مجتمعات العلم والعلماء توجد مثل هذه العادات والتقاليد القديمة الباقية والتي نعاني منها في الوقت الحاضر والمتمثلة في كون بعض الفلاسفة والعلماء المحدثين يعتبرون انفسهم طبقة ممتازة . تفكر تفكيرا حرا ذاتيا ولا يهمها شؤون المجتمع أو الشؤون العملية الواقعية حتى أن بعض الفلاسفة والعلماء يرفضون

وقبل أن أطرق موضوع هذه الندوة أرجو أن يسمح لي بملاحظة عابرة ولكن لابد منها فالمفروض ان هذه الندوة تتناول علاقة الجامعة بالمجتمع أي تحتم أن تنزل الجامعة إلى المجتمع ولكن الذي حدث أن المشرفين على هذه الندوة اختاروا مكانا لها في الطابق الرابع من مبنى كلية الآداب وكان الواجب أن ينزلوا إلى المجتمع لا أن يطلبوا منه أن يصعد اليهم . ان الطبقات العليا أيها السادة لا تناسب هذه الندوة الجماهيرية .

واذن فكل ما تنفقه الدولة على العلم لابد ان يخطط له بحيث يخدم مصالح المواطنين : هذا هو ربح الدولة الحديثة .

والدولة تكون خاسرة اذا لم يكن العلم فيها وسيلة لتحقيق رخاء المواطنين . واذا كان في وزارات الحكومة مكاتب للبحوث فهي لتحقيق هذا الرخاء وليس لتحقيق الربح المادي . هذا هو الفرق بين الدولة خصوصا في النظام الاشتراكي وبين الشركات والمصانع في النظام الرأسمالي . ولا يجوز في الدولة العصرية المتطورة أن يعمل العالم أو الباحث بعيدا عن الدولة . لابد أن يخدم الدولة . وأنا لا أنادي بأيديولوجية معينة وإنما بكل وضوح اقرر أن العالم الذي تنفق عليه الدولة وتؤمن عيشه هو وأسرته ، من واجبه ان يخلص لمبادئها وفلسفتها ولا يخرج عن هذا الاطار . وليس من حق استاذ الجامعة ولا طالب البحث فيها أن يخدم أيديولوجية خاصة خارجة عن نظام الدولة . عليهما أن يعرفا ماذا تريد الدولة وأن يعمل داخل هذا الاطار .

ان الجامعات - أيها السادة - مهددة بضعف المستوى العلمي اذا كانت لا تهتم بالبحوث التي تجري داخلها أو خارجها وعليها أن تقلل من كبرياتها وان تتصل بالباحثين المتأخرين في الشركات والمؤسسات وأن تتعاون معهم لخدمة العلم والصالح العام في وقت واحد . ويجب أن نذكر أن البحوث التطبيقية تساعدنا في اختيار صحة النظريات العلمية .

وتهتم الدولة الحديثة بدراسة مشاكل المجتمع مثل التسول والاجرام والبطالة والبغاء دراسة علمية . الا ان بعض الدول تخرج من الإشارة الى هذه المشاكل في مطبوعاتها ونشراتها وهذا خطأ فادح لان السبيل الى الأفضل لا يكون الا بدراسة ما هو كائن بالفعل دراسة جريئة وصحيحة - وامامنا امثلة للمشاكل التي تواجهها بعض الدول بدون اخفاء ، نذكر منها الجنسية المثلية في

خدمة المجتمع ويعتبرون هذه الخدمة خارجة عن نطاق واجباتهم . مع أن هذه الخدمة أو تطبيق العلم على العمل عامل أساسي لتقدم العلم ذاته . ونذكر في هذا المقام الفيلسوف العالم البريطاني فرانسيس بيكون الذي قال : **ما قيمة النظريات في ذاتها اذا درست الدجاجة من أجل الدراسة فحسب ؟** والاجدر أن أدرس الدجاجة من أجل أكلها والاستمتاع بقيمتها الغذائية . هذه النظرة العملية للأشياء تعتبر ثورة على الأوضاع الفلسفية القديمة الممتدة جذورها الى الوراء حتى الفلاسفة الاغريق . وحينما استعان الاستعمار بالعلماء في اعقاب غزواته كما فعل نابليون في غزو مصر في أواخر القرن الثامن عشر عند ما استصحب معه جيشا من العلماء بمعاملهم وأجهزتهم ومطابعهم . كان يقصد الاستفادة العملية من جهود هؤلاء العلماء لزيادة ضغطه وسيطرته على الشعوب المستعمرة - وهذه المصلحة العملية هي التي أتاحت للاستعمار أن يدرس بلادا كثيرة وأن يجوب آفاقا بعيدة - ويعتبر الربح في الصناعة والتجارة العامل الاول لتقدم الصناعة والتجارة علميا بدرجة أن المصانع في الوقت الحاضر فيها مكاتب وهيئات للبحوث العلمية تفوق في عددها وعدتها هيئات البحوث في الجامعات . وهي لا تتوانى في جذب العلماء والباحثين اليها لتحقيق الربح الطائل من وراء كشوفهم وبحثهم العلمية . وفي بريطانيا مجلة اسمها أخبار العلم أو SCIENCE NEWS

هي نشرة دورية ترعاها مؤسسة بنجوين PENGUIN'S تعنى بأخبار العلم (الكيمياء والطبيعة والطب وعلم الاجتماع) . وفي أحد أعداد هذه النشرة إشارة الى أن البحوث العلمية تتقدم في الشركات والمصانع أكثر مما تتقدم في جامعات الولايات المتحدة وبريطانيا وأوروبا معا - ان الراسماليين في هذه البلاد يعملون للربح وسيلهم اليه هو العلم .

« والدولة الحديثة في الوقت الحاضر يهملها رضاء المواطنين وسعادتهم وأنا أنظر للدولة الحديثة العصرية نفس النظرة الى الشركات والمصانع

الفساد . ويلي أبناء هذه الطبقة عمال كي الملابس وتنظيفها وبعض تجار البقالة الذين يتعاملون يوميا مع هؤلاء الخادmates .

هذه المسائل وغيرها مثل نجاح وفشل الجمعيات التعاونية والبطالة والاجرام تستحق أن تهتم بها الجامعة كخدمة الدولة . وعلى الجامعة أن تبحثها بشجاعة وأن تتخلى عن نمط التفكير القديم اذا ارادت أن تقوم بلورها الكامل في العصر الحديث .

بريطانيا حيث درست دراسة مستفيضة وصدرت القوانين الملائمة لها .. من وجهة نظر المشرعين وعلماء الاجتماع البريطانيين ، وقد درست مصر ظاهرة تعاطي الحشيش والمخدرات والبغاء دراسة وافية شملت كل الجوانب المتعلقة بها ، ومما توصل اليه الباحثون في مصر وكنا نجهله تماما ان من اهم اسباب انتشار البغاء كحرفة أن اولاد الطبقة البرجوازية أو الفنية الذين في بيوتهم خادmates يعتدون عليهم ويمهدون لهم سبيل



د . عمار الطالبي :

ايها السادة انه لمن الصعب الحديث عن دور الجامعة في المجتمع في ندوة قصيرة كهذه ، وانما اود ان اشير الى بعض المشكلات ، وان ا طرحها امامكم للمناقشة .

نستطيع القول بان الجامعات عامة اخذت تنجس في جميع انحاء العالم الى ربط برامجها ومناهجها بحياة المجتمع ومعنى ذلك ان الجامعة لم تعد كما كانت من قبل موطن للعقل المحض او مجالا للحقائق المجردة التي لا صلة لها بالوقائع الاجتماعية ، واصبح التصور الراهن للجامعة قائما على اساس انها مؤسسة اجتماعية ، واضحي مقياس نجاح الجامعة في اداء رسالتها متوقفا على مدى عمق اتصالها بالمجتمع وبمظاهر نشاطه ، ولا يمكن ان يكون التعليم ، او البحث جامعييا الا اذا تضمن معنى اجتماعيا ، وكان وثيق الصلة باحتياجات المجتمع ، ومقياس الجامعي الحقيقي انها هو الذي يمثل اقوى العناصر الاجتماعية فعالية وتأثيرا في بناء المجتمع .

ويمكن القول بأن هنالك فلسفتين فيما يتعلق بدور الجامعات فلسفة تجعل الدراسة والبحث غائبتين في حد ذاتهما . وفلسفة أخرى تذهب الى أن الدراسة ينبغي أن تكون في خدمة المجتمع مباشرة . وأصبح التصور الثاني هو المسيطر الآن على الجامعات . فلم يبق محور اهتمام الجامعة البحث في حد ذاته . ولم تعد الدراسة غاية في ذاتها . وإنما أصبح اهتمام الجامعة منصبا على المواطن أى على تكوين الشخصية تكوينا يتيح لها أن تقدم خدمات للمجتمع ، وأن تكون ذات فعالية في توجيه مصير الأمة الحضارى ، وإذا كان تاريخ التربية . وتطورها يعكسان لنا تطور الحياة العقلية الجمعية ويصوران الاتجاه الفكرى العام . ويبينان لنا أيضا النظريات التربوية التى قامت على أساس القيم والعلاقات الاجتماعية . التى تسود مجتمعا ما من المجتمعات . فإن النظم التعليمية والتربوية نفسها تؤثر بدورها فى تطور المجتمع وفى تقدم المعرفة أيضا تأثيرا قويا .

ومن جهة أخرى فإن المجتمع يتوقع ويرجو أن يجد فى قادة المستقبل من المثقفين من يؤيد ما ينزع اليه من مثل عليا . وآمال قومية بالإضافة الى الفعالية التى تؤدى الى حل مشاكله الاجتماعية والاقتصادية ، والصناعية والمهنية . أى أن المجتمع يقوم فلسفته على معنى ذى حدين : الحفاظ على أصول قيمه وتصوراته ثم الاضافة الى ذلك التراث الثقافى واغناؤه واختراع ما يحتاجه المجتمع لحل مشاكله التى تستجد .

ولا يمكن خلق مجتمع واع الا اذا نقل العلماء الى جمهور الشعب العناصر الرئيسية لخبراتهم نفعه ففهمها الافراد العاديون . والواقع أن دور

الجامعة بالغ درجة عالية من الاهمية فى هذا العصر نظرا لكثرة الاقبال عليها . ولانها لم تعد خاصة بأبناء الاثرياء . أو أبناء المعمرين . كما كان عندنا فى الجزائر ، كما أنها لم تعد خاصة بالذكور . بل أصبح الفقراء والانات ، وأبناء مختلف الطبقات يتزاحمون على الجامعات . أى أن الجامعة أصبحت تمثل مختلف الطبقات .

كما أن الحاجة الى المعارف العلمية والفنية . والى مواجهة التغيرات الحضارية السريعة اضحت ملحة بالإضافة الى تضخم المعارف . وضرورة نشرها .

ويبدو أنه قد اشتد هجوم الاشياء الجديدة على الاشياء القديمة بدرجة ساحقة بحيث أصبح الممتحن لمهنة معينة اليوم لا يستطيع أبدا أن ينقطع عن متابعة الدراسة سواء بالتدريب على التقنيات الجديدة أو بالقراءة المتواصلة لما يستحدث . فإذا مر على مهندس من المهندسين مثلا بضعة أعوام فإنه لا يكون خبيرا بما جد فى اختصاصه الا اذا بذل مجهودا دراسيا آخر لاستكمال ما ينقصه من معلومات . وكذلك القول فى كل مختص انقطع عن الدراسة وعن متابعة سير مجال اختصاصه . وإذا ظن الجامعى أن وجوده فى الجامعة لا يعدو أن يكون مجرد تشریف أو ميزة اجتماعية دون أن ينظر الى أعماق المجتمع . ويشارك فى دراسة مشاكله وفى حلها فهو خادع أو مخدوع .

ان الجامعى الذى ينقطع عن بيئته الاجتماعية ويعيش خارجها لن يكتب له أن يؤدى دورا حاسما فى تقدم المجتمع . ولا يمكن له أن يبدع أفكارا أو نظريات جديدة اذا انقطع عن الواقع . ان الجامعة بمثابة ضمير للمجتمع تراقب مختلف مظاهر

نشاطه وتستجيب لمختلف حاجاته ، وتعمل على تفييره وتقدم له ما يساعده على التقدم وعلى حل مشاكله .

ولكن كيف تستطيع الجامعة أن تستجيب لاحتياجات المجتمع ؟ الواقع أنه يصعب حصر هذه الحاجات لأنها سريعة التغير ، ولكن يمكن القول ان التخطيط يعبر عن حاجات محددة يعتبرها ذلك التخطيط أولى من غيرها .

ونجد ان جامعات الاتحاد السوفياتي معنية بالتخطيط ومعتمدة على المركزية وعلى تنسيق وثيق مع سلطات الدولة ، أما جامعات بريطانيا فهي تجمع بين التخطيط المركزي والقرارات المستقلة ، في حين ان جامعات الولايات المتحدة الامريكية لا مركزية ولا تعتمد على التنسيق . ولكن ظروفنا نحن باعتبارنا جزء من العالم الثالث ، تهيمن على أوضاعنا ظاهرة التخلف ، تحتم علينا فكرة التخطيط والتنسيق نظرا لقلة الامكانيات من جهة ولكثرة الحاجيات من جهة أخرى ، مما يضطرنا الى انتخاب أولى لهذه الحاجات ، وإذا كنا نحن في الجزائر نقوم بثورة صناعية وزراعية وثقافية فانه يتحتم علينا ان نخطط التعليم الجامعي على أساس الاستجابة لاهم الاحتياجات وأكثرها إلحاحا بالإضافة الى ضرورة تخريج المختصين في العلوم الزراعية والهندسية ، والطب وعلم الاجتماع وعلم النفس ، وما الى ذلك من المعارف التي تخدم هذه الحاجة الملحة .

ويمكن للجامعة أن تؤسس مكاتب في شتى أنحاء البلاد لنشر الثقافة بين الجمهور وتقوم بنشاط يجعل المعارف الجامعية قريبة من حياة الناس كما يمكن لهذه المكاتب أن تقدم مواد دراسية

للدارسين بالمراسلة ، ويعد هذه المواد أساتذة الجامعة ، بحيث يستطيع الطالب الذي يواصل هذا النوع من الدراسة أن ينال شهادة جامعية وإذا كان لا يرغب في الحصول على درجة جامعية فانه يمكن أن يعمق معارفه ، ويستفيد خبرات جديدة .

وبهذا يصبح ساعى البريد من العوامل التي تقرب بين الجامعة وبين المجتمع . كما يمكن إقامة مراكز ثقافية في المدن تكون تابعة للجامعات يلقي فيها أساتذة الجامعات من حين لآخر برنامجا معيناً مما يتعلق بحاجات تلك المدينة . ويمكن استخدام أفلام تطبق فيها بعض المعارف وتعرض فيها المشاكل الاجتماعية وبذلك يمكن لكل كلية من الكليات أو معهد من المعاهد العليا أن يقدم خدمات عن طريق مكتب من تلك المكاتب . ونقدم في تلك المكاتب أيضا وسائل الترفيه والنشاط الرياضي والاختبارات النفسية والاجتماعية والاستشارات العائلية . وهكذا فان كلية الزراعة يمكن لها مثلا أن تنشئ مكاتب في عدة جهات يكون بها مختصون في فلاحية البساتين ، والاقتصاد الحيواني ، والاقتصاد الزراعي . كما يمكن أن تنظم أسبوعا في كل سنة لارشاد الفلاحين في ناحية معينة من نواحي الزراعة يستمعون فيها الى محاضرات ويشاهدون أفلاما . وبصفة عامة فانه يمكن لكل كلية أن تقوم بتعيين برنامج دراسي معين قصير الامد بصفة دورية ، وتنتهي برامج قصيرة للمنظمات والائمة الذين يعملون في الارياف . وتستطيع هذه المكاتب المنظمة ان تقوم بتحديد امكانيات البحث في كل ولاية من ولايات الجزائر والمشاكل التي يمكن معالجتها . وتقدم نتائج البحث الى الفلاحين ليستفيدوا منها ليغيروا

من طرقهم على أساس ما أدت اليه نتائج تلك الأبحاث .

وينبغي للمختص باعتباره باحثاً ومغيراً للمجتمع أن يراعى التغير الاجتماعى وأن يقدم له الفنيات فى إطار رموزه وتقاليده التى تسهل ادخال هذه التقنيات فى العمل ونستطيع أن نضرب لذلك أمثلة فإذا قدم للمجتمع الإسلامى نموذج لتحسين الناحية الغذائية عن طريق لحم الخنزير فهذا لا يقبل ولا ينجح . وكذلك إذا قدم نموذج آخر لتحسين الغذاء بين البوذيين فى الهند مشتبلاً على لحم البقرة . ومعنى هذا أن الباحث لابد أن يعرف المجتمع وأن يقدم له ما يساعده على تحسين حالته بطريقة مقبولة ، وكذلك الأمر فى المملكة العربية السعودية فى وقت مضى حيث عزم الملك على ادخال المخابرات التليفونية فى الجهاز الإدارى . انكر الناس ذلك واعتبروه بدعة شيطانية ولكن الملك كان ذكياً فأمر أحد القراء أن يتلو آيات قرآنية فى التلفون فلما تلا وكانت التلاوة صحيحة اقتنع المنكرون بأن هذه الآلة مفيدة وأنها غير شيطانية ، وبذلك استطاع أن ينجح فى ادخال أشياء جديدة وأن يغير من الأوضاع الاجتماعية العقلية .

ولا تستطيع الجامعة أن ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً إلا إذا جعلت البحث جزءاً أساسياً من رسالتها بحيث لا يقل أهمية عن التدريس .

ويجب أن نعترف بأن مهنة الأستاذ الجامعى صعبة جداً لأن له واجبات كثيرة فهو مدرس وباحث وإدارى وناشر للمعرفة . وقد يهتم ببعض الواجبات ويقلل من شأن واجبات أخرى . إذ لا يمكنه أن يجمع بين عدة مهمات ولكن يمكن له أن يركز جهوده فى ناحية معينة ويقوم بالمساعدة فى

نواح أخرى ، وأهم شئ ينبغى أن يتفطن اليه الجامعى هو الجمع بين النظر والتطبيق مما يؤدي الى وضع علاقة وثيقة بين المجتمع وبين البحث العلمى المتخصص .

ويمكن تنظيم دراسة مسائية للعمال تحسن من أوضاعهم الثقافية .

وأريد أن أبين شيئاً آخر وهو علاقة الجامعة بالخارج . إذ الجامعة لا تلعب دوراً داخل المجتمع فقط وإنما لها دور آخر خارج المجتمع كان تطبع أبحاثها فى صورة علمية منظمة وتبادل بها الجامعات الأجنبية وما وصلت اليه من أبحاث ، وتشارك فى مؤتمرات دولية وفى زيارات قصيرة الى الجامعات الأخرى كما أنها تدعو بعض أعضاء الجامعات الأخرى لزيارتها ، ولا يجوز أن تبقى الجامعة منفصلة على ذاتها .

أما اصلاح التعليم العالى والتخطيط له فلا يمكن أن يقوم على أساس واقعى وعلمى إلا إذا قام به مواطنون يعانون مشاكل الجامعة ، ويتصلون بها صباح مساء . هذا فى الأساس ، ولكن يمكن الاستفادة من خبرات الآخرين بدرجة ثانوية .

كما أنه لا يمكن تطوير الأبحاث ولا الإبداع العلمى فى البحث إلا إذا كانت لفئة البحث والدراسة لفئة قومية ، والا بقينا عالمة على الآخرين دائماً أبداً ، وقد أثبتت التجارب الحديثة هذه القضية ، كما نرى فى الصين وفى غيرها . بل لا يمكن أن تلعب الجامعة دورها الحقيقى فى المجتمع إلا إذا كان اساتذتها وخرجوها يتكلمون لفئة الشعب ويتصلون به عن طريقها وينشرون أبحاثهم بها .

د . بدیع الکسم :

بعد أن تحدث الزملاء الاساتذة عن جوانب متعددة من موضوع الندوة ،
أحب أن أقف قليلا عند بعض الالفاظ

الموضوع هو علاقة الجامعة بالمجتمع وأبداً بلفظة « علاقة » . فهناك من يفهمها على أساس أن الجامعة يجب أن تكون صورة أمينة عن المجتمع ، تمثله أو تعكسه . واعتقد أن هذه النظرة إلى معنى العلاقة يعيبها أنها سكونية وجامدة . ذلك أن بنى المجتمع ومؤسساته - مهما تكن قريبة من نموذجها السليم - تحتاج دائماً إلى تطوير وتصحيح . يصلق هذا على المجتمعات التي يقال عنها أنها نامية أو متقدمة ، وعلى المجتمعات السائرة في طريق النمو .

أصل هنا إلى نظرة لمعنى العلاقة بين الجامعة والمجتمع معارضة للنظرة السابقة . وهي ترى أنه بدلا من أن تكون العلاقة بينهما علاقة اتصال واندماج ، يجب أن تكون - أن صبح التعبير - علاقة انسلاخ وانفصال ، أي أن تكون الجامعة صورة مناقضة للمجتمع ، وخاصة إذا كان هذا المجتمع متخلقا . وهي ترى أن هذا الانعزال يحفظها من « التلوث » بعيوب المجتمع ويسمح لها أن تتحرر من قيوده وأوهامه . وعند ذلك تستطيع أن تهيئ المفاهيم والاطارات والوسائل المختلفة للقضاء على جملة المفاصل الاجتماعية . واعتقد هنا أيضا أن هذه النظرة يعيبها أنها خيالية مجردة . وأنها تقصر عن فهم المنطق الحي للتقدم الاجتماعي . فالمجتمع لا ينمو إلا بقواه الذاتية مجتمعة . وهو

فالمجتمعات النامية اقتصاديا أو صناعيا أو ثقافيا ما تزال عاجزة عن تحقيق التوازن السوي بين عناصرها المقيمة ، وعاجزة بصورة خاصة عن تحقيق جميع القيم الروحية الكبرى كالحرية والعدالة الاجتماعية والكرامة الفردية . ولا يصح في هذه الحال أن تكون الجامعة « محافظة » على الانظمة السائدة والمفاهيم المستقرة . أما المجتمعات السائرة في طريق النمو فهي بالتعريف متخلقة على هذا المستوى أو ذاك من مستويات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية . فماذا يعنى في هذه الحال أن نطلب من الجامعة أن تعكس المجتمع في واقعها ؟ أليست وظيفتها الأولى أن « تنور » على هذا الواقع وأن تسهم في صياغة الحياة الاجتماعية صياغة جديدة ؟

لا يتحرر من قيوده الا اذا حطمها واحدا بعد آخر .
فتأثير الافكار لا يتم بصورة « فورية » ، وانما يتم
 عن طريق المعاناة الفعلية والممارسة الدائمة بحيث
 ينبع تيار الاصلاح تحت خطى التحرك الجماهيري
 الواسع . وهذا يعنى أن الجامعة التى تقيم اسوارا
 تعزلها عن المجتمع الذى تعمل فيه ، مهددة اما
 بالاختناق أو بالمجز عن أن تقفز من فوق هذه
 الاسوار .

لهذا كله اعتقد ان **العلاقة بين الجامعة والمجتمع**
 يجب أن تكون علاقة اتصال وانفصال فى وقت
 واحد ، أى علاقة جدلية تأخذ من المجتمع وتعطيه
 تتأثر به وتؤثر فيه باستمرار . فمهمة الجامعة
 أن تعكس تطلعات المجتمع وأن تبلورها ، أن تنمى
 البذور الحسنة التى تعيش على أرضه . وهى بذلك
 تساعد المجتمع نفسه على أن يثور ثورة أصيلة على
 جميع المحاور التى تعوق تقدمه .

انتقل بعد هذا الى لفظتى الجامعة والمجتمع :
 وأول ما نلاحظه ان موضوع الندوة لا يعنى ان
 الجامعة تمثل طرفا من جهة وأن المجتمع يمثل
 طرفا من جهة ثانية كما لو كانت العلاقة بينهما
 علاقة كل بكل آخر . فالجامعة مؤسسة اجتماعية
 أى جزء من المجتمع . فالعلاقة اذن هى علاقة جزء
 بكل . والاصح أن نقول انها علاقة جزء بأجزاء
 أخرى داخل المجتمع الواحد ، أو علاقة جانب بعدد
 من جوانب الحياة الاجتماعية . واكتفى بأن أشير
 الآن الى بعض النقاط المتصلة بدور النشاط
 الجامعى فى تنمية النشاط الاقتصادى والنشاط
 الثقافى .

لا شك ان للجامعة ، بمعناها الواسع ، دورها
 فى التنمية الاقتصادية، فهى تجرى البحوث العلمية،
 وتمتد الاطارات الفنية ملبية بذلك مطالب التطور
 الاقتصادى ومهيئة وسائل الرخاء المشترك بين
 الناس . ولا أظن أن هذا الدور بحاجة الى ابراز
 وتفصيل . ولكن ينبغى أن نشير الى أن المدارس
 الفنية العليا التى يعهد اليها احيانا بهذه المهمة ،
 يجب ألا ينفصل فيها الجانب النظرى عن الجانب
 التطبيقى . ويجب بصورة أخص ألا تبقى هذه
 المدارس بعيدة عن الروح الجامعى بكل ما يتضمنه
 من اهتمامات اجتماعية وحضارية ، أى ألا تبقى
 بعيدة عن رسالة الجامعة .

اما النشاط الثقافى فواضح ان الجامعة تكون
 احلى ينابيع الاصيلة . فمن مهام الجامعة - الى
 جانب اعدادها لاطارات التعليم والتثقيف والادارة -
 الاسهام فى التقدم العلمى والفكرى الذى يقوم
 على تاصيل الثقافة القومية والانفتاح الإيجابى على
 ثقافات الشعوب . ولا شك فى أن الجامعة تسمى
 الى ذلك متأثرة مع مؤسسات اجتماعية وثقافية
 أخرى تعمل بدورها على نشر التعليم وتوعية
 المواطنين واغناء حياتهم الوجدانية والروحية .
 ولكن اهم ما يطبع رسالة الجامعة هو ربط
 الثقافة بالحياة ، فلا تعيش الافكار فى ابراج من
 عاج ، وانما يعيش المثقفون مشاكل مجتمعهم ،
 ويتفاعلون مع الناس لكى تصبح قيم الحياة الجديدة
 محركا يدفع المجتمع كله الى أن يتخطى نفسه فى
 طريق الارتقاء المتصل .

فكرة الخير والشر عند ليبنتس

في ضوء الفكر الاسلامي

ربما كان « ليبنتس » أقرب
الفلاسفة المحدثين الى مفكرى الاسلام
فى معالجته لمشكلة الخير والشر ، اذ
نجد فى كتاباته ومناقشاته للآخرين
اصداء عديدة لآراء المعتزلة والاشعرية
وابن رشد ومحيى الدين بن عربى .
وقد كان من الممكن ان نقارن بينه
وبين هؤلاء مقارنة تفصيلية . لكننا
اثرنا ان نوضح فكرته الخاصة ، مع
اشارات سريعة الى نقاط الاتفاق
والاختلاف بينه وبينهم على ان نترك
لغيرنا مهمة المقارنة بينه وبين مفكرى
الاسلام . وانما ارتضينا هذا المسلك
حتى لا نشغل على من يريد ان يعرف
فكرة « ليبنتس » عن الخير والشر
كوحدة قائمة بذاتها . لكننا قد نضطر
احيانا الى تفسير بعض آرائه الفارقة
على ضوء ما نجده لدى بعض مفكرى
الاسلام وبخاصة لدى محيى الدين بن
عربى .



ليبننتس

د. محمود قاسم

عميد كلية دارالعلوم
جامعة القاهرة

ان « ليبنتس » يسلم بوجود الخير والشر في العالم . وهذا أمر يسلم به كل أحد . لكنه يفسر وجود الخير والشر تفسيراً يمكن أن يعد امتداداً لراى المعتزلة وهم أصحاب التفكير العقل عندنا . فقد حكم هؤلاء بأن الله يريد الخير لعباده وأنه يخلق أفضل عالم ممكن . لأنه يريد صلاح العالم . وتلك فكرة تتسق لديهم مع العدالة الالهية ، ومع ما تقرره العدالة الانسانية ، لذلك سبوا أنفسهم أهل العدل .

غير ان « ليبنتس » عمق هذه الفكرة ، فاقترب من محبى الدين بن عربى على نحو يدعو الى التأمل ، لأنه ارتقى الى مستوى فلسفى أكثر نضجاً وعمقاً . لقد قال المعتزلة ان الله لا يريد الشر لعباده ، فاتهمهم خصومهم بأنهم مجوس هذه الامة ، بحجة أنهم يقولون ان الله لا يخلق الشر . فكان هناك الها للخير وآخر للشر . أما « ليبنتس » فقد قال ان الله لا يريد الشر . ولكنه يسمح بوجوده ، ثم حرص على توضيح أن هذا الراى هو الراى الذى يتسق أتم اتساق مع القيم الدينية التى تصف الله بالعدل والحكمة . فالله يخلق أفضل عالم ممكن . لأن الخير فى العالم هو خير ذاتى . أما الشر فهو شىء قليل وعارض ، بل يمكن القول بأنه خير . فى حقيقة الامر . لأنه يستخدم من أجل الخير . وهذا هو ما سبق أن قرره ابن رشد لكى يوفق بين المعتزلة وخصومهم من الاشعرية (1) .

وانما كان الخير ذاتياً فى العالم لأن الله هو أحكم الحاكمين وأفعاله كلها تتجه الى الخير . وإذا

كان الحاكم البشرى قد يخطئ أحياناً لالتزامه بحرفية القانون « فالامر مختلف بالنسبة الى الله . لأنه عندما يختار أفضل عالم ممكن فليس فى استطاعة أحد أن يعترض بأن كمالاته محدودة . فليس الخير أكثر من الشر فى الكون فحسب . بل يستخدم الشر فى زيادة الخير » (2) . حقاً يستطيع المرء أن يتخيل عوالم أخرى خالية من الشر . لكن من المؤكد ، فى نظر « ليبنتس » ، أنها ستكون أقل كمالاتاً من عالمنا الذى يعد أفضل العوالم الممكنة لأن الله أوجده وفقاً لاحكم خطة اقتضاها علمه وخبرته وحكمته « وائى لا أستطيع أن أبين لكم ذلك الامر تفصيلاً ، إذ هل أستطيع أن أعرف اللامتناهيات ؟ وهل أستطيع أن أصور لكم اللامتناهيات . وأن أقارن بينها ؟ هذا الى أنسا نعلم أن شراً ما يكون فى كثير من الاحيان سبباً فى خير لا يمكن الوصول اليه دون هذا الشر . بل يحدث فى كثير من الاحيان أن شرين يصنعان خيراً كبيراً ... كما ينتج كحولان أحياناً جسماً صلباً ... وكما ينتج جسمان باردان ناراً كبيرة ... وأحياناً قد يخطئ جيش كبير خطأ سعيداً ، فيكون ذلك سبباً فى كسب معركة كبيرة » (3) .

فالخير إذن هو الاصل ، والشر أمر عارض يراد به الخير . ان الله يوصف بالخيرية المطلقة ، أو هو الخير المحض الذى لا يصدر منه سوى الخير . كما قال ابن عربى من قبل ، ومع ذلك فانه ، وإن لم يرد الشر لذاته ، فانه يسمح به لتحقيق خير أعظم . « فهناك أسباب كثيرة (4) تمنعه من أن

(1) انظر تفصيل هذه المسألة فى كتابنا : ابن رشد وفلسفته الدينية - مكتبة الانجلو المصرية 1969

(2) نفس المصدر ج 1 فقرة 10

(3) العدل الالهى ج 2 فقرة 216

يشعرنا بكل خيريته بالنسبة إلينا . أن الله يختار أفضل خطة للعالم . وهي التي تحتوى على السماح بالشر والمعصية « لكن ينبغي أن نعلم دائما أنه لا يخلق الشر من أجل الشر . وكان ينبغي « لـ لينتس » أن يصرح أن الشر من أجل الشر هو العدم المحض ، وأن هذا الشر المحض لا وجود له - تقول انه كان ينبغي له ذلك حتى يلحق بحى الدين بن عربى . وذلك حتى يؤكد خيرية الله على نحو لا يحتمل أى لبس . ذلك أنه يخبرنا أن الشر لا يبدو شيئا إلى جانب الخير إذا تمثلنا العظمة الحقيقية لمدينة الله . فالارض تشبه نقطة فى خضم الكون ، وهي تكاد تتلاشى فى العدم بالنسبة إلى الاجرام السماوية التي لانعرفها . وجميع الشرور التي يمكن أن نسلم بها لا توجد إلا فى هذه النقطة التي تشبه العدم . إذن يمكن القول بأن جميع الشرور التي يمكن أن نسلم بها لا توجد إلا فى هذه النقطة التي تشبه العدم . وإذا قورنت جميع الشرور ، التي نراها فى عالمنا ، بضروب الخير التي توجد فى الكون بدت شبيهة بالعدم ، أى أن هناك شرا قليلا جدا بالنسبة إلى الخير الكثير .

وإذا كان بعض الاشاعرة قد هاجم فكرة المعتزلة القائلة بأن الله يريد الخير لعباده وأنه يفعل ما فيه صلاح العالم ، واحتج عليهم بأن العالم مليء بالشرور والابوثة ، وأن الله ولى على المسلمين أمثال الحجاج وزيد بن ابيه . فأى خير فى هذا ؟ فإن « بيل » BAYLE قد هاجم « لـ لينتس » بمثل هذه الحجة فقال : وأى مجد

يمكن أن ينسب إلى الله مع وجود كثير من الشرور وكثير من السجون والحروب والابوثة ؟ أن المجد الحقيقي المتين هو الذى ينحصر فى أن يحقق الله للبشر النظام والسلام والطمانينة . أما المجد الذى يستمد من شقاوتهم فليس إلا مجدا زائفا . وقد أجاب « لـ لينتس » على هذا الاعتراض بأن « مملكة الله هي أفضل مملكة ممكنة ، إذ تهيمن عليها الفضيلة والسعادة على أكمل وجه وفقا لما تقتضيه قوانين الافضل . وليست المعاصي وضروب اليأس ، التي يسمح الله بها ولاسباب عليها . شيئا يذكر . إذا قورنت بضروب الخير . بل انها تؤدي إلى ضروب أكثر من الخير . ولما كان من الواجب أن توجد هذه الشرور فقد وجب أن يوجد أشخاص يكونون موضوعا لها . ونحن هؤلاء الأشخاص . فليس هذا مجدا زائفا كمجد الملك الذى يهدم نظام مملكته لكي يبنيه من جديد » ان « بيل » يقول بوجود كثير من الشرور وكثير من السجون والحروب والابوثة وبأن التاريخ ليس إلا سجل حافلا بالجرائم . لكنه يقلو كثيرا فيما يقول . فإن الخير فى حياة الانسان أكثر من الشر . والمساكن أكثر عددا من السجون . ولا خطر لميكافيلي الا على قلة من الأشخاص المبرزين فى الشر . وكثيرا ما يؤدي امتيازهم فى الشر إلى فشل مشروعاتهم . كذلك يميل المؤرخون عادة إلى ذكر ضروب الشر دون الخير ، لانهم يتخذون ذلك وسيلة إلى الوعظ والارشاد(5) .

ومهما يكن من أمر . فإن « لـ لينتس » يصارحنا بأن الله لا يريد الشر لذاته ، وأنه إذا كان يسمح

(4) هذه الاسباب الكثيرة عند ابن عربى هي الخاصة بسر القضاء والقدر
(5) العدل الإلهي فقرة 123

بوجوده فذلك باعتبار أنه شرط . لا غاية في ذاته . وقد غابت هذه الحقيقة عن أذهان كثير من الناس . فظنوا أن تجديدهم لله يوجب عليهم أن ينسبوا الشر إليه . فهاك . كثير من الظلمات في عقائد المسيحيين . لقد اعتقدوا أنهم يحبون جارهم دون أن يخدموه . وأنهم يحبون الله دون أن يعرفوه . وأحيانا نرى قوما يتحدثون بقوة عن التقوى والورع وعن الدين ، بل يشتغلون بتدريسه . ولا نجد أنهم على علم بكمالات الله . فهم يسيئون تصوير خيرية ملك الكون وعدله ، ويتصورون الها ليس جديرا بأن يتخذ قدوة أو يكون موضوعا لحبنا ، ذلك أنهم يصورونه بصورة الملك المستبد الذي لا تخضع ارادته لمياري الخير والشر . ويخبرنا « لينتس » أن مسلك هؤلاء الذين يصفون ربهم بالاستبداد هو الذي دعاه الى التفكير في تأليف كتابه « العدل الالهي » فأمثال هؤلاء يحتجون لرأيهم بأن الله هو السيد المطلق لجميع الاشياء . وفي استطاعته أن يعذب الابرياء . دون أن يكون في ذلك خروج على شريعة العدل (6) وهذه في نظر لينتس . تعبيرات متهورة وخطيرة انساق اليها بعضهم ، لكي يقرروا المشيئة المطلقة لله . وعندئذ لن يكون هناك ما يبرر الثناء على خيرية الله وعدله . ولو كان الامر كما يصورونه لكان أكثر الارواح شرا . أو أمير الشياطين ، أو مبدأ الشر لدى المانوية . هو السيد الوحيد للكون . اذ كيف يمكن التفرقة بين الاله الحقيقي وبين الاله المزيف عند « زرادشت » اذا كانت جميع

الاشياء رهنا بهوى سلطة تعسفية . دون أن تكون هناك قاعدة أو اعتبار لاي شيء . ان من يقول ان الله يريد الشر لذاته يشبه رجلا يتهم انسانا خيرا بوجود باموال طائلة لتحسين حال الفقراء . بأنه سرق شيئا تافها ، مع أننا نعلم أنه لو وجد أحد يوجه اليه هذا الاتهام لكان جديرا بسخرية أهل الدنيا جميعا منه . ان الله أسمى بما لا نهاية له . من حيث الخير والقدرة . من مثل هذا الرجل الخير . واذن فمهما بدا من وجود شرور عارضة في هذا العالم . فلن يكون ذلك شيئا يتعارض مع الايمان أو الثقة بالله . بل يجب القول بأن الله قد فعل كل شيء على الوجه الاصلح ، أو على النحو الذي ينبغي (7) .

واذن فلن ننسب هذه الشرور العارضة مادمتا لا نستطيع ان ننسبها الى الله (8) ؟ منرى أن لينتس يرتضى فكرة تبسو مبتكرة . وهي أن الكائنات التي توجد حاليا في العالم كانت توجد من قبل في منطقة الحقائق الازلية أى في العالم الالهي ، وأنها كانت توجد على هيئة معان محدودة ومقيدة . وكانت تحتوى على جميع خصائصها التي تظهر شيئا فشيئا عندما تخرج من عالم الامكان الى عالم الوجود الفعلي (9) . وعندئذ تتألف فيما بينها . ويبدو الشر أو النقص الذي كانت تنطوى عليه بحسب طبيعتها الازلية . لقد قال بعضهم ان المادة هي السبب في الشر . لكن المادة صماء وهي لا تكثر بما يوضع فيها من أشكال أو صور . فالاولى أن نقول ان الشر يأتي من الصور

(6) تلك هي حجة الاشعرية ضد المعتزلة - انظر كتابنا دراسات في الفلسفة الإسلامية ط 3 دار المعارف سنة 1970

(7) مقدمة العدل الالهي فقرة 37

(8) يضيف ابن عربي أننا لا نستطيع ايضا ان ننسبها الى المسالم لانه خير في ذاته نظرا لانه صدر من الخير المحض

(9) يطلق ابن عربي على منطقة الحقائق الازلية اسم «خزائن الجواهر الالهية»

المجردة من المادة . أى من المعانى التى كانت توجد . فى النقطة المثالية . ويعنى بها منطقة الحقائق الازلية . ولما كان أفضل العوالم الممكنة لا يمكن أن يتحقق الا بخروج معانى الممكنات من منطقة الحقائق الازلية . فمن الضرورى أن تحتوى أفضل خطة لهذا العالم على الشر . وهذا هو معنى أن الله يسمح بالشر ، وما كان لهذا الشر العارض أن يحول دون ايجاد الله للعالم الافضل (10) فآله هو خير الحاكمين . وأحكامه لا استثناء فيها ولا مرد لقوله . ولما كانت الحقائق الازلية موضوعا لعمله وحكمته فانها ليست قوانين تجبر الخلق على أفعالهم . بل أفعالهم تنبع من صميم طبيعتهم . والقوانين الالهية أكثر قوة لانها تقنع « والحكمة لا تقبل سوى أن تكشف أفضل تنفيذ ممكن لحيرته . ثم ان الشر الذى يحدث يكون نتيجة لازمة لما هو أفضل . وسأضيف شيئا أكثر قوة . فأقول ان السماح بالشر على النحو الذى يفعله الله . هو أكبر خيرية . وذلك لان كل شيء كان مسطورا فى المعنى العام لكل كائن قبل أن تخرجه القدرة الالهية الى حيز الوجود عن علم وحكمة (11) .

ويفسر لنا ليبنتس كيف يسمح الله بوجود الشر على أساس أنه يوجد فى المعانى التى تحتوى عليها منطقة الحقائق الازلية فيقول : « اذا وجد رجل شرير فمن الواجب أن يكون الله قد رأى المعنى العام لهذا الرجل فى منطقة الممكنات ، وعلم أنه سيدخل فى سلسلة الاشياء التى اقتضت الحكمة دخولها لتكوين أفضل عالم ممكن

وعندئذ يسمح الله بايجاد هذا الرجل . لان الشرور هنا تساعد على تحقيق الخير » (12) ثم نراه يؤكد لنا . مرة أخرى . أن المادة ليست مصدر الشر . بل مصدره معانى الممكنات . وهى المعانى الازلية وانما كانت ازلية لان الله لا يخلقها ، لانها موضوعات لعلمه والله ليس خالقا لعلمه (13) . وهنا يقترب ليبنتس اقترابا شديدا من محيى الدين بن عربى الذى يقول ان الله لم يخلق العالم من عدم ، بل اظهره من عالم الجود وهو عالم المعانى الالهية .

فليس لاحد أن يعترض فيقول ان السماح بالشر ، الذى كان يمكن منعه . يعد نوعا من عدم الاكترات بوقوع هذا الشر أو عدم وقوعه . بل يعد رجاء فى وقوعه (14) . فان هذا الاعتراض يدل على عدم الفطنة عند ليبنتس . فكم يسمح عقلاء البشر بشرور كانوا يستطيعون أن يمنعوا وقوعها . لكنهم سمحوا بوقوعها نظرا لاعتبارات أخرى أكثر أهمية . فمثلا قد يمتنع الحاكم عن التدخل لعلاج تدهور النقد أثناء الحرب لكى يحول دون شر أكبر . ولئن أمكن أن يخطئ الحاكم فى تقديره للامور فليس الامر كذلك بالنسبة الى الله ، اذ « ليس هناك شيء يمكن أن يكون موضع شك . وليس ثمة تعارض مع قاعدة الافضل التى لا تحتل الاستثناء » وبهذا المعنى يسمح الله بالشر أو بالمعصية . ولو لم يفعل . أى لو لم يختار العالم الافضل مع ما ينطوى عليه من الشر العارض الذى كان يوجد فى الضرورة السابقة للحقائق

(11) المصدر السابق ج 2 فقرة 121

(13) نفس المصدر ج 2 فقرة 121 - وانظر ج 3 فقرة 335

(10) العدل الالهى فقرة 225

(12) العدل الالهى ج 3 فقرة 350

(14) نفس المصدر السابق ج 2 فقرة 127

الازلية ، لكان ذلك ضربا من النقص في خيريته وحكمته (15) هذا الى أن الشر الذي يسمح الله بوجوده من أجل صلاح العالم وانتظامه ، لا يكاد يذكر الى جانب الخير الكثير الذي لا يراه هؤلاء الذين يعدون السماح بالشر القليل انتقاصا من عدل الله وخيريته . الا يعلم هؤلاء أن قليلا من الحموضة أو المرارة قد تكون في كثير من الاحيان افضل من السكر ، وأن الظلال ترفع من قيمة الألوان ، وأن وضع النشاز في الموضع الملائم يبرز جمال المقطوعة الموسيقية ؟ « انا نريد أن نفزع للراقصين على المجال الذين يوشكون أن يسقطوا في القضاة ، ونريد من المسرحيات التراجيدية أن تثير دموعنا . وهل يتذوق المرء الصحة ، وهل يتجه المرء الى الله بالشكر اذا لم يصب قط بمرض ؟ الا يجب في أكثر الاحيان أن يوجد قليل من الشر حتى نصبح أكثر حساسية بالخير ، أى شعورا بالخير الاكثر » (16) وقد يقال ان شرور هذا العالم أكثر من ضروب الخير فيه . لكن ليس ذلك حقا . وذلك لاننا أكثر حساسية تجاه الشر منا تجاه الخير . وان غفلتنا هي التي تحوّل دوننا ودون التعرف على كثير من الخير . وكثيرا ما ننتبه فجأة اذا بدا لنا الشر مختلطا بالخير . فاذا كنا مرضى شعرنا فجأة بأن الصحة خير عظيم . ومما يدل على وجود الخير الذي لا نغفلن اليه عادة ، أنه لو لم يكن كثير من الناس يعلمون بوجود حياة أخرى لما أحسوا بالرضا ساعة الموت ، ولفضلوا العودة الى الحياة والى ما راوه

فيها من خير وشر . ان هؤلاء الذين يقولون بوجود كثير من الشر في العالم يقنعون بأن يستأنفوا حياتهم . دون أن يطالبوا بحياة أفضل من تلك التي قالوا انها مليئة بالشرور (17) فالإنسان دائما بخير متى لم ير شرا ، ومن الخير جميع عواطفنا التي لا تسوؤنا ، وتدريبات قوانا التي لا تشعرونا بالالام ، وإن لم تحقق لنا لذة . وقد كان ديكرت محقا عندما قال ان العقل الطبيعي يرشدنا الى أن في هذه الحياة من الخيرات قدرا أكبر مما فيها من شرور (18) .

كذلك الامر فيما يتصل بالمعصية أو الخطيئة التي تترتب على وجود بعض البشر فمن الواجب الا ننظر الى سماح الله بوجودها في الكون على أنه شر كبير في حد ذاته . ان السماح بهذا الشر الاخلاقي لم يقلق بعض النفوس الا لانه يمكن أن يكون منبعا لشرور فيزيقية (جسمية) « توجد في مخلوق من اقوى المخلوقات ومن اقدرها على فعل الشر . لان ارادة انسانية سيئة تشبه في مملكتها مبدأ الشر في العالم عند المانوية ، والعقل الذي هو صورة الهية يزود الارواح الشريرة بالوسائل الكبيرة لايجاد كثير من الشرور » (19) ان رجلا مثل نيرون صنع من الشر أكثر مما تفعله الزلازل . ولا نعدم أن نجد اناسا أشرارا ينعمون بتعذيب الآخرين وتحطيمهم ، ولا تعوزهم المناسبات العديدة للتفكير بالآخرين . « لكن لما كان الله يتجه الى ايجاد أكبر قدر ممكن من الخير ، ولما كان له من العلم والقدرة ما يكفي لذلك ، فمن

(16) نفس المصدر السابق ج 1 فقرة 12

(18) نفس المصدر ج 3 فقرة 25

(15) نفس المصدر ج 1 فقرة 25

(17) نفس المصدر ج 1 فقرة 13

(19) نفس المصدر ج 1 فقرة 26

المستحيل أن يوصف بالخطأ أو الذنب ... وعندما يسمح بالشر فذلك السماح بحكمة وفضيلة» (20) فالإنسان هو المنبع الذي تصدر منه شروره ، لأنه يوجد الآن على نحو ما كان موجودا في منطقة المعاني الأزلية . قد يقال أن الشيطان هو مصدر الشر ، لكن الشر يأتي من مكان أبعد من ذلك . أن منبعه هو النقص الأصلي في المخلوقات العاقلة ، وهذا النقص هو الذي يمكنهم من القدرة على المعصية « وهناك ظروف في سلسلة الأشياء فيما بعد ، تخرج هذه القدرة من القوة إلى الفعل » فاصل الشر هو حرية المخلوقات» (21) .

كذلك يمكن القول ، تبعا لوجهة نظر ليبنتس ، بأن الشر العارض الذي يسمح الله بوجوده ، في الكون لا يوجد عفوا ، بل لحكمة إلهية ، ولا يضير هذه الحكمة أن نجهلها ، حقا قد يقول بعضهم أنه من الممكن أن يخلق الله العالم دون أن تكون هناك آلام أو شرور أو معاصي « لكني أنكر ، في هذه الحال ، أن يكون هذا العالم أفضل عالم ممكن ، إذ من الواجب أن نعلم أن كل شيء مرتبط في كل عالم من العوالم الممكنة (التي يختار الله أفضل عالم منها) ومهما يكن من أمر الكون فإنه قطعة واحدة ، أنه شبيه بالمحيط ، فإن أقل حركة يمتد أثرها فيه ؛ مهما يكن من أمر المسافة ، وعلى الرغم من أن هذا الأثر تقل درجة ادراكه إذا زادت المسافة ، وذلك على نحو أن الله قد حدد كل شيء

فيه سلفا وللايد ، فعلم مسبقا الدعوات والافعال الحسنة والسيئة ... وساهم في كل شيء على نحو مثالي قبل وجوده في القرار الذي اتخذته بالنسبة إلى وجود جميع الأشياء» (22) ، بحيث لا يمكن تغيير أي شيء في العالم» (23) ... ولذا فلو لم يوجد الشر الأقل الذي يحدث في العالم ، لما كان هذا العالم أفضل عالم اختاره الله بعد أن قلب كل شيء . « وحدد كل شيء » (24) فإنه لم يسمح بوجود الشر ، الذي تتضمنه معاني الممكنات ، إلا بعد أن حسب كل شيء ، وقارن بين عدد لا نهاية له من العوالم الممكنة ؛ وهذا هو ما كتب به ليبنتس إلى الأب « أرنو » في مراسلة له معه في عام 1672 « أن هناك أسبابا جعلت الحكمة الإلهية تسمح بوجود الشر . حقا أن هذا السماح يثير عجبنا . لكن ليس لنا أن نفرط في العجب . فإنه « ما من شيء يأتي من الله إلا إذا كان مطابقا تماما لخبرته ولعدله وقداسته . اننا نحكم بصفة « بعدية » posterior « على أن هذا السماح كان ضروريا ، مع أنه يمكننا أن نبرهن على ذلك بصفة قبلية » priori « عن طريق تفصيل الأسباب التي يمكن أن تكون عند الله » (25) .

ويستشهد ليبنتس هنا لعدل الله وحكمته وخبرته ، بما وجده عند كبار رجال الدين من المسيحيين من أمثال كالفن الذين يقولون أن قرارات الله مطابقة للعدل والحكمة ، رغم أن

(20) نفس المصدر ونفس الفقرة

(21) نفس المصدر ج 3 فقرة 273 - وتوجد نفس هذه الفكرة عند محيي الدين بن عربي وهو أن الإنسان يتبع الشيطان مختارا
(22) يمكن توضيح هذه الفكرة على أساس ما يقوله ابن عربي من أن طبيعة كل كائن حي هي التي تحكم عليه وتحدد مصيره
فما حكم الله على الأشياء إلا بها - وقد عرضنا هذه الفكرة في مقال لنا عن فكرة القضاء والقدر عند ليبنتس وابن عربي انظر
كلية الفكر المعاصر

(23) توجد نفس الفكرة عند ابن عربي الذي يستشهد بقوله تعالى : « ما يبذل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد »

(24) العدل الإلهي ج 1 فقرة 9
(25) مقدمة العدل الإلهي فقرة 35

الاسباب. التي يمكن أن تبين لنا هذه المطابقة ليست معروفة لدينا . ثم يخبرنا بأن هذا هو رأى معظم البروتستانت . وان توماس الاكوينى . وهو كاثوليكي . يرى هذا الرأى أيضا . أما عن نفسه فيخبرنا « بأننا لا نستطيع أن ننفذ الى سر أحكام الله . فهي عادلة . وان كانت مجهولة لدينا . وتلك هوة عيقة لا يستطيع أحد أن يصل الى قرارها . دون أن يكون عرضة للسقوط فى هوة أخرى أكثر عمقا . فمن التهور أن يحاول المرء تفسير شيء أراد الله له أن يظل من أمور الغيب . فإرادة الله لا يمكن إلا أن تكون عادلة . وكثير من هؤلاء الذين حاولوا تفسير هذه الحكمة العميقة التي لا يمكن النفاذ إليها . سقطوا فى تخيلات غائبة وآراء مليئة بالخطأ والضلال » (26) .

لقد اعترض على ليبنتس أحد معاصريه وهو بيل BAYLE فقال : اذا كان الله قد نظم كل شيء . فمعنى ذلك أنه ما من شيء يحدث فى العالم دون إرادته . وكان فى استطاعته أن يمنع كل شيء لا يحبه . وأن يحول دون المعاصى تبعا لذلك لأنه يكرهها . وكان من الممكن أن يخلق فى كل نفس جميع الافكار التي يرضى عنها . ويوجب ليبنتس بأن هذا الاعتراض وليد نظرية فلسفية تعرف بنظرية النور الطبيعى للعقل . وأن مثل هذه الشرور التي وقعت أو تقع فى العالم لم يكن من الممكن رفعها بإرادته اللاحقة . حقا ان إرادته السابقة تريد كل خير . وهي القضاء السابق . لكن إرادته اللاحقة - وهي القدر الذي يفصل

القضاء السابق - فيحدد ظهور الكائنات وأزميتها وأمكنتها - لا يقف فى سبيل الحطة الالهية التي اختارت أفضل عالم ممكن .

ويجب أن نعترف بأن تفسيرنا لكل من الإرادة السابقة والإرادة اللاحقة لا يعتمد على ما قاله ليبنتس . بل أخذناه من محيى الدين بن عربى الذي عرض لهذا الموضوع نفسه ووضحه على نحو لم نجده عند ليبنتس (27) . أما هذا الأخير فيتابع رده على بيل قائلا : « عندما يقال ان المصيبة هي التي تفضب الله الى أكبر حد . وأنه يكرهها . فهذا أسلوب من التعبير الانساني . وذلك لان الله لا يمكن . على وجه الدقة أن يسيء اليه أحد . أى لا يمكن أن يلحقه ضرر أو ضيق أو قلق أو غضب . فهو لا يكره شيئا من الموجودات .. » (28) ان مثل هذا الاعتراض يقوم على فكرة تشبيه الله بالإنسان . مع أن الله لا يعاني ألما ولا حزنا ولا ضيقا . فهو راض دائما « ان الحرية المطلقة لله تجعل إرادته السابقة تدفع الشر . والشر الاخلاقي (المصيبة) أكثر من أى شيء آخر . وهو لا يسمح به الا لاسباب أساسية خفية . وبتعويضات كبيرة تصحح النتائج السيئة بما فيه المصلحة . ومن الحق أيضا أن الله يستطيع أن يخلق فى النفس جميع الافكار التي يرضى بها . لكن هذا معناه أنه سيفعل ذلك بمعجزات . لا تبعا لأفضل خطة مقصودة » ويكاد هذا الرد أن يكون صورة من قصة اعتراض الملائكة على خلق آدم بحجة أنه سوف يفسد فى الأرض ويسفك فيها الدماء . وهي نفس القصة

(26) مقدمة العدل الالهى فقرة 47
(27) عالجت هذا الموضوع فى مقال خاص بفكرة القضاء والقدر عند ليبنتس ومحيى الدين بن عربى - مجلة الفكر المعاصر - تحت الطبع
(28) العدل الالهى ج 2 فقرة 164

التي اعتمد عليها معظم مفكرى المسلمين لبيان أن الله لا يريد الشر من أجل الشر ، بل لأجل ما يترتب عليه من الخير .

وقد يتشكل هذا الاعتراض في صورة أخرى اذ يقول بعضهم أن الله كان يستطيع أن يحقق السعادة لجميع البشر ، وهو يستطيع ذلك مباشرة وبسر ، دون أن يضار بذلك شيء ، فهو قادر على كل شيء . لكن هؤلاء نسوا أن يسألوا أنفسهم : هل يجب على الله أن يحقق السعادة للجميع ؟ فطالما أنه لم يفعل فذلك دليل على أنه كان من الواجب أن يفعل شيئا مختلفا تماما . وليست المسألة خاصة بأنه لا يستطيع أو بأنه لا يريد سعادة البشر ، بل هي خاصة بأنه يريد إيجاد أفضل عالم ممكن (29) .

إن الخطأ الذي يكمن وراء الاعتراض السابق في مختلف صوره يرجع الى أننا نتخذ أنفسنا ومصالحنا الخاصة مقياسا للحكم على الأشياء بالحير أو الشر . فما وافق أهواءنا سميناه خيرا ، وما تعارض مع مصالحنا أو رغباتنا ، قلنا أنه شر ، وإن كان فيه كثير من الخير . فالخير ذاتي في العالم ، وحكمة الله في خلق هذا العالم وترتيبه لا تقف عند حد . كما أن عنايته تشمل الكون بأسره . وليس ما نعلمه من هذا العالم بشيء يذكر الى جانب ما تجهله منه . ومع ذلك فانا نريد أن نقيس حكمة الله وخبرته بناء على معرفتنا المحدودة « فأى تهوّر بل أى شناعة في التفكير » (30) أكثر من ذلك .

وهنا نجد إشارة غابرة تكشف لنا عن بعض المصادر الإسلامية التي اطلع عليها ليبنتس فانه يستشهد بنص قراه في كتاب « دلالة الحائرين » لموسى بن ميمون . وهو الكتاب الذي ملأه مؤلفه بالأفكار الإسلامية الاصيلة التي مكنته من تجديد التفكير الدينى اليهودى ، ابتداء من القرن الثالث عشر ، على نحو ما فعل توماس الاكوينى من تجديد الفكر المسيحى أيضا فى ذلك القرن نفسه . بعد أن اطلع على آراء ابن رشد الدينية (31) أما فيما يخص ليبنتس فانه عندما كان يصدد الحديث عن أن الخير فى العالم أكثر من الشر ، رأى أن يستشهد بابن ميمون ، فقال ان الناس لم يعترفوا لهذا الفكر اليهودى بما ينبغى ان يعترف له به من جدارة . فانه أول حبر يهودى كف عن قول الحماقات . وقد بينا نحن منذ قليل السبب الحقيقى الذى من أجله بدا رجلا متزن التفكير فى نظر ليبنتس ، ذلك لانه كان متأثرا بالمعتزلة ، وبابن رشد خاصة ، عندما رأى هو الآخر أن الخير أكثر بكثير من الشر فى العالم . فهو يقول فى كتابه دلالة الحائرين : ان بعض أفكار الجاهلين تدعوهم الى اعتقاد أن الشر فى العالم أكثر من الخير ، واننا كثيرا ما نجسد فى أشعار الوثنيين أن حدوث شيء من الخير يشبه أن يكون معجزة . فى حين أن الشرور أمور عادية ودائمة . وإن هذا الخطأ لم يستحوذ على عقول العامة فحسب ، بل على هؤلاء الذين يريدون أن يظهروا بمظهر الحكماء لانهم مالوا الى هذا الرأى . لقد ذكر الرازى عددا كبيرا من هذه الشناعات

(29) المصدر السابق ج 1 فقرة 122 .
(30) انظر كتابنا : نظرية المعرفة عند ابن رشد وتأويلها عند توماس الاكوينى - الطبعة الثانية - مكتبة الانجلو المصرية 1969 .
(31) المصدر السابق ج 2 فقرة 134 .

عندما صرح بأن الشر أكثر من الخير ، وأن المرء متى قارن بين لذاته التي ينعم بها في أوقات الراحة وبين الآلام والمنقصات وضروب النقص والمهموم والاحزان التي تبهظ كاهله ، وجد أن حياته ليست الا شرا ، وانها تشبه أن تكون عقابا حل به . ثم يضيف ابن ميمون أن السبب في هذا الخطأ العجيب هو أن أمثال الرازي لا يحسبون حسابا الا لما يتصل بأشخاصهم وأهوائهم ، ومن ثم فإنهم يستنبطون من حدوث شيء لا يوافق طبائعهم دليلا على أن الكون يسير دائما في الاتجاه الاسوأ (32) .

وفي رأى ليبنتس أن مما يدعو الى السخرية أن يحكم المرء على الاشياء ، تبعا لوجهة نظره الخاصة ، أو تبعا للمبادئ التي يضعها دون رجوع الى الواقع . وأفضل من ذلك مسلكا أن يرجع الى الواقع ، وأن يمعن النظر في الكون حتى يرى الاشياء في مجموعها وبالنسبة الى جميع الكائنات . لا كما تبدو له هو وحده . فربما وجد أن ما يعده شرا ليس الا خيرا في حقيقة الامر . وأنه يدخل في النظام التام للكون . « ان رؤية الاجزاء منفصلة لا تعطينا فكرة صادقة عن الكل » . بل يؤكد ليبنتس أننا لا نرى من مملكة الله الا جزءا يسيرا . فلا نستطيع أن نعلم نظام الكل وجماله . ان المملكة الالهية موضع ايمان وأمل . واذا كان هناك آخرون يرون رأيا آخر فتعسا لهم ! انهم هم الساخطون في أعظم مملكة ، وأفضل مملكة .

وهم يخطئون عندما لا يفيدون من تلك النماذج التي تقدم اليهم ، والتي تدل على الحكمة والحكمة . ان هذه النماذج ليست جدية - بالاعجاب فحسب . بل هي جدية بالحسب أيضا (33) . ومن قبل قال محيي الدين بن عربي ذلك على نحو أكثر تفصيلا فوصف العالم بالجمال (34) . وبين أن من حقر « أى جزء من العالم فانما حقر خالقه واستهان به ، وكل ما في الوجود فانه حكمة أوجدها الله لانها صنعة حكيم فلا يظهر الا ما ينبغي كما ينبغي » .

وهذه هي نفس الفكرة التي سیرتضیها لیبنتس فیما بعد اذ یقول : « ما من مرة نرى فيها أحد مصنوعات الله الا وجدناه غاية في الكمال . ويجب أن نبدي اعجابنا بجماله ودقة صنعه . وليس من العجيب الا يظهر لنا هذا الاتساق العظيم عندما لا نرى الطبيعة بأكملها فنحن لم نر الا اجزاء ضئيلة منها . ان كل نبات وكل حيوان وكل انسان تتجلى فيه درجة من الكمال الى حد ما (35) . وفيه نتعرف على دقة الصانع . وليس الجنس البشرى الذي نعرفه الا جزءا ضئيلا من مدينة الله أو جمهورية الارواح . لكن هذه المدينة أكثر امتدادا مما نعلم . بحيث نعجز عن أن ندرك تماما النظام الذي يهيمن عليها والذي يثير الاعجاب » (36) ثم يرى ليبنتس أن جميع هذه المحاولات التي يقوم بها العقل تجعلنا قادرين على تصور ألف وسيلة ووسيلة تكشف لنا عن وجه الخير في أفعال الله . وأن الاشياء المواتية التي نجدها في هذه

(32) العدل الالهي ج 3 فقرة 262 - 263
(33) نفس المصدر ج 2 فقرة 134
(34) انظر كتابنا : الخيال في مذهب محيي الدين بن عربي فصل «الخيال والحب» بمعهد الدراسات العربية
(35) يقول ابن عربي : ان كل شيء في العالم له مستند الهی (36) العدل الالهي ج 1 فقرة 199

الأفعال ، وجميع الصعوبات التي يستطيع المرء أن يصطنعها لنفسه ، لا تمنع من أنه ليس هناك ما يفوق أحكام الله عدلا أو قداسة وخيرية (37) .

* * *

ومع ذلك ، فإن هناك من يعترض قائلا : إذا كان الله يحب عباده فلماذا يتركهم يخطئون ، ثم يعاقبهم على هذا الخطأ ؟ ويرد ليبنتس فيقول أن هذا الاعتراض ليس جديدا ، وأنه يرمى إلى نسبة الشر إلى الله ، مع أننا نعلم أن عناية الله تشمل الكون بأسره ، وأن الله لم يهمل فيه شيئا . أما الشقاء الذي يعانيه الإنسان في هذا العالم فإنه يرجع إلى طبيعته . وإذا كان هناك سعاداء وأشقياء ، أى إذا لم يكن الله قد فعل الإصلاح للجميع ، فذلك لأنه ليس واجبا عليه أن يفعل ، بل لأن نظام الكون لا يحتمله (38) وإذا لم يكن هناك ما يوجب على الله أن يريد الشر لذاته كذلك ليس هناك ما يجبره على فعله . وإذا اختار الله أفضل عالم ممكن فليس من المستحيل أن يختار عالما أقل فضلا . فإرادة الله إذن مجردة من القهر ومن الضرورة الميتافيزيقية المطلقة . وإن كانت تتسق مع الضرورة الأخلاقية التي تميل بكل حكيم إلى اختيار الأفضل ، أما فيما يتصل بالشر الأخلاقي (المصيبة) فقد بينا فيما مضى أنه ليس موضوعا لامر الهى باعتبار أنه وسيلة ، بل باعتبار أنه شرط . وأكثر من هذا فلا يحق لنا

القول بأنها هي الوسيلة الوحيدة . فقصارى ما هنالك أنها إحدى الوسائل ، ولكنها أخف الوسائل من بين عدد لا نهاية له من الوسائل الأخرى (39)

لكن لئن سمح الله بوجود المصيبة فإنه لا يخلقها - حقا إن الله يساهم في جميع أفعال المخلوقات . بل يخلقها خلقا مستمرا إذا شئت . ومع ذلك فإنه لا يخلق المصيبة . فليست إرادة الله هي مصدر الشر . ، لهذا قلنا إن الله لا يريد الشر . بل يسمح به فقط . بل يمكن القول بأن الله قد سمح بالشر وبالمصيبة . وأنه يساهم فيهما دون أن يكون في ذلك ما يחדش عدله وخيرته ، (40) ذلك أنه لا يسمح بالمصيبة بناء على إرادة شريرة . حقا إن السماح بالشر من وجهة نظر القانون الوضعي أو الإنساني يعد شرا ، ودليلا على سوء النية ، وهو مما يعاقب عليه صاحبه . أما بالنسبة إلى الله فهناك أسباب أقوى هي التي دعت إلى أن يسمح بالشر ، وأن يخلق أشياء تساعد على وجوده . وذلك لأن أفضل عالم ممكن لا بد من أن يحتوى على هذه الضروب العارضة من الشر (41) . وإذا ساهم الله على نحو ما في وقوع الشر الأخلاقي ، أى المصيبة فإنه يوجهها بحكمته نحو الخير (42) .

إذن ، فليس من الحق ما قاله بعض المفكرين من أن إرادة الله لا تكثر بما يقع للمخلوقات من

(37) نفس المصدر ج 2 فقرة 106 - هذا هو ماقرره الإمام الغزالي من قبل فقد قال : « مو كان فعل الإصلاح واجبا عليه لفعله لكنه لم يفعله - إذن فليس فعله واجبا عليه - انظر كتابنا «دراسات في الفلسفة الإسلامية» الطبعة الثالثة - دار المعارف سنة 1970 ص 74

(38) نفس المصدر ج 2 فقرة 230

(38) نفس المصدر ج 2 فقرة 162

(40) مقدمة العدل الإلهي ج 14 - فكرة المساهمة الإلهية في أفعال العباد توجد عند مجيى الدين بن عربى وهى ترتبط أيضا بفكرة الخلق الجديد - ومعنى المساهمة هى التدخل الإلهي الذى لا يستطيع المخلوق دونه أن يفعل شيئا

(42) العدل الإلهي - موافقة العدل للإيمان - فقرة 39

(41) نفس المصدر ج 2 فقرة 108

خير وشر ، فان في هذا القول انتقاما من حكمة الله وخبريته . هذا الى ان فكرة عدم الاكتراث التي يقولون بها ، والتي تحتفظ بالارادة في حال توازن تام بحيث لا تميل لا الى الخير ولا الى الشر ، وهم من الاوهام . فقد قضت ارادة الله السابقة بان يكون فضل الله او عطاؤه عاما ، بحيث يجد كل مخلوق ما يمكنه من النجاة . لكن ليس من المحتوم ان يكون هذا الفضل الالهي سببا في نجاة الجميع ، وذلك لانه ليس مستقلا عن الظروف التي توجد فيها الكائنات العاقلة ، وليس فعلا لذاته . فאלله وجود بفضل على الجميع ولكن هذا الفضل يرتبط بأسباب عديدة منها طبائع الاشياء حتى يكون مؤثرا « واني مقتنع بان الله يتجه في توزيع فضله ، بأسباب تدخل فيها طبيعة الاشياء ، والا لما كان يفعل وفقا للحكمة (43) وليس هذا الفضل خاصا باصحاب الصفات الطيبة وحدهم ، ومع ذلك فمن الحق ان هذه الصفات لها وزنها ، وذلك باعتبار انها احد الظروف التي تساعد على قبول الفضل الالهي . فليس ثمة اى اعتبار يمكن اهماله بالنسبة الى الحكمة الالهية ، وحتى هؤلاء الذين تدفعهم طبيعتهم الرديئة الى الانغماس في المعاصي ليسوا محرومين من هذا الفضل الضروري الذي يقف بهم عند حد الهاوية ، او يخرجهم من الهاوية التي تردوا فيها « وذلك لانه يبدو من القسوة ان يؤبد عليهم العذاب (44) ، لانهم فعلوا ما لم يكونوا قادرين على الامتناع عن فعله ، فهؤلاء الذين يقولون بتعذيب الاطفال الذين لم يدركوا سن العقل اقل احتمالا بالبالقين . ولنا

ان نقول انهم أصبحوا أكثر قسوة بسبب تفكيرهم في رؤية عذاب البشر . لكن يوجد آخرون - وانا اميل اليهم - وهم الذين يسلمون بان هناك فضلا كافيا لجميع الناس حتى ينجوا من الشر ، ولكن بشرط ان يكون لديهم الاستعداد لكي يفيدوا من هذا العون الالهي ولكيلا يرفضوه مختارين « (45) ولقد قال بعض علماء اللاهوت ان الله لا يهب فضله الا لمن لديه استعداد لقبوله ، لكنه يهمل الآخرين لعنادهم . وقد يبدو ان الامر كذلك . لكن ما من احد يجرؤ على القول بان هذه هي القاعدة العامة . ومن الواجب الا نركي انفسنا على الناس « فانا نجهل اسباب الاصطفاء الالهي . ولما كانت هذه الاسباب كثيرة جدا فائنا لا نعرفها . ومن الممكن ان يظهر الله احيانا قوة فضله عندما يتغلب على اقوى ضروب العناد والمقاومة ، وذلك لكيلا يياس احد ، وحتى لا يزهو بنفسه احد » « قاله وحده هو الذي يعلم متى سيكون العصا قاسي القلب . وانه لا يوجد ثمة شيء يمكن فصله من اجله . وليس معنى ذلك انه من المستحيل ان يتوب ، او ان الله سوف يحرره من فضله بعد فترة ما . فان ذلك الفضل لا ينقطع ابدا . لكن لابد من ان ياتي وقت يعتمد المرء بعده من طريق النجاة . وليس لدينا اى علامة أكيدة لنعرف مثل هذا الرجل . وليس لنا الحق مطلقا في ان نقول ان انسانا ما سوف يهمل الله امره الى الابد . فنشل هذا القول حكم تعسفي . بل الافضل ان نأما .. وفي مثل هذا الظرف والظرف آخر يكون جهلنا مفيدا « (46)

(45) العدل الالهي ج 1 فقرة 95 ج 2 فقرة 177

(44) يذهب مجيب الدين بن عربي الى هذا الرأي
(46) نفس المصدر ج 2 فقرة 104

لكن هذا لا يحول دون أن يكون هناك صنف من البشر يصرون كل الإصرار على رفض قبول الفضل الإلهي ، وهؤلاء هم العتاة من أصحاب الإرادة الشريرة الذين لا يقهر الفضل الإلهي عنادهم وإصرارهم ، إذ ليس من شأن الله أن يقهر كل إرادة شريرة على قبول فضله الذي يمنحه لكل مخلوق دون تفرقة . وإذا كان الله يجتبي بعض الناس ويهمل بعض أهل العناد الذين يرفضون فضله ، فإنما يفعل ذلك لحكمة ، وهي إيجاد أفضل عالم ممكن . إن هذا الفضل الإلهي يفيد الأكثر من الناس ، لكنه قد يلحق الضرر ببعض ذوى الطباع الرديئة ، كالمنكر الذي تعم منفعته ، لكنه قد يفسد الأراضى المنخفضة . وكالشمس التي لا حصر لمنافعها ، لكنها قد تجفف بعض بقاع الأرض أكثر مما ينبغي لكن هذا لا يمنع من أن يمنح الله فضله لقوم يعلم أنهم لن يقبلوه . وعندئذ يصبح هؤلاء القوم أكثر إجراما بسبب رفضهم مما لو لم يمنحوا من هذا الفضل شيئا . فمن الأفضل إذن أن يسمح بأجرامهم بدلا من أن ينسب إجرامهم إلى حرمان الله لهم من فضله ، إذ لو حرّموا منه لقال هؤلاء أنهم لهم حق في الشكوى بأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا أفضل مما فعلوا « فالله يريد أن ينالوا ضروب فضله التي يطيقونها ، وأن يقبلوها » (47) لقد قضت إرادة الله السابقة أن في استطاعتهم قبول هذا الفضل ، وإن كانت إرادته اللاحقة قضت بأن تنفيذ إرادته السابقة لا تتم وفقا للخطة العامة

التي تحقق أفضل عالم ممكن . ويخبرنا ليبنتس بعد ذلك كله أن وجهة نظره هذه أمر تقررته الفلسفة والوحي معا .

تلك هي الآراء الرئيسية لليبننتس في مشكلة الخير والشر . لكن يبقى علينا أن نبين وجهة نظره في بعض النقاط الفرعية التي يقترح فيها من آراء المفكرين الإسلاميين أو يبتعد عنهم . فهو قريب كل القرب من محيي الدين بن عربي مثلا عندما يذهب إلى أن الإنسان كثيرا ما يعاني من شرور الآخرين . لكن طالما لم يشارك في مثل هذه الشرور فله أن يأمل في أن ما يكابده في هذه السبيل يعده لسعادة أعظم ، إذ سوف يعوضه الله عما قاساه ، ولا سيما أن وجود هذه الآلام التي قاساها كانت شيئا يتطلبه النظام العام الذي يخضع له العالم (48) ويساعد الشر في كثير من الأحيان على تذوق الخير ، وعلى تحقيق كمال أكبر لمن يتألم ، وهذا شبيه بالبذرة التي نضعها في الأرض ، فإنها تتعرض لنوع من الفساد حتى تثبت على حد ما قال السيد المسيح (49) والحق أن الحياة الإنسانية من صميم الخير تعسة كانت أم سعيدة ، بدليل حرص الناس على البقاء فيها . كذلك يدعو هو الآخر إلى الرضا بالله والكون ، فلا يضيق بما يلقاه في حياته من شرور وآلام . فإنه ليس بالشئ القليل أن يرضى المرء ولا يخشى ما قدره له ولا يشكو . مما يقع له . وليس في ذلك دعوة إلى الاخلاق الرواقية التي تبرر الصبر بالجبورية

(48) نفس المصدر ج 3 فقرة 141

(49) نفس المصدر ج 1 فقرة 23 - أما ابن عربي فيقول : وبهذا المعنى يمكن أن يقال إن مصائب الدهر وبلاياه نوع من التطهير وربما ترك العيد هذه الدنيا وما عليه خطيئة لكثرة ما يتلبسه الله به - انظر مقالنا : منهج ابن عربي في تفسير القرآن

بمجلة الهلال عدد ديسمبر 1970

المطلقة في الكون . حين أن مبعث الرضا في رأى ليبنتس هو الايمان بالكمال الالهي وبجمال الاشياء . وهذا هو نفس الرأى الذى يرتضيه ابن عربى ، وان كان يعتقد أن الرضا بالواقع المؤلم ليس معناه ألا يضرع المرء الى الله أن يزيع عنه البلاء ، والا كان هذا النوع من الصبر السلبي نوعا من مقاومة القهر الالهي . هذا الى أن الرضا بالبلاء وعدم الشكوى منه الى الله يعد غاية في الجهل بالله .

أما الرأى الذى قد يعتمد به عن الفكر الاسلامي، وعن ابن عربى بصفة خاصة فهو الخاص بتلوث الانسانية بسبب الخطيئة الاولى وهى عقيدة مسيحية اساسية . لقد حاول ليبنتس المجانسة بين آرائه الدينية فى الخير والشر وبين هذه العقيدة . لكن لا نعدم أن نجد لديه ثورة على رجال اللاهوت الذين يطبقون تلك العقيدة حرفيا . اذ يشير أولا الى رأى اورجين الذى يقول بأن الغلبة ستكون للخير . وأن جميع المخلوقات العاقلة ستصير الى القداسة والسعادة (50) ثم يورد رأى أحد الفلكيين الذى يأمل فى أن يذبح الموت ، وفى أن يسيطر العقل والسلام على الارواح . لكنه سرعان ما يقول اننا لسنا فى حاجة الى هذه الاسطورة (51) ثم يعترف بأن فكرة الخطيئة الاولى تشير صعوبات بالنسبة الى الفكرة التى يجب أن تكون عندنا عن العدل الالهي (52) لقد قال بعض اللاهوتيين ، فى تبرير تأييد العذاب ، ان المطرودين من رحمة الله كانوا ذوى ارادة سيئة . وقد افتقدوا الفضل

الالهي الذى كان يمكن أن يجعلهم من ذوى الارادة الطيبة ، ولذا فسيُعذبون دائما . لان الله يعلم سلفا أنهم سيرتكبون المعاصى لو اشتروا فى الحياة الدنيا دائما « (53) .

وأكثر من هذا فان القديس اغسطين قال ان الخطيئة الاولى تكفى فى العذاب المؤبد . وهنا يكشف ليبنتس الستار قليلا عن الرأى الذى يميل اليه . فيقول : ان هذا الحكم قاس جدا حتى لا نقول شيئا آخر . لكنه لا يلبث أن يقول ان بعض اللاهوتيين الفرنسيين من رأى اغسطين فى أن الاطفال الذين لم يعمدوا سيذهبون الى جهنم رأسا . فى حين أن بعض المدرسين وضعوا هؤلاء الاطفال فى الاعراف . فلا يعذبون الا بحرمانهم من رؤية الله . وذلك بدلا من أن يرسلوهم الى جهنم (54) . ولا يستطيع ليبنتس الا أن يصرح . آخر الامر ، برأيه فيقول : « لا أستطيع أن أتذوق . فى عقائد اتباع اغسطين . عذاب الاطفال الذين لم يعمدوا . ولا أتذوق خاصة العذاب الناجم عن الخطيئة الاولى . ولا أستطيع أن أعتقد أن الله يحكم بعذاب من ينتقدون الانوار الضرورية . ويمكن أن نعتقد ، مع كثير من اللاهوتيين ، أن الناس يتلقون عونا أكثر مما تعلم . وان لم يكن ذلك الا فى ساعة الاحتضار » (55)

ومع ذلك ، فانه لم يتحرر تماما من تأثير عقيدة الخطيئة الاولى ، لانه يرى أن النفس رديئة بحسب الاصل . وأن الشر يغلب فيها على الخير ، وذلك رأى لا يرضاه المفكرون المسلمون الذين يرون أن

(51) نفس المصدر ج 1 فقرة 18
(53) نفس المصدر ج 3 فقرة 266
(55) نفس المصدر ج 3 فقرة 284

(50) المصدر السابق ج 1 فقرة 17
(52) نفس المصدر ج 1 فقرة 85
(54) نفس المصدر ج 1 فقرة 92 - 93

النفس طاهرة بحسب الاصل (56) أما عند ليبنتس فالامر يختلف ، لان الشر أغلب على النفوس الانسانية ، بسبب الخطيئة الاولى . وفي رأيه أن البشر ربما كانوا في أعماقهم أشرادا وعلى حد سواء . فلا يتميزون فيما بينهم بحسب الواقع تبعاً لصفاتهم الحسنة ، أو تبعاً لصفاتهم الطبيعية السيئة . ومع ذلك فانهم ليسوا من الشر أو السوء في مرتبة واحدة ، فان هناك فروقا فردية أصيلة بين الارواح .

لار خطه الكون أو مبدأ التجانس الازلي ، توجب أن توجد هذه الفروق . فهم متفاوتون اذن في نزعاتهم نحو الخير والشر ، وللظروف التي يوجدون فيها تأثير ما في هذا التفاوت . ولذا فان هؤلاء الذين يوجدون في ظروف مواتية يصبحون أقل شرا وأكثر فضيلة وأكثر سعادة . غير أن ذلك لا يتحقق لهم عن طريق نفوسهم وإنما بعون من الانطباعات الداخلية للفضل الالهي التي يضيفها على نفوسهم . كذلك يتفق لبعض النفوس أن تزيد شرا على شرها الخاص بها ، على الرغم من أن طبيعتها ربما كانت أكثر سموا أو أقل سوءا من غيرها ، ويرجع ذلك الى الظروف التي توجد فيها ويذهب ليبنتس في تصوير فكرته هذه الى حد

يتعارض مع كثير من آرائه الاخرى ، اذ يقول : « ويمكننا القول بأن الناس قد اختبروا ، ورتبوا ، لا حسب امتيازهم ، لكن حسب موافقتهم للخطئة الالهية ، كما قد يتفق أن تستخدم حجرا أقل جودة في بناء ما ... وذلك لانه يتفق انه هو الذي يسد ثغرة معينة في هذا البناء »

لكن من الانصاف أن نشير آخر الامر الى أنه كان يحاول دائما السمو على النظرة التقليدية بليل انه ، في هذه المسألة بالذات ، اضطر الى التصريح في احد ردوده على بيل بأن جانب الخير في الكائنات العاقلة يقرب على جانب الشر فيها (57) وبدا نجده يقترب مرة أخرى من محيي الدين بن عربي الذي يقول ان الشر ليس أصلا في النفس . بل تكاد لا تقبله الا مكرهة ، ولذا قال الرسول « الخير عادة والشر لجاجة » « فالنفس بالذات ما زالت خيرة لان أباه الروح القدس الطاهر وطبعها الخير » أما الجسم الذي تحل فيه فقد خلقه الله وسواه فعدله . ولقد قبل الجسم هذه التسوية وهذا العدل . والقبوله للعدل من الخير . وليس الظلم من شتم النفوس حقيقة ، لان « للانسان فيه مدافعة يجدها من نفسه » (58) .

(56) انظر مقال منهج محيي الدين بن عربي في تفسير القرآن بمجلة الهلال ديسمبر 1970

(57) العدل الالهي ج 2 فقرة 219

(58) انظر منهج ابن عربي في تفسير القرآن بمجلة الهلال عدد ديسمبر 1970

اليونسكو

بين

وآفاق
التفاعل

الثقافات
الإنسانية

مصطفى عبادة

ظلت شعوب الإنسانية طوال تاريخها القديم وحتى أمد ليس بعيد تعيش وتحمي منغلقة على ذاتها فلكل أمة وكل شعب إطار ثقافي وحضاري وأيديولوجي تعيش في نطاقه وتشرب من وعائه وتستمد عاداتها وتقاليدها من معينه . فهي تحافظ عليه محافظتها على كيانها .

التسلط ، والقتل ، والتدمير هي القوى الغريزية الفعلية الوحيدة التي تتحكم في مصائر الشعوب .

انطلاقا من هذه المرحلة الحرجة والمخطرة لاح في الافق اهتمام من قبل اهل الفكر وأولى الراي ملاحظين أن مجرد عقد صلح بين دولة وأخرى لا يعنى أنه قد تحقق الأمل المرجو في اشاعة السلام بين الناس كما ان ازالة النزعات العدوانية بين الافراد والشعوب على حد سواء لا تكون باستعمال القوة بل بتنمية الشعور بالحق والكرامة وبتتقيف الافراد وتفتح عقولهم على حضارات الامم للتعرف عليها وبالتالي لاحترامها لانها خلاصة فكر وعصارتها تطورت عبر التاريخ . ازدادت رقياً هنا وتدهورت هناك . أعطت من عندها وأخذت من غيرها انها قدر مشترك بين كل الانام ، كل شعب وكل أمة ساهمت وتساهم في بناء حضارة انسانية شاملة لها أبعادها السامية في صيانة العدل والمير لكل

وعلى هذا الاساس كانت الصلات الفكرية بين الشعوب محصورة في نطاق محدود جدا لا تتجاوز نخبة من الباحثين وأهل الفكر وقد أدى هذا الانغلاق الى فلسفة أنانية ثقافية وحضارية كانت نتيجتها المنطقية الحروب والتطاحن بين مختلف الثقافات والحضارات التي تمثلها شعوب متعددة المشارب فهذا شعب استشعر قوة في نفسه حاول عن طريق العنف والحرب وحب التسلط أن يخضع شعبا آخر محاولا دمجها في حضارته وثقافته وبذلك ازداد التفاوت بين الاقوياء والضعفاء من الشعوب وظهرت روح التسلط والاستعمار بشكل صريح واضح وما حملت معها من ويلات الحروب وتهديد بقاء البشرية ، لقد ظهرت هذه الروح في اتساع مستمر في مجالى الشنول والعق الى أن رزحت البشرية في مدى أقل من خمسين سنة تحت أهوال حربين عالميتين جلبتا من الآلام والشقاء الى بنى الانسان ما جعله يخشى أن تكون ارادة

الانام ، ان العدالة الاجتماعية لا تتحقق بالظلم ولا بالقوة ولا بالجهل . بل بتنمية الشعور بالحق والعدل والكرامة عند الفرد وبالتالي عند المجتمع ولن يتحقق هذا الا بتربية النشء على مبادئ الاخاء والتضامن . ان اقرار السلام يبدأ بتكوين نفوس البشر تكويناً جديداً .

ولاول مرة في تاريخ البشرية ومنذ ربع قرن برزت فكرة جديدة تستهدف الحفاظ على السلام العالمي لا باتباع طرق المفاوضات السياسية وبالساليب الحوار الدبلوماسية بل باتباع اسلوب افتتاح الثقافات الانسانية على بعضها وافتتاح عقول البشر لتتمكن من ان تتعايش مع بعضها وتبادل حصيلة ابداعها ويتمكن شعب بالتالي من تقدير ثقافة الشعوب الاخرى ودورها في الاسهام في البنيان الحضارى .

ان انشاء منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة هو تأكيد لهذه الفكرة العملاقة التى تطرح لاول مرة في تاريخ الانسانية مفهوماً جديداً لما يجب ان تكون عليه العلاقات بين الشعوب فى سنبل مساعدتها على ان تنطور وتتقدم . لقد جاء فى نص ميثاق انشائها ان عدم تفهم الشعوب بعضها مع بعض كان باستمرار منذ فجر التاريخ باعثاً على الريب وسوء الظن بين الامم قادت اختلافاتها فى كثير من الاحيان الى حروب . وان

الحرب الكبرى الاخيرة وقعت من جراء انكار المثل العليا للكرامة والمساواة واحترام الانسان ومن جراء الرغبة فى ان يحل محلها بواسطة استغلال الجهل والمزاعم . مبدا عدم المساواة فى الاجناس والناس .

وان كرامة الانسان تستلزم نشر الثقافة والتربية لجميع الناس بقصد تحقيق العدالة والحرية والسلام ، وفى ذلك واجبات مقدسة لجميع الشعوب يلزم تاديتها بروح من التعاون المتبادل وان سلاماً يقوم على اتفاق الحكومات اقتصادياً كان أو سياسياً لا يؤدى الى رضى اجماعى دائم صادق بين الشعوب . وأنه يجب تبعا لذلك ان يقوم هذا السلام على اساس من التضامن الفكرى والادبى للانسانية .

فلهذه الاسباب ، تقرر الدول الموقعة على هذا الاتفاق . وهى عازمة على تلميح حرية التربية لجميع الناس بمساواتها بينهم . حرية تتبع الحقيقة الموضوعية وتبادل الآراء والمعلومات . وتنمية العلاقات بين الشعوب . بقصد ازدياد التفاهم بينها والحصول على اصدق وأدق ما يمكن من المعلومات عن عاداتها .

والخلاصة : ان الدول المذكورة تنشئ بهذا الاتفاق منظمة هيئة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، لتصل تدريجياً بفضل تعاون الامم فى ميدان

التربية والعلم والثقافة . الى اغراض السلام
الدول والرخاء المشترك للانسانية ، اغراض
انشئت من أجلها هيئة الامم المتحدة وأعلنها
ميثاقها .

اذن فالهدف السامي الذي استهدفته اليونسكو
ليس بالهين بل له بعدان أساسيان . البعد الاول
هو القضاء على الانانية الثقافية بحيث نجد شعبا
ما يجهل أو يتجاهل بل في بعض الاحيان ينكر
ثقافة وحضارة الآخرين وعلى هذا فليس من الغريب
في شيء ان تسود نزعة المحصومة على نزعة التعاون
وأن يكون التعصب أقوى من التسامح والانفتاح
أكثر من التفتح وفي هذا البعد نجد اليونسكو ان
لم تحقق الكل فقد حققت الجزء .

والبعد الثاني يتمثل في نشر الثقافات بين
الشعوب وتفاعلها لتكون في خدمة الرقي والتقدم
في ظل السلام والاخاء . وهذا البعد الثاني يكاد
يكون تحقيقه طبيعيا نظرا لتوفر وانتشار التقنية
في العالم وما استتبع من سهولة اتصال الناس
بعضهم ببعض ونمو المواصلات واستمرار تشابك
الروابط الاقتصادية والتجارية ونموها . كل هذا
جعل مختلف الثقافات تتفاعل وتتقارب . وتبادل
المبرات والتجارب في جميع الميادين .

ولكن هذا لا يعني ان اليونسكو تهدف في أن
توصل في يوم ما الى اقناع الامم بالتخلي عن

حضاراتها وثقافتها وأسلوبها الخاص في الحياة
لتبنى حضارة مشتركة واحدة لان هذا الدمج لا
يمكن أن يتحقق نظرا لعوامل اقتصادية وسياسية
وطبيعية وأيدولوجية ، وان الذي تعنيه اليونسكو
هو تعدد الثقافات وتنوعها والاستفادة من بعضها
البعض وهذا التنوع يجب الحرص على بقائه
واثرائه . ان تعايش الثقافات هو المطلب الذي
يجب أن تعمل من أجله وعلى تحقيقه اليونسكو .
وخطأ كبير أن نميز ثقافة معينة ونصورها ذات
قيمة مطلقة دون سواها .

وان من النتائج التي توصلت اليها هذه المنظمة
من خلال اسهام المفكرين والباحثين في المناقشات
واللقاءات التي نظمتها لهم هذه المؤسسة الدولية
« ان الكائن البشري حصيلة التربية والتربية
وسيلة مثلى للتقريب بين الشعوب فعصرنا الذي
يتصف بحضارة عالمية مؤلفة من ثقافات أصيلة
مميزة لكل أمة . يحتاج الى مذهب تربوي قومي
لا يركز على ثقافة وحيدة يعينها بل على ثقافة
انسانية أوسع نطاقا قائمة على فهم متبادل
لتقافات البشرية . وان كل أمة بوصفها عضوا
مستقلا في هذه الحضارة العالمية تأتي بشخصيتها
ومفهومها الخاص للحياة الى مجتمع الامم هذا » .

ان انعزال الثقافات يؤدي الى بعض الحالات
المتطرفة نمو مفرط عند بعضها أو توقف في النمو

عند بعضها الآخر لعدم تكامل هذه الثقافات والاستفادة بالتجارب والخبرات لكل ثقافة على حدة . ان تفاعل الثقافات وتعاونها مطلب من مطالب عصرنا . وضرورة تحتمها وسائل التكنولوجيا الحديثة . وعليه الا يحق لنا ان نتساءل هنا هل حققت المنظمة الاممية للتربية والعلم والثقافة كل الشعارات التي انشئت من اجلها ؟ هل طبقت بحق وبصدق كل ما جاء في ميثاق انشائها ؟ ان الجواب عن هذين السؤالين ليتطلب البحث الطويل والتتبع لمسيرة هذه المؤسسة منذ تأسيسها حتى يومنا هذا غير اننا نستطيع ان نقول بايجاز ان الاهداف المعينة لهذه المنظمة الدولية سامية بحق الا ان المخطط المرسومة لها تجعلها تابعة لهيئة سياسية هي منظمة الامم المتحدة ، وهذه التبعية تبعدها عن تلك الاهداف السامية بصورة طبيعية . لان رجال السياسة بارعون في ستر الحقائق بل وفي تزيفها وليس من المستبعد ان يجعلوا هذه المؤسسة وسيلة لستر مطامع الدول الكبرى بالتعبيرات الانسانية الخلاية وما دامت هذه المنظمة خاضعة في روحها لسلطة سياسية فستظل بعيدة عن مناحي الاتجاهات العلمية الحقيقية والنزعات السلمية الفعلية اذ لا يعقل ونحن في النصف الاخير من القرن العشرين ان تظل الثقافة والعلم والتربية تابعة للمناحي السياسية لا رائدة . ليس من الاجدر في عالمنا

اليوم ان تكون الكلمة الاولى للعلم والثقافة والاخلاق وان تكون السياسة اصل الحداد والمناورات . تابعة للعلم خادمة له . ان عالم اليوم لا حوج اكثر مما مضى الى عدالة واخلاق ، لا الى سياسة لا اخلاق لها ولا الى اسلوب الغاية تبرر الوسيلة .

ورغم هذا ينبغي ان لا نكون متشائمين اكثر من اللازم بل يجب على الامم والشعوب ان تعمل من اجل تحقيق الاهداف التي رسمتها مؤسسة التربية والعلم والثقافة لفائدة السلام بين الانام وفائدة العدل والكرامة الانسانية . اننا نعلم ان اليونيسكو ما تزال رغم ربع قرن من تأسيسها تتصدى لمشكلات هي من السمة والحظورة والصعوبة لا تكفي لمواجهتها جهود هذه المنظمة وحدها بل تتطلب عوناً صادقاً وجهوداً متواصلة متظافرة من جميع الامم والشعوب وخاصة من العلماء والمفكرين في العالم . ان عالم اليوم رغم تفوقه في ميادين كثيرة وهامة الا انه ما يزال ينوء بثقل الامية وثقل التمييز الثقافي واحتكاك العلم والمعرفة ، ان عالم اليوم ما يزال يمارس تربية الاجيال في نطاق مختلف انواع التمييز العنصري والفكري ، ولكن هناك دائماً أمل يحفز كل المؤمنين بالحق والعدل والحرية والسلام الى مزيد من الجهد لتحقيق انجازات اكبر واجدى ، فالانسان الذي صنع الحرب والعنف والحرب قادر على ان يصنع المحبة والاياء والسلام .

ما فائدة التسهيل؟

اننا لا نعتقد ذلك ويمكن ان نتسائل : لماذا ؟
- على فرض أنها صائبة فلا يجب أن نقع في تفاؤل يجارى التفاؤل السابق . ان الافكار السليمة ليست أكثر فعالية من العواطف الحسنة بكل أسف وبعبارة أخرى يتعلق الامر بالدفاع الحقيقى عن الهنود ضد امبريالية الحضارة البيضاء العرقية عن طريق هدمها لبناء عالم يحل فيه الحوار محل النفى . ولا يمكن أن يتمسك كما قال « جولان » بنقد الأيديولوجيات في معظم الاحيان . فهذا النقد ضرورى ولكن لاي شئ ومن تقييد ان انتهت الى تغطية المسألة السياسية ؟

فلكل مشكلة بعد ثقافى يجب الاعتراف به - ولكن الاكتفاء بالاخذ بالثروة الثقافية دون سواها يحتوى على نوع من التزوير .

ومهما كان الامر فان المفكر يخادع نفسه بالأيديولوجية عندما يطالب بأعادة تقييم ووضع الثقة في الثقافة - ولو من أجل إعادة النظر فيها -

اذاصح ان جودة الارواح تعفى من جودة الافكار حسب بعض الآراء - لتحقيق انقاذ العالم منذ زمن ولسيادة « السلام الابيض » المشؤوم . غير ان هذا السلام الهندى الذى يقول عنه « روبير جولان » (1) انه : لا يؤمن ببقائه الى الابد لانه يأمل في عهد « الهندية البيضاء » وهو يعرف بالتأكيد ان النيات الحسنة وحدها لا تكفى ... انه صاحب افكار ايضا . فهل هي صائبة ؟

بمقلوب: جان بيون

تعريب: بن عمار الصغير

(1) روبير جولان «السلام الابيض» مدخل الى الإبادة - باريس - دار النشر لوسوى 1970

بحيث تصبح غير معبرة عن النظام المجتمعي الذي يتعين عليها فحصها أكثر من تبريرها .

« بكل تأكيد يجب أن لا ننسى سرقة الاراضى وممارسة العبودية والتعذيب . وهام جدا أيضا أن نحدد موقع كل ذلك ضمن اطار ديناميكيثنا الثقافية » (2) .

أجل .. لكن بعد أن نغلق الكتاب تحدثنا نفسنا بوجوب عكس هذه الصيغة ومن الملائم بكل تأكيد أن نأخذ بعين الاعتبار ديناميكيثنا الثقافية ولكن بالمقابل يجب أن لا ننسى السرقة والعبودية والتعذيب .

فالهنود لا يعيشون محاطين بعلماء الاجناس والمبشرين فقط أن تسلل المستعمرين أخطر عليهم من تسلل نظريات الاولين ولو كانت مغلوطة ومن أعمال الفئة الثانية المستجدة : اذ انهم مهددون بخسران اراضيهم أكثر من أن يساء فهمهم . ان التعرف عليهم كما هو أو كما يجب أن تكون دلالتهم فى نظرنا سيكون بدون شك أفضل ولكن هل هذا سيعينهم كثيرا على مقاومة الاستعمار ؟

وفى الحقيقة فإن المخطط الاستعماري يرتكز فعلا على شىء آخر يختلف على تجاهله البسيط لضحاياهم - والواقع أن المخطط الاستعماري يسخر من الانتقادات الموجهة اليه. بقدر ما يسخر من كل التبريرات التى ربما يطرحها والتى يمكن أن نرفضها بدون أن نسبب له حرجا حقيقيا .

ان اطراء الثقافة الغربية كانتقادها يمران بدون ان يثيرا انتباه الراسمالى من امريكا اللاتينية أو فى

غيرها من المناطق ولكن بمثل ما هو يقوم به فانه لا يحتاج بناتا الى الاقتناع بالمسألة الاولى وأما المسألة الثانية فانها لا تزججه بل على العكس . ان غياب المسؤوليات يحقق له غرضه فالذى يستطيع أن ينال الراسمالى (الكولمبى) مثلا هو بالذات تحليل العملية التى تم بموجبها استيلاؤه على الاراضى (اذ أن جولان يتحدث عن قبائل « البارى » التى تعيش فى كولومبيا ..) وبالمخصوص البحث عن الوسائل التى تمكن الهنود انفسهم فى محل اقامتهم من عرقلة هذه العملية وعن كل هذا فإن جولان لم يتكلم وذلك من دون شك لا لانه يراه ثانويا أكثر من كونه راجع الى اسباب حقيقية بديهية ولكن يستعمله باستمرار وبشكل مزور . وقد كتب « انه لمن الزعم المخزى ان ندعى أن المستعمرين الصغار جناة وانهم مسؤولون على تحطيم الحضارات الهندية أو بأنهم اقترفوا مذابح متعاقبة ومارسوا العبودية فى حق الهنود فلم يكن تصرف هؤلاء المعمرين الصغار يناسب انتماءهم الى حضارتنا الغربية فحسب بل أن هذه « الاعمال الاجرامية » المتفرقة كانت تتم تحت مسؤوليات السلطات « الوطنية » التى ينتمون اليها هذا فى حالة عدم تمجيدهم والقضاء على حياة الهنود أو تسخيرهم كعبيد تقوم مختلف المصالح الممثلة لهذه القرائن الوطنية بالنشاط على مستويات أخرى متميزة ولكنها متكافئة فعلى الصعيد نفسه وتقربهم تنصب نفسها كضامنة لهم وتهىء لهم أماكن أبواء لكى يسلم هؤلاء المعمرين .. وبما أن المعمر أو أى رجل أبيض آخر يعمل على نفس الصعيد بالمؤازرة الرمزية أو الفعلية وتحت ضمانة البلاد وسلطاتها

المباشرة فإن هؤلاء الآخرين يهيؤون كذلك نشاطاتهم حسب رؤية أكثر شمولاً أى وفقاً لانتمائهم لهذه الحضارة الغربية (3) .

فهذا الانتماء عند « جولان » يسوى بين كل الدوافع وكل شكلياته « ان توسع عالمنا أو ما يسمى بـ « التحضيرات » ان تم بوسائل منها الحناجر والمدافع أو كلمة السلطة أو العلم ما هو فى واقع الامر الا نفى للطرف الآخر » (4) فرق اذن بين عالم الاجناس « الانتولوجى » أو المجرم : لانهما من عالم واحد .. ليكن ذلك . كيف تحكم على « جولان » نفسه . فعلا هناك نقاط غموض فيما نسترده وفي تعقيباته :

ماذا كان يعتبره « هنود بارى » فى حضرتهم ؟ يظهر ان ضميره من هذه الناحية مرتاح على خلاف « جان مونود » الذى عند سرده لتجربته هنا بالذات ما انفك بينهم .. وقد كتب بكل وعى - سيرة ذاتية مونودية - اكتشف بان هنود بياروا يعتبرونه « غنى من أكل لحوم البشر » وهذا يعطى لأول وهلة الحق لجولان . ولكن « مونود » يظهر بصفة خاصة ان هذه العلاقة الصعبة والمعقدة مع هؤلاء الهنود - هذه العلاقة التى لا يغالى عندما يحولها الى رفض ذاتى ثقافى بوسيلة سحرية - اذ أنه اتهم علم الاجناس وكذا الوسيلة التى يبنى بها ورغمًا عن هذا العلم وبفضله استطاع ان يتصل ويتعرف عليهم .

يستطيع جولان أن يقول بالمثل انه توصل الى معرفة هنود بارى ، وهذا صحيح ولكن لوجود تأكيدات « جولان » فمن حقنا ان نتساءل أى فداء يمكن أن ينجمه من المصير المحزن الذى وقع فيه

علماء الاجناس الآخرون . فباعتباره ينتمى الى تحديدات ثقافية معينة مثلهم . ترى هل هو ملك ؟ بدأ بوضع علاقة ميكانيكية تامة بين الاستعمار وعلم الاجناس وقد لعبت هذه العلاقة فى وضعه من خلال هذا لان نيته كانت بقصد الجدل وبأنه كان لا يرمى الى اتهام نفسه فانه حقق لنفسه اختيار علم الاجناس « الطيب » هذا الذى سيكون بفضل معجزة لا يحتوى على أية راحة استعمارية . وكأنه يرشدنا الى اتباع جولان وأن نطلق بالثلاث هؤلاء الاساتذة الرئيسيين وحقيقة الامر هنا أن أكثر زملائه ممن هم موجودون . هم من القتل . هؤلاء يوفرون له فقط المراجع التى يحتاج اليها ليتمكن بها من اتهام الاولين ، وانطلاقاً من هذا فان له كامل الحق أن يتسلم لأدماجاته الاستعمارية فهو حين يقارن ينفي وحين يعلل يمسح وهكذا دواليك - فالجج عنده تتوقف على مقادير من التنقلات يتناول جولان إبادة عرق للأعراق الأخرى كمشكل ثقافى حاد وسياسى أيضاً غير أنه فيما بعد يعالج هذا المشكل الثقافى مثل معالجته لمسألة تهم السياسة داخل العالم الصغير لعلماء الاجناس . وهكذا تبدو الفصول الأخيرة من الكتاب بالنسبة للقارئ كأنها خصومات بيتية أو تصفيات حسابات غامضة .

ولكن الا يكمن هنا أحد عناصر نجاح الكتاب . لقد أحسن اليك اذ أنه لقراءة خاتمة الكتاب لابد من البداية من أوله حيث يعنى بأى حال من الأحوال بقضية الهنود .

* * *

ان ما يضجر فى طريقة « جولان » هو تبسيطه وتزييفه لمشكل العلاقات الحقيقية بين الاستعمار

والامبريالية والانتولوجيا . ان الزعم بانها علاقات بنوة او تعبير متبادل هو من باب البساطة التي لا تزج احدا . ومن جهة أخرى فان الجميع راضخون لانتقاد المنوغرافية الصالحة لكل شيء وللتنسييمات الاصطناعية وتصنيفات تنطلق من رؤية من خلال جنس مركز تقيم على نموذج الاجناس الاخرى . كما نجد أنه بتقيد بـ « الشكلية المقنعة » فهو لا يعد العيوب غير متصلة ويفترض وجود مسلك مستقيم .

واخيرا لقد أصبح من المؤكد - تأكيد لا يبنى على كتاب « السلام الابيض » وانما على مقالات موجودة في هذا العدد بأن هناك علماء اجناس انقادوا بنسب متزايدة من الشعور لخدمة اغراض حكوماتهم عسكريا وسياسيا ولكن ما نعييه عليهم بالضبط هو أنهم كانوا في سلوكهم رجال شرطة حقيقيين وعلماء اجناس مزيفين .

« الا يكون عالم الاجناس الحقيقي هو الابيض الطيب ؟ »

مع الاسف أن الامور ليست في مثل هذا الوضع . يقع كل بحث انتولوجي في نطاق استعماري أن الشروع فيه يفترض الاستعمار وكما تشكل كيفية اجرائه تطفلا واما نتائجه فانها دائما ممكنة الاستعمال من طرف المستعمرين . ومع ذلك يمكن أن يكون المشروع مشروعا علميا ويكون من المربح جدا أن نتخيل الانتولوجيا الرديئة متصلة بالاستعمار بينما تكون الانتولوجيا الموضوعية قد قطعت معه كل الروابط . أنه في إمكان عالم الاجناس أن يحترم الاوضاع القائمة من دون أن يشوه الواقع . وعلى النقيض من ذلك

يمكن أن تكون نظرية ما تافهة في حين أنها تمكن من رفض المجتمع الاستعماري . ان انتولوجيا « المتوحش الطيب » ذات مغزى وأن الراجعين اليها وهو خطأ أن يفعل ذلك لينتقد - وأصاب مجتمعهم الخاص مجتمع المستعمرين وهنا توجد تقاليد قديمة في الانتولوجيا كما توجد في نفس الوقت دوافع متكررة الا وهي تقديم معرفة الآخرين « صحيحة او باطلة فهذا ليس بهم » الى رفض ذويه .

ويخلص « جولان » في بقائه وفيها لهذا الموقف الذي يجد فيه صحة مريحة على ما يبدو لي وقد أقلقه ان دخلت في التفاصيل غير أن هذه العادة في الانتولوجيا قد بقيت بدون نتائج - لقد استمر التوسع « الابيض » وثم استعباد « المتوحشين » سواء كانوا طيبين أم لا . هذا في حالة عدم القضاء عليه كما اندثرت ثقافات ومجتمعات وهذه عملية مستمرة .

ان الرفض عن طريق المعرفة من قبيل الاوهام الا تكون المعرفة في تواطء دائم ؟ وتبدو آثار هذا التساؤل في ثنايا تأملات «جولان» و « منوط » بالخصوص . ومن البديهي أنها لا تستلم كل بعدها الا اذا ناقشت لتراجع معرفة حقيقية وعندما تكون الانتولوجيا نفسها هي موضوع الانتقاد دون ما يشوهها محاكاة . فهو يرى في المعرفة مشروعا فعليا للاحتواء والادماج أي أن اجعل الآخر على مقياسي . ويتخيلون عالما سيتكلم فيه كل شخص عن نفسه وحدها . فبقولنا للآخر - بدون أن نفهمه - حقيقيا الا في حالة ميلنا اليه كليا أن نكون « هو » وليس بأن نعرفه . وبأجمال : عالم

من العلاقات الوجودية اننى أعرف جيدا أن جولان يتكلم عن الحوار ولكنني أخشى أن يكون حوارا بين اصم اذ لم يعترف بأن امكانيته تتوقف على اكتشاف الاختلافات التي تجعل الاتصال ممكنا ومن ثم نكتشف المعرفة .

وعلى أى حال ، فرفض المعرفة فى علم الاجناس لا تزيد عن الثقة الساذجة فى فضيلتها فهى لا تزعم الامبريالية ، وفى مواجهة هذا فإن علم الاجناس ليس خادما للاستعمار ، فهو يقف عاجزا ومن المحتمل أن يكون لهذا السبب لم يحرز اهتماما وانتباها للمشروعات الاستعمارية أو لمشروعات الاستعمار الجديد واكتفى فقط بفضحها من آن لآخر فيما يتعلق بشططها فهو لم يغير ولن يغير من مجرى الامور شيئا ، وفى هذا المجال لا داعى للاستغراب أو للوم هذا العلم .. وهنا نجد صعيذا مشتركا وعمليا يمكننا من التفاهم مع جولان عليه .. فهو يستطيع ان يغير علم الاجناس بمعنى أن يرفع من وعيه بالدور الذى يقوم به ولا سيما وعى الناس الذين يعمل ضمنهم ، يدفعه لمساعدتهم فى كفاحهم التحررى فى كولومبيا ، وهذا ما يفعله جولان اذ انى اعتقد أنه يلقي المعمرين والهنود فينسى مجادلاته الباريسية .

ولكنه لا يظن بأن عملا من هذا القبيل سهل ولو فى حالة اتخاذ موقف فقط كما قال «كوبانز» فعالم الاجناس « موقعه سيء » لانه يعتبر من الخارج بالنسبة للاهالى فدوره لن يكون بمثابة المرشد أو المستشار فكل علماء الاجناس متفقون حول هذه النقطة من عالم الاجناس الاكثر كلاسيكية الى العالم الثورى .

ومن جهة جولان فانه قال بأن « انتفاضة » ما

لا يمكن « اختراعها » الا من طرف الذين يهمهم الامر و « كوبانز » يميز فى الأخير عالم الاجناس الذى يعتبر نفسه ثوريا « كعامل ذى طاقة للمساندة » فى البلدان المستعمرة حيث نجد الكفاح التحررى يبدأ بصعوبة أو هو لم يبدأ بعد ، وزيادة على ذلك بل الاخطر من ذلك فإن الكفاح التحررى ليس سليما من الملاحظات ونجد اختياراته غير واضحة ، ولناخذ مثلا (التشاد) بما أن « كوبانز » يورده ويطلب من علماء الاجناس الفرنسيين الذين عملوا فيه أو ما زالوا يعملون برايم ، وهذا السؤال بالذات موجه الى بمثل ما هو موجه الى جولان ، وهو كما قال : « هذه مناسبة تجعل السياسة الفرنسية العسكرية والثقافية محل اتهام فى افريقيا » . وهذا بالتأكيد ليس الا لائحة أخرى مضادة للامبريالية على اكثر تقدير ، ومن جهة أخرى يلزم الا ننسى أن فى هذه القضية يحتل العالم الاسلامى مرتبة « ابن العم » فى حضارتنا ، كما قال جولان ليس هذا مدحا بل هو على علته ، اذا كانت فكرة تأييد سلطة بومبالاي مضحكة ، فأننى لا ارى كيف أستطيع أن أمل فى انتصار الزواج المسلمين ، فاقترح جبهة التحرير الوطنى التشادية المتمثل فى مشروع قيام « جمهورية اسلامية » مع برنامج همه الوحيد التأثير على اليسار الفرنسى القليل المعرفة بما يجرى ، فقد لا يدل هذا المشروع على أى شئ بالنسبة لنصف البلاد التى لا تذكر الا بعودة عهد الغارات القبلية واقتناص العبيد .

فلو كانت جبهة التحرير التشادية تطالب فقط بتقسيم البلاد ، اذ أن الحدود السياسية للتشاد رسمت بكيفية مصطنعة لكان من الجائز

مساندتها . ولكن نجد انه يمكن اتهام الحكم كذلك على ما هي عليه الحال في الجنوب كذلك . ولكن عكس هذه الحالة الحاضرة سيحول التشاد الى أن يعيش وضعية السودان وبالتالي سيضطرنا الى مساندة هؤلاء الذين لا نفكر فيهم اليوم . نقول هذا وطبعاً فاننا لا نساند مسألة التدخل العسكري الفرنسي .

« اننا نجد جولان على صواب حينما يطالب « باعادة تعديل خريطة (البلدان المستعمرة

سابقاً) حيث ان الحدود الموجودة بها فرضها العالم الاستعماري دون تناسب مجال ثقافي وبني متناسق » ، ان اعادة تعديل الحدود السياسية لا يمكن أن يكون كافياً ، اذ يجب اعادة خلقها من جديد ، من يستطيع ذلك ؟ المسألة هنا سياسية بالدرجة الاولى ولو كره من كره . ومن جهة أخرى . كيف يمكن تعديل ذلك التناقص النسبي بدون الرجوع الى علم الاجناس المقارن التحليل والتعميم الذي يتمنى له الانقراض ؟ وعلى أي حال فإن علماء الاجناس يصلحون شيئاً ما على الاقل ؟

المجلس الاسلامي الاعلى واللجنة الدائمة للفتوى الفكر الاسلامي ينددون بحرب الابداء التي يتعرض لها المسلمون في الفلبين

كما تدعى حكومة الفلبين اذ ان تاريخ المسلمين في هذا البلد مليء بالتسامح الديني والتعاون مع جميع الفئات . ولكن العناصر المسيحية المتعصبة لم ترض ان يعيش معها المسلمون واستعملت ضدهم طرق تعذيب واساليب الاضطهاد تذكرنا بطرق محاكم التفتيش المشؤومة !

لقد اخذ الصراع طابع الوحشية والقسوة واصبح يهدد كيان المسلمين ووجودهم في هذا البلد من اساسه . انها عنصرية افزع من كل انواع التمييز العنصري الذي نشاهده في انحاء اخرى من العالم .

ولهذا تتوجه بندائنا الى جميع المسلمين لان نقف موقفاً حازماً وجاداً في وجه هذا الاجرام الذي يتنافى مع كل المبادئ والمثل الانسانية . لا بالاستنكار والتنديد فقط وانما بمزيد المعونة والمساعدة لآخواننا في الفلبين ، حتى يعود اليهم الامن والطمأنينة في بلادهم . كما نلفت نظر الرأي العام العالمي الى هذا الاجرام الذي يهين الانسانية كلها » .

منذ مدة طويلة والمسلمون في الفلبين يتعرضون لحرب اباداة تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم بدافع الحقد والعنصرية . وقد اتخذت هذه الحرب الاجرامية في المدة الاخيرة طابعا خطيراً بعد ان اصبحت جوع المسلمين من رجال واطفال وشيوخ يبادون بسلاح قوات حكومة الفلبين بحجة تمرد المسلمين في هذا البلد على السلطة وقيامهم بمناوشات ضد المسيحيين والجيش . وامام هذا الوضع الخطير وجه المجلس الاسلامي الاعلى واللجنة الدائمة للفتوى التعرف على الفكر الاسلامي النداء التالي :

« منذ ما يقرب من سنة ومسلمو الفلبين يتعرضون يومياً لمجازر رهيبة ولحرب اباداة دبرتها بعض المنظمات في الخفاء ثم اعطتها الصيغة العلانية .

ان مسلمي هذا البلد يعانون الاضطهاد والتقتيل في بيوتهم ومزارعهم وفي الطرقات والاماكن العامة دون تمييز بين طفل صغير او شيخ كبير او بين رجل وامرأة من طرف العصابات المسلحة التي تدعى انها مسيحية والتي نظمت للوصول الى هدف واحد . هو افناء الطائفة الاسلامية في الفلبين . ان هذا الصراع الديني لم يتسبب فيه المسلمون

يقول المؤرخ شاربونو ، معلقا على كتابة
منقوشة فوق ضريح ، وكان قد عثر عليها في
الجامع الكبير بقسنطينة ، وتحمل تاريخ ٦١٨ هـ
١٢٢١ م ٢ :

« ان وجود هذا القبر الاثرى في هذا المكان
يدعونا الى الاعتقاد بان الجامع الكبير تم في
نهاية القرن الثالث عشر على اقل تقدير » (١)



محراب جامع قسنطينة - الجزء الاعلى

وصف الجامع الكبير

اما الواجهة ، فقد اعيد بناؤها تماما على حسب
الهندسة المعمارية الفرنسية ، وهي بالتالى عديمة
الاهمية من الناحية التاريخية . على ان بقية
البناء يبدو عليه القدم . ويقول علماء البلاد ان
ينشاء هذا الجامع يرجع الى عام ٦٥٢ هـ
١٢٣٦ م ٢٠ (٢)

عند ما كنت اقوم بتحضير دكتوراه الدور
الثالث عن « الكتابات التذكارية في مساجد
الجزائر » ، اتيت لى فى عامي ٦١ - ١٩٦٠ ان

ويقول المؤرخ ميريسى بصدد الحديث عن
نفس تلك الكتابة : « ان القسم الذى توجد فيه
تلك الكتابة بالجامع الكبير قد هدم وحلت محله
عمارات فرنسية ، ولذلك لم نعتز على تلك الكتابة
المنقوشة » . وكان الجامع فى القديم يحتل
مساحة اكبر من التى يحتلها اليوم ، فلم يبق منه
سوى قاعة للصلاة ، واسعة بعض الشيء ، وهى
موجودة فى الدور الارضى ، وبها عدة صفوف
من السورى العديدة الجمال ، المطلية بالجير .

1 - Société Archéologique de Construction - année 1856 - 1857, pages 55 et 78.

2 - MERCIER "Corpus des Instructions Arabes et Turques d'Algérie" T. 2, Département de Constantine, pages 5 et 6.



محراب جامع قسنطينة - الجزء الاسفل



الباب العربي لجامع قسنطينة

■ بقلم: د. رشيد بورويبة
■ ترجمة: د. هنفي بن عيسى

بقسنطينة

وهو ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م .

أما الكتابة العليا فقد وضعت بالخط النسخي ، وبها تاريخ يتألف من أربعة أرقام ، أحدها ، وهو رقم المئات ، مكسر . أما بقية الأرقام ، فهي ١ - للآلاف و - ٨ - للعشرات و - ٠ - للأحاد . ويستنتج من ذلك ان التاريخ المذكور يمكن أن يكون اما ١٠٨٠ هـ / ١٦٦٩ م ، او ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م ، او ١٢٨٠ هـ / ١٨٥٣ م . والشئ المؤكد ان الكتابة الموجودة داخل المحراب هي وحدها الكتابة المنسوبة الى الجامع

ازور الجامع الكبير بقسنطينة وان ادرس ما فيه من المعالم الاثرية ، وكانت دهشتي عظيمة عند ما عثرت على ثلاث كتابات تذكارية غير منشورة الى حد اليوم . والاولى منها موجودة داخل المحراب ، وهي بالخط الكوفي وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما . هذا عمل محمد ابن بوعلی سنة ثلاثين وخمسمئة . » وقد نقشت الكتابتان على صفيحتين من الجص . أما الكتابة السفلى ، فقد وضعت بالخط الكوفي ، وكتب تاريخها بالحروف لا بالأرقام ،

الكبير بقسنطينة . ونحن اذن سنعتمد عليها لكي نقيم الدليل على ان هذا البناء ، او على الاقل محرابه ، هو من صنع بني حماد .

بقي علينا بعد هذا ان نجيب على السؤال الآتي : ما هو القسم للذي يرجع الى القرن الثاني عشر في الجامع الكبير ؟ ونحن نرى ان الجدار الجنوبي يعود الى العهد الحمادي ، لان المحراب الذي انشئ فيه يحمل تاريخ ٥٣٠ هـ / ١١٣٦ م . ومن المؤكد ايضا ان الجدار الشمالي يعود الى نفس العهد لان الابواب الخشبية التي فتحت فيه ، توجد بها زخرفة شبيهة بالزخرفة التي تزين نقش الجدار الشرقي ، ويرجع تاريخها الى ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م . على ان الجدار الشرقي ليس من العهد الحمادي ، وذلك ان الجامع تهدم من ناحيته الشرقية بلاط واحد على الاقل (٢) ، ومن الملحوظ اليوم انه توجد ثلاثة بلاطات في الجانب الغربي للمحراب ، وبلاطان في الجانب الشرقي . اما الجدار الغربي فلا تعرف على وجه التحقيق الى أي عهد من عهود التاريخ يعود . واما الصحن LA COUR فقد حدثت فيه تبدلات الى درجة انه يصعب على الانسان معرفة ما كان عليه في الاصل .

بعد هذه التوضيحات سندرس على التوالي : مخطط المصلى ، ووسائل التدعيم والمحراب والمئذنة وأساليب الزخرفة .

١ - مخطط المصلى

شكل المصلى يشبه المنحرف المستطيل ، ويبلغ طوله في الداخل ٢٤ م ، وعرضه ٢٢ م ، أي انه يكاد يكون مربعاً . وبه ستة بلاطات عمودية على المحراب ، وثمانية بلاطات موازية للمحراب . وهناك جدار يفصل الصحن عن المصلى ، كما

هو الامر في جامع القلعة وفي جامع سيدي ابي مروان بعنابة . وتوجد بهذا الجدار اربعة ابواب عرضها ١٦٠ م .

٢ - وسائل التدعيم

أولاً : السوراي والتيجان

ان الجامع الكبير بقسنطينة لا يقل روعة عن أي اثر معماري آخر ، لما يوجد به من السوراي القديمة . ومن هذه السوراي ما هي اسطوانية الشكل ومدورة ومخروطية ، ومنها ما هي ملساء بمنقوشة بتخاريم . CANNELURES يقدر عددها ، بحسب السوراي ، اما بعشرين او اربعة وعشرين ، او ثمانية وأربعين . ومنها ما ليس أملس ولا بمنقوش نقشا بديعا . وقطر الواحدة منها يتراوح ما بين ٣٠ و ٦٠ سم ، وسوراي المحراب هي وحدها التي تعد من العهود الإسلامية . ولم تصنع لهذه السوراي قاعدة ترتكز عليها . وستة منها مجمعة مثنى مثنى .

أما التيجان ، فليس منها ما هو من العهود الإسلامية سوى التي يرتكز عليها قوس المحراب . وهذه التيجان ذات دوائر جانبية شبيهة بالتي عثر على بعض آثارها المؤرخ جورج مارسى في الباب الامامي لمئذنة القلعة . وللسنا على يقين من كونها من العهد الحمادي ، لانه عثر على تيجان مماثلة لها تماما ، وهي من العهد التركي .

ثانياً الاقواس

تجد في الجامع الكبير بقسنطينة أنواعا كثيرة من الاقواس ، ومنها القوس نصف الدائري الكامل ، وهو ما سماه جورج مارسى بالقوس المنحرف في القمة ، او ما سماه «لوزور» بالقوس نصف الدائري المضغوط في العرض ، ومنها ايضا القوس المتعدي الحاد ، والقوس الإيراني .

١. وردت كلمة « بلاط » بهذا المعنى في «وصف الجامع بقرطبة» - لشرطيف الادريسي (المترجم)

هذا القوس .

ثانيا : الحنية

تقع الحنية بين قوس الانفتاح والقوس الحاد المتحد معه في المركز . وعرضها ١٢ سم ، وهي مزخرفة بكتابة مرسومة بالخط الكوفي ، وهذه الكتابة متداخلة مع الكتابة الموجودة على الحافة المستطيلة ، على الصورة التالية : ان الكتابة التي تزين النصف الايمن من الحنية ممتدة كذلك الى القسم الايسر من الحافة المستطيلة ، بينما نجد ان الكتابة التي تشغل النصف الايسر هي تنمة الكتابة المزينة للقسم الايمن من الحافة المستطيلة . وستعرض لهما بالدراسة .

ولهذه الحنية خاصية أخرى ، وهي انها متصلة بالحافة المستطيلة بواسطة حلقة .

ثالثا : الركنيات

هناك ركنيتان عليهما زخرفة تمثل الازهار ، وهذه الزخرفة تكاد تختفى عن الانظار بسبب ما تراكم فوقها من طبقات الطلاء .

رابعا : الحافة المستطيلة

وهي مزينة بكتابات مرسومة بالخط الكوفي . وقد رأينا ان هذه الكتابات انما هي تنمة لكتابات الحنية . وهذا نص الكتابات الموجودة في الحافة وفي الحنية وفي الحلقة التي تربط بينهما :

١ - الافريز الافقى الايمن :

تبتدىء منه الكتابة المنقوشة على المحراب ، وقد سبق عنها الحديث .

ب - الافريز العمودى الايمن :

وفي جامع الست كلثوم ، والسيدة رقية ، وفي المحراب القريب من ضريح « الشبيه » . اما في مونستير فان القوس حاد قليلا ، بينما نلاحظ ان الحدة اقوى واوضح في المسجد الكبير بقسنطينة . اما في المحاريب الاخرى ، فالقوس من النوع الايسراني .

والتخاريم المنقوشة في جوامع بغداد ومونستير بقسنطينة ، عبارة عن انصاف دوائر ، وعددها في المدينة الاولى السالفة الذكر سبعة عشر ، وفي الثانية أحد عشر ، وفي الثالثة خمسة عشر . وفي جامع الست كلثوم تتناوب خمسة محاريب مثلثة الشكل مع أربعة تخاريم على شكل انصاف دوائر . اما في المحراب القريب من ضريح « الشبيه » فهي من النوع المثلث ، وعددها أحد عشر . وشكلها في المحاريب الاخرى شبيه بشكل الخمس الاضلاع .

واخيرا ، فان الزخرفة الرئيسية الموجودة على القبة النصفية عبارة عن قوس اهليجي الشكل ، وسعف النخل (١١) ودائرة مرسوم في داخلها نجمة سداسية الاطراف (١٢) ، وقفل لولبي (١٣) وحلية بيضوية الشكل (١٤) .

ان الكتابة الكوفية التي اوردنا نصها في بداية هذا المقال موجودة أسفل القبة النصفية للجامع الكبير بقسنطينة .

ب) اطار المحراب

اولا : قوس الانفتاح .

هذا القوس عبارة عن قوس حاد ذي فصوص غير متساوية ومتراكبة على بعضها ومتشابهة . وهذه - فيما نعلم - اول مرة يصنع فيها مثل

(١) كما هو الامر في جامع الخصاصي

(٢) المحراب القريب من ضريح « الشبيه »

(٣) جامع الست كلثوم

(٤) ضريح يحيى الشبيه وجامع السيدة رقية وضريح الحصاني

ثالثا : العناصر الاثرية المتوسطة بين التيجان والاقواس

من الملاحظ في الجامع الكبير بقسنطينة ، وفي جامع سيدي مروان يعنابة ، ان المهندسين عمدوا الى استحداث اشكال من البناء ، بين التيجان والاقواس لكي يزيّدوا من ارتفاع سقف المصلى . وهذه الاشكال ثلاثة ، وهي : الساكف SUBABAQUE والكوة IMPOSTE والطنف CORNICHE ، وقد ظهرت هذه الاشكال من الهندسة الاسلامية المغربية اول ما ظهرت في المسجد الكبير بالقيروان .

والساكف هنا يشبه الهرم المقطوع ، بحيث ان القاعدة الصغرى منه تعلو على الاسكوفة ABAQUE ، والقاعدة الكبرى متصلة بالكوة . والكوة تشبه المتوازي السطوح ، وقاعدتها لها نفس المقاييس التي للساكف .

اما في قسنطينة ، فنجد ان العناصر الاثرية المتوسطة بين التيجان والاقواس مقصورة في الغالب على كوة شبيهة بالمتوازي السطوح . وكنا نعتقد ان هذه الكوة مبنية من حجر ، ولكن تبين لنا انها من خشب عند ما سقطت الطبقة من الجص التي كانت تغطيها . وبعض التيجان لا يعلوها الا ساكف من الخشب المنقوش .

٣ - المحراب

١) داخل المحراب .

ان الجامع الكبير بقسنطينة ، كاغلب جوامع

المشرق والمغرب التي بنيت قبله ، له محراب على شكل قوس معلى . وبسداخل المحراب ساريتان يعلوهما تاجان سبق وصفهما . وارتفاع السارية ١٨٤ ، بما في ذلك التاج ، وقطرها ١٥ سم . ومحراب جامع قسنطينة ، ككل محراب مقعر ، تعلوه قبة نصفية . ولكن الشيء الذي استرعى انتباهنا هو ان هذه القبة النصفية منقوشة بتخاريم تزيناها في وسط الافريز .

ونجد نظير هذه القبة النصفية في الشرق ، في جامع الخصاكي . ويرى المؤرخ كريسويل بانها منقولة عن الجامع الذي بناه المنصور في بغداد عام ٧٦٦ (٤)

كما نجد لها نظيرا في :

- محراب قديم قريب من ضريح « الشيبه » ، ويرجع تاريخه الى سنة ٩٥٠ (٥)

- ضريح الست كلثوم الذي بنى عام ١١٢٢ (٦)

- مسجد السيدة رقية الذي بني عام ١١٥٢ (٧)

- ضريح الحصواتي (١١٢٥ - ١١٥٠) (٨)

- ضريح يحيى الشيبه (١١٥٠) (٩)

وهذه القبة النصفية موجودة أيضا في مونستير بجامع الدز الذي قال عنه المؤرخ زبيس (١٠) بانه يعود الى القرن الخامس الهجري (١٠٩ - ١١٠٦ م)

والفروق الملحوظة بين هذه القباب النصفية تتعلق بالقوس وبالخطوط المنقوشة ، وبشكل تلك الخطوط وعددها وبالزخرفة . فالقوس في جامع الخصاكي من نوع القوس نصف الدائري المتعدى

4 - CRUSWEL : Early Muslim Architecture T. 2 pages 37 et 120 (d).

5 - id The Muslim Architecture Of Egypt P. 103 (c) et 144 (c).

6 - P. ٨٢ (b) et 118 (b).

7 - id P. 97 (b), 119 et 120 (a).

8 - id P. 188 (b) et 120 (b).

9 - id P. 121 (b) et (c).

10 - M. Zbiss - A Travers les Monuments de Tunisie. P. 29.

كتب عليه ما يلي :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ،
الا يفتكر الله » (١٦) .

ج - الافريز الافقى الايمن ، كتب عليه :

« تطمئن القلوب » (١٧) « الذين آمنوا » (١٨)

د - القسم العلوى من الحلقة ، كتب عليه :

« وعملوا الصالحات » (١٩)

هـ - القسم السفلى من الحلقة ، والناحية اليسرى
من الحنية ، كتب عليهما :

« طوبى لهم وحسن مآب (٢٠) ، ان الله مع
الذين اتقوا ، والذين (٢١) هم محسنون » .

و - الناحية اليمنى من الحنية ، كتب عليها :

« يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكررا
كثيرا » (٢٢)

ي - الافريز الافقى الايسر ، كتب عليه :

« وسبحوه بكرة واصيلا (٢٣) هو الذى يصلى»

ك - الافريز العمودى الايسر ، كتب عليه :

«عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى
النور ، وكان » (٢٤)

ل - الافريز الافقى الايمن كتب عليه :

« الله »

خامسا : القسم العلوى من الاطار

توجد فى هذا القسم زخرفة معمارية تتألف من
ثلاثة اقواس معللة ومتحدة المركز ومستندة على
الافريز الافقى من الحافة المستطيلة ، وهى تحد
حنييتين ونافذة نصف دائرية .

والحنية الخارجية مزينة باقواس صغيرة ،

ثلاثية الفصوص مصنوعة من الجص ومرتبعة
أخماسا ، مما يذكرنا بالزخرفة الملحوظة فى مآذن
الموحدين ، وهى على شكل المعين

اما الحنية الداخلية فهى مزينة بزخرفة
هندسية على ارض من زجاج . والاشكال
الهندسية هنا هى المربع ، والمربع ذو الاسناب
الثمانى .

وأخيرا فان النافذة نصف الدائرية متألفة من
زخارف زجاجية ويوجد فوقها تنميق يمثل
بعض النباتات ، وستحدث عنه فيما بعد .

ويعلو الاقواس الثلاثة المعللة ، قوس يرتكز
على ساريتين كبيرتين قائمتين على جانبي
المحراب . وهذا القوس يبدو نافرا بالنسبة الى
المحراب ، تزين الباطن منه اشكالا هندسية من
نوع المعين ، الا ان هذه الزخرفة لا تكاد ترى
بسبب ما يغطيها من الجير . ومما يسترعى
الانتباه فيه ، كتابة مرسومة فى وسطه ، ومتصلة
بكتابة أخرى مرسومة على افريز افقى .

٤ - المئذنة

هذه المئذنة ذات سطح مربع ، وبها طابقان ،
الثانى منهما اقل بروزا من الاول . ولها ايضا
مصطبة تحيط بها شرفة مخرمة ، وفانوس صغير
اسطوانى الشكل ينتهى بقبة شبيهة بالبصلة . واذا
نظرنا الى داخل المئذنة ، فاننا نجد ما يلى :

أولا : السلم . وهو فى قاعدته مستدير ،
والدرجات متصاعدة حول هيكل اسطوانى . وهذا
الهيكل يتألف من أخشاب كروية قطرها ٢٠ سم .

(17) نفس السورة نهاية الآية 28

(18) نفس السورة نهاية الآية 29

(20) نهاية الآية 29

(21) السورة 16 الآية 128

(22) السورة 33 الآية 41

(23) السورة 33 الآية 42

(16) قرآن كريم السورة 13 الآية 28

(18) نفس السورة نهاية الآية 29

(20) نهاية الآية 29

(22) السورة 33 الآية 41

(24) بداية الآية 43

نقش بنو حماد أشكالهم المنمقة في الجامع الكبير بقسنطينة على الخشب والجص والزجاج والمعادن *

ثانيا : الاشكال المنمقة :

١) الاقواس :

توجد في الجامع الكبير بقسنطينة اقواس متنوعة من حيث التتميق ، وهي : القوس المزين بكسوة من خشب ، والقوس ذو الفصوص الثلاثة عشر ، والاقواس ذات الفصوص المزخرفة بالنفل TREFLE والاقواس ذات الفصوص المتشابهة ، والاقواس المتراكب بعضها فوق بعض *

ب) المشاكى : (جمع مشكاة)

لا يوجد بالجامع الكبير بقسنطينة الا مشكاة واحدة ذات قاع مسطح * وهي محفورة في قسم من الجدار الجنوبي المقابل للبلاط الثاني على يمين المحراب * وقوسه القائم عبارة عن قوس نصف دائري الصق به قوس ذو قصوص عددها ثلاثة عشر *

ثالثا : المتكآت :

وجدنا منها تسعة ، ولكن لا نعرف ما اذا كانت ترجع الى العهد الحمادي *

١) متكآت الجدار الجنوبي :

يوجد منها اثنان ، احدهما في قسم الحائط المقابل للبلاط الاول ، على يسار المحراب * وهو محاط بأربعة حنيات متحدة المركز * والحنية الخارجية مزينة بكتابة مرسومة بالخط الكوفي المخرم ، وهذا نصها :

« أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين * اللهم صل وسلم

ثانيا : بعد صعود خمسة وثلاثين درجة يصل الانسان الى سطح يؤدي الى منئذنة أخرى ، مربعة الشكل ، وهي قائمة على هيكل أسطوانى يشبه السابق ، وله نفس المقاييس ، الا ان مركزه يقع على بعد ٢١٠ م شرقي الاول *

ثالثا : واذا صعدنا بعد ذلك ست عشرة درجة نجد انفسنا أمام باب يؤدي الى سطح مستطيل يقع شمالي المنئذنة ويبلغ طوله ٦٢٥ م وعرضه ١٥٦ م *

رابعا : لا بد بعد ذلك من صعود ثمانين درجة للوصول الى السطح العلوى ، ولكن المنئذنة التي كانت مربعة ، تتخذ شكلا دائريا قبيل الوصول الى ذلك السطح بثلاثين سم فالمنئذنة بهذا الاعتبار غريبة الصنع ، وهي ، في معظمها ان لم تكن بكاملها ، مبنية بعد العهد الحمادي *

ولا شك ان القسم الواقع فوق السطح الاول المستطيل لا يرجع الى القرن الثاني عشر * وفيما يتصل بالقسم السفلى لا بد ان نلاحظ ان المآذن التي كانت في القرن الثاني عشر دائرة الشكل ، تعتبر نادرة ، وقل منها ما له درجات متصاعدة في هيكل دائري ، ولا يوجد لها مثيل في افريقيا * واما في الشرق ، فلا نعثر على مثل هذا الشكل الا في جامع الحكيم (٢٥) * وهنا نتساءل عما اذا كان المعمارون من عهد بني الحماد قد استوحوا شكل المنئذنة من الفن المعماري الفاطمي في مصر ... قد يكون الامر كذلك ، لاننا سنرى ان التتميق في العهد الحمادي له نقاط تشابه مع التتميق الملحوظ في مساجد القاهرة *

ولكننا لسنا على يقين تام من ذلك *

٥) التتميق :

اولا : اللوازم المستعملة *

على سيدنا محمد » .

والحنية الثانية مزينة بافريز هندسى ذى أشكال سداسية الاضلاع ، ومطلوبة ، ولها نتوء مثلث فى وسط اضلاعها الكبرى . والحنية الثالثة توجد بها كتابة لا يمكن فرز حروفها اليوم . والحنة الرابعة مزينة بالمعبارات التالية :

« العاقبة لله »

« الباقية لله »

اما بالنسبة الى المتكا ، فانه من صنع بديع . وفى القسم السفلى منه يوجد افريز هندسى تتناوب فيه مربعات لها ثمانية اسنان ، وانجم لها فروع اربعة . ونرى من بعد ذلك خطين متوازيين يمثلان لوحة ترتكز عليها مزهرية مفلطحة تقوم على رجلين ، وهى مزخرفة بعروتين ، ومن هذه المزهرية يخرج ساق يتفرع الى اربعة اغصان . اما غصنا الوسط فانها ينتهيان بزهرة لها اوراق ستة . واما الغصنان الجانبيان فهما معقوفان ، وينتهيان بعنقود من العنب شبيه بالمضلع السداسى

ولاحظنا ايضا وجود تاج يقوم على مزهرية تتوسط ساقين عموديين ، يرتقى فوقهما عنقود من عنب مثلث الشكل ، بحيث ان نهايته تلامس القسم الاسفل من العنقود الشبيه بالمضلع السداسى . والتاج السابق الذكر متحد المركز مع الاغصان فى قسمها الاسفل ، ومرتبطة بقمة القوس الراسى للمتكا بواسطة ضفيرة تزينية . اما المتكا الثانى ، فانه يزين المشكاة التى سبق عنها الحديث . وشكله شكل القوس المعلى المصنوع فى اطار مستطيل . ويحده افريز من الدوائر والمستطيلات التى توجد بداخلها دوائر اخرى تشكل بتشابكها مربعات مقوسة الاضلاع . وهذه المربعات يوجد فى وسط كل منها مربع له ثمانية اطراف ، وورود لها اربعة فروع ، وكل فرع منها

مقسم الى طرفين بواسطة خيطية . وركنيات هذا المتكا ليست مخرمة وزخرفتها غير واضحة تماما للعيان . وفى الركنية الموجودة على اليسار نلاحظ زخرفة على شكل سمعتي نخيل مثلثتين ومتناظرتين بالنسبة الى الخط المنصف للزاوية القائمة التى احد **BISSECTRICE** خطوطها ستقيم والاخران مقوسان . ولعله كانت توجد هناك زخرفة زهرية ، الا انه لم يبق منها الا الشيء القليل . واما فى الركنية الموجودة على اليمين ، فنلاحظ سمعتين مثلثتين ، الا انها اصغر ، وتقوم بينهما ساقان متناظران يتصاليان عند الخط المنصف من الزاوية القائمة وينتهيان بشكل لولبى .

ب) متكات الجدار الشرقى

احدها يزين قسما من الجدار يقابل السرواق الكائن بين العارضتين . وهذا المتكا عبارة عن مستطيل ارتفاعه ١٦٦ م وعرضه ١٩٩ م ، ويحيط به اطار مستطيل سمكه ١٥ سم . وزخرفته منقسمة بحسب ثلاث طبقات افقية :

الاولى منها ، ابتداء من الاسفل ، عبارة عن مجموعة من سبعة اقواس متعددة مرتبطة فيما بينها فى الظاهر بواسطة خيطية ، وهى مرتكزة على دعائم صغيرة اسطوانية مفرغة فى الداخل . والثانية مزينة بافريز من الاشكال الهندسية (المعين) .

والثالثة ، وهى اهمها ، تشتمل على حافة مخرمة على شكل قوس معلى ، وبداخلها تشبيك زهرى ذى خطوط مستقيمة ومقوسة بديعة الصنع ، وهذا التشبيك عبارة عن اشكال هندسية تشتمل على زاويتين قائمتين وزاويتين منفرجتين وزاوية حادة . والزوايا الحادة فى المضلعات الخمسة الاربعة متقابلة فى القمة وممترجة فى اضلاعها .

عددها اثنتان : أحدها موجودة في الجدار الجنوبي ، والآخرى في الجدار الغربي . وهي شبيهة بأقواس الجامع الأزهر والحكيم .

(أ) الحنايا المنمقة في الجدار الجنوبي

مكانها فوق المنبر . وهي عبارة عن قوس معلى محاط بإطار مماثل له في الشكل ، سمكه ٢٨ سم . ويبلغ ارتفاعها ١٠٢ م وعرضها ٩٣ سم . وهي شبيهة في زخرفتها بالمتكا الذي درسناه سابقا ، الموجود على يمين المحراب . كما أنها شبيهة إلى حد بعيد بزخرفة جامع سدراته (٢٦) .

(ب) الحنايا المنمقة في الجدار الغربي

مكانها في قسم الجدار المقابل للفتاء الأخير ، على يسار المتكا الذي سبق وصفه . وهي عبارة عن قوس معلى ، ارتفاعه ٤٥ سم وعرضه ٥٠ سم ، وهذا القوس محاط بإطار مماثل له في الشكل سمكه ٥ سم . وزخرفته غير واضحة تماما بسبب طبقات الجير الكثيرة التي تغطيه .

ومن الملاحظ في هذه الحنايا وجود زخرفة زهرية بثلاثة فصوص ودوائر صغيرة . ومن الجدير بالذكر أن الحنايا ذات التتميق الزهري موجودة أيضا في الجامع الأزهر (٢٧) .

خامسا : الحنايا المكشوفة

عددها اثنتان ، وهما يزينان الجدار الجنوبي ، على مستوى البلاطات القصوى . وهذه الحنايا عبارة عن أقواس معلقة محاطة بإطار مماثل لها في الشكل .

٣ - التتميق النباتي

أولا : الساق

الساق الملحوظة على أبواب الجامع مشقوقة في

أما الركنيات فقد زخرفت بوردة ذات أغصان أربعة متقوشة في قوس دائرة مماس للقوس المعلى .

إن هذا النوع من المتكآت كان موجودا في العهد التركي .

والمتكا الثاني يزين قسما من الجدار يقابل الرواق الأخير من المصلى . وهو على شكل قوس معلى ارتفاعه ١٣٦ م ، وعرضه ٦٧ سم ، كما أنه محاط بإطار سمكه ١٥ سم . وهو مزخرف بتتميق على غاية من الجمال ، بحيث أن الدوائر المتشابهة ترسم أشكالا متنوعة .

(ج) متكآت الجدار الشمالي

عددها أربعة ، ولها نفس المقاييس ونفس الزخرفة . وهي على شكل قوس معلى ارتفاعه ١١٠ م وعرضه ٧١ سم . وهذا القوس محاط بإطار مستطيل سمكه ١٥ سم . هذه المتكآت مزينة بمربعات نقشت بداخلها مضلعات سداسية ممطولة تتناوب مع مربعات ذات ثمانية أسنان . أما الفراغات فيوجد بداخلها مضلعات سداسية ممطولة ومقعرة . ويبدو أن هذه المتكآت وقع ترميمها .

(د) متكآت الجدار الغربي

هذا المتكا يزين قسما من الجدار يقابل الرواق الثاني للمصلى . وهو عبارة عن قوس معلى محاط بإطار مماثل له في الشكل ، سمكه ٥ سم . ويبلغ ارتفاع هذا المتكا ٨٠ سم وعرضه ٤٠ سم . وزخرفته تتألف من سعف النخل وأهلة (جمع هلال) وسوق نباتات متشابهة على صورة أشكال هندسية معينة وجببية .

رابعاً : مجموعات الحنايا المنمقة

26 - cf. G. MARÇAIS, Architecture, fig. 33, P. 59.

27 - cf. CRESWELL, "The Muslim Architecture in Egypt T. I pl. 9, a feuille d'acanthé.

وسطها بواسطة تلم • ويتصل بها غصين ذو
التواءات • ونجدها أحيانا قد فقدت كل طابع
نباتي ، اذ تتحول الى معينات متداخلة بعضها
فى بعض •

ثانيا : الورقة •

توجد على أبواب الجامع زخرفة تمثل أوراق
الاقنتة feuilles d'acanthé بطريقة منمنمة •

ثالثا : الزخرفة الزهرية

هذا النوع من الزخرفة على أنواع : منها
الزهرة ذات الفصوص الجانبية الحلزونية ،
والزهرة ذات الفصوص الاربعة الملية او المفرعة،
والزهرة ذات الفصوص الخمسة •

رابعا : الفاكهة

لم نشاهد هذا النوع من الزخرفة الا فى
زجاج المحراب ، وهو عبارة عن عنقود من العنب،
مسدس او مثلث الاضلاع •

٤ - التتميق الهندسى

أهم الاشكال المرسومة على زجاج المحراب هى:
المربع ، والمربع ذو الاسنان الثماني ، والمثلث
والمستطيل والمربع المنحرف الذى رأيناه أيضا فى
مبكات الجدار الشمالى ، وبالإضافة الى الاشكال
السابقة رأينا فى المتكا الموجود على يسار المحراب
أنجما ذات اربعة فروع ودوائر • اما فى باقى
المتكات وفى حنايا الجدار الجنوبى وفى الكتف
الذى يعلو السارية الموجودة
امام المحراب فان أهم الاشكال الملحوظة هى
الدوائر والزخارف الزهرية • وأخيرا ، فان باطن
القوس الذى يعلو المحراب مزين بمجموعة من
المعينات •

٥ - التتميق فى الكتابة •

يوجد فى الجامع الكبير بقسنطينة عدد كبير
من الكتابات التى سندرس على التوالى فحواها ،
والخطوط التى رسمت بها •

أولا : فحوى الكتابات :

تحتوى الكتابات على عبارات التقى وآيات
قرآنية ونقوش تذكارية •

١ - عبارات التقى • رأينا منها العبارات
التمهيدية :

« بسم الله الرحمن الرحيم »
« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على
سيدنا محمد وآله وسلم تسليما »
كما وجدنا منها العبارات من نوع :
« العاقبة لله » و « الباقية لله »
ب - الآيات القرآنية :

الآيتان ١٩٠ و ١٩١ من السورة ٢

الآيتان ٢٨ و ٢٩ من السورة ١٣

الآية ١٢٨ من السورة ١٦

الآيتان ٤١ و ٤٥ من السورة ٢٣

ج - النقوش التذكارية

اثنتان منها يرجعان الى العهد الحمادى •
والقديمة منهما منقوشة على صفيحة من الجص
مسجونة فى الجدار الشرقى • والثانية تزين
الحلية المعمارية الموجودة على المحراب •

ثانيا : الخطوط المستعملة

ان الكتابات العادية التى تزين المتكا ، على
يسار المحراب ، وكذلك الصفائح المسجونة فى
الجدارين الشرقى والغربى ، لا يبدو عليها ما
يدل على كونها ترجع الى العهد الحمادى • وعلى
العكس من ذلك ، فان الكتابات الكوفية هى من
العهد الحمادى ، كما ان الحروف التى تتألف
منها تتخذ أشكالا عديدة تذكرنا بالخط الكوفى
الملحوظ فى المباني وفى القبور الموجودة فى
القلعة (٢٨) • وعلى سبيل المثال ، فان حرف الالف
كتب بطرق كثيرة لا يقل عددها عن أربعة عشر مرة

٦) الأقسام المعمارية المزخرفة

سبق لنا ان درسنا اطار المحراب ، وبقي علينا

ان نقول كلمة عن الابواب الخشبية المفتوحة فى الجدار الفاصل بين المصلى والصحن . فهذه الابواب عددها اربعة ، وهى محاطة باطار .
اولا : الباب المقابل للبلط الاول ، على يمين المحراب .

١ - الاطار :

اطار هذا الباب يتألف من قائمتين ارتفاعهما ٣٢٣ سم وعرضهما ٢٧ سم ، ومن خشبة عارضة عرضها ١٨١ سم ، وارتفاعها ٢٧ سم . وقد زينت كل قائمة بما يلى :

- خيطية FILET عرضها سنتيمتر واحد .
- ربعية CAVET عرضها ٢ سم .
- لوحة ماطورة منقوشة ، عرضها ٢ سم ، وهى مزينة بقصنية RINCEAU محمولة على ساق نبات ، ومشقوقة فى الوسط بواسطة تلم ينتهى بورقة من الاقنثة ، وهذه الورقة مطوية عند حد التعريقة الوسطى ، ولها فص علوى يشبه الرمح ، وفص اسفل على شكل حلزوني .

- خيطية اخرى عرضها سنتيمتر واحد .

- لوحة ماطورة اخرى ، منقوشة ، عرضها ١٢ سم . وهى مزخرفة فى قلوب ، ومرتبعة على شكل مضلع مخمس . اما الخشبة العارضة فهى مزينة بتشبيك زهرى .

ب - الباب فى حد ذاته

اولا : المصراع الايمن : عرضه ٧٨ سم ، وهو مزين بحلية منقوشة عصوية BAGUETTE وغطاء للوصلات عرضهما ٧٥ سم ، وسمكهما ٥ سم . ولا تشغل الحلية العصوية ارتفاع الباب كله ، كما انها غير منقوشة فى وسط المصراع . وهى تنتهى بشيء اشبه ما يكون بشبيكة

ذات فرضتين . وهى مزينة بثلاثة عشر من المسامير ذات الرأس المدور ، وقطر الرأس الواحد ٦٥ سم وارتفاعه ١٨ سم .

اما غطاء الوصلات ، فيشغل ارتفاع الباب كله . والقسم الاعلى منه مزين بشيء اشبه ما يكون بنخلة . والباقي منه منقسم الى لوحات ماطورة صغيرة تتناوب فيها الاشكال المربعة والمستطيلة . والاولى منها مسطحة ومزينة بمسمار ، والاخرى محفورة فى الجزء الاكبر من ارتفاعها ، وليست مسطحة الا فى اطرافها . ويوجد بوسط كل منها مسمار .

وغطاء الوصلات هذا يرجع تاريخه الى العهد الحمادى ، وذلك ان غطاء الوصلات الموجود على الباب الذى يفتح على البلاط الثانى على يمين المحراب ، ذلك الغطاء ، به زخارف تشبه كثيرا الزخارف المنقوشة على الحلية العصوية . وتوجد بين الحلية العصوية وبين غطاء الوصلات ، لوحتان مزينتان بسبعة صفوف من المسامير المائلة للمسامير السابقة الذكر .

وعدد هذه المسامير فى كل لوحة ماطورة ثلاثة . وقد وضعت على نفس الخط الذى توجد فيه مسامير الحلية العصوية وغطاء الوصلات ، غير ان المسافة الفاصلة بين صف وآخر ، هى ضعف ما هى عليه فى الحلية العصوية وفى غطاء الوصلات .

والم لوحة الماطورة اليسرى مزينة فى قسمها الاعلى بتلوين يمثل شكلا له ثلاثة اسنان . وتوجد سبعة مسامير مرتبة بطريقة نصف دائرية ، وهذه المسامير تربط بين رأسي السنين الواقعين فى أقصى اليمين واليسار . كما توجد اربعة مسامير اخرى ، احدها تابع لنصف الدائرة ، وقد رتب

على نفس الخط الذى تقع عليه السن الوسطى .
سنتمتر واحد ، وهما موضوعتان داخل صفيحة
شكل جلبة قطرها الخارجى ٩ سم ، وسمكها
مماثلة لهما فى الشكل ، محفوفة بمسامير صغيرة
يقطرها ١٩ سم . وتقع المطرقة العليا بين الصف
الثانى والثالث من المسامير ، والمطرقة الاخرى
بين الصف الرابع والخامس .
ب - المصراع الايسر .

هذا المصراع له زخرفة مماثلة للمصراع
السابق ، ولكنه اقل منه فى العرض ، اذ ليس له
لوحة ماطورة .

ثانيا : الباب المقابل للبلاط الثانى ، على يمين
المحراب .

حالة هذا الباب احسن من الباب السابق ،
وذلك ان لوحته الماطورة التى ترجع الى العهد
الحمادى ، لا تزال ، كما سبق القول ، محتفظة
بزخرفتها . وزيادة على هذا ، فان تنميق المصراعين
والم لوحة الماطورة اليسرى مزينة بمطرتين على
يصل الى اسفل الباب ، بينما نجد ان القسم
الاسفل من الباب السابق ، وشكله شكل المربع
المنحرف الذى تبلغ قاعداه ٩٢ سم و ٥١ سم ،
هذا القسم من الباب غير منقوش . كما ان هذا
التنميق اغنى من حيث الاشكال ، اذ نجد ان
العناصر الزهرية مرسومة فى اشربة عرضها
٢ سم ، تتناوب فيها المربعات ذات الاطراف
الثمانى ، والضلعات السداسية المطولة .
واخيرا فان هذا الباب مزين بحديدتين احدهما
تقع فى الزاوية اليسرى من المصراع الايسر ،

والاخرى فى الزاوية اليمنى من المصراع الايمن .
وبالمقابل ، فان هذا الباب لم يبق فيه الا ثلاثة
مطارق ، اثنتان منهما فى الاعلى ، وواحد فقط
فى الاسفل .

ثالثا : الباب المقابل للبلاط الثانى على يسار
المحراب .

هذا الباب ليست له أهمية كبرى ، واطاره
الذى لم يزين بالنقوش ، يرجع الى عهد قريب .

رابعا : الباب المقابل للبلاط الثانى على يسار
المحراب .

هذا الباب يشبه فى زخرفة مصراعيه الباب
الثانى الذى سبق عنه الحديث . فهذه الزخرفة ،
كتلك ، موضوعة فى مربعات ذات اسنان ثمانية ،
تتناوب مع مضلعات سداسية .

ان الجامع الكبير بقسنطينة ، بقبة محرابه
المضلعة التى لها طابع اصيل رغم تأثرها بالفن
المعمارى الفاطمى بمصر .

ويطائر محرابه المزين بآيات من القرآن ،
منقوشة ومتداخلة على شكل قرط ،

ويزجاج نوافذه المحفوفة بأقواس ذات فصوص
مزينة بالحلية النقلية ،

ويمتلكاته التى بلغت فى دقة صنعها الغاية
القصى ،

ويابوابه التى تذكرنا بزخرفتها ، بباب جامع
سيدى عقبة ،

ان الجامع الكبير بقسنطينة لهو من أهم
المنجزات الباقية من الفن المعمارى الحمادى .

ابو اليقظان

« ان حرية العقل ، وحرية
العقيدة ، وحرية الضمير ، هي
اثمن ما يملكه البشر » .

سمو الانسان عن الالم ، في صراعه الدائب
من أجل الوجود . موهبة لا تتاح الا لذوى النفوس
الكبيرة ؛ ذلك ان الكائن البشرى فى معاناته ،
وتطلعه نحو الكمال ، ترسم امامه علامات إستفهام
عديدة . وتجاوبه شناخب صخور وعقبات زرعت
فى طريقه . فغدت لقساوتها بمثابة الكمين الذى
يتردى فيه اكثر الناس ضعفا وخوارا ، ولا يتخطاها
الا اولو العزم من البشر . الذين سخروا من محن
الحياة . وعقباتها . ومختلف عراقيلها .

ولكم خسرت الانسانية من مواهب تفتتت
متلاشية امام جبروت الطبيعة . وكم ابيدت طاقات
لم تستطع الصمود امام امتحان الحياة . ولكن
فئة قليلة من بنى الانسان صمدت بفضل سلاحها
الاقوى . فخرجت من غربال الطبيعة الدقيق
منتصرة . وعلى جبينها ائتمامة النصر ، تتحدى
قوة الحياة وتملى على بنى جنسها درسا فى
الصمود والمقاومة واختيار الاسلحة مؤكدة

أحد رواد الإصلاح

في الجزائر

عبدالرزاق قشوم

بذلك حقيقة ازلية وهي ان الانسان اقوى من كل شيء متى عرف كيف يعي انسانيته ، ومتى احسن استغلال ما لديه من وسائل .

والامثلة على ذلك عديدة ، فما مبدأ التعويض المعروف في علم النفس الا دليلا حيا على صحة هذه النظرية . فالقدرة الالهية العليا رحيمة بالكائن البشرى ، لذلك منحته هذا السلاح الذى به يعوض نقصه في ميدان ما من ميازين وجوده . وهذا الكيف يكتسب ما يعبر عنه الفلاسفة « بالحاسة السادسة » ليستعويض بها عن محنة فقد البصر .

والمرأة الدمية تلهث وراء المجد الذى قد يساق اليها في نبوغ او ذكاء ، فيعطى جانب النقص في الكمال الجسدي . . . وهكذا تتدرج هذه الحقيقة في التطور متقلة من المحسوسات الى مجال المدركات البعيدة المدى ، واصدق تعبير على ذلك ، الاب الذى يحرم نعمة العلم فتسئق اليه الطبيعة الرحمة ابنا نابقا في العلم والمعرفة كتعويض على نقصه . . . غير ان مثل التعويض هذا يبدو أكثر وضوحا لدى العظماء من كبار النفوس الذين اذا اصابهم مصيبة ضاعفت من نبوغهم ، واخصبت موهبتهم ، وفتحت أكثر فأكث مداركهم وعقولهم . . . وانطلاقا من هذه الحقيقة خرج بعض النقاد ذات يوم على الناس بفكرة في منتهى الغرابة ، وهي تمنى الشقاء لذوى المواهب الفكرية ، حتى يكون ذلك الشقاء مدعاة لخصوبة الانتاج . فتستفيد الإنسانية من ذلك - وكان الإنسانية - طبقا لوجهة نظر النقاد هؤلاء - ستضاعف استفادتها متى وجد الحافز المتمثل في الالم لدى المفكرين والادباء . ومن هذه الفئة

القليلة المتمردة على هذه المحن ، يبرز انسان جزائري ، تعددت جوانب العظمة في شخصيته ذلك هو الشاعر ، والصحفي ، والمصلح الجزائري أبو اليقظان . (3)

وابو اليقظان وان تشابكت ألوان رسم خريطته فهو يتجلى في ميدان فسيح ذلك هو الاصلاح . . . ولكني قبل أن اخلص الى تقديمه للناس من هذا الباب الكبير ، أود أن أشير الى سر العظمة فيه . فأبين بأنه - أطال الله عمره - يعيش منذ ستوات عديدة حبيس بيته بالقرارة ، ولاية الواحات في أقصى الجنوب الجزائري . لقد أعمده مرض خبيث عن النشاط فشل حتى بعض جوانب الحركة فيه ولكن هذا الالم المرير لم يكن ليحد من معالم نشاطه بل انه على العكس من ذلك ضاعف منها . وحسبك من رجل يقضى جل يومه بين الكتب صحبة قارئه وكتابه الوفي ، يقرأ له ما تلذ له قرائنه ويكتب عنه آماليه في التأليف ، ليتحف بها بنى مجتمعه المتعطشين الى المعرفة .

لقد زرت الشيخ منذ سنتين ، فوجدته - رغم الالم المزمن - يتمتع بأقوى ما يتمتع به انسان في العلم ، وسعة الادراك ، وعمق الذاكرة .

فهو اذا تطرقت معه الى التاريخ حدثك بالماضى وكأنه وقع أمامك منذ لحظات . وحتى الجزئيات الدقيقة في السرد القصصى لا يهملها وكل ذلك يتم بتحد لجهة الصوت ، التي أثقلت السنون ، وللبطء في مجاهدة الفاء الكلمات تحت وطأة الداء الخبيث . لذلك بات لزاما ان يحظى هذا الرجل - أمانة - لما قام به من جهاد في سبيل الوطن أن يحظى منا بهذه البطاقة العلمية

(3) هو ابو اليقظان ابراهيم بن الحاج عيسى سليل ائمة كريمة الحسب والنسب يتصل نسبها بدوحة الامام على كرم الله وجهه

التي - هي بالتأكيد - لن تفهيه حقاً ولكنها على كل حال محاولة لتخليص الضمير من بعض ما يشعر به من وخز الاخلال ازاءه وازاء امثاله من المصلحين الجزائريين الاوائل .

من هو أبو اليقظان ؟

ليلة الاثنين 29 من شهر صفر سنة 1306 هـ موافقه 5 من نوفمبر سنة 1888 م (4) ، ولد ابراهيم أبو اليقظان بالقرارة ، الواحة الجميلة في الجنوب الجزائري الحديثة البناء (5) وما ان امتلأت رثائه بهواء بلاده ، واخذ يستقبل الحياة بوجهه في عامه الثاني ، حتى نكب بفقد والده . ويعلق الاستاذ الهادي السنوسي على هذه الحادثة فيقول : « سنة الله في العظماء ان لا يدعهم منذ الطفولة الا يتامى ، وفي الاكثر معدمين ايضا ليألفوا المعارك ، ويتدربوا في ميدانها على منازلة الاهوال منذ الصغر ليكونوا القادة ، واولى السيادة وليتعودوا الاعتماد على النفس » (6) .

لقد وجد أبو اليقظان طريقه الى الكتاب او المدرسة القرآنية ففتح عينيه على معلمها ، الذي اخذ يطعمه من حلوة كتاب الله ، ما فتح به لسانه ، ووسع به مداركه ، وهكذا حفظ القرآن الكريم ليبنى بعد ذلك على قاعدته المتينة ، مما اوتيته من علم ومعرفة ، ولم تكن مهمة تلقي العلم باليسير على شاب يتيم ، محدود الامكانيات في بلد ضرب المستعمر حوله بسور من الجهالة حصين أفقر بسببه من المدارس ، وقل عدد العلماء المعلمين ، الى جانب شبح الحرب العالمية الذي كان يلوح في الافق . لذلك كانت رحلته العلمية طويلة ، وذات مراحل متعددة ابتدأت

بالقرارة ، وبنى يزقن ، وامتدت الى مكة والقاهرة . قبل ان تستقر في النهاية بتونس . ولقد كانت تونس الخضراء بالنسبة للجزائر هي القبلة الثقافية الاولى ، وهكذا كانت بالنسبة لابي اليقظان ورفاقه هي منطلقهم الاولى لاعداد الاسلحة لحوض ميدان الحركة الاصلاحية .

ان هذا ولا شك سيبين بعض العوامل التي اسهمت في مولد الدعوة الاصلاحية لدى هذا المصلح الجزائري كما سنرى ذلك فيما بعد ، كما يؤكد حقيقة غدت ثابتة وهي أن مختلف جوانب النشاط الفكري التي تعاطاها ، انما كانت بدافع التزامي هدفه الوحيد خدمة الدعوة الاسلامية . وهكذا ينجلي أن الشعر أو الصحافة ، لم يكن القصد البعيد منها سوى خدمة هذا الهدف الاسمي لنستعرض اذا هذه الجوانب ببعض التفاصيل ولنسلك لذلك لكل جانب طريقه ، كي تكتمل لنا الصورة التي نود رسمها للعالم الجزائري ابي اليقظان .

أبو اليقظان الشاعر :

لفظة الشعر ، عميقة في مدلولها ، معقدة المعاني كخلجات النفس الملتصقة بها ، لذلك ليس من السهل وصم انسان بأنه شاعر حقاً ، ما لم يسم الى هذه الدرجة من الشعور ، ان مدلول كلمة الشعر نفسها يجب أن تحدد بوضوح حيث لن تمنح الا لمن يستحقها ، واذا كان يحق لكل باحث ان يختار المفهوم الذي يتلاءم وشعوره في اختيار معنى الشعر ، فاني احب من معاني الشاعر اعرق مما يقصد اليه معظم الناس عندنا وهو الاحاطة أو الامام بالقوافي الشعرية وروقتها ببعض معاني

(4) اتفق على هذا التاريخ كل من الاستاذ الهادي السنوسي في كتابه « شعراء الجزائر في العصر الحاضر » ج 1 ص 109 ط تونس 1926 م والاستاذ انور الجندى في كتابه « الفكر والثقافة المعاصرة في شمال افريقيا طبعة القاهرة 1965 م

(5) شعراء الجزائر ص 110

(6) بنيت سنة 1940

البيان والبدیع . ثم افتتاحها وختمها بحكمة أو
مأثورة ليغدو الرجل بعد ذلك شاعرا يتتبعه على
الناس عجبا وغرورا .

لقد غرق الشعراء والنقاد في بحر من الكلمات
والمصطلحات بحثا عن مفهوم كلمة الشعر وما يزالون
يختلفون الى اليوم . ولكنى بعيدا عن الجدل .
والنقاش . أختار لنفسي أبسط هذه المعاني .
فأسلم بأن الشاعر هو من اتحد شعوره بقضايا
الانسان في كل مجتمع بشري بدء بوطنه . من
حيث المضمون . بقوالب الشعر الموسيقية التي
تألفها الاذن . ويطرب لها القلب . ويسلم بها
العقل من حيث الاداء . وهكذا تكون مهمة الشاعر
بسيطة . ولكنها صعبة المنال . أي انها من سهل
المتنع . الصعب ركوبه

ولئن كان ابو اليقظان من خلال نافذته
الشعرية هذه على شخصيته لم يمنح جانب الاداء
كبير عناية . فهو قد صب كل اهتمامه بالمضمون
فغدا شاعرا ملتزما بحق بقضايا مجتمعه . ومن
خلال ذلك بقضايا المجتمعات البشرية الاخرى .
وحسبنا أن تقدم عينات من هذه اللوحات الشعرية
التي تغني بها . لتري درجة التزامه بقضايا وطنه .

ان اغنية الخلاص والتحرر . هي انشودة كل
المخلصين من ابناء الجزائر في ليل الاستعمار
الطويل لذلك راح ابو اليقظان يرسم للانسان
الجزائري طريق الخلاص والتحرر في قصيدة طويلة
مطلعها :

ابن صرح المجد عن اس الضحايا
وأشد عرش العلا برغم البلايا
خض غمار الهول غوصا انها
لؤلؤ التيجان في بحر المنايا

ان في الموت لطلاب العلاء
لحياة . لا حياة اهل الدنيا
انما الدنيا جهاد . من ينم
يوحه داسته اقدم الرزايا .

بهذه الحكم يدخل شاعرنا محراب الشعر ليفني
جراح امته . فيسوق لذلك حكما بالغة غدت
مضرب الامثال . وما اشبهه في هذه الحكم بقول
شوقي في قصيدته الطويلة المعروفة :

وما نيل المطالب بالتمني
ولكن تؤخذ الدنيا غلابا .

فاذا انتقل شاعرنا الى تحليل اسباب مأساتنا
تطرق بواسطتها الى تقديم صورة ما اصدقها عن
نفس واقعنا اليوم . عندما يتحدث عن صراع
الشرق ضد الغرب . تعتبر دروسا لمن لا يزالون
يتقنون في صدق نوايا اهل الغرب . يقول ابو
اليقظان :

ان اهل الغرب خطوا خطا
لبنى الشرق بدت منها خفايا
بدت البغضاء من افواههم
وهي عنوان على ما في الطوايا
خصصوا قاتل قرد بالقصاص
ولهم في امم تلك الجنايا
حرروا الزنج ولكن سخروا
امم الشرق عبيدا وسبايا .

وينتقل شاعرنا انطلاقا من نفس المبادئ .
راميا الى نفس الغايات فتجده في قصيدة طويلة
اخرى تحمل عنوان : العلم يحيى كل شعب ميت .
يقرر احكاما منطقية . في عالمنا اليوم . ويقول :

تحيا بلادي في النعيم سعيدة
واموت قربانا لها وهيما

والعيش في الدنيا جهاد دائم
 طيب يصارع في الوغى ضرغاما
 تلك الشريعة في الحياة فلا ترى
 الا نزاعا دائما وصداما
 يا راقدين على المذلة والحناء
 حتى متى هذا الخنوع الى ما
 قد نمت دهرًا طويلا فانشزوا
 لا تتركوا للائميين ملاما
 ودعوا التفريق فالتفريق ان يسد
 يجعل من الشرير الصغير ضراما
 العلم يحيى كل شعب ميت
 فذروا الجهالة ، واقتلوا الاوهاما

أرايت يا قارئ العزيز ، كيف ان ابا اليقظان
 في كل خلجة من خلجات شعره . نزاع الى قضية
 الوطن ، فهو ينفت شررا من الحماس ، والوطنية
 مهيبا بأبناء مجتمعه الى ضرورة اشعال الثورة ،
 والاتحاد ، والتخلص من الاوهام ، وكل ضمن
 وحدة قوية متينة . يرهبا العدو المتربص . ولقد
 تحقق أمل الشاعر . وصدقت نبوءة شعره . بما
 حققته بلاده من معجزة في القرن العشرين .

والان وقد بدت لنا من خلال هذه العينات
 جوانب من شخصية ابي اليقظان الشعرية . ومن
 الروح الشاعرية التي يحملها بين جوانحه والتي
 أملت عليه تلك التي سقناها ، يجدر بنا ان
 نتساءل الآن . ما هو موقف ابي اليقظان - وهو
 الشاعر - من قضايا الشعر السائدة ؟ ثم هل
 كان لابي اليقظان مدرسة في الشعر خاصة على
 غرار ما للشعراء من مدارس ينضوون تحت لوائها .

ويلتزمون ببادئها واهدافها ؟

لنطرح السؤال على الشاعر نفسه ، ونطلب منه
 الاجابة عليه ..

يقول ابو اليقظان بكل تواضع وهو يقدم
 ديوانه للقارئ « اننى اعلى النفس ، بان ما
 كتبت من الشعر لم يبلغ درجة ينبغي معها حفظه
 وعرضه كباقة زهر الى اولئك الفحول من الكتاب .
 سيما في عصر اتسعت فيه الملكات ، وقويت فيه
 المدارك . واصبح فيه للنقد الادبي ، محجر
 يشخص للعشى من مواقف الضعف الخفية ما لم
 يكن ليراه البصير النقاد في الازمنة السالفة » (7) .
 ثم يخلص ابو اليقظان بعد ذلك الى معالجة
 قضية الشعر ككل ، فيطرح لذلك اسئلة كبرى
 محاولا الاجابة عليها .

والاسئلة هي :

ما هو الشعر ، ما مذاهب الناس في الشعر ،
 وما اقسام الشعراء ، واغراضهم ، وماذا يجب ان
 يكون عليه الشاعر ؟ ثم ماذا ينبغي للشاعر من
 مسالة فرض الشعر . الى غير ذلك من القضايا
 ذات الاتصال الوثيق بحياة الشاعر ؟

ويجب الشاعر على هذه الاسئلة كلها مينا
 وجهة نظره فيها . ويقدم لاحكام بحكم عام وهو
 قوله : « تلك هي فكرتي في الشعر من حيث
 انه شعر ونفحة معا ، والفكرة وان اغضبت البعض
 يجب ان تحترم » (8) .

فما هو الشعر في نظره اذا ؟ ان ابا اليقظان
 كما قلت في مقدمة هذا المقال ينطلق دائما من

(7) ديوان ابي اليقظان - المقدمة - ج 1 ص 2 ط 1 - الجزائر 1350 هـ

(8) نفس المصدر السابق ص 8

قاعدة اسلامية . وما هذا الشعر . وباقي الألوان الثقافية الاخرى التي تماطأها الا لهدف واحد كبير ، خدمة الدعوة الاسلامية ، لذلك تجده في جوابه عن سؤال ما هو الشعر . يجسم هذه الحقيقة عندما يقول بان « الشعر وحى يوحىه الخيال على النفس . فينطلق به اللسان فينشده الدهر قرونا . وهو أى الشعر فى نفس الشاعر نور » مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة « يرسل اشعته من نافذتها فيضي بها بطون الليالى المقبلة مدى العصور (9) .

وابو اليقظان فى هذا التحليل لا يكتفى بعرض مبدئه الخاص ، بل انه يغرف من منهل عذب اوسع ذلك هو منهل الشاعر الباكستاني الداعية الكبير محمد اقبال .. لقد ضرب هذا الانسان الكبير بسهم وافر فى هذا المجال مجال الشعر . واطنب فى تحليل هذه الآية بالذات ولا سيما منها قوله تعالى : « نور على نور » وهذا ما يؤكد صحة ما ذهبنا اليه ، ويضيف اليها حجة اخرى وهى ان ابا اليقظان لم يكن بالداعية المتزمت الجامد المنفلق وانما كان المتفتح . المتبصر . الشمولى فى دعوته .

على أن ابا اليقظان يذهب فى تحديد المفهوم الشعر معنى أعم . فيمنح الكلمة مدلولاً أوسع واعمق مما هو متعارف عليه لذلك تجده يقول : « ان الشعر هو تلك الروح التى يودعها الشاعر

من خلال بيته بقوة بياحه الساحر . فيدخل بدون اذن فى آذان السامعين . فينفذ الى قرارة نفوسهم فيكون فيها احساساً رقيقاً وشعوراً حياً ، فتتدارك ما فاتها من عز وسؤدد . ويضرب على أوتار قلوبهم فتتهتز لنبراتها اعصابهم . وتشتمل بنيران الحماس ادمقتهم . فتتسابق الى الامتثال جوارحهم .

ذلك هو الشعر ، وهذه ثمراته ، وكل ما كانت هذه آثاره فهو شعر ، سواء اكان نظماً أم نثراً (10)

ان الشعر عنده اذا لا يقف عند حد القوالب المتعارف عليه ، الموزون بالموازين المعروفة بل انه اعظم من ذلك لانه يشمل النثر والنظم متى استوفى لمقومات الشعر وشروطه .

ويتناول ابو اليقظان ايضا مذاهب الناس فى الشعر ، غير انه فى نظره لمذاهبهم لا يحددها بما هو متعارف عليه من حيث الاداء والمضمون . أو الحر والتقليدى وانما يتناول الموضوع من زاوية اعتبار الناس للشعر على صلاحه أو فسادة وهو يرد على الطائفة النائية التى تقول بفساد الشعر لما يحتويه من مجون ، وسخف ، ولهو ، وغناء ، معتمدين فى ذلك على الآية « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » . فيرد عليه بنفس الحجّة من القرآن مبينا انه ان جاز لنا أن نسوق هذه كمثل على فساد الشعر فيمكننا ايضا ان نعتمد على الآية « فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى » لتدل على

(9) نفس المصدر السابق ص 4

(10) نفس المصدر السابق ص 5

الا انه موزون مقفى ، ولا يعطى هذا القسم من حظ الشعر الا مقدار ما يزن ويقفى ، ولا يسمى صاحبه شاعرا الا تجوزا .

وابو اليقظان ينصح هذا الصنف من الشعراء ان يتركوا هذه الصناعة لاربابها ، وان يفسحوا الميدان لفرسانه ، وان لا يكلفوا طبعهم ما لا يطيقون :

فللميادين ابطال لها خلقوا
وللدواوين كتاب وحساب

اما المطبوع فهو المفطور على هذه الصناعة اذ يجد من طبعه ميلا غريزيا للشعر ، واستعدادا فطريا للقريض ، فهو رجل يسيل الشعر من مخيلته منحدرا على الصفحات كما تسيل المياه من رؤوس الجبال الى الرياض والزهرات ويستعمل مبدأ التناثية فى تحليله حتى مع هذا الصنف الموهوب فيقول بان مواهب الشعراء فى هذا الصنف متفاوتة فمنهم من ينبغ فى المدح ، او فى الرثاء ، او فى الوصف او فى الحماس فى الحكم ، او فى ابواب اخرى من ابواب الشعر المعروفة .

ولكن النصيحة التى يسديها الى هؤلاء جميعا هو ان يسموا عن الابتذال وان يصونوا الموهبة مما لا فائدة منه ترجى فهو بهذا يمكن ان تنطبق عليه الاية : « لئن شكرتم لازيدنكم » .

ثم ان الموهوبين فى الشعر انفسهم تختلف

فساد الكتابة ، وبذلك نرجع العالم الى عهد الامية . وتوقف دولا ب حركته .. كما ينبرى شاعرنا ايضا لمن زعموا ان الشعر لا يعدو أن يكون مظهرا من مظاهر الفضول والاشتغال بما لا يعنى به ، ومدعاة للرياء والفخفة ، ولذلك يكون الزهد فيه اجد والتنزه عنه اولى .

غير ان صاحبنا يميل الى حكم وسط الى اولئك الذين يستحسنونه ويرون فيه فنا من الفنون الجميلة التى لا تكمل حياة الامة الا بها مادام القصد منه ايقاظ الاحساس وتنبيه الشعور وتنمية العاطفة ، وتربية الوجدان ، وتنوير العقل ، وتهذيب النفس ، وكبح جماحها وحملها على اغراض شريفة بأخضر طريق والطف اشارة .

اقسام الشعراء :

يحلل ابو اليقظان اولا مواهب الناس الفطرية وما منحوه من استعدادات طبيعية . قبل ان يصل الى نتيجة فى تقسيم الشعراء ، اذ يصنفهم الى صنفين : محروم ، ومحظوظ . واعتمادا على هذا التصنيف يقرر بان المحروم فى نظره لا كلام عليه ، اما المحظوظ فعلى قسمين ايضا متكلف ومطبوع .

فالتكلف هو الذى لا يساعده طبعه على قول الشعر الا بجهد جهيد ، ومشقة وعناء ، فيبرز شعره فى الغالب خاليا من روح الشاعرية كما يبرز الجنين ميتا ناقصا ولا فرق بينه وبين النثر

هؤلاء الاصناف الثلاثة هم الذين شوخوا وجه هذه الصناعة الشريفة وفتحوا فيها ثلثة لنقد الناقدین وطعن الطاعنین ، وصاروا حجة عليها لا لها فی نظر بعض الناقدین » .

هذه هي آراء ابي اليقظان في الشعر والشعراء ، واغراضهم ، وتلك هي مواقفه منهم ، وانها لمواقف تتم عن الالتزام بمدرسة فريدة من نوعها ، هي مدرسة المبادئ ، والقيم ، والدعوة الى الاصلاح والتشبيث بالقوانين السماوية ، وكل من خالف هذه المدرسة ، لا يعدو ان يكون في نظره خارجا عن الصراط السوي بعيدا عن الاهداف الانسانية السماوية . وان لنا مع ابي اليقظان لقاء في مجالات أخرى مع العدد القادم .

اغراضهم من تعاطيه . ويرى ابو اليقظان ان منهم من يتخذ غرضا لنيل الدينار والدرهم ، فيصبح عنده كل وسيلة مباحة مادامت توصله الى غرضه الدنيء وان يكن ذلك على حساب المبادئ والقيم الشريفة .

وهناك طائفة أخرى يستعملون الشعر لوسيلة لنيل جاه أو منزلة عند الكبراء وهم كسابقهم لا يتورعون عن ركوب كل سفينة ، واستعمال كل الطرق لتحقيق اغراضهم هذه .

وصنف ثالث يتخذ الشعر شباكا لقنص الطباء واصطياد الغزلان ، وراجع هنا أن صاحبنا يعني شعراء الغزل ، والحب والغرام . فما موقفه من هذه الطوائف الثلاثة من الشعراء ؟

يجيب على هذا السؤال بقوله : « ولعمري أن



بين

الصراع

العربية

و

الفرنسية

في الجزائر قبل الثورة

إذا كان الفرنسيون ظلوا مشفقين من أن يقتبسوا شيئاً هاماً من العادات والتقاليد الفرنسية عن طيب نفس . فإنهم كانوا أكثر اشفاقاً ، واشد حذراً من أن يبعثوا بأبنائهم إلى المدارس الفرنسية لأنها كانت تلقن الأطفال الجزائريين ، الذين يسمح لهم بولوج هذه المدارس ، لغة ليست منهم وليسوا منها في شيء . ولأنها كانت تقدم اليهم معارف غريبة بعيدة عن الروح الجزائرية .

تلكم بعض الأسباب الرئيسية التي حظرت اللغة الفرنسية وثقافتها من أن تتمكن من عقول عامة الشعب الجزائري .

فابن باديس هو اول من صدع بالدعوة جهارا .
وانبرى لاداعتها بين الشعب الجزائري على اختلاف
طبقاته . هذا هو الفرق بين ابن باديس وبين
اولئك المصلحين الآخرين المنزوين وما قيمة
آرائى اذا ظلت متوارية فى اعماق نفسى ؟ وما
شان ثورة أنتوى القيام بها ولا افعل ؟

ومن اعظم مظاهر ثورة ابن باديس فى رايانا .
تأسيسه مدارس عربية ، تدافع عن الشخصية
الجزائرية ، وتنافح عن اصالة عروبتها من أن
تطفئ عليها العجمة والبطانة .

حقا ، ان الفرنسيين اسسوا آخر الامر مدارس
ثلاثا : فى تلمسان ، والجزائر ، وقسنطينة ، ولكن
ماذا ؟ اليس أن الذين كانوا يدرسون بها ، اساتذة
فرنسيون ؟ بلى . ودعنى من اساتذة الفرنسية
وآدابها ، فلست عنهم أتحدث ، وانما اتحدث عن
اساتذة العربية . وانتم ان كنت تجد فى هذه
المدارس بعض المدرسين الجزائريين ، فان كثيرا

ومن الظلم أن يعتقد معتقد بأن الشعب الجزائرى
كان يأتى شيئا مما ذكرنا من عزوف عن الفرنسية
تلقائيا ، دون أن يوجهه فى ذلك موجه . أو يقوده
قائد ، فان مثل هذا الاعتقاد لا يستقيم .

فماذا اذن ؟ ان الذين يلومون بتاريخ الفكر
الجزائرى المعاصر لا يمترون فى أن الرجل الاول
الذى ايقظ الامة الجزائرية خلال المرحلة الزمنية
التي نعالجها فى هذا البحث (1925-1954) وبعثها
من مرقدتها ، وذكرها بعروبيتها ، وجدد لها مفهوم
الاسلام فى عمقه وشموله وسماحته . انما هو
عبدالحفيد بن باديس .

واذا كان كثير من مثقفي الجزائر - ثقافة
تقليدية - قبل ابن باديس ، كانوا يعتقدون مثل
ما كان يعتقد من آراء ، فان أولئك المثقفين لم
يصدعوا بالدعوة ، ولم ينهضوا لنشرها بين
المواطنين ، ولم يقامروا فى تحدى الاستعمار على
ضراوته وشراسته وحقده على العربية وأهلها .
والاسلام الصحيح ومعتقيه .

منهم ممن تتلمذوا على المستشرق «هنري بريس» ،
وأى خير يرجى ممن يتلقى علوم العربية على المسيو
بريس ، أو تلامذة المسيو بريس ؟ انه من السفة
والضلال ، ان يظن ظان أن تلامذة المسيو بريس
يحسنون العربية ويعرفون مقدارا صالحا صحيحا
عميقا من آدابها .

ودعنى ممن عمل منهم عملا عصاميا ، وجاهد
نفسه جهادا شديدا حتى انسلخ من اطار روح
المسيو بريس وأصحابه ، ثم ذاب في الروح العربى
القح فى صفائه ونضرتة، فدرس العربية فى مصادرها
الصحيحة الاولى ، وحاول أن يتلقاها عن أهلها ،
فأتقنها ونال منها أطرافا صالحات ، فلست عن
مثل هذا أتحدث ، ولست اليه أسوق هذا القيل
العنيف ، فليطمئن بالآ وليظن خيرا .

ويخيل لينا أن خريجى هذه المدارس الثلاث ،
مع احترامنا لكثير منهم أحياء وامواتا ، لم يقدموا
للجزائر فى مجال المحافظة على اللغة العربية خيرا
كثيرا ، ولم يضيفوا الى مجدها شيئا ، فهم فيما
بينهم يتحدثون أكثر ما يتحدثون بالفرنسية ، وهم
فيما بينهم وبين أنفسهم لا يؤمنون بالعربية ايمانا
ثابتا ، ولا بالحضارة العربية ايضا . ولست انطق
الا بما أعلم ، فقد خالطت كثيرا منهم فوجدت فيهم
بعض هذه الصفات التى أذابتها الثورة فلم نعد
نراها اليوم فيهم الا لاما . وانما نحن نتحدث عن
الفترة التى تقع قبيل الثورة الكبرى .

فقد كان هؤلاء الحريجون موظفين لدى الدولة
قد أمنوا الجوع وشره ، والبؤس وخزيه ، فقدوا
يحيون فى النعيم ، ويرفلون فى البذخ وادعين

مطمئنين ، لا تحاربهم الشرطة الفرنسية فيمن
تحارب ، ولا تزدرهم فيمن تزدرى . فى حين كان
زملأؤهم خريجو المعاهد العربية مهانين ، فزعين ،
غير آمنين على أنفسهم من الاستعمار وسطوته ،
وغير مطمئنين على أهلهم من أن يلم عليهم الجوع .
والجوع فى لفتى هو الفقر الشديد ، أو البؤس
الذى يبلغ حد المجزى . فكانوا يباشرون أعمالهم
فى المدارس التى كانت تسمى حرة ، وهم خائفون
فزعون : لا يفرخ لهم روع ، ولا يسكن لهم جنان .
وكيف لا يفرعون ، وقد كانوا يعلمون لفة ما
أشد بغض الاستعمار لها ، وأخوفه منها ؟

فلم تكن هذه المدارس الا ثورة ثقافية فى
الجزائر ، ولم تكن الا تذكيرا أو بشيرا ، بقرب
نهاية وجود الاستعمار ونظامه القذر . فكان الطفل
الجزائرى الذى يختلف الى هذه المدارس العربية ،
كانما يدرس فى دمشق أو القاهرة أو بغداد :
كل شئ عربى ، وكل مادة تعليمية تقدم اليه
بالعربية ، فى لهجة فصيحة سليمة : تحت على
الحير ، وتهدى الى الفضيلة ، وتذكر بجلال الوطن ،
وعظمة الاجداد ، وتبثع المستقبل .

كانت هذه المدارس بمثابة حرب شعواء على
وجود المدارس الفرنسية ، والضعضة من قيمتها ،
والخط من سمعتها . فبعد ان كان الاطفال فى
الجزائر يراولون ضربين اثنين من التعليم لا ثالث
لهما وهما :

اما ان يترددوا على المدارس الفرنسية الرسمية ،
وهم اذن انما يدرسون فى « ليكول » . واما أن
يختلفوا الى الكتاتيب القرآنية فى القرى والمدن
ليحفظوا القرآن الكريم وشيئا من المرشد المعين

لابن عاشر ، أو طرفا من أجرومية ابن أجروم .
واذن فهم انما يدرسون على « فقيه » ، وهم
« محضرة » (بفتح الميم وفتح الحاء المشددة وسكون
الضاد) .

بعد هذه المرحلة ، أصبح الاطفال فى الجزائر
يزاولون لونا ثالثا من التعليم ، وهو الاقبال على
مدارس عربية ، معلموها جزائريون عرب . وهذه
المدارس مدارس ، وليست « مساجد » أو « جوامع »
أو « خرابيش » (I) .

وهكذا أصبح الطفل الجزائرى الذى يختلف
الى هذه المدارس العربية العصرية يختال على
التلميذ الجزائرى الذى يتردد على مدارس فرنسية
رسمية . لانه لم يعد ذلك الطفل المهمل الجاهل
الذى يردد آيا من القرآن الكريم ويحفظها دون
ان يعرف عن الحياة شيئا اكثر من ذلك .

والشئ الذى يزيد من اعجابنا بهذه النهضة
المباركة انها لم تنشأ فى أرض سيده تحكم نفسها
بنفسها . كما أنها لم تنشأ فى شعب كان من
الوعى الثقافى بحيث يستمع الى الحق فيتبعه .
ويسترشد بالرشاد فلا يزوغ عنه . وكيف ترجو
من شعب خيم عليه الاستعمار دهرا متطاولا ، ان
يكون واعيا كل الوعى ؟ فلو لا بقية من ذكاء هذا
الشعب ، وقبس من نور الاسلام ، وطرف من
تاريخه الاصيل ، لامسى معدودا فى المتلاشيات !
اذ لم تكن مهمة الاستعمار الفرنسى تستهدف الحكم
والسيطرة السياسية وحدها ، بل كانت ايضا
ترمى الى التفرقة والفساد ، والى تشجيع الشعبنة

والضلال . مما جعل الشعب الجزائرى ، وكل
شعب استعمر ، يجتر هذا الشر الى اليوم ، ومما
جعل المصلحين والمفكرين والثوريين الجزائريين ،
يلاقون أعنف المعارضة .

ولسنا نريد أن نقول : ان الشعب الجزائرى
غير ناضج ولا ذكى ، فهو لا يميز بين الخير والشر ،
ولا بين الحق والباطل ، ولا بين الحسن والقيبح ،
وانما نريد ان آثار الفساد التى بثها فيه الاستعمار ،
كادت تزحجه عن مصام الحق فغدا يصطرح مع
نفسه : بين البقاء على شئ عرفه فى الماضى ، وبين
التطلع الى شئ جديد يغير له كل المفاهيم للامور
التي كان يعتقد انها صحيحة سليمة ، أو كان
يرى فيها المثل الكامل للحياة .

فهو اذن صراع ذاتى ، ولكنه قوى عارم : بين
ان يخلص من ماضى مقعّم بالعنف والبؤس
والاضطراب ، وبين ان يتبنى مذهباً جديداً فى
الحاضر يكفل له السعادة والعيش الكريم فى
مستقبل الايام .

وهذا الصراع الذاتى دليل على حيوية الشعب
الجزائرى ووعيه . كما كان الصراع اللغوى مظهرا
من مظاهر الصراع السياسى الذى عنف بل انفجر
فى قاتح نوفمبر وأدى الى السيادة والحرية .

ولكن ذلك الصراع بأنواعه لم يك الا استجابة
طبيعية لنفسية هذا الشعب الذى حارب الرومان
حربا شديدة . وقاوم المحتلين الاقدمين مقاومة
رائعة . فلما جاء العرب فاتحين باسم الاسلام ، لم
يستقبلهم استقبالا حسنا ، بل حاربهم اعنف

(I) كان يطلق الخربيش على غرفة اقراء القرآن - وهو غير المسجد - لان المسجد كان خاصا بالصلوات والاحتفالات الدينية
والمقامات العامة اما الخربيش فكان بمثابة القسم الدراسى السوم .

حرب ، وأسلم ثم لم يلبث أن ارتد مرارا تترى .
ولم يدن بالاسلام حتى اطمأن بأن نية العرب
المسلمين طيبة ، وطويتهم سليمة ، فانضم اليهم .
ولم يلبث أن غدا يفتح معهم بلدانا اخرى .

وكل ذلك يدل على صلابة عود هذا الشعب ،
وقوة عزمته .

ثم ماذا ترى من آية ، بعد ذلك ، تستدل بها
على عناد هذا الشعب وصلابته ؟

ان الاستعمار الفرنسي مع ما يملك من مال
وعدد ، وعدة ، واجهزة ، وشعبنة ، وتضليل
وتسخيف ، وتخدير .. لم يستطع ان يصنع له
شيئا حين ازمع على أن ينهض عنه سربال المهانة ،
ويلقى عنه لباس الذلة . واى ذلة اخرى من أن
يظل شعب عربى يحمل الجنسية الفرنسية ، على ما
قدمت الحضارة العربية للانسانية من معطيات لا
تبرح كثير من آثارها ماثلة للعيان الى اليوم في
أوروبا وغير أوروبا من الارض ؟

فلا عجب اذا رأيت هذا الصراع يحتد ويمتد
حتى يشمل الجزائر كلها ، والجزائريين في
معظمهم . فاذا الجزائريون المثقفون بالعربية
ينهضون لصراع الاستعمار وكأنه صراع طبيعى
لتأصل جذوره في انفسهم . مع ما كان يجشمهم
ذلك الصراع من عذاب ونكال .

وان أدري أستطيع - والخطاب ليس للجزائريين
المعاصرين ، وانما هو للأجيال الصاعدة وللأمم التي
تريد أن تعرف شيئا من تاريخنا - ان تتصور
الحسنى الذى كان المستعمرون يحملونه لكل من

يتحدث العربية بالجزائر ، بله أن يعلمها ، بله أن
ينادى بأن تكون لغة وطنية تعلم فى المدارس
الثانوية الى جانب الفرنسية (1) . أم لا تستطيع ؟
ثم ان أدري أستطيع ان تتصور الجهد الاسود
الذى كان المستعمرون يحملونه لكل ما هو عربى ،
ولكم ما فيه طرف من عروبة ، أم لا تستطيع ؟

فان كنت لا تستطيع ذلك ، فما انا بقادر على
أن اصنع لك شيئا ذا بال . لان مثل هذا التصوير
ان اردنا أن يكون دقيقا أو قريبا من الدقة ،
ينبغى أن يملأ المجلدات الضخام ، والاسفار
الكبار ، واحسب ان هناك أشياء ، لا سبيل
للاقلام عليها ، ولا للالسنه عليها ايضا ، لانها
فوق قدرة الالسنه ، ووراء طاقة الاقلام .

فقد كانت العربية ، بالقياس الى فرنسية
المستعمرين فى الجزائر ، بمثابة الضرة الغيور ،
والعدو الحقود اللدود .

أرايت لولا هذى العربية التى شاء القدر ان
يكون مؤثلا مجدها ، عريقا تاريخها ، طويلها
ماضيها ، ساحرة الفاظها ، جميلة أنغامها ، دقيقة
تعابيرها ، واسعة موادها ، غنية مجازاتها ،
واسعة استعمالاتها ، لا شق على الفرنسية أن
تنبوا من قلوب الجزائريين المنزلة التى كانت تريد !

وقد سقط فى أيدي المستعمرين بالجزائر فلم
يدروا ما يصنعون ازاء هذه الظاهرة اللغوية
القوية ، فلم تك هذه العربية لغة الجزائريين
وحدهم ، ولا لغة الحياة اليومية وحدها ، اذن لما
عسر عليهم ان يمحوها من قلوبهم والسنتهم معها

(1) نحوون المصائر للإبراهيمي 17

نحشسوا فى ذلك من متاعب ومصاعب ، ولكنها كانت لغة العرب جميعا . ولغة الاسلام فى شعائره وصلواته . وما يصنع المستعمرون الفرنسيون راء كل هذا ، والعرب عن ايمان الجزائريين وعن شمائلهم ؟!

فلم يجدهم ما جنسوا به العرب الجزائريين من جنسية فرنسية ، ولم تنفعهم جميع الشكليات الادارية والسياسية والقانونية التى قيدوا بها ارجل الجزائريين وايديهم تقييدا شديدا . فلا هذه الفرنسية تمكنت من قلوب هؤلاء العرب المظلومين على امرهم . كل متمكن . ولا هذه العربية امحت وعزفت عن نفوس هذا الشعب الشديد العناد . الصعب القياد . ولا الفرنسيون المستعمرون خففوا من وطأة هذه التضيقات . وهذه الاكبال فيستريحوا ويريحوا .

ولكن شيئا من ذلك لم يكن . فاشتد احتدام الصراع بين العربية والفرنسية فى الجزائر ، خلال الفترة التى نتحدث عنها . اشتدادا لا نظير له . لقي فيه اهل العربية كثيرا من العنت ، واحتملوا كثيرا من التعسف والهوان : فسجن الابراهيمى وهو احد معلمى العربية يومئذ . وسجن غيره كثير ممن لا يحصون عددا :

والذى يدل ايضا على مقت الفرنسيين الحاكمين يومئذ ، للعربية . ما كانوا يبدونه من معارضة وتلكؤ . حين كان اهل مدينة من المدن الجزائرية يريدون بناء مدرسة عربية . فقد كان اهلون وايسر على الجزائريين من ان يصنعوا كل شيء . الا ان يفعلوا ذلك . ولم يكن احد من الجزائريين العقلاء

يطمح من الاستعمار ان يعين بمال مثل هذه المشاريع التعليمية ، او يشجعها ببعض التسهيلات . فقد كان ذلك لونا من المحال .

ومن مظاهر هذا الصراع ايضا . ما كان يعاينه مقرأ القرآن من احوال قبل ان « يشارط » (1) فى قرية من القرى النائية ، فان الاستعمار كان لا يرضى ان يفعل شيئا من ذلك حتى يتقدم بطلب رخصة . واضحك ان اردت الضحك من هذه الرخصة . لان معناها المعارضة الشديدة فى الاذن له باقراء القرآن . اى معنى كل ذلك ان السلطة كانت ترفض . او تتلكأ تلكؤا شديدا . فى منح هذه الرخصة لذلك « الفقيه » المحروم .

وان تعجب فانما عجب من شعب يربأ بأبنائه . ان يبعث بهم الى مدارس فرنسية . على ما فيها من مفريات ، وعلى ما تقدم لتلاميذها من تشجيعات . وعلى ما تهبهم من صلات . وينشط فى جمع الاموال . ويحض الناس على تقديم التبرعات والزكوات الشرعية . حتى يتم له بناء مدارس عربية بحثة . وهناك يرسل اليها ابناءه وهو راض سعيد .

فما أروع هذه الظاهرة فى تاريخ هذه الامة العظيمة . ولكن اكثر الناس لا يعلمون .

لم كان هؤلاء الجزائريون يرسلون ابناءهم الى المدارس العربية الحرة ، ويقاطعون فى كثير من الاحوال - للمدارس الرسمية الفرنسية ؟ وكيف آثروا الاولى على الثانية ؟ وماذا كان يدفعهم الى ذلك الصنيع ؟

(1) كانت تطلق هذه الكلمة على الاتفاق الذى يقع بين مقرأ القرآن الصبيان وبين اهل القرية الذين كانوا يسمون الجماعة من حيث هو كان يسمى « الفقيه » - ولو لم يكن فقيها وهم شارطوه وهو شارطهم وبينهم الشرط وهذا شعير الشرط

والجواب على هذه الاسئلة واضح معروف عند من الم بتاريخ الجزائر المعاصر : فهم انما جاءوا ذلك لانهم كانوا يؤثرون أن يكونوا عربا لا فرنسيين . وسادة لا عبيدا . وكراما لا لثاما . فلم ينظروا الى الفرنسية الا على انها لغة اجنبية . يتكلمها قوم اجانب عنهم . وهم لا يد عنهم يوما من المنجلين أو المطرودين .

وكان الاستعمار يدرك هذا ادراكا تاما . ولذلك كان ينصب على مدرسى هذه العربية بالحرب . ويصب عليهم أسواط العذاب . ويقذفهم بالتهمة . ويلحق بهم كل أذاة ومكره .

قد تبدو هذه الآراء لاهل العلم . انها تعول على العاطفة . وتستند الى الهوى . لاني لم أدلل عليها بالدلائل . ولم ابرهن عليها بالبرهانات . وانما انا اتحدث بعيدا عن الاستشهاد بالنصوص . واسوق دراسة خالية من آراء سوى من الناس . وان أكاد لاقرر أن هذه تهمة لا تستقيم . ووجه لا ينتظم . اذ كنت اتحدث عما شاهدت ورأيت . ولمست وجربت . وبلوت وسمعت . وما بعد المشاهدة من دليل . وما فوق العيان من بيان . ولاهل العلم أن يعدو هذا الفصل بمثابة تقرير رجل معاصر يسجل فيه ما كان يرى ويسمع .

وكذلك ظل أمر هذه العربية . وهذا الاستعمار ولفته يصطرعان . ولكن العربية كانت تصرعه ولفته . وكان يغالبها . ولكنها كانت في معظم الاحوال تغلبه . فيزيد حقه عليها . وتقمه منها . وبفضه لها . ويضاعف غيظه عليها اضعاقا لا تبرح بعض آثاره ماثلة لكل متتبع لمظاهر النهضة الادبية في الجزائر .

ومن اكبر الدلائل على ذلك . أن طلاب معهد ابن باديس بقسنطينة . وطلاب جامعة القرويين بفاس . وطلبة جامعة الزيتونة بتونس . كانوا يستنطقون من قبل أعوان الاستعمار حين كانوا يؤوبون الى اهلهم بالقرى النائية أثناء العطلة الصيفية . وكان هؤلاء الاعوان متكالبين على هؤلاء الطلبة تكالبا شريرا خسيسا ضاريا يجعل هؤلاء الطلاب المساكين يقضون عطلة في جحيم . بحيث لا يكادون يظهرين في الاماكن العامة والاسواق علنا . اذ كانوا مطمئنين الى أن هؤلاء الاعوان كانوا يتربصون بهم الدوائر . ويرقبونهم في كل مكان .

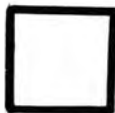
وقد اشتد هذا وازداد ابان قيام الثورة الكبرى في سنة اربع وخمسين .

تلك بعض مظاهر هذا الصراع العنيف الذي ظل مضطربا قائما بين العربية والفرنسية خلال المرحلة التي نحاول ان نلقى عليها شيئا من الضياء بهذه الدراسة . فكان المستعمرون يزددون شوخ العربية ويهينونهم في نفوسهم . ويؤذونهم في جسامهم . فلا يزيد ذلك هؤلاء الا تمسكا بهذه اللغة . وايلاعا بنشرها بين التلامذة في هذه الارض .

فطلت العربية والفرنسية تصطرعان . وتظاهرت العربية بالضعف والخور . الى ان امكنتها الفرصة العظمى : فرصة الثورة العقائدية بعد الثورة السياسية . فانقضت عليها انقضاضة عاتية فصرعتها .

وها هي ذى اليوم تصبح . اللغة الوطنية الاولى : يتكلمها الاطفال افضل من آباءهم . ويلقونها في مدارسهم فيقبلون عليها اقبالة الظما . على الماء البارد الزلال .

دراسات
تاريخية



الجزائر

في تاريخ

الحضارة

نعتبرها مجموعة من الشروط التاريخية التي توفرت في حين من الدهر فتشكلت عنها دولة موحدة على شواطئ البحر الأبيض المتوسط وفي قسم من الشرق الاوسط وآسيا الوسطى ، وحلت محل دولتي فارس وبيزنطة ، حتى أصبح دينها ولسانها من مقومات امة كبرى ، الى ان أضحي ذلك الدين وذلك اللسان ، على مر الايام ، وبحكم الحاجة والتطور ، هما الاساس للتشريع ، والاطار القانوني للاجتماع والاقتصاد والثقافة .

كل هذا قد ساعد في تكوين امة جديدة ، ثم في نشوء كيانات وطنية ليس بينها من صلة في اغلب الاحيان الا العقيدة واللغة اللتان دخلتا الى الاقطار الاسلامية منذ القرن السابع ... وهذه الكيانات التي أصبحت فيما بعد مستقلة ذات

تلك هي الصورة العامة التي بقيت مدة قرون تشكل ظاهرة حضارية من ابرز الظواهر . وهذه الصورة ينبغي أن ننظر اليها بكل تجرد ، وان

ان الاسلام قد اتى بمفهوم جديد للمواطنة *citoyenneté* (1) ومما يدل على وجود هذا المفهوم الجديد في المغرب ، امران سبق ان اشرت اليهما . ان المواطنة أصبحت ، منذ ان نشأ المجتمع الاسلامي في القرون الوسطى، قائمة على اساس الايمان بالقلب او الاقتناع بالعقل . بالمبادئ التي بشر بها الاسلام .. وبينما نجد ان حضارة الرومان محصورة في النخبة المختارة ، فان الاسلام على العكس ، يهدف الى افق اوسع ، الى افق متفتح من جهتين : على البشرية جمعاء من جهة ، وعلى العالم الاسلامي من جهة اخرى . ان الاسلام يشترط في المواطن شروطا لا علاقة لها بجنسه ، لان الشيء المهم في المسلم هو الايمان بعقيدة واحدة ، والولاء لسلطة الخليفة الروحية والزمنية، والمساهمة في الحياة الاقتصادية، والعمل على ازدهار الثقافة . ومن المعلوم ان الثقافة في الاسلام معتمدة بالدرجة الاولى على اللغة ، لان العربية هي لغة الدين والدنيا . وقد ساهم في تطويرها الفقهاء والادباء والشعراء ورجال القضاء والفلاسفة والعلماء ورجال الفن ، فكانت تجد بينهم العرب والفرس والبربر والاسبان والاكراد والأتراك والمغول والافارقة والهنود ، كما تجد بينهم احيانا اليونانيين والارمن وكذلك من كانوا سابقا من رعايا الدولة البيزنطية ثم اسلموا ، او ظلوا على الدين اليهودي او الدين المسيحي .

مصطفى الأشرف

ترجمة د. هني بن عيسى

مكتوبة متفرعة عن اللاتينية ، كالاسبان ، فقد عادت الى استعمال لغاتها ، بعد ان ساهمت مساهمة فعالة في ازدهار الثقافة والعلوم العربية . اما الشعوب التي كانت لها لغات غنية ، ولكنها محصورة في منطقة معينة وليس لها ادب مكتوب (كالبربر) ، وكذلك اللغات القديمة التي تشترك مع العربية في الاصل السامي الاول او للتأخر ، مثل الآراميين من سوريا ولبنان وفلسطين.

سيادة بعد انقسام الدولة الاسلامية ، لم تكن اصولها عربية ، لان نسبة العناصر العربية بين الفاتحين كانت قليلة جدا ، وسرعان ما امتزجت تلك العناصر العربية بغيرها . الا ان اللغة العربية بقيت لدى الشعوب المسلمة الموالية للخليفة ، والتي ليس لها لغة اخرى مكتوبة . اما الشعوب التي كان لها قبل الفتح الاسلامي لغات حضارة غريقة ، كالفرس والهنود واليونانيين ، او لغة

(1) راجع العدد الثاني والثالث والرابع من هذه المجلة

ومثل المصريين والآشوريين الكلدانيين من العراق . فان هذه الشعوب لم تمكنها لغاتها من تحقيق أى نوع من الازدهار فى منطقة البحر الابيض المتوسط ، لذلك فقد تعرب أغلبها من حيث اللسان . واحتفظت تلك الشعوب فى نفس الوقت من أجل التفاهم بلغة الاجداد ، لاسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية ، ولا أقول لاسباب دينية .

ان اللغة الاجنبية لا يمكن أن تعرض نفسها مدة طويلة من الزمان ، على لغة أخرى لا تقل عنها أصالة ، ولا يمكن أن تحل محلها ، خاصة من حيث التعبير الشفوى . ولئن كانت هناك شعوب كثيرة تتحدث اليوم باللغة العربية ، مع كونها أعجمية . ولئن كانت هذه اللغة هى لغة العبادة بالنسبة الى الطوائف المسيحية غير العربية ، فلا ينبغي أن نتساق وراء العنصرية العمياء . بل يجب أن نلتبس الاسباب الحقيقية لهذه الظاهرة من التاريخ . ومن الظروف والتجارب التى مرت بها تلك الشعوب ، ومن الضرورات الملحة التى واجهتها .

ولكن . لنعد الى الجزائر . لكى نتوقف قليلا لدى حادثتين تكشفان عن عقلية جديدة سبق لى أن أشرت اليها ، وهى العقلية التى كانت تتحكم فى سلوك المواطن وسلوك الخليفة . مما لم يسر الناس له مثيلا فيما مضى من الازمان . والحادثة الاولى أن الوالى العربى على افريقية . يزيد بن مسلم . سولت له نفسه . فى حوالى سنة 720 م . أن يهين أحد رجال حرسه الخاص . ويقول جورج مارسى بهذا الصدد : « أخبر الوالى حرسه أن كل واحد منهم سيكون اسمه موشوما على يده اليمنى ، مع كتابة العبارات : « حارس يزيد » على اليد

اليسرى . جريا على العادة المتبعة من طرف ملوك العجم مع من يقوم على خدمتهم . الا أن هذا الامر كان به من الاهانة والاحتقار ما جعل جنود البربر يفتالون يزيد فى المسجد . ولا شك أن هذا الاغتيال حادث خطير . ولكنه فى الحقيقة يعبر عن الفضب الذى تسبب فيه أحد الولاة الطغاة الذين لا يحسنون التصرف مع الرعية . ويقول النورى . نقلا عن ابن خلدون فى كتابه « تاريخ العرب والعجم والبربر » . يقول ما معناه : « كتبوا الى الخليفة الاموى ليخبروه بأنهم لا يزالون على عهد الولاة . وأن يزيد عاملهم بطريقة مهينة أمام الله وأمام الناس ، وأنهم بايعوا واليهم السابق ... وقد أجابهم الخليفة . فاستنكر تصرف يزيد معهم ووافقهم على ما فعلوه . »

والحادثة الثانية لا تقل دلالة على تعلق شعب البربر فى القرن الحادى عشر بالقيم التى نادى بها الاسلام . فيما يتصل بمفهوم الامة والاخلاق والتقاليد . وخاصة فيما يتصل بنصرة الدين ... ومن ذلك أن الامير المعز بن باديس . أمير الدولة البربرية الزيرية (وكان قد بسط نفوذه فى القرن الحادى عشر على نصف شمال افريقيا) كان هذا الامير مهتما جدا بمسجد القيروان الكبير الذى أسسه الفاتح والداعية الى الاسلام ، عتبة بن نافع . فى القرن السابع ميلادى . بل كان مهتما أيضا بضريح هذا الصحابى الجليل الذى دفن فى نفس المكان الذى استشهد فيه بالجنوب الشرقى من أرض الجزائر الحالية . وبالقرب من جبان أوراس . وقد كتب المؤرخ جورج مارسى بعد أن تحدث بعبارات مؤثرة عن الهدية التى قدمها الامير الامازيغى الى أول مسجد بنى فى أرض



والافكار العرقية لم تنشأ الا فى العصور الحديثة . ونشأت فى بلاد الغرب أكثر من أى مكان آخر . ولم يهتم بها رجال العصر الوسيط الاسلامى . وخاصة المغاربة منهم ، الا قليلا .

ومهما يكن من أمر . فان الجزائر وافريقية - وتعد الجزائر جزءا منها - بلغتا فى تلك الفترة من تاريخ الحضارة الانسانية المحصور بين بداية القرن التاسع ونهاية القرن الحادى عشر ميلادى ، بلغتا الغاية القصوى فى الازدهار الاقتصادى والثقافى . وهذا الازدهار يتميز - وخاصة فى مجال الاقتصاد - بجوانب عدة جعلته يتفوق على الازدهار القديم الذى عرفته افريقية فى عهد الرومان . وقد كتب أحد المؤرخين متحدثا عما قام به الولاة الامويون منذ القرن الثامن . فى مجال استخلاص المبادئ كالفظة والائمه والحديد والرصاص . فقال : « لا يشك أحد أن هذا دليل واضح على وجود نهضة اقتصادية . بل ربما

المغرب . وهى عبارة عن مخطوط من القرآن الكريم يحمل توقيع الامير فى الصفحة الاولى : « ان كون الامير قد وقف للمسجد الكبير بالقيروان أموالا ، يدل دلالة وأضحة على نواياه الحسنة . وهذا العمل ان هو فى الواقع الا واحد من الاعمال الكثيرة التى تعبر عن احترام الامير لروح الشهيد عقبة بن نافع ... ومن الجدير بالذكر أن الفاطميين . (وهم قوم عرب . الا أنهم منشقون مذهباً) . كانوا قد أهملوا الضريح ... بل ان أحدهم أراد ان يهدم محرابه . وبعد أن تخلى عن مشروعه . أراد أن ينتهك حرمة ضريح هذا الصحابى . حتى لا يبقى له أثر به يذكر ... ولا شك أن الاموال التى خصصها المعز للمسجد الكبير . والاشغال التى قام بها فيه . وكذلك الاشغال التى يغلب على الظن أنه هو الذى أمر بها لاصلاح ضريح البطل عقبة بن نافع . كل هذا يدل على أن المعز انما أراد أن يصلح مافات . وان يعود الى تقاليد بلاده الاصيلية . »

ويضيف نفس هذا المؤرخ الفرنسى فى نص له . حديث نسبيا (1957) ومقتبس من كتابه « Melanges متنوعات »

« ان الامير الشاب . بزخرفته للضريح الذى حوى جثمان هذا الصحابى . واصلاحه لقبر هذا البطل الذى أدخل بلاد البربر فى الاسلام وأسس مدينة القيروان . انما أراد بذلك أن يعبر عن ورعه وأريحيته . »

بطبيعة الحال . لم يكن الامر يخلو من نزاع بين العرب والبربر . سواء فى تلك الفترة . أو فيما بعد . ولكن النزاع لم يحصل فى هذا المجال بالذات . ولا فى مجال اللغة . وذلك أن القضايا

للانسجة الصوفية والقطنية والزرايب والاقمشة الحريرية والاجواخ والاقمشة الرفيعة المطرزة بخيوط الذهب ، والنحاس والالوانى الخزفية والزجاجية ... الخ . اما بالنسبة الى التجارة الخارجية ، فان البضائع المصدرة الى مصر وصقلية واوروبا وبقية اقطار المغرب ، هي ، على وجه الخصوص ، المنسوجات والمصنوعات والملح والقمح وزيت الزيتون . ومما ساعد على ذلك وجود ورشات كبرى لصنع السفن . وتوفر عدد كبير من الموانئ . واهمها على الشاطئ التونسي . صفاقس وبنزرت ، وعلى الشاطئ الجزائري ، عنابة وبجاية .

وهكذا تضي القرون على الجزائر التي يتناوب عليها المدهر ما بين رخاء وازدهار ، وفقر وانحطاط . وخاصة في المدن الواقعة على البحر . فهذه المدن سرعان ما تناقص نشاطها التجاري ، بعد اكتشاف اميركا وتطور الاسطول التجاري الاوربي قبيل بداية العصور الحديثة . في حين أن العالم العربي كان لا يزال ضعيفا يعاني من آثار التخريب والتقتيل والسطو والنهب ، من جراء اكتساح التتر ، ومن أتى قبلهم من الصليبيين والبرابرة المفلول . ومع ذلك فقد أنجبت أرض افريقية علماء ومؤرخين كبارا في هذه الفترة الانتقالية التي تعتبر نسبيا فترة انحطاط ، بل فترة تحول . ان ابن خلدون الذي يعتبر بدون منازع مؤسس فلسفة التاريخ . حتى ان ارنولد توينبي قال بصدد الحديث عن كتابه الرئيسي « المقدمة » بأنه « أكبر عمل أنتجه عقل بشري . في أي عصر ، وفي أي مكان ... ان ابن خلدون يقدم لنا من سيرته ، ومن مجرى حياته المضطربة ومن سمات ثقافته الاصلية

ليس من الصواب أن نسميها نهضة . اذ ان الشيء الذي حدث هو استثمار ثروات كانت الى حد ذلك الوقت مهملة . وليس هناك ما يدل على أن الرومان استثمروا تلك المناجم الغنية . وقد ذكر المؤرخ استيفان جزال عدة أماكن للمعادن توجد في شمال افريقيا . ويبدو أن العرب كانوا من الرواد بالنسبة الى استثمارها ، ويقول في أحد كتبه الاخيرة : « أنا ميال للاعتقاد بأن الفترة التي ازدهرت فيها صناعة المعادن هي العصور الوسطى وليست هي العصور القديمة . فبعد أن تحطمت دولة الرومان . وأخذ العالم الاسلامي والعالم المسيحي يتصارعان وأصبحت العلاقات التجارية بينهما قليلة نتيجة لانحطاط الصناعة في أوروبا . فان القيمة الاقتصادية لتلك المناجم ازدادت لا بالنسبة الى بلاد البربر فحسب ، بل بالنسبة الى العالم الاسلامي أجمع . » وينتهي نفس هذا المؤرخ الى القول بأن « خوض الافارقة للميادين التي أهملتها الشعوب الأخرى . وإشاعة جو من الرخاء . والفضل في ذلك يعود فيما نرى ، الى أمراء القيروان . كل ذلك قد حصل نتيجة للظروف الحضارية الجديدة التي لم يعهدها العالم القديم . »

وعندما تأسست دولة بنى زيري . فان المرخاء الذي تحدث عنه جورج مارسي وربطه بالميدان الصناعي . هذا الرخاء اقترن برخاء آخر كبير في الميدان الزراعي . من حيث محاصيل القمح وأشجار الزيتون . ومن حيث البساتين والكروم وقصب السكر والزعفران والقطن . وزيادة على ذلك ، فان « افريقية كانت بالنسبة الى القرون الوسطى . بلدا صناعيا » حتى أن المعامل في مختلف الصناعات أصبحت لا تعد ولا تحصى . وكثر انتاجها

مثالا عن محاولة مستمرة للتوفيق بين الفكر والعمل ، وعن ثنائية بارزة وعن حركة دائية يتميز بها المصير المغربي وسكان منطقة البحر الابيض المتوسط ... فهو مولود في تونس في 1332م ، وينحدر من أسرة عريقة أصلها من حضرموت (الجزيرة العربية) ، وهذه الأسرة استقرت في اثيبيلية حيث قام بعض أفرادها بدور سياسى وعسكرى كبير فى خدمة الاندلس العربية . وقد كرم ابن خلدون حياته كلها للملاحظة الاحداث الاجتماعية الجديدة التى كانت تتوالى على المغرب آنذاك بسبب التحولات التى حصلت فيه . ولكن أهم الاحداث والتجارب والافكار التى لاحظها أو توصل اليها ، انما درسها وقام بها فى الجزائر . وبالرغم من أنه تنقل من مكان الى مكان فى شمال افريقيا ، وخدم ملوك المغرب وتونس ، فانه كتب تاريخه الشهير فى الجزائر حيث تولى الحجابة (وهو منصب يعادل رئاسة الوزراء) . وكان يعيش طورا مع القبائل الرحل الموجودة بنواحي بسكرة ، وطورا آخر مع فلاحي جبال التيطرى أو فى البلاط الملكى بتلمسان ، أو مع العلماء فى بنجاية . ثم اعتزل فى قلعة بنى سلامة . وهو كذلك موجودة فى الجزائر ، واخذ يفكر فى احداث التاريخ العظمى واسبابها وآثارها ، وفى الجوانب الخفية من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة . وعاد مرة أخرى الى الاندلس فى مهمة ، فأعجب به بيير لوكروال Pierre Leccuel وأراد أن

يستبقه عنده ليكون فى خدمته . وظل دائما يبحث عن الحقيقة ويستفسر . فعاش فى القاهرة بعض الوقت وتولى فيها منصب القضاء الذى عرض عليه . وأخيرا ، وكأنه مدفوع بفكره المتعطش للمعرفة ، ومقدر عليه أن يشاهد الاحداث الجسام فى عصره . أتاحت له فرصة ملاقة تيمورلنك خارج أسوار دمشق . وكان قد أرسل على رأس وفد لاستعطاف ملك التتر المشهور بقسوته ، لكيلا يخرب هذه المدينة المحاصرة . وقد أعجب تيمورلنك . مثلما أعجب ملك قشتالة Castille بثقافة ابن خلدون الواسعة وبداهة خاطره . وشجاعته . فعرض عليه الوزارة . ولكن بدون جدوى . ان حياته الغنية بالتجارب ، وبحثه المستمر عن الحقيقة . وتنقله فى كثير من اقطار البحر الابيض المتوسط ، والمشايق والصعوبات التى واجهها والنضال المتواصل الذى خاضه . كل هذا يذكرنا برجل آخر أنجبته الجزائر ، وهو رجل لا يقل عنه شجاعة فى أطوار حياته ، وصلاية فى الدفاع عن مبادئه . ونعتى به القديس أوغسطينوس . فهو كذلك قد مات عندما كانت جحافل أخرى من البرابرة تحاصر عنابة - وهى المدينة التى زاول فيها نشاطه الدينى - وتطوقها من جميع الجوانب لتخربها . على أن الفارق الاساسى بينهما - بالإضافة الى القرون العشرة التى تفصل بينهما زمنيا - لم يكن بالدرجة الاولى هو الدين . لان الدين عند كل منهما قائم على

الوحدانية ، وإن كان مختلفا من حيث المحتوى العقائدى أو الصوفى لدى ابن خلدون كمؤرخ والقديس أوغسطينوس ، كرجل من رجال الدين .. بل إن الفارق الاساسى بينهما قائم فى تصورهما للعالم ، فى مستقبله أو فى حاضره : فالقديس أوغسطينوس قد تصور مدينة الله ، وهى المدينة المثالية المنتصرة رغم المحن والكوارث التى كانت تتوالى على شمال افريقيا وعلى العالم .. أما ابن خلدون ، فقد حاول أن يحلل بطريقة منهجية مدينة البشر ، أى المدينة كما هى فى واقعها الدنيوى اليومى ، مع جميع ما تستلزمه من حاجيات اقتصادية واحتكارات وصراعات اجتماعية وأنماط من الحياة ، وعصبية وتشجيع للآراء وأهمية كل ذلك فى تأليف الدول ، وحقيقة السلطة وشروطها وحالة الانحطاط وحالة العمران ... الخ.

ما من شك أن الانحطاط الحضارى لم يشمل العالم أجمع فى الفترة الواقعة ما بين 430 م. وهو تاريخ وفاة القديس أوغسطينوس ، و 1406 م ، وهو العام الذى توفى فيه ابن خلدون . وذلك أن العرب حاولوا ، طوال العصور الوسطى وخاصة ما بين القرن الثامن والقرن الرابع عشر ، أن يسدوا الفراغ الثقافى . وهذا ما ذهب إليه أيضا الكاتب ريشار لومبى . Richard Lemay فى مقال قيم له ، نشرته مجلة « آنال » ANNALES ، بتاريخ جويلية (يوليو) 1963 ، حيث يقول ، متحدثا عن

الاثر الثقافى الذى خلفه العرب المشاركة والمغاربة فى الاندلس ، بعد أن استرجعتها دولة اسبانيا المسيحية :

« ان الشيء المهم فى عملية نقل علوم العرب الى الشعوب اللاتينية ، عن طريق اسبانيا ، فى القرن الثانى عشر ، هو أن تلك العملية - فيما يبدو لنا - تعتبر نهاية لمرحلة بدائية فى أنماط الحياة ، كما تعتبر بداية لنمو الفكر نموا مطردا ، الى أن أصبحت العلوم على ما هى عليه اليوم . ويمكن القول بأن تطور العلوم فى أوروبا من قديم الزمان الى عصرنا هذا ، قد مر بفترة طويلة من التقطع ، بل من التدهور : وذلك انه سادت فى العالم الغربى اللاتينى ، وفى الفترة الواقعة ما بين وفاة القديس أوغسطينوس وقيام الحروب الصليبية ، سادت مبادئ تدعو ، على مستوى الفرد والجماعة ، الى التهيئة للعالم الآخر ، حيث يكون الناس « مواطنى السماء » . وزيادة على ذلك لم يجد الناس ، طوال تلك العصور المظلمة ، ما يهديهم الى نور الحقيقة ، ولم يكن لهم أى اتصال بالخارج ، خلافا للاسلام ، فى القرون الاولى من تاريخ تطوره .. وهذا الامر جعل من الصعب على الناس أن يفهموا مغزى الحياة فى هذا العالم الارضى الذى نعيش فيه .. ان الاتصال بالاسلام الذى حصل منذ أن بدأت الحروب مع العرب لاستعادة الاندلس ، قد وضع حدا لعزلة الفكر

الغربي اللاتيني ، وانحطاطه . »

مما لا شك فيه اذن أن اسهام المغرب العربي .
أى شمال افريقيا والاندلس ، كان حاسما من
الناحية العلمية فى قيام النهضة الأوروبية فى
القرن الخامس عشر والسادس عشر . بحيث لا يقل
عن تأثير الثقافة اليونانية - اللاتينية التى تم
احياؤها بعد سقوط القسطنطينية وهنا تجدر
الإشارة الى أنه كان يوجد بين الكتاب والفلاسفة
والفقهاء والأطباء وعلماء الرياضيات والجغرافيا
والتاريخ ، ممن أغنوا التراث الثقافى العربى ، كان
يوجد بين هؤلاء عدد كبير من العلماء الكبار الذين
أصلهم من المغرب العربى . أى من الجزائر ومراكش
وتونس .

وإذا كان لابد من التوصل الى نتيجة فى هذا
العرض الطويل الذى يصعب على الإنسان أن
يلخص فيه ثلاثين قرنا من التاريخ فى ثلاثين
صفحة ، فاننا نقول بأن مساهمة الجزائر فى
الحضارة العالمية قديما ، بل حديثا أيضا ، تتمثل
بالدرجة الأولى فى صراع الإنسان الجزائرى مع
القوى المعاكسة له ، أى مع الأرض المجدية أو مع
السيطرة الأجنبية الباغية . انه ذلك الإنسان
الذى يطور ظروف حياته مستمسكا بالصبر ،
ويخسر فى لحظة ما جمعه فى قرون ، ولكنه لا يكاد
يخسر حتى يستأنف العمل الشاق الجماعى الذى
يعلمه الاخلاص والتضحية والتضامن والتعاون مع
الغير . حتى ولو كان عدوه بالامس .

أما جزائر اليوم ، فإذا كنا لم نطل عنها الكلام ،
فلانها تتمثل فى الإنسان الجزائرى الذى وصل
اليوم الى مرحلة لابد فيها من الانطلاق من نقطة
الصفر بالنسبة الى أغلب الامور . ان احتكاكه

بالثورة الصناعية الممثلة فى فرنسا ، طليعة الدول
الأوروبية فى القرن التاسع عشر ، هذا الاحتكاك قد
هزه فى بداية الامر ، وأخذه على حين غرة . الا أنه
لم يتنكر لاصله ولم يستسلم .. ولم تمنعه المقاومة
الم تواصله والكفاح الشاق ، والنضال الشديد فى
سبيل الاستقلال المفقود ، لم يمنعه هذا كله - وهو
الإنسان المتعطش دائما للثقافة ، المستميت فى
سبيل الحياة الحرة الكريمة - من أن يستفيد ، رغم
العراقيل المقصودة ، من تقنيات الحضارة وأساليبها
التي لا يعلمها المستعمر الا لمن يشاء . وأراد أن
يحرم منها الإنسان الجزائرى . وما الادب الجزائرى
المكتوب بالفرنسية الا مثال من أمثلة عديدة .
ففى الخمسينات من هذا القرن ، برزت فى الادب
الفرنسى جماعة من الكتاب الذين يتميزون بالموهبة
الاصيلة والعبقرية الفذة فى الانتاج الادبى
والمسرحى ، والدوق الحسن ، والمقدرة على الرواية
والكتابة . والعنف فى التعبير والتجارب العميق
مع الأرض التي ولدوا فيها والمجتمع الذى نشأوا
فيه .. هذه الجماعة ، ونعنى بها كاتب ياسين ،
ومولود فرعون ، وجان عمروش ومولود معمى ،
ومحمد ديب ، والك حداد ، وآيت جعفر . برزت
على المسرح الوطنى لتخلف جماعة الكتاب الفرنسيين
الذين سحرتهم الجزائر بجمالها وخيراتهما التي لا
تنفد . الا أن انتساج الفرنسيين كان ذا طابع
غنائى . فعبروا عن أحاسيسهم الذاتية ، ولم
يهتموا بالمجتمع ولا بالإنسان . وقد استطاع
جبرائيل أوديسيو Gabriel Audisio ، وهو من
الكتاب الفرنسيين الذين تبنتهم الجزائر قلبا وقالبا
استطاع هذا الكاتب أن يبين بعض الخطوط
العريضة لهذا الادب الجديد الذى نشأ رغم الظروف
الشديدة غير الملائمة فى العهد الاستعمارى ، مما
جعله مدة طويلة لا يزدهر الا على يد فئة قليلة من

ذوى الامتيازات . فكتب يقول :

« مأساة الكاتب » روبلس « Roblés » التى عنوانها
« مونسيراط » Montserrat نموذج فى الادب
الكلاسيكى . وكذلك قصة الكاتب كامو CAMUS
« الغريب » L'ETRANGER . من حيث المحتوى
والاسلوب والمغزى .

الكلاسيكى وهما اسلوب باسكال Pascal . وكذلك
ومن السهل جدا أن نبرهن بالامثلة كيف ان
اسلوب كامو متأثر بنمطين من أساليب التعبير
اسلوب أوغسطينوس الافريقى ، ذلك الكاتب الذى
جمع بين الاسلوب الغنائى والاسلوب الحسى .
والتخصص فى اللاهوت والاسلوب الواقعى
ويضيف أوديسيو الى هذه الثنائية التى تعتبر من
خصائص الروح الجزائرية الاصيلية . يضيف اليها
أمرا آخر . وهو أن « الفكر المغربى يلازم دائما
جانب الحذر من التيارات الجارفة . فيحاول اخضاعها
تلقائيا .. الا أن السبود لا يمكن أن تقف أمام
طغيان الماء . كما أن الارغام المقصود لا يمكن أن
يجرم الانسان من لذة الحياة .. مما جعل البعض
يقولون بأن الروح الجزائرية تستبد بها دائما
موجة من الفرحة العارمة . » . ونجد أثرا بهذه
الفرحة فى الادب المعاصر لدى الكاتب كامو الذى
تتميز قصته « الاعراس » NOCES بالطابع
الشهوانى ، وقصته الاخرى « الطاعون » La Peste
بالانسية المتشائمة .

ولكن لابد من أن نقول بأن كل هذه الاعتبارات
لا علاقة لها بالجزائر الحالية التى لا تستهجن أو
بالاخرى تقبل بتسامح فلسفة من ينظر الى منطقة
البحر الابيض المتوسط متأثرا بالمذاهب الادبية
الداعية الى الراحة والايمان بالغيب واللعب

l'Absurde . ان انتفاضة فاتح نوفمبر 1954 ، وما
تبعها من ثورة طويلة وعميقة ليست مجرد نزعة
انسية نحو الرغد من العيش والحياة الهنيئة
المطمئنة . ان الجزائر أفرادا ومجتمعا ، أصبحت
اليوم تساهم من جديد . بفضل التجارب المريرة
التي عرفتھا ، وبفضل قوتها التى لا تقهر . وشبابها
الناهض وامكانياتها الواسعة فى الخلق والابداع ،
وكذلك - وهذا شيء نعتز به - بفضل غلطاتها
وسذاجتها وهزائنها والدروس التى استفادت أو
لم تستفد منها . والنجاح الذى حققته بعد المشقة .
والانتصارات المؤقتة او الدائمة . وبفضل الاسراف
فى البذل أحيانا . والتعسف الشديد أحيانا
أخرى .. ان الجزائر أصبحت اليوم تساهم بطريقتها
الخاصة فى ازدهار الحضارة المعاصرة . وقد رأينا
بالفعل أثناء حرب التحرير . بعض القساوسة
الكاثوليك والمسؤولين عن نقابات العمال والمنقذين
الفرنسيين ، يذهبون الى سجون فرنسا التى كانت
ملينة بالمعتقلين السياسيين الجزائريين ، ليعبروا
عن تأثرهم الشديد لاولئك الوطنيين من الشبان
الصغار الذين ذاقوا العذاب الالكيم . وليقدموا لهم
شكرهم على المثل الرائع الذى ضربوه . بتضحياتهم
وأعمالهم المتجردة من البغضاء . للشبيبة الفرنسية
جمعا . فبرهنوا لها أن هناك سبيلا آخرى فى
الحياة غير التمتع الرخيص والعنصرية البغيضة .
وقد شهدنا ذلك بأنفسنا . ونستطيع الآن أن
ننتهى الى القول بأن الحضارة الانسانية ، اذا ما
صرفنا النظر عن الحدود الجغرافية والحواسز ،
تتمثل بالدرجة الاولى فى الانسان الذى يعترف
لاخيه الانسان بقدره وكرامته وحقه فى الحياة
الحرة الكريمة .. انه ذلك الانسان الذى يحس
أمام آلام غيره وتضحياته . بعاطفة تسمو به
الى أعلى المثل الانسانية .

الكتاب

الثقافية
في الجزائر
في عهد
الاستعمار

■ الممارس ■ الطب ■ الدين

1880-1830



تأليف الدكتورة تورين

تقديم: مولاي باحمدي

هذا عنوان كتاب صدر أخيرا بباريس باللغة الفرنسية للدكتورة تورين استاذة التاريخ المعاصر بجامعة الجزائر حاليا .

والكتاب هذا دراسة اجتماعية للحضارات و دراسة نفسية للتاريخ ومحاولة في تاريخ العقل كل هذا في آن واحد من خلال فترة حاسمة من تاريخ الجزائر الخمسون سنة الاولى من الاحتلال الفرنسي .

وتعتمد دراسة هذا الموضوع الهام على امرين ضروريين كانا السبب في رواج الكتاب : التجارب الشخصية للمؤلفة ، وقد اقامت مدة في المغرب الاقصى ثم الجزائر بين البحث والتدريس ، والعامل الثاني هو اطلاعها عدد لا يحصى من الوثائق الفرنسية و وثائق المكاتب العربية ، واستخدامها بكل موضوعية .

ولقد يعاب على الدكتورة انها تجاهلت المصادر العربية الجزائرية لكنها نيهت في آخر المقدمة انه تعذر عليها ذلك .

يتناول الكتاب موضوعا صعبا اذ اراد دراسة اهم الجوانب للصراع الثقافي في الجزائر غداة الاحتلال بين الحضارة الاوروبية والحضارة العربية او ما يسمونه الحضارة العصرية والحضارة التقليدية ، وبدا الصراع يوم بدأ المحتل يفرض لسانه وتفكيره واسلوبه في الحياة مستعملا المدرسة والمستشفى المعلم والطبيب ليحطم آخر قلعة التجا اليها المسلمون وهو الدين .

وقد يتساءل القارئ لماذا اقتصرت الدراسة على نصف قرن فقط او لم يتواصل الصراع بعد ١٨٨٠ ؟

فان هذه الفترة في نظر الكاتبة هي التي اصطدم فيها المستعمرون بالفرض الجماعي والامتناع التام والمقاومة الصادقة من طرف المسلمين دفعا عن حضارتهم وشخصيتهم .

وكان الفرنسيون يظنون كل الظن انهم يكفيهم ان يقترحوا على المسلمين ثقافتهم ولغتهم

لكي يرضى بها هؤلاء لانه المنطق والحكمة .

وانهم اذا قدموا للشعب المغلوب « النور » استسلم شاكرا فاندفعوا في المشاريع المستحيلة التحقيق وذلك قبل نهاية الحرب غير عابئين بعقلية الجزائريين ولابعوائدهم وميولهم ، ورد المسلمون الهدية المسمومة لصاحبها الذي قضى حوالى عشرين سنة (١٨٣٠ - ١٨٥٠) يحدث المدارس فلا تجد لها تلاميذ وينشئ المستشفيات فلا يتردد اليها المرضى ويريد ان يدرس الحالة الاجتماعية فلا يجد من يطلعه ، وتعددت في وجه المحتل الصعوبات وكثرت واصبح الدين الحنيف كالاسمنت المسلح يحمي من التفكك والاندماج ، وعاش المستعمرون في هذه الفترة باحلامهم واوهامهم متيقنين ان ما يقترحونه هو السعادة عينها وانهم جاءوا لتنوير العقول باسم العقل الفرنسي وباسم الرسالة التي اعتقد فرنسيو القرن التاسع عشر

انهم يحملونها الى العالم •

فكيف أسرع هؤلاء
« المبشرون » الذين تظاهروا
- أول الامر - باحترام قوانين
البلاد وتقاليدها في مسخ
للشخصية •

وتنتهى الفترة الاولى
ويعترف الفرنسيون ان ما
قاموا به مغامرات لا طائل
تحتها واعترفوا بالفشل وفكروا
في اسلوب جديد ومناهج
اقرب الى الواقع وأعادوا الكرة
بعد التحقيقات المدققة
واختلطوا لتعليم اللغة العربية
خططا في اطار القضاء على
القوة المعنوية •

ظهرت مراسم ١٨٥٠ التي
أنشأت في المدن والقرى
التعليم المزدوج و المدارس
الفرنسية العربية فلم يتغير
موقف المواطنين وبقيت

المؤسسات خالية •

اما في الميدان الصحى
فان المعارضة كانت اقل حدة
على حد قول الكاتبة وان كانت
الجماهير ترتاب من الطبيب
« الرومى » ومن أدويته
ونصائحه •

وتفسر الكاتبة هذه المواقف
الصلبة للدور الذى كانت
تلعبه الزوايا آنذاك في البلاد
هى مراكز دينية وثقافية
ومدارس للكبار والصغار ودور
للمعالجة والتداوى واسعاف
الفقراء وملتقى ذوى الراي
ونقاط ينطلق منها الجهاد ،
ولا يعرف لها مثيل في اوروبا
ولم ينتبه المستعمر لنفوذها في
القطر الا بعد زمان طويل •

وللكتاب قيمة اخبارية
لا تنكر اذ هو نتيجة اطلاع
الآلاف من الوثائق التي قد

يصعب على المواطن استخدامها
وقيمة أدبية لا تقل عن الاولى •
فالاستشهادات و الاقتباسات
كثيرة ، وهناك طرف وملح
تبرز غباوة المسؤولين آنذاك
وجنونهم ونياتهم السيئة واخبار
متنوعة مفيدة حول فترة
من تاريخنا لازالت غامضة •

فهو حساب ختامى لما بذله
المستعمر من جهود لتحطيم
الوحدة ووصف لفشله في
محاولته هذه بسبب الاعتداد
بالنفس واحتقار المغلوب •

وهذا لا يعنى اننا نوافق
الدكتورة تورين في كل ما
ذكرت واولت ، وانما اكتفين
هذه المرة بتقديم الكتاب الى
قراء « الاصاله » على امل
نقل الفصل الاول منه الى
العربية في العدد المقبل
ان شاء الله •

●
التعريف
بمراثنا
المخطوط

إعداد: راجح بنار

أزهار الأجر

لأحمد بن يوسف التيفاشي

التيغاشي هو أحمد بن يوسف بن أبي بكر بن حمدون بن حجاج القبي شرف الدين ينتسب اوائله الى بلدة بعلش الكائنة بشمال مدينة قسنطينة من القطر الجزائري وقد ولد بقصبة من القطر التونسي سنة 580 هـ وقسراً بمسقط رأسه على أفراد أسرته وكانت مشهورة بالعلم والادب وكان منهم عم ابيه الذي مدح عبدالمؤمن بن علي خليفة الموحدون حين فتح افريقية سنة 555 هـ بقصيدة يقول في مطلعها :

**ما هن عقبة بين البيض والاسل
مثل الخليفة عبدالمؤمن بن عمل**

وقد اورد المترجم ضمن مؤلفاته لاغارية كثيرا من قصائدهم ومقطعاتهم الشعرية .

وكان والده يوسف قاضياً بمسكنية وانتقل احمد في صغره الى تونس . وقرأ بجامع الزيتونة واشتغل بالادب والعلوم الرياضية ، وبرع في ذلك كله ثم سافر الى الديار المصرية ودرس بها ، واخذ بها عن موقف الدين عبد اللطيف البغدادي الطائر الصيت ، ثم ارتحل الى دمشق وقرأ بها على تاج الدين الكندي ، وعاد بعدها الى بلده معلوماً الوطاب علماً ، فولاه ابو زكريا الأكبر أول ملوك بني حفص خطة القضاء ببلده قصبة ، وبعد حين ترك الوظيفة وقعد الى المشرق واجابته في هذه السفارة كارتة مفعمة . اورد خبرها في أحد تصانيفه المخطوطة ، وخلصنا انه ماتت زوجته وركب هو وأولاده الثلاثة البحر ومعه مال طائل ، فمطبت السفينة في البحر ومات البيوت الثلاثة والمال جميعه نجا هو على لوح مسلوماً من اهله وماله .

والحق التيغاشي بالمشرق وتجوكر بانحائه فدخل العراق وبلاد فارس ، ثم عاد الى مصر واستقر نهائياً بالقاهرة عاصمتها حوالي سنة 630 هـ واختلط بالطبقة المستنيرة من الرؤساء والاعيان والادباء ومنهم صاحب محي الدين محمد بن ندى القرشي وقدم اليه

بعض كتبه ، وابو الحسن علي بن سعيد الفرناطي المؤرخ اديب الاندلس المشهور قال المغربي : « وجد بخط ابن سعيد في آخر جزء من كتاب المغرب ما نصه : اجزت الشيخ القاضي الاجل ابا الفضل احمد بن الشيخ القاضي ابي يعقوب يوسف التيغاشي ان يروي عنى مصنفى هذا وهو « المغرب فى مجاسن المغرب » ويرويه من يشاء ثقة بفهمه واستنادا لعلمه كتبه مصنفه على بن موسى بن سعيد فى تاريخ الفراغ من هذا الشعر »

ومن احدقائه بمصر جلال الدين مكرم بن منظور الافريقى والده مصنف لسان العرب ، وقد عرف هذا الأخير بالتيغاشي فقال « كنت فى ايام الوالد رحمه الله ارى تردد الفضلاء عليه » . ورايت شرف الدين احمد بن يوسف التيغاشي فى جملتهم وانا فى سنن الطغولة لا ادرى ما يقولون .. غير انى اسمه يذكر للوالد كتابا صنفه افنى فيه عمره واستغرق ذهنه ، وانه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب .. وتوفى الوالد - رحمه الله - فى سنة 654 هـ وتوفى شرف الدين التيغاشي بعده بحدود ... »

علمه وادبه :

اشتهر احمد بن يوسف التيغاشي الجزائري بسعة العلم والرواية ووفرة الادب والاطلاع الواسع على الكتب قديمها وحديثها ويذكر ابن قرقون (2) انه كانت له عناية بعلوم الاوائل فقال : اشتغل بالادب وعلوم الاوائل (الفلسفة) وبرع فى ذلك كله .

وقال عن اده وتأليفه انه كان فاضلا بارعا له شعر حسن ، ونشر جيد ومصنفات عديدة وشعره لا يخرج عن مستوى شعر عصره فى اطواره الفنى ، فكان يعنى بالصناعة اللغوية كعاصريه من الشعراء ، فيبالغ فى التورية والجناس والتشبيه وغيرها ، ومن نماذج شعره موضوعات مختلفة قوله :

ويوم سرقناه من الدهر خلصة
بل الدهر اعداء لنا متفصلا
اشبهه بين الظلامين غسرة
لحسنا، لاحت بين فرغين ارسلا
ومنه قوله فى ظهور الفجر ووالاليل :
نبه نديمك ان الديك قد صغيا
والليل قوض من تخييمه الطبا
والفجر فى كيد الليل السقيم حكى
سر المنيح عن اجفانه غلبا
كانه بطلام الليل ممتزجا
سحراء تقتر ابدت متسا شنبيا
كانما الفجر زند قاذح شررا
فى فحة الليل لاقى الفجر والنها
كان اول فجر فارس حملت
رايتها البيض فى اثر الدى وكبا
كان ثانى فجر غرة وضحت
تسيل وجه طرف ادم ولبا
ومنه قوله فى وصف الزلزال :

اما ترى الارض فى زلزالها عجبا
تدعو الى طاعة الرحمن كل تقى
اضحت كوالدة خرقتاه مرضعة
اولادها در ثدى حاقصل غندق
قد مهدتهم مهادا غير مضطرب
وافرشتهم فراشا غير ما فلق
حتى ابصرت بفض الذى كرهت
ما يشق من الاولاد من خلق
هزت بهم مهدهم تشاتنتهم
ثم استشاطت وآل الطبع للخرق
نصكت المهد غضبي ففى لافطة
بعضا على بعضهم من شدة البرق
ومنه قوله فى بقية نثر :

كاننا نارنا . وقد خدعت
و جمرها بالرماد مسنور
دم جبرى من فواخت ذبحت
من فوقه ريشهن منشور
ومن نماذجه التثنية الطيبة قوله
من فصل عقده للحديث عن تطور
الموسيقى فى الاندلس وانتقال الحانها
من عصر الفتح العربى الى زمانه بالقرن
السادس الهجرى فقال (3) كان غناء اهل
الاندلس فى القديم اما بطريقة النصارى
واما بطريقة حداة العرب ، ولم يكن
عندهم قانون يعتمدون عليه الى ان
قامت الدولة الاموية وكانت مدة الحكم

(1) ورفات عن الحضارة العربية بافريقية للاستاذ حسن حسنى عبدالوهاب القسم الثانى ط تونس سنة 1966 .

ص 448 . - الاعلان بالتوبخ للسخاوى ص 162 . - الديباج الذهب لابن فرحون ط مصر ، 1351 هـ ص 75 .
- حلة الكميت للتواحي نقل عنه فضلا من التراب ص 20 . - كشف الظنون فى مواضع مختلفة المجلة

الاسبوية الفرنسية 1828 م ص 5 . - بروكلمان ج 1 ص 495 مجسم مركبى ص 651 .

(1) الديباج الذهب ص 75 .

(1) ورفات للاستاذ حسن حسنى عبدالوهاب القسم الثانى ص 453 .

القديمة المنافع ، ولا ذكر شيء من الاحجار الشاذة لا سيما المدومة او النادرة الوجود كان ذلك مما لا طائل في ذكره ، وانما ينتفع بذكر الحاصل في الوجود لا الفاضل في حيز المدوم والمفقود .

وجملة عدد الاحجار المثبتة فيه خمسة وعشرون حجرا وهي الباقوت والزبرجد والماس واليازر ، والفروز والعقيق والجرج وغيرهما ويقول في شرح منهجه الذي سلكه في دراسة الاحجار الكريمة وتحليل خصائصها : ان سبيلنا ان نتحدث عن كل حجر من الاحجار المدومة بعد ان نلم بذكر ما له من اسماء في لغة العرب ، ونذكر في دراستها لكل حجر :

- 1 - علة تكونه في معدنه
- 2 - ودراسة معدنه وتحليل خصائصه
- 3 - والتمييز بين انواع جسيده ودرجته وخصائص كل منها حتى يستطيع الانسان ان يبين الحاصل والمفقوت في
- 4 - وذكر خواص كل حجر ومنافعه الطبية وغيرها

5 - واخيرا يذكر قيمته الغالية في الاسواق ، وعلى اقبال الناس عليه . وقد ادرك التيفاشي قيمة كتابه ، وابتكاره في موضوعه فقال : ان كتابه يمتاز عن غيره من الكتب التي تشاكره في الموضوع بجمع ما تفرق فيها من خصائص ، اذ ان بعض هذه الكتب يعني بدراسة علة تكون الاحجار ، وبعضها يعني بذكر منافع الاحجار ، واما كتابنا فانه جمع الخاصتين وزاد عليهما فكان هذا الكتاب « اعم » فائدة ، واجدى عناية من سائر الكتب الموضوعة في هذا الفن . كما يقول التيفاشي .

وهكذا كان كتاب التيفاشي بدراسة الجواهر الكريمة فريدا في بابيه ، وتحفة علمية للدراسات العلمية الطبيعية ، ينبغي ان توليه ما يستحق من عناية واهتمام ، وان تنشره عند الامكان - لان في نشره احياء لتراثنا الفكري الاصيل ، ودعمنا للقوميات شخصتنا الجليلة .

سعيد الغرناساطي (622هـ) والتويري (732هـ) وابن فضل الله العمري (748هـ) وصلاح الدين الصفدي (764هـ) والقشندى (821هـ) وغيرهم ولخص كتاب التيفاشي السابق وهو فصل الخطاب معاصره جمال الدين محمد منظور صاحب لسان العرب وسمى الجزء الاول منه نثار الازهار في الليل والنهار وعشر عليه احمد فارس الشدياق وطبعه بمفرده في مطبعة الجوانب سنة 1298 .

ومن مؤلفات التيفاشي الاخرى :
2 - الدرة الفاتكة في محاسن الافارقة

2 - وسج الهديل في اخبار النيل
4 - والديباج الحسرواني في شعر ابن هاني التونسي الاندلسي .

5 - ودرة الآلم في عيون الاخياره ومستحسن الاشعار

6 - ونزعة الالباب فيما لا يوجد في كتاب في المحاضرة والحكايات

7 - وقامدة الجناح في معاصرة النساء الملاح .

هذه بعض مؤلفات هذا الاديب الجليل والعالم الكبير الذي ازدان به القرن السابع الهجري بالجزائر وتونس ، وقد ترك بمؤلفاته ذخائر عظيمة جليلة .

كتاب ازهار الاحجار

لما كان كتاب ازهار الاحجار للتيفاشي كتابا غريبا في موضوعه بالنسبة للمصر الذي ألف فيه ، وقد استفه الاوروبيون بعد ذلك رأينا ان نذكر خلاصة واقية عنه للتعريف به فيما يلي : يقول المؤلف في مطلع كتابه : (ص 1) هذا كتاب غريب الوضع عجيب الجمع ، عظيم النفع ، ضمنته ذكر الاحجار التي يكون اكثرها في حرائر الملوك وذخائر الرؤساء مما لا يستغنى عن اقتنائه ملك كبير ، ولا رئيس خطير . لما يشتمل عليه من عظام المنافع ، وعجائب الخواص ، ولم أشرك بها ذكر شيء من الاحجار المتداولة

الربضي ، فوفد عليه من المشرق ومن افريقية التونسية من يحسن صنعة التلحين المدنية وأخذ الناس عنهم ، الى ان وقد الامام المقدم في هذا الشأن « يعني به علي بن نافع الملقب بزرياب » غلام اسحاق الموصل على الامير عبدالرحمن الاوسط فاعتكف مدة سنين مع جوار محسنات فهدى « الاستهلال والعمل » ومزج غناء النصارى بغناء المشرق ، واخترع طريقة « الاجدالا » بالاندلس ، وقد مال اليها طبع اهلها ، ورفضوا ما سواها تسم جاء بعده ابن جودي ، وابن الحماره ، وغيرهما فزادوا الهانة تهديبا ، واخترعوا ما قدروا عليه من الإلحان المطربة . وكان خاتمة هذه الصناعة ابو الحسن بن الحمار المرسى ، فانه ادرك فيها علما وعلا ما لم يدركه احد وله في الموسيقى كتاب كبير في جملة اسفار ، وكل تلحين سمع بالاندلس والمغرب في شعر متأخر فهو من صنفته ... » ونثر المترجم في هذا النص نثر فصيح سهل لم يتكلف فيه السجع الملل شأن غيره من المعاصرين .

مؤلفاته :

للتيفاشي مؤلفات كثيرة في فنون شتى ، ومن هذه المؤلفات القيمة :
1 - كتابه « فصل الخطاب في مدارك الخواص لاول الالباب » وهو موسوعة كبيرة في مختلف العلوم والتاريخ والآداب قدمها في القاهرة الى صاحب محي الدين بن ندى الجزري القرشي وقد جزاه الى اكثر من اربعين جزءا وجعل لكل جزء موضوعا خاصا كالشفاء لجزء مخصص بالطب .

ومنة الاسماع في علم السماع للموسيقى والرقص عند الشعوب المعروفة في وقته ، وازهار الافكار في جواهر الاحجار (4) لانواع الحجارة ومادتها وقد حرره سنة 640 هـ وقال في مقدمته « ومعلم الخواص المذكورة في هذا الكتاب مما جربته بنفسى اوقفت بصحة الفقه فيه عن غيرى من المعبرين فأحلت عليه « مسند ذلك اليه » والتيفاشي بهذا الكتاب الضخم في فنون مختلفة هو اول سابق الى وضع معلنة تاريخية قبل على بسن

(4) اعنى الاوروبيون بهذا الجزء ، من قديم فترجمه الى اللاتينية ونشره الهولندي سنة 1818 م وله ترجمة

في مكتبته لبيخ بالمانيا (الورقات 2 ص 456)

(5) ازهار الاحجار مخطوط المكتبة الوطنية تحت رقم 1503

مع

السيارات

الضكرية

العالمية

« فمن أجل أوروبا ، ومن أجل
انفسنا ، ومن أجل الانسانية ،
يجب علينا يا رفاق ان نلبس
جلدا جديدا ، وان ننشئ فكرا
جديدا ، وان نحاول خلق انسان
جديد .. »

« انها الجملة الاخيرة التي
دونها « فرانتزا فانون » في
كتابه الاخير « معذبو الارض »
وهي في نفس الوقت الصرخة
الاخيرة ونهاية المطاف في
حياته ..

تطالعنا مجلة « اسبرى
ESPRIT » في عددها 406 من
شهر سبتمبر 1971 بمقال لـ
« البير ميمي Albert Memmi »
عن الحياة التائهة للثائر فانون ،
هذه الحياة التي قضى العمر كله
في « البحث » عنها .. انها
حياة مستحيلة .

● عرض المجلات الفرنسية

مواطنيه بدأوا يشعرون بالفارق
الموجود بين الفرنسي الابيض والفرنسي
الزنجي ، فردد عليهم قائلا : ما هي
هذه الحكاية حكاية الشعب الاسود ؟
حكاية الوطنية الزنجية ؟ انى فرنسي
واهم بالمضارة الفرنسية وبالشعب
الفرنسي

مثل رفاته في النابوية في جيش فرنسا
الحررة . ودافع عن « وطنه » و « ثقافته »
و « حضارته » .. انه فرنسي ولكن
بشرته سوداء فقط !!!! وكان رده عنيفا
في كتابه « بشرة سوداء وأقنعة
بيضاء » اذ ان بعض المتفكرين من

لقد عرف فانون في حياته الصغيرة
ثلاث تكسات خطيرة على الاقل
لقد ولد في ولاية فرنسية وكان
يعتقد بأنه فرنسي وابيض . وهذا
الاعتقاد جعله يلجأ لـ « ديقول »
لحماية الوطن الام .. لقد تطوع فانون

تسفيد من « مرايا » الاستعمار ، غير أن هذه الطبقة لم تبدأ بعد في التفكير « والمناقشة » .. ويرى البرميسي Albert Memmi بأن حياة قانون كانت كحياة « غيفارا » من بعض الوجوه .. انها حياة تمرد حياة روماني يبحث عن المثل الاعلى في هذه الحياة ... هكذا ينتهي قانون بدون أن يحقق حلمه : تحرير العالم الثالث ووحده ..

● مؤتمر حول الزنوجة ●

انقذ مؤتمر ما بين 12 و 18 افريل 1971 حول الزنوجة بمدينة دكار (السنغال) . وضم هذا المؤتمر 22 دولة ، وجمعت كل المحاضرات والمناقشات في عدد خاص لجلة « صولاي » (الشمس) السنغالية . ومن بين المشاكل التي طرحت في هذا المؤتمر الهام الذي جمع كثيرا من المثقفين الافارقة والغربيين المهتمين بالمشاكل الافريقية . ومن بين الاسئلة التي اثيرت في هذا المؤتمر السؤال الهام : هل الزنوجة تمثل مدرسة او اتجاه لم يبق لها مكان الا في سجل التاريخ ام بالعكس فهي ايدولوجية معاصرة تمكن الزواج الافارقة والامريكان الناطقين بالفرنسية او الانجليزية من بناء مجتمع عصري اصيل يستطيع المساهمة في بناء الحضارة الانسانية ...

(وطن قانون الاصل) هو الذي خان قانون ان بلده عاجز عن تقديم الدواء النفسي والتاريخي لاساتته .. ان قانون لم يجد من يساعده ويسانده في تمرده ، انه يشعر بالضياع ...

ويقول امي « سزار A. Césaire في هذا الصدد : ان المأساة الحقيقية هي ان هذا الانتفى (قانون) لم يجد بلاده حسب تطلعاته وآماله ، ولو بقي في بلاده لعاش وحيدا وغريبا بين أهله ...

فبعد هذا الانسلاخ جاء اللقاء (لقاء صيغة) مع الثورة الجزائرية .. ففي هذا الدرب الطويل الذي قطعه قانون بحثا عن ذاته يمر بمرحلة جزائرية ولكن هل تكون الأخيرة ؟ .. لقد تكلمت على التكتلات الثلاثة التي عرفها قانون أثناء حياته واستطيع أن أخيف كلمة رابعة :

موت ...

لقد مات وعمره لم يتجاوز 36 سنة لقد مات بدون أن يحصل لا على تأييد الماركسيين ولا تأييد الوطنيين ولا تأييد الجورجوازية الوطنية . اما الطبقة التي ايدها والتي يمكن أن تكون حليفته كما كان هو حليفها هي طبقة - العالين - هذه الطبقة التي يعتبرها الطبقة الثورية الوحيدة في البلاد المستعمرة . لانها الشعة التي لم

غير ان هذا الوهم لم يدوم طويلا فما ان حل « بالماسة » لثابتة دروسه حتى اكتشف بالم بأنه - انتى - واسود في الوطن الام . وما ان تب السلام ، وما ان رجعت الطمانينة الى فرنسا حتى بدأ الفرنسيون يتناسون رفاق الامس في الكفاح الذين جاءوا من بلد بعيد ، ورجعت الحياة الى مجراها الطبيعي واستأنفت المنصرية طريقها اليومي الى صفوف المجتمع .. هذا الاكتشاف المباشر كان وليد الصدمات العديدة والمعاملات السيئة التي يتلقاها يوميا على رصيف شارع باريس او ليون ... لقد ولي العهد الذي كان يشعر فيه ويقاقل فيه من أجل الشعار الثلاثي الحلاب : حرية عدالة واخوة !

فبعد ان انسلاخ من الزنوجة انسلاخ من الفرنسية ، ان الانسلاخ الاخير كالانسلاخ الاول حاد وعنيف - اننا نجده يرفض الزنوجة في كتابه « بشرة سوداء واقعة بيضاء » وهو متأثر في ذلك بأراء جان بول سارتر اذ يقول : لا يمكن لي ابدا ان اخذ من ماهي المشعوب الملونة موهبتي المتميزة ، وفي أية حال لا يمكن لي احياء حضارة زنجية غير معروفة .. انتى لا اريد ان اكون ضحية خداع عالم اسود ، انتى لا اريد ان اقضى حياتي كلها في تعداد القيم الزنجية ...

ان هذا الرفض هو وليد الشعور بالحياة وبعبارة اخرى فان « الانتى »

وافتح الرئيس الشاعر « ليولد
سنفور » أعمال المؤتمر ، وهو أحد
زعماء هذا التيار (الزنوجة) بحاضرة
تحمل عنوان - مشكلات الزنوجة -
ويطرح سؤاليين : هل توجد مشاكل
خاصة بالزنوج وذلك من لون بشرتهم
أو لانهم ينتسبون الى جنس يختلف
عن الجنس الابيض أو الاصفر ... وما
هي هذه المشاكل وبأى طريقة تطرح ؟

ان كلمة الزنوجة طرحت مشاكل
عديدة من الناحية اللغوية قبل أن
تصبح مفهوما *Concept* . والزنوجة
Négritude كما يقول سنفور مفهوم
« اكتشفه » « امي سزار » بناء على
قواعد اللغة الفرنسية وهي آخر الامر
تعنى : طريقة عمل واتجاه زنجي ،
عالم الزنوجة والحضارة الزنوجة »

ويورد سنفور تعريفا آخر للزنوجة :
هي الاعتراف البسيط بكوني زنجي ،
والقبول بذلك وبصير الانود ضمن
تاريخه وثقافته ... »

فموضوعنا الزنوجة : ثقافة ، أى هي
مجموع القيم الاقتصادية والسياسية
والثقافية والاخلاقية والفنية ... ان هذه
القيم ليست قيم شعوب افريقيا السوداء
وحدها بل اقلية امريكا وآسيا ، هذه
القيم التي جعلت علماء الاجتماع من
انتوغرافيين واتولوجيين وكذلك
المؤرخون يهتمون بالحضارة الزنوجة ،
ومكنتهم من القيام بمقارنات بين
مختلف الاقليات الملونة

■ عرض المجالات الانجليزية ■

ان هذه العملية ليست جديدة اذ
نجد اليونان في العصور القابرة تتكلم
عن هذه القيم المشتركة والعلاقة التي
تجمع هذه الاقليات الملونة ..
وفاثيا هي قبول هذه الحالة والعمل
على احيائها وتطويرها ان هذه
النظرة التاريخية هي في الحقيقة العودة
الى الاصل والارتكاز على قاعدة صحيحة
تمكن الزنجي من الانطلاق بخطى ثابتة ،
واما التطوير فهو عائد الى النظرة
التسوية اى النظرة الى الحضارة
الانسانية وهي مهنة مناضل الزنوجة «
ابن عمار الصغير

فى جنوب افريقيا :

كنيسة بيضاء كالحكومة

فى بنية الكنيسة نفسها ، فان أغلب الذين تعرضوا للهجمات أخيرا هم من البيض الذين يحتلون مراكز متوسطة فى سلم الكنيسة . واننا لم نعلم اننا لم تكن نصبح حتى رجال دين يحتلون تلك المناصب لو لم تكن من البيض ، أما السود فما عليهم الا ان يتلقوا الوعظ . وقد كان التكوين الابيض للكنيسة مساهمة فى اتمام المساعي العنصرية لجعل كل اشكال السيادة بيضاء . فالسياسة فى جنوب افريقيا ليست سوى حديث البيض فيما بينهم عن السود . وعند ما نتخطى هذه المرحلة ويصبح السود اعضاء فى كنيسة لله وليست للحكومة ، عندها يمكن أن يكون للكنيسة احترام ، فهل يصح أن تبقى الكنيسة بيضاء كالحكومة وممثلة لجميع السكان فى آن واحد ؟ .

كتب الاب جون ديفز الذى طردته حكومة جنوب افريقيا لآرائه الدينية فى المشكلة العنصرية كتب فى جريدة الاوبزيرفر اللندنية يقول :
« لقد اعلنت حكومة جنوب افريقيا الحرب

على الكنيسة أيضا . غير ان الكنيسة ليست قوية ولا متحدة فى معارضتها لايديولوجية وعنق نظام جنوب افريقيا . وهناك كثير من اعضاء الكنيسة الذين يتقمصون شخصية الارهابيين اكثر من دفاعهم عن الضحايا ووقوفهم ضد النفي والغارات ومختلف أنواع الاستفزاز . وقد إتلفت الكنيسة الى حد كبير . وستجد صعوبات متزايدة فى أداء دورها كناسح وواعظ انساني اذا حرمت عليها النزعة الانسانية فى وعظها .

غير أن الامر يتطلب قبل كل شيء ادخال تغيير

متاعب البابا

والبروتستانت . وقد اطلع البابا بعض محدثيه من الحجاج على أفكار اعتبرها عدد من البريطانيين مساهمة فى زيادة خطورة الحالة ، اذ قوت معنويات الكاثوليكين الارلنديين واثارت السخط لدى غيرهم . فلماذا يصر البابا على التدخل فى الشؤون البريطانية ؟ ان الباباوات يعتبرون الفاتيكان غير ذات حدود جغرافية وقد تمودوا ان يكون لهم موقف فى الشؤون السياسية . وبالتالي لا يستطيعون ان يشذ عن القاعدة .

وكتبت جريدة الايكونومست البريطانية تقول تحت هذا العنوان :

« ان ما يجرى فى اولستير يقلق البابا كما يقلق كثيرين من غيره . وفى هذا العالم الذى تميزه الاعتبارات السياسية أكثر من غيرها ، لا يستطيع البابا بول أن يتجاهل أن المشكلة القائمة فيها شحنة دينية قد تكون وراء كل اسباب الصدام الاخرى بين الكاثوليك

والبابا بول باعتراقاته نفسه رجل تؤرقه المتاعب وهو يتابع تطورات منطقة نفوذ الدينية قبل انعقاد الملتقى 212 للقساوسة الذي يشبه الى حد كبير برلمانا رومانيا كاثوليكيًا والذي ينعقد في 30 سبتمبر .

وليست العلاقات الخارجية وحدها هي التي تقلق ليالي البابا . ولم يكن سابقوه يتمتعون بسمعته في مناطق كثيرة من العالم ، وحتى عدد

من القادة الشيوعيين أنفسهم مضوا الى حد الاشادة بمساعي البابا من أجل السلام . ولكن المباركة التي تنالها سياسته الخارجية من اطراف عديدة لا تقارن بما تثيره الازمة الداخلية للكنيسة من متاعب . فقد أصبحت التحولات وعدم التأكد من سمات الكنيسة الكاثوليكية . ويفرح عدد من الكاثوليكين ويرون في ذلك دليلا على اصلاح جديد داخل الكنيسة التي تطالب الآخرين بالاصلاح .

سلام العقل

عند ما اكون أستاذًا زائرا في أحد مدارس الطب النفساني ، وربما تكون خمسة أيام اقضيها محاضرات في ندوة عاتمة على شواطئ اليونان تتخللها زيارة آثار الحضارات التي سبقتنا بآلاف السنين . وربما تكون عطلة اسبوع اقضيها مع العائلة والاطفال الذين تابعت نموهم ، وربما تكون زيارة لايران أو دراسة للمرسوم على جدران برج بابل بالعراق . وانني لا أجد الحياة مرهقة بحيث احتاج للراحة من أجل الراحة . وانما أريد أن أتأكد انني أقوم بانجاز عمل معين في وقت معين . ان احصل على التغيير . ذلك انني لا انتمى الى جيل اللحظة كالطفل ، ولقد تعلمت أن أنتظر . وقد دعم السفر بالسفن عبر المحيط عادة الانتظار المفيد في نفسى .

وتحت عنوان « سلام العقل » سئلت العاملة الاجتماعية من طرف مجلة لوك عن الطريقة التي تحقق بها السلام لعقلها والطريقة التي تعتبرها مفضلة في نظرها لمنح العقل هدوءا ضروريا وسط مشاغل الحياة . فقالت الكاتبة التي تقوم الآن ببحث جديد في غينيا الجديدة .

« اننى أخطط لحياتي بحيث أتجنب الاضطرابات والمفاجآت . وادرك اننى خلال وقت معين ، ثلاثة اشهر أو عام سأكون مشغولة بانجاز عمل ما . وان هذا العمل يتطلب بالضرورة ادخال تغيير في الزمان والمكان . وبحيث أتجنب الوقوع في وتيرة واحدة . وربما يكون هذا العمل عبارة عن عشرة أيام هادئة للغاية أتفرغ فيها للكتابة

الامريكيون يعطون للشيطان حقا

النظم الديمقراطية حقا والولايات المتحدة خاصة هو الايمان بالشيطان . . واذا كان قليل من الامريكيين خارج عروة الانجيل مستعدون لاعطاء

قال الفيلسوف السويسرى دوشى دو رجمون في دراسته الكلاسيكية عن « الشيطانية » فى المجتمع المعاصر قبل ربع قرن : « ان ما ينقص

فى مرتكبيها .

وفى الشهر الماضى فقط ارتكبت كيم براون
وهى من اتباع الشيطان وتقسم به انها راته فى
حفلة سوداء , جريمة قتل فى شخص عجوز يبلغ
من العمر 62 عاما اذ طعنته حتى الموت وقالت
للمحكمة : « لقد تمتعت بذلك » وهى ما تزال
تؤدى الطقوس للشيطان فى زنازنتها بسجن
ميامى , وقد قضت محكمة ميامى للمقاتلة الشقراء
بسبع سنوات سجن فقط , وهو حكم ضعيف
أكدت عند ماسمعه انه جاء بفضل تدخل الشيطان
لدى المحكمة .

وجريمة الآنسة براون هى الاولى التى ترتكب
فى هذا الصيف باسم الشيطان وتحاول الشرطة
وعلماء النفس الذين درسوا جميع الجرائم التى
ارتكبت أن يرفضوا العناصر الشيطانية فيها ,
ويلجوا على أنها ناجمة عن خلل عقلى .

الشيطان حقه فان عشرات الالاف اليوم فى
الولايات المتحدة بعضهم ممن ينتمون للطبقة
المتوسطة وحملة الشهادات الجامعية غارقون
فى الشيطانية والاشكال الاخرى للسحر الأبيض
والأسود .

ويعزى هذا الاهتمام بالمذهب الشيطاني من
جهة الى طفو الافكار والسلوكات التى كانت تمارس
فى الكتمان ومن جهة أخرى للنشوة البى يبرها
الادمان على المخدرات . ولكن هذا المذهب
انتزع اكثر انصاره من الايمان الاعمى بالقسوة
الشيطانية فى هذا العالم الذى نادرا ما تنتصر
فيه ارادة الخير .

وأتباع الشيطان الجدد شأنهم فى ذلك شأن
أول الاتباع لمذهب جديد يخاولون أن يكونوا
عملين . وقد أدى بهم ذلك الى ارتكاب أعمال غتف
جنسية وجسدية ربما كانت تؤدى فى ظروف
أخرى بالولايات المتحدة الى عقوبة وقف الحياة





نص الكلمة التي ارتجلها وزير العدل الدكتور بوعلام بنى عمودة بمناسبة الذكرى المئوية لثورة بنى مناصر

فيجدر بنا في هذا المقام ان نقرح على ارواح
جميع الشهداء الذين سقطوا في ميدان الشرف
لتحرير الوطن ولاعادة العزة والكرامة للشعب
الجزائري ، فيفضل تضحياتهم نحن هنا نحتفل
بالحرية وتحت ظل الراية الجزائرية بكل مجد
وعز . وقبل ان ندخل في صميم الموضوع يجدر
بنا ان نوجه الشكر الخالص للسلطات المحلية
التي نظمت هذا الاحتفال وبذلت مجهودات
كبيرة ، كما نخص بالشكر سكان هذه الناحية
الذين تجمعوا في هذا المكان ، وربما كثير منهم
قد مشوا مسافات شاسعة في الجبال ليصلوا
الى هذه القرية .

بسم الله الرحمن الرحيم ،

والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ،

اما بعد ، ايها الاخوان ، اننا جئنا لهذه
القرية تلبية للدعوة التي وجهت الينا من طرف
بلدية شرشال وبلدية امناصر لمشاركتكم في
الاحتفالات بعيد الثورة - ثورة ١٨٧١ - كما
شاركنا سكان الشرق الجزائري في الاحتفالات
بنفس الثورة التي قامت بقيادة البطل الشيخ
محمد المقراني .

أقيم هذا الاحتفال ببلدية بنى مناصر يوم 17 جوان 1971

فثورة ١٨٧١ لم تكن ثورة مقصورة على عائلة المقراني كما ادعى بعض المؤرخين ، والدليل على ذلك وجودنا هنا ، فالثورة لم تكن مقصورة على بلد ، على ناحية من نواحي القطر الجزائري ، بل انتشرت الى باتنة وانتشرت الى سوق هراس وانتشرت الى الاغواط وانتشرت كذلك الى ناحية مزاب الخ . . . الثورة اذن كانت ثورة وطنية لا ثورة عائلية تهدف الى اهداف مادية او الى اهداف دنيوية ، انما المقصود منها هو تحرير الوطن ، والظروف آن ذك واضحة ، فرنسا كانت قد خسرت في حربيها مع الالمان في المعركة الشهيرة تسمى (سدان) والشعب الجزائري الذي لم يضع السلاح ابدا ولم يتوقف تماما عن المقاومة اخذها فرصة سانحة لتحرير الوطن نهائيا من الاستعمار الفرنسي ، وهذا دليل يفسر لنا لماذا رفع الشعب الجزائري السلاح في السنة بالذات أي سنة ١٨٧١ وذلك بعد أشهر قليلة بعد انهزام فرنسا ازاء الالمان .

نبذة من تاريخ الجزائر :

اذن ثورة ١٨٧١ ثورة وطنية ربما يعرض الكتب لم تذكر انه وقع اتصال بين النواحي المختلفة ولكن من جهتنا لانستبعد ذلك ، لانستبعد ذلك لان بعض الاقوال الشعبية تذكر بأن كثيرا من الاخوان في الشرق الجزائري التجأوا الى هذه الناحية بعد ان هزموا بالشرق الجزائري والتجأوا إلى هذه الجبال واستقروا في هذه

الناحية ، ولكن المطلوب من المؤرخين الشبان - الشبان الجزائريين - ان يعيدوا النظر في هذا التاريخ ويعيدوه الى الحقيقة الموضوعية . ان الشعب الجزائري لم يضع السلاح ويكفينا دليلا على ذلك ان النظام المدني لم يحدث الا سنة ١٨٨٠ كان النظام السائد في الجزائر نظاما عسكريا ، معناه ان فرنسا كانت محتاجة الى الشدة والى العنف للاستقرار في الجزائر . والمعارك التي خاضها الشعب الجزائري قبل سنة ١٨٧٠ معارك عديدة ، وحتى في هذه الميادين ، فالامير عبد القادر نفسه قاد معارك عديدة ولحق دروسا قيمة بفضل الحرب التي شنّها على المستعمرين وقد كافح ١٧ سنة قبل ان يتوقف عن الكفاح لان بعض الدول الشقيقة خانته في ذلك الوقت هذا هو السبب ، ولكن الشعب والامير عبد القادر قد ادوا واجبه نحو الوطن ، ولم يضع السلاح الا امام القهر والاضطهاد الفرنسي ، وهذا لايعني ان الثورة انتهت بتسليم الامير عبد القادر ، فالتاريخ معروف هناك ثورة البابور ، وثورة بوعمامة ، وثورة اولاد سيدي الشيخ ، وثورة الاوراس ، وثورة الجنوب في (الصحراء) سنة ١٩١٦ ، والمجزرة الرهيبة التي قام بها الاستعمار في ١٩٤٥ ، وبعد ١٩٤٥ هناك النهضة الكبرى وهي ثورة أول نوفمبر ١٩٥٤ .

الشواهد التاريخية اذن كبيرة تبرهن كلها على ان الشعب الجزائري معروف بهذه السمة

والسمة التي اتسم بها وتبين ان الشعب الجزائري له روح الكفاح وروح المقاومة ، لان الشعب الجزائري حتى قبل الدخول الفرنسي لم يخضع ولم يرض بالدخول الاجنبى بما فيه الدخول الرومانى والدخول الاسبانى ، لم يرض بالدخول الاجنبى فى ارضه ، اذن هذه الروح - روح المقاومة - برزت فى سوابق عديدة وخاصة فى ١٨٧١ ، وفى هذه المناسبة من الملائق ان نعطي بعض التوضيحات وبعض التفاصيل والحقائق فنزيل الغموض فى هذا الميدان اي ميدان سنة ١٨٧١ ، وكذلك لتتير الازمان .

الذاكرة الشعبية واثرها فى الثورات العديدة :

ومن الجدير بالذكر ان الذاكرة الشعبية لم تنس هذه الثورة ، وقد اخبرنا الشعب ان ١٨٧١ كانت وقعت ثورة فى هذه الناحية ، وكانوا يعرفون كل اسماء الشهداء ، ويعرفون كذلك كل اسماء الخونة وهذا معروف ، وأتيحت لنا الفرصة حين اتصلنا بالشعب فى هذه الناحية ان نرى مقبرة الشهداء فى ناحية بوحرب ، العظام اي عظام الشهداء رايناها باعيننا فى ناحية بوحرب وقد اكد لنا الشعب آنذاك ان هذه الرفات وهذه العظام هى عظام المجاهدين لسنة ١٨٧١ ، وكذلك حينما قامت البلدية فى امناسر بتسجيل بعض الاقوال ، اقوال الشهود ولا سيما الشيوخ الذين تجاوز عمرهم ١٠٠ سنة (منهم شيخ فى عمره ١١١ سنة) استمعت بنفسى الى التسجيل

الذى قام به هذا الشيخ ورايت ان الاقوال التي فاه بها هى اقوال توافق ما قرأناه فى بعض الكتب ، اذن ذاكرة الشعب ذاكرة قوية ، وتدل على ان الشعب الجزائري لم ينس تلك الايام ، ايام ثورة ١٨٧١ ، لان كل سكان الناحية فى تلك السنة قروا الى الغابات التجأوا نساء واطفالا وشيوخا مدة شهور فى هذه الغابات المجاورة ، هذه الثورة كان لها صدى وكل السكان سمعوا بان هناك ثورة قام بها المقرانى والشيخ الحداد رحمهم الله ، قالوا يجب علينا كذلك ان نتحرك وفرنسا قد خسرت الحرب مع الالمان يجب ان نرفع السلاح لخراجها نهائيا من هذه الارض الطيبة . اجتمع سكان هذه الناحية فى سوق الاحد وعلنوا الجهاد ، أعلنوه بصفة رسمية ، وقالوا نحن نرفع السلاح لنجاهد فى سبيل الله ، ولنحرر الوطن من هذه القوات الاستعمارية المحتلة ، وبما ان كل حركة ثورية تحتاج الى رئيس ، فكروا فى تعيين شيخ من الشيوخ ومناضل من المناضلين وهو الشيخ مالك البركاني رحمه الله .

زيارة الامير عبد القادر الى ناحية شرشال :

وقد شاع فى الناس كذلك فى هذه الناحية بان الامير عبد القادر رحمه الله جاء الى شرشال وصلى بالمسجد الذى أصبح مستشفى والذى أصبح منذ هذه الصبيحة يحمل اسم الشهيد

واتجهت كذلك المعركة الى حمام ريفة بكل شدة حتى أصبحت المواصلات بين شرشال وقورايا مقطوعة وبين شرشال وحجوط مقطوعة ، وكل الطرق المؤدية الى شرشال مقطوعة ، وهذا دليل على شدة المعارك .

رد فعل فرنسا :

انقسم المجاهدون الى أفواج فمنهم من اتجه الى شرشال ، ومنهم من اتجه الى امناصر ، وهاجموا كل هذه النواحي ، ووقعت معارك عديدة القى القبض على عدة أسرى ، واستشهد من استشهد وبأدروا الفرنسيين بالهجوم ، وأخذوا كل احتياطاتهم ، وربما كان يمكن في ذلك الوقت ان يحتلوا مدينة شرشال وغيرها من المدن وكان رد فعل فرنسا قويا وشديدا ، فأحرقت الديار وقطعت الاشجار مثلما فعلت في الحرب التحريرية وفضل المجاهدون ان تقع المعركة الحاسمة في العناصر ، وكلكم تعرفون ما وقع في معركة العناصر عند ما التقى الجيشان حيث تغلب فيها الفرنسيون ، والعناصر له تاريخ حافل في الحرب التحريرية ويعترف شاهد فرنسي بان الحياة الزاوية كانت مغروسة بأشجار وكانت غنية ، وفي صورة أنيقة وجميلة ، وكل هذه الخيرات أحرقت وأتلفت باعتراف الكولونيل الفرنسي واضطر الشعب الى الفرار ، والى الالتجاء بالغابات ، ولكن يجب ان نقول بان الشعب كان يعتبر هذه الثورة ثورة وطنية وانها خلفت بذورا للثورة

مالك البركاني ، واتصل بسكان الناحية وطلب منهم ان يعينوا له مناضلا ورجلا في هذه القرية ليسيئ خليفه له ينوب عنه في ناحية المدينة وعينوا له سيدى محمد بن عيسى البركاني وعاش عشرة سنين وهو في المدينة ، وحينما احتلت فرنسا مدينة المدينة لم يضع السلاح هو كذلك ، بل خاض المعارك بضواحي المدينة مع الامير نفسه ، ومعركة كبيرة وعنفة فقد فيها الجيش الفرنسي المئات ، وققد فيها كذلك الجيش الجزائري تحت قيادة الامير عبد القادر وسيدى محمد بن عيسى البركاني المئات ، وكان يخوض المعارك بنفسه .

وصف المعارك الطاحنة :

وحينما دخل الفرنسيون الى ناحية المدينة فر الى ناحية امناصر ويوم احتلت فرنسا مدينة شرشال رجع سيدى محمد بن عيسى البركاني واتصل بسكان امناصر وكون جيشا وهجم على مدينة شرشال هجوما جديدا كان ذلك في سنة ١٨٤٨ ، هذا اذن يبين بان الشعب الجزائري لم يضع السلاح أبدا ، وفي ١٨٧١ حينما وقعت المعركة - المعركة الرهيبة - فوج توجه الى الجبل وفوج توجه الى مدينة شرشال وفوج آخر الى سيدى اعمر ، وهاجموا الناحية هذه وهاجموا كذلك حجوط ، والمعركة امتدت الى حمام ريفة وحتى الى شعبة « القطاع » اذن الهجوم وقع على حجوط ، على سيدى اعمر وكل الناحية

الكبرى .

مساهمة الناحية في الثورة التحريرية الكبرى :

وحين اتصلنا بالشعب في هذه الناحية لم ينس ثورة ١٨٧١ وارتكنا في الدعاية السياسية التي قمنا بها في اطار جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني في هذه النقطة بالذات لنذكره بالتضحيات التي قام بها اجداده وبهذه المناسبة يجب ان نعلن ان هذه الناحية بصفة عامة بقطع النظر عن بعض الافراد الخونة ولكن بصفة عامة بان الناحية كلها كانت تساند الثورة الكبرى ؛ وكانت مع جيش التحرير الوطني ، وقد قبلت كذلك التضحيات ، فهذه الناحية كانت لها مساهمة كبيرة في تحرير الوطن وكذلك تضامنا مع النواحي الاخرى ومع الشعب الجزائري بأكمله ، هذا الجهود الذي بذله اجدادنا قد اتي بالثمار .

انجازات الثورة :

وهذه الثمار قد ظهرت سنة ١٩٦٢ حينما انتزع الشعب الجزائري بالقوة وبقوة السلاح الاستقلال الوطني ، والحرية والكرامة ، هذه الثورات كلها تبلورت في سنة ١٩٦٢ واستطاعت الجزائر بفضلها ان تحقق النصر وان تحقق الاستقلال ، وبعد الاستقلال لم نكتف بالاراية ولم نكتف بالاستقلال الصوري بل تجاوزناه الى الاستقلال الاقتصادي واعطينا محتوى لهذه الثورة حين استرجعنا الخيرات كلها ، وحين استرجعنا

المصانع وقررنا ان نستغل المواد الخام بانفسنا حتى لا نكون في تبعية بالنسبة للخارج وقررنا كذلك ان نحول هنا في الجزائر كل هذه المواد وذلك بفضل الاطارات التي نكونها يوميا ، والدليل على ذلك العدد الضخم من التلاميذ بالمدارس الابتدائية والثانوية والمدارس العليا ، والمدارس الفنية التي تشيد الآن في الجزائر المستقلة ، والمحتوى الآخر الذي اعطيناه لهذه الثورة المجيدة هو محتوى اجتماعي ، فعزمتنا كل العزم على تحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد وعلى تحقيق العدالة الاجتماعية بين الجهات ، ويمكن لنا ان نقول : ان سياسة العدالة الاجتماعية بين الجهات قد اعطت الثمار لاننا زرنا الولايات التي منحت لها برامج خاصة واستطعنا ان نطلع على التقدم السريع الذي احرزته هذه النواحي ، وعلى الوجه الجديد الذي اكتسبته هذه النواحي بفضل البرامج الخاصة التي حظيت بها .

ويسرنا بهذه المناسبة ان نعلن ان الاخ هواري بومدين قد اكد لنا امس ان ولاية الاصنام ستتمتع ببرنامج خاص في السنة القادمة . وهكذا تستجيب السلطة الثورية للامال التي كان سكان هذه الناحية يعقدونها عليها وهم متعلقون دائما بمبادئ هذه الثورة ، ومتعلقون كذلك بسلطانها الثوري ويؤمنون بان السلطة الثورية لم تتسهم وان السلطة الثورية ستحقق الاهداف التي سقطت من اجلها اكثر من مليون شهيد . والسلام عليكم ورحمة الله .

نص الكلمة التي ألقاها الأديف مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية بمناسبة الذكرى المئوية لثورة بني مناصر

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أمام المرسلين ،
حضرات الاخوة :

اود ان اسجل دعوة الاخوان باحر الشكر لجميع السلطات المحلية
هنا ، وكذلك للجماهير التي اقبلت على هذا الاجتماع ، اقول الشكر على
هذه الفرصة التي هيات لنا لزيارة هذه الجهة أولا ، وكذلك للمشاركة في
هذه المناسبة التاريخية العظيمة .

ولقد سبق لنا ان شاركنا في بعض هذه المناسبات بالاحتفال بهذه الحلقة
من الحلقات الكبرى للكفاح التحريري لشعبنا على مر العصور وهو حلقة
1871 . اقول شاركنا في الحلقات الاولى في الشرق الجزائري في صدوق
مسقط رأس الشيخ الحداد ، والمكان الذي اعلن فيه الكفاح من طرف الشيخ

الحداد في سوق صدوق ، وكذلك مجانية في المكان الذي اعلن فيه
المقراني الكفاح يوم 14 مارس 1871 ، وفي القلعة كذلك حيث دفن المقراني .

اقول لقد سبق لنا ان شاركنا في هذه المناسبات التي يرجع الفضل
فيها كله الى السلطات المحلية هناك ، والى جماهير المواطنين ، كما هو الحال
ايضا في هذه المناسبة حيث يرجع كل الفضل الى السلطات المحلية هنا
على مستوى الولاية ، وكذلك الى جماهير الشعب التي شاركت المشاركة
المباشرة في انجاح هذا الاحتفال العظيم .

بينهم اذ ذاك في فرنسا ، في البرلمان الفرنسي
وفي الصحافة وفي غيرها ، وفي الجيش الفرنسي
ايضا ، فبفضل تلك المعارضات والخصومات
والتنازعات بينهم استطعنا ان نتمتع بشيء من
الحقيقة التي نجدها في بعض مصادرهم ، فبعض
هذه المصادر تزينة للواقع ، لا اخلاصا للحقيقة
ولكن بحكم الواقع الذي ذكرناه ، بفضل هذه
المصادر استطعنا ان نعرف جزءا كبيرا من حقيقتنا
وهي ان هذا الشعب الذي كان دائما رمزا للكفاح
اثناء التاريخ الطويل كان ايضا في ثورة 1871
كما كان قبلها منظما ومنسقا للثورة ، وموحدا
ومجمعا على الكفاح . ومجمعا على الجهاد ، لانه كما
قال الاخوان من قبل ايضا ، وفي الواقع لم يبق
لي كلام كثير اقله في هذا المجال لان الاخوان من
قبي قالوا كل ما يمكن ان يقال ، ولكنه تأكيد
فقط ، وذكر بعض التفاصيل فقط للجوهر الذي
كانوا قالوه . اقول ان هذه المناسبة ايضا التي

كفاح 1871 كما قال الدكتور ابن حمودة لم
يكن مقتصر على جهة من جهات الوطن ، كما
أكد وظل يؤكد الاستعمار ليبين ان هذا الشعب
كان غير منظم ، وبان هذا الشعب مجموع اثنيات
من شعوب وقبائل متنافرة وفوضوية غير منظمة .
الحقيقة غير ذلك ، الحقيقة كما اكدته مصادر
تاريخية فرنسية ايضا ، لانه اذا كان هناك من
المصادر الفرنسية ما كان أغلبها مزورا ، ومحرفا
للتاريخ ، فهناك بعض المصادر القليلة حقيقة التي
اثبتت الحقيقة ربما لا اخلاصا للحقيقة ولا نزاهة
علمية منها ، ولكن نظرا للمعارضة الشديدة ،
نظرا للخصومات بين الاحزاب السياسية اذ ذاك ،
بين الاتجاهات المختلفة ، بين السلطات الفرنسية
اذ ذاك ، ولهذا اضطر البعض من المؤرخين
الفرنسيين ليفضحوا بعضهم بعضا الى قول الحقيقة
في الجزائر .
اذن فبفضل المعارضات والخصومات التي كانت

أناحها لنا بنو مناصر ، وهى مناسبة تدشين مسجد وربط تدشين المسجد بالاحتفال بذكرى ثورة 1871 أقول فى هذا الربط ، فى هذا الجمع بين الشيتين وهما فى الواقع شئ واحد ، أقول فى هذا الجمع أكثر من مغزى وأكثر من معنى وأكثر من رمز ، لان ثوراتنا المتعددة كلها قامت باسم الجهاد ، باسم الاسلام .

هذا هو الواقع ، فالمجاهدون منذ الامير عبدالقادر كانوا ينظمون جهادهم باسم الاسلام ، وكانوا ينظفون مقاومتهم وتحريرهم للبلاد باسم الاسلام . فبيعة الامير عبدالقادر نفسها ، وبيعة أبيه محى الدين ، كانت فى مسجد البيعة فى مدينة معسكر الآن ، ولا يزال المسجد قائما .

تقرر ذلك فى المسجد ، فى الجامع قرروا بيعة الامير عبدالقادر ، ما معنى البيعة ؟ أى تكليفه بالدفاع عن شؤون المسلمين ، ولهذا كان الامير عبدالقادر يعتبر نفسه دائما أميرا للمؤمنين للجهاد ، لا أميرا للمؤمنين كما يفعل البعض لاستغلال النفوذ ... الخ . ولكن للدفاع عن الامة للدفاع عن الاسلام .

وكان المجاهدون خلال التساريح الطويل ينظمون جهادهم باسم الاسلام أيضا ، فتوار 1871 فى مختلف جهات البلاد ، حتى تلك الثورات التى قامت تحت قيادة بعض النساء الفاضلات ، مثل

مقاومة جبال جرجرة فى سنة 1857 وفى 1871 . كانوا يسمون أنفسهم بالمسبلين ، ما معنى المسبلين ؟ وهو اسم بقى لنا أيضا فى ثورتنا الاخيرة : المسبل معناه الذى ضحى وقدم نفسه فى سبيل الله ، فى سبيل الدين ، فى سبيل الدفاع عن البلاد فى سبيل الدفاع عن الامة .

اذن ففى هذا الربط الذى رمزت اليه اليوم وهو تحقق منذ زمن طويل وأعطى مغزاه اليوم بنو مناصر ، بفضل هذا الجمع بين تدشين المسجد والاحتفال باستشهاد البطل مالك البركانى أقول أكثر من مغزى ، فالكفاح فى الواقع لم يقف عند نقطة معينة من البلاد ، فقد كان دائما ممتدا وشاملا كما قال الاخوان من قبل وأكد عليه الدكتور ابن حمودة .

فتورة الامير عبدالقادر كما تعلمون شملت البلاد كلها من الحدود الى الحدود ، فقد كان له خلفاء ، كان يسميهم خلفاء منهم محمد بن عيسى البركانى القريب لمالك البركانى ، فكان يسمى خلفاء فى جميع جهات البلاد ، أى ولاية ، كانوا ولاية فى جميع أنحاء البلاد ، وكان ذلك الكفاح قد نظم تنظيما محكما ، وكانت له مصانعه التى صنعت حتى المدافع .

فعندما قضت القوة الجبارة ، القوى المادية الفاشية على كفاح الامير عبدالقادر ، هل وقف

الكفاح عند ذلك الحد ؟ لم يقف بل استمر على حلقات محكمة . حلقات منتظمة متواصلة مستمرة . فقد كانت ثورة بومعزة ، ثورة بوبغلة ، ثورة بوعمامة ، ثورة أولاد سيدى الشيخ ، ثورة لالا فاطمة نسومر ، ثورة المقراني والحداد ومالك البركاني ، وابراهيم البركاني ، وناصر بن شهرة فى الصحراء وبومزراق فى الصحراء أخرى المقراني ، وبوشوشة وغيرهم .. وغيرهم .. فقد استمر ذلك الكفاح على حلقات متواصلة .

ولنرجع الى ثورة 1871 . لقد انطلقت - كما تعلمون - فى الشرق الجزائرى ، انطلقت فى سوق اهراس بالمناوشات كما يقول الاستعمار ، بمناوشات وطلقات نارية ، وفى نفس اليوم استمرت الى ميله ، والميلية ، وعين البيضة . واستمرت الى التمامشة والحناششة فى الاوراس واستمرت الى الجنوب . وفى آخر سنة 1870 قبل أن تبندى ثورة 1871 كان ناصر بن شهرة فى الصحراء ينظم الكفاح ، كان بدأ بالكفاح فعلا . وكان معه مصطفى بوشوشة كذلك فى الصحراء أيضا . وقد انضم اليهما محبى الدين بن الامير عبد القادر وهو الابن الثانى للامير عبد القادر ، جاء من سوريا لينضم الى هذا الكفاح . واستمر ذلك الكفاح فى أماكن محددة فى الواقع ، ولم ينظم على مستوى البلاد كلها . كان منظما هناك فى مناطق محدودة ولكن كان يهيئ لتنظيم أشمل وأعظم ،

وهذا التنظيم الأشمل والأعظم فى الواقع انطلقت شرارته الاولى فى 14 مارس . وكما قال الاخوان من قبل لقد بدأ التنظيم لها باتصالات على مختلف البلاد ، اذ لم يشمل الجهاد فى اليوم الاول مختلف انحاء البلاد . لقد كان التنظيم والاستعداد يشمل مختلف انحاء البلاد كما تدل على ذلك الكتب الفرنسية نفسها ، لا أذكر منها الا مصدرين أو ثلاثة ، مثلا كتاب « ثورة 1871 » للكولونيل روبين ، وكتاب « ثورة 1871 » كذلك للكولونيل رين . تجدون هناك التفاصيل الكثيرة مع ارادة التزوير والتشويه والمسخ للحقيقة .

ولكن هناك تفاصيل تبدو من حيث يريدون أو لا يريدون تفاصيل حقيقية . وفى 14 مارس ، وقبل 14 مارس فى يناير (جانفى) اتصل المقراني وكان باشاغا اذ ذاك . كان باشاغا معناه كان يخدم الاستعمار . كان باشاغا فى مجانية وكان حكمه يصل حتى الصحراء . ووصل الى درجة باشاغا طبعا ولكن لا ينبغي كما قال الدكتور ابن حمودة قبلى ، لا ينبغي أن ننجر وراء الذين يريدون أن يمسخوا تاريخنا فى الخارج . ولا وراء أولئك الاخوان المواطنين الذين اغتسروا ببعض المصادر الفرنسية . ويقولون ان فلانا ثار لانه رأى نفوذه الشخصى قد مس. ورأى سلطته بدأت تتحدد . ورأى نفوذه بدأ بالافول . ليس صحيحا ذلك ، يقولون ان المقراني ثار وكان باشاغا لدى

الابطال ولا أذكر منهم الا اثنين . مثلا المقراني والشيخ عزيز لقد أرسلوا الرسائل في يناير (جانفي) 1871 قبل أن تبتدى الثورة بأشهر الى مختلف جهات البلاد يقولون أن فرنسا الآن - كما قال الدكتور ابن حمودة من قبل - في وحلة - كما نقول - في حصلة ، في حضيض ، في الوحل ، وهذه هي الفرصة لاستئناف الكفاح . هذه الرسائل موجودة في مصادر تاريخية ، وكذلك كانوا يقولون أن مالك البركاني ثار لان فرنسا لم تعينه رسميا ، ولكنه عندما وجد فرصة أولى ، أولا كان رفض في الاول ، رفض أن يقبل أى وظيف مؤقت أو دائم ولكن عندما فرض عليه الوظيف المؤقت كان ينظم الثورة ، والكتب الفرنسية نفسها تشهد ، قبل الوظيف المفروض عليه وفي نفس الوقت كان ينظم الثورة . كان يهيئ وينظم ويسير ، هذه هي الحقيقة . وكثير من اخواننا يتأثرون ببعض المصادر الفرنسية ويقولون ان فلانا وفلانا ثار لاغراض شخصية ليس هذا صحيحا .

أعود اذن الى الشيخ الحداد ، أقول بعد أن أعلنها المقراني في 14 مارس 1871 في داره بمجانة ، في دائرة برج بوغريريج ، جاء بنفسه مع الشيخ عزيز ولد الشيخ الحداد الى صندوق ، والشيخ عزيز اذاك كان - كما قلت من قبل - آغا في عين الكبيرة فجاء ليقنع الشيخ الحداد ، والشيخ الحداد كان في خلوته ، في غرفة صغيرة جدا لا يكاد يقف فيها أربعة أو خمسة

فرنسا وكانت فرنسا تريد أن تنتزع منه أرضه . يقولون أن مالك البركاني ثار لان فرنسا لم ترد أن تعينه تعيينا رسميا كقائد في بنى مناصر ، ويقولون أن بوشوشة وناصر بن شهرة - وكانا قائدين أيضا في النظام الفرنسي - ثارا في الصحراء لان فرنسا كانت تريد أن تنتزع منهما هذا المنصب ، وثار بومزراق أخو المقراني لان فرنسا كانت تريد أن تنتزع منه منصبه كأغا في ناحية المنصورة ، وثار أبناء الشيخ الحداد عزيز ومحمد لان عزيز كان قائدا في عين الكبيرة وكانت فرنسا تريد أن تنتزع منه منصبه ، وثار أخوه محمد لان فرنسا كانت تريد أن تنتزع منه منصبه كقاض بالمنصورة ، وثار الشيخ الحداد نفسه وهو الذي تجاوز عمره الثمانين سنة لان فرنسا كانت تريد أن تنتزع منه نفوذه ، وثار آخرون في فاتح نوفمبر 1954 لانهم كانوا يريدون مناصب ، منهم من يريد منصب خوجة ، ومنهم من يريد منصب قائد ، ومنهم من يريد منصب آغا ، ومنهم من يريد منصب شامبيط ... الخ .

هذه هي الدعاية الفرنسية ، ليس هذا حقيقة أبدا ، التاريخ يثبت أن كثيرا من هؤلاء استشهدوا في سبيل القضية التي كانوا يريدون أن يناصروها ، وإذا قبلوا بتلك الوظائف لمدة معينة محدودة ، فقد كانوا ينتظرون الفرصة وأكبر دليل على ذلك بعض الرسائل التي أرسلها بعض هؤلاء

لهم : سترمى بفرنسا فى البحر كما رميت بهده
العصا ، وتقول المصادر الفرنسية انه فى اليوم
الثانى امتد الجهاد الى باتنة الى الاوراس ، وامتد
كذلك الى العاصمة فى نفس اليوم - أى فى اليوم
الثانى بعد اعلان الجهاد - وتركز الكفاح فى هذه
الجهات كلها فى شرق الجزائر من باتنة حتى
العاصمة ، وبدأ يتسلسل ويشمل جهات أخرى من
البلاد ، ولم يستمر الحال كثيرا بالشيخ الحداد
فاستشهد فى 13 يوليو بعد ان استشهد المقراني
يوم 5 مايو 1871

وماذا فعل اخوه بومزراق ؟ انه انضم الى
الصحراء من هناك بدأ يضيق الاستعمار عليه
الحناق هناك ، انضم الى ناصر بن شهرة ومصطفى
بوشوشة اللذين كانا ينظمان ويجاهدان فى
الصحراء ، انضم اليهما واستمر الكفاح هناك فى
الصحراء ، وفى اليوم الذى استشهد فيه الشيخ
الحداد بعينه أعلن الجهاد الشهيد مالك البركاني
واخوه ابراهيم البركاني فى سوق الحد بنفس
الطريقة فى السوق جمعوا جميع سكان الجهة وأعلنوا
الجهاد بهذه الصورة أيضا وب نفس الطريقة ،
أعلنوا الجهاد باسم الاسلام ، باسم الدفاع عن
الوطن ، باسم الدفاع عن الامة والوطن فى نظرها
وفى نظر كل انسان يفكر تفكيرا سليما ، لا يمكن
ان يفصل عن الاسلام لان الوطن بدون اسلام لا

أشخاص ، جاء الى تلك الغرفة المظلمة وهو فى
خلوة يتدين فيها ، وقد جاوز الثمانين سنة ،
وكان مشلولاً ، عند ما دخل اليه فى تلك الغرفة
المقراني وابن الشيخ الحداد نفسه الشيخ عزيز وجدا
لديه اثناء مفطى لم يكونا يعلمان ما فيه ، ولكن كان
واضحا ان فيه طعاما ، فقال له المقراني : لا بد ان
نشعل الثورة اليوم ، لابد ان نبدأ الثورة اليوم على
الاستعمار ، فقال له الشيخ الحداد الكبير فى
السن - كما قلت - المتجاوز الثمانين سنة :
اجلسا تتكلم وتفكر وتتشاور ، فقال له
الشيخ المقراني متسرعاً : أعجبك البيض الذى
يأتيك بواسطة العجائز ، وأشار بيده الى الاناء
السفير المغطى الذى لا يعلم ما فيه ، فغضب الشيخ
الحداد وقال له : كنت أود أن ننظم الثورة ، أن
نبدأ بالتنسيق وننصل بجميع الاخوان فى جميع
انحاء البلاد بالرسائل لبدأوا فى التنظيم ، الثورة
لا يمكن أن تكون هكذا ارتجالية لابد أن ننظم
قبل ، هذا ما كنت أقصده ، ولكن بما أنك صرت
تتكلم عن البيض الذى يأتينى بواسطة العجائز
انظر ماذا يأكل الشيخ الحداد ، فرفع البطء عن
الاناء فوجد فيه زيتا وخبزا من الشعير فقال :
هذا ما يأكله الشيخ الحداد ، بما أنكم تريدون أن
نعلنها اليوم فلنعلنها اليوم ، فأعلنوها فى ذلك
اليوم فى سوق صدوق ، بعد صلاة الجمعة وبعد
الذكر أعلنوها فى السوق ، ورمى بعصاه وقال

وطن . أقول استمر ذلك الكفاح حتى استشهد
مالك البركاني . امتد الكفاح من بنى مناصر
الى الصحراء الى غرب البلاد . وفي اليوم
الذى استشهد أخذ أخوه ابراهيم البركاني
الراية واستمر فى قيادة الكفاح . ولما استشهد
أخذ ابن أخيه - ابن مالك - راية الكفاح واستمر
فى الدفاع .

وحتى عندما وقف الكفاح هنا كما وقف فى
الشمال الجزائرى تحت القوة العاشمة .
القوة التى لا يمكنها أن تقارن ولا ينبغي لكم أن
تنسوا أبدا . ولا ينبغي لنا أن ننسى أن أولئك
الابطال الذين حاربوا اذ ذاك حاربوا أكبر جيش
فى الارض اذ ذاك . لان الجيش الفرنسى كان أكبر
جيش فى العالم اذ ذاك . لا جيش الصين ولا جيش
روسيا ولا جيش امريكا ولا أى جيش . الجيش
الفرنسى كان أعظم جيوش العالم اذ ذاك . جيش
نابليون . الجيش الذى دوح أوروبا كلها ووصل الى
أبواب موسكو واحتل أوروبا كلها من شرقها الى
غربها . هذا هو الجيش . هؤلاء الجنرالات روندون
RANDOM وكلوزال CLAUZEL وسوسىي . وشون

قارنىي GUIDON وبليسى PELLISSIER

والاميرال فيدون Guidon وبيجو BUGEAUD الخ .
هؤلاء كلهم كانوا المارشالات الذين حاربوا
فى جميع ميادين الحرب فى أوروبا ، حاربوا جيوش
روسيا وألمانيا وإيطاليا والسويد .. وغيرها ..

هذه الجيوش التى حاربها أبطالنا . هذه الجيوش
التي حاربها أجدادنا . حاربوا أكبر جيش فى
الارض اذ ذاك . اذن أقول لما غلبوا هنا كما غلبوا
فى شمال شرق البلاد استمر الكفاح فى الجنوب .
واذا استشهد المقراني فى 5 مايو 1871 ، وإذا
اعتقل الشيخ الحداد فى 13 يوليو 1871 ، وإذا
استشهد مالك البركاني فى 2 أغسطس 1871 ،
واستشهد أخوه ابراهيم بأسابيع . وإذا أسر ابن
أخيه - ابن مالك - بأسابيع . فان الجهاد استمر
أربع سنوات كاملة . لانه بعد أن ألقى القبض على
بومزراق أخو المقراني فى الصحراء تحت ورقة
استمر ناصر بن شهرة حتى التجأ مع عائلة
المقراني الى تونس ، ثم التجأ الى سوريا . ولكن
بوشوشة استمر فى كفاحه حتى سنة 1874 ولم
يلق القبض عليه أسيرا وجريحا الا فى سنة 1874
اذن فتورة 1871 لم تدم اياما قليلة أو أسابيع
قليلة كما يدعى الاستعمار ولم تكن قاصرة على
صدوق أو على مجانة ، أو على عين مليلة . أو على
عين البيضة . أو على بنى مناصر . ولكنها كانت
شاملة للبلاد كلها من أقصى شمالها الى أقصى
جنوبها . الى قرب تمنراست ودامت أربع سنوات
كاملة . هذه هى ثورة 1871 .

فتورة 1871 لحقتها ثورات أخرى ، فتورة
بوعامة وثورة أولاد سيدى الشيخ فى الجنوب
الوهراني دامت كذلك من سنة 1866 الى بعد 1888

هذه ثورة اولاد سيدى الشيخ دامت اكثر من عشرين سنة . فبوعمامة وصل الى ابواب المدينة وكاد يصل الى العاصمة . تحت قيادة بوعمامة وصل الابطال اولاد سيدى الشيخ من الجنوب الیهرانى حتى قرب العاصمة .

وحتى عندما غلب اولاد سيدى الشيخ فيما بعد استمر الكفاح فى جهات اخرى . استمر الكفاح فى أقصى الجنوب فى تمنراست وفى جنت تحت قيادة الشيخ أمود حتىلقى القبض عليه فى سنة 1912 . وفى سنة 1916 قام كفاح جديد فى عين توتة بولاية الاوراس وأثناء هذه الثورات المتعددة المختلفة كانت تقوم مناوشات أخرى - كما يسميها الاستعمار - هنا وهناك . أصغر من هذه بالحجم ولم تعرف كثيرا ولا نذكرها لان الحديث يطول بنا . ولكنها كانت تقوم . وهذه السلسلة فقط المحكمة الحلقات التىبتدىء من 1830 وتستمر حتى سنة 1916 كقيلة بأن نزع عن على صحة ما قاله الاكاديميه الاستعمارية الفرنسية فى جزئها الخاص بالجزائر نقول بأن الكفاح الجزائرى المسلح دام ثمانين سنة من 1830 الى 1916 . فقد رأينا ان هناك ثورة مسلحة قامت بعد 1910 وهى ثورة عين توتة فى الاوراس فى سنة 1916 . وقامت ثورات أخرى فى محال آخر لا ينبغي لنا أن ننساها . ثورات روحية . ثورات كبرى . ثورات تنظيمية سياسية

وروحية . هى التى هيات لأكبر الثورات لانها هى التى توجت وحقت نصر جميع هذه الثورات وهى ثورة فاتح نوفمبر 1954 ، قام الكفاح الذى نظمه الامام ابن باديس فى جميع أنحاء البلاد فى شمالها وجنوبها ، فى مدنها وقراها وصحاريها ، وجبالها ومضاها ، ابن باديس ما كان مكان فى البلاد الا زاده ونظم فيه نظاما تربويا حقيقيا روحيا ونظم فيه مدارس حرة . ونظم فيه لجانا ونفخ فيه روحا من روح الاسلام الحية الدائمة ، وقام بجنبه كفاح سياسى تورى كذلك لا ينبغي أن ننساه لانه استشهد فيه أبطال كثيرون جدا لا ينبغي لنا أن ننساهم . استشهد أبطال كثيرون لا يكادون يحصون . ويكفي أن نذكر منه فقط غرامة ابراهيم وكحال ارزقى وحسين عسلة وسماير فى قالة وكثيرون . وكثيرون . لا يكادون يحصون الذين استشهدوا فى السجون تحت التعذيب . كالعيسى على . الخ . لا يمكن لنا أن نحصيهم الآن لابد لتاريخنا أن يذكرهم اسما اسما . فأتنا هذا الكفاح الطويل الذى هيا للثورة تربت أجيال وتهيأت أجيال ، واستعد الشعب الجزائرى ، وعندما أعلن الابطال فى فاتح نوفمبر 1954 الذين تربوا ونشأوا وتغذوا بالغذاء الروحى الذى زرعه ابن باديس وزرعه أبطال آخرون فى التنظيم السرى السياسى النورى . فاعلنوها واستجاب الشعب الجزائرى لانه كان

مهيأ ، كان مستعدا ، وهذا هو ما ضمن الى حد كبير نجاح الثورة ، لانه كان هناك استعداد وتنظيم ثورى روحى .

اخوانى الاعزاء : هذا هو التراث الذى ينبغى لنا ان نحافظ عليه ، هذه التركة التى ينبغى لنا ان نحرص عليها كل الحرص ، لانها هى التى ضمن حصانتنا ، وهى التى تضمن ديمومتنا فى التاريخ ، ديمومة القضايا المقدسة التى ندافع عنها ، هى التى تضمننا وتحصننا من جميع مؤامرات المسخ والتجنيس والادماج التى ركزها الاستعمار علينا فى الماضى ، والتى يحاول ان يركزها علينا اليوم بطرق غير مباشرة ، بطرق تدعونا دائما الى التسامح فى كثير من الامور ، الى التحرر من كثير من المبادئ ، الى التفتح كما يقولون ، ولكن التفتح الحقيقى وهو ضرورى وهو التفتح على الحضارات العالمية اليوم ، التفتح او التقدم البشرى اليوم على مختلف لغات وحضارات العالم ، كل هذا يقوم اساسا - اذا اردنا ان ينجح - على اساس اصالتنا ، أى على اساسنا المتين ، على اساس تراثنا ، على اساس شخصيتنا ، على اساس مقومات ذاتياتنا ، على ذلك الاساس الخالد ، ذلك الاساس الذى لحصه ابن باديس فى ثلاث جمل : الجزائر وطنى ، والاسلام دينى ، والعربية لغتى . هذا هو الاساس الذى ينبغى ان يقوم عليه تفتحنا وهو ضرورى

لنساهم فى حضارة البشر اليوم ، ولنقدم قسطنا من الحضارة كما قدم اسلافنا القسط الاكبر فى الحضارات الانسانية ، على هذا الاساس فقط وهذا لا يتحقق الا بفضل رجوعنا الى الاصل ، الا بفضل ثورتنا الثقافية التى قال عنها الرئيس : انها تاج ثوراتنا ، تاج الثورتين الاخيرين ، وتاج ثورتنا الشاملة ، وتاج جميع كفاحنا والتى هى بالنسبة للثورة الاقتصادية فى الميدان الصناعى وفى الميدان الزراعى وفى الميدان الاجتماعى وفى الميادين الاخرى ، اقول ان هذه الثورة الثقافية يرجوعها الى الاصل وباعتمادها على مقوماتنا العربية الاسلامية هى تمثل الروح بالنسبة للثورات الاخرى كما هى الروح بالنسبة للجسد فاذا كانت الروح بالنسبة للجسد هى الجزء الاكبر ، فكذلك الثورة الثقافية هى التى تضمن نجاح الثورتين الاخيرين ، وهى التى تضمن دوام الثورتين الاخيرين ، وهى التى تضمن قاعدة الثورتين الاخيرين لاننا اذا ازدهرنا فقط فى الناحية الاقتصادية والصناعية والزراعية والاجتماعية وبدون روح فسنبقى معرضين ومقتوحين امام جميع التيارات المخربة ، وسنبقى فى كل وقت معرضين للفناء ، لان الامم بروحها اولا وبجسدها وبمبادئها ثانيا ، الروح هى اولا وفى الدرجة الاولى ، هذه هى النقطة الاساسية الجوهرية التى ينبغى ان نركز عليها دائما

وأظن أننا متفوقون جميعاً وإن البلاد كلها قد فهمت كل الفهم هذه الضرورة القصوى وتأخذ المثل كذلك على دول أخرى وعلى شعوب أخرى التي تحرص كل الحرص على هذه المقومات .

وبفضل حرصنا على نشئنا ، وبفضل تحصيننا لشبابنا ، وبفضل هذا السهر الدائم على هذه المقومات سنضمن نجاح ثورتنا الشاملة . وستضمن الازدهار لاقتصادنا وبلادنا التي تتمتع بجميع الامكانيات ، بكنوزها تحت الارض وفوق الارض . بامكانياتها بطاقتها التي لا تكاد تحصى . الراهنة منها والكامنة . هذه هي الحقيقة التي ينبغي ان نحرس عليها كل الحرص . لان هناك جانبين متطرفين في اتجاهين مختلفين - كما قلت - في جانب نجد اولئك الذين يدعون الى التزمّت والجمود والبقاء على نوااميس الماضي البعيد التي لا يمكن أن تضمن لنا النجاح والتي لا يمكن أن تنهض بنا في عالم اليوم ، لان الاسلام صالح لكل زمان ومكان . الاسلام فيه الاجتهاد ومن أكبر عناصر مصادر التشريع الاسلامي . من أكبر الاسس الصحيحة السليمة التي هي دائماً ثابتة . الاسلام حي وهو صالح لكل زمان ومكان . فالذين يدعون الى التزمّت ويقولون مثلاً ان ذلك حرام وذلك حرام من الاشياء التي يضطر الاسلام اليها ليدافع عن الاسلام . اذكر مثلاً واحداً . هناك

بعض الناس الذين انتقدوا التعليم في المساجد وقالوا انه حرام لان هناك اناس لا يصلون ويدخلون الى المسجد غير اطهار . ويحضرون دروس محو الامية ، هذا غير صحيح . الامام ابن باديس رحمه الله كان يقف امام الجامع الاخضر ويدعو الناس . يقول لهم ادخلوا الى الجامع . ادخلوا . حتى اذا كنتم لا تصلون في اليوم الاول واليوم الثاني ، واليوم العاشر واليوم الثلاثين ، سينتهون فيما بعد بالصلاة ، انما المهم أن يأتوا ليتعلموا القرآن . فلا ينبغي ان نتجعد هكذا . ويفلقون امام تطور الامة الاسلامية جميع الابواب . ويفلقون امام الامة الاسلامية جميع النوافذ . فيقولون هذا حرام . وهذا حرام . كل شيء حرام . اقول ان هؤلاء يريدون ان يفلقوا جميع الابواب وجميع النوافذ . وهناك جانب آخر هم الذين يريدون ان ينزعوا حتى السقف ، يقولون ان التفتح هو فتح الابواب والنوافذ ونزع السقف . نفتح كل شيء ونبقى معرضين للهواء والامطار والزواجر . هؤلاء كذلك متأثرون . هذا تطرف آخر . تطرف اسوأ لانهم يدعون بنا الى الانسلاخ عن اصالتنا وعن ديننا وعن مقوماتنا وعن عاداتنا وعن اخلاقنا التي كونت شخصيتنا وخصائنا ، التي كونت دفاعنا الروحي اثناء الاستعمار الطويل الذي يرمى دائماً الى الادمج والمسخ للشعب الجزائري . فهؤلاء الذين يدعون

اردت ان اقول هذه الكلمات ربطا بمبديتها .
بما قلته في الاول ، وهو انكم انتم الذين ربطتم
هذا في الاول بالجمع بين تدشين المسجد
والاحتفال بالشهيد مالك البركاني .
واشكركم ، والى فرصة اخرى .
والسلام عليكم .

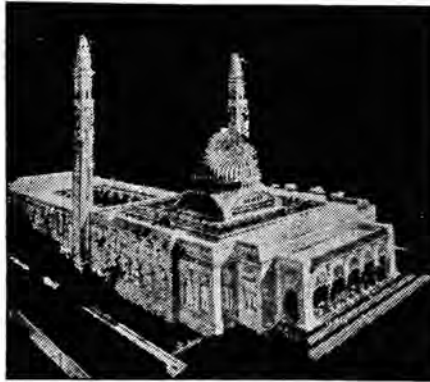
الى فتح الابواب والنوافذ وحتى السقف ننزعه .
هؤلاء يخدمون الاستعمار من حيث يدرون او
لا يدرون . هؤلاء اعداء لبلادنا . وهؤلاء اعداء
للاسلام من حيث يدرون او لا يدرون ، ولا بد لنا
دائما من السهر على اقناعهم بالحسنى بالحجة
والدليل حتى يعودوا الى الطريق . فهؤلاء كذلك
اقول في تطرف أسوأ .

مسجد الامير عبد القادر
بقسنطينة

ابعثوا بترغباتكم لبناء
مسجد الامير عبد القادر
بقسنطينة

الى العنوان التالي :

C.P.A. Constantine
C.C.B. 30141. 1291



فهرس العدد

ص

- ٤ عثمان شبوب
تصحیح مفاهیم
دراسات ثقافية وادبية :
- ٩ عبد المجید مزیان
١٧ عبد الله شريط
٢٦ علال الفاسی
٣٠ د محمد العربی ولد خليفة
٣٦ محمد العزیز الحبابی
٤٥ د عثمان امین
٥٤ احمد بوزید قصیة
٦٥ رابح بونار
٧٣ د رشید مصطفای
٧٦ عبد القادر حلیمی
٨٣ مصطفى عبادة
٨٨ جمال مصباح
٩١ ترکی رابح
— طوفان الاستلابات
— نیتشة والاخلاق الدولية المعاصرة
— وجه الجزائر المسلم
— الالتزام الايديولوجی والبحث العلمی
— التحرر والعندية
— تصحیح المفاهیم عن اللغة العربية
— ابن ناصر بن شهرة احد ابطال ثورة ١٨٧١
— القاضي سعيد العقباتی التلمسانی
— مشكلة الصدق والكذب فی الادب
— أثر التضاريس فی تخطيط مدينة الجزائر
— المنعكس الشرطی فی ضوء النظرية والتطبيق
— الثورة الزراعية وبعض مشاكل الفلاحين
— التربية الشخصية الجزائرية
— دراسات تاريخية :
- ٩٨ العلاقات بين الجزائر وايطاليا خلال العهد التركي
دراسات اسلامية :
١٠٥ محمد الصالح الصديق
— عالمة الاسلام وخلوده
— كتاب الاصاله :
- المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة من ١٨٣٠ الى ١٨٨٠
١١٦ تأليف الدكتور تورين
تقديم بوعمران الشينخ
١٢١ التعريف بترائنا المخطوط
اعداد رابح بونار
١٢٥ النشاط الثقافي :
- ١٣١ — مع التيارات الفكرية العالمية :
١٤٩ — ندوة القراء :

تَصْرِيحٌ مَفْهِمٌ

اننا في هذه المرحلة من تطورنا الثقافي والاجتماعي في حاجة الى أن نفكر في ذاتنا وفي الآخرين تفكيرا صحيحا ، وأن نستعد وسط هذا الخصم من الشعارات المختلفة ، بعض المسافة ... بعض الابتعاد لكي نتخلص من طغيانها الاسر ، ولكي نعبّر دون خوف من العواقب التكتيكية عن رؤية للمعركة ذاتها في شموليتها •

ينبغي أن نتسلح بالموضوعية الصارمة لكشف المظاهر السلبية في تفكيرنا وموقفنا ، دون أن تسيطر علينا المخططات المبسطة للمعركة الحضارية الشاملة التي نقوم بها ودون أن نخشى اللعنة من أي كان •

لا يستهان به أحيانا في اعاقة تطورها •
ولعل أحد هذه المفاهيم التي تمثل أحد الاجوبة عن السؤال التقليدي : من « نحن » ومن هو : « الآخر » يأتي هذا المفهوم الذي يدعو الى « الاكتفاء الذاتي » في ميدان الثقافة أو ما يمكن أن نعبر عنه بالعزلة الثقافية أو « الريفية الفكرية » - ان صح التعبير - : فهناك رضا عام بالنفس ، وبالعادات والسلوك •• رضا يتراوح بين مجرد القناعة البريئة بما نملكه من هذه العادات وأنماط السلوك والتفكير ، وبين الزهد

منذ صدمتنا الاولى •• صدمة اللقاء بحضارة الغرب وثقافته ، ونحن نتساءل عن سبب تأخرنا وتخلفنا • كان هناك سؤال واحد ، ولكن الاجابات كانت متعددة •

وأيا كان مضمون هذه الاجابات ، فالثابت في رأيي ، أنها ما تزال حتى اليوم تلون الواقع الادبيولوجي والثقافي العربي عامة ، وتفسر الكثير من الصراعات الفكرية التي تدور رحاها اليوم في البلاد العربية ، وتلون حتى الابنية الاجتماعية نفسها ، وتلعب دورا

عُثَانُ مَشْبُوب

شُرور مدنيته وينسى أن النهضة التكنولوجية ترتبط بنهضة ثقافية متنوعة متخصصة وعميقة وأن لكل حضارة ثقافة معينة تتبادل وأياها التأثير في جميع المجالات .

فهو يريد التكنولوجيا المعاصرة دون قيمها ، ولكن هل يمكن استعارة « تكنيك » ما ، دون ايجاد أول الامر « قيمه » تتصل بهذا التكنيك أو في الاقل ، تنمية هذه القيمة فيما بعد ، لكي تتحقق فوائد التكنيك بطريقة موثوق بها فاذا أردنا التصنيع علينا أن نقبل بنتائجه التي منها : قيم جديدة .

صحيح أن للحضارة الصناعية مساوئ متعددة ولكن للحضارة الزراعية أيضا مساوئها العديدة ، والموقف السليم يتطلب انتخاب القيم الايجابية في كلتا الحضارتين مما يفيد تماسك المجتمع ويرضى تطلعاته في نفس الوقت لاحتلال مكانته في المجتمع المعاصر .

وهذه النظرة القاصرة للثقافة ، تكمن وراء ذلك الانقسام الذي نلاحظه بين الفكر والسلوك سواء بالنسبة للمثقفين

الفكري والنفسي الذي تأصل فينا عبر قرون من الفقر الثقافي والعزلة الثقافية عن ثقافات الامم الاخرى .

ورغم الآفاق التي فتحت لنقلنا الى الحياة المعاصرة : من حركات ترجمة وتأليف وتعليم ، فلم تهب علينا ريح من رياح الثقافة المعاصرة الغنية ، ولم يزل فكرنا باستثناءات قليلة هنا وهناك يجتر زاده القديم دون أن يتمثل أثمن ما فيه ليهدم بحياة جديدة . لماذا ؟ ، لاننا في استجاباتنا للثقافة والحضارة الانسانية المعاصرة ، لم نستقبلها بفكر مفتوح ، وانما استقبلناها بعقل رافض ، وبقلب متوجس ! .

كان البعض منا — انطلاقا من هذه الحالة الفكرية والنفسية — يجزئ الحضارة الانسانية المعاصرة الى علم وتكنولوجيا من جهة ، وقيم انسانية واجتماعية واخلاقية من جهة أخرى . ويقول أن تقدم « الآخرين » تكنولوجي فحسب ، واننا نستطيع أن نتفوق عليه في ميدان الثقافة بل واننا في وضع أكمل يمكننا من أن نتقده من

أو العمال في المصانع ، أو الفلاحين في الارياض والمزارع *

فالمثقفون عندنا يدرسون علم الاجتماع بمختلف نظرياته ومدارسه ، والتاريخ والفلسفة والقانون ومختلف العلوم الاخرى دون أن تختلج في اكثريتهم خلجة من يقظة الشعور ، أو تنفذ في عقولهم شرارة تغير شيئاً من نظرتهم للحياة ، فهم ينطوون على طاقتين : طاقة يختزنون فيها العلوم والمعارف المختلفة ، وطاقة يختزنون فيها قيم الحياة واخلاقياتها المتوارثة عن الاءاء والاجداد دون تجديد *

والفلاح عندنا ، رغم أن الاجراءات المختلفة التي اتخذتها السلطة قد زعزت العلاقات الاقتصادية والاجتماعية ، وبذرت بذور التطلع في نفوس كثير من الفلاحين . ولكن الثورة رغم هذا ، لم تمس معتقدات الفلاح الاساسية ، أو تكوينه النفسي أو عاداته الشخصية والاجتماعية ، فهو باستثناء التطلع الاقتصادي الجديد يحتفظ بأكثر مقومات ثقافته ، ولا يزال يعيش بفكر ثابت وباخلاقيات ثابتة في عالم متغير العلاقات *

وأما المظهر الآخر لهذا المفهوم الساذج المكتفى بنفسه المعجب بذاته ، فيتجلى

في حكمنا على الآخر — لاننا في اطار هذه النظرة نحصر كل مشاكلنا الثقافية والفكرية في المجابهة بين « الفن » و « الآخر » لا في التفاعل المنفتح الذي تمليه طبيعة الحياة — انه يرى بأن الحضارة الانسانية المعاصرة ، التي يسميها غربية ، هي الآن سائرة الى الانهيار لتحل حضارات أخرى محلها . وبقطع النظر عن صحة هذا القول أو عدم صحته ، فهو في رأيي عزاء واهم وخاصة اذا صدر عن أناس لم يبذلوا أى جهد حقيقي لتصحيح أوضاعهم ونظرتهم اليها ، ولن يكون له ما يبرره الا عند الشعوب التي أثبتت بالفعل قدرتها على الكفاح في ميادين التنظيم الاجتماعي كما في ميادين التقدم العلمي والتكنولوجي والثقافي *

وهناك مظهر آخر لهذا التفكير يتمثل في الالاحاح المفرط على الفوارق النوعية بين الثقافات وتجاهل الطابع العالمي والانسانى للثقافة . فنحن عندما نؤكد على هذه الفوارق ، فاننا سننتهى الى نتيجة ، وهي استبعاد امكانية المقارنة، وتترتب على هذا نتيجة أخرى واضحة وهي أننا نقول لانفسنا : ليست ثقافتنا بأقل من غيرها ، وانما هي من نوع مغاير فحسب * وليس الغرب أكثر

تقدما منا ، بل ان له ثقافة مختلفة
نحسب .

صحيح أن أحدا لا يستطيع أن ينكر
اصطبغ الثقافات بلون محلي مستمد
من الظروف الخاصة للمجتمع الذي تظهر
فيه ، ولكن هذه النواتج الثقافية المحلية
ذاتها تنطوي في كل الاحوال ، على
جانب انساني واضح .

وهكذا فان النزعة الكونية التجريدية
قد وقعت في خطأ ، لأنها أهملت العوامل
الثقافية الخاصة وقوة تكيفها باوضاعها
الخاصة ، ولكن النزعة التعددية التي
تقف نقیضة لها ، ليست أقل خطأ منها
لأنها وضعت الثقافات الانسانية في
خاصيات نوعية منغلقة .

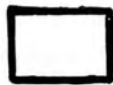
ان الخصائص المميزة لكل ثقافة من
الثقافات موجودة ، لكنها ليست أبدية
لا في الماضي ولا في المستقبل ، وهي
لا تخرج عن قوانين العالم الاجتماعي ،
انها تنتسب حسب التعبير الارسطي
الى عالم الكون والفساد ، وليس الى
عالم الافلاك السماوية فيما وراء القمر .
ان تصحيح هذه المفاهيم يمثل جزءا
من الثورة الثقافية التي نردد شعارها
في كل مناسبة ، ومسؤولية المثقفين فيها
ذات أهمية خاصة . فهم لهم دورهم
في تججير الفكر الخلاق وفي رفع الوعي

الى مستوى الواقع الاجتماعي وتجاوزه
لان في ذلك فهما للذات ، واجابة عن
مشاكل المجتمع ، وانبعاشا للانسان
الجديد ، المنفصل عن انسان عصر
الانحطاط والجمود .

واذا قيل بأن كل هذا أو غيره لا يمكن
تحقيقه الا في مناخ من الحرية الفكرية
وهذا غير متوفر في أغلب اقطارنا
العربية ، أقول : ان أوضاعنا ستكون
دائما غير ملائمة لأنها لو كانت ملائمة
لما احتجنا الى ثورة على مثل هذه
الاورضاع .

ونحن في هذه المجلة نفهم ديننا الاسلامي
فهمه الاصيل الفهم الذي يقوم على
مبدأ تغيير الوضع الفاسد ، بالاعتماد على
تغيير المعتقد الفاسد وما
نسميه بتصحيح المفاهيم انما يبدأ
من تغيير واقع المعتقدات الفاسدة او
المتحجرة او المتحرفة ، وكلها معتقدات جاء
الاسلام ليقومها او يصححها او يستبدل بها
غيرها حتى يتلاءم مع رسالة التطور الدائم .
ان من بين مفاهيمنا الخاطئة التي يجب
ان نصححها دينيا ، هو المقياس نفسه الذي
نستعمله في الصائغ هذا الموضوع او ذلك
بالدين ، أو فصله عنه . وديننا الاسلامي
— دين الثورة والقوة والتفتح على قيم
الانسان الخالدة — يتوجه بثورته وقوته
وتفحه الى المعتقدات النحطة كلها فيقتلعها
او يبعث فيها الحياة . اما ما لا يقبل الحياة
فانه لا مكان له في الاسلام .

دراسات
ثقافية
وأدبية



طوفان الاستلابات

عبد المجيد مزبان

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر



جمال الدين الانفاني

اختار الاستاذ عبد المجيد مزبان
هذا الأسلوب : أسلوب الحوار
لمرض أفكاره عن مشاكل عويصة
تتعلق بحياتنا الاجتماعية المتشعبة
ورأى أن هذا النوع سيكون أوسع
تبليغا وأكثر إثارة لانتباه القراء .
« الإصالة »



ماو تسي تونغ

كانوا شريحة من المثقفين ، قد تقدم بهم السن ، وعلمتهم تجارب الحياة ما لم تمكنهم به الثقافات المختلفة التى احتكوا بها ، فاتفقوا بعد تردد طويل على أن ينزلوا جماعة لتصحيح معارفهم عليهم فيدون بها أهل ملتهم وصانف أن وجد في قريتهم الصغيرة رباط مهجور ، كان قد انشئ في القديم للخلوة والاعتكاف والتدريس ، فسمح لهم باستعماله لمباحثاتهم . وراى بعض من يثق بهم من طلبتهم القدماء أن يشاركهم تجربة الحياة الثقافية الجماعية ، لانهم كانوا يؤمنون مثلهم بتفوق الحكمة المشتركة على الحكمة الفردية .



الشيخ
الشيخ

وكانت طريقة عملهم أن يقضوا يومهم في المطالعة والتفكير في انعزال وصمت ، ثم ينتشرون بعد صلاة العصر في البساتين والغابات المجاورة لرباطهم ، لينغمسوا في مصب الطبيعة فيشفوا من منهل جمالها ، وفيض كينونتها مشربا مننشا ، يمحوا عنهم زغل العناء ، ويجدد فيهم طاقة الحيوية والانتاج ، ويبعث السرور العميق المتزن في نفوسهم . ثم يلتقون بعد صلاة المغرب للحديث الحر الهادئ . وكان من بينهم من ينقل تلك الاحاديث بعد تصحيحها من لدن جميع الحاضرين .

وكان من بين المرابطين في بداية امرهم فيلسوف ، ومصلح ديني ، وعالم اجتماع ومؤرخ وعدد قليل من الطلبة . ويظهر أن كل فرد من الجماعة قد تأثر بثقافة رفاقه حتى أن أساليبهم في التفكير والتعبير قد انسجمت الى درجة الاتحاد .

الفيلسوف : ما دنا في رباطنا هذا بعيدين عن ضوضاء الحضارة المزينة وحى التنافس ، نود أن نتحدث اليوم عن تجاربنا المختلفة في الاستلابات التى عاشها كل واحد منا ، زمن جاهليته ، لنستخلص منها العبر الفكرية للشباب الذين ربطوا انفسهم معنا طلبا للثقافة اللامنتفعة .

طالب : نتكلمون عن الاستلاب كأنه تجربة محتومة لابد أن يعيشها المرء ، وتذكرون الثقافة اللامنتفعة كهدف لمباحثاتنا . انه كلام

يستحق التوضيح .

الفيلسوف : اما الاستلابات فلا يخلو منها أى مجتمع في العالم . وبحكم حياتك مع الآخرين فأنت خاضع لاثناوع لا تحصى من الاستلابات . وليس في طاقة أى ضمير بشرى مهما بلغ تفوقه الفكرى ومهما بلغت قوة انتباهه أن يتخلص من هجومات الاستلابات العارمة .

المصلح الدينى : في ديننا الاسلامى أن هذا الذى نسميه استلابا بالمصطلح المعاصر وهو انواع الضلالات على وجه التقريب ، انما يأتى من النفس كما يأتى من المجتمع . والمسلم في مجاهدات مستمرة ليرفع عنه هذه الضغوط . ان العبادة من بعض جوانبها تنبيه شعورنا لهذا الخطر الطاغى الذى يهاجمنا من محيطنا الاجتماعى كما يهاجمنا من أعماق انفسنا . فليست الاحقاد

ولا ندرى الآن لماذا يجب أن نتحرر ،
ولماذا نتحرر وكيف نتحرر ، لاننا ننوى
مغادرة الرباط . بعد أجل . وهدفنا العاجل
هو الرجوع الى المجتمع . لقد كان شيوختنا
يؤكدون بمحضرتنا أن المعرفة للمعرفة
تخريف ، وأن المعرفة من أجل العمل هي
المعرفة الحقة ، بل لا تصحيح للمعرفة الا
بالعمل .



المصلح الدينى : ان التعلق العبودى بصور ثقافية
أو سياسية أو اقتصادية يعد من
الضلالات التى تعوق الانسان فى طريق
استكمال انسانيته . ويجب أن يتحرر منها
المرء ليسترجع تفكيره السليم الذى فقده فى
هرج الحضارة المزيفة . وبعد هذا التحرير
وبعد استرجاع الذوق السليم تكون قد
توفرت فى المتق شرط الفطرة ليصبح
عالمًا عاملاً .

طالب : كنا نعتقد أن الفطرة بمثابة الصفحة
البيضاء أو بمثابة الخلاء الثقافى الضامن
لحسن الانطلاق ، وهى موجودة طبيعياً
عند كل انسان .

المصلح الدينى : لا يمكن استرجاع الفطرة الا بعد
مجاهدات جبراً ، لان فطرة ذلکم
الانسان الذى مر عن طريق ملء بالضلالات
ثم تخلص من ضلالاته ، انها هى فطرة

والفرائز العدوانية مثلاً الا مركبات
نفسانية تلخص حقولاً واسعة من
الاستلابات الاجتماعية . كان نبينا صلى
الله عليه وسلم يقول فى بعض دعواته
« اللهم لا تكلنى الى نفسى ولو طرفه
عين » .

الفيلسوف : أما الثقافة اللامنتفعية فهى مثل هذه
الاحاديث التى تجرى بيننا ، بطريقتة
حرة لا تتفاضل فيها ، ولا يستعلى احدنا
على الآخر ، ولا يخرج بعضنا مجازاً والآخر
عاطلاً ، ولا نلتبس بها كسبا أوجاهاً .
ولا عناد فيها ولا تحيز . ولكننا نفتح فيها
أخواننا مودة فى القربى والانسانية ،
ونفتح لأرائهم علنا نعرف من الحقيقة نبذاً .

عالم الاجتماع : الاستلاب الأكبر ، فى نظرى
يتلخص فى بناءاتنا الاجتماعية ذاتها .
فالبناء الاجتماعى عملية انسانية لابد منها
ولكن الانسان يخلق مجتمعه ثم تفلت من
يده القدرات على مراقبة مصنوعه . بل
ربما بهره هذا البناء الذى رفعه بيده
فخضع له وجعله معبوده الاسمى . وهذا
طبعاً من الوثنيات .

المصلح الدينى : الوثنيات أنواع وفنون . ومن
أخطرها على النفس ما نسميه الشرك
الخفى « الذى يدب كدبيب النمل » وهو
بلسان عصرنا هذا التعلق بالمقدسات
المصطنعة ، والخضوع اللاشعورى
لمعبودات بنية أو غير بنية تستعبد النفوس
استعباداً لا رحمة فيه .

طالب : لقد بحثت فيما ، قبل دخولنا الرباط ، قيم
مختلفة كنا كسباب نعتقد أنها من
المقدسات ، فلكل جانب من حياتنا الثقافية
تصورات تقديسية . فللقليم العلمية
قداستها ، وللقليم السياسية قداستها .

طالب : نريد أمثلة حية عن هذا

المصلح الدينى : حينما نقول « ان الاسلام دين الفطرة » ، فليس معنى هذا انه الدين الصالح للسذج وضعاف العقول ، او للبدايين . ولكنه ثورة اصلاحية بعد وعى ، لاسترجاع التوحيد المفقود الذى دنسته الانحرافات عبر العصور . فالثورة هنا انها هى رجوع الى التوحيد الصافى الذى يتمثل فى الحنفية الصاعدة الحرة .

الفيلسوف : الثورة الفلسفية الديكارتية هى الاخرى عودة الى الوضوح الفكرى والمنهجى بعد البلبلة التى كان قد خلقها الفلاسفة المسرفون فى التصورات الفارغة .

عالم الاجتماع : كانت الاجهزة الاجتماعية المستوردة فى الصين الوطنية تدعى انها تمثل رغبة الامة فى تحطيم الاجهزة العتيقة المتعنتة ، ولكن سرعان ما ظهر للعيان ان هناك انحرافا لابد من استدراكه ، اذ ان استيراد اجهزة وتلفيقها مع اجهزة اخرى على شعب لم يرد بعد الى فطرته ، انما هى عملية عشوائية ومحض تضليل . فجاءت الثورة الحققة معلنة رفع الاستلابات بتحطيم البناءات المستوردة مع بقايا البناءات العتيقة ، وكانت بهذا مصممة على خلق فطرتين : فطرة تحطيم وتصفية ، للبدء من الاساس . وفطرة العقل البكر المطهر الذى يبنى مشاريعه المثالية والواقعية فى نفس الان ، فيجعلها اهدافا فى نهاية الطريق ترمى الى التحرير الكامل للانسان .

طالب : هل يمكن ان يخلو البناء الاجتماعى من الانحرافات والاستلابات بدعوى انه ثورى وأنه عودة الى الاصل الانسانى الاصيل من اجل الانطلاق الصحيح ؟

ملاء لا فطرة خلاء ثقافى . وشتان ما بين فطرة الرضيع وفطرة استرجاع الصفاء بالوعى والجهد . فالفطرة الصبغانية والفطرة البدائية محكوم عليهما حتما بالزوال ، لان المجتمع يغزوهما غزوا لا هوادة فيه ، بينما فطرة الوعى تعد قبة الاستكمال الثقافى وفطرة الانتصار على كل ضلال .

الفيلسوف : بدانا منهجيا من حيث يجب البدء : لا يمكن ان نتخيل الاستلاب على حقيقته الا اذا تخيلنا هذا الصفاء المثالى الذى نتحدثون فيه . ان التخلص من الاستلابات اما ان يكون هدفا مثاليا يقذف به الى المستقبل فى بناء اجتماعى تنصوره تصورا عقليا ، واما ان يكون نتيجة مجهودات شخصية فى حالات استثنائية يتوصل فيها الانسان الى وعى نفسه ووعى الانحرافات التى يتعرض لها .

عالم الاجتماع : البناء الاجتماعى حينما يبنى ، انما يقلد من لدن بناته بهما ووظائف معينة محدودة . ولكن الانحرافات تظهر حالا بعد اتمام البناء ، فتنشعب الوظائف ، ويقع الزيج عن الطريق المرسوم ، بكيفية ابعد فأبعد ، حتى يظهر التناقض المفرط بين البناب وهدفه . وفى هذه الحال من التنازم يفكر المضغوط عليهم فى استدراك الغلط ، اى فى الثورة ، لانها السبيل الوحيد للرجوع الى نقطة الانطلاق . فكل ثورة حقيقية انما هى رفع الاستلابات عن الناس بالرجوع الى « الفطرة » ، اى التفكير السليم مع السلوك السليم ولكن رفع الاستلابات لا يمكن ان يحصل الا بتحطيم مصادرها التى هى البناءات الاجتماعية اللاسوية بكل وظائفها الانحرافية المفسدة لانسانية كل انسان .

الفيلسوف : يثبت الواقع أن الانطلاق الجديد له هو الآخر استلاباته وانحرافاته . فزمن الثورات زمن انتباه فائق ووعى فوق المعتاد ، ثم تأتى فورا من بعده فترة الغفلة ، التى تبدأ فيها التساهلات ، وتتغير الاهداف بكيفية غير محسوسة . انظروا الى الاجهزة البروقراطية والتقنية المعذبة للشعوب الاشتراكية ، مع أن الشعوب هى التى خلقتها كوسيلة لخدمتها وتحريرها كذلك كانت جيوش القرون الغابرة تدعى فى البداية أنها حامية الامم فأصبحت بعد قليل جحيما على كل الامم .

طالب : انتم فيما تفكرون ، تجعلون المصادر الاولى والاخرة للاستلاب فى البناءات الاجتماعية وحدها . أو ليس هناك منطلق لبعض الاستلابات يأتينا من طبيعتنا الانسانية ، من غرائزنا البيولوجية مثلا ، ومن الطبيعة العامة الضمنية بارزاتها .

الفيلسوف : فكرة الاستلاب منطوية على مواقف معيارية خلقية ، ذات أبعاد اصلاحية ، وهى فكرة توجه النقد والتهم وتحدد المسؤوليات . ويظهر لى أنه لا يمكن اتهام الطبيعة بأى غلط لأنها كما هى لا ينطبق عليها أى معيار . فمعاييرها قوانينها ، وهى هى لا تبدل فيها . والكائن المعامل الذى يعيش فيها مكلف طبيعيا باكتشاف هذه القوانين وتسخيرها الا اذا انحرف وأخذ جذوة عقله . فاما أن أكون الكائن صاحب الحاجيات البيولوجية الفزيولوجية المتحتم عليه السعى لسد هذه الحاجيات فأمر طبيعى لا أحاسب عليه أحدا ، والا ساكون بمثابة الكائن الحى الذى يتمنى أن ترجع به الطلقة الحيوية الى الوراء فيعود الى الحياة النباتية حتى لا يتحرك ولا يقلد مسؤولية نفسه . فتالم الوجوديين من

الوجود فى حد ذاته غير معقول لأنه ثورة على هذا الناموس الحيوى الذى يعطى الكائنات الاكثر تطورا مسؤولية أكبر على كينونتها . وليست الحياة عبثا فى حد ذاتها كما يدعون ، ولكنها تثير « الغثيان » حقا اذا جاء طور التوغل فى ادغال الاستلابات . علينا بالأمثلة :

فانت ايها الطالب ، بماذا تسد حاجياتك الحيوية وانت فى هذا الرباط ؟

الطالب : كل زادى بينكم تمر رخيص ، وثين مجفف وزيت زيتون وسويق .

الفيلسوف : كم قضيت من الايام فى العمل لاكتساب هذه الاقوات ؟

الطالب : خمسة ايام

الفيلسوف : وعلى فرض أنك تأكل وحدك من زادك فمتى سيفرغ هذا الزاد ؟

الطالب : بعد خمسين يوما

الفيلسوف : لقد وفرت اذا معاش خمسة وأربعين يوما ، اذا حييت حياة زهد وتشف رباطى . وعلى فرض أنك توفر لحاجيات عيالك ، ثم للحاجيات الحضارية الحقيقية كاشتناء الكتب والآلات الضرورية لتسهيل الحياة لا لتعقيدها ، فانك ستوفر مقابل كل يوم من العمل ، على الاقل يوما من التفرغ والتفكير ومراجعة نفسك .

الطالب : لم أجرب هذا ، ولكنه تقدير مقبول نظريا

عالم الاجتماع : وعلى فرض أنك توجد فى مجتمع مثالى يسمح لك بالعمل المعاشى يوما والحياة يوما آخر فى الرباط ، أو شهرا بشهر أو نصف سنة بنصف سنة ، تتردد بين العمل والرباط أو انواع الرباطات العملية التى ينشئها هذا المجتمع المثالى

فهل ستشكوا من الاستلابات الطاغية بقدر
ما تشكى منها اليوم ، أعنى فى مجتمعك
الحاضر ؟

الطالب : طبعاً ، سترفع عنى جل الاستلابات
وسوف لا تبقى كابوساً مستمر الضغوط
كما هو شأنها اليوم .

عالم الاجتماع : وعلى فرض أن هذا المجتمع
مبنى على أساس المساواة المطلقة بين
الناس ، وأنهم رغم تخصصهم المهنى
يعملون كلهم يوماً للكسب ويوماً للثقافة
والفكر ، فهل سيكون هناك تفاوت كبير بين
المتعاشين فى هذا المجتمع سواء فى الميدان
الاقتصادى أو فى الميدان الثقافى ؟

وعلى فرض وجود هذا المجتمع المثالى
فهل سيبقى هناك حمى عدوانية وتنافس
على المناصب ، وتخصص عازل يجعل
البعض مشتغلاً بالسياسة منعزلاً ،
والبعض الآخر مشتغلاً بالثقافة منعزلاً ؟
وهل سيبقى هذا التشتيت والتنافر
المهدد لكياننا الإنسانى ؟

الطالب : طبعاً ، فى هذا المجتمع الخيالى لا وجود
لكل هذه الضغوط الجارية علينا اليوم
والمالئة قلوبنا بالخوف والاحقاد ، بسبب
عدوان بعضنا على البعض .

عالم الاجتماع : تلك هى الاستلابات ، تمتد الى
أعماق النفس ، ومكانها الاول المجتمع ،
وليس مصدرها الا المجتمع ولا نتحرر منها
الا باصلاح المجتمع . وأما الطبيعة فلا
مسؤولية لها أبداً . ومن الجنون أن نقذف
بمسؤوليات الإنسان الى ما وراء الإنسان .

المصلح الدينى : الوجود الطبيعى والوجود
الإنسانى فى مفرته الخالية من الاستلابات
نوعاً مستعداد خيراً ، وقد يسترجع الإنسان

هذا الاستعداد بمجاهداته . أما الشر
المفروس فى النفوس فمن بذور اجتماعية .
هذا معنى الآية الكريمة « ما أصابك من
حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة
فمن نفسك » . لأن الله هو الذى طبع
الطبيعة على الفطرة السليمة الخيرة ،
والمجتمع هو الذى يمزج بها الى الانحراف .

الفيلسوف : تذكرون يوم كنا فى جاهليتنا
مثقفين دواجن ، يتهدد علينا بنزع لقمة
العيش من أفواهنا فنخضع للتهديد ، وبيت
فى صدورنا حب الرغاية والجاه فنبتسم
للرغى والجاه . وأشرينا إذ ذاك فى قلوبنا
التقرب من سادة الدنيا وكبرائها . فتحالفنا
على الحقيقة وعلى أبناء ملتنا . فهل يمكننا
تذكر الاستلابات التى كنا نعيشها فى ميدان
الثقافة ؟

طالب : كنا نشكى كطلبة من الجهاز الثقافى
نفسه ، بما فيه من ضغوط وطقوس
وهالات كاذبة وإجازات مزيفة .

طالب آخر : وكنا نحس بتضييع مدهش للوقت
فى لى السنتنا بالحكمة ليطن أنها حكمة وكنا
نمطط العبارات ونلوكها ثم لا يبقى من كل
هذا الكلام الا القليل من الثقافة الحققة .

طالب آخر : وكنا نحس بوحشة مفزعة ورعدة
داخلية عميقة من عجزنا فى الاستيلاء
الحقيقى على الواقع الحى ، وكنا نبحث
عن تعويض لهذا العجز ، فى شبه استيلاء
لفظى على ذلكم الواقع
طالب آخر : وكنا نشعر بخيانة ضائرتنا لأن
أجهزتنا الثقافية الضخمة ، كانت فى أكثر

**الحركة الجبارة للواقع الحى وهى ايضا
تحرير الآخرين ، بان ترفع عنهم استلابات
التحجر والتعلق الوثنى بالصور البالية .
الفيلسوف :** ان بين التوعية والتنمية حدودا فى

خطوط ادق واوهن من نسيج العنكبوت .
وذلك ان صاحب الثقافة الوثوقية يدعى
انه حامل لواء التوعية ، وكثيرا ما يتهم
الطاعن فى هذه الوثوقية بأنه المسؤول عن
التعمية . وليس من المؤكد ان أبناء الامة ،
الذين تجرى تحت أعينهم هذه الصراعات
سيعرفون بكل تدقيق أين توجد التوعية
الحقة والالتزام الاصيل .

المصلح الدينى : يبدو ان احصاء الضلالات الثقافية
هو نفسه عملية تستحق كثيرا من الوعى .
ولكن هناك ضلال يعد بمثابة كبيرة الكبائر
او بمنزلة الكفر فى الموبقات . ويتجلى هذا
الضلال للعيان حينما نذكر الثقافة الرسمية
المتحجرة بها فيها من انواع الوثوقيات
والشكليات والسفسطات . انه ضلال
الارتفاق البارد مع السيطرة الاستبدادية
على كل تفكير . فجفاف هذه الثقافة
الرسمية راجع الى فقدان المحرك العميق
لكل معرفة ذات فعالية الا وهو حرارة
الايمان . فالايان عدو الكسل المؤدى الى
التحجر والايمان باعث كل اجتهاد وتجديد .
فلا يمكن ان نقول لاي وثوقى بأنه مؤمن
بكل ما فى معنى الايمان من عمق مفكرو
البلاط فى ملتنا ، او دواجن الثقافة كما
سميهاهم . هم بالضبط مفكرو الانحطاط .
وشجيمان الفكر عندنا هم بالضبط المؤمنون
المعذبون من لدن الوثوقيين ومواليهم اهل
الجاه والسلطان .

ان الاحتكار الثقافى بترسيم المعرفة
خيانة خلقية للنوع الانسانى بأكمله لانه
احتكار يثبت تعالى على الناس ويحصر

من ثلثى نشاطاتها تبذيرا للجهد فى الفراغ،
وكانت فى ذلك عالة على المنتجين الحقيقيين
من أبناء امتنا .

طالب آخر : وكنا ندعى لدى أبناء امتنا اننا وحدنا
المختصون فى التفكير ولا يجوز لاي كائن
كان ان يفكر معنا أو ضدنا . وكنا نحتمى
فى هذا الادعاء ببروقراطية الدولة فنتبادل
معها الاستلاب لانها مقيدة بوجودنا ونحن
مقيدون بوجودها لنبقى وايها سندی
سيطرة لابد ان يتعاونوا لانها يسترقان
معاشهما الرغبه من المنتجين الحقيقيين .

الفيلسوف : هذه استلابات ترجع بالذات الى
طبيعة الثقافة الرسمية .

عالم الاجتماع : ابرز مظاهر الاستلاب فى كل ثقافة
رسمية يرجع الى انها تعرف نفسها تعريفا
مربوطا بسياسة الوقت . وهو تعريف
محدود فى الزمن ، محدود فى افق التأثير ،
محدود بالاقتصار على خدمة طبقة معينة .
والوجه الثانى من الاستلاب يرجع الى
صفتها القهرية بتقنينها فى مسابقات خاطئة .

**اما التعريف الاصح لكل ثقافة اصيلة
فمربوط بدورها فى التوعية . والتوعية
ابداً مستمر ، وتجاوز مستمر للاحوال
الثقافية الماضية والحاضرة ، بحكم التطور
الدائم الذى لولاه لما حصل اى اكتساب
علمى على الاطلاق .**

وتناقض الثقافة الرسمية مع نفسها ،
راجع الى خلق كل روح ثقافية فى بيضتها ،
وذلك لانها رسمت ووقع برمجتها وتحجير
عقائدها من قبل ان يخلق الواقع الذى
ستنطبق عليه او ستفهره .

ثم ان التوعية تحرير : انها تحرير المنقذ
نفسه من الصور التى فاتها الوقت بحكم

الثقافة في جماعة يدعون أنهم أعيان الفكر . وما دام المجتمع المثالي الذي يتحدثون عنه لم يوجد بعد ليضمن شبه مساواة ثقافية ، فإننا اعطيكم مثالا لهذه المساواة من المجتمع الحى الواقعى الذى وجد في فترة تاريخية ممتازة ، في عهد النبى صلى الله عليه وسلم وذلائه الراشدين ، حيث كان المحرك الثقافى هو الايمان وحيث كانت الدعوة الاسلامية تنادى ان هذه الرسالة موجهة الى بنى الانسانية جمعاء .

عالم الاجتماع : نقول عن الثقافات التى تساهم في تحويل الشعوب تحويلا حضاريا انها ثقافات ثورية سواء كانت دينية او علمية . نعم انها ثورية في ابان ذى امتياز ولاجل قصر ريثها تنطلق البناءات الاقتصادية والمجتمعة الجديدة . ثم ما يكاد يمر عليها جيل او نصف جيل حتى تتصلب في نرجسية تجعلها تتأخر عن سيل الواقع الحى ، ولا تواجه المعضلات الحيوية الا بالتاكيد الفارغ للمبادئ المجردة الفامضة . هذا ما اكده

التاريخ حتى اليوم . ولكن هذه الظاهرة التاريخية لا تتصف بالحتمية المطلقة ، لان عنصر نفى هذه الحتمية في عصر يمتاز بالتقدم والوعى ، هو ادراكنا لهذا التفاوت بين الواقع والفكر ، وادراكنا لتطور الظواهر الاجتماعية حسب قوانين بدائنا نقوم اليوم بضبطها .

لكن بقى هناك استلاب اكبر ، وهو مسؤولية نشر التوعية وطريقة تطبيقها ، وآفاق هذا التطبيق ، لانها في مجتمعنا الحاضر الالامثالى موكولة بالصدف أكثر مما هى موكولة بالمعقول .

الفيلسوف : ذلك راجع الى الاستلابات السياسية وكل هذه المسائل المتشابكة تقذف بنا مباشرة في ادغال من الاستلابات . ولا نكاد نرى بصيصا من الامل في رفع بعضها حتى تظهر لنا انواع اخرى لم تكن بالحسبان . من المحقق اننا غرقى في طوفان من الاستلابات .

يتبع

عبد الله شريط

أستاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

نيتشه

والأخلاق الدولية المعاصرة

هل نعتبر مظاهر القوة التي ما زالت تسود العالم هنا وهناك من بقايا الأمراض وعلامات النقص التي تعانيها الإنسانية ولم تستطع التخلص منها بعد ؟

يبرز من حين لآخر على الإنسانية رجل أورجال ينادون بأن الحرب والعنف هي سنة الحياة وأن القوة خير ينبغي أن نحرض عليه ولا نقاومه. واليوم نرى الدول القوية ما تزال تعامل الدول الصغيرة والمتخلفة بميزان القوة والضعف حتى بعد التجربة الفاجعة التي لاقتها الإنسانية في الحرب العالمية الثانية وما تلاها من حروب في أفريقيا وما لا يزال يجري إلى اليوم في الفيتنام وأمريكا اللاتينية المعذبة ، وأخيرا بين الهند والباكستان .

بازاد جديد من الاتقان والعمق واللمعان وكان آخر دعائتها وأقربها الى عصرنا — أعنى أقربها تأثيراً في حياة الدول القوية اليوم — هو الفيلسوف النمساوي الالماني الكبير « فريديريك نيتشة » الذي توفي سنة ١٩٠٠ ولكنه ترك أروع وأخطر اثر عرفه تاريخ البشرية في سلوك الدول وتصرفاتها . وكان هو المنبع الذي استقى منه



ف . نيتشة

هتلر نظريته في الاجناس والذي اقام عليه سياسته النازية ومغامراته الجنونية الصريحة وهو ايضا الذي ما يزال يغذى شباب أميركا اليوم ضد السود وسياسة أميركا في كثير من انحاء العالم التي يكنها الضعفاء أو من هم اقل قوة منها .

هذه الفلسفة الخطيرة جدية بأن ندرسها نحن « الضعفاء » حتى نعرف مبلغ تغفلها في اذهان أصحابها وحتى نعرف أنها ليست — مجرد هوى يملك هذا السياسي أو ذاك وإنما هي قواعد فلسفية عميقة الجذور بعيدة الغور ، وإن الإنسانية يجب أن تحترس من ثمارها المسمومة التي ما تزال تغذى ادمغة بعض الساسة في العالم « المتحضر » وحتى في العالم المتخلف ، وإن البشرية في المستقبل معرضة لهذا الطيف المتفلسف الخطر .

والضمير البشري لا يستطيع أن يظل صامتا أمام هذا الخطر الإجرامى الذى تتعرض له الشعوب من طرف من تملكهم جنون القوة لجرد كونهم حصلوا على قوة مادية عارضة فلم يعرفوا ماذا يصنعون بها الا أن يرضوا بها غرائز التوحش المتصلة في نفوسهم والتي لم تستطع حضارتهم الفجة المبصرة وقلة تجاربهم الدولية أن تروضها فيهم .

وإذا كانت الشعوب تقاوم هذا الخطر بقوتها الروحية التي لا تنفذ وإمكاناتها المادية البسيطة فإن من واجب الطليعة المفكرة في هذه الشعوب أن تقاوم الاصول الفكرية التي نبع منها هذا الجنون الخطر : جنون القوة وفلسفتها السلبية الهدامة .

ومن المؤكد أن فلسفة القوة هذه تبعت أول ما تبعت في الغرب قبل ميلاد المسيح بعدة قرون : في الفلسفة اليونانية أو على الاصح عند بعض فلاسفتها ثم انتقلت الى روما القيصرية ثم تواصلت في القرون الوسطى في مذهب الفروسية ولقيت ازدهارها اذ ذاك في الحروب الصليبية المعززة بسلطة الكنيسة وبعد هزيمة الصليبيين همدت بعض الشيء ثم ظهرت الى الوجود من جديد في الحروب الاستعمارية طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولكن الاستعمار نفسه كان عاجزا عن ارضاء شهوات التوسع والقوة لدى الدول القوية نفسها بل ادى الى تنافس سرعان ما تحول الى حروب فيها بينها افترس فيها بعضهم بعضا افتراسا شرسا في الحربين العالميتين الاولى والثانية ، ولا يبعد أن يقودهم الى الثالثة . وخلال هذه القرون الطويلة لم يخل الغرب الذي تبعت عنده هذه الفلسفة من دعاة ومفكرين يحكمون قواعدهما ويفلسفون « فوائدها » بوقاحة لاطلاء عليها من القرن الثالث قبل الميلاد في أئينا الى القرن العشرين في أوربا . ومن المؤكد أيضا أن هذه الفلسفة قد استطاعت خلال هذه القرون الطويلة أن تزود في كل رحلة

البلاغة الساحرة التي يغمرك بها والقوة العجيبة التي يسيل بها قلبه الحار الجريء تجعلك تنقسم في نشوة وحمية لهذا التناقض المرضي البريء . وفي إمكانك أن تنقد نيتشة من جراء ذلك وأن ترميه بالتهافت والاسراف في الاعتداد بنفسه ، ولكنك مع ذلك لا تستطيع أن تتمالك عن الإعجاب به والشفقة عليه أحيانا .

وقد يخيل اليك أن نيتشة غير أناني — وهو كذلك طبعاً — وقد تجده يصرح لك هو نفسه بذلك وأنت تتجول معه في مملكته الواسعة — ، ولكنك لا تلبث بعد معاشرة طويلة أن تتبين — وهذه هي مأساة نيتشة ومأساة الإنسانية معه — أنه أناني مفرط في أنانيته ، ولكن حبه للإنسانية أقرب إلى البغض لأن صاحبه يسلك إليه مسلماً نظيماً مخفوناً بالأهوال والأشواق والكوارث . وهو يريد أن يصل بالبشرية إلى الكمال ولكنه كمال ضره أبلغ من نفعه وثمرته أفدح من فائدته . تسأل نيتشة عن الخير والشر فقال :

« في غروب يوم من أيام الشتاء لا أريد أن أصرح به لأن له صلة بالأخلاق غروب قد انطبع في حياتي فجأة وبقوة قاهرة وأنا مازلت شاباً — وقفت تخيلاتى وأفكارى أمام هذا الاستفهام : ما هو الأصل النهائي الذي يجب أن نرجع إليه فكرة الخير والشر ؟ ومن حسن الحظ أنني سرعان ما وقفت على الأحكام الأخلاقية السابقة فلم أفتش عن أصل الخير والشر وراء هذا العالم (واضح أنه يقصد كانت) ثم لم ألبث أن تساءلت ثانية : وهل للخير والشر قيمة في ذاتها ؟ هل حقاً شيئاً للإنسانية في تطورها بلوغ أهدافها ؟ أم إنها بالعكس قد خانا قوة الحياة وامتلاءها كما خانا الشجاعة والثقة بمستقبلهما ؟ على أن أجوبة هذه الأسئلة نفسها بعد بحوث طويلة استقرت بى الإقدام على أرض خاصة بى وحدى لأنها عالم مجهول وجنة خفية لم يسبق لأحد أن فكر في وجودها » .

ونحن في هذه الدراسة لن نتعامل على نيتشة لأنه قبل كل شيء رجل مريض أنهى حياته مصاباً بالجنون . أنه بالرغم من خطره يثير الاشتياق أكثر مما يثير فينا القسوة عليه . أننا سننظر إليه على أنه فيلسوف نناقش أفكاره كأفكار جديدة بأن نناقش ، ولأننا بعد كل شيء نعتقد أن فلسفته مهما بقى من رواسبها في أذهان بعض الساسة فإنه سيأتى يوم تزول فيه وتنقرض بفضل يقظة الشعوب ووعيتها لقوتها الروحية العتيدة .

١ — نيتشة وعصره

فكرة الخير والشر — أو الأخلاق بصفة عامة — ليست عند نيتشة كما هي عند غيره من الفلاسفة عناصر أو ميداناً مع بقية عناصر أخرى مثل الميتافيزيقا ومشكلة الآله وقضية المعرفة ونظرية المادة والروح — تتشكل منها جميعاً فلسفتهم العامة بانسجام يقومها جميعاً ويضفى عليها وحدة متناسقة ترجع إليها كل جزئياتها وتتجمع حولها . وإنما قضية الأخلاق عنده هي عنصر فلسفة الأول والآخر . هي كل ما سيطر على قلبه وعقله وقلبه وأخلاقه في حياته كلها . وإذا ما تعرض إلى مواضيع أخرى كمشكلة الأديان وأصولها ومشكلة الحرية وأطوارها أو الآله ومفاهيم الناس فيه فأنما كان في كل ذلك يسعى وراء هدف واحد لا يهيم غيره ، وهو تدعيم نظريته في الأخلاق . وأنت تستطيع أن تتابع كتبه وأبحاثه — وخاصة « إرادة القوة » « وهكذا تكلم زرادشت » فلا تكاد تجدها إلا ظلاً لبعضها البعض تسيطر عليها جميعاً فكرة الأخلاق . وقد يكرر لك هنا ما كنت قرأته له هناك إلا أنك مع ذلك لا تشعر بهذا التكرار أو تسأم هذه الظلال لأن بلاغة نيتشة وقوة تعبيره وطرافة صوره وصدق شعوره الفنى كنيلاً كلها بأن تبعد عنك السأم والشعور بالتكرار . بل أنك تجده ينفذ أفكاره بنفسه في الكتاب الواحد ولكن

وانترك نيتشة هنا يركز تقديمه على هذه الارض المجهولة التي اكتشفها لنعود اليه بعد حين نلتقى اثناءه نظرة سريعة على ذلك العصر الذي جعل بطلنا يزور عنه وعن أرضه لبحث لنفسه عن أرض أخلاقية أخرى « جديدة » في نظره لعلنا نستشف بعضا من تلك العوامل التي جعلته ينفر هذا النفور الغريب من مفاهيم عصره العامة للأخلاق ، وإى رائحة كانت تفوح من تلك المفاهيم لم يستطع نيتشة أن يفتح لها صدره ويستنشقها مثل غيره من الناس .

كان القرن الثامن عشر قد زحف فيه العقل على أوروبا بعد أن تحرر من بقايا تأثيرات الكنيسة عليه فشم كل مفاهيم الحياة ومختلف ميادينها وقيمها ، ووضع الإنسان الأوربي أمامه وجها لوجه فلم يترك له أى منفذ منه إلى الحياة والكون من خلال قضاياه الحديدية وأصبح الإنسان الأوربي لا يعتمد على شئ في حياته المعنوية والمادية الا مستخدما فيه هذا العقل كما اكتسب شجاعة كافية لاختصاص كل المذاهب والآراء في تشكيل الدولة والاقتصاد والقانون والدين والتربية لامتحان العقل ثم جاء القرن التاسع عشر فارتاع لهذه القفزة أو هذه المغامرة وشعر بالدوار والهلع فولى مسرعا إلى أقرب نقطة انطلق منها القرن الذى قبله فولدت الحركة الرومانطيقية ولم تكد تبرز إلى الوجود حتى أخذت في رفع عقيرتها بالتغنى بالماضى وخصاله . وكان ذلك بصورة خاصة في ألمانيا التي كانت آنذاك مشتتة مبددة في ولايات وأقاليم هزيلة متناثرة مما أثار في شعرائها ومفكرها حنيناً إلى الماضى المجيد ، وأصبح الرجل في نظر هذه الحركة عبارة عن كتلة من الماضى مرتبطة بمكان معين وزمان محدد وأصبح معين الأدب والفن لبس هو الحياة الواقعية وما فيها من جديد وطريف بل خيال العصور الوسطى وأبخرة الكنائس تتصاعد تحت أضواء الشموع .

الا أن روح القرن الثامن عشر العقلية لم تخمد مع ذلك أمام هذه النكسة الرومانطيقية بل قفزت من جديد قفزة ثابتة ظهرت بها في ثوب المذهب الوضعي الواقعي الذى أخذ يخضع كل شئ لتجربة والواقع والمادة ، ضاربا صفحا عن كل ما وراءها من معميات وتخمينات ورموز . وكان في النهاية أن استبدت الحركة الوضعية بالحركة الرومانطيقية وابتلعتهما فاختلت الموازين بين المادة والروح وارتبكت المفاهيم وأصبح الفكر الأوربي مقبلا على أزمة مخيفة أقفر معها ينبوع — الروح — وتعطلت كل قدرة عن الإنتاج والإبداع الروحي ، وتحولت المفاهيم ومقاييس الأشياء من الكيف إلى الكم وهو ما يزعج رجلا مثل نيتشة . « وأصبح الناس يتحدثون عن الأغلبية والجوع وأكبر عدد ممكن إلى آخر هذه الصيغ التي علمهم إياها الكتاب والمفكرون في القرن التاسع عشر » — وانصرف العقل الأوربي إلى العالم الخارجى نهائيا ونسى نفسه وعواطفه وأهداه الإنسانية العليا نسيانا يكاد يكون تاما حتى قال « ماكس بيكر » : « أن الحياة عند الناس وقرأهم من أنفسهم أصبح شيئا واحدا . ولم يعد للإنسان مقر من أن يفر من نفسه . لقد أصبح الفرار حالة دائمة وشيئا طبيعيا كالهواء » .

أما الأخلاق فقد تحجرت على قواعد مرتبة معينة يعيش عليها المجتمع حياته اليومية دون أن يفكر في أن تكون لها أهداف تطورية خالقة أم لا . وما كاد القرن التاسع عشر ينتصف حتى كان الفكر في أوروبا قد انتهى إلى مرحلة من الشك والتعب فقد معها سيطرته على توجيه نفسه نحو ما كان يحلم به من سعادة وراحة .

ذلك هو طابع الحياة النفسية في القرن التاسع عشر . أما الحياة الاجتماعية فقد سيطرت عليها الاوساط الشعبية ببدانها الديموقراطية وهو أيضا ما يفقد صواب نيتشة — ولم تعد تبالي بما كان يحرص عليه الاستقراطيون من مظاهر

فيه حتى ما يستحق أن يرمم ويعدل .

وقد بدأ أول ما بدأ بسقراط وأفلاطون وأبيقور الذي قضى على الغرائز العميقة في الإنسان بما كان يدعو اليه من فلسفة اللذة كما لو كانت الحياة قد خلقنا فيها للذة وننعم وليس للناضل « ونعيش في خطر » وعلى السفسطائيين وسلبيتهم الهدامة ازاء الطبيعة . والى هؤلاء جميعا ينبغي أن نضيف شوبنهاور وكانط وكل الذين وضعوا انفسهم في خدمة الضعفاء وتمجيد المسكنة ومحاربة الحياة وغرائزها « النبيلة » .

ولكن ثورة نيتشة على كل هؤلاء لا تعد شيئا اذا قيست بثورته المستعرة وحقده العجيب على المسيحية : تلك الديانة التي جاءت لتقتضى نهائيا على أعق ما في الفرد من غرائز ضرورية للحياة ، والتي أصبحت الحياة في نظر معتنقيها لا تعنى غير « تثقيف » الاساقفة والاباطرة وتوفير السعادة لهم . أما غيرهم فليست هذه الارض بالنسبة اليهم غير دار امتحان أخلاقي يترأس — جلساتها الاله وهو ممسك بيده دفاتر للسينات وأخرى للحسنات يسجل عليهم فيها ما ياتونه منها حتى اذا زادت سيئاتهم على حسناتهم عاقبهم بانتقامه الى الأبد . الا ان المسيحية ليست الا ميتافيزيكا الاشقياء . والوسيلة الوحيدة للتخلص منها هو « نفى الاله وخلع نير الكنيسة عن الاعناق » . ان أصحابها هم « المنزرون بالموت » وقد تفشى :أؤهم حتى أصبح « العالم مليئا بمن تجب دعوتهم الى الاعراض عن الحياة . والارض أصبحت مكتنزة بالخلاء ، وقد افسدوا الحياة فما أجدرهم بأن تستهويهم الابدية ليخرجوا من هذه الدنيا . ان هؤلاء المسوخ لم يبلغوا مرتبة الانسانية بعد . فليشروا بكره الحياة وليتلعوا عن مرابعها . انهم المصابون بسل الروح ، انهم لا يكادون يولدون حتى يبدأ موتهم وقد شاقهم الزهد والهمال . انهم يتلفعون برداء وسيع من الاسى ، ويتشونون الى الحوادث التي تجر وراءها الموت ، ولكنهم

الحضارة والرفاهية وقيمها البورجوازية . وأصبح « الإقبال على التوسط من كل شيء » هو الطابع الغالب على الحياة في مختلف ميادينها ونواحيها . لقد كان كل شيء يسقط في الماء ولكن لا شيء يغوص الى اعماق الينبوع كما يقول نيتشة . وهكذا لم يعد يجد هؤلاء القوامون على قيم الحضارة الاستقرائية عزاء امام هذا « الانحطاط » الا ان ينكر القيم الاجتماعية السائدة انكارا « ويحكموا على العالم كما هو موجود امامهم بأنه كان من الواجب أن لا يكون كذلك ، وعلى العالم الذي يحلمون به بأنه غير موجود . فكانت النتيجة عندهم أن العالم لا معنى له (نيتشة) . هذه هي الحالة التي كانت عليها أوروبا عندما شاعت الاقدار ان تاتى اليها بنيتشة . ونكاد نجزم ان هذا هو غروب ذلك اليوم من ايام الشتاء الذي وقف فيه نيتشة يتسائل عن الخير والشر . . لقد اعتقد الرجل ان هذا الوضع الاجتماعي (المنحط) هو نتيجة لتفسخ في مفاهيم الاخلاق في ذلك العصر . وان من اراد أن يعنى بأوروبا ويعيد اليها حياة التقدم او يعيدها الى الطريق المستقيم ينبغي أن ينصرف الى معالجة هذه الناحية قبل كل شيء وأن يهب لها كل ما في قلبه وعواطفه وعقله من مواهب وقدره حتى ينتشلها من الهوة . وكان نيتشة يعتقد انه ذلك الرجل .

نقد الفلاسفة والاديان وعلماء الاخلاق

كان نيتشة يعتقد في بعض الاحيان انه لن يستطيع البناء ، وذلك لفرط ما وجد امامه من بناءات اخلاقية ينبغي تهديمها قبل كل شيء . انها بناءات اقيمت على الرمل وخرائب من الاخلاق انقرض سكانها واهلها وبقيت ماوى للعجز والضعفاء ، فيقول : اننا لا نريد أن نبني قبل الاوان . بل لسنا نعرف ان كان قد قدر لنا ان نبني يوما ، او انه من الاحسن ان لا نبني اطلاقا « ان كل ما بنى في ميدان الاخلاق منذ كورنفسو سيتوس الى سقراط ومن المسيح الى كانط ليس

يتوقعون الموت وأسنانهم تصطك هلعاً وذعراً .
وهم في الوقت نفسه يمدون أيديهم الى ما نذ
وطاب . ان الحياة عندهم قشة يزدرونها ولكنهم
يحرصون عليها . ان حكمة هؤلاء تهتف قائلة :
الحياة جنون وانفزع منه التمسك بالحياة وقد بلغ
الجنون بنا الى هذا الحد الفظيع » .

هذه فقرة قصيرة من ثورات نيتشة على
المسيحية والكنيسة دون ان يفرق بينهما في شيء .
ان المسيحية التي ظل التاريخ ينظر اليها على أنها
تمثل روح الانسانية المتسامحة التي تأخذ الاشياء
اخذا رقيقا لا عنف فيه ولا عبوس وتنزع بالانسان
الى الارتفاع عن غرائزه الحيوانية الشرسة
وابداله مكانها عواطف ملائكية تطفح بالمحبة
والاحسان ليست في نظر نيتشة الا موعلا هداما
يقوض اعماق ما فينا من الميول البشرية الطبيعية
التي تنزع الى السيطرة والحرب والقوة .

والاغرب من ذلك ان ما اشتهرت به المسيحية
من روح انسانية هو بالذات ما يؤاخذ عليها
نيتشة باسم الانسانية نفسها . ان رجالها في
نظره قد سنوا وشرعوا كل قوانينهم وطقوسهم
المملة لغرض واحد وهو السيطرة على الجماهير
والصعاليك . انهم يعلمون ان الد عدو لهم
يستطيع ان يهدم سيطرتهم المكثوبة هو العلم
وتفتح العقل للبحث بعمق عن الاصول الدفينة
لفكرة الخير والشر فجاءوا ووضعوا ايديهم على هذا
الميدان واحتكروا البحث فيه لانفسهم لانهم يعلمون
ان هذا الميدان هو الذي تسطر فيه مصاير البشر ،
وقالوا للناس ان هذه الثمرة — ثمرة المعرفة
والاخلاق — محرمة عليهم في هذه الارض ، وانه
لا يجوز لغيرهم هم رجال الكنيسة — ان يبحث
فيها او يدنسها بيديه ، وقد عرفوا الطريق الذي
يوصلهم الى تلافى هذا الخطر : فالعلم وتفتح
الفكر يتطلب الهدوء والتأمل العقلي ، او بعبارة
اخرى يتطلب ارضاء جميع الحاجات التي يمكن
ان تشغلنا عن هذا التأمل الهادي العميق المنظم .

واذن ليصبح كل الناس رؤساء مشغولين
بالتفكير في امعائهم الخالية حتى لا يتفرغوا في هدوء
الى اكتشاف اكاذيب الكنيسة . لقد اخترعوا
مسألة الاثم الذي اقترفه آدم منذبذئ الخليفة على
ما يؤمنون حتى يجعلوا ابناؤه يقضون الحياة
وهم يتخبطون في الندم والشعور بالذنب ويبحثون
عن المغفرة في ظلام حالك ، وهكذا حصروا جهود
المخلوقات في التفتيش عن حل لمشكلة خيالية لا
يعرفونها بوضوح . وعندما تكل أرجلهم تعباً
يهرعون الى رجال الكنيسة ويرتبون على
مسوحهم يطلبون المغفرة والعفو ويسلمون اليهم
مقاليد امورهم ويمكنونهم من التحكم في رقابهم ،
وذلك بالضبط هو ما يبحث عنه رجال الدين ، حتى

تبقى بقية الناس تغفر جباهها في التراب وتبكي
شقاء الانسان وتتضرع ليلا نهارا طالبة المغفرة
على اقتراف ذنب لم يقترفه احد في يوم من
الايام .

ولا تحاول ان تقنع نيتشة بأنه اذا كان رجال
الكنيسة كما يقول فان المسيحية كدين مبراة من
هذه الجرائم . انه سيجيبك بان المسيحية نفسها
لست الا اكثوبة كبيرة من اكاذيب اليهود اختلقوها
في عهود عبوديتهم ولهم ليقبلوا بها الحقائق
ويسبقوا على انفسهم وعلى من كان في مثل حالهم
من العبيد المضطهدين نعوذا طبعوها بطابع
الانسانية وما هي في الحقيقة غير تمويه على
التاريخ ، فرضه عليهم وضعهم الذي كانوا فيه
من الاضطهاد والتشرد فلم يجدوا ملجأ يبقى
عليهم الحياة غير هذا الخداع الذي يحبزون به
حياة الرؤس والرؤساء حتى يستطيعوا تحمل
الحياة . والا فكل من بلاء على الانسانية اشد
من ان تعيش معذبة بائسة وهي في ذلك مختارة
بليء ارادتها او مخدوعة بهذا العذاب الذي تظنه
في خيرها وصالحها وهل من اجرام افدح ممن

الذى يتباهون به ويتفاخرون وهو « التجرد والنزاهة العلمية » وبحث الامور باعصاب باردة لا اثر فيها للحرارة او الفيرة كما لو كانت قضية الاخلاق سلعة نافهة لا تمس صميم انسانياتهم ولا تجول في عروقهم . ان هذا التجرد عند نيثشة ليس له من قيمة على الاطلاق لا في السماء ولا في الارض .

فكل المشاكل الضخمة تتطلب « الحب الاعظم » والحب الاعظم عند نيثشة هو ذلك الحب الذى يدفعه الى القسوة على الانسانية وتحميلها فوق ما تطيق لتتأهب لحمل رسالتها العظمى وتصل الى هدفها الاعلى وهو انجاب الانسان الاعلى او « السبرمان » .

ان هذا الحب الاعظم لا يستطيع ان يحمله نحو الانسانية اولئك الفلاسفة البارود الاعصاب . ان هذه المهمة الثقيلة لا يستطيع ان يضطلع بها الا ذوو العقول القوية الواضحة ، لانها تأخذ تلك القضايا العظمى كما لو كانت قضايا خاصة بها تجد فيها مصيرها وقدرها واحزانها وكل سعادتها . انه لا يؤلم نيثشة شينا كما يؤلم برود هؤلاء الفلاسفة الذين « يتجهون الى المسائل الانسانية التى يتوقف عليها مصير الوجود البشرى وعظمتها وازدهاره بروح « شخصية » وبفكر بارد تقبل . ان فكرا كهذا لا يمكن للمشاكل الضخمة حتى ولو كانت فى متناول العقل ان تدخل تحت حوزته لانه مكون من دم الضفادع . وهؤلاء الفلاسفة كانوا دائما ومنذ القديم لا يتحلون الا بنزوات وامزجة هى امزجة ابطال النساء النافهات . فمن ثم لا اصادق قط ولو فى الكتب فيلسوفا او عالما او مفكرا اخلاقيا يضع نفسه امام الاخلاق كما لو كانت امرا يهيمه شخصا ويثير همه والمه الحار او تشوقه وهواه الجارف المصادق ومن اجل كل ذلك لم تكن الاخلاق فى يوم من الايام مشكلة وضعت على بساط المعالجة الصحيحة . بل على العكس كانت عندهم ساحة حيادية انتهت بعد

جعلها تفعل ذلك بنفسها وهى تحسب انها تحسن صنعاً ؟

وهل من الطبيعى ان تكون غايتنا من الحياة هى ان نعيش فيها معذبين نحاول استمراء هذا العذاب واستساغته وتغطية مرارته بالعسل المكذوب ؟ كلا ان المسيحية هى التى ضاعفت من شقاء البشر وهى من اجل ذلك اكبر مجرم عرفه التاريخ .

وبعد . هل نقف مع نيثشة عند هذا الحد فى تحطيم الماضى ؟ كلا ! ان حماية الرجل على الاخلاق وغيرته على الانسانية اشد واقوى من ان تعرف الحدود او الاعتدال والتوسط . ان قلبه الجبار الذى طوح بالمسيحية من اعماق جنورها لايهدا الا اذا قضى على كل من شم رائحة المسيحية من قريب او بعيد وكل من تآثر بها تفكيره عن شعور او لا شعور . ان هؤلاء ايضا يجب ان يلحقوا بامهم التى ارضعتهم مفاهيمها التعسة المسهومة فى الاخلاق وبناء مستقبل الانسانية . وليس فى وسع هذا البحث الموجز ان يستوفى نقد نيثشة لكل فيلسوف نادى فى مذهبه الاخلاقى بما نادى به المسيحية — سواء كان متأثرا بها ام لا — من الشفقة والغيرة والمحبة والمساواة امام الله او امام القانون او الواجب الى آخره . بل ان نيثشة نفسه لا تسمح له كبرياؤه بان يتتبع هؤلاء الفلاسفة فردا فردا ليناقدشهم الحساب على آرائهم الاخلاقية بل يجمعهم دفعة واحدة ويفتح عليهم جام غضبه وحنقه ويضرب رقابهم جميعا بسيف واحد ما داموا كلهم يستندون اما على المبادئ المسيحية او مبادئ المساواة والضمير والمصلحة العامة والسعادة المشتركة الى بقية هذه الكلمات التى ليس لها فى عقل نيثشة اى معنى انسانى حقيقى كما ليس لها فى نفسه اى احترام او تقدير .

واول ما يؤاخذ به نيثشة هؤلاء الفلاسفة فى معالجتهم لمشكلة الاخلاق هو بالضبط ذلك الشيء

كل ما عانته من المتناقضات والخذ والرد أن اتفق المفكرون على أنها هي الظل الظليل الذى يستريحون تحته من عبء انفسهم ويستأنفون فيها عيشهم من جديد . اننى لم ار واحدا منهم تجرأ على هذا الانحراف الشنيع الذى تسر فيه الاخلاق . واننى لا ازداد الا اقتناعا بأن ما بذله بعض المؤرخين وعلماء النفس من جهود في ميدان الاخلاق هومنتهى السخافة لانهم سبحو لمخيلاتهم المغامرة أن تتلقف هذه القضية النبيلة تلقفا خاطفا لم يتبنوا معه شيئا من أهميتها . ولانهم علاوة عن ذلك ما يزالون هم انفسهم يرسفون تحب عبء الاخلاق المعتادة التى يرسف فيها الفكر الشعبى في اوربا المسيحية التى ما تزال حتى اليوم تفهم الاخلاق على أنها الشفقة والتضحية وما الى ذلك من مظاهر السلبية القاتلة » .

ويرجع نيتشة الخطا الذى درج عليه الفلاسفة من فهمهم لقضية الاخلاق والذى اعدى به بعضهم بعضا — الى نظرهم للاخلاق على انها شئ مشترك يتساوى فيه جميع الانفراد وجميع الشعوب ، او على الاصح بين الشعوب المتقدمة والتى يسميها نيتشة « الشعوب المروضة » والتى بعض المفاهيم الاخلاقية المبتذلة التى حاولوا ان يستنتجوا منها حتمية مطلقة قائمة في علاقات الافراد والشعوب بعضهم ببعض . ثم عندما تبينوا خطأهم في هذا الاطلاق بحكم اختلاف الشعوب باختلاف مفاهيمها وعاداتها — عادوا ففروا أن « كل » نوع من الاخلاق حتمى او قسرى . وكل من الفكرتين عند نيتشة لا تقل صبيانية عن الأخرى . ثم زادوا الطين بلة عندما راحوا ينقدون بعض النظريات في الاخلاق لدى الافراد والشعوب فتوهيما انهم ينقدون تلك النظريات قد نقدوا الاخلاق نفسها . انهم « في الواقع مازالوا الى اليوم يعتقدون انهم اعطوا لقضية الاخلاق ما هي جديرة به من الاهتمام والروح العلمية المتعمقة ، في حين انهم اكتفوا

بإيجاد أسس جديدة مريضة لانهم يعتقدون أن الاخلاق ليست شيئا يتكون باستمرار وانما هي « معطيات » . وهكذا بقيت مشكلة الاخلاق مادة مهملة ينسج عليها النسيان خيوطه بعد أن طرحتها تلك الكبرياء الثقيلة التى تعصف بعقول المفكرين . على أن هناك سببا آخر في نظر نيتشة جعل الفلاسفة يهملون الاخلاق هذا الاهمال المشين وهو أن مشكلة الاخلاق تتطلب ايدى في غاية المهارة والضب . وبما أن علماء الاخلاق ليس لهم من ذلك غير الغلظة والسمكة والرعونة تلك العاهات التى أعدتهم بها عقلية الكنيسة وبقية ما يحيط بها من ظروف ، وبما انهم ايضا قد استقوا كل معلوماتهم عن الاخلاق من عادات الشعوب وتواريخها بشكل ناقص مغلو ، فقد كان من البديهي أن يكونوا أبعد الناس جدارة عن بحث قضية الاخلاق وإيجاد ما تتطلبه من الحل . « الا أن كل ما يسميه الفلاسفة (أسس علم الاخلاق) ليس أمام ضوء الحقيقة غير شكل متحائل للاخلاق السائدة حولهم . أى هي عبارة عن سلبية مطلقة — وضعت في قالب اخلاق . وهكذا أذن ينتهى بنا المطاف مع نيتشة الى هذه الصحراء القفر التى عاشت الانسانية على سرابها وخداعها كل ما عاشته من القرون : اديان فاشلة خلقها الدجالون من اليهود ليقنلوا بها الحياة ، وأفكار فلسفية سطحية تطفو على سطح الاخلاق كالفقايع وهى تحسب نفسها نفوس الى أعماق ينابيعها » عندما أتيت الى العالم وجدته جالسا على افتراضات قديمة واثقا أنه عرف كل شئ عن الخير والشر . ووجدت الناس يعتقدون أن كل بحث في الفضيلة قد انتهى أمره . وبالرغم من عقيدتهم هذه فقد كان كل واحد يأتى على ذكر الخير والشر وهو متوجه الى سريره طلبا للنوم »

أن نيتشة يعتقد مخلصا انه هو الحد الفاصل في تاريخ الانسانية وانه بدأ جديد لتاريخ جديد

ستدخله البشرية يتغير به اتجاهها وتتبدل
خطواتها وتتضح أهدافها في الحياة بعد أن ضلت
السبيل في كل ما مر عليها من عهود . وهو فوق
ذلك مؤمن أنه بعث لتخليص البشرية من الضلال
والحطة والتفاهة ويترك على رقبتهما
القيود الثقيلة التي رزحت تحتها آلاف السنين .
وهو لا يهمه إذا كانت هذه الإنسانية تنظر إلى
عمله وجهده الذي يبذله نظرة ملؤها الحقد عليه ،
على أنه يعلم ذلك ويشعر بأننا ساخطون عليه
وهو يهدم أوثاننا الأخلاقية المقدسة ويتول :
« لست بالصوت الذي تتطلبه هذه الاسماع .

اننى اخاطبهم وكأننى اخاطب رعاة الماعز » .
ولكننا رغم سوء ظن نيتهم فينا فأننا لن نتسرع
في الحكم عليه قبل أن نرى نهاية المطاف الذى
يريد الرجل أن يقودنا إليه اننا ما نزال معه في
منتصف الطريق فلعل ما سياتينا به هو الحق وان
ما كنا فيه هو الباطل . اننا كثيرا ما جئنا على
المجددين في التاريخ ورميناهم بأوسخ التهم لجرد
كونهم أرادوا أن يغيروا قديمنا ويستبدلوا به
جديديهم .

(يتبع)

الاديب العربى يشكو من الرقابة ومن الارهاب

ينبغى الا يكون هنا الاول ان نسعى في هذا
المؤتمر لاتقرار توصيات جديدة تصطدم بعقبات في
التنفيذ تذهب بكل حسن النية الكامن وراء
اصدارها ، بل لعلنا نحسن صنعا اذ نعالج هذا
الموضوع الرئيسى : كيف نمكن للاديب العربى
أن يتمتع بحرية التعبير ليقيم بقسطه في المعركة ؟
صحيح أنه لابد من أن يكون ملتزما بالقضايا
العربية ، ولكن لتترك له الحرية في هذا الالتزام
حتى لا ينقلب الى الزام وهو العدو القاتل لكل
ابداع غنى .

لنتدارس قضية الرقابة ، ولننظر في أمر الغائما
وتقليصها أو نقلها الى اتحادات الكتاب ، ولنتح
للافكار أن تتصارع وتتناور ، ولنرفع عن فكر
الكاتب كابوس الخوف ليجد الطمأنينة التي تتيح
له الانطلاق في سماء الابداع والخلق .
ولكن لابد لنا ، ونحن نطالب بذلك السلطات ،
من أن نتعهد بأن نناضل من أجل امتنا ، ونكافح
من أجل شرف الكلية .
من كلمات الدكتور سهيل ادريس في مؤتمر
أبناء العرب بدمشق .

ان معركة المصير التى تخوضها الامة العربية
اليوم لا يمكن أن تتجزأ . فهى معركة ضد قوى
الشر والاستعمار والصهيونية ، وهى معركة
على الحدود ، وهى معركة لبناء الاشتراكية ، وهى
معركة للحفاظ على عروبة الاراضى التى تفتصبها
قوى البغى والعدوان ، ولكنها كذلك معركة
لبناء الانسان العربى من الداخل . ولا ريب في أن
هذا الانسان مصاب بآفات كثيرة تنخر كيانه
وضميره ، هذه الآفات هى التى كانت مصدرا
أساسيا للهزيمة التى لحقت بالامة العربية عام
١٩٦٧ ، وهى التى نحتاج أول ما نحتاج ، الى
حرية في التعبير تمكن الاديب من أن يجعل قلمه
مبضعا يشق به كل دمايل الفساد ، لا مروحة
يدغدغ بها العواطف والنزوات ، ويجامل بنسبها
السلطات ... وقلم الاديب في معركة بناء الانسان
المتهدم ليس أقل أهمية من بندقية الجندي في معركة
استرداد الارض : كلاهما يعمل من أجل استعادة
الكرامة العربية المفقودة . فإذا لم يوفر للجندي
السلح ، ولم يوفر للاديب القلم الحر خسرا
المعركة التى يخوضانها .

وجه

الجزائر

المسلم

اعتبر الشعب الجزائري استقلال بلاده منطلقا لكل الحريات الدينية والثقافية التى كانت محبوسة من طرف الاستعمار ، اعتبر استقلال الوطن استقلالاً للمسجد وللهدسة الدينية القرآنية وتحريرا من كل هيمنة تبشيرية أو اجنبية .

لقد تحررت المساجد التى كان الاستعمار الصليبي اخذها كنيسة ، وفي مقدمتها مسجد « كيتشواة » المسجد الكبير بالجزائر العاصمة الذى كان مركزا للانطلاق التبشيري المسيحي في افريقيا ، لقد عاد مسجدا كما كان منذ الاسبوع الاول من الاستقلال واقترنت فيه صلاة اول جمعة بامامة وخطبة الشيخ البشير الابراهيمي رحمه الله وبمحضر وفود البلاد الاسلامية المدعوة للاحتفال بالجزائر .

كما اعلنا في المقدمة التى وضعناها لمقال الاستاذ علال الفاسى المتشور في العدد السابق من « الاصاله » انه اول هذه المقالات ، والواقع انه ثالث المقالات التى خصصها الاستاذ علال لانطباعاته من الجزائر ونهضتها .
ونلك ان المقالين الاولين مركزان على برنامج الملتقى وسيره وتتابع المحاضرات ومحتراتها والمناقشات التى تلتها ، وهى معلومة بالنسبة للقارئ عننا لانه تتبعها بواسطة أجهزة الاعلام .
ولهذا راينا ان نقصر على المقالات الثلاثة الاخيرة .

وحسب البيان الذى امدتنا به الوزارة يمكن
حصر نشاطها فيما يلى :

1 - المفتشية المركزية (تتبعها خمس عشرة
مفتشية واحدة فى كل ولاية) ، وتشرف على
المساجد فى البلاد كلها . كما تسير رجال السلك
الدينى من ائمة ومؤذنين وحزابين وقيمين وتنظيم
شؤونهم ، وتنظم دورات تدريبية للائمة بانتظام
لرفع مستواهم باستمرار كما تشرف على حملة
محو الامية فى المساجد .

ب - نيابة الادارة للشؤون الدينية تقوم
باعاد :

- الاحاديث الدينية المذاعة يوميا بالاذاعة
الوطنية بنسبة ثلاثة احاديث فى اليوم .

- النشرة التوجيهية الاسبوعية الخاصة بالائمة
لتوحيد التوجيه الدينى ورفع مستوى الائمة
ومحاربة الشعوذة والتدجيل والخرافات والبدع .

- النشرة التوجيهية الخاصة بوعاظ المساجين
مختارة بأسلوب مبسط لتربية وتهذيب المساجين

- كما تقوم باصدار الفتاوى من قبل لجنة
الافتاء ، وتنظيم الحج كل سنة .

ج - نيابة الادارة للاوقاف ، ونشاطها المهم
فى :

- رعاية تسير الاملاك الحسبية ،

- ترميم واصلاح المساجد القديمة .

- الاشراف على هندسة المساجد الجديدة حتى
توافق المقاييس الاسلامية من جهة ، والفن
المعمارى الاصيل من جهة ثانية .

- تجهيز المساجد بالافرشة ومكبرات الصوت
(وكل مصروفات المسجد على نفقة الوزارة) .

ومما يلفت النظر فى الجزائر أن المساجد كلها
مفروشة بالزرابى التى تشتريها الوزارة او يتبرع
بها المومنون .

ومنذ ذلك الوقت والشعب يستولى على
المساجد التى حولت كنائس ليردها مساجد ، ولم
يكتف بذلك بل اخذ يستولى على عدة كنائس
بقيت فارغة بعد سفر المستعمرين عن البلاد ،
وقد تم الاتفاق بين هيئة اتحاد الكنائس العالمى
وبين وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية على
انه يحق للمسلمين أن يستولوا على كل كنيسة
وجدت فى محل لم يعد فيه سكان مسيحيون ، ولهم
أن يحولوها اذا شاءوا الى مسجد او الى ناد او
مدرسة ، وفعلنا فان الدولة والشعب لم يتقاعس
عن تنفيذ هذا الحق فهم يحولون الكنائس غالبا
الى مساجد بعد اصلاحها وتغيير ما لا بد من
تغييره ، وقد زرت عددا من هذه المساجد ذات
الاصل الكنىس وصليت بها شكرا لله على ما منحه
لمسلمى الجزائر جزاء صبرهم وتضحياتهم فى سبيل
حريتهم الدينية والمدنية .

ويقبل الشعب واغنياؤه افرادا وجماعات على
بناء المساجد الجديدة فى كل انحاء الجمهورية
مشجعين من قبل الولاة ووزارة الشؤون الدينية
وهى مساجد عصرية فى هندستها وفى اضافة
مرافق جديدة لما كانت عليه المساجد من قبل ولا
تألو الوزارة نفسها جهدا فى بناء المساجد أيضا
وقد زرت بعضها كمسجد الامام مالك فى وهران
الذى هو تحفة رائعة زانه الحفر على الجبس الذى
استقدم له صناع مغاربة من فاس .

وتتضمن وزارة التعليم الاصلى والشؤون
الدينية ادارة خاصة بالشؤون الدينية تشرف على
مختلف اوجه النشاط الدينى فى البلاد (بما فى ذلك
الاشراف على رجال السلك الدينى المسيحى
واليهودى) بوساطة مصالح ثلاث :

اولا - المفتشية المركزية .

ثانيا - نيابة الادارة للشؤون الدينية .

ثالثا - نيابة الادارة للاوقاف .

الموظفون الدينيون في اطارهم الجديد

يجب الانتباه الى ان الامام اصبح منذ سنة ١٩٦٩ يتمتع بكامل حقوق الموظف في الدولة ، من منح عائلية وضمان اجتماعي وترقية وعطل وتقاعد الخ .. وبعد أن كان يتقاضى منحة مؤقتة فهو الآن يتقاضى راتبا معتبرا وثيق الصلة بشهادته ومستواه العلمي يتراوح بين ستين ألف فرنك ومائة وخمسين ألف فرنك .

وقد نظم امتحان مهني خاص ، لمستوى الائمة والمؤذنين يرسم بمقتضاه كل الناجحين فيه في درجات تناسب نتائجهم في هذا الامتحان ، اما الراسبون فينبقون في مساجدهم ويستعدون للدورة الثانية (وتنظم لهم دروس خاصة في مدرسة خاصة)

واما الائمة الذين يحملون شهادات علمية كاثية فيرسمون بمقتضى شهاداتهم ولا امتحان عليهم .

وتقول الوزارة في بيانها المعطى لنا انها تريد بهذه الطريقة ان تبعد الامام المتكاسل وتفتح المجال للامام النشط الذي يقبل على العلم بارادة وعزم .

واما عدد رجال السلك الديني الذين تجرى عليهم الوزارة رواتب شهرية حاليا فقد تضاعف أربع مرات من الاستقلال الى اليوم ، فقد كان عددهم اربعمائة وأربعين وهم اليوم الف وتسعمائة .

ولا يزال عدد مثل هذا تقريبا يقوم بالصلوات الخمس وصلاة الجمعة تطوعا او على نفقة البلدة او القرية التي يوجد بها المسجد ، وذلك الى ان يرسموا جميعا في مدة سنتين او ثلاث ان شاء الله .

وهذه الزيادة المستمرة راجعة الى ما اومانسا اليه من اقبال المؤمنين بحماس على بناء المساجد وعلى تحويل الكنائس الى مساجد .

ووظيفة الامام لم تعد قاصرة على اداء الصلوات ، بل هو مكلف أيضا بالقضاء دروس الوعظ والارشاد .

وبتحفيظ القرآن للاولاد مدة معينة وبالقضاء دروس فقهية منتظمة .

وبدروس محو الامية يوميا داخل المساجد .

وقد بدأت حملة محو الامية بمساجد البلاد كلها في ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ ، وافتتح الحملة رئيس مجلس الثورة والحكومة بنفسه في الجزائر كما قام بتفتد سيرها في مساجد العاصمة وبعض عواصم الولايات كمدينة سطيف ، وقد ادخلت السبورة الى قاعة خاصة في المسجد واصبحت كالمبر ملازمة له ، رجوعا الى الاصل الاول ،

ووزعت الوزارت مجانا على المساجد عددا ضخما من الكتب ، كتاب لتعليم القراءة في جزاين ، كتاب الخط ، كتاب الحساب ، كتاب المعلم .

وقد افتتحت الوزارة مدرسة خاصة ببلدة مفتاح سممتها المدرسة الوطنية للاطارات الدينية وذلك لتوسيع افق الائمة الحاليين في شؤون الدين واساليب التربية .

لقد زرت مساجد كثيرة واديت بها بعض الصلوات فكان اعجابي كبيرا بعدد المصلين الحاضرين من الشيوخ والشباب ، والقيت في مسجد يوسف بن تاشفين بظلمسان درسا في تفسير سورة لم يكن الذين كفروا ، حضره جم غفير من الناس ، كما القيت درسا بمسجد سيدنا على بمدينة وهران وهو من المساجد التي بناها الشعب ، كان موضوعه تفسير قوله تعالى : (الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلف اللوانها) وقد خرجت لهذا الدرس من النزل الذي كنت فيه ، في مكعب فخيم مع رتل من السيارات المقلدة لوفود البلاد الاسلامية ، وكان المسجد غاصا بالمصلين الذين لم يسمعهم

بالشؤون المنوطة به واداء الصلوات والقاء
الدروس .

أرجو أن يكون المسؤولون في بلادنا من القارئین
لهذه الاخبار اتى جئت بها عن عيان ومن مصادرها
الاصيلة ليدركوا مقدار الخطيئة التى يرتكبها من
يهمل في بلادنا تطوير احوال السلك الدينى ويعوق
عن مواصلة تخريج العلماء والمثقفين في المعاهد
الدينية المختصة لذلك . انها لخطيئة عظمى أن
نرى ما يفعل اخواننا وجيراننا ونسير نحن في
هدم ما خلف اسلافنا ولكن : (ان ربك
لبالمرصاد) .

فابتاحوا في الشارع القريب ، وفي العاصمة
القيت كذلك درسا في تفسير قوله تعالى : ان
قارون كان من قوم موسى الآيات) وقد حضره
وزير الشؤون الدينية ومفتى العاصمة الذى
اطلعنى في خزانة المسجد على نسخة من صحيح
البخارى بخط سيدى عبد القادر الفاسى وقال
لى : انها هنا كائشخة لتصحيح نسخ الصحيح
عليها .

للآئمة في المساجد بنية او مقصورة خاصة بها
بعض الكتب وطاولة والتلفون ومحل الوضوء ..
ويظل الامام في المسجد لمقابلة السائلين او القيام

أهمية . ومن الجناية على هذه الجماهير أن ثرواتها
الطبيعية ومصادر دخلها الاساسية تصرف في شتى
انواع البذخ والترفيه على اقلية محظوظة وطبقة
ممتازة في عصر نحن في اشد الحاجة الى الثقافة
الشعبية ونشر الوعي وازالة الحواجز الطبقيّة
وتكوين مجتمع « الصالح العام » .

الطبقيّة الثقافية

ولابد من الالحاح على هذه الطبقيّة الثقافية
التي تميز واتعنا العربى . وليس بخاف أن قرون
الجمود وسنوات الاستعمار المظلمة قد مكنت
لطبائفة من الشعب العربى أن تسمن فكريا كما
سمنت اقتصاديا . وبذلك تكونت « نخبة » ممتازة
في ميدان الفكر والثقافة كما تكونت « اقطاعيات »
ممتازة في ميدان الاقتصاد والاجتماع . واذا كانت
هذه الاقطاعيات قد بدأت تتساقط كأوراق الخريف
في الوطن العربى ، فان النخبة الثقافية ماتزال تهد
جذورها وتبسط نفوذها ... »

من بحث عنوانه « من حضارة الشعر الى
حضارة العلم » للدكتور أبو القاسم سعد الله ..

« ... قد تكون ظاهرة التخلف المتولد عن
قرون من الجهود الفكرى والسياسى والاضطهاد
الاستعمارى أكثر ظواهرنا المعاصرة خطورة على
مستقبلنا ومصرنا . والتخلف الذى نعينه يتجاوز
انخفاض مستوى المعيشة والهبوط الفكرى لدى
المثقفين والحكم المطلق في السياسة . ان هذه
امية متفشية الى اقصى حدود التفشى لدى
جماهيرنا العربية . واذا استثنينا القليل من
الجهود التي تذلها بعض المصالح العربية ، فان
الامية في مجتمعنا قد بلغت حدا مخيفا يجعل اى
نوع من انواع المشاركة الفعالة لهذه الجماهير في
معركة المصير غير مأمونة العواقب ، وغير ذات

د. محمد العربي ولد خليفة

أستاذ بكلية الآداب

جامعة الجزائر

الالتزام الأيديولوجي

في البحث
العلمي
الاجتماعي

على الرغم من أن قضية الالتزام الأيديولوجي وعلاقته بالبحث العلمي الاجتماعي لم تكن إلى عهد قريب من بين الموضوعات التي تُؤرقنا في الجزائر ، فإنها تعتبر في الواقع أساس البحث في هذا الميدان ومحور الجدل فيه .

الصلة بين العلم - والعلم الاجتماعى بوجه خاص - وبين الايديولوجية ولكى تتضح هذه الصلة ينبغى ان نضع فى حسابنا جملة قضايا اولية :

اولا : اذا كانت العلوم الاجتماعية قد تعددت

واو غلت فى التخصص فان الواقع الاجتماعى واحد لايتعدد فهى اشبه بالروافد التى تخرج من نبع واحد لتعود اليه بعد مطاف طويل اكثر غزارة وجدة وثراء ، غير ان هذه العلوم تعانى فى جميع دوائرها من التعتد فى الموضوع والنقص فى التعميم والانتساع فى التضمن والنقص فى الشمول وهذا ليس بنقص فيها اذا اخذنا بعين الاعتبار سلم تطور المعرفة من المستوى اللاعضوى الى العضوى الى ما فوق العضوى . ان العلوم اللاعضوية استطاعت ان تصل الى درجة عالية من الضبط واليقين والتعميم والقابلية المرننة للتطبيق فقد برهن مثلا قانون الجاذبية لنيوتن على وضوحه وصدقه فى مراحل التجريب والتفسير والتطبيق ولعل هذا ما جعل الفزيائى البريطانى تومسون يقول : « ان النظرية سياسة اكثر منها عقيدة فموضوعها هو الربط بين الظواهر او التنسيق بينها بغية الايحاء بالتجربة او استئثارها فوق اى اعتبار آخر »

ولذلك ينبغى التسليم بادئ ذى بدء بان هناك عددا محدودا من الظواهر يمكن فهمها بعدد قليل من المفاهيم والفروض وبدون هذا التسليم يتوقف كل مجهود علمى ونتراجع الى الفكرة العتيقة التى تزعم بان الطبيعة خواء وان الجهد الفكرى هباء .

وليس بدعا ان تكون الايديولوجية هى منبع البحث فى العلوم الاجتماعية ومصبه ومركز الاهتمام ومداره ، وليس غريبا ان تتنوع التجربة الانسانية وان تتعدد بالتالى الواجبات التى تعرضها فان الناس كما يقول (هوايت هيد) يطلبون من جيرانهم قرابة تكتفى للفهم واختلافها يثير الانتباه وجلالا يبعث على الاعجاب ، غير ان الذى يعد بحق ردة وبدعة هو اعتبار المجتمع مجرد مادة خاملة يمكن وضعها فى انبوبة اختبار فتنصره باللهب وتتفاعل بالاحتراق ، او النظر اليه وكأنه لوحة مطرزة يحوم حولها الفكر من بعيد ليتأمل ويمنطق ويجرد وينسق دون ان يقتحم الميدان ويتهرس بالواقع الاجتماعى ويشاهده عيانا .

ان الايديولوجية جزء من الواقع الاجتماعى تبرز به ولا تنفصل عنه فهى مجموعة الافكار والمعتقدات واتجاهات التصور والتصديق التى تشخص جميعا معيننا من الناس سواء اكان هذا الجمع امة ام طبقة ام مذهب ، ويعرفها ماركس فى الموسوعة السويدية وفى مواضع اخرى - مع انغلز - فى المانفستو بانها المذهب السياسى الشرعى الذى يمثل الغطاء الفنى والفلسفى للانتاجية الاقتصادية كاساس للبناء الاجتماعى .

ويذهب كل من كارل مانهام وغرو من ويبكر الى اقامة علاقة وثيقة بين الايديولوجية والتغير الاجتماعى فى مختلف صورته وانساقه وبالعلوم باعتبارها اداة التكنولوجيا الاجتماعية ، فباستثناء الدين - الذى يبدأ من اسس مطلقة ليتراجع منها الى جزئيات يفرغ عليها قوة المسلمات اليقينية - فان كل علم فى حاجة الى اطار نظرى يكون مرجعا للتبرير .

٢ - وليس القصد سرد تعاريف الايديولوجية او مناقشة تطور مدلولها خلال المذاهب وعبر تاريخ الفكر (١) فان الذى يعنيننا هنا هو تعرف

ان المفاهيم والفروض التى تتهم ظواهر الطبيعية فى ضوءها هى فى الواقع من ابتكار الانسان فليس للعلم وقوانينه وجودا مستقلا يجعله جزءا من الطبيعة فالعلم وقوانينه بهذا المعنى جهد يبذله الانسان ليبسط الظواهر ويفهم سننها ويتحكم فى سيرها .

الاجتماع نجد ان هناك علم اجتماع رياضى وآخر فزيائى وثالث عضوى ورابع ميكانيكى وتكشف المقارنة التالية التى يعقدها كارى بين القوانين الفيزيائية والاجتماعية عن مطامح واحد من أكثر العلوم الاجتماعية تقدما :

القوانين الفيزيائية

- ١ - تنجذب جميع اجزاء المادة بعضها ببعض ، ويكون الجذب اطراديا بالنسبة للكتلة وعكسيا بالنسبة للمسافة .
- ٢ - تخضع المادة لعوامل مركزية ولا مركزية فتعمل الاولى على خلق مراكز محلية بينما تعمل الثانية على هدمها وخلق كتلة مركزية واحدة تخضع لقانون واحد .
- ٣ - كلما كانت هذه العوامل تامة كلما كانت حركة الاجسام أكثر وحدة واقرب الى الثبات .
- ٤ - كلما اشتد فعل هذه القوى او العوامل كلما كانت الحركة اسرع والقوة اكبر .
- ٥ - كلما كانت القوة والحركة الناتجة بحرة كلما اسرعت فى حركتها واتجهت الى تفكيك الكتل وافراد الاجزاء المكونة لها وكلما كان الاتجاه نحو الاجزاء اكبر كلما كان جمعها اسهل واسرع والقوة الناجمة اعظم .

القوانين الاجتماعية المشابهة

- ١ - يخضع الانسان لنفس القوانين فينجذب الافراد بعضهم لبعض ، ويكون الجذب طرديا بالنسبة لعدد السكان وعكسيا بالنسبة للابعد والمسافات .
- ٢ - وبالمثل تنجذب المراكز المحلية للانسان فى اتجاه واحد بينما تجذبه المدن الكبيرة - التى هى بمثابة مراكز للعالم - فى اتجاه آخر .

وهذا يعنى ان هذه المنطقة ليست بمنجاة من الاحتكاك بالايديولوجية فقد واجهت النظرية النسبية ردود فعل عنيفة فى الاتحا السوفياتى واطلق عليها البعض اسم النظرية الرجعية الاينشتاينية لانها تشك فى احد مبادئ الماركسية وهو موضوعية الحقيقة وذلك حتى سنة ١٩٥٥ عندما اكد الكسندروف انه لاتعارض بين النظرية النسبية والماركسية لان الاولى جزء من الحقيقة الموضوعية غير المشروطة ومن هنا انتضح ان ما هو نسبى يختلف عما هو غير موضوعى .

ويأتى فى المستوى الثانى العلوم العضوية المتمثلة فى الفيزيولوجية والبيولوجية وفروعهما التى حققت فى القرن الماضى تقدما باهرا على يد دارون ولامارك وكلود بيرنار الذين استخدموا مناهج المستوى السابق « اللاعضوى » فى دراسة الظاهرة الحيوية .

اما العلوم فوق العضوية وهى العلوم الاجتماعية فهى تختلف عن المستويين السابقين وأن كانت تنتمى اليهما - لان الانسان كائن عضوى يعيش فى محيط بعضه فيزيقى - اقول ان هذه العلوم تقع فى أكثر المناطق تنوعا وتعقدا وتغيرا ، فلا مراء فى ان الانسان هو اعتد الكائنات طرا كما انه منشئ المعرفة وجأتى ثمارها وهو فى هذه المنطقة يجد نفسه دارسا ومدرسا عارفا ومعروفا وهذا هو سر تاخر العلوم وحاجتها المتزايدة للاستعانة بمناهج ونتائج العلوم الرياضية والطبيعية والبيولوجية ، ففى علم

٣ - وبالمثل كلما كانت هذه العوامل تامة التوازن كلما كان الاتجاه اكبر نحو الشخصيات الفردية واتساع مدى الارتباط والتضامن داخل المجتمعات المحلية وكلما زادت الثورة والحرية زاد الاتجاه نحو الانسجام والسلام .

٤ - يصبح الانسان نتيجة لاتساع نطاق الحركة واشتداد القوة اكثر خضوعا لقوانين

الاجتماع الانسانى .

٥ - تنمو الفردية بسبب اختلاف ظروف العمل التى تستتبع اختلافنا فى طلب الانتاج ، وكلما كان الاختلاف اكبر كلما كانت قدرة الانسان على توجيه قوى الطبيعة اعظم .

ثانيا على الرغم مما يبدو من تباعد العلوم الانسانية من ناحية الموضوع والمناهج والادوات وتشقت نتائجها عند التفسير فانها بلاربط تلتقى فى قطر الدائرة المعرفية ومحورها الا وهو الانسان ، فان الظواهر سواء اكانت اجتماعية او اقتصادية او نفسية هى فى النهاية من صنع الانسان ، منه تبدأ واليه تعود فهو الذى يعطيها مدلولها وهو الذى يتلقى آثارها باعتبارها فردا وعضوا فى جماعة ، وهذا الانسان - كما يقول مود سلى

اعظم من ان تفسر مظاهر نشاطه بطريقة واحدة من البحث سواء اكانت ماكروسكوبية (تتبع العالم الاكبر او ميكروسكوبية (تتبع العالم الاصغر) .

ثالثا ان العلم قد أصبح وثيق الصلة بالمجتمع والذين لايزالون يقيمون الحواجز والفواصل بين العلم والحياة الاجتماعية بين النظرية وامكانيات تطبيقها هم فى الواقع ضحايا لاوهم (التبوريزم) او التنظيم .

ان العلماء يشعرون اليوم بان على كاهلهم مسؤوليات لابد من مواجهتها بثقة وربطه جاش ويمكن اجمال اهم هذه المسؤوليات فيما يلى :

١ - ابراز ما فى العلم من اخطاء مثل نظرية الانجاس البشرية وابرار الاخطاء العلمية فى الآراء المتعلقة بالحركات الاجتماعية الهدامة .

٢ - تنظيم النقد العلمى عن طريق الجهود التعاونية حتى لايطغى الضجيج والعناد على الحقائق المتزنة .

٣ - تقديم الادلة المادية على ما بين العلم والشؤون الاجتماعية من صلات قوية حتى يقتنع العلماء بضرورة اسهامهم جميعا فى الشؤون الاجتماعية لخير العلم نفسه .

٤ - وصف التحسينات الاجتماعية المرغوب فيها للتقدم العلمى وايضاح ان التنظيم الاجتماعية السيئة تعوق تقدم العلوم وأن هذا التعويق نفسه قد يؤدى الى نظم اجتماعية اسوأ .

٣ - ولتوضيح ذلك يمكن أن نضرب مثالا من ايدىولوجيتين متباينتين :

ففى الايدىولوجية الفاشية تخمد انفس الحرية العلمية وتطمس كل الحقائق التى لاتلائم أهداف الجماعة الحاكمة ، وسرعان ما يجد العالم نفسه مسخرا لخدمة اغراض ونزوات عابرة وهكذا تنطفئ كل ومضات الخلق والابداع ولا تنقذ جذوة الاصاله والابتكار .

وتجد هذه الايدىولوجية تربة خصبة فى النظام الراسمالى فهو الذى يفرزها وفى ظله تنمو وتترعرع ، وقد اوجز آدم سميث فى كتابه المعروف عن « حب الثاى : مبدا التعامل السائد فى المجتمع الانسانى » الخصائص التى تجعل

النظام الرأسمالي يحمل دائما بين جنبيه خطر الفاشية يقول : اننا لا نتوقع غذائنا من الجزر أو الخباز صانع الجعة على أسس حبهم للخير ولكن على أساس حبهم لانفسهم ولا نتحدث « اليهم البتة عن ضرورياتنا نحن بل عن استفادتهم فَمَا من أحد غير المتسول يقبل الاعتماد أساسا على حب مواطنيه للخير . »

ويبدو اثر الايديولوجية الاشتراكية في صورة مخالفة تماما لفهمه العلماء فيها هي التدعيم العلمى والعلمى للبناء الاشتراكى ودراسة القوانين التى تحكم عملية الانتقال الى الاشتراكية الحقيقية والكاملة وذلك باقامة علاقات اجتماعية وثقافية واسلوب حياة مطابق لاسس النظرية الاشتراكية وهى اسس تربط بين الحرية والتقدم من خلال التطور التاريخى وتأخذ بعين الاعتبار العناصر المادية وأن كانت لاتقف عند حد تجمع السلع فاللتقدم يعنى نمو الحرية وهو يتكون بالتالى بتزايد السيطرة العاقلة على البيئة المادية وعلى ظروف الحياة الانسانية وتتضمن هذه السيطرة ثلاث عناصر متميزة :

١ - نمو الصناعة والتكنولوجيا وبالتالي نمو الانتاج .

ب - سيطرة الانسان الجباعية على علاقته الاقتصادية وكافة شروط الانتاج والتوزيع .

ج - مقدرة الانسان من خلال هذه السيطرة على تنمية خصائصه الانسانية المميزة .

٥ - اقتناع العلماء الذين لا يذيعون آراءهم السياسية والعلمية بتعزيد الحركات الانشائية التى تقوم على اسس سياسية عادلة وتعمل على تحقيق العدالة الاجتماعية .

ويوضح المثالان التاليان اثر الصراع العقائدى فى صياغة النظريات العلمية وتوجيه مناهج البحث .

١ - واجه علم النفس فى الثلث الاول من هذا القرن مأزقا حرجا عندما انكر متطرفو اليسار نواحى النقص الوراثية فى الانسان واعلنوا ان القياس النفسى -

بدعة برجوازية تكرس الفروق الفردية وتبرر الاستغلال الذى تمارسه الطبقات الكادحة بينما الناس فى الحقيقة سواسية كاسنان المشط وأن المسؤول عما بينهم من فروق هو النظام الاجتماعى الذى يتيح فرص النمو العقلى والسواء النفسى للمحسوسين ويحرم غيرهم من الذين ينشأون فى بيئات فقيرة . وانتهى هؤلاء المتطرفون الى رفض علم النفس الفارق منها وموضوعا لانه علم

يناقض تعاليم العدالة الاجتماعية المطلقة وينطلق من مسلمة مؤداها ان المواهب فطرية وأن وجود الطبقات المسيطرة امر طبيعى ومشروع .

اما متطرفو اليمين فقد وجدوا فى القياس النفسى التهم المنشودة ، ولذلك ازدهرت كثير من الابحاث فى شمال امريكا وفرنسا وبريطانيا والمانيا وايطاليا تزعم ان الانحرافات النفسية والاجتماعية تورث مثلا بورث لون الشعر وطول القامة واستخلصوا من ذلك تعميمات مضللة مثل تلك التى انتهت اليها ديفنبورت والقائلة بان بيض امريكا اذكى من زنجيها وأن الاجرام سلوك موروث فى قبائل الجوك والكاليكاس وأن الآريين اقدر على الابداع من اى جنس آخر ، وهذا ما يفسر ازدهار اساليب القياس النفسى ووجه تطبيقه فى تلك البلاد لان العمال يمكن ان يسرحوا بوسائل فنية لاختفاقهم فى اختيارات الانتقاء والتوجيه المهنى والتلاميذ يصنفون فى فئات حسب نسبة الذكاء ويحرمون باسم العلم من دخول باب الجامعة الخ ..

ب - لقد لعبت الايديولوجية الرأسمالية في المجتمعات الغربية (فرنسا وبريطانيا بوجه خاص) دورا حاسما في توجيه الدراسات الانثربولوجية نحو الاتجاه التطوري فقد اعتبرت الثقافة (٢) الغربية ارقى ما وصلت اليه الانسانية عبر تاريخها الطويل بينما كان ينظر الى بعض الثقافات السائدة في افريقيا وآسيا واستراليا باعتبارها تمثل نقطة البداية لمعرفة الاشواط الوسطى التي قطعتها الثقافات ينبغي القيام بدراسات تراجعية يكون المعيار فيها هو النقطة الحضارية التي يقف فيها الغرب اليوم ، فضلا عما في هذا الافتراض من تجنى يقوم الثقافة من جانبها التكنولوجى فحسب ويغفل عن اسس التنظيم الاجتماعى الاخرى مثل النسق الاخلاقى والدينى الخ .. فضلا عن ذلك فان الهدف الحقيقى لهذه الدراسات هو الوصول الى فهم اعمق لهذه الشعوب المسماة بدائية تمهيدا لاستغلالها واستعمار اراضيها ولم يكن عجا ان يقوم الانثربولوجيون بعمليات الاستكشاف الاولية قبل كل حملة استعمارية ، وهكذا سخرت الايديولوجية علما من احدث العلوم ووجهته وجهة خاطئة تتخفى وراء مسح العلم .

٤ - ان العالم لا يلبث ان يقتنع خلال الشوط او وهو على مشارف النهاية بان هناك قضية وحيدة جدية بان يكافح من اجلها هى قضية

الانسان في آلامه وتطلعاته في سعادته وشقائه . لقد قضى راسل زهاء نصف قرن وهو يشيد صرح الرياضة لبنة لبنة بنصل « اوكام » الصارم حتى اصبح ، امامها والداعى لها والذي وطاها للجبيع ولكنه وجد نفسه في نهاية الشوط امام سلسلة لانتهى من الطوطولوجيات (تحصيلات حاصل) لم تغنه شيئا ولم تشف غليله التواق الى الحقيقة المتمثلة في الواقع الانسانى كما هو في الهنا والآن ولعل هذا ما جعله يختم سيرته الذاتية بهذه الكلمات المؤثرة :

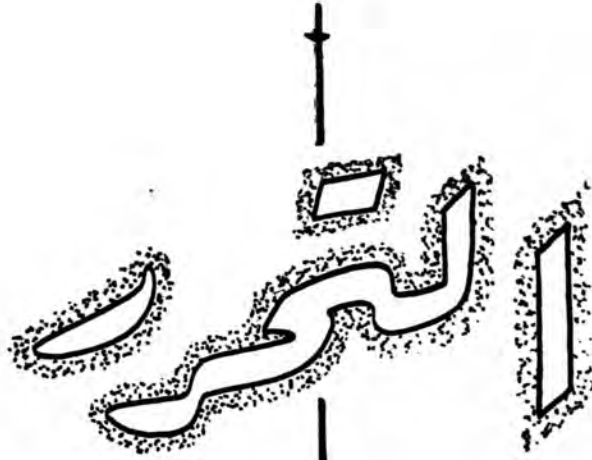
« لقد كان من نتائج الحرب انها جعلت من المحال بالنسبة لى ان اوصل حياتى في عالم من التجريد اذ تعودت ان ارقب الفتيان وهم يرحلون في قطارات نقل القوات المسلحة لكي ينجسوا على ضفاف نهر السوم ، لان القواد كانوا اغبياء وكنت افسح بحنو موجه على اولئك الفتيان ، وكنت اجد نفسى وقد اتحدث مع العالم الواقعى في قران من الانم وكل ما كان لدى من افكار محلقة عن عالم الافكار المجرد بدا لى هزيلا واقرب الى التفاهة بازاء ما كان يحيط بى من المذاب الشامل وبقى العالم غير الانسانى ملاذا الجالية من وقت لآخر وليس وطنا يبنى فيه الانسان مسكنه الدائم . »

محمد العربى

(للمقالة صلة)

(١) بدأ استخدام كلمة ايدىولوجية بمعناها الحديث في مستهل القرن التاسع عشر ويقال ان الفيلسوف تراسى Tracy قد اقترح على المجلس الوطنى الفرنسى سنة ١٧٩٦ اطلاق هذه الكلمة على الفلسفة العقلية

(٢) يقصد بالثقافة في هذا المجال ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والمعتقد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات الاخرى التى يتحسبها الانسان من حيث هو عضو في المجتمع .



والعندية

محمد عزب الحجابي

سنبحث عن الفعاليات التي يتحقق بها التحرر ، وعن الطرق التي تؤدي الى هذا التحقيق :

— ما هي مفاهيم الملكية ؟

— ما هي الانفعالات الوجدانية التي تنشأ عن التملك ؟

على هذا المستوى ، سنجد ان الفعاليات المحررة تتصل بالتزام :
بالصراعات المجتمعية ، وبما يعترى الديئات البشرية من انسجام او
اختلال .

فكرة الملكية وفكرة العمل

أو الايتنوغرافيون ، أو رجال القانون ، أو المشتغلون بالاقتصاد . انها مشكلة أساسية ، لا بالنسبة لفهم حضارة ما وقيمة الحريات التي ترتكز عليها فحسب ، بل كذلك لمعرفة الكائن الانساني من الناحية السيكولوجية . فـ « ما هو ملك لنا » يظهر انه يدخل في اعماق ذاتنا ، ويوسع افقها : فكونى « مالكا لشيء » معناه انى اكون واياى وحدة ، أى ان ما املكه يصير ، ماديا ومعنويا ، جزءا منى . وهذا ما يذكرنا بمثل مغربى « المال من الابداد » .

توجد عند « افلاطون » احدى الانتقادات الاولى التى وجهت للملكية . لقد دعا ، بطريقة مطردة ، الى نظام فلسفى - اقتصادى - سياسى تصبح الملكية فيه ملكا مشتركا (٣) : « اريد ، أولا ، ان لا يملك احد شيئا يكون خاصا به الا اذا كان ذلك ضروريا » . ولكن هذا النظام لن يكون مطبقا الا على حراس المدينة الاغلاطونية وحدهم ، اما الطبقات المنتجة فانها ، على العكس من ذلك ، تعيش تحت نظام الملكية الشخصية .

ثم جاء ارسطو فدافع عن الملكية الشخصية ، دون اى حصر ، وعلى الاخص منها الملكية العقارية ، بل انه برر الاسترقاق (٥) . فالارقاء من الملكيات الشخصية ، بله مجرد « آلات حية » ، وسيظلون كذلك ما لم يتحقق « الحلم الاكبر » : لو استطعنا « ان نعطى امرا ، أو نقوم باشارة لى تؤدي كل آلة عملها (...) لما احتاج المهندسون الى عملة ، ولا الاسياد الى عبيد » (٦) . حين ذاك ستحتل الآلات مكان العبيد ، فى جميع الاعمال على اختلافها ، دون

منذ العصور القديمة ومشكل التملك يشغل الفكر الانسانى . ولكى نظهر ارتباطه بمشكل التحرر ، قد يكفينا ان ننظر اليه فى شكله الممتاز ، اى كعلاقة بين الشغل ونتائجه . لكن هذه النتائج ان هى الا افعال تثبت الوجود الفعلى لن يقوم بها ، وتتيح له ان « يتموضع » ويتحقق (١) اما التملك ، فنحن حينما يظهر امتدادا للشخصية ، فى عالم الاشياء ، أو فى شكل « مشاركة » ، يبقى مرتبطا ارتباطا لا ينفصل بفكرة الحرية . ليس الرق والاسترقاقية الا صورتا ناطقة لذلك ؟

لقد كان الاقدمون يميزون ، مثلما نفعل نحن اليوم ، بين نوعين من الملكية ، ملكية المتاع وملكى العقارات ، ومن الممكن ان يعد العبد من هذا الصنف أو الآخر ، على السواء . كان العبد الملحق بشخص المالك أو المواطن الحر ينتقل من سيد الى آخر ، ومن يد الى يد ، كقطعة من المتاع . وهناك أيضا العبد الذى من صنف العقارات ، نعتى انه يشبه الارض التى كان ملحقا بها . وهذا ما سعى فى عصور سالفة بالاسترقاق الارضى (٢) .

فمشكلة التملك لا تتعلق بالنظام الاقتصادى فحسب ، بل ان معنى الانسان ومصره ، وتحرره ، كل ذلك يوجد ، ضمنا فى مشكل التملك . كما يحتوى هذا المشكل على كل العلاقات التى تربط الناس فيها بينهم . ولذلك عكف المفكرون ، باختلاف اختصاصاتهم ، على دراسة علاقة الانسان بالملكية ، سواء منهم المؤرخون ، أو السوسيولوجيون ، أو الفلاسفة ،

(١) موضوع Objectiver

(٢) انظر : F. de boulangue, la cité antique :

A. Koyré « Introduction à la lecture de Platon »

(٣) الجمهورية ، الكتاب الثالث

(٥) ان المدينة ، كما يراها افلاطون « ليست مطلقا مدينة شيوعية » ص ١٤٥

(٦) امتلك ارسطو نفسه خمسة عشر رقيقا !

ويتسع نطاق مشكل الملكية ، مع ابن خلدون ، فلم يعد يهم الميدان الشرعى فحسب ، ولا ميدان الفلسفة وحده . فنظرية ابن خلدون تركز على الواقع الاجتماعى والاقتصادى ، أكثر منها على أى شئ آخر . فمن ذلك الحين ، أصبحت فكرة الملكية مرتبطة بتوزيع الخيرات ، وبالسلطة السياسية ، وباختلاف الطبقات . وشروح ابن خلدون ، فى هذا الموضوع ، تثير قضايا مهمة صارت فيما بعد ، قضايا المصلحين الاقتصاديين



أرسطو

والاجتماعيين ، وقضايا الموسوعيين ، مثل « برودون Proudhon » و « كونسيديران Considérant » و « أنجلز Engels » و « ماركس Marx » (أ)

يرى ابن خلدون أنه يجب ، قبل كل شئ ، أن نعتبر مختلف أصناف الخيرات - نحيث فائدتها

أن تنتزع من المواطن الحر حريته ، ودون أن يحرم من التفرغ للتفكير المجرد والتأمل . أنه حلم عظيم ، غير أن تحقيقه ليس الا افتراضات ومثنيات أرسطية ... فالطابع الانتفاعى والنسبى لنظام جائر ، كالاسترقاق ، قد غاب عن أرسطو ، مع أن السفستائيين قد لاحظوا ذلك قبله . (هيبيايس Hippias) يؤكد أنه ليس للاسترقاق أى أساس فى الطبيعة البشرية . وكذلك الشأن ، حسب « أنتيفون Antiphon » بالنسبة لاعتقاد الاغريق ، أنهم مخالفون ، تمام المخالفة ، للاجانب (بربار Barbarus) .

الرواقيون ، هم أيضا ، يودون أن تؤسس مدينة ذات أبعاد شاسعة يشترك جميع الناس فى تسيير شؤونها العامة . فكر (زينون) فى « شيوعية » تامة تتعدى الاشتراكية الاوليغارشية التى امتدحها افلاطون فى جمهوريته ، فهوؤسس المذهب الرواقى لم يميز مطلقا بين يونان واجانب ، بين مواطنين احرار وارقاء ، وبذلك ابرز خطوطا لفكرولوجيا (V) نبيلة ترمى الى « النزعة المعالمية » التى ستنتضح جليا ، فيما بعد ، عند رواقى الامبراطورية ، مثل (سنيكا) و (مارك اوريل) .

يجدر بنا ان ننكر ، كذلك ، بموقف ابى ذر الغفارى ، فى القرن الاول للهجرة (القرن السابع بعد الميلاد) . لقد دعا هذا الصحابى الى الفاء مطلق للملكية الشخصية ، بل وحض على «ثورة الفقراء» من أجل اقامة مجتمع يسوده التساوى التام . لم يكف ، طول حياته ، عن ترديد هذه العبارة النارية : « ويل للاغنياء من الفقراء ! » ولكن ابا ذر لم يترك اتباعا وانصارا لنظريته ، بل ان الاتجاه المعاكس هو الذى استأثر بالعقول والانظمة ، فى كل الامة الاسلامية .

(V) فكرولوجيا Idéologie

(A) أرسطو ، كتاب السياسة ، ج ١ ، ص ٤ . ان افلاطون ، بالرغم من كونه من اسرة ارستقراطية ، شجع فصرح بان للارقاء عقلا . يمكن اعتبار هذه النظرية جد نورية اذ ذاك .

العلمية . فالشيء لا يمتلك حقا الا اذا استعمل .
فالاولية هنا قد اعطيت لاستعمال الشيء الفعلى ،
مما يخالف تماما المفهوم القانونى للملكية فى
الفقه الرومانى .

هكذا يقترب ابن خلدون من ابي ذر الغفارى ،
لكنه لا يذهب بعيدا فيلج فى الطلب بالحذف التام
للملكية ، يرى ابن خلدون ان الملكية شىء معنوى
ضرورى . ولكن بما انه مفكر ذو نزعة
انسية (٩) واقعية ، دعانا الى ان نهتم بالحاجيات
الضرورية قبل ان نفكر فى الكماليات والبذخ ،



أفلاطون

حتى يتسنى للجميع ان يحصل على ضمانات
بمقتضاها يرضى حاجياته الحيوية .

تطرح الملكية ، فى العصر الحديث ، مشاكل
اكثر تعقيدا مما راينا . فالعلاقات البشرية

تتركز ، باستمرار ، فى وسائل الانتاج المختلفة ،
وطرق تغيير المادة ، وقابلية التملك والسيطرة
على هذه المادة ، وكسب المنتجات التى تصنع
منها بالعمل . من هنا اصبح الشغل جزءا
صميميا من وعى ال « انا » لذاته ، بصفة ال
« انا » فردا ، وبصفته ملتزما بروابط مع ال
« نحن » .

فى دياليكتيك المبادلات ، وفى علاقة المالك
بالممتلكات ، يظهر العمل ، (رغم التعارض بين
الطبقات) ، كمنبع للقيم ، ومكون شامل ،
واساس للوحدة داخل التعدد .

هناك مستويات يجب التمييز بينهما :
اولا : مستوى العمل الذى يحررنا بارضاء
الحاجات البيولوجية .

ثانيا : مستوى العمل (بعد ان أصبح فنا) .
انه يحررنا من ربة حاجات تضغط علينا جدا .
فبمساعدة العمل نتجاوز الحياة النباتية المحض ،
ونعى انفسنا باننا لسنا مطلق جهاز هضمى .

فالفكرة الحديثة عن تحرر الانسان (١٠) تطرح
متصلة اتصالا وثيقا بالقدره على التملك ،
والعمل ، والريح ... وبما ان الحريات تتداخل
فى سياق المحيط التاريخى والاقتصادى للبيئة ،
كان من النادر ان نصادف فلسفة انسية كبرى ،
وخاصة فى عصرنا ، لا تعطى تلك المشاكل مكانا
خاصا .

مثلا : لا يمكن ابدا شرح مذهب (هيجل) دون
ان نأخذ بعين الاعتبار ما فى هذا المذهب من
اتجاهات سياسية ومجتمعية . ان فلسفة
(هيجل) تعكس ، من بعض الوجوه ، مطامح
الطبقة الوسطى بالمانيا ، فى القرن التاسع عشر ،

(٩) انظر : ابن خلدون ، المقدمة ، الباب الخامس ، الفصل الثانى ، وكذلك كتابنا ، Ibn Khaldûn, Paris, Seghers, 1969.
(١٠) انسن : HUMANISTE

طبقية ، مما وفر لكل مواطن الشروط الخارجية للتححرر. أما في الاتحاد السوفيتي والديمقراطيات الشعبية ، فبالرغم من تقرير مبدا حذف الملكية الفردية لم تنهيا بعد الاسباب الاقتصادية ، والمادية على العموم ، للتححرر الكامل .

فما يلتزمه مفكرو الجبهة الشرقية الماركسية من تعلق بالواقعية ومن نقد ذاتي هو ما جعلهم يبدون تخوفات من تضخم شروط الرفاهية المادية ، فقد يعوق ذلك ، في نظرهم ، السير الحثيث نحو التححرر الحق ، بسبب تعسود الشعوب على الراحة ، وبالتالي على المواقف السلبية . ليست الحياة البورجوازية السهلة هي أيضا عنصرا رئيسيا في وجود الاستلاب ؟ إذا لاحظنا تخوفات المفكرين الماركسيين السابقة حتى نتائجها البعيدة ، امكننا ان نستخلص ان حذف الملكية الشخصية وتأميم وسائل الانتاج لا يكفيان لتحرير الانسانية . فلربما تولد عن التصميم ، وعن سيطرة الحزب والنقابة ، وأجهزة الدولة ، اسباب جديدة للاستلاب . هذا ما جعل الماركسيين يهتمون بالبحث عن وسائل أخرى لمقاومة الشعور بالحرمان والقلق ، مثل توفير مناطق جديدة للأعمال المجانية والمنافسات ، وتكثير كتائب الشغل ، الى غير ذلك مما يتيح للشخصية الانسانية مزيدا من التفتح . فحذف الملكية الخاصة وتأميم وسائل الانتاج ، ربما يقضيان على جوانب من الاستلاب الاقتصادي المتجسد في سيطرة رأس - المال على العمل . لكن هذا لا يزيح من طريق التححرر حرما آخر ، هو استلاب عالم التصنيع . ان قضية الحرية مرتبطة بارتضاء حاجات المواطنين ، الا ان الرغبات والنزعات من صميم الحاجات الملحة الاصلية .

وفي فرنسا ، خلافا لرجال الاقتصاد الكلاسيكيين الذين غضوا الطرف عن العواقب الاجتماعية

تلك الطبقة التي تريد التححرر من النظام الاقطاعي . بيد انها لم تتوافر بعد على قوة تخولها قلب الاوضاع ، فكانت مضطرة ان تدعن ، دون رضى ، لمخلفات الماضي .

ان (هيجل) يهتم بعلاقات كل طبقة بالشغل ، كما يهتم بما بين الطبقات من ترابط ، وهذا معنى من المعاني الممكنة بالنسبة للجدل الهيجلي حول « دياليكتيك السيد والعبد » . فالدور الاساسي للارتيق هو ان يصنع اشياء تصبح ملكا للآخرين . وبما ان وجود الرقيق مقيد بوجود الاشياء التي يصنعها ، فان الذي يملك تلك الاشياء يسلب الرقيق حريته ويجعل كينونته الحقيقية تنسج من استرقاق ذاته وتتحصر فيه . ولكن ، بما ان (هيجل) محافظ بالرغم من رفضه للعبودية التي يتضمنها النظام الصناعي الذي يخضع فيه الفرد لعمله ، يعتبر نظام عدم مساواة الملكية الفردية نظاما ضروريا . ولكي يتخلص (هيجل) من هذا التناقض ، يحول المشكل الاقتصادي والمجتمعي ، الذي تطرحه ظاهرة استلاب الحرية ، الى مشكل فكيولوجي للعلاقات بين الوعي وموضوعه . فدياليكتيك « السيد والعبد » يبقى ، اذن ، في مستوى العلاقات بين وجدان ووجدان آخر .

* * *

أما « كارل ماركس » ، تلميذ ، هيجل ، فيطرح من جديد مشكل استلاب الحرية ، حرية العامل في النظام الرأسمالي ، ويحاول ان يجد لهذا المشكل ، على الصعيد الاقتصادي والمجتمعي ، حلا اقتصاديا ومجتمعي . يرى ماركس ان لا وسيلة مرضية لازالة سبب استلاب الحرية الا بالغاء نظام الملكية الخاصة .

ربما اعترض على ماركس بما يلي :
نشاهد اليوم ان الامم السكندنافية قد حافظت على الملكية الشخصية ومع ذلك حققت رقما عاليا من الرقي المادي والرفاهية ، لصالح مجموع السكان ، على السواء ، دون فروق

من الحالات .

لم تكنسب فكرة « الملكية » الا خلال تطور المجتمع البشرى . فالملكية تتصل بفكرة « الثروة » ، فى المعنى الذى يعطيه لها النظريون : كل ما يشبع حاجة بشرية . ففى اليوم الذى تصل فيه « العلوم الانسانية » الى درجة من التقدم بحيث يصبح الشخص اكثر تعرفا على حاجاته فى مجموعها ، ويستطيع ارضاها بقدر كبير ، يتحقق التحام تلك العلوم مع « علوم الطبيعة » ويغدو مجموع ثروات العالم ملكا مشتركا بين جميع البشر .

ليس هناك اى مانع ، نظرى او مادى ، يتعارض مع هذا الاتجاه . ان تخوفنا مما يخبئه الغد ، وقصورنا عن معرفة تامة للكون ، كل ذلك جعلنا عديمى الثقة بالمستقبل ، كثيرى التكاليف على الثروة ، شرهين . هذا ما توصل اليه ابن خلدون ، منذ ستة قرون ، اذ يقول : « ... السبب فى ذلك انه قد عرف وثبت

ان الواحد من البشر غير مستقل بتحصيل حاجاته فى معاشه ، وانهم متعاونون جميعا فى عمرانهم على ذلك . فالقوت من الحنطة ، مثلا ، لا يستقل الواحد بتحصيل حصته منه . واذا انتخب لتحصيله الستة او العشرة ، من حصاد ونجار للالات ، وقائم على البقر ، واثارة الارض وحصاد السنبل وسائر شؤون الفلاح ، وتوزعوا على تلك الاعمال ، او اجتمعوا وحصل بعملهم ذلك مقدار من القوت ، فانه حينئذ ، قوت لاضعافهم مرات . فالاعمال بعد الاجتماع زائدة على حاجات العاملين وضرورتهم ، اكتفى منها بالاقل من تلك الاعمال وبقيت الاعمال كلها زائدة على الضرورات فتصرف فى حالات الترف وعوانده وما يحتاج غيرهم من اهل الامصار ، ويستجلبونه منهم باعواضه وقيمه ، فيكون لهم بذلك حظ من الفنى » (١١) .



هيجل

للتصنيع ، كانت لـ « سان سيمون Saint Simon و (بردون Proudhon و) فوري Fourier نظرية عقلية ، او عقلانية ، عن ازيمات وشقاء هذا العصر ، الا انهم لم يصلوا الى تشاؤم يشمل الحاضر والمستقبل (كما هو الحال عند رجال الاقتصاد الكلاسيكيين) بل يعتبرون الشر غير محتم ولا خالدا : ان اقتصادا محكم التنظيم سيقضى على هذا الشر .

للعامل الاقتصادى قدرة على التأثير فى سير التاريخ العام ، بحيث ان العلوم والفنون والعقائد لما جرياته ، كما ان السلوك الاخلاقى والحالات النفسانية ، لدى الفرد والجماعات ، ما هى ايضا الا رد فعل للبنيات الاقتصادية . فنحن ، وان كنا نحيا بالعنديات ، لا نستغنى ، مطلقا ، عن « اشياء » اخرى هى ايضا اصلية ومتجذرة فى الاعماق البشرية ، تؤثر فى سير تاريخنا الفردى وتاريخنا الجماعى ، نصارع من اجلها ونتقبل جسيم التضحيات لتحقيقها ، لانها من كيان كينونتنا ، وقد ترغمنا احيانا على ان نزهد فى العنديات دفاعا عنها ، وتضحية للحفاظ عليها : ان سلوك المحب الحق وسلوك المؤمن الصادق ، مثلا ، يعكسان الصراع بين الكينونة والعندية ، كما يعكسان غلبة الاولى على الثانية ، فى الكثير

(١١) ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل الحادى عشر .

**وبالمفهوم الذى لدينا عن التوزيع ، ويعنى ذلك ،
فى نهاية المطاف ، أن الاستهلاك يتعلق بالكرامة
الإنسانية وبالتضامن بين الأشخاص .**

نجد فى بعض البيئات ، أن نظام التوزيع يتيح
لبعض الافراد حظوظا على حساب الآخرين .
فاللكية تعنى أشخاصا من الاشتراك ، مباشرة ،
فى الجهود التى يستفيدون منها ، وهذا يفترض
استلاب حرية للبعض لصالح الآخرين . ان
الانتاج لا ينمو حسب حاجات المجتمع بل حسب
ما حصل لرأس - المال من فائدة . هكذا ،
عندما ينسلخ العمل عما يشخصه ، يفقد قيمته
الحررة . فما دام نظام الانتاج لا يرتكز على
مبادئ أخلاقية ، مثل العدالة والتضامن ، وما
دامت العلاقات الاقتصادية تفضل الأشياء
المكتسبة (والتي يمكن اكتسابها) على الأشخاص
فان الحضارة ستستمر تعاكس ائسنة العالم
وانسنة أجهزته . الا تعنى كلمة « عزيز » :
من جهة ، نادر وقليل (وبالتالي ثمين) ، وفى
نفس الوقت ، حبيب الى نفوسنا ؟ ذلك أن
« ثمن » الشيء أو قيمة الكائن تعكس الحب
الذى نكنه لذلك الشيء أو الكائن .

يتميز توقف الكائن البشرى عن التشخيص
بحالات غير سوية ، أهيها شعور المرء بالعجز
عن تملك أى شيء ، وهو شعور بخيبة الاستلاب
لان العندية ، عند البدائيين ، مساهمة وجدانية
« صوفية » ، اذ امتلاك الأشياء عبارة عن
علاقة تربط المالك بما يملكه . فمثلا ، للاراضى
قداسة لانها أرض الاجداد ، أى استرسال
تاريخى ، فهى بذلك ملك للجماعات ، ومن لا
« يملك » لا ينتسب الى الجماعة . فللملكية
الوراثية طابع مقدس ، لان الاموات يعيشون
فيها وبها الى جانب الاحياء ، رغم الموت .
هذا المثال يظهر لنا أن الملكية تزيل عن
الممتلكات شيئيتها وتذوئها (١٢) الى حد بعيد ،

قد سبق لابن خلدون فى باب « الكسب
والرزق » (من الفصل الخامس) أن بين أن
الكسب انما هى قيم الاعمال ، فاذا كثرت الاعمال
كثرت قيمتها بين المنتجين وارتفع مستوى
الاستهلاك ، فتكثر مكاسب المنتجين حتيا ،
وتدعوهم احوال الرنه والغنى الى الترف .
اذا جاز لابن خلدون أن يتفاعل ، الى هذا
الحد ، غيرى امكانية وجود اقتصاد يقوم على
توزيع عادل للمواد الاساسية للحياة ، بين جميع
الناس على السواء ، وذلك منذ ستة قرون
تقريبا ، الا يكون تطبيق النظرية أكثر الحاحا فى
عصرنا الحاضر وقد كثرت وتنوعت الوسائل
التقنية ، فى ميدان الانتاج ، وفى ميدان المواصلات
والتوزيع ، كما توفرت امكانيات ترقية تلك
الوسائل ؟

لكن ، بالأسف ، الاحداث لا تسير طبقا لتلك
النظرية . فحتى الامس القريب ، كان لرأس
المال الاولوية بالنسبة للجهود المنتجة ، وان اضافة
« رأس » لكافية فى حد ذاتها لا يبرز ما للمال من
تقدير واجلال فى النفوس ، واسبقية على العمل .
حقا ، العمل ، بوصفه فكرة ونشاطا مجتمعيا
والمحرك الاول للحضارة ، اصبح يزداد دلالة
ويفرض كواقع أساسى . لذلك برزت معارضة
شديدة الحدة بين « عالم رأس المال » و « عالم
الشغل » . فالحضارة ، حاليا ، تعيش مشاكل
المزاحة والازمات التى أحدثتها تلك المعارضة .
**ان الحياة الاقتصادية التى تنظم الثروات ،
وتخصص الملكية الفردية ، تشمل الانتاج ،
والمواصلات ، والتوزيع ، واستهلاك الثروات .**
فاذا تقدمت اصناف العلوم التى تعمل لمصلحة
الانتاج ، نما الانتاج هو كذلك ، بل يمكنه أن
ينقلب راسا على عقب . فبوسع الطاقة الذرية
أن تحول الجبال الى سهول ، وأن تجعل
البحيرات مراعى . يتعلق الاستهلاك بالانتاج

لان عناصر ، كانت في الاصل خارجة عن الاقتصاد ، احاطت مفهوم التملك بهالة من القدسية الى حد انها صارت من مكونات الملكية. وفي الحقيقة ان هذا المظهر الديني ، بالنسبة للبدائيين ، خير ضمان للتملك .

بعد المرحلة المتقدمة بكثير ، أصبحت الملكية تتمتع بقانون شرعي ، وأخذ مفهومها يتطور . فالانسانية ليست مدفوعة بحتمية طبيعة الى التملك ، كما ادعاه (برجسون) ، بل على العكس ، ان الحرب التي تشن بين الغنى والفقر هي التي تحدد الملكية في كل عصر . ولكي يدافع المرء عن ثروته ، يلجأ أحيانا الى الدين (الطوطم) ، وأحيانا الى المشاركة الجماعية بالعمل في الارض ، والى المشاركة في الربح (لكي تكون جماعة منسجمة تركز كل اهتمامها في الدفاع عن الارض المشتركة ، أكثر مما تدفع بحب للحياة المعشوية) .

المجتمعات واقامة العدالة الشاملة لجميع الأشخاص ، نعني فرض « احترام كرامة الانسانية احتراماً عقوبياً مضموناً بصورة متبادلة ، مهما كان الخطر الذي نتعرض له في الدفاع عنها » (١٣) .

كل القوانين الوضعية تضمن حقوقاً مكتسبة وتدافع عن مصالح معينة . ويقدر ما يتسع المدي الشخص لحق مكتسب ، بقدر ما يصبح هذا الحق ذا صبغة اخلاقية ويسهم في التحرر . وعلى النقيض من ذلك ، بقدر ما تخضع المصالح

الضرورية لشخص وتغوق التضامن بين البشر ، بقدر ما تعاكس الاخلاق (لانها تعاكس مبدأ العدالة) وتثنأى الفلسفة (لانها تحرم الشخص من الانبثاق والتحرر) . ان المصالح ترتبط بالعلاقات المجتمعية ، وبالقوى المنتجة ، وبالطبيعة الإنسانية . فهي لا تنعكس في وعينا ، بكيفية أو بأخرى ، الا بعد ان تنشأ وتتكون . فمن البديهي اننا لا ندافع عن أية مصلحة الا بعد ان يكون قد اتصل وجودها بوعينا .

لكن ، يجدر بنا ان نحدد ان المصالح التي يدافع عنها القانون ليست وليدة الوعي الإنساني . ان مستوى الوعي المجتمعي هو الذي يحدد محتوى القانون ويحدد الشكل الذي يجب ان يتخذه انعكاس أية مصلحة في وعينا . وباختلاف العصور ، تختلف اشكال ذلك الانعكاس . فالقانون ليس من القوى الفيزيائية ، أو « الطبيعية » ، نعني انه ليس شيئاً يوجد مستقلاً عن فعاليات الإنسان . بل على العكس ، ان القانون نظام يصدر عن الناس ولصالحهم . فلا يهم مطلقاً ان يكون الإنسان ، عندما يقوم بأى نشاط ، خاضعاً لقانون السببية أو ان يعمل اعتباطياً . فبطريقة أو بأخرى ، سواء بالنسبة لقانون السببية أو بالنسبة للحرية ، القانون لا يتكون خارجاً عن فعالية الإنسان ، ولكن بفضلها ، يتكون .

اذا تولد عن الشغل (أو عن كل فعالية ، بصفة عامة) مقدر متساو من الحزن والفرح ، فهذا لا يمنع العمل من ان يكون تأكيداً أصيلاً

لكنه نؤمن بالبشرية : العمل يثبت ان وجودنا ارادة مستقلة ، وقدرة على الحركة والتغير . بفضل هذه الإرادة وتلك القدرة ، نفرض وجودنا على الطبيعة وفي الطبيعة ، اذ نعطيها دلالة ونجعل منا مجتمعاً متضامناً يرمى الى التعالي . فالعمل في مفهومه هذا ، أى بوصفه أداة فعالة للتحرير ، غالباً ما كان مجهولاً من لدن القدماء ، كما يشهد

بذلك ما يحمله سقراط من احتقار للأعمال اليدوية والتقنية ، طبقاً لما رواه عنه تلميذه أفلاطون : « كيفما كانت الخدمات التى يمكن أن يؤديها مهندس ما ، فانك تحتقره ، ولن ترضى ، أبداً ، أن يتزوج ابنك بابنته » (١٤) . أما أرسطو (١٥) فقد ارتأى أنه لا مكان في المدينة الفاضلة النموذجية للصناع والحرفيين .

14) Platon, gorgias, 512 b, ch. premier.

(١٥) أرسطو ، كتاب السياسة ، ١٧ ، ٢ .

الاديب العربى بين التراث والمعاصرة

لقد أصبح الشغل الشاغل بالنسبة الى الاقطار القامية وشعوب العالم الثالث هو الازدهار والتقدم ، إلا أن هذه الاقطار والشعوب ليس لها الا سهم قليل في الابتكار والاكتشاف ، ولذلك فان هذه الرغبة الملحة في الازدهار والتقدم كثيرا ما تنقلب الى نزعة شيئية واعنى بهذه العبارة حرص الدول المتخلفة على كسب جميع « اشياء » الحضارة ومصنوعاتها ، كالسيارة وجهاز الاذاعة وما الى ذلك .. أنه لمن الغريب حقا أن يغيب عن اذهان البعض بان الرفاهية ليست كل شيء في الحياة ، وأن لباس البذلة الانيقة وتوفير المرافق الحديثة لا يكفى لكى يرقى بالانسان من وضعية التخلف الى وضعية التقدم حضاريا ، فنحن نستورد أكثر مما ننتج .. وبعبارة أخرى ، فنحن ننتمى الى حظيرة الشعوب المستوردة .. وبطبيعة الحال ، نستورد السلع الجاهزة ولا نكلف انفسنا اية مشقة لسلوك دروب الفكر الذى أنتج تلك السلع .

من محاضرة الاستاذ / حنفى بن عيسى

الاديب العربى بين التراث والمعاصرة .

نص المحاضرة التي ألقاها الدكتور عثمان
أمين بالملتقى الخامس للتعرف على الفكر
الإسلامي بوهران

د عثمان أمين

استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

الملتقى
الخامس
للتعرف
على الفكر
الإسلامي
بوهران

محاضرات

تصحيح المفاهيم عن اللغة العربية

يطيب لى ان استهل محاضرات هذا « الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الإسلامى » ، فاشكر
للقائمين عليه ما بذلوا من جهود لتدبيره وتنسيقه وتحديده . ولا شك ان نظرة الى البرنامج
الموضوع له تقنعا بان ها هنا تقدما حقيقيا ملموسا بالقياس الى برنامج الملتقى الرابع
الذى تم فى العام الماضى .

واول مظاهر هذا التقدم ، فى نظرى ، هو التركيز على القضايا الثلاث الكبرى التى تشغل
بال المسلمين فى العالم المعاصر ، واستبعاد قضايا اخرى فرعية قد يكون من شأنها اثاره
الخلاف والشقاق بين الاخوة والاشقاء ، وهم احوج ما يكونون الى التواصل والوئام فى عالم
البغى والعدوان . والمظهر الثانى من مظاهر هذا التقدم هو المكان المرموق الذى من حق
اللغة العربية ان تستمسك به وأن تحافظ عليه، فى امة انزل عليها دستورها بلسان عربى مبين .

كما اشرت من قبل . اما اوان الكتاب فهو هذا العصر المفتون المهزوز المكدود « المحروم من الله » كما وصفه كارل ياسبرز . هذا العصر الذى ما كاد يفيق من غتنة التكنولوجيا والفرويدية والماركسية والوجودية ، حتى رايناه يقع فريسة للوضعية والثرية والفضائية والالكترونية ! واى عصر هو احوج الى الدعوة الاسلامية من هذا العصر الذى يحق لنا ان نصفه مع كثير من مفكرى الغرب ، بأنه « عصر الجاهلية » ، والعنصرية والثرية ، والمعمية ؟ واعدود الى كتابكم كما اتمثله قبل ان يعد وقبل ان يطبع وينشر ، فاقول ان من الواضح انه يشتمل على مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة . اما المقدمة فقد سمعناها هذا الصباح من وزير الاسلام ، فى جلسة الافتتاح . واما ابواب الكتاب الثلاثة فهى على الترتيب : اللغة ودورها فى الثورة الثقافية ، والاسلام ومشاكل الاسرة وتربية الجيل ، والاسلام ومتطلبات التنمية الاقتصادية . واما الخاتمة فهى القرارات او التوصيات التى يرى اعضاء المؤتمر ان يتخذوها او يقترحوها بعد مناقشتهم للقضايا المعروضة .

اما الموضوع الذى اود ان اتحدث فيه هذا المساء فهو عندى اشيء بتمهيد للباب الاول عن دور اللغة فى الثورة الثقافية وهو تمهيد بالضرورة لاننا لا نستطيع ان نناقش اثر اللغة فى الثورة الثقافية الا اذا اثبتنا اولاً لانفسنا ولغيرنا - كما يقول فيلسوفنا الفارابى - ان لدينا لغة متميزة ، وان لدينا ثقافة اصيلة . واذن فعلينا ان نثبت لانفسنا وللعالم ان لغتنا هى العربية ، وان هذه اللغة هى « اقدس ما نملك فى هذه الدنيا » كما يقول الشاعر « هينرش هاينه » ، وعلينا ان نثبت اخيراً - لانفسنا ولغيرنا - ان لغتنا ليست على الاطلاق لغة « متخلفة » ، وانها ليست لغة جامدة ولا عاجزة عن الوفاء بمطالب المجتمعات « المتقدمة » ، بل



د. عثمان أمين

والظاهر الثالث، للتقدم الذى احرزته هذا الملتقى هو الانتقال من النظر الى العمل ، ففى حين كانت الفكرة الغالبة على ملتقى العام الماضى هى فكرة « التعرف » ، نجد الفكرة الكامنة فى اذهان المشرفين على ملتقى اليوم هى فكرة الثورة والتغير . ربما كان تفسرى هذا متأثراً الى حد ما بمنهجى فى « الجوانية » . ولكن مظاهر البراءة نفسها تؤيدنى فيما ذهبت اليه ، وآية ذلك هو الصيغة الرئيسية التى وضعت لبرنامج هذا الملتقى قد اسقطت او حذفت كلمة « التعرف » ويستوى عندنا ان يكون حذف الكلمة قد جاء عفواً او عمداً ، والمهم ان يكون الحذف فى « العقل الباطن » الذى يتحدث عنه علماء التحليل النفسى منذ النصف الاول من هذا القرن .

وبعد فيطلب لى ايضا ان اسلك معكم هذا الطريق الجوانى لحظات ، فانهتل حصيلة هذا « الملتقى الخامس للفكر الاسلامى » فى صورة كتاب قيم حافل نقرؤه من عنوانه ، وننلقاه فى اوانه . اما عنوانه فهو فى نظرى اقرب ما يكون الى العنوان الذى اختاره الفيلسوف الشاعر « محمد اقبال » : وهو « تجديد بناء الفكر الدينى فى الاسلام » وتجديد البناء فى ذلك الفكر يقتضى من المفكرين ان تتجه ارادتهم الى العمل والتغير ،



هى على الاصالة لغة حية ديناميكية حركية وفلسفية .

وهذا الامر الاخير والمتعلق باللغة هو ما اردت ان احدثكم فيه ، مكتفيا في مسألة الثقافة بما نبه اليه السيد جمال الدين الافغانى منذ اكثر من ثمانين عاما حين قال : « يتخذ الغربيون في الشرق اساليب عجيبة للقضاء على الروح القومى ، وقتل التربة الوطنية ، وتقويض الثقافة الشرقية : فتراهم يزينون للشرقيين ان أن ينكروا على قومهم كل ماثرة وكل فضيلة ، ويلقون في روعهم انه ليس في لغاتهم العربية او الفارسية او الهندية آداب تؤثر ، ولا في تاريخهم مجد يذكر ، ويوهمونهم بأن قصارى المجد للشرقى النابه ان ينفر من سماع لغته ، وان يتباهى بأنه لا يحسن التعبير بها ، وان ما تعلمه من الرطانة الغربية هو غاية ما يستطيع بلوغه من الثقافة الانسانية . الا ليت الشرقيين يدركون أنه لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لقوم اذا لم يقيم منهم اساطين يحمون ذخائر بلادهم ويحيون مآثر رجالهم »

ولست أستطيع ان ابدأ حديثى عن «**تصحيح المفاهيم عن اللغة العربية**» دون ان اشير الى حادثة وقعت لى شخصا منذ نيف وخمس عشرة سنة ، اذ كنت القى محاضرة عن « اصالة الفلسفة العربية ورسالتها » فى جامعة هارفارد اكبر جامعات امريكا ، وشاء نفوذ الصهيونية فى الجامعات الامريكية ان يكون المشرف على ذلك الملتقى الدولى للانسانيات هو « مستر هنرى كسنجر » مستشار الرئيس نيكسون الان ، ومفجر القنبلة الدبلوماسية الاخيرة التى لا ندرى اكانت من صنع امريكا ام من صنع الصين . المهم هو اننى كنت اعرف ان « كسنجر » هذا يهودى اكاديمى ، اى صهيونى على الطريقة العلمية ، وانه من اجل ذلك قد عبا الشبان اليهود بعدد من الاسئلة لاحراجى امام الأمريكان

باعتبارى العربى الوحيد الممثل لهذه المنطقة من العالم فى « ندوة الانسانيات » هذه . وكان محور الاسئلة جميعها ان العرب لم يصنعوا شيئا فى مجال الفكر عامة وفى مجال الفلسفة خاصة ، وكان ما استطاعوا ان يصنعوه انهم نقلوا بعض التراث اليونانى ، فشووهو ومسخوه ، لانهم لم يفهموه كنت أعلم هذا ، او بعبارة ادق ، حين علمت هذا، اتخذت فى محاضرتى استراتيجية جديدة : احتفظت بالهدوء النفسى طوال المعركة الى ان اشرقت على الخاتمة ، فالفقت القنبلة التى كنت اعددتها واحتفظت بها فى حقيبة اوراقى وهى امامى اراها من حيث لا يرونها ، فقلت فى عبارة مركزة ومكثفة : « اذا كان للفلسفة العربية على الفلسفة المسيحية فضل واحد ، فللفلسفة العربية على الفلسفة اليهودية فضلان ! »

وتستطيعون ان تتخيلوا مبلغ ما احدثته هذه الكلمة من ارتباك للمستر كسنجر نفسه ، ومن زعر فى نفوس الشباب الصهيونى فى الجامعة الامريكية . ولما افاق « كسنجر » من هذه الصدمة ، وقف ليستحث صبيانه على التعليق

على محاضرتي ، واختار منهم واحدا كان جالسا في ركن قصي من القاعة . فكان سؤاله طبعيا هو ما كنت أريده أن يسألني ، وكان الجواب الحاسم عليه معدا جاهزا ، وما على الآن أخرجه من حثية أوراقي الموضوعية على المنصة أمامي — كان السؤال خشنا — « كيف تسمح لنفسك وأنت فيما يقال استاذ بالجامعة — أن تردد هذا الكلام الفارغ عن فضل الفكر العربي على الفكر اليهودي ؟ » . ولا اكتبكم اني كنت اكاد اطر فرحا عند سماعي هذا السؤال ، وكنت اقول في نفسي — « والله لقد وقعت في الفخ يا كوهين » وحمدت الله اذ هداني الى التكتيك الصحيح في مواجهة هؤلاء الاعداء ، وهم عصابة — واتنا وحدي — واستغفر الله ، واستغفر الله ، لاني لم اكن وحدي ، بل كان الله معي ، وما توفيقي الا بالله .

ولا اطليل عليكم ، فاقول لكم اني طلبت من « المستر كسنجر » ان يأذن لي باستدعاء السائل ليقف على المنصة بجواري ليوّجه السؤال امام المستمعين حتى اتولى الاجابة عليه امام الجمهور فتردد « كسنجر » قليلا، فملت اليه واسررت اليه بانني انما اريده أن يقرأ لي شيئا باللغة العبرية التي لا اعرفها ، لاستمعين بما يقرأ لي على الرد على سؤاله الوجيه .. وصعد الشاب على المنصة . فأخرجت من الحثية كتاب موسى بن ميمون ، شيخ الفلسفة اليهودية ، ومؤلف كتاب مشهور عنوانه بالعبرية « موري نبوخي » أو « دلالة الحائرين » وطلبت اليه أن يقرأ كلام بن ميمون . فأخذ يقرأ قراءة متعشرة ، وكنت احاول امام الجمهور أن اصحح له القراءة . وعندئذ أعلن عجزه عن قراءة موسى بن ميمون . فتدخل « مستر كسنجر » ليقول لي ان هذا الاسلوب في الرد غريب علينا بعض الشيء ، وفي الامر يسر اذ كيف تستطيع أنت أن تفهم ما يقوله ابن ميمون مع أنك لا تعرف العبرية

فيما تقول ؟ فقلت له — كلا يا « مستر كسنجر » — ليس في الامر سر عند العارفين . وضجت القاعة بالتصفيق والضحك . وبعد ان هدأت العاصفة ، وقف أحد المستمعين — وظاهر انه لم يكن يهوديا وطلب الي ان افسر لهم هذا اللغز عن الفلسفة العربية والفلسفة العبرية اللتين لا يعرفون عنهما شيئا . فكان جوابي واضحا قاطعا اذ قلت بكل بساطة ان اليهود هنا وفي كل مكان يحاولون أن يخفوا عن العالم هذه الحقيقة الدامغة وهي ان معظم فلاسفتهم في العصر الوسيط ، وعلى رأسهم شيخهم موسى بن ميمون ، انما كتبوا مؤلفاتهم باللغة العربية ، لانها كانت لغة الفكر والثقافة طوال تلك القرون . ولكن المتعصبين اليهود في محاولتهم طمس المعالم العربية المشرقة زوروا هذه النصوص ، — اذ جعلوا رسمها بحروف عبرية ، بدلا من الحروف العربية ، وموهوا على الناس في أوروبا وأمريكا بل في البلاد العربية والاسلامية ، ايها ما بأن الفكر اليهودي لا صلة له باللغة العربية .

وبعد فأول تصحيح ينبغى علينا ان نقوم به هو أن نكشف عن هذا التزوير ، فنعيد الى مؤلفات اليهود رسمها العربي الاصيل . ولا اكتبكم اني قد نبهت الى ضرورة الاهتمام بهذه المسألة ، والقيام بهذا العمل في غير ابطاء ، منذ اكثر من ثلاثين سنة . ابان اقامتي في باريس مبعوثا للجامعة المصرية ، واعدت الكلام في هذه المهمة بعد عودتي من هارفارد سنة ١٩٥٥ ، وفي مناسبات أخرى كثيرة في السنين الاخيرة ، حين كتبت الصحافة العربية عن الطبعات الاسرائيلية المزورة للقرآن الكريم . ولكن ما حيلتي ، ونحن نتحمس للأشياء في حينها ، او بعبارة أدق حين تصدر الاوامر بالكلام فيها ، وسرعان ما ننساها اذا تغيرت الظروف ؟

واعفروني اذا قلت لكم اني كدت ان افقد الامل في ان يظهر هذا العمل في حياتي وانا قد

نفت على الستين . وقصارى أن انتهز فرصة هذا الملتقى ، سائلا المولى أن يقوى عزائمنا على النهوض بهذا العمل العلمى الخالص ، وهو عمل يسير ايجابى يرد للعربية اعتبارها ، فى وقت نرى فيه أن الشعوبية المتزمنة - شعوبية دويلة اسرائيل الجديدة ، لا تؤمن بشيء قدر ايمانها بلغتها العبرية .



واحب أن أبدا كلامى بالتذكير ، فى هذه المناسبة وفى كل مناسبة ، بعبارات من شهادة ابن جنى ، الواردة فى كتابه «فقه اللغة العربية» « من احب الله تعالى احب رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم . ومن احب الرسول العربى احب العرب ومن احب العرب احب العربية ومن احب العربية عنى بها وثابر عليها

وصرف همته اليها . ومن هداه الله الاسلام وشرح صدره للايمان ، واتاه حسن سريره فيه ، اعتقد أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الرسل ، والعرب خير الامم ، والعربية خير اللغات والالسنه ، والاقبال على تفهمها من الديانة ، اذ هى اداة العلم ، ومفتاح التفقه فى الدين ، وسبب اصلاح المعاش والمعاد .

ولو لم يكن فى الاحاطة بخصائصها ، والوقوف عند مجاريها ومصارفها ، والتبحر فى جلالها ودقائقها ، الا قوة اليقين فى معرفة اعجاز القرآن وزيادة البصيرة فى اثبات النبوة التى هى عمدة الايمان ، لكفى بها فضلا يحسن فيها اثره ويطيب فى الدارين ثمرة .

ان شهادة ابى جنى هى عندى برنامج عمل كامل لهذا الملتقى ، وللرجال المؤمنين الذين لا يحبون من الكلام الا « ما تحته عمل » . وطريق هذا العمل واضح العناية بالعربية ، والمثابرة عليها ، وصرف المهمة اليها ، دون التفات الى تخرصات المفرضين .

على أن القضية الاساسية التى يواجهها المجتمع العربى ليست هى ما يثره بعض كتابنا من المفاضلة بين الفصحى والعامية ، ولا هى ايجاد لغة وسط بين الفصحى واللهجات الاقليمية ، بل هى أن يبين العرب مكانة لغتهم بين اللغات ، وما تفردت به من خصائص فكرية تجعل لها فلسفة أصيلة متميزة ، وأن يوقنوا بأن الملكات الحاصلة للعرب من هذه اللغة الكريمة هى « أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد » كما قال ابن خلدون ، وأن يذكرُوا أن القرآن هو الذى حفظ هذه اللغة من الضياع ، فأصبحت بفضل لغة الدين والعلم والفلسفة والاجتماع ، وأن العرب أصبحوا بفضل أمة واحدة كيفما وكما . ولا نزاع فى أن اللغة ، أية لغة ، « تجعل من الأمة الناطقة بها كلاما متراصا خاضعا لقوانين » كما قال الفيلسوف الالماني « فيشته » .

وبعد فان الامر بالغ الخطر ، لانه متصل اتصالا جوهريا بشخصيتنا كلها وكياننا كله ، ويحتاج الى تصميم لا يتزعزع ، وعزيمة لا تلين ، لانقاذ لساننا وفكرنا وضميرنا . لان زوال اللغة في اكثر الامم يبقيا جميع مقوماتها غير الفاظها ولكن زوال اللغة العربية ، كما قال المرحوم العقاد ، « لا يبقى للعربى او المسلم قسوما يميزه عن سائر الاقوام ، ولا يعصمه ان يذوب في غمار الامم ، فلا يبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا ايمان » . واذا كنا بحاجة الى اجنبى لتنبهنا الى هذا الخطر ، فلنستمع الى المستشرق « ماسنيون » اذ يقول : « ان من حق العرب علينا نحن ضيوغهم الوافدين عليهم ، ان نرفع الصوت عاليا ، طالبين اليهم الصمود والمقاومة : فليصمدوا وليقاوموا هذه الدعاية المخللة التى تسول لهم القنازل عن شرفهم وتراث آبائهم ، والاستسلام امام القوى الاستعمارية ورؤوس الاموال المصرفية التى تطلب اليهم الانسجام في طريقة تفكيرهم وعملهم مع هذه الحضارة الكاذبة ، حضارة الانسان الالى ، التى لم تعد تؤمن بنفسها او بالذات الالهية ، وتصبو الى اخضاع العالم لثقافة امريكية بلهاء . ان هذا الانتاج الصناعى المقتشوش يوشك ان يسقط ويتردى في الهاوية . وعلى ابناء العربية ان يصمدوا ، فالعالم في حاجة اليهم . وواجبنا ان نحثهم على احترام عربيتهم ، هذا النظام اللغوى الصافى ، الصالح لنقل اكتشافات الفكر عبر القرون ، فلا يحلوها مسخا مقلدا للغاتنا الارية ... لقد كانت العربية وما تزال لغة الحرية العليا ، لغة وضوح الذهن ووحى القلب ، لغة المناجاة ولغة المعجزة .. هـ

الا فليتفكر العرب امرهم . وليتبينوا ان من العار عليهم ان يرددوا مزاعم تقليدية مفترضة عن قصور لغة وسعت كتاب الله لفظا وغاية ، ولا تزال الدرر كامنة في احشائها . فلبسوا الغواص عن صفاتها .

ومن هذه المزاعم القديمة المفترضة عن اللغة العربية ما لا نزال نسمعه مترددا على السنة قوم ليس لهم « انس بتلك اللغة » كما كان يقول ابن جنى . وهى المزاعم التى فندها جمال الدين الافغانى ، ومحمد عبده ومدرسته ، اوائل هذا القرن ، ردا على « ارنست رنان » و « هانتو » و « جوتيه » ومن اليهم . وحسبنا هنا ان نورد دفعا لهذه المزاعم ، شهادة من « لوى ماسنيون » مؤداها ان اللغة العربية قد امتازت بخصائص قل ان نجد لها مثيلا في اللغات الاخرى : ففى تركيبها الداخلى وفي طراز الحلوة الذى توحى به قدرة خاصة على التجويد والنزوع الى الكلية والشمول . وهى قد تفردت بالقدرة على التعبير بجمل قصيرة مركزة عما لا تستطيع اللغات الاخرى ان تعبر عنه الا بالجمل الطويلة المسطحة الفضفاضة .

وشهادة اخرى لمستشرق فرنسى ، « هنرى لوسل » ، توجه نظر الغربيين الى ان : « اللغة العربية والحضارة العربية الاسلامية تزودان الدارس لهما بنظرة جديدة الى العالم » . فهذه اللغة ، في نظر لوسل ، تقدم لمن يتعلمها معانى لغوية تختلف اختلافا كبيرا عن معانى الفرنسية او اللاتينية او اى لغة اوروبية اخرى . وتتيح للدارس ثروة من الاشتقاق من الاصل الواحد ، تغنيها عن الالتجاء الى المقاطع او الكلمات الاجنبية او اى اضافة اخرى خارجية . وتلك خصيصة اساسية من خصائص العربية ، فلم النزول عنها ، جريا وراء المستعمار والدخيل ، واغفالا لما هو عندنا اصيل ؟ ويمضى « لوسل » فيقول : « ان صعوبة الكتابة او القراءة العربية تضطر المتعلم لها ، اكثر مما تضطره اللاتينية او الروسية ، الى ان يكون على حظ من الانتباه اعظم »

ومسألة الصعوبة هذه التى كثر الكلام عنها في ايامنا ، هى في الحقيقة مسألة قديمة قد بنيت على مغالطة . ونود الان ان نصصح وجهة النظر

يتصل بتفوق العربية في علم النفس وعلم الاخلاق من « أن الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها الفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد الى اللغات الأخرى، وأن اللغة العربية تنطوي على قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق » وأما اسهام العربية في مجال العلوم الأخرى فحسبنا أن نذكر شهادة « ماسنيون » فيه اذ يقول : « لقد استطاعت اللغة العربية أن تنمي — من خلال نحوها — القدرة السامية



د

على التعبير عن الفكر المجرد : خفى هذا التركيب العربى الموجز الذى أعان على تركيز نتائج الباحثين التجريبية وضبطها ، الى جانب بحوث الأطباء العياديين ، وبحوث الرياضيين ، ومكتشفى الأرض وأسرار النفس والسرائر والاحلام ، فى مقالات مختصرة حاسمة رصينة . يضاف الى ذلك ملاحظات فى الجبر والمعادلات الكيميائية والزيجات الفلكية ، والسلاسل الحسابية ، ومراحل رحلة النفس الى المجهول . ولا شك أن المنهج العلمى فى الحضارة الغربية قد استطاع ، بواسطة العربية ومن خلالها ، أن يتخلص من الطراز الهندسى الوثئى لاشكال

فيها : فمئذ زمان بعيد تنبه العرب انفسهم الى ما يتطلبه النطق بالعربية الفصحى ، مع كمال اعرابها ، من جهد وحضور ذهن . وكان أخوف ما يخافونه اللحن فيها حتى قد قيل لعبد الملك بن مروان : لقد عجل اليك الشيب يا أمير المؤمنين : فقال شيبنى ارتقاء المنابر وتوقع اللحن . « ومنذ أكثر من قرن وربع قرن كتب رفاعة الطهطاوى مذكراته البارسية « تلخيص الأبريز الى تلخيص باريز » ، فعقد فيها مقارنة بين اللغة الفرنسية واللغة العربية، مشيراً الى سهولة تعلم الأولى وصعوبة تعلم الثانية ، فقال : « من جملة ما يعين الفرنسية على التقدم فى العلوم والفنون بسهولة لغتهم وسائر ما يكملها: فإن لغتهم لا تحتاج الى معالجة كثيرة فى تعلمها : فأى انسان له قابلية وملكة صحيحة يمكنه بعد تعلمها أن يطالع أى كتاب كان ، حيث أنه لا التباس فيها أصلاً ، فهى غير متشابهة . وإذا أراد المعلم أن يدرس كتاباً لا يجب عليه أن يحل الفاظه فإن الالفاظ مبينة بنفسها . وبالجمله فلا يحتاج قارئ كتاب أن يطبق الفاظه على قواعد أخرى برانية من علم آخر ، بخلاف العربية ... »

وتصحيحنا للمفهوم القائم على المغالطة هنا أن « توقع اللحن » الذى يذكره عبد الملك بن مروان ليس عيباً ذاتياً فى اللغة ، بل فى بعض الناطقين بها . والأوائل كانوا يقرأون القرآن ويستمعون للحديث دون لحن ، لأنهم كانوا يقرأون ويسمعون ، فى وعى ويقتلة ذهن . أما ما عهد اليه المتأخرون من وضع « الشروح والحواشى والتقاير ، فلم يكن سببه أن اللغة غير مبينة فى ذاتها ، بل لأن ملكتها قد ضعفت عند المسلمين كما ضعف شأنهم فى غير اللغة . أما الزعم بأن اللغة العربية لا تعين على « التقدم فى العلوم والفنون » بصعوبتها — وهو ما يشتم من كلام رفاعة الطهطاوى — فزعم غير صحيح، وحسبنا أن ننفذهم بما لاحظته « كارادوفو » فيما

وقد رددنا على هذا الاعتراض منذ سنين ،
نقلنا ونكرر ما قلناه حينذاك بأن ما لوحظ على
العربية من صعوبة قراءتها ابتداء ليس بعيب في
تلك اللغة ، بل الاولى أن ينظر اليه على أنه ميزة
تفردت بها لغتنا عن سائر اللغات ،
وهي اعداد قارئها لاستجماع قوى الفكر ،
ودعوته الى حسن التأهب لقطع اشواط الفهم .
ذلك ان العربية في ماهيتها لغة تتطلب من كل
قارئ او مستمع لها أن يكون واعيا غاهها ، قبل
أن ينطق وقبل أن يسمع . وبعبارة أخرى تتطلب
منه أن يمارس وظيفة « التلق » على الحقيقة ،
وهي خاصية الانسان التي تميز بها عن سائر
الحيوان : أعنى الوعي والفهم . وما من شك
أن المران على صحة الاعراب هو في الوقت نفسه
مران على يقظة الوعي وجودة الفهم . وجملة
القول انه اذا كانت العربية بطبيعة تركيبها
وبنائها تتطلب من المرء يقظة واعية وجهدا
موصولا وبعدا عن « الآلية » فهي قبل كل شيء
فن ولا ضير عليها بعد ذلك أن تكون « فنا من
اصعب الفنون » .

افنحن بحاجة بعد هذا كله الى أن نذكر أبناء
المسلمين في هذا العصر بما قاله علماءنا المحققون
منذ مئات السنين من أن اللغة العربية ضرورة
لحفظ الدين ، غايته لا سبيل الى ادراك معاني
الفاظ القرآن والسنة الا بالتبحر في علم هذه
اللغة ؟ واذا كانوا في ريب من شهادة علمائنا
الاقدمين ، فليفتتوا الى شهادة للمستشرق
« فان ديك » ، سجلها منذ نحو ٧٥ سنة ، جاء
فيها قوله : « ان اللغة العربية من أكثر لغات
الارض امتيازاً . وهذا الامتياز من وجهين :
الاول من حيث ثروة معجمها والثاني من حيث
استيعاب آدابها » .

وان لغات أنتجت « حضارة الانسان الالى »
لا يصح أن تكون بأى وجه من الوجوه بديلا من
« اللغة الشاعرة » — كما يراها عباس العقاد
— « لغة الحرية العليا » و « لغة وهى القلب »

مقلقة عقلانية ، قد عوقت العلم اليوناني رجا
طويلا من الزمن ، كما استطاع أن يتخلص من
الخطوط التي تضاف الى حل المعادلات
الرياضية » . ويمضى « ماسنيون » فيقول :
« أما فيما يتعلق بالمعجزة الجدلية النفسية
والصوفية فان قيمة العربية لا تنحصر في خلوها
من كل نقص ، بل انها على التحقيق قادرة على
أن تبعث الحياة والشباب في الفكر الغربي ،
كما استطاعت قصة « الف ليلة وليلة » أن تؤثر
في عقلية السابع عشر التي كانت مليئة
بالاقتناص المايليزية الموروثة من الرومان
واليونان » . « ولا مشاحة في أن كبار رجال
الحضارة العربية ، ونوابغ الفكر العربى لم
يكونوا ذوى دم عربى خالص ، بل كانوا من
الموالى المستعربين . ولكن هذا في نظرنا ليس
ظاهرة ضعف ، بل قوة فريدة ، جعلت من
الضيوف أبدالا توافدوا من كل أمة ، وهم عارفون
لهذه اللغة ابجاءا فريدا وقوة في التعبير نادرة .
وهو فوق هذا معجزة لغوية للدراسة العلمية .
وقد صرح بذلك البيروني في اللغة العربية
نفسها ، وهو الغريب عنها والضيف الطارىء
عليها » .

وأما الراى المشهور عن صعوبة النطق
باللغة العربية خالية من الشكل ، مما يحول
دون تعلمها والتبكن منها خلافا للغات الحية
الأخرى ، فهو الراى الذى أورده « قاسم أمين »
أحد قادة الفكر الاجتماعى في مصر المعاصرة ،
حين قال في بعض كلماته : « في اللغات الأخرى
يقرا الانسان ليفهم ، أما في اللغة العربية فانه
يفهم ليقرا : فاذا أراد أن يقرأ الكلمة المركبة
من هذه الاحرف الثلاثة (ع ل م) أمكنه أن يقرأها
(علم) أو (علم) أو (علم) أو (علم)
أو (علم) . ولا يستطيع أن يختار واحدة من
هذه القراءات الا بعد أن يفهم معنى الجملة ،
فهى التي تعين النطق الصحيح . لذلك كانت
القراءة عندنا من اصعب الفنون » .

وغيرها من الروائع الادبية التى تزخر بها المكتبة العربية - تكفى لاقناع أبناء هذا الجيل بأن اللغة العربية الفصحى ، حتى فى مجال الطرفة والنكتة ، تستطيع أن تقول ، فى ايجاز وتركيز وحصافة ولطافة ، ما لا يستطيعه غيرها مع الاطناب والتحليل والاحصاء والتسجيل .

نسأل الله أن يهدى شبابنا الى تذوق لغتنا ، والانس بها ، حتى يقولوا فيها قولاً سديداً .

الدكتور عثمان أمين
استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

وحديث الروح » ، كما يصفها « لوى ماسنيون » تلك اللغة التى تملك دياكتيقا المعجزة » وترنو الى الابدى ولا يستغرقها الحاضر ، وتصبو الى الوصول الى الفعل الالهى .

واذا عرف المثقفون قدر لغتهم العربية استطاعوا ان يصونوها من عبث اللسنة والاقلام ، السنة من يجهلونها والاقلام من لا يحسنونها ، او من « ليس لهم انس بها » . وان نظرة الى « العقد الفريد » و « البخلاء » و « الامتاع والمؤانسة » و « طوق الحمامة » و « حديث عيسى بن هشام » و « فى المرأة » -



إبن ناصر بن شهرة

أحد أبطال
ثورة 1871 م

في آخر ١٩٧١ وقع احتفال بالذكرى
المئوية لثورة ١٨٧١ في مدينة الأغواط
حضرته السلطات المدنية والعسكرية .
والقى فيه الأستاذ أحمد بوزيد قصيدة
مدير ثانوية التعليم الأصلي بهذه
المدينة هذا الخطاب .

هذا ونذكر بأنه كان سبق أن احتفل
بالذكرى المئوية لهذه الثورة في كل من
صندوق ، ومجانة ، وقلمة بني عباس
بولاية سطيف ، وفي بني مناصر بولاية
الاصنام ، وهذه هي المرحلة الثالثة .



أحمد بوزيد قصيدته

عامة الى الحط من قيم الحضارة العربية الاسلامية ، وتمجيد الحضارة اليونانية الرومانية الغابرة وبنتها الحضارة الغربية الحاضرة ، وتصفية تاريخ الجزائر بالخصوص من النزعة الاستعمارية التى تقلل من شأن الماضى الجزائرى بل تحتقره وتنكره بالكلية ، وذلك لتبرير احتلال بلادنا واستعمارها واستغلال خيراتها .

وهذا التشويه والدس شئشئ قديمة ابتلى بها الاسلام والمسلمون من اعداء هذا الدين والكائدين له ، حملهم على ذلك الحقد الصليبي الدفين ، والعداوة اليهودية الحاقدة على انتصار الاسلام وسرعة انتشاره في العالم .

ولم يسلم من هذا الدس حتى كتاب الله العزيز ولا سيما في قصص الانبياء واخبار الامم السابقة ، وقد تفتن فحول علمائنا من كبار المفسرين لهاته الخزعات وسموها (الاسرائيليات) وتصدوا لها بالحرب وظهروا تفسير كتاب الله من اوهامهم ومكائدهم التى تتنافى تماما مع مقاصد القرآن وتوجيهاته الهادية الى سواء السبيل .

ناطلقت على دسائس المستعمرين في تاريخنا (الاستعماريات) لان افكار المستعمرين متشعبة متنوعة منها الظاهر البين ومنها الخفى كالسم في العسل ، وكلها ترجع الى اساس واحد هو تبرير الاستعمار وجعله كانه ضرورة حتمية يجب على من ابتلى به التسليم به كواقع اجتماعى لا بد منه .

والحمد لله قد تفتن كتابنا الشباب الى هاته الظاهرة وقرات للكثير منهم ما يدل على اهتمامهم بذلك ، كالاستاذ محمد الشريف ساحلى في كتابه القيم (ازالة النزعة الاستعمارية من التاريخ) (١)

Décoloniser l'histoire (1)

احتفل الشعب الجزائرى في عدة جهات من الوطن بذكرى مرور قرن على ثورة ١٨٧١ م . الخالدة وقد جاء في خطاب الاخ السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية في ٥ مايو ١٩٧١ م . في قلعة بنى عباس ما يلى (... ولا بد للصحراء من الاغواط الى ورقة وحتى عين صالح من احياء امتداد هذه الثورة الى هناك) ، ثم لما زار مدينة الاغواط في اعياد الربيع الماضى جدد التذكير بوجوب احياء هاته الذكرى ، وكلفنى باعداد محاضرة عن حياة البطل ابن ناصر بن شهرة احد زعماء هاته الثورة الجبارة فشكرا للسيد الوزير على نشاطه المتواصل في احياء التراث الوطنى ، وبفضل ذلك كله ها نحن نحتفل اليوم باحياء ذكرى هاته الثورة التى كانت حلقة هامة في سلسلة الثورات المتتالية في تاريخ كفاح شعبنا الطويل من اجل التخلص من المستعمرين الظالمين .

وجوب تصفية تاريخنا من الاستعماريات

قبل الشروع في الموضوع احببت ان اقدم له بالتمهيد التالى ، فقد اشرت في ذكرى يوم المجاهد في ٢٠ غشت ١٩٧١ م . الى وجوب الاعتناء بتدوين وتسجيل تاريخ الثورة الجزائرية الكبرى ثورة اول نوفمبر ١٩٥٤ م . وما تخللها من بطولات وتنافس في الجهاد والاستشهاد والتضحية والفداء ، وذلك من طرف مثقفي هذا الجيل الذى عاش الثورة او واكبها واصطلى بنارها واهتدى بنورها ، ليكون ذلك مرجعا صحيحا للاجيال القادمة تستمد منه الفخر والاعتزاز . وخصوصا ان تاريخ الثورة قد اسرع للكتابة عنه اجانب مغرضون يحرفون الحقائق ، او اخوان شرقيون استمدوا اغلب معلوماتهم عن الثورة من هاته المصادر الاجنبية .

واريد اليوم ان انتهز هاته الفرصة السعيدة لالفت الانتظار الى وجوب تصفية تاريخنا من روااسب الاستعمار ودسائسه التى تهدف بصفة

والاستاذ محمد الميلي ، والاستاذ عبد الله شريط ، والاستاذ عمار الطالبي ، والاستاذ تركي رابع وغيرهم ...

ثم جاءت البشرى السعيدة التي انتهت حيرة الحائرين وقلق المثقفين على تاريخ الثورة وتاريخ الجزائر ، فتبينت السلطة الثورية الاشراف على احياء هذا التراث وتصفيته وتطهيره وابرازه للناس تاريخا نقيًا صافيًا نابعا من اعماق ضمير هذا الشعب المجاهد الكريم ، وهذا العمل عمل ثوري لا يقدر عليه الا الثوار الذين يجعلون مصلحة الوطن العليا في الدرجة الاولى من اهتماماتهم . فكانت السلطة الثورية عند حسن الظن بها اذ نشرت في الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية عدد ٦٥ من السنة الثامنة بتاريخ ١٩ جمادى الثانية ١٣٩١ هـ . الموافق ١٠ غشت سنة ١٩٧١ م . امرا رقم ٧١ / ٥٦ مؤرخ في ١٤ جمادى الثانية سنة ١٣٩١ هـ . الموافق ٥ غشت ١٩٧١ م . يتضمن تأسيس (المركز الوطني للدراسات التاريخية) الذي سيكون تابعا لرئاسة الحكومة . ونشر كذلك في نفس العدد بنفس التاريخ مرسوم ، يتضمن تعيين الاستاذ الكبير مصطفى الاشراف (المستشار بالرئاسة) مديرا عاما لهذا المركز . فتأسس هذا المركز وتعيين هذا الاستاذ الكفاء مديرا عاما له ، هو الحد الفاصل بين عهد التخوفات والتساؤلات وعهد بناء صرح التاريخ الجزائري الصحيح .

ترجمة البطل ابن ناصر بن شهرة

اثناء اعداد هاته المحاضرة والبحث عن مراجعها ومصادر المعلومات عنها ، وجدت الناس قد جهلوا كل شيء عن هذا الرجل العظيم والقليل منهم لا يعرف عنه الا الاسم مع ان الاعداء كتبوا عنه الدراسات واعطوه حقه من التبجيل والاعتراف به والشهادة له (والفضل ما شهدت

به الاعداء) بالبطولة والشجاعة النادرة والشهامة . ويحث عن سبب جهل الناس لتاريخ هذا المجاهد فعلمت ان الاستعماريين كانوا يعاقبون كل من تحدث عن الثورات او الثوار ، وذلك لقتل كل روح وطنية ونضالية في النفوس . ولنفس الغرض كانت قد جمعت السلطة المحلية هنا بالاغواط جميع نسخ كتاب (تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والامير عبد القادر) بالشراء ، والاستعارة من طرف الحكام العسكريين .

واول مرة سمعت فيها ذكر اسم ابن ناصر ابن شهرة في تونس ايام الدراسة بالزيتونة ، فقد قدّم اليها المؤرخ السيد دهيبة بن الحاج عيسى لتفقد احوال ولده الذي كان معنا في البعثة التعليمية التي اوفدها الى تونس استاذنا الشيخ مبارك الميلي رحمه الله قبل انتقاله من الاغواط سنة ١٩٣٣ م . وحكى لنا قصة السيد ابن ناصر بن شهرة ، ولعله لم يكن يحكيها في الاغواط .

واسم هذا البطل هو ابن ناصر كما ذكره كثير من الكتاب ويعرفه الناس بالتواتر ، وليس اسمه (ناصر) فقط كما ذكره لوى رين المؤرخ لثورة ١٨٧١ م . وتبعه في ذلك الاستاذ ساحلى وكل من كتب عن ثورة ١٨٧١ م .

فهو ابن ناصر واسم ابيه ابن شهرة وحذفت لفظة ابن الدالة على البنية للتخفيف ، فهو ابن ناصر بن شهرة بن فرحات . وقد اشتهر جده فرحات بالشجاعة والكرم حتى جعلته قبائل الارباع شيخا ورئيسا لهم . ثم تولى ذلك ولده ابن شهرة الذي كان هو ايضا شجاعا وبطلا وكريها ، وكانت الارباع ترحل الى التل في الشمال في الصيف لجلب الحبوب لها ولخيلها . وكان الامن مفقودا ولم يقدر على التنقل الا من كانت له الشجاعة والاقدام على الدفاع عن الاهل والحريم والاموال

والماشية ، فتربى مترجمنا ابن ناصر في هذا الجو المملوء بالبارود والفروسية والكر والفر ، فكان هو أيضا من رؤساء قبائل الارباع قبل الاحتلال ، وقد ولد سنة ١٨٠٤ م وتزوج اول مرة بنت السيد احمد بن سالم سلطان مدينة الاغواط قبل الاحتلال وولدت له بنتا ولما جاء الاحتلال الفرنسي ، رفض الخضوع له وتوجه الى اعماق الصحراء فلم توافق زوجته هاته على الذهاب معه الى الصحراء ، فطلقها ، وتوفيت بنته منها ، واثناء جهاده في الصحراء ضد الاحتلال الفرنسي منذ سنة ١٨٥١ م . توجه الى مدينة ورقلة واتفق مع سلطانها على الكفاح وتزوج بنته المسماة الياقوت من فرقة المخادمة بورقلة ، وقد انجبت له ولدين هما : محمد رجع من الشام ووعدته فرنسا بمنصب قائد وشاع انه قتل مسعوما في ناحية قرية زينة (الادريسية الان) وضع له السم في الشاي . وثانيهما ابن شهرة الذي لما رجع من الشام وسمع بالثورة السنوسية في طرابلس الغرب ضد الاحتلال الايطالي ، ذهب للجهاد هناك واستشهد رحمه الله في طرابلس سنة ١٩١٢ م . ويعد وفاة الياقوت الخدمية تزوج ابن ناصر بالرابطة ثوة اخت السيد مولاي عبد القادر ادريسي التي انجبت له ولدين أيضا هما - فرحات الذي توفى بالاغواط بعد رجوعه من الشام وخلف ولدا اسمه احمد بن فرحات لازال حيا يرزق ، وبنتا اسمها الزهرة ارملة الحاج قد بن الحبيب التي توفيت في السنة الماضية ١٩٧٠ رحمه الله .

والثاني يحيى الذي توفى بالاغواط بعد أن رجع من الشام ، وخلف أربعة أبناء ذكور وأربع بنات ، مازال على قيد الحياة منهم ، ثلاثة أبناء وثلاث بنات .

وابن ناصر بن شهرة كما وصفه لى بعض كبار من سألتهم عنه ، كان ربيعة ، اشقر اللون احمر الشعر كثيف شعر الحاجبين ، سريع

وكان رحمه الله بطلا شجاعا ودام كفاحه اكثر من ٢٤ سنة ضد الاستعمار الفرنسي من سنة ١٨٥١ الى سنة ١٨٧٥ م . وقد وجد التأييد في الجنوب التونسي بصحراء الجريد وخصوصا لدى الزاوية الرحمانية بنقطة . التي كانت ملجا وملذا للثوار الجزائريين والفارين بدينهم من الاستعمار . يقول رين في ذلك - (صفحة ٨٨) - (في نقطة ، كان ابن ناصر بن شهرة الذي خلف اياه كآغا على الارباع سنة ١٨٤٦ م يقوم منذ سنة ١٨٥١ م . بحرب مستمرة ضدنا في الصحراء الشرقية ، ولم يترك سنة واحدة لم يهاجمنا فيها او قبائلنا التي رضخت لنا) . وكان من انصار ابن ناصر بن شهرة اقاربه من قبيلة المعامرة وقبيلة الحجاج واكثرهم من قبيلة الحرازلية يقول الشهيد بوديسة احد الثوار (من قبيلة اولاد المختار من قصر البخارى الذي سجن بفرنسا وبالاغواط) ، والذي استشهد سنة ١٨٦٤ ، في بطولة ابن ناصر بن شهرة - ولا يعرف البطل الا البطل ، اذ لا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذووه - وذلك عند الحديث عن الخيل التي كانت الاداة الهامة في جهاد الثوار ، وعن الشجعان : (في الخيل عودى وفي الرجال ابن ناصر بن شهرة) . ولما وقعت الحرب (حرب السبعين) بين فرنسا والامان فرح المجاهدون

والابطال وعزموا على استئثاف الجهاد والكفاح ، ومن بينهم ابن ناصر بن شهرة فكان بطالا بارزا من ابطال ثورة ١٨٧١ م . ونازل الاحتلال وصالوه الى ان انتهت الثورة فسافر الى بيروت الشام حيث امضى بقية حياته بها مجاورا لصديقه الامير محيى الدين بن الامير عبد القادر ، وبها توفي رحمه الله سنة ١٨٨٤ م . فيكون قد عاش ٨٠ سنة .

وأثناء اقامته بالارض العرشية للارباع في ناحية المخرق ، كان اذا قدم الى الاغواط لقضاء مآربه او في مروره بها في رحلة الصيف الى التل كان ينزل بمكان (الجدر) مركز القاعدة الجوية الآن ، وينزل ايضا في الضاية القبلية قرب مقبرة اسلافه (اولاد عيسى بن على) ، وكذلك في مكان (قنيفة) بين السريحة وبرج السنوسى ، وكان صديقه بالمدينة واحد اقاربه هو المرحوم السيد الحاج احمد الشاوى مقدم الطريقة القادرية ، التى كان ينتمى اليها ايضا ابن ناصر بن شهرة .

جهاد ابن ناصر بن شهرة منذ سنة ١٨٥١ م .

بدا المجاهد البطل ابن ناصر بن شهرة جهاده سنة ١٨٥١ م . وسأعرض عليكم باختصار مواقف بطولية في الجهاد في ربوع صحرائنا الجزائرية —

في ٥ سبتمبر سنة ١٨٥١ م . كان ابن ناصر بن شهرة وقبائل الارباع تحت الاقامة الجبرية قرب المعسكر بوغار ، ولكنه رفض هذا التصرف من الفرنسيين وتوجه الى الشهبونية حيث لحقه الملازم اليهودى (كروس) مع فرقة من ٣٠ من فرسان الصبائية ، لان كروس ادعى انه صديق ابن ناصر بن شهرة ، وهو سياسى ديبلوماسى ، يعرف نفسية العرب وكيف يؤثر فيهم ، فلما اتصل به للمفاوضة ، لم ينجح ، فجردهم ابن ناصر بن شهرة وأخوه ابويكر من اسلحتهم والبستهم العسكرية وقال للملازم

الفاشل — انى اجردك من اسلحتك وخيولك واطلق سراحك ، وأرجع الى من أرسلك في المدينة وقل له — (ان ابن ناصر بن شهرة قد غارق خدمة الفرنسيين التى كلها مثلة واهانة ، ويلتحق بمن يمثل الدين والاستقلال) يعنى بذلك المجاهد البطل شريف ورقلة السيد محمد بن عبد الله ، فرجع الملازم كروس وفرقته الى بوغار مشيا على الاقدام . ثم اتصل بطلنا ابن ناصر بأخيه في الجهاد محمد بن عبد الله في ورقلة ، ثم رجع الى الشمال الشرقى واستولى على قرية قصر الحيران وحصنها ، وذلك في ٣١ جويلية ١٨٥٢ م . ولما عزم سكان مدينة الاغواط على الثورة في وجه الفرنسيين اتصلوا بالبطل ابن ناصر بن شهرة في وفد عظيم وكان من بينهم أحد شيوخ بنى الاغواط السيد يحيى بن معمر الذى كان متفقا معه في السياسة النضالية ، وبعد مفاوضات التمسوا منه ان يتصل بسلطان ورقلة ليكون قائدا للثورة ، فذهب اليه ووافق على ذلك لكنه كان مريضا فرجع ابن ناصر بن شهرة الى قصر الحيران ثم التحق به السيد محمد بن عبد الله ومنها ذهبوا معا الى مدينة القارة للتسليح والتموين . وقبل ذلك كان قد حاول الاتصال به السيد الشريف بن الاحرش الذى كان خليفة الامير عبد القادر ثم صار باشا آغا على اعراش اولاد نائل ، والتقى في مكان اللقحات في الشبكة قرب بريان فلم تنجح هاته المفاوضات ، وهناك وقع الفرنسيون في رهب شديد باتصال ابن ناصر بن شهرة بثوار الصحراء .

وبعد احتلال مدينة الاغواط ، وتمركز الجيش الفرنسى بها ، لجأ ابن ناصر بن شهرة الى الجنوب التونسى ينتظر تطور الاحداث والفرص لاستئثاف الجهاد ضد المستعمرين ، وكون في الجنوب التونسى انصارا وأعوانا من ابطال تلك الجهات ، ولما سمع بثورة اولاد سيدى الشيخ في صيف سنة ١٩٦٤ م جاء بطلنا الى ورقلة واتصل

بالجزائر ومعه ١٨ من أعيان عين ماضي، ثم نقلت شيخ الزاوية الى مدينة بوردو . وفي نفس هذه المدينة ظهر في شهر مارس ١٨٦٩ م . ظهر في صحراء توات نائر وزعيم للجهاد جديد هو السيد شريف محمد بن التومي بن ابراهيم الغيشاوي المشهور باسم بوشوشة وأعلن انه سيجاهد ضد الكفار المسيحيين حتى يظهر منهم البلاد الاسلامية وتجنّد تحت لوائه كثير من ابطال الصحراء من التواتيين وشعابنة متليلى وشعابنة المواضي بالمتيعة ، واستولى على المتيعة وسجن قائدها من طرف الفرنسيين ، ولما سمع بذلك ابن ناصر ابن شهرة التحق به وشرعا في اعداد الناس للجهاد والكتاح حتى اندلعت ثورة الحاج محمد القراني فكان من ابرز زعمائها وابطالها ومن المنظمين لها كما سيأتي بيانه .

ولذلك نقترح على السلطات المحلية أن يسمى (قصر البرائم) (حي ابن ناصر بن شهرة) ، وبناء نصب تذكاري تخليدا لهذا البطل في مكان (قنيفة) ، على الضفة اليسرى لوادي مزي . وتسمية قرية « المخرق » (ابن ناصر بن شهرة) .

دور ابن ناصر بن شهرة في ثورة ١٨٧١ م .

شوه الكتاب الفرنسيون تاريخ ثورة ١٨٧١ م . التي اشتهرت بثورة المقراني ابرز زعمائها وقادتها وابطالها الميامين . ولاسيما عند تحليل احداثها والتكلم عن اسبابها ونتائجها . وكل ذلك نضرب عنه صفحا ولا نحكي زورهم وبهتانهم ، ويرجع السبب الرئيسي لثورة ١٨٧١ م . الى عزم الشعب الجزائري على محاولة التخلي مرة اخرى من المستعمرين الظالمين ، واراد اغتنام غرصة انكسار الجيوش الفرنسية امام الالمان ووقع ملكها الامبراطور نابوليون الثالث في الامر ، والانتقال الذي وقع

فيها بالسيد سي العلاء من اولاد سيدى الشيخ وفي ٦ اوت ١٨٦٤ كانا معا على رأس جيش عظيم ١٥٠٠ فارس في عين طاقين ووقعت فيها معركة عظيمة بينهم وبين القوم وعملاء المستعمر . وفي ٢١ اكتوبر ١٨٦٤ م . وصل ابن ناصر بن شهرة الى واد النساء جنوب بريزينة ، ووصل مع اولاد سيدى الشيخ ومرافقيه من الارباع الى سيدى الحاج الدين في صحراء السابورة ، مارين بواد زرقون ومحيقن والقيمن وتاجرونة والمالية ، وقد كانت ملاقاتة هؤلاء الابطال في وادي ميزاب قرب بنى يسقن وفي متليلى ونومرات مما ادى بالسلطة الاستعمارية الى ان يقرر الوالى العام في نوفمبر ١٨٦٤ حجز جميع قوافل بنى ميزاب وحرمانهم من الحبوب التى تأتيتهم من الشمال وذلك عقابا لهم ولثلاث يساعدوا الثوار في الصحراء .

وفي سنة ١٨٦٥ م . رجع ابن ناصر بن شهرة وسى العلاء الى مدينة ورقلة ، وفي ربيع سنة ١٨٦٦ م . توجه ابن ناصر بن شهرة وسى الزبير وابن اخيه سي احمد بن حمزة من زعماء ثورة اولاد سيدى الشيخ الى مدينة المتيعة ومنها انتقل الى عين صالح لتجنيد المجاهدين من توات ومن اشعابنة ومن التوارق ، وقد دخلت ثورة اولاد سيدى الشيخ الى مدينة عين ماضي التى دخلها سي العلاء في شهر جانفى سنة ١٨٦٩ م . ومعه سي قدور ابن اخيه واعلنت عين ماضي الثورة فتوجه اليها جيش فرنسي عظيم من مدينة الاغواط بقيادة الكولونيل دى سونى لمعاقبة شيخ الزاوية وسكان عين ماضي ، ولما سمع بذلك المجاهدون جمعوا في اقرب وقت وبسرعة فائقة ٣٠٠٠ من الفرسان والف من المشاة واستعمل الجيش الفرنسي لأول مرة في الجزائر احدث الاسلحة فكانت الغلبة للثوار في التسليح ، وفي ١٠ غيبرى ١٨٦٩ اعتقلت السلطة الاستعمارية شيخ الزاوية ونفته الى بولوغين

من طرف اليساريين فاعلنوا الجمهورية الفرنسية الثالثة ، وانتقال الحكومة الى مدينة (تور) ثم الى مدينة (بوردو) . وقد صدرت من بعض هؤلاء الكتاب بعض الحقائق والعبارات التي تشير الى الاسباب الوطنية الشريفة في اعلان الجزائريين لثورة ١٨٧١ م .

وقد وقعت السلطة الاستعمارية في فوضى لا نظير لها وتطاحن الحكام المدنيين والعسكريين تطاحنا علينا ، رأى فيه قادة الشعب الجزائري الفرصة السانحة للخلاص ولطرد المستعمر الى البحر .

ولم يكن قرار منح الجنسية الفرنسية بصفة جماعية للاسرائيليين الجزائريين الا جزئية من جزئيات آثار السياسة الاستعمارية ، بل رأى فيه السكان تطورا جديدا في هاته السياسة الرامية الى محاولة مسخكل ما كان قبل الاحتلال من مظاهر ، (وعكس ما ادعاه مؤرخو هاته الثورة الفرنسيون) رأى الناس في هذا القرقار اعتداء على حرية الاديان في الجزائر ، وخشى اهل النظر البعيد ان يكون ذلك خطوة نحو منح المسلمين هاته الجنسية بصفة جماعية وأشار الى ذلك الكاتب لوى رين في كتابه المذكور صفحة (٩٢)

(...) ولكن البعض وهم المرابطون رؤساء الزوايا راوا في ذلك دليلا على تسامحنا الدينى الذى حملنا على فرض قانوننا المدنى على الاسرائليين بدلا من قانونهم الدينى ، وكانوا يظنون بدون شك اننا يوما ما سنتصرف مثل هذا التصرف بالنسبة للقانون الدينى للمسلمين) ، ويعلق الكاتب مستغربا هذا الفهم قائلا - (وهذا دليل على التفسير الغريب من طرف الاهالى في بعض الاحيان لبعض اجراءاتنا) . ويقول في صفحة (٨٥) - (.. في ذلك الوقت ومدة كامل شهر سبتمبر ١٨٧٠ م . انتشرت انباء مؤلمة عن اندحار جيوشنا النظامية وخصوصا من طرف

بعض الجرحى في معركة (ريشهوفن) من الجنود الجزائريين الذين نقلوا الى الجزائر وبالقوا في تصوير انكسارنا وضعفنا واضمحلال دولتنا) . وقال الاستاذ اوقستان برنار Augustin Bernard في الجزء الثانى المتعلق بتاريخ الجزائر من كتاب (تاريخ المستعمرات الفرنسية والتوسع الفرنسى في العالم) صفحة (٢٨١) - (... خلاص الحكومة Chelass El Houkouma انتهت كل سلطة وشرعت القبائل والاعراش في التسلح ، وصعب قبض الضرائب ، ووضعت المواشى في مامن في الجبال) . ولقد كون الشعب تلقائيا مجالس شعبية تتكون من ١٠ الى ١٢ عضوا لها جميع الصلاحيات وسميت الشرطة ، تراقب القيادة وتفرض التفرغ ، وتحجز املاك المخالفين والخونة للقضية العامة ، وتشتري الاسلحة ، والبارود ، والعتاد ، والخيول ، وتعيد النظر وتنقض احكام القضاة ومجالس التأديب الاستعمارية ، وكانت اول شرطة تأسست هي شرطة السحارى قرب يسكرة وشرعت في اعمالها في ١٥ نوفمبر سنة ١٨٧٠ م . يقول لوى رين في ذلك (...) وقد بلغ ببعض هاته المجالس الشعبية وذلك في السوادي بسوف ان حكمت بالاعدام على السراق) .

واعتقد الناس في كامل البلاد ان فرنسا امانها ستخرج من الجزائر او تنسحب الى مدن الساحل واثناء هاته الاستعدادات النشيطة في الشمال وخصوصا بعد اعلان الجمهورية الفرنسية الثالثة في ٤ سبتمبر ١٨٧٠ م . كان الامير عبد القادر في دمشق الشام الواقعة تحت حكم دولة الخلافة العثمانية حليفة الالمان ، يعلم جيدا حقائق الامور ، ورأى ان الفرصة سانحة لاستئناف الجهاد لتحرير البلاد ، فارسل ابنه الثانى الامير محيى الدين ليلتحق بأخوانه الثوار في داخل الوطن ، وعزم الجميع على اعلان الثورة بمجرد انتهاء شهر رمضان المعظم سنة ١٢٨٧ هـ . الذى بدا في ٢٤ نوفمبر وانتهى في ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٧٠ م

يقول في ذلك الاستاذ سعد الله في ندوة ثورة ١٨٧١ م . العدد الثاني من مجلة (الاصلية) شهر مايو ١٨٧١ م . صفحة (٥٨) مايلي - (. . . ففى احد الاصيف كنت فى سوريا والتقيت مع جماعة من احفاد الامير ومنهم حفيد كان كبير السن وجدته على الفراش . . . وقد توفى الان ، ومما قال لى وانا اسجل هذا فى مذكراتى الخاصة بأن الامير عبد القادر هو الذى ارسل ابنه محيى الدين عن طريق طرابلس التى كانت تابعة للدولة العثمانية ، جنوب تونس ، ودخل محيى الدين الى الجزائر عن طريق الجنوب الشرقى) .

جاء الامير محيى الدين الى تونس ولكن احتجاج القنصل الفرنسى بها لدى الباي حمله على الامتناع عن اى اتصال ، وادعى المرض ، وعلن أنه ينوى الرجوع الى سوريا عن طريق مالطة وابحر من تونس فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٧٠ ولكنه بعد ايام قلائل نزل بمدينة طرابلس ومنها توجه برا الى توزر ثم الى مدينة نفطة . وفى نفطة التى كانت مركزا وماوى للثوار الجزائريين وملجأ لكل الذين قد هاجروا اليها لالسبب كما يقول لوى رين نفسه (سوى الرغبة فى العيش فى ارض اسلامية ورفض أن يكونوا رعايا للمسيحيين) . صفحة (٨٨) . وقد التقى الامير محيى الدين فى نفطة بأخوانه فى الجهاد الثوار ابن ناصر بن شهرة ، ومحمد بوعلاق التونسى ، واولاد البطل الشعانبي السوفى بوطيب بن عمران وكانوا جميعهم فى ضيافة واکرام ومساعدة رئيس زاويتها الرحمانية الشيخ مصطفى بن عزوز الجزائرى .

بدأ الامير باعداد الاعراش والقبائل وتسليحهم وتكوين القوم وشراء الاسلحة والعتاد ثم ارسل هو وابن ناصر بن شهرة اول رسالتهما الى القبائل والاعراش ، وكانت رسالتهما ترسل اثنتين اثنتين ، الرسالة الاولى من ابن ناصر بن شهرة يعرف بها بحضور الامير محيى الدين ابن

الامير عبد القادر والثانية من الامير محيى الدين نفسه يدعو الناس فيها الى الاستعداد للجهاد واتخاذ كل الوسائل من اجل الكفاح . وهذه ترجمة الرسالة الاولى من ابن ناصر بن شهرة عن الفرنسية التى كانت مترجمة عن العربية والتى لم نعر عليها : فى راس الرسالة ختم مربع قطع جانب منه ، معروف فى كامل الصحراء ، (ان مولانا الامير محيى الدين ابن الامير الحاج عبد القادر قد جاء بأمر من السلطان نصره الله ، انه يريد نصير الدين ، وان شاء الله سيذهب من هنا الى الجزائر ليلتحق بابيه الذى سيكون فى حاجة اليه . وان الجيش المرسل من طرف السلطان قد وصل الى طرابلس . فاذا عزمتم على القدوم نحونا (اذا كنتم تحبونه حقا) ، فارسلوا له وفدا من طرفكم . والا فلا تلومن الا انفسكم لما سيحدث (وحامل هذا اليكم سيكمل لكم بصوت رفيع جميع المعلومات كتبه الامير ابن ناصر بن شهرة والسلام . ٦ شوال سنة ١٢٨٧ هـ . (٣٠ ديسمبر ١٨٧٠ م)

أما رسائل الامير محيى الدين فكانت تحل من فوقها ختما كبير مستديرا (قطره ٣٥ ملتر) وهو حجم اميرى . وهذا نص الرسالة الاولى : (وما النصر الا من عند الله . من طالب العون من القوى القاهر ، الامير محيى الدين بن الامير عبد القادر فى سنة ١٢٨٧ هـ . جئنا الى هنا قصد الدفاع عن الدين وحماية الوطن . اننا نعلم انكم ترغبون فى الجهاد (وباسم الدين نجد فيكم الاخ الحميم والمؤيد) . ان الله قدسحق أعدائنا ولم يبق لهم لا وطن ولا جيش . كونوا مستعدين ليوم قدومنا نحوكم . وانكم تعلمون ان الدين لا يسمح الا للعاجزين عن القيام بالقتال . كل رجل صحيح يجب ان يشارك فى الجهاد ، سواء بنفسه او بماله استعدادا ان لرفع شأن الدين وانسى اعرف ان ذلك دائما هو املككم وانكم كرماء ، ان وقت الذهاب قد حان ، وقت تحريركم قد قرب . فاستعدوا والسلام) .

ارسلت هاته الرسالة الاولى وكثير في معناها الى جميع رؤساء القبائل والى جميع السكان . والتحق الارباع بقائدهم لما جاءتهم رسالته وكان برفقة الامير محيى الدين السيد ابن هلال احد كتاب والده القدياء والسيد سى محمد زروق ابن سيدى صالح احد الاشراف من ناحية بسكرة واحد ابطال معركة الزعاطشة والذى كان لاجئا في طرابلس الغرب ، والسيد ابراهيم بن عبد الله مقدم الطريقة القادرية واحد ابطال ثورة ١٨٦٤ والسيد محمد بن الحشاني من قرية بوعزيز في بسكرة والسيد سليمان سلطان تقرت سابقا .

وشاع في الجنوب في تلك الايام قدوم الجيوش التركية والمصرية للنصرة المسلمين فقد كتب السيد سى محمد زروق بن سيدى صالح من نقطة الى قائد بسكرة محمد الصغير بن قانة الذى احوالها الى الادارة الفرنسية ، جاء فيها ما يلى - (ان مولانا الامير محيى الدين ابن الامير عبد القادر قد جاء الى ابن ناصر بن شهرة ليقوم بالجهاد المقدس . ان سلطان اسطنبول قد ارسل جيشا الى طرابلس ، وجعل الايالة التونسية والجزائرية تحت اماره اسماعيل باشا نائب الملك في مصر . عدة دول وافقت على التقسيم وبعضها لم توافق . والسلطان يريد ان يخلص عرب الجزائر من عدوهم قبل ان يكثروا . وعندما اتفق مع سى محيى الدين ساعطيك اخبارا هامة في هذا لسان .) يقول لوى رين - (ارسل الينا الرؤساء الموالون لنا عددا كثيرا من هاته الرسائل وقد تجمع لدى القائد العسكرى لناحية بسكرة نحو (٤٤) رسالة كلها محفوظة في وثائق الولاية العامة وكان على بعضها ختم الامير محيى الدين وعلى بعضها ختم ابن ناصر بن شهرة ، وقد كانت مرسلة الى رئيس زاوية تماسين ، والى السيد على باى آغا تقرت وورقلة والى رؤساء واعيان الطرود بسوف ، والى الاغواط ، ومتليلى ، ومزاب ، والى الشريف بوشوشة ، والى المخادمة

والشعانية ، وسعيد عتبة بورقلة وغيرهم . .) ويقول رين ايضا : (وكل هاته الرسائل متشابهة في القول والاسلوب ويظهر انها امليت على كتاب عديدين) .

وكانت السلطات الفرنسية تجهل اولاً وجود الامير محيى الدين بجنوب الجزائر ثم كذبت الخبر واشاعت انه شخص آخر منتحل لاسم الامير ، ثم روجت اشاعة براءة الامير عبد القادر بنه ونشرت عدة رسائل في الجريدة الرسمية المبشر وفي الاسواق على انها من الامير يحذر فيها الناس من اتباع ابنه العاق ، وأنه غير راض عنه ولا موافق على تصرفاته . والصحيح ما قدمناه من ارسال الامير لابنه للجهاد وقدراسل رسالة واحدة فقط الى حكومة بوردو بواسطة قنصلها العام في دمشق يخفف من وقع الحادث ، وقال فيها انه ارسل ابنه المريض للمعالجة بمدينة الاسكندرية ولتبديل الهواء هناك .

وكان اثناء هاته الاستعدادات قد قام البطل المجاهد محمد بن التومى الشهير باسم بوشوشة الفيشاوى باعلان الجهاد في الصحراء واستولى على مدينة النبعة وطرد قائدها جعفر ، ثم استقر بمدينة عين صالح في شهر مايو ١٨٧٠ م وكون جيشا عظيما من قبائل الشعانية المواضى ، وشعانية متليلى وشعانية طرود سوف ، واجتمع في الصحراء ثوار اولاد سيدى الشيخ بزعامه سى الزبير وثوار الشعانية بقيادة بوشوشة ، وثوار الصحراء الشرقية بقيادة ابن ناصر بن شهرة والامير محيى الدين وفي نفس الوقت كانت الثورة مشتعلة في الشمال بقيادة المجاهد الحاج محمد بن الحاج احمد المقرانى ، والشيخ ابن الحداد رئيس الزاوية الرحمانية في صدوق ، ثم تحت قيادة بومزراق المقرانى والسيد عزيز بن الشيخ الحداد وقد استولى الثوار على برج بوعريج ومجانة ووصلت الثورة الى ناحية الاخضرية (باليسترو)

والى بنى مناصر قرب شرشال ، واستولى الأمير محيى الدين على نقرين وتبسة وانتشرت الثورة من الساحل وفى الجبال الى اعماق الصحراحيث استولى ابن ناصر بن شهرة على تقرت وورقلة وتحمس الناس للجهاد والدفاع عن العقيدة والوطن وكان المرحوم المقرانى قد استشهد فى ٥ مائى ١٨٧١ م فى مكان سوفلات قرب عين بسام ، وفى ١٣ يوليو ، جويلية سنة ١٨٧١ م القى القبض على الشيخ الحداد ، وتكبد الفرنسيون خسائر كبيرة واضطروا الى خوض أكثر من ٣٤٠ معركة اشتبكت فيها ثوارنا الابطال وجنودهم ضد الجيوش الفرنسية والعملاء الجزائريين الذين كانوا فى خدمة ركبهم ولعل وجود هؤلاء العملاء فى الشمال والجنوب هو السبب الرئيسى فى فشل ثورة ١٨٧١ م وعدم نجاحها رغم الاستعدادات زيادة على عدم وجود التنظيم العسكرى والقيادة الموحدة ، والتكوين السياسى للقيادة والشعب ، وكذلك مجئ الامدادات من المعتاد والسلاح والجيوش من فرنسا بعد تفرغ جيوشها من حرب السبعين .

ولما انقلبت الحال فى الشمال قرر آل المقرانى الاعتصام بالصحراء فتوجه ركبهم نحو الجنوب على طريق المسيلة ثم واصلوا السير ووصلوا الى عقلة البيضاء على شط زاغز بعد ان مشوا ليلا أكثر من ٨٠ كلمترا وهناك اجتمعوا فى ١٠ اكتوبر ١٨٧١ م . ليقرروا مصرهم ، وكان اغلبهم قد اثار بالانتجاع الى الايالة التونسية الشقيقة ومنهم الزعيم بومزراق وكان عددهم بين ١٥٠ و ١٦٠ من بينهم ١٧ رجلا من اعيانهم وكبرائهم وهم ، السيد احمد بومزراق ، السيد السعيد بن بوداود ، السيد على بوزيد ، السيد ابن عبد الله بن الحاج احمد ، السيد الشريف بن عبد الرحمن ، السيد دحمان بن القندوز ، السيد الحاج بن عبد الرحمن ، السيد الاخضر بن

عبد الرحمن ، السيد محمد بن قويدر ، السيد الصغير بن بورنان ، السيد احمد بن بورنان ، السيد احمد بن عبد الله ، السيد عبد الرحمن بن القندوز ، السيد محمد بن عبد السلام ، السيد احمد بن الشلالى . وقرروا الدخول الى تونس عن طريق تقرت ، وسوف ، ونفطة ثم توزر ، ولكن جاعتهم الاخبار بأنه لايمكنهم الذهاب الى سوف لعدم الامن هناك ، فعدولوا عن ذلك وقرروا الالتحاق بابن ناصر بن شهرة فى ورقلة ، فمروا بقرية العلية قرب تقرت فأبوا ان يضيفوهم وامتنعوا حتى من بيعهم اللحم والتمر خوفا من انتقام بوعكاز ، بل قابلوهم ببرودة ، خلافا لمعاداة العرب فى الكرم والضيافة مما جعل لوى ربن يتعجب من هذا التصرف ازاء ابطال وعظماء ، أمثال المقرانى واقرباء وانصاره . ولما سمع بهم ابن ناصر بن شهرة ، والبطل بوشوشة ، والبطل سى الزبير من اولاد سيدى الشيخ ، وكان ذلك اليوم (٢٠ اكتوبر ١٨٧١ م .) يوما مشهودا بالغ الابطال فى الحفارة واکرام اخوانهم حتى انسوهم همومهم وقرروا البقاء فى الصحراء، بل وضعوا انفسهم تحت رئاسة السيد بومزراق . وهذا الموقف الرائع الدال على الاخوة فى الاسلام وفى الجهاد يبرهن بكل وضوح على ان الشعب الجزائرى كان شعبا واحدا متآخيا متضامنا فى السراء والضراء لا فرق بين سكان شماله ولا بين سكان جنوبه ولا فرق بين العرب والامازيغ ووحدت الدماء بينهم،وهو برهان على ان الاستعمار هو الذى احدث فى صوفنا العداوة والبغضاء والعقالية الجهوية ، وكانت مدينة بنى يسقن فى وادى ميزاب المستودع الحصين الذى وجد فيه الثوار السلاح والتموين والمعتاد والسلاح والبارود (يقول الاستاذ اوقستن برنار) المذكور ، (فى سنة ١٨٨٢ م . باستلائنا على

الزباب قضينا على عش الثورة الدائم ، والمستودع الذى كان يجد فيه الثوار ضدنا الاسلحة والعتاد والتموين) . فبفضل مركز نقطة الهام ومركز وادى مزاب الممتاز تمكن الثوار من مصالوة الاستعمار والحفاظ على روح النضال والمقاومة فى نفوس شعبنا ، كما ان ذلك برهان على روح الاخاء بين اقطار المغرب العربى الكبير .

وبفضل ابن ناصر بن شهرة تمكن آل المقرانى من الدخول الى تونس ، ومنها اتصلوا بالباى الذى اشترط عليهم تحت ضغط فرنسا ان يتفرقوا فى البلاد وان لايسكنوا فى جهات الحدود الجزائرية وقد بلغ عددهم من بعد نحو ٥٠٠ لاجئ سياسى وبقوا بها الى ايام الاستقلال فممنهم من رجع الى الوطن العزيز ، ومنهم من بقى هناك . ولكن زعيمهم السيد بومزراق كان قد اتجه الى ناحية للبحث عن طريق اللحاق بتونس ، وكان يرافقه خادمه فقط ، فلم يهتد للرجوع الى الركب وبقى يمشى مدة ستة ايام بدون ماء ولا زاد الا الاعشاب حتى وصل الى ماء فى ناحية الرويسات قرب ورقلة وهناك عثر عليه الجيش الفرنسى مغميا عليها هو وخادمه ، وذلك فى ٢٠ جانفى سنة ١٨٧٢ م . فنقله الجنرال لاسكروا الى قسنطينة وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالاعدام ثم نقل الى جزيرة كليدونى الجديدة التى كانت معتقلا لدى فرنسا . وفى ١١ جانفى كان قد حاول احد الخونة قتل السيد بوشوشة وتركه قريبا من الميت فعثرت عليه جنود الفرنسيين جريحا فى ناحية الميلى قرب عين صالح ونقلوه الى سجن

قسنطينة وحوكم بها كمجرم لا كثائر حربى ، وحكمت عليه المحكمة الاستعمارية بالاعدام ونفذته فيه صباح يوم ٢٩ جوان ١٨٧٥ م . على الساعة الخامسة صباحا فى معسكر الزيتون قرب قسنطينة . ومما قال للمحكمة ما اكثر ثرثرتكم وركلكتم انكم قاذلى لا محالة فاسرعوا بقتلى واريحونى من سخافاتكم ، اننا ثرنا وها انا بين ايديكم . وواجه الرصاص والموت بكل شجاعة رحمه الله .

ولقاء القبض على قائد الثورة بومزراق ، والقاء القبض على زعيم الثورة فى الصحراء الغربية والشرقية ، بوشوشة وباستلاء الجيش الفرنسى على مدينة تقرت ثم ورقلة ، يئس الناس من نجاح الثورة ، وتفرق المجاهدون ، منهم من لجأ الى طرابلس ومنهم من لجأ الى تونس ، وبقي ابن ناصر بن شهرة وحده يقوم ببعض المناوشات يشنها من الجريد ونفزاوة . وفى شهر جوان لجأ الى باى تونس الذى اذن له بالركوب من مرسى حلق الوادى الى بيروت وذلك فى يوم ٢ جوان ١٨٧٥ م . وكان برفقته رفيقه فى الجهاد الشيخ الكلوتى ، وفى بيروت استقر بجوار صديقه الامير محيى الدين بن الامير عبد القادر الى سنة ١٨٨٣ م . هو والكلوتى ، ثم توفى رحمه الله رحمة واسعة وجازاه هو وجميع اخوانه من ضحوا قبله ، او معه ، او بعده ، احسن الجزاء ..

احمد بن ابي زيد قصية .

القاضي

سعيد العقباني التلمساني

رابح بونار

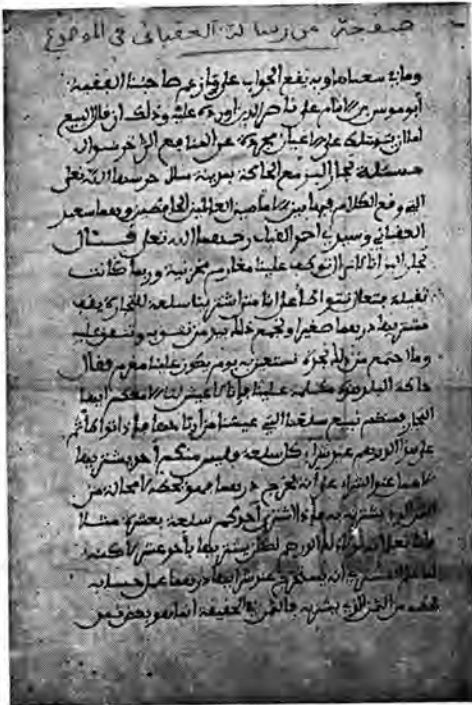
تمهيد : لقد سجل القرن الثامن الهجري بتلمسان وغيرها من مدن الجزائر ازدهارا كبيرا في الدراسات الفقهية القانونية كما سجل نشاطا كبيرا في مختلف العلوم كالتاريخ وعلوم اللغة والادب ومباحث الكلام والرياضيات وغيرها وقد كان لكتاب الدراسات القانونية والفقهية المقام الاول في هذا العصر ، وكانت لهم الاسبقية والايثار على رجال الثقافة الذين يعاصرونهم واهم ما تنبغى ملاحظته هنا ان اعلام القانون في هذا العصر لم يكونوا من النخلة الحفاظ لا غير ، وانما كانوا يميلون الى اعمال الراى الى الاجتهاد في دائرة المذهب المالكي ومنهم المترجم سعيد العقباني واذا رجعنا الى كتب التراجم وتصفحنا تراجم بعض الشخصيات الفقهية الامة وجدنا من بينهم ابني الامام ابي موسى عيسى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ و ابا زيد عبد الرحمن (١) المتوفى سنة ٧٤٣ هـ ومحمد ابراهيم الابلى (٢) المتوفى سنة ٧٥٧ هـ و ابا عبد الله محمد بن احمد العوينى الشريف التلمساني (٣) المتوفى سنة ٧٧١ هـ .

وأبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق بن
مرزوق التلمساني الشهير بالخطيب (٤)
المتوفى سنة ٧٨٦ هـ ونجد الى جانب هؤلاء
الفقهاء الاعلام شخصيات أخرى لا تقل عنهم
شأنا في الأبحاث الفقهية والدراسات القانونية
الواعية منهم عمران بن موسى المشدالي
البجائي (٥) الذي هاجر الى تلمسان وانتصب
فيها للتدريس الى ان توفي سنة ٧٤٥ هـ ومنصور
أبي علي الزواوي المتوفى بعد سنة ٧٧٠ هـ (٦)
وغير هؤلاء ممن كانوا بتلمسان او ببجاية وقد
نبغ مترجما سعيد العقباني في تلمسان في هذا
العصر وكان في طليعة اعلامه ممن يفتخر بهم
عصره ، وتردان بهم حاضرت تلمسان ، وقد
حفزني باعث التعريف به وبنشأته العلمية على
ان اخصه بهذه الترجمة وبدراسة مقتضبة حول
بعض انتاجه العلمي .

ترجمته : سعيد بن محمد العقباني التلمساني
ولد سنة ٧٢٠ هـ وتوفي سنة ٨١١ هـ (٧)
والعقباني نسبة لعقبان وهي قرية من قرى
الاندلس التي يعود اليها أصله وقد هاجرت
أسرته الى تلمسان واستقرت بها . يقول فيه
معاصره يحيى بن خلدون : (٨) انه أول نجباء
بيته وهو ذو نبل ونباهة ودراية وتفنن في
العلوم ومهارة في الحساب والهندسة وأما
صاحب الديباج فانه يذكر لنا شيوخه ومؤلفاته
فيقول فيه انه امام فاضل فقيه في مذهب مالك
متفنن في العلوم .

شيوخه : اخذ عن ابني الامام ابي زيد وأبي
موسى وتفقه عليهما واخذ الاصول عن الامام
الابلي . ويذكر انه ولي القضاء ببجاية والعلماء
يؤمّن مؤاخرهم كما ولي قضاء تلمسان وله في
القضاء مدة تزيد على ٤٠ سنة .

ويزيد صاحب نيل الابتهاج قائلًا (٩) : ان
أصله من الاندلس تجيبى النسب وهاجر الى



تلمسان ومن شيوخه الحافظ السطى الذي اخذ
عنه الفرائض وكان يقال له رئيس العقلاء ونقل
عن ابن سعد انه كان فقيها علامة خاتمة قضاة
العدل بتلمسان .

تأليفه : ذكر مترجموه له جملة مؤلفات في
موضوعات مختلفة :

(١) غنى الفقه له شرح جليل على ابن
الحاجب الاصلى .

(٢) وفي الفرائض له شرح على الحوفي لم
يؤلف عليه مثله

(٣) وفي التفسير له تفسير سورة الفتح او
الفاحة أتى فيه بفوائد وزاد عليه صاحب نيل
الابتهاج تفسير سورة الانعام (١٠)

٤) وفي الكلام له العقيدة البرهانية في اصول الدين

٥) وفي اللغة له شرح بردة البوصري في مدح النبي ص

٦) وفي الرياضيات له شرح التلخيص في الجبر والمقابلة لابن البناء وشرح قصيدة ابن الياسمين في الجبر والمقابلة ايضا .

٧) وفي المنطق له شرح جمل الخونجي .

تلاميذه : اخذ عنه طائفة من الاعلام كولدته قاسم العقباني ، والامام ابي الفضل ابن الامام ، والامام الحجة ابن مرزوق الحفيد والولي العارف سيدي ابراهيم المصودي والامام العارف ابي يحيى الشريف والشيخ ابي العباس بن زاغو ، واخذ عنه بالاجازة الامام المحقق النظار محمد بن عقاب الجذامي .

قضاؤه : اشتهر الامام سعيد العقباني بمهارته القضائية وبتفوقه في المباحث القضائية وكان اول نجباء بيته كما يقول يحيى بن خلدون وقد شغل القضاء مدة تزيد على ٤٠ سنة كما قدمنا . فتولى القضاء ببجاية ومراكش وبسلا ووهران وتلمسان وحدث سيرته وكان في عهد يحيى بن خلدون حوالي (٧٦٠ - ٧٨٠) يتولى قضاء الجماعة بتلمسان وامامة الجامع الاعظم فيها . وقد اكسبه القضاء ومهارته في الرياضيات قوة على الجدل والمناظرات وصل فيها الى درجة الشريف التلمساني وكان كلاهما يستشرف الى درجة الاجتهاد المذهبي .

ونريد ان نذكر هنا صورة عن مناظر طريفة وقعت بين المترجم وبين الامام احمد القباب الفاسي (١١) وكان علامة جليلا وهي تعطينا صورة جلية عن النشاط الفقهي والتعمق في مباحثه ومحاولة الاجتهاد فيما لا نص فيه للابية

السابقين وكان اعلام القانون في هذه الفترة يستشرفون الى الاجتهاد المذهبي ومناقشة آراء الفقهاء السابقين كما نجد ذلك عند المترجم وعند الشريف التلمساني وابن عرفة بتونس وابن لب والشاطبي بالاندلس وغيرهم وهذه المناظرة التي دارت بين هذين العلمين من اعلام المذهب المالكي بعد منتصف القرن الثامن الهجري تبدو فيها محاولة الاجتهاد واضحة جلية، لان موضوع المساجلة لم يتعرض له الفقهاء قبل ذلك ولم تكن هناك احكام سابقة تتضمن البت فيها هذا ما دعا الفقيهين سعيد العقباني واحمد القباب ان يجتهدا في استنباط الحكم الشرعي المناسب وان يستعمل كلاهما مختلف الادلة العقلية والعقلية لابرار الحقيقة وافحام الخصم .

ومن الطريف ان نذكر ان موضوع هذه المناظرة يتصل بضرب من ضروب التامين الاجتماعي وصلت اليه بعض النقابات الحرفية في هذا العهد الاسلامي كما ورد في مسألة المناظرة ولا يبعد ان يكون هذا النمط شائعا في جميع حواضر المغرب الاقصى والادنى وتونس ولعل في هذا النموذج ما قد يطلعننا على تنظيم محكم للتجارة والصناعة التقليدية ويني معلوماتنا عن النشاط التجاري وأنظمتها الاجتماعية الدقيقة في عصر ما بعد الموحدين .

وقد كان الباعث على احداث هذا النوع من التامين الاجتماعي للتجار هو ما كان ينصب عليهم احيانا من ضرائب تفرضها الدولة عليهم فكان هذا التنظيم وسيلة لتخفيف هذه الضرائب وتحمل اعبائها اما المنتجون من الحاكة وغيرهم فقد كانوا كما تبدو لنا حالتهم الاقتصادية من خلال المناظرة قليلي الارباح ، عديمي الثروة ، واثمان منتجاتهم كانت لا تزيد على لوازم نفقاتهم ومعاشهم بخلاف التجار فانهم كانوا احسن منهم حالا ، واكثر اموالا .

موضوع المناظرة : جاء في الدرر المكنونة في نوازل مازونة (١٢) : ان جماعة من التجار بمدينة سلا بالمغرب الاقصى اتفقوا على اخراج درهم عن كل بضاعة يشتريها واحد منهم لتوضع عند **أمير التجار** ، وعند الحاجة اليها في دفع الضرائب يستعان بها ، واشتكى الحاكمة البائعون من ذلك واستفتوا سعيد العقباني وكان قاضيا بسلا فأجابهم بالجواز ثم استفتوا الفقيه أحمد القباب بالرباط فأجابهم بالنسح ووقعت مناظرة كتابية بينهما وعقبتا مناظرات أخرى جمعها القاضي العقباني في كتاب دعاه (الباب اللباب في مناظرة القباب) ووجهة نظر العقباني تتلخص في أن هؤلاء التجار قد اتفقوا فيما بينهم عن تراض على أن يجمعوا هذه الدراهم لوقت الحاجة وهي مملوكة لهم ملكية مشتركة في صندوق أشبه ما يكون بصندوق تضامن لهؤلاء التجار فهي لذلك جائزة ومشروعة

أما القباب فانه رأى في هذا الاتفاق تواطؤا على الحاكمة البائعين ولذلك افنى بأن الدراهم المجموعة هي ملك لأولئك البائعين لا للتجار .

ولاعطاء صورة واضحة عن هذه المناظرة الطويلة وبسط حجج الفقيين معا بإيجاز نوردتها في صورة حوار فيما يلي :

سعيد العقباني : ان هذا الدرهم المخرج من ثمن السلعة المشتراة هل يستوجب نقصا لاثمان الحاكمة أم لا وهل يتعلق للبائعين بذلك حق ؟ مع عليهم بما أقدم عليه التجار أثناء التعاقد ، وأن البائع منهم لا يبيع الا بعد أن يستوفي حقه من السلعة ، والمشتري اذا اشتدت رغبته فقد يشتري بكثر من الثمن الذي يدفعه في حال فتور رغبته ، وعلى العكس من ذلك اذا كان البائع احرص على البيع فقد يتساهل في الثمن ، فما الذي يشوب بيعا وقع

مستوفيا شروطه وأركانه ولو كان ثمن البضاعة غاليا أو رخيصا ؟

على اننا نفرض أن المشتري لو تقاعس عن الزيادة في السلعة لزهده فيها فان شراءه من البائع المضطر يكون صحيحا لانقضاء عيوبه المبطل ؟ (١٣)

وايضا فان فقه المسألة يظهر في أن البائعين لا حق لهم في ذلك الدرهم المخرج ولا في منسح التجار المشتريين من توظيفه على انفسهم لان البيع وقع صريحا بثمن مسمى وعليه سلم البائع منهم بضاعته ورضى بذلك فلا حجة له بعد ذلك !

القباب : لا يجوز للتجار أن يتواطؤوا على أن لا يزيدوا على ثمن معين لان في ذلك ضررا لهؤلاء الحاكمة ؟ وكل اضرار بالمسلم حرام . وقد قال الامام مالك : لا ينبغي للنفر أن يجتمعوا فيقولوا لا نزيد في الثمن على كذا .

العقباني : انه لا دليل على أن التجار تطاطؤوا على أن لا يزيدوا في السلع وذلك غير مسلم وانما اتفقوا على اخراج درهم من كل سلعة يشتريها أحدهم (١٤)

القباب : لا يمكن التسليم بعدم التواطؤ بل ان كل تاجر يضع حسابا الدرهم المدفوع عند شرائه فيحاول أن ينقصه من ثمن السلعة وفي هذه مضره واضحة للبائع (١٥) .

العقباني : اذا سلمنا بمضرة البائعين فليتواطؤ هؤلاء البائعون ايضا ليدفعوا هذا النقص عن انفسهم على أن لا يبيعوا الا بزيادة هذا الدرهم ما دام المشترون قد اتفقوا وكل من الطرفين حر مختار في تعاقدته واتفاقه .

القباب : لو سألنا أهل المعرفة في هذه المسألة لقالوا أن التحامل يقع على الباعة دون التجار .

العقباني : لا نسلم ذلك فقد نجد التاجر الشديد الحرص من هؤلاء قد يتحامل على نفسه في شراء سلعة ويقدم على شرائها بثمن غال باهض ثأين التحامل في هذا ؟

القباب : ان التجار يعملون دائما على الحطيطة من ثمن البضائع المشتراة .

العقباني : لاشك ان البائعين من الحاكاة قد يعرضون سلعة بالسوق ويساومها غير التجار من المستهلكين ثم يتدخل التجار ويزيدون فيها حتى يأخذوها بأكثر مما دفعه المشتري العادي فكيف يمكن الادعاء بعد ذلك من أن التاجر قد أخذها بأقل من ثمنها وأنه لجأ الى الحطيطة .

ولنا صورة توضح لنا هذا الإيراد وهي ان رب السلعة لو باع سلعته بـ ١٠ دراهم لمن لا وظيف عليه ولم يلتزم باخراج الدرهم من كل سلعة يشتريها ، ثم ان وكيلا له باع نظيرها بـ ٢٠ درهما من احد هؤلاء التجار الملتزمين لهذا الوظيف فهل في امكن المعارض ان يقول ان الواجب على التاجر ان يزيد درهما على ٢٠ درهما آخر مما يقدمه الى صندوق التضامن فان قال نعم فقد طلب ما لا يقبله عقل لان التاجر زاد على المشتري العادي نصف الثمن وان قال بأنه لا يزيد فقد نقض حجته من أساسها (١٦) .

القباب : ما قول المعارض فيما قاله مالك كما جاء في كتاب ابن المواز لا بأس أن يقول الرجل للرجل كف عني لا تزد على في هذه السلعة ، وأما العامة أهل السوق فلا يجوز لهم أن يتفقوا جميعا على ذلك ، وفي عمل التجار ما يشبه هذا !

العقباني : لا أسلم ان التجار يتمتعون من الزيادة والواقع أنهم رغم التزامهم باخراج هذا الدرهم يترادون فيما بينهم واثن فإين الامتناع من الزيادة المزعومة ؟

أما مسألة الموازية فانما تشمل تماثل أهل السوق على ترك الزيادة ومسألة النزاع يوجد فيها هذا النوع من الاتفاق .

القباب : ان البائعين مضطرون للبيع وتواطؤ التجار ثابت فكيف ينبح لهم ذلك ؟

العقباني : ليت شعري لو قال التجار اننا لا نشترى سلع هؤلاء الحاكاة بقليل ولا بكثير ولو ماتوا جوعا فهل كان يحل لاحد ان يلزمهم شراء تلك السلع ؟ ! فان لم يكلفوا بشرائها وهذا ما تتطلبه عقود البيع والمعاملات ، فكيف يلزمون بثمن معين ؟ وانما أوجب الله على الاغنياء ان يواسوا الضعفاء وأما شراء سلعهم فلا يعرف ايجاب شرائها والبيع من شروطه الطوع والاختيار ، على اننا مع هذا نقول بأنه لو تما لا أهل الوجود من بائعين ومتبايعين على ترك التعامل لما كان معطلا لامر البياعات لانها من لوازم الحياة الاجتماعية .

القباب : ان البائعين ضعفاء مضطرون للبيع بأى ثمن وجدوا والمشتريين له مفضل اموال الا ما يوافق اغراضهم وبلائثان التي يستيقنون منها جلب الارياح ، ومن بواعث المواساة التي دعا اليها الاسلام أن لا يجحفوا بحقوقهم في البيع .

العقباني : ان امر المواساة شيء والبياعات شيء آخر الا ترى ان المسافرين قد يبيعون في حالة الحاجة بأثمان رخيصة وتمضى عقودهم عند جميع الفتقاء ولا يقول واحد منهم ان المشتريين قد ظلموهم وايضا لو تصورنا ان البائعين قد اتفقوا على اخراج درهم عن كل سلعة يبيعونها لتوظيفهم أفلا يكون المشترون ملزمين بشرائها بهذا الثمن الذي يريده

يشوبه التواطؤ وتشمله الحرمة بالتالى ، ولكن العقباتى قد اوضح لنا بان كل اتفاق لم يكن ضد الآخرين وانما كان لمصلحة المتفقين فهو جائز رغم ما قد يلحق اولئك من بعض الضرر غير المتعمد .

والعقباتى نجد في هذه النتيجة يقترب من نظرية التعسف في استعمال الحق وهى موجودة في الفقه الاسلامى ولكنها لم تنسق مباحثها كما فعله كتاب القانون في العصر الحديث وهذه النظرية تنقسم الى معيار شخصى ومعيار مادى (١٧) والمعيار الاول يرى اصحابه ان التعسف لا يوجد الا اذا توافر قصد الاضرار بالغير لدى صاحب الحق ، والمعيار المادى واصحابه يرون انه يتجلى في الخروج عن الهدف الاجتماعى ، وقد استند العقباتى - كما رأينا في اتفاق التجار الى انهم لم يريدوا الاضرار بالحاكمة وانما ارادوا نفع انفسهم وتخفيف وطأة الضرائب عنهم .

ولو ذهبنا الى البحث عن صور الغبن في هذا التعاقد لوجدنا ان هذا النوع من الغبن الذى ينصب على الباعة المنتجين ليس فيه غبن بمعناه الفقهى المعروف لان الغبن هو عبارة عن تفاوت كبير بين التزامات أحد التعاقدين والتزامات التعاقد الآخر ناشئ عن استغلال هذا التعاقد الآخر طيشا بينا وهوى جامحا لدى التعاقد ، وحد الغبن لا يكون الا اذا بلغ الخمس (١٨) وهو ما لم يصل اليه الغبن الواقع في قضية النزاع السابقة ، كما ان الاستغلال لا يوجد له اثر في هذا التعاقد .

واذا جارينا بعض الفقهاء حول موضوع الغبن فانهم يقولون : ان الغبن الفاحش وحده في العقود لا يعيب الرضا ما لم يصاحبه شيء من الخلاية وعلى هذا استقرت معظم الاجتهادات ذلك لان الغبن المجرى عن كل خديعة لا يدل الا على تقصير التعاقد المغبون في تحرى الاسعار ومعرفة حد البذل العادل ، ولا يدل على مكر

البائعون ؟ وهل يسلم المعارض في هذه الصورة بأن الدرهم المخرج هو ملك المتاع ام انه يزعم بأنه ملك للبائع ، فان قال لاحق للمتاع فيه فقد نقض حجته في مسألة النزاع وان قال انه حقه فقد وافقنا في وجهة نظرنا وهذا هو المطلوب ، وأخيرا يختم العقباتى مناظرته قائلا بان العلامة القباب قد اذعن لحجته ، وسكت عن اشارة اعتراضات اخرى حول غنياء ، وقد حاول العقباتى ان يعطينا حلا لهذه المشكلة التى استعصت على الانظار الفقهية ان تجد لها حكما قاطعا فقال : ان سر هذه المسألة ان ما يفعله التجار من مثل هذا الاتفاق ان كان غرضهم منه هو الاضرار بالحاكمة البائعين فانهم يمنعون منه عملا بالمبدأ العام لا ضرر ولا ضرار ، وان كان غرضهم نفع انفسهم والضرر انما جاء تبعا غير مقصود فلا معنى لمنعهم منه .

تعليق : واذا تتبعنا هذه المناظرة بتأن وامعان استشفنا منها النشاط ذهنى لفقهاء القرن الثامن والتحرر الفكرى الذى كانوا يمتازون به في خوض مباحث جديدة لم يطرقها من سبقهم من الفقهاء ، ومحاولة الاجتهاد في ايجاد سند قانونى لباحثها او حظرها وهذا ما تقدمه لنا هذه المناظرة الطويلة التى لخصناها في الصفحات الماضية وهى تظهر لنا كلا الفقيهين المناظرين واسعى الاطلاع ، معتمدين على أعمال العقل غير اننا نجد العقباتى طويل الباع في جدله ، واسع التصرف في ايراد مختلف الحجج لتبرير وجهة نظره القانونية المحضة ونجد القباب من جهة اخرى يحاول ان يدخل العنصر الانسانى في التعاقد حتى لا يقع اجحاف على المتعاقدين وهو لا يكتفى بصورة العقد الشكلية وانما ينظر الى الغاية والنتيجة هل تسلم من نتائج الاستغلال التى يحاربها الاسلام .

ويبدو لنا ان القباب كان يتصور بان كل اتفاق يصدر من جماعة ما تتعامل مع جماعة اخرى قد

من العائد الآخر ، ولكل انسان ان يطلب المزيد من المنفعة بالطريق الحر المشروع دون غش واحتيال (١٩) .

ولكن على شرط ان لا يضر ذلك بالجماعة كما في الاحتكار ، وقد انتبه العقباني الى ان التجار لو تواطؤوا على ان يشتروا تلك السلعة المعينة لحكم على اتفاقتهم بالحرمة ، ولكن انفاقهم انما انصب على اخراج نسبة مالية معينة كلما اشترت وحدة سلعية لتوضع في صندوق تعاوني احتياطي دفعا لمضرة متوقعة لهم لا ارادة الاضرار بالباعة رغم ما قد تنتج عنه مضرة تبعية غير مقصودة للباعة . وقد اهتدى القباب اخيرا الى ان جميع الاعتراضات التي اوردها على فتيا العقباني لم تجد لها سندا قانونيا يدعمها ولذلك عدل عن متابعة الاعتراض كما اشار الى ذلك العقباني في آخر مناظرته .

على اننا رغم تقديرنا للعلاقة العقباني فاننا نجد في بعض حججه الطابع الجدلي الذي يستهدف افحام الخصم ، لا اظهار الحقيقة كما في قوله : لبت شعري لو قاتل التجار اننا لا نشترى سلع هؤلاء الحاكة بقليل ولا بكثير ولو ماتوا جوعا فهل كان يحل لاحد ان يلزمهم شراء تلك السلع ؟ فان لم يكلفوا بشرائها - وهذا ما تقتضيه عقود البيع الرضائية فكيف يلزمون بثمن معين ؟ وانما اوجب الله على الاغنياء ان يواسوا الضعفاء واما شراء سلعتهم فلا يعرف ايجاب ثرائها ؟ وفي هذه الحجة طابع جدلي والا فكيف يتأتى لهؤلاء التجار ان يتفقوا على عدم الشراء وفي هذا اضرار صريح بالباعة ؟ وايضا يقول ان المواساة لهؤلاء الباعة لا تكون بطريق الشراء ؟ ولماذا لا تكون المواساة في تعاهد يعتمد على التعميؤ والحديث « بيع سمحا واشتر سمحا » يشير الى هذا النوع من المواساة ، وقد تكون المواساة مع منتج ضعيف ليست لديه قدرة على التسويق افضل من

اللجوء الى مواساته عن طريق الصدقة والاحسان .

وايضا فقله لا نشترى سلع هؤلاء الحاكة ولو ماتوا جوعا - هو التزام حرفي لشكلية عقود البيع واغفال للعامل الانساني الذي يستهدف التعامل في الشريعة الاسلامية مما قد تدعو الضرورة - تحت تاثيره الى اغفال حكم ما عن التنفيذ كاغفال حكم السرقة في عام المجاعة وكتضمين دية من وجد ميتا جوعا في عرصة قوم الذي اخذ به الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان سعيد العقباني قد شعر بضعف ايراداته السابقة فاستدرك ان تلك الافتراض لا يقع لانه لو تمألا اهل الوجود من بائعين ومتبايعين على ترك التعامل لما كان ذلك معطلا لامر البياعات لانها من ضرورات الحياة ، واخيرا نلاحظ ان هذه الخصوبة الفكرية في الابحاث الفقهية التي لمسنا لمحات منها عند العقباني والقباب ونلمس نظائرها لدى معاصريهم من الفقهاء كالشريف التلمساني وابن مرزوق الخطيب وعمران البجائي والمشذالي والشاطبي وابن عرفة وعند من خلفهم من علماء القرن التاسع الهجري قد تراجعت في القرن العاشر وما بعده حتى صار الامثال من الفقهاء فيه هو من يحفظ النصوص من المختصرات لا غير ، واما الفصوص عند دراسة الاحكام في امهات الكتب والرجوع الى اقوال الامام مالك بدون واسطة ومحاولة الاستنباط من القرآن والسنة واعمال الفكر كما فعله العقباني ومعاصروه فلم يكن يفكر فيه احد .

وقد تبدو الان حاجة طلاب الفقه والقانون شديدة لربط دراستهم الفقهية الحديثة بدراسات اعلام الفقه في القديم كما قد يجدون لديهم ابحاثا طريفة وعميقة قد لا تقل او تفوق عن بعض ابحاث فقهاء العصر الحديث .

هوامش :

(١١) أحد القباب كان فوقها حافلا علامة تولى قضاء جبل الفتح ودخل غرناطة سنة ٧٦٢ هـ ومن تاليفه اختصار أحكام النظر لابن القطان اسقط فيه الدلائل والاحتجاج وشرحه على القواعد في غاية الاتقان وله مباحث مشهورة مع الامام الشاطبي في مسألة مراعاة الخلاف في المذهب احسن فيه غاية ، ويذكر عنه انه لما حج واجتمع في تونس بابن عرفة وأوقفه ابن عرفة على ما كتب من مختصره الفقهي فقال له صاحب الترجمة ما صنعت شيئا فقال له ابن عرفة : ولم ؟ فقال لانه لا يفهمه المبتدئ ولا يحتاج اليه المنتهى ، سخر وجهه الشيخ ابن عرفة والتي عليه اسئلة اجابه عنها ، وهذا ما حمل ابن عرفة على بسط العبارة في اواخر مختصره .

وأشار صاحب نيل الابتهاج الى هذه المناظرة التي وقعت بينه وبين العقباي وعناك مناظرات اخرى وقعت بينهما وقد جمعها العقباي في كتاب سماه بياض اللباب في مناظرة القباب (راجع نيل الابتهاج ص ٧٣)

(١٢) المازوني : الدرر المكتونة في نوازل مازونة مخطوط المكتبة الوطنية .

نسخ محمد بن الصديق المشرقي ١٢٤٥ هـ ج ١ الورقات ٤٧٣ - ٤٩٠

(١٣) الدرر المكتونة الورقة ٤٧٤

(١٤) المصدر السابق الورقة ٤٨٧

(١٥) المصدر السابق الورقة ٤٧٩

(١٦) المصدر السابق الورقة ٤٨٢

(١٧) هشام القاسم : الدخول الى علم الحقوق ، دمشق ١٩٦٥ ص ٢٧١

(١٨) هشام القاسم : محاضرات في القانون المدني : دمشق المطبعة الجديدة ١٩٦٨ م ١٩٦٩ م ص ١٤١

(١٩) مصطفى أحمد الزرقاء : الدخول الفقهي العام بيروت . دار الفكر ١٩٥٢ م ج ١ ص ٤١٧

(٢٠) الدرر المكتونة في نوازل مازونة المصدر السابق ج ١ الورقة ٤٨٢

(١) أحمد بابا السوداني التتبيكي : نيل الابتهاج . مصر ١٣٥١ هـ - ص ١٦٦

ابن مخلوف : شجرة النور الزكية ج ٢ ص ٢٢٠ - المقرئ أحمد : نفع الطيب ج ٧ ص ٤٤٤

يحيى بن خلدون : بغية الرواد ج ١ ص ٧١ - ابن مريم البستان ص ١٢٢

البستاني مؤاد افرام : دائرة المعارف بيروت ١٩٥٨ م - مج ٢ ص ٢٤٩

الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف الجزائر ١٩٠٦ م ج ١ ص ٢٠١ - ٢١٣

(٢) نيل الابتهاج ص ٢٤٥ - شجرة النور الزكية ج ٢ ص ٢٢١ - ابن خلدون عبد الرحمن : التعريف بتحقيق ابن تاووت ص ٣٣ - نفع الطيب ج ٧ ص ١٦٧ - جذوة الاقتباس لابن القاسم ج ٢ ص ٧ - بغية الرواد ج ١ ص ٦٧

(٣) نيل الابتهاج ص ٢٥٥ - البستان ص ١٦٤ - ١٨٤ والتعريف لابن خلدون - تحقيق ابن تاووت القاهرة ص ٦٢ - وبغية الرواد ج ١ ص ٥٧

(٤) السيوطي : بغية الوعاة مصر ١٢٢٦ هـ ص ١٨ - ابن مروحون الديباج المذهب مصر ١٣٥١ هـ ص ٢٠٥ - نيل الابتهاج على هاشم الديباج ص ٢٦٧ - نفع الطيب ج ٢ ص ٢١١ - ٢١٩ - البستان ص ٣٠٥ - ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٣ ص ٣٦٠ - ٣٦١ - كحالة ممرضا : معجم المؤلفين ج ٢ ص ١٥٦ - ١٥٧ . (٥) نيل الابتهاج ص ٢١٥ - ٢١٧ - بغية الرواد ج ١ ص ٧٢ - نفع الطيب ج ٧ ص ١٤٨

(٦) نيل الابتهاج ص ٢٤٥ - ج ١ ص ٧٤ - ابن خلدون شجرة النور الزكية ج ٢ ص ٢٢٤

(٧) ابن مريم - البستان ص ١٠٦ - الديباج المذهب ص ١٢٤ - نيل الابتهاج ص ١٢٥ - بغية الرواد ج ١ ص ٦٠ - معجم المؤلفين لكحالة ج ٤ ص ٢٣٠

(٨) بغية الرواد ج ١ ص ٦٠ - (٩) نيل الابتهاج ص ١٢٥ (١٠) نيل الابتهاج ص ١٢٥



الصّدق والكذب في الأدب

د : رشيد مصطفاي

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

تعرض القدماء لهذه
المشكلة فانقسموا الى
ثلاث فرق احدهما
تستحسن الكذب أو
الغلو والاغراق والثانية
ترده وتميل الى الحقائق
والثالثة تتوسط بينهما
فتقبل الافراط بشرط .

والغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب
المعدوم فانما يريد به المثل وبلوغ النهاية في النعت
وهذا احسن من المذهب الآخر .

لا شك ان قدامة وامثاله ممن يستحسنون الغلو
نظروا في شعر المحدثين فوجدوه كله يذهب مذهب
الاغراق في المعاني يقول الجرجاني صاحب
الوساطة وهو من الفريق الذي يرفض الافراط ما
يلي : « فاما الافراط فمذهب عام في المحدثين
وموجود كثير في الاوائل والناس فيه مختلفون
فمستحسن قابل ومستقبح راد وله رسوم متى
وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز الوصف حدها
جمع بين القصد والاستيفاء وسلم من النقص
والاعتداء فاذا تجاوزها اتسعت له الغاية وادته

من الفريق الاول قدامة بن جعفر الذي يقول في
نقد الشعر : « وهو انى رايت الناس مختلفين في
مذهبين من مذاهب الشعر وهما الغلو في المعنى
اذا شرع فيه والاعتصار على الحد الاوسط فيما
يقال منه . »

ثم يقول بعد ذلك : « ان الغلو عندى اجود
المذهبيين وهو ما ذهب اليه اهل الفهم بالشعر
والشعراء قديما وقد بلغنى عن بعضهم انه قال :
احسن الشعر اكذبه وكذا يرى فلاسفة اليونانيين
في الشعر على مذهب لغتهم ومن انكر على مهلهل
والنمر وابى نواس قولهم المتقدم ذكره فهو
مخطيء لانهم وغيرهم ممن ذهب الى الغلو انما
ارادوا به المبالغة وكل فريق اذا اتى من المبالغة

الحال الى الاحالة وانما الاحالة نتيجة الانسراط
وشعبه من الاغراق والباب واحد ولكن له درج
ومراتب . » ولذلك يذكر قول أبى نواس :

واخفت أهل الشرك حتى أنه

لتخافك النطف التي لم تخلق

ويراه « من المحال الفاسد وله باب غير هذا
وكل هذا عند أهل العلم معيب مردود ومننى مرذول
وان كان أهل الاغراب واصحاب البديع من
الحديث قد لهجوا به واستحسنوه وتنافسوا فيه
وبارى بعضهم بعضا به ولسنا نذهب بما نذكره
في هذا الباب مذهب الاحتجاج والتحسين »

ويرد المعرى في لزوميته هذا المذهب قائلا :
« كان من سؤال الاتضية انى انشأت ابنية اوراق
توخيت فيها صدق الكلمة ونزهتها عن الكذب
والميط » ويقول بعد ذلك : « فان جاوزت المشترط
الى سواء فان الذى جاوزت اليه قول عرى من
المين » .

اما الخفاجى صاحب سر الفصاحة فيتخذ موقفا
وسطا فيقول بعد ما ذكر اختلاف الناس في مذهب
الغلو والانسراط : « والذى اذهب اليه المذهب الاول
في حمد المبالغة والغلو لان الشعر مبنى على الجواز
والسمع لكن ارى ان يستعمل في ذلك كاد وما
جرى في معناها ليكون الكلام اقرب الى حيز الصحة
كما قال ابو عبادة :

اتك الربيع الطلق يخال ضاحكا

من الحسن حتى كاد ان يتكلمها

ويذهب ابن رشيق في العمدة مذهب غيقول :
« واحسن الاغراق ما نطق فيه الشاعر او المتكلم
بكاد او ما شاكلها نحو كان ولو ولولا وما اشبه
ذلك معا لم يناسب أبيات أبى الطيب المتقدم
ذكرها في البشاعة الا ترى ما أعجب قول زهير :
لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم بأحسابهم او مجدهم تععدوا

فبلغ ما أراد من الانسراط وبنى كلامه على
صحة . »

ويلخص المرزوقى هذه المذاهب الثلاثة بقوله :
« فمنهم من قال « احسن الشعر أصدق » قال لان
تجويد قائله فيه مع كونه في اسار الصدق يذلل
على الاقتدار والحق ومنهم من اختار الغلو حتى
قل « احسن الشعر اكذب » لان قائله اذا اسقط
عن نفسه تقابل الوصف والموصوف امتد فيما
يأتيه الى أعلى الرتبة وظهرت قوته في الصياغة
وتمهره في الصناعة واتسعت مخارجه ومواجهه
فتصرف في الوصف كيف شاء لان العمل عنده عنى
المبالغة والتثيل لا المصادقة والتحقيق وعلى
هذا أكثر العلماء بالشعر والقائلين له وبعضهم
قال : « احسن الشعر أقصده » لان على الشاعر
ان يبالغ فيما يصير به القول شعرا فقط فما
استوفى أقسام البراعة والتجويد أو جلها من غير
غلو في القول ولا احالة في المعنى ولم يخرج
الموصوف الى ان لا يؤمن لشيء من أوصافه لظهور

السرف في آياته وشمول التزويد لا تسوالة كان
بالايتار والانتخاب أولى »

نلاحظ أن المحدثين لما اختاروا الغلو والإغراق
أنما كانوا ينحون نحواً مثالياً في وصفهم معرضين
عن الوصف الواقعي الموضوعي الذي يحملهم على
بناء شعرهم على الصدق ولا سيما في منحهم
للملوك وقد تعرضنا له في محله من هذه الدراسة
ورأينا اتفاق النقاد على استحسان الغلو والإغراق
في وصف الملوك .

ولذلك قال قدامة بن جعفر : « وكل فريق إذا
أتى من المبالغة والغلو بما يخرج عن الموجود
ويدخل في باب المعدم فإنما يريد به المثل ويلوغ
النهائية في النعت وهذا أحسن من المذهب
الآخر . »

ويرى رأيه المرزوقي فيقول : « ... حتى قيل
أحسن الشعر أكذبه لأن قائله إذا أسقط عن نفسه
تقابل الوصف والموصوف امتد فيما يأتيه إلى أعلى
الرتبة وظهرت قوته في الصياغة وتمهره في الوصف
كيف شاء لأن العمل عنده على المبالغة والتعميل

. « ويوافقهما على ذلك ابن رشيق فيقول ناسياً
قوله إلى الحاتمي الذي يكون قد نقل ما يلي عن
قدامة بن جعفر : « وقالوا : إذا أتى الشاعر
من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب
المعدم فإنما يريد به المثل ويلوغ النهاية في
النعت . »

تأخذ هذه المثالية عند البحتری شكلاً خاصاً إذ
تحتوي عنده على حقائق ثابتة شبيهة بحقائق
انفلاطون أو مثله العليا وعلى هذا تكون موصوفاته
مظاهر تلجح إلى هذه الحقائق وهكذا قوله بهذا
واعتقاده لها يحملان كلامه على الصدق كما حمل
كذبه « إذ صار ما يراه غيره غلواً وإغراقاً حقيقة
هي في نظره ، أحق من الحقيقة الواقعية لأن الأولى
جوهر والثانية عرض والأعراض متغيرة زائلة
موظيفة عند الرمزيين والمثاليين أن تشير إلى
الحقائق الجوهرية الخالدة .

ثم يرى أن النفوذ إلى هذه الحقائق المثلى لا
يكون عن طريق التمثل والمنطق لأنها لم تكن طريق
أمرئ القيس إليها وإنما تكون عن سبيل الطبع
أو الوجدان والتلقى .

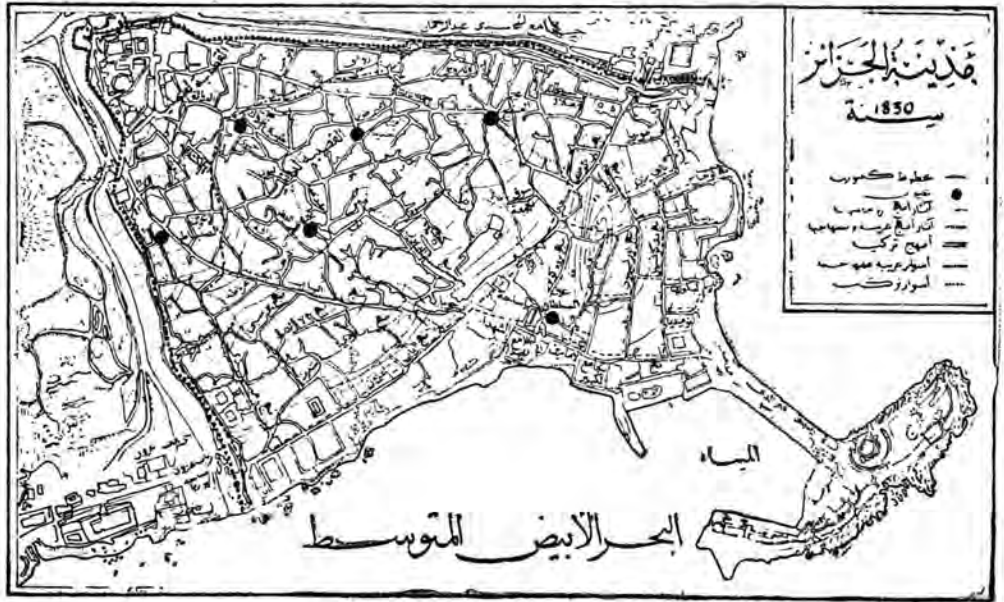
أشهر التضاريس في

تخطيط مدينة الجزائر

ان الموقع الذي بنيت عليه مدينة الجزائر القديمة قبل الاحتلال الفرنسي ينقسم على اساس التضاريس الى منبسط ضيق على نحر البحر ، والى ربوة يزيد ارتفاعها عن المائة متر تشرف على البحر . أما المنبسط فهو الموضوع الاول الذي خطط فيه الفينيقيون الاولون المدينة العتيقة او ايكوسيم التي اندثرت وعفا رسمها الى الابد . وربما كانت تمتد ايكوسيم الفينيقية حتى الجزر القديمة، ولا ندري عن انهجها وتخطيطاتها الا الشيء القليل الذي يزداد غموضا كلما تعمقنا في التاريخ . أما الربوة فهي التي

عبد القادر حليمي

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر



وكانت مياه الامطار تتبع في جريانها تلك الشعاب وكذلك المسيلات على ان نسبة من الامطار كانت تتسرب خلال الشقوق والفوالق لصخور الشست على الربوة قبل وصولها الى البحر فتتحول بذلك الى مجارى باطنية والى عروق مائية باطنية لا تلبث ان تظهر من جديد في شكل عيون عند مجارى البطون الدنيا للشعاب ، او عند ساحة الشهداء بالخصوص ، مثل عين السلطان قرب الجامع الكبير وعين العطش ، وعين السباط في منخفض نهج البحر الاحمر ، وعين الشيخ حسين في منخفض نهج الزرافة ، والعين الجديدة في منخفض نهج ريقار ، وعين العليج في نهج حيدرة . وهي عيون قد استفاد منها السكان القدماء من اهالي وفينيقيين قبل نشأة السواقي . وقد مرت مدينة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بانواع مختلفة من التخطيطات منها التخطيط

بنى فوقها الاتراك ومن قبلهم العرب حي القصبة . وتتألف الربوة من تكوينات الشيست الاماع كانت تنحدر منها مسيلات وجداويل وشعاب عديدة نحو شارع باب عزون-باب الوادي او المنبسط، اهمها شعبة تنطلق من قمة ربوة القصبة وتمر بالقرب من نهج ميدى Medée لتخرج في باب عزون وبذلك تمثل هذه الشعبة الحد الطبيعي الغربى والجنوبى للمدينة ، ثم شعبة تنطلق من قمة القصبة ايضا لكنها تنحرف الى الشمال لتمر بالقرب من نهج القصبة لتخرج في باب الواد وبذلك تمثل الحد الطبيعي الشمالى للمدينة . والشعبتان المذكورتان اعطتا لمدينة للجزائر القديمة شكل المثلث المتساوى الاضلاع ، قاعدته تسير وخط الشاطئ ، وقمته تنطبق على قمة القصبة ، او تنطبق على النقطة التى كانت تنطق منها الشعبتان .

الشطرنجى الذى يرجع الى العهد الرومانى ، ويتميز بشوارعه وأنهجه المستقيمة والمتبعة فى اتجاهاتها لخطوط التسوية مثل شارع الكاردو، وشارع الديكيومانوس . ويظهر أن الشارع الاول أو الشارع الرئيسى (كاردو) كان ينطبق فى امتداده من الشمال الى الجنوب على شارع باب عزون . أما الشارع الثانى (ديكيومانوس) فكان يمتد من الشرق الى الغرب وينطبق تماما على نهج لامارين الحالى . وتتصل بالشارع الاول والشارع الثانى انهج مستقيمة فى كل الاتجاهات تنتهى عند الاسوار .

ولقد سن الرومان لهذه الانهج والشوارع قوانين صارمة منها معاقبة الذين يرمون الاوساخ بها ، وكلفوا موظفين لاصلاحها وترميمها ومنع السكان من نشر الملابس فوق الشبائيك المقابلة لها .

والتخطيط الثانى هو التخطيط الاختباطى الذى حدث للمدينة فيما بعد العهد الرومانى فوق الربوة الى الاعلى من خط ككتور باب عزون - باب الوادى ، فيه تسلفت المباني وتدخلت الانحدارات فى امتداد الانهج وتصنيف المنازل ، واتبعت الانهج فى امتدادها بطون الشعاب مرة ، والأذرع مرة أخرى ، ذلك ان هذا التخطيط الاختباطى لم يكن خاضعا لبرنامج معين أو لتسليط مسبق ، بل ان العشوائية والحاجات الفردية كانت لها اليد العليا فى بناء المنازل ومد الانهج ، دون مراعاة للمستقبل وما يفرضه النمو العمرانى ، لذلك ساد التشابه فى التخطيط لهذه الفترة بين القرى الجبلية فى جبال الأطلس وبين حى القصبة فى مدينة الجزائر أى ان التخطيط كان قرويا برىا أو جبليا معتدا أكثر منه مدنيا وحضاريا منظما . فالإنهج أتبعته فى سيرها ، للمرحلة الاولى ، لما بعد العهد الرومانى ، خطوط ، الاردايف اولا أى أصبحت تتقاطع وخطوط الكنتور بدلا من سيرها

مع خطوط الكنتور . وفى المرحلة الثانية أو فى العهد التركى عندما اشتد نمو السكان وماتت الاسوار اتساع وانتشار المباني التى زحزحت الانهج من الاردايف الى بطون المسيلات وأصبحت اسرة المسيلات والشعاب تصرف مياه الامطار الى جانب فضلات المنازل ، فهى قنوات طبيعية مزدوجة الصرف ، ثم خزنت قنوات لصرف اوساخ المنازل لتنتهى دائما فى الشعبات . ولما زاد عدد سكان المدينة ظهرت مشكلة السكن ، فرفعت لذلك المنازل حتى فى بطون الشعاب والمسيلات ، وعندئذ اضطر السكان على اطالة وتهديد قنوات الاوساخ المخزونة ، وانشاء مجارى باطنية للفضلات تسير والانحدار العام للمنطقة وتتبع فى اتجاهاتها انحناءات الشعاب لتصب فى البحر ، وكذلك الانهج اخذت تلتوى بالتواء الشعاب وهذا ما يفسر لنا كثرة الدروب والانهج المتلوية لمدينة الجزائر فى العهد التركى ، وحى القصبة فى الوقت الحالى ، وكذلك حى باب الجزيرة قبل الحرب العالمية الثانية ، وهى حرب خربت هذا الحى ثم أعيد بناؤه من جديد لكن على الطراز الحديث من شوارع مستقيمة وواسعة ولم يبق من حى باب الجزيرة القديم فى الوقت الحالى الا خرقة صغيرة محصورة ومنعزلة على الشاطئ . ويلاحظ على دروب القصبة ان الكثير منها واقع فوق قنوات قديمة لصرف الاوساخ وانها كانت مرصوفة بالحجارة الجيرية الزرقاء حتى مطلع الاحتلال الفرنسى ثم أعيد ترصيفها بالحجارة وبناء الادراج بها ، فيما بعد ١٨٣٤، وهى الادراج التى تكثر فى دروب القصبة فى الوقت الحالى حتى يمكن ان نطلق عليها حى الادراج والسلايسم .

وعلى اساس التخطيطات المختلفة التى مرت بها مدينة الجزائر من العهد الفينيقى الى سنة ١٨٣٠ يمكن تحديد اتساعها فى العصور المختلفة . ومن المسلم به ان المدينة أعيد ترميمها وتجديدها

السكان نظرا لموقعها المشمس والجبل ، اذ من شبايكها المطل على البحر يمكن الاشراف على مساحة واسعة من البحر والبر ورؤية القادمين من بعيد .

وبعد سنة ١٥١٦ بدأت الجزائر تستقبل افواجا من المهاجرين زيادة عن افواج الاندلسيين اذ جاءها هذه المرة عروج ومعه عدد من الاتراك وعدد آخر من سكان شرق الجزائر الذين آزره وناصره في شرق البلاد ومنهم سكان قبيلة تكسانا Texana من جيبل الذين أوكل اليهم الاتراك تموين الانكشارية طيلة العهد التركي بالجزائر اما الاندلسيون فقد بلغ عدد منازلهم سنة ١٦٠٩ حوالي ٣٠٠ منزل . ونتج عن هذه الهجرات الضغط السكاني مرة أخرى على المباني الواقعة داخل أسوار المدينة ، وهي أسوار كانت ضرورية لحماية المدينة من حقد العدو المسيحي الذي هاجت عصبية في هذه الفترة بالذات . وحينئذ تعارضت مصلحة الحماية ومصلحة التوسع لمدينة الجزائر التي انتقل عدد سكانها من ٢٠ ألف نسمة سنة ١٤٥٠ الى ٣٠ ألف نسمة سنة ١٥١٨ ثم ٦٠ ألف سنة ١٥٨٠ ثم ١٠٠ ألف سنة ١٦٣٤ ثم الى أكثر من مائة ألف نسمة سنة ١٧٥٥ . وبدا عروج سنة ١٥١٦ مشروع توسيع المدينة الذي استمر طيلة ٨٥ سنة فيها مدت المباني نحو الجهات العليا من القصبة وهي الجهات التي ما زالت تحمل اسماء أثرية للاتراك مثل نهج الممالك ونهج الانكشارية . ورأى المخطون الاتراك ضرورة تشييد أسوار المدينة مرة أخرى واطالتها نحو الجهات الجنوبية الغربية بالخصوص بدلا من الجهات الشرقية التي يحميها البحر وبدلا من الجهات الشمالية التي تحميها الانحدارات الشديدة ، ثم ان الجهات الجنوبية الغربية بحكم شدة ارتفاعها تساعد أكثر من الجهات الأخرى على مراقبة سفن العدو ورغم هذا التوسع فان مشكلة السكن ظلت قائمة

وتوسيعها عدة مرات . فاعاد العرب بناءها أولا في الموضع الذي اختاره لها الفينيقيون والرومان من قبلهم لاسباب : منها أن الموضع توجد به شوارع وأنهج قديمة لا تحتاج الى تخطيط جديد بل يكفي استصلاحها وترميمها لتؤدي وظيفتها على أكمل وجه ، ثم ان الموضع تتوفر به مواد البناء من حجارة كانت لاسوار ومنازل رومانية ، فاستعملها العرب في بناء منازلهم ورفع أسوار المدينة من جديد . ومنها ان الموضع جيد للتجارة وقريب من البحر وهو النقطة الأولى للمواصلات بين البر والبحر ، تتوفر به مياه الشرب ، والخضر من بساتين وحدائق القصبة . ولقد أدى ازدهار تجارة جزائر بنى مزغنة الى زيادة عدد سكانها وحينئذ أخذ الشعور يزداد نحو توسيعها ، وكانت الاسوار العتيقة المحيطة بها تحول دون ذلك فاتجه السكان أولا ، نحو أعلى الربوة الواقعة الى الجنوب الغربي من خط كفتور شارع باب عزون - باب الوادي - وأخذت المباني والديار تحل محل الحدائق والبساتين ، ويظهر أن أول موضع اتجه نحو العمران في العهد الاسلامي الاول هو الموضع الذي يوجد به جامع سيدي رمضان ، حيث توجد به عين السباط وتقل به الانحدارات وهو موضع ملائم تماما لامتداد العمران ويساعد عليه .

وفي اواخر القرن الخامس عشر للميلاد زادت هجرة الاندلسيين من اسبانيا نحو جزائر بنى مزغنة وبذلك زادت ضرورة التوسع العمراني مرة أخرى وزادت حاجة الحضر الى المساكن . واختار الاندلسيون الموضع العالية من القصبة التي يظهر منها البحر جيدا . وبذلك اشتد ازدحام المباني فوق الارداغ ومتون الروابي ويطون المسيلات، ورفعت المنازل فوق السفوح وفي مواضع الحدائق . ولا شك ان منازل متون الروابي ظلت تحتل الميزة المطلوبة ، والقيمة المرتفعة لدى

لتكاثر السكان وتعقيد المنطقة اذ ليس من السهل ابواء عدد كبير من البشر في منطقة محصورة وحمايتها من العدو الذى يتربص بهم الدوائر . ولذلك بدأت المساكن تتراحم واخذت الديار ترفع في كل شبر ممكن من المدينة ، فعمرت الحدائق والشعاب واسرة المجارى المائية . ثم تسلفت المباني فوق بعضها البعض مثل حبات عنقود العنب بعد ان غزت حتى الانهيج القديمة منها والحديثة ، ببناء طابق ثانى اوسع فوق الطابق القديم وركز الطابق الثانى على اضلاع مائلة مركزة على الطابق الواقع فى الاسفل بحيث تحولت معظم الانهيج فى الاخير الى أنفاق ودروب لا تظهر منها الشمس بمجرد قلب النظر الى السما الا بمشقة بل منها ما لاترى الشمس طوال اليوم . فعامل الحماية وتوغير المساكن دفعا بالانتراك الى بناء حى شديد التسلق والتركيب فوق القصبه العليا بدلا من القصبه الدنيا التى بناها بلكين سنة ٩٥٠ م . وبذلك نلاحظ قصبتين فى مدينة الجزائر قصبه بلكين وقصبه عروج .

اما قصبه بلكين فكانت تمتد فيما بين خط يتبع شارع باب الوادى - باب عزون ، وخط نهج بالمى وانبال ، اى بين خطى كنتور ٢٠ و ٨٠ مترا تقريبا وكان السور المحيط بمدينة بلكين ينطلق من باب عزون مارا بالانهج التالية : Medée Centaure - Ramadan des Dattes Palmiers Anibal ثم ينحنى جنوبا ليخرج فى باب الوادى بالقرب من حديقة سيدى عبد الرحمان الحالية . والمتتبع لخط هذا السور يلاحظ انه كان لايسير فى استقامة واحدة بل كان عبارة عن خط منكسر يشبه اضلاع مثلث رأسه عند نقطة التقاء نهج بالمى ونهج انيبال وهما النهجان اللذان حلا محل السور الصنهاجى بعد ان هدم الانتراك سور بلكين لتوسيع المدينة الى هذه الجهات العلوية . ويظهر ان اهم انهج نشأت فى العهد الصنهاجى هى انهج المتون و الاثر المتقطعة مثل نهج الباب الجديد

ونهج القصبه حاليا اللذين تولدا عن سيل بسيطة كانتا تمثلان المدخلين الرئيسيين للمدينة من الجهات العلوية . ويظهر ايضا ان المنازل كانت فى اول الامر متباعدة عن بعضها لتخللها او تفصل بينها مزارع وحدائق لتموين سكان المدينة بالخضر والفواكه ، وتضمن لهم الارزاق اثناء الحصار . ولقد اختار بلكين لبناء قصبته موضعا يتشابه الى حد بعيد والموضع الذى انتقاه ابوه الامير الصنهاجى زيرى بن مناد فى القرن ١٠ للميلاد لبناء مدينة آشير ، ذلك ان البربر فى بنائهم للمدن كانوا ينتقون الروابى التى تتوفر بها مياه الشرب وتكثر بها العيون الجارية ، وتشرف على منطقة واسعة لاكتشاف العدو من بعيد والاستعداد له قبل الوصول وكانوا يراعون فى تخطيطاتهم للمدن ان تكون العيون داخل أسوار المدينة حتى اذا دهمهم العدو او حاصروهم لا يمكنه ان يقطع عنهم مياه الشرب ، ويستحسن ان تكون العيون فى الجهات العلوية من المدينة حتى يسهل عن طريق الجاذبية بناء السواقي لتموين السكان وادخال المياه الى المنازل ولهذا اختار زيرى لبناء مدينة آشير فى جبل تنبجس من اعاليه عيون غزيرة المياه مثل عين سليمان وعين ثلة تراخ . وكذلك فعل بلكين فى تجديده وتوسيعه لجزائر بنى مزغنة فاختر موضعا تتوفر به مواد البناء ومياه الشرب ، قريبا من البحر ، على ربوة مشمسة ، يمكن الاشراف منها على مساحة واسعة من البر والبحر . ومن خريطة العيون القديمة لمدينة الجزائر نلاحظ ان الصنهاجين اختاروا عين النزاوقة عند التقاء نهج بالمى وهانبال والغزاة حدا غربيا لمد أسوار القصبه ، ولاداء تلك الوظائف السابقة ، اذ تنبجس هذه العين على خط ارتفاع ٨٠ م تقريبا وبالتالى يمكن ادخال المياه منها عن طريق الجاذبية الى المنازل الواقعة فى أسفل العين . ولا شك ان عين النزاوقة كانت تقع داخل أسوار المدنة مثلها فى ذلك مثل

بقية العيون التي كانت تمون سكان القصبة وحي البحرية مثل عين العطش وعين العليج وعين السلطان والعين الجديدة ، وكانت مياه هذه العيون تكفي لسد حاجات السكان قبل اكتشافهم ثم حفرت الابار في ساحات المنازل عندما زاد عدد السكان . وهذا يظهر ان الاختيارات الصنهاجية كانت موفقة في توسيع مدينة الجزائر .

اما قصبة الاتراك فقد بنيت الى اعلى من القصبة الصنهاجية وفي موضع اكثر ارتفاعا من الموضع الذي اختاره الصنهاجيون من قبل اي فوق القمة الحقيقية لربوة القصبة . والذي دفع عروج الى ذلك هو ان الموضع الذي اختاره ولكن لتوسيع جزائر بنى مزغنة في القرن العاشر للميلاد اصبح لا يؤدي وظيفته الكاملة في القرن السادس عشر للميلاد عندما اشتد طمع الاسبان لاحتلال جزائر بنى مزغنة التي تحولت الى عاصمة البلاد ، وتدفقت نحوها موجات من الهجرة الداخلية والخارجية ، فالظروف التاريخية وعامل الحماية ، والنمو الديموغرافي املت على عروج ان يصعد بالمدينة نحو القلة اي القمة الاكثر ارتفاعا ، فانتسعت المدينة نحو الجبل بدلا من الشريط السهلي الشاطيء الضيق واتجهت المباني نحو الروابي اكثر من اتجاهها نحو بقية الجهات ، وانشئت انهج اخرى ، زيادة على الانهج القديمة ، وينبغي ان نلاحظ ان اغلب الانهج لقصبة العهد التركي كانت تتبع في سيرها بطون الشعاب على عكس اغلب الانهج في العهد الصنهاجي التي كانت تتبع خطوط الذرى . وقد ادت زيادة المساكن وانحصارها بين اسوار القصبة للحماية ، الى التسابق نحو الجو واقتراب الديار من بعضها البعض وبالأخص السطوح التي كثيرا ما تعانقت في الهواء وغطت الانهج التي تحولت بطول الزمن الى أنفاق مظلمة وضيقة مفروشة بالحجر الجبرى ، لا يزيد عرضها عن المترين الا نادرا ، بل ان بعض الانهج تحولت

الى أزقة لا يمكن العبور منها الا الى ابواب المنازل وهي ابواب ضيقة وممتنة رصعت بالمسامير وشدت بالالواح السمكية ولا يمكن فتحها الا بمشقة ، وربطت أغلبها بحبال يتدلى منها ثقل يساعد على فتح الباب او غلقها آليا . وقد تبلغ عدد الأزقة في اواخر العهد التركي حوالى ١٥١ زقاقا ، لا يتسع الزقاق الواحد لمرور حقلين في اتجاهين معاكسين ، بل منها مالا تتسع لمرور جمل واحد نظرا للطوابق التي بنيت فوق النهج وبهذا كان لا ينطبق عليها القانون العرسى القديم للعمران الذى ينص على ان النهج يجب ان يكون اتساعه يكفى لمرور جملين محملين على الاقل . ولم يسن الاتراك قانونا تخطيطيا يمنع السكان من البناء فوق الانهج بل تركوا الامر للسكان الذين راوا في ذلك حلا لمشكلة السكن من جهة ودروا لخطر ضربة الشمس واشتداد الحرارة من جهة اخرى في فصل الصيف .

فلازقة الضيقة والانهج المتوية والدروب المغطاة تقى المارة من حرارة قبض الصيف وتجلب لهم الدفء ، ثم ان حاجة سكان القصبة في العهد التركي لم تدع الى توسيع الانهج لان التنقلات كانت تقع اكثر ما تقع على الأرجل ، ولا تدخل دواب تكفيها الانهج الضيقة ، اما الجمال والبغال دخلت اقتصرت على الحمير لنقل الاوساخ وهي دواب تكفيها الانهج الضيقة ، اما الجمال والبغال والخيول التي كانت تمثل اهم وسائل النقل فكانت تترك في اسطبلات بالقرب من اسوار المدينة .

والى جانب تلك الانهج الضيقة بالقصبة كانت توجد بمدينة الجزائر في العهد التركي انهج واسعة في الجهات السفلى من المدينة واخرى تمتد بالقرب من لاسوار منها نهج باب عزون ، ونهج القصبة ونهج الباب الجديد ونهج باب الوادى ونهج باب البحر وكان اتساعها يزيد عن المترين ومنها

ما كان يصل الى اكثر من أربعة امتار مثل نهج الاسواق التي كما يزدحم فيها المارة كنهج باب عزون ونهج الجامع الكبير الذي كانت تتركز فيه عدة حرف مثل الصياغة والحداة والرصاصة والنحاسية ، والنحاة والتجارة .

ومما تجدر الإشارة اليه ان اسماء الانهج والازقة الحالية لمدينة الجزائر العتيقة بما فيها حى البحرية وحى القصبة من وضع الاستعمار الفرنسى الذى جمعها واختارها لضبط الانهج لذلك نلاحظ عليها انها غريبة عن العربية ، لان الادارة الفرنسية انتقتها من بين اسماء لعظماء فرنسيين أو أوروبيين بصفة عامة ، أو هي اسماء ترجع الى مدن أوروبية مثل نهج تولون . وقليل ما ضبطلت الادارة الفرنسية النهج باسم الحرفة التي كانت سائدة فيه قبل الاحتلال . وفي العهد التركى ومن قبله فى العهد العربى ، كانت الانهج تعرف باسم الحرفة السائدة فيها أو باسم الطائفة التي كانت تسكنها أو يطلق على النهج باب السور المجاور لها ، ومثال لذلك نهج السوق الكبير الذى كان يمتد من الجنوب الى الشمال على طول شارع باب عزون — باب السوادى الحالى ، وكانت المحلات التجارية والدكاكين المختلفة تصطف عن يمينه وشماله . وبالقرب من باب عزون كان يمتد نهج السمارين فى الموضع الذى

يقع فيه المسرح الوطنى حاليا . وموقع نهج السمارين بالقرب من مخزل باب عزون يساعد كثيرا اصحاب الدواب والقادمين من الريف على ترك حيواناتهم لدى السمارين لاصلاح حدواتها بينما اصحاب الدواب يذهبون راجلين نحو داخل المدينة لقضاء مصالحهم . والمتنقل من باب عزون نحو ساحة الشهداء تعترضه أسماء لنهج سوق الرابعة ، ونهج خدم الخيل ، ونهج سوق الخراطين ، والمتنقل من نهج السوق الكبير نحو قمة القصبة تعترضه عدة انهج يطول ذكرها منها نهج ينطلق من الباب الجديد ، ويعرف هنا بنهج الباب الجديد ثم يمر بمسجد ابن شمعون ويعرف هنا بنهج جامع ابن شمعون ، ثم يخرج فى سوق السمن فيعرف بنهج السمن ثم ينتهى بسوق الكتان . ويلاحظ على هذه الاسماء انها كانت كثيرة التغير ، لتغير عامل اشتقاقها ، فنهج بالمير فى عهد الاحتلال الفرنسى عرف بنهج القبائل سنة ١٥٦٣ ثم نهج سوق الملح سنة ١٦٥٠ ثم بنهج السوق الكبير فى مطلع القرن التاسع عشر وقبل الاحتلال الفرنسى .

اما اطوال الانهج الضيقة والشوارع فقد قدرت سنة ١٨٣٠ بحوالى ١٥ كيلو مترا وأغلبها كانت لا تصلح لمرور العربات ولا زالت حتى الوقت الحالى تتقاطع وخطوط الكنتور وتكثر بها السلاليم .

المنعكس

الشرطي

في ضوء

النظرية والتطبيق:

قبل أن نتطرق الى الحديث عن موضوع المنعكس الشرطي كنظرية وكتطبيق لابد من تعريف المنعكس وكيف يحدث ؟

المنعكس هو ردود افعال بسيطة في شكل سلوك آلى ويوجد بشكل فردي او بشكل مجموعات معقدة في الافعال وفي مظاهر السلوك البشرى المختلفة وهذا التعريف يؤدي الى الكلام عن سلوك الكائن الحي، ويكون هذا السلوك عادة على نوعين سلوك ثابت موروث وآخر متغير مكتسب وعليه فالإنسان مثل الحيوان يكون سلوكه مكتسبا وموروثا الا ان السلوك المكتسب أكثر بكثير من السلوك الموروث .

وتزايد المكتسب يتمشى طرديا مع التقدم في سلم التطور وكذلك في زيادة التعقد والتخصص في الجملة العصبية ، ويتبع هذا المدة المتزايدة في مدة الطفولة فطفولة الحيوان قصيرة جدا حيث أن بعض الحيوانات تستطيع مواجهة الحياة منذ اللحظة الأولى لأنها مجهزة بوسائل تعمل بشكل آلي في حين أن الإنسان والحيوانات الراقية وخاصة الإنسان تحتاج لبعض الوقت لكي تنهيا للحياة وتستعد للاعتماد على النفس .

كيف يحدث هذا المنعكس ؟ ان القابلية للتهيج هي مقدرة الكائن الحي للرد او للاستجابة على التنبهات بطرق مختلفة من الحركات وبالوان متعددة من الانفعالات والسلوك اذ لا توجد حركة تلقائية على الاطلاق تحدث دون ان تكون مسبقة بتنبه وهذا التنبه اما ان يكون داخليا او خارجيا والتنبه الداخلى سواء اكان فسيولوجيا عضويا ام معنويا شعوريا كالجوع والعطش ، وكالحاجة الى البحث والتفتيش يكون مصحوبا بحركة وهذه الحركة مستمرة ودائمة دوام التنبه واستمرارها يجعلها تستهلك الطاقة المخزونة في الجسم وخاصة في العضلات ، والحركات العضوية نفسها تؤدي الى تعويض هذه الطاقة المستنفذة ولا تنقطع هذه العملية الدورية عليه الايض « البناء والتهديم » الابعوت الكائن الحي .

اما التنبه الخارجى فمصدره البيئة الخارجية والكائن الحي لا يكون ابدا مستقلا لانها الاستقلال عن البيئة الخارجية وعما يصدر عنها من تنبيهات شتى ونظرا لتمايز اعضاء الاستقبال الحسى وتعدد المراكز العصبية والمسالك تستتبع تلك التنبهات حركات متميزة موجهة ولكن الجهاز العصبى ليس من الشروط الاساسية لاحداث ارجاع الحركية اى اعزاء الحركة الى مسالك عصبية ومراكز بدليل ان الاحياء التى يخلو بناؤها العضوى من كل عنصر عصبى مميز ترد على التنبهات الخارجية من تماس او حرارة او تنبيه

كيميائى بحركات معينة يترتب عليها انتقال الحيوان في محيطه الطبيعى ، فالاميبيا مثلا تتوقف قابليتها للتهيج على التفاعلات الكيميائية التى لا تنفك تحدث في جزئياتها « البروتوبلازمية » وعلى ما ينجم من هذه التفاعلات من تغير في درجة التوتر الفسيولوجى وخاصة توتر سطح الغشاء الخارجى ، وتتخذ الحركة في الاميبيا شكلين متعارضين اما بسط واقدام او انقباض واحجام اما في الحيوانات المتعددة الخلايا والتى يتركب جسمها من انسجة مختلفة وغير متجانسة فنشاهد تركيز قابلية التهيج في نسيج معين وهذا النسيج الذى يتصف بقابليته للتقلص او الانقباض يكون العضلات والغدد ويحدث الانقباض وبالتالي الحركة ردا على تنبيه خارجى استقبله النسيج العصبى الحاس ثم ينتقل التنبه عن طريق العصب الحاس او المورد الى مراكز عصبية ومنها الى عضلة او الى غدة عن طريق العصب المحرك او المصدر وهذا الطريق المعين الذى يسلكه التنبه حتى يتحول الى حركة يسمى بالاقوس المنعكس والحركة الناتجة عن التنبه تسمى بالفعل المنعكس والفعل المنعكس في حد ذاته ينقسم الى قسمين اما فعل منعكس محض واما فعل ارادى ، ذلك اننا كلما ارتقينا سلم الحيوانات متدرجين من اللاعقريات الى الفقريات ومن ابسطها تركيبا الى اعقدها تركيبا نلاحظ تعدد طرق التوريث والتصدير وكذلك تعدد المراكز العصبية وينتج عن هذا التعدد نماذج مختلفة من الاقواس المنعكسة ومن الاعمال المنعكسة .

والجدير بالذكر انه كلما ارتقى الجهاز العصبى وتمايزت مراكزه وتفاضلت بحيث تخضع بعض المراكز لبعضها الاخر اخذت خاصية جديدة تظهر وهى مقدرة بعض المراكز **كاللحاء** على منح الحركة ولكنها علاوة عن مقدرتها على تنظيم الحركة وتعديلها من اسراع وابطاء ، وتكون عملية

بافلوف من دراسته للسلوك الحيواني أو ما أسماه بالأجزاء العليا للجهاز العصبي المركزي وكانت له نظرية خاصة في دراسته هذه والتي أسماها « بالنيوريزم » ويعنى بها التنظيم العصبي للسلوك ، أو هيمنة الجهاز العصبي على كل مظاهر السلوك ، ومن دراسته للتنظيم العصبي للسلوك انطلق الى الفعل المنعكس بتوحيه الشرطى وغير الشرطى وهذا الفعل في رأيه يمثل اللبنة الاساسية للسلوك الحيواني والبشرى وكرس قرابة خمسة وثلاثين سنة من حياته العلمية لدراسة السلوك أو نشاط الاجزاء العليا للجهاز العصبي على هدى منهجه الجديد منهج الفعل المنعكس الشرطى وقام بتجاربه العلمية على العديد من الحيوانات واساسا الكلب ومن خلال تجاربه هذه نما فكره وتطور فهمه للجهاز العصبي .

ان الاستجابات الشرطية لوحظت منذ قرون لكن لم يفهم علماء النفس دلالتها النظرية والعلمية اى التطبيقية الا في القرن العشرين ، والفصل كما ذكرنا سالفا يرجع الى بافلوف اذ هو اول من قام بدراسة منظمة لردود الفعل هذه واثناء دراسته للانفrazات الهضمية لاحظ ان هناك افرازاً يتم عندما يقترن منه ما بتقديم الطعام ، ورأى ان اللعاب والعصارات الهضمية تفرز لرؤية الطعام بل وحتى لسماع خطوات مساعده الذى كان يعنى بالكلاب التى يجرى عليها دراسته ، وفي البداية سمي بافلوف هذه الافرازات « افرازات سيكولوجية » تميزها لها عن الافرازات العادية التى كانت تحدث في الاصل في حالة وضع الطعام في الفم ، وبعد هذه الملاحظة قام بدراسة عملية على ظاهرة التكيف نفسه فبعملية جراحية بسيطة في خد كلب تنقل فتحة قناة الغدة اللعابية من داخل وجه الكلب الى خارجه حتى يمكن ان يرى سيل اللعاب ويقاس بدقة والنبه الاصلى أو غير المشروط الذى يحدث سيلان اللعاب هو في معظم

التعديل لا ارادية أو ارادية ، ويمكن ان تكون الحركة نفسها في شكلها الظاهر منعكسة أو ارادية مثلا اذا وضعت اصبعى على سطح ساخن جدا ارتدت يدي بسرعة وتراجعت وتكون الحركة في هذه الحالة منعكسة ولكن استطيع ان احاكى هذه الحركة وان اسحب يدي بمجرد لمس سطح معتدل الحرارة وفي هذه الحالة تكون الحركة ارادية فمن حيث الشكل الظاهر للحركة فلا فرق بين هذين الحركتين ولكن الفرق بينهما يرجع الى اختلاف المراكز العصبية المحركة التى تنبهت ومراكز الافعال المنعكسة مرتبة ترتيبا تصاعديا في النخاع الشوكى والنخاع المستطيل وبعض النوى الدماغية الموجودة مباشرة تحت اللحاء من اهم هذه النوى التلاموس والجسم المخطط الذى هو مركز الافعال المنعكسة كحركات المشى الالى .

اما الحركة الارادية فلا تتم الا بتنشيط المراكز الموجودة في القشرة الدماغية أو اللحاء وهذه المراكز تسيطر الى حد كبير على المراكز السفلى وهذا ما يفسر لنا عملية الكف والمنع ، فمن المثل الاول الذى ضربناه يكون في امكانى ان اتجلد ولا اسحب يدي مباشرة بعد الاحساس بالحرارة على الرغم من الالم الذى اشعر به وليس جميع الافعال المنعكسة مصحوبة بالشعور مثل الحركات التى تعترى حدقات العين عندما تتغير شدة الضوء .

وبعد الكلام على المنعكس كمنعكس وكيف يحدث هذا الاخير نأتى الى الحديث عن المنعكس الشرطى ، والمنعكس الشرطى كثيرا مايقترن باسم العالم الفسيولوجى الروسى بافلوف ١٨٤٩ - ١٩٣٦ - لانه اول من استخدمه بتوسع ، والمنعكس الشرطى هو الفعل الذى ينوب فيه المنبه الغير الطبيعى عن المنبه الطبيعى بعد اقتران الاول بالثانى لعدة مرات ، وقد انطلق

| « تقديـم الصوت والطعام » | « عدد قطرات اللعاب في ٣٠ ثانية » |
|-----------------------------|-------------------------------------|
| ١ | ٠ |
| ٦ | ١٨ |
| ١٥ | ٣٠ |
| ٣١ | ٦٥ |
| ٥١ | ٦٦ |

ولقد حاول بافلوف أن يفسر عملية الاستجابة للعبية لمنبه شرطي بقوله « أن هناك مسالك عصبية جديدة كانت تشق بين الأذن أو الأنف أو الجلد بحسب المنبه الذي كان يستخدمه أو الفم من جهة أخرى وكانت هذه المسالك في رأيه تشترك اللحاء وللحاء دور إشرافي على قيام هذه المسالك العصبية المرتبطة بظهور المنعكسات الشرطية .

لذلك فقد وصف بافلوف أبحاثه بأنها تحريكات عن الفاعلية الفزيولوجية للحاء ويمكن تعطيل الفاعلية الدماغية عند حيوان ما واحداث منعكسات شرطية عنده بمنبهات وقد أجريت هذه العملية التجريبية على حيوانات عطل فيها الدماغ وبقيت تكسب منعكسات شرطية .

لم يكتف العلماء بالناحية النظرية فقط للمنعكس الشرطي بل أخضعوه لبعض التطبيقات العملية من ذلك أن علماء الطب النفسى استخدموا ظاهرة المنعكس الشرطي لتفسير بعض الامراض النفسية وكثير من أنواع الشذوذ وهذه الامراض تتمثل فى الانحرافات وأنواع الخوف كالهلع والنفور من بعض الاطعمة وأنواع أخرى من السلوك العصابى هذا ولقد كتب بافلوف كتابه عن المنعكسات الشرطية والطب النفسى أو الفعلى فأوضح كثيرا اسباب الشذوذ النفسى وأنواع العصابات والذهانات .

الأحوال الطعام فتقديم منبه محايد « الجرس مثلا » مع تقديم الطعام لبضعة محاولات يصل الجرس أو المنبه المشروط فى النهاية الى أن يقوم بدور البديل للطعام وينشأ عنه سيل اللعاب حتى ولو لم يقدم الطعام لانه يكون قد نشأ اتصال أو ارتباط أو اقتران بين المنبه المشروط ونشاط الغدة اللعابية فمسيل اللعاب الذى يثيره الجرس فى هذه الحالة هو استجابة جديدة تماما لهذا المنبه ، هذه الاستجابة هى الاستجابة للعبية الشرطية أو المنعكس الشرطى للعبى ، وقد وجد « بافلوف » وغيره « كخترىف » أثناء تجارب مختلفة أن أشياء كثيرة يمكن أن تستخدم كمنبهات شرطية كالمفارات ، والأضواء ، ولمس جانب الكلب والصدمات الكهربائية الخفيفة كما هو الشأن لدى « بختريف » .

كان بافلوف يضع الحيوان فى غرفة منعزلة ويقدم له الطعام بواسطة كوة صغيرة لكى يسجل العلاقة بين تكرار الصوت وتقديم الطعام من جهة وحجم افراز اللعاب من جهة أخرى ، عند تقديم الطعام للكلب يحدث منبهات صوتية أو ضوئية يتحصل خلالها على اللعاب بواسطة فتحة فى خد الكلب بحيث يسيل اللعاب منها ويقيس كميته المفروزة ، وقد لوحظ انه عندما كان الصوت يبدى لأول مرة كان الكلب لا يفرز ومع تكرار هذا الى تسع مرات مع اقتران هذا التكرار بتقديم الطعام يؤدى الى سيلان ١٨ قطرة من اللعاب وبعد ١٥ مرة يقدم فيها الطعام كان المجتنى من اللعاب ٣٠ قطرة وبعد ٣١ مرة كان المحصول ٦٥ قطرة من اللعاب تسيل بمجرد رنين الجرس .

والجدول الاتى يوضح هذه العلاقة :

بأن هذه الطريقة يجب أن تستعمل بحذر شديد وذلك على اعتبار أن بعض الأشخاص تزيد مخاوفهم إذا قسروا أو أجبروا على ممارسة المواقف التى تخيفهم بدلا من محوها .

وهناك طريقة ثالثة طبقها علماء النفس على بعض الطلاب اكتسبوا عادة قضم الاظافر — وهى ناتجة عن توتر عصبى — وغيرها من العادات غير المستحسنة عن طريق مبدأ المحو التجريبي ولقد تم العلاج بالفعل بواسطة الفصل بين التوتر العصبى وقضم الاظافر ، وذلك باجبارهم على قضم اظافرهم عندما تصدر لهم أوامر بقضمها ولما كانوا مجبرين على قضمها حتى عندما يكونون لا يشعرون بحاجة الى قضمها اذ أن هذه الحاجة هى نتيجة توتر عصبى ، ونتج عن هذه التجربة الفصل بين التوتر العصبى والعادة غير المتحسنة

كما يمكن استخدام المنعكس الشرطى للكشف عن وجود القدرات الحسية عند الطفل الوليد أو الحيوان أو المصابين بالتخلف الفكرى أو العقلى .

مثلا طفل يعتقد أنه اصم فهو لسبب ما لا يستجيب لآى صوت اطلاقا اما حين يدغدغ اخصص قدميه فانه يسحبها ولذلك يعمد المحرب الى قرع الجرس عدة مرات قبل أن يدغدغ القدم فاذا صار الطفل يسحب قدمه ساعة قرع الجرس كان معنى ذلك أن جهاز السمع عند الطفل سليما وأن ثمة سببا نفسيا لعدم استجابته للمؤثرات الصوتية غير الصمم .

ثم ان الاشرط كثيرا ما يستعمل وسيلة للقضاء على السلوك الغير المرغوب فيه ولنضرب مثلا على ذلك غانتيول اللا ارادى له دلالة نفسية فهو نتيجة الشعور بالحرمان أو الغيرة مثلا ، ويفسره علماء الفيسيولوجية بعدم تحكم الطفل فى مثانته ، ان الطفل الذى يبلل فراشه فى عمر يتجاوز العمر السوى لأمثاله بالنسبة لهذا الامر انما يبلل فراشه لان المثيرات الصادرة عن ضغط المثانة وهو نائم ليست من القوة بحيث توقظه فى الوقت المناسب « قبل التبول » ويمكن القول بأنه لا يملك حساسية كافية للآثار السوارة من مثانته فهو لم يكيف للاستجابة لهذه الآثار ان هذه الآثار غير قادرة على ان تصبح ناجعة فعالة بواسطة المنعكس الشرطى ، ويتم ذلك باتامة الطفل على فراش فيه اسلاك رفيعة وما يكاد الفراش يبتل حتى ينطلق تيار كهربائى يقرع جرسا وتعطى التعليمات للطفل بأنه يتوجب عليه عند سماع الجرس أن ينهض من فراشه ويذهب الى المستراح سواء اكان بحاجة الى التبول ام لا وقبل الذهاب الى المستراح يقطع التيار بادارة زر كهربائى يوقف صوت الجرس ويعد مضى عدة ليال على هذا النحو يصبح ضغط المثانة قادرا على ايقاظ الطفل قبل قرع الجرس ،

وهكذا فانه على الرغم من ضعف المثيرات الآتية من المثانة فان التكيف ساعده على التقاط هذه المثيرات والاستجابة لها .

وهناك تطبيق آخر للمنعكسات الشرطية يستعمل فى القضاء على المخاوف مثلا الاشخاص الذين يخافون من الامكنة المظلمة أو المصاعد أو الققط أو ما شابهها يمكن القضاء على امثال هذه المواقف التى تخيفهم بيد انه لا بد من الملاحظة

الثورة الزراعية

وبعض

مشاكل

الفلان

جمال مصباح

ان مجرد زيارة الى اريافنا وقرانا يظهر لنا مدى تخلى الشبان عنها . وبالفعل يبدو ان المدينة تستقطب معظمهم بحثا هناك عن عمل قار يوفر لهم الاطمئنان والوقاية من الاحتمالات التي جرتهم الى هجرة البادية .

وفي الواقع ان هذه الظاهرة لم تكن حديثة العهد بل انها ترجع الى مايزيد عن ستين او سبعين سنة على الاقل . ان النظام الاستعماري لم تكن له آثار سياسية وثقافية فحسب بل أنه أحدث أيضا آثاراً مختلفة على مستوى الإنتاج . ان المستعمر الى جانب الوسائل التقنية التي أدخلها على خدمة الأرض التي اغتصبها قد حول الاقتصاد تحويلاً آخر فوجه محاوره نحو المدن ثم جعله تابعاً للعاصمة الفرنسية أضف الى ذلك انه أدخل اساليب جديدة رأسمالية في التعامل الاقتصادي وفي طريقة الإنتاج لانه اولا هو المشرع الذي يسن القوانين التي يجب ان تتمشى بمقتضاها المعاملات الاقتصادية والتجارية على مستوى القطر وثانيا ان الرغبة في تحقيق اغراضه تجعله مضطراً الى البحث عن اليد العاملة الزهيدة الامر الذي يدفعه الى تحويل انظاره نحو البوادي ويجعله يقضى على الهياكل التقليدية لكي لا يصبح في وسع الفلاح الاستغناء عنه .

ان التوازن الذى كان موجودا قد انقطع اذ ان المساحات الشاسعة التى كانت تؤدى دورا معينا مثل التمرين فى الحبوب قد غرت وظيفتها واصبحت تؤدى اغراضا اخرى لا يستفيد منها الا الاستعمار ، ان هذا من شأنه ان يحدث تغييرا فى العلاقات التقليدية وان يدفع الفلاحين الى تغيير انماط معيشتهم وابداع وسائل اخرى لتنظيم اقتصادهم . الا ان المنطق الاستعماري لم يسمح لهم بالابتكار وانما يفرض عليهم حلين لا ثالث لهما اما الرضا بتدهور معيشتهم والاستسلام الى القضاء والقدر ، واما الهجرة من الريف الى المدينة او نحو مزرعة المعمر .

وبالفعل فان الفلاح سيتخذ السلوك الاول احيانا وتارة السلوك الثانى ولكن وان كان قد نجح فى الاحتفاظ ببعض من قيمه فان مقاومته فى المجال الاقتصادى ستكون اقل توفيقا . ونراه ينجر تدريجيا الى خدمة الاقتصاد الاستعماري وتوابعه والتخلي عن اوضاعه التقليدية . واذا عاد الى الريف فانما يعود للاستراحة ، او الزيادة او بعد ان يستنفد منه الاقتصاد الراسمالي طاقته الانتاجية .

ان اندلاع الحرب التحريرية قد عمق الوضع ولا سيما ان مدار الثورة المسلحة قد كان فى البوادي والجبال . ان اصحاب الاراضى الفقيرة سوف يهملونها لمساندة الثورة او عندما يطردهم المستعمر منها ويفرض عليهم امكان للقامة ظلما منه ان ذلك سوف يعزل الشعب عن الثورة .

وعندما ياتى الاستقلال تكون الاراضى قد اهملت وتكون المزارع قد اُتلفت وتعرضت للحرق والفساد . فلم يبق فى وسع الذين ليس لهم امكانية احياء اراضيهم سوى البحث عن العمل فى المدن او فى الاراضى المسيرة ذاتيا ، او عند كبار الملاك الذين لهم القدرة على استخدام وسائل جديدة واحيانا عصرية لخدمة الارض .

ان الامر الذى يدفع الشبان الى تجنب العمل فى الريف هو عدم الاطمئنان الى المستقبل . لان الضمانات التى كان آباؤهم يجدونها اصبحت اليوم مفقودة . ان عدم الارتياح ينبع اولا من العوارض الطبيعية التى احيانا تكون مواتية واحيانا اخرى غير مواتية . ومن الصعب ان يشاهد المرء عملا سنة كاملة ، لا يعول صاحبه ولو شهرا واحدا . ومن الصعب ان ينتج المنتج وهو يعرف انه لا يجد فى السوق من يأخذ عنه بضاعته ، التى سوف تقدم له الثمن الذى سوف يمكنه من سد المصاريف الاخرى ما عدا الاكل . ثم ان الامكانيات قليلة وزهيدة بالقياس للعمل الذى يجب القيام به من اجل احياء الاراضى وذلك على الرغم من المساعدات التى تقدمها الدولة لبعضهم . واخيرا ان كبار الملاك اصبحوا يسيطرون اكثر من السابق على الميدان الفلاحي فانهم يعرضون عليه العمل عندهم ولكن بدون الضمانات الاجتماعية التى يجدونها فى المدينة .

وهكذا سيصبح العمل فى المدينة هو المصدر الاساسى للرزق بينما يبقى العمل فى الريف مجرد ملء للفراغ ثم ان العمل فى المدينة يضيع طاقة العامل مدة معينة من الوقت ويتركه حرا يهتم باشغال اخرى خارج ذلك الوقت فليس له ان يهتم بمصير انتاجه فما عليه الا انتظار آخر الشهر لآخذ راتبه .

ولكن ما كل متوجه الى المدينة يجد فيها عملا . اذ ان سوق العمل ضيق ومع ذلك يعود الفلاح الى ارضه ويستمر الكد فيها وتنادرا ما يفعل ذلك ان انقطاعه الطويل عن خدمة الارض يجعله يفضل اى عمل آخر على عمل الارض . بل انه كثيرا ما يتوهم بانه قادر على النجاح فى التجارة ، وبعد ان يحصل على راس مال زهيد يشتري بضاعة معينة ويجول فى الطرقات لبييعها . وهكذا يصبح

ماشيا لا يعمل فعلا لافى التجارة ولا فى الفلاحة ولا فى الصناعة ، فهو نصف بطل مقنع بشبه عمل واذا حاول الاندماج من جديد فى الريف يجد صعوبات مختلفة تجعله غير مطمئن الى مستقبله وعلى فرض انه وجد عملا هناك يبدو او يتصور له ان ذلك العمل لن يدوم الا بمقدار دوام صحته وان حاول الاندماج فى المدينة افقر الى عمل منتظم قار يوفر له الاطمئنان .

فمن الناحية الفكرية يصبح قلعا مذبذبا سريع التغير والانقلاب . فلا يستقر على رأى اوعلى حال فاحيانا يظهر فى ثوب المدين القانت واخرى يكون فى طريق الجحود والقنوط .

ان علاقات جديدة اخذت تظهر فى الريف تزيد من وضعية الفلاحين سوءا وذلك على الرغم من القروض التى قدمتها لهم الحكومة فى فترات مختلفة ولكن تلك القروض كانت موجهة بالخصوص الى اولئك الذين مازالت لهم القدرة على المواجهة والصمود . واما الذين يشسوا فانهم لازالوا ينتظرون حلا لمشاكلهم ولعل ذلك الحل سوف ياتى حالما يتم تنفيذ مقررات الثورة الزراعية الذى سوف يحدد من مساحة الملكية الكبيرة .

وفى الواقع ان الثورة الزراعية ضرورة اقتصادية تقنية واجتماعية فى نفس الوقت . ان

ضرورتها الاقتصادية ترتبط باتجاز متطلبات المخطط الرباعى ، وضرورتها الاجتماعية تتعلق بتحسين وتنظيم احوال واوضاع الفلاحين وتخفيف الضغط الملحوظ على المدن .

واما جوانبها التقنية فانها ترجع الى تسهيلها ادخال الوسائل التقنية الحديثة على الريف . بحيث ان نظام التعاوانيات والتعاضديات من شأنه ان يدخل الالة الى الريف لتنمية الانتاج وفقا لاساليب عضرية وعقلية . ان المهندسين الشبان الذين تكونوا بعد الاستقلال فى مختلف جامعات العالم متفقون على ذلك ان رايهم يخالف رأى الذين يتذرعون بتجربتهم للتخويف من تطبيق الثورة الزراعية والواقع ان هؤلاء قد اكتسبوا تجربتهم ضمن اطار معين هو الاطار الاستعمارى انهم تعودوا العمل والتفكير ضمن ذلك الاطار فلاغربة ان تخوفهم بالدرجة الاولى كل محاولة لاحداث علاقات جديدة . واما الثورة الزراعية فانها عامل مساعد على استغلال المياهوعلى تحسين الاراضى وعلى تمكين الفلاحين فى التعااضديات والتعاوانيات من استصلاح مساحات اخرى اوسع الامر الذى يعجز عنه الفرد الواحد .

ان الثورة الجزائرية تواجه فى نفس الوقت مشاكل مختلفة ولكنها لن تنسى الاهتمام باولئك الذين كانوا قاعدتها الاساسية .

الجزائرية

والشخصية

التربية

كانت مرحلة التعليم الابتدائي في جميع دول العالم يجرى التعليم فيها باللغة القومية وحدها
لان هذه المرحلة هي مرحلة تكوين الذات او الشخصية لدى الاطفال الصغار . واللفة
القومية هي الاداة الصالحة لبناء شخصياتهم بناء متكامل وسليما من جميع النواحي . هذا
كله فيما يخص العامل الاول في بناء الشخصية القومية للانفراد وللأم على السواء وهو اللغة
وقد اطلنا الحديث فيه لانه العامل الرئيسي الذي تقوم عليه سائر العوامل الاخرى او تستند اليه
كل العوامل الاخرى في بناء الشخصية القومية .

ترك راج

2

ثانيا - التاريخ المشترك :

ماضينا فان هذا يعتبر هروبا من مواجهة الواقع الى العيش في احلام الماضى الوردية . كما يهرب الفاشل في الحياة ، ومن خابت آماله في حاضره الى ذكريات الماضى الجميلة يعيش فيها ويجترها في شبه غيبوبة ، مستعصيا بها عن تعاسة وشقاء حاضره وهو ما يعبر عنه علماء النفس بأحلام اليقظة لذلك فالتاريخ عامل هام من عوامل المحافظة على الشخصية القومية لكل شعب ولكن بشرط أن يبقى دائما كعامل يدفع الى الامام ، ولا يتحول الى عامل يجذب الى الوراء او الى الماضى الذاهب فقط .

ومن هنا يجب العناية بالتاريخ القومى في مختلف مراحل التعليم وبالأخص في المرحلة الابتدائية والثانوية حتى يشب أبناءنا وبناتنا على الاعتزاز بتاريخ أمته ووطنهم واعتزازا ايجابيا يحفزهم الى مواصلة رسالة الشهداء الامجاد في الدفاع عن الوطن والعمل على بنائه وازدهاره في سائر المجالات الحيوية .

ثالثا - الثقافة المشتركة :

اما العامل الثالث في بناء الشخصية القومية فهو الثقافة المشتركة بين أبناء الامة الواحدة والوطن الواحد ، وقد سبق أن ذكرنا تعريف الثقافة لغة واصطلاحا في بداية هذه المحاضرة اما الآن فاننى سأحدث عن خصائص الثقافة العربية التى هى ثقافتنا القومية فما هى هذه الخصائص ؟ هناك مجموعة من الخصائص المميزة لثقافتنا العربية الاسلامية التى حفظت كياننا وشخصيتنا من الذوبان في غربنا ، وجعلتنا امة متميزة بين الامم الاخرى يمكن تمييزها في الخصائص الاربعة التالية :

اولا : ان هناك ثقافة عربية تشكل اللغة العربية اطارها العام ، وهى لغة ذات تاريخ هريق متصل الحلقات . وقد سائرت الحضارة ونظمها ،

والعامل الثانى : في بناء الشخصية القومية هو التاريخ المشترك فالذكريات التاريخية التى يشترك فيها أبناء الامة الواحدة تحملهم على الشعور بان اجدادهم واسلافهم قد قاموا بدور عظيم في التاريخ الانسانى وادوا رسالة عظيمة للحضارة البشرية نستحثهم على أن يبدلوا اقصى الجهود لتكمله ما قام به هؤلاء الاجداد والاسلاف .

فالتاريخ المشترك هو الوسيلة الفعالة التى تجعل من ماضى الحياة حافزا لحاضرها ومستقبلها .

هذه الذكريات التاريخية بما فيها من انتصارات وهزائم . وبما فيها من عزة ومذلة ، وبما فيها من نجاح او اخفاق ، كلها تغذى افراد الامة بالوعى الاجتماعى ، وتدعم شعورهم بالوحدة والتماسك وتشد عزائمهم بالقوة والصلابة .

وتحفزهم على الوقوف صفا واحدا في ساعة الخطر المحدث بهم وبوطنهم غير أن الاعتزاز بالتاريخ المشترك ينبغى أن ينظر اليه بحذر واحتراس فكما يستطيع التاريخ المشترك مثلا أن يدفع الحاضر ، ويتطلع للمستقبل ويحمل أبناء الامة على مزيد من التقدم والتطور ، فهو يستطيع أيضا أن يكبل الحاضر بأغلال ثقيلة ويجعله دائم الانتفات الى الماضى ، فحيث تغر الامة بحاضرها وتتخذ من ماضيها دافعا لها فقط في الحياة ، ودافعا فقط لها الى التقدم في سلم الحضارة والرفى ، فهي في صعود وتطور ، وحيث يتراكم هذا الماضى حتى يثقل كاهلها فانها تبدأ في الهبوط والتدهور والانحلال بدون أن تشعر بذلك .

ومن هنا فان علينا أن نجعل دائما ماضينا يعيش في حاضرننا لا أن نجعل حاضرننا يعيش في

وكانت أداة طيعة في الزيادة من انتاجها الثقافي في ميادين الادب ، والعلم والفلسفة ، والموسيقى ، والفن ، في عصور الازدهار الثقافي للامة العربية

ثانيا : ان التراث الفكري لهذه الثقافة تراث خصب غنى اتسعت آفاقه لثمار الثقافات القديمة التي احتك بها العرب في ايام نهضتهم الفكرية ما بين ثقافة اغريقية ورومانية وفارسية ، وهندية وآشورية وفرعونية ، وقد دام العصر الذهبي للثقافة العربية حوالي خمسة قرون منذ بزغ فجره في اوائل القرن التاسع الميلادي حتى اقل نجمه في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد اضاء نور هذا العصر الذهبي جميع الممالك التي فتحها العرب المسلمون في شرق الوطن الاسلامي وفي مغربه .

ثالثا : لم تكن حواضر البلاد العربية مراكز لحركة النقل والترجمة عن الآثار والثقافات المختلفة للحضارات القديمة فحسب ، وانما أصبحت تلك الحواضر ينابيع للفكر والنبوغ العربي وموردا خصباً للثقافة العربية بكافة مظاهرها فتاريخ الحضارات الانسانية لم يعرف حركة للانتاج الثقافي والفكري اشد واعظم واخصب من تلك التي نشأت في الاقطار العربية ، والديار الاسلامية في عصرها الذهبي مثل بغداد ، والكوفة والبصرة ودمشق ، والقاهرة ، وقرطبة ، والقروان ، وبجاية ، وتلمسان ، وفاس والرباط.

ففى المساجد الاسلامية وهي جامعات المسلمين وكلياتهم الكبرى كان يجتمع عدد عظيم ممن سحر عقولهم التعليم وجذبهم التثقيف فجاجوا ليستمعوا الى محاضرات الاساتذة الكبار كالامام الاسفرائي ، والغزالي ، وابن رشد ، والكندي ، والامام مالك ، وابي حنيفة ، والشافعي ، وابن الهيثم ، وجابر بن حيان ، والكسائي ، وسيبويه وغيرهم من عباقرة الفكر والدين والادب والفلسفة والعلوم .

رابعا : ان لهذه الثقافة العربية آدابها وفنونها وآثارها التي انطبعت بطابعها الخاص وتأثرت بطروقيها ومزاجها وترجمت عن اطوار حياتها وتاريخها وهذا واضح لدينا في عدة اصول ومظاهر لهذه الثقافة . فالفكر العربي كما هو معروف قد تأثر اولا اشد التأثر بالقرآن الكريم الذي يعتبر اساسا لجميع العلوم الاسلامية كما كان اساسا لجميع ما كان يعلم في حلقات التعليم في المساجد والمدارس سواء اكان نحو او صرفا ومنطقا وعروضا او لغة وبلاغة او فقه او فقه او فقه او فلسفة وحكمة او فلكا وطبا الى آخر العلوم والفنون فمهد الثقافة العربية - كانت ولا زالت من اقوى العوامل في المحافظة على الشخصية القومية لاقطار الامة العربية ومنها الجزائر . ولذلك تجب العناية بالثقافة العربية في مناهجنا الدراسية والعمل على بعث هذه الثقافة بعثا جديدا بواسطة الدراسات الجامعية الحديثة والمناهج العلمية الحديثة .

فالتراث الثقافي العربي في الجزائر هو التراث الوحيد الذي لا يزال يعيش في المخطوطات تحت اكوام من التراب والعنكبوت ولذلك نرجو من شبابنا الجامعي ان يتجه الى تراث بلاده فيعمل على التنقيب عنه اولا ثم جمعه ثانيا ثم دراسته دراسة علمية منهجية في المرحلة الاخيرة وبذلك نقوم بواجبنا نحو ثقافتنا القومية ونعمل في نفس الوقت على ازدهار واثراء شخصيتنا القومية ازدهارا واثراءا يتناسب مع دورنا العظيم في اثراء وازدهار هذه الثقافة في العصور الماضية . ان العناية بتراثنا القومي عملية ضرورية لبقاء كياننا وشخصيتنا بين الامم وهو عملية تربوية بالدرجة الاولى ثم هومن ناحية ثانية عملية ضرورية باعتبار اننا لا يمكن ان ننجح في معركة التحرر من التبعية الفكرية للثقافة الفرنسية اللاتينية التي نخوضها اليوم بدون ان يكون هذا التراث القومي او الثقافة القومية موضع اهتمامنا وعنايتنا وحرصنا على

سيادتنا الفكرية تجنبنا للتبعية للثقافات الأخرى التي تعنى فيها تعنيه طمس هذا التراث والاندماج أو الذوبان في الغير كما أشرنا الى ذلك من قبل .
ان مدارسنا العليا وجامعاتنا الثلاث مدعوة للقيام بهذا الدور التاريخي العظيم دور جمع التراث ودراسته دراسة علمية منهجية تهيدا لبعثه من جديد في ثوب عصري يتمشى مع التطور الفكري والحضاري للتراث العالمي .

رابعا : الوطن المشترك :

والعامل الرابع والآخر في تكوين الشخصية القومية هو العامل الجغرافي أو الوطن المشترك الذي نساكنه ونعيش تحت سائه وننعم بمنظيره ونأكل من خيراته ونتغذى بحبه منذ الصغر فأصبحنا نحبه حبا غائقا ونحن اليه اذا نحن تغربنا عنه ونغار عليه ان مس أحد كرامته بسوء ونعيش من أجل خدمته ونموت في سبيل الدفاع عنه وحمايته ضد كل عدوان من أي مصدر كان .

ولذلك فان العامل الوطنى أو الجغرافى لا يقل أهمية عن العامل اللغوى والعامل التاريخى ، والعامل الثقافى ، في تغذية الروح القومية بين الأطفال ومن هنا فلا بد للنشئين من أن يعرفوا جغرافية وطنهم معرفة جيدة لانه من العبث أو السذاجة أن نتنظر منهم أن يحبوا وطنهم والحال انهم لا يعرفونه ويرون بعيونهم ما يدره عليهم من منافع وخيرات ونظرا لمكانة هذا العامل في بناء شخصية الفرد بناء سليما كان الاستعمار يحرم على ابنائنا تعلم جغرافية بلادهم ويعلمهم بدلا منها جغرافية فرنسا بتوسع كبير كى يضعف فيهم الروح الوطنية ، هذه بصفة اجمالية هي العوامل الرئيسية التي يبنى عليها الكيان القومى أو الشخصية القومية لشعبنا كما يتفق على ذلك رجال التربية وأغلب الباحثين الاجتماعيين .

اما الامام عبد الحميد بن باديس رحمه الله فهو يرى أن العوامل التي تقوم عليها الشخصية

القومية للشعب الجزائرى هي ثلاثة عوامل رئيسية فقط يلخصها لنا في الشعار المنسوب اليه وهو « الاسلام ديننا - والعربية لغتنا - والجزائر وطننا » فهو يرى الاسلام عاملا جوهريا من عوامل بناء الشخصية الجزائرية وحفظها من كل عوامل المسخ والتشويه التي قد توجه اليها - وانسا شخصا من انصار ابن باديس في هذا الاتجاه بالنسبة للجزائر لظروفها الخاصة . فالدين الاسلامى في الجزائر يعتبر أحد المقومات الاساسية لشخصيتنا القومية لانه لولا الاسلام لكانت الجزائر اليوم غير الجزائر بالاسم ، فالاسلام هو الذى جعل الجزائريين يصعدون هذا الصعود الرائع العظيم في وجه سائر محاولات الإبادة والمسح التى سلطها الاستعمار الفرنسى على الشخصية الجزائرية طوال ۱۳۲ عام .

دور التربية في المحافظة على الشخصية القومية :

اذا تساءلنا بعد هذا كله عن دور التربية في المحافظة على مقومات الشخصية القومية التى ذكرناها ؟ فان الاجابة عن هذا السؤال هي أن التربية تلعب دورا بالغ الاهمية في المحافظة على الكيان القومى ، والشخصية القومية لكل شعب . فالمدسة كما ذكرنا منذ قليل هي قبل كل شىء مؤسسة اجتماعية انشأها المجتمع لى تقوم نيابة عنه بتربية ابنائه وفق فلسفته الخاصة ، أو بعبارة أوضح وفق عقيدته أو أيديولوجيته الخاصة .

وقد كانت رسالة المدرسة في بلادنا في عهد الاحتلال مثلا هي العمل على تنفيذ خطة واسعة النطاق لنشر الفرنسية بين أبناء الجزائر، وتحريف التاريخ الجزائرى ، وطمع الثقافة العربية ، والعمل على تحطيم كيان الشخصية الجزائرية ، اما اليوم فقد تغيرت رسالة هذه المدرسة تغيرا جوهريا فأصبحت رسالتها هي العمل على بناء الشخصية القومية أو هكذا يجب عليها أن تكون وبناء على ما ذكرنا تجب العناية بالامور التالية :

في التعليم أو عدم الاهتمام بالتاريخ العالمي أو بالثقافات الانسانية ، أو بجغرافية العالم كلا والف كلا . فنحن جزء من العالم الكبير الذي نعيش فيه . كما ان تراثنا الثقافي والحضارى يعتبر هو الآخر جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافي والحضارى للانسانية قاطبة ولكنى انبه فقط الى ضرورة العناية بالامور الجوهرية في بناء الشخصية القومية لابنائنا وبناتنا ولكافة المواطنين في هذا الوطن المناضل حتى لا نستمر في هذا الاندفاع الجارف في العناية بكل ما هو اجنبى عنا لغة وثقافة وحضارة وموضة الى آخره دون الاهتمام الكافى بتراثنا الثقافي والحضارى لاننى أخشى أن يجرنا هذا التيار اذا لم نعمل على التحكم في مجراه بكل سرعة ومهارة وحذق وتبصر . ولعل تفسير بعض مظاهر القلق والحيرة وتفسير بعض مظاهر اللبلة التى تبدو في تصرفات البعض من شبابنا وفي شخصياتهم وسلوكهم العام انما يعود معظمها الى ان هؤلاء الشباب قد تكونوا عندما كانوا صغارا تكوينا اجنبيا غريبا عن بيئتهم الاجتماعية - وغريبا عن ثقافتهم القومية ، وبعيدا عن جذور شخصية أمتهم العربية المسلمة . لذلك نراهم اليوم غريسة سهلة لكل التيارات الفكرية والعقائدية الوافدة علينا من الخارج ، حيث لا يجدون لديهم الحصانة الكافية من ثقافة قومية ، ولغة وطنية وعقائد أو أيديولوجية وطنية تقهم من مخاطر تلك التيارات الهدامة وتجعلهم في مناعة كافية ضدها .

وفي ختام هذه الكلمة .. اريد أن ابدى ملاحظة تتصل بأعمال ونشاط اللجنة الوطنية لاصلاح التعليم .

(يجب وضع حد للتعليم التبشيري في الجزائر) :

لقد قامت هذه اللجنة الموقرة في وقت قصير نسبيا بعمل جليل وهام للغاية من اجل تقييم نظامنا التربوى ونشرت تقارير ضافية بخلاصة عملها في صحافتنا الوطنية في هذه الايام وقد

اولا : العناية الكافية بتعليم اللغة القومية لابنائنا في مختلف مراحل التعليم حتى يتقنوها اتقاناً جيداً قراءة وكتابة وتذوقاً ادبياً ، ومن هنا ينبغى العمل بكل سرعة على تعريب التعليم وخاصة في المرحلة الاولى تعريبا شاملا وذلك بترجمة تقرير لجنة اصلاح التعليم الخاص بتعريب التعليم الذى نشر في الصحافة الوطنية في هذه الايام الى خطط وقوانين رسمية . لان هذه المرحلة هي اخطر مراحل التعليم على الاطلاق لانها مرحلة تكوين الذات او الشخصية لدى الاطفال ، ولذلك فان هذه المرحلة يجرى التعليم فيها باللغة القومية وحدها في سائر دول العالم كما سبق ان ذكرنا .

ثانيا : ضرورة العناية بتدريس التاريخ الجزائرى والتاريخ العربى لابنائنا في سائر مراحل التعليم خاصة حتى يشب هؤلاء الابناء على محبة وطنهم وقوميتهم . والاعتزاز بدور أمتهم الحضارى ومساهماتها الفعالة في ترقية العلوم والآداب والفنون وازدهار الحضارة الانسانية طيلة قرون عديدة .

ثالثا : العناية بدراسة المجتمع الجزائرى بصفة خاصة والمجتمع العربى بصفة عامة وكذلك العناية بتدريس مادة التربية الوطنية في مختلف مراحل التعليم حتى يعرف ابناؤنا مجتمعهم الجزائرى معرفة جيدة في مشاكله الاجتماعية ، وفي عاداته وتقاليدته وفي طموحه وتطلعاته الى التقدم والرخاء والسعادة والازدهار .

رابعا واخيرا : العناية بتدريس جغرافية الجزائر بصفة خاصة ، وجغرافية الوطن العربى بصفة عامة حتى يتمكن ابناؤنا من معرفة وطنهم الذى يعيشون فوق اديمه معرفة جيدة ، ثم معرفة الوطن العربى الكبير الذى يعتبر وطنهم الصغير جزءا لا يتجزأ منه ، معرفة جيدة كذلك سياسيا ، واقتصاديا ، وطبيعيا ، وبشريا . وليس معنى هذا اننى ادعو الى عدم الاهتمام باللغات الاجنبية

قرأت — تلك التقارير بكل امعان وبالخصوص تقرير اللجنة الفرعية للتوجيه ، وتقرير اللجنة الفرعية لديموقراطية التعليم — ولم اجد اشارة واحدة في التقريرين المذكورين الى مسألة « التعليم التبشيري » الذي لاتزال تبشره الهيئات التبشيرية في الجزائر بكل حرية ، واصبح الكثيرون من موظفي الدولة يرسلون ابناءهم وبناتهم الى التعليم فيه بدل ارسالهم الى مدارس الدولة الجزائرية كي يذلقوا فيها تعليما وطنيا كبقية ابناء الشعب الآخرين .

ان التعليم التبشيري الذي يجرى في المدارس التبشيرية المختلفة ليس تعليما خالصا لوجه الله وليس تعليما خالصا لوجه العلم للعلم كما يظن بعض الناس الطيبين ، ولكنه بكل تأكيد وسيلة سيطرة ونفوذ ومحاولة خبيثة من الاستعمار الجديد للعودة الى البلاد مرة اخرى عن طريق النافذة بعد ان طرد من الباب . انه نوع من الاستعمار الفكري والثقافي يحاول ان ينفذ الى اعماق وجدان اطفالنا الصغار كي يبسط عليهم سيطرته ونفوذه الفكري والتوجيهي .

لقد جرت عملية فرنسة مدارس التعليم العربي الحر وثنائويات التعليم المزدوجة اللغة منذ عام ١٩٦٤ بدعوى توحيد المدرسة الجزائرية ، وكانت هذه العملية غلطة لا تفتقر في حق اللغة العربية والثقافة القومية وقد تنبها الى هذه الغلطة في المدة الاخيرة كما اشار الى ذلك تقرير اللجنة الفرعية لتعريب التعليم لاننا قضينا بهذا القرار على المنبع الوحيد الذي كانت تستقى منه مدارس المعلمين وبعض الاقسام العربية تلامذتها والمتعلمين فيها .

والغريب اننا بعد ان فرنسنا المدارس الحرة والثنائويات المزدوجة رجعنا الان الى محاولة تعريبها من جديد والاغرب من كل ذلك هو اننا قمنا بفرنسة مدارس التعليم العربي الحر التي انشأها الشعب في ايام الاحتلال والتي ادت دورا كبيرا في

المحافظة على اللغة العربية والثقافة العربية من عام ١٩٣٠ ، وفي نفس الوقت تركنا المدارس التبشيرية تواصل عملها في بث سمومها في عقول ووجدان اطفالنا الصغار .

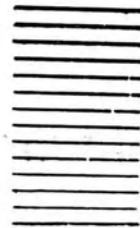
لقد تعجبت كثيرا بعد قراعتي لتقارير لجنة اصلاح التعليم الوطنية من عدم الاشارة الى ذكر هذه المدارس مع انها اشارت في اكثر من موضع الى وجوب توحيد المدرسة الجزائرية — ووجوب اشراف الدولة على التعليم اشرافا كاملا .

لذلك نرجو ان يتدارك اعضاء اللجنة الوطنية الموقرة هذه المسألة الخطيرة في اقرب وقت كما نرجو مخلصين ان يوضع حد للدارس التبشيرية او على الاقل تشدد الرقابة عليها وعلى كل ما يدرس فيها ومايجرى بداخلها من اعمال ونشاطات مما لا يخفى علينا جميعا الهدف من ورائها .

وهكذا .. لاحظتم من خلال هذا الحديث مدى العلاقة الوثيقة بين التربية من ناحية وبين الشخصية القومية سواء على المستوى الفردي او على المستوى الاجتماعي من ناحية اخرى . مما دعا أحد المربين في القرن السادس عشر الى القول « سلمنى ادارة التعليم فترة من الزمن وانا اتمهد اليك بقلب وجه العالم بأسره » كما دعا الزعيم الالماني المعروف « بسمارك » الى القول كذلك « ان الذى يدير مدرسة يدير مستقبل العالم » .

ومما لاشك فيه ان للتربية شأنا عظيما في تغذية النهضة القومية وبناء شخصيات الامم والمحافظة على ثقافتها وتراثها القومى ولذلك فان البلاد التى يفتصب استقلالها ولكن يترك بيدها امر تعليم ابنائها لا تلبث ان تستعيد ذلك الاستقلال اما البلاد التى تنال استقلالها ولا يكون بيدها زمام امر تعليم ابنائها فانها لا تلبث ان تفقد هذا الاستقلال ويؤول امرها الى السقوط مرة اخرى تحت سيطرة الاحتلال الاجنبى ماديا بعدد ان سقطت تحت سيطرته ثقافيا وعكريا .

دراسات
تاريخية



العلاقات بين الجزائر وإيطاليا

خلال العهد التركي

لقى الدكتور سالفاتور بونواسناتز بجامعة فلورانس محاضرة بالجزائر عنوانها « العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي » .

والاستاذ بونو متخصص في تاريخ المغرب له في ذلك عدة كتب منها « قراصنة المغرب Corsari Barbareschi »

ونظرا لقيمة المحاضرة من حيث المصادر الإيطالية والمعلومات والتفاصيل والموضوعية عرنا القسم الاول منها على امل تعريب القسم الثاني ونشره .

سلفاتور بونو

ترجمة : ابو القاسم
بن التومي

أخرى ... صف الحق ، وصف الباطل ...
الواحد منهما صاحب الإيمان بالعقيدة الصحيحة
والآخر صاحب الخرافات والباطل . اننا على
العكس من هذا نرى بأنه يوجد من كلا الطرفين
رجال كانوا ، على حسب صروف الدهر ،
يتعاونون في الكفاح أحيانا ، ويحاربون بعضهم
بعضا أحيانا أخرى ، فكانوا بذلك رجالا اكفاء
بأتم معنى الكلمة .

سوف يكون اهتمامنا في ثنايا هذا الحديث
بالرجال ، أي بالجزائريين والإيطاليين ، أكثر
من الاهتمام بدولتي الجزائر وإيطاليا وحكومتيهما
خاصة أن هذين البلدين لم يكن كل منهما في ذلك
الحين يشكل وحدة سياسية حقيقية على الصورة
التي نعرفها اليوم .

ان هذه التجارب الانسانية الغنية التي
سوف أتعرض لها ، لا يمكن أن تفهم على حقيقتها
— كما اشرت الى ذلك آنفا — الا اذا درست في
أطار تاريخ البحر الابيض المتوسط الشامل . فهذا
البحر أصبح ، منذ أن آل الأمر الى الأتراك في
المغرب أي منذ القرن السادس عشر إلى
السبعينات منه ، أصبح هذا البحر مسرحا
لصراع كبير بين المسيحية والإسلام اللذين تولتا
الدفاع عن كل منهما دولة هابسبورج Habsbourg
ودولة الأتراك .

وفي بداية القرن السادس عشر جاء القرصان
التركي عروج لحماية مدينة الجزائر بعد أن هدها
الاسبان الذين احتلوا مدينة تقع مواجهة لها
وهي بينون Penon فاستطاع أن يستولى
على الجزائر وأن يطورها بسرعة وبكيفية
عجيبة حتى أنه جعل منها مركزا من أكثر المراكز
تنظيما وثراء بالنسبة الى نشاط القرصنة
الذي كان سائدا في البحر الابيض المتوسط
كله وقد وضعت الجزائر ، مع بقية الحواضر
المغربية امكانيات أسطولها النشط القوي

ان الموضوع الذي سأتطرقه اليوم هو
« العلاقات بين إيطاليا والجزائر ، من القرن
السادس عشر الى أوائل القرن التاسع عشر »
والحديث عن هذه العلاقات يستلزم الحديث عن
جملة من الاحداث التاريخية التي تمتد على ثلاثة
قرون ، أي من ١٥١٦ الى ١٨٣٠ ... وأطار
هذه الاحداث هو البحر الابيض المتوسط الذي
طالما كان مسرحا للمآسي والصراعات والمعارك
البحرية والقتال والغزو ، وما ينتج ذلك من الأسر
والفدية والتجارة .

ولكن على أي أساس ، ومن أية زاوية تاريخية
سوف نتناول هذه الفترة ؟ وكما هو شأن كل
مؤرخ ، ، فان موقفنا سيكون مستمدا من
الواقع الملموس ، ومن مثلنا ومعتقداتنا . وقد
أدى بنا استعراض الاحداث التاريخية الى أن
نضرب صفحا عن العداوة المتأصلة والصراع
المستمر بين نمطين من الثقافة ازدهرا في منطقة
البحر الابيض المتوسط ، وهما الإسلام والمسيحية
وتلك العداوة هي التي سيطرت على الأذهان
طيلة قرون ، واثرت المؤرخين من حيث الآراء
والاحكام وهاهو ذا الواقع يكشف لنا اليوم ، بعد
عدة قرون من الكفاح ، وبعد سنوات من سوء
التفاهم والخلاف والصراع والبغضاء ... هاهو
ذا الواقع يكشف لنا بجلاء أن الشعوب والأفراد
على قدم المساواة في الكرامة والاباء ، ويدعوننا
الى أن نتجرد من العجب والاعتقاد الباطل
بالتفوق على الغير ، وأن نتخلي عن كل فكرة
سخيفة في استعباد الشعوب .

وكذلك الامر غيبا يتعلق بالاحداث الغابرة للبحر
الابيض المتوسط من القرن السادس عشر الى
القرن التاسع عشر ، وهي الفترة التي يدور
حولها موضوعنا ، فالمسألة في نظرنا ليست عبارة
عن صفين متصارعين : الصف المتمسك بمبادئ
الشرف من جهة ، والصف المتوحش من جهة

وبعد الانتصار ، ولها اخذت السفن الباقية للعدو تبتعد عن الجزائر عفا حسن آغا عن عدد غير قليل من الاسرى المسيحيين فبقوا ينعمون بالحياة .

لم تكن هذه الحادثة فريدة في نوعها ، ولا هي حالة طارئة ، ففي ذلك العهد وخلال القرون التي تلت ، وجد كثير من الايطاليين والمسيحيين بصفة عامة الذين وقعوا في الاسر من جراء حروب القرصنة ، فسيقوا الى الجزائر ، وهناك اعتنقوا الاسلام واندمجوا في المجتمع الجزائري . وآخرون من الاوروبيين — وهم كثيرون — غادروا بلادهم الاطية عن طيب خاطر وقصدوا الاراضى الجزائرية واصبحوا مسلمين ، ذلك ان العالم الافريقى ومدينة الجزائر الفنية القوية في القرنين السادس عشر والسابع عشر كانا يقدمان لهؤلاء كل الامكانيات للحصول على الثروة بسرعة والارتقاء في السلم الاجتماعى واحتلال اعلى المناصب السياسية والعسكرية هناك .

والجدير بالملاحظة أن النازحين الى الجزائر في ذلك العهد قدموا من بلاد مثل ايطاليا حيث كان اصل الفرد هو الذى يكيف الحياة الاجتماعية وحيث كان النبلاء والاغنياء وذووا السلطان يتمتعون بامتيازات ترفعهم عن باقى طبقات المجتمع التى لم تكن تصلح الا للطاعة والخضوع لهؤلاء الاسياد . وقد انضم الى هذا الاضطهاد الاجتماعى السيطرة الاجنبية التى كانت تخنق البلاد ، فلا عجب أن يرى هؤلاء الجزائر الارض الذى يسود فيها التسامح والمساواة والحرية .

وبعد اندماجهم في صميم الحياة الاجتماعية الجزائرية ، يفكرون في اتخاذ مهنة تفتح امامهم آفاقا مفرية ، فيختارون غالبا القرصنة في البحر حيث يجدون المجال فسيحا لاستثمار مواهبهم فهم يجيدون ترتيب الخطط للهجمات وشن

الى جانب الاتراك ، في العقد لاول من القرن السادس عشر ، وفي سنة ١٥٤١ نظمت حملة كبرى اشترك فيها اكثر من ٥٠٠ سفينة ، ضد الجزائر التى كانت محور القوة التركية المتحالفة مع البربر في المنطقة الغربية من البحر الابيض المتوسط ، وقاد الحملة الامبراطور شارل كان (الخامس) بنفسه واشترك فيها كذلك الجنود والسفن التابعة للامارات الايطالية المتحالفة مع الامبراطور .

وهكذا تجابه الايطاليون والجزائريون . وقد تولى الدفاع عن الجزائر حسن آغا الذى كان يحكم المدينة من قبل خير الدين حكما — كما يقول المؤرخ « هايدرو » — بعيدا عن كل شغب وفي ظل الامن الشامل والمعدالة الحقة .

وكان حسن هذا من مسيحيي (سردانية) اعتنق الاسلام ، وهو ينتمى الى تلك الفئة من الاوروبيين الذين ارتضوا لهم الاسلام ديناً ، فاطلق عليهم العالم المسيحي لقب مرتدين Renégats وقد وقع وهو في سن الشباب مع كثير من امثاله من الشباب اسيرا في يد خير الدين اثناء غارة شنها على قرية ساحلية من جزيرة (سردانية) ، فابدى — على حد تعبير المؤرخ الانف الذكر — ذكاء مفرطاً في كامل الشؤون التى كلفه بها سيده ، حتى وأن هذا الاخير ، عندما صار حاكماً على الجزائر ، عينه كاهية له وولاه ادارة جميع املاكه .

ونزل الى البر عدد كبير من القوات المسيحية يقدر بأكثر من عشرين الف جندي احتلوا هضاب الجزائر ، واصبحت المدينة مهددة من طرف العدو الذى اقترب من ابوابها . وفي هذه الساعات الرهيبة ، كان حسن آغا — بعد أن رفض في اباء محاولات « شارلكان » الذى اغراه بخيانة وطنه الجديد — يجوب المدينة التى انهارت معنوياتها منتظيا جواده ، وهو يشجع الناس ويمطنهم

الغارات والنزول في السواحل الأوروبية التي يعرفون مواععها .

ان لدينا بعض المعلومات عن عدد المسيحيين المعتنقين للإسلام الذين استوطنوا الجزائر في مختلف العصور ، وكان أكثرهم من البلاد الأوروبية ، وخاصة إيطاليا وإسبانيا وفرنسا والذي يهمننا على الأخص هو ما ذكرته بعض المصادر التي تعرضت لبيان الدور الذي لعبوه فبناء على ما ذكره المؤرخ الإسباني Diégo Haedo الذي ألف كتابا عن « طبوغرافية » الجزائر وتاريخها العام وهو تأليف أساسي لمعرفة الجزائر في العهد التركي ، فان هؤلاء المعتنقين للإسلام من المسيحيين هم الذين كانت بأيديهم السلطة والنفوذ الأدبي والحكم والثراء ، وكانوا يشغلون هم وعائلاتهم ٦٠٠٠ منزل أو أكثر ويروى الأب الثالوثي Dan في تاريخه النفيس عن البلاد الجزائرية أن في غضون سنة ١٦٣٠ كان بالجزائر ٨ آلاف من المسيحيين المسلمين بالإضافة الى ١٢٠٠ امرأة أغلبهن إسبانيات وبرتغاليات وإيطاليات ويونانيات وإنكليزيات ، ويؤكد صاحب الكتاب أن هؤلاء قد وصلوا الى درجة من القوة عظيمة ، وكانوا أحسن رجال الحرب في البر والبحر وأكثرهم عددا . وقد حفظ التاريخ أسماء عدد ضئيل منهم ولم يستطع إثبات موطنهم الأصلي ، فلا يمكننا في المرحلة الراهنة من بحثنا أن نحدد بدقة عدد المسلمين الذين هم من أصل إيطالي ، ولنتكف على سبيل الاستشهاد بإيراد بعض أسمائهم .

فمن بين ملوك الجزائر (وهو الاسم الذي أطلقه « هايدو » على الباشوات الذين تولوا حكم هذه المدينة) نجد حسن آغا الأتف الذكر ثم رمضان باشا وهو من سردانية أيضا تولى الحكم سنة ١٥٧٤ . أسر وهو شاب في سردانية فعنى سيده — وكان تاجرا تركيا — بتعليقه لما أنس فيه من مواهب وذكاء . ونظرا لخصاله

عين « قائدا » في عدة مدن ، وخلال السنوات الطويلة التي تولى فيها المناصب الإدارية ، اكتسب ثروات طائلة وحصل على الجاه والسمعة الطيبة واشتهر عند الناس بالعدل والاستقامة ودمائة الأخلاق والحلم . وكان عهد ولايته على الجزائر عهد سعادة وازدهار .

وكان حسن باشا الحاكم الثاني والعشرون من مسحيي البندقية ، وكان وهو في سن الطفولة كما يروى « هايدو » ينتقل على ظهر سفينة تدعى Esclavon أو Ragsain يعمل بها كاتبا للمؤرخ ، وفي إحدى المعارك استولى على تلك السفينة Dragnt Rais ملك طرابلس ، وبعد وفاة هذا صار ملكا لعلج على الذي عينه عندما صار باشا على الجزائر أمينا عاما للخزينة وأسند اليه في سنة ١٥٧٧ إدارة المدينة ، وشغل هذا المنصب حتى سنة ١٥٨٠ . وقد اشتهر بالدهاء والحزم والقساوة والطموح .

أما علج على فقد كان كلبيا من أسرة تحترف صيد السمك ، ومغامراته العجيبة الخلافة تستحق أن نشر اليها باختصار ، وكأنها تشكل رمزا لمصر أولئك المسيحيين الذين استوطنوا الجزائر واعتنقوا الإسلام . في شهر أفريل من سنة ١٥٣٦ أثناء غارة على شاطئ خليج Squillace قام خير الدين بمهاجمة قرية صغيرة تدعى Le Castella وأسر أهاليها ومن بينهم شاب يبلغ السادسة عشرة من عمره اسمه Jean-Denis Galeni أو Giovanni Dionigi Galeni باعه في سوق العبيد بالقسطنطينية سيده جيانر ثم حمل كعداء على متن بارجة كانت تجوس خلال البحار الشرقية .

اننا لا ندرى على وجه التحقيق السبب الذي دفع هذا الرجل الى اعتناق الإسلام واتخاذ لقب علج على ولا الظروف التي صيرته من قرصان

البحر الذائعى الصيت . وعلى اثر وفاة Dragnt في الهجوم على جزيرة مالطة سنة ١٥٦٥ عين علج على باشا على طرابلس ثم في سنة ١٥٦٨ باشا على مدينة الجزائر التى كانت حينذاك تجتاز فترة من تاريخها مفعمة بالنشاط والازدهار واستغل علج على ضعف اسبانيا التى كانت في وقت ما مضطرة لمواجهة ثورة عنيفة قام بها Les Moricas لتحقيق هدف عظيم هو غزو كامل بلاد المغرب ، وفي سنة ١٥٦٩ احتل فعلا مدينة تونس ، وشارك على راس الاسطول الجزائرى في معركة Lapante التى خرجت منها القوات البحرية الجزائرية سالمة رغم الهزيمة الشاملة التى لحقت المسلمين ، واعترافا بجميل صنعه عينه السلطان قائدا اعلى للاسطول التركى ، فاعاد علج على تشكيله بأقصى سرعة وانطلق الاسطول العثمانى سنة ١٥٧٤ تحت قيادته لاسترجاع تونس لحضرة الامبراطورية العثمانية ، وكان الاسبان وحلفاؤهم قد استولوا عليها منذ سنة مضت . وبفضل احتلال الاتراك لتونس تأكدت هبة الامبراطورية العثمانية من جديد ، وكانت قد ترعزت على اثر هزيمة Lapante وعاود القلق والهلع قلوب

المسيحيين الا أنه لم يحصل تصادم مباشر وعظيم بين الاسلام والمسيحية ، فان انتباه وجهود الباب العالى كانت متجهة نحو الشرق بسبب الحرب القائمة ضد الفرس ودولة اسبانيا التى اتحدت مع البرتغال منذ عام ١٥٨٠ كانت بدورها قد حولت انظارها نحو الغرب ، نحو المحيط الاطلسى والعالم الجديد ، فحدث نوع من التوازن في البحر الابيض المتوسط الذى أصبح — على حد تعبير Fernand Brandel — خارج نطاق الاحداث التاريخية الكبرى ، ومن ذلك الحين وفي ظرف قرنين ونصف اخذت القرصنة البحرية تهيمن على الحياة اليومية للمحيط الكبير يقول المثل « من تصدى للقرصنة لقي قرصانا

ونصفا » وهو مثل يجد مصداقه من صميم الحياة داخل البحر المتوسط . فقد تعرض للقرصنة الجزائريين اول الامر قراصنة اوروبيون لا يفلتون عنهم جرة ومهارة ، وهم لم يكونوا على اعمال دفاعية ضد المسلمين فحسب ، بل كانوا يبذلون نشاطا قويا اذ ينهبون سفن وسواحل البلاد الاسلامية . ونحن لا نعرف شيئا كثيرا عن الاعمال التى كان يقوم بها قراصنة اوروبا فمؤرخونا لم يكن لهم متسع من الوقت للبحث عن نشاطاتهم وكادوا لا يذكرون عنها شيئا ، ولم يكن الشأن كذلك بالنسبة للاعمال البطولية التى حققها اشخاص آخرون تواترت اخبارهم في اوروبا زمنا طويلا حتى لقبوا بحماة العقيدة والحضارة ضد الوحشية الاسلامية ، وما هم في نظرنا — ونحن نسعى لمحو الاساطير والخرافات وطرح الكلام المنق — الا قراصنة ماهرون وجريئون ، وأعنى بهم « فرسان مالطة وسانتنتيين Saint Etienne » . فلنستعرض هنا بعض وقائعهم :

في سنة ١٥٧٩ هاجمت أربع سفن حربية بقيادة نائب قائد الاسطول Vice-Amiral Marc Antonio السواحل الجزائرية قرب مدينة القل واختطف ٣٦ شخصا .

وفي شهر افريل من سنة ١٦٠٤ كلفت حكومة طوسكان Toscane ضابط البحرية الانكليزى Robert Giffort (روبر جيفور) بتنفيذ مخطط مجازف ، وهو اضرام النيران في سفن « مراد رئيس » وغيره من القراصنة الراسية بميناء الجزائر . وقد كان لنجاح هذه العملية صدى بعيد في الافاق كما تشهد بذلك الاخبار الكثيرة التى نشرت عن هذا الحادث ، وقد شهدت العقود الاولى من القرن السابع عشر عمليات مختلفة قام بها القرصان الطوسكانيون Tuscans وقطع من اسطول البلاد الايطالية ضد مدن

Giulio Barbolani سفينة القيادة الجزائرية في بحر الشرق ... وفي سنة ١٦٢٤ أحرز القائد المذكور على انتصارات جديدة ضد الجزائريين ففى شهر ماي من هذه السنة فاجأ قرب جزيرة سان بيار Saint Pierre في بحر سرديانية غليوناً (وهو سفينة حربية تجارية) للقرصان « حميتو » من أزمير كانت قاعدته في الجزائر وفي أكتوبر من تلك السنة وفي ذلك البحر نفسه بمساعدة سفين Saint Etienne تمكنت سفين أخرى للبابا وحكومة نابولي من الاستيلاء على عمارة بحرية كاملة تضم ست سفين للرئيس الجزائري « حسن خليفة » .

والجزائريون — ونحن نعرف أى دم كان

يجرى في عروق من يرفعون على سفنهم العلم الجزائري — كانوا من جهتهم أكثر نشاطا وجراة وأسعد حضا في ممارسة القرصنة البحرية فكانوا يهاجمون السفن من كل حجم وينزلون في شواطئ إيطاليا وغيرها ويأخذون المئات والالاف من الأسرى المسيحيين يدملونهم الى الجزائر . ولا زالت صوامع الحرسه التي شيدت لدفع غارات القرصنة قائمة على سواحل إيطاليا بعضها سالم والبعض الآخر في حالة انهيار . وتوجد كثير من الوثائق المتضمنة للوقائع التي جرت بالمدن الإيطالية والأوراق القديمة التي وردت فيها عدة أنباء عن تحرشات ومهاجمات القرصنة الذين ينسبون غالبا الى الأتراك أو البربر ، الأمر الذي يجعلنا لا نستطيع أن نجزم هل هم جزائريون أم تونسيون أو غيرهم ، وسواء حصلت الهجمات والاستلاء على السفن من هذا الجانب أو ذاك فقد كانت النتيجة المؤلمة تزايد عدد العبيد المسيحيين أو المسلمين على ضفتي البحر المتوسط .

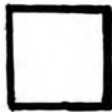
يتبع

ساحلية من أرض الجزائر ، وكان ضحايا هذه القرصنة الرجال والنساء ، والأطفال الذين يتخذون عبيدا في البلاد المسيحية ، وهكذا كان الشأن على السواحل الاطالية من جراء القرصنة الجزائريين .

وفي ١٦ سبتمبر سنة ١٦٠٧ أخذ فرسان Saint Etienne من مدينة عنابة ١٥٠٠ شخص زيادة على عدد واغر من الفنائم . ونجد هذا العمل الحربى مرويا في عدة تقارير حررت في ذلك العهد ، وقد أشيد فيما بعد في قصيدة عنوانها Bona Espugnata . وفي قرية على بعد ٩٠ ميلا غربى الجزائر اختطف الفرسان الطوسكانيون في صيف ١٦١٠ ٥٠٠ شخص . وفي سنة ١٦١٣ انزلت ثمان بوارج صقلية بقيادة Ottavio d'Aragona جالها على الشواطئ الجزائرية ، وفي شهر جوان من تلك السنة نهبت سفين غراندوق طوسكان قلعة أرزيو وحررت ٢٠٠ رقيق من المسيحيين وأسرت عددا مماثلا من الجزائريين .

وكانت المعارك بين الجزائريين والإيطاليين تدور أحيانا في مناطق بعيدة عن بلادهم . ففى أبريل سنة ١٦١٦ هاجمت سفين فرسان Saint Etienne في مياه Negropont عمارة بحرية للقائد الجزائري مراد رئيس كانت — فيها يبدو — تقل باشا الجزائر الجديد القادم من الاسقانة ، ووقع بين الفريقين قتال عنيف طويل ومريب انتهى بالاستلاء على سفينتين مسلمتين هما أكبر وحدات الاسطول العثماني . وفي سنة ١٦١٩ أسر القائد الجديد لجمعية رهبان Saint Etienne الكونت

دراسات
اسلامية



عالمية الإسلام وخلوده

محمد الصالح الصديق

من الحقائق الأولية ، أن الإسلام لا يمثل حضارة خاصة بعهد من العهود ، تتجلى في عمران ذلك العهد ، وفي آثاره ومختلف صوره ومعالمه ولما مضى ذلك العهد مضى معه الإسلام ولم يبق إلا على لسان التاريخ ، يردده كما يردد الحضارات البشرية المختلفة التي مرت بهذا الوجود كاليونانية والرومانية وغيرهما ، وهذا اعتقاد كثير من المستشرقين المتعصبين و (أنصاف) المسلمين الذين أخذوا من العلم وهما وظنوه حقيقة ، وقشورا حسبوها لبابا .

إن الإسلام دين حي ، ورسالة خالدة ، سيظل يمد بطاقته الحية كل عهد من عهود التاريخ وكل مجتمع من مجتمعات الإنسان ، وكل طور من أطوار البشرية ما ينفي بالحاجة في الأوان دون تأخر أو قصور ، لأنه دين الله الحق ، الذي يسائر الحياة في نموها ، وتطورها ، يراقبها في تقلباتها ، ويميدها إلى الجادة عند انحرافها وزيغها ، ويرشدها في مشاكلها ، ويعارضها في اتجاهاتها الفاسدة .

واذا كان الاسلام قد انتشر في مختلف أرجاء العالم انتشارا مدهشا لم يعرف التاريخ مثله لدين من الاديان ، وكتب له هذا الخلود بفضل نظمته وأسس وتشريعاته التي سادت بها البشرية قرونا طويلة فانه سيبقى كذلك ما بقيت الحياة لانه الدين الذي تلتقى تعاليمه مع الفطرة وتأخذ طريقها الطبيعي الى النفوس . ليس ديننا لا يفرق بين عنصر وعنصر ، ودينا يؤدي بالمجتمع الى مستوى أفضل ، ويأمر بالايمان بسائر الكتب المنزلة ، ويجمع الانبياء والرسل ويأمر بالسلوك الحسن مع أهل الديانات الأخرى ؟

ليس في حقائقه الباقية الخالدة ، وفي نظريته الى الكون ، وفي تقديره لمصالح الناس وحقوقهم وطلبه الايمان عن طريق التأمل والعقل ، وفي رفعه الحرج وتوخيہ اليسر ... ليس في كل هذا ما يدل دلالة قطعية على أن الاسلام دين عالمي ، دين الانسانية جمعاء ؟

ودين هذا طبعه ، وهذا زاده فلا بد أن يتعلق به الناس اذا هم نظروا فيه بعقول سليمة وفطر هادية ، وتجردوا من الاهواء والنزعات ..

ولعل من الدلائل الواضحة ايضا على بقاء الاسلام ، يواكب الانسانية في مختلف تطوراتها انه الدين الوحيد الذي استطاع أن يصمد أربعة عشرة قرنا امام غارت هوجاء ، وهجمات قاسية متتالية ، ومؤثرات وتديسات وثورات داخلية وخارجية ، فردية وجماعية لا تستطيع أن تواجهها الاديان الأخرى . فكم من ديانات تلاشت وتبخرت امام هجمات أقل أضعافا ، من تلك الهجمات ويبقى الاسلام كما هو ، وكم من حضارات سادت ثم بادت كأن لم تكن بالامس وظل الاسلام بروحه وشخصيته كما كان ، وفي هذا يقول الأستاذ أبو الحسن الندوي في إحدى محاضراته بكلية الشريعة السورية حول حركة الإصلاح في تاريخ الاسلام سنة ١٩٥٦ :

(لقد كانت الباطنية بقرعها ومذاهبها المتنوعة خطرا على روح الاسلام النقية وعقائده الصافية الواضحة ، تتهدد وضع الاسلام الحقيقي وكذلك كانت الغارة الصليبية ثم هجوم التتار — ذلك الجراد المنتشر — صاعقة نزلت على الاسلام والامة الاسلامية وكانت جديدة بأن تقضى على الاسلام وتقصيه من ميدان الحياة ومصاف الامم ، غلو كان غير الاسلام من الديانات للفظ نفسه الاخير وأصبح أسطورة من الاساطير)

ولكن الاسلام تحمل كل هذه الصدمات ، وكل هذه الصواعق ، واستطاع أن يعيش رغم كل ذلك ، ولم يكف انه عاش وبقي يلعب دوره بل انه شق طريقه الى الامام وفتح فتوحا جديدة في ميدان العلم والعقل والسياسة .

وما ذلك الا لانه دين الله الحق ، الذي أعلن عن شكله النهائي وطوره الكامل يوم عرفة بقوله « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً » .

والدارس للقرآن ، والمتتبع لنصوصه بتفهم تتجلى له خصائص الاسلام التي أهله لان يكون عالما ، ، وبالتالي ليبقى ما بقى الانسان . وتلك الخصائص يمكن ايجازها فيما يلي :

« ١ — وفاؤه بحاجة الانسانية جمعاء فيما يصون وحدتها ويرعى انسانيته ، ويحمي أفرادها في العاجل او الاجل .

٢ — تشريعاته التي تضمن قيام الانسانية كلها في محيط واحد لا تنزع معه الى عصبية دم او اختلاف لون او فرقة جنس ..

٣ — اتساقه مع حقائق الكون وخصائص الوجود بحيث لا يتعارض مع ما ثبت من حقائق العلم او يختلف مع منطق الفكر .. »

بالاضافة الى أن معجزة الاسلام الباقية لم تعتمد على خوارق العادات شأن الاديان

أن دينا يفى بحاجة الإنسان مهما تطور ، ومهما تنوعت هذه الحاجات لهو - لعمري - دين الإنسانية جمعاء ودين باقى بقاء هذه الإنسانية ..

وايضا فى شخصية رائد هذا الدين ما يدل على عالمية الاسلام فان فيها ما تفرق من الخصائص والمميزات والسجايا فى رواد الاديان الاخرى السماوية ، ففيه ما كان فى نوح من الشدة والغبط على الكفار والمشرىين ، وما كان فى ابراهيم من الثورة والجهاد فى تحطيم الاوثان والاصنام وما كان فى موسى من العمل على سن السنن الصالحة والشرائع الحكيمة ، وما كان فى عيسى من خفض الجناح والحدب والمجبة ، وما كان يمتاز به ايوب من الصبر على المكارة والشدائد ، والشكر على النعمة والعافية بعد الابتلاء وما امتاز به يوسف من الصبر على الاغواء والدعوة الى الحق وما اشتهر به يعقوب من الثقة بالله وطرده الياس وقـد استحكمت حلقاته .

وفى هذا اوضح الدلائل على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وانه رسول الإنسانية جمعاء (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) .

اما مايتشدد به بعض المستشرقين ، والمغرضين من أن الاسلام ليس دينا عالميا حيث بدأت رسالته فى الجزيرة العربية وفى امة ابعد ما تكون عن الحضارة والتمدن بالنسبة الى الامم المتحضرة كالفرس والرومان فزعم باطل اوحاه ضيق العقل والافئق ، واملاه التعصب الدينى ، الذى يتجنى على العلم والعقل والتاريخ ، فى حين أن البحث العلمى يجب أن يكون منطقيا بريئا من كل تاثر ومن كل نزعة ولعل الحقائق التالية التى دحض بها هذه الشبهة من عنى بهذا البحث من المفكرين والتى يؤيدها الواقع والبحث العلمى التجريبي كافية فى الرد على اولئك ...

الاخرى ، كاحياء ميت او تحرك عصا ، بل اعتمدت على النظر ، والتأمل ، والعلم ، والمعرفة ، وشتان بين معجزة لا يتاثر بها الا من رآها او عاش فى عصرها ، ومعجزة باقية بقاء الحياة تفد عليها اجيال واجيال ، فتقف ناظرة متاملة ، متأثرة ، ثم تمضى لتفد اجيال واجيال اخرى وهى ثابتة خالدة مع الزمان والمكان يستضىء بها الوجود الانسانى فى طريق الحياة ..

ماذا تنشد الإنسانية فى هذا الوجود ؟

اذا كان الامن والطمانينة وحماية العقل والعرض والمال والنسل ، ففى الاسلام ضالتها واذا كان التعاون والوحدة والعدل والايثار ففى الاسلام مطلبها ، واذا كان الكرامة والحرية والمساوات وحل مشاكل العيش والاقتصاد ، ففى الاسلام بغيتها ، واذا كان التكافل والتضامن وانس الفكر بالكون وتسخير الطبيعة لمصلحة الانسان والسفر الى القمر والكواكب ففى الاسلام ما يشجع على ذلك ويدعو اليه ... اليس هذا الكون الهائل كله بمن فيه وبما فيه مسخر للانسان ؟

(الله الذى خلق السماوات والارض واتزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر داثبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سالتهموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلول كفار) .

اوليس اول آية نزلت من القرآن : (اقرا باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرا وربك الاكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ..) ؟

ثم ليست نقطة انطلاق الدين رحلة النبى محمد صلى الله عليه وسلم الى الملا الاعلى ؟

٦ - في الجزيرة العربية اول بيت وضع للناس وبناه ابراهيم ابو الانبياء ، وهو البيت العتيق التى تدين له جميع الديانات .. وبديهي أن هذه العوامل وهذه الامكانيات تساعد الجزيرة العربية على النهوض بالدعوة الاسلامية فى اطارها العالمى .. كما قدمنا ...

واذا كانت الثورة من اجل التحرر وتغيير الاوضاع الفاسدة التى لا تستقر معها حياة الفرد والمجتمع ، والانطلاق نحو حياة افضل - من ابرز مميزات هذا العصر الذى نعيش فيه الى حد اننا نفخر بأنه عصر الثورات ، والثورات الهادفة بالنسبة الى الامم والشعوب التى تقع فيها ، بمثابة عملية تلقيح وبعث وانطلاق من جديد فى طريق الحياة - قلنا اذا كانت الثورة من مميزات هذا العصر فان من ابرز مميزات الاسلام عن الاديان السماوية الاخرى هو طابع الثورة ... فبينما نرى رسالات الاديان كلها تهدف الى اظهار المعبود الحقيقى وهو الخالق ونشدان الخير للانسان ، نرى الاسلام ديناً ثوريا منذ بدايته وسيبقى ثوريا الى الابد ، وهذه الخاصة - الفعالة - فيه من اهم العناصر التى تجعله ديناً عالمياً وبالتالي تضمن له مواكبة البشرية فى مختلف مراحلها وتطوراتها ايضا .. وينظر عجلى من الباحث المنصف الى (العمل الجازم) الذى غير به الاسلام مجرى التاريخ فى امد وجيز تتجلى ثورية الاسلام التى جعلته ينتشر فى مختلف اصقاع الارض انتشاراً مذهشاً لا عهد للتاريخ به ...

وليست (ثورية) الاسلام مازعه ومايزعمه اولئك الذين يتحدثون عن الاسلام بدافع من التعصب الدينى او التأثير بالاهواء الخارجية مما لا يقوله العاقل فى دين شعاره (لا اكراه فى الدين) بل ثورية الاسلام تتجلى وتتمثل فى تلك الاساليب القرآنية العجيبة التى واجه بها الاسلام حالة العالم السوائى ...

١ - طبيعى أن القوم الذين يضطلمون بالدعوة العالمية يجب أن تتوفر فيهم صفات تناسب عبء مهمتهم وخطورة رسالتهم من صبر وتحمل للمشاق ومخاطرة ، وشجاعة ووفاء وحرص على الشرف والسؤدد وتمرن على الهجرات والتنقلات وعدم التبرم بحياة النقشف الى غير ذلك من الصفات النبيلة . وقد اثبت التاريخ أن العربى مضرب المثل فى هذا المجال وانه ايضا يمتاز بتوقد القريحة وصفاء الذهن ورجاحة العقل ، وقوة الحجة والفصاحة والبيان ، وهى امور ضرورية لمن يقوم بنشر الرسالة العالمية .

٢ - اللغة العربية التى كانت اللغة الرسمية لهذه الدعوة ، فهى فى غزارة ماديتها وضروب بيانها وملاءمتها لكل مطالب الحياة وتمشيها مع التطور ما يرشحها لتكون لسان الرسالة العالمية .

٣ - عهدت الجزيرة العربية فى تاريخها الطويل انواعاً من الرسالات ، فهود فى الاحقاب جنوب الجزيرة وصالح فى ثمود شمالى البلاد وشعيب فى مدين عند خليج العقبة ، وموسى الذى ناداه ربه بجانبى الطور على حدود الجزيرة ، وابراهيم الذى بنى البيت العتيق ...

٤ - كانت الاديان الموجودة فى العالم ممثلة فى بلاد العرب فى ذلك الوقت فكان فيها اليهود والنصارى والمجوس والصابئة والوثنيون وعبد الجن وعبد الملائكة الخ وجاء الاسلام الحنيف ليظهر عليها كلها ويكتسحها ، وكان انتصاره على الذين يدينون بها فى الجزيرة العربية انتصاراً على كل من يدين بها خارجها .

٥ - للجزيرة العربية التى انبتت منها الاسلام صلاحية كبيرة لانطلاق الدعوة الى العالم اجمع لانها فى مكان وسط يتصل بآسيا وافريقيا وأوروبا ، وهى القارات التى اخذت اذ ذاك حظاً من النضج يؤهلها لتلقى الرسالة ..

عند الرحمن انا انشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم
ويسالون (٦) ويعرض باخلق المرأة الجاهلة
عن طريق التنويه بفنائل المرأة المسلمة ومحاسنها
(محصنات غير مسافحات ولا متخذات اخدان)
(٧) وسفه احلام عبدة الاصنام ويؤكد عجزها
المطلق الدائم في تهكم وسخرية (ان الذين تدعون
من دن الله لن يخلقوا قبلا ولو اجتمعوا له وان
يسلبهم الزباب شيئا لا يستنقذونه منه ضعف
الطالب والمطلوب) (٨) ويشبه الكافرين بالانعام
(والذين كفروا ينمتعون وياكلون كما تاكل الانعام
والنار مئوى لهم) (٩)

وبهذه الاساليب الثورية واجه الاسلام عناد
الكنار وتعصبهم في الضلالة والغواية واستطاعت
دعوة الاسلام في امد وجيز ان تنشئ الانسانية
من وهدة الانحطاط الفكرى والعقيدى وتنقل
الاجلاف العرب من هوة الصغار والضياع الى خير
امة اخرجت للناس

وتهدأ ثورة الاسلام عندما يخاطب المسلمين
الذين شبوا على الجاهلية .. فيجمع لهم بين
الشدة واللين والتأديب والتعذيب حتى يالفوا
حياة الاسلام الجديدة ويطيعوا بطابعها ، فتراه
يلفت نظرهم الى نعمة الاسلام ، نعمة تاليف
القلوب ورأب الصدوع ، تلك النعمة التي حولت
شتمات العرب في جاهليتهم وحدة وعداوتهم في
الجاهلية مودة ، ويدعوهم الى الاعتصام بحبل
الله من خطر الفرقة ، ومن التيه في مآهات
الشهوات والعداوات والحزازات ، (واعصموا
بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وانكروا نعمة الله
عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم
بنعمته اخوانا وكنتم على شفى حفرة من النار
فانقذكم منها ..) وينصحهم بالتخلى عن
بقايا عاهات الجاهلية ومساوئها (يا ايها الذين
آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا

لقد كان العالم وقت ميلاد الاسلام تتوزعه
دولتان كبيرتان ، ظالمتان ، دولتا الفرس والرومان
وامتد نفوذهما على العالم اجمع وكان شغلها
الشاغل ، وهما الاوكد الوحيد ، امتلاك الشعوب
والسيطرة على مقدراتها واستغلال امكانياتها
لصالح الامبراطور وطائفة من قواده وانصاره
واتباعه فاصبحت ترزح تحت كابوس ثقل
من الذل والاهوان ... وفي الجزيرة العربية
يعيش العرب في حالة اجتماعية وسياسية
وعقائدية تفوق كل تصوير : حروب لا تنقطع
بين القبائل لاتفه الاسباب ، وعادات مستحكمة
في النفوس لا اتبع منها ولا اشنع كواد البنات
ولعب اليسر ، والانتصاب ، والازلام وزجر الطير
للنحس والسعد ... وسطوة القوى على
الضعيف وعنجية التكبر والتجبر .. فحدث
عن البحر ولا حرج .. كل هذا الى اصنام
تعبد ، واوثان تقدر ... ولما جاء الاسلام
ووجد هذه المفاصد النكراء التى تتخبط في
حماتها البشرية والتي لا يصلح معها مجتمع -
واجهها بالاسباب نائرة لا لين فيها ولا هوادة ونلاحظ
هذه الثورة التى لابد منها لبعث الحياة في الوجود
في الاساليب التى استعملها القرآن في تغيير الوضع
الذى اصابه الانهيار ، وفي طريقته للدفع
بالانسانية الى الانطلاق من الاسار ، فهو يهدد
(فرئى ومن خلقت وحيدا) (١) وينذر (سارهقه
صعودا) (٢) ويدعو بقطع اليبين (تبت يدا ابي
لهب وتب) (٣) ويزجر (كلا انه كان لابائنا
عنيذا) (٤) ويستفهم للسخرية وينبه للقوة
(واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا
وهو كظيم يقارى من القوم من سوء ما بشر به
ايمنكه على هون ام يدسه في التراب الا ساء
ما حكمون) (٥) ويستهن عقيدتهم الجائرة
في جعل الملائكة اناثا (وجعلوا الملائكة الذين هم

لانه الوحيد — كما قدمنا — الذى يفتح ابوابه للبشرية على قدم المساوات الكاملة ، وعلى أساس الشعور الخاص ، ويساير الحياة فى تجدها وتطورها فى حين أن الاديان الاخرى لم تعد لها وظيفة ايجابية فى حياة المجتمع الانسانى لان النظم التى قامت على اساسها قد ترنحت وتدخلها تبديل وتغيير ... والواقع يشهد بأن المجتمع (قد انعزل عن روح المسيحية فى البلاد المسيحية نفسها وقامت اسسه على افكار مادية محضة بعضها مستمد من التقاليد الرومانية القديمة وبعضها مستمد من المذاهب الفكرية المادية الحديثة) بالاضافة الى ان المسيحية مثلاً تلاحق محلية جاءت تكملة لليهودية الاولى وليس هذا مجرد زعم منا يفنده الواقع بل هو حقيقة نص عليها المسيح نفسه ولقد قال (لم ارسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة) (١)

والحقيقة التى لا يمارى فيها الجاهل والمتعصب هى انه : ما من فكرة ، أو نظام ، أو مذهب عرفتها البشرية حتى اليوم فى تنظيم العالم كوحدة انسانية وفى تنظيم المجتمع كوحدة بشرية الا وفكرة الاسلام عن الكون والحياة والانسان اكبر منها واعظم قابلية للنمو والتجديد واقدر على التوفيق والتسويق بين قوى الحياة وطاقتات الانسان وحاجات البشرية .

وتجارب البشرية الطويلة الدائمة لطبيعة الاسلام ، وتجاربها لطباع الاديان الاخرى ولكل مذهب أو نظام أو فكرة تؤدي دوراً فى عالم الحضارة — هذه التجارب ككيلة بأن تؤكد يوماً بعد يوم صلاحية الاسلام لكل زمان ومكان وعدم صلاحية تلك لتصور اهدافها عن شمول مطالب الانسانية المادية والروحية معا . وحاجة البشرية المتأرجحة اليوم — الى

جراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ..) (يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والاذلام رجس من عمل الشيطان فاجنبوه لعلمكم تفلحون) ويهديهم وفق ما تتطلب الحياة من ضرورة التعاون ودوام الصفاء وثبذ الفوارق الطبقيّة وجعل معيار المفاضلة الطاعة والتقوى (يا ايها الناس انا خلقنكم من ذكر وانثى وجعلنكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم) ونلمس هذه الثورة القرائية نفسها فى رائد الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم عندما توسط عمه ابو طالب بينه وبين المشركين فاندفع فى صدق وايمان وفى لهجة قوية صارمة وقال قولته (والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ما تركت هذا الامر أو اهلك دونه) ولما حطم بيده آخر صنم للمشركين فى الكعبة يوم فتح مكة هدأت ثورته ولان أسلوبه ...

من تلك المدرسة القرائية الكبرى ، التى كان يعلم فيها محمد صلى الله عليه وسلم تخرجت افواج من الرجال الصادقين الذين فتحو الدنيا وعمروها وكانوا فيها سادة العالم تدين لهم رقاب الجبابرة وتنحنى لعظمتهم هامات المتفطرسين ..

وبذلك الاسلوب الحكيم فى الدعوة : ثورة وسلم ، وشدة ولين انتصرت دعوة الاسلام ، ولو لم يحمل الاسلام هذا السلاح لما انتصر .. وسيظل ينتصر بثورته وعمق ارشاده وسهاحة تعاليمه ، وسيبقى المنهج القويم لتربية البشرية وتوجيهها خير توجيه الى معالم الحياة المثلى والنتيجة التى يمكن الانتهاء اليها بعد هذه الملاحظات السريعة العامة انه لا بد للبشرية من دين يحفظ التوازن الانسانى لكى تواصل البشرية سيرها بنظام فى طريق الحياة .. وان الدين الوحيد الذى يكفل هذه المهمة هو الاسلام

الاسلام — لينقذها من الهلاك ، لا تقل عن حاجتها اليه منذ أربعة عشر قرنا ...
ان الحالة التي تعيشها البشرية اليوم لا تقل سوءا وتدهورا وخطرا عن تلك الحالة التي كانت تتخبط فيها الانسانية قبل مجيء الاسلام مع اختلاف الاسباب فقط ...

بديهي ان العصر الذي نحن فيه قد فاق جميع العصور السابقة في الرقى المادى والاكتشافات العلمية ، والاختراعات الباهرة ، حسبك ان الانسان اصبح يحقق من حين لآخر ما كان خيالا بالامس ... وجد كل شيء في متناول يده ... يفعل ما يشاء ويختار ... كهرياء ، بخار ، غازات سامة ، غواصات ، طائرات ، صواريخ مراكب فضائية ... وجد انسان اليوم كل هذا وأكثر ... ولكن فقد شيئا هو كل شيء .. فقد الشعور بالحياة ، فقد هدوء القلب ، وطمانينة النفس وراحة الضمير ، وانفلت من الدين الصحيح لذي يشعره انه ليس ذرة تافهة تائهة في هذا الوجود لا أصل لها ولا قرار ، وانحرف عن النظام الانسانى الذى يميزه عن الالة والحيوان فأين تلك المشاعر الانسانية الدافئة التى يستروح فى ظلها من هجر حياته الدائبة الصاخبة من أجل حياته المادية البهتة ... ؟

ولقد زار كاتب عربى امريكا منذ سنوات وشاهد الناس هناك كيف يأكلهم القلق العصبى الشامل ، القلق الفردى والعائلى والاجتماعى بالرغم من الانتاج الضخم والثراء الفاحش واللذئذ المتنوعة والمباحة ، وبالرغم من مظاهر النعمة والترف ووسائل الراحة ، وبالرغم من المرح الكثير والضحكات المتعالية فى الهواء هنا وهناك وبالرغم من اللواتى فى الطريق ... فكتب يصف حالهم تلك فى دهشة مما رأى وسمع وقال عنهم بالخصوص :

(.. انهم آلات تتحرك فى جنون وسرعة وهياج لا يقر لها قرار وكثيرا ما كان يخيّل الى

ان الناس هناك فى طاحونة دائرة لاتنى ليل نهار .. تطن بهم ويطنون ، لا يهداون لحظة ولا يطمئنون الى انفسهم ولا الى الحياة من حولهم — ان كلكوا يحسون ما حولهم — ليست هناك لحظة للتأمل ولا حتى للشعور بالحياة ذاتها وهى تدور ...)

اما راحة الضمير وهدوء البال ، والتجاوب النفسى ، والاهتمام بالوشائج الوثقى فى الاسرة فشئ لا وجود له فى قاموس حياة الامريكى ... ولقد أدرك علماء النفس والطب والاجتماع خطورة هذه الحال ، التى تقود البشرية (المتحضرة) الى الضياع ، ولاحظوا فى دهشة ازدياد المصابين بالعقد النفسية والامراض العصبية ، وكثرة الانتحار ، وتفشى القلق والاضطراب سيما فى الشعوب المتحضرة ، ولقد كان فى امريكا وحدها تسعة ملايين شخص مصابين بامراض عقلية اى بنسبة واحد فى كل ١٦ (وهذا فى احصاء سنة ١٩٥٣) والانحراف الخلقي الذى بلغ درجة مريبة لا يفتأ يزحف بالمسوخ والتشويه على الانسان هناك ...

ولقد وقف المفكرون تجاه هذه الحضارة التى كانوا يتوقعون انها ستفمر الناس بالسعادة نتيجة الاكتشافات العلمية الباهرة .

اذن فالحضارة الغربية التى تمثل اليوم أرقى حضارة فى العالم ، لم تستطع ان تكفل السعادة للانسان — بدليل الواقع التجريبي — ولذا فلا بد من حضارة أخرى تأخذ بالانسان الى حياة روحية بجانب تلك الحياة المادية لكى تحفظ التوازن بين الحائتين المادية والروحية ، وفى ذلك سعادة الانسان ، واذا طغت احدهما على الاخرى تذكر صفوه وعجز عن القيام بالدور الحضارى الذى تتطلبه الانسانية فى هذا الوجود ، والحضارة المتكاملة هى الحضارة الاسلامية لانها حضارة جسد وروح ..

وفي هذا المعنى يقول السيد قطب في مقال تحت هذا العنوان (المستقبل للإسلام) نشرته (المسلمون) سنة ١٩٥٢

(... فإذا انتهت الشيوعية — ولا بد أن تنتهي لأنها الخطوة الأخيرة في خط سير الحضارة المادية — فإن البشرية ستعود الى نوع — من الاعتدال والتوازن لا تجده في روحانية المسيحية الخالية ولا في مادية الشيوعية الجامدة ، ولكن في فكرة وسط عن الحياة فكرة تحتضن الروحية الصافية الصادقة ، وتحتضن الواقعية المادية المعتدلة ، وتصوغ منها عقيدة للضمير ، ونظاما للحياة وإحلاما دائمة للبشرية كلما حققت منها حلما ارتفعت في الأفق الى حلم جديد ، والفكرة الوحيدة التي عرفتها البشرية وتحقق فيها هذه السمات هي فكرة الإسلام عن الكون والحياة والإنسان) .

ويقول المؤرخ الانكليزي الشهير (ارنولد توينبى) في فصل (الإسلام والغرب والمستقبل) من كتابه (الحضارة في الامتحان)

(نستطيع أن نستخلص من الإسلام مبادئ معينة قد يكون لها اذا ما طبقت في الحياة الاجتماعية عند البروليتارية العالمية الجديدة آثارا مستحبة هامة على المجتمع الكبير في مستقبل قريب . هناك مصدران واضحان من مصادر الخطر احدهما نفسى والاخر مادي في العلاقات الحالية بين هذه البروليتارية العالمية والعنصر المسيطر في المجتمع الغربى المعاصر ، هما : الشعور العنصرى والمشروبات الكحولية وان لروح الإسلام في كفاح هذين الشرين فضلا كبيرا تؤيده ، وقد يبرهن اذا ما طبق انه يشتمل على قيم خلقية واجتماعية سامية . ان من أبرز ما حققه الإسلام انعدام الشعور العنصرى بين المسلمين وان واقع العالم اليوم في حاجة صارخة الى الدعوة للفضيلة الإسلامية ، ويحق لنا ان نرى في روح الإسلام مددا يأتى في إباته

يفصل في هذه القضية لصالح التسامح والسلام)
على أن هذه الفكرة ، فكرة قيام الإسلام بدور حضارى جديد قد تقابل بالاستخفاف أو على الأقل بالاستبعاد ، سيما من أولئك الذين سلبتهم الحضارة الغربية ثققتهم بأنفسهم وبأمتهم وبدينهم فأصبحوا يعدون حتى حماقاتها وسفاسفها تقدما و (مودة) .

ونحن نقول ما قاله المفكرون الاجتماعيون (من أن انهيار الحضارة الغربية وانتقال الدور الحضارى الى الإسلام لا يتم في عشرين سنة أو نصف قرن مثلا فقيام الحضارات وانهيارها سنن طبيعية لا تتخلف وإذا بدا الخلل في قاعدة قلعة حصينة ففقد بيدوا للعيان أمدا طويلا إنها في ذروة قوتها وهى مع هذا آخذة في الانهيار)

ببد أن الإسلام بالرغم من عالميته وبالرغم من قدرته على البقاء — يلبى الفطرة البشرية تلبية كاملة — تواجهه خلال حياته الطويلة محاولات متنوعة في الداخل والخارج لتثويبه أن الإسلام وان كان كالحياة كلاهما دائم الشباب دائب الحركة مستمر النمو لا يعرف الركود ولا يصيبه هرم أو تعطل لما فيه من حيوية لا تنفذ ومادة لا تفتنى ومن ثم فهو لا يتخلف عن ركب الحياة ولا يعجز عن مسايرتها مهما انتقلت من طور الى طور — تواجهه خلال حياته الطويلة محاولات متنوعة من الداخل والخارج لتثويبه والخروج به عن مفاهيمه والانحراف به عن طريقه ، والبعد به عن روحه والتاريخ يشهد بأن الإسلام كان عرصة لانتحال المبطلين ، وتحريف الغالين ، وتأويل الجاهلين ، ودخلته بدع وخرافات وتسربت اليه الوثنية عن طريق التقليد والجهل وفشت فيه — وما تزال — مفاهيم منحرفة مضطربة ومنكرات جاهلية ومن ثم كان التجديد وكان المجددون في كل عصر للتذكير بقيمه الأساسية والكشف عن جوهره الحقيقى وإيقاظ القلوب حوله ، وتخليصه من البدع

وجهودا خاصة وانما هي لمحة خاطفة قد تثير جانباً من جوانب الموضوع ...
وما زال الحديث يؤكد ناموس التجديد للإسلام فقد قال صلى الله عليه وسلم (ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)

وقد اتفق الحفاظ على انه حديث صحيح ومن نص على صحته من المتأخرين الحفاظ أبو الفضل العراقي والحافظ أبو الفضل ابن حجر في مناقب الشافعي . أما المتقدمون فقد ذكر السيوطي في كتابه (التنبيه ...) انهم جميعاً لجؤوا بذكر هذا الحديث .

وسواء اكانت فكرة التجديد مبكرة أم متأخرة فانها قضية معروفة خاضتها افكار الباحثين واقلامهم مما يجعل المتحدث عنها اليوم في أمن من الحرج ...

ومن الحقائق البديهية التي قد يعرفها كل من له الملم بتاريخ الإسلام أن سلسلة الإصلاح والتجديد متصلة الحلقات بحيث لا توجد فترة من الزمن لم ترتفع فيها صيحة الحق تعارض التيار المتحرف ، وتكافح الفساد الشامل ، وتدعو الى تصحيح المفاهيم وتصون المجتمع من الانتكاس وتفتح نوافذ جديدة في التفكير ، وهذه الثورة الضخمة وهذا الرصيد الشامخ الهائل ، الذي نعزز به ونفاخر الامم والاديان ، والذي يتمثل في العلم الواسع ، والعقيدة المحفوظة ، والايمان القوى ، والسنة الخالصة ، والاخلاق القويمة والنقمة والتشريع كل ذلك وأكثر ندين به لاولئك المصلحين المجدين الذين ظهروا في مختلف العصور الاسلامية ، فوقتوا انفسهم لخدمة الاسلام على انه اصلاح للحياة ، واحكام للصلة بينه وبين قافلة الحياة حتى يشرف على سريها . .
قال صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى تقوم الساعة)

والخرافات والشوائب التي الحققت به وهو منها برئى حتى يعود الى منبعه الاصلى . وبذلك يتجدد الاسلام وتعود اليه قدرته فاذا به روح جديد قوية تنطلق من جديد في طريق فسيح تعطي الحياة البشرية غذاءها وتدفع بها الى الحركة واليقظة والبناء مثله في ذلك مثل (الجرى الطويل من النهر حين يترك مندفعاً لاتحوطه وسائل الحماية من شواطئ عالية او سدود تحول بينه وبين ان يفقد مجراه الاصلى) ومن هنا كان ظهور المجدين للفكر الاسلامي امراً ضرورياً للحيلولة بينه وبين التوقف او ترك مجراة الاصلى .

وكانت فكرة التجديد انشودة كثير من رجال الفكر الاسلامي ، في مختلف عصوره ، وبلغت العناية بها الى حد ان اُفردت بالتأليف والمقالات والابحاث المستفيضة ، فهذا الامام السيوطي الذي توفي في اوائل القرن العاشر الف منظومة في بيان اسماء المجدين الى عصره سماها (تحفة المهتدين في بيان اسماء المجدين) ووضع كتاباً في التجديد والمجدين سماه (التنبيه بمن يبعثه الله على رأس كل مائة) وهذا المراعى الجرجاوى من علماء القرن الرابع عشر يكمل منظومة السيوطي باسماء المجدين بعد عصر السيوطي ، ويشرحها كما شرح منظومته الكاملة الى الان وسماها (بغية المقتدين ومنحة المجدين على تحفة المهتدين) وجاء الاستاذ امين الخولى فوضع كتابه (المجددون في الاسلام) الذي طبعه سنة ١٩٦٥ على اساس الكتابين المذكورين (التنبيه للسيوطي ، والبغية للجرجاوى)

وليس من قصدنا ان نستقرئ اسماء من كتبوا قديماً وحديثاً في التجديد وانما نريد فقط ان نسجل اهمية هذا الموضوع ومدى عناية الباحثين به كما نريد ضمن ذلك ان نلفت النظر الى اننا لا نطمح ان نفى الموضوع حقه في هذه العجالة فذلك مالا نطمح اليه لانه يتطلب وقتاً متسعاً

لواء الإصلاح بالتوجيه ، وحفز الهمم لرد العوادي عن الاسلام وكيان المجتمع عن طريق الاقتناع والمواجهة في النوادي والمعاهد والمساجد وفي مختلف المناسبات ...

والمحوظ أن المصلحين المجددين يواجهون في كل عصر مقاومات وخصومات ، ويبدوا ان ما واجهه المصلحون في الفترات الاخيرة من التاريخ اعنف وخطر ذلك لانهم بالاضافة الى خصومات العامة الذين يفضلون ابقاء الحال على ما كان عليه من ركود وجمود ، قد واجهوا مقاومات اشد واعنف من قوى الاحتلال والاستبداد التي كانت تعمل من أجل أن يظل المسلمون على مفاهيم جامدة اتصلت بدينهم من اسرائيليات ووثنيات وشبهات فلسفية وبدع وخرافات ، ... زيادة على الافكار السامة التي ييئها الفلاسفة الماديون امثال نيتشة ولوريس ، وديوى ، وفرويد وليم سميث ودارون ، وماركس ودر كايم ... اولئك الذين لا يسلمون بوجود الروح ولا القوى الغيبية ولا يرون ان (القيم الاجتماعية العقلية والتعاليم الروحية باقية) .

ولكن بالرغم مما يلاقه المصلحون المجددون في طريق دعوتهم من عقبات كداء ، وعراقيل متنوعة ، فهم المنتصرون لانهم يملكون ايمانا قويا جديدا وسموا روحيا وتفتانيا في المبادئ والمعتقد ، ومستوى عقليا وعلميا بعيد الحدود ولانهم قبل كل شيء يمشون بنور الله في الناس فكانوا اجلاء بجلال الحق اقوياء بقوة الايمان عظماء بعظمة الاسلام ...

ذلك هو الاسلام في عالمته وتجديده، وخلوده وسيبقى عالما ومتجددا وخالدا يحمل الشعلة للضالين في متاهة الحياة ، ويمد الانسان ثراء لا يغيض ، ويراقب سيرة في الحياة حتى لا ينفصل عن السماء فيتردى في حضض المادية المطلقة

ولا يقسع الا مجلد لذكر كل من ساهم بجهود مخلص في سبيل بقاء الاسلام حيا خالدا دائم التطور ، دائم الشباب ، فاذا علمنا أن الصحابة المجتهدين بلغ عددهم — كمام نص على ذلك الامام السيوطي — مائة الف واربعة عشر الف مجتهد وان كل واحد منهم قد وضع لبنة في هذا الصرح الشامخ ، ادركنا أن استقرار المجددين في مختلف العصور الاسلامية شيء لا يطمع فيه .

وحسبنا أن نستعرض أسماء طائفة قليلة منهم دون التعرض لتحديد عصورهم ، ودون التدخل في مناقشة العلماء فيما اختلفوا فيه من تعدد المجددين في كل مائة سنة ، وفي تقسيم هذا على ذاك واعتبار هذا دون ذاك ...

وقد ظهر المصلحون المجددون في القرون على الاسلام جنته وشبابه عمر بن عبد العزيز — الامام محمد بن ادريس الشافعي — ابو العباس ابن سريج — ابو سهل الصعلوكي — ابو الحسن الاشعري — القاضي الباقلاني — ابو نصر الماتريدي — ابن حزم — الغزالي — ابن تيمية — وغيرهم كثير ...

وقد ظهر المصلحون المجددون في القرون الاخيرة عبر العالم الاسلامي من امثال محمد عبد الوهاب (نجد) الشوكاني (اليمن) شبلي نعماني (الهند) البيطار (سوريا) القاسمي (دمشق) محمد بن العربي (المغرب) جبال الدين الانغصاني ومحمد عبده (مصر) الطاهر بن عاشور (تونس) وعبد الحميد بن باديس (الجزائر)

وكان دعاة الإصلاح والتجديد في هذه الفترة احد رجلين : (مفكر) يحمل القلم يصحح المفاهيم ويكشف عن جوهر الاسلام و (مصلح) يحمل

فيصاب بالجفاف والخواء وهو في عالميته وتجده ينتظر دوره لقيادة الحضارة الإنسانية من جديد ...

واننا حين نمسك بزمام الحضارة المرتقبة - كما قال يوما الدكتور مصطفى السباعي - لن نتخذ من الوصول الى (القمر) دليلا على انكار وجود الله ، وان نتخذ من الصواريخ عابرة القارات ذريعة الى تهديد الامم ، والشعوب لتظل تحت دائرة نفوذنا ، ولن نتخذ من الاذاعة وسيلة للتضليل ولا من السينما آلة للاغراء ولا من المرأة متعة للجسم ولا من التقدم الحضارى اداة لاستغلال الشعوب المتخلفة واستعمار خيراتها واذلال كرامتها ... بل لتحقيق للانسان قسطا كبيرا من الامن والطمانينة والحياة الانسانية المستقرة

محمد الصالح الصديق

مراجع البحث

التبئية بمن يعثه الله على رأس كل مائة السيوطى
مجلة (المسلمون) العدد - ١٠ ١٩٥٣
عددان من (منبر الاسلام) ١ ٥/١٩٦٦
١٩٦٤
المنتقى فى التربية ج السادس (م) محمد
الصالح الصديق

الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد
الامم والرسالة للشافعى
المطلى لابن حزم
تاريخ الخلفاء للسيوطى
اعلام الموقعين ابن القيم
القيم الاساسية انور الجندى
المجددون فى الاسلام امين الخولى



المجابهات الثقافية

في الجزائر المستعمرة
من 1830 إلى 1880

كان الاستاذ مولاي بلحسين قد تولى
تقديم هذا الكتاب في العدد السابق وصادف أن
تناول نفس هذا الكتاب الاستاذ الشيخ بومعران ،
ونحن ننشر تقديم الاستاذ بومعران لنفس الكتاب
لانه تناولوه من زاوية مختلفة .

تأليف : د. تورين

تقديم : بومعران الشيخ

استاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر

موضوع هذا الكتاب هو المجابهاة الثقافية في الجزائر المستعمرة وخاصة في المدارس والطب والدين ويشمل فترة خمسين سنة من ١٨٣٠ الى ١٨٨٠ الفته الاستاذة « ايفون تورين » التي تدرس التاريخ في جامعة الجزائر وكانت تدرس سابقا في جامعة الرباط وجامعة باريس وقد اهتمت كثيرا بالمغرب العربي في عهد الاحتلال ولها مؤلفات كثيرة - ويمتاز البحث باعتماده على وثائق هامة كانت سرية قبل اليوم واصبحت الان في متناول الدارسين ، قسم منها بباريس وقسم آخر بمدينة ايكس .

غير ان هذه الوثائق كلها من مصادر فرنسية وينبغي ان تقارن بمصادر جزائرية واجنبية لنختبرها اختبارا علميا موضوعيا ومهما كان من الامر فان هذا الكتاب اتى بمعلومات مفيدة جمعتها الاستاذة وربتها بعد جهد كبير وصبر طويل والقي بحثها اضاء جديدة على وقائع كنا نعرفها جملة وعلى احداث يقصر المامنا بها على جوانب هامشية ، وحاولت ان تشرح مواقف كل من المستعمرين ومن الوطنيين ووضعت صراعهم الطويل في ظروفه التاريخية ، ونعرض هنا باختصار وضعية التعليم والثقافة في بداية الاحتلال ثم استعمال الطب لاغراض سياسية واخر المجابهاة التي قامت في هذه المجالات .

يأتيه الطلبة من عدة جهات (ص ٢٤٨)
 * وهران - مدرسة الشريعة (ص ٢٢٠)

* تلمسان - المدارس : ٥٠ ، المعاهد : ٣ ،
 الزوايا : ٣٠ ، في المدينة ٢٠٠٠ تلميذ و ٦٠٠
 طالب ونظام داخلي في المعاهد يحتوي التدريس في
 المرحلة الاولى على الكتابة والقراءة والنحو
 والحساب والقرآن ، وفي المعاهد والمساجد
 يدرس الادب والتاريخ والفقه والتوحيد .

والجدير بالذكر ان الدولة لم تنفق على
 المؤسسات ولم تخصص لها ميزانية وانما كانت
 الاوقاف تتولى ذلك ، وكان رجال التعليم والثقافة
 يتمتعون بمكانة ممتازة في المجتمع (ص ٨٣) وتذكر
 المصادر ان العلاقات بينهم وبين البلاد العربية
 كانت متواصلة ، وكان الطلبة يذهبون الى تونس
 والمغرب الاقصى والى المشرق ليستكملوا تعليمهم
 (ص ١٢٢ - ١٢٩) وبعد التحصيل في المدارس
 والمعاهد كانوا يشتغلون في الوظائف المختلفة ،
 الامر الذي لم يتحقق في عهد الاحتلال .

١ - وضعية التعليم والثقافة في بداية الاحتلال
 بين الكتاب ان المدارس والمؤسسات الثقافية
 كانت منتشرة في كافة انحاء الوطن وان مستوى
 التعليم العام في بلادنا لم يختلف عما كان عليه في
 المدارس الفرنسية . وذلك باعتراف « دوماس »
 (ص ١٢٧) ووردت في البحث ارقام واشارات
 مبعثرة هنا وهناك نرتبها حسب المدن والناطق
 فيما يلي :

* عنابة - المدارس : ٣٩ ، المساجد : ٣٧ ،
 الزوايا : زاوية سيدي بن عبد الرحمن وزاوية
 سيدي عبد القادر ، بعد الاحتلال لم يبق الا ٣
 مدارس و ١٥ مسجدا (ص ١٣٤) .

* قسنطينة - المدارس ٨٠ المعاهد ٧ المساجد :
 ٣٥ ، في المنطقة : ٣٠٠ مدرسة وزاوية شطابة ،
 وبعد الاحتلال بقيت ٣٠ مدرسة (ص ١٣٥) .

* تيزي وزو - عدد غير محدد من المدارس
 والزوايا يتردد عليها تلاميذ وطلبة كثيرون (ص ١٣١)

* العاصمة - المدارس : ٢٤ ، في المنطقة :
 ٢٩٩ مدرسة و ٥٥٨٣ تلميذا (ص ٢٤٣)

* مازونة - معهد للدراسات الفقهية مشهور

٢ - سياسة الاستعمار الثقافية :

تتلخص أهداف هذه السياسة في القضاء على الثقافة الوطنية ونشر التعليم الفرنسى مكانها ، وكان الغرض من هذا التعليم أن يتحول المجتمع الجزائرى تحويلا كليا يجعله يخدم مصالح المستعمر (ص ٧٣) ، ولهذا انتهجت السلطة الفرنسية سياسة - الاندماج -

وارتأت ان التعليم هو احسن وسيلة لتحقيق تلك السياسة ، وارتأت ان تزيل « الافكار المتخلفة » المتفشية بين الاهالى ومعنى هذا القضاء على ثقافتهم ولغتهم وشخصيتهم - وهكذا تتمكن الدولة المحتلة من السيطرة على الوضع ويتركز نفوذها في البلاد ، وفي النهاية - يتقبل السكان النظام الجديد ويرضون به ولا سيما في المدن (ص ١٦٤) وجاء في تقرير أحد المسؤولين « ان بناء مدرسة افضل من غيلتين لاقرار الامن » (ص ١٦٥) .

وتخيل للمستعمرين ان التعليم يستطيع مزج العناصر البشرية المختلفة بفضل اختلاط الاطفال في المدارس وبهذه الصورة تتكون وحدة شاملة من شعبيين متضادين (ص ٢١٣) وبدا العمل على تطبيق هذه السياسة في مراحل تضمن لها النجاح وتجعل الاهالى لا ينفطنون الى ابعادها وتنحصر المرحلة الاولى في مراقبة التعليم الاصلى ومؤسساته ورجاله مع محاولة « توجيهية » نحو اغراض المستعمر ، والتدريج ضرورى حتى لا يثار « التعصب » والفهم من هذه الكلمة ان السلطة الاجنبية كانت تخشى معارضة الشعب لخطتها (ص ٧٢) ، وعندما تبين لها انه لا يمكن اقناع الكبار بتزاهتها صرقت جهودها نحو الاطفال الصغار ليتلقوا التعليم الفرنسى ويتقربوا من الذين حملوا اليهم « الحضارة » (ص ٧١) وهكذا شرعت المدارس الرسمية في بث الدعاية الاستعمارية ، وعلى سبيل المثال ننقل هنا « حكمة » وردت في كتاب مدرسى للاخلاق يقول : « ان الرجل الحر من بين كافة الناس هو الذى يستطيع ان

يبقى حرا حتى في حالة الرق » (ص ٦٤) وهكذا أصبح التعليم يحاول عبثا تبرير الاحتلال والاستبداد اما المرحلة الثانية فتنلخص في الاستيلاء على التعليم الوطنى وانشاء تعليم رسمى يقوم مكانه ويحقق للمستعمر تنفيذ سياسته مباشرة ، وبرزت هذه السياسة في مصادرة « الاوقاف » التى كانت تمول المدارس والمساجد والزوايا وتنفق على المعلمين والطلبة . وقد تم ذلك سنة ١٨٤٣ وكانت النتيجة الحتمية اغلاق الكثير من المدارس والمعاهد وتفقير رجال التربية والثقافة وتشريدتهم واهمال التعليم العربى (ص ٢٢٣) ، ولم تكف السلطة الاستعمارية بذلك فضايقت المعلمين واضطهدتهم لانهم كانوا يحرضون على محاربتها فقررت وزارة الحرب الفرنسية مراجعة المؤهلات العلمية ونظمت « اختبارات » جديدة فرضتها على رجال التعليم لمنع الكثير منهم من التدريس بدعوى انهم « مشبهون » (ص ٢٠٨) وطردت « الاجانب » منهم وخاصة المغاربة والتونسيين (ص ١٩٢) - وادى الاضطهاد بالكثير من اهل العلم والثقافة الى مغادرة الوطن ففترقوا على البلاد العربية (ص ١٢٩) واغلقت جل المدارس والمساجد والزوايا او حولت الى اغراض اخرى وقد اعترف « الدوك دو مال » - الوالى العام - بذلك في تقرير له قائلا : « قد تركنا في الجزائر واستولينا على المعاهد وحولناها الى دكاكين او تكنات او مرابط للخيل واستحوذنا على اوقاف المساجد والمعاهد » (ص ١١٩)

وعندما اتضح ان استخدام التعليم الوطنى لمصالح المستعمر أصبح غير ممكن عولت السلطة على احداث مدارس خاصة بها وشرعت في بناء « المدارس العربية - الفرنسية » (ص ٢١٣) هادفة الى تنفيذ سياستها الاستبدادية مستعملة المدرسة والدين كوسيلة لذلك وقد وردت هذه الفكرة في تقرير رسمى الذى قال : « ان المدارس والدين يستثمون تحت حمايتنا في صالح حكنا »

الثلاث غرض آخر وهو منافسة الزوايا التي كانت تقاوم السياسة الأجنبية (ص ١٨٥) أما المدارس الابتدائية فكانت تعمل على نشر تعاليم لاتتفق طبعاً مع التقاليد الوطنية ، مثلاً في تعليم الاخلاق اعتمد الكتاب المدرسى على الانجيل ! (ص ٢٦٠) ومع ذلك كله حاول رجال التعليم « في المدارس العربية — الفرنسية » ان يقربوا بين الاطفال الجزائريين والاوربيين ولكن الاباء لم يوافقوا ، فطالب المعلمون بمدارس خاصة بهم وعارضوا تعليم الاهالى (ص ٢٩٥) ورفض الجزائريون سياسة « التقرب » ففشلت المحاولة وضعت المدارس العربية الفرنسية ثم اغلقت حوالى ١٨٨٠ وخلفها نظام جديد مبنى على التمييز العنصرى وفصل تعاليم الاهالى على التعليم الاوروبى .

٣ — الطب وسيلة سياسة

ومن ناحية اخرى حاول المستعمر ان يستعمل الطب كوسيلة سياسية ، انه تفهم ان ليس له تفرق اخلاقى على الاهالى الدين كانت لهم حضارتهم فآراد ان يثبت تفوقه فى المجال العلمى (ص ٥٨) ، فركز جهوده على نشر الطب مستهدفا كسب الراى العام والتقرب من السكان (ص ٣٢١) تلك الخطة التى فتمثل فيها فى المجال الثقافى والتعليمى (ص ٣٠٧) وكانت الظروف مناسبة لان الشعب كان لا يعرف الطب الحديث وكان يعتمد على التقاليد فقط وعلى التوكل (ص ٨٦ و ١٤٦) ، ولم يدرك المستعمر ان الاهالى لم يتقوا بعمله وتقدمه وفضلوا تحمّل الامراض والمشاق على استعمال الطب الاجنبى الذى كان يرمى الى اغراض سياسية واضحة .

فلجأت السلطة الى العنف وفرضت العلاج بالقوة ، الامر الذى جعل صاحبة الكتاب تتساءل فى نجاعة تلك الطريقة — أما السكان فحاربوا الطب الاستعمارى كما حاربوا التعليم الاجنبى ، فوقع صراع كبير بين الاطباء والحكام الفرنسيين من ناحية وبين الاهالى وقادة المقاومة الوطنية من

(ص ٢١٨) ، وكان المنتظر من بناء المدارس « تدعيم السلم » بفضل التعليم باللغتين العربية والفرنسية (ص ٢٥١) غير ان الاولوية كانت للفرنسية كما يظهر ذلك من خلال البرامج (ص ٧٦) التى ركزت على نشر الفرنسية على نطاق واسع ذلك على حساب العربية التى رأت السلطة انها ليست صالحة لكسب العيش ونيل الوظائف ، الامر الذى قلل من شأنها فى نظر الناس ووضعت السلطة كتباً مدرسية بالعربية لتوجيه التعليم العربى توجيهها يناسب اغراض المستعمر وقام بتأليف هذه الكتب عدد من المستشرقين (ص ١٠٢) الذين نقلوا ايضا بعض الآثار العربية الى الفرنسية قصد التفاهم والحوار بين الثقافتين ونذكر منهم « سولفى » و « شربونو » و « بوسية » و « وروسلا » واهتمت السلطة

بأبناء « الاعيان » من الاهالى ففتحت لهم معهداً خاصاً بمدينة باريس ليقوم بتعليمهم واعدادهم لمهام سياسية ولكن المقصود من ذلك كان الضغط على « الاعيان » اذا فكروا فى التمرد على الحكم الاجنبى ، غير ان الغرض لم يتحقق لان « الاعيان » لم يتقوا بنية المستعمر ، ففشل المشروع واغلق المعهد الباريسى (ص ٦٩) .

ومن ناحية اخرى قررت السلطة حصر التعليم فى نطاق ضيق لانها كانت تخشى انتشار الثقافة وتعميم التعليم وما قد ينجم عن ذلك من نتائج سياسية ، فعنعت الجزائريين من الالتحاق بالمعاهد الجامعية حين تذكرت ان يوغورطة نشأ فى المعاهد الرومانية ولم ترض السلطة المحتلة ان يخرج ثوار مثل يوغورطة من معاهدها (ص ٧٥) واكتفت باحداث ثلاث « مدارس » رسمية فى قسنطينة والجزائر وتلمسان يتعلم فيها عدد قليل من الطلبة الجزائريين اللغتين العربية والفرنسية ويعدون لبعض الوظائف الاهلية التى تحتاج اليها الادارة الاستعمارية — ولهذه المدارس

ناحية أخرى واتخذ هذا الصراع شكل « الحرب النفسية » التي اشتهرت في عصرنا وخاصة أثناء حرب التحرير (ص ٣٥١) .

٤ - المجاهبات والمقاومة الوطنية

قد ادعى المستعمر بأنه جاء « ليمدّن » البلاد وزعم أنه صاحب « رسالة حضارية » ولكن الاهالي لم يغفروا بهذا الستار المزيف وادركوا أغراض المحتل الذي كان يريد السلطة من أجل استغلال ثروات الوطن وتسخير السكان الى تحقيق مصالحه ، فكانت المجاهبات والمقاومة حتمية وطبيعية ، وفي رأى الاستعمار لم يكن الشعب الجزائري الا شعبا « همجيا » لا يستحق السيادة والاحترام يجب « تدمينه » (ص ٨٣) ، وبطبيعة الحال لم يرض شعبنا بفلسفة الاستبداد ورفضها رفضا باتا وقاومها بكل ماله من قوة وقد اكتسبت المقاومة الوطنية اشكالا متنوعة لم يذكر الكتاب منها سوى « المجاهبات الثقافية » وأشار فقط الى الثورات المسلحة وخاصة الى ثورة ١٨٦٤ وثورة ١٨٧١ ، ولم يدرس كفاية أسباب الفشل الاستعماري وإنما لاحظ عابرا التناقض القائم بين سياسة « التقرب » من المواطنين والاستيلاء على أراضيهم (ص ٢٠٠)

بدأت المقاومة بمحاربة المدارس الرسمية وخطة الاستعمار الثقافية ولعب رجال التعليم والعلم والثقافة دورا كبيرا في ذلك وقد اعترف العدو بنفوذهم ، فحرضوا الشعب على رفض سياسة « الاندماج » وبنوا للمواطنين اهدافها وخطورتها وجعلوا من كل مدرسة جزائرية وكل مسجد وكل زاوية مركزا محصنا لمحاربة العدو ، وعملوا على توحيد الصفوف ونسقوا الجهود والاراء حتى أصبح المستعمر يتسائل في سر الوحدة الشعبية القوية بدون أن يلتمس أسبابها الحقيقية واستشهد الكتاب بتقارير ومراسلات ومؤلفات كثيرة تدل على تلك الروح الوطنية — فذكر الضابط « دونوفو » في كتابه « الاخوان » فعالية الحركة

القومية فقال « وبسبب سذاجة المواطنين قد أثر فيهم رجال جاءوهم باسم دينهم وباسم الله وباسم محمد يحرضونهم على الثورة والتخلي عن المحراث — في حين أننا أصبحنا مضطرين الى استعمال القوة لحمل الاهالي على الامتثال لارائنا ولاقتناعهم بأننا نريد مصالحهم » (ص ١١٥) — وشبت « حرب المدارس » بين العدو والسكان وتنافست الثقافتان — فأضحى الحوار مستحيلا بينهما — وهنا نختلف مع المؤلفة التي تقول بأن السلطة احترمت ثقافة الشعب المحتل وتقاليده ، فان من طبيعة الاستعمار أن يحقر الامة المغلوبة وأن يتنكر لحضارتها وشخصيتها ، ولا يعتد الا على قوة السلاح ، أما الشعب المسيطر عليه فإنه لا يقبل الدعاية الأجنبية ولا يرضى باحتلال وطنه واستغلال خيراته — وانتهى البحث باعتراضه خفي السياسة الاستعمارية التي لم تنجح في إيجاد « طريقة للشروع في الحوار وقد ذكر « ماك ماهون » أن « البلاد قدتم احتلالها ولكنها غير خاضعة » ويلاحظ كذلك أن الكتاب لم يعترض للمجاهبات الثقافية الاخرى منها حركة الكنيسة التبشيرية التي ساندت الاحتلال ، ومنها حركة الكتاب والمؤرخين المستعمرين الذين كان لهم شأن في تدعيم الاستعمار مثل « لويس فويو » وغيره .

ونعتقد أن هذين الموضوعين يستحقان البحث ونأمل أن يقوم به الدارسون ، وعلى الرغم من ملاحظتنا على الكتاب فإننا نعتبره من أهم ما صدر أثناء سنة ١٩٧١ ، فبين الصراع الثقافي والأيدولوجي المرير الذي لم ينته الا بتحقيق استقلال الوطن بعد ثورات عديدة متواصلة الحلقات ، ولذا عرفنا القراء به ليستفيدوا منه ويتأملوه .

أبو عمران الشيخ

كلية الآداب الجزائر

التقريف بتراشنا المخطوط

إعداد : رابع نونار

على بن أبي الرجال التاهرتي القيرواني

وأبى المظالم ، رجل الخطب ، وفارس الكتب أبى الحسن على بن أبى الرجال الكاتب ، زعيم الكرم وواحد الفهم الذى نال الرياسة وانفرد بالبسط والقبض واتحد فى الأبرام والنقض ، عن سعى مشكور ، وفضل مشهور وعلم بالوارد والمصادر ، ونظر فى الأوائل والأواخر وتشبع لآثار من سلف من أهل القدر والشرف ، وتقلب فى مجالس الحكم ، بين نوى الأقدار والمهم ، الى أن صار نسيج وحده ، وقريع دهره غير مدافع عن ذلك ، ولا منازع فيه .

ونكر ابن رشيق عنه أنه : « أقام سوق العلم والأدب ، وجعل ذكره باقيا وجده ساميا ، وأيده من النصر والتوفيق ، بما فيه رضا الخالق والمخلوق فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ... » عليه .

عرف الاوربيون المترجم بأثاره كما تقول الدائرة ولا سيما كتابه « البارع فى أحكام النجوم » وقد

حياته : ابن أبى الرجال هو على بن أبى الرجال الشيباني يكنى أبا الحسن وينسب الى القيروان وإن لم يكن منها بل هو من مدينة تاهرت بالقطر الجزائرى كان عالما رياضيا فلكيا منجما واديبا شاعرا نشأ فى قرطبة على ما يرجح ، وعاش مدة فى بلاط المعز بن باديس بتونس ومات بها بعد سنة ٤٣٢ هـ (١٠٤٠ م) كما جاء فى الدائرة والارجح أنه مات حوالى سنة ٤٢٥ هـ .

كان أبو الحسن هذا كافلا للمعز قبل ولايته الملك ثم وزيرا له بعد أن تولى ملك بنى زيرى ، وكانت منزلته لديه سامية ، ونفوذه فى البلاط عظيما فتقرب اليه الأدباء والعلماء وقد أهدى اليه ابن رشيق كتابه العمدة كما أهدى اليه ابن شرف كتابه « رسائل الانتقاد » وقال فيه الأول فى عمدته : أما بعد فإن أحق من جنى ثمر الألباب ، واقتطف زهر الآداب ، منترها فى عقول الحكماء متفكها فى أقاويل العلماء كالسيد الإجمد ، والفذ الأوحد حسنة الدنيا وعلم العليا ، وبانى المكرم ،



نقله الى الاسبانية ، يهوذا بن موسى سنة ١٢٥٦ م ثم نقله من الاسبانية الى اللاتينية بطرس الرجوي واجيديوس التبادي فطبعته ترجمته عدة مرات منذ طبعتها الاولى بالبندقية سنة ١٣٨٥ م ، ومن هنا جاء تصحيح ابن ابي الرجال هكذا : وتصحيح كنيته ابي الحسن هكذا :

ومن آثاره العلمية على ما جاء في دائرة المعارف (١) أرجوزة في الاحكام الفلكية ، طبعته في آخر كتاب كفاية الطالب في الاحكام الفلكية لغزال الموصى وشرحها احمد بن الحسن بن القنفذ القسطنطيني سنة ١٣٧٣ هـ ، ولعل ابا الحسن هذا

هو الذي اعان ابا سهل الكوفي في الارصاد الفلكية التي اجريت في بغداد سنة ٩٨٨ م .

وهذه هي الصورة العلمية لابي الحسن ، واما صورته الادبية فقد تكفل بتشخيصها ابن رشيق في عيده وقد روى لنا عنه مقطوعات شعرية يمكن دراسة شخصيته من خلال ابياتها .

كان ابو الحسن شاعرا لطيف الوجدان ، جيد الاسلوب صادق العاطفة انشا وهو بتاهرت سنة ٤٠٥ هـ مقطوعة في تصوير شوقه ، والتعبير عن حنينه لاهله يقول فيها :

ولى كبد مكلومة من فراقكم
اطامننا صبرا على ما اجنت
تمنكم شوقا اليكم وصبوة
عسى الله ان يننى لها ما تمت
وعيني جفاها النوم واعتادها البكا
اذا عن فكر القيروان استهلت

وعلق ابن رشيق عليها بقوله : لو ان اعرابيا تذكر نجدا نحن به الى الوطن ، او تشوق فيه الى بعض السكن ما حسبته يزيد على ما اتى به هذا الحضرى المتأخر العصر ، وما انحط بهذا التمييز ، ولا اتفق بهذا القول عند مولاى ولا الخديعة مما تظن به ولا فيه ، ولكن رايت وجه الحق معرفته ، والحق لا يظلم ..

في الوصف :

ويقول ابو الحسن في وصف بلاغة أحد الكتاب وجوده خطه :

(١) فضل الانام بفضل علم واسع
وعلا مقالهم بفضل المنطق
(٢) وحكى لناوشى الرياض وقد وثت
اقلامه بالنقش بطن المهرق

وقال ايضا في آخر :

(١) اذا نقشت يمينك في الطرس اسطرا
حكيت بها وشى الملاء المنضد
(٢) يروق مجيد الخط حسن حروفها

ويمعجب منها بالمقال المسد
وقال أيضا في الاصطباح بالخمرة وتعاطى لذات
الحياة قبل هجوم المنية (١) :

بكر الراح ودع عنك العذل
واسع في الصحة من قيل العلل
واغتتم لذة يوم عاجل
فالمنايا ضاحكات بالامل
ما ترى الساقى كشمس طلعت
تحمل المريح في برج الحمل
ماتسا كالفصن في دعص نقا
فاتن المقلة زينت بالكحل

في الفزل :

وانشا أبو الحسن في الفزل مقطوعات جيدة
وهي رغم ماديتها نجد فيها نفسا روحيا رقيقا
ومعاني لطيفة ومنها قوله :

خليلى ان لم تساعدانى فاقصرا
فليس يداوى بالعتاب المتيم
تريدان منى التمسك في غمر حينه
وغصنى ريان ورأسى اسحم

وقال من مقطوعة يتغزل فيها بفتاة حضرية
وهي كما يقول ابن رشيبي ذات طبع رقيق ومعاني
رقيقة مؤثرة في النفس والقلب :

(١) غراء واضحة ينوس بقرطها
جيد حكى جيد الفزال الاعنق
(٢) صدت فاغرت بالسجوم مدامى
والعين تنرف بالدموع السبق
(٣) تشكو البعاد اذا بعدت تصبرا
وان ارتجعت الى الزيارة تفرق
(٤) ولقد يبيت اخو المودة لائمى
في جبهه لوم الشفيق المشفق
(٥) حتى اذا طلعت فابصر شخصها
اخزى جهالة لائمى المستحمق

(٦) كم قطعت بوصلها من ليلة
وبشرب صافية كلون الزئبق
(٧) يسمى بها كالبدر ليلة تمه

سحار الحاظ رخيخ المنطق
(٨) آليت اترك ذا وتلك وهذه
حتى يفارقتى سواد المنطق

في الشكوى من الدهر واهله :

وحينما تنكر الدهر له تضجر وتالم ومسخط
على معاصريه وعصره فغال شاكيا داعيا الى
الزهد والمثاب :

(١) امس الزمان زمانة العقل
فاخشى الاله وحل عن الجهل

(٢) واعلم بان في الحساب غدا
تجزى بما قدمت من فعل

وقال أيضا :

(١) ايارب ان الناس لا ينصفوننى
ولم يحسنوا قرضى على حسنانى

(٢) انا ما راونى في رخاء ترددوا
الى واعدائى لدى الازمات

(٣) ومهما اكن في نعمة حزنوا لها
نوو انفس في شدة جذلات

(٤) ثقاتى ما دامت صلاتى لديهم
وان عنهم اخرتها فعدائى

(٥) سامنع قلبى ان يحزن اليهم
واصرف عنهم قالييا لحظائى

(٦) والزم نفسى الصبر ابا لعلى
اعايش ما املت قبل مماتى

(٧) الا انما الدنيا كفاف وصحة
وامن ثلاث هن طيب حياتى

في الفخر بقبيلته : وقال بغر بقبيلته شيان ،
ويشيد بامجادها منذ التديم :

(١) يا آل شيان لا نحارث نجومكم

ولا خبت ناركم من بعد توقيد
 (٢) انتم دعائم هذا الملك مذ ركضت
 قبل الخيول لابرام وتوكيد
 (٣) سيوفكم افقدت كسرى مرازيه
 في يوم ذي قار اذ جاؤوا لمعوود

في العتاب والهزاء : ويعتب على بعض اصدقائه
 فيلومه لوما خفيئا وتديهجوه ولكن هجوه لا يتعدى
 النقد البريء فيقول :

(١) وابنى لا طرى كل خل صحبتبه
 وانت ترى شتى بغير حياء ؟
 (٢) ستعلم يوما ما اسات لصاحب
 بكرم اخلاقى وحسن وفائى

هذه نبذة عن ترجمة ابن ابي الرجال تقدم الينا
 صورة موجزة عن حياته الادبية اللامعة ، وهناك
 وجه آخر لابن ابي الرجال قد امتاز به في بلاط
 القيروان عن معاصريه وهو جانب العلمى الذى
 تفوق به على معاصريه هناك ، وقد اشرنا في مطلع
 هذه الترجمة الى ان المترجم كان عالما باحثا في
 النجوم ، وقد ترك لنا في الموضوع كتابا جليلا هو
 كتاب البارح في احكام النجوم الذى ترجم الى عدة
 لغات ، واعتبر تراثا جليلا انتجته عبقرية مغربية
 في العصر الوسيط .

والكتاب توجد منه نسخة بالمكتبة الوطنية تحت
 رقم ١٥١٦ خطها شرقى جميل ، ومسطرتها ٢٩
 سطرا ، وحجمها ١٩٠ / ٢٦٠ ملم .

ونجد في الصفحة الاولى من النسخة نص
 تحببىس محمد بن حسن خوجة لها على اولاده
 ثم على جامع كيتشاوة بتاريخ اواسط جمادى
 الثانية لعام ١٢٣٩ هـ . والمؤلف يقول في مقدمة
 كتابه : هذا كتاب جمعت فيه من معانى في علم
 النجوم ، وغرائب أسوارها ، واخترته من علوم
 علمائها ، واضفت اليه تجربتى ، وان كانت
 النجوم أكثر وأعظم من أن يحاط بها ، أو يقدر
 العالم على ايضاح جميعها . ثم اخذ يذكر اقسام
 الكتاب وأبوابه في ترتيب منطقى ، وبأسلوب
 أدبى خفيف .

والكتاب يعتبر من ذخائر تراثنا الفكرى تزدان
 به مكتبتنا ، وتسمو به أصالتنا في مجال الإبداع
 العلمى والحضارى .

ولاشك ان هذا سيحفزنا على أن نولى هذا
 الكتاب ما يستحقه من عناية واهتمام ونحن في
 فترة احياء تراثنا الوطنى والعمل على اعادة
 المقومات الاساسية لشخصيتنا وأصالتنا .

(١) دائرة المعارف لغزاد افرام البستانى ج ٢ ص ٢١٠ — المدة لابن رشيق ط ٢ مصر سنة ١٩٥٥ ج ١ ص ١٥
 (٢) المنتقيات لحسن حسنى عبد الوهاب ص ٧٦ . (٢) المدة ج ١ ص ٤٤ .
 (٣) المدة ج ٢ ص ١١٠ .

• النشاط الثقافي •

من نشاط وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية

القطاع الصحراوي :

وفى هذا النطاق قام السيد مدير التعليم الاصلى ونائبه بزيارة ولاية السائرة اتصلا خلالها بالسيد منتش التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالولاية فى بشار فتدارسا معه الحالة الدينية بالجهة ونشاط الائمة فى حملة محو الامية وأوجه النشاط الدينى الاخرى ، وقاما بزيارة الى مقر الولاية لمعقدا خلالها جلسة عمل مع السيدين رئيس الديوان ، ورئيس دائرة ادرار ، كما زارا خلالها ثانويتى التعليم الاصلى بأدرار العاملة منها والتي هى فى طريق البناء ، وقد عقدا اجتماعا مع السيد مدير الثانوية استعرضا خلاله مختلف أوجه نشاط هذه الثانوية والصعوبات التى تواجهها وتحد من نشاطها ، ووضع الحلول التى يمكن أن تقضى على هذه الصعوبات .

٢ (القطاع الشرقى :

ولاية القبائل الكبرى : بناء على ما تقرّر فى الاجتماع الاخير لمفتشى وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية من احصاء الزوايا لتي تعلم وتطویرها وادخال التحسينات على برامجها وعلى سيرها حتى تتماشى مع العصر قام وفد من الوزارة بزيارة ولاية تيزى وزو طاف خلالها على جميع الزوايا التى تضم عددا كبيرا من طلبة القرآن الكريم ، وقد لاحظ هذا الوفد كثرة الاقبال على هذه الزوايا من مختلف نواحي البلاد لما عرف عنها من تحفيظ كتاب الله الكريم وحلقات الدروس فى العلوم الشرعية واللغوية ومما يأسف له أن أغلب هذه الزوايا ما تزال تتبع

شهدت مساجد البلاد كلها الانطلاقة الثانية لمكافحة الامية ومحاربة الجهل فى بداية السنة الدراسية الجارية ، كما شهدت مؤسسات التعليم الاصلى نشاطا كبيرا يتناسب ومسؤولية هذه المؤسسات فى نشر الثقافة القومية والوعى الدينى الصحيح ، وحتى تأتى هذه المجهودات بثمارها المرجوة منها والتي ينتظرها كل مواطن مخلص لدينه ووطنه وعملا بسياسة المتابعة والاتصال المباشر نظمت الوزارة سلسلة من الجولات حسب المخطط الاتى :

١ (القطاع الغربى :

قام السيد مدير التعليم الاصلى ونائب مدير الشؤون الدينية بزيارة لهذا القطاع دامت اسبوعا كاملا اطلعا خلالها على سير عملية محو الامية فى المساجد وعلى الرغم من أن هذه العملية تسير سيرا حسنا الا انهاما قدما بعض الملاحظات التى من شأنها أن تضمن فاعلية اكبر حتى تأتى هذه الحملة بالنتائج الايجابية المرجوة منها .

كما زارا مؤسسات التعليم الاصلى العامة والتي فى طور البناء فى كل من وهران وسيدى بلعباس ومستغانم ، ومعسكر ، وتلمسان والاصنام ، وقد عقدت جلسات عمل مع السادة مديري هذه المؤسسات درست خلالها مختلف أوجه النشاط الادارى والتربوى كما قدمت لهم التوجيهات فى كيفية سير الدروس ونشاط التلامذة حسب الاساليب التربوية الحديثة ، كما أبرز الدور الهام الملقى على المدير من الجانبين الادارى والتربوى ،

الطرق العتيقة في التعليق ولهذا نهى في اشد الحاجة الى تجديدها وبعث الحياة فيها واعطاها حقنة من الدماء التي تمنها من مواصلة السير لانها المنبع الاول والاصيل لأممد الحياة الدينية بالأطار الكفاء وقد اغتنم الوفد هذه الفرصة فزار مؤسسات التعليم الاصلى في هذه الولاية ، كما عقد جلسة عمل مع السيد والى ومحافظ الحزب ورئيس مجلس الولاية توفقت فيها مختلف القضايا التى تهم وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى لنطقة .

الدورة التدريبية الخاصة لمكافحة الامية :

نظرا للاهمية القصوى التى تعقد على دور المسجد فى مكافحة الامية فقد نظمت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالتعاون مع المركز الوطنى لمحو الامية دورة تدريبية خاصة دامت ١٥ يوما لاربعة اياما ينتمون الى ولايات : الجزائر الاصنام ، الحدية ، القبائل الكبرى لاطلاعم على افضل الطرق واحداث الاساليب لتعليم الكبار .

وتعتبر هذه الدورة الثانية بعد الدورة الاولى التى وقعت فى السنة الماضية بوهران كما ستتلوها دورة ثالثة فى السنة القادمة بمدينة قسنطينة .

وقد اشرف على افتتاح هذه الدورة كل من السادة مدير التكوين فى وزارة التعليم الابتدائى والثانوى والسيد مدير المكر الوطنى لمكافحة الامية والسيد نائب مدير الشؤون الدينية ، وقدلقى الاخوة الثلاثة كلمات اكدوا فيها على دور الامام فى الحملة الوطنية لمحو الامية خاصة وان المسجد موجود فى كل مدينة وكل قرية .

— قام السيد مدير الشؤون الدينية ، والسيد المفتش المركزى بالنيابة بتنصيب السيد بلقاسم كحلة ، الاستاذ سابقا بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى ، مفتشا لولاية قسنطينة .

وقد تم هذا التنصيب يوم الاثنين ١٢ شوال ١٣٩١ هـ ١٩٧١/١١/٢٩ م بدار الولاية بمحضر السلطات المحلية ، المدنية منها والعسكرية .

كما جمع السلك الدينى العامل بالولاية بمناسبة تقديم المفتش الجديد لهم ، وقد اغتنم مدير الشؤون الدينية هذه الفرصة فأكد على اهمية دورى المسجد والامام فى الاسلام ، والذين تنتظر منهما البلاد انتفاضة ونهضة المسجد كما كان فى الامل دار عبادة وعلم فى آن واحد ، ويصبح الامام لا يؤم الناس فى صلواتهم فحسب بل يقوم بتحفيظ كتاب الله لاولادهم وبتعليم العلوم الدينية لهم من فقه وحديث واحكام شرعية وذلك بنظام كامل يضمن نجاح هذه الدروس .

الجولة التفتيشية عبر ولايات قسنطينة ، عنابة ، سطيف ، وتيزى وزو .

قام السيدان مدير الشؤون الدينية والمفتش المركزى بالنيابة بجولة تفتيشية دامت اسبوعا من ٩ شوال ١٣٩١ هـ ١٩٧١/١١/٢٩ م الى ١٦ شوال ١٣٩١ هـ ١٩٧١/١٢/٤ م ، عبر ولايات قسنطينة ، عنابة ، سطيف وتيزى وزو ، اطلعا خلالها عن كتب على الوضع الدينى العام ، وعن النشاط الذى يقوم به كل من السادة المفتشين والائمة بهذه الولايات .

وقد زارا الاماكن الاتية بصفة خاصة : عزابة قالملة ، عنابة ، سكيكدة ، الميلية ، طاهر ، جيجل خراطة ، سطيف ، برج بوعريريج ، مجانة ، ثنية النصر ، القصر ، سيدى عيش بجاية ، تيزى وزو .

اثناء هذه الجولة عقدت جلسات عمل فى كل مفتشية ودرس فيها نظام سير المفتشية بالذات ونشاطها فى مختلف الميادين وتركز الاهتمام على النقاط الاتية :

- ١ — اعادة توزيع مرزفى السلك الدينى توزيعا عادلا على جميع مساجد الولاية
- ب — تطبيق المنشور الوزارى ذى الرقم :

٧١/٩١/٨٤ الصادر بتاريخ ٣٠ ربيع الثانى
١٣٩١ هـ الموافق ٧١/٦/٢٣ والقاضى بتجديد
اعمال موظف المسلك الدينى (امام ، مؤذن ، قيم)
من تحفيظ القرآن للصبيان والقيام بدروس الوعظ
والارشاد ، والفقه ، ومحو الامية .
ج - مراقبة سير عملية محو الامية .
د - متابعة عملية حصر الاوقاف ، ومراقبة

حسن استغلالها .
هـ - الكناس المهجورة .
د - اللجان الدينية التى تشرف على بناء
المساجد : تشجيعها ومراقبة حساباتها .
و - تجهيز المساجد وتفريشها .
- اعانات الوزارة الرمزية لبناء المساجد .

الثقافة ونهاية العام

علاء الدين مكي

اذا كان رمضان المبارك يقترن في كل عام بثبوت رؤية الهلال . فقد امسى الهلال من كل
عام علامة بدىء ، واستهلل محمود لشهر ثقافى يرتفع فيه نبض الحركة الثقافية ، ويسرى
الحماس في جميع انحاء ترابنا الوطنى ، وتتحول الليالى من خلاله الى نهارات تضيؤها
الماذن البيضاء المنتصبة بجلال قدسى تحاكى اهلتها المضيئة هلال السماء ، وتزينها قباب
المساجد . ويعطر اجواءها تلاوة القرآن وتهجد المؤمنين

النشاط الثقافى القادر على طرح اهم وأخطر
المشاكل الاجتماعية .
ربما يكون صحيحا بأن طبيعة رمضان المبارك
ورغبة الصائم فى السهر قد ساعدا كثيرا فى
انجاح هذا المهرجان وغيره من النشاطات
الثقافية التى شهدتها البلاد .
لكنه قد بات من المؤكد أن مثل هذا النوع من
المهرجانات ، قادر على المدى البعيد أن يبعث
ويحيى تقاليد مسرحية وثقافية ، ويكون بالتالى
جمهور المسرح الذى به ومن خلاله تتحقق
رسالة المسرح الثقافية .
وبعدها لن نفسر الاقبال بأنه مؤقت او انه
مقترن بطقوس ثقافية مؤقتة .
وعلى أية حال فان ازدهار الثقافة فى شهر
رمضان انها يمثل فى الواقع صورة مصغرة
لحال كبير نريد بكل قوانا أن نحققه . فنشاطاتنا
الثقافية عندما يحتضنها شهر مبارك ، انما

ان الحديث فى الواقع عن النشاط الثقافى
خلال الشهرين المتصرمين من العام الفارط ،
يدفعنا للتوقف عند هذا الشهر المبارك ، لا
باعتباره مدخلا للحديث فحسب ، بل على
اساس من اقتناع اكيد بأن النشاط الثقافى
بصادف فى هذا الشهر ازدهارا وحيوية
ملبوسين لقد استطاع المسرح الوطنى ولاول
مرة فى تاريخه خلال الشهرين الاخيرين من العام
الفارط ، أن يقيم مهرجانا مسرحيا امتاز عن
المهرجانات الاخرى بطول نفسه وتنوعه ،
وظاهرة الاقبال التى حظيت بها العروض
المسرحية . فقد ظلت مقاعد المسرح الوطنى
تمتلأ كل ليلة بجمهور غفير أثبت بحماسة
وتشجيعه ومتابعته للعروض المسرحية بأن
ظاهرة الاعراض التى يتحدث عنها البعض ،
انما هى دعوى مبالغ فيها . وان الشعب بجميع
فئاته يشعر بضياء حقيقى نحو هذا النوع من

يعنى هذا وعلى مستوى الرمز بأن نزعنا نحو التجديد ، او نحو بناء ثقافة معاصرة ، انما تسير وتتقدم بوحى من ثقافتنا الاسلامية العريقة . اذ يبدو شهر رمضان الكريم فى هذه الحالة كما لو كان خلفية فكرية وحضارية تتحرك من امامها جميع الانشطة الثقافية التى تشكل وجه حياتنا المعاصرة فى هذا الشهر المبارك . قلت بأن المسرح الوطنى استطاع فى العام الفارط ان يجذب اليه جمهورا جديدا تجاوز فئة المثقفين او المهتمين بتتبع الحركة المسرحية .

كما نجح المسرح الوطنى ان يقبم مهرجانه الاول على اكتاف الهواة الذين تالقوا هذا العام فى مهرجان مستغانم . ونجح هؤلاء بدورهم وبكل الحماس والطهر والعشق الذى يكتوه للمسرح ان يقدموا رغم كل شئ عروضاً مسرحية وقف البعض منها شامخا الى جانب عروض المحترفين سواء فرقة المسرح الوطنى او الفرق المسرحية الزائرة .

واستطاع الشرق الجزائرى (قسنطينة) رغم انه لم يفز بالجائزة الاولى ان يقدم خلال ذلك المهرجان عرضين شيقين نالا استحسان جمهور العاصمة .

غير الجائزة الاولى كانت من نصيب فرقة مسرح العمل من مدينة « وهران » عن مسرحيتها المسماة « ارقدمت قاع » اى « رقدتم

جيبعا » والحقيقة انها لم تكن اعرق ولا أكثر تطورا من المسرحين اللتين تفوقت عليهما . فالنص محلى كتبه هاوى شاب لم يتجاوز لكنها جمعت من عناصر النجاح ما كفل لها الفوز السابعة والعشرين يدعى « ميسوم سعيد » . والممثلون هواة ما زال اغلبهم فى المدارس . اما القضية التى طرحها فمابعة من صميم مجتمعنا مختصة بفئة اليافعين المرفوضين من المدارس، مصورة المخاطر التى يمكن ان ينزلق اليها هؤلاء الشباب .

وعلى العموم فقد أتيح لأكثر من ثمان مرقق هاوية بما فيهم الفرق الثلاثة الاولى ان تصل الى خشبة المسرح الوطنى بالعاصمة وتقدم عروضها الى جانب الفرق المحترفة المحلية والزائرة .

اما بالنسبة للفرق المسرحية المحترفة فقد قدمت الفرقة القومية الليبية مسرحية « دوائر الرقص والسقوط » التى كتبها الشاب « عبد الكريم الدناع » وقامت فرقة المسرح البلدى لمدينة الدار البيضاء - المغرب بتقديم المقامات فى مسرحية سميتها « مقامات بديع الزمان الهمذانى » وكانت فى الحقيقة من أبرز واخطر الاعمال المسرحية التى قدمت للفرق المحترفة فى هذا المهرجان . كما شهد المسرح الوطنى خلال هذا المهرجان مسرحيتين مترجمتين قدمت لفرقة بلدية تونس . الاولى للشاعر الاسبانى غارسيا لوركا ، والثانية مقتبسة عن

مسرحية للكاتب الانجليزى (الغاضب) جون
اوزبون .

والواقع ان الشهرين الاخيرين من هذا العام شهدا بالاضافة الى المهرجان الوطنى الاول للمسرح ، اسبوعا ثقافيا ربما هو الاول من نوعه ، اذ اقيم في مطلع شهر ديسمبر من العام الفارط اسبوع ثقافى احيته في بلادنا البلد الشقيق تونس فشهدت الجزائر اوجها متعددة من نشاطات ثقافية اشتملت على معارض للرسوم الزيتية والصور الفوتغرافية . ومحاضرات والوان متنوعة من الغناء والموسيقى والباليه الوطنى . فاقيم في مكتبة العربى بن مهيدي والجامعة معرضين للكتاب التونسى كما حل بالجزائر نفر من الادباء ورجال الفكر التونسى . وقدم الاستاذ الطاهر بن قيقية محاضرة « حول القصة والاقتصوصة في الادب العربى المعاصر » تناول من خلالها بالتعريف جيلين من الكتاب ، جيل الشبان وجيل ما بعد الاربعين ، واهم المواضيع التى تطرقوا اليها في انتاجهم . هذا في الوقت الذى قدمت فيه فرقة الكاف المسرحية على خشبة المسرح الوطنى مسرحيتين الاولى بعنوان « حوكى وحرايرى » والثى اقتبسها المخرج منصف السويسى عن الكاتب الايطالى « كورناى » .

وكانت المسرحية الثانية للكاتب الفرنسى الطلائى « جان جينيه » حيث اخرج له الشاب التونسى « عبد الرزاق الزعراع » مسرحيته المشهورة « الخادماة » .

النشاط الثقافى في العالم العربى .

والواقع ان شهر ديسمبر من العام الفارط كان حافلا بالنشاط الادبى ، ليس على مستوى الجزائر فقط ، بل وعلى مستوى البلدان العربية الشقيقة التى شهدت بدورها نشاطا ثقافيا ملحوظا . فقد انعقد في الاسبوع الثانى من شهر ديسمبر « مؤتمر الادباء العرب الثامن » الذى انعقد في « دمشق » تحت شعار « الاديوب العربى بعد معركة المصر » . وقد انتهى هذا المؤتمر بجملته من التوصيات الهامة يتعلق بعضها بحرية التعرف على الفكر العالى ، واشراك الجماهير في تقييم ادب المعركة المصرية مع الالتزام بخط الثورة العربية . وتناول بعضها الاخر قضية محو الامية والتعجيل ببحثها . كما طالب المؤتمر في توصياته بسن تشريعات تمكن الاديوب العربى من التفرغ ، وايضا طالب المؤتمر بالاهتمام ببرامج الاذاعة وتقديم جميع التسهيلات التى تكفل لادب الارض المحتلة الوصول الى سائر انحاء الوطن العربى . وقد شاركت الجزائر في هذا المؤتمر ممثلا فيها كل من الدكتور صالح الخرفى والدكتور حنفى بن عيسى والدكتور ابو القاسم سعد الله الذى ترأس الوفد ولقى هناك كلمة حول موضوع الامية حيث اوضح جانبا من التناقضات التى تعيشها كثيرا من الدول العربية فانتقد تلك الاقلية التى تستأثر بثروة الجماهير وتسخرها لاغراض لا تمت بصلة الى حاجات المجتمع الحقيقية .

كما انعقد في العاشر من شهر ديسمبر ١٩٧١ في (العراق) مهرجان للشاعر العربى المعروف « ابنى تمام الطائى » حيث التقى فيه لفيف من ابرز الشعراء المعاصرين العرب ، والتبعت خلاله قصائد من الشعر العمودى والحر .

المؤتمر الى توضيح ودرس اللقاء الحضارة المعاصرة بتلك الاصول . وما ينجم عن ذلك من تفاعل وما خلفه ذلك اللقاء من آثار على مسيرة الحياة الادبية والثقافية شكلا ومضمونا وتعبرا .

صدر حديثا

ولم تكن دور الطباعة والنشر باقل نشاطا في المؤتمرات والمهرجانات الادبية ، فقد صدرت جملة من الكتب الهامة .

فقد صدر حديثا الجلد الثاني من كتاب « التاريخ العام لافريقيا السوداء » واعتبره النقاد احسن تاريخ للقارة السوداء .

كما اصدرت الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر كتاب « تاريخ البشرية » وهو كتاب يؤرخ للتطور العلمى والثقافى فى العالم .

وصدر عن نفس الدار كتاب هام فى « الشعر الجاهلى » والذى يعد محاولة جديدة لدراسة الشعر الجاهلى . الفه د . سيد حينفى حسنين .

وفى بيروت صدر حديثا « قصائد ليست محددة الإقامة » وهو أحدث ديوان لشاعر المقاومة « سالم جبران » .

وصدر فى القاهرة الجزء الاول من كتاب « فلسطين اليكم الحقيقة » الفه الصحفى البريطانى ج.م.ن حريز وترجمه الى العربية احمد خليل الحاج ويعد هذا الكتاب وثيقة نادرة كتبها احد الصحفيين البريطانيين ، اتاح له عمله ان يحصل على الادلة الدامغة لابعث جريمة ارتكبت فى العصر الحديث .

والواقع ان تكريم « ابي تمام » انما هو مسح وتجديد للجوانب الناصعة والمشرقة فى تراثنا وادبنا العربى ، وتكريم لشاعر عملاق اتفق معظم النقاد على أنه من اوائل الذين عملوا على تجديد روح الشعر شكلا ومضمونا . وقد توفى ابو تمام فى مدينة الموصل - حيث انعقد المهرجان - واقيم له فيها ضريح زاره « ابن خلكان » وكتب عنه .

اما فى مصر فقد افتتح فى منتصف شهر ديسمبر بمدينة الاسكندرية « المؤتمر الاقليمى العربى الثانى لحو الامية فى الدول العربية . » وقد شارك فيه ممثلون عن ثلاثة عشر دولة عربية كما اشترك فيه ممثلون عن اليونسكو والاتحاد العام لتقابات العمال ومنظمة تحرير فلسطين . وانتهى فى ٢٠ ديسمبر ، واجمع فيه كل المتحدثون وبما فيهم ممثل الجزائر على أن الامية خطر يعيق ويشل تقدم الدول العربية ، ولذا فلا بد من العمل الجاد للحد من انتشارها والعمل على اختفائها من المجتمع العربى .

هذا بالاضافة الى انعقاد مؤتمر آخر فى مدينة القاهرة هو مؤتمر « الاصاله والتجديد فى الثقافة العربية المعاصرة » والذى افتتح فى الرابع من شهر اكتوبر الماضى واتخذ من المركز الرئيسى للجامعة العربية مقرا له .

ومثل الجزائر فيه الاخ عبد القادر قريصات . ويهدف هذا المؤتمر الى الكشف عن تلك العناصر الباقية فى الثقافة العربية التى يحس العربى خلالها أنه ينتهى الى امة لها شخصيتها وروحها المتميزين ، وأن هناك صلات فكرية ووجدانية تربطه بتاريخ الثقافة العربية ، كما يهدف هذا

والقسيس بارو يناهز الثامنة والثلاثين ، وهو مدير هيئة التعميد في أبرشية باريس ومؤلف عدة كتب حول الايمان ، والشر ، والله . وقد استهل حديثه بشرح سبب تحوله الى الدين وهو الشخص الذي نشأ في وسط بورجوازي تحررى لا يمت الى الدين بطلاة .

« كنت من الشبان الذين أغرهم السياسة وأقوال غي موليه وكان من آثار ذلك اننى وجدت نفسى ضالعا في الجزائر ما يتجاوز السنتين . أما تحولى الى الدين فقد جاء وليد لقاء مع استاذ لى في التاريخ والجغرافية : كان هو الآخر يبحث عن نفسه وقد صار فيها بعد ارثوذكسيا تحت تأثير اللاهوتيين الروس الذين التقى بهم . وقد خضت معه مختلف الحديث مما حفزنى على البحث الشخصى فضلا عن اننى كنت اشعر باستمرار بأن العالم اشد تعقيدا وغرابة من الوسط الوضعى الذى كان يحوطنى آنذاك . ناهيك بآسى الحرب التى جملتى أعرف كنه الشر . وقد أدركت حينئذ أن الاتمان الطيب قد يتحول الى شرير . ان جذور الشر في رايى هى الاحتقار . فبجرد ما تشعر بأن الآخر من صنف مختلف منك يصير كل شيء ممكنا .

وانى اعتقد ان تجربة الشر التى عرفتها في حرب الجزائر وفي بؤس البروليتاريا قد طبعت تفكيري كله . »

الاكسبريس : هل تعتقدون أن مشكلة الشر هى التى حفزتكم على الايمان ؟
جان كلود بارو : ليست مشكلة الشر وحدها . فهناك أيضا جانب ايجابى في تحولى الى الدين . هو اكتشاف وجه المسيح في الناصرة . والاعتقاد الذى أبداه المسيح بشكلى الشر والعذاب

مَعَ

التيارات

الفكرية

العالمية

قراءات في المجلات الفرنسية

اعداد : بقطاش مرزاق

مشكلة « عزوبة قساوسة الكنيسة اللاتينية » من اخطر القضايا التى طرحت على بساط البحث في المجتمع الكاثوليكي الثالث بحاضرة الفاتيكان . وقد صدر فيها الحكم الصريح : « الإبقاء على حالة العزوبة » . وقد انارت هذه القضية بين رجال الدين عددا من التساؤلات التى بلغت حد النقد للوضع الكنيسى اللاتينى . أما الزوبعة التى اقضت بضجع الفاتيكان فهى حديث القسيس جان كلود بارو الى صحيفة الاكسبريس الذى اعلن فيه بانه قرر الزواج وبأن عزوبة القساوسة بالرغم من كونها مشكلة ثانوية الا انها تكشف عن الازمة التى تعانيها الكنيسة اليوم .

نفلا عن اعجابى بشخصيته
الاجابة .

ثم ينتقل القسيس بارو الى
مسألة التعارض بين الايمان
والدين فيقول : ان الانسان ،
بلحدا كان ام لا ذو ابعاد مختلفة .
فهو يتضمن بعدا سياسيا وبعدا
جنسيا وبعدا دينيا ، والدين
ليست له بالضرورة علاقة بالله .
الدين هو ما يسمح للانسان بان
يتعمق العالم ويرتبط بالكون .
وهكذا ليست له علاقة بالله .
فنحن لا نستطيع ان نحرم الانسان
من بعده الدينى ونبتى في نفس
الوقت على بعديه السياسى
والجنسى . الدين امر مشترك
مثل السياسة او الجنس . وهو
قد يؤدى الى الشر او الى الخير .
اما الايمان فهو شيء آخر
طبعيا . انه الثقة في شخص ما ،
في شخصية انسانية ، فبمجرد
ما يثق الانسان بشخص آخر على
التمام يعتبر مؤمنا ويدخل دنيا
الايمان لانه يتجاوز التجربة .
ان الايمان بالله او الايمان بشخص
مسألة واحدة .

الاكسبريس : لقد

مارستم وظيفتكم في عدة
احياء باريسية وتعرفتم
خلال ذلك على المرأة التي
سوف تبثون بها فكيف حدث
ذلك ؟

جان كلود بارو : لقد بدأت
العلاقة بيننا على شكل صداقة
كبيرة ثم تطورت الامور .

الاكسبريس : وهل

تسبب ذلك في مشاكل لها ؟

جان كلود بارو : انها مسيحية
ولكنها متحررة جدا . اما بالنسبة
لى مانتي قلت للنفسى بعد تفكير
طويل انه لا يوجد سبب قاهر
يجعلنى ارفض معيشة الحياة
الزوجية . وانه لا يمكنى ان
استمر في قبول قانون العزوبة

وهكذا طلبت من روما الاذن لى
بالزواج .

الاكسبريس : لقد كنتم

تعلمون ان ذلك غير ممكن ؟

جان كلود بارو : ان القساوسة
ليسوا رهبانا وواجب البقاء على
البقاء على العزوبة لا يهم الا رجال
الكليروس . والكنيسة الغربية
لم تبدأ بفرض العزوبة على
القساوسة ورجال الكليروس الا
منذ قرون قليلة . ذلك لان الامر
ها هنا لا يتمدد كونه مسألة
طاعة . او بتعبير آخر هو عقد
بين الكنيسة والقسيس . واننى
لست اقوى اليوم على الاضطلاع
بواجبات هذا العقد ولذلك طلبت
من روما ان تحررنى منه .

اما الامم في كل ما سبق فهو
ان مشكل عزوبة القساوسة هي
في صلب ازمة الكنيسة اليوم .
وهذه الازمة لا علاقة لها بالتفليم
بل هي ازمة ايمان . والسؤال
الرئيسى الذى يجب ان يطرح
اليوم هو هل المسيحيون اسعد
حالا من الآخرين ؟

لقد كان المسيحيون الاوائل
يقولون ان المسيحية نيا سار
— بالمعنى الصحفى للكلمة —
وعلىنا اليوم ان نعود الى مثل
ذلك المفهوم لاننا نسيناه . وذلك
ما ينقص الكنيسة اليوم فهي
لا تعلن عن النيا السار بل تقدم
النصائح الطبية وهو امر ليس
من اختصاصها .

الاكسبريس : ولكن

الناس في حاجة الى اجوبة

أخلاقية فمن يعطيهم اياها ؟

جان كلود بارو : اننى لا اتول

بانه لا ينبغي تقديم النصائح الطبية
بل على العكس ينبغي تقديمها
وتقديم الاجوبة السياسية ايضا .
ولكن الكنيسة ليست هي التي
تضطلع بذلك بل على الناس ان
يقوموا بذلك . يجب على كل
مجوعة انسانية وكل فرد اكتشاف

ما يتمتع عليه ان يقوم به تبعا
للنبا الذى سمعه . وباختصار فان
أكبر ازمة في مسيحية اليوم هي انه
لم يبق لها ما نقوله للناس ،
وليس من شأنها ان تقدم نصائح
طبية لم تسال عنها .

الاكسبريس : وهل

تعتقدون ان ازمة الكنيسة

هذه تفسر ارادة

القساوسة في ان يكشفوا

من جديد جانبها عفويا في

الوجود الانساني ؟ وان

يتزوجوا ايضا ؟

جان كلود بارو : ان ذلك يفضى
الى الحديث عن مشكلة عزوبة
القساوسة التي هي في واقع
الامر مشكلة صغيرة وثانوية .
ولقد اعلنت عن ذلك مرارا وعشت
حياة العزوبة طوال عشر سنوات
يكل اخلاص . الا ان هذه المشكلة
الثانوية تبدو لى بالرغم من ذلك
ذات معنى كبير . وذلك لمسيحيين
تفلسفيين : فاهم بعددين في الانسان
هما البعد الدينى والبعد الجنسى .
وزواج القساوسة يتراوح بينهما .
ومشكلة العزوبة تحت على اعادة
النظر في هيئة الكليروس التي لم
تكن موجودة في الكنيسة القديمة .

الاكسبريس : وكيف

صارت العزوبة قانونا

معمولا به ؟

جان كلود بارو : حدث في

العصور الوسطى ان الناس
المتقين الذين يحسنون القراءة
والكتابة كانوا من الرهبان .
ودفعت الضرورة الى اختيار رجال
الكنهوت وخاصة الاساقفة من بين
هؤلاء الرهبان . من هنا نشأت
فكرة عزوبة القساوسة . ولكن

هنرى لبوريت : علم الحياة نقطة التقاء العلوم

تبدو اليوم ضرورة احتكاك العلوم الانسانية بالعلوم المختلفة ذلك لانها تتطلب في بعض الاحيان معلومات طبيعية ورياضية معقدة ويتعين على العالم الاجتماعى مثلا ان يكون في الوقت ذاته عالما بالاقتصاد ، وأن يكون العالم النفسانى عالم حياة وكاتباً في آن معا .

ويبدو أن هناك طريقتين للبحث ترتسمان في ميدان الاحتكاك بين العلوم . الاولى حتمية فلسفية تهتم بالمصير الانسانى ولكنها لا تتعامل مع العلوم الا عن عريق القياس وتأمل أن يتحقق ذلك بواسطة التجربة . وطريقة البحث هذه من اختصاص علماء السلالات البشرية (المختصين في المقارنات بين أوجه السلوك الانسانى والحيوانى) مثل كونراد لورنز ، وملاسة العلوم مثل روبرت اردي . أما طريقة البحث الثانية فتكاد تكون مملوكة للأولى فهي أكثر علمية وأشد تواضعا إذ أنها تمتنع عن الإفاضة في الضمومات ، بل تتناول مواضيع البحث على شكل مستويات تنظيمية . ولعل تعبير / مستويات التنظيم / هو ما يبين لنا بكل وضوح آراء الأستاذ هنرى لبوريت وأفكاره .

فقد شغل هذا العالم منصب طبيب عسكري خلال الحرب العالمية الثانية واكتشف سنة ١٩٥١ مادة كلور بروجامين السى

الراى فهو لم ينشر تشريعا حول لا انفساخية الزواج . وهناك اشياء اخرى اهم من الزواج تباينان الرجل والمرأة الفراق . والاطفال انفسهم ليسوا امرا مطلقا بالنسبة للمسيح نفسه . تباينان الانسان أن يبارق والدبه وابناه وزوجته من أجل ما هو اهم .

الاكسبريس : وما هو
راى الكنيسة في هذه
المشكلة ؟

جان كلود بارو : اذا كان فشل الحياة الزوجية ظاهرا مائنا لا ارى لماذا لا تقوم الكنيسة بنفسها . فلديها السلطة على ذلك ، ثم ان القانون وضع للانسان ولم يوضع الانسان للقانون . ان التعهد بالحياة الزوجية مسألة جدية ، وعلينا أن نغوم بذلك بعد معرفة دقيقة اى بعد علاقة ملوية يمكن أن تبلغ حد العلاقة الجنسية ، اننى باختصار لا أكافح من أجل الزواج بل أصارع حتى يستطيع القساوسة أن يكونوا رجالا مثل الاخرين وأن يكونوا في الوقت نفسه خدمة للكنيسة .

واننى احب البابا واخضع له ولكنى اقول بأنه يخطئ . وأنه يفضل قانونا عرضيا يؤكد هو نفسه بأنه عرضى . والبابا ليست له كلمات الحياة الخالدة . كمنا من هذه المشكلة اذن ولندع القساوسة يتزوجون وننتقل الى البحث في مشكلات جدية .

اذا كانت الكنائس قد نصحت بأخذ هذه الفكرة فانها لم تعرف ميدان التطبيق الا ابتداء من القرن السابع عشر . فضلا عن ذلك فان واجب العزوبة لم يؤخذ به الا في الكنيسة اللاتينية أما في الكنائس الشرقية فانه لم يطبق ابدا بل وحتى في الكنائس الشرقية الكاثوليكية .

الاكسبريس : هل ترون
أن نمط الحياة الحديث يزيد
من صعوبة بقاء القساوسة
على حالة العزوبة ؟

جان كلود بارو : بلما ان اغلبية القساوسة قبلوا قانون العزوبة عن سبيل الطاعة . فقبل عشرين سنة كانت ممارسة الحياة مسألة يسيرة نسبيا . فالراهب كان في هيئة تميمه . أما اليوم فانه لا يوجد مثل تلك الظروف فكيف نحصى انفسنا ؟ انهم يطلبون منا بأن نقوم بأدوار بطولية . وهكذا ترون أن قانون العزوبة الذى يفرض على القساوسة لم يعد محتلا . ان البطولة واجب على كل مسيحي ولكنى أعتقد أن قانوننا ما لا يمكن مطلقا أن يقوم على البطولة . والفاتيكان يعلم ذلك ولكنه يتجاوز ولا يخضع له .

الاكسبريس : اذا كنتم
تطرحون مشكلة زواج
القساوسة فعليكم ايضا أن
تطرحوا مشكلة الطلاق ؟

جان كلود بارو : اننى لا ارى الزواج تنديسا . فمشتاكنى تتلخص في اننى احب امرأة واريد أن أعيش معها وانجب أطفالا . ونظام الزواج نسبى مثل الانظمة الاخرى كلها . والمسيح نفسه يرى هذا

كانت أول مهدي يستخدم في الطب العقل . وقام عام ١٦٦٩ تحت الحاح طلبته بإنشاء هيئة / علم الحياة والتدوين / التي مكتته من وضع كتابه الآخر / الانسان والمدينة / . وفيما يلي الحديث الذي أدلى به الى مجلة الانباء الادبية .

هل تكون تجربتكم كطبيب عسكري هي التي أدت بكم الى اكتشاف المهنات ؟

— ليس ذلك ما حدث على وجه التحديد . فقد كنت اهتم ببحث الصدمات التي تحدث من جراء العمليات الجراحية . وكانت هذه الصدمات تعتبر فيما مضى نفادا لوسائل الدفاع في الجسم . ثم اننى أدركت انه بقدر ما تزيد من تقوية وسائل الدفاع في الجسم بالكائنات والكائنات والخشخشات الاخرى بقدر ما ترتفع نسبة الاموات بين المرضى . ووسائل الدفاع هذه حين تقويتها تخدم الحيوانات العليا ولا شك وقد كان الانسان البدائي يستفيد من الاعتناء او للهروب ولكنها بقيت عاجزة تجاه اعتداء الممارسة الجراحية . وبما اننا لا نستطيع ان نهرب من الجراح او نقاومه ، فانه من المبعث ان نحرم من الدورة الدموية بعض الاعضاء التي لا تستخدم لا في المقاومة ولا في الفرار ، ذلك لانه قد تحدث بعض الرضوض الخطيرة . ولقد اكتشفت المهنات الاولى بغية الحجر على عمليات الدفاع هذه بدلا من حفرها .

— كيف انتقلتم من هذا البحث الطبى الصرف الى نشاط يشمل عدة علوم ؟ وهل كان تفكيركم في تمييز التفاعلات لدى الحيوان الاعلى هو الذى أدى بكم الى اهتماماتكم الحالية ؟

— لقد كنت اول من اقترح استخدام المهنات في ميدان الطب العقل . فقد بدا لى ان المرض النفسى هو رد فعل غير منتظم تجاه اعتداء اجسامى ما

وانه مشابه لردود الفعل التى تلاحظها في الجسم الانسانى امام اعتداءات العملية الجراحية . ولقد وجدت نفسى في البحث البيولوجى انتقل من مستوى تنظيم السى مستوى آخر ، فقبل عشرين سنة لم تكن التركيبات الكيميائية الحيوية معروفة . وقد تناول كتابى الاول موضوع الجهاز العصبى النباتى . وعندما اكتشفت عن طريق البيولوجيا بان هذا الجهاز ليس نظاما للشبكات الكهربائية وأدركت انه يفرز عناصر كيميائية اضطرت الى ان ابحث في الكيمياء وعلم الصيدلة والكيمياء الحيوية وعلم الحياة العام . ومفضلا عن ذلك فقد انتقلت من البحث في تنظيم الجهازين العصبى والدموى الى البحث في الخلايا ومنها الى علم الطبيعة وكيمياء الجزيئات . ذلك لانه لم اكن لاستطيع فهم وظيفة عضو ما بدراسة من زاوية واحدة بل كان على ان احصل على خلاصة مستمرة في شتى العلوم .

— ان علم الحياة يبدل اليوم نحو علوم الطبيعة ، وكنت في السابق قد جعلتموه يميل اكثر فافكر نحو العلوم الانسانية . فكيف تشرحون ذلك ؟

— ان الجهاز الانسانى ككل مكثف . وليس من المبالاة في شيء ان ننظر الى النظام الاجتماعى بنسب المفاهيم التى ننظر بها الى الجهاز الفردى . ولكن علينا ان نميز مستويات للتنظيم وذلك انطلاقا من الجزئ الى السلوك الانسانى بأكمله . انكم تعلمون تلك الدمى الروسية ذات الشكل الواحد والاحجام المختلفة . ان الوحدة منها تتركب في الاخرى باتصافها في الخاصة . واطن ان عالم الحياة جاكوب هو اول من بين اوجه الشبه بينها وبين الجهاز الانسانى بيد ان الصورة ليست صحيحة تماما . ذلك لان عملية التراكب هذه لا تكفى لتحقيق

الارتباط . فكل مستوى يجب ان يخضع للمستوى الذى سبقه . وهذه ولا شك اجهزة ذات تنظيم داخلى تحقق مبدئيا نفسها بنفسها . ولعل الكايت الحرارى ان يكون اصدق دليل على ذلك . فهو حياى تقوم فيه الطاقة الكهربائية بالابقاء على درجة معينة من الحرارة بواسطة جهاز للتفاعل . ولو ان الجهاز الانسانى كان على شكل كايت حرارى لما حدث تطور او تكيف على الاطلاق .

ينبغى اذن على الكايت الذى ان يخضع لآوامر خارجية تتعلم على درجة الحرارة التى يضمن الإبقاء عليها . فالنظم الداخلى لا يكفى بل ينبغى على مستوى التنظيم الاعلى ان يزوده بالمعلومات . ونظام الخلية على سبيل المثال لا يمكن شرحه دون الاطلاع على القيادة الخارجية للانظمة الاخرى . وهكذا نمعنا نتوصل الى معرفة شاملة بالجهاز الذى يصعب علينا ان نتوقف عن البحث بل انه من المخرى ان نبحث في مسألة ما اذا كانت الانظمة الجديدة المكتشفة تطبق ايضا على المجموعات الاجتماعية والنوع الانسانى بأكمله . ان معرفتنا بكل خصائص جزئى الكلور وجزئى الهيدروجين لا يجب ان تجعلنا ننصرف عن دراسة حامض الكلورديك . وان الذين يجهلون كل شيء عن الكلور والهيدروجين لا اهلية لهم للتحدث عن حامض الكلورديك . وكذلك فانه ينبغى لعالم الاجتماع ان يقترب معارف في علم الحياة حتى يستطيع ممارسة عمله .

— لعل التزوج الى الاعتداء هو ابرز خاصية اجتماعية يسطع علم الحياة بدراستها . ولقد تعدتم كثيرا عن شرح هذه الظاهرة المبرانية وخاصة في كتابكم الاخير ...

— ان الاعتداء الانسانى مسألة خاصة . بمواسلته امكن لنا فيها مضى ان نناقش عند

طبيعة العمر الحجري القديم ، ثم انه فقد خاصيته البدائية ابتداء من العصر الحجري الجديد . وقد ولد مفهوم الملكية بمجرد أن عزف الإنسان عن ممارسة الصيد الذي يقوم بأوده ، واستقر في أرض ما واشتغل بتربية الحيوانات وجميع الفلال . ومفهوم الملكية غذا يعنى أن الإنسان عندما حقق شيئاً غذائياً حول اعتدائه نحو أخيه الإنسان . وكان قد ورث هذا الاعتداء من طبيعة مخه الذى تعود على المكر والحيلة .

ومن البديهي أن الحنية أداة مثالية لسيطرة الإنسان على أخيه الإنسان ، فالاعلام يأخذ فيها اتجاه واحد والثياب والأنماط الثقافية تتخذ هي الأخرى شكلاً موحداً . والنشاط الإنساني الخلاق في ميادين الفن والعلم والتقنية يتحول إلى نشاط لتخفيف السلع . ثم اننى اعترف بالعوامل الاقتصادية التى تؤدى إلى نشوء المدن والحواسر ، بيد أن الأمر هنا مماثل لظواهر السيطرة الأخرى ، نحن نعيش في هذا الإطار على نفس المنح البدائي المكر المعجوز . وفي الوقت الذى تقبست فيه علوم الطبيعة بشكل يثير الإعجاب بقينا نحبو في ميدان معرفتنا بالإنسان .

إن العلم الذى لا ضمير ولا وازع له هو خراب لأرواح دون شك ولكن العلم الذى لا وعى له بالعمل الباطن هو خراب للإنسان إن النوع الإنساني مهذباً لتفراض إذا ما ابتغينا على غريزة السيطرة أو لم نلبسها شكلاً آخر لا بيت بملء أنى حب التملك .

— ولكن كيف يمكن لغريزة السيطرة أن تتدفق ؟ انك نفسك تمارس هذه السيطرة على السيطرة على طلابك في جامعة فانتاس ؟

— اننى اشعر على العموم بنوع من الضيق عندما أجد

نفسى في قاعة الدرس . اننى اسمع الى العروض والإبحاث كسائر الطلبة الآخرين واتقذى القيام بدور المسيطر بينهم . واننى اذكر لكم هنا تجربة العالم دلفادو على مجموعة من الشبانى . فقد لاحظ أن السيطرة منها هي التى توجد أذئابها في حالة احتياج ، وقد استطاع دلفادو بواسطة تضبيب حديدى استخدمه عن بعد أن يغير كلياً شاء من نظامها الجسمى .

بيد أن قردو الشبانى تعلمت طريقة استخدام هذا التضبيب واستطاعت أن تستعمله لإبعاد رئيسها كلما صار مزاحماً مقلداً . فلتطبق مثل ذلك على بنى الإنسان .

(من أجل عالمية ثقافية)

ذلك هو عنوان المحاضرة التى القاها الشاعر الأكاديمي الفرنسي بير ايماويل في مؤتمر أدبى انعقد أخيراً بمدينة دبلن الأيرلندية . وقد حاول الشاعر في هذه المحاضرة تقييم الإنسان والثقافة تجاه أخطار التقدم التقنى في العالم الغربى .

إن التفريات التى شهدناها الربع الأخير من هذا القرن قد قلبت مجبوع الموازين الإنسانية رأساً على عقب . فالتقدم ، إذ زود الإنسان بإمكانيات التأثير على العالم وعلى نفسه بطريقة تتجاوز قدرة العدد الكبير على الفهم وتضع فترة ما قبل الحرب في مرحلة ما قبل تاريخ التكنولوجيا ، فإنه قد أحدث بالمقابل تحويرات لم تكن مقبومة في التوازن بين الإنسان ومحيطه وبين الإنسان وروحه . وإن التقدم الديوغرامى، والأزحام، والظنوت ، وتفيد الشبكات الطبيعية ، أن هي في واقع الأمر الالدية المباشرة التى دفعتمنا الإنسانية لتطبيقية الإنتاج والاستهلاك المترايين للذين لم

يكن لها من قانون آخر في البلاد الثرية سوى الاطراد السى ما لا نهاية ، واغراق بلدان العالم الثالث في الفقر أكثر من ذى قبل ، هذه البلدان التى انتقل الكثير منها في ظرف سنوات معدودات من أوضاع اجتماعية عتيقة مستقرة السى مرحلة الاكتشاف المائج لتقنيات الاستتار العالمى التى تهددها اليوم بدفع ما قد يترقب عنها .

وكان أن انهكت وسائل الاعلام أكثر مما مضى في نشر وعى شامل بمنطرس وقلق في آن واحد ، وانطلقت تجد تطلعاته وانتصاراته وتردد في ذات الوقت تناقضاته وثوراته في أرجاء الدنيا . وتسببت أزمة التقدم الشاملة التى أحس بها الجميع ، كل في نطاقه المحلى ، في ظهور مفاهيم جديدة قد تؤدى إلى انفصام الأواصر بين بنى الإنسان أو إلى التضامن فيما بينهم . ولو عدنا إلى وسائل الاعلام هذه لقلنا أن توسيعها وانتشارها سوف يطرع مشاكل لاتنوع الجلات الدعائية المخططة وانظمة المراقبة كلها ، ذلك لأن تطور شبكة الامتار الصناعية أو خطوط التلفزة التى تلف كوكبا ينسجها العصبى سوف تجعله يتأرجح بين التذبذب والتجانس ، وبذلك يصعب على المرء التخمين حول أثر هذا الوضع على كل فرد . هل تراه سيكون وعياً شاملاً أو رعباً تاماً ؟ . ولعل تلك الجبامية الموجهة التى نستطيع التقبى أن تحدثها وتحورها على هواها هي أشد ما يلفت الانتباه في الوقت الحالى عندما نتأمل تصرفات الجباهير ، فالحلل يعلم أن الدعاية قد صارت هي الأخرى علماً تطبيقياً مثل الإشهار تماماً . وفي إمكاننا أن نقول مثل هذا القول عن نظام العقوبات التى تطبق اليوم على الناس المتهمين بأعمال المكر . واننى لا أعنى هاهنا سوى فكرة القمع المجردة ولست أقصد

تطبيقها المحدد ذلك لأن جريمة امتلاك رأى ما هي ذات جوهر مخفي تيمنا للانظمة ، بل انها تتغير في النظام الواحد بين الحين والآخر ، ناهيك بالتطور الهائل لوسائل التعذيب التي سجل فيها الانسان اكبر انجازاته بقميعة الطب العقلى هذا الانسان الذى لا يريد الا ان يحطم نفسه بنفسه . وليس لى من غاية وراء هذا الحديث سوى ان احذركم من دور الشرطى الذى سوف تلعبه السبرنطيقا في المستقبل .شرطة مزودة بمقول آلية هي نظام تكاد تكون مناهجه ونتائجها بعصوبة من الخطأ .

لم هذا العرض المتشام عن التقدم يا ترى ؟ ان كل انسان يستطيع ان يضيف ما يحلو له قائمة التشاؤم هذه . ولكننا نحن لا نصدأ أبداً عن حقد تجاه العلم ممثلا بروق ذلك لبعض المتأدبين ، بل عن رغبة في القضاء الاضواء على وضعيتنا نحن الذين نشغل بالادب والثقافة . ان هـ ج . ولز والدوس هكلى لم يكونا يتهمين بعدائهما للعلم ، وفرانز كافكا وجورج اورول لم يوصيا بالرجعة بل على العكس استطاع هؤلاء الاربعة ان يأتوا بتنبؤات مذهشة عن مستقبل الإنسانية . واذا كان الاديب الملقب قد استطاع في الزمن الماضي ان يضلّع عن ايمان راسخ بدور الناقذ للقيم الحضارية وان يبشر بالفتلعات الإنسانية البعيدة ، فلما حدث ذلك لأن البشرية كانت تسمع صوته ولانه كان يوظف في النفوس مشاعر واحداث اصدقاء يختلط فيها الجدل بالواقعة وهو الامر الذى كان يعزز من قبيته . أما اليوم فان الارض تمر اذنا صماء للمتأدبين ولا تكاد اصواتهم تتجاوز نطاق الجعاعة الضئيلة التى يتألفون منها . ان الادب يتميز آخر لم يعد المحيط الذى تنشأ الافكار فيه وتتبلور ، بل هو

نتاج للاستهلاك يشبه أى انتاج آخر، واهميته تقاس في الاسواق . ومصدق القول فيما سبق هو ان البلاد التى يسجن فيها الادياء وينفون من أجل فكرة تعتبر خطيرة يدعو انها قد تؤدي الى نشوء وضع فكري جديد . ان هذه البلاد — ربما كانت تحترم الفكر اكثر من البلاد التى يولد فيها الفكر في اطوار اللا مبالاة العامة . فالانسان في بلادنا التى تزعم بانها تحررية قد اضطرب عقله نتيجة لطائفة من الخرافات المستشفية خرافة التقنية القادرة على كل شيء وخرافة العلم الذى لا يصرى الانسان من ورائه شيئا عن نفسه

وخرافة سمو النظريات الاجتماعية على حكمة الماضي وروحانيته الخ . والغرض من هذه الخرافات كلها هو النمو المطرد للاقتصاد والاستهلاك بالكائن البشرى . وهذا الاقتصاد تخضع فيه معايير النشر لنفس معايير الصناعات الاخرى ، وهو يحط بذلك من المكانة التى يحتلها الادب ويعلى من مكانته الاعلامية الرخيصة التى تعكس صورة الانسان الحديث ، هذا الترجس السوسولوجى ، وتجعله يجترع نفسه من جديد . وبما ان دور الكتب تتبع نفس قوانين دور النشر ، وبما ان المجلات والصحف الادبية في طريقها الى الزوال ، فان الكتب الرائجة التى تملأ جيوب رجال الاشهار وهى التى توجد اليوم على رفوف هذه التجارة التى يلعب فيها الناشرون دور البائعين بالجملة ، وتقوم فيها محلات بيع الكتب بدور الحوانيت .

بيد ان الانتاج الحقيقى في هذا النظام الكونى الجديد ، اذا ما أخذ في مجموعه ، انما هو الانسان نفسه حسب ما يضعه رجال التقنية والكتابت والدمايات

والاشهار . انه انسان الانتاج الصناعى المتزايد ، سواء تعلق الامر بالاسلحة الثقيلة ام بالرؤوس الذرية . انه الانسان الذى لم يعد يقوى على التفكير في نفسه ، وانتزعت عنه الإرادة والرغبة في التفكير . انه الانسان الذى يفكر عنه مسؤولوه ويعيدون التفكير فيه يوما قانون وحسب ارادتهم ونواياهم . أية مكانة يستطيع التفكير الفلسفى او التشوف الشعرى احتلالها في الحياة المكثفة لهذا الانسان ؟ هل نحن آثار انسان غابر يحاول عصرنا اليوم ان يقتضى ثقافته وحكمه المخططة المجتمعة في المعرض الضخم ثقبيا الحشرات والفنون والاديان ؟ ام هل نحن بواكير الانسان العالى الذى يبدو ان هذه الآثار الرائعة الحية تنبئ عن وحشية وتحت على استكناه سره يكمنه في الكون ؟ واذا كتبنا الميراثين بهذه العالمية الحقيقية والشهود عليها ، فما الذى نستطيع فعله — لانه يتعين علينا ان نقوم بشيء — امام العقبة الكادئة التى نميتها الإنسانية المصنعة امام هذه العالمية ؟ ان امكانياتنا ليست قوية ولعل ازدهام اممنا بالامكار والنظريات هو ما يحول دون استخلاص البسيط والجوهري منها ، ولنفترض اننا توصلنا الى ذلك فكيف نملن من هذه الابتكار لكى نصير شعارا للمعرفة ورسزا للذين يبحثون عن الانسان داخل الانسان ، ويريدون ان يبدعوا الانسان من جديد انطلاقا مما هو عليه الان ؟ . لقد قلت فيما مضى ان الانسان الحديث كوني ولا شيء في وقت واحد ، وان هناك علاقة وثيقة بين هذين البعدين . وليس هذان البعدان الا الصورة السلبية المرعبة لطبيعته الحقيقية ، هذه الطبيعة العالية والفردية في الوقت الواحد . أين هو يا قري بقياس الانسان بالنسبة لنفسه

ولعالمه ! ان الغضاء على الكائن
الشخصي في سبيل قياس الواقع
الكوني انما هو جريمة جنونية
قد أدت الى خسران عدد من
الحضارات. واننى لا ازال اعتقد
بالرغم من الحضيض المسف
الذى آلت اليه الثقافة اليوم ،
بانه لم يبق على الناس الذين
اخترنوا الكلمة الانسانية ، هذا
القياس المقدس ، الا ان يجابهوا
تحديات نظام اصطاعى جائر
ارعن لا يكاد يثق في نفسه عكسا
لما قد يوحى به جهازه الهائل
الذى لا يهدف في حقيقته الا الى
مسح القيم وتشويهها . واننى
امير اهتماما بالغاً لوجود
مثليين عن آداب العالم الثالث
ضمن منظمنا هؤلاء المثلثون
البعيدون عن هذا الجزء الغربى
من العالم حيث ولدت فكرة
الجامعة السياسية ومجتمعات
ما بعد العهد الصناعى .

وهذا لا يعنى اننى فقدت لفتى
في العمل على تنشيط الضمير

الاوربي بل أحجبت عن الاعتقاد
بالعظلة الروحية للبلدان المتقدمة.

اننى اعتقد على العكس بأن
تقسيم العالم تبعاً لمصالح
السلطات الكبرى يتخمن في ذاته
تهديداً بالغناء ضد كل ثقافة
حرة . بيد ان قوة الضملاء
في بتاومتهم الضرورية ضد الخفق
التدريجي ليست جانباً يستهان
به . فكأننا ما كانت وضميتهم
التاريخية الحالية ، احراراً كانوا
أم مخطئين ، فان شكل العالم
القبل يتوقف على الوعي الذى
لديهم بأصالتهم الثقافية والجهود
التي يبذلونها للحفاظ عليها .
ان للامبراطوريات الكبيرة حدوداً ،
وكثيراً ما تكون هذه الحدود في
ذاتها . وهكذا فان اخطار حضارة
تقنية موحدة الشكل ليست
محسوسة اليوم بصفة تلقائية
مثلاً كانت عليه قبل مئتي
سنوات . وان فكرة شوق الرجال

والثقافات قد تحتل بعض النقد
ولكنها لا ترضى الا بنسبة ضئيلة
وليس اكثر . فلنطلب اذن من
كتاب البلدان التي لم تقطع بعد
شوطاً بعيداً في التقنية ان يضعوا
نصب أعيننا باستمرار بأن العالمية
الثقافية الحقيقية تكمن في تنوع
الثقافات ، وأن التركيز على
التقدم التقني واهمال الجوانب
الآخري يدفع الانسان الى ان
يقترّب عن نفسه الى ما لا رجعة.
انه من الوبال على التنوع
الانسانى ان يحرم من تجربة
التمتع في ذاته ، هذه التجربة
التي تمنحها كل ثقافة بحيرة ،
والتي يظن الفضوليون العابثون
ان لهم القدرة على توجيهها على
غرار ما يفعلونه اليوم بالتقنية .

والى أمل بالرغم من المخاطر
التي قد تواجهنا ان نقوم هراساً
وشهوداً على هذا الجانب من
الواقع الذى يمكن ان نسميه
الاعماق والرمز والسر .

صدر العدد الاول من مجلة : « اللسانيات »

اصدر معهد العلوم اللسانية والصوتية التابع لجامعة الجزائر مجلة جديدة بعنوان :
« اللسانيات » متخصصة في علم اللسان البشرى ، ويديرها الاستاذ عبد الرحمان
حاج صالح .

ومجلة « الاصاله » ترحب بالزميلة « اللسانيات » التي ستساهم في ابراز وتقديم
الابحاث والنتائج التي حققتها العلوم اللسانية والصوتية ، سواء على المستوى الوطنى او
على المستوى العالمى وتمكين اللغة العربية من اكتساب وسائل حديثة للتطور واستيعاب
علم العصر .

التخلف والارتقاء بها الى
مصاف الدول المتقدمة ،
وهذا ما عبر عنه الرئيس
بومدين في احدى خطبه ان
اللاحق بالدول الصناعية
ليس شيئا مستحيلا .

ويهدف هذا المخطط الى
تصنيع البلاد ، وجعل
الصناعة تحتل المرتبة
الاولى في الاقتصاد الوطني
ثم تحسين الزراعة وزيادة
الانتاج الزراعى بالاعتماد
على الصناعة المتطورة ،
وكان لهذا المخطط ردود
فعل وطنية ايجابية قوية ،
اذ جندت له جميع الطاقات
والوسائل للعمل على

اتجاحه ، وبذل المزيد من
الجهود المادية والمعنوية
من اجل تحقيقه في الوقت
المحدد ، كما انه احدث
ردود فعل عالمية مختلفة ،
فمنظرت اليه بعض الدول
الصديقة والشقيقة على
انه خطوة جبارة اختطتها
الجزائر لنفسها ، ومن
الممكن ان تكون قدوة
لغيرها من دول العالم
الثالث ، بينما راحت بعض
الاوراسط الاستعمارية
والامبريالية تقلل من
اهميته ، وتتشائم من امكانية
تحقيقه ، وفي هذه الاثناء
قام الصحفي الانجليزى
(شارل هارغروف

Charles Hargrove

قراءات في المجلات الانجليزية

اعداد حكمت ياسين

تناولت الصحف الانجليزية والامريكية في
المدة القصيرة الماضية عددا من القضايا والمشاكل
العالمية الهامة ، التى طالما كانت مدار الحديث بين
رجال السياسة في مختلف الدول العالمية . وكان
بعض هذه القضايا غالبا مايخص بلدان العالم الثالث،
ومشاكل تطورها ، وبناءكيانها واقتصادها ،
وبعضها يدور حول مشكلة التمييز العنصرى واضطهاد
البيض في امريكا للمواطنين السود ، والنظر اليهم بعين
الاحتقار والازدراء .

هاما ، ونقطة تحول حاسمة
في طريق البناء والتشييد ،
نلك هو « المخطط
الرباعى » الذى رسمته
الحكومة الثورية في الجزائر
لرفع اقتصاديات البلاد ،
والنهوض بها من حالة

وكان من بين المواضيع
التى تناولتها الصحافة
الانجليزية ، موضوع
« المخطط الرباعى »
بالجزائر ، فمعلوم ان
الجزائر شهدت في بداية
سنة ١٩٧١ حدثا تاريخيا

باجراء مقابلة صحفية مع الرئيس هواري بومدين، دار الحديث فيها حول هذا المشروع وغيره من القضايا الوطنية والقومية . فكتب شارل هارغروف هذه المقابلة في احدى الصحف الانجليزية مقال :

عندما دخل الرئيس بومدين الغرفة كان يضع على جسده الطويل النحيل برنسا اسود ، وكانت ملامحه الصارمة وطريقة تصرفه الدالة على التروى تكشفان عن كرامة وتحفظ اصيلان ، تخفف من حدتهما ابتسامة او ضحكة خفيفة ، ووميض عينيْن حاديْن سوداوين .

فسالته : الى اى مدى يعتقد ان المخطط الرباعى للتنمية الاقتصادية الذى بدىء العمل به فى مارس الماضى ، سينجز ؟ .

فاجاب الرئيس بومدين: اذا كنا قررنا وضع المخطط فذلك لاننا نؤمن به . وان اقتناعنا بذلك قد تدعم بان المخطط سينجز ، ليس مئة بالمئة او تسعة وتسعين بالمئة ، ولكنه سينجز ! . ان المشكل الحقيقى يكمن فى نقص الفنيين والاطارات اكثر من المشاكل المالية ،

وقد عوضنا هذا النقص فى الوقت الحاضر بخبراء اجانب (المتعاونين) .

وتعمانى الفلاحة الجزائرية كذلك نقصا كبيرا فى المسيرين والمدرسين، ويستطيع المرء ان يعد عدد المهندسين الزراعيين على اصابع اليد الواحدة غداة الاستقلال ، لكن القدرة الانتاجية قد ازدادت بدرجة ملحوظة تحت المخطط الرباعى ، وفكرت الحكومة فى العمل على رفع الاهداف العظيمة للزراعة ابتداء من العام المقبل .

واننى اعتقد اننا سنكون بعد عشرة سنوات فى وضع يسمح لنا بالقضاء على ظاهرة البطالة ، وامتصاص اكبر عدد ممكن من العمال، لاننا سنقوم ببرنامج بنائى واسع . واننى ارى ان التطور الاقتصادى هو الحل الوحيد للبطالة ، واى حل آخر يعتبر حلا مؤقتا .

وسالته عن مسألة التعريب التى اولتها الحكومة اهتمامات زائدة .

فاجاب : يتكلم بعض الناس عن ثورة ثقافية ، ان هذا يعنى بالنسبة لنا اكتشاف تراثنا الثقافى واللغوى، ان الدولة التى كانت

تستعمر بلادنا عملت بكل امكانياتها لتحرمننا لغتنا ، ولهذا فانه يجب علينا ان نعيد الى هذه اللغة مكانتها الشرعية ، ونعمل على اغنائها بالتراث الثقافى العالمى .

ثم سالته عن رايه فى مشكلة فلسطين .

فاجاب : ان الحل الحقيقى هو ان نأخذ فلسطين بحدودها الطبيعية، ويعيش داخلها العرب المسلمون والمسيحيون واليهود ، تعايشا سلميا ، حتى ولو اقتضى ذلك تجريد الجميع من السلاح ، ان التعايش السلمى قد يكون صعبا ولكنه اقل شرا .

ويقول الصحفى الانجليزى اننى انهيت المحادثة مع الرئيس بومدين بالكلام حول العلاقات الانجلو - جزائرية فاجاب الرئيس بومدين بأنه ليس هناك مشاكل ، اذ ان التجارة الانجليزية تطورت فى الجزائر بقوة .

وحول مشكلة التمييز العنصرى واضطهاد البيض للسود ، واعتبارهم اقل منهم قيمة حتى فى مستوى الذكاء ، الى درجة ان بعض العلماء العنصريين يقولون

بأن الاختلاف والفروق بين البيض والسود ترجع الى عوامل « عرقية » أكثر منها عوامل « بيئية » .

وقد اهتمت المجلات الأمريكية والصحف الإنجليزية بهذه المشكلة ، وكتبت عدة مقالات تتناول الموضوع من جوانب مختلفة . فقد ظهر في مجلة « نو امريكان سوسولوجيكال رقيو » في العدد الرابع الصادر في شهر أوت سنة ١٩٧١ مقالا اجتماعيا بقلم الاستاذ روبرت جيو الاستاذ بجامعة « وسكونسن » بأمريكا ، تحت عنوان :

« التركيب الحضارى والفرق بين السود والبيض »
فكتب هذا الاستاذ يقول بأنه أجرى هذه التجربة على عدد كبير من السود الذين تم ادماجهم في مدن الولايات المتحدة الأمريكية ، وقبل أن يبين الاستاذ روبرت العوامل التى تؤثر في عملية « التماثل » أو الدمج هذه أوضح المعنى الذى يقصده من كلمة « تماثل » ، فهى تعنى مدى استعداد افراد الجنس الاسود لتقبل نفس الجزء من العمل الذى يقوم به افراد الجنس الابيض ، وتعتبر جميع ابعاده المختلفة

آفاقا للتنظيم الاجتماعى والحضارى .

ويرى الاستاذ روبرت أن هناك عوامل كثيرة تؤثر في « تماثل السود مع البيض ، وأن هذه العوامل يؤثر بعضها ببعض بدرجات مختلفة ، وأهم هذه العوامل هى :

١ - الإقامة المحدودة :
فهو يرى أنه نظرا لاعتبارات كثيرة فإن الإقامة المحدودة لها تأثير هام على جميع أشكال التمييز المختلفة ، وأن القاعدة المنطقية تقول بأن البقعة المسكونة ذات نتائج على الابعاد المختلفة للتنظيم الحضارى ، ويستشهد برأى الاستاذ « هاوولى Hawley » الذى يقول بأن إقامة مجموعة من الناس وحدها في منطقة منعزلة عن غيرها تشجع تمايز واختلاف الخصائص الثقافية وتزيد من ظهورها ، بحيث تصبح هذه المجموعة هدفا سهلا للترقة التى من شأنها أن تنتج تمييزا كبيرا . وقد أثبتت بهر Bahr وجيبس Gibbs أثر الإقامة المحدودة في زيادة التفرقة بين السود والبيض في نواحي الدخل والتعليم والعمل .

٢ - نسبة عدد السكان السود : ولتوضيح العلاقة بين نسبة عدد السود والتمييز ثم اللجوء الى استعمال وسيلتين هما المنافسة والاستقلال .
فيرى البيض أن تزايد السكان السود يشكل تهديدا منافسا لهم في الوظيفة والدخل ، ولهذا فإن ازدياد حجم السكان السود يزيد من إمكانية استغلال البيض لهم ، وذلك لأنه عندما يكون عددهم كبيرا فانهم يضطرون للعمل بأجور منخفضة في وظائف لا يرغبها البيض .

وهناك أيضا النشاط الصناعى ، والمنطقة ، ومعدل زيادة السكان تعتبر عوامل مؤثرة في التمييز بين البيض والسود .

وحول نفس الموضوع نشرت جريدة ديلي تلغراف Daily Telegraph .
» اللندنية في أول نوفمبر ١٩٧١ مقالا للاستاذ « جون ازبىكى John Izbicki تحت عنوان « السود أفضل من البيض في التعلم بالطريقة البيغافوية » . وقد كان هذا المقال قد نشر في مجلة الأبحاث التربوية ، للمعهد

الوطني للابحاث التربوية ، بقلم الاستاذ آرثر جنس عالم النفس الأمريكى بجامعة كاليفورنيا . وقد كتب هذا العالم يقول : ان الزوج نوى الذكاء المنخفض أفضل من البيض من نفس الذكاء فى التعلم الببغاوى أى التكرارى . وان هذا العالم المشهور بعنصريته لم يتراجع عن نظريته القديمة التى تقول بان غروق الذكاء بين السود والبيض هى فى الاصل غروق « عرقية » أكثر منها « بيئية » وهو يرى أن المدارس التى تريد المساواة فى فرص التعليم انما تخذع اطفال المجموعات الاقلية . وقد علق احد مدراء مدارس لندن الذى ربح تلاميذ مدرسته من المهاجرين على هذا المقال بقوله بأنه يمكن أن يخلق نظرية مزينة وجد مخزية فى الاحترام العلمى ، ويمكن أن تخلق النتيجة نوع من مدارس « عرقية » القبطان « لجميع الملونين كما هو الحال فى الولايات المتحدة الامريكية .

وحول مشكلة دخول الصين الى هيئة الأمم

المتحدة : فقد أحدث دخول الصين الشعبية الى هيئة الأمم المتحدة ردود فعل عالمية مختلفة ، وكانت مدار الحديث بين رجال السياسة ومحور الكتابات فى المجلات والصحف العالمية ، وقد تناولت الصحافة الانجليزية هى الاخرى هذه المشكلة ، وهكذا فقد نشرت « جريدة الغاردين The Gardian اللندنية فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٧١ مقالا للسيد جون الكسندر John Alexander نائب رئيس جمعية الأمم المتحدة ، تحت عنوان « الصين ، الدولة اللعبة » قال فيه : لقد ترددت اقوال انفعالية عاطفية حول مسألة تغيير تمثيل الصين ، فى الأمم المتحدة ، وتستند جميعها على ادعاءات غير صحيحة مرتبطة احيانا بالخوف من احتمال ظهور مشكلة مسبقة ، غير أن هذا تقويم خاطئ لنتائج السلبية .

ان المشكلة موجودة قبل أن توجد الأمم المتحدة نفسها فممنذ الانتصار الشيوعى على أرض الصين الام ، من هو الذى سيمثل شرعيا دولة الصين (ليس تايوان وحدها ، أو الصين الام

وحدها ، ولكن الامة الصينية الواحدة) فى أسرة الامم المتحدة .

ان من الانصاف القول بان هذا العمل هو المخرج الوحيد الذى اتفقت عليه الحكومتان المتنافستان (جمهورية الصين فى تايوان وجمهورية الصين الشعبية فى بكين) التى تطالب كل منهما بحق حكم امة الصين الواحدة . لقد حلت المشكلة لصالح جمهورية الصين الشعبية بعد عشرين سنة من سوء التمثيل ، ورغم الاجراءات الهزلية والضعف التى كانت تمارسها بعض الدول لاسيما الولايات المتحدة الامريكية وراء الكواليس لتثبيت وضع تايوان . ان حضور وفد بكين قد يسبب بعض المشاكل فى مجلس الامن وهيئات الأمم المتحدة الاخرى خاصة بالنسبة لدول الغرب . ولكن بالنسبة لشديدى الشغف لهذا المارد المجهول (الصين الشعبية) والذين يشعرون أن الأمم المتحدة يمكنها الآن ، والان فقط ان تبدأ لتجعل من نفسها « أداة فعلية للسلام » على أساس العضوية العالمية - فان هذا العمل

خطوة ايجابية مرضية في الاتجاه الصحيح ، ومن المؤكد أنها جعلت الامم المتحدة مرآة حقيقية للعالم الحديث بتثيلها ربع البشرية في الامم المتحدة من قبل حكومتهم الفعلية مهما كانت ايدولوجيتها .

وعلى كل حال فقد ظهر بسبب هذا القرار مشكلتان لا تزالان بدون حل وهما : مستقبل تاويان ، والازمة المالية للامم المتحدة .

أما بالنسبة لمشكلة تاويان فأننى أعتقد أنها ستحل نفسها بنفسها عند موت تشنغ كاي شيك ، أو باجراء استفتاء يقرر فيه شعب تاويان بحرية مصيره ، فاما أن يحدد علاقاته مع الصين الشعبية وأما أن يبقى دولة منفصلة عنها .

أما مشكلة ضمان مالية الامم المتحدة فأنها أكثر الحاحا . وبالرغم من التهديدات الامريكية بتخفيض مساهمتها في ميزانية الامم المتحدة (شئ محزن) ، وخاصة أنها تنبعث من فشل السياسة الامريكية ، فان هذه المساهمات القليلة في هذه المسيرة الطويلة لا يمكن اعتبارها غير مرغوب فيها، ذلك انهم الصعب جداً أن تعتمد الامم المتحدة الى

درجة كبيرة في الناحية المالية على عضو واحد (٣٣ ٪ من ميزانية الامم المتحدة ، و ٤٤ ٪ من ميزانية الوكالات المتخصصة) .

ولهذا فانه يجب على جميع أعضاء الامم المتحدة ، أن لا يولوا اهتمامهم فيما إذا كانت الامم المتحدة تنفق ميزانيتها بطريقة مفيدة فحسب ، بل أيضاً (وهذا أكثر أهمية في رأى) فيما إذا كانت هذه الميزانية كافية تماماً لدفع أجور الوظائف المتعددة التى تطلب الدول الأعضاء ايجادها في الامم المتحدة .

وفي مجال الطب والاختراعات الطبية ، كتبت مجلة نيوزويك الامريكية في عددها الصادر يوم ٦ ديسمبر ١٩٧١ مقالا حول آخر الاختراعات التى تعمل على ازالة غموض مهنة الطب ، وجعلها في متناول جميع الافراد . وكان المقال بعنوان « افحص نفسك بنفسك » .

اعتاد الناس أن يعتبروا الطب فنا غامضا ، لا يعلم أسراره الا الاشخاص الذين يحملون الحرفين السحريين د . ط (M.D.) بعد اسمائهم . غير أن هذا

الخوف بدأ يتلاشى شيئا فشيئا ، وبدأ الالاف من أبناء الولايات المتحدة الامريكية يشتررون (الصندوق — العداد) الذى يجعلهم قادرين على أن يجروا في منازلهم الخاصة بعض الفحوص الطبية البسيطة مثل : تشخيص حالات الحمل ، وقياس ضغط الدم .

وفي الحقيقة فان جهاز « افحص نفسك بنفسك » يعتبر حاليا عملا ثوريا في ميدان الطب ، حيث أنه يستطيع على سبيل المثال قياس مستوى الجلوكوز بعد وجبات الاكل عند المصابين بمرض السكر .

ان كثيرا من الأطباء يوصون مرضاهم ذوى التأثير السريع باستعمال قربة بسيطة لقياس ضغط الدم ، غير أن الدكتور وليام باركلى رئيس الجمعية الطبية الامريكية يقول بأن الطبيب والمريض كانا يشتركان في هذه العملية معا ، أما الآن فان المريض يفحص نفسه بدون مساعدة الطبيب ، وليس هناك ما يوحى بوجود ضرر من جراء ذلك .

وأفضل ما في الامر هو أن الثلث من أجهزة الفحص الذاتى هي الآن إما في عداد

البيع ، واما في طريقها الى المستودعات . ومن بين هذه الاجهزة :

١ - اوقا OVA III : وهو جهاز اولى لفحص حالة الحمل ، وبناء على تعليمات مختبر فردى فى مدينة هلسايد ، المتكف بصناعاته ، فان الفحص يشتمل على : اضافة البول الى قارورتين فيها مادتان كيميائيتان ، ثم يقارن لونى القارورتين ، ومنه يمكن معرفة ما اذا كانت المرأة حاملا ام لا . وقد اثبتت الفحوص التى اجريت على ١٠٠٠ امرأة ان جهاز اوقا ٢ مضبوط بنسبة ٩٦ر٥ بالمائة . وعلى اى حال فقد اوصى مختبر فردى زبائنه بعدم اجراء الفحص الا بعد اخذ نصائح الطبيب .

٢ - سيرز Sears : وهو جهاز لقياس ضغط الدم . وتجرى العملية بان يضع المريض قربة (وعاء مطاطى) حول زراعته ويكيفها جيدا ثم ينتظر ، وفى هذه الاثناء يلتقط جهاز مكرفون صغير موجود داخل القربة ضربات ضغط الدم ويسجلها الكترونيا . غير ان هذه الاجهزة ليست سهلة الاستعمال ، اذ انه

لا يستطيع معرفة النتائج الا طبيب ماهر متخصص .

٣ - جهاز فحص الاخصاب Fertility Testor وهو جهاز من انتاج مخابر وستون بمدينة اوتاوا ، وهو يبين فيما اذا كانت المرأة فى حالة الاخصاب . ويعتمد فى عمله على كون الجلوكوز يظهر فى المهبل اما قبل عملية الاخصاب (التبويض) مباشرة ، او اثناءها . ويتألف من شريط يتغير لونه بفعل الجلوكوز . ولاجراء الفحص تدخل المرأة هذا الشريط فى مهبلها فاذا ظهر فيه اى اثر للون الازرق ، فان ذلك يعنى ان المرأة فى عادتها الشهرية حيث يمكنها ان تحمل .

٤ - اجهزة بابت - بيبث Panette Pipette : وهو جهاز يساعد على تشخيص واكتشاف اضطراب الرحم . ويتألف من « واضع » يضع محلول كيميائى فى مهبل المرأة ، ومن « شفاط » يمتص المحلول بعد ان يكون قد غسل جميع خلايا المهبل ، ويرسل المحلول بعد ذلك الى المختبر للفحص . ان الميزة الرئيسية لثل هذه الفحوص والاجهزة انها سهلة جدا للفهم والعمل ، وهذا ما

يسمح باستعمالها حتى من طرف الناس غير المتدربين . ولكن هذه البساطة نفسها هى التى اوجدت الخوف عند كثير من الاطباء . فقد قال الدكتور داقيد فوركوشى مدير مستشفى فوركوشى فى شيكاغو : « ان اجهزة باب سميترز رائعة ، ولكنها لا تخبرك ما فيه الكفاية عن بعض الاشياء التى يبحث عنها الطبيب عندما يجرى فحصا داخليا على امرأة . ومن الممكن ان توجد بعض الامراض التى لا يمكن تشخيصها الا بفحوص ادق . »

ونفس هذا الانتقاد وجه الى جهاز قياسى الضغط ، فرغم ان ادوات سيرز تقيس كلا من ضغط انقباض القلب ، وضغط تمدد القلب الا ان هناك اجهزة لا تقيس الا ضغط انقباض القلب . غير ان اخطر ما قد يواجه المريض هو امكانية اجراء تشخيص خاطئ للمرض معتمدا بذلك على المعلومات التى حصل عليها من جهاز افحص نفسك بنفسك . فمثلا فان نتيجة خاطئة لعملية « فحص الحمل » المنزلى ، من الممكن ان تؤدى الى صدمة عاطفية ، ووقوع عملية اجهاض غير ضرورية

وحول هذه الاضرار المحتملة قال الدكتور باركلي : في الايام التي سيصبح فيها الاطباء ، والفحوص الطبية غير مضرين ، فلن تكون هناك نتائج غير النصب والخذاع . ولكن لسوء الحظ فان اخطائنا في التشخيص والعلاج قوية وخطيرة . وفي حالة الحصول على نتائج غير صحيحة فسواجاه المريض أزمة مالية وصحية .

ويقوم مكتب ادارة التغذية والتموين (FDA) باعداد مشروع لتطوير بعض الاجراءات الجديدة لتنظيم عملية تدفق اجهزة الفحص الطبى الذاتى الى السوق . وقد قال الدكتور هنرى سيبنونس مدير مكاتب ادارة التغذية والتموين : انه من المهم جدا ان تؤكد دقة وتعقيد هذه المخترعات البسيطة ، لانها تؤثر على الفحص وتوصل الى العلاج الصحيح .

ثم كتبت المجلة نفسها بعد هذا المقال مباشرة مقالا صغيرا بعنوان « فيتامين «س» موضوع حوار » .

واجه عالم الكيمياء الحيوية المستر لينوس بولنغ ، هجومات كثيرة من طرف الاطباء من جميع

الاتحاء عندما نادى في الشتاء الماضى بوجوب استعمال كميات كبيرة من فيتامين «س» كوسيلة فعالة ضد البرد العام . واثبتت الانتقادات الموجه اليه بان الدراسات التي اعتمد عليها في تصريحاته حول فيتامين «س» تمت بدون مراقبته الشخصية ، ولم تكن كافية للاقتناع . غير انه رغم انتقادات معظم الاطباء فان الملايين من سكان الولايات المتحدة الامريكية اخذوا بنصيحة بولنغ وبدأوا في الحال يشتررون فيتامين «س» .

والآن مع عودة البرد ، والانفلونزا ، اخذ الناس يستهلكون كميات كبيرة من فيتامين «س» حتى ان المصادلة اعلنوا في كثير من المناطق ان الطلاب لفيتامين «س» مرتفع جدا الى درجة انهم اصبحوا يواجهون اضطرابات في تخزينه .

وعلى كل حال ، فقد اجريت في جامعة مارى لاندى دراسات حديثة على فيتامين «س» فظهرت بعض الايضاحات الاكلينيكية المخالفة للنتائج التي توصل اليها بولنغ . ولكي يختبروا فعالية فيتامين «س» قام الدكتور شوارتز والدكتور

ريتشارد هورنيك باجراء تجربة على مجموعتين من الاشخاص ، فقدموا لكل فرد من افراد المجموعة الاولى (احد عشر طالبا) مقدار ٣ غم فيتامين (س) يوميا ولمدة اسبوعين ، وقدموا لافراد المجموعة الثانية (عشر طلاب) اقراص بليسبوس

ثم بعد ذلك اعطى الاطباء جميع هؤلاء الاشخاص (٢١ طالبا) جرعات تحتوى على مائة جرثومة من الجراثيم التي تسبب البرد العام ، وتابعوا تناول فيتامين «س» واقراص بليسبوس لمدة اسبوع اخر . ولكن بعد يوم او يومين من التطعيم بجرعات الجراثيم ظهرت علامات البرد على الاحدى والعشرين (٢١) شخصا ، منها سيلان المخاط من الانف وريحة الحنجرة ، والسعال . وصرح اطباء مارى لاند بانه لم يظهر اى فرق في شدة او مدة المرض بين الاشخاص الذين تناولوا فيتامين «س» والذين تناولوا اقراص بليسبوس .

وخلص الدكتور شوارتز والدكتور هورنيك من هذه التجربة بان فيتامين «س» ليس له فعالية ابدأ ضد البرد . واضاف الدكتور

شوارتز بأنه رغم هذا فان الناس الذين يعتقدون بأن فيتامين «س» يشفى ويزيل البرد ، سيتابعون استعماله دون الالتفات الى النتائج العلمية ، وخاصة أبناء الولايات المتحدة الذين تدوس متطلباتهم العاطفية جميع الحقائق العلمية . وفي هذه الاثناء قام مكتب ادارة التغذية والتموين بتطبيق مراقبة صارمة على هوس (ولع) الناس بفيتامين وقد رفض في الشهر الماضي

مقدار تسعة ملايين قرص من اقراص فيتامين س . واعلنت الوكالة باندعاش ان هذه هي المرة الرابعة عشرة التي يقدم فيها المكتب على مثل هذا العمل ، منذ شهر ماي الاخير وقد بلغ عدد الاقراص التي شملها الرفض ١٠٥ ملايين قرص . وقد كانت الاقراص التي شملها الرفض الاخير نوع من فيتامين «س» يدعى «اسكوريبت الصوديوم» .

حيث انه رغم ان وجود الصوديوم مفيد لكثير من الناس ، الا انه مضر بالاشخاص المصابين بمرض القلب او بارتفاع ضغط الدم . وقد اثبت الدكتور رالف موما ان نبضات ضغط الدم عند الفئران تزداد بشكل ملحوظ عند اعطائها ويعتبر هذا الارتفاع في نبضات الضغط احدي العوامل الرئيسية لمرض القلب وهذا اشد خطورة من البرد العام .

باري ماتش تشبه وباء الكوليرا الذي يجتاح العالم بنجود محمد الفاتحين
كتب ريمون كارتبي في عدد باري ماتش ال ١١٦١ بتاريخ ٧ غشت الحالي مقالا (ص ٢٦) تحت عنوان وباء الكوليرا يغزو افريقيا ويهدد العالم منطلقا من اندونيسيا . فسأني ما قرأته لهذا الكاتب الفرنسي . قال : ان الكوليرا اكتشفت بمحض الصدفة سنة ١٩٠٥ أصيب بها حاج من مكة المكرمة . ولقد ترعرع داء الكوليرا في اندونيسيا المسلمة ومن ثم انطلق سنة ١٩٦١ كانطلاقة جنود محمد (صلعم) الفاتحين . وبدا يغزو العالم دائما مثل جنود محمد الخ ..
حاول كارتين بهذا الطعن فينا تشبيه الفتح الاسلامي الذي وقف عند حدود جبال البرانس بداء الكوليرا الذي وصل الى عين المكان .
وانه لمن الحيف نترك مثل هذه المقالات الشنعاء تدخل بلادنا وتسهم عقول شبابنا ولا يبالي بها البتة .

احمد والشاني غناية

والخبر في هذا الخريف ظهر
كتاب : الإنسان العاury .

وتقييم هذا الإنتاج لم يبدأ الا
مؤخرا . وهذا التقييم يقدم
المؤرخين والانتولوجيين وعلماء
اللسانيات والمناطق كما يقدم في
نفس الوقت زيادة على تصنيف
مجالات البحث عديدا من طرق
المعرفة في جميع ابعادها والتي
يكون محورها الرئيسي :
الاساطير ..

س - الفج والناصح عنوان
اول كتاب من مجموعة الاساطير
يبين كيفية انتقال الانسان من
المرحلة الطبيعية الى المرحلة
الخدنية . وفي نفس الوقت
وبواسطة تعارض قائم على
ظاهرة وجود او عدم وجود عملية
الطبخ .

واما الجزء الثاني من مجموعة
الاساطير الذي يحمل عنوان
« العسل الى الرماد » فهو
تسجيل لتتابع ومتملقات عملية
الطبخ . والجزء الثالث من
مجموعة الاساطير هو اصل
عادات الاكل وهو في الحقيقة
« ميلاد اخلاق » .

فاين نضع الجزء الرابع
والاخر من مجموعة الاساطير وهو
الانسان العاury ؟ وهل يندرج في
سياق هذه المجموعة مع ان
عنوانه يبدو لنا لاول وهلة
غربيا ؟

يعتبر كتاب « الإنسان العاury »
لمؤلفه المعروف « كلود ليفي
ستراوس » تنويعا لمجموعة من
مؤلفات استغرقت سبعة اعوام
دشنها بمؤلف تحت عنوان
« الفج والناصح » . ولقد حاول
ان يستخدم منهجا جديدا للتحليل
الاسطوري من خلال الاساطير
« الامريكية » كما حاول في نفس
الوقت تطوير نظرية الفنون ،
ونظرية الانسان مواصلا بذلك
ما كان قد بداه في مؤلفاته
السابقة ، ومؤكدا فكرة اخلاقية
انطلق فيها من وجهة نظر
انتولوجية . هذه الفكرة الاخلاقية
التي برزت الى الوجود موضعا
الاسباب التي ادت الى ظهور
هذا المطق (المجهول) الا وهو
الفكر المتوهش .

ان مجموعة الاساطير تشمل
على اربعة اجزاء هي :

الفج والناصح (١٩٦٤) ومن
العسل الى الرماد (١٩٦٦)
واصل عادات الاكل (١٩٦٨)



نقله الى العربية : ابن عمار
الصفير
اجرى الحديث : ربحون بلور
(لوموند ديليفر) ٧١-١١-٥٥
الملحق الثقافي لجريدة لوموند

ج - اعلم بأنه كان واضحاً منذ البدء في ذهنى بأنه ما دامت الكلمة الأولى هي « الفج » فالمكينة الأخيرة لابد أن تكون هي « العارى » في الحقيقة هذا الاختيار كان وليد « مصاحبتى » للأساطير وتتبعها سواء في أمريكا الاستوائية أو في أهماق أمريكا الجنوبية . لقد وجدت نفسى أمام مفارقة حيث أن نفس الأساطير تواجهنى حيثما حللت بل هي الأسطورة الوحيدة التي أجدتها في مناطق مختلفة من العالم الجديد . غير أن الأسطورة تأخذ أشكالاً مختلفة وذلك من منطقة إلى أخرى، بل من أسرة ليسانية إلى أخرى ومن معشر ثقافى إلى آخر . وإذا كان هذا التحول الذى يحدث مثلاً لهنود أمريكا الاستوائية من الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة الثقافية (المدنية) يرمز بالانتقال من الفج إلى الناضج (من عدم الطهى إلى الطهى) فالرمز يختلف بالنسبة إلى هنود أمريكا الشمالية إذ هو اكتشاف للملابس والزينة والأزياء .. ويبلغ التبادل التجارى ...

س - في كتابكم الثالث تقولون بأنكم طورتم منطق الصادات الحسية في الفج والناضج أما في كتابكم من العسل إلى الرماد فقد كان اهتمامكم بالنطق الشكلى لمعادات الأكل والجلوس حول المائدة ... وسؤالى هو : كيف حدث الانتقال في جميع المستويات والطريقة المتبعة والنتيجة التي وصلتم إليها في الجزء الرابع ؟

ج - لنقل منذ البدء بأن منطق المستويات الثلاثة يظل أبداً قائماً بالنسبة للأجزاء الأربعة ، وهذا الذى نلاحظه إنما هو تطور ضمنى نلمسه في سياق هذه المؤلفات جميعها ، وليس مجرد مراحل منفصلة بعضها عن بعض تبعاً لهذه الأجزاء .

في كتابى « الفج والناضج » حاولت إبراز الخصائص المادية الأولية التي كانت مهملات (التعارض بين الفج والناضج ، الطراز الطرى واليابس العالى والأسفل) والى استخدمت في التفكير الأسطورى كقطع للتوزيع ولكل قطعة منها دلالة منطقية خاصة بها

ومع تطور هذه الظواهر وتعقدها حاولت إدخال عناصر أسطورية جديدة حتى أتمكن من تحليل وفهم مستوى الأسطورة : موضوع البحث .

فالتعارض البسيط يرتفع ليترك المجال لتعارض قائم بين العلاقات الموجودة بين المفاهيم لا بين المفاهيم نفسها ، وهذا ما همت به فعلاً في الجزء الثانى والثالث مؤكداً بأن النطق في هذه المرحلة أكثر مرونة وهو في الوقت ذاته أشد تعقيداً .

أما في الجزء الرابع فأتينا نجد نفس الصور المنطقية الثلاثة تتطور ، والعنصر الذى أوردته له اعتباراً كبيراً هو العلاقة الانشائية المنطقية والتي لها خصيتها الخاصة وينبتها الأساسية

الطبيعية - الاقتصادية لهؤلاء السكان . فالتحول من العجاجة حتى العرى تدأهمل أصل المطبخ ولكنه يلح على إنشاء التبادلات التجارية (مواد الاستهلاك ، الملابس ، الحلوى وتبادل الزوجات) هذا الإنشاء الذى يرمز إلى الانتقال من الحالة الطبيعية إلى الحالة المدنية . وهذا الانتقال يكون مستحيلاً إذا لم يكن السكان مشتغلين بالفلحة ، على العكس من ذلك كان أمريكا الجنوبية (وقد تناولتهم بالدرس) الذين يشتغلون بعمد الأسماك والصيد البرى والالتقاط ويعومون الأشغال الأخرى بممارسة النشاط التجارى . فلهؤلاء السكان الذين يقيمون أسواقاً رئيسية وأخرى ثانوية بين القبائل تارة وفي إطار قبيلة واحدة تارة أخرى ، حيث يلتقى السكان المتجاورون أصدقاء وأعداء ميزة حضارية هامة : هذه الميزة لا تكن في التعارض الموجود بين الإنسان والحيوان (الإنسان يأكل الناضج والحيوان يأكل غير الناضج) ونك في علاقة التعارض الموجودة بين الشعوب المختلفة من حيث وضعيتهم وقدراتهم التجارية التى تمكنهم من تنويع دليلهم الاقتصادى والذين يقتصرون في معيشتهم على ما ينتجون .

س - هل تعتقدون بأن هذا المجال المفلق - نسبياً - الذى حددتموه للبريكيتين شيء ضرورى لتابعة نوع التحليل الذى

الخزيمه ؟ وهل تستطيعون في هذا المجال اجراء بحث محدد ودقيق حول كل واحدة منهما ؟
ج - بديهي أنه ليس الطريق الوحيد الممكن بالنسبة الى غير ائني لا اعتقد بانني سأصل الى نتيجة مماثلة اذا قمت بفصل البحث واستعمال طرق مختلفة بالنسبة للمنطقتين . لقد واجهت هراقل أثناء البحث لتأليف كتاب « أصل عادات الاكل » وذلك لان الاساطير الموجودة في أمريكا الجنوبية هي أصل غنى من الاساطير الموجودة بأمريكا

الشمالية (ان هذا المارق ليس مارقا جوهريا بل راجع الى ان الاهتمام كان أكثر بالمنطقة الأولى) لقد لاحظت ان المنطقة ملتقطة الى بعض « العوامل » الموجودة بالمنطقة الشمالية ومن ذلك فقد اضطررت الى هذا النوع من الدراسة (مزج الاساطير لمتابعة البحث) .

ان الطريقة التي اتبعتها مكتنى من بلوغ غايتي وذلك باستعمال كل الاساطير من أي منطقة لمتابعة التحليل وهو الشرط

الوحيد الذي يفشل في ميدان البحث العامل البشري . ان هذه تكتنى من استخلاص المسائل المشترك بينها وهذا ما حاولت ابرازه في الجزء الرابع والطريقة الميزة للطهي لكل شعب - وقد مكتنى هذا من ناحية أخرى التعرف أكثر على هوية الاسطورة سواء في الشمال الغربي لأمريكا الشمالية أو وسط أمريكا الجنوبية وباختصار أقول بان اكتشافى للاختلافات الموجودة من منطقة الى أخرى راجع الى توسيع ميدان المقارنة

بيوغرافية

- ١٩٠٨ - ميلاد كلود ليفي سترواس بمدينة بروكسال (بلجيكا) من إبيوين فرنسيين
- ١٩٣١ - نجاحه في شهادة التبريز في الفلسفة بعد دراسة في ثانوية جانتون دي سالي وجامعة السريون .
- ١٩٣٥ - استاذ بالبرازيل وساويالو ويشرف على البعثات الى ماتوغروسويا لاسزون .
- ١٩٣٩ - يعود الى فرنسا - يجند -
- ١٩٤٠ - تعزله حكومة فيشي
- ١٩٤١ - بهاجر الى الولايات المتحدة . يدرس بجامعة نيوشكول فورسوسيال وسارش ثم بالدرسة الحرة للدراسات العليا بنيويورك .
- ١٩٤٦ - مستشارا ثقافيا بالسفارة
- ١٩٤٧ - يعين نائب مدير متحف الانسان
- ١٩٥٠ - مدير الدراسات بالدرسة التطبيقية للدراسات العليا
- ١٩٥٩ - ينتخب بالكوليج دي فرانس حيث يشرف على مخبر الانثروبولوجيا الاجتماعية

بيلوغرافية

- ١٩٤٩ - البنيات الأولية للأسرة (المطبعة الجامعية الفرنسية)
- ١٩٥٢ - مرق وتاريخ (اليونسكو)
- ١٩٥٨ - الانثروبولوجية النيباوية (بلون)
- ١٩٦٣ - أ (الطوطمية اليوم) (المطبعة الجامعية الفرنسية)
- ب (التنكر المتوحش) (بلون)
- ١٩٦٤ - من العمل الى الرماد (بلون)
- ١٩٦٦ - الفج والناضج (بلون)
- ١٩٦٧ - البنيات الأولية للأسرة (طبعة بنتجة موفون وشركاه باريس)
- ١٩٦٨ - أصل عادات الاكل (بلون)
- ١٩٧١ - الانسان العاري (بلون)
- (ان هذه البيلوغرافية لا تشغل على المخاللات المعقدة)

أقوم مسلك وأنجع طريق لإثارة
ظك المشاكل والبث فيها على
الصواب الاتوم . ويرهن
البحوث كذلك على أن اللسغة
العربية تستجيب بكل طواعية
وسلاسة وبرونة لتطلبات العصر
في أدق مفاهيمها ، سواء كانت
علمية أو فلسفية أو وجدانية

الملتقى اذن كان ملتقى
الإصالة الصبية وملتقى الثورة
بأكل وأسى ممانيتها . ان
العودة الى منبع الاسلام الصحيح
والانطلاق منه الى نور العلم
والاخذ بأسباب الحضارة هو
المنهج الذى شرعه ملتقى
« وهران » للامة العربية
الاسلامية ، عساها أن تسلك
هذا الطريق بخلط ثابتة وقلوب
مؤمن وعزم صارم .

محمد ولد بابا

واكد الملتقى عليا أن
في الاسلام الصحيح ، ديننا
وشريعة ، من المبادئ السامية
والقواعد التشريعية المنة ، ما
يرر اى اجراء ، سياسى كان
أو اجتماعى أو اقتصادى ، اذا
كان هذا الاجراء يهدف الى بناء
مجتمع متكامل تسوده المساواة
والتعاقد وينعم بالحريية
والكرامة ، يكفى دليلا على ذلك
نظام الاسرة الجزائرى والاصلاح
الزراعى . وبهذا يكون الملتقى
أبرز حقيقة جليلة طال ما طفت
عليها الشبهات الباطلة والآراء
المفرغة الغائلة بأن الاسلام
جامد وعاجز عن مسايرة متطلبات
العصر ، والبحوث العلمية التى
استمتنا اليها وناقشناها بحرية ،
تناولت جميع مشاكل العصر ،
أخطرها وأدتها ،
واستعمرت جميع الحلول
المحتلة لها ، فكان الاسلام

منها دقة التنظيم وحسن ترتيب
العمل والتحكم فى الزمن ، بغض
النظر عن حسن الضيافة وتوفر
وسائل الراحة للجميع ، ومنها
أيضا حرية المناقشة ومراحقتها
وموضوعيتها ، فى اتجاه نقدى
واسلوب علمى ، كل ذلك فى جو
ودى يبين عليه الجد والوقار .

وملاحظة أخرى أرى من
واجبى أن أسجلها فى حق الطلبة
والطالبات المشاركين فى الملتقى ،
أن قوة انتباههم وانضباطهم
ومحافظتهم على النظام وسلوكهم
القيم لا يتأتى لكثير من شباب
اليوم . ودعشت لما رايت فيهم من
تعطش للمعرفة ، ودقة فى
الملاحظة ، ونضج فى التفكير
وتكامل فى الشخصية وإقدام على
الخرص الواسع فى مناقش العلوم
وتفهم لأوضاع أمتهم ، وأستطيع
أن أقول ، بحكم التجربة
والممارسة ، أن هذه الخصائص
يتميزون بها عن زملائهم الذين
لم يتشبعوا بالثقافة الاسلامية
وهذا استنتاج خطير يلفت الانتظار

ذكرى كارثة المسجد الاقصى وفلسطين

من شعر .. « أبى الحسن على » استاذ بتكيبية ابن عمر - القبة

وأشرم فيه النار بياغ وماكر
فخرت على جمر الفضاة منابر
نشتت لهول الاعتداء المرائر
يباهى بها تاريخنا وبغاسخر
على شلوها قلبت تنوح المناير
تعوده من قيل وهو مفاخر
تباه حوى الاسلام والسلام فاجر
تقدسه الأديان بباد وحاسر
وموشى قير العين بالعرب ساخر
ونابت بأحلام المسرات ماير
بأرزائها ، والجذ بالعرب هائر
وقد عملت فيه الذى والخناجر
وشبابه حتى الشيوخ الأكابر
من التمس ، ابن الصديق المناصر
وكم نشرت للاحتجاج دفاكر
وبحت برمح الاحتجاج مانجر
أليس لديه للجواب مصائر ؟
وغاشت بأثلاء الضحايا مقابر ؟
وفى كل شبر بالمساء مزاجر
وفى القدس مختال وناء وآبر
أليس لديهم تصباج المناكير ؟
وهل ترموى من غيبن النواجر ؟

على المسجد الاقصى اعتدى اليوم غادر
حريق ويا للبول شوب أواره
تداعت له الأركان والسقف قد هوى
حريق إباد اليوم وجه حضارة
فيا لك من حسناء راحت ضحية
بغى وطنى صهيون طغيانه الذى
على مسع الدنيا ومراى شعوبها امه
وراحت عصابت اليهود تهين ما
السنة النيران تنقد فى القضا
نبات على جمر الفضا كل مسلم
سلوا سنوات الاحتلال التى مضت
سلو دير ياسين الذى شهد البلا
أما ذبحت أطفاله ونساءه
سلو فى خيام اللاجئين طوائفنا
فكم من شكاوى سجلت بشوهم
فكلك بسجيل الشكاوى مطابع
سلو خائسا من شهر يونيو وما جرى
أما ملئت بالإبرياء شجوتهم
ففى كل يوم تكبة وزريرة
وصهيون وسينا وجولان هايت
فلا محب أن أحرقوا اليوم مسجدا
الم يقتلوا رسلا كراما وما أرموا

أما أبعاد الملتقى فهو بالقبة
الاهمية بالنسبة للجزائر والعالم
الاسلامى بأسره ، أن اقتراحات
الملتقى وتوصياته ستكون لها
نتائج محدودة وأمداء بعيدة
الذى .

لكن الملتقى فى ذاته هو تحدى
لتحديات عديدة كنا وما زلنا هدفنا
لها نحن المسلمين ، تغزونا فى عقر
دارنا وتهتك حرمنا . وكان لابد
من التصدى لها والرد عليها بحجج
العقل وأدلة المنطق ، وجاء
الملتقى شاميا كائنا فى هذا
المضمار . واستهدف الملتقى
شيئا آخر أهم فى نظرى من الرد
على التحديات الموجهة لنا ، ألا
وهو إبراز حقيقة أكيدة لابد من
الإيمان بها والعمل على أساسها ،
وهى أن بناء مجتمع حورى
اسلامى جديد منوط بربط ما فيه
بحاضره والاعتقاد على مقوماته
الجهورية : دين الاسلام والثقافة
العربية .

في هذا العدد

نص كلمة الرئيس هواري بومدين في مسجد القروان
معركة التنمية والاصالة وجهان لمعركة واحدة في مغربنا العربي الكبير ٢

دراسات ثقافية وأدبية

- مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ المهدي البوعبدلي ٥
طوفان الاستلابات - الاستلاب الحضاري عبد المجيد مزبان ١٣
الحقيقة عند نينثشة - ٢ عبد الله شريط ٣٣
الالتزام الايديولوجي في البحث العلمي الاجتماعي - ٢ د . محمد العربي ولد خليفة ٤١
النزعة الانسانية والجمالية عند ابن باديس د . عمار طالبى ٤٩
المسيلة وامارة بنى حمدون احمد بن زباب ٥٥
الملكية والمزاحمة محمد عزيز الحبابي ٦١
القروض والنقود في مدينة الجزائر د . عبد القادر على حلمي ٧٣
دور الاديب العربي في بناء المجتمع المعاصر د . احمد عروة ٨١
نهضة التعليم الاصلى في الجزائر علال الفاسي ٨٩
جوانب من علم الاجتماع الثقافي ببلاد المجر د يوسف نسيب ترجمة د . حنفي بن عيسى ٩١
تاريخان ومجتمعان عبد الرحمن بوزيدة ٩٧

نقد

- حول كتاب نقد الفكر الديني للدكتور جلال المعظم عبد الله شريط ١٠٢
دراسات تاريخية
معركة زاما محمد الميلي ١٠٧
العلاقات بين الجزائر وايطاليا خلال العهد التركي : سلفاتور بونو ترجمة
ابو القاسم بن التومي ١١٣

دراسات اسلامية :

- دور الاسلام في تاريخ الانسانية د . عبد الكريم جرمانوس ١١٩
كتاب الاصاله :
ازدواج الدلالة في الثقافة العربية اشرف جاك بيرك ، جان بول شارنيه تقديم

د . محمد بديع الكسم ١٣١

١٣٧

١٤٩

١٥٧

النشاط الثقافي :

مع التيارات الفكرية العالمية

ندوة القراء

معركة التمنية والأصالة

ومهران لمعركة واحدة في مغربنا العرب الكبير

نص كلمة الرئيس هواري بومدين في القروان ليلة المولد النبوي الشريف

الاسلامية بفكرى المولد النبوي الشريف لتمجيدها لتلك القيم الشريفة وتعزيزا لها في نفوس اجيالنا في جميع العصور وخاصة في هذا العصر الذي أصبحت تتعرض فيه لاصناف الهزات وترد اليها مختلف التيارات وتشتهه عليها عديد الاتجاهات .. وان في زيارتكم سنويا للقيروان بهذه المناسبة .. مناسبة بزوغ فجر الاسلام علينا لسنة حميدة تدل قيما تدل عليه على مدى تشبثكم بمبادئ ديننا الحنيف وعلى حرصكم على التفكير بما كان لهذه المدينة من دور في حضارتنا الاسلامية المجيدة التي كانت اساس نهضة اوربا

كان عقبة رضى الله عنه بينائه مدينة القيروان ومسجدها الذي مازال يحتفظ بمحاربه الذي خطه بنفسه يرمى الى ان يجعل منها حصنا للاسلام حصينا ومن مسجدها منابر للعلم . وكانت فعلا كما قال عنها عقبة حين تخطيطها : « انى ارى ان اتخذ بها مدينة تجعلها معسكرا وقيروانا تكون عزا للاسلام الى آخر الدهر » . وكم من شجرة مباركة امتدت من عاصمة الاغالبية جذورها وتعددت فروعها وكم من عالم مشرع وضع السنن وضاء للاجيال السبل ؟ وكم من قائد اعطى المثل باستشهاده وكم من نطاسى حكيم درج فوق ثرى مدينتنا هذه رجال وصلوا سواد ليلهم ببياض نهارهم في تكوين اجيال من بناء الحضارة ورواد الفضيلة وشهداء الحق فهذا اسد بن الفرات قاضى القيروان وفقهها بترك مجلس القضاء ويخوض عباب البحر حتى يقضى نحبه ويقاىل في سبيل الله حتى وقع شهيدا ؟

وهذا ابو جعفر احمد بن ابراهيم الجراد

لسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ، فخامة الاخ الرئيس .. اخوانى معشر المسلمين .. مناسبة من اجل المناسبات ، واحتفال باعزائنا الدينية ، ذكرى المولد النبوي الشريف ، وبالأذات في هذا المسجد العتيق الذى هو اول مسجد بنى على تقوى من الله في ربوعنا وفي هذه المدينة العريقة عراقية العربية والاسلام لنا والتي كانت اول عاصمة للاسلام في مغربنا .. اقول : ان في هذا كله لاكثر من مغزى عميق ، لاوسع من تفكير باوثق رابطة بيننا وهى الصلة الروحية المقدسة التى تفرض التضامن المطلق ووحدة المصير .. اننا ونحن نطا هذه التربة الطاهرة من قيروان عقبة لتقميرنا الذكريات الخالدات للعهود الزاهرة للاسلام الذى اشع نوره على هذا المغرب الكبير فحرر العباد من الاغلال والاستغلال ، وطهر البلاد من فلول الغزو والاحتلال وزكى العقول والارواح بقيم جيدة عليا وكان منطلقا لحضارة من اغنى الحضارات وامجدها ولقد كان عقبة بطولة من تلك البطولات التى اضاءت للمقتدين سبل السير وامتد الحائر بنور الهدى واستاصلت من افكار المترددين نزعة الشك وعملت على غرس قيم كانت حصنا الحصين وملاننا الاخير في كفاحنا التحريري الطويل الذى كان في هذا الرابط الروحي اقوى دافع على جمع الشتات وتوحيد الصفوف وشحذ العزائم ومواصلة السير بارادة وتصميم حتى تحقيق الهدف واسترجاع ارضنا المنهوبة وحريرتنا المسلوية ..

اخى العزيز .. اخوانى

ان في احتفالنا جميعا في سائر اصقاع البلاد

يخط بعرق الجهد والتجريب من امهات الكتاب ما ظل قرونا وقرونا من المراجع الاولى لاطباء العالم .. وهذا احسن بن رشيد يفادر مسيلته وافدا الى القيروان ليدرس ويدرس ويكتب فيها عمدته بل ويصبح عمدتها كما فعل بعد ذلك ولي الدين عبد الرحمن بن خلدون الذي ترك تونس ليدرس ويدرس في تلمسان ويكتب مقدمته في بني سلامة ويصبح رئيس حكومة بجاية .. تلك عصور ذهبية زاهرة لمغربنا الموحد واولئك رجال هم وغيرهم قوة هذه الامة وعزتها ، ولا يزالون بآثارهم يرسمون لنا طريق اعادة وحدتها واسترجاع مجدها وسؤدها .

الاخ الرئيس .. اخوانى

اذا كنا الليلة نحتفل ونبتهج في هذا الحرم العريق والجديد في نفس الوقت بما اصبح عليه من حلة قشبية استرجعت له بهاءه ورونقه واذا كنا لا تزال لنا والحمد لله معاهد الزيتونة والقرويين والازهر ، واذا كنا لا نفتا نزهو بمجرد تقوى الجامع الاموى وغيره من المعامل الروحية في انحاء العالم الاسلامي ولئن كنا قد استرجعنا جامع كتشوة وغيره من حصون الاسلام في الجزائر ، واعدنا لها قوتها وازدهارها بل وجدنا نشاطها وعزتها بمعاهد جديدة اصيلة حديثة نحن بصدد تنويعها بنواة جامعة اسلامية تامة تتكامل والجامعات الثلاثة الاخرى التي هي نفسها بصدد التعريب الشامل وتجمع من جديد ما انتثر ، وتحى من تراثنا ما اندثر في تيهوت وبجاية وتلمسان وقسنطينة والقلعة ووهران واخيرا وليس آخرا فاذا كنا لا نزال نشعر بنفء روحى لا يقدر ومتعة معنوية لا حدود لها بمجرد ذكر الحرمين الشريفين فلا ينبغي بحال أن نففل وسوف لا تترتاح ضمائرنا الى الابد وسيحاسب التاريخ احيالا في مشارق الارض ومغاربها ، اذا لم تعمل كل ما في وسعها

لاسترجاع اولى القبلتين وثانى الحرمين القدس الشريف كما نسفيه بحق .

الاخ الرئيس .. اخوانى

هذه لحظات لا تنسى مدى الحياة تبارك ما نسقناه من خطى ووحدناه من جهود لنخرج من معركة التنمية واسترجاع الاصاله منتصرين ، مرفوعى الرأس موفورى الكرامة ، وبذلك نكون قد حققنا ازدهار بلداننا وسعادة شعوبنا والتحقنا بالركب المتقدم واعدا لمغربنا ما كان له من مكانة وقوة وساهمنا المساهمة الفعالة في استرجاع ما لامتنا من مجد وهيبة وعزة جانب ومناعة وسرنا على درب صلاح الدين وكنا على موعد مع التاريخ .

فخامة الرئيس .. اخى العزيز

لقد كانت مبادرة ممتازة دعوتكم الكريمة هذه التي جعلتنا نتلاقى ونرى تونس بعد عشر سنوات قد قامت بعمل دائب متنوع وحقق شعبها الشقيق تحت قيادتكم الرشيدة تقدما ملحوظا في سائر مجالات النشاط واتم انجازات ضخمة في مختلف مجالات البناء والانتاج .. واني اذ اشكركم من جديد على بادرتم واعبر عن تأثرى بصالح اخوتكم وما احطمونا به رفاقى وايابى بصادق الاخوة .. ارجو من فخامتكم ان تبلغوا الاخوة اعضادكم وسائر مساعديكم على مختلف المستويات والشعب التونسي الشقيق باكملة شكرنا الصادق على تدفق عواطفه الاخوية النافذة من القلب الى القلب والمعبرة عن عمق المشاعر وتلقائيتها وخفاها ..

وخاما اتمنى لفخامتكم دوام الصحة والسعادة وللشعب التونسي الشقيق اطراد الرفاهية والعزة والازدهار .. والى اللقاء قريبا في الجزائر التي تنتظركم كلها بتشوق وتشوق واكبار . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

غرائب الطلاق

حينما طلبت النجمة السينمائية الطلاق من زوجها لامتناعه عن الضحك على النكات التي تقولها .
 علق القاضى على طلب الطلاق بما يلى : « من المحال ان تسعى الزوجة للانفصال عن الزوج بمجرد انه لا يرى في تعليقاتها ما يثير الضحك واننى شخصيا اجد هذه النكات ابعد ما تكون عن اشارة الضحك » واستطرد القاضى قائلا :
 « اننا نعيش في زمن عجيب حقا ، واذا ما قدرنا لمثل هذه القضايا ان تنجح . فانه سيطلب عما قريب من القضاة ان يمنحوا الطلاق لان الشريك يشخر في نومه او يتلعثم او يتهته في كلامه ، او لانه يسرح شعره على الجانب الذى لا ينال استحسان الزوجة »

ومن المحتمل ان لا يكون ذاك القاضى على علم بأن طلبا للطلاق قد قدم فعلا للمحاكم على اساس ان الزوجة كانت تنتهه . وقد حصل هذا في مدينة شيكاغو اذ طلب شاب هولندى الطلاق من زوجته كانت تنتهه حينما تنطق اسمه وشكا الزوج من ان اسمه يبدو غريبا شاذا حينما تنطق به زوجته .

وقدم رجل اعمال في ميامى طلبا للطلاق لان احدى عينى زوجته كانت تؤلمها ، وكان الالم يجعلها تغمز بعينها مما أوقعها في مشاكل اثارته غيظ الزوج ، اذ ادعى انه كان يتورط مرة في الاسبوع على الاقل في شجار مع الرجال الذين كانوا يخطئون ويفسرون غمز الزوجة على انه دعوة للمعاكسة والغزل .

وورد في بعض التقارير التى نشرت مؤخرا عن الطلاق ان زوجة طلبت الطلاق من زوجها لانه كان يرمى ملابسه كيفما اتفق على الارض دون نظام او ترتيب ولا يعلقها على المشجب



* دراسات ثقافية وأدبية

مراكز الثقافة وفرائس الكتب بالجزائر عبر التاريخ

نشأتها

تطورها

آثارها

تنقسم هذه الدراسة الى قسمين :
— القسم الاول يشمل الثقافة
ومراكزها في طورها الاول وساتعرض
فيه لنبذة موجزة من تاريخ البلاد مع
تحليلها وفكر بعض نتائجها .
— اما القسم الثاني فساتحدث فيه
عن المدارس وتطور الثقافة في عهدها
ثم خزائن الكتب .

المهدي البوعبدلي

عضو المجلس
الاسلامي الاعلى

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ نشأتها ، تطورها ، آثارها .

كانت الثقافة الإسلامية في أول عهدها كما هو معلوم بسيطة ، تقوم على أساس تعلم القرآن الكريم : حفظه وتفسيره ، وكان المركز الأول لهذا النوع من التعليم المسجد ، اقتداء بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في حياته ، حيث اتخذ مسجده المبارك مركزا يجتمع فيه بأصحابه ، يعلمهم دينهم عملا بقوله تعالى « **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم** » .

ثم سار الخلفاء الراشدون والصحاباء والتابعون على هذا المنهج ، فكانوا يجلسون في المسجد النبوي يعظون الناس ويعلمونهم أصول دينهم ويفتون لهم فيما اشكل عليهم ، ثم عزز المسجد في بلاد المغرب العربي عامة ، وفي الجزائر بصفة خاصة ، بالرباط ، وذلك استداء من منتصف القرن الثاني ، ثم بالمدرسة بعد أربعة قرون كما سنتحدث عنها بتفصيل في موضعها .

كانت الجزائر بعد ما مهدها الفاتحون أي في القرن الثاني تنقسمها ثلاث دول : الدولة الأغلبية ممثلة الخلافة الإسلامية وكانت قاعدتها بالجزائر مدينة طبنة (١) ، وقد أنجبت طبنة في عهدها علماء أجلة ، أكثرهم تخرجوا من القيروان على سحنون وابن سعيد التبوخي تلميذ ابن القاسم واشهب (تلميذ مالك) كانت مهمة تلامذة مدرسة مالك ، نشر الدين في اطار مذهب الامام مالك بأهيات المدن الرئيسية ، ظهر من علماء هذه الفترة بالجزائر النعمان ابن المنذر بمجاعة وكان من الزهاد ، قيل ان استاذة سحنون عرض عليه القضاء فامتنع ، وظهر على ابن الصبار قاضي ميلة ، تلميذ سعيد ابن الحداد المتخرج من

مدرسة سحنون والذي اشتهر بنشر مذهب مالك حيث انه كان اعلم واقفه اهل زمانه — الف في عدة فنون وينسب اليه تأليف رد فيه على اشافعي — ظهرت الدولتان الرسمية بتاهرت والادريسية بتلمسان ، وكان لكل منهما مذهب سياسي وديني . وبطبيعة الحال اتخذ كل داع لهاتين الدولتين المسجد مقرا لنشر تعاليم مذهبه: وطبيعي ان يتبع تعليم المذهب تلقين علوم اللغة، وهذا ما سارت عليه دولة الرسمية ، التي كان أئمتها يعقدون مجالس للتذكير ، وتدرّس الفنون العلمية ، وكونوا مجالس علمية استشارية فكانوا كثيرا ما يتناظرون في المساجد مع معاصريهم في الخلافات المذهبية اذ كان في المملكة الرسمية كثير من الفقهاء المالكية .

كانت الدولة الرسمية بحكم تعاليم مذهبها مهمة بالتعليم الديني فنبت فيها علماء ومؤلفون اشتهرت آثارهم الى زماننا هذا ، وكان الأئمة الرستميون يمتازون بعلمو المكانة في العلم والاستقامة ، ومن هؤلاء افلح ابن عبد الوهاب الذي كان يدرس في المسجد الجامع بتاهرت في شبابه ولما تولى الامامة استمر على مواصلة التدريس وقد حفظ لنا التاريخ من عهده تفسير القرآن ليهود بن محم الاوراسي الهواري وقصيدة رائعة في الاشادة بالعلم للامام افلح ، (٢) نفسه يحرض مواطنيه على التعلم وقد تبارى كثير من الشعراء في تشطيرها الى عهد قريب وهذه بعض أبياتها :

العلم بنى لاهل العلم آثارا
وليلهم بشموس العلم قد نارا
حي وان مات ذو علم وذو ورع
ان كان في منهج الابرار ما مارا
وذو حياة على جهل ومنتصّة
ولا يبالي أخيرا نال ام عارا

تلمسان غربا وقد كان لها التصرف في موطنها قبل الاسلام ، ثم أقرها المسلمون عليه اذ قيل ان رئيس القبيلة اذ ذاك صولات ابن وزمار اسلم على يدى الخليفة عثمان ، فمن عليه وأقره على حكم اماره آبنه فاعترفت قبيلته بالولاء لعثمان ثم ابني امية من بعده ، ولم يكن لهم مذهب عقائدى رغم انهم لعبوا ادوارا هامة في تاريخ البلاد فقد احتفظوا بمارتهم قرونا واسسوا دولا بالمغرب وبالأندلس وليبيا ، وكانوا يرجعون المرة بعد المرة الى مركزهم الاصلى بوادى شلف الى ان بادت دولتهم في اواخر عهد ماوك بنى زيان ، وامارة بنى يفرن كانت هي الاخرى اماره بربرية اصيلة موطنها بين تلمسان وجبل بنى راشد - جبل عمور قرب مدينة افلو ولاية تيارت - ادرکها الاسلام تحکم تلمسان اذ هي التي اسستها ، ولم يعرف بالضبط تاريخ اسلامهم ، وكل ما يعرف عنهم ان زعيمهم ابو قره كان على راس الخوارج عندما حاصروا مدينة طنبنة سنة ١٥١ هـ وكان بها عمر بن حفص عامل الخليفة العباسي . هذه في الجملة حالة البلاد السياسية والثقافية قبل ظهور الدولة الشيعية بالشرق الجزائري ، ذك الظهور الذي غير مجرى التاريخ ، كانت الثقافة كما ذكرنا في هذه الفترة ، اتخذت المساجد وبعض الرباطات مراكز لها ، وكان الفقهاء يعدون تلامذتهم فكريا وروحيا ثم يوجهونهم لنصر المذهب المالكي .

لما ظهرت الدولة العبيدية الشيعية وهى كسابقتها الرسمية والادريسية قامت دعوتها على نشر المذهب الشيعي واختارت لمركزها بايكان اسم « دار الهجرة » ولزعيمهم « داعي الدعاة » ولذهبهم « مذهب أهل البيت » .

امكن لهذه الدولة الناشئة في مدة وجيزة ان تتقضى على دولة بنى رستم ، ثم الحق بها امارتى « بنى يفرن » و « مغراوة » ثم ختمت انتفاضتها

لله عصابة اهل العلم ان لهم
في كل افق من الافاق انوارا
العلم علم كفى بالعلم مكرمة
ومن يرد غير خير العلم ما اختارا

العلم در له فضل ولا احد
محصله له كل عقل دونه جارا
للعلم فضل على الاعمال قاطبة
كان نووه لدين الله انصارا

اشدد الى العلم رحلا فوق راحلة
وكن الى طلب التعليم سيارا

ثم يسترسل في منظومته (التي تربو ابياتها على الاربعين) فيوصي طالب العلم بطريقة سلوكه وقد ظهرت واشتهرت هذه الوصايا فيما بعد ، يوجهها اصحابها الى الانباء والتلاميذ كوصية لسان الدين بن الخطيب السلماني لاولاده ووصية محمد بن حواء المستغامي لاولاده ايضا .

ان ما ذكرناه في حق الدولة الرسمية هو ما ينطبق على الدولة الادريسية المعاصرة لها ، فعندما فتح ادريس تلمسان سنة ١٧٢ هـ . اول عمل حضارى قام به هو تاسيسه للمسجد الجامع بتلمسان - اقادير القديمة وهى الان من ارباض تلمسان وما زالت بقايا المسجد هناك - ثم اسسوا عدة مساجد بأرشقول وتنس وسوق ابراهيم وحمزة - البويرة - التي كان حكم الادارسة يصل اليها شرقا ويكفيها دليلا على اهتمام الدولة الادريسية بالعلم ان جامعة القرويين انشئت وازدهرت في عهدهم .

كانت بالجزائر علاوة على هذين الدولتين ، امارات تتمتع بشبه استقلال داخلى ، كامارة مغراوة التي يمتد مركزها من مليانة شرقا ، الى

— على حد تعبير المعاصرين — بهركز الخلافة العباسية القيروان التي كانت تحت حكم الأغلبية . واتخذوا المهدية عاصمة بدل القيروان ، الا انهم رغم تبديل العاصمة فان القيروان بقيت تحتفظ بمركزها الثقافي حيث لعبت دورا خطيرا في نشر الفقه المالكي وجندت له الدعاة حتى من الاندلس ثم ختمت انفاسها عند غزوة بنى هلال وكان لخرابها وسقوطها دوى ردد صداه العالم ورثاها الكتاب والشعراء ومن هؤلاء ابن رشيقي (٣) المسيلي الذي التحق بمعاهدها كبقية مواطنيه اذ ذاك ، اخترنا فقرات من هذه القصيدة لانها تشتمل على وصف حياتها الثقافية ولها علاقة بموضوع دراستنا قال :

.. كم كان فيها من كرام سادة
بيض الوجوه شوامخ الايمان
متعاونين على الديانة والتقوى
الله في الاسرار والاعلان
ومهنب جم الفضائل باذل
لنواله وعرضه صوان
وأئمة جمعوا العلوم وهذبوا
سنة الحديث ومشكل القرآن
علماء ان سالتهم كشفوا العمى
بقاهة وفصاحة وبيان

كانت تعد القيروان بهم اذا
عد المنابر زهرة البلدان
وزهرت على مصر وحق لها لما
تزهر بهم وغدت على بغداد

ظهر المذهب الشيعي وكان لقضائه على دولة بنى رستم وامارتى بنى يفرن ومغراوة اثره السيء عند ملوك الاندلس الذين كانت للامارتين المذكورتين التبعية الروحية لهم ، كما كانت علائقهم مع الرستمية علائق ود ، ارتاع لهذا الظهور ملوك

الاندلس والخلافة العباسية ، والحديث عن دولة العبيدية الشيعية في الميدان الثقافي شائك ، اذا ما زال البحث فيه لم ينضب معينه وقد خصص عشرات التأليف ، والذي يهمنا منه ويتفق مع موضوع دراستنا هو نتائجه ، اذ لم يقدر لهذا المذهب ان يحتفظ بوجوده ويبقى له اثر ببلاد المغرب العربي الا مدة قليلة عند ما كان سيف الدولة غوق رقاب السكان ، وذلك انه ارتطم بموقف الفقهاء المالكيين الذين كانوا بشخصون ويمثلون المذهب السني واتهاما لفائدة هذا البحث ننقل فقرات اخترناها من البحث القيم الذي كتبه الدكتور حسين مؤنس في مقدمته لكتاب « رياض النفوس » لان المالكي ، ذلك الكتاب الذي تعرض فيه مؤلفه بتفصيل لمعركة الفقهاء المالكيين مع العبيديين وهو تمة لكتابي « طبقات علماء افريقية » لابي العرب التميمي ، وما لحقه لتلميذه بحد بن الحارث الخشني الذي كان الفضل في تحقيهما وطبعهما للعلامة محمد بن ابي شنب الجزائري ، اذ هذه التأليف الثلاثة تلقى اضواء على تطور الدراسة الدينية والسياسية في القرون الخمسة الاولى ، وموقف الفقهاء المالكيين الذي اخترناه من مقدمة الدكتور حسين مؤنس هو ما ذكره في معرض حديثه على امام العبيديين : عبيد الله المهدي قال « جاهره شيوخ افريقية بانكار مذهبه وازوروا عنه ، وتبعهم في ذلك عامة الناس ، ووقفت افريقية كلها موقف معارضة سلبية ... واحس عبيد الله الشيعي ، انه بين رعية لا تطيقه ، ولا تقبل عليه ، فحاول ارغامها على السير معه بحد السيف ، وارق من الدماء شيئا عظيما ، فلم يتحول الناس عما كانوا عليه ... وحسب انه اذا ندب بعض الظاهرين من فقهاء مذهبه الشيعي ، ودعاه لمساجلة شيوخ افريقية ، لاستطاع الزامهم الحجة ، وتسفيه آرائهم ، ومن

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

ان المصلين انفسهم قاطعوا صلاة الجمعة التي كان ائمتها يدعون فيها للملوك العبيديين انتصر الفقهاء المالكيون وتوحدت ثقافة البلاد وهذا لا يمنع من الاعتراف بأن الدولة العبيدية كانت من اعظم الدول لا في الميدان السياسي فحسب ، بل حتى في الميدان الديني والحضاري فانها ساهمت في نشر العلوم والفنون ، وظهر في عهدها بالجزائر علماء اجلة ومؤلفون ، اما الكتب فلا اظن ان هناك دولة بلغت ما وصلت اليه من الاهتمام بالكتب وتأسيس الخزائن ووفرة نوادر الكتب اختلف كثير من الكتاب والباحثين في الاسباب الداعية الى فشل التيارات الفكرية التي اجتاحت الجزائر وبلاد المغرب العربي طيلة اربعة قرون ، رغم التأييد المادي والادبي الذي كانت تتمتع به عند الملوك والسلاطين ، ومن هؤلاء الباحثين بعض المستشرقين الذين اطلقوا العنان لاقلامهم وذهبوا الى الادعاء بأن السكان البرابرة كانوا يثورون على العرب « المستعمرين » والبربر لا يفرقون بين الوان واجناس المستعمرين وقد بلبلوا افكار كثير من ضعفاء العقول واتخذوا من هذه المزاعم مواد دراسية للنشأ وغذوا بكثير من الوسائل هذه السموم الصليبية ، والحقيقة ان سكان البلاد (بربر وعرب) كانوا يثورون المرة بعد المرة في ذلك العهد على الملوك والسلاطين ضد طغيانهم واستبدادهم وانحرافهم عن الدين وتعاليمه وقد ثاروا بالفعل حتى على بقايا ملوك الدولة الادريسية لما انحرغوا عن تعاليم الدين وتجاهروا بالمعاصي .. ولنرجع الى الحديث عن الشيعة ذكر الباحثة الحجوى في تأليفه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي » اثناء حديثه عن تاريخ تطور الفقه المالكي بالمغرب العربي فقال :

« .. تم في آخر القرن الرابع ، دهم الفقه المالكي في المغرب والقيروان داعية دهماء ، ادهى وامر ، من كل ما مر ، وهي ظهور الشيعة الذين قتلوا

ثم بدأت هذه « المجالس » الفريدة التي دارت المناقشات فيها بين دعاة الشيعة وفقهاء افريقية ... وقد انجلت هذه المجالس والمساجلات عن هزيمة لدعاة الشيعة ، اذ ثبت لهم فقهاء المالكية وافحموهم بالحجة بعد الحجة ... وهذا هو السبب الحقيقي في تفكير العبيديين في الانتقال من افريقية « ا ه كلام مؤنس .

وبالفعل انتقلوا ، وترك المعز لدين الله الفاطمي بعد انتقاله الى القاهرة ، قائده بلقين ابن زيري ابن مناد الصنهاجي ، الذي تربى هو واخوته في قصره ، وكانت مواقفه في الحروب وانتصاره على امراء مغراوة ثم فتحه لبلاد المغرب مما زاد في مكانته عند العبيديين كانت اماره صنهاجة قربية عهد بالتكوين حيث انه لما ثار ابو يزيد مخلد ابن كداد المشهور عند المؤرخين بصاحب الحمار على العبيديين وحاصره بالجبل المطل على مدينة القلعة . اغاثته صنهاجة القبيلة البربرية العتيبة التي كان موطنها يمتد من مدينة المسيلة الى حزة البويرة - غنواحي الجزائر ، وسهول وادي بجاية ، واعتزانا بهذه النجدة ، اقطع المنصور العبيدي لزعيم القبيلة اذ ذاك زيري ابن مناد (والد بلقين) الامارة التي اشتهرت بامارة بنى زيري ، توسعت الامارة واستحالت الى مملكة كما هو معروف ولم تمض الا مدة - لا تجاوز الاربعين سنة - حتى تبرا بنو زيري من المذهب الشيعي وقام المعز ابن باديس الذي رفض هذه التبعية وخطب من اعلى منبر جامع القرويين خطبته المشهورة التي صرخ فيها بقوله : « اللهم العن الفسقة الكفار ، والمارقين الفجار ، اعداء الدين وانصار الشيطان ... » ودعا بالنصر للخليفة العباسي كما هو معروف كذلك قيل ان من جملة الاسباب التي الجأت المعز ابن باديس الى هذا الموقف هو عندما احس بالخطر يهدده اذ بلغه

تقولوا ما لا تفعلون» وكتبه صلى الله عليه وسلم «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فنلجج الى الحديث عن بنى زيرى الحمادين فاننا نجدهم أسسوا مدينة القلعة المعروفة بهم ، وقد اشتهرت بأنها أعظم عاصمة علمية واقتصادية واهتم بها وبآثارها كثير من العلماء وما زالت محل اهتمام بحوثهم ، وقد استفادت كما علمنا من سقوط القيروان والتجاء كثير من علمائها اليها ، ألا ان هذه الاستفادة لم تدم طويلا ، فقد تسرب لها داء الانحلال بدورها وفكر ملوك القلعة فى الخطر الذى كان يهدد القلعة فنقلوا عاصمتهم الى بجاية ، فأمكنهم ان ينقذوا كثيرا من مآثرها ، واستفادت بجاية من علماء القلعة وصقلية والاندلس فصارت أعظم عاصمة عرفها العالم الإسلامى تضاهى عواصم الدنيا .

انهال على بجاية علماء القلعة وصقلية والاندلس ، وكانت أقوى جالية بها من العلماء ، جالية الاندلس الذين هاجروا بلادهم اثر انحلال الخلافة الأموية وظهور ملوك الطوائف . استفادت بجاية من هذه الهجرة ، وازدهرت بالعلوم من كثرة الواردين عليها من الفقهاء والمحدثين والأدباء والفنانين والفلاسفة ، وقابل ملوك بجاية سيل هذه الهجرة بالعطف على العلماء ، فلولهم أسس المراتب ، وأمدوهم بكل ما يحتاجون اليه من الضروريات اذ كانت ثروة البلاد تساعدهم على ذلك ، تكونت فى بجاية بفضل هؤلاء المهاجرين ، نهضة علمية ، امتزجت فيها العلوم والآداب الاندلسية بالعلوم والآداب الأفريقية ، وكان الجامع الأعظم الذى بناه المنصور قرب قصر اللؤلؤة هو ينبوع هذه المعارف ، كانت الرياسة اذ ذلك فى الميادين الثقافية والدينية للفقهاء وكثير من المؤرخين يرجعون ذلك الى المرابطين ، فانهم بهم بأنهم الذين أيدوا الفقهاء ، واطلقوا لهم حرية التصرف ، ويستدلون على ذلك بأن الملك

أعيان العلماء الحاملين لواء العلم والدين وحملوهم على الرجوع عن مذهب مالك ، وعن السنة ، والتمسك بالرفض ، فألبوا فقتلوهم شر تقتيل .. وقد قتلوا فى واقعة أبى يزيد مخلد ابن كيداد خمسة وثمانين من نخبة علماء القيروان ... ومع هذا الضغط لم يقضوا على المذهب المالكى بل بقى منتشرا سرا» اه كلام الحجوى .

كان منهج التعليم الذى تبعه مالك وتلامذة مدرسته يقوم على أساس محكم : طلب المعرفة من أجل المعرفة، بعيدا عن الغايات الدنيوية والحظوظ النفسية والمقاييس الذى يقيسون به الداعية الدينى أن تكون أقواله تنم عن أفعاله ، اذ لم ينتشر الإسلام فى ربوع المعمورة اول ما انتشر ، ولم يتأثر السكان المعتنقون للدين الا بسير الفقهاء من الصحابة والتابعين ، ثم ان مدرسة مالك صادقت الاهتمام فى صفوف رواة الحديث بأحداث باب التعديل والتجريح الذى كان أشبه بالاستعلامات فى عصرنا هذا ، ثم ان مالكا نفسه كان محافظا أشد المحافظة على تتبع سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة خلفائه من بعده وعاش فى المدينة وجعل من تلك التعاليم بعض الأسس التى بنى عليها مذهبه ، فلهذه الأسباب كان تلاميذه يقدسونه ويرون فى شخصيته وفى تعاليم مذهبه المثل الأعلى لن يمثل الدين فى نظرهم . وهذه الصفات والتعاليم هى التى توارثها الفقهاء وكانت السلام الوحيد الذى انتصروا به فى مختلف اللحظات الحرجة التى لاقوها فى تاريخ حياتهم .

هذه الأسس الخلقية وهى التوفيق بين الأقوال والأفعال ووسائل الاقتناع ، هى التى كانت توافق فى نظرهم ما قاله الله سبحانه وتعالى معرضا بين كانت أفعالهم تخالف أقوالهم «يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

وحملة ابن قزمان على فقهاء قرطبة ومن ذلك قوله: « ان الصورة الغالية للفقهاء عند ابن قزمان انه منافق » ويذكر زجلا طويلا لا يسع المقام لذكره ثم يقول: « ان ابن قزمان كان يشبه الفقيه في النفاق بنوع من الازهار » الخري : ينكمش في النهار ويفتح في الليل فسماه « فقيه النوار » وفي ذلك يقول :

وفقيه النوار انما هو الخري
بالنهار يورى وقار وترى بيع مري (٥)
واذا كان الليل يمضى للكاس جرى
ويصبح يا خلاق بارك الله فيكم

« وللفقيه بعد هذا صفة اخرى عند ابن قزمان لمح اليها في ديوانه وقد عرفناها ايضا في بعض الامثال العامة الاندلسية بعد أكثر من قرنين هي الجشع واستغلال النفوذ في الحصول على ما ليس له حق فيه ، غابن قزمان في زجل له يناجى فيه القمح الجديد مطلعته :

القمح الجديد انا حبيبك
ليس يهن لى عيش حتى نصيبك
يقول فيه « او عه الفتى (٦) يمر في شأنك »
اما المثل الذي يفسر هذا النص ففى كتاب الحقائق لابن عاصم (٧) « شرى فقيه طيب ورخيص وموصل للدار » .

ثم يذكر الاهوانى ما يثبت نفور ابن قزمان وكراهيته للفقهاء ، انه كان يسكن في دار بضواحي قرطبة وقد زيد عليه في قيمة الكراء فتحمل هذه الزيادة رغم فقره ، لان الحى الذى يسكن فيه ليس به فقهاء ولا حجاج .

وكان اكريت دويرة من انسان
برباعى سكنت فيه زمان
ثم قال لى نريد ثلاث اثمان
ونريد (٨) ولو طلب مثقال
بان فيه حنى امام السرير

على بن يوسف بن تاشفين كان لا يقطع امرا في جميع مملكته بدون استشارة الفقهاء بل عين لجميع قضاة مملكته مستشارين لا يحكمون حكما الا بموافقتهم ، والحقيقة ان المرابطين اقروا وضعية الفقهاء التى وجدوهم عليها في قرطبة وقد تعرض لها بتفصيل الامام ابو بكر بن العربى في كتابه « العواصم من القواصم » حيث وصف الفقهاء المذكورين بقوله : « صار التقليد دينهم والاقضاء بغيتهم ، فكلما جاء احدهم بعلم حقروا امره ، ودفعوا في صدره الا ان يستقر عنهم بالمالكية ، ويجعل ما عندهم من علوم على وسم التبعية ، فان جاءهم بفائدة في الدين وطريقة من اسلوب الصالحين ، وسرد لهم البراهين عرفوا جوانبه ، ونتاجوا عجائبه وعيبوا حقه استكبارا وعقوا .. » وكان الحاجب المنصور ابن ابي عامر لما استبد في الاندلس على الملك هشام بعد موت الخليفة المستنصر الاموى اخرج من خزائنه جميع الكتب المشبوهة عند الفقهاء التى افترى فقهاء قرطبة باحراقها فامر باحراقها وقد وصف صورة ذلك القاضى صاعد الاندلس في تأليفه الشهير « طبقات الامم » (٤) وذكر ان الداعى الى هذا التصرف الحقير للمنصور ابن عامر هو تحببه الى عوام الاندلس من جهة والى تنجيحه لمذهب الخليفة الحكم عندهم (وكانت خزانة الحكم التى جمعها في عهده من اعظم خزائن الدنيا) .

ولم يكن مفكروا الاندلس كابى بكر بن العربى او عوامهم الذين تقرب اليهم المنصور باحراقه خزانة الخلافة منفردين بالانكار على الفقهاء بل كانت طبقة اخرى فيهم الادباء والمستهترون الذين كان يشخصهم الشاعر الزجال ابو بكر ابن قزمان الاندلسى ، ذكر الدكتور عبد العزيز الاهوانى في تأليفه القيم « الزجل في الاندلس » الذى ترجم فيه لابن قزمان صورا من معركة

المشرق في طريقه الى المغرب وبها اجتمع بتلميذه وولى عهده عبد المؤمن بن علي وبرباط ملاله كان يبت افكاره وفيه رسم خطته التي هزت العالم هزة شبيهة بالهزة التي احدثها العبيديون ، ومن الصدف ان بجاية ايضا هي التي كانت مسرحا لهذه المعركة في الميدانين الحربى والعقائدى حيث ان فقهاء بجاية هم الذين انتصروا لاول فكرة ثورية وبسبب تأييدهم لبقايا المrapطة — بنى غانية اصحاب جزيرة ميورقة — لما هاجموا بجاية والذي يهمننا في بحثنا وارادنا تسجيله هو ان هذا العهد لم يكن امتداد للمعركة والثورة الفكرية التي احدثها الموحدون ورميمهم فقهاء المrapطين بالفكر والتجسيم فقط بل كان مبدا معركة في صفوف الفقهاء المrapطين أنفسهم فقد انقسموا الى مجدددين ومحافظين او الى متقدمين ومتأخرين والمراد بالمجددين هم اتباع طريقة الفخر الرازى وبفضل هذه المعركة التي احدثها الفقهاء المالكيون في صفوفهم وانقسموا هذا الانقسام استفاد الفقه المالكي وانتصر المجددون أو المتأخرون — كما كان يسميهم الغبرنى صاحب « عنوان الدراية » فتطور الفقه المالكي تطورا امكنه ان يساير الركب الحضارى ، وكان لفقهاء بجاية وتلمسان فضل كبير في ربح هذه المعركة ، وهذا باعتراف جل العلماء الاختصاصيين في بحوث هذه المواضيع كعبد الرحمن ابن خلدون وأحمد المقرئ مما سنبيته بمزيد من التفصيل في القسم الثانى من هذه الدراسة .

الى هنا ينتهى القسم الاول من حديثنا عن مراكز الثقافة بالجزائر في عهدها الاول عندما كان التعليم مسجديا ثم ظهرت المدرسة ابتداء من القرن الخامس الهجرى وتطورت الثقافة في عهدها .

**وعقابا مليح بجانب البير
وقصيدة عالية بابا كبير
يكشف الفحص من ثلاث اميال
والريض لا شيوخ ولا حجاج
وارامل ملاح بلا ازواج الخ**

وقد قال ايضا في الموضوع في عيد العصير كان يحتفل فيه الاسبان زمن الخريف وخرج ابن قزمان في رجال ونساء ومعهم آلات موسيقية يغنون ويرقصون .. قال (٩) :

**في عصير عمول مفكرانا
الرقاع ثم والشان والغنا**

ثم يقول :

**عهدي بالقرى اذ كنا خلاف
لا فقيه ولا حاج لمن كان نخاف
ونروح ونغدو فجوها نظاف
كل يوم تراه وفرح جديد**

الا ان ابن قزمان ختم حياته اماما ومؤذنا ولعله كان يجمع بين الخطتين وفي ذلك يقول ابن قزمان بعد توبته وفي نهاية حياته قد تاب ابن قزمان طوبال ان دام (١٠) :

**قد كانت ايام اعياد بالايلام
بعد الطبل والدف وقتل الاكمام (١١)
امام في مسجد صار يسجد ويركع
من صمعة الاذان يهبط ويطلع**

وهذا نعهده انتصارا للفقهاء حيث انهم لم يضق بوجودهم قادة الفكر فحسب بل حتى المغنيين والسكرارى والاباحيين فانهم كانوا يجدونهم عرضة في طريقهم ويخشون باسهم ... ولنرجع الى الحديث عن بجاية وحياتها الثقافية فنراها انها هي التي آوت المهدي ابن تومرت عند رجوعه من

• من أحاديث الرباط •

طوفان الاستلابات

الحديث الثاني

الاستلاب الحضارى

الفيلسوف : ان محادثتنا المختصرة في الملتقى
السابق جعلتنا نعزل الظاهرة
الثقافية عن باقى الظواهر الاجتماعية
لنلمس فيها بعض وجوه الاستلاب
الذى نتخبط فيه . ولقد كان من
الممكن ان نرد اصل الاستلابات كلها
الى اللامساواة الاقتصادية بين
المجموعات المتعايشة في احضان
الامة الواحدة . ونقول متخيلين :
لو اتاح لجميع المتعاشين ان يرجعوا
الى المساواة لبنيت الحضارة
الانسانية بناء يختلف كل الاختلاف
عما نشاهده اليوم من بناءات
حضارية .

عبد المجيد مزiane

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

أشد مصائب الحضارة على الأجيال اتجاهاتها شطر أهداف غامضة ، إذ أن خط السير قد جاء صدفا منذ القديم . ولقد توارثنا مكتسبات اعتبرناها رأسمال حضارى ، وقاما نجرؤ على التخلص منها لخلق مكتسبات اصح وأقوى .

طالب : تعنون بهذا أن تقدم الانسانية ، عبر الأجيال ، ونحو مكتسبات حضارية أهم فاهم ، ليس بالامر المسلم به .

الفيلسوف : المكتسبات موجودة ، وهى مهمة الى اقصى حد ، ولكنها لا تضمن تحرر الانسان فى كل مرة . اما مآل الانسان ، فى هذا الطريق الفنى بالاكتشافات فمآل مجهول . وهنا نقف بالضبط على بؤس الانسانية .

المؤرخ : صحيح اننا ننسى آلامنا الماضية بسرعة ، واننا حينما نؤرخ للانسانية نتمتع التناؤل ، ونبرز فى عملياتنا الاحصائية ، المكتسبات الفنية والعلمية ، بينما نتناسى الكوارث التى جاءتنا من انفسنا فى مصر العصور . ان اعظم بناء الحضارات التقليدية هم الفاتحون ، ولا احتاج الى تذكيركم ان كل فتح يعنى ابادة شطر من البشرية ، فى جزء من العالم ، لتمتيع الشطر الباقى . ولقد علمنا التاريخ أن حضارة لا تقوم الا على انقراض حضارة اخرى . وليست القضية قضية تحدى وتعايش كما يدعى بعض فلاسفة التاريخ ، بقدر ما هى قضية قتال مبيد . ثم ان

فالحضارة نتاج مجتمعى معقد تتشابك فيه الثقافة بالسياسة والاقتصاد ، ولكن تفكيرنا التجريدى والعاطفى يوحدها فى مثل مختصرة قد تكون فى غالب الاحيان مثل تزيين وتمويه . لنفرض اننا نقول لانسان ما يجب عليك أن تتحضر ، فاننا فى هذه الحال نغريه ، حتى يتعلق بنماذج من الحياة ، لم نحللها بعد تحليللا كافيا لنعرف افضليتها ، بل هى نماذج فرضت علينا فرضا ، وسنفرضها على الجيل الآتى بعدنا فرضا . ونحن نخلط هنا بين العملية فى حد ذاتها وبين محتواها . فالعملية الاجتماعية التى هى توريث مكتسبات جماعية عملية حضارية محايدة ، وهى السبيل الوحيد لرفع المستوى الانسانى ماديا ومعنويا ، اما المحتوى ، فلا بد من صب معايير خلقية عليه ، فهو اما محرر للانسان واما سبب للاستلاب . فالحضارة كما نراها اليوم ، فى العملية وفى المحتوى ، انها هو محض تقليد وتوارث . ولو دققنا فى هذا الميدان ما هو محرر وما هو مقيد للانسان لراينا وجوه التقييد والاستلاب اكثر بكثير من وجوه التحرير . ليس التزييف فى مفهوم الحضارة راجعا الى انه يحتوى احتواء غامضا على فكرة التقدم وتجريد الانسان من الطبيعة بعزله عنها ؟ ولكن الحضارة تنشئ فى عالمها اللاتطبعى ضغوطا اشد من ضغوط الطبيعة اذ انها ضغوط الانسان على الانسان . ومن

الاستلاب الحضارى

فى كل مكتسب مهما كان . بينما نرى اليوم فى كل مكتسب من مكتسباتنا شوبا بين التحرير والاستلاب . فالمكتسب الحضارى المتجسد فى الطائفة مثلا ذو وجهين ، فهو محرر للانسان ، حينما ينقل المسافرين ويسهل المواصلات ، وهو ماسخ للانسان حينما يشتر الموت والعذاب اثناء الحروب . والمستشفيات بناءات حضارية محررة ، ولكن الحانات والمراقص بناءات حضارية مشوهة للانسان .

طالب : ولكن كل حضارة لها اثماتها ، تؤذيها مجهودات ومآسى فى تجربة كل مكتسب قبل ان يصبح مكتسبا محررا .

الفيلسوف : نعم . ولكن الاثمان التى هى الموت وتعذيب بعض الناس لثمتيع بعضهم الآخر ، لا يمكن ان توجد الا فى عالم غير واع لذاته . والحضارة الحقبة هى حضارة الوعى لا حضارة الصدق .

عالم الاجتماع : الاترون ان مفهوم الحضارة انما هو مفهوم نسبى فى كثير من وجوهه . ولقد تعودنا حينما نتكلم عن الحضارة ان ندعى بانها حضارة انسانية شاملة ونحن ، فى هذا الادعاء ، نزين الواقع المتشتت المتناقض بأفكارنا المثالية . فاذا قلنا مؤكدين ان انسان القرن العشرين متحضر ، فاننا نتناسى ان هناك اناسى ومجتمعات متفاوتة . فالتواجد الزمنى لا يكفى للتعميم . ثم اننا نتناسى ان هذه الحضارة

الحضارة المنتصرة لا تقوم ولا يستمر قيامها الا على استبداد وقهر لا حدود لها . فاذا أخذنا ظاهرة حضارية مجسمة مثل بناء معبد وثنى ، والوثنيات موجودة حتى اليوم ، كما قلتم ، فان المؤرخ التقليدى يحسب حسابا مختصرا ويقول بأن هذا المعبد نتاج لعبقرية فكرية وفنية وكفى ، ولكننا نعلم حق العلم ، ان هذا النتاج قد بنى على استبداد وابادة الآلاف من البشر . وانا ارى ان بفخ روما ، مثلا ، كان يخفى من ورائه ابادة الشعوب الاروبية والافريقية . وغنى بعض اكابر روما ، انما هو بالضبط فقر الملايين من البشر وعذابهم .

الفيلسوف : ان المكتسب الحضارى الحقيقى يتلخص فى تكوين انسان افضل وتحريره من أخيه الانسان ، اما الحضارة الحالية فانها تحاول تحريرنا من الطبيعة بواسطة المكتسبات العلمية والفنية . غير ان هذه المكتسبات الاخيرة ذات وجهين . فلها وجه محرر من الطبيعة ووجه مشوه للانسان . وهى فى غالب الاحيان مغريات اكثر مما هى مكتسبات . هنا الحدود بين الحضارة المزيفة والحضارة الحقبة .

طالب : يبدو ، حسب ما تقولون انه لا وجود للحضارة الحقبة اليوم .

الفيلسوف : نعم انها اليوم حالة مثالية بعيدة المثال . لانها تشترط وعى الاهداف وعيا كاملا ، وتشترط تحرير الانسان

تدخل في هذا الاتجاه تصبح في حالة
تبعية مستترة ، لأنها تستورد
ولا تنشئ .

طالب : لكنه ، في تناول هذه المجتمعات
الضعيفة أن تتحول بطرق ثورية ،
الى مجتمعات صانعة .

عالم الاجتماع : اذن ، فالنموذج الحضارى
مفروض عليها كما قلنا . وفي هذا
الطريق بالذات تدخل هذه المجتمعات
الضعيفة في استلاب سياسى لأنه
يتحتم عليها الاختيار بين أمرين :
أما أن تناضل في سبيل التحرر من
التبعية بالطرق الثورية التى تقتضى
تعبئة كل الجهود ، بما فى ذلك من
تعبئة عسكرية وتضحية بجبل أو
جبلين تضحية كاملة ، وأما أن
تدعى التحرر تدريجيا ، فتنشأ في
أحضانها طبقة متعاملة مع المجتمع
الصانع ، كانه جزء منه مقذوف به
على قمة المجتمع الضعيف .
والاستلاب هنا فى التقاطع الطبقي ثم
النوعى الموجود فى أحضان الأمة
الواحدة التى تدعى التحرر . أرى
أن فى كل من هذين الطريقتين مشاكل
عظمى يخلقها العالم المتحضر الذى
يدرك أن تحضره سينهار اذا زالت
التبعية لان حضارته لا تختلف بكثير
عن حضارة روما : انها مبنية على
حساب الشعوب .

طالب : أما النماذج الحضارية ، فلا يمكن
لل بشرية المتخلفة أن تخلقها من عدم .
بل النماذج هى هذه التى نشاهدها
بالعيان ، بقطع النظر عن أنها مزيفة

الحالية انها هى حضارة مجتمع ما ،
يسمى هذا الآخر لفرضها ، ويسمى
الآخرون لأخذ فقات منها .

طالب : نعتقد أن للحضارة مهما كان المجتمع
الذى يخلقها ، عدوى على المجتمعات
الآخري . ولا يعجز أى مجتمع اليوم
عن الحصول على قاعدة دنيا من
الحضارة . فالسيارة ، والطائرة ،
والادوية موجودة فى جميع بقعها
الدنيا . . وهى فى تناول كل
المجتمعات .

المؤرخ : صحيح ما تقول ، على شرط الانسى
أن هذه العدوى الحضارية لم تحصل
تلقائيا . بل كان هناك عصر يسمى
« عصر الاستعمار » ، وأن تقتيل
وتعذيب الملايين من البشر مدة قرنين
كاملين حتى يحصل إبنائهم على
مرافق حضارية ، بأساة تفوق
بكثر مقدار المكتسب . ثم انى أرى
الناس قليلا ما يدركون العدوى
الماسخة كالمسحة السطحية ، والتبذير
واتراف طائفة على حساب طائفة
أخرى .

عالم الاجتماع : أما العدوى فمفروضة فرضا من
مجتمع منشئ للحضارة على
مجتمعات دون مستواه . وهناك
وجوه كثيرة من الاستلاب نشأت عن
هذه الوضعية . فالشعوب الضعيفة
تتصور أنه لا يوجد إلا نموذج واحد
للحضارة ، هو هذا الذى تشاهده
عند الأمم الصانعة ، فتريد أن تتحول
هى الآخري الى مجتمعات صانعة
دون قدرة على ذلك ، وبمجرد ما

الاستلاب الحضارى

شمولية ، بدون تقويمها ، لأننا كنا
سجناء جدلية التصارع الحضارى .
وهكذا ورثنا فى الواقع ، اتجاهها
حضاريا واحدا ، هو الاتجاه
الاستلابى ، لا الاتجاه التحررى .

عالم الاجتماع : من هذه الوجهة نعتبر الحضارة
الانسانية مجرد خيال ، ونقول ان كل
حضارة مهيمنة قاهرة ترتقى حتيا
الى مستوى الشمولية الانسانية .
وعلى فرض ان المجتمعات الانسانية
كانت متعايشة ومسالمة بعضها
للـبعض لحصل ان بقيت فى عصرنا
هذا نماذج حضارية متنوعة .

الفيلسوف : ان تخيل نماذج حضارية متنوعة ،
ممكنة الوجود ، ليس من قبيل
التحريف . ولهذا يجوز تخيل بناء
حضارى مثالى محرر ، على شرط
ان يكون هذا التخييل منطلقا مما هو
كائن الان ، ومبني على دراسة
الخطأ التحريرية خطوة خطوة ،
حتى لا يبقى من بقايا النماذج البالية
اى اثر : اعنى ان رفع الاستلابات
يجب ان ينطلق من معرفة هذه
الاستلابات معرفة دقيقة ، لا من لدن
المفكرين محسب ، بل من لدن رجال
العمل مع توعية مستمرة للجماهير .
اما الجواب الذى سيوجه الى كل
من يعتقد أنه تخلص من ضغوط
الاستعمار بدعوى انه اكتسب
حريته ، فأراه يتخلص فى ابراز كل
الهجومات الثقافية التى ترمى الى
التوحيد الحضارى . ومن المؤكد ان
التوحيد الحضارى معناه ذوبان كل

او محررة . هذا ما تقتضيه النظرة
الواقعية ، واما عن طرق الوصول
الى الحضارة فيبدو ان تحتم الاختيار
بين طريقتين لا ثالث لهما ، افتراض
مبنى على المبالغة فى قوة الاستعمار
كانه لا يزال المتصرف الوحيد حتى
الآن .

الفيلسوف : ان النقل عن النماذج الحضارية
الموجودة ، كان السبيل الوحيد لحد
اليوم . اذ كانت جل عمليات التحضر
محافظة على تقاليد موروثية .
والاجيال لا تزيد مكتسبات جديدة
على ارثها هذا الا بالبطء الكبير .
ولقد كانت العملية الحضارية
محاكاة : يحاكي فيها الضعيف القوى
فيتسلح بسلاحه وينتقل الى مستواه .
وعملية المحاكاة ، هو ما نعتقد فيه
خطأ ، انه التوارث الانسانى الطبيعى
لحضارة واحدة شمولية . فالجدلية
التي يحكى عنها فلاسفتنا المعاصرون
ليست جدلية طبقية فقط ، ولكنها
جدلية صراع حضارى عالمى متسع
الحقول . فكل حضارة تسعى الى
التغلب والشمولية لتنصب نفسها فى
قمة الهرم الانسانى ، ولكن موقفها
هذا يستجلب ردودا من حضارات
أخرى . وليس هناك انسانية اقدر
من انسانية على التحضر ، بل هناك
انسانية اقوى من انسانية ، الى اجل
معين . وفترة تغلب حضارة هى
بالذات فترة شموليتها . ثم ان
الحضارة الصاعدة تحاكي سابقتها
فى المكتسبات والاستعلاء وهكذا
توارثنا مكتسبات اعتبرناها انسانية

والتواضع ، ولا أراه في علم الاجتماع إلا مؤكداً نسبته القانون ما دامت « الأشياء » الاجتماعية كما يقولون ، في حركة مستمرة ، وما دهنأ نرى أن اتجاه البناءات موكول بالصدف بسبب اللاوعى الإنسانى ، وما دهنأ نرى أن فترات الوعى ، تغير من الاتجاهات الاجتماعية ، في كثير من الظروف .

فادعاء الثبوت للقوانين الاجتماعية يجعلك تقول مثلاً ، بأن الحضارة الصحراوية لابد أن تكون كما هى عليه ، حضارة تربية ابل ، وزراعة محدودة مع قليل من التجارة ، وحضارة المناطق الجبلية لابد أن تكون حضارة تربية بقر وزراعة اشجار . وبالتالي فإن المعتقدات لابد أن تكون كما هى عليه . والاسراف في هذا الاثبات القانونى يؤدي الى اعتقادك أن التاريخ يجرى حسب صيرورة محتومة ، والبشر الاعيب فوق أمواجه الطاغية وهذا تجريد مشوه للحقيقة لانه يفصل بين الإنسان وتاريخه وبين الإنسان ومجتمعه .

الفيلسوف : يبدو أن الاستلاب الذى جعلنا نخضع للصدف من تصور وعينا وقلة تحكمنا في الاحداث ، هو الذى ادى الى استلاب التفكير الذى جعلنا نؤمن بحتمة القانون الاجتماعى ، كأنه قانون يصب من خارج الحياة الإنسانية . ومهما يكن الامر فاننا نلمس

الحضارات في حضارة واحدة بما اكتسب فيها من عيوب وصدف وغموض أهداف . أما أن يعتقد الهاجم والمهجوم عليه بكمال هذه الحضارة ، بدعوى أنه لا وجود لحضارة حية تفوقها فمن قبيل قصر النظر ، وتضييق الخيال الاجتماعى والسياسى .

طالب : تعودنا ، حسب قولب التفكير العلمى التى تشبعنا بها أن نؤمن بالقوانين ، حتى فيها يخص معرفتنا للمصير الإنسانى . ويبدو لنا أن ما كان عبر التاريخ ، من نشوء حضارات ، وتصادمها ، وانقراض انواع منها وسيطرة نوع واحد لانه الاقوى ، كان من قبيل الحتمية ، ونحن مجبرون على ضبط القوانين العلمية ، بناء على ما كان . أما ، ما هو في الامكان فمجرد خيال .

عالم الاجتماع : القوانين لا تطفو على الانسان ، في عالم الانسان . وليست هناك « طبيعة » اجتماعية محتومة تصب على المجتمعات من اعلى . ان عالم الحياة الاجتماعية عالم مستقل بذاته ، ولا يمكن قياسه بعالم البيولوجيا كما تفعلون الآن ، الا اذا انطلقتم من مسلمات فلسفية . فالبتيوى مثلاً يعتقد أن قوانين البنية البيولوجية قد توجد في المجتمع او في البناءات اللغوية . ولكنه هنا يتفلسف ما دام يضم بين عوالم مختلفة ويبنى عنها قوانين مشتركة . أما العالم الحقيقى فلا أراه الا كثير التحفظ

الاستلاب الحضارى

ثورة ، او كل عملية اصلاحية ، تعد محاولة فى تغيير الاتجاه . ولا يستبعد اننا سنصل الى التقليل من اسباب الفشل الحضارى ، اذا امكنا ضبط تصرفاتنا الحضارية على اسس فكرية واخلاقية تجدد نظرتنا للوجود . وانى لارى الافلاس الحضارى فى التقاطع بين التعاليم الخلقية والحياة المادية لكل حضارة . وهذا ما نسميه بتغلب المغريات على الفكر . ان لب الانسان مجذوب اليوم الى ما يخدره اكثر مما هو مدفوع الى التفكير واذا استثنينا اقلية قليلة من الانفراد ، فاننا نشاهد الانسان يقضى طول حياته فى السعى وراء رفاهية مكنوبة . فانفاق جهود العمر كله فى اقتناء البيت الرفيع والسيارة مثلا ، لا يعد تسهيلا للحياة ، ولكنه استعباد الالة للانسان او استعباد الانسان للانسان بواسطة الالة . ونحن نحس « بغثيان » الاجيال الصاعدة من الحياة فى مجتمع « استهلاكى » متكالب .

واذا اخذنا حكم الدين على هذه الوضعية ، فاننا نجده ، فى ثورته على الحضارات البائدة التى عمقت التفكير وتسعى وراء المذات . فالنحل الفاجرة كقوم فرعون وثمود ، انما هى مدن اغراء حضارى مع تلخيص الحضارة فى جانبها المادى ، ولا يمكن لهذا النوع من الحضارات التفكير وتسعى وراء اللذات . لنفسه بنفسه ، ذلك ان تمتع طبقة

الافلاس الحضارى فى كل النماذج المعروضة علينا . وليس لنا الا التفكير الثورى كوسيلة لخلق نموذج مثالى ، وليس التخيل كما قلنا ، عبارة عن جنون ، فى هذا الميدان . بل انه مبنثق عن وعينا للاستلاب الحضارى الحالى ، مع تفكير فى نموذج امثل للحضارة .

المورخ : لم تقم فى هذه الارض حضارة انسانية منذ القديم البعيد ، الا وثبت افلاسها وتفككها . ولكنى لا اعتقد رغم هذا ان قانون الفساد والتفكك الحضارى قانون ابدى ، لان تبديل التنوع الحضارى الذى اشرتم اليه فى تصوراتكم المثالية ، ممكن الوجود . كما ان الماضى كان فى امكانه ان يعطينا بناءات واتجاهات حضارية غير التى وجدت فى مجرى التاريخ .

طالب : يظهر انكم تتصورون الحضارات كما يتصور المهندس ذو الخيال الخصب مخططاته الخيالية لبنايات متنوعة

الفيلسوف : المقارنة فى محلها ، اذا تصورنا ان البشرية ستصبح فى يوم من الايام ، فى درجة من الوعى ، والتمكن من مصنوعها ، واتقان خطة التنفيذ ، بمثابة جماعة موحدة من المهندسين والبنائين تسعى لاقامة بناء واحد .

المصلح الدينى : الافلاس الحضارى امر مسلم به ، ولا نستثنى من ذلك اية حضارة غير ان هذا لا يبنى الواظبة على التجربة الحضارية فى كل مرة . وكل

من الناس ، واسرافها في المتعة ، لا بد أن يكون مبنيا على استعبادها لطبقة أخرى . هذه هي إحدى معانى الآية الكريمة « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » . انظروا الى حضارتنا الحالية بمدنها الفاجرة ، ترون أن الاقلية من سكان القصور والمتريدين على المراتص مثلا ، تقابلهم الاقلية من الوجوه الكالحة الذين يجرون وراء لقمة العيش .

والاخلاق الدينية حينما تنبه الى الزهد لا ترمى الى مقت الحياة كحياة او مقت الجوانب الايجابية من الحضارة ، مثل تسهيل العمل بواسطة الآلة الراقية ، والمعرفة العلمية ، والفن الايجابى ، بل الزهد هو الاعراض عن المغريات المضيق لافاق العالم الانسانى ، بحصره في الكسب المادى . ولست ارى فرقا بين موقف الزهاد من رجال الدين والزهاد من الحكماء والعلماء ، الا أن زهاد الاديان اشد الحاحا من غيرهم ، ويكونون من انفسهم امثلة حية يشاهدها الناس .

طالب : وهل يمكن اعتبار هذه الامثلة الحية ، وهذه البناءات الاخلاقية ناجحة لحد الآن ؟ نرى أن الافلاس الحضارى كان دائما امرا محتوما . والاخلاق كانت ولا زالت تدعى انتقاذ البشرية ، ولكنها لم تتوصل لتحقيق أى هدف

من اهدافها . فالافلاس الحضارى كان أيضا افلاسا للاخلاق .

طالب آخر : طرق التوعية الخلقية محدودة وغير ملائمة ، أما طرق الاغراء المادى فكثيرة وقوية المفعول في حضارتنا .

الفيلسوف : من المسلم به أن نضال رجال الاخلاق كان لحد الآن نضالا فكريا ولفظيا محدود الفعالية ، وأن تغلب الفكر على السلوك التمتعى كان نادرا في حياة الحضارات ، ولكن لا استبعد تصور حضارة انسانية يصبح فيها الفكر ، أى الوعي والتوعية ، هو الشغل الشاغل لجميع الناس . وهذا لا ينفى العمل المادى بل يسهله ، ولا ينفى المعاش بل يبسطه ، ولكنه ينفى المتعة الماسخة .

المصلح الدينى : حينما جاءت الدعوة الاسلامية تقول ان الاسلام دين ومعاملة فمعنى هذا انها كانت ترمى الى اخضاع المجتمع في معاشه اليومى الى السلوك الاخلاقى ، وكانت ترمى الى فرض اسبقية الفكر على السعى التمتعى . وقد حاولت هذه الدعوة ان تحطم بكل ما اوتيت من قوة جميع مظاهر الحضارة التمتعية ، وقد نجحت فعلا لمدة جيل واحد ، وكأنى اراها في هذه الفترة تفرس في نفوس الناس قدرا ادى من الطاقة الفكرية ، وتعلمهم مقت النماذج الحضارية المفلسة . واراها قد وصلت بهم فعلا الى التحصيل على الشروط الاساسية

فى جدلية أهم وهى قبول نوعية
الستراتيجية العامة التى يفرضها
الخصم بحكم وجوده كمجابه .
فالمسلمون كانوا يواجهون الروم ،
فاغراهم هؤلاء بقوتهم ، والروم
كانوا يجابهون اليونان فاغروهم
بحضارتهم ، ويظن خصومنا
الاستعماريون أننا نجابههم فيبادروننا
بالهجوم . وهذا هو الاستلاب
الحضارى الذى يفرض علينا دفع
العدوان بالعدوان فى عالم اليوم ،
انه أسلوب حضارى ، مريض ،
متناقض ، مقيد ، يقيدنا بسلاسل
جدلية . فنحن مجبرون على اكتساب
نفس السلاح وعلى صرف كل
طاقتنا فى الالتزام بالصراع الخارجى
عوض أن نصرف جهودنا فى التحرير
الداخلى ، فكل استلاب مبنى على
استلاب آخر فى هذا الكيان
الحضارى المريض .

يتبع

لانطلاق حضارى تحررى : منها
فرض عقيدة المساواة المطلقة بين
الناس ، وتقديس الانسان لانه
الكائن المفكر ، والزهد الكامل فى كل
المغريات .

المؤرخ : ولكن هذه الدعوة فشلت حضاريا
متلما فشلت الحضارات السابقة ،
لان النماذج الحضارية التمتعيرة
تفلبت بسرعة على المجهود الفكرى،
فواقعة صفين ليست فتنة داخلية ،
كما يبدولنا ، ولكنها واقعة انتصار
الحضارات السابقة على الدعوة
الفكرية الاسلامية . فالمسلمون
الذين خضعوا لاغراء النموذج
الرومى أو الفارسى بمثابة المستعمر
بالذات فى عصرنا الحاضر .

الفيلسوف : ان الصراع لا يتلخص فى تقابل
قوتين متضادتين اقتصاديين
وعسكريا ، فقط ، ولكن جدلية
الصراع فى حد ذاتها تقتضى الدخول



عندى كلمة الى شباب العالم .. فانا مازلت شابا ..
الخطا ان تعتقد انك تعرف كل شيء احسن من غيرك وهذا
يقودك دائما الى الخطا .. الشباب لا يقبل النصح ويعتقد
ان الكبار قد انتهوا وانهم فئة قضى عليها بالفناء .. ولكن
الحقيقة ان الكبار في السن قد مروا بنفس الظروف التي يمر
بها الشباب الان والتي سيمرون بها في المستقبل ومنها
اكتسبوا خبرة واصبح لهم نظرة واقعية لمشاكل الحياة
.. انا اتحدث من خبرتي .

نصيحة الى الشباب .. الخمر والسجائر رذيلة تقضى على
الشباب بسرعة والحمد لله فانا لا اتعاطى المشروبات الكحولية
ولم اعرف التدخين .. انا لا امانع في ان ينتمى الشباب الى
فكرة او مجموعة لكن الخطا كل الخطا ان يفقد الشباب شخصيته
ويسمح لغيره ان يقوده .. ان هناك من يستهوى الشباب
الى الفساد والرذيلة ووسائلهم الخمر والنساء والمخدرات
.. وكم من شاب انتقاد الى هذه المغريات وانتهى الى الكهولة
المبكرة .. المهم ان تبعد عن هؤلاء وعن هذه الرذائل ...
الفضيلة تاج على رؤوس الشباب .. الرياضة هامة لبناء
الشباب ... اذا وجدت الرياضة في نمو في دولة فستجد
شبابها قوة تخيف .. الرياضة تقوى الشباب جسمانيا ونفسيا
الرياضة تعلم الشباب كيف يفوز وكيف يخسر . اذا كان امام
الانسان عشر سنوات باقية من حياته فسيعيشها احسن وهو
يزاول الرياضة .. هذه هي نصيحتي الى الشباب ...
من مذكرات بيلس

احتجاج « ثوري »

* كان جاستون ايسكنز رئيس وزراء بلجيكا يقدم للبرلمان
برامج حكومته في المجال الزراعي ، عندما قوطع خطابه
بضجة هائلة : فقد اقتحم ساحة البرلمان ثور ضخم : ولم يدخل
الثور الى البرلمان بالصدفة طبعاً ، ولكن احضره الفلاحون
ليدخل على رئيس الوزراء ويقاطعه احتجاجا على السياسة
الزراعية للحكومة ! ...

دور اللغة في الثورة الثقافية

من الثابت الذي لا شك فيه أن وحدة اللغة من أهم العوامل في تمكين وحدة الشعب وتقوية أواصره وشد عزمه على التآخي والتعاون ودفعه للسير قدما في مضمار التطور ومعارج التقدم . وكثيرا ما وقع بسبب اختلاف اللغات بين الشعوب وسوء التفاهم على المعاني تشنجات اجتماعية وسياسية أدى بعضها الى قيام حروب وثورات سالت فيها دماء غزيرة وتبددت ثروات ضخمة .

عبدالمعز بن عبد الله

أستاذ بجامعة القرويين
ومدير عام المكتب الدائم
لتنسيق التمريب

دعى الاستاذ عبد المعز بن عبد الله الى الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي بوهان وتكلم يتمكن من الحضور لاسباب خاصة، نبعت الى الملتقى بهذه الدراسة القيمة التي ننشرها في هذا العدد .

كما لا نستطيع التفاهم بدقة على ما نريد ؟ ونحدث بلهجات متباينة نكاد ندعى بأنها لغات لعظم التفاوت فيما بينها . فنحن لا نخطف على المسميات والتراكيب وحسب ، بل أن نطقنا فيها اتفقنا عليه مختلف أحيانا اختلافا يظن معه أنه لغة أخرى . ومع هذا نجد بيننا من يدعو الى تعميق هذا التفاوت باستخدام اللهجات العامية مكان العربية الفصحى ويسميتها لغات . فهناك من يدعو الى العامية اللبنانية بحماسة ، وقد وضعت فيها كتب تطبع اليوم في بيروت بعشرات الألوف وتوزع بالمجان تقريبا أو بثمن رمزي . وتكتب بحروف لاتينية ويكافأ المبرزون فيها بجائزة مقدارها نحو أربع مائة دولار وهي جائزة مستمرة تدفع في مطلع كل شهر للفائز الاول في تخريب الفصحى ، غيتهافت كثير من انشبان عليها طامعين بها وفي يد كل منهم موعوله يضرب في اساس اللغة فيخرب ناحية ويهدم ركنا حتى بلغ عدد الكتب المؤلفة باللغة العامية اللبنانية العشرات ، وهم يسمونها اللغة الفنية أحيانا ويدعون بأنهم ورثة فنيقيا التي كانت قائمة في لبنان قبل نحو ثلاثة الاف عام والناس العقلاء الطيبون يتساءلون : من أين يأتي هذا الداعية الفقير بالمال لينفقه في هذا السبيل ؟

ونجد بيننا من يدعو الى كتابة الاغانى والحوار القصصى والمسرحى والسيناريو السينمائى باللهجات العامية ، وتقام الدعوة الى ذلك مناظرات صحفية وندوات وتؤلف الكتب وتنشأ المقالات وتفتح المجلات المصورة لها صدورها وترحب بها .

ونجد بيننا من يدعى بأن اللغة العربية ضعيفة قاصرة لا تستطيع مجاراة التطور الحضري والعلمى المعاصر ، ويرون الخير في تركها واهمالها وتدريس العلوم بأى لغة أجنبية سواها . وليت الامر اقتصر على الضجيج في الصحف والندوات وحدها ليته وقف عند هذا الحدان لهان

ولقد كان لنا في الجاهلية لهجات متباينة تغالى بعض العلماء فسموها لغات كابتى عمرو بن العلاء القائل : ما لغة حمير بلقنتنا ولا لسانهم بلساننا ، ولولا أسواق العرب الدورية لما تقاربت هذه اللهجات فزالت الفوارق وتروقت الالفاظ وتهذبت المعانى وتوضحت المصطلحات وسهل التفاهم وقامت اشباه اتحادات سياسية قبلية كانت ارهاصا للوحدة العربية التامة الشاملة التي انبثقت مع الاسلام ودعها كتاب الله الكريم وانضجت لنا هذه الحضارة التي مازلنا نفاخر بها حتى اليوم . فمئذ ذلك الوقت والعرب كلما مزقتهم الاحداث أو غرقتهم المصائب وجدوا في الاسلام الذى وحدهم داعيا الى الصلح ، وفي القرآن الكريم الذى انضبطت لغتهم عليه اساسا للاتحاد والتفاهم . لقد جمعهم القرآن الكريم فالف بين قلوبهم ووحد صفوفهم وخلق منهم قوة يخشى بأسها ودفعهم في سلم الحضارة سعدا ، فنحن حينما ندعو الى لغة القرآن المجيد ونسعى الى تفصيح العامية ، انما ندعو الى تحاب وتفاهم بين العرب . والتقاؤنا على الفصحى في جميع اعمالنا العلمية والأدبية والفلسفية هو اول الطريق نحو وحدتنا المنشودة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا . وحدة الفكر والتفاهم أولا ، فهى التي تحدد شخصيتنا وتثبت أقدامنا في التطور الحضري ضمن المجتمع الدولى المتقدم .

كل شعوبنا ترنو الى الوحدة العربية الكبرى بعيون ظمأى وقلوب متلهفة وكل شعرائنا وكتابنا وأرباب الفنون منا يتحدثون عنها ، وكل زعمائنا يتخذونها نكاة سياسية ... وكلها حزبنا امر أو دهمتنا مصيبة أو اعدى علينا مستعمر قلنا : لو كنا متحدين لكان لنا موقف آخر يرهب العدو ويرضى الصديق لكن كيف يتم لنا تحقيق هذه الوحدة أو الاتحاد أو ما سئتم له من تسمية . اذا

دور اللغة في الثورة الثقافية

متهالكين نتهوى أمام أى صيحة وننهامت تحت كل ضربة .

ان معركتنا معركة
شرسة طحون غير ان
سلاحنا فيها ماض قوى
لو عرفنا كيف نستخدمه
ان ايماننا بسمو لغتنا
وقدرتها على التطور
ومساوقة أى لغة عالمية
فى أى علم من العلوم ،
هذا الايمان لا يكفى وحده
لا يكفى ان تنغنى بهذا
الجمال وبهذه القدرة ،
ونقف عند كتابة المقالات
الضافية فى تمجيدها ونظم
القصائد الطوال فى الثناء
عليها وتقديرها .

ان اللغة الآن فى محنة من اشد المحن ، تقاثل
على جبهات متعددة بعضها خارجى وبعضها
داخلى ، وتجتاز مآزق حاسمة فى أعنف لحظاتها
التاريخية ، فان لم تقف فى وجه هذا التحدى بتحد
اشد وأصلب ، سقطت فى هاوية لا مخرج لها منها
ان خصومها يخططون لتخريبها تخطيطا عليا
بارعا ويدرسون ثم يصممون ويعملون ضمن
برنامج معروف المبدأ معروف الاسلوب معروف
النهاية ، ولا مناص لنا من خوض هذه المعركة
بمثل سلاحهم اما التناخر بالمضى والادعاء
العاطفى والارتجال فأمور لا تجدى فى معركتنا هذه
فتيلا .

يجب ان نثور ثورة
عاقلة وان تكون أول
ثوراتنا على انفسنا فنغير

الامر وثلنا : حسبنا الله فى بعض شواذ الناس
ومتنطעיםهم اما ان يحمل هذه الدعوى عضو
مجمعى فيدعو فيه الى نبذ الحروف العربية نبذا
قاطعا واستخدام الحروف اللاتينية مكانها توطئة
لتقريبنا من الحضارة الاوروبية على حد زعمه فامر
يدعو الى اكثر من التعجب .

ونجد بيننا من يدعو الى تحطيم قواعد الفصحى
وتكسير اساليبها وتدمير بلاغتها وتزويق شعرها
ونثرها وهجر أوزانها الموسيقية العذبة ، ويتغالون
فى استخدام المجازات والاستعارات والمكنايات
البعيدة ويسمونهم رمزية . ويستخدمون من الالفاظ
فى غير ما وضعت له ويسمونهم سريالية حتى عمى
على قارئ العربية فهم ما يقصدون فكأنهم يكتبون
لغة أخرى لا صلة بيننا وبينها الا صور الحروف
وحسب .

ولو رجعنا الى اصل المعارك ودرسنا اسبابها
الحقيقية لوجدناها سالكة سبلا مفترقة لكنها كلها
ترمى الى هدف واحد . فالحركة الاحادية تبعدنا
عن عماد هذه اللغة وقطب رحاها ، تبعدنا عن
كتاب الله الذى كان سبب وحدتنا وتقدمنا . فمتى
تحللنا منه ونبذناه ضعفت لغتنا وضعفنا معها
وتمزقنا وسهل على المستعمر ازدرادنا لقمة
سائغة .

والحركات الداعية الى لاتينية الحرف ، تهدف
الى قطع صلتنا بماضينا الحضارى والفكرى ،
وتفريغ مجتمعنا من الداخل تفريغا يجعله قابلا لان
يملا بما يريدونه لنا ، فنعود الى وهدة التبعية
التي لم نتخلص منها الا بشق الانفس وتقديس
ملايين الضحايا .

والحركة الداعية الى العامية تهدف الى تمزيقنا
تمزيقا يباعد بين اقاليمنا فنغدو شعوبا صغيرة
متخاذلة لا تفاهم بينها ويتركنا صفارا ضعفاء

وفي وسطها وفي آخرها فقد تعلى متن الالف او تركب ظهر الواو او تجلس على كرسى او تنفرد وحدها .. وهناك المدة والشدة والتنوين ... وهناك الحركات من ضمة وفتحة وكسرة وهكذا تتزايد العيون اللازمة للحرف العربى حتى تبلغ سبع مائة عين او اكثر . فاذا احتاج العامل الافرنجى الى شهرين ليتقن صناعة رسم الحرف، فلن يقل الزمن اللازم لزميله العامل العربى عن ستة اشهر ولهذا اختصروا فدعوا الى اتخاذ الحرف اللاتينى وراوا فيما ابتدعه مصطفى كمال اتاتورك اللغة التركية مثالا يحتذى . ونسوا ان :

١ - اللغة التركية لغة حديثة غير ذات ايجاد حضارية وما فيها من نفائس الكتب مترجم اكثره عن العربية وان اللغة التركية وليدة جديدة مازالت في دور الحضانة والنمو وانها تستعير نحو ثلثها من اللغة العربية والثلث الثانى من الفارسية والطورانية والثلث الاخير مستعار من اللغات الاوروبية الحديثة .

٢ - وانا لو بدلنا حرفنا هذا واتخذنا الحرف اللاتينى مكانه لاحتجنا الى اعادة طبع عشرات الالوف من كتبنا القيمة وفيها ارث حضارتنا وثقافتنا وحضارتنا وامجادنا ، والتبديل يحوجنا الى زمن طويل جدا وجهد جبار وبذل مليارات من الدنانير الذهبية ، وهو امر تعجز عنه ميزانيات البلاد العربية مجتمعة .

٣ - وعجزنا عن اعادة طبعها كلها يدعوننا الى اهمال كثير منها والى الانقطاع انقطاعا تاما عن مخطوطتنا النفيسة وهى لا تنقل عن مليونين وفيها من النفائس ما لا تقابله مخطوطات اى لغة اخرى في العالم . اليس في مغامرنا هذه ضياع ككوز فكرية لا تقدر بمال الدنيا ؟ !

مناهجنا وسلوكنا وتكتيكنا
ثم نحدد خططنا ونعين هدفنا وننطلق بايمان لا نلتوى بعده مهما تعاونا من محن او تاكدنا من عقبات . ان اهم معاركنا تدور في حومات ثلاث هى:
١ - معركة الحرف
واصول الكتابة للطباعة
ب - معركة العامية
ب - معركة التعريب

وما عدا ذلك فتبع لها او مشتق منها او متعاون معها . وسنعرضها بشيء من الاجاز لتركيز البحث عليها اذا شئتم وما امرها بخاف عليكم .

١ - الحرف العربى : يقيسون الحرف العربى في الطباعة على الحرف الافرنجى فيقولون . ان رصف صفحة بالخط الفرنجى يعادل في الزمن رصف نصف صفحة بالخط العربى .

ومعنى ذلك انه بينما يرصف عامل المطبعة الافرنجى حروف صفحتين لا يستطيع زميله العربى ان يرصف اكثر من صفحة واحدة، وعيون الحروف الفرنجية في لوحة الرصف لا تزيد على التسعين لان كل حرف منها وحدة قائمة بذاتها يمكن رصفه في اول الكلمة او وسطها او آخرها ونقله من مكان الى آخر بمنتهى السهولة اما الحرف العربى فتختلف صورته باختلاف موقعه من الكلمة فالعين مثلا في كلمة « عدل » الواقعة في اول الكلمة لا تشبه العين الواقعة في وسطها مثل « يعود » او في آخرها موصولة مثل « سميع » او في آخرها مفصولة مثل « سماع » وهناك حروف تتصل بسابقتها وبلاحقتها وحروف تتصل بسابقتها ولا تتصل بلاحقتها مثل « الواو » وهناك الهمزة في اول الكلمة

دور اللغة في الثورة الثقافية

ويقتصد بذلك اقتصادا كبيرا في الزمن والجهد والمصروف !! .

١ - ونسى هؤلاء الداعون أو تناسوا ان في تقوية اللغة العامية اضعافا للغة الفصحى وتوهينا لعزمها وخلقا لعدد من الشعوب تبدأ عربية اقليمية ثم ما تزال تتباعد مع الزمن وتوالى الاجيال حتى تنتهي الى شعوب نبطية ضعيفة متهاكمة لصغرها أمام القوى الكبرى فتهون على الاعداد وما أكثرهم ويلحق العرب بالشعوب البائدة التي أهملت نفسها واحتقرت لغتها ولم تخدمها واستعارت لغة سواها لثقافتها وتعاملها غداً فيها ولم يبق لها ذكر يذكر . ابن البابلون والآشوريون والسومريون والفنيقيون والقحطانيون السريان ؟ ! .. أتظنون أنهم قد بادوا بأشخاصهم ، وأن أصولهم قد اجتمعت من الحياة اجتماعاً باتاً ؟ كلا .. ان بقاياهم ما زالت تعيش بيننا ولكن من يعرفها ومن يحترمها ومن يقيم لها وزناً وما قيمتها في الحضارة .

٢ - والغريب أن يتجه العالم كله نحو التكتل ليصون نفسه بقوة أعظم وهؤلاء يدعون الى التمزق والتضاغر والضعف والتهالك فأى جنابة أعظم منها ؟

٣ - ونحن لا نرى ضيراً في بقاء العامية لغة للتعامل اليومي على شرفين هما :

١ - أن يباعد بينها وبين الادب شعره ونثره فتجلبو عن الصحف والمجلات المصورة والقصص والمسرحيات وما شاكلها .

ب - أن يسعى السعى الحثيث لتفسيحها وتقريبها من اللغة القومية بحيث تصبح الشقة بينهما أقرب ما يمكن حتى يسهل التفاهم بين العالم ورجل الشارع بغير كبير عناء . وعلى أى حال فإن

٤ - وقد ثبت الآن أن الحرف العربي حرف مثالي في جمال تكوينه وشكله وتنوعه والتوائه واستوائه وتعرجاته واختصاره ، وأن الصفحة الواحدة من الكتاب العربي لو كتبت بالحرف اللاتيني لاحتاجت صفتين عى الأقل ، فالكتاب المؤلف من مئة صفحة بهذا الخط الجميل لا يمكن رصفه بأقل من مئتي صفحة بالحرف اللاتيني وما جدوى كل هذا التنذير ؟ !

٥ - أن تطور الطباعة اليوم يتجه اتجاهاً سريعاً نحو اللينوتيب والمونوتيب ومعنى ذلك هو العدول بالتدرج عن أسلوب الرصف الحرشي واختصار القوالب الى نحو ١٦٠ فقط ، وقد توصل بعض العلماء الى ابتكار رسم حديث للحرف العربي لا يخرج عن شكله ولا يبعده عن أصله ولا تزيد قوالبه على المائة ، واهتمت جامعة الدول العربية بهذه المشكلة وتبنت بحثها ومناقشتها ودعت الى ندوة خاصة بذلك تعقد وشيكا واستدرجت لها كل المعنيين بها وقدم المغرب مشروعاً ممتازاً لا تزيد فيه قوالب الحروف عن التسعين مع جميع محركاتها من همزات وشدات ومدات وحروف اجنبية لا ينطقها العرب . والامل قريب بتوفيق الجامعة الى حل مشكلة الحرف حلاً سريعاً وموضوعياً تسهل به الكتابة على الراقنة « الآلة » الكاتبة » وفي المطابع بحيث يسقط دعوى الداعين الى الحروف اللاتينية ويفقد خصومنا معركة .

ب - معركة العامية : يحتج الداعون الى العامية بعجز الفصحى عن التعبير بدقة وعمق عن خلجات النفوس وتصوير اللحظات العاطفية والامثال الدارجة في كل قطر . وبأن الطفل العربي يعاني في دراسة الفصحى ما يعانيه في تعلم أى لغة اجنبية سواها ، فخير له ان يدرس لغة اجنبية يتابع فيها دروسه العالية من بعد في مواطن العلم،

لم تقدم عليها الا بعد بحث وتمحيص واستقصاء
وستؤتى كلها وتصبح نموذجا آخر حيا في العالم
العربي يرد به على دعاة التخريب ، على ان هذا
لا يتعارض ووجوب التضلع من اللغات الاجنبية
تدعيا لتعمق العلمى والفكرى على الصعيد
اعالى .

٣ - ان الكرامة القومية تقتضى بان ندرس في
جامعاتنا بلغتنا ، نفعل كما تفعل جميع الامم التي
تحترم نفسها وتقدر قيمة لوجودها وتثبت عزمها
على غرض شخصيتها والمساهمة في حقل الحضارة
والانسانية ، فالامم حتى الصغيرة الصغيرة منها
كالبانيا وبلغاريا تأبى ان تدرس في جامعاتها بغير
لغتها القومية بل هذه اسرائيل سارقة فلسطين من
العرب تدرس في جامعاتها جميع
العلوم والفنون باللغة العبرية مع ان لغتها لم
تتجدد الا في مطلع هذا القرن ، افنعجز نحن عن
وضع لغتنا في مكانها المرموق ؟ هذه اللغة التي
حبلت امانة الحضارة طوال القرون الوسطى
ومنحتها جميع المصطلحات الانسانية والعلمية
والتقنية كالطب والهندسة والموسيقى والفلك
والرياضيات والفلسفة ... لم تعجز عنها في
عصور كانت وسائل التواصل الفكرى بين البلاد
شبه بدائية . افنعجز عنها اليوم ونرميها بالعمق
ونحن في عصر النور والكهرباء والذرة واللاسلكى
والفضاء ؟ ان اجدادنا لم يجبنوا امام تيار الحضارة
بل اخذوا واعطوا وترجموا ونحتوا واشتقوا وعربوا
وطاوعتهم اللغة مطاوعة عجيبة ، وكانت لهم
جامعاتهم في بغداد وغاس وقرطبة ومصر ودمشق
وتونس . وسيطرت لغتنا على ثقافة تلك القرون
حتى لقد تشكى بعض الكرادلة والبابوات من اهمال
المسيحيين المثقفين اللغة اللاتينية واتخاذهم اللغة
العربية مكانها !!

لكن كيف ندرس نحن

امر ذلك كله بين ايدى قادة الفكر العربى والمعلمين
والمدرسين في جميع مراحل التعليم .

ج - التعريب : قالوا بان اللغة العربية لغة
قديمة أصبحت عاجزة عن مجاراة التطور العصرى
قاصرة عن مبراة اللغات الحية في العلوم ،
وقالوا : ان في حروفها نقصا فنحن لا نستطيع
النطق ببعض الحروف الضرورية في المسميات
العلمية امثال : EU V.U.G. ... وما
شاكلها . وقالوا : ان الفكر العلمى المعاصر يخلق
في كل يوم نحو مئة مصطلح جديد فكيف تلحقه
اللغة العربية ؟ وقالوا غير ذلك كثيرا . والجواب
على هذا :

١ - ان نقصان اللغة العربية بعض الحروف
لا يعيبها ، ولها أسوة بأقدر اللغات الحية المعاصرة
فهل في لغة من لغات العالم الحى حرف (ح) او
(ع) مثلا ، وهل في الفرنسية حرف (ق) ماذا
فعل الغربيون للتوصل الى النطق بالخاء والطاء
والصاد وما شابهها ؟ اصطلحوا على رسوم معينة
واشارات تضاف الى حروفهم ليلفظوها كما تلفظها
نحن في العربية ، وكتب المستشرقين والمستعربين
وشراح مخطوطاتنا ومترجميها مليئة بأمثال ذلك ،
فهل نكون اقل منهم دراية ؟ ! ومتى تمت الموافقة
على الحرف العربى الجديد والمصطلحات الجديدة
في ندوة جامعة الدول العربية العتيدة فلن يبقى
هناك عذر لمعتذر .

٢ - ان التجربة العملية الناجحة التي قامت
بها سوريا عام ١٩١٩ واستمرت سائرة على
نهجها الى اليوم تنفى دعواهم نفيا باتا فقد عربت
سوريا التعليم في جميع مراحلها من دور الحضانة
حتى نهاية الجامعة وخريجوا جميع الفروع من
علمية ورياضية وطبية وصيدلية وهندسية وزراعية
لا يقولون عن زملائهم في أى دولة راقية ..
والخطوة الجبارة الشجاعة التى خطتها
الجمهورية الجزائرية هذا العام نحو التعريب ،

دور اللغة في الثورة الثقافية

هنا يبرز دور مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي ، دعا اليه المرحوم محمد الخامس فاجتمع مندوبو الدول العربية في الرباط عام ١٩٦١ وأقروه ومنحوه ثقتهم ، ثم تبنته الجامعة العربية وضمته اليها فأصبح جزءا منها اعتبارا من عام ١٩٦٨ .

كيف يعمل مكتب التعريب : ؟ ان ايجاد هذا المكتب عمل ثوري في حد ذاته انه ثورة هادئة عميقة معقولة ، انه ثورة مدروسة مخطط لها انطلقت من مبدأ ثابت رصين وسلكت سبيلا نيرا ورمت الى هدف واضح معروف . . . ولاحظ المكتب هذه الفوضى في التعريب وراى كيف يوضع للمصطلح الواحد أكثر من مرادف معرب أحيانا وعرف ان من أهم الأسباب في ذلك اختلاف أثر الثقافات الغربية في العلماء العرب فبعضهم تأثر الثقافة اللاتينية كسوريا ولبنان والمغرب العربي ، وبعضهم تأثر بالثقافة السكسونية كالعراق والاردن ومصر . وأن بعض العلماء على حظ كبير جدا من العربية ومن الثقافة الإسلامية كخريجي الأزهر والنجف ودمشق والزيتونة والقرويين وبعضهم على حظ ضئيل منها كخريجي المعاهد الأجنبية .

ولاحظ المكتب كذلك ان مستوى المدارس الابتدائية في معظم الوطن العربي دون مثيلاتها في البلاد الراقية ، وقام باحصاء دقيق للمصطلحات والمدرجات الواردة في جميع الكتب المدرسية وجردها فاكشف أمرا عجيبا ، ان مجموع مدركتنا لا يتجاوز ثمان مئة مدرك ، بينما يتجمع في ذهن التلميذ الأجنبي ألف وخمس مئة مصطلح . ومعنى ذلك ان مستوى ادراك الطفل العربي يقل عن مستوى زميله الأجنبي بمقدار النصف ولذلك يعاني تلميذنا في ملاحقة المدرجات العلمية في المدارس الثانوية ، والجامعة معاناة مؤلمة جدا هي التي جعلت نسبة الناجحين بالامتحانات العامة الانتقالية في مستوى منخفض .

في جامعاتنا بلغتنا القومية اذا لم نقيم على قاعدة من العربية الصحيحة في المدارس الابتدائية والثانوية ؟ ! من هنا نبدا يجب ان نهى لتلاميذنا كتبنا في العلوم والفنون بحيث لا ينقصهم من المدرجات العلمية والفنية شيء . يجب ان نعد لهم كتباً موحدة المصطلحات لنشأ الجيل الصاعد موحد التفكير موحد النظر الى الأمور العامة ، موحد الاتجاه في لب الحضارة المعاصرة . وكيف نوجد هذه المصطلحات ؟ ومن يعمل على هذا التوحيد ؟ لقد كانت تجربة سوريا درسا سويا ناجحا لو اقتصر الامر على سوريا وحدها . اما وقد درجت بعض الدول العربية في بعض كلياتها الجامعية على سبيلها كالعراق والاردن ومصر والجامع اللغوية فيها تعمل بجهد واخلاص ولكن كل واحد منها يعرب ويصحح منعزلا عن الآخر وفي كل بلد علماؤه واستاذيه ، ولكل منهم وجهة نظر ووجهة ، فكيف نربط بينها جميعا ؟ !!

المكرر أو الناقص في دقته وأحكامه ، وهى على حق في هذا . لأنها ترى الفكر العربى على مفترق الطرق وتريد له أن يسلك السبيل السوى ، وترى لغتها وقد قبلت في المجامع الدولية لغة خامسة الى جانب اللغات الحية العظمى فتريد لها دوام التقدم واطراد النجاح ، ولقد لاحظ مكتب التعريب هذا الأمر فأتخذ لذلك خطة علمية دقيقة يحل محل مسؤوليتها علماء العرب مجتمعين فهو يضع المصطلح بلغتين أجنبيتين معا هما الانكليزية والفرنسية ويضع امامه جميع المصطلحات التى عرب بها منسوبا كل منها الى صاحبه ان كان مجعلا علميا او استاذا لغويا مشهودا له بالتفوق ، او معجبا معروفا .. وينشر ذلك على شكل معجم الثبائى الترتيب ويضعه تحت انظار العلماء العرب لمدة لا تقل عن ستة اشهر ثم يدعو الى مؤتمر للعلماء المتخصصين يعقد في ظل الجامعة العربية بالمواضع العربية على التوالى فيندرسون المعجم وينقدونه ويختارون المصطلح الذى يريدون فيصبح شبه الزامى ، واختيار مصطلح واحد من بين مجموعة مصطلحات يوحد التعريب حتما ويسهل السبل على الدارسين والمدرسين والمؤلفين والكتاب ...

ان الحضارة العلمية تتذف في كل يوم بمئة مصطلح جديد الى ساحة التداول العلمى ، فكيف تلاحق هذا التراكم ؟ المكتب ايها السادة يترأض معها ويلحق تطورها ويجمع المصطلحات فيعربها على هيئة ملاحق معجبية ويختار للمصطلح ما يقابله ويعرضه مع المعاجم الاولى على العلماء العرب للداول والنقد الصحيح .

وتنبه المكتب الى ان جميع معاجم اللغة لم تجمع مفرداتها ، فهناك مفردات متناثرة في كتب العلوم والادب والتاريخ والجغرافيا القديمة لم تدخل المعاجم ، وجميعها يحتاج الى وقت طويل جدا فمأذا

عرض المكتب هذا الواقع على الدول العربية ودعاها الى اعادة النظر في الكتب والمناهج معا وقدم لها نموذجا هو معجم رياضى شامل وسيلحقه قريبا بمعجم لدروس الاشياء استكمالا للمفاهيم الانسانية في الاطفال اى دعا الى ثورة عميقة في اول درجة من درجات الثقافة لان الكتب المدرسية ما هى الا صدق للمناهج ، وكان ذلك اول أعماله ، ثم التفت الى المصطلح العرب فوجد أن حاجة البلاد العربية اليه متفاوتة تفاوتنا بعيدا كذلك ، فبينما تغفل الاستعمار في بعض البلاد الى اعماق مجتمعنا وحاول اجتثاث ثقافتنا العربية من اصولها ونشر لغته بكل وسيلة حتى اصبحت لغة المدرسة والمعمل والشارع والبيت ، توقف في مواطن سواها على السطح فحفظت لغتها وثقافتها نوعا ما ، ورأى المكتب أن حاجة القسم الآخر الى تفصيل عاميته أشد من محاربة الدخيل فيه ، اما القسم الاول فهو في أشد الحاجة الى تفصيل عاميته ومحاربة الدخيل على لغته في وقت معا ، ولذلك اصدر سلسلة كتيبات منذ عام ١٩٦٣ عنوانها « قل ولا تقل » بلغ تعداد الفاظها أكثر من ألف وجعل من عام ١٩٧١ عام محاربة الدخيل واتصل بجميع الدول العربية بما تحتاج الى تفصيله أو تصحيحه وهو مستعد لتقديم خدماته بكل سرعة ودقة ، وكانت اول الدول العربية اهتماما بهذا المشروع هى الجمهورية الجزائرية ، واول الهيئات العلمية التى بداته هى الجمهورية الجزائرية ، واول الهيئات العلمية التى أبدته هى اليونسكو .

ان النخبة المثقفة في البلاد العربية على العموم وفي المغرب على الخصوص ، متأثرة بقدره المصطلحات الأجنبية العلمية على الدقة في التعبير والتصوير للمدرك العلمى والتقنى فلا يرضيها التعريب الارتجالي ولا الفوضى المتناثر ولا المتعدد

دور اللغة في الثورة الثقافية

نحن في معركة لا هوادة فيها تتعرض فيها لغتنا لحن عنيفة جدا ، تتناشها من كل جانب ، والشعب العربي في حال تحفز يريد منا أن نعمل شيئا ما لحفظ كيانه ، واللغة عامل مهم جدا في تثبيت هذا الكيان و ابراز شخصيته وفي دفع الثورة الثقافية قدما الى الامام ، ولا بد من اتخاذ الخطوات الجريئة الحاسمة في تبسيط قواعد اللغة وتسهيل دراستها وتزويدها بمفاهيم علمية كاملة وتوحيد مصطلحاتها واعادة النظر أولا وقبل كل شيء بمناهج التعليم وبالكتب والمؤلفات التي توضع بين ايدي التلاميذ والطلاب ومراقبة الدعوات الهدامة كالدعوة الى العامية او الى الحروف اللاتينية .

**ان اللغة كائن حي
تعيش وتنمو بالتغذية
المستمرة والعمل الجدى
الدائب ، ونحن في مكتب
تنسيق التعريب الدائم
نضع انفسنا وخبرائنا
وخبرتنا كلها تحت تصرف
العاملين لخدمة لغة
القرآن الكريم في اى دولة
عربية ، نخدم لغتنا
متحدين متأزرين لتخدمنا
في ثورتنا الثقافية وتحررنا
العقلى وتثبيت كياننا
الفكرى .**

**نعطيتها فتعطينا ، وما
خاب من اتكل على الله
وسعى .**

فعل ؟ جرد اكبر المعاجم العربية المعروفة (لسان العرب) ونسقه في جزازات وجعله منطلقا يضيف اليه كل يوم ما يتجمع لديه من جزازات ويراكها مصنفة تصنيفا ابداعيا حتى بلغت مئات الالوف هي التي ستكون اساسا لمعجم المعانى الجديد واستخلص منها عددا من المعجمات في بعض الفنون كمعجم الفه المالكى ومعجم الاطعمة ومعجم الالوان ومعجم الطحانة والخبازة والفرانة ومعجم الرياضة والعب ومعجم الآلات والادوات والاجهزة ومعجم اسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم ومعجم الحرف والمهن ومعجم البناء والمعجم المنزلى ومعجم الاطعمة وسواها ...

وها نحن نضع امامكم العدد الثامن من مجلتنا (لسان العربى) في ثلاثة مجلدات كل ملحد منها بأكثر من سبع مئة صفحة وكلها معاجم علمية وتقنية باللغات الثلاث الانكليزية والفرنسية والعربية معروضة لمن يرغب من العلماء الحصول عليها بالجان نقدمها ولا نطلب أكثر من تقويمنا وتصحيحنا وموازرتنا في البحث ، وستصدر هذه المعاجم وملحقاتها منفردة على حدة مشكولة موضحة مفهومة على الابجديتين العربية والفرنجية ، ونحن ساعون الى اصدارها بأكثر من هذه اللغات واتخذنا الاجراءات اللازمة لتنفيذها قريبا وهي كما ترون على نوعين :

- ١ - تقنية : كمعجم
البترول والميكانيكوغرافى
- ٢ - علمية : كالكيمياء
والفيزياء والجيولوجيا

وبذلك نساهم مجتهدين في الثورة الثقافية المنشودة ، ان ثورتنا ثورة معقولة مدروسة منتجة ، ثورة الاصلة والعمل الجدى .

بعد أن كثرت حوادث السطو والسرقات على البنوك والمؤسسات المالية ودوائر البريد عكفت الشركات الالكترونية على دراسة انتاج جهاز التكرنى يتولى مهمة حراسة الخزائن المالية والرئيسية والقاء القبض على اللصوص بسرعة فائقة . يتلخص عمل الجهاز المذكور فى مراقبة خطوات الذين يتجهون نحو خزائن البنك . والذى لا يعرف الطريق اليها ويسير بخطوات غريبة غير معروفة لدى الجهاز فى الحال يثبت موجات كهربائية الى الباب الحديدى الخلفى لفلقه خلال نصف ثانية وبالتالي حصر اللص او السارق فى قاعة الخزائن .

ولهذا ستقوم بعض البنوك بتحديد عدد موظفيها الذين لهم علاقة بالخزائن المالية فى دهاليز البنك تحت الارض لتدريهم على كيفية الذهاب من والى الخزائن المذكورة وضبط خطواتهم لدى الجهاز الالكترونى لى يعرفها فى المستقبل .

وعلى الرغم من عدم الانتهاء من انتاج الجهاز المذكور بشكله النهائى الا ان الشركة المختصة تعتقد انها ستقوم بعرضه فى الاسواق العامة خلال وقت قريب بعد اجراء المزيد من التجارب العملية عليه .

وحسب رأى لعلماء المختصين ان كل انسان له طريقته الخاصة فى المشى على الاقدم أشبه ببصمات الاصابع ، وأن تشابه أو تطابق خطوات شخصين مختلفين لا يتكرر الا بنسبة واحد من مائة ألف .

ومن هنا يفهم المرء ان نسبة احتمال فشل الجهاز لا تبلغ سوى واحد من مائة ألف وهذه اقل نسبة احتمال فشل فى تاريخ كافة الاجهزة الالكترونية فى العالم .

الحقيقة عند نيتشة²

اذن لا الروح ولا العقل ، لا النبى ولا
الفيلسوف قد وصل واحد منهم الى محجة
الصواب او الى تلك الارض المجهولة التى
بقيت تنتظر نيتشة ليكتشفها . فما ذا سنجد
عنده ؟ يجينا فيلسوف القوة بان ما سيلجا اليه
لاكتشاف الحقيقة ليس شيئا جيدا فقد لجا اليه
الفلاسفة وعلماء الاخلاق من قبله ولكنهم
اساءوا فيه التصرف فانهرفوا ، وهو الطبيعة .

عبد الله شريط
استاذ بكلية الاداب
جامعة الجزائر

هو تابع لدى ما يطبعه به العقل من متانة وقوة ووضوح .

ان نبتشة بالرغم من كونه لم يعرف لفظية « الذرائعية » في ايامه الى ان اهدى الى كثير من آرائها المعروفة لا يامنا فقد كانت للحياة عند نبتشة قيمة أكثر من تلك التي للمعرفة وكان يعلم طلابه في الجامعة ان التاريخ بحث اجنبى عن حياتنا الحاضرة لا يمت لها بصلة لانه يلوى الفكر الى الوراء عوض ان يهيئه الى المستقبل كما يضعف فينا طاقة الحياة والقدرة على الخلق وكان يقول ان مفكرى (هبليس) القدامى كانوا يعتبرون المعرفة اعلى منزلة من الحياة ، وكانوا يهتمون الغرائز الحيوية . بل يعطون للمعرفة قيمة ذاتية مهيمنة وكان هذا الانتصار الذى تغلبت به المعرفة على الحياة هو الذى تآد المدينة اليونانية الى الاضمحلال والانهيار .

كذلك يثور نبتشة على ما نسميه الحقيقة الموضوعية التى يخضع لها الفرد مخيلاته وأحلامه ، والتى حلت في عصرنا الحاضر محل الاديان في العصور البائدة ، فانعدمت فيها شخصية الفرد واصبحت بذلك شيئا غير بشرى في حين ان هذه الحقيقة الموضوعية وجدت لصلحتنا ومنافعنا فقط . ويذهب نبتشة مذاهب مختلفة ليقننا ان هذه الحقيقة الموضوعية التى نأخذها عن طريق المعرفة العلمية ليست ذاتها هي لذاتنا نحن . ويضرب لنا المثل التالى: نحن نرى شجرة قائمة فنظنها هي لا تتغير . في حين انها في تغير مستمر اما نحو النمو واما نحو الانحلال . فليس هناك من شجرة موجودة بل شجرة توجد وتتكون ، ولكن حواسنا تراهها موجودة كما هي قائمة لضرورة حيوية حتى يتسنى لنا تمييزها عن غيرها والانتفاع بها . ان

فالتطبيعة هي التى يجب ان نسالها ماذا تريد والى اى شىء تطمح ؟ ولئن كانت هذه المعطلة قد عولجت كثيرا الا انها كانت معالجة بعيدة عن التوفيق ، لان من تصدوا لها في السابق كانوا يناولونها على ضوء ما كانوا يعتقدونه من ان الانسان يطمح بطبيعته الى السعادة . ومن هنا كان خطأ الفلاسفة شنيعا . فالانسان لا يهدف الى السعادة بل « الى الشعور بالقوة » والامتلاك . وحتى « سبينوزا » الذى خيل اليه انه اهدى الى الحقيقة قد وقع هو الآخر في خطأ فاضح اذ اعتقد ان كل فرد انها يطمح الى الاحتفاظ بنفسه في حين تجد عند الكائن الحي وحده خاصية لا يشاركه فيها غيره وهي النمو والتوسع وليس هو الحفاظ على الذات والركود . اما شوبنهاور فقد ظن انه قد وضع اصبعه على ما خفى عن غيره وهو ما سماه « ارادة الحياة » ولم يتبين ان هذا اللفظ وحده لا يدل على شىء بل هو افساد للحياة وتشويه . فالارادة اما ان تكون متجهة الى هدف واما ان لا تكون شيئا على الاطلاق .

ثم ان ما يتطلبه الانسان ليس هو الحياة بل « كيفية » الحياة ، ولا يمكن ان تكون كيفية الحياة هذه هي السعادة لان لا أحد يستطيع في رأى نبتشة ان يقبل بنظريته او يعتنقها لمجرد كونها تصيره فاضلا اوسعيدا . الا اذا كان من اولئك الفضلاء الذين يسمون انفسهم المثاليين والذين يتحمسون للحقيقة والخير والجمال ، اولئك الذين لا يتقنون شيئا في حياتهم مثل اتقانهم الهروب من كل ما هو مرتفع الثمن او بعيد المال ان السعادة والفضيلة لا يمكن ان تكونا حجتين على وجود الحقيقة لان هناك ما يكون حقيقة بالرغم من انه في اقصى درجات الخطورة والتعاسة ان مقياس الحقيقة تابع دائما الفكر الذى يدركها ويلاحظها او بالاحرى

الحقيقة عند نيتشه

أو صور لنفسيات الفلاسفة أو لمجتمعاتهم يحاولون أن يطلقوا عليها اسم الحقيقة الثابتة المطلقة ، فما الذى دعاهم الى ذلك ؟ يجيبنا نيتشه بأن مادعا كل تلك الفلسفات التى من نوع الفلسفات الهندية والمثل الأفلاطونية «جوهريّة» سبينوزا «وثنومينية» كانت - ذلك «المسيحي الخبيث» هو ما كان عليها اصحابها من الفرار الى «نرفان» تحلم بمالم خيالى ومملكة ثابتة ينعمون فيها بهدوء الراحة الابدية التى لم يجدوها فى هذه الحركة الدائمة المتجددة التى تزخر بها الحياة على الدوام . ان كل الفلسفات مثلها المسيحية لا تعرف الا الفرار من واقع الحياة القياسى الذى نعيش فيه الى عالم الهى لا وجود له الا فى اوهامهم وان كان على جانب كبير من الروعة والانسجام لانه عالم خيالى ، ولكونه عالما جميلا رائعا فانه كاف لان يكون حقيقة ، وان يكون كل ما عداه باطلا واوهاما .

وبعد . هل ننتهى من كل هذا الى ان نيتشة ينكر كل حقيقة وانه جدد لنا فكرة السفسطائيين القديمة ؟ ان الجواب يمكن ان يكون نعم كما يصح انه يكون لا . فالحقيقة لا وجود لها اذا فهمنا منها المقياس الثابت للأشياء الذى نقبل به مطمئنين على كل شئ نريد معرفة مقداره وقيمه وصوابه وخطاه سواء فى الميدان الفلسفى او العلمى او الخلقى . ولكن الحقيقة موجودة لا ينكرها نيتشة ولا عبارة عليها فى نظره اذا فهمناها كما تسلمها هنا الحياة بكل ما تزخر به من تنوع وتحول وتغير وحركة وبكل ما نشاهده فى الواقع الذى فى أرضنا لا الاحلام التى تخليها فى السماء ومن غير ان نحاول تأويله باتاويلات الفارغة والرموز الميتافيزيكية التى وراء عالمنا والتى هى بالتالى لا وجود لها . ان «الحقيقة عند نيتشة صيرورة دائمة مستمرة كالحياة اذ

هذا الشكل الذى نرى عليه الشجرة اذن ليس هو حقيقة الشجرة . وما تزعمه الحقيقة الخالدة ليس الا وسيلة تسهل السيطرة على ظواهر الطبيعة والاعمال التى تقوم بها فى محيطنا . فالحقائق السابقة للتجربة والتى كثيرا ما اعتقدها الناس برسوخ وعزيمة ليست عندى غير نوع من الايمان طال زمن التعود به عند الناس حتى رسخت جذوره فى طباعهم بفعل التكرار والمادة دون أن يصيرها ذلك حقيقة . ياللعجب كان الحقيقة هى ما تعود الناس على ممارسته . ان المعرفة ليست لها من قيمه «غير ما تلخصه لنا بصورة خاطئة عن مجموعة متنوعة من الظواهر لا أكثر ولا أقل ، والحياة لا يمكن أن تكون حياة الا بهذه الآلة المزيفة التى نستعملها فيها» . والعلم نفسه ليس اذن الا وسيلة تمقودنا الى الحياة . وتلك هى الحقيقة فى العلم ولا حقيقة سواها . ان «العلم الذى نعيش فيه خاطئ بل هو خطأ لانه صيرورة . وهو خطأ يتحرك على الدوام نحو الحقيقة ولكن دون أن يقترب منها لانه لا وجود للحقيقة . هذه هى الحقيقة العلمية اما الحقبة الفلسفية فهى عبارة عن ظل لصاحبها . اننا نستطيع ان نفتش فى كل فلسفة عن الفيلسوف . وما يسميه الفلاسفة بالحقيقة ماهى الصورة لما فى نفوسهم او وسطهم الاجتماعى من الغرائز الحيوية » اننى لا اعتقد ان هناك ميولا نحو المعرفة تكون هى ام الفلسفة . وانما الذى اعتقده هو انها هى ايضا ميول كبقية الميول استخدمت المعرفة آلة لها ليس الا فالفيلسوف لا يمكن أن يوجد فيه شئ لاشخص «البقة» وقد أنفق نيتشه جهودا كبيرة لكشف هذه الظاهرة عند الفلاسفة - تماما كما يفعل النقد الادبى فى شعراء المأسى .

النتيجة ليس هناك من حقيقة على الاطلاق : لا علمية ولا فلسفية وانما هناك انعكاسات

أيه أيتها السماء الصافية العالية أنك للعب
رحب تتراقص فيه الحظوظ الالهية . بل أنك
منضدة ميسر كبيرة للابهة المقارين « الخلاصة
أن « الحقيقة الحقيقية » ليست عند الفلاسفة
ولا العلماء ولا الانبياء وانما هي في الحياة النازلة
الصاعدة المضحلة النامية انها ليست الا
شروطا او آلة توجد بها الحياة لتصنع بهما
تطورها وهذا ما يمكن أن نمبر عنه بذرائعية
نيتشة في فهم الحقيقة أن الحقيقة توجد في هذه
الارض ولست وراء السهاد وهى الغريزة
ولست في العقل . « ويمكننا بنظرة عامة حول
فلسفة — نيتشة العملية هذه أن نلحظ فيها
طابعا عاما يسيطر عليها هو ما يوافق منها
الحياة وما لا يوافقها . ومفهوم الحقيقة العامة
والحقيقة الاخلاقية خاصة يظهر لنا في صورة
مزدوجة : (١) حينما يتبين الفكر هدفا نهائيا
ومثلا أعلى يريد الوصول اليه فهل يجب عليه
في هذه الحالة أن يبحث عن نظرية يميز بها الخطأ
من الصواب لكي يصل الى ذلك الهدف . (٢)
حينما نضع هذا المثل الأعلى امامنا ونبحث عن
الوسيلة الموصلة اليه فهل يجب علينا في هذه
الرابطه التي أوجدناها بين الوسيلة والغاية —
أن نتحدث عن الحقيقة بمعناها الذي نتحدث به
عنها في المسائل النظرية بين بعضها ؟ يقرر نيتشة
هنا بدون تردد أن ما نلحظه من التضاد بين
الخطأ والصواب في ميدان النظريات لا وجود
له في الميدان العملى الذى نسعى فيه الى أهداف
نهائية .

فنحن حين نلحظ التضاد القائم بين الوسيلة
والغاية يجب أن لا نطبق ملاحظتنا تلك على
الحقيقة بمعناها العام لانه لكى يمكننا أن —
نبحث الحقيقة بهذا المعنى يجب أن يكون
باستطاعتنا بناء جهاز منسجم متناسق من

ليست الحقيقة شيئا آخر غير الحياة نفسها « —
(١٥) والحياة قد أقضت بسرها لزراديشث حين
قالت له : أتى ما يجب عليه أن يتجاوز نفسه
باستمرار . وانت يا من تبحث عن المعرفة أنك
لست الا طريقا تمر عليه الإرادة : الحق أن
ارادتي في السيطرة لتمشى حتى على آثار
الحقيقة نفسها . وبعد أن يفصل نيتشة الحقيقة
عن ميدانها العملى والميتافيزيكي الذى كانت
« سجيئة » فيه قديما يضعها في ميدانها الذى
خلقت له هى والحياة سواء الا وهى الغرائز ...
« أن كل هذه الهياكل من المفاهيم التى تدفع
الحاجة الانسان الى الاحتماء بها من الحياة
ليست بالنسبة للفكر الحر الا مجالا لنعرف قواه
المقهورة الجريئة ، فحين يحطمها ويرمى بها هنا
وهناك ، يعود الى تلمسها من جديد ثم يحشر
الاشياء الغريبة عن بعضها البعض كما يباعد
بين التشابهات والمتماثلات واذا هو يجد نفسه
امام هذا العمل الجبار انه لم يعد متقادا للمفاهيم
بل للغرائز . وفي ميدان التجريدات لان الالفاظ
لم تخلق لها بل أن الانسان يصيغه الصمم
والدوار عندما يتحدث عنها باستعارات محرمة .

وهكذا نجد أن الاعتقاد بوجود حقيقة ثابتة قد
نقد البرهان على صحته عند نيتشة ولن يظفر
بها يوما ، كما يقول — وأن اعتقادنا ذلك ليس
غير عادة خلقتها فينا حاجات الحياة وضروراتها
وكذلك طرائف العالم ونظريات الفيلسوف
وحسنية الفنان لا نجد فيها شيئا يقال له حقيقة
ثابتة أو مطلقة اذ ليست الحقيقة الا وسيلة —
فقط تمكننا من « تملك » الحياة في تجدد هذا
المستمر . وأخيرا اذا كان هناك من حقيقة ثابتة
عند نيتشة فهى تلك الحقيقة السعيدة التى
تؤثر أن ترقص على رجلى الحظ والمصادفة .

الحقيقة عند نيتشة

ولما كانت المسكنة والخضوع تؤدي الى القضاء على الحياة فيجب ان يكون ذلك هو الشر .

وليس هناك من خير وشر ثابتين كانما نرلا عن السماء . بل يجب ان يتحولا باستمرار ويتغيرا تبعا لقانون الضرورة هذا . فليس القول بخير ثابت وشر ثابت الا من قبيل القول بالحقيقة الثابتة اى هو وليد التعمود لا اكثر . يقول نيتشة « ان كثيرا من الشرور انتهت فى مجال تبدل الفضائل الى ان صارت حسنات ، وليس الفرق بين الانسانية مثلا والفرية هو الذى قاد الناس الى التمييز بين الاخلاقى وبين الحسن والقبيح ، بل قادهم الى ذلك ما اتصل بتقليد من التقاليد او قانون من القوانين وبين الانكسار عنها وماهضتهما . فكل تقليد يكتسب احتراما اكثر كلما تقادم عليه الزمن وغرق اصله فى خضم النسيان . وكلما انتقل هذا التقليد من جيل الى جيل ازداد احترامه حتى ينتهى الى التقديس ومن ثم الى الثبات حتى لايجرؤ احد على جس نبضه هل هو حى ام ميت فى حين ان اقل نفخة كفيلة بان تطرحه ارضا .

ثم كما انه ليس من خير وشر فى ذاتهما وليس من خير وشر ثابتين دائمين كذلك ليس هناك من خير وشر عامين مطلقين لكل الشعوب والافراد ، بل هما يختلفان باختلاف الشعوب والافراد لانهم هم الذين يعطون للخير والشر غيها ومعانيهما حسب نزعاتهم وظروف حياتهم ولقد وضع الانسان للامة اقدارا ليحافظ على نفسه فهو الذى اوجد للأشياء معانيها الانسانية . وما التقدير الا اليجاد بعينه . ما الكنوز والجواهر الا اشياء ارادها تقديركم كنوزا ، وما القيمة الا اعتبار ولولا التقدير لما كان

الاحكام لا ينطوى على تناقض داخلى وهذا ما ينفية نيتشة نفيا باتا لان الوجود الحقيقى الذى هو الحياة هو عبارة عن فاعلية متجددة لانقف وهى دائما وابدا فى تضاد وتعاكس مع نفسها . وعلى هذا فان ذلك التضاد الذى كان قائما بين الخطا والصواب فى الحقيقة بمعناها العام يضمه ويتلاشى فى مفهوم الحقيقة بمعنى كونها الحياة (١٦) وبهذا يدفع نيتشة كل ما يمكن ان يوجه اليه من نقد فى مسألة تبرم القوة التى تضل بها الحياة مليئة بالاطار اذا كانت هذه هى الطريق او الوسيلة التى تحقق لنا ذلك النوع فى الحياة .

وهنا ينبغي ان نشرح معنى الحياة عند نيتشة : ان الحياة ليست هى السعادة او المحافظة على البقاء بل هى على العكس من ذلك المبدأ الذى يدفع الكائن الحى الى ان يتخطى نفسه فى سبيله ، والذى من اجله يجب على الفرد ان ينصرف عن لذاته الانية واثانيته الصغيرة ويتجاوز كل حالة من حالاته المؤقتة ويرقى فوق فرديته الخاصة ويركز فى دفعته الفردية نحو المستقبل البعيد كل ما يتجمع فيه من قوى وامكانيات بل يجب عليه ان يحطم نفسه تحطيا فى سبيل هذه الغاية .

وبهذا نجد انفسنا نقرب من نظرية نيتشة المشهورة فى الاخلاق وهى نظرية القوة ، فبعد ان عرفنا نظريته فى الحقيقة والحياة سنرى الان كيف نطبق هذه النظرية فى ميدان الاخلاق . وهنا ايضا نجد ان لا وجود للخير والشر فى ذاتهما ، كما انه ليس هناك من حقيقة فى ذاتها . بل يجب ان نخضع معنى الخير والشر لما تقتضيه منا الحياة فى تقدمها ونموها ، ولما كانت الحياة حربا وطعانا فيجب ان يكون ذلك هو الخير ،

لا يرتاح الى شيء مما يحرص عليه الاقوياء . بل هو يحاول أن يقنع نفسه بأن هؤلاء الاقوياء لا يعرفون طعم السعادة الحقيقية ولذلك يلجأ الى محاولة إبراز الخصائص الخلقية التي يصير بها حياة البؤساء عذبة مستساغة ، ولكن الشر المستطير الذي يهمن على هؤلاء العبيد هو انهم مع كل ذلك نفعيون .

ولنيتشه فعل في غاية الروعة يشرع فيه مفاهيم هذه الاخلاق عند العبيد ، هؤلاء الذين يظنون في معلمهم عاكفين على صناعة اصول ذلك الطباق المشهور الذي هو الخير والشر ، فيدخلون في مفهومهم للشر كل ما هو قوى وخطر ، فالرجل الشرير عندهم هو ذلك الذي يوحى بالرهبة والفرع . والرجل الخير هو ذلك الوديع الحبي الذي لا يجرو أن يقول نعم أو لا يملأ فيه . في حين أن هذا الرجل عند السادة حقير مهان . وتنتهي مفاهيم العبيد الى رجال الاخلاق فيجعلون عن شروهم اليه هو تنويعهم بما يسمونه « الحرية » في الاخلاق . كان الانسان حر في أن يكون خيرا أو شريرا ، مع ذلك فان هؤلاء الفلاسفة لا يستحقون في نظر نيتشه من أن يرجوا للانسانية كملا وازدهارا بمثل هذه التعاليم ... التي استمدوها من العبيد وطبعوها في قالب تعاليم اخلاقية بحيث سلكوا سبيلا هي نفسها منافية للاخلاق . ان نيتشه لا يعترف بشيء اسمه الحرية في هذا الموضوع . فليس في امكان نابليون الا أن يكون ذلك لان القوة وحب السيطرة والتوسع والخروج عن الذات والاندفاع الى التدمير ، وكل ما تزخر به نفسه وتأخذ من غرائز القوة والعمق والانتشار يجب أن تفيض على نفسها وتأخذ مكانها في الوجود كما انه ليس بإمكان طاهية واحد خدمه أن يكون مثله سيطرة وقوة ونبل .

الوجود الاقشور لا نواة فيها . اسمعوا ايها الموجودون :

ان قيمة الاشياء تتغير تبعا لتحول اعتبار الموجود ولابد لهذا الموجود أن يهدم في كل حين » . (١٧)

ان مسألة الاخلاق عند نيتشه مسألة تقييم يسيطر عليها أصحابها فيوجدونها أيجادا حسب حظهم من الحياة بعد أن كانت الاخلاق هي التي تسيطر على الناس وتوجههم ومنها يستمدون قيم الخير والشر وصفاتهما . والحياة التي تخضع للاخلاق لزامها هي الحرب والطعان والهدم في المجتمع وهي في الحياة النفسية ولالم وكل ما يشبع النفس بالتحسس بذاتها احساسا مليئا فائضا يكون هو هدف الحياة وبالتالي هدف الاخلاق .

٤ - اخلاق السادة واخلاق العبيد

الاخلاق التي سادت العالم منذ القديم ولا تزال تسيطر عليه حتى الآن في رأى نيتشه ترجع الى ضربين اخلاق السادة واخلاق العبيد . اخلاق السادة تتميز باحتقار أصحابها للرجل الجبان الخائف المتمسك المتردد الذي لا يفكر الا في مصلحته الصغيرة الباكرا . ويسميه نيتشه بالانسان الكلب « الذي يسمح بأن يعامل معاملة سيئة غير شريفة والذي يفتخر بأنه متسول يثير عطف الناس عليه . وهناك في مقابل هذا من تظهر لهم اخلاق السادة غريبة منفردة وهم من يسميهم نيتشه « أصحاب الخير العام » أو العبيد . وأبرز صفاتهم عنده هي التشاؤم من الأوضاع العامة للانسان ونظرتهم الى القوة نظرة المزور منها . وذلك لان العبد بطبعه زاهد

الحقيقة عند نيتشه

هذا التحسس الانثوى الذى نمتنع به عن أن نسبب الآلام للضعفاء الحيوانات والاقرام . بل لماذا نتحدث عن الظلم والسلب وعدم شرعية هذا العمل أو ذاك بالنسبة للسادة العظماء ازاء الضعفاء المهزومين . هل نخشى عليهم أن يبيدوا وينقرضوا ؟ « أن الرجل الحقر وسلالته لاتباد غنى أشبه بالبراغيث وهى أطول البشر اعمارا » . أما الذين نخشى عليهم الموت فهم العظماء والسادة لانهم يعرضون أنفسهم للموت تعريضا حتى يتجاوزوا أنفسهم ويحققوا قوتهم ، انهم يحبون الحياة الواسعة القصيرة كما يسميها ابن سينا ، فلا يعيشون الا مغمورين بالدماء مثخنين بالجراح ولا تحلوهم الحياة الا تحت صواعق الاقدار وملأكة الموت تنقض عليهم من كل جانب .

ان هذين النوعين من المخلوقات ينبغى أن يفصل بينهم بهوة سحيقة حتى لا يجسر العبيد الضعفاء أن يحدقوا من ورائها في أسيادهم ، وأن تحتفظ كل طبقة بخصائصها وأخلاقتها ومفاهيمها في الحياة وفي الخير والشر . وذلك بأن نحطم فكرة « الخير العام » تحطيمًا . ان ما هو عام في متناول القطيع يصبح مبتذلا حقيرا عند الاسياد الشرفاء الا أن كلمة خير وكلمة عام تنفر احدهما من الاخرى وتنقضها لان الخير يمكن أن يكون عاما . وكل ما هو عام لابد أن يكون شرا مستطيرا . ان القاعدة الاخلاقية التى يجب أن تخلد هى أن تكون الاشياء العظيمة للعظماء والاشياء النادرة تبقى للأفذاذ دون سواهم . فاذا كانت الاشياء النافذة تعظم في عين صغار الناس و « تصغر في عين العظيم العظائم » فكيف نسوى نحن بينهم فيما لم تسوى بينهم فيه الحياة وطبيعة الاشياء ، فاذا خضعناه

ان هذه هى اخلاق الطبيعة التى تقتضيها الحياة : اخلاق القوة عند النبلاء واخلاق الضعف والمسكنة عند القطيع والرعاى العبيد الصعاليك . ولكى نضع الامور في نصابها والاشياء في موازينها يجب أن نفرض على هؤلاء الطاعة والسذل والاهانة وان يكون لأولئك الحق في الامر والنهى والهيمنة والسيادة . فالسادة لهم كامل الحق في العنف والقسوة والبطش ، والذى تكون له القوة يجب أن لا يحرم من فضائل الغزو والنصر والانتفاع ، ان كل شيء مباح للاقوياء ، ويجب على هؤلاء السادة النبلاء الاقوياء ان لا يهتموا لتلك القيم التقليدية الهرمة ، وان يشعروا بحقهم فيما يجب أن نسميه بالحقوق المقنومة لعلائهم وسموهم وليضربوا عرض الحائط كل ما يدخل الى نفوسهم التشكك والتهيب وكل ما يتصل بأثر الاخلاق المسيحية من مبادئ الشفقة والمساواة والخير السلبى الذميم الذى يتساوون فيه مع العبيد امام الله ان عليهم أن يؤمنوا بأن العدالة الحقنة تفقد حيث توجد المساواة بين المجتمع ، ان هناك اقوياء وضعفاء ، قادرين وعجزة ، صفوة ورعاى ، والجميع يسودهم شيء واحد هو عدم المساواة . من غير العدالة ان نطالب المصاب بعاهة ان يحمل عبئا ثقيلًا أو نطلب الى الاعمى ان يرينا الكواكب المتألقة في السماء ، كذلك ان طالبنا — تحت ستار العدالة بأن تكون للجموع الضعيفة الجاهلة نفس الحقوق التى تكون لذوى الشدة والبأس والقوة والكفاءات العالية والمعارف الواسعة . انه لما يدعو للسخرية بالانسانية ان تكون الحقوق التى « يأخذها » نابليون هى نفسها التى تتصدق بها على اول معتوه وسكران يصادفنا في الطريق وانه من الخيانة للانسانية في أن نستتر سل في

لكناء تهدده بالصاعقة ، نحن الذين ننظر الى الاشياء من خلال زاوية خاصة ، نحن الذين فتحنا لعقلنا مجالان نبحث كيف ومتى نمت وتطورت بذرة (الانسان) فائنا نرى ان القسوة والعنف والعبودية والاستبداد وكل ما في الانسان من صفات الحيوانية هي كلها في صالح تطور نوعه كما هي كذلك عند الحيوان . « وبما ان الذين يحققون تطور نوع الانسان هم الاسياد وليسوا هم العبيد فائنا سننتظر ميلا الانسان الاعلى من اولئك الاسياد لا من هؤلاء الانجاس والمناكيد الذين ينبغي ان لا نشترتهم الا والعصا معهم » كما يقول المتنبي ايضا .

للحياة وطبيعتها فهذا هو قانونها ، وهو يسرى على حيواناتها ونباتاتها يرى سببا معقولا لكونه ينبغي ان لا يرى على اناسيها . بل ان التاريخ انبشري نفسه يسير حسب هذا القانون منذ أقدم عصوره . فمن الذي أوجد المذنبات وحقق المعجزات الكبرى — والتحويلات الحاسمة في الحضارات الانسانية ؟ هل هم عظماء التاريخ والساداة المغامرون ام العبيد المستضعفون الذين لم يحتفظ لهم باى اسم أو مكرمة قاموا بها لترفع من شأن الانسان وتقدمه . لقد عاشوا عبر التاريخ كما عاشت الضفادع فى البرك الاسنة وكالدجاج يفر الى اوكاره كلما رأى محابة

٢ - الالتزام الأيديولوجي في البحث العلمي الاجتماعي

المناخ الاجتماعي والموجهات الأيديولوجية
في البحث العلمي الاجتماعي

ان الموازنة التي عقدناها بين العلوم الطبيعية والاجتماعية قد اوضحت لنا ان كلا الميدانين في حاجة الى اطار فلسفي يكون مرجعا للتبرير وقد اختلفت طبيعة هذا الاطار الفلسفي او الايديولوجي حسب الخلفية الاجتماعية التي نمت في ظلها هذه النظرية او تلك .

د. محمد العربي ولد خليفة
استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر .

التربوية تتبع كلها من منطلقات إيديولوجية يحددها النظام الاجتماعي السائد ، غير أن النظريات التي أشرنا إليها حول الطبيعة الانسانية هي في الواقع كما يقول ديوى قد خلطت بين العربية والحصان فتوهمت أن الاولى هي الثاني « ألم تجمع تلك النظريات الافكار الخاصة بالعناصر المتحركة في الطبيعة الانسانية بنزعات خاصة تميز الحياة الجمعية للعصر العناصر معا في صورة قوة نفسية مزعومة واعتبرت تلك القوة مسببة لتلك النزعات » .

وبتين لنا ذلك بتحليل نقدي للآطار الثقافي الاجتماعي للنظرية الفرويدية في الطبيعة الانسانية ويمناقشته لفكرة العدالة في ضوء الاعتبار الايديولوجية والنفسية الاجتماعية .

— فكرة العدالة :

يضع الاستاذ بيرلمان (Ch. Perlemon) في كتابه عن العدالة de la justice ستة احتمالات ممكنة لمعنى العدل وهي :

- * للشخص ما لغيره
- * لكل شخص حسب احقية
- * لكل شخص حسب اعماله
- * لكل شخص حسب احتياجاته
- * لكل شخص حسب مكانته
- * لكل شخص ما يخوله له القانون

غير أن هذه الاحتمالات وان كانت تتصف بالوضوح والمنطقية فانها في مجموعها غير قابلة للتطبيق على الواقع الانساني المشخص فهي اذن تضع أسس عدل صورية ينتهي بنا في بعض الاحيان الى اللا عدل في المستوى الانساني فقد اتضح من الدراسات السيكولوجية أن ٨٠٪ من الجماعات السوية تصدر احكاما تفيقية ترضي جميع الاطراف (المدعى والمدعى

ففى العلوم الاجتماعية بالذات نلاحظ أن النظرة الى الطبيعة الانسانية قد شهدت عدة تغيرات وفق النظام الاجتماعي السائد فهي في جمهورية أفلاطون طبيعة استاتيكية محددة من قبل ، كما أن هناك جماعة من الناس في « سياسة » أرسطو يولون عبيدا بالفطرة .. وفي نظريتي شيخي الفلسفة فإن الطبيعة الانسانية تتحرك في مجال مقفل يطابق النظام العبودي في المجتمع الهليني الذي لاحت عليه بوادر التفكك والانحلال .

اما عند فرويد العصور الوسطى القديس اغسطين فان الطبيعة الانسانية ملوثة بالخطيئة وهي في صراع لا ينتهي مع مركب الائم الذي يتابعها اينما حلت وطريقها الوحيد الى التوبى هو التخلص من « الجسد الغائى » .. وفي زحمة النحل والملل والمذاهب التي اكتض بها مسرح الفكر الاسلامي في عصوره الاولى لم يكن بد من أن يلجا البعض الى البحث عن أداة تسمح بالتفكير في البسيط وبالتعدد في الواحد وبالتنوع في الكل فكان العقل هو هذه الادارة التي كان المنطق الارسطي احدى وسائلها لان الناس كما يقول ابن رشيد « قد اضطربوا كل الاضطراب في معنى هذه الشريعة ، حتى حدثت فرق ضالة واصناف مختلفة ، كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الاولى وان من خالفه اما مبتدع واما كافر مستباح دمه » .

وهذا الغطاء الايديولوجي نجده في مختلف الآراء حول الطبيعة الانسانية في مبدأ اللذة والالم عند هوبز والنفعة عند بنتام والغرائز عند ماك دوغل والفائدة عند جيمس ، وقس على ذلك مجموع الانساق الفكرية في صورها الاقتصادية والسيكولوجية والتاريخية فالماذاهب الوجودية والعلوم السلوكية والمناهج

المناخ الاجتماعى والموجهات الايدولوجية

والقدرة والسلطان والسطوة والدولة والهيبة والطاعة والاجابة .

مزج الدنيا بالدين واعان الدين بالدنيا ، ودارى في موضع الإدارة ومارى في موضع الممارسة ، وظهر الرأفة مع التقصى فدانته له القلوب وذلت له الرقاب ، وتناجت بمحبته وتناضرت الالسنه بالثناء عليه . نومه لليقظة وراحته للدأب وقسوته للرحمة ومنعه للعتاء ، وصمته للعبرة وقوله للفائدة ومشييه للاغائة ، بنفض الليل بنفسه ، ويعترف في كل امر بتقصيره ، ولا يرضى ببذل مجهوده ، يحدث بالغائب ، ان ارتأى لم يقل ، وان قال لم يخل وان تواضع لم يذل .

احواله تتناسب ، واموره تتشابه ليله كنهاره وسره كجهاره ، واباطانه كاظهاره وعلائيته كسراره » .

— النظرية الفرويدية والطبيعة الانسانية :

لن نعن في هذا المقام بعرض البناء المذهبى لهذه النظرية التى تعتبر في الواقع نظرية في الطب النفسى اساسا تمت صياغتها في اطار ثقافى اجتماعى يستمد عناصره الاولى من قرية فريبورغ (مورافيا وهى تابعة لتشيكوسلوفاكيا حاليا) وغيينا وباريس ، ونحن نستهدف من تحليلنا النقدى للنظرية الفرويدية ابراز الاصول الثقافية الاجتماعية التى ينبغى وضعها في الاعتبار عند تناول النظريات والمناهج في العلوم الاجتماعية بوجه عام .

ومما يبرر اختيارنا لهذه النظرية والاحاح على نقد اصولها انها كانت الى وقت قريب جدا تلقن من فوق منابر الجامعة باعتبارها النسق الاكمل والتفسير الاشمل والادق للطبيعة الانسانية . وقد وجد فيها زبانية « الايروس » مطية لبث الانحلال والمهرطقة بين طلاب الجامعة

عليه على حساب الدعوى في حد ذاتها) وتتجاشى ابتداء افراد او جماعات ضحية لاحكامها ، وهذه التفيقية تتطلب تكاملا في البناء العقلى ونموا عاديا في المستوى الوجدانى والانفعالى « لان الفرد الذى لا قلب له لا يمكن ان يكون عادلا مهما اوتى من الذكاء » كما يقول روج دى فورساك روج دى فورساك .

ولا غرابة في ذلك فان من خصائص الفصامين Schizophrenes ضهور الوجدانية وضاحتها مع بقاء قدراتهم العقلية في صورة عادية تساعد على التفنن في استنباط الاحكام غير العادلة وممارستها بصورة مرعبة وهذه هى الظاهرة التى يسميها مينكوفسكى Minkowski

بالعقلانية المريضة Rationalisme morbide

وخلال القرنين الاخيرين لا يكاد يتفق اثنان من المفكرين على الاخذ بواحد من الاحتمالات الستة السابقة فهى عند اوين وهود جيسكن في انكلترا غيرها عند باييف وسان سيمون وفورييه في فرنسا ولاسال وهيس في المانيا وباكونين وكرو بتكين في روسيا ونجد لدى كل واحد من هؤلاء اهتمام بجانب من هذه الاحتمالات يوحى به النظام الاجتماعى ويبرره الغطاء الايدولوجى .

ويظهر مفهوم العدالة في اساسها الايدولوجى وشحنتها الوجدانية في التحليل الدقيق الذى يقدمه ثابت بن قرة الحرانى للعدل من خلال شخصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو تحليل يتجاوز مفهوم العدل الواقعى الى ايدولوجية الحكم وممارسة السلطة . يقول الحرانى واصفا شخصية الخطاب : « قلم اظفار العجم ولطف في ايالة العرب والبس الدين جلبابا وفتح له ابوابا وهيا له شرائط واسبابا ، ثم لم يرزا من جميع الغنائم والفتوح شيئا ، وصحب عمره بالقناعة التى لا تجيب اليها نفس مع التمكن

التسليم كما يقول سارتر :

« بأن واقعة شعورية يمكن أن تكون كالشيء الجامد بالنسبة لمنها أي أنها تتقبله من خارج ... يبدو بادئ ذي بدء أن أولى نتائج هذا التفسير هي جعل الشعور شيئاً جامداً بالنسبة إلى المدلول والاعتراف بأن الشعور يؤلف من نفسه معنى دون أن يكون شاعراً بالمعنى الذي يؤلفه وهذا تناقض صارخ . اللهم إلا إذا اعتبرنا الشعور موجوداً من نفس النمط الذي ينتمي إليه الحجر أو الفطاء . »

— ومن ناحية المنهج فإن فرويد قد استخدم مفاهيم خرافية لا تستطيع التجربة إباتها أو دحضها فهو لكي يفسر لنا ظواهر الشخصية الغامضة والمعقدة التجأ إلى افتراض مفهومات أكثر تعقيداً وغموضاً عما هو الليبدو والايروس والهو والانا الأعلى التي تقود الحياة النفسية وتتنازع السلطة فيها ؟!

لقد اغترض فرويد وجود غريزة تناقض غريزة المحافظة على الذات هي غريزة العدوان والتدمير والواقع أن الغريزة الأخيرة مجرد آلية فزيولوجية يمكن عند إثارتها أن يشعر الكائن الحي ببعض التحولات الفزيقية النمطية ويبدو ذلك في انفعال الغضب بوجه خاص الذي يعد الكائن الحي للدفاع أو الهجوم .

غير أن المنظومة الفرويدية التي تجعل العضوية الحية متجهة تلقائياً إلى التخلص من التوتر بدون حاجة إلى مثيرات اعتبرت العدوانية غريزة هدامة وسلبية مع أنها في الواقع جزء من التجهيز البنائي الغريزي للكائن الحي يضمن له ولنوعه البقاء .

ويرى فرويد أن الزمت والتثبيت هما مصدر الاحباط والركبات العديدة التي يعاني منها

فأصبحت ممارسة الانحراف شعاراً للتقدم ، واشتباع الليبدو تعبيراً عن العصرية والانفصاح عن المركبات المزعومة عملاً طبيعياً ومشروعاً فهكذا تكلم فرويد وتلك هي حكمته وتعاليمه ، التي لا تفهم إلا إذا مارسها الطلاب في أروقة الجامعة ومدرجاتها وأشرف على التجربة « متعاونون » ينشرون رسالة « باخوس » بين قوم لم تبلغهم الدعوة .

هذه هي اسباب الاختيار ومبرراته .. ولنعود الآن إلى النظرية :

— استخدمت نظرية التحليل النفسي فكرة التطور والنشوء النفسي فجعلت الطاقة الغريزية تسير في مراتب معلومة ومحددة تبدأ بالمرحلة الفمية وتنتهي بمرحلة البلوغ وفق حتمية بيولوجية جامدة تحدث خارج نطاق البيئة ولا حيلة للإنسان فيها وتشمل جميع الأفراد وهذا تفسير لئلا يبالدنى يفترض عاملاً واحداً ويخضع الشخصية بما فيها من تعقيد وثناء لمستوى أبسط هو المستوى البيولوجي أن العضوية الحية لا توجد خارج الموقف لأن هناك علاقة لا تنفصم بين ظروف الفرد الداخلية والخارجية ينتج عنها تنظيم دينامي يقع على الحدود بين المستويين البيولوجي والاجتماعي ويعطى للظاهرة النفسية خصائصها المباشرة والفردية وبهذا المعنى ينبغي أن يفهمها السيكولوجي وهو معنى لا يلتفت إليه البيولوجي والمؤرخ والاقتصادي إلا إذا وضع الظاهرة في سياق حيوي أو اجتماعي أو تاريخي .

إن كل محاولة لتأسيس سيكولوجية على دعائم بيولوجية بحتة مثلما هو الشأن في « الهو » الفرويدي و « غرائز » ماكدوجل والحاجة إلى النشاط والفعالية عند (كينس) Keynes ستتنتهي حتماً إلى فشل لا مناص منه فهل يمكن

المناف الاجتماعي والموجهات الايديولوجية

مراحل النشاط اللبدي التي وصفها فرويد ولا يعانون أصلاً من المركب الايديولوجي بل يجتازون مرحلة المراهقة في أمن وسلام .

كما لاحظ كل من (غاردنر) Gardner وميرفي Murphy بحق ضرورة التمييز بين نوعين من العمل العلمي في أي نظرية دقيقة :

أ - ترتيب وقائع الملاحظة وتصنيفها .

ب - الترجمة الفلسفية لوقائع الملاحظة .

ويعني التفسير الفلسفي فيما يعني وضع الوقائع في سياق دينامية الحياة الاجتماعية ودراسة العلاقات الاجتماعية الناجمة عن ذلك والصور التخطيطية للسلوك في اتجاهها الأفقي والعمودي .

لقد حاولنا الى حد الان تشخيص المناخ الاجتماعي والموجهات الايديولوجية في البحث الاجتماعي واعتمدنا في هذا التشخيص على امثلة متنوعة في مادتها وموزعة في تاريخها وهناك عدد لا يحصى من الامثلة يغطي كل مجالات البحث في علوم الانسان ، غير ان الذي يهنا هنا هو كيف يتخلص مجتمعنا من بعض هذه الموجهات السلبية الدخيلة على تراثنا . الفرية عن شخصيتنا والتي لا تتطابق مع واقعنا ولا يسندها العلم ، ومن بين هذه الموجهات .

دعوى الاستعداد الفطري والوسع العقلي :

وهي دعوى عنصرية ذات جذور عريقة في القدم تزعم بان الباحثين المحليين غير قادرين على البحث العلمي . جملة وتفصيلا ، ولكي يستطيع البعض منهم « الجبو » في هذا الميدان فلا مفر من تجريعهم من دواء اسمه العقل الديكارتي

الافراد وفي مقدمتها المركب الايديولوجي ومركب البتر للذان يجعلان الشخص يتراجع الى احدى مراحل الطفولة ويبحث عن اساليب غير سوية للتوافق الا ان هذا الوصف والتعليل اذا جاز تطبيقه على بعض المجتمعات فانه غير قابل للتعميم فقد لوحظت اختلافات شاسعة بين الاطفال من نفس السن وبين المجتمعات وخاصة البدائية منها مما يدل على ان الموقف الخارجي وللنمط الحضاري السائد تأثيرا لا يمكن التغافل عنه . وتوضح لنا الصور التخطيطية التالية وجه العلاقة بين الانا ومثاله « وسائط التطبيع المختلفة » وموضوعه « الثقافة والتنظيم

موضوع الانا

الانا

مثال الانا

الموضوع الخارجي

الاجتماعي السائد « فان الموضوع الخارجي الذي يصبح موضوعا للانا بواسطة المحاكاة هو الذي يعمل على تكوين مثال الانا ويهيئ الفرد للتوافق مع الانساق الثقافية السائدة .

— واذا صح تفسير مجموع الاعراض العصابية والنفسية بالرجوع الى خبرات الطفولة والجنسية منها بوجه خاص فان ذلك لا يسمح لنا على الاطلاق بعيم مثل هذا التفسير على الاصحاء والمرضى على السواء وبالتالي هل يمكن التسليم بأن جميع الناس مرضى من حيث لا يشعرون تعج نفوسهم بالمركبات والانحرافات ؟

الا يحق لنا ان نتساءل اذن من هم الاسوياء ؟ او على الاصح ما هو معيار السواء والشذوذ ؟! لقد برهنت الدراسات الانثروبولوجية على وجود مجتمعات « بدائية » لا يعرف فيها الاطفال

أصولها عند الفارابي والخوارزمي وابن الهيثم والغزالي وابن خلدون والاكتفاء بذلك هو في الواقع إساءة إلى ماضيها وحاضرها إذ إن أولئك الرواد الأوائل لم يقتنعوا بما لديهم من فنون اليونان والرومان والفرس بل جاهدوا في تنمية فكرية شملت كل جوانب الفكر والمجتمع .

إن الرد على دعوى الاستعلاء الغربي لا يكون بتجاهل التحدي الذي يواجهنا والانغماس في الماضي لا يكون بتجاهل التحدي الذي يواجهنا والانغماس في الماضي فنكون أشبه بالطفل الذي يهزمه قرينه فيتوعدة باستعداد أبيه عليه ويتوهم المنهزم أنه بذلك قد انتقم لنفسه ، ما دام قد أحال المشكلة على غيره .

وإذا كان الرد على دعوى الاستعلاء لا يتم بواسطة حلول هروبية فإنه كذلك لا يكون بالإنهيار ببهرج الثقافة الغربية

إن العديد من شبابنا في كل البلاد العربية قد توافقوا على مراكز البحث العلمي في الجامعات والمعاهد العليا الأوروبية والأمريكية والسوفييتية ثم عادوا إلى بلادهم صرعى الاستلاب الفكري يتنازرون بالانقلاب ويتباهون بالأشياء الذين درسوا عليهم ويفاضلون بين جامعات هذا البلد أو ذاك زادهم نزر هزيل وشربهم إلى المال داء وبيل ، وأصبحت أغليبتهم الساحقة أما من النساخ الوراقين الذين يروجون بضائع الغير مثلما تروج أي دار لبيع سيارات فيات أو بيجو مع التباهي بأن « التركيب » كان محليا . وأما من الذين يكتفون بتعليق الدبلومات باعتبارها أحجة وتعويزات تؤمن لهم تطلعاتهم الطبقيّة ويستغلون ريعها مثلما يستغل الاقطاعي ضيعته ومن فيها من العباد والعتاد .

ليتمتعوا بميزة الوضوح والتنظيم ودليلهم على ذلك أن الفئة التي بقيت سجيئة الثقافة التقليدية لم تزد على اجترار القديم وإفرازه أكثر قدما إن التقدم الذي حدث كان عن طريق الاتصال بالفكر الأروبي وكأن القدرة على البحث العلمي غريزة تتمتع بها شعوب دون أخرى ! وكان من نتائج هذه الدعوى تهرب باحثينا من دراسة تراثهم والمشاكل الراهنة لمجتمعاتهم ، والانكباب على الأكل من موائد الغير والرضاء بوضع المنهم الذي يحاول إثبات عجزه عن ارتكاب الجرم ، وكان من نتيجة ذلك أن تكفل الغير بدراسة تراثنا وصياغة عقولنا واتجاهاتنا نحو أنفسنا دون أن يؤثر المتهاكون على موائد الغرب قيد أنملة على تراث المجتمعات التي درسوها وعلى نظام حياتها . لقد وجد المستشرقون والإسلامولوجيون والاثنولوجيون (الذين كان البعض منهم يشرف إلى وقت قريب على مراكز للبحث العلمي) وجدوا مادة جاهزة وعقولا مطاوعة تتبنى منهجهم الديكارتي الواضح وتستخدم وسائلهم الحكيمة ولكن أين هم المستغربون الذين أثروا ببحوثهم في نمط التفكير وأسلوب الحياة الغربي ؟

إننا في ميدان البحث العلمي الاجتماعي في حاجة إلى نمو ذاتي وإلى تصحيح مفهومنا عن التفتح الثقافي الذي لا يكون تفتحاً حقاً إلا إذا أعطى بقدر ما يأخذ . لأن الاكتفاء بالأخذ مما هو جاهز عند غيرنا وصبغه بطلاء محلي سيجعلنا نكتشف بعد حين أننا أكثر تخلفاً في ميدان البحث العلمي مما كنا عليه في بداية هذا القرن لسبب بسيط هو أن الاستمرار في القول بأن الثقافة الحديثة (شرقية أو غربية) قد ولدت في أحضان ثقافتنا التي سادت في العصور الوسطى المسيحية وأن نظريات العلم الحديث توجد

المناح الاجتماعي والموجهات الايدولوجية

لنا في بلاد الصين ان التقدم والعصرية لا بد ان يمر بالثقة في النفس وباستخدام ما يتوفر عليه الميدان بلا يأس او استخذاء ولو كانت الامكانيات محدودة والطريق طويلا ، ولو أدى الامر الى انغلاق علاجى وتفتح استراتيجى يتمخض في النهاية عن منطلقات جديدة في الفكر والحياة ، فان اسطورة سور الصين العظيم ينبغي ان يصبح بالنسبة لنا واقعا مجسدا ليس في شكل سلسلة من الحصون والقلاع المشيدة بالحديد والصلب بل في شكل حزام واق من الحزم ومضاء والعزم واحترام الذات في ماضيها وحاضرها بدون نرجسية ، ورفض للبهرج الغربى المستورد بدون تعصب او تواكل .

ان البحث العلمى الجاد والاصيل لا يمكن ان يتم خارج المجتمع المحلى وبدون توجيه وطنى وقومى صحيح وهذا ما ينتهى بنا الى التساؤل عن واقع الثقافة الوطنية وصلتها بالبحث العلمى الاجتماعى في وجهيه النظرى والتطبيقى او بالاحرى هل يمكن التوفيق بين الكم والكيف والسرعة مع ضمان سلامة المنطلق الايدولوجى وتحقيق الهدف الوطنى في مختلف ابعاده . ؟؟

المقالة صلة

لقد مضى اكثر من عقدين من السنين او تزيد ورجال منا يعتقدون الرحال الى « الخارج » من اجل البحث العلمى في الفنون والعلوم والاداب ولكننا ما زلنا مثلا في علوم التربية والنفس نقبارى في المفاضلة والدفاع عن طرق دالتون وماسون ومنتسورى في التعليم ونطبع اختبارات ساتفورد بينيه وغيلفورد لنطبقها على ابنائنا بتعديل ونحن في ذلك اشبه بالصبي الذى يلبس بدلة كهمل ليكبر بسرعة .

ان الباحثين الذين يشدون الرحال الى ماوراء البحر لا يتلقون علما صرفا ومنهجا محايدا ابدا بل هم يتلقون قبل ذلك تكييفا ذهنيا واستلابا عقليا وتعميدا ايدولوجيا بالمعنى الواسع للكلمة فيعود البعض منهم مسخا تغلى اعماقه بعقد النقص والانبهار وخاصة اذا عرفنا انه لم يحصن في مجتمعه المحلى من مثل هذه الاوبئة الفتاكة ولم يشبع بخصائص ثقافته الوطنية والقومية .

ولعمرى لسنا في هذا بدعا بين الامم قديما وحديثا فقد اثبتت تجربة اسلافنا الميامين في عصورهم الزاهرة كما اكدت تجربة قوم معاصرين

آراء

✳ ليس من الغريب أن نحرص على حماية حدودنا خيفة تسرب العملة الصعبة وتهريب المخدرات التي تفك بأجسامنا وخزيتنا ونغفل عما يفتك بترائنا وعقولنا وأرواحنا فنلحق بفلاذات اكبادنا وصفوة شبابنا وسط تيارات واديولوجيات متصارعة متناحرة على اقتسام مناطق النفوذ الثقافي والاقتصادي بواسطة تجنيد باحثين محليين يقومون لا شعوريا بمهام كانت توكل في السابق لمكاتب الشؤون الأهلية ؟ !!

✳ أن البعض من شبابنا قد توافدوا على مراكز البحث العلمي في الجامعات والمعاهد العليا الأوروبية والأمريكية والسوفييتية ثم عادوا الى بلادهم صرعى الاستلاب الفكري يتنابذون بالألقاب ويتباهون بالاشياخ ويفاضلون بين جامعات هذا البلد أو ذاك ، زادهم نزر هزيل وشرههم الى المال داء وبيل .

✳ لقد آن الاوان لتنمية اولو الامر حينما الى أن لالبحث العلمي لن يزدهر ولن يتاصل الا اذا كان المجتمع المحلي هو مخبره الحقيقي والثقافة

الوطنية في امتدادها القومي هي مادته الاساسية واللغة العربية هي موصله الاول ودرعه المتين .
✳ ..اتخذ زبانية لايروس من النظرية الفرويدية مطية لنشر الانحلال والهرطقة بين طلاب الجامعة فاصبحت ممارسة الانحراف شعارا للتقدم واشباع اللبيدو تعبيرا عن العصرية والانفصاح عن المركبات المزعومة عملا طيعيا ومشروعا ؟ !

✳ اننا لا نستطيع الرد على التحدى الا اذا قمنا بتنمية فكرية ذاتية على مستوى الفرد والامة ولن يتحقق ذلك الا اذا خلع المثقفون منا قفازهم الحريرى وخرجوا الى الريف ليعلموا الامين حرفا وسمح اطباؤنا في آرائكم الوثيرة وارشدوا المواطن الى كيفية استخدام وسائله المحدودة في الوقاية والعلاج وكلف المهندسون انفسهم عناء التطوع شق طريق في قرية مهجورة بدون أن تصحبهم أجهزة التكيف والسيارات الفاخرة .

✳ اننا اليوم في حاجة الى انغلاق علاجي في صورة حزام واق وتفتح استراتيجي فنتمسك بالايجابى من ترائنا بدون نرجسية او تواكل ونرفض بهرج الغرب بدون تعصب او استلاب .

د. محمد العربي ولد خليفة

الزعة الإنسانية والجمالية

عند ابن باديس

قد يبدو عنوان هذا المقال مفتعلا اذا نسبناه الى شخصية مثل شخصية ابن باديس ، اذ يتصور الذين لم يدرسوا الجوانب المختلفة لفكره انه لم يعالج مثل هذه المشكلات التي تعتبر في نظرهم غريبة عنه وعن آفاقه الثقافية وخاصة بعض زملائنا الذين تكونوا تكوينا غربيا ، وانبتوا عن اصول مجتمعهم الثقافية ، وانقطعت قلوبهم وعقولهم عن جذور امتهم ، فاصبحوا غرباء في ديارهم ، منفصلين عن انفسهم ، لا يمكنهم ان يقتنعوا بان مسلما عربيا يفكر في المشكلات الكبرى التي تمس الانسان من حيث هو انسان ، لانهم اقتنعوا بالانفصال ، وارتسمت في عقولهم صورة قاتمة عن اصولهم ، وعمن ارتبط بها ، فلم يعودوا قادرين نفسيا ان ينسبوا اى شىء الى قيمة اليها ، وانفلقت صدورهم على افكار سوداء ، داكنة لم تكن لتسمح لصورة او لفكرة اخرى مضيئة لان تنفذ اليها ، فمن لنا بان يدروا انهم لا يدرون ؟ وانى لهم ان يقتنعوا انهم منبتون لا يفهمون ؟

د. عمار طالبي

استاذ بكلية الاداب
جامعة الجزائر

لقد أدرك ابن باديس نفسه هذه الظاهرة الغريبة في عهده ، وفكر فيها وكتب عنها فبين لنا أن النخبة المثقفة في عهده قسما متصارعان فطائفة كانت تقتصر على أخذ علوم الدين واللسان وأخرى كانت تدرس العلوم الطبيعية وغيرها باللسان الأجنبى ، وصور لنا نظرة الطائفتين أحدهما للأخرى فقال : « هؤلاء يعتبرون الآخرين أحملا .. وأولئك يعتبرون هؤلاء كتارا .. » (١) ويبدو أن هذه التعبير أحسن بيان يصور لنا النخبة المثقفة لذلك العهد ، وماتزال آثار هذه الظاهرة قائمة الى يوم الناس هذا .

وإذا كان ابن باديس يزرع نزعة انسانية فانه لم يمنعه ذلك من أن يعتبر خدمة وطنه وخدمة أمته سبيلا طبيعية لخدمة الانسانية قاطبة ، لانه لا يمكن في نظره أن نخدم الانسانية ما لم نخدم أوطاننا وشعوبنا قال ابن باديس : « ان خدمة الانسانية في جميع شعوبها والحذب عليها في جميع أوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزعاتها هو ما نقصده ونرمي اليه ، ونعمل على تربيته وتربية من الينا عليه ، ولكن هذه الدائرة الانسانية الواسعة ليس من السهل التوصل الى خدمتها مباشرة ونفعلها دون واسطة فوجدت التفكير في الوسائل الموصلة الى تحقيق هذه الخدمة وايصال هذا النفع » (٢) وقد استند ابن باديس هذه النزعة الانسانية من التصور القرآنى للحقيقة الانسانية ، تلك الحقيقة التى احترمت الكائن البشرى ، وأولته الدرجة الاولى من الكرامة ، وأوضحت للناس أجبع أن بنى الانسان من طينة واحدة ، وأن هذه الطينة أو تلك الطبيعة تتساوى فيها جميع الاجناس ان القرآن قد صرح بالكرامة الانسانية تصريحاً لا تشويه ثابتة من شك أو تحوم حوله حائمة من ظن : (ولقد كرمنا بنى آدم)

« ٧٠/١٨ » كما عبر لنا القرآن عن أصل الطبيعة الانسانية الواحد وعن أرومتها المتحدة التى استند اليها في دعوته الى التعاطف والتراحم والمحبة ، والاخوة ، فخطب بنى آدم كافة بهذا النداء العميق الذى يتوجه الى فطرة كل كائن من الكائنات الناطقة : (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) « ١/٤ » . بل ان القرآن اعتبر الاعتداء على الوجود البشرى اعتداء على البشرية قاطبة ، كما أن احياء فرد واحد احياء للحقيقة الانسانية كلها : (من قتل نفس بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن احيها فكأنما احيى الناس جميعا) « ٣٥/٥ » واحترم الاسلام اديان الآخرين وافكارهم وعقائدهم : (لكم دينكم ولى دين) « ٦/١٠٩ » .

ودعا الى التعايش السلمى بين مناهج الناس فى الحياة وتصوراتهم لها ، وهون عليهم أمر الاختلاف فيها : (لكل جعلنا شريعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيها آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) « ١٥/٥ » وشرع للانسان مبدا العدل العام حتى مع العدو : (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) « ٩/٥ » وقرر مبدا أخلاقيا اجتماعيا حضاريا فى مخاطبة الانسان لآخيه الانسان فأمر بأن يكون خطابا لطيفا لينا جميلا : (وقولوا للناس حسنا) « ١٨٣/٢ » . وهكذا فهم ابن باديس أصول المذهب الانسانى الاسلامى وحلها فيما كتب (٣) وفيها شأنه به أمته ، وانتهى فى تصويره للحقيقة الاسلامية الى القول بانها حقيقة دينية انسانية فقال : (علمنا أنه دين الانسانية ... فاذا عشت له فأتى أعيش للانسانية لآخرها وسعادتها فى جميع اجناسها وأوطانها ، وفى جميع مظاهر

عادية ولا معدو عليها ، وترتيبها ترتيبها الطبيعي حيث تنبئ كل واحدة منها على ما قبلها ، وتعتبر دعامة لما بعدها ، والانسان هو الذى يجد صورته وسعادته فى وطنه الصغير ، كما يجدها فى أمته ووطنه الكبير ، واخيرا يجدها فى الانسانية كلها ، فالوطنية الاسلامية (تحافظ على الاسرة بجميع مكوناتها وعلى الامة بجميع مقوماتها وتحترم الانسانية فى جميع اجناسها واديانها) (١٠) ، وأوضح لنا ابن باديس انه يهدف الى التقريب بين جميع عناصر الانسانية ويجاهد من اجل ذلك ويحترمها رغم اختلاف الاديان والاجناس ، وربط ذلك كله بصفته انسانا مسلما : (انا كمسلم ادين بالاخوة الانسانية واحترمها فى جميع اجناسها واديانها واسعى للتقريب بين جميع عناصرها واجاهد فيها هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك وهو العدل والتناصف والاحترام) (١١) ، وبما ان ابن باديس يعتبر من الربيعين المتمازين فانه بنى عمله التربوى على المحبة وعلى زرعها فى القلوب التى اراد ان يثبت فى اعماقها حب الانسانية بجميع اجناسها واديانها ، وان يعلمها الاخوة الانسانية ووصف نفسه بأنه زارع محبة فقال : (انا زارع محبة ولكن على اساس من العدل والانصاف والاحترام مع كل احد من أى جنس كان ومن أى دين كان ، من كل جنس من كل دين ، فاعملوا للاخوة ولكن مع من يعمل للاخوة فبذلك تكون الاخوة صادقة) (١٢) . ويشعر القارئ بالحاح ابن باديس على التحفظ فى هذه النزعة وعلى تقييدها بقيود العدل والانصاف والاحترام المتبادل ، والواقع ان هذا يعود الى ظروفه الاجتماعية والسياسية اذ ان المستعمرين لا يحترمون انسانية الانسان الجزائرى .

وقد ابلان ابن باديس عن ذلك فى تصديده المشهورة :

عاطفتها وتفكيرها) (٤) وآمن ابن باديس بوطن الانسانية العام كما آمن باوطان اخرى خاصة تبدا من الجزائر ثم المغرب ثم الوطن العربى فالوطن الاسلامى وتنتهى بوطن الانسان من حيث هو انسان (٥) .

احب ابن باديس الانسانية وبغض من يبغضها او يظلمها او سولت له نفسه ان ينال من كرامتها وعبر لنا عن هذه النزعة الانسانية للقائمة على الحب فى صورة واضحة جميلة واقعية فيها تأكيد لهذا المعنى ، والحاح فى الابانة عنه فقال : (اتنا نحب الانسانية ونعبرها كلا ، ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ونحب من يحب الانسانية ويخدمها ونبغض من يبغضها ويظلمها) (٦) فليس هناك فى نظره أى تناقض بين حب الوطن وحب الانسانية بل انه رد على اولئك الذين ينكرون الاوطان الخاصة لاتهام بزعمهم ضد انسانيته (٧) ، فالانسان فيما يرى ابن باديس اذا احب وطنه وغذى عقله بالمعرفة السليمة فانه يشعر بالحب العميق لكل من يجد فيهم صورته الانسانية وكانت الارض كلها وطننا له ، وهذا هو وطنه الاكبر ، هذا ترتيب طبيعى لا طغرة فيه ولا معدل عنه ، فلا يعرف ولا يجب الوطن الاكبر الا من عرفوا حب الوطن الاصغر (٨) . وانكر ابن باديس على اولئك الذين يسبهم بالانانية لانهم لا يعترفون الا بالوطن الضيق ، كما انكر على الذين يضررون بالاطوان الاخرى فى سبيل وطنهم الكبير ، وهؤلاء عنده شر وبلاء على البشرية جمعاء ، ونعى ايضا على الذين لا يعترفون الا بالوطن الاكبر وضربوا صفحا عن الوطنيات والاديلان ، وكأنه يقصد بذلك الشيوعيين الذين وصفهم بأنهم عاكسوا الطبيعة (٩) .

اما الوطنية الاسلامية فى نظره فهي الوطنية التى تعترف بالوطنيات كلها وتزله منزلتها غير

من كان يبغى ودنا فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغى ذلنا فله المهانة والحرب
هذا نظام حياتنا بالنور خط وباللهب (١٣)
وانشأ قصيدة أخرى عنوانها : « القومية
الإنسانية » جاء فيها قوله :

قومى هم وبنو الإنسان كلهم
عشيرتى وهدى الإسلام مطلبى (١٤)
رأيه في الفن والجمال :

لم يكن ابن باديس من أولئك الفقهاء الذين
لا يفكرون الا في القيم الاخلاقية والمنطقية بل انه
اهتم بالقيم الجمالية أيضا فكتب مقالا عنوانه :
« الفن الأدبي في الحديث النبوي » (١٥) فتحدث
عن جمال الصوت ، وعن الصورة الرائعة التي
صور بها النبي صلى الله عليه وسلم النساء ،
في قوله مما رواه البخاري في صحيحه عن أبي
قلاية عن ثابت البناني عن قتادة عن انس انه
كان للنبيء حاد يقال له : انجشة وكان حسن
الصوت ، وكان النبيء في مسير له ، فحدا
الحادي وكان يحذو بهن فقال له النبيء : (ويحك
انجشة رويدا بالقوارير) (١٦) وذلك انه لما غنى
انجشة للابل وكان على ظهورها النساء اخذت
في السير ونشطت واندفعت فأتعبهن ذلك السير
واشفق النبيء عليهن فأمر الغلام الفارسي
الحادي وهو انجشة أن يرفق بهن لشدة ما يجدن
من الاضطراب على ظهور الابل ، ، وهي تسرع
في سيرها فعبر عن ذلك بصورة جذابة فشبّه
النساء بالقوارير أو الزجاجات لما فيها من بياض
ولعان ورقة ولما في النساء أيضا من رقة العواطف
ولطفها وسرعة انكسار قلوبهن وتأثيرها وعسر
انجبارها . وقد حاول ابن باديس أن يعرف لنا
مفهوم الفن مبين لنا انه : (ادراك صفات الشيء
على ما هي عليه من حسن وقبح ادراكا صحيحا
والشعور بها كذلك شعورا صادقا والتصور لها
تصويرا مطابقا بالتعبير عنها بعبارات بلغة في

الابانة والمطابقة للحال ذلك هو الفن الادبي) (١٧)
فالفن الادبي عنده يتكون من عناصر ادراكية
شعورية وتعبيرية ومن مطابقة ، والفنان هو ذلك
الإنسان الذي يدرك صفات الشيء الحسنة
والقبيحة ادراكا صحيحا ، وهو الذي يشعر بتلك
الصفات وينفعل بها بصدق ، ثم يعبر عن ادراكه
وتجربته الشعورية تعبيرا مبينا بليغا ، على أن
يكون ذلك مطابقا للحال ، ويلاحظ القارئ أن
ابن باديس جرى على رأى رجال البلاغة في أصل
من أصول البلاغة والتقد الا وهو مطابقة الكلام
لمقتضى الحال ، كما انه اشترط في التصوير أن
يكون مطابقا ، فكان المطابقة هنا تشبه لحد ما
ما يسميه أرسطو بالمحاكاة ، والواقع أن الفنان
يبدع الصور ويضفي على الأشياء أخيلة وظلالا
ذاتية ما كان لها أن تعتبر مطابقة للواقع الخارجى
أو محاكية له ، ويمكن القول بأن ابن باديس
ذهب في الفن مذهباً منطقياً يتصل بالحق أكثر من
اتصاله بالابداع الفني لانه اعتبر الفن ادراكا
لصفات الشيء على ما هي عليه في الواقع
الخارجى فكان الصورة الفنية نسخة مما هو واقع
في العالم الخارجى على نحو ما يتصور الفلاسفة
الحقيقة التي يرون انها مطابقة ما في عالم
الاذهان لما في عالم الاعيان . ولم يكن بهذا
الاعتبار مثل شيء جديد أبدعه الفنان سوى التعبير
الذي يمتاز بالابانة والبلاغة ولكننا نجد ابن باديس
يضيف الى عناصر الصورة الأدبية الفنية عنصرا
آخر يتوجها وهو اللذة التي تحصل للمتذوق
لان هذه اللذة في نظر ابن باديس تدفع عن
الإنسان ما يجده من متاعب الحياة وأوصافها
وآلامها لا الاثار الفنية تدخّل على النفوس
اتسراحا وبهجة وصفاء . وأدرك ابن باديس
أيضا ما يسمى في الفن بالتواصل أو المشاركة
الوجدانية فقال : (لذا كان أكثر الفن الادبي
في تصوير الحسن وعرضه على الناس ليشاركوا

الفنان في ادراك ذلك الحسن والشعورية والتذوق للذة ذلك الادراك والشعور (١٨) . وبين لنا باعتباره مربيا ومعلما دور تربية الذوق الجمالى ، وغرسه في النفوس لتتمكن من الشعور بها في هذا الكون من آيات الجمال ، وذكر ان القرآن الكريم مفعم بصور ومشاهد تعرض علينا آفاق الكون في صورها الجذابة الجميلة ، وأشار ايضا الى ان الحديث النبوى يشتمل على روائع من الفن الادبى وخوالات من الآثار الرفيعة ، كما انه استشهد بقصيدة كعب بن زهير الذائعة التى القاها امام النبى صلى الله عليه وسلم (فوصف المرأة والماء الذى مزجت به الخمرة والناقة وصورها تصويرا فنيا ، ولم ينكر عليه لانه لم يكن يصف شخصا معنا يؤدى وصفه الى اثارة الشهوة البهيمية نحوه ، وانما للنفوس البشرية صورها الجمالية ، وتنمى فيها قوة الشعور والذوق) (١٩) . ولم يخف على ابن باديس ان ينبهنا الى ما فى الحديث من فقه نفسى فحال الحديث تحليلا فقهيا نفسيا واوضح ان فيه تنبيه على نبذ التشديد والتنطع فيما لا عيب فيه ولا قبح فى معناه ، ولا فحش فى لفظه من جهة ، وفيه ايضا : (التنبيه على المحافظة على قلوبهن « النساء » وعواطفهن ليدوم ودهن وسلامتهن ويدوم الهناء معهن والاستمتاع بهن لانهن ضعيفات القلوب ، رقيقات العواطف ، شديداً الاحساس ، يصبرن على كل شئ من الرجل الا على كسر قلوبهن ومس عواطفهن) (٢٠) ومن جهة أخرى نجد ابن باديس يتصور الاسلام على انه حقيقة قائمة على عناصر ثلاثة : الحياة والعلم والفن فقال : (الاسلام دين الحياة والعلم والفن ، والحياة قوة وايمان وجمال ، والعلم يمثل القوة ، والفن يمثل الجمال) (٢١)

والقيمة الخلقية فذهب الى أن الدعوة الى الجمال والتحبب فيه فى جميع مظاهر الحياة يجب أن تكون فى إطار العفاف والفضيلة ، وساق عدة آيات قرآنية فى هذا المعنى منها قوله تعالى : (لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم) « ٩٥ / ٤ » وقوله : (وصوركم فأحسن صوركم) « ٦٤ / ٤٠ » وقوله : (حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت) « ٢٤ / ١٠ » وقوله : (فانبتنا به حدائق ذات بهجة) « ٦٠ / ٢٧ » وقوله : (قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق) « ٣١ / ٧ » وقوله : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبر بما يصنعون) « ٣٠ / ٢٤ » ويرى ان القرآن نفسه استخدم الصور الجمالية فى الدعوة الى الهداية والى التأمل فى الطبيعة : (يعرض علينا القرآن صورا من العالم العلوى والسفلى فى بيان بديع جذاب يشوقنا الى التأمل فيها والتعمق فى اسرارها (٢٢) ان الجمال فى نظره يصبح احيانا فتنة ان لم يحط بسياج من الاخلاق ، واذا كان العالم ينطوى على جمال فانه قد يصير شرا وبلاء على من اتبع هواه واستعبد عقله : (هذا العالم بهانه وارضه وازواجه هو فتنة للانسان بما فيه من لذائذ ومن جمال ...) (٢٣) ان ابن باديس زارع محبة ، وداع الى المعانى الحقيقية للمذهب الانسانى ، والى رحابة الافق ، وعلم الناس ان الجمال مقوم من مقومات الحضارة ، وان التربية الجمالية وتنمية الذوق من اساس التربية الخلافة للشخصية الحرة التساعرة بذاتيتها وحريتها وقوتها المتفوقة لما فى العالم من جمال ، المتعاطفة مع ما فى الانسان من محبة وما فى جوهره من كرامة متصلة .

عمار طالبي

استاذ بقسم الفلسفة — جامعة الجزائر

هناك معنى عام لحياتي : أنا رجل بسيط جدا . فقير .
 ماسح احذية .. كان أملى أن العيب في أحد الاندية المعروفة
 .. انتهى أملى . ولكن حبي للرياضة ، وتفكيري الدائم فيها ،
 وحرصى المستمر على التدريب ، وإيماني بأننى لا أعرف
 الكثير ، وأريد أن أعرف وأن أتعلم ، وإيماني بالله ، واستقامتى
 القامة ، وحبي لأمى وأبى ووطنى .. كل هذا جعلنى لاعبا
 متوقفا . لم يخطر على بالى أن أكون أحسن لاعب في الدنيا ..
 ولكن التفوق يغرى بالتفوق أكثر ، والنجاح يغرى بالانتصار
 لا في اندية البرازيل ، ولكن من أجل البرازيل ، في كل مكان
 في العالم ...

اننى لم أعد لاعبا برازيليا ، اننى الآن لاعب عالمى .
 استطعت أن احطم فوارق الطبقة ، وسجن اللون ، وأصبحت
 بفضل الله وجدى وتواضعى وصبرى ، ملكا على عرش الكرة!

من منكرات بيلي

سكان أمريكا لا يخرجون ليلا !

* ٨٨ ٪ من سكان المدن الأمريكية لا يخرجون ليلا ،
 و ٧٧ ٪ لا يشعرون بالامان حتى وهم في منازلهم ، جاءت هذه
 الاحصائية في استفتاء أجرته مجلة « لايف » الأمريكية منذ شهر
 مضى . وهناك أسباب منطقية لهذا الخوف الغريب . فثلاثة
 من كل خمسة أشخاص في المدن التى يزيد تعدادها على مليون
 نسمة كانوا ضحية جميع أنواع الجرائم في عام ١٩٧١ . وتقدم
 الاحصائية تفصيلا لأنواع الجرائم في كل أنحاء الولايات المتحدة
 في نفس العام ٩٥٠٠ جريمة قتل و ٧٣ ألف هجوم مسلح
 و ١٢٧ ألف جريمة سرقة بالسلاح ...

من تراثنا

المسيلة وإمارة بني حمدون وأميرها جعفر بن علي

إذا عدنا إلى ديوان ابن هانيء الاندلسي وجدنا
الكثير منه قيل في جعفر بن علي بن حمدون ووجدنا
الشطر الضائع من الديوان يشتمل على روايت
لعلها أجل وأسنى في باب المدح الصالح ، وتصوير
الحضارة الراقية ، والحياة الرفيعة ، والفروسية
الأصيلة ، وما يحفل به كل ذلك من روعة وجمال
وجلال .

أحمد بن ذياب

استاذ بثانوية الفتح البليدة

أما الحفيد حمدون فقد انتقل الى بجاية الجزائرية فسكن إحدى قراها ، فاستقر بها ونسله ، وتشاء الظروف أن يتصل على بن حمدون وهو في طريقه الى الحج ببعض أبناء قبيلة « كتامة » ويتزوج منهم ، وكتامة يومئذ قد سارعت — أول من سارع — الى الاستجابة للدعوة العبيدية ، واتبعت أبا عبد الله الشيعي فنبئت نابتة الشيعة العبيدية — هنا في المغرب الأوسط —

ومن هذا الباب باب الزواج من كتامة والاقامة بينها كان الاتصال الأول بين الفكرة الشيعية والشاب على بن حمدون ، فيستجيب لها ، وينخرط في سلكها وتمضى الأيام بعلى بن حمدون فتعلو منزلته بين قادة الشيعة ، ويجدون فيه خير شاب اخلاصا وذكاء ، وعلو همة .

ويحدثنا ابن حيان بأن الاسم الأول له كان « ثعلبة » لكن أباعد الله الشيعي سماء « عليا » فأصبح هذا الاسم محببا اليه ، وهو الذي عاش به بعد ذلك بين الناس ، حتى تنوى اسمه الأصلي .

وقد كان « ثعلبة الامس — وعلى اليوم » يجمع بين دهاء الثعالب وسعتها في الحيلة وبين سمو الروح العالية — من على — او العلوية — الى جانب الصدق في العقيدة ، والاخلاص في الطاعة والحزم في العمل ، وكانت هذه الخصال هي التي رشحته لاداء مهمة ثقيلة بعد الانتصار على الاغلبية — فيقوم بادائها على خير وجه مما برهن على مقدرته في التستر ، وحسن تأتية لها يريد ، ومهارته في النوء بالمهمات .

وفي أثناء المراسلات أو « المخابرات » التي كانت تتواصل بين الشيعة ودعاتها ، وقادتها في الجزائر وتونس وبين عبيد الله المهدي ظهر على بن حمدون بظهر من يحسن الاداء ، ويحسن

وحسب جعفر بن علي الأمير الحمدوني الجزائري أن يكون هو المعنى بقول ابن هانئ في قصيدة تافية عصماء جاءت فيها هذه الابيات :

ألا أيها الوادى المقدس بالنسدى
وأهل الندى ، قلبى اليك مشوق
ويا أيها القصر المنيف قبابه
على « الزاب » لا يسدد اليك طريق
ويا ملك « الزاب » الرفيع عماده
بقيت لجمع المجد وهو فريق
على ملك « الزاب » السلام مرددا

وريحان مسك بالسلام فتيق
وهى مقطوعة من قصيدة بدعية لم تعد موجودة في الديوان المطبوع ، وقد يكون للجزائريين خاصة وللعرب عامة حظ مخبوء بين طيات الأيام ، فتظهر نسخة أخرى — للديوان — كاملة فنقرأ فيها — في جملة ما نقرأ القصيدة التى منها هذه الابيات .

أما من هو جعفر بن علي في امراء المسيلة ؟ وما قصته معها ؟ فهو أحد الامراء النبلاء الذين عرفتهم الجزائر خلال القرن الرابع الهجرى ، وعرفوا بها ، اذ تولى امارة الزاب ، يوم انتقلت عاصمته من « طينة » جنوب بريكة الى المسيلة « المحمدية » ابتداء من سنة ٣١٧ للهجرة بعد تأسيسها بعلمين وكان الذى أسس مدينة « المحمدية » — او المسيلة — هو أبوه على ابن حمدون : أحد القادة العظام للشيعة العبيدية . أما أهل الاسرة فنعرض انطلى « يحدثنا عنه ابن حيان في المقتبس » فيقول « جعفر بن علي بن حمدون بن سمالك بن سعيد بن ابراهيم بن احمد ابن عبد الحميد النجاشي » (١) .

ويقال عن الجد الأعلى عبد الحميد بأنه الداخل الأول الى الاندلس ، وأن مستقره الأول كان بقرية من قرى قلعة « يحصب » بكورة « البيرة » .

— المسيلة وامارة بنى حمدون —

وكانت نشأته أولا في بيت المبيدين نظرا لكانة أبيه بينهم ، ورعى بين حجوهم الى جانب أخيه يحيى .

وكانت امهما معها بالمهدية — في دار عبد الله المهدى ، فلما تم امر تأسيس المسيلة ، واستقامت الامور في المغرب الاوسط ارسل بها عبد الله المهدى مع ابنائها الى زوجها على بن حمدون معززة مكرمة .

ويسمى ابن حيان هذه المرأة « ميمونة بنت علام » وهى كمامية — كما سبق — وكان شمل الاسرة قد اجتمع من جديد خلال سنة ٣١٧ للهجرة ولسنا ندرى — في الكتب التى بين ايدينا — كم كان عمر جعفر يومئذ ، وانما الذى نعلمه ان اياه على بن حمدون « خلفه نائبا عنه حين سافر الى المهدية ليعزى ابا انقاسم محمد بن المهدى في أبيه ، وليهنئه — في الوقت نفسه — بالخلافة التى انتقلت اليه او تقلد مسؤوليتها سنة ٣٢٢ .

واذا اخذنا في الاعتبار — تاريخ تزوج على بن حمدون بميمونة ام جعفر في اخريات العقد التاسع من القرن الثالث امكن ان نطمئن الى ان عمر جعفر يومئذ يتجاوز العشرين سنة ، وقد يكون حوالى اثلاثين مع ملاحظة ان التوضيحات التى يقدمها « المقتبس » تقول عن جعفر يومئذ « وقد ظهر منه استقلال وضلاعة ، ومهارة بخصال الادب وبراعة ، طار له بها في الناس حديث « امال » اليه الافئدة » .

والمتوقع ان الشهرة التى تجمع للمرء قلوب الناس ، وتضمن له محبتهم — مهما تكن مبكرة — لا تستلقت نظر الشعب ، وتصبح محل ثقته الا بعد النضج الجسمي ، واتمامة البرهان على النضج العقلى ، وما يزدان به المرء من

التلقى مما جعله موضع ثقة عبید الله المهدى صاحب الامر ، فكان ان ارسل به الى المشرق — في بعض ما ترسل الملوك فيه — حسب تعبير « ابن حيان » — فأحكم له شأنه ، وقدم غارزاد حظوة لديه .

اما ابن خلدون فيحدثنا ان عليا لزم آل عبید الله المهدى أيام اعتقالهم « بسجلماسة » فلما استفحل ملكهم جذبوا بضبعيه ، ورتقوه الى الرتب ولها رجع ابو القاسم من حركته الى المغرب سنة خمس عشرة وثلاثمائة ، واختط مدينة المسيلة استعمل — على بنائها « على بن حمدون » وسماها « الحمدية » ولها تم له بناؤها عقد له على الزاب ، وانزله بها « ٢ »

فمن هذه العبارات من ابن خلدون نعرف « اجمالا » مدى مكانة على بن حمدون من الاسرة المبيدية ، وكيف كان اول تأسيس مدينة الحمدية — او المسيلة — سنة ٣١٥ للهجرة ، وكيف اتخذت عاصمة للزاب ، وكيف ولى الامر فيها على بن حمدون .

اما ابن حيان فيعطينا اضافات اخرى حول هذا الموضوع يهنا منها خاصة قوله : « وولاه عليها عند كمالها فاستقر بها واحسن عمارتها » .

ولن نفارق على بن حمدون حتى نجعل القول — او نختصره — فنقول بأنه بقى امرا وقائدا على المسيلة عاصمة الزاب اكبر حتى سنة ٣٣٤ حيث توفى وهو يحارب في فتنة ابي يزيد بن كيداد الخارجى المعروف بصاحب الحمار »

اما ابنه جعفر فهو أحد نجباء رجالات الجزائر ومشاهير قادتها في الثلث الوسط من القرن الرابع الهجرى .

٤ — وعلى باغاية وأعمالها قصر الصقلي
٥ — وكان على فاس أحمد بن بكر بن أبي
سهل الجذامي
٦ — وعلى سجماسة محمد بن ولسول
المكناسي « ٤ »

ومن هذا التقسيم نرى أن العمالات — أو
الولايات الشرقية واسعة لان الأمن فيها مستتب
أما الولايات الغربيةان ولاية سجماسة وولاية
فاس فضيقتان لان الامويين في الاندلس يضايقون
العبيديين من ناحية الشمال ، وقد يتوغلون
فيفتكون منهم بعض النواحي ، ويتوسعون على
حسابهم كلها سنحت لهم الفرصة .

وقد بلغت المسيلة — أو المحمدية — أوج
عظمتها في عهد جعفر بن علي ، وقد أشاد بعده
كثير من المؤرخين لكنا نكتفي هنا بما جاء في ابن
خلدون حين تعرض لتصوير عمرانها فقال :
« ولما انقضت فتنة « أبي يزيد » عقد المنصور
على المسيلة والزاب لجعفر بن علي بن حمدون ،
وانزله بها وأخاه يحيى ، واستجدوا بها سلطانا
ودولة ، وبنوا القصور والمتزهات ، واستفحل
فيها ملكهم وقصدهم بها العلماء والشعراء ، وكان
فيمن قصدهم ابن هانيء الاندلسي شاعر الاندلس
وامداحه فيهم معروفة مذكورة » .
ووصفها البكري حسبها نقل عنه استاذنا
المرحوم مبارك الميلي فقال :

« هي مدينة جليلة في بساط من الارض ، عليها
سوران بينهما جدول ماء يستدير بالمدينة ، وله
منافذ تسقى منها عقد الحاجة ، ولها أسواق
وحمامات ، وحولها بساتين كثيرة ، ويجود عندهم
القطن ، وهي كثيرة اللحم ، رخيصة السعر »

حصافة وكياسة ولباقة ، ويتمتع به من ذكاء
عملى تطبيقي .

أما حين نريد أن نعلم مدى سعة « ولايته
المسيلة » واماراتها في ذلك العهد فلعلنا نستطيع
أن نتصور لها حدودا تقريبية حين ندرك أن كلمة
« الزاب الكبير » الذي كانت عاصمته يشمل
المساحة التي تقع بين حدود « باغاية » شرقا
« وموقع باغاية بين خنشلة والعين البيضاء
الحاليين » ويقابلها الحد الغربي « حمزة »
وضواحيها أو « لبويرة » الحالية والظاهر أن
« الزاب » يتسع في الصحراء جنوب الجزائر
وتونس ، ويضيق في الشمال فلا يتجاوز هذه
المسافة التي تجمع ما بين عنابة وبجاية ،

ونحن نقدم هذه الحدود التقريبية معتمدين
على ياقوت الحموي في معجم البلدان حين يتحدث
على الزاب الكبير فيجعل من مدنه : « بسكرة
وقسنطينة ، وقفصة ، ونفزاوة ونفطة وبادس »
ولانا نرى ابن خلدون — وهو يقدم تصداد
« امارات » العبيديين يومئذ أو « ولاياتهم »
فيقول :

« واستقام أمر المعز في بلاد أفريقية المغرب ،
واتسعت ايلته ، وكانت أعماله من « إيفكان »
خلف « تاهرت » بثلاث مراحل ، الى زناتة التي
دون « مصر » .

١ — وعلى تاهرت وإيفكان يعلى بن محمد
أيفرنسي .

٢ — وعلى آشير وأعمالها زيري بن مناد
الصنهاجي .

٣ — وعلى المسيلة وأعمالها جعفر بن
علي الاندلسي :

(٢) ص ١٢٤ من معجم البلدان ج ٢

(٤) ابن خلدون ج ٤ ص ٢٦

(٥) ابن خلدون ج ٤ ص ١٧٦

اخرى — قبلت في المسيلة واميرها — ولكننا لا نجدوها في الديوان : اما لان الذين تولوا الطبع حذفوها ، واما لان النسخة التي اعتمدها بقاء غير كاملة .

اما خاصية ابن هانيء في هذه القصائد الجعفرية ، لو « المسيلة » فهي الصدق في العاطفة ، والبراعة في التصوير ، والاعتدال في المبالغة .

ومن الامثلة التي يمكن أن تتلاق هذه الميعة التي تنيف على السبعين بيتا والتي قال فيها :

يمنية لات ملك الملوك
فمن شاء خص ومن شاء عم
فمن اين ساروا فانت السبيل
ومن اين ضلوا فانت العلم
وياتي لك الذم طيب التجار
وطيب الخلال وطيب الشيم
حتى يقول :

الى جعفر يقاهي المديح
وفيهِ تثير القوافي الحكم
فما همت المزن حتى همى
ولا ابتسم البرق حتى ابتسم
فاقسم لو ان عصر الشباب
كايامه لامنا الهرم
قواف لسؤددكم تنقضى
وتحت سرادقكم تزحم
قصرن عليكم كان الشام
وارض العراق عليها حرم
اما عن مكانة الشاعر بين ممدوحيه فيصوروه
كما يلي :

تكفتموني فلم اضهد
فاعززتموني فلم اهتضم
ففي ناظري عن سواكم عي
وفي اذني عن سواكم صمم

وقد تكون هذه العبارات من البكري كافية للتدليل على الوضع الاقتصادي العام من جهة اخرى .

فكثرة البساتين وجودة المحصول من زراعة القطن قد تدل على انجاح في الميدان الفلاحي اما كثرة اللحم فتدل على وفرة الماشية ، وعناية الشعب بتربيتها ، اما الاسواق والحمامات وكثرتها فتدل على الحركة الاقتصادية النشيطة من جهة وعلى الاستقرار الحضاري من جهة اخرى .

اما ابن خلكان فيتعرض لطبيعة جعفر بن علي نفسه فيقول عنه بأنه « كان سمحا كثير العطاء ، مؤثر لاهل العلم ، ولابن هانيء فيه من المدايح انفاقة ما يجوز حسنها حد الوصف »

والحق ان المسيلة ، او « عاصمة الزاب » قد بلغت شأوا بعيدا في خدمة العلم ، وتثبيت قواعد الامن والاستقرار ، ولولا ان العبيديين كانوا قد وجهوا عنايتهم للمشرق من جهة ، وان الصنهاجيين لم يكونوا على وفاق مع جعفر ابن علي بل كانوا يتربصون به الدوائر ، وكانوا يكدون له ما استطاعوا لا يمكن ان تقارن امارة المسيلة ببعض الامارات الاخرى من امارات المشرق او امارات المغرب التي ازدهرت ازدهارا عظيما .

وقد لاحظ القدامي الاشواط التي سارتها ، في المراحل التي قطعتها في مسيرة الحضارة حين لقبوا شاعرها الفحل ابن هانيء بمتنبى المغرب يريدون غزارة الشاعرية وقوتها ، وطول النفس في القصائد العصاء التي انطلقت بهابيتة المسيلة ، واميرها جعفر بن علي ، وحاشيته ، واسرته ومن اتصل باهلها من ابناء وقادة وامراء .

وحسب جعفر بن علي ان يكون قد قيل فيه وانراد أسرته نحو من ثلث الديوان المطبوع من شعر ابن هانيء مع ملاحظة ان هناك تمائد

٣٦٠ حيث تسوء العلاقة بين المعز لدين الله الفاطمي وبين جعفر بن علي ، وقد مضت على هذا ست وعشرون سنة — وهو يعمل فيصلح ويبنى فيرفع ، ويصنع فتكون صنائعه مدعاة لتريص الحساد ، وتالب الاعداء ...

أما عاقبة هذه العلاقة السيئة بينه وبين المعز فكانت الباعث على انحيائه الى بنى أمية في الاندلس ، مما جعل الامارة تنتهى ، وتنضم كل العمالة الى بلقين بن زيرى .

أما جعفر بن علي فانه انتقل الى الاندلس فعاش منعها مكرما حينا ، وأميرا وقائدا أحيانا ، حتى اغتاله المنصور بن ابي عامر خلال سنة ٣٧٢ للهجرة .

ومهما يكن الخطب ثقيلًا ، والمصيبة جلي فلان العودة الى جعفر بن علي اثناء دراسة شاعرية « متنبى المغرب ابن هانيء » قد تزيد اضاءة لبعض الجوانب غالى اللقاء مع شاعر الزاب العبقري ، أو شاعر شعراء المغرب العربي في العدد القادم — ان شاء الله —

فشملى بشمكم جامع
وشعبي بشعبكم ملتئم
فلا انفصمت عروة بيننا
إذا ما العرى جعلت تنفصم
« ابا أحمد » دعوة حرة
لحر المواثيق حر النعم
حمدت لقاءك حمد الربيع
وشمت نوالك شيم الديم
وانت ملي بدر الفعّال
وانى مليء بدر الكلم
ولم أر مثل جزيل الثناء
مكافاة لجزيل النعم

والذى لاريب فيه ان شعرا كهذا — وفي الديوان مثله واحسن منه — يعطى الدليل على صدقه من جودته ، وقيم البرهان على اخلاص صاحبه من سلاسته ، ويسر تناوله .

وتمر الايام وامارة المسيلة اماراة تطاول الأحداث ، وتقاوم الخطوب وتبنى الامجاد ، وتؤسس المفاخر ، حتى تجيء سنة

الملكية والمزاحمة

اشرنا ، في العدد السابق الى
بعض المذاهب التي حلت العلاقة
بين الملكية والحريات ، ونود ان
نظهر الان ان الفلسفة البرغسونية
لم تترك مجالا لمشكلة التملك ، لان
الحريات فيها ، بالاساس ، فردية ،
ومباشرة ، ومجردة .

محمد عزيز الحناب

استاذ بكلية الاداب
جامعة الجزائر

عام ١٩٣٢ تنبأ (برغسون) بعمل سيقع بعد سبع سنوات ، تنبؤا دقيقا ، فندد في قلق وحسرة بالازمة العالمية المتوقع حدوثها من جراء الاسلحة الرهيبة المدمرة : « اذا استمر العلم في سيره الحالي ، فاننا نقرب جدا من اليوم الذي يصبح فيه البلد يملك سرا مدخرا ، الوسيلة لسحق خصومه سحقا تاما . فلن يبقى أبدا اثر لمغلوب على وجه البسيطة » . (٢) هكذا قبيل حرب ١٩٣٩ — ١٩٤٥ قهر « برغسون » شعورا قلنا بخطر الحرب ، وهكذا قد كان يحيا اذ ذاك سنواته الأخيرة . نلمس ، بانفعال كبير ، ذاك القلق وتلك الحسرة ، في محاضرة القاها من راديو باريس ، تحت عنوان « كلمات عن الفلسفة الفرنسية » تقتطف منها هاته الجمل : « بوسعنا ان نستعيد ذكرى ما نحن ، ويجب ان نفعل ذلك في وقت تتعرض ثقتنا بأنفسنا للوهن والضعف . اننا نجتاز مع العالم اجمع ، ازمة خطيرة . يلزمنا ان نقوم ببذل مجهود كبير ، ويجب ان نقوم ، به ، كيفما كان الحال ... » (٣) ، لقد تقدم لـ « برغسون » في بداية الحرب العالمية الاولى (١٩١٤) ، ان صاح ، كذلك ، صيحة منجعة للاستغاثة من الخطر المحدق بالانسانية ، وكانت صيحته عنيفة وحزينة مؤثرة (٤) .

لن يتحقق تحرر الانسان الا في جو من الثقة بالانسان ، وفي الامل بالمستقبل . لقد سبق « كانط » ان كانت له نفس الاهتمامات ، ففكر في اقامة نظام دولي ، وهذا كثير اثنىه بجمعية الامم التي تحدث عنها « برغسون » . الواقع ان لـ « كانط » ، بالإضافة الى فلسفته النظرية وفلسفته العملية ، فلسفة للتاريخ . وفلسفة التاريخ هذه مسلمات ، كما للعقل الاخلاقي

ان وساطة العمل ، والملكية بصفة عامة ، تخالف مفهوم الحرية الداخلية ، او « مطابقة الذات مع الذات » التي خصص لها « برغسون » كتابه (رسالة في معطيات الوجدان المباشرة) . وقد كان من المتوقع ان نرى (المتبعان) ، بصفته كتابا يعالج مشكلتي الاخلاق والدين ، أي مؤسستين مجتمعيتين ، يدرس مشكل الملكية . بيد انه لم يفعل .

الا يعد هذا ثغرة كبرى في البرغسونية ؟ لكن ، بالرغم من ان مشكلة التملك لم توضع في (المتبعان) ، بطريقة منظومية ، فانها قد اثرت بصفة غير مباشرة ، في أكثر من صفحة من صفحات الفصل الأخير . فبعد ان جعل « برغسون » من « الاخلاق المفتوحة » اخلاقا تشمل مجموع الانسانية ، اضطر الى ان يتعرض الى مشكلتي الحرب والسلم ، لانهما تفلتان ، أكثر من أي مشكل آخر ، المجتمعات المعاصرة : علينا ان نجد وسائل تخولنا ان نجعل المصالح الخاصة تخضع للمصالح العامة ، لمصالح النوع البشري ، توضع اذن « الاخلاق المفتوحة » في سياق تاريخي وتعض على الاحداث المعاصرة . فمن هذا الجانب نعود الى مشكل الملكية ومعارضة مصالح الافراد لمصالح الشعوب .

من الجائز ان فكرة « الاخلاق المفتوحة » اختبرت في فكر « برغسون » عندما تكونت « جمعية الامم » بـ (جنيف) ، كما يجوز اعتبارها مستوحاة من امنية هاننا خالجت فكر (أوغست كومت A. Comte) الذي ود ان يؤسس « دين الانسانية » ، دينا يوحد معتقدات الشعوب . وعندما تحدث مؤلف (منبع الاخلاق والدين) عن « جمعية الامم » ، قال انها مؤسسة في صالح السلم ، وان الذين أسسوها قاموا بعمل جليل ، فهم بحق « المحسنون الى الانسانية » (١) . وفي

يختل فيه الاتزان بين التزايد المفرط في السكان ، من جهة ، وبين كمية التغذية اللازمة ، من جهة أخرى . عن هذا الوضع الحتمى سينتج صراع الحيوانات من أجل الحياة .

وقد شيد « داروين » نظريته حول الانتقاء الطبيعى على أساس فكرة (مالتوس) : أن المزاحمة الحيوية تضمن البقاء لن هم أكثر كفاءة جسمية على الخصوص . فهذا المذهب يبرر ، بكيفية غير مباشرة ، وجود الحرب بين الشعوب : الطبيعة إلا مجتمعات صغيرة ، ولكنها « رغم ذلك فتحت الباب أمام نمو وتوسع تلك المجتمعات ، لأنها أرادت أيضا الحرب ، أو على الأقل هيات للانسان شروطا حياتية تجعل الحرب امرا لا مفر منه » (٦) .

ونجد نغمة مشابهة ، في صفحات أخرى من (المنبعان) ، يؤكد فيها « برغسون » نوعا من حتمية الحرب : « ان منشأ الحرب هو الملكية الفردية والجماعية ، وبما ان الانسانية مجبولة مسبقا على الملكية ، من حيث بنيتها ، فالحرب امر طبيعى » .

يبدو ان « برغسون » يؤيد النظرية المالتوسية — الداروينية ، مع انه ظهر خطأها ظهورا جليا الى الحد الذى لم يعد أحد يؤيدها في ايامنا هذه . أثبت علم الاقتصاد السياسى ، من جهته ، معتمدا على الاحصائيات ، ان النظام الحالى كثيرا ما يعانى أزمة اختناق تحت وطأة تضخم الانتاج ، أو بسبب قلة الاستهلاك الناتجة عن توزيع غير عادل للثروات ، وعن نقص ذريع في القوة الشرائية ، أكثر مما يعانى زيادة مفرطة في عدد السكان . تتلف كميات ضخمة من الانتاج الزراعى للمحافظة على استقرار الائمان (٧) .

تجد ، في الصفحة ٣٢٦ من (المنبعان) ، ان « برغسون » يعترف بوجود أزمات تنتج عن تضخم الانتاج ، وانها تشمل المنتوجات الزراعية . بيد

مسلمات . يؤكد « كانط » انه من الضرورى أن تتكون فكرة عن شكل سام للمعشر البشرى ، يعنى لبيئة تنضوى تحتها جميع الامم متأخية . ان وجود هذه البيئة شرط ضرورى لسلام عالمى دائم . وهذا المعشر البشرى العالمى ضرورة ملحة عملية ، بدونها يفقد التاريخ اتجلمه ومعناه .

ان اتجاه « برغسون » كاتجاه « كانط » ، كلاهما نبيل وهام . فماذا يقرده « برغسون » لتحقيق مطلبه ؟

١ — القضاء على الحرب .

لنتفحص تطور تفكيره كى تتضح لنا الاتجاهات التى ينبغى اتباعها حتى نصل الى هذا الهدف . يقول فى (المنبعان) : علينا ان نعمل على ازالة اسباب الحرب ، وهذه مهمة يجب أن نتكفل بها منظمة عالمية ، انها واجب تفرضه الاخلاق على كل بيئة متفتحة . وللقضاء على اسباب الحرب ، من الضرورى أن نعرف بالتدقيق هذه الاسباب . أخطرها (فى نظر برغسون) هو التزايد المفرط لعدد سكان الارض . إذن ، يجب أن نحكم التناسل بتحديدده تحديدا معقولا : « ان الاستسلام لفريضة التناسل لاكثر خطرا منه فى أى ميدان آخر . لقد فهمت ذلك الميثولوجيا القديمة جيدا لانها كانت تقرن الهة الحب باله الحرب : فكلما تركت « فينوس » حرة مجعها « مارس » (٥) .

هذه فكرة ، رغم أنها منبثقة عن نبيل وحسن نية ، تثير بعض الانتقادات ، لتأثيرها ، بكيفية مباشرة أو غير مباشرة بنظرية (مالتوس Malthus) .

لقد أثبت « مالتوس » سنة ١٨٠٢ ، أن الحيوانات ، فى اقليم ما ، تتكاثر حسب متوالية هندسية ، فى حين أن النباتات التى تستخدم فى تغذيتها تزداد طبقا لمتوالية حسابية . فسياتى يوم

كانت القاعدة التى تنبنى عليها الأجهزة المجتمعية (٩) . فلا غرابة أذن إذا وجدت الحرب مبررات وكانت الوسيلة الوحيدة لكى تتزود الشعوب بالرفيق وهو ضرورة اقتصادية حيوية . بيد أن الأخلاق والفلسفة ، منذ عهد بعيد إلى آيا مناهذه ، ما غنتنا تظهر أن قيمة الشخص وتفسران الفعاليات البشرية ، فلم يعد العمل يعتبر نظاما خسيسا ، بل على العكس ، فيفضل الشغل أخذت فكرة « شخص » تبرز وتتلور وتفرض نفسها كقوة تبدل باستمرار ، فظاظة الطبيعة ومقاومتها للبشر ، إلى عالم من القيم ينمو ويتأمن دون انقطاع . وأتاح العلم ، من جهته ، للمجتمعات أن تتطور وتجعل التحرر المادى ممكنا ، وذلك منذ أن أعقبت الانظمة الاسترقاقية والاقطاعية ، أنظمة تقوم على انتشار الآلة ، فحقق العلم بهذا أحلام « أرسطو » .

يستنتج مما سبق ، أنه ليس هناك ما يبرر ، مطلقا ، الحرب في عصرنا الراهن ، لا من حيث الأخلاق ولا من حيث وجهة نظر العلم . ولكن ، يمكن أن نتساءل :

كيف يفسر النزاع المسلح بين الشعوب ، رغم التقدم الذى حقق في جميع الميادين ؟ هل يجوز لنا أن نقول : أن الحرب أمر مقدر لآله ؟

يرى « برغسون » أن منشأ الملكية هو الحرب ، وهذا رأى من الصعب علينا إنكاره كليا . ففى الواقع نلاحظ أن الملكية الفردية ، لكى تحمى نفسها ولكى تنمو ، تعرض على المزاخمة الاقتصادية ، أى على « النزاع الحر » بين المصالح ، فيزيح القوى الضعيف . فإذا ما ظهرت المزاخمة المفرطة ك « حرية » فذلك لا يقع إلا بقدر ما نستطيع أن نتعاضد عن الصراعات الصامتة الخداعة : الحرب الاقتصادية . يمكن أن نعيش في سلم والحال أننا

أنه ، ويا للأسف ، لم يستخلص من ذلك النتائج اللازمة ، مع أنه مفكر يهتم بالأخلاق ، لأن فلسفته ، كما يقول « البريتيوديه A. Thibaudet » : ليس لها طابع عملى ، ولم تصل إلى أى نتيجة أخلاقية . يهتم برغسون بالسيكولوجيا والميتافيزيقا ، ولا يزال اهتمامه موجها ، على الخصوص ، بالإصلاح النظرى الميتافيزيقى (٨) .

صرح « برودون Proudhon » في سنة ١٨٤٦ ، بعد أن حلل العلاقة بين البطالة وقلة الاستهلاك ، أن سبب الأزمة هو « فائض الإنتاج ، الذى يدل على نقصان في ترويج البضائع ، أو شقاء الشعب » . خلافا لما يراه « برغسون » أن الطبيعة لا تهى للنساء شروط الحياة التى تجعل الحرب أمرا لا مفر منه بل على العكس ، أن الكائنات البشرية هى التى ترفض كل تقسيم عادل ومعقول لثروات الطبيعة ومنتجات العمل . الجميع يعمل على تباعد بعض عن بعض مع الاحتقار والطمع ، انقطاع : انهم ، عن بعض مع الاحتقار والطمع ، دون انقطاع : انهم ، فكرة « هوبز » التى لخصها في عبارته الشهيرة : « الإنسان ذئب بالنسبة للإنسان » .

الطبيعة البشرية لا تجعل من الحرب ضرورة ، ولكن البنية المجتمعية في نظام المزاخمة الحرة ، هى التى تؤدى إلى الحرب (والمزاخمة الاقتصادية هى المرحلة الأولى : أنها الحرب الباردة) . وهذه الحرب تنعكس على النفس البشرية وتنتزع منها ما يؤنسونها .

عندما تبحث الكائنات البشرية عن وسائل إشباع الحياة ، تصنع تاريخها بنفسها وتفسر طبيعتها الخاصة . أن السوسيولوجيا والتاريخ يشرحان كيف أن مختلف الوسائل لارضاء الحاجيات تؤثر على العلاقات المجتمعية ، وحتى على مختلف نشاطاتنا المعنوية . قد تبرز استرقاقية العصور القديمة (تاريخيا) بالنسبة لمن مارسوها ، لأنها

— الملكية والمزاحمة —

من الجائز أن نتفق ، مع « برغسون » ، على أن الملكية الخاصة قد تؤدي إلى الحرب ، على شرط أن نميز بين الملكية الخاصة التي تركيبتها أخلاق المنافسة السلمية والتضامن ، وبين الملكية التي لا تعترف إلا بقانون المزاخمة . أن التملك لا ينمي الكائن البشري ويغنيه إلا بقدر ما يدخل عليه من ثروات مشخصة تجعل منا كائنات متآخية في نطاق الحرية (١١) .

لنا تحفظ آخر على رأي برجسون : من الصعوبة بمكان أن نضع الملكية الفردية والملكية الجماعية على صعيد واحد ، كما في (المنبعان) . أن الحروب « الحتمية » و « الطبيعية » التي يتحدث عنها برغسون توجد في الواقع ، ولكن لا تفهم إلا في ترابط مع مصالح متعارضة ، داخل بيئة تسود فيها الانانية ، فتفتك الأخلاق . فكما قال (سان سيمون) : « لم يعد الإنسان يتفعل وجدانيا إذا خوطب قلبه ، بل يتفعل كلما رأى أن ثروته في خطر » (١٢) . وعلى العكس من ذلك ، بانقراض حرب المصالح المتعارضة يصير كل الناس شركاء ، ولن تعود مزاحمة ولا معاداة . اظن أن « الزكاة » ، في الإسلام ، قد شرعت لهذه الغاية : تأكيداً وتأييداً للمشاركة والمنافسة لا للمزاحمة . نجد في (المنبعان) نقطة أخرى تستوجب المناقشة .

عندما أثبت (برغسون) أنه مقدر على الإنسانية ، بمقتضى طبيعتها ، أن تملك ، استنتج أن « الحرب أمر طبيعي » ما دام القصد متبعاً للحروب . لا يرى على أي مبدأ يعتد ليقرر وجود هذه الحتمية القدرية التي تسير عليها الطبيعة الإنسانية . فعلى العكس ، أن أرضاء حاجياتنا هو الذي يمكنه أن يتصف بالأولية والضرورة ، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً . فليس من قبيل المستحيل أن تكون لنا أنماط خارجية ، فيمكن أن نجد

منضوون في اشتباكات جهنمية ، حيث تسود معايير المنفعة وحدها كهدف موجه لسلوك الإنسانية ؟ نعم حرب المصالح حرب مقنعة لا تعرف هوادة ، وتبر بعدة مراحل : من الصراع البارد الخداع ، إلى الصراع الحار حيث لا يتورع عن أي أجراء ، ولربما أثار ذلك حروباً عالمية ، حقاً ، غالباً ما تقع اصطدامات ، حتى بين الأقارب في الأسرة الواحدة ، من جراء المزاحمة الاقتصادية ، وهذه الصراعات ، في بعض المستويات ، تتحول إلى صراعات قوية .

كل ذلك شيء حقيقي اليوم ، كما كان حقيقياً في الماضي . « الباذة » (هوميروس) تمثل فصلاً من المشكلة الدائمة ، مشكلة المضايق والطرق الرئيسية للمبادلات الاقتصادية (١٠) . أنها انعكاسات للصراعات الداخلية ، في القرن السابع قبل الميلاد ، بين المدن الإغريقية التي كانت تتزاحم من أجل احتلال القواعد العسكرية ، والأسواق الاقتصادية ، في آسيا الصغرى ، والسيطرة على ممرات (البسفور) . تظهر (الإلياذة) العواصم الإغريقية الصغيرة وقد أصبحت إمبريانية ، تحت تأثير المزاحمة الاقتصادية ، حتى اضطرت لأن تندفع في سياسة توسعية في « ما وراء البحار » : فالاله (زيوس) قد قرر حرب (طراودة) للتخفيف عن الأرض مما يثقلها من السكان . من الممكن أن نقول نفس الشيء عن (الأوديسا) : إنها تاريخ حملة للسيطرة على التصدير . هذا ما يقسر غزو الطرق البحرية والمرتات والموانئ التي تصل إلى المناجم ، في (إيطاليا) من جهة ، ومن جهة ثانية في (القوقاز) حيث توجد المعادن الضرورية لصناعة الأسلحة . لقد اعتمد (هوميروس) على هذا الأساس الواقعي المتصل مباشرة بالحياة الاقتصادية عند الإغريق ، ليطلق خياله يفسق خصوصاً شطرية واسطورية .

التقرير بالارقام . ان ذلك تغيير في التصميم أو الشكل ، وليس تغييرا في البنية والتوتر ، اذ الحدس والاعتبارات الرومنطيقية والاستبطان تركيبات فرضية لا تنقل في ذلك عن الاستنتاجات الرياضية - المنطقية . فلكي يؤدي علم الاقتصاد السياسى المهمة المثقاة عليه ، يجب أن يعيد النظر في اهدافه ومنهجه ، وأن يبذل جهده أيضا ليصبح فلسفة علمية ، ويتشرب ، حتى اعماقه ، بنزعة انسانية مفتحة واقعية .

هكذا اذا ما تأنسن علم الاقتصاد لن يعود تبريرا للوضع الراهن ، أو لفكرولوجيا نظام قيم خاصة بفترة من التاريخ ، ولكنه سيصبح علما حقيقيا . ولكي يكون علما موضوعيا همه أن يعكس ، بأمانة ، الواقع في كل تغيراته وفي نسبته ، عليه أن يخضع لصالح مجموع الانسانية .

٢ - المزاحمة هي منبع الشر

بدا لنا أن تفكير (برغسون) مستوحى من نظرية (مالتوس) ، وأن كان تفكيرا يمتاز بدقة أكثر ، بالرغم من كون أدلته ضعيفة بالنسبة للدالة المالتوسية . يكتفى (برغسون) بأن يلاحظ أن عدد سكان العالم قد تضخم تضخما مفرطا ، وأن الحروب ، في العصر الحاضر ، مرتبطة بالطابع الصناعى الذى تتسم به حضارتنا (١٣) .

ثم يتساءل بشيء من التشاؤم : « ما اذا نفعنا اننساق مع الخوف ، أم نتعلق بالأمال ؟ فلطالما سمعنا أن التصنيع والآلية قد تحققان سعادة الجنس البشرى . أما الآن ، فمن الممكن أن ننسب اليهما كل ما نعانى من شرور » (١٤) .

مثل هذا الاتهام الذى يوجهه (برغسون) للجهود الصناعية ، وبالتالى الى قدرة العم المستعدة

عن نظام الاقتصاد الموجه وعن نظام الاقتصاد الحر ، يتوافر فيها ارضاء حاجتنا ، وتسان فيها كرامة الانسان . من الممكن أن يقوم نظام ثالث لا يرفض الملكية الخاصة ، ومع ذلك يتجاوز مبدأ المزاحمة أو يرفضه . هذا النظام لن يقضى على كل المبادرات الفردية ، ولن يمنع من التوفير لصالح اقتصاديات الأسرة ، بل يفتح المجال لاجهزة اقتصادية تعيد الى المجتمع الثروات التى تستغلها الاقلية على حساب جهود الاغلبية ، ولن يتحقق ذلك الا في نظام لا يحصر مطامح الفلسفة الاقتصادية في مجرد احصائيات ، كما يفعل بعضهم اليوم . ان الاحصائيات ضرورية ، ولكنها غير كافية ، حتى من جانب المنهج . انهم يحملون الاحصائيات اكثر من الواقع ويقولونها اكثر مما تعنى : يدخلون عليها تعديلات ، ويعرضون عن العناصر غير المواتية لتأملاتهم في المعطيات التى لا تقبل التعداد ، نظرا لاهتمامهم المفرط بالتنسيق الاختيارى والاختيار النسق . علم الاقتصاد الحقيقى يجب ألا يسرف في الخضوع للاتجاه العلمى الذى يرد كل شيء الى الرياضيات والظواهر الطبيعية ، حيث تستعمل الارقام للتظاهر بالموضوعية ، فتسمى وكأنها انعكاس باهت لخطاطات باردة ، جامدة لواقع جاف . في هذه الحالة ينحصر دور الاقتصاد في تجميع الارقام وكأنه مجرد آلة حاسبة . يستنجد دائما علم الاقتصاد التقليدى بالبراهين المجردة والاستنتاجات ، فلا تبنى الحقائق الاقتصادية الانظريا وعلى فرضيات تتعلق بطبيعة بشرية مقتبسة من سيكولوجيا الاستبطان . أما بعض الاقتصاديين المعاصرين ، باعتمادهم على الاحصائيات لمحسب ، فاتهم يقيمون ، الى جانب الاقتصاد التقليدى ، اقتصادا يعتمد على الرياضيات ، يعنى أنهم في حالة ما اذا تجاوزوا ، في ميدانهم ، مرحلة التدبير بالكلمات انتقلوا الى

الملكية والمزاحمة

يقول (جولييان هكسلى) : « من الاهمية بمكان ان نتذكر ان تاريخ الانسانية هو، في جزء كبير منه ، تاريخ الصراع بين الوحدات الجماعية . وعندما استطاعت اقلية من تلك المعاصر ان تنفلت من التسابق نحو المزاحمة ، وعندما تخصص طاقاتها وثرواتها في تنظيم المعثر وتحسين حياة افراده ، عندئذ ، كما هي الحالة في (الدانمارك) انصبت الطاقات والثروات في مجرى التقدم الحقيقى » (١٥) .

اذا كانت الحرب ، كما أوضحنا ، تتولد عن المزاحمة ، اليس من المستحسن ان نقيم ، بدلا من ذلك النظام نظاما يمتاز بتضامن جماعى ، حيث تنعدم أسباب الصراعات والحروب بانعدام المزاحمة ؟

جواب الشخصانية ، طبعا ، ايجابى دون اى تردد . ف (امانويل مونييه) كرس حياته ، كمكافح شخصانى ، على حل هذا المشكل . لقد التزم بكامل العزم على : « ان يحرر الفكرة الحديثة للملكية من النفاق وسوء التفاهم اللذين أضفتها الليبرالية والراسمالية ، محاولا ان يبرز المفهوم المسيحى للملكية الانسانية » (١٦) . وبالإضافة الى توازن القوى والمصالح الذى يسعى اليه رجال الاقتصاد ، تبدل الشخصانية جهدها ، بالدرجة الاولى ، لايجاد حل للمشاكل التى تطرحها ، حاليا أمام الوعى الانسانى ، العلاقات الناجمة عن ذلك القوى والمصالح . ومن جهة أخرى تحاول الشخصانية ان تقضى على مخلفات نظام المزاحمة الاقتصادية ، من اضطراب معنى وعدم اتزان نفسانى . يخيل لنا ، خلافا لما رآه معظم رجال الاقتصاد ان جانب المأساة، فى مشكل الملكية اخلاعى ، بقدر ما هو اقتصادى، بل قد يكون

لها ، يلتقى بنا فى حيرة مقلقة . اليس النمو الالى هو الذى جعلنا نسيطر ، اكثر فاكثرا ، على الطبيعة ؟ انه اتهم من شأنه ان يشككنا فى قيمة تقدم العلم الذى نعلق عليه كل الآمال فى التحرر الفعلى . فالجهد الصناعى لامحالة وسيلة من اتجع الوسائل للتخلص من نير الطبيعة والضرورة، كلما احسن استعماله : الآلة تقوم مقامنا فى الاشغال التى تتطلب جهدا كبيرا ، وتتمى قدرتنا الانتاجية ، وتسهل المواصلات والاتقاء بين مختلف انحاء العالم ، كما تساعد على توزيع عادل للثروات . وبمجرد ما تصبح الاجهزة الآلية رهن تصرف الجميع ، يمكنها ان تساعدنا على التحرر وتجعل من الاخلاق المفتوحة واقعا حيا . ينبغى الا ينحصر دور المشتغل بالاخلاق فى صب اللعنات على التقدم التقنى الذى يعتبر أساسا للتقدم فى الميادين الأخرى . على الاخلاقيين ان يقوموا باستنكار الوسائل المستعملة لاستثمار خيرات هذا التقدم . فعوضا من ان نبدى تخوفات من الحرب ومن الاعتقاد بأنها شئ مقدور حتما ، وعوضا من ان نعيش فى جزع دائم ، معتقدين ان الحرب غريزة عميقة فى الحضارة الحالية ، يجب علينا ان نبحث عن الوسائل التى تمكننا من اجتثاث هذا الشر .

حقا ان المزاحمة الاقتصادية جذر من الجذور المظرة التى اشرنا اليها من قبل : تدفع المزاحمة الى العدوان ، لان كل واحد منا يشعر وكأنه ملقى به فى هذا العالم ، دون اعانة خارجة عن قواه الذاتية ، ومحتم عليه ، لكريض من نصيبه من هذه الحياة ، ان يكافح ضد الآخرين . لكن ، الا يتحتم علينا ، اخلاقيا ومنطقيا ، ان نصارع مع الآخرين فى سبيل تراث واحد ، ونتحقيق مصير مشترك ؟

ما قد جعلها هناك . فالسياق المعكوس للتقييم الذى يجعل الأشياء فوق الشغل ، ويخضع الإنسان لمصنوعاته ، سيتوقف عندما تنتقل المبادلات الاقتصادية من وضع المراحة العمياء والصراع الدائم الى نظام تعاونى بين الافراد وبين البيئات . إذ ذاك سينتهى تأليه الأشياء المصنوعة ، ونعود الى تقييم وتقديس الفكر الإنسانى الذى يصنع تلك الأشياء . وحينئذ ، عوضاً من أن يتخلى الشغل عن الفعاليات الشخصية ، يصير وظيفة ومنبعاً لسرور ، فيخرجنا من الشعور المشيىء النعس ، ويرفعنا الى مستوى الشعور المنسجم مع ذاته ومع العالم .

هكذا سيبقى الأشياء ، سواء منها ما كان ممتلكاً أو غير ممتلك ، ضمن مجموع الخيرات المشتركة المسخرة (والتي لم تسخر بعد) لارضاء حاجيات الكائنات البشرية .

من الحاجيات الأكثر أهمية ، تلك التى تتجلى عن رغبتنا الملحة فى التملك . فبالشئ الخاص الذى هو ملك « لى » يتخذ قيمة بقدر ما يمكن « لى » من قدرة بفضلها أصبح مالكا للأشياء ، ومتحدداً مع الآخرين ، ضد الأشياء ، للاستيلاء على أشياء أخرى . هذه السيطرة تؤنس الطبيعة ، وبذلك تحررنى .

هناك حاجة أخرى ملحة ، قد توسع فى تحليلها (هيجل) ، وهى أن يعترف لى من طرف الغير . (١٨) فبالنسبة لى ، أن المكية تكتسب قيمتها بوصفها ملكاً لى ، ويكون الآخرون يعترفون بذلك دون مشاركة منهم فى تملكى .

الواقع أن الاعتراف بى من لدن الآخرين يثبت ، فى نفس الوقت ، مساواتى بهم جميعاً ، وهذا بالطبع مخالف ، كل المخالفة ، لاعتصافى وانفصالى

جانب الاخلاق فيه أكثر . لقد وجدت نظريات شريعة واقتصادية للملكية ، ومازالت هذه النظريات تتزايد وتتضخم ، الا ان الذى نفتقر اليه هو علم جديد يعتمد على مبادئ لاخلاقية جديدة .

تهتم بعض الديانات ، كما يهتم بعض الاخلاقيين ، بمشكل الملكية ، ولكنهم ، عندما يحاولون أن يتجاوزوا المبدأ القانونى ، يقتربون من الزهد والصوفية ، بدلاً من أن يلتصقوا بالجانب الواقعى للمشكل . وهكذا يلتفتون ، عن طريق عكسى ، بمواقف رجال الاقتصاد المتطرفين ، فيها يتعلق بالنتيجة المتوخاة .

ان الاضطراب لا ينجم عن العندية ، عن الملكية بوصفها تملكاً ، أى مجرد حيازة أو تمتع بشئ ما ، بل ينجم عن المزاحمة التى تشمل مختلف أشكال التملك . فالكائن البشرى ، عندما يكتسب شيئاً ، يتسع افقه ، وتمتد شخصيته فى عالم الأشياء ، على مدى العندية . هنا يلزم أن تتدخل فكرة عزيزة على المفكرين اليونان ، وهى : « الحد الاوسط » أو « الاعتدال » (١٧) . يجب أن نعرف كيف نمتلك الشئ دون أن نتركه يستعبدنا ، وأن ندمجه فى افقنا بحيث يبقى بعيداً عن الجوانب الذاتية العميقة منا . فبالشئ الممتلك ، كثيراً ما يعمل على تحطيم الحركة المشخصة فى سيرها وعلى تقليص الشخص الى مجرد انسان — اقتصادى Homo

ae cosmic لا تحركه سوى مصالحه المباشرة فالشئ الممتلك يحاول تجزئة الشخص ، من جهة الى عالم الأشياء الممتلكة أو القابلة للتملك ، ومن جهة أخرى الى عالم النشاطات الفكرية والانسانية بوجه عام ، مع تغليب كفة عالم الممتلكات . فكل شئ يظهر كعالم منغلق على أن الأفراد لا توجد فى الأشياء إلا لان كائننا بشرياً

الملكية والمزاحمة

اولئك الذين لا يملكون موائىء ولا يستغلون مستعمرات . صرح (جول فرى Jules Ferry) في خطاب القاه ، في ٢٨ يوليو عام ١٨٨٥ بمجلس النواب ، أن السياسة الاستعمارية تقوم على ثلاثة أسس اقتصادية ، وسياسى ، وإنسانى . « من الناحية الاقتصادية ، لماذا المستعمرات ؟ لان التغلب على الازمة التى تمر بها الصناعة الأوروبية يتطلب تأسيس مستعمرات لتصبح سوقا للتصدير (٢١) » .

اجعلوا ، حدا للمزاحمة ، على الصعيد القبلى أولا ، فالوطنى ثانيا ، ثم على الصعيد العالمى أخيرا ، تتوقف الاداة التى تبذر الصراعات والحروب ! هنا ، على ما يبدو ، يوجد ميدان خصب لرجل الاخلاق ، اذا ما أراد أن يركز اخلاقية التملك على عمل ينسجم مع أوضاع المجتمع المعاصر .

غالبا ما تعتبر المزاحمة من الانظمة التى تمتاز ، أكثر من غيرها ، بالحرية . ليست شعراتها هي : « الاقتصاد الحر » ، و « التبادل الحر » ، و « المشاريع الحرة » ، .. ؟ لكل واحد « الحق » فى أن يستعمل كيف يشاء ، ما يملكه ، وأن يتصرف فيه الى أبعد حد . فحسب التعريف الذى كان الرومانيون يعطونه للتملك : لئلا الحق فى أن يستعمل ، أو أن يئذر ، أو أن يدمر ما يملكه من اشياء وكائنات ، دون أية معارضة اطلاقا .

قد يبدو ، لأول وهلة ، أن هناك حرية ما دام القانون يجيز للتملك حق تبذير ثرواته . لكن ، قبل أن يقوم المرء باستعمال أو تبذير الثروات ، يجب أن تكون له ثروات ، وفي هذا أول تحديد بالنسبة للأغلبية الساحقة من الناس . فنظام المزاحمة سيقتى غير انساني مادام لا يسمح

منهم . ان هذه المساواة بين الاشخاص المعترف بها من الجميع للجميع لن توجد فى بيئة لا تبقى فيها الحرية ضئيلة وموقوفة على اقليات محظوظة .

ان (برجسون) اكتشف الشر ، الا أنه لم يكشف النقاب عنه الاجزيا . قد اتضح له جيدا أن العنصرية المعاصرة مهددة بالحروب الا أنه جعل الملكية هي العلة الاولى للحرب . فلماذا يعتبر الملكية سببا للحرب ؟ فى هذا السؤال عقدة المشكل .

يجيب (برجسون) بأننا ، وان لم نكن مهددين بالموت جوعا نميل الى اعتبار الحياة عديمة الفائدة « اذا خلت من الرفاهية والتسلية والترف ونعتبر الصناعة الوطنية مقصرة اذا كذلت لنا اسباب الحياة فقط ، دون وسائل الغنى . كل أمة لا تتوغل على موائىء ضخمة ، ومستعمرات تشعر بنقصان فى قيمتها ... (١٩) » .

كل هذا صحيح ولكنه لا يفسر لماذا « الموائىء » ولماذا « المستعمرات » . قديجيب (برجسون) أن السبب هو حب الترف والكماليات الذى ينمو باستمرار ، فى مجتمعاتنا الصناعية (٢٠) ذكرنا من قبل أن العصور القديمة عرفت هي أيضا ، الحرب من أجل الموائىء والمستعمرات مما يثبت أن الحرب ليست شيئا يتميز به المجتمع الصناعى . فمسؤولية تلك الظاهرة تقع بالاحرى على نظام المزاحمة . عندما تبنى السوق الداخلية مشبعة ببضاعة ما ، يجبتصدير الفائض . فالسيطرة على الموائىء تساعد على التعامل التجارى وتضعف من قوة المزارعين . اما المستعمرات فتزود المستعمرين بالمواد الأولية ، والايدي العاملة بثمن بخس . هكذا يصبح سعر التكلفة منخفضا بالنسبة لجميع المنتجات ، فتؤدى المزاحمة ثمارها على حساب

الماركسيين ، فيما يخص نظريتهم في الاقتصاد السياسى ، لم ينسوا ، منذ قرن ، شيئا من اتجاهات متقدمهم ، ولم يضيفوا إليها شيئا جديدا . هذا ما يميز أزمة الاقتصاد : التحجر والتجهد . فمن طبيعة أى علم (والاقتصاد لا يستثنى من هذه القاعدة) أن يعيد النظر دائما في مكوناته ، وأن يراجع مناهجه ويناقش نتائجه . ان المفكرين (الذين تعثروا في هذه النقطة من التفكير السياسى) قد وجدوا في نظام المزارحة الاقتصادية ازدهارا للحرية الشخصية ، باعتباره معارضا للاقتصاد الموجه الخاضع للدولة . ويحلو لهم ، كذلك ، أن يقابلوا بين نظام المزارحة والنظام الاشتراكى الذى يتميز ، في نظرهم ، بالغاء الملكية . الواقع ان النظام الاشتراكى ، منذ جمهورية (أفلاطون) حتى حملات (برودون) على الملكية ومن (برودون) الى اليوم ، قد تطور تطوراً كبيراً ، فليس هناك « اشتراكية » ، بل « اشتراكيات » (٢٤) .

الاشياء القابلة للامتلاك على نوعين : من جهة ، وسائل الانتاج (المصانع والآلات) ، والثروات الطبيعية (كثفحم والبتترول والمعادن ومساقط الماء ..) ، ومن جهة أخرى ، مواد الاستهلاك (تغذية ، ملابس ، مساكن ، ...) ان المزارحة تشمل جميع هذه الاشياء : نتصارع لامتلاك اكبر متسع من الاراضى الزراعية واكبر عدد من الدور ، ونصارع لنجعل مبالغ دخلها اكثر ما يمكن . وكما انه لا تحديد للملكية ، مطلقاً ، فالمزارحة لا تقف عند أى حد ، مطلقاً . فنبسطاع فرد واحد ، او جماعة ، ان يملكو المعمل ، ووسائل نقل البضائع ومناجم الفحم الحجرى ، والمواد الغذائية ، والملابس . فالاشتراكية من (آدم سميت) و (برودون) ، وعلى الخصوص منذ (ماركس)

لجميع بتحقيق الحد الأدنى اللازم من الملكية الخاصة . يقول (برجسون) : اننا نلاحظ ، تمام الملاحظة « ان (الميكانيكا) وجهت عقاربها المحركة توجيهها غير سوى ، فاندفعت في طريق لا يوصل ، أخيراً الا الى رغد العيش المبالغ فيه ، وإلى الترف لفائدة اقلية من الناس ، عوضاً عن تحرير الجميع (٢٢) . »

ان المحرومين من الملكية مدفوعون ، دائماً ، الى الصراع للتغلب على العوائق التى يصادفونها في كل مكان ، والتى ليست الا حواجز يقيمنها الملاكون ، اكثر فاكثراً ، لحماية ممتلكاتهم ، وللقضاء على كل مضايقة ممكنة . فان كانت المزارحة تبدو حرية بالنسبة للبعض ، فهى في الواقع تعوق تحرر الاغلبية . وعوضاً عن أن يكون المعمل امتداداً للعامل ، نرى أن العامل غريب عما يعمل ، وأن نتائج العمل تخص فرداً آخر ، ذاك الذى يملك وسائل الانتاج .

ربما كان (هيجل) هو من أعطى احسن وصف لهذا « الشعور المزعج » ولتمرد الشخص الذى يجد نفسه خاضعاً لسيطرة الاشياء والمال .

لقد بذل الماركسيون جهوداً كبيرة في هذا السبيل ، بفكر اكثر موضوعية وواقعية من (هيجل) . غير انه ، اذا كان الاتجاه الاقتصادى الكلاسيكى قد وقع في هاوية من « الوثوقية » الضيقة العقيدة ، واذا كان الاقتصاد السياسى الحديث يعانى ، منذ مدة أزمة خطيرة ، فان وجهات نظر الماركسيين قد تجهدت ، هى ايضا ، بالرغم عن انطلاقاتها . من بين ما حققته الماركسية ، كما يلاحظ (مارشال) : (٢٣) « انها حثت خصومها على البحث ، وأحييت التاريخ ، ووضعت اسساً لتفسير دينامى عام » . ولكنها قد آلت اليوم الى تجسيد لفكر الانسانى . يمكننا أن نقول أن

الملكية والمزاحمة

المزاحمة قديمة ، ولكنها لم تبلغ أبداً مثل هذا الانتشار الذي بلغته اليوم ، ولم تصبح قوة مخلة بالحياة العامة إلا منذ ظهور التصنيع الكبير . بدأ (آدم سميث) في أواسط القرن الثامن عشر ، بدراسة العلاقة بين الثروة والعمل . فمن الواضح أن الأرض لا تعطى إلا لمن يحرثها ، وأن الصناعة والتجارة ترجع كلها ، في الواقع ، إلى نفس المصدر : الشغل . أن الثروة ، هي الانتاج . وقد استوحى من نظرية (سميث) كل من (هيجل) و (برودون) . إذا كان الشغل هو مصدر الثروة ، إلا يجب عليه أن يضمن للعامل حريته الاقتصادية ؟

يجيب (برودون) : بشرط أن يجد العامل في إنتاجه معاشه الحاضر ، ويضمن له هذا المعاش ، في المستقبل مع الاستقلال وأمن اللغد . ما دامت تلك المتطلبات الثلاثة لم تتحقق ، فإن العامل لن يتحرر بعمله (٢٨) . لقد وفق ابن خلدون حينما عرف ، في (المقدمة) ، العمل بأنه أولاً معاش ، يعنى جهوداً بواسطتها يحصل المرء على قوته ، وبعد ، فعندما يضمن الثروت ، تصير وظيفة الشغل عاملاً مجتمعياً ، أى وسيلة لازدهار الاقتصاد الوطنى . فتحدد ابن خلدون لمعنى الشغل ، على هذا الشكل ، يمكننا من أن نعتبر أن العمل يجرى العمال ، ويسمح لهم ، في مرحلة ثانية ، من تحرير المجتمع .

يؤدى رب العمل اجرا محدوداً للمستخدمين ، مقابل عمل يؤدونه ، ثم يبيع ذلك العمل بثمن يعوق ثمن التكلفة . هكذا يحرم العمال من حقوقهم في الاستفادة من الأرباح التى يحصل عليها رب العمل بفضل جهودهم . وهناك ، بالإضافة إلى هذا الربح ، ربح آخر لا يقل أهمية عن الأول : فائض — العمل الذى يتولد عنه فائض — انقيمة ، وهو فائض لا ينتفع به سوى رب العمل . لاحظ (برودون) ، عندما حل مشكلة فائض —

و (انجلز) تنزع إلى إعادة تقييم الشغل وتحديد الملكية الخاصة ، في مواد الاستهلاك (٢٥) أما وسائل الانتاج فتبقى ملكاً للدولة .

يرى الاشتراكيون أنه ، بهذه الطريقة ، يمكنهم أن يجدوا حلاً لما سماه (هيجل) بمشكلة « الشعور البائس » لدى العامل المنفصل عما يصنعه . أن العمل يستبعد العامل ، في حين أنه من اللازم أن يجد العامل نفسه في عمله ، فتعكس الآثار صانعها ، وتحرره . لكن ، يؤكد (ماركس) و (انجلز) بأنه لا داعى لازالة الملكية الشخصية التى هي ثمرة قيمة الشخص وعمله ، « لأن التقدم الصناعى سيقضى عليها ، أو هو في طريق القضاء عليها » (٢٦) .

من النديهي أن الملكية الفردية (في شكلها العتيق) سائرة نحو الضعف ، ولربما نحو الاضمحلال . بيد أن هذا الوضع ، خلافاً لما قاله (ماركس) و (انجلز) ، لا ينجم عن « التقدم الصناعى » ، بل عن نظام المزاحمة . حقاً ، أن الصناعة الكبرى الثقيلة أعطت حدة لشوكة المزاحمة ، وجعلتها أكثر ضغطاً وأكثر تنظيمياً . لقد فتح التقدم الصناعى آفاقاً ، جد شاسعة ، أمام المزاحمة بتوجيهها أكثر فأكثر عمقا .

ومن جهة أخرى ، تحاول الماركسية أن تبرز « البنية التحتية » (infrastructure) ولكنها ، على ما يظهر ، قد انخدعت بظهور يتصل بـ البنيات الفوقية « (superstructure) لأن المزاحمة هي ، في نفس الوقت ، الجهاز المتحرك ومنبع الاختلال الذى يعوق الحركة المحررة للإنسان . غنى هذا النظام بالضبط ، يكون العمال غرباء عن أعمالهم لأنهم « مرغمون على أن يبيعوا أنفسهم كل يوم : أنهم بضاعة ، مادة تجارية كغيرها من الأشياء المعروضة للبيع أو الاستئجار ، فهم ، تبعاً لذلك ، يعانون كل تقنيات المزاحمة وكل تحولات السوق (٢٧) » .

ولكى يحصل كل عامل على أجره كاملا ، لقاء عمله ، يجب أن تكون وسائل الإنتاج ملكا مشتركا للمجتمع ، بذلك يتسنى استخدام فائض — القيمة لصالح الجموع (وبطرق غير مباشرة ، لصالح كل عامل) . بهذا لن تنتصب وسائل الإنتاج حاجزا في طريق المنتجين ولن يحصل استلاب .

القيمة (٢٩) : « أن قوة الف انسان يعملون ، لمدة عشرين يوما ، تموض بما يعادل أجره عامل واحد اشتغل خمس سنوات . فهل هذا الوضع عادل ؟ نجيب مرة أخرى بلا . عندما تدفع أجره ، في مقابل الجهود الفردية ، فانك لا تدفع مقابل القوة الجماعية ... » (٣٠) .

(١) ص ٣٠ .

(٢) القبعان ص ٣٠٥ .

(٣) نشر راديو باريس هذه المحاضرة في مجموعة تحت عنوان :

Entretiens Philosophiques, Paris, Imprimerie Mont-Cenis

(٤) انظر محاضرات أكاديمية العلوم الاخلاقية والاجتماعية الفرنسية ج ٧١ ص ١٢٢ .

(٥) انظر القبعان ص ٢٠٩ .

(٦) القبعان ص ٢٩٢ .

(٧) فعنى ايامنا هذه مازال اكثر من مليارين ونصف من البشر يعيشون على تغذية اقل ما تستقره الحياة ، بينما تؤكد التقارير الرسمية ان بعض الدول تعاني اختلالا في نظامها لاقتصادى والسياسى من جراء نفخ الإنتاج النلاشى ، انظر دراستنا :

L'ère de la détraumatisation (le cénacle libanais, Beyrouth 1965).

(٨) ان حكم (تيودى) على (برغسون) بالرغم من انه في عام ١٩٢٢ ينطبق على كتاب (القبعان) الذى صدر في عام ١٩٢٢ .

(٩) انظر (أرسطو) ، السياسة ، الكتاب الاول الفصل الثاني .

١٠. Emile Mireau, les poèmes homériques et l'histoire grecque, (Paris, Albin Michel .

(١١) انظر كتابنا دراسات في الشخصية الواقعية ، الجزء ٢ الفصل ٢ .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) القبعان ص ٢٠٧ .

(١٤) نفس المصدر ص ٢١ .

١٥. Julien Huxley, Essai d'un biologiste, p. 66 (tra. J Costiers, Stok, Paris, 1946)

١٦. Corval, le personalisme de Mounier, l'homme nouveau (n° 31, Paris, 1936).

(١٧) يعطى العالم الفيتاغورى (ارختياس) للسياسة هذا التعريف الذى يبدو انه يميز هذا الحد الاوسط في جميع الميادين « ان السياسية هي مراعاة النسب في حل المشاكل » .

La phénominologie de l'Esprit, T 1, p. 351.

André Marchal, Un demi siècle de pensée économique,

R. Philosophique, nos 10-12, Paris 1954, p. 544.

(٩) القبعان ص ٣٠٨ .

(٢٠) ان روح الاختراع قد فكرت كثيرا من الكماليات

(٢١) الجريدة الرسمية الفرنسية ص ١٠٦٦ .

(٢٢) القبعان ص ٢٢٩ .

(٢٣) كثير هم الذين يؤيدون تلك المعارضة المقنعة ، تجدها مثلا ، نقطة تركيز في كتاب « الشيوعية والمسيحية » للاب

(دوكاتيون) Paris, Plon, Ducailon (n° 31, Paris, 1936).

(٢٤) يجب التاكيد بان المقصود هو « التحديد » لا « الحدف » .

(٢٥) (ماركس) و (أنجلز) بيان الحزب الشيوسى ، ص ٢٢ طبعة باريس ١٩٥٥ .

(٢٦) نفس المصدر ص ١٦ .

Proud'hon, qu'est-ce la propriété ?

(٢٧) نفس المصدر .

(٢٨) ان ما يعادل ١٨٢٥ = ٥ × ٣٦٥ يوما ، وهو ١٨١٧٥ يوما ، يتقاسم رب العمل دون مشاركة العمال في

هذا الربح .

القروض والنقود في مدينة الجزائر أثناء العهد التركي

ان النظام القرضى والجهاز التقدى
للمجتمع يتوقف على ما لهذا المجتمع من ثروات
اقتصادية ونشاط تجارى . فاذا استغلت
الثروة الاقتصادية استغلالا منظما زاد الانتاج
الذى يدفع الى التبادل التجارى ، فتكثر
المعاملات ، ويطمئن التجار وتزداد ثقة الدائن
فى المدين ، وبالتالي تكثر المعاملات القرضية .
والمتبع لثروات بلاد الجزائر فى العهد التركى
يجدها كثيرة الا انها كانت مستغلة استغلالا
فوضويا ، او مهملة فى اكثر الاحيان مما ادى
الى ضعف الانتاج ثم ضعف التجارة سواء
منها الداخلية او الخارجية .

عبدالقادر على حليبي

استاذ بكلية الاداب
- جامعة الجزائر -

التركي عندما ضعفت القرصنة ، وقتل عددا لا يحصى من
الى حوالي ٣١ قطعة سنة ١٨٣٠ منها ١١ قطعة
كبيرة و ٢٠ مركبا صغيرا حسب ما أحصتها الحملة
الفرنسية وتذكر نفس الحملة ان الاسطول
الجزائري المشلول منذ أربع سنوات قد أصاب
بعض وحداته عطب يصعب استصلاحه ولذلك
سمح للجنود باستعمال أخشاب بارجة ومركبة
صغيرة للوقود والتدفئة . وان الصناعة بمدينة
الجزائر ضعيفة للغاية اذ تقتصر على نسج الكتان
والصوف والحريز ، والصباغة والديباغة بالكروش
والتطريز ، وصناعة الزرابي وحصر السمار ،
وصناعة الجلود كالأحذية ، والقلائد ، والحزم
والنقش عليها وصناعة الاتفصال والامرة من
الحديد ، واذابة البرونز والرصاص في ورش
صغيرة ، والنجارة ، وصناعة الأغاليين والوانى
الفخارية بالقرب من باب عزون ، وصناعة الأجر
والجير بالقرب من باب الوادى . وان بمدينة
الجزائر مطاحن للحبوب تديرها البغال داخل المدينة
وأخرى بحى الطاقار كانت تديرها الرياح قبل
الاحتلال الفرنسي ، وكل هذه الصناعات كانت
لا تسد الا حاجات السكان الاستهلاكية المحلية ،
ولا تصدر منها مدينة الجزائر الى الداخل او الى
الخارج . ولاشك ان هذه الحالة الاقتصادية
لمدينة الجزائر في أواخر العهد التركي كانت نتيجة
لركود الاسطول ، وان ثروة المدينة في أيام ازدهار
القرصنة او في سنوات مطلع القرن ١٧ كانت تختلف
كثيرا عن سنوات مطلع القرن ١٩ اذ كانت مخازن
الدولة في الفترة الذهبية للقرصنة تزدهم ببضائع
الغنية من زيوت وخمور ، وتوابل ، وسكر
وأخشاب وحبال ، وحديد ، واقمشة الى جانب

بضائع أخرى جمعتها الدولة من الداخل عن
طريق الضرائب والاحتكارات ، مثل الاصواف ،
والشمع والحبوب ، والجلود . وقد وجدت الحملة

فجل السكان كانت حرفتهم الرئيسية الزراعة
التي يغلب عليها الطابع المعاشي ، او تربية
الماشية المتروكة ليد الطبيعة ، وجل السكان
كانوا يسكنون الريف ومبعثرين هنا وهناك تحت
الخيام او الاكواخ والديار البسيطة ، اما سكان
المدن فعددهم قليل للغاية ، وأهم وظائف المدن في
هذه الفترة هى الوظيفة التجارية ، وكذلك
القرى الريفية التى كان يتجمع فيها السكان في يوم
موعود من الاسبوع لتبادل المنتوجات المحلية :
الزراعية والحيوانية بالخصوص ، وهى قرى او
مراكز عمرانية كانت تتلاءم وحرمة عدم الاستقرار
اذ الجماعة التى كانت تقوم بالتجارة وتتجمع في
هذه الاسواق هم من الرعاة المتنقلين بين الشمال
والجنوب ، او بين المدن والضواحي ، او بين التل
والصحراء ، وقد حاول النظام التركي ان يشل
هذه الحركة بفرض ضرائب معينة تعرف بالحصّة
على الرعاة ان تنقلوا من اقليم الى آخر . ولقد
كان لاختلاف الحرف بين الرعاة والزراعية ضرورة
التبادل وكان الراعى يفضل في معاملته مع المزارع
المغايضة اى استبدال سلعة بسلعة يدا بيد ، مثل
استبدال الصوف بالقمح ، وقليل ما كانت تدخل
النقود في المبادلات التجارية ، ولم تكن هناك بنوك
للقرض ولا صناديق للائحة . وكانت مدينة
الجزائر من أهم المراكز التجارية الا انها اقل
حيوية ونشاطا تجاريا من مدينة قسنطينة مثلا ،
او تلمسان ، او المدية ، او عنابة ، او وهران ،
ذلك ان التجارة الداخلية كانت تنهبط قدر الامكان
من المكوس وكذلك التجارة الخارجية كانت تقصد
بالخصوص المراكز التجارية التى لا تشهد فيها
المراقبة الادارية والضرائب الجبركية .

ولقد ظلت مدينة الجزائر مدة طويلة من الحكم
التركي تعتمد في تجارتها على ما يرد اليها من
القرصنة ، ولهذا ضعفت تجارتها في أواخر العهد

القروض والتقود في مدينة الجزائر

الادخارات . والرهنية كما اكدها بعض الباحثين كانت سائدة لدى اللاحين بالخصوص . ولم يكن للفلاح ادخار يستعين به وقت الحاجة وبالخصوص الفلاح الذى تعتمد مزرعته على الامطار الكثيرة المذبذبة والعديمة الانتظام ، فزرقة معان في السماء ان جادت هذه او نزل الغيث اطمانت القلوب وجاء الخير ، والا ساد الخوف ، وراح الفلاح يبحث عن من يقرضه لضمان حياته وحياة عائلته وهنا لابد ان يقبل اقترض باى فائدة ، وكثيرا ما رهن جزءا من عقاره للحصول على مال واضطر الى امضاء عقد الرهن تحت وطأة الجوع او شدة الحاجة الى شراء ثورين لحرث ارضه ، وشراء بذوره ، وهى عقود مجحفة ، وقروض قاسية لان العقار المرهون يخرج من حيز المالك الاول الى حيز المقرض او المرهون له وهذا الاخير يستغل الرهينة حتى يعود اليه المال الذى اقتترضه ، وحينئذ فقط يعود العقار المرهون الى صاحبه الاول ، وكثيرا ما عجز المدين عن سد دينه ان توالى عليه الاحداث وحينئذ تباع املاكه او يستولى عليها المرهون له بدعوى عجز المدين عن دفع دينه . ولاثبات هذه الرهينة وعدم التهرب من الوفاء بالمعهد ، ولتأكيد ما نص عليه القرآن (واذا تدانتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه) فان عقود الرهن كانت تدون لدى القاضى الذى تزدهم ادراج خزائنه بمقود الرهن العقارى (٢) .

ولى جانب هذا النوع من القروض دفعت الحياة الاقتصادية العملية ايضا السكان الى نظام الشركات والمساهمة، فيه كان يقرض صاحب المال نقودا الى صاحب رأس المال فى أجل مسمى . كما ان بعض النجار من مدينة الجزائر وبالخصوص اليهود منهم كانوا يساهمون فى تجهيز سفن القرصنة مقابل نسبة معينة من الربح .

الفرنسية فى مخازن الدولة بالميناء قليلا من الحبوب والملح والقمشة وحوالى ٦٩١٨ قنطارا من الصوف فى دار الداى بالقصبة ، معدة للتصدير .

والتبع للتيارات التجارية الداخلية ببلاد الجزائر طيلة العهد التركى يلاحظ فى المقارنة التجارية الإقليمية ان التجارة الداخلية كانت نشطة بين مدن الشمال والجنوب اكثر منها بين مدن الشرق والغرب . وهذا يعود الى اختلاف المنتج بين الشمال والجنوب ، وتشابه المنتج بين الشرق والغرب ولهذا كانت العلاقات التجارية بين مدينة الجزائر ومدينة قسنطينة مثلا اضعف من العلاقات التجارية بين الجزائر وغرداية ، اما اذا قارنا العلاقات التجارية الداخلية لمدينة الجزائر خاصة ببقية الاقاليم الجزائرية فنلاحظ انها كانت ضعيفة للغاية ، وقد نتج عن هذا الضعف التجارى والانتجى انخفاض الضمانات التجارية والاحتياطات المالية والقوة الادخارية ، وقتت القروض وارتبت الثقة النقدية لدى المجتمع ، رغم محاولة بعض التجار من اليهود وبعض الكبراء من النبائل والاثرياء من رجال الادارة فى بعض الاحيان ضمان القروض فى البلاد وتسهيل عمليات الدفع .

ولم يكن فى هذه الفترة التى ركز فيها النشاط الاقتصادى بصفة عامة توجيه اجتماعى نحو حل مشئلة الربا ، ولم يكن المجتمع فى حالة تقدمية تمكنه من التمييز بين الربا والاستثمار ، حيث ان الربا فى شكلها المعروف حرمها الاسلام (واحل الله البيع وحرم الربا) كما حرمتها بقية الديانات السموية لان فيها قرض مقابل فوائد مجحفة على عكس الاستثمار وهو القرض للتنمية مقابل فوائد ناتجة عن تنمية رأس المال المقروض .

ولعل اهم انظمة القروض التى كانت سائدة بين افراد المجتمع هو نظام الرهنية الناتج عن عدم

ونتيجة لهذا الضعف الاقتصادي بصفة عامة والتجاري بصفة خاصة فإن وسائل المبادلات كانت ضعيفة أيضا ، إذ كانت تجرى في بعض الأحيان على شكل المقابضة أو مبادلة سلعة بسلعة أخرى كما سبق كذلك لقلّة ثقة المجتمع في فعالية الأوراق المالية . وفي بعض الأحيان كانت تسدد الديون التجارية بواسطة النقود المعدنية وهي أهم طرق المعاملات وأكثرها انتشارا بين أفراد المجتمع وبالأخصّص المجتمع المدني ، واستعمل تجار سكان مدينة الجزائر الأوراق المالية من سفانج وكبيبات وحالات لتسديد الديون منذ القرن العاشر الميلادي أي قبل أن يستعملها الأوربيون بعدة طويلة إلا أن عدم الضمانات الكافية للتسديدات جعلت السكان يفقدون ثقتهم في العهد التركي في هذه الأوراق المالية . ونتج عن ذلك ندرتها والامثلة على ذلك كثيرة نجدها في مراسلات الشركة الفرنسية Compagnie Royale d'Afrique

التي كانت لا تتعامل مع المواطنين إلا بعد أن تجمع ما يكفيها من النقود المعدنية . وكثيرا ما كان مدير الشركة المذكورة يلجأ إلى السدأ أو لرؤساء القبائل أو لرجال الإدارة لإجبار التجار على قبول السندات والأوراق المالية ، إذ التجار الجزائريون كانوا يفضلون النقود المعدنية وبالأخصّص النضية أو الذهبية على الأوراق المالية ، بل رفضوا الأوراق المالية الأجنبية التي مقدوا فيها ثقتهم بسبب عجز حامل هذه الأوراق عن استيفاء دينه أو الحصول على نقوده المعدنية في أغلب الأحيان . وبالتالي فإن التسديدات المعدنية عن طريق الأوراق المالية في التجارة الداخلية والخارجية بالأخصّص كانت محدودة للغاية . وأليك إحدى السندات المالية لسنة ١٨٢٠ فيه أحالت شركة الباسيتيون الفرنسية ما عليها من لوازم لبأى تمنية على أحد تجار مدينة الجزائر يعرف بابن المراتب الذي تمهد

بخله ، على ورقة ، أن يسدد ما على الشركة للبأى مقابل أن تسدد الشركة ما عليه من دين في مرسيليا ناتج عن استيراده لسلع فرنسية ، وهذا نص الورقة المالية بتصرف : الحمد لله ، أشهد على نفسي باستلام ثلاث كبيبات مجموع قيمتها ٤٠٠٠ فرنك من كنشليارية (ديوان) فرنسا مسحوبة على مرسيليا بفائدة ١٣ صودي ونصف للريال الدرهم الواحد مما يحمل إلى مجموع ٥٩٣٦٠ ريال درهم . في ٢٧ جوماد الثاني سنة ١٢٣٧ . على أنني سادفع هذه القيمة المذكورة إلى بأى الشرق في شهر رمضان . كتبه عبد ربه (الأمضاء) انتهى . هذا نوع من الأوراق المالية القليلة في تسديد ديون التجار بالجزائر . أما الأنظمة السائدة فكانت للنقود المعدنية . وقد حازت النقود المعدنية ثقة سكان مدينة الجزائر منذ القديم كما تؤكد الآثار الفينيقية . وفي العهد الإسلامي كانت النقود المعدنية لمدينة الجزائر تتبع الدولة الحاكمة وعواصم أقطار المغرب العربي التي تداولت الحكم لهذه المدينة التي لم تكن لها سكة خاصة بها إلا بعد أن استقلت إدارتها عن إدارة المغرب الأقصى والأدنى . وبعد أن دخل الأتراك إلى الجزائر واستقلوا بالبلاد ، جعلوا من مدينة الجزائر عاصمة الدولة وضربوا بها السكة التي كانت تحمل في أحد وجهيها : ضرب في جزائر وتاريخ الضرب ، وفي الوجه الثاني اسم السلطان العثماني مثل عبارة سلطان البرين وخاتمان البحرين السلطان محمود خان عز نصره . وأوكل الأتراك مراقبة النقود إلى موظف سامي عرف بأمين السكة الذي يشرف على اليهود الذين يقومون بصك النقود في دار اسمها دار النقود بالقرب من قصر السلطان أي بالقرب من جامع كشاوة حاليا . وكان الديارات يصكون النقود من الذهب والنفضة أو المعادن النفيسة التي يجمعونها

النقود المغشوشة طردت النقود الجيدة . والذين كانوا يقومون بتزوير هذه النقود يوجدون في الخارج والداخل ، منهم في اسبانيا واطاليا وفرنسا ، اما في الجزائر غاهم منطقة اشتهرت بتزوير النقود في العهد التركي هي منطقة جبال جرجرة ، وكانت قبيلتان اشتهرتا بصناعة النقود هي قبيلة آيت الاربعاء وقبيلة على خروية . وسكان القبيلتين كانوا على دراية كبيرة ومهارة فنية في الصناعات الحديدية، فهم لم يشتهروا في صناعة النقود فقط بل اشتهروا في صناعة الاسلحة النارية ايضا ، وقد ساعدتهم على ذلك توفر المادة الاولى من حديد ورصاص وفضة في مناجم عديدة مجاورة لهم، منها منجم جبل مسيبا الذي كان يزخر بالخامات الفنية في معادنها . وحتى لا يكتشف امرهم في تزوير النقود فان الصناع من قبيلتي آيت الاربعاء وعلى خروية كانوا يولكون صرف منتوجاتهم في الاسواق الداخلية الى تجار قبائل اخرى مجاورة لهم مثل بنى بنى ، وبنى مغيلة ، وبنى بودرار ، وبنى وصيف ، ولم يكف هؤلاء عن التزوير الا بعد دخول الفرنسيين الى الجزائر واقتفاء آثارهم ومعاقبتهم معاقبة شديدة .

واهم انواع النقود المعدنية التي كانت متداولة بين سكان الجزائر هي النقود الفضية اما النقود الذهبية فهي نادرة ولا يملكها الا الاثرياء ، وخصصت في اقل الاحيان للتعامل مع الخارج في نطاق ضيق للغاية اذ ان الديات بالجزائر اعتبروا تسديد الديون مع الخارج بالنقود او السبائك الذهبية معناه افتقار للبلاد وتخريب لخزينتها . ولهذا اتخذت جميع الاحتياطات والمراقبات لمنع تسرب الذهب الى الخارج . وقد أدت هذه السياسة النقدية الى اكتناظ الخزينة الجزائرية بالنقود والسبائك النفيسة من ذهب وفضة قدرها البعض (Gier) في مذكراته سنة ١٧٩١)

من السكان او البايات او من السبائك والمجوهرات التي تحصلوا عليها عن طريق القرصنة او جاءتهم من الدول الاوربية في شكل هدايا او اتاوات او جزية وغرامات . كما كان الدايات يصكون النقود ايضا من معدن البرونز والنحاس .

والى جانب النقود المعدنية الجزائرية اى النقود التي سككت بمدينة الجزائر فكان السكان الجزائريون يتعاملون بنقود اخرى اجنبية اى ضربت في بلدان اوربا او في بلدان عربية ، ومن بينها نقود ذهبية مصرية واخرى فضية مصرية واخرى تونسية تكثر في الاقليم الشرقى القريب من تونس ، واخرى مغربية تكثر في بايك الغرب القريب من الحدود المغربية اما في الجهات الجنوبية فكان التبر المطلوب من بلاد السودان يحل محل النقود في اغلب الاحيان .

واهم النقود المعدنية الاجنبية التي كانت سائدة في البلاد هي النقود الفضية الاسبانية ، اما اهم الطرق التي كانت تدخل بها هذه النقود الاجنبية فهي طرق الشركات التجارية الاوربية وعلى راسها الشركة الملكية لأمريكا التي ادخلت الى البلاد انواعا مختلفة من النقود الاجنبية ، وبالأخص القرش المكسيكي المحبوب والمألوف لدى الناس والمعروف بقرش بومدفع ، الى ان غيرت اسبانيا سك قروشها في مطلع القرن ١٨ حينئذ واجه قرش بومدفع في قبوله لدى سكان الجزائر صعوبات . ولقد حاولت الشركات الاوربية استرجاع ثقة السكان في قبول تلك العملة الاسبانية الجديدة مدة من الزمن ، وهي فترة زاد فيها شك الناس في قيمة النقود الاجنبية وكثرت فيها النقود المزيفة في القبة والوزن حتى قيل ان جل النقود المتداولة في الجزائر كانت مزيفة ، وان ٣٠ ٪ من البعثات المتداولة كانت مزيفة ، وان ٤ ٪ من الريالات الجزائرية كانت مزيفة ، وان

أنها وجدت بخزينة الجزائر ٧٢ قنطارا و ١٢ كيلو غراما من الذهب و ١.٨٧ قنطارا و ٤ كلغ من الفضة الخالصة . وقومت هذه المعادن النفيسة بحوالى ٦٨٣.٠٠ ٤٨ فرنك فرنسى ، منها نقود مختلفة الاصل ومنها السبائك ويلاحظ على هذا التقويم انه يختلف تماما عن التقويم السابق والذي ذكره شارل وديفال وربما هذا يرجع الى النهب من طرف جيش الحملة في الايام الاولى للاحتلال ، وبالأخص الضباط منهم الذين كانوا ينتظرون بفارغ صبر وصولهم الى كنوز القسبة وهى كنوز كانت تدور حولها القصص والاساطير لدى الاوربيين تفوق في شهرتها قصص ألف ليلة وليلة ولاشك انها كانت تحوى قناطر مقطرة من الذهب والفضة . وكانت الوحدة النقدية الحسابية للعملة الجزائرية هى البدقة شيك أو ريال درهم صغير الذى كان ينقسم الى ثمانية أجزاء كل جزء يعرف بالموزونة ، (والموزونة وحدة نقدية حسابية فقط) والبدقة شيك تساوى ٦٢ر . دينار . والوحدة النقدية للفضة هى ريال بوجو الذى يساوى ثلاث بدقات شيك أو ٢٤ موزونة ، أو $٣ \times ٦٦ر = ١٨٢ر$ دينار والوحدة النقدية أو ٢٦ر . دينار . اما الموزونة وهى وحدة الفعلية الذهبية هى السكين الذى يساوى ١٣٥ بدقة شيك أى حوالى ٨٣٧ر دينار . والوحدة النقدية الفعلية للنحاس هى الخروبة التى تساوى ١/١٦ من البدقة شيك أو ٣٨٧ر . دينار . والفلس شيك يساوى ١/٢٣٢ من البدقة شيك نقدية حسابية فقط اذ لا توجد فى السوق فتساوى ٧٧٥ر . دينار . ويلاحظ على هذه التقويمات للعملة الجزائرية فى العهد التركى انها تقويمات تقديرية ذلك ان النقود الجزائرية فى العهد التركى ظل يعترها التغيير فى الوزن والقيمة . وان الوحدات النقدية كانت ضعيفة القيمة نسبيا .

بحوالى ١٠٠ مليون تورنوه وكانت الخزينة شىء مقدس لدى الجزائريين فلا يجوز فتحها الاخذ منها بأى حال من الاحوال ، ومحروسة حراسة شديدة ، ولا تفتح الا بحضور الخوجة ولجنة خاصة . وكانت كنوز الجزائر فى مبنى صغير بالقرب من قصر الجنيبة عند مدخل نهج الديوان ، وقد كتب على بابه : نصر من الله وفتح قريب . يا فاتح الابواب افتح لنا احسنها باب الجنة . وفى اواخر العهد التركى نقلت كنوز الجزائر من الجنيبة الى القسبة العليا ، وقيل ان الذى أمر بنقلها هو الداي على الذى اشرف بنفسه سنة ١٨١٧ على عملية النقل ليلا وذلك بعد ان أمر سكان المدينة بقتل ابوابهم ، ومنع تحرك الانكشورية وشدد الحراسة ثم احضر عددا من البغال لنقل الذهب والفضة ، واستلزم هذا النقل ٧٦ حملا من الذهب و ١٤٠٠ حملا من الفضة وعلى أساس ان حمل البغل يساوى ثلاث قناطر فى المتوسط فيمكن تقدير كنوز الجزائر فى عهد الداي على بنحو ٢٢٨ قنطار من الذهب و ٤٢٠٠ قنطار من الفضة . اما سفر الولايات المتحدة تشالير فيقدر كنوز القسبة سنة ١٨٢٢ بحوالى ٢٥٠ مليون دولار ، والسفير الفرنسى ديفال قدر كنوز القسبة بحوالى ١٥٠ مليون فرنك وذهب القنصل البريطانى الى ٥٠٠ مليون فرنك . ورغم تشدد الدايات فى منع خروج الذهب من البلاد فان خزينة الجزائر ظل ما بها من اموال يختلف من فترة لآخرى . ففى السنوات التى نشطت فيها القرصنة زاد احجام اكداش الذهب والفضة ، وفى السنوات التى ركبت فيها القرصنة رجع الدايات وهم مضطرون الى سحب النقود النفيسة من الخزينة لدفع مصاريف الدولة ودفع مرتبات الانكشارية وبذلك الخفض حجمها بالخزينة من ذهب وفضة . وتذكر لجنة الحملة الفرنسية التى كلفت بعد وبتمير كنوز القسبة سنة ١٨٣٠

القروض والنقود في مدينة الجزائر

ما كان يقع بالفعل ، وبالتالي زادت هذه العملية من تقليل قيمة النقود الجزائرية في العهد التركي . ورغم هذا فان النقود التركية ظل السكان ثم جيش الحملة يتعاملون بها في السنوات الاولى للاحتلال حتى ١١ أغسطس سنة ١٨٥١ عندما أصدرت السلطات الاستعمارية قرار الغاء التعامل بالنقود الجزائرية التركية وانشاء بنك فرنسي لصك النقود الجزائرية الجديدة على أساس الفرنك الفرنسي . وبذلك ربطت عملة الجزائر بعملة فرنسا الى عهد الاستقلال والخروج من السيطرة الاجنبية .

ومثال لذلك ان السكين الذهبى الجديد كان يزن ٦٠ أو ٣١٨٧ غ من الذهب الخالص بينما السكين الذهبى القديم فكان يزن ٦٤ حبة أو ٣٤٠٠ غ من الذهب الخالص . والبوجو الفضى كان يزن ١٠ غرامات في بعض الاحيان ويقل عن هذا الوزن احيانا اخرى . وكان صك النقود الذهبية حرا ، اما صك النقود النحاسية والفضية فقد احتكرتهما الحكومة التى اوكلت خواتمها اى خواتم الضرب الى امين تركى بيده مفتاح دار السكة . ولما كان الداي هو سيد الصك وضرب النقود غير الذهبية فكان بإمكانه ان يغير وزن هذه النقود كلما دعت الحاجة الى ذلك ، وهذا

حول الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامى

وترسل طلبات المشاركة الى وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ،
٤ نهج نيمقاد ، حيدرة - الجزائر
مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية
الغلاف .

وعلى كل مترشح ان يبعث مع طلبه
شهادة دراسية وشهادة طبية .

وأخر أجل لقبول الطلبات المشاركة
هو ٢ ربيع الثانى ١٣٩٢ هـ الموافق ١٥
مايو ١٩٧٢ م .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالاتى :

(١) العيد العاشر لاسترجاع استقلال
الجزائر ودور الاسلام فى كنهنا
للتحرى طيلة مقاومتنا وفى مقاومة
مختلف البلدان الاسلامية للعنوان
والاحتلال .

(٢) الذكرى الالفية لتأسيس الجزائر
العاصمة ومدينتى مليانة والمدية
ودور الاسلام فى حضارة الامس فى
الجزائر وغيرها .

(٣) يقظة العالم الاسلامى اليوم
ونهضته غدا ودور الاسلام الفعّال
فيهما امام تحديات العصر ومختلف
انواع الفزرو .

(٤) نظرة المؤرخين غير المسلمين
الى الاسلام والحضارة الاسلامية
وضرورة كتابة تاريخنا من جديد .

تعلن وزارة التعليم الاصلى
والشؤون الدينية ان الملتقى السادس
للتعرف على الفكر الاسلامى سينعقد
فى الجزائر العاصمة من ١٣ الى ٢٥
جمادى الثانية ١٣٩٢ والموافق لـ ٢٤
يوليو - ٥ اغسطس ١٩٧٢ م

وسيحضره طلاب وطالبات من
جامعة الجزائر وقسنطينة ووهران
وتلاميذ وتلميذات السنتين السابعة
والسابعة من الثانويات (الاولى
والنهاییة سابقا) واى طالب مسلم
حيثما كان ومن اى بلد كان .

وستدعى الى الملتقى شخصيات
بارزة من الجزائر وغيرها من انحاء
العالم الاسلامى وبلدان اخرى
للقاء المحاضرات والمناقشة مع
الطلبة .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلى ،
ويمكن السماح بالنظام الخارجى لمن
يطلبه ويسمح لاطارات الادارة
الجزائرية - بقدر الامكان - بالمشاركة
فى الملتقى .

هذا ، وتتحمل الوزارة ، فى اطار
الملتقى ، نفقات الإقامة والتنقل داخل
التراب الوطنى ، الا انه سيطلب من
المشاركين اسهام رمزى قدره خمسون
دينارا جزائريا .

دور الأديب العربي في **بناء المجتمع العربي المعاصر**

إننا كلنا متفقون حينما نقول ان الفكر والادب في العالم العربي الحديث يعكسان فترة حاسمة في تطور المجتمع العربي وأن مسؤولية الادب في تكوين وتوجيه النهضة الفكرية لا يقل أهمية من التسيير السياسي والكفاح المسلح لا لتحفظ كيان الأمة العربية فحسب بل ولتبعث نهضة شاملة تذهب به الى الالتحاق بالحضارة العلمية والفنية المعاصرة لتقوم هي بدورها برسالتها الانسانية العالمية .

دكتور: احمد عروة

ولكن الأفكار والعقليات كثيرا ما تختلف في تحليل وتصوير هاته النهضة مما يجعلنا نأسف لتشتت الطاقات الفكرية كما نالنا تالما مرآ على بعثرة القوات المادية والسياسية والبشرية التي جعلت العالم العربي عرضة للمطامع التوسعية والاستغلالية . وهنا تظهر مسؤولية المفكرين العرب في تحليل حقيقتهم القومية ثم في تمهيد الطريق التي يجب على المجتمع العربي أن يتبعه في سيره الى القوة والرفاهية والرقى ثم في توحيد الجهود الفكرية والبشرية التي لولاها لا يمكن للعالم العربي أن يحرز على مكانته في الحضارة العالمية .

ان النهار يطلع على العالم العربي بعد سير طويل في ظلمات الانحطاط وفي قيود الاستعمار فيستيقظ ويجد نفسه يخط تحت ضغط مزدوج ضغط الرجعية التي تزيف حقيقة رسالته التاريخية فيجعلها تنتهى الى تيارات سياسية تستخدمها لاغراض استعمارية جديدة وضغط الدوافع التقدمية التي تفرض عليه تغيير المجتمع وتطوره نحو الحضارة والرفاهية ولكنها في نفس الوقت تغريه بالتخلي عن الحقائق الانسانية والتاريخية والفكرية التي كانت سببا في وجود الامة العربية وفي تكوين وانتشار الحضارة العالمية الراقية التي تنتمي اليها يستيقظ العالم العربي ويرى نفسه متخلفا في جميع المرافق الحيوية المادية منها والمعنوية بينما تقدم العالم الغربي في حضارة علمية واقتصادية وفكرية رائعة تجعله يسيطر على العالم حتى في الوقت الذي تدهورت فيه سلطته السياسية والعسكرية المباشرة . ونرى العالم العربي والاسلامى عامة يواجه في جميع حدوده الاقليمية والفكرية صدمات جبارة متوالية متعددة الاساليب لا تريد الا القضاء عليه كقوة فكرية قادرة على

التأثير من جديد في مصر الانسانية مما يجعله يتساءل عن مستقبله العاجل ويكافح عن كيانه المهدد .

وللمسؤولين على مستقبل هاته الامة السياسيين منهم والمفكرين انظار متباعدة وآراء متضاربة يزيدتها تعقدا اختلاف الازواض السياسية والاجتماعية والتفاوت في اكتساب العلوم والفنون وذلك لان الاحتلال الاجنبى والتأثير الفكرى اعطى لكل قطر من الاقطار العربية صبغة قومية ووضعها سياسيا يختلف بهما عن الاقطار المجاورة مما وازافة لتلك الصعوبات الوضعية والاقتصادية يواجه العالم العربي مشاكل اخرى شنت الوحدة التاريخية وقسمها امما ودولا تتجاهل بل وربما تتعارض تعارضا حادا وداميا

ومع ذلك فاننا اذا امعنا النظر ودفقنا البحث نجد بان الفوارق كثيرا ما تكون سطحية اصطناعية لان الوسائل التي تؤلف بين الشعوب العربية اكثر وأمتن من اسباب النزاع والتصادم وأن التباعد السياسى والوضعى الذى هو وليد عصور الاستعمار والانحطاط لا ينغى وحدة الشعور والطموح في اعماق الشعوب العربية وهذا ما يسال عنه السياسيون والادباء والمفكرون وما تلح وتطلب به الجماهير العربية في كل مكان . ناتجة عن اختلاف التأثيرات الخارجية في عقول المواطنين العرب فنرى فيهم نوعا من القلق والتردد بين تعلقهم بحضارة عريقة وتراث فكرى اصيل وبين متطلبات الحضارة العصرية . فمن المفكرين والمناضلين من يعتقد أن لا سبيل للعالم العربى أن يلتحق بالعالم الغربى الا بتقليد الوسائل التي جعلت الغرب يتقوى ويترقى ويغير الازواض الاجتماعية وبالتخلي عن الماضى بأكمله حيث يعتبرونه سببا في التخلف والانحطاط وذلك الموقف السلبي تجاه التراث العربى

وافكارنا واطلاعنا وتحليلنا للاوضاع الانسانية وربما نخطئ وربما نجيد انما المهم أن نباشر مسؤوليتنا القومية بالتبصر العميق لمصالح المجتمع وبالاخلاص لمطامحه العادلة السامية وبالباعداد عن التأثير السهل بالواقع النفساني والعصبية الفكرية والاطمية . وان ذلك يتطلب مجهودات كبيرة متواصلة في الزمان ممتدة في المكان يشترك فيها جميع أفراد الامة العربية ومن حظ الادباء أن لهم في التعبير عن ذلك حق وقدرة وكما يتأثرون بحقائق شعبهم فإنهم يؤثرون بدورهم في توعيته وترقيته وتوجيهه نهضته بأحسن طريق . ولنباشر باختصار عرض هاته الميادين الثلاثة التي تجتمع انفعالاتها في بعث النهضة العربية وهي :

— الامة العربية في حقيقتها التاريخية —

— الامة العربية في حاضرها وكفاحها —

— الامة العربية في تطورها وانطلاقها —

ان للامة العربية حقيقة تاريخية ذات وجهين متناقضين .

وجه ايجابي ثوري حقق رسالة بشرية سامية وخلق حضارة وضاءة طالما اثار العالم في ميادين الفكر والعلم والاخلاق والاداب مما جعل الحضارة العربية الاسلامية تسيطر ماديا أو معنويا على اكبر ربوع العالم القديم فاخرجته تارة حتى سئم ومما سكت عليه تارة أخرى كاد من ظلمات الجاهلية والفوضى والاستعباد الى عصر النظام والفكر والتقدم وهذا مما كرر ينسب ومن حق المفكرين المسؤولين على تطور الامة العربية أن يخرجه من تحت اكداس الخرافات والادعاءات وان يغسلوه من لطخات الاكاذيب والتخريفات . لا يجعلونه مرآة تعجب متعنع وتأمل رهباني سالب وانما لتنبعث فيه

يجعلهم ينخرطون باستسلام مطلق في تيارات فلسفية غريبة التي تتراوح ما بين الفلسفات النشأومية أو الفوضوية التي انتجها الغرب الرأسمالي والفلسفات المادية الثورية التي استقرت في العالم الاشتراكي .

ومنهم من ينظر الى كل ما يأتي به الغرب بمزيد من التحفظ والاجحاد خوفا على أن يوقع الغرب بمقدسات الامة العربية التي طالما كافحت واستماتت في سبيلها .

والحقيقة أنه مهما كانت التحفظات من جهة والجهود من جهة أخرى فان مستقبل الامة العربية يتكون في التقاء الحقائق وتشابك الافكار وتصادم التيارات المختلفة وان من يريد نكران الواقع الانساني أو تعسف الإرادة الشعبية أو تجاهل القوانين الكونية سيجد نفسه منعزلا عن الركب البشري في صحراء خالية ويقتنع بلوامع السراب الكاذبة . انه لا سبيل على من يتقلد المسؤولية ويتحمل الامانة التي يبتعد عن حقيقة شعبه الواضحة وحاجاته المادية المستعجلة ومطامحه المعنوية السامية ، اما اذا اراد أن يطبق في بلاده نظريات كانت منتهى تطور طويل في مجتمع بدون واقعية فطنة وتحرز سليم فانه يصل الى حلول مزيفة تنكر مصالح الشعب الحقيقية وينكرها الشعب بدوره اذا لم يرها تعبر على مطامحه وشخصيته . ان على الذين يريدون تغيير المجتمع العربي وتنميته ونهضته ان يبحثوا على الحقائق التي يرتكز عليها مصره والتي تختلف على وضعيات الامم الاخرى مهما كان نجاحهم المادي والفني ومهما كانت سيطرتهم الفكرية ومهما كان تسلطهم وتقلبهم في البلاد . وتلك الحقائق ترجع الى ملتقى اطوار تاريخية ثلاث تندمج في بعضها فتمتخض عن رجل الغد ذلك الرجل الذي نتصوره على حسب بينتنا

الاغتراب من حقيقة الكفاح الواحد الذي يرمى الى ضمان سيادتها وبناء مستقبلها .

ان الامة العربية اليوم تكاد تقتصر على مقاومة الاستعمار الجديد في جميع مظاهره السياسية والاقتصادية العسكرية والفكرية وملاحمة فلسطين الا فترة حادة دائمة تواجه فيها اكبر معركة وابشع مؤامرة يقوم بها الاستعمار العالمي ليسيطر على العالم العربي . وكلنا على يقين مهما كانت التصريحات المزيفة والدموع الكاذبة انه يقصد من خلق دولة اسرائيل تنفيذ حكم عادل وتعويض اليهود عما اصابهم في حجر الغرب من خزي وتعذيب واناء وانما هدفه الاول هو نصب قلعة استعمارية في قلب العالم العربي تقوم له بالمرصاد فترقب تطورات تهديد كيانه وتعرقل نهضته وتطليه عن مهامه المستعجلة للتشديد والتنقية وتشبث قوته وتمزق وحدته وتهين كرامته واخيرا لتسيطر وتخدم جذوته من قبل ان تكون لهيبا ونورا . ولكن متطلبات الكفاح لتحرير فلسطين التي تفرض الجهود الجبارة والتضحيات الكبيرة والتناقص الدقيق ان وراء الزحف العسكري نوايا شريرة متكررة بملايس النفاق والتقارب والتعاون ولها اهداف عالمية شاملة لا يسمح للمسؤولين والمفكرين ان يتجاهلوا او يحتقروا فان الهدف الاساسي الذي ترنو اليه الشعوب العربية هو ان يكون المصير مصرها لا مذابا منتسقا في اي تيار فكري او سياسى يدعوها الى الاندماج فيه والذي مهما كانت نضائله ومزاياه سيؤدى الى نوع جديد من الاستيلاء السياسى والانسلخ الذاتى والسلب الفكرى ، مما هو يتنافى مع حقيقة الامة العربية ومطامحها الخاصة ، وهنا يتضح ويتأكد دور المفكرين والادباء في تادية رسالتهم لانهم يخطون طريق المستقبل وينبرونها لشعوب تناهب للزحف الجديد الشامل والتي هي في حين واحد متمسكة

من جديد تلك الطاقة الكامنة الخالدة وتلك القوة المحركة الدافعة التي « تنشط الاجسام وتنور الافكار وتقوى الارادة » وتجعل الانسان مؤمنا بمستقبله وبرسالته الكونية .

اما الوجه السلبي فيتمثل في عهد الانحطاط انحطاط الفكر وانحطاط المجتمع وانحطاط الفضائل مما جعل الحضارة تتجمد وتدهور وجعل الدولة تدمر وتبتر وجعل الانسان ينكمش ويتخاذل وجعل الاجنبى يطمع فيه ويوقع به فكان عرضة لتكالب الاستعمار وميدانا لتسابق الدول الغربية للاستيلاء عليه والتوسع فيه واستغلال خيراته وتدنيس مقدساته . لكننا الامور كما شاهدتها دول واللبل يسلم منه النهار . وها هي الامة العربية تفتح اعينها وتجس اطرافها وتشعر بدواعي الحياة تنبض في عروقها ولكنها ترى الاعداء محلقين بها مستهترين كرامتها يمتصون دماءها وينهبون ذخائرها فكان اول رد على ذلك هو الكفاح المسلح كحسب الاغلال السياسية ولطرد السلطة الاستعمارية وهذا ما قامت به الشعوب التي تعمدت بنزع الاستقلال واستماتت في سبيل الكرامة فتحرر دول هي اليوم تبنى لتشييد مستقبلها « على اثر الناهب المنهزم » ولتؤسس مجتمعا راقيا مزدهرا قويا ولكن للطامة سبعة رؤوس منها ما قطع ومنها ما زال يلهث طمعا ويزيد غضبا ويدس خديعة لان نهضة العرب تعرقل نهجها وتهدد مصالحها وتضيق معيشتها .

ان الامة العربية تواجه اليوم فترة حاسمة من تاريخها وحيث انها في حين واحد تقاوم صدمات الاستعمار .

وتشيد مجتمعا متقدما

وتبنى نهضة فكرية راقية

لنأينا سنعرض الى هاته المظاهر التي ما هي

ومعنوياته والالتحاق بموكب الحضارة الغربية .
ولربما يظهر لنا أن نميز بين مرحلتين مرحلة كحاح
ضد الاحتلال الاجنبى التى كانت سياسية وعلمية
أكثر مما كانت فكرية اجتماعية كما كان ذلك فى
مرحلة الاستقلال وأعنى بذلك أنه فى المرحلة
الاولى كان الهدف الرئيسى للامة العربية هو
التخلص من قبضة الاستعمار بالنضال السياسى
والمقاومة المسلحة . وإذا كان لتلك المرحلة
جانب فكرى فقد كان يتمثل فى الحركات التجديدية
والاصلاحية التى قام بها أمثال الانغائى ومحمد
عبد و ابن باديس وغيرهم ، وإذا أردنا الاختصار
فيمكن لنا أن نقول أن المرحلة الاولى كان لها
هدفان الاستقلال فى طابعه السياسى والقومى
من جهة واحياء التراث الفكرى وتجديده حسب
متطلبات العصر الحديث من جهة أخرى .

أما المرحلة الثانية فكانت أخرج مشاكل وأشد
تعقدا من الناحية الفكرية لانها تأثرت كثيرا
بالتيارات الجديدة التى ظهرت فى العالم فى النصف
الاول من القرن العشرين حيث طرحت المشاكل
الاقتصادية والاجتماعية بحدة لم تعرف من قبل
وصار هدف المسؤولين العرب بعد الاستقلال هو
تجديد الاقتصاد وتنمية الانتاج وتنظيم المجتمع
وذلك مهما كانت المناهج المتناقضة التى اختيرت
لها هناك وأدت الى سياسات متباعدة وأساليب
متنافرة كثيرا ما تتأثر بالضغط والمصالح الاجنبية
وكثيرا ما تبعد عن حقيقة ومطامح الشعوب
العربية .

وفى هذا الصراع الشديد وفى ملتقى الزواجع
الفكرية العاتية ماذا كان موقف الادباء والمفكرين ؟
إننا نقول بصراحة لم يكونوا فى مستوى النضال
الفكرى الجبار الذى يصاحبه مجتمعهم فى بناء
مصره . وإذا وجدنا فى النصف الاول من هذا
القرن مفكرين ومجددين قاموا بدور زمنى بارز
فى توجيه الكفاح السياسى الفكرى فإننا نكاد لا نجد

بحقيقتها التاريخية ومؤمنة بمستقبلها الثورى
المنطلىق .

ولكن لا يمكن لذلك المستقبل أن يبنى فى معزل مادية
أو فكرى بمعزل عن الحضارة العالمية المعاصرة
فإننا طوعا أو كرها نتأثر منه كما يتأثر الضعيف
من القوى . فما هو إذن موقف الضعيف من
القوى ؟ أن فى القوة ضعف وفى الضعف قوة
فاذا كانت الامة العربية مع ضعفها تشعر بقوة
أرادتها وبالايمان بنفسها فإنها تقتبس من العلوم
والفنون والنظم العالمية ما تنمو به وتزدهر بقوة
وفعالية لا تفشل ولا تهتر وإذا كان موقفها
موقف الإعجاب المستسلم والقبعية (الباهتة)
فإنها تستعبد من جديد ولو حلت بالصواريخ
المستوردة ولو تدفقت فيها أودية من النفط
والتعدين .

أن موقف الضعيف هو أن يعمل ليكون قويا
بنفسه وبارادته ويساعده ويعقله . أن موقف
الامة العربية هو أن تفهم الحقيقة التى مرت فيها
لا حقيقتها الداخلية فحسب ولكن الحقيقة العالمية
التي نعيش فى وسطها ، وأن تحلل الأوضاع
الراهنة بمنطق وسداد لا متعصبة لما لديها
ولا جامدة لما تستعمره من غيرها . لا تعظم النفوذ
الاجنبى حتى تستسلم اليه طوعا ولا تتجاهله
حتى تنقاد اليها كرها .

وإننا اقتفاء لهاته الحقيقة وامثالها بهاته
الحكمة سنحاول الآن عرضا بسيطا وتحليلا مختصرا
لاهم التيارات الفكرية التى يتألف منها ، وفيها
مصر هاته الامة . ومهما اختلفت وتناقضت تلك
التيارات فإنها راجعة الى تطور الحضارة
الغربية من النواحي العلمية الاجتماعية والفلسفية
فكان المجتمع العربى يتأثر بالغرب ويتقلده فى كثير
من مظاهره السياسية والفكرية والمعاشية
فيتبعه ، وبقي فى اضطراب دائم
يحاول فى حين واحد المحافظة على كيانته

وهكذا بقي الأديب العربي متشبثاً بدخان الماضي أو تأنها في اسرابة ينظر الى حقيقة امته من نافذة طمسها نسيج المنكوبات أو من مرصد متباعد متعالى وصار يحكم عليها بمقاييس استعارها في دنيا غير التي تعيش وتكافح فيها ويجهل حقيقة الشعب والشعب بدوره يجهله ويتوهمه وليس في هاته الطريقة ولا في تلك ذلك الموقف الواقعى الحكيم التى توحى به الأمة العربية من أعماق شعورها ومطامحها لقادتها ولمفكرها .

ان مستقبل الأمة العربية مستقبل شامل . والانسان العربى الذى يترجاه الفد ليس انسانا اكتسى ببدة استوردها من الشرق أو الغرب وانما هو انسان متجدد منطلق يقفدى من تربة وطنه ومن تراث امته فى حين ما يقتبس من محتويات الحضارة الحديثة . رجل يصل بين الماضي والمستقبل المرتجى رجل يجمع بين متطلبات المادة ودوافع الروح . يتصل بالتيارات الفكرية التى انبثقت بالعالم ويتفتح بنفسه لاستنباط فلسفة واقعية انسانية شاملة يكون بها شاهدا على الناس وشاهدا على نفسه وكما أنه لا يجوز على الاستقلال الاقتصادى باستيراد المصنوعات والمنتجات الأجنبية وانما باستعمال امكانياته وبتمية انتاجه ، فانه لا يتمكن من بناء مجتمع عربى عادل راقى متفتح الا اذا اخذ من نفسه معنوياته وخط من حقيقته مناهجه التى تضمن للمواطن كرامة ورفاهية وعدلا وانطلاقا ماديا وثقافيا وفنيا وأدبيا . وان هذا التمسك بالقومية العربية فى جميع محتوياتها ومميزاتها لا يمنع بل يؤكد الدور الذى تلعبه فى مساندة وتدبير الحركات العالمية العادلة التى تسعى لتحرير الشعوب وضمان العدالة والرفاهية والحرية لجميع الشعوب وانها لقوية فى ذلك برسالتها الاخلاقية السامية التى جعلت من اصلتها انها

فى يومنا هذا من يعطى لمجتمعنا فكرة فلسفية واجتماعية تعبر عن حقائقه بصدق وواقعية وتثير مطامحه السامية ، لتنبعث منها أمة طلائعية قادرة على تحمل رسالتها الخالدة - بل كثيرا ما نجد فى الكتب والصحف والمجلات والافلام التى تصدر بالعربية ترجمات حرفية أو معنوية للانتاج الادبى الاجنبى الذى يتدفق علينا باسهاب ذات اليمين وذات الشمال .

نعم . انه يوجد كثير من الادباء العرب من يحاولون احياء التراث وانبعثات الفكر العربى ولكن يائسونه غالبا باساليب تقليدية متخلفة لا يمكن لها ان تؤثر تأثرا حقيقيا فى عقول تطورت مع العلم والمنطق الحديث واذا كانت تخاطب القسم المتخلف من طبقات الشعب فانها لا تقنع عقول النخبة العلمية والشباب المتطلع الذى استنار بالعلوم الحديثة والذى يلفت انظاره للابداع والانتجاز والرقى والرفاهية التى احرز عليها العالم الغربى فى جميع الميادين الفكرية والحيوية .

وبالعكس نجد ادباء ليسوا بأقل عددا تشبعوا بفلسفات الغرب الحديثة ولم يروا للفكر العربى آمنا سواها وضربوا صفحا محتقرا على ما انتجه الفكر العربى فى تجربته المثمرة وفى تصاعده البشرى وفى تفوقه الفكرى والروحى تشبثوا بالجديد وأغراههم ما فى الجديد من بدائى قديم فانقلب المعانى وانعكست الصور ، وضمن الانسان أنه سيسيطر على الارض اذا تخلص من جيروت السماء . فاستوى عن صرح كبريائه وصاح : « لا اله الا انا والارض ملكى والكون تحت سيطرتى وعلمى » ظن انه تحرر وأنه كان من قبل سلبيا ومن ياترى سلبه ؟ فكرة الاله الخالق التى نشأت فى مجتمع الجهل والخوف والفرور .

رسالة عالمية ترمى لترقية الانسان فى احسن ما تملكه واسمى ما يهدف اليه . وان للامة العربية اعداء كثيرون فى داخلها وفى خارجها يريدون ان ينزعوا منها خيراتها المادية وفضائلها الاخلاقية طاقاتها الروحية فى صراع قديم تتجدد اساليبه واغراضه وما غرس دولة اسرائيل المزيفة فى التراب العربى المقدس الا فترة حاسمة من معارك متوالية . ولن تنتصر فيها الامة العربية الا بتوحيد الجهود وتعزيز المعنويات القومية والايمان بعدالة قضيتها والتغلب على التناقضات السياسية والاجتماعية التى تبعثر طاقاتها وتبث العدواة فيها بينها وان نفسا مؤمنة بحقها صامدة فى ارادتها اقوى من غيلق يكسب الصواريخ والطائرات ولا يقى بنفسه . وان الفان المقاومين الفلسطينيين يهددون حياة اسرائيل اكثر من مائة مليون من العرب متشائمين ومتخاذلين . تلك هى الحقيقة التى يعبر عنها منطق الكفاح وتلك هى الاساليب التى تسمح للمستضعفين فى الارض ان يتغلبوا او ينتصروا على العمالقة الظالمين . وتلك هى الرسالة المقدسة التى يشترك فيها الادباء والمفكرون والسياسيون والتى تهدف الى بعث هاته الامة بعدما استكانت وتجمدت ونست رسالتها فى ليل طويل من التخلف والاستعباد .

وتلك هى الحقيقة الاساسية التى من حق الاديب العربى ان يشعر بها وينطلق بها ويغذيها بعبقريته وفنه واسلوبه ليخلق لها جوا ملائما خصبا يوحى ويعمل بانبعاث النهضة العربية لا التى يعبرها فى اذان صاغية مسلوبة اساتذة متنكرون متعلقون يسمعون لاذعها وانما النهضة التى ينطق بها واقع الامة العربية والتى تندفع من صميم السرائر الشعبية ومن اعماق حقيقتنا التاريخية .

د . احمد عروه

تقدس كرامة الانسان وتحارب اساليب الاستعباد والاستغلال والاحتقار التى هى من مظاهر السلبية البشعة التى لم تستطع الحضارة الغربية ان تتخلص منها . ولكن الامة العربية لن تلعب دورها العالى ولن تقوم برسالتها الانسانية الا اذا احترمت مقوماتها واعتزت بشخصيتها وانطلقت فى تشييد وتجديد وتوحيد قوتها المادية والمعنوية . كما انها لن تقوم بواجبها نحو مجتمعنا الا بتغيير النظم الاجتماعية لتكون مستخدمة لترقية الانسان وتحريره من الاستغلال ومن الفقر ومن الجهل ومن الخوف .

ان الثورة الشاملة التى تدعو اليها الامة العربية ليست تقليدا للوضع القديم ولا تقليدا للحاضر الاجنبى ولكنها تجمع بين الوفاء لنفسها وبين الانطلاق التقدّمى ، تقتبس من الحضارة المعاصرة لانتداب فيها ولكن لتعمون من العلوم والفنون والنظم حتى تلتحق بموكب الرقى من دون ان تنكر خصائصها بل ولتؤكد معنوياتها مع تجديد اساليب الابداع والتعبير تتأثر بالحضارة العالمية فى محتوياتها الراقية وتؤثر فيها بما تحمله هى من رسالة فكرية وروحية واخلاقية التى لا يستغنى عنها عالم اليوم مهما عظمت انجازاته واختراعاته .

اننا نتأكد ان الحضارة المعاصرة الغربية ضعيفة فى قوتها معرّقة فى سيرها مستعبدة فى حريتها سلبية فى رفايتها المادية والثقافية وان من شأن الحضارة العربية ان تعطيها الانطلاقة الخلقية والفكرية السامية التى تتركز على التوازن الواقعى فتعطي لحياة الانسان ووجوده الكونى معنى متكامل يجمع بين المتطلبات الحيوية والدوافع الروحية بين زمنية الانسان وابدية الاهداف الكونية .

ان للامة العربية طاقات جبارة مادية وبشرية ومعنوية تكاد لا تشعر بها وان للامة العربية

٢٠ في المائة من الأرباح في مداخيل البنوك السويسرية تذهب إلى إسرائيل .

قال أحد كبار صياغة اليهود بعد أن رفض الإدلاء باسمه خوفا من انتقام المنظمات الصهيونية قال ان وجود اسرائيل يكلف الجالية اليهودية السويسرية غالبا جدا ان الذين يجمعون التبرعات لصالح اسرائيل يتمتعون بمعلومات دقيقة من دخل كل فرد من الجالية اليهودية انهم يلاحقون حتى اليهود الذين لا يتبنون الافكار الصهيونية لكي يدفعوا نصيبهم ومن أمتنع منهم عن الدفع فان الانزعاج والاعتداءات والضرب في انتظاره .

وقد صرح جيش دروكمان وهو محرر في صحيفة (ريفوجيوف) بأن سويسرا تحتل أحد الامكنة الاولى في أوروبا من حيث جمع الامكانيات المالية لاسرائيل وفي الحساب النهائي فان هذا يعنى مساعدة ضخمة ومتوالية من أجل عسكرة الاقتصاد الاسرائيلي ولا تنسى أن حوالي ٢٠٪ من أرباح خزائن البنوك السويسرية تذهب إلى خزانة اسرائيل .. !

ان ضغوط المساعدات تعتبر في جوهرها تشجيعا للمعدوان ومكافأة على غزو البلدان العربية وهذا النفوذ الصهيوني في بنوك سويسرا يتعارض مع الحياد الرسمي لهذه الدولة .

ولا ينسى السويسريون ذكر العملية القضائية ذات الضجيج الواسع ضد الجاسوس « الفريد فراو نكنينجت » هذا المواطن السويسري الذي سرق حوالي ٢٠ الف مخطط لتكنولوجيا انتاج محرك الطائرة المقاتلة مزاج على اتفاق مع برنسا وكان من نتيجة خدمات هذا الجاسوس أن حصل من تل أبيب على مبلغ ٢٢٠ الف دولار ومن المحكمة السويسرية السجن لمدة أربع سنوات ونصف .

نهضة القلب ليعاد الأصلي

في الجزائر

كان المغرب أول من أسس وزارة الشؤون الإسلامية واقتفت أثره مصر والكويت ثم الجزائر. وكان كذلك أول من أسس وزارة للتعليم الأصلي. ومنذ سنة أصبحت وزارة الأوقاف في الجزائر تحمل اسم وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية. وقد تكلمت قبل عن الشؤون الدينية واليوم أتناول الجانب المتعلق بالتعليم الأصلي.

● علال الصاسي ●

وكلمة أصلي وأصيل وأصاله أصبحت اليوم شعاراً يلوح به في القطر الشقيق كرمز للعودة إلى الفنب ، وأحياء للتراث الحقيقي وبناء الجديد الأرقى على أساس أصيل أقوى . فالأصاله يبحث عنها في الفكر وتؤسس لها مجلة خاصة من أحسن ما أخرجت المطابع العربية . يكتب فيها ذوو

وانطلاقاً من كون الجزائر حافظت طيلة القرون السابقة على ثقافة عربية إسلامية ودافعت عنها بصلابة فأغنت التراث بكثير من الشروح والتطبيقات والمؤلفات الهامة . وانتفعت بالتيارات العربية التي وفدت إليها من الشرق والمغرب والاندلس فقد وجب عليها وقد استعادت استقلالها أن تسهم في بعث الثقافة العربية الأصيلة . وترفع في ميدان البحوث مشعلها من جديد .

والواقع أن التاريخ الجزائري ملئ بالامجاد المتجلية في المعاهد والزوايا والرباطات حتى أن بولارد المؤرخ الفرنسي قال في كتابه عن التعليم في الجزائر (كان في الجزائر في القرن الرابع عشر وما بعده . مراكز ثقافية باهرة وكان فيها استاذة متكونون في علوم الفلسفة واللغة والأدب والطب والنحو والفلك وكانت المدارس منتشرة في ربوع البلاد والتعليم فيها شرعى ودينى ومدنى) .

ولم تقف الجزائر مكتوفة الأيدي زمن الاستعمار الطويل فقد بذلت جهوداً للبقاء على ثقافتها بفضل الزوايا والمساجد وبفضل البعث التي كانت تنتقل للدراسة في القرويين والزيتونة والازهر وغيرها من المعاهد العربية الإسلامية .

ويرجع الفضل الأكبر في بعث التعليم العربي الإسلامي إلى جمعية العلماء برئاسة الزعيم الإسلامي الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي بذل كل ما يستطيعه من جهد وأناة في سبيل تأسيس المدارس وإرسال الطلبة للخارج للمحافظة على العلوم الإسلامية والعربية .

ولهذه الاعتبارات قررت الثورة الجزائرية أن تجعل من واجبها إحياء التعليم الأصلي فأسست لذلك وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية تعبيراً منها عن الدور الحقيقي الذي يجب أن تقوم به وعلى الاتجاه الثوري الذي اختارت أن تسلكه من أجل نهضة دينية حقيقية .



الإقلام المتحررة والأبحاث الدقيقة المثمرة كما يبحث عنها في الهندسة المعمارية لبعث فنونها الإسلامية والمحافظة عليها في بناء المساجد والمعاهد مع القياس الجديد من مقاييس العمارة الحديثة والظافها . ويبحث عن الأصالة في الدين لأحياء السنة ومقاومة الخرافة كما يبحث عنها في الأدب والاجتماع وكل ما يعيد للوطن مظهره العربي الإسلامي الاصيل وبناءه القومي الاشتراكي الحديث .

علم الاجتماع الثقافي

ببلاد المجر

جوانب من

أتبع لي ، بمناسبة سفرى الى مدينة بودابست وبلاد الدانوب ،
لى إطار التبادل الثقافى والعلمى بين المجر والجزائر ، أتبع لى ان أزور
خمسة متاحف متخصصة فى علم الاجتماع الثقافى ، وأن أتبادل
الحديث مع بعض الباحثين التسابعين للمجمع العلمى المجرى ، ومع جماعة
من أساتذة كلية الاداب بمدينة بودابست . وقد مكنتنى هذه
الاتصالات المفيدة من تسجيل بعض الملاحظات حول تدريس مادة علم
الاجتماع الثقافى ببلاد المجر ، على ضوء ما أحرز هذا العلم من تطور فى
١٩٧٠ . وسوف يجد القارئ فى الصفحات التالية جولة من الانطباعات
من تدريس تلك المادة التى لا تزال غلة من الجامعيين المجرىين تسميها
« الفولكلور » ، كما سوف يجد خلاصة وافية عن البحث العلمى فى
تلك البلاد ، وعن ميدان خاص منه هو التراث الشفوى المتناقل بالتواتر

د . يوسف نصيب
ترجمة : د . حنفى بن عيسى

١ - تدريس علم الاجتماع الثقافي

أن الفرنسيين يميزون بين ما يسمونه « أنثولوجيا » و « أنثوغرافيا » . فالعلم الأول يهتم بدراسة وتحليل الظواهر الثقافية والاجتماعية لشعب من الشعوب . . . والعلم الثاني يتناول تلك الظواهر من الناحية الوصفية . أما الاساتذة المجرىون فلديهم مصطلح واحد للدلالة على هاتين المرحلتين من مراحل البحث ، وهذا المصطلح هو « نبراجز » (1) Neprajz

وعلى سبيل المثال فإن متحف الآثار الثقافية يؤدي مهمتين أساسيتين وهما : جمع كل ما له علاقة بنشاط الإنسان الثقافي، ومسح المجال أمام العلماء والباحثين للعمل فيه . وقد شرح الاستاذ كاتونا المقصود بالعبار « أنثولوجيا » فقال : « أن المصطلح المجرى « نبراجز » لا يعدو أن يكون ترجمة حرفية للكلمة « أنثوغرافيا » ، ألا أنه يطلق عندنا كذلك على ما يقصد من كلمة « أنثولوجيا » .

وتستغرق الدراسة في كلية الآداب بمدينة بودابست خمس سنوات ، إلا أن هناك اتجاهات إلى جعلها أربع سنوات فقط . ويتلقى الطلبة دراستهم الأساسية في السنة الأولى ، وتتعلق بعلم الاجتماع الثقافي . وبعد هذه السنة المشتركة يتخصص طلبة الكلية إما في فرع « الفولكلور » ، أو في فرع « الثقافة المادية » . وإذا كان الفرع الأول يدرس بالتفصيل البنية الاجتماعية التقليدية ، فإن الفرع الثاني يهتم بالمشاكل الاقتصادية وبالتكنولوجيا . والتخصص في الحالتين مزدوج : فالطالب يدرس مادة أخرى لها علاقة بمهنة

التعليم ، كالادب واللغة والجغرافية ، زيادة على تخصصه الأول وهو علم الاجتماع الثقافي . والغاية من ذلك هي أن تتسع مجالات العمل أمامه . ولا يقتصر في التدريس على المحاضرات ، بل كثيرا ما تستكمل الدراسة بتحقيقات ميدانية يتدرب فيها الطالب على طرق البحث . وهكذا نجد أن الطلبة يذهبون إلى المدن والقرى مع أساتذتهم الذين يرشدونهم في مختلف مراحل البحث ، ويقضون هناك مدة من الوقت لكتابة رسائلهم الجامعية ، وإذا كانت الرسالة ممتازة تنشر . ويقدم الطالب رسالته للمناقشة بعد قضاء خمس سنوات في الدراسة والبحث ، وبعد اجتيازه لامتحانين لنيل الإجازة (أحدهما في السنة الثانية والآخر في السنة الرابعة) . وهذه الرسالة ضرورية لنيل شهادة الدولة التي يخرج بعدها الطالب المتخصص في علم الاجتماع الثقافي .

٢ - البرامج

أن مناهج الدراسة في علم الاجتماع الثقافي الذي أطلعنا عليه أساتذة فرع « الفولكلور » بكلية الآداب التابعة لمدينة بودابست ، يتضمن ثلاثة أقسام رئيسية . وقد لخص السيد كاتونا (٢) المسائل التي يتعرض لها الاساتذة فوضع لذلك جدولا تفصيليا . وفي السنة الأولى من الإجازة يأخذ الطلبة فكرة عن المنهج من خلال كتاب « تمهيد في علم الاجتماع الثقافي » . ويستكملون معلوماتهم من خلال مطالعتهم لكتاب « مدخل إلى علم الاجتماع الثقافي لشعوب العالم » ، كما يلقون محاضرات في الثقافة المادية للشعب المجرى (صيد السمك ، والصيد بالمعنى الأوسع والقطف) ومحاضرات أخرى الثقافة الروحية (الاعتقادات

(١) راجع موضوع « تدريس علم الاجتماع الثقافي بالجامعات المجرية » ، في مجلة : Ethnologia Europea, n° 4, 1967, p. 280.

(٢) نفس المصدر السابق ص ٢٨١ .

جوانب من علم الاجتماع الثقافي في بلاد المجر

الثقافي والفلسفة واللغة الأجنبية — بعد تلك السنوات الثلاث يقدم أطروحة للمناقشة . أما الدكتوراه في علوم الاجتماع الثقافي ، فلا تشترط فيها سنوات القريض الثلاث ، إلا أنها تستلزم تقديم أطروحة متعمقة . (٤)

وبعد التخرج من كلية الآداب فإن الباحثين يهodon مجال العمل مفتوحا أمامهم في إطار المجمع المجري للعلوم ، أو في متحف الآثار الثقافية . ويوجد بالمجمع قسم خاص لعلم الاجتماع الثقافي ولهذا القسم مهام متعددة ، نذكر منها ما يلي :

— دراسة نقدية للأبحاث المنجزة .
— تحديد مناهج البحث وجمع التراث الثقافي .
— أعداد المادة التي يشتمل عليها الفولكلور ، ودراساتها .

— دراسة مقارنة بين المجر وبين البلدان الأوروبية الأخرى بوجه خاص .
— دراسة مسائل التوعية الثقافية ويقاء التراث .

— تحليل أنماط التصور في العادات والتقاليد والمعتقدات .

دراسة النواحي الجمالية البدعية .
وعلى سبيل المثال ، فإن الاستاذ مانجا يدرس الطقوس الخاصة بالأعياد المسيحية الكاثوليكية ، والأنسة كيسبان تهتم بأنواع التغذية التقليدية ، والاستاذ بالانت ساروزي يهتم بالاغاني الشعبية الخ . . . (٥)

أما متحف الآثار الثقافية التابع لمدينة بودابست فجميع المرافق اللازمة للعمل المثر متوفرة فيه . ويوجد به حوالي أربعين باحثا . وقد وضعت تحت تصرفهم مختلف الآثار الثمينة والوثائق والمخطوطات

والتقاليد والعوائد المجرية) . وهذا كله على سبيل المقدمة . وأما بالنسبة إلى الامتحان الثاني في الإجازة ، فالدراسة في هذه المرحلة أعمق مما كانت في السنتين الأوليين . فهناك محاضرات وأعمال تطبيقية في الثقافة المادية ، وتتناول الزراعة والتكنولوجيا والصناعة التقليدية والنقل والتجارة واللباس والتغذية والمسكن . . كما أن هناك محاضرات معمقة وأعمالا تطبيقية في الثقافة الروحية وتتناول مختلف أنواع الفنون الجمالية كالموسيقى الشعبية والشعر العفوي (الملحون) والرقص ، والألعاب ، ومن الزخرفة التقليدية . . وهناك مواضيع أخرى تدرس في هذه المرحلة الثانية ، وهي « شعوب أوروبا والبيئة الاجتماعية لكل شعب » . وأخيرا فإن المنهاج المؤدى إلى شهادة الدولة يتضمن المواد الآتية : « الأجناس المجرية ، اللهجات المجرية ، تاريخ علم الاجتماع الثقافي ، وعلم المتاحف العام ، وعلم المتاحف الثقافي » (٦)

٣ — البحث العلمي : لقد رأينا كيف أن الطالب يتلقى دروسا تطبيقية في مناهج البحث . وهذا التكوين يؤهله لإنجاز أبحاثه الخاصة . وبعد حصول الطالب على الإجازة يستطيع أن يسجل نفسه لتحضير دكتوراه الجامعة في علم الاجتماع الثقافي . وعند مناقشة الرسالة لابد من تأدية امتحان شفوي . وهناك شهادة أعلى من دكتوراه الجامعة ، وتسمى شهادة « الفرشيش candidature » . ويمنحها مجمع العلوم التابع لمدينة بودابست . فبعد ثلاث سنوات من « القريض aspiranture » — وهي فترة يقضيها المرشح في التعمق في علم الاجتماع

(٤) نفس المصدر السابق ص ٢٨٣ .

(٥) من جملة ما قامت الأنسة كيسبان بنشره ، دراسة عن

(٦) نفس المصدر السابق ص ٢٧١ .

الطرق التقليدية ل استحضار مشقات الحليب .

كبير لدى الجمهور ، ومن جعلتها معارض الرعاة ، واللباس التقليدي ، والآثار ، والحرائث . أن متحف الآثار الثقافية لمدينة بودابست الذي احتفل بمرور قرن عليه ، لابد من أن يتطور وأن يلعب دورا كبيرا في إحياء التراث الشعبي ، وخاصة في ميدان التراث الشفوي الذي خطى باهتمام كبير من طرف الباحثين .

٤ - دراسة اللهجات والإدب العفوي :

أن التراث الثقافي المجري غنى جدا ، ولذلك فليس من المستغرب أن تكثر الدراسات حول التراث الشفوي . وبخصوص هذا الأمر ، نشر إلى أن الأستاذ إيميرى ياشرف منذ عدة سنوات على عمل جماعي من أجل وضع دليل عام للهجات . والطريقة المتبعة هي جمع العبارات المختلفة المستعملة للمعنى الواحد ، في المقاطعات المجرية . وبعد هذا ، تجرى المقارنة ، أن أمكن ، بين تلك العبارات وبين العبارات المستعملة في اللغات غير المجرية . وقد نشر الأستاذ إيميرى دراسة في هذا الإطار (٦) .

وقد استرعت الحكايات والأساطير الشعبية انتباه الباحثين ، ومن بينهم السيدة دويوس ، الباحثة التابعة لمتحف الآثار الثقافية لمدينة بودابست . فهذه السيدة قامت بنشر كتاب مهم باللغة المجرية عن الحكاية ، ولا تزال تتابع أبحاثها في نفس الموضوع (٧) . وهي متخصصة في دراسة الحكايات الريفية ، فاعتنت بتطورها على أساس العلاقات القائمة بين المدن والريف . وقد توصلت إلى ملاحظة كثير من الظواهر المهمة ، وأدركت أسبابها ودوافعها . ودرست السيدة دويوس أيضا شخصية القصص الشعبي ، واستخلصت من ذلك نتائج مهمة .

النادرة . وبهذا المتحف غرور كثيرة منها الفرع رقم ٢٦ ، ويختص بالأدب الشفوي ، وبه نصوص أصلية لم ينشر ٨٥ ٪ منها . ويحتوي المتحف على أكثر من ١٦٠.٠٠٠ من الآثار الثقافية ومعظمها غير معروض للجمهور . وقد شرع في إنجاز متحف للآثار الثقافية ، في الهواء الطلق ، وتم انتقاء عدة آثار أصلية لكي تعرض فيه ، منها قبة للآجراس يرجع عهدها إلى القرن الثامن عشر ، وطاحونة من القرن التاسع عشر الخ . . . وعندما يتم إنجازها فإنه سينافس ، على المستوى الوطني ، المتحف الجمهوري الموجود في زالجرزك .

وقد تطورت طرق العرض كثيرا ، وعلمت من المسؤولين أن عددا كبيرا من القاعات الصغيرة ، كانت قبل ١٩٥٥ ، مشحونة بالمعروضات « من الأرضية حتى السقف » . أما اليوم فإن الجانب التوعلي في المتحف هو الأهم ، ولذلك فليس المقصود هو تكديس المعروضات بعضها على بعض ، بل هو ترتيبها بحيث يستفيد منها الزائر فائدة . ولم يعد يكفي أن يتفرج الزائر ، بل لابد من تعليمه وإرشاده . ومن أجل ذلك فإن الطرق السهمية البصرية تعتبر من أنسب الطرق في العرض . وهذا يصدق أيضا على النماذج التصميمية (ماكيت) وعلى الصور ، خاصة عندما يتعذر استحضار الآثار ذاتها . والمهم في الأمر هو وصف أنماط الحياة التقليدية وتمثيلها في تطوراتها : وما الآثار التي خلفتها الشعوب الإثواء باقية من تلك الآثار : فإذا أردنا أن نفسر نهضا من أنماط الحياة ، فلابد من وضع الأنسب في إطاره الطبيعي ، وبعث الحركة والحياة فيه . وهكذا تم تنظيم معارض عديدة في مدينة بودابست ، وجرت حسب الطريقة السابقة ، فصادفت نجاحا

جوانب من علم الاجتماع الثقافي في بلاد المجر

بيلابارتوك (١١) . والطريقة المتبعة هي الطريقة البنائية structuralisme وغيرها . وهكذا تمكن الباحثون من استخلاص السمات البارزة في النصوص (الاغاني المتركية من مقطع شعري واحد أو من مقطعين الخ ...) . واستعملوا كذلك الطريقة المقارنة . وقد توصلوا الى معرفة تطور الاغنية الشعبية ، وأبرزوا الدور الذي لعبته الاذاعة في هذا المضمار . وأخيرا ، فقد تم وضع « مجموعة الاغاني الشعبية » ، من اعداد علماء الموسيقى الشعبية التابعين لجمع العلوم .

وفي الجملة ، يمكن القول بان الباحثين الاجريين في علم الاجتماع الثقافي يقومون اليوم بعملية واسعة النطاق من اجل تحليل التراث القومي واحصاء كنوزه والاستفادة منه عن طريق بعثه من غياهب الماضي الدفين وترك الجوانب السلبية العقيمة في العادات والتقاليد .

أما السيد ساندور فودور ، أستاذ اللغة العربية ، فانه يهتم بالاساطير في اقطار الشرق الاوسط المسلمة (٨) . والآنسة بورساي تبحث في الاغاني الدينية القبطية والموسيقى الشعبية في مصر . وقد نشرت عددا من الدراسات في اطار منشورات مجمع العلوم (٩) .

ومن هنا ندرك أن ميدان البحث غير محصور على المجر ، بل يتجاوز الحدود الوطنية . الا أن احسن النتائج التي حصل عليها الباحثون ، كانت في الارياض المجرية ، وفي ميدان التراث الشفوي . فالسيدة دوموتور ، الاستاذة بكلية الاداب بمدينة بودابست ، قامت بدراسة الاغاني الشعبية الريفية ، ولها بحث في هذا الموضوع (١٠) . والسيد إيجولا كذلك دراسات في نفس هذا الموضوع . . على أن صاحب التخصص الحقيقي في الادب الشفوي هو الاستاذ أورتوتاي ، عضو مجمع العلوم . ومن الرواد في هذا الميدان

انظر في هذا الباب « A » tortenati mondat rendszevezérésrol » in : « Ethnographia » « Dramaturgy of tale-telling » in Acta Ethnographica 16, 1967 — M. Istvan San or.

8 — The origins of the Arabic Surid legend, in Akademie-Verlag, Berlin 1970

9 — Melody types of Egyptian Wedding songs (1970) Melodies trad des Egyptiens et leur importance dans la recherche de l'ancienne musique pharaonienne Variations ornementales dans l'interpretation d'un hymne copte (1969)

10 — Mythical elements in Hungarian midwin-ter quete songs, in : Acta Ethnographica, t-19, 1970, pp 116-146.

(١١) للاطلاع على منشورات بارتوك حول الموسيقى الشعبية ، راجع الكتاب المنشور تحت اشراف باتس ترايبوكسي :

« Bartok, sa vie et son œuvre, ed. corniva, Buda-pest 1968, pp. 139-192.

كلمات

* معرض كنوز توت عنخ آمون ، المقام الان في المتحف البريطاني في لندن ، ليس مجرد مناسبة فريدة يشاهد فيها البريطانيون هذه المعروضات الثمينة محسب ، وانما هو مناسبة هامة لالقاء مزيد من الضوء على الحضارة المصرية وعلى تاريخ ذلك العهد بالذات .

وفي رسالة نشرتها « التايمز » هذا الاسبوع يطرح كاتبها سؤالاً هو :

هل لعب توت عنخ آمون دوراً في حياة سيدنا يوسف الصديق ؟

ويستشهد الكاتب بما قاله البروفيسور راولي عن ترجيح أن يكون اخناتون هو الفرعون الذي جعل سيدنا يوسف وزيره . وهي نفس النتيجة التي وصل اليها البروفيسور رالف أوجدت في كتابه « سلم الوقت » حيث يقول انه نتيجة لدراسة سفر التكوين فقد وصل الى الاعتقاد بان توت عنخ آمون ، الذي يرجح انه ابن اخناتون ، كان هو الفرعون الذي دعا سيدنا يوسف الى احضار ابيه يعقوب واخوانه الى مصر .

تاريخان ومجتمعان

ان اتخلى ولو عن ذرة من
حسك او حبة من حصي
القمم من اجل قموح كل
السهول « اجابت القبيرة »
(مقتطف من قصة قبائلية) .

ان الحشد الذي ذهب الى حد محاولة فرض
نموذج واحد للسكن على كل الجزائريين حتى
في النواحي الصعبة المنال (اى الاكثر قابلية
لتسيير حرب ثورية) قد ساهم الى حد ما في صهر
المجتمع الجزائري في قالب واحد ولكن تغيير
النظام الاقتصادى والاجتماعى تابعة للخصائص
السكنية ، والاقتصادية والاجتماعية والثقافية
للمجتمعات التى يقع عليها التغيير — بقدر
تبعيةها — للشكل والشدة للعملية المغيرة .

عبد الرحمن بوزيدة

جدا ، ففى بعض الحالات تم التأثير الاستعماري بطريقة غير مباشرة ، وفى حالات أخرى خرب الاستعمار المجتمع المستعمر وضربه فى حجر الزواية بازالته للملكية العشائرية التى من أجلها وبواسطتها كان يتم تنظيم الجباعة وقد خلق التدخل الاستعماري - فجوة حاسمة بمنعه علاوة على ردود الفعل الموازنة والتكيفية التى تقوم بها كل مجموعة من أجل الصياغة الشخصية للخطوط المقتبسة .

ففى حالة - كان النظام المجتمعي القديم والعادات والقيم المنسجمة معه قد استطاعت الاستمرار بفضل التكيفات : فنستطيع اذا ن نتكلم هنا عن التلقيح الثقافي لولا ان الاتصال بين المجتمعين والمبادلات الثقافية التى يسمح بها تدور فى اطار المنظومة الاستعمارية مما يكتنى لاعطائها طابعا خاصا .

وفى حالة أخرى ، أدى التحطيم العنيف لقواعد المجتمع القديم الاقتصادي الى هلهلة المجموعات المجتمعية وانطفاء التقاليد الثقافية فعمل القوة المسيطرة المنظم والموجه بتدبير قد انتج محوا ثقافيا بارادته تحطيم أسس النظام المجتمعي القديم التقليدي .

مجتمعان نمونجيان : جبال القل ووادي الشلف.

من بين هذين النوعين من المجتمعات ، الواضحة بتاريخها الحديث ، وبنفس القدر ان لم يكن أكثر بتقاليدهما الثقافية -وادي الشلف وجبل القل (حيث توجد أهم المراكز المدروسة) تعطى امثلة خاصة الدلالة . فـجبل القل بتضاريسه ، وانعزاله عن المنشآت الاستعمارية قد كان بعيدا عن تأثيرها كجبال القبائل والاوراس .

فلفهم المغزى والاهمية الكاملة لهذه العملية يجب ان نعرف ان الخلافات الناجمة عن السلالات وعن التقاليد الثقافية قد تضاعفت خلال التاريخ الاستعماري .

التلقيح الثقافي والمسخ الثقافي

ان تحليلا بسيطا للاحصاء الفلاحي لسنة ١٩٥١ يجعلنا نميز النواحي المكثفة بالمعمرين ، اين تحتل الضيعات الاروبية أكثر من ٥٠٪ من المساحة ، والنواحي ذات الاحتلال الخفيف ، اين لا يملك المعمرون الاقسما ضعيفا من الاراضى فيبينها تسيطر الملكية الجزائرية الصغيرة (والصغيرة جدا) فى الجهات الجبلية: القبائل الصغرى والكبرى ، الاوراس والنمامشا والبيبان والحضنة والاطلس المتيجى ، وسلسلة التيطرى وجبال سوق اهراس والونشريس والظهير (٧٥ الى ١٠٪) الملكيات الجزائرية الاقل من ١٠ هكتارات - لاتبقى منها الا نسبة ضعيفة فى المناطق الغنية اين تظهر الملكية الاستعمارية الكبيرة والمتوسطة ، اى فى الساحل الجزائرى ، والشاطئ الشرشالى المستعمر منذ عام ١٨٥٨ ، وشاطئ مستغانم ووهران وسهل يسر وشاطئ بجاية وعنابة وسكيكدة المزروعة بالعنب والبرتقال والمناطق الفلاحية للمدية ومليانة ولاتبدو الا على هامش الملكيات الاروبية ، فى المناطق الاقل خصوبة فى كل المناطق التى تتركز فيها المعمرين اى اساسا فى السهول والهضاب العليا والشلف .

وننتج عن ذلك ان الاختلافات التى فرقت دائما بين المناطق الجبلية (التى هى فى اغلب الاحيان بربرية النطق) وسكان مناطق السهول والهضاب ذو اللسان العربى فى اغلب الاحيان، قد تفاقمت نتيجة لنجاعة اعمال الاحتلال المتنوعة

بفلاحة محدودة لا ينتظر منها ، الا العيش
الضرورى ، وسد الرمق تفرطهم الى ابقاء نظام
اجتماعى لا تخفى عليهم تماما عقاقته .

وتشكل الهجرة الى ضيعات وادى الشلف
او المتيجة ، على الرغم من عدم اتساعها ،
تغيرا حاسما فى المجتمع اكثر من الهجرة الى
فرنسا - لانها لا تعد مهمة تكلف بها الجماعة
الفرد ، بل انها مغامرة افراد معزولين مجبورين
على مجابهة نظام مضاد .

وباختصار فان التقليد الاول ، الخاص
بارتباط مجتمع بالقواعد التى تؤسس وجوده
قد عوض بتقليد متقهر ، يسمح بالحفاظ على
توازن غير مضمون فى اسفل مستوى ، انها
تقليدية اليأس يفرضه زوال المقاومة والضمانات
الخاصة بمجتمع ملتحم .

التبادلات الثقافية والتدخل الاستعماري

هذه التفرقة بين مجتمعين ، يفصلها الماضى
القريب تبقى « النمط المثالى » اى انها لاتصح
بعبارة اخرى الا فى حدود ، ففى الحقيقة أن
التدخل الثقافى لاينفى تماما المبادلات الثقافية
(بالاتصال) والتلقيح الثقافى ليس دائما مجرد
اتصال بين حضارتين فليس ممكنا اعتبار كل
التغيرات التى تعرض لها المجتمع الجزائرى
تلقيا ثقافيا الا اذا اغفلنا الوضعية الاستعمارية
السائدة ، من دون شك ، فان مجتمعا كالاوراس
لم يعرف قط لا المعمر ، ولا الموظف ولا الطبيب
بحيث يمكن أن نعتبر الهلولة التى اصابتها نتيجة
اصطدام بين اقتصاد عتيق واقتصاد عصرى ،
مخصص مكتسح .

ولكن ، زيادة على اننا نبالغ اذا صمنا
الاستنتاجات التى تصدق الى حدما ، على

من دون شك لقد اقيم بهذه الاماكن غداة
تمرد ١٨٧٥ مركزا للاعتبار اقتطعا احسن
الاراضى فى الشريعة وبسنبورغ - الزيتونة -
ومن غير شك فقد حرم الفلاحون من جزء هام
من الغابات التى استثمرتها - شركة - الخفاف
للحماندة والقبائل الصغرى (١٢ ب ش)
- وشركة - استغلال خفاف العلوج ، غير انه
بسبب القلة والتوزيع للاراضى الطيبة ، لم
يستطع الاعتماد الفلاحى الكبير أن يتمركز
واستطاعت بذلك الزريباب الجبلية أن تحافظ
بصعوبة على توازن اقتصادى غير مستقر وأن
تحافظ على تقاليدها الثقافية ، التى بقيت لم
تتغير نسبيا كل هذا بفضل مساعدة المهاجرين
من اهالى هذه النواحي .

وكانت الهجرة الى سكيكدة اولا (منذ ١٩٠٥)
ثم الى فرنسا (منذ ١٩١٨) خاضعة خضوعا
وثيقا الى المتطلبات التقليدية ، اذن أنوظيفتها
الاساسية هى السماح باستمرارية النظام
الاقتصادى والاجتماعى فى نفس الوقت الذى
كانت تدخل فيه رغم المراقبة ، عوامل التغيير .

اما فى الشلف ، فبالعكس ، لقد حطم
الاستعمار القواعد الاقتصادية للقبيلة مجبرا
السكان القدامى لهذا السهل الخصب على
الانتقال الى التلوى الاقل خصوبة . فقد بدأت
العلاقات الاجتماعية تفتت ، وكسدت التقاليد مع
الجماعات التى كانت تساندها والتى كانت هى
سند لها .

فالعمال الزراعيون للمعمر ، الموصولون عادة
عن قبيلتهم وعوائلها ، كانت لهم مفاهيم تقليدية
متصلبة وشكليات سحرية للدين واصبح مجرد
طقوس - يحققون تماما حركة المسخ الثقافى
- الذى يعانى منه ايضا الفلاحون المرتبطون

الإدارية الخاصة مستهينة بالواقع رغم المقاومات العنيفة أسرعت القوة الاستعمارية بالعملية ووسعت نجاعة قوانين التبادل الثقافي ونحن نعرف أنه في السرعة ، أولا وفي اتساع وتحدد طبيعة واتساع التسليف تكون متنوعة الثقافي : فيوضعها بدون انقطاع للمجتمع على المجتمع المغلوب بفرضها لقواعدها القضائية توجد بالضبط في هذه السرعة المرضية للتغيير التغيير الثقافي ثانيا توجد الاختلافات الأساسية بين التلقيح الثقافي والمحو الثقافي .

والنتيجة المخصوصة بالتدخل الاستعماري المغلوب أمام الأمر الواقع ، والقيام مكانه بالاختيارات الأساسية منعت السياسة الاستعمارية (التي تمثل منها سياسة الحشد المظهر اللا منطقي لشدة ادعائه للمنطق) منعت المناقشة بين الاستمرار والمحو والاندماج والتعود هذه المناقشة التي تكون حياة المجتمعات لذلك فإن الذين يقولون بأن هذه السياسة لم تزد على أن أسرعت بعملية كانت ستتم على أي حال من الأحوال ، وبكل استقلال عن أي تدخل خارجي تكون معهم كل المظاهر : فبالفعل فإن بث اقتصاد رأس مالي في الجزائر ، وتعميم المبادلات النقدية ، والعدوى الثقافية المهيمنة بالهجرة والمدرسة - كانت ستؤدي حتما في النواحي التي لم تعرف الاستعمار الفلاحي إلى تغييرات شاملة في السلوكات والمواقف والتصرفات .

وفي الواقع ، فإن مجرد السرعة التي تحمل إياها هذه السياسة تكفي لتغيير التحول الثقافي في طبيعته ذاتها .

نماذج من السلطة ونماذج من التدخل :

وأمام هذه التجربة المجتمعية الواسعة يجد الملاحظ نفسه مساقا للتساؤل عما إذا كان

الأوراس ، الجزيرة المغلقة نسبيا على نفسها إذ ليس هناك شك بأن المجتمع الأوراسي ككل المجتمعات الجزائرية الأخرى توجد داخل منطقتي الجهاز الاستعماري - وعلاوة على عوامل التغيير المعقدة عادة ، كالانفجار الديموغرافي وانهيار القرية المحروثة والانتقال من اقتصاد تبادل - إلى اقتصاد سوقى ، يجب إضافة اعتبارات أخرى آتية مباشرة من الاستعمار ، فالقرار الإمبراطوري وهو أحد الأمثلة ، تقسم (سنة ١٨٨٩) أرض « الطوايى » (أولاد الأبيض) إلى ثلاث دواوير (تغمين ، الأبيض ، اشمون) وأسس الملكية الفردية في السهول العليا وسبب تنقل الأهالي إلى « مدينة » « وأم الطوب » حيث استقروا وبنوا المنازل وعلاوة على هذا بدأت الملكية الجماعية تنحو للانقسام بفضل التسهيلات التي أتى بها القرار الإمبراطوري ، وقد حدث تفكير مدقق عند الانتقال من الملكية العشائرية إلى الملكية الفردية لعدم توفر التقنيات ولعدم توسع الأراضي المحروثة . وزيادة على هذا ، فإن التمدن والتفرد بالملكية أضعفا من العلاقات الجماعية وشجعا الفردية الاقتصادية التي أدخلها تعميم التبادل النقدي ،

ومن دون شك فإنه يعصب علينا أن ننفي بأن التدخل الاستعماري والعدوى الثقافية يسيران

في نفس الاتجاه ، فإذا كان تعميم المبادلات النقدية والتأثير الذي أحدثه تقليد الأوروبيين بالنزوع إلى إدخال منطق المحاسبات في الاقتصاد العائلي وإلى ضعفتم قواعد المجموعة العائلية فإن كل الجهاز القضائي وخاصة القوانين العقارية يسعيان إلى نفس الغرض . ولكن إحدى الخاصيات الأساسية للظرف الاستعماري يمكن في أن ممارسة سلطة الانتقاء ، التي تسمح بصورة مثالية للمجتمعات المتقلبة بأن تعرف

تاريخان ومجتمعان

ينسف للارادة الشعبية أساسا وباختصار فان تحرره لا يستطيع الظهور الا بخفوت ولين الوهمى كانت تحضى باحساس وتقدير الاهالى دون ان تكون العملية التى تخدمها هذه المهارات قد حضيت بأى قبول من طرف الاهالى .

ولانه كان متقيصا أكثر لشخصيته ، وانه كان ملتزما أكثر بفكرة الصفحة البيضاء ، او على لسانه لانه يحطم لينى كان الضابط المتسلط أكثر وضوحا وبشاعة ففى أم الطوب القل مثلا كانت كل حياة الاهالى المحشودين خاضعة للنظام العسكرى : افاقة على صوت المزمار العسكرى وذهاب فى ساعات محددة الى الحقول ، واطفاء للانوار يعلن عنه ناقوس وتقارير اسبوعية كركتور لتشاور الديموقراطى وللجمعية التقليدية - تعلم الاهالى بواسطته بالقرارات التى اتخذت . ان الضابط الذى يسير العاصى بكركرة مصاب الى ابعد درجة بمايسميه (ملفنسيكى) الهندسية المريضية والتي تعبر عن نفسها بعيل - جنونى - للتقابل الهندسى والتصميمات والمنطقى الصورى فى التصورات والسلوكات .

يقول هذا الضابط : انا من اللورين وأحب الخطوط المستقيمة والناس هنا فى خصام مع الخط المستقيم - ويظهر تسلطه فى كل الميادين فلم يكفه ان صنف المنازل فانه أمر بأن تقطع الاشجار التى تحف الطريق معطيا منظرا لا انساني للمحتشيدات كما أمر ان تكون الطريق الوسطى عريضة بدرجة كافية لكى يستطيع المرور بسيارته وعندما يسأل لماذا وجب ان تقام زريبة كركرة التى كانت على سفح الهضبة فى منطقة تغطيها المياه عادة ؟ يجيب - يجب ان يحشد هؤلاء القوم والا فانهم سيحصلون عن جلدى فى يوم من الايام فالى حد الان كل

التدخل الثقافى يثير ردود فعل متماثلة ونتائج متشابهة فى تواحى غيرها التاريخ الاستعمارى بتفاوت وتنوع اى « الشليف » و « جبال القل » وعلى وجه الدقة اذا كان مجتمعا ما محتفظ بكل تنظيماته وعاداته الثقافية قد استقبل وتعود على انماط للسلوك مستعارين عن المجتمع الاوروبى ، سيقابل التدخل الخارجى بنفس ردود الفعل التى يبديها مجتمع قد أصيب فى قواعده الاقتصادية ولو انه استمر جهد الامكان على اقتصاد وطريقة فى العيش تقليديين

ان ملاحظة منهجية لتجربة التشريح الاجتماعى التى كانت تتم تلزم بأن نأخذ بعين الاعتبار ، زيادة على الاختلافات الماسكة للتاريخ والعادات الثقافية الناجمة عن اختلاف المجتمعات الى الاختلافات الناجمة عن نوع التدخل المغير ، ففى الحقيقة وعلى الرغم من ان نشاطات المسؤولين تخضع دائما لنفس الذهنية ولنفس الانماط اللاشعورية ، فان المجال المتروك للمبادرة كان كافيا لظهور فروق هامة دائما فى تنظيم الحشود . ونظرا لصلابة مواقف اغلبية المسؤولين ، المقتنعين أكثر مما يلزم بشرعية عملهم لكى يهتموا بالموافقة بين نشاطهم والظروف الخاصة وتطلعات الاهالى فان الاختلاف بينهم لا يتعدى الطريقة ونستطيع لكى نختصر ان نفرق بين نوعين من الضباط حسب مظهر السلطة التى يمارسونها وطبيعة العلاقة التى يحافظون عليها مع الاهالى وأيضا حسب الفكرة التى يحملونها على مهمتهم الايديولوجية التى تكيف كل نشاطهم . فالضابط - المتحرر - او الابوى النادر نسبيا ، يحاول ان يأخذ بعين الاعتبار تطلعات الاهالى المكلف بهم بدون ان يستطيع ايدا الذهاب الى نهاية مقصده باستشارة مجموع الاهالى اذ ان عمله

ضداد رادتهم في مناطق مجاورة للصا ص ، واحسن من هذا ، جمعهم ثم طلب منهم أن يبنوا منازل بمصاريف باهضة ، ليطلب منهم تهديمها فيها بعد عندما يعثر على موقع أحسن يختار لصلاحيته الجغرافية والاقتصادية ... ولكن كيف التعلص من تناقضات تفرزها حالة متناقضة أساسا ؟ ان لم يكن هذا الضابط مقتنعا بأنه يقوم باسعاد الاهالى رغم أنهم فان معنى مشروعه نفسه هو الذى سينسف .

تناقضات الايديولوجية الاستعمارية وتناقض الاستعمار

— وحتى عندما يصطبغ بالبرالية الانسانية يبقى التدخل الاستعماري منطبق على تناقض لا يمكن تداركه ، فليس أنهم يجهلون ويريدون تجاهل المجتمع الذى يؤثرون عليه بل لان هذا الجهل هو الشرط نفسه لعملياتهم هذه ، يبقى المسؤولون عن هذه السياسة غير قادرين على تقدير العواقب الوخيمة لها والتدخلات اللازمة لجعل هذه السياسة تسير بصورة حسنة ، اى لاقامة المنظومة الجديدة الاقتصادية والاجتماعية القادرة على لحم وتجاوز التناقضات التى سببها التدخل السابق .

مصائبى قد انت منهم فلن اكون مرتاحا الا اذا كانوا هنا امامى . — وفي موضع يقول : هؤلاء القوم يجب جمعهم يوم ١٥ أوت لانى سأذهب فى عطلة يوم ١٦ — وان عثيان الحكم المطلق بعد كل اهتمام بمصالح وتطلعات الاهالى : — ان اقامة محتشد أمر سهل ، يجب البدء بعملية غزو وبعد ذلك تقسم المنطقة ونقوم بتسطيرها وتوزيع الاماكن وتحديد الوقت لكل واحد ابناء — قريى — وكيف لايعم فى مثل هذه الظروف عدم الفهم الذى تلاقيه مثل هذه القرارات ؟ — نجمهم فلا يفرحون ونفرقهم فلا يفرون — — كان ذلك هكتار فى الجبال قبل الحشد فهناك هكتارا فى السهل وارتكنى استريح . —

فليس شىء أغرب على هذا الضابط مثل التخوف من مقاصد ووسائل الحشد التى يجدها لدى الاهالى .

ونفس اليقين الا مناقش والذى لا يخضع الى المناقشة يسود تصدق الضابط التحرير رغم المظهر الابوى فمثلا لقد كان ضابط محتشد — الشريعة — وعين اقبال — يستظهر بالآف الحجج المعقولة لتبرير مشروع غير معقول فى اساسه مشروع جمع اهالى الزيات المتفرقة



نقد

حول كتاب نقد الفكر الديني

للدكتور جلال العظم

ظهر أخيراً في لبنان كتاب جديد بعنوان : نقد الفكر الديني للدكتور العظم . تناول فيه صاحبه نقد الفكر الديني . واثار الكتاب ضجة كبيرة في المشرق وخاصة في الاوساط الدينية ، وحتى هنا في الجزائر ، بالرغم من ان الكتاب لم تتسرب منه الا نسخ قليلة . فقد اتصل بنا أكثر من واحد من المدعين الفيرة على الاسلام ، معتبرا الكتاب وكأنه كارثة جديدة حلت بالاسلام والمسلمين .

وطلبنا منهم نقد هذا الكتاب والتعليق عليه . وإبدينا حماسنا لنشر نقدهم وتعليقهم .

ولكن لم يصلنا منهم حتى الان شيء وربما يكون لهم غنهم في هذا الصمت . وقد صادف أن جرى لنا حديث مع الاستاذ شريط في هذا الموضوع ، فوجدناه قد قرأ الكتاب وعلق عليه ، وهذا نص تعليقه كما سجله مباشرة عند قراءة الكتاب .

عبدالله شريط

استاذ بكلية الآداب بجامعة
الجزائر

يثبت بطريقة اعتباطية عن طريق رجال الجهال عندنا بأن كل ما لم يقره العلم الحديث يجب انكاره ، في حين أن العلم الحديث نفسه لم يصل الى هذا الادعاء المتطرف ، بل يكفى بالقول بأن كل ما هو من الماوريات — سواء كانت فلسفية أو دينية — يقف منها العلم موقف التوقف ، ويتابع الجهود في بحثها . . كما توجد اليوم مدارس علمية في أمريكا تدرس مشاكل الروح واستحضارها والبحث فيها اذا كانت قابلة لان تخضع للمنهج العلمى ام لا . والكلمة الاخيرة في هذا الموضوع لم يقلها العلم بعد .

ثم ان العلماء المسلمين السابقين عند ما كانوا مثقفين كانوا يصرحون بأنه من المستحيل اقامة الادلة العلمية والمنطقية البرهانية اليقينية على وجود الله مثلا ، او ماشابهها من القضايا الماورائية ، ويحسن أن تترك للعقيدة العاطفية لا الايدولوجية الغيبية كما يسميها المؤلف في مكان آخر .

كذلك في الصفحة ٣١ وما بعدها يريد أن يثبت المؤلف اننا اذا لم نستطع أن نوافق بين معتقداتنا الدينية والحقائق العلمية فيجب أن نتخلى عن احدها لفائدة الاخرى . وهو اختيار لا يخلو من سذاجة لان القضية ليست جديدة ، فالعقل لم تغيبض عليه المسائل الدينية وحدها ، بل غمضت عليه المسائل العاطفية الاخرى .

المؤلف ان المؤلف لم يحطم من الدين الا العناصر الميتافيزيقية التي لم يعد لها اثر يذكر اليوم ، واهمل المسائل الاجتماعية والسياسية في المآسى التي يقاسيها العرب والمسلمون — طبعا — التي ورثها العرب عن عهود الانحطاط . وبذلك اقام الدليل على ضعف فكره السياسى مثل بقية اخوانه المثقفين العرب وسواء كانوا دينيين أو غير دينيين ، قديما

نلاحظ عند الكاتب كثرة الجدل مع علماء الدين من الجهال والمثعوذين على حساب التحليل العلمى البناء لمشاكل الفكر الدينى الحقيقية في مجتمعنا . مثلا :

(١) آية خلق الله لنطفة الانسان وتطورها (ص ٤٠) مؤاخذه المؤلف للآية على فكرة تدخل العناية الالهية في كل طور من اطوار الخلية ، في حين يتم ذلك التطور حسب قانون طبيعى . وافتعال المعركة هو أن الخصومة تديمه منذ اهل السنة والمعتزلة ومؤداها هل ان الله يتدخل في خلق جزئيات الكون ام انه يخلق فقط القوانين التى تسير عليها الطبيعة . ثم ان هذه المعركة اليوم قد تجاوزها الزمن ، واثارة النقاش فيها من جديد اقرب الى مضمية الوقت .

(٢) مناقشة حديث طلب العلم والآيات الداعية الى استعمال العقل (ص ١) :

يؤاخذ المؤلف رجال الدين الذين يزعمون أن الحديث يدعو الى العلم عامة في حين أن الحديث يدعو فقط الى العلوم الدينية باعتبار العلوم الدينية هي اسمى انواع العلوم في ذلك العصر . وافتعال المعركة هو : ما يضر أن يكون هذا الحديث عاما لكل العلوم حسب اهمية كل علم بالنسبة لعصره ؟!

(٣) في الصفحة ٣٦ يؤاخذ المؤلف رجال الدين عندنا ممن يزعمون أن الاسلام متوافق مع العلم الحديث : بأنهم يزعمون هذه المزاعم في عبارات اجمالية قضاضاة ويتهربون من ضرب الامثلة المحددة على ادعاءاتهم مثلا : فكرة خلق آدم من الطين ، ودعوة ابليس للسجود ، وفكرة الجن الخ . . . فهل موافقة للفكر العلمى الحديث الذى لا يؤمن بالجن ونحوه من الكائنات الغيبية . وافتعال المعركة هو أن المؤلف نفسه يريد أن

على أنه يجب أن نعترف بأن سذاجة رجال الدين قد مدته بالسلاح الكافى ليحطم الاسلام كعقيدة . ونحن لا ندافع عن الاسلام بوصفه ديناً لشعبنا ، بل لانه مازال فى ظروفنا الحضارية الراهنة يمكن أن يشكل قوة حربية وسياسية قاهرة اذا عرف هؤلاء المثقفون كيف يستغلونه فى الشعب استغلالاً ذكياً كما فعل قادة الثورة الجزائرية على بدائية ثقافتهم الدينية . ولكن قوة تكوينهم السياسى ، وحاستهم الوطنية هداها الى أن يجعلوا من الدين سلاحاً ضد الاستعمار ، وسلاحاً الآن ضد التجزئة والتفرقة . اصف الى كل هذا ان صاحب الكتاب الذى يدعى أنه يبحث بحثاً علمياً مجرداً لم يتناول المزايا الايجابية فى الدين الى جانب المعضلات السلبية حتى يثبت حياده وموضوعيته التى يزعمها باطلاً ..

وحديثاً ، وكنت تمنيت أن لو تناول المسائل الدينية ذات الصبغة الاجتماعية والسياسية مثل مسائل الحج ، أو رمضان بالنسبة للاقتصاد . لقد أهمل كل ذلك ، وراح ينطح صخرة العقيدة العاطفية التى يرى أو لم ير انها هى الرابط الوحيد الذى جمع قوة اليهود حتى كونوا دولة تقوم على اساس العقيدة الدينية وحدها ، بل هى مفرقة فى هذا الاساس الى حد جعلت عنه عنصرية دينية متطرفة لا تقل عن عنصرية هتلر السياسية . لقد ركز هجومه على الدين الاسلامى ومن بعده الدين المسيحى ، وسكت عن الدين اليهودى لماذا ؟ فاذا كان فعل ذلك من اجل الماركسية ، فان الماركسية لم تحترم اى دين بها فى ذلك اليهودية ، واذن فعله من اجل اسرائيل ؟ لا ادرى ..

نشرت صحيفة (رابونتي تشسكوديلو) البلغارية رسالة للصحفيين الاشتراكيين فلاديمير كاتين ، وادوارد روزنتال جاء فيها :

أكثر بقليل من ٢٠ ألفا من اليهود يعيشون في سويسرا ، وقد أنشأت الحركة الصهيونية هنا شبكة من المنظمات المتخصصة نشطت في النطاق الأوربي كثيرا .. وعمل هذه الشبكات يتركز أصلا على وجود وكالات اعلامية للنشر من كل نوع ، كجمعيات ولجان تتعاطى اعمال الدعاية للأفكار الصهيونية وتحول جميع اموال هذه الشبكات الى اسرائيل وبالرغم من ان بعض قادة هذه المنظمات يميزون أنفسهم كلاميا من الصهيونية ، فان هذا التمييز يكون موجها من قبل الصهاينة ويخضع لمصالحهم عمليا .

وفي حديث مع الصحفى السويسرى ميشال ليمان اعترف صراحة انه من الصعب جدا ، بل من المستحيل ايجاد فرق بين عمل المنظمات الصهيونية وعمل المنظمات اليهودية الاخرى التى لا تحسب كمنظمات صهيونية شكليا لقد تأكدنا بانفسنا من ذلك بعد لقاءات واحاديث قمنا بها مع الكثير من ممثلى الجمعيات اليهودية . وفيما عدا جمع المساعدات المالية للاحتياجات العسكرية لاسرائيل فان المنظمات اليهودية في سويسرا تقوم بالحملات الاعلامية المؤيدة للمخططات الصهيونية وتتفق معها .

وأبدينا اهتماما بالسؤال عما اذا كان يوجد الكثير من اليهود السويسريين الذين سافروا الى « وطنهم التاريخى » فأتضح لنا ان المنظمات الصهيونية لم تجد في سويسرا حتى الان متطوعين للعمل في البيوتسات الاسرائيلية من اجل استصلاح صحراء سيناء — بل أكثر من ذلك — فان كل شخص وصل اسرائيل كسائح ولو لمرة واحدة تحدث بتحفظ شديد عن « ارض الميعاد » !! .. وأثناء وجودهما في سويسرا قابل المراسلان الصحفيان عددا من اليهود العاملين هناك ، وخرجنا بانطباعات لهذه اللقاءات تدور في مجملها حول المضايقات التى يلقاها اليهود في سويسرا من المنظمات الصهيونية العاملة هناك . فقد قال الساعاى يعقوب أورباخ: اذا ما قرر ابنائى السفر الى اسرائيل وسافروا فانى سألهم



معركة زاما

١ - بدايات الصراع في الحوض الغربى
للمتوسط .

تعتبر معركة زاما من اكبر معارك التاريخ
القديم في شمال افريقيا ، ومن اشدها حسما
وتاثيرا في توجيه مجرى الاحداث الدولية .
فهى تستحق الدرس والتحليل لاكثر من سبب
: فقد شهدت اساليب في التنظيم الحربى
والتخطيط للمعركة ، لم يسبق ان شهدها العالم
حتى ذلك الوقت . وهى من جهة ثانية قد
حسمت الموقف في الصراع الدائر بين قرطاجنة
وروما ، وهى من ناحية ثالثة فتحت المجال
لاستقرار روما في الشمال الافريقى .

محمد الميلى

مدير الاخبار بوزارة الثقافة
والاعلام .

بفضل أمطارها الغزيرة ، وينابيعها الثرة ، وأوديتها الجارية . وهى من ناحية ثانية بمنطقة عبور واتصال بين قارات ثلاث أوروبا وأفريقيا وآسيا . فكانت بهذا الموقع الممتاز مالتى العديد من المسالك التجارية ، والتجارة الثقافية ، والصراعات السياسية .

ونظرا لطبيعة الأرض التى ساعدت على قيام دويلات متعددة ، بدل دولة موحدة قوية ، فقد كانت هذه الدويلات ، لضعفها ، تضطر الى أن تناور وسط ضغوط الدول القوية ، حتى تضمن استمرار وجودها . وقد كان إفادها هذا الوضع فى اكتساب خاصية تتمثل فى الجمع بين الثقافات المصرية والرافدية والاناضولية ، ومزجها بالثقافات المحلية ، والخروج من كل ذلك بثقافة خصبة ومتنوعة .

من أوغاريت الى قرطاجنة :

فى المنطقة الساحلية الشمالية من سوريا ، قرب اللاذقية اليوم ، اكتشفت آثار على غاية كبرى من الاهمية ، ألقت أضواء مشعة على تاريخ المنطقة . وقد تمكن المؤرخون ، بواسطة الاعتماد على هذه الآثار ، وعلى مخلفات هامة أخرى اكتشفت فى تل العهارة بمصر تعتبر أرشيفا حقيقيا لحقبة من أهم الحقب فى تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم ، تمكن المؤرخون بواسطة ذلك من تحديد الخطوات الاولى لتطور دويلات بلاد الشام نحو قوة أضحت بعد قليل ذات وزن عالمي .

فقد استغلت هذه الدويلات بؤادر الضعف التى بدت على الامبراطورية المصرية فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وحصنت استقلالها . ونظرا لوقوع عدد غير قليل من هذه الدويلات على ساحل البحر ، فقد تعرضت لهجرات شعوب البحر — ومن بينهم الفلسطينيون الذين أعطوا اسمهم لفلسطين — كما أقامت علاقات متعددة مع

وليس من المبالغة فى شئ النول بأن ماصينصا كان احد الابطال البارزين فى هذه المعركة . كان بطلا فيها بمساهمته الشخصية فى التخطيط للمعركة وبمشاركة قواته العسكرية فى خوضها . وكان بطلا فيها بما ضبطه من حسابات سياسية كان يهدف من ورائها الى الحفاظ على استقلال بلده . وتدعيم سلطان دولته الناشئة .

ولكى نقدر هذه المعركة حق قدرها ، يحسن أن نمهد لذلك بهركة الظروف التى أدت اليها ، والالهام بالاطراف التى كانت تمسها .

على أن الالهام بأطراف معركة زاما ، ليس فقط يكشف عن قيمتها وأهميتها ، ولكنه يكشف فى نفس الوقت عن ضخامة المهمة التى اضطلع بها ماصينصا فى محاولة بناء دولة قوية مستقلة وسط أطماع عملاقين هما أقوى دولتين فى كامل حوض البحر الابيض المتوسط آنذاك .

قرطاجنة : الاصول الاولى

إذا كان الإنسان هو العامل الاساسى فى نشأة الثقافة وفى كل تطور حضارى فإن كلا من البيئة والوضع الجغرافى يلعب دورا هاما . فنحن مثلا لا نستطيع أن نفهم الحضارة المصرية أو الحضارة الرافدية إذا اغفلنا الوضع الجغرافى هنا وهناك . والوضع الجغرافى للمنطقة التى تعرف اليوم باسم سوريا وفلسطين ولبنان ، هو الذى يساعدنا الى حد كبير على تفهم الاحداث التى دارت فوق هذا المسرح حتى اتصلت ببلادنا ، فمحاذات البحر الابيض المتوسط من جهة ، وسلسلة جبال لبنان الشرقية والغربية من جهة ثانية ، والاتصال بالصحراء من جهة ثالثة ، كل ذلك جعل هذه المنطقة خاضعة لمجموعة من العوامل السياسية والبشرية وصياغة تاريخها القديم صياغة خاصة . فهى من ناحية منطقتة جذب لسكان الصحراء الذين يعتبرونها حنة نظرا لخضرتها ورغد عيشها

معركة زاما

فعلى رأس الدولة السورية يوجد ملك وراثي .
وتارة يمتلك سلطة مطلقة كما هو شأن حيرام ملك
صور في عهد سليمان . لكن الملك كان مجبرا في
أغلب الأحيان على أن يقرأ حساب قوى أخرى ،



فالكاهن الذي يمثل الاله الرئيسي للمدينة —
«الدولة» ، يمتلك نفوذا واسعا . كما أن القاضيين
الذين يختاران في صور مثلا بين العائلات الغنية
يمتلكان نفوذا مؤكدا ، بالإضافة الى نفوذ «مجلس
القدامى» الذي يمثل كبار الاقطاعيين وكبار التجار
البحارة .

وعلى الرغم من وقوع هذه المدن — الدول على
البحر ، فقد كانت الزراعة تمثل فيها مكانة هامة .
فالحبوب تفي بحاجة السكان الغذائية ، كما كانت
الاغنام تهدم بما يحتاجونه من لباس ، وقد كان
صيد المرجان يحتل مكانة هامة في الحياة
الاقتصادية للمدن الفينيقية ، ومنه كانوا

أبرز حضارات الحوض الشرقي من البحر الابيض
المتوسط ، وهي الحضارة المينوسية التي ازدهرت
في جزيرة كريت ، والحضارة الميكينية التي خلفتها .

وقد عرفت دويلات سوريا كيف تستفيد من
هذه الاتصالات والاحتكاكات ، فاستغلتها اقتصاديا
في تطوير تجارتها . وقد انعكس هذا التطور
الاقتصادي على الوضع الثقافي ، فظهرت في
أوغاريت أول كتابة أبجدية ظهرت في التاريخ .

الفينيقيون : الفينيقيون هم شعب سام استقر
على الساحل . فنحن نلاحظ وجودهم منذ نهاية
الالف الثالث قبل الميلاد ، بأوغاريت (التي تسمى
حاليا رأس شمرا) في مواجهة الضفة الشرقية
من قبرص . وقد كان نفوذهم يمتد جنوبا . لكن
سلطتهم في اتجاه الداخل لم تصل الى جبال لبنان
الشرقية الا في نقط قليلة .

هذا الشريط الساحلي الضيق الذي يمتد على
أكثر من ثلاثمائة كيلو متر ، والذي لا تصله
بالداخل الا مسالك متقطعة ، لم يكن يساعد على
قيام دولة قوية ، ولذلك كانت عرضة لضغوط
الدول الكبرى في المنطقة ، مثل الدولة المصرية ،
والدولة الرافدية والدولة الحثية . وإذا كانت
دويلات الساحل السوري قد استعادت استقلالها
بفضل انهيار الإمبراطورية المصرية والإمبراطورية
الحثية ، فإنها لم تلبث أن وقعت تحت رحمة
الاشوريين ثم البابليين ثم الفرس ، ثم اليونان
والرومان .

وزاد من ضعف هذه الدويلات أنها لم تكن
متحدة فيما بينها ، بل لقد كانت تتنازع وتتحارب
وتتنافس . فقد قامت نزاعات كبرى بين صور
وصيدون . أما عن التنظيم السياسي لدويلات
الساحل السوري ، فيبدو أنه كان تنظيميا خاصا
يختلف عن تنظيم المدينة — الدولة في بلاد الاغريق .

ويبدو أن الفنيقيين كانوا يفضلون أساليب القرب السلمي على استعمال قوة الحرب . ولذلك كانوا يتجنبون الاصطدام مع الاغريق من جهة ، ويحرصون من جهة أخرى على ربطعلامات ودية مع سكان السواحل الاغريقية الشمالية . والواقع أن الاتصال بالساحل السوري وبين شواطئ شمال افريقيا كان قد ضعف منذ القرن السابع قبل الميلاد ، بفعل سيطرة الاغريق على الساحل الليبي فغرموا بذلك سلسلة المواصلات البحرية الفينيقية .

ظهور قرطاجة : على الرغم من وجود عدة احتمالات حول التاريخ الحقيقي لبناء قرطاجة . فإن التاريخ الذي يحدده القدامى وهو ٨١٤ — ٨١٣ ق م . يبدو هو اقرب التواريخ الى الصحة ، وقد كانت قرطاجة من بداية نشأتها ، واحدة من المدن الفينيقية العديدة التي انشئت على الساحل الشمالي لافريقيا . ويبدو أن المعمرين الفنيقيين الذين أسسوها سموها « كارت هذست » أي المدينة الجديدة تمييزا عن عوتيقة . ثم عدل اليونان هذا الاسم الى كارتون والرومان الى كرتاجو . وقد يبدو غريبا أن تحتل قرطاجة مكانة هامة بعد ضعف العلاقات مع الدول الام ، دون بقية المدن التي أسسها الفنيقيون على سواحل الشمال الاغريقي . حتى أن الاستاذ اندري ايمار تسائل في الجزء الثاني من كتاب « التاريخ العام للحضارات » عن سر ذلك . وقال في هذا الصدد ما تعريبه :

« ليست هناك اية حتمية تفسر لماذا لم تحتل « عوتيقة » هذه المكانة في حين أنها أقدم تأسيسا واسهل دفاعا واقترب الى المدينة — الام — اننا نهمل العوامل الانسانية التي أدت الى غير ذلك » لعل الاجابة عن هذا السؤال تكمن بالضبط في بعد قرطاجة — أكثر من عوتيقة عن المدينة —

يستخرجون اللؤلؤ الأرجواني الذي كانوا يحتكرون صناعته . وقد اخترع الفنيقيون بعض الاساليب الفنية في صناعة أدوات القرب ، كما طوروا بعض الاساليب الاخرى ، حتى أصبح لهم الباع الاعلى في صناعة الحلى والزجاج والعطور والاثاث المظعم بالمعاج .

ونظرا الى غنى غابات لبنان بالخشب . فقد اتجهوا الى صناعة السفن حتى أصبح لهم اسطول تجارى هام يعتبر مكملا طبيعيا لهويتهم التجارية التي عززها وقوهم في منطقة عبور تقياس فيها قارات ثلاث .

الاتصال مع شواطئ افريقيا الشمالية : عرفت المدن — الدول الفينيقية تطورا كبيرا تطابق مع فترات انكماش الاثوريين (من ١٢٠٧ الى ١١١٢ ق م . من ١٠٧٤ الى ٩٠٩ ق م . ومن ٧٨٢ الى ٧٤٥ ق م .) وهذه الفترات تتطابق ايضا مع فترات التدهور في مصر . وقد اتجه الفنيقيون في تجارتهم وبحثهم عما يحتاجونه من مواد اولية ، الى شواطئ شمال افريقيا ، وسردينيا . ويبدو أن اختيار هذه الخطوط البحرية الواقعة جنوب البحر الابيض كان انسب لتطور الاقتصاد الفينيقى من الخطوط البحرية الشمالية للمتوسط ، نظرا الى أنهم شمالا معرضون للاحتكاك بالاغريق الذين كانوا يسيطرون على سواحل الاناضول واوريا . انطلق الفنيقيون اذن بجويون سواحل الشمال الاغريقي من ليبيا الى تونس الى الجزائر الى المغرب الى سردينيا وجزر الباليار الى سواحل اسبانيا الواقعة في البحر الابيض المتوسط حيث كشفوا عن ثروة معدنية هامة . وهكذا قامت علاقات قوية بين صيدا وصور وبيبلوس (جيل) من ناحية ، وعوتيقة وقرطاجة وهيون رجبوس (بونة) وروسيقاد وابول ولكسوس (جنوب طنجة) وطارطسوس من ناحية أخرى .

معركة زاما

وفرضت عليها الجزية ، ولم يات القرن الثالث قبل الميلاد حتى أضحت قرطاجة هى أكثر مدن المتوسط ثراء كان يدخل خزائنها كل عام من الضرائب الجبركية ومن الخارج « نحو ١٢٠٠٠ تالنت أى قدر ما كان يدخل خزائن أثينا أيام مجدها عشرين مرة » ، حسب تعبير ديورانت .

وهكذا تطورت قرطاجة ، تحت ضغط هذه الظروف ، من مركز تجارى بحرى مسالم ، الى قوة امبريالية بدأت تفكر فى تهديد نفوذها داخل بر الشمال الافريقى من جهة ، وعلى جزر البحر الابيض المتوسط من جهة ثانية ويؤكد شرايرون ان سكان مدينة قرطاجة كانوا يعدون ٧٠٠ ألف نسمة ، قبيل تخريبها .

وقد دفعتها هذه الهوية الجديدة الى انشاء اسطول حربى يعد ما لا يقل عن خمسمائة سفينة ذات خمسة صفوف من الجديفين والدخول فى الصراع .

كما انشأت جيشا برىا قويا عماده المرتزقة . وقد استطاعت قرطاجة بسبب هذا الاسطول ان تغلق الحوض الغربى من البحر الابيض المتوسط فى وجه التجارة الرومانية ، كما ان جيشها القوى دفعها الى التخلّى عما كانت تدفعه من جزية لامراء البربر ، بل والى التفكير فى توسيع رقعتها على حسابهم ، وكانت تلك هى بذور الصراع المعقد ذى الاطراف الثلاثة : قرطاجة — روما — نوميديا ، ذلك الصراع الذى عرف باسم الحروب البونيقية ، التى امتدت نحو من مائة عام ، وافضت فى النهاية الى معركة زاما .

ونستطيع ان نأخذ صورة عن قوة قرطاجة ، اذا نحن عرفنا انها تبكنت خلال الحرب البونيقية الاولى من جمع ٣٥٠ سفينة كبيرة ، عام ٢٥٦ ق.م وانها خسرت فى هذه الحرب التى دامت أربعين وعشرين سنة خمسمائة سفينة . ويقال ان

الدولة الام . فقد لاحظنا فيها سبق ان العلاقات بين المراكز التجارية التى أسسها الفنيقيون وبين الدولة الام ، قد ضعفت بفعل السيطرة الاجنبية التى تعرضت لها تلك الدولة الام على العهد الاشورى ، قبل ان تصاب بضربة قاضية فى العهد الاكادى .

ولاشك ان فترة ضعف العلاقات — قبل انقطاعها كلية — من شأنها ان تدفع المدن الابد الى التفكير فى الاستقلال اكثر من المدن الاشد قربا من الدولة الام . يضاف الى ذلك ان عوتيقة كانت اقرب الى المستعمرات الاغريقية على ساحل ليبيا ، وبالتالي اشد احساسا بالمنافسة ، واكثر شعورا بضرورة الاستناد الى ظهور قوى يمثل بالضبط فى الدولة الام .

اما قرطاجة فانها زيادة على بعدها عن المراكز الاغريقية فى افريقيا الشمالية ، لم تكن تجد خلال القرن السابع قبل الميلاد وحتى خلال القرن السادس فى مواجهتها دولة قوية تخشاه ، فروما لم تكن قد برزت آنذاك بعد ، ومن ثم لم تكن تشعر بالحاجة الى الاحتفاظ بالعلاقات مع الدولة — الام .

وبمهما يكن من شىء فقد افادت قرطاجة من التدهور الذى اصاب صور ، وراحت تطور اقتصادها ونفوذها السياسى تدريجيا حتى اصبحت هى المؤهلة لمراث صور عندما تحطمت هذه نائيا على يد الاسكندر الاكبر الذى لم يغفر لها انها رفضت ان تفتح له ابوابها ، عام ٣٣٢ ق.م .

ومنذ ذلك الحين اعتبرت قرطاجة نفسها مسئولة عن الدفاع عن التراث الشرقى ، وراحت تناوىء الغرب . وتفرض وصايتها على كل المدن الفنيقية . وبذلك توصلت الى جمع المستعمرات الفنيقية فى افريقيا تحت هيمنتها .

والابجدية . على أن الفينيقيين عندما تسربوا الى الحوض الغربى من المتوسط ، كانوا حريصين على تجنب اى صراع ، لانهم فى بداية تسربهم ذلك ، لم تكن وراءهم قوة امبراطورية مثل التى انشأها الاسكندر ، أو مثل التى عرفتها روما بعد ذلك ، أو حتى مثل تطور ما فى ظل قرطاجنة .

اذن فقد ظل الحوض الغربى من المتوسط ، بمعزل عن الصراعات السياسية التى كان مسرحها هو المشرق الادنى .

لكن نشأة روما ، وظروف تطورها محتكة بالحضارة الاغريقية وثقافات الحوض الشرقى من المتوسط ، ما انفك أن كسر هذه العزلة .

لان روما نظرا للمسرح الذى نشأت فيه ، ذات اهتمامات غربية مؤكدة .. ونظرا الى أن الحضارات التى احتكت بها سلميا أو بالقوة ، كانت امتدادا لحضارات الشرق الادنى ، وجدت نفسها مضطرة الى أن تسعى لتكوين عالم جديد تحت سيطرتها يشمل هذه المرة كلا من حوضى المتوسط الشرقى والغربى .

وهكذا امتد الصراع العالمى الى شمال افريقيا، وتهيأت الظروف لاحتكاك واصطدام حربى من اعنف ما عرف العالم القديم من اصطدامات .

(يتبع)

كل سفينة كانت تعد ما لا يقل عن اربعمائة بين جندى ومجدف ، اى أن الاسطول البحرى كان يعد نحواً من مائة واربعين الف رجل .

أما الجيش البرى ، فتحدثنا المصادر عن مائة وعشرين ألف جندى كانت تحت قيادة حنبعل فى أسبانيا خلال الحرب البونيقية الثانية ، ويقال أن حنبعل عبر جبال البرينى على رأس تسع وخمسين ألف جندى .

دخول الحوض الغربى للمتوسط فى الصراع العالمى

ما فتىء الشرق الادنى يشل فى العصور التاريخية القديمة مركز الدنيا منذ بدايات التاريخ . وكل ما كان يتغير فيه هو مركز الثقل . فتارة كان يوجد بمصر ، وتارة فى بلاد الرافدين وأحيانا فى بحر ايجيه . أما عدا الشرق الادنى فلم يحظ باهتمام الفاتحين ، خلال التاريخ القديم ، الا فى عهود متأخرة نسبيا .

ونعلا فنبعد أن كبار الفاتحين فى العصور القديمة ، لم يفكر أحد منهم فى تهديد سيطرته الى الحوض الغربى من البحر الابيض المتوسط ، قبل الاسكندر الاكبر . ولعل الاسكندر الاكبر نفسه لم يفكر فى تهديد نفوذه الى اعمدة هرقل الا لان هذه المنطقة كانت قد دخلت فى الطار التاريخ الحضارى بعد أن نقل لها الفينيقيون فنون التجارة والبحرية

العلاقات بين الجزائر وإيطاليا

خلال
العهد
التركي

2

ان استرقاق المسيحيين في المدن المغربية
(الجزائر - وتونس - وطرابلس) حقيقة
تاريخية مشهورة - وقد كانت الهيئات والمنظمات
الدينية بأوروبا التي عنت بافتداء الاسرى
وتشجيع عمل الاحسان لفائدتهم ، اذ كان جميع
مبالغ من المال هو القاعدة الاساسية لتحريرهم .

سلفاتور بونو

ترجمة : ابو القاسم
بن تومي

يقول : « اما فيما يخص العبيد المسلمين الذين عندنا ، فلا يوجد مؤرخ واحد يلجأ اليه لآخذ معلومات او اقامة مقارنات ، فكلهم قد تحفظوا وسكتوا عن اشياء يعرفونها . وهكذا أصبحت هذه الاشياء ، على ممر الايام ، غامضة ومجهولة » (الفصل ٩ ص ٩٤) .

لقد مضى على هذا القول مائة سنة والى اليوم لم نر عالما آخر تعرض لهذا الموضوع في جملته وها أنا ، استنادا الى بعض المراجع لمؤلفين قدماء ومعلومات التقطتها هنا وهناك من مصادر مختلفة غير مطبوعة ، أحاول الحديث عن وجود المسلمين المغاربة ببلاد ايطاليا ، وعن طرق معيشتهم . لقد كان هؤلاء يدخلون ايطاليا اثر الاستيلاء على سفنهم ، او بعد معارك بحرية او مناورات دفاعية ، او هجومات معاكسة ضد القراصنة الافريقيين ، او غزو سواحل افريقيا من جانب الايطاليين — وكانت المدن الايطالية الموجودة على ساحل البحر مثل « ليفورن ونابولى وجنوة » وغيرها تستقبل اوفر عدد من الاسرى المسلمين الذين كانوا اقوياء السواعد يصلحون للتجديف على السفن . وكانت في هذه الموانئ سجون

bagne يعيش فيها العبيد ، شبيهة بتلك التى يقيم بها الاسرى المسيحيون في المدن المغربية . وبهذه السجون حانات يستطيع العبيد أن يشتروا منها المأكولات والمشروبات ويجمعون فيها . وبها أيضا أماكن للصلاة . وفي مدينة Civita Vechch كما يروى Guigliolmotti كان للعبيد المسلمين مستشفى يعالجهم فيه الاطباء المحققون بالسفن الحربية ، وكان الحراس المكلفون بهم يقدمون لهم الغذاء والادوية اللازمة بناء على وصفة الطبيب المعالج . وفي هذه المدينة نفسها مقبرة قرب البحر خاصة بالمسلمين ، وكانت الى ما قبل القرن الاخير تدعى « مرج التركى »

واستنادا الى مؤلفات الاباء الثالوثيين وآباء الرحمة les peres de la merci وغيرهم من رجال الكنيسة ، والقصص التى كتبها بعض العبيد بعد عودتهم الى بلادهم ، والوثائق العديدة المطبوع منها وغير المطبوع ، فقد عالج كثير من الاخصائيين موضوع الاستعباد بالاراضى المغربية الذى يعتبر في الساعة الراهنة الجانب المعروف على الوجه الاحسن في تاريخ المغرب من القرن السادس عشر الى اوائل القرن التاسع عشر .

انى لن اطيل الكلام حول هذا الموضوع ، انما اريد أن اثير باختصار الى شاعر صقلى له شهرة في ادبنا ، هو « أنطونيو فينتيزيانو » Antonio فقد ركب على سفينة حربية صعبة « دون كارلو درافونا » Doncarlo d'aragona دوق Terranova فاحتجزت في شهر ابريل سنة ١٥٧٨ ، وسيق صاحبنا اسيرا الى الجزائر . وهناك لقي احد « زملائه » الاسير ذا الصوت الذائع في تاريخ المغرب ، أعنى « ميشال دى مارفاتيس » Miguel de cervantes فاتخذة صديقا ، وكانا يتبادلان رسائل الشعر . ونحن نأسف كثيرا اذ أن الشاعر الصقلى الذى اقام بالجزائر نحو سنتين لم يعط فيها كتب أى تفصيل عن الحياة في تلك المدينة . واحدى قصائده التى عنوانها la celia المهداة للمرأة التى احبها نظمت من دون شك بالجزائر ، كما تشهد بذلك الابيات التى يقول فيها ما معناه : « ان ارادة الالهة قضت أن تكونى فى صقلية وانا فى الجزائر مستعبد عند المسلمين » .

ولئن وجد فى الارض المغربية عبيد مسيحيون فلقد كان أيضا عبيد مسلمون يقيمون داخل البلاد المسيحية — ان المعلومات عن هؤلاء قليلة فى كتب مؤرخى القرون الماضية . وقد لاحظ ذلك Guglio مؤرخ البحرية البابوية اذ

العلاقات بين الجزائر وإيطاليا

لبيع المشروبات أو القصابة ، وآخرون منهم عملوا خداما في المنازل الخاصة وتمكنوا بفضل الاجور التي يتقاضونها من جمع مبالغ من المال استردوا بها حريتهم . وقد عثرنا في بعض الوثائق ان استخدام الاسرى المسلمين في المنازل لم يكن منحصرًا في المدن لاطالية الانفة الذكر ، بل عاما في كامل الانحاء الايطالية تقريبا وخلف احد الامراء من اسرة Massinio بروما بعد وفاته سبعة عشر رقيقا كلهم نساء ، فأوصى في رسم محرر في يوم ٤ ديسمبر ١٥٧٠ بتنصيرهن وتزويجهن داخل ممتلكاته . وفي شهر يونيو ١٦٦٢ توقفت سفينتان جزائريتان عن السير قرب رأس

leuca فأوى أمير Ericase ملاحي احدى السفينتين الذين لاذوا بالفرار في قصره وامنهم على حياتهم واستبقاهم لخدمته . وفي بليرما أجرى سنة ١٥٦٥ احصاء للعبيد الذكور الموجودين في المدينة والصالحين للعمل في الجيش ، فكانوا يبلغون ٦٤٥ اكثرهم ولدوا في صقلية من آباء وامهات من طبقة العبيد ، وباقيهم من افريقيا السوداء او من بلاد المغرب — ومن بين الارقاء المسلمين الذين اندمجوا في الحياة المنزلية في المدن والارياف الايطالية من انسلخوا عن الاسلام واعتنقوا النصرانية لكن عددهم قليل بالنسبة للمسيحيين الذين اسلموا في الجزائر . وكثير منهم تزوجوا هناك وذابوا في المجتمع المسيحي . ومما يجدر التنبيه اليه ان وجود الاسرى الذين اعتنقوا الاسلام او النصرانية في هذا الجانب او ذاك من

البحر المتوسط قد خلق رابطة بين سكان الجزائر وإيطاليا ، هي رابطة الدم . واهمية هذه الرابطة يمكن ان تظهر بصورة اوضح بعد الدراسة العميقة لبعض المصادر لا سيما سجلات الكنائس التي اثبتت فيها عقود المواليد والزواج .

ان لدينا قليلا من التفاصيل عن حياة العبيد المسلمين بإيطاليا . ونحن لا ندرى هل توجد اخبار في هذا الصدد مثل التي كان يكتبها بعد عودتهم الى وطنهم الاسرى المسيحيون ولقد عثرنا في دار المحفوظات بإيطاليا على بعض الوثائق تثبت وجود ارتباط تفاعلي بين حالة العبيد المسلمين في إيطاليا وحالة العبيد المسيحيين بالجزائر . فقد كان الاسرى المسلمون كلما أسبئت معاملتهم ، او تعرضوا لبعض أعمال العنف او التعصب يشعرون بذلك سلطات بلادهم ففي سنة ١٦٩٨ كتب خوجة سجن « ليفورن » الذي كان يمثل العبيد المغاربة لدى السلطات المسيحية الى داي الجزائر يطلب منه ان يقوم بأعمال انتقامية ضد العبيد المسيحيين الموجودين بتلك المدينة .

ولدينا كثير من الشواهد على الانعكاسات السلبية في معاملة الاسرى المسيحيين سببها الانباء الواردة الى الجزائر عن سوء معاملة الاسرى المسلمين .

وفي سنة ١٦٣٨ كتب العبيد المسلمون الذين كانوا يعملون كجدافين في السفن البابوية الى الاسقف المسيحي المقيم بالجزائر الذي كان رئيس البعثات الكاثوليكية هناك ، يتذمرون من حرمانهم من بعض الاشياء التي كان لهم الحق فيها بترخيص من البابا . وقد اسرع هذا الاسقف بتبليغ شكواهم الى سلطات روما ، طالبا منهم تلافي الامر لدفع ما عسى ان يحدث من ردود فعل في الجزائر .

ومن المفيد ان نبين مظهرا آخر لحياة العبيد المسلمين بإيطاليا . فقد كان في استطاعتهم ان يحصلوا على رخصة تسمح لهم بممارسة بعض الاعمال الصناعية والتجارية . فمنهم من تعاطوا صناعة الجلود والمرصعات ومنهم من فتحوا كاكين

بمرض العينين وثالث اعرج اسمه محمد عبد القادر اصله من تلمسان ورابع عرد رمان على من نفس البلدة قيل انه مجنون واثنان آخران من الجزائر وبجاية .

وقد تمنح الحرية لبعض العبيد مجاملة لبعض رجال الدولة او لممثلين لحكومة الجزائر من ذوى النفوذ تدخلوا لدى ملوك وسلطات الحكومات الايطالية . وكان تدخل هؤلاء غالبا لفائدة اشخاص عظماء مثل الانكشيرية وضباط الميليشية التركية و « الرياس » وبعض التجار .

وفي شهر يوليو من سنة ١٥٧٠ كتب قائد الاسطول الجزائرى لغراندوق طوسكان يلتمس منه اطلاق سراح شخص يدعى « مامى » كان اسيرا بفلورنسا . وقد حصلت هذه المبررات التى هى من قبيل اللباقة عدة مرات ، وكان الدايات والسلطات الجزائرية يقابلونها بالمثل على أنماط واشكال مختلفة . وكان الامراء طوسكان علاقات ودية متواصلة مع حكام البلاد ورؤساء البحرية الكبار بالجزائر كما تدل على ذلك الرسائل الكثيرة المحفوظة بدار الوثائق التاريخية بمدينة فلورنسا . وفى سنة ١٦٩٥ توسط الداى الحاج احمد لدى احد هؤلاء الامراء لفائدة جماعة تتألف من ١٥ جزائريا اخذهم قراصنة هولانديون واسروهم فى نابولى . وفى الرسائل التى تبودلت بينهما طيلة السنة التالية اوصى حاكم الجزائر الامير خيرا بالاسرى الجزائريين المقيمين بليفورن (حيث كان لهم ثلاثة مساجد واربعة دكاكين للتجارة) فطمأنه هذا الاخير ووعد بحسن معاملتهم فى اراضيه ، ورجا منه ان يطلق سراح رجل ارمنى كان مستعبدا فى الجزائر .

وكان من بين العبيد المسلمين والمسيحيين من يحاولون الفرار والتمرد احيانا . ففى أحد الايام دبر العبيد المسلمون الذين يعملون جدافين فى سفينتين لمملكة نابولى مؤامرة بالاتفاق مع

ويبدو ان سلطات الجزائر والهيئات المعنية بالامر لم تهتم كثيرا بقضية عودة الجزائريين المستعبدين عند المسيحيين الى اوطانهم . هذا الى ان مصالح البحرية الاوروبية التى كانت فى حاجة اليهم للتجديف على السفن والعمل فى الموانئ لم تكن لترغب فى الاخرى فى تحريرهم . والاشخاص الذين كانوا يملكون العبيد ويستعملونهم لاغراضهم الخاصة — وجلهم من الطبقات الارسطوقراطية — كانوا بدورهم حريصين على ابقائهم تحت تصرفهم . وهذا خلافا لما كان يجرى فى الجزائر حيث كانت الحكومة والاهالى يتساهلون فى اطلاق الاسرى الذين بأيديهم مقابل أخذ ثمن الفداء .

وكان الطرفان يلجآن احيانا الى تبادل الاسرى وبهذه الطريقة توصل بعض العبيد الى التحرر من الرق . ففى سنة ١٧٥٥ اطلق سراح ١٠٧ من الجزائريين كانوا على متن سفينة حجزتها عمارة بحرية للبابا مقابل تحرير عدد مماثل من العبيد المسيحيين كانوا فى الجزائر . ونجد فى بعض المصادر التاريخية والوثائق التى لم تطبع بعد اخبارا مختلفة عن مبادلات وقعت بين افراد أو جماعات . وكان بعض التجار الايطاليين يشترون احيانا عبيدا طاعنين فى السن أو ممن ليست لهم قدرة على العمل ليبادلهم مع عبيد مسيحيين فى الجزائر بعد أن يتقاضوا من ذويهم أو من بعض المنظمات الخيرية ثمن الفداء ، ويحصلون بهذه العملية على ارباح يستخلصونها لانفسهم . وفى سنة ١٧٨٨ اشترى التاجر

Dominico lavazzi وهو من جنوة ٢٤ عبدا شيوخا وعجزة من عبيد البابا بمدينة Civitta avé بثمن قدره ثلاثون أو اربعون ريالاً للواحد . وكان احدهم يدعى شابا السعيد عمره ٨٠ سنة من بجاية وآخر يقال له مصطفى عجزه مصاب

العلاقات بين الجزائر وإيطاليا

على روايتها الجميلة الخضراء المحفوظة بالمازالت
والغابات مثلها في طوسكانيا .

وبالرغم من أهمية كتاب (سلفاتو) فقد ظل
زمنًا طويلًا غير مطبوع . ومؤلفات Civitta ave

Standardi الذي كان قنصل امبراطور النمسا في
الجزائر ، وإن طبعت سنة ١٧٦٥ غير أنها بقيت
بعيدة عن انظار المتخصصين في تاريخ المغرب ،
ولم تعرف الا منذ عهد قريب . وقد جاء Standardi
الى الجزائر سنة ١٧٤٩ حينما أنشئت علاقات
دبلوماسية بين حكومة الجزائر وامبراطور آل
هابسبورغ عقب الصلح المبرم في السنة السابقة .

وكانت له خبرة شخصية بالعالم الاسلامي اذ قام
برحلة دامت سنتين في البلاد الشرقية . وفي سنة
١٧٤٨ قام بمهمة موفقة في القسطنطينية لصالح
حكومته . وقبل نهاية سنة ١٧٤٩ كتب تقريرًا عن
حكومة الجزائر ، وكان الداي اذ ذاك محمد بن
بكر الذي كان سابقًا مراقب جبالية الضرائب
الواردة من داخل البلاد . وقد عين دايًا سنة
١٧٤٨ بعد وفاة ابراهيم كيسيوك ()

وكان ذكيًا مثقفًا عادلًا ذا مهارة ، محبًا
للسلم ، حريصًا على اقرار الامن في البلاد .
ويصف Standardi النظام السياسي للجزائر
فيقول : « ان سلطة الديوان قد تحولت ، فأصبح
ملزمًا بقبول القرارات التي يتخذها الداي
بالاشتراك مع مجلس الموظفين السامين وافراد
حاشيته . ولاحباط المحاولات التي قد يقوم بها
بعض الطامعين عند موت الداي للاستيلاء على
الحكم بالقوة ، جرت العادة بتعيين الداي الجديد
من بين المساعدين الأكثر اتصالًا بالداي الراحل ،
ثم يعلن في آن واحد عن وفاة الداي السابق وعن
اسم خليفته » . اما عن قيادة الجيش ، فيذكر أنها
مكونة من ثلاثين ياباشي (رتبة عقيد) و ٨٠٠
بلوكباشي (رتبة رئيس او قبطان) و ٤٠٠
أودباشي (ضباط صف) وكان عدد الجنود

بعض الاسرى المسيحيين المحكوم عليهم بالاعمال
الشاقة . وبينما كانت السفينتان راسيتان في ميناء
Trapani نفذوا خطتهم واتجهوا بالسفينتين
نحو الجزائر . ولما وصلوا اسر جميع المسيحيين
حتى الذين شاركوا في العصيان وكان ذلك سنة
١٧٥٥ . ونظرًا لكثرة عددهم أنشئ لهم سجن
خاص اطلق عليه سجن السفينتين

وقد دفع ملك نابولي فدية الضباط وترك الباقين
في الاسر عقابًا لهم . وبعد مضي ثلاثين سنة على
هذه الحادثة كان عدد هؤلاء ثلاثين اسيرًا حسبما
روى ذلك بعض من عاينهم .

لقد تحدثنا طويلًا عن الجزائريين في إيطاليا
ونريد الان ان نقول كلمة عن الايطاليين في البلاد
الجزائرية ، لا سيما الذين خلفوا لنا شهادات
عن الحياة في مدينة الجزائر وعن الحوادث
السياسية والتجارية وحالة السكان الاجتماعية .
وتلك الشهادات عبارة عن رسائل ومذكرات وكتب
الفها رجال مبعوثون من طرف الحكومات الايطالية
للتفاوض في بعض الشؤون ، وقناصل كانوا
مقيمين بالجزائر ، او مبشرون او عبيد كتبوها
اثناء اقامتهم بالمدينة وائر عودتهم الى اوطانهم
ولنبدا بذكر ما حبره المترجم Giovanni baticta sa
الموفد الى الجزائر في سنة ١٦٢٥ ليفاوض في
شأن فداء جماعة من رعايا البندقية أسروا
اثناء غارة على قرية (Perasto) في دلماسية .
فوصف (Salvago) المفاوضات ، ثم
كتب تقريرًا اضافيًا عن أنظمة القراصنة الجزائريين
وطرق نشاطهم وعن التجارة بذلك المدينة ، ملاحظًا
ان معظم المبادلات التجارية مع بلدان أوروبا كان
يقوم على القرصنة البحرية نفسها ذلك ان غنائم
السفن المسيحية كانت تباع لتجار مسيحيين
فترسل الى ليقورن (Livourne) لاغنائها من
رسوم الجمارك ، ومن هناك توزع على كافة المدن
الايطالية . ثم ذكر باعجاب مدينة الجزائر ، مثنيا

تدخل القنصل البريطاني ، وأقام بها زمنا . وكتابه الذى يحتوى على مذكرات أدبية وأخبار نقلها عن مصادر أخرى فيه ملاحظات عديدة على مظاهر مخدعة للحالة المحلية ، وخاصة الحياة اليرمية بمدينة الجزائر . وقد طرق مواضيع شتى ، فوصف سكان البلاد على اختلاف أجناسهم ، وذكر مميزاتهم الخاصة وعوائدهم ، وتحدث عن النشاط الصناعى الذى كان مزدهرا اذ ذاك وعن اللهجات وكيفية تعيين الداي وطرق مباشرة الحكم وكيفية تعيين الداي وطرق مباشرة الحكم وصلاحيات ووظائف أجهزة الدولة . وقد ترجم كتابه الى عدة لغات ، لكنه رغم انتشاره لم يستعمل كمصدر تاريخى مع كل استحقاقه لذلك .

— لقد تعرضنا فى هذه المحاضرة لذكر بعض المؤلفين والاحداث التى كونت صلة بين مدن وسكان الجزائر من جهة ومدن وسكان ايطاليا من جهة أخرى ووحدت بينهم . وكان فى وسعنا ان نذكر اشخاصا آخرين ، وهم كثيرون نظرا لوفرة العلاقات بين البلدين وواصلها خلال القرون التى المينا اليها والتي تلت . وفى اطار حروب القرصنة الطويلة القاسية فى غالب الاحيان التى استمرت من القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر فى البحر المتوسط ، رأينا كيف نشأت وتمكنت رغم كل هذا علائق تجارية واتفاقيات دبلوماسية ، وروابط تقدير وتعاون وصداقة بين الافراد . ومهمتنا ، نحن المؤرخين ، هى سرد وقائع الماضى وتفسيرها . وهذا يفرض علينا ان ننظر بضمير نير الى الحاضر . وانتمنى فى ختام هذا العرض ان تتسع العلاقات الموجودة بين بلدينا وتزداد توثقا ، وخاصة فى الميدان الذى يهمنا ، اعنى التعاون العلمى والثقافى . وارجو فيما يتعلق بالبحث التاريخى أن تتمكن فى مستقبل الأيام من اتخاذ مبادرات مشتركة بين الباحثين الجزائريين والباحثين الايطاليين .

النهاية

٧٠٠٠ منهم الفنان شيوخ أو مرضى أو معفون من الخدمة ، والف جندى كانوا موزعين على مختلف الحاميات ، والباقيون يعملون فى سفن القرصنة أو يرسون لجباية الضرائب وحفظ الامن فى داخل البلاد . ويبدى القنصل المذكور ملاحظات دقيقة عن علاقات مدينة الجزائر مع نواحي البلاد ، ويقدم بيانات عن موارد الدولة وعن البحرية تمكن الباحث من اجراء مقابلات مفيدة مع ما ورد فى مصادر أخرى .

ويظهر ان Standardi درس بعناية خاصة أثناء اقامته بالجزائر مظاهر الحياة الاقتصادية بالمدينة التى خصص لها تقريرا تحت عنوان : « تجارة الجزائر » وهو يتعجب كثيرا من ضعف النشاط التجارى وتدهوره فى بلاد غنية ذات ارض خصبة ، كثرة السكان ، ويرى ان ذلك ناتج عن فقدان الصناعة ، اى عدم وجود نشاطات منتجة ، والحواجز التى تقيها حكومة تريد ان تشرف على كل مظاهر الاقتصاد . وخصص Standardi تقارير تعرض فيها لذكر بعض الحوادث التى جرت فى البلاد أثناء اقامته بالجزائر ، وهو يعطينا عناصر جديدة لم يسبقه اليها احد . فمثلا تحدث عن الوباء الذى اجتاح الجزائر فى سنتى ١٧٥٣ — ١٧٥٢ . فأورد بيانات مفصلة عن طرق العلاج المستعملة وتحدث عن آثار هذا الوباء بالنسبة الى السكان على اختلاف عناصرهم وطبقاتهم الاجتماعية . وفى تقرير آخر يقدم لنا معلومات عن حالة الطقس من سبتمبر ١٧٥٢ الى سبتمبر ١٧٥٣ . ويروى أخيرا حادثا مثيرا جرى وهو بالجزائر ، ذلك هو مقتل الداي محمد بن بكر وتعيين بابا على خلفا له . (وقد حلت فى بعض مؤلفاتى هذا التقرير باسهاب) ولنذكر فى الختام « الرحلة » الشيقة التى كتبها بعد رجوعه الى ايطاليا الشاعر الاديب Filippo Fanauti الذى سلقه سوء الحظ الى الجزائر سنة ١٨١٣ ، فأسر بها يوما واحدا ثم أطلق بفضل



دور الاسلام في تاريخ الانسانية

انفتح عصر جديد في التاريخ الانساني حينما قام محمد صلى الله عليه وسلم ، بوحي النبوة وبالهبة الالهية ، بتوحيد القبائل العربية المتطاحنة برباط روحي شيق ، واحيا بذلك الهمامات قدسية كادت أن تضع في غياهب النسيان .
فقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم الى دين السلام .. الى العقيدة المؤسسة للمجتمع الانساني .. دعا الى الاسلام . والاسلام كمعنى حرفي ومفهوم فلسفي يعنى أن يسلم المؤمن نفسه الى تلك القوة الاخلاقية المهيمنة على الكون كله .. والتي يرمز اليها بكلمة « الله » .

د . عبد الكريم جرمانوس
استاذ التاريخ الحديث
بجامعة بودابست

بأن اهدى البشرية جمعاء بالقرآن الكريم بلغتهم العربية ، ولأزال تأثير القرآن الكريم على كل الشعوب ، من ايرانيين وافغان وأتراك وتتار وهنود ، بل وصينيين أيضا ، وعلى كل من هجع الى قانون الله واختار الاسلام ديناً ودليلاً في طريق الحياة الوعر .

ولقد كانت لغة القرآن الكريم عميقة التأثير لدرجة أن الشعوب المسلمة أثرت لغاتها الأصلية العديد من الكلمات العربية ، وبهذا تمكنوا من التعبير بطريقة افضل عن كل المفاهيم الممكن تصورها . وبحق للشعوب الناطقة بالعربية .. لشعوب شبه الجزيرة العربية .. للسوريين واللبنانيين وللمصريين ولليبيين وللتونسيين وللجزائريين وللمغاربة أن يفتخروا بأن لغتهم العربية تحتل هذا المكان البارز بين لغات العالم الأخرى .

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى كلماته الأخيرة على محمد سيد المرسلين وخاتمهم باللغة العربية . وفي لحظات ضعف الإمبراطورية الرومانية ، فقد تردت شعوبها المتقلبة في هاوية البربرية ، واعتمدت علومهم على معتقدات التطير والخرافات ، وحاولوا التخفيف من جوعهم وعطشهم ، من فقرهم وبؤسهم الجسدي بالهجوم على جيرانهم وسلبهم ونهبهم وقتلهم ، وسادت العدواة بين الجميع وأمسك القوة الوحشية هي عقيدتهم وهاديتهم ، وقادتهم الى الصدام والاقتتال . وفي ذلك العصر لم تكن الكنيسة متحدة لأن الرهبان أعطوا لنفسهم الكثير من الامتيازات التي تمكنهم من حكم شعوبهم الجاهلة . وقد قامت طبقة الرهبان المتميزة هذه بوضع علوم مستقاة من المصادر

نفى العقيدة يرسخ الاقتناع بأن ارادة الكون الموحدة هي التي تسير ملايين الاجرام السماوية وتوجه القوى الخفية المهيمنة على مجريات الامور في الارض ، بل وتتحكم في نواميس الفكر ايضا . وتسير كل هذه الامور في توافق بديع مع القوة المهيمنة على الكون . والاسلام بالتحديد دعوة اخلاقية ، من خلاله تنبعث قوى الطبيعة المؤثرة ، والتي تتجسد في الحياة نفسها .. بدءا من ادق المخلوقات الى ارقاها .. الى الجنس البشرى وتمتد هذه الوحدة الى تعاليم علم الالهيات والمنطق الاسلامي . ولم تتوصل العلوم الطبيعية في مختلف العصور الى حقيقة هذه الوحدة الا بعد تجارب طويلة .. وهي تلك الحقيقة التي يجسدها الاسلام في حد ذاته ، والتي قام بتحقيقتها منذ أن وجد .

وتحتل معجزة محمد صلى الله عليه وسلم اعلى مكانة بين المعجزات العلمية العديدة .. تلك المعجزة المتمثلة في القرآن الكريم النابع الوحي الالهي . فبدون الوحي الالهي لما استطاع شخص امي أن يخرج عملا في روعة هذا الكتاب المقدس الذي لايزال .. وبعد قرابة ألف وأربعمئة عام — يهز بآياته الكريمة كل سامعيه ، وحتى من لا يفهمون العربية بهتزاز وجدانهم لسماعه . نعم فلم ولن يوجد هذا الكاتب ولا ذلك الفنان الذي يستطيع أن يخلق عملا يضارع — او حتى يشابهه بأي صورة من الصور — القرآن الكريم أو اثره على سامعيه . ومنذ ألف وأربعمئة من الاعوام وقد أصبحت هذه الكلمات المقدسة هي العبادة ، والابتهال ، والسلوى في الاحزان ، والرفيق المخلص في السرات ، ومصدر الانتاج الادبي ، وعباد العلوم للملايين من البشر . لقد ميز الله سبحانه وتعالى العرب عن غيرهم من الشعوب

دور الاسلام في تاريخ الإنسانية

تأدية واجبه نحو ربه ولا نحو اخوانه في الإنسانية .. وهى الامور التى بدونها لا تستقيم حياة المجتمع .

والمجتمع الوثنى في الجزيرة العربية لم يعرف الصلاة قط ، وانما كانوا في تلك العصور يحترمون ذكرى الاسلاف ويقدرون الاشخاص الذين ذاع صيتهم نتيجة لميزات جسدية او عقلية فكانوا يطوفون حولهم سبعة مرات ، وفي ايام الوثنية ايضا كانوا يطوفون بالحجر الاسود في الكعبة الشريفة في مكة سبعة مرات في الشهر الحرام تعبيرا عن احترامهم ، وفي حالة انقطاع المطر كانوا يبتتلون الى نجوم السماء أن تبارك اراضيهم الجافة بهطول الامطار . وباستثناء هذه الشعائر فان العرب في الجاهلية لم يمارسوا أى نوع من انواع الصلاة المنتظمة قط . وقد مرصت الصلاة كأحد أهم اركان الاسلام . ولا زالت حتى يومنا هذا واحدة من أهم مظاهر الايمان بالعقيدة . واذا كانت الصلاة تقوم على التلطف بكلمات ابتهاج معينة ، فان لب الصلاة ليس في الالتقاء الآلى للنصوص بدون ادراك لمعاني الكلمات ، وليست الصلاة مجرد تحريك للسان ، وانما جوهر الصلاة هو في التفهم التام والكمال لكل كلمة ، ففى الادراك الكامل للكلمات والاحساس بمعانيها تكمن القوى التى توحى للمؤمن بواجباته الذنبوية التى جاء من أجلها ، والتى بادائها يتمتع بحقوقه الإنسانية التى وفرها له الاسلام .

والصلاة في الاسلام تشتمل على كافة الضمانات المطلوبة لأسس المجتمع الإنسانى وطوائفه . والمظهر الخارجى للصلاة يمثل بوضوح هذا الطابع الطائفى والاجتماعى ، فالطائفة تختار من بين أفرادها اماما يقف

الوثنية القديمة وتجمع عناصر اليهودية واليونانية والمسيحية ، والتى تحتوى كل منها بذاتها على متناقضات ، فضلا عن تناقضاتها مع بعضها البعض . وفي الوقت نفسه كانت الغالبية العظمى من افراد الشعب محرومة من العلم والمعرفة ووقعت فريسة لطبقة من الرهبان التى لم تكن قادرة على ايجاد الطريق الصحيح ، والقت بأفراد الشعب في المناقشات العقيمة وتصيد الهفوات والانقسام الى مجموعات متنافرة . وقد تحكمت طبقة الرهبان المتميزة هذه في الشعوب الغربية لقرون طويلة مستمدة سيطرتها الاجتماعية من الميزات الممنوحة لها ، مبقية على الشعوب في ظلام الجهل والخوف من تهديداتهم وتمائمهم . وهكذا امتنعت شعوب أوروبا لئلا تلت السنين ذلك التراث العلمى لاسلافهم الاغريق والرومان ، وتاهت هذه الشعوب وسط غياهب التطير ومعتقداتها العقيمة ، وظلت اسيرة لهذه المعتقدات قرابة الالف عام .. الى أن بدأت تتحرر منها .

ولذا فلكل عربى أن يتذكر بفخر واعتزاز اجداده العلماء الامجاد .

والاسلام كما انزله الله سبحانه وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم لا يعترف بوجود طبقة رهبان ذات امتيازات خاصة ترتفع بها فوق مستوى البشر لما تدعيه من علم . وكما اعلنها الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا رهبانية في الاسلام » ..

فالاسلام هو دين كل مسلم ومسلمة ، وجوهر هذا الدين هو العلم والمعرفة التى يجب على كل مسلم بالغ أن ينهل منها بقدر ما يستطيع فالانسان الذى يفتقر الى المعرفة ، لا يستطيع

القدس هي قبلة المسلمين . ولكن بعد ان دعم الانتصار مجتمع المهاجرين الصغير ، فقد اعلن رسول الله قراره الحكيم المستمد من الوحي الالهى بتغيير القبلة من القدس الى مكة المكرمة فكانت هذه الخطوة خطوة حاسمة ، نابعة من تفكير عميق وتوجيه ربانى . ففى ذلك الوقت كان المسلمون فى مكة يحاربون مجموعة عفنة متخلفة من عبدة الاوثان ممن يستندون الى امتيازات اقتصادية خاصة . وهكذا قاد محمد صلى الله عليه وسلم حربا لا تعرف الهوادة بعقيدة لا يمكن فلها ، من اجل تحرير الفقراء والعبيد والرجال والنساء المستغلين من برائن الجاهلية والوثنية . وباعلان الدعوة الى التوحيد الالهى فقد اراد صلى الله عليه وسلم توفير الحقوق المتكافئة لكل العاملين الشرفاء ، عربا ام عجم ، من الرجال والنساء والاطفال ، وفى الوقت نفسه هدف الى توزيع المسؤوليات المتساوية عليهم جميعا داخل اطار عقيدة اشتراكية انسانية .

والديمقراطية ، اى تكافؤ الحقوق لكل من يحترم قوانين المجتمع ، اشتملت عليها تعاليم الاسلام . فالزكاة مثلا ، التى هى فريضة على كل مسلم قادر ، اصبحت هى الاساس الذى قام عليه مؤخر النظام الاشتراكى . وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطى حقوق المواطن لكل مؤمن ايا كانت ديانته . سواء كان يهوديا ام مسيحيا ، فقد تخطى بذلك النظريات العنصرية لبعض شعوب أوروبا ومنع حدوث اى اضطهاد او مذابح لبعض فئات الشعب ولو كان قادة أوروبا وزعماءها قد اخذوا بمبدأ التسامح الدينى هذا لما تلوث تاريخ شعوبهم بمظاهر الاضطهاد الدينى او العنصرى .

المؤمنون خلفه فى صفوف متراسة ، يركعون ويسجدون ويقومون طبقا لما يقوم به امامهم ، كما لو كانوا جنودا خلف قائدهم ، ولكن مع الفارق بأن كل حركة من حركات الصلاة كالركوع او القيام او السجود لها مضمونها العقلى ومفهومها الروحى .

ان المسلمين اثناء اداء صلاة الجماعة يتغلغل فى داخلهم الاحساس بأنهم اخوة . . بأنهم يعيشون سويا مع كل اخوانهم فى النظام الاخلاقى العالى ، يحسون نفس احساسى هؤلاء الذين يعملون ويتمتعون بنعمة العمل فى خدمة العدالة الالهية . الكل يعلن متجها بقلبه وروحه وعقله الى الله سبحانه وتعالى . . لا فرق فى ذلك بين غنى وفقير ، بين مسلم ابيض او ملون ، بين عربى او عجمى ، فقد خلق سبحانه وتعالى الناس كلهم سواسية لا يميز بينهم الا مقدار علمهم بالله وعلى الجاهل ان يبذل جهده للارتقاء بنفسه من ظلمات الجهالة ، والسمو بروحه الى رحاب العلم الواسعة .

ولا يوجد فى العالم كله اى عقيدة تقدر العلم وتحترمه كما تفعل العقيدة الاسلامية ، ويشهد بهذا التاريخ الاسلامى كله .

ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلن عقيدة جديدة وانما ارتفع بالخدوعين والجهلة ، بأن اعلن عليهم دين الله . . دين ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .

حينما هاجر رسول الله صلوات الله عليه من مكة الى يثرب تجنبنا لاضطهاد اعدائه جعل من يثرب — التى اصبحت اسمها فيما بعد مدينة النبى المنورة — مقرا ومستقرا له ، وجعل من احد ضواحيها مقرا للعبادة . . وقبل ذلك كانت

دور الاسلام في تاريخ الإنسانية

الحقيقة الرائعة التي جاهد العقل الانساني ، وحاولت تعاليم الفلاسفة المتعاقبين طوال السنين ان تعبر عنها وتعتزف بها . فالكون بأجمعه قد خلقته قوة اخلاقية شاملة تتحكم في الشكل الخارجى المتغير للمادة .

وعلى الرغم من ان الشعوب العربية في ذلك الوقت كانت تعاني من العداوات القبائلية العتيقة التي ورثوها عن ايام الجاهلية والوثنية، فقد كانت البساطة المتناهية لشعار الاسلام في حد ذاته وتلك القوة القاهرة الكامنة فيه ، هي التي قادت الشعوب العربية المسلمة بعد وفاة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الى الوقوف امام شعوب ذات حضارة مرتفعة كالبيزنطيين والفرس . فجيوش الامبراطورية البيزنطية ودولة الفرس كانت على أعلى درجات التنظيم وكانت مجهزة خير تجهيز ، في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية لا تملك سوى وسائل القتال البدائية:النبال والرمح والسيوف والحرا ب . ولكن ، على الرغم من هذا ، فقد توالى انتصارات المسلمين العرب في سرعة تخلب اللب ، انتصروا على جيوش بيزنطية و فارس واحتلوا ديارها ، وخضع اهالى هذه الاقاليم طواعية للمسلمين العرب .. رافعين راية الاسلام .. دين البساطة والحق .. دين السماحة والمعايشة السلمية . انها حقا ظاهرة فريدة لم يعرف التاريخ لها مثيلا .. ان ينتصر قوم بسطاء لا يملكون الا ادوات القتال البدائية على امم ذات حضارة مرتفعة وتسليح جيوشها يكاد يبلغ حد الكمال .

ان القوة الاخلاقية العظيمة هي التي حققت انتصار الاسلام وليس نوع سلاح المسلمين او كميته .. سر النصر يكمن في نفس عقيدة الاسلام .. في ذلك الانضباط الروحي الفريد الذي تفرضه شعائر الصلاة ، خالقة بذلك قوة

لقد كانت تعاليم الاسلام الاجتماعية التحررية والمناذية بالتكافؤ هي مصدر الخطر الاول الذي احسنت به الطبقة الحاكمة في مكة في ذلك الحين ، واضطهدوا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بل وهددوه في حياته . ولم يكن لمحمد اليتيم من ملجأ له في اضطهاده سوى اقربائه .. ولكن حتى الكثير من هؤلاء تخلوا عنه . وكان خير سند له هي السيدة خديجة رضى الله عنها التي احبته بل وآمنت به منذ البداية وساندته حينما تكاثر عليه اعداؤه ، ان هذا التمسك والاصرار الذي قامت به السيدة خديجة رضى الله عنها ليعث على الاعجاب وسيضل مثالا حيا امام كل مسلم ومسلمة ، وتغير وضع رسول الله (صلم) في المدينة المنورة بعد ان احرز نصرا مبينا على اعدائه ، واذا بصاحب الدعوة المضطهد يصبح زعيما وقائدا حربيا يقوده توفيق الله والهامة في كل خطاه ، وانضجت الرؤيا والتجارب المتصلة والتفكير العميق محمد صلى الله عليه وسلم وجعلت منه أعظم رجال الدولة في تاريخ العالم ، فقد اذكى صلى الله عليه وسلم الشعور القومي لدى العرب فدين الاسلام دين اجدادهم ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، مكة العربية هي مركز الديانة الاسلامية واحتفظ صلى الله عليه وسلم للعرب بالكثير من قدسياتهم فاعترف بالحجر الاسود رمزا ، وبالكعبة الشريفة قبلة وبالسعى بين الصفا والمروة سبع مرات ، ولكنه صلى الله عليه وسلم أمر في نفس الوقت بهدم كل الاصنام الوثنية واقام مجتمعا يطبق قواعد الاسلام وقوانينه . وحينما دخل صلى الله عليه وسلم مع المؤمنين الى مكة على اثر المباحثات السلمية التي اجراها مع اعدائه ، فقد ارسى صرح الدولة والديانة الاسلامية .

وشعار الاسلام نفسه ، بأن لا اله الا الله الواحد الحق ، يعبر في ايجاز معجز عن تلك

اطفا صلوات الله عليه فتنازل الزيت المضاءة من بيت مال المسلمين ، وكانت هذه التصرفات ومستبقى دليلا وهاديا لكل مسلم وكل حاكم .

وبدا الخليفة عمر بن الخطاب ، الذى كان اول من لقب بأمير المؤمنين ، بدأ فى قيادة الدولة الاسلامية المتعاطمة طبقا لتعاليم الاسلام الحازمة . وفى بداية هذه المرحلة ، لم يكن العرب على دراية كافية بوسائل الادارة ، ولذا فقد اضطروا للاستعانة بالمسيحيين والفارس فى هذه المجالات وكانت حسابات الدولة الاسلامية تتم فى البداية باللغات الفارسية واليونانية ، كما تداولوا عملاتهم فيما بينهم . وقام الخليفة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بتقسيم الدولة الاسلامية الى ولايات وجعل على كل منها عاملا يحكم بين الناس بالعدل ويجبى الضرائب ، وتولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بنفسه حكم المدينة المنورة مقر الدولة الاسلامية فى ذلك الحين ، وكانت عدالة عمر بن الخطاب مثار اعجاب كل الكتاب العرب فيما بعد وأشادوا بها دائما .

ولقد كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا ذو همة ، وبعد تفكير ملى بدأ فى تنظيم تلك المبادرات التى بدأها ابو بكر الصديق رضى الله عنه والتى تتشابه فى نواح معينة مع تجارب اشراف الدولة الاخرى التى برزت فيما بعد فى تاريخ الاسلام . وقد حكم ابن خلدون — احد اكبر المفكرين العرب — حكم على تلك المحاولات فى «مقدمته» التى صدرت بعد ذلك بزمان طويل بأنها ضارة وغير اقتصادية ولا تؤدي الى الهدف المقصود منها .

ولقد خشى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تشمل نشوة النصر المحاربين العرب فيعتبروا الارض المحررة ملكا خاصا لهم ويتصرفون تصرفات الاقطاعيين ، أو أن ينسلخوا

شجاعة لا يمكن قهرها ، واردة متينة لا تهاب الموت .

واليوم ، وبعد مرور اكثر من الف عام ، فلعل العرب يأخذون العبرة الوافية من تلك الانتصارات الحربية التى حققها أسلافهم العظام فى القرن السابع الميلادى .

أخرجت الانتصارات الحربية العرب من براريهم المقفرة الى الاراضى الخصبة المجاورة ، الى سوريا والعراق ومصر .. وتآدنتهم فتوحاتهم غربا حتى المحيط الاطلسى ، وشرقا الى بلاد الفرس وشواطىء بحر قزوين ، وظلت الجيوش العربية المسلمة تتقدم بلا توقف فى كل الاتجاهات ... وعلى الرغم من أن قبائل البربر فى افريقيا قاومتهم قليلا ، الا أنها اعتنقت الاسلام وان احتفظت بلغتها الاصلية ، وفى الشرق حاول الخزر اعاقا الزحف الاسلامى .. ولكن لم يمض الكثير من الزمن حتى اعترف هؤلاء ايضا بسمو الاسلام . وهكذا أصبح الاسلام الديانة الغالبة فى العصور الوسطى .

وبذلك الاتساع الهائل فى رقعة الدولة الاسلامية ، نما دخلها وتضاعف الى درجة لم يعد من الممكن معها تقسيم هذا الدخل على افراد المجتمع بنفس الطريقة العائلية التى كانت متبعة فى النظام القبلى سابقا .

وكان سيدنا ابو بكر الصديق ، رفيق محمد صلى الله عليه وسلم وأول الخلفاء الراشدين ، والداعية الى حياة البساطة والزهد ، كان كالأب العادل وسط عائلة المسلمين المتنامية . وكانت تصرفات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وحفاظه على أموال المسلمين هو النبراس المضى لصحابته وخلفائه والمثل الدائم الذى يدعم نقاءهم الاخلاقى ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ما زاره الصديق أبو بكر للتباحث معه فى أمور دينوية شخصية ،

وسيطرتها على جميع المرافق المختلفة
الفقدان التام لحرية الحياة الاقتصادية وأصبح
التعامل بالنقد محدودا للغاية ، بل ولم يقتصر
الامر على العاملين في قطاعات التجارة والصناعة
فحسب ، وانما وصل الحال الى أن المحامين
والاطباء والكتبة أصبحوا تدريجيا موظفين
حكوميين . وادت القيود المفروضة على الحرية
الاقتصادية للأفراد الى اندلاع حركات التمرد مما
أرغم حكومة بيزنطة على ادخال أنظمة اقتصادية
جديدة للتخفيف من التوتر القائم في الحياة
الاقتصادية . وقد طبق عمر بن الخطاب رضى
الله عنه ومن بعده معاوية بن أبى سفيان في
سوريا ذلك النظام الاقتصادي القديم للحكومة
البيزنطية من سيطرة الحكومة على مختلف المرافق
وهو ذلك النظام الذى استبعد فيها بعد كنتيجة
للتطور الاقتصادي العالمى .

ولكن ، وكنتيجة حتمية لانتصار العرب على
الشعوب الاجنبية ذات الثقافة العالمية العتيقة ،
ومن خلال الزيجات المشتركة والاتصالات
الفكرية المتعددة ، فقد تحول العرب من قبائل
رحل ، ساكنى خيام ورعاة ، اغنام ، الى سكان
مدن ، وصناع ، وأهل فكر ، وعلماء ، ورجال
دولة ناضجين لتولى مهام الحكم .

وبدخول العديد من الاجناس في دين الله
افواجا ، اشتد عود الفكر العربى المتوقد دائما ،
اذ بدأ العرب يتعرفون في همة على العلوم
الاجنبية وعلى الفكر العالمى . وخلال فترة الحكم
الاموى ، كان المسلمون والمسيحيون اثناء
مسامرتهم يناقشون سويا أوجه الاختلاف بين
الديانتين . . فأخذ المسلمون يتخذون من كلمات
الله عز جلاله حججا مقنعة وبراهين ساطعة
لآرائهم ، مما قوى من عقيدة علماء المسلمين
انفسهم وأوسع من مداركهم ، وبدأوا في تفسير
العديد من آيات القرآن الكريم المعجزة من

باقطاعاتهم الجديدة عن الدولة الاسلامية ، . .
بل وقد يتحدون سلطة الدولة المركزية نفسها
فيما بعد . ولذا فقد أمر الخليفة عمر رضى الله
عنه بمنع وجود ملكية خاصة للأراضى ، واهتم
بتحصيل الضرائب المقررة لبیت مال المسلمين ،
وكان المتبقى من دخل بيت المال بعد اقتطاع
نسبة الخمس ، يتم توزيعه توزيعا عادلا على
صورة هبات وعطاءات على المقاتلين وعائلاتهم،
وبهذا فقد تمتع كل مسلم من الرضيع الى العجوز
بخدمات الدولة وانفاقها عليه ، وكانت الدولة
تتحرى بدقة عن الحاصلين على هبات من الدولة
بدون وجه حق . ولفترة من الزمان بدأ نظام
اشراف الدولة هذا كما لو كان نظاما مثاليا ،
ولكن تصور الجهاز الادارى ويدايتته في ذلك
الحين ، بالإضافة الى طبيعة دخل الدولة المتمثل
في المنتجات الخام ، أوقع هذا النظام في الكثير
من المشاكل وبالتالي لم يعمر طويلا .

ومنذ منتصف القرن السابع الميلادى ، فقد
انقسم العالم دينيا الى قسمين رئيسيين . .
مسلمين ومسيحيين . وأيا كان قدر تباين الاديان
.. سواء كانت مسيحية ام زارذوشتية ، فانها
مادة تدمغ الثقافة بطابعها . ولكن الاساس
الحيوى للثقافة . . وهو الوضع الاقتصادي لم
يتغير ، وأن ارتبط مع مرحلة التطور التكنولوجى
للعصر بعلاقات متبادلة .

وفي نهاية القرن السادس الميلادى ومطلع
القرن السابع الميلادى ، ادت عمليات اشراف
الدولة التى ادخلها الامبراطور يوستينيان في
الامبراطورية البيزنطية ، ادت الى عمليات
مشابهة في بلاد الفرس ، حيث بدأت الصناعة
والتجارة في الدخول تحت سيطرة الدولة تدريجيا
وأصبح الجنود والموظفون يتقاضون نسبا متزايدة
من مرتباتهم على صورة مواد عينية بدلا من
النقد . ونتج من الاشراف الكامل للدولة

وجهات نظر مختلفة . وادت هذه العملية بدورها الى البدء في تفسير تراكيب اللغة نفسها ، وشرعوا في وضع أسس عملية لقواعد الحديث والمخاطبة .

ولما كانت لهجات القبائل العربية قد انتشرت في مناطق الفتوح الاسلامية ، كل منطقة حسب اللهجة الغالبة للقبيلة الفاتحة والمستوطنة ، فقد قاموا بخطوة صحيحة هامة الا وهى ارسال مندوبين عنهم الى المصادر الاصلية للغة في شبه الجزيرة العربية نفسها ، للبحث عن اللغة الاصلية الاصيلية التي لم تفسدها اللهجات بعد ، وجمعوا موادها من افواه العجائز . وبذا تمكنوا من انتقاذ التراث الشعري الهائل لعصر الجاهلية وقاموا بتسجيله كتابة بعد قرابة القرن على صدوره .

وفي خلال هذه الفترة الطويلة ، مر العرب بتحول حاسم وهام في تراثهم المادى والفكرى ، وذلك بحلول المجتمع الاسلامى بتركيباته المستحدثة محل مجتمع الوثنية والجاهلية القديم ولذا فليس المستغرب أن يكون هذا التغيير في المجتمع قد ترك طابعه وآثاره على لغة ومفاهيم ادب الجاهلية التي تم انتقاذها من الضياع . وما يثير الاعجاب في هذا المجال ، بروز روح النقد وقيام العلماء العرب كآبن سلام ، والاصمعي ، وعمر بن العلاء باظهار اخطاء جامعى التراث الادبى .

وفي خلال فترة الخلافة العباسية تميز المجتمع بتعقيده .. فتركيبه الاجتماعى يقوم على العرب القبائليين والمسلمين من العجم ، والموالى من اتباع عرب القبائل ، ومن العبيد ومن المعتقين . وتميز بتجارة واسعة الى مشارق الارض ومغاربها بقراتها المختلفة ، وبالزراعة ورعاية الماشية . واصبحت المشاكل التي يجب على القضاة الفعل فيها أكثر تعقيدا عن ذي قبل ..

بل ان معظم المشاكل كانت جديدة على القضاة الذين تعودوا على حل مشاكل البدو البسطاء التي تتميز بدورها ببساطتها ، وكانت تلك المشاكل عادة تعرض في القديم على شيخ القبيلة الذي يقضى فيها حسبما يقتضيه العرف . وكما ينمو اللبلاب على شجرة البلاط ، فقد تطورت عادة تطبيق العرف واصبحت تقاليد حية واكبت تطور الامبراطورية الاسلامية ونموها . وازدادت خبرة قضاة الولايات المختلفة نتيجة للمزيد والعديد من التطبيقات المختلفة ، وادخل على العرف والتقاليد العديد من العناصر المستحدثة . وفي سوريا فقد ازدهر القانون الروماني المعروف باسم Responsa Prudentium

والذي طبق في عصر الامويين ، اذ اجاب على تساؤلات العلماء ، واستمر في التطور القانونى مثله في ذلك مثل الفتاوى الاسلامية . ولكن القانون الروماني ، وما انبثق عنه فيما بعد من من أنظمة قانونية أخرى في أوروبا لم يتلاءم مع مبادئ روح الاسلام . فروح الاسلام ترفض الخضوع للعقل البشرى المحدود او لاي تعاليم من تلك التعاليم التي تتغير بتغير الزمان او بتطور المجتمع .. والتي عادة ما تكون متناقضة وعلى الرغم من أن هذا القانون تغير وتطور فانه قانون واقع تحت تأثير الاحداث الدنيوية ولذا يفتقر الى تلك القوة الاخلاقية المهيمنة على الكون كله .. الى تلك الارادة العليا .. الى تجسد العقيدة .. الى ذلك القانون الالهى الصالح ابدا لكل زمان وكل عصر .

وقد يبدو هذا المفهوم اليوم مفهوما دوجماتيكا جازما ، ولكنه كان العنصر المنعش للحياة في العصور الوسطى ، بل قد يبدو غريبا أن نقول بأنه لو توغر اليوم مثل هذا المفهوم للمجتمعات الغربية التي لا تستطيع أن تحمى أمن وشرف

دور الاسلام في تاريخ الانسانية

الشريفة اقاصى الارض ودانيتها بحثا عن كل من يستطيع ان يضيف الى ثروة التشريع الاسلامى جديدا .. سواء كان راوية الحديث قد سمع الحديث الشريف بنفسه ام توارثه عن ابيه او جده . ولكن الكثير مما نسب الى الحديث والسنة الشريفة كان يفتقر الى الصحة لأسباب عديدة ، فقد اختلقت الاحزاب السياسية والمذاهب الدينية ، والحركات الاقليمية .. بل ولأسباب شخصية أيضا اختلق الكثير من الاحاديث نسبت زورا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلق العديد من الافعال ودست السيرة الشريفة . وبذلك زادت صعوبة الامر على قضاة المسلمين الذين كان يجب عليهم الحكم في القضايا المعروضة عليهم بروح القرآن الكريم وحده .

ويرجع الفضل في حسم هذه القضية البالغة الاهمية الى رجاحة عقل عدد كبير من العلماء العرب الذين تصدوا لتقدي كومة الاحاديث والسنة ونقضها سواء من ناحية الاسلوب او اللغة او قدر الثقة في راوى الحديث نفسه ، بل وقاموا بمناقشة ونقد مضمون الاحاديث نفسها اذا ما احسوا بزيغها . وقد ساعدهم الى حد كبير ظهور العديد من التراجم وسير الحياة في القرن التاسع الميلادى ، فقد امكن بذلك التحقق تاريخيا وموضوعيا من صحة الروايات المختلفة . فعلى سبيل المثال - اذا اتضح تاريخيا ان راوية ما ولنفسه « ا » كان قد مات حينما كان الراوى « ب » لازال في المهد رضيعا ، امكن الحكم بأن رواية « ب » نقلا عن « ا » رواية مزيفة . او اذا اثبت المؤرخون ان الراوى « ا » عاش في الاطراف الشرقية للدولة الاسلامية بينما الراوى « ب » عاش في التخوم الغربية ، اعلن العلماء المسلمون

وحياة مواطنيها ، لامكن لهذه المجتمعات ان تتغلب على التمزق والاهتزاز الذى تعانته .

والاسلام ، مثله في ذلك مثل الديانة المسيحية الحقبة ، لم يقم بتوضيح ظواهر الحياة المختلفة من خلال العديد من التفسيرات المتناقضة ، ولكنه تصورهما وتفهمهما من خلال الوحي الالهى وواعم نفسه بداخل اطار الحقيقة الاخلاقية المطلقة . وكان من الضرورى خلق وحدة ومفهوم مشترك بين الآلاف من شواهد الحياة العديدة وبين العدالة المطلقة التى يتضمنها القرآن الكريم الصالح لكل زمان وكل عصر . لذا اصبح ضروريا تفسير كلمات الله سبحانه وتعالى قدرته في قرآته الكريم لكى يمكن للادراك الانسانى والفهم البشرى ان يعرف طريقه بين طوايا المعجزة . وقد استخدم ابو جعفر ، والطبرى ، والزمخشري ، والبضاوى ، وفخر الدين الرازى ، واحمد النوبى ، والسبوطى ، وابو سعود .. وغيرهم ، استخدموا التفسيرات القديمة للقرآن .

ولكن باتساع الدولة الاسلامية وانتشارها ، تمت الحياة الاقتصادية وتعددت مطالب الحكم والادارة ، وتنوعت المشاكل بحيث امست الحاجة ضرورية للبحث عن مصادر اخرى للتقنين والاحكام الى جانب الاحكام القانونية الموجودة في القرآن الكريم . وادى مصدر للتقنين والاحكام خير من سيرة وسنة محمد ببعوث السماء ورسول الله صلى الله عليه وسلم . ولذا فقد بدأ المسلمون في جمع كل ما يمكن من البيانات المتعلقة بحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستمرت الجهود التى لا تعرف الكلل في جميع انحاء البلاد الداخلية ضمن الدولة الاسلامية ، وجاب جامعو السيرة

الحقوق الاسلامية هذا نظام مغلق لانه يحدد للفكر الانساني الحر حدودا معينة . ولكن ، اذا نظرنا اليه من زاوية التطبيق العلمى ، لامكنا الحكم بانه نظام معجز يشهد بتفوق ذهن علماء المسلمين وسمو تفكيرهم .. فهذا النظام يتعرض لكل الظروف المختلفة فى حياة اى انسان منذ ولادته الى يوم وفاته وما بعدها ، يدرس النظافة البدنية والبناء الروحى ، يقنن ارادة الانسان وتصرفاته بكل ضوابطها ورباطها ويحدد لها حدودها المناسبة ، ويطبق القوانين لحماية الفرد والمجتمع .

واذا كان المجتمع الاوروبى يعجب لكون النظام الاسلامى يعطى لمسائل العبادة نفس مستوى اهمية المناقشة لمسائل النظافة او الذنوب مثلا فلا بد ان نجد نحن هذه الحقيقة ونشيد بها لان من يهمل فى أداء ايا من واجباته تجاه مجتمعه ، لا يقل ذنبا عن مرتكب ايا من الاعمال التى تعاقب عادة بزيادة من القسوة .

ومن العوامل الهامة للغاية فى نظام الحقوق الاسلامى انه فصل ما بين النية لارتكاب فعل ما ، وبين نتائج هذا الفعل .. لان النية فى حد ذاتها هى منبع الافعال ومصدرها .

وعلى تعاقب السنين والاعوام ، فقد تحول نظام الحقوق الاوروبى الى ميادين السياسة واهمل جانب الادانة الاخلاقية فى حد ذاتها للتصرفات ادمية . وساهم انعدام الايمان واعطاء المزيد من الحريات ، فى تفسخ ارتباط الفرد الاوروبى بمجتمعه وتراخيه فى أداء واجباته تجاه رفقاته فى المجتمع ، وبذلك تردى الاوروبيون فى هاوية الذنوب الجسمية .

المحققون تشككهم ورببتهم فى صحة الحديث المنقول عنهما .. الى ان يتم ثبوت المكان والزمان الذى التقى فيه « ا » فيه « ب » وبذلك امكن للعلماء اثبات زيف العديد من الاحاديث والسنة المنسوبة زورا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . بل ان حدة ذهن العلماء وتوقد فكرهم مكثهم من تمييز زيف عدد كبير من الاحاديث المختلفة نظرا لاختلاف لغتها عن لغة العصر الذى ترجع اليه ، او لان لهجة الحديث تختلف عن لهجة قبيلة راوية الحديث .

ان علماء تلك العصور بتوقد ذهنهم الذى تجلى كخير ما يكون فى تقديمهم ونقضهم للاحاديث المدسوسة والسنة المنسوبة زورا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد سبقوا بذلك قرناءهم فى أوروبا بقرون طويلة ، حيث بدأت حركة نقد النصوص فى أوروبا بعد ذلك بزمان طويل ، وهذا هو احد دواعى فخر العرب بعبقريه اسلافهم العظام .

من روح الاسلام انبثق الشعور بان الحقوق تنبع من اصل الهى ، وبانه على الانسان ان يبحث عن الارادة الالهية وان يقوم بتحقيقها فى حياة المجتمع . وتوافقت هذه الروح مع المنطق الذى ساد تلك العصور .. منطق الـ Civitas Dei او المجتمع الالهى ، وبذلك جاهد الانسان من اجل بناء مجتمع مثالى وظهرت علوم الفقه التى توضح كيفية تطبيق الارادة الالهية فى حياة الانسان القانونية والشرعية التى تبين طريق العدالة .

واذا نظرنا الى مدارس التشريع الاسلامية الاربعة .. او المذاهب الاسلامية الاربعة من وجهة نظر اوروبية بحثه ، لاعتقدنا بأن نظام

دور الاسلام في تاريخ الانسانية

ذلك تقيد الزوج بان لا يستخدم هذا الحق الا بعد توفر الكثير من الشروط . وتاريخ الاسلام كله يشهد بعدم حدوث أى انحلال اخلاقى على مستوى كبير .. لان الاسلام عن طريق هذه الحقوق احتفظ دائما بصحة الانساب والاصول . وفي نفس الوقت فان الاسلام يعاقب الخيانات الزوجية بأقصى قدر من الصرامة . كما نجد ان الديانة الاسلامية وشريعته المساوية تحدد تحديدا دقيقا علاقات التعايش والمجاورة بين الانسان ورفقائه في المجتمع وتوجهها داخل حدود اللياقة الواجبة . اما ما نص عليه الدين الاسلامى من وجوب احترام المسنين والنساء والعلماء وتقديرهم ، فقد سبق بذلك أوروبا بعدة قرون . ومؤسسات الصحة والنظافة البدنية التي أوجدتها الأنظمة الاسلامية تقف في المقدمة دائما مقارنة بمثيلاتها في المجتمعات الغربية .

وقوانين العقوبات في المجتمعات الاسلامية تخلص البلاد من الجرمين بفرض أقصى العقوبات عليهم بل واعدامهم ولذلك نجد ان الجرائم المنتشرة في المجتمعات الاخرى كالسرقة والنهب والقتل وقطع الطريق يندر حدوثها في الدول الاسلامية .

ان التحديد القاطع الذي قامت به مذاهب التشريع الاسلامى الاربعة لكل التفاصيل الصغيرة في حياة الفرد والمجتمع تستدعى الاعجاب وتخلب اللب كعمل فنى رائع يمثل القمة في التفكير المنطقى وسمو العقل الانسانى ، ولا غرو ان تظل حتى يومنا هذا صرحا للثقافة شامخا يقاوم كل عوامل الزمن والعصر ، ويشهد بعبقريّة العرب ونبوغهم .

بينما نجد ان نظام الحقوق الاسلامى يقيم الاعمال من وجهة النظر الاخلاقية البحتة ، ويميز بين الذنوب البسيطة والجسيمة عن طريق زيادة العقوبة المفروضة فقط .

وبهذا يتميز المفهوم العقلى الاسلامى ويسمو على المفهوم الاوروبى المبني على منطق الحق العقلى البحت .

ولذا فليس من عجب ان يقف نظام الحقوق الاوروبى اليوم امام دوامة الذنوب والتدهور الاخلاقى عاجزا لا حول له ولا قوة ..

وهناك الكثير من الامثلة التى توضح هذا الفارق : فالعدالة الاسلامية تدين متعاطى المغيبيات بأشد العقوبات .. ايا كانت صورة مغيب الذهن .. مشروبا روحيا ام جوهرا مخذرة .. فالمغيب ايا كانت صورته يرتكب جريمة في حق مفهوم الانسان نفسه . السكر يفقد الانسان تلك المزايا التى وهبها له الله سبحانه وتعالى قدرته .. يفقد الانسان قدره واتزانه واحترامه ، ويؤدى به الى ارتكاب الذنوب والمعاصى .. ولذا فلا يمكن ان يعامل بصورة مخففة لان السكر في حد ذاته معصية وذنب . ونفس الامر ينطبق على مغيبات الذهن الاخرى ايضا .

واذا كانت المجتمعات الاوروبية تقف عاجزة عن تطبيق قوانينها امام مثل هذه الذنوب وما قد ينتج عنها ويتبعها من معصيات اخرى ، فما أجدرهم في أوروبا بأن يطبقوا قوانين الشريعة الاسلامية .

وشريعة الاسلام تجيز تعدد الزوجات ولكنها لا تشترطها .. بل هى على العكس من

التفكير والتطور العلمى عبر السنين

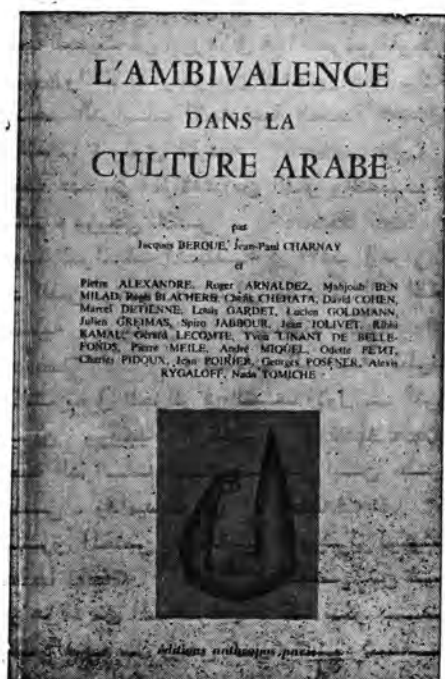
١٨٤٧ وضع ه . ل . ف غون هلمهولتر لأول مرة نظرية المحافظة على الطاقة .

١٨٥٢ حدد بول بروكا مراكز الكلام فى المخ لأول مرة .
١٨٥٢ وضع كونت جوزيف ارثر دى جوبينو فى بحثه عدم تساوى الاجناس البشرية أسس ما كتبه بعد ذلك عن تفوق بعض الاجناس .

١٨٥٩ ظهور كتاب « أصل الانواع » لشارلز دارون .
١٨٦٥ أجرى جريجورى مندل تجارب على تجهين السبلة .
١٨٦٥ وضع جوزيف لستر أصول ممارسة الجراحة المعتمدة على استخدام المطهرات الطبية .
١٨٧١ أثار تشارلز دارون فى كتابه « أصل الانسان » والتعبير عن العواطف عند الانسان والحيوان مسألة تطور القوى العقلية .

١٨٧٢ ألف فلهم فنت كتابه « أسس علم النفس النفسولوجى » الذى قام عليه علم النفس التجريبي .
١٨٧٣ وضع وولتر باجهوت كتابه « علما الطبيعة والسياسة » .

١٨٧٦ وضع شيزارى لبروزو أسس علم النفس الجريمة
١٨٨٠ اكتشف تشارلز لاثران ميكروب الملاريا
١٨٨١ طبق لويس باستير مبدأ المناعة باستعمال القطعيم .
١٨٨٢ اكتشف كوخ ميكروب السل .
١٨٨٣ اكتشف ادون كليز ميكروب الدفتريا وعزل فردرش لوفر الميكروب واكتشف اميل فون بهرنج مصلا له .



ازدواج الدلالة في الثقافة العربية

إشراف :
جاك بيرك ، جان بول
شارنيه

تقديم
د . محمد بديع الكسم
استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

السيد والعبد ، والجون وتعنى الأبيض والأسود ، والماتم وتعنى اجتماع النساء عند الفرح أو عند الحزن ، وباع وتعنى باع واشترى ، وأسر وتعنى أخفى وأعلن ، وبان وتعنى ظهر واختفى ، وغير ذلك من الكلمات التى اختلف اللغويون القدامى فى حصرها ، والتى بلغت عند بعضهم نحو أربعمئة كلمة . ومن أشهر الذين عالجوا هذه الظاهرة اللغوية منذ أواخر القرن الثانى للهجرة الأصمى وأبو زيد الأنصارى ، وقطرب تليذ سيويه ، وأبو بكر الأنبارى المشهور بكتاب « الاضداد » ، وابن درستويه فى القرن الرابع للهجرة .

والملاحظ أن من بين هؤلاء كالأنبارى مثلا ، من أشار الى أن أهل الاستهزاء ، أى الذين يحبون أن يسخروا من اللغة العربية ، قد اتخذوا من ظاهرة الاضداد حجة على ضعف هذه اللغة وعجزها عن التعبير الواضح . وهو يذهب فى رده على الشعوبية ، الى أن وجود الاضداد فى اللغة العربية من مرائد هذه اللغة ، وانها دليل على الغنى لا على الغموض والإبهام . ذلك أن الكلمة الواحدة من هذه الاضداد ليس لها إلا معنى واحد فى سياق معين . كما نجد أن ابن درستويه ، الفارسى الأصل ، ينفى وجود الاضداد نفيا كاملا ، الأمر الذى دفع بلاشير الى أن يشير الى الحماسة الكبيرة للغة العربية عند غير العرب من المسلمين .

ولا مجال للحديث هنا عن ظاهرة الاضداد فى اللغة العربية من حيث نشأتها ، أو من حيث تفسيرها بتعدد اللهجات العربية ، وبما طرأ على بعض الكلمات من تطور . ولكننا نشير الى محاولة طريفة وعجيبة حقا ، للكشف عن نشوء بعض الاضداد الجديدة فى أيامنا هذه . فقد ورد فى أحد الأبحاث التى يضمها الكتاب أن الفعل « ركد » وهو فى اللغة الدارجة مخفف من « ركض » ، يدل فى سورية ولبنان على الجرى السريع ، بينما

يُقال هذا الكتاب من مجموعة من الأبحاث يصعب الحديث عن أبرزها فى هذا العرض الموجز . Berque ولكننا نذكر من بين الباحثين جاك برك ، صاحب الدراسات الاجتماعية العديدة Jacques من العرب ، ولوى غارديه Louis Gardet صاحب عدد من المؤلفات عن الفكر والتصوف فى الإسلام ، وريجى بلاشير Régis Blachère صاحب الدراسات المختلفة فى الأدب العربى ، وأحد الذين ترجموا القرآن الكريم الى اللغة الفرنسية ، وجان بول شارنيه Jean Paul Charnay ، صاحب الدراسة المطولة عن التشريع فى الجزائر فى النصف الأول من القرن العشرين ، وروجيه ، أرنديز Roger Arnaldez صاحب الدراسات المستفيضة عن ابن حزم الأندلسى ، ودافيد كوهن David Cohen ، المستشرق المختص باللغات ، وجيرار لوكونت Gérard Lecomte ، المختص بابن قتيبة وغير هؤلاء من المستشرقين . كما نذكر بعض الكتاب العرب مثل ربحى كمال وشفيق شحاتة ومحجوب بن ميلاد .

وقد أشار شارنيه فى مقدمة الكتاب الى أن الأبحاث المدرجة فيه قد وجهتها فكرة كان لوى ماسينيون Louis Massignon قد عبر بها عن اعتقاده بأن « الاضداد فى اللغة العربية مثال يدل على أن الحدود الأساسية فى الثقافة العربية ذات مدلول مزدوج » . وستنصر الكلام على موضوعات ثلاثة هى « الاضداد » فى اللغة العربية و « الاختلاف » فى الفقه الإسلامى و « الجدل » فى الفكر العربى .

١ - تضم اللغة العربية عددا من الكلمات تسمى بالاضداد ، وتدل كل واحدة منها على معنيين متضادين . ومثال ذلك : المولى وتعنى

أن يميز ، ولكن بصورة غامضة ، بين « التناقض المنطقي » الذي يهدم كل تفكير وبين « التناقض الجدلي » بوصفه مبدءا اعلى للمعقولية يسمح لنا بأن نفهم ضروب تحول واقع ينمو باستمرار .

الحق اننا لا نفهم اطلاقا كيف يقذف الكتاب بين صفحاته مثل هذا السؤال الخافت عن مدى احترام الفكر العربي لمبدأ الذاتية . ان في ابحاث الكتاب نفسه ما يبين ان ظاهرة الاضداد تكاد تكون عامة في جميع اللغات . اما ان يحاول أحد أن يقفز من ذلك الى تمييز عقل انساني عن عقل انساني آخر فمغامرة خطيرة . لقد حدثنا ليفي برول في كتاباته الاولى عن عقلية سابقة للمنطق ، ينعدم فيها مبدأ الذاتية وتخضع لمبدأ المشاركة ، عقلية ظن أنه اكتشفها لدى القبائل البدائية . ولكنه تراجع عن هذا الاكتشاف في أيامه الأخيرة . وأما أن تقام فكرة الجدل على انقاض مبدأ الذاتية في العقل ، فهذا ما كف عنه منذ وقت طويل هؤلاء الذين اغرتهم المحاولة في بادئ الامر . ولا يتسع المجال لتفصيل ذلك كله . وانما نكتفي بالقول ان اللبس لا يقع في اللغة العربية ولا في العقل العربي ، ولكنه يقع في اكتشافات وتساؤلات ساذجة .

يبدو اننا لم نخرج من قصة الاضداد الا بنتيجة سلبية . ولكنها قد تكون مفيدة من بعض الوجوه . ولعلنا أن نخطو خطوة أخرى اذا عدنا الى بعض النقاط في بحث لمحجوب بن ميلاد عن النظرية العامة لما يسميه بالقبطية في الثقافة العربية . فهو يرى أن الروح التأميلية للغة العربية ، تملك الاضداد من بين ما تملك من وسائل ، للتعبير عن سيولة الواقع في نقائضه الاساسية . فالتضاد بين الظهور والاختفاء ، المتضمن في الفعل « بان » انما يفسر باننا ، من جهة أولى ، كثيرا ما لا نرى الشيء الموجود امام ابصارنا ، واننا من جهة

يدل عند القاهري على السكون ، كما هو الحال في اللغة الفصحى ، وأن كلمة « قومي » تدل في دمشق على ما يتصل بالوطن العربي الكبير ، بينما تدل في القاهرة على ما يتصل بالقطر وحده . ولا نحسب أن مثل هذه المحاولة بحاجة الى أي تعليق .

كما اننا لا نحب أن نعلق على ما ورد في بحث لدانيد كوهن عن كلمة « بعد » التي يرى انها لا يمكن أن تعني الا « قبل » حين وردت في آيتين كريميتين هما : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر » ثم « والارض بعد ذلك حياها » . وذلك لان صاحب البحث يرى أن الزبور كان قبل الذكر ، أي القرآن الكريم ، وأن الارض قد خلقت ، وفقا لآية أخرى ، قبل السماء لا بعدها . كما لا نعلق أخيرا على قول بلاشير أن كلمة « أسر » تعني اخفى واعلن لان عبارة « اسروا الندامة » في القرآن الكريم تعني عقلا ، عند المترجم ، أنهم اعلنوها .

وانما نريد أن نقف عند سؤال تردد على استحياء في بعض الابحاث المذكورة يتصل بمبدأ الذاتية أو الهوية . فجان بول شارنييه يشير الى ان ابحاث الكتاب ستبين الى أي حد يظل مبدأ الذاتية قاعدة للتفكير العربي . وذاك برك الذي ادهشته ظاهرة الاضداد في اللغة العربية واثارت فضوله كله ، وجعلته يصير على أن عددا منها على الأقل يبقى عصيا على الذوبان ، يقول في بحث له : « ان مبدأ الذاتية هو ، كما نعرف ، الخصم الاكبر للاضداد » . (ص ١٣٤) بل ان محجوبا بن ميلاد نفسه يذكر أن الذين ينكرون وجود الاضداد هم الذين يرون انها لا تضع مبدأ الذاتية موضع الخطر ، وأن الذين يؤكدون وجودها لا يرون كيف يمكن ، عند ذلك ، انقاذ مبدأ الذاتية (ص ٣٧٦) . وهذا على الرغم من أن الكاتب التونسي يحاول

على تعميق كل من العاملين بالعمل الآخر .

٢ — ننقل الآن الى ظاهرة « الاختلاف » في التشريع الاسلامى . وكل ما يهمنا منها في هذا الحديث انها ربطت ايضا عند بعض المستشرقين الذين اشرنا اليهم ، بظاهرة الاضداد في اللغة . انها تبدو في اعينهم مظهرا آخر لازدواج الدلالة في الثقافة العربية . فهم يشيرون الى المذاهب الفقهية المعروفة ، والى مسألة الاعتراف بانها صحيحة كلها حتى حين تطلق احكاما متعارضة في مسألة وحدة معينة . فجاك برك مثلا ، يقص علينا ان قاضيا في المغرب العربى و « في قلب القرن العشرين » ، قد نسخ زواجا لان الزوج قد غير اقامته وانتقل من مدينة الى مدينة أخرى (ص ٢٣٣) ، وان قاضى الاستئناف قد نقض هذا الحكم مطبقا مبدءا معارضا كل المعارضة لمبدأ القاضى الاول . وواضح هنا ان جاك برك لم يقف الا عند المظهر السطحى والخارجى لهذه القصة . ثم هو يحدثنا عن الشيخ المالكي محمد عيسى الذى يذكر القول المأثور « اثبات الضدين معا بحال اقبح ما يأتى من الحال » (هذا القول الذى يرى جاك برك انه مطابق لما يراه القاضى الغربى المدافع عن مبدء الذاتية) ، والذى ينتهى على عكس ذلك ، الى اقرار الصحة لرايين متعارضين . وهذا المثال ، في نظر جاك برك ، تطبيق واضح لنظرية الاضداد .

لن نعود مع برك الى الاضداد . ومن حسن الحظ ان بحثا آخر في الكتاب لصاحبه ايفون ليمان دى بلفون Yvon Lemant de Bellefonde ، يتحدث عن الحالات المزعومة لازدواج الدلالة في الفقه ، وعن وجود « الاختلاف » تحت أسماء أخرى في جميع المذاهب القضائية . وكل ما نريد ان ننتهى اليه هو ان الفقه الاسلامى يكشف عن

ثانية ، لانحس بحضور شخص عزيز علينا الا حين غيابه . وكذلك الامر في صور أخرى للتضاد .

ونحن في الواقع لا نرى في هذه الامثلة ما يوضح لنا في التطبيق ، التمييز الذى يقيمه صاحب البحث بين التناقض المنطقى والتناقض الجدلى . ولكن محجوبا بن ميلاد يرى ايضا ان هناك نوعا من اتناسق الازلى بين الروح التأملية للغة العربية وبين الوحى . ودليله على ذلك ان « المثنائى » الواردة في الآية الكريمة : « **ولقد آتيناك سبيعا من المثنائى والقرآن العظيم** » ، والتي تدل على الايات المتشابهات ، تتصل بنظرية الاضداد كما تتصل بالتناقض الجدلى نفسه . وتدل بعض هذه المثنائى على التناقض بين الحرية والجبر ، وبين العقل والايمان ، وبين الحياة الدنيا والحياة لآخرى . ففى المثنى الاخير مثلا يجد بن ميلاد اتصالا وانقطاعا بين الحياتين . فهناك اتصال لان فى الحياة الاخرى جزاء الحياة الدنيا ، وهناك انقطاع لان الحياة الدنيا لا قيمة لها بالنسبة الى الحياة الاخرى . واستنادا الى ذلك يتضح عنده معنى لحديث الشريف او القول المأثور « **اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا** » .

اذا تركنا النظرية العامة للاضداد وللتطبيقية فى الثقافة العربية كما يتصورها محجوب بن ميلاد ، وتأملنا معه معنى القول المذكور ، وجدنا ان لا يقوم على تناقض مهما يكن نوعه ، وانها يقوم على تكامل يستوعب الابعاد الثابتة للوجود الانسانى الواحد . فان نعمل للدنيا كأننا نعيش أبدا لا ينفصل عن عملنا للأخرة كأننا نموت غدا . ولعل من الخير ، بدلا من ان نتحدث عن «تناقض جدلى» يربط مصيره بمصير نظرية الاضداد ونظريات أخرى كثيرة ، ان نتحدث عن وحدة جوهرية قائمة

ازدواج الدلالة في الثقافة العربية

هو الوجود الحسى وحده . ان الجدل الخاص بالعقريّة العربية ينتقل من توكيدات الى توكيدات معارضة بحيث ينفي كل منها الآخر ويستدعيه في الوقت نفسه . وطابع الانفصال في هذا الجدل يتيح له ان يدرك تشابها عميقا يتفرع الى متعارضات ، يقف كل منها شاهدا على الآخر .

ونعتمد هنا عن عدم عرض الجانب المنطقي المحض لنظرية الاستدلال في الجدل العربي كما يراها غارديه . والفكرة التي يمكن ان نستخلصها من هذا البحث كله هي ان الفكر العربي ، يملك الى جانب الاسلوب المتصل في الربط بين المعاني ، والمتمثل بالبحث عن الحد الاوسط كما هو الحال في المنطق الارسطي ، اسلوبا جدليا يجعله لا يكتفى بالوقوف عند المضمون المباشر للمعنى الواحد ، وانما يحدده ويغنيه بواسطة المعنى المقابل له ، كما هو الحال في معنى الفناء والبقاء او معنى الحق والخلق .

لاشك ان في هذه النظرة محاولة جادة لتعديل منهج في رؤية الواقع يناسب مستوى خاصا من المستويات التي يعمل فيها التفكير . ولكننا نحب ان نسجل على هذه النظرة بعض الملاحظات ، منها ان اسلوب المقابلة ، او « الجدل الانفصالي » ليس الاسلوب الوحيد او الاسلوب السائد في الثقافة العربية . ومنها ان هذا الاسلوب ليس خاصا بالتفكير العربي بحيث يميزه ويفصله عن صور اخرى للتفكير الانساني . لذلك ، بدلا من ان نقول مع غارديه انه يعين خصائص الجدل العربي يحسن ان نقول انه وجه من اوجه التفكير الجدلي العام الذي عرقه الفكر العربي خلال تفقحه .

ومثل هذه الملاحظة تنطبق على محاولة جاك برك لدراسة الاضداد من زاوية ازدواج الدلالة .

مرونة خصبية حين يقرر مثلا ان اختلاف الائمة رحمة ، وان الضرورات تبيح المحظورات . ففى هذين المبدئين وحدهما ما يشهد بقدرته على استيعاب الظروف المختلفة ، وعلى التلاؤم مع مقتضيات الحياة الواقعية . وهذه القدرة هي التي تطبعه بطابع الانفتاح .

٣ - نصل اخيرا الى القسم المتعلق بجدلية الفكر العربي ، كما يحاول لوى غارديه ان يعين خصائصه . فهو يبدأ بتعريف الجدل بمعناه الواسع على انه ايقاع الفكر الذي ينتقل من الشبيه الى الشبيه او من الشبيه الى ضده ، فيقع بدوره على ظاهرة الاضداد ويضيف اليها ظاهرة التضمين . وهو يعترف بان اللغة العربية يمكن ان تكون اداة ممتازة للتجريد الصوري ، وتشهد على ذلك فلسفة ابن سينا وفلسفة ابن رشد . ولكن الفكر التقلائي عند العرب يدرس المعاني في ترابطها . فهو يثبت معنى ثم ينفيه باثبات نقيضه . فمعنى الفناء عند الصوفية لا ينفصل عن معنى البقاء . ففى خطوة اولى نجد الفناء عن ... اى الفناء كاملا للمخلوق . وفى خطوة ثالثة نجد الفناء ب ... اى الفناء للمخلوق في الوحدة الالهية . وفى خطوة ثالثة نجد البقاء الى ينفي الفناءين ويختلف الجدل هنا عن الجدل الهيجلي في ان عمليات النفي والاثبات لا يتولد بعضها عن بعض . فالبقاء لا يتعين بالفناء بل يمكن ان يتخلف عنه .

ويذهب غارديه الى ان نمونولوجيا الوجود الحسى التي يقدمها التحليل الماركسي للظواهر التاريخية والاقتصادية والاجتماعية يمكن ان تبدو للوهلة الاولى موافقة للذهنية العربية ، ويمكن ان تغريها . ولكن هذه الذهنية ، اذا ظلت وافية لذاتها ، وللجلد الكبير ، جدل الحق والخلق ، فلا بد ان تصطدم بالمصادرة الاعتباطية التي تؤكد ان الوجود

فهو يقول في أحد بحوثه ان جورج جرغنتش قد ذكر في كتابه « علم الاجتماع والجدل » ان جيلنا الحالي يتمثل فكرة الجدل من خلال جدل النقائض كما يعرضه الفكر الماركسى ، بينما هو لا يمثل الا ضربا واحدا من ضروب الجدل . فهناك مثلا جدل التكامل الذى يناسب دراسة الظواهر الطبيعية ، وجدل التضمين المتبادل ، وجدل ازدواج الدلالة . ويضيف برك ان هذا الجدل الاخير لا يتجلى في علم الاجتماع فقط ، حيث تتخذ العلاقة مع الآخرين صور الجذب والنبذ ، ولكنها تتجلى ايضا على مستوى الحياة

الاخلاقية ومستوى الحياة النفسية ، عندها يشير فرويد مثلا الى ازدواج الدلالة في السلوك الانسانى . ان قول برك هذا يدل بوضوح على انه اقتصر على مظهر واحد من مظاهر الفكر الجدلى ثم اراد ان يتصور الثقافة العربية مطبوعة كلها بطابعه .

هذا ونعتقد ان مناقشة مفصلة لاهم ما ورد في الكتاب ، تحتاج الى دراسات مطولة .

د . محمد بدیع الکسم

الاخ الوزير يقوم بجولة تفقدية الى كل من ولايتى الواحات والتيطرى .

في اطار الجولات التفقدية للمساجد والمؤسسات التعليمية التابعة لوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، قام الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية صحبة وفد هام من موظفي الوزارة بزيارة الى كل من ولايتى الواحات والتيطرى دامت سبعة ايام من يوم الخميس ٢٥ من ذى الحجة ١٣٩١ هـ الموافق لـ ١٠ / ٢ / ١٩٧٢ م الى يوم الاربعاء ١ محرم ١٣٩٢ هـ الموافق لـ ١٦ / ٢ / ١٩٧٢ م .

ففى صبيحة يوم الخميس غادر السيد الوزير العاصمة الى مدينة الاغواط التى وصلها على الساعة ١٢ ظهرا وكان فى استقباله كل من السيد محمد الامين غريب والسيد الواحات ورئيس دائرة الاغواط ورئيس المجلس البلدى الشعبى وممثلوا الحزب والجيش الوطنى الشعبى ، وبعد تناول طعام الغداء توجه السيد الوزير والوفد المرافق له الى مدينة بريان ، ثم غرداية ، وكان فى استقبال السيد الوزير عند مدخل مدينة بريان السيد رئيس دائرة غرداية ، وقد توجه السيد

الوزير فوراً الى المسجد المالكى الجديد فدشنه ثم زار بعد ذلك المسجد الاباضى العتيق لنفس البلدة ، وقدلقى فى كل منهما كلمة ابرز فيها دور المسجد الاصيل مؤكداً بان المسجد كان فى عهد الحضارة الاسلامية الزاهرة منارة اشعاع للامة جمعاء ثم قال ان الجزائر اليوم وهى تخطو خطوات عملاقة نحو مستقبل زاهر تعتمد على الاسلام الذى هو الحصن المنيع لكاسبنا الثورية ، ومن هنا يتضح ما على المسجد ان يقوم به اليوم استعادة لدوره الاصلى فى تكوين الفرد المسلم القوى القدير على النهوض بامته ، مذكرا بما قاله الاخ الرئيس هواري بومدين من ان الاسلام بمثابة الروح للبناء الشامل الذى تشيده جزائر اليوم ، وبعد ذلك توجه الوفد الوزارى الى مدينة غرداية .

أما اليوم الثانى لهذه الجولة فقد تميز بالزيارة التى قام بها الاخ الوزير والوفد المرافق له صحبة السيد والى الواحات والسلطات المحلية المدنية والعسكرية والدينية للقرى المحيطة بمدينة غرداية وهى كالاتى :

بنى يزقن ، والعطف ، وبونوره ، ومليكة ، وفى كل من هذه القرى اطلع الاخ الوزير على حالة المساجد ، والمدارس ، والمعاهد ، والمكتبات التابعة لها ، ومن بينها مكتبة الشيخ طيفيش المتوفى فى سنة ١٩١٤ فى بنى يزقن والتى تضم عددا من المخطوطات النادرة منها قاموس الشريعة فى ٩٠ جزءا وقد سجل الاخ الوزير فى السجل الذهبى لهذه المكتبة الكلمة الاتية : « فرصة طيبة هذه التى زرنا فيها هذه القطعة العزيزة من الوطن وهذا التراث العظيم لاحد ائمة الاسلام ، وفقنا الله جميعا للمحافظة عليه لعالم الاسلام والمسلمين وعزة الوطن » ثم ادى صلاة الجمعة فى مسجد بابا ساعد الاباضى الجديد الذى اقيمت فيه صلاة الجمعة لأول مرة فى غرداية ، وبعد الغداء توجه الاخ الوزير الى بلدة القرارة حيث تفقد مساجدها ومعهد الحياة الابتدائى والثانوى الذى يضم حوالى ٣٠٠٠ تلميذ وتلميذة من بينهم ٣٠٠ داخلى ، وبهذه المناسبة التقى الاخ الوزير كلمة توجيهية على طلبة المعهد ،

والاساتذة والمواطنين تعرض فيها بالخصوص الى مفهوم التعليم الاصلى ، ونظرة الاسلام للعالم على انه ربط الدين بالدنيا ، وهذه النظرة هي التي انتجت الحضارة الاسلامية الزاهرة واخرجت امثال ابن سينا والفراي ، وابن رشد ، والخوارزمي ، واحمد بن جابر ، وغيرهم الذين تلهذت عليهم اوروبا الى غاية اوائل القرن الحالى اذ أن كتاب القانون في الطب لابن سينا ظل يدرس في جامعة لوقان الكاثوليكية في بلجيكا الى سنة ١٩٠٩ ، وهذه النظرة للعلم هي التي تتبناها الان مؤسسات التعليم الاصلى في بلادنا والسلطة الثورية تؤيد كل التأييد هذا التعليم وقد شيدت هذه السنة عدة تكميلات وثانويات للتعليم الاصلى ، وفي هذا الاسبوع بالذات اعطى السيد الرئيس التعليمات اللازمة بالاسراع في انجاز كلية الدراسات الاسلامية في نطاق انجاز مشروع المسجد الكبير في قسنطينة ، وقبل مغادرته لبلدة القرارة ادى زيارة للعالم الصحفي الشاعر الكبير الشيخ ابراهيم ابي اليقضان الذي يوجد في سريره مشلولاً منذ ١٥ سنة ، وفي

صبيحة يوم السبت توجه الاخ الوزير الى بلدة متليلي حيث زار مقبرة الشهداء ودار ابناء الشهداء والمؤسسات الدينية والتعليمية ، ثم تابع سيره الى مدينة المنيع التي بلغها في منتصف النهار وقد كان في استقبال الاخ الوزير ، السيد رئيس الدائرة وبقية السلطات العسكرية والمدنية وبعد استراحة قصيرة في مقر الدائرة توجه الاخ الوزير صحبة السلطات المحلية الى المكان الذي تجرى فيه الاعمال لتعبيد الطريق الصحراوي طريق الوحدة الافريقية الذي تقوم به ثلة من شباب الخدمة الوطنية ، وقد تفقد الاخ الوزير الاعمال الجارية بمختلف انواعها ثم توجه الى القاعدة الرئيسية صحبة الاخ الرائد بوزادة حيث تناول الغداء هناك وقد القى الاخ الوزير على شبان الخدمة الوطنية الذين يشقون هذا الطريق كلمة جاء فيها : (ان هذا العمل الجبار الذي تقومون به فينيكم ويفيد الوطن ويكون منكم اطارات فنية ورجالا ذوي عزيمة وارادة) ثم شجعهم على مواصلة العمل وختم كلمته بقوله : (يفيكم فخرا انكم تحقون هذا

المشروع الهام الذي اطلق عليه اسم طريق الوحدة الافريقية والذي يذكركم بقوافل اجدادكم الذين شقوا هذه الصحارى لتبلغ كلمة الله وتعاليم دينه الحنيف والحضارة الاسلامية) ثم اردف قائلا : (ان ضريبة العرق التي تدفعونها اليوم تجعلكم في مصاف من دفع ضريبة الدم بالامس) ثم اعلمهم بانه قرر مشاركة وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية عمليا باطاراتها في هذا العمل الجليل .

كما كان الاخ الرائد بوزادة مسؤول القاعدة قد القى كلمة ترحيبية بالسيد الوزير جاء فيها على الخصوص ما يلي :

سيادة الوزير ، ان شعارنا هو : (الاعتماد على انفسنا) كما نادى بذلك السيد رئيس مجلس الوزراء ، ورئيس مجلس الثورة الهواري بومدين ، اننا ملتزمون بهذا الشعار الثوري معتمدين على انفسنا ، وعلى سواعدنا ، وعرقنا ، لاننا هذا المشروع العظيم وبهذا نكون قد اسهمنا مساهمة ايجابية في بناء صرح وطننا متفاعلين متجاوبين مع المرحلة الحاسمة التي تمر بها ثورتنا، لتحقيق الثورة الصناعية والثقافية والزراعية ، وبذلك

نقضى نهائيا على مظاهر الجهل ، والفقر ، والمرض ، وكل انواع التخلف ، ومحو جميع الفوارق الاجتماعية بين افراد شعبنا .

وبعد ذلك عاد الاخ الوزير الى مدينة المنبعة وقداى صلاة المغرب في المسجد الكبير ثم زار مسجد حاسى قارة ، وفي صبيحة اليوم التالى تفقد الارض التى اختيرت لبناء ثانوية للتعليم الاصلى الزممع انشاؤها في هذه المدينة ثم غادر الوجد مدينة المنبعة في طريقه الى ورقلة عاصمة ولاية الواحات التى وصل اليها عند منتصف النهار فتفقد حالة بعض المساجد بها ، ثم توجه الى تعاونية حسن بن عبد الله التى لم تكن شيئا نبل ٣ سنوات والتى أصبحت اليوم تتدفق فيها المياه وسط الرمال تنتج الخضر والفواكه وتروى النخيل ، وبعد زيارة مقر الولاية الجديد عقد جلسة عمل ادارية بالولاية حضرها السيد الوالى ومساعدوه لدراسة مختلف مشاريع وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بالولاية نخص بالذكر منها ثانوية التعليم الاصلى بتامراست التى تتسع لالف طالب كلهم داخلى ومسجدها

الكبير ، وكذلك مشروع تكبير ثانوية التعليم الاصلى بالوادى ، ثم عقدت جلسة عمل اخرى مع رجال الدين بالناحية لدراسة سر عملية محو الامية في المساجد والتعليم القرآنى والتعليم المسجدى وقد القى الاخ الوزير في هذه الجلسة كلمة جاء فيها بالخصوص : (ان رمز هذه الامة واساس حضارتها وحصانتها من الاذابة والمسح هو الاسلام ، وعليكم معشر الائمة ان تقصدوا الشباب في المقاهى والنوادى والمعامل اذا اردتم ان تكونوا دعاة حقاً وتحملوا الرسالة بنشاط وحزم وعزم ، وعليكم ان تضاعفوا الجهود بالنسبة لعملية محو الامية حتى نتجح نجاحا كليا وفي جميع المناطق .

وفي صبيحة يوم الاثنين ٢٩ / ١٢ / ١٣٩١ هـ ١٤ / ٢ / ١٩٧٢ م غادر الاخ الوزير والوجد المرافق له مدينة ورقلة قاصدا الوادى مارا بتوقرت ، وقد كان في استقباله عند مشارف توقرت السيد رئيس الدائرة والسلطات المحلية المدنية والعسكرية ورجال السلك الدينى ، وبعد استراحة قصيرة في مقر الدائرة ، واصل طريقه الى الوادى التى

وصلها عند منتصف النهار ، وقد استقبلت الوادى السيد الوزير استقبالا حارا سواء من طرف السلطات المحلية أو من طرف الشعب وقد قلم السيد الوزير بعد الغداء بزيارة تفقدية لتكيبية التعليم الاصلى في الوادى والقى كلمة توجيهية على طلبة التكيبية في روح الكلمات التى كان قد القاها من قبل ، ثم زار بعد ذلك مصنع تصبير وتعليب التمور بنفس المدينة ، وبعد ان ادى صلاة المغرب بالمسجد الكبير طاف بأحياء المدينة ، وقد غادر السيد الوزير الوادى في اليوم التالى قاصدا بوسعادة ، وقد كان في استقباله عند حدود ولاية التيطرى السيد احمد العيضى والى التيطرى والمحافظ الوطنى للحزب ورئيس دائرة بوسعادة وقائد القطاع العسكرى ، ومدير ثانوية التعليم الاصلى ببوسعادة ، ولقد توجه الركب الوزارى الى مقر الدائرة وبعد الغداء زار السيد الوزير ثانوية التعليم الاصلى بالمدينة وطاف باقسامها وتحادث مع طلابها واستأذنتها ثم زار مدرسة الفنادق ، وبعدها توجه الى المعهد القاسمى بالهامل حيث تفقد مختلف

اتسامه ، والمكتبة التي يضمها هذا المعهد ، وقد ألقى الاخ الوزير كلمة جاء فيها :
(على جميع الزوايا والمعاهد الدينية القديمة التي قامت بدور فعلى في الماضي من أجل الحفاظ على الثقافة والشخصية العربية الإسلامية للجزائر عليها اليوم أن تبذل كل الجهود لتطوير أساليب تعليمها تطويرا جديرا لتواكب عصر نهضتنا الحاضرة وذلك بإمكانياتها المادية الخاصة ، وأما التي لا تستطيع أن تقوم بهذا التطوير فسوف تشملها جهود الدولة تدريجيا في إطار الجهود التي تبذلها الدولة وتوزعها بعدالة وانسجام على مختلف جهات الوطن ومختلف قطاعات النشاط القومي) .

وقد كان ختام هذه الجولة هي مدينة المدية التي وصلها السيد الوزير صبيحة يوم الأربعاء ١ محرم ١٣٩٢ هـ ١٦ / ٢ / ١٩٧٢ م قادما إليها من بوسعادة صحبة كافة المسؤولين المحليين ، وقد كان أول عمل قام به السيد الوزير في هذه المدينة هو زيارة مسجد النور الذي يعد مخررة للجزائر كلها ، وتفقد المكتبة التابعة للمسجد وقد أكد السيد الوزير بهذه المناسبة

بأن وزارة التعليم الاصلى تضع برنامجا لتطوير مكتبات المساجد والمعاهد الإسلامية وتوسيعها حتى تكون قادرة على مسايرة ركب الثقافة الحديثة وتلبية المطالب العلمية في مختلف مجالاتها ، وبعد ذلك توجه الاخ الوزير الى المعهد الاسلامي الكائن بجانب المسجد حيث تفقد مختلف الاقسام والتجهيزات الحديثة التي زود بها هذا المعهد كما اطلع على مختلف نشاطات الطلاب ومن هناك قصد الوفد القسم الداخلي للمعهد الكائن بذراع الصمار على بعد حوالي ٥ كم من المدينة وقد كان في استقبال الوفد الوزاري مدير المعهد وأساتذته وطلابه ، وبعد أن ألقى أحد الطلبة كلمة ترحيب بالسيد الوزير ، وكذلك مدير المعهد رد عليهما السيد الوزير بكلمة قصيرة جاء فيها بالخصوص بعد أن أشاد بجهود الهيئة المشرفة على المعهد والطلاب « أن رسالة مؤسسات التعليم الاصلى بالجزائر لم تعد مقتصرة على الجزائر فقط وإنما شملت كثيرا من الشعوب الإسلامية إذ أن مؤسساتنا تضم مجموعة من الطلبة المسلمين الذين جاءوا اليها من افريقيا ومن آسيا مثل :

السينغال ، غامبيا ، غولنا العليا ، النيجر ، اريتريا ، الصومال ، السودان ، سيراليون ، غانا ، غينيا ، تشاد ، مالي ، موريتانيا ، نيجيريا ، المغرب ، تايلندا ، وفي السنة الدراسية المقبلة سينظم الى هؤلاء جمع من تلاميذ البلدان الآتية : ساحل العاج ، زايير ، الكونغو ، ثم حث الطلاب على مواصلة بذل الجهود حتى يجنوا اثمار التي يرجونها ، وبعد تناول الغداء في مقر الولاية ، توجه السيد الوزير الى مدينة الجزائر ايدانا بانتهاء هذه الجولة الاستطلاعية التي تدخل ضمن سلسلة من الجولات التي قام وسبقوم بها الاخ الوزير في مختلف جهات الوطن للاطلاع على سير مؤسسات التعليم الاصلى والشؤون الدينية .

ويلاحظ أن اغلبية المدن التي زارها السيد الوزير كانت تطلب بالحاح انشاء تكميليات وثانويات للتعليم الاصلى فيها ، مثل غرداية ، وبلدة متبلى التي يوجد فيها مركز لابناء الشهداء وهو مجهز تجهيزا حديثا كاملا وسيفرغ عما قريب لان الاطفال الذين بأويهم قد كبروا ولهذا فان سكان هذه البلدة يلحون على

النشاط الثقافي

الموافق لـ ٦ مارس ١٩٧٢ م، على غرار الزيارة التي نظمت من قبل الى ولاية بيزى وزو والزيارات التي ستنظم قريبا الى باقى الولايات التي توجد فيها مثل هذه الزوايا .

وبعد جلسة عمل عقدت في نفس اليوم بمقر الولاية مع السيد الوالى ، والمحافظ الوطنى للحزب ، ورئيس دائرة البيض ، والمفتش الجهوى للتعليم الاصلى والشؤون الدينية ، توجه اعضاء الوفد في صبيحة اليوم التالى صحبة المحافظ الوطنى للحزب ، وممثل السيد الوالى ، ورئيس دائرة البيض ، والمفتش الجهوى للتعليم الاصلى والشؤون الدينية الى بلدية الابيض سيد الشيخ للاطلاع على حالة الزاوية الموجودة بها في عين المكان ودراسة كيفية تطويرها ، وقد اتخذت التدابير اللازمة في الموضوع حسب القرار المشار اليه اعلاه .

لكل من تلمسان وسطيف ، قد تقرر انشاء ثانويتين داخليتين للتعليم الاصلى في كل من تلمسان وآتبو ، تخصصان للبنات ، وقد بدئى فعلا في انجازهما ، وننوى ان ثناء الله بعزم ان ننشئ كمرحلة ثانية ثانويتين للبنات في كل من العاصمة والمدينة .

وفد من وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية يقوم بزيارة لولاية سعيدة

في اطار القرار الذى اتخذته وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بتطوير جميع الزوايا وتجديدها وبعث الحياة فيها حتى تتكن من اداء رسالتها التعليمية كاملة ، قام كل من السادة : احمد درار نائب مدير التعليم الاصلى ، ومحمد الصغير ابن الاعلام نائب مدير الشؤون الدينية ، وعمر مقرانى المفتش المركزى بالنيابة ، بزيارة لولاية سعيدة يوم الاثنين ٢٠ محرم ١٣٩٢ هـ

ان تبناه وزارة التعليم الاصلى وتحوله الى تكميلية ، وكذلك المنفعة التي سارعت السلطات المحلية فيها - نظرا لرغبة السكان والحاحهم في انشاء تكميلية فيها للتعليم الاصلى - الى اختيار الارض التي ستبنى فيها هذه التكميلية ، وكذلك الشأن بالنسبة لمدينة توقرت التي طلب سكانها من الوزارة بالحاح انشاء تكميلية للتعليم الاصلى فيها نظرا لمواقعها وكثافة سكانها .

اما بخصوص اهل المدينة بالضبط فقد الحوا في الجلسة التي عقدها السيد الوزير معهم في قاعة مكتبة مسجد النور ، على ضرورة انشاء ثانوية للتعليم الاصلى تخصص للبنات ، وقد وعدهم السيد الوزير بالعمل على تحقيق هذه الرغبة التي عبر عنها مواطنونا في المدينة بالحاح كبير ، ونود هنا ان نفتتح قوسين لنقول (انه في اطار البرنامج الخاص

نشاط المركز الثقافي الاسلامي

نظم المركز الثقافي الاسلامي سلسلة من المحاضرات الثقافية عالج فيها المحاضرون عدة قضايا فكرية وثقافية ، وغيرها .

ومن المحاضرات التي القيت بالمركز الثقافي الاسلامي محاضرة بعنوان .

الهجرة عهد جديد في حياة الاسلام ، تعرض فيها - الاستاذ احمد حماتي استاذ بكلية الاداب جامعة الجزائر ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى - الى الظروف التاريخية التي أدت الى الهجرة ، والى الافاق الجديدة التي لاحت للمسلمين بعد هذا الحدث التاريخي العظيم الذي يعتبر نقطة تحول بين عهدين .

اما المحاضرة الثانية فقد القاها الدكتور عبد المنعم النمر مدير ادارة البحوث الاسلامية بالازهر ، بعنوان :

الحق والقوة في الاسلام :

- والملاحظ ان الدكتور عبد المنعم النمر كان قد استدعى من طرف وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية - ولقد ابدع الدكتور النمر في تحليله الموضوعي لفلسفة الحق والقوة في الاسلام ، ولقد السح في محاضراته هذه بصفة خاصة على ضرورة تواجد قوة بالمعنى الحقيقي للقوة في عصرنا الحاضر ، لحماية الحق - روح الاسلام - لان الحق لا بد له من قوة تدعّمه وتعزّزه وتحمي جانبه وترهب اعداءه ، واستشهد بقوله تعالى « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، الآية » .

اما المحاضرة الثالثة فكانت تحت عنوان :

مراكز الثقافة بالجزائر ، وخزائن الكتب عبر التاريخ ،

نشأتها ، تطورها ، آثارها . ولقد تعرض في هذه

المحاضرة الاستاذ ، المهدي البوعبدلي عضو المجلس الاسلامي الاعلى الى ذكر مراكز الثقافة بالجزائر هذه المراكز التي كانت منبثّة هنا وهناك ، من بجاية الى تلمسان وفي نفس الوقت تعرض الى المكتبات التي كانت موجودة قبل ١٨٣٠ م . اما المحاضرة الاخيرة فقد القاها الدكتور محمد عزيز الحبابي استاذ الفلسفة بجامعة الجزائر تحت عنوان .

الى اين نسير ؟ : طرح المحاضر في هذه المحاضرة اسئلة حول سيرنا واتجاهه ، في الوقت الراهن ولقد كانت المحاضرة مفعمة بالحوار والمناقشة .

مفهوم وإبعاد الثورة الثقافية في الجزائر

عالم الاخ احمد طالب
الابراهيمى ، وزير الاعلام
والثقافة في مقر المعهد الثقافي
بيوزريعة ، موضوع «الثورة
الثقافية» أثناء محاضرة القيت
امام الاطارات النقابية
للوليات المكلفة بالمسائل
الثقافية .

حدد الاخ احمد طالب
الابراهيمى ، في البداية ،
مفهوم الثورة الثقافية التى
ليس لها معنى واحدا بالنسبة
للجميع ، فقال : « ان الثورة
الثقافية في الواقع ، لا يمكن
فصلها عن الجهود التى تبذل
لتشيد مجتمع اشتراكي بكل
ما يتضمنه من كفاح ضد
القبعية من اجل الديمقراطية
والتجديد . وهو لن يقوم
بدون ثورة ، اى بدون تحويل
للانسان والمجتمع . » ثم لاحظ
انه بالرغم من ذلك ، ليس من
الضرورى الاتفاق على شكل
ومحتوى الثورة الثقافية ،
حتى بين البلدان الاشتراكية
نفسها ، وعندما ضرب مثلا
بالاتحاد السوفياتى من جهة
والصين الشعبية من جهة
اخرى ، اشار الاخ الوزير الى
ان اتحاد الجمهوريات

الاشتراكية السوفياتية ركز ،
منذ ٥٠ سنة خلت ، على
تطوير المعرفة والتقنية ، في
الوقت الذى ترمى فيه
جمهورية الصين الشعبية
الحالية ، من بين اهدافها ،
الى استبدال الافكار ،
والثقافة ، والاخلاق ، والعادات
« القديمة » بافكار وثقافة ،
واخلاق ، وعادات «جديدة» .

وبعد ذلك ، انكب الدكتور
احمد طالب الابراهيمى على
حصر الواجه الرئيسية للثورة
الثقافية ، فذكر في البداية
ضرورة محاربة الجهل للحصول
على المعرفة والمهارة ، والتطور
الثقافي بمختلف وجوهه
(الاداب ، والمسرح ، والسينما ،
والمناحف ، والفنون التشكيلية .
الخ) ، وضرورة تبني
اسلوب جديد في الحياة
بواسطة حذف العوامل السلبية
(ولا سيما « الوصولية »)
والتحمس للعوامل الايجابية
(الطهارة النفسية) .

ثم رجع وزير الاعلام
والثقافة الى التاريخ ، فاشار
الى ان اية ثورة لا يسعها ان
تطلق من صفحة بيضاء .
لذلك يجب على كل ثورة

ثقافية ان تجد حلا ، من بين
العديد ، لمشكل هام : الا وهو
موقفها ازاء مخلفات الماضى .

وعندما حاول تعريف وجود
الثورة الثقافية الجزائرية في
ثلاث نقاط ، اوضح الاخ طالب
الابراهيمى ، المضمون الذى
تجرى فيه جهود التدريس
الذى يهدف الى التحرير ، وفي
نفس الوقت ، تلافى محاولة
العدمية والتقليد الاستعبادى
للماضى ، فقال بأن التحرير
يجرى بالنسبة لمخلفات
الاستعمار .

اما بالنسبة للتراث
العربي الاسلامى قال انه لا
يعتبر ، في هذه الحالة ، تلافيا
بل استردادا وعودة للاصل
مع كل المشاكل الناجبة عن
اللغة العامية والتقاليد ،
والاجتهاد والتقليد وفي نقطة
ثانية ، تعرض الاخ احمد طالب
الابراهيمى الى الاجراءات
المتخذة او المحتمل اتخاذها
لضمان التطور الثقافى ، ثم اضاف
بان الجهود التى تبذل في ميدان
التطور الثقافى مكنت من :

- مواصلة عمل استصلاح
- وحماية التراث الثقافى .
- تشجيع الانتاج الفكرى

الجديد بتشريع قانون لحمايته
— ضمان نشر هذه الاعمال
في كل الاوساط وكل المناطق .

اخيرا في نقطة ثالثة ،
اشار من جديد ، الى ضرورة
تبني أسلوب جديد في الحياة ،
ثم صرح وزير الاعلام والثقافة
ثالثا: «من أجل هذا الغرض ،
فان الثورة الثقافية ، هي في
آن واحد ، وسيلة (المحرك
لتحويل المجتمع) وغاية
(التطور الاقتصادي
والاجتماعي ، والتصنيع ،
والثورة الزراعية ، كل ذلك
يهدف من خلال المنجزات
المادية الى خلق الظروف
الثقافية التي تتميز
باللائمة لتطويع الثورة
بظهور انسان جديد في مجتمع
افضل . »

واشار الاخ طالب
الابراهيمي الى انه يتحتم علينا
بذل جهد متابع للحصول
على مشاركة جدية ومتواصلة
من طرف الجميع في أسلوب
الحياة الجديدة ، هذا ، قبل ان
يختتم حديثه بهذه العبارات :
« ليست الثورة الثقافية عبارة
عن حشد للمعلومات او الاحتجاج
من أجل التدمير ، بل هي
تتجه نحو تكوين انسان جديد
لمجتمع يركز على علاقات اكثر
عدلا وأكثر اخوة . »

« ان الثورات ومعارك
التحرير الكبرى لا تكتسب
بالاسلحة المادية فحسب ، بل
كذلك بالقوى الفكرية (المعنوية
والنفسانية والايديولوجية)
ان الثورة الثقافية (التي هي
ثورة مستمرة) وسيلة لتحرير
الطاقات الكامنة في الجماهير ،
وعندما تحرر هذه الطاقات ،
تستعملها الثورة الثقافية
لتغيير الانسان وطرق تفكيره ،
والمجتمع واسسه . »

مصر

* أوشك الاستاذ مصطفى
حجازي مراقب المعجمات
واحياء التراث بمجمع اللغة
العربية بالقاهرة على الانتهاء
من تحقيق كتاب « ما تفرد
به بعض أئمة اللغة » للحسن
بن محمد بن الحسن الصاغاني
المتوفى سنة ٦٥٠ هـ ،
ويقتضن أربعة اقسام ، الاول
في القراءات الشاذة معزوة الى
اصحابها ، والثاني ما تفرد به
يونس بن حبيب ، والثالث ما
تفرد به أبو حاتم السجستاني ،
والرابع ما تفرد به بعض الأئمة
ووجد في شروحه لدواوين
بعض الشعراء .

* كتاب تاريخ التراث
العربي الذي ألفه بالامانة
العالم التركي د . مؤاد

سزكين وبذل في تأليفه
عشرين عاما متواصلة ، صدر
بالقاهرة بعد أن ترجمه الى
العربية الدكتور فهمي أبو
الفضل استاذ بكلية الاداب
بجامعة عين شمس .

* وضع مجمع اللغة
العربية بالقاهرة في خطته
لتحقيق التراث اللغوي اخراج
كتاب التكملة للحسن بن محمد
ابن الحسن الصاغاني المتوفى
سنة ٦٥٠ هـ في ستة اجزاء
أصدر الجزء الاول منه سنة
١٩٧٠ بتحقيق الاستاذ عبد
العليم الطحاوي ، ومراجعة
الاستاذ عبد الحميد حسن ،
وسيصدر الجزء الثاني قريبا
بتحقيق الاستاذ ابراهيم
الابباري ومراجعة الاستاذ
محمد خلف الله احمد
مدير معهد البحوث والدراسات
العربية .

العراق :

* عثر مؤخرا على
مخطوطة قديمة لديوان الشاعر
صفي الدين الحلبي الذي عاش
في القرن الثامن الهجري
وتحتوي المخطوطة زهاء الالف
بيت لم تطبع في الطبقات
الاربعة للديوان ، كما تحتوي
على مجموعات أبيات موال

النشاط الثقافي

مصر وتأثيرها ببقية اجزاء افريقيا ، وتأثيرها في الحضارة العالمية باعتبارها جزءا من القارة الافريقية .

وكانت اللجنة الدولية قد بدأت اجتماعاتها مساء ٢٤ نوفمبر واشترك فيها ممثلون عن كل من كينيا ونجيريا ، والسينغال ، وغانا ، وقولنا العليا ، وفرنسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، واثيوبيا ، ومصر ، وهيئة اليونسكو .

باريس :

✽ انعقد في باريس (تحت اشراف منظمة اليونسكو) مؤتمر على مستوى الحكومات لاقترار نظام خاص بروج الاخبار ذات الصبغة العلمية. واتفق المؤتمرون الذين يمثلون ٢٤ دولة بعد دراسة وافية للموضوع على وجوب انشاء جهاز خاص يتعاون تلقائيا مع كل بلدان العالم في نشر المعلومات العلمية .

ويستفاد من التقارير الصادرة عن المؤتمر أن الانباء العلمية لا تروج على الوجه المطلوب بين جميع الدول . وافر التقرير حق الدول النامية في تداول هذه الاخبار على اساس أن العلم في حد ذاته له

هذا التعليم يتابع حتى الان باللغة الانجليزية .

وقد طلب الكاتب العام للمجلس الاعلى العراقي للتعليم من جميع الجامعات العراقية ومراكز الابحاث العلمية في لجنة الطاقة الذرية تعريب التعليم وترجمة البرامج على انه اوضح أن التعريب لا ينبغي أن يمنع الطلبة من الاستفادة من الوثائق والابحاث المحررة باللغة الاجنبية .

افريقيا :

✽ واصلت اللجنة الدولية لتدوين تاريخ افريقيا اجتماعاتها يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٧١ بالقاهرة وناقشت اللجنة بعض النواحي الادارية المتعلقة باصدار موسوعة عن تاريخ افريقيا العام تضم ثمانية مجلدات ، وقد تقرر ان يشرف الدكتور جمال مختار وكيل وزارة الثقافة والاعلام على المجلد الثاني الذي يعالج الفترة التي بدأت من نهاية عمر ما قبل التاريخ في افريقية حتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي .

ويشمل هذا المجلد خمسة اجزاء رئيسية تضم ٣٠ فصلا يشترك في كتابتها ٣٠ مؤلفا وسيوضح هذا الجزء تأثير

وابى ذبة وزجل ورسائل شعبية ، وهذا يعنى ان عمر الابونية اصبح يمتد الى اكثر من خمسمائة سنة . ومن المؤمل ان يقوم أحد المعنيين بالفلكلور والادب الشعبي بطبع هذه الابيات مشفوعة ببحث تاريخي عن هذا النوع من الادب والفن العراقي القديم .

✽ تمت الموافقة على مشاركة الجمهورية العراقية في اعتبار سنة ١٩٧٢ العام الدولي للكتاب الذي أقرته دوائر الامم المختصة ، والاحتفال بذلك بصورة واسعة .

وان لجنة تالفت في وزارة الاعلام برئاسة السيد حميد سميد مدير التأليف في الوزارة وعضوية لـ غيف من ذوى الاختصاص تدارست الموضوع وبعثت بمقترحاتها وتوصياتها الى مديرية الثقافة العامة في الوزارة بهذا الصدد .

✽ اعلن في بغداد ان المجلس الاعلى العراقي للتعليم قد اتخذ قرارا بتعريب التعليم العلمى العالى في العراق وكان

نابليون غير المقروء ولغته الفرنسية الرديئة » .

ويرجع هذا المؤلف لنابليون في الفترة الواقعة بين ١٧٨٥ و ١٧٩٥ عندما كان نابليون يكتب من أجل تحسين لغته على سبيل التدريب ومن أجل التعبير عن حنينه لكورسيكا مسقط رأسه . ويقول فراينغ ان أسلوب نابليون هو أسلوب الأجانب الذين يكتبون بالفرنسية ولا يحسنونها «أسلوب صغار الزنج» أو هو من نوع الفرنسية العادية حسب نقله عن الكتاب الآخرين أو عدم ذلك » . وقد كان نابليون كثير الفخر لمعرفته بكتابات جان جاك روسو الذي كانت لأفكاره تأثيرات هامة على نابليون في شبابه . بل ان فراينغ نفسه قد استفاد كثيرا من تحليل مؤلف نابليون هذا من خلال روسو . ذلك انه اكتشف هذه القصص لنابليون خلال بحثه في باريس حول اطروحة عن روسو .

✽ تقوم الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة باتمام ترجمة كتاب تاريخ الادب العربي للمستشرق بروكلمان بعناية الدكتور رمضان عبد التواب ، وسبق ان ترجم منه ثلاثة اجزاء ثم توقف لوفاة مترجمه الدكتور

والمصحف العالمية تحمل صورة كبيرة لبيكاسو ، الان في حالة اعتزال كاملة ، ولذلك غانته لم يحضر الحفل الذي دشن خلاله الرئيس الفرنسي بومبيدو معرض التكريم الخاص ببيكاسو .

✽ انعقد مؤخرا في مدينة اكس اندير وفانس المؤتمر الشرون للادب المقارن وقد ترأس المؤتمر الكاتب الفرنسي رينيه اياكل وكان موضوع المؤتمر : « اثر الشرق والغرب في الشعر الحديث » .

أكد المؤتمر على ان اشكال الشعر جاءت من الشرق والشرق وحده صاحب الفضل الاول في هذا الشأن ، تضمن المؤتمر ثمانين بحثا سبضهم كتاب ضخم سيصدر في نهاية هذا العام .

اتجلترا :

✽ سوف تخرج دار النشر البريطانية «كونتون بريس» في الربيع المقبل ترجمة كاملة لتأليف نابليون الرومانسية . وقد كتبت صحيفة التايمز البريطانية حول هذا الموضوع تقول :

« لقد استطاع كريستوفر فراينغ استاذ التاريخ في جامعة اكستر فك رموز خط

جنور في كل انحاء العالم ومن حق الجميع الاستفادة من الاخبار العلمية والتقنية التي تنشر في العالم بمعدل مليوني مقال كل عام .

وبعبارة أخرى لا يمكن للعلم ان يتقدم على الوجه الاكمل الا اذا كان ذلك عن طريق تبادل المعلومات العلمية التي تخرج بها مختلف المناظرات والمحاضرات والايام الدراسية .

واذا كان هناك مركز لجمع المعلومات العلمية فانه لحد الان يقتصر على الدول المتقدمة وبفتحة في وجه الدول النامية ستستفيد هذه الأخيرة من كل الاخبار التي قد تهمها في الميدان .

✽ احتفل عالم الفنون التشكيلية ، بمرور تسعين عاما على ميلاد بيكاسو . وقد جرى بهذه المناسبة احتفال كبير في باريس وآخر في برشلونة حيث يوجد متحف بيكاسو . العظيم ، وهو المتحف الذي يضم معظم اعماله منذ بدايته ، وكان قد اهداها للمتحف . وترجع كل هذه الاعمال الفنية التي يضمها المتحف الى سنة ١٩٠٠ ، ففي هذه السنة غادر بيكاسو اسبانيا . وقد صدرت معظم المجلات

النشاط الثقافى

بتحقيقه الدكتور على سامى النشار الاستاذ فى جامعة الاسكندرية والاستاذة سهر محمد مختار المعيدة بكلية البنات الاسلامية ، فى جامعة الازهر وسيصدر فى اربعة مجلدات كل مجلد فى حوالى ٤٠٠ صفحة .

✳ انعقد فى لندن مهرجان اسلامى كبير فريد من نوعه فى العالم الغربى تحت شعار — العالم الاسلامى — أو — عالم الاسلام — يبرز مظاهر الحياة والثقافة الاسلامية ، روحيات وادبيات ، فقها وادبا ، نثرا وشعرا . واستغرق المهرجان شهرا كاملا . قام بتنظيمه المعهد الشرقى للفنون الحديثة . وستتضمن معارض الرسوم وحفلات موسيقية وندوات ادبية وجلسات شعرية ومحاضرات ثقافية ، وبهذه المناسبة وفد على لندن كثير من الشخصيات المهمة بالشؤون الاسلامية ومستشرقين واساتذة .

ويقول المهتمون ان الغرض من هذا المهرجان هو ابراز جهود بريطانيا فى ميدان الثقافة الاسلامية . . ويشترك فى هذا المهرجان الكبير عدد من الكتاب والفنانين المسلمين والعرب من مختلف الدول الاسلامية والعربية ، من بينها لبنان

قدمها الملحق الصحفى لسفارة مصر الاستاذ محمد كمال يوسف حول «الرجل الجديد لمصر»

✳ صدر مؤخرا تحقيق جديد لكتاب المقتبس من كتاب الانساب فى معرفة الاصحاب — وهو من تأليف السيد ابى بكر بن على الصنهاجى المكنى بالبندق أحد تلاميذ المهدي بن تومرت واحد رفقاء الخليفة الموحدى عبد المومن بن على . وهو اول كتاب تاريخى معروف قام بتحقيقه السيد عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة ومحافظ ضريح محمد الخامس واصدرته دار المنصور للطباعة والوراقة بالرباط .

✳ صدر عام ١٩٦٩ كتاب « الشامل فى اصول الدين » لامام الحرمين الجوينى المتوفى عام ٤٦٨ هـ وقام بتحقيقه الدكتور على سامى النشار والاستاذة سهر محمد مختار والاستاذ فيصل بدير فرعون وجاء فى ٧٣١ صفحة وهو يضم ثلاثة كتب هى : كتاب النظر وكتاب التوحيد وكتاب العلال ونشرته منشأة المعارف بالاسكندرية .

✳ يجرى الان طبع كتاب « نهاية العقول فى دراية الاصول » لفخر الدين الرازى المتوفى عام ٦٠٦ هـ وقد قام

عبد الحليم النجار .

باشرت مطبعة دار الكتب المصرية — قسم التراث — بطبع كتاب تاريخ الاسلام الكبير للامام المؤرخ احمد بن تايماز الذهبى بتحقيق الدكتور عبد الهادى شعيرة ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب كان قد باشر بطبعه منذ ٢٥ سنة حسام الدين القدسى ونشر منه ٦ مجلدات ولم يتمه ويقع الكتاب فى حوالى ٣٠ مجلدا علما بأن دار الكتب قد حصلت على نسخ متنوعة من بينها اجزاء بخط الحافظ الذهبى نفسه .

✳ ترأس سفيرا الجزائر ومصر فى اسبانيا وسلطات مدنية اشبيلية فى كلية الفلسفة والاداب بجامعة «هيسبالنسى» حفل تدشين دار الثقافة العربية — الاسبانية باشبيلية وحضر حفل التدشين كذلك سفراء المغرب والاردن وليبيا وممثل لسفارة العراق وكذلك رئيس دار الثقافة العربية — الاسبانية فى مدريد .

وبهذه المناسبة قدمت محاضرتان احدهما قدمها استاذ اللغة العربية فى كلية الفلسفة والاداب باشبيلية الاستاذ جمال عبد الكريم حول « تطور ادب الرحلات عبر الاندلس والمشرق » والثانية

وسوريا ، وفلسطين ،
والسودان ، والعراق ، ومن
بين المواضيع التى نوقشت
موضوع فن الرسم العربى ،
والعرب والحضارة الاسلامية ،
والشعر العربى الحديث ،
وتضمن المهرجان ايضا
مواضيع دراسية اخرى تتناول
بحث الاسلام على ضوء السيرة
المحمدية .

ايطاليا :

ظهر فى ايطاليا فى اوائل
هذا العام جزء من كتاب نزهة
المشتاق فى اختراق الافاق
للادريسى الذى يعنى بنشره
المعهد الايطالى لتاريخ الاداب
الشرقية الادنى والاقصى .

الاتحاد السوفياتى :

عثر عالم فقه اللغة العربية
قاسم جاتوف من جمهورية
كازاخستان السوفياتية على
مخطوط الفيلسوف العربى ابو
نصر الفارابى يرجع تاريخه
الى الف عام .
ويتضمن المخطوط ١٢ رسالة
منطقية كما يتناول بالتعليم

كتاب (الادرجاتون) للفيلسوف
اليونانى ارسطو . . ويتناول
المخطوط بالإضافة الى القضايا
المنطقية طبيعة المعرفة
الانسانية والخصائص المميزة
للجنس البشرى .

وذكرت وكالة طاس انه
عثر على هذا المخطوط ضمن
سلسلة الأبحاث الواسعة التى
تقوم بها حاليا مجموعة من
علماء وطلاب جمهورية
كازاخستان السوفياتية من
تراث الفيلسوف العربى
الفارابى الذى ولد منذ الف
ومائة عام فى مدينة اوترا التى
سميت بمدينة فارابى فى اراضى
كازاخستان .

✽ انجز العلماء الداغستانيون
فهرسا للمخطوطات الشرقية
وداغستان جمهورية ذات
استقلال ذاتى تقع فى القوقاز .
ويضم الفهرس وصفا
للمخطوطات القديمة التى يرجع
عهدا الى القرون الوسطى
المحفوظة فى معهد التاريخ
واللغة والاداب الداغستاني .

وهناك حوالى ... (اربعة
آلاف) مخطوط كتبت أساسا
بالعربية ومنها ايضا ما هو
مكتوب بالتركية والفارسية .
ومن بين هذه المخطوطات ما

هو نادر جدا . ومنها قاموس
عربى يرجع تاريخه الى سنة
١١١٣ وهو يقع فى ٤ مجلدات .
ويكتب لابن سينا ، وعلماء
عرب معروفون مثل الغزالى
والقزوينى .

وكان بعض هذه الكتب قد
أعيد نسخه فى القرنين ١٥
و ١٧ على يد الداغستانيين
وكانت متداولة فى القوقاز .

ويتضمن الفهرس اصول
عدد من مؤلفات العلماء
الداغستانيين فى الفلسفة
والرياضيات والتنجيم واللغة .
وقد انجز فهرس المخطوطات
بعد عمل دائب وطويل .
وستظهر الطبعة الاولى فى دار
نشر الاداب الشرقية بموسكو .



مع السيارات الفكرية العالمية

قراءات في المجلات الفرنسية

* من أجل ثورة ثقافية في خدمة
المجتمع ..

* الدول الكبرى لا تزال تمارس
سيطرتها الثقافية على العالم الثالث

اعداد

— بقطاش مرزاق

من أجل ثورة ثقافية في خدمة المجتمع

ببير ايمانويل شاعر واديب فرنسي معروف بدواوينه الشعرية المتعددة وكتاباتاته في المواضيع الثقافية . وهو عضو في الاكاديمية الفرنسية ورئيس لجنة الشؤون الثقافية للمخطط السداسي . وقد اصدر اخيرا كتابا تحت عنوان (من أجل سياسة ثقافية) ضمنه جملة تأملاته الشخصية ونصح فيه بالقيام بثورة ثقافية تخدم الانسان . وفيما يلي الحديث الذي أدلى به الى صحيفة الانباء الادبية الاسبوعية .

لوجوده ويجد بالتالى في هذا التفتح معنى لوجوده .

وهكذا ترون ان الثقافة هي مجموع النشاطات التي تسمح للانسان بتحسين حياته . وحياته هذه لا يجب ان تكون ثرية بالاحاسيس فقط بل يجب ان تكون غنية بالمعاني ايضا . وفي استطاعتنا حينئذ القول بأن هذا المجهود يهم وجود كل فرنسي ، لانه يبرز بكل بساطة طموحه الجبار الذي لا يجب ان يبقى رغبة دفينة يعبر عنها بصورة غير جديّة وبذلك يغمط حقه في العالم الذي يعيش فيه . وهذا الطموح يجب ان يتلاءم مع الوعي بمسؤوليته الخاصة في الاطار العام للمجتمع الذي ينتمي اليه . ومن هنا جاء التصاق كلمة « السياسة » بفكرة الثقافة . ما الذي يجب ان تكونه السياسة اليوم اللهم

ومتاثيل تاريخية ومسارح وطنية . وهكذا ، فقد انتقلنا من مفهوم تقليدي للثقافة يشاع عنه بأنه جمالي محض في حوزة نخبة ما ، نحو مفهوم اوسع يجعل من الفرنسي العادي مستهلكا لا للتراث الثقافي الموجود فحسب بل للثقافة الحالية التي هي في طور النشوء والتكون ، وذلك من خلال دور الثقافة التي انشأها السيد اندري مالرر لهذا الغرض .

س - ولكن ، الا تضعون الثقافة اليوم في اطار اوسع من ذلك بكثير ؟

ج - بلى اننا نرى فعلا بأن الثقافة ليست فقط مرآة لمختلف النشاط الذي يمارسه العقل بل هي وسيلة لانسان اليوم لكي يحقق التفتح الكامل

س - قبل ان نسالكم عن نوع التنشيط الثقافي الذي تقترحونه ، هل لكم ان تحدثونا عما ينطوي عليه مفهوم الثقافة في نظركم ؟ ولأي سبب نراه في كتاباتكم وثيق الاتصال بكلمة السياسة ؟

ج - ان فكرة تخطيط سياسة للثقافة في الاطار العام للحياة الفرنسية ليست صادرة عن لجنة المخطط السداسي . فقد كانت لجنة الشؤون الثقافية قد قدمت اقتراحا بشأنها في المخطط الخامس . وهذه الفكرة تعنى ان البعض كان يريد تجاوز مفهوم الكلمة ذاتها ويذهب ما وراء النشاط الذي تقوم به وزارة الشؤون الثقافية ، هذا النشاط الذي يتلخص في الحفاظ على التراث الثقافي الوطني من متاحف

لا يقوى وعينا الغربى على تخيله . لاننا نعيش في مجتمعات ذات انظمة متحجرة وهياكل ثابتة . وقد تكون هذه الثورة قد ادت الى وقوع اضطرابات مرعبة لعدد كبير من الناس بيد انها وقعت في مجتمع فقد قيمته لان عددا من الانظمة الاجتماعية المتحجرة كان قد استؤصل قبل تطبيق الثورة الثقافية . ففى هذا المجتمع المثل الذي يختلف كثيرا عن مجتمعنا البورجوازي الحديث لعب الفلاحون الصينيون دورا متكاملا في اعادة الحياة الاجتماعية الى مجراها وشكلها الاول . وقد ساعدت طبقة الفلاحين هذه على جذب الطبقات الاجتماعية الاخرى .

س - ان السياق الفرنسى يختلف عن السياق الصينى طبعاً ولكن اذا انطلقنا من اعادة الاعتبار الشامل للثقافة ، فاننا سنصل الى اقتراحات سياسية حقيقية تفضى بنا الى تعميم المساهمة في البناء الثقافى ؟

ج - حقا ان التفكير في الثقافة يفضى بنا الى اقتراح اصلاح جذرى . فلقد قلتم عن صواب بان تعميم المساهمة هذه قد بدا يتبلور مفهومه

اننى ارى بان الثقافة هى خلق نظام دراسى افضل ، والقيام بتنشيطات تلبى متطلبات الحياة المدنية ، وابداع طرق تعبير ثقافى تجذب انتباه الجماهير التى كانت الى حد الان لا مبالية . ان التطور الثقافى الحقيقى لمجتمع ما يقاس بنوعية علاقته بأعضاء المجتمع وبالعلاقات القائمة بين افراده . ومعايير هذا التطور هى : نسبة استقلالية الشخص وقدرته على ان يجد مكانا لنفسه في العالم ويتصل بالآخرين ومشاركته بطريقة افضل في المجتمع الذى ينتمى اليه مع امكانية الاستقلال عنه عند الحاجة . الامر يتعلق اذن بالقيام بهذه الثورة على مستوى السكن والمحيط والحياة المدرسية والحياة العقلية والروحية .

س - ألا تتماثل جذرية هذا التغيير بالمفهوم الصينى (للثورة الثقافية) ؟

ج - ان الثورة الثقافية الصينية هى من اكبر الثورات في تاريخ الانسانية . وقد انتضى الامر دون شك انطلاقة شاملة جبارة وايمانا شديدا حتى لا تنقلب هذه الثورة الى حرب اهلية طاحنة وهو ما

سوى التفكير وبذل الجهود من اجل خلق مجتمع حى يجد فيه كل واحد وسائل تفتحها في علاقة تضامن مع الآخرين ؟

س - اذن ما هى السياسة الثقافية التى يجب تطبيقها ومن يضطلع بها ؟

ج - ان اكبر خطر يهدد امة ما لا يمكن مطلقا في التقتيل العسكرية بل في مبالاة افرادها بشكل المستقبل . ويبدوا لى من الرئيسى بان حياة الثقافة لا يحددها الوسط السياسى وحده ، فلقد تعودنا القول بان الوسط السياسى هو الدولة ومن لهم القيادة فيها ولكننا لا نغفل الى ان السياسة من اختصاص المواطن . وان واجب المواطن لا يقتصر على اختيار منتخبه ، واننى اقول للذين يطالبون باللامركزية وبالجهوية ولا يريدون ان تؤدى هذه المفاهيم في آخر المطاف الى اغترابات روحية جديدة او اوهام لا طائل من ورائها - اقول لهم - ان انسان اليوم . . في الوضعية التى يوجد عليها ، يجب ان يأخذ بعين الاعتبار بان شكل حياته وقف به وانه باختصار (يخلق عالمه بنفسه) . فالثقافة في آخر الامر هى اسمى تعبير لهذا الخلق .

ولكننى أشاعل الان اذا كانت كلمة (المساهمة) فى حد ذاتها لا تتضمن مفهوما اشتراكيا نوعا ما .

س - ما الذى تقصده بالاشتراكية ؟

ج - اعنى بأنه جوهر تضامن لا تكون فيه الدولة الا التعبير عن اشكال التضامن التى يجب أن تبرز فى مستويات المجتمع كلها . فبدلا من أن يكون المنظم للحياة الاجتماعية فإنه سيكون المرأة التى تنعكس عليها هذه الحياة الاجتماعية . وهذه الاشتراكية تكون حينئذ التعبير الطبيعى للتنوع الاجتماعى الذى يبحث عن وحدته فى اطار تجمعات متألفة . يجب أن تكون السياسة الثقافية تعددية فى مبدئها ، ولا مركزية طبعا وما أبشع المطالب الثقافية المفرطة التى تفرضها الدولة التيقنوتراطية على رعاياها ! ان فرض ثقافة ما يؤدى الى وضع بناء أساسى قصد الوصول الى معارف تخدم الاهداف التى ينشدها الجهاز الحاكم . وهذا هو ما كانت عليه الجدانوفية فى البلدان الشرقية عندما فرضت الواقعية الاجتماعية . ان المشروع الثقافى الحقيقى يرمى الى انتزاع الجماهير من

الانحطاط العقلى الذى يجعلها تحت رحمة السلطة ، انه مجهود محمود من أجل أن يكشف الانسان أخاه الانسان .

س - اذن ماهى المكاة التى تبقى للمفهوم التقليدى للثقافة من

حيث هى نشاط عقلى وتكوين للذوق ، وتربية للخيال والفن والإبداع ؟

ج - اننى لا اظن بأن مفهوم الثقافة الجديدة يهدد المفهوم التقليدى بالزوال . فهناك أناس يعملون بمواهبهم (علماء وفلاسفة وفنانون) على استمرار هذه الثقافة التقليدية واثرائها ، لانها تضرب بجذورها فى الماضى وتجعله حاضرا بيننا . فهم يبرهنون بأن تاريخ جماعة انسانية ما هو فى واقع الامر الفكرة التى تكونها هذه الجماعة عن نفسها بيد ان هذا الصنف قليل وغير معروف جيدا ثم انه لن يتاثر من مفهوم الثقافة التى تقترح للجماهير الكبيرة من الناس بأن تهتم بأنفسها من غير ربح مادى . ولو كان لى أن اضع تحديدا للانسان لقلت انه المخلوق الذى يعطى لنفسه شكلا وهو على علم بذلك ، ثم ان حياته اذ ترتبط بمحيطه تكون لها قيمة جمالية وروحية .

س - ما الذى يكون عليه دور الفنان الذى يخلق التعابير الثقافية لحضارة ما هو فى نفس الوقت الشاهد عليها فى الحاضر وفى المستقبل ؟

ج - ان الفنان والفيلسوف والعالم هم من يشقون دون جدال الطريق أمام الانسان لكى يقوى على فهم الكون . والمدد الذى يقدمونه الى المجتمع معروف ولكننى لا اظن بأن الفنان يستطيع فى عالم اليوم أن يعطى شكلا للمجتمع اذا هو لم يصبر على التأمل والتفكير ومثل هذه التأملات يجب أن تصدر عن اناس ليسوا بالضرورة فنانيين ولكن شوقهم الى كل ما هو جميل وعميق يجعلهم يحسون بانهم جزء لا يتجزأ من الواقع الاجتماعى الذى يشكل الفن مظهرا من مظاهره . ان مثل هذا الواقع الروحى هو الذى يجب أن يهدف الى تشكيل سياسة ثقافية جديدة . اما المسألة التى تبقى عالقة فى الاذهان فهى معرفة كيفية نقل الثقافة من النخبة المحدودة الى مجموع السكان .

س - انكم تقترحون فى كتابكم طريقتين لبلوغ

الامر الذي يدغمهم الى ان يقوموا بشبه تدريبات استعدادا لمواجهة المجتمع الذي سيعيشون فيه . يجب اذن تخيل مدرسة جديدة تكون لها ارتباطات بأشكال أخرى من التربية : مصانع ومعامل ومكاتب واستديوهات سنمائية أما على مستوى المعارف يجب أن تكف الثقافة عن كونها متحفا للروائع الفكرية والادبية ان الدراسة المنتظمة للكلاسيكيات من أجل تعلم اللغة والادب قد أدت الى العمق الدائم لذوق الملايين من الفرنسيين . وعلى النقيض من ذلك يبقى التسلسل الادبي في العائلات البورجوازية الوسيلة الوحيدة للثقافة العامة مع العلم بأنه لا يؤدي الا الى الجمود .

س - بلى ثقافة تقترحون استبدال المفاهيم القديمة ؟

ج - يجب ان نعلم الطفل كيفية التحدث والتبليغ وان نعلمه الجهد الخلاق عن طريق الخيال ، وان نعطيها ذوق التأمل (ان يرى نفسه يعيش اين وكيف يعيش) ، وان نعلمه قيمة الصمت ، لانه كلما أحجم الناس عن الثرثرة ازدادت الانسانية نضجا .

والثقافية التي كنا ننتظرها والخطأ لا يعود الى المدرسة بل هو ناتج عن تغير شكل الحياة الذي بدأنا نشعر به فقط . ان الذين يزاولون دراستهم اليوم يبلغ عددهم اليوم حوالي ١٢ مليوناً ما بين تلميذ وطالب . والمدرسة لا تلعب الا دوراً محدوداً في التكوين العام لهؤلاء الاطفال . ووسائل الاعلام لها دور معتبر في ذلك ، وكذلك التاثير الاجتماعي بأكمله . ان اخطر ما في مدرسة اليوم هو انها كانت وسطاً ومكاناً للتثقف والتعلم قبل ربع قرن من الزمان بيد انها لم تعد لا هذا ولا ذاك . وان الحى في المدينة الصغيرة او الضاحية المتوسطة قد كائناً فيما مضى امكنة تتبلور فيها عقلية الطفل بفضل العلاقات المتناسقة فيها بيد ان العكس هو الذي يحدث في ايامنا هذه .

بيد ان المدرسة ليست اليوم مكاناً يمكن ان تنشأ فيه ابعاد حية جديدة . فلبلوغ مثل هذا الهدف يجب ان نصلح التعليم بأكمله ومما يجدر القيام به قبل كل شيء هو ان نجعل الاطفال في المدرسة يجدون وسطاً متساوياً يستطيعون ان يشعروا فيه بنظام العلاقات الاجتماعية في حقيقتها ، وهو

نلك : وسائل الاعلام والتعليم . ونحن اليوم نتحدث عن ديموقراطية التعليم كاصلاح يجب القيام به مع العلم بان نظام الدراسة التقليدي ابتدائي وثانوي وعالي الذي وضعه مؤسسوا لاجمهورية الثالثة كان طوال قرن كامل وسيلة كبيرة للترقية الثقافية . وها انتم اليوم تجادلون هذا النظام بلونقترحون وضع حد له من اجل رفع مستوى الفرد في اطار بعض القيم التربوية .

ج - اننى اعتقد ان هذا النظام يجادل نفسه اكثر مما يجادله انا . من الصحيح ان المدرسة قد كانت فيما مضى وسيلة الترقية الفردية ، وهى تستمر في القيام بذلك في ايامنا هذه نوعاً ما بيد انها تخلق نخبا من جهة وائاساً لا يتسلحون بما فيه الكفاية لمواجهة الحياة من جهة أخرى . ان العلاقة بين المدرسة والمجتمع واهية . واننى - كرئيس للجنة اصلاح تعليم اللغة الفرنسية - دهشت لكون تمديد فترة الدراسة الى سن السادسة عشرة لم يكن ابداً في صالح الترقية الاجتماعية

السنة الدولية للكتاب الدول الكبرى لاتزال تمارس سيطرتها الثقافية على العالم الثالث

فيما يلي مقالة عن السنة الدولية للكتاب نشرها الاستاذ روبرت اسكارييت في مجلة «العالم الديبلوماتي» الأسبوعية .

ان بلدان أوروبا الغربية والشرقية والاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة وكندا وأستراليا وزيلندا الجديدة واليابان تمثل أقل من ثلث سكان العالم ، وهى تنتج أكثر من ٨٠٪ من الكتب التى تظهر سنويا فى العالم : ١٠.٠٠٠ من المؤلفات الجديدة وما يتجاوز سبعة مليارات من النسخ .

١٩٧٢ موضوع تحريرات
معمقة واجتماعات للخبراء
قدمت توصيات على اثرها
ونصبت مراكز لتطوير الكتاب
فى كل منطقة حتى تساعد
على تنسيق العمل . ان السنة
الدولية للكتاب ١٩٧٢ يجب
ان تكون مناسبة لوضع
الجدول الاحصائى الاول .

ان الموضوعات الثلاثة التى
يمكن ان نعطيها الاولوية هى :
كتاب التعليم الذى هو أداة
ضرورية لكل مدرسة وكتاب
الاطفال الذى تكتسب بفضل
عادات المطالعة وترسخ ،
وكتاب المطالعة للكبار الذى
لولاه لكان مآل حملات محو
الامية الفشل الذريع . ولدينا
معايير محددة نوعا ما لتقدير
الحاجات الاولى لشعب ما فى
كل مرتبة . ففى سنة ١٩٦٦ ،

وهذا الوضع لم يفتأ عن
التفاقم والتدهور خلال
العشرين سنة التى تلت الحرب
العالية الثانية . فتصفيحة
الاستعمار اذ رفعت دون سابق
انذار الحاجة الى الكتب لم
تزد الا فى تفاقم الوضع ، وخلال
هذه السنوات زادت الهوة
اتساعا عندما تفتحت المناطق
المحرومة على القراء .

ولقد نجحت جهود
اليونيسكو منذ سنة ١٩٦٤ فى
اطار برنامج تطوير الكتاب
فى شحذ الحركة ودفعها الى
الامام فى بعض المناطق من
العالم بل استطاعت ان تقلب
الوضع فى بعض الاحيان .
فقد كانت آسيا سنة ١٩٦٦
وافريقيا السوداء سنة
١٩٦٨ وأمريكا اللاتينية سنة
١٩٦٩ والبلدان العربية سنة

والبلدان الاخرى كلها
مجتمعة لايتجاوز انتاجها
السنى ٩.٠٠٠ من المؤلفات
الجديدة ، اما عدد النسخ التى
تطبعها فلا يكاد يصل سبعمائة
مليون ، مع العلم بان هذه
البلدان تمثل ٧٠٪ من سكان
العالم ويوجد فيها ٥٠٪ من
الكبار الذين يحسنون القراءة
و ٥٥٪ من الاطفال فى
المدارس .

ففى الجانب الاول هناك
نسبة ٥٥ نسخ سنويا لكل
قارئ وفى الجانب الثانى
لايتجاوز هذه النسبة ٥٥٠ كما
ان هناك ٣٣٠ كتابا جديدا
سنويا لكل مليون من القراء
فى الدول المتقدمة المذكورة اما
فى العالم الثالث فلا يكاد يتجاوز
هذا العدد ٨٠ كتابا .

ميلا الى ان ينشر ما يكتبه في بلد يضمن له احسن النشر والتوزيع . والامر حين اذا كان هذا البلد ينتهى الى نفس المنطقة ونفس المجموعة اللغوية مثلما هو الامر بالنسبة لبلدان امريكا اللاتينية والمكسيك التى ترى ان اسبانيا والارجنتين هما القبلتان . بيد ان الخسارة تكاد تكون شاملة للبلد المصدر عندما يبادر كاتب افريقى الى ان ينشر باللغة الفرنسية او بالانجليزية في باريس او في لندن . وان هذه الظاهرة واضحة على الخصوص في افريقيا الشمالية حيث تقوم الفرنسية بمنافسة العربية كلفة حياة . وبعض البلدان مثل الجزائر تحاول ان تقوم برد فعل ولكن التدابير القانونية لن تحل المشكل . فمستقبل الادب الجزائرى رهين بتطوير الكتاب العربى في مجموعه .

ففى ميدان المواضيع الجديدة بالنشر نلاحظ ان الترجمة هى من النقاط التى تستقطب الاهتمامات الثقافية . فـ ٧٢٪ من الترجمات فى العالم تأتى من الانجليزية والفرنسية والروسية والالمانية بينما ٣٪ فقط تأتى من لغات البلدان السائرة فى طريق النمو

لافريقيا فحسب بل للبلدان التى تساعدنا ايضا . والامر واضح فيما يتعلق بوضعية آسيا ذات المطالب الهائلة . فأكبر المنتجين فى العالم يلقون بكل انتاجهم هناك ولا يستطيعون ارضاء تلك المطالب . وفضلا عن ذلك فان كتب تلك الشعوب يجب ان توضع باللغات الاسيوية . وهو امر فوق الطاقة . ان اسبانيا مؤهلة لغويا لكى تساعد امريكا اللاتينية ولكن يجب ان تصدر جميع كتبها لكى تصل الى ارضاء الحاجات الاولى لهذه البلدان .

ان المساعدة الاجنبية لا يمكن ان تكون الا سدا للنقص لا علاجاً . ان العلاج يكون اخطر من الالم فى حالة ماذا حال دون نمو وتطور الانتاج المحلى ، الذى هو المخرج الوحيد ولكن هيهات فهو كثيرا ما يكون بعيدا .

ان المشكلة الاولى هى الموضوع الذى يجب نشره . فالكتاب المحلى لا يكاد يحصل على مدخول جيد ولا يكاد يكون معتبرا لانه ذو طابع متغير . بل انه كثيرا ما يكون رديئا . فاذا كانت له الموهبة — وهناك بعض المناطق التى تحفل بالموهب — فان له

لو حظ ان مجموع البلدان السائرة فى طريق النمو كانت قادرة على ارضاء حاجاتها الخاصة بها وذلك بنسبة ٥٠٪ وبالرغم من ذلك فقد كانت هناك فروق واسعة بينها ، فامريكا اللاتينية ترضى حاجاتها بنسبة ٦٣٪ فيما يخص التاليف وبنسبة ٥٩٪ فيما يتعلق بالنسخ اما افريقيا السوداء فلها نسبة ١٤٪ للتاليف و ١٠٪ للنسخ . ونشير الى ان اوربا كانت لها فى نفس الوقت نسبة ٤٧٪ للتاليف و ٤٠٪ للنسخ .

وهكذا ، نرى انه فى مثل هذه الظروف يجب ان تكون المساعدة الدولية ضرورية ودائمة فى نفس الوقت . ففى سنة ١٩٦٥ كانت هناك احصائيات تقول بأنه من جملة اربعة كتب تباع فى افريقيا هناك واحد من بينها من الانتاج المحلى ، اما الثلاثة الاخرى فهى مستوردة . وقد بلغت التكاليف الكاملة لهذه الواردات ٦٤ مليون دولار . وعلى الرغم من ضخامة هذه المساعدة فانها لا تسمح حتى بارضاء نصف الحاجات الاولى . انه لا يمكن ان يتضاعف الى ما لانهاية حجم المساعدة الخارجية لا بالنسبة

وتستثنى من ذلك الإسبانية في أمريكا اللاتينية .

انه من الصحيح ان بلدا متقدما ومنتجا للكتاب مثل اليابان يوجد هو الآخر في مرتبة المستوردين . ففى سنة ١٩٦٨ احصيت ٢١٤٧ ترجمة الى اللغة اليابانية و٧٧ ترجمة فقط من اليابانية الى لغات العالم . وهذا ميدان لاتزال السيادة الأمريكية الأوروبية محافظة فيه على مواقعها المعهودة .

ومع ذلك فان فتح السوق العالمية للترجمة أمام الكتب التى تصدرها البلدان السائرة فى طريق النمو هو ضرورة حيوية اذا ما اقتصر الامر على تمكين احسن مدخول لهذه الكتب وعقد اتفاقيات للتعويض الجزئى من اجل تسوية حقوق المؤلف . ثم ان هذه الحقوق التى تسوى دائما بالعملة الصعبة تثقل كاهل دور النشر فى البلدان الفقيرة لان الاتفاقيات الدولية الموجودة وضعت خصيصا لعالم تسوده اقلية من المنتجين الكبار الاثرياء والاقوياء . وكثير من البلدان السائرة فى طريق النمو لاتنضم الى هذه الاتفاقيات اولا تراعيها . وهو امر يجد له تبريرا ازاء هذه الوضعية على الرغم من انه

مؤسف للغاية لانه يحول دون تطهير السوق .

ان مراجعة الاتفاقيات — وهى محاولة لم تجد نفعا فى استوكهولم — هى عملية شاقة كثيرة العثرات .

يمع ذلك يجب ايجاد حلول واقعية وانسانية طال الزمان ام قصر . وهو موضوع سيجرى عنه الحديث طويلا خلال السنة الدولية للكتاب ، ان مركز الاعلام حول حقوق المؤلف الذى انشئ اخيرا من طرف اليونيسكو هو خطوة على الاقل نحو الانسجام والتخطيط .

اما المواضيع التى يمكن نشرها ، فهى الاخرى ميدان من الميادين التى تحتكرها البلدان الثرية وتبارس سطوتها عليها . ويجب الا ننسى مشاكل التجهيز وتكوين المستخدمين الفنيين وخاصة مشاكل صناعة الورق .

ان العالم السائر فى طريق النمو فى جوع الى الورق والبلدان التى تحتل اعلى مرتبة فى انتاجه اى الولايات المتحدة وكندا والسويد وفنلندا واليابان كلها بلدان فاحشة الثراء . ففى سنة ١٩٦٩ كان استهلاك الولايات المتحدة لورق الطباعة والكتابة بنسبة ٤٧ر٣

كلغ للشخص الواحد و١٩ر٣ كلغ للشخص الواحد فى أوروبا بينما لم تكن افريقيا تستهلك سوى ٩ر٠ كلغ وآسيا الجنوبية ٦ر٠ كلغ . وهذا الرقم الاخير لم يتغير منذ سنة ١٩٦٩ بينما كساد الاستهلاك العالمى يتضاعف . وبعض البلدان مثل البرازيل والشيلي والمغرب تنتج الورق بيد ان لحاء الاشجار التى يصنع منها الورق فى افريقيا ليس جيدا للتحويل . أما النباتات التى تستعمل مكانه من مثل قصب السكر وحشيش الفيل والبردى فانها لاتأتى بانتاج كبير . وانواع الورق المستعملة كثيرا ما تكون رديئة وهى اذا كانت جيدة فانها لاتستطيع مقاومة المناخ .

ان منظمة التغذية والفلاحة الدولية تهتم بهذا المشكل وتشارك فى اجتماعات الخبراء حول الكتاب التى تنظمها اليونيسكو . ففى سنة ١٩٦٦ فى طوكيو كانت هناك احصائية تقضى بوجوب تخصيص اعتمادات مالية سنوية قدرها ١٨٥ مليون دولار من اجل توسيع صناعة الورق فى آسيا وفى سنة ١٩٦٨ فى اكرا وضعت احصائية اخرى تنص على انه

باستقلالهم وتشكيل عالمهم بأنفسهم .

ان السنة الدولية للكتاب لن تسمح بحل المشاكل كلها ، ولكنها سوف تمكن على الاقل من معالجة البعض منها .
وهي ستكون قد حققت الهدف المنشود منها ان هي مكنت من جعل الاراء والحكومات تعي خطورة المشكل . وهذه السنة ، اذا كانت في البلدان الثرية مظهرة من جملة المظاهرات الاخرى فانها الوعد الموعود بالنسبة للانسانية المحرومة التي هي في جوع مستديم الى الكتاب .

مرزاق بقطاش

عقلية جديدة وحفز الارادة العامة من اجل تحرير الكتاب من الهياكل الاستعمارية القديمة او من تبعية السيادة الثقافية . ففي عالم تطورت شبكة اتصالاته بشكل هائل خلال الربع الاخير من هذا القرن بفضل الوسائل السمعية البصرية تحتل فيه اليوم وسيلة الاتصال المكتوبة مكانة لا يستهان بها من اجل ترسيخ المعارف وتثبيتها وحفز التأمل الفردي والعمل الجماعي على حد سواء .

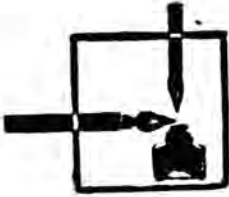
فبفضل الكتاب اذن تكتمل الثقافات ويزداد حاملوها وعيا بشخصيتهم الجديدة ويطالبون

يجب تخصيص اعتمادات مالية قدرها ٤٧٣ مليون دولار من اجل انتاج الورق المسمى (بالثقافي) في افريقيا ما بين ١٩٧٠ و ١٩٨٠ .

ونرى من خلال هذا المثال البسيط ان تحرير البلدان السائرة في طريق النمو من السيطرة الثقافية التي تمارسها عليها البلدان النامية هو ايضا مشكل اقتصادي . وقد كان المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة الذي اخطر بهذه القضية سنة ١٩٧١ قد قرر ان يقدم مساعدة جوهريه .

بيد ان الاموال وحدها لا تكفي . بل يجب خلق وضعية





ندوة القراء

رودنسون والاسلام

ان هذا الكاتب ليس مجهولا من طرف القراء الجزائريين الذين اطلعوا من قبل على عدد مؤلفاته مثل « محمد » وكتاب « الاسلام والراسمالية » وكذلك المحاضرات التي القاها بالجزائر العاصمة خلال شهر مارس سنة ١٩٦٥ تحت عنوان « الثورة الاقتصادية وتاريخ الاسلام » وحثنا فيها على ان نكون اكثر تقبلا للجديد واكثر تفتحاً على العالم (لاننا في ذلك الوقت لم نكن منفتحين في نظره) واتمنى على الاقل ان نكون قد استجبنا لتلك النصيحة .

ان هذا المؤلف كما قلت ليس مجهولا من طرف الجزائريين وشهرة كونه أحد الاخصائين في البحوث الاسلامية لها بعض الصدى في الجزائر ، وهو يعرف نفسه كذلك بكونه من علماء الاجتماع الاخصائين في البحوث الاسلامية وهدفه الوحيد ان يرى مجهوداته تساعد المفكرين المسلمين وتعينهم على فهم مصيرهم من كتاب (الاسلام والراسمالية) ..

اما في كتابه « محمد » صلى الله عليه وسلم فيقول بشيء من التواضع المصطنع انه « لم يات باى عنصر جديد باستثناء ان على كل جيل ان يكتب تاريخه » (ص ١١ من الكتاب) .

اما قارئ الكتاب فيجد انه اتى بأشياء جديدة ... لكنها غريبة !!..

ان الانطباع الذى يحصل لنا عند ما نقرأ كتابا من مؤلفات رودنسون ، ان هذا الكاتب الاجتماعى لا يكتب عن الاسلام ولكن عن « اللا اسلام » بهذا يحق لنا ان نتساءل عن الدور الذى يريد ان يقوم به ؟ ..

والتناقض الواضح في كتاباته يجعلنا لا ندرك ما يريد من وراء ما يكتبه رغم ان كل مؤلفاته موجهة الينا ...

من الممكن اننا لم نتميق في ادراك بعض الجوانب من تاريخ حضارتنا ، لكن هذا لا يدفعنا لان نقبل منه ان يعتبرنا تجهل كل شيء عن حضارتنا ، أو يدفعنا لان نتصور « الثرى ثريا » .

ولكى نكون واقعيين يمكننا ان نحكم عليه من خلال مقتطفات مما كتب ..

يقول رودنسون بعد ان يصف العصر والوسط الاجتماعى بالجزيرة العربية ايام بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم « ان محمدا الذى لم يعيش راضيا في طفولته وشبابه اصبح في أحد الايام نبيا ... وفي المدينة وجد نفسه في وضعية فرضت عليه القيام بدور فعال في التطاحن من أجل الحكم في الواحة .. » (ص ٢٤٩ من كتاب « محمد ») .

ان هاته الصيغ والعبارات المستعملة عادة في افلام رعاية البقر يستعملها رودنسون في الكلام على رسول جدير بالاحترام ، ويتكلم عليه وكأنه (دجافو) في احدى قرى كاليفورنيا يريد فرض ارادته على الناس .

ندوة القراء

اننى عندما اقرا مثل هاته الكتب (وكتب روندسون ليست الوحيدة من نوعها) اجد نفسى افكر فى موقف الدنيا بأكملها لو أن مفكرا عربيا كتب عن حياة موسى أو عيسى عليهما الصلاة والسلام أو ماركس بمثل هذا الاستخفاف ، أو يماذا يصفنى الغربيون لو اصابنى فى يوم من الأيام مس وكتبت عن أحد مفكرهم بطريقة روندسون ؟ ..

أعزائى القراء لقد قلت لكم كثيرا لكنى لم أنكم عن الكتاب الذى أشرت اليه فى البداية ولكن اصارهم بالحقيقة اقول اننى لا أعلم أكثر مما كتبت وبهذا فنحن فيما نعلم سواء ، غير اننى اطلب منكم الغفران لهذا المفكر النزيه (؟). ومهما يكن فإن أمر الاطلاع على هذا الكتاب يتعلق الآن بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، فهل ستجلبه ؟ ..

قد يكون الجواب بالسلب كما قد يكون بالإيجاب ..

« نور الدين بوكروة »

السياسة عند الشباب مسؤولية ثورية

« كل فكرة ثورية فى زمن ، رجمعية فى الزمن الذى يليه » هذه الكلمة تظهر لنا بوضوح تبية الجديد بالنسبة لمسيرة الحياة البشرية وحضارتها ، فكل جديد فى الحياة أو فى الكائنات يعد اخصايا للحضارة البشرية ، واسهاما فى مسيرتها المصاعدة ، الى رغبة الانسان وسلاسه واطمئنانه .

والشباب ككل شيء جديد يجب أن نهتم به ، ونرعاه ، ونحاول توجيهه الى ما نراه صالحا له ، وبمسددا لخطاه ، أى نلزمه بتجاربنا ، لانه سيسلم زمام القيادة والتوجيه . والتقليل الذى يهز هذا الرأى هو الغرض ، فمرش تجربة لمينة ، عاشها الشيوخ ، على الشباب ، ان الشيوخ يرون أنفسهم أكثر حكمة ، وأبعد نظرا وأقل تطرما ، ولذلك يتحتم فرض تجاربهم الخاصة على الشباب الغير المتطرف ؟ لكن الشباب بدأ يرفض ، وبدأ يسلك حياته كما يريد هو ، أن تسلك وأن تعاش . فان التغيير الذى يطالب به يجب أن يكون جذريا ، يتناول كل الجوانب الحياتية والفكرية ، فالسياسة ، والادب ، وبرايم التعليم والتقاليد ، والدين ، والفن ، وغيرها من جوانب الحياة المعاشة ، كلها يجب أن تسزل الى ميدان البحث والتحصيل وهذه الاداة ، والاصرار هـا الوقتود للثورة التى يصيها اليوم هذا الجيل الجديد ، ضد المفاهيم القديمة ، الفكرية والسياسية والعقائدية . وهو سينتصر حتما ، لان سلاحه فيها ، الوضوح ، والصدق والحرية .

ويضيف الكاتب الى ذلك قائلا : « وهذا المرشد للحقيقة الابدية تبين فيما بعد انه سياسى حكيم وباستطاعته الاختيار ببحكمة خطة لغزوة أو معركة .. » (ص ٢٥٠) .

وبصفة عامة فان الرسول صلى الله عليه وسلم يقدم صراحة أو بين السطور ، على انه شاعر محروم وانه وصل الى الحكم بفضل الصدفة والفظ أو بفضل الافكار المستقاة من التوراة والانجيل والتى اخرجها فى قالب عربى (ص ١٢٥) .

هذا هو الاسلام من وجهة نظر روندسون مجرد سرقة من هنا وهناك لأفكار « خلافة قبلها العربى لكونها قدمت له بلغته » (ص ١٢٦) .

وبمثل هذا الكلام يريد روندسون اعانتنا على فهم مصرنا.

وهذا الاسلوب المقسم بالسخرية والاحتقار والكراهية نجده فى كل جرة يخطها قلم هذا المستشرق الشهير ، غير انه عندما يشمر - ومن حين لآخر - بأنه بالغ فى ادعاءاته يحاول تسويغ ما يكتبه بمثل هذه العبارة : « معذرة لدى المسلم المؤمن على هذه الصراحة » (ص ٥٥٢) ، أى ان ليس له بد فيما يكتب ، وانما هى الحقيقة تبرز بمفردها ! ..

ولئن بقيت التعليقات التى ادلى بها غامضة أو قاتمة ، فان ما يتذرع به واضح كل الوضوح ، « فالوضع » يتخذها كالترس يتمكن بواسطتها من رمى السهام والاحتواء فى نفس الوقت « والاهتمام العلمى » يلوح به فى كل مرة . نلاحظ أنه يقول بعض الاحيان انه يكتب للمسلمين الذين يجب عليهم فهم تاريخهم بينما يقول مرة أخرى انه يكتب ويبحث لنفسه ويقول : « مما لا شك فيه اننى لا أومن بكون القرآن هو كتاب الله ، والا كنت مسلما وبما ان القرآن موجود على أن أعلن ذلك » ص ٢٥٢ .

اننى لا اتهم بوضوح قصده من هذا الكلام ، اليس كذلك ؟ ..

ويقول بعد ذلك انه « يجداخطا فى أسلوب القرآن » (ص ٢٥٢) ويريد أن يقنع نفسه بان الاسلام مجرد دعاية ، لهذا يحق لنا أن نسال لما ذا يريد أن يجعل مصرنا مشكلة حيانه ؟ ..

لقد اعتدنا مثل هذه الادعاءات اذ قال فولتير فى الماضى : « انى أبغض القرآن ذلك الكتاب الجين الذى تهز كل صفحة منه الاحساس والشعور » (من تراجمية محمد) .

التهم بالجمود والتأخر ، وعرقلة التقدم العربى ، لانهم حاولوا قتل النزوع التحريرى فى صميم الفرد ، مستندين على دعاوى باطلة ، وأسباب واهية ، مثل ان الشعب جاهل ، ولا يستطيع التمييز بين الصالح والفاسد من الاهداف ونخسى عليه من الضياع والفوضى . والحقيقة ان الشعب المكبل لا يستطيع ان يدافع حتى على الاهداف التى يخلقها حكاية ، ولا يستطيع ان يعترف بانتصاراته ، ولا ان يفاخر بحريته ، لانه لم يعرف بعد قيمة الاهداف والانتصارات والحرية . وهكذا تتضح مضاعفات قتل الحرية فى نفسية الفرد ، بان تصبح ذلا ، وعبودية ، ويأسا ، وسرعان ما يتسلط فى هذا المجال طغاة أو مستبدون ، بشوهون الانتصارات والاهداف ، ويدوسون الحرية ان كانت .

من هنا نفهم لماذا يناضل الشباب من أجل اهدافه الثورية التى هى اهداف الشعب او انزالها الى مستوى الجماهير لتتحل مسؤوليتها بنفسها ، وتدافع عن هذه المسؤولية كعامل الوعى ، والقوة ، وبزوح من التمرد والثورة ، ولماذا رفض الشباب فكرة العمل السياسى بمفهومه القديم ، ومظاهره الانتهازية الحقيرة ، لان السياسة عند الشباب الطليعى هى اسى من ذلك ، انها مسؤولية ثورية ، وانقلابية اجتماعية .

كان الفكر الى عهد قريب يتناول بالبحث مشاكل معيدة كل البعد عن الانسان ، بل لم يكن مهتما بمشاكله اطلاقا . فالادب العربى مثلا ، بقى الى عهد غير بعيد ، يقاقل القبر ويترغ على اعقاب السلاطين مادحا مستجديا ، ويقت ذليلا يائسا ، امام محتلطات اجداننا القدياء ، يتطلع ببلاهة الى قميمهم ، وشوازمهم ، دون ان يجرؤ على التناول عليها ، او ابداع غيرها ، لانها مقدسة بل حاول تقليدها ليأكد حفاظه عليها ، فولد قبا وشوامخ من ورق سرعان ما انهارت امام اول هبة ريح . حتى اقتحم ميدان الفكر شباب ثائرون حلوا بأيديهم مشاعل للثورة والتمرد بشعارات الجماهير الكادحة وعرفوا ان الفكر لم يعد تأملات تستشرف السماء ، بل اصبح شربة معمول توجه الى الارض . فبدانا نشتم من اديهم رائحة التراب ، وعرق الفلاحين ، ونرى دموع الجياع واللاجئين ، وظلم الاطماعين ، والسارقين والمختصين ، وسرعان ما تفاعل هذا البعث الجديد ، مع روح الشعب ، فعمصت فيه ريح التمرد والحرية . فانطلقت الثورات تطرد الاجانب المحتلين ، وتذك عروش السلاطين ورثة الالهة المزيغين ، شعر هذا الجيل المتمرد ما يقاسيه الفرد العربى من كبت سياسى واجتماعى ، فآخذ على عاتقه الالتزام بقضية الدفاع عن الحرية ، وافهام الجماهير حقوقها من جهة ، ومن جهة أخرى انصب على الحكام العرب يكيل لهم

العید عیدان

■ عاشر

■ وألفی

والذکری ذکریات

تحتفل الجزائر هذه الأيام بالعيد
العاشر لاسترجاع حريتها واستقلالها ،
واستعادة مكانتها بين الدول والأمم .
ويصادف هذا العيد الوطني الكبير
الذکری الألفية لتأسيس مدينة الجزائر ،
وكذلك مليانة والمدينة ، هذه المدن الأثيلة
التي كان لها دورها المجيد في تاريخنا
العريق ، منذ أن أسسها حسب ابن

●
مولود قاسم

وزير التعليم الأعلى
والشؤون الدينية

- ص
- عبد المجيد مزبان 155
- د . هشام الصفدي 165
- د . عبد الله شريط 179
- الحقبة والزيف في مجتمعنا العربي
- اصالة الثقافة الجزائرية في القديم والحاضر والمستقبل ، ومدى انتشارها وتأثيرها في العالم الخارجي
- فلسطين ، هل يعيد التاريخ نفسه ؟
- اصالة الشخصية الجزائرية
- التعليم الاصل في الجزائر خلال عشر سنوات من استرجاع الاستقلال
- السلك الديني في الجزائر خلال العشر سنوات : واجبات وحقوق
- البشير الابراهيمي في المشرق العربي
- العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر
- اضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط : الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني
- الدور الذي لعبته الجزائر في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط
- الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي
- النشاط الثقافي
- عثمان الكعك 195
- د . شكرى فيصل 203
- د . عبد المالك مرتاض 213
- أحمد درار 229
- محمد الصغير ابن الاعلام 241
- رابع تركي : 255
- أحمد بن ذياب 265
- المهدي البوعبدلي 273
- عبد الحميد بن اشنهو 293
- المهدي البوعبدلي 305
- 32

خلدون ، بلکین بن زیری (I) ، الذی یقول عنه أحد المؤرخین
الجزائریین المعاصرین (2) : « انه وحده استطاع أن یحقق
تدریجیا وحدة الشمال الإفریقى على نحو لم یوفق الیه حکام
المغرب العربی قبله ، » .

وذکری ثالثة یشملها هذا المدد بمقاتلین ، هی تحية مجهود
بعض علمائنا الأعلام فی المصر الحدیث ، الذین قضوا
حیاتهم کلها ، وبمضهم ضحوا بها ، فی الإصلاح والكفاح ،
واحیاء تاریخ هذا البلد الأمين ، الفاضب عند الضرورة ،
الشائر المجاهد ، المنتصر دائما فی النهایة !

فمشاركة فی الاحتفال بهذین العیدین ، واحیاء لهذه الذکریات ،
وتذکیرا لأنفسنا وللأجیال الصاعدة بشهداء كفاحنا التحریری
فی مختلف مراحلہ ، وعلى مر المصور ، واشادة بیناة هذه
البلاد وحمايتها ، تقدم وزارة التعلیم الأصلی والشؤون الدینیة
هذا المدد الخاص مساهمة متواضعة منها ، ستردفها قریبا ،
أى بعد أيام ، بالعودة الى هذه المواضع ، ذات الأهمیة
القصوى ، فی الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامی
بشمولیة وتفصیل .

(I) البعض یكتبه بلغین ، بحرف الفین ، والاغلب انه بالكاف كما یكتبه ابن خلدون .

(2) عبد الرحمن الجیلالی : تاریخ الجزائر العام ، ج I ص 324 .

كلمات

.. ويذكر دوما DAUMAS ان التعليم الابتدائي كان منتشرًا في الجزائر أكثر مما كنا نتصور .
اذ كانت تساوى في معدلها العام ما كانت عليه في فرنسا . أي نحو 40% فقد كان لكل قبيلة في
البادية ولكل حي في المدينة معلمها قبل الغزو الفرنسي . وكان عدد المتعلمين في الثانوى
يتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف . لكل مقاطعة . كما يتراوح عدد الذين يمارسون دراساتهم العالية
الدينية بين ستة وثمانى مائة .

فماذا كان تأثير الغزو العسكرى على هذا التنظيم ؟ نوعان : تناقص هام في عدد المدارس
بكل أنواعها . وتزايد روح العداء ضد المحتل المسيحي . ويمكن أن نتصور بسهولة مبلغ
القوة التى تصبح لهدم المؤسسة مهما بلغ ضعفها . لتزيد من حدة العداء الصليبي - لقد
عم البؤس كل ما يسمى مؤسسة تعليمية . في مستغانم . في تنس والجزائر . وقسنطينة ولم
نعد نرى وجودا للتعليم الثانوى على الاطلاق في كل انحاء القطر الجزائرى . والافراد
القاتل الذين يستطيعون أن يفعلوا ذلك كانوا يذهبون الى تونس . او المغرب . او
القاهرة .

يقول DAUMAS ان الاحتلال اضاف مصاعب مادية قاهرة صيرت التعليم امرا مستحيلا .
وموارد التعليم ضاعت . « ان تخربنا للمدارس في الحرب لم نعوضه بينا . مدارس أخرى .
وكذلك القضاة أنفسهم كلما انقرض منهم الجيل السابق لا يخلفهم احد . » . ولا يتحدث احد
الا بكلمة الكارثة التعليمية وانهاى مؤسساته في المدارس والزوايا . . حتى ما كان موجودا
بالقرب من مراكزنا هاجره اهله وفر المعلمون الى المناطق التى لم يشملها بعد احتلالنا .
ففى ظرف ست سنوات تناقص عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية في الجزائر العاصمة من
24 مدرسة الى 14 . وهذا العدد الذى تبقى هو صورة للبؤس بسبب الاستلاء على الاوقاف . وفى
تلمسان وحدها كان يوجد 3 ثانويات وخمسون ابتدائية بحيث كان التعليم يتمتع به الجميع .
وفى كل مدرسة مكتبة وكانت العائلات هى التى تتولى الاشراف على التعليم . كما ان البوادر
نفسها لا يوجد فيها دوار بدون مدرسة وذلك اثر التعليمات التى اصدرها الامير عبد القادر
بهذا الشأن .

من كتاب المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة - للدكتورة تورين



اصول النشأة لمدينة الجزائر

أصول النشأة لمدينة الجزائر

المدينة ظاهرة جغرافية لانها تشغل حيزا من سطح الارض ، وتتأثر بالطبقة السفلى من الغلاف الغازي ، كما ان المدينة حادثة تاريخية لها بداية ، وقد تكون لها نهاية ، وكذلك المدينة مركب اجتماعي وحضاري لانها مستعمرة بشرية كان ليد الانسان دخل في نشاتها وتطورها او ذبولها في بعض الاحيان ، ولا يمكن ان تدرس نشأة المدينة الا بالتعرض لهذه العناصر الثلاثة المتكاملة وهي الضوابط الجغرافية والتاريخية والبشرية .

عبد القادر حليبي

فترات الازدهار والركود حسب القيمة الاستراتيجية التي أضفاها عليها التاريخ السياسي للبلاد ، مثل مدينة الجزائر .

ومن أهم ما يلاحظ على هذه المدن الفينيقية العتيقة ، خارج فينيقية ، انها كانت مطبوعة حضاريا بطابع شرقي واضح ، ذلك ان الوافدين ، الذين كان لهم الفضل الاول في نشأة المدن العتيقة على شواطئ الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط. لم يفلتوا عن طبع مدنهم في شمال افريقية بالطابع التقليدي المنقول من الشواطئ الشرقية لنفس البحر . حيث نقلوا اليها عاداتهم ، وتقاليدهم ، ومعاملاتهم ، وحتى معتقداتهم وقصصهم ، واساطيرهم التي تدور حول نشأة هذه المدن ، مما يؤدي بالباحث في بعض الاحيان الى أخذ الحقائق التاريخية وتصفيتها أو تنخيلها بتحفظ وحذر . ومن ناحية أخرى فان هذا التاريخ الحضاري العمراني رغم ما يحمله في أحد جوانبه من تصورات خيالية ، واساطير بالية . وقصص زاعمة ، يساهم الى حد كبير في احياء التراث القديم ، وجعله المادة المتكلمة عن الماضي البعيد . وبذلك يمكن الرجوع بالآثار الى أصل النشأة .

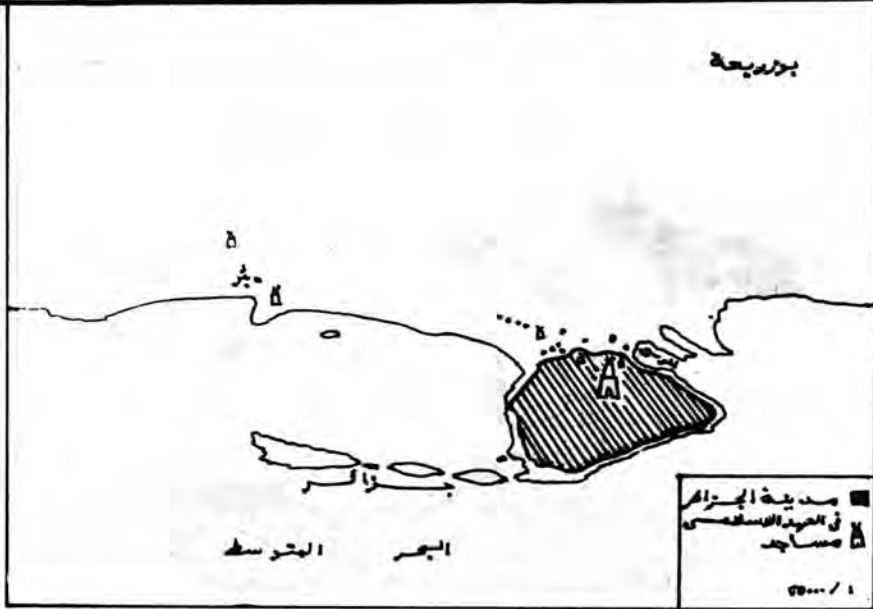
وفي البحث عن أصول نشأة مدينة الجزائر لابد ان نعيد على هذه الآثار . مهما كانت قيمتها وبمهما دون أن نهمل العرض ، فالتحليل . ثم التعليق . ثم الأخذ بالواقع أو بالأقرب للصواب . وأول ما يعترضنا في البحث عن الأصول الاولى لنشأة مدينة الجزائر هو الضبط بالارقام التي لا تقبل جدالا أو شكاً لتاريخ تأسيسها الاول . أو

وترجع نشأة مدينة الجزائر الى فترة ظهور الفينيقين في حوض البحر الابيض المتوسط الذين خرجوا من فينيقية باحثين عن المعادن والبضائع ومنشئين للمستعمرات التجارية على الشواطئ الجنوبية للبحر الابيض المتوسط ، وحيث استقر بهم التجوال أسسوا مدنا كثيرة اختلفت في تمثيلها للاهداف التي أسست لها ، فمنها المراكز التجارية ومنها المدن العمرانية ، ومنها العواصم السياسية . واختلفت هذه المدن العتيقة بشمال افريقية وبجزر البحر الابيض المتوسط في مدى ثباتها أمام الاحداث التاريخية ، فكانت منها العظيمة الدائمة الصيت ، مثل قرطاجنة بتونس ، وسيراكوسة بصقلية اللتين استمرتتا في دورهما الحضاري مدة طويلة من الزمن . ومنها المدن المتواضعة التي كانت عبارة عن مراكز تجارية بسيطة اضمحلت وزالت بزوال الهدف التي أسست من أجله ، مثل رسيقينا أي تامنغوست حاليا ، ومنها المدن القيمة التي تناوبها



مدينة الجزائر القديمة
في مطلع العهد التركي

أصول النشأة لمدينة الجزائر

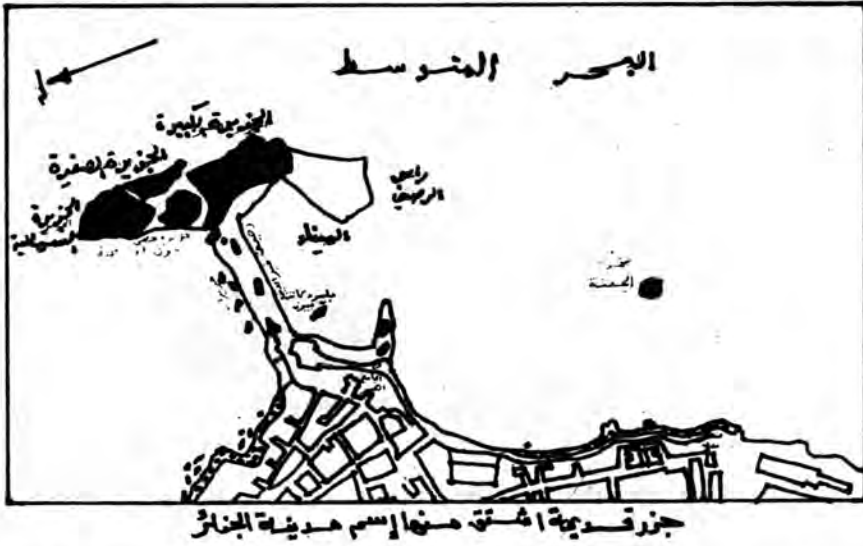


كاملة ، وهنا تتشعب الآراء ويزداد الاختلاف إذ من الباحثين من يرد أصل النشأة إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، ومنهم من يذهب إلى القرن السادس ، ومنهم من يكتفى بالقرن الأول ، والمرجح أن مدينة الجزائر أسست لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد كما سيظهر لنا من هذا البحث .

والسؤال الذي مازال يثير اهتمام الأثريين هو : من الجماعة التي كان لها الفضل الأول في نشأة مدينة الجزائر ؟ هل السكان القدماء من شمال افريقية ؟ أم اليونانيون ؟ أم الفينيقيون ؟

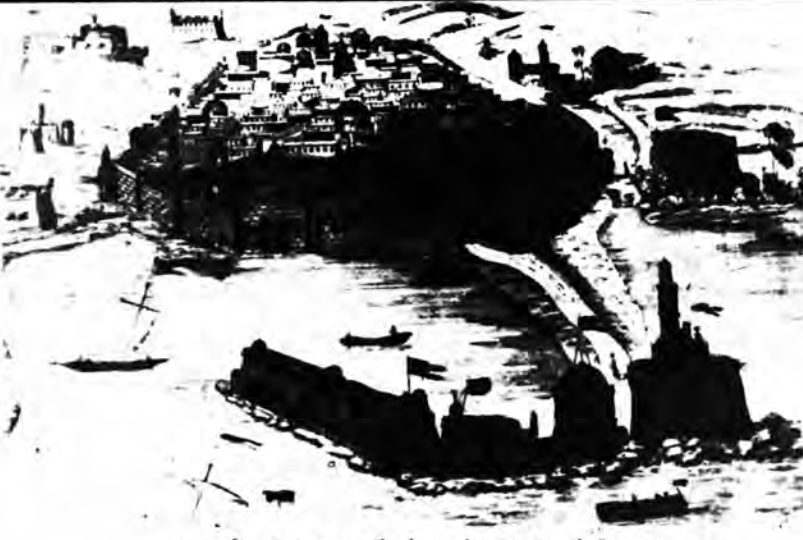
فالذين يردون أصل النشأة إلى السكان القدماء من شمال افريقيا أي البربر يعتمدون في حكمهم على الروايات التاريخية والقصص المنقولة دون دراسة للآثار ، ومنهم موقران في كتابه تاريخ

للسنة التي وضعت فيها أول لبنة لبناء المدينة ، ذلك لشدة قدم تاريخها ولأن الفترة التي أسست فيها مدينة الجزائر لأول مرة كانت فترة لا تساعد على الضبط بالأرقام المدققة ، يضاف إلى ذلك أن الباني لأول منزل ، ما كان يفكر أنه سيكون له شأن عظيم ، بل كثيرا ما سطرت الأقدار ما لم يتوقعه الإنسان ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن الأبحاث الأثرية حول أول لبنة لمدينة الجزائر مازالت جارية إلى يومنا هذا ، على أن المدينة لم تكن شيئا مذكورا قبل ظهور الفينيقيين في عرض البحر الأبيض المتوسط ، أي قبل نهاية الألف الثاني قبل الميلاد ، وانها كانت موجودة في الألف الأول لما قبل الميلاد ، لكن بقي أن نحدد السنة من فترة الألف الأولى لما قبل الميلاد إذ هي فترة طويلة وتشمل ألف سنة



بعيدة عن الصواب ، اذ المرجح والمعروف لدى المؤرخين ان مدينة ايول هي مدينة شرشال ، وليست مدينة الجزائر ، وان اسم جزائر بني مزغنة لم يرد الا في كتب الرحالة العرب ، أمثال محمد بن حوقل ، وأبي عبد الله البكري ، وكانوا يقصدون بها مدينة الجزائر الحالية ، التي يعود أصل نشأتها الى فترة أقدم مما ذكرها مورقان ، اذ يوبا الثاني تولى الحكم في هذا الاقليم فيما بين سنة 25 و 23 ميلادية . وكانت مدينة الجزائر موجودة قبل ذلك للدلالة الاثرية والتاريخية ، اذ كانت مستعمرة رومانية مزدهرة لها مشيختها الخاصة وادارتها المعروفة قبل يوبا الثاني ، وربما قام هذا الملك البربري أو الاهلي بتجديد المدينة ، ورفع البمض من معالها وبذلك اختلط على مورقان أصل النشأة بتجديدها .

الجزائر الذي يزعم « أن أغلب المؤرخين يذكرون أن مدينة الجزائر أسسها يوبا الثاني ، وهو ملك من البربر كان يحكم بلاد الجزائر في مطلع عهد الاستعمار الروماني . الذي أطلق عليها اسم ايول أو يوليوس قيصر ، تخليدا لذكرى سيده الامبراطور الروماني يوليوس قيصر الذي عاش فيما بين 101 و 44 ق م . وان العرب الذين دخلوا هذا الاقليم في القرن السابع للميلاد غيروا المعالم الرومانية ، وأسماء المدن ، ومن بينها اسم مدينة ايول التي أطلقوا عليها اسم الجزائر . نظرا لما كان أمام هذه المدينة الاهلية البربرية من جزر في البحر ، ثم نزلت بها قبيلة بني مزغنة ، فيما بعد ، فاضيف اليها حينذاك جزائر بني مزغنة » ، وهذه الرواية لمورقان لا تخلو من الشك أو قل ، ولا حرج ، انها



صورة لمدينة الجزائر في العهد التركي ويتجلى في الصورة
الجزر التي أوصلها خير الدين باب الجزيرة

منتشرة بالدرجة التي تجلب الانتباه ، ثم ان فاضل يذكر ان الجزائر بنيت في العهد الروماني وهذا يتناقض مع الابحاث الاخيرة التي دلت على أن مدينة الجزائر هي أقدم من الاحتلال الروماني .

أما صولن المؤرخ الروماني والنحوي اللتينى الذى كان يعيش فى القرن الثالث للميلاد فيذكر أن مدينة الجزائر يونانية الاصل بدليل اسمها العتيق ايكوسيوم . وهي كلمة مزجية يونانية مركبة من ايكوسى ومعناها باليونانية عشرون . ذلك ان الذين أسسوها كانوا عشرين نفرا من اليونانيين . أما قصة تأسيسهم للمدينة فيزويها صولن فى : « ان هؤلاء العشرين كانوا من ركاب البحر ، ومصاحبين لهرقل اليونانى الجبار ابن الاله جيبتر فى احدى رحلاته البحرية لتحقيق عجائبه الكثيرة .

ومن انصار فكرة : مدينة الجزائر بناها الاهالى القدماء ، نجد أيضا فانتيردى بارادى الذى يذكر « ان مدينة الجزائر حديثة النشأة بناها المور . (ويقصد بهم الاهالى أو البربر) بعد أن هدموا مدينة تامنغوست فى احدى ثوراتهم ضد الرومان ، واستعملوا صخور المدينة المهدامة فى بناء مدينة الجزائر الحديثة التى لا توجد بها آثار عتيقة » . ويتجلى ضعف فكرة فانتيردى بارادى فى قوله ان مدينة الجزائر ليس بها آثار عتيقة والواقع أن مدينة الجزائر بها آثار للاول ولم ينتبه لها فانتير ، وربما هذا يرجع الى قصر المدة التى قضاها فى مدينة الجزائر فيما بين 1788 - 1790 م وهو من رجال السلك الدبلوماسى الذين لم تسمح لهم الظروف بالبحث عن هذه الآثار ، أو ان هذه الآثار لم تكن

ولا تلبث هذه القرض كثيرا بل سرعان ما تسقط غبارا أمام الحقائق العلمية أو الاثرية ، اذ ليست بمدينة الجزائر آثار يونانية، ولا ما يدل على وجودها ولم يتحدث عنها المؤرخون اليونانيون ، ثم ان هذا الاقليم لم يخضع للنقوذ اليوناني بل كان خاضعا للنقوذ الفينيقي في القديم ، وان اهم ما يستفاد من قصة صولين ان مدينة الجزائر أقدم من الاحتلال الروماني لشمال افريقية ، وانها ظهرت في الفترة الاولى لازدهار حضارة حوض البحر الابيض المتوسط ، وهي فترة كان لليونانيين أغلب مستعمرات الشواطئ، الشمالية من بحر ايجي الى بلاد الغال ، وللفينيقيين أغلب مستعمرات الشواطئ الجنوبية للبحر الابيض المتوسط . وبهذا يمكن اضافة قصة صولين في بناء مدينة الجزائر الى القصص التي تحاك حول بناء مدينة روما وأثينا وقرطاجنة ...

ولم يغفل بعض الرحالة العرب في التعرض الى أصل نشأة مدينة الجزائر ، منهم أبو عبيد الله البكري الاندلسي (توفي سنة 487 هـ) الذي ذكر في كتابه المسالك والممالك ما يلي : « جزائر بنى مزغنى هي مدينة جليلة ، قديمة البنيان ، فيها آثار للاول وازاج محكمة تدل على انها كانت دار مملكة لسالف الامم ، وصحن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفسيفساء ، فيها صور للحيوان بأحكام عمل وأبدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمن ، ولا تعاقب القرون . ولها أسواق ومسجد جامع ، وكانت بمدينة بنى مزغنى كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدور من الشرق الى الغرب

منها الفصل بين جبال كالبى ، وجبال ابيك (اى بين جبال سيرانيفاد بشبه جزيرة ايبيريا وجبال الريف بالمغرب الاقصى) ، وعند ما وصل هرقل وأصحابه العشرون الى الموضع الذى تقوم عليه مدينة الجزائر الحالية توقفوا للاستراحة ، فأعجبته المنطقة ، ومل أصحاب هرقل العشرون من طول الطريق ، فمالوا الى الراحة والاستقرار ، فانفصلوا عنه ، ولبثوا في المكان . اما هرقل فتابع رحلته البحرية الى أن بلغ البرزخ الذى كان يفصل بين شبه جزيرة ايبيريا والمغرب الاقصى ، فشقه ، وبذلك حقق احدى معجزاته السبعة . وأوصل بين البحرين (البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي) بمضيق ، ظل يحمل اسم عمود هرقل مدة طويلة من الزمن . وهو ما يعرف بمضيق جبل طارق حاليا في كل اللغات ، نسبة الى طارق بن زياد فاتح بلاد الاندلس سنة 711 أثناء الفتوحات الاسلامية . أما العشرون نفرا من اليونانيين الذين انفصلوا عن هرقل فقد نزلوا البر ، وأسسوا مدينة العشرين ، حتى لا يستأثر بها أحدهم دون الآخر ، وأحاطوها بسور ظل قائما مدة طويلة من الزمن الى عهد الاحتلال الروماني للجزائر ، حينذاك غير الرومان اسم مدينة الجزائر من ايكوسى اليونانية الى ايكوسيوم الرومانية التى منحها الامبراطور الروماني فيسبا سيان حقوق الاحياء اللاتينية في النصف الثانى من القرن الاول للميلاد .

ونلاحظ من هذه الاسطورة للنحوى الروماني انها لا تختلف كثيرا على أساطير القدماء التى كانوا ينسجونها حول تأسيس المدن وربطها بقصة من القصص الميثولوجية



أحد الأضرحة في مدينة الجزائر القديمة

وهو اليوم قبلة الشريعة للمعبدین مفصص كشر النقوش والصور . ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليها أهل السفن من أهل افريقية والاندلس وغيرهما . وهو مرسى مأمون ، مشتی بین جزيرة سطفلة من الشرق الى الغرب وبين البر . ومن حديث البكرى هذا يظهر أن مدينة الجزائر عريقة في القدم . وإن آثارها كثيرة حتى يظن أنها كانت عاصمة للبلاد في وقت من الاوقات ، وإن عظمت كنيستها التي حولت الى مسجد تدل على مدى قيمتها التاريخية ، وأنه كان لها شأن عظيم في العهد الروماني حيث كانت تتركز بها الديانة المسيحية وتقوم بها المدرسة الوهيبية . لكن البكرى لم يتعرض الى الذين أنشؤوها لأول مرة .

— 2 —

ويظهر لنا ، كما ذهب اليه الكثير من الكتاب ، أن مدينة الجزائر فينيقية الاصل للدلالة الجغرافية والتاريخية والاثرية :

1 - الأدلة الجغرافية :

إن انتقا، الموقع الجغرافي يدل على أنه انتقا، فينيقي ، ذلك أن الفينيقيين هم الذين كانوا يحتلون هذه الشواطئ ، وقد تعودوا على إنشاء المحطات التجارية على الضفاف الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط مثل قرطاجنة وعتيقة بشواطئ تونس وروزيكاد - سكيكدة حاليا - وهيون - عنابة حاليا - بشواطئ الجزائر ، وروزادير - مليلة حاليا - وتانجس - طانجة حاليا - بشواطئ المغرب ومحطات أخرى يطول ذكرها على هذا الساحل الافريقي . وكانت هذه المحطات تساعدهم على

استراحة في أسفارهم البحرية . ورحلاتهم التجارية للبحث عن ذهب السودان ، وفضة اسبانيا، وبضائع واصداف البربر . وفي هذه المحطات كان التجار الفينيقيون يتزودون بما يحتاجونه في أسفارهم من مياه عذبة ومواد غذائية زيادة عن تبادل تجارزى مع سكان الاقليم . ومما يلاحظ على هذه المحطات ، التي أسس البعض منها في مطلع الألف الأولى لما قبل الميلاد ، وربما كانت منها مدينة الجزائر ، أنها كانت تقع في أماكن مميّنة ومقصودة للغاية ، حيث تقع على مسافات تتلام والمسافة التي تقطعها السفينة الفينيقية في اليوم الواحد مثل 25 الى 45 كيلو مترا بين المحطة والتي تليها . وزيادة عن اعتبار

لقد أجريت أبحاث كثيرة عن آثار مدينة الجزائر القديمة التي بنيت على أساسها المدينة الجديدة . وهي أبحاث أثرية نشطت في فترة الاحتلال الفرنسي بحكم التخصص العلمي والتطور الحضارى في هذه الفترة ، والذين قاموا بهذه الابحاث الاثرية هم من الفرنسيين مثل كانتينو وليش وصنطاس وجزال ، وخرج هؤلاء الباحثون بنتائج تؤكد أن مدينة الجزائر بنيت في العهد الفينيقي وان بها آثارا فينيقية ، ومن هذه الآثار التماثيل و الاضرحة ، والاوانى الفخارية و النقود ، فقد عثر على تماثيل فى نهج القصر القديم يتكون من صخرة واحدة نقش عليها ما يرمز للعالم العلوى والآلهة القرطاجنية ، كالاله بعل الذى كان يعبد الفينيقيون ، ويتقربون اليه فوق الروابي أو الاماكن العالية طنا.منهم أن هذه المواقع قريبة من العالم العلوى حيث تقيم الارواح الطيبة ، وهذا الاله يشبه الى حد بعيد الاله المصرى القديم آمون الذى كان له معبد فى الكرنك على وادى النيل ، ولا شك أن المصريين القدماء والفينيقيين كانت لهم اتصالات قوية واحتكاكات حضارية أثرت حتى على معتقداتهم الدينية .

ولقد اكتشف الانثريون أيضا فى مدينة الجزائر ضريحا صخريا سنة 1848 فى حديقة سيدى عبد الرحمن ، وهو قبر فينيقي الاصل ، طوله 2.39م وعمقه 0.82 م . وجدت به تيمية مصرية الصنع نقشت عليها صورة للاله المصرى انوبيس له جسم انسان ورأس ذئب كان يعتقد انه الاله الموتى . والتيمية من طين ، ارتفاعها نحو الست سنتيمترات . كما وجد بالقبر قطع أخرى من الزجاج

المسافة كان الفينيقيون ينتقون لتأسيس مراكزهم التجارية . المواضع التى تساعدهم طبيعيا على ارساء سفنهم ، مثل الجزر ، والرؤوس ، أو الخلجان أو مصبات الاودية . والاماكن التى تتوفر فيها المياه العذبة ، ويوجد بجانبها الظهير الغنى مثل سهل متيجة . واعتمادا على هذه المعطيات الجغرافية المتوفرة فى اقليم الجزائر يبدو أن مدينة الجزائر ترجع فى اصول نشأتها الى الفينيقيين ، حيث أنها تقع على نقطة الوسط للمسافة البحرية الفاصلة بين تامنفوست وهى ، مما لاشك فيه ، محطة فينيقية وبين تيبازة وهى محطة فينيقية أيضا باتفاق الانثريين . يفصل بين المدينتين أى تيبازة وتامنفوست نحو الثمانين كيلومترا ، وهى مسافة طويلة لا تقطعها السفينة فى اليوم الواحد ، لذلك اختار الفينيقيون موقعا مسطحا . يقع بين المحطتين السابقتين ، تتوفر فيه الشروط الطبيعية لتأسيس محطة تجارية ملائمة تماما لأرساء مراكبهم البحرية ، وهو موضع توجد به أربع جزر فى شكل حرف ألف ممدودة . وجزيرات عدة يمكن التنقل عليها بسهولة الى البر ، تحمى السفن من حركات الامواج ، والميناء يلائم الرسو ، كما ان الموقع يساعد على الدفاع ، والاتصال بالداخل وبالساحل المتيجى . وتتوفر به المياه العذبة التى كانت تفور من احدى جزيرات الميناء القديمة . ثم ازيلت هذه الجزيرة بما فيها من عيون عذبة فى مطلع عهد الاتراك لاستصلاح الميناء وتوسيعها .

— 3 —

2 - الادلة الاثرية :

كتب على هذا الوجه العبارة التالية : ايكوسيم —
وبذلك عثر لأول مرة في الابحاث **IKosim**
الاثريّة على الاسم القديم للمدينة . وهو اسم فينيقي
حرفه الرومان فيما بعد الى ايكوسيوم حتى يتماشى
ولفتهم اللتينية . وقد تصدى المختصون في اللغات
السامية للبحث عن اصل ومعنى الكلمة المنقوشة
في تلك النقود . وذكروا انها بونية الاصل — أى
فينيقية — وتتألف من كلمتين هما : I — ومعناها
بالبونية : جزيرة . و **Kosim** ومعناها الشوك
وقيل الطيور التي تعيش في الاطلال مثل البوم
وهذا التحليل يذكرنا بالجزر الاربعة القديمة التي
ظلت مدة طويلة منفصلة عن بعضها امام مدينة
الجزائر وكانت تسمى في عهد الرحالة العرب
بجزر سطفلة ، وتقع امام باب الجزيرة الى أن أوصلها
الأتراك باليابس وامتدت اليها المباني التي رفعت
فوقها فأصبحت جزءا من الرصيف .

— 4 —

كما يذكرنا هذا التحليل ايضا بالطيور البحرية
التي كانت تعيش في اطلالها . ويرى البعض ان كلمة
كوس معناها دجاج البحر . وعلى هذا يكون معنى
الكلمة الفينيقية ايكوسيم : جزيرة دجاج البحر .
وهو الاقرب الى الصواب حيث يكثر دجاج البحر
في الشواطئ الجزائرية حتى الوقت الحالي ، وسميت
عليها موانى كثيرة مثل مرسى الدجاج بالقرب من
أرزو ومرسى الدجاج أيضا على الشاطئ الغربي من
مدينة الدلس . وهى موانى لازالت تقصدها طيور
البحر ، وبالخصوص الطيور المعروفة بدجاج البحر
التي تطوف في عرض البحر ثم تاوى للمبيت أو

الاخضر والاحمر والاصفر كان يتحل بها صاحب
الرفاة ، وآنية من طين . ارتفاعها 17 سم وقطرها
12 سم . ولاشك أن هذه الآثار فينيقية الاصل لما
يقلب عليها من الطابع الشرقي . وكما تؤكده عادات
الفينيقين الذين تعودوا على دفن الميت مع حليه
وتماثله وادواته المنزلية التي كان يستعملها في
حياته الدنيا . وقد عثر أيضا سنة 1952 على بشر
أثرية في حى باب البحرية — باب الجزيرة — أثناء
اعادة بناء ما خربته الحرب العالمية الثانية بشارع
أول نوفمبر حاليا . وعثر على هذه البثر العمال
وهم يحفرون أساسس البناءات الجديدة . وكان عمقها
يزيد 14,50 م وجدت فيها أواني فخارية ترجع الى
عصور تاريخية مختلفة وأقوام متعددة تداولت
التفوذ في هذه المنطقة . وبالطبع فان أقدمها هي
الواقعة في أسفل الطبقات . وترجع الى الآثار
الفينيقية فوقها الآثار الرومانية تليها الآثار العربية
كما عثر الاثريون أيضا سنة 1940 في حى باب
الجزيرة على قطع نقدية فينيقية . وهى عبارة عن 158
قطعة نقدية معدنية ، جلها من الرصاص وأقلها من
البرونز ، صكت فيما بين القرن الثاني والاول قبل
الميلاد . تحمل في احدى جوانبها صورة لامرأة على
رأسها تاج . وأمامها رمز النصر ، وربما كانت هذه
الصورة للآلهة المصرية ايزيس زوجة اوزيريس وأم
حورس . لأنها تشبهها الى حد بعيد . وعلى الوجه
الثاني من النقود نقش صورة لرجل واقف على قاعدة
صخرية . ومتوج بتاج له ثلاث أسنة تشبه الاشعة .
وتوحي الى هيئة الاله الفينيقي بعل . يكسوه قميص.
ويتدل من كتفه الايسر خوج من جلد الحيوانات . وقد

للاستراحة على الحافة الشمالية للبنائيات البحرية حاليا فى ميناء الجزائر .

و خلاصة هذا العرض ان المتتبع للآثار الفينيقية على نطاق واسع فى شواطئ شمال افريقية يظهر له ان الفينيقيين بدأوا فى تأسيس مراكزهم التجارية من الشرق الى الغرب بادئين بقرطاجنة ومنتھين بالمدن العتيقة على شواطئ المغرب الاقصى ، وبذلك فان المدن أو المراكز التجارية الفينيقية الواقعة على الشواطئ الشرقية اقدم من المراكز الشاطئية الغربية . وان التركز على هذه الشواطئ سلك مرحلتين ، أولهما مرحلة الاستكشافات للمواضع والمواقع الملائمة للتركز ابتداء من أواخر الألف الثانى لما قبل الميلاد ، والمرحلة الثانية بناء المراكز التجارية ثم المدن الصغيرة فى النصف الاول من الألف الاخير لما قبل الميلاد ، ولما كانت مدينة قرطاجنة واقعة فى شرق المغرب العربى وبنيت سنة 814 ق م كما دلت عليها الآثار ، فان مدينة الجزائر الواقعة الى الغرب منها بحوالى ثمانمائة كيلومتر فلا بد أن تكون قد أسست فيما بعد . ولقد دلت الأبحاث الاثرية التى أجراها صنطاس بعد الحرب العالمية الثانية فى مدينة تيبازة الواقعة على بعد حوالى الخمسين كيلومتر الى الغرب من مدينة الجزائر ان أقدم آثار فينيقية بتيبازة لا تتعدى القرن السادس قبل الميلاد، ويظهر من ذلك أن مدينة ايكوسيم الفينيقية أسست فى هذه الفترة أى حوالى القرن السادس قبل الميلاد فى حجر حى القصبية أو فى حى باب الجزيرة ، وبالتالي يعد هذا الحى أقدم أحياء المدينة على الإطلاق وأول نقطة اختارها الفينيقيون لبناء مركزهم التجارى أى مدينة الجزائر العتيقة .

ويظهر ان مدينة الجزائر عمرت فى الفترة الاولى لنشأتها بعناصر فينيقية مهاجرة وعناصر اهليلة افريقية . وان كان الاساس الجنىسى للفريقين واحدا، وجمعت بين العنصرين حرفة التجارة ، وتبادل البضائع المختلفة ، لذلك كانت تزدهر المدينة وتنمو بازدهار التجارة وتركز بركودها . ولم تكن مدينة تامنفوست ولا مدينة ايول بالمدن الفينيقية الكبرى التى يمكنها أن تؤثر على عمران مدينة الجزائر ، بل ان هذه المدن المجاورة كانت متممة لبعضها . بحيث تعتبر اساسا تاريخيا لما يمكن أن نسميه بالجزائر الكبرى ، ولم يكن للمهاجرين الفينيقين أطماع استعمارية غير المسالمة والحياة التجارية مع البربر . لذلك لا يحدثنا التاريخ عن قلاقل اجتماعية لسكان مدينة الجزائر فى الفترة الاولى من النشأة ، بل وطيلة العهد الفينيقى بها . ولم تظهر الحياة الطبقية وامتياز بعض الجماعات عن الأخرى . وعدم الامتزاج بالسكان الاصليين ، فى مدينة الجزائر . الا فى عهد الاستعمار الرومانى، عند ما هاجرت الجاليات الرومانية الى المدينة ، وكانت تحى فى المستعمرات حياة ارسطراطية ، تختلف تماما عن حياة السكان الاصليين . ولم يتركز الرومان فى المدن فقط ، بل حصنوها بأسوار قوية حتى كانوا فى مأمن موقت من غضب وثورات طبقة السكان الاصليين الذين كانوا معتبرين عبيدا فى عهد الرومان ، ثم رفع الرومان داخل هذه المدن الابراج والقصور التى زينوها بالرخام والتماثيل ونظمو بها العمون والصحاريغ واتخذوا من المدن المحصنة مراكز لادارة البلاد .

ولما دخل العرب المسلمون الى شمال افريقية

وفي نفس الفترة بدأت تؤم مدينة الجزائر جماعات من المهاجرين الاندلسيين الذين جاءوا الى شمال افريقية بعد ضعف ، وسقوط دويلاتهم في شبه جزيرة ايبيريا . وانقسامهم الى احزاب وشيع ضعفت أمام العصبية المسيحية ، التي أخذت تستولي شيئا فشيئا على دويلات ملوك الطوائف وتدفع بالمسلمين الى شمال افريقية ، واشتدت هجرة الاندلسيين بعد سقوط مدينة غرناطة سنة 1492 م ثم بعد قرار 1609 الاسباني الذي ينص على أن كل مسلم أو من كان مسلما بأى شكل من الاشكال وفي أى عهد من العهود يجب أن يغادر اسبانيا في الحين ، والا كان مصيره الاعدام . وتركز البعض منهم في مدينة الجزائر ، وكانت لهجرتهم أثرها الواضح على عمران المدينة ، حيث زادوا من عدد سكانها . ونقلوا اليها على اكتافهم ما وصلوا اليه من تطور حضارى في العمارة والتنظيم العمرانى بصفة عامة ، من شبه جزيرة ايبيريا . ومن الهجرات التي جات الى مدينة الجزائر في العصور الوسطى نلاحظ هجرة اليهود أيضا التي نتجت عن العصبية الدينية المسيحية ، وكان لها أثر على سياسة واقتصاد المدينة في عهد الاتراك بالخصوص . ثم كانت هجرات العناصر التركية بعد ان قضى عروج على مملكة الثعالبة سنة 1516 م . وإلى العنصر التركي يضاف عنصر اللغيف الاجنبى الذى تكاثر بمدينة الجزائر في عهد الاتراك ، ونقصد باللغيف الاجنبى ، أولئك العبيد المسيحيين الذين جمعوا على طريق القرصنة ، وهى حرفة ضرب فيها الاتراك بسهم الاسد . حيث جمعوا من الاسبان والايطاليين والانجليز والبرتغاليين

غيروا الكثير من المعالم الاجتماعية المتناقضة والقوانين الانسانية ، فالغوا الاسوار التى تفصل بين الحاكم والمحكوم وبنوا الاسوار التى تقيهم من خطر العصبية المسيحية وهذا شئ استمد من طبيعته الاسلام . واطلقوا على مدينة ايكوسيوم جزائر بنى مزغنة نسبة الى قبيلة أهلية كانت تسكنها . ثم اشتدت الهجرات العربية الى شمال افريقيا في القرن الحادى عشر للميلاد ، فعمررو النجود والسهول ثم المدن ، التى أخذوا يطعمونها بالطابع العربى الاصيل ونقلوا اليها دينهم الجديد وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم ، وربطوها ببقية المدن العربية فى المشرق العربى تارة ، وفى المغرب العربى تارة . وبذلك ازدهرت جزائر بنى مزغنة ازدهار المدن العربية ثم أخذت تنحدر نحو الاضمحلال أثناء الاختلافات الاسلامية فى شمال افريقية وفى بلاد الاندلس ، وانتهزت قبيلة الثعالبة من المهاجرين العرب هذه الفرصة للانتقال من السهل المتيجى الى مدينة الجزائر وكوت دويلة كانت تمتد من الدلس شرقا الى مدينة شرشال غربا ، مركزها مدينة الجزائر . وحينذاك وطد الثعالبة علاقاتهم بالاروبيين . وكانت القرصنة فى هذه الفترة التاريخية تسير جنبا الى جنب مع القرصنة بالنسبة لاغلب الدول الاوروبية الواقعة على شاطئ البحر المتوسط . وعدت مدينة الجزائر سنة 1300 من بين أهم أسواق النخاسة التى كان القسيس رايموند البيرت يقصدها لشراء المسيحيين ثم تحريرهم . وأثرت قبيلة الثعالبة ومدينة الجزائر من هذه التجارة حيناً من الدهر وتكونت فيها طبقة من الاثرياء كان بيدها مقاليد الحكم .

ولقد مرت مدينة الجزائر في تاريخها العمراني بمراحل عدة شأنها في ذلك شأن المدن العتيقة ، فقد مرت بمرحلة الولادة التي كان فيها المنزل الواحد يمثل نواة المدينة ثم بدأت تتجمع منازل أخرى من غير نظام حول المسكن الاول . ثم جاءت مرحلة الطفولة التي تميزت بظهور شوارع تربط بين المنازل التي ليس لها تخصص وظيفي ، فالدكان في أسفل المنزل وصاحبه يسكن في نفس الطابق أو فوقه كما ان صاحب الحركة كالحداد مثلاً كان يباشر حرفته حيث يسكن. ومعنى هذا ان منازل مدينة الجزائر في مرحلة الطفولة كانت تجمع بين عدة وظائف فتمثل المأوى وهي في نفس الوقت ورشة للعمل . ثم جاءت مرحلة الشباب وهي الفترة التي ازدهرت فيها حضارة البحر الابيض المتوسط وزاد النفوذ الفينيقي في شمال افريقية ، وفيها أخذت الاحياء السكنية تتميز عن الاحياء التجارية . وأخذ الساكن بالمدينة يقطع مسافة بين محل سكناه ومحل عمله . ثم كانت مرحلة النضج التي تتفق وما بعد القرن الاول للميلاد وتستمر الى اواسط القرن الرابع للميلاد . لتدخل مرحلة الشيخوخة . فيها نالها التخریب واثرت عليها ثورات الاهالي ضد الجور الروماني ، وظلت على هذه الحالة الى أن دخلها العرب المسلمون . لكن مدينة الجزائر لم تستعد شبابها الى أن أعاد تجديدها ولكن سنة 960 م ثم في القرن 16 للميلاد بعد أن دخلها الاتراك واتخذوها عاصمة للبلاد . حينئذ عادت من امهات مدن شواطئ حوض البحر الابيض المتوسط وسيدة البلاد الجزائرية . وظلت محافظة على مركزها الى يومنا هذا .

والالمان وغيرهم من الدول الأوروبية المسيحية اعدادا كبيرا من البشر بلغت نسبتهم في بعض الفترات التاريخية الى 30٪ من مجموع سكان المدينة وقد حولهم الاتراك الى عبيد . وما كانوا يطلقون سراحهم الا بعد الفداء من ذويهم أو من المؤسسات الدينية المسيحية التي أنشأتها بعض الكنائس الأوروبية لهذا الغرض مثل جمعية لازاريت التي أسسها فانسان دي بول سنة 1633 وكان الاب ليفاشي من أشهر رجالها الذي قذفه الاتراك بالمدفع سنة 1683 بسبب خبثه وجوسسته الدينية على عورات سكان مدينة الجزائر . وكان من مهام هذه الجمعيات الدينية المسيحية جمع النقود من أوروبا للفداء . واقامة الصلوات وتنظيم الحملات الصليبية ، وبناء المراكز الصحية للاسارى المسيحيين . وتثبيت الايمان في قلوبهم. وكثيرا ما كان الاسارى المسيحيون في الجزائر يعتقدون الاسلام طواعية وبالتالي كان يمكنهم ان يرتقوا الى مناصب الاتراك . وربما أصبح منهم داي البلاد ، والامثلة على ذلك كثيرة . نذكر منها الباشا علي (1568 - 1587) الذي أخذ من سواحل كالابريا بايطاليا وعمره 18 سنة . فاعتنق الاسلام بالجزائر ثم أخذ يرتقى في مناصب الدولة الى أن حاز مرتبة بيرلرباي سنة 1568 . ومثال أيضا على رمضان باشا فهو ساردي الاصل . وحسين قطان بندقي الاصل . وجعفر داي مجرى الاصل ، وحسين فيتزيانو بندقي الاصل .. ومعنى هذا أن سكان مدينة الجزائر كانوا خليطا في العهد التركي الذي ذاب فيه المنصر العربي كما ذاب في بقية السلطنة العثمانية . وقد قيمته الاجتماعية . وانزلت شخصيته .

بلقين بن زيري

ذكر ابن خلدون ان بلقين بن زيري « اختط
بامر ابيه وفي عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني
مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالمسوة
الشرقية من شلف ومدينة لمدية » .

فيودنا ونحن نحتفل بالذكرى الالفية لتأسيس
الجزائر ان نخصص مقالنا هذا لمشيدها .

كان بلقين بن زيري من قبيلة صنهاجة .
وصنهاجة على قول ابن خلدون من ولد صنهاج .
وصنهاج هذا عند النسابة البربر من بطون البرانس
وعند نسابة العرب من نسل حمير مؤسس الدولة
الحميرية في اليمن .

وكانت قبيلة صنهاجة من اوفر قبائل المغرب
حتى - على قول ابن خلدون - زعم كثير من الناس
انها التثت من امم البربر وحسب بعض النسابة
بلغ عدد بطونها سبعين من اعظمها تلكاةة بطن آل

د . رشيد بورويبة

زيري وآل حماد ولمتونة ومسوقة من بطون المرابطين فكانت تلكاثة تسكن بالمسيلة وحزمة (البويرة الحالية) والجزائر ومليانة ولمدية ..

وكان بلقين بن زيري من عائلة كبيرة قوية لعبت دورا عظيما في المغرب . ومن افراد هذه العائلة الذين اشتهروا قبل بلقين نذكر المثنى بن مسور ومناد بن منقوش وذييري بن مناد .

1 (المثنى بن مسور :

ذكر النويرى ان المثنى بن مسور الحميرى فر من اليمن بعد ما فتحه الحبشة سنة 525 م ورحل الى الشحر ، جنوبى جزيرة العرب ، حيث تلقى بكاها من عائلة حمير كهن له ان ابنائه يؤسسون دولة فى المغرب واوصاه بالسفر الى هذا القطر . فسمع المثنى قول الناصح ورحل الى المغرب واستقر به .

2 (مناد بن منقوش :

كان مناد ، على قول النويرى كثير المال والولد وكان يحسن الضيافة للمسافرين . فبنى مسجدا ليبيتوا فيه وكلما رأى غريبا ضيفه ثم عند ذهابه زوده بالعيش والملابس والمال . ثم يقص النويرى علينا الاسطورة الآتية : وفاقق أن يوما من الايام رأى مناد غريبا فى المسجد فضيفه . فبعد ما فرغ الضيف من الاكل اخذ يتأمل عظم كتف الكباش الذى كان ذبحه مناد على شرفه ويلقى نظره على مناد متمجبا . فقال له مناد : لماذا تنظر الى ؟ فقال : هل لك زوجة حامل ؟ فقال نعم . فقال هل لك ابناء معها ؟ فقال لا ، ولكننى عندى ابناء مع زوجاتى

الآخر . فقال احضرهم بين يدى . فاحضرهم ، فاخذ الضيف يتأمل كل واحد منهم ثم قال لمناد : اعتن بزوجتك الحامل لانها تلد لك ابنا يملك المغرب وابناءه بعده . فاعتنى مناد بزوجه كل الاعتناء . وبعد مدة ولدت له طفلا سماه زيري .

3 (زيري بن مناد :

1 - طفولته :

يذكر النويرى ان زيري كان اجمل ابناء مناد الذين كانوا مشهورين بجمالهم حتى كان الناس يضربون المثل بهم ويضيف الى ذلك ان زيري كان قوى البنية حتى كان يظهر فى عمره عشرين سنة وهو فى العاشرة من سنه . وكان اصحابه يطيعونه ويسمونهم السلطان .

ب - محاربته لزناة وتأسيس مدينة اشير :

فكبر زيري وجمع جيشا غزا به زناة . فغارت منه البطون الصنهاجية الاخرى وحاربته فتغلب عليها ثم غزا قبائل زناة مرة ثانية ، فكثر عدد اتباعه ، فضاقت بهم ارضهم وطلبوا منه ان يؤسس لهم مدينة كبيرة يسكنونها . فسار بهم الى موضع اشير فرأى ما فيه من العيون فاستحسنه وبنى فيه مدينة اشير التى مازالت آثارها قرب عين يوسف فى ولاية تيتري وسكنها مع اصحابه . واعانته الخليفة الفاطمى القائم بأمر الله فى تشييد اشير وبعث له مهندسا ماهرا وكما كبيرا من الحديد ومن المواد اللازمة للبناء . فما نسى زيري خير الخليفة الفاطمى وأصبح من أحلافه المخلصين ف أظهر وفاءه واخلصه اثنا ثورة أبى يزيد وغزو مدينة فاس .



المغرب في عهد بلقين بن زيري

د - غزو مدينة فاس :

وفي عهد الخليفة الفاطمي المعز بن المنصور شارك زيري في غزو المغرب الأقصى مع جوهر الكاتب قائد الجيش الفاطمي . فسار الجيش الفاطمي الزيري لمحاربة قبائل زناتة التي كانت خلعت طاعة المعز وخضعت للخليفة الاموي . فتوجه الجيش نحو تاهرت ثم نحو فاس : فحاصرها بدون نتيجة . فتوجه نحو سجلماسة وفتحها ثم رجع الى فاس وفتحها بفضل شجاعة زيري وجسارته كما يذكره ابن الاثير في السطور الآتية : « فقام زيري ابن مناد فاختار من قومه رجالا لهم شجاعة وأمرهم أن يأخذوا السلايل وقصدوا البلد ، فصعدوا الى السور الادنى في السلايل وأهل فاس آمنون . فلما صعدوا على السور قتلوا من عليه ونزلوا الى السور الثاني وفتحوا الابواب وأشعلوا المشاعل وضربوا

ج - ثورة ابي يزيد :

ان ابا يزيد مخلد بن كداد الملقب بصاحب الحمار كان من قبيلة بني افرن وهي من أعظم بطون زناتة . فكانت تملك المغرب الاوسط من تلمسان الى جبل عمور . فكان أبو يزيد نكاري المذهب ، فثار على الفاطميين سنة 332/942 وفي مدة سنة أشهر فتح باجة وتونس والقيروان وسوسة وحاصر المهدية عاصمة العبيديين . فطلب الخليفة القائم مساعدة زيري بن مناد . فلبى زيري نداء القائم وبلغه خمسمائة عبد ومائة حمل من القمح . هذا ما اضطر ابا زيد الى رفع الحصار عن المهدية سنة 334/945 وكذلك عند ما حاصر المنصور بن القائم ابا يزيد بقصر كيانة الواقع في المكان الذي تتأسس فيه قلعة بني حماد ، سار زيري في جيش عظيم وساهم في قتال ابي يزيد وقتله سنة 336/946 .

ما سمع زيرى بخيانة جعفر جمع جيشا لقتاله . ولكن انتصر جعفر على الجيش الصنهاجى وسقط زيرى من فرسه فقتل .

هذه هي الظروف التي مات فيها زيرى بن مناد وبعد وفاته خلفه ابنه بلقين . قد رأينا أن بلقين بدأ يلعب دورا فى شؤون المغرب فى حياة ابيه : فكان أسس ثلاث مدن ، الجزائر ، ومليانة ، ولمدية ، وانتصر على قبيلة مقراوة . فلندرس الآن تاريخه بعد ما خلف اياه على رأس قبيلة صنهاجة فنقسم دراستنا الى ثلاث نقاط رئيسية : بلقين قبل تعيينه كخليفة للفاطمين على المغرب وتولية بلقين واخيرا بلقين بعد توليته .

1 - بلقين قبل تعيينه كخليفة للفاطمين على المغرب :

كان بلقين بأشير لما سمع بقتل ابيه . فلم يلبث أن يأخذ بثاره فجمع جيشا عظيما ، فامده المعز بالاموال والجنود ، فخرج من أشير فى آخر سنة 360 أو أوائل سنة 361 الموافق لسنة 971 م ، فحارب زناتة ببغااية والمسييلة وبسكرة وطاردهم من المغرب الاوسط واتبعهم فى المغرب الاقصى . ووصل الى سجلماسة حيث إلقى القبض على الخير ابن محمد وقتله كما قتل عددا كبيرا من جنوده ثم رجع الى المغرب الاوسط . فسر الخليفة الفاطمى بانتصار بلقين وزاد فى اقطاعه المسييلة وأعمال بنى حمدون .

وفى محرم سنة 361 - نوفمبر 971 استدعى المعز بلقين وأمره بأن يزيل الحرب ويرفق على زناتة

الطبول . وكانت الامارة بين زيرى وجوهر فلمسا سمعها جوهر ركب فى المساكر فدخل قاسا .

وبعد هذا الانتصار أهدى الخليفة الفاطمى المعز مدينة تاهرت لزيرى بن مناد وأذن هذا الاخير لابنه بلقين بتأسيس الجزائر ومليانة ولمدية .

ه - انتصار بلقين على قبيلة مقراوة :

ان الخليفة الاموى الاندلسى الحكم الثانى الذى تولى الامر سنة 350/961 واصل سياسة ابيه فى المغرب وهى الاعتماد على القبائل الزناتية ولاسيما قبيلة مقراوة لتركيز سيطرته على المغرب الاوسط . فامام هذا الخطر العظيم أمر زيرى ابنه بلقين بقتال زناتة . فجمع بلقين جيشا عديدا وبفضل اعلام ناله من احد اتباع محمد بن الخير قائد قبيلة مقراوة التى كانت استولت على جل المغرب الاوسط ، فهجم بلقين فجأة على أعدائه بناحية تلمسان وانتصر عليهم انتصارا تاما .

و - محاربة زيرى لبنى حمدون وقتله :

كان جعفر بن على بن حمدون صاحب المسييلة وحليفا للخليفة الفاطمى مثل زيرى بن مناد . فغار جعفر من زيرى ولم يعنه فى محاربته لزناتة بل ما اخذ أى تدبير لازالة دسائس اتباع الخليفة الاموى بالمسييلة . فحاول الخليفة الفاطمى أن يصلح بين حليفه فاستدعاهما ، فحضرا بين يديه ولكن المقابلة انتهت بدون نتيجة . وبعد مدة استدعى المعز جعفرا وحده ، فلم يلب استدعاه . فارسل له المعز رسولا ، فخاف جعفر وغادر عاصمته وسار الى بلد زناتة ، فسروا به وعينوه قائدا على جيوشهم . فعند

وما أصبت رشداً ، فخرج عنه ، ثم انه استدعى يوسف بن زيري الصنهاجي وقال له تاهب لخلافة المغرب ، فأكبر ذلك وقال : يا مولانا انت وأبائك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ما صفا لكم المغرب ، فكيف يصفو لي وأنا صنهاجي بربري ؟ قتلتنني يامولانا بغير سيف ولا رمح ، فمازال به المعز حتى اجاب بشرطة أن المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ، ويجعل الحيز لمن يشق به ويجعله قائما بين أيدي هؤلاء ، فمن استعصى عليهم يأمره به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخاصم بين أولئك ، فأحب المعز ما قال وشكره . فلما انصرف قال أبو طالب ابن القائم بأمر الله للمعز يامولانا وتثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر ، فقال المعز يا عننا كم بين قول يوسف وقول جعفر ؟ فاعلم يا عم ان الامر الذي طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه يوسف ، واذا تطاولت المدة سينفرد بالامر ، ولكن هذا أولا أحسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله .

وقال التيجاني في رحلته :

« قال يسام : لما تغلب بنو عبيد الناجموني بإفريقية على مصر فخلص لهم صميمها وتم لهم ملكها ونعيمها وأراد معد بن اسماعيل بن محمد بن عبيد الله الملقب بالمعز لدين الله اقتعاد صهوتها وثبات قدمه على ذروتها ، دعا زيري بن مناد وهو يومئذ من صنهاجة بمكان السنام من الغارب وبمؤلة الوجدان من نفس الطالب وكان له عشرة من الولد آساد شري وأقمار سري ، فقال : ادع لي بنيك فقد

ويطلق سراح نسائهم وأولادهم الأسرى ، وقبل سيره الى إفريقية اختار بلقين بين عبيده عمالا على تاهرت وأشير والمسيلة وبسكرة وطبنة وباغاية ومجانة . وعند ما وصل الى المنصورية استقبله المعز بأبهة في إيوانه والبسه خلعتة وقلده سيفه وأهدى له أربعين حزمة من الملابس الفاخرة وأربعين فرسا عليها سروج نفيسة ، ومن جهته أهدى بلقين للمعز ألفي جمل كان غنمها أثناء محاربته لزناطة .

2 - تولية بلقين كخليفة للفاطيين :

وعند ما ذهب المعز الى مصر خلف بلقين في المغرب وحول هذا التمين لنا أساطير موجودة في كتاب الخطط للمقرئ وفي رحلة التيجاني وفي البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي فقال المقرئ :

« ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب فوق اختياره على جعفر بن علي الأمير فاستدعاه وأسر اليه انه يريد استخلافه بالمغرب فقال : تترك معي أحد أولادك وإخوانك يجلس في القصر وأنا أدير ، ولا تسألني عن شيء من الاموال لان ما أجبيه يكون بإزاء ما أنفقه من الاموال ، واذا أردت أمرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الى . فغضب المعز وقال : يا جعفر عزلتني من ملكي ، وأردت أن تجعل لي فيه شريكا في أمري واستبددت بالأعمال والاموال دوني ، قم فقد أخطأت حظك .

ولقبه سيف الدولة . وجعل المعز على جباية أموال افريقية زيادة الله بن القديم وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني وحسين بن خلف المرصدي وأمرهم بأن يطيعوا بلقين فأقام المعز أربعة أشهر بسردانية ثم رحل عنها ومعه يوسف بلقين فوصل الى سفاقص وفي نواحي هذه المدينة . على حد قول ابن خلدون ، ودع الخليفة الفاطمي ورجع الى القيروان ، وعلى قول بعض المؤرخين ودع المعز في نواحي قابس . وعند وصوله الى القيروان لقي بلقين استقبالا حارا من طرف أهل المدينة ونزل قصر المعز بالمنصورة حيث أقام أربعة أشهر عين أثناءها الولاة وجباة الاموال .

3 - بلقين بعد توليته كخليفة للفاطمين :

ان أهم الاحداث وقعت في هذه الفترة من حياة بلقين هي : ثورة أهل قابس ، وغزو المغرب الأوسط وتعيين عبد الله الكاتب كوالي افريقية ، وثورة خلف ابن خير . و وفاة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله ، وغزو المغرب الاقصى .

1 (ا) ثورة أهل قابس :

في أول دولة بلقين ثار الاباضيون في ناحية قابس ونهبوا أرباض المدينة وأحرقوها وحاصروها ولكن لم يفتحوها لان الجيش الذي سيره بلقين هزمهم هزيمة شنعاء .

ب (غزو المغرب الاوسط :

في شعبان 362/ماي 973 خرج بلقين الى المغرب الاوسط في جيش عظيم من كتامة وصنهاجة ، فر بمدينة باغاية وعين عاملا للمدينة وأوصاه باللطف

علمت رأيي فيهم وفيك ، وكان أصفرهم سننا وأهونهم عليه شانا يوسف بن زيري ، فدعا ولده ما عداه والمعز ما يريد سواء ، وكانت عند المعز - زعموا - أثارة من الحدثنان قد علم بها مصائر احواله ، وأهل الفناء من أعيان رجاله ، وكانت عنده للخليفة على افريقية اذا صار اليه ملك مصر علامة يأنس بها أنس الكبير بذكر شبابه ، ويعرفها عرفان العاشق بديار أحبابه ، فنظر في وجوه بني زيري فانكره . حين تفقد تلك العلامة فلم يرها ، فقال لزيري : هل غادرت من بنيك أحدا ؟ فلست أرى لمن هاهنا منهم أيذا ولا يدا ، فقال الا غلام وطفق يصغر شأنه والمقدار قد عناه وأعانه ، ويطوى أخباره والاختيار يدير عليه مداره . فقال المعز لا أراك حتى أراه ، فلست أريد سواء ، فلما رآه عرفه وفوض اليه من حينه واستخلفه فاستولى من وقته على الامور .

وأما رواية ابن عذارى فتشابه رواية التيجاني . هذه هي الاساطير التي وصلت الينا عن تولية بلقين . فلنذكر الآن ما يقوله المؤرخون عن هذا الحدث المهم .

فوقعت تولية بلقين يوم الاربعاء 20 من شهر ذي الحجة 360/2 أكتوبر 972 بسردانية . وهي قرية قرب القيروان ، فحضر بلقين ببني يدي المعز قالبس المعز خلة الخلافة وأهدى له أكسية فاخرة وفرسان عليها عدد نفيسة وولاه على افريقية والمغرب ما عدا جزيرة صقلية ومدينة طرابلس الغرب واجدادية وسرت وأمره في الجيش وجعل خاتمه في يده وسماه يوسف وكناه أبا الفتوح

بسكانها ثم واصل طريقه نحو المغرب وبينما هو سائر في طريقه سمع بأن أهل باغاية ثاروا على عامله وقتلوه وهزموه ، فسير بلقين جيشاً ليقتل على ثورتهم فلم يقدر عليهم فارسل قائد الجيش الى بلقين يعرفه الحال ، فتأهب بلقين للسير الى باغاية وبينما هو في التجهيز أتاه خبر ثورة أهل تاهرت على عامله ، فرحل اليها وفتحها عنفاً ثم تأهب للسير الى باغاية وبينما هو في التجهيز أتاه خبر نزول زناتة بتلمسان ، فرحل اليها وحاصرها مدة ثم طلب أهلها الأمان منه فعفا عنهم الا أنه على قول ابن الأثير نقلهم الى مدينة أشير .

ج (تعيين عبد الله الكاتب كوالي القيروان :
أثناء رحلة بلقين الى المغرب الاوسط توفي عامل القيروان والمنصورية جعفر بن تمر في جمادى الثانية 363/مارس 974 ، فكتب زيادة الله ابن القديم المسؤول على الجباية وطلب من بلقين تعيين عامل آخر يساعده في تسيير الامور ، فعين بلقين عبد الله محمد الكاتب التميمي بن الأمير الاغلبى محمد الذي كان هرب من القيروان عند وصول الفاطميين ، فكان عبد الله كاتباً في ديوان الانشاء . فرفض اقتراح بلقين بقوة عدة مرات وما قبل هذه الوظيفة الا بعد ما استدعاه بلقين وهدده بالقتل ان استمر في رفضه . فرجع عبد الله الى القيروان فاستقبله زيادة الله استقبالا وديا واتفق الرجلان مدة ثم تنازعا ودار القتال بينهما وانتهى بانتصار عبد الله الكاتب الذي سجن خصمه ثم قتله . ولم يتدخل بلقين في هذا النزاع خوفاً

أن يتهمه المعز بخلع موظف كان سماه قبل مسيره الى مصر الا انه أعان عبد الله الكاتب سرا .
د (ثورة خلف بن خير وخضوع أهل باغاية :
وبعد قتل زيادة الله ثار خلف بن خير أحد مناصريه على بلقين وتحصن في قلعة من قلح بلاد مع أتباعه ، فهجم بلقين على قلعة خلف وفتحها بعد حصار استغرق أربعة أيام ، فقتل بلقين عددا لا يحصى من الثوار ولكن خلف تمكن من الفرار الى بلاد كتامة ، فهدد بلقين بالقتل من يدافع عنه أو يأويه ، فالقى القبض عليه فقتل . ثم أرسل بلقين عشرة رجال من مدينة القيروان الى أهل باغاية يطلبون منهم أن يخضعوا لبلقين فقبلوا ، فأخرجهم بلقين من المدينة وخرّبها وما ترك الا ربهما .

هـ (وفاة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله :
وفي شهر ربيع الثاني من سنة 365/نوفمبر 974 توفي المعز لدين الله وخلفه ابنه العزيز بالله فبعث بلقين هدايا الى الخليفة ومن جهته بعث العزيز بدنانير مضروبة باسمه وأقر بلقين على ولاية افريقية وأضاف اليه مدن طرابلس واحداية
و (غزو المغرب الأقصى :
على قول ابن عذارى كان رحيل بلقين من افريقية الى المغرب يوم الاربعاء لخمس بقين من شعبان 368/27 مارس 979 وكان في جيش يشتمل على ستة آلاف فارس ففتح بلقين مدينة فاس بدون صعوبة وأقام بها مدة ثم توجه نحو سلجماسة حيث كانت زناتة اجتمعت ، فتغلب عليهم ، فقتل أمير مغراوة ابن خزر وملك سلجماسة وبلاد

تولتها زناتة من جديد ، وبعد فتح سجلماسة سار بلقين نحو الشمال فاعتل في الطريق بالقولنج وقيل خرج في يده بثرة فمات عنها .

هكذا توفي ابن زيري مؤسس الدولة الزييرية التي تولت الامر في افريقية الى منتصف القرن السادس الهجرى . الثانى عشر الميلادى . وأب حماد مؤسس الدولة الحمادية التي ملكت المغرب الاوسط حوالى قرن ونصف . فكان بلقين قائدا عظيما . قضى حياته فى الحروب فى سبيل توحيد المغرب من طرابلس الى المغرب الاقصى . وبجانب هذه الفضائل العسكرية ، أظهر بلقين فضائل ادارية واستراتيجية وسياسية عظيمة لانه رأى حسن موقع المدن الثلاثة التي أسسها : الجزائر ومليانة ولمدية .

الهبط كلها وطرد من مدنها عمال بنى أمية . ثم رحل الى سبتة فى طلب من لجأ اليها من زناتة ، فاستغاثت زناتة بالمنصور ابن أبى عامر حاجب الخليفة الاموى الحكم فخرج بمساكره الى الجزيرة الخضراء وجمع جيشا عظيما وأمر عليه جعفر بن حمدون صاحب المسيلة سابقا . وأمدته بمائة حمل من المال . فعبر الجيش البحر ووصل الى سبتة . وأما بلقين فكان سيره صعبا لانه وجد فى طريقه غابات مشتبكة الاشجار . فمضى بنفسه حتى أشرف على سبتة من جبل مطل عليها . فلما رأى معسكر زناتة - المراكب المشحونة بالمعدن تمر الزقاق بدون انقطاع - فاستيقن انه لن يقدر على فتح سبتة وقال : « هذه افعى ففرت اليها فاهاه وذهب الى مدينة البصرة وأميلة وحارب قبيلة نرغواطة وانتصر عليها وتوجه نحو سجلماسة التي



مدينة الجزائر في كتاب انجليزي قديم

من الكتب القديمة عن الجزائر كتاب ضخيم بالانكليزية طبع في لندن سنة 1731 ، وعنوانه « الكامل في تاريخ الجزائر » تأليف السيد جوزيف مورقان . ويقع في اكثر من 700 صفحة من الحجم الكبير . وهو في مجلدين : مجلد في تاريخ شمال افريقية عامة (بربرية BARBARY) من القدم العصور الى بداية القرن السادس عشر ، والمجلد الثاني وهو في تاريخ الجزائر خاصة ، من بداية العهد العثماني حتى زمن طبع الكتاب (1731) ويحتوي على جزئين : الاول من قدوم العثمانيين حتى تولى الحاج باشا (1545) والثاني منه الى بداية القرن الثامن عشر . وليس هذا اول كتاب بالانكليزية عن الجزائر ، ولكني لا اعرف انه ترجم كاملا او ملخصا الى الفرنسية ، فما بالك بالعربية .

د. ابو القاسم سعد الله

انه كان يكتب عن تجربة ذاتية . وانه كان يكتب نوعا من الذكريات والانطباعات . وسنرى أن هذا غير صحيح . وثانيها اقتناعه بأنه في استطاعته أن يكتب تاريخا عن الجزائر أكثر وضوحا وأوسع دائرة من أى تاريخ آخر كتب عن نفس الموضوع . فهو يعرف البلاد عن كتب ويعرف حياة المسلمين عامة ، ويريد أن تكون بلاده على علاقات طيبة مع هذه الجزائر القوية ذات الاسطول العظيم والسعة الواسعة والامكانيات الكبيرة . وهو رأى نجده في ثنايا الكتاب وسنتعرض اليه . وثالثها ، كثرة الاخطاء الفاحشة السائدة في بلاده عن يسمونهم « بالبرابرة » وعن أهمية الجالية التركية في « بربرية » (شمال افريقية) ، وبالاخص عن قراصنة الجزائر واسطولها . وهو لذلك يريد أن يصحح الاخطا . وأن يساهم في ازالة العراقيل وسوء التفاهم القائم بين مواطنيه وسكان شمال افريقية .

ومصادر مورقان كثيرة متنوعة . حقا انه اعتمد كثيرا على بعض المؤلفين الاسبانيين مثل ف . ديقو هايدو ، ولويس مرمول ، ولكنه كان دائما يحتفظ لنفسه بالرأى النهائي . كذلك اعتمد على لوجي دى تاسى الذى كان مثل ملك انكلترا للشؤون البحرية في هولانده . وأخذ عن الكاتب الدينى الاسبانى الدكتور بيرنادور الدريتى صاحب « اسبانيا وافريقية في القديم » ولم يأخذ كثيرا عن ليون الافريقى (الحسن الوزانى) لان مرمول استعار منه كثيرا ولان وجه بربرية قد تغير منذ عصره . وأخذ مورقان أيضا عن مؤلفين آخرين أمثال ب . دان ، قراميسى GRAMAYE ودافيتى DAVITY ودابسر

ومؤلف هذا الكتاب عاش سنوات طويلة في الجزائر ، وتولى فيها بعض المهام في قنصلية بلاده عندنا في عهد القنصل البريطانى العام ، السيد روبير كول R. COLE الذى اقام في مدينة الجزائر أكثر من أربعين سنة . وكان على اطلاع بأحوال البلاد عامة في ذلك الحين ، فقد كان يحسن ، كما يظهر من الكتاب ، اللغة العربية ويعرف التقاليد الاسلامية وكان كثير التجوال في مختلف أجزاء الجزائر يريد التعرف على أهلها وتقاليدهم . وقد ذكر أنه زار الجزيرة المواجهة لمدينة الجزائر عدة مرات ، كما زار قسنطينة وغيرها . وكان يتصل بالمرابطين ويستمع الى أقوالهم ويتعرف على علاقاتهم بالشعب . وله كتاب عن الاسلام : أشار الى الجزء الثانى منه فى الكتاب الذى تتناوله (ص 487) وسماه « التصريف بالاسلام » MOHAMEDISM EXPLAINED ، وانتقد دى تاسى الذى كتب أيضا عن الجزائر بأنه لا يعرف عادات المسلمين (239) . وقد نشر عملا آخر عن الجزائر فى لندن سنة 1680 . وكثيرا ما كان يصحح نطق وأخطا المؤرخين الآخرين عند ما يتعرض الى أسماء القبائل والاشخاص المحليين . ورغم أننا عدنا الى بعض المظان التى تحتوى على تراجم الانكليز فإننا لم نستطع أن نعرف عن حياته أكثر من هذا القدر . فلم نعرف مثلا متى ولد أو توفى . وكل ما نستطيع الجزم به الآن هو أنه قد عاش فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادى .

وهناك عدة أسباب دفعته الى الكتابة عن الجزائر ، أولها وجود لذة شخصية فى كتابة تاريخ بلاد وشعب قضى بينهم كثيرا من سنوات حياته . ويتضح من هذا

خاصة والمسلمين عامة عبارات جارحة قاسية متأثرين في ذلك بأقوال ودعايات الكهنة الاسبان المفرضين الذين كانوا يشيرون آلاف الحكايات الخرافية لكي يحصلوا على المساعدات المالية والسياسية لتخليص الاسرى المسيحيين من أيدي المسلمين .

وحاول مورقان أن يصحح هذه الصورة الخاطئة عن الجزائر ، فقال انه كان في امكانه أن يأخذ عن تلك المصادر ويكتب تاليفا كالأخرين ، ولكنه شعر ان له اشياء كثيرة خاصة يريد أن يقولها ، ولذلك عزم على تأليف كتاب يحمل شخصيته وآراءه ويقدم تاريخ الجزائر ، شاملا كاملا ، الى مواطنيه والى الاروبيين عامة لكي يعرفوا الحقيقة . وقد استجاب لرغبة بعض أصدقائه فكتب قسما مدخليا للكتاب تناول فيه التاريخ العام لبربارية (شمال افريقية) منذ القديم حتى بداية القرن السادس عشر . وقد افتتح كتابه بمحاولة تصحيح الصورة التي رسمها رجال الدين في أوروبا عن الجزائر ، فقال في المقدمة ان الجزائر مشهورة بحكومتها القوية ، وانها قد وقفت أكثر من قرنين ضد هجومات كثيرة وانه ليس هناك اليوم ما يجعلها في خطر من تلك الهجومات ، وقال انه من حق الجزائريين أن يكونوا شعبا بحريا قويا ، ليس كل قادة أوروبا ينشدون صداقتهم ويتوددون اليهم ؟ « فهم شعب يعقد السلام ويعلن الحرب مثل الامم الاخرى ، وهم دائما في وضع يفرض على غيرهم احترامهم وتقديرهم » (ص 4) . وعاب مورقان على من يقول ان الجزائريين عبارة عن عصابة من القراصنة الجبناء تكفى ست سفن

DAPPER وهكليت HAKLYVT وكان ينقل أيضا عن ابن الرقيق القيرواني وغيره من كتاب المغرب الوسيط ، ولكنه كان يأخذ بطريقة غير مباشرة . وقد رجع أيضا الى بعض الموسوعات التاريخية واللغوية . ولم يخل الكتاب من الاستفادة من كتب القدماء أمثال مؤلفات العهد الروماني (سالوست وسترابو ، الخ) .

ولكن مورقان كان كثير النقد لمصادره . وكان يشعر أن الاروبيين الذين سبقوه بالتأليف كانوا مدفوعين بروح الجهل والحقد الديني والاحكام المسبقة . لذلك انتقد يدو ، رغم انه يعترف له بالفضل وقد اسماه مرشده في عمله ، فقال ان كتابه يقوم على فكرة ثلاثية هي الاسر والشهداء والمرابطين (أسر المسيحيين من طرف الجزائريين وموتهم شهداء في أيدي المسلمين ودور رجال الدين المسلمين في الجهاد) ، وهي فكرة حسب رايه ، تافهة ، واتهمه بضيق الافق والمحاباة الدينية والكتابة لهدف موجه . كذلك انتقد مرمول واتهمه بعدم التجرد من الهوى الديني وبكثرة الاخطاء ولاسيما عند ما يتحدث عن السكان والبلاد . وانتقد ليون الافريقى بأنه ، رغم أن كتابه قد طبع سنة 1525 وترجم الى عدة لغات (منها الانكليزية سنة 1600) فانه قد تجاوز الزمان ، ومن جهة أخرى قال عنه أن شهرته قد جعلت الناس يعتقدون خطأ أنه المصدر الاساسي الوحيد عن تاريخ بربرية . واتهم لوجي دى تاسى بأنه كان يجهل احوال وعادات المسلمين . وقال عن الجميع بأن لهم أفكارا مسبقة خاطئة عن الاتراك والمسلمين ، وانهم يستعملون ضد الجزائريين

السادس عشر . عند ما أصبحت الجزائر تحت النفوذ التركي .

ويحتوى هذا المدخل على 207 صفحات . وتظهر فيه أيضا شخصية المؤلف بنقده للمصادر ودراسته لتاريخ الاسلام ومعرفته لتقاليد السكان .

ويأتى بعد ذلك المجلد الثانى ، وهو خاص بالجزائر . وعنوانه : « الكامل فى تاريخ الجزائر والاقليم التابعة لها منذ استيلاء الاتراك عليها » . ويقع فى جزئين كما سبق أن أشرنا . الجزء الاول يضم ستة فصول نوجزها فيما يلى :

الفصل الاول : الجزائر فى القديم . أساؤها والثورات التى وقعت فيها وأوضاعها العامة .
الفصل الثانى : معلومات عن القرصان الشهير عروج باربروسة قبل استيلائه على الجزائر .
الفصل الثالث : تاريخ عروج باربروسة الى وفاته ، وكيف وقعت الجزائر فى يد الاتراك .
الفصل الرابع : خير الدين باشا ، والى الجزائر الاول باسم السلطان العثمانى .

الفصل الخامس : حسن آغا ، خليفة خير الدين باشا .

الفصل السادس : عهد الحاج باشا (يدعى كذلك واسمه الحاج بشر - أو بشير - بن عطية - أو عطاء الله) .

وهو جزء صغير الحجم اذا قيس بالجزء اللاحق أو حتى المدخل . اذ تبلغ صفحاته حوالى 59 (ص 211 - 252) .

لتخريب مدينتهم عليهم . وقال ان أمثال هؤلاء لا يعرفون أن ارمادة (اسطول) فيليب الثانى الاسبانى ضد بريطانيا (سنة 1588) لم تكن شيئا يذكر بالمقارنة الى ارمادة شارل الخامس التى تحطمت امام مدينة الجزائر سنة 1541 أو الى الاساطيل الاخرى . الاسبانية والانكليزية التى تحطمت امام هذه المدينة التى لا تقهر . وقد ضرب مثلا على ذلك بتغلب الجزائريين على الاسبان فى مستغانم حينما أسروا منهم 12,000 من أصل 16,000 من بينهم ابن حاكم وهران الاسبانى ، وحملوهم الى مدينة الجزائر ، وضرب مثلا آخر على قوة الجزائريين باخراجهم الاسبان من وهران سنة 1708 بعد أن ظلوا بها قرنا وبعد أن كانت محروسة بحوالى عشر قلاع ، وبحامية قوية .

وقد قسم المدخل (أو المجلد الاول) الى ستة أقسام ، نوجز عناوينها فيما يلى :

القسم الاول : عن أصل سكان البلاد (شمال افريقية)

القسم الثانى : عن قرطاجنة وامبراطوريتها
القسم الثالث : عن الاقاليم الرومانية فى شمال افريقية الى الهجوم الوندالى

القسم الرابع : تاريخ بربرية من الوندال الى الفتح الاسلامى

القسم الخامس : شهادات عن استبداد وظلم الرومان وشرور المسيحيين الافريقيين التى أدت الى سقوط تلك الاقاليم

القسم السادس : تاريخ بربرية الى القرن

الفصل الثامن عشر : عن القراصنة الجزائريين وقوتهم البحرية .

الفصل التاسع عشر : عن شؤونهم البحرية الى فشل حملة السير روبر مانسيل الانكليزية الفصل العشرون : مقتطفات من يوميات الحملة الانكليزية الفاشلة ضد الجزائر بقيادة السير روبر ما نسيل .

وينتهى الكتاب بملحق طويل (12 صفحة) يضم مساعدة الصلح والتجارة التي أبرمت بين الجزائر وانكليترا سنة 1682 وجددت سنوات 1686 ، 1700 ، 1703 ، 1716 . ويلمح آخر في نفس الموضوع بين انكليترا وتونس من جهة وانكليترا وطرابلس من جهة أخرى . ويحتوى هذا الجزء على حوالى 340 صفحة . ولا يكتفى مورقان بذكر أسماء الباشوات ولكنه يتحدث عن أعمالهم خلال ولايتهم ومنشأاتهم وعلاقاتهم الخارجية وصلاتهم بالسكان وبالوجع العثماني . كما يتتبعهم في مختلف مراحل حياتهم حتى بعد أن يتركوا الحكم ولا يهمل جانب السكان أثناء حديثه عن الولاة غير أن كتابه يظل كتابا سياسيا بالدرجة الاولى .

وهناك حادثتان هامتان ذكرهما مورقان تتعلقان بالتاريخ البحرى للجزائريين : **اولاهما** حادثة غريبة تستحق الوقوف والدرس والبرهان وهي أن الجزائريين كانوا مزارعين في امريكا . لهم املاك زراعية ضخمة ولهم خدم من الزنوج يعملون في مزارعهم (ص 517) وهو يستغرب من ذلك ، رغم انه كثيرا ما سمع عنه لان الجزائريين لم يكونوا يملكون عندئذ السفن

أما الجزء الثاني فضخم وفيه تفاصيل أكثر ، وهو يتدىء بالفصل السابع :

الفصل السابع : حسن باشا بن خير الدين (المعهد الاول)

الفصل الثامن : صالح رايس ، أول عربي يحكم الجزائر

الفصل التاسع : الباشوات : حسن قورصو و تاكارلى ، و يوسف ، والقائد يحيى .

الفصل العاشر : الباشوات : حسن بن خير الدين (المعهد الثانى) وحسن آغا ، ومحمد خوجة ، واحمد ، والقائد يحيى (المعهد الثانى)

الفصل الحادى عشر : حسن باشا بن خير الدين (المعهد الثالث) الجزائريون وحصار مالطة .

الفصل الثانى عشر : محمد باشا بن صالح رايس . على باشا الفرطاس .

الفصل الثالث عشر : عرب أحمد ، ورمضان باشا .

الفصل الرابع عشر : حسن باشا (المعهد الاول) وجعفر آغا .

الفصل الخامس عشر : حسن باشا (المعهد الثانى) . مامى باشا الارناووطى .

الفصل السادس عشر : أحمد باشا ، خضر باشا (المعهد الاول) .

الفصل السابع عشر : شعبان باشا ومصطفى باشا (المعهد الاول) وخضر باشا (المعهد الثانى)

عاقته تصحيح الاخطاء الشائعة عن الجزائريين بحكم تجربته الطويلة معهم . يجيب هؤلاء ، بأنه من حق الجزائر أن تدعى القدم والشرف معا ، ومن حقها أن تحتل مكانة بارزة بين أنبل مدن العالم . ليست على انقراض (قيسرية) الرومانية ؟

أن هناك عدة آراء حول أصل مدينة الجزائر . فبعضهم يدعى انها مبنية على انقراض قيسرية الرومانية . وبعضهم يدعى أن قيسرية هذه تقع في مكان آخر من الساحل غير مكان مدينة الجزائر الحالي . بل ان آخرين يذهبون . جهلا منهم حسب رأى المؤلف . الى أن قيسرية مدينة داخلية . ناسين انها كانت ساحلية غير أن الناظر المدقق في موقع وشكل مدينة الجزائر الحالية يذهب الى ما ذهب اليه مورمول أن قيسرية القديمة تقع غرب مدينة الجزائر الآن وان اسمها الافريقي هو (تاكدامت) . وانها هي كل ما بقى من تلك المدينة الشهيرة التي اختارها الملك يوبا الثاني لتكون عاصمته رغم اتساع أطراف مملكته . وان الملك يوبا الثاني هو الذى أعاد بناءها ونبهها وأطلق عليها اسم ولى نعمته ، يوليس قيصر . أما ابن الرقيق فيؤكد أن اسمها القديم هو قيسرة (أو قيسرة ؟) ولكن المؤلف الانكليزي يقول انه لم يسمع بأن احدا غير ابن الرقيق قد أخذ بهذا الرأى . وعلى أية حال فإن آثار تلك المدينة (تاكدامت) تشهد على عظمتها . ويبلغ محيطها حوالى اثنى عشر ميلا .

ولكن ليس هناك ما يشير بالتأكيد الى أن مدينة الجزائر الحديثة قائمة على انقراض قيسرية العتيقة التي كانت ذات يوم مقرا لملك عظيم . وعاصمة

القادرة على قطع المحيط . والحادثة الثانية أقل غرابة لانها ليست جديدة فى حد ذاتها ولكن المؤلف قد أعطاها كثيرا من الاهتمام وتتبع صاحبها بتفصيل خاص ، وهى دخول مراد رايى المحيط لأول مرة ووصوله الى جزر الكنارى سنة 1585 . يتحدث مورقان عن ذلك فيقول : انه أول جزائرى دخل المحيط وأغار على هذه الجزر وان رحلته قد استغرقت أكثر من أربعة أشهر . وانه غنم غنائم ضخمة وأسر فيها أكثر من 300 أسباني بما فيهم زوجة حاكم تلك الجزر . وان الجزائريين قد احتفلوا احتفالا عظيما بعودة مراد رايى سالما غانما وانهم كانوا يلقيونه « بالكبير » . لانه أول من دخل منهم المحيط هذا فى القرن السادس عشر . أما اليوم ، (زمن المؤلف) فان دخول الجزائريين المحيط أصبح أمرا عاديا (ص 589) ولا نظن أن مورقان أول من أشار الى هذه القصة . فقد يكون ناقلا لها عن هايدو . ولكنه يرويهأ بشئ من العطف والاعجاب ببطلها خلافا للمؤلفين الآخرين الذين أعماهم التعصب الدينى ، كما يقول . عن رؤية الحقيقة .

وتحتل مدينة الجزائر . كما يلاحظ المرء من الفصول . جزأ ضئيلا من هذا الكتاب الضخم . ولكن المؤلف يتحدث عنها حديثا جديرا بالوقوف عنده . ويبدأ بذكر الاقوال الشائعة عنها عندئذ لدى مواطنيه الانكليز خاصة والاروبيين عامة . فهى عندهم مدينة الرعب ، وملاذ قطاع الطرق وطلاب الغنائم الذين لا يكتفون بارهاب جيرانهم . بل هم الاعداء الالدا . للمسيحيين وتجارتهم . انها حسب رأى البعض « عش المغاريت » ولكن المؤلف . الذى أخذ على

اليوم وهو مظهر حديث ، لا يدل على انها قد ظلت فارغة من السكان فترة طويلة . وعلى كل حال فان اعترافنا بشرف وقيمة الآثار القديمة التى كانت تحويها يجعل من الظلم والاحجاف أن ننازع مدينة الجزائر اليوم (القرن 18) هذه العظمة الموروثة . ذلك اننى (المؤلف) ارى أن نحارب العدو بكرم ، وأن نعمل على هدى المثل القائل «اعط الشيطان حقه !» ومادامت المصادر تثبت أن قيصرية قد بنيت على انقاض يول القديمة ، فان ذلك يكفى دليلا على شرف وقيمة وعظمة مدينة الجزائر الحالية.

أما اسم مدينة الجزائر فى التواريخ الافريقية (الاسلامية) فهو مزغنة . وهو الاسم الشائع اليوم لدى السكان . ولكنهم يستعملونه بشئ من المضمض لانهم يعرفون انهم ينطقون اسما اقل أهمية من اسمها القديم (قيصرية) . وكل من ليون الافريقى ومرمول استعمال اسم مزغنة لمدينة الجزائر. ولكنهما لم يتفقا على شكل كتابته . وقد قلدهم الكتاب الآخرون . ويؤكد الافريقيون (المسلمون) . أن المدينة كانت أصلا لبنى مزغنة (يكتبها مورقان هكذا : MUZGUNNA مزقنة - بضم الميم والقاف المعقوفة) ، وهم شعب ليبي قديم ، ولا يعرف من أى قبيلة هم . وقد أنشأوا المدينة (لا يذكر تاريخ الانشاء) وسكنوها قبل أن يأتى الرومان هناك بعهد طويل وأطلق عليها العرب اسم جزيرة (هكذا بالمفرد) بنى مزغنة . أما اسمها الحالى فهو الجزيرة (بالمفرد أيضا) . وهو اسم محرف حتى عند الذين يعطونها هذا الاسم . فالعرب (البدو) وأهل الحضر يسمونها (تيزير) ، والترك غيروا المفرد

لأقاليمه الواسعة ، والتى كانت خلال قرون مستعمرة رومانية تمثل رأس اقليم شاسع مزدهر . والواقع ان فى مدينة الجزائر الحالية (زمن المؤلف) بعض الآثار القديمة ، ولكنها ليست بشئ هام اذا ما قورنت بآثار المدن القديمة الاخرى فى العالم . واذا كانت مدينة قيصرية قائمة فيما هو الآن مدينة الجزائر ، فكيف نفعل مع كاتب آخر ، يعتبر عمدة فى آرائه . وهو سترابو STRABO الذى يؤكد ان الملك يوبا الثانى قد أعاد بناء مدينة يول VOL وأطلق عليها اسم قيصرية ؟ ويؤكد سترابو كذلك انه كان امام قيصرية جزيرة صغيرة . وقد لاحظ المؤلف ان مدينة الجزائر الحالية تقع امامها هذه الجزيرة الصغيرة ، بينما لا يوجد مثلها امام تاكدامت أو امام أى مكان آخر على الساحل تحدث عنه الجغرافيون .

ورغم شهرة مدينة الجزائر وعظمتها اليوم (القرن 18) عند الاروبيين . فانه من الغريب حقا أن لا يعثر فيها الباحث على أى رسوم خطية أو تمثال ، أو حتى آثار باقية من قوس نصر . أو شئ يشبهه . ذلك ان المؤلف كان كثير الاهتمام بهذا الموضوع والبحث عنه ولكنه لم يستطع خلال اقامته الطويلة بمدينة الجزائر أن يرى أو يسمع عن وجود آثار قديمة عثر عليها أثناء وضع أسس البنايات أو حفر الآبار، أو نحو ذلك من أعمال التنقيب . وقد استنتج من ذلك أن ما وقع لقيصرية القديمة لم يكن مجرد تخريب جزئى ، ولكنه كان تخريبا كاملا مع حقد شديد ! ويبدو أن مدينة الجزائر القديمة قد عانت من ظلم الحكام الطغاة مما أدى الى تخريبها وافراغها من سكانها وسلبها من ماضيها العظيم. ولكن مظهرها

والاضطرابات التي شهدتها المدينة منذ القديم حتى القرن السادس عشر . فقد ذكر أن النشائر فيرموس . وهو من السكان الاصليين . قد خرب قيصرية (215) . واستعرض الامراء والحكام الذين يسميهم «طفاة» والذين تداولوا على حكم الجزائر كالوندال والفاطيين والمرابطين والموحدين الخ . وتعجب كيف يخربون المدن بعد أن أوقعها السيف تحت سيطرتهم . ولكن المؤلف أكد انه لم يعثر على مصدر يقول بأن مدينة الجزائر ، منذ قيصرية ، قد خلت من سكانها فترة طويلة . غير انه يرى انها منذ العهد الروماني ، لم تزدهر كعاصمة لاية مملكة أو حتى لأقليم كبير . وما غامر به من ان اسمها قد يكون مشتقا من اسم الزيريين مؤسس بجاية ومن أنها ربما كانت عاصمة لهم ، هو مجرد تخمين قائم على التشابه في الاسم وليس له مصادر على ذلك (ص 172) . وقد استنتج من ذلك أن مدينة الجزائر كانت مسرحا لعدة ثورات واضطرابات منذ العهد الروماني حتى ثورة (هكذا يسميها) القرصان عروج باربروسة سنة 1516 (ص 216) . ثم صور مورقان الصراع الثلاثي على مدينة الجزائر في بداية القرن السادس عشر . فهؤلاء الجزائريون الذين يريدون الحفاظ على سيادتهم واستقلالهم في مدينتهم بعد أن استولى الاسبان على بجاية وطردوا ملكها الذي كانت له السيادة على مدينة الجزائر ولم يتوانوا (الجزائريون) من أجل ذلك الهدف في دعوة الشيخ سليم بن التومي (هكذا يذكره) زعيم قبيلة التاتيج TATIE (هكذا أيضا) في متيجة ليكون سيذا عليهم . وعند ما قبل

العربي الى جمع . فهم يسمونها (الجزائر) . ولكن الافريقين (أهل المغرب الأقصى) قلبوا الجيم الحفيفة (ج ژ) الى جيم ثقيلة (ج G) على عادتهم في ذلك فهم ينطقونها جزائر GEZEIR وللاروبيين اسما مختلفة يطلقونها على مدينة الجزائر ، فهي عندهم الجي ALGER والجيري ALGERI وأرجير ARGIER والاسبان خصيصا يطلقون عليها اسم ارخيل ARGEL (وأحيانا ARJEL) . ولكن الانكليز والهولانديين فقط هم الذين يطلقون عليها اسم الجيرز ALGIERS .

ومن جهة أخرى يطلق الترك عبارة مغربلى (مغربى) على السكان الواقفين غرب الحدود المصرية . وعبارة جزايرلى (جزائرى) على سكان الجزائر . بينما ينسب المغاربة الى الجزائر هكذا : جزيرى GEZEIRI . أما بقية الحضر والعرب الافريقين

فيقولون تزيرى TZEIRI أو زيرى ZEIRI وهو نفس الاسم الذى أطلق على أسرة بنى زيرى (الدولة الزيرية) . وقد أغامر (المؤلف) فأقول انه يبدو لى أن اسم المدينة المحرف اليوم قد استعير من اسم هذه الأسرة . بدل أن يكون مأخوذا من اسم الصخرة (الجزيرة) المواجهة لها ، بل من الممكن أن يكون الاسم الشائع اليوم (القرن 18) محرفا عن (قيصرية) . أما الذين يزعمون أنها سميت (الجزائر) لانها تقع تقريبا في مواجهة (جزر البليار) ، فأننى (المؤلف) أرى أن رأيهم سخيفا ولا أساس له على الإطلاق .

وبعد هذا الحديث الطويل عن أصل اسم مدينة الجزائر ومشتقاته يتحدث المؤلف عن بعض الثورات

مدينة الجزائر في كتاب انجلىزى قديم

الذين بنوا قصبة مدينة الجزائر لكى يقيم فيها ولاتهم وعند ما أصبح سليم بن التومى زعيم المدينة جعل قصره فى هذه القصبة ولكنه لم يمتع طويلا بزعامته . وتقع المدينة فى خليج واسع وقد بنى جزء منها على أرض منبسطة تنتهى بالبحر عند سفح الجبل . أما الجزء الآخر فبنى على منحدر يمتدى . حيث ينتهى الاول ويمتد على 21 درجة و 20 دقيقة طولاً . و 36 درجة ، و 30 دقيقة عرضاً . وهذا طبقاً لآخر المعلومات لان بعض المؤرخين والجغرافيين يختلفون فى درجة أو أكثر أو أقل (ص 220) .

ويسير مورقان على منهجه الذى رسمه لنفسه فيذكر لنا أهم الأعمال التى قام بها كل باشا فى مدينة الجزائر . فهذا حسن باشا بن خير الدين بنى سنة 1550 قلعة عظيمة فى المكان الذى نصب فيه شارل الخامس (1541) خيمته . وبنى ما يشبه المستشفى لمدواة الجرحى والمرضى من الجيش . كما بنى حماماً عاماً فخماً على غرار ما فعل والده فى مدينة اسطانبول (ص 368) . كما ترك فى المدينة زوجته الجزائرية وابنها ، وترك لهما عدداً كبيراً من الارقاء والثروات (ص 475) . وهذا مثلاً عرب أحمد باشا الذى بنى برجاً وأصلح من شأن سور باب عزون . وأقام عينا جارية تجتمع فيها العيون القريبة كما بنى برج الفنار على الجزيرة (الحصن) التى كانت خارج المدينة وأنشأ عينا أخرى كبيرة أمام باب الواد . وكان يقف على هذه الأعمال بنفسه . وهكذا . الى أن يأتى المؤلف على ذكر الباشوات الذين أشرنا اليهم فى الفصول . وبذلك أصبحت مدينة الجزائر لا تطاول ثروة وشهرة وعظمة . ويؤكد

استقبلوه فى فرح وغبطة وقرروا قطع الجزية التى فرضها عليهم الاسبان منذ 1509 . ومن جهة أخرى هناك الاسبان الذين ذهب بهم الطموح كل مذهب وقادهم الحقد الدينى الى طرد المسلمين من بلادهم ، ثم احتلوا المدن والمراكز الساحلية فى بربرية . بما فى ذلك بجاية ووهران والصخور (الجزر) التى كانت أمام مدينة الجزائر . وفرضوا على أهل هذه المدينة جزية ثقيلة . وأقاموا أمامها حصناً قوياً يحميه مائتا جندي ، فكانت فى الحقيقة محاصرة لا يدخلها الداخل أو يخرج منها الخارج الا برضى الاسبان . واخيراً هناك القراصنة الاتراك بقيادة الاخوان باربروسة يجوبون غرب البحر الابيض . وقد استطاعوا أن يشتبوا أقدامهم فى جزيرة جربة وفى مدينة جيجل وغيرهما ، وان يكسبوا عدة جولات ضد الاسبان . وبذلك جعلوا أنفسهم قوة ثالثة يلتجئ اليها المغلوبون والضعفاء . ولم يتردد سليم بن التومى ان يستنجد باسم سكان مدينة الجزائر . بهؤلاء المسلمين الاتراك الذين جعلوا همهم ملاحقة الكفار الاسبان . فأنجدوه وتعاون الطرفان ضد العدو المشترك ، ولكن الاتراك جعلوا من مدينة الجزائر مركزاً لنشاطهم وعاصمتهم لأقاليمهم وتخلصوا من كل وقف ضد هذا التيار . واستمر الامر كذلك الى زمن المؤلف .

وشكل مدينة الجزائر اليوم (زمن المؤلف) هو بالتقريب شكلها فى بداية القرن السادس عشر . فأسوارها ظلت كما كانت . ولكن أضيفت اليها تحصينات جديدة . غير أن ضواحيها القديمة الكثيرة قد اختفت الآن . وكان ملوك تلمسان هم

ضخامة حجمه وصعوبة لفته . وعسى أن يوفقنا الله الى ذلك . اما الآن فحسبنا هذه المعلومات عن مجتواه العام وعن رأى المؤلف فى مدينة الجزائر بالذات .

اكتفينا بعرض آراء المؤلف دون التعليق عليها ، لان التعليق عليها يجعلنا فى الواقع نعيد كتابة تاريخ الفترة كلها .

مورقان (نقلا عن هايدو) انها قد أصبحت مطمح أنظار المشاركة الذين كانوا يقصدونها لثروتها وجمالها الطبيعي ، كما كانت أمريكا بثروتها وجمالها تحمل الاسبان على قطع المحيطات (ص 354) .

ولعله من الواضح ان هذا الكتاب ، بما فيه من معلومات سياسية واقتصادية ، وبما يحتويه من آراء غير متعصبة نحو البلاد وسكانها ، خلافا لما جرت به العادة عندئذ ، جدير بالترجمة كاملا رغم



الحياة الاجتماعية

في مدينة
الجزائر

إبان
الاحتلال

من الملاحظ ان الباحثين الجزائريين قد بدأوا يهتمون بدراسة ماضي الجزائر ، الا ان اهتمامهم لم يتعد - للأسف - الناحية السياسية . فاذا استثنينا بعض الاشارات العابرة ، فاننا لا نكاد نعر على كتاب يقدم لنا صورة عن المجتمع الجزائري في عصوره المختلفة . ومن ثم بقيت جوانب أخرى من حياة الجزائر لاتزال تنتظر من يكشف عنها ويعنى بدراستها دراسة تفصيلية . فليس في الامكان معرفة مجتمع ما دون معرفة تاريخه . فتاريخ المجتمع هو الذي يبين لنا مقدار نموه وتطوره خلال المراحل التي مر بها ، كما يوضح لنا مدى استجابته لانماط الحياة التي خبرها نتيجة احتكاكه بالغير واطلاعه على نظمته وتقاليد وثقافته .

د. ابوالعيد دودو

1841 . قدم لنا فيه الصورة التالية عن الحياة الاجتماعية في الجزائر .

القضاة :

بعد أن يتحدث «فاغنز» عن المحكمة العسكرية الفرنسية ، ينتقل الى الحديث عن المحكمة الشرعية الاسلامية التي كانت تقع في أحد شوارع باب الواد الجانبية . ويصفها بأنها لم تكن تقل مكانة ومنزلة عن المحاكم الفرنسية . ثم يذكر أن القاضي المالكى يمثل الجانب الديوى بالنسبة للمسلمين في حين أن المفتى الحنفى يمثل الجانب الدينى . ويقول ان هذا المنصب كان يتقلده أيام زيارته للجزائر واقامته بها الشيخ سهدى أحمد بن جعدون ، وهو رجل يبدو عليه الوقار . ويزيد من رفعة قدره ما يرتدى من ثياب فاخرة .

والقاضي المالكى يعقد جلسته في قاعة بسيطة . تغطي أرضها الزرابى ، ويتميز عن غيره من المحاضرين بعلمته الكبيرة ، التي تحتوى على ثنايا كثيرة ، غير أنه لا يختص بهذه العمامة ، اذ يشاركه فيها رجال الدين من أئمة وعلماء وقراء ومرابطين بالإضافة الى معاونيه من الكتاب والمحبرين . ويتخذ القاضي مكانه فوق مقعد عال عند نهاية مائدة بيضوية الشكل . وأمامه نسخة من القرآن مذهبة الجلب . وعن يمينه وشماله كتابه الذين يقومون بتسجيل محاضر الجلسات ، ويتولون اعداد الوثائق الخاصة بعقود البيع وغيرها من الملفات الرسمية . ويتوجهون بالنصيحة الى القاضي في المسائل التي تشكل عليه ويوجد من هؤلاء في الجزائر حوالى اثني عشر كاتباً . يقومون بعملهم بالتناوب في أيام معينة . ولأغلبهم

والقيام بمثل هذه الدراسة يتطلب الاطلاع على ما كتبه الرحالون الاجانب عن المجتمع الجزائري ، وجمع مادتها وتصنيفها . ثم تحليل نفسية هذا المجتمع على أسس علمية متينة للوصول الى نتائج تتعلق بالمرحلة التي وصل اليها . وقلة المراجع العربية . أو بالأحرى انعدامها التام ، يبرر الاهتمام بما انطبع في نفوس هؤلاء الاجانب عن الجزائر في فترات تاريخية . طويلة أو قصيرة ، فحرصوا على تسجيله ليطلع عليه مواطنوهم في حينه . ونستفيد نحن منه في المراحل التالية ، خاصة وانه لم يعد هناك ما يحول بيننا وبينه . ففي وسع مؤسساتنا أن تقوم بتصوير مختلف الكتب ، التي تتحدث عن ماضى الجزائر ، ووضعها تحت تصرف الباحثين والدارسين ليأخذ كل منهم ما يقع في دائرة تخصصه .

وكاتب هذه السطور ليس باحثاً اجتماعياً ولا مؤرخاً . ولذلك يكتفى بتقديم الصورة التالية عن المجتمع الجزائري وحياة أفراده ، وتوصيلها الى المتخصصين توصيلاً أميناً . اعتماداً على ما كتبه (موريتس فاغنز) . الرحالة الالماني الذي عاش في الجزائر حوالى سنتين (1836 - 1838) . انضم خلالها الى أعضاء البعثة العلمية الفرنسية ، وشارك في بعض الحملات . منها حملة قسنطينة ، وزار مناطق مختلفة من البلاد الجزائرية . منها المناطق التي لم تكن قد وطئتها آنذاك أقدام فرنسية . حيث أتيح له أن يزور ولاية معسكر تحت حماية خليفة الامير عبد القادر . وقد تحدث عن هذا كله وغيره في كتابه « رحلات في ولاية الجزائر » الذي أصدره عام



الزى الجزائرى فى العاصمة

لهم بها على الإطلاق ، خاصة حين يكون النساء طرفا فى النزاع . ان براعتهم فى الحديث ، والحركات التى تصدر عنهن فى أثناء ذلك ، وهدوء القاضى الذى يترك المتخاصمين يتراشقان بالكلمات دون أن يبدى حركة تدل على سأم أو ملل ، كل هذا يكون مشهدا لا مثيل له . وليس هناك حادث يسكن أن أن يخرج القاضى عن هدوئه ، فهو يستمع الى الاصوات المتراشقة مطرقا وفى هدوء تام ، ويلقى على أحد المتخاصمين بين الحين والآخر سؤالا ، ويستنطق الشهود ان وجدوا ، ثم يصدر حكمه فى

لحى كبيرة ، وملامح لينة حيناً ، ومرعبة حيناً آخر ، حسب ما يوجد . فى طبائعهم ومظاهرهم من فروق (ج I ص 62) .

وحين يدخل الشاوش أو خاد� المحكمة المتخاصمين ليمثلا أمام القاضى ، يقفان فى النهاية الاخرى من المائدة . اما اذا كانا من النساء ، فانه لا يسمح لهن بالدخول الى قاعة المحكمة ، وانما يتحدثن الى القاضى من وراء قضبان نافذة الفناء . وكثيرا ما تكون هذه المرافعات شيقة حتى بالنسبة لاولئك الذين لهم المام قليل باللغة العربية أولا معرفة

الاسواق :

وتوجد في الجزائر بعض الاسواق ، يعرض فيها الغرباء بضائعهم ، وهي لا تشبه تلك الاسواق الضخمة ، التي كانت موجودة قديما في بغداد أو في طهران ، والتي تحدث عنها المؤرخون العرب . ان أسواق الجزائر لا يمكن أن تقارن حتى بأسواق ازميز أو القسطنطينية ، مع أن هذه ليست لها أيضا تلك الفخامة التي عرفتها الاسواق القديمة والتي تمثلت في المنتجات الشرقية الرائعة ، أسواق الجزائر فقيرة بجانب تلك الاسواق ، وهي عبارة عن دور تشبه الدور العربية ، مع فارق واحد ، وهو أن جانبي الفناء يحتويان على حجرات ، الواحدة منها منفصلة عن الاخرى ، ولكل سوق طابقان أو ثلاثة وغرف كثيرة . والعادة المتبعة منذ القديم هي أن الاجنبى أو الجزائري أو اليهودى يكترى فى السوق محلا أو عدة محلات بمجرد حصوله على رخصة بذلك ، ويعرض فى أبوابها بضاعته . ولم يكن يعدم من يزور محله ، الا ان زواره كانوا يكتفون بتقليب البضائع ، وقلما يشترون شيئا منها . فالتجارة لم تكن فى يوم ما بالجزائر مربحة . فكان الثراء فيها نادرا مثل ندرة الحكم بالاعدام تقريبا ، وذلك لقلّة المبيع .

وكانت للجزائر أسواق تحتوى على أكثر من أربعين محلا ، الا أن القسم الأكبر منها ، بل أجملها وأجدرها بالاعتبار ، قد هدم ، وقامت فى مكانها محلات ودكاكين يملكها تجار أروبيون . أما دكاكين التجار من الاهالى ، التي تقع خارج هذه الاسواق ، فانها صغيرة وتافهة ، فليس فيها تنوع فى البضائع .

القضية بكل رزاة ووقار ، فيقبل حكمه دون أن يبدى أحد الطرفين رغبته فى استئناف الحكم ، وينحنى الخصوم لتقبيل يده قبل الحكم وبعده . وينفذ الحكم عادة فى الحين وفى المكان نفسه .

ويعاقب المذنبون فى الغالب بالضرب على الارجل وهم يفضلون الفلقة على السجن وقد حاولت الحكومة الفرنسية أن تبطل هذا النوع من العقاب ، الا انها لم تلق أى تأييد من طرف الاهالى ، مما حملها على أن تتخلى عن محاولتها . فالاهالى لا ينظرون فيه الا الى الالم الجسمى ، لان المذنب تبقى كرامته محفوظة بعد أن ينال العقاب الذى يستحقه . وكان هذا النوع من العقاب مستعملا فى أيام الداي أيضا ضد أى موظف ، ولو كان وزيرا . فاذا ارتكب هذا الوزير ذنبا ، فانه ينال عقابه بالفلقة ، ثم يعود الى اهله وأحبابه ليجد مشاعرهم نحوه كما تركها . فهذا العقاب لا يلصق به أى عار . أما دخول السجن فان الجزائري كان يخافه كل الخوف ، لانه يبعده عن أسرته من جهة ، ويحول بينه وبين واجباته الاخرى من جهة ثانية ، وبالتالي فانه لم يتعود مثل هذا العقاب . وأقصى العقوبات بالنسبة له هي الغرامة المالية . ذلك أن حرصه على جمع المال لا يسمح له بدفع أية غرامة مهما كان مبلغها . فهناك من الجزائريين من يفضل أن تؤخذ قطعة من لحمه على أن يدفع شيئا من ماله . ومن أجل هذا رفضت الاصلاحات التي اقترحها السيد «لورانس» فى هذا المجال ، بشدة . بحيث أن مشروعه لم ينل صوتا واحدا . فقررت الحكومة الفرنسية الابقاء على قوانين الاهالى القديمة (ص 62 - 6) .

الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر ابان الاحتلال

وينصح فاغئر المسافرين بزيارة المقاهى العربية ، التي يزيد عددها فى القسم الاعلى من المدينة فقط عن الستين . ويذكر أنه كان يقضى كل أمسية فى واحدة منها دون أن يندم على الوقت الذى قضاه فيها أبدا . ويعتبر المقاهى من الاماكن التى تتيح للاجنبى أن يتعرف على الشعب ، ويتعلم لغته ، بل لا يوجد مكان يتعلم فيه التعابير الشعبية مثلما يتم ذلك فى المقاهى . ويشير الى أن الاهالى لا يتحدثون كثيرا فيها ، الا أن الحضر أكثر استعدادا للحديث منهم فى أى مكان آخر ، وأى وقت آخر من أوقات النهار . ومن هنا يستطيع الانسان أن يدرس ملامح رواد المقاهى ، وهم جالسون فوق الارض ، فيرى الحضري الهادى جالسا قرب التركي فى لباسه الفخم ، ويليهِ زنجي أسود كالكار . يرتدى نفس اللباس ، وبعد عربى من البادية ، طويل القامة ، جميل المظهر ، وقد لوحث الشمس بشرته ، يغطى عضلاته الفولاذية برداء طويل أبيض ، وفوق رأسه عمامة ، يلتف بها حبل من شعر الجمل . وغير بعيد منه قبائلى بقامته القصيرة ونظراته الناقبة . ثم مزابى من الصحراء ، وبسكري من بلاد الجريد . وبينهم فرنسى بلباسه العسكرى ، أو بأحدث طراز ظهر فى عاصمة بلاده . وتقع أجمل مقهى عربية فى شارع الحرية ، وبها قاعة مقسمة الى مقصورات . تستند على أعمدة ، وتتسع لعدد كبير من الزوار . ويضيف فاغئر انه شاهد مقهى من هذا النوع فى أواخر سنة 1836 ، ولكنها أضيق ، وكانت تقع فى شارع لالاهم ، وقد أصبحت كلتاهما أثرا بعد عين . فقد اشترهما الأوروبيون وأقاموا فى مكانهما بنايات

ولا تلفت انظار المارة اليها الا بشكلها الغريب . هذه الدكاكين عبارة عن ثوب مربعة . تغلق فى الليل بباب خشبى مهترى . ولا تستثنى منها الا الدكاكين الموجودة فى شارع الديوان ، لان بضائعها متنوعة ومنظمة بصورة تدل على ذوق أصحابها ، وهم فى الغالب من الكراغلة . وبضائعها على العموم من الصناعات المطرزة بالذهب ، مثل الخفاف والمحافظ وأدوات الزينة الخاصة بالاسلحة وغيرها ، وهى مصنوعة فى الغالب من القطيفة الخضراء والحمراء . ويفطئها طلا . ذهبى كثيف . تبهى العين بفخامتها أكثر مما تبهىها بجمالها .

أما بقية البضائع فتتكون فى أغلب الاحيان من الروائح والعلطور المستخرجة من الورد والياسمين ، ومن المصنوعات القطنية المحلية ، التى تدل على ما بذل فى نسجها من جهد ، وهى كمصنوعات يدوية لا تضاهى طبعا المنسوجات الأوروبية الآلية لا فى جمالها ولا فى أسعارها . وكثير من الاشياء المصنوعة من خيوط الصبر ، مثل أكياس الصيد ، وزكائب السيدات ، وأحذية الاطفال وغيرها . تهتم الانسان لغرابة المادة التى صنعت منها . وأصحاب هذه الدكاكين من الكراغلة والحضر أثرياء فى أغلب الاحيان ، ويقومون بشراء هذه المصنوعات من الطرازين ومن بعض الحضريات . وتجد بضائعهم هذه أسواقا رائجة فى اوربا ، فلم يحدث أبدا ان سافر عسكرى فرنسى الى بلاده دون أن يأخذ لاصدقائه ومعارفه أشياء كثيرة من الصناعات الاهلية التى تروق العين بروعة أشكالها والوانها (ص67-68) **المقاهى :**

قرب المطبخ ، مما يجعل أعضائها ينظرون الى القدور التي يتصاعد منها البخار ويستمدون منها الحماس . وتكون الآلات التي يستعملها الفنانون الجزائريون من الرباب والنايات والقيثارات المختلفة والطر ، غير أن هذا الأخير يستعمل في الحفلات التي تقام في الهواء الطلق أكثر مما يستعمل في المقاهي . وتخلو هذه كذلك من الطنبور والموسيقى الصاخبة الخاصة بالأعراس وحفلات شهر رمضان . فرواد المقاهي يفضلون الاستماع الى الموسيقى الرتيبة الهادئة التي تدغدغ حواسهم . وتناسب الاحلام التي يستسلمون اليها في لذة . وينفرون من الانغام القوية التي تذكرهم بقعقات السلاح وببطولات الاجداد (ص 70)

ويقع أكثر المقاهي العربية روادا في شارع الديوان قرب الكنيسة الكاثوليكية . ويتردد عليها كثير من الأوروبيين ، فالفهوه فيها ممتازة ، والمجلس شيق ، والجوقة كبيرة ، وقائد الفرقة عربى عجوز ، وهو عازف بارع على الربابة . يشد الانظار اليه بغرابة تمثيله الصامت ، واهتزازات رأسه ، وحركاته الرزينة الرتيبة . وكان في الماضي أحد أعضاء الفرقة الخاصة بالدائى الأخير . ويمارس العزف في الاعراس الجزائرية منذ ستين سنة . ولذلك فهو يتمتع باحترام كبير لدى جميع الإسر الجزائرية التي تفتح له أبوابها باستمرار ، فيسمعها أنغامه اللطيفة في كل الظروف والاحوال . يعزف في حفلات الختان ، ويمدهم بالانغام الراقصة في الاعراس ، معصرا من ربابته الحانا حزينة بهيجة في الوقت نفسه .

على الطراز الفرنسى . وافقروا في مقابل ذلك من ملامح أصلاتها الشرقية . فليس هناك اليوم مقهى واحدة تشبه المقاهي القديمة .

إن مقاهي اليوم مظلمة ومستطيلة الشكل ، ولا تحتوى على عرصة واحدة ، وبها صفيين من المقاعد الحجرية . تغطيها حصائر من سعف النخيل . ويجلس فوقها الرواد على الطريقة الشرقية . ويقع المطبخ في مؤخرة القبو في منخفض . وتقدم القهوة في فناجين صغيرة مصنوعة من الخزف فوق صحون من الصفيح ، ويوضع فيها مسحوق السكر ، وهي قوية الطعم الى حد ما ، ولكنها لذيدة . وتكاد رواسب البين تملأ نصف الفنجان . ويقدم للمرء معها غليون أحمر ذو قصبة طويلة ، وتبغ من النوع الممتاز ، وثمن ذلك كله سنتيم واحد . ولا يتصور المرء أن هناك متعة أقل ثمنا من هذه .

ويجلس صاحب المقهى عند المدخل في وقار . دون أن يهتم بمحله الكبير ، ويستقبل الزائرين الأوروبي قائلا «مساء الخير ياسيدى» وأخاء في الدين «وعليكم السلام» ثم ينادى في اتجاه القبو «جب قهوة - جب سبسى» والطباخ من السود عادة . أما الندل فهم من أبناء الحضر . ووجوههم شديدة البياض مودة . وفوق رؤوسهم الحليقة قلائس حمراء . والبستهم في المقاهي التي يكثر فيها الرواد نظيفة وفاخرة في بعض الأحيان ، ولا تتجاوز أعمارهم السادسة عشرة . وقد تركت الاعمال اليدوية آثارها على ملامح البعض منهم (ص 68 - 70)

ولا تخلو المقاهي الكبيرة من الموسيقى في أى يوم من أيام الأسبوع ، ومكان الجوقة في العادة

وليس هناك مسلم راشد لا يسرع الى تلبية نداء المؤذن ، فلا الشيخوخة ولا الثروة تحول بينه وبين المضي الى بيت الله . وكانت المساجد ، وعددها أيام اقامة فاغتر بالجزائر تسعة وثلاثين ، دائما مكتضة بالمصلين . ويذكر الرحالة الالماني أن صوت المؤذن كثيرا ما اغراه بالذهاب الى المسجد والمشاركة في صلاة الجماعة على طريقته الخاصة . فالمسلمون لا يمنعون أحدا من الدخول الى مساجدهم ، الا أن على الزوار أن يخلعوا أحذيتهم حفاظا على طهارة المكان . وفي أيام رمضان تضاء عدة مصابيح بالجامع الكبير (ص 75 - 76) .

ويصف فاغتر الطريقة التي تتم بها اقامة الصلاة . ويؤم الناس فيها شيخ الاسلام . ثم يعلق على ذلك قائلا انه لمنظر جدير بالاعتبار أن ترى المسلم الفخور المعتز بنفسه ينحن أمام ربه بخشوع العبد المذنب المرتعد . فالمصلون يصطفون خلف الامام دون أن يقيموا وزنا للمكانة أو الاصل والنسب . فلكل ناحية في الجزائر مثلوها . والمسلمون يلقون مسبحة حول أيديهم في أثناء الصلاة ، وقد أخذ عنهم المسيحيون ، كما هو معروف ، استعمال المسبحة . وتصنع المسبحة من ثمار الوقل الحاشع ، وترى بأيدي الائمة والمرابطين وشيوخ البدو . وهناك عدد من أوليا ، هذه البلاد الجزائرية المشهورين ومنهم الامير عبد القادر . لا يكادون يتركون المسبحة من أيديهم (ص 77 - 78)

احتفالات رمضان :

ويحرص المسلمون ، فيما يذكره فاغتر ، على سماع الموسيقى طيلة شهر الصيام . ومشاهدة

ويعثر المرء بين الحين والآخر في مقهى شارع الديوان على عدد من الفتيات الخليعات أيضا . وهن يرقصن على نغمات الموسيقى أو يغنين . أما صاحب المقهى فهو أخو ابراهيم شاوش ، جلاد السداي ، ويتمتع مثله بمكانة مرموقة عند الحضر ، وله شخصيه قوية مثل أخيه الجلاد ، وذو ثروة كبيرة . والحفلات التي تقام في مقاهي القسم الاعلى من المدينة أكثر أصالة وصخباً خاصة ما يقع منها قرب القصبة فهناك يقع المقهى اليونانية التي يحاول صاحبها ، ويدعى «سبزيوطه» اغراء جمهوره بأحقر الوسائل فتري الاهالي ، وكثيرا ما يختلط بهم الاروبيون ، يضجون فيها ويصرخون مع الموسيقى الصاخبة ، دون فارق ديني أو عنصري ، ويمتزج ذلك كله بأصوات السكارى من النساء الخليعات اللواتي يتبادلن الاحاديث القدره مع عدد من رواد المقهى (ص 70 - 72) .

التقاليد الدينية :

يتحدث «فاغتر» في فصل تال عن بعض التقاليد المتبعة في شهر رمضان وأيام العيد الصغير ، فيقول ان الاعلان عن بدء شهر الصيام يتم باطلاق مائة طلقة وطلقة من مدفع كبير أقيم في الميئا . وليست هذه الطلقات احسانا من جانب الحكومة الفرنسية . ذلك أن السلطات المدنية تحتم على المسلمين دفع خمسة فرنكات لكل طلقة في مقابل هذه التحية . وبعد هذه الطلقات توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد ، تضي الهلال الذي يتوج رؤوسها . ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح ، ويرفع العلم الابيض ثم يدعو المؤمنين الى الصلاة .

ليس من اللائق الحديث عنها ووصفها ها هنا . وهناك محل آخر يحظى بعدد كبير من الزوار في ليالي رمضان . وهو المسرح الشعبي أو القرقوز . ويقع في أقدر زاوية بمدينة الجزائر . فهو عبارة عن قبو مظلم . يحتشد فيه عدد من الاهالي . ويجلسون فوق الارض وأنظارهم متجهة الى الشاشة حيث تظهر الاشكال السوداء الناطقة . التي تشبه خيال الظل الصيني في اوروبا ، على قطعة من الورق مشبعة بالزيت . ومن بين الشخصيات الناطقة شخصية القرقوز . ويمتاز بضخامة جسمه ومنظره المضحك . وسخريته المقذعة ، وما يحدث في مسرح القرقوز يشبه الى حد كبير ما يحدث في مسرح العرائس الالمانى أو فى مسرح جنوب اوروبا . فالشخصيات تتصارع وتتضارب من البداية الى النهاية . وقرقوز هو البطل . وهو بدوى صرف ، يوزع أكثر الضربات ويتلقى مثلها . والحوار بالعربية تارة . وبالفرنسية تارة أخرى ، لأن مدير المسرح ترجمان . ولم ير مانعا من استعمال بعض التعابير الفرنسية . وإتاحة الفرصة للجنود الفرنسيين للمشاركة فى التمثيل ، ولا عمل للاشكال التي تمثل هؤلاء الجنود الالعراك مع القرقوز . وهذا كله حتى لا يشعر المشاهدون من الاوروبيين بالملل . ويحرص مدير المسرح أيضا على أن تتخلل مشاهد العراك والنزال مناظر ساخرة . الا أن هذه المناظر تبدو شنيعة وغير طبيعية . بحيث أن كل انسان لا ينتمى الى طبقة الادنياء . يفض نظره دون تلك المناظر الغليظة . والحقيقة ان الحضر لا يجدون مكانا أحسن من هذا . يتعلم فيه أطفالهم ضروب

الرقصات والعروض المسرحية والهزليات المتنوعة . التي تذكر بأعياد الكرنفال فى اوروبا ، مما يجعل المرء يتساءل عما اذا لم تكن فى أصلها عادة اسلامية انتقلت الى المسيحيين كما انتقل غيرها من التقاليد . ويتشدد الجزائريون فى المحافظة على الصيام . حسب ما أشار اليه العالم الطبيعى الالمانى . ويستشهد على ذلك بالمثل التالى : «استخدمت أحد الجزائريين لاستعين به خلال بعض الرحلات التي قمت بها فى داخل البلاد . فوقعت لنا حادثة مؤلمة ، أضعنا فيها كل ما كان معنا من مؤونة . فقضينا أربعاً وعشرين ساعة فى المناطق الشرقية من سهل متيجة بدون طعام . ووصلنا الى مدينة الجزائر مع الفجر . فدفعنا لمستخدمى البسكوى أجرته وأسرت لتناول فطورى . وبعد حوالى ساعة وجدته جالسا فى الميناء . فسألته ما اذا كان قد تناول طعامه . ولكنه أشار برأسه قائلا : «الله أمر بالصوم» وقضى يومه كله هكذا حتى المساء . مع أن الجوع كان قد انهكه وظهرت آثاره فى ملامح وجهه النحيفه . وما كان ليتناول شيئا ولو قدم له نظير ذلك ما قدم . وما أن سمع طلقة المدفع حتى أخرج الخبز من قلتسوته وراح يلتهمه بجشع كالمجنون» (ص 79) .

وطعام الصائمين فى الليل - الكسكى بالزبيب - أو مع اللحم المقل . وبعد أن يمتثلوا منه يتصرفون الى مشاهدة العروض الهزلية فى المقاهى العربية الكبيرة . وتشارك فيها شخصيات من العباد والحيوانات . وتحتوى على حركات وإشارات مثيرة . ومناظر فاحشة ، وسخرية مقذعة . الى درجة أنه

وجوهم بصورة رهيبة ، فيضطر لشراء نفسه وإخراجها من دائرتهم السوداء بعدد من القطع النحاسية . وهذه الموسيقى الزنجية من العادات القديمة المتبعة في الاعياد ، وكانوا هؤلاء أنفسهم يوقظون الداي من نومه صبيحة العيد ، ويعزفون موسيقاهم في قصر القصة مثلما يفعلون ذلك في الاماكن الاخرى ، ويتلقون عليها الهدايا . ولا يزالون يفعلون هذا اليوم أمام بيوت الاغنياء من الحضر والكرغلة .

ويرتدى الناس في أيام العيد الثلاثة أجمل ما لديهم من البسة ، وخاصة الاطفال الذين يلبسون في هذه الايام الثياب المطرزة بالذهب والفضة ، والسرويل المصنوعة من الصوف أو القطن . مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة . والنساء والفتيات محجبات الا أن عددهن في الشوارع والبياديين لا يقل عن عدد الرجال وهن يكتفين بالنظر والتسلية وبينما يمايق الرجال في الشوارع معارفهم ، يرش الاطفال الارويين بماء الورد تحية لهم . وفي باب الواد ميدان فسيح ، يقوم فيه تركي عجوز بإدارة عجلة كبيرة . وفوقها عدد من الاطفال يمرحون ويضحكون . أما أبناء الاغنياء فيجلسون في عربات يقودها الزوج أو السكريون ، وهؤلاء الاطفال يفضلون الركوب في العربات الفرنسية ، فهي تسلية مجهولة بالنسبة لهم . وبما أن الجزائر لم تعرف الطرق المهددة قبل سنة 1870 ، فإن أصحاب العربات الفرنسية يكسبون في أيام العيد مبالغ كبيرة . فحرياتهم محملة بالاطفال الصغار على الدوام . ومن مسافة 200 خطوة . تقطعها العربة بسرعة .

السفالة وانواع الآثام . فهل يعجب الانسان بعد هذا أن يرى هذا الشعب غارقا في الفساد والجبن والذلة والعبودية . أو كان شبابه يمتص أحط انواع السموم التي تقضى على طاقاته وحريته الفكرية . وتبدو الحكومة الفرنسية متسامحة في مثل هذه الفضائح . فلم تحاول حتى الآن اغلاق تلك الاماكن التي تنشر الفساد والانحلال . بالعكس ان اوضاعها قد تحسنت منذ دخول الفرنسيين . إذ انها لم تعد تدفع الضرائب التي كانت تدفعها الى الداي ، ومن هنا فإن عددها يزداد بسرعة . وتهتم فرنسا بتزويدها بجيش من الفتيات يفوق عددهن عدد العمرين بثلاثة أضعاف . (ص 80 - 81)

احتفالات العيد :

وبعد احتفالات رمضان يحتفل المسلمون بالعيد الصغير . وهو عيد البهجة والمفرحة . يستسلم فيه المؤمن الى مسراته حتى في اوقات النهار . فيستيقظ الناس في الصباح على انغام الموسيقى الصاخبة ، التي يعزفها السود . وهم يرتدون أجمل الثياب . وبأيديهم الطنابير والصفائح الحديدية . وموسيقاهم ذات ايقاع جامع ، وتصاحبها حركات الفئات السود وتمثيلهم الصامت واهتزازاتهم . بحيث يبدو كل شيء فيهم يتحرك : الرأس والفم والاذن والصين والقدم والاصابع . وهذا في الوقت الذي يتهادى فيه الجسم ويؤدي حركاته على حدة . ومظهر هؤلاء الزوج غريب يستمعي على الوصف . ولا يستطيع الانسان أن ينظر اليهم دون أن يضطك . وتراهم يلتفتون بالاجنبى ، طالبين منه ثمنا لهذه التسلية التي قدموها له . ويضحون بالاثام حوله . ويصيحون

هو سنتيم واحد . ويبدو أن التحولات السياسية وسيادة شعب غريب لم تنقص من أفراح هذا الشعب الا أن هذه الافراح والمسرات قد فقدت الكثير من صخبها وأصالتها (ص 82 - 83)

الحفلات العائلية :

والحفلات العائلية من ذلك النوع الصاخب أيضا فعند ما يرغب الشاب في الزواج يبدأ في تلقط اخبار الجيلات ، ويتزوج ، ان كان من أبناء الاثرياء ، في سنة الثامنة عشرة ، وان كان من أبناء الفقراء ، في الظروف التي تسمح له باعالة امراه . فاذا سمع حديثا عن فتاة جميلة ، ورغب مصاهرة أهلها ، فانه يبحث عن خاطبة لها علاقة بأسرتها ، ويتخذها وسيلة وواسطة لبلوغ ما يريد ، فيقدم لها الهدايا ويعدها بأكثر من ذلك ، اذا هي زودته بمعلومات صادقة . وحين يكون الشاب غنيا أو ذا سمعة طيبة ، فانها تسرع في الحال الى والدى الفتاة وتبوح لهما بالسر الذي عهد به اليها ذلك الشاب . فاذا ارتضياه صهرا ، فانهما حينئذ يقدمان لها بعض الهدايا لكي ينطلق لسانها في الحديث عن جمال ابنتهما أمام الخطيب . وعند ما يتم الاتفاق بين الوالدين تبدأ الاستعدادات للزواج ، بعد قراءة الفاتحة وتحديد يوم الزفاف (ص 88 - 89)

ويذكر فاغتر انه حضر عرسين في مدينة الجزائر ، وان الزفاف يتم على الصورة التالية : بعد أن ينتهي الرجال من اقرباء العريس من جلستهم مع المفتي ، يذهبون بعد مغيب الشمس بالموسيقى والمصاييح الى دار العروس ، ويأتون بها ، وهي في أحلى زينة ، ولكنها محجبة كالعادة ، الى بيت العريس . هذا اذا

لم تكن من أبناء الطبقات الراقية ، اما اذا كانت منها فانها تحمل فوق بقل وفي محمل يشبه القفص يخفيها عن أنظار الرجال ، وحين تصل الى بيت زوجها تدخل في غرفة مضاة ، فتأكل مع النساء وترقص وترح . ويجتمع الرجال في الفناء ، ليستمعوا الى أنغام الموسيقى والزغاريد المتكررة . ومنزل العريس محاط عادة بحشد من الناس من المدعوين وغير المدعوين ، ومن هؤلاء من يدخل الفناء ، فيصعب اخراجه بعد ذلك . ويجلس الرجال فوق الارض يدخنون أو يشربون القهوة ، ثم توضع قصعة كبيرة من «الكسكس» في الوسط ، والبخار يتصاعد منها ، فيلتف الضيوف حولها ويطعمون منها بملاعق خشبية . واذا أراد الجزائري أن يكرم ضيفه فانه يقدم له «الكسكسي» بالزبيب أو العنب ، وتتوسط القصعة قطعة من الزبدة ، والاثرياء يقدمون في أعراسهم «الكسكسي» باللحم ، لحوم الدجاج المقل عاده . وبعد ذلك يقدم خروف مشوى ، يقسم أمام المدعوين ويوزع عليهم . ثم تقدم الفواكه المختلفة من بطيخ أو تمر أو برتقال ، ويوجد البرتقال بالجزائر طوال السنة تقريبا . وبالتالي تقدم القهوة حتى الصباح ، فيشرب المدعوون وهم يتمتعون بمشاهدة الفنانين والموسيقيين ويستمعون الى أنغام آلاتهم وغنائهم .

ويقود الفرقة الفنية موسيقار الداي ، وهو المعجوز على الخيارى ، بهدوء ووقار ، ويقوم بالدور الاول في الحفلة ، فيحدث الحاضرين طورا ، ويغنى طورا آخر ، ويروى لهم قصص الحب . أما الراقصات فهن من بنات الشارع ، وغالبا ما يرتدين ثيابا

ويتسلى الجنس اللطيف فى الطابق الاعلى على الطريقة نفسها ، وكثيرا ما تسمع زغرداتهم وهذه الزغردة تسمع فى الاعراس وفى حفلات الختان وفى أيام الحرب . وفى النهاية تقدم لكل من العريس والعروس بعض التعليمات المتعلقة بحياتهم الزوجية . وبعد دخولهما هذه الحياة ترتفع من جديد الزغاريد وأصوات الموسيقى الصاخبة . (ص 84 - 88)

وحفلات الختان شبيهة بحفلات الزواج . ويختن الطفل فى الرابعة من عمره من طرف رجل يعرف باسم « البشار » ، ويتلقى من الاغنياء ثمانية « بوجو » على الاغلب . أما الفقراء فلا مال لديهم . ولذلك فهو يختن أطفالهم مجانا . ويحرص الحضر على اقامة احتفالات كبيرة بهذه المناسبة .

فاخرة . ولهن حظ من الجمال بالنسبة للاهالى على الاقل . ورقصهن هؤلاء البغايا رتيب لا جمال فيه أصلا . فهن يلوحن فى الهواء برداء كبير شفاف أو منديل ويحركنه حركات متنوعة دون أن يتركن مكانهن . واجسادهن تهتز بشكل مثير ، كل شئ فيهن يرتعد : الرأس والصدر والايدي والارجل . والظاهر أن الحضر يجدون لذة كبيرة فى مشاهدة مثل هذه الحركات الخليعة . مع انها خالية من الفن تماما . بل انها تثير الاشمئزاز . والرقص مهنة رابحة ، فبعد كل رقصة تقترب الراقصة من المشاهد الجالس ، وتحنى رأسها فوقه . واللياقة تحتم عليه أن يلصق بماء الورد أو بلعابه قطعة نقدية فوق وجهها بالقطع تحرك رأسها فتتساقط فى منديلها . وقد أكد لى أحد الجزائريين أنها تتقاسم ذلك مع صاحب العرس . وهو ما يشبه ضريبة العرس بالنسبة للمدعوين .



كلمات

سياسة الاستعمار الثقافية :

تلخص أهداف هذه السياسة في القضاء على الثقافة الوطنية ونشر التعليم الفرنسى مكانها ، وكان الغرض من هذا التعليم أن يتحول المجتمع الجزائرى تحويلا كليا يجعله يخدم مصالح المستعمر (ص 73) ، ولهذا انتهجت السلطة الفرنسية سياسة - الاندماج -

وارتأت أن التعليم هو احسن وسيلة لتحقيق تلك السياسة ، وارتادت ان تزيل « الافكار المتخلفة » المتفشية بين الاهالى ومعنى هذا القضاء على ثقافتهم ولغتهم وشخصيتهم - وهكذا تتمكن الدولة المحتلة من السيطرة على الوضع ويتركز نفوذها فى البلاد ، وفى النهاية - يتقبل السكان النظام الجديد ويرضون به ولا سيما فى المدن (ص 164) ، وجاء فى تقرير أحد المسؤولين « ان بناء مدرسة افضل من فلقين لاقرار الامن » ، (ص 165).

من كتاب : المجاهبات الثقافية فى الجزائر المستعمرة للدكتورة تورين

ثرفانتس

قمة الادب الاسباني

كانس
أسراف
مدينة
الجزائر

د الطاهر احمد ميكي

التاريخ يعيد نفسه ، ولا ادعى الى اليقظة ، واكثر تبصرة
في حياة الشعوب ، من نظرة الى الوراء ، نرد اليها نتائج
الحاضر الذي نعيشه ، والمستقبل الذي نتطور اليه . وتفسير ما
يقع اليوم ، في ضوء احداث الامس ، شيء مقرر في مناهج
البحث التاريخي ، منذ ان كتب ابن خلدون مقدمته ، الى
الدراسة المستفيضة التي قام بها المؤرخ الانجليزى ارنولد
توينبي عن الحضارة الانسانية عبر التاريخ .

والحوادث الجسام قد تؤدي الى لقاء متعاون مثير أو الى مواجهة حادة عنيدة ، وببدا دائما - اذا وعينا وقائع تاريخنا - ان نجنب انفسنا مواطن الزلل ، وان ندفع بها في طريق الخير ، وان نجرد قوى الشر التي تواجهنا من أمضى أسلحتها ، وهو جهلنا بانفسنا ، ومعرفتها بنقاط الضعف فيها ، فيسهل عليها تطويقنا ، وافراغ ثوراتنا العظيمة من محتواها .

وثمة حقيقة مقررة ، ان هذا الجانب من البحر الابيض المتوسط ، سمه العالم العربي ، أو العالم الاسلامي ، أو جنوب البحر المتوسط ، أو ما شئت من اسماء ، فلن يغير ذلك من الحقيقة شيئا ، كان هدفا مستمرا ، لعدوان متصل من اوروبا ، أو الجانب الشمالي ، على امتداد كل العصور ، عدوان رده العالم الاسلامي بقوة ما كان متحدا ، وأمسك بزمام المبادرة ، فكان الجانب الذي يخشى . وتقهر واستعمر ما توزعت منه الكلمة ، وتنازع الاخوة ، ودب بين شعوبه الشقاق .

مع نهاية القرن الحادي عشر الميلادي تحركت اوروبا لغزو العالم الاسلامي في الجانب الشرقي منه ، تحت راية الصليب وباسمه ، ألقت بثقلها كله على سورية ، أعنى الشام وفلسطين ولبنان ، وضمت جيوشها ايطاليين وفرنسيين والمنا وانجليزا ، وآخرين من كل انحاء اوروبا ، ووجدت في البابا أوجانيوس الثالث ، وجلس على عرش الفاتيكان من ١١٤٥ الى ١١٥٣ ، مبشرا ملهبا للمشاعر ، وداعية بليغا ومتحمسا للمقاتل ضد المسلمين . وتمكن الصليبيون بدءا ، وكان هذا اسمهم الذي اختاروه لانفسهم وعرفوا به ، من احتلال انطاكية ، وعكا ، والقدس في فلسطين ، وان ييسطوا سلطانهم على شمال سورية ، وان يبقوا في طرابلس الشام مائة عام . فلما جاء صلاح الدين فأحكم السياسة ،

وأحسن القيادة ، ثار للمسلمين ، وانتصر على الصليبيين في معركة حطين ، وأجلاهم عن كل ما استولوا عليه . وكان صلاح الدين رمزا طيبا للحضارة الاسلامية في كلا جانبيها ، ان حربا وان سلما ، فأعلن أن بيت المقدس ، وهو في حوزة المسلمين ، مفتوح على مصراعيه ، لكل حاج أعز من السلاح ، جاءه متعبدا لله ، وليس متعصبا ببيت على غدر وعدوان .

وبعد انتهاء الحروب الصليبية في المشرق بما يقرب من قرنين ونصف من الزمان ، واجه الغرب الاسلامي زحفا صليبي آخر من نوع جديد . بدأ أولا في الاندلس ، فكانت الجيوش التي تاهبت لاقتحام غرناطة ، عاصمة الاندلس الاسلامي ، تتكون من جنود قدموا من كل اوربا الكاثوليكية ، ايطاليين وفرنسيين ، والمنا وانجليزا وبرتغاليين ، وأشتاتا مغامرة من بقية دولها ، ومن ورائهم البابا ، يجمع الكلمة ، ويمنح القداسة ، ويعد المقاتلين بالجنة ، فلما كتب لجمعهم المنظم ، المتحمس ، المتوحد ، الغلبة على المسلمين المختلفين على انفسهم ، جلس الكاردينال خمينيت ثيسنروس

JIMENET
CISNEROS ، وكان الدولة ، فهو عراف الملكة ، تجلس بين يديه لتعترف له بخطاياها وذنوبها وهفواتها وزلاتها ، فيمنحها الغفران ان شاء ، وهو مستشارها ، وكبير وزرائها ، وهو رئيس الكنيسة الكاثوليكية ، ومطران طليطلة ، والقائم على شئون محاكم التفتيش المختصة بملاحقة المسلمين ، جلس نشوان بالنصر ، يخطط لحملة صليبية جديدة ، تجتاح شمال افريقية كله ، وتجعل منه مستعمرة ، يحكمها البابا ، ويكون الرجل الاول فيها قداسة الكاردينال . وهكذا اندفع البرتغاليون والاسبان والايطاليون في هجوم متواصل على المغرب، والجزائر وتونس ، وليبيا ، وليثير الحمية في قلوب جنده ،



بالفدائيين ، ويقتلون الامنين ، ويدمرون قـرى بأسرها ، فيحسبون لهم ذلك فى عداد الشجاعة والذكاء وحسن التخطيط ، وانها الحرب !- وينجح الفدائيون الفلسطينيون فى عملية لهم ، فترميهم أوروبا ، ومعها امريكا فى هذه المرة ، بالوحشية والمهجية والانتحار !

فى واحدة من هذه الحروب الضارية ، والتي شغلت امتداد القرن السادس عشر كله ، خرجت سفينة جزائرية ، الى عرض البحر الابيض المتوسط ، والتقطت سفينة للعدو ، وبعد معركة قصيرة انتصر فيها البحارة الجزائريون استولوا على السفينة ، وأسروا من فيها من الجنود ، واقتيدوا الى الجزائر وكان بين هؤلاء الجنود الاسرى شاب اسباني لما

صحابهم فى هجومهم على مدينة وهران عام ١٥٠٨ ، وهى أحداث بالغة الخطورة ، لم تدرس بعد على نحو علمى ، لتستخرج منها الاسباب والنتائج ، وقد احسن الاستاذ توفيق المدنى صـنعا ، حين خطا الخطوة الاولى ، فجمع وثائقها وأحداثها فى كتابه القيم « حرب الثلاثمائة سنة مع الاسبان » .

ولقد قاوم المغرب فى عنف هذا الزحف الصليبي، وتميزت الجزائر من بين دوله بأنها تجاوزت مرحلة الدفـاع الى الهجوم ، وكان البحر الابيض المتوسط ساحة لقائها مع كل دول اوربوا العادية ، تعتدى باسم الكاثوليكية ، وتقاتل تحت راية الصليب ، ويجمعها من وراء ذلك كله ، رغبة عارمة فى التسلط على هذا الجانب من الارض ، وانتهاب خيراته .

كانت حربا بأسلحة العصر ، ويستخدمها كلا الفريقين ، الهجوم على سفن العدو وأسرها ، وايدى البحارة الجزائريون شجاعة وحذاق وجسارة منقطعة النظير، ولكن أوروبا فى غزوها الحديث الذى استهدف مع خيراتها عقولنا وثقافتنا ، اقامت دون تاريخنا الحقيقى حواجز مانعة ، والقت عليه استارا صفيقة. ولم تمكنا من العودة اليه او فهمه ، وسار فى طريقها بعض من علمتهم من ابنائنا ، غفلة او جهلا او استنفاعا ، فشوهت الاحداث لكى يخجل منها ابناؤنا وحتى كبارنا ، وأصبحت هذه المعارك البحرية ، تدرس على نحو مختلف تماما على جانبي البحر الابيض المتوسط . يدرسها الطلاب فى فرنسا او ايطاليا او اسبانيا ، أمجادا حربية يزهون بها . ويدرسونها لابنائنا « قرصنة » بحرية ، فيها اعتداء على التجارة ، وحرية الملاحة ، وأنها خروج على القانون ، كأنما الحروب فى أى عصر تعترف بشيء من هذا . وتمثل المسرحية بنفس فصولها الآن ، مع اختلاف الممثلين ، أمام أعيننا ، يغدر الاسرائيليون

يتعد الثامنة والعشرين من عمره ، تبدو عليه مخايل الذكاء والفطنة ، والنظرة المتأمل ، وسوف يقدر له ، فيما بعد ، ان يدخل التاريخ من اوسع الابواب ، اديبا عملاقا ، في مستوى قامة المتنبي ، وشكسبير ، وجوته ، وأبي العلاء ، وفكتور هيجو ، ودانتى ، وجوركي ، وآخرين كثيرين ، استعصوا على النسيان ، واحتلوا من ذاكرة الانسانية مكانا خالدا كان ذلك الشاب هو : ميغيل ثرفانتس سافدرا MICHEL CERVANTIS SAAVIDRA ، ولنبدا معه رحلتنا من اولها .

فى يوم مجهول من شهر سبتمبر ، أو أوائل أكتوبر ١٥٤٧ في قرية يغلب على الظن انما قلعة هنارس ، بين مدريد وواى الحجرة ، فى واد لم يشهر - اذ ذاك - بأكثر من انه كان الحثود الفاصلة بين الملكتين الاسلاميه والمسيحية ، قبل ان يتقلص ظل دولة المسلمين ، تتعاوره الجيوش فى تقدمها أو تقهقرها ، ولد ميغيل ثرفانتس ، فى أسرة جاء تربيته فيها الرابع بين اخوته ، ابنا لطبيب متجول ، استقر فى المدينة جراحا .

وكتابة تاريخه لا تخلو من صعوبة ، لان بعض جوانب حياته واضح موثق ، ليس موضع خلاف ، وجوانب أخرى منها تقع فى دائرة الظلام ، والخلاف حولها كبير للغاية . وأولى هذه المشاكل التاريخ الدقيق لمولده ، فهو مجهول لم يرد فى أية مدونة أو وثيقة ، فاعتمد بعضهم على المألوف الشائع من العادات ، وهى ان بعض المقاطعات كانت تطلق على الطفل الوليد ، اسم القديس الذى ينسب اليه ، ولكل يوم فى الكنيسة الكاثوليكية قديس ، ومن ثم فهو وك فى يوم ٢٩ من شهر سبتمبر ، لانه يوم القديس ميغيل ، وبخاصة ان الاسم لا يرد فى أى من نسبه العائلى المعروف ، ويعود الى القرن الحادى عشر

الميلادى ، غير ان هناك من يرفض هذا الرأى ، لان من الثابت فى وثائق كنيسة المدينة ، ان الطفل عمد فى يوم ٩ من أكتوبر ، وجرى العادة بالا يتأخر تعميد الاطفال عن اليوم الثالث لمولدهم ، وهى تقاليد دينية كانت تراعى بدقة ، وفى مدينة القلعة بخاصة ، فقد كانت مركزا هاما ، من مراكز رجال الدين ، وفيها أقامت الكنيسة جامعته عام ١٤٩٨ ، أى بعد زوال دولة المسلمين رسميا فى الاندلس بست سنوات . وبعد ان دخل التاريخ ، وطوقت شهرته الآفاق ، بدأت أكثر من قرية ومن مدينة تزعمه ابنا لها ، ولكن ثرفانتس نفسه ، سوف يؤكد فيما بعد ، وبخط يده ، أنه من مواليد مدينة القلعة ، وينشر هذه الوثيقة سقطت بقية الادعاءات .

وكما يحدث لمعظم العياقرة فى العالم ، لا نعرف لثرفانتس طفولة واضحة ، وليس لدينا أية صورة دقيقة عن دراسته المبكرة ، وكل ما نعرف عنه ، ان نبوغه تفجر مبكرا ، وان اهتمامه بما حوله كان كبيرا ، وان اقباله على الدرس كان ملحوظا ، وبلغ نهمه بالقراءة انه كان يلتقط الاوراق المكتوبة المزقة المهمل ، التى تعيث بها الرياح فى شوارع القرية ، وقد أغرم منذ صباه بالمرح الضاحك ، أو الساخر ، وبكتابه ومثليه على أيامه ، وانه أحب الشعر وتذوقه ، ومال اليه ، وبدأ يشدو به منذ اللحظة التى استطاع فيها ان يعبر عن مشاعره وأحاسيسه - غير انه وقد تجاوز مرحلة القراءة والكتابة ، مل متابعة الدراسة ، فقد كانت كلها بيد الرهبان ، وتُدور حول موضوعات دينية أو لاتينية ، عقيمة ومجدبة ، متعصبة ومقفلة فى وجه أى تيار انسانى ، وفوق أية محاولة تستهدف مناقشتها واخضاعها لمنطق العقل . وجاءه الانتقاد وهو فى السادسة عشرة من عمره ، فقد بارح أبوه المدينة فى عام ١٥٦٢ ، أو العام

الدين في جامعة القلعة ، ففتح بما يتعلم في مدرسة
الجزويت . لكنه استمتع حقا في هذه المدينة
بمشاهدة تمثيلات لوبي رويدا
LOPE RUEDA

الهزلية الساخرة الشهيرة ، ولوبي هذا
يعتبر مؤسس المسرح الاسباني الحديث وأبا له .

خلال ذلك كان ثرفانتس يقرض الشعر لنفسه ،
أو ينشده لأصحابه ، ثم وافته الفرصة ليظهر مواهبه
شاعرا على مستوى الدولة ، ففي عام ١٥٦٩ توفيت
الملكة ايزابل ، زوجة فيليب الثاني ملك اسبانيا ،
فرثاها بقصيدة شعرية ، غير انها لم تفتح له الطريق
الى البلاط ، فقد كان الملك مشغولا بالتجارة ، وتكديس
الذهب ، وملاحقة بقايا المسلمين في الاندلس ،
ومحاربة دعاة الإصلاح عبر امبراطوريته الواسعة
في أوروبا وأمريكا ، غير انها لفتت انظار كاردينال
ايطالى جاء الى اسبانيا ليقسم العزاء للملك في وفاة
زوجته ، وكان الكاردينال مغرما بالآداب والفنون ،
وبيسط رعايته على الفنانين والادباء ، وفي نفس
الوقت كان ثرفانتس فقيرا ضائعا مهمل ، حريصا
على الهروب من اسبانيا في أسرع وقت . ولم يذكر
لنا التاريخ سببا واضحا للحرص الشديد على هذه
الهجرة ، فقليل انه اصطدم مع رجال البلاط الملكي
الى حد المبارزة ، وانه جرح أحدهم في معركة ، وان
القضاء كان يطلبه ، ويطلبها بعضهم بخيبة الامل
الكبيرة التي هزت أعماقه ، فقد كان يأمل أن تكون
القصيدة بداية اقتحامه لعالم الادباء ، وان يصبح
معها موضع رعاية القصر ، واجلال رجال البلاط ،
وقيل انها ذات جوانب عاطفية ، وان فشله في حب
ملك عليه شغاف قلبه ، دفعه الى اليأس والقنوط ،
وقد يكون فيها شيء من ذلك كله .

وأيا ما كان الامر فقد ذهب للقاء الكاردينال ،
وعرض عليه ان يكون في خدمته ، وان يصحبه معه

التالى له ، ليقم مع أسرته في مدينة اشبيلية ،
عاصمة الاندلس على أيام المرابطين والموحدين ، ولها
تقاليد عريقة - وما تزال - في عالم الادب والطرب
والفن ، وقد اتخذ منها سراة القوم الفاتحين ملاذا
ومقاما ، ووراءهم جاء « الجزويت » فاقاموا مدرسة
أرقى نسبيا ، يختلف اليها أبناء العلية ، ومن المؤكد
ان ثرفانتس تردد على هذه المدرسة ، وتلقى فيها
دروسا في اللغة اللاتينية ، وأعجب بطريقة اساتذتها
في التربية ، واثنى عليهم فيما بعد ، في قصته
« حوار الكلاب » !

وطبعا هناك من استكثر على ثرفانتس ان يكون
عبقريا دون ان يدخل الجامعة ، وكما بدأت القرى
تتنازع بنوته ، أخذت الجامعات بدورها ، او رجالها
على نحو أدق ، تزعمه واحدا من طلابها . قال رجال
الدين الكاثوليك انهم وجدوا اسمه بين قوائم الطلاب
في جامعتهم بسلطنة ، ولكنهم لم يقدموا هذه
الوثائق ، ولم يدللوا على رأيهم ، ولم تثبته رواية
أخرى . وقال آخرون ، اذا كان لابد ان نجعل منه
خريجا في جامعة ، فاولى بهذا جامعة المدينة التي
أمضى فيها صباه وجانب من فتوته ، وهي مدينة
القلعة ، ولكن اسمه لا يظهر في سجلاتها ، وحفظت
لنا كاملة ، ولم يشر هو الى شيء من هذا . وفي
غمرة الحماسة نسب اليه بعضهم انه كان طالبا في
جامعة مدريد ، دون أن يعرف ان مدريد في تلك
الايام ، كانت بقايا قرية عربية متواضعة ، ليست
عاصمة ، وليس فيها جامعة . وهناك من يرى انه
اتم دراسته العالية في جامعة اشبيلية في عامي
١٥٦٤ - ١٥٦٥ ، حيث كانت عائلته تقيم هناك ،
ولكن المرجح انه حاول ان يقترب من هذه الجامعة
فعلا ، ولكنه وجد الدراسة فيها جافة متخلفة ،
متعصبة مظلمة ، على نحو ما وجد على يد رجال

البحر الابيض وكان يتكون من قوات ايطالية ، واسبانية ، وثالثة تتبع الفاتيكان ، بقيادة دون خوان اخى الملك فيليب الثانى ، ويتألف من ٣٠٠ سفينة ، على ظهرها قرابة ٣٠ ألف جندي ، وفى ٧ اكتوبر عام ١٥٧١ ، التقى اسطول الرابطة بالاسطول التركى ، فى مضيق ليبانت **LE PANTE**

وشارك ثرفانتس فى المعركة رغم انه كان مريضاً بالحصى ، وجرح اثناء القتال ، وأرسل الى مستشفى مسينا فى ايطاليا للعلاج ، وأمر القائد برفع راتبة ، وفى العام التالى شارك فى الحملة على تونس ، فلما فشلت الحملة عاد الى ايطاليا ، وظل هناك حوالى عامين ، ومع راتب قليل ، وحياة عسكرية جافة ، عاوده السام من جديد ، فقرر ان يجرب حظه من جديد فى اسبانيا ، فتقدم بطلب عام ١٥٧٥ يطلب السماح له بالعودة ، فسمح له قائد الاسطول ، واعطاه رسالة لاخيه الملك ، يوصى به خيراً ، ويطلب وضعه قائداً على رأس فرقة ، لانه « يستحق الكثير لشجاعته التى جربناها ، ولذكائه الخارق ، ومواقفه النبيلة »

فى ٢٠ من سبتمبر عام ١٥٧٥ ، أبحر ثرفانتس من ميناء نابلى فى ايطاليا ، رفقة اخيه رودر ريجو RODRIGO ، وكان مثله يعمل فى ايطاليا حنديا أجيرا ، على ظهر السفينة « سول » ، ومعها سفينتان أخريتان فى طريقهما الى العودة أيضاً ، وبينما هم فى الطريق التقوا ببعض السفن الجزائرية تمخر عياب البحر الابيض المتوسط ، بقيادة الارناؤط مامى فدارت بينهما معركة عنيفة ، أمام شاطئ مرسيليا ، انتهت بهزيمة السفينة الاسبانية ، وأسر بحارتها ، والجنود الذين عليها ، وكان بينهم ثرفانتس وأخوه رودريجو ، فى ٢٦ سبتمبر ، ونقل الاسرى الى مدينة الجزائر ، ليصبحوا فى قبضة حاكم المدينة .

الى ايطاليا ، فقبل رجل الدين الايطالى ، وهكذا رحل ثرفانتس فى نهاية عام ١٥٦٨ ، وقبل ان يغادر وطنه زار بلنسية ، مهد الاسر العربية العريقة فى الاندلس الاسلامى ، ثم عرج على مدينة برشلونة اكبر ثغر اسباني على البحر الابيض المتوسط ، ورأى جنوب فرنسا ، وعبر جبال الالب ، وشهد مدينة ميلانو فى ايطاليا ، قبل ان يستقر به المقام أخيراً فى روما . غير انه مل العمل فى خدمة الكاردينال ، فلم يبق أمامه من طريق للعيش ، وحيدا فى بلد غريب ، الا أن يعمل جنديا أجيرا ، وهكذا تلقاه فى عام ١٥٦٩ يعمل فى فرقة يقودها قائد اسباني من وادى الحجارة مدينة تجاور مسقط رأسه ، فمطف عليه ، ورق لحاله ، وبصحبه زار بقية مدن ايطاليا ، وتجول فى انحاءها ، ولا تعرف فى البدء تحت اية راية كان يقاتل ، فقد كان فى ايطاليا ثلاثة جيوش مختلفة ، لها هدف واحد : الانتفاض على العالم الاسلامى فى الضفة الاخرى من البحر المتوسط ، كان ثمة الجيش الاسباني ، والجيش الايطالى ، والجيش البابوى ، غير ان المؤكد انه بعد ذلك بعام ، أى فى سنة ١٥٧٠ ، انضم الى قوات البابا بيير الخامس ، بقيادة الجنرال البابوى ماركو انتونيو كولونا . ولقد أكسب طوافه بايطاليا جنديا ، معلومات وافرة ، وتجارب متنوعة ، وسعة أفق ، واقترابا من ذخائر ايطاليا الفنية لوحاتها الرائعة فى الكنائس وتمثيلها الباهرة فى الميادين ، وتعرف على آدابها القديمة والوسيلة ، وابداع عصر النهضة ، وعائش طبيعتها الفاتنة ، ووعى ذلك جيدا ، وساعدته عليه حافظة قوية ، وتعلمه مستفيدا ، واعانه عليه ذكاء فطرى ، ولعله فى تلك الفترة بالذات بدأ يتھيا داخلها ونفسيا لاعماله العظيمة ، التى سوف يدفع بها واحدة وراء الاخرى ، حتى يلقي الله . ثم انضم الى اسطول الرابطة البابوية المرابط فى

الجزائر مرة أخرى مكرهين ، وعوقبوا على محاولتهم هذه عقابا شديدا ، وأفلت ثرفانتس بحياته ، لاجابته اللامعة ، وحسن تصرفه من جانب ، ولان القدية المتوقعة له ، كانت كبيرة من جانب آخر .

وبعد عام في الاسر ، أفرج عن عدد من السجناء الاسبان مقابل قدية دفعت لهم ، فحمل واحد منهم رسائل منه لوالده ، لكي يبذل الجهد مضاعفا في افتكاكه من الاسر ، غير ان القدية كانت أكبر من ثروة والده ، ولقد رهن الاب كل ممتلكاته ، وممتلكات بناته ، ولكن المبلغ الذي جمع كان يكفي لافتداء اخيه فحسب ، وكانت القدية بمقدار قيمة الاسير ، ولقد أطلق سراح اخيه فعلا ، فحمله ثرفانتس رسائل لناناب الملك في جزيرة ميورقة MALLORCA ، وفي

بلنسية ، لكي يأمر بارسال سفينة يستطيع أن يهرب فيها الاسرى الاسبان ، وأعطيت هذه الرسائل لفرسان القديس يوحنا ، وكانوا الطرف الكاثوليكي المواجه للبحرية الجزائرية ، ولعدد من المسؤولين الاسبان ، وأخيرا ، في ٢٨ سبتمبر ١٥٧٧ ، ظهرت أمام شواطئ الجزائر سفينة اسبانية ، يقودها القبطان فيانا VIANA ، وكان أسيرا في الجزائر مع ثرفانتس ، ثم أفرج عنه مع بقية من دفعت لهم القدية ، ولكن حراس الشواطئ انتهبوا لها ، فوالت هاربة الى عرض البحر ، ولكن البحرية الجزائرية لحقتها ، وأمسكت بها ، ووقع الذين فيها أسرى من جديد .

كانت الخطة التي وضعها ثرفانتس تقضى بأن يلجأ الاسبان الذين سوف يهربون في السفينة الاسبانية المنتظرة الى كهف في حديقة القائد حسن باشا ، وكانت على مقربة من البحر ، وخارج مدينة الجزائر بثلاثة أميال ، وفعلا خرج اليه خمسة عشر أسيرا ، واختبأوا داخله ، دون أن يعرف بذلت أحد

كانت الرسائل التي يحملها ثرفانتس الى الملك فيليب الثاني شؤما عليه ، فقد ظن الداي أن بين يديه شخصية خطيرة ، ذات مكانة مرموقة ، تنتمي الى قمة المجتمع الاسباني ، ويمكن أن يلعب بها في الحرب الدائرة بين البلدين ، ان يطلب مقابل الافراج عنه قدية عالية ، أو ان يقاوضه بجمع كبير من الاسرى المسلمين ، أو ان يستخدمه في الضغط على الحكومة الاسبانية للتخفيف من مآسى الاندلسيين المسلمين . « ان الوثائق التي حملها ثرفانتس لكي تكون طريقه الى حياة أفضل في اسبانيا ، أصبحت سببا لتمد به حياة أقسى في الجزائر » ! . وسبق ثرفانتس الى السجن ، مع بقية الاسرى ، ليلتقى فيه بأسرى آخرين من مواطنيه ، أو ينتمون الى دول اوروبية أخرى . واستمر في السجن خمسة أعوام كاملة ، ووعت ذاكرته كل السيئات التي يتعرض لها الاسرى والسجناء ، هنا في الجزائر ، أو هناك في وطنه ، وفكر في اخيه قبل ان يفكر في نفسه ، وأهمه هما يمكن أن يكون عليه حاله ، ولكنه رغم ذلك ، ظل مثلا عاليا للفضيلة والتماسك ، والفطنة والثبات ، وخصص وقته وجهده لمساعدة رفاقه ، وأحسن منذ اللحظة التي وقع فيها أسيرا ، أن مستقبلا حافلا بالمتاعب والمآسى ينتظره ، غير ان الحياة الجديدة جعلته يعيد النظر في أفكاره ، فلم يعد يحصر نفسه في مشاكل وطنه ، وانما تجاوزه ليفكر في الانسانية ككل ، وجزع للقلق الذي يسيطر على العالم ، وللتعاسة التي تساق اليها الشعوب ، وبدا اثر ذلك واضحا في كل ما كتب فيما بعد .

وبعد أشهر قليلة من سجنه حاول أن يهرب للمرة الاولى ، رفقة عدد من الاسرى الاسبان ، في يوم محدد ، واتفقوا مع واحد من السكان أن يصحبهم الى وهران ، مقابل مبلغ من المال ، غير انه تخلى عنهم بعد اليوم الاول ، فعادوا الى سجنهم في

غير الجنائني ، وأصله أندلسي من مدينة ملية MELILLA ، وثق حنينه الى وطنه صلته بهؤلاء القادمين منه ، فكان يعطف عليهم ، ويمدهم بين حين وآخر بالمزيد من الطعام . وفي ٢٠ سبتمبر يارح ثرفانتس صحبة رفاقه مدينة الجزائر ، ليختبئ في كهف الحديقة استعدادا للهروب ، لكن الجنائني لم يرد لعطفه ان يبلغ مرتبة الخيانة ، فأبلغ حسن باشا بالامر ، ودله على المكان الذي اختبأ فيه هؤلاء الاسرى ، وقد سر الباي بالخبر ، وانتظر اللحظة التي يفتضح فيها ، فقد كانت القوانين تجعل من الاسرى ملكا له اذا حاولوا الفرار . ثم أصدر امره للقائد المكلف بحراسة الاسرى ان يذهب الى الكهف، على رأس فرقة من الرجالة والفرسان ، وان يصحبوا معهم الجنائني دليلا ، وتمت المفاجأة في سهولة ، وتقدم ثرفانتس فتحمل المسؤولية عن الجميع ، واعترف بأنه المسؤول عن الهروب ، وأنه الذي أعد الخطة ، فسيق الى مقابلة حسن باشا فأعاد القول أمامه ، فاستمع اليه الباي في اناة وصبر ، وأعجب بشجاعته وتبله ، وأمر بأن ينقل الى سجن حمام الملك ، قريبا من باب عزون . ولقد ظن الجميع ان ثرفانتس سيدفع حياته ثمن هذه المغامرة ، ولكن الباي اكتفى بأن يجعل منه تحت تصرفه الشخصى . ولكن الداى مامي لم ينظر بعين الرضا الى تصرف الباي ، لان ثرفانتس أسيره ، وهو سيده ، قدفع له حسن باشا ٥٠٠ دوكادو DUCADO من الذهب، مقابل ان يتخلى له عن هذا الاسير الممتاز .

وفي هذه الفترة كان ماتيو بسكوال MATEO

PASCUAL ، رجل أعمال قتلوني ، يتردد كثيرا على الجزائر ، فلقى ثرفانتس ، وحمله هذا رسالة الى الملك فيليب الثانى ، ما زالت محفوظة حتى يومنا هذا ، يرجوه فيها أن يبدأ في غزو الجزائر من جديد ، وان يحرر الاسرى الاسبانيين ، غير ان

الملك فيليب لم يعر رسالته اهتماما ، فقد كان آخر ما يفكر فيه مصير حفنة من الاسرى الاسبان . وازاء صمت الملك واعراضه فكر ثرفانتس في الهرب للمرة الثالثة ، فكتب رسالة الى دون مرتين قرطبة قائد الحصن DON MARTIN DE CORDOBA

الاسباني في مدينة وهران ، يطلب منه ان يرسل اليه بعض الجواسيس ليستطيع ان يهرب في رفقته، ولكن حامل الرسالة فوجيء بمن يقبض عليه ، فلم تبلغ الرسالة غايتها ، وحكم على حاملها بالجلد ، وحكم على ثرفانتس نفسه بمائتي جلدة ، وهى عقوبة لم تتم ، لان عددا كبيرا من اعيان الجزائر تدخلوا لصالح ثرفانتس ، وأوقفوا التنفيذ .

ولم نتوقف محاولات الشاب الاسباني للافلات من براثن الاسر ، ففي سبتمبر من عام ١٥٧٩ توثقت عرى الصداقة بينه وبين أندلسي غرناطي ، أكره على التكتك ، فهرب من اسبانيا ، وما ان وطئ الجزائر حتى عاد الى اسلامه ، واتخذ لنفسه اسم عبد الرحمن ، فعطف على مواطنيه الاسرى ، وان اختلقوا معه ديناً ، وان لقي من شركائهم في الدين كل ضروب الاذى والاضطهاد ، وتوسط بين ثرفانتس وبين تاجر من البندقية كانا يترددان على مدينة الجزائر ، ويدعى أحدهما اونوفر اكسارك

ONOFRE EXARQUE

، ويدعى الآخر

BALTASAR DE TORRES

بالتسار دى طريس

ويقومان ببعض الصفقات التجارية ، ودفع لهما بمبلغ ١٥٠٠ دويلا DOBLA من الذهب ، ليقوما بشراء « فرطاقة » مسلحة باسمه ، يستطيع أن يقودها ، ويبحر بها الى اسبانيا ، ومعه ثرفانتس وبقية الاسرى الآخرين من مواطنيه ، وقد اشترى التاجران البندقيان السفينة فعلا ، وقبل يومين من تحقيق رغبة عبد الرحمن وثرافانتس ، تسرب الخبر

أن يقبض ٥٠٠ اسكودو من الذهب ، نفس المبلغ الذى دفعه هو من قبل ، بما طلب فعلا ، وخرج ثرفانتس فى نفس اليوم من السجن .

لقد اسهمت أمه وأخته بجانب من القدية ، دفعتا كل ما قدرتا عليه وما تملكان ، وهو ٣٠٠ دوكاندو DE CADO ، وساهم صديق للأسرة بدفع ٥٠ ، وتمتطف خلدن لها فدفع مثل هذا المبلغ ، ودفعت إحدى الجمعيات الدينية المسيحية ٥٠ أخرى . وقام الراهبان بجمع الصدقات من تجار الجزائر فتحصلا على ٢٢٠ ، وكان من المألوف الشائع أن يجيء هؤلاء الراهبان الى المدينة ، وأن يطوفوا بمتاجرهم ، يطلبون العون من التجار المسلمين لمواجهة هذه الحالات ، فيدفع لهم التجار بعض الاموال عن رضى وطيبة نفس ، فهؤلاء الاسرى تعساء يستحقون انسانيا ان يعاونوا ، لون من التعاطف الجميل لم يعرفه العالم الغربى الا منذ قرن ، حين انشئت الجمعيات الدولية لتضطلع بمثل هذه المهمات .

لم يكن ثرفانتس خلال الاسر خاملا انطوى على نفسه يتدب سوء حظه ، وانما حاول أن يعمل ، وأن يستغل مواهبه ، وكان ذلك أمرا مباحا للأسرى ، فاستطاع أن يكسب ، وأن يرفع من مستوى معيشته ، وأن يعاون رفاقه فى الاسبر ، فكان يعطى بعض الدروس فى اللغات ، والرياضيات ، وبعض العلوم الاخرى ، لعدد كبير من الاندلسيين المسلمين الهاربين من قسوة محاكم التفتيش فى اسبانيا ، وكانت مدينة الجزائر تموج بالالوف منهم ، يعملون فى مختلف الحرف والمهن ، ويقومون بنشاط اجتماعى ممتاز . كما كان يتسلى فى خلوته ، ووجدته ، بنظم الشعر او كتابة القصص ، ويظن انه كتب بعض مسرحياته القصيرة خلال اقامته فى الجزائر ، وبصفة خاصة مسرحيات : المعركة البحرية

الى اندلسى آخر ، من الموريسكوس ، وكان من قبل فى اسبانيا امسا رجل دين ، يدعى خوان بلانكو دى باث JUAN BLANCO DE PAT ، ثم هرب الى الجزائر وعاد الى الاسلام ، فقد اسر اليه بالامر اندلسى ثالث له مثل ظروفه تماما ، لكي يبلغ الامر الى حسن باشا الباي . وعند ما اكتشفت الخطة عمهم الرعب جميعا ، بما فيهم ثرفانتس نفسه ، خاف التجاران على حياتهما وعلى حريتهما ، وعرضا على ثرفانتس أن يدفع له القدية لكي يتفادى الجميع عواقب المؤامرة ، ولجأ ثرفانتس خوفا الى بيت اسباني مثله ، ثم عاد واسترد شجاعته ، محاولا أن يدفع الضرر عن الجميع ، فتوجه الى الباي سريعا ، ليقول له : « على عاتقى وحدى تقع المسؤولية ، حتى ولو كان جزاؤها الموت » . غير أن حسن باشا أخذ بشجاعته من جانب ، ومن جانت آخر خشى أن أمر بقتله ان يذهب ومعه من الاسرار ما يمكن أن يفيد الدولة فى صراعها مع الاسبان .

وبينما هذه الاشياء تجرى فى الجزائر كانت والدة ثرفانتس وأخته تطوفان بالجمعيات الدينية فى مدريد ، من أجل العمل على اقتداء ابنها ، وأخيرا وصل الى الجزائر الراهبان خوان خيل JUAN GIL

وأنطونيو دلا بيا ANTONIO DE LA BELLA فى ٢٩ مايو ١٥٨٠ ، وقابلا حسن باشا ، وتحدثا اليه فى اقتداء ثرفانتس ، فطلب منهما ألف اسكودو ESCUDO ذهبيا ، لانه دفع الى مامى الدالى ٥٠٠ فى مقابل أن يصير أمره اليه . ولم يكن الراهبان يملكان هذا القدر من الذهب ، فبدا لهما أن تحريره أن لم يكن مستجيلا فهو شيء شبيه به ، غير أن الحظ لعب دوره فى هذه المرة الى جانب ثرفانتس ، فقد استدعى حسن باشا الى القسطنطينية من قبل الخليفة العثمانى ، وقبل أن يرحل بقليل ، فى ١٩ سبتمبر ١٥٨٠ ، تراجع عن القدر الذى حدده ، وقبل

LA BATALLA NAVAL

EL TRATO DE ARGEL

LA GRAN TURQUESA

LA GRAN SULTANA

، ومعاملة الجزائر

والتركية العظيمة

والسلطانة العظيمة

ولا يستبعد

كذلك ، ان تكون تلك الليالى المظلمة القاتمة ، العارية

من كل أمل ، قد أوجت اليه بالخطوط الاولى لروايته

الخالدة « دون كيخوته » ، وان سجن الجزائر ، فى

باب عزون ، على مقربة من قصر الباي ، شهد مولد

تلك الدرة الفريدة فى الادب العالمى .

لقد رحل ثرغانتس من الجزائر ، فى نهاية عام

١٥٨٠ ، بعد ان أمضى فيها خمس سنوات أسيرا ،

وكان لايام اسره اثر بالغ فى اديه ، واحتفظ لها دائما

بذكريات ملهمة ، فى كل ما تبقى له من حياته ،

وتناثرت اشاراته اليها فى كل ما كتب من روايات أو

قصص أو مسرحيات . ولا يعرف على التأكيد

التاريخ الذى أبحر فيه الى اسبانيا ، ولا فى أى ميناء

هبط ، من الممكن ان يكون قد سافر الى برشلونة ، أو

بلنسية ، أو دايئة ، ووصل الى وطنه ليواجه ظروفها

لا تقل قسوة عن ظروف الاسر ، وكان عليه ان يناضل

فى ضراوة من أجل حياة أفضل ، لقد انتهى الفصل

الاول من مسرحية حياته فى مدينة الجزائر ، وكان

داميا وأسرا ومثيرا ، وبدأ الفصل الثانى منها فى

اسبانيا ، وسيكون أكثر دموية وأسرا واثارة ، ولكن

هذه قصة أخرى !

الدكتور الطاهر أحمد مكي



مدينة الجزائر من خلال النصوص

العربية
والأجنبية



وصف مدينة الجزائر لابن حوقل (1)

وجزائر بنى مزغنان مدينة عليها سور في نحر البحر وفيها أسواق كثيرة ولها عيون على البحر طيبة وشربهم منها ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر كبيرة وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال - ولهم من الصل ما يجهز عنهم والسمن والتين ما يقع به وبغيره من هذه الأسباب الجاهز إلى القيروان وغيرها - ولهم جزيرة تحاذيها في البحر إذا نزل بهم عدو لجأوا إليها فكانوا بها في منعة وأمن ممن يعذبونه ويغالفونه .

(كتاب المسالك والممالك والمفاوز والممالك)

(1) ابن حوقل - أبو القاسم محمد - صاحب كتاب المسالك والممالك والمفاوز والممالك - أو كتاب « صورة الأرض » ، دخل الجزائر أيام زيري بن مناد سنة 337 هـ ، وتوفي ابن حوقل بعد 367 هـ - 977 م .

افتارها وأعدّها وعلق عليها
مولاي بلحميسي

قال المقدسي (1)

اما الفريقة فقصبتها القيروان ومن مدنها جزيرة بنى زغناية (2) .. وجزيرة بنى زغناية على ساحل البحر مسورة يعبر منها الى الاندلس ولهم عيون ... « أحسن التقاسيم »

(1) المقدسي - شمس الدين أبو عبد الله محمد - من رجال القرن 4 هـ - 10 م ، توفي بعد 378 هـ 988 م ، وله كتاب مشهور في الجغرافية سماه : « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » (2) الصواب : جزيرة بنى مزغنة

وصف مدينة الجزائر للبكري

مدينة جزائر بنى مزغنى . . مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار لالول وازاج محكمة تدل على انها كانت مملكة لسالف الامم وصنعن دار الملعب فيها قد فرش بحجارة ملونة صفار مثل الفسيفاء فيها صور الحيوان يحكم عمل وابدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمان ولا تعاقب القرون ولها اسواق ومسجد جامع . وكانت بمدينة بنى مزغنى كنيسة عظيمة بقى منها جدار مدير من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للميدين ملصص كثير النقوش والصور . ومرساها مامون له عين عذبة يقصد اليه اهل السفن من الفريقة والاندلس وغيرها . كتاب المغرب

(1) البكري - أبو عبيد الله - من أشهر جغرافى القرن الخامس الهجرى وله كتاب : « المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب » وهو جزء من كتاب السالك والمالك - طبعة دى سلان باريس 1965 لى

وصف مدينة الجزائر للادريسي

مدينة الجزائر على ضفة البحر . وشرب اهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار . وهي عامرة أهلة . وتجارتها مربعة . واسواقها قائمة وصناعاتها نافقة . ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وزراعاتهم الحنطة والشعير واكثر اموالهم المواشى من البقر والغنم . ويتخللون التحلل كثيرا فلذلك العسل والسمن في بلادهم كثير وربما يتجهز بهما الى سائر البلاد والافطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم . واهلها قبائل ولهم حرمرة مانصة .

الادريسي

(1) الادريسي - أبو عبد الله محمد ابن محمد - المعروف بالثـمـرـيـف الادريسي ، ولد بسبنة حوال 1100 وله كتاب مشهور وهو نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق . وتوفى حوال 1160 م .

مدينة جزائر بنى مزغنة

« . . مدينة على ضفة البحر والبحر يضرب فى سورها وهي قديمة البناء اذلية فيها آثار عجيبة تدل على انها كانت دار مملكة لسابق الامم وفيها دار ملعب قد فرش صحنه بحجارة ملوفة مثل الفسيفاء فيها صور الخيل والحيوان باحكم صناعة وابدع عمل ويتصل بجزائر بنى مزغنة فحصى كبير يسمى فحصى متيجة وهو فحصى عظيم كثير الغصب والقرى والمعاملر تشقه الانهار وهو نحو مرحلتين مثلها قد احلقت به جبال مثل الاكليل وفي آخر هذا الفحص جبل عليه الطريق وهو وعز المجاز يسمى خلق واجسر

ويسميه اهل البلاد «باب المغرب» ، وليس يدخل الى بلاد الغرب الا منها .

وكانت بمدينة بنى مزغنة كنيسة عظيمة فيها عجائب من البنيان بقى اليوم منه جدار هو قبلة الشريعة فى العيدين وهو كثير النقوش والصور ومرساها مامون وفيه عين عذبة يقصد اليها اصحاب السفن وعلى هذا الولا . الاتفاق كثير . .

من كتاب الاستبصار ص 22 - 23 (1)

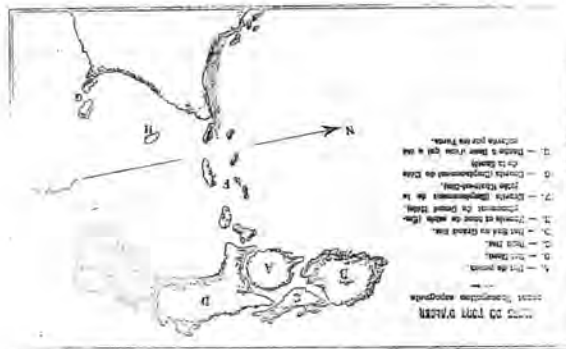
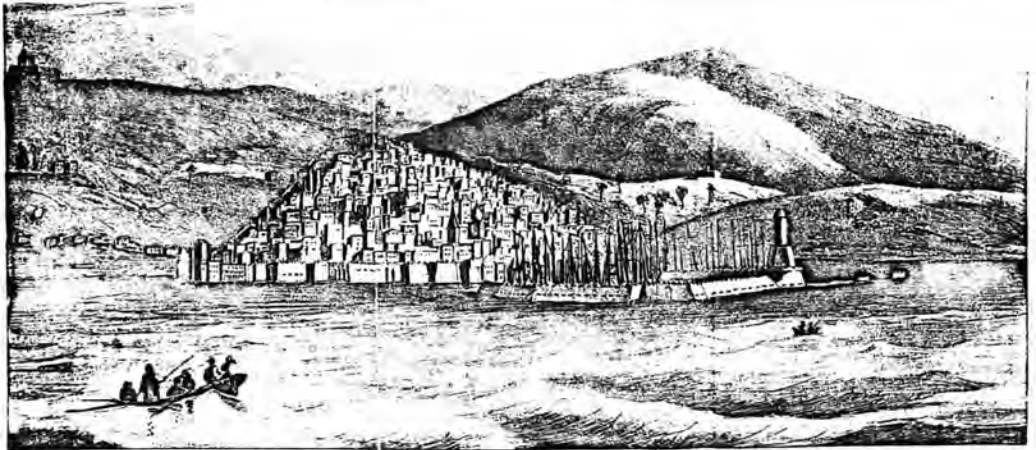
(1) كتاب الاستبصار لمؤلف مجهول غالب الظن انه عاش فى القرن 6 هـ - 12 م . وقد اعتنى بنشر الكتاب المشرق كريمير سنة 1852 ، ونقله الى الفرنسية فانويون سنة 1900

وصف مدينة الجزائر للمبدرى

وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر ، ويقف على جمالها خاطر الخاطر قد حازت مزيتى البر والبحر ، وفصليتى السهل والوعر . لها منظر معجب أنيق ، وسور معجز وثيق ، وابواب محكمة العمل ، يسرح الطرف فيها حتى يمل ، ولكنها قد أقفرت من المعنى المطلوب ، كما أفر من اهله ملحوب (2) فلم يبق بها من هو من اهل العلم محسوب ، ولا شخص الى فن من فنون المعارف منسوب وقد دخلتها سائلا عن عالم يكشف كربة ، او اديب يونس غربة فكانني أسأل عن الابلق الملقوق (3) او احاول تحصيل بىض الانسوق . .

المبدرى : الرحلة المغربية

(1) المبدرى - محمد بن محمد بن علي - القرشي المغربي من رجال القرن



السابع هـ - الثالث عشر م ، حج
فصنف رحلة مسجوعة الى المشرق
بداها من اقصى جنوب المغرب مارا
بتلمسان ومليانة والجزائر . . وذلك
سنة 1289 م - 688 هـ

(2) ملحوظ : اسم مكان ورد في
قصيدة لمبيد بن الابرس

(3) المعقوق : قيل بيض العقاب
في الجبل الشامق المنيع ، وقيل
الابلق هو الذكر والمعقوق هو الحامل
وهذا مستحيل - يضرب المثل فيما
لا سبيل اليه

(4) - يميل المبدري الى النقد وفي
كلامه مبالغة - لان مراحل كانت
مستحيلة فانه يجهل الوضع الحقيقي ،
وعابر السبيل المسرع يمر مر
المحاب ولا يسمح له بالاطلاع

**قال الشيخ البلوى 1 وقد ورد
على الجزائر مع رفقاته :**

. . فرأيت معيا صبيعا ، وترتيا
مليحا ، ومسجدا عتيقا ، وبناءا انيقا
واناسا قد سلوكوا الى الحسن والاحسان

قال عبد الرحمن الجامعي (1) :

. . . واما مدينة الجزائر فاول بلد
لقيت بها مثل من فارقت من ادباء
بلدى ، وبها تذكرت بعض ما كان
منية خلدى لاجتماعي فيها بالاديب
الماهر الدال وجوده على صحة القول
بوجود الجوهر الفرد في سائر الجواهر
اديب العلماء وعالم الادباء . محسى
طريقة لسان الدين الخطيب . . ابى
عبد الله محمد بن محمد المعروف
بابن على . .

**طريقا ، من مدينة قد احاط بها
البحر احاطة السوار بالزند . .
تاج الفرق بتعليه علماء المشرق**

(1) البلوى - ابو البقاء خالد بن
غيسى - من فضلاء الاندلس وعلماء
القرن 8 هـ - 14 م ، حج فصف في
رحلته « تاج الفرق » . قال القزويني :
رحلة كثيرة الفوائد

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

505 هـ - 1113 م) في وصفه جزيرة ما يورقة الى أن يقول :

فكانها الانهار فيه مدامة

وكان ساحات الديار كؤوس

(3) جيرون : قبل هو جيرون بن يمد ابن عاد نزل بدمشق فبنها فسميت المدينة جيرون وقيل هو اسم أحد أبوابها فقط وقيل هو اسم لأم ذات المصاد

(4) ابن زاكور - أبو عبد الله محمد ابن بلقاسم بن محمد بن عبد الواحد - - الفاسي ، رحالة وأديب مغربي ، ولد بفاس وتعلم بها في منتصف القرن 17 م ، ثم ارتحل الى تطوان وأخذ عن علمائها ، وفي سنة 1683 قدم الى الجزائر وأخذ عن الشيخ محمد بن سعيد قدورة - توفي 1687 - فاجازه في رجب 1094 هـ - جوان - جوليت 1684 - وتوفي ابن زاكور سنة 1120 هـ - والرحلة تسمى د نشر أزاخير البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان ونشرها مسجوع طبعت بالجزائر سنة 1902 - 1319

مدينة الجزائر في أواخر القرن السادس عشر م :

الجزائر . . علامة كثيرة الاسواق بعيدتها كثيرة الجند حصينة ، لها ابواب ثلاثة (1) وفيها المسجد الجامع واسع امامه مالكي المذهب وفيها ثلاثة خطب أحدها للترك امامهم حنفي المذهب ، ومرساها عامر بالسفن ، ورياسها موصولون بالشجاعة وقوة العاش ونفوذ البصيرة في البحر ، يقهرون النصارى في بلادهم ، فهم افضل من رياس القسطنطينية بكثير

وحلول مغانيها النواضر ، التي غص بيهجتها كل عدو كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر ، في الموارد والمصادر ، ويرسلون عليها صواعق لم تعهد في الزمن القابر ، أبراني من عليل ووجدى ، ما عاينته من رواها (1) الصيحي ، وبعرها اللازوردى ، اذ هي كما قيل :

بلد اعارته الحصاة طوقها

وكساء حلة ورشه الطلوس (2) ما شئت من حقائق ، كالتحقيق ، وقصور نوع المحاسن عليها مقصور ، والذي اعلمها ذلك العربي الجليل ، واصارها فضية الصباح مسجدية الاصيل ، والحقها بهجة واشراق ، واليسها نضرة وايراقا ، وابسدها للبيون آتق من جيرون (3) ، غرد اعلام ينجل بهم الظلام وشمس انة تنفجر بهم كل غمة ، وتفتخر بهم اجساد هذه الامة ، من رجال كالجبال واجبار كالافكار ، طلعوا في بروج سعودها بنورا ، اليسوها رواق ونورا فاهتديت بانوارهم السنية ، الى كطف ما راق من انوارهم الجنية ، ورتعت في رياض آدابهم فتمتعت ، ونهلت من حياض علومهم حتى تفضلعت ، وكمرت في انهار بلاغتهم حتى رويت ، وهضرت من افنان براعتهم ما هويت ، ونسيت بشرهم وتانسهم وما القيتسه من المعارف في تدريسهم ، ما عاينته من دمج القفار وقايسته في ليج البحار، ابن زاكور : (4) نشر أزاخير البستان ص 3 - 4

(1) الرواء . المنظر الحسن

(2) ينسب هذا البيت للشاعر الاندلسي ابن الليثية (العرفى سنة

فهي - الجزائر - والحمد لله دار الجوهر الفرد في الادب وعلم العقل والنقل وتنتب العلماء والصالحين كما تنبت السماء البقل . . وهذه المدينة لا تخلو من قراء نجباء وعلماء اديباء واعلام خطباء مساجدهم بالتدريس مضمومة ومكاتب اطفالهم بالقراءة مشحونة ومشهورة وقد ذكرت ما فيه غنيمة من علمائها الاخير وكلمهم متحلون باحسن الصفات متسلعون بعلم النحو واللغة والحديث واحياء ليلة المولد النبوي مثل ما في القديم والحديث . . وقد كان بهذه العاقرة نحو مائة مكتب ملائ بالاوادم حيث ان المحصل الذي لا يسع التلاميذ يجعلون فيه ستة يصعدون اليها الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن العظيم وحفاظه كانوا كثيرين . . - من رحلة الجامي -

(1) هو أبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله الفاسي الشهير بالجامي ، اديب وكاتب ، ولد بفاس سنة 1087 هـ ونشأ بها في طلب العلم فحصل على علوم شتى ، ثم قدم مدينة تونس وتماطى للتدريس بالجامع الاعظم - الزيتونة - صاحب قريحة جيدة في نظم الشعر البليغ لا يضاهي فريد عصره فيه في زماننا هذا ، له مهارة في جميع الفنون . . وله تأليف لطيف في فتح قلعة وهران ، بالغرب (من كتاب الذيل لكتاب بشارت اهل الايمان) لحسين خوجة ص 167

وصف مدينة الجزائر

« . . وانه لما من عل المولى الكريم ذو الفضل السابغ العظيم ، يدخل مدينة الجزائر ، ذات الجمال الباهر ،

مدينة الجزائر من خلال النصوص

قط مثل هذا الواقع لرياس الجزائر .
(التمقروتي (6) : النفعة المسكية
ص 139 - 141)

1 « والصحيح انه كان للمدينة
خسة أبواب باب عزون - باب
الجديد - باب الوادي - باب البحر -
باب الجزيرة

2 أبو زيد عبد الرحمن بن محمد
ابن مخلوف 778 - 1387/845 - 1471
(راجع حياته في باب التراجم)

3 أبو العباس سيدي أحمد بن
عبد الله الجزائري توفي 874 / 1469
ودفن في مقبرة باب الوادي - وله
منظومة في التوحيد سماها الجزائرية

4 اقام التمقروتي أكثر من شهرين
في الجزائر 8 ذي القعدة الى 17 محرم
الموافق 28 أوت الى 5 نوفمبر 1589
وهو في طريق العودة الى اصطنبول
وذلك بعد ان مر ببيتزرت وعنابة
وبجاية

5 قبطان بحر وكان من خدام قاراعل
6 هو أبو الحسن علي بن محمد
أديب وسفير السلطان السعدي مولاي
أحمد المنصور الذهبي أرسل في مهمة
لدى السلطان العثماني باصطنبول
فصنف رحلة سماها « النفعة المسكية
في السفارة التركية » وذلك ما بين
1589 و 1591

وتوفي التمقروتي سنة 1003
- 1594 م

من المسلمين فرمى بعض المسلمين
انفسهم الى البحر فنجوا بعضهم بالسباحة
وغرق بعضهم . وذهب النصاري
بالسيفتين الى بلادهم بما فيها من
الاموال والنساء والصبيان .

فلذكر لنا بعض من له خبرة بأمور
الباشا والي البلد ان الذي ذهب له
في السيفتين الف الف مثقال وذكر
آخر انه ثمانية عشر قنطارا ذهبيا سوى
الجواهر والملف وسائر السلع
والنصاري والفرش ، فوقع ماتم عظيم
في كل دار من ديار الجزائر حزنا على
ما وقع للمسلمين من المصيبة في
الانفس والاموال . ثم بعد ايام ورد
الرياس ارنالوت مامي (5) وكان غالبا
في «سار» في مراسي بلاد النصاري
بثمانين سفن واخذ ثمانية عشر نصاريا
من نصاري السيفتين ذهبوا في مركب
صغير ليلاهم ومعهم ثمانية عشر الف
مثقال فلذكروا انهم لما وصلوا بلاد
النصاري اقتسموا ما ذهبوا به
فاتاهم الف مثقال لكل انسان بعد
ان دفعوا عشرين الف مثقال صدقة
للكنيسة ، وذكروا لنا انهم عزموا
على هذا القدر والفتك قبل وصولنا
الجزائر ومن معهم . وكان السبب
في ذلك فيما ذكر ان تشاوروا بينهم
فقال ذو رأيهم : السيفستان الآن
فارغتان ليس فيها الا الانفس اخروهما
حتى ترجعا من الجزائر موسولة بالاموال
والذخائر فكان الامر كذلك . . ورياس
اصطنبول معهم الفرة والفضة وما وقع

واعظم هيئة واكثر رعبا في قلوب
العدو ، فبلادهم لذلك افضل من جميع
بلاد الفريجة واعمر تجارا وفضلا
وانفذ اسواقا واوجد سلعة ومتاعا
حتى انهم يسمونها «اصطنبول الصغرى»
وطلبة العلم فيها لا يأس بهم الا ان
حب الدنيا وايتثار العاجلة والافتتان
بها غلب عليهم كثيرا . والكتب فيها
اوجد من غيرها من بلاد الفريجة .
وتوجد فيها كتب الاندلس كثيرا ،
وفي هذه المدينة قبر الولي الصالح
أبي زيد سيدي عبد الرحمن الثعالبي
(2) وقبر الوالي ابي العباس سيدي
أحمد بن عبد الله الجزائري (3) وقبر
الولي الصالح ابي النور ، وكذا يقال
له عند اهل البلاد ، وهو الذي قبره
في راس الجبل وكل هؤلاء خارج
باب الوادي وفيها غيرهم من الصالحين
زرتهم وتبركنا بهم والحمد لله (4) .

ولقد سافرت السيفتان اللتان
جئنا فيها (1) واجعتين من الجزائر
الى اصطنبول بأموال كثيرة وجباية البلد
وهدايا للسلطان والوزير والقبطان
وغيرهم واموال التجار وذخائر الجند
وغير ذلك وسافر فيها كثير المسلمين
وقاضي البلد المعرج بماله ونسائه
واولاده والتجار والحجاج وغيرهم .
بعد ان انفصلوا عن البلد بليدة
قام فيها العلوج ، محاليك رايسها ،
مع من فيها من نصاري القذف ونصاري
الهدية ، فقتلوا الرئيس ومن حاربهم

قال الجامعي في مدح مدينة الجزائر (1)

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| بلاد براس الغرب تاج مكلل | و خلخال سوق الشرق غير ضواير |
| بدت بمنصات الزمان كانها | عروس تجلت في اعمال المنابر |
| وقد قلدت من بحرها بموشج | وصيقت لها الامواج خلخال حاسر |
| ولاح بها باب الجزيرة مثلما | تبسم نغر في وجوه البشائر |
| كان مجاز البحر معصم عادة | تحل سوادا و اكتسى بجواهر |
| و لله ابراج بشاطي بحرها | تحكي النجوم الزهر في عين خازر |
| كان الرياض الغضر محفة بها | ذوائب اصداغ الوجوه التواظر |
| غصون و انهار و تلك لهذه | تحن فتعنو لاستلام الفزائر |
| فتبدو وقد حاك التسيم برودها | نصال رماح في زرد مشاجر |
| و لله ما ضمته من كل منظر | حلاوته ، ما مر ، تلقى بغاطر |
| فدعنى من غرناطة و ربوعها | و شيل فالحسن انتهى للجزائر |
| لها تفضل العمراء بيفاء عادة | مقرطة باليد ذات غداير |
| و من لربوع بالجمال وقد غدت | كخط زبور في قديم الدفاتر |
| و على ربوع حاطها بالحامدة | مؤلفة من تنوره غير ساتر |

(1) تقدمت الاشارة اليه في باب الرحلات

الشعر الملحون: قال الشيخ بن مسايب (1)

| | | |
|----------------------|------------------------|-------------------------------|
| زرد مول ساكة نوصيك | لم كى تنحل البيبان | ادخل مزغنه يا صاح |
| طر من ثم لبوفريك | للجزائر داخل فرحان | عندهم تمتع و ارتاح |
| اعمل الدولك على جنحك | زرد سيدى عبد الرحمان | تنسقى من كيسان الراح |
| تبات بلد الجير نزاها | بركته ينفعا بها | من غمور الود اسقها |
| بت زاهى واصبح مسرور | ليلة الجمعة اطلع للشيخ | |
| بين ما ومنازه وقصور | نرسلك واذا كنت صريح | |
| خذ وعده سيدى منصور | تودع منازلها توديع | (1) من شعراء القرن الثامن عشر |
| قبل الا تدخل ههنا | واعرف الدار ادرج ليها | بتلمسان |

وبنى ابنه بلكين بأمره مليانة ومدينة
الجزائر والمدينة .

لسان الدين بن الخطيب : كتاب
اعمال الاعلام ص 61 - 63 ، ط
الدار البيضاء 1964

التحاق الجزائر بالمملكة العثمانية

فرض اهل المدينة وصوبوا رأيه
في ذلك . فامرهم ان يكتبوا عمل
لسانهم كتابا الى حضرة السلطان
يغبرونه بصرف طاعتهم اليه وانهم
من جملة من تنفذ احكامه ويقع فيهم
نقسه وابرامه ويكتب هو ايضا مثل
هذا الكتاب ، فرضى اهل المدينة
بذلك وكتبوا كتابا كما امرهم وكتب
ايضا آخر . وعين اربعة اهلان يرسم
السفر الى حضرة السلطان وقسم
عليهم رجلا من خواص اصحابه اسمه
العاج حسين ووجه صحبتهم هدية
عظيمة من جعلتها اربعة رؤساء من
رؤساء النصارى العظام .

فوصلت الاجلطان الى حضرة السلطان
سليم . فلما ادسوا بمصرى
القسطنطينية العظمى وقابلوا قصر
السلطان رموا على حسب ما جرت به
المادة مدافع كثيرة ونزلوا بتلك
الهدية الى الوزير الاعظم . فاعلم
السلطان بقدمهم واوصل اليه
الهدية التى قدموا بها فقبلها
السلطان وامر بانزالهم واجراء النفقة
عليهم ثم انهم لما ارادوا الرجوع
وجه صحبتهم سنجقا الى الجزائر
بقبول ما كتبوا اليه وانهم ممن
تسلمهم عنايته وتحرسهم رعايته .
وقد كان القونصل المستقر بالقسطنطينية
من قبل البنادقة اعطاهم الذى يسميه
اهل البحر الباسيوط يتضمن حمايتهم
من كل ما يلقونه من اجلان العدو
العربية فحمله معهم وسافروا راجعين
الى الجزائر .

(2) لعل ابن خلدون يقصد
بالاخطا التوسيع والتعديل حتى
اصبحت من الامصار لان المدن الثلاث
كانت موجودة وآهلة قبل بلكين .

(3) ابوزيد عبد الرحمن بن محمد
ابن محمد بن خلدون ولى الدين ولد
بتونس في رمضان 732 - ماي 1332
وتوفى بالقاهرة في رمضان 808
- مارس 1406

والجدير بالذكر انه اقام ما بين
776 و 780 / 1375 - 1378 بقلمة
بنى سلامة وتاغزوت بقرب مدينة
فرنجة - ولاية تيارت) لتأليف المقدمة
والنسخة الاولى من كتاب العبر

ذكرى ملوك صنهاجة بافريقية المغرب

وان كان هؤلاء المذكورين
مندرجين في دول الشيعة وملتزمين
طاعتهم ولكنهم استبدوا وقد خفت
الدولة العبيدية فكانوا ملوكا ججاج
وكان ابتداء امرهم ان هذا الملك
بالمعز لدين الله اباتيم جبار بيت
الشيعة وفعل من دون اوليهم لما
ازمع الرحيل الى المشرق وحرس على
استيقا . ما حازه من ملك المغرب
بافريقية وما اليها الى احوال تلمسان
الى صقلية ليكون له ردا ولملكه
بالمشرق عدلا .

وكانت بين ملوك زناتة في قديم
الزمان وحديثه وبين امراء صنهاجة
جيرانهم بالحدود المسيلية من
مليانة والجزائر والحدود التاهرتية
لما وراها حروب عظيمة واضرار
متصلة وحسائق ظاهرة وكامنة .

وكانت الرياسة في صنهاجة الى
زيري بن مناد وكان زيري اول من
ظهر منهم بالمغرب الاوسط وهو
الذى بنى مدينة اشير واليه تنصب

تأسيس الجزائر ومليانه والمدينة

واختط (زيري) مدينة « اشير »
للتحصن بها سلاح الجبل المسمى
تيطرى لهذا العهد ، حيث مواطن
حصين ، وحصنها بأمر المنصور ،
وكانت من اعظم مدن المغرب .

واتسمت بعد ذلك خطتها واستبحر
عمرانها ، ورحل اليها العلماء
والتجار من القاصية . وحين نازل
ابو اسماعيل المنصور ابا يزيد
لقلمة كتامة جاء زيري في قومه
ومن انظم اليه من حشود البربر ،
وعظمت تكايته في العدو ، وكان
الفتح وصحبه المنصور الى ان انصرف
من المغرب ووصله بصلات سنية .
وعقد له على قومه واذن له في اتخاذ
القصور والمازول والعمارات بدون
اشير . وعقدت له على تاهرت
واعمالها .

ثم اختط ابنه بلكين (1) ، بأمره ،
وعلى عهد ، مدينة الجزائر المنسوبة
لبنى مزغنة بساحل البحر ومدينة
مليانة بالبوالة الشرقية من شلف
ومدينة لمدونة (2) (وهم من بطون
صنهاجة) وهذه المدن لهذا العهد
من اعظم مدن المغرب الاوسط .

ابن خلدون (3) : كتاب العبر
ج 6 ص 313 - 314 ط بيروت

(1) يلكين بن زير بن مناد من اشهر
امراء صنهاجة في خدمة
الفاطميين ، قضى حياته كلها فى
معاربة زناتة بالمغرب الاوسط حتى
اقصاهم عن البلاد واستول على
المسيلة والزاب كما استول على فاس
وسجلماسة وهزم برغواة حتى وفاة
الاجسل وهو فى طريقه الى
984 - 373

فلما كانوا في أثناء السفر لقيهم ثمانية أجفان البنادقة فاودهم الكتاب الذي أعطاهم القونص فقبلوه منهم في الظاهر وكان ذلك منهم مكرا وخيانة وقالوا لهم لا بد لنا من الذهاب معكم الى ناحية انظول خشية عليكم من بعض الاجفان الحربية فيستول عليكم فتعاقب نحن بكم ، فاعتز بذلك المسلمون وذهبوا معهم الى ناحية انظول هجموا عليهم وصدومهم صدمة واحدة ولم تكن للمسلمين بهم طاقة ففرقوا ثلاثة اجفان للمسلمين ولم ينج منهم الا ثلاثة انفس . واما البقية الرابع الذي فيه مقدم الجيش فانه علق على الساحل وخرج الكفار في اثرهم فقتلوا كثيرا من المسلمين وفر الباقون بين ايديهم . اما مقدم الجيش فانه دخل انظول وكان بقرها كما ذكرناه ولقى قاضي المدينة واخبره بما جرى على اجفان المسلمين وكيف مكر بهم كفسار البنادقة فكتب القاضي بذلك كتابا الى حضرة السلطان يعلمه بما جرى على اجفان الجزائر وعين لحامل الكتاب مراكبا بما يحتاج اليه من آلة السفر وسافر فيه مقدم اجفان الجزائر فلما وصلوا الى الحضرة دخلوا الى الوزير الاعظم ووصلوا اليه كتاب قاضي انظول فلما قرأ الكتاب استغاث من ذلك استغاثا شديدا وبعث الى قونص البنادقة يتهدده ويعلمه ان اجفان اهل الجزائر ان وصل خبرها الى السلطان قبل ان تردوها يقع عليكم بلا عظيم من قبله . فامتثلوا امر الوزير وردوا لهم جملة ما ضاع لهم من الاجفان والاسباب وغيرها . فرجع مقدم الجيش الى مدينة انظول فوجد بها ثلاثة رجال الذين نجوا من الاجفان التي استول عليها العدو فذهب الجميع

الى جزيرة بقرب انظول فوجدوا بها الاجفان التي غرقها لهم العدو فركبوا فيها ورجعوا الى الجزائر فلما دخلوها ووقفوا بين يدي خير الدين واوصلوا اليه امر السلطان والسنيق الذي وجهه صحتهم واعلموه انه قبل طاعة اهل الجزائر واذن لهم في صرف الخطية والسكة اليه كما تضمنه الكتاب الذي وجهه معهم ، ففرح بذلك خير الدين فرحا شديدا وسر به سرورا عظيما الا انه حصل له بعض الحزن على ما وقع لاجفانه من النكبة التي حصلت لهم من عدو الدين واستقر خير الدين اميرا من قبل السلطان الاعظم سليم خان وصرف دعوتها اليه وامر بذكره على منابرها وضرب السكة عليه .

(من غزوات عروج وغير الدين)

ذكر اخبار الفرنسيين بعد استيلائهم على الجزائر

اول ما ابتدا به قائد الجنود الفرنسية في الجزائر ، ان رتب مجلسا ، من رؤساء الجنود ، لضبط خزائنها من الاموال والجواهر والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من ضبطها - على ما قيل - من الذهب والفضة ، وقيمة الجواهر : ثمانية واربعون مليوناً وستمائة الف وثمانون الف وخمسمائة وسبعة وعشرون فرتكا . . . وهي الصوف والحنطة والشعير وغيرها ، ما يبلغ قيمته ثلاثة ملايين من الفرتكات ومن المدافع والبنادق والبارود والرصاص والقنابل وغيرها من آلات الحرب ، مع ثمن الاملاك الاميرية داخل البلد وخارجها ما قيمته خمسون مليوناً من الفرتك .

ثم حمل اليشا ، مع اهله واتباعه الى الكودية ، ثم الى الاسكندرية .

ولما وصلها ، احتفل به محمد علي باشا ، واطلمه على المهمات الحربية وغيرها ، وصنع له مادبة حضرها الاعيان ، واكابر البلد . وفي أثناء الطعام ، اتى حسين باشا على الخديوي ، ومدح اعماله وهيمته ، في اعمار مصر وترقيتها ، فاجابه الخديوي بقوله : يا حضرة اليشا . ان جميع ما رايت واستحسنته كان منشؤه من اكل الفول وكان ذلك منه تذكارا له ، فيما سلف من الجواب ، عند قراءة الكتاب . . فتفحص حسين باشا ، وتوجه لمحلته متألما . وبعد ايام قليلة ، توفي سنة اربع وخمسين ومائتين والف هجرية (1243) .

ولما كثر الهرج بين الانكشارية ، والجيش الجزائري ، جمعهم القائد العمومي ، وعمل اكثرهم الى نواحي ازميز . وخصص للانغيا ، منهم ، في الاقامة بالجزائر ، ريشا يبيعون عقاراتهم وامتنعتهم . وبعد فراغهم من اشغالهم ، حملهم الى جهات مختلفة ودون الدواوين ، وجند من اهل المدينة جندا بلديا ، وبنى قواعد حكومتهم في الجزائر ، على الطهار الهيئة ، ومراعات امور الشريعة الاسلامية ، واخترام المساجد وتظيم العلماء ، وحرية العوائد وتلطف ما شاء في امالة القلوب اليهم . وبدل الاموال ترغيبا ، حتى يلين اليهم القوى ، ويدخل في طاعتهم الابي وظن ان سياسته هذه كافية في الاستيلاء على سائر المقرب الاوسط . ولم يعلم ان دون ما اراد ، خرب القناد . وقد ظهر لهم بعد حين ، ان في عين اليقين حروبا ، يشيب لها الوليد ويضبط لها القوى الشديد . الى ان نالوا غاية مرغوبهم وذلك تقدير العزيز العليم .

تحفة الزائر تأليف الامير محمد ابن عبد القادر الجزائري ص 137-138

هذا تاريخ قدوم لبلادور الى الجزائر

عمارة النصارى قد آتت وهي عمارة كبيرة اخلت وجه الماء كله وسترته وشرعت في عدها فلم اقدر فتشوش نظري من ذلك لكثرتها فعند ذلك عين حسن اغه جملة من الخيل فصعدوا الى جبل ابي ذريرة لياتوا بتحقيق العمارة فرجعوا اليه وكل واحد منهم يقول لم اقدر على احصاء ما رايت الممد كثير لا يصل اليه الادراك فعند ذلك امر حسن اغه سيدي سييد الشريف وكان هو شيخ المدينة ان يوجه رجلا من اهل البلد الى الابراج والاسوار يرسم حراستها في مقاتلة العدو منها فتعفى شيخ المدينة المذكور وعين الرجال للابراج والاسوار ونصبوا رايات الاسلام عليها ووزع حسن اغه على ابواب المدينة بطوائف من السكر فصين لباب عزون رجلا من اعيان السكر واسمه الحاج مامي وكان مذكورا في الشجاعة فقام بما عين له واما حسن اغه فقام في حصن من حصون الجزائر تصل مدافعه الى العدو برا وبحرا ومعه جماعة من السكر وطبوله تصعد اصواتها الى الجو والويته المنصورة تطلق على راسه وجعل على ابواب الوادي (هذا الحصن مدفعا عظيما يدهش الانسان عند صيحته وتزهق النفس من دفعته وجعل من هذه الحصن السى القصبة لايدا ومعه طائفة من السكر واسمه القايد حسن وعين لحراسة باب الوادي رجلا اسمه القايد يوسف ومعه جماعة من السكر وعين معه ثلاثة من القيايد اسم احدهم سافر

وكانوا في حال طلوهم الى دار الامارة تصلف لهم النساء والصبيان واهل البلد ليتفرجوا فلما وصلوا بهم الى حسن اغه امر بهم الى السجن الممد لذلك فلما سمع بهم صاحب اسبانية بما تم على هذين الجنتين وكان اهل طاعته قد ضجوا اليه بالشكوة مما يفعلون اهل الجزائر بهم خصوصا اهل السواحل منهم بحيث انهم قالوا للطاغية اما ان تكفينا امر الجزائر والا نطوا الطاعة لما جها فشرع في الحركة الى الجزائر واطلق النصارى في سائر الطارة بذلك فانهاشت اليه جيوشه والواجب الواجا وزخرت اليه جيوشه وعساكره امواجا امواجا فوصل خير عمرته الى حسن اغه خليفة خير الدين فصلى بذلك ولم يكذب ادار وجهه الى تحصين المدينة والاستعداد لمقابلة العدو فينا اسوار المدينة واصلح ما انهدم منها ونصب عليها المدافع وعلى سائر الابراج وعين اربعةائة اسير من الكفار لهذا الينا ثم انه بعث الى شيخ المدينة وامره ان يرفع اليه حساب رجال كل حومة من الجزائر ففعل ذلك شيخ المدينة ومع ذلك فاجاب العمارة تتوارد في كل وقت على اهل الجزائر فامر حسن اغه بقطع اشجار البساتين كلها خوفا من النصارى ان يستتروا بها عند القتال واول مما بدا هو في بستانه فلم يترك فيه شجرة فبينما هو في يوم من الايام جالس في دار الامارة اذ دخل عليه حارس البحر الذي يقال له صاحب النافور واخبره بان

وسبب قدومه انه عمر مركبا من مراكبه واوسقه بالمال والسلمة وبعثه الى وهران فاخذه وايس من رؤساء الجزائر واسمه كجك على ودخل به الى الجزائر بعد ما وقع الحرب بينهما فوجد فيه رئيسا عظيما مع جملة الرؤساء ودخل في شهرة عظيمة ثم ان كجك على احضر هذا الرئيس الى حسن اغه خليفة خير الدين وقبل يده وكشف عن راسه وبقي داهشا من الهيبة فساله حسن اغه عن اخبار بلاد النصارى فقال له الرئيس ان سفينة تركتها تريد القدوم الى بجاية فعند ذلك امر حسن اغه ان تجهز له اغربة فتجهزوا في اسرع وقت فساروا الى طلبها الى نواحي بجاية وكثروا في موضع يقال له العش والمقار وكان من جملة رؤساء الجزائر كجك على المتقدم الذكر فطلعت لهم تلك السفينة ذاهبة الى بجاية فقبوا منها وشرعوا في قتالها وكانت هذه السفينة في غاية الاستعداد للقتال فلم تزول مع اجطان المسلمين في اخذ ورد الى ان وقعت فيها النار فالتهمت في اطراف السفينة فمجز الكفار عن اطفالها فالتقوا انفسهم في الماء فالتقطهم المسلمون من البحر واغلقوا النار فعند ذلك رجع الروسا الى الجزائر وهم فارحون بهذا الجتن ودخل الجزائر في شهرة كبيرة وفرح به حسن اغه غاية الفرح وامرهم بانزال ما فيها من الفتيمة فانزلوا الكفار واحفرروا بين يديه ومعهم ويسهم

في يوم الاثنين وهو اليوم الاول الذي تحركوا فيه الى الجزاير فلما كان يوم الثلاثاء ارسل الله تعالى في آخر الليل عاصفا فقطعت جبال اجفانهم ونشروا صواريخهم غولا من الهلاك وتم هذا الريح في الزيادة فتشوش الجنرال من ذلك واسمه اندريه وكذلك من كان معه في الاجطان وسالت هذه الريح العظيمة التي ارسلها الله عليهم جملة من اجفانهم الى البر فطغت على المطاحن وخرجوا منهم اسارى المسلمون وماتت عرب الجزاير على اهل الاجطان فاستاصلوهم قتلا فماتوا فلما رآ الطاغية ما حصل لاجفانه من الفرق والطب انكسرت شوكته واخذت ناره وظهرت عليه مغايل الدل وخرج اهل المدينة صبيحة يوم الثلاثاء باجتهد وعزم قوى وعلموا ان الله تعالى نصرهم على اعدائه ، فهاطلوهم وقالتهم في تلك الاوضاع فاتي وجوه الصكر الى الطاغية وقالوا له ايها الملك قم بنفسك الى الحرب فان المحلة على اشرف الاغل فمعد ذلك خرج الطاغية والتفت عليه عساكره واخذوا في القتال فتفكر المسلمون عنهم نازلين الى راس تفوره وجدوا الكفار في قتالهم وتكالبوا عليهم فتفكروا ايضا الى موضع يقال له ملعب الكورة ثم الى قنطرة الاثران فلما راوا الكفار ذلك منهم تراكت جيوشهم عليهم كالبحر الزاخر وصاحوا عليهم من كل ناحية وطالبوهم من كل دابة فتفكر المسلمون الى ناحية سيدي ابي التقي فمعد فالك صرخ المسلمون في وجه الكفار وحملوا عليهم وشربوهم بالحصاة والنشاب وكان فالك اليوم يسيل فيه

منزله الى نزل فيه وكان الفصل شاتيا لانهم وصلوا في شهر اكتوبر في ايام قاسم كون الا والمسلمين قد خلطوهم ورموا عليهم بالمكاحل دفعة واحدة ورشقوهم بالسهم فحصلت فيهم ضجة عظيمة فانتبه مالكمهم مرعوبا من نومه وصاح برجاله وغواص وزرانه وقال اهؤلاء الذين اخبرتموني عنهم انهم لا يقومون بعرينا انظروا ما عملوا فينا هذه الليلة ثم ان المسلمين رجعوا الى البلد بعد ما قتلوا منهم خلقا كثيرا فلما كان يوم الاثنين تحركت النصارى الى المدينة ومعهم الطاغية حتى قربوا الاسوار وهم يزعمون في انفرتهم والويتهم منصوبة عليهم ففيل لاهل الجزاير انهم نعل اسود قد ملا الفضاء وكان فيهم من الفرسان اربعة آلاف فارس فشرع في قتالهم من الاسوار بالمدايع وبنادق الرصاص والسهم وكان في ذلك اليوم تقدمت رجال من الاتراك الى القتال وظهرت منهم شجاعة عظيمة منهم رجل اسمه الحاج باشه واخر اسمه الحاج مامي واخر يقال له خضر واخر يقال له الحاج بكير فقاتلوا قتالا شديدا الى الليل فرجعوا الى راس تفوره ونزلوا امثالهم فاخذت تلك الوعود كلها وشرعوا في قتال المدينة وصبت عليهم مدافع المسلمين وخاب رجالهم من المدينة فصعدوا الويتهم منشورة الى الكدية المعروفة بكدية الصابون وشرعوا في قتال المدينة منها هذا واهل الجزاير يرمون على العدو بالمدايع من كل ناحية باصوات الصواعق وربما وصلوا الرمي على اجفانهم التي في البحر هذا ما وقع لهم من الحرب

وجعله في برج من الابراج ولما بعد اخر اسمه اصلان عينه لقاع السور والقايد الثالث اسمه رمضان فالقاهه قريبا منه في بعض النواحي واما كجك على وحيد فانه اقامهما في باب الجزيرة ومعهما لبطان السفن واسمه خضر وجعله من رؤساء البحر واما اهل الجزاير من الصكر والاندلس والبلدية فانهم داروا باسوار المدينة بالمكاحل والسيوف والرماح والنشاب واما عمارة النصارى وكان ظهور العمارة يوم الاربعاء في آخر الشهر من جمادى الثانية بقي منه ثلاثة ايام سنة ثمانية واربعين وتسعمائة 27 جمادى الثانية سنة 948 وفي يوم الخميس وقت العصر دس في جون تماثفوس الموالي للجزاير فيقال انهم لما دسا وسقط بعض من رايتهم في البحر والمسلمون ينظرون اليهم فحصل لهم تفاؤل وعلموا انهم منصورون عليهم وكان نزول العدو الى البر يوم الاحد قبل الزوال بشي. قليل فنزل سلطان اسبانيه وفارت عليه عساكره ويقال ان عدتهم تسعون الفا فارادوا المسلمون ان يمنعوهم من النزول الى البر فرمت عليهم السفون بالمدايع من البحر فافوس لهم المسلمون المجال حتى تمكنوا من النزول وبات العدو ليلة الاثنين بقرب البلد في موضع يقال له الحامة وكان زعيم من زعماء الترك يقال له الحاج باشه فمزم ان يضرب على العدو ليلا لفتح له ابواب المدينة واخذ الراية في يده وخرج معه جماعة واخرة من المسلمين وكان خروجه من المدينة لما بقي الربع الاخير من الليل فلم يشر العدو في

المطر كالقواء القرب فراجع المسلمون
حمائتهم وحملوا على الكفار من كل
ناحية فردوهم على أعقابهم إلى المعلقة
ورجع المسلمون إلى المدينة ولما كان
صباح يوم الأربعة ظهر الكفار أنهم
لا طمع لهم بالجزائر وأن الفتيحة
أن ينجوا بأنفسهم فحزبت أجفانه
إلى البر ونزل الجنرال أندريه منها
حزبن فوصل إلى الطافية في مقلته
واعطاه حق المباشرة وقال له أيها
الملك ألم أحذرك عن السفر إلى
الجزائر فانظر عاقبة الأمر الذي كنت
حذرتك عنه والآن قم اطلب النجاة
لنفسك فان جل أجفاننا عطبوا على
السواحل فكيف يكون رجوع هذا
السكر إلى بلادنا فما أنا أيها الملك
الذهب إلى تمانتفوس انتظره هنالك
فبادر أنت ومن معك من السكر
بالرحيل لتركب في الأجبان الباقية

وتخلص إلى بلادك فعند ذلك رجع
الطافية عن الجزائر ونزل على وادي
الحراش وكان قد أجهدهم الجوع
فاكلوا اربعماية من الخيل وياتوا
تلك الليلة والمطر يتراكم عليهم
والاعراب والقبائل يضربون فيهم
بالمكاحل والاحجار ويلتقطون في السبي
فلما كان يوم الخميس نظر الطافية
إلى الوادي فرأه حاملا فهااته رويته
فاستشار رجاله كيف يحتلوا على
القطع إلى الناحية الأخرى فقصوا
صواري سفنهم المنعطة على الساحل
وقطعوا عليهم فلما قطعوا إلى الناحية
الأخرى هجمت عليهم فرسان العرب
أيضا وضاحوا عليهم وقتلوا منهم
خلقا كثيرا ولم يزل الطافية وفرسان
العرب تطاعتهم إلى أن وصلوا إلى
تمانفوس وأقام فيها أياما إلى أن عهد

ميجان البحر فركب ليما بقي من
الأجبان وسافر إلى بلاده وهو لا يصدق
النجاة بنفسه وخلف كثيرا من الأجبان
والأجبان الرقاق وكثيرا من الأجبان
العظام والمشريات والفرقات ومدافع
عظام وخلف كثيرا من الرجال والنساء
والصبيان التي أتت بها فانه لم
يذهب واحد منهم وعدتها الفان
وللأمانة وأما خيله لم يذهب منها
واحد سوى الذي مات في الحرب
والذي أكلوه وحاصل ما خلفه لأهل
الجزائر مال لا يحصى .

كمل تادريخ التبلادور حين أتت
الجزائر في المرة الأولى وكتبته من
مجلد فيه توادريخ بفتح عجمي .

- مخطوط المحكمة -



قال ابن زاكور الفاسي يمدح الشيخ
عمر بن محمد المانجلاتي (1) بالجزائر
عام 1094 هـ :

حي على الانس ان طيف الهموم سرى
وسل نفسك وانهج نهج من صبرا
ولا تصغ لدواعي البث ان صدحت
ان دواعيه تستجلب الفسورا
واذكر معاهد قد راقت تفاراتها
فان في ذكرها انسا ومعتبرا
لله منها اصيلا ن جنت بها
في روضة اللهو من نفل التي لمرأ
اذ الاحبة يمدو عن وصالهم
بعد يؤجج في احشائنا سقرا
حيث وانتلفنا ولا واش ينم بها
فلنا عدا الاعطرين الورد والزهرا
ولا رقيب على الاصواح يحسدنا
دان خلا النرين الشمس والقمر
وزهونا بتلاقينا والفتنا
اغرى بنا الاعجمين الطير والوترا
فصاح ذلك على الفان دوحته
حي على الانس ان طيف الهموم سرى
وبث ذا بينان اللذ يحمره
خل ما صفالك وانبل كل ما كندرا
والبحر مثل مذاب التبر حاله به
كف التنعيم دروعا حينها سحرا
والورق تسقط في امواجه دررا
كما سقطت على بحر الملا عمرا

* * *

جبر الجزائر و الدنيا برمتها
من عالج العلم حتى ذاع واستشرا
بدر الجلال ومصباح الكمال ومقيا
س الجمال الذي كل الورد بهرا

شيخ احاط بانواع المديح فوما
ابقى لمن بعده شيئا ولا ودرا
ان تم اهل العلا الى معاصنه
تجد جميعهم من بعره نهرا
ذو همة شغفت بالمجد عالية
حم بها احد النرين فانكندرا
الى شمائل ازوت بالتنعيم فحي
وخلق كالحلق قد هلا سحرا
من يبلغ الاهل اني بعد بينهم
جالست بدر هدى بالشمس معتبرا
وقد ظفرت بما قد كنت املنه
لما قفت منيتي من نوره وطرا
حتى لقد غلت امالي قسائل لي :
قدك ابن زاكور هذا البحر فالتصرا
من ذا يطاولني والمجد صالحي
والبدر البسني والعلم لي سقرا
قد كنت قدما ادى خطب النوى سورا
فاليوم حين اكتسبت المجد لا سورا
ما احسن البين اذ كانت اساتده
تفضي الى مثل مصباح الدجا (عمرا)
بقية السلف المافي ونظيته
لكن معاصنه ازوت بمن تبرا
قاضي القضاة الذي لا شيء يمدله
في عدله الذي شافي الناس واشتهرا
بحر العلوم التي قد غاص منهلها
منذ زمان وسيل الجهل فيه جرى
بدر الجزائر صان الله بهجته
عن ان يرى بخسوف البدر مستبرا
وبعها العذب لا زالت جدوله
تروض الصالحين البسود والحضرا

المنتخب من شعر ابن زاكور - تأليف عبد
الله كنون ، الحسين المراثيني (المغرب) 1341

(I) عالم فقيه واستاذ ماهر توفي سنة
1693/1104 .

ترجمة عبد الرحمن الثعالبي :

نسبه :

هو أبوزيد عبد الرحمن بن محمد ابن مخلوف بن طلحة بن عمر ، بن نوفل بن عامر بن منصور بن محمد بن سباع بن مكي بن ثعلب بن موسى بن سعيد بن مفضل بن هيد البر بن قيس بن هلال بن عامر بن حسن بن محمد بن جعفر بن أبي طالب .

مولده ونشأته :

ولد الثعالبي سنة 785 هـ 1384 م بواد «يسر» على بعد 86 كلم بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر . ونشأ - هناك بين احضان أبويه - نشأة علم وصلاح وأخلاق مرغية ، وقد تلقى مبادئ قراءته وتعلمه بالجزائر العاصمة وضواحيها . وقد كان حاضرا يوم غزا الاسبان - تدلس - في دولة بني عبد الواد ، واخوتهم من بني مرين ، ودخلها بصره شعوة يوم الاثنين 12 من ذي الحجة سنة 800 هـ 1398 م وكان عمره حوالى خمسة عشرة سنة .

رحلته لطلب العلم :

نزع الثعالبي من مسقط رأسه صحبة والده محمد بن مخلوف في أواخر القرن الثامن الهجري وأواخر القرن الرابع عشر الميلادي ، طالبا المزيد من العلوم والعرفان باحثا عن مظانها في منابك الأرض وقصد المغرب الأقصى ، حيث اجتمع بعض علمائه الفطاحل وأخذ عنهم ما تيسر له أخذه ، وقد سمع وروى هناك عن عالم الدنيا محمد بن أحمد بن مرزوق المجيسى التلمساني ، المعروف

بالعقيد . وكان الثعالبي - إذ ذاك - يناهز البلوغ لم يعم شطر بجاية لدخلها - صحبة والده أيضا - سنة 802 هـ - 1399 م ، فمكث بها زهاء سنة ، ثم توفي والده ودفن هناك ، وعلى اثر وفاة الوالد عاد الى الجزائر لقصد الزيارة لأقاربه ثم رجس الى بجاية - أيضا - حيث قفى ما يقرب من سبع سنوات تلقى خلالها دروسا شتى في مختلف الفنون عن زمرة من فطاحل العلماء . وفي سنة 809 هـ - 1406 م - انتقل الى تونس حيث مكث حوالى ثمان سنوات انتفع خلالها بمعظم علمائها وأجازوه فيها هو أهل أن يجاز فيه . وفي سنة 817 هـ - 1414 م توجه الى مصر ، حيث استقبل استقبالاً كريماً وقد أقيمت له زاوية هناك ، وما تزال تلك الزاوية ولقا محبسا على الثعالبي الى يومنا هذا ومن هناك توجه صوب الحرمين الشريفين حيث أدى فريضة الحج ، واغتتم الفرصة ، فأخذ عن بعض علماء الحجاز وأجازوه في فنون شتى . ثم عاد الى مصر ، وفي سنة 819 هـ - 1416 م رجس الى تونس فوجد على شيوخه قد توفي ، ومكث هناك حوالى سنة ملازما خلالها حلقات جامع الزيتونة ، وفي أواخر سنة 820 هـ - 1417 م عاد أدراجه الى بلده المحبوب بعد ما غاب عنه حوالى عشرين سنة قضاه في اكتناز المعارف واغتراف العلوم ، انى كانت وحيث بانست .

وهكذا استقر بمدينة الجزائر ، حيث راح يشتغل بعبادة ربه وبث العلوم الشريفة بين أبناء ملتبه ، وتعبير المؤلفات المفيدة ، والمصنفات

المديدة في شتى الفنون الى أن ناداه أجله المحتوم صبيحة يوم الجمعة 23 من شهر رمضان المعظم سنة 875 هـ - 15 مارس 1479 م - بعد أن قضى تسعين خريفا كانت كلها طوعا لمرضاة الله ، وولقا على مصالح العباد .

ثم نقلت جثته الكريمة من منزله الى مكان يقع على ربوة خارج « باب الواد » يعرف آنذاك - بـ « بجاية الطلبة » ودفن هناك ، ومنذ ذلك الحين أصبح ضريحه مزارا يتبرك به ولم يزل الزائرون يفسدونه ذكرا وانثا يومية طوال السنة الى وقت غير معلوم .

وقد رلاه تلميذه المخلص الاديب ، الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري ، ثم الزاوى بقصيدة من بحر الطويل فقال في مطلعها :

لقد بان اهل العلم عنا والفرت منازلهم انا الى الله نرجس

كما بان عنا شهنا العالم الذى سناه بانواد الحقيقة يسطع

أبوزيد المشهور بالعلم والتقى له الفضل فينا والمقام المرتفع

مؤلفاته :

يعد الثعالبي اخصب انتاجا من علماء قطره ومتصوفيه . وذلك راجع - فيما نظن - الى اعتزاله عن سواد الناس ، وملازمته لمهنة التدريس في شتى الفنون المتداولة بين علماء ذلك العصر . وقد نيلت مؤلفاته على التسعين ، اكثرها ماتزال مخطوطة ، وجعلها يوجد بارض السودان نذكر منها ما يسر :

بمنه . وتوفي الغروبي هذا سنة 963 ودفن خارج الجزائر والله اعلم .
وفي «الجلوة» انه من اهل الحديث والفقه والتصوف واقف على اغراضهم جمع في فن التصوف والاذكار والاوراد كتبها منها : شرح الحكم لابن عطاء الله . ورسالة رد فيها على ابي عمر القسطل المراكشي . وحدثني بعض الجزائريين انه رأى تلميذا له على القرآن العظيم بجزائر مزينة وغير ذلك وكان جماعا للكتب وكان خطيبا بالجزائر وكان له واجهة عند امراء بني عثمان استعملوه في السفارة بينهم وبين ابي عبد الله المهدي الشريف الحسني فورد المغرب ودخل مدينة فاس عاينت اجازته لشيخنا ابي عبد الله اخفى الوزوال لما دخلها مؤرخا لها سنة تسع وخمسين وتسعمائة - 959 - وذهب الى مراكش وخلف خزنة من كتب العلم اخذ عن ابي عبد الله محمد ابن عبد الله الزيتوني وعن ابي العباس احمد بن احمد زروق وعن ابي حنيفة عمر الطاوي الراشدي عن عبد الجليل ابن محمد الراشدي وابي عبد الله ابن مرزوق وابن زكريا المشرافي وابي زيد عبد الرحمن الثعالبي رضي الله عنهم واخذ ايضا الغروبي عن عمر بن زيان المديوني عن ابي عبد الله بن يوسف السنوسي عن ابي اسحاق ابراهيم التازي صاحب وهران عن محمد بن واضح الشبلي اجاز لي عنه شيخنا ابو عبد الله محمد ابن يوسف الترمذي وابو عبد الله محمد بن احمد الحضري وعايشت اجازته الشيخين معا توفي بالجزائر بالبويا الذي كان بعد الستين وتسعمائة

24 - كتاب النماذج .
25 - العقد النفيس .
16 - كتاب الارشاد . في صالح المبدأ .
27 - جامع الفوائد .
28 - التقاط الدرر .
29 - المختار من الجوامع .
30 - جامع الهمم . في اخبار الاسم .
31 - نور الانوار . ومصباح القلام .
32 - الانوار المضيئة . في الجمع بين الشريعة والحقيقة .
33 - كتاب النماذج . وغير ذلك .
الامام ابو عبد الله بن محمد بلخروبي (1)
الفقيه الصالح ابو عبد الله محمد ابن علي الغروبي الطرابلسي نزيل الجزائر ودفن بها تصني للوفادة على مراكش سنة 961 وفي المرأة ان ابا عبد الله الغروبي قدم المغرب الاوسط والمغرب الاقصى مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الاقصى واخذ هو عن الشيخ زروق رحمه الله وفي قصة الغروبي هذه الى مراكش انكر على الشيخ ابي عمرو القسطل دفين رياض العروس من مراكش خلق شعر التائب الذي يريد الدخول في طريق القوم وقال انه بدعة فقالوا ان الشيخ الجزولي كان يفعل فقال لهم لعله باذن والاذن له لا يعمكم فان الاذن للنبي يعم اتباعه والاذن للول لا يعم اتباعه وانكر عليه مسائل كثيرة وبعث اليه رسالة اقلدع له فيها وقد ولقت عليها . رحم الله الجميع

1 - الجواهر الحسان . في تفسير القرآن .
2 - تحفة الاخوان . في اصواب آي القرآن .
3 - الذهب الابريز . في تفسير القرآن العزيز .
4 - العلوم الفاخرة . في النظر في امور الآخرة .
5 - كتاب المراتي .
6 - روضة الانوار . ونزهة الاغيار .
7 - رياض الصالحين .
8 - الانوار . في معجزات المختار .
9 - الجامع الرومي .
10 - شرح مختصر خليل بن اسحاق المالكي .
11 - شرح عل ابن هارون .
12 - شرح على غرار ابن عرفة .
13 - شرح عيون مسائل المدونة .
14 - جامع الامهات . في احكام المبادئ .
15 - الجامع الكبير .
16 - ارشاد السالك .
17 - الاربعون حديثا في الوعد والرقائق .
18 - الدرر الفائقة .
19 - شرح المختار من الجوامع في معاني الدرر اللوامع .
20 - الفهرسة .
21 - مختصر الفهرسة .
22 - الرحلة .
23 - جامع السوائد .

لان الوباء كان في مدينة فاس صام
خمس وستين وانظر هل سبق من
الجزائر او من مدينة فاس .
« ابو العباس احمد الناصري . كتاب
« الاستقصاء لآخبار دول المغرب
الاقصى »)

(1) ولد بركاش (عل 4 كم غرب
طرابلس الغرب) وذلك حوالى سنة
880 هـ / 1475 وتلمذ لابي عملى
الخروبي وللشيخ حاج قاسم وللشيخ
الصوفي احمد زروق البرنسوسى
القاسى الذى علم ببجاية . ثم قدم
الخروبي الى الجزائر حوالى 916/1510
فمعي للتدريس والافتاء بالجامع الكبير
وكان له علاقات متينة مع علماء
العاصمة آنذاك مثل الشيخ سيدى
احمد بن يوسف كما كانت علاقاته
بأترك الجزائر طيبة فارسله حسن
باشا بن خير الدين فى مهمة الى المغرب
الاقصى لدى السلطان السعدى
مولاي محمد الشيخ لإبرام معاهدة
الهدنة وتسطير الحدود .

الا ان الشيخ الخروبي - عند
وصوله الى المغرب اعمل الوفادة
واقضى فى حلق الشارب مما أحدث
سراعا قلمييا بينه وبين أنصار
الشيخ القسطل .

وتوفى الخروبي بالجزائر حوالى
963/1556 ولا يعرف قبره وترك
آثارا منها : كفاية المريد قاسم
الناس لشهرته - يكتب الفزالي زمنها
كتاب «عيون النفس» .

فى علماء الجزائر :

.. ومنهم الامام العلامة الملقب
ابوعبد الله سيدى محمد بن الامام
الاكبر شى الفضائل المشهورة ابي

عثمان سيدى سيد بن ابراهيم (1)
عرف بقنودة . اتم الله نوره ، شيخ
الفقه والحديث ، تفرع من شجرة
علم ، وتدرج برود وفار وحلم ،
لمحله من الجزائر محل السواد من
الناظر ، انتهت اليه خطبتها وفتاها ،
وجعلت فى يديه آخرتها وديهاها ،
فاليه يفرع عند اشتباه النوازل ،
ويفرع عند اشتداد الزلازل ، وعليه
يعتمد فى رواية الآثار ، وتصحيح
اسانيد الاخبار ، الى فصاحة والسنن ،
جرى بهما فى ميدان الابداع طلق
الرسن ، وحلاوة وطلاوة ، الان بهما
قلب كل شى قساوة ، وعبرة عليها
ووثق ونضارة ، ولسان خلوب ، يقود
عصابات القلوب ، فلا مع انه لم
يرتفع اخلاف الادب ، ولم يصطح
بسلافة المزدى بالمغرب . امالو
التبس بمود ذلك المود ، واقبس
من نور ذلك القود ، فلا يمتري
فى انه يطاول اهل المشرق والمغرب ،
ويصير نظيره كمنقلا ، مغرب وامامة
والله ابي عثمان ، هى التى اركته
عل غيره من الاعيان ، واولته المراتب
الظفيرة ، والفضائل الشهيرة .

سمى مضر كى يلحقوه فيرزت

به غرود مشهورة و علام

سمعت من املائه فى مجلسه
الظفير ، جملة والية من الجامع
الصغير ، وابوابا من صحيح البخارى
يعمد مواردها المدلل والسارى ، سماع
دراية ، وتحقيق رواية ، فرأيت من
ظرفه ولطفه ما سحر وبهر ، وتنزهت
من فهمه وحفظه فى جنة ونهر ، ولما
أزف رحيل ، طلبت منه ان يجيزنى

بما ينفع غليل . .

(ابن زاكود (2) نشر ازاخير البستان
ص 26 الى 29)

(1) تونس الاصل جزائرى المولد
والنشأ . درس على الشيخ محمد
ابن ابي قاسم بن اسماعيل المطاطى
وعلى الشيخ ابي عثمان سيد المرقى
بتلمسان ثم عاد الى الجزائر وعلم
بالجامع الاعظم الى ان توفى 1066 هـ
- 1656 م .

(2) سبقت ترجمته فى باب
الرحلات .

ابنا على

1 - محمد بن على 1128هـ 1716هـ
محمد بن على بن محمد المهدى ،
الشهير بابن على : فقيه - فاضل -
نشا بمدينة الجزائر واخذ عن
مشافها . وهو والد محمد العربى
السابقة ترجمته . مات بالجزائر
العاصمة له « مجمع الانهر شرح
ملتقى الابحر » فى الفقه الحنفى .
محمد العربى بن على 1164 هـ
1751 م

محمد العربى بن محمد بن على
ابن محمد المهدى الشهير بابن على .
ابو عبد الله . شاعر - اديب ،
نشا بالجزائر العاصمة . اثنى عليه
عبد الرحمن القاسى فى رحلته
ووصفه « بآداب العلماء وعالم الادباء » .
وهو ابن محمد بن على صاحب «مجمع
الانهر» السابقة ترجمته . له « ديوان
شعر » يشتمل على قصائد بليغة فى
المدائح النبوية .

عادل نويهي : مجمع اعلام
الجزائر ص 161 - 168 .

اصل اللفظ الفرنسي

تعجيم اللفظ الجزائري .

نقلت - او بالاحرى - حُرِفَت الشعوب الادوية الاسم العربي « الجزائر » بطرق شتى عند ما اتصلت بسكان العاصمة . وقد يكون من المفيد ان نبحث ما هو اصل الصيغة التي تبناها الفرنسيين وهل هي حقيقة خاصة بهم كما قد يظن ذلك بسهولة؟ ومعلوم ان عاصمتنا الافريقية سماها الاسبان «Argel» والاطاليون «Algieri» والانكليز والهولنديون «Algiers» والالمان «Algier» اذا اقتصرنا على هذه الشعوب ، وقد اتصل سكان الشمال منهم بالمصر الاسلامي بعد شعوب البحر الابيض المتوسط ، فقد تاجر هؤلاء فعلا مع مدينة الجزائر منذ القرن الثاني عشر بواسطة ملاحي اسبانيا وسكان بيزة وجنوة . ومما يظن قبل اجراء اي تحقيق ان الاسماء التي عجم بها الاسبان ، والفرنسيين ، والاطاليون اسم الجزائر وتبناها منذ زمن طويل قد فرغت على سكان الشمال الذين لا هموا بينها وبين طرق النطق الخاصة بهم . اما ما يخص السكان المجاورين للبحر الابيض المتوسط فمن الطبيعي ان يبحث عن اقدم نقولهم في الولايات الصادرة من تجارتهم يعني في افريقيا التي رسمت بواسطة اليوسفة والتي تدعى «Portulans» . والدم ولاتق خرائطية معروفة عليها تعجيم ادوبي لاسم «الجزائر» هي خريطة تنتمي الى القرن الثالث عشر حفظت في جنوة وهي اطلس تمار

لوكسورد اولوكسوردوس وخريطة المكتبة الوطنية المعزوة الى بيزة والتي يتراوح تاريخها بين عام 1275 و 1300 ، ففي هاتين الخريقتين تسميتان مختلفتان : سميت الجزائر في الاولى Alguer وفي الثانية Algezira ومن الواضح ان الصيغة الاخيرة هي مجرد تقليد للاسم العربي الذي يعني الجزيرة والذي ينبغي ان ينطق به على الطريقة الايطالية (Aldjezira). واليكري الذي يذكر مع هذا الاسم جزائر بني مزغنة والذي يستعمل الجمع (الجزائر) يضيف مباشرة بعد ذلك « الجزيرة تدعى سطوفلا » (Stofla). ولا شك ان الملاحين تعودوا ان يعتبروا مجموعة الجزر الصغيرة في جملة واحدة ولم تكن تسميهم الا بصلتها ملجا طبيعيا تتعلم عليه امواج الشاطئ . هكذا يفسر لفظ خريطة بيزة اما صيغة Alguer فيظهر منها انها تنتمي الى كاتالونيا اما في القرن الرابع عشر فقد واصل الايطاليون دعوة الجزائر باسماء تقترب من اسم Djezira. فاطلس جنوة المعزوة الى بيتروفسكونتي Pietro Vescontie 1318

يطلق على موالع الجزائر اسم Zizera الذي نجده ايضا في اطلس بينلي (Pinelli) (القرن الرابع عشر) . وفي خريطة جنوة المنسوبة الى جيوفاني دي كاردنيانو (1320) ، ونقرأ على خريطة الاخوة بيزياني (1367) Ziziera وعلى الخريطة البندقية لالبوتيسو داليريلا (1409) يقرأ Zirara.

وواضح ان كل هذه الصيغ متشابهة . اما على الخرائط التي من اصل كاتالوني او ميورقي فاللفظ تقترب بالمعنى من الصيغة المدكودة من قبل : Alguer . وقد كتب Angeline Dulcert على خريطة سنة 1339 : Aurger ولكن يغيرنا هو نفسه كتابة انها رسمت في ميورقة ولكن الصيغة التي تحملها ولاتق هذا المصدر بصفة عامة هي Aldjère وهي اختزال لاسم Aldjezira . وللفظ : Alger هو الموجود على الخريطة الكاتالونية المشهورة المدعوة خريطة شاول الخامس (1375) التي صنعها يهودي من ميورقة اسمه Abraham Gresques وكان ينتمي الى اسرة احترفت صنع الخرائط . وان طائفة من ولاتق القرن الخامس عشر تستخدم هذا اللفظ ، منها خريطة Mécia de Viladeste (1413) التي صنعها يهودي ميورقي ايضا . ومنها خريطة Gabriel Vallaseccha (1439) من نفس الاصل ، كتب لفظ Alger على خريطة متحف برلين (النصف الاول من القرن الخامس عشر) المنتمية الى كاتالونيا على حسب ما يظهر كما هو مكتوب على خريطة Andreas Benincasa (1435) وعلى خريطة Jayme Bertran (1482) وعلى خريطة Juan de la Cosa (نهاية القرن الخامس عشر) وعلى خريقتين اخريين من نفس المصدر احدهما مطبوعة في نابولي والاخرى في مودان وللفظ Alger كتب ايضا على خريطة مطبوعة في المكتبة الوطنية

مدينة الجزائر من خلال النصوص

موقع مدينة الجزائر - 1 -

هل كان لقرية بني مزغنة البربرية الصغيرة التي صارت في القرن السادس عشر عاصمة قراصنة الجزائر حق يجعلها - بحكم موقعها الجغرافي - تستحق حظا مثل حظها ؟

1 - وإن تاريخ أصل مملكة الشمال الافريقي لا يكشف لنا عن أي هجرة ولا عن أي تدبير يعتمد على اعتبارات من هذا النوع والقراصنة عروج لم يأت إلى الجزائر من تلقاء نفسه ، بل جاء بدعوة من قبل سكان المدينة ، وقد استقر أخوة خير الدين فيها نهائيا لانه وجد فيها ملاذا كان قد استعمله قراصنة من قبل ، ولانه كان يأمل أن يتخذ منها مرفأ .

وعند النظر الأولى لا يلحظ في شكل هذا الجانب من المغرب ولا في تركيبه ما يكون بلاد الجزائر المعاصرة ، فليس ثم اتجاه واحد من اتجاهات المسالك الطبيعية هذه التي توجه الناس نحو مكان ممتاز يصلح مبدأ للمرور وملتقى طرق له . أو تستطيع أن تصدوهم إلى أن يتغلبوا من ذلك موقع عاصمة قد قيل كل شيء عن عدم وجود مركز جغرافي في بلاد البربر بوجه عام . وفي المغرب الأوسط بصفة خاصة وعن المصاعب التي يعترض بها اتجاه التضاريس المؤازية للشطآن ، للتوغل العميق من الشمال إلى الجنوب . وعن الانعزال النسبي للسهول والأودية

2 - هل يجب أن تقتصر على هذه النتيجة ونستسلم للخوف من حتمية جغرافية جد دقيقة وجد واهية ؟

(1) الموقع الجغرافي 36 درجة و 47 دقيقة و 16 ثانية في خط العرض الشمال ، 0 درجة و 44 دقيقة وثانية واحدة في خط الطول الشرقي

وقد تغلبت الصيغة القشتالية Argel على الصيغة الكاتالونية في القرن السادس عشر عند ما تحققت الوحدة الإسبانية وللاحظ زيادة على ما مر أن صيغة Argel تعادل من الناحية الصوتية صيغة Alger بفضل التبادل الكثير الوقوع بين الراء واللام .

أما ما يخص الصيغة الإيطالية التي استخدمت Algeri عقب الصيغ Zizara - Ziziera فهي توجد على سبيل التقريب في خريطة Guglielmo Soleri التي رسمها حوالي 1380 ميورقي متهود وسمى نفسه - كما هو شاهد - باسم ايطالي نصراني وطين اسمه الاصل لللفظ Algier الذي تقرؤه على هذه الوثيقة والذي يجب بدلون ما ريب أن ينطق به نطقا ايطاليا Algier هو يطابق مطابقة مجردة لللفظ الكاتالوني Adjère.

ويوجد لفظ Algieri على خريطة ايطالية يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر في مكتبة اللاتيكان ، كما توجد على خريطة Maglia Becchi من نفس العصر وفي الحتام ينتج من فحص القدم الوثائق الخرائطية أن الطرق المختلفة لتعجيم لفظ الجزائر تفرقت وثبتت - على حسب ما يظهر - في القرن السادس عشر فقط لدى شتي الشعوب الأوروبية ، وقد كان للجغرافيين وصناع الخرائط خاصة الأثر الفعال حقا في تبني الصيغة النموذجية التي يظهر أن الصيغ الأخرى - وخصوصا الصيغة الفرنسية - اشتقت منها . ووني لسبب .

والتي يظن M. de la Roncière انها رسمت بين 1488 و 1492 تحت إدارة كريستوف كولومب وخريطة Martin Behaim من نفس المصدر عليها لفظ Algier صيغة مؤلمة لللفظ الجزائر ، والحاصل أن لفظ Alger ظهر من جديد على خريطة رسمها Sebastien Cabot وكان ربانا أول لشارلكان في النصف الأول من القرن السادس عشر وليس بقريب أن تكون هذه الأخيرة وخريطة كولومبين أوحث بهما في هذا الصدد وثائق من أصل اسباني .

وينتج بوضوح من استعراض كل هذه النصوص أن لفظ Alger (Aldjère) كان استعماله جاريا في القرن الخامس عشر بسجن جغرافي كاتالونيا وبصفة محققة بين الملاحين ، فصناع الخرائط من يهود ميورقة أو المتهودين منهم - على حسب ما يظهر - هم الذين ساهموا في نشر هذا اللفظ وإفادته وفي إثباته .

وهكذا استدرجنا إلى الفن أن صيغة Alger انتقلت منهم إلى الفرنسيين الذين غيروا النطق به فقط تغيرا خفيفا .

الم تكن مدينتا Narbonne و Montpelier في القرنين الرابع عشر والخامس عشر على اتصال مستمر مع الموانئ الكاتالونية في البر والجزر . وطبعي أن يسبقنا إلى هذا الأمر الكاتالونيون الذين اتصلوا بصلبي الأندلس اتصالا مباشرا أكثر .

وموقع مدينة الجزائر هذا بالقياس الى شبه الجزيرة الايبيرية والى الجزر التي تمتد في طولها كان له مفعول معروف معرفة جيدة على تعمير المدينة بهجرة اليهود وسكان الاندلس المسلمين اولا وهجرة الاسبان اليها من ايكانت او من بود ماهون .

اما ما يخص الموقع الاوسط الذي بين قناة صقلية ومضيق جبل طارق فاذا كان له اهمية ما فمن الناحية العسكرية قبل كل شيء ، ومن الحق ان اسطولا تكون مدينة الجزائر مينا ، قيد له يكون في وضع جيد ليحرس ويقطع الطرق الاكثر مباشرة من جبل طارق نحو البحر الابيض المتوسط الشرقي ومن اسبانيا الجنوبية نحو ايطاليا الجنوبية او جزيرة صقلية . ونحن انفسنا لم نكد نستقر في مدينة الجزائر حتى خامت ادفة العسكريين ورجال البحرية والمهندسين منا فكرة انشاء مرافق الفريفي على غرار تولون . ولا يلاحظ - من ناحية اخرى - ماذا كان يستطيع موقع مدينة الجزائر في البحر الابيض المتوسط الغربي ان يغوله لها من فوائد اقتصادية من غير نتيجة ما وراء البلاد الجزائرية .

وان حادثا اعطى لمدينة الجزائر معنى جديدا هو حفر برزخ السويس الذي تم انجازه سنة 1869 والذي جعل طريق الهند في البحر الابيض المتوسط وجعل من مدينة الجزائر مرافقا توفرت فيه احسن الشروط لرسو السفن والتزود من الوقود .

وهكذا تلامت تلاؤما مرغبا الظروف واللازمات التاريخية والجغرافية لانشاء مدينة الجزائر وتبرير هيئتها على تراب الجزائر .

ر. لسييس « مدينة الجزائر » باويس 1930 : ص 29 - 37

ونوع الاسكال هذا - الممتد على مساحات شبة نسبيا من حيث تضاريس الاراضي ومناخاتها ومواردها الطبيعية - الذي هو ميزة من الميزات الاساسية لبلاد الجزائر استطاع ان يساعد مساعدا كاملة تنمية عاصمتها . ولعلنا لما ازيلت الحواجز الفاصلة بين جميع هذه الاجزاء وجدت مدينة الجزائر نفسها موضوعة وضعا كاملا يمكنها - علاوة على المحصولات الفلاحية في الساحل ومنتجة - من ان تصرف وتنقل غلال وادي شلف والسهول العالية في المدينة وبرواقي وبويرة وسور الفزان واخشاب وفلين غابات بلاد القبائل واصواف المنطقة الصحراوية وركاز مليانة وروينة

لنوجه نظرنا الآن نحو الخارج نحو البحر :

فمن المؤكد ان مؤسسي الجزائر كانوا ينظرون الى هذه الناحية . واستطاعت ظروف تاريخية ان تغول لموقع مدينة الجزائر معنى جديدا ، وزادت طائفة من التطورات في قيمته باقامة مرافق كبير مقام مرسى حفر .

الجزائر واقعة تقريبا في منتصف الطريق الكائن بين الرأس الطيب ومضيق جبل طارق بين مدخل البحر الابيض المتوسط الشرقي ومدخله الغربي .

لنلاحظ ايضا احداثا ثانوية اخرى . خط الزوال لمدينة الجزائر يقطع جزيرة ميورقة احدى جزر البليار التي لا تبعد عنها الا بمسافة 300 كم ، تقريبا ، ولم خط يجمع بين رأس النوا Le Cap de la Nao ورأس كاكسين ويبرز ابرازا لا بأس به تقوم هذا الجزء من البحر الابيض المتوسط الغربي حيث يتقابل الشاطئان الاسباني والافريقي ويتزايد التقارب بينهما من الشرق الى الغرب .

وعندما تكون القضية قضية عاصمه يكون للانسان - حسب ما يظهر - الحق في الخروج من الاطار الشديد الضيق التكون من ارباضها المباشرة وفي احتضان طائفة من البلاد هي هنا المغرب الاوسط المقطر الجزائري الطبيعي الذي يحده من الشمال الى الجنوب البحر والصحراء ومن الغرب الى الشرق ملوية ووادي شرف او تحده تخوم مجاورة ، ولكن هذه المجموعة تنقسم الى شطرين غربي وشرقي يتماثلان في المنطقة التلية تحت خط الزوال لمدينة الجزائر تقريبا .

يرى فوتيس (E. F. Gautier) - ليدقق ويبرز خطأ من خطوط الصورة - عند اتصال شطري بلاد الجزائر - امتداد خط قمة كبير حتى البحر يشخصه الهوقار ومدينة الاغواط والمدينة حسب اتجاه صحراوي يقطعه عند ممر القنصاص الاتجاه الشرقي الغربي للبحر الابيض المتوسط . ومن الصعب ان ننكر امكان وجود مدن وعواصم مهيمنة هنا . ويذكر التاريخ منها ثلاثا منها ذات اهمية متفاوتة .

القيصرية ومدينة الجزائر المعاصرة في مكان صالح للمهيمنة ، ويشير اليه التاريخ والجغرافيا .

3 - ولكن اذا كان حظ مدينة الجزائر اطلول في الزمن من حظ العواصم الاخرى لذلك بفضل وجود دولة قوية قوة كافية لضمان احتلال عسكري متين استطاع عمل المهندس ان يحطم - في كنفه - الاطار الشديد الضيق الذي يظهر من الطبيعة انها حصرت فيه ، وبهذا الشرط فقط استطاع موقعها - الذي تلتقى فيه اقسام الجزائر الثلاثة الغربي والشرقي والصحراوي المقفر - ان يحتل بكل قيمته خطوة حقيقية .

مدينة الجزائر

تاريخها

وحياتها

الثقافية

تمهيد :

تعرض كل دارس للتاريخ ظاهرة غريبة وطريفة وهي ظاهرة التشابه بين نشأة المدينة وتاريخ تطورها وعمرها الزمني ، وبين نشأة الانسان وحياته واجتيازها بمراحل زمنية طبيعية محددة في سجل الوجود .

وقد نجد هذا التشابه حتى فيما يتصل ببعض الخصائص النفسية من سعادة وشقاء ، وازدهار وانكماش ، وقوة وضعف ، وهذا ما نلاحظه عند دراستنا لبعض المدن التي برزت على مسرح الحياة السياسية والاجتماعية بالقطر الجزائري ثم تراجع امرها ، وانحسر مدها ، أو انقرضت من الوجود تأسست في منتصف القرن الثاني الهجري، واستبجر عمرانها ، وخلصها السعد حينما ثم اعترتها الشيخوخة والانقراض في منتصف القرن السابع الهجري .

● رابح بونار

الذي يحتضنها كما تحتضن الام الرؤوم ولدها ، ويلقى بصره الفاحص على مبانيها وعماراتها بدت له المدينة في شكل مثلث هندسي بديع تنحدر مبانيها من أعلى القصبة الى أن تنبسط على حافة البحر الذي يداعبها ، بأمواجه في كل آونة ، وبدت له منارات مساجدها مرتفعة وضاء ترسل بأشعتها الوهاجة ، وبنغمات مؤذنيها المدوية الى الآفاق فتخلب الالباب ، وتحسر العيون وتطرب الآذان .

واذا نظر اليها من الحراش خيل اليه أنه يرى تسرا طويل الجناحين يتحفز ليطير بعد أن كان جاثما بسفح جبل بوزريعة ، وقد استطل جناحاه حتى غطيا ما بين حى «سانت أوجين» وحى «سلام باي» وإذا رآها ليلا من بعيد فإن مشاعره تستغرقها نشوة من الاعجاب والاجلال . وان تفكيره تستهويه عظمتها وجلالها التاريخي ، ومعالم حضارتها .

تأسيسها وتاريخها :

ان تاريخ المدينة يمثل مرحلتين منفصلتين فهناك تاريخ تأسيسها القديم الذي يعود الى العهد الفينيقي ، والى ما بعد تأسيس «قرطاجنة» سنة 814 ق م (I) حيث انتشر الفينيقيون بسواحل المغرب كله وأسسوا مراسيه ، ومنها مرسى الجزائر «ايكسيم» ، وهناك تاريخ حديث لها في العهد الاسلامي وهو الذي أسبغ عليها طابعها الخاص . وأبقى على معالم حضارتها التاريخية ، ويبتدىء ذلك بتاريخ تأسيسها الثاني على يد بلكين بن زيري - سنة 339 هـ = 950 م وقد مر عليها منذ تأسيسها الى الآن 1053 سنة .

وكذلك مدينة طينة التي مثلت دورا كبيرا في عهد الولاة ثم تلاشى أمرها بعد القرن الخامس الهجري وكذلك مدينة « قلعة بني حماد » التي تركز فيها مجد بني حماد في القرنين الخامس والسادس ثم اسدل الزمن عليها ستار العفا . والاندثار .

وعلى العكس من ذلك فقد كانت هناك مدن ثابوية في العصر الاسلامي لم يكن لها ما تستحقه من عمران وازدهار حضاري ، ثم لم تلبث ان بزغ فجر سعادتها ، واشرقت شمس حضارتها وعمرانها ، وخدمها السعد في جميع مجالاتها الحيوية .

وهذا ما ينطبق على كثير من مدننا التاريخية التي كان لها جلال وصيت في القديم ، ثم ازدادت جلالاتها ورقيا في مسيرتها الزمنية الطويلة ، ونجد في طبيعة هذه المدن « الجزائر » العاصمة ، ثم تليها مدن تاريخية أخرى كوهرة قسنطينة وعنابة وتلمسان والمدية ومليانة وبسكرة وبجاية وغيرها . وقد اخترنا في هذه الكلمة ان نتناول مدينة الجزائر العامة بالدرس والتحليل ، وان نتناولها من جانبها التاريخي والسياسي . ومن جانبها العمراني والمعماري وأخيرا نتناولها من جانبها العلمي والثقافي .

(1)

روعة وجمال :

ان «الجزائر» عروس البحر الابيض المتوسط بحق ، وهي منارة جلاله ، ومسرح أنسه وملتهقى حضاراته . وإذا قدر لزارها أن يصعد الى جبل بوزريعة

مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية

وشارك أسقفها فيكتور في المجمع الذي انعقد بقرطاجنة بأمر من الملك الوندالي هنريك عام 484 م ، ثم تضائل أمرها في العهد البيزنطي .

في العهد الإسلامي :

ولما ظهرت الدعوة الإسلامية بككة والمدينة واستقر أمر المسلمين فكر الخليفة الثالث في فتح شمال افريقيا ، وبعث جيشا بقيادة عبد الله بن سعد ابن أبي سرح ، وفتح افريقية ، ثم عاد إلى المشرق وترددت الجيوش الإسلامية بعد ذلك على شمال افريقية حتى فتحت أراضيها كلها ، ويرجح أن الجزائر فتحت ما بين سنتي 88 - 95 هـ على عهد ولاية موسى بن نصير ، وحينما فتحها المسلمون لم يجدوا بها الا أطلالا ماثلة لما مر عليها من فتن وخراب في العهدين الوندالي والبيزنطي ، وأهمل المسلمون الاوائل أمرها لعزوفهم عن سكنى المدن الساحلية .

في العهدين الفاطمي والزيري - الحمادي :

ولما قامت الدولة الفاطمية أواخر القرن الثالث الهجري (296 هـ) وهي دولة معمارية أخذ التفكير في تأسيس المدن أو تجديدها يزداد ويقوى ، وكان عاملهم على الجهة الغربية وهو زيري بن مناد متأثرا بهذا الاتجاه المعماري فأسس مدينة أشير في أوائل القرن الرابع الهجري .

ثم أذن لولده وولي عهده بلكين بن زيري أن يؤسس المدن الثلاث : الجزائر والمدينة ومليانة . وأسس «الجزائر» سنة 339 هـ كما أسس المدينتين

ومن عوامل الاحتفاء بها أن تقام لها ذكر مرور عشرة قرون ونصف ، وإن ينوه ببعض معالمها التاريخية التي مازال تحتفظ بطابع العهد الزييري الحمادي الذي أسست فيه كالجوامع العتيقة الذي يعود إلى فترة التأسيس .

نظرة تاريخية :

إن الجزائر لا يعرف عنها شيء كثير في العهد الفينيقي وإنما يعرف عنها أنها أسست في هذه الفترة بعد تأسيس قرطاجنة سنة 814 ق م . وأطلق عليها الفينيقيون اسم «ايكسم» ثم جاء الرومان ، وأطلقوا اسم ايكوزيوم أي مدينة العشرين لأن الخرافة التاريخية تقول : إن هرقل الليبي قد مر بها مع أصحابه وكان عددهم عشرين فسميت المدينة باسمهم العددي ، وهناك من ذهب إلى أن اسم المدينة هو «ايكسم» استنادا إلى العملة التي عثر عليها في حفريات سنة 1940 ، ومعنى هذا الاسم أنها جزيرة الشوك أو جزيرة الطير ، وهذا الإطلاق أقرب إلى الصواب (2) .

في العهد الروماني :

(146 ق م - 429 م) وتقدمت مدينة الجزائر وكانت لها في القرن الأول مشيخة تحكمها كما كانت فيها كنيسة ، وأسقفية ، وبقيت آثار هذه الكنيسة إلى القرن الخامس على ما ذكره البكري ، ولما ثار الوطني فيرموس على الرومان بالقبائل الكبرى احتل مدينة الجزائر سنة 373 م وبعد انهزامه أمامهم عادت المدينة إلى حكم الرومان .

(2) صفحات من تاريخ الجزائر لتود الدين عبد القادر ص 14 - 15

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

الآخريين حوالى هذا التاريخ .

وبعد تأسيس مدينة الجزائر نسبت الى قبيلة بربرية كانت تنزل بجوارها وهى قبيلة مزغنة الصنهاجية فقبل فى الجزائر جزائر بنى مزغنة . وحكم الحماديون بعد ذلك مدينة الجزائر - حينما استقلوا بالجهة الغربية لامارة بنى زيرى - ودامت تحت حكمهم حتى سقطت دولتهم سنة 547 هـ .

وصارت الجزائر فى هذا العهد مدينة تجارية هامة وعاد مرساها مرفأ بحريا ممتازا , وكان أسطول الحماديين يتردد عليه كثيرا ويؤثره على غيره من المراسى .

ويذكر أبو راس : ان يحيى بن عبد العزيز الحمادى قد استقبل الحسن الزيرى لما تغلب النورمان على عاصمة المهدية بتونس ولجأ اليه , فأنزله مدينة الجزائر مع أخيه القائد واليها , ولما هاجم عبد المومن مملكة الحماديين نازل الجزائر أولا واحتلها , ونقل الحسن الزيرى منها الى المغرب , ثم زحف منها الى بجاية واحتلها أيضا سنة 547 هـ **فى العهد الموحدى :**

(547 - 626 هـ) عادت الجزائر فى هذا العهد مدينة تابعة لولاية بجاية , ونعمت بالرخاء والازدهار الاقتصادى حتى اندلعت ثورة بنى غانية سنة 581 هـ فتعرضت المدينة لاحتلالهم المتكرر حوالى ستة 623 هـ وما بعدها .

فى المهديين : الحفصى والزيانى (626 - 922 هـ) : ولما تقلص نفوذ الموحدين عن المغرب المتوسط انتهز أبو زكريا, الحفصى الفرصة حوالى سنة 626 هـ

واحتل مدينة الجزائر كما احتل بجاية , وصارت المدينة تابعة له وللحكم الحفصى بتونس وبجاية حينما , ثم انتهز سكانها الفرصة فاستقلوا بحكم مدينتهم من عام 662 هـ الى عام 676 هـ .

وظهرت بها امارة صنهاجية , وهى امارة مليكش التى مر بها العبدري , وهجا أميرها حوالى سنة 688 ثم عادت المدينة الى حكم الحفصيين , واعتزفت بالتبعية السياسية لهم , ولكنها لم تلبث أن تنكرت لهم تحت زعامة ابن علان أميرها , واستقل هذا بأمرها مدة 14 سنة .

وكانت الدولة الزيانية قد استفحل نفوذها تحت حكم ابي حمو الاول (707 - 718 هـ) فنازلها بجيوشه واحتلها , وألحقها بحكم تلمسان سنة 712 هـ ودامت تابعة لبنى زيان الى أن سقطت دولتهم على يدى ابي الحسن المرينى سنة 737 هـ ثم صارت تابعة له وللمرينيين بعده

وبعد قيام دولة أبى حمو الثانى سنة 760 هـ استرد هذا الامير «الجزائر» وحاول سالم التومى أن يتمرّد عليه , وان يستقل بالمدينة فكاده واعتقله ثم قتله واستراح من تلونه .

مدينة الجزائر تتحول الى جمهورية ارستوقراطية : وظلت مدينة «الجزائر» تابعة للزيانيين مرة وللحفصيين أخرى الى ان استقلت بأمرها أواخر القرن التاسع الهجرى وعادت أشبه ما تكون بجمهورية ارستوقراطية يديرها مجلس مؤلف من أعيان المدينة تحت حماية الثعالبية , وكان العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن الثعالبى أحد رجال حكمها وشوراهما .

مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية

وبعد وفاة الشيخ عبد الرحمن سنة 875 هـ عاشت

المدينة تحت نفوذ الثعالبة ، وتولى حكمها شيخهم

سالم التومي ، وتعرضت المدينة في أوائل القرن العاشر لهجومات الاسبان مما اضطر سالم التومي الى الاستنجاد بالتركيبين المجاهدين : عروج وخير الدين ، وكانا قد استقرا بمدينة جيجل واستدعاهما للقدوم الى الجزائر لمحاربة الاسبان ومدافعتهم عن المدينة ، وبذلك تبدأ المدينة مرحلة جديدة هامة من حياتها .

وصف المدينة من خلال ماكتبه عنها الرحالون :

يذكر ابن حوقل في القرن الرابع أن المدينة كانت مسورة ، وكان بها أسواق كثيرة ، ومزارع متعددة ، ومواش متعددة وكانت تنتج السمن والعسل بوفرة .

وذكر البكري في القرن الخامس ان المدينة كان بها آثار قديمة ومنها بقايا كنيسة عتيقة كانت فيها .

وذكر الادريسي في منتصف القرن السادس ان التجارة في المدينة كانت رابحة ، وان صناعاتها كانت مزدهرة كما ان انتاج العسل والسمن فيها كثيرا يتزود به منها الى البلدان .

ولاحظ صاحب الاستبصار في القرن السادس ما لاحظته الادريسي قبله .

وتحدث أبو الفداء عن ازدهار تجارتها وتقدم

وكان يحيط بالمدينة سور ينحدر من القصبه الى البحر ما بين باب الواد حيث موقع ثانوية الامير عبد القادر الآن ، وما بين المسرح البلدي الذي يحاذي باب عزون (5) ، وكانت عناصر سكانها تتألف من بربر صنهاجة كبنى مزغنة أهلها الاصليين ، ومن العرب الثعالبة وغيرهم ، ومن الاتراك الذين جاء بهم عروج وخير الدين أو من الوافدين عليها بعد ذلك ، ومن مولديهم بعد تزوجهم بالاهليات .

وكان فيها الى البحر ما بين باب الواد حيث موقع ثانوية الامير عبد القادر الآن ، وما بين المسرح البلدي الذي يحاذي باب عزون (5) ، وكانت عناصر سكانها تتألف من بربر صنهاجة كبنى مزغنة أهلها الاصليين ، ومن العرب الثعالبة وغيرهم ، ومن الاتراك الذين جاء بهم عروج وخير الدين أو من الوافدين عليها بعد ذلك ، ومن مولديهم بعد تزوجهم بالاهليات .

وكان فيها الى جانب هؤلاء السكان طوائف من الزنوج واليهود والمسيحيين .

(3) أبو الفداء اسماعيل : تقويم البلدان ص 125 - صفحات في تاريخ الجزائر ص 127

(4) صفحات في تاريخ الجزائر ص 127

(5) المصدر السابق ص 127

(6) المصدر السابق ص 138

حكاهها الاتراك :

(1) خير الدين باشا

(2) حسن آغا (1544 - 1573 م)

(3) حسن باشا بن خير الدين (1544 - 1568 م)

(4) قلع على (1568 - 1571 م) وكان قائدا حربيا بحريا كبيرا .

واشتهر من داياتها :

- على بتشينى الذى اسس مسجده الشهير بنهج

باب الواد

- رمضان آغا الذى شرع فى تأسيس جامع

الحواتين أو الجامع الجديد (1660 - 1661 م)

- محمد بكتاش باشا (1707 - 1710 م) الذى

اشتهر بتشجيعه للحركة العلمية وافتحه

لمدينة وهران الفتح الاول

- محمد عثمان باشا (1766 - 1791 م) وهو

أعظم دايات الجزائر ، وقد صد حملات عديدة

للاسبان على مدينة الجزائر ، واستطاع أن

يفتح مدينة وهران على يد واليه على المقاطعة

الوهرانية محمد باى الكبير

- وآخر هؤلاء الدايات هو حسين باشا (1818 -

1830 م) . وقد وقع احتلال الفرنسيين للمدينة

على عهده فى 5 جويلت سنة 1830 م .

وخضعت المدينة بعد ذلك لاحتلال مرير دام

من سنة 1830 الى سنة 1962 م .

المدينة تحت الاحتلال الفرنسى :

حكم الفرنسيون المدينة حكما عسكريا ثم

(7) صفحات فى تاريخ مدينة الجزائر ص 55 - توفيق المدنى : محمد عثمان باشا ص 29 - محمد بن رقية التلمساني : الزهرة النيرة ، نشر سليم بابا عمرو ص 19

لما تعرضت المدينة أوائل القرن العاشر لهجومات الاسبان الذين احتلوا مدينة وهران ومرساها اضطر شيخها سالم التومى الى دفع أتاوة لهم ، ورأى بعد حين أن النجاة من غزوهم لا يتأتى الا بالاستعانة بالاخوين التركيين عروج وخير الدين ، واستقدمهما سالم التومى واهل المدينة وجاء الاخوان اليها سنة 922 هـ . وبدءا معا حياة كفاح وجهاد مرير ، وحاربا الاسبان بمعونة الجيش الوطنى فى مواقع مختلفة ، واستشهد عروج فى مدافعتهم بتلمسان . وبقي خير الدين أميرا على الجزائر ثم الحق امارته بالدولة العثمانية وبذلك دخلت المدينة فى طور جديد . واكتسبت طابع قوة حربية ، وصيتا حربيا وسياسيا واسعا بحوض البحر الابيض المتوسط ، وتعاقب على الحكم فيها خلفاء خير الدين كحسن آغا (1533 - 1544 م) الذى صد حملة بحرية كبيرة زحف بها الاسبان الى المدينة ليحتلوها . وانحروا أمام أسوارها ، وقوة دفاعها (7) وأصبحت المدينة بعد هذا الانتصار - كما يقول محمد ابن رقية « تختال فى حليها وحللها من رخاء . الاسعار ، وأمان الاقطار ، وشاع انتصارها فى مشارق الارض ومغاربها » وكان اسطولها القوى يمخر عباب البحر الابيض المتوسط .

وقد نبغ فى البحرية من القادة المشاهير على بتشينى وقلج على ، والرايس حميدو ، وغيرهم .

وقد اشتهر من داياتها السياسيين الحازمين :

مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية

المعماري وتزهو باشتغالها على الادارات المركزية للحكومة وعلى المؤسسات الثقافية العالية لمختلف الدراسات العلمية وعلى المتاجر الواسعة والمعامل المتعددة والمؤسسات الرحبة كما تزهو بكثرة أحيائها واتساع رقعتها التي تكاد تبتلع ما جاورها من الضواحي لتحيلها الى أجزاء فرعية منها .

(2)

الحركة المعمارية في المدينة :

تبتدى الحركة المعمارية في الجزائر بتاريخ تأسيس المدينة على يد بلكين بن زيري سنة 339هـ ولكن آثار هذا العهد الزيري والحمادي لم يبق منها الا الجامع الكبير الذي يعود تاريخ تأسيسه الى سنة 490 هـ - 1097 م ، وكذلك جامع سيدي رمضان الذي يعود تاريخ تأسيسه الى هذا العهد . وكلاهما يمثل الفن المعماري البسيط ولكنه رغم بساطته يتسم بالروعة والابداع .

اما في العصر التركي فقد لبست المدينة حلة معمارية قشبية بمساجدها الزاهرة ، ومآذنها العالية وحصونها العاتية ، وقصورها الخلابة .

وقد لاحظ جورج مارسي : ان أول ما يلفت انتباه المسافر عند ما يحل بأرض الجزائر هو الوجود التركي الذي يتجلى فيما تركوه من آثار معمارية زاهية (9) . والفن المعماري للجزائر على عهد الاتراك يمتاز بالنقش والزخرفة وضروب الابداع الفني . وتمثل المساجد والزوايا والمعابد جزءا كبيرا من هذا الفن المعماري ، وقد بلغ عددها في

حوزة الى حكم مدني بعد حين وحاول الثائر المقراني أن يسترد المدينة من يد الفرنسيين في ثورته سنة 1871 م ولكنه لم ينجح في ذلك لاسباب مختلفة (8) ثم ظهرت فيها ضروب من المقاومات السياسية الشعبية كحركة الامير خالد عقب الحرب العالمية الاولى ، ونشاط حزب الشعب منذ سنة 1936 م ، وجهود جمعية العلماء منذ سنة 1931 م وحركة احباب البيان والحرية التي خلفت حركة النواب ، وكان مركز هذه الحركات التحررية هو مدينة الجزائر .

كما كانت نواة جبهة التحرير الوطني الاولى لتنظيم الثورة المباركة التي اندلعت في غمرة نوفمبر سنة 1954 م - متباعدة منها ، وشهدت المدينة بعد ذلك معارك عنيفة ضارية ، وضروباً من الفداء والاستبسال في القصبة وبلكور وباب الواد وغيرها من أحيائها المختلفة ، الى أن جاد الله بالاستقلال المنشود سنة 1962 م وتحققت أمانى الشعب بعد ضروب من التضحية والجهد التي دامت نحو ثمانى سنوات . وبعد أن ضحى الشعب فيها بمليون ونصف مليون شهيد .

المدينة في عهد الاستقلال :

وشهدت المدينة قيام الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ، واستأنفت حياة جديدة كلها عزة وكرامة ورقى ، وازدهرت تجارتها واستبحر عمرانها ، وكثر سكانها حتى بلغ عددهم الآن ما يربو على مليون ونصف مليون .

وهي الآن تسير بخطى فسيحة في نشاطها

(8) توفيق المدني : كتاب الجزائر ص 53 - محمد المجل وعبد الله شريط : الجزائر في مرآة التاريخ ص 207

(9) وزارة الاخبار : المساجد في الجزائر 1970 م ص 45

عليه من آيات الفن المعماري التي تسحر الابصار .
وتخلب الالباب (II) .

(3)

حياة « الجزائر » الثقافية :

حياة المدينة العلمية والثقافية منذ تأسيسها على يد بلكين الى الآن هي حياة خصبة متعددة الجوانب متنوعة الموضوعات ، ونحن في هذه الكلمة نحاول أن نلقى أضواء خاطفة على لمحات من هذه الحياة الثقافية لان التوسع فيها يستوجب تأليف كتاب خاص بها . وقد نبغ في هذه المدينة في مختلف عصورها أعلام في الفقه والآداب والدراسات الدينية والتصوف والكلام والطب ، على أن الواقع يدعونا الى أن نؤكد أن جل من نبغ فيها كان من الفقهاء والمتصوفة أو من الادباء الكتاب والشعراء .

وكانت مراكز التعليم خلال هذه الفترة هي المساجد التي كانت تؤدي دورا تعليميا من جهة ، ودورا تعبديا من جهة أخرى ، وكانت الزوايا تقوم بهذا الدور أيضا ، والى جانبها نجد الكتاب القرآني ويدعى في الجزائر بالمسيد « تصغير المسجد » وهو عبارة عن مدرسة ابتدائية يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة ويحفظون القرآن الكريم وقراءاته المروية أما نبغاء هذه المدينة فاننا سنذكرهم حسب ترتيبهم الزمني ونذكر كلمة موجزة عن كل واحد منهم .

I - أبو محمد بن أحمد بن فرج الجزائري المتوفى سنة 368 هـ وكان راوية للحديث (I2) .

العصر التركي حسب ما جاء في وثيقة عثرنا عليها بقسم الوثائق تحت رقم 350 نحو 98 مسجدا وزاوية ويذكر هايدي انه كان بالجزائر عقب الاحتلال الفرنسي 13 مسجدا كبيرا ، و 109 مسجدا صغيرا و 32 معبدا ، و I2 زاوية (I0) ، وقد اندثر جل هذه المساجد والزوايا بعد مدة قليلة من الاحتلال الفرنسي تحت ستار توسيع الطرقات وتنظيمها وتحت ستار أسباب أخرى لا مبرر لها .

ويبدو الفن المعماري في المساجد الباقية كما في الجامع الجديد الذي بنى سنة 1070 هـ - 1660م وهو يمتاز بمنارته التي كان يبلغ ارتفاعها 29,5 م ثم صار ارتفاعها بعد الردم 25 م ، وبالزخرفة البديعة التي تعلوها ، كما يمتاز بمحرابه المزخرف بضروب النقش الجميل ، ويمتاز أيضا بمنبره المصنوع في ايطاليا ، والحافل بضروب الاناقة والجمال .

وجامع القائد صفر وهو يعود تاريخ تأسيسها الاول الى سنة 940 هـ وأعيد بناؤه سنة 1242 هـ .
وجامع كيتشاوة الذي أسس سنة 1209 هـ - 1794 م وهو يشتمل على آيات الفن المعماري البديع.

وجامع على بتشيني وقد أسس حوالي سنة 1031 هـ - 1622 م وهو يشتمل على شواهد الفن المعماري الرائع وصحنه المربع الكبير وهو يمثل روعة فنية لا نظير لها ، ويزيده جمالا قببه المثلثة الاضلاع والمرتكزة على دعائم غليظة وما تشتمل

(11) المصدر السابق ص 50

(10) المصدر السابق ص 46

(12) ياقوت معجم البلدان مج 2 ص 132

مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية

وقوله من فصيحة أخرى :

**لعلك بعد الهجر تسمح يا بدر
بوصل فقد أودى بمهجتي الهجر (17)**

ونبع فيها بالقرن الثامن :

8 - محمد بن حسن اليحصبي البرونى الذى حاز
رياسة الفقه فى القرن الثامن بمدينة الجزائر ،
وانتقل بدعوى من أبى حمو الثانى الى تلمسان ،
ومات بها فى أواخر القرن الثامن الهجرى .
ونبع فى القرن التاسع أعلام فى الفقه والتصوف
والكلام ، من أشهرهم :

9 - عبد الرحمن الثعالبى صاحب المؤلفات
الكثيرة الذى ولد سنة 785 هـ والمتوفى سنة 875 هـ
وقد اشتهر بمؤلفاته الجلية فى التفسير والوعظ
والفقه والتراجم والتصوف ونحوها (18)

10 - وشيخه ابوجمعة وكان مشهورا بعلمه
وتقواه (19) .

11 - وأحمد بن عبد الله الجزائرى الزواوى ،
وكان فقيها متكلم ، وأديبا شاعرا ، وقد اشتهر
بلاميته فى التوحيد ، وكان صديقا للثعالبى ، وقد
رثاه بعد وفاته بقصيدة مطلعها :

**لقد جزعت نفسى لفقد أحبتى
وحق لها من مثل ذلك تجزع**

ونبع فيها فى القرنين السادس والسابع :

2 - عبد الرحمن بن السطاح المتوفى سنة 629 هـ
ببجاية وكان أديبا فقيها (13) .

3 - وعبد الله بن حجاج بن يوسف الجزائرى
وكان نحويا فقيها روى عن الجزولى وغيره وتوفى
ببجاية سنة 640 هـ (14) .

4 - وأبو محمد عبد المنعم الجزائرى وأخذ عن
ابن منداس الجزائرى ، واشتهر بالشعر والترسل
الديوانى وتوفى سنة 680 هـ (15) .

5 - وأبو عبد الله محمد بن العطار الجزائرى
شاعر المدائح النبوية (16) ، ومن شعره قوله :

**اهدت لنا طيب الروائح يشرب
فهبوبها عند النسيم يطرب
رقت فرق من الصبابة و الاسى
قلب بشيران البعاد يصدب
شوقا الى اسنى نبي جبه
كنز النجاة فنعم هذا المطلب**

6 - ومحمد بن منداس المتوفى سنة 643 هـ وكان
أديبا لغويا ومحدثا .

7 - ومحمد بن أحمد الاريسى المعروف بالجزائرى
وكان كاتبا بارعا شاعرا ، ومن شعره قوله :

**أدركها فقد هبت نسيمه دارين
ونم بسر الروض نشر الرياحين**

(13) الطناوى : تعريف الخلف ج 2 ص 198 - الفيرنى : عنوان الدراية ص 156
(14) المصدر السابق ج 2 ص 232 - عنوان الدراية 145
(15) المصدر السابق ج 2 ص 247 - عنوان الدراية 145
(16) المقري نفع الطيب ج 10 ص 327
(17) عنوان الدراية ص 202 - 211
(18) تعريف الخلف ج 1 ص 63
(19) صفحات من تاريخ الجزائر ص 240 - تعريف الخلف ج 2 ص 470

الدخري الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

وتوفي سنة 884 هـ (20) .

في العصر التركي :

ونبغ في هذا العصر كثير من العلماء والادباء في قرونه الثلاثة ، ومن أشهر من نبغ فيه :

12 - سيدي محمد الشريف الزهار دفن في الجزائر المتوفى سنة 948 هـ وكان تلميذا لسيدي أحمد ابن يوسف الملياني الصوفي الكبير (21) .

13 - والشيخ محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزير الجزائر ودفنها وكان محدثا فقيها صوفيا وتولى السفارة عن باشا الجزائر الى المغرب وتوفي سنة 963 هـ وله كتب في التصوف (22) .

14 - والشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الانصاري السلجلماسي الذي استقر بمدينة الجزائر وتولى التدريس بمساجدها وتخرج عليه طلبة كثيرون ، منهم سعيد قدورة ، وترك مؤلفات متعددة وتوفي سنة 1057 هـ .

15 - وأبو عثمان سعيد قدورة الذي أخذ عن شيوخ الجزائر وتلمسان وتولى الفتوى والتدريس بالجامع الاعظم وتوفي سنة 1066 هـ ودفن بزاوية الشيخ أحمد بن عبد الله الجزائري الصوفي ، وله شرح على متن السلم للاخضري ، وشرح على عقيدة السنوسي ، وتوفي سنة 1080 هـ (23) .

16 - وأبو مهدي عيسى الثعالبي الجزائري الذي ترجم له المحبى وأثنى عليه كثيرا والشيخ البابلي

كان يقول فيه ما وصل الينا من المغرب أحفظ من المقرى ولا أذكى منك ، وتوفي سنة 1080 هـ (24) .
17 - والشيخ محمد بن علي وكان عالما جليلا ، وتوفي سنة 1093 هـ .

18 - والعلامة يحيى الشاوي الذي نشأ بالجزائر وأخذ بها عن سعيد قدورة وعلي بن عبد الواحد الانصاري السلجلماسي ومحمد بن محمد بهلول الزاوي السعدي وأجازه شيوخه وارتحل الى مصر سنة 1074 هـ واستجاز علماءها وأجازه وظهر عليهم بحفظه ، وله من المؤلفات في بيان ما للبخاري من التصحيح وحواش على التسهيل والالفية لابن مالك وتوفي على ظهر البحر سنة 1096 هـ ونقل الى مصر ودفن بها (25) .

19 - والشيخ محمد بن عبد المومن وكان فقيها قاضيا للمالكية وتوفي بمدينة الجزائر سنة 1101 هـ
20 - وأبو عبد الله بن الشيخ سعيد قدورة وكان عالما فقيها تولى الافتاء بالجامع الاعظم وتوفي سنة 1104 هـ .

21 - والشيخ عبد الرزاق بن حميدوش الجزائري وعاش في القرن الثاني عشر واشتهر بكتابه الطبي « كشف الرموز والعشاب » .

22 - وعمر بن محمد المانجلاتي وكان فقيها أصوليا أخذ عنه ابن زاكور وأثنى عليه كثيرا ، وختم عليه جمع الجوامع سنة 1044 هـ (26)

(21) تعريف الخلف ج 2 ص 469

(23) تعريف الخلف ج 2 ص 282

(25) فهرس الفهارس والاليات ج 2 ص 446

(20) تعريف الخلف ج 1 ص 23

(22) تعريف الخلف ج 2 ص 483

(24) الكتاني : فهرس الفهارس والاليات ج 2 ص 190

(16) تعريف الخلف ج 2 ص 295

مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية

27 - ومحمد بن الشاهد الجزائري وكان أديبا شاعرا (31) وقد ترك قصائد كثيرة في المدائح النبوية ، ومن شعره في ذلك قوله :

محمد سر الوجود ★ وسر الاكوان
اهام أصحاب السجود ★ فما له ثان
محمد خير السرى ★ نبينا الاواه
محمد بلر سرى ★ سبحانه من انشاء
ومثله ليس يرى ★ أثنى عليه الله

28 - ومحمد بن رجب الجزائري ، وقد اشتهر بكتابه في الطب ومدافعة الوباء ، الوافد عام 1200 هـ ، وجاء في أول كتابه هذا :

«الحمد لله وحده . . لما جاء الطاعون في شعبان سنة 1200 هـ ببلدنا الجزائر اشتغلت بمطالعة كتب عديدة في الطب منها القانون لابن سينا ، والتذكرة للانطاكي ، وألفت هذا الكتاب ، وسميته « بالدر المصون ، في تدبير الوباء والطاعون » وادرك الشيخ العهد الاستعماري ومات في القرن التاسع عشر الميلادي (32) .

29 - وسيدى محمد بن عبد الرحمن الازهرى الزواوى دفين الجزائر وقد توفي بالجزائر أو ببلاد القبائل سنة 1208 ودفن بمقبرة الحامة التى سميت باسمه ، وهو ناشر الطريقة الرحمانية بالجزائر وبلاد السودان (33) .

في عهد الاحتلال الفرنسى :

(28) تعريف الغلف ج 2 ص 83 - 87
(30) المصدر السابق ج 2 ص 215
(32) تعريف الغلف ج 2 ص 427

23 - ومحمد بن سيدى ابن على الاديب الشاعر المقتى وكان شاعرا كبيرا واماما فقيها وكان صديقا لابن عمار الذى روى له كثيرا من شعره ، وساجله في كثير من قصائده (27)

24 - والعلامة أحمد بن عمار الجزائري العالم الاديب الرحالة وكان من نوابغ عصره ، رحل الى المشرق فى أوائل سنة 1166 هـ واشتهر برحلته التى بقى منها نبذة قليلة ، وتوفى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى (28)

25 - وعلى بن محمد الجزائري المتوفى سنة 1185 هـ وكان يعرف بابن الترجمان ، وانتقل الى المشرق ، وجال فى أنحائه ثم استقر أخيرا بالآستانة وشارك مع الجيش العثمانى وأسر ومات بالتراب الروسى (29) .

26 - وأحمد الغزال الجزائري وكان تلميذا للعالم الاديب أحمد بن عمار وقد مدح شيخه بقصيدة جاء فيها :

فاكرم به من ماجد وابن ماجد

وانعم به من سيد وابن سيد

له خضعت ادبائ علم لعزه

فكيف وفيهم قام اعظم مرشد

وأجابه تلميذه ابن الشاهد بقوله :

عسى أن يلم الشمل بعد تبدد

عشية هذا اليوم أو ضحوة القد (30)

(27) المصدر السابق ج 2 ص 406
(29) المصدر السابق ج 2 ص 215
(31) المصدر السابق ج 2 ص 215
(33) تعريف الغلف ج 2 ص 450

والعلوم الدينية . وله قصيدة فى مدح أقوم المسالك
فى أحوال الممالك لخير الدين باشا التونسى سنة
1284 هـ وقد ترك هذا الكتاب عقب صدور صدق
عميقا فى نفوس المثقفين بالمغرب كله لطرافة
موضوعه فى ذلك العصر ، ولتعرضه للمباحث
السياسية والاجتماعية بأسلوب عصرى فلسفى ،
ومن قصيدته فى مدح الكتاب ومؤلفه قوله :

لله درك خير الدين من علم
أبدى منار الهدى للناس فى الفن
نهجت نهجا قويا قل سالكه
الى السياسة كى ينجو من الفن
حق على ملكة الاسلام شكرهم
ورعى تالفكم بالقلب والأذن
عليك منى سلام الله ما طلعت
شمس وما غرد القمرى فى فن

ونبغ فى القرن العشرين أعلام كثيرون فى الفقه
والدراسات العلمية والأدبية من أشهرهم :

35 - مصطفى بن الخوجة الذى ولد بالعاصمة
سنة 1865 ودرس بها على شيوخ عصره كالمفتى
على بن الحفاف ، والشيخ سعيد بن زكري ، ومارس
الصحافة بجريدة المبتدئ من سنة 1886 م الى سنة
1901 م ثم عين مدرسا بجامع سفير سنة 1895م وأقرأ
فيه التفسير والفقه وتوفى سنة 1915 م وكان المترجم
متضلعا فى العلوم اللغوية والفقهية وترك من
المؤلفات الجلية رسالة الاكثرات فى حقوق
الاناث ، وهى رسالة غريبة فى موضوعها ، وبإدانة
حسنة فى التأليف الاجتماعية ، وكتابه إقامة

على الرغم من مصايقة الفرنسيين للحركة العلمية
ودراسات اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتفنت
فى سبيل القضاء عليها فان السند العلمى لم ينقطع
وان الدراسات الفقهية واللغوية قد واصلت نشاطها
الفعال ، وتحدث العراقيلى التى كانت تعترضها ،
وكانت المساجد والزوايا هى المراكز الثقافية
فى هذا العصر ، وغزت اللغة العربية المدارس
الرسمية الثلاث للحكومة ، واستقرت أقدامها فى
المدارس الحرة التى أنشأها الوطنيون بعد الحرب
العالمية الاولى ونبغ فى هذه الفترة جماعة من أعلام
الفقه والأدب والتاريخ فى هذه المدينة ومن هؤلاء
الأعلام فى القرن التاسع عشر :

30 - حمودة المقايصى الجزائرى المتوفى سنة
1245 هـ (34)

31 - والامام الجليل الكبايطى المتوفى
بالاسكندرية بعد الاحتلال بقليل .

32 - والامام حميدة العمالى مفتى المالكية بالجزائر
المتوفى سنة 1293 هـ وكان مدرسا ممتازا بالجامع
الاعظم وتخرج عليه كثير من شيوخ ذلك العصر ،
وقد ترك مؤلفات منها كتاب فى القضاء ، درس فيه
خصائص القضاء ، وحلية القاضى وشروطه (35) .

44 - والشيخ القزادى وكان تلميذا للعمالى ،
واماما بالجامع الاعظم ، ومدرسا بالمدرسة الثعالبية
34 - وحسن بن بريهمات وكان عالما جليلا ،
أديبا فاضلا نافس شيخه حميدة العمالى فى الدراسات
الدينية والفقهية وقد نبغ فى الأدب والشعر ، ويذكر
الحفناوى أنه كانت له يد طولى فى الآداب العربية

مدينة الجزائر تاريخها وحياتها الثقافية

فيلة او كلمات غابرة يكتبها عنه . وقد توفي الشيخ بعد جهاد مرير ، وجهود بناء متواصلة في رئاسته لجمعية العلماء وادارته لعشرات مدارسها الحرة - في شهر ماي سنة 1965 م وترك مؤلفات متعددة ومن أشهرها عيون البصائر الذي طبع منذ سنوات. 40 - والشيخ الطيب العقبي، وقد التحق بالعاصمة وقام فيها بنشاط فعال في مجال الإصلاح الديني والاجتماعي وكان له تأثير كبير على التمكين لهذه الحركة الدينية كما كان له فضل مشكور على النهوض بالصحافة الوطنية وتوفي قبل الاستقلال بقليل .

41 - والشيخ العربي التبسي الذي التحق بالعاصمة بعد ادارته لمعهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ، وتولى رئاسة جمعية العلماء بعد الشيخ البشير الابراهيمي ، وأشرف على تسيير الحركة التعليمية بالمدارس الحرة . وأقام بالجزائر بعد اندلاع الثورة التحريرية وجاهد فيها جهاد الابطال حتى اختطفه المظليون من جيش الاحتلال ونقلوه الى معتقل مجهول وقتلوه شهيدا رحمه الله سنة 1958 م .

هكذا كانت مدينة الجزائر طيلة هذه القرون التي سوت بها في العهد الاسلامي تزخر بنشاط سياسي فعال ، وبحركة عمرانية ومعمارية متواصلة وبحركة علمية مبدعة وتضم تحت كنفها طائفة من الافلاذ في الفنون العلمية المتنوعة كانت تعزى بهم في مسيرتها الزمنية المتواصلة ، وتباهى بعبقرياتهم غيرها من مدن القطر الجزائري .

كما كانت تعزى بزعامتها السياسية التي تسلمت مقالدها منذ العصر التركي في اول القرن العاشر الهجري الى الآن . وهي لهذه الامجاد كلها تستحق ان تقام لها ذكريات ، وأن تشرف بالتنويه والاكباد وان يخص تاريخها الحافل بالدرس والتحليل والتعليق ليستوحى منه ابناءؤها امجاد عزمهم وكرامتهم وأصالتهم .

البراهين العظام ، على نفي التعصب في الاسلام . 36 - والشيخ محمد سعيد بن زكري الزواوي الذي استقر بالعاصمة ودرس بالجامع الاعظم ، وتولى امامة جامع سيدي رمضان والافتاء المالكي وتوفي سنة 1914 وله من المؤلفات رسالة أوضح الدلائل .

37 - والحفناوي أبو القاسم الذي انتقل الى الجزائر وشارك في تحرير الجريدة الرسمية وتوفي عام 1940 وقد اشتهر بكتابه الجليل : تعريف الخلف برجال السلف .

38 - والدكتور محمد بن أبي شنب المتوفى بالجزائر سنة 1929 م وكان متخصصا في الدراسات اللغوية والادبية ، وهو أول جزائري نال شهادة الدكتوراه في اللغة العربية من الجامعة الجزائرية واشتهر بدراساته الاستشراقية وبأبحاثه الكثيرة باللغة العربية والفرنسية وبمؤلفاته الكثيرة ومنشوراته المتعددة .

39 - ومن أعلام الجزائر الذين وضعوا أسس النهضة الحديثة في المجالين العلمي والادبي . وفي مجال الفكر الاصلاحى الحديث العلامة الجليل ، والاديب العبقري الموهوب والخطيب المصقع، والكاتب المترسل المبدع ، جاحظ عصره . وزمخشري زمانه ، وحافظ وقته الشيخ محمد البشير الابراهيمي دفن بمقبرة سيدي محمد بالحامة ، وبعد الشيخ البشير قائدا عبقريا في الإصلاح الديني مع صديقه الامام عبد الحميد بن باديس ، ومفكرا مجددا ، وناقدا موجها في الدراسات النقدية والشعرية ، ومحاضرا ممتازا ، ولا يمكن لاي باحث أن يفي حق الشيخ وفضله على النهضة الحديثة في صفحات

كلمات

بدأت المقاومة بمحاربة المدارس الرسمية وخطة الاستعمار الثقافية ولعب رجال التعليم والعلم والثقافة دورا كبيرا في ذلك وقد اعترف العدو بنفوذهم ، فحرضوا الشعب على رفض سياسة « الاندماج » ، وبينوا للمواطنين اهدافها وخطورتها وجعلوا من كل مدرسة جزائرية وكل مسجد وكل زاوية مركزا محصنا لمحاربة العدو ، وعملوا على توحيد الصفوف ونسقوا الجهود والآراء حتى أصبح المستعمر يتساءل في سر الوحدة الشعبية القوية بدون ان يتلمس اسبابها الحقيقية واستشهد الكتاب بتقارير ومراسلات ومؤلفات كثيرة تدل على تلك الروح الوطنية - فذكر الضابط « دونوفو » ، في كتابه « الاخوان » ، فعالية الحركة القومية فقال : « وبسبب سذاجة المواطنين قد أثر فيهم رجال جاءوهم باسم دينهم وباسم الله وباسم محمد يحرضونهم على الثورة والتخلي عن المحراث - في حين اننا اصبحنا مضطرين الى استعمال القوة لحمل الاهالي على الامتثال لارائنا ولاقناعهم باننا نريد مصلحتهم » (ص 115) -

من كتاب : المجابهات الثقافية في الجزائر المستعمرة للدكتورة تورين

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

1541 م 948 هـ

● بين المصا دار الاسلامية

● والمصا دار الغربية

سلوا شرلكان كم راي من جنودنا
فليس له الا هم من زواجر
فجهز اسطولا وجيشا عرمرما
ولكنه قد آب اوبة خاسر

محمد السعيد الزاهري

(شعراء الجزائر ج I ص 74 لمحمد الهادي السنوسي)

أغار الامبراطور شارلكان (I) صاحب اسبانيا
على مدينة الجزائر (2) في شهر اكتوبر 1541 الموافق
لجمادى الثانية من سنة 948 هـ . وذلك في ايام
السلطان العثماني سليمان الاول (3) -

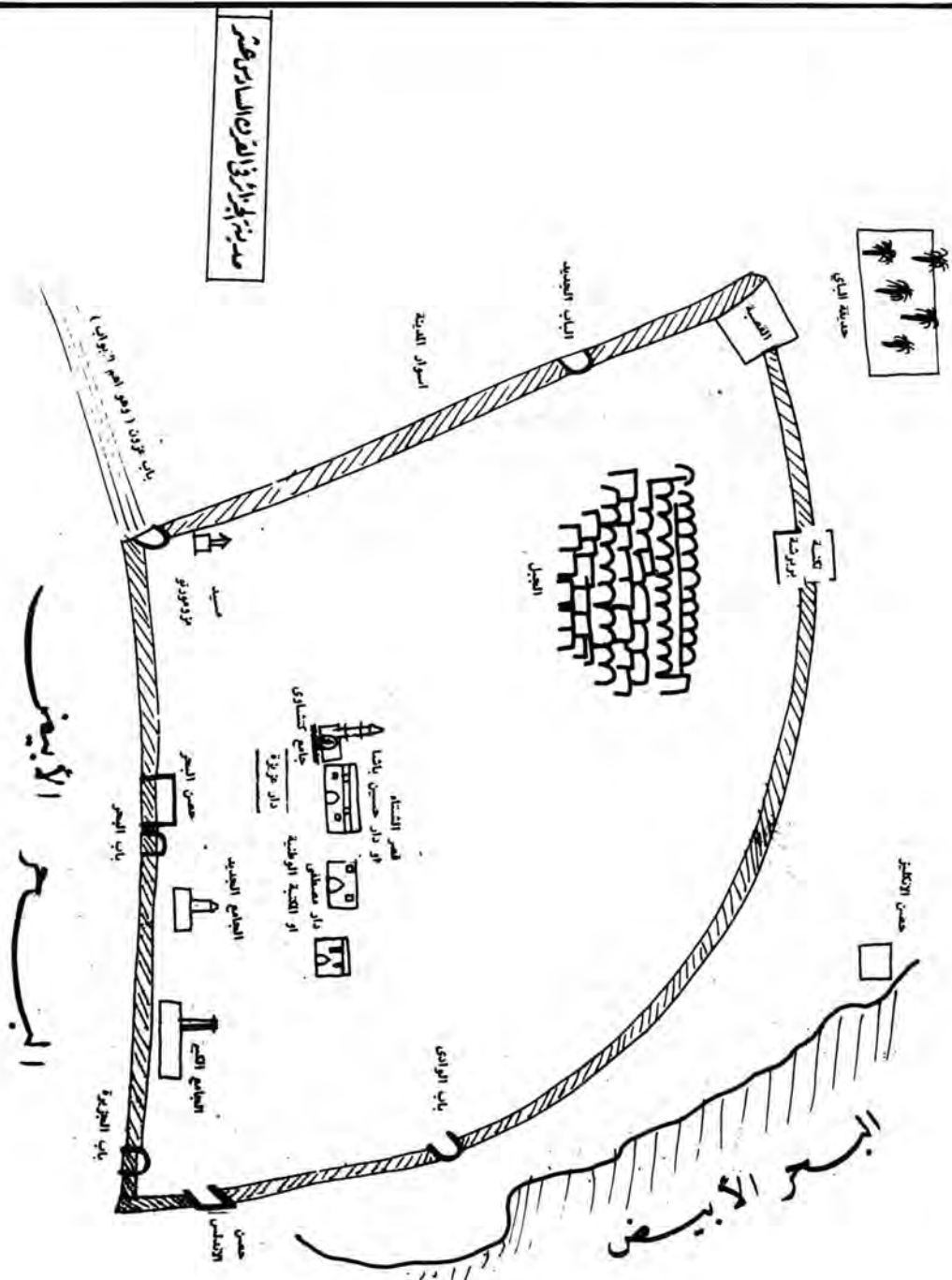
مولاي بلحميسي

(1) شارل الخامس - تولى الحكم بعد الملك فرديناند الذي توفي سنة 1516 ، واصبح شارل هذا بعد 1519 على راس اكبر امبراطورية
في العالم . فقصي عهده في محاربة أعدائه الى سنة 1556 ، ثم تغل عن المسؤولية العظمى في 16 جانفي 1556 فاعتزل في معبد يوست
YUSCE وبقى به الى ان توفي في 21 سبتمبر 1558 وخلفه ابنه فيليب الثاني

(2) هي الغارة الاسبانية الثالثة في القرن السادس عشر - وكانت الاولى في عهد عروج سنة 922 هـ - 1516 م ، وقد قادها
دياقودي فارا (DIEGO DE VARA) الا انه انهزم وعاد الى بلاده . وكانت الثانية - في عهد خير الدين - سنة 924 هـ -
1518 م وقد قادها هوقو دي مونكاد (HUGO DE MONCADE) وفيها انهزم التصاري ايضا

(3) من اشهر سلاطين العثمانيين - امتد حكمه من 1520 الى 1566

الذكرى الالفية لتاسيس مدينة الجزائر



غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

ملخصة يعوز بعضها الدقيق والفصيل وأكثرها البحث التاريخي وتحليل الاسباب والعلل وذكر النتائج . وينقص جميعها تقريبا الاعتدال في الاحصاء والاعداد وضبط التواريخ (8) .

فأصبحت المقارنة بين جميع الوثائق والمصادر والاخبار ضرورية لما للموضوع من أهمية .

وسنحاول في هذه المقالة أن نتعرض للدوافع على هاته الغارة الفاشلة ثم للاستعدادات من الطرفين ثم لتحرك الاسطول الاسباني وكيف كانت مدينة الجزائر قبيل المعركة ثم لمراحل القتال وانسحاب الغزاة وأخيرا ندرس نتائج الحملة في الداخل والخارج .

الباعث على الغارة :

ان الاسباب التي دفعت صاحب اسبانيا الى المغامرة عديدة الا أن كل مؤرخ وقف عند ما ظهر له رئيسيا منها .

وكان على رأس حكومة الجزائر - آنذاك - حسن آغا (4) خليفة خير الدين بعد ما عين هذا الأخير فبطان باشا والتحق بالقسطنطينية .

ولم يعط لهذا الحادث الخطير حقه من البحث فبقيت جوانب عديدة لهاته الغارة غامضة وظهر في الروايات المختلفة تباين وتباعد حتى عند من شاهدوا أو ساهموا في الحملة .

ولم يتخذ مؤرخو شارل الخامس موقفا مشرقا نزيها . فقد أطلالوا الحديث في غارة أمبراطورهم على تونس سنة 1535 م . فوصفوا ومدحوا وأطنبوا لان العملية كللت بالنجاح (5) وأهملوا الحديث في شأن غارة (1541) الفاشلة أو اكتفوا بالاشارة . فكان تأمر السكوت ، على هذه الحوادث التاريخية (6) ولو زعم هيدوا (HAEDO) أن اخبار شارلكان والجزائر معروفة عند العام والخاص (7) .

أما المصادر الاسلامية فهي - مع الاسف - قليلة

(4) اصله من ساردانيا . وقع في قبضة فراسين الجزائر وهو صغير فنشأ في حاشية خير الدين وبقي في خدمته فلاحظ فيه خير الدين خصالا حميدة فقربه الى ان عينه خليفة له وتوفي في السادسة والعشرين من العمر . واختلف في تاريخ وفاته فقال هيدو (HAEDO) كان ذلك في اواخر سبتمبر 1543 . وقال ديفولكس (DEVOLUX) بل توفي في نوفمبر 1545

(5) من بين الكتاب الغربيين الذين ادخوا الغارة على تونس :

M. DINAUX : Charles Quint, Relations de la conquête de Tunis. (Archives du Nord de la France... Vol. IV).

E. GACHET : Documents inédits relatifs à la conquête de Tunis par l'Empereur Charles Quint en 1535 (Bruxelles 1844).

A. MOREL FATIO : — Historiographie de Charles Quint - Paris 1913.

— Etudes sur l'Espagne - Paris 1925 (4 V)

(6) دوفرامون - هنري -

H. DE GRAMMONT : Revue critique d'histoire et de littérature, 1890, p. 343.

ونذكر بعض الكتب الغربية تناولت الموضوع بالبحث

Docteur VON GUSTAV TURBA : Über den Zug Kaiser Karls V. gegen Algier. (Wien 1890).

SANDER RANG et F. DENIS : Expédition de Charles-Quint contre Alger. (dans le 2^e volume).

Histoire des rois d'Alger, traduction de Grammont, page 63.

(7) هيدو (HAEDO)

(8) مخطوط المحكمة : نقل من التركية الى العربية - وهو بقلم احد المعاصرين لا نعرف اسمه توجد منه نسختان - مخطوط بالكتابة الوطنية تحت رقم 1100 . ونسخة في ذيل الغزوات . - غزوات عروج وخير الدين لمؤلف مجهول - وهو اقدم مخطوط لدينا بالعربية في تاريخ دخول الاتراك الى المغرب الاوسط . - تحفة الكبار في اسفار البحار - لحاجي خليفة . والكتاب بالتركية وهو في المعارك البحرية التي ساراك فيها العثمانيون . - الزهرة النيرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها جنود الكفرة - لمحمد بن عبد الرحمن التلمساني الجردى (من رجال الثالث عشر هـ الثامن عشر م)

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

خير الدين لم تقمع وكل ما حصل بعد حوادث تونس
أن أصبح نفوذ الجزائر في تزايد (I2).

وخرج خير الدين متوجها الى حضرة السلطان في
صيف 1535 فمر على سواحل الباليار مرة أخرى
ونهب مدينة ماهون (I2 مكرر) (MAHON) بجزيرة
مينوركاوسبي

ثم جدد أعماله حاته بسواحل نابولي (NAPLES)
وسواحل كالابري (CALABRE).

وكان حاكم الجزائر الجديد - حسن آغا - قد
أنشأ إحدى وثلاثين غليوطة بعد ذهاب خير الدين
فاشدت بذلك وطاته على أهل إسبانيا فاحتوى على
كثير من أجفانه وعات في أطراف سواحلهم وفعل
بهم ما كان يفعل خير الدين « (I3) .

وعمر الامبراطور - ذات يوم - « مركبا من مراكبه
وأوسقه بالمال والسلعة وبعته الى وهران (I4)
فاخذه راييس من رياس الجزائر واسمه كجك على
ودخل به الى الجزائر بعد ما وقع الحرب بينهما
فوجد فيه رئيسا عظيما من جملة الرؤساء . . . ثم
قال (الرئيس الافرنجي) ان سفينة تريد القدوم
الى بجاية فعند ذلك أمر حسن آغا أن تجهز له أغربة

I - فهل السبب هو القضاء على نشاط المسلمين
في البحر الابيض ؟ لقد شاهدت الجزائر نشاطا
لا مثيل له بعد سقوط « البنيون » وطرده الحامية
الاسبانية منه سنة 1529 ، فاكسبت قوة بحرية
فاقت قوى الدول المحيطة بالبحر الابيض وأصبحت
ماوى لاسطول معزز مدرب وقاعدة لخير الدين
وأتباعه أولئك الرياس الذين زرعوا الرعب والفزع
في قلوب النصارى (9) .

وكانت العاصمة تراقب جميع الطرق الكبرى
لهذا البحر (IO) فغزا الجزائريون سواحل اسبانيا
وايطاليا وجزر الحوض الغربى واستولوا على غلات
البلاد وخرّبوا مدنا ساحلية انتقاما من النصارى
ومعاملتهم للمسلمين في الاندلس أو في أثناء سفرهم
على متن البحر .

وسلطوا أقصى الضربات على جزر « الباليار » حتى
ضاق أهلها « وضجوا الى ملكهم بالشكوى مما
يفعل أهل الجزائر بهم » (II) .

ولم ينفع شارل الخامس استيلاؤه على تونس
سنة 1535 أو بناؤه حصن حلق الوادى (LA GOULETTE)
فالطريق بين اصطنبول والجزائر لم يقطع وجراة

D. VILLEGAINON : Relation de l'expédition de Charles-Quint...
A. BALLESTEROS : Historia de Espana, Vol. VI, p. 121.
BRAUDEL : La Méditerranée au temps de Philippe II.

ed. de, Grammont, 1874, p. 55.

(9) فيوقينيون بليستروس

بليشتروس :

(10) بروديل

(11) مخطوط المحكمة

(12) روف

P. RUFF : La domination espagnole à Oran... (p. 68).

12 مكرر) كان الخبر قد جرى في المملكة الاسبانية ان خير الدين قتل سنة 1535 عند ما اتاح شارلكان على تونس وبينما الناس
يحتفلون ويرقصون ابتهاجا بهذا الخبر اذ ظهر خير الدين بمأهون (بمينوركا)

(13) غزوات . . ص 115 - الزهرة . . ص 15 - طبعة المجلة -

(14) وهران احتلها الاسبان 1509

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

له الجو في الحوض الغربي من البحر وسهل عليه أيضا خنق فرنسا حليفة الدولة العثمانية (18) .

3 - هل كانت الغارة لفائدة النمسا والمانيا ؟

رأى بعض المؤرخين الغربيين أن الهدف من الحملة على الجزائر هو غير ما ذكرنا . وقال ان شارل الخامس عند ما قرر احتلال عاصمة المغرب الاوسط راعى الوضع السياسي في أوروبا حيث يشتد الضغط التركي يوما بعد يوم (18مكرر) فاذا نشبت حرب في المغرب تحتم على السلطان سليمان القانوني أن يوجه قوته الى جبهة القتال الجديدة فيخف الخطر العثماني أو يزول ولو لوقت على النمسا والمانيا (19) .

4 - أم هل أراد شارلكان أن ينتقم للمسيحية وللإمبراطورية ؟

وزعم بعضهم ان صاحب اسبانيا تأهب لضرب الجزائر انتقاما بعد ما استولى سليمان على المجر وعلى جزيرة رودس (RHODES) 1522 ، وبعد ما حاصر فيانا 1529 وكورفور 1537 وبعد انتصارات خير الدين في جزر الارخبيل وانهزام دوريا ببريفيزا (PREVEZA) 1538 (20) وكاستيل نوفو (CASTEL NOVO) 1539 . وكان عدد قتلى النصارى 4000

فتجهزوا في أسرع وقت فساروا الى طلبها الى نواحي بجاية وكنوا في موضع يقال له «العش» و «المنقار» (15) . . ورجع الرؤساء الى الجزائر وهم فرحون بالغنيمة (16)

وتعددت غارات المسلمين على اسبانيا وإيطاليا وجزر البحر الابيض حتى أصبح شارلكان يصعب عليه السفر من برشلون الى نابلي . . .

2 - هل سبب الغارة هو من مخطط اسبانيا لاجل السيطرة على البحر الابيض ؟

كانت ممالك شارل الخامس واسعة الاطراف ضمت جنوب إيطاليا وشمالها ، وصقلية والبليار وأروبا الوسطى وجزءا من شمالها فأصبحت فرنسا محاصرة والمغرب مهددا لاسيما بعد احتلال سواحله (17) واتسعت المملكة العثمانية غربا فضمت اليها المغرب الاوسط سنة 1518 فاشتد الصراع بين الاسلام الممثل في الاتراك والمسيحية المثلة في اسبانيا فعمم شأن البحر الابيض .

وكان الوضع في سنة 1541 سانحا للإمبراطور فلم يبق للاتراك آنذاك في المغرب الا قاعدة واحدة هي مدينة الجزائر التي تنطلق منها الضربات القاسية . فكان الهدف من هجوم 1541 طرد الاتراك من آخر قاعدة في أيديهم ، فاذا كتب النصر للإمبراطور صفا

(15) لعله راس كربلين (CORBELIN) بقرب ازفون

(16) مخطوط المحكمة

(17) استولى الاسبان على المرسى الكبير سنة 1505 وعلى وهران سنة 1509 وعلى بجاية وطرابلس الغرب 1510 - وعلى الصغرة الوسطى بالجزائر العاصمة 1510 - وعلى جربة 1520 - وعلى تونس 1535

(18) E RAVENET : Un épisode de l'Expédition de 1541 contre Alger. Revue Africaine 3/4 trim. 1931.

DE GRAMMONT : Relation de l'Expédition de Charles Quint contre Alger - p. 87.

P. HUBAC : Les Barbaresques, p. 136.

(18) رافونى

(18 مكرر) دوفرامون

(19) هوباك

(20) هوباك : نفس المرجع

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

وكان الامبراطور قام لمناصرة أخيه فريديريك الثاني « فبلغه الكثير من أخبار خير الدين فاستحى أن يعود الى بلاده بدون قتال المسلمين فقرر عندئذ مهاجمة الجزائر » (21).

5 - أم هل سبب الغارة راجع الى فشل المفاوضات (المزعومة) بين خير الدين والامبراطور ؟

بينما لم تذكر المصادر الاسلامية قط وقوع هذه المفاوضات ، زعمت بعض المصادر الغربية أنه أجريت مفاوضات ومراسلات بين خير الدين وشارل الخامس (22) ويقال ان هذا الأخير - بعد ما يتس من القضاء على الجزائر ونشاطها - لجأ الى الرشوة والى تشجيع الخيانة وتحريك طموح خير الدين . ويقال انه اقترح على حاكم الجزائر السابق أن يكون له مملكة الجزائر والقواعد الاسبانية آنذاك مثل بجاية وعناية وتونس (23) على شرط أن يدخل بربروشة في خدمة صاحب اسبانيا وان يجعل الاسطول العثماني تحت تصرفه .

وكان شارلكان - عند ما اتصل مبعوثوه بخير الدين - يحلم بالقضاء على القوة العثمانية في البحر الابيض وبضمان سلامة سواحل ممالكه . كما كان

يرجو أن تؤدي الخيانة الى قطع كل صلة بين السلطان سليمان وبين مساعده قيسهل فيما بعد على الامبراطور القضاء على « حليفه » بربروشة .

وزعموا أن المفاوضات السرية بدأت في سبتمبر 1538 واستمرت الى 1540 بالقسطنطينية . وكان يمثل الامبراطور ، المدعو روميرو (ROMERO) والقبطان فيرقرارا (VERGARA) الا أن خير الدين الوفي المخلص كان يطلع سليمان القانوني على كل ما يجري بينه وبين مفوضي الاسباني (24) .

وطالت المحادثة وآلت بالفشل . ويرجع بعض المؤرخين الغربيين هذا الفشل الى الدور الذي لعبه فرنسي يدعى رينكو (RINCON) أفشى السر . . والى عدم ثقة خير الدين بالامبراطور (25) .

وفات أصحاب الافتراضات انه يستحيل على خير الدين الخيانة والغدر . فابنه وبنته يعيشان بالقسطنطينية فلا بد أن يكون يخشى على حياتهما من سخط السلطان وكذلك أصحاب خير الدين الذين يعول عليهم. فانهم أرباب عائلات تعيش أيضا بعاصمة العثمانيين وكل يفكر في مصير ذويه قبل أن تسوله

(21) حاجي خليفة : تحفة الكبار

(22) لم يذكر مؤرخ شارلكان - وهو سندفيل (SANDOVAL) في كتابه - تاريخ اسبانيا ج 12 (LA FUENTE)

(23) مرسيسي : تاريخ افريقية الشمالية ج 3 ص 50 وروفي (Sous de gouvernement du Comte d'Alcaudete 1534-1558) p.

(24) المجلة الافريقية - مارس 1871 - 69-89 E. WATbled et MONNEREAU : Négociations entre Charles Quint et K heirdine 1538-1540 - (R.A. mars 1871).

DE GRAMMONT : Relation de l'expédition de Charles Quint contre A lger, p. 87

E. MERCIER : Histoire de l'Afrique septentrionale, t. III, p. 50.

ودي قرامون :

(25) مرسيسي : تاريخ

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

المصادر الدهاء، السياسي الذي عرف به الأتراك .
وان زعما مثل هذا ينافي كل ما ذكرته المصادر
الإسلامية حتى بعض المؤلفين الأسبانيين في شخصية
حسن آغا الذي « كان رجلا عاقلا حازما سديد الرأي
جيد التدبير وكان له حظ في العلم والصلاح كريم
النفس سخيا بالمال باذلا للمعروف . . . ولذلك تفرس
فيه خير الدين فجعله نائبا عنه » (30) وهو « خادم
خير الدين . . . صار يقوم بوصيته في أهل الجزائر
غاية ما يمكن ويشغل بالجهاد على العدو ولا يفتر
عنه لا ليلا ولا نهارا . . . » (31) .

وإسهب هيدو - خلافا لعاداته في الحديث عن
حكام الجزائر - في وصف شجاعة حسن آغا وتجاوبه
ومقدرته وحزمه وقيادته للجيش وتنظيمه للمقاومة
وضربه للعدو (32) مما يحطم تهمة الخيانة تحطيمًا.
وفي الواقع فإن العناد الذي أظهره الإمبراطور
في شن هذه الغارة سيبقى من غرائب الأمور ولهذا
مع كل الاحتمالات التي قدمت فإنه يصعب علينا أن
نعرف الدافع الحقيقي لهذه الحملة . . . (33) .

نفسه ! وزد على هذا كله فإن خير الدين عرف بقوة
الإيمان وصحة الإسلام يتحاشى التقصير ، ويرتفع عما
يضمير . وجهاده لا ينكر وانتصاراته لا تحصى واقتضى
منه الدهاء، السياسي أن يعد ويسوف وإن يتظاهر
بالقبول (26) ربعا للوقت وبحثا عن نوايا الخصم .
وقد فطن المفاوض روميرو (ROMERO) إلى الواقع
وكانت دوريا سنة 1540 يقول متأسفا « إن خير الدين
أقوى إيمانا من محمد » .

6 - وهل كانت بين حسن آغا ووالى وهران
المحتلة مفاوضات ؟

لم تذكر المصادر الإسلامية شيئا عن هذه
المفاوضات بين خليفة خير الدين ووالى وهران
الكونت دالكونديتي (LE COMTE D'ALCAUDETE) (27)
وادعى بعض الغربيين (28) أن المفاوضات كانت
ترمي إلى تسليم الجزائر إلى الإمبراطور وإن حسن
آغا كان موافقا على ذلك وإن السفير الأسباني يدعى
(DON LORENZO MANUEL) وإنها كادت تنجح لولا
موقف القائد محمد (29) واحتجاجات الجماهير مما
جعل حاكم الجزائر يخشى على نفسه . وتجاهلت هذه

R A. mers 1871.

DE GRAMMONT : Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger - p. 86.

(27) من سادة أسبانيا - حكم وهران من 1534 إلى 1558 ، وقتل بمستغانم أثناء غارته الثالثة على هذه المدينة

BERBRUGGER : Les négociations... (R.A. sept. 1865).

(28) المجلة الإفريقية 1865

DE GRAMMONT : Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger - p. 86.

دوقرامون

(29) يهودى الأصل - قدم من مالقة وكان من الإعلاج بالجزائر

(30) غزوات . . ص 115

(31) الزهرة النيرة ص 14 - نشر مجلة تاريخ المغرب عدد 3 -

Haedo : Histoire ...

»

(32) هيدو - تاريخ ملوك الجزائر (ترجمة دي قرامون) ص 63 و 64

وهيدو هذا من رجال الكنيسة - ومن أصل أسباني - أسر بالجزائر من 1578 إلى 1581

(33) سناد رائق وف ، دونيس اللدان نغلا الغزوات إلى الفرنسية
SANDEH-RANG et F. DENIS : Fondation de la Régence d'Alger, t. II, p. 348.

الاستعدادات

من الجانب الاسباني :

فكر شارل الخامس فى الفارة على الجزائر غداة احتلاله لتونس 1535 . (34) فبدأ الاستعداد ودام أكثر من خمس سنوات . فأرسل الى المغرب عيوناً وخبراء ليطلعوه على اليق الوسائل حتى يحقق ما قرر . وأخفى النبأ «مكيدة منه وهى عادة باقية عنهم» (35)

ودخلت الاستعدادات مرحلتها الاخيرة فى أواخر 1540 وقد طلب الامبراطور اعانة مالية فى سنة 1539 من البابا . فوافق هذا وكاتب فى الموضوع كردنال طليطلة ورئيس اساقفة اشبيلية وأسقف قرطبة (36) ثم « أطلق الطاغية النداء فى سائر أعماله وأقطاره فانهاشت اليه جيوشه أفواجا أفواجا وزحرت اليه جيوشه وعساكره أمواجا أمواجا » (37) كما بعث الى صاحب الجنويز يأمره بتجهيز ما عنده من الاجفان واعدادها للسفر (38) .

وجمع الامبراطور بمرسى « ماهون » (بجزيرة مينوركا) أكبر أسطول شق البحر الابيض ، يتألف من مراكب للنقل وأخرى للحرب . الا أن المؤرخين اختلفوا فى عددها وانواعها وفى حملتها .

فقال حاجى خليفة فى تحفة الكبار : اسطول يتألف من مائة مركب وقال صاحب الغزوات « وكان عدد ما فيها (اسطول اسبانيا واسطول الجنويز) من الاجفان اربعمائة وقيل اربعمائة وخمسين جفنا » (39) بينما يقول هيدو (HAEDO) « كان الاسطول مؤلفا من أكثر من خمسمائة مركبا » (40) ولم يذكره القريبون عددا أقل مما ذكره المسلمون (41) .

وعلى كل حال فان ما هياه شارل الخامس كان من أكبر التجمعات البحرية المقاتلة فى القرن السادس عشر وكان الاسطول مخيفا مريعا كما سنذكره .

وكان يقود «الامادة» الامبراطور نفسه وقد لقبه المسلمون فى كتبهم بالبلادور والطاغية وملك النصرارى وملك الاسبان وصاحب اسبانيا . وكان يصحبه أكبر قواد ممالكه وضباطها مثل أندرى دوريا

- (34) ذكرت المجلة الافريقية - لسنة 1876 - تقريرا موجودا بدار وثائق سيمانكاس (ARCHIVES DE SIMANCAS) لا يعرف مقرره ويبرز فيه صاحبه هذه الاستعدادات
- (35) الغزوات ص 115 - الزهرة النيرة ص 15 - مجلة تاريخ المغرب عدد 3 -
- (36) المجلة الافريقية 1871
- (37) مخطوط المحكمة
- (38) الزهرة النيرة ص 15
- (39) غزوات ص 116
- (40) هيدو : تاريخ ملوك الجزائر ص 63 .
- (41) يقول المؤرخ الاسباني بالاستروس « 150 مركبا لنقل الجيوش و100 لنقل الامتعة »

A. BALLESTEROS : Historia de Espena, t. VI, p. 121.

ويقول دوفرامون : 516 سفينة من بينها 16 للنقل - DE GRAMMONT : Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger de Villegaignon - Note page 92.

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

وكان للخيلة وللمشاة وللرماة وللأخصاصيين
أمتعتهم وأسلحتهم .

من الجانب الجزائري :

اطلع الجزائريون على نوايا شارل الخامس الذي
كان يهددهم منذ أن احتل تونس 1535 فاستعدوا كل
الاستعداد لرد الهجوم الإسباني الثالث على العاصمة.
« ووصل خبر عمرته على حسن أغا خليفة خير الدين
فصدق بذلك ولم يكذب وأدار وجهه الى تحصين
المدينة والاستعداد لمقابلة العدو . . . » (51) .

واستعان حاكم الجزائر بجماعة من زعمائها لرد
الغزاة . من بينهم سيدي سعيد الشريف «شيخ
المدينة» والحاج مامي وكان «رجلا من أعيان العسكر
مذكورا في الشجاعة» ، والقائد رمضان والقائد
يوسف والقائد أرسلان والحاج باشا «زعيم من
زعماء الترك» والقائد صفر (52) .

(42) (ANDRE DORIA) وكورتيس. (43) (CORTES)
والكونت دالمكوديتي (44) (LE COMTE D'ALCAUDETE)
وقونزاق (45) (GONZAGUE) وبرنار دنتو ذي
ماندوزا (46) (BERNARDINO DE MANDEZA) والماركي
دبل فاستو (47) (MARQUIS DEL VASTO) والبحري
الشهير منكادا (48) (HUGO DE MONCADA) وجاء
هؤلاء على رأس جنود محنكين مدربين قدموا من بلدان
مختلفة فيهم الألمان وفيهم الإيطاليون وفيهم إسبانيون
وحتى فرسان مالطة (49) . وبرزت الدول المسيحية
بالنفوس والنفائس .

واختلفت المصادر في عدد الغزاة . فذكرت
المصادر الإسلامية عددا يظهر ضخما وقدمت المصادر
الإسبانية خاصة والغربية عامة عددا يظهر قليلا
بالنسبة للاستعدادات وللأسطول ولمشروع
الامبراطور (50) .

(42) أصله من جنوا وهو أكبر أميرال بعد خير الدين في القرن السادس عشر ، ولد سنة 1466 وتوفي سنة 1560

(43) مفامر كان متعشبا لجمع المال ، هو الذي فتح المكسيك بين 1519 و 1521

(44) (1498 - 1558) . من سادة إسبانيا وضمائها الكبار - عين واليا على وهران أيام الاحتلال الإسباني - وتدخل مرار في شؤون بني
زيان تلمسان وحاول احتلال مستغانم فقتل أثناء حملته الثالثة سنة 1558

(45) خليفة ملك صقلية - عينه شارل الخامس قائدا عاما للجيش أثناء الحملة

(46) والي حلق الوادي بتونس آنذاك .

(47) والي ميلانو بإيطاليا .

(48) صاحب الغارة الإسبانية الثانية على الجزائر سنة 1518 .

(49) يقول المؤرخ الإسباني بلاستيروس : كان عدد الأسبانيين المحترفين 6000 وعدد الألمان 6000 وعدد الإيطاليين 5000

A. BALLESTEROS : Historia de España, t. VI, p. 121.

(50) الغزوات ص 116 : « 50.000 رجل - مخطوط المحكمة : 90.000 رجل من بينهم 4.500 من الخيالة - مرسى ج 3 ص 51
والفونى - المجلة الأفريقية 1939 : 22.000 رجل

E. MERCIER : Histoire de l'Afrique septentrionale, t. III, p. 51.

E. RAVENET : R.A. (1930).

SANDER-RANG et F. DENIS :

سندير رانق وف دويس
- 23.900 رجل و 12.330 بحرى -

(51) مخطوط المحكمة

(52) هو صفر بن علي اعتنق الإسلام أيام خير الدين ولعب دورا سياسيا في الجزائر ، ثم بنى مسجدا سنة 941 هـ - 1534 م ، كان

يوجد بنهج كليبير (KLEBER) سابقا - ناظر دلولكس (DEVOLUX) ص 240

جمادى الثانية : 19 أكتوبر . وفي الغد وصل الاسطول الى جون تمانتفوس (CAP MATIFOU) (57) وبقى العدو يوم الجمعة 21 أكتوبر : 29 جمادى الثانية يترقب الفرص . .

وتأثر الجزائريون لذلك المنظر المخيف « وخيل لهم ان العمارة - حين بدت - جبل يسير في البحر وحين أرسى جبل استقر هنالك » وحصلت بذلك صيحة في سكان المدينة لانه لم يسبق لهم عهد لمثل هذا الاسطول . وكان صاحب مخطوط المحكمة شاهد عيان لقُدوم «الارمدا» فقال «عمارة أخذت وجه الماء كله وسترته وشرعت في عددها فلم أقدر فتشوش نظري من ذلك لكثرتها . . » وعين حسن آغا جملة من الخيل . . فصعدوا الى جبل أبي زريعة لياتوا بتحقيق العمارة فرجعوا اليه وكل واحد منهم يقول لم أقدر على احصاء ما رأيت . . العدد كثير لا يصل اليه الادراك » (58) .

قبل المعركة

لعب حسن آغا دورا رئيسيا في تنظيم المقاومة واتخاذ التدابير فاستدعى «أهل المدينة ونصب ديوانا عظيما جمع فيه علماء البلد وصلاحهم ومشايخهم وجعل يسكنهم ويطيّب نفوسهم ويهون عليهم أمر هذه العمارة وهو مع هذا يستشيرهم وينظر ما يتفقون

أما عدد العساكر فكان قليلا . وكانت الجوسسة الاسبانية قدرته - قبل الفارة - بنحو 800 تركي و 8000 أندلسي قدموا من بلنسية وغرناطة و 1400 من الاعلاج و 200 من الاعراب . والسبب في ذلك ان معظم الجيوش كان مرابطا - آنذاك - بفـسـرب الجزائر (53) ، ويؤكد هيدو (HAEDO) هذا القول : « لم يبق تحت أمر حسن آغا الا 3000 رجل من أتراك وأندلسيين وأعراب » (54) .

الاعلاع لاسطول الاسبان

وعند ما تم لهم الاستعداد أقلع الاسطول في 15 أو 16 أكتوبر 1541 . وذكرت بعض المصادر الاسلامية ان الامبراطور أبحر من قرطاجنة (CARTHAGENE) قاصدا وهران وهناك انظمت اليه قوى أخرى (55) وزعم بعض المؤرخين الافرنج انه انطلق من ماهون (بجزيرة مينوركا) والتحقّت به قوى أخرى قرب الجزائر (56) .

وكانت اخبار العمارة تتوارد في كل حين وفي كل وقت على الجزائريين . وكان صاحب «الناظور» - حارس البحر - مكلفا بمراقبة قُدوم العدو .

وظهرت العمارة في مياه الجزائر يوم الاربعاء 27

DE GRAMMONT : Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger - p. 88.

(53) دي قرامون ص 89

(54) هيدو : تاريخ ملوك الجزائر ص 63 ، والمجلة الافريقية 1880 ص 228

(55) مخطوط المحكمة

(56)

P. AGUADO-BLEYE : Historia de Espana, t. II, pp. 454-455.

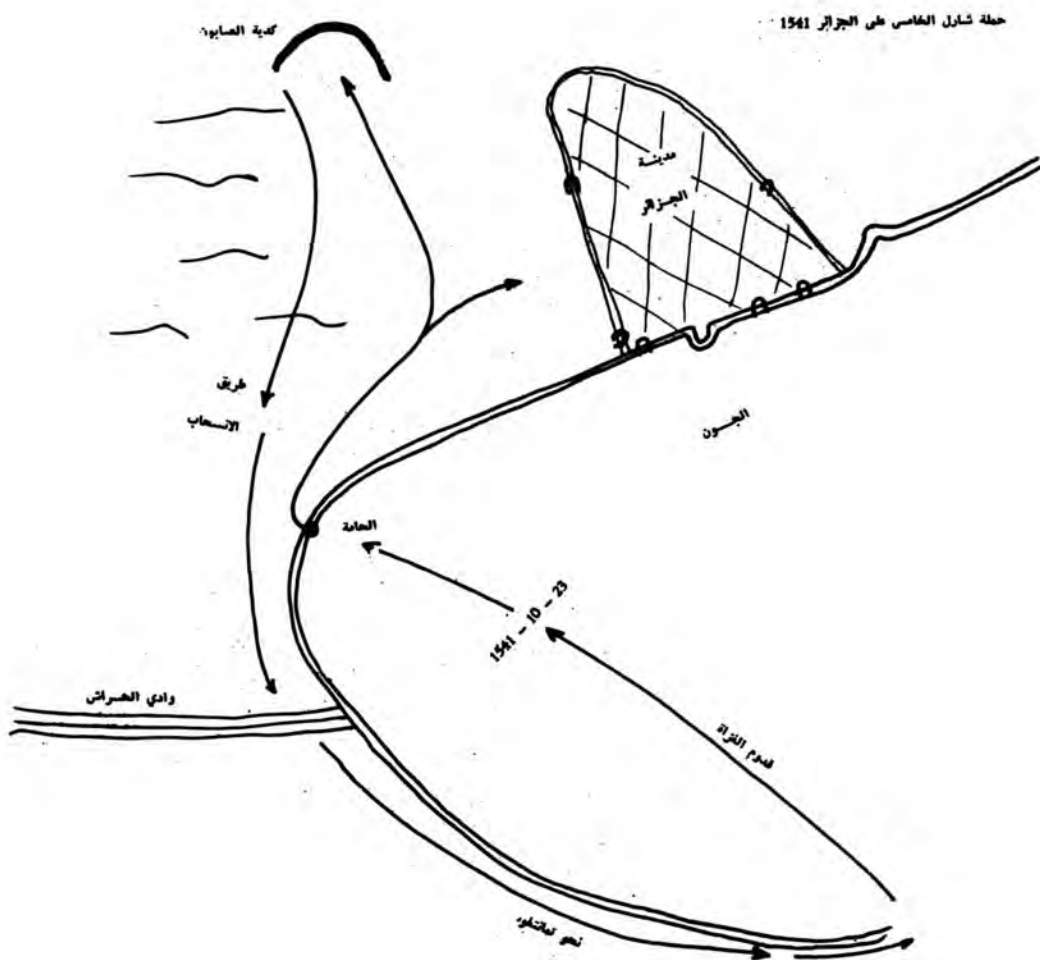
A. BALLESTEROS : Historia de Espana, t. VI, p. 121.

E. MERCIER : Histoire de l'Afrique septentrionale, t. III, p. 51.

(57) مخطوط المحكمة - غزوات ص 116 - الزهرة ص 15 -

(58) مخطوط المحكمة

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر



عليه . . . (59)

ثم نهض لتعزيز المدينة وتحصين المراكز الاساسية وفاصلح ما انهدم منها ونصب عليه المدافع وعلى سائر الابراج . . . وعين اربعمائة أسير من الكفار لهذا البناء ثم انه بعث الى شيخ المدينة وأمره أن يرفع اليه حساب رجال كل حومة من الجزائر . ثم أمر بقطع اشجار البساتين كلها خوفا من النصارى أن يستتروا بها عند القتال . . . ثم فتح خزائن السلاح ووزعه في أهل المدينة مع ما يحتاجون اليه من البارود والرصاص . . . (60)

وبعد أن تم التنظيم ، خاطب السكان وشجعهم وحثهم على الصمود والكفاح بينما كان يشرف - في نفس الوقت - على عمليات المقاومة . (61)
« ثم أمر حسن آغا سيدى سعيد الشريف . . . أن يوجه رجالا من أهل البلد الى الابراج والاسوار يرسم حراستها في مقاتلة العدو منها . . . ثم نصبوا رايات الاسلام عليها ووزع حسن آغا رجاله على أبواب المدينة بطوائف من العسكر فعين لباب عزون الحاج مامي .. وأقام حسن آغا في حصن من حصون الجزائر تصل مدافعه الى العدو برا وبحرا ومعه جماعة من العسكر ، وجعل على باب الوادي مدفعا عظيما يدهش الانسان عند صيحته وتزهق النفس من دفعته . . . كما عين لحراسة باب الوادي القائد يوسف وعين معه ثلاثة من القياد وهم سافر وأرسلان ورمضان (62) وأما كجك على وحيدر فعينا على باب الجزيرة .

(59) الزهرة ص 15

(60) مخطوط المحكمة - غزوات ص 117

(61) الا ان ابن ابي دينار القيرواني زعم - معتمدا على السيد الشريف بركات - ان : حسن آغا اراد ان يهرب فنهض شيخ شريف واتي امر الله - المؤنس في اخبار الفريفة وتونس ط 1268 هـ ص 151 كما ادعى المؤرخ الاسباني مرمول (MARMOL) - ويقول انه شارك في الغارة هاته - ان حسن آغا مال لحظة الى القيامة وتسليم المدينة ثم عدل عن ذلك بعد ما حلوه القائد محمد : : وصف الفريفة ، جزان ط غرناطة 1573

(62) مخطوط المحكمة

(63) حيث توجد اليوم حديقة الحيوانات (JARDIN D'ESBAI) وكان هناك مكان يزوره المسلمون ويعرف فيما بعد - بقرى المجاهدين - لعله قبر أولئك الذين سقطوا برصاص العدو أثناء الغارة

(64) مخطوط المحكمة

(65) غزوات 117 - 118

ومعها قبطان السفن وجماعة من رياس البحر . وشارك في الدفاع عن الجزائر جميع سكانها من بلدية ، وأندلسيين ، وبرانية فقد داروا على أسوار المدينة بالمكاحل والسيوف والرماح والنشاب ينتظرون الأوامر .

وفي يوم الاحد 23 أكتوبر : 2 رجب ، نزل العدو بالمكان المعروف بالحامة (63) وتقدم المسلمون لمنع العدو من النزول الى البر فرماهم النصارى بالمدافع من البحر فأبعدهم ثم نزلوا من أجفانهم كما أنزلوا سلاحهم وتركوا للزاد والذخائر في المراكب وكانوا يمتقدون أن الاستيلاء على المدينة قضية ساعات . وبعد النزول صنعوا مترسا هائلا وقضوا به نهارهم وليلة الاثنين (64) . اما مكاتبة شارل الخامس لحسن آغا فقد نلفتها المصادر الغربية وأثبتتها المصادر الاسلامية ، فبعت الامبراطور الى حاكم الجزائر « ايها الرجل أنت خديم من خدام بربرشة وأنا ملك صبايا وجميع بلاد النصارى تحت طاعتي فكيف تحدث نفسك بمقابلي أما تعرف اني استوليت على مدينة تونس وأزعجت منها بربرشة » فأمر حسن آغا بجواب صارم يقول « يا كلب النصرانية كيف حدثتك نفسك انك ملك الملوك في مقام السلاطين العظام الذين دنت لهم الدنيا وهل أنت الا كلب من كلاب النصارى أضعف ما في بلاد البربرية من القلاع لا تقدر على أخذهاء (65)

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

المعركة

عساكر مالطة وصقلية وعدد من اسباني عناية (71) وأخيرا فرسان مالطة وأغليبيتهم من الفرنسيين .

واقترب العدو من المدينة فأمر صاحب اسبانيا بنصب المدافع ثم بقصف المحاصرين فرد المسلمون من أعلى الاسوار على أعدائهم بالمدافع وبنادق الرصاص والسهام واشتد القتال زمانا طويلا (72) ثم رجع العدو الى «راس تافورة» بقرب باب عزون واستأنف القصف وبادر المسلمون بالرد وقشعر الامبراطور بخيبة الرجاء في احتلال المدينة . ثم ان جماعة من العرب هجمت على الجناح الايسر من جيش العدو فقرر الامبراطور الاستيلاء على المرتفعات المشرفة على العاصمة . فعين لهذه العملية فريقا من الصقليين فصعدوا الى «كدية الصابون» ونزل بها امبراطورهم واتخذها قاعدة له (73) وتضاعفت المقاومة ووجه الجزائريون رميهم الى أجقان العدو الراسية بالجون كما وجهوا مدافعهم الى قواعده البرية الى أن خيم الليل على ميدان المعارك .

وعندئذ عزم الحاج باشا - من زعماء الترك بالجزائر - (66) على أن يضرب العدو ليلا (67) . ففتحت أبواب المدينة وخرج الحاج باشا على رأس جماعة وافرة من المسلمين قد انقضوا عليهم يرمونهم ويرشقونهم حتى حصلت في المخيم دهشة عظيمة .

ونجحت العملية وعاد المواطنون الى المدينة . وأخذ من بقي في البحر من النصارى في قصف الجزائريين حتى يكف هؤلاء من مهاجمة الصليبيين (68) وعد العدو قتلاه فوجدما «أكثر من ثلاثة آلاف» (69) ولما كان يوم الاثنين - 24 أكتوبر - تقدم النصارى نحو المدينة حتى «خيل لأهلها انهم نمل أسود قد ملا الفضاء» (70) وكان في طليعة الغزاة ، الاسبانيون تحت قيادة فرناد دى قونزاف (FERNAND DE GONZAGUE) ثم جاء بعدهم الالمان يتقدمهم الامبراطور وتلتهم

66 عين الحاج باشا واليا على الجزائر وذلك في الفترة التي تغل فيها حسن آغا عن الحكم الى ان عين حسن بن خير الدين - انظر ملطاة ديفولكس في المجلة الافريقية لسنة 1864 - الا أن الغزوات تنسب هذا الخروج ليلا لحسن آغا

67 وهي ليلة 24 أكتوبر أي ليلة 3 رجب

68 غزوات ص 119 - 120

69 الزهرة - الغزوات - الا ان المصادر الغربية تكتفي بالإشارة الى هذا الخروج الليل

70 مخطوط المحكمة :

71 كان خير الدين - بعد هزيمته بتونس 1535 التحق بضابة حيث كان يوجد جزء من اسطوله . الا أن شارل الخامس امر قائده دى منديجار (DE MONDEJAR) باحتلال عناية . فاستولى على المدينة في آب من نفس السنة بعد مقاومة شديدة من طرف الأهالي

وقبل انسحاب القائد الاسباني نهبت أموال المسلمين ودمرت المنازل والمساجد وبقيت حامية بالقصبة مدة طويلة

72 مخطوط المحكمة

73 أطلق الغربيون على هذا المكان اسم (FORT L'EMPEREUR) حصن الامبراطور - وتلقن العامة ان صاحب اسبانية هو الذي بناء - ولما ان شارل الخامس لم يبق بالمكان الا ليلة واحدة - جاء في الغزوات : «برج مولاي الحسن في زماننا، والصحيح ان الحسن - هل هو حسن قرصو ؟ هو الذي اختطه - ويقول هيدو (HAEDO) ان الحسن بن خير الدين بنى حصنا معززا بهذا المكان ثم قام حسن فينيزيانو بتوسيعه وتجميله وذلك بين 1579 و 1580 انظر هيدو

Histoire des rois d'Alger, p. 177 et Topographie d'Alger.

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

خرج شارل الخامس في وسط جموعه واشتعلت الحرب براس تافورة «ودافع النصارى عن أنفسهم دفاعا قويا» وعاد المسلمون الى مكان يسمى «ملعب الكورة» ومنه الى مكان آخر يقال له قنطرة الاقران (77) حتى وصلوا الى مكان بناحية سيدي أبي التقى (78) وعندئذ كرم المسلمون على العدو وحملوا عليه «يسيل كافواه القرب» ففرق الجمعان وعاد العدو الى محلته والمسلمون الى المدينة .

وقتل في هاته المعركة - أزيد من أربعة آلاف واستشهد من المؤمنين مائتان» (79) وارتفع عدد الجرحى من بينهم البرنس دي سلمون (PRINCE DE SALMONE وسافينيكا (SAVIGNAC) قائد فرسان مالطة .

وفي صباح الاربعاء 26 أكتوبر - 5 رجب تيقن العدو أنه لن يستطيع دخول المدينة ولا اخضاعها وفقد كل أمل وأدرك «أن الغنيمة أن يتجو . . » (80)

وفي يوم الثلاثاء، 25 أكتوبر : 4 رجب «هاجت الرياح وسافت السحاب أمثال الجبال وأمطرت السماء مطرا كالطوفان وهال البحر واشتدت أمواجه وكثر اضطرابه بما لم يعهد مثله . . » (74) فقطعت اجبال السفن وسافت عددا منها الى البر فكسرتها أو عطبتها - وكان يوجد في بعضها أسرى مسلمون «من ترك وعرب بعضهم من أهل الجزائر وبعضهم من أهل تونس» وكان عددهم نحو ألف وأربعمائة فخلصتهم هذه الزوبعة من عذابهم كما وقع كثير من البحريين النصارى في قبضة عرب النواحي «فاستأصلوهم قتلاء» (75) ، فتشوش «الجنرال اندرى دوريا» ويش المغيرون و «خيل لهم ان القيامة قد قامت من كثرة الرياح والأمطار والصواعق والرعود فلم يقدروا على الرمي بمدفع واحد ولا بمكحلة» (76) ورأى أهل المدينة - في هذه الزوبعة اعانة من الله على أعدائهم فتفألوا وخرجوا في ذلك اليوم يصحبهم الحزم فجدا في القتال واجتهدوا كما

(74) غزوات 119 - وقال صاحب مخطوط المحكمة : - كان الفصل شاتيا لانهم وصلوا في شهر أكتوبر في أيام « قاسم كون » وقاسم كون هذا يوافق 26 أكتوبر (St DEMETRIUS) وهو الزمن الذي ينتهي فيه الغزو البحري ليعود الأسطول الى الموانئ ويبقى بها شهورا الى الربيع حتى يهدأ البحر - وفي 23 افريل (St GEORGES) يستأنف الغزو البحري
انظر هينو : تاريخ ملوك الجزائر ص 63
R. BASSET : Documents musulmans sur le siège d'Alger, p. 28.

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

أقلع أسطول الغزاة يوم الثلاثاء أول نوفمبر
II رجب ، وقيل يوم الخميس لكن الى أين ؟

تذكر بعض المصادر الاسلامية انه سافر الى
بلادته وتنهى بذلك حديثها عن هذه المغامرة (83) ،
لكن صاحب تحفة الكفار ينبه الى أن زوبعة دفعت
ما بقي من الاسطول الى بجاية (التي لازالت آنذاك
قاعدة اسبانية) .

أما المصادر الغربية فانها تصرح بأن صاحب
الغارة قصد عمدا بجاية للبحث عن الزاد وقد فعلت
بهم المجاعة فعلاها (84) . ويضيف هيدو أن ابن
القاضي صاحب كوكو وعد الاسبان بزاد يبعثه
لهم الى بجاية .

ووصل الاسبان الى بجاية يوم الجمعة 4 نوفمبر
I4 رجب ، فوجدوها محاصرة تقاسى هي أيضا
قساوة القحط وقنعوا بأكل الكلاب والقطط
والاعشاب . وتكالب الجنود على الجالية اليهودية
هناك واستولوا على أموالها ثم شردوا أفرادها
وجردوهم من جميع ما كانوا يملكون كما أحرقوا
كتبهم المقدسة (85) .

وبعد أيام أبحر الامبراطور من جديد . ولقى
دوريا قبل مغادرة بجاية صعوبات عديدة في جمع
شرذمة الغزاة (86) .

انسحاب العدو

1 - من الجزائر الى تمانتفوس :

أمر صاحب اسبانيا بالانسحاب . والتحق أندري
دوريا بتامنتفوس ليهي . هناك مجي . الامبراطور (81)
وفي يوم الاربعاء 26 أكتوبر - 5 رجب ، زحف جيش
الغزاة . فكان الايطاليون في الجناح الايسر والمان
في الجناح الايمن وكان الجرحى والمرضى في الوسط
وفي الاخير الاسبان . وكلما اشتد سيل الامطار
صعب السير في الوحل . ونزل العدو بوادي خنيس
(LE RUISSEAU) حيث قضى ليلته . وفي الغد
- يوم الخميس - التحق بوادي الحراش - وقد
أجده الجوع والبرد ورمى العرب الذين حالوا بينه
وبين كل زاد .

واضطر الغزاة الى أكل أربعانة من الخيل .
وتراكم عليهم المطر وباتوا بالمكان ، وفي الغد 28
أكتوبر - 7 رجب ، عقدوا صواري سفنهم المعطوبة
على الساحل فاستطاعوا عبور الحراش - وقد كان
حاملا . ثم أوقفتهم مياه الحمير زمانا ولم يصلوا
الى تمانتفوس الا يوم السبت 29 أكتوبر - 8 رجب
(82) وقضى الامبراطور وجيوشه يومى الاحد والاثنين
بين الاستراحة وعقد مجالس الحرب منتظرا هدوء
العاصفة وهيجان البحر .

2 - مفادرة تمانتفوس :

(VILLAGNON) ص 104

104

(81) مخطوط المحكمة - دي قرامون : تعليق على كتاب

(82) دي قرامون : تعليق على كتاب (VILLAGNON)

(83) مخطوط المحكمة - غزوات ص 121

(84) بلاستيروس

(85) كاهية اليهود في شمال افريقية

A. BALLESTEROS : Historia de Espana, t. VI, p. 121.

Ab. CAHEN : Les Juifs dans l'Afrique septentrionale, R.N.M.S.A.C. - 1867, pp. 167-168.

الذكرى الالهية لتأسيس مدينة الجزائر

ومن جهة أخرى فإن الرياح الشمالية الشرقية تضاعف خطرهما .

5 - كان شارل الخامس متيقنا انه يدخل الجزائر لا محالة وبدون مشقة ولهذا كان يأمل في أن الاسطول يدخل بعد قليل الى مرسى المدينة فيصبح في مأمن .

6 - كما كان شارل الخامس متاكدا من «خيانة» حسن آغا فلم يعط أهمية للتدابير وللعمليات الجدية اللاتقنة .

7 - كان الامبراطور قد وصل يوم الخميس 20 أكتوبر ولم يشرع في العمليات ضد الجزائر الا يوم الاحد 23 . فكانت الايام الثلاثة - في نظر بعض المؤرخين - ضياع فرص للنصارى وفرصة استعداد للمسلمين .

8 - الزوبعة التي هيجت البحر بعد نزول الغزاة الى التبر . فان الغربيين كادوا يجمعون على أن العواصف والامطار هي السبب الرئيسي لفشل الامبراطور . ولولاها لكنت النتيجة كما توهموا

2 - في نظر المسلمين :

حلت الهزيمة في حزب الكفرة لان الله تعالى «عكس آماله» صاحب اسبانيا ونكس احواله ولم يظفر من أهل الجزائر الا بهذا الهلاك الذي يشاهده . ولان الله سبحانه وتعالى «أرسل عليهم (النصارى) ريحا عاصفا . . . وهيا لأهل الجزائر النصر» (88) ولانه نصرهم على أعدائه» (89) .

ووصل الاسطول الى ميوركة ومنها الى صقلية بقيادة قونزاف (GONZAGUE) والآخر الى قرطاجنة حيث نزل الامبراطور في الثاني من شهر ديسمبر 1541 .

اسباب الهزيمة

1 - في نظر الغربيين :

حاول أكثر من واحد (87) الوصول الى أسباب الكارثة - وذهب الناس في هاته المسألة مذاهب ولعل أبرز ما ذكروه راجع الى :

1 - عناد الامبراطور الذي أبى الا أن يغير على الجزائر ولم يبال بتحفظات خبير مثل أندري دوريا ولا بنصائح الملك فرناد . وكل منهما قد حذره من فصل الهجوم .

2 - ضعف القيادة والاختفاء المرتكبة في العمليات البرية والبحرية .

3 - عدم التبصر وعدم المقدرة في عمليات الارسا . وقد أبدى المؤرخون الغربيون عجبهم وحيرتهم أمام التدابير التي اتخذها الامبراطور كإبقاء مدفعية الحصار في السفن وكذلك الزاد والذخائر « طنا منه أنه لا يحول بينه وبين ما في السفن حائل» .

4 - خطأ أندري دوريا - مع أنه أعرف الناس بالبحر الأبيض - عند ما جمع المآت من المراكب والسفن بقرب سواحل لا يوجد فيها مأوى صالح

P. AGUADO-BLEYE : Manuel de Historia de España, t. II, pp. 454-455.

DE GRAMMONT : Relation de l'expédition de Charles Quint contre Alger - pp. 84-85. (87) انظر دي قرامون - تعليق على كتاب فيليبي بلينو

(88) الزهرة النيرة ص 18

(89) مخطوط المحكمة

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

جفنا ومدفعية ثقيلة وآلات الحصار والزاد والحيام الخ . . حتى أصبح ما غنمه المسلمون يضرب به المثل .

وان كورتيس (F. CORTES) فاتح المكسيك - شاهد النفائس التي أتى بها من هنالك - يبتلعها البحر . وان صهر الامبراطور فقد أكثر من مائة ألف دوكة (93) .

وأما المراكب فإن جلها قد عطب على السواحل وكان عدد ما غرق من الاجفان المعدة للحرب ولحمل الزاد مائة وثلاثون (94) وترك العدو عددا من الاغربة والاجفان الرقاق والاجفان العظام والعشريات والفرقاطات (95) . «وما وصل اللعين الى بلاده الا باثنى عشر غرابا وكان عدد السفن عند قدومه سبعائة وخمسين جفنا والعسكر سبعين ألفا» (96) وذكر بوراس النصرى نفس الاعداد في كتابه عجائب الاسفار .

الا أن بعض الغربيين استصغروا هاته الخسائر وقتلوا من شأنها وذكروا ان الاسبان لم يفتقروا أكثر من 14 غليونطة و 100 مركب صغير (97) .

وأرسل دون الغزو دي قرطبة DON ALONZO DE

ثم ان هناك سببا آخر وهو عناد الامبراطور المفرور . قال صاحب مخطوط المحكمة « ونزل الجنرال اندرية منها حزين (1) فوصل الى الطاغية في محلته وأعطاه حق المباينة وقال له أيها الملك ألم أحذرک عن السفر الى الجزائر فانظر عاقبة الامر الذي كنت حذرتك منه الآن قم أطلب النجاة لنفسك . . . »

وأخيرا أبرز المؤرخون المسلمون جانباً ثانياً لانقصار الجزائريين هل عدوهم هو الجهاد في سبيل الله ذلك الجهاد الذي يظهر في شجاعة حسن آغا وفي خطابه للناس والذي يظهر في صمود المسلمين واتحادهم أمام اعداء الاسلام - والذي يجعل الفئة القليلة تغلب الفئة الكثيرة .

نتائج هذه الغارة

كانت لحملة 1541 نتائج عديدة واصداء بعيدة الفتت انظار المؤرخين المسلمين والافرنج (90) .
I - فاما الخسائر المادية فكانت جسيمة ، فقد وقع عدد كبير من الاسرى في يد المسلمين كما حصل هؤلاء . هل المات من الخيل وكمية من ذخائر الحرب والاشياء النفيسة (91) ويعترف دي قرامون « بان الخسائر كانت فادحة : 16 غليونطة كبيرة و 140

(90) انظر :

(91) ميدو - المجلة الافريقية سنة 1880 ص 230

(92) دي فرسون : تطبيق على كتاب VILLEGAGNON ص 101 - 102

(93) شاربيج

(94) فروات ص 121 - 122

(95) مخطوط المحكمة

(96) الزهرة النيرة ص 18

(97) انظر :

DOMARA : Cronica de los Barbarosjes.
VILLEGAGNON : Relation de l'expédition de Charles Quint.

Charrière :
Négociation de la France dans le Levant, t. I, p. 522.

P. AGUIADO-BLEYE : Histoire de Espagne, pp. 454-455.

CORDOBAI كتابا بتاريخ 25 ديسمبر 1541 الى أبيه والى وهران آنذاك - وقد كان هذا في اجازة باسبانيا - يخبره ان «الانباء الوثيقة الواردة من مدينة الجزائر تفيد ان الاتراك عوموا أربعة أجناف صحيحة وجفنا معطوبا قليلا . كما أخرجوا من الماء ستين مدفعا أربعة ذات المعيار الصغير والباقية ذات المعيار الكبير (98) . واختلف في عدد القتلى . فسكتت مصادر الافرنج عن هاته النقطة أو قدمت أعدادا تافهة (99) وأشتطت المصادر الاسلامية حتى ذكرت بعضها «ان عدة القتلى بسيوف المسلمين - في هذا اليوم - اثنا عشر ألفا . . ويقال ان فرائس الكفرة وفرائس خيلهم ملأت ما بين الجزائر والدلس شرقا وشرشال غربا » (100) .

وجاء الغزاة بأربعة آلاف من الخيل فلم يعودوا الى بلادهم بفرس واحد «فقد مات بعضها برماح المسلمين والبعض أكله النصارى وقتلوا بعضها بأيديهم لضيق سفنهم » (101)

واستولى الجزائريون على مال لا يحصى وعلى كثير «من الرجال والنساء والصبيان التي أتى بها

وعدتهم ألفان » (102) كما غنموا ما بين مائة ومائتين من المدافع وحملوها وزينوا بها الحصون الحربية وسائر أسوار المدينة .

2 - وكانت النتائج السيامية في الجزائر وخارجها لا تقل عن الاولى من حيث الاهمية فقد عظم شأن حسن آغا فوجه السلطان «بخلعة سنية وأمر كريم يتضمن نيابته بالجزائر من قبل السلطان وانه من جملة وزرائه» (103)

وانتصرت الجزائر للمرة الثالثة «وبقيت كالعروس تختال في حليها وحللها من رخاء الاسعار وأمان الاقطار» وأصبحت من بين الدول التي لها سمعة ومنزلة .

واتسعت رقعة نفوذ الاتراك داخل البلاد . فكان أبو محمد الزياني صاحب تلمسان يميل للاتراك حيناً وللاسبان أحيانا لاسيما بعد 1535 عند ما استولى هؤلاء على تونس . فانتصار الجزائر أجبره على إعادة النظر في سياسته (104) فباع أتراك العاصمة ولم تمض الا مدة قصيرة حتى زالت دولة بني زيان - 1551 - ودخلت تلمسان تحت نفوذ الجزائر .

(98) المجلة الافريقية - سبتمبر 1865

(99) يقول دي قرامون في تعليقه على كتاب (WILLEGAINON) ص 103 : ان خسائر الاسبانين كانت غشيلة جدا - الا انه في صفحة 105 يقول : بلغ عدد الفصايا النصارى ما بين 15,000 و 18,000

(100) غزوات ص 121

(101) غزوات ص 121 - ودي قرامون : تعليق ص 103

(102) مخطوط المحكمة

(103) غزوات ص 121 - 122

(104) هيدو (HAEDO) - المجلة الافريقية 1880 ص 272

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

ومالطة وسردانية ومناء وهران والمرسى الكبير
ومليلة في يده .

ونزلت أنباء الهزيمة نزول الصاعقة على أوروبا
- وتطورت الاحداث هنالك بسرعة .

فلم يبق حليف للإمبراطور سوى هنرى الثالث
ملك انكلترا ، وانظم الى ملك فرنسا الدوق دى
كلاف (Le Duc du Cleves) وملك الدانمارك وملك
اسكاندنافيا .

وكان فرح الفرنسيين يكاد يساوى فرح الجزائريين
لان سقوط الجزائر كان يؤدى - لا محالة - الى
سقوط فرنسا . وبادر ملكها فرنسوا الاول لابرام
معاهدات مع السلطان العثماني (107) .

3 - وكانت لهاته الغارة ايضا نتائج معنوية
داخل القطر وخارجه .

ففى الجزائر اقيمت الافراح وتواصلت الاحتفالات
بمناسبة هذا النصر المبين الذى كتبه الله للمرة
الثالثة فى ظرف ثلاثين سنة .

وكان أكثر الناس اغتباطا وفرحا هم يهود
العاصمة لما كانوا يضربونه من حقد وعداوة
للاسبان الذين اذاقوهم كل أنواع العذاب والاضطهاد
يوم كانوا بأروبا ، وقد وجد اليهود هنا من أمن
واستقرار ونشاط ما جعلهم يخشون انتصار
الاسبان على الجزائر .

ثم التفت حسن آغا الى الجهات الشرقية ، وهب
لاخضاع ابن القاضى صاحب «كوكو» الذى طالما
عارض الاتراك وتحداهم وقيل انه عامل الاسبان
ومد لهم يد المساعدة .

فنهض حسن آغا فى الربيع من سنة 1542 وتوغل
فى بلاد القبائل على رأس 6000 رجل مستخدما
12 مدفعا ، فخضع صاحب كوكو والتزم بدفع
غرامة سنوية وقدم ابنه احمد رهينة فى يد حسن
آغا (105) .

وشاعت اخبار ما وقع لشارل الخامس واخرقت
الآفاق واهتزت لها النفوس فى «مشارك الارض
ومغاربه» لانها كانت أعظم كارثة سياسية عرفها
الإمبراطور . فأصبحت انتصارات الاتراك تتعدد
فى المغرب بعد 1541 ، فانسحب الاسبان قهرا
من طرابلس - 1552 ومرسى افريقية بتونس 1553
ومن بجاية - 1555 - وحوصروا فى وهران مرارا
بعد - 1556 - وأخرجوا من تونس - 1570 - نهائيا

وفشل مخطط الاسبان الرامى الى احتلال سواحل
هذا المغرب بصفة عامة واحتلال مدينة الجزائر
بصفة خاصة (106) والرامى كذلك الى خنق فرنسا
اذا ما صار الحوض الغربى من البحر الابيض اسبانيا
تماما . وقد كاد الحوض هذا يكون لشارل الخامس
وحده بعد ما أصبحت موانئ إيطاليا واسبانيا

(HAEDO) ض 230

P. MASSON : Histoire des établissements du commerce français dans l'Afrique barbaresque (1580-1793).

P. AGUADO-BLEYE : Manuel de Histoire de Espena, t. II, pp. 454-455.

(105) هيدو

(106) انظر :

(107) راجع :

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

وبمجرد انسحاب شارل الخامس اطمانت قلوبهم وصاروا يصومون اليوم الثالث من شهر ششوان ويحتفلون - في الرابع منه - بيوم الاول - (108) وكانوا ينشدون القصائد من نظم رباني العاصمة مثل مشيش وابراهيم بن يعقوب تواه ، وابراهيم ابن سليمان صرفتي ، وهي قصائد في مدح الجزائريين وفي تمجيد كفاحهم وبطولتهم وفي هزيمة الاعداء ، كلما تجاسروا على غزو العاصمة .

وبقى اليهود - الى القرن التاسع عشر يحتفلون كل عام بذكرى 1541 (109) . وفي الخارج « بقي رعب المسلمين في قلوب أهل أوروبا مدة طويلة » . ولم يفكر شارل الخامس قط في حملة أخرى على الجزائر ، وطفى شبح خير الدين وحسن آغا على العامة والخاصة حتى أصبح الناس اذا راوا جفنا عن بعد نسبوه الى خير الدين فيتصاعد الصراخ ويكثر العويل ويفر السكان من ديارهم ومن حقولهم ومتاجرهم .

واذا حطمت الزواجع مركبا توهم الناس ان خير الدين بربوشة هو الذي اثار البحر وهيجته وأغراه على اغراق سفنهم . وبلغ الخوف من قيادة

الجزائر أقصى درجة حتى أصبح أهل إسبانيا وإيطاليا اذا ما حدثت جريمة أو سرقة أو وقع فساد أو تخريب أو مرض أو وباء ، أو قحط قالوا خير الدين واصحابه هم السبب في ذلك ! وكانوا في عويلهم يرتلون :

بربوشة بربوشة ، انت صاحب كل شر ، ماكان ألم أو عمل مؤذ وجهنمى ، الا والسبب فيه هذا القرصان الذى لا نظير له فى العالم ! (110)

وساهمت حوادث 1541 فى نسج أساطير انتشرت فى العامة بسرعة فنسب البعض هزيمة المغيرين الى كرامة ولى دادا (111) وزعموا انه لما دهش السكان الاهالى وخافوا - اول الامر - من تقدم الطاغية وفكر الكثير فى الفرار أو الاستسلام قام هذا الشيخ المتصوف واخذ يجول فى شوارع المدينة يشجع الناس على الثبات والصمود ثم نزل الى المرسى ودخل فى البحر حتى الصدر وضرب بعصاه فقامت الزوبعة المشهورة وحطمت الاسطول الاسباني .

ورأى آخرون أن الدور الرئيسى كان لسيدي بو القنور (112) ، فقليل انه كان قد نزل الى المرسى

(108) انظر :

E. EISENBETH : Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque (1516-1830). Revue Africaine 1962 - ou tiré à part, p. 170.

E. MERCIER : Histoire de l'Afrique septentrionale, t. III, p. 55 et suivt.

A.P. PRIEUR : Les Barberousse... p. 194.

(109) مرسي

(110) بريسا

(111) ولى دادا : من أصل تركي - وهو متصوف توفي سنة 961 هـ - 1554 م ودفن - اول الامر بمسجد يعرف فى العالمى بمسجد ولى دادا كان بنهج الديوان وفى أيام الاحتلال الفرنسى نقلت وفاته الى جوار سيدي عبد الرحمن الثعالى - سنة 1864 لانهم احتاجوا الى المسجد وضموه الى بناء - دير الرخمة - انظر :

DEVOLUX : Les édifices religieux de l'ancien Alger - 1870.

(112) كان له مسجد بنهج كليبيير سابقا

غارة شارل الخامس على مدينة الجزائر

وصوم ، وعند ما هاجم الاسبان الجزائر أمر سيدى
بو التقي البحر بالهيجان حتى كان ما كان . .
ويذهب هيدو (HAEDO) الى أبعد من ذلك وينقل
رواية من يقول ان سيدى بو التقي كان قد توفي
قبل الغارة بسنوات . فعند قدوم النصارى سنة
1541 نهض الولي من قبره فأقام الصلاة وتضرع
الى الله سبحانه فكان الولي مسموع الدعاء
وقضى الامر (II5) . . .

فهاجت الامواج وتلاطمت وكان اذ ذاك بالمرسى
مركب مشحون بقدر من طين فأخذ يكسر الواحد
بعد الاخرى وكلما تكسرت قدر تحطم مركب من
مراكب الغزاة النصارى (II3)

وزعمت جماعة ثالثة ان الفضل فى انقاذ الجزائر
يرجع الى سيدى بو التقي (II4)

فكان هذا الولي يعيش فى خلوة وعزلة بين صلاة

113) انظر ديفولكس (DEVOLUX) المرجع المذكور ص 240

114) كان مسجد ابي التقي يوجد فى الزاوية بين نهج قسنطينة والساحة قرب باب عزون ، وعند ما دخل الفرنسيون البلاد احتله
رجال الهندسة العسكرية

115) المجلة الافريقية - سنة 1871



مع الشعب

قف حيثُ شعبُك مهما كان موقفهُ
أولاً فإنك عضوٌ منه منحسَمُ
تقول أضحى شتيتَ الرأيِ منقسِمًا
وأنتَ عنه شتيتَ الرأيِ مُنقسِم
فكنْ مع الشعبِ في قولٍ وفي عملٍ
إن كنتَ بالرجلِ الشعبيِّ تتَّسِم
ولا يرقُك شفيفُ الذَّباتِ مائِعُها
كالماءِ فيه وجوهُ الناسِ ترتسِم
أعدى عدى القومِ من يُعزى لهم نسبًا
ويسمعُ القدَحَ فيهم وهو يبتسِم !
من ديوان محمد العبيد محمد على خليفة

الجامع الكبير بمدينة الجزائر

معمارياً
وتاريخياً

ان من روائع الفن الاسلامي الذي خلفته لنا الاجيال المسلمة السالفة وتركته للاعقاب كنموذج مشرق ناطق بتقديم الحضارة الاسلامية في سالف عصورها الزاهرة وكدليل ساطع دال على انتشار المدنية الاسلامية في الاقطار والامصار شرقا وغربا هذه المساجد الجامعة العظيمة متفرقة ومجتمعة على وجه المعمور هنا وهناك كنجوم السما. تلمع انوارها وتشع اضواؤها حتى لا يفضل ركب الانسانية الزاحف نحو الرقي الروحي والتقدم الحيوي ، فمنها اشرق نور الايمان ، وتجل العلم بجلاله لطالبه من غير احتكار ولا تضيق ولا تقنير ، وعليها وقد افرغت في قالب الجمال يظهر رونق الفن وبديع الصنعة .

عبدالرحمن الجيلالي

الكبير - الذى كان ولا يزال قائما ماثلا امامنا كالطود الشامخ يحمل مشعل المجد وآية الخلد كانه علم فى راسه نار .

هذا الجامع هو أحد المساجد الاثرية الثلاثة التى تنتهى فى تاريخها الى أزهى وأعز عصور الاسلام الذهبية الزاهرة فخورة بانتسابها الى دولة هى من كبريات دول المغرب العربى المسلم وأسعدهما ؛ وتلك المساجد الثلاث هى ما بالجزائر وتلمسان وندرومة ، أما تلك الدولة فهى دولة المرابطين الفخمة التى نشأت عندنا فى القرن الخامس الهجرى - II م ونشرت اعلامها على معظم هذا الشمال الافريقى وعلى أرض الاندلس أيضا .

امتدت مملكتها من أرض السينيغال جنوبا الى نهر ايريا - أو الايبر - شمالا ، ومن البحر الاطلانطى غربا الى اقليم بجاية من أرض الجزائر شرقا . وكانت العاصمة هى ما أسسته يد هذه الدولة بنفسها من تلك المدينة الجميلة مراکش .

اشتهر ملوك هذه الدولة - أمراء المسلمين - بالاستقامة والعدل والاخذ بيد العلماء ، ولم يحجر فى تراب مملكتهم رسم مكس ولا معونة ولا خراج لا فى بادية ولا فى حاضرة ، وكانت أيامهم كما حدثتنا مصادر التاريخ أيام دعة ورقاهية ورخاء متصل وعافية وأمن فأحبهم الناس .

ولاسيما ذلك أيام عاهلهم الاكبر أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذائع الصيت فقد أجمع المؤرخون على فضله وشجاعته وتقواه ، حتى أنهم قالوا : لم يكن فى عصره نفاق ولا ظلم وكانت المرأة فى زمنه

ولا غرو فإن المسجد هو مهد الاسلام وبابطة الوحدة الاسلامية بين سائر الشعوب ومثوى العلماء ومنطلق الجنود الفاتحين والمركز الاساسى الاصيل الذى اتخذته المسلمون دار لنوتهم وشوراهم يتبادلون فيه الراى لحل مشاكلهم والنظر فى مصالحهم ، ومنه تخرج على يد رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم خلفاؤه الراشدون وجم غفير من ابطال الاسلام وفطاحل العلماء وكبار الساسة والقادة ، وفى رحابه يجتمع سائر المسلمين مرات فى اليوم لتوثيق روابط الالفية والمحبة بينهم يرفرف عليهم علم الحرية والاخذ والمساواة .

ولقد كانت الجزائر ولاسيما منها العاصمة من المراكز الاسلامية التى كتب لها فضل السبق فى ميدان تشييد هذه المراكز الاسلامية والتكنكات الحصينة ، فالتاريخ يشهد لنا بأنه كان يوجد بهله العاصمة قبل استيلاء الاجنبى عليها ما يزيد على نيف وعشرين ومائة معهد اسلامى ، اى ما بين مسجد جامع ومصل للصلوات الخمس وزاوية للدراسة والصلاة ، ومدرسة للتعليم الثانوى او العالى ، وكتاب للصبيان ، وقبة لفرج ، ومنهم من زاد على هذا العدد فبلغ 166 مؤسسة اسلامية وهى عنده على هذا التفصيل :

109 مساجد للصلوات الخمس

13 مسجدا جامعا

32 ضريحا

12 زاوية .

وفى طليعتها هذا المسجد الاعظم - الجامع

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا



عبد الرحمن الجيلالي يدرس المذولة
الموجودة بأعلى منارة الجامع الأعظم

فالمساجد الثلاث التي أشرنا إليها هي التي نجدها اليوم وحدها حافظت لنا على نموذج في المعمار المرباطي في تاريخ العمارة الإسلامية بهذه الديار ، فتراها متشابهة في شكلها وطرازها ولا تختلف عن بعضها الا من حيث السعة والمساحة فقط ، فأكبرها جامع تلمسان ويلييه جامع الجزائر ، ثم جامع ندرومة ، ورغم التغيير والزيادة التي زادها الموحدون وأحدثوها في جامع ندرومة فتراه أقرب شبيهاً بجامع الجزائر .

وللجزائر اليوم أن تفتخر على سواها من البلاد الإسلامية ولاسيما المغرب بكونها امتازت عنها بالحفاظ على هذه المجموعة الأثرية الثمينة الفريدة التي وصلتنا على هيأتها الأصلية ، والتي لم يبق لهذه الدولة في غير أرض الجزائر أثر معتبر هام يمكن علما، الآثار من تصحيح دراساتهم المصيرية

تسير وحدها حاملة الذهب فتجول أقطار افريقية والمغرب لا تجد من يعترض سبيلها أو من يمسها بسوء .

ومن أظهر خصائص هذا العاهل الكبير انه ما خاض قط حربا من حروبه ضد خصومه الا وخرج منها منتصرا ظاهرا ، حتى انه لم يعرف له في ذلك نظير في تاريخ المغرب ، ويكفيك منه انتصاره في تلك الحرب الضروس التي عرفت بموقعة الزلاقة الشهيرة التي وقعت بأرض لاندلس (1086/479 م) . وناهيك به فضلا وشرفا ان حجة الاسلام الامام ابا حامد الغزالي رحمه الله لما بلغته أخبار هذا الامير أزمع على الرحيل من المشرق ليغتنم صحبة هذا العاهل بالمغرب وفلا شد عزمه وربط رحله وأخذ في السير من مرقه حتى بلغ مدينة الاسكندرية وشرع في التجهز استعدادا للانتقال نهائيا الى أرض المغرب ، فلم يرعه الا وخبر نعيه بعم الآفاق وكان ذلك سنة (500 هـ / 1107 م) فعُدل الامام عن الرحلة .

قال هذا العاهل الكبير - يوسف بن تاشفين - يرجع الفضل في تشييد هذه المؤسسة الكبرى في الاسلام : الجامع الكبير بالجزائر ، بناء كما يقول الزياتي يوسف بن تاشفين أعوام الستين وأربع مائة للهجرة الموافقة لآواسط القرن الحادي عشر الميلادي ، اي ان لهذا المسجد منذ انشائه الى اليوم ما يناهز الالف سنة . كما نجد خبره ايضا في مؤلفات القرن الخامس الهجري مثل كتاب المسالك الذي صنفه صاحبه - البكري - سنة 460 هـ / 1068 م فتراه يقول عن مدينة الجزائر : ولها أسواق ومسجد جامع . . .

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

جامع تلمسان وقبته العجيبة وبعض تيجان أعمدته الحاملة لعقوده وأقواسه الفلوقية .

ولقد كان لاستحالة الحصول على أعمدة كبيرة لتشييد مآثر هذه الدولة بحسب ما يتجلى لنا من مساجدها اختير لذلك دعانم مبنية بالحجارة قاعدتها مطولة أو مصلبة تعلوها أقواس تشبه حدوة الفرس دون أن تربطها أوتار . تحمل سقفا مسننة . وهذا هو السبب فيما نشاهده من أثر الضخامة التي تقوم عليها عمارة المرابطين في مساجدهم .

والجامع الكبير هذا هو في جملته وتفصيله مربع الشكل . يمتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي ومن الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ، وقبلته بالجنوب الشرقي . وهو قائم على شاطئ متصل بالبحر . ولقد أدركت جدتي لأم رحمها الله وقد عمرت طويلا تقص علينا حياتها في صباها حينما كانت تصحب جدها الشيخ مصطفى القادييري مفتي المالكية بالجزائر فيذهب به الى مقصورتها بالجامع المذكور . قالت بأنها كانت تشرف بنفسها من نافذة هناك واقعة على البحر ، ولدينا صور أخذت لهذا المسجد سنة 1246 هـ / 1830 م تصحح لنا ذلك .

ويحد هذا المسجد اليوم شمالا النهر المسمى بنهج البحرية ، وجنوبا الشارع المدرز المشرف على المرسى ، وغربا الطريق المتصل بالغرفة التجارية ، وشرقا الطريق الواصل ما بين نهج البحرية والشارع الموازي لقبة المسجد ؛ وهو يشتمل على أحد بلاط - صفا - معاكسا للقبلة ، بضافة الخمس رواقات التي تحيط به من غالب

واستكمال معلوماتهم وبحوثهم الاثرية مستوفاة ، كاملة الا هذه المعالم الثلاثة التي لا توجد الا في أرض الجزائر . اللهم الا اذا استثنينا الجزء الشمالي الذي يشمل المحراب من جامع القرويين بمدينة فاس فانه تم على عهد الامير علي بن يوسف ابن تاشفين سنة 531 هـ / 1137 م ولكنه اثر ضئيل ويكفيها في الاستدلال على رقي في الانشاء والتعمير بالجزائر في ذلك العصر الغابر وجود مثل مسجد الجزائر هذا القائم في غاية الاحكام والتكئين وقد أشرف على ألف سنة ، وهو لا يزال على حاله غضا طريا كان يد الصانع لم تفرغ من تشييده الا منذ الساعة ! .

نعم ان المتأمل وعين الناقد البصير اذا رأى بها هذه الممجاد تخضع بصفة عامة الى النمط المرابطي قال بأنها ليس عليها من الرشاقة والاناقة حظ عظيم ؛ فتقول بلى ! ان لذلك سببا وهذا السبب يعود الى الحالة الاولى التي كان عليها أمراء هذه الدولة من الميل الى البساطة في حياتهم العامة والاعراض عن زخرف الحياة الدنيا وعدم التكلف . ثم انه أيضا لم يكن لهذه الدولة في أول أمرها اتصال مباشر بفنون الشرق ولا لها اطلاع على الهندسة المعمارية فيما قام به الامويون بالاندلس ، أو العباسيون بالشرق . فاستمت لذلك آثارها بفن جديد وطابع خاص يمتاز على غيره بالضخامة والفخامة ثم لما اتصلوا بالاندلس واطلعوا على آثار الحضارة الشرقية التي تركها هنالك الامويون أخذ فن المرابطين يتطور متأثرا بمظهر ما عليه جامع قرطبة مثلا ، فكان ما نشاهده اليوم من زخرفة محراب

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا

العاصمة وضع بها أربعة مدافع من أكبر عيار كان يستعمل يومئذ في السلاح التركي ، ثم أزيلت هذه المدافع من هناك بعد الحملة الانكليزية التي قادها اللورد ايكسموث ضد الجزائر سنة 1231 هـ 1816 م ، وفي بقية اجزاء هذه الساحة أقيم ما نشاهده اليوم خارج جدار المسجد الغربي الشمالي من المقاصر ، ومنها مقصورة المفتي ، اما ما كان استعمل من تلك المقاصير كمحكمة شرعية للمالكية فانما هو من زيادات سنة 1266 هـ/ 1850م (ربيع الاول - فيفري) وأول قاض جلس بهذه المحكمة للقضاء هو الشيخ حميدة العمالي المتوفى سنة 1220 هـ) 1873 م ويوم أن بنيت هذه المحكمة

جهاته ، ما عدا الجهة الشمالية الشرقية ؛ ومساحته تستغرق نحو الالفى مترا مربعا ، وطوله يزيد قليلا على عرضه ، أو عمقه بثمان مترات ، فالطول هو عبارة عن 48 مترا ، أما العرض فهو لا يزيد عن 40 مترا ، وإذا قسنا الناحية الشمالية الغربية منه وجدنا بها 40 مترا ، ومثلها كذلك كل من جهتيه الشرقية الشمالية وما يقابلها من الناحية الغربية الجنوبية .

وقد كان متصلا بجداره الجنوبي الغربي بحديقة فسيحة تسمى بالجنينة ، كما انه كان بشماله الشرقي مصلى للجنائز وهو منتقض اليوم ، وساحة أخرى كانت تستعمل كواجهة حربية للدفاع عن



ويدخل تحت هذه العقود أحد عشر بلاطا مديدا يمتد من الشمال الى الجنوب في اتجاه معاكس لجدار القبلة كما هو عليه حال جامع قرطبة والقيروان وتلمسان . ويخالفها في ذلك جامع القرويين بفاس . فان بلاطاته تمتد موازية لجدار القبلة . وهذه ميزة خاصة يمتاز بها ما بين سائر المساجد الاثرية الموجودة بهذا الشمال الافريقي ، ثم اننا اذا قسنا عرض ما بين سوارى البلاط الاوسط من الجامع الكبير هذا وجدناه يزيد على بقية البلاطات الاخرى بـ 1.60 كما هو الشأن في مديد الصنف الاول منه ومثله جامع تلمسان .

ويذكر اهل الجغرافية والتاريخ من متقدمي علماء العرب وتبعهم في ذلك المتأخرون من الافرنج ان بعض الاجزاء الشمالية من جدار المسجد الشمالي الغربي هي من بقايا اطلال هيكل او معبد كان قائما هناك للرومان مستدلين على ذلك بما يوجد بهنا الجدار من الخارج من تلك القطعة الحجرية المنقوشة بحروف لاتينية RVFVSAGLIS تؤدي هذا اللفظ « روفوس أجيلوس » ولا تزال هذه القطعة موجودة ظاهرة جليلة متماسكة ملتصقة بأجزاء الحائط من الخارج ؛ يقول البكري في مسالكة : « وكانت بمدينة بنى مزغنة - يعنى الجزائر - كنيسة عظيمة بقى منها جدار مدير من الشرق الى الغرب وهو اليوم قبلة الشريعة للعديد من مخلص كثير النقوش » .

ويذكر المؤرخ الفرنسي (كلان) انهم ظفروا بأجزاء من الحجارة وقطع من الصوان هي بقايا متممة لنهر ما جاء في حجر المسجد ، وجدت هذه الاجزاء بناحية جامع كتشاوة من العاصمة بالقرب من قصر

نظم الشعراء في مدحها أبياتا ومنها هذه الايات للشيخ محمد بن عبد الرحمن الامين المتوفى سنة 97 هـ / 1889 - 90 م قال :

احسن بمحكمة قد راق منظرها
ابلت محاسنها شكرا لباريها
يعق حسن الثنا للأميرين بها
مع الذين سعوا كذاك بانيها
للحكم قد نصبت اركانها رفعت
لشريعة المصطفى الله بيقها
لا تعجبين اما يكفيك نسبتها
لمالك شيلت له نواحيها
وحالها نظقت في الحين ملصحة
بالبشر ضاحكة تزهر لرائيها
يا قاصدا ربها لا تغش مضيفة
الله للحق يهدي كل من فيها

★ ★

ودعائم المسجد تقوم على الحجارة والآجر المملوء تغطيه طبقة من الجبس والجير ، ويبلغ عدد الدعائم 72 سارية كلها قائمة الزوايا . وفيها المصلبة . تبعد كل واحدة عن اختها بما قدره 3.40 م وهي مثل دعائم جامع تلمسان الكبير تحمل عقودا - أو قل اقواسا - اربعة متداخلة ومتقابلة اثنان منها مكسرة الاقواس في شكل حدوة الفرس المدببة واثنان مسننة متعددة الفصوص بحيث تبلغ فصوصها الى اثني عشر فصا ، وأول من استعمل هذا النمط من الاقواس المفصصة المفلوكة بالمغرب هم المرابطون كما هو الحال بجامع تلمسان الذي يرجع تاريخه الى عصرهم .

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا

معالم المحراب التاريخية وزال عنه جلاله وبهاؤه وخسر بذلك المسجد في نفسه جزءا عظيما من تاريخه . كما خسر بذلك فن المعمار الاسلامي خسارة علمية فنية ضخمة ! . . وان كان الذين فعلوا ذلك يرونه - في نظرهم - حسنا فنحن لا نرى ذلك حسنا . وما هو في الحقيقة والواقع بحسن . ولا هو في نظر ورأي علماء التاريخ والآثار بالشئ المستحسن وحتى فيما ذهب اليه علماء الشريعة من فقهاء المالكية فانه عندهم عمل غير مرضي ، ولا ينبغي أن ننسى وان الجامع بنى على عهد دولة كانت تحترم مذهبها المالكي وعليه تجرى جميع أعمالها ، ولاسيما وان هذه الناحية من المسجد لم تكن في حاجة الى اصلاح أو ترميم أو تحويل أو تغيير أو تبديل .

ولعمرك انه منذ وقع بهذا المحراب هذا التحويل وهو الى حد الآن لا يزال رافعا عقيرته يصرخ قائلا بلسان حاله : يا قوم ما هذا الظلم ! . . انكم ظلمتموني حيث البستموني لباسا يتنافى وجلال وضعيتي الاثرية التاريخية . فكيف يكون شأنى امام رواد العلم وطلاب المعرفة وعلماء التاريخ ؟ . . فكيف يتنهاى الى الوقوف منسجما الى جنب هذا المسجد العتيق الموقر حينما يقف امامى مستنطقو الآثار والاحجار الباحثون عن تراث الحضارة الاسلامية عبر التاريخ؟ وكيف يتسنى لى الاشهاد لأزكى دعوى هذا المسجد فى بلوغه سن مشارفة الالف سنة وأنا فى هذا المظهر المزرى بقيمتى ومنزلتى التاريخية - مظهر الزاؤ ! . . - وكيف حتى أستطيع أن أتصدر هذا المسجد الجامع الدهرى ؟ اليس فى ذلك لى ولكم فضيحة وسخافة ؟ ! اليس فى هذا الصنيع تلبيس

أحمد داي . ومضمونها ينص على أنه كان بهذا المكان معبد أو هيكل شيدته المسمى « لوسيسوس ابن اجيلوس » من ماله الخاص الذى تحصل عليه مما ناله من التثريقات البلدية من وطنه ، وجعله وقفا .

ونعود الى المسجد فنقول : ان هذا الطراز الذى نشاهد عليه المسجد اليوم هو مرتكز على فن المعمار الاموى بالاندلس أو نقول هو فى هندسته وتخطيطه هذا يرجع الى الطابع الاسباني المغربى كما تظهر عليه مساحة من جامع قرطبة فسماءه مغطاة بسقف - هى على عدد بلاطاته مكونة من الخشب الرفيع ومغطاة بقرميد مسنم ذى أربع منحدرات وشكلها مثلث . ما عدا فناء المسجد وهو مربع وتبلغ مساحته نحو 200 ميترا فهو مكشوف غير مغطى يشبه فى وضعيته جامع القيروان بصفة مصفورة .

ولقد حصل هذا التشابه بين هذه المساجد المذكورة بسبب التمازج الذى وقع بين سكان المغرب والاندلس حينما اتحدت هذه الاقطار سياسيا وأدبيا واجتماعيا على عهد تينك الدولتين العظيمتين دولة المرابطين ودولة الموحيدين فى القرن الخامس والسادس على هذا الوطن .

ثم ان ما نرى عليه واجهة المحراب اليوم ما عدا الاسطوانتين القائمتين الى جانبي المحراب من الرخام الملولب فان كل ما نراه من الزليج الزائف وهذه الطوابيع المزخرفة من الجبس الفارغ كل ذلك حدث أخيرا وأقحم فى هذه العمارة اقحاما من غير ما دعت الحاجة اليه بالمرّة ، فانطمست علينا بذلك أهم

للحقائق وتدليس وتشويه ؟ . . والحالة اننى لم اكن من قبل عاريا حتى تكسونى . ولا جائعا فتطعمونى ! . .

فان قيل ان لهذا المحراب تاريخا متاخرا ومتاخرا جدا عن تاريخ تشييد المسجد ، وانه هو وما حوله أو فوقه من القبة المئمنة الاضلاع يرجع تاريخه الى العهد التركى ؟ قلنا نعم ذلك صحيح غير ان هذا العهد الذى عبرتم عنه بالمتاخر له من الزمن قرابة ثلاثة قرون . وهذا يكفى فى اصطلاح علماء الآثار لان تشمله قوانين الآثار وتنطبق عليه شرائعها . اذ من المتفق عليه فى القانون الدولى للآثار أن كل ما صنعته أو صورته أو شيدته أو أوجدته يد الانسان قبل مائتى سنة يعد اثرا تاريخيا يجب احترامه والحفاظ عليه . بل هناك من الدول من اعتبر أن كل ما سبق القرن الثامن عشر هو مما يطلق اسم الاثر التاريخى وتجرى عليه أحكام الآثار وقوانينها المتفق عليها دوليا ، وبما أن ترميم هذا المحراب وقع فى أواخر القرن السابع عشر ، ونحن اليوم فى أواخر القرن العشرين فهو قطعاً أثر تاريخى ولا ريب .

ولترميمه قصة تاريخية هى فى نفسها مفيدة لهم المؤرخ الجزائري بالخصوص . وذلك لما نراها بأسقة فوق مثلث غير حقيقى . وهى فى نفسها هذه المدينة وكان يقودها (دوكيزن) فأرست تجاه العاصمة ورمتها بقنابلها فسقط منها على عدة قنابل تسببت فى انهيار جدار القبلة بما حواه من المحراب وما اتصل به . وحينئذ نقلت مكتبة الجامع الثرية فحولت الى قلعة سلطان سى أو قلعة سى المعروفة

ببرج مولاي حسن ، وكان لوفرة عدد الكتب استغرق نقلها على الدواب مدة ثلاثة أيام بكاملها . ومن المؤسف أن أكثر هذه النفائس من الكتب قد ضاع ولم يبق منها يوم نزول الفرنسيين بالجزائر سنة 1246 هـ / 1830 م سوى نحو الخمسمائة مجلد . وأما اليوم فلا تسأل . فان هذه الاسفار أصبحت أصفارا مرصوفة عن الشمال ! . . ويومئذ تحتم وجوب القيام باصلاح المحراب وترميم المسجد وهذا أمر ضرورى وطبيعى . واستمرت وضعية الجامع على هذا الشكل طيلة ثلاثة قرون مضت لم يتغير فيه شئ . - والحمد لله - الى هذه المدة المتأخرة فجاء من حاول طمس معالمه بهذه القشور من طوابع الجبس المزيفة والزليج المتانفر الحديث الصنع فانمحي عنه المحراب رونقه واضمحلت بذلك قيمته الاثرية وتجافى عنه جلال التاريخ وهيبته ، وأصبح يحاكي ما استحدثت من محاريب المساجد المصرية . فاين المحافظة على التراث يا حماة الحى ؟ . . فان عملا كهذا ليعد طمسا للتاريخ وتلاعبا بالآثار فواأسفاه ! . .

واذا التفتنا الى زاوية المسجد الشمالية وجدنا بها أمامنا بناية قائمة عظيمة تلك هى مثناة المسجد. نراها بأسقة فوق مثلث غير حقيقى ، وهى فى نفسها مربعة الشكل حسب الطراز الذى جرى عليه المهندسون من مشيدى المساجد بالمغرب والاندىلس ويقرر علماء الآثار ان هذا الشكل من الطراز المربع الذى تقوم عليه المآذن بالمغرب إنما هو مستعار عن الابراج الاربعة التى كانت قائمة فى معبد دمشق قبل أن يبنى المسجد الاموى بداخله ، ولم يبق من هذه الابراج الآن الا واحد فى الزاوية الجنوبية

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا

تأسيس المسجد بقرنين ونصف ، اذ يرجع عهد بنائها الى اوائل القرن الثامن الهجري أيام الملوك الزيانيين من بنى عيد الواد بتلمسان ، وذلك ما يشهد به النقش المزبور على رخامة بيضاء مثبتة على الجدار القائم عن يمين الآخذ في الصعود الى المئذنة متصلا ببابها ، واليك نص النقش المذكور وهو بخط أندلسي مغربي :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، صلى الله على سيدنا محمد . لما تم امير المسلمين أبو تاشفين أيده الله ونصره منار الجزائر في مدة أولها يوم الاحد السابع عشر من ذي القعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمئة وكان تمامها وكمالها في غرة رجب من عام ثلاثة وعشرين وسبعمئة . نادا المنار المذكور بلسان حاله الخالي : أي منار حاله في الحسن كحالي

**اقام امير المسلمين تفاعحا
كساني بها حسنا وتمم بنياني
وقابلني بدر السما . وقال لي
عليك سلامي أيها القمر الثاني
فلا منظر يسبي النفوس كمنظري
الا فانظروا حسنى وبهجة اركاني
فزاد الهى رفعة لمتهمي
كما زاد في شاني ورفع اركاني
ولا زال نصر الله حول لوائه
رفيحا له تال وحسنا له ثاني**

وكثيرا ما نرى من يشتبه عليه لاول وهلة اسم مؤسس هذا المنار أبي تاشفين الزياني بمؤسس المسجد امير المرابطين يوسف بن تاشفين ، ومنهم العلامة الشيخ أبو راس في كتابه الحلل السندسية

الغربية وهو مستعمل للآذان .

هذا ولم يكن بمساجد المغرب العربي الكبير طيلة عبر القرون الاولى من الهجرة مآذن سوى مئذنة جامع عقبة بن نافع بالقيروان فهي أقدم صومعة فيما بقى من المآذن الاثرية . لا في المغرب فحسب ، بل وحتى في العالم الاسلامي اطلاقا . والمظنون أن مؤسسها هو حسان بن النعمان والى افريقية من قبل الامويين (73 - 86 هـ/ 692 - 705 م) ويقال انها بنيت على عهد هشام بن عبد الملك .

وتاريخ انشاء المآذن في الاسلام يرجع الى عهد ولاية مسلمة بن مخلد الانصاري على مصر (47 هـ / 667 م) حيث أمر بابتناء منار المسجد العتيق جامع عمرو بن العاص . فهو أول من أقام للآذان منارا وابتناه بالمسجد . . وأما المحراب فهو متأخر بعشرات السنين عن تأسيس المئذنة ؛ اذ يرجع تاريخ انشائه الى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز فهو أول من أحدث المحراب عند ما أعاد بناء المسجد النبوي بالمدينة المنورة سنة 88 هـ - 706 م .

وترتفع صومعة الجامع الكبير عن مستوى الارض الى علو 15 مترا وتنتهي بقبة صغيرة عليها تقايع ثلاثة من نحاس معصبة شرفاتها العليا بأحاطتها بأربع وعشرين كتفا مثل ما يحيط بأعلى أسوار المسجد ، ومزخرفة جهاتها الاربع من الخارج برسم أقواس ثلاثة على طريق النقش مخرسة مصنوعة باللبن ، تتوسطها نافذة للاضاءة من الجهتين احدهما بالشمال الغربي ، والاخرى بالجنوب الشمالى، وهناك فتح يتوسطها بالجنوب الغربى على شكل باب يؤدى الى سطح المسجد ، وهذه المئذنة متأخرة عن تاريخ

بها الاوقات الزمنية وتضبط بها الاوقات الشرعية بطريق وقع ظل الخيط المرتبط بالقائم على حافة المزولة المنحط طله على الدرج المنقوشة على سطح المزولة . ولا نشك في أن هذه المزولة وضعت هناك مبنية ببناء الصوبة وذلك حسبما ترشد اليه تصميم البناء وتخطيط شكل المزولة ووضعيتها في مكانها المختص بها والمهيأ لها من اول يوم ، ورغم اهمال استعمال هذه المزولة اليوم فهي لاتزال صالحة للعمل بها والاستفادة منها لوضوح رسومها وبروز نقوشها ولا ينقصها شيء سوى نصب العمود القائم الذي يربط فيه الخيط المتصل بأرضية المزولة . وهذا عمل بسيط لا يستلزم كبير عناء . ويكفي فيه أن يصدر الاذن بالعمل بها ممن بيدهم الامر بوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فتمت الغالدة .

ومن المؤسف أن يبقى أثر علمي نافع كهذا مهملًا متروكًا لا يؤبه به ولا يلتفت اليه . فإين المحافظة على تراث الاجداد ، ولاسيما في المجال العلمى والميدان الحضارى والتاريخى والدينى أولا وبالذات وتحمل هذه المزولة كتابة منقوشة بالخط المغربى الاندلسى تشتمل على اسم واضعها وتاريخه ولكنها بسبب تعرضها الطويل للحوادث الطبيعية وتقلبات الجو وتداول تغير أحوال الطقس عليها من حر وقر محيت تلك النقوش وتعذر على القارى قراءة ما فيها . وهذا لا يمنع من امكان استعمالها في ضبط الاوقات الشرعية ومعرفة حصة الليل والنهار وتحديد حركة الشمس في غاية ارتفاعها وشروقها

فانه جعل المسجد نفسه من مآثر أبى تاشفين الزيانى نفسه فقال في سياق كلامه عن دولة بنى زيان « وأما الجزائر فدخلت في ملكهم أولا ، وان أبى تاشفين منهم لما أباد الثعالب بنى الجامع الاعظم بالجزائر ونقش اسمه في صومعته » وهذا خطأ بين ، فشتان ما بين أبى تاشفين وابن تاشفين فالاول وهو مؤسس المنار اسمه ابو تاشفين عبد الرحمن بن أبى حمو موسى خامس سلاطين بنى عبد الواد الملوك الزيانيين بتلمسان ، نودى عليه سلطانا في الثالث والعشرين من جمادى الاولى عام 718 هـ / 23 جويلية 1318م وتوفى سنة 737 هـ / 1337م وأما الثانى وهو مؤسس الجامع الكبير فاسمه يوسف بن تاشفين عاهل دولة المرابطين المتوفى سنة 500 هـ / 1107 م . وذاك عاصمته تلمسان وهذا عاصمته مراکش . وكان الباعث لهذا الاشتباه هو وجود اسم تاشفين في كلا اسم الاميرين ، وكلاهما كانت له يد في اقامة هذه المؤسسة الجزائرية العظيمة ولقد لفتت مساجد المرابطين اهتمام ملوك بنى عبد الواد الزيانيين وأذكت مشاعرهم منها على الاخص المآذن فشاركوهم في تشييدها والتنويه بعمارته . فنرى كلا من المئذنتين القائمتين الى اليوم بتلمسان او بالجزائر هما من صنع الزيانيين. فمئذنة جامع تلمسان هي من مآثر السلطان يفراسن بن زيان أول ملوك بنى عبد الواد (633 - 681 هـ / 1236 - 1283 م) ومئذنة الجزائر هي من عمل حفيده أبى تاشفين .

كما اننا نجد على سطح المنار مزولة - ساعة شمسية - من الرخام الابيض مربعة الشكل تعرف

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا

باسم (سان خوسية) وهو منار مسجد كان معروفا باسم جامع المرابطين . والجامع هذا محطم اليوم وبنيت مكانه كنيسة ولم يبق منه الا هذا البرج المستعمل اليوم للاجراس . فان صحت نسبته الى المرابطين فهو آخر منار بقي على وجه الارض منسوباً الى هذه الدولة ؟ . وهو مربع الشكل طول ضلعه 3,85 ويدور درجه حول محور سكه 41 م ونظام البناء فيه يقوم على نوع من القطع الحجرية المهدبة ملتصقة فيما بينها بالجص . ونصفه الاعلى منسج بالاجر وينفذ من طاقات صغيرة ضوء خفيف . وتنتفع نحو الجنوب نافذة كبرى في صورة عقد على شكل حدوة الفرس مع امتداد يتجاوز نصف القطر . . . وهذا في الحقيقة وحده غير كاف لاعطاء فكرة في الموضوع .

ومن طريف التحف الفنية التي نجدها موضوعة على نشر مرتفع بسطح هذه المئذنة ذلك النبراس الفخم الجميل الصنع والوضع . المستعمل للاعلام بدخول لوقات الصلوة الليلية وفي ليالى رمضان ليرى ضوء مؤذنو مساجد العاصمة من أعلى الصوامع فيشرعوا في الأذان ، وذلك لان لهذا الجامع فضل وجود آلة المزولة به وعليها المول في ضبط الاوقات الشرعية فيعتمد مؤذنو المساجد كعلامة او اشارة تصدر من موقت الجامع او باش موقت ليتحققوا من دخول الوقت .

لقد كان مكان هذا النبراس منذ العهد التركي القائم بيننا . العاصمة القديم حيث مركز الاميرالية والادارة البحرية يستعمل لهداية السفن في ظلمات الليل والبحر الى موقع المدينة ومكان المرفأ : ثم

وغروبها وهي تعمل طيلة السنة على اختلاف الشهور والفصول فلا ينبغي أن تكون مهجورة .

ولقد عرف التاريخ العمل بهذه المزاول الشمسية منذ احقاب واحقاب فاثبت لنا وجود مثل هذه الآلة الزوالية منذ عهد الحضارة المصرية القديمة . واقدم مزولة عثر عليها بأرض مصر يرجع تاريخها الى سنة 1900 ق م واصل المزولة هو اثر بابلي .

واما ما يحيط بالمنار من زخرفة الزليج الازرق والابيض كالعصابة فهو ما ادخل عليه حديثا أي منذ عهد اوائل الاحتلال فقط ؛ اذ يعود وضعه هناك الى جماعة من فرقة جيش (الجيني) من الجند الفرنسي الذي كان يحتل مخابره ودهاليز الجامع الكبير فهؤلاء هم الذين اشتغلوا بتعصيب المنار بهذا الزليج سنة 1272 هـ / 1896 م . كما انه يوجد بداخل المنار هذا جرتان اولاهما بقرب مدخل المنار عن الشمال والثانية في آخر لوية من حلزون الدرج قبل الاخذ في الصعود لسطح المنار على السلم الاخير ، ولا شك ان لهذين الحجرتين وظيفة يقومان بها اقلها وقاية المؤذنين من اذى الحر والقر . واضرار الرياح والامطار الغزيرة كما انها في آن واحد يصلحان للانقطاع فيهما للعبادة والتبتل أو للدرس والتأمل .

واذا شئنا التعمق في استكمال دراسة فنسار المعمار عند المرابطين في تشييد الصوامع والمآذن او المنارات فلننتقل الى ارض الاندلس لندرس ما تركته لنا نكبات الدهر وصروفه هناك من ذلك البرج الوحيد الذي بقي قائما بفرناطة وهو المعروف

استغنى عنه بصنع ما هو أضخم وأفخم ، وحينئذ جىء به الى مكانه هذا الموجود به الى الآن ؛ وهو مصنوع من نحاس أحمر وبرنز ولطول العهد تغير لونه الى ما يقرب من السواد .

وكيفما دخلنا الى هذا المسجد ومن أى باب أتيناه قابلنا فناءه وهو مربع تقريبا تشتمل مساحته على نحو 200 ميترًا وبه قبتان تظلان مضاءتين للوضوء ، احدهما عن يمين باب الفؤارة - النافورة - والثانية عن الشمال ، وهما وان كانتا متشابهتين فى شكلهما وظاهرهما ، فهما فى الحقيقة والواقع مختلفتان تماما من حيث التاريخ والصنع والمادة التى يقوم عليها حوض الوضوء ، فالاصيلة القديمة هى التى عن يمين الباب ، وحوضها هو قطعة واحدة من خالص الرخام الابيض وقاعدته مزخرفة بنقوش منحوتة فيها ، ويرجع عهدا الى العهد التركى حسيما تهدى اليه قواعد الفن ؛ وأما الاخرى فهى مستحدثة أخيرا فقط قلد فيها وضعية الاولى وشكلها ، وتاريخها لا يزيد عن بضع سنوات مضت ، ومادة حوضها من الاسمنت . زيدت للحاجة اليها كما زيدت فى هذه الايام الحنفيات الموجودة عند مدخل باب الجنينة .

وعلى ذكرنا لباب الفؤارة الذى هو أحد ابواب الجامع نقول بأنه كان لهذا المسجد يوم تأسيسه ستة ابواب رئيسية مصارعها من الخشب الرفيع ، أربعة منها بشماله الغربى واثنان بشماله الشرقى عليها طاق من الرخام الابيض ، ولكل منها اسم يعرف به ، فأولها بالنسبة للقدام من ساحة الشهداء وهى الناحية الجنوبية الغربية للمسجد يعرف (باب الجنينة) وهو أشهر الابواب اليوم وأكثرها

استعمالا ويليهِ (باب البواقل) ولفظة بواقل هى جمع (بوقال) مؤنثه (بوقالة) آنية تصنع من فخار للشرب وأصل الكلمة لاتينى استعمله العجم والأتراك وشاع استعماله فى اللغة العامية بالجزائر وسبب اضافة هذا الباب الى البواقل هو ما كان به مصطفا من أوانى الشرب العمومية ، ثم يلى هذا الباب (باب الفؤارة) - النافورة - وهذا الباب يزيد على غيره من بقية ابواب المسجد بمصراعين كبيرين من الداخل ، وهما من الخشب المنقوش المزخرف بخطوط مستبكية ، من نوع التشبيكات السداسية والثمانية والأشكال الهندسية المتعددة الاضلاع مما نجد مثله بمصراعى جامع العباد المرينى بتلمسان ولعله يكون من الزيادة التى زادها أبو الحسن المرينى بهذا المسجد ، كما أشار اليه ابن مرزوق الخطيب فى مستنده ومما يؤكد لنا هذا المعنى شدة الشبه بين هذين المصراعين ومصراعى النحاس اللذين هما موجودان بمسجد العباد الذى هو من مآثر هذا السلطان ؛ كما اننا نجد ما بين باب البواقل وباب الفؤارة بابا مسدودا بمصراعية لا يحل ولا يفتح ، مكتوب على طاقة فى اعلاه بالخط النسخى المشتبك هذه الآية الكريمة : « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » س : الزمر ، آية 7 ؛ ثم يلى هذا الباب (باب الصومعة) وهو قريب من المثذنة . وبالناحية الشمالية الشرقية نجد (باب الطحطاحة) - أى البطحاء - وباب الجنائز وكلاهما مسدود اليوم واستعمل باب الفؤارة مكان باب الجنائز ؛ وفى مكان باب الجنائز أقيمت مقصورة للبشاش حزاب - رئيس القراء - ويقابل هذين البابين من الناحية الجنوبية الغربية مدخلان يؤديان الى الصحن

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا

(دونومور) - ديسمبر 1837 م وحى. يوم تدشينه بمجموعة من مسكوكات متنوعة لهذه الدولة من ذهب وقضة وبرونز من ضرب سنة 1836 م وأضيف إليها صورة الملك (لويس فيليب الاول) وحرر في ذلك عرض حال مفصل وجعل الكل في جرة دفنت تحت سارية من هذه السواري بقيت مجهولة الى اليوم ؛ ونذكر من بين انقراض جامع السيدة هذا المنبر الرخامي الجميل القائم اليوم بالجامع الجديد ومتبره الاصلى هو المستعمل كسليم يصعد عليه الى سدة القراء بوسط المسجد .

على أن هناك من يذكر وانه قد سبق لهذه الواجهة الشمالية الغربية من الجامع الكبير قد سبق ان لحقتها ترميمات واصلاحات متعددة بسبب ما تسلط على المسجد من وقع قتال الاعداء ولا سيما سنة 1682 و 1688 و 1732 م بحيث كثر غزو الاجانب واعتادوهم على الجزائر .

وما يشتمل عليه هذا المسجد من عناصر العمارة عنصر آخر مميز للفن الاسلامي . ألا وهو بناء القبة ، فالقبة عرفها المسلمون منذ أن أقام عبد الملك بن مروان قبة الصخرة بالقدس الشريف (72 هـ/ 691 م) وكانت معروفة من قبل عند البيزنطيين والرومان . وفي مسجدنا هذا نجد ستة قبب أربعة بداخله ، واثنان بخارجه ، أولها قبة المحراب المثمنة الاضلاع ومثلها قبة مقصورة المؤذنين . وهما لاشك من العهد التركي ذلك أن قبة المرابطين الموجودة بجامع تلمسان تخالفهما تماما فلذلك أنا لا أتردد في نفيها عن الطراز المرابطي وكذلك قبة النافورة القديمة التي بفناء المسجد

المحيط بالمسجد من الجنوب الغربي الى الشرق ومثلها مدخلان آخران في جدار القبلة ، احدهما عن اليمين والآخر عن الشمال وقد زيد اليوم بينهما ثالث قرب مقصورة الخطيب ، وكلها تؤدي الى الصحن المذكور .

وهذا الصحن موضوع فوق اقبية كانت تستعمل فى مصالح البحرية لحماية المدينة بحرا فحطمت من اثر ما تسلط على الجزائر وما واجهته من حروب بحرية ؛ فبهذا الاعتبار نستطيع أن نطلق على هذا المكان اسم الرباط ؛ فهو فى آن واحد مسجد جامع ورباط .

ثم ان هذا الشباك الموجود اليوم من فوق السور الموازى لهذا الصحن الخارجى عن جدار القبلة ليس هو بالاصيل ، وانما اتخذ زينة لهذه الواجهة يوم زيارة رئيس الجمهورية الفرنسية (لوبى) الجزائر فى أفريل سنة 1903 م - 1321 هـ - ومثله فى ذلك ما نجده بالواجهة الشمالية الغربية من هذا الرواق الجميل ذى الستة عشر قوسا مرفوعة فوق سواري غليظة من الرخام الابيض المزخرف فانه أيضا مستحدث فى أواسط القرن الثالث عشر هـ (1252 هـ/ 1837 م) أى عند ما حطم جامع السيدة وهو بجواره جى. بهذه السواري وكذلك الحوض المرمى الاسود الذى يتوسطها فوضعت بهذا المكان وفرشت أرضيته بالسيفساء وقد كان هذا الحوض كما ادركتاه مشتملا على ثلاثة أحواض فسقط منها أعلاها وأعمل شأنه فالتفت قطعه وذمبت أدراج الرياح حيث لم يكن هناك من يابه له أو يعتنى به .

دشن هذا الرواق بمحضر البرانس الفرنسى

وأهم ما هنالك كله منبره ، فهو ياقوته الوهاجة والزمردة اليتيمة في هذا الجامع ذلك المنبر الضخم المسدول عليه حجاب حجرته الخاصة به عن يمين المحراب ؛ هذا المحراب اليوم يعد ذخيرة من أنفس الذخائر التي تركها لنا الاجداد فهو أقدم منابر الاسلام باستثناء منبر جامع القيروان ولا يعلم له نظير سوى ما بجامع القرويين بفاس وما أشبهه بجامع الكتبيين بمراكش . ولا يعاصره الا هذه الاجزاء المتفرقة من منبر جامع ندرومة الموجود بعضها بالمتحف الوطني للآثار بالعاصمة ؛ ويرجع تاريخ منبر الجامع الكبير الى أوائل القرن الخامس الهجري حسب ما هو مذكور بالنقش البارز وبالخط الكوفي المتشابك على خشبتي جانبي مدخله وبأعلاه أيضا ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، تم هذا المنبر يوم فاتح رجب من سنة (سبع) واربعمائة عمل محمد ، وكان لطول العهد وتراكم الاصباغ عليه واختلاف مواد الصيغة وألوانها مع عدم الاعتناء التام وقلة المبالاة بشأنه ان لحق بهذا النقش بعض الغموض على كثير من علماء الآثار وغيرهم قراءة كلمة (سبع) الواردة في النص ، فمنهم من قراها سبع بالباء الموحدة بعد السين ، ومنهم من قراها بالتاء المثناة من فوق قبل السين ، ومنهم من قراها تسعين ؟ وكيفما كان الامر فلا يخرج تاريخ المنبر هذا عن القرن الخامس الهجري . سواء أكان ذلك في أوائل القرن أم في آخره ، وجزم العلامة الانري (مانويل جوميث مورينو) بأنه سنة تسعين (1097 م) وأنه من آثار يوسف بن تاشفين حيث قال : «وَأول عمل فني قام

فهي كذلك لا تعاصر المسجد ، أما الأخرى التي بجانبها فقد قدمنا الكلام عنها وانها حدثت أخيرا فقط ؛ وأما ما بخارجه فقبلة مقصورة المقتى وقبة المحكمة أقدمهما قبة المقصورة وهي تركية أيضا أما الأخرى فحديثه كما ذكرناه .

ولا يفوتنا ان نشير الى ما خلف جدار القبلة وراء المحراب من تلك الحجرة المستطيلة الشكل ذات البابين باب داخل المسجد عن شمال المحراب ومنه يخرج الخطيب يوم الجمعة وفي العيدين جعل تقاديا من تخطى الرقاب . وباب خارجي يؤدي الى الصحن المحيط بالجامع ؛ وإذا نظرنا الى تصميم هذه الحجرة وجدناه أصيلا في تشييد الجامع وبناء هيكله ، فسقف الحجرة منبسط من خشب يعلوه سطح من الجص على غرار سقف منازل دور حى القصبة بأعلى المدينة . وكذلك جميع جوانب الحجرة وبناء مثل هذه الحجر الملاصقة لجدار قبلة المسجد ليس بالامر الجديد في تاريخ عمارة المساجد وبخاصة مساجد صدر الاسلام فهذه دار الامارة التي بناها سعد بن أبي وقاص بجامع الكوفة 17هـ بناها خلف جدار القبلة . ملاصقة للجدار وكذلك ما صنعه زياد بمسجد البصرة 53هـ ومنه ما أمر به معاوية ابن أبي سفيان من اتخاذ المقاصر بالمساجد لما طعنه البرك بن عبد الله بسيفه ، وهذا ما كان قد أمر به الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه خشية ان يقع له مثل ما وقع للخليفة قبله .

هذا واننا مع هذه البسطة التي قدمناها عن تاريخ المسجد الكبير من ناحية المعمار والتاريخ فاننا مع ذلك مدينون الى ما يحتوي عليه من الاثات

الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا

وثمانية منصفون ، وثلاثة موقدي المصابيح ، وواحد لحمل عصا الخطيب ، وبهذا المسجد كان ينعقد المجلس الشرعي الاعلى للنظر في النوازل والاحكام الشرعية التي تجرى بين يدي القضاة ، واعضاء سبعة رئيس وهو المفتي الحنفي وكانت الرئاسة لهذا بحسب انه يمثل مذهب الحكومة التركية ، والمفتي المالكي ، والقاضيان حنفي ومالكي وباش عدل ، وعدل مكاتب وآخر يمثل السلطة الحاكمة . ولقد حمل هذا المسجد رسالة الاسلام قرابة الف سنة فتخرج منه جمهور من العلماء والادباء وانصار دين الله وحماة الحق وذادته حملوا مشعل الثقافة الاسلامية بهذه الديار ، فكان بذلك خير سلف لهذا الخلف ، وما اجدر بهذا الخلف ان يعمل على ضوء قول القائل :

بني كما كانت اوائلكا

تبني ونصنع فوق ما صنعوا

عبد الرحمن الجيلالي

مراجع البحث :

- تاريخ الجزائر العام ج I عبد الرحمن الجيلالي ط الجزائر 1971 م
- الترجمة الكبرى للزياني ط المغرب الاقصى 1967 م
- المسالك والممالك عبد الله البكري ط الجزائر 1911 م
- الفن الاسلامي في اسبانيا (مغرب) مانويل جوميث مورينو ط القاهرة

به يوسف بن تاشفين فيما نعلم منبر المسجد الجامع بالجزائر . . . نرجو من ييدهم الامر ان يعتنوا بهذه الدرة اليتيمة حتى لا يلحقها اذى او يتسرع اليها البلى .

والمنبر هذا مصنوع من خشب الارز الصلب واجزاؤه تناهز 120 قطعة وبسبب التآكل والفناء لم يبق منها الا نحو 48 قطعة اصيلة موضوعة في اطار ما بين مربع ومثلث ومنحرف ، وكل ما عداها فهو مما استحدث في ترميمه ، وقوام زخرفته ترجع الى نوع (الارابيسك) أى حشوات مربعة تزيناها زخارف هندسية متشابكة مزينة بخرس من الزهيرات واشجار منحوسة تمثل نبات اوراق الكرم والاقنطا وتزاويق ملونة في اسلوب مغربي أندلسي محظ لا شائبة فيه لفن اجنبي او حضارة اجنبية اخرى عنه ابدا ، وهو ما يذكرنا بما عليه زخارف قصر الجعفرية بسرقسطة وما تجده ايضا في قصبة

ملقة من أرض الاندلس ، وكلها مفروزة في المنبر ومنقوشة بكيفية بنائية تخالها ركيزة للمنبر . وهو في زخرفته هذه يمثل لنا الفترة الانتقالية التي تربط المشرق بالمغرب .

وتتميمنا للفائدة واستكمالا لتاريخ هذا المسجد نذكر على سبيل الاجمال ما كان به من السدنة والموظفين ، فقد كان يبلغ عددهم سبعة وستين موظفا وهم كما يل : مفتي وامامان ، وتسعة عشر مدرسا، وثمانية عشر مؤذنا وثمانية حزاين - قراء - واربعة رجال الحضور - قراء صحيح البخاري - وثلاثة وكلاء لما كان له من الاوقاف والاجباس ،

عز الاوطان

إذا ما رمت للأوطان عزا
فجد بالنفس واستبق الفداء
وان حمل المخصوم عليك يوما
فقم لنضالهم وخض الدماء
ألم تر (جعفر) قطعت يداد
بحرب الروم فاحتضن اللواء
وقدم نفسه للموت سمحا
فنال بها الشهادة والثناء
عن ديوان محمد العبيد محمد علي خليفة

وتاريخ
مدينة
الجزائر

أبوراس العسكري

لقد كان عصر أبي راس العسكري عصر تدهور وانحطاط في الآداب والعلوم. كما كان عصر اضطراب سياسي واجتماعي ، وقد استطاع أبو راس بفضل موهبته وعبقريته أن يرتفع عن مستوى عصره الفكري ، وأن يعيد للدراسات العلمية الفقهية واللغوية مجدها وجلالها ، كما تشهد بذلك مؤلفاته الكثيرة ، وتؤكد هذه شهادات معاصريه من العلماء.

وقد حملنا هنا على أن نخصه بهذه الترجمة القصيرة وأن ننشر نبذته التاريخية حول مدينة الجزائر بمناسبة ذكرها الاليفة .

●
رابع بونار

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة الجزائر

ترجمته :

أبو راس هو محمد بن أحمد بن ناصر الراشدي العسكري (1) وقد ولد في أوائل النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري ، ودس في صفه بمعسكر ومازونة على علماء عصره ، ومنهم العلامة المشرفي ، ثم ارتحل إلى تونس وعصر وأخذ فيها عن علماءها كالمعلم الأديب الشاعر إبراهيم الرياحي ، والشيخ مرتضى الزبيدي والشرقاوي ، وأجازوه ، ووصفوه بأوصاف علمية رفيعة .

ثم عاد من المشرق إلى بلاده بعد أن استوعب دراسات عصره ، واحاط بالمذاهب الأربعة ثم تخصص في المذهب المالكي ، وتعمق في دراسة مختصر خليل بن إسحاق الذي اختصر مسائله واستوعبها ، ثم انتصب للتدريس والفتاوة الطلاب ، وقد بلغ عدد طلابه المئآت .

ولم يشغله التدريس عن التأليف ، بل ألف كتباً عديدة تزيد على خمسين كتاباً (2) منها :

- 1 - لب الياخي في ذكر أسياس
- 2 - والسيف المنقضي فيما رويته بإسناد المرتضى
- 3 - وتخرج أحاديث دلائل الخبرات
- 4 - ودار السعابة ، فيمن دخل المغرب من الصحابة
- 5 - والزمرودة الوردية في الملوك السعدية
- 6 - ومروج الذهب في نبذة من النسب
- 7 - وتفسير القرآن الكريم
- 8 - وحاشية الخرش
- 9 - وحاشية المكوذي
- 10 - وشرح العيفة
- 11 - والعاوي بين التصوف والتوحيد والفتاوى
- 12 - وحاشية على السعد
- 13 - وشرح مقامات الحريري
- 14 - ودرر الشقاوة في حرب درقاوة
- 16 - وذيل القرطاس في ملوك بني وطاس

وغير ذلك من كتبه الكثيرة .

وأهم هذه الكتب في رأي كتبه التأريخية وهي ذات فائدة كبيرة قد لا يعدله في ذلك إلا الزباني صاحب الترجمة الكبرى مع تفوقه عليه في الحفظ والتوفيق . ومن هذه الكتب كتابه ذيل روض القرطاس وقد تناول فيه تاريخ المغرب من القرن الثامن إلى أوائل القرن الثالث عشر الهجري . وهو كتاب عام لا تعرف عنه إلا اسمه .

وكذلك كتابه الزمرودة الوردية في الملوك السعدية ، وهو كتاب يتناول تاريخ الملوك السعديين بالمغرب ، وموضوعه عام والفترة التي تناولها بالتدوين قليلة المصادر وهذا ما يسبغ على كتابه أهمية بالغة وهو مثل سابقه مخطوط لا تعرف عنه إلا اسمه .

وأخيراً يأتي كتابه شرح نفسية الجمان في فتح مدينة وهران ، وهذا الكتاب رغم تخصصه بمدح محمد باي الكبير وتسجيل مآثيه الحربية في فتح وهران وافتكاكها من يد الأسيان ، أواخر القرن الثامن عشر الميلادي فإنه يتناول أحداثاً كثيرة بالشرح والتعليق ويؤرخ لوقائع مختلفة تتناول تاريخ القطر الجزائري عامة .

ومن هذه الأسطوانات ما ذكره حول تاريخ الجزائر . وقد عمد أحد المجيئين به إلى جمع هذه النبذة وأخرجها من الكتاب المذكور لتكون خلاصة تاريخية خاصة « بالجزائر » وجامع هذه النبذة غير معروف ، وقد جمعها بعد وفاة مؤلفها أبي راس بسنة واحدة أعني سنة 1823 م .

وأما أبو راس فقد توفي سنة 1238 هـ ت 1822 م وتضمن هذه النبذة معلومات عامة عن مدينة الجزائر والدول التي تعاقبت عليها وسجد فيها القراء . فوائده ومعلومات عن الجزائر والقطر كله لا يجيدونها في غيرها من المراجع المختلفة مع الإيجاز ومن حسن الصدق أن تنشر هذه النبذة في وقتها المناسب وهو الذكرى الالفية لمدينة الجزائر ليجمع الاحتفال بالمدينة بين شرف ما كتبه عنها مؤرخونا القدماء ، وما يكتبه عنها كتابنا المحدثون وفي ذلك - لاشك - تقدير كبير ، واحتفاء . بالغ بهذه العاصمة التاريخية الجليلة .

(1) الحفناوي : تعريف الخلف ج 2 ص 332

(2) الكنانى : فهرس الفهارس ج 1 ص 105

هذه نبذة اخرجت من تاليف الشيخ ابي راس سيدي محمد بن احمد بن عبد القادر الناصري الغريسي نسباً رحمه الله في تاريخ الجزائر 1238 هـ / 1823 م مدينة الجزائر

الجزائر علم على مدينة عظيمة على شاطئ البحر بنتها ملوك صنهاجة ، و مر لنا تاريخ بنائها ، واسم بانيتها وغير ذلك ، فانظر ان ثبت في شرح قولي متى ازالهم عنه يوسف الخ . ولم تزل في طاعة بني بلكين من صنهاجة ملوك اشير ، والقروان ، الى ان تغلب ابن عمهم حماد (1) على جبل كرامة ، وبني القلعة المارة الذكر ، وكثر جنوده وخفقت بنوده ، واستولى على باجة وبجاية ودلس ونحوهم ، وكانت الجزائر من جملة أعماله ، ثم زحف اليه باديس بن المنصور (2) بن بلكين بن زيري بن مناد فهزمه من مجانة الى وادي شلف ، ونزع اليه عامة عسكره ، ثم رجع جادا السير الى قلعته ، وباديس في اثره وحاصره الى ان هلك ، وبويع ابن باديس وهو المعز (3) ابن ثمان سنين ، فاتفق مع حماد ، وعاد ملك الجزائر له ولما هلك ولي ابنه القايد وزحف اليه ابن زيري بن عطية المغراوي فصالحه القايد ايضا ، وبقي على ملكه بالقلعة والمدينة والجزائر الى تخوم مغراوة ، وتحت حكمه وعلى امره الى ان هلك سنة

سنة واربعين واربعمئة ، وولى مكانه ابنه محسن ثم قام فيهم الناصر بن علناس بن حماد فبنى جبل اللؤلؤة ببجاية من اعظم قصور الدنيا في حدود سبعين واربعمئة قال ابن خلدون في بعض كلامه على المغرب الاوسط : بجاية اختطها الناصر بن علناس ، ثم لما مات الناصر ولى ابنه المنصور .
بنو حماد والمرابطون

ولما استولى يوسف بن تاشفين على تلمسان وغلب عليها اولاد يحيى الاقريني سنة اربع وسبعين (4) وانزلها محمد (5) بن تينعمر المسوفي ونازل بلاد صنهاجة كالجزائر ونحوها زحف اليه المنصور (6) وخرب ثغوره ، وحصون ماخوخ ، وضيق عليه فصالحه يوسف ، وانقبضت يد المرابطين عن بلاد صنهاجة ، والمنصور هذا هو الذي وقعت حروب بينه وبين ماخوخ انجلت عن قتل ماخوخ ، ولحق ابنه بتلمسان مستصرخا بابن تينعمر فرحفا الى الجزائر وحصروها يومين فمات ابن تينعمر ، وولى يوسف ابن تاشفين مكانه اخاه تاشفين بن تينعمر ففتح اشير والجزائر ورجع الى تلمسان .

ثم ان المنصور زحف من بجاية بأهم المشرق الى تلمسان ، ونزل وادي الصفصيف ، فلقبه تاشفين

- (1) حماد بن بلكين مؤسس الدولة الحمادية ، اعلن استقلاله عن 419 هـ - 1028 م راجع تاريخ الجزائر للبيبي ص 135
- (2) باديس هو رابع ملوك بني زيري ، وكان شجاعا جواد محسنا سنة 406 هـ - 1015 م
- (3) هو المعز بن باديس تولى الملك بعد ابيه باديس سنة 406 هـ
- (4) اي سنة 574 هـ - 1178 م ويوسف ابن تاشفين هو اشهر فتح تلمسان سنة 572 هـ - 1176 م وفتح الاندلس وغيرها
- (5) صوابه تينعمر كما جاء في مراجع مختلفة (6) المنصور هو الملك سنة 498 هـ - 1104 م

بجنوده ، فانهزم تاشفين ولجا الى جبل الصخرة ، وعاشت عساكر المنصور بتلمسان ، فخرجت اليه حواء زوجة تاشفين امرهم متوسلة له بوسايل القرابة الصنهاجية التي بينهم ، فأكرم مئاها ، ورجع الى القلعة ، وقدم على المنصور معز الدولة بن صمادح من المرية ، لما هلك الاندلس يوسف ابن تاشفين فاقطعه دلس ، وانزله بها ، ولما هلك سنة ثمان وتسعين واربعمئة ولى ابنه باديس ، وكان عظيم البطش ، شديد الباس ، ثم ولى اخوه العزيز 7 وتزوج بنت ماخوخ ، وطال امد ملكه ، وكان العلماء يتناظرون في مجلسه ، ونزلت جربة على حكمه ، وتونس ، وسكنت العرب في ايامه القلعة ، وفي ايامه وصل المهدي بن تومرت الى بجاية قافلا من المشرق سنة اثنتى عشرة وخمسمائة ، وغير المنكر بها ، فسعى به عند العزيز فخرج الى بنى ورياكل ، وقام فيهم يدرس العلم ، وطلبه العزيز فمتعوه ، وقاتلوا دونه الى ان رحل الى المغرب ، وهلك العزيز سنة خمسة عشر وخمسمائة ، فولى بعده ابنه يحيى وهو الذى اتخذ السكة من ملوكهم ، وكان ديناراه مكتوبا فيه ثلاثة أسطر ودائرة في كل وجه ، فدائرة الوجه الواحد : واثقوا يوما ترجعون فيه الى الله الى لا يظلمون ، والسطور لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، يعتصم بحبل الله : يحيى بن العزيز بالله الامير المنصور ، ودائرة الوجه الاخر بعد البسلة ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث واربعين

وخمسمائة ، وفي سطوره الامام المقتنى لامر الله ابو عبد الله امير المؤمنين العباس وكان مشغلا باللهو والصيد والنساء ، لما ادبرت الايام عن قبائل صنهاجة ، وكان عامله على الجزائر اخوه القايد بن العزيز بن المنصور ولما فشل ربح بنى عمه اولاد باديس بأفريقية وضايقتهم جرجيس بن منحايل (8) أحد رؤساء الكفرة (حكام صقلية) بعث يحيى بالاساطيل في البحر ، واتى بالحسن آخر ملوك افريقية من بنى عمه ، وانزله بالجزائر مع اخيه القايد وسبب غزو الكفرة لثغره ان على بن يوسف بن تاشفين أغزى محمد بن ميمون صقلية وفتح قرية منها وسبأ أهلها فلم يشك طاغيتهم روجار أن ذلك باملاء الحسن ، فجهز ثلاثمائة مركب وأمر عليها جرجيس المذكور ، وفيهم عدد كثير من النصرانية فيهم ألف فارس فملكوا قصر الدماس ثم رجعوا الى صقلية بعد أن استحر القتل فيهم ، ولما زحف الموحدون للجزائر فر منها القايد أخو يحيى فقدم أهل الجزائر الحسن المذكور على أنفسهم ، ولقى عبد المؤمن فأمّنهم ، وصبح ببجاية من الغد ، فزحف اليه يحيى ، فانهزم وملك عبد المؤمن ببجاية ، وذهب يحيى الى اخيه الحارث ببونة لما لم يجد السبيل الى بغداد ، ثم ذهب الى قسنطينة ، فنزل على اخيه الحسن فخطى له الامر ، ثم بايع يحيى لعبد المؤمن سنة سبع واربعين 9 ، ونقله الى مراکش فسكنها ، ثم انتقل الى سلا فسكن قصر بنى عشر (10) وهو آخر ملوك صنهاجة بالقلعة

(7) الامر العزيز بولى الملك سنة 498 هـ - 1104 م توفي سنة 515 هـ - 1211 م
(8) يعنى به القايد النوماذى بصقلية وقد استطاع ان يحتل شواطئ تونس ومنها مدينة المهدية
(9) يعنى سنة 527 هـ - 1152 م
(10) هكذا ورد في الاصل مطبوسا

أبوراس العسكري وتاريخ مدينة الجزائر

« صل أمير المؤمنين فا : نت أحق بها في العالمين » ،
فأبى عن ذلك إلى آخر دولته ، ودخلت الجزائر في
ملكه ، وتلمسان والزاب وغيرهم ، وتداولها بنوه إلى
أن تضعفوا وشردهم الداعي بن أبي عمارة
وبسببه افتقرت كلمتهم كما هو شأن الدنيا .

الجزائر تحت حكم بني عبد الواد

وطمع في الجزائر بنو عبد الواد
فغزاهم السلطان أبو حمو
موسى (12) بن عثمان بن يغمراسن من أعيان ملوكهم
لما سمع بأبن علان تغلب عليها في حدود سنة خمسة
وسبعمائة ولما خلاله الجوفتنة محمد ابن أبي عسيده
سلطان تونس ، وأبى زكرياء الأوسط سلطان بجاية
فأخذها منه في سنة إحدى عشر وسبعمائة على يد
قائد حروبه ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن
وكان ذلك أي أخذها أيام السلطان أبي اللحيان من
ملوك تونس ، ولما حضر يوسف بن يعقوب المريني
تلمسان في القرن الثامن ، كان أبو زكرياء صاحب
بجاية مظاهرا لعثمان بن يغمراسن والسلطان محمد
بن أبي عسيده سلطان تونس وتلميذ ومحضون
الولى الصالح أبي محمد المرجاني في حصار تلمسان
(13) فبعث لهم كتاب بنى مرين ، فأوقع بهم وهزمهم
ثم إن أبا عسيده صاحب تونس ، بعث إلى يوسف
يغريه بغزو بجاية فسرح يوسف العساكر لنظر أخيه
أبى يحيى . فضايقوا بجاية وعاثوا في تلك الجهات ،
ثم انقلبوا إلى يوسف ، وهو معسكر على تلمسان
وفي سنة ثلاث وسبعمائة أرسل محمد بن أبي عسيده
هدية ضخمة إلى يوسف أغرب فيها بسرج وسيف

وبجاية والجزائر ، وانقطع ملكهم إلى الآن ، بل
عفارسمهم ، وخمل ذكرهم ، وانغمروا في الناس
فلا يعرفون وكذا بنو عجم ملوك أفريقية .
غريبة :

غريبة ولم سعى هذا القصر بسلا قصر بنى
العشرة أن المرأة وضعت عشرة أولاد ببطن واحد ،
فجعلهم أبوهم على مائدة ، وذهب بهم إلى الأمير
فأعطاهم ألف دينار ، يبنى لهم أبوهم عشرة دورا .
انظر بعض شروح الفرائض ولما كان زمن السلطان
البناني لهم الدور فيه ، تناقض مع زمن سكنى يحيى
بها لم نذكره ، والله أعلم .

الجزائر تحت حكم الموحدين

ثم انتظمت الجزائر في ملك الموحدين ١١
كفبرها من المغربين بل والمغرب
الأدنى أيضا ، لأنهم ملأوا طرابلس مرات وتونس
أكثر أيامهم ، وأول خلفائهم ، ثم لما ركذ ريحهم ،
ودخل الهرم دولتهم سنة الله التي قد خلت من قبل
استقل أبو زكرياء الحفصي من الموحدين بولايته
أفريقية لما بلغه أن المأمون أحد ملوك بنى عبد المؤمن
غير معالم شيخهم المهدي ، وغير ضرب الدرهم المربع
الذى يعرف عندنا بالدرهم المؤمنى الذى هو مكتوب فيه
كما هو مشاهد إلى الآن : الله ربنا ومحمد نبينا
والمهدي أماننا ، وقطع اسمهم من الخطبة وأثبت
ذكره بعد ذكر الإمام المهدي بن تومرت مقتصرًا على
لفظ الأمير فقط ، ورفع إليه بعض شعرائه بيتا وهو

- (11) قام لك الموحدين سنة 515 وسقطت دولتهم 668 هـ - 1269 م
(12) تولى أبو حمو موسى الأول الملك سنة 707 هـ - وقتل سنة
مارونة وتأسيس مدينة آقبو (تاريخ الجزائر لليلى م ص 261)
(13) العبارة فيها غموض ويريد بها أبو رأس أن أبا زكرياء كان مواليا
فتحها

وتحفظ به في مرضه وقام بهرونته ، وجعله فوق اعداء نمشه ، وبعثه الى السلطان ابي عنان ابنه ، فلقى النعش باكيا راجلا حافيا منكبا من مصيبتة ، وهو يقبل الارض بين يدي جنازته ، وعفا عن عبد العزيز واحسن اليه فكان له بعد ذلك يد عليه . ثم ان ابا عنان لما استقام له المغرب زحف الى تلمسان ففتك بهم واستلحهم حتى كاد ان يستاصلهم وذلك في سنة ثلاث وخمسين من القرن الثامن (753 هـ - 1352 م) واستولى على المغرب الاوسط ، فكانت الجزائر له طوع اليد وولى عليها عاملا ، وبعث الى ابي عبد الله الذي ملك بجاية من الحفصيين يقيم الرصد على بني عبد الواد ، فبعث العيون ، فعمثوا على محمد بن سلطانهم ابي سعيد بن عثمان بن عبد الرحمان ، وعلى ابي ثابت اخيه ، وعلى وزيرهم ابن داوود فاوثقهم ، ثم بعث بهم الى ابي عنان فسالوا عن ابي ثابت بعد قتل ابي سعيد ليميزوه من يحيى بن داوود ، لعدم معرفتهم له فقال الوزير انا ابو ثابت وهذا يحيى فقتلوا الوزير (14) وخلوا عن ابي ثابت فجاد يحيى بنفسه لنجاة الامر ، وهذا امر غريب لم اطلع على مثله الا في قضية كعب بن اماسة لما اثر بالماء غيره ، ومات عطشا وبقيت تلمسان خرابا مدة سنين ، وكان رجل يقال له موسى بن صالح مشهور بالكهانة عنده علم من الحدثنان يقال ان تلمسان يحرثها غلام اسود على ثور اسود فحرثت على هذه الصفة بسبب هذه الواقعة سنة ستين او احدى وستين (15) وكانت هذه تلمسان الجديدة يقال لها تكرارت ومعناها المعسكر ، لان عسكر يوسف بن

ومهازم مرصعة بالياقوت والجوهر ، مع رئيس الموحدين ابي عبد الله بن اكمازين ، ورجع بهدية ضخمة من عند يوسف بن يعقوب ، كان من جملتها ثلاثمائة بغل . وفي أيام ابن ابي عصيدة قتل علماء تونس هداك بن الكموب بسبب اهانتة المسجد ، فانه دخله بأخفائه فقتل له في ذلك ، فقال هكذا والله دخلت بها على السلاطين ، فقتل في بعض زقاق تونس بأمر ابي عصيدة ، وقد ذكره الوئشريس في كتابه المعيار قلت وهداك هذا هو ابن عبيد بن احمد ابن كعب من بطون سليم ، وقومته يقال لهم الكموب مشهورون بأرض افريقية ، وهو اذ ذاك سيدهم واستمرت الجزائر في طاعة بني عبد الواد ملوك تلمسان من سنة احدى عشر الى ان استولى ابو الحسن المريني عليها ، وعلى افريقية وطرابلس سنة ثمان واربعين وسبعماية ، وكان دوح تلمسان قبل ذلك فكانت لدولته اذل ، ولامره اطوع . ولما جرت بابي الحسن الواقعة المشهورة بالقروان (739 هـ) ، واستقل ابنه ابو عثمان فارس بملك المغرب راجع بنو عبد الواد ملكهم ، واستقلت قدمهم بعد عثمان . وقد دخل ابو الحسن الجزائر ، وجمع جموعا وزحف لتلمسان ، وكان المصاف للقتال بتاسالة فكانت على ابي الحسن . وقتل ابنه الناصر ، وخلصه وانزمار السويدي الى جبل المصامدة بازاء مراكش . وتزاحف مع ابنه ابي عنسان حتى مرض ومات سنة اثنين وخمسين وسبعماية (752 هـ - 1351 م) في جبل عبد العزيز بن محمد الهنتاقي الذي اجاره وناصره وقاتل معه ولده ، وكان عنده في غاية الرقعة ،

(14) هذا خبر غريب يخالف لما هو معروف من ان ابا ثابت عرف واخذ وقتل ولم يقتل احد مكانه

(15) ان تخريب تلمسان على يد ابي عنان انما كان عقب احتلاله لها سنة 753 هـ ومات قبل سنة 760 هـ وابا ما اثبتة هنا ابو راس فهو منه

ابوراس العسكري وتاريخ مدينة الجزائر

ظلمهم لا سيما وقد أخذت من أعمالهم وهران يومئذ وكان بذلك العصر في تلك الأرض علماء اعلام وفقهاء عظام منهم من ذكرنا وغيرهم كالامام المغبلى المدفون بطلسمان والونشريس صاب المعيار المدفون بفاس وابى عبد الله المغراوى وقد بنى له بجافة شلف قبتان وقبلهم من اهل التاسع سيدى احمد المريض مستوطن احد مداشر وانشريس وكان معاصرا لابن عرفه وقبله من اهل السابع ابو العباس احمد الملبانى كان صاحب فقه ورواية وقد ذكره في المعيار وكذا ذكره صاحب الدرر وقد انتهت اليه في عصره رئاسة الشورى بالمغرب الاوسط وكان ابنه ابو على خلو من ذلك منهمكا في الرئاسة فلما رأى فتن مغراوة مع يغمراسن استولى على مليانة وبويع له بها فجهز اليه المنتصر سلطان تونس جيشا لنظر اخيه الامير ففتح مليانة عنوة ، وفر ابو على للعطاف ، وعقد لبنى منديل على مليانة وقد كان قبلهم بنوورسيغن منهم مسكنهم البادية والامام المازونى المذكور هو الذى جعل كتابا في نسائب (18) قبائل اهل المغرب الاوسط ، وقد ذكر فيه ان الحال اهل البطحاء من هلال ، كما قال ابن خلدون وان الذين يقال لهم المضارب كبنى دقيش وبنى حميرة العبد ، وبنى هداج من بنى مخزوم ، من ذرية صمصعة بن حارثة ومن ذرية هشام بن اسماعيل المخزومى وقد اجمل ابن خلدون والمشاهد الان من اقرار الحال

تاشفين نزل هناك ، وقد بنى لهم موضع مشور ابو حمو المشهور الى الان قصار اهل المدينة ينتقلون حتى دثرت القديمة بسبب انشاء الجديدة ، ولما مات ابو عنان عادت دولة بنى زيان بمجد ملكهم وواسطة عقدهم السلطان ابى ثابت المتقدم وراجع ملكه . ومن جملته الجزائر والحاصل ان الجزائر كان ملوك تلمسان ، وملوك افريقية يتداولون عليها ، فتكون لمن غلب عليها ومرة يتغلب عليها بعض مشايخها الى ان دخلها ملوك الاتراك سنة خمسة عشر وتسعمائة (915 هـ)

داخل الفقيه الاعظم العلامة الاكرم سيدى احمد بن القاضى احد اباء المغارسة ملوك الزيانيين بطلسمان في شأنه وأشار اليهم بحرمه ومناجزته وكان هذا العالم من اهل مجاجة (16) وقد ذكر صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة في نوازل النكاح وما يتعلق به وبنوه واخوته وقومه وهم الذين آووا — الشيخ على ابلول الوطاسى واخذوا عنه العلم الظاهر والباطن ووقفوا عليه الاوقاف وبعد موته رضى الله عنه خلفه ابنه الشيخ محمد بن على والشيخ ابو على فكان الشيخ عبد الرحمان بن عبد القادر صاحب المغارسة احد تلامذتهما نفعنا الله بهم اجمعين ، فكان الشيخ من اكابر رؤساء تلك الارض واكثر اغراء (17) بنى زيان بخير الدين فلم ينجح له شيء لان امر بنى زيان قد ولى الادبار وضعف ملكهم وتقلص

(16) هناك من يذهب الى ان احمد بن القاضى المميز هو الذى ينتسب الى جرجرة وكانت له امارة بكوكو القريبة من عين الحمام اوميشلى

(17) هكذا بالاصل ولعل صوابه واكثر غزو لبني زيان (17) بياض بالاصل

(18) هكذا بالاصل والاصوب انسحاب بدل نسائب

بالنصارى الى اسحاق بالقلعة ، ورموا عليها من البراق ولما علم اهلها قوة العدو وضعفهم صالحوه على تسليم البلد ، ثم لما خرجوا غدروا بهم وقتل اسحاق وقال العلامة الصباغ وكان أبى ممن قتل يومئذ ، ثم زحف بالنصارى لتلمسان لحصار عروج ، فلما طال امر الحصار عليه خرج بمن معه من الجيش والبطانة راضيا من الغنيمة بالسلامة ، فلحقوه بجبل بنى موسى ، وقتلوه ، ومن معه يوم عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وتسعمائة (935 هـ — 1528 م) بعد ما ملكها نحو السنة ، وقيل ان عروج لما دخل تلمسان وعاش بها ثاروا (19) عليه اهل البلد واخرجوه منها ، وخافوا من عودته ففرعوا الى ولى الله ابن ملوكة فدعا عليه ، فهلك بجبل بنى ورند والله اعلم ، ورايت في بعض فتوحات الجزائر ان خير الدين دخل تلمسان مرتين مرة لما استعمل عليها اخاه ومرة بعد موته ، وقد عمل بها حامية من الاتراك في المرة الثانية ، فهي باقية الى الان فاذهب ففتنها ، وحسم داءها فلم يعد ، ثم ان خير الدين شمر للدافعة عن الجزائر في البر والبحر ، وقد كانت المرسى اذ ذاك للاسبانيين من جزر الكفرة ، وكان لهم بها حصن هو الذى فيه الفنار الان ، وكانوا مدتهم مع المسلمين بين نفرة واستقامة ، وصلح وغدر ، وكان حصنهم يدور به الماء من البحر ، واما الطريق التى به الان فانها عملتها الاتراك ويذكر ان بنى مزغنة قبل بناء بلكين بن زيرى الجزائر كانوا يؤدون الخراج لاهل البرج (20) وكذا اكثر متيجة ، فلما بناها بلكين الصنهاجى وحصنها بالاسوار وانزل

للضارب بالسيادة والتعليم والتسليم لهم يشهد للمازونى ، وقد كان قبل ثلاثى امرهم وركود ريجهم لا يزوجون بناتهم للمحال مع ان الحال لا يتوهمون ذلك ، ولا يطمعون فيه ، تعظيما لهم وقد اخذ ذلك عن آبائهم ومن المضارب نفر قبيلة الشكالة ونفر باولاد فارس ونفر باولاد سلى وكلهم درس ذكرهم ، وعفت مراسيمهم وقد يقال ان الولى الصالح سيدى الناصر بن عبد الرحمان المدفون بالصحراء بالواد المشهور من بنى مخزوم والله اعلم بذلك ، ولنرجع الى ما خرجنا عنه . ثم ان خير الدين نافسه ايضا محمد بن على من رؤساء عرب افريقية ، وسعى به الى ملوك بنى حفص بتونس ، وكانت بينهم حروب يقال ان محمد بن على هلك فيها ، ثم ان اهل المغرب الاوسط وفدوا على خير الدين واتوا به الى ارضهم فاستعمل في طريقه على قلعة بنى راشد اخاه اسحاق ولما دخل تلمسان استعمل عليها اخاه عروج ، ثم بعد منصرمه تعصب المسعود من ملوك تلمسان بجيش عظيم وخطب على منبر الجامع الاعظم ، وذكر شان ملك الجزائر ، ورغب الناس في ملك آل عبد الواد ، وهجموا على عروج فاخرجوه منهم ، ثم زحف اليهم بمن معه ، وكان شديد اليأس فدخل تلمسان عنوة وقتل سبعة من المترشحين للملك من بنى زيان ، ونحو الستين من بنى عهم اولاد عبد الواد ، واكثر من الف من اهل البلد ، وعاش في تلمسان ، ثم سكنت الفتنة ، ولما راي المسعود استقامة عروج بتلمسان ، دخل وهران فزحف

(19) هكذا بالاصل على اللغة المبرجوة

(20) يبدو ان في هذا مبالغة لان هذا المبرج انما بنى قبل مجيء الاتراك بسنوات قليلة

أبواب العسكرية وتاريخ مدينة الجزائر

كثيستها العظمى ، وقد كان المسلمون أخذوها قبل ذلك في خلافة عمر ، ثم رجع لها النصارى بعد ذلك أول خلافة عثمان ، فأخرجوا منها أيضا وحلف عمر بن العاص ليعتزلها كبيت الزانية توتى من كل جهة فلما سمع قسطنطين بهدم حصونها غزاها في ألف مركب في الشتاء فأغرقتهم الريح كلهم إلا مركبة نجا الصقلية ، فادخلوه الحمام ووثبوا عليه ، فمقتلوه جزاء له على فعله وغزوه في ذلك الفصل وغزا أيضا الاتكليز في أيام رمضان باشا في ثلاث وعشرين مركبا عظاما قرموها بالبونية فلم تقدر شيئا وذلك سنة احدى وسبعين وألف . وغزاها الفرنسيون سنة ثلاث وتسعين وألف (1093 هـ - 1682 م) في خمسة وعشرين مركبا في ولاية حسن باشا ، ورموها بالبونية فهدموا أكثر دورها ، وبعض مساجدها ، وكذا رموا على شرشال واقتنص المسلمون مركبا لهم فيه جيلة من اكابرهم ففرحوا بذلك فرحا شديدا ورجع الكثرة بلا نائل ، ولم يحصلوا منها على طائل ، ثم غزاها أيضا الفرنسيون في العام الذى بعده في أيام الباشا المذكور في زهاء ثمانين مركبا ورموا بالبونية في ثالث الايام من قدومهم ، فانت قدره بونبة بدار الامارة فضاعت مذهبهم ، وصالحهم من ساعته على أن يسرح لهم الاسارى بلا مشورة أحد من اهل دولته وعلى أن يبذل لهم ما صرفوه في تلك الغزوة ، ورجع اعداء الله مسرورين ، وبعد ذلك بيسر قتله الاتراك وولوا حسن باشا ، وكان قبل الامارة يعرف حسن راييس فبعث للعين من ساعته ابعث اسارى المسلمين ان شئت تمام الصلح ، على ان لا شيء لك فلما سمع اللعين غزاها من عامه فهدم منها نحو

بها الجيوش انتصرت النصارى على عادتهم ، ورضوا بدل الخراج بالبيع والشراء معهم ، ولم يزل خير الدين يخاصره ويقاقله ، ويعالجه ، الى ان فتحه سنة ثمان واربعين وتسعمائة (948 هـ - 1541 م) وقطع طمع بنى زيان من تلمسان سنة ستة وخمسين ، وقد رايت في بعض فتوحات الجزائر في سيرة خير الدين الاولى سنة خمس عشرة من العاشر ، وبنى لها السور سنة اربع وعشرين منه (924 هـ) وانظر قوله بنى السور مع ما مر لنا ان يحيى ابن غانية طلب منديل ابن عبد الرحمان على سور الجزائر أول القرن السادس ، ولعله السور الثانى ، او ان خير الدين رم الاول والله اعلم .

هذا وقد كان النصارى من كل جنس يغزونها قديما والحرب بيننا عليها مستديما ، وأول غزو النصارى لها بعد استيلاء الاتراك عليها سنة خمس وعشرين وتسعمائة (925 هـ - 1519) في ثلاثمائة وعشرين جفنا ، فهزمهم الله بعد ما قتل منهم خلق كثير يزيد على عشرة الاف وغزوها مرة أخرى أيام خير الدين أيضا فهزمهم الله ، واسر المسلمون منهم نحو الثلاثة الاف ثم غزاها الطاغية بنفسه لما استولى المسلمون على برج المرسى وذلك سنة ثمان واربعين (948 هـ - 1541 م) كما مر في زهاء سبعمائة سفينة فبعث الله ريحا كسرت مراكبهم ، ومن خرج منهم للبر قتل ، حتى أن الطاغية رجع في اثني عشر مركبا وكل هذا أيام خير الدين رحمه الله ، وله لقبان الاول باشا كما هو المعروف في نواب العثمانى على الاقطار والثانى دولاتلى ونظير هذه الغزوة غزوة قسطنطين ابن هرقل لما اخذت اسكندرية واستولى المسلمون على

مفاخر دولته ، وذكر له آخر الايام . ثم غزاها الاسبانويون ايضا سنة سبع وتسعين (1199 هـ - 1784 م) مهدموا بالبونية أزيد من مائتي دار ، وطلبوا الصلح فلم يجابوا ، ورجعوا خائبين ثم غزاها ايضا السنة التي بعدها ، فزحف لهم المسلمون في البحر وردوهم على اعقابهم فرجعوا بلا طائل ، ثم جاؤوا سنة تسع وتسعين أي من هذا القرن طالبين للصلح في الحال ، باذلين القناطير من الاموال راضين بدخولها للتجارة لما ايسوا من الظفر وقدموا في ذلك علة من بيوتاتهم على عادتهم الذميمة لعنهم الله فاجرم الصلح بينهم وبين المسلمين وكل ذلك أيام محمد دولتي ومات رحمه الله سنة خمس ومائتين والف (1205 هـ - 1790 م) أيام السلطان سليم بن السلطان مصطفى العثماني .

الثلاثمائة دار ، واستشهد فيها نحو الاربعين ، ثم رجع عدو الله من غير طائل ، ثم غزاها الاسبانويون سنة تسع ومائتين والف (1189 هـ - 1778 م) في ولاية محمد باشا ، وخرجوا ازاء الحراش في البر وجعلوا ترسا من حطب ولوح وغير ذلك ، واوقدوا نار الحرب وباتوا ليلتهم في موضعهم ، فلما كان قبيل الفجر صبيحة يوم الاحد هزمهم الله ومات منهم ما لا يحصى عددهم الا الله تعالى . ورجعوا خائبين ولم ينالوا خيرا واستشهد من المسلمين نحو اربعمائة حفر لهم مقبرة بازاء عين الربط 27 وقد اتوا الغزوة في خمسمائة مركب وبقيت عظامهم ماثلة في رمال الحراش اعصارا وقد حضر هذه الوقعة المنصور بالله ابو الفتوحات سيدى محمد بن عثمان باى معسكر فظهر من اقدامه واعتناؤه مقامات تعد من

(21) عين الربط هي تقريبا ميدان المناورات وما يتصل بها





مدينة مليانة عبر العصور

مدينة

مليانة

عبر العصور

القسم الاول الى نهاية القرن 18 م

ان موقع هذه المدينة الشهيرة في قلب المغرب الاوسط وتأسيسها بين اهم عواصمه ووجودها من بين ثغور بعض الامارات ، يمكن تبرعت فيه الطبيعة بكل ما يحلم به القاطن والمزائر من مياه وزرع وضرع وفواكه وخضر ... كل هذا جعل منذ فجر التاريخ ، مليانة تلعب دورا سياسيا وعلميا وتجاريا رغبت الكثير من الملوك والامراء في امتلاكها . فلا يخلو عصر من عصور بلادنا الا وتصدت فيه التاريخ عنها .

• مولاي باحمدي

وننتهز فرصة الاحتفال السعيد بمرور الف سنة على تأسيس هذه المدينة لنقدم لقراء « الاصاله » مع كثير من الايجاز اهم الحوادث والاخبار في مختلف العصور التي مرت على هذه البلدة .

(1) - « مليانة » وحقيقة اسمها

اختلف المؤرخون والجغرافيون من مسلمين وغربيين في تسمية المدينة .

فقد سماها المؤرخ الاسباني مارمول Marmol « مليان » (1) Miliane وقال انها كانت تسمى قديما « منيانية » Magnana وأما الانكليزي شاو Shaw فانه يقول : منيانية Maniana ومليانة Maliana وذلك بناء على النطق المحلي (2) وجاء في معجم البلدان لياقوت مايلي : « مليانة (بالكسر ثم السكون وياء تحتها نقطتان خفيفة وبعد الالف نون) هي مدينة في آخر افريقية بينها وبين تنس (!) أربعة أيام » (3) .

ويدعى بعض العارفين من سكان الناحية ان « مليانة » مشتقة من « ملانة » لها في الناحية من خيرات .. ويقول ر . باسى R. Basset : اذا اعتبرنا ان أحد « القصور » بتوات يسمى بمليانة مثل فرقة المحالي فاننا لا نقبل الكلمة الاتينية « مليانة Maliana كتسمية أولى لهذه المدينة .

وبما أن بلكين بن زيري ، مؤسس مليانة كان من صنهاجة فانه من المحتمل أن قبيلة مليانة من بني هندل هي أيضا من صنهاجة استوطنت الوئشرس أيام بلكين .. مثلما استمدت مدينة المدية اسمها من قبيلة صنهاجة تعرف بالمدية . (4)

الموقع الجغرافي

تقع مليانة عرش العقاب في منطقة مرتفعة بين خطي : طول 0 درجة 7 دقائق ، غربا وعرض : 36 درجة 18 دقيقة . وعلى ارتفاع يتراوح بين 726 و749 م .

تقع المدينة غرب الدائرة التي تسمى باسمها وهي دائرة مليانة ، التي تبعد عن الاصلام 99 كلم . وعن العاصمة 120 كلم بحيث تقع في الجنوب الغربي منها . تبلغ مساحة المدينة 23773 هكتارا . ويحيط بها مجموعة من الجبال : كجبال زكار الشرقي والغربي اللذين يبلغ أعلى ارتفاع فيهما 1579 م ويطلان على المدينة . أما من الجنوب فيربطهما مضيق صغير . وتطل من الشرق والجنوب على وادي شلف . لها جو معتدل وتجرى فيها مياه كثيرة وعذبة تديم اخضرار الناحية وهي محاطة بالحدائق الغناء وتنبني أهميتها اليوم على موقعها الاقتصادي والفلاحي حيث انها تحتوى على سوق كبير ومناجم وبها مزار الولي الصالح سدى أحمد بن يوسف .

وقال الكتاب القدماء انها تقع على بعد ميلا من مدينة سرجال (شرشال) في داخل البلاد . وعلى بعد 14 ميل من الجزائر نحو الغرب . أما بتوليمى (Ptolémée) فقد وضعها في خطي طول 15 درجة 50 دقيقة وعرض 28 درجة 50 دقيقة . (5)

أما الرحالة شاو فيقول انها تقع على سفح هذه

(1) مارمول : وصف الفريفة ج 2 ص 396 - 397

(2) الاسد الافريقى وصف الفريفة ج 2 ص 345 ، وشاو : اسفار

(3) ياقوت الحموى : معجم البلدان ج 7 ص 155

(4) ر . باسى

(5) مارمول : نفس المرجع

Travels ص 282 - 284

R. BASSET : étude sur la sénatia de l'Ouarsenia et du Maghreb Central. Paris 1895 P. 2.



تنسب هذه الدار ليلكن بن زكري مؤسس مدينة مليانة وقد أجريت عليها تعديلات



الصهاريج التي بناها في بداية الأمر يلكين لاجابات حيله وهي اليوم مسجع للاطفال



من المصامر : تهاطل الاطوار المدنية ونظر ابن العباس احمد الليثاني

الجبال وعلى ارتفاع 400 تواز (toises) فوق (1)
السهل وتبعد بميلين من ناحية الشرق والشمال
الشرقي من مدينة الأربعاء .

مليانة عبر العصر

ما قبل الاسلام

اجمع معظم المؤرخين على ان المدينة قديمة
ازلية (2) « رومية فيها ابار وانهار تطحن عليها
الرحى » (3) وفيها آثار . وذكر كورتوا (Courtois)
انها من اكبر مدن موريطانية القيصرية على هضبة
تطل على وادي شلف وتحتل اخصب اراضي الناحية
يسقيها واد بوتان (Butane) ويضيفون انها شيدت
على انقاض المدينة الرومية المعروفة بزوكبار Zuchabar
التي ظلت آثارها واقفة حتى عصر البكري .
وشاهد الرحالة الانكليزي شاو كثيرا من اطلالها
في القرنين 17 و 18 ميلادي . « يوجد حاليا بمليانة
بقايا من المعمار الروماني وشاهدت على بعض
اسوارها الحديثة نصبا تذكاريًا عليه كتابات تلقي
أضواء جديدة ترجح أن حفيد هذا القائد العظيم
بومبي (Pompée) وابن حفيده مد فونان في مليانة
« وهذا ما جاء على اللوحة :

Q. POMPEIO
C.N.F. QUIRIT CLEMENTI LA...
DUUR EX TESTAMENTO
Q. POMPEO F. QUIA. ROGETI FATRIS SUI
(1) MABRA POSUIT
POMPEIO Q. P.

(1) تواز - مقياس يساوي ستة اقدام مقياس الطول للانسان -
(2) ابن حوقل : كتاب صورة الارض ج 1 ص 90
(3) ياقوت : نفس المرجع - البكري : المغرب

الذكرى الالفية لتأسيس مدينة مليانة



توفي سيدى أحمد بن يوسف بمليانة ودفن بها
وذلك حوالي 931 هـ ، وفي القرن الثامن عشر أمر
الباي محمد الكبير باى وهران ببناء الضريح والزاوية
كما تبدل على ذلك مجموع الصور هاته

العهد الاسلامى

اليها العلماء والتجار من القاصية . وحين نازل ابا
اسماعيل المنصور ابا يزيد لقلعة كتامة جاءه زيرى
في قومه ومن انضم اليه من حشود البربر ، وعظمت
نكايته في العدو وكان الفتح . وصحبه المنصور الى
أن انصرف من المغرب ووصله بصلات سنية . وعقد
له على قومه واذن له فى اتخاذ القصور والمنازل
والحمامات بمدينة اشير . وعقد له على تاهرت
واعمالها .

وان كانت مليانة مدينة قديمة فان اهميتها الحقيقية
قد برزت فى العهد الاسلامى عند ما اختطها بولكين
ابن زيرى بن مناد (I) وفى ذلك قال ابن خلدون :
« واخط (زيرى) مدينة اشير للتحصن بها سفح الجبل
المسمى تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حصين وحصنها
بأمر المنصور ، وكانت من أعظم مدن المغرب .
واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمر انها ، ورحل

(1) بلكين بن زيرى بن مناد من اشهر امراء صنهاجة فى خدمة الفاطميين قضى حياته كلها فى معاربة زناتة بالمغرب الاوسط حتى
اقصاهم عن البلاد واستولى على المسيلة والزاب وكما استولى على فاس وسجلماسة وهزم برغوانة حتى واثاه الاجل وهو فى طريق
العودة 373 - 984



مليانة : من بقايا مسجد البطحا، الذي أسس في بداية العهد التركي ، والذي خربه الجنرال ليشار سنة 1844

مرموقا في الزراعة والتجارة مما جعل الشريف الادريسي يقول : « وهى مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير عليه عمارات متصلة وكروم وبها من السفرجل كل بديع ولها سوق وحمام وسوقها يجتمع اليه اهل الناحية » (4) .

وتواصل ازدهارها وكثرت الثروة وتردد عليها الرحالون فأجمعوا على محاسن الموقع وكثرة المياه ورخاء العيش « ومن بين اخبارها في ذلك العهد ما قاله صاحب كتاب الاستبصار وهى مدينة حصينة فى سفح جبل يسمى زكار وشعار هذا الجبل كله ريحان وينبعث من هذا الجبل عين خراة عظيمة تطحن عليها الارحية لقوتها ولمدينة مليانة مياه سائحة وانهار وبساتين فيها جميع الفواكه وهى من اخصب بلاد افريقية وأرخصها اسعارا . ومدينة مليانة مشرفة

ثم اختط ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعودة الشرقية من شلف ومدينة لدونة . وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من اعظم مدن المغرب الاوسط (1) . ولعل ابن خلدون يقصد التوسيع والتعديل والتجديد بحيث أصبحت المدينة من امصار المغرب . قال ابو عبيد البكرى « جددها زيرى بن مناد واسكنها ابنه بلجين وهى عامرة ومنها الى مدينة الخضراء .

وهى اولية شريفة .. وهى مشرفة على جميع ذلك الفحص الذى فيه بنوواريفن (2) وهى عامرة أهلة على نهر ولها آبار عذبة وسوق جامعة ومنها الى مدينة اشير .. » (3) .

وعرفت مليانة فى العهد الزيرى خاصة ازدهارا

(1) ابن خلدون : كتاب المغرب ج 6 ص 313 طبعة بيروت

(2) فى ملتقى وادى الفضة ونهر شلف شرقى الاصنام

(3) البكرى : كتاب المغرب فى ذكر بلاد البريقة والمغرب طبعة ومدكرى او متغرى Medkara ou Metghara شى واحد

4. الشريف الادريسي : نزعة المشتاق فى اخترا. الافاق

دوسلان ضى 61 و 69 - مضيافا ان اليقوبى وفورنال ان مليانة

كانت مليانة طيلة قرنين كاملين موضوع نزاع وسبب حروب بين الحفصيين والزيبانيين وبنى مرين وكانت الضغائن بين مرين وبنى عبد الواد قديمة ناشئة عن الجوار في الموطن ثم الملك وعن المنافسة في الاستقلال برياسة زناتة .

فلما احتضر يغمراسن اوصى خلفه بمسالمة مرين ... ولكن مرين لا يرضيها مقاسمة بنى عبد الواد رئاسة زناتة فكانت تتجنى عليهم وكانت ايام السلم بينهما هي ايام اشتغالهما بقتن داخلية .

ففى القرن الثالث عشر تولى ابو محمد عبد الله الحفصى قيادة الناحية الشرقية واستقر في تونس ومنها واصل الحرب ضد يحيى بن غانية في منتصف سنة 624 هـ / 1227 م ثم انتقل الى مليانة مقر بن غانية وطرده منها فاضطر يحيى الى الفرار بعيدا الى ان وصل الى سجلماسة غير انه عاد الى مليانة سنة 633 هـ / 1237 م فتوفى في ضواحيها .

ولما استوثق الملك بتلمسان ليغمراسن بن زيان واستفحل سلطانه بها طمع في التغلب على امصار المغرب الاوسط فزاحم بنى توجين وبنى منديل فاستغاثوا ببني حفص . فنهض ابو زكرياء الحفصى وغزا تلمسان وتوقف بمليانة ففقد للعباس بن منديل على مغراوة . فمعد العباس السلم مع يغمراسن ولما توفى العباس قام بالامر بعده اخوه محمد ابن منديل فصلحت الحال بينه وبين صاحب تلمسان ونفر معه بمغراوة الى غزو المغرب سنة كلدمان .

على فحوص واسعة وقرى كثيرة عامرة ومزارع واسعة وحولها قبائل كثيرة من البربر ويشق تلك الفحوص نهر شلف وهو نهر كبير مشهور (1) .

الصراع بين الموحدين وبنى غانية فى القرن 12 م

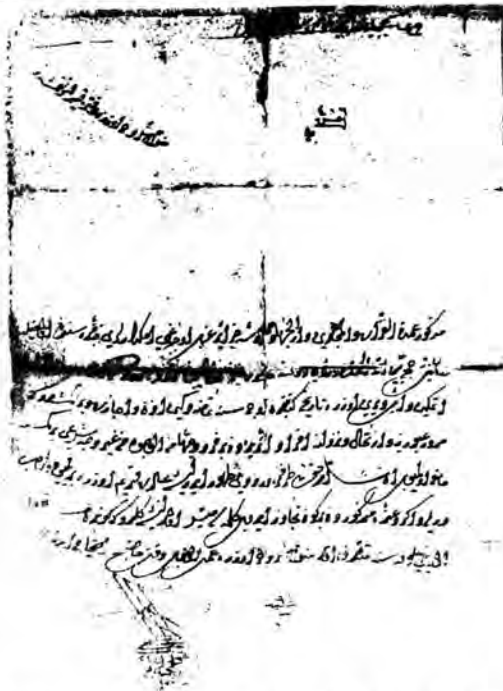
عند ما سقطت دولة المرابطين قام على بن اسحاق بن على صاحب الجزر الشرقية لمناهضة الموحدين ونقل المعارك الى المغرب الاوسط ضد الدولة الجديدة مستعينا ببنى هلال وبعض القبائل البربرية وبعد ما استولى على بجاية في شعبان 580 هـ / نوفمبر 1184 م زحف نحو وادى الساحل متجها نحو الغرب فدخل مدينة الجزائر وعين على راسها يحيى ابن اخيه طلحة ثم واصل الزحف نحو الغرب الى ان استولى على موزاية ومليانة . ثم توقف لاحد السببين : قيل لعدم انضمام قبائل مليانة في صفوفه وقيل لان السلطان ابا يوسف يعقوب غادر الاندلس والتحق بالمغرب لمحاربة بنى غانية وترك على بن اسحاق بمليانة والياسمى : يدر بن عائشة من قبله ثم رجع الى النواحي الشرقية . 2

وارسل الخليفة ابو يوسف يعقوب جيشا عرمرما لطاردة بقايا المرابطين فثار اهل مليانة وخرجوا على طاعة ابن غانية وبايعوا من جديد الموحدين ولم يستطع ابن عائشة مواجهتهم فغادر مليانة فارا بين جبال الناحية الى انهم القوا عليه القبض وقتلوه وبقيت مليانة تحت امر بنى منديل .

عهد دول المغرب

1 مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار ص 59

2 تابع عبد المؤمن فتوحاته بالجزائر بعد ما امتلك منها جميع اعمالها الغربية فتقدم الى الشرق وغزا نواحي وتشريس واحتل مليانة سنة 544 هـ - 1149 م ، وانتهى حكم المرابطين بالمغرب الاوسط



عقد تعيين امير الحج وفي الخلف طابع محمد عثمان سنة 1170

بن منديل على مليانة . فاقام فيها الدعوة الحفصية على سنن قومه ، ثم هلك محمد بن منديل سنة اثنتين وخمسة عشرة من ولايته ، قتله اخواه ثابت وعابد بمنزل ظوا عنهم بالخميس من بسيط بلادهم ، وقتل معه عطية ابن اخيه منيف . وشاركه ثابت في الامر واجتمع اليه قومه ، وتقطع بين اولاد منديل ، وخشنت صدورهم . واستغلظ بغمراسن ابن زيان عليهم ، ودخله عمر بن منديل اخوهم في ان يمكنه من مليانة ويشد عضده على رئاسة قومه ، فشارطه

وهي سنة سبع وأربعين وستمائة 647 وهزمهم فيها يعقوب ابن عبد الحق فرجعوا الى اوطانهم ، وعاودوا شأنهم في العداوة . وانتقض عليهم اهل مليانة وخلصوا الطاعة الحفصية وكان من خبر هذا الانتقاض ان ابا العباس احمد الملياني (1) كان كبير وقته علما ودينا ورواية ، وكان عالي السند في الحديث ، فرحل اليه الاعلام ، واخذ عنه الائمة ، واوقت به الشهرة على ثنايا السيادة فانتهت اليه رئاسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبينيه . ونشأ ابنه ابو على في جو هذه العناية ، وكان جموحا للرئاسة طامعا الى الاستبداد ، وهو مع ذلك خلو من المغارم ، فلما هلك ابوه جرى في شاو رئاسته طلقا ثم رأى ما بين مغراوة وبنى عبد الوادى من الفتنة ، فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده فجمع لها جراميزه وقطع الدعاء للخليفة المستنصر الحفصى سنة تسع وخمسين . وبلغ الخبر الى تونس ، فشرح الخليفة اخاه ابا حفص في عسكر من الموحدين في جملته «ذون الريك بن هراودة» . من آل اذ فونش ملوك الجلالة ، وكان نازعا اليه عن ابيه في طائفة من قومه ، فنزلوا مليانة اياما وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن ابي على الملياني ، فسرب اليهم جندا بالليل ، واقتحموها من بعض المداخل ، وفر ابو على الملياني تحت الليل ، وخرج من بعض قنوات البلد ، فلحق باحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى امير العطف من بطون زغبة ، فاجاره الى ان لحق بعدها بيعقوب بن عبد الحق ، وانصرف عسكر الموحدين والامير ابو حفص الى الحضرة تونس وعقدوا لمحمد

(1) انظر فيما بعد ترجمة هذه الشخصية البارزة

سلطان بنى مرين صريخا سنة اربع وتسعين ،
فأكرمه ووعدته بالنصرة من عدوه ، واقام بفاس .
وكان ثابت بن منديل قد اقام ابنه محمدا للامير
في قومه وولاه عليهم لعهد واستبد بملك مغراوة
دوناه ولما انصرف ابوه للمغرب اقام هو بلمارته على
مغراوة ثم مات بعد مدة من وفاة ابيه . فخلفه شقيقه
على فقام عليه اخواه وحاربوه .

وعند ما نهض يوسف بن يعقوب الى تلمسان
سنة 698 هـ وحاصرها عقد على مغراوة وشلف
لعمر بن ويغرن بن منديل وبعث معه جيشا فافتتح
مليانة وتنس ومازونة سنة 699 هـ / 1299 -
1300 م ، ووجد راشد في نفسه اذ لم يوليه على
قومه ، وكان يرى انه لاحق بنسبه وصهره ، فزع
عن السلطان ، ولحق بجبال متيجة ، ودس الى
اوليائه في مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة فاغذ السير
ولحق بهم ، فافترق امر مغراوة . وداخل اهل مازونة
فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويغرن بازموور
من ضواحي بلادهم فقتله ، واجتمع عليه قومه ،
وسرح السلطان اليه الكتائب من بنى عسكر .

ولما هلك يوسف بن يعقوب بمناخة على تلمسان
آخر سنة 706 هـ / 1307 م وانعقدت السلم بين
حافده ابي ثابت ، وبين ابي زيان بن عثمان سلطان
بنى عبد الواد على ان يخلى له بنو مرين عن جميع
ما ملكوه من امصارهم واعمالهم وثغورهم ، وبعثوا
في حمايتهم وعمالهم واسلموها لعمال ابي زيان ،
وكان راشد قد طمع في استرجاع بلاده ، وزحف الى
مليانة فاحاط بها ، فلما نزل عنها بنو مرين لابي

على ذلك وامكنه من ازمة البلد سنة ثمان وستين ،
ونادى بعزل ثابت ومؤازرة عمر على الامر فتم لهما
ما احكاه من امرهما في مغراوة . واستمكن بها
يغمراسن من قياد قومه . ثم تناهى اولاد منديل
في الازدلاف الى يغمراسن بمثلها نكاية لعمر فاتفق
ثابت وعاييد اولادمنديل على ان يحكاه في
تنس ، فامكناه منها سنة اثنتين وسبعين على اثني
عشر الفا من الذهب .

واستمرت ولاية عمر الى ان هلك سنة ست
وسبعين ، فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة ،
واجاز عايد اخوه الى الاندلس للرباط والجهاد مع
صاحبيه زيان بن محمد بن عبد القوى ، وعبد الملك
بن يغمراسن فحول زناته واسترجع ثابت بلاد تنس
ومليانة من يد يغمراسن ونبذ اليه العهد . ثم استغلط
يغمراسن عليهم واسترد تنس سنة احدى وثمانين
بين يدي مهلكه . ولما هلك يغمراسن وقام بالامر ابنه
عثمان انتقضت عليه تنس ، ثم ردد الغزو الى بلاد
توجين ومغراوة حتى غلبهم آخرا على ما بايديهم
وملك المدينة بمداخلة .. بنى لمدينة اهلها سنة سبع
وثمانين .

ولم يزل عثمان مراغما الى ان زحف اليهم سنة
ثلاث وتسعين ، فاستولى على امصارهم وضواحيهم
واخرجهم عنها والجاهم الى الجبال . ودخل ثابت بن
منديل الى برشك ممانعا دونها ، فزحف اليه عثمان
وحاصره بها ، حتى استيقن انه احيط به ، ركب
البحر الى المغرب ، ونزل على يوسف بن يعقوب

مدينة مليانة عبر العصور

بشير فهزمهم وبدد جموعهم .

وفي النصف من القرن السادس عشر مر بمليانة الحسن ابن محمد الوزان الفاسي المعروف بالاسد الافريقى فقال في شأنها :

« مليانة تقع على قمة جبل وهو على أربعين ميلا (64 كلم) من البحر أى من شرشال . والجبل الذى بنيت فيه المدينة تتفجر منه عيون كثيرة وتكسوه غابات من شجر الجوز بحيث أن سكان الناحية لا يشترون هذه العاكهة بل ولا يقطعونها .

وتحيط بالمدينة اسوار عتيقة . من جهة تطل صخرة على واد فى غاية العمق ومن جهة أخرى يوجد منحدر ينطلق من الهضبة الى وادى شلف يذكرنا بمدينة نارنى بقرب روما » (2) .

وحذا مارمول حذو الاسد الافريقى فى وصفه لمليانة وزاد :

ان ديار المدينة جميلة ونظيفة ولها كثير من العيون ويتعاطى كثير من سكانها الى النساجة وصنع السروج العربية والاكواب الخشبية الرائجة فى كل انحاء البلاد .

وتحيط بالمدينة بساتين واسعة حيث يوجد احسن ليمون فى المغرب كله . وكذلك البرتقال الذى ينقل الى تنس والى مدن أخرى ... (3)

تراجم مليانية فى القرن الثالث عشر

كانت مليانة فى ذلك العصر مركز اشعاع ثقافى وانتاج ادبى شهد بذلك اصحاب التراجم والرحلات ومن علمائها الذين كانت لهم المنزلة الأولى :

(3) مارمول : وصف افريقية ج 2 ص 396 - 397

زيان وصارت مليانة وتنس له ، أخفق سعى راشد وافرغ عن البلد .

ثم كان مهلك أبى زيان قريبا ، وولى أخوه أبو موسى بن عثمان . فاستولى على المغرب الاوسط فملك تافركينت سنة 707 هـ / 1308 م وملك بعدها مليانة والمدية ، ثم ملك تنس وعقد عليها لمسامح مولاه .

مليانة فى العهد التركى

فى بداية القرن السادس عشر قدم الى الجزائر اخوان وهما عروج وخير الدين . وبعدما استوليا على مدينة الجزائر ، نهض عروج لبسط نفوذه نحو الجهات الغربية من البلاد .

فاحتل ما بين 1516 و 1517 مليانة وتنس رغم مقاومة صاحب الامارة : حميد العبد . وكانت مليانة فى هذا العهد التركى تابعة لبابك العرب وعاصمته مازونة ثم عند ما اعيد تنظيم الايالة اداريا أصبحت مليانة تابعة لدار السلطان وتحت حكم الباشا مباشرة .

وأدرك الاتراك أهمية مليانة استراتيجية بما انها تشرف على الطريق الواصل بين الجزائر ومدن بابلك الغرب مثل تلمسان ، ومستغانم ، ووهران فاستولوا بضواحيها قبائل المخزن وجعلوا منها «قناق» أى نهاية مرحلة (1) غير ان سكان الناحية وهم ريفه كثيرا ما خرجوا على الحكم الجديد ومن أشهر هذه الثورات ثورة « بوطريق » سنة 1544 قتل فيها حاكم القرك بمليانة فخرج اليهم صاحب الجزائر وهو الحاج

(1) ارنست ميرسى : تاريخ افريقية الشمالية ج 3 ص 137
(2) الاسد الافريقى

(1) على بن عمران بن موسى الملياني (644 هـ / 1246 م) ، أبو الحسين ، عرف بابن اساطير : فقيه ، اصولي كان له معرفة بأصول الدين والتصوف وعلوم الحكمة ، من أهل مليانة ، سكن بجاية وبها كانت وفاته سنة السبعين وستمائة (670) . ذكره الغبريني وقال : « كان له علم بالوثيقة وكان من عدول بجاية وخيارها » .

(2) أحمد بن عثمان 675 هـ / 1276 م بن عبد الجبار المتوسى الملياني أبو العباس : فقيه ، مجتهد من أهل مليانة : أخذ عن شيوخ بلده ثم رحل الى المشرق ولقى جماعة من الاعلام ، وعاد وسكن بجاية واقرا بها توفي بمليانة . له « تقييدات » على كتاب التلطين للإمام محمد بن على بن عمر المازري المتوفى سنة 536 هـ .

شهدت مليانة في القرن الرابع عشر عدة غارات جعلها تارة تحت حكم الزيانيين واحيانا تحت سلطة غيرهم . وقد نهض اليها أبو سعيد عثمان سنة 1348م وأسس من جديد امارة تابعة للزيانيين منها مليانة التي كانت خاضعة للمرينيين طيلة اثني عشر سنة

وفي سنة 1375 م طرد أبو حمو الثعالب من الجزائر وبسط نفوده عليها غير أن هذا الأخير تغلب عليه أبو العباس المريني فطرده بدوره . واضطر الى الالتجاء الى جبال بني بوسعيد فأنجده ابنه أبو تشفين واحتل مليانة والقطرى سنة 1387 م .

وفي أواخر هذا القرن سنة 1394 م حدث بين أبو تشفين الثاني وصاحب فاس نزاع ففشيت اضطرابات بين تلمسان وفاس وتوصل المريني الى احتلال تلمسان ومنها واصل الزحف الى أن استولى على مليانة ودلس والجزائر .

وفي القرن الخامس عشر 15 أصبحت فيه مليانة والمدينة وتنس تكون امارة مستقلة منفصلة عن تلمسان وبجاية لكن لمدة قصيرة إذ قام أبو عبد الله محمد المتوكل صاحب تنس فجمع سنة 1461 م جيشا عظيما وانطلق من مدينة مليانة فاستولى على بني راشد ومستغانم ومزغران الى أن دخل تلمسان

غير أن أهل مليانة احتفضوا بشبه استقلال لبعدهم عن تلمسان وبقوا على هذه الحالة الى أن احتل عروج الناحية وذلك سنة 1517 .

ترجمة أحمد بن على الملياني

(المتوفى 715 هـ / 1315 م)

أحمد بن على الملياني ، أبو العباس : شاعر ، كاتب ، من أهل مليانة ثار عمه أبو على بن أحمد الملياني - وكان من اعيان مليانة - على الحفصيين في أواخر المائة السابعة ثم فر الى المغرب والتجأ الى السلطان يعقوب المريني فاقطعه السلطان بلدة أغمات اكراما له . وكان أحمد ممن رحل مع عمه الى المغرب بعد فراره ، فأكمل دراسته بمراكش وأغمات وبعد وفاة السلطان يعقوب بويع لابنه يوسف ، فاستعمل أبا على على بجاية الاموال ثم نكبه وقتله واتخذ ابن أخيه أبا العباس أحمد صاحب علامته ، فسعى أحمد الى الاخذ بثأر عمه ودبر مؤامرة ضد الواشين به حتى قتلهم ثم فر الى تلمسان والسلطان يوسف المريني محاصر لها . وفي نحو السنة 703 هـ غادر تلمسان ولحق بمدينة غرناطة بالاندلس واستقر بها الى حين وفاته سنة 715 هـ ذكره لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة ، وقال (صاحب العلامة)

الذكر ويرشدهم الى الصراط المستقيم حتى تاب على يده خلق كثير وهداهم الله تعالى بسببه وهو من تلاميذ الشيخ زروق . ولما حج شيخ شيخه المذكور وهو الشيخ الاوحد العلامة الصالح ابو عبد الله الزيتوني نزل بموضع قريب من قلعة فأتى اليه فقبل الزيتوني رجله وقال له قد أعطاك الله من قاف الى فاق فقال له الملياني هذا قليل بل اعطاني اكثر . وحكى ان بعض اصحابه قال له ان سيدى عبد الرحمن الشعالي قال من رأى من رأى لا تأكله النار الى سبعة فقال الملياني كذلك من رأى من رأى لا تأكله النار الى عشرة وحلق له مرة حلاق راسه فقال له لو لا خفت عليك من الناس لقلت جميع من يجلس في حجرتك لا تعدو عليه النار . وقال رضى الله عنه دعوت الله في ثلاث فأعطا نبيها في ليلة واحدة : طلبته ان يرزقنى العلم بلا مشقة فأعطاني على الظاهر والباطن وطلبته ان يبلغنى مبلغ الرجال فبلغنى فوقهم وطلبته ان يرينى المصطفى صلى الله عليه وسلم في النوم فرأيت في اليقظة وفتح الله على في علوم ببركته لم يطلع عليها غيرى يعنى من اهل عصره وعنه ايضا قال علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك لاحد غيرى اى في عصرى وقال ايضا جميع من اكل معى او شرب او جالسنى او نظر فى لا اسلم فيه غدا يوم القيامة وسئل رضى الله عنه عن السبحة هل يجوز اخذها باليمين فقال نعم يجوز ذلك وهو كالمهماز للفارس ومن كلامه رضى الله عنه والله وثم والله من عرفنى حتى يندم ومن لم يعرفنى حتى يندم وقال

بالمغرب ، الكاتب الشهير البعيد الشأن في اقتضاء الثرة ، المثل المضروب في العفة ، وقوة الصريمة ، ونفاذ العزيمة . كان نبيه البيت ، شهر الاصاله رفيع المكانة على سجية غربية كانت فيه من الوتار والانتقباض والصمت ، أخذ بحظ من الطب حسن الخط مليح الكتابة قارضا للشعر ، يذهب نفسه فيه كل مذهب فتك فتكة شنيعة اساعت الظن بحيلة الاقلام على مر الدهر وانتقل الى الاندلس بعد مشقة . فلم يعدم برا ورعيا مستمرا حتى اتاه حيايه وانصرفت ايامه » (عن لسان الدين بن الخطيب : الاحاطة) .

ترجمة احمد بن يوسف الملياني

قال فى « سلوة الانفاس » (1) هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقرآت السبعة المحقق الحجة ابو العباس احمد بن يوسف الراشدى نسبا ودارا الملياني . كان رحمه الله من اعيان مشائخ المغرب وعظماء العارفين احد اوتاد المغرب واركان هذا الشأن جمع الله له بين علم الحقيقة والشرعية وانتهت اليه رئاسة السالكين وتربية المريدين بالبلاد الراشدية والمغرب بأسره واجتمع عند جعاعة من كبار المشائخ من العلماء والصالحين من تلامذته واشتهر ذكره في الافاق شرقا وغربا .

وأوقع الله له القبول العظيم والعطف الجسيم في قلوب الخلق وقصده الزوار من كل حدب وتتابعتم كرامته . ايهام وظهرت انواره لديهم وكان متواضعا ورعا زاهدا يحب الخلق في الطاعة ويحرضهم على

(1) سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس - لمحمد بن جعفر الكتاني

ايضا : انما المح بعض اصحابي لحة فيبلغ بها مقام الاولياء . وكلامه رضى الله عنه واخباره ومناقبه كثيرة جدا وقد استوفى بعضها الشيخ الفقيه العلامة ابو عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن علي الصباغ القلعي (1) النسب في تأليف له جمعه فيه بالخصوص سماه «بستان الازهار في مناقب زمزم الاخيار ومعدن الانوار سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب والدار » وقد أكرمني الله تعالى بالوقوف عليه وهو في مجلد ضخمة غاية اهـ . من اصحابه ابو حفص سيدي عمر الشريف الحسيني بالتصغير الشريف الجليل الولي الصالح الحفيل وسيد احمد بن يوسف توفي سنة 927 (2) فيكون سيدي عمر الشريف من اهل القرن العاشر وفي « نشر المثنى » (3) لسيدي عمر من صالحى فاس وروسته بها في ربوة عدوة فاس الاندلس متصلة بروضة لسيدي غالب يفصل بينهما الحجة .

وفي « كتاب الاستقصاء لخبار دول المغرب الاقصى » تأليف الشيخ احمد بن خالد الناصري السلاوي مانصه : قال في « الدوحة » : كان الشيخ ابو العباس احمد بن يوسف الراشدي نزيل مليانة تظهر على يده الكرامات وأنواع الانفعالات فبعد صيته وكثرت اتباعه فغلوا في محبته وافرطوا فيها حتى نسبهم بعضهم الى النبوة قال وفشا ذلك الغلو على يد رجل ممن صحب اصحابه يقال له ابن عبد الله قاته تزندق وذهب مذهبا باطلا على ما حكى عنه واعتقد هذا المذهب الخسيس كثير من الغوغاء

(1) ولد بقلعة بني راشد سنة 1517 وتولى القضاء بها

(2) يقول بوراس الناصري توفي احمد بن يوسف سنة 931 هـ - عجائب الاسفار -

(3) محمد القادري - 12 هـ : 18 م - نشر المثنى لاهل القرن الحادى عشر والثانى

(4) مرآة المحاسن من اخبار الشيخ ابي المحاسن ، لابن حميد محمد العربي الفاسي

واجلاف العرب واهل الهوامن الحواضر وتعرف هذه الطائفة باليوسفية قال ولم يكن اليوم بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة وسمعت بعض الفضلاء يقول انه قد ظهر فى حياة الشيخ ابن العباس المذكور غلما بلغه ذلك قال من قال عنا ما لم نقله يبطله الله بالعلة والقلة والموت على غير ملة . قال صاحب « الدوحة » : ولقد اشار الفقهاء على السلطان الغالب بالله بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة فسجن جماعة منهم وقتل آخرين وهؤلاء المبتدعة ليسوا من احوال الشيخ في شيء وانما فعلوا كعمل الروافض والشيعة في ائمتهم وانما اصحاب الشيخ كابى محمد الخياط والشيخ الشيطى وابى الحسن على بن عبد الله دفين تافلات وانظارهم كلهم من اهل الفضل والدين والاثمة المقتدى بهم كلهم يعظم الشيخ ويعترف له بالولاية والعلم والمعرفة اهـ . وقال فى « المرآة » مانصه والشيخ ابو العباس احمد بن يوسف الراشدي الملياني من كبار المشائخ اهل العلم والولاية وعموم البركات والهداية . وكان كثير التلقين فقال له الشيخ ابو عبد الله الخروبى اهنت الحكمة في تلقينك الاسماء للعامة حتى النساء فقال له قد دعونا الخلق الى الله فابوا ففنعنا منهم بأن تشغل جارحة من جوارحهم بالذكر قال الشيخ الخروبى فوجدته اوسع منى دائرة . قال صاحب « المرآة » (4) وانتسبت اليه طائفة المعروفة بالشرافة بتشديد الراء وهو برىء من بدعتهم فما كان الا امام سنة وهدى مقتدى به في العلم والدين قد نزّهه الـ

عطلا وادى له من حكمه خطلا ...
 وفي مليانة قد ذبت شوفا
 يلين العطف والقلب القسى
 كذا مليانة ابدت عويلا
 لاهل ضمهم جوف الاتى (1)
 ولما تغلب السلطان ابو الحسن على المغرب
 الاوسط ومحا دولة آل زيان ، وجمع كلمة زناتة
 وانتظم مع بلادهم بلاد افريقية وعمل الموحدون وضم
 الى مملكته مليانة وتنس ونواحيها .
 وانتقضت المعاملات والاطراف ، وانتزى اعياص
 الملك بمواطنهم الاولى توثب على بن محمد بن ثابت
 بن منديل على بلاد شلف ، وتلبها وتغلب على
 امصارها : مليانة وتنس وبرشك وشرشال ، واعاد
 ما كان لسلفه فيها من الملك على طريقتهم البدوية ،
 وارهفوا خدهم لمن طالبهم من القبائل .
 وبانت مليانة في ذلك العصر حدا فاصلا بين مملكة
 الزيانيين غربا وبين مملكة الحفصيين شرقا ومن
 اشهر قبائل الناحية آنذاك بنو توجين من البربر ،
 ومالك ، والمطاف من العرب .
 وقال عنها الرحالة الانكليزي شاو Shaw :
 « من يرى المدينة من بعيد يظن ان بها منازل ضخمة
 وجيلة وآثارا قديمة عديدة حتى اذا طلع اليها الزائر
 خاب ظنه ... فهى قرية لا مدينة وديارها مغطاة
 بالقرمذ خلافا للعادة الجارية في البلاد والتي تفضل
 السطوح ... واحسن شيء هناك — زيادة على المياه
 المتدفقة — هو المنظر الرائع المطل على اراضى جندل
 ومطمطة وغيرها من القبائل الى المديّة .. وفي فصل

وطهر جانبه وقد اظهروا شيئا من ذلك في حياته
 فتبرا منهم وقتلهم وبلغ المجهود في تشريدهم . قال
 وحدثنى شيخنا ابو عبد الله النيجى ان الشيخ ابا
 البقاء عبد الوارث الياصوتى لما ظهرت بدعة الشراقة
 وانتسابهم اليه وقع في نفسه من ذلك شيء فقيل له
 ان الشيخ ابا محمد الخياط من اصحابه فقال انا نائب
 الى الله كفى في طهارة جانبه ان يكون الخياط من
 اصحابه وكانت وفاة الشيخ المليانى سنة سبع
 وعشرين وتسع مائة (927) لكن ما كان عنفوان تلك
 البدعة المدسوسة عليه الا في دولة السلطان الغالب
 بالله كما مر والله يضل من يشاء ويهدى من يشاء .
 الخلاوى : تعريف الخلف برجال السلف ص :
 97 ، 98 ، 99 ، 100 .

مليانة في رحلة العبدري

وزارها في تلك المدة الرحالة المغربى العبدري
 فقال : « (مليانة) وقد القى جمل الاعياء جرانه وغنى
 بلبل الغناء الوانه الى البلدة الخضبة مليانة وهى
 مدينة مجموعة مختصرة . وليست مع ذلك عن امهات
 المدن مقصورة اشرفت من كذب على وادى شلف .
 واستشرقت نسيم طرفها من شرق في روضة جبة
 الازهار والطرف . برعت في سفع جبل حماحماها ان
 يرام . وشرعت في اصل شهر يشفى الهيم من الهيام .
 شاق منظرا وراق مخبرا وشفى الظماء موردا
 ومصدر يشتهى الناظر اليه وهو ريان الشروع ويقول :
 لورش به لافاق المصروع كان حصباء جمان والماء من
 رفته دموع . وبها جامع مليح عجيب يدعو الشوق
 من رآه فيجيب . ولكن الزمان قد عوضه من حلى

(1) العبدري - محمد بن محمد بن عل - : الرحلة المغربية من المغرب الاقصى الى المشرق ، بداها سنة 688 هـ - 1289 م

ويعطينا فانتوردى بارادى Venture de Paradis بعض المعلومات تتعلق بإدارة دار السلطان في ذلك العهد . « كان على رأس كل مدينة هامة مثل المهديّة والبلديّة وبوغاريك ومليانة وبنى جباب قائد تركي يعين فيدفع — في مقابل التسمية — مبالغ من المال وكهيات من المنتوجات والهدايا للداي » (3) .

ويتحدث هذا الفرنسي عن فلاحّة الارز في الجزائر فيقول : « يتعاطى ناحية مليانة الى فلاحّة الارز وكذلك ناحية مينا (دائرة غيليزان) غير أن أرز مليانة أجود من الآخر . وتنتج الناحيتان سنويا ما بين 5000 و6000 قنطار تكفي المستهلكين وأصبح الناس لا يستوردون الارز من مصر » (4) .

وفي أواخر الثامن عشر حررت وهران (1792) من الاحتلال الاسباني فقام الباي محمد الكبير ببناء ماأنهدم من الديار وبإعادة السكان الى ديارهم وتنشيط التجارة والصناعة فاستقدم من يقوم بذلك من تلمسان ومليانة خاصة .

— يتبع —

الربيع يقدم اليها من الجزائر والبلديّة والتواحي جموع من الناس يزورون ويتبركون بوليها سيدي أحمد بن يوسف ... » (1)

وهكذا احتفظت مليانة بمكانتها طيلة العهد التركي في الجزائر ينزل بها المسافرين عابر البلاد من المشرق الى المغرب أو العكس طلبا للراحة أو متشوقا للإطلاع .

قال الشيخ ابن مسايب (2) التلمساني في رحلته الى مكة :

أقطع المشرع وتهدف

وبات من ثمة لا تلهف

زور سيدي أحمد بن يوسف

وبات مليانة داخلها

قوم قبل طلوع الفرار

وأوعد المدفون في زكار

زورو وأدخل عنده للدار

وعدته لا بد تعطيها

(1) شوا SHAW نفس المرجع ص 282 - 284

(2) من شعراء الملحنون في القرن الثامن عشر

(3) المجلة الألفية سنة 1895

(4) نفس المرجع



المراجع العربية

- (1) — ابن حوقل (أبو القاسم محمد) كتاب صور الأرض ج 1
- (2) — البكري (أبو عبيد عبد الله) القرن 11 م/5 هـ المسالك والممالك
- (3) — الإدريسي (أبو عبد الله محمد المصروف بالشريف) 1099 — 1180
نزعة المشتاق في اختراق الآفاق
- (4) : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار
- (5) — المعبري (محمد بن محمد بن علي) 7 — 13 الرحلة المغربية 688 — 1289
- (6) — ابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب العبر
- (7) — ياقوت الحموي : معجم البلدان ج 7 ص 155
- (8) — محمد عبد الجليل التنسي « نظم الدر والعقبان في دولة آل زيان »
- (9) — عادل نويهي : معجم اعلام الجزائر
- (10) — الخلفاوي : تعريف الخلف برجال السلف
- (11) — محمد بن عبد القادر : تحفة الزائر

II — BIBLIOGRAPHIE OCCIDENTALE

- | | |
|------------------|--|
| G. Yver, Miliana | : Encyclopédie de l'Islam - III, 565 G. Yver. |
| Léon l'Africain | : Description de l'Afrique - II, éd. Epaulard. |
| Shaw | : Travels, Oxford 1738. |
| L. Celvin | : Le Maghreb Central à l'époque des Zirides (Paris 1957). |
| Trumelet | : L'Algérie légendaire. |
| Ge Azan | : Abdelkader. |
| A. Bel | : Les Banou Ghania. (Paris 1903). |
| E. Mercier | : Histoire de l'Afrique septentrionale 3. V. |
| Ch. A. Julien | : Histoire de l'Algérie contemporaine 1. V. Histoire de l'Algérie du Nord 2. V. |

ARTICLES DE REVUES

- Les Righa de la subdivision de Miliana - Julienne. R.A. 1856.
- Miliana - Le Brun - R.A. 1864.

كلمات

الطب وسيلة وسياسة :

ومن ناحية أخرى حاول المستعمر أن يستعمل الطب كوسيلة سياسية ، انه تفهم ان ليس له تفوق اخلاقي على الاهالى الذين كانت لهم حضارتهم فأراد ان يثبت تفوقه فى المجال العلمى (ص 58) ، فركز جهوده على نشر الطب مستهدفا كسب الرأى العام والتقرب من السكان (ص 86 و 146) ، ولم يدرك المستعمر ان الاهالى لم يشقوا بعمله وتقدمه وفضلوا تحمل الامراض والمشاق على استعمال الطب الاجنبى الذى كان يرمى الى اغراض سياسية واضحة .

فلجأت السلطة الى العنف وفرضت العلاج بالقوة ، الامر الذى جعل صاحبة الكتاب تتساءل فى نجاعة تلك الطريقة - أما السكان فحاربوا الطب الاستعمارى كما حاربوا التعليم الاجنبى فوقع صراع كبير بين الاطباء والحكام الفرنسيين من ناحية وبين الاهالى وقادة المقاومة الوطنية من ناحية أخرى واتخذ هذا الصراع شكل (الحرب النفسية) التى اشتهرت فى عصرنا وخاصة أثناء حرب التحرير (ص 351) .

من كتاب : المجاهبات الثقافية فى الجزائر المستعمرة للدكتورة تورين



مظاهر المقاومة

■ في الثقافة الجزائرية ■

مناهاة الماضي الخام :

ان في تعشق الماضي عيبين أساسيين على الأقل :
اولهما اعتقاد الجيل الحاضر في الاجيال الماضية
انها نماذج للكمال يجب الاقتداء بها وثانيهما التقدير
اللاعلمي الذي يقيس كل حاضر بما يماثله مماثلة
ظاهرة في التاريخ ، تناسيا لسرعة التطور الانساني .
فاذا قست مجدك الماضي مثلا بحاضرك وادعيت انه
مجد مطلق يمكن ان ينقل بالحرف الى الحاضر فانت
مثبط لنفسك بنفسك ، ذلك ان مجدك في الماضي كان
مجدا بالنسبة لخمول الآخرين ، اما اليوم وقد
اصبحت حضارتك تلك ، خمولا واى خمول بالنسبة
للقفزة الآخرين .

عبدالمجيد مزيان

فالحروب بين المحافظين والمجديدين كثيرا ما أدت الى بروز حركات توضيحية تتهم كلتي الحركتين بالاطلاق الغامض والانطواء على الذات . وقد يؤدي هذا التوضيح الى نتائج ثقافية لها قيمتها . غير أن الجديد في جيلنا ليس هو العراك بين محافظة وتجديد ، بل هو العراك بين تقليدين أحدهما يرجع بنا الى ماضينا المطلق باسم الاصلية المزيفة ، والثاني يرجع بنا الى ماضى الآخرين باسم التفتح المزيف .

من الاصلية المزيفة أن تحتزن ماضيك كالكنز الصافي ولا ترى مافيه من انقراض مثبطة ، وخروق بالية . ومن التزييف أن لا تصب أضواء النقد الذاتى على تراثك الفكرى لتعرف مافيه من ثغرات وعجز وانحراف وانحطاط .

ومن الاصلية المزيفة أن تغوص في أعماق الماضى بخيالك وعاطفتك فتفتش عن الاصل الاصيل ، أبعد فأبعد ، حتى تصل الى ما قبل الحضارة وتدعى أنك تكتشف فيه جذور القيم ، وجمال التقليد ، وليس لديك معيار لهذا الالتفات الرجعى الا ادعاء استرجاع الماضى المفقود ، وليس أبشع من القبلية كمثل لهذه الاصلية التي تدعى صلاحية القيم البدائية في عصر العراك الحضارى الطاحن .

ومن التفتح المزيف أن تدعى الالتحاق بركب الحضارة بنقلك مبتكرات الآخرين بكيفية صورية تجعلك تنسلخ عن هويتك تدريجيا حتى الفناء . وفى معركة التعريب أحسن مثال لنا لتقدير الموقفين . فالمنتقمون الى الاصلية المزيفة يدعون معاملة التراث اللغوى والادبى معاملة تقديم لا معاملة فعالية ، ولا يهمهم تمرين اللغة العربية على خوض معركة العلم والتقنية بقدر ما يهمهم الاستماع الى عذوبة انغامها والتغنى بعبقريتها . وهناك المنتقمون الى اصلية مزيفة من نوع آخر وهم اولئك الذين يلفقون « الفرعونيات » والاقليميات فيدعون

قد تبدو مثل هذه التأملات ساذجة الى حد ما ، ولكن من المعروف عندنا اننا نحتقر الاشياء السهلة البسيطة ونتعالى عنها بخيالنا العارم وعاطفتنا الجبارة نحو المطلق الغامض . وفى معاملتنا للتاريخ مواقف مضطربة تجرنا الى اتهام بعضنا البعض بالرجعية أو التبعية أو الفوضوية . اننا تختصر العناوين ونقول لكل من يلتفت نحو الماضى أنك رجعى ونقول لكل من يعتقد فى الماضى انه مثبت للاجيال عن توقانها التقدمى . . انه فوضوى ان التاريخ سلاح ذو حدين . انه فى مجتمعنا الحالى مرجع لنا وعلينا . واذكر على سبيل المثال تجربة كثير من المربين الذين عانوا منذ استقلال بلادنا اكبر المتاعب فى سبيل توضيح موقفهم تجاه هذا المشكل الذى يعامله كثير من المفكرين بكل احتقار . انهم يقضون اوقاتا لا تحصى مع جماعة لسرد البراهين التى تؤيد وجوب الرجوع الى التاريخ لربطه بالحاضر حتى تركز الامة على دعائم سياسية وروحية من ذاكرة الشعوب وفاق حيوييتها وديمومتها . وهم يتهمون فى دعوتهم هذه بالرجعية . والمحافظة العمياء . ثم انهم يقضون اوقاتا أخرى مع جماعة أخرى للبرهنة على وجوب التقليل عن شأن الماضى والاعتناء بالمستقبل حتى تعرف أمة اليوم انها اكثر قدرة من الاجيال الغابرة على خوض معركة الحضارة الجديدة ، فيتهمون حينئذ بالانسلاخ عن الوطنية والاصلية ، ويرمون بالاحاد والتبعية . ولا أعجب من هذا المؤمن الملحد ، الوطنى الكافر بالوطنية ، الرجعى التقدمى ، الصريح المناق ، الذى يصوره الرأى العام تصويرا مختصرا فى ثنائية متناقضة لانه حاول أن يعرف بعيوب الماضى ومحاسنه بالنسبة لحياة الامة الزاحفة فى معركة النمو .

وليس هذا بدعا فى عراك الاجيال والافكار ،



وعبرة ، ورأسمال حضارى لما فيه من تجارب
لن تعاد ، ومكتسبات لن تضيع وفشلا لن يتكرر *
الشعبية والانقياد للامية :

وفى التاصل بالانغماس فى الشعبية عيوب مثل
عيوب تعشق الماضى الخام * هبنا نساير الثقافات
الشعبية فى اقليمياتها المشقة ، وفى تعويضها
المعرفة بالخرافة ، وتفضيلها الفلكلور على التفكير ،
والكلام المتناثر فى مهب الرياح على الثقافة المصبوطة
فاننا سنصبح منجرين الى الامية والانهيال *
فالشعبية المسائرة اصالة مزيفة * وليس من المحبة
لشعبك ان تداهنة فى عيوبه وتتملق له فى بدائيته
وشعوذته * ومثال هذه المداهنة ما نشاهده اليوم من
التعلق الاعمى باللهجات المحلية والتعشق للثقافات
الفنية لانها ، فيما يزعمون من صميم الشعب *
وكثيرا ما تختفى من وراء الشعبية أخس الرجعيات
التي تنوق الى ابقاء الجماهير فى ظلام أميتها لتتناكد
ثقافة الاعيان ومبادئ الطبقة بما ينجر معها من

احياء التراث فى اللهجات المحلية يعوضون بها
العربية ، سعيا وراء الاصالة الاكثر اصالة فيما
يزعمون * فدعاة التبدي تحت شعار التاصل الابد ،
فى بلادنا رجعيون ، عمي فى رجعتهم الى انصى
حدود العمى ، لانهم يضيعون الوقت والجهد فى
الرجوع الى ما قبل الحضارة وما قبل الثقافة بدعوى
التاصل المتين * والفريق الاسوء رجعية من هؤلاء
وهؤلاء ، هم الذين يصرحون بالاستغناء عن لغتهم
الوطنية لصعوبة تمرينها على العلم والتقنية ،
فيدعون الى التمسك بلغة مستعمرهم تمسكا ابديا
لانها الصق بالعلم واكثر انتشارا ، ويتناسون ان
اللغة كنه الهوية وعنوان الشخصية بها يصمد
المجتمع او يذوب وبواسطتها تستفحل التبعية او
يتحقق الاستقلال ، وان اللغة بالقوم ، يفعلون بها
ما يشاؤون ، فهي ملتصقة بالعلم ان اردوا او مي
متاخرة عنه ان تأخروا ، وان اقتراض لغة الآخرين
اقرار بالتأخر وتفتن بقناع الند وذوبان فى هويته
ابد الأبدىين *

فاهل التاصل المزيف فى مثل هذه المعركة تقليديون
ورجعيون يدعون التقدمية لانهم يزعمون التخلص من
رواسب الاستعمار وبناء الشخصية بالرجوع الى
الاصل الاصيل ، واهل التفتح المزيف تقليديون
رجعيون ايضا ، يدعون التقدمية لانهم يزعمون
التمسك بالحضارة والعلم ، مع انهم منسلخون عن
ماضيهم و متمسكون بماضى الآخرين *

هذه امثلة من سوء معاملتنا للماضى مع ان
منهجية الرجوع اليه سهلة وبسيطة ولكننا نحتقر
هذا السهل البسيط *

لم يعد التاريخ نفسه فى يوم من الايام ولن بعيد ،
واذا حاول مجتمع ما اعادته بالاسراف فى التقليدية
فتلكم هي القهقرية والمسخ * ان التاريخ ذاكرة ،

تعالى الانسان على الانسان وابخاس المواطن للمواطن في نفسه واشيائه *

أما الاقليمية التي تتستر من وراء الشعبية عُرقية صريحة محتقرة للشعوب او استعمار حقوق لا يتوب عن تفرقة للامم * فسموم الاثنوغرافيا متسترة من وراء العلم والموضوعية وليس الاعتناء بالاعراق والاجناس في خصوصياتها اللغوية والطوقسية الا اعتناقا لعقيدة استعمارية ترمى من وراء المحافظة على الاجناس المشتتة ، الى القضاء على الشعب كشعب موحد يرتكز على وحدته للنهوض الحضاري والعلمي *

ان التاوصل بالشعبية يختلف عن كل هذه المواقف اختلافا جذريا * ان ينطلق من مبدأ محافظة المثقف على شعبيته في سلوكه ، واتصالاته ، ومصادر وحيه ، وتوجيه مجهوداته *

والشعبية اشتراك مطلق بين ابناء الامة دون تمييز جهوى أو طبقي أو مهني في عملية الخروج من التخلف الفكري الى مستوى المعرفة العلمية ، حتى لا تتعدد التناقضات ولاتتنازم الفوارق ، وحتى لا ينتقل جزء من المواطنين الى حضارة القرن العشرين ويبقى الجزء الآخر محصورا في المحافظة على عتاقته التافهة *

ولا أرى الشعبية الحققة الا في تجنيد المثقف نفسه من أجل التوعية المستمرة ، وتبليغ المعرفة الى أكبر عدد ممكن من المواطنين ، سعيا وراء نقل شعب من أميته الى مستوى التأهل للثقافة العلمية *

ان الداعي الى الشعبية العاطفية عندنا قد يرى الخير كل الخير والحكمة كل الحكمة في البساطة الشعبية ، وسذاجة الحياة ، ويلتمس كل الغنى والعمق في الانتاج الثقافي المنحصر في مستوى القبيلة أو مجموعة القبائل ، ويرى انه لا يجوز المس بهـذه الثروات التي يمكن أن تصبح مصدر اصاله ، ان لم

تصبح في يوم من الايام مصدر سعادة بالنسبة لكل المتضايقين من حضارة العلم والتقنيات * ولكن موقف هؤلاء الدعاة لا يزيد على انه هواية للعتاقة ، وتملص من الواقع الحي ، لان السعادة والخير والحكمة صور عاطفية وذاتية محضة يتصورها هواة العتاقة من صميم انفسهم بينما الشعب يتخبط في الفقر ، والجهل ، وكوارث التخلف التي تكاد الا تحصى * وقد يجوز لابن الحضارة الغربية الذي ينتحل الاثنوغرافيا علما ان يتعشق البدائية ، بعد ان ضاق ذرعا بحضارته المعقدة ، ولكن ابن الامة الجديدة التي لا زالت تتوق الى الخروج من التخلف لا يجوز له ان يتظاهر بالانغماس في الاصول ، وامته لا تزال تشتكى من التباطؤ في هذه الاصول *

أما دعاة الشعبية الفعالة فهم مناضلو الفكر الذين يرون أن العدالة تقتضى اعطاء قدر أدنى من الثقافة لا يمكن النزول دونه لجميع ابناء الامة دون تمييز ، ودون اتكال على تطور الصدف *

وليست القضية قضية انتظار الاجيال الصاعدة وانقراض الاجيال النازلة ليتحقق بكيفية تطويرية هذا الهدف الاجتماعي بل ان دور مناضلي الفكر دور ثوري يتطلب تعبئة كل الوسائل في الحال * وأنه لمن السذاجة ان ندعى اننا رواد الامم في هذا الميدان لان ماضينا مملوء بالنضال الثقافي ، ولكه من الغباوة أيضا ان نقول اننا لا نستطيع القيام بمثل الحملات التي قام بها الفيتناميون ، والصينيون ، والكوبيون من أجل محو الامية ومظاهر التبدى والعتاقة في بضع سنين * وما رأينا في الوجود أمة تبكى على فقدان عتاقها وتتضايق من الحضارة الا أن تتوق الى حضارة أسمى وتتهم حضارتها الحالية بالتخلف والقصور عن أهداف التقدم والرقى *

بهذا تتضح حدود الشعبية كنضال ثقافي لمـالح



من معاتل الثقافة الوطنية
ونبع المقاومة الوطنية

حيوية الجماهير في مواقفها الثقافية - الحضارية على الخصوص - انهحقا لا يمكن اعتبار الطابع الجماهيري للمقاومة حلا لكل لغز تفسر به ديمومة ثقافة تصدت لاشد الهجمات عنفا ، ولكنها الظاهرة الاساسية لتفهم هذا الاستمرار - طبعاً ، لقد أصبحت أمة اليوم غير أمة الماضي ، ولئن كانت أمة القديم مناخاً روحياً ويشرياً ذا حدود غامضة ، فقد أصبح اليوم متأطراً في أوطان جغرافية ، ومخططات اقتصادية واجتماعية ،

الشعب ويظهر انها مخالفة تمام المخالفة لشعبية الانتقياذ الى الامية ومسيرة الاقليميات المشتتة .

من مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية :

أما الآن وقد حاولنا ان نرفع الالتباس عن معنى التاوصل بالماضى والشعبية ، فاننا نتيج لانفسنا ان نرجع الى هذين المفهومين لنرى من خلالهما كيف كان دور الشعب الجزائري دوراً نضالياً في فترات من تاريخه . وليس معنى هذا اننا نؤمن بصلاحيه الطرق التي استعملت في ذلك الماضي القريب او البعيد ، بل يقتصر ايماننا على قدرة الشعب في الكفاح واختراعه وسائل النضال والمقاومة ولو كانت ضعيفة في بعض الاحيان . وان دراسة مثل هذه التجارب الماضية لا ينفي انتقادها والتأكيد من أنها أصبحت تجارب لا يمكن ان تعاد ، أو اغلاطا لابد أن تجتنب .

لقد كان استمرار الثقافة الجزائرية وضمان بقائها مربوطاً أوثق الارتباط ببقاء الأمة في حيويته وديمومتها رغم الظروف السياسية التي كانت تنتابها . ولم تكن الأمة في حياتها الثقافة مقيدة بوجود سلطة مركزية تخطط لها معارفها أو نخبة من الاعيان تقودها الى عقيدتها ، بل كانت الأمة تبرز أكثر ما تبرز عن قوة وجودها ، اذا فقدت هذه السلطة المركزية ، وانعدم هؤلاء الاعيان من المثقفين . ذلك ان حيوية الأمة كانت دائماً مصحوبة بالترزام الجماهير بعقيدتها وصمودها امام العقائد المهاجمة . وليس من المهم ان نبحث عن عمق هذه العقيدة الشعبية أو بساطتها ، وانما المهم هو الحماس وقوة الالتزام الذي كانت تبديه الجماهير حين تتبناها وتنهض للدفاع عنها . والبحث عن وحدة الثقافة الجزائرية لا يمكن أن يكون خارج هذا الإطار . اننا نتكلم اليوم باعجاب عاطفي عن شخصيتنا المقاومة وقدرتها على الاندماج وصمودها للاندماج ، وليست هذه الظاهرة الا وجهاً من وجوه

التشدد العقائدى فى عصور الانحطاط :

من المعروف ان المغرب العربى دخل فى « عصوره المظلمة » ابتداء من أواخر القرن الرابع عشر ، حيث ظهرت نكسته العسكرية بالاندلس ، وتناقص العمران « والحضارة كما يقول ابن خلدون » وكسدت أسواق العلم « والثقافة » وتكاثرت الفتن ، وتدهور الاقتصاد والمظاهر الأكثر بروزا فى تشخيص هذا الانحطاط كانت لاشك هي تشييت الامة ، والرجوع الى البداوة فى كثير من الجهات وانعدام السلطة المركزية أو ضعفها فى كثير من الاحيان .

ولكن من العجيب أن نشاهد حيوية ثقافية من نوع خاص ابتداء من هذا العصر حتى مجيء الاستعمار . وذلك ان الشعب أخذ على عاتقه القيام بدور المحافظة على عقيدته وثقافته فى هذه الآونة مخترعا وسائله الخاصة للتليغ ومجددا كل طاقاته لنشر هذا القدر الأدنى من العقيدة التى كانت قد انتقلت من الابداع الى الجمود منذ قرون . فلقد كانت العقيدة السنية بما تحمله من توحيد أشعري وفقه مالكي مبسطين الى أقصى الحدود تكون القدر الأدنى من المعرفه المشتركة التى لا يجوز لاي فرد من الامة أن يجهلها ، ولا يجوز لاي مثقف أن يتحلى بها دون غيره من أبناء امته . وبرزت الى الوجود فى هذه الآونة شتى المؤسسات الثقافية التى كانت الجماعات تسهر على انشائها وبقائها: من مدارس ، وزوايا ، وريباطات ، ومساجد مسحت الاوطان مسحا حتى وصلت الى الجهات النائية المتعزلة وتعدت حدود الوطن الى ما وراء الصحراء والسوادين . وبعد ما غطت كثبان الرمال « طريق الذهب » ظهرت للموجود طرق الثقافة التى هي طرق الشعب الضعيف اقتصاديا الغنى بحماسه العقائدى . واتطلق آلاف « الطلبة » الفقراء الحاملين لبضاعة ثقافية متواضعة ، يجوبون التواحي

ورغبات واضحه فى كل ميدان ولم يتببق الثقافة الصالحة بالامس هي الثقافة الصالحة لعالم اليوم . ونحن نشاهد الآن تطلع الاجيال الى آفاق ثقافية أكثر فعالية تجاه مشاكل التنمية ومعاركها . وأن سرعة التحول المجتمعي تجعلنا ندرك ان مطالب ثقافتنا التى كانت صحيحة منذ عشر سنين ، أصبحت قليلة الجدوى فى الوقت الحاضر . ولا ننكر للتراث القريب منا أو البعيد فى خزان التاريخ مشاركته فى اقامة البناء الثقافى المعاصر غير ان هذا التراث يجب ان يلتقط بسرعة البرق ، اذ نحن متسابقون مع غيـرنا فى العراك الحضارى ، ولا يجوز لنا التباطؤ فى البكاء على الاطلال . ولكن هذا التسابق الذى يقتضى كثيرا من التحولات الجذرية يقتضى من جهة أخرى بقاء القدر الأدنى من مكونات الشخصية الوطنية التى كانت فى القديم شخصية الامة بمعناها الروحي الأوسع . وهذا القدر الحيوى الأدنى الذى تنعدم الشخصية بانعدامه كان دائما هو النواة التى وقع المحافظة عليها فى ابان الازمات الكبرى ، وبه دخلت الامة اليوم فى معركة الانبعاث والنمو . وتمثل هذه النواة فى اللغة القومية قبل كل شيء ، وفى الطاقة المكيفة للامة ، وهى تلك الطاقة التى لم تترك انحرافا الا وهضمته ولا انتاجا هامشيا الا وادمجته . فبهذه الطاقة استرجع الشعب ابناءه الناطقين بغير لغتهم ، وطوقهم تطويقا محكما بحيوية الروح الجماعية الى أن انصهر انتاجهم كامل الانصهار مع الاتجاه النضالى لثقافتنا . ولو كنت مؤمنا بالضـمير الجماعى لقلت ان هذا الضمير الحى هو الذى يسهر على التكيف المستمر لكل انتاج حتى تتحقق وحدة الثقافة وديمومتها . وما هذا الضمير الا يقظة الجماهير ووعيتها الذى تراقب به كل حركة ثقافية تمسها فى شخصيتها . ولقد عرفنا هذا فى فترات ثلاث من تاريخ امتنا :

مظاهر المقاومة في الثقافة الجزائرية

وخط الاستعمار خطته في الإبادة الجذرية لكل جماعة أو مؤسسة لها أدنى دور ثقافي ، ولم تبق أية مدرسة الاونسفتها المدفعية نسفا ولم تسطع أية زاوية أن تنجو بنفسها الا باذعانها لسلطات الاستعمار ، ولم يبق رجل دين يتردد على المساجد معلما ، الا اذا خضع لاوامر السلطات الفرنسية في الاقتصاد — على تعليم الطقوس — وما لبث الاستعمار بعد هذه الخطة التفكيكية ان أخضع بعض « دواجن » الدين وكون منهم أعوانه على الشعب . ولكن الجماهير كانت أكثر شعورا مما يظنه الاستعمار وأعوانه ، فقاطعت الثقافة الرسمية « المستدجنة » بكل ما أوتيت من عزيمة وأبياء . ودامت هذه المقاطعة المصاحبة للتفكيك الاجتماعي والاقتصادي أكثر من ستين سنة رأى فيها الشعب المشرود المطرود من أراضيه المحروم من مؤسساته أن يلجأ الى المحافظة على القليل الاقل من مكتسبات ثقافته الشعبية . وكانت هذه المحافظة على القدر الأدنى ، مصحوبة بحماس عارم عند أمة فقدت كل شيء الا أملها في استرجاع شخصيتها وتجديد بنائها الحضاري . ولم تمر مدة طويلة حتى تقلصت الثقافة الدينية التقليدية في أقلية من أعيان المدن يدهنون الاستعمار فيعربون له عن التمسك بالنظام والاسن ، ويتمتعون معه بالتعالى على الشعب المقدوف به في ظلمات الجهل وعذاب التشريد . وكانت هذه الفترة الحالكة في حياة الجماهير متميزة بالمحافظة الشديدة على بعض انقاض الثقافة في مظاهرها السمعية على الخصوص . فصارت النصوص تحفظ حفظا بدون فهم ، وأصبحت المعرفة وعاء شكليا كأنه يحمل بسرعة الى شاطئ النجاة . وكثيرا ما اقلت في هذه المدة بعض الافراد من شبكة الاستعمار والتحقوا بجوامع تونس أو القرويين أو الازهر لطلب العلم ، ولكنهم حين عودتهم كانوا يراقبون

القاصية وينشئون المدارس والزوايا ويبثون العقيدة في تشاد ونيجر ونيجيريا ، وجهات أخرى من أواسط افريقيا . ولم يكن هؤلاء المثقفون من ابناء المدن الزاخرة بالعلم والحضارة ، بل كانوا من ابناء القرى الصغيرة مثل تمنطيط بالنسبة لفقهاء شمال نيجيريا ، وتوكورت ومثليلى بالنسبة « للطلبة » التجار المستوطنين في النيجر ، وعين ماضي وتماسين بالنسبة لدعاة التيجانية في مالي وغينيا ، ومازونة بالنسبة لمناضلي السنوسية في تشاد .

وكانت العقيدة شديدة التماسك اذ ذاك لانها انتقلت من طور التفنن الفكري وتعميق المفاهيم ، الى البساطة الضامنة للانتشار بين الجماهير . وكانت « الكتب الحمراء » التي تحقق بقاء هذه البصاعة الثقافية بين الشعوب صفحات قليلة يمكن حفظها حتى من طرف الاميين ، فالتقت بذلك وسائل التبليغ الكتابي بوسائل التبليغ السمعي وتساندت التقنيتان ضمنا لأكبر ذبوع ممكن بين ابناء الامة . فمن هذه « الكتب الحمراء » أرجوزة ابن عاشر الاندلسي في الفقه المالكي ، وصحف السنوسى التلمسانى في العقيدة السنية الاشعرية ، ومختصر ابن اجر — روم البربري في العربية . وكانت في هذه الوسائل المتواضعة استعدادات كافية للصمود امام كل هجوم ثقافي . وقد رأينا زحف الاستعمار يكلل بالنفوق العسكري ، ولكنه ما لبث أن أدرك بأن الحرب أهم واعمق في ميادين الثقافة لان منطلق كل صمود أو هجوم من طرف الجماهير المقاومة كان في حيوية هذه العقيدة البسيطة التي أضحت موزعة بكيفية عادلة على كل المواطنين . وكان تكالب الاستعمار اذ ذاك على الثقافة ودعاتها ومؤسساتها تكالبا لم يأت بمثله التاريخ .

التفكيك الاستعماري ومحافظة الانقاذ :

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

مراقبة تضيق واجتزاز ليعدلوا عن الاتصال بالشعب وكثيرا ما كانوا ينقون من اوطانهم حتى ينقض كل تأثير ثقافى ، وحولت الزوايا والمساجد فى هذه المدة الى بيوت شعوزة وتخريف وموالة للسلطات الفرنسية ، فرأى الشعب أن يعدل عنها الى ما لديه من وسائل ضعيفة فى المحافظة على القليل الباقي من شخصيته الثقافية .

وبرزت للموجود المدن الجديدة كمراكز للاستعمار، وكان سكانها من الجـزائريين هم ابناء القرى والبوادي المطرودون من اراضيهم المخلوعون عن اطرهم الاجتماعية المفككة ، المشردون الى مجاهل المكان والزمان ، المحافظون على قليل من الامل فى بناء الامة من جديد ، فجاء فى هذه الظروف وابتداء من سنة ١٨٥٠ الشعر الشعبى داعيا الى المقاومة بين هؤلاء السـكان المعذيين . وانفجرت ثقافة « المداحين » يتظاهرون شعراؤها بـ « مدح » النبى والصحابه ولكن انفجار ادبهم الشعبى كان صرخة مزعجة فى وجه الاستعمار واثارة للحماس الشعبى بتذكير الجماهير بماضيها وسطواتها على اعدائها وقيمها الكبرى التى تتمثل فى الشجاعة والجهاد . ولم يكن للمداح ، سواء اكان شاعرا او راوية مدرسة ينتسب اليها او حركة منظمة يتقيد بخطتها ، ولكنه كان المتجول الابدئ الذى يعقد حلقات الانشاد فى كل مدينة وقرية ، وينتقل من مكان الى مكان بسرعة البرق ، كانه فى حرب عصابات مع شرطة الاستعمار . وقد يبدو هذا النوع من الثقافة الشعبية تافها اذا قيس بميزان العقل لانه يتلخص فى الملاحم العابثة بالتاريخ المرتكزة على الاساطير . ولكننا نعلم ان هذه الثقافة الجماهيرية كانت آخر ملجأ لانقاذ ما تبقى من قيم الامم قوامها مرحلة من مراحل المقاومة المستميتة . وقد حفظ شعراء الشعب عزة الامة بوسائلها الثقافية الضعيفة التى لا تتعدى السمع

واللقاء والتى لم يبق لها من ذكريات التاريخ الا بقايا يحيط بها الضباب ويحذف عليها النسيان . وبطولة هؤلاء الشعراء الشعبيين كانت تتلخص فى صرختهم الثورية حينما انهارت كل مقاومة وأيام سكت الفقهاء ورجال الدين . هذا وتعد نوعية الانتاج المحمى غير قابلة لمقاييس النقد المنطقى او التاريخى، لان غرضها لم يكن تثقيف الناس ثقافة دقيقة، ولكنها كانت ترمى الى اثاره الحماس وبعث الامل فى الامة بكل الوسائل وبلاسطورة على الخصوص لانها اثبتت فى الخيال واقوى ارتكازا فى عواطف شعب رده الاستعمار الى اسفل درك من الامة .

الفصل الرابع لثقافة الاعيان :

اننا اذا استثنينا معلم القرآن الذى كان يحافظ على القدر الأدنى او دون الأدنى من المظهر الصورى للثقافة ، واذا استثنينا الشاعر الشعبى الذى كان يحمل المشعل الخافق المضطرب للمقاومة ، فاننا سنجد مخطط الاستعمار ناجحا بعض النجاح فى محاولته تحويل الامة عن ميادئها الثقافية . ذلك ان ثقافة الاعيان حلت ، بكيفية تدريجية محل ثقافة الجماهير . فكان اعيان المـدن يتحلون بالمعارف الشكلية التى لا تصلح الا للتظاهر والمفاخر بالعلم واصبحت الثقافة العربية قوقعة فارغة تستعمل للزينة والتفوق على « العوام » . ولم يمر ربع قرن حتى بدأت المدرسة الفرنسية تنشئ اجيالا جديدة من النخبة المحلية بالثقافة الغربية وتكونت ثقافة الاعيان هذه فى مرحلتين . اما المرحلة الاولى فقد ظهر فيها جيل لم يتخل عن تقاليد ثقافته الاسلامية رغم تمكنه من اللغة الفرنسية ، وبقي فى نفسه امل للتخلص من القمع الاستعماري رغم تفاهة الوسائل التى كان يلجأ اليها . وهو جيل الامير خالد وابن رحـال ورفاقهما ممن كانوا يواجهون عنف الادارة الفرنسية

الثقافية الهامشية التي تتجاهل الجماهير وتتجاهها في معتقداتها . ولم يكن التحلي بالحضارة والعلم سلاحا كافيا لتبرير موقف الاعيان المنصرفين عن شعبيهم ، المعلنين اندماجهم في المجتمع الفرنسي ، فاصبحوا بين خيبة امل وتائب ضمير ينتظرون مجرى الاحداث . وكانت صرخة الانبعاث التي اطلقتها الحركة الاصلاحية باسم الامة : ان لا اندماج ، ولا تبعية ، ولا ثقافة اعيان ، وان الحياة الثقافية الطبيعية بالنسبة لهذا الشعب كانت ولن تكون الا ثقافة الجماهير . وسكت شعراء الشعب عن تبشيرهم بالجهاد سكتة واحدة حينما ابركوا انبعاث الامة على يد علمائها المناوئين للاستعمار . وتبنى الوطن كله هذه الحركة الجديدة لانه شعر بابعادها النضالية واستعدادها لتجديد الكفاح وكانت الاسس العقائدية التي جاءت بها تتلخص في تحسيد كيان الامة والشخصية الجزائرية حول محورين اساسيين هما اللغة العربية ، والاسلام كدين وحضارة . ولم تقتصر هذه النواة العقائدية على الجانب السياسي بل اعلنت عن اعتناقها للعلم والعقلانية كجسرين لا بد منهما للوصول الى التمدن والرقى . ثم اصبحت هذه العقيدة المبسطة تلقن للجماهير على يد الدعاة المنتشرين في انحاء الوطن . وكان الامة عادت الى عهود ثقافتها الاصلية تتبناها بحماس وتنشرها بروح نضالية لانها ثقافة الشعب ، وثقافة مقاومة الاعداء . وظهرت المؤسسات الثقافية المفقودة منذ ستين عاما فتكاثرت بسرعة البرق وحملها الشعب حملا على اكتافه رغم الفقر والجهل الذي كان يتخبط فيه . وكانت المدارس العربية الاسلامية تصاح بالمساء ما تفسده بالنهار المدارس الفرنسية . واعلنت الحرب دفعة واحدة على الاستعمار وعلى الاعيان ، وعلى شبه الثقافات المشعوذة . اما الاعيان من دعاة العلم المعصرى فقد وجدوا في العقلانية الاصلاحية

بالخطب العاطفية التي تحاول اقناع الخصم بالرجوع الى العدالة والانسانية . غير ان هؤلاء المثقفين الاعيان كانوا يمينين كل البعد عن الجماهير المشردة وكانهم يلعبون دور الترجمان عن عواطفهم صاروا منفصلين عنها بسبب مخالطتهم للاستعمار وقبولهم لمخطط تكوين النخب الاحلالية كواسطة بين الشعب وسلطات الاحتلال .

وتبع هذا الجيل جيل آخر من اعيان الثقافة الغربية تنكر كل التنكر للجماهير الشعبية ، وسفه علانية احلام الامة ، وطعن في الثقافة العربية الاسلامية طعنا كان يمليه عليه الاستعمار بكيفية غير مباشرة ، لانه كان يلقي ذلك تلقينا في كل مرحلة من مراحل التعليم الفرنسي . وتكاثرت الحركات المبشرة باللائكية والعالمية التي يتستر من ورائها الحقد على الثقافة الاسلامية كقوة للمصعود ، وعلى اللغة العربية كمحور لوجود الامة . واعلن كثير من المثقفين الجزائريين انسلاخهم الكلي عن العروبة والاسلام وانقادوا جهازا للحركة الاندماج ، ولم يدركوا ان اعتناقهم هذا المذهب السياسي كان تتويجا للمخطط الثقافي الذي اخضعوا له وكيفوا بواسطته في مدارس الاستعمار . وكان الشعب يراقب بدهشة هذا المسخ الذي خلق من ضلعه فيحتار في معاملته ولا يستطيع ان يبادل العداوة والاحتقار لانه من طينة الامة مهما كان مشوها لها . وتباعدت المسافة الاجتماعية والثقافية بين الجماهير وهؤلاء الاعيان فكان شبه التقاطع يتبعه الصراع الطبقي بين النخب المتكثلة المنتفعة بامتيازات الاستعمار ، والشعب الذي لا يزداد الا فقرا وتشريدا وتوغلا في ظلام الامة .

الانبعاث الثقافي وحيوية الامة والجماعة :
غير ان الامة كانت بالمرصاد لكل هذه الحركات

المجتمع في الماضي يجيب عن المشاكل بوسائل قوية أحيانا وضعيفة أحيانا أخرى ، وكان يخطط بوعي في بعض الاطوار ويترك للصدف مشاكله أطوارا أخرى . ولقد عزمنا منذ بعيد على الانتقال من مجتمع التطور بالصدف الى مجتمع الثورة والتخطيط الواعي . ولا يمكن أن يقال ان في التاريخ أجوبة للمشاكل الحالية . ان العبرة الوحيدة التي يجب أن نستخلصها من كل عروض التاريخ هي أن ثقافة الاعيان فاشلة مهما كان تفننها وان الثقافة الوحيدة التي يمكن أن تعمد ثورية هي الثقافة الجماهيرية النضالية . ولا يمكن أن يقال ان عهد النضال قد فات لان معارك التنمية أشد وطأ من معارك التحرير السياسي اذا احصينا الثقافة كسلاح في هذين الميدانين . والعبرة هي ان نقيس أيضا بثقافة الاعيان في القديم ثقافة البيروقراطية والتينقراطية المرتفعة على الشعب في أبراج مكاتبها . وسنرى اننا تقليديون نتخط في التقليدية دون شعور . اننا نلقد الاستعمار في سلوكه الثقافي ، نتحلى بالمعرفة وتفتن فيها ولا نشاطر ابناء وطننا حتى القدر الأدنى من المعرفة الذي يضمن الخروج من ظلمات الامية . لقد خلق هذا الشعب مناضلين للثقافة عبر القرون منهم الفقير والطالب ورجل الرباط المجاهد ، والمبشر من وراء الصحراء والمداح ، والمصلح الديني ، ولكن هذه الشخصيات كانت نتاجا لمجتمعات وظروف لن تعاد ، ولن يبرز للوجود أي واحد من هذه الشخصيات . غير ان الداعية الذي يجند نفسه من أجل ثقافة مناضلة تتفق مع مقتضيات العصر ومعارك النمو والتوعية ، وتجعل الشعب منطلقا وهدفها ، يمكن أن يوجد اليوم . وذلك حتى لا تنقل ثقافتنا التقنية في حلقات الاعيان التي لن يكون مالها الا الغسل الذريع .

احسن سلاح يواجههم ، وأما رجال الطرق ومن التف حولهم من ابناء الشعب المفرورين فقد وقعت مجابتهم بالدين نفسه ، وأما الاستعمار فكان لا بد من محاربه بخلق وحدة متينة بين الاحزاب السياسية الجماهيرية والاصلاح بصفته حركة ثقافية شعبية . وحقت الامة المشتتة بناء وحدتها من جديد كما حققت انبعاث عقيدتها واسترجاع شخصيتها باسترجاع لغتها . واذا اردنا ان نضرب مثلا في تحقيق هذه الوحدة فما علينا الا ان نرى كيف التف السنيون المالكيون وسنيو وادي مزاب حول عقيدة واحدة ، وهي العقيدة السلفية الاصلاحية بما فيها من تفتح للعلم والمدنية . ولولا حرص الامة على استرجاع وحدتها لمجابهة الاستعمار لما تحقق مثل هذا الاتفاق ، فكانت الروح الجماهيرية النضالية هنا أيضا هي المحرك الاساسي في كل هذه العمليات السياسية والثقافية ومهما كانت الانتقادات التي وجهها جيل ١٩٥٤ أو توجهها الاجيال الحاضرة للحركة الاصلاحية ، من اتهامها بالمعم البكر ، أو ميلها أحيانا الى سياسة المسالة ، فانه لا يمكن لاي منتقد أن ينكر ان هذه الحركة الثقافية الكبرى ردت الى الامة كيانها وحيويتها ، وبعثت اللغة العربية من مرقدتها ، وردت بالثقافة الى مجراها الطبيعي الذي يتمثل في صفاتها الجماهيرية . وكانت بكل هذا خير مهيم للثورة التي تبعتها ابتداء من ١٩٥٤ .

من مشاكل الحاضر :

اما الآن وقد علمنا ان الثقافة الجزائرية ما فتئت منذ أكثر من قرن ثقافة شعبية مقاومة تخرع الوسائل والاسلحة للقيام بدورها النضالي ، فلا يعني هذا اننا ننتظر من طاقة الشعب وحيويته أن تخرع اسلحة جديدة لمشاكل العصر . لقد كان

نحو وعي أفضل لتاريخ الجزائر

« ينبغي على من يشتري أرضا زراعية أن يبيع بيته في المدينة ، حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة التي تدفعه الى عبادة (آلهة) منزله في المدينة بدلا من عبادة (آلهة) الريف . والمرء الذي يجد متعة اكبر في مقره في المدينة ليس بحاجة لامتلاك اراضى في الريف »

ماغون القرطاجي

د. هشام الصفدي

جراحات ثوارها خصوصا - فأننا سننتقل مباشرة الى طرح بعض المشاكل المرتبطة بصميم تاريخ الجزائر ومعالجتها .

تاريخ الجزائر : بداياته وابعاده

إذا كان مدلول التاريخ في اوسع معانيه قصة ماضى الانسان ، فان تاريخ الجزائر يبدأ منذ ان بدأ الانسان تفاعله الهادف مع البيئة في منطقة شمال افريقيا . ولقد تميزت الجزائر بصفة خاصة في ان بدايات هذا التفاعل تعود من جهة الى عهود باكرة موهلة في اعماق الزمن ، ومن جهة أخرى تقدم بقايا الانسان الباكرة في مواقع مثل : عين حانش وباليكاو ... الخ ، الفاتح الاولى لمواضيع حساسة جدا في تاريخ الجنس البشرى عامة .

وعلى الرغم من ان دخول انسان الجزائر الباكر الى التاريخ - او ما قبل التاريخ حسب التعبير العلمى - قد تم بهدوء وبدون ضجة ، نجد آثار هذا الحدث لا تبقى كذلك ، بل انها تزداد شعولا واتساعا سواء في المكان او في الزمان . ومن جديد اذا انطلقنا من الحقيقة التى تقول : في انه لا يوجد شيء انساني حقا دون ان يكون على قدر من الاهمية فانه يحق بشكل جدى ان نضع بداية تاريخ الجزائر جنبا الى جنب مع بدايات وجود انسان المنطقة في التلائم مع البيئة . وهى جهود تصب سرائرها في بحر الحضارة الانسانية . ولقد تركت الادوات والبقايا المادية التى خلفها ذلك الانسان سجلات بسيطة استخدمت فيها بعد لترجمة فعالياته الفكرية او جهوده عامة : الايجابية تارة والمتعثرة أخرى ، وما اكثر الصور الجدارية التى تملأ شعاب الصحراء فى الهقار

من بين العوامل العديدة التى دفعتنى لكتابة هذا المقال محاضرة القاها مؤخرا استاذ اجنبى زائر في كلية الاداب بعنوان : « اهمية المعرفة التاريخية لبلد كالجزائر » . وبما ان المحاضرة كانت نصف ارتجالية يمكن تلخيص النقاط الرئيسية فيها بما يلى :

— اشادة بماضى الحضارة العربية ، وبالتالى دعوة للاهتمام بهذا التراث في منجزات دولتى المراتين والوحدين !!

— والى جانب الاهتمام بالنورة الجزائرية ، وبدور المناضل الامير عبد القادر ، يوصى المحاضر مستمعيه بالعناية بماضى بلادهم في الحقبة السابقة للاسلام مباشرة : وهى حقبة الاستعمار الرومانى .

— وبالمثل يوصى المحاضر بالعناية والتسامح في تفهم اعمال قطب من اقطاب الفكر المسيحى في شمال افريقيا الرومانية هو القديس اوغسطين . وعلى العموم ركزت المحاضرة على المواضيع الخاصة بالعهد الرومانى ومنجزاته الكبيرة في شمال افريقيا ، مثلما ركزت حول اوغسطين باعتباره ابا للكنيسة اللاتينية .

واذا عاد الانسان الى عنوان المحاضرة ، مال الى الاستنتاج بان المعرفة التاريخية الضرورية للمواطن الجزائرى تنحصر في النقاط السالفة الذكر . لما كان المقال لا يستهدف في هذا المجال نقد المحاضرة سواء من حيث استيعابها لعنوانها الضخم او من حيث تقديدها بالدقة والى ايجابية في تحديد اطارى الزمان والمكان بالنسبة للمعرفة التاريخية التى يحتاجها اى بلد عموما - والجزائر التى لم تلتئم بعد

نحو وعي افضل لتاريخ الجزائر

البداءة والترحل ، ونظام العباد الاجتماعية الناشئة والمائلة باستمرار منذ أكثر من خمسة آلاف سنة في تاريخ الجزائر وفي مناطق كانت خضراء مخصبة ، ثم تحولت تدريجيا وبسبب الجفاف والانجراف الى صحارى وسهوب . هذه الشروط البيئية لن تتغير معطياتها واثارها القوية على تاريخ المغرب الا عند ما يسيطر الانسان بشكل فعال وكاف على الطبيعة وبالدرجة الاولى على موارد المياه فيها او موارد الطاقة (I) . علاوة على ذلك شكلت هذه الوحدات الجغرافية الثلاثية ، والحواجز القائمة بينها عقبات في وجه الوحدة السياسية حتى لقد وجد من المؤرخين المعاصرين من يتحدث عن « لعنة جغرافية » كاميل فيليكس جوتييه وآخر يتحدث عن « ديمومة جغرافية » في المغرب — « شارل اندريه جوليان » تتحدى التغيرات السياسية نظرا للصراع الذي كان قائما بين سكانها ...

وهكذا يتضح لدارس تاريخ المغرب ان « ثلاثية » البيئة هذه نتج عنها وكان يقابلها بشكل مستمر عبر التاريخ « ثنائية » في التنظيم الاجتماعي تتألف بشكل رئيسي من بدو ومن حضر . ولقد تارجحت حدود هذه الثنائية الاجتماعية وفقا لاعتبارات سياسية احيانا . ولا بد ان نذكر حقيقة راهنة تتلخص في ان الوافدين على المغرب من فنيقيين ، ورومان ، وبيزنطيين ، واسبان ، وايطاليين ، وفرنسيين مارسوا انماطا في المعيشة لم تستهدف الانسجام مع معطيات « ثلاثية » البيئة ، في حين انفرد العرب المسلمون الذين تقدموا من بيئة جغرافية مشابهة للمغرب — سواء في التأقلم

وتاسيلي ، والادوات الحربية في مرامل الوديان وفي كهوف مشتى العربي وسيدى عبد الرحمن . انها تكون المساهمات الاولى التي شارك فيها سكان المغرب القدماء في عمليتي التحضر والتطور الطويلتين وتعتبر عن نفسها في ثقافات معينة كالثقافات الوهرانية ، والقصية ... الخ .

منذ ان بدا الانسان المغربى خطواته الاولى في طريق الحضارة قامت في وجهه مشكلتان اساسيتان : علاقته بالبيئة ، وعلاقته بالآخرين ، وهى علاقات لن تكف عن التفاعل الا اذا كف الجنس البشرى عن الوجود ، هذه المشاكل طرحت نفسها بقوة على واقع الانسان المغربى القديم ، وشكلت له « تحديات » عديدة ، يفترض عنه وفقا لنظرية المؤرخ توينبى — ان يتقدم نحوها « باستجابات » مناسبة يكون مجموعها رصيده التاريخى : بماله وما عليه . ومع نهاية العصر الجرى الحديث يلاحظ ان علاقة الانسان المغربى مع بيئة تكاد تكون معطياتها تصبح ثابتة . وهى تفرض نفسها حتى اليوم متمثلة في مجموعة « ثلاثية » الاطراف تتألف من : سهل ، وجبل ، وصحراء . لكل منها شروط خاصة بها ترضاها جميعا جزيرة كبيرة يحيط بها بحران : واحد من الماء المالح ، وآخر من الرمال اللاهبة ، هى جزيرة المغرب .

لن نحاول هنا التفصيل في دور عامل المناخ والبيئة الحاسمين على استجابات الانسان في كل منطقة من المناطق الثلاثة ، بل نكتفى حاليا بالإشارة الى الموضوع الاول في هذا المضمار : وهو موضوع

(I) سنقدم هذا الموضوع في بحث عنوانه : « دور الصحراء في تاريخ الجزائر » .

وهناك أدلة أثرية تسبق ادعاء المؤرخ ابيان « بان ماسينيوس علم النوميديين الزراعة » تشير الى ان النوميديين لم يكونوا رحل بالمعنى الانثروبولوجي لهذه الكلمة الاغريقية الاصل « نوماد » ، بل كانوا الى حد كبير فلاحين — رعاة للباقر . فينتقلون بقطعاتهم من المراعى العالية في الصيف الى المراعى المنخفضة في السهول في الشتاء ، ويمارس جانب منهم زراعة الحبوب كالقمح والشعير بالإضافة الى معرفتهم للكرمة وشجرة الزيتون . واشتهروا بكونهم فرسانا محاربين مربيين للخيل ينتظمون اجتماعيا في سلاسل تستند على قبيلة او على تحالف قبلى . وبما ان نظام الحكم اعتمد الى حد كبير على التكوين القبلى ، يلاحظ ان القبائل نفسها لا تتفق دائما بسبب وجود مبدأ الفريقين . وتتأرجح تحالفات الفرقاء وتسود بين انصار الحاكم واعدائه من القبائل . ويرى المؤرخ قولفل ان كلمات نوميديا وموريثانيا ليست الا أسماء ذات مدلول للاجانب اكثر منها لابناء المنطقة ، وحتى بالنسبة للاجانب يتأرجح المدى الارضى الذى يقابل هذه التسميات . فالقبائل تتجمع في المكان وتنمو فيه ، وتنحل فيه وهذا التآرجح يقدم صعوبة كبيرة لتشكيل مفاهيم ثابتة للحكم والدولة ولعل هذه الظواهر يشترك فيها قدماء المغاربة مع سكان شبه الجزيرة العربية ، حيث تساهم البيئة الى حد كبير في دفع التنظيم الاجتماعى في هذا الاتجاه . ولا بد من الملاحظة اننا مازلنا نفتقد الى المعلومات الواضحة بالنسبة لهذه المرحلة الهامة من تاريخ المغرب . ذلك ان النتائج التى توصل اليها البعض اليها تعتمد على دراسات اثنوجرافية وسوسيوولوجية للقبائل المعاصرة ، ومن ثم القياس على النتائج

مع واقع البيئة الجديدة او في مشاركة اهل المغرب ثنائيتهم الاجتماعية ولقد تم ذلك بسرعة لعوامل عديدة **العلاقة مع الآخرين :** هنا نأتى الى الشق الثانى من الموضوع وهو علاقات السكان مع بعضهم ومع الآخرين . فانه يتأثر كما رأينا بالاعتبارات البيئية الجغرافية التى رسمت الى حد كبير انماط حياتهم الاجتماعية . ولا يعنى ذلك اهمال العامل البشرى الذى رسخته طبيعة الحياة القبلية من جهة ، وحياة المدينة من جهة اخرى في انماط معينة .

واذا كان من السهل نوعا ما دراسة علاقة الانسان المغربى القديم (انسان ما قبل — وفجر التاريخ) ببيئته ، على ضوء المخلفات المادية التى تركها ، فاننا لن نجد نفس السهولة في بحث المعالم الباكرا لعلاقاته مع الآخرين . خاصة وانه لم يسجل اعماله انذاك بواسطة الكتابة لذلك سيكون من السابق لاوانه رسم صورة نهائية لما كان عليه التركيب البشرى في المراحل الباكرا وعلى الاخص طرح فرضيات يحلو للبعض ان يحولوها على الزمن الى مسلمات تاريخية حول الانسان والارومات العرقية . وفي هذا الميدان ما يزال امام ابحاث ما قبل التاريخ والانثروبولوجيا المغربية عمل كبير لسد الثغرات القائمة في تاريخ السكان الاوائل .

ومع بدء الحقبة التاريخية تلوح في المغرب ظواهر خاصة في العلاقات البشرية ستبقى الخطوط الرئيسية فيها متشابهة حتى فترة قريبة . فهناك جماعات من البشر أطلق عليهم الاغريق والرومان اسم : ليبيين ونوميديين وموريين ، كانت تقطن منذ فجر التاريخ على الاقل منطقة المغرب وتمارس انماط معيشة تتراوح بين الترحل الكامل وبين الفلاحة والرى .

نحو وعى افضل لتاريخ الجزر

التي قابت مبكرة منذ القرن الحادى عشر ق . م . على الاقل . فمهد تأسيس مدينة اوتيكا وغيرها من المحطات الساحلية وحتى بعد قرون عديدة من تأسيس قرطاجة ، استمر النوميديون والليبيون يمارسون حياتهم وتطورهم وفق الانماط الخاصة بهم ، نظرا لان الفينيقيين لم ينتشروا الا على رقعة ضيقة من الساحل الغربى ، وبقي الجارامانت يشكلون جسرا بين افريقيا الاستوائية وساحل البحر المتوسط .

واذا قبلنا الطابع السليم والتعاونى الذى يوحى بهكل من قصة الملكة ديدون ، ورحلة حنون للعلاقات المغربية - الفينيقية الباكرة ، يتوجب على المؤرخين وعلماء الآثار ان يفتشوا فى هذه المرحلة بالذات عن جذور التبادلات الحضارية والمادية التى تمت بين افريقيا الشمالية واسيا الغربية . فبدون تحديد للعناصر التى كان الفينيقيون واسطة لنقلها من المشرق الى المغرب وتلك التى جاءت حصيلة الابداع والتطور المغربى ، لا يمكن اعطاء صورة واضحة لما تم فى هذه المرحلة الحاسمة وبواسطة دراسة ميدانية ومكتبية تعتمد أولا على علم الآثار سيتحقق للمؤرخين تصنيف مراحل التطور فى العلاقات ضمن مراحل محددة نطلق عليها اصطلاحا اسم : مرحلة فينيقية ، واخرى قرطاجة وثالثة بونية - ليبية ، مازلنا للأسف نفتقر الى تحديدات كرونولوجية دقيقة لها سواء بشكل مباشر أو عن طريق الربط مع تقديم زمنى مجاور . ان دراسة موضوعية من هذا النوع كتيعة بتقديم اجوبة وغيرة على عدد من علامات الاستفهام المحيطة بتاريخ المغرب الباكر ، وهى

بالنسبة للاوضاع فى الماضى البعيد . وهذا عمل محفوف بالمخاطر .

بالنظر للعوامل الجغرافية والبشرية السابقة الذكر تشير الظواهر الى ان المغرب القديم كان يفتقر فى العهود الباكرة من تاريخه الى عنصرين اساسيين هما : « نظام المدينة » اى العاصمة ، و « الوحدة السياسية » اى الدولة الموحدة . وهى عناصر توفرت فى وادى النيل من قبل ، ثم حققها الفينيقيون فى موطنهم الجديد فى المغرب .

مع احتكاك اهل المغرب بالشعوب الاخرى يبدأ التاريخ بالحديث عنهم وعن مناطقهم . وكان المصريون ثم الفينيقيون والاغريق فى طليعة هذه الشعوب . ولعل المشكلة الرئيسية فى هذا المجال تكمن فى ان ما نملكه من معلومات حول هذه العلاقات يعتبر وحيد الجانب : اى من كتابة الاخرين . فلا نجد حاليا فى المغرب القديم مقابلا للاخبار والسجلات التى دونها الفراعنة عن صلاتهم الوثيقة بالليبيين . كذلك تبقى الكتابة الفينيقية الوسيلة الرئيسية لتسجيل الاحداث فى المغرب حتى يحتك اصحابها بالاغريق وبالرومان . وبالنظر لضياح السجلات والوثائق الفينيقية بفعل الدمار الذى لحق بقرطاجة نتيجة الحروب البونية ، وبالنظر للوضع الراهن المتعذر بالنسبة للكتابة الليبية يفتقر تاريخ المغرب القديم الى وثائق ومصادر على جانب كبير من الاهمية ، كان المفروض فيها ان تغطى حقبة الالف الاول قبل الميلاد ، ويبقى النصف الاول منه بصفة خاصة محفوما بالغموض والظلام .

من بين المواضيع الهامة فى هذه الفترة ، والجديرة ببحث خاص ، نشر الى العلاقات المغربية الفينيقية

ستضع نهاية لاستنتاجات وإحكام بعض المؤرخين كالمؤرخ جوليان (1) مثلا ، الذى يحتم بشئ من القدريّة بان طبيعة المغرب مسؤولة عن قصوره عن الاستقلال ، وان جمود سكانه بينهم من التطور حينما يقول :

« مهما رجعنا الى أوائل تاريخ افريقيا الشمالية لاحظنا ان الامر تجرى كما لو انه كتب على هذه البلاد ان تبقى قاصرة قصورا وراثيا عن التمتع باستقلالها ... فالمدنات المتقاربة التى طرات من الخارج لم تكن بالنسبة الى البربرى الا ثيابا متنوعة تسر جسدا وروحا لا يتغيران ... » .

واذا رجعنا الى التاريخ البعيد والقريب لوجدنا انه فى تجربتين متماثلتين فى تاريخ المغرب ، الواحدة تمت فى عهد يوغرطا ، والثانية فى عهد عبد القادر لم تكن « الطبيعة » ولا القصور الوراثى « ، بل قوى خارجية عن المغرب مسؤولة عن سحق حريته وإيقاف تطوره .

مصادر تاريخ المغرب

ذكرنا بان التاريخ بدأ بالحديث عن المغرب القديم منذ ان احتكت به الشعوب الاخرى . وكان الفراعنة والفينيقيون فى طبيعتها . ثم أخذت المنابع بالازدياد منذ احتكاك الاغريق والرومان به . ويعتبر المؤرخان الاغريقيان هرودوت وپوليب فى طبيعة من تنازل المغرب بالرصف والدراسة .

ويتلو ذلك كتابات المؤرخين اللاتين امثال سالوست ، وتيت - ليف ، وپليني وديوكاسيوس

وبروكوب ٥٥ الخ ، وبالإضافة الى كتب التاريخ هناك مجموعات هامة من الكتابات السامية والافريقية واللاتينية تتصل من قريب أو بعيد بتاريخ المغرب ، عثر عليها فى مناطق مختلفة من البحر المتوسط وجمعت فى مجلدات خاصة - وعلى مر الزمن عثت هذه المؤلفات رغم ما تقدمتها مصادر رئيسية ، واستخدمها المؤرخون الاوروبيون التالون لانتزاع المعلومات منها الى اقصى حد يتيح اراحة بعض الظلام المخيم على المغرب وعلى علاقاته الدولية .

ولا يخفى على القارئ ان الكتاب الاغريق واللاتين ينتسبون الى شعوب تحيزت بعدائها للفينيقيين ولاهل المغرب لذلك لا تتصف كتابات الكثيرين منهم بالموضوعية التامة ولا بالجهود للوصول الى الحقيقة التاريخية السليمة - وعلى الرغم من ان اعمال المؤرخين الاغريق واللاتين تتناول احداث الالف الاول قبل الميلاد ، نجد ان القرون الستة الاولى منه تكاد تكون مهمله . ولقد حظيت الكتب الاغريقية اللاتينية باهتمام المؤرخين الاوروبيين التالين ، فاشتط الكثيرون فى اخذ ما جاء فيها من معلومات بشكل حرفي وباعتبارها الحقيقة النهائية بالنسبة لآخبار أهل المشرق ، بما فى ذلك سكان المغرب القديم ، ومع قيام علم الآثار وممارسة التنقيب فى مواقع المغرب التاريخية مثل قرطاجة وليكوس وسرتا ، بدأت معلومات المصادر الكلاسيكية تقابل بمحك النقد والتحجيص ، فتوجب تصحيح أو رفض بعض المعلومات السابقة احيانا ، وفى بعض الحالات جاءت نتائج البحث الاخرى تؤكد صحة الاخبار السالفة وخاصة عند ظهور وثائق كتابية أصيلة ومعاصرة .

نحو وعى أفضل لتاريخ الجزائر

وترد هذه التسمية عند المؤرخ سالوست : « كان أوائل سكان افريقيا الجتوليون والليبيون ، وهم اقوام خشنة وبرابرة يقتاتون بلحوم الحيوانات المتوحشة او من اعشاب المروج على طريقة المواشى » .

يتبين من الشواهد السابقة ان ما كتبه المؤرخون الكلاسيكيون عن المغرب من تسميات مشوهة ومعلومات لا تلتزم بالدقة قد تم تعرضه من جانب واحد .

ثم اخذ المؤرخون التالون هذه المعلومات واعتبروها شبه مسلمات فعلى الرغم مثلا من ان المؤرخ جوليان يعترف « بان البربر لم يطلقوا على انفسهم هذا الاسم ، ولم يروموا استعماله فانه يعتبره افضل تسمية لشمال افرريقيا » !! ومن الغريب ان بعض كتاب التاريخ المعاصرين من ابناء المنطقة يعيدون اقتباس بعض هذه الاخطاء دون ان يطبقوا عليها مبادئ النقد التاريخي . ولو سأل أحد « الفينيقيين » عن اسمهم الحقيقي لاجابوه بانهم « صيداويون » نسبة الى مدينة صيدا ، او اجابوه باسم شعبهم عامة ، كما اجاب القديس اوغسطين من بعد بانهم « كنعانيون » .

(4) — ونفس مبادئ الشك والنقد يمكن تطبيقها على بعض المعلومات الواردة من كتب المؤرخ بوليت حول اعداد الجنود الذين اشتركوا في الحرب اثناء غزوة القائد الروماني ريغولوس على شمال افريقيا او في ثورة الجنود الليبيين الملقين « بالمرتقة » على قرطاجنة ... او في تحليل المؤرخ سالوست لاسباب ثورة يوغاطا ، بله نزاهته كموال وكمؤرخ لشمال افريقيا .

واذا حاولنا ان نقدم لمحة موجزة عن ما يمكن تقديمه من نقد لهذه المصادر ، فسيكون ذلك من قبيل ضرب الامثلة العملية ، وقد نكتفى باسسط جانب ونعني نقد التسميات التي وردت فيها .

(1) — فاسم الفينيقيين ليس من وضع اصحابه ، ولكنه من وضع الاغريق الذين اطلقوا على الساميين من سكان الساحل السوري اسم صباغة الارجوان « فونيكس » التي اشتهر الفينيقيون بها . وفيما بعد حرف الكتاب اللاتين كلمة « فينى » الاغريقية الى « بونى » اللاتينية .

(2) — ونفس الشيء ينطبق على تسمية النوميديين الذين اشتق الاغريق اسمهم من طريقة معيشتهم . وفق ذلك يقول المؤرخ بلينيوس : « نسمى نوميديين اولئك الناس الذين يطلق عليهم الاغريق اسم « نوماداس » . أى رحل .

ثم استعير اسم الشعب ليطلق على البلاد التي يسكنها فقدا اسمها نوميديا ، علما بان شمال افريقيا كانت تعرف سواء من قبل المصريين او من قبل الاغريق باسم ليبيا .

(3) اما الرومان فقد اطلقوا على جزء من سكان المغرب اسم « بربر » وهو اسم مشتق من الاغريقية « بار - بار » ويعنى الهمج . وكان الاغريق يفتخون به غيرهم من الشعوب ، وبصفة خاصة الاقوام الشرقية التي لا يفهمون لغتها . ويتأثر الفلاسفة الرواقية زال المفهوم القومى لهذه الكلمة ، فاخذ الناس يرون في البرابرة والعبيد بشرا ومع الزمن اتخذت تسمية « بربرى » مدلولات ثقافيا فشمل كل الذين لم يساهموا في الثقافة الاغريقية الرومانية

١٥ - أما المؤرخون المعاصرون الذين عالجوا تاريخ المغرب عامة ، فان بعضهم لا يتأخر عن توجيه كتابة التاريخ اتجاهات معينة سواء لضرب الوحدة الوطنية أو لتبرير الاحتلال كلها كانت مصالح بلاده المستعمر تتطلب ذلك . وما أكثر ما كتبه المؤرخون المعاصرون عن تمجيد الاستعمار الرومانى فى شمال افريقيا ، وما أشادوا بالازدهار الذى حقق للمنطقة وما أبرع المقارنات التى كانت تعتقد بين منجزات الرومان واعمال الفرنسيين فيها ، وهناك مؤرخ عالم كالمؤرخ جزيل يرسم فى كتابه « الجزائر فى العهد القديمة ، عام 1900 » الطريق للاستعمار الجديد حينما يحلل الوضع الجديد مستفيدا من اخطاء الاستعمار القديم : « ... فبينما كانت الجزائر عام 1830 منطقة بربرية ، وجد الرومان فيها مدنا مزدهرة وكثيرا من الاراضى المستثمرة . فكان عليهم ان يطوروها جسدا كان قويا من قبل ، ولم يكن عليهم ان يعيدوا الحياة الى جثة .

فلم يصطدموا لا باحقاد قومية ولا بأحقاد دينية ... ولم يكن ضروريا لهم لكى يثبتوا سيادتهم ولكى ينشروا لغتهم وعاداتهم ان يملأوا البلد بالمستعمرين . وهناك عدد كبير من الافريقيين قبلوا طواعية الحضارة التى جاءهم بها الرومان . صحيح ان الكثير غير هؤلاء فضلوا الاحتفاظ بعادات اباائهم ، نجد ان روما ومن بعد بيزنطة وريثتها اخطأتا بأنهما لم تبذلا محاولات قوية لكى تحول من مشاعرهم . وهذا كان بالنسبة لروما وبيزنطة عربونا للسلامة . وقد اخطأتا قبل كل شئ بأنهما لم تقيما فى افريقيا مؤسسة عسكرية قوية الى درجة تخولها من طرد الناهبين

البربر ومن ايقاف الفوزين الجرمانى والعربى ... » .

اخيرا اليس الغاية من تقديم بعض الشواهد حول مجالات نقد المصادر الطعن فى كل ما تتضمنه هذه من معلومات حول ماضى المغرب ، بل رغم ذلك تبقى مصادر على درجة من الاهمية . غير ان الهدف الحقيقى من طرح المشاكل بدء حقبة جديدة من وعى سليم لتاريخ المغرب .

صحيح ان الدراسات التاريخية باللغة العربية قد قصرت فى هذا الحقل لاسباب عديدة ، كان التخلف الذى فرض من الخارج ومن الاستعمار بالذات فى مقدمتها . فيضاف الى ذلك جهل باللغات القديمة الاغريقية - اللاتينية أو السامية ، واقتدار الى المكتبات الضخمة ، وحرمان من ممارسة البحث الأثرى . واليوم يحتم مستوى البحث العلمى المعاصر اسلوبا جديدا فى معالجة ودراسة تاريخ المغرب القديم . فالمصادر الكلاسيكية وكتب التاريخ المعاصرة التى اعتمدت عليها تكاد تستغنى عنها من امكانيات فى تقديم صورة كاملة سليمة أى قريبة من الحقيقة التاريخية . والثغرات العديدة الواسعة التى ما تزال قائمة ضمن فصول هذا التاريخ لا يمكن رابها الا بالرجوع الى المصادر المادية : أى بالرجوع الى كل ما خلفه سكان المغرب من انتاج يدهم وفكرهم عبر القرون . هذا التراث الهام ما زال يكمن تحت التراب لا فى مواقع المغرب التاريخية الوفيرة ، بل ينتشر فى ارجاء حوض البحر المتوسط وجزء من سوريا ومصر الى ايطاليا واسبانيا . ان مسؤولية استعادته وتنقيح ما يشوبه من شوائب تقع بالدرجة الاولى على اينائه وعلى المختصين فيه . وبتضامن جهود

فان بعض المعلومات الصحيحة عن ماضى هذه المشاكل يمكن ان تساعد على معرفة ما يجب عمله . وليس التاريخ بهام كاهميته في التصدى لموضوع حيوى : كموضوع مستقبل المغرب والمشرق العربيين عامة ، او صياغة مستقبل الجزائر خاصة . ولكى نعرف ما يجب عمله يجب ان نعرف اين نقف . فالتاريخ تعبير عن كبرياء الشعوب . والشعوب كالاشجار الحية تزداد مقاومتها للاعاصير كلما رسخت جذورها في اعماق الارض .

بين ماضى المغرب وحاضره

١ - الثورة الزراعية :

في يومنا هذا ولم تفض عشر سنوات بعد على استقلال الجزائر ، يتردد في ارجاء المجتمع الجزائري اصداء عتيقة لثورة زراعية . ثورة تعيد التوازن بين افراد الوطن الواحد ، وتحقق لهم فرصا متكافئة في الحياة . الارض والعمل مصدران اساسيان للرزق « والارض لمن يعيش عليها ومن اجلها » .

ويلوح للبعض وكان هذه الشعارات مستحدثة في المغرب اومستوردة . ان نظرة فاحصة الى الماضى البعيد ترى ان شعارات مماثلة نادى بها على ارض المغرب عالم من علماء الزراعة الاوائل هو ماغون القرطاجى . ولقد الف ماغون كتابا هاما في الزراعة . طبقت مبادئه في ريف الدولة القرطاجية ومزارعها ، واعتبرت سببا هاما من اسباب ازدهار الاقتصاد الزراعى الذى اشتهرت به الدولة القرطاجية . بل ان مجلس الشيوخ الرومانى يامر بترجمة كتاب ماغون الى اللاتينية بعد سقوط قرطاج (١) .

علماء الاثار مع علماء اللغات والمؤرخين والانثروبولوجيين يمكن التصدى بشكل جدى لهذا العمل ، اما الباحثون الناشؤون فسيجدون انفسهم محتاجين للتسلح بعدد من اللغات الحية ، واخر من اللغات القديمة . واخلاصا منهم للموضوعية سيكونون ملزمين بالتقيد باختصاص عميق في حقبة معينة : وحضارة خاصة . فالعصر الذى يتصدى شخص بهفرده لكتابة تاريخ الانسانية من عهد آدم الى اختراع البخار قدولى الى غير رجعة .

لماذا نهتم بتاريخ المغرب

قد يتساءل البعض : « لماذا يتوجب علينا ان نعرف تفاصيل الماضى اطلاقا ؟ » ، و « ما فائدتنا من دراسة مخلفات قرطاجية او من الكشف عن اطلال تمقاد وبنى حماد ؟ » اجابة على هذه التساؤلات نعيد الى الذاكرة ما سبق لنا التاكيد عليه سابقا . فلا يوجد ثمة شىء انساني حقا بدون اهمية . فالماضى لا يشكل فقط جذور تلك الدراسات التى تلوح في جوهرها مستقلة عن الزمن : كالرياضيات والعلوم . بل يمكن للماضى ايضا ان يقدم مفتاحا للمشاكل المطروحة في حياتنا الحاضرة والتى لا تستطيع العلوم الطبيعية - على الاقل - في مرحلتها الحاضرة من التطور ان تفسرها . هناك اشياء يمكن للشعوب ان تتعلمها من التاريخ ، ولا يمكن تعلمها من الفيزياء او من الرياضيات .

في دراستنا لتاريخ المغرب يمكن ان نعثر على مقدمة مفيدة للدواضيع المعقدة التى يريد ابناء المغرب ان يفهموها او يتصدوا لها . وسواء كانت المشاكل المطروحة هامة ام تافهة ، بعيدة ام قريبة

(١) سلم كتاب ماغون من الفناء . بفضل ترجمته الى اللاتينية والى الاغريقية

اوغسطين : اذ انه من باب المصادفة الغريبة ان تلقى هذه الدعوة صدى عاجلا لها في مشروع أولى للبحث العلمى « أعد مؤخرا » .

نعم لقد كان اوغسطين من ابناء المغرب واشتهر بالخدمات الكبيرة التى قدمها للكنيسة المسيحية . وكان علما من ادبائها بذل اوغسطين جهده لنشر الدين المسيحى فى « افريقيا الرومانية » بالفكر وبالمعمل بين ابناء قومه . الا ان اوغسطين رغم ما يتمتع به من فصاحة البيان وتعدد اللسان يلقى المقاومة والاعراض من كثيرين منهم .

لذلك اذا استعرض المرء اعماله فلا بد ان يعرضها كاملة اى ان يضعها فى اطارها الصحيح . وباعتبار اوغسطين من ابناء المغرب لا يكفى فقط اوضح دوره الدينى بالنسبة للكنيسة بل لابد من بيان طبيعة علاقته بجمته المغربى ؛ لان هذه العلاقة قد تكون مرآة لعصر .

بعد انتصار الرومان على قرطاج وبدء احتلالهم للمغرب ، نجد اهل المدن يبدأون فى استعمال اللغة اللاتينية وتتخذ الارستقراطية المحلية آلهة رومانية بينما يحافظ ابناء الشعب على عباداتهم ولغتهم السابقة ، وعلى دخول المسيحية الى شمال افريقيا يلاحظ ان عدد معتقيها يكثر بالمثل فى المدن وبين افراد الطبقة الارستقراطية . وفى العهد الامبراطورى عند ما تنزعزع هبة الحكم الرومانى فى شمال افريقيا فى عهد غورديانوس ، تسرع الارستقراطية المحلية للاتحاد مع الكنيسة الرسمية حامية النظام لمقاومة حركة ثائرة مناهضة للنظام الاجتماعى ضمت المعمدين من المواطنين الذين التفوا حول النحلة

خلد ماغون فى كتابه المؤلف باللغة الفينيقية وجهة نظر القرطاجيين بالنسبة للملكية الزراعية ، وبالنسبة لعلاقة الانسان بالارض عند ما قال ناصحا مواطنيه : « ينبغي على من يشتري ارضا زراعية ان يبيع بيته فى المدينة ، حتى لا تبقى لديه تلك الرغبة التى تخفعه الى عبادة (آلهة) منزله فى المدينة بدلا من عبادة (آلهة) الريف . والمرء الذى يجد متعة اكبر فى مفره فى المدينة ليس بحاجة لاملاك اراضى فى الريف » .

وفى الحقيقة اعتبر القرطاجيون عمل الفرد فى مزرعته واشرافه بنفسه على العناية بممتلكاته الزراعية مدعاة للفخر . وكان الفلاحون يتجمعون ضمن قرى ولا يسمح لهم ان يمشوا متفرقين .

وقد حرصت قرطاج على عدم تفقيد الاراضى الزراعية نتيجة تناقلها بواسطة الارث ، وانتقلت هذه المبادئ الى ايطاليا وصقلية فسادت بفوائد جسيمة على الدولة الرومانية . ان اطلاع المواطن على نتائج تجربة زراعية مماثلة للتجربة التى يتصدى لها - قامت على نفس ارضه ويبد أسلافه - كفىل بان يثبت الطمأنينة فى النفس ، وبان يزيد الثقة بالمستقبل ، والمشاكل التى تتصدى لها الشعوب متشابهة فى جوهرها طالما بقى الانسان المحسوس الرئيسى فى العلاقة مع البيئة والزمن .

ب - « افريقيا الرومانية » والقديس اوغسطين

فى معرض الحديث عن العلاقات الاجتماعية فى تاريخ المغرب وحضارته الحاضر منها بالماضى ، لابد لنا من عود على بدء . عود الى الذين يدعون للعناية بتاريخ « افريقيا الرومانية » والاهتمام بشخصية

يهدف في اغلب الاحيان الى الخير العميم ... فحققت المسيحية على الامبراطورية الرومانية ، هو حقد من كتب لهم ان يتحابوا يوما ما « (1) . وبالفعل ساندت قوات الامن السلطة الكيسية في محاربتها لنحلة الدوناتوسيين المفردين . وهذا يضطر الدوناتوسيين للاتحاد بالمثل مع حركة « الدوارين » والاستبسال في المقاومة . وعند ما يتزعم المقاومة امر نوميدي اسمعيرموس تتخذ الثورة على الحكم الروماني في موريطانيا وفي نوميديا طابعا قوميا بالاضافة الى الطابع الاجتماعي . الا ان الرومان يتمكنون من اخمد الثورة بالقوة وبالتأمر عام 375 .

في هذه الظروف الاجتماعية الملتبة نجد القديس اوغسطين على مسرح الاحداث . فهو اسقف منتخب لمدينة عنابة منذ عام 395 وصديق صميم لاسقف قرطاج . يتميز بمواهب عديدة : شخصية فكرية ، سياسية ، خطابية وكتابية ... ويسخر مواهبه لخدمة الكنيسة المسيحية . « وكانت الدعوة الى المسيحية في هذه البلاد — التي تكثر فيها الضيعات الكبيرة — يعين على نشرها بنجاعة الملاكون الكبار الذين كانوا يسعون هم بانفسهم الى تنصير معبريهم والى توطيد الوحدة الدينية في اراضيهم بنوميديا » (2) اذ كانت المسيحية بالنسبة للاسياد ضامانا لحقد طبقة المعدمين من الفلاحين .

ولقد تم النصر للكنيسة الكاثوليكية على خصومها عند ما أعلن الامبراطور — بناء على طلب من مجمع الكنيسة في قرطاج — ويخريص من اوغسطين —

« الدوناتوسية ، المنشقة عن الكنيسة » واعتبارا من العام 253 للميلاد يتخذ النزاع الذي رافق الازمة الاقتصادية في الامبراطورية الرومانية صورة صراع طبقي بين المعدمين والجاثمين في الريف والجمال من جهة وسكان المدن من جهة أخرى . ولا بد من الاشارة هنا ان طبيعة الاستعمار الروماني عملت بحكم منطق الاستغلال ، على ابقاء الفوارق الكبيرة بين هذين العنصرين من ابناء المغرب ، وقر كرسى السلطة الرومانية قواها في مناسبات عديدة لقهر الثائرين . الا ان المقاومة اتخذت لنفسها صيغة اجتماعية أخرى تتمثل في حركة « الدوارين » — (وهم من المعدمين الذين كانوا يدورون حول مخازن القمح لسرقة قوتهم) — يضاف اليهم الفلاحون البائسون في الريف . وانتفض « الدوارون » فرصة الصراع الناشب بين نحلة الدوناتوسيين والكنيسة الكاثوليكية للثورة . وقد اعلنوا انهم « جاؤوا ليملاوا الارض عدلا » وينادوا « العبيد للتحرر » .

من جديد اشتركت الجيوش الرومانية مع الكنيسة في قمع الثورة فبطلشوا بالدواريين وبالدوناتوسيين بكل قوة .

وفي الحقيقة : يلخص رأى المؤرخ رينان موقف الكنيسة الامريكية بالنسبة للسلطة الرومانية من جهة وللمعدمين من ابناء الريف من جهة أخرى بشكل بليغ : « ان السلطة تميل الى السلطة ، اذا كان من الحتمي ان يحس رجـال محافظون كالاساقفة برغبة ملحة جبارة تدفعهم الى التراضي مع السلطة العمومية ، مقتنعين بان عملها

(1) انظر جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية ، تعريب مزال-سلامة-الدار التونسية للنشر 1969 ، ص 296 - 301

(2) انظر جوليان المرجع السابق ص 307

ازمة الامبراطورية الرومانية وانحلالها لم يبق الى جانب الكنيسة في شمال افريقيا الا ملاكو الاراضى يدعمونها . وهذا هو الوضع الاجتماعى الذى آل اليه المغرب في اواخر ايام الاستعمار الرومانى من انفصال عميق وضع الحكام وكنيستهم والاستقرائية المحالفة من جهة والشعب من جهة اخرى . اذ ان الفريقين يختلفان في اللغة وفي الثقافة وفي الدين وحينما تهوى الامبراطورية الرومانية في شمال افريقيا يبقى الاساقفة وحدهم . ويعلن المؤرخ ستيفان جزيل على ذلك : « بعد ان قبل اهل المغرب القرآن بقى الرهبان والاساقفة وحدهم المدافعون عن الحضارة اللاتينية » ، وما لبثوا ان اختفوا في كل مكان تقريبا وبذات اللغة العربية بالانتشار ومن المحتمل ان كثيرا من الافريقيين تبناها بدون صعوبة لانهم مازلوا يعرفون اللغة البونية ذات الاصطلاحات السامية المتشابهة مع العربية .

ولم يبق في لهجات البربر الا بعض كلمات لاتينية ، (١) .

وفي الحقيقة لربما فأت المؤرخ جزيل ان يقدم بغيره الاسباب التى دفعت اهل المغرب لاخذ اللغة العربية والدين الاسلامى . فالحضارة اللاتينية سواء بخلتها القديمة اللاتينية ام بخلتها الجديدة المسيحية لم تنفذ الى قلوب ابناء الشعب المغربى . ودين الامبراطورية الجديد لم يقدم لهم الحد الاثنى من العدالة الاجتماعية فقد انحاز رجاله وفي طلعتهم اوغسطين نفسه الى صف الحكام ، وتخلوا عن كتلة الشعب من الفلاحين الكادحين والمعدمين مما وسع الهوة بين الطبقات .

عام 405 ان النحلة الدوناتوسية منافية لقوانين الدولة . فنتج عن ذلك قمع وبطش شديدين صمدت لهما حركة الثوار في نوميديا ، وانفصل الدوارون عن الدوناتوسيين ، وعادوا لنهب المزارع الكبيرة .

تجاه المقاومة الضارية يتراجع الامبراطور على ما يبدو ويعلن نجاة عن حرية العقيدة . فجاء اعلانه ضربة شديدة لمساعى كنيسة قرطاجة عموما ولجهود اوغسطين خاصة . فيعود اوغسطين من جديد ليمارس براعته ومواهبه في الدعوة لعقد مجمع دينى بهدف « اعادة الوحدة الدينية » الى الكنيسة . وتجاه الضغط والشكاوى التى ارسلها المجمع الى الامبراطور تظهر الكنيسة من الاخير بسحب مرسوم حرية العقيدة المتسامح ويستجيب الامبراطور هرنوريوس مرة اخرى لاساقفة قرطاجة عند ما يصدر الحكم على المنشقين بالعودة الى الكنيسة تحت طائلة التعذيب والنفى ومصادرة الاموال .

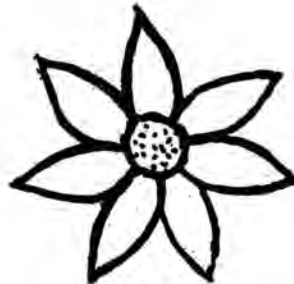
بفضل جهود القديس اوغسطين ينتصر الكاثوليك في شمال افريقيا على خصومهم وهذا ما يزيد في اشغال حقد المواطنين على الامبراطورية الرومانية وعلى الكنيسة اذاتها او على حلفائها الاستقرائية ملاكى الاراضى . لقد اعتمد اوغسطين في نشر المسيحية بين قومه مثلما اعتمد في مقاومتهم على مبدأ من وضعه هو « مبدأ الارهاب المجدى » الذى تمارسه السلطة ضد الخارجين على الكنيسة . اما سياسة الكنيسة فكانت تقضى بمساعدة الضعفاء شريطة ان يقبلوا بالتفاوت الاجتماعى وبالخضوع . كما اعلنت شرعية الرق . ومن الطريف انه في خلال

خاتمة

المؤرخون الغربيون من انصار الديمومة - أو اللعنة الجغرافية « . ويمكن القول ان الوحدة الروحية في المغرب كانت في الماضي ومازالت أساسا لصهر وتلاحم القناتية الجنسية . والوحدة الروحية في الحاضرة قدمت الدرع الواقى الذى تجمعت وراءه ارادة التحرر الحديثة - فالتصرت . ان نظرة الى الماضي توحى بان مستقبل المغرب العربى سيرس على دعامتين اساسيتين : وحدة روحية ، ووحدة اقتصادية . وكما ان الاخيرة لا يمكن ان تكون بديلة للاولى ، فان المغرب العربى الكبير لا يمكن ان يكون بديلا لوحدة حقيقية مع المشرق العربى .

اذا كان للمواطن الجزائرى ان يعى تاريخ بلاده فلا بد ان يهتم بكل فصل من فصوله ، فهى مدرسة ، وفيها كما يقول ابن خلدون عبرة ، اما الفموض والظلام الذى يرافق احيانا بعض هذه الفصول فانه لا يرجع الى شذوذ ولا الى نقص ، بقدر ما يعود الى قلة البحث الموضوعى المركز ، ونقص فى المصادر ونسبة فى شمول الرؤيا .

في ختام هذا المقال يتضح ان تاريخ المغرب يشكل وحدة متكاملة تكاد حلقاتها تكون متصلة . والماضى يتصل بقوة بالحاضر فى عنصرين اساسيين هما : البيئة والانسان . وكما قدمنا سابقا ، مازالت البيئة « بتلاتيتها » المولفة من سهل وجبل وصحراء ، تعرض مشاكل متشابهة وسواء اطلق البعض على هذه الثلاثية اسم لعنة جغرافية او ديمومة جغرافية ، نجد الجواب عليها عند الانسان المغربى فهو مازال يجابهها ويتحداها « بتثايتية » اجتماعية من بدو وحضر تدعمت منذ زوال الحكم الرومانى (بتثايتية) جنسية متشابهة الاصول والجنس . وفى الحقيقة يعتبر انتشار الاسلام فى المغرب الرد العملى الاجتماعى على الديمومة الجغرافية فالاسلام جاء محققا لشرطين كانا عسرين هما : الوحدة السياسية والوحدة الحضارية . مطلبان عزيزان افقد المغرب الواحد حينما والاخر احيانا . هذه الحقيقة يتجاهلها



تهنئة

أحرز الاستاذ عبد الله شريط على دكتوراة الدولة فى الآداب
برتبة جيد فى موضوع « الفكر الاخلاقى فى فلسفة ابن خلدون »
وأسرة مجلة الاصابة تقدم للدكتور عبد الله شريط بهذه المناسبة
أحر تهنئتها بهذا النجاح العلمى الباهر.

الحقيقة والزيف

في مجتمعنا العربي

من اخرج مشاكلنا الفكرية والنفسية التي نجتازها في مرحلتنا الحضارية المراهنة ، هي حيرة الكاتب عند بحثه أي موضوع • بأي طريقة يتناوله : هل ينساق مع منهج الفخر الذي توارثناه عن اجدادنا في الجاهلية ، ونقلناه من الميدان القبلي الى الميدان القومي والديني والحضاري ؟ وهو منهج تفتح اليه نفوسنا • ولكنه لا يعطينا نتيجة ايجابية ولا يقدم عجلة تطورنا الى الامام ؟ أم هي طريقة النقد الذاتي التي يساعدنا على كشف نقائصنا ومعالجتها بفكر مسؤول ، ولكنه منهج قد يحطم طموحنا الى المعالي ويشعرنا باننا اصغر مما نتصور حقيقتنا ، ومن ثم فلا يصبح هذا النقد الذاتي مثل الفخر تماما من حيث النتيجة المعطلة التي تؤدي اليها •

د. عبد الله شريط

ذلك ان هذين المنهجين هما الموجودان في مجتمعنا العربي على اختلاف بين بعض مناطقه والبعض الآخر • فمثلا عندنا في منطقة المغرب وفي الجزائر على وجه الخصوص نجد الاتجاه يلح اكثر وبدون قصد في اغلب الاحيان ، على ما يمكن ان نسميه بمنهج النقد الذاتي وهو اتجاه تلقائي مفرط في هذا النقد حتى ان المستمع الى احاديث الناس عندنا،

واحد : وهو هذا القلق والاستعجال الذى اصابكم بالعبوس وقنوط النفس .

انكم فى حاجة الى شىء واحد . الى انفساح الامل فى القلب وابتسامة مشرقة فى الوجه وفى بعض اقطارنا فى المشرق نلاحظ عكس الظاهرة : فمهما كانت المشاكل من الحدة وعظم الخطب يقابلها الانسان العربى كما لو كانت شيئا طبيعيا لا يستدعى الانزعاج ولا يتطلب الاسراع فى تغيير الاوضاع . واذكر انى زرت بلدا عربيا يعتبر فى طليعة اقطارنا الناهضة . وكتب لى ان حظيت بمقابلة رئيس هذه الدولة ، فى مهمة تتعلق بالثورة فى الجزائر ، وكنت اذاك مديرا لمجلة « المجاهد » . وكان يصعبنى فى هذه المقابلة مدير جريدة من كبريات صحف المشرق العربى . وانطلقت بكل بساطة اتحدث عن المستوى الاجتماعى المتدهور الذى يلاحظه الزائر لهذا البلد ، شارحا رايى باننا ما لم نهتم فى وطننا العربى بالتكوين الحزبى والثقافى والاجتماعى والسياسى فى شعبنا العربى ، فان مظاهر التمدن الغربى ستبقى قشرة مصنعة تخفى تحتها بدائيتنا الحقيقية . وان الاجانب لن يقيسوا رقينا بما استوردناه من عندهم من الآلات والمصانع والسيارات بل يقيسونه بما نحن عليه من المستوى الذهنى والمهارة الحضارية التى هي روح تلك المادة الآلية المتحركة .

وعند خروجنا من المقابلة صارحتى رفيقى الذى كان يصحبنى باننى كنت قاسيا جدا ، مبديا تعجبه مما كاد ان يسميها قسوة . ومعربا عن رضاه الكامل بالازدحام السائدة فى بلاده وفى جوابى اليه لم اخف عنه تعجبنى من تعجبه . ثم سألته : اى فائدة فى ان اعتبر نفسى عربيا فى اى بلد عربى انزل فيه واتحدث مع ابنائه مسؤولين او غير مسؤولين ، كما اتحدث مع ابناء بلدى ؟ كما اعريت له عن دهشتى من عدم تنبيهه هو

سواء كانوا مثقفين او من اوساط الشعب ، يلاحظ بسهولة ان هذه الاحاديث لا تتناول الا النقاىص وحتى عندما لا تكون هذه النقاىص صارخة فاننا نلتذ باخراجها من حفرها وابرازها والتشنيع بها فيما بيننا ، وحتى امام الاجانب احيانا . وكثيرا ما ينعكس هذا الاتجاه عندنا على كتابتنا وابحاثنا فى الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية وكل ما يمس حياة المجتمع من قريب او من بعيد ، وكثيرا ما يأخذ هذا النقد طابع ضمير الغائب : فاذا كنا نسير فى طريق غير معبد كما ينبغى ننهال بالنقد على عمال الطرقات ومصالح الاشغال العامة . واذا ذهبنا الى المستشفى ولم نجد مكانا او طبيبا او ممرضا على الفور ، واذا دخلنا ادارة بريد او بلدية نتضايق من الازدحام ويشتكى كل واحد منا من كثرة الناس ، وننسى اننا بعض هؤلاء الناس ولكن المسؤول دائما فى نظرنا هي السلطة !

وقد اتخذ هذا النقد المرير الذى لا ينقطع ، طابعا ماساويا عندنا وشعورا بعدم الرضى فى كل الاحوال واذكر ان احد الاساقفة الشرقيين ، وهو رجل قاضل وصريح ، كان يعمل معنا فى الجامعة ، وكنا يوما نحدثه عن كثرة مشاكلنا من قلة الامكانيات المادية والبشرية لمواجهة كل الطلبات الملحة ، وعن تأخرنا ، وعدم جدية اطاراتنا ، فكان ينصت الينا بانتباه وتعجب ، ثم قال : يا اخوانى . بكل صراحة انا لا افهم معنى لقلقكم واستعجالكم . لقد قطعتم فى ثمانى سنوات من الاستقلال مراحل فى نشر التعليم وتعبيد الطرق وبناء المساجد والمستشفيات وتكوين الاطارات واقامة المصانع والجسور والسدود و . . ما لم تحققه لكم فرنسا فى ظرف قرن وثلث قرن . فماذا تريدون اكثر من هذه الغاية ؟ ان كل شىء عندكم على احسن ما يمتنى المرء لبلاده ، الا شىء



ابن خلدون



ابن سينا



ماو تسي تونغ

للمسؤولين لهذا النقص في أوضاع المجتمع . ثم استدعيته لمزيارة من يشاء من مسؤولينا ويتحدث اليهم عن النقائص الصارخة التي تتخطى فيها الثورة الجزائرية فان آراءه سنتقبلها لا بصدر رحب فقط بل اننا عندئذ فقط سنحس بأخوته الحقيقية .

اذن فهناك حالة مرضية في كلتا الظاهرتين : النقد المفرط الذي يخلق جوا مأساويا قلقا مبطا . والرضى الابله الذي يخلق حالة من الاطمئنان القدرى العاجز .

اننا في كلا الحالتين لم نهتد الى الموقف الموفق . كان احكامنا عن انفسنا ما تزال سجيئة التشاؤم الايكم او التفاؤل المجنح ، وكل منهما يركز على عاطفة طفولية غير ناضجة ومزاج نفسى متهافت . وفي كلا الحالتين ما زلنا محرومين من الحكم العقلى الهادئ المحلل .

واذا التفتنا الى تقاليدنا الفكرية القديمة في هذا الصدد فاننا نعثر بسهولة على اصل هذا الموقف المزاجى ، وهو اصل المدح والهجاء فى تراثنا الشعرى القديم . بحيث اذا استثنينا الجاحظ وابن خلدون ، ذاك فى مجاله الادبى المسلح بالثقافة العلمية ، وهذا فى مجاله الاجتماعى المسلح بالتجربة فاننا لا نكاد نعثر فى هذا التراث على تقاليد للتحليل الفكرى الخالص من ضباب المزاج وغيوم العاطفة والحكم المرتجل .

اما اذا رجعنا الى وضعنا الراهن لنبحث فيه عما يمكن ان يزودنا به فى هذا المجال من سلاح ، فاننا نجد المضباب قد تضاعف بدلا من ان ينقشع ، والغيوم تراكمت حتى غشيت امامنا كل رؤية صحيحة ، وذلك بفعل تصادمنا مع الحياة العصرية تصادما اختلطت فيه الحقيقة بالزيف لاختلاط المادة عندنا بالفكر ،

فلم نعد نميز بينهما ولا نعرف ما هي حقيقتنا في هذا الاصطدام .

وسنعود الى توضيح هذه النقطة بعد ان نوضحها بايجاز من الوجهة الفلسفية : ان هجل يعتبر الوجود الفكري هو الوجود الحقيقي . فهل كان على خطأ ؟ ان السكة الحديدية قد وجدت في ذهن المهندسين قبل ان ينجزها العامل . وهو يعنى ان كل وجود عملى لم يسبقه درس فكري ، فهو صائر الى زوال . ولا يدخل باب الحضارة الخالدة . ووجود المجتمع عنده لا يقاس بوجود افراده ، بل هو يدخل التاريخ منذ اليوم الذى تشكل فيه لذلك المجتمع دولة . لان الدولة وذلك في الحدود التى تكون فيها الدولة هي عقل المجتمع ، وهي الوجود الفكري له ، أى الوجود الحقيقي . فالمجتمع لا يدخل الوجود الانسانى قبل ان يمتلك العقل أى الدولة .

واذن فالمجتمع الذى لم يقم على أسس عقلية فهو لا يعد مجتمعا حقيقيا . وابن خلدون من ناحيته يعتبر الوجود العملى هو آخر مرحلة في الوجود النظرى . بحيث يكون الوجود الاجتماعى الذى لم يركب مطية الفكر الى الوجود العملى فلا أمل له في الوجود الحقيقي . ومن ثم كرس كل جهده الى فهم المجتمع العربى ذهنيا لانه لاحظ ان هذا المجتمع بقى محروما قبله من هذا الوجود الذهنى الذى هو الوجود الحقيقى . ولعل ما يسميه الاستاذ « ناصيف نصار » بواقعية ابن خلدون هو هذه الواقعية الفكرية التى افتقدها المجتمع العربى قبل ابن خلدون ، أى افتقد وجودا مدروسا ومحلا ، ينتقل به أو يرتفع من الوجود العملى (Empirique) الى الوجود العلمى المعلن . لقد ألح الاستاذ ناصيف نصار على عنصر الفكر في واقعية ابن خلدون . وهذا الالتح يأخذ في نظرى أهميته الكبرى من ادخال

عنصر الفكر هذا في الوجود الخام لكى يصبح وجودا حقيقيا . وابن خلدون في هذا الصدد يلتقى مع هيجل في غاية واحدة ذهب اليها كل منهما عن طريق خاص به .

وهذا ما نريد من ناحيتنا ان نبني عليه مشكلة الحقيقة والزيف في مجتمعنا العربى . وليسهل علينا توضيح الطريق الى هذا الغرض سنقسمه الى ثلاثة ميادين رئيسية هي : الميدان الحضارى ، والميدان السياسى ، والميدان الثقافى ، محاولين ان ندعمها بأمثلة مأخوذة من وقائع حياتنا الاجتماعية .

الميدان الحضارى :

قلت قبل قليل ان وضعنا الراهن في مجتمعنا العربى يتميز بالتصادم الذى اختلطت فيه حياتنا التقليدية في كل الميادين بالحياة العصرية . وهذا الاختلاط طبيعى ولم يكن لنا منه مفر ، وليس لنا ان نأسف له في حد ذاته . ولكن ما نأسف له في هذا التصادم هو اننا تقبلناه عمليا وتعودناه كما لو كان شيئا طبيعيا ، ودخل حياتنا اليومية قبل ان نتلقاه فكريا وندرسه ونفهمه . فكان الجانب الحضارى في حياتنا موجودا وجودا عمليا أى وجودا مستعارا ، ولكنه غير موجود فكريا ، أى هو غير موجود وجودا حقيقيا . ان وجودنا الحضارى خليط من الحقيقة والزيف ، ولكن الى أى حد يمكن ان نميز بين الحقيقة والزيف بوضوح في هذا المجال ؟

اننا في محاولة التمييز نفسها نوشك ان نقع في الزيف اذا رحنا نستعير القوالب الذهنية الأوروبية ونصب فيها وقائعا حضارية . لذلك سنلجأ الى تراثنا الفكرى الوحيد في هذا المجال لانه هو الذى ما تزال قوالبه صالحة لان نصب فيها وقائعا الراهنة . وهو تراث ابن خلدون : والمشكل الحضارى في المجتمع العربى في هذا الصدد من جهة التحليل



كاترين : صوامع المسلمين لا تنفذ !

هذه العملية كلها هو محيط حضارى تستطيع ان تنافس به ارقى المصحات فى العالم المتحضر .

ولكن الروح التى تختبئ خلف هذه المظاهر كلها هي تلك الروح التى وصفها القرآن فى الانسان الجاهلى منذ اربعة عشر قرنا وهى ان احدهم اذا بشر بالانثى ظل وجهه مسودا من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب . هذا ولا حاجة بنا الى التوسع فى ظاهرة الدعوة الى تحرير المرأة واعطائها حقوقها الكاملة فى المساواة مع الرجل ، ولكننا نقصد دائما نساء الآخرين واخواتهم وزوجاتهم . اما الروح التى نتصرف بها مع نساتنا من عشيرتنا فهى لا تحمل من المساواة قليلا ولا كثيرا ولا حتى من الاحترام العادى الذى حاول الاسلام ان يقرسه فى نفوسنا منذ عشرات القرون نحو المرأة ولكن بدون جدوى .

ان التوسع فى هذه الوقائع من حياتنا الاجتماعية سهل جدا ويستطيع كل واحد ان يحشد منه عشرات الامثلة فى اليوم الواحد لانه هو الطابع العام فى

الخدونى يتمثل فى مشكل البداوة والحضارة ، وليس فى التقسيم الطبقي الاقتصادى كما يقتضى ذلك ، المنهج الماركسى . فهل ما يزال هذا التقسيم صالحا لنا اليوم ؟ وائ نصيب من البداوة فى حياتنا العربية المعاصرة ، وائ نصيب من الروح الحضارية فيها ؟

منذ حوالى اسبوعين فقط كان لى حديث مع ممرضة فى مصحة للتوليد فى مدينة الجزائر العاصمة فقالت لى : ان اكثر ما يضايقنا فى عملنا هو مجابهة الزوج الذى ينتظر فى قاعة الاستقبال ان نخبره بما ولدته زوجته ، فاذا كان ولدا ذكرا فان البشر والانشراح يصل به الى ان يغمرنا بالهدايا والعطايا وبالشكر والامتنان كما لو كنا نحن الذين رزقناه بهذا الطفل المولود . واذا كانت بنتا ، فهو التجهم والمبوس واهيانا يصل الى درجة شتمنا والتهجم علينا كما لو كنا نحن الذين تسببنا له بصورة مباشرة فى حصول هذه الكارثة .

هذه المصحة لا يقصدها الرجل المتوسط عندنا ولا رجل الريف او البادية ، وانما تقصدها الاطارات العليا فى البلاد من كبار الموظفين والعائلات الموسرة ذات التقاليد الحضارية العريقة .

ولنفحص هذه الظاهرة عن قرب : هذا الرجل يرتدى لباسا اوروبيا من اخر طراز ، وزوجته كذلك وقد اتى الى المصحة فى سيارة انيقة ، وليس على ظهر يعير . والآلات التى استعملت فى عملية التوليد من احدث الآلات وانقها ، والطبيب المولد نال درجة الاختصاص فى هذا الفن من المعاهد الاوروبية . والمصحة التى يجرى فيها التوليد ليس فيها ما يذكر بالخيمة ، او الاعتماد على الاولياء الصالحين فى تسهيل عملية الولادة . والمحيط المادى الذى يغمر



ميجل

ولنستمع على توضيح هذا القلب سنلجا الى مثل من الصين ، بقطع النظر هنا عن الايديولوجية السياسية ، مفترضين ان هذا القلب فيها كان يمكن ان يتم بدون نظام شيوعي . في الصين يتمتع المجتمع بتراث حضارى تقليدى فى النظم الاجتماعية وفى الصناعات اليدوية والانتاج الفكرى يعد ارقى من التراث العربى قليلا أو كثيرا . ولكنهم فى الاخذ من الحضارة المستوردة يكتفون بالضرورى من الآلات الانتاجية ووسائل الحياة العصرية أو ما يشبه الضرورى وما يسميه ابن خلدون بالحاجى من لوازم الوجود . وبذلك استطاعوا ان يلائموا بسهولة بين تراثهم التقليدى الرفيع نسبيا ومستورداتهم المتواضعة نسبيا ، وهم الآن لا يعانون ما نعانى نحن من التناقض الصارخ بين الميراث الوطنى والمستورد الاجنبى فى حياتهم . لماذا ؟ هل لان الفرق بين العرب والصينيين هو فرق فى الانسانية كما يسميها ابن خلدون ؟ كلا ! الفرق يكمن فى دور العقل فى كل من الحالتين : فى الصين بذل مجهود فكرى على الجبهتين : جبهة التراث التقليدى بالتقنية والتقييم ودرس ما هو قابل للحياة وما هو غير قابل للحياة . وجبهة المستوردات الاجنبية بالدرس والتقييم ما يصلح منها للانتاج ، وما هو للمتعة المادية وحدها . نعم لقد ارتكبت اخطاء فى هذا المجهود الفكرى ، وربما ما تزال وستظل الاخطاء ترتكب . ولكن ما استوردوه من المستحدثات عن طريق التقييم الفكرى، وما ادخلت عليه الحياة من التراث التقليدى قد استطاع به الصينيون ليس فقط ان يتخلصوا مما بينهما من تناقض معطل ، بل وايضا ان يوجدوا بينهما تكاملا حركيا يزيد من سرعة التاريخ . (ابرز مثل معروف فى العالم هو الجمع بين العلم التقليدى والطب الحديث) هذا المجهود سواء سمياه ايديولوجية متكاملة يقوم بها رجال السياسة ،

حياتنا كلها واذن فإين هي الحقيقة الحضارية فى هذه الوقائع ، واين هو الزيف ؟

ان اكثر ما يبرز الجواب على هذا السؤال هو اندفاعنا الشديد وحدة تحمسنا فى تقبل النقص حتى قيل عن معيشتنا الحضارية انها اقوى معدة حملتها الشعوب فى التاريخ : تتحمل الحار والبارد والنبه والمخدر فى آن واحد .

والنقائص التى نتحملها هنا هي اجتماع البدارة الفكرية والحضارة المادية ، والافراط فيهما معا : لا نرضى من مستوردات الحضارة الحديثة الا بما كان من آخر المنجزات التقنية الآلية . وفى نفس الوقت لا نتمسك من تقاليدنا الموروثة الا بما كان موغلا فى التأخر الفكرى ولكننا بدون اى حرج أو شعور بالاثم نجتمع النقيضين تحت سقف واحد وتشمله فى الشخص الواحد نفس البذلة ونفس الجسم والفكر . ولنحاول الآن ان نقلب الوضع قلبا فريضيا طبعيا لكي نتصور وجودنا الحضارى وجودا حقيقيا لا مزيفا .



محمد عبده

البشر ان يهضموه في عصر كانت فيه البشرية ما تزال في خطواتها الحضارية الاولى في ميدان علاقة الانسان بالانسان . وهي وان لم تعتبر اقرب ما تكون الى الايديولوجية المبسطة فقد كانت بقطع النظر عن ناحيتها الغيبية المتمثلة في الوحي ، هي المجهود الفكري الاول والاخير الذي جاء الى المجتمع العربي كفكرة ، قبل ان يبنى عليه الاساس العملي كتطبيق . فكان به مجتمعا حقيقيا دخل الى الحضارة الانسانية من بابها الواسع ، وظل متمكنا في النفوس وفي التاريخ ، وكان به المجتمع العربي في العصور الوسطى هو الذي يمثل تقدم الانسانية في مرحلة عصر الايمان فيما يرى أوغست كونت . وكان الناحية الاخلاقية على وجه اخص مجتمعا حقيقيا لا زيف فيه

ومع ذلك فان هذا التراث العظيم من المبادئ لم يستغل احسن استغلال من الوجهة الفلسفية في ميدان الفكر السياسي فلم نستخرج منه الدساتير والمؤسسات والنظم السياسية التي تجعله يرتفع على الاقل الى مستوى ما كان عليه التنظيم المحكم الذي كان عند اليونان او الرومان ، بالرغم مما كان في النظم الرومانية واليونانية من الفقر في المبادئ الاخلاقية ، ولكن ثروتهم السياسية والتنظيمية وحدها كانت تفوق بكثير ما كان عليه المجتمع العربي

او ثمرة ابحاث اجتماعية جادة يقوم بها رجال الفكر ، هو ما لم يقم به ابناء المجتمع العربي في الصدام الذي حصل بين تراثهم التقليدي ومستورداتهم الحديثة ، فكانت نتيجة الصدام بينهما في مجتمعنا ليست فقط فقدان التكامل بينهما ، بل كانت النتيجة هي تعطيل سير التاريخ بالمجتمع العربي المعاصر والشلل الحقيقي الذي لم يختف وراء كثرة الحركة الظاهرة في الميدان السياسي :

في هذا الميدان ايضا وعندما نلتفت الى تراثنا التقليدي المدروس نجده اقرب الى الفقر منه الى الغنى . ويحسن ان نزيد هذا الزعم توضيحا : في ميدان المبادئ السياسية القائمة على القيم الاخلاقية والعدالة والمساواة امام القانون ورفع قيمة الانسان وتكريمه ، نجد تراثنا السياسي المتمثل في الاسلام مبادئ اقل ما يقال فيها انها ثورية على النطاق الانساني العام فتساوى الناس كاستان المشط ، وعدم افضلية العربي على الاعجمي الا بالتقوى ، والمجهود الذي بذل في تحرير العبيد وترقية المرأة ، ورفع العلاقات الاجتماعية من مجال القرابة الدموية الى مجال الايمان بالفكرة ، واعتبار الوطن الاسلامي كله وطننا لا لابنائنا الاصليين فقط ، بل لكل من يحمل عقيدة الاسلام ، ونظام الضرائب والزكاة ، والتقريب بين الطبقات اقتصاديا واجتماعيا ، وافساح المجال وتوفير المناخ الضروري للانتاج الثقافي ونشر جو الاخوة بين الشعوب ، والتوغل في مجاهل الارض لاجراج الشعوب البدائية وتحويلها من وحوش الى ادميين ، وابرار عنصر القوة ومقاومة الضعف النفسى والاقتصادى والحزبى ، والتحريض على العمل والبناء ومقاومة الظلم والفساد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الخ . كل هذه القيم والمبادئ تعتبر ثورية ، لانها جاءت فوق ما يستطيع

فى هذا المجال السياسى .

هذا التراث التنظيمى والدستورى هو الذى نقصد نعتبه بالفقر . حتى اننا لا نكاد نجد جهدا فكريا حقيقيا جديرا بهذا الاسم بذل فى تراثنا كله الا عند رجل واحد هو ابن خلدون . ولكن مجهود ابن خلدون نفسه يكاد ينحصر فى التحليل الموضوعى والبحث العلمى المجرد ، بلغ فيه صاحبه من التجرد والواقعية والحياد حدا جعله يحرم على نفسه ان يتخيل او يقترح شيئا يعرض به ما حكم عليه بالفساد والقصور والعجز فى هذا الفكر السياسى .

وابرز ما يميز قصورنا فى هذا المجال الى اليوم هو الحل السهل او ما سماه ابن خلدون عندنا بالميل الى المبسائط من الامور . والحل السهل الذى تفكر فيه عند اصلاح المجتمع هو بصورة مباشرة اصلاح الحكومة ، ان معالجة وجع الرأس دون البحث عن الامراض التى تنهك الجسم الاجتماعى ، والتى ليست اوجاع الرأس الا بعض أعراضها ونتائجها . ومظهر التصور السهل فى هذا الحل هو اعتقادنا بان صلاح افراد الحكم هو الطريق المختصر المباشر الذى لا عناد فيه لصلاح المجتمع بحيث اذا كانت الحكومة افرادها صالحون فان المجتمع يكون مجتمعا صالحا راقيا متطورا ، بصورة الية واذا كان العكس فى افراد الدولة ، فالعكس ايضا يكون فى المجتمع وعلى هذا الاساس يذهب البعض منا الى تفسير القول المأثور : كما تكونون يولى عليكم ولا تنظفون الى اننا بهذا التفسير نعاكس المعنى تماما .

فهذا الحديث لم يقل كما يتولى عليكم تكونون ، بل قال كما تكونون يولى عليكم . بمعنى ان الحكومة هي التى تكون انعكاسا للمجتمع ، وليس المجتمع هو الذى يكون انعكاسا للحكومة ، لان الحكومة فى الاسلام القطرى كما هي فى المفهوم الحديث هي الفرع والمجتمع هو الاصل . ولا يمكن ان تستمد

عروق الشجرة من الاغصان والفروع ، بل العكس هو الصحيح . ومع ذلك ففهمنا غير الطبيعى ، لانه هو الذى يتلاءم مع ميلنا الى الحل السهل ، جعلنا نتصور دائما انه يكفى ان يكون على رأس الحكومة عندهما رجل او رجال صالحون لكي نطمئن على مصائرنا وننام على اذنينا الاثنى كما يقول التعبير الفرنسى . كما نتصور ان صلاح افراد الحكومة سيسرى مباشرة الى صلاح المجتمع ، ولا نتصور ان فساد المجتمع وتعفنه هو الذى يسرى الى الراس ويقضى عليه . ان العمل على اصلاح المجتمع يتطلب جهدا فكريا متوصلا فى هذا المجال عبر اجيال واجيال ونحن لا قبل لنا بالعمل المتواصل ! ومن جانب الحكومة فاننا نجد نفس الظاهرة ، ظاهرة الميل الى الحل السهل ، يتمثل فى كونها عندما تكون حكومة وطنية صالحة تنصرف الى العناية بالبلاد وتهمل العناية بالعباد ، تزود البلاد بالاجهزة الآلية من مواصلات وتليفون وابنية وطرق والات دقيقة وخشنة ومن كل الاوزان والمعايير لان كل هذا المجهود لا ينتجه المجتمع ، بل تكتفى الحكومة باستيراده من حضارة اخرى جاهزة . فيجرب كل هذا فى المدن العربية حيث لا يستعمله الا عشرون فى المائة من السكان على احسن تقدير . اما البشر الذين يسكنون بقية البلاد ، والذين يوجد اغلبهم فى الارياف والبوادي فهم يواصلون حياة البداوة والبداية يسكنون الخيام فى الصحراء او الفيران فى الجبال ويستضيئون بالقنديل او بقبس من الحطب وتزين نساؤهم بوسائل الزينة التى كانت مثلقتها فى العصر العباسى ارقى مما هي الآن عندهن .

فاين هي حقيقتنا فى هذا التناقض ؟ واين هو موطن الزيف فيه بعبارة ادق اين هو وجودنا الحقيقى ؟

انه من الواضح هنا ايضا ان فقدان المجهود

ذات الصبغة الاجتماعية العلمية ، بالنسبة الى ما تصدره من دواوين الشعر والنقد الادبي والبحوث الميثافيزيقية والفنون الجميلة وبحوث اللغة ومشتقاتها وهي كلها بحوث قل ان يتوفر فيها هي ايضا الطابع العلمي . واذا كنا لا نستطيع ان نأتي بالأمثلة من تراثنا الحديث تلافيا للحساسيات ، فان ابرز مثال من تراثنا القديم يقدمه لنا اشهر فلاسفتنا واعظم مفكرينا على الاطلاق وهو الشيخ الرئيس ابن سينا . ففي كتابه الشفاء يخصص (٤٥٠) صفحة في شؤون ما بعد الطبيعة ، وفي آخر الكتاب يخصص اربع صفحات ونصف الصفحة يجمع فيها البحث فيما يسميه بالسياسات والمعاملات والاخلاق .

وقد استمر عندنا هذا التقليد في اهمال البحوث الاجتماعية في تراثنا الحديث اهمالا وصفه صاحب كتاب « العلوم الانسانية » الذي ظهر اخيرا في القاهرة ، « بان لدينا قلوب وعادات ذهنية تعطل عقولنا عن التحليل الموضوعي للمواقف » . والمطلوب هو بذل المحاولات الصادقة للتخلي عن هذه العادات وتنمية عادات اكثر ملاءمة لآفاق الانسان . فنحن نبني مجتمعنا في عالم يعتمد على العلم كمنهج بلغ اليوم قدرا من التقدم لم ننتبه اليه بعد . »

واذا تركنا مسألة الكم وهزالها في هذا الانتاج الاجتماعي والثقافي الى ناحية الكيف ، فاننا نستطيع ان نجمل اكثرها في اتجاهين : اتجاه يعتمد غيه صاحبه ما يسمى بالحياد العلمي الى درجة لا يؤمن فيها صاحبها بموقف ، ولا يعمل على نشر اتجاه ، ولا يحرك عاطفة عقائدية هادفة . فهو من النوع الذي وصف نيتشه اصحابه بانهم يحملون في عروقهم دم الضفادع وهذا الاتجاه نجده اكثر ما نجده في الانتاج المدرسي الاكاديمي ، واتجاه مقابل له ومضاد ، وهو اتجاه من العاطفة السطحية المعتمدة على تقاليد الهجاء أو المدح ، والفخر الإبله أو التحطيم الاعمي . ويؤلمني جدا ان آتى هنا ببعض الأمثلة المعينة على هذا الاتجاه الغالب على انتاجنا

الفكري في الميدان السياسي جعلنا نعاني هذه التناقضات ونتقبلها كما لو كانت طبيعية لا تثير الاستهجان ولا تبعث على القلق والبحث . نعم ان لنا كل مظاهر الفكر السياسي : الاحزاب والصحف والاذاعات والتليفزيون وحتى المجالس النيابية والانتخابات . ولكن كل هذا نستعمله في السياسة اليومية لا في تكوين الفكر السياسي ، وفيما يسمى بالمناورات السياسية لا في التربية السياسية للمواطن ليعرف واجباته نحو الدولة وحقوقه منها .

لذلك فان هذا القاسم المشترك من التأخر السياسي في البلاد العربية مشرقا ومغربا جعل من الافتعال ان نزع بان هذا البلد احسن من الآخر لان فيه مجلسا نيابيا والآخر لا يوجد فيه هذا المجلس أو ان هذا البلد افضل حالا لان نظامه تقدمي والآخر نظامه رجعي . انما يجمع بيننا جميعا وراء بطاقة التعريف هذه هو حقيقة التناحر عندنا جميعا بين البداوية السياسية في المستوى الانساني واجهزتنا العصرية في مستوي الوسائل الآلية وهو هذه العناية الساذجة من قبل الشعب باشخاص الحكام من حيث الصلاح والفساد ، والعناية التي لاتقل عنها سذاجة من قبل الحكام، بالارض والشارع والجدار والآلة، لا بالانسان العربي الذي يتصارع مع هذه الوسائل المادية بوسائل فكرية وحضارية قاصرة . وما يجمع بيننا اخيرا ، وهنا الكارثة الحقيقية ، هو موقف الحياء الفكري الذي يقفه المسؤول الاول في هذا الصراع ، لانه صراع فكري ، وهو المثقف العربي الذي سنخصص له فقرة بذاتها في هذا الحديث .

في الميدان الثقافي :

اذا كان تراثنا الثقافي في الفكر السياسي العلمي اقرب الى الفقر فانه ليس أغنى في الميدان الاجتماعي العلمي كذلك . ونحن اليوم استطعنا ان نحافظ بكل امانة على هذا الفقر في العنصر الاجتماعي في ادبنا وثقافتنا . وكنت أود ان لو تمكنت من اجراء احصاء فيما تصدره مطابعنا في المشرق والمغرب من الكتب

الثقافي في الميدان الاجتماعي . ولكن الصراحة والاخوة معا تلحان علي ان اذكر هنا كمثال صارخ على هذا الاتجاه كتابا ظهر مؤخرا في لبنان المشقيق تناول فيه صاحبه نقد الفكر الديني ، وظهر من الجراة الفكرية والشجاعة ما يبشر بان المثقف العربي صمم على الخروج الى ساحة المعركة الحضارية التي تصارع فيها الآراء من اجل البقاء والغلبة . وأثار الكتاب ضجة اجتماعية هزت ، او كانت جديدة بان تهز ركودنا الفكري . وسمعا بالكتاب في المغرب وتلفنا على الاطلاع عليه ، ورجونا من المسافرين ان يأتونا به . وكتب لى ان اطلعت على الكتاب ، ولكن كانت دهشتي مؤلة عندما وجدت الكتاب يتناول نقد الفكر الديني في السائل الغيبية الماورائية وحدها، كتحطيم فكرة الجنة والنار والنفس والروح والجن والملائكة وابليس والمظلوم الى آخر . . فلم اصدق ما رايت . لقد كنت اتوقع ان يكشف الكاتب عن فقر فقهاؤنا ورجال الدين عندنا وقصورهم في اثراء الثقافة الدينية بفكر اجتماعي متطور ، في حين يزعمون ان ديننا صالح لكل زمان ومكان ، وان احكامه تدور مع المصلحة الاجتماعية حيث دارت . وحتى اذا ظهر له ان ينقد الفكر الديني نفسه لا رجاله فحسب فانه كان يستطيع ان يتناول بالنقد ، لا بالانتقاد ، ما جاء في الدين من معالجات لشؤون المجتمع كفكرة الصوم وكيف يمكن او لا يمكن ان نجعل هذه الشعيرة او تلك من شعائر الدين الاجتماعية تؤدى وظيفتها التربوية والحضارية والحقيقية في عصرنا الحاضر .

ولكن المؤلف ترك هذه القضايا الاجتماعية الكبرى التي يعيشها المجتمع العربي في حياته اليومية والسياسية والاجتماعية عموما ، وراح يحارب اشباح الميتافيزيقا الدينية التي لم تعد تعطل أحدا ولا تلعب أى دور في حياتنا الاجتماعية .

ولست اقف هنا مدافعا على الدين وان كان الدين هو العنصر الوحيد الذي جمع شتات العلاقات

الوطنية والسياسية والاجتماعية لبنى اسرائيل . ان هذا التحطيم الذي ضربت عليه مثلا من لبنان، نستطيع ان ندعمه بمثل آخر من الجزائر يزعم فيه كاتب ياسين عندنا بان الماذن هي مصانع المسلمين ناسيا ان الاستعمار الفرنسي لم يترك في بلاده حتى الماذن ، وان المعابد في اوروبا واسماء القديسين تملأ الشوارع في باريس في حين لا يوجد عندنا ، الا نادرا ، شوارع تحمل اسماء رجال الدين . ان الامثلة على هذا الزيف في الروح العلمية في ثقافتنا الاجتماعية بكل شعبها المختلفة ، لا تكاد تنحصر في عدد . وما يعزز هذا النقص بصورة صارخة هو ما في مقابله في الطرف الآخر من النهر من انتاج فخرى يرى اصحابه انه هو الوسيلة الفعالة والمجدية في احياء نخوتنا العربية واسلامنا الذي لن تعرف الانسانية الحديثة سلامها الا اذا اعتنقته ديننا لها . وفي الفخر بلغتنا التي هي اكمل اللغات وادقها ، ومن اطرف الادلة على كمال لغتنا مثلا في رأى محاضر عندنا في الجزائر اننا نفهم اليوم اشعار امرئ القيس كما كان يفهمها اهل وسطه ، في حين نجد الفرنسيين اليوم عاجزين عن فهم لغة راسين او كورنا . صحيح ان عندنا اليوم شعرا اجتماعيا وقصة اجتماعية واقلاما اجتماعية واخيرا برزت الاغاني الاجتماعية والسياسية وفن التصوير الملتزم الى آخره . وكل هذا حسن وان جاء في وقت متأخر جدا ، وكان ينبغي ان يكون في طليعة انتاجنا الثقافي منذ عشرات السنين . ولكن ما نطمح اليه اليوم ، وما أصبح هو ايضا متأخرا عن وقته لانه لم يولد بعد في انتاجنا الثقافي ، فهو هذا الذي نحسد عليه الغربيين ، من الثروة الحقيقية من المؤلفات والبحوث المتنوعة في فنون الاجتماع والاخلاق . حتى ان من يفتح منا قاموسا من قواميسهم العلمية في هذه الفنون يندهش لوفرة الكتاب والفلاسفة والمفكرين والباحثين وما أنتجوه من الدراسات العلمية المنظمة في شؤون المجتمع والاخلاق والسياسة ، فيشعر

عندئذ بالتواضع والخجل امام فقرنا القديم والحديث في هذا الميدان - ويفهم عندئذ فقط ان ما يفوقونا به من آلات ووفرة تكنولوجية لا يعد شيئا ازاء ما يفوقونا به من العناية والتنظيم الفكرى لشؤون المجتمع والعلوم الانسانية ، ويدرك عندئذ فقط ان ما هم عليه من النظام والتقدم والعمل والانتاج والعلاقات الانسانية الراقية لم يأتهم صدقة ولا هو بركة من بركات رهبانهم وكناشسهم ، ولا عطية الهية ، وانما ثمرة مجهود فكرى متواصل بذلوه اجيالا بعد اجيال ورفعوا صرحه لبننة فوق لبننة مع المحافظة على كل ما هو قديم مثمر ، واضافة الجديد المستمر فى الجدة والتطور ، فلا قطع مع الماضى ولا توقف عن المستقبل ومن مظاهر الزيف الكثير التى لا نتقطن لها اننا فى السنين الاخيرة حسبنا اننا عثرنا على سر نهضتهم المستمرة وركودنا المستمر ، وظننا ان هذا السر هو تقدمهم العلمى فى الميادين الطبيعية والتكنولوجية وقد بلغ هذا الشعور الزائف عندنا فى بلاد المغرب ان جعل أحد الكتاب المحترمين يتقدم الى الشباب بهذه النصيحة : « اقلوا من العناية بالفلسفة والادب » ، واكثروا من العناية بالعلم والصناعة ، اهتموا كل الاهتمام بالعلوم العملية ، فالعصر عصر العلم ، والثقافة السائدة هي ثقافة علمية .. والادب والفلسفة من البضائع التى أصبحت قليلة القيمة فى وقتنا الحاضر وستكون اقل قيمة فى المستقبل » .

وعندنا فى الجزائر على وجه اخص تكاد هذه النزعة الى العلوم الطبيعية والتكنولوجية تصبح تعبيرا عن عقدة نفسية أكثر منها اختيارا فكريا مدروسا ، فالرياضيات الحديثة والليات الفنية ، والكيمياء ، البيرونية ، تكاد تغمر كل انواع الدراسات الاخرى فى الثانويات والتعليم العالى بجملتهما ، بحيث تسربت الرياضيات حتى الى كلية الآداب وأصبح دارس علم النفس لا يستطيع ان ينال شهادة الليسانس الا اذا كان يارعا فى الرياضيات . واذكر اننى شخصا ظلت اشترك فى الاجتماعات التى لا

تتوقف منذ فجر الاستقلال الى اليوم للنظر فى اصلاح التعليم وتخليص خيوطه الدقيقة من اشواك النظم الاستعمارية العتيقة ، وكانت كل جهودى فى هذه الاجتماعات مركزة على التحذير من خطر هذا الاندفاع الى العلوم التقنيّة على حساب العلوم الانسانية ، ولكن يجب ان اعترف باننى لم انجح فى أحد من هذا الاندفاع الذى يغمر زملائي الآخرين . وكان من نتيجة ذلك اننا فى الجزائر قد نعد اليوم فى طليعة البلدان النامية من حيث النهضة الصناعية الثقيلة والخفيفة على السواء ولكننا على التاكيد نعد فى آخر المقابلة من حيث الانتاج الثقافى العام ، ويظهر فقرنا هذا فيما تنتجه مطابعنا من كتب وصحف وفى صحافتنا ، واكبر ازمة تعانيها فى هذا المجال تتمثل فى افلامنا السينمائية التى أصبحت بسرعة تراحم الافلام العالمية فى تقنية الاخراج ، ولكنها ما تزال تعاني نقصا فادحا من حيث الحوار ومحتواه الادبى والثقافى . وليس ببعيد ان يزداد هذا الخلل عندنا استفحالا فى السنوات القادمة اذا بقينا مصرين على الولوع بالتقنيات . مهملين الجانب الانسانى من هذه التقنيات . ذلك ان كل شيء أصبح متلاحما مع كل شيء . ومن الخطأ الظن بان نجاح الامريكان مثلا فى الصناعة قد تم على حساب ثقافتهم الادبية والاجتماعية . ويكفى ان نلقى نظرة على بعض مؤلفاتهم فى الميادين الاجتماعية لكي ندرك زيف نظرتنا فى ان رقيهم قد تم بالعلوم الصناعية وحدها على حساب العلوم الانسانية والاجتماعية . ويذكر الاستاذ الخشاب فى كتابه « علم الاجتماع ومدارسه » انه نشأ عندهم نضج ورقى مستمران فى البحوث الاجتماعية ، واهتموا خصوصا بالابحاث الريفية والمدنية ، وقضية الهجرة من الارياف ، وتكاثر المدن الصناعية ، وتعقد العلاقات الاجتماعية ، وتغير مستويات المعيشة بتغير الظروف الاقتصادية وبمشكلة عدد السكان والمواصلات والجرائم وانحلال الروابط الاسرية

وانخفاض المعايير الاخلاقية ، ومستويات الذوق العام ، كما اهتموا ببحث أصول الثقافات وانتشارها بسبب ما عرفت امريكا أكثر من غيرها من انواع الهجرة الخارجية . ودراسات العادات الشعبية واساليب التفكير المتنوعة ، وتأثير التقدم العلمى على السلوك الاجتماعى والفردى وتأثير الاحوال المادية والمعنوية على حياة المجتمع . كما اهتموا أخيرا بتحسين مناهج البحث نفسها فى الميادين الاجتماعية لتحل محل المناهج القديمة برموز لها خاصياتها الرياضية حتى يمكن دراسة الظواهر الاجتماعية بالدقة نفسها التى تدرس بها الرياضيات ويعرف هذا المنهج عندهم بمنهج قياس الظواهر الاجتماعية . ولا تقل عناية العلماء السوفيات عن زملائهم الامريكان فى هذه البحوث الاجتماعية . اما فى الصين التى تطمح ان لم تصبح بعد ، قوة عالمية عملاقة ، فاننا نعرف سلسلة الثورات الثقافية التى تكاد تحدث عندهم فى كل عشر سنوات ، وهم يطمحون اليوم الى تقديم طراز جديد من الدراسات الانسانية لم تعرفه اوروبا وامريكا ولا حتى الماركسية التقليدية . اذا يحاولون ان يجعلوا قيمة التقدم الآلى فيما تقدمه من تكامل للتقاليد الحضارية العريقة ، وقد اعتبرت الصحافة الاوروبية هذه المحاولة فى اول الامر ضربا من الجنون ، ولكنهم عادوا ففعلوا عن هذا الحكم .

ويمكن تلخيص الموقف الحديث عندهم من قضية العلاقة بين الانسان والتقنية فيما يلى : ان معيار الانسان المنتج ليس فيما يظهره من مهارة تقنية او علمية ، بل فيما يقدمه للشعب من خدمة . ان هناك مراجعة كاملة فى سلم القيم ، تتمثل فى السؤال الآتى مثلا : هل قيمة السلاح تفوق قيمة الجندي ، أم العكس ؟ والجواب عندهم واضح ، وبناء عليه فان قيمة الانسان تفوق قيمة التقنية . ويعد هذا الجواب أساسا من الاسس الكبرى فى الثورة الثقافية الجارية الآن فى الصين ولكن هذا الحكم عندهم لا

يقف هنا ، اذ هو قد يوحى بتفضيل الثقافة النظرية الادبية على الثقافة العلمية التقنية . لذلك يضيقون اليه اساسا آخر ، وهو اللاحاح على الثقافة العلمية وافضليتها على الثقافة النظرية . بل يعتبرون من الخطر الاهتمام بالثقافة النظرية لذاتها ، التى لا ترتبط ارتباطا مباشرا بالمصلحة الاجتماعية ، وهو موقف يتعارض تعارضا مطلقا مع موقف ارسطو وما اورثه فى ثقافات البحر الابيض المتوسط من ولوع بالنظرى على حساب العمل . ولكنه - اى الموقف الصينى - يلتقى مع الموقف العلمى فى البراغماتية ، الامريكية والحركة الماركسية . ويبدو ان الصينيين قد بالغوا ، كما تبألغ كل نزعة جديدة ، فى تفضيل الثقافة العملية على الثقافة النظرية الى درجة تفضيل ثقافة العامل المحتك بالتجربة المادية على ثقافة المهندس الذى استمد ثقافته التقنية من الكتب . وهم اخيرا يهتمون فنيهم الذين نعتد نحن على امثالهم فى رقينا الصناعى ، بانهم استمدوا تقنيهم من الكتب الاجنبية وكانوا مقلدين وعالة ، فى حين يستمد العامل معرفته من التجربة المحلية المباشرة . وما يخشى على هذا الفكر الصينى الحديث هو ان يؤدى اذا نزل الى الطبقات الشعبية ، الى نزعة معادية لثقافة الكتاب ولكن المهم فى الامر هو انه اذا كان موقف المنطق الغربى المتوارث عن ارسطو بجا

يقول الكاتب اليابانى هو منطق المعرفة فان المنطق الصينى الحديث هو منطق العمل . واذا كان الاتجاه الغربى اتجاها علميا فان الاتجاه الصينى هو اتجاه تقنى فى النهاية . واذا كان الفكر الغربى يحلل ويبحث فى الاسباب والعلل ، فان الفكر الصينى هو فكر النشاط العلمى . واذن فالعمال هم العلماء .

اما ما يهمنا نحن من هذا الموقف الصينى ، مثله مثل المنهج الامريكى والماركسى ، فهو المجهود الفكرى الذى بذل ويبدل باستمرار وتزايد فى المجال

العلمية والاجتماعية الحديثة . وتحضرني في هذا الصدد قصة للمرحوم الشيخ محمد عبده مفادها انه كان يوما يتجول في حديقة بالقاهرة مع صديق له ، وهما يتحدثان ، واذا بالشيخ عبده يتخلف عن صديقه برهة من الوقت ثم يلحق به وعينه مبتلتان بالدموع . فقال عبده كنت استمع لامرأة انكليزية تنتهر طفلها الصغير عن كطف الازهار من الحديقة وتحدثه بمعاني لا تخطر ببال اجل شيوخنا علما وفضلا ! ويلتحق بهذا الصنف من مثقفينا الاجتماعيين ، الجمهور الاكبر من الادياب الذين يكتفون بثقافة لغوية في الغالب . وقد كان في اماكن هذين الصنفين من المثقفين في الوطن العربي ، وهم الصق الناس بجمهور الشعب العربي ، ان يساهموا في رفع مستواه الثقافي المتدهور ، لو تزودوا بثقافة علمية واجتماعية حديثة ، وحاولوا ان يحتكوا فكريا بواقع امتهم الاجتماعي الخام !

وقد رأينا في المؤتمرات العديدة التي تجرى في انحاء الوطن العربي شرقا وغربا ، كلقاءات التعرف على الفكر الاسلامي عندنا في الجزائر وكؤتمرات رجال الفكر والادباء العرب هنا وهناك من المشرق فلا ترتقى في اغلبها الى قمم فكرية تفحص منها فحصا علميا ما يتخبط فيه المجتمع العربي من ضبايايات فكرية وحشو ثقافي وتأخر في أسلوب التعامل يدعو الى الشقاء ، ومن خلط في مفاهيمه الحياتية وتصادم في ادواقه المتنافرة وفقدان لكل هدف او طموح ، وذبذبة في القيم الاخلاقية والتربية المدنية وعقم في التكوين السياسي والنضج الاجتماعي .

ولكن المثقف العربي نفسه اذا كانت تتوفر فيه صفة الثقافة على نحو من الانحاء ، فان صفة العروبة في ثقافته هي التي تعز فيه وتندر . اننا اذا توجهنا

الانساني ، والذي لم تستطع التقنيات المتقدمة في هذه البلدان معا ان تغطي عليه مهما نعتوا اعتباطا وزيفا ، بانهم امم صناعية ومهما بهرتنا نحن بالخصوص نتائج العلوم التقنية وحدها لانها تصبر الينا وتقزونا في عقر دارنا ، ونغفل عن الرقي الانساني الذي عليه هؤلاء القوم جميعا في بلادهم والذي لا يسترعى انتباهنا في الغالب والذي هو نتيجة عنايتهم التي لا تقل - كما رأينا ، عن عنايتهم بالرقي الآلي والتكنولوجيا . ان انهيارنا بعنايتهم بالعلوم التقنية وغفلتنا عن عنايتهم بتقدمهم الاجتماعي والانساني بلغ من الزيف بل من السذاجة ان اصبح لا يقل عن سذاجة الاطفال : حدثني والذي انه كان يسير يوما في بعض الطريق ، وامامه طفلان صغيران خرجا من المدرسة الى بيتهما ، وكانا ، وهما يسيران امامه يتحدثان بالفرنسية ، فقال لهما : لماذا لا تتكلمان بالعربية . قال الوالد فسكت احدهما واجابني الثاني بقوله : « روح يا شيخ في حالك . اننا نتكلم باللغة التي نصعد بها الى القمر » ! اعتقد ان جواب هذا الطفل يعبر ببراعة عن سذاجتنا نحن الكبار في كل انحاء الوطن العربي فيما يتعلق بوسائل الرقي التي يجب ان نستعملها . انه انصراف كلي ومطلق الى العناية بالتقنية وحدها ، واهمال للوسائل المعنوية في تكوين الانسان سياسيا واجتماعيا وادبيا .

ولكن في مقابل هذا المزيف عندنا يوجد زيف آخر ، وهو انما عندنا من عناية بوسائل التكوين الاجتماعي للانسان العربي ما تزال فاقدة لعنصر العلم والثقافة العلمية والروح العلمية . وبرز ميدان يظهر فيه هذا النوع الآخر من الزيف ، بل الخطا والسطحية ، يظهر اكثر ما يظهر في التكوين الديني ، اذ ما يزال رجال الدين عندنا يعتبرون ثقافتهم تتمتع باكتفاء ذاتي ليسوا في حاجة معه الى التزود بالثقافة

اليهم في مختلف انحاء الوطن العربي فأننا سنجد احدهم يحمل مفاهيم امريكية للثقافة الاجتماعية ، والاخر يحمل طابعا فرنسيا والثالث ماركسيا سوفياتيا والرابع ماويا ، والخامس سلفيا دينيا والسادس خرافيا مشعوذا والثامن لفضيا سفسطانيا الخ . يتكلمون كلهم بلغة الضاد ولكن هذا كل ما يجمعهم من عناصر الثقافة . وكل منهم قد يكون له عذره في اتجاهه ومحتوى ثقافته لانه تلقاها تلقيا ولم يخلقها خلقا . ولكن هذا جدير بان يجعلنا نتساءل على الاقل : اين هي الحقيقة واين هو الزيف في هذه الثقافة ؟

لعل هذا التساؤل هو الذى خلق اليوم عددا لا بأس به من جيلنا الجديد في المشرق العربي وفي المغرب ، ممن بدؤوا يشعرون بالحاجة الى بذل مجهود فكري نعمل فيه على انفسنا لاننا تجاوزنا مرحلة الاعتماد على الآخرين والنقل الآلى لمفاهيمهم ومناهجهم ومحاولة الصاقها تعسفا واعتباطا بوقائعنا التى تاباها . ذلك اننا رغم تأخرنا ورغم ما قيل عنا لسنا شعبا بدائيا غفلا من كل علامة ، او مستعدا لان يقبل كل التناقضات المتناحرة ننتمى الى نمط من انماط الحضارة طبع جزءا هاما من تاريخ الانسانية بطابع خاص ، وتراثنا مهما تجاوزته الاحداث والثقافات المعاصرة ، مايزال يحتفظ بقوة على ان ينبعث الى الحياة من جديد . وفي تراثنا الثقافي سواء منه المكتوب في عصور حضارتنا ، او الحى المائل في حياتنا الاجتماعية من عادات وقوانين وعقائد وتقاليد وفنون وآداب - ان في كل ذلك لثروة زاخرة بالامكانيات ولكنها ظلت مخزونة كثرورتنا البترولوية بدون استغلال بحيث يستطيع ابناء الامة العربية اليوم اذا تفتنوا لكنوزهم الثقافية بانواعها ، ان يستخرجوا منها مناهج خاصة بهم وقادرة على خدمة مجتمعهم والنهوض به نهضة

ثقافية في الميادين الاجتماعية بانواعها لا تقل عن تراث غيرنا من وارثى الحضارات الكبرى ولكن هذا التراث المكتوب منه والحي على السواء يتطلب جهدا علميا هادفا وجراة على التحرير من عادات عصور الانحطاط الفكرية ، ومن عادات الاستلاب .

(ALIENATION) الحديثة معا . ويشرفنى ان يكون عدد من ابناء المشرق الفحول قد سبقوا ابناء المغرب الى الدعوة الى هذه المنهج المستقل المتمثل في التلمذ من جديد على العالم العربى الاصيل في هذا المجال الاجتماعى ، وهو عبد الرحمن بن خلدون . وفي مقدمة هؤلاء الداعين الافاضل اذكر الاستاذ المحترم الدكتور على الوردي في كتابه القيم « منطق ابن خلدون » . ولكننى اريد فقط ان اضيف الى دعوته التى اشاركه فيها معتبرا انها الشارة او الخطوة الاولى التى نخطوها في سبيل تحررنا الثقافى - اريد ان اضيف امرين : الاول ان منهج ابن خلدون في الثقافة الاجتماعية هو المنهج العلمى الذى ارسى قواعده ومتمن اصوله على مر العصور جميع عباقرة الانسانية من ارسطو الى جون ديوى او ماركس . وان ابن خلدون اذا تميز عن هؤلاء جميعا بشيء فهو بالنسبة الينا اقربهم اهتماما الى تحليل اوضاعنا ، واكثرهم جدوى لما نطمح اليه من عناية اصيلة مستقلة بدراسة شؤون مجتمعنا . واذن فما يدعونا الى التلمذ عليه ليس هو انتساب الى جنسنا والتعصب له بل روحه العلمية الجريئة الواضحة .

والامر الثانى هو ان ابن خلدون نفسه قد تحرر من تحكم العادات الفكرية ، التى سار عليها اسلافه في الثقافة الاجتماعية ، وتحرر في الوقت نفسه من التقليد اليونانى التجريدى الذى ولع به الكثير منهم وهو من ثم يعتبر ان شئنا سددنا الاكبر فيما ننزع اليه اليوم من التحرر من نفس العبوديتين الفكريتين اللتين نعانينهما في عصرنا الحاضر ايضا : عبودية

الحقيقة والزيف في مجتمعنا العربي

وانصرفنا نحن طيلة هذه المدة الى الثقافة اللفظية والفخر والهجاء الجاهلي ، والجدل الكلامي ، فبقينا حيث نحن في حقيقتنا ، واذا تغير زيفنا تغيرا كبيرا ، وتزيفت نظرتنا الى واقعنا تزيفا اخطر !

ولئن وجدنا عند ابن خلدون شيئا يخلصنا من هذا الزيف المضاعف ، واقعا وفكرا ، فهو حكمه علينا باننا نميل الى البسائط من الامور . وترك المجتمع ينبت ويتكاثر ويعيد امسه في يومه ، هو امر سهل . اما تنظيمه واقامة هذا التنظيم على اساس الفكر والدرس ، فهو الامر الصعب وقد تهرينا منه كثيرا ولكن لا مناص لنا من مجابهته اليوم أو غدا .

لقد عشنا طيلة فترتنا الحضارية الحديثة بعادات الاموات من اسلافنا ، الى جانب ثقافة الاطفال من محدثينا . وهكذا كان زيفنا مضاعفا .

والخلاص من هذا الزيف المضاعف في حياتنا وفكرنا هو بذل الجهود الفكرية الذي تهرينا منه لحد الآن في المجال الاجتماعي ، بذل مجهود في فهم واقعنا علميا قبل ان نعد الى تغييره عمليا .

لقد حكم ابن خلدون على الفرابي في الشرق بانه اضل السبيل لانه درس المجتمع كما يجب ان يكون قبل ان يفهمه كما هو كائن . وحكم على ابن رشد بنقض الضلال لانه درس المجتمع العربي بقوالب ارسطو الفكرية ولكن كلا المنهجين الضالين الزائفين ما يزالان مسيطرين على عنايتنا الثقافية بالمجتمع الى اليوم باشكال اخرى وتهتم اسرائيل بدراسة المجتمع العربي كما حلله ابن خلدون لفهم هذا المجتمع كما هو ، وتبني عليه سياستها معه . حتى قيل انه تقدم في جامعاتها في عام واحد اكثر من ستين اطروحة عن ابن خلدون .

اليست هذه واجهة اخرى من واجهات المعركة العربية مع شرذمة اسرائيل ؟

اسلافنا بمناهجهم الخطابية السطحية ، وعبودية من بهرونا في العصر الحاضر بتقنياتهم الآلية وبقوا اليهم الفكرية التي لا تنطبق تماما على وقائع حياتنا الاجتماعية .

واخيرا لاننا بهذا المنهج العربي الاصيل والعلمي المستقيم سنجد حقا معيار الحقيقة والزيف في حياتنا الاجتماعية كلها وعلى وجه اخص في ثقافتنا الاجتماعية ان ابن خلدون بالرغم من كل ما اتهم به فريق من الجيل الماضي من مثقفينا ، وفي مقدمتهم طه حسين وعبد الله عنان - يبقى هو الابن البار لامته

العربية التي لم يزيف لها حقيقتها ، وانما عمد الى تشريحها بامانة ، وجراة وشجاعة ، كان يجب ان تصبح هي المدرسة الفكرية الاولى عند مثقفينا في العناية بشؤون امتهم ، بحيث لو كان هذا الرجل عند امة اخرى من الامم الاوروبية التي تحترم تراثها وتبني عليه الجديد المستمر ، لاتخذت من آثاره اول وثيقة تدرس في جامعاتها في شؤون الاجتماع ، ومع ذلك فابن خلدون ليس هو كل ما نملك كحقل خصب للدراسة والبحث بل يوجد الى جانبه شعبنا العربي نفسه الذي لاتقل مادته الخام غزارة للدراسة والبحث عن تراث ابن خلدون المكتوب وكلا المنبعين مترابطان عضويان ، اذ ليس تراث ابن خلدون المكتوب غير تراث الشعب العربي نفسه معقلنا ومدرسا .

ان نهضتنا الحديثة قد تجاوز عمرها نصف قرن من الزمن ، وهي مدة استطاع فيها الاتحاد السوفياتي ان يقفز من مجتمع متأخر الى دولة عظمى ، واستطاعت أمريكا في ضعف هذه المدة ان تكون معجزة القرن العشرين ، واستطاعت الصين في اقل من نصف هذه المدة ان تحتل مكانتها بينهما . والسبب الاساسي في نظري انه كان لهم فلاسفة اجتماعيون انكبوا على دراسة اوضاعهم وتشريحها علميا ، الى جانب علمائهم الطبيعيين والتقنيين ،

ويح الشباب

ولما رأى بعض الشباب استخف بالقيم ونبذ التقاليد السماوية
ظهيراً وعدها من أسباب التخلف وعلالهم التعصب ساءه ذلك فقال :

جَارَ الشَّبَابُ عَلَى الْقِيَمِ وَرَمَى الشَّرَائِعَ بِإِلْتِهَامِ
وَأَبَى النَّصِيحَةَ تَابِعًا لِهَوَاهُ يَخْطِطُ فِي الظُّلَمِ
وَيَحِ الشَّبَابُ مِنَ الْهَوَى إِنَّ الْهَوَى فِيهِ احْتَكَمِ
هَجَرَ الْهُدَى وَسَبِيلَهُ وَلَى الْغَوَايَاتِ أَزْدَحَمِ
أَيْنَ الشَّبَابُ وَوَعْبُهُ وَنَشَاطُهُ مِنْهُمَا عَزَمِ ؟
أَيْنَ الشَّبَابُ الْمُهْتَدَى إِنِّي هَتَفْتُ بِهِ فَلَمْ ...
ثُبَّ يَشَابَابُ إِلَى الْهُدَى إِنَّ الضَّلَالَ عَلَيْكَ عَمِ
الَّذِينَ عَاصَمَكَ الَّذِي يَنْفِي هَوَاكَ بِمَا عَصَمِ
مَلَّ لِلْمَتَابِ مُسَارِعًا وَأَجْنَحَ لَهُ قَبْلَ النَّدَمِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الدِّينَ مِنْ خَوَرِ النُّفُوسِ فَقَدْ وَهَمِ
تَبَكَّى السَّعَادَةَ آيَسًا وَتَظُنُّ مَعْنَاهَا أَنْعَدَمِ
إِنَّ السَّعَادَةَ فِي حِمَى الْ إِيْمَانِ رَاسِخَةُ الْقَدَمِ
إِنَّ السَّعَادَةَ نِعْمَةُ الْ إِسْلَامِ وَهُوَ أَبُو النَّعَمِ
أَقْبِلْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ دِينَ بِهِ سَعِيدَ الْأَمَمِ
من ديوان محمد العبد

في القديم

والحاضر

والمستقبل

ومدى
انتشارها
وتأثيرها
في العالم
الخارجي

أصالة الثقافة الجزائرية



ان الثقافة الجزائرية باصولها الدينية والتصوفية والعقائدية والعلمية والادبية والفنية والتقنية اصالة راسخة القدم في الاصلالة منذ كانت والى يوم الناس والى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين .

عثمان الكعك

الاطلسى الهصور وللبحر الصامت الوقور فما هي قصة هذه الثقافة ولماذا هي أصيلة ؟

الثقافة الاسلامية الجزائرية أصيلة لانها ثقافة متاغرة أعنى تشعر بانها طوال الدهر على الثغور مفتوحة على الشمال والجنوب والشرق والغرب فتخشى ان تدنسها قدم الفاتح ولغته وثقافته واساليبه العقائدية فتمسكت بالديانة الاصيلة واللغة الاصيلة فكان لديها من كبار الصوفية الاصليين كابي مدين والهوارى والعكالى وابن باديس والتبسى والابراهيمى وابى يعلى المزواوى وابن مرزوق والمشدالى ، وعبد البجواوى وعبد الحليم بن سمية وتمسكت باللغة العربية ولم تشأ بها بديلا غزتها الاسبانية والاطالية والفرنسية فتغلبت عليها بعد ما امتصت منها عصارتها النافعة وحولتها الى دم جزائري نقي أصيل ، وكان علماء اللغة لديها والمتربسون بالعربية وفحول الترجمة وكبار المدرسين والكتاب والخطباء والمؤلفين والشعراء وعلماء النحو والبلاغة فى المقام الاول من الجودة والاتقان ، قشعراؤها اكبر الشعراء فمن المسيلة محمد بن هانى - متنبى المغرب - والحسن بن رشيق ، ومن طبنة زيادة السرطاني ومحمد الطيني الذى كان شاعر البلاط الاموى بقرطبة ، ومن قسنطينة الفكون وعائشة الشريفة ومن تلمسان ، المرقى وابن خميس الذى تغنى بجمال مساقط الارويط وبدائع ساتينة التلالسى وعفيف الدين التلمسانى والشباب الظريف ومن ميلة ابن قاضى ميلة .

ومن قالمة عبد الرحمان القاملى كبير كتاب المهدي بن تومرت ، وشعراء الوطنية منذ الاحتلال المقيت والى الاستقلال البطولى الرائع لا يدخلون تحت حصر سواء الذين القوا بالعربية أو الذين القوا الشعر الشعبى الوطنى الذى هو من أروع الشعر .

ذلك لانها استمدت عناصر كيانها من صميم التربة الجزائرية ، اخذت من شمس الجزائر المنيرة الربيعية الدافئة المنعشة اشعاعها وبريقها وانتلافها وجمالها ، واخذت من قمر الجزائر المبدد لونه الفضى الذى يمويه به الانهار والازهار والاشجار واستمدت من قمم الاطلس العالية الشامخة الراسخة المليئة بأخبار البطولة وعناوين المجادة المتوجسة الرؤوس بالثلوج للموعة الصافية الرائعة والى شابت هامتها من قطع الهام واحداث الايام وكفاح الاسد الضرغام على طول الادهار والايام ، وفى غاباتها الكثيفة الظليلة مأوى للمثاغر والمغاوير واشياء والمثائر والزائر ولوحات جمال للرسم وآيات جمال من موسيقى الاطيوار ورنات الاوتار وخير الانهار ونشيد الاشعار ، ومن عبير الازهار ، وشمم النوار ، ومن رائح الثمار وقد انتعشت على صخورها اخبار الادهار ويطولات كل مغوار .

وهذا البحر الاسمانجونى الهادى كديباج أزرق قد طرزته اشعة الشمس بزر كشة من ذهب او هائج مائج كصوفى فى حالة جذب وشطحات هائجة مائجة قوية التعبير جميلة الحركات بديعة الغمرات . لو حول مدادا لروى اخبار الفتوحات والغزوات والمغامرات والمثاغرات والمغاورات والبطولات .

ولوحولت اشعة الشمس الذهبية الى اقلام من عقيان لكتبت امجاد أمة على ذلك الرق الاسمانجونى الذى نسخت عليه المصاحف الاسلامية الرائعة فكانت اسفار قحار على وجه الادهار ، وهذه الانهار المنسابة بين العشب والازهار والاشجار والاحجار تغنى عليها الاطيوار انشودة الزمان بأروع الالان كقيثارة فنان تروى آيات تاريخ صفحاته نقية صقيلة ، بديعة طويلة ، عربية أصيلة ، شريفة نبيلة ، ترويه للموج الزبرجدى المرصع بالزهور وللصافى الراقصة على افنانها والطيور ، وللحجار والصخور ، وللأسد

اصالة الثقافة الجزائرية في القديم والحاضر والمستقبل

عليه اعلام ، وآل الغبريني البجائيين الفقهاء والمؤرخين الذين درسوا بتونس وتولوا الخطط العلمية والشرعية العالية بعاصمة الحفصيين ، وابن الخطيب نفسه أخذ فيمن أخذ على اعلام من تلمسان منهم ابن مرزوق التلمساني الجد وعلى التلمساني والقاضي محمد المقرئ والد أحمد صاحب نفع الطيب ، ومنهم شاعر تلمسان محمد بن خيس حامل راية المنظوم والمأثور له القصيدة المشهورة .

عجبا لها اينوق طعم وصالها

من لا يؤمن ان يـمـريـبـالـها

وقد اثنى عليه ابن دقيق العيد حين وقف على ذلك القصيد وقد أخذ عنه اعلام منهم ابن الفخار الاندلسي .

ومن كبار علماء الجزائر الذامعي الصيت في العالم الاسلامي الحسن بن باديس وابن قنفذ القسنطيني وابن مرزوق وابو شريشي ؟

ومن كبار علمائها ومفسريها ومتصوفيها الشيخ عبد الرحمان الثعالبي ، ومن علمائها في العهد التركي سعيد قدورة والخروبي وزروق وكلهم من العالمين الذين نشروا العلم بالجزائر وخارجها ، ومنهم العلماء السنوسيون الذين لعبوا دورا عظيما في هذا المغرب العزيز في عصور مختلفة .

ومن علماء اواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن شعيب التلمساني (١٨٤٣ - ١٩٢٨) قاضي تلمسان وصاحب كتابزهرة الاوطان في علم الالحن والمعلومات الحسان في مصنوعات تلمسان الى غير ذلك من الكتب الجليلة والشيخ عبد الحليم بن سماية وعلامة المغرب الكبير محمد بن ابي شنب الذي ألف امهات الكتب في شتى المواضيع وتخرجت عليه أجيال من الاساتذة والعلماء بين تونسيين وجزائريين ومغاربة .

وعواصم العلم الجزائري هي طينة والمسيلة وتبسة وبسكرة النخيل على عهد بني مزني ومقرة وقسنطينة عاصمة الباديسيين وبونة مدينة مروان البوني شارح الموطأ وشمس الدين البوني الذي وصل في الرياضيات الى ابعاد غاية وأحمد البوني المؤرخ والجزائر العاصمة التي اخرجت العلامة المفسر والمتصوف الكبير عبد الرحمن الثعالبي ، وتونس التي اخرجت الامام القنسي الشاعر المؤرخ . على ان المجد الثقافي الجزائري الاصيل لا يقتصر على عصر دون عصر .

ففيما قبل الاسلام نجد الملك يوبا الثاني الذي أسس جامعة شرشال أول جامعة وطنية جزائرية احدثت في عصور جاهلية متقدمة تدرس العلوم على اختلافها والفنون من موسيقى وتحت ورسم وتمثيل وانتخب لها من ابناء البلاد الاشواوس ومن اليونانيين على الاساتذة فبعثها نهضة علمية وأدبية وفنية اشرفت أنوارها على ربوع البحر المتوسط طيلة اجيال ، وهو نفسه قد كان مؤلفا ، فالف دائرة معارف لعامة العلوم وألف كتابا في جغرافية جزيرة العرب وكأنه كان ينظر الى عروبة المغرب بعين الغيب .

ومنهم ابوليوس الداوروشي الذي كان روائيا مبدعا وحقوقيا ضليعا بليغا في اللاتينية واليونانية علاوة عن البونيقية وطبييا نطاسيا ممتازا له مخبر للتجارب عديم النظر وكان استاذا للحقوق والطب بجامعة قرطاجنة واذا ما تعقدت قضية بين ابناء رومة استدعوا لحلها الحامي الداوروشي النبيل .

على ان علماء الجزائر كانوا اساتذة العالم في عصرهم منهم محمد الابلي التلمساني ، شيخ ابن عرفة ، وابن خلدون ، علم بالجزائر وتونس وفاس ومحمد المغربي والد المؤرخ الذي علم بفاس وخرج

ومن مشاهير شعراء الحركة الوطنية والثورة محمد العيد وأحمد سحنون ، والطاهر بوشوشى وصالح الخرفى ومحمد الأمين العمودى ومحمد السعيد الزاهرى ومفدى زكرياء شاعر الاقطار المغربية وحتى الشرقية ومواكب الحركة منذ نشأتها ومحمد الهادى السنوسى وأبو اليقظان ورمضان حمود والسائى عبد القادر والسائى محمد الصغير وأول من كتب فى أسباب انحطاط المسلمين وسر نهضتهم الامير عبد القادر بن محى الدين .

على أن الكثيرين من رجال النهضة فى الاقطار المغربية الشقيقة من الجزائريين أمثال حسن قلاتى وعبد العزيز الثعالبى وحسين الجزيرى والصحافى الكبير على بوشوشة صاحب جريدة الحاضر الذى أصله من جيجل ، على أننا لا ننسى ولن ننسى علامة العصر عبد الحميد بن باديس والعلامة الكبير بحر العلم والخطابة استاذنا البشير الابراهيمى رحمه الله تعالى .

وبذلك اجتازت الجزائر أزمة الاحتلال بسلامة ثقافية وخرجت منها بعروبيتها وعربيته سالمة العقل والبدن مرفوعة الرأس تجلس بين أبناء أعمامها فى مكانة مرموقة من الشمس .

ولكن العالم العربى كله يعانى بسبب الاستعمار أزمة ثقافية نريد أن نستعرضها لفهم أسبابها وأسباب علاجها مع العلم مسبقا بأنها لا تزيد عن أزمة نشوء وكما يقول المثل التونسى « ما يتفرس الا ما يتهرش » مما هو ملاحظ معروف ، ومعقول الوقوع أن كل قطر من الاقطار مهما كان ، ووقع فى مخالب الاستعمار ، الا وكانت لغة العلم والتعليم خلال محنته هي لغة المستعمر ، لا يسلم من ذلك أحد ، حتى أن الدول التى بذلت مجهوداً مرموقاً فى المحافظة على لغتها إنما تحافظ على ذات اللغة وعلى

انتاجها الادبى ويكون الانتاج الادبى محدودا بفقدان الطباعة أو لعسرها ولفقدان حرية القول وحرية النشر ووجود مراقبة شديدة على المطبوعات والانتاج العقلى لذلك فالتأليف التى تتعلق بدراستها من تاريخ وجيولوجيا وجغرافيا وفولكلور وزراعة وتجارة وحيوان ونبات ومعمار وموسيقى ، والكتب التعليمية من كيمياء وفيزياء وجبر ومثلثات ورياضيات وفلك إنما تكون بلغة المستعمر ليس الا على أن مفهوم الكتاب نفسه فى محتواه إنما يكون مفهوما استعماريا كان يرسخ فى الأذهان أن العربية ليست لغة علم وهى عاجزة عن القيام بهذا الدور وأن المسلمين ليست لهم علوم ولا آداب ولا فنون وأن الذى قضى عليهم بالتأخر هو جمودهم وتعصبهم وعجز دينهم عن مسايرة العصر الى غير هذا من الترهات المعلومة التى أصبحت كالأسطوانة الموسيقية ذات الكسر التى تعيد نبراتها على الدوام .

لذلك فإن هناك مشكلا ثقافيا لا بد من حله .
أما الآن وقد أقام الجزائريون الاشواش ثورتهم على أساس : « الاسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا » فقد صح ايمانهم بالعربية أو بوجه أصح أنهم ما فتؤوا حتى فى أحلك العصور يؤمنون بلغتهم ، بل اقتضت المثاغرة جعل هذه اللغة فى المقام الاول من ايمانهم الدينى والوطنى ، لكن الايمان يقتضى العمل الذى كان معطلا أو مقيدا قبل الاستقلال وانعتق الآن من عقالة ، ونعنى به الأصول الآتية :

الأصل الاول : ترجمة ما تركه المستعمر من الاف الكتب المتعلقة بعامة الدراسات الجزائرية فى عامة المواضيع والذى لا يوجد منهم بالعربية الا النزر القليل ، فهذا الميراث المسلوب ولا شك بنزعات ونزعات يجب أن يضبط وأن يرقم ترقىما من واحد

اصالة الثقافة الجزائرية في القديم والحاضر والمستقبل

هـ - طور التجميع الموسوعي ، فالفت الموسوعات التي جمعت اشتات تلك العلوم وقدمت المقدمات لها لبيان اطوارها وشرح العلوم المتعلقة او ابتكارها ، كما فعل ابن خلدون في مقدمته في العلوم التاريخية والاجتماعية والاقتصادية وياقوت في العلوم الادبية والقلقشندى في العلوم الانشائية والديبلوماسية والادريسي وابن فضل الله العمري في العلوم الجغرافية وشرف الدين التيفاشي القفصى في العلوم الرياضية وهلم جرا .

فيجب ان نمر نحن المغاربة بنفس السبيل ، مع اعتبار ان هنالك كتباً في الشركة بيننا فيجب ان نترجم بالشركة مثل كتاب ستيفان قزال عن تاريخ المغرب في القديم ، او الكتب التابعة للمغرب المفقود الذي هو اسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا وصقلية وسردانيا ومالطة ، فهناك تاليف عجيبة الفت عن تاريخنا واثارنا هناك يجب ان نترجم حتى نفهم ما هي قيمة حضارتنا وهذه ترجمتها بالشركة بين عامة الاقطار المغربية مثل كتاب امادى عن تاريخ المسلمين في صقلية او كتاب يونس بوقس عن تاريخ مؤرخى العرب بالاندلس او كتاب خوليان ديبيرا عن تأثير الموسيقى العربية في اسبانيا او كتاب توسان عن الفن المدجن العربى بعامة الجمهوريات الامريكية ومثل ذلك كبير .

ثانياً : ان لنا تراثاً من المخطوطات المفرقة في بلادنا وفي مكتبات الشرق وأوروبا وآسيا وأمريكا وهي تاليف اجدادنا الاقربين بالاندلس وصقلية والمغرب ، وهي تنام هناك ، على أن الجزائر قد قامت عند غزوة الاقرنج بعملية « تجديد » لمكتباتها بالزوايا والجوامع حفاظاً على تراثها وحسناً ما فعلت فما وجد روثى ياسى وهوداس وشريونو من الكتب الا ما

الى عشرة ، وان يخطط له تخطيط تعريب عشرين ، فتترجم في السنة الاولى الكتب ذات الرقم الاول وفي الثانية ذات الرقم الثانى ، وهلم جرا .

وهذا احتياج عام شامل لعامة الدول التي كانت تحت نير الاستعمار ولا خروج لها من الاستعمار الثقافى - احيت أم كرهت - الى الاستقلال الثقافى والفكرى الابهذه الوسيلة .

وشأنها في ذلك شأن الاستقلال الثقافى الاسلامى نفسه ، فان الاسلام وجد نفسه في صدر الملة على رأس امبراطورية عظمى شملت امبراطوريته نفسه وامبراطوريتي العملاقين الكبيرين يومئذ العملاق الايرانى والعملاق الرومى والرومانى ولكن ليست له علوم ما عدا اوائل علومه الدينية واللغوية الآلية، فبدأ الترجمة على عهد الامويين وانتهى منها على عهد المأمون العباسى ، فتترجم عامة كتب الاقدمين في عامة العلوم والآداب والفنون والتقنيات من الهندية والايرانية والسريانية والقبطية والعبرانية واليونانية واللاتينية والبربرية واليونيقية .

فالدولة الاسلامية التي كانت خالية من كل مصدر حتى مصادر نفسها صارت دولة المصادر لنفسها ولعامة الشعوب ممن أراد معرفة نفسه من الشعوب الاخرى ولكن وجب عليه ان يعرف العربية لان الكتب الاصلية التي كانت كتبت قد ضاع معظمها وبقيت ترجماتها العربية . على أن الترجمة العربية قد مرت بالاطوار الآتية :

١ - طور التهذيب

ب - طور الترجمة

ج - طور الشرح

د - طور التاليف المبتكر والزيادة على ما قاله الاقدمون .

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

قل وتناثر ، والآن وقد خرجنا من المحنة فيجب ان
نقوم بالعمليات التالية :

(١) البحث عن المخطوطات وفق برنامج مدقق
منهاجى .

(٢) تصويرها حيثما كانت وجمعها فى ديار الكتب
الوطنية المغربية .

(٣) نشرها بالوسائل السريعة وفق أحدث المناهج
النقدية التى يقتضيتها علم الخطاطة
POLEAGRAPHE (انظر : عثمان الكعاك : الوساطة فى الخطاطة)

(٤) البحث عن الكتب العربية المطموسة POLEMPERTE

وهي الكتب التى كتبها اصحابها على الرق ، فلما جاء
غيرهم نسخوا الكتابة وكتبوا غيرها ، ولما خرج
المسلمون من جهات من الاندلس وصقلية على التوالي
من الاسبانيين والسيصيليين اخذوا كتبهم وكتبوا فيها
بلغاتهم ونقلت الكتب مع الاندلسيين الى افريقيا
السوداء فمنها ما بقى ومنها ما محى وكتب مكانه
شيء آخر ، فهذه هي المطموسة ومن المعلوم ان
المطموس يمكن استظهارها واستجلاؤها بارسال
اشعة ما تحت الاحمر INFRA-ROUGE

عليها فتظهر منها طبقة بعد طبقة الى الخامسة ان
وجدت ، وبذلك يتيسر احياء عدد من الكتب العربية
فى مخطوط واحد ولجل هذا وجب اعداد فيالق من
الشباب المتحمس للتراث لحياته وجمعه واستجلاء
المطموس منه حتى يمكن ان نضع يوما الكتاب الجامع
للكتب العربية اعنى ما يمكن ان يسمى
CARPUS hierorum araborum على غرار
Carpuschar lectinorings

وقد تظافرت جهود علماء اوربا على ذلك مدعوية
الامد . ولما كانت الطريق طويلة فيجب الابتداء من
الآن .

ثالثا : اننا نحتاج الى ضبط المصطلحات الفنية

فى العلوم والآداب والفنون نضبطها لا بالابتكار من
امفتنا كما اتفق وكما تيسر قبل ان نتروى فى الامر
ولكن بالبحث اولا فى المعاجم المختصة كالمخصص
لابن سيده وكشاف مصطلحات الفنون لكتهانوى
ومفردات ابن البيطار والغافقى وابن الجزار
 وغيرهم ، وجمع المفردات الاصطلاحية الموجودة فى
الصناعات التقليدية ان كانت فصيحة وسليمة
والرجوع الى معجم دوزى وملحقاته ومراجعة الكتب
التقنية العربية ككتاب رضوان الساعاتى فى اسماء
قطع الساعة ومصطلحاتها ، والرجوع الى
المصطلحات الاوروبية ذات الاصل العربى مثل الجفر
عوض الشفرة وشين (شن) عوض ايكس والخوارزمية
عوض الغوريزم وهي منسوبة الى الخوارزمى الى
غير ذلك .

والذى نؤمن به هو ان العربية متسعة جدا فما
لدينا من المواد الاصطلاحية لايعرض علينا الا حسن
الاختيار .

والمهم فى الامر مهما كان ، هو ان نختار اللفظ
اللائق للمكان اللئيق ، وان نتفق على اصطلاح موحد
بين كافة الاقطار العربية اذ من المصيبة الكبرى
والكارثة الجلى ان تتكاثر المصطلحات

تكاثر الظباء على سعيد

فما يدري سعيد ما يصيد

والا تستعمل كلمات اجنبية الا عند الضرورة فلا
نقول فى كلمة - FUGUE - فوج وانما نقول
هروب وهو المصطلح المغربى الموسيقى القديم ولا
نقول GAMME ولكن جمع وجمعوت لان
GAMMUS او GAMMES مأخوذ من

جمع وجمعوت وهلم جرا .

رابعا : المجلات التعليمية التقنية التى كانت فى
عهد الاستعمار .

ان الدول الاستعمارية كانت تنشر فى كل قطر من

اصالة الثقافة الجزائرية في القديم والحاضر والمستقبل

القسم الثقافي الذي تريد احصاءه ، ثم ينشر ذلك القسم في مجموع مفتوح الباب للزيادة كلما عثر على جديد ، ويسمى المجموع ديوانا ولا شك ان المستعمرين اشتغلوا قليلا بهذه الشؤون كجمع النقود العربية في دواوين او جمع النقائش في مجاميع ، ولكن ذلك غير مستوف واكثره قد نقد فلا تصاله يد الباحث الا بعناء شديد ، وفيه احيانا اغلاط يجب مراجعتها وهو فوق ذلك ليس بالعربية فبعضه بالفرنسية وبعضه بالاطالية وبعضه بالاسبانية ثم هو مدرج احيانا في مجالات نادرة ، فديوان النقائش العربية بسرديانيا منشور في مجلة تقنية سرديانية تسمى

ARCHIVCE STARICO SARDO

صدرت منذ ١٣٠ سنة فمن ينتبه الى ذلك ، ثم عثر بعد صدور تلك المجلة على نقائش اخرى لم تضاف اليها ، ونشرت النقائش الصقلية العربية بمجلة تسمى

ARCHINIO STARICO

القرن الماضي .

ولذلك فلا بد من جمع ما نشر في مجموع واحد واطافة ما لم ينشر عليه .

ونعني بالديوان في المرحلة الاولى الديوان المغربي اى الجامع للتراث المراكشي والجزائري والتونسي والليبي والاسباني والبرتغالي والصقلي والسرداني والمالطي وما زاد عليه بجنوب فرنسا .

وقد يضاف الى المغرب البلاد الصحراوية القريبة منا فانها صنهاجية اى مغربية اصالة .

وننجز الدواوين المغربية في مرحلة اولى ريثما تتم الدواوين العربية المشرقية في مرحلة ثانية وريثما تتم الدواوين الاسلامية في مرحلة ثالثة وبها مسك الختام ، واول الغيث قطر ثم ينسكب واهم هذه الدواوين هي :

الاقطار التي استحوذت عليها مجلات فنية تقنية في ارفع مستوى عالمي كمجلات التاريخ والنحوالة والعمور وزراعة الكروم وزراعة الحبوب وزراعة الاشجار المثمرة والقانون والتوازن JURISPRUDENCE والاغنام والدواجن الى غير ذلك ، علاوة عن مجلات البحوث العليا المحلية مثل المجلة الافريقية بالجزائر ومجلة ميكسبريس بالمغرب والمجلة التونسية بتونس ومجلة ليبيا بليبيا وهلم جرا ، فلما اضمحل الاستعمار اضمحلت هذه المجلات معه ، وزهاها خسارة وتخلف عن المحيط الثقافي والتقني العالميين فلا بد من الرجوع اليها بالعربية في هذه المرة مع تلخيص المواضيع بالفرنسية او الانكليزية ولا يمكن لدولة واحدة من دول المغرب ان تضطلع بهذا العمل ، لا من ناحية النفقات المالية ولا من ناحية عدد القراء ولا من ناحية الكتاب التقنيين الاختصاصيين ولذلك فلا بد من التعاون والتعاون هو بوقوع الاتفاق بين الشقيقات على ان تختار كل واحدة عددا من هذه المجلات تنفق عليها من مالها وينفق عليها الجميع من اختصاصهم ويطالعها عامة القراء الاختصاصيون في عامة الاقطار الشقيقة والمثل يقول : حمل الجماعة ريش .

المسح الثقافي :

المسح الثقافي هو تخطيط لاحصاء التراث الثقافي من رجال علم وادب وفن ومن كتب مخطوطة او مطبوعة او مصورة ومن انتاج موسيقى ومن معالم اثرية كالمدين الاثرية والقصور والمعابد ومن نقود اثرية ومن قنبريات ومنقوشاتها ومن تحف اثرية كالانسجة والثياب والسلاح والاثاث والحلى ومن اغان ومن امثال واحاج واغاليط الى غير ذلك .

والمسح الثقافي CADASTRE CULTUREL هو تقسيم ترابي مدقق لا تغفل منه شاردة ولا واردة يطبق عليه

اولا ديوان النقود المغربية :

يشمل النقود البربرية واليونيقية والرومانية والوندالية والبنظية والعربية على اختلاف الدول المغربية والتركية والاسبانية وما اخرجهم المستعمرون من نقود بالمغرب .

ثانيا : ديوان الكتاب المغربى يشمل كافة الكتب المغربية المخطوطة والمطبوعة والمصورة والوارد ذكره فى كشف الفنون للحاج خليفة وملحقاته ومعجم الكتب المخطوطة العربية الموجودة لبرلين شلوارد

VERZEICHNIS

بمعنوان

SHLWORDT

وفى كتاب بروكلمان « تاريخ آداب اللغة العربية وفى فهراس المكاتب العامة او الخاصة وفى فهراس المطبوعات مثل اكتفاء القنوع للفنديك ومعجم المطبوعات لسركيس وغير ذلك .

ثالثا : ديوان الآثار المغربية واطالسها .

رابعا : ديوان القصور

خامسا : تاج التراجم المغربى

سادسا : ديوان النقائش المغربية التى على المعالم والقبور

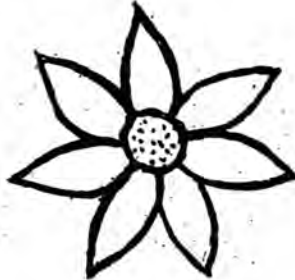
سابعا : ديوان المعالم الاسلامية من جوامع ومدارس واسواق وابراج وقلاع واسوار وحمامات وفنادق .

ثامنا : اعداد ديوان المصادر المغربية

تاسعا : ديوان القولكلور المغربى .

عاشرا : ديوان الثياب وديوان السلاح وديوان الحلى وديوان المنقولات المغربية من اثاث ورياض .

من ذا الذى سيقوم بهذا العمل الجبار الطويل النفس ، لا تستطيع ان تقوم به الا مؤسسة مركزية مغربية مشتركة لها فروع مختصة بكل قطاع من القطاعات وهذه المؤسسة لا يمكن ان تكون الا مجمعا علميا مغربيا له اتصال وثيق بالمجامع العلمية الموجودة وبالمجامع العلمية الخارجية .



هل يعيد
التاريخ
نفسه ؟

فلسطين

في تاريخنا الطويل وعلى مدى هذه القرون المتلاحقة ، ازمت
كثيرة اكتبونا بنارها ، بعض هذه الازمت ياتي من الداخل .
من اثر هذا التفاعل بين العناصر المختلفة التي صهرها
الاسلام وبعض هذه الازمت كان ياتي من الخارج من هذه
المطامع والاحقاد التي يثيرها المتسلطون والحكام غير ان
هذه الازمت كلها تلك التي تاتي من الخارج ، من وراء
الحدود اوتلك التي تنبع من الداخل من اعماق عناصر هذا
الاشنتات هذه الازمت كلها ما كان لها ولن يكون لمثلها ان
تخرج الوطن العربي الاسلامي عن رسالته التي يحملها
في الوجود او عن عنايته التي يعمل لها في الحياة وعن ايمانه
بانه توجد في تراث الانسانية ثروة يجب
ان تظل دائما حية نشيطة تربو على الاتفاق وتآلق مع الزمن
ويكون لها في تاريخ الحياة على طهر نصيب اي نصيب . والحق
ان هذه الازمت الكثيرة على تلاحقها وقترتها وعنفها
ومرارتها والحروب المنهكة التي كانت تعصف في ظلالها
والدماء التي تراق فيها ، والمدن التي تضاح والثروات
التي تبدد والتراث الذي يزال بالنار — وبالطوفان .

د . شكري فيصل

انتهى حين غاب السفاح والمنصور والمهدى ومضى الرشيد والامين والمأمون واخفى الوجه الصائم القوى الذي كان يطل من بغداد على اطراف الارض الشاسعة ثم تسلط الوزراء البويهيون على الخلفاء العباسيين واستبدوا بهم فكانت خصومات ومنازعات في قلب الدولة ذهبت بهيبتها واضاعت مكانتها واتاحت للاطراف ان تقطع ما بينها وبين بغداد من صلة قلنا لنا مراكز كثيرة من هنا وهناك في مصر وما وراء شمال افريقيا وقبما وراء بغداد فارس وخراسان وما بعدها من الخليج .

هذا الوطن الكبير في هذه الفترة من فترات الضعف كان يجاور قوتين اثنتين : الاولى هذه القوة المركزة المنظمة التي كان مركزها القسطنطينية والتي نسميها الامبراطورية البيزنطية او امبراطورية رومانيا الشرقية والتي كانت آسيا الصغرى وطنها الفسيح . القوة الثانية هي هذه القوة التي تكونت في اعقاب الدولة الرومانية الغربية بعد شارل مارتل الذي تذكرون انتصاره على العرب في سهل توربواتيه ، تعاقب عليها الملوك فكان ابرزهم شارلمان الذي تذكرون ماكان له من اتصال مع هرون الرشيد واتصال الوطن العربي ومركز الخلافة الاسلامية بهذه القوى لم يكن اتصال ود أو صداقة كان اتصال خصومة وحرب كان الوطن العربي يمد ذراعيه ليستولى على القسطنطينية . ذراع اولى تمدها بغداد من آسيا الصغرى تريد أن تتال هذه المدينة الضخمة ، ذراع اخرى كانت تمدها الاندلس تريد ان تطبق البحر الابيض المتوسط لتبلغ القسطنطينية . اما ذراع بغداد فلم تمكن لها الحروب المتصلة بينها وبين الدولة البيزنطية على الثغور من

ظلت ابدا في حياة الوطن الكبير منارا للتجديد القوى بعد نوبة ضعف ، ومبعنا لتوحيد اطرافه المتفرقة ومعبرا الى الفترات الخالدة في تاريخنا الكبير ومن هنا ينطلق ايماننا بهذه القوى المختزنة في ذواتنا التي تضحك للخطوب وتبتسم للعاصير وتجذ من اشد الساعات الحالكة متفمسا لفجر جديد ، ايماننا بأن الله سبحانه حين زرع في قلوبنا الوجدانية زرع في قلوبنا معها ان الله وحده هو الذي يخشى ويخاف ويهاب ويحب وانه ما من قوة اخرى قادرة في الكون تستحق ان ترجف منالها في اجسامنا فريضة او تهتز لها من روؤسنا شعره او ان يخالطنا من اجلها مهانة من اجل ذلك فنحن حين نعرض لنكبات ونكسات حين نتحدث عنها ونحاضر فيها وندير نقاشا حولها ، لاتفعل ذلك في ظلال صفراء من الخوف ولا في دنيا كاتمة من التشاؤم ، اننا نتحدث ونحاضر ونناقش بايمان عميق بحقنا وبذواتنا ، وبالرسالة التي نحملها بين جنوبنا ، يتوارثها عنا جيل عن جيل ويورثها الوالد الولد ، وتدوب فيها كل فعالياتنا واهتماماتنا ، فلنا في هذا الحديث عن نكباتنا ونكساتنا في فلسطين لنودع منا الاسى ونجفف الدمع الذي يندى حدود المذابح احيانا ، ونجانب الصواب الذي يترأى هنا وهناك ، ولنعرض قصة هذا الجزء من الوطن الكبير ، قصة الابس في الحروب الصليبية ، وقصة اليوم مع اسرائيل ، في اوائل القرن الخامس الهجري كان هذا الوطن الكبير يعاني ضعف الخلافة في بغداد وتسلط الامراء الاثراك وثورات المتسلطين في الولايات القريبة والبعيدة .

كان العهد العباسي الاول وهو العهد الذهبي قد

فلسطين : هل يعيد التاريخ نفسه ؟

لشن هذه الحرب ، وابطارة القسطنطينية لم يجدوا لحسن الحظ القوة على الاستمرار في هذه الهجمات فرجعوا عنها ، ولم يكن بينهم وبين قادة أوروبا ما يساعدهم على عمل مشترك . ان الخلافات الدينية بين القسطنطينية وروما كانت ولا تزال اعمق من ان تتحاشى او تهمل او ينشأ مكانها نوع من الالفة والوفاق . كان هذا في اواخر القرن الخامس الهجرى اواخر حكم البويهيين . غير انه لم يكد ينتصف هذا القرن او يكاد حتى شهدنا موجة من القوة تندفق في وطننا الكبير ، كان ذلك حين ظهر السلاجقة فتولوا الحكم للخليفة في بغداد ، انقذوه من البويهيين وتركوا له ماشاء من مظاهر السلطان والرئاسة ولكنهم امسكوا بالسيادة الفعلية بأيديهم فجددوا للدولة العباسية شبابها ، اريد بالطبع الشباب المادى الذى اوشك ان يزول . وفي العمود الاولى لهؤلاء السلاجقة حدث هذا الحادث الخطير الذى كانت تتطلع اليه الدولة الاسلامية . كانت القسطنطينية من آسيا الصغرى مثار كروفر ، بين البيزنطيين والعباسيين في آسيا الصغرى ، في أقصى طرفها الغربى كانت القسطنطينية بكل جلالها وعظمتها تتراعى لعين مسجودة . فلما قوى امر السلاجقة اصلوا بيزنطة نارا حامية وصار في ايديهم زمام المبادرة بعد ان كان للبيزنطيين ، وضربوا في احشاء هذه الدولة وانثالت جيوشهم في غزر وعنف تتقدم من مكان الى مكان وتربع معركة كبرى بعد معركة . كانت معركة ملاذكرد من معارك التاريخ الفاصلة ، أسر السلطان الب ارسلان الامبراطور رومانوس ، ثم تتابعت الوقائع والمعارك واستقر امر السلاجقة في قلب الامبراطورية

ان تحقق هذه الغاية . كانت الحرب سجالا بين بغداد وبين القسطنطينية ، كان الخليفة يقوى في بغداد فيحاصر خصمه ويحاربه ويضرب عليه الجزية ويقوى الامبراطور فينقض الشروط ويجوز الثغور ، وفي كل مرة من مرات الضعف او القوة كانت تنور حروب لتهدا وتهدا لتثور اما الذراع الاخرى التى امتدت عبر البرينية والتي كانت لها هذه الغزوات الخاطفة والموفقة في جنوب ايطاليا وفي جزر البحر فلم تفلح ان تكون عملا منظما ولا متصلا .

وواضح لنا ان هاتين القوتين قوة الامرنج والقوة القسطنطينية كانتا تحتينان الفرصة لتخلق الوحدة العربية الاسلامية التى تريد ان تلف العالم كله في نظام جديد وواضح بذلك ان هذه الموجة قد بلغت اقصى ذروتها مع الرشيد في بغداد وعبد الرحمن الناصر في الاندلس فلما كانت فترة الضعف هذه التى جاءت في نهاية حكم البويهيين في منتصف القرن الخامس الهجرى كان الشعور حادا وقويا عند الاوروبيين وعند البيزنطيين في ضرورة الحد من هذه الموجة العربية الاسلامية والتى نادى بالفكر الواعى ، والحق ان هذا الطابع في الحياة العربية الاسلامية بلغ حدا مخزيا ، في الغرب كان الامويون والاندلسيون عرضة للهجمات المتصلة وفي الشرق كان البيزنطيون يثيرون حروبا طاحنة لا تنقطع ، واجه الحمدانيون هذه الحروب ولكنهم لم يستطيعوا ان يقفوا لها دائما بل ان كتائب الدولة الرومانية اخذتهم بما لا قبل لهم به فضمت سواحل الشام وعبرت نهر الفرات .

وكانت على طريق بغداد وذعر الخليفة والامير البويهى حتى لقد بعث اليه الامير البويهى اثاث قصره ليستمد

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

البيزنطية في آسيا الصغرى ، ولم يبق للبيزنطيين الا الجانب الغربى . ما معنى هذه الخطوة الجديدة الواسعة عند السلاجقة . معناها تهديد القسطنطينية وزعزعة الدولة التى تأتت على الفتوحات الاولى ، معناها ان يوصل التاريخ من جديد ما كان انقطع من غزوات معاوية والوليد وسليمان . حينذاك اخذت المسألة شكلا خطيرا وادرك الامبراطور البيزنطى كاسيوس حرج موقفه ورأى ان فى وسعه أمام هذه الخطوة العريضة التى تفتح فاهها وتوشك ، أن يتبلمع ان فى وسعه أن يهادن الفرنجة فى أوروبا وأن يتقرب من أوروبا وأن ينسى خصوماته الوثنية التى بلغت حد المهارات والتنافد بالخرافة ، بل انها اصطنعت السلم احيانا ، فكان بينها فى بعض الفترات وأرسل كاسيوس نداء الى أوروبا يستغيت بها مالبس هذا النداء ثوبا دينيا ، وتجاوبت معه أوروبا فى أوروبا الصغرى يذكر منها التاريخ صوت البطرس الاول ، ونادى البابا البانوس الثانى نداءه التاريخى للعالم المسيحى لاسترداد بيت المقدس . ومضت الدعوة كما نراها فى القرن العشرين ، وحملت الى شرقنا العربى الى فلسطين هذه الغزوات التى البسوها اسم الحروب الصليبية . لست أحب ان اتحدث عن هذه الحروب بشيء من التفصيل وليس من هدف هذه المحاضرة التعرض للاحداث وللحروب بالذات وذلك ان الاسماء التى اطلقت والاحداث التى كانت ليست هى التى تهمنا فى شيء ، لكن اسم هذه الحروب ما يكون ، ليكون من احداثها ما يكون .

اننى لا اقصد هنا الحديث عن الاحداث التاريخية بنفسها ، وانما اقصد الى الروح التى تكن وراءها والمطامح التى تسيرها ، والبواعث التى تحركها ، والسياسات التى تتلاعب بها ، واننا اليوم وبعد هذه

القرن الثمانية لا نتحدث عن هذه الحروب القديمة فى مثل الاتفاق التى كان يتحدث فيها اصحابها او الذين ارخواها اننا نملك ان نفهم من هذه الحروب ونحن نستقطب التاريخ شيئا اخر غير الاسم الذى اطلق عليها ، فالدين وخشية الصليب ، والسيد المسيح عليه السلام . وغير ذلك من الاشياء لم تكن وحدها ، كانت لبوسا من لبوس هذه الحروب وانما كان وراءها سلسلة من الدوافع والمحركات ، بعضها دين وبعضها دنيا ، بعضها سلطان وسيطرة ، وبعضها تجارة واستثمار واستعمار ، تجمعت كلها على هذا الاسم ، على نسب مختلفة وتفاعلت فى هذه الحركة التى يؤلف بينها طابع رئيسى وهى انها عدوان . ايا كانت صفة هذا العدوان او اسمه ، وتحركت مواكب هذا العدوان نحو المشرق العربى على نحو ما تحرك العدوان الذى نعيشه ، ان صبح هذا التعبير نحو قلب هذا المشرق العربى ، نحو فلسطين ، الحق ان هذه الحروب الصليبية كانت فى معمل من معاملها شكلا من اشكال هذا الصراع الدائم المستمر بين الشرق والغرب على مدى التاريخ منذ حروب دارا والاسكندر ، والوقفه القصيرة والمتانية على نشأة هذه الحروب واحداثها وتطورها يضع هذه الحقيقة موضع التاكيد ان لم اقل موضع اليقين .

ان العالم فى نظره كلية يجرى فى كفتى ميزان مترجرج ، كل حركة فى احدى الكفتين تستدعى رد فعل فى الكفة الثانية ، هاتان الكفتان لا تستوعبان قوى العالم كله ، وكثيرا ما يتفرق العالم كتلا وجماعات عديدة ، لكن الافتراق بين القوى العالمية او التقاؤها لا بد ان ينتهى حين تبلغ هذه الخصومات ابعاد غاياتها الى ان تتجمع هذه القوى فى كتلتين كبيرتين متضادتين ، فى هذا التجمع عادة تذوب

فلسطين : هل يعيد التاريخ نفسه ؟

السكون الثابت ، ولهذا تظل الكفتان تتأرجحان وتتناقضان وكثيرا ما يؤدي ذلك الى رقصة الحرب الكبرى . من هنا في شيء من الاستطراد - والاستطراد مما يسهل على - تتردد قيمة الفكرة المعاصرة الكبرى فكرة العالم الثالث التي نشأت في اعقاب المعامرتين الفاسيتين - الحرب العالمية الاولى والثانية - ان فكرة قيام حرب اخرى سقطت فلم يكن هناك حيرة .

وجاءت فكرة العالم الثالث تعويضا اكثر موضوعية عنها ومحاولة للحيلولة بين هذا العالم كله وبين ان يستقطب من جديد في قوتين لعله لا بد ذات يوم من ان تتصارعا طبعيا الا اذا اتفقتا على تقسيم هذا العالم الثالث .

ثم جاءت محاولات اخرى كثيرة بين هاتين القوتين في سبيل اقامة التوازن وهو توازن اغلب الظن ان حياة الانسان وخيره لم تكن هي مصدره قدر ما كان المصدر : الروح التي اشاعها التقدم النووي واستخدامه في اغراض الحرب فوق استخدامه في اغراض السلم .

ومهما يكن من شيء فلسنا في هذه الساعة مع الحاضر ، نحن مع التاريخ ، لنصل الى هذا الحاضر وانه الامر واضح ان القرب لم يستطع في مرة من المرات ان يتقبل المساواة مع الشرق ولا ان يجري معه على مستوى واحد لا في مستوى العقيدة ولا في مستوى الاقتصاد ، لا في الفكر ولا في العمل ، ولذلك كان يدعى ان له حقا في الآخرين ، ودعم هذا الحق كان يقوده الى السيطرة ، ولهذا كانت وجهته دائما رصد الفرص التي يستطيع معها القضاء على كل قوة ناشئة في هذا الجزء من العالم يخافه ان يكون

الخلافا الجزئية الصغيرة فيما بين اجزاء الكتلتين لتستعد للخلافات الكبرى .

اي ان المجموعات الصغيرة تنسى ما بينها احيانا او تناسي او تحمل على التناسي لتنظم خلافاتها في صور الصراع الكلي فلهذا العالم ينشطر لكتلتين ضخمتين ، ولذا ولاء القوى الصغرى يتوزع بينها ، وان الانسانية امام خطر التصادم في هذا الكوكب - الارض - بين هاتين القوتين او الكتلتين ، ابرز الاسماء او المصطلحات التي اطلقت عليهما ، انهما الشرق والغرب ، هذا دون ان يكون في هذا الشرق والغرب على نحو مستمر وواضح معنى جوهري بل انه ليوشك ان يكون مستحيلا احيانا ان نجد هذا التحديد الجغرافي فضلا عن ان نضبطه ، ان المحدث الضيق اولا لهاتين المنطقتين اى الشرق والغرب يضرر او يغيب لتأخذ الكلمتان معنى اصطلاحيا جديدا يرمز الى كل قوتين عالميتين متصارعتين تتكف بينهما عوامل الائتراق وتختلف العقائد والفلسفات والمصالح القائمة على هذه الفلسفات وينتهى الخلاف الى صيغة نزاع او صراع او حرب على هذا الاساس ، احب ان افهمك وان نفهم معا هذه الصورة التي قلت فيها ان العالم يشبه كفتى ميزان مترجرج مع كل حركة في احدى الكتلتين نحو القلبة تستدعى رد فعل في الكفة الثانية .

لم نستطع كفتا الميزان هاتان ان تلتقيتا على اتجاه واحد على حركة متوازية دائمة ولذلك لن نستطيعا ان نكتسبا شيئا من الاستقرار او شيئا من السلام الطويل ، وتذكرون الجملة المشهورة : ان السلام فترة بين حربيين - ان روح الانسان وحركة المجتمعات ابنا منذ كان الانسان والمجتمع شيئا من

الابعاد الخلقية ، لا نخالفوا نناقش في ذلك لاننا متفقون على كل حال انها ابعاد عدوانية تجافي الحق وتتكرر للعدل ، ان هذا الصراع السافر اتخذ من فلسطين مركزا له ومنطلقا ، وقد هدفوا من مقدسات معنية اليوم من الغرب ، ولكنها هي المعنية اليوم من الصهيونية ، انها ارض المأوى وارض الميعاد ، انها الوطن والمقيدة في آن واحد ، ولهذا لم يأخذ الصهيوونيون اى وطن آخر غيرها ، ونستطيع ان نحدد العامل الدينى الذى اعطته الصهيونية ، ان الغرب الذى حمل نفسه حملا الى فلسطين اثناء الحروب الصليبية لم يستقر له الامر حتى بعد مئتي سنة فخرج منها ، هذا الغرب عاد فغرض نفسه مرة أخرى في فلسطين بعد الحرب العالمية وعلى بلاد الشام كلها ، ووقف النبي القائد البريطاني على قبر صلاح الدين ليقول قولته المشهورة : « اليوم انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين » . ومع ذلك فلم يستقر للغرب قرار طوال سنوات الاحتلال كلها التى امتلات ثورات هذا الغرب نفسه آثر مرة ثالثة تجربة جديدة على يد الصهيونية هذه المرة انه دفع بإسرائيل لتكون ركيزة ، وبرج مراقبة وبرج تجسس ، وكان بين إسرائيل وهذه القوى الغربية مثل هذا التواطؤ المشترك ، إسرائيل تسمى الى اثبات كيانها ، والقوى التى تساعدنا تسمى الى الحياة الجديدة الناشئة النشطة في الوطن العربى ، وفي ما وراء الوطن العربى من اقطار الشرق المستعرب وغير المستعرب تريد امتصاصها ، تعويق حركتها نحو المستقبل ، تريد ان تحول بين التربة التى خلدت الى الراحة مدى طويلا وبين ان تحيا وتزدهر . ذلك ، لان التراث الحضارى العريق الذى يتمتع به سكان هذه المنطقة من العرب المسلمين ، والموقع الجغرافى الرائع ،

مستقبل هذه القوة الناشئة حائلا بينه وبين سيطرته ومطامحه ، ولقد كان الوطن العربى منذ مبعث النبى (ص) هذه القوة العاتية وحد الشرق ، وامتص الاسلام القوى الناشئة فيه فادخلها في حوزته وامتد جناحاه هنا وهناك . فكان الموقف الغربى ردة الفعل هذه لابد ان يبدا بقص الجناحين ويحاول ان ينفذ بالقلب ، لندع قصة الجناحين فان لها تاريخ هو مزيج من الهزيمة والنصر ، الجناح الذى انكمش في الاندلس فارتد الى الورا ، والجناح الذى اشتد في اسيا الصغرى وتجاوزها حتى دخل قلب أوروبا ، لندع حديثنا اليوم في منطقة بلاد الشام اى عن القلب الذى استهدفها الغرب في الحروب الصليبية كما يستهدفها اليوم والى اراد من عكا ويافا ان يسيطر اكثر فاكثر ، واعذرونى ان لم اسق الاحداث تتابع تتابعا تاريخينا متسلسلا ساوفر عليكم سرد الاحداث لانتقل بكم الى الحقائق التى وصلت اليها ، وهى التى تحدد وتساعد على تحديد وجهتنا وتتود خطوتنا ، انى لا ازمع انى ارسم طريق المستقبل ، ولكنى ازمع اننا في حاجة دائما لان يكون التاريخ لنا بمثابة البوصلة التى تهدف الى تحديد وجهتك حين يظلم الجو من حولك ، ولك بعد ذلك ان تختار وجهتك وفق ظروفك وواقعك ، كذلك هنا نريد ان تكون الحقائق التى تنتهى اليها هى النور الذى نرى به من امر هذا الحاضر ابعد مما نرى في جلبه الاحداث اليومية ، واخبارها المضللة والدعايات المغرضة ، لقد انتهيت الى جملة من هذه الحقائق الحقيقة الاولى ان احداث الشرق الحاضرة والماضية هى امتداد للصراع بين الشرق والغرب ، قد يكون في هذا الصراع ابعاد من السيطرة اكثر . مما له من ابعاد الدين ، وابعاد التجارة اكثر من

فلسطين : هل يعيد التاريخ نفسه ؟

الحرب الاولى ، من كان يصدق أن الشام التي لا تتجاوز ثلاثة ملايين قد قسمت الى قسمين : شمالي وجنوبي ، وان القسم الجنوبي كذلك قسم الى قسمين فلسطين ، والاردن . وكانت الاردن تحت نظام غير النظام في فلسطين . وان شمال سوريا اول الامر قسم الى اربع دويلات . حلب والشام واللاذقية ولبنان واقامت حكومات منفصلة وانظمة مختلفة في كل جزء ، الحق ان التاريخ كله كان يعرف ان بلاد الشام كانت وحدة واحدة . هل اخذك المعجب لولا صعوبة الادانة التي واجهت الانتداب الفرنسي ولو لا خطة اخرى قد تكون اكثر مكرًا ، لما جمعوا بين حلب واللاذقية والشام في دولة واحدة في الجمهورية السورية .

وكان لبنان صغيرا جدا وفقيرا جدا ، فاغفوه ، فاقطعوا له جزءا من سوريا ، اربع مدن صور وصيدا وطرابلس وبيعلبك ، ولماذا ياخذكم العجب ، ألم تقسم ليبيا اعقاب الحرب العالمية الثانية لثلاثة اقسام ، اذن عملية التقسيم هذه على اساس اعطاء هذا التقسيم صفات خاصة ، حتى ينتج كيان مستقلا عن البلاد الاخرى ، هذا الاسلوب الذي يمكن ان يدل عليه مصطلح الاقليمية هو الذي لجأ اليه خصومنا ، انه نوع من التقسيم وابداع مثل له واشكال بعضها بالحق وبعضها بالباطل ، ولكن الله منذ ان مكن الله للاسلام في الوطن العربي الكبير اراد ان يكون لهاتين القيمتين الكبيرتين سلطانهما على كل حملة مضادة لها لهذا لن تتغلب عوامل هذا التقسيم والتجزئة المصطنعة على عوامل الوحدة الاصيلية . اقول لن تتغلب بل ان الصراع مازال قائما والمشكلة لم تغادر منطقة الخطر ، لقد تنبه الحس الاقليمي الى حد بعيد في وطننا العربي ، ونشأت له جذور ، ووجدت له

والثروات التي تتفجر في ارضه ، والعقيدة المثلى التي استطاعت ان تجابه احداث القرون ، والتي حفظت في نفوس اصحابها ارادة الحياة الكريمة ، كل ذلك يروع هؤلاء الغزاة كما لا تروعه اية قوة اخرى ، اذ ليس هناك كيان مكتمل ، او يمكن ان يكتمل في قلب العالم غير كيان هذه الشعوب العربية والاسلامية . ولهذه الاحقاد كانت عملية تهريض الدولة العثمانية ونشيت الامة العربية وتقطيع اوصال الوطن العربي ، واثارة النزاعات المختلفة باسماء مختلفة ، او من هنا ايضا كانت ابرز خطوط السياسة الغربية التي تتضح كالشمس ، ليس من المؤلم اننا احيانا لانرى الشمس واننا في بعض الاحيان كهؤلاء الذين خرجوا من حانة مخمورين ، فلما خرجوا تساطوا اهوضياء الشمس ام ضياء القمر ، ثم عادوا يغطون . الحقيقة الثانية التي تبدو في احداث الحاضر كما كانت تبدو في احداث الماضي ان هؤلاء الفرنجة الذين قصدوا قلب الوطن العربي قد قاموا بمناه فرقة ما كانوا يستهترون الملك وحده ولكنهم كانوا يهدفون قبل كل شيء الى فصل هذا الكيان العربي وتجزئته . كانوا يريدون شيئا اساسيا هاما يعتبروه ابرز الركائز في سياسة الفرنجة جميعا ولعله اشد ما تلتقى عليه هذه السياسات جميعها ذلك هو فصل عرب آسيا عن عرب افريقيا ، ومن ينظر تاريخ هذه الفترة يظهر له بوضوح كيف حرصوا حتى حين بداوا يتراجعون ، ان يبقوا في الكرك والشوبك من بلاد الاردن . اطول فترة لا لشيء اذ ليس للارض فلكية . ولكن لكي يحولوا بين الاتصال البحري بين جنوب سوريا وبين مصر ، ان خطة هذا التقسيم هي التي طبقت ايضا في اقطار اخرى من بلاد العرب والاسلام ، وانتم تذكرون ماذا حدث في

خرجت بالعربي من المحطات الى المدن ، ومن الرمل الى الطين ، ومن ابواب المدن الى المدن نفسها ، ومن رؤية السواد الى الخوض في السواد ، ومن بحار الرمل الى بحار الماء ، كما كانت هذه الوثبة الكبرى التي بثت هذه الروح في منطقة البحر الابيض المتوسط ، كان لا بد للغرب ان يرصد الفرص التي يرد بها هذه القوة المنطلقة الى مداخلها الاولى .

الحروب الصليبية اذن كانت تستهدف هذه الابعاد ولذلك كان الشيء الاساسي عندها ان تستولى على الشيطان الشمالية المتوسط والبحر الاحمر ، واقول لكم ان الحروب الصليبية في غزواتها لم تترك شيئا من سواحل بلاد الشام من انطاكية الى طرابلس الى بيروت الى صيدا وصور وعسقلان ، كما حاولت ان تستولى على البحر الاحمر وعلى العقبة وعلى عريجان وامتدت الى البحر المتوسط كذلك فجهزت حملة ارادت منها السيطرة على دمياط وحلات اخرى للسيطرة على اسكندرية وما يقابل ذلك في احداثنا المعاصرة لا اشك ان بلاد العرب تمتد بين الشواطئ والصحراء صورة الخريطة العربية في فقرة الاستعمار المظلمة من جبل طارق الى اسكندرون الى الخليج كانت كلها قبائل ، ومرة اخرى ان الارث الروحي والحضاري والتاريخي ومكتسبات نفسية من خلال هذا الارث مكتت لنا ان نواجه هذا العدوان الشرس للمقاومة الفعلية ، فسلمت لنا شواطئنا من جبل طارق الى شمال سوريا ، وتأخذ شواطئنا اخرى جنوب الجزيرة طريقها الى ان تساندنا ايضا . ولكن القوى المعادية لم ترض عن هذا فهي تحاول ان تسلبها على نحو آخر واقرار التجزئة اول الخطوط لذلك ، والمعاهدات المقيدة هي الخطوط الثانية في هذا الموضوع ، لكن الخطر المفاجيء الاكبر مما يتضح

تربة مصطنعة ، واعطيت له فلسفات ، وليس هناك على المدى البعيد والقریب خطر اكبر من الاقليمية ومن نمو الاحساس بها ، لقد نشأنا نحن الان المغرب ، اما تسمية اقطاره غدالات ونشأ غيرنا لا يعرف الا بلاد الشام ، وعشنا في القاهرة في الاربعينات واول الخمسينات لم يكن الشاب المغربي يعرف كل هذه الاسماء المصطنعة ،سوري فلسطيني ولكن جيلنا ومؤسساتنا ودساتيرنا واعلامنا حثوا على المشاركة في هذه التجزئة والله اعلم ما وراءها ، وانتشرت كلمات كان يجب ان لا تنتشر ، مثل الجزارة والمغربة او التمسير ، وما اشك ابدا في ان بعض هذه الكلمات نقى صاف يقصد به الى مغزى نقى صاف هو محاربة الدخيل المتغلب واحلال الاصيل محله ، ولكنني كنت اتهمني ان تأخذ هذه الاصطلاحات صيفا اخرى بعيدة عن الایماء الاقليمي .

الحقيقة الثالثة التي تبدو من خلال الظروف القديمة والمعاصرة ، ان الغرب يستهدف دائما رد العرب الى الوراء ، ردا في الزمان والمكان والتاريخ ، العودة بهم الى البادية والابقاء على الذين يبقون في الاطراف مستخدمين ، في نظر الغرب يجب ان يظل العرب رعاة او شبه رعاة ، حياة قوافل ، ان الغربى يريدنا ان نكون هذا التابع الامين الذي لا يجاوز الوبر الى المصدر الا في النطاق الضيق الذي ينسب فيه جوهره الاصيل ، وان لا ينتقل من الرمل الى الطين ، وعليه ان يقف على اطراف السواد ، ينظر اليه ويتناه . ولكن ابلغ حظه منه ان ينال منه ما نال النابغة وحسان من بردى ، ومن مشاجر الفحاء وعطر الريحان ، وان ينظم في ذلك شعرا ، وكذلك عاش العرب فيما قبل الاسلام في جزيرتهم او بعض جزيرتهم ، فلما كانت وثبة الايمان الكبرى التي

فلسطين : هل يعيد التاريخ نفسه ؟

هذه الحقائق يجب أن تحيا في اذهاننا ، وفي ضوء منها يجب أن نعالج المشكلة التي نعيشها في فلسطين حتى تأتي المعالجة ناجحة وموفقة ، ولكن نظل انفسنا ونظل الفكرة حقا . اذا نحن عالجت المشكلة القائمة اليوم دون ان نعترف كيف عولجت من قبل لقد مر اجدادنا بمثل هذا الاحداث ، بل وبأكثر منها ، لكنهم خرجوا منها بعد ان ظفروهم التاريخ ، ان الغارات السابقة كانت اعنف من هذه الغارات ولكنهم صمدوا لها فكيف كان ذلك ... ما الذي فعلوا حتى يكون لنا في الذي فعلوه عبرة ، سأحدث عن هذا الذي فعله العرب في القسم الثاني من المحاضرة . ولكن اود ان اهد لذلك بملاحظات :

اولا : اني لا ازمع لكم ولا لنفسى ان التاريخ يعيد نفسه بكل ظروفه وشروطه ، ولكني ازمع لكم ولنفسى ان التاريخ يعود بروحه واتخذ من الاحداث الجديدة اشكالا جديدة ، انه يتأقلم مع الاحداث . الا يستطيع التاريخ الا ان يعيد نفسه . اذا كانت النفس البشرية لاتزال تعيش في هذا الجشع العجيب في قسوتها ونعومتها في جبروتها ووداعتها اذا كان انسان الذرة لايزال هو انسان الغاب ، رغم عقله الهائل ظل في جوهره النفيس قريب من الانسان الاول ان لم يكن هو ذاته .

والملاحظة الثانية اننى سوف انظر الى الحروب الصليبية في مدى قرنين نظرة كلية ، احاول استقطاب بعض الظروف والحركات والغايات وسأحاول ان ابين السياسة التي سار عنها عماد الدين وصلاح الدين لاتخاذ فلسطين . ايها الاخوة لقد كتب في الحروب الصليبية مؤرخون كثيرون ، بعضهم كتب عليها وحدها ، بعضهم كتب عنها في حوليات التاريخ بعضهم اقامها على اساس اثبات بعض الحوادث .

في اسرائيل وفي مواضع اخرى في وطننا العربى لا في البحر المتوسط فحسب ، بل في البحر الاحمر ، ان البحر الاحمر هو الذى يقودها الى عدن والى ما وراء عدن من بلاد الهند ، ان هذه المناطق تعتبر في مكان القلب من الوطن العربى ، وماذا يبقى للاطراف اذا سكنت القلب .

الحقيقة الخامسة لهذا الصراع انه صراع تاريخى جذوره بعيدة احداثه متشابكة وممتدة عبر التاريخ . ان علاقة الغرب بكل قواه ومراكزه وتراثه الحضارى وبكل ما يملك من ثقافة ، وعسير في هذه الظروف التي نعيش فيها ان تتغلب على الغرب نزعة الذات الانسانية المسالمة ، لذلك علينا ان نبني مستقبلنا على ان هذا صراع طويل ومستمر . وان ما تراه اليوم في فلسطين والوطن العربى ليس جديدا ، ولكنه قديم امتداد لماضى وامتداد عنيف له تريد ان تلف المستقبل كذلك وحياتنا يجب ان تبدأ بهذا الايمان وتقوم عليه . ولذلك فنحن نميل الى السلم لأنه فى صلب عقيدتنا لكن لا نفهم الدعوة الى السلم في هذه الظروف القاسية التي نمر فيها في هذا الواقع المرير الذى نحياه . نجد أنه لا يتصل بنا لا في الكثير ولا في القليل ان سلمنا هو السلم الذى يكفل العدالة ويقوم عليها ، اما السلم الذى يقوم على اساس من الواقع وعلى اساس هدد كرامتنا واغتصب موردنا فمضى لا نستطيع ان نتقبله ان السلم يجب ان لا يعيش بيننا انه مما يجب ان يحمل اولاً في قلوب اولئك الاقوياء الذين يلعبون في مصالح العالم ، وان تصدر عن هذا السلم تصرفاتهم واعمالهم تجاه الضعفاء .

هذه هي الحقائق الخمسة التي نراها حين نلتفت الى الاحداث التي تحيط بنا والتي حدثت من قبل ان

الدكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

وبعضهم أقامها على أساس الاحداث السلمية ، كل هؤلاء ينظرون الى هذه الحرب كأنها كانوا يقدرّون هذه الغزوة المتجددة . فاجتهدوا ان يذكروا لنا كل الذى كان حتى نتدبر نحن كل الذى يكون ، واوشك ان اعتقد من ناحية ثقافية اننا فى اشد الحاجة الى ان نحيط بتاريخ القرنين السادس والسابع الهجريين فى طرفى العالم الغربى والشرقى يجب ان نستحضر دائما الاحداث بتفاصيلها وجزئياتها لنرى كل ما كان من تجزئة وتقسيم ، من عبود وذل العبودية من القوى الذاهية والقوى الناشئة ان شيئا آخر لا يمكن ان يفجر فى نفوسنا روح العزيمة والتفاؤل فى المستقبل كما يفعل ذلك عند قراءة احداث هذه الفترة من تاريخنا ولو كان لى اقتراح على ذى سلطان لاقترح ان يحدد كل هذه الكتب وأن يعيد طبعها وأن يجدد عرضها وأن تفرض للتدريس فى كل مراحل التدريس . واقتضت عواملنا اننا ان افرا تلك الكتب واستعرض احداث سنة 1967 وخرجت بهذا الايمان القوى ان المعركة هى المعركة وان اختلفت الاسماء والاشخاص والاقوام ، والاهداف هى الاهداف بل توشك ان تكون الوسائل . هى الوسائل ، تفصيلات دقيقة هى التى تبيننا عن ذلك ، غير اننا فى بلادنا لا نعرف التاريخ كله كما يجب ان نعرفه .

لقد انتهيت الى ان هناك جملة من القواعد سادت عملية تصف الصليبيين القاعدة الاولى ، هى ارادة الجهاد ، فما لم يولد الجهاد ما لم نعظ هذه اللفظة الالهية فى حياتنا العامة والخاصة ، وما لم نصمم على هذا ونؤمن انه طريق الحياة فان انقاذ فلسطين يبدو أمرا بعيدا ، اننا فى حاجة الى تجديد هذا

المفهوم فى حياتنا وفى مؤسساتنا ، فى مدارسنا واسرتنا ومصانعنا ، وكل الجوانب من اركان الحياة يجب ان تحيا عندنا ارادة الحياة وارادة الجهاد معا وتحيا فى نفوس الناس ونفوس ذوى السلطان ، وان تحيا فوق مستوى كل ارادة اخرى وان تكيف حتى الادارات الاخرى حتى تعيش فى اطار منها . ان ما فعله نور الدين وصلاح الدين لم يهدف الى تملك أو سيطرة ولم يفكر اى منهم باستثمار أو مصلحة ، كان فى حياتهما امثلة رائعة من هذا النحو قائمة على هذا الاساس ، ان ارادة الجهاد هى التى تجعل احتمال الاباء سهلا يسرا ، وهى وحدها التى تقضى على شعور الفزع والرعب ، وتجعل من الاقدام المرتجفة اقدام ثابتة او من الجباعات القلقة جباعات تحتمل مثلما احتمل اهل عكا حصارا من البر والبحر سنتين اثنتين فسد فيهما كل شيء حتى التراب مثل هذه الارادة هى التى تجعلنا نقول مثل قوله نور الدين حين فقد أخوه عينه ، قال له : لو كشف لك عن الاجل الذى اعدك لتميت ان تذهب عينك الاخرى .

القاعدة الثانية التجميع والوحدة : لقد كان المجتمع العربى فى ابان الحروب الصليبية فى مثل هذا التفكك ، كان هناك خلافتان كل منهما ترى انها هى الخلافة الشرعية واحدة فى بغداد والثانية فى القاهرة ، وكان بينهما ذلك العداء الذى يكون عادة بين المتخاصمين ووراء الخلافة الفاطميين فى القاهرة امتدادها فى شمال افريقيا ووراء الخلافة العباسية فى بغداد امارات فى شبه الجزيرة كان هناك هذه الفوضى السياسية الكبيرة .

د . شكرى فيصل

(القيت هذه المحاضرة فى شهر جوان فى قاعة الموقار بالجزائر العاصمة) .

أصالة الشخصية الجزائرية

ما الشخصية ؟

ان الشخصية كلمة جامعة لعدة معان وهي لا تقوم في الغالب الا اذا ما انتلفت من عدة مبادئ ومقومات . ولكل فرد من الافراد شخصيته التي يتميز بها عن سواه . كما ان لكل امة من الامم شخصيتها التي تسمها بميسم خاص . بيد ان شخصية الامم تختلف باختلافها في اللغة والدين والعادات والتقاليد و الماضى التاريخي . وهلم جرا من هذه المقومات التي تتكامل مع بعضها فتشكل بينا متينا متماسكا ندعوه بالشخصية الوطنية .

د. عبد المالك مرتاض

فما هي الشخصية الجزائرية ؟ وما مقوماتها ؟
أما السؤال الاول ، فلا ينبغي أن نجيب عنه الا
بما نجيب على السؤال الثاني . والاجابة على السؤال
الثاني هي التي تستغرق هذا الحديث كله .
ولقد حاولنا ، جهدنا ، أن نحصر بعض العناصر
القوية التي تتألف منها الشخصية الجزائرية ، والتي
ظلت تحبستها وتحفظها من المسخ والذوبان . قرايتها
تتمثل ، بوجه خاص ، في العناصر التالية

1 - العادات والتقاليد ،

2 - التاريخ والحضارة ،

3 - اللغة والثقافة العربية

4 - القومية ،

5 - الدين الاسلامي ،

1 (العادات والتقاليد :

ان مدلول لفظ «العادة» يدل في أصل وضعه
على الفعل المكرر ، فهو مشتق من مادة «عوذ» التي
تدل على الرجوع والتكرار . فالذي يعتاد فعلا ما ،
يصبح له ديننا يلزمه أى عادة ملحة لا تكاد تحيد
عنه ولا تريم . وقد تطور مدلول هذا اللفظ الى أن
أصبح يطلق لدى علماء الاجتماع على مجموعة من
الظواهر الاجتماعية التي ألف الناس فعلها ورؤيتها
داخل مجتمع ما . وكثيرا ما نقرن في أحاديثنا
الراقية ، وفي كتاباتنا ، لفظ العادات بلفظ
التقاليد . وانهما لمتقاربان في مدلولهما العام تقارباً
واضحاً الا أن أصل لفظ التقاليد في الوضع اللغوي
اقتباس فعل ما ، أو عادة ما ، أو مظهر ما ، من طرف
آخر . وهذا الطرف قد يكون الجدة بالقياس الى الحفيد
وقد يكون الاب بالقياس الى الابن . كما قد يكون

المسود أو المحكوم ، بالنسبة للسيد أو الحاكم .
واذا ما اعتبرنا ان الانسان مقلدا قبل أن يكون
مبدعا ، فان التقليد قد يكون أعرق في حياته ،
من العادة . فكان العادة تنشأ عن التقليد ، حتى اذا
تبني الناس في مجتمعهم ذلك التقليد ، أصبح
شيئا مألوفاً شائعا يرد في أفعال الناس ، فاذا هو
عادة متبعة لا يسأل الناس العاديون عن أصولها
الاولى ، ولا يثيرون البحث حول جذورها الخفية ،
لغاية البحث نفسه .

وواضح اننا نجد لكل شعب من الشعوب ،
عاداته وتقاليده التي تطبع حياته الاجتماعية ، بطابع
خاص . وهذه العادات والتقاليد الاجتماعية من جملة
العوامل التي تميز الشعوب بعضها عن بعض . وان
هذه العادات يقوى سلطانها في أنفس الناس داخل
المجتمعات حتى تصبح لها قوة القاعدة المتبعة ،
وحكم القانون الكلي . فتراهم يحترمونها احترامهم
للمبادئ الدينية أو أشد من ذلك أحيانا ، فأكرام
الضيف ، أو عدم إكرامه ، من العادات التي يتوارثها
الناس خلفا عن سلف ، وابنا عن أب . بالرغم من
أن طبيعة النفوس البشرية تخضع ، في اتصافها
بالبخل أو الكرم ، لعوامل نفسية أو مالية ، أو وراثية
بعيدة . كذلك الاحتفالات بالأعراس والحفلات ؛ من
العادات التي يتوارثها الناس بعضهم عن بعض .
ونحو ذلك يقال في التزيى بأزياء معينة دون سواها
فترانا نقول : فلان يتزيى بالزى الوطني أو التقليدي
وفلان بالزى العصري . حتى كان الشيوخ والعلماء
وكثير من الآباء في بوادينا الجزائرية منذ زهاء
عقدين من الزمن يرون العفو عن شعر الرأس وحسره



المرحوم الامام عبد الحميد بن باديس

القومية ، مما حصن الشخصية الجزائرية ، وحفظها من الاضمحلال أو الضعف ، فضل الجزائريون ، نتيجة لذلك ، يحيون حياة اجتماعية تختلف عن السدين استعمروهم .

ونحن نصدر هذا الحكم حول اهل البدوى الذين ظلوا محافظين على شخصيتهم الجزائرية العربية الاصلية من حيث احتفالاتهم بالاغراس والمواسم ، وملابسهم في المناسبات ، ومن حيث تصرفاتهم واخلاقهم داخل مجتمعاتهم التي ظلت بمعزل عن تيار الحضارة الغربية

وحلق اللحية رجسا من اعمال الشياطين ، يجب على المؤمن الفاضل الصالح نبذه ورفضه . مع أن هذه القضية شكلية الى حد بعيد ، ومن التعسف والتزمت اخضاع كل شيء الى الدين ، إذ كان اللباس والطعام مما يخضع لطبيعة التصورات الحضارية والاجتماعية التي تعتور المجتمعات الانسانية ، وتنشأ عن اتصالهم : بعضهم ببعض .

ومثل ذلك يقال أيضا في ظاهرة الاحتفال بالاغراس ، فإن الناس مضطرون ، بحكم انتمائهم الى هذا المجتمع أو ذاك ، الى الخضوع للطقوس الاجتماعية التي ألف للناس أن يأتوها عند اقامة مثل هذه الاحتفالات ، لهذه المناسبات .

واذا بحثنا عن مدى صلة عادات الفازين أو المستعمرين : بعادات الجزائريين المغزوين عبر التاريخ لطويل ، وجدنا الشقة بين أولئك وهؤلاء بعيدة جدا .

أرايت ان الناس كانوا لدينا ، منذ نحو عشرين عاما فقط ، يرون حسر الرأس والابقاء على شعره عملا من أعمال الكفار ، وتشبيها بهيئة المستعمرين ، ومن تشبه يقوم فهو منهم . فانكار هذه الظاهرة من اقبل شيوخوا ، في تلك الفترة ، يقوم على تحليل اجتماعي أكثر مما يقوم على تحليل ديني ، إذ كان كثير من الآباء الشيوخ يتفاوضون تقاضيا تاما عن ترك الصلاة من قبل أبنائهم ، فلا يتهرونهم بل لا يرشدونهم ، حتى اذا راوا رؤوسهم حاسرة ، ولحاهم محلقة ، أنكروا ذلك عليهم وأعظموه أشد الاعظام . وان الحرص على اتباع العادات واحترام التقاليد

الطارئة التي لم تكد تغزو الا المدن والقرى التي لها بها اتصال وثيق لا غير .

فكانت هذه العادات والتقاليد بمثابة الحصانة الحصينة ضد اندثار شخصيتنا الوطنية . اذ كان الاختلاف في العادات ، مما ينشأ عنه اختلاف ثار في النواحي الاخرى . وذلى مما ساعد على تعلق الجزائريين بعاداتهم وتقاليدهم التي حفظت الشخصية الجزائرية كاقوى واشد ما يكون الحفظ والحصانة . ونحن لسنا ننفي اثر العادات الفرنسية بوجه خاص ، في مجتمعنا ، وما كان لها من آثار على سلوكنا الاجتماعية ، بل على كيان الشخصية الفردية والجماعات معا . غير ان ذلك لم يستفحل الا بعد الاستقلال حيث اغترفنا بنهم شديد من الثقافة الفرنسية . بالإضافة الى معطيات الاستقلال الكثيرة التي اتاحت للشعب الجزائري ان يطل على العالم الخارجى ، ويتأثر بما فيه من خير وشر ، وصلاح وفساد .

ولعلنا لا نعدم من يعترض علينا من حيث اننا

جعلنا تأثر الشعب الجزائرى بمرحلة ما بعد الاستقلال ، بالمستعمر . كان اكثر من تأثره به اثناء فترة الاستعمار نفسها . وانما ذهبنا هذا المذهب لاننا نحسب ان انطواء الشعب الجزائرى على نفسه قبل الاستقلال - وقد كان مضطرا مرغما على هذا الانطواء - ثم تجهيلة من قبل الاستعمار ، وحصره في البوادي والمناطق النائية . كان من العوامل التى عملت على خدمة مصلحة الشخصية الوطنية بحيث بقيت نقية طاهرة . وبارزة قوية . فكانت النتيجة

التي سعى الاستعمار الى تحقيقها سلبية بالقياس الى مسعاه الذى خاب .

فلو افترضنا أن التلفزة اخترعت في اوائل هذا القرن ، ثم عمم استعمالها في الجزائر كلها ، كما هو الشأن اليوم . وكان ذلك بوحى من التوجيه الاستعماري البحت . بالإضافة الى تعميم التعليم بالفرنسية واجباريته ، لحق لنا أن نذهب الى أن مثل هذا كان يقيتنا أن يعمل على هدم الشخصية الوطنية واضعافها ، ان لم نقل : اذابتها . فقد كان هذا التأثير بعد الاستقلال أكثر لهذه الاسباب التي أتينا عليها ، منذ حين ، ذكرا . ومنها تعميم التعليم ، وتقوية الاعلام ، ونشر الثقافة بعد الاستقلال ، في حين أن وسائل التأثير - اثناء عهد الاستعمار - كانت منعقدة في البوادي لفشو ظاهرة الجهل ، وضيق في المدن لنفس العلة . فكانت شخصيتنا اثناء الاستعمار وفي ابان الثورة ، متحفظة ، محتاطة ، شديدة الحذر في الاندفاع وراء المعطيات الحضارية الطارئة ، ولاسيما تلك التي كانت تأتي من نحو الاستعمار من أجل كل ذلك استحالة على المستعمرين

قديما وحديثا ، اذابة هذه الشخصية وصهرها في بوتقة حياتهم السياسية والاجلاقية والاجتماعية معا .

2 (الحضارة والتاريخ :

ان التاريخ الوطنى سرد لاعمال الاجداد ، وتمجيد لبطولاتهم . وتضحياتهم من أجل الوطن والمواطنين جميعا . ولم أرد بكلمتي هذه ، تعريفا دقيقا جامعاً للتاريخ ، فان المؤرخين أنفسهم لا يزالون يختلفون في هذا التعريف بالرغم من وضوحه . كاختلاف



يوغورطة

اننا اليوم حين نبحث عن انفسنا ، ونشرئب الى معرفة اصول شخصيتنا ، نفزع الى التاريخ الوطنى . والى حوادثه الجسام بوجه خاص . لنرى فى هذا التاريخ انفسنا ماثلة ، وشخصيتنا الوطنية قائمة واضحة . ولولا هذا التاريخ . لما عرفنا ما ضينا الذى نستمد منه القوة والعزم . ونستلهم منه الابداع . وننشد فيه العزة والفخر .

فكان التاريخ الوطنى ، كان بمثابة المرأة المجلوة التى تنعكس عليها شخصية الشعب الجزائرى كأشد وأقوى وأنصح ما يكون الانعكاس .

فالتاريخ حلقات متواصلة من الحياة . والحوادث . والحروب . والشخصية الوطنية سلسلة طويلة تمتد مع هذه الحلقات التاريخية وترتبط بها . وتسفوف

الفلاسفة حول تعريف الفلسفة . وكاختلاف المتصوفة حول تعريف التصوف ايضا ، وانما اردت اعطاء صورة مصغرة بسيطة لمفهوم التاريخ الوطنى وموضوعه . . . ولما كانت أهمية التاريخ عظيمة ذات شأن . فان الامم المتحضرة تفزع اليه فى تبين شخصيتها الوطنية عبر الازمان السحيقة . والاحقاب البعيدة . والتاريخ . فى الجزائر ، مما كان له أثر واضح فى حفظ الشخصية الجزائرية وتحيق اصلتها .

واذا كان عامة الشعب الجزائرى لم يكونوا يعرفون شيئا كثيرا عن يوغورطا . وماسينيسا . والكاهنة ، وهلم جرا من رجالتنا الذين سـيروا التاريخ وكان لهم شأن مذكور مع الغزاة الاجانب عبر الازمنة الموعلة فى البعد . فانهم يعرفون الشئ الكثير عن الامير وحروبه مع الغزاة الفرنسيين الى جانب الثوار الآخرين . يضاف الى كل ذلك التاريخ المعاصر وحوادثه العنيفة . كالحادثة التى تتمثل فى مجازر سنة خمس وأربعين من هذا القرن ، فان ذلك مما كان له أثر بعيد فى قيام الثورة . من أجل الحصول على الحرية التى هى اعتراف سياسى بسيادة الشخصية الوطنية . فكان الشعب الجزائرى اتخذ من هذه المجازر الرهيبة وقودا يضرم به ثورته . كلما ضعفت أو الم عليها الكلال والقصور .

ونحو ذلك يقال فى حروب الامير التى كان المواطنون المستنثرون يتخفون منها ملهمة لهم فى دفع الناس الى الثورة . وفى توجيههم كيف يحافظون على شخصيتهم الوطنية الموروثة العريقة .

فيها ، حتى تصبح جزءا من التاريخ . كما يصبح التاريخ نفسه جزءا منها .

فالشخصية الوطنية اذن ، لا تتشكل في حقبة زمانية قصيرة ، وانما تمتد اصول جذورها الى اعماق الزمان البعيد ، وتمضي مع الاطوار التاريخية لتتصل وتنفصل وتبقى . واذا انصلقت الشخصية وثبتت اركانها ، وصلب عودها ، عسر على العدو اذابتها او تفتيتها ومحسوها .

وذلك ما وقع للاستعمار الفرنسي بالذات ، فقد ظل حائرا في أمره ، لا يدري ما يصنع أمام قوة ماضى هذا الشعب الاصيل ، وأمام عظمة تاريخ هذه الأمة العريقة التي لم تستسلم قط الى الاستعمار ، وانما تظاهرت بالاستسلام لتثور ثورتها المعروفة التي سار بها الركبان . ولهجت بها السنة السمار .

ومن الحق ان المستنيرين من الجزائريين لم يكونوا يجهلون أثر التاريخ في حفظ الشخصية الوطنية . من أجل ذلك ألفنا مباركا المبل يقدم على تأليف أول كتاب في تاريخ الجزائر ، فقد كان لا ريب . يعلم أن هذا الكتاب يشبه ثورة مسلحة بأكملها . اذ يشهد بوجود الشخصية الجزائرية عبر التاريخ . ونحن نحسب أن مثل هذه الكتب لا تقل خطرا . في رأى الاستعمار - وذلك حق - عن قيام ثورة فعلا . ونحو ذلك يقال في تاريخ الجبال ، وفي كتابات المدنى التاريخية . فانها كلها كانت بمثابة قذى في عين الاستعمار . وشجى في حلقة . في حين أن هذه الكتب . كانت بالقياس الى الجزائريين كالمصابيح المضيئة التي تهدى الضالين ، وترشد السارين .

هذا . الشأن فى التاريخ .

أما الحضارة فهي عبارة عن مآثر الاجداد ومخلفاتهم المادية . ولا أريد بهذا القول أن أعطي تعريفا دقيقا جامعا للحضارة . فاني لا أريد هنا ذلك . قدر ما اريد اداء الفكرة وتقريبها الى الافهام . والحضارة لها طرفان : طرف مادي ، وطرف روحي .

أما الطرف الروحي . فلا ينبغي أن نثير حوله الكلام فى هذا الحديث . وانما غايتنا اثارته حول الطرف المادى المتمثل فى بنايات المدن الضخمة . وزخرفة القصور الفخمة ، وتنسيق المساجد والاضرحة وسواها ؛ مما يملأ نفس المواطن اعجابا واعتزازا بماضيه . فتقوى ذاتيته . ويصلب عوده . وتتميز شخصيته . وكيف لا تطفح نفسه اعتزازا وفخارا . وبعض ذلك دليل على أن أجداده الذين عاشوا قبله على هذا الوطن . كانت لهم مآثر حضارية هذا جزء منها لا يبرح للعيان مائلا :

تلك آثارنا تدل علينا

فانظروا بعدنا الى الآثار

فعلام تدل هذه الآثار ؟

اننا لو أخذنا مثلا واحدا حضاريا لرجونا أن نفتتح بها للحضارة من أثر فى حفظ الشخصية الوطنية من الاتذكار والدروس . فان المواطن مثلا حين يزور مدينة تلمسان . ويرى فيها تلك المساجد والقصور الفخمة يتساءل عن بانيتها . وعن تاريخ بنائها ، وعن سيرة الملوك والرؤساء الذين بنوها . . . ثم انه لا ريب يلاحظ أن هذه البنايات وزخرفتها كانت كلها عربية . بالاضافة الى المساجد والمآذن



المرحوم الشيخ مبارك الميلي الابراهيمي

لم تك متحضرة من قبل اطلاقا ، فانه لا يستطيع
أن يزعم ان الاسلام لم يحضرها ويهذبها ، حتى
اصبحت راقية واعية ، ومتمدنة ، اذا اعتبرنا التقدم
الحضارى المتواضع قديما ، بالقياس الى الحضارة
الناجمة عن استكشاف البخار ، ثم الكهرباء والذرة
حديثا .

كانت الامة الجزائرية قبل الاسلام تتحدث لغتها
العريقة وهى ، تامزيغت ، ونحن نعلم أن هذه اللغة

والاضرحة التى تنبى ، فى مجموعها بمراقبة الامة
الجزائرية فى العروبة والاسلام . أن المواطن العادى
حين كان يشاهد تلك الزخارف العجيبة ، والحروف
العربية المنقوشة نقشا منمقا على البنايات الباقية ،
فى عهد الاستعمار بالامس القريب ؛ كان لا ريب
يقتنع فى قرارة نفسه بأنه عربى حقا ، وأن العربية
كان لها شأن عظيم فى هذا الوطن . وأن هذه الفرنسية

ان هى الالفة دخيلة فرضت على الجزائريين فرضا ،
وانها زائلة بزوال الاستعمار .

واذن ، فإن التاريخ من حيث هو حوادث معنوية
مجردة ، تدرك بالعقل ، وأن الحضارة من حيث هى
مآثر مادية قائمة محسوسة ترى بالعين ، لمما
يحفظ شخصية الامة . وذلك ما حدث بالقياس الى
الشخصية الجزائرية التى تملكت بتاريخها ، وتشبثت
بحضارتها ، واتخذت منها مرآة تفزع اليها لترى
فيها نفسها كلما دهمتها الخطوب ، وألمت عليها
المكار .

فللتاريخ اذن فضل عظيم على استمرار شخصيتنا
وذايتنا ، وبقاءهما قويتين واضحتين فى أحلك
الظروف ، وأصعب الفترات الزمنية .
كان ذلك ، العنصر الثانى من مقومات شخصيتنا
الوطنية ، وأما العنصر الثالث فهو :

3 (اللغة والثقافة العربية :

ان بالاسلام اكتملت الشخصية الجزائرية وتعمقت
اصالتها ، فاذا اعتبرنا أن هذه الامة لم تك بلغت
شأوا بعيدا فى مجال الحضارة ، فإن الاسلام أبرز
عناصر هذه الحضارة وشحذها . وإذا زعم زاعم انها

عبارة عن لهجة بدائية الى حد بعيد: لم تنشئ حضارات ولم ينطق بها كتاب دين من الأديان السماوية، فلم يتج لها أن تقدم منفعة حضارية ذات بال الى الانسانية . فلا غرو أن تلقى الجزائريين يسارعون الى اعتناق الاسلام بالرغم من ترددهم أول الامر ، ومحاربتهم العرب الفاتحين حين وطئت أقدامهم هذه الارض . لانهم كانوا يحسبون انهم ليسوا بدعا من الغايزين الأول . ومنهم الوندال والرومان . وإن حرب الجزائريين الشديدة للفاتحين المسلمين لتدل بحق على أصالة الشخصية الجزائرية وقوتها ، وعدم ادعائها بسهولة . ولولا أنهم أدرکوا أن الفاتحين المسلمين لم يكونوا يريدون الا خيرا . وانهم لم ييغوا استعمارا ولا استعبادا ولا استغلالا ، لظننا أن الحرب لم تكن قد انتهت عند ما انتهت اليه حينئذ . .

لكن الجزائريون حين أدرکوا مدلول الاسلام ، وتشبعوا بمبادئه العالية ، تعلموا العربية لانها لغة القرآن والحديث : أى لغة الدين الاسلامي الجديد . وما لبثت هذه اللغة أن انتشرت في الجزائر حتى أصبحت مع مرور أربعة عشر قرنا من حياة الاسلام ، اللغة الوطنية للامة الجزائرية . وبذلك أصبحت الشخصية الجزائرية في بعض جوانبها ، جزءا من الشخصية العربية الشاملة . فالجزائري عربي من حيث انه يتكلم العربية . وهو عربي من حيث أن كثيرا من أصوله الأولى التي منها ما يعود الى الفتح الاسلامي حين ابتدأ الاختلاط بين الامازيغ الاصليين وبين العرب الوافدين ، ومنها ما يرتد الى الهجرة الجارفة التي قامت بها قبائل بني هلال ، وبني سليم في المائة السادسة ، كما ذكر ابن خلدون في المقدمة (I) ،

بل منها ما يرجع الى الهجرة الأولى المعنة في القدم ، والتي قام بها افريقيس اليمنى ، الى افريقيا الشمالية حتى أن هذه القارة في تسميتها ، انما تنسب اليه (2) فاللغة العربية حين أصبحت أحد أصول مقومات الشخصية الجزائرية ، لم تصبح كذلك طفرة ، أو عن طريق المصادفة العارضة ، وانما كانت نتيجة حتمية لعوامل تاريخية وبشرية متشابكة يشد بعضها بعضا . ولو هم أحد أن ينتزع من هذه الامة لغتها هذه العربية ، لفشل فشلا ذريعا ، ولو سخر في ذلك أعظم القوى ، وأحدث الوسائل العلمية والنفسية والمثل على ذلك موجود . والدليل على هذا المذهب ثابت دامغ ، فقد جاهد الاستعمار الفرنسي نفسه جهادا شاقا جدا من أجل أن ينال من هذه اللغة فلم يستطع أن يصنع شيئا كثيرا . لان الجزائري بطبعه عنود متصلب الارادة . وهو حتى في حال ادعائه ، فإن فعله ذلك انما يشبه السكون الذي تعقبه العاصفة الهوجاء .

الثقافة العربية واثراها في

حفظ الشخصية الجزائرية

وبهذه اللغة العزيزة كتب الشعب الجزائري ثقافته وتاريخه وأدبه ، فدل على عراقه عروبه ، وأصالة شخصيته . فان الجزائريين حين غزوا من قبل الفرنسيين كانوا أحسن منهم ثقافة . وليس شرطاً أساسياً أن يكون الغازي أثقف من المغزو في كل الاحوال . فالشواهد التاريخية تشهد بأن الغزو لا يخضع لمبدأ التفوق في العلم وحده . ونحن لم ندع ما ادعينا لمجرد حب الانسياق وراء العاطفة الوطنية ، بل انما ادعينا لحب تسجيل



الأ مير عبد القادر

في الجزائر ، وظلت كذلك طوال عهد الاستعمار الفرنسي ، كانت ثقافة مبنية على أصول من العلم والدين والاخلاق والقومية جميعا . وهذه عوامل يصعب مغالبتها والقضاء عليها في فترة تاريخية محدودة من الاستعمار ، مهما كانت طويلة الامد .

فتقاقتنا القومية كانت أصيلة : فيها قوة الدهر ، وعمق الحياة ، وطبيعة هذا الشعب نفسه . فقد كانت لنا مدارس كثيرة باعتراف المؤرخين الفرنسيين أنفسهم أيضا ، فكانت هذه المدارس ، التي يمكن أن نطلق عليها اليوم مدارس ابتدائية ، تفتح عقول الطلاب ، وتزودهم بالمعرفة الاولى التي لا بد منها ، حتى اذا الموا بما فيها ، يمموا الزوايا

الحقائق التاريخية التي شهد بها المؤرخون الفرنسيون أنفسهم . فقد ذهب أصحاب كتاب : «الجزائر ماضيا وحاضرا» ، الى انه «كان يعتقد بأن الشعب الجزائري كان أميا ، وانما الاستعمار هو الذي جاءه بالثقافة والعلم . مع أن ذلك خطأ محض» (3)

كما أورد أصحاب هذا الكتاب نفسه نصا تاريخيا لروزي قد كتبه سنة ثلاثين وثمانمائة والـف . وأكد فيه بأن السكان الجزائريين في هذه الاثناء : «ربما كانوا أكثر ثقافة وتعلما من الشعب الفرنسي نفسه ذلك بأن جميع الرجال كانوا يحسنون القراءة والكتابة والحساب» (4)

وقد جاء في هذا الكتاب أيضا ان الامية كانت أقل فشيوا في الجزائر من فرنسا ، حيث كانت تتجاوز الاربعين في المائة (5) . ومعنى ذلك أن نسبة الامية في الرجال كانت اiban الاحتلال الفرنسي في الجزائر أقل بكثير من اربعين في المائة باعتراف من هؤلاء المؤرخين الفرنسيين أنفسهم . فلماذا ذهب الاستعمار الفرنسي ترك نسبة الامية في الجزائر أكثر من ثمانين في المائة .

كانت ثقافة الشعب الجزائري اiban الاحتلال الفرنسي عربية أصيلة ، بالرغم من المحاولات الكثيرة التي قام بها المستعمرون من أجل محو هذه الشخصية ، بسـل ثقافتها العربية منها . لكنهم فشلوا في معظم الاحوال . لان هذه الثقافة كانت تدافع عن نفسها بنفسها ، فكانت كالنور الفياض الذي لا يطمس من شعاعه الغامر . الظلام الشاحب شيئا .

ذلك بأن الثقافة العربية التي كانت قائمة يومئذ

(3) الجزائر ماضيا وحاضرا : ص 228

(4) نفس المصدر ونفس الصفحة

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

- على ما قد توصف به من تواضع محدود - فانها كانت مخلصه في الرسالة ، مؤمنة بالمبدأ : فكان الطلاب يحفظون القرآن ، والحديث ، والمتون الفقهية والنحوية ، ثم يتدارسونها في أعماق البوادي ، وقمم الجبال ، وظلال الغابات ، ولدى ساقات النخيل ، وعلى ضفاف الانهار . أرايت أن الناس في البوادي كانوا يعرفون معظم ما يجب أن يعرف عن الاسلام ، وتاريخه ، ورجاله ، من حيث لم يكونوا يعرفون شيئا قليلا أو كثيرا عن هذا الاستعمار وحضارته وتاريخه ، لان الجزائريين بحكم انهم يختلفون عنه اختلافا في العقيدة واللغة والجنس والتاريخ ، كانوا ينظرون اليه نظرة مليئة بالحذر والتحفظ والخوف جميعا . وكان هذا الحذر يفريهم بأن يزدادوا تعلقا بما لهم من ثقافة ، وحرصا على ما عرفوا من علم .

ان الاستعمار الفرنسي لم ينجح قط في غزو عقول الجزائريين بثقافته ، وهذا النفي ينطبق انطباقا تاما على سكان البوادي بدون استثناء

في حين انه نجح نجاحا جزئيا آخر الامر بالقياس الى المدن ، حيث نجم بعض من يحترفون الكتابة من الجزائريين ، بيد أن هؤلاء استحالوا ايان الثورة خاصة الى أعداء الداء ، يحاربونه بسلاحه وهو الثقافة الفرنسية . بيد أن دور هؤلاء الكتاب بالفرنسية لم يك قط في المستوى المنشود ، وظل المثقفون بالعربية ، في معظم الاحوال ، هم الذين يوجهون الشعب ويقودونه ، معولين في توجيههم على هذه الثقافة العربية ذاتها .

ان من السفه انكار ما كان للثقافة العربية في حفظ الشخصية الجزائرية خلال عهد الاستعمار

المشهوره باحتضانها للعلم والعلماء ، وكانت هذه الزوايا اشبه ما تكون وأقرب الى المراكز الثقافية النشيطه ، منها الى أي شيء آخر . اذ كانت تهيم الطلاب الى أن يتابعوا دراساتهم في احدى الجامعات الاسلامية الثلاث ، ولاسيما الزيتونة بتونس ، والقرويين بفاس . وقد اعتبر مؤلفو كتاب «الجزائر ماضيا وحاضرا» أخريجي هذه الجامعات دكاترة بالمفهوم العلمي لهذه اللفظة . (6) ومن هؤلاء المتخرجين ، كان القضاء والاساتذة الاجلة ، والمؤلفون ، والمشهود لهم بالعلم ، وكل الذين كانوا يتولون المناصب السامية في الدولة (7)

فكانت الجزائر ذات كيان ثقافي مستقل عميق الاصالة ، قوى الشخصية . فلم يكن من اليسير على الاستعمار الفرنسي ان يمحو هذه الشخصية الثقافية بالرغم من تهديمه المدارس والمساجد ، وتحويلها الى سجون طورا ، والى مؤسسات أخرى لاصلة لها بالثقافة العربية طورا ثانيا .

فاذا اعتبرنا الثقافة العربية بمثابة السلاح المعنوي القوي الذي ظل يحارب الاستعمار الفرنسي من حيث يشعر ومن حيث لا يشعر ، لم نبالغ ولم نخطئ . ثم اذا اعتبرنا هذه الثقافة العربية بمثابة الحجاب الذي ظل يحصن الشعب الجزائري من رطانة المعجزة ، وهجنة الفرنسية ، وطفيان الغزو الثقافي الاجنبي ؛ لم نك بعيدين عن الحق .

فقد هدم ، هذا الاستعمار ، المدارس والمساجد التي كانت قائمة في المدن الضخمة ، ولكنه عجز عجزا مبينا عن أن تمتد يده الى ما كان في البوادي النائية ، والقرى المنعزلة ، من مؤسسات ثقافية

(5) الجزائر ماضيا وحاضرا : 228

(6) الجزائر ماضيا وحاضرا : 229

(7) نفس المصدر ونفس الصفحة

اصالة الشخصية الجزائرية

الناس يومئذ يدركون القومية على النحو الذي يدركه اليوم المصاصرون .

فحروب يوغورطا مع الرومان ، اشبه ما تكون بحروب الامير عبد القادر مع الفرنسيين . فكلما هذين القائدين العظمين استعمل حرب العصابات في مقاومة الغزاة . وكلاهما كانت له مملكة او حكومة متنقلة ، مع وجود فوارق في طبيعة هذه المملكة ، طبعا . وكلاهما انما حارب من اجل سيادة الوطن ، وحرمة الشخصية الوطنية ، فطريقة الحرب كادت تكون واحدة ، والعدو في طبيعته الاستعمارية ، واصله الجغرافي ، كاد يكون واحدا ، والهدف من الغزو والمقاومة كان واحدا ايضا .

ولعل المؤرخ الملم المولع ببحث الدقائق من الامور ، يعثر على مواقف تاريخية كثيرة كانت تتجلى فيها القومية الجزائرية خلال عصور التاريخ . اما نحن في هذا الفصل ، فحسبنا ما اشرنا اليه . فقد ينبغي ان تكون القومية قد تجلت بصورة ضاربة في حرب يوغورطا للغزاة الرومان . ان مثل ذلك الموقف التاريخي الرهيب ، لا ينبغي ان يمثل

شيئا اولي من تمثيله القومية السياسية بمدلولها الدقيق . ونحو ذلك يقال في حرب الكاهنة مع العرب المسلمين ، بالرغم من أن أهداف الحرب هنا تختلف اختلافا بعيدا ، فالرومان والفرنسيون وسواهم من الغزاة ، انما يسموا الجزائر مستعمرين مستغلين ، على حين أن المسلمين انما قصدوا هذه الارض ابتغاء نشر الدين الاسلامي فيها ، وانقاذ أهلها من طغيان الجهل وضلال الكفر . ونحن نحسب ان المؤرخين الغربيين يختلفون معنا اختلافا

الفرنسي ، وصيانتها من العجمة والفساد أو الذوبان

4) القومية :

والقومية هي عبارة عن :

« الانتماء الى أمة معينة » ، والتعلق بها » (8) وهذا التعريف لا ينبغي أن يعطينا صورة دقيقة عن مدلول هذا اللفظ الجديد المفهوم ، في جميع اللغات العالمية . ذلك بأن القومية ، بمفهومها السياسي الدقيق ، لم توجد في أوروبا نفسها الا في القرن التاسع عشر ، ولم تجد سبيلها الى افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ، الا في هذا القرن .

فماذا كان أثر القومية على حفظ الشخصية الجزائرية وصونتها عن عواصف الاحداث التي عصفت بها خلال تاريخنا الطويل . وخلال عهد الاستعمار بوجه خاص ؟

ان الذي يتأمل تاريخ الجزائر قديمه وحديثه ، لا يعدم عناصر وأصولا لهذه القومية ، وانما كانت تضعف أحيانا حتى كان وجودها لم يكن ، وتقوى أحيانا أخرى حتى كأنها هي التي كانت توجه سير

التاريخ ، وتعمل على حفظ الشخصية الوطنية من الذوبان والذهاب . ونجد أصولا للقومية الجزائرية في التاريخ القديم ، وهي تتمثل في شخصيات مسينيسا ، وبعض أبنائه ، ويوغورطا بوجه خاص . وهو الذي رمى بالامازيغ في حرب الرومان ، وأذاق القائدين الرومانيين المحنكين : ميتلوس ، ومريوس وسواهما أمر الهزائم .

وتلك مواقف تاريخية ينبغي أن تكون القومية الجزائرية قد تجسست فيها وتجلت ، وان لم يكن

(8) الموسوعة العربية : 1408 - قومية -

عظيما ، لانهم يكادون يذهبون جملة غير هذا المذهب . بيد ان ذلك لا يغير من واقع الحق شيئا . فالعرب نشروا الاسلام ولم يغزوا بالمفهوم الاستعماري الحديث . ولو كان سيبلهم ذلك . كالرومان من الاقدمين . والفرنسيين والانجليز من المحدثين . لآل امر البلدان التي فتحوها الى ما آلت اليه البلدان التي استعمرت حديثا ونالت سيادتها اليوم ، ولكان مصير العرب الطرد والجلد من افريقيا الشمالية . كما كان مصير المستعمرين الفرنسيين مثلا .

ولذلك . بالرغم من محاربة الكاهنة للعرب . وبالرغم من تجلي القومية التي تتمثل في التناف البرابر حولها من أجل الدفاع عن وطنهم . فان نتيجة هزم الحرب . ولا غايتها من الفاتحين المسلمين لم تكن مماثلة لغاية الغزاة الرومانيين والفرنسيين والاسبان .

وحرب الكاهنة أو مقاومتها . تمثل آخر حلقة من الحلقات التاريخية الطويلة التي كانت تتمثل فيها الشخصية الامازيغية الضيقة في التاريخ . اذ يعد

الفتح ، وحين اعتنق الجزائريون الاسلام ديننا . واصطنعوا العربية لسانا . تحول مفهوم الشخصية الوطنية لديهم . واصبح يتألف من طائفة من المبادئ التي يكمل بعضها بعضا . ولكن أبرزها جميعا اللغة والدين . فأصبحت شخصيتنا قوية متينة . تستطيع أن تثبت لاعنف العواصف الهوجاء . ولذلك لم يستطع الاستعمار الفرنسي أن يذيبها . بل افتضح أمره . وظهر عجزه . وانكشفت غايته الشريرة حين أراد عزل الامازيغ عن اخوانهم العرب ، فقد كتب

رؤساء زواوة الكبرى سنة ثمان وأربعين من هذا القرن . عريضة طالبوا فيها الحكومة الاستعمارية بنسخ العوائد المعمول بها في تلك الناحية . والقاضية بعدم توريث الزوجة والبنت . وانما تلك عادة قديمة جدا ؛ فلما جاء الاسلام نقضها وأنكرها . فأراد الاستعمار احياءها ليفتت بها شخصية الرجل الجزائري ، ويجعل منه عربيا وبربريا . ومسلما ومسيحيا (9)

ان القومية قد لعبت دورا عظيم الخطر في حفظ كيان الشخصية الجزائرية عبر التاريخ . وصونها من اللوثان والامحاء .

واذا كنا لا نعدم من يعترض علينا بأننا نقيم هنا اثبات الشخصية الجزائرية على أساس منهيار من بعض الجوانب . لان القومية لم توجد الا في العصر الحديث . فان حجتنا أن القومية وجد مفهومها منذ القديم . وهي تتجلى في كثير من المواقف التاريخية الهامة التي تمثل فيها اتحاد الامة اتحادا كليا أو جزئيا حول شخصية جزائرية واحدة . كما حدث ذلك مرارا في التاريخ الجزائري . ولا سيما في عهد يوغورطا . والكاهنة . والامير عبد القادر . وعلى أننا وجدنا القومية تتجلى كاشد وأقوى

وأضرى ما تكون أمرا . في مقاومتنا للاستعمار الفرنسي أثناء الثورة الكبرى . فقد اتحد فيها الشعب الجزائري والتف التفافا عجيبا . لا حول شخصية وطنية بعينها هذه المرة . ولكن حول حزب جبهة التحرير الذي كان بمثابة عصارة للاحزاب الوطنية الاخرى . التي ذابت فيه طوعا لا كرها .

ولا أحسب من موضوعنا هنا . إبراز تلك الاسباب والعناصر والرواسب التي تكثلت واجتمعت حتى

(9) نشرت هذه العريضة بمجلة - صوت المسجد عدد 3

ص 23 - 26 - 1948

أصالة الشخصية الجزائرية

وقع لمسجد سيدى بلحسن بتلمسان - الذى تم بناؤه فى نهاية القرن الثالث عشر الميلادى - فقد حول هذا المسجد التاريخى فى عهد الاستعمار الى متحف ، وهو المتحف الذى لا يبرح قائما الى اليوم بتلمسان .

والغرض من هذه الكتلعة المفصولة ، واضح يعرفه القبي والذكي . والجاهل والعام على السواء . فى الجزائر . فانما اراد المستعمرون محو طابع الشخصية الاسلامية ومعالمها من الجزائر ، وتوحيدها فى ذات الحين بالمسيحية التى لا يزال كثير من رجالها ونسائها قائمين بالتبشير فى مراكز معروفة بالجزائر . الى اليوم . بيد أن مسعى السلطات الاستعمارية خاب فى الجزائر . لبعض هذه الاسباب :

(١) ان رقعة الجزائر واسعة جدا . بالقياس الى سكانها ، فاستحال على المستعمرين مراقبة جميع النواحي . ولا سيما المناطق الريفية البعيدة . والبادية الشاسعة النائية .

(٢) ان الاسلام كان قد تبوأ من قلوب الجزائريين تيو . مكينا عميقا . فكان من العسير جدا مسخهم . وتجريدهم من عقائدهم الاسلامية على نحو او على آخر والدين اذا تمكن من القلوب . لا تنزعه السياط . ولا تزيله النيران بله الوسائل النفسية والعنصرية المفصولة .

(٣) ان الاستعمار اذرى الشعب الجزائرى - وهذا المذهب الذى نذبه ليس ينبغى أن يكون قائما على الهوى والعاطفة ، بل ان من يتأمل أمر الجزائريين مع الاستعمار الفرنسى يقتنع اقتناعا شديدا بسداد هذا المذهب . وليس من غرضنا الآن الاتيان

حيات هذه الثورة ونجاحها . فذلك معروف عند من يلمون بالتاريخ السياسى المعاصر فى الجزائر .

(٥) الدين :

عرفت الجزائر الاسلام اثناء النصف الثانى من القرن الاول الهجرى . وبالرغم من الردات التى حدثت بعد ذلك ، فان الاسلام تمكن من قلوب الجزائريين آخر الامر . واصبحوا يشكلون قوة اسلامية عظيمة فى الجهة الغربية من العالم الاسلامى القديم ، ومن ذلك أنهم شاركوا فى فتح الاندلس مع طارق بن زياد .

ومنذ ذلك التاريخ اصبح الاسلام يمثل جزءا أصيلا من مقومات الشخصية الجزائرية . بحيث أصبح من المستحيل تصور الشخصية الجزائرية مجردة عن الاسلام . وساعد على تأصل هذا العنصر فى شخصيتنا الوطنية . قلة اليهود والنصارى بارضا . فكانت الاغلبية المطلقة للجزائريين المسلمين عبر تاريخ الجزائر المسلمة . فتأصلت من أجل ذلك الشخصية الجزائرية حتى ذابت فى أشعة الاسلام . وغدا مستحيلا على أى غاز أن ينجح فى سلبها من هذا المقوم الكريم .

ويستطيع الباحث المتأمل أن يعتبر الدين الاسلامى من أقوى المقومات ، ان لم نقل : اقواها . التى ظلت تغذى الشخصية الجزائرية وتصورها من الذوبان والمسخ .

أريت أن الفرنسيين حين تم لهم احتلال الجزائر بالقوة الجبارة الطاغية . وجدوا الجزائر كلها مساجد ومدارس . فهالتهم هذه الظاهرة الرائعة . وأقضت مضاجعهم ، وأقفلت نفوسهم ؛ فأجمعوا أمرهم على ابدال المساجد بالكنائس . كما حدث لمسجد كشاوة بالعاصمة ، أو ابدالها بمؤسسات أخرى لا تمت للدين الاسلامى بصلة واضحة . كما

بالدلائل الدامغة على ذلك (10) فجعله . بعد أن كان قد جوعه . فحال بينه وبين العلم بهذا التجهيل . كما حال بينه وبين العيش الرغيد بالتجوع . إذ كان يعلم أن الجهل والجوع ما يفتك بشخصية الأمم . ويفتت تاريخها . ويفصم وحدتها فصما شنيعا . ويجعل من أملها ياسا . ومن قوتها ضعفا . ومن اعتزازها استكانة . من أجل ذلك ألفينا هذا الاستعمار لا يؤسس المدارس إلا في المدن . وهو إنما أسسها في هذه المدن من أجل أبناء الفرنسيين والمعمرين . إذ لم يك للجزائريين الذين كانوا يقطنون المدن إلا الاعتبار الأخير في التعليم .

أما في البوادي . فلم يكن أحد من الجزائريين يعرف عن التعليم الفرنسي شيئا يجب ذكره . بله أن يكون له تأثير مباشر على الحياة الاجتماعية للناس في هذه البوادي . فظلت هذه البوادي على حالها . ولا تقل أن أهلها كانوا محرومين من هذا التعليم . لانه مسموم . ولكن قل : ظلوا ناجسين من هذا الشر - يقبل فيها الصبيان والشبان على الكتابات القرآنية . والمساجد والزوايا من أجل حفظ القرآن الكريم . وتعلم المبادئ الأولى من علوم العربية والدين . فكانت هذه المساجد بالنسبة إلى

جامعة القرويين التي كان يقصدها طلبة الغرب الجزائري . أو إلى جامعة الزيتونة التي كان يجمعها طلبة الشرق الجزائري . بمثابة المدارس الابتدائية التي تهتئ . للمعاهد الثانوية . وذلك قبل أن تؤسس مدارس جمعية العلماء . ومدارس حزب الشعب . والهيئات الوطنية الأخرى .

وهنا يكمن سر احتفاظ الجزائر بشخصيتها الإسلامية القوية . ولو كانت رقعة الجزائر ضيقة .

بحيث يغطيها الاستعمار تغطية معنوية ومادية شاملة برجاله . ثم لو كان الاستعمار لم يجبل على حب التجهيل والتجوع ؛ فبنى المدارس في القرى والبوادي . كما يراها في المدن . وعمم التعليم فجعله اجباريا - ونحن نعرف هنا معنى التعليم أثناء عهد الاستعمار . فإنه كان يتمثل في كل ما هو متعارض مع تاريخنا وديننا ولغتنا وحضارتنا وشخصيتنا القومية - لاصيبت الجزائر في شخصيتها بمصيبة كبرى . ولنكتب في أعز ما اكتسبته عبر الأزمان البعيدة . والحقب العريضة .

واذن . فقد خسر الاستعمار من حيث أراد الربح . واذن . فقد ربح الشعب الجزائري ربعا تاريخيا عظيما بهذا التجهيل . لأن هذا الشعب نجسا من طغيان الفرنسية والكتلكة والتفريب : أي انه نجس من المسخ والذويان . وحكمنا هنا ينطبق على سكان البوادي والقرى بوجه خاص . وهم الذين لا يبرحون يشكلون الأغلبية الضخمة من سكان الجزائر إلى اليوم .

أما ما ترى اليوم من أثر الفرنسيين في مدننا . فإنه لم يك ناشئا عن التأثير الاستعماري المباشر . قدر ما كان ناشئا عن :

I - تعميم التعليم في المدن تعميما مطلقا . ونحن نعلم أن تعليمنا لا يزال في معظمه بالفرنسية في مختلف مراحل الثلاث . بالرغم من تعريب بعض الأقسام أو المؤسسات هنا وهناك . فلو كان الطفل الجزائري يدرس جميع المواد التي يتلقاها بلغة الضاد لما كانت حاله هذه التي هو عليها الآن .

2 - اشتداد الاتصال بالأجانب . عن طريق

(10) راجع تقريرا نشره ابن باديس لعنه السيد أحمد ابن باديس * فإنه شهد بازدياد الفرنسيين للمواطنين الجزائريين .

أصالة الشخصية الجزائرية

ومولد نبوي ؛ كانت بمثابة الذكريات المنبهة .
والايام المذكرة بحقيقة الامة الجزائرية ، وأصلها .
وجنسها ، ودينها .

2 - تأسيس المساجد والاشترك في بنائها في كل حين ، فان تلك المناسبات كانت تتيح للامة أن تأتلف وتجتمع على هدف واحد ، وتسمح لها بالاستمرار في وحدتها ، والحفاظ على كيائها .

3 - مدارس العلم . ونحن نريد هنا بالعلم مفهومه التقليدي أو القديم ، لا مفهومه الحديث . اذ كان الشبان والشيوخ يتدارسون القرآن والحديث ، كما كانوا يتدارسون علوم اللغة من بلاغة ونحو وعروض . ولا يخفى ما في هذا العنصر من قوة الحفاظ على الشخصية ، وصونها من الذوبان . فكانت غاية معرفة النحو واللغة عند علمائنا وطلابنا التقليديين ، تتفق ، أو تكاد تتفق ؛ مع غاية العلماء الاقدمين . فانما كانوا يدرسون ذلك لفهم القرآن والحديث ومدارستهما . فالغاية في جوهرها كانت دينية ، قبل أن تكون علمية ، أو مادية . وكان العالم الديني ، أو الفقيه ، (كما كان الجزائريون يطلقون عليه) شديد التزمّت ظاهر المحافظة ، بحيث أنك كنت تجد مقرئ القرآن في القرية يحافظ على هيئة خاصة في ملابسه وسلوكه داخل المجتمع ، فهو يعقو عن لحيته حتى تطول ، وهو يلتزم لباس عمامة وجلباب ، وبرنس . وهلم جرا من هذه الاجزاء الاخرى التي تشكل الزى التقليدي الذي لايزال معظم الجزائريين يحتفظون به ، ويحرصون عليه .

ما يقدم في التلفزة . ودور السينما ، وما يكتب في الصحف والكتب والمجلات . ينضاف الى كل ذلك المرافق الحضارية المستوردة من الغرب .

3 - هجرة الجزائريين الى اوروبا ، من أجل العمل وامتزاجهم هناك بالعمال الغربيين . وخصوصا في فرنسا .

4 - وجود جالية فرنسية هنا لدينا ، بالإضافة الى المتعاونين الذين لم يبرحوا . يملأون الشوارع والرحاب ، والارض والسماء .

حقا ، ان العاملين الاخيرين كانا نتيجة حتمية للوجود الاستعماري الذي ابتلى به الشعب الجزائري مرغما . ولكنه لا أحد يزعم ان الجزائر لن تستطيع أن تتخلص من ذلك في وقت محدد . فمشاريح التصنيع التي تقام اليوم - ان صاحبها الاخلاص في العمل والتفاني فيه - والتي ستقام مستقبلا أيضا ، من اهدافها ادماج كثير من عمالنا المهاجرين في اوروبا ، في وطننا من جديد . كما ان تعميم التعليم لدينا ، سينتج عنه حتما التخلص من المدرسين الاجانب .

ومن المظاهر الدينية التي كان لها اثر مباشر في حفظ الشخصية الوطنية من المسخ والفرنسة :

I - الاعياد الدينية التي كانت تقام حسب الطقوس المعروفة بدون تغيير . وخصوصا في البوادي التي كانت تتغير تغيرا كاملا في ايام الاعياد . نظرا لوجود السكان الجزائريين المسلمين وحدهم . أما في المدن ، فكان وجود الاوروبيين ينقص صفو هذه الاعياد ، ويقلل من بهائها وجلالها . فمناسبات الاعياد الدينية من عيدي فطر ونحر ، الى عاشوراء

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

فقد نشأ اذن عن مدارس العلم ، والاحتفال بالاعیاد الدينية ، هذا المظهر الذى بالرغم من انه شكلى فى حقيقته ، فان قيمته فى حفظ الشخصية الوطنية عظيمة جدا . لان الجزائريين فى معظمهم ، ظلوا فى ملابسهم وسلوكهم وحياتهم الاجتماعية ، مستقلين بشخصيتهم ، محافظين على كيانهم . وكان الدين الاسلامى أحد العوامل الرئيسية التى أوحى اليهم بذلك ، بل دفعتهم اليه دفعا قويا ، وشجعتهم على التعلق الشديد بالشخصية الوطنية الاصلية . فما اعظم فضل هذا الدين على هذه الامة الكريمة العزیزة ، أنقلها من ضلالها فى القديم ، ووحدها

صفوفها ، وحافظ على كيانهما اثناء النكبات المذلحة والخطوب السوداء ، عبر التاريخ الطويل . ثم كان لها بمثابة الركن الشديد الذى كانت تستند اليه حين ثورتها الكبرى : فكانت تنشد فيه الهامها وسعادتها وحياتها ، فالمقاوم مجاهد ، والذى يخر صريعا فى المعركة شهيد . وهذا المثال وحده كاف لأن يجعل من عنصر الدين الاسلامى ، العنصر الاهم الذى حفظ الشخصية الجزائرية من المسخ والتشويه ، وهىأ لها سبيل الحرية التى تنعم بها الآن فى ظل السيادة السياسية .

عبد الملك مرتاض - جامعة وهران



التعليم الاصلى فى الجزائر

خلال
العشر
سنوات
من استرجاع
الاستقلال

ان الجزائر عبر القرون التالية للفتح الاسلامى حافظت على الثقافة العربية الاسلامية بصلابة ليس لها مثيل ، واغنت التراث العربى بكثير من الشروح والتعليقات ، والمؤلفات الهامة ، وانتفعت بالتيارات الثقافية العربية التى قدمت اليها من الاندلس والاقطار العربية الاخرى .

وقد كثر فيها الجامعات ، والمعاهد ، المشهورة التى درس فيها اعلام من اوروبا والتى تحطمت كلها فيما بعد ، خاصة اثناء الغزو الصليبي الاسبانى

وفى عصور الانحطاط تلتها الزوايا و الرباطات التى ادت الى ثورات ثقافية قدر لها ان تستمر ردحا من الزمن ، وقد اشتهرت بعض هذه الرباطات باسماء اصحابها ، واصبحت مركزا للادب ، والامامة ، والارشاد .

أحمد درار

يحق لها أن تستعيد مجدها الثقافي الاصيل، وتخلص من التبعية الفكرية البعيدة عن الواقع الجزائري . كما يحق لها أن تسهم في بعث التراث الاسلامي وترفع في ميدان البحوث مشعلها المجدد . وليس من حقل طبيعي لتحقيق هذا الهدف سوى مؤسسات التعليم الاصيل التي تبنت هذا النوع من التعليم ، وعملت على تطويره بما له من أهداف قريبة وبعيدة، ترمى من ورائها الى الرفع من مستوى الفرد الجزائري روحيا وخلقيا ، وجعله عضوا نافعا بناء ، تكاملت فيه شروط المعرفة والاخلاق ، وتفاعلت فيه مثالية الروح وتفتح العقل .

وضعه بعد استرجاع الاستقلال

منذ انشاء تكميليات وثانويات التعليم الاصيل غداة الاستقلال ، وقد كانت تسمى الى سنة 1390 هـ - 1970 م بالمعاهد الاسلامية للتعليم الديني ، وهذا التعليم يعمل كخلية حية صادقة للنماء ، الا انه في مراحل الاولى كان يسير ببطء ، بالنظر الى ضحالة الامكانيات وكثرة المتطلبات ، وظل فترة الطفولة يعيش على الامكانيات الخاصة الضعيفة للوزارة من جهة ، والتشجيع الشعبي من جهة أخرى بيد ان انتفاضة 19 جوان 1965 م وضعت حدا لهذا الوضع الشاذ ، وأوجدت حلا حاسما للزمة التي كان يعيش فيها هذا التعليم ، الذي بذلك أعطى النفس الحقيقي ضمن المخططين الثلاثي والرباعي ، وأصبح قائم الذات كمنظاره من المؤسسات العامة ، بفضل ما أولته السلطة الثورية من رعاية وتشجيع ، فخصصت لمؤسساته اعتمادات ضمن ميزانية الدولة ، وصدرت بشأنه

ويقول «بولارد» المؤرخ الفرنسي في كتابه «التعليم في الجزائر» (كان في الجزائر في القرن الرابع عشر وما بعده مراكز ثقافية باهرة ، وكان فيها اساتذة متمكنون في علوم الفلسفة ، والفقه ، والادب والطب ، والنحو ، والفلك ، وكانت المدارس منتشرة في ربوع البلاد ، والتعليم فيها ديني ومدني) .

وحتى في المدة الطويلة من أيام الاستعمار التي ابتليت بها ، ورغم الضغط والتنكيل برجال العلم، ورغم المصادرة والابادة والعمل على محو كل أثر يجعل من الفرد الجزائري يشعر بمقوماته ودينه ، اذ أغلق المستعمر المدارس ، واغتصب أوقافها ، ومنع التعليم العربي ، وعاقب بالسجن والتشريد من يمارسه أو يطالب به ، حتى خبت منارات الاشعاع الثقافي ، فقد ظلت الجزائر تبعت بأبنائها لكل مكان تأنس فيه علماء طلبا للعلم واستزادة من المعرفة ، وبفضل الارادة الشعبية ووفاء هؤلاء الابناء البررة استطاعت الجزائر أن تحافظ بكل صلابة على دينها ولغتها ، رغم الحديد والنار ، وبطش المستعمر وجبروته ، ودهائه ومكره ، وتجنيد كل الطاقات لتشويه ماضيها التليد ، وطمس معالمه ، والعمل على فصله عنها ، وفصلها عنه .

وهكذا كانت الجامعات والمعاهد في الاول ، ثم المساجد والرباطات (الزوايا) ، ثم المدارس الشعبية الحرة في المرحلة الأخيرة ، مراكز اشعاع للثقافة العربية الاسلامية ، وقلاعا حصينة للحفاظ على الشخصية الجزائرية الاصيلية .

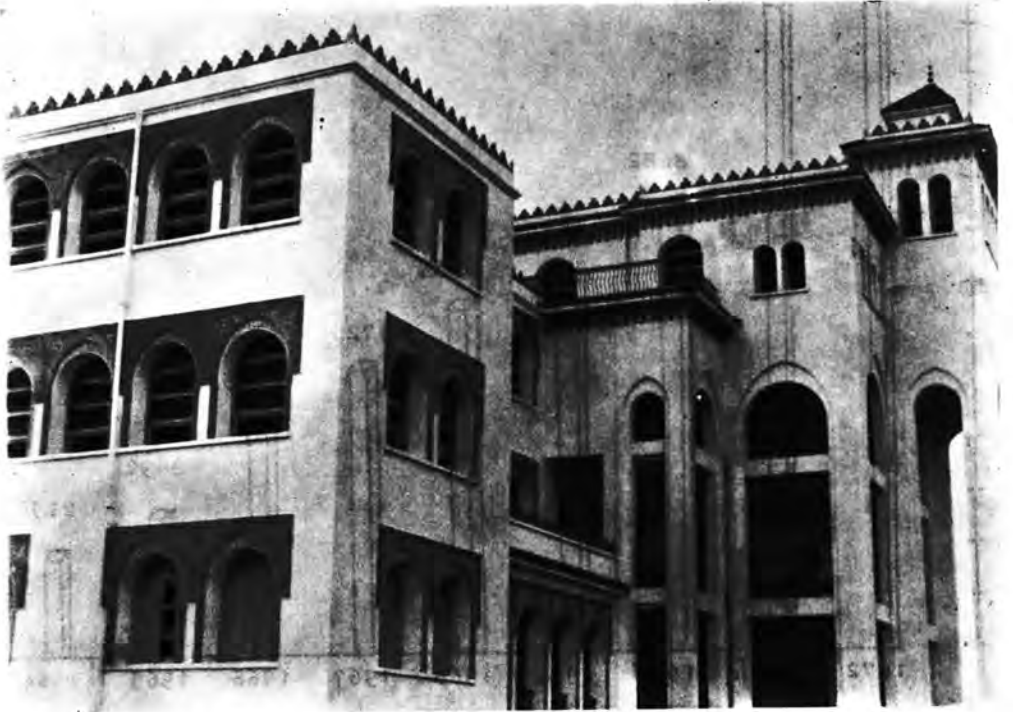
واليوم وقد استعادت الجزائر حريتها واستقلالها

التعليم الاصل في الجزائر

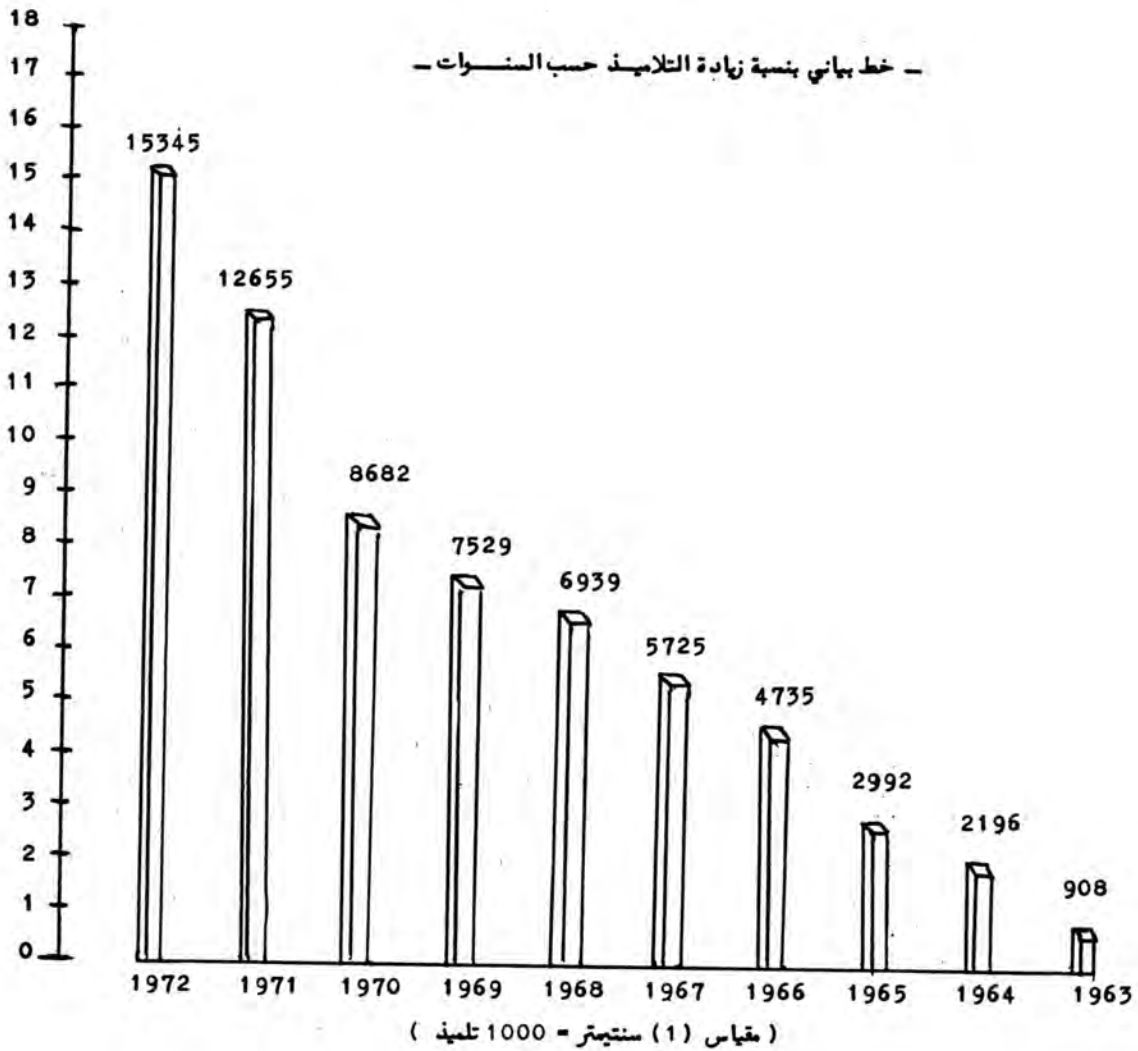
لقد تهيأت هذه المؤسسات منذ عام 1965 م لتخريج الفوج الاول من الطلبة المحصلين على شهادة الاهلية ، ثم أخذ عدد المتخرجين يزداد كل سنة باطراد الى أن أكمل بشهادة البكالوريا في عام 1971/70 م ، حيث نجحت مجموعة من الطلبة كباكورة أولى لتلك الجهود ، أرسل منها عدد الى فرنسا وبلجيكا للتعليم والدراسة بناء على طلب من سفارتنا في بلجيكا ، وودادية الجزائريين في أوروبا والمركز الثقافي الاسلامي الدولي في بروكسيل ،

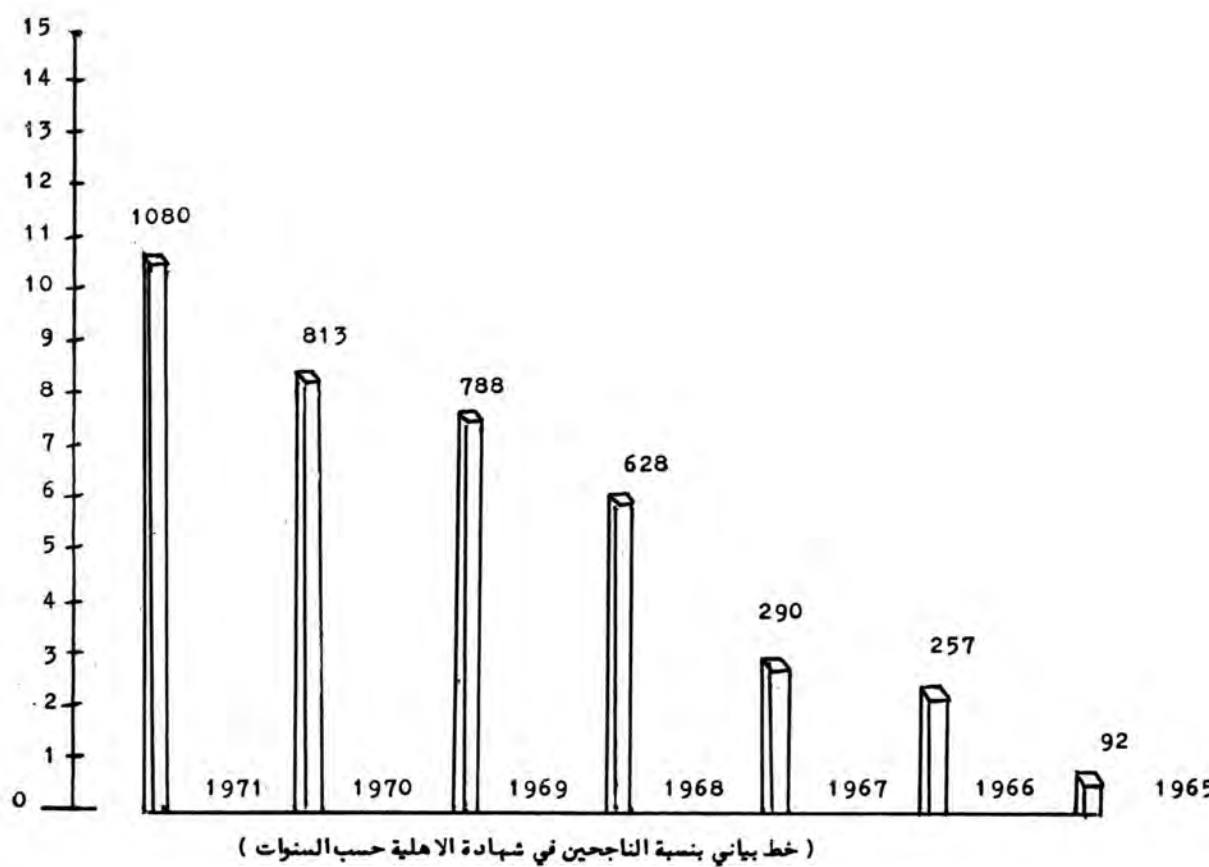
المراسيم الرئاسية للاعتراف بشهاداته ، وتوسيع نطاقه .

لقد كان عدد المؤسسات المخصصة للتعليم الاصل في السنوات الاولى من استرجاع الاستقلال سبعا ، ثم تدرج تبعا للاقتبال عليه من طرف الشعب فبلغت تكميلياته واحدة وعشرين ، تضم من التلاميذ الذكور (12478) ومن الاناث (2867) المجموع (15345) ، وفي سنة 1393/92 هـ - 1973 م سيكون عددهم حوالي العشرين ألفا .



منظر جانبي لثانوية التعليم الاصل بمدينة معسكر





والآخر التحق بالجامعات الجزائرية ، أو بالوظيف
سواء في الادارة أو التعليم لدى وزارة التعليم
الابتدائي والثانوي ، حيث يوجد لديها حاليا نحو
ثلاثة آلاف معلم ومعلمة في المدارس ، ونحو الالف
أيضا في المعاهد التكنولوجية لتكوين المعلمين .

الطلبة الوافدون من مختلف البلدان الاسلامية:

ان مؤسسات التعليم الاصلية عملت على أن تكون أبوابها
مفتوحة للجميع طبقا للمبدأ والهدف من تأسيسها ،
ومنذ الانطلاقة الاولى غداة استرجاع الاستقلال
الوطني ، ومنذ أن ذاع عن هذه المؤسسات انها تعنى
بالتثقيف الديني والدنيوي، أخذت أفواج من الطلبة
الافارقة وغيرهم تؤمها ، وهي الان تحتضن عددا من
البلدان الاسلامية أو التي بها جالية اسلامية مثل :
السنغال ، فولتا العليا ، غينيا ، ساحل العاج ، الكونغو
موريطانيا ، غينيا (بيساو) ، السودان ، سيراليون ،
غامبيا ، أرتيريا ، تانزانيا ، نيجيريا ، النيجر ،
مالى ، الصومال ، تشاد ، تايلاندة ، وهم يحظون
بالنظام الداخلي ، وبمنحة دراسية من طرف الوزارة
تضمن كل الالتزامات الدراسية .

وقد تحصل الفوج الاول من هؤلاء على شهادة
الاهلية للتعليم الاصلى وهم الآن يتابعون المرحلة
الثانية من التعليم الثانوى .

وضعية المباني الخاصة بالتعليم الاصلى :

ان وضعية مباني التعليم الاصلى فى مستهل
حياتها كانت مهلهلة ، ينقصها الكثير من المرافق
الضرورية للتدريس ، غير انها بمرور الايام لمستها
يد الاصلاح فأعيد جل مبانيها ، وحول بعضها الى
بنايات حديثة كتكميليات وثانويات جديدة من
الاساس ، وبني العدد الاكبر منها أخيرا مما سمح

ذلك أن التعليم الاصلى أصبح له منهج دراسى
كامل ، مستمد من أحدث الطرق التربوية المعمول
بها حاليا لدى الدول الشقيقة والصديقة ، روعى
فى اعداده مبدأ الأصالة والافتح ، حيث أن برنامجه
- أى المحتوى - هو نفس برنامج وزارة التعليم
الابتدائي والثانوى من حيث المواد الحديثة واللغتين
الاجنبيتين الاجباريتين ، مع التوسع فى
الادب العربى ، والتاريخ الوطنى ، والاسلامى عامة
وبرنامج اضافى يتمثل فى تعمق أكبر فى علوم
اللغة العربية ، وزيادة العلوم الشرعية من تفسير ،
وحدیث ، وفرائض ، وأصول ، وكلام ، والفلسفة
الاسلامية ، وتاريخ الفلسفة المقارن ، وتاريخ
الاديان المقارن ، والاتجاهات السياسية ، والفكرية
والاقتصادية المعاصرة .

وبذلك يكون المتخرج من هذه المؤسسات
مكتمل الشخصية ، متوفرة لديه كافة الامكانيات
الثقافية التى تفتح له آفاق المستقبل ، وتمكنه من



ثانوية التعليم الاصلى بقسنطينة



منظر جانبى
لثانوية التعليم الاصلى
بقسنطينة

باحتراف اكبر عدد ممكن من التلاميذ وفق مراحل
مدرسية .

الثانويات الجديدة :

وهكذا بالاضافة الى العدد المشار اليه آنفا ، فقد
تم بناء ثانويات جديدة طبقا للتصميم العصري ،
مجهزة بالمخابر ، وقاعات العرض ، مشتملة على
النظام الداخلى .

وهذه الثانويات ستشروع فى العمل فى العام
الدراسى 1973/72 م فى كل من :

- قسنطينة
- وهران
- تيزى وزو
- سطيف
- بجاية
- معسكر

هذا وفى السنة التى تليها 1974/73 ستفتتح
ثانويات فى كل من :

- بسكرة
- تيارت
- سعيدة
- آدرار

وستخصص المؤسسة الحالية بأدرار لاستقبال
من فاتته السن الدراسى من حفظة القرآن الكريم من
الجزائريين بصفة خاصة ، لتكوين الاطارات الدينية
من جهة ، وللوافدين الافارقة الذين لا تسمح لهم
سنتهم بمتابعة الدراسة النظامية فى الثانويات
الاخرى من جهة ثانية .

مؤسسات بصدد البناء :

وهناك مؤسسات جديدة أخرى بصدد البناء وهي :

- ثانوية الذكور بتلمسان

على أن تخصص المؤسسة الحالية (دار الحديث) للبنات . والعمل الآن جار بها لتحسينها . والقسم الداخلي بها على وشك الانجاز .

- ثانوية العاصمة للذكور

على أن تخصص المؤسسة الحالية للبنات بعد أن تحور وتوسع ، وينشأ بها القسم الداخلي .

- ثانوية آقبو للبنات

وقد تقرر انشاء ثانوية داخلية للبنات بالمدينة ، وبذلك ستكون لنا أربع ثانويات داخلية مخصصة للبنات .

- ثانوية الاصنام

- ثانوية تمراس

- تكميلية ندرومة

- تكميلية المسيلة

- تكميلية قنرات

- تكميلية البيض

- تكميلية المشيرة

وعلى ضوء كل هذه الانجازات خلال عشر سنوات من استرجاع الاستقلال نرى أن التعليم الاصلى قد خطا خطوات عملاقة فى طريق البناء ، ويعمل فى نفس الوقت على مواكبة الركب الحضارى بمعطيات العصر ، ليكون مهدا آمينا للحفاظ على الشخصية الجزائرية. وينبوعا غزير المدد يضمن للشباب حفاظه

على أصالته ، وارتباطه بماضيه ، وحظه الوفير الزاهر فى مستقبله .

التعليم الاصلى العالي

ان انبثاق كلية للشريعة والقانون المقارن، وأخرى فى أصول الدين وتاريخ الاديان المقارن، وثالثة فى اللغة العربية وآدابها وبعض اللغات القديمة، فى كل من قسنطينة، والعاصمة، ووهران، كنواة لجامعة اسلامية شاملة فى المستقبل القريب، تضم جميع الكليات الاخرى كالطب ، والصيدلة ، والاقتصاد ، والزراعة ، والهندسة ، والعلوم الانسانية الخ ، سوف تثرى الوطن بعناصر واعية ، مشبعة بالروح الثقافية الدينية متفهمة لاسرار الاسلام الى جانب العلوم العصرية ، وهى مرحلة طبيعية يرتقى اليها ويتوج بها التعليم الاصلى بعد التكميلى والثانوى ، كنتيجة حتمية وملحة ، على غرار جامعة الازهر بالقاهرة ، التى تضم مختلف الكليات الموجودة فى أغلب الجامعات الاخرى ، مع اضافة الطابع الدينى الذى يجعلها مميزة بمرونة خريجها ، واتساع افقهم وتشبعهم بالروح الدينية والاخلاق الفاضلة ، مما يزيد من كفاءتهم وقدرتهم على ممارسة الاختصاصات وتحمل المسؤوليات .

ان وجود مثل هذه الجامعة فى الجزائر المسلمة ، ليس وليد فكرة اعتباطية ، بل هى حقيقة فرضتها حقائق المبادئ، التى ندين بها ، والاهداف العليا للوطن .

كما ان لها من اصالة الشعب عبر التاريخ اكثر من سبب ، فلا غرو أن يعمل التعليم الاصلى على

التعليم الاصل في الجزائر

ان الاهتمام بالقطاع الدينى فى البلاد الشيوعية لا يقتصر على يوغوسلافيا وبولونيا ، فجمهورية ألمانيا الديمقراطية هى الاخرى تعنى بهذا القطاع اذ يتمتع التعليم اللاهوتى لديها بالموارد التالية :

1 - الاوقاف

2 - ضريبة الكنيسة ، التى يدفعها كل موظف وكل عامل ، والتى تؤخذ رأسا من المورد .

3 - اعتمادات مخصصة من الدولة .

واذا كان هذا فى بلاد شيوعية ، فماذا نقول نحن عن بلادنا التى دينها الرسمى الاسلام ، وحافظت على نفسها بالاسلام طيلة محاولات المسخ ، والتشويه والادماج ، وكافحت واسترجعت استقلالها بالاسلام؟ ان الاختصار على ثمره التعليم الاصلى بمرحلتيه التكميلية والثانوية سيبقى عملا ناقصا ، ان لم يعزز بالتعليم الاصلى العالى ، الذى لا منطلق له الا من رحاب جامعة اسلامية ، تتلام ومتطلبات العصر الحديث ، وتستجيب لحاجيات البلاد الى ذوى الخبرة والاختدار ، فى ميدان الدعوة والتوجيه ، ونشر التعاليم بما تدعو له من اخلاق وفضيلة ، ومثل اسلامية عليا ، تساعد على خلق جيل متكامل ومجتمع فاضل .

النشاطات المدرسية :

ان هذه المؤسسات على الرغم من حداثة سنها ، استطاعت أن تنجب فرقا عديدة فى مختلف النشاطات المدرسية ، وتسهم بقدر جليل فى ميدان الفنون والآداب والتوجيه ، والتربية .

انبعاثها وتجسيدها ، لا من باب الاقتداء فحسب ، بل لانثراء الافكار والعقول ، وعن اقتناع بأن وجود جامعة اسلامية بالجزائر ، هو بمثابة الروح للجسم والسماد للتربة ، اذا أردنا أن نوفر لكل منها القوة والمناعة ، والخصب والنماء .

وبذلك نسترجع أيضا ما كان لنا فى ماضينا المجيد من جامعات مشهورة ومعاهد زاهرة ساهمت فى اثراء التراث الاسلامى وفى الحضارة العالمية ، فى قسنطينة - وقلعة بنى حماد - ومسيلة - وبجاية - والجزائر - ومازونة - وتيهرت (تيارت) - ووهران وتلمسان - وندرمه - وطبنة - وبسكرة - وورقلة وغيرها .

ان مثل هذه المؤسسات الجامعة بين الدين والدنيا يوجد اليوم حتى فى أوروبا الشرقية ، فضلا عن الغربية ، (فى بلجيكا وفرنسا مثلا) وليس فى الشرق العربى فحسب ، كما يبدو ، وكمثل على ذلك ما جاء أخيرا فى المجلة الاسبوعية المسماة (الاخبار الكاثوليكية الدولية) التى تصدر فى باريس ، فقد جاءت فيها رسالة من طالب فى كلية من كليات اللاهوت (أصول الدين والعلوم الدينية) فى يوغوسلافيا ينتقد فيها المجلة المذكورة لانها كتبت (أن فى يوغوسلافيا كلية واحدة للعلوم الدينية ، والحقيقة أن فيها أربع كليات للاهوت من هذا النوع فى مدن مختلفة من البلاد) .

وقد عقب المجلة المذكورة على رسالة القارىء اليوغوسلافى بأنها اذ تعتذر عن خطئها ، تهنىء نفسها بهذه المعلومات السارة المشجعة ، وتشكر القارىء على تزويدها بها .

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

نشاط ثقافى ، طبقا لما نادت به السلطة الثورية فى بلادنا ، كهدف يجب تحقيقه .

وهكذا فقد كان للدروس والمحاضرات التى أقيمت فى المساجد والاندية ، والمساهمة الفعالة فى حملة محو الامية ، والمواضيع الاخرى المقترنة بالمناسبات الدينية والوطنية ، عامل ايجابى فى الدلالة على الدور الذى تلعبه هذه اللجان فى معركة التعريب والتوعية .

كما ان الفرق الاخرى لا تقل شأنا فى ولوعها بما تقدمه من انتاج وفق اختصاصاتها ، ففرق الموسيقى والشعر عملت على تقديم أناشيد وطنية ودينية ، ومقطوعات شعرية فى شتى الاغراض بحسب المناسبات ، وفى مجلاتها الداخلية والتى تتبادلها فيما بينها وترسل منها الى الوزارة .

وكذلك بالنسبة للتمثيل والمسرح ، فان فرقها قدمت مسرحيات تاريخية ، واجتماعية ، تعالج عدة قضايا ، عرض بعضها فى التلفزة الوطنية ، وبعضها فى الاحتفالات المدرسية وغيرها ، وأحرزت على اعجاب الملاحظين ، وحازت قصب السبق فى ميدان المسابقات بين الثانويات على مستوى الولايات .

أما فى ميدان الرسم والنحت ، والفنون الجميلة ، فقد أظهرت هذه الفرق امكانيات مبدعة ، بما قدمته من لوحات زاخرة بالحياة تتم عن مواهب كامنة . ويصح القول فيها انها محاولات ناجحة تدل على ولوع أصيل وجهد وعرق أيضا ، اذ أن العبقرية ، كما يقول الالمان ، تتكون من عنصرين

ان كل مؤسسة لديها نخبة من الاساتذة من ذوى الاختصاص تشرف على رعاية الفرق المختارة من مجموع الطلبة وفق الميول والرغبات تحت اشراف إدارة المؤسسة .

وهذه الفرق هي : الخطابة - المحاضرات - التوجيه والارشاد - الشعر - التمثيل والمسرح - الرسم والنحت - الخياطة والتطريز - الصحافة والنشر - الرياضة البدنية بالوانها .

وقد عكفت هذه الفرق على ممارسة اختصاصاتها وفق جدول زمنى ، محدد لا يضر بسير الدراسة ، ولا يضغط على ساعات المراجعة ، وتمخضت هذه الجهود عن بواكير فنية صادقة ، وكشفت عن طاقات لا تخلو من ابداع ، فى عدة مجالات منها :

فرق الثقافة التى تعنى بشؤون الخطابة والمحاضرات ، والتدرب على الكتابة فى شتى المواضيع الادبية ، وقد تمكنت من ابراز خامات دسمة ، وأقلام غزيرة ، استطاعت أن تقدم انتاجا حسنا صالحا للنشر ، وقد يتسع المجال فى هذه المجلة لتخصيص ركن لنماذج من هذا الانتاج .

أما فرق التوجيه ، والتربية ، والارشاد ، فانها تعمل على تنمية الجانب الروحى ، بحكم ايمانها برسالة التعليم الاصلى ودوره الكبير فى معركة التعريب ، والعودة بالامة الى الاصل الذى هو أساس شخصيتها ، والدعامة المتينة لمقوماتها ، وللتخلص من العادات النابية عن تقاليدنا ، فان هذه اللجان قامت ومازالت تقوم بحملة توعية شاملة ، انطلاقا من المسجد الى كل مكان يقام فيه

التعليم الاصل في الجزائر

عودها ، بما يؤهلها لاعتقاد المكانة اللائقة بها في المستقبل حسب اختصاصها .

الخاتمة

ان التعليم الاصل بمؤسساته العاملة ، وانبعثت جامعة اسلامية منبثقة عنه في القريب ، سيوفر ولاشك حاجياته من الاساتذة ، وتطعيم المجالات التربوية الاخرى بذوى الاختصاص منهم ، ويهيئ عناصر صالحة في كثير من القطاعات .

ومن ناحية اخرى لا يخفى على الاذهان ما تتعرض له اليوم من تيارات دخيلة بعيدة عن طبيعتنا ، ومن غزو فكرى يهدف الى ابقاء السيطرة الاجنبية والنفوذ الاستعماري . ونحن الآن بحاجة ملحة الى دعاة مرشدين اسلاميين واعين بما يحيط بهم ، ومتفتحين على العالم دون تهيب او انحراف .

ان الجزائر التي كافحت بصمود ، وكانت قدوة حسنة في كفاحها الوطني بالنسبة لشعوب افريقيا تشعر اليوم بأن عليها واجبا اكبر وابعد شأواً في ان تظل تلك القدوة الرائدة في طريق المثل العليا والاخلاق السامية لبعث جيل واع يقظ .

من اجل هذا وغيره من الاهداف المتعددة ، كان العزم معقودا على النهوض بهذه المؤسسات وجعلها في مستوى نموذجي يسمح باتاحة المنطلق الطبيعي كي تثمر بالنتيجة المرجوة منها في اقرب وقت وايسر سبيل .

انين : واحد في المائة موهبة ، وتسعة وتسعين في المائة جهد وعرق !

ان هذه اللوحات تمثل صور الشخصيات العلمية والسياسية والوطنية عبر التاريخ ، ومواقف تاريخية كما قامت برسم خرائط جغرافية مختلفة ، عالمية ، اقليمية وغيرها في شتى الاغراض ، ولم تهمل هذه الفرق جانب التصوير المجسم ، والنحت ، بالاضافة الى رسم اجمل المعالم والمناظر الطبيعية في البلاد ، على اختلافها ، واشكال التطريز الهندسي البديع ، وسنخصص قريبا معرضا لهذه الباكورات . اما فرق الرياضة البدنية ، فقد كان لها حظ وفير من العناية والاهتمام ، لما لها من اثر بالغ في الابدان والنفوس ، وهي تمارس مختلف الالعاب الرياضية ، ككرة القدم ، وكرة السلة ، وكرة اليد والكرة الطائرة ، والالعاب القوى . وقد زودت بالمعدات العصرية اللازمة لمثل هذا النشاط .

شاركت هذه الفرق في مباريات رياضية ، ففاز بعضها في سباق العدو الذي اقيم على المستوى المدرسي داخل التراب الوطني ، كما فاز بعضها الآخر في كرة القدم على نفس المستوى في جهات اخرى .

ان هذه البراعم والبواكر سواء في الرياضة ، او الفن ، في الادب ، او في التوعية ، ستنمو ويشهد

الخمير

الخمير شربة رجس أم ارجاس
الخمير محنة سوء من اصاب بها
الخمير فاس خراب هدمت أسرا
يا شارب الخمير ما ترجوه من درن
ما الخمير إلا ظلام للنفوس فلا
على الفؤاد بها النيران موقدة
وكيف تطفئ نبراساً حباك به
فحطم الكأس واهجر كل رفقتها

الخمير صاعقة تهوي على الراس
أصيب في كل وعي منه حساس
مصونة عاث فيها صاحب الفاس
للعرض غول عقول لص أكياس
يغررك منها شعاع لاح في الكاس
وفي الدماغ لها دقات أجراس
رب البرايا وتبقى دون نبراس
تعش سعيدا وتأمّن ألسن الناس

السلك الديني في الجزائر فلال العشر سنوات

واجبات

وحقوق

دور المسجد والامام في الاسلام عامة

كان الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامام الاعظم لهذه الامة والمؤمنين في كل نواحي الحياة الدينية والدينية، فهو امامهم في المحراب، وقائدهم في المعارك، ومعلمهم في المسجد، ومربيهم ومرشدهم في حلهم وترحالهم، وعندما انتشر نور الدعوة الاسلامية، وعم الافاق، وكثر عدد المعتنقين للدين الجديد من مختلف المناطق والشعوب، واحتاجوا الى من يفقههم في الدين كلف الرسول صلى الله عليه وسلم بعضا من صحابته للقيام بهذا الدور الجليل، دور الامامة لاولئك المسلمين الجدد، من ذلك ارساله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، الى اليمنيين، ليعلمهم دينهم، ويبين لهم الاحكام، ويؤمهم في الصلاة، كما ارسل قبل الهجرة الى المدينة مصعب بن عمير رضي الله عنه ليؤم المسلمين من اهلها في صلواتهم، ويعلمهم شريعة الدين وشعائره، وكان لهذا الامام الاثر البين في نشر تعاليم الاسلام في ربوع المدينة واجتذاب اهلها اليه، اذ استطاع هذا الصحابي الجليل الذي اتخذ من دار اسعد بن زرارته مسجدا باسلوب الداعي، الواعي لمهمته ومنهج المرشد اليقظ ان يؤدي رسالته على الوجه الاكمل.

محمد الصغير بلعالم

وكما كان الرسول (ص) هو الامام الاعظم لامة كان كذلك الخلفاء الراشدون من بعده ، ثم من بعدهم من الخلفاء طوال العهود الاسلامية الزاهرة ، وفي هذا يقول الامام ابن تيمية : (وقد كان من السنة ان الذى يصلى بالمسلمين الجمعة والجماعة ويخطب بهم هم امراء الحرب ، الذين هم نواب ذى السلطان على الجند ، ولذا لما قدم النبى (ص) ابا بكر فى الصلاة قدمه المسلمون فى اماراة الحرب وغيرها ، وكان النبى (ص) اذا بعث اميرا على حرب كان هم الذى يؤمره للصلاة وكذلك اذا استعمل نائبا على المدينة » .

وكان الخليفة او الامير يكلف بامامة الناس من يرى فيهم الصلاح والكفاءة والمقدرة على القيادة ، اذ ما الامام الا قائد للمجتمع الذى يعيش فيه ، كما كان هناك المتطوعون لاداء هذه المهمة الجليلة بدافع من ايمانهم وعقيدتهم .

ولقد انتشر هؤلاء واولئك فى كل البقاع الاسلامية واستطاعوا بما اوتوا من الايمان ان ينشروا تعاليم الاسلام بين ابناء كثير من الشعوب التى تختلف لغة وحضارة وتقاليد ، ولكن الاسلام جمعها كلها وصهرها فى بوتقته ، وجعل منها جميعها خير امة اخرجت للناس ، ومنذ ان بدأت الخلافة الاسلامية تتخذ لونا جديدا فى الحكم ، وتبتعد شيئا فشيئا عن المنهاج الاسلامى الصحيح فى الخلافة ، بدا دور الخلفاء الدينى يضعف وتقل اهميته ليترك مجالا لدور الائمة العلماء الذين انتدبوا انفسهم لتعليم الناس ونشر المبادئ والمثل الاسلامية فى كل مجالات الحياة المادية منها والروحية ، فبدأ الائمة الاعلام امثال مالك ، وابن حنيفة ، والاوزاعى ، وسعيد بن المسيب ، والحسن البصرى ، والبخارى ، ومسلم ، والشافعى ، واحمد بن حنبل ، وسفيان الثورى ، الى

آخر تلك السلسلة الذهبية فى تاريخ الاسلام والمسلمين يقومون بهذا الواجب .

لقد قام الامام طوال العصور الاسلامية بالدور الايجابى الفعال ، وكان تأثيره الروحى والنفسى على المسلمين اكثر من اى كان ، كما كانت له قوته الذاتية وقوته الخارجية المنبعثة من صدق دعوته فى قلوب مأموميه ، كما كان محل الثقة والتقدير فى مختلف فئات المجتمع الذى كان يعتبر الامام مرجعا له فى كل ما يتصل بشؤون حياته .

واذا تكلمنا عن الامام ، والامامة فلا بد من ان نتكلم عن المسجد الذى كان مهد الحضارة الاسلامية فيه ترعرعت ونمت ، ومنه سطع نورها الذى اكتسح ظلمات الجهل والظلم والاسستبداد والاستعباد ، « لقد كان المسجد فى الاسلام وخاصة فى عهوده الزاهرة هو كل شيء ، حيث كان مقرا للعبادة ، ومكانا للاجتماعات والشورى ، ومجلسا للحكم ، ومجلسا للحرب ، ودارا للقضاء ، ومعهدا لتعليم كل من الكبار والصغار ، وجامعة تخرج منها كبار العلماء والفلاسفة الذين سطوروا مجد الحضارة العالمية الحديثة .

- وذلك ان الاسلام عبادات ومعاملات ، ودين ودولة ، ونظام واحكام ، وحضارة وحياة . »

- ولم يكن المجتمع الاسلامى غافلا عن ذلك بل كان يرى ان حياته كلها مقترنة بالمسجد ان فقدته فقدما فهو فوق كل ما ذكرنا نقطة التقاء ابناء هذا المجتمع الاسلامى فى رحاب الله وفى ظلال العقيدة ، ولذا كان اول عمل قام به الرسول (ص) بعد الهجرة الى المدينة هو بناء المسجد النبوى الذى اصبح مركز الدائرة للمجتمع الجديد الذى صدرت عنه ورجعت اليه كل توجيهات المجتمع المسلم الناشئة .

ولقد اتبع المسلمون بعد الرسول (ص) هذه السنة

كانت هي المراكز التي انطلق منها مجاهدونا طوال تاريخنا الحافل بالصراع وبالمعارك الطاحنة ضد الغزوات الصليبية التي كانت شواطئنا مسرحا لها ومنذ ألف سنة كان الامام ابو مروان البونى اماما في المسجد ، وقائدا للمعارك التي تدور رحاها على شواطئ عناية (بونة) بل ان هذا الامام المجاهد ، حرصا منه على ان يكون في اتون المعارك ولا يقودها من الخلف اتخذ مسجده رباطا وثكنة على البحر حتى يكون على بيعة من كل شيء . وعندما تعرضت بلادنا للغزو الفرنسي في سنة ١٨٣٠ انتدبت له صفوة من ابناء المساجد تقود جموع المواطنين للجهاد في سبيل الله ، وفي سبيل الدفاع عن كرامة هذا البلد ومقدساته ، وعلى رأس هؤلاء جميعا الامير عبد القادر الذي أعلن الجهاد في مسجد المبايعة بمدينة معسكر ، ثم من جاء بعده من المجاهدين أمثال السيدة فاطمة نسومر ، والشيخ الحداد واولاد سيدي الشيخ وغيرهم من ابطال هذا البلد المجاهد الذي ضرب أروع الامثلة في الفداء والتضحية والبطولة في سبيل الوطن والعقيدة .

دور الامام اثناء الاحتلال الفرنسي :

وعندما استتب الامر للمستعمر في بلادنا وتمكن من اخماد جذوة الكفاح الى حين ، ادرك هذه الحقيقة ، حقيقة المسجد وما يمثله بالنسبة للمسلمين فعمد الى الاستيلاء عليها جميعا ، ووضعها تحت تصرفه ليهدم منها عددا كثيرا ، ثم ليحول الباقي الى كنائس ، وهذا هو الاغلب ، ارضاء للحقد الصليبي الاسود على الاسلام والمسلمين ، وحول الباقي الى متاجر ومخازن ، ولم يترك الا القليل منها للمسلمين ، ليؤدوا فيها شعائرهم الدينية ، ثم عمد بعد ذلك الى مصادرة الاوقاف الاسلامية التي كانت تمول المؤسسات الدينية والتعليمية في البلاد

فكان أول عمل يقومون به بعد أي فتح هو تأسيس المسجد الذي هو المظهر الاساسي لشخصية الدولة الجديدة . ونجد ان عمر كان يأمر الولاة ببناء المساجد في كل بلد يفتحونه ، كتب بهذا الى ابي موسى الاشعري في البصرة ، والى سعد ابن ابي وقاص في الكوفة ، والى عمرو بن العاص في مصر ، والى اجناد الشام ان يتخذوا في كل مدينة مسجدا ، ومع اتساع رقعة الدولة تكاثرت المساجد حتى لم تبق قرية أو مدينة خالية منها ، ولقد قامت هذه المساجد بدورها احسن قيام ، ووفت بمتطلبات الامة وحاجياتها في الثقافة والعلم والقيادة والتوجيه بفضل جهود المخلصين من الائمة والدعاة .

ولم يقتصر دور المسجد على نشر نور العلم والعرفان والمحافظة على العقيدة ، بل كان للمسجد طوال التاريخ الاسلامي الدور الفعال لجمع كلمة المسلمين ، وتحقيق الوحدة والتضامن لمواجهة الاخطار التي تعرضت لها الامة الاسلامية في مسيرتها ، ففي هذه المساجد كانت تعقد الندوات لوضع الخطط الحربية ، بل كانت تتخذ معسكرات للتدريب الحربي الى جانب التدريب النفسي ، وكان الامام هو القائد الذي تلف حوله الجموع لقتزود منه بما يؤهلها للمقاومة ، وما يعيدها للاستبسال ، ويحفزها الى التضحية في سبيل الله . عندما يدعو داعي الجهاد ، ولعلنا نتذكر ونعلم جيدا ان جيوش الفتح الاسلامي كلها من عهد الرسول الى عهد الخلفاء الراشدين والدول الاسلامية التالية كانت تجهز في المساجد ومنها تنطلق الى ساحات القتال وكلمة الله اكبر تسبقها .

دور المسجد ولامام في الجزائر خلال التاريخ حتى الغزو الفرنسي :

ولقد كانت مساجدنا اصدق مثال على ذلك ، ان

بما تحتاج اليها لتقوم برسالتها ، وفى هذا المجال اصدر الجنرال كلوزيل غداة الاحتلال قرارا بتاريخ ١٢-٧-١٨٣٠ يقضى بالاستيلاء على أوقاف المسلمين فى الجزائر لفائدة المعمرين الاجانب الراغبين فى الاستيطان بالجزائر ، ولقد بلغت هذه الاوقاف قبل الاحتلال ٢٠٠٠٠٠٠ من الهكتارات من احسن الاراضى و ٢٠٠٠ عمارة .

ولاضعاف جهاز الدعوة وتضليل ابناء شعبنا عمد المستعمر الى توظيف عدد من عملائه فى المساجد واستندت هذه المهمة الجليلة الى هذه الجماعة التى لا تمت الى الدين بصلة فى اكثر الاحيان مكافاة لهم على خدمات ادوها له .

لقد كان هؤلاء الائمة فى عهد الاحتلال يلقون بالحرف الواحد نص الخطبة الذى كان يأتهم من اسبائهم امثال (القوفير نور جنرال) وكان هذا النص موجها بالدرجة الاولى الى قتل روح المقاومة وتخدير ابناء الشعب وتضليلهم ، بل لقد كان فى بعض الاحيان دعوة صريحة الى الاستسلام والرضوخ للامر الواقع .

تقول جريدة البصائر عن اختيار رجال الدين فى ذلك العهد البغيض « وأما رجال الدين عندنا فقد اختارتهم حكومة لائكية متسلطة وما اختارتهم الا بعد ان ارتضتهم بميزانها لا بميزان الاسلام ، وراعت فيهم شروطها لا شروط الاسلام ، وما رأيناها تحفل فى هذه الوظائف بالعلم ولا بالكفاءة الدينية ، وانما تحفل بشيء واحد هو ما يشهد به « الدوسي » ، وما عهدنا موظفا من هؤلاء جاءته الوظيفة وهو فى داره من غير ان يسعى لها سعيا ، بل ما وصلت الحكومة حبلهم بحبالها الا بعد ان اتخذوا لها الاسباب ، وطافوا بالابواب ، وما زلنا نقول : ان الحكومة تحتفظ بهذه الوظائف الدينية لاصحاب الخصائص



مسجد حسن باى فى قسنطينة ، نموذج للمساجد التى حولتها ارادة المستعمر الى كنائس ، واعيدت الى ما اسميت له بعد استرجاع الاستقلال



المدرسة الوطنية للطارات الدينية ببلدة مفتاح - الواجهة الامامية

السلك الدينى فى الجزائر

فعدم الكفاءة والمبالغة فى الخضوع والانقياد هى الشهادات الوحيدة التى يمكن لهم أن يعترفوا بها .

لقد رأينا مفتيا يستفتى الطيب العقبى فى موضوع صبياني ، حكم فيه علماء الدين أكثر من مائة مرة ، لكن هذا المفتى كان جاسوسا مخبرا للبوليس ، كما سمعنا أحد الموظفين الدينيين فى مؤتمر عام يظهر فكرة من الأفكار البالية التى يمجها الذوق ، حتى انفجر زملاؤه التونسيون والمغاربة ضحكا لم يستطيعوا له دفعا ، لكن هذا الموظف الدينى ممن لا يكادون يفارقون مكاتب البوليس ، ورأينا أحد الجزائريين لم تمكنه معلوماته القرآنية الثقافية من اتقاء اغلاط فى الحفظ والتجويد لاتصدر عن أقل المسلمين علما لكن هذا الحزاب كان عوننا مأجورا للانتخابات (٢) .

ويعلق الشيخ محمد البشير الإبراهيمي على هذه الشهادة فيقول « وباليته (بيرك) زاد فى التمثيل للوقائع الشخصية سرقة اكفان الموتى يوم كانت الاكفان «مقسطة» ! فقد سرق امام قماش الاكفان فلما تحققت التهمة رفعته الحكومة من منصب امام الى منصب مفت « (٣) ولم تقتصر سيطرة المستعمر على المساجد الحكومية بل لقد امتدت الى بعض الزوايا فسارت فى ركابه وعملت لحسابه كما قامت بعض الزوايا بنشر الشعوذة والخرافات بين ابناء الشعب لتجهيلهم واطفاء جذوة الحماس للدفاع عن تراثهم وترايبهم .

لهذا كله لم تكن المهمة التى قامت بها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية للاصلاح والنهوض برجال السلك الدينى سهلة أو ميسرة ، وسوف نرى فيما يلى بعض ما قامت به الوزارة فى هذا الميدان .

المطلوبة لها ، وانها فى حقيقتها مصاد لا وظائف ، وانها لا تدفع لهم الاجور على الصلاة والاذان ، فسواء عليها أصلى المسلمون أم لم يصلوا وانما تدفعها لغايات ومقاصد يجمعها قولك « القيـــد والصيد » ، ومحال على الحكومة أن تطعم ثمرها ، من يعصى أمرها وقد قرأنا فى محاضر المجلس المالى القديم اسماء عجيبه لاجور هذا النوع من الموظفين ، ليس تسليم الحكومة المساجد الى هؤلاء الموظفين تسليمها من الحكومة الى الحكومة ؟ وهل يستطيع واحد من هؤلاء ان يعصى لها امرا ولو كان فيه خراب الكعبة ؟ (١) .

واذا كان الائمة فى المساجد الحرة وفى بعض الزوايا التى لم يسيطر عليها الاستعمار قد قاموا بنشر تعاليم الدين الصحيحة وبهمة التوجيه والقيادة الفكرية بل والعسكرية للمواطنين وتعليم النشء القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة واللغة العربية وتاريخ الاسلام وحضارته ، فان ائمة المساجد التابعة للادارة فى عهد الاحتلال كانوا ابواقا للاستعمار وصنائعه وكانوا فى أغلب الاحيان يقومون بالجوسسة لحسابه ، وهذه حقيقة شهد بها المستعمر نفسه ، يقول « بيرك » ، أحد اقطاب ادارة الشؤون الاهلية فى عهد الاحتلال ، وهى الادارة التى كانت تقوم بتنصيب وعزل رجال الدين ، يقول فى مجلة « البحر المتوسط » جزء جويليت - اوت ١٩٥١ - ما ترجمته الحرفية : « ان خطانا الفاحش فى سياستنا الدينية منذ عشرين سنة ، هو اننا تساهلنا فى وجود موظفين دينيين فى المساجد يسيطر عليهم الجهل المركب والطمع وعدم التهذيب ولا حد لرغباتهم فى ان يحمدا بما لم يفعلوا » .

[1] صفحة 67 من كتاب عيون البصائر للشيخ محمد البشير الإبراهيمي .

(3) المرجع السابق صفحة 203 .

(2) عيون البصائر صفحة 202 -

المسجد والامام بعد استعادة الاستقلال :

لقد شهدت الجزائر بعد استعادة استقلالها نهضة دينية شاملة عمت مختلف أرجائه ساهم فيها المواطنون بمجهود كبير ومشكور فلم يبخلوا على هذا القطاع من النشاط الوطني بأى شىء يمكن ان يقدموه له ، فاقبعت البيوت التى اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فى الاماكن التى كانت محرومة منها من قبل بأموال وجهود المواطنين مع مشاركة رمزية فى كثير من الاحيان من الوزارة ، كما انشأت الوزارة بعضا من هذه المساجد من ميزانية الدولة ، نذكر منها مساجد : الايبار ، وسعيدة ، وعين الحمام ، وذراع الميزان ، وعين طاية ، وكركار ، وبلولى ، وقم الطوب ، وسريانة وتقلقال ، وسطيف ، وبرج بوعريريج ، وتندوف ، والامام مالك فى وهران ، وغيرها ، وهى الآن بصدد بناء مسجدين فى الجزائر العاصمة ، احدهما فى حي حيدرة ، والاخر فى حي محي الدين ، كما سيشرع قريبا فى بناء مسجد تامنراست الكبير وقبل ان ننهى الكلام عن هذه النقطة نشير الى ان تجهيز المساجد كلها من قرش ، وكهرباء ، وماء ، ومصاحف ، وكتب ، الخ تقوم به الوزارة فى اطار البند الخاص بهذا فى الميزانية العامة .

والشىء الذى يجب ان نذكره هنا هو ما قامت به اللجان الدينية التى كونتها الوزارة فى مختلف انحاء الوطن للاشراف على بناء المساجد ، وترميمها ، وتصليحها ، من مجهود ضخم فى هذا الميدان ، ساهم فى دفع عملية النشاط فى هذا القطاع خطوات شاسعة الى الامام .

لقد أصبحت كل قرية وكل مدينة فى بلادنا ورشة لبناء المساجد التى حرمت منها من قبل المستعمر العاصب الذى رأى فى المسجد العدو الاكبر الممكن ان يقذف به الى البحر اذا سمح له باداء دوره ، واصبحت

كل قرية وكل حي فى المدينة يحرص على ان يكون له مسجده يتردد اليه المواطن ليؤدى فيه شعائره الدينية بكل حورية واطمئنان ، وليتزود منه بزيادة المعرفة ، والعلم ، والثقافة التى تصلح له حاله فى الدنيا والآخرة .

ولقد كان من أروع مظاهر النهضة الدينية فى الجزائر فك أسر كثير من المساجد التى شاءت ارادة المستعمر ان تغتصبها لتحولها الى كنائس وبيع ، وأبت ارادة الله الا ان تعود الى ما كانت عليه من قبل يرتفع فيها صوت المؤذن ان « الله اكبر » ! ومن هذه المساجد جامع كتشاوة الذى كان كاتدرائية للقطر الجزائرى كله ، وعلى بتشيني ، وابن فارس فى الجزائر ، وجامع الباي فى قسنطينة ... الخ .

لقد تم تحويل الكنائس الكثيرة والبيع الى مساجد بعد ان هجرها أهلها فرارا من الحق ، وذلك باتفاق مع الكردينال دوفال الذى يعلمنا بشغور أية كنيسة وعدم الحاجة اليها ، ولقد جسد هذا العمل سيادة الاسلام فى ربوع وطننا وشخصية الدولة المسلمة المستقلة ، وقد بلغ عدد هذه الكنائس والبيع التى حولت الى مساجد ١٨٢ كلها تقام فيها الصلاة ، ويؤذن فيها المؤذن ، ويذكر فيها اسم الله ، وتكافح فيها الامية وتلقى فيها الدروس !

وبهذه المناسبة ، نود ان نقول بأن هناك عددا من رجال الدين المسيحي يتقاضون رواتبهم من الوزارة ، أى من ميزانية الدولة ، وذلك تمشيا مع روح الاسلام الذى يدعو الى التسامح مع الاديان الاخرى وتوفير حرية الاعتقاد لكل فرد فى المجتمع اذ لا اكراه فى الدين ، عدا الردة طبعاً .

أما عن رجال السلك الدينى من أئمة ، ومؤذنين ، وحزابين ، وقيمين ، فقد عمدت الوزارة الى تطهير هذا الاطار من المندسين فيه والمتطفلين عليه ، يستوى



صورة عن سير عملية محو الامية في المساء

بعض الحقوق التي منحت لهم والواجبات الملقة على عاتقهم والتي قصد بها جعل المسجد مدرسة ومركز اشعاع علمي وحضاري الى جانب كونه مكانا للعبادة

حقوق الائمة :

بدىء في تعيين الائمة ورجال السلوك الديني في مناصبهم بعد استرجاع الاستقلال مباشرة . وقد خصصت مناصب مالية لهذا الغرض ، غير ان كل ذلك لم يكن الا كنوع من المساعدة تقدم للقائمين بهذا النشاط الحيوي والاساسي لمجتمعنا . وفي سنة

في ذلك من تسرب اليه عن طريق الاستعمار او من فشل في كل اوجه النشاطات الاخرى فاتخذ الدين تجارة يكتسب بها وياكل منها اموال الناس بالباطل ، وهذا كله محاولة من الوزارة لان تعيد لهذا الاطار الحيوي الهام في حياة شعبنا مكانته التي كانت له والتي تبواها بجدارة واستحقاق طوال عهود الاسلام المزاهرة ، واتخذ في سبيل كل ذلك من الاجراءات ما يكفل للائمة الاستقرار والاطمئنان الى مستقبلهم ومستقبل اولادهم ، مما يؤدى بهم بالتالي الى القيام بمهمتهم على الوجه الاكمل ، ونذكر هنا بالخصوص



الشهادات ويتقاضون راتباً حسب ما نص عليه قانون السلك الديني وحسب المقاييس الاخيرة المذكورة .

عدد الموظفين في السلك الديني :

اما عدد رجال السلك الديني الذين تجرى عليهم الوزارة رواتب شهرية حالياً فقد تضاعف خمس مرات منذ استعادة الاستقلال حتى اليوم ، وخاصة في السنتين الماضيتين ، اذ كان عددهم غداة استرجاع الاستقلال اربعمائة واربعين ، وهم اليوم مئتان والغان (٢٢٠٠) عدا معلمى القرآن الذين تمدهم الوزارة بمنحة شهرية وعددهم يزيد عن الالفين .

هذا لا يزال مثل هذا العدد تقريباً يقوم بالصلوات الخمس و صلاة الجمعة والتعليم في المساجد اما تطوعاً او على نفقة المواطنين الذين يوجد في حيهم أو قريتهم المسجد ، والوزارة جادة في تعيين من يتوفر من هؤلاء على كفاءة تمكنه من القيام بواجباته احسن قيام .
امتحان المستوى لرجال السلك الديني :

١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ م صدر الامر الخاص الذى يتضمن قانون رجال السلك الديني الاسلامى الذى لم يبدأ في تطبيقه فعلياً الا فى سنة ١٩٧١ ، هذا القانون الذى أصبح بموجب هذا الاطار يتمتع بكامل حقوق الموظف فى الدولة من منح عائلية ، وضمان اجتماعى ، وترقية واجازات ، وعطل ، وتقاعد ، واستقرار فى الوظيفة ، واطمئنان الى المستقبل ، وبعد ان كان يتقاضى من قبل مجرد منحة مؤقتة ، كما اسلفنا ، أصبح الآن يتقاضى راتباً شهرياً معيناً وثيق الصلة بمستواه العلمى ، وكفاءته ، ومقدرته ، ونشاطه ، وثقافته ، والتفانى فى القيام بواجبه ، فالامام الممتاز يتقاضى راتب الاستاذ الثانوى ، والامام الخطيب يتقاضى راتب الاستاذ التكميلى ، وامام الصلوات الخمس له راتب المعلم ، اما المؤذن والحزاب فانهما يتقاضيان راتب المساعد فى سلك التعليم . ثم بعد ذلك يأتى الائمة الذين يحملون شهادات علمية معترفاً بها ويرسمون بمقتضى تلك

السلك الدينى فى الجزائر

الاولية للدورة الثانية التى وقعت فى شهر ربيع الثانى (ماى) لهذه السنة كما اسلفنا على ان تلك الفترات قد اتت اكملها واعطت ثمارها حتى ان النجاح كان فوق كل ما كان متوقعا .

واجبات الامام :

لم تعد مهمة الامام كما اراد لها الاستعمار والجهل ان تكون تقتصر على فتح ابواب المساجد فى اوقات معينة لاداء الصلاة والقاء بعض الدروس الصورية ثم يغلق باب المسجد بعد ذلك وينصرف الامام على اثرها الى القيام باعمال خاصة اما الى حقله او مزرعته ان كان فى الريف ، اما الى تجارته او الى مجالس المؤانسة مع الاصدقاء هنا وهناك خارج المسجد ان كان فى المدينة ، بل ان مهمته اصبحت الآن تشمل الى جانب امامة الناس فى الصلاة والوعظ والارشاد ، تحفيظ القرآن الكريم وتعليم ابناء الشعب الذين لم تسمح لهم ظروفهم بالانتظام فى مدارس ومعاهد التعليم ، اى ان الامام اصبح مرشدا ومدرسا ولقد اصدرت الوزارة التعليمات المشددة لجميع الائمة ليقوموا ، زيادة على امامة الناس فى الصلوات ودروس الوعظ والارشاد ، بالواجبات الآتية :

١ - تحفيظ القرآن الكريم للصبيان ذكورا واناثا تمشيا مع سياسة الدولة فى بلادنا التى تولى هذه المهمة المقدسة ، مهمة تحفيظ كتاب الله للناشئة ونشره بينها ، اهتماما خاصا ، ويتوج هذا كله الحفل السنوى الذى يقام فى ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم فى كل سنة تحت اشراف الاخ رئيس مجلس الثورة والحكومة فى الجامع الكبير بالعاصمة لتوزيع الجوائز على صغار حفاظ القرآن الكريم .

٢ - دروس الفقه ، والتفسير ، والحديث ، والسيرة والنحو ، والصرف الخ ، التى كانت تنظم فى المساجد الحرة والمعاهد التقليدية فى العهد الاستعمارى البائد

وبما ان اغلب رجال السلك الدينى لم يكونوا يحملون شهادات علمية مدرسية او جامعية تشهد لهم بمستواهم العلمى وبكفاءتهم المهنية ، اذ ان جلهم قد زاول تعليمه حسب النمط التقليدى فى المساجد والزوايا والمعاهد التقليدية ، وكل هذه المؤسسات لم تكن تعرف نظام الشهادات ، فقد عمدت الوزارة الى اجراء امتحان مهنى خاص للمستوى شمل كل الاطار الدينى من ائمة ، ومؤذنين ، وحزابين ، وقيمين ، وذلك حسب ما نص عليه الامر المشار اليه آنفا والخاص بقانون رجال السلك الدينى ، رسم بمقتضاه كل الناجحين فيه فى درجات تتناسب ونتائجهم فى هذا الامتحان . وهذا الامتحان اجبارى ولا يجوز لاي كان ان يتخلف عنه الا لعذر شرعى مقبول ، وقد وقعت الدورة الاولى فى السنة الماضية . اما الدورة الثانية فقد وقعت فى شهر ربيع الثانى (مايو) من هذه السنة ، والشئ الذى يجب ان يلفت اليه النظر ان الذى لم يسعفه حظه ولم تمكنه معلوماته من النجاح فى هاتين الدورتين لا يفصل من منصبه ، بل يبقى فى مكانه كما كان من قبل ويتقاضى راتبه كاملا على ان يستعد للدورة المقبلة .

ولقد ارادت الوزارة بهذه الطريقة ان تبعد الامام المتكاسل الذى يتخذ من المسجد زاوية للنوم ، ومن مهنته الشريفة سببا للكسل والتواكل والتخاذل ، وتفتح المجال للامام النشط العامل الذى يدرك ابعاد وظيفته الدينية والاجتماعية والثقافية ، ويقبل على العلم والعمل بارادة جادة وحازمة .

وحتى تكون نتائج هذا الامتحان اكثر ايجابية واصدق دلالة على المستوى الثقافى العلمى لدى الائمة عملت الوزارة على تنظيم فترات تربية لجميع رجال السلك الدينى الذين دعوا الى المشاركة فى هذا الامتحان على مستوى البلاد ، وبالمفعول فقد دلت النتائج

والتي بفضلها حافظت الجزائر على شخصيتها العربية الاسلامية رغم موجات المسخ والتشويه التي تعرضت لها .

٣ - دروس محو الامية في المساجد ، ودخلت السبورة الى المسجد واصبحت ملازمة له كالمدير .

ولقد شرع في حملة محو الامية في مساجد البلاد كلها في ١٥ شعبان ١٣٩٠ هـ الموافق لـ ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ م ، وقد افتتح هذه الحملة الاخ الرئيس بنفسه كما تفقد سيرها في بعض مساجد العاصمة وبعض عواصم الولايات ، نخص بالذكر منها مدينة سطيف ، وقد ورد على لسان الاخ مولود قاسم في الكلمة التي القاها بمناسبة تدشين مسجد ابن باديس في مدينة سطيف بحضور الاخ الرئيس وتدشين حملة محو الامية في نفس الوقت : « رمزا الى هذه الوظيفة المتعددة الجوانب للمسجد حرص الرئيس على ان يكون افتتاح هذا المسجد الكبير ببدء الدروس فيه لمكافحة الامية ولنشر النور والمعرفة ، ومساهمة في ثورتنا الثقافية الشاملة التي تكمل ثورتنا الصناعية والزراعية ، وتوجهها وتعطيها روحها ومغزاها الكامل المتكامل » .

ولقد زودت المساجد بعدد ضخم من الكتب لتوزع مجانا على المترددين الى المسجد للتعلم ذكرانا واناثا اذ ان ابواب المساجد مفتوحة للجنسين بدون تفريق وتقام في اوقات مناسبة دروس خاصة بالرجال ، ودروس خاصة بالنساء وهذه الاخيرة تقوم بها معلمات متطوعات ، ومن هذه الكتب كتاب لتعليم القراءة وفيه جزان ، وكتاب الخط ، وكتاب الحساب ، وكتاب المعلم .

ان الدولة في بلادنا المؤمنة بأصالتها والمتمسكة بدينها تولى اهتماما خاصا لحملة محو الامية في المساجد ، لان المسجد موجود في كل مدينة ، وفي كل

حي ، وفي كل قرية ، مهما كانت نائية في اقاصي الصحراء ، او في قمم الجبال ، ثم ان علاقة المواطن بالمسجد علاقة روحية تجعله ينجذب اليه بصفة خاصة وفي الدرجة الاولى منهم من كان في سن الكهولة او الشيخوخة ، ثم ان مكانة الامام الاجتماعية اكثر رسوخا واكثر عمقا من مكانة غيره ممن تقتصر سلاقته بالمواطنين غالبا على مجال عمله فقط ، بينما نجد الامام هو محور الحياة في القرية ، وهو كل شيء بالنسبة للمواطن ، فهو الامام ، وهو المفتي ، وهو القاضي ، وهو المعلم الخ .

وبالفعل فقد اعطت هذه الحملة - والحمد لله - ثمارها الطيبة ، فمن الاميين امية كاملة من أصبح الآن يطالع الصحف ، ومنهم من تقدم الى الشهادة الابتدائية ونجح ولا يزال يواصل ، ومن الاميين من كانت له مبادئ أولية في القراءة والكتابة واستطاع يمثا برته على دروس المسجد ان يتقدم الى امتحان المرشحين او الى الشهادة الاهلية ونجح - وخاصة في ولايات الواحات ، وباتنة ، وقسنطينة ، وتيارت ، الا اننا لاحظنا ان نجاح هذه الحملة نجاحا كاملا ، كما نرجو ، يتوقف على كفاءة الامام ومستواه العلمي ، والاسلوب الذي يتبعه في تعليم الكبار ، ولذلك نظمت الوزارة دورات تدريبية للائمة خاصة بطرق مكافحة الامية في كل من وهران والجزائر بالتعاون مع المركز الوطني لمحو الامية ، ليستطيعوا بعدها النهوض بأعباء هذه المهمة النبيلة التي تعتبر مساهمة فعالة في محو الامية باللغة القومية طبقا لما نص عليه برنامج المخطط الرباعي ، وفي تنفيذ مرسوم تعريب الادارة في البلاد وبما انه يوجد في كل اطار ، مهما كانت وظيفته ، من يستهين بعمله ولا يقدره حق قدره فيتهاون فيه ويبخل عنه باخلاصه ! وتقاديا لذلك الحث الوزارة في مناشرها المتعددة للائمة في ان يكونوا عند حسن الظن

أخرى ، وستكون مفتوحة كذلك أمام الاطارات الجديدة التي ستعد لتحمل رسالة الدعوة الى دين الله ونشر تعاليم الاسلام في المستقبل ، من خريجي ثانويات التعليم الاصلى وبعض المعاهد التقليدية التي ما تزال تقوم بأداء واجها كما كانت من قبل .

اما اولئك الذين يرغبون في التكوين والانتقال في العلوم الاسلامية ، لكن ظروف حياتهم تمنعهم من المشاركة حضوريا في هذه المدرسة ، فانه ستوجه لهم دروس تخصصية بالمراسلة .

تجديد المعاهد التقليدية :

وانطلاقا من هذه السياسة التي سلكتها الوزارة في كل ما يتعلق بالاطار الديني اتخذت قرارا خاصا بتطوير الزوايا والمعاهد التقليدية القديمة ، وبعث الحياة فيها حتى تتمكن من اداء رسالتها التعليمية كاملة ، وسوف يعاد النظر في حالات جميع هذه الزوايا في كامل البلاد لتدرك حقيقة كل منها ودورها في تحفيظ القرآن ونشر التعاليم الاسلامية ، وسحافظ على الصالح منها بل يطور ويمد بالبرامج ، والاستاذة والمساعدات المادية ، اما تلك الزوايا التي ليس من هدفها سوى نشر الشعوذة والخرافات وابتناز اموال المواطنين بالباطل فستغلق نهائيا ، وستكون هذه المعاهد التقليدية مفتوحة لابناء المواطنين جميعا بغض النظر عن السن والمستوى الثقافي وستوفر لهم كل الامكانيات التي تجعلهم يتابعون تعلمهم بنفوس راضية وقلوب مطمئنة ، وبعد ذلك تفتح لهم معاهد خاصة التي انشئت وستنشأ لهذا الغرض في كل من ادرار في الساوره ، وسيدي عبد الرحمن اللولوى في القبائل الكبرى ، والعثمانية في قسنطينة ، ليزاولوا فيها التعليم الثانوى الذى سيؤهلهم للدخول الى المدرسة الوطنية لتكوين الاطارات الدينية في بلدة مفتاح .

كلمة أخيرة : اننا نشاهد من خلال هذا العرض

بهم ، وقد نص احد هذه المناشير على ان الامام الذى يثبت عليه انه تهاون في اداء مهامه وخاصة مكافحة الامية يعاقب بانذار كتابى له مع خصم جزء من راتبه في المرة الاولى ، وقد يعزل نهائيا ان تكرر منه ذلك ، وكذلك نص نفس المنشور انه على المفتشين ان يسهروا على تنفيذ تعليمات الوزارة ، وكل مفتش تهاون في ذلك يلحقه نفس العقاب .

المدرسة الوطنية لتكوين الاطارات الدينية :

اسلفنا القول بأن الاطار الديني الموجود حاليا في غالبية لم يتلق التعليم في المدارس أو الجامعات بل كان ذلك في المعاهد التقليدية التي لا تخضع لبرامج مدرسية وموضوعية حسب أسس منهجية ، وتلافيا لذلك في الاطار الديني للمستقبل انشأت الوزارة مدرسة وطنية لتكوين الاطارات الدينية ببلدة مفتاح ، في ضواحي العاصمة ، والهدف من هذه المدرسة كما قلنا هو تخريج اطارات دينية عصرية تكون على علم بما يجرى في العالم من حولها ، وتلم بأشتات الثقافات المتعددة والمتباينة في المنهج والتفكير والهدف ، حتى تتمكن من مجابهة مشاكل العصر اليومية ، وحتى تستطيع ان تؤدى رسالتها كما يجب ، وخاصة في اوساط الشباب المثقف الذى تتجاذبه التيارات الفكرية والايديولوجية ، والسياسية المتضاربة والمتناقضة في كثير من الاحيان ، وان كانت كلها تتلاقى عند هدف واحد هو محاولة ابعاد هؤلاء الشباب عن اصالتهم وقوميتهم وسلخهم عن شخصيتهم ، وبكلمة قصيرة ابعادهم عن دينهم الذى عصم آيائهم من قبل من الذوبان ، والانحلال ، والمسخ ، والتشويه .

وستكون هذه المدرسة مفتوحة للائمة الرسميين والمعيّنين حاليا ليقضوا فيها فترات تدريبية دورية كي يعمقوا مداركهم من جهة وليطلعوا على أساليب الدعوة الحديثة واطار الغزو الفكرى وطرق مقاومته من جهة



توزيع الجوائز على صغار حفاظ القرآن الكريم
ليلة 27 من رمضان 1390 هـ 1970 م تحت اشراف
الاخ الرئيس - فى الجامع الكبير بالعاصمة

ان شعبنا المسلم يعلق الامل الكبار على ائمته ،
ولذلك يجب عليهم ان يكونوا على مستوى امال هذا
الشعب ، وان يجعلوا من المسجد دار عبادة وريادة ،
ومعهد تعليم وتقويم ، يتخرج فيه جيل مسلم قادر على
تحقيق التقدم والازدهار لوطنه ولامته ، فانما العلماء
من الامة بمثابة القلب اذا صلح صلح الجسد كله •

القصير بواذر نهضة دينية ودلائل وثبة علمية ، واشعة
انبعاث فكرى ، تتجمع كلها فى المسجد ، ويمثلها
الامام الذى يجب ان يكون امرأة صادقة للمبادئ والمثل
التي يدعو اليها ، حتى يستطيع ان يسلمهم بنصيبه
الوافر فى الميادين الاجتماعية ، والعلمية ، والروحية ،
وان يسترد مكانته التي تبوأها يوم ان كان العلماء
ورثة الانبياء •

فتاة العصر!

ما بال سير فتاة العصر منحرفا
ان الجزائر أمست بنتها غرضا
ما بالها هجرت آداب ملتها
إن الذي برأ الجنسین خوّلها
لو انها اقتبست من نوره وجنت
عافت تقاليدھا المثلى وقد سطعت
ما جل آرائها المستحدثات سوى
في كل مرحلة تزدد ظلمتها
يهوي بها في مهاوي الإفك والزور
لكل رام بسهم الغيّ مأجنور
ما بالها أعرضت عن خير دستور
حقوقها في كتاب منه مسطور
من روضه ألتحقت في الطهر بالخور
أنوارها وارتمت في كل ديجور
مستوردات مداها غير مشكور
في الرأي فاقرأ عليها سورة النور¹

من ديوان محمد العيد محمد علي خليفة

(١) سورة النور في القرآن الكريم اشتملت على بيان بعض حقوق النساء وواجباتهن ، وقد ورد في الحديث الشريف : (علموهن سورة النور .)

السلوك الديني في الجزائر



مسجد الامام مالك بن انس في وهران
نموذج للمساجد التي بنتها الدولة

لوحة احصائية لمساجد ومراكز محو الامية بالجزائر

| الجزائر | المدية | الاصنام | مستغانم | وهران | تلعسان | تيارت | سعيدة | بشار | تيزي وزو | سطيف | قسنطينة | عنابة | الاوراس | ورقلة | الجمع |
|---------|--------|---------|---------|-------|--------|-------|-------|-------|----------|-------|---------|-------|---------|-------|--------|
| 250 | 88 | 73 | 116 | 125 | 338 | 39 | 69 | 446 | 490 | 806 | 165 | 109 | 447 | 539 | 4 100 |
| 30 | 12 | 1 | 6 | 7 | 12 | 2 | 1 | 12 | 12 | 18 | 17 | 10 | 38 | 13 | 191 |
| 25 | 4 | 17 | 19 | 22 | 6 | 5 | 5 | 2 | 15 | 13 | 15 | 31 | 3 | 1 | 183 |
| 123 | 88 | 50 | 52 | 112 | 40 | 35 | 47 | 53 | 320 | 231 | 160 | 106 | 54 | 144 | 1 615 |
| 4 915 | 1 500 | 1 507 | 1 576 | 2 330 | 2 200 | 900 | 1 666 | 1 240 | 2 500 | 4 656 | 3 200 | 1 400 | 2 899 | 2 511 | 35 000 |
| | | | | | | 6 | | | | | | | 30 | 112 | 173 |



الشيخ البشير الابراهيمي في المشرق العربي
(١٩٥٢ - ١٩٦٢)

البشير

الابراهيمي

فـ
المشرق
العربي

تركي رابح

« يموت العظماء فلا يندثر منهم الا العنصر
الترابي الذي يرجع الى اصله ، وتبقى معانيهم الحية
في الارض ، قوة تحرك ، ورابطة تجمع ، ونورا
يهدى ، وعطرا ينعش ، وهذا هو معنى العظمة ،
وهذا هو معنى كون العظمة خلودا ، فان كل ما
يخلف العظماء من ميراث هو اعمال يحتذى بها من
بعدهم ، وافكار يمتدون بها في الحياة ، واثار
مشهودت يتفخعون بها . وامجاد يعتزون بها ويفخرون،
والاعتزاز والفخر من الاغذية الروحية الحافظة
لبقاء الجماعات (١) »

« محمد البشير الابراهيمي »

(١) جريدة البصائر عدد 151 سنة 1951 ص 1

هناك جانب هام من حياة المرحوم الشيخ البشير الابراهيمي لم يتناوله الكتاب والباحثون بالبحث والدراسة حتى الآن ، واعنى به الفترة التي قضاها في الشرق العربي سواء فترة ما قبل الحرب العالمية الاولى (١٩١١ - ١٩٢٠) أو فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٥٢ - ١٩٦٢) وسأتحدث في هذه الكلمة المختصرة عن هذا الجانب من حياة الفقيد العامرة بجلال الاعمال .

وإذا كانت دوافع واسباب الرحلة الاولى من الجزائر الى الشرق العربي هي - كما ذكرها الشيخ البشير بنفسه - من أجل الالتحاق بوالده (٢) الذي سبقه الى الهجرة الى المدينة المنورة في عام ١٩٠٨ . ثم من أجل الاستزادة من الدراسة والتحصيل العلمي على عادة علماء المسلمين في تاريخ التربية الاسلامية من اعتبار الهجرة في سبيل العلم والاتصال بكبار المشايخ والعلماء المبرزين ، والاخذ عنهم ، والتلمذ عليهم ، من شروط الكمال في العالم المتكمن من التقاليد العلمية الاسلامية الصحيحة - اذا كانت هذه هي باختصار دوافع واسباب الرحلة الاولى - فإن دوافع واسباب الرحلة الثانية تختلف اختلافا كبيرا عن ذلك . فقد كانت الرحلة الاخيرة تهدف الى تحقيق أمور أخرى هي :

(١) العمل على ارسال بعثات علمية من الشباب الجزائري الى الشرق العربي بغرض الدراسة في مختلف مدارسه ، ومعاهده ، وجامعاته .

(٢) طلب المساعدة المادية لجمعية العلماء من الاشقاء العرب والمسلمين كي تستطيع مواصلة رسالتها في ميدان نشر التعليم العربي والمحافظة

على الشخصية العربية الاسلامية للشعب الجزائري التي تواجه محاولات كبيرة لهدمها من طرف الاستعمار الفرنسي ورجال التبشير المسيحي المتعاونين معه ، يقول الشيخ البشير الابراهيمي شارحا بواعثه على هذه الرحلة .

« وفي عام ١٩٥١ ميلادية رحلت الى الشرق بتكليف من جمعيتي (يقصد جمعية العلماء) وكان الباعث على هذه الرحلة امرين :

الاول : السعي لدى الحكومات العربية لتقبل لنا بعثات من ابناء الجزائر .

الثاني : مخاطبة حكومات العرب والمسلمين في اعانتنا ماليا حتى تستطيع الجمعية ان تواصل اعمالها بقوة لان الميدان اتسع امامها ، والشعب الجزائري محدود القوة المالية ، فاذا لم يعنا اخواننا فربما تنكس حركتنا . وهذا ما ينتظره الاستعمار لنا (٣) هذه هي الاسباب التي ذكرها الشيخ البشير الابراهيمي ويمكننا نحن ان نضيف الى الامرين السابقين أمراً ثالثاً لم يتناوله في النص المذكور مع انه لا يقل أهمية عنهما الا وهو الدعاية للقضية الجزائرية .

وشرح ظروف الكفاح الجزائري الى قادة الحكومات العربية والاسلامية التي زارها وتعريف الرأي العام العربي والاسلامي بمختلف جوانب كفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي وما يقاسيه من عدوان صارخ على مقدساته الاسلامية ولغته العربية وكرامته وسيادته الوطنية .

وقد نجح الشيخ البشير الابراهيمي نجاحا كبيرا في هذه النقطة الاخيرة شاهدنا نحن كما شاهد

(٢) انظر نبذة عن دوافع واسباب هجرته من الجزائر الى المدينة المنورة ١٩١١ بقلمه في مجلة مجمع اللغة العربية عدد ٢١ القاهرة سنة ١٩٦٦ ص ١٣٧ - ١٣٨

(٣) المرجع السابق ص ١٥٤

البشير الابراهيمي في المشرق العربي

المغرب العربي وخاصة الجزائر لا يتعدى بضعة أسطر في كتب التاريخ ، وأقل من ذلك في كتب الجغرافيا التي تصف الجزائر بأنها « مستعمرة فرنسية دينها الاسلام ، وقد الحقها فرنسا بها » ، ولا تكاد تزيد عن ذلك شيئا آخر هذا بينما تتناول كتب التاريخ المذكورة « الثورة الفرنسية » بتفصيل واف وهي - الثورة الفرنسية - تحتل في كتب التاريخ للمدارس العربية الثانوية مكان الصدارة كما تدرس جغرافية فرنسا السياسية وإقليمها دراسة وافية في كتب الجغرافيا . ولم يتغير هذا الوضع الا بعد قيام الثورة المصرية في ٢٣ يوليو (جويلية) ١٩٥٢ ببضع سنوات حيث أصبح التركيز في مادة التاريخ في المرحلة الثانوية على التاريخ العربي لجميع اقطار الامة العربية ، كما تحول التركيز في كتب الجغرافيا على دراسة البلدان العربية ومن بينها اقطار المغرب العربي دراسة تفصيلية متعمقة .

« نجاح الدعاية الفرنسية في تضليل الرأي العام

العربي

والواقع ان الدعاية الفرنسية في المشرق العربي قبل الخمسينات قد نجحت في تضليل الرأي العام العربي الى حد كبير فيما يتصل باقطار المغرب العربي وبالأخص الجزائر التي حاولت اقناع الناس بأنها قد أصبحت جزءا لا يتجزأ من بلادها ، وقد كان بعض المثقفين ينخدع بهذا الزعم ببساطة ، ويبدو هذا في مؤلفاتهم التي تتناول الجزائر .

وانذكر حادثة طريفة حصلت لي مع أحد الاساتذة الكبار الذين كنا ندرس عليهم في الجامعة - وعلى فكرة هذا الاستاذ كان في السنوات الاخيرة يدرس مادة الادب العربي الحديث في إحدى الجامعات الجزائرية - وكنا في رحلة علمية لزيارة الآثار الفرعونية الموجودة في الاقصر واسوان وكان هو

جميع الجزائريين الذين زاروا المشرق العربي أو عاشوا فيه بعض الوقت قبل سفر الشيخ البشير وبعده آثار ونتائج هذا النجاح لدى الرأي العام العربي الذي أصبح ملما الماما كافيا بجوانب الكفاح الجزائري العادل في مختلف مراحل .

« قلة المام اخواننا الشرقيين باوضاع القضية الجزائرية »

ولكى يعرف القارئ جهود الشيخ البشير الابراهيمي في التعريف بالقضية الجزائرية خلال عام ١٩٥١ والاعوام التالية له حتى قيام ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ بعدة سنوات ينبغي ان نذكر له نبذة عن ضالة المام اخواننا المشاركة بقضايا وكفاح أبناء المغرب العربي بصفة عامة والجزائريين منهم بصفة خاصة .

فقد صدمت أنا صدمة عنيفة عندما وصلت الى القاهرة في نوفمبر ١٩٥١ بقلة معلومات الناس عن الجزائر الى حد يكاد ان يكون شاملا لكل شيء في الجزائر ، فقد كنا نسال مثلا هل الجزائر في جنوب الجزيرة العربية ؟ أو في اندونيسيا ؟ أو في الحجاز ؟ الى غير ذلك من الاسئلة التي كانت تدل على قلة المام فادح بالمبادئ الاولى الجغرافية - مع اننا نحن كنا نعرف عن اخواننا في البلاد العربية قبل ان نسافر اليها الشيء الكثير - عن شخصياتهم ، ومنظمتهم ، وهيئاتهم العلمية ، والادبية والسياسية ، وقد دفعني الفضول الى الاطلاع على كتب التاريخ والجغرافيا التي كانت تدرس حتى بداية الخمسينات في المدارس المصرية والبلدان العربية الاخرى التي أمكنني الاطلاع عليها - في المرحلة الثانوية من التعليم حتى أعرف أسباب عدم الالمام البادئ حتى على المتعلمين في الجامعات فيما يتصل بقضايا وظروف اقطار المغرب العربي ، فوجدت الحديث مثلا عن اقطار

مشرفا على الرحلة وذلك خلال العام الدراسي ١٩٥٣ - ١٩٥٤ وكان يعقد لنا مناقشات علمية وأدبية في أوقات فراغنا من الرحلة ، وقد جاء في إحدى المرات ذكر الجزائر ، فقال عنها ما معناه « ان الجزائر انتهت لقد أصبحت فرنسية وقد نجحت فرنسا في فرنستها » ولما تدخلت في المناقشة لمحاولة تصحيح معلوماته !!! رد على مستشهدا بواقعة حصلت له أثناء زيارته الى فرنسا قبل الحرب العالمية الثانية حيث كان يدرس في بريطانيا ملخصا : « انه التقى بأحد الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي في القطار ودارت بينهما مناقشة كان هو يتحدث فيها باللغة العربية وكان المجند الجزائري يرد عليه باللغة الفرنسية - وقد قاده الاستنتاج من هذه الواقعة الفردية الى الحكم على الشعب الجزائري برمته بأنه نسي لغته وعرويته وأصبح فرنسيا » - وقد أجيبته « بأن الحكم على شعب كامل من خلال تصرفات أو سلوك فرد واحد أو حتى مجموعة أفراد من ابنائه هو حكم بعيد عن الحقيقة والواقع يعد السماء عن الأرض » ولكنه لم يقتنع بكلامي ، ولا شك انه قد غير حكمه عن الجزائر الآن خصوصا بعد زيارته لها واشتغاله بالتدريس في إحدى جامعاتها التي انشأتها الثورة بعد الاستقلال - في موطن رائد النهضة الجزائرية الحديثة « الامام ابن باديس » .

« شوقي وعروية الجزائر !!! »

وقد ذكرتني هذه الواقعة من استاذنا الفاضل بواقعة أخرى تشبهها تمام الشبه سجلها امام النهضة الجزائرية الحديثة المرحوم الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة للشهاب ١٩٣٤ عن الشاعر أحمد شوقي الذي زار الجزائر العاصمة في أواخر القرن

الماضي عندما كان يدرس الحقوق في إحدى الجامعات الفرنسية للاستشفاء من المرض ، ومكث بها أربعين يوما - وعندما غادرها قال عنها : « لا عيب فيها سوى أنها مسخت مسخا فقد عهدت مساح الاحذية يستنكف النطق بالعربية وإذا خاطبته بها لا يجيبك الا بالفرنسية » وقد تألم ابن باديس الما شديدا لزعم شوقي هذا حيث حكم من خلال تصرفات فرد واحد على عروية وقومية شعب كامل حكما متسرعاً بعيداً عن الحقيقة والواقع .

وقد سجل ابن باديس ألمه هذا في خطبة له بمناسبة الاحتفال بتأبين الشاعرين : شوقي وحافظ في نادي الترقى في شهر فبراير ١٩٣٤ قال ابن باديس : « ... أما شوقي فقد قدر له ان يزور الجزائر في شبابه ، وينزل بعاصمتنا أربعين يوما للاستشفاء ويقول عنها « ولا عيب فيها سوى أنها قد مسخت مسخا ، فقد عهدت مساح الاحذية فيها يستنكف النطق بالعربية وإذا خاطبته بها لا يجيبك الا بالفرنسية » ، يقول الشيخ باديس « فاعجبوا لاستدلال على حالة أمة بمساح الاحذية منها ولا يجل بى أن أزيد في موقفى هنا على هذا الا ان فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حقلنا هذا لكان له في الجزائر رأى آخر ، ولعلم ان الأمة التي صبغها الاسلام وهو صبغة الله ، وأنبتتها الجزائر ، وهي العاتية على التاريخ ، وأنبتتها الجزائر ، - لا تستطيع ولن تستطيع ان تمسخها الايام ، ونواثب الايام (٤) » .

وكنا فوق هذا نسأل هل عندكم مدارس ؟ هل عندكم ترامواي ؟ هل عندكم طرق ؟ الى غير ذلك من الاسئلة السانجة التي تدل على قلة الالام بالمعارف الاولى عن الجزائر - هذه هي حالة الجزائر في

البشير الابراهيمي في المشرق العربي

على كل لسان في الاوساط الفكرية القيادية وصارت محل عنايتهم واهتماماتهم كما اصبحت من اهتمامات وسائل الاعلام المختلفة من صحافة واذاعة وسينما وغيرها .

« عوامل نجاح الابراهيمي في التعريف بالقضية الجزائرية »

ولعل من العوامل الهامة التي ساعدت الشيخ على النجاح في شرح القضية الجزائرية للرأي العام العربي والمسؤولين العرب في كل من مصر ، العراق ، وسوريا ، والكويت ، والجزائر وهي البلاد التي زارها قبل ان يستقر في القاهرة يعود الى : غزارة علمه ، وبلاغة قلمه ، وقوة حجته ، وفصاحة لسانه ، ولباقته في الحديث الى مستمعيه مهما كانت درجاتهم الثقافية والاجتماعية . ولعل العامل الاهم في هذا النجاح هو موهبته الخطابية الفذة ، فقد كان خطيبا بارعا كما هو معروف عنه في الجزائر ، يهز المنابر هنا ، ويستولى على عقول وعواطف مستمعيه ، ويقنعهم بسهولة بعدالة القضية التي يدافع عنها وهي هنا قضية الشعب الجزائري السياسية ، وقضية الشخصية العربية الاسلامية لهذا الشعب العربي المسلم . وحقه في النصرة على اخوانه العرب ، ومكانة الجزائر في عالم العربية والاسلام - كما كان يريد الشيخ في خطبه واحاديثه وقد أصبح المثقفون بعد فترة وجيزة من مكوث الشيخ في المشرق يلقبونه بامام المغرب العربي تارة ، وبعلامة المغرب العربي تارة اخرى ، وكان هو لا يرتاح كثيرا لهذه الالقاب التي يولع بها اخواننا المشاركة ولعا كبيرا .

واذكر انه كان ذات مرة مدعوا للخطابة في مهرجان كبير اقيم في مركز الشبان المسلمين بالقاهرة

المشرق العربي قبل عام ١٩٥٢ فما هو حالها بعد ذلك ؟

« مكانة الجزائر في المشرق العربي بعد رحلة الشيخ البشير الابراهيمي »

اما بعد قدوم الشيخ البشير الابراهيمي الى المشرق العربي في عام ١٩٥٢ واتصاله بمختلف الهيئات والمنظمات والشخصيات العربية والاسلامية في القاهرة . وبغداد ، ودمشق ، والكويت ، والجزائر ، فقد تبدل الوضع المذكور كثيرا ، وقد ساعد على ذلك قيام الثورة المصرية في صيف عام ١٩٥٢ - وأنا هنا لا اريد ان اغبط من نشاط بعض الجزائريين الذين سبقوا الشيخ الى المشرق العربي وكانوا معتمدين من قبل بعض المنظمات الوطنية الجزائرية من اجل التعريف بالقضية الجزائرية فقد بذلوا جهودا مشكورة في هذا الميدان - ولكنني اسجل ما شاهدته ولاحظته بنفسى في الفترة الممتدة من عام ١٩٥١ حتى قيام ثورة الفاتح نوفمبر ١٩٥٤ بعدة سنوات . فقد نشط الشيخ البشير الابراهيمي بعد قدومه الى القاهرة في مارس ١٩٥٢ مباشرة في الاتصال بمختلف الهيئات والشخصيات وكان لبعضهم سابق معرفة به قبل قدومه الى المشرق كما نشط في عقد المؤتمرات الصحفية ، والمقاء المحاضرات العامة عن الجزائر وقضايا كفاحها الوطني والقومي ، وتسجيل الاحاديث الاذاعية في اذاعة صوت العرب بعد انشائها عقب قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ ، وفي كتابة المقالات في المجلات الفكرية المعتبرة كمجلة « الرسالة » للمرحوم الزيات ، ومجلة « المسلمون » التي كان يرأس تحريرها الكاتب الاسلامي سعيد رمضان ، وغيرها من المجلات الاخرى في مصر وخارجها . ولم تمض سنوات قليلة حتى اصبحت الجزائر العربية المسلمة

عن القضية الجزائرية * وقد قام بتقديمه الى الحاضرين المرحوم الدكتور منصور فهمي فكان من جملة ما قال عند تقديمه : اقدم اليكم « علامة - بالشدّة - المغرب العربي محمد البشير الابراهيمي » ولما شرع الشيخ في القاء خطابه الذي اثار حماسا كبيرا في القاعة وقابله الجمهور بالتصفيق والهتاف بحياة الجزائر العربية المسلمة * واصل الشيخ كلامه فقال « لست علامة المغرب العربي ولكنني علامة - بدون شدة - المغرب العربي وهنا أشار الى عمامته الجزائرية التي على رأسه ، كما أشار الى القشامية التلمسانية التي كان يلبسها ثم اضاف : وانا علامة - بدون شدة - رفع لا علامة خفض ، وهنا دوت القاعة من جديد بالتصفيق الحاد المتواصل .

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح يحتل مكانة رفيعة في المجتمع وصار لا يقام مؤتمر او مهرجان او اجتماع ذو اهمية الا ويدعى اليه اما كمحاضر او خطيب * واما للاسترشاد برأيه فيما يعرض فيه من مسائل وموضوعات *

« تأسيس ندوة الاصفياء »

وقد أسس بعد قدومه الى الشرق بقليل مع جماعة من الادباء والمفكرين العرب امثال المرحوم احمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة * وكامل كيلاني الاديب المعروف ، وعلى الحوماني الشاعر اللبناني المقيم بالقاهرة ، ومفيد الشوباشي الكاتب والناقد ، والحاج امين الحسيني ، والشيخ عبد اللطيف دراز وكيل جامع الازهر ، والعقيد « عبد الله التل » والدكتور « علي عبد الواحد واقي » وغيرهم من رجالات الفكر والقلم ممن لم نذكر اسماءهم « ندوة » ادبية اجتماعية ، فلسفية ، دينية ، اطلقوا عليها اسم

« ندوة الاصفياء » على غرار «جمعية اخوان الصفاء» المشهورة في تاريخ الفلسفة الاسلامية وكانوا يعقدون اجتماعهم مرة كل اسبوع في منزل أحد اعضاء الندوة بالليل يطرحون فيه موضوعا من الموضوعات التي تهم الفكر الاسلامي او قضايا ومشاكل الوطن العربي ، والعالم الاسلامي ، فيلقى فيه أحد اعضاء الندوة بحثا مفصلا ثم بعد انتهائه منه يتناوله الاعضاء بالمناقشة والتعليق العميقين ، وقد تطول هذه المناقشات حتى منتصف الليل *

وقد تمكنت من حضور عدد من هذه الندوات صحبة الشيخ البشير الابراهيمي فوجدتها ملتقى فكريا رفيعا للغاية ، في شتى مجالات الفكر ، ولا غرابة في ذلك فاعضاؤها كلهم ممن لهم قدم راسخة في مجال من مجالات الثقافة او العلم او الادب او الفن *

وقد نشر المرحوم الشاعر على الحوماني عضو الندوة وسكرتيرها كتابا تحت عنوان «الاصفياء» (٥) جمع فيه عددا من موضوعات الندوة ومن بينها موضوع للشيخ البشير الابراهيمي بعنوان « مشكلة العروبة في الجزائر » *

« الشيخ البشير والبعثات العلمية الجزائرية الى الشرق العربي » :

ولم يكن هذا النشاط السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي ، الذي انغمس فيه الشيخ البشير منذ وصوله الى الشرق العربي بصارف له عن المهمة الاساسية التي غادر الجزائر من اجلها الا وهي العمل على فتح ابواب معاهد التعليم المختلفة في وجه الشباب الجزائري المحروم من العلم والمعرفة باللغة القومية في بلاده وقد كانت اول بعثة ارسلتها جمعية العلماء الى معاهد الشرق العربي توجهت الى

البشير الابراهيمي في المشرق العربي

للطلبة الجزائريين الذين توفدهم الجمعية الى الشرق العربي من اجل الدراسة ويغتنم زيارته لتفقد البعثات فيلقى على اعضائها المحاضرات التوجيهية ، والارشادات العلمية والتربوية .

اما اعضاء بعثة الجمعية بالقاهرة فقد كان يجتمع بنا مرة كل اسبوع في مركز الجمعية الموجود بشارع شريف بالقاهرة .

« عناية الابراهيمي بتكوين الشباب الجزائري خلقيا وعلميا » :

امران كان المرحوم الشيخ البشير الابراهيمي يركز عليهما كثيرا في تربية الشباب وتكوينهم واعادهم لمواجهة اعباء الحياة العامة بكل ابعادها - الفردية والاجتماعية ، والوطنية هذان الامران هما :

اولا - الاخلاق .

ثانيا : العلم بمعناه الواسع - اي علم الدين ، وعلم الدنيا معا ، فقد كان رجلا متنورا متفتح الذهن والفكر لمتطلبات عصره ، يعيش همومه ، وينفعل باحداثه وتطوراتها . ولذلك كان رحمه الله يحثنا كثيرا على القراءة والمطالعة في كل علم وكل فن ، وعدم الاقتصار على فن واحد ، واختصاص واحد فقط فطالب العلم في رايه مثل النحلة - ترتشف من رحيق جميع الازهار كي تنتج عسلا مصفى وكذلك طالب العلم يجب الا يكون افقه محدودا بنوع واحد من القراءة حتى يكون ابن عصره في الثقافة والمعرفة

القاهرة في نوفمبر ١٩٥١ قبل ان يسافر هو اليها في شهر مارس ١٩٥٢ وضمت هذه البعثة ١٦ طالبا في البداية ثم ازداد عدد افرادها بعد وصوله الى القاهرة الى ٢٥ طالبا وطالبة واحدة (٦) وكانت بعثات جمعية العلماء في البداية قاصرة على مصر وحدها حيث تمكنت جمعية العلماء بواسطة مكتبها بالقاهرة من الحصول على عدد من المنح من الازهر ووزارة المعارف المصرية لابناء الجزائر خلال عام ١٩٥١ والاعوام التالية له . وبعد رحلة الشيخ البشير الى الشرق العربي تمكن من الحصول على منح اخرى للطلبة الجزائريين في كل من العراق (٧) وسوريا (٨) ، والكويت (٩) ، ثم المملكة العربية السعودية ، بعد قيام الثورة الجزائرية سنة ١٩٥٤ .

وكان المركز الرئيسي الذي يشرف منه الشيخ البشير الابراهيمي على هذه البعثات ويصرف شؤونها يوجد مقره في القاهرة حيث يقيم هو في معظم اوقات العام ، ولكنه كان يعين نائباً عنه خارج مصر من ابناء البلدان التي توجد فيها البعثة للاشراف على افرادها من الناحية الاخلاقية والاجتماعية .

وكان بين وقت وآخر يقوم بزيارات للعراق ، وسوريا ، والكويت ، كي يتفقد بنفسه احوال اعضاء البعثات ويتصل بالمسؤولين عن التربية والتعليم في البلدان التي يزورها يقصد الحصول على منح جديدة

6 اعضاء البعثة الاولى لجمعية العلماء بمعاهد مصر هم : حسب تاريخ وصولهم الى القاهرة - تركي رابع - سعدى عثمان - سعد الدين نوبوات - البشير كمييس - يحيى خليفة - حسن مطوف التازوي الشرقي - المدني بوروق - ارزقي صالح محمد شيوخ - المبروك بن سعد - عيسى بوضياف - المنور مروش - محمد كسوي - احمد الدخيل - محمد الطاهر زعزوري - عبد الحميد بونن - المدني حواس - محمد التواتي - رشيد نجار - محمد الهادي حمادو - محي الدين عيمبور - جمال الدين بفسادي - الخضر صالح - زوجة الخضر صالح . انظر البصائر عدد 242 - السنة السادسة 13 مارس 1954

7 اعضاء بعثة جمعية العلماء الاولى في العراق ضمت احد عشر طالبا هم : مسعود محمد العباسي - المولود شرحيل - رابع منصور - دودو ابو العيد - زروق موساوي - بشير كاشا - عبد المجيد بونذراع - جيمي المشري - الاخضر بوطمين - عبد العزيز خليفة - عبد القادر قريصات - انظر البصائر عدد 262 السنة السادسة 12 مارس 1954

« انكم لن تستطيعوا ان تنفعوا وطنكم وأمتكم إلا اذا ملكتم سلاحين هامين بدونهما لن تغلحوا فى الحياة ، ولن يستفيد منكم وطنكم شيئا هاما »

١ - الاخلاق القوية المتينة .

٢ - العلم القوى المتين ايضا .

وكان يحذرنا كثيرا من اللفظية ، والسطحية ، فى الدراسة والتحصيل ، ويطلب الينا العمق فى الفهم ، لكل ما نقرأ ، والنقد الموضوعى لكل ما نطالع ، ووجوب عرض افكار وآراء مؤلف الكتاب الذى نقرأه على عقولنا لغربلتها قبل التسليم بها . كما كان يحثنا على ان تكون المكتبات هي مكاننا المفضل للقراءة ، والبحث ، والمطالعة ، والتحصيل ، وزيادة المعارف .

وقد لاحظت ان الشيخ البشير كان عندما يتحدث الينا عن الاخلاق والعلم تكون لفته حارة نابعة من اعماق وجدانه ، تفيض بالحب والايمان والقوة فى كل جملة ، وكل عبارة من كلامه ، مما يدل على ايمانه العميق بدور الاخلاق والعلم فى نهضة الشعب وتحريه وبنائه على اسس سليمة ، اسمع اليه وهو يتحدث فى التقرير الادبى فى مؤتمر جمعية العلماء فى اكتوبر ١٩٥١ عن دور المدرسة التى تقوم جمعية العلماء بتشبيدها فى الجزائر فى النهضة القومية الوطنية يقول : « ... فالمدرسة هي جنة الدنيا ، والسجن هو نارها ... والامة التى لا تبني المدارس ، تبني لها السجون ، والامة التى لا تصنع الحياة ، يصنع لها الموت ، والامة التى لا تعمل لنفسها ما ينفعها ويسعدها ، يعمل لها غيرها ما يضرها ويشقيها ... والامة التى لا تغضب للعز الذاهب ،

والفكر . وهذا لا يناقض التخصص فى نوع معين من الدراسات العلمية - وقد كان هو يقرأ فى سائر فروع العلوم الانسانية - ولم تنحصر قراءته كمعظم علماء الدين الاسلامى امثاله على الفقهيات وما يتصل بها من حديث ، وتفسير ، وسير وأدب ، وشيء قليل من التاريخ الاسلامى العام .

كنت معه فى عدة مرات عندما كانت تهدي اليه الكتب - وكثيرا ما كانت تهدي اليه - من معارفه الكثيرين فى القاهرة وانحاء العالم العربى - الاخرى انه لا يقل سروره وفرحته بالكتاب الجديد يهدى اليه مهما كان الموضوع الذى يعالجه ، ويقراء بنفس العناية التى يقرأ بها كتابا آخر فى السيرة النبوية ، او التشريع الاسلامى ، او الادب العربى ، أو الفلسفة والاجتماع .

أذكر انه عندما كان يجتمع بنا صباح يوم الجمعة من كل اسبوع فى مركز جمعية العلماء بالقاهرة أن أحاديثه الينا كانت فى معظمها تدور حول شيئين اثنين :

اولا - الثقافة العربية المحاربة من طرف فرنسا فى الجزائر . وواجبنا نحو احيائها وبعثها للوجود بعد انتهاء دراستنا .

ثانيا - الوطن الجزائرى وما يعانى من الاستعمار الفرنسى ، فى لغته ، ودينه ، وسيادته الوطنية . وواجبنا نحن فى العمل على تحريه من الاستعمار والنهوض به فى شتى الميادين .

وقد كان كثير التذكير لنا بالاعباء التى تنتظرنا فى الوطن بعد عودتنا اليه . وكان يقول لنا ما معناه

(8) أعضاء بثة جمعية العلماء الاولى فى سوريا : ضمت هذه البعثة عشرة طلاب هم : بلقاسم النعمي - عبد السلام العربى - على الرياحي - عبد الرحمن شطيح - العربى طرقات - مرتضى يقاش - عبد الرحمن زناقي - حنلى بن عيسى - محمد خمار - بنعيد الله ولد عوال - جريدة البصائر المرجع السابق

(9) أعضاء بثة جمعية العلماء الاولى للكويت : ضمت هذه البعثة اربعة عشر طالبا هم : محمد شريف سيسيان - صديق قتي - الجبلاني حماني - غريب محمد ناصري - عبد الرحمن الازعر - ايوب الربيعي - حسن ونوس - صالح تلايلية - الهاشمي قنورى - الاخضر ادريس - محمد الصالح باوية - محمد العمري - محمد الشريف جواد - عبد العزيز سعد - / البصائر / المرجع السابق .

البشير الإبراهيمي في المشرق العربي

عام ١٩٤٧ تحت عنوان « إلى ابنائ الطلبة المهاجرين في سبيل العلم » نكتطف منها الفقرات التالية لأنها توضح هذه الفكرة توضيحا دقيقا يقول :

« يا ابنائنا ان الحياة قسمان : حياة علمية ، وحياة عملية ، وان الثانية منهما تنبئ عن الاولى قوة وضعفا وانتاجا وعقما ، وانكم لان تكونون اقوياء في العمل ، الا اذا كنتم اقوياء في العلم ، ولا تكونون اقوياء في العلم ، الا اذا انقطعتم له ، ووقفتم عليه الوقت كله ... ثم يضيف ... انتم اليوم جنود العلم ، فاستعدوا لتكونوا غدا جنود المعن ، فان الوطن يرجو ان يبني بكم جيلا قوى الاسر ، شديد العزائم ، سديد الآراء ، متين العلم ، متماسك الاجزاء ، يدفع عنه هذه الفوضى السائدة في الآراء ، وهذا الفتور البادى على الاعمال وهذا الخمول المخيم على الافكار (١١) » .

« نجاح جهود الإبراهيمي في تكوين البعثات العلمية لجمعية العلماء » !

وقد أثمرت جهود الشيخ البشير الإبراهيمي التي بذلها في تكوين البعثات العلمية لجمعية العلماء التي عمل بكل جهوده على فتح أبواب معاهد العلم في وجهها في مختلف البلدان العربية ، ورعاها ووجهها أثناء دراستها توجيهها وطنيا سديدا حيث نجح ما يقرب من ٩٠٪ من أفرادها في دراساتهم الثانوية والجامعية ، وعندما نشبت ثورة الفاتح من نوفمبر سنة ١٩٥٤ كانوا من جنودها وساهم عدد كبير من أفرادها بفكرهم وثقافتهم في مختلف أجهزة الثورة ، وهم اليوم بعد الاستقلال يساهمون بفكرهم وثقافتهم في معركة البناء والتشييد الوطني ، ونشاطهم يغطي أهم المجالات الوطنية ، كالاعلام ، والثقافة ، والتربية والتعليم ، والعسل والدبلوماسية ، والتدريس في الجامعات الوطنية الى غير ذلك من الميادين .

ترضى بالذل الجليل ، والامة التي تتخذ الخلاف مركبا ، يفرقها في اللجة ، والامة التي لا تكرم شبابها بالعلم والثقيف ، مضيفة لراس مالها ، والامة التي لا تجعل الاخلاق ملاكها ، امة تتعجل هلاكها ، والامة التي تلد لغيرها ، امة تلد العبيد لا امة تلد الاحرار الصناديد ، والامة التي تعتمد في حياتها على غيرها طفيلية على موائد الحياة ، حقيقة بالقهر والنهر ، وقسم الظهر - ثم يقول : والحياة بلا علم متاع مستعار ، والوطن بلا علم عسيرة مكشوفة ، ونهب مقسم ، سنة من سنن الله ، وكسنته في تكوير الليل على النهار . ثم يضيف « وان المدرسة هي طريق الحياة ، وطريق النجاة ، وطريق السعادة ، وان الوطن امانة الاسلام في اعناقنا ، ووديعة العرب في ذممنا ، فمن بعض حقه علينا ان نحفظ دينه من الضياع ، وان نحفظ لسلطانه من الانحراف ، وان لا سبيل الى ذلك الا بالمدرسة التي تبنيها الامة بمالها ، وتحولها برعايتها ، وتجعلها حصونا تقى ابناءها الانحلال الديني ، والانهييار الخلقى ، وتحفظهم من ترف الغنى ، وذل الفقر ، وتربهم على الرجولة والقوة ، وتوحيد النزعات ، وتصحيح الفطرة ، وتقويم السنة ، وتمتين الارادات والعزائم ، وتغرس الفضيلة في نفوسهم وتصلح فيهم ما افسده المنزل ، والشارع ، وتروضهم على حب الوطن ، وبنائه طبقا عن طبق ، (١٠) » .

وقد كان كثيرا ما يكرر على مسامعنا ان حياة طالب العلم مقسمة الى قسمين : حياة علمية وحياة عملية ، وكلتا الحياتين تتصلان ببعضهما اوثق الاتصال ، فاذا كانت حياة الطالب العلمية قوية ومتينة ، ومبينة على أسس سليمة ، كانت حياته العملية في ميدان الخدمة الوطنية العامة كذلك والعكس صحيح . وقد عبر عن هذه الفكرة تعبيراً بليغا في إحدى افتتاحيات البصائر التي كتبها في

(١٠) جريدة البصائر - عدد - 172 - السنة الرابعة 19 أكتوبر 1951 ص 3

(١١) جريدة البصائر - عدد 9 السنة الاولى - سلسلة ثانية - 13 أكتوبر 1947 ص 1

ولا شك ان الفضل في تكوين هذه السخبة المتنازة من الشباب الجزائري تكوينا عربيا واسلاميا ووطنيا انما يعود الى الشيخ البشير الابراهيمي ورفاقه من رجال الحركة الاصلاحية في الجزائر الذين اعدوا هذا الجيل الذي نتحدث عنه الآن واجيالا اخرى عديدة سابقة عليه في ظروف كانت من اصعب واشد الظروف التي مرت بها الجزائر في عهد الاحتلال الفرنسي . اعدوه من المراحل الابتدائية وواصلوا جهودهم في اعداده حتى حصل البعض منه على اعلى الشهادات الجامعية في مختلف الفروع العلمية . وبذلك ادوا للوطن والشخصية الجزائرية خدمات جلى

« انتخاب الشيخ البشير عضوا في مجمع اللغة العربية » :

وما دمنا نتحدث عن نشاط الشيخ البشير الابراهيمي في الشرق العربي فيحسن بنا ان نشير في ختام هذه الكلمة الى انه قد عرضت عليه عدة مناصب هامة في مصر منها على سبيل المثال « مشيخة جامع الازهر الشريف » ولكنه رفضها جميعا لانها تتعارض مع اهداف رحلته من الجزائر الى الشرق العربي ، ولم يقبل منها الا منصبا واحدا فقط لانه منصب علمي يتفق مع مكانته العلمية واللغوية ، وهو منصب عضوية مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي كان يعتز به اعتزازا كبيرا ، والمجمع المذكور كما هو معلوم يجمع زبدة رجال الفكر والعلم والثقافة في الوطن العربي .

وقد انتخبه اعضاء المجمع بالاجماع كعضو مراسل للمجمع في عام ١٩٥٤ ، وقد قام بتقديم مذكرة ترشيحه عضوا مراسلا للمجمع السادة : دكتور منصور فهمي ، ودكتور عبد الوهاب عزام ودكتور احمد امين ، والاستاذ احمد حسن الزيات ، وذلك « اعترافا بجزارة علمه ، وسعة حفظه ودقة فهمه لآداب العرب ، بجميع قوتونها من شعر ، ونثر ، وامثال ، وايام وانساب ، وتاريخ (١) » وقد استمر عضوا مراسلا حتى عام ١٩٦١ حيث تم تعيينه عضوا كامل العضوية في مجمع اللغة العربية ممثلا للجزائر بالمجمع المذكور ضمن احد عشر عضوا عينوا من مختلف الاقطار العربية في مجمع اللغة العربية في ذلك العام (١٩٦١) وقد ناب عن الاعضاء الجدد

في الكلمة التي القاها في جلسة افتتاح الدورة الثامنة والعشرين من نفس العام للمجمع وقد قابله اعضاء المجمع بالترحيب الكبير ، وصفقوا له طويلا عندما قام يلقي كلمته باسم هؤلاء الاعضاء .

« الحنين الى الوطن » :

اصبح الشيخ بعد ان طالت غريته عن الوطن - وفيه الامل والاولاد والاصدقاء - شديد الحنين اليه ، كثير الذكر له ، وكنا عندما نجتمع به احيانا يكثُر علينا من القاء الشعر الذي يتحدث عن الحنين الى الوطن والاهل ، وقد يتذكر امامنا اصدقاءه ورفقاءه في جمعية العلماء ، ورحلاته عبر انحاء الوطن ، ويفيض علينا في الحديث عن خصائص وعادات كل ناحية ورجالها حديث العارف الخبير ، وكان كثيرا ما يتمنى ان تطول به الحياة حتى يعود الى ارض الوطن الذي احبه كثيرا ، وافنى زهرة شبابه في خدمته ، وخدمة اجياله ، وفي بعض الاحيان يتوجه الى الله امامنا ويطلب منه ان يلقاه اجله في الجزائر لا في غيرها من البلدان الاخرى ، وقد عبر عن هذه الاملية في افتتاحية هامة بعث بها الى جريدة البصائر من القاهرة في عام ١٩٥٢ تحت عنوان « تحية غائب كالآيب » ختمها بقوله :

« خطت الاقدار في صحيفتي ان افتح عيني عليك وانت موثقة ، فهل في غيب الاقدار ان اغمض عيني فيك وانت مطلقة ؟ وكتبت الاقدار علي ان لا املك من ارضك شيئا . فهل تكتب لي ان احوز في ثراك قبرا ؟ » وقد استجاب الله لدعائه فامد في اجله حتى رأى وطنه الغالى حرا طليقا وقد عاد اليه في اواخر سنة ١٩٦٢ بعد انتصار الثورة ورحيل الاستعمار من الجزائر وعاش فيه ثلاث سنوات التقى فيها برفاق جهاده واجتمع فيها بالاهل والولد ، واتصل به تلامذته الكثيرون من جميع جهات الوطن قبل ان يتوفاه الله اليه في ١٩ مايو ١٩٦٥ « وهكذا يموت العظماء فلا يندثر منهم الا العنصر الترابي الذي يرجع الى اصله ، وتبقى معانيهم الحية في الارض قوة تحرك ، ورابطة تجمع ، ونورا يهدي ، وعظما ينمش » رحمه الله رحمة واسعة وجزاه عن الاسلام والعروبة والوطن خيرا كثيرا . »



لا اعرف - بعد ابن باديس والميل - مدرسا
اجاد وافاد اكثر مما اجاد وافاد الشهيد العظيم
الاستاذ العربي التبسي .

ولا اعرف رجلا احب تلاميذه الحب كله ، واخلص
لهم الاخلاص جميعه ، وخلطهم بنفسه كانهم منه ،
وكانه منهم ، مثلما عرفت الاستاذ العربي التبسي .
ولا اعرف رجلا يعدنك فتحس في حديثه كيانه
العام يتحدث اليك ، ووجوده الشامل يخاطبك ،
ووجدانه العاطفي ، واحساسه الشاعر ، وعقله
الواعي متآلفة ، متكافئة تناجيك ، حتى لكان الرجل
فرقة من جنود الله هبت مسرعة اليك لتهديك
الصراط السوي ، او لتنجيك من ويلات العواصف
الهُوج ، او تاخذ بيدك كيلا تتخطفك شياطين
الظلمات في البحر اللجى مثلما عهت وعرفت في
الشيخ العربي .

العربي التبسي

والنهضة
العلمية
بالجزائر

●
أحمد بن ذياب

محكم آياته ، وتأويل المتشابهات منه ، عالم
فحل ، ومجتهد له آراؤه الساطعة ، وتخريجاته
القيمة ، ونظرياته العبقريّة .

أما الفقه في الحلال والحرام - وما اتصل بهما -
فحدث عن البحر ولا حرج - كما يقول المثل العربي -
من سيق الى تبسة

ومن سيق الى تبسة حيث عمل ما استطاع
مستعينا بمكانته من قومه في مطلع العقد الرابع ،
وكانت شهرته قد طارت في الآفاق ، وخبرته
بمجتمعه قد توسعت أرجاؤها ، وإيمانه بمستقبله
في وطنه - أو مستقبل وطنه به - قد ظهرت
معالمه الأولى فأسس مدرسة ، وبنى الى جوارها
مسجدا جامعا ، وأصبح يعمل ليل نهار ؛ يربي
الآباء في المسجد ، ويكون الابناء في المدرسة ،
ويكون - بين ذاك - في كل منزل نقاش حول
ما تلقاه الاب ، وما تعلمه الابن فيعطى الكبير
للصغير - ويتلقى منه في الوقت نفسه - وظل
العربي التبسي في تبسة وضواحيها أكثر من مرب
حكيم ، وأكبر من عالم اجتماعي ينشد الإصلاح ،
وأعظم من زعيم رוחي خلاق . ولم يكن النشاط
الفائض في ذلك الرجل ليقصر جهوده على المسجد
والمدرسة ؛ دون الاهتمام بالنادي ، وما تجيش به
رحابه من نفوس شابة ، وعقول فتية ، ومدارك حية
متطلعة الى تفهم حقائق القومية الجزائرية الخاصة
ومنابع نهضة العروبة عامة ، فكان له في تبسة الاثر
العظيم الخالد مما رفع تبسة وضواحيها الى مصاف
معاقل العروبة والاسلام في هذه الديار

وطارت تبسة بفضل بنينا الميامين من خريجي

تلك هي الملامح الأولى التي يمكن أن نهتدى
من خلالها الى روح ذلك الرجل الذي أمضى نحوا من
ثلاثين سنة ؛ ينشر العلم ، ويبث الإصلاح ، ويدعو
الى النضال الجاد المستميت ؛ لا يخاف في الله
لومة لائم ، ولا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله .
واعلا كلمته ، وخدمة العروبة والاسلام في الوطن
الجزائري الحبيب .

عرف التعليم المدرسي كفاءة الشيخ العربي -
أول ما عرفها - في مدينة « سيق » حيث استدعى
الى تادية واجبه هنالك - في أخريات العقد الثالث
من هذا القرن - فقام بالمهمة خير قيام ، وخلت
مساعيه هنالك آثارا حميدة مشكورة ، وكون له
تلاميذ ما يزالون يعملون في الحقل العلمي أو
الاجتماعي ، وهم يحملون له أطيب الذكريات ،
ويقدرون فيه الرجل المعلم ، أو المعلم الرجل الذي
عرف كيف يأخذ بأيديهم الى النور ، ويعترفون له
بالفضل الجم ، والايادي البيضاء ، على انه الى جانب
التعليم المدرسي صاحب رسالة ، وحامل أمانة
في التعليم المسجدي مما أحيا العهد السلفي
الأول ، وذكر بأولئك الفطاحل الصناديد من أمثال
الابى شارح صحيح مسلم ، والقاضي عياض ، في
تشقيق فن التحديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتبيين سنته . والعربي التبسي هو الجزائري
الذي اشتهر - في هذا العصر - بأنه يحفظ أكثر
من عشرة آلاف حديث من خيار الاحاديث الصحيحة
أو الحسنه أو المستحسنه من كلام سيد الأولين
والآخرين صلى الله عليه وسلم .

كما انه في الدروس التي تتصل بالقرآن وتفسير

مدرسة الشيخ العربي موزعة في الوطن الجزائري كله أعمالا ناجحة ، وأفكارا نيرة وعقولا واعية وآمالا واسعة، ونبوغا خلافا ، وعبقريات جريئة هنا وهناك.

ومن الانصاف - هنا - أن نقول : ان أهم ميزة للمدرسة التبسية هذا التشبع بالروح الوطنية . والاعتداد بالنفس ، والثقة بالكفاءة ، وهي صفات قلما توجد متكاملة مثلما توجد في تلاميذ ابن باديس وتلاميذ الشيخ مبارك ، وتلاميذ العربي التبسي دون أن نغفل خصائص المدارس الأخرى ، أو نتقصها حقها من التجلة والاحترام .

جهود الشيخ العربي في جمعية العلماء :

وتتصل الايام متلاحقة ، وتتواصل الجهود متساندة ، وتؤسس جمعية العلماء ويكون المرحوم الشهيد الشيخ العربي من أركانها الشديدة ، أو من المؤسسين الأولين ، ويبقى وفيا لمبادئ الوفاء الصلي الأفضل ؛ يخرج في وفودها العظيمة للوعظ والارشاد ، وتأسيس مدارس العلم ، ومساجد العبادة والاصلاح ، ونوادي الادب والفن ، ويكتب في جرائدها ، ويشارك في مخططاتها ، ويصدر فتاويه الصريحة الخطيرة في الشؤون التي تتصل أحيانا بالحكومة الاستعمارية فلا يبالي العواقب ، ولا يخشى في الله سيف ظلام غشوم ولا غضب سلطان جائر .

وتأتي الحرب العالمية ، ويجبر على الإقامة في تبسة ، ويعرض الكثير من أبنائه الروحيين وأخوانه المخلصين ، وتلاميذه الأوفياء للسجن والنفسى ، والحجز الاجباري ، وتتوقف الحركة الجماعية لجمعية العلماء ، ثم يستشهد المرحوم ابن باديس في حين

ان الابراهيمى يعاني المنفى والمرض والمضايقات الوحشية في الصحراء الباردة بمدينة «آفلو» ويخشى أن تتمطل أهم رسالة للشيخ ابن باديس ، وهي تفرغه لتعليم أبناء الوطن ، من شرقه الى غربه ، ومن شماله الى جنوبه في «الجامع الاخضر» و «سيدي قموش» وهي المحاولة التي كانت ترمى الى أن تكون الجزائر كشقيقتها تونس والمغرب الأقصى ، ذات معهد علمي معمور ، مثل الزيتونة والقرويين ، وقد سار ابن باديس فعلا - في هذا الميدان - أشواطا بعيدة ، فاذا استشهد ابن باديس وهو يؤدي واجبه العلمى ، ورسائله الاصلاحية ، أو مات ميتة الرجال الابطال واقفين مع الحق ناصرين للمبادئ السامية ، عاملين مخلصين غير وكلين ولا متخاذلين واحتاجت الامة الى من ينوب منابه في تأدية رسالة الجامع الاخضر وسيدي قموش فان الاقرب والاشد اتصالا به هو تلميذه وصفيه المرحوم الشيخ مبارك الميل ، ولكنه ماكاد ينتهى عام 1940 الدراسي حتى تبين أن المرض العضال الذي كان يعاني منه الشيخ مبارك يجعل قيامه بما كان يقوم به ابن باديس مستحيلا ، أو في حكم المستحيل فمن الذي ترشحه الامة للقيام مقام ابن باديس ؟

تبسة تتحول الى قبلة للعلم :

تحولت النظائر الى الشيخ العربي وانصاره من تلاميذه ، ولم يكن في الامكان أن يفر الشيخ العربي عن مشاريعه في تبسة ، ولم يكن شعبها ليستطيع الاستغناء عنه ، ولم تكن ظروف الحرب نفسها لتساعد على انتقاله الى قسنطينة - رغم أن فرنسا قد غلبت على أمرها ، واصبحت خاضعة ، تحت حكم

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

وتمضى الأيام وهو يؤدي رسالته العلمية والتعليمية والاصلاحية صلبا في الحق ، قويا في العزيمة ، عنودا في مقاومة الطغيان الاستعماري ، لكنه شفوق على أبنائه وتلاميذه ، رؤوف بإخوانه ومعاونيه ، حذب على مصالح أمته ووطنه ، وثوق بدينه وربه ، وأن العاقبة للمتقين .

مكيدة الثامن ماي 1945 :

وتأتى مكيدة الثامن من ماي 1945 فيكون نصيبه السجن المضيق ، والاستنطاق العنيف ، والنكال الشديد ، ويحفظه الله من شر أعدائه وكيد الظالمين الماكرين مصداقا لقوله تعالى في الآية الكريمة « ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله » .

وتأتى سنة 1946 فيكون ما سماه الاستعمار «بالعفو العام» بالنسبة للابرياء الذين كان ظلمهم فزج بهم في سجونهم أو أبعدهم في معتقلاته ومنافيه وكان الواجب أن يحرق - أو يمزق - أولئك المجرمين الحقيقيين مدبري المكيدة من أمثال الظالم العنصرى الحقود - كاربونال - عامل عمالة قسنطينة يومئذ وشريكه المجرم السفاح - لاشياري - رئيس دائرة قالمة ، ومن لف لفهما من الطغاة الجناة في سطيف وخراطة وعموشة ، أولئك الذين ستظل أرواح الشهداء الخمسة والاربعين ألفا تطاردهم أحياء وأمواتا .

اما الذى لا شك فيه أن تلك المجازر قد أثرت في الشيخ العربى وصحبه أيما تأثير ، ونالت من قلبه العطوف الشفوق ، ولكنها لم تنل من إيمانه ولم تقلل من حزمه ، ولم تقل من حدة لسانه في التنديد بأعمال الاستعمار ، وطغيان أساطينيه ،

«المارشال بيتان» الى ضغط «المحور» وقطبه المانيا النازية -

وهكذا تحولت تبسة بفضل وجود الشيخ العربى فيها الى « قبلة ثانية » لطلاب العلم ، وعشاق الادب ورواد الاصلاح الدينى الحنيف ، وأعلن في الجزائر أن تبسة ومدرستها ، وجامعها ، ورحابها ، هى قسنطينة أمس من حيث العلم ، وإن الشيخ العربى هو خليفة ابن باديس في هذا الميدان .

وقام بالمهمة ، وبرهن على أنه خير خلف لخير سلف ، فازدادت الجزائر به خبرة ، وازداد هو خبرة بأبنائها ، وخرج الشيخ العربى عن النطاق الخاص فى تعليم أبناء تبسة وضواحيها الى النطاق العام ؛ لتقبل أبناء الجزائر من مختلف مدنه وقراه الذين أموه من كل حذب وصوب ؛ يفدون عليه عطاشا يريدون الرى العقلى والادبى والخلقى فيبيل غلتهم ويشفى ظماهم ؛ يتعلمون منه العلم ، ويقتبسون من سيرته الخلق ، ويقلدونه فى الوطنية التى تستوعب القيم العالية ، والشيم الكريمة ، ويأتى اليهم ذووهم للزيارة ، أو للاستطلاع ، أو للعبادة فيستقبلهم الشيخ العربى ، فيزودهم بنصائحه ، ويحل مشاكلهم بأرائه ، ويصحح دينهم بفتاويه .

فإذا انتهت السنة الدراسية ، أو حان موعد عطلة موسمية زود تلاميذه بما شأته له تجاربه فى المحل العملى لصالح الوطن ، وأقنعهم بما يجب أن يبشوه من عوامل التوعية فى قراهم ومدائشهم ، وارشدهم الى الطرائق المثلى التى يمكن أن تعود بالنفع العاجل والتمهيد للأجل ، من صالحات الاعمال ، وطيبات الاقوال .

العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر

تبسة ، وقد أصبح جنوده فيها قادة أكفاء ، ومربين نصحاء ، ومديرين مقتدرين ، وتكشف الايام منه في المعهد عن رجل آخر في سير النهضة الصام ، ونشاط الامة الدائب ، وتسيير أكبر مؤسسة علمية ثانوية للامة الجزائرية .

وقد كان أبناء الامة - قبل المعهد - لا يستطيعون أن يستكملوا تعلمهم الثانوي الا بضروب من الاغتراب الشاق الى تونس ، أو العالم العربي شرقا ، أو الى القرويين بفاس غربا .

ونجح الاستاذ العربي التبسي في ادارة المعهد نجاحا منقطع النظير يشهد له بذلك ما سجله الاستاذ العلامة محمد البشير الابراهيمي في مقال قيم نشرته «البصائر» في عددها الصادر في 26 يولية 1948 - وهو عدد خاص بنشاطات المعهد ونظمه - جاء فيه ما يلي :

« والاستاذ التبسي - كما شهد الاختبار ، وصدقت التجربة - مدير بارع ومرب كامل خرجته الكليتان: الزيتونة والازهر في العلم ، وخرجه القرآن والسيرة النبوية في التدين الصحيح ، والاخلاق المتينة ، واعانه ذكاؤه والمعيتة على فهم النفوس ، واعانته عفته ونزاهته على التزام الصدق ، والتصلب في الحق ، وان اغضب جميع الناس ، والزمته وطنيته الصادقة بالذوبان في الامة والانقطاع لخدمتها بانفع الاعمال ، واعانه بيانه وبقينه على نصر الحق بالحجة الناهضة ، ومقارعة الاستعمار في جميع مظاهره فجاءتنا هذه العوامل مجتمعة برجل منه يملأ جوامع الدين ، ومجامع العلم ، ومحافل الادب ،

وما يتجرون عليه من اقتراف الفظائع ، ويرتكبونه من حماقات في اختراع الفواجع .

وتنهيا الفرصة لجمعية العلماء فتجدد نفسها في خريف سنة 1946 فيكون الشيخ العربي هو الرئيس الثاني لها . ويكون مؤتمر المعلمين على هامشها فيشرف عليه ويسيره ويساهم في توجيهه بمناقشات الهادفة دفاعا عن القرآن وحظه من الوقت في المدرسة الحديثة ، وتخصيص رجال مقتدرين لتعليمه ، حتى تكون منه الخلق القويم للتلميذ ، ونوسع من تراثه اللغوي بمفرداته ، ونموذه محاكاة القوة في اسلوبه . ونمكنه من فهم أسرار فصاحته وبلاغته ، وسلطان اعجازه فيكون له اثره ، وتكون « النواة الاولى » للمدرسة الموحدة ، قوية من خلال ذلك المؤتمر ، وتفتح ابواب الخير امام الامة مبشرة بالمستقبل السعيد بفضل توحيد البرامج ، وتقريب المشارب ، وتلاقح الافكار ، وتعيين مفتشين ، وخلق ما يشبه ان يكون «اكاديمية» حرة للتعليم العربي القومي بهذه الربوع فتأخذ تؤدي رسالتها ، وتمطي ثمراتها اليانعة ، وتمهد للثورة المتوقعة - في الفرصة المناسبة - .

الشيخ العربي وادارة المعهد :

وفي ربيع سنة 1947 تنهض الامة بتأسيس معهد ابن باديس تحت اشراف جمعية العلماء ، أو تؤسسه جمعية العلماء بمعونة الامة ويكون كل من اسم عبد الحميد بن باديس ، وموقعه بقسنطينة ، وانتخاب الشيخ العربي لادارته من بين المبشرات بنجاحه ، وفي هذه المرة يغلب الشيخ العربي على امره ، أو يبلغ به ايمانه بالمصلحة العليا أن يقبل فيضادر

ومجالس الجمعيات ونوادي السياسة ومكاتب
الإدارات ومعاهد التربية .

تلك هي شهادة المرحوم البشير الإبراهيمي في
صفه وعضده الأيمن ، وخليفته في رئاسة جمعية
العلماء ، من حيث المكانة العلمية والمنزلة الأدبية
المتأززة ، ومن حيث الرجولة العاملة ، والمؤهلات
الموهوبة والمكتسبة ، أما حين يتحدث عنه في الجانب
العلمي فإنه يقول :

« والاستاذ التبسي يتساهل في حقوقه الأدبية
إلى درجة التنازل والتضييع ولا يتنازل - أو يتساهل
- في فتيل من النظام ، أو الوقت ، أو الأخلاق ، أو
الحدود المرسومة ، (نفس عدد البصائر المذكور) (I)
أيها القراء الكرام ، إن رجلا تكون هذه
هي الصفات التي يتحل بها ، وتلك هي المكانة
العلمية التي يتبوؤها ، وذلك هو النشاط الدائب
الذي لازمه طيلة ثلاثين سنة لا يستطيع أي أحد
أن يقدر مدى ما أمكن أن يتخرج على يديه من رجال
ويتفتح بفضل توجيهاته من عبقریات .

مسؤوليات جديدة :

ويفادر محمد البشير الإبراهيمي هذه الديار في
الأشهر الأولى من سنة 1952 إلى فرنسا أولا ، ثم إلى
الشرق ثانيا فتصبح رئاسة جمعية العلماء ملقاة
كلها على كاهله بما فيها من مشاكل ، ويتبعها من
مسؤوليات ، ويؤمل معها من خير للامة ، فينوء بكل
ذلك في سعة أفق ، وضلعة تحمل ، ويقين إيمان ،

وعزيمة صبر ، ويمضي قدما بمشاريعها كلها جياشة
حية ، وعاملة مثمرة ، ونضالية دائبة .

وتأتي قضية تكوين الجبهة - جبهة التحرير
الوطني استعدادا للثورة فتكون له المواقف المشرفة
والمساعي الحميدة ، ويعلن في ربيع سنة 1954 في
مقال رنان « بأن كل مطالب جمعية العلماء حول
حرية التعليم العربي ، وحرية المساجد بما لها من
أوقاف ، وحول حرية القول وحرية الصحافة ، وحول
القضاء الاسلامي وما ينبغي أن يكون عليه من
علم ، وصلوحيية ، وتوثيق ، وتعديل وجرح واصلاح
قانون وغيرها من مشمولات الشخصية الاسلامية
للجزائري لم تعد مطالب جمعية العلماء ، وانما
أصبحت جزءا من قضية الامة الجزائرية ، عامة ،
ولم يعد للجمعية أي حق في التفاهم مع فرنسا ، أو
ممثلها في الجزائر الا بالقدر الذي تتكلم فيه مع
من يتكلم باسم الجزائر فيما تريد لها من حق في
الاستقلال والحرية وتقرير المصير .
موقفه من الثورة المباركة :

وذهب في خريف تلك السنة لاداء فريضة الحج
إلى بيت الله الحرام ، فقضاها ليعود من هناك فيخبرنا
عما رأى وسمع وتناول من موضوعات الساعة سواء
مع أبناء الجزائر في الشرق العربي ، أو مع زعماء
العرب ورؤسائه أنفسهم ، ونقل إلينا في جملة ما
نقل : « إن القوم يرون وجوب الخيار بين اثنين :
أما الثورة والكفاح المسلح وأما الاعلان - مع

(I) البصائر عدد 26 يولييه سنة 1948 كما سبقت الإشارة إليه

العربي التبسي والنهضة العلمية بالجزائر

« انقلوا عني ، وبلغوا كل من لقيتم ممن تعرفون أن كل «هجرة» من الوطن الى خارجه تعتبر مروقاً من الدين ، وخيانة للوطن ! ما لم تكن «في مهنة كلفت بها «جبهة التحرير» .

وكل من خالف يعتبر من مشمولات الآية الكريمة التي جاء فيها « ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال او متحيزاً الى فئة فقد بء بغضب من الله . وماواه جهنم وبئس المصير » .

وبكلمة موجزة أقول : ان حق المرحوم الشهيد العربي التبسي الذي اغتيل ليلة الرابع من شهر افريل سنة 1957 ، على المثقفين الجزائريين عامة وتلاميذه واخوانه خاصة حق عظيم ، وان مآثره لاكثر من أن يحيط بها قلم كاتب - مهما كانت مكانته - لذلك نسال الله جميعاً أن يقيض له اقلاماً متينة سيالة تتناول حياته في مختلف مراحلها ، ونشاطاته في ميادين العلم والعمل ، وصراحيته في الحق ، وجراته على مقاومة الاستعمار ، ثم ما كان منه من مواقف جليلة حازمة لصالح الثورة ، وصالح الجزائر ، وصالح العروبة ، وصالح الاسلام .

تفعله الله برحمته ورضوانه ، وشكر له مساعيه العظيمة ، وجأزه بها احسن الجزاء ، واكرمه واوفاه .

الاستعمار - بان الجزائر «غريبة» ليست عربية ولا اسلامية، لان العروبة يابى لها شمسها الخنوع ، ويستكنف بنوها من الخضوع . والحياة عندهم تقول «النار ولا العار» ولان الاسلام تنص آياته الكريمة بالبلاغة الصارخة في سورة النساء « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً» وعليه فالثورة هي الحل الوحيد الذي لا اختيار للجزائر في غيرها»

ثم يمضى فيقول « وعما قريب سستمخض الايام عن مولود جديد »

وما يكاد يطلع فجر غرة نوفمبر من سنة 1954 حتى ظهر المولود المبارك وهلل كل جزائري صميم للثورة المندلعة ، وتمضى الجزائر قدما في نضالها البطولي المجيد ، والشيخ العربي لا يفتر عن الدعوة العلنية لحق الثوار على الشعب ، وما يجب أن يكون عليه من بقطعة وحزم وتحمل .

ولعل من حق التاريخ ان اسجل هنا ان آخر لقاء لي به كان خلال عطلة يناير سنة 1957 ، وكان مدعوا وبعض اخوانه وتلاميذه الى تناول الغداء بحى الابيار في الجزائر . وكان الداعي أسرة تنتسب «لاولاد رداج» ويومها تعرض لقضية الثورة في جمهور الحاضرين فقال ما معناه :

كلمات

... وكتب Casette فى قسنطينة يقول : « من العجب ان لم نتفطن حتى لهذا الوقت لأهمية تعليم الشباب . وفى نفس الوقت كتب Mercier Lacombe الكاتب العام للولاية العامة يقول : « فى الوقت الحاضر يجرى تعليم الشعب العربى الجزائرى خارج تأثيرنا ، والمعلمون الذين يمارسون هذا التعليم لم يأخذوا منا شيئا من الافكار وهم خارجون عن رقابتنا ، فكيف نعول عليهم لكى يدخلوا الى عقول تلاميذهم أفكارا تجذب حضورنا حتى يكون الجيل الناشئ أقل عداوة لنا من الجيل الذى قبله ، وفى الوقت نفسه كتب Lacombe يقول : « ان الجيل الناشئ يكبر اليوم امام ابصارنا ويتلقى منذ صباه دروسا فى الحقد علينا . انه لا يجدر بنا أن نترك أكبر المتعصبين ينشرون أفكارهم المعادية لنا فى هذه الاجيال الناشئة التى يجب أن نكسبها نحن . ذلك ان الجيل الذى يربونه لا يقبل سيطرتنا الا بالأم ، فانه لا يجوز لنا أن نترك الجيل الجديد ينشأ على نفس الاحقاد ضدنا اننا لا نستطيع ان نبقى وجودنا فى هذه البلاد وجودا عداثيا الى الابد . ولكن لا يوجد أى شئ يدل على اننا نعطى لهذه القضية ما تستحق من اهتمام » اى ان التعليم هو الذى يحفظ استمرار هذا الوجود ، ان المعلمين الذين شحنوا بحقد لا يتزحزح ضد المسيحيين سيدلون دائما جهدهم ليقوا الجيل الناشئ بعيدا عنا مع ان هذا الشباب هو وحده الذى نعول عليه فى بقائنا ، (IO9) ولكن المشكلة هى أن هؤلاء المعلمين يستمدون كل سلاحهم ضدنا من التعاليم الدينية .

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

● أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من ضلالت مخطوط

الشعر
الجماني
في ابتسام
الشعر
الوهراني



هذا التأليف الذي تقدمه اليوم للقراء هو من
التأليف النادرة القيمة التي تبيط اللثام عن جوانب
كثيرة من تاريخ الجزائر في العهد التركي الذي مازال
يكتنفه الغموض .

اعتنى كثير من الباحثين بدراسة هذه الفترة من
تاريخ الجزائر إلا أن جلهم اعتمدوا على ما كتبه
المستشرقون أو ترجموه من المصادر العربية .

إن أكثر المستشرقين اهتماما بتاريخ العهد
التركي هم الأسبان إذ خصصوا مئات التأليف لهذا
العهد ومازالت خزائن الوثائق في إسبانيا مملوءة
بها وقد نشر الكاتب الأسباني رودريغيز ماران (1)
RODRIGUEZ MARIN فهرسا لهذه الوثائق
يحتوي على 900 تسعمائة صفحة .

●
المهدي البوعبدلي

(1)Rodriguez Marin : Guia historica y descriptiva de los (1) archivos, bibliotéchas y muscos arqueológicos de Espana : archivos historicos
Madrid (surprenta de la Bovieta de archivos 1916 n° 827 p.

كما اعتنى كثير من المؤرخين والرحالين والتجار والقيسيين من مختلف الاجناس بتدوين مذكرات انطباعاتهم للمدة التي اقاموها بالجزائر ، ثم ظهرت بعد ذلك تأليف أخرى خصوصا بعد الاحتلال الفرنسي - 1830 - جل اصحابها من الفرنسيين اعتنوا بالمصادر العربية فترجموا معظمها أو لخصوه وساعدهم على مهمتهم استحوذهم على كثير من بقايا التراث فدرسوها في المؤتمرات العلمية بعد أن حققوها ونشروا نتائج بحوثهم في سجلات تلك المؤتمرات ، وفي المجلات الخاصة لهذا النوع من الدراسات ، كالمجلة الافريقية التي كانت تصدر بالجزائر ، والمجلة الاسيوية التي تصدر بباريز فاحيوا فيها كثيرا من الآثار التاريخية التي اكتشفوها في بعض الخزائن العامة والخاصة وبعثوها من مرقدتها .

هذا واننا وان كنا نعتز بالفضل لبعض هؤلاء الكتاب على ما بذلوه من جهود في سبيل المحافظة على تراثنا وأحيائه ، وعلى ما استفدناه من بحوثهم ، فاننا نلاحظ ، انه ان كان الهدف للكثير منهم البحث العلمى النزىه ، فان الآخرين شوهوا الحقائق بعضهم جهلا والبعض الآخر عمدا ، جريا على ما كانت تتطلبه المصالح الاستعمارية ، او التعصب العقائدى . وقد وصل الكثير منهم الى أهدافهم حيث بذروا الشك فى عقول كثير من المواطنين ، ولقنوا حقائق تاريخية ، أقل ما يقال فيها انها مشوهة ، ولهذا فنحن فى أشد الحاجة الى اعادة النظر فى البحث عن ماضينا ، والى معرفتنا ، والى معرفتنا بقيمتنا الحقيقية ، والاعتناء بدراسة هذا الماضى دراسة علمية دقيقة ، مجردة عن الاغراض والارتجال ، وهذا يتوقف قبل كل شئ على

جمع الوثائق المختلفة لذلك العهد ، ودرسها مسرعا ، وتقديمها للقراء حتى يتسنى للخلف أن يعرفوا حقائق ماضى البلاد بصورة واضحة وان يطلعوا على المشاكل التي واجهت السلف وتغلب عليها أو تغلبت عليه ، ولهذا يشترط فى الباحث أن يتحرى الصدق فى النقل ، وان لا يتسرع بالتصرف فى النصوص أو بالحكم على الاحداث حسبما تمليه عليه الاهواء أو التيارات الفكرية ، فيؤول النصوص ، أو يلفق منها ما يؤيد به رأيه ، أو مذهبه فى الظروف التي فيها ، اذ لا تخلو من تيارات أو مذاهب تجتاح المرة بعد المرة البلاد ، فيندفع الرأى العام على غير هدى وروية ، ثم لا تلبث أن تهدأ فورتها ، فتخبو وتنطفى . ولهذا قيل ان المؤرخ ينبغي له أن يكون أمينا كالقنّان المصور ، كما يشترط فى الباحث أن لا يحكم على احداث الماضى بمقاييس ومناظر العصر الحاضر ، فمثلا ان الوطنية الضيقة الحدود ، كانت مجهولة اذ ذاك فى كثير من بلاد الاسلام حيث كان المسلم أينما حل فهو فى بلاده ووطنه ، وبهذه النظرة يمكننا أن نتصور عهد الحروب التي كانت متواصلة بين ملوك بنى زيان ، ملوك تلمسان ، وبين بنى مرين ، ملوك المغرب ، ثم بينهم وبين ملوك بنى حفص ملوك تونس ، وكان الجزائريون ، كثيرا ما ينتصرون للمرينيين ولبنى حفص على ملوك بلادهم بنى زيان .

ان أثر الاحتلال الاسباني للجزائر الذى أعقبه الاحتلال التركى ، ومقاومة البلاد طيلة قرون ، شحذ قرائح الكتاب الجزائريين وجعلهم يهتمون بالاحداث التي اجتازتها البلاد ، فالفوا تأليف كثيرة لها أهمية خصوصا بعد انتصاراتهم على الاسبان ، وطردهم

اضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

أوراس الناصري في تأليفه « عجائب الاسفار ولطائف الاخبار » ومحمد المصطفى بن عبد الله بن زرقة الدحاوي في « الرحلة القمرية في السيرة المحمدية » وأحمد بن سحنون في « الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني » موضوع مقدمتنا هذه وهو كما ذكرنا من أهم وانفس ما ألف في ذلك العهد اذ هو عبارة عن مذكرات دونها مؤلفها الذي كان يعيش في بلاط الباي وكان ملازما لولده ولي عهده وستعرض للحديث عن التأليف بتفصيل في آخر هذا التقديم .

كانت هذه الحرب المشهورة بحرب الاسبان حربا صليبية تجددت في شمال المغرب الاقصى حيث هاجم الاسبان والبرتغال شواطئ المغرب ، وسقطت بعض مدنه الساحلية كسبتة ، سنة 817 هـ والقصر الصغير سنة 862 هـ ثم تطوان وطنجة ومليلة وبعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالاندلس سنة 897 هـ صفا الجو للاسبان وأدت بهم نشوة الانتصار الى تتبع المسلمين في عقر دارهم ، فكان احتلال وهران سنة 914 هـ بعد احتلال المرسى الكبير ثم احتلال بجاية ، فتونس ، وطرابلس .

كان ملك اسبانيا اذ ذاك فردينان (FERDINAND) وقد استشاره الصليبيون على شن هذا الهجوم فوافقهم مبدئيا واعتذر لهم على تأخير العجز المال ، فتقدم اذ ذاك الكاردينال كسيمينز (XIMENEZ) أسقف طليطلة وتعهده بتحمل نفقات هذه الحرب بشرط أن يكون ذلك فرضا من الكنيسة ، كانت

من وهران ، التي دام احتلالهم لها ما يقرب من ثلاثة قرون ، اذ احتلها الاسبان سنة 914 هـ وأخرجوا منها سنة 1119 هـ ثم استرجعوها سنة 1144 هـ وبقوا بها ربع قرن ، الى أن أخرجوا منها نهائيا سنة 1206 هـ على يد الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي - باي الولاية الوهرانية - فعندئذ تسابق الكتاب والشعراء الى تخصيص هذا الفتح بعدة تأليف ، كما سبق أن خصص سلفهم للفتح الاول الذي وقع سنة 1119 هـ في عهد محمد بكداش باشا الجزائر وخليفته مصطفى بوشلاغم باي الولاية الوهرانية اذ خصصوا الفتح الاول بعدة تأليف وملاحم وقصائد وصلنا منها ما جمعه العالم الاديب محمد بن ميمون الجزائري وسماه : « التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية » (I) والفى ترجم فيه للبasha الفاتح وكتاب « بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الاعراب كبنى عامر » للششيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي نصه للمتعاونين مع العدو وبعد أن بين أصول القبائل المتعاونة وفصولها تعرض لحكم الله فيها ثم شرح « أرجوزة الحلفاوى » للرحالة عبد الرحمن الجامعي الفاسي صاحب الرحلة المشهورة السدى ساهم المهنئين للبasha بكداش في الفتح بقصيدة بليغة ذكرها صاحب « التحفة المرضية » أما الكتاب الذين خصصوا تأليفهم للفتح الثاني والاخير الذي وقع على يد محمد بن عثمان ، فهم المؤرخ محمد

(I) حققها وقدمها الأستاذ محمد بن عبد الكريم الزموري لنيل شهادة الدراسات العليا بكلية الجزائر منذ سنة .

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

صلة الكاردينال كسيميز عدا وثيقة بالملكة ايزابيلا المشهورة بالكاثوليكية زوج الملك فردينان والمتعصبة للحرب الصليبية اذ هي التي تداخلت في الصلح بين قومها والبرتغال فطلبت من البابا الكسنسدر (ALEXANDRE 6) السادس التدخل في هذا

الصلح ليتقاسم فيه الاسبان والبرتغال مناطق النفوذ بينهما فكان الاجتماع المشهور باجتماع طرودزيلا (TRODESILLAS) سنة 1492 م ، فخصص البابا للبرتغال مدن شواطئ المحيط الاطلنطي ، والبقية اى شواطئ البحر الابيض للاسبان ، وبعد احتلال شواطئ الجزائر عزز البابا قرار 1492 م بقرار آخر ، أعلن فيه الحرب الصليبية على بلاد المغرب العربي سنة 924 هـ الموافق لـ 1518 م ، وأمر ملوك أوروبا بعقد مهادنة لمدة خمس سنوات ، تتفرغ فيها اسبانيا لاحتلال ما تبقى من مدن المغرب العربي

كانت بلاد المغرب العربي اثنا هذه الاحداث سيئة جدا ، فعلاوة على عوامل الضعف والانحطاط التي عمت البلاد الاسلامية كلها ابتداء من منتصف القرن الثامن الهجري كما ذكر ذلك المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون وشاركه في رأيه أستاذة الجزائري محمد المقرئ التلمساني وان اختلفا في الاسباب فالمقرئ كان يرى أن النظام (I) الملكي هو من اسباب ذلك التدهور حيث أنه مناف للتعاليم الاسلامية المحيطة للشورى وابن خلدون يرى اسبابا أخرى بينها بتفصيل في تاريخه (ديوان العبر) .

نال المغرب العربي حظه من هذا التدهور ولم

تتغير حالته طيلة القرن التاسع ويظهر ذلك جليا في ضعف الملوك وتنمر القبائل العربية التي كانت تتمتع بشبه استقلال في اقطاعاتها وكلما أحست بضعف الملوك الا وبالفت في تمردا وتحديها ومطالبها اذ كان لا يهملها الا مصالح القبيلة والعشيرة ، فعند ما فوجئت الجزائر بالاحتلال الاسباني كانت مجزأة الى نحو خمسة عشر جزءا الكل تهيم عليه قبيلة عربية أو بربرية ، فقبيلتا سويد وبنى عامر الشهيرتان كانتا تسيطران على معظم سهول ولاية وهران ، وكان آل المقراني يتصرفون في القبائل الصغرى (وادى بجاية) وكانت قاعدة امارتهم قلعة بنى عباس ثم حولت الى مجانة والقبائل الكبرى تحت تصرف آل ابن القاضى ومقر امارتهم جبل كوكو ، ومدينة الجزائر وسهول متيجة تحت تصرف قبيلة الثعالبة ، ورناستهم اذ ذاك فى آل ابن التومى ، كما كانت كل من قبائل الذواودة والاحرار وسد ويكش وبنى تيقرين تهيم على ناحية لا تنالها فى تصرفاتها أحكام الملوك ، وقد تعرض كثير من الفقهاء لحالة بعض هذه القبائل ، خصوصا صاحب « الدرر المكنونة فى نوازل مازونة » بذكر كثير من الاسئلة الواردة فى حق هذه القبائل وتمردا على الحكام فقال (وسئل الحفيد سيدى محمد العقباني عن هؤلاء الاعراب المتغلبين على البلاد لضعف السلطنة أحيانا يكونون خداما للسلطان وتارة يكونون مخالفين على السلطان كما يفعل عرب بلدنا مثل بنى عامر وسويد يعمد أحدهم الى تولية قاض فى وطنه (أى اقطاعه) بد

اضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

كان من جملة اللاجئين الى وهران من الاندلسيين الملك السابق لمملكة غرناطة (I) ابو عبد الله الزغل امير مالقة عم آخر ملوكها المشهور عند الكتاب الاوربيين ببوعبدل وقد انتقل من وهران الى تلمسان حيث دفن بها سنة تسع وتسعين وثمانائة . وقد عثر على شاهد قبره بتلمسان كتب عليه ما يلي :

قبر سلطان قد مات في حال انجلائه

بتلمسان غريبا مهملا بين نسله

بعد ان جاهد في الله جهد اعتناؤه

حكم الدهر عليه قهرا حكم قضائه

واتاه الله صبورا عند انزوال بلائه

فسقى الله قبره دائما غيث سمائه

اما ابن اخيه الملك المخلوع آخر ملوك غرناطة فانه لجأ الى المغرب وتوفي بمدينة فاس كما ذكر ذلك أحمد المقرئ في « نفع الطيب » وغلط كثير من المؤرخين خصوصا المستشرقين - بعد اكتشاف (2) الشاهد المذكور بمدينة تلمسان اثر الاحتلال الفرنسي - فحسبوا ان آخر ملوك غرناطة هو دفن تلمسان صاحب الشاهد .

لم يلق الاسبان مقاومة تذكر عند احتلالهم للشواطئ الجزائرية بل الانكى أن بعض امراء تلمسان من بنى زيان تسابقوا للاتصال بهم وعرضوا عليهم خدماتهم ، كان كثير من العلماء يتوقعون هجوم

أمر الامام فيقضى هل تصح توليته وتنفذ أحكامه؟ الخ وقال في موضع آخر (... مع أن احكام السلطان أو نائبه لا تنالهم بل ضعف عن مقاومتهم فضلا عن ردعهم بل انما يداريهم بالاعطية والانعام ببعض بلاد رعيته ونصب عمالهم فيها وقطع نظر عمل السلطنة عن النظر في جبايتها الخ .

هذه في الجملة حالة بلاد الجزائر اذ ذاك نتجت عن انهيار دولة الموحدين وتفككها في أوائل القرن السابع اثر ثورة بنى غانية ، بقايا اللمتونيين المرابطين ثم دب الخلاف والنزاع في صفوف ولاة الموحدين أو مشائخهم - كما كانوا يدعون حينئذ الذين تسابقوا الى وراثة الدولة المركزية ، فكان كل منهم يرى انه الاحق بوراثة تعاليم الامام المعصوم ، فاندلعت الحرب بينهم ، وبقيت طيلة قرون .

كانت دولة بنى زيان في تلمسان بحكم موقعها الجغرافي بين تاردين ، تارة تحارب بنى مرين ملوك المغرب ، وتارة بنى حفص ملوك تونس ، وعلاوة على هذه العوامل كلها طرا عامل آخر وهو كارثة الاندلس وسقوط مملكة غرناطة ، فلجأ الى الجزائر سييل عرمرم من المهاجرين الاندلسيين فحذروا السكان وأطلعوهم على جرائم الاسبان وعلى نواياهم نحو البلاد الاسلامية اذ كانوا غازمين - لو حققت أمانهم - أن يخلوا بلاد المغرب العربي من سكانها ويعمروها بالمسيحيين .

(1) ابو عبد الله الزغل هذا هو المشهور بالمجاهد قال المقرئ في نفع الطيب - ج 2 ص 614 الطبعة الازهرية بمصر 1302 - يذكر حوادث غرناطة لسنة 895 هـ ولما رأى ذلك السلطان ، الزغل وهو عبد الله محمد بن سعد عم سلطان غرناطة بادر بالجواز لير الصدوة فجاء لوهرا ثم لتلمسان واستقر بها وبها نسله الى الآن يعرفون ببني سلطان الاندلس .

(2) اكتشفه بروسلار نائب والي بتلمسان ثم والي وهران اثر الاحتلال ، وقد نشر سلسلة مقالات عن الآثار العربية بتلمسان في المجلة الافريقية

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

الاسبان على الجزائر بعد سقوط غرناطة واحتلالهم لبعض المدن المغربية فأنذروا السكان وحذروهم من الخطر الذى يهدد البلاد ومن هؤلاء العالم الاديب الشيخ محمد التواتى الذى خاطب سكان وهران بقصيدة طويلة نقتطف منها هذه الابيات : قال :

**يا اهل وهران انظروا نظرا شفقة
بلدكم من قبل ان تتردئ
وقبل مجئ المنشآت ببحرها
واى قلوب عندها مستقرتى
ولا تكلوها غيركم وليت يكن
فما غابت مثل المقيم ببلدة**

الى ان يقول :

**فلا تهملوا امر الاعادى فانهم
بحال اجتماع واتفاق وشدة
وقد قطعوا قطعاً فان ظفروا بكم
فقد ظفروا باهل الجزيرة
ولا يحمى مرساكم ضعاف رجالكم
ولا البلى بل تحميه اهل الجزيرة
فان لهم بالطعن والضرب خبرة
وكم قتلوا بالكفر اكبر فتنة**

لما ظهر ضعف ملوك البلاد على المقاومة واتصال بعض الامراء بالعدو اجتمع علماء الدين ونادوا بالجهاد والاعتماد على النفس واحيا، الرباطات وكان

عروج واخوته خير الدين والاسكندر يجوبون البحر الابيض المتوسط فينقلون اللاجئين الاندلسيين الى شواطئ البلاد الاسلامية وكانوا كثيرا ما ينزلون ببعض الشواطئ. مختلفين يتصلون ببعض الشخصيات الدينية فمن جملة من اتصل بعروج من هذه الشخصيات الشيخ احمد (I) بن يوسف الراشدى دفين مليانة الذى كان من الد أعداء الملوك الزيانيين وحكموا عليه بالاعدام فصادف انه كان بقرية كرشتل (على شواطئ البحر غربى وهران بينها وبين شاطئ أرزيو) وحوله مريدوه فلمحه عروج فقصده وحدته بواسطة ترجمانه وقد ذكر هذه القصة الشيخ على (2) ابن الحاج موسى فى « ربح التجارة » الذى ذكر فيه ترجمة الشيخ احمد بن يوسف وكراماته التى منها هذه : وهى ان عروج لما اجتمع بالشيخ قال له : (اننى انوى أمرا ان سهله الله فلا ننسأك ، والذى يهمنى من هذه الرواية هو ان عروج كان يقصد بعض الشواطئ مختفيا وكان يتصل بمن يتوسم فيهم الفائدة وعلى كل حال فالاتراك لم ينسوا احمد ابن يوسف فكانوا يعينون على رأس ركب الحج سنويا أحد أولاده . وقد بنوا له ضريحه ومسجده الحاليين بمليانة كما عينوا أحد تلامذته نقيباً لأشراف الجزائر وبقي أولاده يتوارثون هذه الخطة فى عهد الاتراك وهو الشيخ محمد الشريف الزهار صاحب الضريح والمسجد بقصبة الجزائر .

كما اتصل بالاتراك من علماء الجزائر ورؤسائها

(1) احمد بن يوسف الراشدى قرا بيجاية عن احمد زروق البرنسى وانتصب للوعظ والارشاد بالراشدية توفى سنة 927 هـ

(2) على بن الحاج موسى الجزائرى - 1244 هـ - 1330 هـ عالم محدث له تاليف سماه « ربح التجارة » فى مناقب الشيخ احمد بن يوسف الراشدى وتوجد منه نسخة فى مكتبة ضريحه بمليانة

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

حالة حرب وسلم مع الأتراك ومع جيرانهم ومنافسيهم آل المقراني بمجانة والذي يتلخص لنا من هذا هو أن الأتراك لم ينزلوا بالجزائر تلقائيا بل جاءوها كمواطنين مسلمين ليشاركوا في الدفاع عنها وينقذوها من خطر الصليبيين ولهذا لقيهم جل السكان بالتجلة والترحيب اللهم الا بعض أمراء بني زيان وبعض رؤساء القبائل الذين كانوا يعتقدون أن الأتراك يقرونهم على التصرف المطلق في اقطاعاتهم كما كانوا زمن الملوك الضعفاء فتبين لهم أن عروج واخوته جنود جديون يقدررون الظروف الخطيرة التي كانت تجتازها البلاد فصاروا يعاقبون ويردعون كل من لم يتعظ بالاحداث كأمير الجزائر السابق سالم بن التومي الذي قتله عروج بيده وأمراء بني زيان ملوك تلمسان وأحمد بن القاضي الزواوي وقد استغل بعض الكتاب خصوصا الاوربيين قتل عروج لأولئك الامراء الذين رمى بعضهم في صهريج وشبهوه بملوك رومة الذين كانوا يقدمون ضحاياهم الى الوحوش فتفترسها على مرأى من المتفرجين ولنترك هنا الكلمة للمؤرخ أبي رأس ليبين لنا الداعي لقتل عروج أولئك الامراء، وكذلك الظروف والمحل الذي قتل فيه عروج قال أبو رأس في «عجائب الاسفار يصف احتلال خير الدين لتلمسان (.. ولا دخل تلمسان استعمل عليها أخاه عروج ثم بعد

الشيخ أحمد بن القاضي الزواوي صاحب جبل كوكو واختلف كثير من المؤرخين في شخصيته وكيفية اتصاله بالأتراك فمنهم من ذهب الى أن ابن القاضي لما رأى خطر الصليبية كاتب الخلافة العثمانية وهي التي أمرت عروج واخوته باجابه رغبته ومنهم من قال بأنه اتصل بهم هو وسالم بن التومي وسهلا عليهم احتلال العاصمة ووقع ذلك بالفعل ولا يبعد أن اتصاله بهم كان من نوع اتصال الشيخ أحمد بن يوسف بهم . أما شخصيته فالحقيقة انه تولى قضاء بجاية - وقد عثرنا على وثيقة تثبت ذلك - وبعد تزعجه لحركة المقاومة اتخذ جبل كوكو مقرا لامارته كما ذهب المؤرخ أبوراس الناصري بأن أبناءه استوطنوا مجاجة - قرب الاصنام - ومنهم الشيخ عبد الرحمن ابن عبد القادر المجاجي صاحب التأليف الشهير في المغارسة ثم ترجم له أي لأحمد (I) بن القاضي الزواوي هذا كثير من المؤرخين وأصحاب السير وبالخصوص ابن عساكر في «دوحة الناشر» (قيل انه من بقايا الحفصيين ببجاية) لما خصه بالترجمة كثير من المستشرقين الا انهم لم يتوصلوا الى نتيجة مقنعة والحقيقة انه بعد احتلال الأتراك لبجاية والعاصمة اختلف معهم ثم صالحهم ثم حاربهم الى أن مات في واقعة بثنية بنى عيشة لخبر يطول وخلفه اولاده واقاربه ومنهم من سمي باسمه وكانوا في

(1) قال صاحب «دوحة الناشر» بعد ما عرفه ولم يزل رحمه الله متابدا على سيرته النبوية الى ان كان من امره مع خير الدين التركماني مما هو مشهور وهو كان السبب في دخول التركماني لمدينة الجزائر واستيلائهم عليها وعلى المغرب الاوسط الى الآن . . وقتلوه شهيدا رحمه الله في العشرة الثالثة والله اعلم . . قتل في معركة مع الأتراك بثنية بنى عائشة سنة 933 هـ الموافق 1527 م

(3) صاحب الجبلوة هو أحمد بن محمد بن علي بن أبي العافية المكناسي المعروف بابن القاضي الزناتي - 960 هـ 1025 م - فلم تكن له صلة بالجزائر ولا بالعهد التركي بل هو مغربي له عدة تأليف

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

عشره نعصب المسعود من ملوك بنى زيان وهجموا على عروج فأخرجوه عنهم ثم زحف اليهم بمن معه وكان شديد البأس فدخل تلمسان وقتل سبعة من المترشحين للملك ونحو الستين من الامراء ولما رأى المسعود ما وقع ذهب الى وهران واستنجد بالملك الاسباني فارسل معه جنده الى تلمسان يحاصر عروج فلما طال أمر الحصار عليه خرج بمن معه من الجيش والبطانة فلحقوه بجبل بنى موسى (I) وقتلوه ومن معه يوم عيد الفطر سنة خمس وثلاثين وتسعمائة .

وقد ذهب كثير من الكتاب الى أن عروج استشهد فى « شعبة اللحم » بالمالح - غربى مدينة عين تمشنت - وهو خلاف الواقع وقد أيد ما قاله المؤرخ الشهير بربقجير فى بحثه القيم الذى نشره فى « المجلة الافريقية » المؤرخة فى أكتوبر 1859 تحت عدد الجزء 19 ترجم فيه بعض الوثائق الاسبانية تبين أن عروج بعد حصار طويل فى تلمسان التجأ مع عدد قليل من انصاره الى الانسحاب لبلاد المغرب فلحقته كوكبة من الجيش الاسباني التى كانت تحاصره فالتقى الجمعان ودافع عروج رغم قلة اصحابه دفاع الابطال الى أن توفى بالمكان المذكور فى جبل بنى يزناس بالمغرب الشرقى .

هذه حالة بلاد الجزائر ذكرناها مجملته بعد نزول

الأتراك بها . أما حالة المغرب فانها كانت لا تختلف عنها بكثير ولنكتب بما وصف به حالة المغرب اذ ذاك العلامة أحمد بن القاضى المشهور بابى محلى السجلماسى الذى ثار من جهته على الملوك السعديين واحتل سجلماسة ومدينة مراكش ونادى هو الآخر بالجهاد وبأحياء الرباطات التى كان دعا اليها قبله علماء آخرون مثل الشيخ أبى عبد الله محمد بن أحمد العياشى السلاوى ، قال ابن القاضى يصف حالة بلاد المغرب الاقصى وتزاحم الامراء على طلب الملك وتهاونهم فى الدفاع عن حمى الوطن بل اتصل بعضهم بجيش الاحتلال واعترف لهم بالسيادة على بعض الجهات المحتلة كمدينة العرائش .. الخ . قال : (.. وكل من تغلب على جهة قليلة منهم انما يبياعه من لا بال له ، أو مكره على بيعته خوفا من ظلمه . فسابت الامة ، وعمت البلية والقمه ، وفاض الكفر ، وغاض النصر ، حتى أخذت السواحل ، ولا مفيت لاهلها مع استغاثتهم لجميع القبائل ، وعطل فيها الاذان ، وضرب الناقوس فى مساجدها وتصببت الصليبان ، وعبدت فى محارب الله من دونه الاوثان ، وكل عالم بزعمه ، أو صالح بوجهه أو أمير بدعواه .

انتشرت الرباطات فى شواطئ المغرب الاقصى والجزائر ووقع الاتصال بين رجال الرباطات خصوصا بعد اعلان ثورة أحمد بن القاضى أبى محلى فاتصل

(1) كان قاتل عروج هو قارصيا فرنديز دولابلازا - الفارس - وقد قلده الملك شاول الخامس لقب الاشراف بنفسه - المجلة الجزائرية 1873 العدد 17 -

(2) عالم مؤلف نول الفتوى بالجامع الاعظم بالجزائر وتخرج عليه كثيرون من فحول العلماء كيجي الشاوى وابى مهدى عيسى الثعالبي وسليمان الروذاني السنوسي صاحب الفهرس الشهير فى العالم الاسلامي توفى سعيد قدورة بالجزائر حوالى 1066 هـ

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

كان خطر الحملة الصليبية في كل من المغرب والجزائر اللذين تقاعس ملوكهما عن الدفاع سببا في توحيد صفوف السكان والتفاهم نحو زعمائهم المختارين ولم يكتفوا باختيار الزعماء ومبايعتهم بل صاروا دعاة لجمع كلمة الزعماء انفسهم منذرين لهم بالخطر الذي يهدد البلدين وان الجزائر والمغرب مرتبطان بالاحداث وانه اذا قدر للعدو احتلال احدهما فليتخذها مطية الى احتلال الاخرى والذي ثبت ما ذكرناه بصفة جلية هو كتاب وجهه علماء البلاد الى الزعيم الديني محمد بن ابي بكر الدلاشي الذي كان حاضرا للمؤتمر الذي وقعت فيه مبايعة العياشي الا ان العلائق السرية كانت بينهما غير مرضية فكتابه الجماعة بكتاب طويل هام في الموضوع افتتحوه ببعض الابيات ومن جملة ما قالوه فيه من ارتباط البلدين المغرب والجزائر هذا : (والله الله سيدى فى جعل انقاذ هذا المغرب فى صحيفة اعمالكم والاعتناء بتطهيره من نجاسة الكفر من خيار احوالكم ، وشمروا سيدى عن ساعد الاجتهاد ، واذنوا فى الناس بالجهاد ، واغتنموا الفرصة فى اوقاتها ، وبادروها قبل فواتها ، مادامت كلمتكم مسموعة ، - اى هو والعياشي - وآراء الاعيان الى آرائكم مجموعة ، فلو غبتما عنا لعظم الامر وهال ، ووجبت الهجرة والترحال ، ولم يبق فى المغرب مسلم الا وقد دخل للكفر تحت الدمام ، وجعل فى عنقه زمام الدجن ويبس الزمام ، وسلك هذا العدو هذا

به وفد من علماء ورؤساء القبائل بالجزائر كان على راسه العلامة الشهير الشيخ سعيد (2) قدورة .

حفظ لنا التاريخ بعض وثائق لهذه الرباطات منها رباط تنس ورباط شواطىء تلمسان فقد عثر على وثيقة مؤرخة سنة 954 هـ بخط الشيخ عبد الرحمن اليعقوبى صاحب المعهد الشهير باسمه الى الآن بنواحي ندرومة عقد هذا العالم مؤتمرا جمع فيه رؤساء قبائل انقاد وبني سنوس وترادة ومطغره وبعض اعيان تلمسان لاحياء الرباطات وهذه الوثيقة عبارة عن عرض حال يتعهد فيه سكان القبائل المذكورة بامداد الرباط بالرجال والعتاد والمؤونة الخ وهذا المؤتمر شببه بمؤتمر الشيخ ابي عبد الله محمد بن احمد العياشي الزعيم المغربى الذى نادى بالجهاد وقاوم البرتغال وجمع هو الآخر اعيان المغرب وزعماء فبايعوه وقد بين لنا المؤرخ الناصرى فى كتاب «الاستقصاء» بيانا ضافيا هذا المؤتمر حيث قال : وقدموه - اى العياشي - على انفسهم والتزموا طاعته وان اى قبيلة خرجت عن امره كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها حتى تقى الى امر الله فاعطوا بذلك خطوطهم فى ظهير وانهم رضوه وقدموه على انفسهم ووافق على ذلك قضاة الوقت وفقهاؤه من تامسنا الى تازى وكان الحامل له على طلب ذلك منهم انه بلغه عن بعض طلبه الوقت انه قال لا يحل الجهاد الا مع الامير ففعل ذلك خروجا عن تلك الدعوى الواهية .

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

القطر الى تلمسان ، وكيف لا وقد رأينا ذلك بالعيان (I) .

كان لهذه الاتصالات بين نخبة سكان البلدين واحداث الرباطات والاعتماد على النفس بدلا من الاعتماد على الملوك والامراء المتعاضدين ، ثم اتصال خير الدين بالخلافة العثمانية ، وانظوائه تحت لوائها وتعيينه من طرف الخليفة العثماني باشا على الجزائر كان لهذا كله ، اثره الفعال ، فتوحدت البلاد لأول مرة في تاريخها ، ونظمت الادارة ، والجيش ، وأحسن رؤساء القبائل بتغيير الاحوال ، وان المسيريين للجزائر رجال أكفاء ، اقوياء ، ذوو جد وحزم ، كما كان مصير سالم بن التومي بالعاصمة ، واحمد بن القاضي وامراء تلمسان من بني زيان وغيرهم درسا عمليا قاسيا يقرأ له السكان الف حساب ، ومن جهة أخرى فان الهزائم التي تتابعت على الجيش الاسباني خففت من نشوة انتصاراته الاولى ، فتلاشت أحلامه ، وصار رابضا في مراكزه ، محاصرا في مراسيه ، قطع عنه التموين برا في جميع مراسيه ، فصار يستوردها بحرا ، الا ان الاسطول الاسلامي كان بدوره يهيمن على البحر الابيض المتوسط ، وغاراته متواصلة على شواطئ اسبانيا ، وإيطاليا ، وغنائمه من أساطيل العدو تعد بالآلاف ، حتى أصبح الملك شارلكان الذي كانت مملكته هو الآخر واسعة الاطراف بالبحر الابيض اذ كانت تضم قسما من إيطاليا وصقلية كان يصعب عليه الانتقال اليها

فتولى اذ ذاك تجهيز الاساطيل لغزو العاصمة فجهر أسطولا تحت قيادة « ديقو دوقيرا سنة 922 هـ فقاومه عروج وهزمه ثم أعاد الكرة مرة ثانية وجهر أسطولا تحت قيادة « هيقو دومكاد » نائب ملك صقلية سنة 925 هـ فلم يفلح وكان سيف لهذا القائد المعجب بنفسه انه كاتب خير الدين قبل المعركة ، أمرا له بالاستسلام والا فسيكون مصيره مصير أخويه عروج والاسكندر المستشهدين بقلعة بني راشد فأجابه خير الدين بأنه يترك الحكم للسيف وكان السيف في صالح خير الدين ثم جهز الملك شارلكان أسطولا بنفسه بعد احتلاله لتونس واختار الظروف المناسبة فاعتنم فرصة غياب خير الدين الذي عينه الخليفة قائدا لاسطول الخلافة فهزم شر هزيمة وذلك سنة 948 هـ وقد خصص كثير من المؤلفين مسلمين وغيرهم لهذه الهزائم التأليف العديدة فلا حاجة الى اعادةها وانما لا يفوتنا أن نذكر ان شارلكان في انسحابه الى بجاية بعد أن أشرف على الهلاك فرأى كثيرا من الاهالي بلباسهم القومي داخل بجاية فامتعض لذلك وسأل عن السبب اذ كان الاسبانيون لا يسمحون للمسلمين حتى المتعاونين معهم بالدخول الى مدنها المحتلة وان لزم الامر كأصحاب قوافل الحبوب فيغمضون عيونهم فأخبروه ان هؤلاء ليسوا بمسلمين وانما هم اليهود المطرودون من الاندلس وكان ملك بجاية آواهم وأسكنهم في البلاد ولما كانوا

(1) من مخطوط للعالم احمد بن يحيى بن احمد بن سليمان المشتال يقول في عنوانه : (كتبه بعض اعيان العرب الى الزعيم اس عبد الله محمد بن أبي بكر الدلاشي

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

يحسنون اللغة العربية عرضوا خدماتهم على الاسبان ليجسوسوا لهم ويطلعوهم على أحوال البلاد فاستعملوهم لذلك فامرهم شارلكان بطردهم فورا وقال كلمته المشهورة في وصفهم : «اننا لهذه الصفة الذميمة وهي الخديعة المتأصلة فيهم اطردناهم وقد آواهم هؤلاء الناس وبدلوا خوفهم امنا فكان الجزاء الخداع ، ولم يراعوا فيهم الا ولا ذمة فركنوا اليكم» اخرج شارلكان اليهود بعد ان جردهم من جميع املاكهم وامر باحراق كتبهم المقدسة زيادة في النكاية (٢) الا ان المعركة العاصمة التي قلبت الاوضاع وقضت على أحلام اساننا هي معركة الكنت دالكادوت (LE CONTE D'ALCADANTE) والى وهران من سنة ١534 م الى ١558 م عاصه كان صديقا حميما للملك شارلكان ورفيقه عند احتلاله لتونس وهجومه على الجزائر وهو أول اسباني بوهران جمع بين السلطتين المدنية والعسكرية وقد ضاق ذرعا برسى مستغنام فحاول مرتين الاستيلاء عليها وذلك في سنة 949 هـ ثم في سنة 952 هـ وباء بالفشل وفي المرة الثالثة استعد لها احسن استعداد فذهب بنفسه لقرطاجنة واختار الجيش الذي كان معظمه من نخبة الفرسان وخانه الحظ في هذه المرة ايضا وكانت الهزيمة الشنعا التي مازال الكتاب يخصونها بالتآليف ويتساءلون عن اسبابها وان من حظ التاريخ الجزائري ان أحد قواد الجيش الجزائري سجل هذه المعركة التي شارك فيها وخاض غمارها في ملحمة شعبية خلدت الشاعر المجاهد الذي مازال أهل تلك

الناحية يحيوا ذكراه سنويا وينشدون قصائده وفي هذه الاسابيع دشن مسجد بقرب ضريح هذا الشاعر ثم ان هذه الملحمة أو المنظومة تمتاز بخلوها من **مبالغات الشعراء** حيث تتفق تماما مع أحدث الوثائق الاسبانية المترجمة . دامت المعركة ثلاثة أيام خسر فيها الاسبان تسعة عشر ألف قتيل وأسير من بينهم خمسون ضابطا ومات في المعركة قائد الحملة الوالي الكنت دالكادوت واننا راينا أن نقتطف بعض الابيات من هذه المنظومة وان كانت باللغة الدارجة وكان هذا النوع من التقديم لا يسمح بتتبع الاحداث وذكرها بتفصيل راينا ذلك لنلفت نظر القراء الى الشعر الشعبي في بلادنا الذي يمتاز بأنه سجل هام لتاريخ البلاد وجغرافيته وان سكان بلادنا رغم الهموم التي اجتازوها والمحاولات التي بذل فيها أصحابها الجهود لقطع صلته بماضيه يبقى محافظا على تراثه مشجعا لهذا النوع من الشعر الذي كان حفاظه ينشدونه في الولائم والحفلات مبدلين محترمين ولو اندس فيهم بعد الحرب العالمية الاولى دخلاء لم يصونوا أعراضهم الا انهم مع هذا كله لم يعدوا أنصارا ومشجعين ماديا وأدبيا كان لهم الفضل في هذه البقية تعرض شاعرنا الشيخ الاكليل بن خلوف الشهير بالاخضر وهو دفين مزيلة (شرقي مستغانم بنحو 60 كلم) للمعركة بتفصيل فأوفى لها حقها وبين الطريق التي سلكها باشا الجزائر الامير حسن عند خروجه من العاصمة في طريقه الى مستغانم ثم

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

بين القبائل التي شاركت في هذه المعركة وانضمت للباشا ومنها قبائل سويد التي انتصر بعض أفرادها الى الاسبان كما سنبين ذلك في هذه المقدمة ، ثم بين شاعرنا الصبغة الدينية التي اكتسبتها هذه المعركة وبالتالي ان الانتصار فيها يعد أخذًا لشار غرناطة وانتقامًا لها .

قال الشاعر :

يا سايلى عن طراد الروم
قصة مزغران معلومة
يا سايلى كيف ذا القصة

ما بين النصرانى وخير الدين
الى ان يقول :

اجتمعوا فى برهم الاقصى
قواوا الجيش وجاوا معتمدين
ترى سفون الروم محترصة
صبحوا فى المنا اعداء الدين
خرجوا لك للبر خرج الثوم

وانجلوا من فوق وجه الماء
ويقول :

ارفع راسك يا على المفهوم
يا سيد الحسنين و قطيعة
شوف ابلادنا كيف راعا اليوم
تسيبها الكفار الظالمة
قصة مزغران معلومة

وهنا يذكر الشاعر الطريق التي مر عليها الجيش الاسباني بعد خروجه من وهران فى طريقه الى مستغانم فخالف الطريق المعتاد حتى لا يلتفت النظر وقصد جبال تاشالة حيث تعود الجيش الاسباني الخروج اليها للمناورات العسكرية وهذه المكيده لم تفت عيون الجيش التركى من سكان البلاد الذين كانوا يتتبعون العدو فى حركاته وسكناته فارسلوا من يخبر الباشا حسن بالعاصمة ، والى هذا اشار الشاعر بقوله :

اركب فارس اسبق ودنا
بالتعريف ايشير السلطان
البارح يقول جات الروم
يا فرسانى غاولوا انتما

ثم يذكر كيف استجاب حسن باشا للانذار وجهز جيشه وبعد أن جال الباشا بجنوده فى العاصمة وزار معاندها وأضرحتها على العادة المتبعة اذ ذاك خرج متوجها الى مستغانم :

ظل يسير بعساكره والقوم
فى وطن متيجة اولج الماء
فى امره جات العرب اطوم
سلطان عادل طاعته الامه
قصة مزغران معلومة

طلبه عند الشفا نقر
و اعلامات النصر منشورة
جات اخيول افريقيا تنجر
و افراسين الحرب مذكورة

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

ثم يذكر الشاعر زعر الجيش الاسباني وقواده
عند ما انبثوا بلحاق جيش الباشا وكيف بدأت
المعركة وقواد جيش العدو الذين ماتوا في المعركة
واحدا واحدا وكثيرا ما يذكر جملا ومفردات بالاسبانية
على سبيل التهكم والاستهزاء .

قال في عدد الاسرى والقتلى :

حزنناهم للسور ذاك اليوم

تسعه آلاف ابقات مفنوسة

من حيط الدشرة لحوض الدوم

عشره الاف امشات محطومة

ثم يذكر موت قائد الجيش الكونت دالكادوت
فيقول :

طل على الفرطاس يوم ان مات

في المغرب أهل الخزى ردموه

احلف لهم سلطاننا باثبات

شيب النار من الثرى جبدوه

احتفظوا بالفاس والمسحات

لحقوا به من الثرى جبدوه

ثم يختم قصيدته بقوله :

الامير حسن يوم مزغران

اخلف النار من العدو تحقيق

من لا ضره الله لا ينضر
لو طاحت الارقاب منصورة

في زكار (1) امقيم كم من يوم
لين جاته فيادها ورمات

اخضا (2) الواد الشايح المعلوم
فيه اضلان اسويد ملمومة

جاءوا اشيوخ سويد للسلطان

وفيهم ابو بكر و محمد

قالوا للامير لا تليسان

لا دين الا دين محمد

استشرح سلطاننا و ازيان

جاتوا للقوم زاهية ترعد

ثم يذكر القبائل التي ارسلت جيشها للمشاركة
في هذه المعركة فيقول :

من بنى راشد (1) وآل سويد (2)

وافراسين النطح عبد الواد (3)

يا مفراوة (4) اتحزموا للكيد

منكم خلقت اسلاطنا واجواد

يا تيجان الحرب ليس بعيد

من مات سكن جنة الميعاد

(1) بنو راشد ويقال لهم اهل الراشدية نواحي مصر وقلعة بني راشد ويسمون اليوم بفريس

(2) آل سويد هم اهل قبيلة سويد تحدثنا عنها في هذا التقديم

(3) عبد الواد قبيلة صغيرة قرب قلعة بني راشد ولعلها من بقايا بني عبد الواد ملوك تلمسان

(4) مفراوة قبيلة غنيمة كانت تحكم اول الفتح الاسلامي ما بين مليانة وتلمسان وكان مقرها شلف وقد حكم بعض ابرائها المغرب وليبيا وقضى على امارتهم الاول بلكن اذ كانوا احلاا لبني مروان

تري البهجة روضة البلدان

غرناوط الى امسات حريق

وهنا نلتف نظر القراء مرة ثانية الى ان الجزائريين لم يهملوا قضية الاندلس بل هذا شاعر له مكانته في البلاد ويمثل بحق رأيها العام الذي لم ينس مأساة الاندلس ويرى في هذا الانتصار اخذا لشاؤها ومحو لآثار عدوان الاسبان وعلى ذكر موقف الجزائريين مع الاندلسيين خصوصا اللاجئين منهم الى شواطئ البلاد فقد وقعت لبعضهم حوادث مؤلمة استغلها كثير من الكتاب وعموا تهمهم للبلاد كلها فذكروا ان مصير اللاجئين الاندلسيين ببعض شواطئ الجزائر كان نصيبهم القتل والنهب وبالفعل وقع ذلك لبعض اللاجئين سنة 1018 هـ أى بعد سقوط غرناطة بما يزيد على القرن وهو الجلاء الاخير . وقد ذكر ذلك المؤرخ ابوراس الناصري في « عجائب الاسفار » فقال : (.. مات الشيخ محمد اقدار التوجيني دفن ارض ميتا (قرب البطحاء) سنة خمس وستين و ألف (1056) لكونه حرض الشيخ احميدة العبدان يغزو بسويد على هبرة (بين المحمدية وسيق) لما فعلوه بالمسلمين الخارجين من غرناطة الى مرسى ارزبو لما غلب عليهم قشتالة حتى انهم كانوا يعقرون بطونهم لما يظنون من ابتلاع نحو جوهر فاتاه احميدة المذكور من الرسو بجنود عظيمة يوم الجمعة ووافق ذلك ختمه صحيح البخارى ثم ساروا ولقيتهم جموع هبرة فانهمزمو

وركبت سويد اكتافهم فقتلوهم كيف شاءوا وفي ذلك يقول شاعرهم (1) :

جينا يا رب بين النار والنار

بين انصارت دوك وانصارت قدار(2)

ميتين وعشرين قعدت في مشوار

دوار من الملاح ما عزى دوار

الموت من الاله واسبابه قدار

لا بد للحى يتفكر الاحرار

وفي هذه الرواية ما يكفى لرد جميع التهم التي الصقت بالجزائر منذ قرون ومازال المتأخرون يرددونها في كل مناسبة تدعوهم الى الكتابة او الحديث عن مصير المهاجرين الاندلسيين لشواطئ المغرب . وقد رأينا ان هذا العالم المرابط لنشر العلم والدين لم يكتف بتغيير المنكر بلسانه وقلبه فقط بل غيره بيده واستعان على ذلك برئيس القبيلة العتيدة . وفي هذه الرواية ايضا ما نستدل به على أن صحيح البخارى كان يدرس في الجزائر في القرى النائية فضلا عن المدن ، اذ ذهب كثير من المعاصرين ان طيلة قرون الاحتلال التركي لم يكن يدرس بالجزائر الا مختصر خليل .

ولنرجع الى الحديث عن واقعة الكادوت فنجد ان كثيرا من المؤرخين الفرنسيين والاسبانيين اعتنوا بها ومازال الكثير منهم الى زماننا هذا يبحث عن اسباب الهزيمة . ومعظم الوثائق الاسبانية المنشورة

(1) يقصد بنصارة دوك اسبان وهران الذين كانوا يغزونهم المرة بعد المرة

(2) انصار قدار سويد

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

تتبع هجومه بعد هزيمة دالكادوت لاحتل وهران
بغاية السهولة (تاريخ الجنرال ديدى)

"La domination espagnole à Oran sous le gouvernement du Conte
d'Alcadeute" Paul Ruff 1534 - 1558 (Paris Leroux 1900)

لم نتعرض لكثير من المعارك التي سبقت هذه
خصوصا التي قادها الملك شارلكان اذ تعرض لكثير
منها بعض المؤرخين الجزائريين اجمالا وتفصيلا
كصاحب « الزهرة (2) » النائرة فيما جرى للجزائر
حين اغارت عليها الجنود الكافرة .

والخلاصة ان الاسبانيين ولو دام احتلالهم لوهران
ما يقرب من ثلاثة قرون فان هذا الاحتلال وبإل
عليهم فقد كلفهم مصاريف باهضة وضحايا كما جر
عليهم فساد السمعة وتشيتت الشمل وقد أيد هذه
النظرية الكتاب الاسبانيون أنفسهم كالوالى فاليجو
(VALLEJO) فقد ذكر فى يومياته ان دعوة

المحتلين الصليبية كانت تخفى الجشع والطمع
وشبه غاراتهم على القرى الآمنة بغارات التتار على
بولوندا أو غيرها اذ ذاك من الدويلات الشرقية وان
أهم ما كانوا يحصلون عليه فى هذه الغارات اختطاف
السكان من رجال ونساء وصبيان ثم الحبوب والانعام
فالصبيان كانوا يرسلونهم للتنصير ، وأما الرجال
والنساء فكان لقائد الجيش الاعلى بوهران الحق فى
اختيار رجل وامراة والباقي يقسم بين الضباط

تتفق مع أرجوزة شاعرنا سواء فى أيام المعركة
وعدد الاسرى والقتلى وموت قائد الحملة ونبشه من
التراب بأمر الباشا حسن ثم ارسال جثته الى وهران
لولده ففدوها بفداء عظيم ودفنوها بكنيسة
سانتدومنيك (Ste DOMINIQUE) ومن هؤلاء
المؤرخين الاسبان هاندو (HAIDO) ودييغو سياديز
(DIEGO SUAREZ) والمؤرخان الفرنسيان
بول ريف (PAUL RUFF) والجنرال ديدى (DIDIER)
وقعت هذه المعركة سنة 965 وقد أرخها بعض
الادباء الجزائريين فقال :

فتح خير الدين مزغراناً
مرتجيا لفتح وهرانا
فى يه قلعة زوال الجملة
سنة هرفصخ فاستمع
وهذه القصة عند الناس
مشهورة بقصة الفرطاس

والفرطاس هو لقب الكنت الكادوت كما ذكر
ذلك الجنرال ديدى (I) أيضا فى تاريخه لوهران
قال : « ان المسلمين كانوا يلقبون دالكادوت
بالفرطاس » كما ذهب كثير من المؤرخين الاسبانيين
منهم دييغو كريزدار (DIEGO CRUZADO) ودييغو
سياديز (DIEGO SUAREZ) وبدور اليس
على أن الباشا حسن لو (B DE MORALES)

(1) الزهرة النائرة هذه ألفها محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن الجيلاني بن رقية التلمساني ألفها سنة 1189 الموافق لـ 775 -
سجل فيها الهجومات التي توالى على الجزائر بعد احتلال الأتراك لها وبالمخصوص هجوم (DOREILLY) سنة 1189 وذكرها بتفصيل
لأنه كان شاهد عيان وأتم تأليفه 1194 هـ

(2) تاريخ الجنرال ديدى عن وهران الجزء السادس طبع بى وهران 1929

الدكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الاعراب
كبنى عامر .

ذكر فى هذا الكتاب موبقات هؤلاء المتعاونين
ثم تعرض بتفصيل لاصولهم وفصولهم ومواطنهم
وحكم الله فيهم ولخص موضوع التأليف فى هذه
الجملة (.) ان هؤلاء الفرق الثمانية الضالة وهم
كرشتل وشافع وحميان وغمرة وقيرة وأولاد عبد الله
وأولاد على والونازرة لما اجتمعوا عند الاسبانيين
وصاروا على كلمة واحدة فى الدفع والجلب اشتد
بهم غضد النصارى وقويت شوكتهم وكثر بأسهم
على المسلمين الى أن صار وطن سيرات وملاطه من
جملة مسارح ومزارع العدو وليس للمسلمين فيه
مطمع الا من لاج فى حزبهم وصار من رعيتهم ودخل
فى حمايتهم وأدى لهم الجباية وكان معيناً لهم على
مرادهم وصاروا يتجسسون لهم الاخبار على المسلمين
فى السهل والوعار حتى اذا تعينوا له يصكهم
بخيله ورجله وهم معه فيقتل ويأسر ويسبى ويفعل
ما أراد الله بفعله واشتد غزوه بهؤلاء الفرق الضالة
التي رغبت فى عرضه الفانى رفيق الدين منهم
والجاني فانتكروا حرمة الاسلام غاية الانتهاك .
وصاروا لنقص أهل الاسلام وأعوانه الذين يشن
بهم الغارات على الابعدين ، وهذا فعل الاعدا . المرتدين
حيث جسروا العدو بخيلهم ورجلهم على اقتحام حلل
المسلمين ودورهم بكلهم وانتهاك حريمهم وانتهاز

والجنود والموظفين أو يباعون فى أسواق اسبانيا
بائمان مرتفعة وكانوا فى أول الامر يحاولون تنصير
الجميع الا انهم لم ينجحوا وقد أحصى
فاليجو ان ثلاثين شخصاً كانوا يتنصرون سنوياً الا
انهم لم يخلص منهم فى التنصر الا الصبيان .

وقد ذكر الرحالة أبوزيد عبد الرحمن الجامعى
الفاسى فى شرحه على «أرجوزة الحلقاوى» انه لما
زار الجزائر حوالى سنة 1119 هـ وشارك وفود
المهنيين لفتح وهران على يد بكداش باشا قال :
«كنت وفدت على العالم العلامة الراوية النقاد منهل
العلم الاصفى ابن عبد الله سيدى محمد المصطفى
(I) الرماضى بوجدة يسكن بيوت الشعر قرب غابة
فى رأس جبل يأوى اليهم ليلاً ويظل بالنهار فى
داره ومسجده يطالع كتبه ويقرئ. طلبته فسألته
عن ذلك فقال : كنا على هذه الحالة على عهد الاسبانيين
خوفاً منهم فأننا كنا لا نأمن فى الدور من أن يصكونا
ليلاً فخرجنا لبيوت الشعر ليسهل علينا الفرار
لغابة الجبل .»

وكانوا يستعملون بعض المتعاونين معهم
لاختطاف الصبيان فيرسلونهم للقرى فى زى
التجار الدواسين وبعد الفتح الاول أثرت هذه
القضية وحوكم أصحابها فيمن حوكموا مع المتعاونين
وقد أفردها العالم الشيخ عبد القادر بن عبد الله
المشرفى بتأليف خاص سماه « بهجة الناظر فى

(2) محمد المصطفى فقيه حافظ له حاشية مشهورة على التتالى وهي التي اعتمدها الدردير شارح المختصر وقال ان صاحبها من
المحققين فهو تفنيى عن غيرها روى ذلك محمد بن على السنوسى دفين ليبيا كما ذكر الفقيه الجوى المغربى فى تأليفه - الفكر السليم -
وقال ان كثيراً من علماء المغرب اعتمدوا هذه الحاشية كمحمد بن الحسن بنانى كان معه فى مسقط رأسه ومما

أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

انها واحدة من جماعة المسلمين كثر الله عدد جيش الاسلام ان لم يتقدم منها ما يبيع الدم ، وهذا التفصيل هو المعول عليه في الشرع لانه عين النازلة ولا تلتفت لمن عزم وقال باباحة المال والدم في الجميع وهو الفقيه أبو العباس سيدي أحمد الفلالي التلمساني في تاريخه .

وقد تم هذا التأليف سنة ثمان وسبعين ومائة وألف (1178 هـ) كان الشيخ عبد القادر (I) المشرفي هذا من المع شخصيات زمانه ومن كبار المجاهدين وكفاء فخرنا ان الشيخ مصطفى بن المختار الراشدي جد الأمير عبد القادر لما أسس معهده بالقيطننة اختاره للتدريس وبهذا المعهد تعرف به المؤرخ أبوراس وأخذ عنه ، وقد شارك في حرب الاسبان بوهراش على عادة علماء البلاد - ان من تأمل وتتبع تراجم علماء ذلك العهد يجد الاكثريه منهم ماتوا استشهادا في حرب وهران - وقد حكى تلميذه أبوراس في معرض الحديث عن الظروف التي استرجع فيها الاسبان وهران سنة 1144 هـ بعد أن بقيت تحت يد المسلمين 45 سنة قال : « لقد أخبرني شيخنا الاكمل واستاذنا الامثل خاتمة أهل التحقيق وعمدة أهل التوفيق الشيخ سيدي عبد القادر بن عبد الله المشرفي شرف الله في الجنان مكانه وكان حاضرا لتلك الواقعة ان الكفرة لما تكامل عسكرهم في البر وبقي جل مددهم في البحر لم يعملوا صفا للقتال ولم يطلبوا مجالدة

الفرصة فيهم والعجب العظيم منهم انهم مع هذا التلاعب بالاديان وموالة الكافرين لهم بالخدمة والنصيحة والمبايعة لهم على الطاعة والاذعان والاعانة لهم في امورهم وتقوية سوادهم والاستئضاء بنارهم وموادتهم لهم بالاحسان كانوا يعتقدون انهم على الاسلام وصحيح الايمان وانهم في رحمة الله خالدون ولم يقرأوا قوله تعالى في المائدة ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخلوهم اولياء ، ولكن كثيرا منهم فاسقون ... الى أن يقول على هذه الفرق :

« انقسموا على ثلاثة فرق ففرقة منهم لجأت لحصن العدو وصارت معه وتدافع بجهدا عنه والحكم في هذه الفرقة اباحة مالها ودم رجالها والبالغين من ذراريها لمن ظفر بهم من المسلمين لكونها ردة ، وأما الصغار من الاولاد فلا يقتلون ولا يكونون فيداً للمسلمين . وقد ذهب بعض النوازرة مع الاسبانيين بعد الفتح لعدوتهم واستقر بسببته فهو بها للآن ، وفرقة منهم لجأت للمسلمين وصارت تقاتل معهم العدو غير انها في الخفية تعلمه بأحوال المسلمين وقامره بالثبات وتواعده بالرجوع عنده اذ وجدت السبيل . والحكم فيها انها فرقة الزنادقة يقتل كل من اطلع عليه منها والا قامره الى الله سبحانه وتعالى . وفرقة منهم تابت لله تعالى وأتابت من موالة العدو ومواصلاته وتركت الاعانة له ظاهرا وباطنا وندمت على ما بدر منها سابقا والحكم فيها

(1) عبد القادر بن عبد الله المشرفي كان يدعى بامام الراشدية توفي بمسقط رأسه الكرط - قرب معسكر - سنة 1192 وهو والد العالم القاضي الطاهر المشرفي وجد ابن عبد الله المشرفي الحافظ الذي تولى الخلافة والقضاء في عهد الأمير عبد القادر

ابتداء من القرن السابع الهجري ما بين العطف شرقا الى مستغانم غربا وقد شاركوا في حروب بنى مرين فتارة ينتصرون لهؤلاء وتارة لاولئك وقد ذكر ذلك بتفصيل المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون .

وفي أول عهد الاتراك انتصر بعض رؤسائهم الى الاسبان كما تدل على ذلك بعض الوثائق التاريخية التي عثر عليها الكاتب ايلي دولابريمودي (ELIE D ELA PRIMAUDIE) في الخزنة الملكية الاسبانية بسمنكا - ضواحي مدريد - ونشرها الكاتب الفرنسى شارل فيرو (CHARLES FERAUD) بالمجلة الافريقية المؤرخة في سنة 1873 الجزء 17 فمن جملة هذه الرسائل رسالة عربيته مهلهلة أرسلها بعض رؤساء سويد الى ملك اسبانيا وأخرى الى الكنت دالكادوت والى وهران يطلبون اجرتهم حيث حاربوا في صفوفهم بأمر رئيسهم احميدة (I) العبد ، ويظهر من هذه الرسائل انهم كانوا متصلين بسالم بن التومي أمير العاصمة قتيل عروج حيث أظهروا تأسفهم على موته .

الا اننا بعد تتبع ودراسة أحداث تلك الفترة تبين لنا أن أصحاب هذه الرسالة لا يمثلون الا أقلية أو لم تطل مواصلاتهم للاسبان اذ كانت مشاركة أفراد القبيلة ورؤسائها لحسن باشا في حرب مستغانم مشاركة علانية . ثم ان الكتاب الذين سجلوا الاحداث لم يغفلوا عن القبائل المتعاونة ولم نجد واحدا منهم ذكر هذه القبيلة في قائمة القبائل المتعاونة كصاحب

الرجال وانما زحفوا للبلد بجميع الرجال والفرسان وهم كهيئة الرعي في الدوران . بارودهم كرعيد متصل ورصاصهم كمطر منهطل لا يستطيع أحد قربهم ولا يكر شجاع نحوهم وان الباي مصطفى - مصطفى بوشلاغم باي وهران وفاتحها مع بكداش باشا سنة 1119 هـ - سقط في ذلك اليوم عن فرسه لشدة تحريضه على الجهاد وكثرة عدوه ، الخ .

هذه في الجملة حالة البلاد بعد ما استرد الاسبان وهران وهذا لم يمنع الاتراك من التماذي في توحيد البلاد وحماية الحدود والقضاء على الاقطاع الا انهم ارتطموا بكثير من التمردات والثورات فتارة ينجحون في القضاء عليها وكثيرا ما كانت تتغلب عليهم الاحداث لاختلاف المسيرين ومن هذه الثورات التي دامت ما يزيد على القرنين ثورة الذواودة شرق الجزائر وثورة سويد غربها المشهورة عند العامة بثورة المحال . وقد كان من حظ التاريخ الجزائري أن سجل بعض شعراء البلاد ثورة سويد هذه ، وكان الشاعر سويديا وهو ابن السويكت الشاعر الشعبي فقد سجل عدة معارك خاض غمارها قومه مع الاتراك ، ولما ضعفوا عن المقاومة اختار الكثير منهم الجلاء على الاستسلام ، كانت قبيلة سويد من القبائل العربية التي لعبت أدوارا عظيمة في تاريخ البلاد . وقد تحدثنا عن جوانب منها أول هذا التقديم . ولما احتل الاتراك الجزائر كانت لهم امارة بتنس تمتد من قبر الرومية شرقا الى مصب نهر شلف غربا - قرب مستغانم - وكان موطنهم

(1) احميدة العبد من رؤساء قبيلة سويد وهو يطلق على عدة افراد تداولوا وثاسة هذه القبيلة

اضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي

البى قد شور لهم
و اسويد ليه زادوا حملوا
ارغد اسناجقو و الحقهم
عمدوا للقتال او قتلوا
جا بالعراج بيده بالمستحين
احنا اسويد واهل النصار بالجملة
احنا اهل الشنا و احنا الى طايغين
احنا اهل الطبل والعلام والصولة
ربعين باى قبلك قعدت امرشقين
ربعة و العشرين مشاو مقتلة
اداكم الطمع فى امطافل امتقنين
اسويد ما يطيعوا الترك قتالة
الترك للبللا ينزادوا
و اسويد ما اعطوا الصفحة
البى جا لهم بجنبوده
طيعوا يا سويد الوكحة
سور الحديد واش ايهدوا
هيئات ما تصيبوا راحة
محمود ليه لفت عوده
و البى واجبه باقباحه

بهجة الناظر وغيره وهذا لا يمنع أنهم ثاروا على
الأتراك وحاربوهم ما يزيد على القرنين . ولما عجزوا
اختاروا الجلاء بدلا من الاستسلام . اختلف المؤرخون
فى سبب هذا التمرد ولاشك ان رؤساء هذه القبيلة
الذين كان لهم التصرف المطلق فى اقطاعاتهم وكان
الملوك كثيرا ما يخضعون لهم رفضوا الخضوع للأتراك
وقد لخص أحد شعرائهم سبب هذا التمرد واختيارهم
الاستماتة فى المقاومة فى بيتين فقال :

قالوا الترك ندو شلف لا وهمة

قلنا لهم اجدودنا فى السواد

ما نتركوش شلف حتى تطيب الصمة

وما نهديوش العقبة على الاولاد

كانت الحرب بينهم وبين الأتراك فى أول التمرد
سجالا وأكثر المعارك كانت فى موطنهم الاصلى
شلف . وقد سجل شاعرهم الشعبى ابن السويكت
كثيرا من هذه المعارك فذكر منها واحدة قال :

على ارهيو (I) وعلى جديوية (2) كارسين

الترك جوف واسويد جاوا للقبلة

خيمة مع اخبا وبنود متقابلين

من الصبح للمسا كل يوم مقتلة

الترك جاروا واسويد اعقابهم طافحين

والترك شاربين الهبال فى سطة

(1) ارهيو هي مدينة وادي ارهيو منتصف الطريق بين غيلزان والاصنام

(2) جديوة قرية شهيرة غربي وادي ارهيو بنحو 10 كيلم

ذكرنا هذه القصيدة على طولها في هذا التقديم الذى لم يتعود القراء التطويل فيه اذ على الاكثر يحال فيه القارئ الى المصادر الا اننا - خصوصا في بلادنا التى ضاع جل تراثها - صرنا من الصعب أن نحصل على هذه المصادر ثم ان الشعر الشعبى كما هو معروف سجل هام لهذه الاحداث وهو ممتاز حتى عن الكتب التاريخية لذلك العهد حيث أن معظم المؤرخين الذين وصلتنا آثارهم وانتاجهم كانوا من الموالين للاتراك أو موظفين عندهم وهم بطبيعة الحال لا يصورون القضايا الا بما يرضى الهيئات الرسمية فنشر هذه القصائد يلقي أضواء على الاحداث ويصورها تصويرا جليا .

السانجاق حم رفته
و اسويند لبلاد لا حا
ظهروا اشوايع اسويد قعدت متورخين
ملكوا الشرق والغرب تل والقبله
مع الامير عقبه جاوا امجاهدين
امنين كانت الناس كلها جهالا
جازوا اوجوزوا فى ايامهم ساعدن
واجميع من اقصد اذى بلا قلة
يهدوا ايبلمهم والمال للقاصدين
غنيات والحصون يتقادوا شلا



الدور الذي

لعبته

الجزائر

في القرن السادس عشر بالبحر المتوسط

نطرق في هذا المقال جانبا من تاريخ بلادنا الحافل الذي كثيرا ما بقي مجهولا على عدد من اخواننا او معروفا على طريق الغير ومحرفا ومزورا الكثير متشبعون باخبار مزيفة بدون ان يشعروا .

فترة من الزمان في القرن السادس عشر عاشتها بلادنا في اضطراب وعنف وحروب ، ومع ذلك في سيطرة وعزة وصيت بعيد وصادفت تلك الفترة دخول الاتراك العثمانيين لقطرنا في ظروف غريبة فبسطوا حكمهم عليه وامروا ونهوا .

عبد الحميد بن أمشهو

العربي انما هو سلسلة حوادث دامية وان بلادنا كانت تعيش في عزلة عن البلاد الاوروبية المجاورة لها وفي حالة فوضى بينما كانت تلك الاقطار تمتاز على قوتهم بالرقى والحضارة لا علاقة لها بالدول البربريسك ، كما كانوا يسمونها التي كانت تعيش من القرصنة وقطع الطرق .

فاتنا نفند كل التنفيذ تلك الاقاويل العنصرية التي لا اساس لها من الصحة ويوجد والله الحمد مؤرخون هم الان بصدد تكذيب زعم هؤلاء المقتربين على الله الكذب .

ان بلادنا كانت دائما وابدا باتصال مع البلاد الاوروبية الضوية والاسيوية المجاورة للبحر الابيض المتوسط التي يرتبط تاريخها بتاريخنا ، شاهدت الدور الذي لعبته الدول المسيحية في سياستها والعكس بالعكس وتدخلت الخليفة العثماني في الشؤون الحربية لبلادنا لكي يوحدا جهودهم ودور الجزائريين في الحروب البحرية التركية بواسطة سفنهم المظفرة والمحاولات التي قام بها الملوك المسيحيون وفرنسوا الاول وشارل الخامس وملوك صقلية والبندقية وغيرها في بلادنا، وكذلك ما قام به اسلافنا من تدخلات في امور الاقطار الاوروبية كل ذلك يجعلنا نقول القول الصحيح المبني على الادلة القاطعة والتقارير والرسائل الرسمية ، ان البلاد المجاورة للبحر المتوسط سواء كانت اسلامية او مسيحية تداخلت في ذلك القرن العجيب واثرت بعضها في بعض من حيث الحوادث التي راجت فيها ، الامر الذي جعل الجزائر تلعب في ذلك الابان دورا هاما على مستوى العالم العربي والاوروبي معا وبعد صيتها واصبحت تقوم

نعم لقد حكم الاتراك في بلادنا لكنهم كانوا يطبقون على اسلافنا الشريعة الاسلامية ويستعملون اللغة العربية في معاملاتهم واداراتهم مشجعين لها وكان حكامهم غالب الاحيان يتكلمون ويحررون وثائقهم بالعربية ويحمون بيضة الاسلام منتصرين للموتشبتين بمبادئه الصحيحة ، كما كانوا يعتبرون انفسهم جزائريين يبرمون العهود والاتفاقات باسم الجزائر لا باسم الباب العالي وكانوا ينتصرون لبلادنا . اما مشاوراتهم مع السلاطين العثمانيين فكانت مجرد اجراءات سياسية واعانات عسكرية او علاقات دينية تدخل في باب اللياقة والادب والطاعة الدينية للخليفة العثماني والادعية في الصلوات التي كان حكام الجزائر يؤدونها له مثل ما كانوا يؤدونها من قبلهم لخلفاء الاسلام من الراشدين والامويين والعباسيين والفاطميين والموحدين .

نصب الحكم التركي ابتداء من سنة 1500 م في القرن العاشر الهجري بواسطة رجلين بحارين عاشا في خمبول في صفر سنهما وخرجا من اسرة يونانية او تركية بسيطة واتيا الى الجزائر بفضل الظروف التي كانت تعيش فيها بلادنا واستقرا بها وحلا وعقدا وحاربا من كان يتعرض لهما في طريقهما التصاعدي وفرضا انفسهما على اقطار شاسعة واقرا الامن في افريقيا ووضعوا حدا للشقاق وجلسا على كرسي الملك وضربا السكة وحاربا اعداء الاسلام ورفعوا رايته عاليا وبسطا سيطرتهما على البصر الابيض المتوسط واجليا الاسبان منه بعد ما كان هؤلاء يرومون نشر المسيحية بالجزائر وتونس .

يزعم الكثير من المؤرخين الافرنج ان تاريخ المغرب

البور الذي لعبته الجزائر في القرن 16 بالبحر المتوسط



البور الذي لعبته الجزائر في القرن 16 بالبحر المتوسط

ويحرقون ويقتلون ويفتكون في اهل الاندلس الى ان آل الامر الى احتلالهم غرناطة عاصمة بني الاحمر وخروج اصحابها ولجؤتهم الى الجزائر والمغرب وشاهد تاريخ 1492 المشؤوم طرد مآت الالاف من المسلمين. صادف هذا الطرد ظهور عروج وخير الدين اللذين حملا منهم عددا كبيرا في سفنهما ووضعاهم في السواحل المغربية من الرباط الى طرابلس بعد ما اخذا معهما في سفنهما الحربية العدد الكبير كمحاربين هؤلاء الذين اصبحوا من المجاهدين الصناديد فشدوا عضد الاخوين في السواحل الاوروبية ودوخوا البلاد الاسبانية التي كانوا يعرفونها حق المعرفة دريا دريا ودارا دارا .

واشتدت الحروب البحرية في ايام الاخوين ، وهي

بدور الحاكم بين الملوك وتخوض في سياستهم وتفرض ارادتها وتحارب العصاة والمتمردين على الملوك انفسهم . لكن تلك الفترة الغريبة من تاريخنا قد حجبته عمدا السلطات الاستعمارية لكي لا نعرفها نحن حتى نحتج بها ونفخر ونعتز فزورت تاريخنا وافسدته عمدا واظهرت وجها مشوها للجزائر .

حقا كانت الجزائر عند دخول الاتراك العثمانيين في حالة فوضى ، مقسمة ومجزئة وكان يمارس السلطة فيها الزياتيون في تلمسان في آخر ايامهم وابناء عمهم في تنس واولاد سالم الماعقل بجزائر بني مزغنة والحفصيون ببجاية واولاد بن جلاب بتوقرت وبعض الاشياخ بالصحراء وفي ذلك التاريخ اخذ الاسبان المسيحيون يطردون المسلمين من ديارهم

حروب يطلق عليها لفظ القرصنة . فكانت في الحقيقة من اختراعات الافرنج لا العرب وحتى الكلمة لهم لا يوجد لها مرادف في العربية انما استعربت في القرن التاسع الهجرى وكان يسمى من يتعاطاها قرصانا وهم معروفون عند ابن خلدون بغزاة البحر . وقد مهر فيها الاتراك والجزائريون وخصوصا منهم اهل بجايا والجزائر وشرشال ووهران ، وبعد ما طرد الاسبان المسلمين من الاندلس اشتدت تلك الحروب لما كان في قلب اهل الاندلس الفاضحين من كثرة الصدرة للفاسبين الظلام والانتقام منهم واشتهار الحروب عليهم لعلهم يسترجعون مساكنهم واموالهم . وكان الاوروبيون يفعلون مثلها يفعل المسلمون بل اكثر . فكانوا يسبون ويقتلون ويفتكون ويسترقون ويبيعون القىء والاسرى ويرغمون هؤلاء على الاعمال المرهقة وينصرون الرجال والنساء والاطفال اكرها .

وقد قويت شوكة الاسبان بفضل الخيرات التي كانت تتدفق على بلادهم وبفضل السلاح القارى الذى اخترع منذ زمان قليل وسيطرتهم على امريكا التى اكتشفوها منذ بضع سنوات واخذوا يفكرون فى التوسع فى البلاد الاسلامية كلها ومحو الدين ونشر المسيحية . وكان الاتراك نوى نفوذ وسطوة يقرأ لها حسب فى الشرق الاوسط واسيا الصغرى والبلقان واليونان واروپا الوسطى . ومنذ صعود شوكتهم اخذت قواتهم تتصادم مع القوات المسيحية فى البر والبحر وخصوصا فى البحر المتوسط وكان التنافس العنيف بينهما وتجسرى الحروب الشديدة سجالات بينهما .

لقد شاع خبر الاتراك فى البحر الابيض المتوسط

ابتداء من سنة ١٥٠٢ اذ كانوا يقبضون على شواطىء جنوة وفرنسا واسبانيا وسردينيا ومايورقة ومينورقة واليابسة وفى شرق البحر فى فينيسية وصقلية وقبرص ورودس ونابل وكثيرا ما كانوا يتفوقون على اعدائهم وكونوا اسطولا عثمانيا هاما كانوا يقبضون بواسطته على تلك الاقطار بعد ما ظهر الاخوان باربروسه فعملا باسمهما الخاص او باسم بعض الباشوات الاتراك الذين كانوا يعمرون لها السفن الحربية . وانفرد الاخوان واخذوا يجوبان البحار بجنود جزائريين واهل الاندلس وزنوج ومغاربة وتونسيين وكانا يعملان باسم الجزائر التى اتخذها عاصمة لهما الى ان استشهد عروج فى حرب قرب تلمسان ضد الاسبان فورثه اخوه خير الدين الذى استمر فى اعماله الحربية البحرية وفاق اخاه فى الشجاعة والعنف والبطش والبطولة وفى الفتك باعدائه الاسبان وعلى كل حال كان ذلك رد فعل من المسلمين على تلك الحركة الجديدة من الحروب . وعزم المسيحيون اثر غارات المسلمين البحرية على احتلال المواقع الحيوية والحساسة لافريقيا كى يضعوا حدا لوطاة المسلمين وخصوصا فى المراسى وامام المدن الكبرى المغربية . لكن استعد لهم الاخوان اللذان حاولا طردهم منها . فاخرجاهم فعلا من الجزائر وبجاية وعنابة وتونس وطرابلس الا وهران والمرسى الكبير . وتقوت شوكة الجزائر وذاع صيتها فى البحر المتوسط واصبحت خطرا على اسبانيا والسواحل الاوربية فخشيت الكنيسة من سيطرة الاخوين على البحر والقطع على التصارى طرق السفن وامتداد طمعها على الاندلس والبلاد الاوربية .



الجزائر في القرن 16 بالبحر المتوسط

الواقعة تحت قيادة حسن اغا واشتهرت بها الجزائر في العالم كله وحاولت الدور الاوروبية والشرقية ربط العلاقات والتحالف مع الجزائر . وقد كان نادى السلطان سليمان القانونى خير الدين لينظم له الاسطول التركى لما نال من السمعة العظيمة في الامور البحرية وصناعة السفن حيث ان سليمان كان تحت تهديد شارل الخامس الذى حشد قواته المتحالفة من اوروبا كلها فبادر خير الدين الى اسطنبول وقلد خطة وزارة البحر فنظمها وصنع العدد العديد من السفن الحربية بواسطة صناع جزائريين استعان بخبرتهم في امور الصناعة البحرية وخرج يغزو مع بحارة جزائريين واتراك . وكان يواجه الاميرال الجنوى الشهير آندريا دوريا الذى كان

وكان اذ ذاك الامبراطور شارل الخامس المدعو شارل كانت مسيطرا على جل اقطار اوروبا حتى قيل عن ممالكه ان الشمس لم تغرب في ارضه . ورغم قوته وكثرة جنوده كان يخاف من بطش الجزائريين تحت قيادة عروج وخير الدين . فحارب الجزائر مرارا عديدة ونزل بساحلها بفضل الجيوش العرومة لاوروبا كلها لكنه كثيرا ما هزم وطرد بعدما كبده الجنود الجزائريون الخسائر الجسيمة وكانت تلك الوقعات التاريخية في سنة 1516 و1518 و1525 والهزيمة العظمى التى كانت في الحقيقة مفخرة للجزائر هي تلك الفظيعة التى تكبدها سنة 1541 في مرسى الجزائر حيث هلك له الالاف من الجنود والخيول وغرقت وسييت مات السفن . وكانت

والجزائري اللذان كانا يستعين بهما فرنسوا الاول في حروبه ضد شارل الخامس لاستولى هذا على فرنسا وخط فرنسوا الاول الى درجة ملك حقير ينحصر ملكه في بعض الولايات الفرنسية ، وقد اسدى الاتراك والجزائريين معروفا لفرنسا في ظرف من الزمان يفوق خمسين سنة تقوى خلاله فرنسوا الاول ونظم جيوشه رد بها جيوش عدوه اللدود حتى طعنت فيه الجماهير المسيحية لتحالفه مع اعداء دينه ضد ملك مسيحي .

ان الاسبان كانوا يشكلون خطرا على الجزائر اذ ذاك من الناحية الدينية والاقتصادية لحلولهم في المراسى الهامة للجزائر وخصوصا منها المرسى الكبير ووهران ، ولو لا ذلك الاحتلال والقطع والحصون النبعة التي شيدها في السواحل الجزائرية لا عاد الجزائريون الاندلس لاهلها وفرضوا فيها قوتهم . وكانت تلك القلع يكاد الاسبان يتوسعون منها الى القطر كله . والليل هو انهم وصلوا اثناء غاراتهم الى جبال العمور ومن لطف الله الخفي كان شارل الخامس يحارب في عدة جبهات بفرنسا وايطاليا والفاتيكان وفينيزيا واوروبا الوسطى وضد الاتراك العثمانيين المناهضين الاقوياء الذين احتلوا بلاد المجر وحاصروا فيينا وكانوا يحتلون اوروبا كلها ، كما كان شارل الخامس يواجه الثورات باوروبا التي ظهرت فيها اذ ذاك الديانة الجديدة المتحصدة من المسيحية وهي البروتستنتية . كل ذلك جعل الامبراطور لم يجب كما كان يريد قواد المرسى الكبير ووهران الى طلباتهم الملحة الاكيدة ليزودهم بالجنود والمؤن والعتاد الحربي ، الامر الذي ارغم الجزائريين

يحارب باسم شارل الخامس . وتلقى الرجلان المرات العديدة في البحر المتوسط وكانت الحروب بينهما شجلا . لم يكن في الحقيقة امير للبحر اقوى واشجع من اندريا دوريا من بين المسيحيين ، ولذلك اختاره شارل الخامس وحده عن خدمة فرنسوا الاول ليحارب به سفن الجزائر وتركيا . وجرت مصادمات عنيفة بين الاسطولين اشهرها حرب ليبانت العظيمة حيث امتاز المجاهدون الجزائريون ببطولة لا مثيل لها . واذا لاقى الامبراطور مرة لم يستطع تكسرها اشهر الحرب الصليبية على الجزائر واقسم باليمين المفلظة انه سيدرس الجزائر درسا ويردها رميا مثلما صنع الرومان بقرطاج . والقي يوما بتاجه على الارض واعدا نفسه ان لا يرده على راسه حتى يحتل الجزائر وينكها نكا ويخربها ويحولها ركاما من الحجارة والتراب لكن لم يجبه الله الى طلبه بل زاد الجزائريين شدة وعنفا ومدوا يد المساعدة لفرنسوا الاول الذي كان متحالفًا مع السلطان العثماني سليمان ضد شارل الخامس وشاركت الجزائر في الحرب وحاصرت جنودها مرسى نيس التي كانت بيد شارل كانت بعد ما عسكر خير الدين بجيوشه في طولون وبسط حكمه على المرسى والمدينة واخذ يخل ويمقد وينهى ويامر الى حد ان منع من دق الاجراس وامر بالاذان في اعلى صومعات الكنائس وحاول ان يغير العوائد الفرنسية ويبدلها باعراف اسلامية . واذا هزمت جيوش الامبراطور توجهت السفن الجزائرية الى الشواطىء الايطالية والاسبانية والجزر الخضراء لتابعة غزواتها .

ولنقل بهذا الصدد انهمولوا الاسطول التركي

والرئاسة . واذ رأى فيه خير الدين تلك الخصال اسند اليه رئاسة اسطول هام وتركه يعنى في سواحل البلاد المسيحية . فدوخ البلاد المجاورة للبحر المتوسط وخصوصا منها اسبانيا وصقلية وايطاليا متخذاً جزيرة جربة قاعدة له واشهر حروبه على الاساطيل الاوربية التي كان يرأسها درريا فتفرغ له هذا وعزم على وضع حد لهجوماته على الجزر الغربية للبحر المتوسط الذي كان يعتبر دوريا نفسه سيدا عليه . فعند كافة امكانياته ليقبض عليه فاسره قرب قرسيقة ، لكن فداءه خير الدين بالمال ، الامر الذي ندم عليه الاسبان ، وقال هايدو عن سراحه : لقد سرح طرغد بفديه كلفت المسيحية ثمنا غاليا .

وكان طرغد من اعداء دوريا الذي حاصره سنة 1550 في ميناء مهدية ففكر طرغد في مكيدة لاتخطر ببال المهندسين الماهرين وهى ان اخرج سفنه كلها على طريق البر بعد ما بسط لها الممر في الرمل الذي غشاه بالخشب المطلى بالشحم لتنزلق عليه السفن بسهولة ، ثم جرها بالحبال واخرجها بسلامة الى البحر حتى ابحرت . وبينما كان دوريا ينتظر استسلام طرغد اذ رأى نفسه محاصرا مطوقا من كل جهة باسطول عدوه فهزمت سفنه ورفع الحصار وفر هاربا خجلا مذموما في اعين جنوده ولم يشاهد في عمره خديعة في الحرب مثل تلك .

ولايزال طرغد ينتصر على اعداء المسلمين ومن اشهر الحروب التي انهزم فيها العدو قرب جزيرة جربة ضد فيليب الثاني ولد شارل الخامس سنة 1560 ثم حاصر مالطة حيث جرح واستشهد .

به الاسبان على الانكماش فى مراكزهم المحصنة ، لا يخرجون منها الا عند ما يتلقون النجدة والممدد من اسبانيا او ينهبوا من الاهالى المأون والانعام . زد على ذلك عمليات التمرد التي كان يثيرها الجيود الاسبان المرابطون فى الحصون وكثيرا ما كانوا يهددون رؤساءهم بالفرار الى القبائل واعتناق الاسلام وبقيت الحالة هكذا حتى طرد الاتراك الاسبان نهائيا من قواعدهم .

وقد منح الله تعالى الجزائر فى تلك الفترة رجالا صناديد بحريين وغزاة كرسوا حياتهم فى خدمة الجزائر والاسلام ضد الاعداء الذين كانوا يحتلون البلاد لو لا بطشهم وتجلدهم . وضحوا بالنفس والنفيس وكانوا يقيمون جل اوقاتهم فى البحر فى الحرب ضد العدو خصمها منه الامبراطور شارل الخامس الذى تكالب على الجزائر اذ كان يعتبرها كقلعة الاسلام المنيعة فى غربى البحر المتوسط بعد قوة العثمانيين وكان لشارل الخامس عدة امراء للبحر من الرجال المشاهير ايضا الذين واجه بهم الابطال الجزائريين منهم بيدرو نفاو الذى احتل بجاية والجزائر والمرسى الكبير ووهران واندرى دوريا وولده وغيرهما ، ومن جملة الرؤساء الابطال الجزائريين الذين كانوا يجوبون البحر ، فضلا عن خير الدين وعروج ، تشير الى حسن اغا وطرغد وصالح رئيس وستان رئيس وجلهم كانوا مقربين لدى السلطان العثمانى مثل طرغد وصالح رئيس للذين كانا يقومان بمهمات خطيرة فى خدمة الخليفة العثمانى .

يعتبر طرغد من ابرع تلاميذ خير الدين جعله الطموح وعزة النفس والصرامة ينفى السلطة

خير الدين . وذلك بايعاز من مستشاريه ومجلس الكورطيس واراد مع عظامته واثانيته ابرام صلح معه ليبرح ويستريح . فوجه في اواخر سنة 1539 سفيرا من السياسيين الدهاة الى خير الدين الذى كان مرابطا في كورفو بالجزر اليونانية . فاخذ يتردد طيلة شهور ، وكانت شروط خير الدين شديدة وهى استرجاع المرسى الكبير وواهرن وغيرها من المراسى الجزائرية والتونسية على ان يكف عن محاربة الاسبان وحلفائهم ويكون صديقا لاصقاء الامبراطور وعدوا لاعدائه وان يزيل كلاهما القرصنة من البحر المتوسط الذى يصبح بحر تجارة هادى وبحر سلم ، الاسفار التجارية فيه للمسلمين والمسيحيين بامان وان يطلق سراح الاسرى المسلمين والمسيحيين وان يكف الامبراطور عن اضطهاد اهل الاندلس ووقع الاخذ والرد بين الملكين وكاد الصلح يبرم لو لم يتعرض له السلطان سليمان بايعاز من فرنسوا الاول الذى خشى ان يعقد على حسابه ويصبح منعزلا حتى يرجع عليه الامبراطور وخففت المفاوضات واستمرت الحروب .

كانت الادارة المركزية للحكومة الجزائرية بهرسى الجزائر التى كانت قبل ظهور عروج وخير الدين عاصمة للشيخ سالم التومى الثعالبى لكنها توسعت في عهد الاخوين التركيين ونالت شهرة وصيتا واصبحت عاصمة الولاية الاتراك بصفة رسمية لوقوعها عن شاطئ البحر في وسط المغرب الاوسط ولحصانة ارفا والبلاد المجاورة لها التى تحجبها سلسلة من الجبال الاطلسية والذى ذات الاراضى الخصبة . وبجوارها العريان والبرابر الشجعان .

ومن الرؤساء الجزائريين الصناديد اذكر ايضا صالح رئيس الذى رفع راية الجزائر عاليا وكان باى البليات بها اى اميرا سماه السلطان العثمانى الذى كان نوتيا فى يخته الخاص يقوده عند خروج الخليفة وحاشيته الى البحر .

وكان ايضا حسن اغا من الرؤساء الماهرين الذين حاربوا شارل الخامس وولده فيليب الثانى وكان الامبراطور يخشى دائما المصادمة مع السفن الجزائرية تحت قيادة حسن لما كان يعرف فيه من الشجاعة المفرطة والوطاة الشديدة والقوة العتيدة . كانت صلابته وعنفه يضرب بهما المثل ويعرف برياسة الجاشي خصوصا فى المواقع الحرجة منها هجرم لاماردة الامبراطور على الجزائر سنة 1541 بخمسائة سفينة لاوروبا كلها ولم يفقد حسن شعوره فى تلك الحالة الخطيرة التى لا نقيسها حتى بهجوم الجيوش الفرنسية على الجزائر سنة 1830 . كما نذكر بطلا جزائريا آخر وهو سينان باشا الذى اظهر الشجاعة المفرطة والاقدام الهائل فى حرب تونس سنة ١٥٣٥ التى استولى عليها شارل الخامس بجيوش اوروبا المتحالفة .

هؤلاء الرجال وعلى راسهم خير الدين قد اذاقوا الامبراطور وابنه سم الحروب العنيفة ولم يتركوا لهما راحة قط حتى اشتد غيظهما وغيظ قوادهما فاعتراهم الفتر بكثرة الانهزامات التى كبدهم الجزائريون برا وبحرا رغم تفوق قواتهم واحست المسيحية رغم انتصارها فى تونس انها عاجزة بتاتا على القضاء على خير الدين والجزائريين . ففكر الامبراطور عند هذا العجز فى فتح المفاوضات مع

الدور الذي لعبته الجزائر في القرن 16 بالبحر المتوسط

المعازل الثعالبية وغيرهم واليهود البربر الالهالي الذين كان يسميهم اليهود الاغانب اليهود العرب .

اما المهاجرون من الاندلس فاتوا خصوصا من الجزر الخضراء ميورقة ومينورقة واليابسة ومن الثغور المجاورة للممالك المسيحية لكاستين وليون وارغون .

وكانت التجارة بها بيد المسلمين واليهود وحتى النصارى وخصوصا منهم الفرنسيون .

وزيادة على عدد السكان المشار اليهم اعلاه كان عدد مرتفع من الاسرى المسيحيين يختلف على حسب الحروب البحرية التي كانت تشهر من طرف الرؤساء القراصنة وانتصاراتهم واخير هايبدو باقوى عدد منهم وهو 25000 كانوا يشتغلون بجنات الاعيان الجزائريين . وكان يعيش بالجزائر اوروبيون يشتغلون في القنصليات من قناصل وكتاب وسماسرة وتجار مقيمين في المدينة او مشتغلين في الموانئ الاوربية كانت لهم دكاكين وفنادق يضعون فيها سلمهم ويتجرون فيها ويشترون الرقيق والسلع الماخوذة في الحروب . وكانت الحياة في الجزائر رغدة توجد البضائع بكثرة وبثمن زهيد حيث انها ترد من الخارج اما بصفة شرعية واما انها تاتي من السبي . وكانت الحركة التجارية في المدينة مهمة ، كان كل صاحب مال يشارك في تجهيز وتسليح السفن الحربية فيدرله ذلك نفعا له بالاعتماد رجوع السفن مظفرة سالمة غائمة ملاثة سلعا ورقيقا ويباع كل ذلك في سوق واقعة في وسط المدينة تسمى « بابيستان » وهي عبارة عن ميدان متسع مسقف مركب من اروقة يختص كل رواق بنوع من البضاعة .

وقال هايبدو عن مدينة الجزائر :

« مدينة ذات اهمية وهي غنية وذات عمران وصالحة للقرصنة » .

واصبحت الجزائر تنافس تلمسان وبجاية وغيرهما من العواصم الجزائرية . اسس عروج بها دار السلاح وهيا مرفا هاما لارساء سفنه دون غيره واخذ يغير منه على السواحل الاسبانية واول من راي انها حصن منيع لا يوجد مثله في شواطئ البلاد هو عروج لوقوعها في ارض مرتفعة يسيرة الحماية ومشرفة على البحر ومرفؤها منيع جدا يعسر على العدو الاستيلاء عليه . وقد زادها خير الدين حصانة بتشييد الاسوار العالية ومواصلة الجزيرة التي كانت حصنا للاسبان باليابسة ، الامر الذي زادها مناعة . وكانت المدينة عاصمة لسالم التومي الذي كان اميرا على الجزائر قبل ظهور عروج . فقد وصفها عدة مؤرخين مثل ابن حرقل والبكري والحسن الوزان والادريسي وكلهم متفقون على غزارة مياهها الغذبة وثروتها الواسعة وطيب الحياة بها وحسن مينائها ونفاد تجارتها مع الخارج واسواقها العامرة . كل ذلك قد اعان على انها لعبت دورا هاما في وقت الاتراك لا لاجل اتخاذهم اياها كوكرا للقرصان فحسب بل لخيراتها الطبيعية التي كانت تجعلها مركز تجارة رابحة . وكانت بها ايضا في ذلك العهد الزاهر صناعات نافقة تصدر المصنوعات لداخل البلاد ولخارجها . فجعلتها تلك الخيرات المتدفقة تضاهي بها تلمسان وبجاية وشاعت سمعتها واخذت تعمر شيئا فشيئا بالمهاجرين الاندلسيين في القرن الخامس عشر مع من كان فيها من السكان البربر ايمازيغن والعرب

والخضر والفواكه والتمور والزيت والعسل والمشمع وكانت السفن التجارية ترد على المرسى وتصدر منه الى تونس ومرسيلية ونابل وجنوة وليفورن وحتى الى اسبانيا عند ما كانت الهدنة سائدة بين تلك الدول والى طرابلس والاسكندرية وتركيا وفرنسا والمغرب .

وقد ادركت الجزائر اذ ذاك الاهمية العظمى والسمعة البعيدة التى لم تدركها فى اى وقت من قبل وشاع صيتها فى البحر المتوسط بحيث كانت الدول تتنافس للتصالح ولربط العلاقات التجارية والاتفاقات الحربية معها . وتحولت تجارة تلمسان والمغرب الجزائرى الى مرسى الجزائر لخمول تلمسان بسبب استيلاء الاسبان على وهران والمرسى الكبير اللذين بفقدانهما اضمحلت تجارة البلاد الغربية وتحولت الى الشرق وانحطت سلطة الملوك الزيانيين .

واللغات التى كان يتكلم بها الناس بالعاصمة الجديدة هى العربية والبربرية والتركية وبرطانة هى مزيج من الفرنسية والاسبانية والىطالية كما اخبر بذلك الراهب دان وكانوا يسمونها اللغة الافرنجية . LINGA FRACA

ان خروج الجزائريين الى الحروب فى البحر والبر تحت قيادة الاتراك كان فى الحقيقة ردود فعل المسلمين المغاربة على طرد النصارى اهل الاندلس وعزمهم على احتلال البلاد الافريقية ، وقد اوقفوا مع الاتراك والحق يقال الاسبان وحتى البرتغاليين من الانتشار فى افريقيا وارغموهم على المكوث فى الشواطىء الى حد انهم لم يستطيعوا التوغل داخل البلاد وحتى انهم كانوا مسيطرين على وهران والمرسى الكبير وغيرهما كانت اقامتهم تقلقها غارات

وجل السلع كان يشتريها اليهود وخصوصا منها الذهب والفضة والاحجار الكريمة وانواع الخمر والكحول واللحوم المقددة المحجوزة فى السفن الحربية المسيحية ، تلك البضائع التى كان المسلمون يحرمون على انفسهم الخوض فيها .

وكان اليهود ماهرين فى التجارة محتركين جلها فيصدرونها الى البلاد الاوروبية وخصوصا ايطاليا . وكانت لهم مدينة ليفورن تحت سيطرتهم مستحوزين فيها على التجارة والصناعة . فكانوا يسمون يهود قرانة اى اهالى ليفورن او يهود النصارى ، كما كانوا يكونونهم او يهود الافريج .

وكانت لهم فى المدينة المذكورة الفنادق والمخازن الهامة التى كانوا يضعون فيها السلع الواردة من الجزائر والمقتنية بانمان زهيدة حيث انهم لا يجدون فى البايستان اى مناس من المسلمين فيبيعونها باسعار باهضة فى اسواق اوربا منتهزين الفرص ومحصلين من تلك المعاملات على الارباح المضاعفة وكانت السفن العديدة تحت ملكهم الخاص يشحنونها ببضائعهم وبضائع المستاجرين وكانوا يعملون ايضا السفن الحربية ويسلحونها لاجل تعاطى القرصنة بواسطة رؤساء جزائريين وكانوا محتركين التجارة الخارجية مع بعض التجار المسلمين والمسيحيين .

كانت تجارة الجزائر مزدهرة فى القرن السادس عشر تدر لبيت المال الارباح الهامة بحيث ملأت الخزانة بالنقود من الذهب والفضة وكانت الزكوات تدخل بدون صعوبة لبيت المال لكثرة الانعام من الغنم والبقر والبعير وتنفوذ السلطة وكانت الفلاحة مزدهرة تصدر المنتوجات الفلاحية للخارج من الحبوب

شارل الخامس يواجهها بأوروبا ، محاولات الاسبان في الاستيلاء على افريقيا ، كما آخر تعنت فرنسوا الاول ذلك الاحتلال وقد قال عنه حاكم وهران الاسباني في تقريره للامبراطور المؤرخ في غشت 1536 : « ان لم تستطع جلاتكم القيام كما ينبغي بالحرب الصليبية المقدسة التي كنت اشتهرتها على الكفار (يعني المسلمين) فكان السبب في ذلك ملك فرنسا . فاننا نقاتل لذلك اذ نعلم اننا كنا نعمل هذه السنة امورا هائلة بافريقيا » .

فعلا كان من حسن حظ افريقيا وحتى تركيا الخلاف الخطير القائم بين الدول الاوروبية رغما عن محاولات الكنيسة في وضع التوازن بين الملوك . ومن لطف الله الخفي ان نشبت تلك العداوة التي جعلت الاتراك والجزائريين مستريحين نسبيا رغم الضربات التي كان يعطيها الاسبان لافريقيا ليشنت شملها ويفرق بين امرائها ويضرب الواحد بالآخر ويزرع الفتنة والتشويش .

نعم لقد امتاز الحكم العثماني بالجزائر بالشدة والقساوة ماديا وادبيا لكنه رغم ذلك ترك لنا تراثا لا يستهان به في هذين الميدانين فانه فوق كل شيء رفع عاليا راية الجزائر التي ابعدت الاستعمار الاسباني واجبطلت مطامحه وحيث على الاسلام وآزرت السلطان سليمان القانوني وقضت على اساطيل أوروبا المتحالفة لكنها هيات الجو باعمال القرصنة للاستعمار الثاني العصري الذي ذاقت بلادنا اكثر من غيرها مرارة سبه وذلك لانك رايت بلادنا قد غلت دون غيرها في الاعمال الحربية البحرية وجدها في الحقيقة الاتراك مستعدة لذلك النوع من الحروب لانه شاهد عند اسلافنا بعض الاخلاق المتشابهة باخلاق الاتراك .

الجزائريين . وكانت حصونهم محمية جدا يلزمهم الدفاع عنها مصاريف طائلة وتجنيد عدد عديد من الجيوش الاسبان والاهالي المدعويين عرب السلم

كان الجيش الاسباني دائما على حذر وبالمصاد حتى ضاق بهم المقام واضطروا الى مغادرة البلاد الافريقية بفضل الضربات التي كانوا يتلقونها من جيوش الجزائر . ولو لا تلك الضربات القاسية لانتشرت المسيحية بافريقيا اذ اشهر الاسبان على افريقيا حربا صليبية من طراز جديد قليلا ما ينكرها المؤرخون الاجانب لانها كانت ذات صبغة دينية ضد الاسلام .

اذا امعنا النظر في حالة الجزائر في ذلك العصر وجدنا ان تدخل بنديا والاتراك كان له تاثير عميق في توحيد بلادنا التي كانت تسودها القوضى والتفرقة فوحدها وجمعوا شملها وازالوا الممالك والطوائف العديدة التي كانت تراول التفوذ بالجزائر وتفرض الغرائم الثقيلة على الشعب وقد اعطوا الجزائر الاستقرار اللازم لتسبى لذلك العصر سمح في تضديد جروحها ووضعوا حدا للثقلات التي كانت تثيرها الحروب المدنية والفتن . كما احبطوا اطماع الاسبان الذين كانوا على وشك السيطرة التامة على الجزائر والبلاد المغربية الاخرى .

وقد اعانوا الملوك السعديين المغاربة على طرد البرتغاليين من الساحل المغربي وكان لهم التصيب في الهزيمة التاريخية الشنماء التي مكبتها الجيوش المغربية للقوات البرتغالية بوادي المخازن سنة ١٥٧٨ المدعوة بمعركة الملوك الثلاثة حيث هلك ثلاثة ملوك لقد عرقلت والحق يقال الحروب المدنية التي كان

الحق

ما أجدَر الحقَّ أن تُحنى الرؤس له
وأن يُشال على الأعناق كالعلم
الحق ثوبُ تعالى الله ناسِجُه
تَبَّتْ يَدَا كُلِّ غَاثٍ فِيهِ بِالْجَلَمِ
فمَلْ إِلَى الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا تُصَبُّ أَمَلًا
يُنْسِيكَ مَا قَدْ يَشُوبُ الْحَقَّ مِنْ أَلَمِ
وَكُنْ عَلَى الْبَغْيِ حَرْبًا لَا تَكُنْ سَلَمًا
فَالنَّصْرُ لِلْحَرْبِ لَيْسَ النَّصْرُ لِلسَّلَامِ
لَا تَخْشَ سَيْفًا مِنَ الْبَاغِي وَلَا قَلَمًا
فَغَارَةُ اللَّهِ فَوْقَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ
الظُّلْمُ فِي الْأَرْضِ سَارٍ كَالظَّلَامِ بِهَا
وَكَاشَفُ الظُّلْمِ فِيهَا كَاشَفُ الظُّلَمِ
مِنْ دِهْوَانِ عَمَدِ الْعَبِيدِ

الاحتلال الفرنسي للجزائر

ومقاومة الشعب في الميدان الروحي

كان عهد الاحتلال الفرنسي طيلة مدته سلسلة أحداث متتابة ومجددة للحروب الصليبية ، فكانت غايته افقار البلاد وتجهيلها ، ثم تنصير السكان او ادماجهم في العنصر الفرنسي .

واننى في هذا المقال ساتحدث بإيجاز عن تاريخ مراحل هذا الاحتلال ، كما اتناول بالدراسة الفصل مواقف الامة ودفاعها على اهم ما كانت تعتز به ، وهو عقيدتها الاسلامية ، ذلك الدفاع الذى ارغم المحتل الفاصب نفسه ، الى الاعتراف بفشله اللريع في هذا الميدان ، وساقسم حديثى هذا على ثلاثة فصول :

- الفصل الاول : الاحتلال الفرنسي في اول عهده وما أعقبه من مظالم ، ثم ظهور المقاومة .
- الفصل الثانى : افتكاك الاراضى ومحاولة التنصير .

المهدي البوعبدى

- الفصل الثالث : نهييه الى قيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939 م .

لا احدنكم عن الاحتلال واسبابه ، فمجال هذه المحاضرة الضيق ، لا يسمح لنا بذلك ، وانما نذكر بعض نتائج هذا الاحتلال مباشرة .

ان المعاهدة التي حررها المارشال دو بومون قائد الحملة الفرنسية ، ووقع قبولها من حسين داي ، كانت تشتمل على ستة بنود أهمها اثنان :

البند الذي يشمل احترام الداي وأسرته ، والتعهد له بحماية السلطات لشخصه وماله وافراد أسرته ، والبند الذي ينص على احترام الدين الاسلامي والمحافظة على حريته ، كما تحترم حرية جميع طبقات السكان وديانتهم وأموالهم ، وقد تعهد دو بومون بشرفه لهذا الالتزام .

لم يمر على احتلال البلاد الا اسابيع قليلة حتى نقضت هذه المعاهدة ، فأول شيء قام به الجيش الفرنسي هو اسكان الجيش المحتل المراتب بالعاصمة ، وكان عدده يربو على الخمسة عشر الف جندي . أسكن هذا الجيش بمعظم الدور والمحلات التجارية بل حتى المساجد والقصور .

كان عدد المساجد التي أمنت لهذه الغاية أربعين مسجدا ، وعدة معاهد ، معظمها يحومتي باب الوادي وباب عزون . لم يكتف الجيش المحتل بتسخير هذه المساجد والمساكن ، بل شرع في تهديم البقية ، تحت ستار اصلاح البلدة . وتوسيع شوارعها فكانت النتيجة الاولى من هذه التصرفات انه لم يمر عام واحد على الاحتلال حتى خربت جل المساكن ،

اذ نرى أن الجنرال اعترف في تقرير رسمي بعنه الى السلطات العليا بباريز ، اعترف بخراب تسع مائة دار في هذه الفترة ، ومن جهة أخرى ذكر الحاكم المدني بعض تقاريره ما يلي : « انني لم أجد الا مسكنين عربيين نجيا من التخريب ، انهما كانا مسكنين لضابطين من درجة جنرال ، فلو سكنهما الجند لما بقي منهما شيء ، ولحق الخراب فيهما حتى خشب السقف ، وكذلك أشجار الحدائق كالزيتون والبرتقال والتين ، فان معظمها تلهبه نيران المطابخ .

انه لمنظر محزن هذا الذي نشاهده ، وان هذه الدور التي نشاهد آثارها الدالة على انها كانت جميلة جدا كثيرة ، فاني حسبت في مسافة تتراوح بين أربع وخمسمائة خطوة ، نحو العشرين دارا خربت ، ان مساكن بيرمندراس وبير خادم وغيرها من مساكن الفن كلها لحقها الخراب ، اللهم الا دارين أو ثلاثة . لم يبق منها الا بعض السبائك من النحاس والحديد يحملها الجندي عند ما يذهب الى المدينة فيبيعها للتجار اليهود ، الذين يبيعونها بدورهم الى تجار الآثار ، وهم يصدرونها الى مرسيليا أو ليفورن ،

(Livourne) احد كلام Pichon

كان معظم المساجد التي هدمت بدعوى تخطيط البلدة وتوسيع شوارعها الضيقة ، ما بين ساحة الشهداء الحالية ، وثانوية الامير عبد القادر (أي سفح ضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي) .

واذا بقي الى الآن المسجدان الحاليان المالكي والحنفي ، فذلك يرجع الى معجزة ، اذ بذل المخربون

الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي



المقاومة الروحية والاحتلال

جهودا جبارة للاحاقهما ببقية المساجد المهذومة وهذا تقرير آخر للحاكم المدني Pichon أرسله في الموضوع الى رئيس الحكومة الفرنسية قال فيه : « اننى بمجرد وصولي وشروعي في العمل سمعت بأن اللجنة المكلفة بالمحلات العسكرية لم تهتم بشيء مثل اهتمامها بالاستيلاء على بقية المساجد . ان كثيرا من المسؤولين هنا لم يبالوا بنظر الحكومة في الموضوع ، فهم يريدون القضاء على بقية المساجد وعلى الدين الاسلامي ، واننى عند ما اجتمع ببعضهم يقابلوننى بالسخرية والتهمك ، ويصارحنى بعضهم بأن محاولاتي في الدفاع عن المساجد وعمارها ستبوء بالفشل ، واننى على كل حال لم ابال بحكم هؤلاء الجهال ، بل هناك رؤساء ، هم الذين اهتم بأحكامهم على تصرفاتي ، كنت أنتظر الاتصال باللجنة المكلفة باسكان الجيش اذ اراها تؤمم المساكن ، وتسكن فيها الجيش وعند خرابها لم تحاول اصلاحها ، بل كل ما تفعله هو التفتيش من جديد على محلات أخرى صالحة للسكن . وهذا ما لفت نظركم اليه مرارا . وقلت لكم انه ينذر بسراع الخراب الى كامل المدينة . ان لم يجعل لهذه التصرفات حد ، كما أخبركم بأن أعضاء اللجنة يريدون القضاء على المسجدين العظمين المالكي والحنفي بدعوى انها اذا تمرد السكان يجدون فيها ملجأين هامين وتناسوا أن المسجدين يوجدان تحت أفواه ونيران مدافع القسبة ، والبواخر الراسية في الميناء ، الخ . . . »

اهم تقرير Pichon

واننا اذا أحصينا المساجد التي هدمت أو حولت الى كنائس أو مخازن ، لما وسعنا مجال هذه

الفرنسيين المشهورين قصرا آخر كان مصيفا لحسين داي ،

قال الجنرال لاموريسير يصف هذا القصر الذي سكنه ما يلي :

Le pays où nous sommes est délicieux. L'air est embaumé du parfum des jasmins, des géraniums et des roses. La maison que j'occupe est à 200 pas de la mer. C'est un lieu de plaisance du dernier Dey d'Alger.

Partout des bassins de marbre, des jets d'eau, des fontaines vives.

C'est là au milieu des merveilles de l'art, de la nature et de l'appareil militaire de mon camp que, matin et soir, je prends mon café et fume ma longue pipe.

ان الجزائر كما ذكرنا كانت لا تقل مكانتها في العلم والحضارة عند احتلال الفرنسيين لها ، على بقية عواصم العالم الاسلامي اذذاك ، خلاف ما يتجس به بعض المغرضين أو الجهال ، وان ما وصفها به كثير من العلماء والرحالين مسلمين وغير مسلمين الذين وردوا عليها في مهمات دبلوماسية او سياحية لدليل على ما ذكرناه .

لم يقتصر نقض المعاهدة على هذا القدر ، بل عزز بتشجيع التنصير ، فعلاوة على تحويل بعض المساجد كنائس كجامع كتشاوة وجامع على بتشيني وجامع على خوجة ، فان سلطات الاحتلال حكمت بالفنى والابعاد على اعظم شخصية دينية اسلامية ، اذ اتهم المارشال دوبورمون العلامة الشيخ محمد ابن محمود المشهور بابن العنابي المفتي الحنفى ، بالعاصمة ، اتهمه بمحاولة التمرد ، والدعوة الى الثورة فحكم عليه بالنفى ، فاختار الاسكندرية ، وأسندت اليه الحكومة المصرية نفس الخطة ، وبقي مفتيا

المحاضرة ، وهي بحمد الله مسجلة واحدة واحدة ، ومعظمها كان لها ريع ممتاز ، اذ لم تكن المساجد اذذاك مقصورة على اداء العبادات فقط ، بل كانت معاهد علم فيها حلقات الدروس العلمية ، ثانوية وعالية ، ودروس الوعظ والارشاد والتوجيه للعوام ولم يخل مسجد من كتابات قرآنية وخزائن كتب فى مختلف الفنون ، وقد كانت مساجد الجزائر ومعاهدها تمتاز بوفرة الريع ، حيث كان الفزاة يسهمونها حصصا هامة من غنائمهم ، وقد حفظ لنا التاريخ بعض وثائق أحباس الجامع الاعظم بالعاصمة ، فكان ما صرف من الزائد على المصاريف اللازمة فقط ، يقدر بمآت الملايين فى العصر الحاضر ، اذ لا يخفى على حضراتكم ان التعليم اذذاك بجميع مراحل ابتدائي ، وثانوى ، وعالى ، ودور الكتب ، والمستشفيات ، والتكايا ، التى يلتجئ اليها عابرو السبيل ، والفقراء ، والمساكين كانت مصاريفها من ريع الاحباس .

هذا فيما يخص المساجد والمعاهد العلمية ، أما القصور ، فكان عددها يربو على الستين ، وقد بقيت منها بقية الى يومنا هذا ، تدل على ان ما تبارى فيه كثير من كتاب الجزائر ، وادبائها فى وصفها ، لا مبالغة فيه ، ومازال التاريخ يحتفظ لنا بقطعة رائعة نظما ونثرا للاديب الشهير الشيخ سيدى أحمد ابن عمار المستغانى الاصل - الجزائري المنشأ والدار ، صاحب الرحلة المشهورة ، وصف بها قصر عبد اللطيف الذى مازال الى يومنا هذا ، كان هذا القصر فى عهد الاستقلال الفرنسى مقرا للفنانين الرسامين ولتكتف بما وصف به أحد الضباط

الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي

عبدان القرازين هما اللذان صادر بهما الجنرال Clauzel أملاك الدولة ، والأملاك الخاصة للاتراك المهاجرين ثم البقية الباقية من الاحباس . كان لهذين القرارين صدى استيائه في كل الاوساط الاسلامية ، اذ هو نقض صريح للمعاهدة . وقد تأثر منه حتى بعض الاحرار الفرنسيين كالمؤرخ الشهير Pellissier de Reynaud صاحب تاريخ حويلان الجزائر (Les Annales Algériennes) قال المؤرخ المذكور : «ان شروط الاستسلام ديست بالاقدام ، وعار على دولة دخلها مائتان و ألف مليون فرنك عار عليها ، أن تجرد عائلات فقيرة من مكاسبها ضد كل القوانين الالهية أو الانسانية ، وهذا نص ما ذكره المؤرخ :

«Depuis la prise de la ville d'Alger, beaucoup de maisons particulières étaient occupées militairement, d'autres étaient démolies pour l'élargissement des rues et l'établissement de quelques places publiques.

Par un arrêté du 26 octobre, le Général Clauzel promit des indemnités aux propriétaires dépossédés et y affecta les immeubles du domaine. Cette mesure juste et humaine ne fut pas mise en exécution, un odieux esprit de fiscalité prévalut sur les règles de la justice et de l'honneur.

Une nation dont les revenus s'élevaient à 1 200 millions fit banqueroute à des pauvres familles qu'elle avait dépouillées contre toutes les lois divines et humaines.

ذهب حمدان عثمان خوجة الى باريز في أوائل ماي 1833 فالتحق ببعض مواطنيه الذين نفاهم Le Duc ROVIGO منهم بوضربة وأولاد ابن تركية وابراهيم بن مصطفى باشا وكانت الاوساط الباريزية تطلق عليهم اسم L'intelgenta

بها الى أن توفي ، وقد كان من كبار رواة الحديث ، ومازالت آثاره وبقايا أسرته ، الى يومنا هذا بالقاهرة والاسكندرية .

ثم وقعت واقعة في عهد الجنرال فوارول الذي خلف الماريشال دوبورمون اهتم لها السكان لأول مرة وأظهروا سخطهم واستيائهم علانية ، وتظاهروا وذلك عند ما حاولوا تنصير امرأة مسلمة ، ولما احتج القاضي على هذه التصرفات عزل وعينوا آخر خلفه ، وعند تنصيب الخلف اجتمع السكان بالمحكمة وتظاهروا ، ومنعوا التنصيب ، فكان هذا أول انفجار ضد تصرفات الاحتلال من طرف الشعب ، وابتداء من هذه الحادثة ظهرت مقاومة الشعب جلية ، وانقسمت هذه المقاومة الى قسمين : قسم النخبة ، وقسم العامة .

فمقاومة النخبة كان على رأسها العالم الشهير السيد حمدان بن عثمان خوجة ، وكان ميدان عمله الاوساط الباريزية ، أي اوساط الصحفيين ، والكتاب الاحرار ، والنواب الجمهوريين .

أما العامة فكانوا يقومون بالمظاهرات والاحتجاجات المصاحبة ، والشكاوى التي تؤيد رأى النخبة .

والحديث عن هذه المقاومة بتفصيل لا يسعه أيضا مجال هذه المحاضرة ، وإنما لا يفوتنا أن نذكر ما سجله السيد عثمان خوجة في تاليفه القيسم « المرأة » LE Miroir الذي هو عرض حال قدمه للجنة البرلمانية التي أرسلت من فرنسا للبحث ، اثر احتجاجات ومساعي حمدان بن عثمان خوجة ورفقائه ، بعد صدور قرارى الجنرال CLAUZEL المؤرخين في 10 جوان وفي 8 سبتمبر

1831 .

الجزائر ، ان النفيان ومصادرة الاموال هما كل حظنا من الدستور ، واننا نعد أنفسنا سعداء ان لم يلحق قرار آخر باستئصال الجزائريين ، ان ممثلي فرنسا مسؤولون عن هذه الاحداث ، فنحن ثلاث سنوات لم يظهر لنا حكام الجزائر الا الفطرسية والانانية والتعamy ، انهم ساعدوا المتعلقين من الاهالي واليهود والمسيحيين .

ثم بين بتفصيل جميع ما لحق الجزائر طيلة السنوات الثلاث التي أعقبت الاحتلال ، ومن جملة هذه الموبقات اجبار كثير من السكان المسلمين على تطبيق زوجاتهم ، ثم ختم تأليفه بعرضه للحل الوحيد للقضية ، وهو الاقتداء بما فعله نابوليون الاول بمصر حيث كون حكومة محلية مصرية . وصرح حمدان تصريحه المشهور وهو : « ان الجزائر للجزائريين » نكتفى بهذا القدر الذي يبين لنا ان الجزائريين لم يقابلوا الاحتلال الفرنسي كما اتهمهم كثير من الكتاب من انهم تسابقوا بعد الاحتلال الى التعاون مع المحتل . بل قاوموا بكل امكانياتهم وطاقاتهم ، هذا بالنسبة لسكان العاصمة فقط أما خارج العاصمة فكانت المقاومة بالسلاح وكانت العاصمة في شبه حصار والقائمون به هم الزعماء الابطال ، ابن زعمون والسعدى وسيدى على مبارك ، هذا علاوة على مقاومة الامير عبد القادر بعد ، وكانت مقاومة الشعب الغير المسلحة لها أثر عميق .

الفصل الثاني :

ان الحديث عن الامير عبد القادر ، ومقاومته طيلة سبعة عشر سنة معروف لدى الجميع ، وقد قتل بحثا على حد تعبير المعاصرين ، وخصصه

وبالفعل اتصلت هذه النخبة بالشخصيات الباريزية وأطلعتها على مثالب الحكم العسكري ، وكانت الجريدتان اليوميان باريزي (Le National) الوطني ، ويريدي فرنسا Courrier de France نشران سلسلة مقالات تبين فيها بضائع العسكريين بالجزائر وهتم لهذه الحملة الصحفية الرأي العام الباريزي الذي أيد مطالب النخبة في ارسال لجنة بحث برلمانية ، وعينت بالفعل هذه اللجنة في 7 جوليت 1833 ، كما أيد سكان عاصمة الجزائر مطالب النخبة ووقعوا عرائض وكلوا فيها السيد حمدان بن عثمان خوجة للدفاع عنهم ، والتكلم باسمهم . وهذه هي الاسباب التي دعت السيد حمدان خوجة لتأليف كتابه القيم « المرأة » ، حتى يستعين به أعضاء لجنة البحث البرلمانية ، ذكر فيه بتفصيل حالة البلاد الجزائرية ، قبل الاحتلال الفرنسي ، ثم ظروف الاحتلال ، والمعاهدة المتفق عليها من الجانبين الجزائري والفرنسي ، ثم تعرض للفضائح التي ارتكبتها الفرنسيون العسكريون في مدة الثلاث سنوات ، وختمه بقوله : « ان الجيش الفرنسي صادر النور والمنازل وحطمها ، كما أفسد الحقائق وجرد السكان من ممتلكاتهم وأثاث منازلهم ، ان تصرفاته كانت سببا في هجرة الاغنياء ، وارجاع الفقراء الى التسول ، ان شروط المعاهدة نقضت فالدين الاسلامي والعوائد الاسلامية لم تحترم ، استولوا على المساجد ، وأموا الاحباس ، ونهبوا القبور ، ولم يحترموا حتى عظام الاموات . ان نهب الاموال وهدر دماء الرجال وارتكاب الجنايات في الاموال والانفس ، هذه الاعمال هي التي تقع الآن في

الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي

La Prophetesse

de Djurdjura ورغم القاء القبض على المجاهدة وسجنها بقتلة عسكرية ، فإن الشعب القبائلي بقي وفيا لها وفاء حير عقول قادة الجيش الفرنسي. حيث أحصى بعضهم عدد زوارها في يوم واحد بثلاث مائة بين رجل وامرأة ، كانت هذه الزعيمة من تلامذة الشيخ المهدي السكلاوي السابق الذكر. وعند ما فرضت فرنسا نفوذها على البلاد ، وشرعت في تتبع خطة التوسع ، وتجريد السكان من أراضيهم ، وتغيير القوانين الدينية وفرضتها ، ارتطمت بثورات متكررة ، ففي سنة 1849 وقعت ثورة الشيخ أبي زيان المشهورة في التاريخ بثورة الزعاطشة ثم ثورة بني يمل سنة 1850 ومات أثناءها الجنرال Barral ، عند ما حاول تخطيط وتعبيد الطريق بين سطيف وبجاية ، وثورة أبناء سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني سنة 1864 ، وثورة المقراني وصهره الشيخ ابن الحداد سنة 1871 ، ثم ثورة بوعمامة ، وثورة سيدي الأزرق بفليتة ووانشريس ، وثورة مروانة بالاوراس ، وثورة بني شقران إبان الحرب العالمية الأولى ، كل هذه الثورات كانت تحت قيادة رجال الدين الاسلامي. مما ترك أحد المؤرخين الفرنسيين يصرح بأن الفرنسيين لقوا المقاومة عند السكان العرب والقبائل ، أما الاتراك فإن نفوذهم تقلص بمجرد احتلال الجزائر ، والسكان الاصليون من عرب وبربر الذين لم يخضعهم الاتراك ، هم الذين قاوموا الفرنسيين ، والعجب أن هؤلاء السكان ليست لهم وحدة ، وكانوا دائما يحاربون بعضهم بعضا ، فالرابطة الوحيدة التي تجمعهم هي الدين .

الكتاب بالتأليف ولم يوجد في الجزائر من لم يتصوره اجمالا أو تفصيلا ، ولهذا لم نتعرض له في هذه المحاضرة التي خصصناها للمقاومة في الميدان الروحي .

بمجرد ما انتهت فرنسا الحرب مع الامير عبد القادر ، أعلنت الحرب على القبائل الصغرى بما فيها جبال بابور ، فدامت من سنة 1849 الى 1852 ، ثم أعلنت الحرب على القبائل الكبرى سنة 1853 فدامت الى سنة 1857 وكان أكثر الناس مقاومة أو تحريضا عليها اتباع الطريقة الرحمانية التي كان يتزعمها اذذاك الشيخ محمد المهدي السكلاوي البراتني ، شيخ الزعيم الشهير محمد أمزيان ابن الحداد ، بطل ثورة 1871 .

لما استولى الفرنسيون على بلاد القبائل هاجر الشيخ المهدي السكلاوي الى الشام على رأس وفد من تلامذته ، وخلف على رأس الطريقة الرحمانية الشيخ محمد أمزيان ابن الحداد . عند ما انتهت المقاومة في بلاد القبائل صادرت الحكومة الفرنسية جميع أراضي المجاهدين وفرضت ضريبة حربية على نحو 45 قرية ، وكان مقدار هذه الضريبة ، يتراوح بين 15 ألف فرنك و 570 ألف فرنك للقرية الواحدة والقي القبض على كثير من الرؤساء من جملتهم المجاهدة الشهيرة السيدة فاطمة ، فقد سجنتم بتابلط في زاوية الشيخ الطاهر بن محيي الدين باشاغا بني سلمان ، برفقة اخوتها : السادة الطاهر ابن أحمد أمزيان ، ومحمد ، والشريف ، وبقيّة أفراد أسرتهما ، البالغين ثلاثين نسمة. كان الفرنسيون يسمون هذه المجاهدة بتببة الجرجرة

والمسلمين . فأول تقرير أرسله في الموضوع قال فيه :

« ان ادخال الاهالى للديانة المسيحية واجب مقدس ينبغي أن نرقى هذا الشعب . ولتضرب صفحا على غلطات الماضي ، فأول ما يجب علينا معهم هو الحيلولة بينهم وبين القرآن . بدلا من غلطات اخرى كاحياء مملكة عربية . ينبغي لنا على الاقل ان نهتم بالصبيان . فتدخل في عقولهم تعاليم جديدة ألا وهي تعاليم الانجيل . فبعد ذلك يمكننا الاختلاط بهم والا فلنبتعدهم الى الصحراء . بعدد من عن الشعب المتمدن » .

كان ضحايا هذه المجاعة اى مجاعة 1867 ما يزيد على موت ثلاث مائة الف جزائري . بين الرجال والنساء والصبيان . ثم كان زلزال البلدية ، وبسا . الكوليرا . فاستغل الكاردينال هذه الظروف القاسية والتقط نحو 1753 طفلا . تتراوح اعمارهم بين 15 و 8 سنة وجمع تبرعات من فرنسا ، والجزائر . بدعوى انقاذ هؤلاء الاطفال من المجاعة . فجمع ما يزيد على المليون فرنك فاسس مركز انطلاق التنصير بهذه البلاد . واختار لهذا المركز ناحية بعيدة عن المدن الاسلامية . ناحية اثرت فيها المجاعة كثيرا ، ومات جل سكانها أو جلوا ، اختار الكاردينال لافيجري سهول شلف الشرقية بناحية العطاف ، وأسس هناك ضريحا رمزيا لسبيريان (الذي كان يعيش في قرطاجنة واعتنق المسيحية ومات ضحية عقيدته) فسمى ذلك الضريح بضريح Cyprien ثم أسس بقربه مستشفى سماه أيضا باسمه . ومازال الضريح والمستشفى الى يومنا هذا .

Les Français ont eu comme adversaires, non les Turcs, dont la puissance s'était effondrée avec la prise d'Alger, mais les Indigènes, Arabes et Kabyles que les Turcs eux-mêmes n'avaient qu'incomplètement soumis.

Ces populations ne formaient pas une masse homogène, mais se partageaient en une multitude de groupement sans cohésion et souvent en lutte les uns contre les autres. Le seul lien qu'il y eut entr'eux la religion.

كان الخلاف اذذاك قويا بين المدنيين والعسكريين الفرنسيين الذين وان كانوا متفقين على اخضاع المسلمين وقهرهم . الا أنهم اختلفوا في وجهات النظر ، فالمدنيون كانوا يميلون الى نشر الحكم المدني ليستولوا على البقية الباقية من الاراضى التى بقيت تحت تصرف المسلمين . أما العسكريون فكانوا يرون أن بقاءهم حكاما . يتصرفون كيف شاءوا . يتمتعون بالجاه والمال ونشوة الحكم ، هو مرتبط ببقاء الاوساط الاسلامية والحكم العسكرى . فان دخلهم المعمر المدني ضاع لهم الحكم . وكان غلاة المثقفين من رجال الكنيسة والتعليم ، والقانون يدبرون خطط الاندماج والتنصير ، او اخلاء الارض الصالحة من سكانها وابعاد هؤلاء السكان الى الجبال والصحارى . فعندئذ ظهرت مسغبة سنة 1867 المشهورة عند السكان بعام الشر . فاستغلها بصفة دينية الصليبي المشهور الكاردينال Lavigerie الذى عين اذذاك أسقفا على رأس كنيسة الجزائر . وكان يتمتع بنفوذ عظيم فى الاوساط العسكرية ، واليمينية . وكان من جملة أنصاره المارشال Niel وزير الحرب بباريز . و Baroche وزير الاديان . كان الكاردينال Lavigerie بمجرد توليته على كنيسة الجزائر لم يخف نواياه ضد الاسلام

الإحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي

ابن عبد الله ، وقاطعهم السكان المسلمون ، وصاروا يسمونهم بالمطرنين أى المتجنسين الى أن انقروا قبل الحرب العالمية الثانية ، حيث لم تبق منهم الا بقية ضئيلة جلت مع المعمرين اثر استقلال البلاد سنة 1962 .

اثر هذه المأساة ، عين نابليون لجنة بحث برلمانية وارسلها الى الجزائر لتبحث في قضيتي المسغبة والتنصير تحت رئاسة الماريشال وذلك في ماي 1869 وكان من جملة من اجتمعت بهم من المسلمين الجزائريين ثلاثة أعضاء يمثلون المجالس العمالية لقسنطينة والجزائر ووهران ، وهم السادة محمد المكي بن باديس ممثل قسنطينة ، وحسن بريجات ممثل الجزائر ، وأحمد ولد قادي ممثل ووهران .

كان موقف هؤلاء النواب وبالخصوص العالم الحبير حسن بريجات موقفا مشرفا ، ضد مطالب المعمرين اذ بينوا للجنة البحث المظالم التي كانت البلاد مسرحا لها ، وبعد رجوع اللجنة ال باريز اتخذت الحكومة قرارات وسنت قوانين متضاربة ومتناقضة وأعطت الاوامر لتطبيق القوانين السابقة كقانون 14 جوليت 1865 المشهور Senatus Consult وقانون 13 ديسمبر 1866 .

كان القانون الاول أى Senatus Consult منح للجزائريين حق الجنسية الفرنسية ، وفتح لهم باب التجنيس على مصراعيه وهو ينص بأن لكل جزائري الحق بمجرد تقديمه لطلب الجنسية أن ينال جميع حقوق الرعايا الفرنسيين ، وعندئذ تجرى عليه الاحكام المدنية ، والسياسية الفرنسية .

وبعد مرور خطر المجاعة ، منع لافيجرى الاتصال بين أولئك الاطفال وما بقى لهم من أسر وقراة ، ولما تدخلت السلطات وطلبت منه أن لا يحرم هؤلاء الاطفال من الاتصال بأسرهم ، أجابهم بوقاحة يتبرؤ منها كل دين سماوى . أجابهم بقوله : « انهم لي اذ أنا الذى حافظت لهم على حياتهم » :

Ils m'appartiennent, parce que la vie qui les anime encore, c'est moi qui la leur ai conservée. C'est donc la force seule, qui les arrachera de leurs asiles".

اثارت هذه القضية خلافا حادا بين الماريشال ماكماهو Mac Mahon والى الجزائر اذذاك ، والكاردينال . ورفعت الى الحكومة بفرنسا ، وكان الامبراطور نابوليون الثالث على رأس الحكومة الفرنسية ، فانتصر للوالى الا أن وزير الحرب الماريشال NIEL شد عضد الكاردينال ، وفي الاخير وجد حل وسط يرضى الجانبين بالنسبة الى نشاط الكاردينال فى ميدان تنصير السكان ، فانهم سوغوا له تأسيس الملاجئ ، وامروه بالاحتياط فى الدعوة الى التنصير ، أما من التقطهم فانه حيل بينهم وبين ذويهم ، وخسروا الجهتين ، فانهم لم يندمجوا فى الفرنسيين السكان الاصليين اذ كانوا يحملون أسماء غريبة ، والوانهم من جهة أخرى كانت تحمل الطابع الاهلى ، بل الكثير منهم كانوا موشومين . ولما سعى نفس الكاردينال وخلفاؤه من بعده ، أن يمنحهم أراضى استعمارية تعرض لهم المعمرون ولم يعترفوا بهم كمسيحيين ، وهكذا عاش كثير من هؤلاء المبعدين فى تلك الناحية مذبذبين ، يحملون أسماء Robert بن عبد القادر ، وجوزيف

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

ألف فرنك فقط ، يستغل نصفه موظفو التكية ، فكانهم هم المحبس عليهم ، لا المساكين الذين كانوا يبلقون اذذاك خمسة عشر الف نسمة 15,000 تنوب كل واحد منهم 4 فرنكات فى الشهر ، واطهرا ان الاوقاف بصفة عامة على المشاريع الخيرية قدرت فى العهد التركى بأربعين مليون فرنك ، وكان حظ عاصمة الجزائر منها سبعة ملايين فرنك ، تنفق على 150 مسجدا ، والآن أى فى سنة 1892 وصلت جميع ميزانية الوظائف الدينية والشرعية ستين ألف فرنك ولو قدر ربع الاربعين مليون 2,50 فى المائة فقط لكان ذلك الريع مليون فرنك بدلا من ستين ألف فرنك ، ثم صرح النائبان المذكوران ان نواب الجزائر كانوا قدموا مطلباً سنة 1868 فى موضوع الاحباس ، وطلبوا محاسبة الدولة على ذلك ، فاجابته الدولة الفرنسية بأنها أحالت المسألة الى لجنة مخصصة لتبحث فى القضية ، الا ان هذه اللجنة المخصصة لم تظهر نتيجة اعمالها الى يومنا هذا أى الى سنة 1892 .

ثم أثارا قضية أخرى تتعلق بأحباس المرحوم القينعى التى كانت تقدر اذذاك بمليون فرنك ، وقد اشترط المحبس ان المراقبين على حبسه هما : المفتى والقاضى بالعاصمة . فاستحوذت الحكومة على ذلك الحبس الخاص وعينت أوروبوين نظاراً ومراقبين ، بدلا من المفتى والقاضى اللذين اشترطهما المحبس ، ثم تعرض النائبان لقوانين مصادرة الاملاك ، ومنع المسلمين من شراء الاراضى الحكومية والقوانين الاستثنائية ، والخدمة العسكرية التى كانت الحكومة الفرنسية تحاول ان تفرض قانون

Il peut sur sa demande être admis à jouir des droits de citoyen Français, dans ce cas, il est régit par les Lois Civiles et Politiques de la France.

لم ينجح هذا القانون حيث ان الاحصاءات الرسمية اثبتت ان المسلمين الجزائريين لم يتجنس منهم طوال مدة ما بين تاريخ صدور هذا القانون أى سنة 1865 الى 1881 لم يتجنس الا 783 متجنسا . معظمهم من المجندين والمتفرنسين Jules Ferry وكذلك لم ينجح قانون 13 ديسمبر 1866 الذى يبيح للجزائريين رفع أحكام القضاة الشرعيين الى المحاكم الفرنسية أو التحاكم لدى المحاكم الفرنسية مباشرة فكان موقف الشعب من جميع هذه القوانين موقف الحذر والرفض .

وفى سنة 1892 عينت لجنة بحث أخرى ، وأرسلت الى الجزائر ، وكان معظم أعضائها من أعضاء مجلس الشيوخ الفرنسى ، تحت قيادة الوزير الشهير فاتصل أعضاؤها بكثير من المسلمين ومنهم الحكيم الدكتور محمد بن العربى العضو بالمجلس البلدى بعاصمة الجزائر والشيخ محمد بن رحال الندرومى الشهير ، فقدموا للجنة المطالب التى كانوا يريدونها مستعجلة ، وهى هامة جدا نسبيا ، حيث كانت تشمل التعليم وتعليمه ، واصلاح القضاء والضرائب ، ثم تكلموا على اعانة الفقراء والمساكين ، وبينما ان الملجأ الوحيد الذى بقى تحت تصرف المسلمين ، وكان معروفا بالتكية فى عاصمة الجزائر كان دخله السنوى من الاحباس يبلغ مائة وعشرة آلاف فرنك 110,000 وكان عدد الفقراء يبلغ سبعمائة فرد ، وفى سنة 1892 صار ذلك الدخل يبلغ أربعين

الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب في الميدان الروحي

الدينية تكون هيكلًا من رجال الدين . يتطلب من أتباعها الطاعة التامة لشيخ الطريقة ، والمعارضة للقوانين الفرنسية ، ولهذا فإن الحكومة فرضت في الميزانية ابتداء من سنة 1892 مائة وعشرين ألف فرنك ، لتتبع ومراقبة هذه الطرق ونشاطها .

كما وجدنا أثرًا آخر في ميزانية الجزائر لمحاربة هذه الطرق وذلك برفع مرتبات ، ورفع عدد الموظفين الدينيين . إلا أننا نعلم أن هذه الطريقة أي رفع مرتبات ورفع عدد الموظفين الدينيين لا ترجى منها نتيجة ، فكل ما نجنيه هو أن ننال احترامًا صوريًا من الموظفين الدينيين ، إلا أن التعصب الديني في جوهره يشملهم جميعًا :

Aujourd'hui les confréries forment un véritable clergé, qui régleme les pratiques religieuses exigeant de ses adeptes une obéissance passive dans le but inavoué de résister aux innovations importées par les Français.

Depuis l'année 1892, nous trouvons inscrit au budget un crédit de 120 000 francs, destinés spécialement à la surveillance des confréries. Il serait vraiment utile si les rapports des agents ont pour suite des mesures de rigueur individuelles, contre les Mokadems d'abord puis contre les Khouans que leur turbulence rendrait dangereux.

Un autre moyen de luttres contre les confréries dont nous trouvons également trace au budget, c'est une augmentation de crédits en faveur d'un clergé séculier musulman. Nous avouons n'en pas attendre grand résultat en Algérie. Nous y récolterons peut-être un peu plus de bienveillance apparente, mais aucune considération d'argent ne réussira à entamer le fanatisme de ce clergé qui, au fond, partage absolument, la façon de voir des confréries.

التجنيد الإجباري . ثم تعرضا للتجنيس وصرحا « بأن حرية التجنيس لا تلائم أصول الشريعة الإسلامية » . وهذا ما ترك Jules Ferry يصرح بعد رجوعه إلى فرنسا تصريحه الشهير الذي قال فيه "Ils ne veulent ni de nos droits politiques, ni de notre instruction, ni de notre service militaire. Ils demandent purement et simplement le maintien de leur statut personnel, avec conservation intacte des prescriptions coraniques".

انهم لم يريدوا أو لم يقبلوا حقوقنا السياسية ، ولا تعليمنا ، ولا خدمتنا العسكرية .

انهم يطلبون المحافظة على أحوالهم الشخصية وتعاليم الدين الإسلامي بتمامها .

وقال عضو آخر من أعضاء هذه اللجنة جوابا لتذمر السكان من منع التعليم بالمساجد والزوايا قال : « بعد توقف ومحاولات اصلاحية باءت بالفشل تأكد لدى السلطات العسكرية . أن هذه المراكز (أي المساجد والزوايا) لا ترجى من تعليمها أية فائدة . بل رأت تلك السلطات أنها مراكز تنبثق من تعاليمها العداوة والكراهية لفرنسا ، ولهذا حطمتها الواحدة بعد الأخرى . ومنعت التعليم فيها :

L'autorité militaire fut convaincue qu'on ne tirerait jamais rien de ces foyers de fanatisme anti-Français, elle se mit catégoriquement à détruire l'une après l'autre les zaouias et les Médersas.

ولهذا لم يكن في كامل التراب الجزائري سنة 1890 إلا المدارس الثلاث الرسمية بالجزائر وقسنطينة وتلمسان بها 82 تلميذا . وفي نفس سنة 1890 تخرج من هذه المدارس المذكورة 14 تلميذا .

والآن عضو آخر من أعضاء هذه اللجنة أن الطرق

يتبين لنا من هذه الصفحات ان مقاومة الشعب الجزائري في الميدان الروحي ، كانت لا تقل عن المقاومة المسلحة طيلة عهد الاحتلال ، خصوصا ان ذلك الزمان لم يكن المواطنون الفرنسيون أنفسهم يعلمون بحرية التفكير أو حرية القول ، وكانت فرنسا أقوى دولة في العالم ، والقوانين الاستثنائية منتشرة ، حتى أن أقل شيخ بلدة فرنسي يمكنه ان يحكم بالنفي أو السجن على من شاء من المسلمين ، وعلى ذكر هذه المقاومة وشخصية الشيخ محمد ابن رحال الذي كان يمتاز بثقافة متينة اسلامية وفرنسية ، ولعب دورا عظيما في تلك الفترة ، واستغل علاقه الشخصية مع الشخصيات العلمية الفرنسية الذين كانت تربطه بهم صداقة مثل العالم الشهير الدكتور Gustave Lebon صاحب التأليف الذي يشيد بالحضارة الاسلامية عبر التاريخ ، وغيره من الكتاب ، كان الشيخ ابن رحال لم يقصر دفاعه عن حقوق بلاده ، بل كان يشارك في المؤتمرات العلمية العالمية ، ويرد على خصوم الاسلام ، وقد حافظ لنا التاريخ على محاضرة قيمة في الموضوع ، القاها في مؤتمر المستشرقين المنعقد في باريس 1897 تحت عنوان «مستقبل الاسلام» نلخص منها بعض الفقرات اذ هي تهم موضوع بحثنا ، وتضمني عليه في هذه الليلة صيغة دينية ، تتفق مع احياء ليالي رمضان ، اذ لضيق الوقت نختم بهذه الفقرات سمرنا من دون أن نخرج من الموضوع .

استهل الشيخ ابن رحال محاضرته بقوله :

«ان الدين الاسلامي يمتاز عن بقية الاديان السماوية بالمعاصرة بأنه غير معروف .

قليل من الناس اهتموا بالتقرب منه ، ودراسته دراسة عميقة ، وقليل جدا من يتصوره صورة ولو قريبة من الحقيقة ، ويحكمون عليه احكاما مستمدة من غير ما يمليه التعصب والمصالح الاستعمارية ، ولهذا فأننى مقتبط جدا حيث فتحتم بحثنا ، لاشك انه يلفت أنظار الباحثين لزيادة الاهتمام به . ثم ذكر انه حصر موضوع محاضرته في أربعة مواضع :

- أولا : الاسلام وقيمه كوسيلة حضارية

- ثانيا : قيمة معتنقيه

- ثالثا : سياسة الدول الاسلامية

- رابعا : مواقف الشعوب المتعددة ازاءه .

وبعد أن يذكر المحاضر بانه يعز عليه ان يطرح السؤال ويحجب عنه كسمل ، يشعر ويعتز بتعاليم دينه ، التي يجد فيها الرضا والطمانية ، تلك الطمانية التي لا تترك منفذا للشك ، يستدل المحاضر بأن نفس التاريخ يؤيد نظريته ، فالقرون التي شاهدت منائر الاسلام مرتفعة ، وأنواره منتشرة ، كانت الحضارة الاسلامية بلغت درجة قل ان شاهدها الامم في عهود ديانات اخرى وبسببها ، تلك الحضارة التي مازالت آثارها قائمة الى يومنا هذا ، وهي وحدها كقيلة بأن تدفع جميع ما يبعث الشك بأن الاسلام لم يكن وسيلة حضارية في المجتمع .

ثم يسترسل المحاضر في حديثه ، فيقول : بأن الدين الاسلامي متم للديانات التي سبقته ، وهو صلة وصل ، ووسط بين الديانتين اللتين سبقته ، احدهما تشريعية ، والاخرى لاهوتية ، حيث ربطت

Quant à la femme Musulmane vivant dans l'unique société des êtres de son sexe, elle demeure une fille pure, une épouse respectable, une mère toujours vénérée. Au reste, une fois mariée, elle est émancipée. Elle peut vendre, acquérir, tester, administrer sa fortune personnelle, sans le secours ni l'autorisation du père ou du mari. Veuve ou divorcée, elle peut se remarier sans le consentement de personne et quand au divorce ses droits sont égaux à ceux du mari.

Dans ces conditions est-il étonnant que les mœurs et les liens de famille si recherchés chez les civilisés, se soient conservés intacts dans le monde musulman ? Faut-il pour le démontrer davantage, étaler la misère morale des non croyants et leurs vaines recherches d'un idéal jamais atteint le vide de leurs thèses philosophiques les milieux échafaudés et le néant de leurs conceptions rationnelles, les plus laborieusement conçues.

ثم تطرق المحاضر الى الحديث عن الصراع الطبقي . واستغلال الانسان للانسان . الذي يظن الكثير انه وليد العصر الحاضر فقال :

«ومن جهة أخرى هل نحن في حاجة الى بيان ان الصراع الطبقي الذي يمزق العالم المتمدن . مجهول في بلاد الاسلام ، وقضية التعاون بين رؤوس الاموال واليد العاملة وجدت حلها منذ ثلاثة عشر قرنا . حيث ان التعاليم الاسلامية حرمت الربا .

هل تتصورون التغير الذي يقع في اوروبا عند ما تقع هذه الثورة . وهي ان الرأسمالية يتحتم عليها ان لا تقرض المال للعامل ولكن تشترك معه على الربح والخسارة ولا تستغله لكن تعينه بالتوجيه :

Dans un autre ordre d'idées, est-il nécessaire de démontrer que la lutte de classes qui déchire le monde civilisé est inconnue en pays d'Islam et que la question de coopération du capital et du travail a été résolue

مملكة السماء بمملكة الارض ، وجعلت من حياة الفرد المثالية في هذه الدنيا ضمانا لحياة الجزاء في الآخرة .

ان جميع تعاليم الدين الاسلامي . تهتم بحياة الانسان وتكلفه ما يطيقه ويقدر عليه ويرضى ميوله البشرية والروحية . وتجعل توازنا بين الرخاء والشدة ، العفو ، والعدل ، الواجبات والحقوق :

De l'ensemble il est résulté un tout complet universel et simple, fait à la mesure de l'homme et proportionné à ses facultés, donnant également satisfaction à l'âme et à la raison, alliant dans un équilibre parfait la sévérité et le pardon, la clémence et la justice, le droit et le devoir.

ثم يقول : ان المسلم المتنور لا يشعر أبدا ولا يشك . انه مكره على حياته الدينية . ان ضميره وقلبه دائما مطمئنان امام مشاكل الحياة الدينية :

Opressé ! Non jamais un musulman éclairé n'a ressenti les angoisses de l'incertitude ou du doute. Jamais sa raison, sa conscience ou son cœur ne s'en sont trouvés offusqués par une prescription injustifiée ou incompréhensible.

ثم تعرض للمرأة فقال :

انها تعيش في دنيا النساء . فتبقى طاهرة وزوجة محترمة ، وأما مقدسة ، وبمجرد تزوجها تنال حريتها فيمكنها ان تبيع وتشتري . وتتصرف في مالها الخاص من دون توقف على موافقة والدها او زوجها . واذا تأيبت او طلقت فيمكنها ان تتزوج من دون توقف على موافقة اي احد . وفي الطلاق فان حقوقها مساوية لحقوق الزوج ولهذا فاننا لانعجب من ان الاخلاق والعلائق المائلية التي انفكت عراها عند المتمدنين ، بقيت محفوظة في البلاد الإسلامية :

عدة أجناس انطوا تحته من مختلف الطبقات والجنسيات ، فمن الاسود البدائي الى الفارسي الآري ، العريق في التمدن ، ومن البربري المقيم الى العربي الطاعن ، ومن الصيني الى الانكليزي والتركي ، اليس هذا بمعجزة ، وهذا كله رغم موقف المسلمين ورفضهم لتغيير احوالهم واتباع التطور :

Si de l'Islam nous passons aux Musulmans, nous constatons ce phénomène étrange d'une religion qui née dans le désert est propagée par un prophète illettré, s'adapte aisément à toutes les races, à tous les milieux, à tous les climats.

Le nègre primitif et obtus s'en trouve aussi bien que le Persan arien et raffiné, le Berbère sédentaire et positif, autant que l'arabe nomade et poétique, le Javanais que le Chinois, l'Anglais, oui l'Anglais froid et correct que le Turc pensif et résolu.

N'est-ce point miracle ?

Et cela malgré l'indolence des Musulmans à l'égard de tout prosélytisme et leur refus scrupuleux de modifier en rien leur dogme et son objectif.

ان هذه الديانة المستقلة ، والغير المغرضة ، هذه الديانة صالحة للجنس البشري كله ، لانها ليس لها كهنوت يمكنه تسخيرها ، بما تمليه عليه المصالح والاهواء ، فانها بقيت ، وستبقى ، محافظة على صفاتها ، ومحاسنها ، ولهذا فان كل قلب دخله الايمان ، الا وحافظ عليه ولم يرض به بديلا .

C'est que, indépendante et désintéressée, cette religion convient au genre humain tout entier ; c'est que n'ayant pas de clergé qui puisse la modifier à sa guise où l'interpréter à son profit, elle conserve et conservera toujours sa pureté originelle et ses vertus. Voilà pourquoi lorsqu'un cœur en est touché, il l'aime de toutes ses forces et ne s'en déprend plus.

il y a treize siècles par cette seule disposition du législateur Musulman : Le Prêt à intérêt est interdit.

Conçoit-on le changement, la révolution féconde et bénie qui se produirait en Europe, le jour, où le capitaliste serait mis dans la nécessité, non de prêter l'argent au travailleur, mais de s'associer avec lui pour les bénéfices comme pour les pertes, non de l'exploiter, mais de le commanditer.

ثم تعرض الى الحديث عن موقف الرسول صلى الله عليه وسلم في قضية الرق ، الذي اعترف له الدين الاسلامي بالاخوة ، وحرص على معاملته معاملة انسانية ، ورغب في تحريره وعتقه ، كما ان الاسلام اعترف للمسكين والفقر بحقوقهما ، وجعل لهم نصيبا في اموال الاغنيا ، بخلاف ما كان يجري به العمل في عهد الرومان .

Faut-il vanter la façon dont le Prophète arabe est arrivé à émanciper l'esclavage, à réaliser l'égalité parfaite de tous, et cette fraternité entre Musulmans et entre voisins, oui, entre voisins, qui pour l'Europe restera toujours un vain mot et cette charité qui donne au pauvre une part, un véritable droit sur le patrimoine du riche, et ce désintéressement absolu de la loi romaine laquelle ne pouvait être impartiale puisqu'elle a été faite par le riche contre le pauvre, pour le Patriarchien contre le Flébein.

ثم يذكر المحاضر انه لم يقصد من بحثه التعمق والتوسع في البحث ، وكل ما يقوله في الموضوع. ان الاسلام في ميدانه السياسي والاجتماعي ، دين ساعد على نشر الحضارة .

ثم انتقل الى الحديث عن المسلم فقال :
اننا نجد ظاهرة الدين الاسلامي الذي انطلق من الصحراء بواسطة رجل امي ، امكنه ان يكيف ويطور

الاحتلال الفرنسى للجزائر ومقاومة الشعب فى الميدان الروحي

الاقليات يرتقون الى أعلى المناصب الحكومية ، وفى المغرب ، حتى فى عهد بنى مرين ، كان اليهود ينالون المناصب الوزارية ، وكانوا يستبدون على المسلمين أنفسهم .

أما الاسرى الغير المعتقين ، والمحررين ، فكانوا يرتقون أيضا الى المناصب الشرفية الراقية . وهل نجد نفس هذه المعاملة بالبلاد المسيحية بالنسبة الى الاجانب ، حتى فى زماننا هذا ، اللهم الا اذا تجنسوا .

ثم يتعرض المحاضر الى الداء العضال الذى كان من أسباب تدهور الحالة بكثير من بلاد الاسلام فقال : ان الثقة التى وصلت الى حد اللامبالاة بالنسبة الى الرعايا والتشدد الذى وصل الى الاستبداد بالنسبة للمواطنين ، ثم سياسة الملوك التى كانت تخضع للغيرة ، والتحاسد ، حتى كان ذلك التحاسد والغيرة أساسا لمعاملة بعضهم بعضا ، مثل ما نراه اليوم عند الحكومات المسيحية ، مع الفارق ان شعوب الدول الاسلامية فى الغالب ، متآخية ، لم تتأثر بالخلافات بين قادتها ، ان عاطفة الوطنية الضيقة لا وجود لها عند المسلمين اللهم الا فى بعض البلدان كتركيا وبلاد فارس .

ثم تعرض المحاضر للامراض الداخلية التى تنخر جسم العالم المتمدن ، ومواقف هذا العالم مع المسلمين ، خصوصا ، الدول الاستعمارية كفرنسا وانكلترا وهولاندا ، فتحدث بأسهاب عن الاستعمار الفرنسى ، وطرق حكمه ، والخطط التى رسمها غلاة

ثم تعرض المحاضر الى مواطن الضعف فى البلاد الاسلامية فقال :

انها توجد فى كثرة الدول والخلاف بينها وذلك ان الخلفاء الراشدين ومن خلفهم من الملوك عند ما توسعوا فى الفتوحات لم يجعلوا نصب أعينهم اكتساب الامم أو البلدان ، وانما كانت غايتهم نشر الدين الاسلامى ، كما تتطلبه منهم تعاليم الدين ، فلم يكن للدبلوماسية ، ولا للنظر فى العواقب التى تترتب على علائق الجزيرة العربية ببقية البلدان المحتلة أهمية ، وكانوا يرون ان العلائق التى تربط المسلم بأخيه ، اقوى من جميع العواطف الوطنية ، فعقبة بن نافع ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد لم يفكروا فى العلائق بين الجزيرة العربية والبلدان النائية التى وصلوا اليها فى فتوحاتهم ، فان المسلم كيفما كانت جنسيته ، وفى أى مكان وجد ، هو مساو لبقية المسلمين فى الحقوق والواجبات ، فلا تمكن معاملته معاملة استثنائية ، بالنسبة الى سكان جزيرة العرب ، وكذلك غير المسلم الذى رضى بان يدفع الجزية ، فهو حر فى دينه ، ورؤساؤه الدينيون معترف لهم بالتصرف التام فى رعاياهم ، وبهذه المعاملة المركزة على الثقة ، عاشت جاليات مسيحية ويهودية ويونانية وأرمينية فى بلاد الاسلام ، واننا نرى الآن الدولة التركية تقاسى ما تقاسيه من الاهوال اذ استسلمت الى الثقة ، ولم تأخذ حذرهما ، فمما لاشك فيه ان هذه الاقليات لم تكن محترمة أو معتبرة كأفراد الرعية المسلمين ، الا انهم كانوا يتمتعون بالحرية التامة ، واذا استثنينا بعض المناصب الادارية خصوصا ما يتصل بالحربية ، كان أفراد هذه

الذكرى العاشرة لاسترجاع الاستقلال

المعمرين لإبادة السكان . وافتكك أراضيهم ، وتفقيرهم ، وتجهيلهم .

ثم ختم بحثه القيم بقوله : « ان القرن العشرين الذى سيشاهد التقدم العلمى والتقنى ، وتقارب البلدان ، مثل الرجاء الصالح مع القاهرة ، سيشاهد سياسة فرنسية - اسلامية ، معتدلة ، أو يشاهد الكارثة .

ولهذا أختتم حديثى عن الاسلام فى افريقيا وأقول انه ان لم يتمدن على طريق فرنسا ، فانه يتمدن رغم انفها وضدها :

Malheur est que le colon laisse faire inté-rieurement ravi, et c'est la France qui pâtit dans son objectif Africain. Quand on rêve de s'annexer la moitié d'un continent réduire l'indigène à la misère même par la voie légale, n'est pas une politique, le charger de tous les crimes, n'est ni une justification ni une solution.

Nous sommes de ceux qui croient qu'il n'est pas difficile de trouver mieux. Mais il faut se hâter si l'on veut pas que toute reconciliation devienne impossible.

Le 20^e siècle qui verra le cap au Caire et le Transaharien verra nécessairement une politique Franco-Musulmane mieux appropriée ou une catastrophe.

C'est pourquoi, modifiant légèrement ma conclusion pour l'Islam en général je dirai de l'Islam africain-occidental, s'il ne se civilise pas par la France et avec la France, il se civilisera malgré elle et contre elle.

الى هنا ينتهى سمرنا هذه الليلة ، والخلاصة هى انه بفضل مواقف شعبنا ، واعتزازه بدينه وقوميته ، تجنبنا الاندماج والتفسخ ، اذ لم تستهوه مظاهر الحضارة المزيفة ، ولا الاغراء المادى الذى كان بعض صغار الضباط العسكريين والمعلمين يتهافتون اليه . أمكن للجزائر عشرات السنوات أن تقف صامدة ، مقاومة ، محافظة على دينها وعاداتها ، ولم يمكن للمعمرين الوصول الى اهدافهم وادخال البلبلة فى صفوف شعبنا الا ابتداء من فرض التجنيد الإجبارى ، اذ كان الشبان المجندون عند ما يتعدون عن بيئاتهم ، يسقطون ضحايا للذرائل مثل شرب الخمر والفساد . ثم لحق بهذه الضحايا عند ما فتح باب الهجرة للعمال بعد الحرب العالمية الاولى فالكثير منهم تخلقوا بأخلاق الوسط الذى أجبرتهم الظروف للاندماج فيه . خصوصا من تزوج منهم بالاجنبيات الا اننا بحمد الله نجد فى ديننا حصانة وفى صالح عاداتنا ما يغنينا عن الاندماج فى أمم أخرى بلغت ما بلغت من الرقى ومازال الى الآن كثير من الكتاب الاجانب يعترفون ان الاسلام ماشى الحضارة-جنبا لجنب ولم يضق عنها ، ومازال يحمل فى طياته تعاليم ومبادئ تمكنه من الوقوف أمام التيارات الجارفة التى تجتاح العالم سواء فى الميدان الروحى أو الاقتصادى والاجتماعى .

المهدى البوعبدل

(ألقيت هذه المحاضرة بمركز المحافظة الوطنية لجبهة التحرير بمستغانم فى 25 رمضان 1390 هـ)

النشاط الثقافي

تم تنظيم مهرجان فني كبير في مدينة تيمقاد كما هي العادة في كل عام في الفترة ما بين 28 أفريل الى 2 ماي 1972 ، اشتركت فيه بعض الدول الشقيقة والاجنبية الواقعة في حوض البحر المتوسط ، اذ انه مهرجان سنوي لدول البحر الابيض المتوسط وقدمت مختلف الفرق الفنية المشتركة عدة تمثيليات ومسرحيات وحفلات غنائية وموسيقية راقصة ، كانت فرقة « الكاف التونسية » اولى الفرق التي ظهرت على خشبة المسرح معلنة بذلك افتتاح الموسم الثقافي ، وفي اليوم الثاني للمهرجان قدمت فرقة المسرح الوطني للرقص الشعبي بمشاركة البطيرة رابعة عدة رقصات شعبية ناجحة نالت اعجاب الجمهور وتصفيقاته وهتافاته . وفي المساء قدمت الفرقة الموسيقية الموصلية بالاشتراك مع الطاهر فرحاتي والغفوي عدة مقاملح موسيقية شعبية متنوعة . وفي يوم الاحد 30 أفريل عاش الجمهور مع فرقة « 71 » لبلدية مالاكوف الفرنسية التي قدمت مسرحية « انتيقون » وهي عبارة عن مسرحية مأساوية تاريخية قديمة ، امتازت بروعة الاداء والاخراج ووضعها في اطارها التاريخي . واشتركت فرقة « عيد الفجر » الاسبانية للرقص برقصات واغانى مطربة كان لها اثر كبير على الجمهور الذي أبدى انفعاله معها ، وتجاوبه لفنونها بشكل ملحوظ . وفي اليوم ما قبل الاخير اشتركت فرقة المسرح الوطني الجزائري بعرض مسرحية « ورود حمر لي » التي تم عرضها لأول مرة سنة 1964 واعيد عرضها مرة ثانية سنة 1966 ، وتعتبر من الاعمال الفنية العالمية الضخمة .

اعداد
حكمت ياسين

فكان مهرجان تيمقاد كما يظهر من الفرق الشاركة فيه ، تجمعا فنيا وثقافيا عالميا وهو بالنسبة للجزائر الواجهة الثقافية المطلة على شواطئ البحر الأبيض حيث تلتقي فيه فنون وثقافات هذه المنطقة ، وهو فرصة عالمية ثمينة للدعاية والتعريف ببلادنا وفرصة نادرة لاستغلال هذا التجمع الجماهيري من جميع أنحاء التراب الوطني لطرح أهم قضايا الثقافة والثورية ، ورغم أن الدعاية لهذا المهرجان لم تكن على المستوى الواجب ، إذ أنها لم تمتد حدود مدينة تيمقاد ، إلا أن إقبال الجماهير عليه كان شديدا ، وبشكل خاص ، إذ أن المسرح الروماني الذي يتسع لحوالي ثلاثة آلاف متفرج كان يضرر بالمتفرجين من كافة أنحاء الوطن طوال مدة المهرجان ، كما أن الأمطار الغزيرة التي تهطلت على الممثلين والمتفرجين معا ، والتي كان من المتوقع أن تشل المهرجان ، لم يكن لها أي تأثير على سير العروض والحفلات الفنية ، ولا على نفوس وحاس المتفرجين .

وتظهر أهمية مهرجان تيمقاد في جميع الميادين السياسية والثقافية والاقتصادية والسياحية ، فالمهرجان يدعو لاشتراك جميع بلدان البحر الأبيض ابتداء من بلدان المغرب العربي والشرق العربي إلى الدول الأوروبية ، فهو بذلك إحدى الوسائل الرامية لتعزيز تكتل وحدة المغرب العربي والعالم العربي ، ويعمل على دعم التكتل الدولية الثالثة بوجود جبل البحر الأبيض منطقة أمن وسلام

وذلك عن طريق التبادل الفني والثقافي ومشاهدة التراث الفني لدول المنطقة . ومن وجهة النظر الثقافية فبالإضافة إلى مشاهدة الجمهور الجزائري لفنون وثقافات غدة دول عربية وأجنبية ، وقضاء عدة أيام وليالي غنية ساهرة فإن المهرجان في نفس الوقت يعتبر فرصة للتعريف بالانتاج الفني والثقافي الجزائري للعالم ، والإطلاع كذلك على الإنتاج الفني العالمي ومحاولة الاستفادة من ذلك الانتاج .

أما أرباح المهرجان الاقتصادية فإنها لا تخفى على أحد ، إذ أن كثرة عدد المشاركين فيه وما ينفقون من مصاريف ، تعود بالفائدة المادية على المنطقة ، أما المهرجان نفسه فإن أرباحه التي بدأت بمبلغ 3 ملايين تضاعفت لتصل 15 مليون في العام الماضي مما يؤكد زيادة هذه الأرباح في المهرجان الخامس لهذه السنة .

وأخيرا فإنه يمكن أن يكون تهيدا جيدا لتنشيط حركة السياحة في البلاد باستغلال المناطق الأثرية والطبيعية الخلابة ، وإنشاء المركبات السياحية والفنادق والمطاعم السياحية لتسهيل إقامة السواح في الجزائر ، وبهذا يكون مهرجان تيمقاد قد قدم فوائد جمة للجزائر .

الاسبوع الثقافي الخامس في قسنطينة

بمناسبة الذكرى 32 لولادة رائد النهضة الجزائرية الحديثة ، وزعيم رجال الإصلاح وجمعية العلماء في الجزائر ، الشيخ عبد الحميد بن باديس نظمت وزارة الثقافة والإعلام - كالمادة - مهرجانا ثقافيا ولغيا لهذه

اسبوع في مدينة قسنطينة ابتداء من يوم 16 أبريل سنة 1972 ، وقد أشرف الأخ أحمد طالب الإبراهيمي وزير الثقافة والإعلام وعدد من المسؤولين المدنيين والعسكريين على افتتاح هذا المهرجان الثقافي .

وقامت المجموعات الفنية القسنطينية وغرفة الإذاعة والطفزيون بتنظيم حفلة فنية ساهرة بقاعة سينما الكوليزي حضرها وزير الثقافة والإعلام قدمت خلالها مجموعة من الفنون الشعبية كالرقصات الفلكلورية والأغاني الاندلسية ، والموسيقى التقليدية ومعارض للصور واللوحات الزيتية والصناعات التقليدية ، وتم اللقاء قصائد شعرية حسابية تخليدا لذكرى الصلح الكبير ابن باديس ، وقد بذلت بلدية قسنطينة جهودا جيدة لانجاح هذا المهرجان بكثرة اللصقات والإعلانات.

وقد كان قصر الباي الذي تم بناؤه سنة 1826 طوال فترة المهرجان مسرحا لجمع غفير من الزوار قدموا لمشاهدته نفسه ، ومشاهدة ما يجري بداخله من عروض ومنوعات ولغوية خاصة للصناعات التقليدية كالألبسة والأواني الطينية والنحاسية ، بالإضافة إلى معرض الفنان بونورة ، المشهور بتماثيله المختلفة المنحوتة والمحفورة على الأخشاب ، وغيرها من الأعمال الفنية .

وتدتمت فرقة المعهد البلدي للموسيقى مسرحية «الفقر والشرف» ، بينما كانت قاعة الكازينو معرضا للوحات الفنية التي أنتجها طلاب المعهد البلدي للفنون الجميلة بمدينة قسنطينة والتي كشفت عن المستوى الممتاز للمشاركين.

النشاط الثقافي

تم عرض أفلام وبرامج تلفزيونية وإلى جانب هذه المجموعات الفنية اشترك عدد من رجال الفكر والأدب الذين أثروا المهرجان بحاضرات متنوعة قيمة ، تناولت بالبحث والتحليل مواضيع الثقافة الشعبية بالجزائر ، والأدب الجزائري المعاصر ، وقد اشترك الرسامون الجزائريون هم الآخرون في هذا المهرجان ، وقاموا بعرض ما أنتجه مواهبهم وخطت ريشهم وأقلامهم من رسومات فنية تعبر عن واقع الوطن وتاريخه الحضاري الثري .

وبكسب هذا المهرجان أهمية عظيمة وأدى خدمة وطنية كبيرة ، فمن الناحية السياسية والتربية أكد هذا المهرجان على أواصر الأخوة التي تربط بين الشعب العربي الجزائري والشعب العربي في المشرق العربي ، فكان فرصة للقاء الأخوة الاشتقاء من الأرجاء المتباعدة للوطن العربي ، وكان تعبيراً صادقا عن حسن العلاقات واتسجام الروابط المتينة التي ترجع إلى أقدم العصور ، لا سيما منذ الفتح الإسلامي ، وأكد هذا المهرجان عروبة الجزائر ، وتمسك الشعب الجزائري بعروبته وإسلامه . ومن وجهة نظر وطنية ثقافية فإن المهرجان أظهر للاخوة المشاركة مدى حرص الجزائر على استرجاع شخصيتها الفكرية والثقافية بعد أن استطاعت أن تسترجع شخصيتها السياسية والوطنية ، إذ أن العرب في المشرق الذين ينظرون للشعب الجزائري نظرة إجلال واحترام ، ويميزونه مثلاً رائعا للتصحيحات والبطولات يصورون أن هذا الشعب العربي قد سيطرت عليه الثقافة

وقد استعمل وزير الإعلام والثقافة هذه المناسبة وعقد سلسلة من الاجتماعات الهادفة مع مسؤولي المنطقة ، تقرر فيها إنجاز عدة مشاريع غنية وثقافية هامة ، إذ أنه سيتم إنشاء « مركب ثقافي » بمدينة قسنطينة ، وبناء قاعة متعددة الفروع ومكتبتين للمكتب ، وستبلغ تكاليف هذا المشروع الضخم 1300,000 دينار جزائري ، وستقوم وزارة الإعلام والثقافة بتأمين المشروع .

ويعتبر مهرجان قسنطينة فرصة ثمينة للمدينة إذ هو تعبير عن تقديرها الكبير لابنها البار الشيخ ابن باديس ، إلى جانب كونه فرصة لنشر الثقافة الفنية بأنواعها في المنطقة ، وإظهارها لبقية مناطق الوطن ، كما أنه فرصة لتلقي فيه مختلف الفرق الفنية والشخصيات السياسية والعلمية والأدباء والشعراء والفنيين ، ويتم بينهم التعارف وتبادل الآراء والأفكار التي من شأنها أن تخلق ثقافة ومن أميلين .

وانتهى مهرجان قسنطينة الخامس بعد أن حقق نجاحا باهرا وأدى واجبا وطنيا عظيما .

المهرجان الثقافي الجزائري في المشرق العربي

في إطار التعريف بالفرن الجزائري قامت وزارة الثقافة والإعلام ما بين 12 و 25 مارس بتنظيم مهرجان ثقافي في ثلاث بلدان من بلاد المشرق العربي في ، سوريا والعراق والكويت ، وكان المشاركون يمثلون مختلف الميادين الفنية الفلكلورية ، والجالالات الثقافية الفكرية ، إذ اشتركت في أحيائه المجموعة الموسيقية للموشحات والفرقة الصحراوية والفرقة المعصية ، كما

أما قاعة الكوليزي فقد شهدت عدة حملات فنية وارتصات متنوعة وعروض مسرحية ، حيث قدمت فرقة الإذاعة والتلفزيون حفلة غنائية بقيادة المطرب هيسر حفلة وبمساعدة مختلف أنواع المطربين بأغانيهم الصحراوية والشعبية والدولية ، كما اشتركت كل من ثانوية رضا حوجو بمسرحيته « نين الحرية » وثانوية ابن باديس بمسرحية « النصر أو الاستشهاد » وثانوية حيحي المكي بمسرحية « أشواك السلام » .

ونشر في هذه المناسبة إلى أنه قد أقيمت في المهرجان عدة محاضرات ثقافية هامة كانت أولها محاضرة قيمة حول « الثورة الزراعية » القاها رئيس اللجنة الوطنية للثورة الزراعية السيد محمد عبد العزيز ، برز فيها أساس الثورة الزراعية والمحولات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي ستجني عنها وأكث على ضرورة العمل الجاد لإنجاح هذه الثورة لما لها انعكاسات سعيدة على الطبقات الكادحة .

كما ألقى السيد محمد البيلي مدير الأخبار بوزارة الإعلام محاضرة قيمة حول « الشخصية الوطنية في التاريخ القديم والحديث » ، استعرض فيها تطور الشخصية الوطنية عبر التاريخ ومقاومتها لكل عمليات المسخ التي تعرضت لها في تاريخها الطويل ، ثم ذكر مختلف المراحل التي مرت بها الشخصية الوطنية وأهم سماتها ، ثم أشار إلى الشخصية الوطنية من خلال ثورات الجزائر ، وأشار في الأخير إلى أن هذه الشخصية التي صمدت عبر تاريخها الطويل لا بد وأن تصمد اليوم أمام السيلاب المستوردة والتي لا تتماشى مع الواقع الجزائري .

الفرنسيه وتلعبت شخصية العربية الاسلاميه . ولا يتصورون ان هناك تنافس ومنا عريان اصيلا في الجزائر العربية التي رزحت تحت نير الاستعمار ما يزيد عن القرن من الزمن ، ذلك انهم لم يسبق لهم ان شاهدوا حفلات فنية جزائرية ، ولم يسمعوا اراء وانكار جزائرية ، لانه لم يسبق عرض مثل هذه الانتاجات الفنية والفكرية والادبية ، فجاء هذا المهرجان ليزيل ذلك الاعتقاد من المنطقة ويظهر للاخوان في المشرق العربي ، ان الجزائر العربية فيها من الطاقات والقدرات الفنية والثقافية ما يجعلها جديرة بان تمد من بين الدول العريقة في الفكر والادب شأنها في ذلك شأن شقيقاتها الدول العربية .

وقد استطاع المشاركون في هذا المهرجان النجاح التام في اداء رسالتهم النبيلة ، فانظروا وجود الفن والثقافة الجزائرية ، وازالوا ذلك الاعتقاد المبني على التصور فقط ، وقد كان تفاعل الجماهير العربية في قاعات الاحتفالات اكبر دليل على نجاح المهرجان ، اذ لم تكن جماهير المتفرجين تنقطع لحظة عن التعبير عن انفعالها للاعمال الفنية المختلفة التي تقدمتها الفرق الفنية الجزائرية ، وقد لاحظ المشاركون انفسهم انفعال الجماهير ، وانسجامهم مع الاغاني والسرحدات الجزائرية بما كانوا يبذلونه من ترحيب حار وتصفيق حاد ، وهتاف عال . ان هذا المهرجان الثقافي الجزائري كان الخطوة الاولى في طريق اقامة مهرجانات ثقافية اخرى في الاعوام القادمة في عواصم البلاد العربية المختلفة ، وكان بداية الطريق لخروج الفن الجزائري

بأنواعه من اطاره المحلي الضيق لينتشر في وطنه العربي الواسع . وما لا شك فيه ان نجاحه لأول مرة يبعث على التفاؤل ، ويشير الى امكانية نجاح المهرجانات اللاحقة لا سيما اذا ما تم تفادي الاخطاء والنواقص التي قد يكن شعربها الفنانون المشتركون ليستطيعوا اداء اعمالهم على خير وجه واحسن صورة ، ولا ننسى بان المهرجان كان فرصة عزيزة لالتقاء الفنانين الجزائريين بالفنانين العرب في المشرق وكان لهذه اللقاءات اثارها القوية والمفيدة في ميدان الفن والثقافة !

الاسبوع الثقافي الجزائري في باريس

نظمت ودادية الجزائريين بأوروبا مهرجانا غنيا وثقافيا في مدينة باريس وقد اشرف على امتاحه السيد جاك دواميل وزير الثقافة الفرنسي، والسيد محمد بجاوي سفير الجزائر في فرنسا وذلك يوم 4 افريل 1972 ، وقد تبادل الوزير الفرنسي والسفير الجزائري الكلمات المعبرة عن الترحاب والشكر ، والامل في ان يكون هذا المهرجان نائحة عهد يسوده الصفاء وحسن الجوار بين الشعبين الفرنسي والجزائري والتفاؤل في مستقبل الجزائر الثقافي والفني المستند من ثرواتها الفنية والفلكلورية العريقة ، فقد قال الوزير الفرنسي على الخصوص بان ماضي الجزائر حافل بالفارخ والامال والنجاحات الشئ الذي يسمح للجزائريين بالانتماء بها حدث في الجزائر قبل ثلاثة عشر قرنا ، والاهم من هذا هو عدم تسكهم بالتقاليد التقليدية وانما يعدون لثقافة عصرية

وبعد الافتتاح شاهد المسؤولان الفرنسي والجزائري مع الجمهور مسرحية « البوابون » للممثل والمخرج الجزائري رويشد ، وكان الممثلون يتكلمون اللغة العربية الفصحى مما زاد في انتباه الجمهور ، ومتابعة فصول المسرحية بكل اهتمام ، ورغم حدوث بعض عدم الانسجام اثناء ترجمة بعض العبارات الى اللغة الفرنسية فقد نالت اعجاب الحاضرين الذين عبروا عن هذا الاعجاب بالتصفيق الحاد والتهاف المتواصل .

وفي الساعة 6ر5 مساء يوم 6 افريل القى الاستاذ عبد المجيد مزبان اسفاد علم الاجتماع بجامعة الجزائر محاضرة هامة بعنوان « الثقافة الجزائرية » ، قال فيها بان ما قدم حتى الان حول الثقافة الجزائرية يمثل وجهها غير حقيقي حول الشبيبة والمشاكل التي تعانيها وان هذه الصورة الحاطلة نتيجة لتناسي ماضي الثقافة الجزائرية، وكذلك الى عدم الاهتمام بالحياة التي تطبع الثقافة في الوقت الحاضر ، وأشار الى ان مرحلة النحول العميق التي تجتازها البلاد حاليا ترتكز على هذا الماضي الذي يحتل مكانته في النورة الثقافية .

وفي مساء 7 افريل القى السيد بلحاج مسؤول في كتابة الدولة للتخطيط محاضرة حول التنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافة بالجزائر ، غاشر الى التطور الاقتصادي الكبير الذي حدث في الجزائر خلال فترة قصيرة من الاستقلال وبعد ان اشار الى ان مشكلة التعريب قد اصبحت حقيقة ملموسة تنبئ بان تكون جزائر 1980 - 1985 بلد 20 مليون نسمة في ذلك الوقت قد قضت على جميع المشاكل

النشاط الثقافي

استقبلت أيام المهرجان السبعة على أربعة عروض لليوم الواحد في الصالة الواحدة ، علما بأنه قد خصصت ثلاث قاعات للمعرض ، أي أن مجموع العروض المقدمة في اليوم الواحد كانت اثنا عشر عرضا ، كان يتخللها في فترات الاستراحة مناقشات بين المخرجين والنقاد السينمائيين واسئلة للصحفيين ، وتم في هذا المهرجان عرض 30 فيلما وثائقيا تسجيليا و28 فيلما طويلا بينها فيلمان كوبيان .

أما الدول المشتركة في المهرجان رسميا فهي ست دول عربية هي سوريا العراق ، مصر ، لبنان ، الكويت ، وتونس ، واشتركت ثلاث دول عربية بصفة غير رسمية وهي الجزائر والمغرب وتونس .

وكان الفيلم الجزائري مدار حديث متنوع للنقاد والمخرجين الذين انتقوا على أنه يعد في طبيعة الأفلام العربية تمثيلا وأخرجا ، وكانت الأفلام التي تم عرضها هي « حسن الطيبرو » ، « والخارجون على القانون » و« الجحيم في سن العاشرة » .

وكانت عملية توزيع الجوائز على النحو التالي :

— الجائزة الكبرى للمهرجان نالها الفيلم الروائي الطويل « أغنية على البمر » لملي عبد الخالق المصري ، وكذلك فيلم « بس بابكر » لخالد صادق الكويتي .

— جائزة الفيلم الروائي المتوسط : « طائر القرية » لجان لطفي السوري .
— جائزة الفيلم الروائي القصير : « اللقاء » لمروان المؤذن السوري .
— جائزة الفيلم الوثائقي القصير :

وقد أشرف الوزير الفرنسي للثقافة على اختتامه متمنيا أن تسمح تظاهرات مسرح شاتو البري بتدعيم الصداقة وتنامي أفضل بين الشعبين الجاوريين لنفس البحر الأبيض المتوسط ، ويبدو أن المهرجان حقق هذا الهدف النبيل إذ أننا لاحظنا انتقادات تزيمة للمعروض التي قدمت سواء مسرحيات أو باليه ، وقال الوزير الفرنسي بأن الجزائريين بعد عشرة سنوات من معاهدة إيفيان والنتائج الوخيمة التي تلتها والأحداث المؤلمة التي سبقتها ، اتوا إلى قلب باريس يقدمون بطريق الفناء والرقص والموسيقى وجها وديا وسلميا .

وقد كان هذا المهرجان فرصة ثمينة سمحت للكثيرين بالتعرف على الخطوات المعقدة التي قطعها الجزائري في ميدان الفن والثقافة ، كما أنه خطوة أولى للنشاطات التي سيتم تنظيمها فيما بعد للمغربين الجزائريين في ميدان الثقافة ، كما أنه سيعكس عدة أوجه للنشاط في الجزائر والجهودات التي تبذل من أجل خلق مجتمع جديد تسوده الرهانية والمساواة ومحاربة الاستغلال بجميع أشكاله وبناء جزائر عصرية وحديثة .

مهرجان دمشق الأول لشباب الشباب

تم في الفترة ما بين 1 - 8 أفريل في دمشق تنظيم مهرجان سينمائي للشباب كان الأول من نوعه ، وقد تميز بآثارة العديد من قضايا الشباب الحديثة ، ونظرة المخرجين العرب الشباب إليها ، وخصصت هذه القضايا في مجرى نقاشها إلى التواعد النقدية التقليدية باستثناء آراء بعض المخرجين الذين تخصصوا في أوروبا مكان يشجع بعضهم بحس نقدي سليم . وقد

والفقر والجهل ، وحقت عدالة اجتماعية بمعنى الكلمة .

والى جانب هذه المحاضرات الثقافية والاجتماعية قامت الفرق الفنية الجزائرية بأحياء سهرات فنية راقصة من طرف فرقة « الباليه » للمسرح الوطني ، وفرقة الموصلية للأذاعة والتلفزيون عزنت فيها موسيقى كلاسيكية وأدلسية عبرت عن أصالة هذا الشعب وارتباطه بالمعادات والتقاليد التي اكتسبها من ماضيها الزاخر بالفن والثقافة والفلكلور الشعبي العريق .

واختتم المهرجان يوم 10 أفريل بمعرض الفيلم الجزائري « ربيع الأوراس » وحفلة فنية ساهرة بمشاركة عدد من المطربين مثل الغازي الشريف خدام ، نورة ، وخليفي أحمد ، فكانت هذه الحفلة أйдانا باحتفال الأسبوع الثقافي الجزائري في باريس ، بعد أن حقق نجاحا ياهرا نظرا للمعروض الفنية الرائعة التي قدمتها مختلف الفرق الفنية والتي حازت على إعجاب المتفرجين وتقديرهم من خلال التصفيق والهتاف .

وقد كان لهذا المهرجان صدى كبيرا في مختلف الأوساط الفرنسية ، حتى أن الأطراف اليمينية المعروفة بعدائها للجزائر وجدت نفسها مضطرة للنفاء على هذا المهرجان ، لأنها لم تستطع أن تجد الفترات لتدخل إليه . وهكذا فقد كتبت جريدة « الفيغارو » مقالا بعنوان « مظاهر تقرب عليها نتائج سياسية » عقلت : « أردنا أن نقدم إلى شعب فرنسا الذي له مكانة خاصة في قلب كل جزائري ، بعض الصور من الجزائر الموحدة والمتعددة الوجوه وعن ثقافتها العريقة والفنية في آن واحد

« محاولة من وادي الفرات » لمبر
أمير الإي السوري ، وكذلك « حصان
الطين » لمطيل الإندوي المصري :
- جائزة الفيلم الوثائقي المتوسط :
« باقروح .. بالدم » لمصطفى أبو علي
اللسلطيني :

- جائزة اللجنة « العهد » لتبيل
المالّح السوري ، و « شبة » لأحمد
بناني المغربي .

- شهادة تقدير : « بعيدا من
الوطن : لقيس الزبيدي السوري »
جائزة النقاد للفيلم الطويل : « مائة
وجه ليوم واحد » لكريستيان غازي
اللبناني . وللفيلم القصير : « الزيارة
لقيس الزبيدي العراقي .

وعلى كل حال فرغم الصعوب
والنواص التي ظهرت في المهرجان فإنه
يعد خطوة حيدة في طريق النقاء الإنكاري
والآراء المخرجين والنقاد السينمائيين
العرب ، والعمل على تطوير الفيلم
العربي حتى يرتفع الى مستوى الأنعام
العالمية ، وترجو أن يتكرر هذا
المهرجان في كل سنة حاملا معه تجديد
السينمائيين الشباب العرب .

معرض للرسوم الفنية المصرية في القنصلية الليبيراتية

أقامت الفنانة الرسالة المصرية
السيدة تحية حلم معرضا للصور
واللوحات الفنية في غرف الأكاديمية
الفنية في برلين عاصمة ألمانيا
الديمقراطية . والفنانة حلم ولدت في
الصيد المصري سنة 1919 ، وتلقت
تعليمها الفني في القاهرة ثم في باريس
في أكاديمية جوليا . ورغم تأثرها بالفن
الأوروبي في بداية حياتها وأبداعاتها
الفنية ، إلا أنها لم تخضع لها ، ولم

تترك لها أثرا في أعمالها الفنية الرائعة
التي تصور حياة الريف المصري . لقد
عرضت عدة صور ولوحات غنية رائعة
للبنات المصريات الريفيات التي تسدل
ملاعب وجوههن ، وجمالهن الريفي الساحر
على ترابط الفنانة الأصل بالشعب ،
وأخلاصها لوطنها الصعيد الذي ظل
طابعه بسيطرا عليها ، وترابط وثيق
بالتقاليد الفنية الوطنية . ويظهر من هذه
الصور واللوحات بعض التيارات
المصرية القديمة في الصور الجدارية
والفن القبطي الشعبي ، وقد أسهمت
الفنانة في تطوير أسلوبها الخاص
والأصيل جدا والمتحرر من كل الميول
نحو التأثيرات الشكلية الدارجة ، وقد
اشترت بعض المتاحف الحديثة في
القاهرة وغيرها من المدن الأجنبية ،
وهواة جمع اللوحات الفنية ، عددا
كبيرا من رسوماتها الفنية .

وقد سبق لنحية حلم أن نالت جائزة
« جونغهام » سنة 1958 ، وميدالية
ذهبية من صالون القاهرة سنة 1960
وجائزة الدولة من الطبقة الأولى ،
ووسام الطبقة الأولى للفن .

وقد كان هذا المعرض تعبيرا
صادقا عن حسن الملاحظات السياسية
العربية الألمانية ، ووسيلة هامة لإخراج
الفن العربي من حيزه الضيق الى
الافق العالمي الواسع .

بلغ حدي وصلاح مرام في الجزائر

وصل الى الجزائر الملحن المشهور
الموسيقيار بلغ حدي ، والاستاذ
صلاح مرام رئيس الفرقة الذهبية ،
وذلك للاشتراك في احياء الذكرى
المائة للاستقلال ، وعيد الشباب

الجزائري ، ويتوى أثناء اقامته في
الجزائر وقع اتفاق مية للمطربة
وردة الجزائرية التي ستشارك في احياء
عيد الاستقلال بعد انقطاع عن الغناء
دام عشرة سنوات وفي مقابلة تلفزيونية
وصحفية عبر الاستاذ بلغ حدي
عن تميّاته في أن يجد الاصوات
الجميلة ليضع لها العاناجية ، وأن
يستطيع الفن الفناي في الجزائر أن
يخرج عن محيطه لينفتح على العالم كله
لان الفنان العربي في نظره مطالب بأن
يثبت وجوده للعالم ويكون وجهة مشرفة
للخارج . وقال في ختام حديثه ان الكلمة
التي اقولها هي انني اتنى ان أسع
الغناء الجزائري من خلال الاذاعات
العربية ، وأن تقوم وزارة الثقافة
والاعلام بتسجيل شرائط للاغاني وتوزيعها
للاذاعات العربية واتمنى ان اشترك
ولو في خطوة واحدة في الموسيقى
الجزائرية .

الثورة الثقافية

اللاخ محمد الشريف مساعدي مسؤول التوجيه والإرشاد في الحزب

في إطار الأسبوع الثقافي لشبيبة
الحزب يوم الجمعة 18 فيفري الى
الأخ محمد الشريف مساعدي محاضرة
قيمة تناول فيها موضوعا هاما يكثر
حوله الجدل والنقاش في الأوساط
المنقطة على الخصوص ، وبالأمانة
الى شدة حساسية الموضوع فإنه
يهدف الى تغيير العقيدة التي لا تتلاءم
ووضع الجزائر الصلي وهو موضوع
« الثورة الثقافية » .

وقد قدم المحاضر تحديدا لمفهوم
الثورة وحصر المعنى الثقافي فمكن
المستمعين من معرفة محتوى الثورة
الثقافية ومعانيها وأبعادها الحقيقية .

النشاط الثقافي

القيمة يقول : « ان الثورة التي لا تنبع من احساس الجماهير بها كانت سلبية من ناحية الفكر ومن ناحية التخطيط الا انها تبقى عجزا امام عدم التزام الجماهير بها اي انها تفقد تربتها الطيبة »

فيلم الفتح

تم في دار الآثار السينمائية الجزائرية عرض فيلم وثائقي متوسط حول الثورة الفلسطينية لمخرج ايطالي ، والفيلم فيه جوانب ايجابية واخرى سلبية .
فالفيلم كما يظهر من عنوانه يحمل فكرة ثورية تدور حول الثورة الفلسطينية .
يبدأ الفيلم بعرض المشكلة الفلسطينية منذ الاحتلال الصهيوني لفلسطين سنة 1948 ، وما نتج عنه من هجرة فلسطينية ، واضطر المهاجرون ان يعيشوا حياة قاسية في الخيام القماشية التي كانت كثيرا ما تعجز عن مقاومة الرياح الشديدة والنوم على الارض والاكتفاء بغشاء خفيف يقي اجسامهم شر البرد القارس في ايام الشتاء الباردة ، وبرز حياة ابناء اللاجئين الذين تظهر على وجوههم علامات البؤس والشقاء ، ويعانون من الام الجوع مثلما يعانون من اخطار الامراض ، ويعيشون في حياة الفقر والجهل والحرارة . وقد عرض هذه المناظر بطريقة مؤثرة جدا على مواطني المنفرجين واحساسهم حتى ان الاجسام كانت برجفات نهزها ، ورعشات تسري في عروقتها ، لفشاعة تلك المناظر المؤلمة التي لا تستطيع نفس بشرية ان تتحمل رؤيتها دون التأثير الحزين ، وابداء العطف الشديد على هؤلاء المنكوبين ، والكره والحقد على

الثقافة كالكائن الحي فتأثر وتؤثر في البيئة المحيطة بها اي انها تخضع للظروف التاريخية والجغرافية والاقتصادية والاجتماعية فتتأثر اي شعب لانتشابه مع ثقافة شعب آخر ، بل ان ثقافة الشعب الواحد تتبدل حسب النظام الاجتماعي فمثلا تقتصر ثقافة النظام الاجتماعي على « الخسارة » بينما نجد ثقافة النظام الرأسمالي تجدد دور الفرد او تزعمه الى القوة دون ان تنظر الى العلاقات الاجتماعية السائدة ، اما ثقافة المجتمع الاشتراكي فهي تنزع نحو الروح الجماعية ذات الطابع الجماعي .

الثورة الثقافية :

بعد توضيح معنى الثورة ومعنى الثقافة نعود الى الثورة الثقافية التي تعني « قلب وتغيير الأوضاع والعادات والتقاليد والمبادئ البالية » وهي تعني خطيا وعمدا وخلقاً وابداعاً . وقد ابتدأت هذه الثورة بحركة الاسلام بما جاء به من احداث تغييرات في السلوك والمفاهيم والقيم وبذلك يكون الاسلام اول من حقق ثورة ثقافية معاشة لحياة الفرد وتطلعاته . والثورة الثقافية في بلادنا ابتدأت بالثورة المسلحة ضد الاستعمار ، وكل المنجزات التي حققتها الجزائر من صميم الثورة الثقافية كالاصلاح الزراعي والتسيير الذاتي .

ونعرض المحاضر الى العلاقة بين المثقف الثوري والجماهير فهو مرتبط بها ارتباطا عضويا ومحليا ولا يوجد هناك أي حاجز يفصل بين المثقف الثوري وجماهيره بل يعتبر هو المبرر الحقيقي عن مشاعر الشعب واحاسيسه بطريقة واضحة متلألئة ، وانهم الاخ مساعدية محاضرتهم

مفهوم الثورة :

قال المحاضر بان الثورة هي « تغيير جفري للظروف الاجتماعية البالية وهي كل عمل منظم يستهدف ازالة الاوضاع الفاسدة في المجتمع » . وهكذا نستطيع ان نعلم بان الثورة هي قبل كل شيء وسيلة للوصول الى غاية معينة يطمح اليها المجتمع ، وطموح المجتمع ينعكس بالضرورة في ثقافته على مختلف مستوياتها واشكالها . ان مفهوم الثورة يرتبط بثلاثة عناصر رئيسية ارتباطا عضويا بحيث انه كلما ذكرت الثورة عبرت الى اذهاننا تلك العناصر التي هي « التغيير .. والمقاومة .. والنصر » .
وعندما تعرف الثورة بانها تغيير فهذا يعني انها لا يمكن ان تستورد ، بل لا بد ان تنبع من روح الشعب يخلقها ويحميها . وعليه ان هناك كثيرين يستفيدون من ابقاء الوضع الحالي ويعملون جاعدين على منع احداث اي تغيير وهذا هو عنصر **المقاومة** والصراع الذي لا يستمر حسب الديالكتيكية الهيغلية ملويلا بين هذين العنصرين حيث يشتمل **النصر** للثورة التي قد تلبس ثوبا جديدا . ان الثورة كل لا يتجزأ فالثورة الحقيقية والاصيلة لا تتم في ميدان واحد بل تتعداه لتشمل كل الميادين ومن ثم نجد بلادنا تخصوص عدة ثورات : الثورة الزراعية ، الثورة الثقافية ، الثورة الصناعية .

معنى الثقافة :

قدم المحاضر عددا من التعاريف لمعنى الثقافة منها ان الثقافة هي « مجموعة الافكار والمفاهيم والقيم التي تؤثر تأثيرا واضحا في السلوك الفردي والجماعي على السواء . ومن ثم

النشاط الثقافي

من كانوا سببا في هذه المآسي والآلام البشرية .

وبعد ذلك ينتقل الى حياة الشعب الفلسطيني بعد نكسة سنة 1967 وزيادة تشرده وتجدد حياته القاسية في الخيام ، وانتظار رحمة وكالة الغوث الاممية لتقدم لهم قليلا من الدقيق والسكر ، وكية ضئيلة من الارز والحبوب والزيت النباتي .

ثم ينتقل المخرج الى تصوير الشعب الفلسطيني بعد بروز الثورة الفلسطينية الى الوجود التي اعادت للشخص الفلسطيني كرامته ، وعملت على رفع الذل والعار من جيبه ، وخلقت منه مواطنا جديدا يسك المحراث باحدى يديه ، والسلاح باليد الاخرى . واصبح ابناء اللاجئين الذين كانوا يتخبطون في الفقر والجهل ، يتمتعون بحقوق التعلم في مدارس الثورة التي جعلت من هذا الكم الضائع اشبالا ثوريين ، ورجالا للمستقبل ، وجيلا لتحرير فلسطين ، وبعثت فيهم الثقة بالنفس ، وخلقت فيهم روح الثورة والوطنية ، حيث ان الاطفال الذين لم يبلغوا سن الاشبال يشمون لانفسهم الدمى على شكل أسلحة ، ويقومون بتنظيم الالعاب ذات الروح العسكرية التي تعتمد على التنظيم وتمثل دور الطاعة والقيادة . اما الكبار فاصبح كل منهم يتفخر بفلسطينيته وينش على ثورته التي ردت اليه كرامته ، ويبدون استعدادهم لتقديم ابناءهم فدايين في الثورة لتحرير فلسطين . ثم يصور معركة الكرامة التي كانت نقطة تحول حاسمة في تاريخ الثورة الفلسطينية ، ثم ذهب المخرج في ككرة التصوير الى بعض تواهد الفدائيين في باطن الجبال وتحت الارض

والنقى ببعض قادة الثورة المسكرين والسياسيين ، واعطى لجمهور المتفرجين فرصة لرؤيتهم وسماع آرائهم في التخطيط للثورة ، والاصرار على متابعة الكفاح المسلح حتى النصر النهائي . وبهذا الصدد فانه لا بد لنا من القول بأن الفيلم لم ينجح النجاح الذي كان متوقعا له ، اذ كان تموزه الدقة في التصوير والاخراج ، بالإضافة الى مشكلة الصوت التي كانت تسبب بطريقة غير مرضية .

فالمصور غير واضحة زيادة على أن معظمها صورا ثابتة ولم يظهر المحور براعة في تصوير مناظر الفدائيين اثناء تدريباتهم وعملياتهم العسكرية كالبراعة التي اظهرها اثناء تصوير مشاهد حياة اللاجئين ، اذ ان هذه العمليات مرت ببرودة واضحة لم تبعث الاحساس الشديد كالذي يمنه مشهد اللاجئين في خيامهم . بالإضافة الى أن ترجمة الصوت من العربية الى الإيطالية لم يكن دقيقا اذ كان الكلام العربي يقطع الكلام الإيطالي مما كان يحدث ارتباكاً في الصوت ، وزاد من المشكلة الترجمة الفورية من الإيطالية الى الفرنسية مما احدث ازعاجاً للمتفرجين ، وعدم انسجام الصوت والصورة .

غير ان هذه العيوب الفنية لا تقلل من قيمة الفيلم والصورة الحية التي قدمها عن مراحل تشرده الشعب الفلسطيني وتطور حركة المقاومة الفلسطينية ، ووعي الشعب الفلسطيني وتفاعله مع ثورته التي استطاعت ان تخلق في نفس كل صامد في ارضه ولاجئ في خيمته روح الثورة والتضحية في سبيل الوطن .

ويعتبر هذا الفيلم خطوة حامة في طريق النشاط الاعلامي الفلسطيني في أوروبا لمواجهة الاعلام الصهيوني الذي ظل طوال العشرين سنة الماضية يعمل في ميادين واسعة يقدم للشعوب الأوروبية عن قضية الشعب الفلسطيني بينما كان الاعلام العربي غائبا عن المسرح كما انه دليل واضح على بداية تنهم التقديم والتوريث في العالم للقضية الفلسطينية ، اذ ان القائمين عليه ايطاليون ، وهذا يشير الى وجود كثير من الأوروبيين المتعاطفين مع الشعب الفلسطيني وتضحيته . ولا شك في أن هذا الفيلم وما سببته من افلام ونشاطات ثقافية أخرى ستكون لها آثار واضحة السائدة في أوروبا عن قضية فلسطين ، لتصبح معروفة على حقيقتها فتكسب بذلك تأييد العالم وعطفه ووقوفه الى جانبها .

مخبر

٢ - حجرة الكفاءات تاليف ولترادزم . كتاب بالغ الأهمية يحسوى على عدد من مجموعة بحوث القيم ونوقشت في مؤتمر لوزان في شهر أوت 1967 تدور حول مشكلة حجرة الكفاءات وهي مشكلة تعاني منها ، خصوصا الدول النامية وتعتبر الولايات المتحدة الامريكية أكثر البلاد جذبا لهذه الكفاءات ، تناول فيه تاريخ حجرة الشخصيات العلمية والمفكرين الى البلاد الأجنبية منذ العهد اليوناني حتى وقتنا الحاضر . فإظهر الباحث أن حجرة الكفاءات قديمة قدم العلم نفسه ، فقد كان العلماء يهاجرون من كافة انحاء العالم الى مدينة أثينا لانها كانت مركزا للعلم . ولما أصبحت الاسكندرية

النشاط الثقافي

غورشلبي ، لندن ، تناول حياة الشاعر الروسي مايكوفسكي من خلال احاديث بعض أقرانه ، واصدقائه الذين لازالوا يتمتعون بالحياة .

9 - مملكة سنغاي في عهد الأسقيين ، تأليف عبد القادر زبادية ، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، وهو املا رسالة حصل بها المؤلف علي شهادة « الدكتوراة من الدرجة الثالثة » وهو خطوة جديدة في طريق اهتمام الباحثين الامارة بحضارات قارتهم ، ومبادرة قيمة لجامعة الجزائر ليكون لها فضل السبق في القيام بمثل هذه البحوث التاريخية .

10 - دور الشعر في معركة الدعوة الاسلامية ، تأليف عبد الرحمن خليل ابراهيم ، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر .

11 - نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر 1925 - 1954 ، تأليف الدكتور عبد الملك مرتاض ، نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر .

12 - الحسبة المذهبية في المنسرب العربي نشأتها وتطورها ، تحقيق الأستاذ موسى لقيال ، نشر ش . و . ن . ت . الجزائر .

13 - عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، تحقيق رابع بونار ، نشر ش . و . ن . ت . الجزائر .

وكتبت مجلة تايم في عددها الصادر في 29 ديسمبر 1971 مقالا صغيرا بعنوان : ساعة الكربون .

يعتبر كثير من علماء الانثار أن شعوب أوروبا كانت فيها قبل التاريخ كانت شعوبا بدائية متأخرة . والحقيقة أن البقايا الاثرية مثل الاواني الفخارية

- يتناول تطور القضية الفلسطينية واحتمال قيام الجولة الرابعة بين العرب واسرائيل وحتمية قيام هذه الجولة .

3 - 3200 مجلة وجريدة عربية : تأليف عبد الغنى أحمد بيوض ، نشر المكتبة الوطنية بباريس .

يذكر الدوريات العربية المحفوظة حاليا في 20 مكتبة ، وقد صدرت ما بين 1800 - 1965 .

4 - العرب والطب : تأليف أحمد شوكت الشطي ، نشر وزارة الثقافة دمشق سوريا .

5 - معجم المصطلحات العلمية والهندسية والفنية : تأليف احمد شفيق الخطيب ، نشر مكتبة لبنان ، معجم جامع لمصطلحات العلوم والفنية حجم 750 صفحة ، ويحتوى على 60 ألف مصطلح في الطيران ، والاحياء ، والهندسة ، والفلك ، والكيمياء ، والارصاد الجوية ، والالكترونيات ، والراديو والفيزياء ، والكهرباء ، والجيولوجيا ، والعلوم العسكرية .

6 - « آرتيريا شعبا وكفاحا » تأليف عبد الباري عبد الرزاق نجم ، نشر مطبعة العاني - بغداد - العراق .

هو دراسة وافية عن الثورة الانتيرية وتعريف القاريء العربي بارتيريا وثورتها الشعبية المسلحة .

7 - الى الجنوب نحو المونل القديم تأليف الكاتب الزنجي اليرت موراي ، وهو لجنة جديدة في حركة الزنوج نحو الحرية ومقاومة جميع أشكال التمييز العنصري .

8 - مايكوفسكي شاعر الثورة : تأليف

مركز العلم سنة 300 ق م جاء اليها مئات الكهات في مختلف المعارف الانسانية ، وقد كان بطليموس هو الذى جذبهم اليها بسبب الذهب الذى اغدقه عليهم ، وفرص الدراسة والبحث العلمى التى هياها لهم .

وفي العصور الوسطى حيث بلغ عدد جامعات أوروبا حوالي ثمانين جامعة ، كان الحكام يتنافسون في اجتذاب خريجي هذه الجامعات واستاذتها ، وأوفسح مثال على هذا النوع من الهجرات ، ما حدث في باريس سنة 1228 وعرفت هذه السنة بسنة « التشرذ الكبير » حيث هاجر طلبة واستاذة جامعة باريس الى لندن واسسوا جامعة أكسفورد ، والى غيرها من المدن .

وفي الوقت الحاضر فان الولايات المتحدة الامريكية هي أكثر دول العالم اجتذابا للكهات حيث أظهر العالم جيس بركنز رئيس جامعة كورنيل بأنه قد هاجر الى امريكا 43 ألف عالم ومهندس ما بين 1949 - 1961 ، وقالت إحدى الجرائد الامريكية حول هذه الهجرة : « ان الولايات المتحدة الامريكية تقدم باحدى يديها الملايين لهذه البلاد النامية من أجل أن تطور نفسها ، ولكنها في الوقت نفسه تسلبها باليد الأخرى قادتتها القادرين على تطويرها ، هؤلاء القادة بالنسبة لهذه البلاد أنفس من الطعام والالات التي تقدمها لها » .

2 - 20 عاما من حربنا مع اسرائيل. عشرون عاما من حربنا مع اسرائيل تأليف العقيد الركن المتقاعد : صلاح الدين عبد القادر محمد مائر .

نشر مطبعة الشعب - بغداد العراق

نشر الى انه كان يوجد مستوى عالي من النقاة ، ولكن مثل هذه التركيبات كانت عادة تمزى أو ترد الى التأثير الذى جلبه للمنطقة المهاجرون المهرة القادمين من المناطق الاكثر تقدما وحضارة خاصة في منطق الشرق الادنى وقد اول علماء الآثار هذا الادعاء اهتماما كبيرا ، وبدروا جادين في فحص واختيار مدى صحة هذا الاعتراض المتعلق بانخفاض مستوى النقاة لدى الاوروبيين القدامى ؟ ويرجع الفضل في معرفة هذه الحقائق وتحقيق مثل هذا الاكتشاف الهام الى التطور الهام الذى مرأ لدى المؤرخين في طرق تأريخ مخلفات وبقايا الانسان القديم ، وكان هذا التطور هو استعمال وسيلة حديثة تعتمد على مادة الكربون 14 بواسطة استعمال ساعة الكربون الذرية ، التى تم اكتشافها على يد الكيميائى الأمريكى الشهير الاستاذ ولارد لى WILLARD LIBBY منذ عقدين من الزمن . ومنذ في هذا على أساس « فقدان » مادة الكربون 14 المشعة ، وهو احد نظائر الكربون 12 غير المشع والثابت ، ان كلا نوعى الكربون 14 و 12 توجد في جميع الكائنات الحية (نبات ، حيوان ... الخ) بنسب تبقى ثابتة طيلة حياة العضو أو الكائن الحى ، ويزداد فيه بصفة مستمرة من جراء عمليات التجدد والتايض ، غير انه عند ما يموت الكائن ويتوقف ازدياد المواد المتجددة ، وهكذا فان نسبة الكربون 14 الى الكربون 12 تبدأ بالتغير ، اذ تبقى كمية الكربون 12 ثابتة العضو ، بينما يبدأ الكربون 14 المشع بالتناقص ، ويجرى هذا التناقص الانشعاعي بانتظام كما يجرى تيار الرمل في الساعة الرملية .

ولكى يستطيع العلماء حساب عمر مادة قديمة كتخمة خشب أو عظمة من العظام ، أو بذرة عثر عليها في اثناء صلصالي ، فانهم يلجأون الى قياس نسبة الكربون 14 الى الكربون 12 ، ان هذا الاختراع الفنى الحديث اوجد ابتهاجا شديدا ، وفرحا كبيرا لدى علماء الآثار ، كما ان صاحبه حصل على جائزة « نوبل » NOBEL . مائة على هذا الاختراع وقد سسع علماء الآثار باستعمالهم هذه الوسيلة الحديثة ان يؤرخوا لبعض الحقائق الفنية العلمية المتعلقة ببعض الانتاجات التى لا تزال تدور حولها استفسارات كثيرة ، وتأكدوا من انها قدمت دعما شديدا وركيزة قوية لاحدى نظرياتهم البالونة التى مفادها أنه قد حصل انتشار ثقافى تدريجي من منطقة الشرق المنحصر الى منطقة أوروبا الشديدة التخلف ، ما هذا بعض الاستثناءات القليلة ، وازداد اقتناع علماء الآثار - باستثناء القليل - بفكرة استطرارة الحضارة ، ويرجع الفضل في حل هذا المشكل الى التأريخ بواسطة الكربون 14 الذى اخترعه لى سنة 1950 ، حيث استخلص ان كمية الكربون الكلية الموجودة في العالم الان هي نفسها التى كانت موجودة في العصور السحيقة القدم،مجرى ذلك : ان عملية انتاج الكربون في الجو لا تتوقف ، ما دامت الانشعاعات لم تتوقف عن الاشعاع على سطح الأرض تاركة وراءها الحطام الذري .

ولكن بسبب تزايد عدد تواريخ الكربون 14 المدخلة ، فقد بدأ العلماء في جامعات أريزونا ARIZONA ، وبنسلفانيا PENNSYLVANIA ، وكاليفورنيا

CALIFORNIA - سبرو - ادعاء أو زعم لعدم LIBBY . وذلك بالرجوع الى بعض الكائنات الحية التى كانت موجودة في عصور ما قبل التاريخ مثل شجر صنوبر في كاليفورنيا وشجر السكوايا التى كانت قد ابتدأت في النمو منذ أربعة آلاف سنة ، وبالتحليل الدقيق للكربون 14 الموجود في حلقات النمو السنوية في الشجرة ، وجدوا أنه يوجد بالفعل تغيير طفيف ولكنه هام في عتبة انتاج النظائر على مر الزمن ، وذلك كنتيجة للتغيرات التى تطرا على انبلاق اشعة كوسموس .

ولقد قام الأستاذ هانس سويس HANS SUESS - د الكيمياء في جامعة كاليفورنيا بإعادة قياس الازمنة الأثرية الناتجة عن التاريخ بواسطة الكربون 14 في جميع انحاء العالم ، ولم تؤثر التغيرات التى قام بها على التواريخ العامة المتفق عليها بالنسبة لحوادث الشرق الأدنى ما عدا بعض الاستثناءات والاختلافات في بعض التواريخ فمثلا أظهرت تواريخ الكربون 14 التى تم إجراؤها بدقة ان النحاسين المهرة كانوا يمارسون أعمالهم في البلقان وربما في بلاد اسبانيا القديمة قبل أن يبدأ الاغريق بالسيطرة على الفنون التمدنية .

وكتبت مقالا بعنوان : أساليب الطبيعة اذ كان هناك بالفعل كائنات حية أخرى تعيش فوق أرض غير هذه التى يعيش عليها الناس في العالم الأدنى ، فما هي أشكالها المحتملة ؟ فبينما يظن بعض العلماء ان أشكال هذه الكائنات لن تشبه أى شكل فوق سطح أرضنا يرى الأستاذ جوزف كروت JOSEPH KRAUT استاذ الكيمياء الحيوية في جامعة

النشاط الثقافي

استهل الاستاذ محاضرته بالإشارة الى كلمة الاستشراق فقال: اننى لست مستشرقاً وانما رجل مهتم بالعلوم الانسانية والاجتماعية ، واولى عناية خاصة بمشاكل العالم الشرقي ، واحاول ان اتكلم باللغة العربية التى لا اعتبرها كموضوع للتثبث بالعرب ، بل كأداة للتبادل الفكرى التفاضلى الذى يعبر اليه كجسر من الانسجام والتوافق الفكرى والثقافى .

ما هو التقدم ؟

أشار جاك بيرك الى ان موضوع التقدم يمس كل من الفرد والمجتمع العالم وغير العالم ، ورغم ان بعض المستشرقين من علماء القرن الثامن عشر قد بحثوا فيه الا انهم لم يخوضوا في اعماقه ، والتساؤل عن مفهومه الحقيقى .

منذ زمن طويل تساطل المفكرون عما سموه بالتناقضات الثلاثة : التناقض الاول هو الذى اثاره باركس وهو التناقض بين القوى المنتجة وعلاقات الانسان وهذا موضوع اهتمام الاشتراكية الماركسية . والثانى هو التناقض بين الدول الاستعمارية وغيرها من دول وشعوب العالم ، اذ تأخذ حضارة صناعية تسرع الخطى في سيرها العام لتؤمن الاستغلال .. ثم التناقض بين القوة الصناعية بالذات وكيفيات انتشارها ، وهذا تناقض تام : ان جميع هذه التناقضات الثلاثة يرجع في نظرنا الى نوع من التناقض بين عاملين هما العامل التكنولوجى من جهة ، والعامل الانسانى من جهة ثانية ، فمثلا نلاحظ في التناقض الذى اثاره الماركسيون تناقضا بين الطاقة الصناعية من جهة وبين العامل الاجتماعى من جهة ثانية ، والتناقض الثانى أي تناقض الامبريالية فهو

والبناء الرئيسى للحياة (حابض الامونيكا والبروتينات) معروفة لدى الجميع على انها محتويات عامة لدى جميع الكائنات ولهذا فان الاكتشاف الذى حققه كروت يمكن اعتباره أكثر من برهان لما يمكن قبوله على انه حقيقة علمية للحياة وعند عرض نفس المشكلة فان الطبيعة ستقدم نفس الحل .

وأخيراً كتبت موضوعاً بعنوان :

الحياة بدون ماء

هل يمكن ان تكون الحياة فوق الكواكب مختلفة عن الحياة فوق الارض أي انها عالم خال من الماء تماماً ؟ ان التجارب التى أجراها الاستاذان جوستاولن .

GOSTAWALLIN

ودافيد اركسون DAVID ERICSON

من جامعة كولومبيا برز ان ذلك يمكن ان يكون بالعمل ، بالرغم من انه بدون الماء فان أي عضو يمكن ان يكون غير معروف كلية ، لقد قام ولن واركون بخلط الغازات التى تم اكتشافها حديثاً في المسافات العليا من الجو كحابض الامونيكا ، والميثانول وحابض النول ، بنسب مختلفة ، وبعد ان خلصا الغازات من الماء وجعلها نقية تماماً ، وعرضها للأشعة فوق البنفسجية ، وجدوا انها تنتج كميات قليلة من حابض (البروتين) الضرورى للحياة ، فقال ولن WALLIN .

ان سائل الامونيكا هو حافض الفيزيائية والكيمائية الشديدة الشبه بصفات وخصائص الماء ، يمكن ان يقوم كوسيط وبديل للماء في حياة لا يوجد فيها ماء .

الاصالة و التقدم

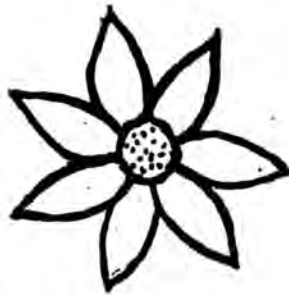
محاضرة الاستاذ جاك بيرك :

شغورنا عكس هذا الرأي ، فهو يرى ان الحياة السائدة فوق الكواكب في محيطات وبيئات مشابهة لما هو فوق الارض يجب ان تكون ذات اشكال ومثابة تماماً للاشكال التى تعيش فوق الارض ، وقول كروت بان تخميناته هذه ما هي الا مجرد اوهام ، غير انه يدعمها ببعض البراهين والإيضاحات التجريبية فقد ترأس قبل 15 سنة فريقاً من العلماء للبحث حول الابعاد الثلاثة للانزيمات أي البروتينات التى تعمل كوسيط كيمائى في جميع العمليات الكيمائية الضرورية للحياة وكان موضوع اهتمام هؤلاء العلماء (بريس) يعرف باسم « سوبتيليزين » SUBTILISIN يوجد في البكتريا الأرضية المعادية وماء لعلماء بفحص تركيبه المعقد وأثبتوا انه يشبه الى حد كبير انزيم آخر يدعى كيموتريسين CHYMOTRYPSIN وهو انزيم معروف وموثق عند جميع الكائنات بما فيها الانسان ، ورغم الاختلاف الشديد بين هذين الانزيمين من حيث التركيب الجزيئى والشكل العام فان كلا منهما يحوي ثلاث مجموعات متشابهة تماماً من حابض الامونيكا ، وهي التى تشكل ما يسميه كروت « غايات العمل » وبواسطة هذه النقاط يتم نقل المحتويات الكيمائية في العمليات الحيوية ، وقد أطلق كروت على هذه الاكتشافات منذ اللحظة الاولى « التطور المتقارب » في ميزان الجزيئات ، وبعبارة أخرى فان الطبيعة اخترعت نفس الاجزاء من العمل الالى الجزيئى لتؤدي وظيفة خاصة في كائنين متباعدين مستقلين ، ويرى كروت ان هذا التقارب في تطور الانزيمين ليس مجرد صدفة . لان النظام العضوي

للبدان النامية فهي مشكلة «الخصوصية»
 مشكلة الخصوصية ترجع الي كيفية
 التركيب في المجتمع المخلق بين ابعاد
 ومراحل كما تقول المدرسة البنائية
 التي ترى ان البناء الاجتماعي هو أهم
 المظاهر الملموسة للمجتمع ، وامكانيات
 التطور والتركيب بين الأبعاد المختلفة
 للمجتمع ، فالخاصية هي ان يحتفظ
 المجتمع بذاتيته مهما تغيرت احواله
 وظروفه ، والخصوصية هي ان تحتفظ
 بشخصيتها مع التطور الحضاري المفرط
 ولا يمكن ان تكون كلمة تطور رغما عن
 خصوصيتنا وأصلتنا ، بل العكس هو
 الصحيح ، فاننا نتطور من أجل وجود
 خصوصيتنا وأصلتنا ، وذلك حتى نكون
 من بين الدول المتقدمة ، لان التقدم
 لا يكون جزئيا ، فاما ان يكون أو
 لا يكون .

لاول مرة عند ابن خلدون ، فعند ما
 جاء الفرنسيون الي قري الأطلس
 الصحراوي مثلا كانت القرية في ابعاد
 تكنولوجية وعائلية وجمالية تتناسب
 بعضها البعض ، ثم حدث تناقض بين
 قوة اقليمية وقوة مركزية هي قوة
 السلطان ، فلا بد ان الشكل التنظيمي
 كان يناسب بعض الاشكال الاقتصادية
 والعائلية وغيرها . ولما جاء الحكم
 الفرنسي اثر في القرية وظهر نضال
 آخر وتغيرات أخرى ، ولا شك ايضا
 ان هناك تغيرا تكنولوجيا كان يناسب
 النظم الاجتماعية وغيرها ، ولما جاء
 طور الاستقلال فلا شك ان هناك
 تغيرات كبيرة ، فالمجتمع يفتح على
 العالمية وكذلك بتأثر بتأثيرات مركزية
 من القوة الوطنية ، ونستطيع ان
 نستنتج مشكلة نظرية كبيرة بالنسبة

نفس التناقض بين تكاتف والنقاء الطاقات
 الصناعية من جهة والمساواة بين الأمم
 وحضارات العالم من جهة ثانية ، حتى
 ان فساد وتغير الطبيعة يرجع الي
 نفس التناقض بين المعاملين ، ولنتأكد
 من ذلك لنطبق هذا الرأي على احدى
 القرى البدائية البدوية البعيدة عن كل
 تأثير خارجي ، فنجد ان الحياة
 الاجتماعية فيها حياة مجتمع متكامل
 خاليا من تعسف الانجاسات ،
 والفعالية التاريخية ، وهذه الحياة
 البسيطة فيها خليط من الوظائف
 الاجتماعية كلها . ان هذه القرية البسيطة
 سرعان ما تتطور وتتطور من ابعاد الي
 ابعاد متعددة ، ان هذه القرية تأثرت
 من الخارج ونبت من الداخل فأخذت
 كما تقول اللفظة العربية الحكيمة
 « تتطور » ، كلمة تطور استعملت



ALGER

RENDEZ-VOUS DE L'HISTOIRE...

INTRODUCTION

Dans ces textes empruntés aux ouvrages anciens et aux livres d'hier, le passé d'Alger, tout le passé s'y reflète. Chaque siècle apporte son témoignage, depuis al BAKRI jusqu'au XIX^e siècle. Les écrivains européens se plaisaient à retrouver, à décrire et à chanter, en marge de l'Alger moderne, une ville à demi orientale.

Chaque auteur retouche l'effigie de la cité selon les variations de la réalité ou selon l'optique qui lui est personnelle.

Le nombre des livres sur Alger laissent deviner une galerie des visiteurs aux buts si variés et si différents : ceux chargés d'une mission officielle, ceux capturés en mer, commerçants, hommes d'église, voyageurs ou explorateurs... chacun a décrit à sa façon un des multiples aspects de la célèbre ville : maisons, costumes, population ou mœurs... ce qui fit dire à G. MARCAIS que la cité "est une des villes les plus étonnantes du monde".

Ces extraits, glanés parmi des écrits aujourd'hui rares dans l'ensemble, permettront au lecteur de mieux connaître le passé d'ALGER pour l'aimer davantage.

ALGER : LA POSITION

La petite bourgade berbère des Beni Mezenna qui est devenue au XVI^e siècle la capitale des corsaires de la Régence... avait-elle, de part sa position géographique quel-que titre à mériter une pareille fortune.

1) L'histoire des origines du royaume des Barbaresques ne nous révèle aucune pensée, aucun calcul fondé sur des considérations de cette nature... Le corsaire Arroudj n'y vint pas de lui-même mais bien à l'appel des habitants de la ville et son frère Khaireddine s'y installa définitivement parcequ'il y trouvait un refuge déjà utilisé par des pirates et qu'il espérait en faire un véritable port.

Au premier examen, on n'aperçoit ni dans la configuration ni dans la structure de cette partie du Maghreb qui constitue l'Algérie actuelle, aucune de ces orientations des routes naturelles qui dirigent les hommes vers un lieu favorisé comme tête ou carrefour de la circulation et peuvent les inviter à en faire le site d'une capitale... Tout est dit sur l'absence d'un centre géographique dans la Berbérie en général, dans le Maghreb Central en particulier sur les difficultés que la direction des reliefs parallèles à la côte oppose à la pénétration profonde du Nord au Sud, sur l'isolement relatif des plaines et des vallées...

2) Faut-il s'en tenir à cette conclusion et se laisser intimider par la peur d'un déter-

minisme géographique trop subtil et trop fragile ? Quand il s'agit de la position d'une capitale on a, semble-t-il, le droit de sortir du cadre trop restreint de ses environs immédiats et d'embrasser un ensemble de pays, ici le Maghreb Central, l'Algérie naturelle définie du Nord au Sud par la mer et le Sahara, de l'Ouest à l'Est par la Moulouya et l'Oued Cherf ou quelque limite toute voisine. Or cet ensemble se décompose en 2 parties occidentale et orientale qui se relayent dans la zone tellienne, approximativement sous le méridien d'Alger...

E. F. Gautier, pour préciser pour accuser un des traits du dessin montre, au contact des 2 Algéries, le prolongement jusqu'à la mer d'une grande dorsale jalonnée par le Hoggar, Laghouat et Médéa suivant une direction "saharienne" que croise au seuil du Contas la direction E - O "méditerranéenne". Qu'il ait en là des possibilités de villes dominatrices, de capitales, il est difficile de le nier. L'histoire en cite 3, d'importance inégales d'ailleurs, la Caesarea, l'Alger moderne "en un point naturellement indiqué par l'histoire et la géographie pour dominer".

3) Mais si la fortune d'Alger a été moins éphémère que celle des autres capitales, c'est parce qu'il s'est trouvé une puissance assez forte pour assurer une occupation militaire

(1) Position géographique : 36° 47' 16" de lat. N.
0° 44' 1" de long. E.

solide à l'abri de laquelle le travail de l'ingénieur pouvait briser le cadre trop étroit dans lequel la nature paraissait l'avoir enfermé : c'est à cette condition seulement que sa situation dans une région où convergeaient trois Algéries, celle de l'Ouest, celle de l'Est et celle des Steppes et des déserts, pouvait réellement prendre toute sa valeur...

Cette variété, sur des étendues relativement restreintes, des formes de relief, des sols, des climats et des ressources naturelles qui est un des traits essentiels de l'Algérie, a pu concourir complètement au développement de sa capitale. Et de fait une fois supprimées les cloisons de tous ces compartiments... Alger s'est trouvé parfaitement placé pour drainer outre les produits agricoles du Sahel et de la Mitidja ceux de la vallée du Chélif, des hautes plaines de Médéa de Berrouaghia de Bouira, d'Annale, les bois et les lièges des forêts de la Kabylie... les laines de la région steppienne, les minerais de Miliana et de Rouina...

- Regardons maintenant vers l'extérieur, vers la mer ; et c'est assurément de ce côté que les fondateurs de la Régence devaient surtout regarder...

Des circonstances historiques ont pu donner à la position d'Alger une signification nouvelle et des transformations qui en ont accru la valeur en substituant un grand port à un médiocre mouillage.

Alger est approximativement à moitié chemin entre le cap Bon et le détroit Gibraltar, entre l'entrée de la Méditerranée orientale et celle de la Méditerranée occidentale.

Notons aussi d'autres faits secondaires : le méridien d'Alger traverse l'île de Majorque l'une des Baléares qui n'en sont éloignées que de 300 km environ et une ligne

réunissant le cap de la Nao et le cap Caxine délimite assez bien ce grand "channel" de la Méditerranée occidentale où les 2 côtes, espagnole et africaine se regardent de plus en plus près de l'Est à l'Ouest.

Cette situation d'Alger par rapport à la péninsule ibérique et aux îles qui la prolongent a exercé une influence bien connue sur le peuplement de la ville par l'immigration celle des Maures et des Juifs d'abord et plus tard celle des Espagnols d'Alicante ou de port Mahon.

Quant à la position centrale, entre le canal de Sicile et le détroit de Gibraltar si elle peut avoir quelque importance, c'est avant tout au point de vue militaire. Il est bien certain qu'une flotte... ayant Alger pour port d'attache était bien placée pour surveiller et intercepter les routes les plus directes de Gibraltar vers la Méditerranée orientale, de l'Espagne du Sud vers l'Italie méridionale ou la Sicile. Nous mêmes, nous n'étions pas plutôt installés à Alger que l'idée d'en faire un Toulon africain hantait le cerveau de nos militaires de nos marins et de nos ingénieurs.

On ne voit pas d'autre part ce que la position d'Alger dans la Méditerranée occidentale pouvait lui conférer d'avantages économiques sans la mise en valeur de l'arrière pays... Un autre événement a donné à Alger une signification nouvelle : le percement de l'isthme de Suez terminé en 1869, en même temps qu'il remplaçait la route des Indes dans la Méditerranée, a fait d'Alger un port remplissant les meilleures conditions pour la relâche et le ravitaillement en combustible...

Ainsi se sont heureusement combinées les circonstances historiques et géographiques pour fonder et légitimer la prédominance d'Alger sur le territoire...

R. Lespès, Alger, pp. 29-37
- Paris 1930 -

2) Alger est un des points du littoral les plus proches de la région des steppes.

L'ORIGINE DU NOM FRANÇAIS "D'ALGER" TRADUISANT "EL DJEZAÏR"

Le nom arabe d' "El-Djezaïr" a été transcrit — ou plus exactement déformé — de manières diverses par les peuples européens qui se sont trouvés en rapport avec ses habitants. Il peut être intéressant de rechercher quelle est l'origine de la forme adoptée par les Français, et si elle leur est vraiment particulière, comme on pourrait le croire facilement.

On sait que notre capitale africaine est aujourd'hui désignée sous les noms suivants: "Argel" par les Espagnols, "Algieri" par les Italiens, "Algiers" par les Anglais et les Hollandais, "Algier" par les Allemands, pour ne citer que ces peuples.

Ceux du Nord sont entrés en relation avec la ville musulmane plus tardivement que les populations méditerranéennes ; celles-ci commerçaient en effet avec elle dès le douzième siècle, par l'intermédiaire des navigateurs Catalans, Pisans et Génois. Il est à croire, à priori, que les traductions du nom d' "El Djezaïr" adoptées depuis longtemps par les Espagnols, les Français et les Italiens se sont imposées aux peuples septentrionaux qui les ont simplement accommodées à leurs modes particuliers de prononciation. Quant aux Méditerranéens, on est tout naturellement amené à rechercher leurs plus anciennes transcriptions dans les documents qui émanent de leurs marins, c'est-à-dire dans ces cartes dressées à la boussole que l'on nomme "portulans".

Les plus anciens documents cartographiques connus sur lesquels figure une transcription européenne d' "El-Djezaïr" sont : un portulan du 13ème siècle conservé à Gênes, l'Atlas de Tammar Luxoro (ou Luxoros) et une carte Pisane de la Bibliothèque Nationale que l'on date entre les années 1275 et 1300.

Or, ils portent deux dénominations bien différentes : *Alguer* pour la première, *Algezira* pour la seconde. Il est trop clair que cette dernière forme est la simple reproduction qu'il faut prononcer à l'italienne (*Aldjezira*) du terme arabe qui signifie "l'île".

El Bekri, qui cite cependant le nom de *Djezaïr beni Mesguenna*, c'est-à-dire le pluriel, "les îles", ajoute immédiatement après : *L'île s'appelle Stofla*".

Sans doute les navigateurs avaient-ils l'habitude de considérer le groupe des îlots dans leur ensemble ; aussi bien ne les intéressaient-ils que par l'abri que leur fournissait ce brise-lames naturel. Ainsi s'explique la dénomination de la carte Pisane. Quant à la forme *Alguer*, elle paraît être proprement Catalane.

Au 14ème siècle, les Italiens continuent à désigner *El Djezaïr* par des noms qui se rapprochent de *Djezira*. L'Atlas génois de Pietro Vesconte (1318) porte sur la position

d'Alger Zizera que l'on retrouve également dans celui de Pinelli (14^{ème} siècle) et dans le Planisphère génois de Giovanni di Carignano (1320). Sur la mappemonde des frères Pizzigani (1367) on lit Ziziera et sur la carte vénitienne de Albertino da Virga (1409), Zirara.

Toutes ces formes sont évidemment parentes. Sur les portulans d'origine catalane ou majorquine, les transcriptions se rapprochent au contraire de la forme mentionnée précédemment, *Alguer*. Angelino Dulcert écrit sur sa carte, en 1339, *Aurger* ; or, il nous apprend lui-même par une inscription qu'elle a été dressée à Majorque. Mais la forme que les documents de cette provenance portent généralement, et que l'on y trouve dès leurs *Aldjère*, contraction de *Aldjezira*.

C'est le nom d'Alger, qui figure sur la célèbre carte Catalane dite de Charles V (1375) dont l'auteur était un Juif de Majorque, Abraham Cresques, appartenant à une famille de cartographes.

Plusieurs documents du 15^{ème} siècle reproduisent cette transcription : tel le portulan de Mecia de Viladeste (1413) dont l'auteur est d'ailleurs également un Juif majorquin ; telle aussi la carte de Gabriel de Valsecchia (1439), de même origine, *Alger* est écrit sur une carte du Musée de Berlin (1^{ère} moitié du 15^{ème} siècle) qui est apparemment catalane, comme sur celle de Gratiotus et Andreas Benincasa (1435), sur le Planisphère catalan de Jayme Bertran (1482), sur la mappemonde de Juan de la Cosa (fin du 15^{ème} siècle), et sur deux autres, de même provenance, conservées l'une à Naples, l'autre à Modène.

Cette dénomination est aussi celle que porte une carte conservée à la Bibliothèque

Nationale, et que M. de la Roncière croit avoir été exécutée, entre 1488 et 1492, sous la direction de Cristophe Colomb. La mappemonde de Martin Behaim, de la même époque porte *Algir*, forme germanisée du même nom. On voit enfin reparaître *Alger* sur la mappemonde que dressa Sébastien Cabot, pilote-major de Charles-Quint, dans la première moitié du 16^{ème} siècle, que la carte Colombine et celle-ci aient été sur ce point inspirées par des documents d'origine espagnole il n'y a à cela rien d'étonnant.

De l'énumération de tous ces textes, il ressort clairement que la transcription *Alger* (*Aldjère*) était d'un usage courant au 15^{ème} siècle parmi les géographes catalans, et assurément parmi les navigateurs. Ce sont vraisemblablement les cartographes juifs ou juifs convertis de Majorque qui ont contribué à la vulgariser et à la fixer.

Nous sommes ainsi amenés à croire que c'est par eux que cette forme a été transmise aux Français qui en ont simplement modifié légèrement la prononciation : Montpellier, Narbonne n'étaient-ils pas au 14^{ème} et au 15^{ème} siècle en relations constantes avec les ports catalans du continent et des îles ? En contact plus direct avec les Maures, il est naturel que les Catalans aient été nos devanciers en cette circonstance.

C'est au 16^{ème} siècle seulement, alors que l'unité espagnole fut définitivement réalisée, que la forme castillane *Argel* triompha de la forme catalane ; remarquons d'ailleurs que phonétiquement, elle équivalait, par la mutation fréquente de l'r et de l'l à celle d'Alger.

Quant à la transcription italienne *Algieri* qui a succédé à *Zizera*, *Ziziera*, *Zizara*, on la trouve déjà, à peu de chose près, dans le portulan de Guglielmo Soleri, dressé vers

1380 par un juif majorquin converti qui, comme on le voit, a pris un nom de baptême italien et a italianisé son nom d'origine. Alger qu'on lit sur ce document, et qu'il faut sans doute prononcer à l'italienne Aldjiér est une simple accommodation de l'Aldjère catalan. Algeri figure sur un planisphère italien du 15ème siècle de la Bibliothèque Vaticane, ainsi que sur le portulan de Magliabecchi, de la même époque.

Pour conclure, il semble résulter de cet

examen des plus anciens documents cartographiques, que c'est au 16ème siècle seulement que se sont individualisées et fixées pour les différents peuples européens les transcriptions diverses du nom arabe d'El Djezaïr. Les géographes et cartographes catalans, les juifs majorquins tout particulièrement, ont eu certainement une influence considérable dans l'adoption de la forme-type dont les autres, et notamment la française, paraissent bien être dérivées.

René Lespes, Alger

- Paris 1930 -

ALGER

ESSAI DE TOPOLOGIE POETIQUE

A l'époque turque, il n'était pas de voyageur européen arrivant par mer qui ne fut enchanté par la vue "très belle" et "fort agréable". Chacun tentait alors d'analyser ce plaisir, ce contentement, et faisait appel à une imagination souvent féconde pour fixer soit le panorama, soit l'étagement, la couleur ou la forme de cette "cité d'Afrique".

Nous allons tenter de présenter la vision d'Alger telle qu'elle s'offrait aux principaux voyageurs.

- A) La vue : "Est fort belle et agréable". (Voyage de M. le baron de Saint-Amand)
 "La vue fort plaisante". (D'Aranda)
 "Vue de la mer, de fort loin, la ville présente le plus beau panorama qu'on puisse imaginer". (Toubarel, Guide Général de l'Algérie, 1885)
 "En face sur une colline, Alger la blanche, avec ses petites maisons d'un blanc mat qui descendent vers la mer, serrées les unes contre les autres... un étalage de blanchisseuse... Par là-dessus, un grand ciel de satin bleu, oh! mais si bleu..." (A. Daudet)
- B) L'étagement : Alger se présente "insensiblement à la vue comme par certains degrés et va toujours en montant à la façon d'un amphithéâtre". (P. Dan)
 "Elle est bâtie sur le penchant d'une colline jusqu'au bord de la mer. Cela forme un parfait amphithéâtre". (Laugier de Tassy)
 Les maisons forment "les degrés d'un théâtre". (D'Aranda)

"S'élevant en pente, elle couvre une colline étroite au sommet et large à la base".

(J.B. Salvago)

"La ville est bâtie sur le penchant d'une colline escarpée : les maisons, depuis la marine jusqu'au sommet, y sont rangées en amphithéâtre, de sorte qu'on découvre la mer de presque toutes les terrasses".

(Ventura de Paradis)

"La ville s'élève en amphithéâtre sur un coteau dont la pointe s'avance au nord, dans la mer, et forme le Cap Caxine".

(Voyage de la Condamine)

"Les maisons amassées, d'une couleur blanchâtre sont échelonnées vers l'orient, sur le versant d'une colline formant une espèce de grand triangle un peu incliné".

(Tombarel)

"Les Arabes saluaient en elle Alger un diamant enchassé dans l'émeraude et le saphir... Ils peignaient ainsi les reflets d'étincelante lumière sous un ciel bleu et limpide".

(Duval,

Tableau de l'Algérie, 1854)

C) La blancheur :

"Cette ville qui a toutes les maisons blanchies de chaux, dedans et dehors, paraît extrêmement belle quand on l'aborde par mer".

(P. Dan)

"Les terrasses sont toutes bien blanchies et l'on dirait - en la découvrant - que c'est une blanchisserie où l'on a étendu du linge".

(L. de Tassy)

"De loin, la ville ressemble à un linceul".

(Mercure Galant)

"La ville ressemble de loin à une carrière de pierres blanches".

(Voyage de La Condamine à Alger 1731)

"Bala al Jir, ville badigeonnée au lait de chaux".

(Ibn Msaïb, Diwan)

"La ville blanche les Algérois abrite à peu près comme le burnous les habille d'une enveloppe uniforme et grossière".

(E. Fromentin,

Une année dans le Sahel)

D) La forme : (disposition) :

"Bien qu'elle soit carrée, elle paraît bien moins large par le haut que par le bas".

(P. Dan)

"Sa forme est celle d'un voile de humier de vaisseau".

(L. de Tassy)

"En forme de voile carré de misaine".

(J.B. Salvago)

"La ville s'étend d'Est en Ouest et paraît de loin avoir la forme d'un humier de vaisseau".

(Voyage de la Condamine)

"Pomme de pin".

جوز الصنوبر

"Un triangle étendant sa base dans la mer et dont le sommet fuit sur le ciel outremer".

(A. de Chancel,

La première algérienne)

"Une tâche blanche dans la montagne".

(M. de Brèves)

"Ni tout à fait triangulaire ni tout à fait carrée".

(d'Avrieux)

"Une voile de navire".

(du Chastelet)

"Vue de la haute mer, Alger paraît dans sa forme et dans sa couleur comme une voile de perroquet étendue sur un champ de verdure".

(Esquisse de l'Etat d'Alger par W. Shaler,
1830 trad. M. X. Bianchi, p. 66)

E) Toits en terrasse: Ils forment un quatrième élément de tous les textes.

"Ils font que, du large on découvre toutes les maisons".

(Gazette)

"Les maisons d'Alger n'ont pour toit que des terrasses du haut desquelles on a le plaisir de regarder la mer".

(P. Dan)

"Le soir, les femmes y vont au frais visiter quelques pots de fleurs qu'elles y ont ; c'est là qu'elles se voient et se parlent".

(Manesson Malleet,
Description de l'Univers)

"C'est sur les terrasses que les femmes turques viennent respirer au soleil couchant".

GEZEIR, c'est-à-dire ALGER

Gezeir veut dire les Iles. Cette ville est ainsi nommée parce qu'elle est voisine des Iles Maiorca, Minorca et Leviza. Mais les Espagnols l'appellent Alger. La ville est ancienne et a été bâtie par une tribu africaine appelée Mezganna. C'est pourquoi chez les anciens elle s'appelait Mezganna.

Elle est très grande et fait dans les 4.000 feux. Ses murailles sont splendides et extrêmement fortes, construites en grosses pierres. Elle possède de belles maisons et des marchés bien ordonnés dans lesquels chaque profession a son emplacement particulier. On y trouve aussi bon nombre d'hôtelleries et d'étuves. Entre autres édifices, on y remarque un superbe temple très grand placé sur le bord de la mer et devant ce temple une très belle esplanade aménagée sur la muraille même de la ville, au pied de laquelle viennent frapper les vagues. On voit autour d'Alger de nombreux jardins et des terrains plantés d'arbres fruitiers.

Près de la ville, du côté Est, passe une rivière sur laquelle il y a des moulins et cette rivière sert aux besoins de la ville en eau de boisson et pour les autres usages.

Les plaines de la région sont très belles, surtout une que l'on appelle Mettegia qui a une longueur de près de 45 milles et une largeur de 36 milles et où pousse un blé extrêmement abondant et de première qualité.

Alger a été longtemps sous l'autorité de Tlemcen. Mais après qu'eut été créé un nouveau roi à Bougie, elle se donna à ce roi, parce qu'elle était plus proche du royaume de Bougie.

Les gens d'Alger voyant que le roi de Tlemcen ne pourrait pas leur porter secours et que le roi de Bougie pourrait leur faire beaucoup de mal envoyèrent à ce dernier leur soumission et leur tribut, mais ils demeurèrent à peu près libres. Par la suite ils armèrent en course quelques bateaux et devinrent corsaires. Ils infestèrent ainsi les Iles d'Iebisa de Maiorca et de Minorca, de même que les côtes d'Espagne.

C'est pourquoi le roi Catholique Ferdinand envoya une flotte considérable pour assiéger Alger. Cette flotte construisit sur un îlot, juste en face de la ville, une belle et grande forteresse si proche que le tir des armes à feu atteignait la terre, et, qui mieux est, que le tir de l'artillerie passait par-dessus la ville, d'une muraille à l'autre.

Il en résulta que les gens d'Alger furent obligés d'envoyer une ambassade en Espagne pour proposer une trêve de dix ans moyennant un certain tribut, ce que le roi leur concéda. Ainsi demeurèrent-ils en paix quelques mois.

Alors Barberousse vint assiéger Bougie et, ayant pris une des forteresses construites

par les Espagnols, il mit le siège devant l'autre. Mais il n'aboutit à rien parce que toutes les tribus de la montagne qui étaient accourues à son aide partirent sans sa permission au moment des semailles et que beaucoup de soldats turcs en firent autant. Barberousse dut s'enfuir, mais, avant de partir, il mit le feu de sa propre main, à douze grosses fustes qui étaient dans le fleuve à 3 milles de Bougie. Il se réfugia avec quarante de ses familiers turcs au château de Gegel, qui est à 60 milles de Bougie et il y resta quelque temps.

A cette époque mourut le roi Catholique et la population d'Alger voulut rompre la trêve et se libérer du tribut qu'elle versait à l'Espagne. Considérant la grande valeur militaire de Barberousse et son aptitude à mener la guerre contre les Chrétiens, elle le fit appeler et le nomma son capitaine.

Barberousse vivait en mauvaise intelligence avec un personnage qui s'était fait seigneur d'Alger. Il le tua trahisement dans une étuve. Ce seigneur était le prince des Arabes qui habitent la plaine de Mettegia, il s'appelait Selim Etteumi, de la tribu des Tehaliba, branche des Arabes Machel. Quand Bougie fut occupée par les Espagnols, ce prince des Arabes avait été fait seigneur d'Alger et il conserva le pouvoir plusieurs années jusqu'à l'arrivée de Barberousse. Après le meurtre de Selim, Barberousse se fit proclamer roi et fit battre monnaie. Toutes les populations voisines lui promirent obéissance et

lui envoyèrent le tribut. Telle fut l'origine de la puissance et de la grandeur de Barberousse.

Je me suis trouvé présent lors de la plupart de ces événements, car je faisais alors le voyage de Fez à Tunis. J'ai logé chez l'ambassadeur qui avait été envoyé en Espagne et qui avait rapporté à son retour environ trois mille manuscrits arabes qu'il avait achetés à Sativa, ville du royaume de Valence.

Je suis parti d'Alger pour aller à Bougie où j'ai trouvé Barberousse au siège de la forteresse et je suis resté avec lui pour voir la fin de son entreprise jusqu'au moment où il s'est enfui et où il est allé à Gegel. Je suis moi-même parti et me suis rendu à Constantine pour aller à Tunis.

C'est à cette époque que l'on m'a dit que Barberousse avait été tué à Tlemcen et qu'un de ses frères nommé Cairedin avait été nommé seigneur d'Alger. Il gouverne encore à l'heure actuelle.

On m'a dit que l'empereur Charles eut deux fois l'intention de s'emparer d'Alger et qu'il envoya deux années différentes une flotte contre cette ville. La première fut mise en déroute et naufragea pour la plus grande partie en rade d'Alger. La seconde put débarquer ses troupes qui livrèrent pendant trois jours un combat incessant. Les Chrétiens furent battus : les uns furent tués, les autres capturés et devinrent esclaves de Barberousse, si bien que peu en réchappèrent. Cela se passa en 922 de l'hégire.

IMPORTANCE DU MARCHÉ D'ALGER AU XVI^{ème} SIECLE

Tous les marchands, trafiquent des marchandises que les navires chrétiens apportent à Alger avec sauf-conduit, les achetant en gros pour les revendre au détail, aux gens de la ville, du dehors et de toute la Berbérie, car nulle part sur cette côte il ne vient autant de marchands chrétiens qu'à Alger.

Les bâtiments qui viennent d'Angleterre apportent quantité de fer, de plomb, d'étain, de cuivre, de la poudre et des draps de toute sorte.

Ceux venant d'Espagne, et spécialement de la Catalogne et de Valence, sont chargés de vin, de sel, d'essences odorantes, de cochenilles, de coiffures et de haïks teints en rouge, de perles et aussi d'or et d'argent monnayés dont ils tirent un grand bénéfice.

Les navires de Marseille et autres ports de la France, apportent toute espèce de merceries, de cotonnades, de fer, d'acier, des clous, de salpêtre, d'alun, de soufre, et même de l'huile lorsqu'il en manque en Berbérie ; ils apportent aussi de la coutellerie fine, de la gomme, du sel et du vin, et même des chargements de noisettes et de châtaignes. Ces bâtiments vont aussi chercher en Espagne des marchandises prohibées, qu'ils font pénétrer à Alger en contrebande.

De Gênes, de Naples et de la Sicile, il vient de la soie filée de toutes couleurs, des étoffes de Damas, du satin et du velours de toute sorte.

Venise fournit de la chaudronnerie, des draps, des coffres, des glaces et du savon blanc.

Des marchands Turcs apportent de Constantinople des rames de galères, des toiles et étoffes pour turbans, des poignards damasquinés, des ceintures, des tapis, des caftans fourrés de marte, des cuillers sculptées, de la porcelaine, et enfin des plats et vases bien travaillés provenant d'Alexandrie ou de Tripoli.

Des marchands Maures apportent de Djerba des épices, des mousselines, des camelots très fins pour manteaux de femmes, et des dattes ; de Tunis, de bonne huile d'olives et du savon blanc.

De Tabarque et du Bastion de France, beaucoup de corail, qui après avoir été travaillé sous différentes formes, se vend très bien par toute la Berbérie.

De Bône, du beurre salé, et de la viande de bœuf et de mouton préparée et conservée, qu'ils appellent chalea, (Kheli).

De Constantine et de Kollo, une grande quantité de peaux de chèvres préparées et teintes en couleurs variées, et des étoffes de laine grossières pour l'habillement des Arabes de condition inférieure.

De Cherchel, du miel, des raisins secs et des figues.

D'Oran des draps d'Espagne et des bonnets rouges, de Tlemcen, beaucoup de burnous très bien tissés, de Fez et de Sousse, du miel, du savon et certaine terre pour laver, aussi bonne que le savon dont on fait usage dans les bains.

LES MONNAIES A L'EPOQUE TURQUE

Les écus d'Italie et particulièrement ceux d'Espagne, ont tous cours à Alger, et cela aussi bien que les metkal de Fez et les sequins de Turquie. Cependant la monnaie étrangère qu'ils estiment le plus, qu'ils accueillent avec le plus de faveur, et dont ils tirent le plus de profit, est celle d'Espagne de quatre et de huit réaux, que l'on envoie jusqu'au Caire, d'où elle va aux grandes Indes orientales, au Cathay, en Chine et en Tartarie, celui qui l'exporte gagnant toujours dessus. Aussi ne peut-on porter à Alger et en Berbérie une marchandise plus précieuse ni de plus de valeur que les réaux d'Espagne.

Quant à la monnaie particulière d'Alger, elle se compose de pièces de cuivre, d'argent et d'or. En cuivre on fabrique la monnaie la plus basse, que l'on appelle Bourbe; elle est ronde et de la grandeur d'une Blanca ou Centil du Portugal, mais du double plus épaisse et plus pesante, il en faut six pour faire une Aspre.

L'Aspre est d'argent, grand comme le quart d'une Blanca et de figure carrée; dix font une réal d'Espagne, et quand ceux-ci manquent, il en faut quelquefois onze et douze. On fabrique les Aspres et les Bourbes à Alger seulement.

Ensuite vient la Rubia, monnaie d'or mêlée de beaucoup de cuivre, ce qui la met à un titre très bas; elle vaut 25 Aspres, est de figure ronde, et de la grandeur d'un bien petit réal simple.

Après vient la demie Ziana, qui est aussi d'or avec alliage de cuivre, elle vaut deux

Rubias ou 50 Aspres, et la Ziana qui en vaut 100, c'est-à-dire environ deux doblas. Les Rubia et Ziana se fabriquent uniquement à Tlemcen, et portent en caractères arabes, le nom du souverain qui les a fait frapper. Elles ont cours dans toutes les provinces, jusqu'à Biskari (Biskra), et la Zahara (le Sahara), contrée voisine du pays des nègres, et aussi dans la direction du Levant jusqu'à Tunis. Elles circulent encore dans les royaumes de Kouko et du Labès (Beni El Abbès).

Il y a aussi des Soltani d'or fin, dont chacun vaut 140 Aspres, et que l'on fabrique à Alger seulement.

L'écu d'Espagne valait ordinairement 125 Aspres, et Djafar Pacha, souverain d'Alger en 1580, l'a fait monter à 130. Quand on achète ces écus à des marchands, ils valent davantage, suivant leur abondance ou leur rareté sur la place. Les écus de France au soleil et ceux d'Italie ont à peu près la même valeur, cependant on préfère toujours ceux d'Espagne.

Le sequin ou Soltani de Constantinople vaut 150 Aspres, et Metkal de Fez 175; mais Djafar Pacha, en 1580, fit monter le Soltani à 175 Aspres, et le Metkal à 225, parce qu'il y avait alors très peu de cette monnaie.

En somme, toutes ces pièces, réaux, écus, soltani, etc., ont une valeur incertaine, parce que les Pachas d'Alger la font monter ou descendre suivant les exigences du moment.

F. D. de Haëdo, topographie...
RA. 1871 p. 96-98.

ALGER AU DEBUT DU XVII^{ème} SIECLE

Alger est cité d'Afrique fort animée. Au temps où les Romains dominaient en l'honneur de César, elle fut appelée Julie Césarée. Les Maures la nommaient Gezaïr, Elgezair qui en leur langue, signifie îles, à cause qu'elle est voisine des îles Majorque et Minorque.

La largeur qui est vers le bas du côté de la mer va en rétrécissant presque jusqu'au plus haut où il y a grand bastion pour commander à la ville et à l'entrée du port.

Il y a un grand nombre de bains et cabarets publics. J'ai vu bailler la perdrix pour quatre derniers. Les poules et les poulets y sont pareillement à grand marché...

Ils ont de beaux jardins peuplés et décorés de divers arbres... Ils ont un fruit nommé pastèque ; lequel fruit qu'ils mangent cru sans pain ni sel ; la chair est si délicate et douce qu'elle fond dans la bouche rendant une eau comme sucrée qui sert grandement pour rafraîchir et désaltérer.

Nicolas de Nicolay (1)

(1) Médecin de Henri II. et géographe, visita Alger probablement vers la fin du XVI^e siècle. Il est l'auteur d'un livre intitulé : " les quatre livres de navigation " (Anvers 1585).

PARALLELE ENTRE ALGER ET TUNIS

"couronnées Métropoles de la Barbarie"

au XVII^e siècle

STATUT DES CORSAIRES.

A Alger, chaque turc qui arrive est porté aussitôt sur le rôle de la Milice et l'avancement est très rapide, étant donné la fréquence des mutations.

A Tunis, l'homme doit faire d'abord quelque voyage pour montrer ce qu'il vaut, puis une fois plié à la discipline, il est inscrit à la milice où les charges ne s'obtiennent que lentement. A Tunis on refuse beaucoup de gens, alors qu'à Alger on ne refuse jamais personne. Par suite qui ne peut rester à Tunis passe à Alger et est reçu et inscrit avec les autres.

La paie d'Alger est au début, par mois, d'une "ziana" (1) monnaie de ce royaume qui correspond à un ducat et quatre pains par jour. Elle augmente ensuite avec la venue de nouveaux vice-rois ou l'avènement de nouveaux rois...

A Tunis les salaires sont plus élevés et on inscrit les Turcs du Levant avec 4 aspres par jour. L'aspre est une grosse monnaie puisque 52 aspres font un réal. Si bien qu'un Turc du Levant avec 4 aspres par jour se fait plus de 4 réaux par mois mais il n'a pas le pain comme à Alger. Les Turcs du Levant à Tunis ont également des augmen-

tations pour les nouveaux rois et vice-rois... Les fonctions à Tunis sont plus durables...

En somme, en matière de choses militaires on agit économiquement à Tunis et largement à Alger ; c'est pourquoi Alger est plus peuplée et plus riche.

FORME ET QUALITE DES GOUVERNEMENTS D'ALGER ET DE TUNIS.

Ces gouvernements ayant comme but le bénéfice c'est celui-ci qui prévaut chez eux sur ce qui est honnête et licite.

Le gouvernement d'Alger est une république populaire et une démocratie militaire.

Le gouvernement de Tunis était autrefois le même que celui d'Alger, mais il a changé depuis quelque temps du fait de l'action résolue d'un certain Cara Osman... Devenu chef de parti... il assassina plusieurs personnes et força les autres à céder et se fit appeler Dey. TRESOR PUBLIC.

Le trésor public ou pécule d'Alger et de Tunis tire ses recettes des legs des corsaires et de biens propres avec cette condition qu'on ne peut les dépenser qu'en cas de calamités ou de malheurs du royaume. Il en-

(1) C'est la Saine citée par Laugier de Tassy dans son hist.....50 aspres.

caisse environ 25.000 réaux par an. Tout a été prévu et grâce aux ordres, qui sont observés le trésor reste intact et augmente avec le malheur d'autrui.

RICHESSSE DES DEUX CITES.

Il y a, à Alger et à Tunis des richards qui ne connaissent pas le compte de l'argent qu'ils ont encaissé ou plutôt emmagasiné parceque c'est dans des pièces souterraines dites matmourat (silos) qu'ils gardent les trésors. Il arrive annuellement beaucoup d'argent en Barbarie pour achats de marchandises et pour rachats d'esclaves ; jamais plus il n'en sort et il y reste caché. On peut dire que la Barbarie et l'Orient sont deux calamités qui attirent continuellement à elles l'or et l'argent.

Quant à ceux qui portent de l'argent en Barbarie ce sont des marchands chrétiens et juifs qui trafiquent avec les corsaires, la conscience libre avec l'autorisation du consulat (de la mer)... Il y a donc en résidence à Alger et à Tunis des marchands livournais corses, génois, français flamands (hollandais) anglais, juifs, vénitiens et d'autres Etats.

PRODUITS ET PRIX.

A Alger le pain est plus petit et plus noir qu'à Tunis où il est blanc et grand. La viande de mouton et de bœuf est à un prix convenable dans l'un et l'autre de ces endroits ; la volaille est bon marché, le beurre et le miel sont en abondance...

Les animaux sauvages, les perdrix, lièvres, canards et oies sauvages ne manquent pas. Les fruits sont chers à l'exception des abricots, figues et grenades... Le vin est très cher parce qu'il vient du dehors... Tunis a de plus qu'Alger des salines et des forêts d'oliviers.

CLIMAT.

Quant à l'air c'est celui du climat chaud.

A Alger il est léger et tempéré en raison de la proximité des montagnes et de la mer ; à Tunis il est lourd et poudreux. Tous les 3 ou 4 ans la peste fait d'horribles ravages.

DESCRIPTIONS DES DEUX CAPITALES.

Alger est située au bord de la mer. S'élevant en pente, elle couvre une colline étroite au sommet et large à la base, en forme de voile carré de misaine. Murailles simples avec fossés ; dans les angles et sur les flancs leurs boulevards...

Tunis est enseveli dans une vallée terminée par une colline d'oliviers. Au milieu de la ville, le terrain s'élève et sur la partie la plus haute se trouve le chateau en forme de triangle trouqué et à base convexe. Elle occupe un espace de sept milles et elle a sur les côtés deux très vastes faubourgs qui l'agrandissent.

Tunis est beaucoup plus vaste qu'Alger et on lui attribue 600.000 âmes ; le nombre des esclaves est inférieur à celui d'Alger et n'atteint pas 10.000...

L'ALIMENTATION EN EAU.

Les villes de Tunis et d'Alger sont privées d'eau de source à l'intérieur des murs. On y boit l'eau prise au dehors dans des puits voisins et apportées avec des ânes et mulets. Quelques maisons possèdent des citernes, pour l'usage particulier mais rares sont ceux qui n'achètent pas l'eau.

Alger, depuis quelques années a, grâce à l'habileté des grenadins des fontaines pour le public. Les dépenses des aqueducs sont payés par un legs d'un riche pacha nommé Soliman de Catane.

CONCLUSION.

En conclusion, Alger et Tunis n'ont pas leurs pareils pour la course, ce sont des royaumes puissants sur terre et sur mer, séparées par des frontières limitées...

— Jean Baptiste Salvago, Drogman Venitien.

— En 1624 : les corsaires algérois effectuèrent une razzia, à Perasto sur la côte dolmate et aux îles cóniennes de Paxos et Antipaxos (possession venitienne).

— A Alger et à Tunis, pour une mission en 1625 envoyé par le sénat de Venise pour obtenir des divans des deux régences la mise en liberté des personnes et la restitution de leurs biens.

Il devait également et surtout se renseigner minutieusement sur l'état des régences, les esclaves vénitiens qui s'y trouvaient, sur les armements maritimes des barbaresques, les intelligences de ceux-ci dans certaines villes de la chrétienté...

Dès son retour à Venise (février 1626), il rédigea une relation conservée à l'Archivis di Stato de Venise (Relazioni degli Ambasciatori Veneti).

J. B. Salvago, *Africa avere Barbaria, relazione al Doge di Venezia sulle Reggenze di Algeri di Tunisi*, *Revue Tunisienne* 1937 pp. 487-495.



INDUSTRIE ET ACTIVITE ARTISANALES D'ALGER A LA FIN DU XVII^{ème} SIECLE

On y fabrique des toiles grossières... faites avec du lin du pays ; elles servent au peuple de la ville et de la campagne, mais il ne s'en fait pas d'exportation.

On y fait encore des rubans de soie de toutes couleurs et de toutes grandeurs... Les rubans couleur écarlate et violet ont même plus d'éclat et de solidité que ceux de la Chrétienté, et ils se vendent aussi plus cher.

Il se fait dans tout le royaume d'Alger une grande consommation de rubans pour l'ornement des meubles et des habits de femmes.

Il y a aussi diverses fabriques de bonnets ou calottes de laine qu'on nomme chachiet géziré.

...Les chachiets d'Alger ne valent que la moitié du prix de ceux de Tunis, et ils sont par conséquent plus à la portée du peuple ; mais il ne s'en fait aucune exportation au Levant...

Les ceintures de soie simples ou en or et en argent, sont un article de plus grande conséquence : on en fait des envois considé-

rables dans la Berbérie et dans le Levant où elles servent de turbans et parures aux gens de mer...

On fait à Alger des maroquins jaunes, noirs violets et rouges pour la consommation du pays simplement...

Il y a quantité de gens qui s'occupent à broder sur la maroquin ; ils font des souliers de femmes, des espèces de portefeuilles et de gibecières très riches en or et en argent. Ces sortes de portefeuilles qu'on nomme giresdan, servent de bourses pour l'argent. Les gibecières se nomment palasca et il en passe beaucoup au Levant. On fait dans diverses villes et bourgs du royaume d'Alger des tapis, mais plus grossiers que ceux de la Caramanie (Turquie).

Dans tout le royaume, on fait des couvertures de laine qu'on nomme haïks. Ces haïks servent d'habillement aux femmes de la campagne et aux Arabes.

De cette même étoffe, les hommes font des burnous qui sont des capes sans boutons.

VENTURE DE PARADIS. Alger au XVIII^{ème} siècle.

ALGER VUE PAR FROMENTIN

Alger se montre, au couchant, déployé de profil et descendant par échelons les degrés escarpés de sa haute colline. Quelle ville, mon cher ami ! Les Arabes l'appelaient El Bahadja, la blanche, et comme elle est encore la bien nommée ! A vrai dire, elle est déshonorée, puisqu'elle est française. L'enceinte hautaine de ses remparts turcs, cette vieille ceinture ardente et brunie, est brisée partout, et déjà ne la contient plus tout entière ; la haute ville a perdu ses minarets, et peut-être y pourrait-on compter quelques toitures.

Toutes les nations de l'Europe et du monde viennent aujourd'hui, par tous les vents, amarrer leurs navires de guerre et de commerce au pied de la grande mosquée ; Bordj El Fannar n'effraye plus personne, et se pavaise du drapeau tricolore en signe de ralliement. N'importe, Alger demeure toujours la capitale et la vraie reine des Moghrébins.

Elle a toujours sa Casbah pour couronne, avec un cyprès, dernier vestige apparent des jardins intérieurs du dey Hussein ; un maigre cyprès, pointant dans le ciel comme un fil sombre, mais qui, de loin, ressemble à une aigrette sur un turban. Quoi qu'on fasse, elle est encore, et pour longtemps, j'espère, El Bahadja, c'est-à-dire la plus blanche ville peut-être de tout l'Orient. Et quand le soleil se lève pour l'éclairer, quand elle s'illumine et se colore à ce rayon vermeil qui tous les

matins lui vient de la Mecque, on la croyait sortie de la veille d'un immense bloc de marbre blanc, veiné de rose.

Il y a deux villes dans Alger : la ville française, ou, pour mieux dire, européenne, qui occupe les bas quartiers et se prolonge aujourd'hui sans interruption jusqu'au faubourg de l'Agha, la ville arabe, qui n'a pas dépassé la limite des murailles turques, et se presse comme autrefois autour de la Kasbah.

Leur ville, dont la construction même est le plus significatif des emblèmes, leur ville blanche les abrite, à peu près comme le burnous national les habille, d'une enveloppe uniforme et grossière.

Entre ces deux villes si distinctes, il n'y a d'autres barrières, après tant d'années que ce qui subsiste entre les races de défiance et d'antipathies ; cela suffit pour les séparer. Elles se touchent, elles se tiennent dans le plus étroit voisinage, sans pour cela se confondre ni correspondre autrement que par ce qu'elles ont de pire, la boue de leurs ruisseaux et leurs vices.

En bas, le peuple algérien est chez nous ; en haut, nous pouvons croire encore, à l'heure qu'il est, que nous sommes chez les Algériens. Ici, on parle toutes les langues de l'Europe ; là on ne parle que la langue inso-

ciable de l'Orient. De l'une à l'autre, et comme à moitié chemin des deux villes, circule un idiome international et barbare, appelé de ce nom de sabir, qui lui même est figuratif et veut dire "comprendre".

Se comprend-on ? Se comprendra-t-on jamais ? Je ne le crois pas. Il y a des attractions impossibles en morale comme en chimie, et toute la politique des siècles ne changera pas en loi d'amour la loi des inimitiés humaines. La paix est faite en apparence, mais à quel prix ? Durera-t-elle ? et

que produira-t-elle ? Grande question qui se débat en Algérie comme ailleurs, partout où l'Occident partage un pouce de territoire avec l'Orient, où le Nord se trouve, par des compétitions fortuites, face à face avec son éternel ennemi le Midi.

Nous n'empêcherons pas les fils ennemis de Jocaste de se haïr, de se combattre et de s'entretuer. Ils se sont battus dans le ventre de leur mère, et la flamme de leur bûcher se partagera par une antipathie qui survivra dans leur cendre.

E. Fromentin, une année dans le Sahel, pp. 197-201 - 207-203.

LA CASBAH

Le matin, à l'aube, la Casbah, habituellement voilée et silencieuse, a des éclats et comme des réveils de vie joyeuse. Ça et là, s'ouvrent des carrefours et des placettes où les marchands de fleurs et de légumes étalent leurs éventaires. Et comme des torrents qui dévalent entre des roches blanches, elle a deux ou trois longues rues toutes vibrantes de lumière, toutes fourmillantes de haillons multicolores, toutes pleines de cris et d'odeurs.

Mais à mon avis, la vraie Casbah n'est pas là, dans ce tumulte et ces couleurs. La vraie ne se livre point aux regards des passants. Elle est retirée, murée et comme ensevelie derrière une triple barrière d'ombre, de silence et de refus.

Les maisons, presque sans ouverture, ne reçoivent la lumière que du dedans. Les portes basses percées d'un guichet où s'en-

cadre parfois une face, méfiante, repoussent le visiteur par les clous et toutes les pointes de leurs ferrures.

Le soir surtout, après le couvre-feu, cette solitude et cette obscurité prennent quelque chose de menaçant. On monte dans le noir et dans un silence un peu oppressant ; on glisse sur les marches grasses et sur les détritux des ruisseaux.

Soudain, un frôlement presque imperceptible. On se retourne, non sans un petit mouvement de crainte. Un fantôme drapé de blanc vous suit. Il vous suit longtemps. Ses pas ne font point de bruit sur les dalles. Et puis, tout à coup, il disparaît derrière une de ces portes bardées de clous qui se referme sur lui sans plus de bruit que ses pieds nus.

Louis Bertrand, Alger 1938.

LA CASBAH

Alger, rue qui monte, couloir entre de hautes murailles.

La vie s'infiltré au milieu de ces escarpements. Aux fenêtres étroites, un grillage se hérissé d'un croissant de bronze. D'un jardin séquestré aussi, un figuier me fait signe de ses hautes branches crochues.

Et partout les portes, portes innombrables closes sur ces seuils fermés. Quel immense couvent, cette Kasbah impénétrable.

Les poutres millinaires se croisent sur ma tête, épaulant d'un élan fraternel les maisons confidentiellement embrassées. Soudain c'est comme une trouée d'infini. Une clarté presque lunaire filtre entre les murailles cendrées.

O Kasbah ! Divine et mystérieuse Kasbah.

Edmond Gojon.



ALGER A L'EPOQUE TURQUE

Les FEMMES — LA TOILETTE

Pendant ce temps les femmes lavent la maison à grande eau, font prendre l'air aux tapis, nattes et couvertures, et préparent le repas. Pour ce faire elles restent en costume négligé. Celui-ci comprend une chemise à manches courtes, très largement échancrée sur les seins pour pouvoir aller sans difficulté, car les bébés sont nourris par leurs mères jusqu'à trois ou quatre ans ; elle tombe jusqu'aux reins et se porte soit dessous soit dessus la petite culotte semi-collante serrée aux genoux. On attache à la taille une pièce de drap à rayures de couleurs, la fouta, que l'on noue sur le devant. Les pieds et les jambes restent nus. Un foulard enserre les cheveux. Mais cette tenue sommaire ne proscriit pas pour autant les bijoux : bracelets de cheville et de poignet, bagues, boucles d'oreilles, colliers, que la femme ne quitte guère.

Les femmes du peuple, les esclaves, les vieilles — et dans ce pays la femme est vieille à trente ans, — gardent cet accoutrement toute la journée. Mais les jeunes adoptent, pour recevoir les amies ou accueillir le mari, une tenue plus seyante.

La première pièce de leur habillement est alors une chemisette de soie, rayée ou unie, aux manches évasées et recouvertes de broderies de soie ou d'or. On la prend dans une espèce de gilet très serré, la frimla, se fer-

mant sur le devant soit par des petits boutons de nacre ou de métal, soit par de multiples agrafes.

La fouta, qui dans le négligé du matin maintient la culotte contre les reins, est remplacé par un grand foulard ou un large châle de prix, noué sur le ventre et qui sert de jupe tout en découvrant partiellement les cuisses et les jambes. Sauf exception, cette tenue comporte un pantalon, pantalon d'intérieur, relativement collant et court, ou pantalon d'apparat, bouffant et descendant jusqu'aux chevilles.

Sur cet accoutrement on passe, les jours de réception, deux ou trois ghlila, sortes de camisoles très échancrées, à demi-manches, tombant jusqu'à mi-mollet. Elle sont boutonnées sous les seins et maintenues à la taille par une ceinture à franges dorées ou soyeuses. D'autres fois les ghlila sont remplacées par des jobba, amples robes sans manches à l'échancrure encadrée d'un plastron brodé.

Enfin, pour les cérémonies, on revêt un caftan descendant jusqu'aux pieds, généralement de velours surchargé de broderies d'or, dont le système d'attache est identique à celui des ghlila, mais qui comporte des manches courtes. Les pieds sont chaussés de babouches surchargées de broderies ou de cuir de couleur (belgha).

La chaussure de sortie est la chebrella noire, soulier à bout carré et à quartier montant derrière le talon. Mais ce dernier modèle est concurrencé par la sandale turque, découverte et pourvue d'un petit talon plat (çobbat).

Les coiffures sont de plusieurs sortes. La benîqa est une sorte de coiffe de toile très simple emprisonnant les cheveux ; on la porte pour les travaux de tous les jours. Un modèle spécial est d'usage au bain maure, qui facilite le séchage des cheveux. Mais, pour recevoir, l'élégante adopte la mharma, foulard de soie que l'on ceint d'une sorte de diadème, l'açaba.

Dans ce cas les cheveux sont rassemblés en une lourde tresse entourée de rubans multicolores. La chéchia hémisphérique, enrichie de pièces d'or, de perles, de pierrerie, qui fut longtemps d'usage courant à Alger, n'est plus portée sous cette forme que par les jeunes filles. Les femmes la recouvrent de la mharma.

Quelques Algéroises d'adoption, Constantinoises ou Tlemcenienues d'origine, conservent comme coiffure un petit cône de velours brodé d'or, dont l'inclinaison variable comporte de multiples significations. Mais la grande mode va au çarma.

Il en existe de deux sortes. L'un est une plaque semi-cylindrique de métal très ajouré, cuivre, argent, métal doré, voire d'or ; haute de 30 centimètres environ, elle va s'aminçissant. On la fixe sur la tête par sa base élargie, au moyen de rubans noués sous le menton ou sur la nuque. Ce çarma évoque pour les Français de l'époque le bonnet des paysannes du pays de Caux.

L'autre çarma, qui peut atteindre un mètre de hauteur, comporte, pour une raison d'équilibre facile à comprendre, une calotte métallique qui emboîte le crâne. Un foulard de soie joue alors le rôle d'attache. Il rappelle le hennin médiéval. Ces çarma sont

agrémentés d'un flot de larges rubans ou de voiles de mousseline, fixés à leur base et non au sommet, et qui descendent parfois jusqu'aux pieds.

Pour sortir, la musulmane se masque d'abord le bas du visage à la hauteur des yeux, à l'aide d'une sorte de mouchoir carré, ovale ou triangulaire, qu'elle noue sur la nuque. Puis elle pose sur ses épaules une pièce de drap que l'on agrafe sur le devant, destinée à renforcer l'opacité des vêtements, souvent fort légers. Elle s'enveloppe ensuite dans un immense voile de laine très fine, de soie ou de coton. Celui-ci, appelé fouta nta snânig, recouvre la tête jusqu'au ras des yeux, et descend à mi-cuisse.

C'est tout un art que de s'en draper et surtout d'en assurer le maintien car la partie supérieure qui cache le crâne a toujours tendance à glisser en arrière. Le grand haïk blanc n'est pas encore d'usage. Ainsi équipée, l'intéressée, de l'avis des observateurs européens du temps, ressemble plus à un gros sac de linge qu'à une créature humaine.

Le canon de la beauté féminine locale est d'ailleurs assez différent de celui qui a cours en Europe. Si la blancheur de la peau est également appréciée, la minceur de la taille n'est guère prisee.

Au contraire les adolescentes sont soumises à un régime qui leur fait perdre rapidement toute sveltesse. L'abus des bains chauds les maternités fréquentes, et surtout l'absence de tout exercice à partir d'un certain niveau social, achèvent de les déformer. Peu conservent en particulier une poitrine ferme, ce qui donne naissance à la fable répandue par les mêmes voyageurs selon laquelle rien n'est plus apprécié d'un Maure qu'un sein en forme de besace, au point que les mères allongent artificiellement dans ce but la poitrine de leurs filles.

Dans les familles riches, la toilette est la grande occupation de la jeune femme. Le temps passé devant le miroir ne compte pas.

Si des amies viennent en visite, on se coiffe et l'on se recoiffe, on se farde et l'on rit. Les produits de beauté les plus utilisés sont le henné et le koheul.

Le premier est d'application rituelle lors des fêtes religieuses ou familiales (naissance, circoncision, mariage, etc...). Il est préparé en partant des feuilles du même nom, que l'on sèche et réduit en une poudre très fine. Celle-ci est délayée dans l'eau où elle prend la consistance de la pâte à pain. Cette pâte est alors appliquée sur la plante des pieds ou la paume des mains jusqu'à ce que la peau en soit imprégnée ; c'est pourquoi l'opération a lieu de préférence le soir, afin que le produit puisse agir toute la nuit.

On s'enveloppe mains et pieds dans des chiffons pour ne tacher ni vêtements ni couvertures. Le lendemain on enlève le henné desséché et la chair apparaît, badigeonnée en marron rougeâtre. Une application d'huile chaude rend à la peau sa souplesse.

Le henné sert aussi à teindre les cheveux. Employé à l'état pur, il donne une couleur d'un roux criard assez réjouissante. Aussi, le mélange-t-on le plus souvent à la noix de galle qui l'assombrit. Les hommes dont le poil grisonne utilisent également le henné pour se teindre la barbe. Cette coutume remonte, dit-on, à l'époque où les plus vieux des combattants de l'Islam craignaient de voir leurs ennemis se moquer de leur décrépitude supposée. Elle est donc respectable.

Le koheul ; qui n'est autre chose que l'antimoine pilé très fin dans un petit mortier, associé éventuellement aux cendres de diverses substances grasses, sert à noircir les cils et agrandit l'œil. Il renforce aussi les sourcils et il est d'usage de dessiner à leur jonction une sorte de goutte ou de perle allongée.

Le koheul préparé lors de la fête de l'Achoura a la propriété de guérir des ophtalmies et affections de paupières, fort fréquentes dans le pays. On le conserve dans un

flacon et l'application s'en fait à l'aide d'un bâtonnet.

Le maquillage n'est pas inconnu mais sa conception est différente de la nôtre.

On se plaît aux oppositions violentes. Le visage est souvent recouvert d'une crème blanche sur laquelle on applique, en grosses pastilles, le fard vermillon des joues. Les lèvres sont également rehaussées d'un trait de carmin tandis que la mastication du souaq écorce de noyer, blanchit et nettoie les dents tout en donnant aux gencives une teinte orangée.

L'élégante pose enfin sur son visage des mouches d'or en forme d'étoiles. Pareillement elle se teint les ongles des mains et des pieds en rouge minium, à moins qu'elle ne préfère le brun du henné.

Un autre élément de beauté est le tatouage. Des professionnelles, appartenant le plus souvent à la tribu assez hétérodoxe des Beni Adas, procèdent à l'opération. Leur matériel se compose d'une aiguille très fine et d'un assortiment de bleu d'indigo, de noir de fumée et de feuilles de morelle noire.

Les dessins géométriques sont reproduits sur le front, le menton, voire les joues. Les poignets, le dos des mains et des chevilles, le cou, reçoivent aussi ces ornements indélébiles qui revêtent parfois un caractère prophylactique. Cependant le tatouage est surtout en faveur chez les Berbères et les citadines n'en usent que discrètement.

Enfin les parfums les plus violents sont recherchés. L'eau de fleur d'oranger, de fabrication locale, abondamment utilisée en aspersions diverses, se marie au musc et aux lourdes essences importées d'Orient ou de Tunis.

Les Algéroises adorent les bijoux. Ils sont pour elles à la fois des ornements, des témoignages palpables de l'affection de leurs

époux, et, dans certains cas, des précautions contre le mauvais sort, la maladie etc...

Les oreilles reçoivent des anneaux d'or ou d'argent, des pendentifs faits d'un assemblage de diamants, de perles et de gouttelettes d'or, qui tombent sur les épaules. D'autres anneaux, larges et lourds, enserrant les bras et les chevilles.

Souvent ils sont d'argent massif, ornés de cabochons ou de reliefs bizarres. Cette forme se retrouve dans les bracelets de poi-

gnets des campagnardes. Mais les citadines préfèrent de minces cercles d'or, en nombre variable. Les plus pauvres se contentent d'anneaux de corne, sommairement travaillés. Tous les doigts, pouce compris, portent des bagues, dont la monture est d'argent ou d'or.

Les chatons sont des perles précieuses, des diamants, des émaux. Les colliers permettent aux orfèvres de donner libre carrière à leur fantaisie. Il est d'usage d'en porter plusieurs à la fois. Dans ce domaine le goût n'est pas à l'harmonie mais à l'étalage.

Pierre BOYER. *La vie quotidienne à Alger à la veille de l'intervention française* pp. 155-160 (Paris 1963).



LE COMMERCE

Le commerce actuel d'Alger est, dans son peu d'étendue conduit presque entièrement par des Juifs. Le grain se vend, pour l'ordinaire à bas prix. Aucune partie n'en peut être exportée sans une permission écrite et munie du sceau du Dey.

Une pareille licence est nécessaire pour pouvoir vendre hors du pays des huiles dont il y a abondance considérable. On les envoie principalement dans les ports Ottomans et surtout à Rosette ou à Damiette en Egypte. Il faut aussi obtenir une permission pour embarquer les bêtes à cornes, les moutons et les chèvres la volaille doit être tuée avant de quitter le rivage.

Les principaux articles fournis par Alger aux contrées étrangères sont des toiles grossières, des cotons, des raisins, des figues

sèches, du miel, de la cire des dattes, des brocards, des taffetas, des mousselines du tabac... des plumes d'autruche, de l'essence de rose, de la poudre d'or qui est transportée par des caravanes et enfin du grain et du bétail.

Cette ville est encore un bon marché pour la vente des schalls de manufactures nationales ou étrangères.

Il y a à Alger des demandes considérables d'objets variés... La poudre à canon et les pierres à fusil se vendent très bien... Les sapins, le merrain, le fer travaillé, les canons, les armes à feu et les munitions navales de toute espèce trouvent un débit prompt à Alger.

PANANTI (1), relation d'un séjour à Alger - trad. Française p. 360-362. Paris 1830.

(1) Un voyageur Italien et un Littérateur Toscan à la relation fut traduite en Anglais et de là en Française.

RICHESSSES D'ALGER

Il n'y a peut être pas de ville au monde où la police soit plus active, où moins de crimes échappent à sa connaissance et enfin où soient plus en sûreté la vie et les propriétés des citoyens.

La conséquence de cet état de prospérité qui ne s'est jamais démenti pendant un si grand nombre d'années a été de concentrer des richesses immenses dans des familles de particuliers où des Turcs sont entrés par des mariages.

Ainsi, quoique le pouvoir soit exclusif, les mains des Turcs, leurs biens viennent insensiblement se déposer dans les familles

des Algériens d'où il est rare qu'ils soient arrachés par la violence.

Alger est une des villes du monde la plus riche en numéraire. La veuvée du Pacha Abac sous qui fut signée la première paix entre les Etats-Unis et la Régence, vient de mourir dans un âge très avancé et on prétend qu'elle a laissé une fortune de plusieurs millions de dollars.

Les héritiers du Pacha Moustafa, son successeur, auxquels les Etats-Unis payent une rente pour la maison qu'occupe le consul ont à Alger ou dans les environs une fortune effective de 500.000 dollars cependant Abac et Moustafa furent tous deux exécutés.

W. Shaler, *Esquisse de l'Etat d'Alger*, trad. M. X. Monchi p. 72

EDIFICES RELIGIEUX CONFISQUES AU DEBUT DE L'OCCUPATION FRANÇAISE

Les monuments religieux occupés par la troupe furent :

Dans la Caşbah :

L'ancien oratoire des Janissaires.

La jolie mosquée aux colonnes élégantes, que fit édifier Hussein, dont on fit en 1830, un dortoir pour les soldats et qui dans la suite, servit de magasin d'habillement. (Actuellement salle du Musée de l'Armée).

La mosquée à minaret octogonal, voisine de l'entrée de l'ancienne citadelle. La troupe y loga jusqu'en 1839, époque à laquelle elle fut remise aux Domaines. Elle devint alors église catholique sous le vocable, de Saint-Croix.

(Le petit édifice, à colonnes torses, bordant ce temple, était le tribunal de l'agha, duquel relevaient les tribus environnantes. Il est englobé maintenant dans l'église).

La chapelle de Sidi-Essid et la mosquée Feurn-ben-Chekour (rue de Toulon) qui furent en 1833, affectées au casernement de la gendarmerie et plus tard, en 1844, firent partie de l'école de broderie arabe, dirigée par Madame Luce Ben Aben, et dont l'emplacement est aujourd'hui occupé par une école publique.

La mosquée d'Ali-Pacha, enclavée dans la

caserne Médée supérieure, qui fut bâtie en 1750, par le Pacha Ali, sur l'emplacement de la zaouïa de Sidi Akhal. (Théologien du XVIIIème siècle).

Ce temple, désaffecté depuis 1830, fut en 1870, transformé en chapelle pour le séminaire que l'archevêque Lavignerie avait été autorisé d'installer en ce lieu.

En 1876, quand les casernes Médée furent transformées en académie militaire, la chapelle disparut et fut remplacée par la salle dite "des Maréchaux".

La Djama Souk el Kettan (mosquée du marché au lin), rue Porte-Neuve, restaurée en 1820 par le Sid Mustapha Saïdji — qui servit, en 1841, au logement des tambours de la milice.

La mosquée Sidi Heddi, que fonda le Raïs Mami, au quartier Tiber Routin (rue de la Lyre). Après avoir appartenu à l'armée, elle servit de local à une école arabe-française.

La chapelle de Sidi Betka, l'un des saints personnages à l'influence desquels les Musulmans attribuèrent la défaite de Charles-Quint devant Alger. Cette chapelle était située hors de la porte d'Azoun, sur la falaise (où fut créé le quartier Bresson). Les cor-

saïres, en sortant du port, avaient coutume de la saluer de leur artillerie.

Dans cet établissement se tenaient les fossoyeurs du cimetière Bab Azoun. Là étaient déposés les corps des janissaires qui, sur l'ordre du Pacha, avaient subi le supplice de la strangulation.

Ce monument religieux fut, avec sa mosquée, occupé, après 1830, par le Génie et par les Ponts et Chaussées. De 1842 à 1854, il fut successivement transformé en marché aux huiles et en halle au blé. La chapelle Sidi Aïssa de 1682 (actuel îlot du cinéma Splendid), autrefois voisine de la caserne Didon que remplaça en 1875, le bâtiment des douaniers, relogés aujourd'hui, rue Berthezène. La chapelle de Sidi Abd-El-Kader El-Djelani (rue Waisse), mort à Bagdad au XI^e siècle, et au nom duquel tous les mendiants arabes demandent l'aumône.

Un puits voisin, dont l'eau passait pour miraculeuse, avait été creusé par celui-ci. Ce sanctuaire, très fréquenté des musulmans, disparut en 1866, sous les ouvrages du boulevard, passant en ce lieu. Est considéré comme arbre-marabout, le palmier Bugeaud dont les racines sont supposées s'étendre jusqu'à la nappe d'eau qui alimenta le puits du saint.

La mosquée Mezzo-Morto, situé rue Bab Azoun et rue de Chartres, qu'édifia vers 1685 le Pacha El Hadj Hossain, renégat italien. Cette mosquée était remarquable par sa coupole originale et son svelte minaret plaqué de faïences. Elle fut en 1830, transformée en hôpital. Le Génie la remit, en 1836, aux Domaines qui peu après, la firent démolir.

La Zaouïa Tchektoun (rue de l'Aigle), contiguë à la caserne Kherratine. Cet édifice existait au XVI^e siècle. Il fut annexé à cette caserne en 1830, puis en 1838, à l'hôpital civil qu'on installa dans les locaux de celle-ci — et ensuite à la Poste et au Trésor qui furent transférés en cet endroit.

La mosquée Khédar-Pacha (rue Scipion et Bab-Azoun), construite dans le goût berbère (avec toits à tuiles), par le Pacha Khédar en 1596. Cette mosquée servit d'annexe à l'hôpital Kherratine, jusqu'en 1837. Elle fut démolie à cette époque.

La mosquée de Souk-el-Louh (du marché aux planches), rue Juba, que l'on donna à l'administration du Beït-el-Mâl (des Domaines), et qui fut détruite en 1836.

La Zaouïa Ketchaoua (rue du Léopard), édifiée en 1786 par El Hadj Mohammed Khodja Makatadji ; secrétaire du palais du Dey. Cet édifice fut occupé jusqu'en 1835, par la gendarmerie puis par le Beït-el-Mâl, et enfin démoli.

La Djama Ech-Chouach (des chaouchs du Palais), attenant à la Jénina, qu'occupa Kheir ed Din. Elle servit, après 1830, de corps de garde.

La mosquée Ech-Chemaïn (de la rue des marchands de bougies), à l'angle des rues Cléopâtre et Bab-el-Oued, dans le quartier dénommé, en 1740, Souk-El-Kheraçin (des savetiers). Cette mosquée, occupée en 1830 par l'Intendance, fut démolie en 1841.

La mosquée Ed-Djenaïz — des funérailles — (rue d'Orléans), qui fut rebâtie, en 1545, par El Hadj Pacha, lequel à cette époque, gouverna la Régence par intérim. Le nom de cette mosquée est celui que portait jadis la rue d'Orléans où passaient les convois funéraires sortant de la Grande Mosquée et se rendant au cimetière de Bab el Oued. Cette mosquée dépendit, en 1837, de l'hôpital Civil et fut utilisée en 1838 comme magasin central des Hôpitaux militaires.

Dans le quartier de la Darze :

Mesdjed el Marsa, la Mosquée du Port, attenant à la grande voûte de l'Amirauté près

de laquelle se trouvait le Bordj el Kébir (le grand fort). Cette mosquée fut englobée en des bâtiments nouveaux.

Le Marabout de Sidi el Roberini, également à l'Amirauté, que décore de façon pittoresque un palmier étalé sur sa façade, et dont une moitié fut occupée par des batteries.

La Mosquée de Bab el Djezira (de la porte de l'île), à l'angle des rues de la Marine et des Consuls, qui fut construite, en 1693, par le Dey El Hadj Chaban Khodja, mort étranglé, et qu'agrandit Hassan Pacha, en 1795. Cette mosquée formait voûte sur l'entrée de la rue des Consuls. Elle servit de caserne au Génie de 1830 à 1834.

La Zaouïa El-Kechach, ancien n° 28 de la rue des Consuls, qui fut annexée au Magasin Central des Hôpitaux Militaires.

La très ancienne mosquée El Kechach, — même rue que la précédente, — de style berbère, comme la Grande Mosquée de Sidi Ramdan. Ce temple, qui fut affecté, en 1831 au dépôt des lits militaires, servit ensuite d'hôpital civil, puis de magasin central des hôpitaux de l'armée. Devenu Ecole des Beaux-Arts.

La mosquée Abdy-Pacha, rue Macaron, que le pacha Abdy fit construire, en 1725, près de la caserne des Lettrés (El-Mokryen). nom dont le peuple fit Makroun, et la population européenne Macaron.

Le Pacha Ben Bakir y ajouta en 1748, une école. Les deux édifices ont été affectés au casernement en 1830, ainsi que la caserne des Lettrés.

La mosquée Kâ-es-Sour (du pied du rempart), 13, Rue du Quatorze Juin, voie classée en 1910, au titre historique, par M. Jonnart

La mosquée d'Aïn el Hamra (de la fontaine rouge), rue Philippe, qui était située près de l'hôtel du colonel du Génie. Elle fut, en 1837, affectée au casernement militaire, et disparut plus tard, lors de la démolition de la voûte formant l'entrée de la rue Philippe.

La mosquée Seboth el Hout (voûte du poisson), au quartier Boteka (5, rue des Consuls), qui servit jusqu'en 1838, d'entrepôt de grains puis de caserne jusqu'en 1845. La voûte qui lui donna son nom présentait, sur l'une de ses pierres, un poisson sculpté.

La mosquée Sidi Amar-et-Tensi (15, rue Jean Bart), que bâtit, il y a plusieurs siècles, le célèbre marabout de ce nom. Une caserne y fut établie en 1830. La direction de l'artillerie y fut ensuite installée.

La mosquée d'Ali Khodja, 10, rue Bisson, dans l'ancien quartier Hammam el Malah (des bains d'eau salée). Il est fait mention de cet édifice en un acte de 1621. Cette mosquée, dont le minaret, curieusement aménagé en logements, porte aujourd'hui le numéro 10 de la rue Doria, a été après 1830, convertie en magasin pour les effets du campement. Elle a été aliénée en 1844.

La mosquée Ben Negro ou djama Setti Myriem (de madame Marie), à l'angle des rues Bab el Oued et Sidi Ferruch, qui fut affectée, en 1830, aux effets et lits militaires. Cette mosquée construite en 1660, fut démolie en 1837. Son minaret se dressait sur la rue Bab el Oued.

La mosquée 'Ali Bitchnin (devenue Notre Dame des Victoires), où fut installée la pharmacie centrale de l'armée.

Cette mosquée date de 1622. Le chœur de l'église actuelle était jadis à découvert. Il s'y trouvait un jardin et un jet d'eau.

La jolie porte sculptée qui décorait naguère, l'entrée de l'église dans la rue de la Casbah, est l'œuvre du maître Lablabtchi, aîné des menuisiers. Elle a été sur les instances du comité du Vieil Alger, transférée pour sa conservation, au Musée des Antiquités. Chaque battant présente, ciselées, des rosaces, des arabesques et cette inscription, en caractère arabes : Que la volonté de Dieu soit faite.

Cette porte provenait de la mosquée Ketchaoua, devenue la Cathédrale. Elle fut donnée au temple chrétien de la rue de la Casbah, en 1843. Le minaret, haut de 15 mètres, mais dont la solidité semblait douteuse, fut réduit en 1860.

La mosquée de Sidi er Rahbi, du XVI^{ème} siècle, en face de la précédente, à l'angle nord des rues Bab el Oued et Tourville, qui demeura annexée, de 1832 à 1840, au magasin centrale de la pharmacie militaire.

Hors de la porte Bab el Oued, près du fossé, sur le côté gauche de la route : l'asile Bou-Touïl, petit édifice bas, servant, la nuit, de refuge aux indigents à qui des distributions de pain étaient faites, et le jour, de poste aux fossoyeurs des cimetières de Bab el Oued. Cette modeste construction qui, en 1830, fut affectée au casernement et plus tard, devint le quartier d'un détachement d'artillerie, abrita en 1860, sous le nom de : Pavillon des Cent Gardes, les cavaliers de l'escorte de Napoléon III. Cette édifice disparut lors de la construction du nouveau lycée.

Attenant à Bou-Touïl, au bas d'un sentier qui montait au marabout Sidi Abd Ar Rahman : la mosquée d'El Mocella, oratoire où s'arrêtaient les convois funèbres qui se dirigeaient vers le champ de repos de Bab el Oued. Cette mosquée dont le front se parait de géraniums, était surmontée de deux coupes surbaissées et pourvue d'un minaret.

Un bouquet de palmiers, de lauriers-roses et de bellombras l'encadrait très agréablement. Elle fut construite par Mahmoud, chef de la Milice, en 1675.

El Mocella servit au casernement en 1830, et fut démolie en 1862, quand furent commencés les travaux du lycée.

En face d'El Mocella, sur l'ancien sentier de Sidi Abd Er Rahman : la chapelle de Sidi Salem, qu'avoisinaient une fontaine et un haut palmier transporté, en 1862, au square de la Régence. Cette chapelle, où furent logées des troupes, en 1830, disparut aussi en 1862. Une pièce des archives militaires nous apprend qu'elle fut restituée au Sid Ben Salem sur ordre du Gouverneur, le 19 avril 1847.

Près du marabout Sidi Abd Er Rahman, dans le fossé des remparts : la zaouïa de Sidi Amar Et Tensi (le Ténésien), du XVI^{ème} siècle, qui fut occupée en 1831 par la gendarmerie. Elle appartient à l'armée jusqu'en 1861. La construction du lycée entraîna sa destruction.

La mosquée de Sidi Saadi, au-dessus du jardin Marengo, contre le nouveau rempart — élevée, dit-on, par un pacha reconnaissant à qui le marabout Sidi Saadi aurait prédit son élévation au pouvoir. L'armée l'occupait en 1830. En 1847, elle dépendait du Génie. En 1850, elle servit de dépôt des poudres aux Contributions Diverses.

La mosquée de Sidi Djami, en face de l'entrée inférieure du jardin Marengo, qu'occupait longtemps la gendarmerie. Elle fut louée, en 1850, aux trappistes. On la dénomma ; Petit Staouéli. Auprès de cette mosquée avait été enterré le Sid Yahia, avant dernier agha.

La chapelle Sidi Yacoub, dans le voisinage de la Salpêtrière, bâtiment auquel elle fut annexée dès 1830.

Cet édifice, connu aussi sous le nom de Marabout de l'Olivier, a été remis par l'autorité militaire à la ville d'Alger, le 27 mars 1865, à la condition que celle-ci ferait à ses frais, le raccordement du chemin de ronde de la Salpêtrière qui passe là, — avec la route départementale de Saint-Eugène. Les arcades mauresques, vestiges de ce marabout, qui apportaient une jolie note d'originalité à ce coin, disparurent en 1910. Une maison nouvelle a été élevée en ce lieu.

Citons encore, parmi les édifices religieux des environs d'Alger :

La mosquée de Birmandreïs (bâtie par le Pacha Abdy, en 1724) que les soldats habitaient, ainsi que la mosquée de Birkadem (du puits de la Négresse).

Le marabout de Kouba, annexé au camp établi, en 1833, sur des terrains appartenant aux Maures Abd el Tif et Souk Ali, et occupés dans la suite par le Grand Séminaire.

Ce marabout, sur leur demande, fut remis aux Arabes de la région en octobre 1846.

La localité où se trouvait ce petit monument (Kouba), se nommait : quartier d'El Kouba, d'où le nom du village actuel. Cet édifice religieux fut construit en 1545, par Hassen Pacha.

A cette liste, il convient d'ajouter :

1° Les voûtes de la mosquée El Djedid (de la Pêcherie) qui servirent de magasins à l'armée et dont remise fut faite aux Domaines le 3 octobre 1864. Un sieur Cimato en devint locataire à cette époque ;

2° Les sous-sols de la Grande Mosquée qui, après avoir été utilisés, furent loués à des particuliers. Le sieur Picon les occupa de 1836 à 1838.

Un rapport militaire fit connaître que, dans la mosquée même, des soupentes furent établies le long des murs perpendiculaires à la grande façade, en vue d'une installation de lits (qui n'eut pas lieu).

LES ÉDIFICES RELIGIEUX DE L'ANCIEN ALGER

D'après l'historien espagnol Haedo, dont la topographie d'Alger a été publiée en 1612 cette ville comptait, à la fin du XVI^e siècle une centaine de mosquées. Il n'est pas douteux que les chapelles et zaouïa ne soient comprises dans cette énumération. Je ne crois pas sans intérêt de donner la traduction du passage auquel je fais allusion.

"Il y a quelques édifices qui sont dignes d'être signalés ; et premièrement les mosquées, desquelles (entre grandes et petites) il peut exister dans tout Alger jusqu'à cent. Toutes ont des marabouts qui les administrent et viennent, eux et d'autres, y faire à leurs heures, la prière. Elles ont été édifiées par des Maures, Turcs et Rénégats et dotées, peu ou beaucoup, de revenus, tant pour nourrir les marabouts qui en ont la gestion que pour subvenir aux approvisionnements de nattes dont elles sont constamment pourvues, et à l'achat de l'huile des lampes, que

toutes ont en nombre grand ou petit, et qui sont allumées lorsqu'ils font la prière. Beaucoup de ces mosquées sont fort jolies et fort bien construites, quant aux voûtes, arcades et colonnes, lesquelles, si elles ne sont pas en marbre, parce qu'il y en a peu dans la contrée qui soit bon, sont faites en briques et en plâtre ; mais les principales mosquées sont au nombre de sept (Topographie et histoire générale d'Alger, folio 41, verso)".

En 1830, Alger renfermait 13 grandes mosquées, 109 petites mosquées, 32 chapelles et 12 zaouïa ; en tout 176 édifices consacrés au culte.

En 1862, sont encore debout 9 grandes mosquées, 19 petites mosquées, 15 chapelles et 5 zaouïa ; en tout 47 édifices, sur lesquels sont affectés au culte musulman : 4 grandes mosquées, 8 petites mosquées, et 9 chapelles total 21.

Albert DEVOULX. Les édifices religieux de l'Ancien Alger.

**LES FRANÇAIS ET LEURS AUXILIAIRES ASSOCIÉS
DANS LES EXACTIONS DES PREMIÈRES ANNÉES
DE LA CONQUÊTE**

Dans les faits, la violation de la capitulation d'Alger commença dès 1830. Après avoir mis la main sur les 51.700.000 francs-or inventoriés au trésor algérien, de Bourmont expulsa purement et simplement les célibataires membres de l'Odjaq, au nombre de 1.300, dont la protection était incluse dans la convention. Mieux : dès le 30 juillet, moins d'un mois plus tard, les 1.500 miliciens mariés étaient à leur tour expulsés avec leurs familles algériennes, sous le prétexte de prévenir une insurrection ; en réalité dans le vain espoir de séduire les Juifs et les H'ad'ar représentés dans une commission municipale en vue d'une pénétration plus profonde. Le 31 juillet, deux "conspirateurs" étaient même condamnés à mort par une procédure expéditive, et le 2 août déjà était prévue l'organisation de juridictions d'exception, dites "Cours prévôtales".

Ainsi était pratiqué le respect promis de "la liberté des habitants de toutes classes" !

Les biens et la religion ne furent pas mieux

respectés ; dès le 8 septembre 1830, un arrêté de Bourmont séquestre la propriété des Algériens turcs expulsés, les biens des institutions islamiques d'assistance "La Mekke" et "Medine", les biens habbous destinés à l'entretien du culte et de l'enseignement coranique, en les assimilant abusivement à des domaniaux, qui, au reste, eux-mêmes, ne pouvaient, sans infraction au droit musulman, revenir à des infidèles. En 1832, Savary, ancien préfet de police napoléonien et Duc de Rovigo, n'allait même pas hésiter à s'emparer de la mosquée Qetchaoua pour en faire la cathédrale d'Alger, en brutalisant les fidèles.

Voilà comment "ne recevront aucune atteinte" la religion et les propriétés, dès cette époque et par la suite. Dès lors toute pénétration du corps d'occupation ne peut signifier pour les populations d'une menace d'expropriation, une violation des principes de l'Islam qui sont les leurs.

فهرس العدد

| | | |
|-----|----------------------------------|--|
| 2 | مولود قاسم | - افتتاحية |
| 10 | الرئيس هواري بومدين | - الاسلام ثورة شاملة |
| 23 | الامام الاكبر د محمد محمد الفحام | - الاسلام صالح لكل زمان ومكان |
| 40 | مفدى زكرياء | - الياذة الجزائر |
| 104 | مولود قاسم | - الاسلام دين ودولة ونظام اجتماعى كامل |
| 116 | عثمان الكعك | - دور العروبة والاسلام فى النهضة العلمية والادبية والفنية والتقنية فى أوروبا وأمريكا |
| 133 | د سفيريد هونكه | - من الاستلاب الى استرجاع الانية |
| 142 | | - أناشيد جمعت بمناسبة الملتقى |
| 155 | | - توصيات الملتقى |
| 168 | | - انطباعات عن الملتقى |
| 177 | | - فتوى |
| 189 | | - التعليم الاصلى والمفهوم المعكوس عن توحيد التعليم لدى بعض المخربين |
| 191 | | - النشاط الثقافى |

الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامى

وبعض المخربين هنا وهناك ...

تتميز - لا أقول تمتاز ! - بعض بلدان مشرقنا العزيز فيما تمتاز به عن جميع أنحاء المعمورة ببعض الصحف التى تجمع الى عمالتها ومأجوريتها لكل ذى فلس من الدول الكبرى ، والمتوسطة ، والصغيرة ، والدويلات ، بل والأفراد ، سطحية التفكير ، وسلبية المقصد ، وسخافة الطبع ، وركاكة الاسلوب ، وتحاشى الحقيقة ، فضلا عن جبن مغربشها (من الخربشة : الكتابة الرديئة شكلا ومبنى) ، وهزالهم ، وبلادتهم ، والى كل ذلك غرورهم ودعواهم !

وهكذا طلعت علينا أخيرا وريقة من هذه ، تصف نفسها بأنها « جريدة اسلامية اسبوعية » ، بمقال عن الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى ، الذى انعقد أخيرا فى الجزائر ، منسوب الى اسم لم يدع صاحبه الى الملتقى ، وربما اختفى تحته استاذ لم نتركه يلقى محاضراته لأنه لم يبرمج ، اذ أجاب على الدعوة بعد فوات الوقت وطبع البرنامج ، وهو من بلاد هذه الجريدة ، اللهم الا اذا كان اسما مستعارا لجبان لم يجزؤ على تحمل مسؤولية ما يخرّبش ، لعدم ثقته به وبنفسه ، والعيب كل العيب ، فى الواقع ، على الريقة التى تصف نفسها بما تصف وتفتح مجالها لهؤلاء المخربين الذين يضرون بسمعة الاسلام والمسلمين ، وان كنت أعرف انه لدينا هنا فى الجزائر أيضا بعض العينات من هذه النوعية ، « الاسلامية » منها و « التقدمية » جدا ، « المتفتحة » ، المفتوحة جدا ، من بين هؤلاء المخربين ، صحافيين منهم واساتذة جامعيين ، ولقد اشرت فى كلمة اختتام الملتقى الى نوعيتهم ، وسأعود اليهم ، وليعتبروا انفسهم مؤقتا معنيين ببعض ما أقوله هنا ، كل فيما يخصه .

(١) كتبت أيها المخربش ان الابحاث التاريخية فى الملتقى تركزت حول الكفاح ضد الاستعمار فى شمال افريقيا والجزائر على الخصوص ودور الاسلام فيه .

والجواب: لا أيها المخربش الاسلامي الكبير ، لم تتركز الابحاث على شمال افريقيا والجزائر على الخصوص بل كانت شاملة للعالم الاسلامي الكبير كله ، وتكلم فيمن تكلم في الموضوع الجنرال الحاج ساليبادا ، رئيس جمعية مسلمي الفلبين ، والدكتور رشيد لقمان ، أمين عام نفس الجمعية ، عن كفاح اخواننا هناك .

واذا لم يتكلم كثيرون في الموضوع ، فهذا راجع الى الاساتذة الذين لم يطرقوا هذه النقطة الاولى من جدول اعمالنا ، وبعض الحكومات مثل الباكستان التي منعت استاذنا بااكستانيا في آخر لحظة من المجيء ، وكان مبرمجا في هذه النقطة ، وعوضته بآخر لم يكن في المستوى ولم يتهيا للكلام في الموضوع .

وكان عنوان النقطة في جدول الاعمال هكذا بالذات : « العيد العاشر لاسترجاع استقلال الجزائر ودور الاسلام في كفاحنا التحرري وفي مقاومتنا ومقاومة البلدان الاسلامية الاخرى للعدوان والاحتلال » .

وكان يمكن أن يتكلم فيها جزائريون ، ومغاربة ، وليبيون ، ومصريون ، واندونيسيون ، وباكستانيون ، وفلسطينيون ، وغيرهم ، كما فعل الجنرال الفلبيني ، ولكنهم فضلوا ألا يطرقوا هذا الموضوع ، ومسؤولية هذا تلقى على الاساتذة المدعويين أو المندوبين لا على الجزائر المنظمة للملتقى والتي وضعت هذه النقطة الرئيسية في مقدمة جدول الاعمال ، لاعتقادها ان لولا الاسلام لما تحرر بلد من هذه البلدان ، وبدونه لن يتحرر أى بلد من بلاد الاسلام التي لا تزال مستعمرة في مختلف انحاء المعمورة .

2 (كتبت - وكتب مغربش مثلك عندنا هنا - عن « اخطاء تتكرر في مثل هذه الملتقيات والمؤتمرات العربية والاسلامية عامة » .

فلتعلم - اذا كنت غائبا عن الملتقى - وليعلم - وقد كان حاضرا وملحا على الحضور - ان هذا الملتقى وان لم يكن منزها عن الاخطاء ومجردا من الهفوات فليس مثل الملتقيات والمؤتمرات « العربية والاسلامية الأخرى » .

وقد أشاد اغلب الاساتذة الكبار الذين جاءوا من بلدان اسلامية وأوروبية ، غربية منها وشرقية ، بأن مثل هذا النظام في دقته ، وصرامته ، ومنهجيته ، لم يروه

قبل ذلك فى أى بلد كان ، ومن أشاروا الى ذلك أيضاً بوضوح فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام ، شيخ الازهر ، فى تصريح له نشر ، وربما برز هذا النظام خاصة فى ذهنك « الاسلامى » « الرجعى » « المحافظ » ، وذهن زميلك الجزائرى « المتفتح » ، « التقدمى » ، « العقلانى » ، « الثورى » ، اذا ما تذكرتما أن هذا الملتقى جمع الشباب والشيوخ ، وجمع اساتذة من العالم الاسلامى الواسع ، من المغرب او شمال افريقيا كما تكتب ، ومن بلدان افريقية أخرى كثيرة ، ومن المشرق ، حتى ماليزيا والفيليبين ، ومن أوروبا ، الشرقية منها والغربية ، وأربعة على الأقل من هؤلاء الآخرين حاضروا وناقشوا بالعربية الفصحى .

3 (تكلمت عن هؤلاء المفكرين الذين توافدوا من شتى بقاع الارض الاسلامية ، عربية واعجمية » ، واظن ان كلمتى « عربية واعجمية » زائدتان ومن قاموس مختلف اللوان الاستعماريين واعوانهم من عديد الفئات ، خاصة فى الظروف الاخيرة ، وكان فى امكانك ان تقف عند « الاسلامية » ، فالاسلام يشمل كل شئ وهو الجامع المانع ، خاصة وانت تكتب عن ملتقى اسلامى وفى جريدة تقول انها اسلامية ، وتعلم أن كل عنصرية فى هذا السياق عبث وليس بعثا ، ومشرقنا العزيز بذلك أدرى !

4 (تتكلم عن بعض « الموقدين المسيحيين » الى الملتقى .

صحيح انه كان هناك واحد ، وواحد فقط ، وبالمراح كبير من دولته ، ولم يكن محاضرا ، وسمع الجواب اللازم على كلامه الذى لم يكن له مكانه فى الملتقى ، وقاطع بعد ذلك جلسات الملتقى مثل مواطن له مسلم ، وبقيا ضيفين على الجزائر بمحض ارادتهما فى فندق الملتقى بدون حضور بقيته ، والسبب اننا ارجعناهما الى جدول اعمال الملتقى عندما خرجا عنه ، وقال المسيحي – وكانت مساهمته الوحيدة فى الملتقى ! « أن هذا الملتقى بين المسلمين وحدهم تقوقع الخ » ، وقال – مواطنه المسلم – : « ان خصومنا ليسوا المسيحيين ولا اليهود ، وانما الملحدون ، والافضل الا نتكلم عن الصليبيين فى التاريخ ، ولاعن اليهود اليوم ، وانما نتكلم عن خطر اعداء « الأديان » ، وقلنا له أننا نحن نتكلم عن الجميع عند الضرورة ، عن هؤلاء وأولئك ، والكفر ملة واحدة !

وكان ذلك أيضا تدخله الوحيد في الملتقى ، وكلا التدخلين كانا في المناقشة ، ولم يطلب من أحد منهما القاء محاضرة .
ولكن يسرنا أن نقول ان مواطننا لهما مسلما القى محاضرة قيمة وكانت مساهمة ممتازة .

(5) اما بخصوص نقدكم لوجود المستشرقين وتلامذتهم في الملتقى ، وكلامهم « ليوضحوا طريق اليقظة الاسلامية » ، فأقول لحضرة المخربش أن أحدا منهم لم يتكلم في هذا الموضوع ، وكانوا من الذوق السليم ، والذكاء ، والفتنة ، والمجاملة ، والصدق عند الكثير منهم . بحيث تجنبوا هذا الموضوع ، وتركوه للمسلمين ، الذين لم يوفوه حقه في الجملة مع الاسف ، اذ ارتجل أغلبهم محاضراتهم بغاية السطحية والضحالة ، وبعضهم خربشها هنا ، بعد أن وصل ، ولم يرسلوها كما فعل أغلبية الاساتذة الاوروبيين ، وكما طلب منهم ذلك في نص الدعوة قبل انعقاد الملتقى بخمسة أشهر !

وقد أساء استاذان أوروبيان ، أحدهما من غرب أوروبا ، والآخر من شرقها ، الثقة الموضوعية في استاذ جامعي ، ولم تكن دعونا هما بإسميهما ، بل انتديتهما حكومتاهما ، فأسمعناهما ما كان ينبغي ان يسمعه في القاعة نفسها ، واستنكر موقفهما الاوروبيون الآخرون ، على الأقل حسبما أكدوه لنا ، ثم فضحناهما في صحافتنا ، وغادرا الملتقى والبلاد .

ولم يشر من الاوروبيين الى موضوع اليقظة الاسلامية كاستثناء واحد الا السيدة الدكتورة سيفريد هونكه ، صاحبة الكتاب المعروف : « شمس الله تسطع على الغرب » ، وكان ذلك باخلاص ، وصدق ، وموضوعية ، وربما كانت اشارتها أوقت الموضوع حقه اكثر مما فعلت بعض المحاضرات التي القاها اساتذة مسلمون بدون اعداد وتهيئة ، وانما عن ارتجال فظيع كمادة الكثير من مسلمي اليوم ، وكرر هذا مرة أخرى للعبارة ولتخاشيه في المستقبل .

والامانة ، بل والاعتزاز أيضا ، يفرضان على أن أقول ان بعض الاساتذة المسلمين كانوا في القمة من حيث كل شيء ، من حيث التحضير ، اذ ارسلوا الموضوع في

آجاله وفي صورتين ، مطبولة للنشر ، وموجزة للالقاء في القاعة في حدود الخمس والاربعين دقيقة حسب نص الدعوة ، ومن حيث المحتوى أيضا اذ كان في غاية المنهجية ، والموضوعية ، والعمق ، ومن حيث المساهمة في المناقشات بتدخلاتهم العديدة في الوقت المناسب ، خاصة للرد على بعض المستشرقين الذين لم يكونوا في المستوى ، واذكر هنا كأحسن مثال الاستاذ الكبير عثمان الكماك ، شيخ المؤرخين ، لا التونسيين ، ولا المغاربة فقط ، بل المسلمين عموما ، وأحدهم على المستوى العالمى !

6) السيدة الدكتورة تورين ليست مستشرقة ، وانما مؤرخة ، واستاذة بجامعة الجزائر ، وتكلمت بموضوعية ومنهجية يحتاج اليهما الكثير من مغربيينا ، وكان العنصر الثانى لموضوعها بالضبط : « ثغرات المصادر الفرنسية » ، وقالت انه لا ينبغي الاكتفاء بها ، بل لابد من اتمامها بمصادر اسلامية ، وعلى المسلمين ، من جزائريين في الدرجة الاولى وغيرهم ، أن يكملوا هذا النقص المقصود في المصادر الفرنسية ، هذا النقص الذى نبهت اليه المؤرخة الفرنسية التى لا تعرف العربية ، وعلينا ألا نبقى كسالى ، نائمين ، متهاونين ، وعندما يتحرك غيرنا لطرق موضوع ، ولو بنقص معذور ، نتحرك - ... سلبيين ، سلبيين حتى فى حركتنا ! فى نومنا وفى حركتنا ! وامثالك يا حضرة المخربش موجودون لدينا فى الجزائر أيضا ، ومن بين الذين يعتبرون انفسهم مهتمين بالتاريخ ، بل اخصائيين فيه ، كما لو كان ملكا لهم ، حكرا عليهم ، خاصا بهم ، محصورا فيهم ، غير مستغن عنهم ، ولا يجوز ان يطرقه احد سواهم ، وليتهم يطرقون ! وليتهم يتحركون ، وليتهم يكتبون ، وليتهم يردون ، ويبرهنون ، ويجادلون ، ويخرجون من جحورهم ليروا النور ويراهم الناس !

وعندما يطلب منهم افادة غيرهم وتنوير الشباب ، والرد على المزورين ، المحرفين ، يجيبون بمختلف التعللات والاعتذارات ، لتغطية فراغ مذهل فى الواقع ، يضاف اليه كسل عجيب ، وروح نقد هدام ، وسلبية من أقطع ما هو موجود فى دنيا الموجود ، باضوا مرة وتوقفوا ، خربشوا بضعة أسطر وظنوا أنهم قالوا كل ما كان ينبغي قوله ، وعلى العالم كله أن يتوقف معهم ، وألا يضيف اليه حرفا !

وقد دعوا وبالحاح الى المشاركة فى الملتقى ، أربعة أشهر وعشرا قبل ذلك ، مثل غيرهم من المسلمين والاوروبيين ، ولكنهم حتى لو دعوا تسعة شهور قبل ذلك

لما تغير الأمر ، ولما تمخض ذلك عن وليد ، ولما اثمر نتيجة ، لانهم هكذا ، سلبيون عقميون ، انعزاليون ، لا يتحركون ، وعندما يتحرك غيرهم يكتفون بالنقد الهدام ، الذى يغطى فى الواقع عجزا ، ونقصا ، وكسلا ، وروح الاقطاع الدهنى ، والاحتكار الثقافى ، أقول هذا وبعضهم من اصدقائى ، ولكن الصداقة عندى تأتى فى الدرجة الثانية ، بعد ما هو اسمى منها وأكثر قدسية !

(7) أما السيد الذى « زينت » بصورته مقالك وكان ، كما قلت ، من الذين عاصروا الزوايا والصراع مع الاصلاح الدينى ، فأقول لك أنه موظف فى وزارتنا ، وهو من الذين لا يزالون متعلقين بنوع من الماضى السلبى ، يثريه منظر زاوية ، ولا تسخطه رؤية الحانات والحانات ، والشباب المتسكع ، والجهل لدى العامة ، التى لا يذهب اليها ، وانما ينتظر أن تأتى اليه ، دائما بروح الزردة ، والوعدة ، والقعدة ، بل والرقدة ، التى اشرت اليها فى كلمتى فى اختتام الملتقى .

وكم أود ان اعرف ماذا فعل وفعل امثاله فى مقاومة الزوايا التى تنظم فيها مجالس الزردة ، والوعدة ، والقعدة ، فلم يحاربها اطلاقا وهى فى مجال عمله !

وعلى كل فليس هنا مجال الحديث عن هذا الموضوع لو لم تثره يا حضرة المخربش ويثريه معك هذا الشيخ الكسول ، على فرض أنك حضرت معنا ، كما تدل على ذلك صورة الشيخ التى « زينت » بها خريشتك .

(8) وقلت يا حضرة المخربش وقال لك احد الاساتذة المعجز السليبيين ، الذين يقولون كما قال اليهود لموسى : « اذهب انت وربك ، » انه أمام اخطاء الاساتذة المستشرقين « تعب الاساتذة الاسلاميون فى الرد » واستسلموا فى النهاية ! كم كان عدد المستشرقين ، وكم كان عدد « الاسلاميين » ؟ لقد كان عدد هؤلاء الاوروبيين ، ولم يكونوا جميعا من المستشرقين ، لا يتجاوز تسعة فى الجملة ، والمسلمون اكثر من مائة استاذ ، ومن الاوروبيين التسعة كانت مساهمة الاغلبية ممتازة ، واكثر من ممتازة ، ان صح التعبير ، وتناولوا قضايا تاريخ الحضارة الاسلامية وعلاقتها بأوروبا ، وتأثيرها فيها ، وعلاقة بلاد الاسلام بأوروبا الخ ، باحسن مما تناولتها به اغلبية الاساتذة المسلمين مع الاسف ، وشذ من الاوروبيين أستاذان اثنان ، وحتى لو كان

جميع الاوروبيين سلبين يحتاجون الى الرد ، ألا يتعبون ، وهم اقل من العشرة ، ويتعب الاساتذة المسلمون وعددهم يقرب من مائة وخمسين ؟ ألا يعيد هذا الى اذهاننا - ان جاز لنا أن ننسى - مشاكل مؤلة في واقعنا الاسلامي الحاضر ؟

ولقد قال لي فعلا احد الاساتذة (وهو أستاذ لي وأجله كثيرا) انه تعب في الرد ، وكأن ينبغي التدخل لمنع خصمه من الكلام ؛ وخصمه - بل خصمنا - كان مستعدا دائما للرد ، وقلت له ان عليه ان يرد عليه ، وألا يتعب ، ونحن نقول في الجزائر انه من العار أن « تبيت الضربة » في المسلم ، وكنت أفضل ان يرد على الذي يستحق الرد عليه ، عوض ان ننزله من المنصة ، وقد كنا قلنا ان المناقشة حرة مطلق الحرية ، وابوابها مفتوحة على جميع مصاريعها ، والطلبة يلاحظون أيضا ، ويستفيدون من ذلك النقاش ، ولا يحبون أن يستسلم المسلمون في المناقشة ويغلبوا ، « ويتعبوا » !

أما في مبدا دعوة الاساتذة الاوروبيين ، فيكفي اننا ادرجنا في جدول أعمالنا النقطة الثالثة ، الخاصة بدورهم في الماضي في كتابة تاريخنا ، واضفنا الى ذلك ضرورة كتابة تاريخنا بأنفسنا ابتداء من الآن ، ولهذا كان حضورهم واجبا ، والا تكلمنا عنهم ونقدناهم في غيبتهم ، ولم نعظمهم فرصة الرد والتصحيح ، والحق يقال ان من بينهم من انصفوا ، وان كانوا قلة ، والآخرين يحتاجون الى ان يسمعونا ونسمعهم في ملتقى كهذا ، ولا نحكم عليهم في الغياب ، والنتيجة كانت ايجابية في الغالب ، بل في الأغلب ، بما سمعناه منهم وسمعوه منا ، وكانت الفائدة متبادلة ، وسوف ندعو منهم عددا كلما دعا جدول اعمالنا الى ذلك .

(9) ذكرتم في الاخير ، من بين ثمرات هذا الملتقى كما قلتم ، زيارة بعض القرى الجزائرية ، وكانت القريتان اللتان زرناهما هما مليانة والمدينة ، وأود فقط أن اذكر لك انهما ليستا قريتين ، بل هما على الاقل بلدتان كبيرتان ، ان لم ترد ان تعدهما مدينتين ، وقد كانتا في وقت من الاوقات عاصمتين ، ويكفي أن تتذكر ، ان حضرت الملتقى ، ان النقطة الثانية في جدول اعماله تتضمن الاحتفال بالعيد الألفي لتأسيس مدن مليانة والمدينة مع الجزائر العاصمة على يد بلكين بن زيري ، وينبغي ان تعترف معي انهما حتى على وضعهما الحالي أكبر واجمل من بعض العواصم العربية في مشرقنا العزيز .

أطلت فى هذه الكلمات ، وكنت أود ان تكون قصيرة ، ولكنها اطالة ضرورية ،
وأرجو أن تكون مفيدة .

(10) بقى لى ان أقول لك أيها المخربش « الاسلامى » انه جاءت فى احدى الكلمات
القصيرة فى نفس العدد من جريدتك « الاسلامية » كلمة ساخرة أشاركها فيها تماما
عن « التقديمية التكساء » ، ولكن أود منها أيضاً أن تقلع عن هذه الاسلامية القعساء(1)،
من نوع مقالك الذى استوجب منى هذا التوضيح .

فكم من ثورى ليس له الا بلادة الثور ، اذ لا يكفى لأناس ان يكونوا ثوريين
ليكونوا ثوارا ، كما انه كم من اسلامى مستسلم ، يجنى على الاسلام والمسلمين !
وبعد هذا كله ، السلام عليكم ورحمة الله ، ومرحباً بك فى الملتقى القادم ان
رغبت وشاء الله ، واليه ترجع الأمور !

مولود قاسم

(1) القعساء، من الأضداد ، والمقصود هنا طبعاً هو المعنى السلبى.

الإسلام .. ثورة شاملة

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الاساتذة الافاضل ،

أرحب بكم في الجزائر التي تتشرف
باحتراف هذا العدد الكبير من رجال
الفكر والثقافة ، الذين ضنوا بجزء من
راحتهم الصيفية لمواصلة النقاش الحر
المختص ، والبحث العلمي الدقيق . (٥)

(٥) ألقاها بالنيابة السيد مولود قاسم

الرئيس هوارى بومدين

وانى لأشكر بصفة خاصة الاساتذة الأفاضل الذين تجشموا آتاع السفر من مختلف البلدان العربية والاسلامية ومن بلدان أوروبية ، لمشاركة زملائهم من الاساتذة الجزائريين فى افادة طلبتنا واخوانهم من بلدان شقيقة وصديقة من القارات الثلاث بالمحاضرة والنقاش ، فى جو علمى طابعه الحرية والصراحة ، يجمع بين حكمة الاساتذة وعلمهم ، ورزانتهم ، وحماس الشباب ، وطاقاتهم الخلاقة ، وحيويتهم المتدفقة المقرونة بحب البحث والاستطلاع .

وانه ليسرنا بصفة خاصة أن يتم هذا الملتقى فى هذا الشهر الذى نحتفل فيه بأعز عيد من أعيادنا ألا وهو استرجاع حريتنا واستقلالنا بعد ليل استعماري طويل .

ومما يزيد من أهمية هذا الملتقى بالنسبة للجزائر أنه يجمع هذه النخبة من علماء وأساتذة هنا على أديمها وهى بصدد البدء فى خوض ثورتها الثقافية التى قلت عنها بمناسبات عدة أنها تمثل فى ثورتنا الثلاثية الأعمدة ، الصناعية ، والزراعية ، والثقافية ، الروح بالنسبة للجسد .

حضرات الأساتذة الأفاضل

اخوانى الطلبة ،

ان الجزائر التى ساهمت بقسطها فى اقامة حضارة من أخصب الحضارات وأغناها ، هى الحضارة العربية الاسلامية ، والتى كانت لها شخصيتها بين الدول والأمم ، اذ كانت من أولى الدول التى اعترفت باستقلال الولايات المتحدة ، كما كانت اول دولة اعترفت بالثورة الفرنسية ، ثم تعرضت لغزو استعماري ، قاومته عشرات وعشرات السنين ، عانت أثناءه جميع محاولات المسخ ، والاذابة ، والادماج ، قد قررت بعد استرجاع سيادتها واستقلالها أن تستكملها باستعادة جميع مقومات شخصيتها وعناصر ذاتيتها .

ولقد كان الاسلام دوما روح مقاومتها ومصارعتها لمحاولات الابتلاع ، كما كان بالأمس قوام حضارتها الزاهرة التى شملتها وبقية العالم الاسلامى ، وكانت المنطلق لمصر النهضة الأوروبية ، وبالتالى للحضارة الحديثة فى العالم .

وهل آتى بجديد وأنا أمام مؤرخين وعلماء أجلاء ، اذا قلت ان لكل حضارة أسسها ومبادئها ، وعهود نموها وارتقائها، ثم جمودها وربما انهيارها بحسب حرصها على تلك المبادئ والاسس وتمسكها بها ، أو التهاون فيها ، والتخلي عنها ؟
كلنا نعلم ما كانت عليه الجزيرة العربية فى الجاهلية ، وكلنا نعرف ما تطورت اليه وتطور اليه العالم الذى شمله نور الاسلام ، فى مدة أدهشت بقصرها مؤرخي الحضارات والاديان

وذلك ان الاسلام ثورة شاملة لمختلفى نواحي النشاط الانسانى ، بما يشتمل عليه من قيم ومعان ، ويحمله من روح لا تكتفى بالترقيع والتصليح ، وانما تتوق دوما الى التغيير الجذرى ، روح يتمثل فيها بكل معانى الكلمة ما نسميه اليوم بالثورة التى تقوض الهياكل القديمة المهلهلة ، وتقيم على أنقاضها صروحا جديدة شامخة تستعصى على الحداث .

لقد كان العصر الذى سبق الاسلام يسمى الجاهلية بحق ، بالنسبة للعالم العربى ، وكان عصر جهل بحق ، وتأخر فظيع ، فجاء الاسلام ثورة على ذلك الجهل ، اذ هو دين العلم ، جعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وسوى بين حبر العلماء ودماء الشهداء ، وبلغت ذروة تقدير العلم فى الآية الكريمة « انما يخشى الله من عباده العلماء ، » أى العلماء بأسرار الكون والطبيعة بفضل الدراية ، والبحث ، والتجريب ، على كلا القراءتين ، وبالتالى على كلا التفسيرين ، وهو ما يعبر عنه أيضا الحديث الشريف « العلماء ورثة الانبياء » ونجده عند علماء الاسلام فى عصوره الذهبية ، لدى ابن رشد وابن سينا من الجمع بين العلم وصحة العقيدة ، كما رأيناه فى العصر الحديث ، ولا أذكر هنا الا عالمين اثنين : باستور وآينشتاين ، اللذين يترك كل منهما مخبره ، أحدهما الى كنيسته ، والآخر الى بيئته .

وكان الاسلام ثورة على الجمود والركود ، وعلى التقليد والتبعية العمياء ، وكم نرى فى آيات متعددة على الذين كانوا يقولون « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » . كما قالوا « بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وشبهوا فى القرآن بالذى « يتنعق بما لا يسمع الا دعاء

ونداء ، صم بكم عمى فهم لا يعقلون ! » أى كالحیوانات التى تسمع نعیق الراعى ولا تعرف مغزاه ، ولا تفقه منه شیئا ، بل ومفضلا علیهم هذه الحیوانات المعجماء اذ قال عنهم الله فى كتابه العزیز « أولئك كالانعام بل هم أضل ! »

وذلك ان الاسلام دین النظر ، والروية ، والفكر ، وان الآیات التى تدعو الى استعمال العقل تتجاوز الخمسين ، والتى تدعو الى السير فى الارض للنظر والى التذكر والتفكر لا تكاد تحصى !

والاسلام ثورة ضد الكسل ، والسلبية ، والتواكل ، والاعتماد على الغير ، وضد البطالة ، التى هى فى مفهومها الاصلی الحیاة عالة على الناس ، والامساك عن العمل ، وكان الرسول صلى الله علیه وسلم لا يرى الا مشتغلا ، ويقول : « لأن يأخذ أحدكم حبله ثم یأتى الجبل فیأتى بحزمة من حطب على ظهره فیبیعها فیکف الله بها وجهه خیر من أن یسأل الناس ، اعطوه أو منعوه ، » وقال « ان الله یجب العبد المحترف » ویقول أيضا : « ما أكل أحد طعاما قط خیرا من أن یأكل من عمل یدیه ، وان نبی الله داود كان یأكل من عمل یدیه . »

وفى القرآن أكثر من ثلاثمائة آیه تدعو الى العمل وتمجیده ، ویقول صلى الله علیه وسلم فى حق العامل ، متوعدا كل رجل استأجر أجرا فاستوفى منه ولم یعطه أجره یقول فى الحدیث القدسی : « أنا خصمه یوم القيامة » أى الله خصمه وفى حدیث آخر : « اعطوا الاجیر حقه قبل ان یجف عرقه . »

وذلك ان الاسلام ثورة أيضا على الطبقة والعصبية ، اذ الشرف شرف العمل فحسب ، وحرب على سائر أنواع التمییز سواء كان ذلك بسبب الدین ، أو العنصر ، أو الحسب ، أو أى اعتبار طبقى آخر من الاعتبارات التى كانت سائدة اذاک فى قریش ، وباقی الجزيرة العربیة ، وكثیر من انحاء العالم ، وقاعدة التفاضل الواحدة هى العمل الصالح والسلوك الحسن ، واحادیث الرسول فى هذا الصدد بخصوص صهیب الرومى ، وبلال الحبشى ، وغيرهما لا تكاد تحصى ، وتعنیفه للصحابی الجلیل أبی ذر الغفارى فى هذا الشأن لمعروف جدا لدى كل من له المام بتاريخ الاسلام ، ونکتفى فى هذا الصدد بقوله صلى الله علیه وسلم « یامعشر قریش ، ان الله قد اذهب عنکم نخوة الجاهلیة ومعظمها بالآباء ، کلکم

من آدم وآدم من تراب» ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم »

وكان الاسلام منذ البدء ثورة على العادات المستحكمة اذاك ، والتي لا تزال في كثير من أجزاء عالمنا اليوم ، من غطرسة الأباطرة ، وعنجهية القياصرة ، وغيرهم من رجال الحكم ، اذ حارب منذ البدء الجور والظلم ، وكان حربا على التجبر ، والتكبر ، والاستبداد ، ووضع العدل والمساواة حيث كان الجور والمحاباة ، وان الآيات الواردة في ذلك لمديدة متنوعة : « ولو كنت قظاً غليظ القلب لأنقضوا من حولك » ، « وشاورهم في الامر » ، « وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك » « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » ، « واذا حكمت بين الناس أن تحكموا بالعدل » ، « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . . » وأحاديث الرسول في ذلك والشواهد من حياة الصحابة وغيرهم من رجال الدولة في الاسلام لا تكاد تحصى .

فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم عندما وردت اليه حادثة امرأة مخزومية سرت وحكم عليها بتطبيق الحد ، فارتاعت قبيلتها المخزومية المعتدة بنفسها ، وخافت من فضيحة قطع يد احدى بناتها ، وذهبت الى أسامة بن زيد ، وكان حب رسول الله ، فكلمه في ذلك ، فغضب الرسول وقال له : « أفي حدود الله ؟ » ثم خطب المسلمين وقال : « انما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرت لقطعت يدها . »

بل وقد أقاد الرسول من نفسه في حادثة مشهورة أخرى مع سواد بن غزية الذي اعتبر أن الرسول وهو بصدد تسوية الصفوف قد آله ، فطلب منه أن يمكنه من القصاص ، فمكنه الرسول من نفسه ليقصص منه لو شاء .

وهذا عمر ، الذي سمي الفاروق بحق ، يقيم الحد على ابنه حتى يموت ، فلقد كان

ابنه عبد الرحمن الأوسط مقيما بالقاهرة ، وشرب الخمر مع صاحب له فسكرا ، ثم ذهبوا الى مصر عمرو بن العاص ليقيم عليهما المد وقال له عبد الرحمن : اذا لم تفعله اخبرت ابى اذا قدمت اليه ، فأقام عليهما المد بصحن داره وحلق رأسيهما .

فسمع الخليفة عمر بن الخطاب بذلك ويكتب الى واليه على مصر :

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العاص بن العاص ، عجبت لك يا ابن العاص ، وجرأتك على ، وخلافك عهدي ، فما أراني الا عازلك ، تضرب عبد الرحمن في بيتك ، وتحلق رأسه في بيتك ، وقد عرفت أن هذا يخالفني ، انما عبد الرحمن رجل من رعيتك ، تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ، وقد قلت : هو ولد أمير المؤمنين ! وقد عرفت ألا هوادة لاحد من الناس عندي في حق يجب عليه ، فاذا جاءك كتابي فابعث به في عبادة على قتب يعرف سوء ما صنع . »

فبعث به عمرو بن العاص الى أبيه الخليفة عمر فقال له : يا عبد الرحمن فعلت وفعلت ... فقال يا أمير المؤمنين « قد أقيم على المد » ، فلم يلتفت اليه عمر بل أقام عليه المد بنفسه وكان ذلك تأديب الوالد .

وحادثة ابن الاكرمين وقولة عمر المشهورة « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » هل لها مايمثلها في تاريخ العدل والمساواة في تاريخ الانسانية ؟

سابق محمد بن عمرو بن العاص ، فاتح مصر وواليتها المعروف ، فتى قبليا ففاز القبلى ، فغاظه ذلك فضربه بالسوط وهو يقول : خذها وأنا ابن الاكرمين ! ثم حبس القبلى خشية أن يشتكى الى الخليفة عمر ، المعروف بصرامته وتشدده في ضمان العدل للجميع ، ولكنه استطاع أن يقلت ووصل الى عمر ، واشتكى له ، فأرسل عمر يستقدم واليه ابن العاص وابنه ، فلما وصلا الى المدينة تناول عمر الفتى القبلى درة وقال له : « اضرب ابن الاكرمين ! » فأخذ يضرب وعمر يردد : اضرب ابن الاكرمين ثم قال له : « أجلها الآن على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك ابنة الا بفضل سلطانه » . فقال الفتى القبلى : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ، فقال عمر : « انك والله لو ضربته ما حلنا بينك وایاه » والتفت الى عمرو مغضبا وقال له : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ » .

وحادثة على بن أبي طالب واليهودى ، فقد خاصم يهودى على بن أبى طالب الى عمر فقال عمر : « قم يا أبا الحسن واجلس أمام خصمك ، فقام على رضى الله عنه وسأوى خصمه وقد بدا التأثير على وجهه ، فلما انتهت الخصومة قال عمر : كرهت يا على أن تجلس أمام خصمك ؟ فقال على : كلا ، ولكن كرهت أنك لم تسو بيننا حين قلت « يا أبا الحسن » ، حيث أن الكنية تعظيم .

وقد تخاصم الخليفة عمر مع شخص فى قضية أمام رجل اسمه شريح اختاره خصم عمر ، وحكم شريح على الخليفة عمر ، فسماه عمر قاضيا على الكوفة وبقي كذلك ستين سنة .

وهكذا استمر الخلفاء ورجال الاسلام من بعد عمر ، وأختم هذه السلسلة بمثل واحد ، فقد تخاصم الامام على ، وهو أمير المؤمنين ، مع يهودى بشأن ذرع ، كل منهما يدعى أنها له ، فذهبا الى شريح المذكور وحكم أنها لليهودى ، بعد أن سأله البينة فعجز ووجه اليمين على الخصم فقال له القاضى « البينة على من ادعى واليمين على من أنكر » وهنا استغرب اليهودى وقال : قاضى أمير المؤمنين يحكم لى عليه ! ونطق بالشهادتين .

وجاء الاسلام ثورة على الرشوة واستعمال النفوذ للاثراء ، فقرر الخليفة عمر مبدأ وضع السؤال من أين لك هذا ؟ وطبقه على الصحابة الكبار مثل أبى هريرة ، وخالد بن الوليد ، وعمر بن العاص ، وأمثالهم مع بعدهم عن الشبهة ولكن ليكونوا عبرة ولا نذكر هنا الا جملة من رسالة بعث بها الى واليه على مصر عمرو بن العاص ، اذ قال له « انه قد فشت لك فاشية من متاع ورقيق وآنية وحيوان ولم يكن لك حين وليت مصر » ! ولما أجابه ابن العاص أنه يتعاطى التجارة والزراعة الى جانب وظيفته ، منع عمر ذلك منعا باتا ، وأنشأ منع ازدواج العمل لموظفى الدولة ، ثم أرسل عمر الى ابن العاص يقول له : « انى وجهت لك محمد بن مسلمة ليقاسمك مالك وارجاع النصف الى بيت المال » .

وفى عهد كاسيستر فيه التعصب الدينى والطائفية كانت القاعدة الذهبية للاسلام هو التسامح المطلق ازاء الاديان والطوائف ، وذهب فى ذلك الى حدود لم

تبلغها أية حضارة أخرى ولم يعمل بها أى دين آخر ، فكان بذلك ثورة استغرب منها رجال الديانات الاخرى !

وقد كان أساس ذلك الآيات القرآنية العديدة التى تحت على ذلك ، وذكرت المعابد غير الاسلامية مقرونة بالمساجد ، وحادثة عمر مع صفر نيوس ، رئيس النصرانية فى القدس ، فى كنيسة القيامة، أشهر من أن أذكرها هنا بالتفصيل .
' واين نحن مما صار ويصير بمقدساتنا ومنها المسجد الأقصى ، وكلنا نذكر الحريق الاجرامى الذى تعرض له والذى تتعرض له يوميا مقدسات أخرى فى فلسطين المحتلة ؟

صور من الملتقى



الرئيس فى جلسة من جلسات الملتقى فى قصر الامم ويظهر على يساره الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر - وعلى يمينه السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية

والآيات الواردة في حرية العقيدة عديدة ، وقد ذهب المسلمون في العمل بالآيات الدالة على التسامح مثل : « لا اكراه في الدين » ، « ولكم دينكم ولي دين » ، و « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » الى حد أنهم قبلوا حتى بتغيير من كان قد غير من أبنائهم لعقيدتهم ، ومثل هذا في ذلك الوقت ، بل وحتى الآن في كثير من أنحاء العالم ، أقصى ما يتسامح فيه ، بل لا يقبل بحال !

وجاء الاسلام ثورة على الربا وجميع صور تكديس الثروة في أيد قليلة تفرض حكمها وجبروتها ، ففي سورة الحشر وزع المال على طوائف المسلمين وفي صالحهم « لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » ثم علل ذلك بقوله تعالى : « كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » أى متداول بينهم ، محتكرا عندهم دونكم ، كما نراه اليوم مكدسا في بنوك الدول الغنية ، وسلطة قاهرة على رؤوس الضعفاء من الدول والافراد .

فالاسلام لم يجعل كل المال لصاحبه ، بل جعل فيه حقا معلوما واجبا أن يؤخذ طوعا أو كرها . وواجب على المسلمين ، دولا وأفرادا ، اطعام الجوعان ، واكساء العريان ، وسد كل حاجة معقولة ، وهو واجب وليس منحة فقال : « والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » ، وقال تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . » وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « طعام الواحد يكفى الاثنين ، وطعام الأربعة يكفى الثمانية » وقد فسر عمر هذا الحديث على أن الضرورة تجعل هذا الاقتسام فرضا وفرض عين .

وكان أبو ذر الغفارى يستنتج من الآية : « والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » أن كل مال مجموع يفضل عن القوت وسداد العيش فهو كنز ، وإن آية الوعيد نزلت فى ذلك .

وقال الرسول « ان الأشعريين اذا أرملوا فى الغزو أو قل طعام عيالهم جمعوا ما كان عندهم ثم اقتسموه بينهم فى اناء واحد بالسوية . فأنا منهم » .

ويروى عن الرسول في اشتراكية أصناف المال بين أفراد الأمة عن أبي سعيد الخدري ما يلي : « بينما نحن في سفر مع النبي إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا (أى مختالا وهو ينظر الى المشاة) فقال له الرسول : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » ، فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد في فضل » .

وقال عمر : لو عشت لأخذت فضل أموال الاغنياء فرددتها على الفقراء ، ليس أحد أحق بهذا المال من أحد ، سألحق أو اخر الناس بأوائلها ، وليأتين المرأة في صنعاء نصيبها من هذا المال ، ولأطوفن بالأمصار فأقيم بكل قطر شهرين ، فأنى أعلم أن للناس حوائج تقطع ، أما عمالهم فلا يرفعونها الى ، وأما الناس فلا يصلون الى » .

وهناك باب يسمى « الحق سوى الزكاة ، أى للدولة أن تأخذ من الاغنياء للفقراء أموالا زيادة عن الزكاة ، وروى الامام على عن الرسول أنه قال : « ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم » . وعلق ابن حزم على الحديث فى « باب الحق سوى الزكاة » بمايلى : « فرض على أغنياء كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ، ويجبرهم السلطان على ذلك ان لم تقم الزكوات بهم » . وأفتى هو وغيره من العلماء بدية من مات جوعا بين قوم واعتبره قتيلا لهم عليهم ديته . ومن أقوال الرسول : « ان الله يفيض البذخين الفرحين » أى المترفين الذين يتباهون بفناهم وترفهم .

والحديث المشهور : « الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلا والنار » ، قد أنشأ الاشتراكية الأولى ، اشتراكية الاسلام ، لفظا ومعنى ، واذا كانت النار هى الطاقة اليوم ، وما فى حكمها من كنوز طبقات الأرض ، فان الكلا والماء يشملان الأرض أيضا .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه » ، وفى حديث آخر : كنا نخابر على عهد رسول الله فنصيب القصرى فقال النبي « من كان له أرض فليزرعها أو ليحرثها أخاه أو فليدعها » والقصرى هو

نوع من الحماسية عندنا ، وهى بقايا السنايل بعد الحصاد ، فنهى الرسول عن ذلك وقال فليحرثها أخاه أى بدون مقابل ، أو « فليدعها » لبيت مال المسلمين . أى الدولة ، وتعطيها افساد للمال ، والله لا يحب الفساد .

وحدث أن أقطع الرسول قطعة أرض لأحد الناس ، ولما جاء عمر الى الخلافة علم أنه تركها بورا ، دون أن يزرعها ، فاستدعاه عمر وأنذره بالزرع أو الرد ، فلما لم يوف انتزعها منه وأقطعها لمستحق يفلحها ، ولما عارض الرجل ذاكرها بأن الرسول أقطعها أياه ، عنفه عمر وضربه بدرته .

ومثل آخر حى من أعمال عمر ، فقد كان الرسول أقطع أرضا لأناس من بنى مزينة لا يملكوها فحسب ، بل ليعمروها ، فان لم يعمروها اعطيت لغيرهم كى يعمروها ، وحيث أن بنى مزينة لم يعمروا أرضهم هذه فجاء أناس آخرون فعمروها ، ولما اختكم الفريقان الى عمر بن الخطاب قال : « من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنين لا يعمرها فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها » .
حضرات السادة

وفى مجال آخر ، هو مجال حقوق المرأة التى يتكلم عنها اليوم كثيرا وتنسب الى أوروبا الحديثة ، فلم يكن الاسلام أقل ثورية ، فضلا عن مزية سبق .
فقد كانت المرأة بضاعة فى ذلك الوقت فى أنحاء العالم ، ومنها فى الجزيرة العربية ، وحتى لدى اليونان لا تجد فيلسوفة واحدة ، ولا مهندسة واحدة ، ولا طبيبة واحدة مشهورة ، بل ولا حتى شاعرة واحدة معروفة ، ماعدا صافو ، ربما !

ولما جاء الاسلام قوض تلك العادات فى الجزيرة ، واعطى المرأة حقوقها فى جميع البلدان التى شملها ، فى مجال التصرف فى مالها ، وفى الاحتفاظ باسمها بعد الزواج ، وفى حرية التعاقد والتجارة وغيرها من المجالات الاقتصادية .
ولا تزال كثير من هذه الحقوق لا تتمتع بها فى أرقى البلدان الاوروبية ، وبعضها ، مثل الاحتفاظ بالاسم بعد الزواج ، لا تملكها المرأة فى أى منها !
وكانت ثورة الاسلام فى مجال الأخلاق وتطهير المجتمع من الأدران ، التى علقت

به من رواسب الوثنية ، والجاهلية ، ومظاهر الترف ، والبذخ ، والانحلال ، الموروثة عن الامبراطوريات المجاورة والحضارات السابقة ، لا تقل عن ثورته فى المجالات الأخرى .

فقد جعل الاسلام الاخلاق فى قمة الاهتمامات ، وقال رسوله : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » ، وشهد له الخالق اذ قال : « وانك لعلى خلق عظيم » ، اذ لا مجتمع يبقى بدون أخلاق ، ولا حضارة تدوم اذا لم تتمسك بها ، والتاريخ يدلنا أن بداية التسامح فى القيم ، واختلال الموازين ، وانعكاس الاوضاع ، وضعف الاخلاق فى أى مجتمع كان وفى أية حضارة كانت هى بداية انهيارهما ، وفاتحة سقوطهما وامحائهما .

على أن الاخلاق هنا لا تعنى الامساك عن العمل ، والتنسك والتزهد ، وحرمان النفس من متاع الحياة الدنيا ، والظهور بالمظهر السلبي الرخو ، والاعتماد على الغير ، بل تلك الاخلاق الايجابية ، البناءة ، على أساس يجمع بين الدين والدنيا ، وقد عرف عن عمر أنه ضرب مرة بدرته شابا كان يظهر النسك والزهد ، والتماوت فى مشيئته وقال له : « مالك تتماوت فى مشيئتك ، أتمم علينا ديننا أمانكم الله » .

وقاعدة الاسلام فى هذا تتلخص فى القولة المشهورة : « اعمل لدينك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .
حضرات السادة الاساتذة ،

مرة أخرى أود أن أشكركم على استعدادكم لتحمل وعناء السفر لاثرء هذا الملتقى ، وارضاء تطلعات هذا الشباب المتحمس الى الثقافة والعرفان ، فمرحبا بكم مرة أخرى وشكرا ، وأتمنى لكم مقاما طيبا فى بلادنا ولقاءات أخرى فى ربوعها .
وأتمنى يا شباب الملتقى ، لكم أود أنؤكد على ضرورة العمل على الاستفادة الى أقصى الحدود من هذا المهرجان التاريخى ، الفلسفى ، الحضارى ، لا بالاستيعاب فقط ، ولكن أيضا بالمناقشة واثارة المواضيع ، . وأخيرا أتمنى لأعمالكم جميعا مطلق النجاح .

والسلام عليكم

صور من الملتقى



الرئيس لدى استقباله للملتقى في قصر الشعب ويرى على يساره السيد شريف بلقاسم عضو مجلس
الثورة ووزير الدولة - وعلى يمينه د محمد محمد الفحام شيخ الأزهر - والسيد مولود قاسم وزير التعليم
الأصلي والشؤون الدينية

الإسلام

صالح

لكل زمان

ومكان



د. محمد عبدالفتاح
شيخ الأزهر

جاء الإسلام والمجتمع الانساني في
في اشد ازماته العازبة ، التي احاطت به
من جميع نواحيه من الناحية الدينية
والسياسية والاجتماعية والاخلاقية .

والذى يستقرئ التاريخ يقف على
اسوأ ما روى .

فالمانوية والمزدكية وغيرهما من ديانات
واباحيات ، سادت الدولة الفارسية ، حتى
لقد حقق بعض ملوكها اغراضهم بسم
عيون آبائهم وابنائهم واخوانهم .

وكذلك كانت المآثم والمغزيات ، وسيلة
المدارج التى صعد عليها ملوك الرومان
وملكاتها أمثال « نيرون » .

والرسوم الباهتة ، والطقوس البالية ، هى كل ما تبقى من اليهودية والنصرانية اللتين استحكمت بينهما العداء .

حتى لقد بلغ من عداء اليهودية للنصرانية ، أن اشترى اليهود من الفرس ثمانين ألفاً ممن أسروهم من الرومان ، ثم عرضوا رقابهم وبطونهم على الاسنة والحراب ، فى وحشية تبخت كل مقاييس الوحشية .

وكان رد الرومان أن حقروا شعائر اليهود ، وشرعوا التشريعات لاذلالهم وابادتهم .

وكان موسى وعيسى - عليهما السلام - لم يأتيا بالخير والرحمة والسلام .

والحال فى المجتمع العربى ، لم تكن بأحسن منه فى غيره ، فحياتهم خمر وميسر ، وسلب ونهب ، وأنصاب وأزلام وقتل وواد بنات وحرمانهن من الميراث ، وبلايا ، والبلىة هى النوق التى تربط على قبر الميت من غير طعام ولا شراب يقدم اليها حتى تموت ، وكانوا يزعمون ان هذه النوق هى التى تكون مطايا لهم يوم القيامة والا حشر ماشيا .

وهم بالاضافة الى هذا وغيره كانوا يقدسون الكعبة ، وفى الوقت نفسه يحيطونها بثلاثمائة وستين صنما أو أكثر يعبدون هذه الاصنام ، وفى الوقت نفسه لا يعترفون لها بالقوة الخالقة المبدعة .

ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض ؟ ليقولن الله .

فلم تعبدونها ؟ ليقربونا الى الله زلفى .

وسط هذه المتناقضات والضلالات ، وقد ادركت كل المجتمعات تمزقها الأهواء والأغراض وتطحنها النزوات والأمراض .

وسط هذا المجتمع الكبير العليل الحائر وقد اشتدت عليه النوبة تلو النوبة ، والأزمة اثر الأمة .

انبعث من بطحاء مكة ذلك الصوت الرهيب العميق ، المزلزل المجلجل المتأدى
بـ (لا اله الا الله ، محمد رسول الله)

بهذه الكلمات المدوية صرخت الجموع الزاخرة ، وارتجفت الأرض ، وتصدعت
لدويها الأسرة والتيجان .

وانطوت صفحة الأعوام فى يد الزمن ، وانطلق مجتمع الرعاية للغنم ، والعباد
للصنم كما تنطلق الشهب لا يمسكها ممسك ولا يعوقها معوق ، الى المحيط الهادئ
شرقا ، الى الهند والصين ، الى اندونيسيا والباكستان ، الى جاوه والفلبين ، وإلى
الأطلنطى غربا ، الى اسبانيا وايطاليا ، بقيادات قتيبة بن مسلم ، وموسى بن
نصير ، وطارق بن زياد ، وعقبة بن نافع الذين احتملوا ما احتملوه ، فما ردتهم
بحار ، ولا صدتهم جبال ، ولا نال من عزائمهم وقوة ايمانهم سموم صيف ولا
زمهرير شتاء .

انطلقوا بكلمة التوحيد ، وبموازين العدل والحق والامن والسلام ، يصنعون
التاريخ ويخططون لعمارة الارض ، ينظمون المجتمعات فى أدق تنسيق ،
وأكمل تماسك ، وأتم عمران .

أجل ، لقد استطاع الاسلام خلال القرن الأول أن يبلغ بدعوته ما بين الشرق
والغرب وأن يضم تحت جناحيه أمما وشعوبا ، اختلفت لغاتها وألوانها ،
وتباينت طبائعها وعاداتها وطرق تفكيرها . وتلك حقيقة جديدة بالنظر والاعتبار ،
حقيقة لم يشهد التاريخ لها مثيلا فى حياة البشر على تلك الصورة من الشمول
والقوة ، والتصحيح الحكيم لموازين الفضيلة وقيم الأخلاق .

عرف التاريخ الاسكندر ، والمغول ، والتتار ، ونابليون ، وهتلر ، ولكن
حروب هؤلاء وفتوحاتهم وانتصاراتهم ، كانت محدودة ومطبوعة فى الوقت نفسه
بطابع القهر والغلب والتشفى والانتقام والتخريب والتدمير .

أما زخوف الاسلام فكانت موازين عدل وأمن ، ورحمة وحق وسلام .
جاء الاسلام وقد سما بالانسانية عن ان يكون قيام مجتمعاتها على أساس من

العصبية الجنسية او الاقليمية، أو نحوهما مما يدفع الى الدمار والبوار ، وطمس معالم السعادة والتعاون بل جعل الأساس الذي تركز عليه صروح المجتمعات هو : الاعتصام بمبدأ الخير العام والعدل المطلق والرحمة الشاملة .
(ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) .

ومما لا شك فيه ، ان هذا الأساس الذي أرسى الاسلام قواعده ، انما هو المحور الذي تدور حوله المجتمعات بألوانها وأجناسها ومعتقداتها ، تسعد وتنعم وتشعر بالوحدة كلما كانت قريبة من منطقة الجاذبية من هذا المحور : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم) الحجرات 13 .

فالاسلام اذ يشير الى أصل المساواة ، ينفي أن يكون اختلاف الناس الى شعوب وقبائل ومجموعات ، بمنزلة للمفاضلة بين الأفراد، كما قد ينادي به الفكر المعاصر ، بل ، ينظر الى هذا الاختلاف على أنه سبب للتعارف وليس للتخاصم والتنازع والتصارع السائد بين الأبيض والأسود والعامل الكادح ، وصاحب العمل الثرى ، كما يحكيه واقع المجتمع الانساني اليوم

ان المذاهب الفلسفية التي تتزاحم لتبرير هذا الصراع أو ذاك ، على أساس من اللون الأبيض والأسود، والذي لا يعدو في واقعته أن يكون أثرا من آثار الجو والعوامل الجغرافية أو على أساس من الغنى - وهو عرضة للزوال - أو الفقر وقد يتغير الى ضده ، أو على أساس من الأمية التي قد تزول ، أو الثقافة التي قد لا يتصور صاحبها السلوك الحسن كما يتصوره الأمي .

فهذه المعايير ، وهذه المقاييس لا تصلح أبته أساسا للمفاضلة في المجتمع الفاضل لأنها لا تنبثق عن الطبيعة البشرية ، التي هي أصل المساواة .

ومن أجل هذا التحيز ، أو من أجل سطحية الفلسفات المعاصرة ، كان رأي الاسلام هو الامثل والاحكم ، في مساواته للطبيعة البشرية ، بين جميع الأفراد ، فهم أمام الله سواء هو ربهم وهم عباده ، ولا مجال في هذه المساواة التي أرادها

الاسلام لمثل هذه الحواجز أو الفوارق، الناس سواسية كأسنان المشط ، لا أبيض ولا أسود ، لا أرى ولا غير أرى ، لا غربى ولا شرقى (يأبها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ، ان الله كان عليكم رقيبا) أول سورة النساء . لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير .

وليس وراء هذه النصوص دعوة للأخوة البشرية العالمية على أساس من الرحم والدم .

الاسلام هو الذي يقدم للناس التفكير الثوري الذي يؤدى الى وحدة الجنس البشرى والتقارب بين الاجناس والالوان وفى هذا يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه «الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله» رواه البزار عن أنس رضى الله عنه .

ويقول : «اللهم ربنا رب كل شىء ومليكه ، أنا شهيد أنك الله وحدك لا شريك لك اللهم ربنا رب كل شىء ومليكه، أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك، اللهم ربنا رب كل شىء ومليكه ، وأنا شهيد أن العباد كلهم أخوة » رواه أحمد وأبو داود. فالاسلام هو دين العالم حقا وصدقا ، دين فى نظرتة للامور وعلاجه لها لا يجيز مطلقا قيام الحدود والحواجز ، ولا يميز بين أفراد الطبقة البشرية ، الا على أساس من البلوغ فى المستوى الرفيع منها ، والسمو الى المستوى الفاضل ، فى الانسانية التى كرمها الله (ولقد كرمنا بني آدم) الاسراء 70 .

من أجل هذا جعل الاسلام معيارا لافضلية (كثرة التقوى) ، (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) .

وكثرة التقوى ليست بحكم احد من الناس ، وانما يعلم الله نفسه وخبرته ، ولذا كان التعقيب فى هذه الآية بقوله (ان الله عليم خبير) .

ومعالم التقوى قد حددها القرآن الكريم فى قوله : (ليس البر أن تولوا

وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر ، والملائكة والكتاب والنبیین ، وآتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساكين ، وابن السبیل والسائلین وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم اذا عاهدوا ، والصابرین فى البأساء ، والضراء وحین البأس ، أولئك الذین صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة 177 .

فالاسلام الذی یهدف الى جمع البشر كافة تحت رایة واحدة ، وفى ظل تلك الخصائص الممیزة هو بالنسبة لهذا العالم الذی مزقته الاهیواء وطحنته الاحقاد ، رسالة الحیاة ، وأملها المرجى ومستقبلها المزدهر .

ذلك انه الدین العالمی الذی لم یقتصر على جنس بعینه كما اقتصرت الدیانة الاسرائیلیة على بنی اسرائیل ، الذین يتحدثون عن الله كإلاه لبنی اسرائیل من دون الناس خاصة ، وانه قد اختارهم لنفسه شعبا فوق كل الشعوب .

ولهذا فالدیانة الاسرائیلیة جنسیة ، وقومیة لفصیلة من الفصائل البشریة ، تخالف بین نفسها و بین سائر الاجناس الاخری

والدیانة المسیحیة فی ذاتها ، اذا تصفحنا الانجیل نراها قد نشأت فی الاصل دیانة محلية بحتة ، لا صلة لها ببقیة شعوب العالم ، فالمسیح يتحدث عن نفسه فی الأناجیل المختلفة باعتباره مصلحا لتصوص العهد القدیم ، ومفسرا لها ، ومرشدا لبنی اسرائیل خاصة من دون الناس وفى المعنى الاول یقول « ما جئت لأهدم الناموس بل لأكمله » وهو یعنى بالناموس کتاب العهد القدیم أو التوراة . وقد نبه على تلامذته وحظر علیهم ان یبشروا بتمالیمهم فی غیر صفوف بنی اسرائیل وذلك بقوله « الى طریق أمم لا تمضوا والى مدینة للسامری لا تدخلوا بل اذهبوا بالحرى الى خراف بنی اسرائیل الضالة » متى : الاصحاح العاشر .

واذا كانت المسیحیة قدر لها ان تنتشر فیما بعد ، فقد كان ذلك عمل تلامذة المسیح واجتهادهم .

وعلى الرغم من ذیوعها وانتشارها لم تستطع فی العمل والتطبیق ، أن تقضى

على الفوارق الجنسية ، وان توحد بين الشعوب على اساس الدين ، فما تزال ارقى الدول التي تدين بالمسيحية تنظر الى السود باعتبارهم جنسا منحطاً لا يرقى الى مستوى البيض ، ويكفى أن يكون الانسان أسمر الوجه لكي يسقط اعتباره عند الانجليز ولو بلغ من العلم والمكانة أرقى الدرجات، والآرية وكيف تعصب لها الالمان والزنج وكيف عاملهم ويعاملهم الامريكان .

ان هذه الروح الجنسية لا اثر لها في ظل الاسلام ، وما خاطب مرة صاحب الرسالة عليه السلام بنى قومه ، وما هتف بعروبته ، وما اعتز بفصيلته ، بل جاء القرآن يخاطب الناس وكل من آمن في هذه الدنيا « قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً » « وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً » ، « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

ان الاسلام كما آخى بين البشر جميعاً على اختلاف ألوانهم وأجناسهم ومرتبهم دعا كذلك الى المؤاخاة بين الأديان كلها ، ودعا الى احترام جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلم أتباعه أن تعاليم الأديان كلها تنطوى على جوهر الحقيقة التي انتقلت اليها عبر القرون ، وتضافر على ابلاغها للبشرية الأقبياى والمرسلون ، الحقيقة التي تتلخص فى وحدانية الله ، ووجوب التقرب اليه بصالح الأعمال ، هذا هو الاسلام ، وهذا موقفه من سائر الأديان .

فأى تعاليم كهذه التعاليم ، تحمل من اعتنقها على احترام الديانات الاخرى واحترام كتبها ورسائلها ، وأى مسلم يجرؤ بعد هذه الارشادات المحمدية ، والتعاليم الربانية ، الا يصلى ولا يسلم على عيسى اذا سمع اسمه ، ولا يصلى ويسلم على ابراهيم اذا سمع اسمه ، وموسى اذا سمع اسمه .

وأى ارتياح ؟ وأى ابتهاج يملأ نفس المسيحي واليهودى وهو يرى المسلم يثنى على اعلام دينه ، ويكرمهم مثل ما يكرم اعلامه .

ان الاسلام قد دل بذلك على أنه حقاً آخر الأديان ، وان محمداً حقاً هو خاتم النبيين فهذه المصالحة هى مهمة لا تنسب الا الى المتأخر (قولوا آمنا بالله وما أنزل

الينا ، وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط ، وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) البقرة 136

وهكذا يفتح القرآن الباب على مصراعيه لاحترام كل اسم يقرع مسامع المسلم على انه نبي من الأنبياء ، كما يفتح باب التعاون والتفاهم والتصادق بينه وبين صاحب أى عقيدة أخرى ، غير الاسلام اذا رغب في الاصلاح والبحث عن الحقيقة التي لا يشوبها التبديل والتغيير ، على ضوء تعاليم الاسلام المهيمن على سائر الاديان . وقد أمر الاسلام أتباعه أمرا ، ألا يجادلوا أصحاب الديانات الأخرى الا بالتي هي أحسن (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن) العنكبوت 46 .

والاسلام قد نجح في هذه الغاية نجاحا بعيدا ، فقد أسرع أصحاب الديانات الأخرى الى الدخول في دين الاسلام أفواجا لاتباعه هذا الأسلوب ، وتركه الحرية التامة المطلقة لكل صاحب دين أن يبقى على دينه ، فلا مصادرة ، ولا اضطهاد ، لأن ذلك من شأنه ان يحمل الانسان على التعصب لوجهة نظره ، أما التسامح فهو السبيل الوحيد لتقريب وجهات النظر (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) .

فلو ان الاسلام جاء مسفها للأديان الأخرى ، محقرا لكتبها وأعلامها ، لسدت الآذان عن سماع دعوته ، ولما وجد طريقه الى القلوب مثل ما وجد الموقف الذي يقفه الاسلام من سائر الأديان الأخرى ومن أربابها ، فهو يقف موقف العليم الرحيم ، لا موقف المتفطرس المتكبر المستبد .

الاسلام يكفل حرية الفرد فيما يعتقد فلا يكره انسانا على أن يدخل فيه ، لأن ذلك يصادم طبيعة الحياة التي يعيشها الانسان على الارض ، كما يصادم طبيعة الانسان الخاصة التي كرمها الله في الخلق والتصوير ، « وصوركم فأحسن صوركم » كما زودها بخصيصة الادراك والشعور « انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا » الانسان 2 .

وادراك الانسان في حكمه على ما يرى أو يسمع أو يفكر انما يقوم على الترجيح

فيما يراه من الصواب فيستحسنه ، فلو أكره الانسان على الايمان بشيء ما ، لكان في هذا الاكراه مصادرة لطبيعته وتصادم مع ميزة الادراك ، والترجيح التي حباه في خلقه وتصويره .

والقرآن الكريم يؤكد حرية الفرد في اعتقاده بايمانه على الصورة التي ارادها مبدع الكون وخالق البشر ، فصاحب الرسالة ، صلوات الله وسلامه عليه ، وان دار بخلده ايمان جميع الناس ، فارادة الله نافذة وفوق كل ارادة ، « ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » يونس 99 .

الاسلام أكد حرية الفرد في اعتقاده ، ودعا الى الايمان عن طريق الاقتناع بالأسلوب الانساني المذهب الكريم ، فلا مجادلة الا بالتي هي أحسن ، ولا الغاء لذاتية الفرد لمنفعة شخص آخر ، ولا تزويب لشخصية انسان في شخصية انسان آخر ، فالزوجة غير المسلمة ، يحرص الاسلام على استقلالها في جميع شؤونها المالية الخاصة بها ، ويحرص على حرية اعتقادها ، ويمنع زوجها المسلم من حملها على الاسلام دون نظر واقتناع ، مع حرصه على أن تزدهر علائق الود بين الزوج والزوجة ، فالاسلام بأحكامه هو الدين الوحيد ، الذي يقبل البحث والنظر العقل .

أما أحكام الديانات الاخرى فيلزم قبولها بدون مناقشة ، ولا رأي للعقل فيها ، لأنها ضرورة مذهبية ، بحيث يقول المؤمن بها (أؤمن بها لأنها محال) أي بلا مناظرة ، أي بالاكراه فكل ما يقرره البابوات وآباء الدين تبرير لأحكامه المقدسة التي يجب اتباعها ، فلا مناقشة ولا مناظرة فالطاعة على العامة والسلطة للقسوس .

نحن لا ننكر - كما سبق - ديانة موسى وعيسى عليهما السلام ، ولكننا ننكر صلاحيتهما في بناء المجتمعات ، كما أوضحنا ، ولخصوصيتهما ، ولما طرأ على التوراة والانجيل من تحريف وتصنيف .

فالثابت أن التوراة التي كتبها عزير كما يعترف اليهود انفسهم قد ضاعت

فى زمن بختنصر والتى كتبها أبحار اليهود ضاعت أيضا فى الأزمنة الأخرى ،
والثابت أيضا كما يعترف النصارى ان مئات من الكتب كانت موجودة بدعوى
انها ذلك الكتاب المقدس ، ثم هبط عدد الاناجيل فى القرون الوسطى الى أربعة
وخمسين ، ثم اختاروا منها أربعة فقط هى الموجودة حاليا فى الكنائس ، ونحن
نعلم ان الحقيقة لا تتعدد ، فلا شك اذا ان ما هو موجود من الانجيل والتوراة
مشكوك فى متونها ، وليس هناك يقين بصحتها .

وهذا الاستدلال العقلى يؤكد ما جاء فى القرآن والسنة ، من النصوص القاطعة
بتحريف وتبديل النصارى واليهود لكتبهم .

أما القرآن فان الدارس لتاريخه تتضح له الحقيقة الثابتة المذهلة ، حقيقة حفظه
كما أوحى الى محمد - عليه الصلاة والسلام - وكما لقنه لأتباعه ، وحقيقة
وصوله الى الأجيال المتعاقبة سليما من كل تحريف أو نقص أو زيادة ، مبرا من كل
الشكوك التى دبت الى غيره .

فالانسان مهما طوف فى المعمورة من الأرض ، فلن يجد الا نصا واحدا للقرآن
بل مهما رجع الانسان الى الوراء فى تاريخ المسلمين حيث لا تزال مصاحفهم محفوظة
ومنشورة فلن يجد الا النص نفسه والكتاب عينه .

ولهذا قطع أحد المستشرقين الذين تصدوا لدراسة الاسلام وهو (السير وليم
موير) بأن القرآن قد بين كل ما يعرف العالم من كتب مقدسة من حيث صحة
نسبته الى قائله ، وسلامة نصه على مرالايام ، من كل زيف وتحريف ، حيث قال
(والأرجح ان العالم كله ليس فيه غير القرآن ظل هذه القرون الطوال بآياته
الدقيقة فى ضبطها كما تلاها محمد) .

وهكذا انفرد بشهادة العلماء من غير المسلمين ، بمحافظته على سلامة نصه ،
على اختلاف العصور وتعاقب القرون ، وعلى تباعد البيئات واختلاف الأحزاب
والقوميات ، والجنسيات التى تدين بالقرآن .

واذا كانت نصوص القرآن المادية ، قد ثبتت على الزمن وسلمت من التحريف

والتعاليم ما تسعد به كل المجتمعات لو سارت على نهجه ، فلي تأمل كل منفلت قوله تعالى (وان ليس للانسان الا ما سعى) (وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين)

وقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

ان احكام الاسلام لا تعوق الباحث والكاشف عن الغايات التي تفتحها امامه اشواط العلم والحضارة ، بل تدعو الى البحث والكشف وفتح المغاليق ، مع عدم الارتداد الى الحيوانية ، وفقد البشرية لمستواها المذهب .

الاسلام يريد أن يجعل العلم وسيلة الايمان بالله والتعرف عليه .

وبذلك تتحقق الرقابة الذاتية المانعة التي تخلع عن المنكر وتمصم النفس من شرها وهواها كما تتحقق القوة الذاتية التي تدفع النفس الى فعل الخير في معية الله الذي تشعر بوجوده وتؤمن ببقائه وحسابه ، فتسلم النفس من الشرك الذي ارداها وخسف بها (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ، فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق) الحج 210 .

ان الاسلام هو النور الذي يهدي التائهين الحائرين والمتخبطين في الظلام ودنيا المادية البحتة ، التي تدفع من يسير فيها لا الى افكار غير المادى فى الوجود فحسب ، بل تدفع الى الجرائم والاعتداء والكذب وكل منكر ظهر أو خفي .

الاسلام لا يدعو الانسان لخدمة وجوده المادى الخاص ، وتأسيس حياته على المدة والرصيد وبسط نفوذه وسلطانه على الضعفاء ، فهو لا يشكر ربه على نعمه ، لان الهه فى نظره هو رصيده ، فهو يجرى ويجرى فى دروب الدنيا ويتكالب فى تحصيلها ، دون ما اشعاع روحى يكفكف من هذا الجموح يأخذ لنفسه كل حظ أتيج له منها لأنه فى غفلة أو لانه لا يؤمن بما بعدها ، وبهذه المادية يقطع كل

والتبديل فإن معانيه ومرامييه لم تكن أقل ثباتا على الزمن وصروفه من مبانيه ،
وهي خاصية أخرى من خصائص القرآن التي ينفرد بها من بين الكتب ، وآية
أخرى من آيات اعجازه .

فما أعجب ان يثبت القرآن بمعانيه بحيث لا يفقد جدته ، على الرغم من
التطور المستمر في دائرة المعارف البشرية وعلى الرغم من التحولات والانقلابات
التي شهدتها العالم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وما هو واقع الآن من
التطور المذهل الذي تضاعل أمامه انقلاب القرنين الماضيين .

ان العلم الجبار لم يستطع ، ولن يستطيع ، أن ينال من آيات القرآن ،
أو يلقي ظلا على بعض معانيه ، بل على النقيض من ذلك كلما اتسعت آفاق العلم
واكتشافاته ، كلما زادت آيات القرآن صلابة ووضوحا ، وكلما أزيح الستار عن
أسراره وألغازه .

حقا ان القرآن ليس كتابا علميا بالمعنى الفني ، فهو لا يتوفر على دراسة فرع
معين من فروع العلم ، ولا يبحث مسائله ومشكلاته ويمالج نظرياته ، ولكن
القرآن مع ذلك قد تعرض بصفة عامة لكل ما في الكون من ظواهر ومشاهد ،
ونواميس طبيعية واجتماعية ، وأشار الى الحياة والموت والى الكواكب والى النباتات
والى السنن الكونية مستحفا العقل البشري لاستكناه أسراره الطبيعية والجرى في
طلب الحقيقة ، والتفكر والغوص الى أعماق الاشياء بحيث لا يكاد يوجد علم من
علوم البشر لم يمسسه القرآن من قريب أو بعيد .

ومن الغريب ، ان يعتبر الغربيون اهل الشرق عامة والمسلمين خاصة من أتباع
مذهب الجبرية الذي اختاره فريق ضال من المسلمين فيحملوا تخلفهم وخمولهم
في الازمنة المتأخرة على هذه العقيدة ، بل ان بعض المنفلتين من العقيدة ينكرون
وجودهم التاريخي بذهابهم السقيم الى ان الاسلام مانع من الرقى والتقدم العلمى ،
وان الدخول ضمن الأمم الراقية يقتضى الالعاد .

ولا نتصور عمى وجدانيا ، كحسبان الدين مانعا من الرقى ، الدين الذى
يحرر العقل فينطلق فى آفاق الحياة حرا رشيدا ، الدين الذى يحوى من الحكم

صلاته بالناس فلا تعاون ولا تراحم ولا منفعة بل طغيان وجبروت وتفاخر وتكاثر وتكذيب بيوم الدين .

(فمن الناس من يقول ربنا آتينا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق) « نصيب » البقرة 200 ، (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار ، وحبط ما صنعوا فيها ، وباطل ما كانوا يعملون) هود 17 .

وكما لا يدعو الاسلام الى العنف في طلب الدنيا ، والتكالب في تحصيلها لخاصة النفس لا يدعو كذلك الى الروحية المطلقة ، ولا يدعو الى ترك الحياة الدنيوية والانقطاع عنها والانعزال من متعتها وانكار زينتها وطيباتها .

ان هذه الروحية البحتة لا وجود لها في القرآن الكريم الا في مقام اللائمة لتلك الطوائف التي ابتدعتها ، وتصورت مكنة تحقيقها (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) الحديد 75 . ذلك لأنها لا تلائم بحال طبيعة الانسان ولا تلائم طبيعة الكون .

ان الاسلام هو الدين العملي الذي ينظم بأحكامه واقع الانسان ، بما يجعله دائما في الحد الوسط الذي لا افراط فيه ولا تفريط ، وواقع الانسان جسم وروح ، وللجسم حظه ومتعته ، وللروح حظه ومتعته ، ولكي تكتمل سعادة هذا الانسان لا بد أن يستكمل حظي الروح والجسد معا في توازن واعتدال (ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) البقرة 20 .

ان صاحب هذا الدين - صلوات الله وسلامه عليه - لم يقل (بع ما تملك واتبعني) وانما قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله (انك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس) ان الاسلام كما رسم للروح طريق السعادة رسم كذلك للمادة طريق السعادة وأمر بتحصيل هذه المادة بما فيه خيرها ونفعها ، أمر بتحصيل المال من طريق فيها كل الخير للمجتمع ، وفي هذا ما فيه من نشاط وعمل وعمارة ومبادلة الى غير ذلك أمر بتحصيل المال عن طريق التجارة ، وعن طريق الزراعة ، وعن طريق الصناعة .

بل لقد بلغت عناية الاسلام بالمجتمع ، ان امر بتحصيل المال ، فور الفراغ من اداء الجمعة . (فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) الجمعة 10 (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) ، وكما حث الاسلام على تحصيل المال حث على تنظيم صرفه باعتدال ، وفى طرق الخير ، فلا اسراف ولا تقتير (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً) الفرقان 67 .

وكما حث على تحصيله وتنظيم صرفه نهى بشدة أن تكون مصادره من الطرق الملتوية وغير المشروعة من ربا وسرقة واغتصاب ورشوة .

وبهذا يمنع الاسلام من المجتمع المادى الشرور ، ويؤمن حقوق العباد ، اذ هو لا يحفز على زيادة الحرص والطمع المركوزين فى الفطرة البشرية ، بل يحفز على تعديلها ويحث على تليينها .

ان الاسلام فى كثير من الآيات يرفع الحجر عن الانسان فى التمتع بملاذ الجسم المعتدلة ويبيح له الطيبات فى مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه ، وفى خاصة نفسه من زوجة ومال وولد ، وينكر على من يحرم على نفسه شيئاً من ذلك مع القدرة عليه ، وفى الوقت نفسه يدعوه فى الحاح أن يتمتع روحه بالعلم النافع لخيرى الدنيا والآخرة ، عن طريق التلقى والقراءة ، وعن طريق التفكير والنظر ، عن أى طريق ، عن أى انسان ، ومن أى مكان

(يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ، كذلك تفصل الآيات لقوم يعملون) الاعراف 31 ، 32 . (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون) البقرة 172 . (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً انى بما تعملون عليم) المؤمنون 51 .

وبعد : فان منصب الهداية الذى تحول من بنى اسرائيل الى بنى اسماعيل منذ

أن جاء الاسلام من جوف الصحراء العربية بأسمى عقيدة فى الاله الواحد ، لن يعود أبدا الى بنى اسرائيل لأن اليهود فى شغل عنه ، ولا شأن لهم بالعالم وما يعاينه ، من أزمة روحية ودينية وخلقية ، فهم أبعد الناس عن الدين وعن الروح ، وعن القيم والمثل ، فحياتهم قائمة على المادة والمعدة والتنظيم الصناعى ، ومجتمعاتهم ناهضة على وصايا ميكافيلى .

واليهود فى اسرائيل قد حملوا معهم الى وطنهم المزعوم ثمرة الحضارة المادية ، ومعتزى الشرور والآثام ، وخلاصة الخبائث والقبائح ، وأصبحوا خميرة الفساد فى البر والبحر ، وأتعبوا العالم وأنهكوا قواه كما أتعبوا من قبل أنبياءهم ، الذين ينتسبون اليهم ويتبجحون بكثرتهم وقتلوا منهم زكرياء ويحيى عليهما السلام ، ولن ينتظر العالم الثورة على الفساد من المسيحية ، التى تعلم أتباعها نظريا بطريق غير مباشر وعمليا بممارسة تعاليمها ، أن يصلوا لله أيام الآحاد ، وان يفتكوا بمخلوقاته بقية أيام الأسبوع .

والا فهل من رسالة موسى وعيسى عليهما السلام اغتصاب الشعوب وسرقة الأمم ، وسفك الدماء وسلب الأموال ، وتشريد المواطنين ، وازهاق الحقوق وارتكاب المظالم .

ان منصب الهداية هنا عندنا نحن المسلمين ، ان الرسالة المحمدية حية خالدة وشاملة ، كاملة سائرة مع الزمن .

ان نهوض المجتمع الأكبر سيكون باذن من الله تحت لواء الاسلام الذى لا يقر الخرافة ولا يقر المعتقدات التى تنافى العقول السليمة ، والذى تركز مبادئه أساسا وقبل كل شئ على الايمان بوحدانية الله ، وبرسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وبالحياء الآخرة ، كتابه مفتوح يستطيع كل قارئ أن يصوغ حياته عمليا طبقا لما بين دفتيه غاية فى الوضوح والبساطة ، لا يوجد فيه للسلطة الكهنوتية التى تحتكر الدين ، بطرح الأفكار المجردة والطقوس المعقدة .

هذا هو دين الحياة المستقيمة ، دين الحياة الكاملة ، التى تنفى عن الانسان الهوان وتضمن له الأمن والسلام .

هذا هو الدين الذى مجده أحد الفلاسفة المعاصرين من غير المسلمين :

قال برناردشو : « انى أكن كل تقدير لدين محمد ، لحيويته العجيبة ، فهذا الدين هو دين الوجود ، الذى يبدو لى أن له طاقة هائلة لملاءمة أوجه الحياة المتغيرة والضالحة لكل العصور لقد درست حياة صاحب هذا الدين ، وفى رأى أنه يجب أن يسمى منقذ البشرية دون أن يكون فى ذلك عداء للمسيح ، وانى لأعتقد أنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى منفردا حكم هذا العالم الحديث لحالفه التوفيق فى حل جميع مشاكله بأسلوب يؤدى الى السعادة والسلام للذين يفترض العالم اليهما كثيرا . وانى أستطيع أن أتنبأ بأن العقيدة التى جاء بها محمد ستلقى قبولا حسنا فى أوروبا فى الغد ، وقد بدأت تجد أذانا صاغية فى أوروبا اليوم » .

نعم هذا هو دين الوجود ، والرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، تسعد به الانسانية كلما اقتربت منه وتشقى كلما ابتعدت عنه ، (فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا، ونحشره يوم القيابة أعمى، قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا ؟ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ، وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) طه 123 - 127 .

والصلاة والسلام على من جانا بخير دين سما وعز من اتبعه قط ، وذل من خالفه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صور من الملتقى



لقطة من جلسة الافتتاح : من اليمين الى اليسار : د بشير منتوري شيخ بلدية الجزائر - السيد محمد
ابن يحيى وزير التعليم العالي والبحث العلمى - السيد الطيبى العربى عضو مجلس الشورى ووزير الفلاحة
والاصلاح الزراعى

إلياذة الجزائر

نظمها خضيصا للملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى
— 13 جمادى الثانية الى 1 رجب 1392 هـ —

الاستاذ مفدى زكرياء

شاعر النضال السياسى الثورى
والكفاح التحريرى المسلح



نشيد الاناشيد أو اليأذة الجزائر

فى آخر الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامى فى السنة الماضية فى وهران أعلننا بأن السادس سينعقد بعاصمة الجزائر بمناسبة العيد العاشر لاسترجاع استقلالنا والذكرى الألفية لتأسيسها مع المدينة ومليانة على يدى بلكين بن زيرى .

ووفاء بوعدنا ، ركزنا جدول أعمال هذا الملتقى على التاريخ ، لمراجعته ، وكتابته من جديد . وتصفيته من جميع ما علق به عن روية وسبق اصرار من شوائب وتزييفات ، لمعرفة ماضينا ، والاستفادة من تجاربه فى بناء حاضرنا ومستقبلنا ، فى الجزائر ، والمغرب الكبير ، والعالم الاسلامى الأوسع .

ولهذا طلبنا من المناضل الكبير والشاعر الملهم ، شاعر الكفاح الثورى السياسى ، وشاعر الكفاح الثورى المسلح ، الأستاذ مفدى زكريا ، صاحب الأناشيد الوطنية « من جبالنا طلع صوت الأحرار » سنة 1932 م ، و « فداء الجزائر روحى ومالى » سنة 1936 م ، و « قسما » سنة 1955 م . وأناشيد وطنية أخرى مثل « اعصفى يا رياح » ، ونشيد الجيش الوطنى ، ونشيد العمال ، ونشيد الطلبة والذهب المقدس ... الخ ، الخ ، وبعضها وضعها فى سجن بربروس ، أقول طلبنا أن يضع لنا نشيدا جديدا يجمع هذه الأناشيد كلها ، ويشمل فيه وبه تاريخ الجزائر من أقدم عصورها حتى اليوم ، مركزا على مقاومتنا لمختلفة الاحتلال الاجنبية وعلى العهود الحضارية الزاهرة المتعاقبة ، وحاضرنا ومستقبلنا فى كفاحنا لاستعادة جميع ثرواتنا ، ومقومات شخصيتنا وحصانتنا ، وبناء مجد جديد لامتنا . وهذا ما فعله مفدى ، وسمينا نشيد الأناشيد هذا ملحمة الجزائر ، أو اليأذة الجزائر .

وقد وصلت الملحمة حتى الآن الى ستمائة وعشرة أبيات ، وستصل الألف قبل آخر السنة ان شاء الله ، وستستمر بعد ذلك استمرار الزحف البناء ، وستطبعها طبعة فنية جديدة بمحتواها وشكلها .

مولود قاسم

الفاذة الجزائر

أو

ملحمة الجزائر

أو

الفية الجزائر

| | |
|---------------------------|--------------------------|
| جزائر ، يا مطلع المعجزات | ويا حجة الله فى الكائنات |
| ويا. بسمة الرب فى أرضه | ويا وجهه الضاحك القسّات |
| ويا لوحة فى سجل الخلود | تموج بها الصور الحامّات |
| ويا قصة بث فيها الوجود | معانى السمو بروج الحياة |
| ويا صفحة خط فيها البقاء | بنار ونور جهاد الأباة |
| ويا للبطولات تغزو الدنيا | وتلهمها القيم الخالّدات |
| وأسطورة رددتها القرون | فهاجت بأعماقنا الذكريات |
| ويا تربة تاه فيها الجلال | فتاهت بها القمم الشامخات |
| وألقي النهاية فيها الجمال | فهمنا بأسرارها الفاتنات |
| وأهوى على قدميها الزمان | فأهوى على قدميها الطفّاة |

اللازمة

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساويحه من حنايا الجزائر

جزائر يا بدعة الفاطر
ويا بابل السحر ، من وحيها
ويا جنة غار منها الجنان
ويا لجة يستحم الجمال
ويا ومضة الحب فى خاطرى
ويا ثورة حار فيها الزمان
ويا وحدة صهرتها الخطوب
ويا همة ساد فيها الحجى
ويا مثالا لصفاء الضمير
سلام على مهرجان الخلود

ويا روعة الصانع القادر
تلقب هاروت بالساحر
وأشغله الغيب بالحاضر
ل ويسبح فى موجه الكافر (1)
واشراقة الوحي للشاعر
وفى شعبها الهادئ التأثير
فقامت على دمه الفائر
فلم تك تقنع بالظاهر
يجل عن المثل السائر
سلام على عيدك العاشر

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايبه من حنايا الجزائر

(1) الكافر هنا بمعنى السائر ومنه قوله تعالى « يعجب الزراع ليغيب بهم الكفار » ، وقول امام العاشقين عمر ابن الفارض يغائب الحبيب والليل :

ل فيك اجر مجاهد ان صح ان الليل كالفر

جزائر . يا لحكاية حبي
ويا من سكبت الجمال بروحي
فلولا جمالك ما صح ديني
ولولا العقيدة تغمر قلبي
اذا ما ذكرتك شع كياني
ومهما بمدت ، ومهما قربت
ففي كل درب لنا لحمة
وفى كل حى لنا صبرة
وفى كل شبر لنا قصة
تنبت فيها باليادتي

ويا من حملت السلام لقلبي ..
ويا من أشعت الضياء بدربي
وما ان عرفت الطريق لربي ...!
لما كنت أومن الا بشعبي !
واما سمعت نداءك الـبى
غرامك فوق ظنونى ولـبى
مقدسة من وشاج وصلب
مرنحة من غوايات صب
مجنحة من سلام وحرب
فأمن بى ، وبها ، المتنـبى !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايحه من حنايا الجزائر

أفى رؤية الله ، فكرك حائر
سل البحر والزورق المستها
وسل قبة الحور نم بها
سل الورد ، يحمل أنفاسها
وايبار تزهر بقديسها
تباركه أم افريقيا (1)
ويحتار بلكور فى أمرها
وفى القصبة امتدليل البهاري
وفى ساحة الشهداء تعالى (2)
وفى كل حى ، غوالى المني

وتذهل عن وجهه فى الجزائر ؟
م كأن مجاذيفه قلب شاعر !!
منار على حورها يتنامر
لميدر مثل المخطوط البواكر
رفائيل يخفى انسلال الجنادر
على صلوات العذارى السواحر
فتضحك منه العيون الفواتر
ونهر المجرة نشوان ساهر
مآذن تجلو عيون البصائر
وفى كل بيت : نشيد الجزائر ..

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(1) أم إفريقيا
(2) يعطى احدى التاوين (أصله : تعالى)

سل الأطلس الفرد عن جرجرا تعالى ، يشد السما بالثرى !
 فيختال كبرا ، تنافسه ثقبدا فلا يرجع القهقري
 تلون وجه السماء به فأصبح أزرقها أخضرا
 وتجتو الثلوج على قدميه ، خشوعا ، فتسخر منها الذرى
 هو الأطلس الأزلى الذى قضى العمر يصنع أسد الثرى !
 وتسمو بأوراس أمجاده فتصدع فى الكون هذا الورى
 فيا من تردد فى وحدة بمغربنا وادعى ، وامترى
 أما وحد الأطلس المغربى معاقلنا ، بوثق العرى ؟؟
 أما طوقتنا سلاسله فطوق تاريخنا الأعصرا ؟؟
 وكم فوقه انتظمت قمم فهل كان يعقد مؤتمرا ؟؟

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

تسلق ايمكورن واغز السها
 فيجبل هامان من صرحه
 وعانق بجاية فى نخوة
 وناج بزغواط سرب الظبا
 عجائبها السبع (2) لا تأتلى (3)
 ووادى الهوى والهواء بسرنا
 تهدده النسمات كأ
 وفى جبل الوحش تاهت بلادى
 قلو شاء ربك وصف الجنا
 اضاع بها ذو الحجبى رشده
 وطاول به سدره المنتهى !
 ويعجز أن يبلغ المشتهى (1)
 يعانق حناياك سر البها
 تناغك من حلق تيشى المها
 تتيه ، فيحتار فيها النهى
 يزكى مسيد (4) الهوى حفلها
 م تهدد - طوع الكرى - طفلها !
 شموخا ، فأحتى الزمان لها
 ن ، ليغرى الأنام ... بها شيها !!
 ولو لم يخف ربه .. ألها (5) ..

شفلنا الورى ، وملأنا الدنيا
 بشعر نرتله كالصلاة
 تسايحه من حنايا الجزائر

- (1) المشتهى : إشارة الى الآية « وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعل اطلع الى اله موسى »
 (2) عجائبها السبع : فى الطريق الساحلية الرابطة بين بجاية وجيجل
 (3) لا تأتلى ، أى لا تنفك ، ومنه قول ابن دريد فى مقصورته « لا تأتلى تسفع اثناء الحشى »
 (4) المراد به حوض سيدى مسيد بقسنطينة
 (5) هذا تصوف وليس كفر ، وهو على مسؤوليتى الخاصة لانى اعتبره ايمانا كقول فى بعض ملاحمى الثورية :
 « وتكلم الرشاش ، جل جلاله »

أمانا ، ربوع الندى والحسب أمانا تلمسان ، معنى الأدب
تماوج وهران فى أصفرينك (1) وفاس ، فأبدع فيك النسب
وتاه الوريط بشلاله يلقن زرياب معنى الطرب
وأغرى الملوك بحب الملو ك فأخلص فى جها كل صب
ولولا عناصر مليانة وعين النسور لكنت العجب
تلمسان ، أنت عروس الدنيا وحلم الليالى ، وسلوى المحب
بحسبك ، هـالم أبو مدين وفى معبد الحب شاد القبيب
وأجرى بك الروم ساقية (2) بها أسكر الحسن بنت العنب
وفى مشور المجد (3) أذن موسى (4) وخلد زيان (5) مجد العرب
ونافح فردوسك ابن خميس (6) ويحيى ابن خلدون (7) فيك التهب

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايبه من حنايا الجزائر

(1) المر. باصغريه قلبه ولسانه

(2) ساقية الرومى

(3) المشور

(4) أبو حمو موسى الثانى

(5) مؤسس دولة بنى زيان

(6) الشاعر المشهور - ونافح اشارة الى قوله :

وان أنسى لا أنسى الوريط ووقفه

انافح فيها روضه واصافح

(7) المؤرخ التلمسانى المشهور ، اخو عبدالرحمن

وسبح لله ما في السماوات والأرض، ملء شقائق شفا(1)
 كأنك تصنى بها للخليـل ، وموسى الكليم ، يرتل صحفا(2)
 كأن مشارفها الحامـا ت ، الضواحك ، الف يغازل الفا!
 كأن البليدة للورد تفشى حديث الغرام ، فيزداد لهفا
 وتهفو المدينة شوقا اليه (3) تطارحه صفوة الكأس صرفا
 ويهتز قصر البخارى هياما ويصبو البخارى فتجمل جلفا
 أبالغوطتين يباهى الشئـام (4) واغواطنا بالشئام استخفا ؟
 كأن حدائقه العابقا ت : نوافج (5) مسك ، تضوعن عرفا
 وفى رجب تيلغمت تاه الغز ال ، على الشمس ، يختال لطفًا وظرفا
 ويحفظ ميزاب لوح الجلا ل ، فيصبح ميزاب في اللوح (6) حرفا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تساييحه من حنايا الجزائر

(1) جبال (شفا) المعروفة (الشفاف) جمع شفة ، وهو مستعمل مثل (شفاه)
 (2) إشارة الى قوله تعالى « ان هذا لفي الصحف الاولى » صحف إبراهيم وموسى
 (3) الضمير فى (اليه) يعود على الورد
 (4) الشئام بالهمزة بعد التنين (الشام)
 (5) نوافج : مباخر
 (6) اللوح المعفوظ

تقـدس واديـك ، منبت عـزى
 وربض أنبى ... ومـرابـع أمى
 وفخر الجزائر ، فيك تناهت
 وأحفاد أول من ركـزوا
 دماء ابن رستم ملء الحنايا
 وعرق الأصالة طهر طبعى
 وكرمت ، باسم المفاخر ، قومی
 اذا للكريهة نادى المنادى
 وان للسخام استجاب كريم
 وان شيدوا للبقا والخلود
 ومسقط رأسى ، والهـام حسى
 ومغنى صبای ، وأحلام عرسى
 مكارم عرب ، وأمجاد فرس
 سيادة أرض الجزائر أمس
 صوارخ ، يلهين عزة نفسى
 ونور الهداية أذهب رجسى
 وشرفت ، باسم الجزائر ، جنسى
 بذلت حياتى ، وودعت أنسى
 ففى الجود لقنت أروع درس
 جعلت وفائى دعامة أس

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر

(1) (كذلك لنذهب عنكم الرجس أهل البيت ونظهركم تطهيرا)

الا ... فالهذا الحساب ... ومالي ؟ وصحراؤنا ... تبع هذا الجمال
 هنا ... مهبط الوحي للكائنا ت حيال النخيل ... وبين الرمال
 ومهد الرسالات للعالمين ، ونور الهدى ، ومصب الكمال
 هنا العبقريات ، والمعجزات ، وصرح الشموخ ، وعرش الجلال
 تبادلنا الشمس اشعاعها ويلهمنا الصفو ، نور الهلال
 ونعدو ، فنسبق أحلامنا ونهزأ من وثبات الغزال
 وجتبنا القدر ... ماء القدير وحذرنا الظل تهج الضلال (1)
 وعودنا الصديق .. راعى المواشى وعلمنا الصبر ... صبر الجمال
 وأخرجت الأرض أثقالها (2) فطار بها العلم .. فوق الخيال !!
 توفر للشعب أقداره وتكفى الجزائر ... ذل السؤال !!!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) حذر : يتعدى بنفسه ، وفى القرآن الكريم : ... ويحذركم الله نفسه .

(2) النفط والغاز

فيا أيها الناس ... هذى بلادى ومعبد حبي ، وحلم فؤادى
وايمان قلبى ، وخالص دينى ومبناه ... فى ملتى ، واعتقادى
بلادى ، أحبك ، فوق الظنون ، وأشدو بحبك ، فى كل نادى
عشقت لأجلك كل جميل وهمت ، لأجلك ، فى كل وادى ...
ومن هام فيك ، أحب الجمال ، وان لاهه الغشم .. قال : بلادى !
لأجل بلادى ، عصرت النجوم ، وأترعت كأسى ، وصفت الشوادى
وأرسلت شعرى ... يسوق الخطى بساح الفدا ... يوم نادى المتادى
وأوقفت ركب الزمان طويلا أسأله : عن ثمود .. وعاد ..
وعن قصة المجد ... من عهد نوح وهل ارم ... هى ذات العماد ؟
فأقسم هذا الزمان يميننا وقال : الجزائر ... دون عناد !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

وقفنا نحى بها ألف عام ونقرى زيرى العظيم السلام
فقام بولوغين (1) فى عيدنا يهز الدنيا ، ويروع الأنعام
وسيبوس (2) فاض فتاه دلالات يعانق زيرى المليك الهمام
بولوغين ان صاتها فيرموس (3) وحازت اكوسيوم (4) أقصى المرام
وهب الأمازيغ من دوناطو س(5) تصول، وتزجى الحميس اللهم(6)
فأبناء مازيغ قادوا القدا وخاضوا المعامع ، يوم الصدام(7)
وساقوا المقادير ، طوع خطاهم وشادوا البناء ... وأقروا النظام
رعى الله عشرا تنافس عشرا (8) وصان ذمما تراعى الذمام
وبورك يوليوز فى حالته !! فمما الفجر الا وليد الظلام !!
وجلت بطولات أرض الجزا ثر ، مهد الأسود ، وربع الكرام

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر ترتله كالصلاة
تسايحه من حنايا الجزائر

- (1) بولوغين بن زيرى بن مناد ، بنى عاصمة الجزائر سنة 392 هجرى
(2) سيبوس ، اسم قديم لعنابة ، بناها زيرى بن مناد، وواد سيبوس يدل على التسمية القديمة
(3) القصير فى صاتها يعود على الجزائر
(4) - 5) فيرموس بن نابال الملك المازيغى مقاوم كبير اثار جرجرة واوراش وافريقيا باكملها
وهب لنصرته اهل البوادي من شعبة دوناطوس وحتى الفباط الرومان ، وبويع ملكا على الديار المفرية
ايكوسيوم التي ستصبح فيما بعد عاصمة الجزائر فاتخذها فيرموس عاصمة له آنذاك
واستولى على شرسال وقاوم جحافل الكونت دوسونس وما غلب الا عند ما غدر به اخوه جلدون ، فسلمه
للرومان من فراش نومه غنيمة باردة ، ثم ان اخاه جلدون هذا اثار بدوره على الرومان وجعلهم على قاب قوسين او
ادنى من هلاكهم الاخير
(6) الحميس اللهم : الجيش الجرار
(7) تنظر ببولوغين مؤسس الجزائر وانباء باديس محردى الجزائر
(8) الاشارة الى عشرة قرون ، وعشر سنوات

دعوا ماسينيسا (1) يردد صدانا
 وخلصوا سفاكس يحكى لروما
 وكيف غدا ظافرا ماسينيسا
 وكم ساوموه ، فثار ابناء
 وألهمه الحب نيل المعالي
 ومن صنعت روحه سوفونيزيا
 تغذيه حبا وفنا وعلمنا
 فجاء يغورطا (2) على هديه
 وقال : « مدينة روما تبا
 ووحد سرتا بأعطاف كاف
 ذروه ، يخلد زكى دمانا
 مدى الدهر كيف كسبنا الرهانا
 بزامه لم يرض فيها الهوانا
 وأقسم أن لا يعيش جيانا
 وقد كان - مثلى - يهوى الحسانا ..
 جدير بأن يتحدى الزمانا
 وتنبيه ما قد يكون ، وكانا
 بحكم الجماهير يقش الأمانا !!
 ع لمن يشتريها » !! فهز الكيانا !!
 وأولى الأمازيغ عزا وشانا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر ترتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) ماسينيسا ابن غادا الملك المازيقي ولد سنة 238 قبل المسيح حينما كانت الحروب البونيقية على قدم وساق وكان الملك المازيقي سفاكس (صفاقص) مواليا للرومانين ، فنهض ماسينيسا يعارب الرومانين وسفاكس معا وكان مصدر الهام ماسينيسا تزوجه بالعالمة الموسيقارة والفيلسوفة المؤرخة القرطاجية القيسية سوفونيزيا فأعانه ذلك على اقامة امبراطورية في نوميديا وجزء كبير من التراب التونسي واجل الرومان عن مملكته ، ثم ان الرومان تغلبوا على قرطاجنة البونيقية في واقعة زامة وراودوا ماسينيسا على أن يكون حليفا لهم ، ولكنه استمر في الدفاع عن وطنه وكون امبراطورية قوية ، وطور الزراعة ، مما جعل الرومان يكيدون له ، الى ان توفي وقد قرب من التسعين ، بعد ان انتصر في زامة

(2) بوغورطا احدا لملوك الامازيغ وحفيد ماسينيسا ولد سنة 145 قبل المسيح واغتتم فرصة الحرب بين روما وقرطاجنة البونيقية فثار على الاثنين واسس الامبراطورية الامازيقية اقامها على اصول امازيقية بعثة في نظام الحكم الجمهورى وبعث الثقافة والقيم الامازيقية الاصلية وجعل عاصمتها مدينة قرطا (سرتا) - قسنطينة اليوم - وامتد حكمه الى الغرب التونسي فكانت له عاصمتان «الكاف» ويسمى (شقب الثارية) مدينة تالة وانضم اليه الامازيغ فوحد صفوفهم وقادهم من نصر الى نصر ، وكان يقول « مدينة رومه مبتاعة لمن يريد شراها ، وكان يستهوى القواد بهذه الوسيلة

صمود الأمازيغ عبر القرو ن غزا النيرات ، وراع النجوما
فكم أزعجوا نائبات الليالى ! وكم دوخوا المستبد الظلوما
سلوا طبرية يذكر تبيريوس تيكفرناس يوالى الهجوم (1)
ثمان سنين يصارع روما فبدق المسامير فى نعش روما !
واوحى له الأطلس الوجدو ي ، فوحدناه فانطلقنا رجوما
سلوا بربروس يجبكم فراكسن من جرجرا كيف أجلى الغيوما (2)
وقالوا أراديون بالكاف أودى ! هل الموت عيسى ؟ يداوى الكلوما (3)
وهذا . أغوستنس بالاعتر افات حير - عبر الزمان - الفهوما (4)
وأسقف بونة أصبح قد يس قرطاج مذ بث فيها العلوما
وكان أغوستنس فخر البلاد ، وكان بها الفيلسوف العظيما
شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر ترتله كالصلاة
تسايبه من حنايا الجزائر

(1) تكفرناس ، لائر مازيفى جزائرى على عهد الامبراطور الرومانى تيريوس بانى طبرية انتصر تيكفرناس على
عديد من جيوشه ، فعزل من اجله عدة ولاه من الرومانيين . ودامت الحرب التى انارها فى كامل القطر الجزائرى
وتونس والمغرب ومن التل الى الصحراء 8 سنوات احتاجت الى عدة جيوش أرسلت كمدد من روما كلها ذابت
امام صمود الاحرار الوطنيين من جبل الاطلس الرهيب

(2) فراكسن ثار بجبال جرجرة والبابور ، فصادمه الامبراطور الرومانى بربروس قادما من روما ، ودامت الحرب
اعواما ، كلما قضى فراكسن على جيش جى ، بجيش غيره حتى ضاقت روما بذلك ، وقتل أراديون العضد الايمن
للفراكسن فى مدينة الكاف

(3) الكلوم : الجراح

(4) اغوستنس ولد بنافست (سوق اهراس الحالية) وتعلم بها ثم انتقل الى قرطاجنة فحذق اللاتينية واليونانية ،
ثم اقبل على دراسة النصرانية حتى صار رئيس الاساقفة بمدينة قرطاجنة بعد ان كان اسقف بونة . وهو
الى جانب ذلك فيلسوف مفكر اخلاقى ومرب عالمى ، ونعتبره مؤرخا فى كتابه « الاعترافات » الفهوم جمع فهم

أشرشال ... هلا تذكرت يوبا ؟ ومن لقبوا عرشك القيصريه (1) ؟
ومن مصروك فنافست روما ؟ وشرفت أقطارتنا المغرييه
لماذا يلقب يوبا بشان ؟ أما حقق السبق فى المدينه ؟
وباهى بشرشال جنة عدن ؟ وزان حدائقها السندسيه ؟
أما كان أول من خط رسما لوجه جزيرتنا العرييه ؟
أما شاد يوبا بشرشال للعلم ، أول جامعة أثرييه ؟
وهذا أبولوس كان طبييا يدين له العلم بالمعبريه (2)
وأبدع فى قصص الحيوا ن ، فآثر فى القصص الأمويه
وكان الأفارق فى منتداهم يروما يخصونه بالتحية
وكان أبولوس قاضى روما ليمناه ، ترفع كل قضيه

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساييحه من حنايا الجزائر

(1) يوبا الثانى ولى عرش الامازيغ بشرشال التى كانت تسمى يومئذ قيصريه ، واستقل بولاية موريطانيا القيصريه الواقعة بين سرتا وموريطانيا الطنجية ، وكان عالما كبيرا علاوة على انه كان سياسيا ماهرا ، وعسكريا مظلما ، وممصرنا ممتازا ، اتخذ من شرشال ضرة لروما وزينها بالمعالم الفاخرة والقصور والمعابد والمسارح ، واسس بها جامعة كبرى للعلوم والآداب والفنون من فن وتمثيل وموسيقى ونحت وتصوير ، فكانت اول جامعة من نوعها فى الغرب وجلب لها كبار الاساتذة من اليونان ، والف دائرة معارف شاملة فى كافة العلوم ، وهو اول من وضع جغرافية لجزيرة العرب

(2) أبولوس ولد بمداوروش ، وأجاد اللاتينية واليونانية ، ثم انتقل الى جامعة قرطاجنة فتخرج فى الحقوق والآداب ، والطب ، ودرس الحقوق ، وامتاز بمغبر للتجارب والتركيب والتشريح ، تقدم به على الطب لتحضير الادوية ومعرفة العلل ، واسرار النباتات الغذائية والاستشفائية ، كان شاعرا باللاتينية وخطيبا مصقعا وراوية ممتازا وعالما بالسحر وفنونه ، ألف كتاب «التحولات» او المسخ ، وهو قصة طريفة ، وكتاب «الزهريات» وكتاب «تقليبات الحجار» ونقل عنه الامويون بعض قصصه على السنة الحيوانات ، كان يدعى الى روما للمرافعات فى القضايا الكبرى ثم أصبح بها قاضيا ، ويدعى كذلك لعلاج المرضى ، وكان من ابرز اعضاء «النادى الافريقى» بروما الذى كان يجتمع فيه القياصرة الافارقة وكبار الكتاب والاطباء والمحامين والمشرعين

أولئك آباؤنا ، منذ عيسى وكان محمد صهرا (1) لعيسى
 ولاح الصباح ، فهز السكاري وأجلى الندامي . ورض الكؤوسا
 وايقظ حلم الليالى الهبالي وأسرج فى الكائنات الشموسا
 وأهوى على البغي ، يذرو الجذو ع ، ويفرس فى الجبروت الفؤوسا
 وحذر آدم ظلم أخيه وسوى المظوظ ، وأعلى الرؤوسا
 وأخرج حواء من رمسها فآلهمت الروح هذى الرموسا
 لئن حارب الدين خبث النفوس ، فلم يغمط الدين هذى النفوسا
 ولم نك ننكر آباءنا أكانوا نصارى!! أكانوا مجوسا!! (2)
 وهل كان بربر الا شقيقا لجرهم ؟ هلا تسينا الدروسا ؟
 اذا عرب (3) الدين أصلابنا فما زال أحمد صهرا لعيسى !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

يشمر نرتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(1) وكان نسا وصهرا

(2) سواء كانوا ..

(3) عرب ، أى صيرها عربية من التعريب

وهبنا العروبة جنسا وديننا
 اذا كان هذا يوحد صفنا
 وان كان يعرب يرضى الهوا
 وقلنا : كسيلة كان مصييا
 فأهلا وسهلا بأبناء عم
 ومرحى لعقبة فى أرضنا
 ويعلى الصوامع ، فى القىروا
 يبت المراحل (2) فى كل فج
 وبادله العمر تبرا بملح
 وما كان جوهرا الا مدينا
 وانا بما قد وهبنا رضىنا
 ويجمع شملا رفعنا جبيننا
 ن ، ويلبس عارا ... أسانا الظنونا
 وكاهنة الحى أعلم منا !
 نزلتم جزائرتنا قاتحيننا
 ينير الحجى ، ويشيع اليقيننا
 ن ويرفعها للدفاع حصونا (1)
 فراغت أساليبه العالمينا
 وما كان فزان عنه ضنيننا (3)
 لعقبة .. يوم استقل السفينا (4)

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1 - 2 - 3 - 4) وضع عقبة خطة جديدة فى زحف الجيش الفاتح فى طريقه من مصر الى المغرب ، تعلم هذه الخطة الالان ، وانتفع بها الانقليز فى الحرب العالمية الثانية ، وصورته : ان الطريق من مصر الى القيروان ، اما بحرية وهي مخيفة لوجود الاسطول البزنطى وعدم وجود اسطول عربى ، واما جيلية والامازيغ فى الجبال ومغاورها كثيرة وغاباتها كثيفة فلا يامن الكمان الصحراوية لكونها مجدية وعديمة الزاد ، فاسس عقبة مراحل على طول الطريق مزودة بالاء ، والزاد والمخيمات فاذا وصلها الجيش استراح واغتسل واكل وشرب ، ونام وتزود وانتقل الى التى بعدها على اتم واوفر عدة ، الف عن هذا مللر الالانى وقال ان اساليب عقبة مبتكرة تدوس فى اكاديمية المانيا ، وقد درسها مونتغمرى وانتفع بها وطبقها فى اجتياز ليبيا فى الحرب العالمية الثانية ، ثم ان عقبة يعلم ان المال هو عصب الحرب وان الذهب يوجد فى افريقيا السودا ، فاخذ الملح من فزان وذهب به وابدله بمثله ذهباً توفر له به تموين الحملة ، فكانت هذه الطريقة التى اتبعها الفاطميون فى اعداد الرحلة الى مصر فذهب جوهرا الى افريقيا السودا ، وبادل الافارقة بملح المكثين ذهباً ، ثم ان عقبة بنى جامع عقبة فى شكل حصون وابراج وقلاع ومدخرات للماء عند الحاجة

وهال ابن رستم ان لا نسود
فقام بتاهرت يعلى السلوا
يوجه حكم البلاد الشرا
ويجعل أمر الجماعة شورى
فلم يك للتبعيات ذيلا
فدوخ بغداد فى أوجها
وقاض بها العلم يجلو العقو
وتناه الريع بجنتها
فكان ابن حماد من وحيها
وأفلح خلد أمجادها

ونبنى كيانا لنا مستقلا
م ويرسى نظاما ، وينشر فضلا (1)
ة بوحى الشريعة حقا وعدلا
وحق انتخاب الامامة فصلا
ولم يك بالعصبيات يبلى
فكانت لتاهرت بغداد ... ظلا !
ل ، ويفمر أرض الجزائر نبلا
يهادى تلمسان ، وردا وفلا
كاوصافها ، عبقرى ، وفحلا
فأفلح أفلح قولا وفعلا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) نقل الرستميون الى تاهرت نظام الدستور الايراني الجامع كاساس لنظام الحكم ويسمى هذا الدستور باللغة الايرانية (أمين نامه) وهو جامع يشمل الى جانب نظام الحكم آداب السلوك ، وآداب المجالس وآداب الاكل والشرب والكلام . وشروط القضاء ، والشورى ، وانتخاب الامام ، والنظام العسكرى ، وهيكل الجندمة (جنود) بالايروانية وعسكر (السبايس) بالايروانية سيفاهى
ثم ان الدولة مراقبة من طرف منظمة شعبية حرة تسمى الشراة من قوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الخ الآية » ومهمتهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتولية الحكام وعزلهم اذا حادوا عن الجادة ويتألف الشراة من العلماء والفدائين

وان تسألوا عن بني الأغلب سلوا الزاب عن جاره الأقرب (1)
 وطبنة (2) .. هل تذكر ابن الحسين التميمي وتاريخه القرطبي ؟
 وعند مسيلة (3) علم اليقين ، بمن حققوا وحدة المغرب
 برى الفاطميون ، شعر ابنها نى كما يخلق اللحن للمطرب
 وأبدع ، حتى تنبأ مثلى ... ولم يتقول .. ولم أكذب !
 سلام يلقب أندلسيا فتي مغربي ، أصيل الأب ؟
 فكم حسدونا (4) على مجدنا وجاروا على البلد الطيب !
 وكم بالجزائر من معجزات وان جحدوها ، ولم تكتب !
 وقالوا الرسائل من مشرق الشمس ، لكن يخالفهم مذهبى
 ولو أرسل الله من مغرب نبيا ... اذن - كذبوا بالنبي !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

يشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) جاره الأقرب : المهدية بتونس
 (2) طبنة : من مفاخر الأغالبة ، ومحمد بن الحسين الطنبى من اعلام الفكر الذين انبتهم طبنة ، كاتب بليغ
 ومترسل بديع الانشاء ومؤرخ واسع الاطلاع ، ولد بطبنة وانتقل الى الاندلس فى ايام المنصور الاموى ،
 وكان شاعر البلاط ومؤرخه ، واستوطن قرطبة الى ان توفى بها سنة 394 هـ 1004 مسيحى ، اورد المؤرخ
 ابن عبد الملك المراكشى فى الذيل والتكملة ، واورد ابن الابار فى الحلة الكثير من شعره ، وكان يلقب بمؤرخ
 قرطبة وهو ممن تفتخر به الجزائر فى ميدان التصدير
 (3) مسيلة ، عاصمة المعز بن باديس الفاطمى ، وفى احضانها نبغ ابن هانى الجزائرى الملقب بالاندلسى
 تجنيا على التاريخ ، وكان يلقب بمتنبى المغرب
 (4) اشارة الى ان المشاركة حين يؤرخون للادب العربى لا يذكرون مفاخر الجزائر وتونس والمغرب بل يغفرون
 من الشرق الى الاندلس مباشرة كانها المغرب الكبير لا وجود له فى الخريطة وذلك بدافع الكبرياء والغرور
 ومركب الاستعلاء

وفي قدس جناتنا الناضرة وجوه ، الى ربها ناظرة ...
تمد المعز لدين الاله فيصنع (1) جوهر والقاهره !
ويستلهم النيل من أرضنا صفانا ، وأخلاقنا الطاهرة ...
ويجري رخاء على هدينا يواكب أفضالنا الزاخره ...
وتفهم رمسيس معنى انعتا (2) ق الشعوب ، جزائرتنا الثائرة !!
هو النيل ، (3) خلد عشر قرو ن وباركننا السنة العاشره ؟
وكم شاببه النيل نهر دما نا ، تمور به المهج الفائره ؟؟
وكم ضارعت في الفدا كليوبترا جميالات ثورتنا الهادره !
ونحن الأمازيغ نرعى الذما م ، ولا نجحد الفضل والآصره !
ونكسر مصر وأحرارها ومن آزرروا حربنا الظافره !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساويحه من حنايا الجزائر

(1) يصنع جوهر والقاهرة - المقارنة في الصنع عميقة المفهوم
(2) إشارة الى العبودية التي فرضها القراعة على الشعوب ، وبنينا. القاهرة نهقت مصر تنفض عنها غبار القرون
(3) الفية القاهرة التي يعود فضلها مباشرة للجزائر

بولوغين يا من صنعت البقا
فريموس (1) أم انت من شادها ؟
بنيت الجزائر فوق السما
غرست بها ذوب أكبادنا
علا بالمدية تاج الجلا
ومن هدهد الصدر « بالتوأمين » قضى للجزائر أن تعشقا
دلال المدية أعياء الملو
تنازعها الروم ، والمسلمون ، وحاول زيان أن يسبقا
وكاد ابن توجين وابن ——— برين بنار المدية أن يحرقا (2)
ملائكة الله (3) ... هل نقلوها ؟؟
سنبقظ عهدك والموثقا
فحيرت الغرب والمشرقا ؟؟
ك ، فكانت لمعراجنا المرتقى
ومن دمننا غصنها المورقا
ل ، فأعلى بمليانة المفرقا
ومن هدهد الصدر « بالتوأمين » قضى للجزائر أن تعشقا
دلال المدية أعياء الملو
تنازعها الروم ، والمسلمون ، وحاول زيان أن يسبقا
وكاد ابن توجين وابن ——— برين بنار المدية أن يحرقا (2)
ملائكة الله (3) ... هل نقلوها ؟؟

شغلنا الوری ، وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر

(1) القول الصحيح ان بولوغين هو مؤسس الجزائر

(2) ان يعرقا : الالف للتثنية اي ان يعرق ابن توجين وابن مريم

(3) زعم بعضهم ان المدينة او المهدية معناه ان البلدة قديمة عتيقة ، وانها انما بنيت في مكان آخر ثم نقلتها الملائكة الى مكانها هذا

أيًا ومضة من جلال الشريعة
أشاع ابن يوسف فيك الصلا
أزكار أم أنت عش العقلا (2)
أم العاشق . المستهام ، المعنى
أم الحب رق لمجنون ليلى
أشادك بومبي مقوقس روما ؟
فاغرى بمليانة الطامعيــــــــــــــــس ، وما كنت للطامعين وديعه ! (5)
وولى ابن عائشة بالفجيعة (7)
فبوا أحمد فيك الطليعه (8)
ت . . والنبل في ابن مرين طبيعه (9)

شغلنا الوری ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر

(1) ولها الصالح سيدي أحمد بن يوسف
(2) تسمى مليانة عش العقاب كما ذكر السيد بلعيسى في مجلة الاصاله وزكار جبل يطل على مليانة
(3) يقول البغددي في رحلته عن مليانة « لو رش بعانها المصروع لافاق كان حصبها جان ، والا ، من رفته دموع »
(4) اجتمع معظم المؤرخين على ان المدينة اقلية روميه ، ويضيفون انها شيدت على انقاض المدينة الرومية المعروفة
بزوكابار وان القائد العظيم بومبي (Pompey) وحبيده مدفونان في مليانة ، وشهدت على بعض أسوارها الحديثة
لوحة تذكارية عليها كتابات ترجم مدفن بومبي وحبيده فيها ، قبل شاركا في بنائها .
(5) كانت هدفا للطامعين من الملوك ، وميدانا للصراع بين الموحدين وبنى غانية والزبانيين والصنهاجين وبنى
مزين ، وبنى علال ، والمرابطين والمغصنين
(6) يقال ان بلدة مليانة من بنى عتدل وهؤلاء ، من صنهاجة استوطنوا وارلنئش
(7) بدر بن عائشة كان واليا لمليانة من لدن علي بن اسحاق صاحب ابي يوسف يعقوب ، لكن اهل مليانة
غارادوا ابن عائشة والقوا عليه القبض وقتلوه بعد فراره
(8 - 9) ابو العباس احمد بن علي من مفازح مليانة عالم وفقهه وشاعر عملاق اقطعه السلطان
يعقوب المرنى اغصات اكراما له

سل ابن علتاس (1) عن ذكرنا
يجبك ابن حمديس في الخالد
وتنبئك عائشة كيف كانت
وتذكر بجاية أحلافنا
وفي القصر تختال بلارة
تصاهر فيها الدهاء والجمال
وأعلت بجاية هام الجزائري ، علما ، وشادت صروح الهنا
وبأري ابن سبعين فيها النصاري ، فأفحم من لاحقوا ظلنا (6)
وأرقامنا العربية ما
لنا أوروبا العجوز لها طوعنا (7)
وكان أبو مدين والشعبا
لبي هنا ، يرفعان البنا (8)

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

- (1) كان الملك الناصر بن علناس اعظم ملوك عصره شانا ، واوفرهم قوة واكثرهم رعاية وتنشيطا للعلم والعلماء.
(2) عبدالجبار بن حمديس شاعر بجاية الجبار عطر الاجواء اشادة بعظمة بني حماد وخلد الناصر بن علناس بفر من بدائع الشعر
(3) عائشة العمارية ، من اشهر الشاعرات النساء . في دولة بني حماد ، لها شعر رقيق الى جانب احاجيها اللاذعة كقولها في رجل اصلى تقدم خطبتها :
عديري من عاشق اصلى
براس حويج الى صفة
فبيع الاشارة والهنزع
ووجه حويج ال برق
الى آخر القصيدة
(4) في ايام بني حماد امتدت علاقات الجزائر باوروبا وتعاقبت بمعاهدات تجارية مع اغلب دول البحر المتوسط وكان اسطول الدولة الجزائرية في ايامهم ضخما يضرب بسهم وافر في التجارة العالمية
(5) بلارة : بنت الشاعر قعيم ابن المعز بن باديس واليها ينسب قصر بلارة بالقلمة ولد ابدع في وصفه عبد الجبار بن حمديس الصقل ، وكانت بلارة سببا لصاهرة سياسية ناجحة لما توفر فيها من دهاء سياسي وجمال فجمعت بين الصنهاجين باللهدية وبين بني حماد ببجاية وكونوا نوعا فيدرالية
(6) جادل عبدالحق بن تسعين النصاري فغلبهم
(7) انطلقت الارقام العربية من بجاية الى اوروبا
(8) الشيخ ابومدين شعيب بن الحسين دفين تلمسان من مواليد بجاية ، وكذلك الشيخ عبد الرحمن الشعالي دفين الجزائر العاصمة

وتنجب ندرومة الخالدين فتعلی الجزائر منا الجبين
ويصنع وحدتنا ابن عيسى (1) فيرفع رايتها باليمين
وتحدو مراكش أقدارها فتنفض عنها غبار السنين
وينبض قلب بأرض الجزائر ، تمسك تونس منه الوتين
وتنصب أندلس عندنا وترتاح للعرب النازحين (2)
ويمضي ابن تومرت يغزو الضلا ل ، فيخلص لله عقل ودين
وتصفو أعز المطالب (3) فيه فتصفو المناهج للسالكين
وتزخر بالعلم أرجاؤنا قسمو المدارك بالنايهين
ويهزج بالصادحات الشريف (4) ، ويلمع يوسف في اللامعين
متى سيتوب الألى لم يزالو ا بوحدة مغربنا كافرين ؟؟

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابيحه من حنايا الجزائر

(1) سنة 524 هجرية أسس عبد المؤمن بن علي الندرومي دولة الموحدين بعد ان قضى على دولة المرابطين بالمغرب الأقصى وتقدم الى المشرق فتسلم زمام المغربين : الاوسط والادنى ووجد بين المغرب والجزائر وتونس تحت امرة المهدي بن تومرت وركز الهلالين الذين لم تهضمهم الدول السابقة

(2) زحرت الجزائر وتونس والمغرب ، بجموع الاندلسيين المهاجرين اطمئنانا للاوضاع السائدة آنذاك

(3) اعز ما يطلب اسم للمدونة التي جمعها المهدي بن تومرت في القانون وتشريع الاحكام

(4) الشريف بن عمارة الذي برز في فن الموشحات يوسف بن ابراهيم الواجلاني المحقق الفليح والمؤرخ الواسع الاطلاع

تلمسان ، مهما اطلنا الطوافا اليك تلمسان ننهى المطافا
 يغمراسن الشهم ، ضاق اصطبارا وغالب خمسين عاما عجافا (1)
 وأصلى بنى حفص خربا عوافا وما اسطاع بابن مرين اعترافا (2)
 فكانت تلمسان دار سلام وأمر الجزائر فيها ائتلافا
 فأكرم بمشورها الوطنى ، وزيان يحسم فيه الخلافا (3)
 ويدفع خطو بنى عبد واد فتغزو الحياة ، ثقالا خفافا
 ويسكر هذا الوريث الدنا فتعصر فيه النجوم سلافا
 ويكتب يحيى بن خلدون سفرا فيهتك فى النيرات السجافا (4)
 وتنشق منجاة بالمدارى فيلتاع موسى ويأبى انصرافا (5)
 أفى رفرق الخلد ؟ قد وجدوا تلمسان .. فاخطفوها اختطافا ؟؟

شغلنا الورى ، وملنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويه من حنايا الجزائر

(1) يغمراسن : أعلن استقلال المملكة الزيانية سنة 733 هـ وانفصالها عن دولة الموحدين التى اهل نجمها فى مراكش تحت عوامل الهرم ، اخذ يغمراسن طيلة خمسين عاما من ملكه يضع أسس الدولة الحديثة

(2) بعد فترة طويلة من حروب ضد بنى حفص شرقا ، وبنى مرين غربا تمكن رجال دولة بنى زيان من تدعيم الاستقلال المطلق وتأسيس دولة قوية

(3) المشور - دار الشورى - او البرلمان ولائزال معاله بمدينة تلمسان لحد الآن

(4) كتاب يحيى بن خلدون «بغية الرواد فى تاريخ بنى عبد الواد»

(5) اقام ابن الفحام ساعة ناطقة «المنجاة» فى قصم أبى حمو موسى الثانى ، فكلما تقدمت ساعة من الوقت انفتح باب المنجاة وبرز من خلالها فانتأت حسان يعلن الوقت بمقاطع شعرية بدعية

وأوغر قلب الصليب الحقود علانا . وأمعن فينا الحسود (1)
وطافت بوهرا ن جيطان غدرا وزيان ما اسطاع حشد الجنود (2)
ولعلع في بربروس نـداها فثار ... وأقسم أن لا يعود (3)
وللدين خير يصون حمـاه وأسطلونا في البحار يسود (4)
قراصنة البحر . عاثوا فسادا فأدب ليث البحار القـرود
وخاض الأمازيغ ساح الفـدأ تباركهم صلوات الجـدود
وآزرنا الترك حتى انتصرنا ولم يخفر الترك ماضى العـهود
وقمنا نسوس البلاد بعدل ونسدى الجميل ، ونرعى الحدود
ولم نك للترك بالتابعين ، وان عززوا سعيننا بالجـهود
ونحن أناس نعد الجميـل ، ونرعى ذمام الصديق الودود
شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايحه من حنايا الجزائر

(1) كانت الحملات على المرسى الكبير ووهران حملات صليبية فذرة فقد توأما على الجزائر كل من الاسبان والبرتغال والفرنسيين يقوم هذه الحملة راهب اهوچ هو خيمينيس (Ximenès)
(2) جيطان (او خيطانوا) كناية عن رعاى الاسبان
(3) كانت اللصوصية او القرصنة البحرية على اشدها آنذاك فالاسبان والبرتغاليون انشؤوا مع غيرهم من لصوص أوروبا سفن القرصنة وانهالوا على مهاجرى الاندلس والبلدان الجزائرية المتاخمة للبحر نهبا وسلبا
(4) جاء الانقاذ والمعجزة على يد بطلين خالدين تركين بابا عروج وشقيقه خير الدين كانا على رأس عمارة بحرية رعبية من الفرسان يعملان متطوعين فى سبيل الله لانقاذ مهاجرى الاندلس والاجتياز بهم الى ارض العرب اندلع لهيب الحماس فى قلوب الجزائريين فدافعوا وانتصروا باعانة الاتراك واحتفظوا على ذاتهم واستقلالهم ولم يكن بيد الاتراك سوى الاشراف الروحي والباسوية التى تسند اليهم بانتخاب من الديوان الذى يتكون من اعيان الجزائريين

وجاعت فرنسا ... فكنا كراما وكنا الألى يطعمون الطعاما !
 فابطـرهم قمـحنا الذهبـى (1) ، وكم تبطر الصدقات اللثاما
 وباعت فرنسا ضمير اليهـود ، فباع ضمير اليهود الذماما
 وما كان بوشناق الا ابن آوى وما كان بو خريص الا طغاما (2)
 وخرب شارل المريض فرنسا فثار بها الشعب يغلى انتقاما
 وضاق الفرنسيـس بالعاطلـين ، وما ذاق شارل المريض المناما
 وأوحى له قمحنا غـزونا فأطلق هـذى القـمـوح سـهاما
 وصب النفـايات ، فى أرضنا وخان المسيح ، وأغرى السواما (3)
 ومروحة الداي لم تك الا كما يستبيح اللصوص الحراما (4)
 ابوتان (5) ... هل سيدى فرج وان طال ليل ... أقر النظاما ؟؟

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

-
- (1) قصة الديون المترتبة على فرنسا ، ن أجل تسديد ثمن القمح معروفة ، فضلا عن ديون أخرى نقدا
 (2) اشتركت خزينة الدولة مع بعض التجار كاليهوديين بوشناق وبوخريص فى تمويل تلك العملية الانقاذية
 وكان اليهوديان عميلين لفرنسا
 (3) وقف شارل العاشر ملك فرنسا يقول فى خطاب العرش يوم 2 مارس 1830 م ما نصه : « ان العمل الذى
 ساقوم به لترضية شرف فرنسا سيكون باعانة الله القدير لفائدة المسيحية جمعاء »
 (4) حديث المروحة معروف
 (5) بوتان الجاسوس الفرنسى الذى رسم خطة الهجوم من ثغر سيدى فرج بأمر من نابليون بونابارت فى يوليو
 1808 وقد انتفع الجيش الفرنسى بتلك الرسوم عند حملته على الجزائر سنة 1830

بلى ... يا فرنسيس ، هذا الحمى
 بلونا السنين الطوال جهادا
 مضت مائة وثلاثون عاما
 صعدنا ، نقاوم ؛ شرقا وغربا
 غزا لاموريسيير أحمد باشا
 فقمنا بسرتنا نصون الحمى (1)
 وثرنا ، نقاوم : بيتا فبيتا
 وشبرا فشبرا ، ونسبى الدمى
 ولولا تخاذل بعض الكسالى الرعايد ! ، لم نفلت المجرما !!
 معسكر فجر عرم الشباب ، فطاول عملاقها الانجما
 وبويع ، شاعرها الهاشمى فكان بها القائد الملهم (2)
 يصوغ النظام ، ويبرى المسام ، فيقطر ذاك ، وهذا .. دما

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر ترتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(1) اتخذت المقاومة الجزائرية بعد الاحتلال شكليين ، سياسى رسمى ، وشعبى . فلما السياسى فقد تولى زمام امره الحاج احمد ، باى قسنطينة (وكان من عائلة المقراني الذي سيثور سنة 1871) فالتفت حوله الامة من جزائريين ومن بقايا أتراك ، وكان احتلال لاموريسيير لمدينة قسنطينة سنة 1838 م اندارا بنهاية المقاومة الحكومية المنظمة فانتهى ظاهرا وبقيت النار تحت الرماد وقد سجلت مدينة قسنطينة بدافعها الجيد صفحة خالدة من صفحات البطولة اذ اضطر الفرنسيون لاحتلال المدينة حارة فعارة ودارا فدارا ، ودام حصارها سبع سنين كاملة

(2) المقاومة الشعبية فى سنة 1832 جمع وجوه القوم ورؤساء القبائل امهم فى مؤتمر عقدوه بمسجد مدينة معسكر وبايعوا بالامارة بطلا شابا فى الرابعة والعشرين من عمره ، عرف بينهم بالشهامة وقوة الشجاعة والراى الحصين هو الامير عبدالقادر بن الشيخ محيى الدين الهاشمى عل ان يؤسس دولة جزائرية اسلامية تصون الامن وتوطد العدل وتتصدى للمعتدى ، والامير عبدالقادر الى جانب بطولته الحربية شاعر ملهم تفيض معانيه بالشاعر النبيلة والحماس والتفنى بام البنين التى كانت مصدرا من مصادر الهامة

آيا عبد قادر ... كنت القديرا
 شرعت الجهاد ، قلباك شعب
 ونظمت جيشا ، وسست بلادا
 وألهمت فى القبايعين الحنايا
 وحملت ماريان (1) ما لا تطيق
 ثمان وعشرا (3) ... تخوض المنايا
 وتدمغ بالعلم من جادلو
 وكم رام اغراءك العايشو
 وكم عاهدوك (6) ... وكم أخلفوا ،
 وعبدت للشعب ، درب الفدا
 وكان النضال طويلا عسيرا
 وناجاك رب ، فكان النصيرا
 فكنت الامير الخبير الخطيرا
 وأيقظت فى الخانعين الضميرا
 وجرعت بيجو (2) العذاب المريرا
 وتزجى السرايا ، وتبنى المصيرا
 ك ، فكنت الضليع ، وكانوا الحميرا (4)
 ن ، فلم تك غمرا صبيا غريرا (5)
 وكنت بما يضمرون بصيرا ..
 وما خست ، مذ خطفوك أسيرا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
 يشمر نرتله كالصلاة
 تسايحه من حنايا الجزائر

-
- (1) ماريان هي فرنسا
 (2) وقائع الامير مع (بيجو) مشهورة (راجع تحفة الزائر)
 (3) دامت مقاومة الامير 18 سنة من 1830 الى 1848 م
 (4) المجادلات العلمية التعجيرية بين الامير وجنرالات فرنسا وخصوصا بيجو ، معروفة ويوجد لها تفصيل ضاف في - تحفة الزائر -
 (5) من جملة الاساليب المفضوحة الفرنسية محاولة شرا ، الضمان وكم حاول الفرنسيون ذلك مع الامير فابى واستعصم بايمانه
 (6) تخللت مدة الحرب عدة معاهدات عقدتها فرنسا مع الامير واعترفت له فيها بالسيادة والاستقلال على البلاد لكنها كانت معاهدات غش وخداع لا تمقدها الا متى رأت الخطر وارادت ان تستمد لضربة قاسية ، اما الامير فكان يعقد تلك المعاهدات مع علمه بما تنطوى عليه من خداع ، ليسترىح قليلا ويستعد لتسديد الضربات وتلقاها

تلقف رايتك ابن الجزائر
وهب الزعاطشة الثائرو
تعدى ابن زيان سحف اللثام
وهل يخفض ابن الجزائر هاما
لتشهد بسكرة اصرارنا
وترو النخيل لعقبة عنا
ويذكر أبو معزة للجبيا (١)
تحتفظ سطيف لأبطالها
دام الصراع ، ولم تخب يوما
كانوا البغاة ، فكنا المتايما
وعند ابن زيان تبلى السرائر (٢)
ن ، فهب لنصرتهم كل ثائر
فمات الشهيد ، فداء الجزائر
ويعنى جبيننا أمام الصراصر ؟
وصدق ندانا أمام المجازر ...
وتحك الرمال صمود القساور
ل صراع أبي بغلة فى المغاور
وابطال سرتا جليل المفاخر
شعاليله ، فى القرى والمواضر
وكانوا البغاث ، فكنا الكواسر (٣)

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

يشعر نرتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(١) قاد الثورة العارمة فى واحة الزعاطشة قرب بسكرة الزعيم الشهيد عبد الرحمن بن زيان سنة ١٨٤٦ م
قد ذكرت تفصيلاتها بأسهاب (مجلة العالمين) (La revue des deux Mondes) وصورة الواقعة هي
لآية : عقد الزعيم عبد الرحمن بن زيان معاهدة مع قيادة الجيش الفرنسى على ان لا يهاجموا الزعاطشة ويتول
بو امدادهم بما يحتاجونه ، وكان ذلك منه حيلة جريئة لربح الوقت والاستعداد لحملة هجوم ، الا ان قبطانا
رئسيا تظن للحيلة ومال للاستفزاز والتحدى قائلا : «هل يوجد جزائرى لا يسجد امام قدمي؟؟» ف قيل له :
هم ، عبد الرحمن بن زيان ، شيخ الزعاطشة ، فامر بجلبه فامتنع عن المعى ، اليه وارسل اليه جيشا فاباده
يد الرحمن وجيشا ثانيا فاباده ، وثالثا فحطمه فدامت الحرب سنوات وكانت المقاومة فى كل شبر من
لارض ، نخلة نخلة حتى استصفت مليون نخلة ومليون شهيد ثم وصل الفرنسيون السور فوقوا امامه نهرا
موتون دونه بدون طائل الى ان فتحوا فيه نفرة فكانت موانعهم التي من احجار السور ، ثم دخلوا المدينة فكانت
حرب سارعا بشارع ويتنا بيت الى ان وصلوا بيت الزعيم عبد الرحمن فكان يدافع حتى خلعوا الباب فجلس
صل واولاده واهل بيته يقاومون غرفة بغرفة وسقيفة بسقيفة وهو يصل يصحن البيت فجاء القائد الفرنسى
سال : هل يوجد جزائرى لا يسجد امام قدمي ؟ فقال له عبد الرحمن : «انا عبد الرحمن بن زيان فقال
لقائد : ان خضعت عاملك معاملة حسنة » فقال : كلا انى مجاهد فى سبيل الله والفضل ان اموت مجاهدا
ن ان اغشى خاننا لوطنى : فقطع راسه فاخرجه الى جنوده بلعته البضا، المفرجة بدم الاستشهاد وقال
جنوده : قد مضى عليكم زمن طويل لم تلعبوا كرة القدم وقد احضرت لكم اعظم كرة فاعلموا بها . ثم ادخل
جناده على الحرم وقام اهل البيت من الرجال والمقاومين يدافعون عن الشرف فاحتز رؤوسهم واخرجهم
دعين ، فقال احد المجاهدين قوله الغاللة وهو يموت : سوف تاتي احفادنا وتخرجكم من بلادنا وصدقت
عجزه فخرجوا بعد مائة واربع سنوات !!

(٢) ثورة ابي معزة وابى بغلة وما وقع فيها من معارك بطولية فى كل من سطيف وقسنطينة
(بغاث الطير : الطيور المهيجة الجناح - والكواسر جمع كاسر : اى النور الكاسرة

وتذكر ثورتنا العارمة
يفجر بركانها جرجرا
وخلد باسم امها ذكره
وفارت دماء بنى راتن
نسومر مذنسبوك لتاكللا
والهيت نارا ، تذيب الثلو
بجند ، يباع ويشرى كما
وارعفت راندون فى كبره
وصمرت للجنراتل خدا
أتنى الجزائر حواءها ؟
بطولات ، سيدتى فاطمه (1)
فترجف باريس والعاصمه !
فزكى قداسه الدائم (2)
تقدى قرارته الحاسمه
رفضت التواكل يا فاطمه !!
ج ، وتعصف بالفئة الظالمه
تباع ، وتستأجر السائم (3)
ودست على أنفه الراغمه
فخابت نواياهم الآثمه
وأجاذها لم تزل قائمه ؟

شفلتا الورى ، وملأتنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايبه من حنايا الجزائر

(1-2-3) للافاطمة نسومر ابنة سيدى محمد بن عيسى شيخ الطريقة الرحمانية والدتها للاخديجة التى تسمى باسمها قمة جرجرة ، وزوجها سيدى الحاج عمر من قرية تاكللا ، آيت ايرائن ، كانت تسير الثورة فى جبال جرجرة اولا مع زوجها ثم لمفردها وهى التى صرعت الياساغاسى الجودى عميل فرنسا + وصعدت فى مقاومتها من 1856 الى 1857 م على رأس المجاهدين المسلمين ضد ستة جنرالات فرنسيين : قاستنى وبينولت ويوسف وماكماهون ومثيل ودبلمى كلهم تحت القيادة المباشرة للمارشال راندون الذى ترأس العمليات فى نفس الحين الذى كان فيه واليا على الجزائر
للافاطمة كانت تسير جيشا يضم سبعة آلاف مجاهد ضد جيش المارشال راندون الذى كان يضم خمسا واربعين الف مقاتل متوفر على جميع المعدات الحربية الحديثة ، وشملت ساحة العمليات كل جبال جرجرة الى قمة للاخديجة ، والموقعة الحاسمة كانت فى معمة اشريفين فى 24 جوان 1857 م ، اعتقلت للافاطمة فى قرية تاكللا يوم 11 جويلية 1857 مع اتباعها اخوان الرحمانية

بنو سيدى الشيخ (١) قادوا النضالا
 سليمان حمزة آلى يميننا
 سلوا بوبريت العقيد المسجى
 ويستل من صدره روحه
 ووهران تصرخ فيها الدماء
 وصحراؤنا وابن شهرة فيها
 وجيش أبى شوشة المستميت
 بصحرائنا ، ينسف الاحتلال
 وصوت ابن حداد دوى دوى
 ينادى : البدار ، ويدعو : القتال
 ومن آل مقران فى الشاهقا
 ت ، تسور بواشق ، تهوى النزلا
 وقال بومزراق حان الجها
 د ، فحقق بالمعجزات ، المحالا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(١) اولاد سيد الشيخ بقيادة الباشا سليمان بن حمزة بن بونكر سنة ١٨٦٤ م والتفت حوله قبائل اولاد سيدى الشيخ وعزموا الفرنسيين سر هزيمة واعادوا الكرة تحت قيادة الكولونيل بوبريت وكانت نهاية المعركة التى دامت طويلا موت سائر رجال فرق العدو ، بما فيها الكولونيل فاندعا ، وقد تمكن البطل سليمان بن حمزة من قتله بيده اثنا المعركة ، ثم استشهد بعد ذلك خلال المعركة وكان من بين الفرق المتعدية القوم اى الجند الجزائرى المتطوع مع فرنسا وما كادت المعركة تلتهب حتى اخذت الحمية الاسلامية جماعة القوم فانقضوا على الفرنسيين وانفسوا للمجاهدين ، وقام بالصحراء ، جنوب الاغواط ، بوشوشة وفى نفس الصحراء ، ثار معه المجاهد ناصر بن شهرة وذلك فى نفس الوقت الذى كان فيه بومزراق والمقراني ينظمان المقاومة فى الشمال ، والشيخ عزيز بن الشيخ الحداد بوجه الداءات الصارخة الى كل مناطق الجزائر يستنفر الناس للقتال ويقول ان الوقت حان وان فرنسا فريسة الضعف فيجب انتهاز الفرصة ، وذلك فى آخر سنة ١٨٧٠ ، وكان الاتصال ونيفا آنذاك بين المقراني والشيخ الحداد ، اذ زار المقراني الشيخ الحداد يوم ٨ يناير ١٨٧١ م ، سرا فى صدوق ، وتبادل معه النظر فى ضرورة اعلان الجهاد ، والتأمت عائلة المقراني كلها فى مجاعة ، وفى ليلة ١٤ مارس ١٨٧١ م اعلن المقراني الجهاد رسميا بنا ، على سياسة الاسلام فى عدم مباغرة العدو ، وكذلك حسب مبادئ الامم المتحدة الآن ، وقد ارسل المقراني الى الجنرال الفرنسى فى العاصمة يقول له : «اعلموا اننا فى هذا اليوم قد اعلنا الجهاد عليكم وضدكم وغدا نبتدى الجهاد» - وبعت كذلك باستقالته من وظيفة باشا آغا ، ورد المحاولة التى بعثتها له فرنسا ، يوم ١٥ هاجم برج بوغريج واحتلها ، ومن هناك انطلقت الثورة عارمة لا تبقى ولا تذر

فيا آل مقران أسد الكفاح ونبع الندى . والهدى والصلاح
نهديم ، تشقون درب الخلو د . فعبتموا نهجه بالصلاح
وحداد في السوق ألقى عصاه وأعلنها في الذرى والبطاح (١)
« كمثل عصاى .. سألقى الفرنسيـس في البحر . أركلهم بالرماح »
سلام مقرانى يمضى شهيدا بسوفلات رمز الفدا والكفاح (٢)
ولابن الثمانين ، يغدو أسيرا وما كبل القيد فيه الطماح (٣)
ومرحى لمالك يطفى بشر شال بركانه بالأمانى الفساح
وعاشت مناصر راحت تنـا جى بوذريس شيخا وريف الجناح (٤)
فردد رجـع صـداه أبـو عمامة يدنى حظوظ النجـاح (٥)
وهقار تزهو بأمودها يذود عن الشرف المستباح (٦)
يذود عن الشرف المستباح (٧)

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(١) يوم 8 افريل 1872 م أعلن الشيخ الحداد الحرب وهو يتجاوز الثمانين من عمره ، وذلك في سوق صديق وألقى عصاه بعد صلاة الجمعة في السوق وسط الجهور وقال : سنرمى الفرنسيين الى البحر كما رميت انا هذه العصا الى الارض

(٢) استشهد محمد المقراني يوم 5 مايو 1871 م بسوفلات ، قرب عين بسام
(٣) بعد معارك عنيفة طاحنة شاملة ألقى القبض على الشيخ الحداد قرب بجاية وقد تجاوز الثمانين . وكان مشلولاً ومحمولاً على نعش ، وذلك يوم 13 من يوليو 1871

(٤) مالك البركاني ابن اخ عيسى البركاني احد خلفاء الاسر عبد القادر ، أعلن الحرب يوم 13 يوليو 1871 م في سوق الاحد بنواحي شرشال وجبال مناصر في ولاية الاصنام . بنفس الطريقة التي أعلنها بها قبله الشيخ الحداد

(٥) في العين الذي كان يدير فيه الحرب مالك البركاني في جبال بني مناصر والظهرة ، كانت هناك حروب يقودها في الشمال امثال الشيخ الصداوي في جبال جرجرة وكان شيخا في زاوية وذريسي

(٦) كان اولاد سيدى الشيخ في الصحراء الوهرانية يواصلون الكفاح الذي بدأوه سنة 1860 م . واستند وطيسه عام 1881 م تحت قيادة بوعمامة من اولاد سيدى الشيخ واصل الكفاح مدة طويلة ووصلت جيوشه حتى المدينة وضواحي العاصمة

(٧) لما خمدت ثورة اولاد سيدى الشيخ وثورة توات وعين صالح سنة 1900 م واصل الطوارق الكفاح في الهقار وفي نواح اخرى من الجزائر تحت قيادة الشيخ أمود حتى سنة 1912 م ، وكلية أمود باللغة الامازيغية معناها السارية أو العرصة

جزائر ، أبدعها ذو الجلال وصور طينتها من نضال
 بلاد تمازح عشاقها وتمنع عنهم لذية الوصال
 فما انكفأت ثورة في السهو ل ، ولا انطفأت ثورة في الجبال
 ولم يحن أوراس هامته ولا هدأت عاصفات الرمال (1)
 ولا استسلمت جرجرا للمغير ، ولا اوهن العزم طول النكال
 سلوا ساحة الشهداء أما بها قبر البدوي (2) المثال ؟؟
 ودوى بشرشال صوت النفير ، وان كان يبدو بعيد المثال !
 وراود صدق الضمير الأثير (3) فقام يلاحق طيف الخيال
 ويعدو بفرساي خلف الوغود ، يناشد ولسون فرض الحال !
 تجاريب خالد مهما تكن ... فلم تك نغمة قدر الرجال !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

يشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) لم تخضع اوراس ولا جرجرة ولو مرة واحدة للعدو طوال ايام المقاومة .

(2) في مدينة الجزائر والجهات المتعددة غربها الى مدينة شرشال قامت الثورة كذلك في تلك الاونة الا انها لم تكن عنفة فاسية اذ أعلن أحد رجال العاصمة القيودين السيد محمد البدوي في (ساحة الحكومة) اندالا استقلال البلاد واخذ ومن معه محاولة تنظيم الادارة المستقلة الجديدة ، لكن الحركة اخفت وارسل الفرنسيون السيد البدوي للسجن المصيق يقضى به سبعة اعوام .

(3) الامر خالد بن محي الدين ابن الامر عبدالقادر الجزائري ، كان يطالب فرنسا بانجاز عهودها الكاذبة للجزائريين أثناء الحرب العظمى وكان يطالب بالغاء القوانين الاستثنائية « الاندجنا » وبوجوب تطبيق الاصلاح لتمثل في تسوية الجزائريين بالفرنسيين في الحقوق والواجبات ، ودخول الجزائريين لمجلس النواب الفرنسي ، بمجرد ان وضعت الحرب اوزارها شكل وفدا أم ساحة فرساي حيث ان الأمريكى (ولسون) يحاول عينا نرض بنوده التي نادى بها ايام الحرب ، ومنها حرية سائر الشعوب في تقرير مصيرها .

لئن بح صوت السيوف الصقال وأغفى صرير الرماح العوالى
فحرب اليراع أعاد الصرا ع ، يقود سراياه نجم الشمال (1)
بأرض فرنسا ، يبدك فرنسا وينذر ساستها بالوبال
معاميد تزخر فيهم حنايا بروح الفدا ، والأمانى الغوالى
تباركهم صرخات الضمير ، وتلهمهم ذكريات التضال
وقال الرعايد : قوم رعاع مجانين ، تجرى وراء الخيال
وقال المناجيد : قوم كرام صناديد ، من عظماء الرجال
وقال الفرثيس : بئس المصير ، اذا القوم لم يحقوا بالنكال
وقال الألى ناصروا حزينا ستقضى على لعنة الاحتلال
وقال الذى خلدوا شعره فداء الجزائر ، روحى ومالى (2)

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايحه من حنايا الجزائر

(1) حزب نجمة إفريقيا الشمالية ، وتعهدت عدم ذكر مؤسسه حكمة تقتضيها الظروف -
(2) نشيد الانطلاقة الأولى للغدى زكريا ، وكان نسيب حزب الشعب الجزائرى ويسمى اذ ذاك النشيد
الوطنى وبقي كذلك حتى خلفه فى المجال الرسمى نشيد : " قسما " لنفس المؤلف

وفي الدار جمعية العلماء تغذى العقول بوحى السماء
وتهدى النفوس الصراط السوي وتغرس فيها معاني الابرار
تواكب نجم الشمال اندفاعا وتغمر أكوانه بالسناء
ويعضد باديس فيها البشير فتزخر بالخلص الأصفياء
وتغزو الضلالت في التائهين ، مع الوهم ، في موكب الأغبياء
وترسى جذور الأصالة في الشعب ، تمحو بها وصمة الدخلاء
وتبنى المدارس عرض البلاد فيعل ابن باديس صرح البناء
ويرتاع مستعمر مستبد وتخشي الخفافيش تبع الضياء
ويرهب ظل الأسود ابن آوى ويؤذى المنافق صدق النداء
كذا عبد العلماء الثنايا بوحى السماء ، ووحى الدماء

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة.

تسايحه من حنايا الجزائر

جزى الله عنا الشدائد خيرا وذكرى احتلال الجزائر (1) شكرا
وان ننس ... هلا نسينا الجرا ح ، وما ان تزال الجراحات حمرا ؟
وان ألمونا بماية عام حفلنا بعيد الجزائر دهرا
وان رقصوا فوق أشلائنا واحيوا على مذبج الشعب ذكرى
رقصنا على نفمات الرصا ص ، ورحنا نبث المقادير سرا
وان خسفوا نجم هذا الشما (2) ل فللشعب حزب مضى مستمرا
ضمائر أخلص فيها البقا ء على العهد .. ما ان تباع وتشري
اذا ما فيوليت (3) ضلل قوما وعر ضعاف العقول وأغرى !
وخدر قوما بمؤتمرات (4) فظنت سراب المتاهات نهرا !
فللشعب حزب يصون المبادئ وشعب الجزائر بالناس أدري !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(1) العيد المئوى المشؤوم

(2) حل حزب نجمة إفريقيا الشمالية

(3) مشروع بلوم فيوليت

(4) المؤتمر الاسلامى عام 1936 م

أفاق من الوهم حزب البيان فاسلم للمخلصين العنان (1)
 وزايله الشك في أصله فمدت لحزب البيان اليدان
 وأوحى اندماج فرنسا اندما جا لعزبين مرماهما توأمان (2)
 فبارك باديس ، جمع الصفوف ، ودشن باديس عهد الأمان
 ويوليوز والملعب البلد ي وأحمد يعلن فيه الأذان (3)
 ويصعق فيه بصوت جديد فيصعق منه العتل الجبان
 ولاذت فرنسا بأصنامها تحاول بالدس كسب الرهان
 فتفتال كحول (4) تلقى دما ه على الطيب الواسع الصولجان (4)
 لئن خانتا الدهر في طيب وأصغى مصالى لغدر الزمان
 قلن يجعد الفضل تاريخنا وهذى الدنيا للرجال امتحان

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) اشارة لالاع فرحات عباس عن تساؤلاته اعترافا بالحق والرجوع الى الحق فضيله
 (2) اى ان المطالبة بالاندماج اوجت لحزب البيان بعد الاصطدام بالواقع بفكرة اندماج الحزبين ، حزب البيان
 وحزب الشعب بعد اعتناق البيان لبادى، حزب الشعب والتوبة من خرافة الوحدة الفرنسية
 (3) اشارة للمفاجأة المدهشة التى قام بها احمد مصالى الحاج جهارا لأول مرة بالجزائر فى المطالبة بالاستقلال خلال
 الخطاب التادىخي يوم 17 يوليوز 1936 م بالملعب البلدى بعاصمة الجزائر
 (4) الشيخ الطيب العقبي والشيخ كحول

وان وزع الراى حزبا عتيذا ففى القصد ، ما انفك حزبا وحيذا (1)
وتأبى الزعامات كبـح الطـمـوح ، فتصنع للخلف شكلا جديدا
وتغرى الكراسى ضعاف العقول ، كنار جهنم ، ترجو المزيد
وتغزو السياسة فكر الزعيم — فيصبح فكر الزعيم بليدا
كأن الزعامة اعصار جان ولم ار للجان عقلا رشيدا
وما الانتصار (2) دخول انتخاب وضرب الموائد ، ضربا شديدا !!
ولا كلمات على جدران هل الحبر فى الحرب كان مفيدا ؟؟
ولا بالهتافات عاش ... ويحيى فما حرر القول يوما عبيدا !!
ولا بالوفود ... وسمع فرنسا أهال عليه الغرور الصديدا ...
ولن يغسل العار الا الدما وعاش الحديد .. يقل الحديد ..

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) انقسام حزب الشعب
(2) الانتصار للحريات الديمقراطية

ولم ننس في أربعين وخمس ضحايا المذابح في يوم نحس (1)
طربنا مع الحلفاء اغترارا وقمنا نصفق في غير عرس
فكانوا مع الغدر ، عونا علينا ودرسا لقادتنا أي درس !
وكانت مجازرهم بسطيف وقالة للشعب ، دقات جرس
وهز ايستراد شعبا تواني وايقظ في العمق ميت حس (2)
وعلمنا آشباري الثنايا فبدد لون الدما كل لبس (3)
وكانت تلاحق أقلامنا سراب الضياع فباعت ببخس
وكانت تكافح أحزابنا مع الوهم ، بين صراخ وهمس
فمطل صوت الرصاص اللغي وأنطق السنة غير خرس
فقامت تعبنا أكبادنا طريق التخلص من كل رفس

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساويحه من حنايا الجوائر

(1) مجزرة سنة 1945 م في سطيف ، وخرابة ، وعين الكيرة ، وقالة الخ

(2) الجلاء ايستراد كاربونيل طاغية قسنطينة

(3) انباري جلاء قالة

وطالت خرافات حرب الكلام وما بلغ الشعب فيه المرام
فأمن بالنار من عرفوها ومن كاشفتهم بسر النظام (1)
الى أربعين وتسع سلامي وقد بلغ الشعب فيها الفطام
فكانت شرارة حرب الخلا ص ، وان أختفوها بلغوا الكلام
رعى الله عيمش (2) في الخالد ين ، وكحال (3) في السابقين الكرام
ورابح (4) تعبق أنفاسه وغرافة (5) الوطني الهمام
وعسلة (6) ينديه طالب (7) فيلحقه ، بعد مر السقام
ودوار (8) يستقبل الشهر ———— داء ، ومن أخلصوا للوفا والذمام
هم الثائرون الألى ولدوا نفمير من صليهم ، فاستقام !
متى نزلت ثورة من سماء نزول المسيح ... عليه السلام ؟؟؟

شغلنا الوري ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساويحه من حنايا الجزائر

- (1) إشارة الى المنظمة السرية (OS) عام (1949) التي افتضح أمرها بتبسة
- (2) علي عيمش ، مؤسس حزب نجمة إفريقيا الشمالية
- (3) أرزقي كحال ، من الأبطال الذين خاضوا معركة النضال بحماس نادر في صف نجمة إفريقيا الشمالية
- (4) رابح موساوي ، من مؤسسي نجمة إفريقيا الشمالية ومن أبرز مناضليها
- (5) الشهيد إبراهيم غرافة من طلائع الرعيل الأول في النضال الوطني ومن الأبطال القلائل الذين ذابوا في حركة التحرير
- (6) حسين عسلة من الشجع وانشط أبطال حزب الشعب
- (7) محمد طالب من مفاخر حزب النجمة وحزب الشعب
- (8) محمد دوار من أبطال حزب الشعب والانتصار كان نائبا واعتزل بيد الاستعمار الآثم واعتزل بيد الاستعمار الآثم ويضيق المقام عن ذكر سائر الأبطال الميامين الأموات منهم والأحياء فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا

تأذن ربك ليلة قدر وألقى الستار على ألف شهر
وقال له الشعب : أمرك ربى ! وقال له الرب : أمرك أمرى !!
ودان القصاص فرنسا العجوز ، بما اجتاحت من خداع ومكر
ولعل صوت الرصاص يدوى فعاف اليراع خرافات حبر !!
وتأبى المدافع صوغ الكلا م ، اذا لم يكن من شواظ وجمر !
وتأبى القنابل طبع الحرو ف ، اذا لم تكن من سبائك حمر !
وتأبى الصفائح نشر الصحائف ، ما لم تكن بالقرارات تسرى !
ويأبى الحديد استماع الحديث ، اذا لم يكن من روائع شعرى !
نفمبر .. غيرت مجرى الحياة ، وكنت - نفمبر - مطلع فجر !
وذكرتنا - فى الجزائر - بدرا فقمنا نضاهى صحابة بدر

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر ترتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

نقمبر - جل جلالك فينا ألسـت الذى بـث فينا اليقينـا ؟
سبحنا على لجـج من دمانا وللنصر رحنـا نسوق السفينا
وثرنا . نفجر نارا ونورا ونصنع من صلبنا الثائرينـا !!
ونلهم ثورتنـا مبتغانـا فتلهم ثورتنـا العالمينا
وتسخر جبهتنـا بالـلايا فنسخر بالظلم والظالمينا
وتعنو السياسة ، طوعا وكرها لشعب أراد ... فأعلى الجبينـا !!..
جمعنا لحرب الخلاص شتاتـا سلكنـا به المنهج المستبينـا
ولولا التحام الصفوف وقانـا لكنـا سـماسرة مجرمينـا !!!
فليت فلسطين ... تقفـو خطانـا وتطوى - كما قد طوينـا - الستينـا !!
وبالقدس تهتم .. لا بالكراسى تميل يسارا بها ويمينـا !!..

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

أتى أمرنا صارخا فانطلقنا ولدنا بوحدتنا ، فانعقدنا
وفاوضنا القوم فى أمرنا وأمر سيادتنا ... فرفضنا
وقالوا : سنجرى عليها اقتراعا بلا ، ونعم - خدعة - فاعترضنا (1)
فرنسا ... تناسيت ما ليس ينسى أما فى نوفمبر ... كنا اقترعنا
وأجرى علينا الرصاص انتخابا وخضب أوراقنا .. فانتخبنا ؟؟
وقلنا ... وقالت لنا الكائنا ت : خذوا حذركم واثبتوا .. فثبتنا
فلم نك نرضى بنصف الحلول ، ولا بالدومنيون نحن انخدعنا (2)
وديقول ألقى بيادقه فطاولها رخصا فانتصرنا (3)
وخاف الحواجز تحمى الفللة ، وتبكي فرنسا لها .. فضحكنا (4) ..
وفكر ديقول فى حمقهم وفى صدقنا .. ثم قال .. فهمنا (5) !!
شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساييحه من حنايا الجزائر

-
- (1) غى موليه وحكاية الاستفتاء السخيف
(2) خدعة الاستقلال الداخلى والتبعية لفرنسا
(3) البيادق ، والرغ من قطع الشطرنج
(4) الحواجز التى اقامها غلاة المعمرين بشوارع العاصمة سنة 1958م مع غصابة لافيارد وفى هذا اقول
من قصيد منشور فى اللهب المقدس :
وترى الفللة على السدود جوائها
مفاوضات ايمان التى انبتت عنها الاستقلال
تحمى النساء على السدود - رجالها !!

فرضنا ارادتنا الفارعة ولم تخب ، نيراننا الدالعه
وصفنا مصائرنا ، بالرصاص ، وبالرأى ، والحجة القاطعه
وتمت بها كلمات الاله ، التي وقعت باسمها الواقعه
ولاح الخلاص ، بحلم الليالى ، ترفرف أعلامه اللامعه
ودوى نشيد الجزائر يغزو الدنا قسما بالدماء الناصبه (1)
وجلجل صوت نشيد اللواء ، ففعنوا الرؤوس له خاشعه (2)
وجيش يردد : هذى دمانا السفوالى دوافقها دافعه (3)
ويصدق طلابنا بالنشيد ، وعمالتنا ، واليد الزارعه (4)
وبنت الجزائر تتلو نشيد العذارى ، فتصنى الدنا راكمه (5)
وقمنا نشيد صرح البلا ، د ، وثبنى سيادتنا الطالعه

شغلنا الورى ، وملأنا الدنا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

-
- (1) نشيد الثورة : قسما بالنازلات ، لغدى زكريا، منشور فى اللهب المقدس
(2) نشيد العلم : علم الجزائر ، عشت يا علم ، لغدى زكريا، منشور فى اللهب المقدس
(3) نشيد جيش التحرير : هذى دمانا الغالية دفاقة ، بلغة الشعب لغدى زكريا، منشور باللهب المقدس
(4) نشيد طلاب الجزائر : نحن طلاب الجزائر ، نحن للمجد بناء ، لغدى زكريا، منشور باللهب المقدس ونشيد
العمال الجزائريين لغدى زكريا، منشور باللهب المقدس : نحن جند الاتحاد والعمل
(5) نشيد لبنت الجزائر : انا بنت الجزائر ، لغدى زكريا، منشور باللهب المقدس
وكل هذه الاناسيد مع نشيد بربروس ونشيد الشهداء، وغيرها نظمت فى بربروس ايام الثورة الكبرى

وقالت جزائرنا العاليه هو الصدق ، حقق آماليه
ومن دم شعبي ، وأكباده الى النصر : قدمت قربانيه
وجندت من خالد بن الوليد وسعد بن وقاص أبطاليه
وجدت حطين في موطني وخلدت أمجاد أنطاكيه
وجل الفداء بالملايين شرفت ، ؛لخلد ، في رفرف العاليه (1)
وفي كل شبر لنا قصة شاهدها المهج القانيه
تلقن وجدة أدوارها فتحفظ بنزرت والساقيه
فيا مغرب مازجته الدماء وأجمع ، في الصرصر العاتيه
وزمناه أطلسنا في القرو ن ، فرحنا ندين بوحدانيه
دعوا المغرب الواحدى يقرر ويفرض مصائرنا الباقيه !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايحه من حنايا الجزائر

(1) العاليه : مقبرة الشهداء في غواحي عاصمة الجزائر

وأقلت بعض زمام التآنى !! وحى الكراسى ... كاعصار جن
ودنيا المطامع ، تبدى الغفايا وتدفع عشاقها للتجنى
فهب رجال لضمد الجرا ح ، وان قلب البعض ظهر المجن
وتطوى الحماقات ، طى الكتا ب ، وعن كنه أسرارها .. لاتسلنى !!
وخل غوامضها للز مان ، فان الزمان لأفصح منى !
وطالعنا بالبشائر يونيو فأنعش ، كالمارض المرجح
فقمنا تشيد اقتصاد البلا د ، ونعلى المصانع فيها ونبنى
ورحنا توفر للكادحين ، الرغيف الشريف ، بعلم وفن
ويزرع فلاحنا أرضه .. بذب الشرايين ، لا بالتمنى !
ونصنع من صلب واقمنا مذهبنا .. راقضين التبنى !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

شربت العقيدة ، حتى الثمالة فأسلمت وجهي لرب الجلالة
 ولولا الوفاء لاسلامنا لما قرر الشعب يوما مثاله
 ولولا استقامة أخلاقنا لما أخلص الشعب يوما نضاله
 ولولا تحالف شعب ، ورب لما حقق الرب يوما سؤاله (1)
 هو الدين ، يغمر أرواحنا بنور اليقين ، ويرسي العدالة
 اذا الشعب أخلف عهد الاله ، وخان العقيدة ، فأرقي زواله !
 اذا ما انتصرنا بحرب الخلا ص، فشورتنا اليوم حرب الأصالة (2)
 نهدنا لمعركة المستوى نربي النفوس ونفزو الجهالة
 ويصنع ايماننا أمة قواما ... فترجف منها الضلالة
 وان ينصر الشعب حرب الضمير أقمنا بوحي الضمير ، احتفاله

شغلنا الوري ، وملانا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) حرب الاصاله * ومعركة المستوى ، وحرب الضمير ، تفسيرات الثورة الثقافية - وربما كانت هذه التعابير اوضح واعمق وادل على مفهوم الثقافة المهمة بالشعور

(2) الضمير في سؤاله يعود على الشعب اي سؤال الشعب بحقيقته الرب

طباعتنا . صالحات جليله تعاف انحلال النفوس الذليله
وتأبى رجولتنا الابتدا ل وأحلامه . والشعور الطويله !
تغنث هذا الزمان ودبت خناقيس هيبى . تشيع الرذيله !
ونافس آدم حواءه دلالة . وغنجا . وذبح فضيله !
وجرت ذيول الطواويس هذى المراويل . وهى القصار الطويله
ولولا النهود . لما كنت تفــــرق . بين جميل وبين جميله !!!
وشاع الشذوذ . وذاع الحشيش . وأصبح للموبقات وسيله
وتقرف أنافنا القاذورات فلم تجد فى صرفها أى حيله
وأرض الجزائر . أرض الفحول ! . فاين الشهامة ؟؟ اين الرجوله ؟؟
ومن لم يصن حرمات البــــلاد . ويذر النفایات ... قد خان جيله !

شغلنا الورى . وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسابعه من حنايا الجزائر

تسامت مصادر اشعاعنا تدعم خالص ايماننا ...
 مساجد للهدى ، فى كل فج تنير السبيل لأجبالنا
 بسرنا ابن باديس لاح سناها ووهران تسمو بالهامنا
 وجامع كتشاة المستما د ، أما انك رمزا لاجلالنا ؟
 يناجيه فى النيل أزهرنا فيستنجدان بأسلافنا !!
 دبورمون هل دام حقد الصليب (1) ؟ أنال قزيقوار من بأسنا ؟ (2)
 وهل فت فيليب (3) فى عزمنا ؟ وحط القساوس من شأننا ؟
 وهل نابليون (4) ومن وسعته يداه ، استهان باصرارنا ؟
 وهل لافيجيرى (5) وطول السنين استطاع المروق بأطفالنا ؟
 ومهما يقيمون فيه احتفالا فقد عاد يهفو لأكبادنا (6)

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

(1) تقرر تحويل جامع كتشاه الى كنيسة فى الخامس من يوليو سنة 1830 ، اى يوم الاحتلال نفسه فى اللحظة التى كان فيها الكونت دوبرمون يضع العلم الفرنسى على مباني العاصمة ، وضع بنفسه صليبا كبيرا على جامع كتشاة كاعل مبنى فى العاصمة

(2) البابا غريغوار الذى بارك هذا التحويل بصفة رسمية

(3) الملك لويس فيليب الذى عين القساوسة وأهدى الكنيسة كل ما تحتاج اليه وأصدر مرسوما بذلك

(4-5) نابليون الثالث رئيس فرنسا الذى زارها مرتين وأصدر بمناسبة توسيعها ميدالية استثنائية تشجعا منه على توسيعها وعين نفسه الكورنيال لافيجيرى كاسقفها الاول ، وهو من أشهر اساقفتها ، وهو المشهور بتنظيم حملات التبشير وبقي فيها 15 سنة وقد كان استغل مجاعة سنة 1866 م واستعان بها على تنصير أطفال المسلمين البتامة فى الجزائر ولكن مساعيه ذهبت سدى حيث أن أغلبهم رجعوا الى الاسلام بعد أن بلغوا الرشد كما ذكر ذلك غوستاف لوبون فى كتابه : حضارة العرب

(6) وقع فيه احتفال سنة 1930 م بمرور قرن على استعمار الجزائر

تماوج فى فاس رجع الصدى من القرويين يغزو المدى
يساجل زيتونة للسلام مباركة فتلبى النداء
هو المغرب الأكبر المستمد رسالاته من رسول الهدى
ووحدة مغربنا اليوم خطو الى وحدة المسلمين غدا
بتوحيد بعض ، نوحّد كلا وهل ينكر الخبر المبتدأ ؟
قربتما كان مغربنا مثالا قويما ، به يقتدى !
وان سلك العرب فى أمرهم سواء السبيل ، مددنا اليها
وقمنا بأرواحنا نفتدّهم ، ونحن الألى اخلصوا للفداء
ونحن الألى غسلوا العار بالنار ، يسترهبون الردى بالردى !
ويستبدلون بالشعارات الفعل ، فاستوجبوا العزّ والسودا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا المزاثر

أماتا ، من الخطر الداهم ومن معول قاصف هادم
 غزا المذهبيون عقل الشبا ب ، بمستورد آفن آثم
 وزاغوا بهم ، دون اسلامهم الى مذهب ليس بالسالم !
 ودسوا شيعوية كالوباء ، كما يصرف السم للطاعم
 وقالوا : التقدم شرع الحيا ة ! ؤكم ركض العلم بالنائم ؟!
 وقالوا : الرجوع الى الدين رجعى وان الحياة مع القائم
 فضل الشباب البريء انخدا عا . برقطاع ، فى جلدها الناعم
 ولج مع الأرذلين انحرافا عن المبدأ الخالد الدائم
 وبث أساتذة فى الشبا ب روايب مستعمر غاشم
 وقيل دكاترة عالمون فويل لمستهتر عالم !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
 بشعر نرتله كالصلاة
 تساييحه من حنايا الجزائر

تفسخ هذا الشباب وماعاً (١) وخرب أخلاقه وتداعى
فويل الجزائر والمسلمين ، اذا دنس النشء هذى الطباعا
وكيف يسوس البلاد غيبى بليد أضاع الضمير فضاعا ؟؟!!
ومن يطمئن لأقدار شعب اذا استخلف الشعب فيها الضباعا ؟؟
وكيف يقوم بنياناه وتقويم أخلاقه ، ما استطاعا ؟؟
وكيف يصون الأصالة نشء وقد ساوموه عليها فباعا ؟
وكيف ينير الطريق شباب وقد طمس الرجس فيه الشعاعا ؟
وكيف يداوى المريض صحيحا وفى قلبه مرض السل شاعا ؟
وكيف يصارع موج الحياة . وما استطاع فى أصغريه (٢) الصراعا ؟
هو الخطر الجارف المستطير . فان تهملوه .. الوداع .. الوداع !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر ترتله كالصلاة
تسايحه من حنايا الجزائر

(١) ماع من الميوعة وعى التفكك والانحلال
(٢) المر - بأصغريه : قلبه ولسانه (حديث شريف)

مستهترون ، أضاعوا الثنايا وشاع تنكرهم للسجايا
 وقالوا : التقدم خلع العذا ر ، وهتك العفاف ، ونشر الخطايا
 وجدل الشعور ، ولبس الحلى ، وحمل القلائد ، مثل الصبايا
 ويفتخرون بشرب الخمو ر ، وفي الكأس ترسب كل البلايا
 فهم يرقصون كطير ذبيح ولا يحفلون بركب المنايا
 وقالوا : التقدم ، شعر لقيط تطير الأصلة فيه شطايا
 تفاعيله كضمير اليهو (1) د يصوغ مبانيه خبث النوايا
 وقد أصبح الشعر ، كالجيل ، خنثى تذيب الميوعة فيه الخلايا
 وصهين صهيون أخلاقنا (2) فكيفنا أن نكون رعايا ...
 وهل يحزن العتق مستعمرا وأخلاقنا في يديه سبايا؟؟

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايبه من حنايا الجزائر

(1) تعبير للشاعر صالح جودت في قصيد طويل يقول في جملة ما يقول عن هذا النوع من الشعر :

تفاعيله كضمير اليهو د ، يباع ويشرى ويستاجر

(2) صهين انشقاق جديد من كلمة صهيونية على لسان عاقل من العقلاية :

بناء الجزائر صونوا الشباب
 ولا تهملوا أمر طلابنا
 فكم شوه المسخ فيهم عقولا
 وحرف من زاع اسلامهم
 واصبح تفكيرهم قرمزيا (1)
 وتفشو حماقات كوهين باندت
 وتنشق ابواق ... ماركس فيهم
 فويل لطلابنا من شيوخ
 ومرتزقين بأفكارهم
 ولا زال فينا ... لمستعمرينا
 ولا تأمنوا في الشباب الذئابا
 فقد أصبح العقل فيهم يبابا
 وكم أمعن المسخ فيهم خرابا
 وأفقدهم وعيهم والصوابا
 دخيلا ، وإيمانهم مسترابا
 فتحدث في الاغبياء اضطرابا (2)
 فيتخذون الدليل .. الغرابا (3)
 تواقه ، لا يعلمون الكتابا (4)
 صنائع ... لا يقرؤون الحسايا !!
 عيون ... وان أسلمونا الترابا !!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
 بشعر نرتله كالصلاة
 تساييحه من حنايا الجزائر

(1) القرمزي ، اللون الاحمر الداكن ، اى الشيوعى
 (2) كوهين باندت الذى جاء فرنسا وحدث اضطرابا وتسبب في سقوط ديغول وتعرف هذه الحماقة بثورة 22
 ماي 1968 م
 (3) اذا كان الغراب دليل قوم يمر بهم على جيف الكلاب
 (4) لا يعلمون الكتاب الا امانى الآية

ومستشرقون ، أحبوا الجلالا ومستشرقون ، أشاعوا الضلالا
فمن أنصفونا ، وقالوا صوابا وشدوا الى ملتقانا الرحالا
ولم ينقصوا قدر أمجادنا تخذناهمو قدوة ومثالا
وأكبر انصافهم شعبنا ولم ينكر العلم فيهم خصالا
ومن البسوا الحق حقدا دفيننا وألقى الصليب عليهم ظلالا
وكانوا طوابير مستعمرينا وكانوا مخاض الليالى الحبالى
دعوناهمو للجدال النزيه وقلنا لهم لا نهاب الجدال
فان أنصفوا العلم والحق قلنا : نفوس الرجال تجل الرجالا
وان طمس الحق أبصارهم نبذناهمو ، وسحبنا السؤال
وبالدم نكتب تاريخنا ونبلغ - بالعدل فيه - الكمالا

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

واعيا المبشر عمق العقيدة فلم تجد فينا المساعي الحميده
ولا غسل في طواياه سم ولا البذل يخفى الشرور المبيده
ولا أن يطوف بأبوابنا ومن خلفها ، عزمات وطيده
ولا أن يعالج فينا المريض ، وتهتك في أصغريه العقيده
ولا بالأناجيل ، تنشر فينا فتصبح بالوضع - غير مفيده
فحسب المبشر قرن ونصف تجارب للزيغ ، كانت بليده !!
فايماننا شامخ كملانا ونظرتنا فيه ظلت بعيده
ليفز المبشر أبناءه فقد أصبحوا كالقروء الطريده
بهم تتدحرج هيببة بخطوات الى الموت ، غير وثيده
وأحرى بنا أن نبشر فيكم بإسلامنا ، والمبادئ الرشيده

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

وبعض تزوج بالأجنبيه
 تراقصنى وتراقص هذا
 وتختال بالمينى جوب دلالات
 وتركنى ... لا جناح عليها
 وتقضى الليالى خارج بيتى
 وان ولدت ... لست أدري لمن ؟؟
 أنالديه صالح عند الصبا
 وان زل يوما ، تناديه بيكو
 وتدعو مساعدنا مون اراب (3)
 وأنحر فى نحرها غيرتى

وقال : مثقفة حضريه
 وذاك ... وتعبث عن حسن ثيه
 وتستعرض المغريات الخفيه
 وتذهب للسهرة النرجسيه
 وذلك من نعم المدينه
 كفى أنه من بنى البشريه (1)
 ح ، وأدعوه موريس (2) عند العشي
 فأحسب بيكو من البكويه !
 فأهوى العروبة والعريه !
 فتغدو أنا ... ثم أصبح هيه !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تساويحه من حنايا الجزائر

(1) هذا يشمل اليوم مع الاسف الشديد كثيرات من اللسلات الجزائريات وغير الجزائريات ممن يسمين

اليوم « بالتقدمات » ، « المتطورات » ، « التحضرات » ، « المتفتحات » على العالم الواسع !

(2) اشارة الى ابيات الاديب الكبير الشهيد محمد الامين العمودى ، فى تحية الدكتور سعدان المتزوج باجنبية :

حس الطبيب ولا تهمل قرينته فهو سليمان ، والمادام بلقيس

له غلام ، اطال الله مدته تنازع العرب فيه والفرنسي

لا تصدلوه اذا ما خان ملته فنصفه (صالح) والنصف (موريس)

(3) كان الفرنسيون لا ينادون مساعدهم فى البيت الاب : مون اراب ، ومساعدتهم الا باسم فاطمة ، وهى بنت الرسول

وتفاحة ، أخرجت آدمًا من الخلد ، مذ لعنته السما
ولكن حواءنا بلعتها وللعلاج تركت المسلما
ولم ترض بالفحل من قومها فهامت بمن .. (مارمى اذرمي) ...!
فسحقنا لبنت تزيف جيلا وتلعن فيها الدماء الدما ...
وتغضب عيسى المسيح ، وتبكي على جذع نخلتها مريما
وتبنا لمجتمع خائر تعيش الرجال به كالدمي !!!
يموت ويقبر فيه الضمير ، ويحمى البريء به المجرما !
تعالى فرنسا... ادخلي بسلا م ، فأبناء صلبك ملء الحمى ...!
غدا بالزغاريد يستقبلون ، نزولك في أرضنا ... بعدما ..
ويا قادة الشعب ... ان دام هذا ... أقيموا على شعبكم ماتما ..!

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تسايبه من حنايا الجزائر

ويا ملتقى فكر اسلامنا ومجلى قداسة ايماننا
ويا لوحة لسمو الجلا ل ، ومغنى الجمال بأوطاننا
ويا منبع النور من وحيننا ويرج أصالة اشعائنا
ويا حجة لرسالات أرض الجزا ثر للكون تسمو بأمجادنا
وبرهان اخلاص أرض الجزا ثر عبر القرون لقرءاننا
ويا وافدون على الرحب ، حلوا كراما بتربة أجدادنا
تحييكمو مهجات الملايين ، فى الخلد من عز أبطالنا
تناشد فيكم صفاء الضمير ، وانصاف حرمة اسلامنا
وخدمة تاريخه من جد يد ، اذا ما صدقتم لأجيالنا
وأن تغمروا منتداكم وضوحا ينير الطريق لطلابنا
فأرض الجزائر ، أرض الوضوح ، وتلك طهارة نياتنا
شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا
بشعر نرتله كالصلاة
تساييحه من حنايا الجزائر

(1) هذا المقطع يضم 11 بيتا عوض عشر أبيات ، والبيت الزائد بمثابة سجدة السهو للحفاظ على قداسة الملتقى

بلادى ، بلادى ، الأمان الأمان
جلالك ، تقصر عنه اللقى
وهام بك الناس ، حتى الطفلة
واغريت مستعمريك ، فراحوا
ولم يبرحوا الارض ، لما استقلت
وزلزلت الأرض زلزالها
وراهنه الشعب يوم التنادى
فتبيض صفحة افريقيا
واشراقه الروح منك تناهت
اليك صلاتى ، وأزكى سلامى
أغنى علاك ، بأى لسان ؟
ويعجزنى فيك سحر البيان
وما احترموا فيك حتى الزمان
يهيمون فى الشرق بالصولجان
شعوب ، ولم تستكن للهوان
وضج لفاصبك النيران
ورج به الشعب يوم الرهان
ويسود وجه المغير الجبان
تشيع الجمال ، وتفشى الحنان
بلادى ، بلادى ، الأمان الأمان !

شغلنا الورى ، وملأنا الدنيا

بشعر نرتله كالصلاة

تسايحه من حنايا الجزائر

قصر الامم ، الجزائر فى يوم 13 جمادى الثانية عام 1392 هـ
الموافق لـ 24 يوليوس سنة 1972 م

وهكذا ستستمر الاليادة الى أن تقف على ألف
بيت أى مئة مقطوعة فتصبح ألفية الجزائر
مفدى زكرياء

صور من الملتقى



لقطة من جلسة الافتتاح ويرى في الصورة على اليمين : د احمد طالب الابراهيمى وزير الاعلام والثقافة
- السيد الحاج احمد حاج على أمين عام الحكومة - السيد سليمان هوفمان والى ولاية العاصمة

دين

ودولة

ونظام
اجتماعي
كامل

الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم
فضيلة الامام الاكبر .
اصحاب المعالي
حضرات الاساتذة الافاضل
حضرات السادة
اخوتى الطلبة والطالبات ،

نختتم اليوم هذا الملتقى السادس بعد
ثمانية عشر يوما من عمل دائم دائب ،
بمعدل ثلاث محاضرات فى اليوم ،
ومناقشات وتعقيبات لم يكن مجموعها
باقل مدة من جملة المحاضرات ، وهل
استطيع بعد كل ما قيل أن آتى بجديد فى
الموضوع ؟

مولود فتاسم

لذا فساكون موجزا بقدر الامكان : وسأقتصر على بضع نقاط فحسب تتصل بلب الموضوع ، وان لم أوفه حقه كما كنت أود .

الاسلام دين ودولة ، ونظام اجتماعي كامل ، صالح لكل زمان ومكان
قد يقول البعض : ما الفائدة في تكرار هاتين البيهيتين ؟ فالأمر عندنا لا يحتاج الى تأكيد واعادة !

ويجب آخر : ليس هذا بصحيح اطلاقا ، وحتى ان صح ذلك وفي وقت من الأوقات قد ولى الى غير رجعة ، فلم يعد الأمر كذلك بحال !

وهذان الرايان يتساويان في السلبية ، والعقم ، والبطلان !

وهكذا ففي عصر يحتاج فيه العالم صراع فكري عنيف ، أو ايدولوجي ، أو عقيدى ، كما يقال اليوم ، نجد المفكرين أو من يسمون كذلك في عالمنا الاسلامي يذهبون مذهبين .

فاذا كان البعض منهم يؤمن بالبيهيتين المذكورتين ، اللتين تتجسمان في حضارة وثقافة من أعرق الحضارات وأخصب الثقافات ، وأكثرها تنوعا ، وأشملها ، وأعمقها ، وأكثرها أبعادا ، اذ امتدت أنوارها الى أغلب أنحاء العالم المسمى اليوم بالمتحضر ، وكانت المنطلق للنهضة الاوروبية ، فان ايمانه بهما لا يعدو أن يكون شكليا سطحيا ، لم يطبقهما في جوهرهما ، واكتفى منهما ببعض مظاهرها ، وفي أحسن الأحوال بالنزر القليل من محتوياتهما ، وبذلك يعطى صورة مشوهة عن الاسلام ، ويجعل من نفسه غالبا - بقصد أو عن سذاجة - أداة طليعة لأنصار الركود والجمود ، وعونا للقائلين بأن ليس في الامكان أبدع مما كان ، ويذهبون أحيانا في ذلك الى التصادق والتحالف مع أكثر رجال اللاهوت تعصبا ، بدعوى تعاون الأديان ضد الالحاد ، وينتهون بالسير في ركاب من تعلمون !

أما الفريق الآخر فينكر هاتين البيهيتين ، ويجحد كل ما كان للاسلام من دور رئيسي فاصل في تاريخ الحضارة الانسانية ، ويضرب صفحا عن أربعة عشر قرنا من الحضارة الاسلامية والفكر الاسلامي ، ليملأ ذلك الفراغ الهائل

ببعض القشور البراقة ، والشعارات الرنانة ، من ايدولوجيات مستوردة ، أقل ما يقال فيها أنها لم تفد في الغالب حتى أهلها ، فضلا عن أنها متناقضة مع مجتمعنا ، متنافية مع أصالتنا .

وهذا الفريق اذ يجنى على نفسه يجنى على أمته ، ويمرضها لأن تبقى معلقة في الهواء ، مذبذبة ، تسعى الى فقدان ما لديها ، ولا تكتسب جديدا ، فهو من يتامى الثقافة والقوم التبع ، يلعب من حيث يدرى أولا يدرى دور العميل المخرب ، الجاهل بتاريخ أمته ، والباحث عن حتفه بأنفه ، كما يقول المثل العربي القديم ! وللرد على هؤلاء وأولئك ، ومساهمة منا في توضيح الأفكار ، وتصحيح المفاهيم ، ننظم هذه الملتقيات بين نخبة من المفكرين المسلمين ، وفي هذا الملتقى أيضا حتى من غير المسلمين ، والشباب الناهض من طلبة الجامعات والسنتين النهائيتين من التعليم الثانوى ، من الجزائر وغيرها من أنحاء العالم الاسلامى فى القارات الثلاث .

ونظن أننا بفتح مجال المناقشة واسعا ، ونشر هذه المحاضرات بواسطة الاذاعة ، والتلفزة ، والصحافة ، وأيضا بجمعها مع المناقشات فى مجلدين أو ثلاثة ، بلغتين أو ربما ثلاث ، تساعد شبابنا على معرفة الاسلام فى حقيقته بين التيارات الفكرية والحضارية العالمية ، ونعمل على التفاهم والتعاون بين البشر .

اخوانى الطلبة ،

يقولون لكم ان الدين ، أى دين ، ويقصدون خاصة الدين الاسلامى ، رجعى ، فى صالح الاقطاع ، والاستغلال ، والاذلال ، والانفلاق على العالم ! لقد ضربت لكم أمثلة كثيرة فى الكلمة التى كان لى شرف القائها نيابة عن الرئيس بومدين ، وفى المحاضرات والمناقشات الخصبة الهادفة - كما يقال اليوم - عن عدل الاسلام ، وعن حثه على العلم والعرفان ، وعن تسويته بين حبر العلماء ودم الشهداء ، وعن ثوريته فى جميع المجالات الاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، وغيرها من نواحي النشاط الانسانى وحاجياته الروحية والمادية .

وذلك ان الاسلام دين ودولة ، ونظام اجتماعى كامل ، صالح لكل زمان ومكان ،

اذ يساير التطور المعقول ، حسب ضرورات العصر ، بروح تتمثل فى الاجتهاد الذى نجده حتى فى القياس والاجماع ، بل نجده حتى فى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما رأينا ذلك فى مثل عمر الفاروق مع بنى مزنة ، وبالتالي فهو مصدر من مصادر التشريع الاسلامى ، خلافا لما يريد له أنصار الجمود والركود !

ولقد كان أيضا نظاما اجتماعيا كاملا بالمعنى الأصيل ، وبالمعنى المتداول اليوم ، خلافا لما تهذى به السنة الثرائين ، وتخطه اقلام المخربشين !

فلقد تكلمنا عن توزيع الثروات بالعدل فى الاسلام ، وأعطينا أمثلة رائعة عن ذلك لدى الرسول نفسه ولدى الفاروق عمر ، وتكلمنا عن اشتراكية الاسلام كما سماها الشهيد حسن البنا ، ووضحنا ووضح الكثير ذلك كله فى السنة الماضية أيضا فى كلمة افتتاح الملتقى ، وفى معرض الحديث عن الثورة الزراعية والاقتصاد الاسلامى .

وهنا أود أن اكتفى من هذا كله بمقد مقارنة بخصوص موضوع يعد فى قمة الانجازات الثورية للنظام الاجتماعى لدى بعض الدول الاوروبية المتقدمة ، واعنى به الضمان الاجتماعى .

لقد سبق الاسلام السويد أو أية دولة أخرى فى العالم ، رأسمالية أو اشتراكية ، الى ايجاد وتطبيق نظام الضمان الاجتماعى ، وحماية العجزة والموزين ، وهو ما يسمى بمنحة الشيخوخة .

فلقد أنشأ عمر بن الخطاب هذا النظام ، وجعله يشمل حتى اليتامى ، فقد مر ذات يوم على باب قوم وعليه سائل ، شيخ كبير كفيف ، فربت على كتفه من خلفه وقال له : من أى اهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى ، قال فما الجأك الى ما أرى ؟ فذهب به الى منزله واعطاه شيئا مما كان لديه ، ثم ارسل به الى خازن بيت المال ليجرى عليه ما يصلحه ، وتلى الآية : « انما الصدقات للفقراء ، والمساكين ، والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والفارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل » ، وقال : وهذا من مساكين اهل الكتاب .

ولقد بلغ من الزكاة فى وقت عمر بن عبد العزيز ان لم يعد هناك فقير يستحقها ! هذه الزكاة التى قال فيها العالم الدينى الألمانى ماركس فيلهيلم ما يلى : « وكانت هذه الضريبة فرضا دينيا يتحتم على الجميع أدائه ، فضلا عن هذه الصفة الدينية فالزكاة نظام اجتماعى عام ، ومصدر تدخر به الدولة الاسلامية ما تمد به الفقراء وتمينهم ، وذلك على طريقة نظامية ، قوية ، لا استبدادية تحكمية ، ولا عرضية طارئة .

ويستمر فيقول :

« وهذا النظام البديع كان الاسلام اول من وضع أساسه فى تاريخ البشرية عامة : فضريبة الزكاة التى كانت تجبر طبقات الملاك والتجار والاغنياء على دفعها لتصرفها الدولة على المعوزين والعاجزين من أفرادها هدمت السياج الذى كان يفصل بين فئات المجتمع الواحد والدولة الواحدة ، ووحدت الامة فى دائرة اجتماعية عادلة ، وبذلك برهن هذا النظام الاسلامى على أنه لا يقوم على أساس الأنانية البغيضة » .

ومن هنا أيضا نقدر الموقف المعروف عن أبى بكر رضى الله عنه عندما حارب الذين عطلوا الزكاة وقال قولته المشهورة : « والله لو منعونى عقال بغير كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه حتى يؤدوه » .

ونستطيع أن نقارن قيمة تلك الزكاة التى يقوم بها المسلم عن طوعية واختيار ، ليكون مرتاحا مع ضميره والوازع الدينى ، بالضرائب التى يتحايل معها الكثير فى أوروبا ، وتوقع البعض فى اخرج المواقف ، كما جرى ذلك لرئيس حكومة أوروبية أخيرا ، اضطر الى الاستقالة من أجل حملة صحافية اتهمته بالتزوير فى المعلومات التى قدمها لادارة الضرائب عن أملاكه الخاصة .

ومن بيت المال كان عمر الفاروق يأخذ المرتبات التى كان يجريها على الزمنى ، أى العجزة ، ومنها أيضا كان يأخذ المنحة التى عممها على الشيوخ ، والعجزة مسلمين كانوا أم غيرهم .

وقد كان الاسلام أكرم وأعدل من النظريات الحديثة فى توزيع المنح

العائلية . فأبو بكر عممها على سائر الاطفال ، خلافا للنظم الاجتماعية الحديثة التي تقصرها على أبناء الموظفين والعمال فحسب .

وقد بلغ من رحمة ذلك النظام في المهود الزاهرة للاسلام أن شملت تلك المنحة حتى اللقطاء ، وعمر المتشدد في المبادئ ، الصارم في الحفاظ على الاخلاق ومعاني الرجولة ، هو الذي أحدثها ، وكان يرى ألا يعاقب الاطفال على أخطاء أمهاتهم .

وقل مثل ذلك في الوليد بن عبد الملك الذي زاد من تعميم هذا النظام ، وكذلك في عمر بن عبد العزيز الذي جعل هذه المنحة العائلية تتجاوز الاولاد من ذكور واناث لتشمل الأم أيضا ، بفضل هذا النظام الاجتماعي الرائع الذي يتمثل في الزكاة التي هي الركن الاجتماعي البارز من أركان الاسلام ، وهي ليست صدقة ومنة ، وانما فريضة من الله ، وحق معلوم للسائل والمحروم ، وفي ذلك يقول شوقي :

والبر عندك ذمة وفريضة لا منة ممنونة وحباء

جاءت فوجدت الزكاة سبيله حتى التقى الكرماء والبخلاء

انصفت أهل الفقر من أهل الفنى فالكل فى حق الحياة سواء

فلو ان انسانا تخير ملة ما اختار الا دينك الفقراء !

والى جانب الزكاة هناك الوقف أيضا .

وقل مثل ذلك في صلاح الدين الايوبي ، الذي سبق بقرون منديس فرانس الى ضمان نقطة الحليب . فقد انشأ وقفا لامداد الامهات بالحليب اللازم لأطفالهن ، اذ جعل فى احد أبواب دمشق ميزابا يسيل منه الحليب ، وميزابا آخر يسيل منه الماء بالسكر ، فتأتى الامهات يومين فى كل اسبوع فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون اليه من الحليب والسكر .

وكانت هناك أوقاف مخصصة لتمويل العلاج النفساني للمرضى بالموسيقى ومختلف وسائل الترفيه والتسلية ، وكانت فى مستشفى السلطان قلاوون بالقاهرة فرقة خاصة للتمثيل الشعبى المضحك ، كما كانت أوقاف لتزويج الفقراء من البنين والبنات ، وكان هناك وقف الزبائى ، وهو خاص بإسعاد الخدم الذين يكسرون ما يحملونه من الأواني فى الطريق ، فيذهب الصبي أو الخادم الى قيم الأوقاف فيعوضه عن الاناء المكسر باناء جديد ، حتى لا يتعرض للضرب أو التنازل عن جزء من أجرته لمستخدمه مقابل الاناء المكسر .

بل وكانت هناك أوقاف خاصة بالحيوانات والطيور ، لحمايتها ، وجبر كسرها ، وعلاجها حتى شفائها ، كما كان ذلك فى دمشق وفاس مثلا حتى الى عهد قريب .

واذا كان هذا كله مع الأسف لم يعد موجودا فى العالم الاسلامى اليوم ، بعد أن عصفت به عصور الركود والجمود ، ثم كاد يجهز عليه الاستعمار ، فان أوروبا أو أمريكا لم تعرفاه إطلاقا ، وإلى اليوم ، اذا ما ضربنا صفحا عن بعض جمعيات المحافظة على الكلاب فى بعض دولها ، وهى استثناءات ، فولكلورية أكثر منها جدية حقيقية !

هذا كله فضلا عن الاوقاف المخصصة للمؤسسات الخيرية ، مثل المعاهد العلمية ، والطرق ، والايام ، والمقابر ، والمساجين ، والآبار ، والمستشفيات ، والمكتبات ، والمساجد ، الخ الخ .
اخوانى الطلبة ،

هذه أمثلة قد تبدو للبعض لاتكاد تصدق ، لجانبها التنظيمى الرائع ، التقدمى كما يقال اليوم ، ووجهها الانسانى حتى مع غير الانسان !

هذا شئ من كثير مما بلغه الاسلام ، وحققته حضارته ، وان بقى أثرا بعد عين ، وعزاؤنا ، بل وأملنا ، بل ويقيننا ، ان ما أمكن بالأمس يمكن اليوم ، اذا ما سرنا على نفس الدرب ، ورجعنا الى تلك الجادة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها ، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن يغير الله ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

ولن يتقدم المسلمون مالم يتساءلوا مثل شكيب أرسلان ، وما لم يعودوا الى القاعدة الذهبية التي تتمثل في اصول الاسلام الذي كان ، ولا يزال ، ولن يزال ، ديننا ودولة ، ونظاما اجتماعيا كاملا ، اذا ما استمسكنا بعروته الوثقى ، كما قال جمال الدين ، وهزنا نفوس الجامدين ، كما قال باديس ، وقلعنا جذور الخائنين ، والخائن في نظر محمد عبده ليس الذى باع وطنه فقط ، وانما ايضا كل من كان فى استطاعته أن يفعل شيئا فى صالحه ولم يفعله ، وينطبق هذا على كل مسلم كان فى امكانه أن يفعل شيئا لايقاظ الامة الاسلامية ، والتعجيل بنهضتها ، وكان مقصرا كسولا !

سيروا الى الامام ، ولا تستمعوا للاصوات الناشزة الشاذة التي تتلثم بالفاظ تلوكها لا عن اعتقاد ، وانما عن تعقد ، لاترقصوا على كل طبل يدق ، ولا تفتروا بسلوك تلك الفئة التي تسمى فهم التقدم ، والتقدمية ، وتظن أنه الخروج عن الأصل ، وترك العقيدة السمحاء ، والاخلال بالآداب والتقاليد ، وحاولوا ان تجادلوهم بالتي هي احسن ، والا فاهزأوا من كل تقدمية مزيفة ، عوجاء عرجاء !

لقد سمعت مرة فى مقهى معروف فى احدى العواصم العربية الشرقية كهلا يتكلم مع صاحبه ويقول له : فلان رجعى ؟ أبدا ، انه لا يصوم ، ولقد رأيته يرقص وشربت معه الخمر ، ولا يؤمن بالطقوس الدينية !

واستغربت ، ومنذ أشهر سمعت نفس الشيء هنا من شاب جزائرى ، اليس هذا موضحة لاتدل الا على فقر مدقع فى الطاقة الذهنية ، وفى العقل السليم الذى زعم ديكارت أنه أعدل الأشياء توزعا بين الناس ؟

ويؤسفنا أن نقول هنا أن كثيرا من هؤلاء المساكين نجدهم فى اوساط الذين كانت دراستهم تقليدية كما يقال ، كما لو كانوا يودون ان يؤكدوا لنا أنهم متخاصمون مع ماضيهم ، زاهدون فيه ، منسلخون عنه ، ناقمون عليه ، منتقمون منه ، متنكرون له ، ويصفون كل من يدعو الى القيم ، أو على الأقل لا يشاركهم سطحية تفكيرهم وسخافته ، بأنه مترمّ رجعى ، يعيش بعقلية القرون الوسطى ، جاهلين حتى معنى القرون الوسطى ونسبتها ، وغير آخذين من التقدم

والتقدمية الا ما لا يمت اليهما بصلة أو سبب ، ويظنون ان التقدم بالعادات
والخائات ، والرقص والكأس ، جاهلين انه لا يكون الا بالمتنازع والمزارع ،
وبالمعاهد والمستشفيات ، وبالانتاج مع المحافظة على القيم والروح !

لا تنخدعوا بالشعارات الطنانة الجوفاء ، التي تطرب لها نفوس تلك
الضحايا ، التي تريد أن تجعل من غيرها ضحايا ، ممن يسمون أنفسهم زعماء
وبهتاننا عقلانيين ، وكل ثقافتهم ، ان كانت هناك ثقافة ، تتمثل في النقد
الهدام ، والسلبية ، والانكار !

كونوا مقبلين على العلم والثقافة ، واقرنوهما بالتمسك باهداب الاخلاق
وقواعد التربية ، وبعد هذا كونوا متفتحين على العالم وعلى جميع ثقافته . وأنتم
أشد ما تكونون حرصا على مقومات شخصيتكم ، وعناصر أصالتكم ، التي هي
حصانتكم .

فبالاسلام حمينا أنفسنا من المسخ والاندماج ، وبالاسلام قاومنا بالامس
منذ عبد القادر ، وبومزة ، ولا لافاطمة ، والشيخ الحداد ، والمقراني ، وابن شهرة ،
والبركاني ، وبوشوشي ، وبومزراق ، وأولاد سيدى الشيخ ، وابوعمامة ،
وسامورى تورى ، والشيخ شامل الداغستاني ، وعبد الكريم الخطابي ، وعمر
المختار ، والشيخ أمود ، وغيرهم كثيرون ، وبالاسلام قام الكفاح السياسى الثورى
والاصلاح الدينى فى الجزائر ، وبالاسلام استمر فاتح نوفمبر وانبثق عن 5 يوليو ،
وكان جنود جيش التحرير يسمون المجاهدين ، وجريدتهم تسمى المجاهد ،
ولا تزال !

بهذا الاسلام الذى يتمثل فى البناء الروحى والمادى ، والجمع بين الدين
والدنيا ، لا بذلك التصور السلبي عن الاسلام لدى الذين يريدون أن يجعلوا
منه دمية جامدة ، راكدة ، يعلقون عليها تماثيلهم وآمالهم ، التي تقتصر على
الزردة ، والوعدة ، والقعدة ، ممن يقفون عقبة فى وجه كل اجتهاد ، وكل تطور
سليم ، بل حتى الرجوع الى الاصاله ، بدعوى المحافظة ، وقد رأينا كيف اجتهد
عمر أكثر من مرة ، وهو الصارم المتشدد الحازم .

واذا كنا نفند اولئك الذين يدعوننا باسم التفتح الموع الى نزع السقوف

والرفوف ، فنحن نستنكر ايضا موقف دعاة الجمود ، والركود ، والسلبية باسم المحافظة ، الذين يدعوننا من جهتهم الى اغلاق جميع النوافذ والأبواب !
فيهذا الاسلام سنحافظ على حصانتنا ومقومات شخصيتنا ، فيه صمدنا ، وعلى أساسه قمنا ، وبالمحافظة عليه ستوفق جميع الجهود ، وبذلك لانكون كما قال ابو الاعلى المودودي عن سائر البلدان الاسلامية التي تحررت أنها كافحت بالاسلام . ولما انتصرت تنكرت له ، وقلبت له ظهر المجن !

كونوا كالبلابل . تنام بالليل ، لتقوم مبكرة بالنهار ، لاستنشاق الهواء الطلق ، والتفريد الجميل ، وتحصيل الرزق الحلال ، ولا تكونوا كالضفادع التي تقضى ليلا في التخبط في الماء العكر ، والنقنقة البشعة المزعجة ، وتمضى نهارها في المغاور المظلمة المتعفنة ، وفي الجحور والأوحال .

لا تنخدعوا بأولئك الذين يسمون الى أن يجروكم الى المغاور وعلب الليل ، في جوههم الخانق المتعفن ، ويظنون أنهم بذلك أدباء عباقره ، وفنانون ملهمون في كهوف الحى اللاتينى على الضفة الشمالية لنهر السين ، كأنهم سارتر ، أو بيكاسو ، أو كأنهم سيمون دى بوفوار !
اخوانى الطلبة ،

أود فى الأخير أن أشكر باسمكم جميعا حضرات الأساتذة الأفاضل من محاضرين ومعقبين ، الذين أفادونا جميعا بالكثير ، وبذلوا جهدا مشكورا فى ذلك ، وأتمنى أن نراهم قريبا من جديد فى الجزائر .

وليسمح لى الجميع أن أخص بالذكر منهم فضيلة الامام الأكبر ، الدكتور محمد الفحام ، شيخ الأزهر ، والسيد بوبوحامة ، رئيس المجلس الوطنى النيجرى ، ومعالى الحاج شريف النبهانى ، وزير التنمية بالجمهورية الفينية ، ومعالى السيد عبد الله ولد بويه ، وزير التعليم الأساسى والشؤون الدينية فى الجمهورية الاسلامية الموريتانية ، ومعالى السيد محمد عبده يمانى ، وكيل وزارة المعارف بالملكة العربية السعودية ، على حرصهم على المجيء بأنفسهم ، ومساهمتهم مع بقية الأساتذة الأفاضل ، الذين أتوا من البلاد الشقيقة ، والصديقة ، ومن الجزائر ، فى انجاح

هذا الملتقى فى عاصمة الجزائر ، وهى تحتفل أيضا بعيدها الألفى والذكرى العاشرة لاستعادة استقلال البلاد بعد ليل حالك طويل .

وباسمكم جميعا أيضا أشكر جميع السلطات التى أمدت لنا يد المساعدة ، وأخص بالذكر منها الرئاسة ، ووزارات الخارجية ، والداخلية ، والتعليم العالى والبحث العلمى ، والتعليم الابتدائى والثانوى ، والمواصلات ، والسياحة ، وقيادة الدرك الوطنى ، ووزارة الاعلام والثقافة التى بفضل جهودها تعمم فائدة هذا الملتقى ، وتتجاوز أرجاء هذه القاعة .

وباسم الجميع أيضا أشكر مدينتى مليانة والمدينة شعبا ومسؤولين على ذينك اليومين الرائعين اللذين سيبقيان من أجمل أيام الملتقى ، ومن عوامل نجاحه بالقسط الوفير .

وهل أنسى جميع السيدات والسادة الفنانين هنا من الكتابة ، والترجمة ، وكل من ساهم من قريب أو بعيد فى هذا العمل المشترك ؟

وأنتم اخوانى الطلبة ، بعد أن استعملنا معكم شديد اللهجة ، وطبقنا عليكم صارم النظام ، أود أن أهنتكم فى الأخير بحسن انضباطكم ، وكبير اهتمامكم ، ودقيق انتباهكم ، وشديد تتبعكم أثناء المحاضرات ، وعظيم مساهمتكم فى المناقشات .

وحيث طفقنا بالمدن الثلاث الكبرى ، قسنطينة ، ووهران ، والجزائر ، فقد قررنا أن ندلى بدلونا نحن أيضا فى إطار سياسة التنمية الشاملة المنسجمة ، وإزالة الفروق الجهوية ، ونتوغل فى داخل البلاد ، ونعقد الملتقيات المقبلة فى المدن الداخلية ، ولنبدأ بالملتقى السابع فى تيزى وزو إن شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صور من الملتقى



لقطة في بهو قصر الامم للسادة : مولود قاسم وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية - رضا مالك سفير الجزائر في موسكو - الدكتور مسعود آيت شعلال سفير الجزائر في بلجيكا - العياشي ياكز وزير التجارة

صور من الملتقى



الرئيس يستقبل الاساتذة والطلبة الملتحقين في قصر الشعب

دور العروبة والإسلام

في النهضة
العلمية والأدبية
والفنية والتقنية
في أوروبا وأمريكا

ان الاسلام - الدين الحنيف - دين وحضارة . وثقافة , وعلم , وفن , وتقنية , وأدب وتصنوف . فهو مركب عقائدي حضاري . وإذا نظرنا اليه فبهذا الاعتبار يجب أن ننظر للإسلام كدين , فمن حيث انه دين فهو عبادات أى ايمان بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح , والعبادات التى هى عمل أخروي اصالة قد ارتكزت أساسا على أصول دنيوية . فالصلاة نظافة بـدن وتوب ومكان وقلب وعقل , ورياضة بدنية كما أنها رياضة عقلية ونفسية وتصوفية , وراحة من هموم الدنيا والنفس والقلب وهى نهاية ما تطلبه حضارة اليوم , وهى خير وضع لعلاقات الناس بعضهم ببعض ولتنظيم اجتماعاتهم وخير مؤتمر أسبوعي للنظر فى شؤونهم الدينية والاخلاقية , والثقافية والاقتصادية , والجامع جامع أى مركب اسلامى شامل اكبر , فيه أداء للعبادة

نص المحاضرة التى القاها الاستاذ عثمان الكعاك بالملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي بقصر الامم بنادى الصنوبر

عثمان الكعاك

وتطهر للنفس ومناجاة للرب ومحاسبة للضمير وحلقة للوعظ والارشاد ومنبر للخطابة الدينية والسياسية والعسكرية ودروس فى مستوى جامعى للعلوم الاسلامية والدخيلة . والجامع رباط لحراسة الثغور وفن معمارى اعلى انتشرت اصوله بآسيا من اليابان والفيليبين الى اسطنبول . وبأوروبا من ادرنة الى قرطبة وبأمريكا من شمالها الى اقصى جنوبها سواء فى الجامع نفسه أو فى الكنيسة المبنية وفق اصول الفنون المدجن المولد من الفن الاسلامى الصريح والذي قام به مهاجرة المسلمين مع خريستوف كولومب وبعده فى كامل الاقطار الاميركية الشمالية والوسطى والجنوبية . كما انتشر بأوروبا وافريقيا . وحتى بأستراليا .

والصوم هو صوم تعبدى للشعور بالجوع وللتنسوية من أسفل فى الشعور بالجوع حتى يتساوى عامة المسلمين فى هذه التجربة . وهو عطلة سنوية صحية للجهاز الهضمى - صوموا تصحوا - والآن تداوى بالمانيا وغيرها من الامراض بالجوع اذ المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء . وهو ايضا صوم الاذن عن الكذب والفحشاء والثرثرة والنميمة والاختلاف فتتكون فيها مصفاة وحس سادس تلقائى للتمييز بين الحق والباطل والكلام الناجع والكلام الذى لا طائل من ورائه . وافطار للاذن عن سماع القرآن والحديث والمحاضرة والقول الحسن . وصوم اللسان عن آفات اللسان واطلاق له فى سبيل قول الخير ومطايبة النفوس والقاء المحاضرة والدرس والوعظ وكل قول ينفع الناس أو يعصمهم من زلة . ولليد صومها فهى تقلع عن فعل الشر والبطش

بالناس وكتابة ما لا يسرها فى القيام أن تراه فى سجل آثامها وتفطر عن البذل والسخاء ومصافحة الاخاء والوحدة والتكتل وحمل السلاح لتحرير الاوطان ورفع القلم لاعلان كلمة الله وبيان عظمة الاسلام وتاريخ الاوطان وبث العلم والآداب والفنون وللرجل صومها وافطارها ايضا فهى تصوم عن ذهاب الى أى محل لا يليق بالكرامة والاسلام ان تذهب اليه . وتفطر على الذهاب الى جامع لاداء فريضة واستماع الى درس وحضور ختم الاحاديث والاستماع الى خطاب توجيهى من امام رئيس دولة وحضور حفلات اسلامية كبرى . وانطلاق من الجامع الذى هو رباط الى جهاد لحماية الثغور .

والحج هو درس جغرافى عملي ورحلة علمية تنتقل بك على مهلك من عاصمة علم الى عاصمة علم . ومؤتمر اسلامى يلتقى فيه الاسود بالابيض والاصفر بالاحمر والشرقى بالغربى . والشمالى بالجنوبى فى أبسط ثوب وأسمى غاية وتجرد كل من الاغراض الدنيوية الدينية وترفع سام الى أنبل الغايات ودراسات لاحوال المسلمين وتحرير للوضع الاسلامى ووصف للالزمات والادواء والتماس للدواء عند قبر النبى الاعظم صلى الله عليه وسلم الذى انطلق منه الاسلام مستبشرا ومبشرا .

واما الزكاة فهى صندوق اسلامى يموله ذوى الاقتدار لتمويل التشريعات الاسلامية العامة والفردية من جهاد وسداد ثغر وبناء مساجد ومدارس ومعاهد وتعليم يتيم وتجهيز يتيمة ورفع الحصوة عن أرملة وتبشير بالاسلام فى كل مكان .

فالعبادات نفسها هي مجموعة منافع تنفع المسلمين وحتى غير المسلمين .

واما قسم المعاملات فهو بيان للعلاقات بين الناس وتوضيح للسلوك العام والخاص وترتيب سليم للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، على أن عقيدة الاسلام هي المساواة بين المسلمين فلا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى ، وان اكرمكم عند الله اتقاكم وهي الحرية وقد قال عمر بن الخطاب : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ وهي التسامح في الدين ، والاخوة في الاسلام . فالاسلام كالبنیان المرصوص يشد بعضه بعضا ، ولا يكون المسلم مسلما حتى يحب لآخيه ما يحبه لنفسه ويكره لآخيه ما يكره لنفسه . والاسلام يميل الى الحلول البسيطة التي تكاد ان تكون ساذجة لولا انها عظيمة . فلما أراد النبي (ص) في علم حكمته ان يرفع عن الناس مركب اللون ، الذي هو ابيض مركب ، أمر أبا بكر ان يشتري بلالا وان يعتقه فجعله مؤذن الاسلام وهي أعلى خطة اسلامية بعد الامامة التي هي للرسول والتي هي لازمة للامامة لزوم الروح للجسم . فصار المسلمون لا ينظرون الى قضية اللون وتكونت في البلاد السوداء امبراطوريات اسلامية كبرى وتكونت حكومات اسلامية بيضاء على رأسها مسلمون سود ككافور الاخشيدي ، ولأول مرة في التاريخ وقعت وحدة حقيقية بين البيض والسود واذا قارنا بما هو جار اليوم من الميز اللوني في قارتين على الأقل من قارات العالم علمنا ما هي عظمة الاسلام .

والعقيدة الاسلامية هي ان المسلم - أي مسلم -

هو مواطن مسلم ذو نصيب كامل لان الاسلام يجب ما قبله . فلما أراد المسلمون فتح الاندلس اختاروا له طارق ابن زياد وهو في الاصل يهودي بربري من قبيلة ادربة ، ولم يروا في ذلك أي غشاضة بل كان يتراس جيش قريش من الجعفرين وغيرهم ، وكان ابناء الكاهنة من أشد الفاتحين المسلمين . وكان محمود الفزنوي فاتح الهند ، وكان صلاح الدين الايوبي فاتح القدس وهو كردي وكان محمد الثاني فاتح اسطنبول وهو تركي وكان الكثير من علماء الاسلام من الايرانيين والأتراك والهنود والافغان والزنج والبربر والروم والاسبان وغيرهم من الاجناس التي اعتنقت الاسلام أو اعتنقت لغته وكتبت بها .

فهذه كلمة عن الاسلام كعقيدة وهي موجزة بطبيعة الحال لكنها كالذرة قابلة للتفتيح .

الاسلام كحضارة : وما الاسلام كحضارة فهو جامع ووارث لخير ما يوجد في الحضارات الكتابية السابقة له ، وهو جامع ووارث ومجمع للحضارات السابقة من صينية أخذ منها الفنون والكاغذ والطباعة والفخار (الفخار المظلي) والعلوم وحذق اليد ، والحضارة الهندية أخذ منها الفلسفة والحكمة والآداب : والحضارة الايرانية أخذ منها الادب ونظام الحكم والفنون والمعمار والزراعات والنظم الاقتصادية ، والحضارة الاشورية أخذ منها الفلك والتنجيم واشغال الري والعلوم الفولكلورية ، والحضارة الفينيقية أخذ منها النظام التجاري والملاحة والفلاحة والصناعات التقليدية ، والحضارة المصرية الفرعونية أخذ منها العلوم والآداب والفنون ، والحضارة اليونانية أخذ

الاولى من الفن المدجج Art-Mudjar الذى سنتحدث عنه بعد حين والذى عم أوروبا الغربية وامريكا بشمالها وجنوبها .

وحضارة الاسلام مجموعة حضارات مجموعة كل الحضارة ممتزجة ببعضها ومكيفة وملتحمة بالرباط وبالملاط الاسلاميين وباللبنيات .الاسلامية والصخور الاسلامية الكبرى التى اضافها الاسلام كما سترى .

الاسلام كثقافة : والاسلام ثقافة فعماده كتاب وجملة كتب ، فالكتاب هو القرآن الكريم الذى لم يفرط فيه الله تعالى من شيء والذى عنوانه برنامج فهو كتاب القراءة المفضل ، والذى يبدى بفعل الامر من مادة قرأ : اقرأ باسم ربك والكلام موجه من وراء النبى صلى الله عليه وسلم الى عامة المسلمين وبالتبعية الى غير المسلمين .

فالاسلام هو اولا وبالذات قراءة ، هى ثقافة وأى ثقافة والقرآن الكريم الذى يحفظه المسلمون فى مشارق الارض ومقاربها هو قراءة ولغة وجمل ونحو وبلاغة ووعظ وعلوم وآداب وفقه وتشريع وأخلاق وعلوم وتوجيه عام .

فهو هو عين الثقافة ، والقرآن فن لان زخرفة الحط القرآنى الكوفى مظلل ومزهر enlacé fleur ومعرق ومفصن Polybolée وبديع Antithétique وتجليد القرآن الفنى الذى ابتدعه المغاربة وعم أوروبا والمشرق وحتى التصوير القرآنى فى المشرق والمغرب والعناية بالمقارى Pupûtre coranique الذهبية والفضية والعاجية والمتخذة من الاخشاب

منها الفلسفة والادب والمنطق والموسيقى والحساب والهندسة والرياضيات ، والحضارة الرومانية أخذ منها نظام المدن والبلديات والمعمار والزراعة والصناعة والفنون الحربية ، والحضارة الزنجية أخذ منها حب العمل وتقديس الاشتغال والعناية بالفنون والاساليب الحربية ، والحضارة البربرية أخذ منها الجدة فى العمل ومواصلة الشغل وحب الدؤوب وقوة العزيمة وبلوغ الهدف واحياء الارض والعلوم الاقتصادية .

أخذ الاسلام كل هذا وجمعه وصهره وأوقع فيه تقاعلا فكانت الحضارة الاسلامية الكبرى الاولى ، كان فيه جامع القيروان الذى فيه العمود المصرى والعمود الفينيقي والعمود الرومانى والعمود البيزنطى. ولكن فيه المحراب الاسلامى الاصيل والمنبر الاصيل النبيل الجميل والقبة المبتكرة والشمسيات vitraux التى لم يسبق اليها وفيه النقش العربى الذى لا نظير له . وفيه الجامع اذ الجامع جامعة ورباطا وقلعة ومكتبة ومؤتمر اسبوعى .

ومن جامع القيروان الذى هو مركب من عناصر غير اسلامية ضمت اليها عناصر اسلامية كما يضم الى صميم العجين الحميرة والسكر والعسل والفاكهة المهروشة فتصير البقلاوة التى ليست عجينا وان كانت من عجين ، وهكذا شأن جامع القيروان الذى تولد منه جامع قرطبة ، وتولدت من جامع قرطبة كنيسة القديس يعقوب القمبشتالى Saint Jacques de Compostelles التى هى معمار اسلامى مطبق على حاجيات وملابس اسلامية ، ومن كنيسة يعقوب القمبشتالى تكونت كنائس Le luy و Vezelay و Nuremberg وغيرها ، وتكونت المرحلة

الشمينة كالساج Bois de teck والاهتمام
بزخرفة كراسى القراءة القرآنية فى المساجد كل
هذه فنون قرآنية علاوة عن الفن الصوتى الرائع
الذى هو فن عديم النظير أو الفن اللفظى الذى هو
الفن البلاغى الذى عم الامم أو فن تصوير الملاحظات
القرآنية الى غير ذلك .

والله يقسم فى كتابه العزيز بالقلم فيقول جل
من قائل نون والقلم وما يسطرون والقسم من طرف
الاله الاعظم بالقلم هو اكبر تعظيم للثقافة وقال تعالى :
قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهو
استفهام انكارى يفيد تفضيل الذين يعلمون على
الذين لا يعلمون .

والاحاديث النبوية هى كنز الامم وذخيرة
الشعوب فى الاخلاق والمسالك التربوية وتهذيب
النفوس وشحن الازهار والثقافة العامة فايراد ثلاثة
احاديث وان تكفيها مؤونة للرد ؟

اما الاول فهو : طلب العلم فريضة على كل
مسلم وكل مسلمة . قال هذا النبى الاعظم ، فجعل
التعليم اجباريا على المرأة والرجل على السواء . وما
صار التعليم اجباريا بفرنسا الا اثر الانقلاب الفرنسى
بعد هذا التاريخ بأحد عشر قرنا . وقد جعل المرأة
استاذة فى نصف التعليم فقال : « خذوا نصف دينكم
عن هذه الحمير » .

والحديث الثانى هو : « اطلبوا العلم ولو
بالصين » وهذا معناه الإبعاد فى طلب العلم والسفر
اليه مكابرة المشتاق من أجله . فانبنى عنه نظام طلب
العلم المقترن بالحج عند المسلمين فيخرج الحاج من

الاندلس أو فاس أو بجاية أو قسنطينة أو تونس أو
ليبيا طالبا للعلم فيحج ويواصل طلب العلم بدمشق
وبغداد وسيران وخراسان ونيسابور ثم يرجع يعلم
ويتعلم ويجمع أمهات الكتب ويعود الى بلاده بمكتبتين
أهمهما التى برأسه . وهكذا فالحج بصورتيه هو
جامعة تلفزيه متنقلة بالاضافة الى تلك العصور وقد
صارت الكتب تسافر يومئذ اكثر من مضيقات الهواء
فى هذا العصر وباكثر نجاعة عقلية .

وفيد هذا الحديث من ناحية أخرى الحث على
طلب الثقافات الاجنبية ولو الصينية منها . وهذه
الظاهرة الثقافية الممتازة التى ترمى للجمع بين
الثقافة الوطنية الاصلية والثقافات الاجنبية لم
تبد فى أوروبا الا فى القرن الماضى . فهى متأخرة عن
الحديث نظرا وعملا باثنى عشر قرنا .

وحديث ثالث يقول : اطلبوا العلم من المهد
الى اللحد . أى ابدءوا طلب العلم فى سن مبكرة
وواصلوا ذلك الى آخر نفس من الحياة ومعناه أن
العلم لا يقتصر بسن . فمن فاته ان يتعلم فى الصغر
جاز أن يتعلم فى الكبر وهذا هو مفهوم رفع الامية
وتبكير طلب العلم والاسترسال فيه الى آخر يوم .
وما ظهرت هذه المعانى كقاعدة بيداغوجية فى أوروبا
الا فيما بين الحربين العالميتين . وقد سبقها الحديث
الشريف بثلاثة عشر قرنا . سبقها وعممها وطبقها .

وهناك اثر أو رواية عن على كرم الله وجهه
يقول : علموا أولادكم غير ما تعلمتم فانهم سيعيشون
لعصر غير عصركم . وهذه الحكمة البيداغوجية البالغة
ما ظهرت الا بعد هذه الحرب العالمية . ولو طبقت هذه

هناك ثقافة عالمية أممية وضعها المسلمون بواسطة الترجمة من جميع الأمم .

ومر العمل بالمراحل الآتية :

المرحلة الأولى : الترجمة كما تيسر

المرحلة الثانية : تهذيب الترجمة

المرحلة الثالثة : شرح الترجمة المهذبة

المرحلة الرابعة : تأليف الكتاب العربى الاصيل

فى أى علم

المرحلة الخامسة : تأليف الكتاب العربى

الاصيل فيما زيد على علوم الاقدمين وما ابتكره واخترعه المسلمون .

المرحلة السادسة : وهى المرحلة الموسوعية Encyclopèque

الاسلامية من القرن السادس الى الثامن فالف الادريسي المغربى وابن فضل الله العبرى دائرات معارف فى اصول علم الجغرافيه وفى الجغرافيه المبسوطه ولتعرف اهمية ذلك فقسم جغرافية فرنسا من كتاب نزهة المشتاق للشريف الادريسي المغربى يؤلف كتابا كاملا على حين لم يؤلف بالفرنسية التى كانت يومئذ فى حالة تمخض فولكلورى ولا بالاجنبية كتاب عن جغرافية فرنسا وكذلك الحال بالاضافة الى ايطاليا واسبانيا . وروسيا وفنلندا والدانمارك وسكنديناوه Scandinawa وهولاندا .. الى غير ذلك .

فهذا المجهود الضخم الشامل الطريف الجليل

الغنى الدسم المتواصل الذى هو ثقافة الاسلام الاممية

ومثله موسوعة ابن خلدون التاريخية ومقدمة ابن

خلدون التى ابتكر لها فيلسوفنا المغربى العالمى

فلسفة التاريخ وعلم النقد التاريخى وعلم نقد

القاعدة البيداغوجية الاسلامية العليا لاجتنبنا كثيرا من تعثرات برامج التعليم ومن خصومات الشيب والشباب ومن مشادات الجبل الحادر والجبل الصاعد . فانظر الى حكمة الاسلام البالغة . والى مرايمه الثقافية التربوية العجيبة وكان الاسلام حصيفا حيا حيويا حركيا متوثبا جامعا فنظر فى وضعه الثقافى حين انطلاسته الاولى فى صدر الاسلام Le premier Islam

فوجد ثقافة جاهلية تعتمد على الشعر وبعض الخطب وبعض الحكم . ووجد الثقافة الاسلامية التى هى الكتاب والسنة قبل الجمع والشرح وتدجين الفقه والعلوم الاسلامية كما سنراه بعد . فوجد نفسه . وهو الدين ذو النزعة العالمية خلوا من ثقافة عالمية اممية . فقال على بها وفى اقرب الآجال قامر منذ العهد الاموى بترجمة جميع كتب الامم من هندية وايرانية وآشورية ونبطية وسريانية وفينيقية ويونانية ورومانية وبربرية وعبرانية الى العربية . فما جاء عصر المأمون العباسى الا وقد ترجم كل علم وأدب وفن من طب ونبات وحيوان وطبيعة وفلك وهندسة رياضيات وموسيقى ومعمار وأدب وفلسفة وأخلاق وجغرافية وتاريخ وفلاحة وكيمياء . وطبيعة . فصارت اللغة العربية التى كانت خالية حتى من مصادر نفسها Sa propre bibliographie هى لغة المصادر العالمية ولغة العلوم والآداب والفنون والتقنيات الجامعة فهى لغة الثقافة العالمية ليست لغة أخرى غيرها أما هى والا فلا .

وصار اليونانى أو الرومانى أو الهندى أو

الايرانى الذى لم يكن يعرف الا ثقافة لغته الوطنية

يعرف ثقافات كل الامم عن طريق العربية . فصارت

النصوص La critique verbale وعلم الإحصائيات والعلوم الاقتصادية والاجتماعية والاقتصاد السياسي والاقتصاد الاجتماعي économique sociale والفولكلور وعلم الادب الشعبي الى آخره، وكذلك موسوعة شرف الدين التيفاشي للقصص التي خصصت لكل علم أو فن مجلدا من نجوم وطبقات أرض وعلم معادن وجواهر ونبات وحيوان وكيمياء وطبيعة وموسيقى الى غير ذلك . وكذلك الموسوعة القانونية التي هي كتاب المعيار الوثائقي الجزائري أو دائرة المعارف الاندلسية التي هي نفع الطيب للمقرى التلمساني أو دائرة المعارف والعلوم الغيبية التي هي شمس المعارف لاحمد البوني الجزائري ومنها اكتشف الاوروبيون علوم الرياضيات العليا .

ولم يقف المسلمون عند هذا الحد بل كانوا لطفاء للغاية فترجموا كتبهم العلمية والادبية والفنية المستجدة الى اللغة الاجنبية حتى ينتفع بها الاوروبيون في جامعاتهم الجديدة التي أسسوها لهم مثل جامعة طليطلة بالاندلس أو سالرم بإيطاليا . فعل ذلك قسنطين الافرقي المغربي Constantin l'Africain الذي هو قسنطين بن محمد القيرواني . فمحمد اسمه العربي وبقي اسم أبيه وهو شيخ مدرسة سالرن ومدرسة جبل قاسيني (رباط قاسم) Mont-Cassin ومدرسة كريمونه التي منها جيراردو الكريموني Gérard de Crémoni الايطالي الذي انتقل لتنشيط مدرسة طليطلة Tolède بإسبانيا لنقل العلوم العربية الى اللغة الاجنبية ونستطيع أن نقول بوجه عام ان لغة الثقافة وكتب الثقافة في العلم من القرن السابع الميلادي الى القرن السابع عشر هي اللغة العربية والثقافة العربية سواء.

بلغة الاصل أو الترجمات الاجنبية أو العبرانية أو الاسبانية أو الفرنسية أو التركية أو الفارسية أو الالمانية أو الانكليزية أو الايطالية .

والاسلام هو لغة علم بالاضافة الى نفسه وبالاضافة الى العلوم العامة الاممية ؛ فبالاضافة الى علوم نفسه فان الاسلام وضع :

اولا : العلوم الآلية Sciences Instrumentale
فلما كان القرآن الكريم والحديث الشريف يعتمدان على اللغة العربية فاحتاج المسلمون الى وضع علم اللغة أو علم متن اللغة Lexicologie
وهو جمع المفردات في مفردات (Monographie)
كل منفرد . بصنف مترابط من الالفاظ ككتاب الابل وكتاب الحيل وكتاب خلق الانسان وكتاب الرجل وكتاب السرج والداية . ثم انتقلوا الى علم المعاجم (Lexicographie) فوضعوا معاجم جامعة لهذه المفردات مثل فقه اللغة لابي منصور الثعالبي أو المخصص لابن سيده . ثم وضعوا المعاجم العامة التي اعظمها لسان العربي ومؤلفه مغربي جامع بين تونس وليبيا وهو ابن منصور . ثم وضعوا المعاجم المختصة كمعجم البلدان ومعجم النبات ومعجم الحيوان ومعجم الفلك . ثم وضعوا المعاجم التقنية ككشاف مصطلحات القانون للنهائوي ومعاجم الحديث ومعاجم القرآن ثم وضعوا معاجم التراجم وتسمى كتب الطبقات ككتب المفسرين والمحدثين والمدلسين والصحابة والتابعين والنحويين والاطباء والعلماء والفلكيين وغير ذلك .

فخدم العرب وفتحوا الباب للامم الاخرى بل سبقوها في وضع المعاجم للغاتها كالمعجم البربري

العربي والمعجم التركي العربي والعبراني العربي والزنجي العربي والايراني العربي واهل حجر ، وتعلم عنهم الامم وضع المعاجم بالاسلوب اللغى ذكرنا . ثم ان جمع اللغة افتقر ايضا الى وضع علم النحو فوضع المسلمون النحو بدون التجاء الى نحو يوناني او لاتيني بل هو نحو مبتكر واسلوب طريف لكن نهج على منواله اليهود والبربر والترك والايرانيون والزنوج في وضع كتب نحو للغاتهم والغالب ان مؤلفاتها الاولى وضعت بالعربية مثل كتاب اللوح في نحو اللغة العبرانية لمروان بن جراح او نحو اللغة التركمية للغرناطي . بل وضع المغاربة لأول مرة في تاريخ البشر النحو المقارن للغات السامية

Grammaire composée des langues Sénitiques وضعه على عهد الاغالبة Aghlabides في القرن التاسع الميلادي دونش بن تميم قبل ان يكتب الالماني Gesnices كتابه في ذلك في القرن السابع عشر . فالمغاربة سابقون بثمانية قرون ونقول من جهة أخرى ان المناغرة L'esprit de marche frontière , وذلك ان المغاربة يسكنون أقطارا كلها ثغور marches frontières بحرية أو برية . فهم يعيشون على حدود دار ليست اسلامية ولا عربية وهم بعداء بطبيعة الحال عن ديار العروبة والاسلام الاصيل فقد احتاجوا الى ان يضاعفوا تمسكهم بالعربية وأصول الاسلام من اجل ذلك كانوا احرص الامم الاسلامية على دراسة النحو واللغة والآداب العربية والنبوغ فيها وكثرة التأليف فيها حتى في أدق خصائصهم فكثرت من كبار النحاة واللغويين منهم مثل ابن سيده والسلوبين وابن حيان والقزاز

والقيرواني وابن منصور وابن القطار وابن الاجداني وابن أكرم وابن مالك وابن القصاع السعدي وابن القوطية وغير هؤلاء .

واحتاج المسلمون كذلك لضبط لغتهم الى دراسة الشعر لان الشعر هو ديوان العرب وبه الشواهد النحوية او اللغوية فوضعوا كتب معاني الشعر ونقد الشعر والعروض والقوافي وعلوم النقد الادبي وكثير ممن اشتغل بذلك من المغاربة كميدالكريم النهشلي والحسن بن رشيق وابن شرف القيرواني وحازم القرطاجني وغيرهم .

واهتم المسلمون ايضا بوضع العلوم البلاغية لفهم البلاغة القرآنية وانتقلت هذه البلاغة الى أوروبا في أعالي القرون الوسطى وبقيت الى القرن السادس عشر حيث ظهر البلاغيون الكبار Les grands rethoriciens مثل Joachin de Bellay - Ronsard وأضرابهما . وأخذت تتناقص في القرن السابع عشر حينما ألف Racine الفرنسي كتاب الفن الشعري على أساس اليونان والرومان فانتقصت البلاغة العربية التي رجعت مع الابداعيين Les romantiques في أوائل القرن الماضي .

وهذه العلوم الآلية التي أبدعها من العدم وأحيانا من بعض الاقتباس الذكي من اليونانية ككتاب فويطيقا وروطيريقا La réthorique La poétique أفلاطون التي ترجمت وشرحت وفصلت وقورنت هذه العلوم الآلية أثرت في اللغات الشرقية والغربية بنفسها انطلاقا من تأليف المسلمين وتعاسيهم اللغوية .

علوم القرآن : وابتداء من ذلك بدأ المسلمون بتفسير القرآن وأول المفسرين هو مغربي وهو عبدالله بن العباس رضى الله عنهما وأخوه معبد

صاحب مدفون بباجة ثم جاء يحيى بن سلام القيرواني المتوفى سنة 200 ووضح تفسيراً على أصول العلوم القرآنية وتكاثرت التفاسير القرآنية الشرقية ولاسيما الغربية كتفسير ابن عرفة وابن يزيمة البسيلي والعلامة الثعالبي واضرابهم . وكذلك علم القراءات وكثير من علمائه من المغاربة واشهرهم مكن أبو طالب القيرواني ومحمد بن خيرون القيرواني وابن عمرو الداني .

ووضع المسلمون علوم الفقه والحديث وكتب الطبقات لكنهم ابتدعوا ايضا علم النوازل La Jurisprudence وهو جمع الاحكام القديمة وترتيبها حسب حروف مواضيعها للرجوع اليها عند اعواز النص من كتاب وسنة وكتب الفقه . وهذا علم مغربي اصيل بدأ فيما نعلم بكتاب النوادر Les Tartares لابن أبي زيد القيرواني وبلغ قيمته بـمـعيار المازونية وكلاهما من كتب الجزائريين .

وكذلك ابتدع المغاربة علم الحسبة كان مدمج في الفقه فاخرجوه منه وفصلوا مواضيعه كأدال المعلمين وهو البيداغوجيا وأول من ألف فيه محمد بن سحقوق ولم يكن اليونان ولا الرومان يعرفونه . وآداب الوكيل لعيسى بن مسكين دفين مسجد عيسى بالساحل التونسي قرب سوسة وهو القانون الاساسي لمهنة المحاماة الفقه سنة 290 هـ ولم يكن اليونان ولا الرومان يعرفونه . واحكام السوق ليحيى ابن عمر دفين سوسة وترتيب السماسرة : Statuts organiques des courtiers وهو من رجال القرن الرابع الهجري ودفن مرناق قرب حمام الابق بالضاحية الجنوبية من تونس .

ووضع ابن الرامي كتاب احكام البناء وهو كتاب جليل جدا هذا علاوة عن كتب الحسبة العامة مثل تأليف السفعي وابن عبدون وابن الاخوة او كتب مقاومة البدع التي هي في الآن الواحد كتب حساب تربوية وكتب بيان للفلكلور .

فانظر الحسبة التي كانت في الاصل . بابا من ابواب الفقه في مدونة لسحنون ابن سعيد كيف صارت علما قائما بذاته . تفرعت عنه علوم قائمة بذاتها كأدب القاضي وآداب السلطان وآداب الوزير وآداب المعلمين واحكام السوق وترتيب السماسرة واحكام البناء وكل هذا تفتق وانتشار وتكامل قد وقع بالمغرب على الاكثر وكان معظم مؤلفيه وواضعيه من المغاربة .

ووضع المسلمون العلوم القرآنية من تفسير ومعاني القرآن واعراب القرآن وناسخ ومنسوخ وطبقات مفسرين .

ووضعوا علوم الحديث وهي علوم تعتمد على سياسة الاسناد من تابع التابعين Le suivant des suivants وترتفع الى التابع Le suivant ثم الى الصحاب Le compagnon ثم الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي روى عنه الصحاب .

وتولدت من ذلك كتب الصحابة وطبقات التابعين وطبقات تابعي التابعين . ثم كتب الثقات وكتب الضعفاء وكتب المدلسين ثم كتب الاسماء والامكنة ثم كتب مصطلح الحديث ثم على الخصوص كتب تصحيح النصوص التي تسمى الآن كتب نقد النصوص La critique Verbale التي تولد منها عند المسلمين كتب تصحيح نصوص المخطوطات

وتحقيقها وعلم الخطاطة بوجه عام كما تولد من علم اسناد الحديث فى سلسلة متماسكة الحلقات من تابع التابع الى الرسول الاعظم من اسناد المخطوطات من المخطوط الحاضر بين أيدينا الى المخطوط الام الذى كان يضعه مؤلفه فى جامع دار الخلافة كابداع شرعى اسلامى Dépot légal Islamique فيصحح عليه الناس كتبهم .

العلوم المتولدة عن العبادات :

اولا - الصلاة : تولد عن الصلاة علم بناء الجوامع ومعمارها وبناء الاسواق الوظيفية بالاضافة الى الصلاة ، فانت اذا نظرت الى الجامع وجدته محاطا بجملته أسواق له اتصال مباشر بوظيفته ، وتسرب هذا حتى الى كنائس النصارى ، فلما كان الجامع مدرسة جامعية كانت أقرب الاسواق اليه سوق الكتبيين أو الوراقين ، ولما كان الجامع محل تحرير العقود ، عقود الزواج والبيع والشراء والايجار وغيرها فمن أقرب الاسواق اليه سوق الكتبيين ولما كان الجامع رياضاً لحراسة الثغور فمن أقرب الاسواق اليه سوق السلاح ولما كانت الصلوات ليلية ونهارية فالمصلى يحتاج الى شمعة فى الطريق وفى الجامع يحفظها فى فناء فحول الجامع سوق الشماعين والفنايرية ولما كان الجامع يعج بالمصلين فمن السنة تعطيره وتبخيره فلذلك كانت سوق العطارين وسوق الطبيين ملاصقتين للجامع - وهلم جرا .

ومن العلوم اللازمة للصلاة علم الميقات لتحرير الوقت وايجاد الآلات اللازمة لضبطه ، وقد بلغ علم الميقات عند المسلمين درجة الاستقلال بنفسه ومبلغا عظيما من الحسابات الرياضية ومن العلوم الميكانيكية.

وتفرعت عن الصلاة مؤسسات كالمبضات ولها فنها المعماري الجميل والحمامات وأسواق القباقبية والفراملية وغيرها ، وأدوات دورة الحمام كالسطل والطاسة والمحكة والصابون الذى اخترعه المسلمون وفن المواسير والقنوات والحنايا وصناعة الفوط وبشاكير الحمام وغيرها ، علاوة عن فن العطاراة الذى جعله المسلمون فنا قائما بذاته القوا فيه ودرسوه واخترعوا واستنبطوا التحليل والتقطير والتصفيد وفن الزجاجات الجميلة المذهبة وفن أنواع الطيب والبخور الذى جلبوه من مدغشقر الى الهند الصينية (وهو القمارى) الذى هو من بلاد Khmer بكمبوديا التى بها الحرب الآن .

ثانيا - الحج : ألفت من أجله كتب المسالك والممالك لمعرفة الطرق ومحطاتها ومنازلها وكتب الرحلات التى بلغت الغاية الوصفية والتدقيقية عند المسلمين وفن قيس المسافات وفن المسافرخانه Industrie Hôtelière وابتدعوا فنا موسيقيا دينيا خاصا يسمى فن التشويق تؤلف له الاشعار الفصحى والعامية وتلحن له الاغانى الشجية .

ومن أجل الحج نظم المسلمون القوافل خصوصا قافلة الحج وعبدوا الطرق وبنوا القناطر والجسور واستنبطوا الفنادق وهى منازل فيها المسكن والمبيت والمسجد ومرابط الخيل ومستودعات البضائع وكل ما يلزم لراحة المسافر - ورحلة التجانى ورحلة ابن وبالايطالية Fondaco جبر مليثان بوصف هذه الفنادق التى انتقلت الى الاوربيين حتى بأسمائها فبالاسبانية Fonda

ووضع ابن الرامي كتاب أحكام البناء، وهو كتاب جليل جدا هذا علاوة عن كتب الحسبة العامة مثل تأليف السفعي وابن عبدون وابن الأخوة أو كتب مقاومة البدع التي هي في الآن الواحد كتب حساب تربوية وكتب بيان للفلكلور .

فانظر الحسبة التي كانت في الاصل . بابا من ابواب الفقه في هدونة لسحنون ابن سعيد كيف صارت علما قائما بذاته ، تفرغت عنه علوم قائمة بذاتها كآداب القاضي وآداب السلطان وآداب الوزير وآداب المعلمين وأحكام السوق وترتيب السماسرة وأحكام البناء وكل هذا تفتق وانتشار وتكامل قد وقع بالمغرب على الاكثر وكان معظم مؤلفيه وواضعيه من المغاربة .

ووضع المسلمون العلوم القرآنية من تفسير ومعاني القرآن وأعراب القرآن وناسخ ومنسوخ وطبقات مفسرين .

ووضعوا علوم الحديث وهي علوم تعتمد على سياسة الاسناد من تابع التابعين Le suivant des suivants وترتفع الى التابع Le suivant ثم الى صاحب Le compagnon ثم الى النبي صلى الله عليه وسلم الذي روى عنه صاحب .

وتولدت من ذلك كتب الصحابة وطبقات التابعين وطبقات تابعي التابعين ، ثم كتب الثقات وكتب الضعفاء وكتب المدلسين ثم كتب الاسماء والامكنة ثم كتب مصطلح الحديث ثم على الخصوص كتب تصحيح النصوص التي تسمى الآن كتب نقد النصوص La critique Verbale التي تولد منها عند المسلمين كتب تصحيح نصوص المخطوطات

صاحب مدفون بباجة ثم جاء يحيى بن سلام القيرواني المتوفى سنة 200 ووضع تفسيرا على أصول العلوم القرآنية وتكاثرت التفسيرات القرآنية الشرقية ولاسيما الغريبة كتفسير ابن عرفة وابن يزيمة البسيلى والعلامة الثعالبي واضرابهم . وكذلك علم القراءات وكثير من علمائه من المغاربة واشهرهم مكن أبو طالب القيرواني ومحمد بن خيرون القيرواني وابن عمرو الداني .

ووضع المسلمون علوم الفقه والحديث وكتب الطبقات لكنهم ابتدعوا ايضا علم النوازل La Jurisprudence وهو جمع الاحكام القديمة وترتيبها حسب حروف مواضعها للرجوع اليها عند اعواز النص من كتاب وسنة وكتب الفقه ، وهذا علم مغربي أصيل بدأ فيما تعلم بكتاب النوادر Les Tartares لابن أبي زيد القيرواني وبلغ قيمته بمعيار المازونية وكلاهما من كتب الجزائريين .

وكذلك ابتدع المغاربة علم الحسبة كان مدمج في الفقه فأخرجوه منه وفصلوا مواضعه كأدال المعلمين وهو البيداغوجيا وأول من ألف فيه محمد بن سحقوق ولم يكن اليونان ولا الرومان يعرفونه . وآداب الوكيل لعيسى بن مسكين دفين مسجد عيسى بالساحل التونسي قرب سوسة وهو القانون الاساسي لمهنة المحاماة الفه سنة 290 هـ ولسم يكن اليونان ولا الرومان يعرفونه . وأحكام السوق ليحيى ابن عمر دفين سوسة وترتيب السماسرة : Statuts organiques des courtiers وهو من رجال القرن الرابع الهجري ودفن مرناق قرب حمام الايق بالضاحية الجنوبية من تونس .

بها - وكان ذلك قبل قرنين ونيف واستنبطوا القلاع الكبرى وجهازها بالمساقط Machicoulis وبالحسك Herse واستنبطوا الاساطيل الحربية الراقية المجيزة بالنار الفارسية Feu Grégeois ثم بالمدافع والوسائل الميكانيكية الراقية مثل الدفة والبوصلة والاسطرلاب والخرائط البحرية ، فكل هذه الفنون الحربية متولدة من الجهاد والمراطة والمناغرة .

رابعا - الزكاة والخراج والتبالة والجزية : تولت منها علوم وهي علم الخراج impôt foncier وعلم قياس الاراضي Lopographie وعلم المثلثات Trigonométrie وعلم الحسابات Comptabilité Fiscale ومن أنواع الزكاة الصدقة المستورة والاقواف التي بلغ فيها المسلمون كل مبلغ حتى عجزوا عن استنباط المواضيع التي يمكن التجسس من أجلها فحبسوا على الطيور القاطعة Oiseaux Migrateurs التي اقعدوها الممرض عن السفر وعلى الولد الذي يكسر زجاجة الزيت عند الشراء من البقال وعلى الولد اليتيم الذي ليس عنده دائق Obole لشراء خضروف أو كرة Foupri فبقى باكيا عند سرور اخوانه باللعب وحبسوا الزلاية والسكك على المؤذن في الجامع علاوة عن التحاييس الكبرى .

خامسا - الصوم : يحتاج الصوم الى رؤية الهلال ، فاتجه المسلمون الى دراسة الفلك ومواقع النجوم والحسابات الكبرى لتحقيق معرفة الهلال لاربعة آلاف عام ، واستنبطوا وسائل الاعلام بالافطار والامساك وهي العلم والنور ، والأذان ، والنفير ، والمدفع وبوطبيلة وأسسوا له فنا أدبيا وموسيقيا خاصا يسمى (قوما) وهو فعل الامر من قام يقوم

واستنبطوا للاسطول الدبة Gouvernail التي تمكن من توسيع نطاق السفينة والبوصلة أو بيت الابرة Boussole التي توفر مشاق التنقل Cabotage فالسفينة تعرف سبيلها فلا تقف بالليل وتلازم عرض البحر ولا تحتاج الى ملازمة السواحل واستنبطوا الاسترلاب Lastrolabe الذي تضبط به نقط المواقع Faire le Point بواسطة خطوط الطول Parallèles وخطوط العرض Méridiens واستنبطوا الخرائط البحرية Portuants ووضعوا علم الملاحة وألفوا فيه وكانوا بفضل الحج من هذه الناحية أساتذة Magellan, Vasco de gama, Christoph Colomb,

ثالثا - الجهاد : هو من ناحية تبشير بالاسلام ومن ناحية عمل حربي دفاعي ، استنبط له المسلمون الاربطة وتكنات Casernes للمرابطين Moines Soldats Musulmans يرسون فيها الثغور البحرية يوم لم تكن للمسلمين اساطيل تقوى على الروم ، وهي ألف رباط على السواحل .

واستنبطوا في أحمية الحصون فآلف فيه يحيى بن عمر دفين سوسة قبل Vauban الفرنسي بقرون واستنبطوا من الاسلحة البلطة وهي رمح وساطور وشاقور في الآن الواحد فأخذها الاوربيون فسميت بالاسبانية Alabarda وبالفرنسية Hallebarde وبالانكليزية Halberd . واستنبطوا قوس البندق Arbalète واستنبطوا الاسلحة النارية من البنادق الى المدافع وكان اختراع ذلك بدار الكيمياء بالمهرية سنة IIII م قبل واقعة Crecy التي يزعم الاوربيون أن المدافع اخترعت

أى استيقظ والخطاب بالمتنى موجه الى الرجل وزوجته باعتبار أن الاولاد لم يبلغوا سن الرشد ، وابتدعوا أدبيات رمضان وهي أشعار تصوفية أو فكاهية ترفيهية وكتب فضائل رمضان والاشهر الفاضلة والايام الفاضلة .

واما قسم المعاملات الاسلامية الذي ولد علوما خاصة به فاهمه علم الفرائض أو الموارث من أجله رقى المسلمون علم الحساب ، حساب الفرائض ووضعوا علم الجبر والمقابلة وعلم الخوارزمية Algocrisme

ثم ان المسلمين احتاجوا لاعداد كل هذا الى ترقية العلوم التي وجدوها عند الاولين وترجموها الى العربية أو التي استنبطوها ، وهي :

اولا - علم الارقام : ان الارقام اليونانية أو الرومانية لا تساعد على الحسابات العليا فاستنبط المسلمون ارقاما جديدة تعتمد فى قيمتها على ما لها من زوايا Angles فرقم 1 يمثل زاوية واحدة ورقم 2 يمثل زاويتين فقيمتها اثنان وهلم جرا ، فانت بمجرد النظر الى عدد الزوايا التي يمثلها الرقم تعرف قيمته .

| دار الآحاد | - العشرات | - المئات | - الآلاف | - الى ما لا نهاية له |
|------------|-----------|----------|----------|----------------------|
| 1 = 1 | 10 = 1 | 100 = 1 | 1000 = 1 | |
| 2 = 2 | 20 = 2 | 200 = 2 | 2000 = 2 | |
| 3 = 3 | 30 = 3 | 300 = 3 | 3000 = 3 | |

ثم استنبطوا لكل رقم قيمة ذاتية وهي التي ترمز اليها زواياها ، وقيمة مقامية Valeur des positions باعتبار الديار من اليسار الى اليمين صاعدا .

فاذا أعوزهم رقم وضعوا مكانه الصفر الاختراع العظيم الذي سماه Mielli الايطالى فى كتابه تاريخ الرياضيات المترجم الى العربية . معجزة المسلمين . قال شاعرهم :

وجعلوا الصفر علامة الحلا

مدورا كمثل حلقة جلا

ونقلوا ذلك الى أوروبا التي لم تكن تعرف شيئا من ذلك . وانتقلت الارقام الى أوروبا من طريقين : طريق بجاية الى جنوه بايطالية (أنظر دائرة المعارف

الايطالية فى كلمة Cifra) ومن طريق الاندلس . وعمليا انتقلت علوم المسلمين الى أوروبا بمسلك شرقي وهو الحروب الصليبية لكنه وان كان عظيما جدا الا انه متأخر بعض التأخر .

ثم من المسالك المغربية التي هي تونس والجزائر ومراكش والاندلس وليبيا . فمن تونس كان المسلك تونس (القيروان - المهدية) صقلية (بالرم) ساحل نابلى ، جبل قاسم Monte-cassino ولا سيما مدينة سالرت وجامعتها الطبية .

ومن الجزائر فالمسلك بجاية جنوه . ومن المغرب فالمسلك فاس سبتة قرطبة طليطلة Tolède . الاسلام والعلوم الرياضية اللازمة له :

كان الاسلام بالاضافة الى العلوم الدخيلة في المقام الاول مترجما ثم شارحا ثم مؤلفا ثم مخترعا . لكنه بالاضافة الى مساس بعض العلوم الدخيلة الملحة كانت مخترعا . فلقيس الاراضى والحسب الفلك والميقات ولرياضيات الجبر والمقابلة كان محتاجا الى استنباط ارقام عملية واضحة سليمة فاخترعها أولا وبالذات وكانت من ذلك احدى معجزاته العلمية التي قدمها هدية للعالم على طبق من ذهب وبوجه مبتسم ليس فيه من .

ثم هو احتاج في علم ميقات الصلاة الى حسابيات دقيقة فوضعها ووضع آلاتها العلمية الراقية . وأولها المزولة Cadran solaire ثم المرملة Sablière ثم الساعة l'horloge التي تولدت منها الساعة الجيبية Montre ومن اشهرها ساعات الجوامع بفاس وتلمسان وتستور ومالطة ودمشق علاوة عن ساعات الاندلس .

فالساعة اخترعها المسلمون من اجل معرفة اوقات الصلاة وأوقات السفر للحج وأوقات الافطار والامساك . فانتقلت من صومعة الجامع الى صومعة الكنيسة لا العكس . ومن ينظر الى ساعة صومعة شتور البلدة الاندلسية الموجودة يجد ارقامها تنطلق من اليمين الى اليسار فهناك I2 وعلى يمينه 2 وعلى يساره I ثم 2 ثم 3 الخ . وعلى يساره II ثم IO الخ . وقد تتعجب من هذا الانحراف ولكنه عين الاستقامة فالمسلمون لما كانوا المخترعين للارقام وللساعة جعلوها تنصرف من اليمين الى اليسار وهذا هو منهاجهم حتى في الحساب فهم لا يكتبون 1972 بل يقولون 2 و 70 و 900 ألف وهذا حتى من حقوقهم فلما انتقلت الساعة

الى سويسرة بأوربا عن طريق فتوحات الفاطميين وصاروا يكتبون ارقامها « العربية دائما » من اليسار الى اليمين واشتريناها منهم وعدلنا عن صناعتها وتنازلنا حتى بالتمسك بحق الاختراع وأوليته وجب أن نسكت ووجب أن نكون ازاء هذا الاستعمار العلمي كما يقول الممثل التونسي « الى يفصلونا نلبسوا والى يطبخولنا ناكلوا » فلما تخلصنا من الاستعمار يجب أن نخلص أيضا اختراعاتنا وأن نرجعها الى أصل عاداتها الاسلامية وكان الكدس مجراها اليمين .

يجب أن يعلم ابن المجاهد المغربي أو المشرقي أن المدفع الذي اهتم به أبوه فحرر الوطن هو من اختراع أجداده أبناء المهدي لتخليص البلاد من المهاجمين النورماندين Les Normands وهذا فعلا الذي حصل . فاذا سحر هذا الولد بأن البندقية والمدفع من اختراع أجداده زاد عزة وشعورا بالكرامة . واذا تصور أنها من اختراع غيرهم كانت في نفسه بقية من مهانة .

واذا علم أن الاسلام اخترع الارقام والجبر والمقابلة والمثلثات والرياضيات العليا اعتصم بقول الشاعر :

نبني كما كانت أوائلنا تبني
ونفعل مثلما فعلوا

واذا علم ان كلمات Ogive و Algèbre و chiffre و Zéro و x (ش) و Alambic و Julape و Losange واضرابها هي عربية أصيلة أخذ بها الاوربيون عنا كما أخذوا Amiral

والشرناى hautbois وأخذوا عن المسلمين
الموسيقى المدجننة musique mudjar
وهي الموسيقى العربية التي نقلها الاندلسيون
المدجنون المستبقون بجهات اسبانيا التي استرجعها
الاسبانيون النصارى فكانوا يؤلفون الشعر والالحان
الدينية لكنائس النصارى الى القرن السابع عشر .
وقد انتقلت هذه الموسيقى بواسطة المدجنين
الموسيقين الى أمريكا وانتشرت بها .

وهناك المعمار الاسلامى الذى انتقل الى أوروبا
والى أمريكا وقد تحدثنا عن هذا . ومعظم هذا
المعمار بالاندلس وايطاليا وفرنسا ولا سيما أمريكا
من شمالها الى جنوبها .

وكذلك الرسم الاسلامى فانه انتقل الى أوروبا
فى الكائز والجص والفخار والخشب والرخام والفضة
والمعادن والنسيج . وفى تزويق الجدران والسقوف
ولاسيما سقف خلوة البلاط بالرم Tapella palatina
أو سقوف الحمراء ، بغرناطة .

فاوروبا وغيرها مدينة بفنونها وعلومها الى هذا
العالم الاسلامى ولا سيما المغربى منه .

ثم هي أرجعت بعض ديونها . فقد استفدنا من
كتبها ومن جامعاتها ومن أساتذتها وخبرائها وقد
أخذنا نستفيد من تقنائها ونهضتها العلمية والادبية
والتقنية والفنية .

الاسلام أدب : وهذا الادب نقل الى أوروبا
الغربية الموشح والزجل والغرام العدرى
L'amour galant ونقل لها القصة والاساليب

Hallebarde, و Fellonque, و chaloupe و
Choland, و boussole, و Astrolabe, و
Azimuth, Petelgeuse علم ان العربية ليست قادرة على
استنباط مصطلحها لنفسها بل هي قادرة أن تعطيه
أيضا لغيرها ففي الموسيقى gamme من جمع و gammut
من جمعون و luth من عود و rebeb
من رباب و zacaire من نقارات . والذى
عجزنا عن ترجمته من الاوربيين فى هذه الايام مثل
hautbois هو فى الحقيقة الشرناى . أو اذا
ترجمنا ترجمة حرفين مثل شفرة ل chiffre
فان ذلك لالحها لان بمعنى كتاب السر هو نفسه عربى
وهو الجفر . فلم لا نقول كتب بالجفر ونريخ العباد
من هذه الترجمة التى هي أثقل من رضوى واستشفى
فلان بأشعة أيكس ؟ لماذا هذه العجمة الغير المرغوب
فيها ؟ فايكس من الاسبانية أخذها الاسبانيون من
ابن بدر علامة الجبر وهي حرف ش العربى المختصر
من شيء مجهول لكن الاسبانيين ينطقون x شيئا
فيكتبو Xeres وينطقون شاطبة ويكتبون Xabloa
وينطقون سريش وهلم جرا واذا كانت هي علوم
الاسلام فقد ترجم الاسلام علوم الامم كافة وزاد عليها
ودونها فى موسوعات كما مر ونقلها الى أوروبا
فكانت أساس نهضتها العلمية .

الاسلام كفن : اهتم الاسلام بالفنون جميعها
ونقل معظمها الى العالم . فاهتم بعلم الموسيقى ،
الدينية والوطنية وابتكر لها أساليب جديدة من النظم
واللحن والآلات ووضع أصول ترقيمها . فأخذ عنه
الاوربيون التوشيح والزجل والآلات الموسيقية مثل
العود والرباب rebeb والنقارات nacaire

البلاغية وأدب الاطفال والفلسفة وحتى التصوف .

والآن بعد هذا البيان المختصر يتضح أننا ليس لنا في تاريخنا العقلي أو العلمي أو الادبي ما يخجل به بل لنا ما نفتخر به كل الافتخار . وليس لنا ما يجعلنا نشك في مواهبنا أو في اضطلاع لغتنا العربية باقتدارها على التعبير . فانها انتجت خلال الاستعمار وعاشت بعده سليمة وانتفضت من رقدتها الاليمة واستأنفت رسالتها الالفية العالمية الابدية .

فعلينا أن نؤمن بهذه الحقائق أولا .

وبرسالتنا الثقافية السامية العالمية الابدية

ثانيا .

وبأننا سنبنى مثلما بنى اجدادنا .

ولا يقنعنا ذلك حتى تبنى أفضل مما بنوا وعلمنا ان نتبوأ من جديد مقعدنا من الشمس في العالم الجامعي فان هجرة ادمغتنا الى أوروبا وأمريكا دلت على أننا جامعيون من الطراز الاول وأن هجرة

فنانينا وكتابنا وعلمائنا ورسامينا وشعرائنا الى المهجر دلت على أننا حتى في عصر المحنة كنا من ذوى المنازل الرفيعة في هذا الشأن . وسنستأنف رسالتنا في تصدير الادمغة والاساتذة والمحامين والاطباء والعلماء والمترجمين على وجه الدهر .

وهذا الشباب المسلم العربي المغربي الذي يعد من اجداده ماغون وحنبل وأبوليوس ويوبا الثاني وعقبة وطارق وأسد بن الفرات وابن خلدون والقالمى والمقرى وابن منظور وابن رشيق وابن شرف والادريسي والوزاني وابن الجزار وقسطنطين الافريقي وعبد الحميد بن باديس والبشير الابراهيمى هو الذى سيخرج غدا مؤرخا أفضل من ابن خلدون ولغويا أفضل من ابن منظور وطيبيا أعلم من ابن جزار وفقها ابين من ابن فرناس وفيلسوبا أدق من ابن طفيل وابن باجة وابن سبعين . وما ذلك على همة هذا الشباب بعزير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صور من الملتقى



السيد اسماعيل محروق وزير المالية في جلسة من جلسات الملتقى

من الاستلاب

الاسترجاع الإنسيّة



د. سفيريد هونكة (*)

اننى اذ أتطرق ، أنا الالمانية ، للموضوع التالى :
« نحو نهضة للعالم الاسلامى : من الاستلاب
الى استرجاع الانية » فاننى أقوم بذلك لا بسبب
الصداقة والعطف اللذين أكنهما لشعبكم فحسب ،
ولا للاعجاب الذى أخلصه لتاريخ بلدكم الحافل ، ولا
للاهتمام الذى أعيره لتطوره المقبل ، بل ولكن لأننى
أعرف أيضا وأدرك مشاكل الجزائر والعالم الاسلامى
من خلال تجربتى فى بلدى . وعلى الرغم من أن مضمير
الجزائر لا يمكن مقارنته بمضمير المانيا فإنه توجد مع
ذلك فى تاريخ البلدين كليهما نقاط جديدة بالمقارنة
مع العلم بأن أصولهما شديدة الاختلاف .

(*) لها تأليف كثيرة فى التاريخ المقارن للاديان والحضارات
ومؤلفة كتاب «شمس الله تسطع على الغرب»

فبعد الحرب العالمية الثانية كان على ألمانيا أن تعيد بناء هيكل إداري وسياسي واقتصادي . فضلا عن ذلك . كان يتعين عليها ولا يزال أن تحافظ على نفسها من مخاطر الذوبان في الشرق والغرب نتيجة لنظام « إعادة التربية » الذي سنته القوات المنتصرة . ولقد صعب على ألمانيا كل ذلك ولا سيما وانها فقدت الشعور بالمثل العليا التي منحها اياها التاريخ نتيجة للدور الذي لعبته . في الصراع العالمي الاخير والهزيمة التي منيت بها . وقد دفعها هذا الوضع الى أن تقطع الصلة بماضيها . وعلاوة على ذلك توجد ألمانيا مثل أى بلد آخر عرضة لازمات نفسانية تسببت فيها المادية التي هي الحليفة لكل واجب ديني مثالي . وهذه الازمة تبرز في فقدان الاحساس بالفراغ وفي عدم التأثير تجاه الحقائق الوجودية . وهي تبرز أيضا في ردود الفعل لدى الشباب الذي يبحث عن مهرب له باستعمال المخدرات والاغراق في الجنس واللجوء الى العنف . ونشير أيضا الى المشكل الذي يتلخص في امتلاك التقنية . وهو مشكل يواجه عددا من البلدان وخاصة المجتمعات التي فقدت تراثها . والوعى بتاريخها ودينها بل وحتى شخصيتها الاصلية .

ان هذه الجروح التي يثن لها شعبي جسدا وروحا قد دفعتني الى أن أدرس عللها في عدد من الكتب التي وضعتها وأن أبحث لها عن الحلول الملائمة . وقد جعلتني هذه الدراسات أجاوب في الوقت ذاته مع مشاكل الجزائر وسمحت لي بأن أطلع جيدا على تشابكها . ثم أنني لاحظت أنه لا يوجد حل شمولي يمكن أن يأخذ به كل بلد بل أنه يتعين تقدير الوضع الخاص بكل بلد .

ان العالم العربي الاسلامي الذي يعود الى ممارسة الحياة من جديد قد بقي زمنا طويلا تحت وطأة الاستعمار . وهذا الاستعمار المستجيب لمنطقه الخاص فرض ثقافته . وقيمه الاخلاقية . ومصالحه وباختصار فرض قوته حلقها على الشعوب العربية . ان الاستعمار أيضا هو الذي حول الناس الى أدوات لبلوغ مآربه . وذلك بأن مسح العقول وطوعها . في طريقته في الاحساس وفي التفكير ولاخلاقه الخاصة .

لقد تسبب الاستعمار في خراب رهيب في صلب العالم الاسلامي وفي روح الانسان العربي نفسها . ولم يخلف وراءه سوى الجمود والانحطاط وأدى الى انهيار الحضارة العربية الاسلامية واضاعة الشخصية العربية والهوية العربية على الخصوص . ذلك هو العبء الثقيل الذي وضعه الاستعمار على عاتق العالم العربي .

بيد أنه لا يوجد هناك بلد عربي نال الاستعمار الاجنبي من صميمه مثل الجزائر .

ولا عانى أكثر مما عانته الجزائر أو أحسن بحين أشد وقعا واندفاعا نحو هويتها الاصلية التي اعتصبت منها عمدا وبانتظام خلال 130 سنة من السيطرة الفرنسية .

ان الاسطورة الفادحة التي تزعم بأن مهمة « البعثة الثقافية الفرنسية » كانت تهدف الى أن تفرنس العقول . وتجعل من الجزائريين فرنسيين . ومن الجزائر تربة فرنسية لم يكن لها من نتيجة الا استلاب حرية الشعب الجزائري . وتقاليده . ولغته ودينه وجعله شعبا تابعا علمه الاستعمار فكرة :

« أجدادنا هم الغال » وتلك عملية تحويل واسعة النطاق أدت الى اغتراب شعب كامل وهدمت أسسه الاخلاقية الدينية والثقافية .

لقد كان على البلدان العربية بعد أن تحررت من الهيمنة الأجنبية أن تواجه متطلبات العصور الحديثة . والتصنيع الهائل . فاتخذت طرقا مختلفة . ما الذى كان عليها أن تقوم به اللهم سوى أن تتكيف مع العصور الحديثة وأن تكون حيلتها فى المستقبل نسخة مطابقة لحياة المستعمرين السابقين حتى تصير أوربية كالأوربيين أو على الاصح أمريكية مثل الأمريكيين أو روسية مثل الروس أنفسهم .

ولكن الجزائر لم تقع فرنسية لهذا الاغراء . وهناك امر ذو دلالة واضحة اذا أخذنا بعين الاعتبار السببين اللذين لعبا دورا فى هذا الاتجاه وهما سببان مرتبطان بشخصيتها وتاريخها :

1 - ان شعبا عانى من الاستعمار فى أعماق أعماقه وكافح مثل ما لم يفعل بلد اسلامى آخر من أجل تحرره لن يكون بالطبع مستعدا للمتاجرة بالحرية التى نالها بتضحيات جسام ولا لاستبدال استقلاله الذى حصل عليه بشق النفس مقابل تبعية جديدة واغتراب جديدة . ومثل هذه النظرة تشمل الميادين الروحية الثقافية والسياسية والاقتصادية .

2 - ان شعبا يمتلك روابط طبيعية بماضيه ويعبد الى وضع المحافظة على القيم الاخلاقية لا على عاتق سكان المدن المتحررين نوعا ما ولكن . مثلما أكد ذلك الاستاذ إدريس شابو على عاتق سكان الارياف المتمسكين بالأفكار الاصلية والجماعية - ان

مثل هذا الشعب - ليس له الخيار بين الاصلية والتقدم . هذا التقدم الذى يجعله يبتعد عن نفسه . وعن عالمه وأصوله . وجذوره . ذلك لان هذين المبدئين مترابطان فى نظر هذا الشعب . فالجزائر ترى بالفعل أن التقدم لا يمكن أن يحدث الا على أساس الاصلية .

ولقد تفتن القادة الجزائريون منذ البداية الى هذه الضرورة . وعملوا حسب مقتضاها . وهكذا . صرح الرئيس بومدين : « ان تشييد مستقبلنا يتطلب منا الرجوع الى أصولنا وتأكيد شخصيتنا . وان الذى يبقى وفيا لذاته يستطيع مواجهة العالم الحديث دون أن يخشى أن يبتلعه هذا العالم أو أن ينوب فيه على وجه الاحتمال » .

ولقد كتب الوزير الجزائرى السيد أحمد طالب الابراهيمى : « الامر يتعلق اذا بتعزيز الاصول لتفادى الوقوع من تبعية الى أخرى . ان شبيبتنا لن تستطيع أن تتلقى بحق وتمثل مكتسبات الغرب الكبيرة دون الانطلاق من نواة أصيلة تضرب جذورها فى تراثنا الثقافى . وبعبارة أخرى يجب على هذه الشبيبة أن تتغذى من منابعها قبل أن تغترف من المصادر الاجنبية وتتفتح على العلوم والافكار والتقنيات الحديثة » .

« والوفاء للذات » و « الرجوع الى الاصول الى المنبع » مبادئ بربرية ثلاثم الجزائر وبلدان المغرب الاخرى على التمام . هذه البلدان التى تعتبر الاصلية ضمانا للنمو والتطور . وان الجزائر واعية منذ وقت طويل بهذه الضرورة . فهى تدرك أن الشجرة

لا يمكن أن ترتفع هامتها إلا إذا ضربت بجذورها عميقا في الأرض .

ولكن ما هي هذه الأرض . هذه التربة التي يجب على الجزائر أن تضرب فيها حتى تعثر على نفسها وتكتشف من جديد شخصيتها الأصيلة .
إنها أولا ، اللغة العربية . هذه اللغة التي هي بمثابة مفتاح لمملكة لم يدخلها في الماضي إلا عدد ضئيل من الجزائريين . وهي مفتاح ثقافتهم المتوارثة ودينهم وتقاليدهم الشعبية وأغانيهم ، وحكاياتهم ، وأمثالهم وأشعارهم الوطنية .

إن اللغة الأم هي أكثر من نظام بسيط لتبادل الكلام . وبما أنها تجسد فكرة كل شعب فأنها تطبع تفكير كل طفل بصفة تمكنه من أن يندمج تدريجيا في العالم . إذن أنه ليس أمرا متماثلا إذا كان هناك أطفال عرب بل بعض الأجيال . قد تشربت العقلية العربية الفرنسية ووجهة نظرها نحو العالم . إنهم لن يستطيعوا أبدا بهذه العقلية الفرنسية أن يكونوا أصلا . بأنفسهم ولا فرنسيين أصلا . وبعبارة أخرى . لا يمكن لشعب تدرج منذ الطفولة في إطار فكر أجنبي أن يتفتح بنفس الطريقة في حالة ما إذا بقي متصلا بثقافته الأصلية . وهو الأمر الذي يجعله على حقيقته في عالمه . إن استرجاع اللغة العربية هو مفتاح لآبواب مختلفة . فهو يمكن من الدخول إلى العالم العربي الذي هو عالمها الحقيقي . ومن التشبع بالفكر العربي واستعادة الوعي الفردي للعالم الإسلامي .

وهذه التربة التي يتعين على الجزائر أن تنبت فيها لكي تستعيد شخصيتها هي الإسلام ثانيا . هو

الدين الذي ينظم أكثر من أي دين آخر سلوك شعب في جميع الميادين . إن هذا الدين أو هذا القانون له اليد الطولى في كل ما يتعلق بالاخلاق وبالحياة الاجتماعية . وبالقانون الخاص بالتعليم والثقافة . إن هذا الدين يوجد في قلب الوجود نفسه . فالإسلام من حيث أنه دين فهو حجر الزاوية في الحضارة الإسلامية . فهو الذي سيمكن من نهضة العالم العربي . وهذه الاعتبارات صادرة عن التجربة التي قمت بها في أوروبا . هذه القارة التي يتخذ فيها الانمحاء التدريجي للدين أبعادا مخيفة حقا . وعملية الاستئصال الديني هذه بدأت في أوروبا قبل قرنين من الزمان وهي اليوم قد بلغت سورتها . وكان « نيتشه » قد تنبأ بهذا التطور وبناتجيه الحتمية . فقد كان يتحدث عن « موت الله » وهو يعني بذلك أن الإنسان لم يعد يؤمن بالمفهوم المسيحي عن الله وعن الدين المسيحي .

وقد تنبأ بمثل هذا القول الذي لم يسجل أبدا في ملفات التاريخ وبالثقافات الخطيرة التي تماثل بالتدقيق ما نعرفه اليوم في الشرق والغرب على السواء . لقد ولدت العدمية والمادية في الوقت الذي بدأ فيه الدين يرخي من قبضته وفي الوقت الذي بدأ الإنسان يفقد فيه المثالية .

إن الوجود دون فكرة المثالية يفقد كل بعد أصيل . وهو سطحي . فارغ ومخيف . فالإنسان الذي يفصل نفسه عن جذوره الدينية لن يرى بعد ذلك سببا مقنعا لوجوده . ويظل يعاني بالاحساس بالفراغ وبالقلق الوجودي وينتابه اليأس . وفضلا عن ذلك فإنه يتنصل من مسؤوليات هذا العالم

والبشر ويبحث عن طريق جديد فى اللامبالاة وفى العنف وفى عالم من الاحاسيس واللذائذ المادية . أما الاجيال الفتية فانها تسير نحو تدهور تام عن طريق المخدرات والارهاب والاغراق فى الجنس والقسوة . والممرض والاضطراب العصبى . ان الانسان والانسانية يوجدان فى منعرج خطير من تطورهما .

ومن حيث اننى نائبة رئيس لحركة دينية غير مسيحية فى ألمانيا . أى الموحددين الالمان . فاننى ارى ان استرجاع الدين وفكرة المثالية هى الامكانية الوحيدة لكى نعالج الازمة التى يتخبط فيها مجتمعنا المريض فى أيامنا هذه ولكى نجنب حضارتنا من تدهور الانسانية . انه لا يمكن بدون الدين الذى يشكل جزءا من الوجود الانسانى معالجة العالم من الآلام التى يعانينا . ونحن اذا لم نتجه من جديد نحو الدين . فان البؤس الانسانى سوف يتفاقم . وستكون هناك شطحات فارغة لا جدوى منها وسيحدث انحلال وتدهور وتبقى جهودنا كلها ولا طائل من ورائها . ان الناس فى حاجة الى دين يرشدهم الى الطريق الذى يتعين عليهم أن ينتهجوه فى العالم لا خارج العالم . انهم فى حاجة الى دين يعلمهم كيف يضطلعون بمسؤولياتهم تجاه العالم والمسؤولية .

واننى أود هاهنا أن يستفيد العالم الاسلامى من هذه التجربة المريرة التى يمر بها العالم الغربى والعبر التى تستخلص منها . فالعالم الاسلامى لا يزال سليما وان كان مهددا باللا دينية . وان فقدان المبادئ الدينية قد تؤدي الى قلب مجموع الحضارة العربية رأسا على عقب .

لقد لاحظت بارتياح أن العالم العربى يتجه . أكثر فأكثر نحو الدين . ويعمل على سد الثغرات . وتقوية الاسس الدينية للاسلام دون أن يقع مع ذلك فى فورة التعصب والعقائدية وغيرها . وقد بدأت تظهر قوى جديدة حيوية فى الاسلام كقيلة بأن تتحكم فى تطور المجتمع العربى فى الوقت الحالى وفى ضمان نهضته .

وقد هز أعطافى أن أسجل أن الجزائر تبذل بدورها جهودا متعددة فى سبيل أن تعيد الى الاسلام حيويته كلها . لقد بادر الشعب الجزائرى بعد نيل استقلاله مباشرة الى اعادة بناء مساجده وزواياه فى اندفاع تلقائى . وفى استطاعتنا أن نلاحظ هذا البعث للقيم المتوارثة فيما نشاهد من تنشيط للقيم الاخلاقية . والثقافية والاجتماعية وفى تعزيز روح الاسرة . والتأصر . وفى الغيرة الوطنية والتعاون . وفى القدرة على تجاوز النفس والعمل للصالح العام حتى اذا اقتضى كل ذلك جهودا والتزامات يومية فضلا عن التضحية بالمصلحة الخاصة . وهذه القيم انبعثت وسط نار الرشاشات خلال حرب قاسية دامت سبع سنوات واكتوت بنار الحرب . وهى تمثل اليوم « الاشتراكية » العربية المحضة . وهذه الاشتراكية أو الصورة التقدمية للاسلام العربى - البربرى - مثلما قال ادريس شابو - « طبقتها وعاشتها » الاجيال الجزائرية السابقة قبل أن توجد نظريات وايدولوجيات ماركس ولينين وماوو عن الاشتراكية .

وهذا الاسلام النقى من الشوائب والآراء غير الاسلامية . ومن الخرافة ومن تلك الصوفية القدرية

التي تعتقد ببطان العالم ولا واقعته وتعتزل الحياة .
ان هذا الاسلام المتفتح على العالم وعلى الواقع لا يسير
في معارضته التطور العقلي لان « المسلم مثلما يؤكد
ذلك الاستاذ محمد عزيز الحبابي ، ملتزم أمام الله
اذا هو التزم لصالح البشر . فالإيمان « شهادة » و
« عمل » أى التزام كامل من قبل الانسان الذى
يعتبر مسؤولاً بأعلى درجة عن أفعاله ، وبصفة
شخصية » .

(3) ان العودة نحو الذات والى الشخصية
الاصلية تتطلب دراسة استطلاعية للماضى . وبالفعل ،
فمعرفة طبيعة الاصول الذاتية ومعانيها تعنى اقرار
حالة شعب يريد أن يضطلع بدور الابداع فى التاريخ
وفى الحضارة . وبالطبع ، فكل طريق نحو الحرية
يبدأ بالتعرف على الماضى الخاص .

لقد أدخل فى روع الاجيال من الجزائريين أن
« الغال » هم أجدادهم وان التاريخ والثقافة برزا
يوم أن وطئت أقدام المعمرين الفرنسيين التراب
الجزائري . ولكنهم كانوا يجهلون آنذاك أن ثقافتهم
شعشع نورها طوال قرون عديدة فى الوقت الذى
كانت فيه الثقافة الفرنسية تبحث عن طريقها ،
وكانوا يجهلون مثلما أكد ذلك أحمد طالب
الابراهيمي « انه وجد الغزالي قبل ديكرت وابن
رشد قبل مولير ومونتسكيو وابن خلدون قبل
فيكو وابن طفيل قبل ديفو وابن سينا قبل برنارد
والمعري قبل دانتي وعمر ابن أبى ربيعة قبل
لامارتين » . وفى الوقت الذى كان الفرنسيون يخفون
عن العرب ثقافة أجدادهم الزاهرة ومساهماتها
العظيمة فى تطور البلاد الغربية كانوا يصبون فى

عقول التلاميذ الجزائريين هذا التزييف الفادح
للتاريخ الذى يزعم بأن هزيمة العرب فى « بواتي »
سنة 732 كانت انتصارا لبلاد الغرب على البربرية .
وانه من الاهمية بمكان نفض الغبار عن التاريخ
من أجل استعادة الوعي الاسلامى العربى والكشف
من جديد على الصفات الحسنة التى ينطوى عليها
العالم العربى . يجب أن يربى من جديد الوعي
بالماضى الذى بقى مشلولاً لمدة طويلة . ويجب احياء
ماضى العالم العربى بكل عظمته حتى يتشربه الشعب
الى أقصى حد . أجل ، انه من الضرورى حقا تحليل
اسباب تطور الحضارة العربية ومجدها وتدهورها
لاستخلاص درس من كل ذلك .

ذلك لان العرب وجدوا أنفسهم فى الماضى
أمام مرحلة البداية فى الوقت الذى كانت فيه
حضارات سامية سائدة حرمتهم - الصينيين
والهنود - الاشياء التى بدت لهم أساسية
ونافعة . ولكنهم لم يقلدوا أبدا التقليد الاعمى .
بل على العكس من ذلك غربلوا جميع الافكار بعقليتهم
الناقدة .

ان الاستنساخ الصرف لثقافة ما ليس سوى
نسخة رديئة لن تؤدى الا الى مظهر حضارى عقيم
جامد سرعان ما يذبل .

ان معظم المؤرخين الاوروبيين يأخذون عن
الحضارة العربية أنها عقيمة وان دورها اقتصر فقط
على نقل الحضارات القديمة دون مساهمة خلاقة
منها . ولقد دحضت أنا هذه المزاعم ، لانها لا تعكس
الحقيقة . انه لا يجب علينا أن نكون مستشرقين فقط

ازدادت ثراء في جميع الميادين بفضل ما توصل اليه العالم العربي..

أعجب به من مصدر للتعرف على الشخصية الاصلية والثقة بالنفس وفهم قدرات العقل ومهامه . وأعظم به من مصدر للتفاؤل والافتخار والالتزام أيضا امام الورثة الحاليين لهذه الحضارة . ويا له من مصدر للزحف بكل تقدير امام هذه الاعمال التي هي بمثابة معايير للحضارة . فضلا عن كونه مصدرا لتوضيح مهمة العقل العربي في المستقبل .

ان استعراض الماضي المجيد غير كاف أيها الاصدقاء الاعزاء . ان بعد الحضارة العربية لا يجب أن يساعد على التنصل ونسيان الحقائق الحاضرة . ولا يجب أن يكون حجة للرضى عن النفس والاكتفاء الذي يستحث على الغرور دون ضرورة منا أن نكون جديرين بهذا الماضي التليد واستخلاص العبرة منه . ولا يجب ايضا الاقتصار على تحليل الاسباب التي عرفت الحضارة العربية بفضلها مثل هذا الازدهار بل يجب دراسة أسباب تدهور هذه الحضارة وجمودها وانحطاطها للحلول دون بروز مثل هذا الخطر من جديد . أي خطر التعصب والعقائدية اللذين يستبعدان الاحتفال وخطر الانعزال والانغلاق فضلا عن الاغتراب وفقدان الشخصية .

أيتها السيدات . أيها السادة . اننا نصل لمن خلال كل ذلك الى نقطة جوهرية . ألا وهي أن الخطر - مثلما أشرت اليه منذ قليل - لا يكمن في الانعزال فحسب . بل في التفتح المفرط أيضا على العالم الى حد الاغتراب . وانه لعبرة تركها لنا تاريخ اشراق الثقافة العربية وتدهورها . ان كل نظرة

حتى نقوى وأن نعيد الى العرب حقوقهم . بل علينا أن نعرف نفسية الشعوب العربية وثقافتها . وإن الادعاء بأن العالم العربي ينقصه الابداع انما هو راجع الى فقدان المعلومات النفسانية للخصائص الهيكلية الموجودة في مختلف الثقافات العالمية وذلك بغض النظر عن النظرة المسيحية الاعتبارية .

وفضلا عن ذلك فردود الفعل هذه . ناتجة عن التقدير المفرط للقيم المادية التي ينقلها شعب الى آخر وأعني بذلك أيضا المواد النفعية أو منجزات الهندسية المعمارية والمقطوعات الشعرية والتقايد العلمية على حد سواء . ثم ان هناك نقصا في التمييز بين مختلف الاتجاهات في طريق التفكير اليوناني والهندي والعربي وباختصار . فان الملاحظة هنا تجري دون وجود الموضوع .

ان العرب شعروا بقدراتهم الابداعية وبأهليتهم في تصور حضارة جديدة ذات بعد تاريخي عالمي باستثمار التراث اليوناني والهندي تبعاً لمقدراتهم الخاصة وبرعاية هذا التراث الثمين على طريقتهم ولقد درست بكل تفصيل هذا التطور في كتابي المعنون : « شمس الله تشرق على الغرب » .

وهكذا أولدت ثقافة عالمية ذات أصالة لا جدال فيها تحمل طابع العقلية العربية الاسلامية . وهذه الحضارة التي ختمت بطابعها الموحد امبراطورية واسعة الارحاء بلغ من رقيها أن الغرب نفسه الذي كان معاديا آنذاك للثقافة الاسلامية . اهتم في سر بالتعاليم التي حملتها وكان لها الفضل في شحذ همته . وليس هناك شك في أن الثقافة الغربية قد

انفرادية خاصة تعود بالضرر . وكل انفرادية هي معاداة للحياة بشكل ما .

ان مشكلة النهضة اذن لا تكمن - مثلما سبق ان اكدته - فى الاصاله أو ولتفتح أى فى استعادة الماضى أو التفتح على العالم الحديث وتقنياته . فعلا . ان استعادة الشخصية الاصلية باحياء اللغة العربية والدين الاسلامى وبعث الماضى . كل ذلك غير كاف للإندراج فى العالم المعاصر .

الاصالة والتطور لا يتناقضان . فالحياة فى حاجة الى الاثنين كليهما . والنهضة الاصلية فى حاجة اليهما معا : انها لا تكفى بـ «فقط» بل تريد « أيضا » : أى أنها لا تكفى بالاصالة بل تريد التقدم أيضا ولا تريد الماضى بل تريد التفتح على تطورات العالم الحديث . ثم ان السؤال التالى لا يجب أن يطرح على بساط البحث : هل نتكلم العربية أو الفرنسية . فيها هنا ايضا ستكون النظرة الانفرادية خاطئة . لان اللغة العربية تفتح الطريق الجوهرى نحو استعادة الشخصية الجزائرية وتفتح الباب من جديد على الاصالة . والاسلام والتراث العربى وتفتح باب العقل امام علمائها الكبار وفلاسفتها وشعرائها وتبقى دائما وأبدا أساس الثقافة الوطنية الاصلية . أما اللغة الفرنسية فهي تفتح الباب على الحضارة والعلوم الكونية ولا ينبغي تحقيق مساهمة الحضارة الفرنسية بل يجب الاعتراف بها .

ثم انه من الخطأ الفادح الخلط بين القديم والمعاصر والوصل بين الحضارة العربية والحضارة الاجنبية . والماضى والتقدم دون احداث اتفاق ونقل مزدوج . ثم انه لا ينبغي شراء الآلات التقنية المعاصرة ووضعها فى عالم تقليدى أو الاهتمام بالرومانطيقية والانهماك فى العالم المعاصر دون حصيلة فى النفس

سوى أمجاد الماضى الكبيرة . ان مثل هذه الثقافة « التى تستعير المساحيق من الحضارة المعاصرة » على حد تعبير السيد لحبابى سوف تبقى عقيمة مناقضة للواقع . وتقليدا لا حياة له ولا قيمة .

ذلكم هو ما يستطيع التاريخ العربى الاسلامى أن يعلمه للعرب فى أيامنا هذه : لقد كانت للانسان العربى فى بدء تاريخه وحضارته الزاهرة القدرة على ادراج التراث الاجنبى فى ثقافته الخاصة وتمثل الروافد الاجنبية وتحويل الافكار . والانجازات العلمية والتقنية والفنية والقوالب الجديدة وذلك بطريقته فى التفكير وقوته الخلاقة للذين جعلاه يحول كل ذلك الى تعبير أصيل عن شخصيته .

ان عظمة هذه الثقافة وأسباب خصوبتها تكمن فى أنها لم تقتصر على تقليد الاجنبى تقليدا أعمى . بل فى تفى روحها الخاصة فى هذا الاجنبى وبعث الحياة فيه من جديد من تلقاء ذاتها .

ان لى اعتقادا راسخا بأن العالم العربى الاسلامى يسير فى الطريق الصواب نحو نهضته الاصلية الواعية - مثلما هو الامر فى الجزائر - بأن الانتصار على الاستعمار يكتمل ويتكامل بالحرية الداخلية أى حرية العقل والروح . ان العالم الاسلامى اذ ينأى عن أن يسلم نفسه الى تبعية جديدة ناتجة عن المؤثرات الاجنبية والى اغتراب جديد والسقوط من جديد تحت رحمة الاستعمار الجديد القادم من الشرق أو الغرب - ان هذا العالم - سوف يجاهد بالدرجة الاولى وبثبات فى البحث الجاد عن أصالته بالغوص من جديد فى منابعه وبالبحت عن « ايتنه » واعتراف قواه وطاقاته الابداعية التى ستمكنه من القيام بنهضة كاملة واستعادة المكانة التى يستحقها فى العالم .

صور من الملتقى



السيد العياشي ياكرو وزير التجارة فى جلسة من جلسات الملتقى بقصر الامم بنادى الصنوبر

اناشيد سادت الملتقى

اناشيد جمعت بمناسبة الملتقى

فداء الجزائر

- | | |
|--|---|
| فداء الجزائر روى ومالى فليحى حزب الشعب الفالى وليحى جند الاستقلال ولتعى الجزائر مثل الهلال | الا فى سبيل الحرية ونجم شمال افريقيه مثال الفدا والوطنيه (2) ولتعى فيها العريية |
| سلاما سلاما ارض الجدود فانت فى الكون دار الخلود فانا حولك مثل الجنود سنرعى حقك مثل الأسود | سلاما مهد معالينا غرامك صار لنا ديننا لسان هواك يناجيننا (2) ولو قبضوا بتراقينا |
| سرى فى الروح دم الفاتحين نخوض الكون مع الخاضعين ونعلى الصرخة فى الصارخين فلسنا نرضى مع العالمين | فاذكى فيها معانى الفدا ولا نرتد ولو بالردا تنادى العزة والسوددا (2) حياة نبقى بها أبدا |
| فلسنا نرضى الامتزايجا ولسنا نرضى الاندماجا رضينا بالاسلام تاجا فكل من يبغى اعوجاجا | ولسنا نرضى التجنيسا ولا نرتد فرنسيسا كفى الجهال تدنيسا (2) رجمناه كابليسا |

| | |
|--------------------------|--------------------------------|
| خلقنا بحكم الهوى اخوة | فتبت يدا كل من فرقا |
| نريد حياة لنا حرة | كفانا كفى من حياة الشقا |
| خلقنا لهذا الورى سادة | ونجم الهدى عنبدنا أشرقا (2) |
| بلادى يميننا مقدسة | سنرعى عهدك طول البقا |
| ألا فى طريق العلا سعيننا | ألا فى سبيل الفدا والجهاد |
| وليسطع بأفق السما نجمنا | ونعلى الصرخة فى كل ناد |
| فها هو ذاك اللوا معلنا | حملناه ذا اليوم فوق الفؤاد (2) |
| وها هو أحمد يحدو بنا | وها هو جبريل فينا يناد |
| ألا فى سبيل الاستقلال | ألا فى سبيل الحريه (2) |

موطني

موطني ، موطني
الجلال والجمال والسناء والبهاء في رباك
ني رباك
والحياة والنجاة والهناء والرجاء في هـواك
في هـواك
هل أراك ، هل أراك سالما منعمًا وغانمًا مكرمًا
سالما منعمًا وغانمًا مكرمًا
هل أراك في علاك ، تبلغ السماك
تبلغ السماك

موطني موطني

موطني ، موطني
الشباب لن يكل همه ان يستقل أو يبيد
أو يبيد
نستقي من الردى ولن نكون للعدا كالعبيد
كالعبيد
لا نريد ، لا نريد ذلنا المؤبدا وعيشنا المنكـدا
ذلنا المؤبدا وعيشنا المنكـدا
لا نريد بل نعيد مجدنا التليـد
مجدنا التليـد

موطني موطني

| | | |
|---------------|-------------------------|-------------------------|
| موطني ، موطني | الحسام واليراع | لا الكلام والنزاع رمزنا |
| | | رمزنا |
| | مجدنا وعهدنا | وواجب الى الوفا يهزنا |
| | | يهزنا |
| | عزنا ، عزنا ، غاية تشرف | ورايـة ترفرف |
| | غاية تشرف | ورايـة ترفرف |
| | يا هناك في علاك | قاهرا عداك |
| | | قاهرا عداك |
| | موطني | موطني |

شعب الجزائر

- شعب الجزائر مسلم (2) والى العروبة ينتسب (2)
ينتسب
من قال حاد عن أصله (2) أو قال مات فقد كذب
أو رام ادمجاً له (2) رام المحال من الطلب

شعب الجزائر مسلم

- يا نشء أنت رجأؤنا (2) وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها (2) وخض الخطوب ولا تهب

شعب الجزائر مسلم

- وارفع منار العدل (2) والاحسان واصدم من غضب
واقلع جذور الخائنين (2) فمنهم كل العطب

شعب الجزائر مسلم

- وأذق نفوس الظالمين (2) السم يمزج بالرهب
واهز ز نفوس الجامدين (2) فربما حى الخشب

شعب الجزائر مسلم

من كان يبغي ودنا (2) فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا (2) فله المهانة والحرب

شعب الجزائر مسلم

هذا نظام حياتنا (2) بالنور خط وباللهب
حتى يعود لقومنا (2) من مجدهم ما قد ذهب

شعب الجزائر مسلم

هذا لكم عهدى به (2) حتى أوسد فى التراب
فاذا هلكت فصيحتي (2) تحيا الجزائر والعرب

شعب الجزائر مسلم

نحن الشباب

| | |
|---------------------|-------------------------|
| نحن الشباب لنا الفد | ومجده المخلد نحن الشباب |
| لنا الفد | المخلد |
| شعارنا على الزمن | عاش الوطن عاش الوطن |
| بعنا له يوم المحن | ارواحنا بلا ثمن |
| يا وطني عداك ذم | مثلك من يرعى الذمم |
| علمتنا كيف الشيم | وكيف نغمر الانعام |

نحن الشباب

| | |
|------------------|------------------|
| السفوح والجداول | والحقول والسنايل |
| وما بنى الاوائل | نحن له معاقل |
| الديئن في قلوبنا | والنور في عيوننا |
| والحق في يميننا | والنصر في جبيننا |

نحن الشباب

| | |
|-----------------------|-----------------------|
| لنا العراق والشام | ومصر والبيت الحرام |
| نمشي على الموت الزؤام | الى الامام الى الامام |
| نبني ولا نتكسل | نفسي ولا نتخذل |
| لنا اليد والعمل | لنا الفد والامل |

نحن الشباب

من جبالنا

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال (2)
ينادينا للاستقلال للاستقلال وطننا (2)
تضحيتنا للوطن خير من الحياة (2)
أضحى بحياتي وبمالي عليه (2)

من جبالنا

يا بلادي يا بلادي أنا لا أهوى سواك
قد سلا الدنيا فؤادي وتفاني في هواك (2)

من جبالنا

كل شيء فيك ينمو حبه مثل النبات
يا ترى يأتيك يوم تزدهى فيه الحياة (2)

من جبالنا

نحن بالأنفس نفدي كل جزء من ثراك
اننا أشبال أسد قاصرфина لعداك (2)

من جبالنا

لك فى التاريخ ركن مشرق فوق السماك
لك فى المنظر حسن ظل يفرى ببهاك (2)

من جبالنا

نحن سور بك دائر وجبال راسيات
نحن ابناء الجزائر أهل عزم وثبات (2)

من جبالنا

من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا للاستقلال (2)
ينادينا للاستقلال لاستقلال وطننا (2)

قسما

قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
والبثود اللامعات الخافقات فى الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا

نحن جند فى سبيل الحق ثرنا والى استقلالنا بالحرب قمنا
لم يكن يصفى لنا لما نطقنا فاتخذنا رنة البارود وزنا
وعزفنا نغمة الرشاش لحنا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا .

نحن من أبطالنا ندفع جندا وعلى اشلائنا نصنع مجدا
وعلى أرواحنا نصعد خلدا وعلى هاماتنا نرفع بندا
جبهة التحرير أعطيناك عهدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا

صرخة الأوطان من ساح الفدا فاسمعوها واستجيبوا للندا
واكتبوها بدماء الشهداء واقرأوها لبنى الجيل غدا
قد مددنا لك يا مجد يدا وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر

فاشهدوا

نشيد الملتقى
من تأليف وانشاد
المجموعة الصوتية لغرداية

| | |
|-----------------------|----------------------|
| الملتقى الاسلام | اهدى التحايا (2) |
| حيوه يا كرام | حيوه معايا (2) |
| الله الله الله الله | لملتقانا ملتقانا (2) |
| انعموا اخواني واهنوا | فى ظلال اسمى عيد |
| ابشروا قد انعشتنا | مكرمات عبد الحميد |
| ايها الجيل السعيد (2) | بالانيّة والاصالة |
| الله الله الله الله | لملتقانا ملتقانا |

الملتقى الاسلام

| | |
|---------------------|--------------------|
| هيو هيو يا شبائنا | هذا ربنا دعانا |
| لتحمل الامانة | والرجوع الى عليانا |
| فاخرانا ودينانا | بالانيّة والاصالة |
| الله الله الله الله | لملتقانا ملتقانا |

الملتقى الاسلام

| | |
|--------------------|--------------------|
| من الجزائر الايبية | للعشوب الاسلامية |
| بلغوا عنا الوصية | وانهضوا بالمسؤولية |

جـددوا العزم والنية بالانية والاصالة
الله الله الله الله ملتقانا ملتقانا

ملتقى الاسلام

عاهدوا الله جميعا بالرجوع الى الكتاب
واقتفوا الامين دوما ترتقوا اسمى الرتب
ذلوا كل الصعاب بالانية والاصالة
الله الله الله الله ملتقانا ملتقانا

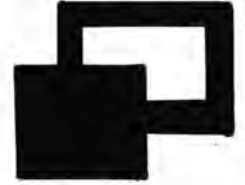
ملتقى الاسلام

صور من الملتقى



الملتقون في لحظة انشاد : فداء الجزائر روجي ومالي - ويرى في الصف الاول على اليمين الاخ عدة
بن قشاط والى ولاية الاوراس

توصيات الملتقى



اللجنة الاولى

العيد العاشر لاسترجاع استقلال الجزائر
ودور الاسلام فى كفاحنا التحريرى
طيلة مقاومتنا وفى مقاومة مختلف
البلدان الاسلامية للعدوان

التوصيات

حيث ان الاسلام زيادة عن كونه عامل حضارة من أرقى الحضارات وأغناها ، كان أيضا محركنا فى مقاومتنا ومقاومة مختلف البلدان الاسلامية التى تعرضت للغزو الاستعماري ، وكان أيضا خصائنا من المسخ والادماج بعد أن تغلب الاستعمار ، وحيث انه كان العامل الاساسى فى توحيد الكلمة أثناء كفاحنا التحريرى المسلح الاخير ، الذى قام باسم الجهاد ، وكان الجنود يسمون مجاهدين ، وجريدتهم المجاهد ، ولا تزال :

توصى اللجنة ب :

(1) ضرورة تطعيم جميع المؤسسات التربوية من الابتدائى حتى الجامعة وكذلك أجهزة الاعلام فى مختلف البلدان الاسلامية بالتربية الاسلامية ، لتدعيم جهود الاسرة التى ينبغى أيضا أن توجه بمختلف الوسائل .

(2) التعريف به ، وبقيمه ، بمختلف الوسائل ، وخاصة منها الكتاب والصحافة والإذاعة .

(3) عقد ملتقيات اسلامية منتظمة فى البلدان الاسلامية بين العلماء والمفكرين والشباب ، مع التنسيق بين هذه البلدان حتى لا توزع الجهود ، وتتناثر الطاقات ، وتتضارب مواعيد هذه الملتقيات عوض أن تتتابع وتتكامل .

4) الاكثار من الاتصال بين مفكرى وشباب العالم الاسلامى بمختلف المناسبات زيادة عن ملتقيات التعرف على الفكر الاسلامى .

5) التركيز على الدور الفعال الحاسم للاسلام فى تحرير البلدان الاسلامية التى لا تزال تعاني من الاستعمار . وفى التحرير الاقتصادى . والاجتماعى . والثقافى لعالم الاسلام . وتحقيق تنميته . وتطوير مجتمعاته . وتوحيد المسلمين حتى يعود للامة الاسلامية كل مجدها . وعزتها . وسؤدها . ويتسنى لها أن تلعب كالمضى دورها فى كفالة التقدم والرقى . والسلم فى العالم .

اللجنة الثانية

الذكرى الالفية لتأسيس الجزائر العاصمة
ومدينتى مليانة والمدينة ودور الاسلام فى
حضارة الامس فى الجزائر وغيرها .

التوصيات

هذه هي توصيات اللجنة الثانية بالنسبة لدور المدن الزيرية . يعنى الجزائر ومليانة والمدينة فى الحضرة الاسلامية . وكذلك بالنسبة لاحياء الامجاد . والاحتفال بالذكريات . ونشر التراث . وابراز الماضى . والكشف عما طمس منه . والتاثير على أوروبا والعالم . نريد أن نثبت من جملة الآراء برنامجا كما يلى :

1) جمع كل ما قيل فى العيد الالفى لتلك المدن .

2) تأليف كتاب فهرست يتضمن ذكر المصادر الأصلية قبل الاستعمار . وهى المصادر العربية والتركية والاسبانية . وأخيرا المصادر الفرنسية الموجودة فى المكاتب الجامعية .

3) تأليف كتاب فهرست يتضمن ذكر المصادر الثانوية . وأعنى بذلك مؤلفات المستشرقين : أزان . برنارد . بيرتراند . غوتى . مارسى . لاسى . ايفرس . الى آخرهم مع اشارة الى آرائهم الاستعمارية .

4) تأليف مختصر تاريخ المدن مثل تيهرت . وبجاية . وتلمسان . والجزائر والمدينة . ومليانة . وغيرها فى الجزائر وبلاد الاسلام عامة .

5) تأليف تاريخ خطط تلك المدن ومبانيها .

6) تراجم مختصر تراجم المشاهير من رجال تلك المدن .

- (7) تأليف جغرافيا تلك المدن . يعبر عن تغير تركيب مجتمعنا في العصر الحاضر .
(8) وصف علاقات تلك المدن بأوروبا والعالم .
(9) التنبيه الى ما قاسته الجزائر من ويلات الاستعمار الفرنسي الذي حال بينها وأمجادها وطمس معالمها ومحا آثارها .
(10) احياء أسماء المدن المندثرة وأسماء الشخصيات التاريخية وأسماء الأرباض التي ترتبط بالتاريخ . مثل طبنة وغيرها في الجزائر والعالم الاسلامي .
(11) العناية كل العناية بالاحتفال بالذكريات المجيدة . كتأسيس المدن والحوادث التاريخية الكبرى . والشخصيات البارزة في الجزائر وغيرها . من أنحاء العالم الاسلامي .

اللجنة الثالثة

نظرة المؤرخين غير المسلمين الى
الاسلام والحضارة الإسلامية
وضرورة كتابة تاريخنا من جديد

التوصيات

اولا : الحثيات :

- (1) اعتمادا على ما ورد في النقطة الثالثة ونصه :
« نظرة المؤرخين غير المسلمين الى الاسلام والحضارة الإسلامية وضرورة كتابة تاريخنا من جديد »
(2) واعتمادا على ما ورد في محاضرات الاساتذة في خصوص هذا الموضوع .
(3) واعتمادا على ما ورد في مجلة الأصالة : السنة الاولى . العدد الرابع ص 99 من حديث أجرى مع المؤرخ الفرنسي آجرون من حيث اعادة النظر بروية فيما يكتبه بعض المؤرخين المستشرقين عن تاريخ الاسلام وحضارة المسلمين .
(4) وحيث تقرر ضرورة كتابة تاريخنا من جديد حسب محتوى النقطة الثالثة نفسها .
فان أعضاء اللجنة ورئيسها المجتمعين يوم الثلاثاء 29 جمادى الثانية 1392 هـ الموافق لـ 8 اغسطس 1972 م . قد اتفقوا على تقديم التوصيات الآتية :

ثانيا : ذات التوصيات :

التوصية الاولى

تحرير الاطار الزمني لتقسيم العصور التاريخية التي حررت وفق أحداث التاريخ الغربى ومواقع النصرانية الحاسمة فيصير معتمدا على الاحداث الشرقية ومواقع الاسلام الحاسمة .

التوصية الثانية

نظرا لعدم الوثوق بالمصادر الاجنبية فيجب جمع عدد ممكن من الكتب العربية أو التركية أو الهندية أو السوداء واعتمادها كمصادر .

التوصية الثالثة

طبع ما لم يطبع منها فى نشرة محققة نقدية .

التوصية الرابعة

اعادة طبع ما نفذ منها .

التوصية الخامسة

ترجمة الكتب الطبية التى ألفها المستشرقون فى تاريخ الاسلام ، أو ترجمة المؤرخين المسلمين أو دراسة علم التاريخ عند المسلمين .

التوصية السادسة

ترجمة أهم كتاب عن الاسلام فى أى قطر من الاقطار الاسلامية مع استيعاب جميع الاقطار فى سلسلة متناسقة كل حلقة منها تخص قطرا اسلاميا بحسبه.حتى يعرف العالم الاسلامى بعضه بعضا .

التوصية السابعة

احداث أكاديمية التاريخ الاسلامى التى تكون لها مكتبة جامعة وأرشيف جامع ومتحف جامع ومركز للبحوث الاسلامية جامع ، والتى تصدر عنها نشرة دورية تلخص ما ينشر لدى الاوروبيين عن المسلمين فى المجلات والكتب حتى يكون كل مسلم على بينة من الحركة العقلية الاسلامية وما يكتبه المستشرقون ان خيرا فخيروا وان شرا فشرا وتكون هذه الاكاديمية مزودة بحق الابداع الشرعى وحماية الملكية الثقافية فى كل البلاد الاسلامية لكل ما يصدر من دراسات تاريخية تتعلق بالاسلام من قريب أو من بعيد .

التوصية الثامنة

تتولى لجنة اعداد الموسوعة التاريخية الاسلامية التى لابد منها لمراجعة الباحثين وتيسير مدهم بالوثائق الصحيحة والمصادر الشاملة .

التوصية التاسعة

تؤلف لجنة دائمة لتجريد ما يرد في الصحف والمجلات الإسلامية مهما كانت لغتها وتصنيفها تصنيفاً عشرياً وتقسيمها حسب المواضيع والعصور والأقطار حتى يمكن الرجوع إلى هذه المصادر الهامة التي يعسر الوصول إليها بغير هذا الأسلوب ، وذلك نظير ما فعل الإنكليزي في تجريد مجلات المستشرقين على مد نصف قرن وإصدار مواضيعها في كتاب

التوصية العاشرة

ان من أسباب الخلاف بين البلاد الإسلامية جهلهم بتاريخ بعضهم قديماً وحديثاً . ومن هنا تبدو أهمية الاعتناء بتاريخ الأمم الإسلامية حديثاً وقديماً في مناهج التعليم كخطوة أولى لتعارف الشعوب الإسلامية بعضها بعضاً وكلبنة أولى في سبيل الوحدة الإسلامية الشاملة .

ملحق توصيات اللجنة الثالثة

اعتبار التاريخ الشرقي ثم الإسلامي عند ظهوره أصلاً ، والتاريخ الغربي الذي لا مندوحة عنه في مرتبة تليه .

وذلك على الأسلوب الآتي :

أ (العصر الحجري : لا يتغير إطاره الزمني لكن محتواه يصير :

- 1 (المشرق العربي والإسلامي .
- 2 (الأندلس والمغرب وأفريقيا .
- 3 (مقارنة مع أحوال هذا العصر في أوروبا ويعتبر إنسان بين العاشر في الجزائر ، أصلاً لما يسمى إنسان كرومانيون بفرنسا وهو الإنسان المدرك .

ب (العصر القديم : لا تغير لابتدائه ، لكن تغير نهايته فتتقل من عهد انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين غربي وعاصمته رومة ، وشرقي وعاصمته بيزنطة إلى «الهجرة المحمدية» .

ويصير محتواه :

جزيرة العرب

1 (العرب في جاهليتهم سوريا

والعراق

2 (الأمازيغ (البربر) : أصل الأمازيغ

• الحضارة المازيغية اللوبية

• حرب التحرير المازيغية

(3) تركيا القديمة

(4) ايران القديمة

(5) اشـور

(6) الفينقيون :

(7) اليونان : قرطاجنة - الحضارة البونيقية مع التركيز على

الرومان : مشاركة الشعوب المستولى عليها في هذه الحضارة

(8) اليهود

(9) المتوحشة

(10) النوندال

(11) البيزنطيون

ج (العصر الوسيط : وتسميه عصر الازدهار الاسلامي اجتنابا لما ذهب اليه الافرنج من آن العصور الوسطى يراد بها الانحطاط ، وهو صحيح بالنسبة اليهم . وعلى العكس من القضية بالنسبة الينا .

(1) ظهور الاسلام : الرسالة : ما قبل الهجرة .

(2) الخلفاء الراشدون : (الفتوحات والاحداث)

(3) الخلافة الاموية

(4) العباسيون

(5) ظهور الخلافة الاموية بالاندلس

(ظهور الدويلات المنبثقة عن الاسر (الطاهرية - الطرلونيون - الحمدانيون - الاغالبة -

- الرستميون - الادارسة - الحسينيون بصقلية) .

(7) ظهور الخلافة الفاطمية بالمغرب + ظهور الدولة الاخشيدية بمصر .

(8) انتقالها الى الشرق

(9) استخلاف الصنهاجيين بالمغرب

(10) ظهور الدولة الحفادية بالجزائر

(11) المرابطون

(12) الموحدون

- 13 (الحفصيون بتونس
- 14 (الزيانيون بالجزائر
- 15 (المرينيون بالمغرب
- 16 (السلجوقيون
- 17 (الغزنويون
- 18 (الأيلخانيون بالعراق
- 19 (الامبراطوريات بالسودان

المؤسسات الاسلامية :

اتصال الحضارة الاسلامية بأوروبا وتأثيرها فيها .
الحروب الصليبية

د (العصر الحديث

- من فتح السلطان محمد لاسطنبول وسقوط غرناطة الى حملة نابليون على مصر .
- السلطة العثمانية - الدول العثمانية الجديدة : رومانيا - بلغاريا - اليونان - يوغسلافيا - البانيا .
- تجلية الاسبان عن الجزائر وتونس وليبيا .
- القرصنة (فرسان مالطة) وصد القرصنة .
- اكتشاف امريكا , عمل المؤرخين العرب في بناء امريكا , المزروعات الجديدة والحيوانات الجديدة .
- حركة الاصلاح في أوروبا
- النهضة : الادب الجديد الاوروبي , الفنون الجديدة .
- القرن السادس عشر
- القرن السابع عشر
- القرن الثامن عشر
- تقدم العلوم : الاختراعات الجديدة - الاكتشافات الجديدة - أستراليا - بدء الاستعمار في اندونيسيا والهند والخليج العربي .
- ايران - افغانستان
- روسيا والعالم العثماني

- الجلوة الاندونيسية - أسبابها - أطوارها
- أثر الاندونيسيين فى النهضة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى البلدان التى انتقلوا اليها

- لمحة عن العالم الشرقى

هـ (عصر الاستعمار

- من حملة نابليون الى يوليو 1962

1) أسباب الاستعمار

2) حروبه

3) سياسته

- البلدان التى احتلها

- المقاومة الوطنية

- ظهور نهضة فى البلدان الاسلامية فى ميادين السياسة والادارة والطب وعامة العلوم

والآداب والفنون والتقنيات - الترجمة الاندلسية - بالمغرب - بالجزائر - بتونس - بليبيا -
بمصر - بالشام - بالعراق .

التنظيمات :

- تطورات السياسة الاستعمارية

- استعداد الحركات الوطنية

- الحرب العالمية الاولى

- ما بين الحربين والحركتين العالميتين - الحركات التحريرية فى عامة البلاد .

- الحرب العالمية الثانية

- انتهاء الاستعمار - الاستقلال الاول

و (عصر الدول الاسلامية

- الاستعمار الجديد

- آثار التخلف

- البناء - التكتلات - سياسة التخطيط - - المؤتمرات - التيارات السياسية - العلاقات -

عدم الانحياز .

اللجنة الرابعة

يقظة العالم الاسلامى اليوم ونهضته غدا
ودور الاسلام الفعال فيهما أمام تحديات العصر
ومختلف أنواع الغزو والاستلاب

التوصيات

استجابة لدعوة السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية تألفت من أعضاء الملتقى لجنة
مرعية . برئاسة الاستاذ الاكبر الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الأزهر . لتقديم توصياتها فى اليقظة
الاسلامية الحاضرة وفى النهضة الشاملة المقبلة .

وبعد ان اجتمعت اللجنة عدة مرات . وتدارست الموضوع فى ضوء ما ألقى فى الملتقى من
بحوث ومحاضرات . وما دار فيه من تعقيبات ومناقشات . رأت أن تتقدم بعدة توصيات . تقوم على
المبادئ، والحقائق التالية :

- 1) ان أعضاء الملتقى مؤمنون جميعا بأن الاسلام صالح لكل زمان ومكان . وان القرآن مبرا
من كل ما طرأ على غيره من تحريف أو تبديل . وانه لا يزال جديدا فى مقاصده ومعانيه . معجزا فى
تعبيره ومبانيه . وكلما تقدم العلم ازدادت آياته ثبوتا ووضوحا . وقدمت للانسانية نورا على نور .
- 2) وهم يؤكدون ان الاسلام هو الدين الكامل . لانه منزل من عند الله . وان المسلمين بشر .
يخطئون ويصيبون . وهم يخطئون حين يأخذون الاسلام لفظا ورسما . ويصيبون حين ينفذون الى
مقاصده ومرامي . ومن أجل ذلك يرون أن واجب المستنيرين المؤمنين برسالة الاسلام أن ينبهوا
الحائرين الى أن منطق فكرنا وسلوكنا . أمام تحديات العصر وكل عصر . يجب أن يكون هو نفس
المنطق الذى هدانا الله اليه وأتم به نعمته علينا . ونعنى به التفقه فى ديننا والعناية بلسان قرآننا.
- 3) وهم يرون كذلك أن اصرار المجاهدين الصادقين على عقد هذا الملتقى . وما سبقه من ملتقيات
للتعرف على الفكر الاسلامى . فى مختلف وجهاته ونواحيه . وان اقبال العلماء الباحثين والطلاب
الدارسين . من شرق وغرب . على شهود الملتقى والمشاركة فيه . بالتحليل والتعقيب والاستفسار .
لدليل جديد على أن هذا الدين قوي متين . وانه متى أتيح للأجيال الاسلامية الصاعدة أن تنفذ الى روحه
وان تدرك رسالته . استطاعت أن تجد فيه زادا للعقل الصريح .

وهو القلب المضى الذى تفتقده فى غير بلاد الاسلام أجيال المغتربين والضائعين .

4) والمشترون في الملتقى مجمعون على أن بلاد الاسلام تواجه اليوم غزوا فكريا ضاريا . وتعرض حملات جارفة هدفها التشكيك في صلاحية الاسلام للوفاء بمطالب العصر . وهم لذلك يرفضون رفضا باتا جميع الدعاوى الفكرية الدخيلة ، التي تحاول أن تتسلل من النوافذ بلا استئذان ، بعد أن خرج الاستعمار من الابواب . وهم يهيئون بالمسلمين عموما وبالمفكرين خصوصا أن يطبقوا المبدأ الاخلاقي الاسلامي ، مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ليطرحوا السلبية التي درجوا عليها في عصور الوهن والتخاذل ، وان يؤمنوا حق الايمان بكتائبهم ، وان يثقوا تمام الثقة بأنفسهم . وعلى الجملة أن يصلحوا جوانبهم ليصلح الله برانيهم ، وأن يستمسكوا على الدوام بأصالتهم ، مع الانفتاح على العالم في عزم واقدام .

أما التوصيات المنبثقة عما قدمنا من مبادئ، وحقائق فنجملها فيما يلي :

أولا : توصيات تتعلق بالعتيدة :

1) ان الظروف الراهنة التي يعيش فيها العالم الاسلامي توجب الخروج من موقف الدفاع الضعيف المألوف ، الى موقف المبادرة والعمل والبناء .

2) ولما كانت العتيدة هي الايمان الذي تركز عليه حياة الامة الاسلامية ، فان تعميم تعليم العتيدة الاسلامية وادخالها في صلب المناهج الدراسية في جميع مراحل التعليم ، أمر يحتمه ما يتخبط فيه المجتمع الاسلامي من انهيار عقائدي ، ويوجب ان يكون ذلك التعليم بالعرض الواضح الذي يلائم العقلية الحديثة ، ويتمشى مع التفكير العلمي ، دون مساس بجوهر العتيدة وروحها المميزة لها . ولذلك يوصى الملتقى بالعمل على أن تقوم الى جانب الجامعات العلمانية العصرية ، جامعات اسلامية تدرس فيها جميع العلوم الحديثة ، كما هو الحال في بعض البلاد الاسلامية ، وينتجز الملتقى هذه الفرصة لتوجيه التحية الى الجزائر وحكومتها الرشيدة ، اذ بدأت في وضع أسس جامعة اسلامية نرجو لها التوفيق والسداد ، ولا يسع الملتقى الا أن يطالب بالحاح باحيا، جامعات اسلامية مرموقة ، مثل جامعة الزيتونة في تونس ، والجامعة الاسلامية في ليبيا ، وجامعة أم درمان في السودان وجامعة عليكرة في الهند ، وذلك في الوقت الذي كان ينبغي أن يؤخذ بيدها ويدفع بها للامام لكي تؤدي رسالتها على الوجه الصحيح .

3) ويوصى الملتقى بانشاء معاهد في مختلف البلدان الاسلامية للدعوة الاسلامية ، هدفها تخريج الدعاة الاكفاء المزودين بحصيلة وافية من الثقافة الاسلامية ، والمام واسع بلغات الشعوب الاسلامية غير العربية ، كالفارسية والتركية والاردية والاندونيسية والسواحلية ، مع التركيز على تعليم اللغات الاجنبية .

4) يوصى الملتقى بنشر اللغة العربية الفصحى بين أبناء المسلمين في العالم الاسلامى ويدعو الشعوب العربية وحكوماتها الى القيام بدورها لتحقيق هذا المطلب ، سواء من حيث تأسيس معاهد لتعليم العربية في البلاد الاسلامية غير العربية ، أو ايفاد الاساتذة العرب أو بتبادل الطلاب .

5) يوصى الملتقى بتوثيق أو اصر الفكر الاسلامى بين البلاد العربية والاسلامية غير العربية، وذلك بالعمل على ترجمة أمهات الكتب التى ألفت عن الاسلام وثقافته وحضارته فى لغات تلك البلاد ، كما يوصى بمتابعة ما ألفه الاجانب من كتب عن الاسلام ، وفحصها وتقييمها وتصحيح ما قد يكون فيها من أخطاء أو انحرافات .

6) يحىي الملتقى البلاد الاسلامية التى حرصت على الاحتفاظ بالحروف العربية لكتابة لغاتها ويهيب بالبلاد التى استعاضت عنها بالحروف الاجنبية ان تعيد النظر فى قرارها هذا ، ابقاء على العلاقة الثقافية التى تربطها بالقرآن وتراث الإسلام .

ثانيا : توصيات تتصل بالناحية التطبيقية :

1) يوصى الملتقى بالاهتمام بتربية الشبيبة الاسلامية تربية اسلامية قائمة على العقيدة الصحيحة والسلوك القويم . فى الاسرة والادنية ومنظمات الشباب . تنميها لمهمة المدرسة . وذلك لتنشئة جيل اسلامى قوى الشكينة راسخ الايمان صادق العزيمة على قهر الصعاب ومجابهة التحديات .

2) يوصى الملتقى برعاية المؤسسات الاجتماعية والجمعيات الخيرية التى تمد يد العون للفقراء والمعوزين . وذلك عملا بالمبادئ الاسلامية الداعية الى التكافل والتضامن بين أفراد الامة ، ووقوف امام المؤسسات التبشيرية العامة فى هذا الميدان .

3) يوصى الملتقى بالاتصال بالمسلمين المهاجرين فى البلاد الاجنبية والمسلمين المواطنين فيها . لتعهد أحوالهم وكفاية حاجاتهم ونشر الدعوة بينهم .

4) ويوصى الملتقى بتنسيق الصلات بين المؤسسات الاسلامية فى مختلف البلاد ، والسعى الى تضافر جهودنا فى جميع الميادين التى تعمل فيها الصالح الاسلام والمسلمين .

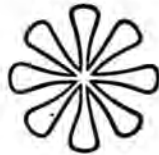
5) ولا يفوت الملتقى أن يطالب الامة الاسلامية ، على اختلاف مستوياتها الرسمية والشعبية ، بأن تنهض بحزم وايجابية لنصرة الشعب الفلسطينى ودعم ثورته المسلحة ، ماديا ومعنويا ، والتنبيه الى ضرورة التصدى لمقاومة الاغصاب الصهيونى الرامى الى تقويض الاسلام وطمس حضارته كلها ، ويذكر الملتقى مع شديد الاسى بما صنعت اسرائيل من حرق المسجد الاقصى ، وما دامت عليه من عمليات الهدم والتخريب لمقدسات المسلمين ، واقامة المستوطنات اليهودية على أنقاض تلك المقدسات . وما يلاقى المسلمون فى فلسطين المحتلة من تعذيب وتقتيل فى معتقلات اسرائيل . كما

يهيب الملتقى بالمسلمين بأن يدينوا مشروعات التصفية للقضية الفلسطينية . وأن يعملوا على احباطها قبل فوات الاوان . ويدعوهم الى اعتبار الثورة الفلسطينية هي الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى كما أن الملتقى يستنكر الاعتداءات المتكررة من جانب المسيحيين على اخواننا المسلمين فى الفيليبين ويدعوهم الى التدخل الحاسم لوقف هذه المعاملات المجافية للانسانية .

(6) ويهيب الملتقى بالمسلمين شعوبا وحكومات أن تداوم على اليقظة , للتحرر من جميع أنواع الاستغلال التى تمارسها الاحتكارات الاجنبية , ويدعوهم الى العمل بما فى وسعهم , لرفع المستوى الثقافى والاجتماعى والاقتصادى فى بلادهم . ويؤكد لهم بأن التخلف فى هذه المجالات مما يهبط للغزو الفكرى والاستعمارى . وقد وضع للعيان فى كل مكان , أن الاستعمار الثقافى والاقتصادى أخطر على المسلمين من الاستعمار السياسى أو العسكرى .

(7) ويوصى الملتقى بتكوين لجان فى كل بلد مشارك لمتابعة تنفيذ توصيات الملتقى فى ربوعه .

(8) يوصى الملتقى بأن يقف المسلمون جميعا وقفة رجل واحد أمام أعداء المسلمين , ممن يساندون الصهيونية فى تنفيذ مخططاتها الاستعمارية ويجب مقاطعتهم ماديا وعدم التعامل معهم .



صور من الملتقى



جلسة الاختتام وتلاوة التوصيات

من اليمين الى اليسار : الاستاذ الدكتور فيلهيلم هونريخ رئيس اللجنة الثانية - الاستاذ الكعك رئيس اللجنة الثالثة - الاستاذ مصطفى عبادة من الوزارة - الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصل والشؤون الدينية - فضيلة الدكتور محمد محمد الفحام شيخ الازهر رئيس اللجنة الرابعة - الاستاذ محمد عبد الله عثمان رئيس اللجنة الاولى

انطباعات عن الملتقى



لى الا ملاحظة واحدة فيما يخص التنظيم ، وهى
اننا متضايقين من ناحية الخروج حيث لا نستطيع
التجول فى العاصمة ولو عشرة دقائق فى كل يوم أى
اننا منحصرين فى القاعة من التاسعة صباحا الى تقريبا
الثامنة مساء ، ! وكنت أود أن الملتقى يجرى فى قلب
العاصمة .



الاستاذ ماتسكوفسكى
يوغسلافيا

الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى حقا انه مفخرة
الجزائر رودليل على عروبته واسلامها وحافزا قويا على المضى فى هذا
السييل .

وما نشاط وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى اقامة
هذه الملتقيات . وبعث الفكر الاسلامى الواعى ، بكل الوسائل ، وعلى رأسه
سيادة الوزير الناشط المحنك الحازم واعوانه المخلصين .. وكفى مثالا
على نشاط شبابنا الواعى المتحفز للسير دوما الى الرقى والازدهار ؛
على الشاب سليم هالى نجل صديقنا المرحوم الاستاذ الحفناوى هالى رحمه
الله وما هذا الا شبل لذلك الاسد . ان يخلقه فى جميع الميادين الثقافية
والادارية ، والنشاط والحزم ، اتمنى له التوفيق والسداد .



محمد المختار اسكندر
مستشار تربوى بالمدينة



الاستاذ عثمان الكهاك
مؤرخ تونسي

وتصفى المفاهيم وتزول الاوهام ولا يبقى في نفس طالب نقطة استفهام لا يستطيع الاجابة عنها فيبقى في نفسه شك وكدر . فبارك الله في هذا الوزير المحركى الذى وضع هذا البرنامج العجيب وحققه بدقة . والسلام

العجيب المدهش فى هذا الملتقى هو انه التقاء بين المعلم والمتعلم والطبقة الحادرة والطبقة الصاعدة فى مكاشفة للقضايا الاسلامية الهامة يبسطها المحاضر أو الطالب ويجب عنها الاستاذ ويناقش فيها الشباب الى أن تصحح الاوضاع وترسخ المبادئ

لقد اشتركنا فى الملتقى السادس هذا بفكرة عن الاسلام والمسلمين تختلف اختلافا جوهريا عن الفكرة التى خرجنا بها لاننا كنا نرى أن الاسلام بدأ يضعف فى قلوب المسلمين وان المسلمين بدأوا يتخلون عن عقيدتهم بالتدريج ولكن الآن تأكدنا أن الاسلام والمسلمين بخير وأن المسلمين سيستعيدون مجدهم التليد بدون شك فى المستقبل القريب . ان شاء الله .



السيد الشريف يوسف النبهاني
وزير التنمية المحلية فى غينيا

بخير وأن المسلمين سيستعيدون مجدهم التليد بدون شك فى المستقبل القريب . ان شاء الله .

★ ★

★ ★

★ ★

لقد اسعدنى من الصميم أن أشارك فى أعمال الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى . كما امتعنى وزاد فى ايمانى بوحدة الفكر فى عالم الاسلام لقاء السادة الافاضل الذين شاركوا فى هذا المؤتمر . ان لقاء الباحثين فى الاسلام فكرا وعقيدة وحضارة وتاريخا ، خير كله وخير ما فيه أنه يفتح الآفاق الرحبة لتعميق المعرفة وتوسيع النظرة العلمية الدقيقة فيما يتعرض له ويعيشه عالمنا العربى المسلم من هجمة فكرية تتعرض لاصالته بالتهديم والتشويه . وقد كان لنظام الملتقى واشراف السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية على اعماله وتعهده اياه بالرعاية والتوجيه أفضل النتائج ، فقد سار الملتقى فى نظام دقيق ونهج علمى سليم .

لحكومة الجزائر الرشيدة خالص الشكر وعميق التقدير على اقامتها هذه الملتقيات ودعاء الى الله جلت قدرته أن يكون ثوابها جيلا مؤمنا برسائله الروحية والقومية .



نبيه عاصم
وكيل كلية الآداب بجامعة دمشق

لقد شرفنى جدا دعوة السيد وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية
لحضور ملتقى الفكر الاسلامى السادس . ولقد كانت هذه مناسبة
عزيزة على نفسى لمعرفة الجزائر عن كثب . ولقد لمست فعلا عظمة هذا
الشعب الاخ الذى ادهش الدنيا بشجاعته وصراحته وكرامته . ان
هذا البلد الجميل جدا يسحر بطبيعته المتنوعة الخلابة . هذا الملتقى جمعنى
بأخوان انا جد متشرف بمعرفتهم ومن بينهم الاخ سليم هالى الذى
اسعدنى بالتعرف عليه وانى لارى فيه الشاب الذى يؤمل منه كل خير
لخير الجزائر وتونس وغيرها من بلدان وطنه الاكبر .



هذا الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى هو الملتقى الاول
الذى أحضره . وقد أعجبنى التنظيم الدقيق والحزم فى تنفيذ التنظيم
والدقة فى المحافظة على المواعيد . مع أن الاعضاء الذين يشتركون فى هذا
الملتقى كثيرون .

وهذه أيضا أول مرة أزور فيها الجزائر وقد رأيت فيها أكثر مما
كنت قد عرفت عنها من الكتب ومن الاخبار . فيها النشاط الذى لم يترك
شبرا من الارض غير مغروس أو غير مزروع . وأما الروح الاسلامية
فاقوى فى الجزائر من كل ما قد عرفتة فى البلدان الاسلامية التى
عرفتها . ولقد أقامت الجزائر الدليل على ذلك من جهادها الذى وصل بها
الى استقلالها الحاضر . أرجو أن تكون الجزائر قدوة لجميع البلاد الاسلامية.



د منجى الكيمى
استاذ بكلية الآداب بجامعة تونس.



د عمر فروخ
استاذ بكلية الآداب جامعة بيروت



الاستاذ سيدى محمد يوسف جيرى
مدير الدراسات بوزارة
التربية والتعليم بجمهورية مالي

بالحقيقة لاحظت أن هذا الملتقى فريد من نوعه . ففى العادة هنالك
نوعان من الملتقيات : ملتقى للاخصائيين والاكاديميين وهو يتميز
بالفنية الدقيقة . وملتقى للجمهور وهو يتميز بالحماس وعدم الفوص
فى اعماق المسائل . وهذا الملتقى الذى نحن فيه اليوم يتميز بأنه
ملتقى أخذ من الاثنين : فليس ملتقى مقفولا ومحدودا على الاكاديميين
فقط . وليس ملتقى للجمهور من الطلبة فقط . وانما هو ملتقى بين
عمالقة الفكر وبين الجمهور من الطلبة وبعض المسؤولين .

والمعجزة ان يقظة المسؤولين فى وزارة التعليم الاصلى والشؤون
الدينية الجزائرية زيادة على حرص الاح مولود قاسم على النظام هما جعلتا
من الممكن ايجاد هذه الصورة الجديدة من الملتقيات التى لم تعرفها البشرية
قبل هذا وليس فى ذلك أى مبالغة .

واننى أرجو أن تأخذ كل الشعوب من هذه التجربة الناجحة
درساً مفيداً فى امكان التقاء المفكرين بالجمهور بدون فوضى وفى نظام
مدقق وشكراً .

اننا نحى باسم الثورة الفلسطينية هذا الملتقى الاسلامى للتعرف على الفكر الاسلامى .. حيث كانت المناقشات التى دارت مفيدة وغنية للشباب المسلم .. ونحى روح الوزير الشاب الذى كان يبدى اهتماما خاصا بالقضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية .. وما اضفاه معاليه من روح ثورية على هذا الملتقى .. كما اننا نحى هذا الملتقى على القرارات التى اتخذها بالنسبة لتأييد الثورة الفلسطينية .. وان القرارات التى اتخذت خاصة بفلسطين من ناحية التأييد ورفض الحلول السلمية تدل على نضج مداولات هذا الملتقى .. كما نذكر البرقية التى ارسلها هذا الملتقى للاف ياسر عرفات . لقد كان ملتقى ناجحا حيويا. يفيد منه النشر الاسلامى وافادت وتفيد منه فلسطين فتحية لروح الاخ الوزير الشاب مولود قاسم واركان وزارته .. ونأمل أن تنظم الملتقيات القادمة فى فلسطين والجزائر .



ابو خليل
ممثل منظمة فتح بالجزائر

يتشدد المسؤولون اكثر فى
عدم قبول الاطالة فى الكلام .
وذلك لكى لا يمل الطلبة ،
ويستفيدوا اكثر والسلام .



د عبد الله العروى
أستاذ بجامعة محمد الخامس المغرب

أرى ان التنظيم المادى كان
فى منتهى الاتقان . يشرف
الجزائر ويشرف العرب . اشكر
كل المكلفين فى الوزارة وعلى
رأسهم الاخ مولود قاسم على
هذا الانتصار .
ولو كان لى طلب ، لكان ان



عمار صامب
استاذ بكلية الآداب
جامعة دكاكار السنغال

ان ضيافتكم تنسى الغريب
أهاليه وأوطانه وأدام الله
خيركم . آمين .



وكياننا الثقافي في حوار مستديم مع البشرية جمعاء لنفيد ونستفيد وندقق مواقفنا من المواقف الفكرية الأخرى . فوجود جماعات واسعة من غير المسلمين في ملتقى للتعرف على الفكر الإسلامي ، لا يغني مطلقا أننا نتعلم من غيرنا ، أو أن غرنا يتدخل في شؤوننا العقائدية ولكن الأمر كله يرجع إلى الاستفادة من آراء الآخرين وحملهم على الاستفادة من مواقفنا ، وفي هذه التجربة أثراء وأي إثراء للثقافة والعلم .

وأما الهجوم على التيارات الاستعمارية في الثقافة ، فحق له رغم الجو العلمي الذي كان يسود الملتقى أن يكتسب أحيانا صبغة الحدة لأن دحض الآراء الفاسدة لا يمكن أن يأخذ بمنهاج آخر غير المنهج النقدي ، وفي كل نقد بعض العنف ، أن صدر العالم النزيه صدر رحب وآفاقه الفكرية أوسع من أن تجد حرجا في فضح التيارات الفاسدة ولو كان أصحابها ينتسبون إلى جلدته أو ملته . وإذا كنا قد استمعنا منذ قرنين إلى نغمة واحدة من طرف أغلبية المؤرخين المنغمسين في جو الاستعمار وهي نغمة التحقير من شأن المسلمين ، والتشنيع بالثقافة العربية ، فيحق لابناء الجيل الحاضر من علماء الغرب الجديد وأبناء الوطن العربي أن يتعاونوا بصدق من أجل مراجعة المفاهيم الفاسدة ومحو آثار التزييفات دون خضوع للمركبات والحساسيات .

واتنا لنظن أن ملتقى مثل الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي ، كان بسبب تفتحه ، وضبط مباحثه ، وتوسيع آفاقه ودقة تنظيماته ، ليعد فاتحة عهد جديد للتبادل الفكري الغني بالآمال .

نظمت الجزائر ملتقاها السابع للتعرف على الفكر الإسلامي وفي إطار الذكرى العاشرة للاستقلال ولم يكن المقصود من كل الاحتفالات والملتقيات ، التي جاءت بهذه المناسبة اكتساب جاه أو المفاخرة بمنجزات ، وإنما هو إعداد الصدف للتفتح الصادق والتعارف والتوَادد بين الأخوة والاصدقاء . ولقد جا، الملتقى للتعرف على الفكر الإسلامي تحت شعار التخلص من التبعية الثقافية التي فرضها الاستعمار على أجيال عديدة من أمتنا الإسلامية . ومهما كانت

هذه التبعية متعددة ومتنوعة الجوانب ففي رأي أنه لا بد للمفكرين المناضلين من أجل الحقيقة أن يشرعوا من الآن ، وبالطرق العلمية ، في دحض التزييفات التاريخية ، واقتلاع جذور الاستعمار من البناء الثقافي الذي نريد إقامته في بلادنا . ولقد كنا شاعرين كل الشعور بخطورة هذا الموضوع ، ومدركين كل الإدراك لما سيحدثه من نقاش علمي قد يصل في

بعض الأحيان إلى درجة الحدة . وإن اختيارنا للمنهج الواضح الصريح لهو اختيار طريق النزاهة العلمية ، وما نظن أننا وضعنا في قفص الاتهام إلا التزييفات التي فرضها الاستعمار على تاريخنا .

غير أن هناك آراء شاذة يدعى بعضها أن التفتح في هذا الملتقى كان مبالغاً فيه ، ويدعى البعض الآخر أن الهجومات على مواقف الثقافة الاستعمارية قد وصلت إلى مستوى العنف والحدة .

إننا لم نعتقد في يوم من الأيام أن التفتح يكون أدنى خطر على الفكر الإسلامي . ذلك أن عقيدتنا



الاستاذ عبد المجيد ميزان
أستاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر

لقد سعدنا بهذا الملتقى الذى تميز بجمع مجموعة كريمة من العلماء ورجال الفكر وسررنا بما ساد من نظام .. وما احاطتنا به وزارة التعليم الاصلى من كرم وحسن وفادة .. ونسأل الله تعالى ان يوفقنا للخروج منه بخطة عمل فى مصلحة الاسلام ان شاء الله والله الموفق !! فيه الخير .. واصدق تحية لمعالى الوزير الشاب الاستاذ مولود قاسم .



الملكة العربية السعودية
وكيل وزارة المعارف
د محمد عبد الله
تعالى



السيدة زهور ونيسى
استاذة بناتوية عائشة بالجزائر

أشعر بالفخر والاعتزاز وأنا أرى الملتقيات الفكرية - التعرف على فكر الاسلامى - التى تعقدتها وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى وقتها فى اطار من النظام والهمة والنشاط والانضباط .. من طرف جميع مسؤولى الوزارة من الوزير الشاب الى آخر مسؤول ومساعد فى الملتقى .

أشعر بجزائريتي وثوريتي وعروبتى ودينى مجسمة فى الفعل الخلاق والنظام والايجابية . فهنيئا للوزارة هذه المبادرة الاولى من نوعها فى العالم الثالث كله - وهنيئا لجزائرناسيبها الواعى المسلم .

يعجبني جدا ما لمست من الروح الدينية والعلاقة بالاسس الاسلامية فى اخواننا الجزائريين . كما اننى اعجب خاصة بما ارى من الاخ الوزير مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية من القيام لخدمة الاسلام والمسلمين عامة ولتوطيد دعائم الاسلام بين الشعب الجزائرى العزيز عامة وان اول شئ يجب ان أعرب عنه وقد شاهدته فى ملتقانا هذا . هو الحرية التى اتاحت للباحثين مسلمين وغير مسلمين ليعربوا عن فكرتهم ، وسأتكلم عنه قبل ان القى محاضرتى .

وثانيا التوسع للمناقشة والتعقيب والبحث والاسئلة وخاصة بالنسبة الى الطلاب فهذا شئ ممتاز .

وثالثا . العناية الخاصة بالنسبة للضيوف وخاصة بالنسبة بالنائين . فبارك الله فى الشعب الجزائرى العزيز والحكومة الجزائرية الشقيقة . واخص بالثناء معالى الاخ الوزير مولود قاسم ، لاننى تنشقت من انفاسه الروح الدينى الطيب .



د جعفر شهيدى
استاذ بكلية الآداب - جامعة طهران

كان الملتقى فى اعتقادى فى
 غاية التنظيم من جميع
 النواحي . ولا أظن أن هناك
 أى ملتقى آخر أتيح له أن يتم
 بهذه الصورة التى تم بها فى
 جزائر الثورة . فشكرا لجميع
 المسؤولين على تنظيم الملتقى .



استاذ بكلية الآداب - جامعة الجزائر
 د أبو العيد دودو



الاستاذ أحمد فراج
 مراقب عام للتخطيط
 باتحاد الإذاعة والتلفزيون - القاهرة

تشرفت بحضور الملتقى السادس للتعرف على الفكر الإسلامى .
 ويسعدنى أن أعرب عن أصدق الشكر لهذه الفرصة التى كان لها أكبر الأثر
 فى إثراء معلوماتى فى موضوعات كثيرة أفدت منها كل الاستفادة
 وشخصيات إسلامية تعرفت بها وحوار ديمقراطى مثمر ومنفتح أرجو
 الله أن ينفعنى به وأن يجزى السيد الوزير مولود قاسم عنى خير الجزاء .
 ويطيب لى أن أسجل تقديرى لجانب آخر مهم هو التنظيم الدقيق
 للملتقى والانضباط التنظيمى الرائع وجهود الاخوة الذين تولوا ادارة
 المؤتمر وللأخوة المرافقين والسائقين الذين يسروا لنا سبل الراحة فى
 اقامة ممتعة واثنى على وعى الطلاب وثقافتهم وحرصهم على الاسلام
 والاستزادة من ثقافته واكرر الشكر لمعالى الوزير ولكل الاجهزة التى
 ساهمت فى نجاحه ولا يفوتنى تقدير الجهد الممتاز للاخوة المترجمين مع
 أصدق التمنيات أن توفق الجزائر دائما التى انتصرت بالاسلام الى
 نصره الاسلام فى كل مكان . مع الشكر والتقدير .



محمد العزيز الحجابي
 استاذ بكلية الآداب بجمعتى
 الجزائر ومحمد الخامس بالمغرب

أود ان نتعود اكثر ما يمكن
 على التحليل فى كل دراساتنا
 أكثر من الصرد والنقل .

— زائر دينى —

وحدة الشعب فى الجـ



مدتى انا كافر

بسوى دين وحـ

شاعر الثورة
معدى زكرياء



ان انطباعاتى عن الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى
كالاتى :

(1) أعجبنى حرص السيد الوزير على الجـ والعمل المثمر وعلى
النظام . فطيلة مدة الملتقى لم ينقص منه هذا العزم وهذا الجـ ، وهذه
ظاهرة لا نجدها عادة عند المسؤولين الكبار وهذا ان دل على شىء فانما
يدل على انه مثل رائع للاحتذاء والقذوة فعلى شبابنا ان يتخلقوا
بمثل هذه الروح الدؤوب .

(2) اعجبنى كذلك روح التفاهم الموجودة بين المسيرين . ان مدة
الملتقى الطويلة كفيفة بالبرهنة على هذه الروح .

(4) مشاركة الجزائريين تدل على روح الوعى والنضال .
هى ضبط المواعيد . والمساواة بين جميع الوفود .

(3) مشاركة الجزائريين تدل على روح الوعى والنضال .



عبد القادر فضيل
استاذ جزائرى

صور من الملتقى



لقطة من جلسة الافتتاح ويبدو في الصورة من اليمين الى اليسار : السيد عبد الرحمن شريط المدير العام للإذاعة والتلفزيون - السيد عبد الحميد بن اشنهو مدير الجريدة الرسمية - السيد محمد الشريف مساعدة مسؤول التوجيه بالحزب ويبدو في الصف التالي عن اليمين السيد محمود بوعباد مدير المكتبة الوطنية

فتوى

رأى لجنة الافتاء
فى
العمل بالحساب الفلكى
لتعيين مواقيت العبادات
ومنها :
الصوم
و
الصلاة
وفى
اخراج تقويم قمرى
اسلامى موحد

ان لجنة الافتاء المركزية المجتمعة مساء
الخميس 29 صفر 1392 هـ الموافق لـ 13 أبريل
1972 م استجابة لادارة الشؤون الدينية بوزارة
التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، درست - فى
جملة ما درست - مسألة الاعتماد على الحساب
القطعى فى تحديد مواقيت العبادات ، ومنها
الصيام فى ابتداء الشهر ، والافطار فى نهايته .
وكان فيما استعرضته مذاهب المجتهدين ،
وأقوال العلماء المسلمين قديما وحديثا :

اثبات أول الشهر ونهايته : لقد أوجب
الله صيام شهر رمضان كاملا ، كما أوجب افطار
أول يوم من شوال ، قال سبحانه : (شهر
رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر
فليصمه ...) (I) قال القرطبى : « فرض الله

(I) من سورة البقرة من الآية 185

صيام شهر رمضان أى مدة هلاله . ويسمى الهلال الشهر كما جاء فى الحديث : (فان غمى عليكم الشهر) أى الهلال . وقال الشاعر :

واخوان من نجد على ثقة
والشهر مثل قلامة الظفر
حتى تكامل فى استدارته
فى أربع زادت على عشر (2)

وقال ابن رشد : (ان العلماء اجمعوا على ان الشهر العربى يكون تسعا وعشرين ويكون ثلاثين) (3) . والاصل فى هذا الاجماع قوله (ص) فى الحديث المتفق عليه عن ابن عمر رضى الله عنهما : (انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا - وعقد الابهام فى الثالثة - والشهر هكذا وهكذا يعنى تمام الثلاثين) وأشار (ص) بعقد الابهام الى أنه يكون تسعة وعشرين يوما .

ويثبت دخول الشهر برؤية الهلال . كما يثبت طلوع الفجر وابتداء النهار برؤية الضوء للفجر المستطير من جهة المشرق . وانما أنماط الشارع دخول شهر الصوم وانتهاءه بما يسهل العلم به على البدو والحضر تيسيرا على الأمة ودفعاً للحرج خصوصا وقد كانت المواصلات عسيرة . وانتقال الاخبار بطيئا . وكل قريبة تكاد تكون مستقلة فقال (ص) : (لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غمى عليكم فاقدروا له) (4) .

وقد أجمع الاولون من العلماء والمجتهدين على ان العدة فى اثبات الشهر - عند امكان الرؤية وانتفاء المانع - هو الرؤية ان ثبتت بشروطها . والا أكملت العدة ثلاثين .

واختلفوا ان تعذرت الرؤية لمانع كوجود سحب أو قتر (غبار) أو اعتراض جبل الخ لاختلافهم فى تأويل النص فى الحديث : (فان غمى عليكم فاقدروا له) فما معنى اقدروا له ؟ يقال عربية - كما فى اللسان - : (قدرت الامر كذا أقدر قدرا اذا نظرت فيه ودبرته وقايسته ... وقدر القوم أمرهم يقدرونه : دبروه . وقدر عليه الشئ . يقدره قدرا وقدرا ضيقه ... (فظن ان لن نقدر عليه) ان لن تضيق عليه .. (فقدر عليه رزقه) ضيق ويقال : قدرت الشئ أقدره واقدره قدرا من التقدير وفى الحديث فى رؤية الهلال .. (فان غمى عليكم فاقدروا له) . وفى حديث آخر (فان غمى عليكم فأكملوا العدة) . قوله فاقدروا له : (أى قدروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوما) .

وقد أخذ جمهور العلماء والمجتهدين بأن معناه أكملوا العدة ثلاثين يوما . كما جاء مفسرا فى حديث أبى هريرة أن النبى (ص) قال : (صوموا لرؤيته . فان غمى عليكم فأكملوا العدد) (5) وفى رواية (فعدوا ثلاثين) (5) . وعلل ابن رشد تأويل الجمهور بأن الحديث الاول فاقدروا له « مجمل » والحديث الثانى فأكملوا العدة مفسر

(3) بداية المجتهد ج 1 ص 194
(5) متفق عليه واللفظ لمسلم فى الروایتين

(2) الجامع لاحكام القرآن ج 2 ص 273
(4) متفق عليه واللفظ لمسلم ومالك فى الموطأ عن ابن عمر

(فوجب ان يحمل المجمل على المفسر ، وهي طريقة لا خلاف فيها بين الاصوليين فانه ليس عندهم بين المجمل والمفسر ، تعارض اصلا) (6) .

وحمله بعضهم على التضييق (ضيقوا له وقدروه تحت السحاب . ومن قال بهذا احمد بن حنبل وغيره ممن يجوز صوم يوم ليلة الغيم من رمضان) (7) . وهذا مذهب ابن عمر راوى الحديث فقد ذهب الى تاويل (اقدروا له) « معنى ذلك ان يصبح المرء صائما ... وفيه بعد في اللفظ » (8) .

الرجوع الى الحساب : وذهب جماعة من السلف الى ان معناه الرجوع الى السحاب بتقدير منازل القمر قال ابن رشد : (روى عن بعض السلف انه اذا اغمى الهلال رجع الى الحساب بمسير القمر والشمس . وهذا مذهب مطرف بن عبدالله بن الشخير وهو من كبار التابعين . وحكى ابن شريح عن الشافعى انه قال : (من كان مذهبه الاستبدال بالنجوم ومنازل القمر ثم تبين له من جهة الاستدلال أن الهلال مردى - وقد غم - فان له ان يعتد الصوم ويجزيه) (8) .

وحكى النووى فى شرح مسلم هذا المذهب باختصار فقال : (وقال ابن شريح وجماعة منهم مطرف بن عبدالله وابن قتيبة وآخرون معناه قدروه بحساب المنازل) . وقد فصل القرطبي هذا النقل فى الجامع لاحكام القرآن فقال : (وقد ذهب مطرف بن عبدالله بن الشخير وهو من كبار

التابعين ، وابن قتيبة من اللغويين فقالا : يعول على الحساب عند الغيم بتقدير منازل القمر واعتبار حسابها فى صوم رمضان حتى انه لو كان صحو لرؤى لقوله (ص) : (فان غم عليكم فاقدروا له .. أى استدلووا عليه بمنازله وقدروا اتمام الشهر) (9) وروى عن ابن شريح بنقل ابن العربى - كما أشار اليه الشوكانى - التفرقة بين ذوى العلم بالحساب والعامّة ونص كلامه حسبما نقله ابن منظور صاحب اللسان (روى عن ابن شريح انه فسر قوله فاقدروا له أى قدروا له منازل القمر فانها تدلكم وتبين لكم ان الشهر تسع وعشرون أو ثلاثون قال وهذا خطاب لمن خصه الله بهذا العلم قال وقوله : فأكملوا العدة ... خطاب العامة التى لا تحسن تقدير المنازل . وهذا نظير النازلة تنزل بالعالم الذى أمر بالاجتهاد فيها ، وألا يقلد العلماء أشكال النازلة به ، حتى يتبين له الصواب كما بان لهم . واما العامة التى لا اجتهاد لها فلها تقليد أهل العلم) (IO) وقد رد ابن العربى - كما نقل الشوكانى - قوله بأنه (يستلزم اختلاف وجوب رمضان فيجب على قوم بحساب الشمس والقمر وعلى آخرين بحساب العدد ، وهذا بعيد عن النبلاء) (II) .

وقال الباجى فى شرح الموطأ (ذكر الداودى انه قيل فى معنى قوله (فاقدروا له) أى قدروا المنازل ، وهذا لا تعلم أحدا قال به الا بعض

(9) الجامع لاحكام القرآن ج 2 ص 273

(10) اللسان مادة « قدر »

(11) نيل الاوطار ج 4 ص 213

(6) بداية المجتهد ج 1 ص 194

(7) " " " " " "

(8) شرح النووى على مسلم ج 7 ص 189

اصحاب الشافعي انه يعتبر في ذلك يقول المنجمين.
والاجماع حجة عليه (I2) .

وقد تصدى الجمهور للرد على من خالف
مذهبهم في تأويل الحديث . فردوا على الذين حملوه
على التضييق وصاموا يوم الشك . ولهم احاديث
صحيحة تؤيد مذهبهم في النهي عن صوم يوم
الشك . كما شنوا الغارة على القائلين باستعمال
الحساب والتنجم . فقد نقل الباجي في المنتقى .
والقرطبي في الاحكام رواية عن مالك « روى ابن
نافع عن مالك عن الامام لا يصوم لرؤية الهلال ولا
يفطر لرؤيته . وانما يصوم ويفطر على الحساب
انه لا يقتدى به ولا يتبع » (I3) . وقال النووي
في شرح مسلم - نقلا عن المازري - حمل جمهور
الفقهاء قوله (ص) فاقدروا له على أن المراد اكمال
العدة ثلاثين كما فسره في حديث آخر قالوا ولا
يجوز أن يكون المراد حساب المنجمين لان الناس
لو كلفوا به ضاق عليهم لانه لا يعرفه الا افراد
والشرع انما يعرف الناس بما يعرفه
جماهيرهم (I4) .

ونقل الشوكاني عن أبي عبد البر انه انكر
صحة النقل عن مطرف اذ قال (لا يصح عن
مطرف . وأما ابن قتيبة فليس ممن يعرج عليه
في مثل هذا) (I5) . ونقل صاحب المنار في
مجلته عن ابن حجر في شرح الحديث المتفق عليه
(انا أمة أمية ...) انه قال « المراد هنا حساب
النجوم وتسييرها ولم يكونوا يعرفون من ذلك

ايضا الا النزر اليسير فعلق الحكم بالصوم وغيره
بالرؤية لدفع الحرج عنهم في معاناة حساب اليسير
واستمر الحكم في الصوم ولو حدث بعدهم من
يعرف ذلك . بل ظاهر السياق يشعر بنفي تعليق
الحكم بالحساب أصلا ويوضحه قوله (ص) في
الحديث (فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين)
ولم يقل فسلوا أهل الحساب ؟ ولم يسلم له هذا
الظاهر علامة العصر الشيخ رشيد رضا . بل
استظهر العكس . من منطوق الحديث : (انا أمة
أمية لا نكتب ولا نحسب ...) فالمفهوم منه أنه
لو وجد الحاسبون لصح الرجوع اليهم فقوله
(ص) انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب بيان لما
كانت عليه الأمة . وقد جاء (ص) مبعوثا لخراجها
من ظلمات الجهالة (هو الذي بعث في الاميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين) وفي دعوة ابراهيم (ربنا وابعت فيهم
رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويزكيهم ...) .

وهكذا نرى جمهور القدماء من المجتهدين
والعلماء . يتمسكون باكمال العدة عند تعذر الرؤية
تمسكا بتأويلهم للحديث وحملهم المجمل منه على
المبين .

لماذا لم يعملوا بالحساب ؟ نقل العلامة
محمد رشيد رضا في تفسير المنار (ان الذين لم
يبيحوا العمل بالحساب عللوه بأنه ظن وتخمين .

(14) شرح مسلم ج 7 ص 179
(15) نيل الاوطار ج 4 ص 214

(12) المنتقى ج 2 ص 38
(13) المنتقى ج 2 ص 38 والجامع ج 2 ص 273

لا يفيد علما ولا ظنا (I6) وقد حملهم على ذلك سوء ظنهم بالمنجمين ، وانهم كاذبون ولو صدقوا .
الحساب الفلكي يفيد القطع وهو غير التنجيم :
 وليس الحساب المراد هنا حساب التنجيم المبني على الرجم بالغيب ، ولكن المراد هنا الحساب الفلكي الدقيق ، حساب البروج ، بروج ومنازل القمر ، وقد ثبتت شرعيته بصريح آيات القرآن الكريم في قوله تعالى : (الشمس والقمر بحسبان) قال القاضي البيضاوي - وهو سني شافعي - : (يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتنسق بذلك أمور الكائنات السفلية ، وتختلف الفصول والاقوات ويعلم السنون والحساب) وفي قوله تعالى : (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) قال البيضاوي (قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل ، أو للقمر وحده ، وتخصيصه بالذكر لسهولة سيره ومعاينة منازلها واناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله : (لتعلموا عدد السنين والحساب ، حساب الاوقات من الاشهر والايام) . وفي قوله سبحانه (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) .

فالقرآن صريح في اثبات هذا النوع من الحساب وأفادته العلم بضبط عدد السنين والشهور ، داع المسلمين لتحصيل هذا العلم

والانتفاع به . ولهذا رأينا بعض علما، السلف من كبار التابعين والعلماء المتأولين يفسرون الحديث (فاقدروا له) بـ « قدره بحساب المنازل للقمر والشمس » ونسب هذا القول للشافعي . ولبعض اصحابه .

ويقول محمد رشيد رضا : (والحساب المعروف في عصرنا هذا يفيد العلم القطعي) (I7) ويقول : (اذا وجد الحاسبون عمل بقولهم لانه علم يقيني قطعي وان لم يوجدوا أكملت عدة الشهر ثلاثين بشرطه) .

ولقد مات محمد رشيد رضا رحمه الله - وقد حكم بأن هذا الحساب قطعي - قبل ان تتم الرحلة البشرية الى القمر وينزل الانسان على سطحه ، ويسير فوق اديمه ، وقد تم الذهاب اليه والرجوع منه بحساب مضبوط بالدقائق والثواني فكيف يسوغ لعاقل ان يجعل مثل هذا الحساب من باب التنجيم والرجم بالغيب !

كيفية اثبات الشهر بالحساب : يقول العلامة محمد رشيد رضا :

« يشبتون (الحاسبون) وقت ولادة الهلال أي مفارقتة للشمس في آخر الشهر بالساعات والدقائق - ومنه يعلم امكان رؤيته لمعتدلي البصر أو عدم امكانها ، فاذا كان من الدقة بحيث لا يرى لا يشبتون الشهر بولادته واذا كان بحيث يرى قطعا عند انتفاء المانع من غيم أو نحو ذلك يشبتون الشهر ... ويقال : ان الشهر قد ثبت برؤية

الهلال حقيقة أو حكما فلا يكون اثبات . وجوب الصيام بقول الفلكيين الحاسبين بل بوجود الهلال وانما يبينون للناس متى يرى .

الصوم كالصلاة والحج : ولقد وضع الشيخ رشيد رضا رحمه الله مسألة تحديد مواقيت العبادات ببيان وحجج واضحة في مثال نشره في مجلة المنار بالجزء الاول من المجلد الثامن والعشرين ثم نقل خلاصته في الجزء الثاني من التفسير . وذلك في خمس مسائل هذا فحواها :

١ (أن اثبات أول رمضان وأول شوال كاثبات أوقات الصلوات الخمس . وقد ناطها الشارع كلها بما يسهل العلم به على البصير والحضر . وغرض الشارع العلم بهذه الاوقات لا التعبد برؤية الهلال . ولا بتبين الحيط الابيض من الحيط الاسود من الفجر . ولا برؤية ظل الزوال . ورؤية ظل كل شيء مثله . ولا برؤية غروب الشمس . ولا برؤية مغيب الشفق . إذ غرض الشارع معرفتها وحصول العلم بها .

وما ذكره صلى الله عليه وسلم من نوط اثبات الشهر برؤية الهلال أو اكمال العدة بشرطه قد علله بكون الامة كانت أمية في عهده . ومن مقاصد بعثته اخراجها من الامة لا ابقاؤها فيها . قال تعالى : (هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) وفى معناه دعوة ابراهيم فى سورة البقرة . ويؤخذ من هذا أن لعلم الكتاب والحكمة حكما غير حكم الامة .

٢ (من مقاصد الشريعة اتفاق الامة فى عبادتها ما أمكن الاتفاق وسيلة ومقصدا ، وهذا انما يكون :

أ - باتفاقها كلها - أو أهل قطر منها - على العمل بظواهر الشريعة ونصوصها وعمل النبي (ص) وأصحابه فى الصبر الاول من مواقيت الصلاة والصيام والحج . من رؤية الفجر والظل . والغروب والشفق والهلال عند الامكان . وبالتقدير أو رؤية العلامات عند عدم الامكان .

وفى هذه الحالة لا يجوز لمؤذن الفجر - فى أى يوم من الايام - ان يؤذن الا اذا رأى ضوءه معترضا فى جهة المشرق . وهو يختلف باختلاف الليالى . وباختلاف الصحو والغيم . وهكذا فى بقية الاوقات انما تعتمد الرؤية البصرية فقط .

ب - العمل بالحساب والمراسد عند ثبوت افادتها للعلم القطعى بهذه الاوقات التى جرى عليها العمل فى جميع بلاد الحضارة الاسلامية فى الصلاة « ولو » مع المحافظة على الاستهلال ورؤية الهلال فى حال عدم المانع من رؤيته . للجمع بين ظاهر النص والمراد منه . ومن المعلوم من الدين بالضرورة ان الصلاة عماد الدين فهى افضل من الصوم وأعم . وفى غير حالة الصحو وعدم المانع من رؤية الهلال يكون اثبات الشهر باكمال العدة ثلاثين طنبا أو دون الظنى . ومن قواعد الشريعة المتفق عليها ان العلم مقدم على الظن . فلا يعمل بالظن مع امكان العلم . فمن إمكنه رؤية الكعبة لا يجوز له ان يجتهد فى التوجه اليها ويعمل

بظنه الذي يؤديه اليه اجتياحه بل يجب ان يتيقن انها أمامه .

3 () اذا قيل : افادة الحساب للعلم القطعي بوجود الهلال ، وامكان رؤيته خاص بالفلكي الحاسب وقد اختلف العلماء في العلم بما ذكرتم . ولا يكون علمهم حجة على غيرهم . قلنا ان الذين لم يبيعوا العمل بالحساب قد عللوه بأنه ظن وتخمين لا يفيد علما ولا ظنا ... والحساب المعروف في عصرنا هذا يفيد العلم القطعي كما تقدم . ويمكن لائمة المسلمين وأمرانهم ان يصدروا حكما بالعمل به فيصير حجة على الجمهور . وهذا أصح من الحكم باثبات الشهر باكمال عدة شعبان ثلاثين يوما مع عدم رؤية الهلال ليلة الثلاثين والسماء صحو ليس فيها قتر ولا سحب يمنع الرؤية .

4 () يؤيد هذا الوجه الاخير القول الثالث للامام أحمد فيما يجب العمل به اذا غم على الناس رؤية الهلال وهو أن يرجعوا الى رأى الامام (أى السلطان ولى الامر الشرعى) فى الصوم والفطر .

5 () اذا تقرر لدى أولى الامر العمل بالتقاويم الفلكية من مواقيت شهرى الصيام والحج كمواقيت الصلاة وصيام كل يوم من الفجر الى الليل امتنع التفرق والاختلاف بين المسلمين فى كل قطر أو فى البلاد التى تتفق مطالعها . واما التى لا تتفق فيها المطالع فلا ضرر

فى الاختلاف فى صيامها كما لا ضرر فى الاختلاف فى الصلوات .

وجملة القول أننا بين أمرين اما ان نعمل بالرؤية فى جميع مواقيت العبادات أخذا بظواهر النصوص وحسيانها تعبدية وحيثئذ يجب على كل مؤذن الا يؤذن لاي وقت الا اعتمادا على الرؤية البصرية . واما ان نعمل بالحساب المقطوع به لانه اقرب الى مقاصد الشريعة : وهو العلم القطعي بالمواقيت وعدم الاختلاف فيها ، وحيثئذ يمكن وضع تقويم عام تبين فيه الاوقات التى يرى فيها هلال كل شهر فى كل قطر عند عدم المانع من الرؤية . وتوزع على العالم . فاذا زاد عليها استهلال جماعة فى كل مكان . فان رأوه كان ذلك نورا على نور .

واما هذا الاختلاف وترك النصوص فى جميع المواقيت عملا بالحساب ما عدا مسألة الهلال فلا وجه له ولا دليل عليه . ولم يقل به امام مجتهد بل هو من قبيل (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) (18) .

مؤتمر علماء ماليزيا : ولقد أيد مؤتمر علماء المسلمين المنعقد فى ماليزيا - مبدئيا - الاعتماد على الحساب الفلكي . واثبت الشهر به عند تعذر الرؤية اذ قال فى توصياته :
يوصى المؤتمر بما يلي :

أ - تتقرر بداية شهرى رمضان وشوال

(18) انظر تفسير المنار ج 2 اثر تفسير آيات العيام

وهكذا اتفق رأيهم ودعوتهم مع رأى ودعوة الشيخ محمد رشيد رضا التى سبقت مؤتمريهم بنحو نصف قرن .

التقويم القمري الاسلامى وعلاقته بالقمر

الفلكى : وقد استمعت لجنة الافتاء الى بيانات قيمة مقدمة من ممثل هيئة المرصد الفلكى ب « أبى زريعة » ثم درست بامعان ما قدمه من (دراسة حول التقويم القمري الاسلامى وعلاقته بالقمر الفلكى) حررها السيد غزلون عبدالكريم .
وخلاصة هذه الدراسة القيمة :

- ان الشهر القمري يساوى 530588 . 20 يوما .

- وان السنة القمرية تساوى 20.530588 / 367056 = 354 يوما . وان الفلكيين المسلمين وجدوا أن هذا الكسر يبلغ فى مدة ثلاثين سنة II يوما تقريباً أى :

$$367056 \cdot 0.30 = 116801 \text{ II يوما .}$$

فاقترحوا أن تكون فى كل ثلاثين سنة قمرية II سنة كبيسة - أى ذات 355 يوما - و 19 سنة بسيطة - أى ذات 354 يوما - وحددوا بداية للدورات الثلاثينية السنة الاولى من الهجرة وبداية لاول شهورها رؤية هلالها الاول فى مكة أو المدينة .

والسنوات الكبيسة فى كل دورة ثلاثينية هى السنوات :

2 ، 5 ، 7 ، 10 ، 13 ، 16 ، 18 ، 21 ، 24 ، 26 ، 29 ، والسنوات البسيطة هى ما عداها من السنوات .

اساسا بالرؤية العيانية الحقيقية للهلال .

ب - واذا تعذرت الرؤية لسبب من الاسباب فى بلد معين وجب ان يتخذ اساسا للتحديد تقارير للرؤية العيانية الحقيقية فى بلد آخر يشترك مع البلد الذى تعذرت فيه الرؤية فى الليل نفسه أو فى جزء منه .

ج - واذا تعذرت الرؤية للسببين السالفين وكان الحساب الفلكى يثبت امكان رؤية الهلال **يباح الاعتماد على الحساب الفلكى .**

د - على حكومات الاقطار الاسلامية المختلفة ان تقيم هيئة من الخبراء لتحديد بداية شهرى رمضان وشوال بما يتفق والمبادئ السابقة .
ويوصى المؤتمر ايضا باقامة جهات خاصة تتألف من علماء الدين وعلماء الكون المختصين تعيينهم الحكومات المشاركة فى المؤتمر للعمل على اخراج تقويم قمرى اسلامى موحد .

وهكذا نرى أن هذا المؤتمر - مع كونه يقرر اساسا - اثبات الشهر اعتمادا على الرؤية العيانية - يبيح الاعتماد على الحساب الفلكى عند تعذرهما .

- وهذا معناه اعتبار الحساب الفلكى مفيدا للعلم - ويدعو الى اقامة جهات خاصة تتألف من علماء الدين وعلماء الكون المختصين للعمل على **اخراج تقويم قمرى موحد .**

فهذه التوصيات - المؤكدة باقتراح اخراج تقويم موحد - ترجيح لمذهب القائلين باعتماد الحساب الفلكى واستعماله عند تعذر الرؤية .

ومنذ بداية التاريخ الهجرى تمت 46 دورة ثلاثينية ونحن الآن فى الدورة الـ 47 وبالتدقيق فى السنة 12 منها فسننتا هذه 1392 سنة بسيطة ذات 354 يوما اما السنة المقبلة 1393 هـ فهى حسب هذا التقويم - سنة كبيسة أى ذات 355 يوما .

واما باقى الكسر وهو 0.01168 من اليوم فى كل ثلاثين سنة ، فانه سيكون يوما كاملا بعد مضى 2569 سنة هجرية قمرية ويكفى لعلاجـه

اضافة سنة كبيسة ثانية عشرة كلما مضت 85 دورة ثلاثينية تقريبا .

وقد اقترح الفلكيون المسلمون لوضع التقويم القمري الاسلامى أن يقسموا شهور السنة القمرية بالتساوى الى قسمين : 6 شهور ذات 30 يوما و 6 شهور ذات 29 يوما بحيث تكون الشهور الفردية الرتبة ذات 30 يوما ، والشهور الزوجية الرتبة ذات 29 يوما مما عدا شهر ذى الحجة فانه يكون فى السنة البسيطة ذات 29 يوما وفى الكبيسة ذا 30 يوما هكذا :

| I | 2 | 3 | 4 | 5 | 6 | 7 | 8 | 9 | 10 | 11 | 12 |
|-------|-------|--------|--------|---------|---------|-----|-------|-------|------|-----------|----------|
| محرم | صفر | ربيع I | ربيع 2 | جمادى I | جمادى 2 | رجب | شعبان | رمضان | شوال | ذى القعدة | ذى الحجة |
| 30 | 29 | 30 | 29 | 30 | 29 | 30 | 29 | 30 | 29 | 30 | 29 |
| بسيطة | بسيطة | | | | | | | | | | |

ولقد ارتاحت اللجنة الى هذا التقويم وتبينت براعة علماء المسلمين الاولين الذين توصلوا الى وضعه منذ قرون وبلغ من تدقيقه أنه لا يحتاج الى زيادة يوم الا بعد أكثر من الفين وخمسمائة قرن . ولقد توقفت اللجنة عند قوله فى الدراسة : (اما رؤية الهلال القمري فانها تتوقف على الموقع الجغرافى الذى يحتله الملاحظ وبالاخص موقعه العرضى) . ان هذا الجزء من الدراسة هو ما يهمنا أن

يبينه رجال الحساب الفلكى والمراسد للامة الاسلامية بحيث يدققون لها أن هذه الرؤية ممكنة فى الاحوال العادية فى هذا قطر من الاقطار الاسلامية لذوى الابصار العادية . وفى ذاك أو غير ممكنة . أو تمكن فى بعضها دون بعض .

فحيثما أمكنت الرؤية - عادة لو خلت من الموانع - يمكن الاعلان فيها عن ثبوت الشهر بالحساب الفلكى وهى الرؤية **حكما** كما اشار الى ذلك العلامة رشيد رضا . ويكون ثبوت الشهر

بوجود الهلال فعلا ، وقد ايده فى ذلك مؤتمر علماء ماليزيا .

أما اذا نص الحاسبون على استحالة ان يرى فى أى قطر من الاقطار فان الشهر لا يثبت لان من القواعد تكذيب خبر قامت البراهين على استحالة وقوعه .

واما العمل بالقاعدة التى اقترحها الفلكيون المسلمون لوضع التقويم القمري - والتى تقدم بيانها - فلا يمكن العمل بها فى العبادات دون أى احتراز أو تحفظ ، بحيث تنفذ حسب الجدول السابق للشهور . فالذى تلاحظه اللجنة ان التقويم يجعل شهر شعبان دائما ذا 29 يوما وشهر رمضان دائما ذا 30 يوما . وشهر ذى الحجة فى البسيطة ذا 29 يوما وفى الكبيسة ذا 30 يوما .

وهذا يخالف نص الحديث الصحيح الذى خرجه مسلم وغيره عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال : (ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان فقال : (الشهر تسع وعشرون) وفى رواية (الشهر تسع وعشرون ليلة) .

وقد تقدم انه اخبرهم انه قد يكون ذا ثلاثين وقد يكون ذا تسع وعشرين ، بالقول والاشارة الحسية وهذا ما أجمع عليه المسلمون منذ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليوم . فقد كانوا يصومون تارة ثلاثين يوما ، وأخرى تسعة وعشرين ، بل ورد ان اغلب صيامهم على عهد رسول الله (ص) كان تسعة وعشرين يوما .

فلا يمكن لنا نسخ هذا بجعل شعبان دائما ذا تسعة وعشرين يوما ورمضان ذا ثلاثين يوما دائما . اذ ان هذا قد يجعل المسلمين يصومون يوم العيد . ويفطرون يوما من رمضان والنسخ لا يقع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانما الناسخ هو الله سبحانه : (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) فليكن التقويم مبنيا على الحساب لكل شهر ، فى كل عام ، أو ليكن تقويم خاص تراعى فيه العبادات بجانبه .

وبناء على جميع ما تقدم فان لجنة الافتاء تعلن رأيها فى هذا الموضوع ، وتذيع ما يأتى :

ان لجنة الافتاء المجتمعة مساء 29 محرم 1392 هـ الموافق 13 ابريل 1972 م بعد دراستها للنصوص الشرعية ، واستعراضها لاقوال العلماء المسلمين ، المتقدمين منهم والمتأخرين ، القائلين باعتبار الحساب الفلكي واستعماله فى اثبات دخول الشهر القمري عند تعذر الرؤية والمعارضين وخصوصا بحث العلامة مجتهد العصر السيد محمد رشيد رضا فى تفسير المنار ، وتوصيات مؤتمر العلماء المسلمين المنعقد بماليزيا فى 27-21 ابريل 1969 .

ترى ان العمل بالحساب الفلكي والمراسد ، جائز يباح الاعتماد عليه فى كل عبادات المسلمين ومنها اثبات شهرى رمضان . وشوال للصوم والفطر . ولأولى الامر من المسلمين ان يتخذوا فى ذلك ما يرونه من اجراءات موافقة لمقاصد الشريعة ونصوصها ، وذلك :

لان من مقاصد المشرع اتفاق الامة في عبادتها ما امكن الاتفاق وسيلة ومقصدا . ولا يحصل هذا الاتفاق الا بالعمل بهذا الحساب . ولان العمل به اقرب الى مقاصد الشريعة . وهو العلم القطعي بالمواقيت وعدم الاختلاف فيها فان غرض الشارع من اثبات اوقات العبادات بالرؤية - تيسيرا على الامة الامية - العلم بهذه الاوقات ومعرفتها وليس التعبد برؤية الهلال ورؤية غيره من الامارات .

ولان الحساب الفلكي وحساب المراصد . المعروفة في عصرنا يفيد العلم القطعي . وهذا العلم مطلوب لنا ، وغاية من غايات شريعتنا . دلنا على انه علم القرآن الكريم اذ قال : « هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب » (19) « قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل ، أو للقمر وحده وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازلها واناطة احكام الشرع به ولذلك علله بقوله ولتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام » (20) .

وقال « الشمس والقمر بحسبان » (21) : « يجريان بحساب معلوم مقدر في بروجهما ومنازلهما وتنسق بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاقوات ويعلم السنون والحساب » (20) وقال في آية أخرى . في آية الليل والنهار : (... لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) (22) .

ففي حالة الغيم - مثلا - يحصل للفلكي الحاسب العلم بأن الهلال موجود ورا . السحاب - تمكن رؤيته أو لا تمكن - أو غير موجود . بينما لا يحصل غيره الا على الظن . ومن قواعد الشريعة المتفق عليها ان العلم مقدم على الظن . وانه لا يعمل بالظن مع امكان العلم . فان قيل بان افادة الحساب العلم القطعي ... خاص بالفلكي الحاسب فقد أجاب السيد محمد رشيد رضا بأنه (يمكن لأئمة المسلمين وامرائهم الذين ثبت عندهم أن يصدروا حكما بالعمل به فيصير حجة على الجمهور) وعزز قوله بما نقله من قول ثالث للامام احمد فيما يجب العمل به اذا غم على الناس رؤية الهلال « أن يرجعوا الى رأى الامام » (أى السلطان ولي الامر الشرعى) في الصوم والفطر .

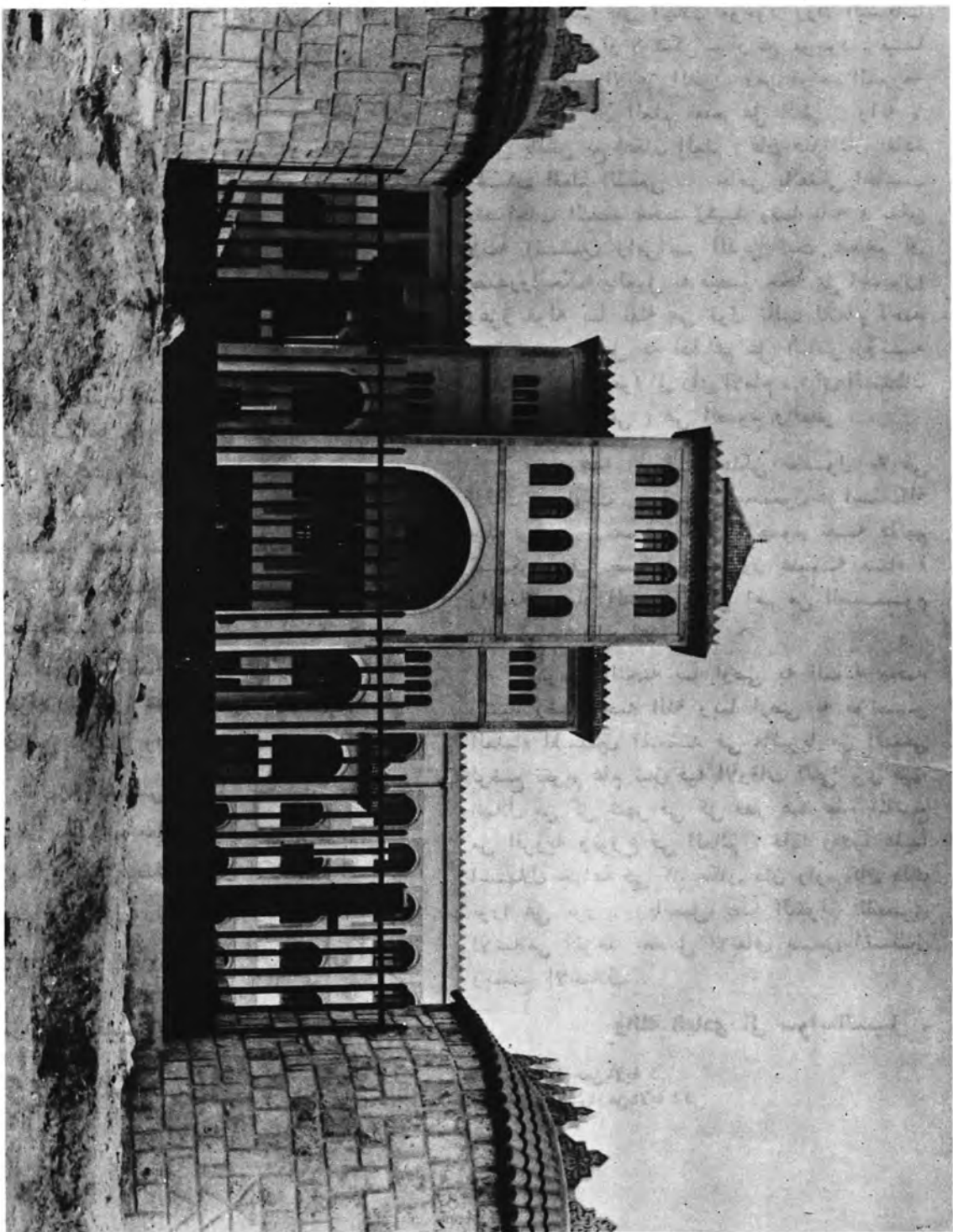
ولان هذا الحساب الفلكي معمول به في اوقات الصلوات . والمسلمين مجمعون على استعماله منذ قرون . ومعمول به في الصوم نفسه فانهم يسكنون عليه صباحا ويفطرون عليه مساء ، والصلاة عماد الدين . وهى اعم من الصوم وافضل منه باجماعهم .

وتوصى اللجنة بما أوصى به السيد محمد رشيد رضا رحمه الله وبما أوصى به مؤتمر العلماء المسلمين المتعقد في ماليزيا من السعي لوضع تقويم عام تبين فيه الاوقات التى يرى فيها الهلال من كل شهر فى كل قطر عند عدم المانع من الرؤية وتوزع فى العالم . فاذا زادوا عليها استهلال جماعة فى كل مكان فان راوه كان ذلك نورا على نور . وبالعامل بهذا التقويم القمرى الاسلامى الموحد يحصل الاتفاق بين المسلمين ويمتنع الاختلاف .

والله الهادى الى سواء السبيل .

(21) سورة الرحمن الآية 5
(22) سورة الاسراء من الآية 12

(19) سورة يونس من الآية 5
(20) تفسير البضاوى



الثانوية الجديدة للتعليم الاصلى بقسنطينة

المفهوم المعكوس عن توحيد التعليم لدى بعض المخربين

الاجنبية ، نسير فيه حسب برامج المدارس العامة حرفا بحرف ، وذلك حرصا منا على اتاحة الفرص للتخريجين فى جميع المجالات ، دون قصرهم أو جبرهم على اتجاه معين قد لا يناسب ميولهم ، وهو ايتهم ، وكثيرا ما يؤدى باصحابه الى القعود فى منتصف الطريق ، أو المتابعة الحتمية الخالية من كل حماس ، وكل منهما ينتج عنه قصور وذبدبة ، وعقد نفسية ، وبالتالي تعقيد فى الشخصية ، واضطراب فى الاتجاه ، وهو ما نلاحظه فى بعض خريجي المدارس التقليدية قديما ، ففى نفوسهم ميول الى تطور لا يملكون قاعدته ، وفى أفكارهم نقمة على هذا النوع من التعليم الذى فرضته عنهم

التعليم موحدا ، دون مراعاة الى الوحدة الحقيقية التى تسعى لها جميعا .

وهذه الوحدة التى يتغنى بها هؤلاء ، ما هى فى الواقع الا وحدة مظهرية لا تعالج اصل الموضوع ، فى عمقه ، وهدفه ، وابعاده ، لان الوحدة التى نرمي اليها ونطبقها بالنسبة للقطاع الذى ننتهى اليه ، وهو التعليم الاصلى ، هى وحدة فى المنهاج ، والطريقة ، والهدف ، لا فى المظهر والشكل .

وحدة فى المنهاج تتمثل فى قدر من الثقافة العامة يجمع بين الجميع ، وهو الشأن بالنسبة لنا فالرياضيات ، والعلوم ، والفيزياء والكيمياء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، واللغات

ان قيمة الكلمة تعرف بقدر ما تتركه فى الذهن من اثر ، وما تفتحه من آفاق ، وهى فى نفس الوقت يستشف بواسطتها ما تواريه النفوس من مقاصد وغايات ، بحسب الاهواء والامزجة .

وما ورد اخيرا فى ملحق باحدى الصحف الوطنية حول وحدة المدرسة وتوحيد التعليم ، لدليل على تضارب المفاهيم ، حول هذه الفكرة التى ينظر اليها من وجهات مختلفة باختلاف المقاييس لمبدأ التوحيد المدرسى .

ان بعض الناس يرون التعليم من وجهة ضيقة ، لا تتعدى انضمامها تحت اسم واحد ، ويعتقدون أن هذا كاف ليكون

الايضاح الخاصة . وقعد بهم حسب اعتقادهم عن بلوغ المرام . وتحقيق ما يصبون اليه . يرفع بهم احيانا الى تطرف عشوائي في الاتجاهين . وهذا ما أردنا تحاشيه بالنسبة لتلاميذنا ، وغايتنا أن يدخلوا مدرسة الحياة الكبرى ولهم من زاد خوضها ما بحميتهم من الانكماش ، والخضوع والخنوع من جهة . والكراهية والنفور والاشمئزاز المترتبة عن الشعور بالدون من جهة أخرى فالتاريخ خير حكم على الجميع .

ووحدة في الطريقة نراها في عدد السنوات المطلوبة ، وفي كيفية المتابعة ، وتحديد التوقيت ، وأسلوب التدريس . والنظام التربوي العام لكل مؤسسة . وهذا ما عملنا عليه أيضا بالنسبة لمؤسساتنا حتى نجعل من طريقة التبليغ ، والإيصال ، والجو العام السائد واحدا لدى الجميع .

ووحدة في الهدف تتمشى مع المخططات الثورية لبلادنا ، وتستجيب لرغبة الجميع في

تحقيق ثقافة أصيلة ينعشها الماضي ، ويغذيها التطور العلمي الحديث . ويحفزها مستقبل زاهر . متمسك بالمقومات الذاتية دون وجل أو خجل . متفتح على عالم اليوم دون تهيب أو انزلاق ، يتفاعل فيه التأثير والتأثر بما يفيد البناء والتشييد وتغيير المفاهيم المريضة . والقضاء نهائيا على الرواسب والتبعية . وعندها فقط نحقق الثورة الثقافية المنشودة . التي هي وسيلتنا الى ثورة اجتماعية شاملة نرتفع بها الى أعلى درجات التقدم ، مع الحفاظ على « نحن » وفي « نحن » تكمن كل المناعة .

ان مؤسسات التعليم الاصلى وقد طوت العقد الاول من مرحلة نموها . مواكبة في ذلك استعادة الاستقلال الوطني . تستقبل من جديد سنتها الاولى من عقدها الثاني في جو يملؤه الحماس والتفاؤل الواعي . وقد انعمت بالالوف من طلاب التسجيل من بنين وبنات للانخراط بها . وقد بلغت الارقام حدا يفوق

الثلاثين ألفا ممن توفرت فيهم شروط القبول للتسجيل . بيد أن هذه المؤسسات في مجموعها على الرغم من الجهود المبذولة لتعدادها ، وزيادة الافسام فيها . والامكانيات المجسدة للتخفيف من ضغط الراغبين في متابعة الدراسة بها ، فإنها لم تتسع الا لقبول (4563) تلميذا وتلميذة من الجدد . وبذلك يبلغ مجموع تلاميذ مؤسسات التعليم الاصلى للسنة الدراسية 72-1973 م : 19908 .

ان عدد هذه المؤسسات . سوف يزداد وفق المخططات العامة للدولة . والمشاريع الخاصة بالولايات التي أخذت هي الاخرى تطالب باقامة مثل هذه الثانويات . وادراجها ضمن منشآتها . كتلبية لرغبة الجماهير . واستجابة للجموع المتعطشة لهذا اللون المتكامل من التعليم . الذي سيتوج في اميد قريب بافتتاح كلية للشريعة الاسلامية بـمـنـطـيـنة كنواة لجامعة اسلامية تضمن لمن يواصل التعليم الاصلى العالي بها مختلف التخصصات .

إدارة التعليم الاصلى

النشاط الثقافي

اللغة العربية بين اللغات الكبرى

بدعوة من وزارة الثقافة والاعلام القي الاستاذ ابراهيم مذكور الامين العام لمجمع اللغة العربية محاضرة قيمة حول اللغة العربية في ماضيها وحاضرها . فاشار ، بل قرّر بان اللغة العربية لغة دين ودنيا . وانها حظيت بقداسة اهل الارض كما حظيت بقداسة السماء . وقد خرجت اللغة العربية من شبه الجزيرة العربية في اواخر القرن الاول واوائل القرن الثاني للهجرة وانتشرت ، في المناطق ما بين البحر الاسود شمالا والمحيط الهندي جنوبا ، وشرقا من اندونيسيا الى المحيط الاطلسي ، واتخذتها الاجناس المختلفة في هذه المناطق لغة حضارة ولغة دين .

اعداد :
حكمت ياسين

اتخذتها لغة دين لأن مصدر الدين الذي اعتنقه أهلها وهو القرآن نزل باللغة العربية ، وأن هناك نصوصا لا يمكن فهمها أو المحافظة على بلاغتها الا اذا قرئت بالعربية .

وأسهم المسلمون من جميع الاجناس فى الحضارة الاسلامية ، وكانت لغة العلم والحضارة بالنسبة اليهم جميعا اللغة العربية ، فقد كتبت فيها دراسات مختلفة دينية وأدبية ولغوية ، كما وضعت دراسات فى علوم فلسفية ورياضية فى الجيولوجيا وعلم الحيوان ، والفلك والهندسة ، والكيمياء والطبيعة ، وكانت هناك لغة واحدة سبقة الى العلم والفلسفة فى القرن الثالث عشر فهمى اللغة العربية ، حيث لم تكن لغة علمية يعتد بها اللهم سوى اللغة السريانية التى كانت أخذت عن اليونانية ، على انها وقفت عند الطوائف الدينية او لم تصبح شعبية .

كانت اللغة العربية عماد الثقافة فى العالم كله ، وعنها أخذت الثقافة اللاتينية ، ونستطيع أن نقرر أن الحركة الفكرية الأوروبية التى ازدهرت فى القرن الثالث عشر ، على يد بعض المفكرين مثل توماس ، وجون بيكون ، كل هؤلاء انما دفعهم نحو الحركة الفكرية ما أخذوه عن الثقافة العربية وهذا ما اعترف به بيكون نفسه .

ان اللغة العربية اضطلعت بعبء حضارى وثقافى كبير ، لو لم تضطلع به لما كان للفكر القديم وجود ، ولا كان اليوم علم ، ويكفيها فخرا انها حفظت العلوم اليونانية من الاندثار فى الوقت الذى لم تكن أى لغة قادرة على حفظه ، ولم تكتف بالمحافظة عليه ، بل أضافت اليه تجارب وعلوم جديدة متنوعة .

وبعد أن تكلم عن هذا الدور الحضارى الكبير للغة العربية ، أوضح الاستاذ مذكور بأنه يوجد فى

العالم لغات كبرى أخرى مثل الفرنسية التى بقيت لغة عالمية مدة قرنين من الزمن ، والانجليزية التى تعتبر اليوم اكبر لغة عالمية ، اذ يتكلمها ملايين من الناس ، وأشار الى أن اللغة العربية ليست فى وضعها أقل من هذه اللغات الأوروبية ، اذ هي الاخرى تداولتها شعوب وحضارات وكان لها أثر فى لغات أخرى اجنبية حتى الفرنسية والانجليزية ، على أن تأثير اللغة العربية فى اللغة الاسبانية أوضح دليل على تأثيرها اللغوى والحضارى فى تلك اللغات العالمية .

وبعد أن فرغ المحاضر من الحديث عن ماضى اللغة العربية انتقل للحديث عن حاضرها ، فقال : بأن اللغة العربية اذا كانت قد نهضت عدة قرون ، فإن طبيعة النطور الاجتماعى بعضى بركود بين اليهظه . فركدت اللغة العربية فى العالم العربى والاسلامى ، ليس بسبب تقصير أهلها ، فحسب بل بسبب المستعمر الدخيل والوسائل الجهنمية التى يستعملها فى محاولة القضاء على هذه اللغة ، ولعل الجميع يذكرون الوسائل التى استعملها الاستعمار الفرنسى فى الجزائر ليقضى على لغتها وثقافتها . على أنه بالرغم من هذا كله فإن أهل العربية استيقظوا وبدأوا يستعيدون مجدها ، واستطاعوا أن يطوروها ويجعلوا منها لغة جديدة فى مفرداتها سهولة وعدوية او فى تركيبها دقة واحكام . ونحن الان أمام فصحة عربية جديدة وحديثه .

ثم تطرق الاستاذ المحاضر الى الصراعات والصعوبات التى تعاني منها اللغة العربية فذكر الصراعات وأجملها فيما يلى :

١ - الصراع بين العامية والفصحى ، ويرجع هذا الصراع الى اخريات القرن الماضى ولا زالت آثاره حتى الان . وهذا الصراع ليس مقصورا على اللغة العربية وحدها ، اذ لكل لغة فى العالم فصحة ودارجة

٢ - نحو اللغة وقواعدها يقال أنه واسع وصعب التعلم ، والواقع أنه اذا قررن باى نحو لغة ساد عليه ، ونحن لا نريد النحو كعلم ولكن كوسيلة لتعلم اللغة واجادتها .

٤ - صعوبة الكتابة العربية لأن للحرف الواحد عدة أوجه حسب موقعه فى الكلمة ، وتدل هذه الصعوبة بجعل وجه واحد للحرف اينما وقع ، والاخذ بخط عربى واحد .

وختم محاضراته بعبارة قيمة ونصيحة ثمينة فقال ان حياتها بحياة أهلها وأن موتها لايمكن أن يكون على يدغيرهم

الفرقة المغربية (البدوى) و مسرحيات توفيق الحكيم

فى الاسبوع الاول من جوان ١٩٧٢

قامت فرقة التمثيل المغربية (البدوى) بتقديم ثلاث مسرحيات من تأليف توفيق الحكيم على خشبة قاعة الموقار بالجزائر العاصمة . وكانت هذه الفرقة نفسها قد قدمت مقامات بديع الزمان الهمذاني على خشبة المسرح الوطنى الجزائرى فى شهر رمضان الماضى . ولعل هذه المسرحيات توحى لنا بالامل والتفاؤل فى مستقبل فن التمثيل العربى ، ورفع الحواجز بين لقاء الافكار العربية فى جميع الاقطار العربية ، وفرقة التمثيل المغربى بأعمالها الفنية تريد أن تطبق عمليا الوحدة الثقافية، والايمان بالقومية العربية ولعلها لهذه الاهداف اختارت عملا فنيا مصرىا لتخرجه فوق ارض الجزائر وهكذا تكون هذه المسرحيات القصيرة ذات الفصل الواحد، انتاج مصرى، واخراج مغربى

و اوضح الامثلة هى اللغة الفرنسية ، فقد امتنعت الاكاديمية الفرنسية عن قبول بعض الالفاظ المستعملة فى منطقة الارجون غير انها اضطرت أخيرا الى اقرارها وادخالها فى معجم اللغة «لاروس» ، ومثلها اللغة الانجليزية . ولكن الى أى مدى تبعد المسافة بين الفصحى والعامية ؟ ولاشك فى أنه اذا سادت الشعب كله ثقافة واحدة فان المسافة بين العامية والفصحى ستضيق وتصبح غير ذات أهمية .

٢ - الصراع بين القومية وطائفية : لا تخلو البلاد العربية من بعض الاقليات التى لها وسائل تعبيرها الخاصة مثل النوبية فى القاهرة، والكردية فى العراق ولكن كلما تمكنت القومية فى بلدا فى نفوس المواطنين كلما استطاعت القضاء على هذه الفوارق .

٣ - الصراع بين اللغة الوطنية واللغة الاجنبية . وليس هناك مانع فى أن يتعلم المواطن عدة لغات أجنبية ولكن الخطر عندما يستعمل المواطن اللغة الاجنبية بدل اللغة الوطنية ويقدمها عليها .

٤ - صراع اللهجات : والفرقة فى اللهجات ليست مقصورة على سكان وطن أو بلد فهى موجودة داخل البلد الواحد ولكنها لا تؤدى الى فرقة اللغة .

أما الصعوبات التى تواجهها اللغة العربية فهي :

١ - لغة غنية غنى فاحشا فى المفردات فلا يمكن استيعابها كلها ، ولكن متكلم أى لغة غير مطالب بمعرفة كل مفردات تلك اللغة ، وانما هى ذخيرة وكنز نبحث عن حاجتنا منه .

٢ - اللغة العربية على حد زعم البعض لا تتماشى مع حاجات العصر والحضارة لانها لغة البداوة والصحراء ، وهذه دعوى ظالمة ، لاننا اذا رجعنا للتاريخ تبين أن العربية استطاعت أن تؤدى رسالة العلم .

يعيشان في سعادة تامة ، يتبادلان الحب ، ويشعران بالآلام والحزن عندما يبعد أحدهما عن الآخر ، كل منهما يبدي لقرينه أسمى عبارات الوفاء والاخلاص ، ويتمنى من الله أن يطيل عمر زوجه أكثر من عمره نفسه ، ويحدث أن يؤمن الزوج على حياته بمبلغ خمسة ملايين دينار تاخذها زوجته بعد وفاته: وفجأة يظهر لهما الموت حقيقة واقعة على يد أحد المجرمين ليختار أحدهما ، وهنا تظهر حقيقتهم ومدى تعلق كل منهما بالحياة وتشبث بحبالها ، كل منهما نسي حبه للآخر ، نسي أمانيه في أن يطيل الله عمر زوجه أكثر من عمره ، وبدأت علامات الخوف والاضطراب عليهما ، وبدأ كل منهما يشير على المجرم أن يقتل زوجه ، ويخلق لنفسه الاعذار لينجو من الموت ، ويتخلى عن زوجه للموت ليأخذه ، وأخيرا أطلق المجرم النار ف شعر بالراحة النفسية التي كان يبحث عنها ، ولكن الرصاصة أخطأتهما كليهما ، وعبر لهما عن فرحه الشديد وشكره العميق لهما لتحملهما أعماله الحيوانية الاجرامية ، وحمد الله على أنه لم يقتل أيا منهما ، غير أن الزوج فاجأه بقوله : لقد قتلنا كلينا ، انك قتلت سعادتنا الزوجية !!*

ليلة السرور : اختان تعيشان مع زوجيهما حسب طباعهما المختلفة، الاولى شديدة الغيرة على زوجها وإلى درجة الشك والظن تبدأ يشكو عذاب الحياة معها لأن غيرتها عليه من النساء تحولت إلى شك في سلوكه وتصرفاته ، مما سبب سوء التفاهم بينهما ، وتحول إلى خصام شديد وصراع قوى ، بينما تعيش الأخرى مع زوجها بطبع بارد كالثلج ، تضع فيه ثقتها المطلقة ، فهي لا تبدي نحوه أى نوع من أنواع عواطف الغيرة ، فإن تأخر في عمله تسأله عن السبب ، لأنها واثقة أنه لا يذهب مع امرأة غيرها ، وإن أشعرها أن له موعدا مع امرأة لا تبدي قلقا ولا

ومسرح جزائري، كان الانسجام بينها بينا وواضحا يدل عليه انفعال الجمهور مع الممثلين، وتصفيقاتهم الحارة وهتافاتهم العالية التي تعبر عن الانسجام الثقافي والفكري بل وحتى العاطفي، فهل ستقوم فرق فنية عربية أخرى غير فرقة البدوي بمثل هذه الاعمال الفنية القومية ، ليس في الجزائر وحدها ، وإنما في كل قطر من الاقطار العربية ، هذا ما نأمل ونتمناه *

والآن ماهي هذه المسرحيات : ثلاث مسرحيات الاولى بعنوان الشيطان ، والثانية بعنوان السعادة الزوجية ، والثالثة ليلة السرور ، وكلها مسرحيات قصيرة ذات فصل واحد ، وهي تعالج موضوعات اجتماعية عالمية بأسلوب هزلي فكاهي تبعث الراحة في النفس ويجعلها قادرة على متابعة العمل الفني ،

تمثيلية الشيطان : العالم كله حروب ، نمار قتل ابادة، ضاقت منها كل الكائنات حتى الشيطان نفسه أبو المشاكل ، ورمز المشاكل ، ضاق من كثرة الحروب المدمرة ، والحرب العالمية الثالثة على الابواب نظرا لتصارع مصالح الدول الكبرى ، وسيدفع ثمنها شعوب الدول الصغرى ، فجاء الشيطان إلى أحد الفلاسفة المتزوجين يطلب منه أن يضع له الخطط لمنع الحرب النووية القادمة ، لأنه خشى على موت جميع الناس ووجوده بوجودهم فإذا انتهوا انتهى أجله ، ولكن الفيلسوف يقف محتارا وعاجزا عن التفكير في حل المشكلة مع زوجته ، وفي منع الحرب التي اعلنتها عليه في منزله ، فطلب من الشيطان أن يساعده في حل هذه المشكلة ، فسخر منه الشيطان وقال له أنا الذي جئت ألتبس الرأي عندك ، تسألني عن رأيي ، أريد أن تفكر لي بمنع الحرب النووية وأنت عاجز عن منع الحرب مع زوجتك ! وبهذا المشهد انتهت المسرحية دون الوصول إلى منع الحرب *

أما تمثيلية السعادة الزوجية : كان الزوجان

نكراء ، كان ضحيتهما الشعب الفلسطيني بأجمعه ، اذ جردوه من أرضه ، ولم يتورعوا عن انتزاع الحياة من نفسه ان أبدى المعارضة : فقال : «خرجت باكرا لعلى اداهم القجر المتألق ببريق النابالم» خرجت باكرا لعلى اداهم القجر الطالع على الافواج الاولى من العرب المحترقين وقد لفهم جلباب الصباح وكفنتهم بخيوط النور» وقعت فى القدس جريمة اذ جاءت الذئاب فافترست الفجر».

وبعد هذا التساؤل استنطق الكاتب الشهود ثم القتلة المجرمين ، وأخيرا أصدر حكمه الى جانب ذلك الشعب الذى بات يئن ألما وحسرة، ولكنه لم يزل يرجو حين يبدو أن حبل الرجاء قد انقطع ! وهذا ما جعل الكاتب يسمى روايته «مونجو بالسطين» أى «يا جبل الفرح يا فلسطين» ولعل هذا الاسم يعبر تعبيرا صادقا عن ايمان الشعب وتفاؤله فى المستقبل السعيد فى فلسطين والذى صورته الكاتب حينما رأى أن صوت هذا الشعب لم يخدم ، بل ظل يعلو حتى من بين القبور والخنادق ، ويبدى تفاؤله وأمله فى أن يعود الشعب الفلسطينى حيا فى أرضه ذات يوم.

وما تجدر ملاحظته فى هذه المسرحية : الاطراف المتعاونه على تحقيقها ، والاهداف التى تخدمها ، فالفكرة رغم أنها فكرة انسانية شاملة ، الا انها تتعلق أولا وقبل كل شئ فى فلسطين العربية التى هزت نكبتها جوارح كل جزائرى حر مناضل ، وكاتبها جزائرى ، ومخرجها فرنسى وهو «جان لوك كامبا لوزييه» الذى استطاع بتعاونه مع المؤلف أن يحول النظرة المثالية للوقائع فى المسرحية الى واقع حقيقى ، اما الممثلون فكانوا جزائريين وتونسيين وفرنسيين وكان جميع المشتركين فى المسرحية بارعين فى جمعهم بين المسرح الغنائى العاطفى والمسرح التعليمى التهذيبى ، فاستطاعوا بهذا الاسلوب أن

غيره لانها واثقة من أنه لن يعمل معها شيئا ، ولن يحبها بدلا منها» فبدأ زوجها يشكو عذاب حياته معها ، ويشكو عدم غيبتها وعواطفها ، التقى الأزواج الأربع ، وبدأ زوج الاخت الغيرة يروى لاختها وزوجها غيبتها وأعمالها ، ويبدى عذابه وألمه ، بينما يقاطعه الزوج الثانى بأنك سعيد جدا ، وهذه هى السعادة بعينها ، وفعلنا هى سعادة بعينها.

والسرحيات الثلاثة كما يظهر اجتماعية تعالج مشاكل واقعة فعلا ، أو محتملة الوقوع ، وهو يسعى من وراء ذلك الى تصوير السعادة الانسانية ، ووجوب العمل على القضاء على آلام الحياة ومشاكلها والعيش بطمأنينة وحرية ، حياة مليئة بالتعاون والسعادة.

وقد استطاع الممثلون أن يؤدوا هذه الاعمال الفنية الانسانية على أحسن وجه ، فالديكور ملائم ، واللبسة كانت تناسب كل موقف ، أما الحركات وطريقة الكلام فكانت واقعية للغاية ، حتى أن الممثل كان ينسى أنه انما يقوم بعمل مسرحى ، والمتفرج يرى نفسه وكأنه به فى مشكلة حقيقية وليست عملا مسرحيا ، وهكذا نالت الفرقة المغربية اعجاب المتفرجين الذين عبروا عن هذا الاعجاب والتقدير بالتصفيق الحار والهتاف العالى.

مونجو بالسطين

تم فى أوائل شهر جوان على احدى المسارح الباريسية تمثيل رواية مسرحية للكاتب الجزائرى نور الدين حابا ، تدور حول القضية الفلسطينية. فى هذه المسرحية تساءل الكاتب عن الدوافع التى دفعت طائفة من الناس الى ارتكاب جريمة انسانية

يعد في المجالات ، وهى الامسية التى أحيها الشاعر الفلسطيني مصطفى أبو وردة فى ١٥ ماي، ولعل هذا الاختيار كان مدروسا من قبل المشرفين عن هذه الامسيات ، لأن يوم ١٥ ماي يمثل ذكرى اليمه ، ومناسبة مفاجئة للامة العربية ، وهى مناسبة ضياع فلسطين ، وموافقة هيئة الامم المتحدة على تقسيمها . فكان اختيار شاعر فلسطين فى هذه المناسبة مدروسا لكى يعبر لنا هذا الشاعر عن آلام الشعب الفلسطينى وأحزانه التى لا يستطيع أن يعبر عنها غير المتالم بها، والذى يعانها معاناة حقيقية . ودخل الحاضرون القاعة وهم يرسمون فى مخيلاتهم أنهم سيلتقون بشاعر فذ وعبقري نظرا لاهمية المناسبة ، يشهد بذلك الجد الذى خيم على عقولهم فى تلك الامسية، وكانوا يتوقعون أن يدخل الشاعر القاعة مرتديا ملابس الفدائي ليقول الشعر ، ولعل هذه التصورات ضاعفت من عقاب الاخطاء ، فكان الخطا فى تلك الليلة يعد بالف خطأ، ومما زاد فى تحمس الحاضرين وانتظارهم المعجزات الشعرية الكلمة التى القاها الاخ الاخضر السائحى عند التعريف بالشاعر حين قال بأن مصطفى أبووردة شاعر فلسطين ، وهو الذى يمثل الشعر الفلسطينى اصدق تمثيل .

ولا بد لى أن أشير الى أن شاعرنا هذا مهندس فى الاصل ، ولكن ذوقه الادبى ، واحساسه المرفه وشعوره بالالم والحره ، دفعت فيه روح الشعر ونمتها فكان شعره واقعيا من حيث المعنى ، سهلا من حيث التركيب ، لم يشأ أن يجرى وراء الصور ، ولا أن يبحث عن الكلمات فى المعاجم ، وقواميس اللغة، انما جاءت كلماته معبرة عن الجرح الفلسطينى الذى أحدثته «مباضع الايدى الغربية فى القدس» الذى مازال ينزف دما حتى الان فقال فى احدى قصائده بعنوان «القدس والمباضع الغربية» .

يصوروا الانسان الفلسطينى الجديد ، ويبرزوه للمتفرجين بطريقة فنية رائعة .

وهذه المسرحية بالاضافة الى قيمتها الفنية، تحمل فى طياتها معانى قومية وانسانية عظيمة ، اذ اثبتت انسجام وتفاعل الشعب الجزائرى بكافة طبقاته حتى المتقنين منه بالفرنسية مع اخوانهم أبناء الشعب الفلسطينى ، كما أن تمثيلها فى باريس يدل على أن المجتمع الفرنسى الذى لم يمض وقت طويل على مشاهدته للأسبوع الثقافى الجزائرى ، بدأ يستدق الفن العربى ، ويحس بالاحساس العربى ، ويشعر بالآلام والماسى الظالمة التى ارتكبتها الصهيونية والاستعمار ضد الشعب العربى الفلسطينى ، فكانت هذه المسرحية فرصة ثمينة ، ووسيلة ناجحة لنشر الدعاية العربية فى الاوساط الاوروبية لمقاومة النشاط الدعاوى الصهيونى الذى بقي يمرح وحيدا فى ذلك المجال الواسع مدة طويلة من الزمن .

الامسيات الشعرية

شهدت قاعة الموقار هذه السنة نشاطا ثقافيا ملحوظا ، تناول مختلف الميادين الثقافية ، سينما مسرح ، معارض رسوم، محاضرات علمية، وامسيات شعرية . وقد قدم عدد لا بأس به من الشعراء الناشئين والقدامى العرب انتاجاتهم الشعرية للجمهور الجزائرى ، وكان من بين الشعراء الجزائريون ، وعراقيون ، وفلسطينيون وسوريون . وهذا يظهر أن هذه الامسيات تمتاز بالصبغة القومية ، والابتعاد كل العبد عن النزعة الإقليمية . وقد تناولت مجلة الثقافة كثيرا من هذه الامسيات بالتعليق والاشارة . ولكنى أود هنا أن أتناول بالكلام احدى الامسيات لم تظهر

هناك فى قدسى الحبيبية*

يعيش قلبى الجريح*

وتبعث الاشواك فى شريانه*

جروحها بعمق نكستى المريزة*

ووجه قدسى الذى قد سته*

عبدته

تكلك بالشوك والدماء...

تجول فى جماله مباضع عربية*

وكم كانت فرحته عندما انطلقت ثورته المظفرة
ترد اليه كرامته ، وتعيد اليه وطنه ، وترفض كل حلول
الذل والاستسلام : فيقول فى قصيدة بعنوان
«شعلة الرفض»

خلقت ثورتى

ياخوتى العرب

ياخوانى الكرام

من يؤسى الذى لفظته بنيت صرحها

من قوة الايمان يحيا مجدها

محبة الاوطان تور دريها

ولن اعود للصلاة فى معابد الالم

فما انا براهب يوذى

ليحترق

فى ساحة العدم

وما انايا اخوتى بفرقد

انما شعلة رفض تتوقد

ثم يقول قصيدة بعنوان شوق وثورة وبطولة :

بلدى احبك ثورة دموية

لاحرف يهذى دون اى معانى

بلدى سأبقى فى الدروب مناظلا

حتى أراك عروسة الاوطان

حناؤك الحمراء يا بلدى دم

والطرحة البيضاء من أكفان

فاذا سقطت على الطريق فمرحبا

بالموت فوق ثراك يا أوطانى

وتظل فى افق البطولة ثورتى

فيأوضة بالبذل من شجعان

ولعل الشاعر لا ينكر فضل اخوانه العرب الذين
يقدمون اليه ولثورته المساعدة والعون ، ويقفون الى
جانبها فى الصعوبات والشدائد ، فيقول فى قصيدة
بعنوان «الى الجزائر» :

ارض الجزائر قد عهدتك ثورة

تمضى بكل مرورة الثوار

أصبحت بعد النصر شمسا فى العلا

وبنيت صرح المجد بالاحرار

فاذا بك الدعم الاصيل لثورتى

حيث التقى الاحرار بالاحرار

فلثورتى منك الاخوة دائما

لافرق بين أوراسى والاغوار

ولك التحية من جحافل شعبنا

منسوجة باشعة الاكيار

واود ان الاحظ بان المناقشة التى دارت حول هذه
الامسية لم تكن مناقشة علمية ولا موضوعية ، اذ ان
اكثر المتكلمين أعطوا أهمية كبرى لاخطاء الشعائر
النحوية أثناء اللقاء ، ولم يشر أى منهم الى عيوب
فى شعره من حيث الوزن والقافية أو من حيث
المفردات والاسلوب ، وفى نظرى أن سبب ذلك يعود
الى أن هذا الشعر الذى عرضنا نموذجا منه هو فى
الحقيقة شعر ثورى صادق ، يعبر عن حقيقة النفس
المتألمة ، التى ولدت فى الالم وعاشت فيه ولازالست
تعانى منه الكثير ، هذا بالرغم من أنه كما اسلفنا ان

الشاعر هو في الأصل مهندس يقول الشعر هواية لا حرفة ولا صناعة ، وأن بعض اسباب ذلك الانتقاد كان شخصيا يبد ومن طريقة الكلام والانتقاد ، فهو لم يكن يهدف الى تقويم لسان الشاعر بقدر ما كان يهدف الى تحطيم شاعريته ، ورغبة المنتقد في الظهور باستغلال الظروف ويجب أن لاتفوت الازهان بان الناقد السليم هو من بين العيوب والمحاسن محاولا بذلك أن يأخذ بيد الشارع الى التقدم والكمال لالى الهدم والتحطيم ولكن لى كلمة أخيرة أوجهها الى الشاعر فهي أنه مطالب بشدة أن يقوم لسانه النحوى أثناء الالقاء حتى لاتطغى الاخطاء النحوية البسيطة على عمله الفني الرائع الذي هو حقيقة يمثل الشعر الفلسطيني الثوري

معارض

أقام الرسام الجزائري حكار الازهر معرضا للرسوم في قاعة الفنون التشكيلية بالجزائر العاصمة عرض فيه مايقرب من الخمسين لوحة فنية رائعة . وقد زار المعرض جمهور غفير من المتفرجين وهواة الرسم والفن . وكان من بين اللوحات المعروضة : الاختان ، الصديقان ، الميته ، الليلة الحزينة ، لا أنكر شيئا ، برد اوراس ، الحرية الاولى ، اقدام حافية ، ليل بلا نجوم . وهذه اللوحات كلها مستمدة من حياة الفنان التي قضاها في منطقة خنشلة في بؤس وظلام ، جاءت لتعبر عن هذه المآسي الانسانية الى جانب تصويرها بعض مظاهر الحياة المختلفة .

معرض الفكر الاسلامي

قررت منظمة اليونسكو الدولية اعتبار سنة ١٩٧٢ السنة الدولية للكتاب ، وطلبت من جميع دول هذه المنظمة أن تنظم عروضاً للكتب والانتاج الفكري

كتعبير عن هذا القرار العالمي الذي يهدف الى تقدير الفكر واحترام الثقافة ، واطهار اهمية المفكرين والكتاب في جميع انحاء العالم ، ووفاء من الجزائر لمنظمة اليونسكو واخلصا منها لمبادئها وقراراتها نظمت وزارة الثقافة والاعلام معرضا دوليا هاما للكتاب في المكتبة الوطنية بالجزائر في النصف الثاني من شهر ماي ، أشرف على افتتاحه الاخ الدكتور أحمد طالب الابراهيمى وزير الثقافة والاعلام وقد اقيم المعرض تحت شعار «الفكر الاسلامي من خلال كتب الشرق والغرب» وامتاز بكثرة عدد الكتب المعروضة والمكتوبة بمختلف اللغات من قبل كتاب ومفكرين من مختلف الجنسيات ، تدور كلها حول الفكر الاسلامي والتراث العربي الذي قدم للعالم والحضارة الحديثة اسسا علمية هامة ، ارتكزت عليها ، والتي لولاها لتأخرت هذه النهضة عدة قرون أخرى . ولعل هذا يعتبر أهم حدث ثقافي وفكري في تاريخ الجزائر المستقلة ، اذ أنه للمرة الاولى أتاح الفرصة لمختلف رجال العلم والثقافة من طلاب وأساتذة وباحثين للاطلاع على الانتاج الفكري والثقافي الاسلامي ، ورأى مختلف الكتاب والمفكرين الاجانب بنزعاتهم المختلفة سواء كانوا منصفين ومناصرين للفكر الاسلامي ، أو محاضرين متحاملين عليه . وعلى كل حال فقد كان من بين هؤلاء الكتاب الاجانب من اعترف بالحقيقة وأنصف الاسلام وفكره وحضارته وثقافته ، فأعطى للحضارة الاسلامية مكانتها اللائقة بين الحضارات ، واوضح آثارها القيمة على النهضة الحديثة في أوروبا ، والتي لولاها لتأخرت هذه النهضة عدة قرون أخرى ، اذ أن بعض المفكرين الاوروبيين الذين اسهموا كثيرا في بعث الحضارة الاوروبية تعلموا في البلاد الاسلامية وتزودوا بالفكر الاسلامي بالاضافة الى استفادتهم من الثقافة اليونانية القديمة عن طريق اللغة العربية التي

لا ينضب ، وليبحثوا فيه ويستخرجوا منه الحقائق العلمية التى عملت وتستعمل على إثراء الفكر الإنسانى ، وأرست أسس الحضارة الأوروبية الحديثة ولعل المفكرين المسلمين يتنبهون الى هذه الحقائق ويبدلوا جميع الجهود لاعادة بناء حضارتهم التليدة .

كتب

١ - ميزانية منظمة الوحدة الافريقية تأليف الدكتور حسين الصفراوى ، المغرب

يتناول هذا الكتاب ميدان التعاون الثقافى بين دول المنظمة الافريقية وعلى وجه التحديد لجنة التربية والعلوم والثقافة والصحة التى انشئت أثناء الاجتماع الذى عقد فى ٢٢ - ٢٦ مارس ١٩٧١ بأديس أبابا ، وترمى هذه الدراسة الى تحديد مستويات القبول فى الجامعات ، وغيرها من القضايا الثقافية فى بلدان القارة الافريقية .

٢ - العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الاولى : تأليف الدكتور مكى شببكة الكويت يقدم هذا الكتاب قصة العرب والسياسة البريطانية فى الحرب العالمية الاولى ، وهو يظهر لأول مرة تفاصيل هذه العلاقة وأسرارها لانه استند على الوثائق الاصلية فى دار المحفوظات البريطانية التى قام المؤلف بترتيبها ترتيبا زمنيا وجعلها تروى وحدها تلك القصة دون أن يدخل فيها رأيه .

وتبين هذه الوثائق أن للقصة بداية ونهاية - بدأت فى اغسطس سنة ١٩١٤ عندما دون الكاتب (رسل) محادثاته مع عزيز على المصرى فى القاهرة .

وانتهت فى فبراير سنة ١٩١٦ فى القاهرة ايضا بخطابات تبودلت بين السيد هنرى مكماهون والشريف

حفظت ذلك التراث القيم من الاندثار والزوال ، وكان من بين هؤلاء المفكرين العالم توماس ، وجون بيكون الذى اعترف بأن اللغة العربية اضطلعت بمهمة عالمية عظيمة لم تضطلع بها أى لغة أخرى بمحافظتها على التراث الفكرى الإنسانى .

ولع من بين أهم الكتب التى تناولت الحضارة الاسلامية بالحديث العلمى التحليلى كتاب «حضارة العرب» لمؤلفه غوستاف لوبون وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب» للكاتبه الامالية سيجريد هونكة وكتاب «تاريخ الشعوب الاسلامية» لكارل بروكلمان وغيرها من الكتب العادلة والمنصفة التى تناولت الموضوع بتجرد ونزاهة .

والى جانب هذه المؤلفات الاجنبية والعربية الاسلامية الحديثة ، تم عرض الكثير من منابع هذه الثروة الفكرية والثقافية الاسلامية التى تركها فلاسفة الاسلام ومفكره فى مختلف ميادين العلم والمعرفة مثل الغزالى رائد المنهج العلمى فى الفلسفة ، وكذلك آراء المعتزلة واخوان الصفا ، والفارابى ، والرازى ، وابن سينا ، والكندى ، والخوارزمى ، ثم ابن خلدون رائد علم الاجتماع الحديث ، وغيرهم من علماء الدين والتصوف ، والعلماء الرياضيون والفلكيون والاطباء المسلمين .

وكان مما يلفت الانتباه فى هذا المعرض ترتيب الكتب المعروضة بطريقة فنية رائعة ، حسب المجالات والتخصصات بما فيها المخطوطات والمطبوعات ، وذلك حتى يسهل لرواد المعرض الاطلاع بسهولة على المواضيع المعروضة ، فيسهل عليهم البحث فى هذا التراث الفكرى العظيم .

ولعل هذا المعرض ادى رسالة قيمة للاسلام والمسلمين بعرض هذا التراث على مفكرى العالم ، ولقت انتباه الباحثين للارتواء من هذا المعين الذى

حسين حيث اتفقا على بعض الامور واختلفا على البعض الآخر ، ثم دخل الفريقان مرحلة الاستعداد الى ان حانت الفرصة المناسبة لاعلان الثورة في يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ .

٣ - رسائل العدل والتوحيد : جزآن تأليف الامام الحسن البصري وغيره من الائمة دار الهلال القاهرة
٤ - نساء النبي : تأليف الدكتورة بنت الشاطي دار الهلال ، القاهرة .

٥ - هتلر وايفا : أحد أساتذة التاريخ الفرنسيين يعتمد هذا الكتاب على مذكرات ، ايفابراون نفسها التي تقول بأنها التقت بهتلر عام ١٩٢٨ في محل التصوير الذي كانت تعمل به ، ثم بعد تردد ورفض ، وافقت على الذهاب معه الى الاوبرا ، وهكذا بدأت علاقتهما التي انتهت نهاية مفاجئة سنة ١٩٤٥ وكان اثناء هذه العلاقة كلما سألته الناس : هل تتزوجها ؟ أجاب قائلاً : لكنني متزوج فعلاً... المانيا» وكان فعلاً متزوجاً المنيا بمعنى أن مشالكة الكثيرة تبعد عن ايفا شهوياً في بعض الاحيان وظل يماطلها في الزواج ، ولكنه لم يحقق لها هذا الحلم الا سنة ١٩٤٥ قبل أن تسمع طلاقات نارية أطلقها هتلر على ايفا وعلى نفسه بعد أن اجتاحت جيوش الحلفاء المانيا .

٦ - الموشحات الاندلسية وانتقالها الى البلاد العربية : تأليف السيدة الفت محمد المنيري القاهرة . وهو رسالة علمية حصلت بها المؤلفة على شهادة الماجستير .

٧ - عبد الرحمن الكواكبي : تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن برج . القاهرة سنة ١٩٧٢ . كتاب في ستة فصول يتناول بالتفصيل حياة أحد كبار رواد النهضة العربية الحديثة ، والمصلح الاجتماعي العربي الكبير الذي كان يعتمد على

التحليل والتعليل ، اذ كان يصف الداء وسببه ، ويصف له العلاج الناجح ، ويقول المؤلف بأن كلام الكواكبي لم يكن غثاء اذرت به الرياح او كلمات طوتها الايام والسنون ، ولكنها صادرة عن مبادئ عربية اصيلة ، ووعي كبير ، واحساس بمواطن الضعف في هذه الامة . وما حوج امتنا اليوم أن تأخذ من كلمات الكواكبي دليلاً ونبراساً تستضيء بها في مرحلتها الحاسمة . وقد تناول المؤلف حالة الامة العربية في الوقت الذي ولد فيه الكواكبي ، ثم موطن الكواكبي ونشأته الاولى والاخيرة ، ثم تطرق الى الدور الكبير الذي قام به الكواكبي في مقاومة الظلم والاستبداد وبعث روح النهضة والتقدم في الامة العربية ، وأخيراً درس المؤلف الاثار القيمة التي تركها الكواكبي وهي كتابيه «أم القرى» و «طبائع الاستبداد» اللذين شرح فيهما اسباب تخلف الامة العربية وطرق معالجتها ، وخصائص الاستبداد وكيفية التخلص منه .

٨ - معجم الرياضة واللعب : تأليف : عبد العزيز بنعبد الله ، الرباط .

وهو كتاب في تسعة فصول ، يوضح اهتمامات العرب بالرياضة واللعب منذ ما قبل الاسلام ، ويعدد انواع الرياضة التي اهتم بها العرب فهي الفروسية والسيف والقنا والصيد والقنص ، وسباق الخيل والجمال ثم الدبكات ، كما أنه اشار الى ممارسة الفتاة العربية لبعض أنواع الرياضة .

٩ - الصين الحقيقية : روسي ترل ، براون

كتاب صدر باللغة الانجليزية ، اشبه بالرحلات لان صاحبه اعتمد في مادته على الزيارة التي قام بها للصين ، فدون ما شاهد وما سمع ، بالإضافة الى ما قرأه باللغة الصينية التي يجيدها ، بين الكتاب أن التخصص قد اختفى في الصين ، فيمكن للعامل

ومحاولة تهويد فلسطين* وتظهر قيمة هذا الكتاب العلمية من المقدمة التي وضعها المؤرخ العلامة الانجليزى آرنولد يوينبى الذى قال فيها : اننى كمواطن انجليزى شعر بالعار والخزى بسبب الوعد الذى قطعه بلفور وزير خارجية بريطانيا الى اللورد روتشيلد زعيم الحركة الصهيونية ، وسيبقى هذا الوعد نقطة عار فى جبين السياسة البريطانية.

١١ - المسلمون فى جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا

تأليف : أحمد توفيق المدنى : الشركة ، و.ن.ت. الجزائر.

كتاب فريد من نوعه فى هذا المجال يتناول بالبحث جزيرة صقلية منذ عهد الفنيقيين حتى يومنا هذا ، وركز خاصة على الحقبة التى حكمها فيها المسلمون وأهم مظاهر المدنية الحضارية سواء كانت معمارية كالمدن والقصور والمساجد والقباب ، أو اقتصادية كالصناعة والزراعة والتجارة أو ثقافية كاللغة العربية والعلوم والآداب ، ثم ذكر أشهر علمائها وميادينها.

أن يعزفوا الموسيقى ، والطلاب يجب أن يعملوا اعمالاً شاقّة ، ورجال السياسة يتقنوا جميع الفنون ، لان الفكر الماوى «لبنّة ضرورية لبناء دولة قوية ، ويقول المؤلف بأن الصينيين يكرهون الامريكيين الديمقراطيين لتعاونهم مع الروس.

١٠ - اليوميات الفلسطينية : تأليف : روبرت

جون ، وسامى حداوى ، قدم له العلامة الانجليزى آرنولد توينبى كتاب صدر باللغة الانجليزية فى ثمانية عشر فصلاً تناول القضية الفلسطينية منذ بداية الحركة الصهيونية حتى سنة ١٩٤٥ بأسلوب علمى يعتمد على الموضوعية وعدم الانحياز ، أظهر فيه المؤلفان موقف بريطانيا السلبى والعداوى تجاه العرب ثم الدور الذى لعبته فى مساعدة اليهود للهجرة الى فلسطين ، وقطعها الوعود لزعماء الحركة الصهيونية بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، والخطوات الايجابية التى قدمها لهم فى ظل الانتداب البريطانى فى فلسطين* ثم موقف الشعب العربى الفلسطينى من مخططات بريطانيا الاستعمارية ،



مجلة الأصالة

تفتح لك آفاقا واسعة لتوسيع معلوماتك
فاحرص على اقتناء كل أعدادها ، واجعلها بين
كتبك ، فستكون لك مرجعا يوما ما !!

LE 6ème SEMINAIRE POUR LA CONNAISSANCE
DE LA PENSÉE ISLAMIQUE
ET CERTAINS GRIFFONNEURS DE TOUS BORDS

Traduction d'un article de M. Mouloud KASSIM

C'est par leurs journaux que certains pays de notre cher Orient se singularisent - je ne dis pas se distinguent - des autres contrées du monde. Cette presse qui se caractérise par son obéissance et sa servilité à l'argent (que ce soit celui de grandes ou moyennes puissances ou de certains petits Etats ou même de particuliers) porte comme signes distinctifs : une pensée superficielle, une finalité négative, une indigence d'esprit et une médiocrité dans la forme, un manque total de vérité, en plus de la couardise des griffonneurs qui la rédigent (le griffonnage étant la mauvaise écriture au sens propre et au figuré), sans parler de leur inconsistance, de leur stupidité, de leur aveuglement et de leur prétention ! Une de ces «feuilles» se disant «journal Islamique hebdomadaire» nous gratifie d'un article sur le 6ème Séminaire pour la Connaissance de la Pensée Islamique, tenu à Alger ces temps derniers.

Le libellé est signé par un nom qui ne figure pas sur la liste des invités. Peut-être s'agit-il de quelqu'un dont la conférence n'aurait pas été retenue par ce que non-programmée, ayant répondu à l'invitation après le délai-limite et l'impression du programme. Auquel cas il serait originaire du pays où paraît le journal. Peut-être s'agit-il d'un peureux qui, sans confiance en soi ni en ses actes, ne se sent pas assez de courage pour signer ce qu'il a griffonné. La faute, alors, incomberait moralement au journal qui, se disant islamique, ouvre néanmoins ses colonnes à des plumitifs portant atteinte à la renommée de l'Islam et à la bonne réputation des musulmans.

En Algérie, nous possédons également quelques spécimens de cette catégorie «islamique» ou «progressiste», «ouverte», et même «très ouverte», parmi ces «griffonneurs», gazettiers ou professeurs d'université. J'ai déjà mentionné dans le discours de clôture du séminaire la spécificité de ces individus. J'y reviendrai : Mais en attendant, qu'ils considèrent que certains propos, dans ce que je vais dire, les concerne tous, chacun pour sa part.

1) Vous avez écrit, griffonneur, que les communications historiques étaient axées, lors de ce séminaire, sur la lutte contre le colonialisme en Afrique du Nord et plus particulièrement en Algérie, et sur le rôle de l'Islam dans ce combat.

Réponse : non, illustre plumitif islamique ! Les études ne visaient pas la lutte en Afrique du Nord et en Algérie tout spécialement. Elles embrassaient le vaste monde musulman dans sa totalité. Ce sujet a été traité, entre autres, par le général Hadj Salibada, Président de l'Association des Musulmans des Philippines et par le Docteur Rachid Lokmane, Secrétaire Général de cet organisme. Ces deux orateurs ont parlé de la lutte de nos frères dans leur pays.

Si le sujet n'a pas été plus amplement débattu, il faut en rechercher la cause chez les conférenciers qui, eux-mêmes, ont négligé ce premier point de notre ordre du jour ; et chez certains gouvernements, comme celui du Pakistan, qui a interdit à la dernière minute à un conférencier de venir se joindre à nous, et l'a remplacé par un autre, qui, d'un niveau différent, n'était pas préparé à cette intervention, contrairement à celui qu'il a remplacé «d'autorité», qui, lui, était déjà programmé.

De manière précise, le titre de cette rubrique dans l'ordre du jour était ainsi formulé :

«Le X^e Anniversaire du recouvrement de l'Indépendance de l'Algérie et le rôle de l'Islam dans notre lutte de libération durant notre résistance et dans le combat des divers pays musulmans contre l'agression et l'occupation».

Tout participant, algérien, marocain, lybien, égyptien, indonésien, pakistanais, palestinien ou autre, pouvait choisir ce sujet tout comme l'a fait le général philippin. Mais les orateurs ont en décidé autrement. La responsabilité en incombe donc aux professeurs invités ou délégués, non à l'Algérie qui, en organisant le Séminaire, a placé ce point essentiel en tête de l'ordre du jour, sachant que sans l'Islam aucun de ces pays ne se serait émancipé, et que sans lui aucun des autres territoires musulmans encore colonisés ne pourra se libérer.

2) Vous avez parlé, et c'est ce qu'a écrit chez nous un de nos plumitifs tout au début du Séminaire, de certaines erreurs qui se renouvellent généralement au cours des rencontres et séminaires arabes et islamiques.

Sachez, si vous étiez absent, ou que votre collègue qui était présent sache - lui qui a beaucoup insisté pour y être convié - que ce séminaire, bien qu'il ne soit ni infaillible ni à l'abri de toute erreur - n'est pas un symposium comme les autres rencontres arabes et islamiques.

La plupart des éminents professeurs venus d'Europe ou de pays arabes pour participer à ce séminaire ont rendu hommage à son organisation minutieuse, stricte et méthodique, exemple sans précédent dans ces autres pays. Le grand Cheikh d'Al Azhar, son Excellence le Docteur Mohammed Mohammed El-Faham, en a témoigné dans une déclaration rendue publique. Ceci apparaîtra plus clairement dans votre esprit «islamique», «réactionnaire», «conservateur» et dans l'esprit de votre collègue algérien «ouvert», «progressiste», «rationnaliste» et «révolutionnaire» si vous vous représentez que cette assemblée a réuni des jeunes et des vieux, des professeurs du vaste monde islamique, du Maghrib ou de «l'Afrique du Nord», comme vous dites, ainsi que de nombreux autres pays africains, de Malaisie et des Philippines même, d'Europe (Orientale et Occidentale). Vous devez vous souvenir si vous y étiez présent, en outre que quatre orateurs au moins, originaires d'Europe, ont pris la parole en arabe littéraire.

3) Vous avez évoqué ces penseurs qui sont venus des différents pays musulmans «arabes et ajam», c'est-à-dire non-arabes. Je pense que cette expression est de trop, car elle fait partie du lexique des différentes écoles colonialistes et de leurs acolytes de tous ordres, surtout après les derniers événements. Il aurait fallu dire «musulmans» et s'en tenir là. Car l'Islam englobe tout par son universalité. Ceci est d'autant plus nécessaire que vous écrivez à propos d'un Séminaire Islamique, dans un journal qui se veut «Islamique», sachant que toute discrimination raciale, bien loin de contribuer à notre renaissance, lui nuit au contraire. Notre cher Orient est payé pour le savoir !

4) Vous parlez ensuite de certains «délégués chrétiens» au Séminaire.

Il est bien vrai qu'il y en eut un, un seul. Il était là parce que son pays avait beaucoup insisté pour qu'il y fût. Il n'avait d'ailleurs pas le titre de conférencier. Il a entendu la réponse qu'appelaient les propos inopportuns qu'il a tenus. Il s'est abstenu ensuite d'assister

aux réunions, ainsi qu'un de ses compatriotes musulmans. Les deux personnages sont restés ensuite à l'hôtel réservé au Séminaire, en qualité d'invités de l'Algérie, par leur propre volonté, s'abstenant d'assister aux réunions.

Nous leur avons demandé de s'en tenir à l'ordre du jour, alors qu'ils cherchaient à l'enfreindre. Le Chrétien a déclaré - et ce fut sa seule intervention - : «Ce Séminaire entre seuls musulmans est une façon de se recroqueviller etc...».

Son compatriote musulman a déclaré : «Nos adversaires ne sont pas les Chrétiens ou les Juifs, mais les athées. Il est donc plus convenable de passer sous silence les croisades d'hier et les Juifs d'aujourd'hui et d'évoquer par contre les dangers que représentent les ennemis des religions». Nous lui avons répondu que nous parlerons de tous, aussi bien des uns que des autres, car les mécréants se valent tous.

Ce fut aussi sa seule intervention durant le Séminaire. Elle eut lieu pendant les débats, car ni l'un ni l'autre de ces deux participants n'avait le titre de conférencier. Par contre, il nous est agréable de dire qu'un de leurs compatriotes musulmans a donné une brillante conférence qui fut considérée comme une contribution de qualité.

5) En ce qui concerne les observations formulées sur la présence des Orientalistes et de leurs disciples ainsi que leurs propos destinés à «éclairer la voie de la renaissance islamique» je répondrai à Monsieur l'Ecrivassier, que nul parmi eux n'a abordé le sujet. Ils ont fait preuve de goût, d'intelligence, de finesse et de courtoisie, et pour la plupart, pourquoi le taire ? également par sincérité. Ils ont évité ce chapitre et ont laissé aux musulmans le soin de l'examiner. Mais, d'une façon générale, ces derniers, hélas, n'ont pas été à la hauteur. La plupart ont improvisé leurs conférences d'une manière superficielle et médiocre. D'autres ont bâclé leurs causeries après leur arrivée chez nous. Ils ont négligé de nous les faire parvenir auparavant comme l'ont fait la plupart des professeurs européens, conformément à ce qui leur était demandé dans le texte même de l'invitation à eux adressée, cinq mois auparavant.

Deux Orientalistes, l'un d'Europe Occidentale, l'autre de l'Europe Orientale, n'ont pas honoré la confiance que l'on peut avoir en un universitaire. Ils n'étaient pas invités personnellement mais délégués par leur gouvernement. Nous fûmes obligés de leur faire, en pleine séance, les observations qu'appelait leur attitude. Les autres Européens les ont désavoués, du moins à ce qu'ils nous ont dit; nous avons parlé d'eux dans notre presse. Ils ont abandonné le Séminaire et quitté le pays.

Parmi les Européens, et c'est l'unique exception, seule le docteur Sigrid Hunke, auteur du livre «Le Soleil d'Allah brille sur l'Occident», a traité le sujet de la renaissance musulmane. Elle le fit avec sincérité, vérité et objectivité. Peut-être même, bien qu'abordant indirectement ce sujet, l'a-t-elle traité d'une manière plus exhaustive que certains de nos coreligionnaires, dont les conférences manquaient de préparation et présentaient un fâcheux caractère d'improvisation.

Telle est, de nos jours, l'habitude d'un grand nombre de musulmans. Je répète ceci aujourd'hui pour qu'à l'avenir nous évitions de sombrer dans les mêmes erreurs.

Mais pour être juste et en même temps pour exprimer ma fierté, je dois dire que certains professeurs musulmans furent excellents, à tout point de vue. D'abord en ce qui

concerne la préparation : ils nous ont adressé leurs textes dans les délais voulus, en deux versions : l'une complète, pour être publiée, l'autre synoptique, pour être lue en séance, dans la limite des 45 minutes imparties dans le programme. Ensuite, en ce qui touche la teneur ces textes étaient à la fois objectifs, méthodiques et pénétrants. Notons enfin leur participation active dans les débats, marquée par des interventions pertinentes, notamment lorsqu'il s'est agi de répondre à certains Orientalistes dont le niveau laissait à désirer. Je citerai ici, comme meilleur exemple, l'éminent professeur Othmane El-Kaak, qui est non seulement le doyen des historiens tunisiens et maghrébins, mais celui des musulmans en général et l'un des plus grands dans le monde.

6) Madame le Professeur Yvonne Turin n'est pas une Orientaliste, c'est une historienne, professeur à l'Université d'Alger. Elle a fait preuve d'esprit objectif et méthodique, qualité qui ne serait pas de trop chez beaucoup de nos écrivassiers. Le second élément de son étude était précisément «les insuffisances des archives françaises». Celles-ci, a-t-elle dit, ne doivent pas être tenues pour suffisantes. Elles doivent être complétées par des sources islamiques. Ce sont les musulmans - en premier lieu les Algériens - qui doivent combler ces lacunes - - voulues - que nous constatons dans la documentation française. Telles sont les carences signalées par cette historienne française non arabisante. C'est donc à nous de ne plus nous complaire dans la paresse d'esprit, la léthargie et la négligence, ne bougeant que lorsque d'autres se mettent au travail pour traiter un sujet... alors même qu'ils le font avec un manque de perfection excusable.

C'est à nous à ne plus nous complaire dans la passivité, car passifs, nous le sommes aussi bien lorsque nous dormons que lorsque nous agissons !

Vos semblables, cher plumitif, nous en comptons chez nous aussi en Algérie, parmi ceux qui se disent préoccupés d'histoire, historiens même, comme si l'histoire était leur propriété, leur fief, leur domaine particulier, leur chasse-gardée, leur sujet consacré, que nul ne doit traiter, alors même que l'on souhaiterait tant qu'ils le traitassent ! Ah s'ils pouvaient se remuer, écrire, réfuter, argumenter, controverser ! Ah s'ils pouvaient sortir de leurs tanières pour voir la lumière et pour que les gens les voient !

Lorsqu'on leur demande de se rendre utiles aux autres, d'éclairer la jeunesse, de réfuter les prétentions des faussaires et des falsificateurs, ils se contentent de répondre par des justifications et des excuses, recouvrant une vacuité extraordinaire à laquelle s'ajoutent nonchalance surprenante, un esprit critique démolisseur, négatif, que l'on peut considérer dans son horreur comme un phénomène sans pareil !

Ils ont pondu une fois dans leur vie, puis..., plus rien. Ils ont griffonné quelques lignes... puis ont cru qu'ils ont dit tout ce qu'il fallait dire. Le monde doit s'arrêter avec eux... et ne plus ajouter une seule lettre à ce qu'ils ont tracé !

Avec une insistance particulière, ils ont été conviés quatre mois et dix jours avant l'ouverture du Séminaire, comme les autres invités musulmans et européens. Mais quand bien même ils auraient été conviés neuf mois auparavant cela n'eût rien changé à l'affaire, ni suscité la moindre contribution ou le moindre résultat. Car tels ils sont, tels ils resteront : stériles, isolationnistes, immobiles, cantonnés dans le refus.

Lorsque d'autres bougent, eux se contentent d'émettre des critiques destructives qui cachent en réalité leur insuffisance, leur imperfection, leur paresse et une espèce de féodalisme mental et de monopolisation intellectuelle. Je dis tout cela, nonobstant le fait que

certaines d'entre eux sont mes amis. Mais, à mes yeux, l'amitié vient en second lieu, après certaines choses qui sont encore plus élevées et plus sacrées !

7) Quant au personnage dont la photographie illustre votre article et qui, selon vos propos, a vécu l'époque des Zaouias et la bataille du réformisme religieux, je vous dirai qu'il est fonctionnaire de notre Ministère. Il fait partie de ceux qui, vivant encore dans les souvenirs d'un passé négatif, sont excités par la vue d'une Zaouïa, mais demeurent insensibles devant le spectacle des lieux de beuverie et de débauche, et ne s'émeuvent guère de l'état d'une jeunesse oisive et d'un peuple ignorant; un tel personnage n'ira pas vers la masse mais attendra qu'elle vienne vers lui, imbu qu'il est de cet esprit de festivité maraboutique «Zarda» etc... auquel j'ai fait allusion dans l'allocution de clôture du Séminaire (Zarda, Wa'da, Qaâda et Raqda).

Je serais curieux de savoir ce qu'il a fait, lui et ses pareils, dans le domaine de la lutte contre les Zaouias où sont précisément organisées ces festivités «Zarda» «Wa'da» etc... Il n'a rien fait pour les combattre, alors que cela relève de son travail.

De toute façon, ce n'est pas là le lieu choisi pour traiter ce sujet. Je n'en aurais pas parlé si vous ne l'aviez pas vous-même évoqué, ô plumitif, et si ce vieillard paresseux n'avait pas contribué à le faire avec vous, (en supposant que vous ayez assisté avec nous au Séminaire, comme semble le prouver la photographie du Cheikh illustrant votre griffonnage).

8) Vous avez dit, vous ou quelqu'un parmi les vieux professeurs incapables et rétrogrades - un de ceux qui disent ce que les Juifs ont dit à Moïse : «Va, toi et ton Dieu, combattez et laissez nous ici en paix ! » - vous avez donc dit que «les professeurs musulmans, devant le nombre des erreurs des Orientalistes, n'ont pas été capables de réagir et ont finalement capitulé ! » Combien donc étaient-ils, ces Orientalistes ? et combien les musulmans ? Dans l'ensemble les Européens étaient neuf, et ils n'étaient pas tous Orientalistes. Les musulmans comptaient plus de cent professeurs. Si l'on considère la contribution des neuf Européens on constate que dans l'ensemble elle fut éminente. Je dirai, plus qu'éminente, si je puis ainsi m'exprimer. Ils ont traité les problèmes de la civilisation musulmane dans ses rapports avec l'Europe, ses influences sur cette dernière, les relations des pays musulmans avec l'Europe, etc... avec beaucoup plus de talent, hélas, que la plupart des conférenciers musulmans. Deux Européens seulement ont fait exception à cette règle. Mais, même si tous les Européens avaient été tous «négatifs», même si toutes leurs interventions avaient nécessité des critiques, comment excuser la passivité et la «fatigue» des conférenciers musulmans ? Les Européens sont-ils seuls infatigables ? Sont-ils, eux, exempts de fatigue ? Comment les Musulmans, qui étaient plus de cent cinquante, pourraient-ils dès lors justifier la leur ? Ne sommes-nous pas ainsi amenés à évoquer - mais pouvons-nous oublier ? - les douloureux problèmes de notre réalité islamique actuelle ?

Un de nos savants (qui fut mon maître et que je respecte beaucoup) m'a dit qu'il avait ressenti cette lassitude alors qu'il aurait dû prendre la parole pour répondre à son adversaire, notre adversaire à tous, constamment prêt à réfuter les arguments des autres. J'ai répondu à ce professeur qu'il aurait dû répondre et ne pas être las. Car, en Algérie, nous disons qu'il est honteux pour un musulman de «passer la nuit avec un coup» auquel on n'a pas riposté. J'aurais préféré qu'il contrattaquât, et ce, à juste titre, plutôt que de demander de faire descendre l'orateur de la tribune. Car nous avions dit que les débats étaient entièrement libres, que les portes de la discussion étaient largement ouvertes. De plus, les étudiants, observant la polémique et tirant profit de cette confrontation, n'aiment pas beaucoup que des musul-

mans rendent les armes, soient battus et «fatigués».

Quant au principe même de la participation des professeurs européens, il suffit de rappeler que nous avons fait figurer dans le 3 point de l'ordre du jour de ce Séminaire leur rôle dans l'écriture de notre Histoire, et la nécessité de réécrire nous-même celle-ci, désormais. C'est pourquoi leur présence était indispensable. Nous ne pouvions parler ni condamner des absents, sans qu'il leur soit loisible de répondre ou de rectifier nos propos. Nous devons à la vérité de dire que certains d'entre eux - bien qu'ils fussent rares - se sont montrés impartiaux. Les autres avaient besoin de nous écouter, et nous mêmes avions besoin de les entendre, afin que nous ne les condamnions pas par contumace. Ces échanges de point de vue ont été généralement positifs et fructueux pour les deux parties.

Nous continuerons donc à les inviter à nos réunions chaque fois qu'il sera nécessaire.

9) Vous avez mentionné, parmi les avantages de ce Séminaire, la visite de certains «villages» algériens, c'est-à-dire Miliana et Médéa. Je voudrais vous faire observer simplement que ces deux localités ne sont pas des «villages», mais des villes, sinon de grandes cités. Il fut un temps où elles étaient des capitales. Il suffit que vous vous rappeliez - dans le cas où vous auriez assisté au Séminaire - que le deuxième point de l'ordre du jour était «le millénaire de la fondation d'Alger, de Miliana et de Médéa», par Bologhine Ibn Ziri. Vous devez reconnaître que, même dans leur état actuel, ces deux villes sont encore plus grandes et plus belles que certains capitales de notre cher Orient.

J'ai été un peu long mais cela était nécessaire. Je souhaite du moins que ce ne sera pas sans utilité.

10) Il me reste à vous dire, griffonneur «islamique», que dans le même numéro de votre journal «islamique», je lis des propos satiriques sur lesquels je suis entièrement d'accord. Il s'agit du «progressisme défaitiste». Mais je serais tellement heureux si votre publication pouvait se débarrasser de cet «islamisme passif et incompetent» du genre de celui que vous professez dans votre article, objet de cette mise-au-point.

Combien de révolutionnaires ne sont que des bovins, car il ne suffit pas d'être révolutionnaire pour être un révolté, de même combien de musulmans le criant sur les toits mais ne sont que des capitulards, portant préjudice à l'Islam et aux Musulmans.

Ceci dit, que le salut soit sur vous, ainsi que la bénédiction d'Allah; et bienvenue à notre prochain Séminaire, si vous le désirez et s'il plaît à Dieu, car c'est vers Lui que toutes choses retournent !

Mouloud KASSIM

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

PALAIS DES NATIONS 24 JUILLET - 10 AOUT 1972

TRADUCTION DE L'ALLOCUTION
DE MONSIEUR LE PRESIDENT HOUARI BOUMEDIENE
PRONONCEE PAR MONSIEUR MOULOUD KASSIM
MINISTRE DE L'ENSEIGNEMENT ORIGINEL
ET DES AFFAIRES RELIGIEUSES
A L'OCCASION DE L'OUVERTURE DU 6^{ème} SEMINAIRE
POUR LA CONNAISSANCE DE LA PENSEE ISLAMIQUE

"Au nom de Dieu, Clément et Miséricordieux"

Messieurs les distingués professeurs,

Permettez-moi de vous souhaiter la bienvenue en Algérie et de vous dire combien notre pays s'honore d'accueillir un aussi grand nombre d'éminents hommes de lettres et de savants illustres qui ont d'évidence sacrifié une partie précieuse de leurs loisirs pour reprendre un débat libre et enrichissant et approfondir une recherche scientifique rigoureuse.

Je remercie notamment Messieurs les Professeurs qui ont bravé les fatigues du voyage depuis les différents pays arabes et islamiques et des pays européens, dans le but de participer avec leurs collègues algériens à l'édification de nos étudiants et des étudiants des pays frères et amis des trois continents, par leurs conférences ou par l'animation qu'ils apporteront à des débats devant se dérouler dans une atmosphère, certes scientifique et sérieuse, mais également franche et libre, et où se réalisera une symbiose entre la sagesse et la pondération des maîtres, et l'enthousiasme de la jeunesse, ses capacités créatrices, son dynamisme et, par dessus tout, son amour et sa soif de recherches et de découvertes.

Je suis particulièrement heureux que ce séminaire se réunisse au cours de ce mois-ci où nous célébrons la plus glorieuse de nos fêtes nationales, celle du recouvrement de notre liberté et de notre indépendance, après une longue nuit coloniale.

L'importance de cette rencontre est aussi rehaussée par le fait qu'elle rassemble cette année une élite plus grande de chercheurs et de penseurs, dans ce pays qui s'appête à entreprendre sa propre révolution cultu-

relle, dont nous avons souligné à maintes reprises qu'elle représentait dans notre Révolution globale aux trois piliers (industriel, agraire et culturel), l'esprit par rapport au corps.

Messieurs les Professeurs,

Frères étudiants,

L'Algérie qui a contribué à l'établissement d'une civilisation parmi les plus riches et les plus fertiles, la civilisation arabo-islamique, et qui jouissait de sa propre personnalité parmi les Etats et les Nations puisqu'elle fut parmi les premiers pays à reconnaître l'indépendance des Etats Unis et le premier Etat à saluer le régime issu de la Révolution Française, avant de s'exposer à une conquête coloniale qu'elle n'a cessé de combattre durant de longues décennies et au cours de laquelle elle a enduré les tentatives les plus insidieuses de dépersonnalisation et d'intégration, l'Algérie a décidé, une fois reconquises sa souveraineté et son indépendance, de les compléter et de les consolider par la récupération de toutes les composantes de sa personnalité et de son entité.

L'Islam a été l'âme de la résistance et du combat de notre peuple contre les entreprises d'assimilation et d'aliénation de sa personnalité, comme il fut le ferment et la base de sa florissante civilisation, celle dont il participait avec le reste du monde arabe et qui fut le point de départ de la Renaissance de l'Europe et donc de la civilisation universelle moderne.

Je n'apprendrai certes rien d'inédit à des historiens et à des savants aussi avertis, en réaffirmant que chaque civilisation a ses

fondements spécifiques, ses principes propres, ses cycles de progrès et d'ascension, mais aussi, hélas, ses lois de décadence et parfois de disparition totale, selon la force de son attachement à ces fondements et à ces principes ou, au contraire, son laisser-aller, et à plus forte raison sa démission à leur égard.

Nous connaissons tous la situation qui prévalait dans la presqu'île arabique à l'époque anteislamique et la civilisation à laquelle elle a atteint, et, grâce à elle, la majeure partie du monde reconnu - une fois qu'elle fut touchée par la lumière de l'Islam, et nous en sommes encore à nous émerveiller - à la suite des historiens et des chercheurs - de la rapidité sans égale avec laquelle cette civilisation allait bientôt se propager, ou plutôt se propulser pour atteindre sa plénitude et son âge d'or.

Le fait est que l'Islam constitue, en lui-même, une révolution totale par rapport aux différentes activités humaines. Cela est vrai non seulement pour ce qui est des valeurs et des principes qu'il met en avant, mais aussi parce qu'il implique une âme qui ne s'accommode pas de replâtrage et de réforme, mais exige au contraire une transformation radicale, et représente très exactement ce que nous nommons aujourd'hui "révolution", autrement dit cette force dynamique et dynamisante qui abat les structures archaïques et dépassées pour élever à leur place des édifices nouveaux et fiers, à l'épreuve du temps.

Pour le monde arabe, la période qui a précédé l'avènement de l'Islam a été appelée à juste titre "djahilia" ou période de l'ignorance et de l'obscurantisme. L'Islam s'est voulu une révolution contre cet état de fait, étant la religion de la science par excellence, celle qui a fait de l'instruction et de la recherche du savoir une obligation sacrée tant pour l'homme que pour la femme et a placé sur un pied d'égalité "l'encre des savants et

le sang des martyrs", celle enfin qui a élevé la science à un piédestal qu'illustre si bien le verset coranique : "Seuls les savants craignent (vraiment) Dieu". Il s'agit ici des savants au fait des mystères de la création et de la nature par l'effort de compréhension.

S'accordent sur ce point aussi bien l'interprétation qui explique le verset dans ce sens que celle qui lui confère une autre signification, à savoir : "Dieu n'estime considérablement que les savants".

Les deux lectures fondamentales du Coran et, par conséquent, les deux exégèses qui s'y rapportent, sont unanimes sur ce point. Ceci est exprimé également par la tradition suivante : "Les savants sont les héritiers des Prophètes", et trouve son illustration auprès des docteurs de l'Islam aux siècles de son apogée, tel Ibnou Rochd, "(Averroës)", et Ibnou Sina "(Avicenne)", lesquels conciliaient harmonieusement le savoir et la foi.

La même observation est valable pour notre siècle moderne, et nous n'en voulons pour preuve que deux des plus grands savants de notre temps, Pasteur et Einstein.

N'est-il pas établi, en effet, que l'un et l'autre quittaient volontiers le laboratoire pour l'église ou le temple, afin d'y prier et d'y méditer ?

L'Islam est aussi une révolution contre l'inertie et la stagnation, le mimétisme et le "suivisme" aveugle.

Combien de versets coraniques ont fustigé ceux qui disaient, par paresse d'esprit et absence totale d'initiative et de jugement, : "Nous avons trouvé nos pères dans cette voie et nous ne pouvons que suivre leurs traces". Ou bien : "Nous respecterons plutôt la pratique de nos pères, mais si leurs pères n'avaient point de discernement et ne suivaient pas le droit chemin ?".

Ces Imitateurs serviles ont été comparés dans le Coran à celui qui ne sait répondre qu'à l'ordre ou à l'appel : "Sourds, muets et aveugles, ils ne sont pas capables de discernement". Tels les animaux non doués de raison qui distinguent bien le cri du berger mais n'en comprennent pas toute la portée.

Les animaux leur seraient même préférables si l'on se rapporte à cet autre verset du Coran : "Ceux-là sont comme des bêtes et même plus égarés encore".

L'Islam est en effet la religion de la réflexion, de l'étude et de l'emploi de la pensée et de la raison. Les versets coraniques qui invitent à utiliser la raison dépassent la cinquantaine, ceux qui appellent à voyager afin de voir et de comparer, de se souvenir et de méditer sont quasiment incalculables.

L'Islam est aussi une révolution contre la paresse, l'action stérile, la propension à compter sur autrui et non sur soi-même, contre le chômage dont le sens premier signifie "vivre sur le dos des autres et s'abstenir de travailler".

Le Prophète, que le salut et la bénédiction de Dieu soient sur lui, a toujours été vu occupé par un travail, et il disait : "Que l'un d'entre vous prenne sa corde et gagne la montagne pour en rapporter un fagot de bois qu'il vendra pour conserver la pudeur à son visage d'homme libre, vaut mieux que de solliciter l'aumône des autres, qu'elle lui soit accordée ou refusée". Il a dit encore : "Dieu aime celui qui exerce une profession". Ou encore : Nul n'a jamais goûté de meilleure nourriture que celle que lui rapporte son travail, et le Prophète de Dieu, David, lui-même vivait du fruit de son labeur".

Le Coran contient plus de trois cents versets qui incitent au travail et le glorifient. Le Prophète a dit à propos des droits du travailleur : "Si un homme emploie un salarié et refuse de lui payer son dû, je serais

son adversaire au jour du Jugement". Une autre tradition ordonne aux employeurs : "Donnez au salarié sa paie avant que ne sèche sa sueur".

L'Islam apparaît ainsi comme une révolution contre le fanatisme et l'esprit de caste, puisqu'aussi bien le seul honneur qu'il reconnaisse est celui du travail et de l'effort.

Il est aussi une guerre déclarée contre tous les genres de discrimination, que ce soit au nom de la religion, de la race, ou de la considération communément accordée à la puissance de l'argent ou du nom, ces mœurs qui avaient cours aussi bien dans la tribu koreïchte que dans le reste de l'Arabie et un peu partout dans le monde.

Les seuls critères de supériorité reconnus et légitimés par l'Islam sont la vertu et la piété. Les hadiths rapportés dans ce sens, à propos de Souheib le Byzantin ou de Bilal l'Ethiopien et d'autres Compagnons sont très nombreux. Les sévères réprimandes que le Prophète a adressé dans ce cadre au grand Abou Dharr el Ghifari constituent des points de repère classiques dans l'histoire de l'Islam.

Nous ne saurions mieux illustrer cette particularité de l'Islam qu'en nous référant à un autre hadith.

Le Prophète de Dieu a dit en effet : "O gens de Koreïche, Dieu vous a délivrés de l'orgueil de la "djahilia" et de la glorification des ancêtres. Vous descendez tous d'Adam et Adam provient de la terre", puis il récita le verset : "O gens, nous vous avons créés d'un mâle et d'une femelle et répartis en peuples et en tribus afin que vous vous connaissiez les uns les autres. Le plus estimé d'entre vous auprès de Dieu sera le plus vertueux".

L'Islam a été dès son apparition une révolution contre les coutumes qui prédominaient à l'époque et qui subsistent encore à l'heure actuelle dans de nombreuses parties du monde, telles que l'arrogance des Patriciens ou la morgue des Césars et des classes gouvernantes, puisqu'il a combattu, dès le début, l'injustice et la tyrannie, le despotisme et la dictature et qu'il a rétabli la justice et l'égalité aux lieux et places de l'iniquité et du favoritisme.

Les versets du Coran parus dans ce sens sont aussi abondants que variés. Nous citerons : "Si tu avais été rude au cœur dur, ils (les croyants) t'auraient fui". "Demandeur (les croyants) conseil avant de prendre une décision", "Juge-les selon la loi de Dieu, ne suis pas leurs passions et crains qu'ils ne te détournent d'une partie de ce qui t'a été révélé". "Si tu es appelé à juger, juge avec équité, car Dieu aime les justes". "Et si vous jugez, rendez votre sentence en toute justice", "O croyants, jugez équitablement et témoignez en faveur de Dieu, même contre vous-mêmes, vos parents ou vos proches. Qu'importe si celui qui fait l'objet de votre jugement soit riche ou pauvre, puisque c'est à Dieu qu'ils appartiennent l'un et l'autre en priorité. Ne suivez pas vos passions qui risqueraient de vous détourner de la justice sereine".

Les hadiths et les témoignages des compagnons du Prophète et des détenteurs du pouvoir en Islam sont à ce titre très édifiants. Quel a été, dans ce contexte précis, le comportement de l'envoyé de Dieu lorsqu'il eut appris le cas d'une femme de la tribu des Banou Makhzoum ayant commis un vol et qu'on venait de condamner à avoir la main coupée ? La puissante tribu de la délinquante en fut grandement émue et craignit le scandale qui rejaillirait inmanquablement sur elle si l'une de ses filles subissait une peine aussi infamante. C'est pourquoi elle s'adressa à Oussama Ibnou Zeid, qui était

l'ami intime du Prophète, et lui demanda d'intervenir auprès de lui pour que la condamnation fût rapportée ou commuée.

Le Prophète en conçut un vif courroux et il s'adressa à Zeid en ces termes : "Devons-nous intervenir contre les peines édictées par Dieu ?" Puis il parla aux musulmans, disant notamment : "Ce qui a perdu les peuples qui vous ont précédés, c'est précisément qu'ils se montraient indulgents envers le voleur s'il était noble et lui appliquaient la peine s'il était faible et d'humble extraction. Par Dieu, si Fatima, fille de Mohamed elle-même, était convaincue de vol, j'ordonnerais qu'on lui tranche la main".

Le Prophète s'appliqua à lui-même une peine encourue dans un autre cas resté célèbre, lorsque Saouad Ibnou Ghoussei, considérant que le Prophète l'avait rudoyé en le poussant pour aligner les rangs avant la prière, demanda à exercer à son encontre la loi du talion, ce que le Prophète lui accorda sur le champ.

Voici maintenant Omar surnommé à juste titre "Al Farouk", c'est-à-dire le Juste par excellence, appliquant la peine contre son propre fils jusqu'à ce que mort s'ensuive. Son fils Abderrahmane résidait alors au Caire lorsqu'il advint qu'il s'enivra avec un ami. Ils se rendirent au gouverneur de l'Egypte Amr Ibnou El'Ace et le requirèrent de leur faire appliquer la peine prévue en pareil cas.

Abderrahmane ajouta pour sa part : "Si tu ne le fais pas, j'en informerais mon père lorsque j'irai le voir". Amrou leur appliqua donc la peine, mais il le fit dans la cour de sa maison et ordonna qu'on leur rasât les cheveux.

Informé de la chose, Omar écrivit à son gouverneur en Egypte : "De l'esclave de Dieu, Omar Prince des Croyants, à El'Ace Ibnou El'Ace (1). Je suis surpris, ô Ibnou

(1) El'Ace, nom du père de Amr, signifie : impie. C'est à dessein que le que Omar ibn El-khattab apostrophe le gouverneur Amr, faisant signifier à son nom : « impie, fils d'impie », El'Ace signifiant étymologiquement : « impie ».

Al'Ace de ton audace à mon encontre et de ta désobéissance. Force m'est donc de te li-moger. Tu frappes mon fils Abderrahmane dans ta maison, tu lui fais raser la tête, également dans ta maison, au risque certain de me contrarier. Abderrahmane n'est pourtant qu'un membre ordinaire de la communauté sur laquelle tu es chargé de veiller et tu dois, par conséquent, agir envers lui comme tu le ferais de n'importe quel autre musulman. Tu t'es dit : "C'est le fils de l'Emir des Croyants" et pourtant tu sais parfaitement que je ne puis être magnanime envers quiconque, s'il a encouru une sanction. Aussi, lorsque tu recevras ma lettre, envoie-moi le contrevenant sans aucun appareil, afin qu'il se rende compte de la gravité de son acte".

Amrou envoya donc Abderrahmane à son père qui lui demanda lorsqu'il comparut devant lui : "As-tu fait ceci et cela, ô Abd-Errahmane ?" "Oui, prince des croyants, répondit son fils, mais la peine m'a déjà été appliquée". Le Khalife n'eut pour lui aucun regard avant de lui avoir administré intégralement, de ses propres mains, la sanction prévue pour le cas d'ivresse.

Est-il par ailleurs possible de trouver un équivalent dans l'histoire de l'humanité qui illustre aussi parfaitement l'amour de la justice et de l'égalité, à l'incident dit d'Ibn El Akramein, ou "fils des plus dignes", qui inspira à Omar cette réflexion :

"Depuis quand possédez-vous le droit de réduire les gens à l'esclavage, alors que leurs mères les ont enfantés libres ?".

L'histoire témoigne en effet que Mohamed Ibn Amr Ibn El'Ace, le conquérant de l'Egypte et son gouverneur, organisa une course avec un jeune copte, lequel le devança à l'arrivée. Cela déplut au fils d'Amr qui frappa de dépit son vainqueur en disant : "Reçois ceci du fils des Akramein". Il emprisonna ensuite le copte, de crainte qu'il ne se plaignât au redoutable Khalife Omar. Mais le prisonnier réussit à s'évader et à se

rendre à Médine où il demanda justice à Omar.

Celui-ci enjoignit à son gouverneur de se présenter devant lui accompagné de son fils. Lorsqu'ils furent à Médine, Omar donna au garçon copte un fouet et lui dit : "Frappe le fils des 'plus dignes'". L'enfant se mit à frapper tandis qu'Omar répétait : "Frappe le fils des 'plus dignes'". "Frappe le fils des 'plus dignes'". Puis il lui dit : "Retourne maintenant ton fouet contre la tête chauve d'Amr, car par Dieu son fils ne t'a frappé que fort de l'autorité de son père". L'enfant lui répondit : "J'ai frappé qui m'a frappé, ô Prince des Croyants". "Si tu l'avais frappé, nous ne t'en aurions point empêché, ajouta Omar, qui se retourna en colère vers Amr : "Depuis quand, lui dit-il, réduisez-vous les gens à l'esclavage, alors que leurs mères les ont enfantés libres ?".

Comment ne pas citer également l'incident d'Ali Ibn Abi Talib et du juif ? Celui-ci avait cité Ali en justice devant Omar qui ordonna au futur Khalife (quatrième) : "Lève-toi, ô Abou Al Hassan et assieds-toi devant ton adversaire". Ali, que Dieu l'agrée, s'exécuta et se plaça sur un même niveau que son adversaire, tout en paraissant vexé par le procédé. Quand le procès prit fin, Omar lui demanda : "Il t'a répugné, ô Ali, de t'asseoir en face de ton adversaire ?" : "Certes pas, lui répond-il, mais je n'ai pas aimé que tu ne nous traites pas avec une égale justice, puisqu'en m'appelant 'Abou Al Hassan' tu me témoignais plus d'égards qu'envers mon adversaire, étant donné que la 'Kounia' est une marque de distinction".

Le Khalife Omar se trouva lui-même une fois en litige avec un homme et il accepta que leur différend soit porté devant un compagnon nommé Choureih, choisi comme juge par son adversaire. Choureih rendit son jugement contre le Khalife, ce qui ne l'empêcha pas d'être nommé par ce même Khalife Cadi à Koufa où il demeura pendant soixante ans.

Les Khalifes qui succédèrent à Omar et les grands noms de l'Islam suivirent après lui la même voie. Je citerai à ce propos un seul fait avant de clore cette série d'exemples historiques. L'Imam Ali, alors Khalife, fut en désaccord avec un juif à propos d'un bouclier que chacun d'eux prétendait sien. Ils s'adressèrent au même Choureih, lequel l'attribua au juif en rappelant cette règle juridique fondamentale : "La preuve incombe au demandeur et le serment à celui qui nie". Le juif fut ébahi que le juge de l'Emir des Croyants rendit un jugement contre lui. Il embrassa incontinent la religion islamique.

L'Islam a été également une révolution contre la corruption et le trafic d'influence. C'est ainsi que le Khalife Omar décréta la règle consistant à poser la question suivante à propos de l'acquisition des richesses : "D'où tiens-tu cela ?" Il l'appliqua à des compagnons notoires tels Ibn Houreira, Khalid Ibn El Oualid, Amr Ibn El 'Ace et d'autres encore.

Nous rappellerons ici un court extrait de la lettre de directives qu'il envoya à son gouverneur d'Egypte Amr Ibn El 'Ace : "Il est connu que tu possèdes des biens, des esclaves, une riche vaisselle, des troupeaux, tous biens que tu n'avais pas pourtant à ta nomination en qualité de gouverneur".

Amr lui ayant répondu qu'il s'adonnait au commerce et à l'agriculture, en plus de sa fonction officielle, Omar interdit formellement cette pratique, prohibant aussi pour la première fois le cumul des fonctions par les fonctionnaires de l'Etat. Il écrivit ensuite à Amr : "Je t'envoie Mohamed Ibn Maslama qui partagera avec toi tes biens dont tu mettras une moitié au Trésor".

Aux époques où sévissaient le fanatisme religieux et le sectarisme, la règle d'or de l'Islam consistait en la tolérance totale à l'égard des religions et des sectes. L'Islam atteignait dans ce cadre des limites jamais

égalées par aucune autre religion ou civilisation et c'est pourquoi il fut une révolution qui suscita à ce titre l'étonnement des autorités religieuses des autres croyances.

Le fondement de cette tolérance résida dans les nombreux versets coraniques qui la soulignent et ne manquent pas de citer les lieux du culte non musulmans continuellement associés aux mosquées islamiques. A cet égard, l'incident qui eut pour théâtre l'église du jugement dernier à Jérusalem est si connu que je le rappelle ici uniquement pour mémoire.

Aussi, combien sommes-nous éloignés aujourd'hui de cet esprit de tolérance érigé en dogme, en constatant ce qu'il est advenu et ce qu'il advient quotidiennement à nos Lieux Saints et en premier lieu à la Mosquée Al Aksa dont nous n'avons pas oublié l'incendie criminel et les menaces qui continuent de peser sur elle et sans doute sur d'autres lieux sacrés en Palestine occupée !

Nombreux sont aussi les versets consacrés à la liberté de conscience. Les Musulmans, pour leur part, ont été très loin dans l'application des préceptes coraniques qui prêchent la tolérance religieuse tels les versets suivants : "Pas de contrainte en religion", "vous avez votre religion et j'ai la mienne", "est-ce toi qui pourra contraindre les gens, par la force à devenir croyants ?". C'est là un exemple suprême de la liberté de conscience dans l'Islam, exemple peu commun, même de nos jours.

Notre religion a également été une révolution contre la pratique de l'usure et l'accumulation des richesses entre les mains d'une ploutocratie imposant ses volontés et son arbitraire.

Dans la sourate (Al Hachr), Dieu prescrit la répartition de l'argent entre toutes les catégories de musulmans et à leur bénéfice :

"A Dieu, au Prophète, aux proches, aux orphelins, aux pauvres et aux voyageurs sans ressources". Ceci est confirmé par le verset suivant : "Afin qu'il (l'argent) ne circule pas uniquement entre les riches d'entre vous", autrement dit que ces derniers n'en détiennent pas le monopole, comme c'est le cas de nos jours où des fortunes s'entassent dans les banques, conférant aux milieux financiers un pouvoir de coercition sur les pauvres, aussi bien les Etats que les individus.

L'Islam n'a pas pour autant donné la totalité de la propriété d'une fortune à celui qui la détient. Il y a introduit un droit de prélèvement obligatoire, qui permet aux musulmans, Etats ou collectivités publiques, de subvenir aux besoins des personnes démunies. Mais il s'agit pour celles-ci d'un droit et non d'une aumône, ainsi qu'il est explicité dans le verset : "Et ceux dont une partie précise de leur fortune appartient au quémendeur et au déshérité".

Le Très Haut a ordonné d'autre part à son Prophète : "Prélève sur leurs biens une aumône avec laquelle tu les purifieras et les béniras". L'Envoyé de Dieu n'a-t'il pas affirmé de son côté : "La subsistance d'un seul suffit à deux, celle de quatre peut en satisfaire huit". Omar a interprété ce hadith comme faisant de ce partage - en cas de nécessité - une obligation incombant à chaque individu en particulier.

Abou Dharr Ghifari déduisait du verset : "A ceux qui thésaurisent l'or et l'argent et ne le dépensent pas dans la voie de Dieu, annonce une grande souffrance, le jour où ceux-ci (l'or et l'argent) seront chauffés dans le feu de l'enfer et qu'il en seront marqués sur le front, les côtés et le dos, alors qu'ils s'entendront dire : "Voici ce que vous avez entassé au profit de vos seules personnes. Goûtez maintenant le fruit de votre thésaurisation". Abou Dharr déduisait que tout trésor superflu par rapport aux besoins vitaux en était justiciable.

Le Prophète a encore dit : "Quand les Ach'aristes subissent un revers au cours

d'une bataille ou bien lorsque le ravitaillement vient à leur manquer, ils réunissent tout ce qui subsiste de provisions chez chaque soldat dans un récipient avant de le partager équitablement entre tous les combattants".

Abou Saïd El Khoudhari rapporte cette tradition du Prophète, à propos de la conception socialiste de la distribution des richesses entre les membres d'une même nation : "Alors que nous voyagions une fois en compagnie du Prophète, un homme juché sur une monture se mit à regarder d'un air hautain à droite et à gauche. (Il affichait en somme l'orgueil du cavalier devant l'homme à pied). Le Prophète lui dit alors : "Que celui qui dispose d'une monture en plus de la sienne la cède à celui qui en est privé et que celui qui possède des provisions dépassant ses besoins les donne à qui n'en a pas".

Abou Dharr ajoute : "Le Prophète cita un nombre tellement varié de biens entrant dans ce cas, que nous nous sommes rendu compte qu'il ne nous restait pratiquement aucun droit sur ce qui nous appartient sans nous être strictement indispensable".

Le Khalife Omar disait : "S'il m'est donné de vivre longtemps, je prendrais la fortune des riches pour la distribuer aux pauvres, car personne n'en est plus digne qu'un autre. Je ramènerais de la sorte les derniers au niveau des premiers et la femme de Sanaâ (Yémen) pourra recevoir sa part de ces richesses.

"Je visiterais également les régions éloignées et y séjournerais deux mois entiers, car je n'ignore pas que des gens y sont lésés de leurs droits, les faibles (victimes de cet état de fait) ne parvenant pas jusqu'à moi et les walis (gouvernants) ne me signalant pas les cas d'injustice".

Il existe un chapitre spécial du droit musulman consacré au "droit de prélèvement d'office autre que la zakat" et qui permet à

l'Etat de percevoir un impôt exceptionnel sur les fortunes pour en reverser le fruit aux pauvres.

L'Imam Ali cite à ce propos ce hadith : "Dieu fait une obligation aux riches de réserver une partie de leurs biens au profit des pauvres". Ibnou Hasm commente ainsi qu'il suit ce hadith, dans le chapitre du "droit de prélèvement d'office autre que la zakat" : "C'est une obligation sacrée pour les riches de chaque pays de prendre soin des pauvres. Le Roi (ou l'autorité qui en émane) peut les y obliger dans le cas où les rentrées de la zakat s'avèreraient insuffisantes, ajoutant que toute la communauté est responsable de quiconque meurt de faim ou de froid par besoin et qu'elle en doit des dédommagements à sa famille".

D'autres propos du Prophète abondent dans ce sens. Nous citerons : "Dieu exècre les riches vaniteux", (ceux qui affichent leur opulence).

Un hadith célèbre : "Les gens sont associés dans trois choses : l'eau, l'herbe et le feu", a institué le premier socialisme de l'histoire, celui de l'Islam. La signification profonde et même le terme qui sera consacré bien des siècles plus tard y sont réunis. En ce qui concerne le feu, on peut aisément l'interpréter aujourd'hui comme étant l'énergie en général et les ressources que renferme le sous-sol. L'eau et l'herbe appartiennent au même titre à la terre.

Le Prophète a dit dans un autre hadith : "Celui qui dispose d'une terre doit la cultiver ou la donner à cultiver à son frère". Dans un hadith se rapportant au même thème, un compagnon du Prophète déclare : "A l'époque du Prophète, nous cultivions la terre d'un propriétaire en recevant pour notre part les épis non moissonnés. Le Prophète a interdit ce genre de fermage en disant : "Que celui qui dispose d'une terre la cultive lui-même, sinon qu'il la donne à cultiver à son frère (sans contrepartie) ou qu'il l'abandonne". (au Beit el Mal, c'est-à-dire à l'Etat).

Ce mode de fermage ressemble par certains côtés à notre Khemassat. Il consistait à abandonner au Khammas, comme prix de son travail, les épis non moissonnés. Il n'est pas étonnant que le Prophète ait mis fin à cette exploitation éhontée et inhumaine.

Le Prophète concéda un jour une parcelle de terre à un compagnon. Quand Omar accéda au khalifat, il constata que la terre en question demeurait en friche.

Il convoqua alors le bénéficiaire et lui ordonna de la labourer dans les plus brefs délais ou de la rendre à l'Etat. Le concessionnaire n'ayant pas obtempéré à l'ordre du Khalife, celui-ci lui retira la concession et l'attribua à un autre fellah. Comme l'homme, s'estimant lésé, continuait à récriminer, Omar le tança vertement avant de lui infliger quelques coups de fouets pour le rappeler à une saine compréhension des choses.

Un autre exemple est significatif de la gestion exemplaire du Khalife Omar et de son génie administratif. Le Prophète avait octroyé à des gens de la tribu de Mouzaïna une terre, à l'effet de la peupler et de l'urbaniser faute de quoi elle leur serait reprise et confiée à d'autres. Les Beni Mouzaïna n'ayant pas occupé la dite terre, une autre tribu en prit possession. Les deux parties portèrent leur différent devant Omar, qui édicta cette sentence : "Lorsqu'un propriétaire délaisse sa terre pendant trois années consécutives et que des tiers s'y installent, ils en sont plus méritants".

Mesdames et Messieurs,

Dans un tout autre domaine, celui des droits de la femme dont on parle tellement aujourd'hui et dont on attribue le mérite à l'Europe moderne, l'Islam n'en est pas moins révolutionnaire ni précurseur.

Il est établi - en effet - que la femme était jadis et dans le monde entier, y compris l'Arabie, réduite à l'état de marchandise. Même en Grèce, patrie des philosophes et des savants, nous ne trouvons aucune fem-

me ayant atteint la notoriété en matière de médecine, de philosophie, de sciences, ni même de poésie, à une seule exception près : la fameuse SAPHO.

Quand vint l'Islam, il mit fin sans désespérer à un tel ostracisme, d'abord en Arabie, puis partout où il a rayonné. Les droits qu'il a accordés à la femme allaient de l'administration et de la libre disposition de ses biens, à la conservation de son nom de famille après le mariage et à la faculté de conclure des contrats, de signer des actes, de pratiquer tout commerce et toute activité économique. La majeure partie des droits dont jouit la femme musulmane est refusée de nos jours à la femme européenne. Certains de ces droits, tel celui de garder son nom de famille après avoir contracté mariage, n'appartiennent encore à aucune femme d'Europe.

La révolution de l'Islam sur le plan de la morale et de l'assainissement de la société des séquelles de l'idolâtrie et des coutumes rétrogrades de l'époque antéislamique, de l'habitude d'étaler son faste et ses richesses, des mœurs dissolues importées des empires voisins ou héritées des civilisations antérieures, cette révolution n'était pas moins radicale que dans les autres domaines.

L'Islam a placé le code moral au premier plan de ses préoccupations, comme en témoigne ce hadith : "Je n'ai été envoyé que pour compléter le code moral". Le Créateur lui en a porté témoignage dans ce verset : "Certes, ton caractère et tes vertus morales sont très grands".

On ne conçoit pas qu'une société puisse se maintenir, ni une civilisation se perpétuer, sans règles morales. L'histoire nous enseigne que le laisser-faire à l'égard des principes et des valeurs, la dévalorisation des critères, le renversement des situations et le recul des vertus morales au sein de n'importe quelle société ou civilisation, ont toujours constitué le signe annonciateur de leur disparition à plus ou moins brève échéance.

Il est par ailleurs évident que parler de

morale ne signifie pas préconiser l'abstention de travailler, ni favoriser toute autre forme d'ascétisme et de renoncement.

Ce n'est pas non plus adopter une attitude négative devant la vie ou s'en remettre sur autrui du règlement de ses propres affaires. Ils s'agit au contraire d'une morale éminemment positive et constructive, fondée sur l'accord harmonieux entre la foi et les nécessités de l'existence.

On sait qu'Omar n'hésita pas un jour à punir sévèrement un homme qui affectait ostensiblement un dégoût des choses de la vie et marchait si tristement et si péniblement qu'on eût dit un moribond. "Qu'as-tu à marcher ainsi ?" lui dit Omar. Par Dieu, vous nous avez tué (par votre comportement) notre religion. Que Dieu vous ôte la vie" et lui asséna un coup de sa canne célèbre.

La règle d'or de l'Islam en cette matière peut se résumer dans la maxime populaire : "Oeuvre pour ton salut éternel comme si tu mourais demain et pour la vie comme si tu devais vivre éternellement".

Messieurs les Professeurs,

Avant de conclure cette allocution, je voudrais vous remercier encore une fois d'avoir affronté les aléas du voyage pour enrichir cette rencontre de votre savoir inestimable et pour satisfaire les aspirations de cette jeunesse enthousiaste à la culture et à la connaissance. Bienvenue donc en Algérie et qu'il vous soit donné d'y accomplir un agréable séjour et de vous y réunir souvent.

A vous, jeunes séminaristes, je vous demanderais non seulement de tirer le maximum d'enseignements de cette rencontre historique autour des thèmes historiques et religieux, mais aussi d'y participer activement et de soulever des problèmes qui ne sauraient être mieux résolus qu'au cours de ces assises extraordinaires.

Je souhaite enfin le succès le plus complet à vos travaux.

L'ILIADÉ ALGERIENNE

Composée spécialement à l'occasion du
6ème Séminaire pour la connaissance
de la Pensée Islamique.

(El-djazair 24 juillet au 10 août 1972)

Par

Moufdi ZAKARIA

Poète de la lutte révolutionnaire politique
et de la lutte révolutionnaire armée

Traduction en langue française

Par

Tahar BOUCHOUCHI

L'HYMNE DES HYMNES
OU
L'ILIADÉ ALGÉRIENNE

Au terme du 5ème Séminaire pour la Connaissance de la Pensée Islamique, tenu l'an dernier à Oran, nous avons annoncé que notre Sixième Assemblée se tiendrait à Alger, à l'occasion du 10ème anniversaire du recouvrement de notre indépendance et du millénaire de la fondation d'Al-Djazaïr, de Médéa et de Miliana par Bologhine Ibn Ziri.

Fidèles à notre promesse, nous avons axé le programme de ce Séminaire sur la nécessité de réécrire nous-mêmes notre histoire, afin de la débarrasser de toutes les impuretés et falsifications conscientes et préméditées. Notre but était de connaître notre passé, de tirer profit de ses enseignements pour construire notre présent et notre avenir en Algérie, au Maghreb et dans le vaste monde de l'Islam.

C'est pourquoi nous avons souhaité le concours de Monsieur Moufdi ZAKARIA, grand militant, poète inspiré du combat politique révolutionnaire, chantre de la lutte armée, auteur des hymnes nationalistes "Min Djibalina" (composé en 1932) "Fidaou-l-Djazaïri" (composé en 1936) "Qassaman" (écrit en 1955) ainsi que d'autres chants tels que "Assifi ya riyah", "Nachid El-Djeïch", "Nachid Al Oummal", "Nachid Attalaba" etc... Certains de ces hymnes ont été écrits dans la prison de Barberousse.

Nous avons donc demandé à Moufdi ZAKARIA de nous composer un nouvel hymne qui réunisse tous ces chants et embrasse l'ensemble de l'Histoire d'Algérie depuis les temps les plus anciens jusqu'à nos jours, en soulignant le thème de notre résistance aux différentes invasions étrangères et l'essor des civilisations brillantes qu'a connues notre pays dans les périodes successives; en évoquant notre présent et notre avenir dans la lutte que nous menons pour recouvrer l'intégralité de nos richesses; et en mentionnant les composantes de notre personnalité, l'immunité et l'édification d'une gloire nouvelle pour notre nation.

C'est ce qu'a fait Moufdi. Nous avons donné à ce "cantique des cantiques" le nom "d'Epopée d'El-Djazaïr" ou "l'Iliade Algérienne".

Cette œuvre compte présentement 610 vers. Mais, par la grâce de Dieu, elle atteindra un millier de vers avant la fin de l'année. Puis elle poursuivra sa marche triomphale dans le domaine de la création positive. Nous la ferons paraître, ultérieurement, en une édition artistique digne de son contenu et de sa facture.

Mouloud KASSIM

Al Djazaïr, aurore miraculeuse, signe de Dieu en cet univers,
 Oh ! sourire divin dans le monde terrestre,
 visage rayonnant de bonheur et de joie !
 Paysage tracé dans le livre éternel,
 miroir où tant d'images plus belles que les songes, se succèdent
 Epopée où la substance insuffle à l'âme de la vie, l'idéal sublime !
 Page où le combat des héros est inscrit par la légende en lettres de feu et de lumière !
 Oh ! combien de hauts faits y ont conquis le monde, et lui ont révélé des valeurs immor-
 telles !
 Légende que les siècles renouvellent sans cesse,
 éveillant en son âme les souvenirs profonds !
 Oh ! terre où tant de beauté majestueuse s'épanouie,
 que les cimes elles-mêmes en tirent leur orgueil
 Pays où la splendeur atteint un tel sommet, que nous sommes conquis par son charme pro-
 fond !
 Terrassés à ses pieds, les tyrans et les siècles, se sont écroulés !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Al-Djazaïr, merveille du Créateur, ô toi la plus admirable des choses produites par
 le Seigneur Tout-Puissant !
 Babylone des sortilèges, par quoi Harout fut nommé Harout (1) l'enchanteur.
 Paradis jaloué par l'Eden lui-même, qui ayant oublié le séjour invisible, s'est épris du
 terrestre univers.
 Flots où baigne la beauté que soustrait aux regards la vague ténébreuse
 Eclair qui inonde mon âme d'amour, illumination inspirant le poète.
 Toi, Révolution d'un peuple à la fois calme et fougueux, qui étonna le monde !
 Unité façonnée dans le creuset des deuils
 et scellée dans le sang bouillonnant des martyrs !
 Ambition basée sur la raison et qui ne se suffit guère des apparences,
 Exemple, peu commun de la conscience pure !
 Salut à la fête de ton immortalité ! Salut au dixième anniversaire du recouvrement de ton
 indépendance !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

1) Voir les notes explicatives à la fin de la traduction française.

Al-Djazaïr, ô toi idylle de mon âme, toi qui as apporté le salut à mon cœur
Toi qui as inondé mon être d'harmonie, et rempli ma route de lumière
Sans le secours de ta beauté, je n'eusse point connu la foi, ni le chemin qui mène à Dieu !
Sans la foi dont mon cœur déborde, je n'eusse cru en rien d'autre qu'en mon peuple !
Mon être s'illumine lorsque je t'évoque et dès que j'entends ta voix, je réponds à ton appel.
Proche ou éloigné, ton amour vit en moi plus fort que je ne puis le concevoir
En chaque endroit, les liens sacrés du sang ne me rattachent-ils pas à ton être ?
En chaque point, un bonheur capricieux ne nous rappella-t-il pas nos folles amours ?
Chaque coin, pour nous, n'est-il pas un souvenir qui plane sur nos instants de bonheur ou
sur les jours de guerre ?
C'est là que m'arrogant le titre de Prophète
J'ai écrit mon Iliade, et que «Mutanabbi» (2) lui-même a cru en moi et cru à mon poème !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAÏR

Doutes-tu de l'espoir de contempler Allah
Alors que tu omets d'adorer son visage
que figure El-Djazaïr !
Interroge la mer, le bateau ivre d'amour, lui dont les rames battent comme le cœur d'un
poète,
Interroge Kouba dont le phare trahit la présence des houris (3)
Interroge les roses qui transportent ses effluves à Hydra (4),
comme des espérances vierges,
El-Biar, fier de Saint-Raphaël (4), cachant la fuite des jeunes gazelles,
Notre-Dame d'Afrique (4) le couvre de bénédictions et des jeunes filles ravissantes élèvent
leurs prières
Belcourt (4), paraît ravi d'un tel état de choses, et ses yeux au regard si tendre semblent rire
Pendant qu'à la Casbah (4) la veillée se prolonge, la voie lactée demeure ivre et vigilante
Sur la Place des Martyrs (4) s'élèvent les minarets qui guident vers le droit chemin,
Dans chaque quartier s'éveillent les espoirs les plus chers,
et dans chaque foyer le chant d'El-Djazaïr retentit.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAÏR

Interroge l'Atlas, l'unique, à propos du Djurdjura
 qui se dresse reliant fièrement la terre au firmament
 Il semble s'enorgueillir, alors que Tikjda (5) rivalise avec lui; mais il ne renonce pas à sa
 superbe !
 Le visage du ciel s'est imprégné de ses teintes. C'est ainsi que l'azur en est devenu vert.
 Avec humilité, à ses pieds, s'étendent les pentes neigeuses
 mais les sommets les considèrent avec dédain.
 Et voici l'Atlas intemporel qui (6) depuis qu'il existe, a traversé les siècles en engendrant
 des lions.
 L'Aurès, que ses destinées glorieuses ont hissé si haut qu'elles ont brisé les frontières du
 monde.
 O toi que doutes de l'unité de notre Maghrib; toi qui émettes certaines prétentions et
 demeures sceptique.
 Cet Atlas Maghribin n'a-t-il pas uni nos cités par les liens les plus indéfectibles ?
 Ses chaînes ne nous ont-elles pas attachés les uns aux autres si longtemps que notre
 histoire a embrassé les siècles ?
 Oh ! combien de sommets compte ce grand Atlas
 et combien lui importent peu les conférences !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Grimpe vers Yakouren et conquiers les étoiles. Hamane (7), à ce spectacle, a honte de son
 palais, qui bien peu l'aiderait à réaliser son rêve, d'atteindre le Seigneur.
 Si tu étreins fièrement Bédjaïa, alors le mystère de la splendeur pénétrera ton être.
 Invoque aux «Aiguades» le troupeau des gazelles
 alors te répondront, du col de Tichi, les mahas (8) aux grands yeux.
 L'esprit n'a pas cessé d'être ravi par les «sept merveilles» (8 bis)
 A Cirta, vallée de l'amour et du grand air, ainsi qu'à Sidi-M'Sid, tu trouveras la justifica-
 tion de la passion.
 La brise la berce sans cesse comme une mère berce l'enfant qui s'endort
 mais c'est à Djebel Ouahch que mon pays atteint le sommet de la grandeur
 et c'est là que le temps s'est incliné en hommage à sa beauté.
 Car si Dieu eût voulu préfigurer l'Eden, pour tenter les humains, c'est à mon pays qu'il
 l'eût comparé
 Contemplant cette splendeur, l'homme sage a perdu la raison.
 N'eût été la crainte de Dieu, il l'aurait adorée !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Nous te demandons grâce, ô Tlemcen, pays de la culture, demeure de la générosité et de la noblesse.

Dans ton cœur (9) et dans ton langage, (10) la civilisation, ainsi qu'à Fez, coulant à profusion, créa la plus admirable tradition.

En chantant, les cascades altières de l'Ourit apprirent à Ziryab le sens de la musique.

Après que tes cerises eurent tenté les rois, les cœurs amoureux leur sont demeurés fidèles.

N'étaient les «Anassers» de Miliana et d'Aïn N'Sour, tu serais, toi, seule merveille.

O Tlemcen, fiancée du monde, Rêve parmi les Rêves, tu es la consolation de l'amoureux.

Conquis par ta beauté, Abou Médiène (11) a édifié des dômes sur le Temple de la Passion.

Les Romains ont construit en toi une fontaine dont la beauté splendide a enivré le vin ! (12)

Du méchouar de la gloire, Abou Hamou Moussa fit retentir au loin l'appel à la prière, cependant que Ziane immortalisait la grandeur des Arabes.

Humant les senteurs de ton paradis, Ibn Khamis t'a chantée et Yahya Ibn Khaldoun s'est embrasé à ton contact.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Sur terre et dans les cieux, tout glorifie Dieu, par les lèvres de la Chiffa.

On croirait entendre Abraham ou Moïse, psalmodiant les versets des Ecritures.

Et l'on verrait, en ces hauteurs pleines de rêve et de joie, des amoureux causant avec leurs bien aimées.

Blida fait la cour aux roses qui ne peuvent plus contenir le feu de leur passion brûlante.

Médée, languissant les roses, boit la coupe de leur amour.

Pendant que Ksar El Bokhari est secoué par l'émotion et que Djelfa rougit de pudeur.

Comment Damas peut-elle tirer vanité de ses deux oasis, alors que Laghouat (13) la surpasse de loin, en beauté ?

Ses jardins parfumés sont des encensoirs qui exhalent le musc.

Dans la plaine de Tilghamt, la gazelle rivalise en splendeur avec l'éclat du soleil.

Son allure exquise est pleine de délicatesse.

Gardien de l'Enseigne de la Majesté, le Mzab apparaît comme une lettre dans le Livre (14) des divins secrets.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Ah ! sacrée soit ta vallée, terre de mon honneur, ô mon pays natal, source d'inspiration !
Maison paternelle, demeure de ma mère, foyer de mon enfance, doux rêves de mes noces !
Fierté d'El-Djazaïr, c'est en toi qu'est la cime de la noblesse arabe et de celle des Perses ! (15)

C'est là qu'ont abouti les descendants de ceux qui ont construit jadis l'Algérie souveraine.
Le sang d'Ibn Rostom qui coule dans mes veines hurle en moi et réveille la fierté de mon âme.

La pureté de mon lignage a nettoyé mon cœur, la lumière de Dieu a lavé mes souillures !
Sur le plan des aspirations nobles, j'ai fait honneur à mon peuple, et j'ai participé, au nom de l'Algérie, à la grandeur de ma race.

J'ai offert ma vie et dit adieu au repos, (16) chaque fois que l'appel au combat a retenti.
Et lorsque les hommes généreux ont offert leur fortune, j'ai donné le plus bel exemple de générosité.

Chaque fois qu'ils ont construit une œuvre durable, j'ai placé ma fidélité à la base de l'édifice.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Mais pourquoi la pensée évoque-t-elle ces choses,
alors que notre Sahara est la source de leur beauté ?

C'est ici que la Révélation divine atterrit,
ici, à côté des palmiers, entre les dunes. (17)

Pour l'Univers entier, c'est ici le berceau des Prophéties, de la Voie Droite, ici l'aboutissement de la Perfection.

Le Génie, les Miracles, les Sommets de la grandeur, le Trône de la Majesté, c'est ici leur haut lieu.

Le soleil nous dispense la richesse de son rayonnement et la lumière du croissant lunaire nous inspire la pureté morale.

Lorsque nous courons, nous dépassons nos rêves; les bonds de la gazelle nous semblent dérisoires.

L'eau du ruisseau reflète notre horreur du parjure et l'ombre qui se projette nous détourne du chemin de l'erreur.

Le berger, qui garde les moutons, nous enseigne la sincérité et les chameaux si patients, l'endurance.

Et lorsque la terre révéla ses trésors, (18) la science porta notre pays plus haut que l'esprit n'eût osé l'imaginer,

procurant au peuple ce dont il a besoin et épargnant à l'Algérie la honte de mendier.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

O gens ! tel est mon pays, temple de mon amour, rêve de mon être !
 Telle est ma foi profonde, telle est ma religion sincère, conforme à mon appartenance
 ethnique et à ma foi.
 Je t'aime, mon pays, plus fort que ne crois et je m'en vais, partout, chantant ton amour.
 Pour toi, je me suis épris de la beauté, et pour toi mon cantique a retenti dans la profon-
 deur des vallées.
 Car celui qui t'adore aime aussi la beauté; lorsque les injustes lui en font quelque grief, il
 soupire : «c'est mon pays !»
 Pour mon pays, j'ai pressé les étoiles comme des raisins; j'ai rempli ma coupe et composé
 mes chants.
 J'ai lancé mon poème, à travers les champs de bataille, pour répondre à l'appel,
 arrêté le convoi du Temps, un long moment, lui demandant quel fut le sort de Ad et celui
 de Thamoud. (19)
 et quelle fut l'épopée glorieuse depuis Noë,
 si Iram (20) était bien la ville aux mille colonnes ?
 Mais le Temps répondit : je jure que la gloire, c'est vraiment l'Algérie !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Nous voici aujourd'hui célébrant ses mille ans, et rendant à Ziri le Grand, notre hommage (21).
 Seybouse, (22) en crue, coule majestueusement, saluant Ziri, le roi majestueux.
 O Bologhine ! si Firmus (23) a su protéger Icosium, au point que cette cité connût une
 destinée prodigieuse,
 Et si les Amazigh des Donatus se sont soulevés, rassemblant une armée formidable,
 Ce sont bien eux qui ont conduit le peuple au sacrifice suprême, livrant les batailles et
 affrontant l'ennemi.
 Ils ont soumis la fatalité à leur volonté, édifié le pays, établi l'ordre.
 Dieu bénisse dix années d'indépendance qui rivalisent en gloire avec dix siècles de
 sacrifice. (24)
 Dieu bénisse une telle fidélité !
 Béni soit le mois de juillet en ses deux significations, (25) car l'aurore n'est que fille des
 ténèbres !
 Et que soient exaltés les héroïsmes de cette Algérie, berceau des lions, terre des vaillants !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Cherchell, te souvient-il de Juba (32) et de ceux qui donnèrent à ton trône le nom de Césarée ?
 Te souvient-il de ceux qui te civilisèrent, au point que tu devins de Rome la rivale ?
 Ah ! pourquoi a-t-on dit de Juba : «le second», alors qu'il fut premier dans l'essor des cités ?
 Il a fait de Cherchell l'image de l'Eden, orné de mille fleurs ses splendides jardins. Ne fut-il pas premier à établir la carte représentant, pour nous, la presqu'île arabe ?
 N'a-t-il pas érigé, en l'honneur de la science, une université, la plus ancienne au monde ?
 c'est alors qu'apparut le célèbre Apulée, (33) médecin dont la science reconnut le génie.
 Il composa des fables, vrais chefs-d'œuvre d'esprit, dont l'empreinte fut grande sur le conte Omeyyade.
 Puis Apulée devint le grand juge dans Rome.
 Et c'est à lui que fut soumise chaque affaire.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Tel furent nos ancêtres, depuis l'époque de Jésus. Mohamed ne fut-il pas son frère, par alliance ?
 Puis le jour se leva secouant les ivrognes, dispersant les buveurs et brisant les verres.
 Il reveilla le songe des nuits porteuses d'événements imprévus
 et lança à travers l'espace les chevaux ailés de la gloire.
 L'injustice fut détruite, ses racines furent extirpées. Les haches abattirent l'arbre de tyrannie.
 L'homme fut prévenu de ne plus nuire à son prochain.
 Les chances devinrent égales entre tous; les têtes se relevèrent.
 Eve sortit de la tombe où elle gisait et insuffla une âme nouvelle à l'humanité brisée.
 Car si la religion a combattu le vice, jamais elle n'a eu pour principe de priver l'homme de ses droits.
 Nous n'avons jamais renié nos pères, qu'ils fussent Chrétiens ou Mazdéens.
 Les Amazigh n'étaient-ils pas cousins de l'antique Jorhom (34) ? Aurions-nous oublié les leçons de l'histoire ?
 Bien que la religion ait fait de nous des Arabes par le sang, Mohamed demeure le frère de Jésus par son alliance avec lui.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Nous avons reçu, en offrande, l'arabisme en tant que race et religion et nous sommes satisfaits de ce don.

Si cela doit nous unir et nous rendre solidaires, alors nous en sommes fiers,

Mais si Yarob accepte l'opprobre et revêt le manteau de l'ignominie, nous reprouvons ce fait.

Nous disons alors ! «Kosseila avait raison et la kahina est plus avisée que nous».

Soyez les bienvenus, vous nos cousins, qui êtes venus dans notre Algérie, en conquérants.

Bravo à Okba qui, sur notre terre, a éclairé les intelligences et répandu la foi.

Lui qui a élevé les minarets à Kairouan et construit les forteresses (35) pour sa défense, établi des étapes (35) à chaque défilé, à tel point que l'univers a été émerveillé par sa stratégie.

Les noirs ont échangé leur or contre le sel du Fezzan (35) qui en regorgeait.

Par la suite Jawhar fut tributaire de cette méthode à Okba, le jour où il embarqua... (35)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Ibn Rostom ne pouvait admettre que nous ne soyions souverains et que nous demeurions incapables de nous ériger en état indépendant.

C'est pourquoi, à Tihirt, il hissa pavillon, établit l'ordre et garantit la justice. (36)

Le Conseil des Chourat gouverna le pays selon le droit divin, la justice et le mérite.

Les affaires du pays furent dirigées selon la volonté du peuple et le principe de l'élection de l'imam fut respecté.

Loin de rester esclave des attaches personnelles, il répudia l'esprit de clocher.

Il vainquit Bagdad à l'apogée de sa gloire et cette capitale devint de Tihirt un pâle reflet.

Les flots de la science coulèrent à profusion, nourrissant les esprits et couvrant de noblesse la terre algérienne.

Le printemps fleurit dans ses jardins, échangeant avec Tlémcen roses et jasmin.

Ibn Hammad fut le fruit de son inspiration, comme elle, généreux et génial.

De même Aflah qui a perpétué ses gloires, réussissant aussi bien dans ses écrits que dans ses actes.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Pour savoir qui étaient les Aghlabites, demandez au Zab quel est son voisin immédiat. (37)
Tabna (38) a-t-elle gardé le souvenir de Tamimi et de son «Histoire de Cordoue» ?

A M'Sila (39) nous découvrons la certitude au sujet de ceux qui ont scellé l'unité du Maghrib.

Les Fatimides ont créé la poésie de Ibn Hani, comme le Compositeur crée la musique à l'intention du chanteur.

Le poète a écrit des merveilles, au point qu'il prétendit, comme moi, être prophète. Mais, ni lui ni moi, ne sommes de faux prophètes.

Pourquoi l'a-t-on surnommé «l'Andalous», lui le Maghribin d'origine pure ?

Ah combien notre gloire est convoitée et combien on est injuste envers ce beau pays !

Combien de miracles, que l'on se refuse de reconnaître et dont on ne veut prendre acte existant en Algérie !

Et que de choses risibles, chez nos cousins, comme l'a dit Al Mutanabbi !

Ils ont dit : «L'Orient est le berceau de toutes les Prophéties». Mais tel n'est pas mon avis.

Car même si Dieu avait élu, parmi les fils du Maghrib, un prophète, ils l'auraient récusé !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Dans le mystère sacré de nos jardins éclatants, des visages contemplent la face du seigneur,
et procurent à Mo'izz la force de susciter un Jawhar et de créer le Caire.

C'est de notre terroir que le Nil a acquis la pureté et la sincérité.

Il coule lentement, selon notre orientation, en suivant le cortège de notre munificence inépuisable.

L'Algérie révoltée a enseigné à Ramsès le sens de l'émancipation des peuples. (40)

Si le Nil a commémoré le Millénaire (41) du Caire, que n'a-t-il fêté le dixième anniversaire de notre indépendance !

Il peut soutenir la comparaison avec le fleuve de sang que nos âmes impétueuses ont versé.

Le sacrifice de Cléopâtre n'est-il pas semblable à l'holocauste des djamila dont s'enorgueillit notre révolution ?

Nous sommes des Amazigh fidèles à nos alliances; nous respectons le mérite et l'ascendance commune.

Nous honorons l'Egypte et ses hommes libres, et vénérons tous ceux qui nous soutinrent dans notre combat victorieux.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Bologhine, toi qui as construit la pérennité, nous serons fidèles à ton serment et à ton pacte.
Est-ce toi ou Firmus (42) qui as édifié Alger, sujet d'admiration de l'Occident et de l'Orient?
Tu as érigé cette cité plus haut que les constellations, qui ne furent, elles, que les degrés
de notre ascension.

Tu l'as arrosée du sang de notre cœur et fait surgir son rameau, couvert de feuillage.
A Médéa (43) tu as placé la couronne de la Majesté et tu en as rehaussé le front de Miliana
En ornant l'Algérie de ces deux fleurons, tu as décrété une obligation d'amour envers elle.
Le charme de Médéa a fait succomber bien des rois et combien parmi ceux qui ont rêvé
sa possession échouèrent.

Les Romains et les Musulmans se sont disputé cette cité, alors que Ziane s'est efforcé de
l'emporter.

Ibn Toujin et Ibn Merine ont failli être brûlés par les flammes de Médéa.

Est-elle une ville de l'eau-delà transportée ici-bas par les anges du Seigneur ? qui la voit,
croit en cette légende.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Eclair de la majesté du droit divin, don de la nature.

Ibn Youcef (44) a propagé en toi la vertu mais la beauté a orné tes collines ravissantes.

Le «Nid d'Aigle» (45) est-ce toi ou le Djebel Zaccar ? Le fils de l'aigle t'a-t-il emprunté
ses côtes ?

L'amoureux passionné a-t-il donc fait couler ses larmes aux sources des Anassers ?

La passion a-t-elle eu pitié du fou de Leïla, au point que pour lui rendre la raison elle l'ait
aspergé d'eau d'Aïn Nsour ? (46)

Est-ce l'empereur Pompée qui l'a construite ou Bologhine fut-il ton maître-d'œuvre ? (47)

Nombreux furent ceux qui te convoitèrent, mais pour eux tu ne fus pas une proie facile. (48)

Les Banou Handal (49) ne trouvèrent aucune quiétude en toi, tandis que Ibn Aïcha connut
une fin tragique. (50)

Tes assemblées, comme ton fleuve, firent couler les flots de la science et donnèrent la pri-
maut à Ahmad. (51 et 52)

C'est pourquoi Yacoub lui offrit le domaine d'Aghmat. Certes la générosité est une nature
chez les Banou Merine.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Interroge Ibn Ilinnas (53) à notre sujet et demande à la forteresse des Béni Hammad quelle fut notre gloire.

Ibn Hamdis, (54) le poète immortel, te répondra par les rimes que notre pays lui a inspirées. La poétesse Aïcha (55) te dira comment elle savait être, tantôt tendre, tantôt dure envers les hommes.

Bougie évoquera nos alliances et notre flotte énorme qui partait à la conquête du monde. (56) La princesse Bellara (57) brillait dans le palais, inondant le ciel de sa beauté éclatante. Elle unissait le charme à l'intelligence et grâce à cette conjonction notre union se réalisa. Bougie accrut la fierté de l'Algérie dans le domaine du savoir, édifiant les palais de la félicité.

Lorsque Ibn Sab'ine (58) ouvrit une polémique avec les Chrétiens, il les réduisit au silence. C'est à partir de là que la vieille Europe préféra adopter l'usage de nos chiffres arabes. Abou Madyen et Taâlibi (59) étaient alors deux constructeurs de notre pays.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Nédroma enfanta des hommes immortels et l'Algérie dès lors a relevé le front.

Ibn Ali (60) forgea notre unité et porta haut notre étendard.

Marrakech suivit son nouveau destin et secoua la poussière des siècles.

Le cœur de l'Algérie se mit à battre, pendant que Tunis entraînait en extase.

Les flots d'Andalousje se déversèrent sur notre territoire et nous fûmes heureux d'accueillir les Arabes émigrés. (61)

Ibn Toumert entreprit son combat contre l'erreur. La raison et la religion revinrent entièrement à Dieu.

Il fit composer l'ouvrage de droit (62) qui éclaira le chemin.

Nos contrées regorgèrent de science et l'intelligence connut un admirable essor.

Chérif, (63) le poète, chanta ses poèmes et Youssouf, l'Historien, brilla parmi les hommes illustres.

Quand donc reviendront-ils à la bonne voie, ceux qui doutent de l'unité de notre Maghrib ?

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Tlemcen, quelle que soit la longueur de notre périple, c'est vers toi que nous revenons.
 Yaghmoracen, le brave, après tant d'impatience, a combattu pendant cinquante années difficiles. (64)
 Il a livré aux Banou Hafs une guerre sans merci et ne put se résoudre à reconnaître les Banou Mérine. (65)
 Tlemcen était alors un havre de paix.
 Les affaires du pays y furent réglées dans l'ordre.
 Honneur à son assemblée Nationale (Méchouar) où Ziane tranchait les différends. (66)
 C'est là qu'il dirigeait les pas des Banou Abdel Oued, allant, à la fois graves et légers, vers la conquête de la vie.
 Les cascades de l'Ourit énivraient le monde de leurs chants pendant que les étoiles y pressaient leurs grappes de lumière.
 Yahya Ibn Khaldoun composait son livre qui dévoilait les secrets les plus mystérieux. (67)
 L'horloge laissait apparaître des statuettes de jeunes filles ravissantes qui rendaient Moussa amoureux, au point qu'il ne pouvait les quitter des yeux. (68)
 Est-ce dans les splendeurs de l'Eternité que fut découverte Tlemcen que l'on a enlevée pour ici-bas la placer ?

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Notre grandeur nous attira la convoitise de la croix haineuse et le jaloux nous prit à partie. (69)
 Les Gitanos déferlèrent traitreusement sur Oran tandis que Ziane ne pouvait rassembler les soldats pour la défendre. (70)
 Son appel retentit aux oreilles de Barberousse qui se dressa et fit le serment de vaincre ou de ne plus revenir. (71)
 Kheirddine défendit la religion, en faisant triompher notre flotte sur les mers. (72)
 Les corsaires firent beaucoup de mal, mais le Lion des mers donna une leçon à ces singes.
 Les Amazigh entrèrent en lice, avec la bénédiction des ancêtres.
 Les Turcs nous soutinrent jusqu'au triomphe final et ne portèrent pas atteinte aux anciens pactes d'amitié.
 Nous entreprîmes alors de gouverner le pays avec justice, de faire le bien et de respecter les lois.
 Nous n'étions pas à la remorque des Turcs, bien qu'ils nous aient aidés dans notre entreprise.
 Car nous sommes des hommes qui reconnaissent le bienfait et respectent l'accord scellé avec l'ami fidèle.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Lorsque la France eut faim, nous fûmes généreux, car nous sommes ceux qui dispensent la nourriture.

Elle s'engorgea de notre blé doré; (73) souvent, un bienfait pousse le mauvais homme à l'ingratitude.

La France acheta la conscience des juifs et les juifs à leur tour trahirent la foi jurée.

Bouchenak ne fut qu'un loup et Boukris un chenapan. (74)

Charles, le roi malade, après avoir semé le désordre dans son pays, vit son peuple se dresser, menaçant.

Le chômage avait envahi la France; le roi malade ne pouvait plus dormir.

C'est alors que notre blé lui inspira la conquête de notre pays et qu'il lança chaque grain comme une flèche contre nous.

Il déversa sur nous tous les déchets de sa nation, (75) trahissant ainsi le Christ et trompant la populace.

Car la légende de l'éventail du Dey ne fut qu'un prétexte permettant au brigand de commettre son méfait. (76)

Interrogez l'espion Boutin pour savoir si la bataille de Sidi Ferruch a établi la France en Algérie. (77)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Non, O Français, car notre souveraineté dans cette enceinte, nous l'avons faite avec notre sang.

Nous avons combattu pendant de longues années. Aidés et bénis par les miracles divins. Cent trente ans se sont écoulés, durant lesquels nous avons lutté, sans jamais nous résoudre à la défaite.

Nous sommes montés, escaladant dans notre lutte les marches d'Orient et celles d'Occident, et nos âmes sacrifiées étaient les degrés de notre ascension.

Lorsque Lamoricière a attaqué Ahmad Pacha, nous nous sommes levés à Cirta pour défendre nos foyers. (78)

Nous avons combattu, défendant maison par maison, chaque pouce de terrain, et vengeant notre honneur.

N'était l'abandon de certains êtres sans énergie ni courage, nous aurions saisi le criminel.

A Mascara, nous avons vu exploser l'énergie de la jeunesse et le géant de cette cité a pu atteindre la hauteur des étoiles.

Son poète hachémite a reçu le serment d'allégeance et devint le chef génial. (79)

Il composait sa poésie et aiguisait son épée, le sang coulant de l'une et de l'autre.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

O Abdelkader tu fus capable, mais longue et difficile fut ta lutte.

Tu as levé l'étendard de la guerre sainte, le peuple a répondu à ton appel. Le seigneur t'a parlé et tu fus son auxiliaire.

Tu as organisé une armée, dirigé un pays et tu fus l'émir avisé et influent.

Tu as attisé la foi des indolents, réveillé la conscience des asservis.

fait subir à Marianne les pires défaites et goûter à Bugeaud l'amertume de la souffrance. (80)

Pendant dix huit ans, (81) tu as défié la mort, organisé les expéditions, et construit l'avenir.

Tu réfutais, par ta science, les arguments de ceux qui te contestaient et tu fus un esprit puissant; alors qu'ils se révélèrent des imbéciles. (82)

Combien de fois les malhonnêtes ont essayé de t'induire en erreur, mais tu ne fus ni naïf ni puéril. (83)

Combien de fois ils ont traité avec toi puis violé le pacte alors que tu prévoyais leurs arrières-pensées. (84)

Tu as tracé au peuple le chemin du sacrifice et le jour où tu devins prisonnier, tu n'as point été homme vil. (85)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Ton étendard a été ressaisi par le fils d'El-Djazaïr : Ibn Ziane consentit le sacrifice suprême. (86)

Les Zaâtchas insurgés, se déchainèrent.

A leur aide, chacun accourut.

Ibn Ziane, narguant la stupidité des méchants, mourut en martyr, pour que vive l'Algérie.

L'Algérien ne s'incline jamais devant la furie des ouragans.

Biskra, devant tant de carnages, sera témoin de notre volonté tenace et de la sincérité de notre cri.

Que les palmiers parlent de nous à Okba et que les sables relatent la résistance des lions.

Que Boumaza raconte aux montagnes la lutte de Boubaghla dans les grottes. (87)

Que Sétif garde le souvenir des faits légendaires pour les dire à ses héros et à ceux de Cirta.

La lutte n'a jamais cessé. Jamais ses flammes ne se sont éteintes dans les cités ni dans les villages.

Ils furent les tyrans, mais nous fûmes la mort.

Ils furent les petits moineaux mais nous fûmes les oiseaux de proie.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Puisse notre puissante révolution garder la mémoire des hauts faits accomplis par Lalla Fatima. (88)

Tel un volcan, le Djurdjura explosa, faisant trembler Paris et Alger.

Par le nom de Lalla Khadidja sa mère, elle immortalisa une gloire, sanctifiée à jamais !

Le sang des Aït Irathen coula à flots, tribut payé en hommage à ces résolutions capitales !

O Nsoumar, tu appartiens au village de Takla et tu as surpassé, toi Fatima, toutes les mères qui ont perdu leurs enfants.

Le feu que tu as allumé a fait fondre les neiges et englouti les hordes criminelles de mercenaires, que l'on achète et vend comme des bestiaux.

Tu as fait saigner du nez le général Randon et, malgré sa morgue, tu lui as fait subir l'humiliation de la défaite.

Tu as fait baisser pavillon à maints généraux, déjouant ainsi leurs manœuvres scélérates.

L'Algérie pourra-t-elle jamais oublier sa première héroïne, alors que sa gloire est toujours vivante dans les âmes ?

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Les fils de Sidi Cheikh ont continué le combat, ébranlant la terre et réduisant les montagnes en poussière. (90)

Fidèle au serment, Slimane Hamza a infligé des pertes désastreuses à l'agresseur.

Le Colonel Beauprêtre pourrait-il nous dire comment Hamza transperça par des lances son corps étendu...

Comment, de sa propre main, il extirpa de sa poitrine le souffle de vie, faisant pleurer les femmes endeuillées...

Pendant qu'à Oran le sang coulait à torrents sur les champs de bataille, excitant l'ardeur des guerriers.

Au Sahara Ben Chohra enterrait dans le sable la troupe des envahisseurs. (90)

L'Armée de Bouchoucha, dans le Sud, en combattant jusqu'à la mort,

faisait sauter les positions ennemies.

Puis s'éleva la voix d'El Haddad, dont l'écho se repercuta à travers le pays, appelant à la lutte immédiate.

Et parmi les Mokrani, dans les montagnes, il y avait des oiseaux de proie, amoureux de la guerre. (90)

Lorsque Boumezrag dit : «C'est l'heure du Djihad» il fit, par ses prouesses, des actions incroyables.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Fils de Mokrani, lions de la guerre, vous êtes la source de la générosité, du bien et de la vertu.
 En attaquant l'ennemi, vous avez ouvert le chemin de la gloire et tracé, par les armes, la voie de la grandeur.
 Lorsque El Haddad a jeté son bâton sur la place du marché, il a proclamé le djihad par monts et par vaux. (91)
 «Je jetterai les Français à la mer comme ici j'ai jeté mon bâton et je transpercerai leur corps avec des flèches». (92)
 Salut à ce vieillard de quatre vingts ans qui incarne à Seddouk l'idéal de la lutte et de sacrifice. (93)
 Salut à ce prisonnier octogénaire dont les chaînes n'ont point entamé l'ardeur.
 Salut à Malek dont le volcan est entré en éruption à Cherchell, déversant l'espérance sur tout le pays. (94)
 Salut aux Béni Mnacer ! salut au Cheikh vénérable de la zaouia de Oudris. (95)
 Dont l'appel a été repris par Bouamama, multipliant les chances de succès, (96)
 Alors que le Hoggar s'énorgueillit de son Amoud défendant l'honneur de la patrie violée. (97)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAÏR

El-Djazair, chef d'œuvre de la création divine, le Seigneur majestueux l'a façonnée avec une argile pétrie dans la lutte.
 Cette terre fait courir ses amoureux et ne leur accorde guère les douces faveurs de la possession.
 La révolte n'a jamais cessé dans les plaines.
 Le feu de la guerre ne s'est jamais éteint dans les montagnes.
 L'Aurès a-t-il jamais baissé la tête et l'ouragan des sables s'est-il jamais soumis à l'envahisseur ? Le Djurdjura s'est-il jamais incliné ?
 La torture a-t-elle jamais brisé l'élan de son peuple ? (98)
 Badaoui n'a-t-il pas décidé du sort de l'Algérie en faisant sa proclamation sur la «Place des Martyrs» ? (99)
 De même à Cherchell, l'appel à l'insurrection a retenti, malgré le peu d'espoir.
 Au nom de la conscience morale, l'Emir Khaled (100) se mit à poursuivre un rêve chimérique... courant derrière les promesses, à Versailles, et demandant à Wilson d'admettre l'impossible.
 Les tentives de l'Emir Khaled, qu'elles quelles fussent, sont de celles que l'on met au crédit des hommes de valeur.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAÏR

Si le tumulte des armes éclatantes s'est apaisé, si le bruit des lances s'est tu,
 La lutte ne s'en est pas moins poursuivie dans le domaine de la polémique, grâce
 aux contingents de «l'Etoile Nord Africaine»...
 qui, en France, ont combattu la France et prédit à ses dirigeants la catastrophe qui
 les menaçait.
 Les militants nationalistes étaient comme des amoureux passionnés d'héroïsme et d'espé-
 rance.
 Les cris révoltés de la conscience bénissaient leur action et les souvenirs de la lutte ins-
 piraient leur conduite.
 Les poltrons disaient, «ce sont des gens vulgaires, des fous à la poursuite de chimères».
 Mais les gens valeureux disaient : «ce sont des purs, des hommes courageux, grands parmi
 les grands».
 Et les Français de proclamer : «triste lendemain si nous n'écrasons pas ces individus par
 la torture !».
 Les alliés de notre parti crièrent : «Nous détruirons l'opprobre de l'occupation ! ».
 Mais le poète, dont ils ont immortalisé l'hymne a crié ! «Que mon âme et ma fortune servent
 de rançon à l'Algérie !». (101)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

L'association des Ulémas veillait sur la nation, nourrissant les intelligences avec les prin-
 cipes spirituels,
 guidant les âmes vers le droit chemin et y semant les germes de fierté.
 Elle a mené le combat côte à côte avec l'Etoile Nord Africaine, et rempli notre univers de
 lumière.
 Bachir Ibrahimi secondait Ibn Badis, entouré d'un nombreux aréopage d'hommes purs et
 sincères,
 menant la lutte contre l'erreur chez ceux qui, trompés par l'imagination, faisaient partie de
 la troupe des simples d'esprit.
 On planta les racines de l'authenticité dans l'âme de notre peuple et l'on effaça les traces
 de l'infâmie apportée par les intrus.
 On édifia des écoles à travers tout le territoire; Ibn Badis veillait à cette édification.
 Le tyran colonialiste prit peur, car la lumière aveugle les chauves-souris,
 le renard craint l'ombre du lion et la voix de la sincérité fait mal à l'hypocrite.
 C'est ainsi que les Ulémas ont tracé la route à travers les montagnes en s'inspirant de
 l'idéal céleste et en payant le tribut du sang.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Dieu récompense les malheurs car la commémoration du (Centenaire de l'Algérie) (102) par la France fut un bien pour nous.

Pouvons-nous oublier, en dépit de tout, nos blessures alors qu'elles saignent encore ?

Certes, il nous ont humiliés un instant en célébrant leur «centenaire» mais la (Fête d'El-Djazaïr) durera jusqu'à la fin des siècles.

Ils ont dansé sur les lambeaux de notre chair, festoyé sur les dos d'un peuple meurtri.

Mais nous, à notre tour, nous avons dansé au son des balles et confié notre secret au destin.

Ils ont dissout (l'Etoile Nord Africaine) (103) : le Parti du Peuple Algérien a continué la lutte,

composé de conscience fidèles au serment, d'hommes qui ne sont ni à vendre ni à acheter...

Si Violette a pu tromper certains, et induire en erreur les faibles d'esprit... (104)

Le P.P.A. a prévenu contre les «congrès» (105) d'aucuns qui prenaient le mirage du désert pour un fleuve abondant.

Le «Parti du Peuple Algérien» a défendu les principes nationaux : le peuple Algérien est bien placé pour le savoir.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire

En déclamant des vers ainsi qu'une prière

dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Lorsque le parti du Manifeste se réveilla de ses illusions, il confia la conduite des affaires aux hommes sincères. (106)

Il fut débarrassé alors du doute qui planait sur ses origines et les mains se tendirent vers lui.

L'intégration française inspira l'intégration de ces deux partis jumeaux (107) qui visaient le même but.

Ben Badis donna sa bénédiction à l'union et ce fut une période de confiance..

Puis vint le mois de juillet avec Ahmed Messali (108) qui, au stade municipal, lança l'appel comme un muezzin le ferait pour la prière.

Son cri avait revêtu un caractère nouveau qui foudroya les parias et les poltrons.

La France eut recours à ses idoles, s'efforçant par l'intrigue de gagner le pari.

Elle fit assassiner Kahoul (109), en rejetant le sang de ce crime sur El Okbi, homme d'une grande influence.

Si au sujet d'El Okbi la suite des événements nous a déçus, si Messali a prêté l'oreille au chant des sirènes,

Notre histoire ne pourra guère méconnaître le mérite; certes, la vie ici-bas est une épreuve pour les humains.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire

En déclamant des vers ainsi qu'une prière

dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

La diversité d'opinion a scindé un même parti qui est, malgré tout, demeuré uni quant à ses buts. (110)

L'amour du pouvoir n'a pas su freiner les ambitions mais il a créé une nouvelle forme de division.

Les mandats électoraux ont exercé une tentation sur les esprits faibles, pareils en cela à la géhenne insatiable.

La politique a obnubilé l'intelligence du leader, sombrant dans la stupidité...

A telle enseigne que l'on croirait que des esprits maléfiques ont envahi les dirigeants, tels un ouragan.

Or les démons ont-ils la faculté de raisonner ? Le (Triomphe) (111) ne consiste pas à participer aux élections ni à frapper du point sur la table.

Il ne consiste pas à faire des inscriptions sur les murs. L'encre est-elle utile dans la guerre ?

Il ne consiste pas à crier «Vive» ou «Bravo» car les paroles n'ont jamais libéré un peuple asservi.

Il ne consiste pas à envoyer des délégations car les oreilles de la France étaient bouchées par la rouille de l'erreur.

Seul le sang est capable de laver l'infamie,
et que vive le fer tranchant le fer !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Nous n'avons guère oublié l'année 45, ni les victimes des carnages qui eurent lieu en ce jour de malheur. (112)

Induits en erreur, nous avons partagé la joie des alliés et nous mîmes à applaudir, fort mal à propos,

Ils se retournèrent contre nous, les traîtres, et donnèrent ainsi une belle leçon à nos dirigeants.

Le génocide de Sétif et celui de Guelma sonnèrent le réveil du peuple.

Lestrade Carbonnel (113), en secouant un peuple indolent, fit renaître à la vie une conscience endormie.

Achiary (114) nous apprit à prendre le chemin du maquis. La couleur du sang leva toutes les équivoques.

Nous poursuivions, par nos écrits, un mirage de perdition;
c'est pourquoi aucun résultat ne fut atteint.

Nos partis militaient avec des chimères, tantôt à haute voix, tantôt en messes basses.

Le bruit des balles interrompit les discours et fit parler des bouches qui n'étaient pas muettes.

Nous nous attelâmes à aplanir la route de l'émancipation, pour nous débarrasser de toutes les souillures.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

La guerre des palabres dura longtemps mais le peuple n'en tira aucun profit.
 Ceux qui connurent le feu y crurent, de même ceux qui découvrirent «l'organisation secrète». (115)
 Salut à l'année 1949 car c'est l'année du sevrage, le signe avant-coureur de la guerre de délivrance, bien que sous des flots de paroles vulgaires l'on ait passé le fait sous silence.
 Que la mémoire de Laïmèche (117) soit honorée à jamais et que celle de Kahal (118) soit saluée parmi celles des pionniers et des hommes valeureux.
 Qu'un souffle embaumé salue Rabah Moussaoui (119) et Gharrafa (120), le nationaliste intrépide.
 Salut à Asla (121) qui, après avoir été pleuré par Taleb (122), l'a rejoint dans la mort, à l'issue d'une maladie terrible.
 Voici «Douar» (122) souhaitant la bienvenue aux martyrs, à ceux qui ont été fidèles au serment.
 Tels sont les révolutionnaires qui ont engendré le 1^{er} Novembre avec leur propre sang, et ce fut la victoire.
 Ceci dit, jamais une Révolution ne tombe du Ciel, comme le Messie, que sur lui soit le salut.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton me,
 EL-DJAZAIR

Dieu, en cette nuit du Destin, se révéla jetant le manteau de l'oubli sur mille mois !
 Le peuple lui dit : «Nous sommes à tes ordres, Seigneur ! » et Dieu répondit : «Ton affaire est la mienne ! »
 Et la loi du Talion s'imposa à la France sénile, pour ses parjures et ses méfaits.
 Les balles firent entendre leur voix déchirante, la plume dédaigna les fables de l'écriture.
 Lorsque les paroles ne sont pas flamme et braise, les canons méprisent le langage.
 De même lorsque les caractères ne sont pas lettres rouges les bombes refusent d'imprimer les textes.
 Et lorsque les épées publient les pages il faut que celles-ci soient des arrêts !
 Car... que lorsqu'il s'agit de mes hymnes !
 O Novembre ! tu as changé le cours de l'existence !
 O Novembre, tu as été le lever du jour.
 Tu nous as fait revivre la bataille de «Badr», en Algérie, et nous sommes dressés pour égaliser les compagnons du Prophète !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Que grande, pour nous, est ta majesté. O Novembre !

N'es-tu pas la source de notre absolu !

Nous avons navigué sur les flots de notre sang et conduit le navire vers la victoire.

Nous nous sommes révoltés, faisant jaillir le feu et la lumière et façonnant des insurgés avec les lambeaux de notre chair.

Nous avons inspiré les objectifs de notre révolution, et celle-ci à son tour inspira le monde.

Notre (front) se moquait des malheurs ! nous raillons l'injustice et les tyrans !

Bientôt, la politique, bon gré malgré, baissa pavillon devant le peuple qui, lui, releva la tête !

Nous avons rassemblé, pour le Parti de la Délivrance, les débris épars pour conduire l'ensemble sur la voie lumineuse.

N'était le coude-à-coude de l'union, nous serions apparus comme de tristes individus !

Ah ! si la Palestine pouvait suivre notre exemple ! et faire ainsi l'économie de plusieurs années de guerre !

Ah ! si elle daignait se préoccuper de Jérusalem et non des sièges et mandats qui la font balancer de « droite » et de « gauche ». (123)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Notre appel est arrivé ! C'était un cri auquel nous avons répondu.

Nous nous sommes retrouvés dans le sein de notre union et c'est ainsi que nous nous sommes émancipés.

Les adversaires nous ont proposé d'ouvrir des pourparlers au sujet de nos problèmes, de notre souveraineté... mais nous avons refusé.

Ils dirent : « Nous allons organiser une consultation par oui ou par non !

C'était un piège. Nous nous sommes opposés. (124)

O France, tu as oublié l'inoubliable : n'avons nous pas déjà voté le 1^{er} Novembre ?

Les balles nous ont ouvert le scrutin. Elles ont rougi nos bulletins.

Et nous avons voté. Nous avons dit, et l'Univers a dit avec nous : « Attention ! » « Courage ! ».

Et nous sommes demeurés inébranlables.

Nous avons rejeté les demi-mesures et évité les pièges du « Dominion ». (125)

Et lorsque De Gaulle fit avancer ses pions, notre Roc (126) les terrassa et nous fûmes victorieux.

Il eut peur des « barricades » qui protégeaient alors les ultras et faisaient pleurer la France.

Mais nous, nous avons bien ri ! (127)

De Gaulle après avoir réfléchi sur leur sottise et sur notre sincérité a dit : « Je vous ai compris ». (128)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Nous avons imposé notre volonté inexorable et attisé notre feu brûlant !
 Avec les balles, avec la réflexion et l'argument sans faille, nous avons façonné notre destin.
 La parole de Dieu, qui était à l'origine du conflit, se réalisa.
 Dans le mystère des nuits, apparut bientôt la délivrance dont les oriflammes brillants frémissaient au vent.
 L'hymne d'Al-Djazaïr retentit, envahissant la terre et criant : «Je jure par le sang» (129) le chant du drapeau fit entendre ses accents profonds et les hommes se prosternèrent. (130)
 L'armée chantait : «Voici notre sang si cher versé abondamment pour toi» (131)
 Nos étudiants, nos ouvriers, nos paysans, tous chantaient ! (132)
 La fille d'Al-Djazaïr entonnait l'hymne des adolescentes, pendant que la terre entière écoutait dans le silence de l'adoration (134)
 Puis, nous nous relevâmes pour édifier le pays et construire notre souveraineté renaissante.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

El-Djazaïr, notre très chère a dit : «Telle est la sincérité ! »
 Par elle j'ai réalisé mes vœux !
 Par le sang de mes enfants, les lambeaux de leur chair, j'ai donné mon offrande au Dieu de la Victoire.
 Sous la bannière ressuscitée de Khalid Ibn Al-Walid (135), sous celle de Saâd Ibn Waqqas, J'ai enrôlé mes preux !
 J'ai su renouveler les exploits de «Hittin» (136) et immortaliser, de nouveau, «Antioche». (137)
 Oh combien est sublime le sacrifice de millions d'hommes, reposant dans la verdure d'El-Alia, après que leurs âmes eurent rejoint fièrement le paradis d'Allah !
 Sur chaque parcelle de terre, nous avons inscrit un drame dont les scènes sont faites de notre substance et de notre sang !
 Les rôles sont récités par Oujda à qui font écho Bizerte et Sakiet Sidi Youcef (137 bis) !
 Oh Maghrib, toi qui as été uni dans le sacrifice du sang, toi qui as proclamé ton unanimité au milieu des ouragans dévastateurs !
 Toi que l'Atlas a béni le long des siècles, en forgeant notre Unité, puissent les autres te laisser, toi le rassembleur, faire et imposer la suite de notre destin !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,
 EL-DJAZAIR

Certains perdirent l'esprit; certes la passion du pouvoir est comme une tempête que déchaînent les démons.

Le monde des ambitions révèle bien des mystères, et incite les ambitieux à commettre bien des erreurs.

Des hommes s'empressèrent de panser les blessures, mais d'autres tournèrent casaque.

Puis l'on tourna la page des fautes stupides, comme on ferme un livre.

Ne me demandez donc pas de vous en déchiffrer les secrets.

Laissez à la postérité le soin de le faire, car le temps sera beaucoup plus éloquent que moi. Lorsque Juin nous apporta ses nouvelles, nous en fûmes réjouis comme l'ondée réjouit les êtres !

Nous nous mîmes à organiser l'économie du pays et à élever les usines.

Nous procurâmes à la classe laborieuse le pain de la dignité, gagné par la science et la technique.

Notre fellah arrosa sa terre, non d'espairs futiles, mais d'efforts et de sang.

Et nous façonnâmes avec notre dure réalité, notre propre idéologie, en repoussant tout paternalisme.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

J'ai bu la foi jusqu'à la dernière gorgée, puis je me suis prosterné devant la Majesté du Seigneur.

Car sans la fidélité à notre Islam, jamais le peuple ne serait devenu maître de son destin.

Sans la droiture de notre caractère, jamais le combat du peuple n'aurait eu cette sincérité !

Sans cette alliance entre Dieu et le Peuple, jamais le Seigneur n'aurait exaucé son vœu !

Telle est la religion : elle inonde notre âme de lumière et de certitude absolue et y établit le sens de justice.

Lorsque le peuple viole le serment de Dieu et trahit la Foi, attends-toi à le voir disparaître.

Si nous avons remporté la victoire de la délivrance, aujourd'hui notre bataille est celle de l'Authenticité. (138)

Nous avons engagé le combat de l'élévation du niveau algérien, en éduquant les âmes et en luttant contre l'ignorance.

Notre peuple forgera une nation juste, d'où la perdition sera bannie.

Si le peuple gagne «la guerre pour l'esprit», nous célébrerons sa victoire au nom de l'esprit.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Notre nature est bonne et généreuse. Elle n'a que mépris pour les âmes viles et corrompues. Notre virilité refuse ce qui est bas et dédaigne les valets de la vulgarité ainsi que les «cheveux longs».

Ce siècle est devenu efféminé, les «hippies» se sont partout répandus, semant le vice. Après avoir égorgé la vertu, Adam rivalise avec Eve dans le maniérisme et la mignardise. Les pantalons, tantôt courts tantôt longs, traînent partout, tels des paons exhibant leur plumage.

Sans certains signes, on ne pourrait plus distinguer le beau de la belle.

La déviation s'est propagée, ainsi que le hashiche, offrant de puissants moyens à la débauche.

Partout la puanteur blesse notre odorat, sans que nous puissions l'éviter.

El-Djazair étant la terre des hommes énergiques, où donc sont passées la bravoure et la virilité ?

Qui néglige les valeurs sacrées de notre pays et ne rejette pas ces déchets humains est un traître envers sa génération.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme

EL-DJAZAIR

Les foyers de notre rayonnement sont élevés et consolident notre foi pure.

Partout, dans chaque vallée, les temples de la bonne voie éclairent la route, devant les générations de notre peuple.

Cirta, dont est originaire Ibn Badis, se dresse illuminée, tandis qu'à Oran nous trouvons la source idéale de notre inspiration.

La Mosquée Ketchaoua recouverte, reste le symbole de nos aspirations.

Au bord du Nil, Al Azhar l'invoque et toutes deux se réclament de nos ancêtres communs.

Oh de Bourmont ! (139) la rancune de la Croix était-elle si vive ?

Grégoire (140) est-il arrivé à briser notre fermeté ?

Louis Philippe (141) a-t-il pu ébranler notre résolution et les évêques sont-ils parvenus à nous abaisser ?

Napoléon (142) et tous ceux qu'ils a décorés de ses mains, ont-ils eu raison de notre tenacité ?

Lavignerie, (143) malgré des années d'efforts, a-t-il réussi à détourner nos enfants de leur foi ?

Mais voici que malgré tant de congrès eucharistiques, Ketchaoua, languissant nos âmes, a fini par nous revenir. (144)

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

A Fez, l'écho a retenti profondément; partant de «Qaraouïne» (145) il a envahi l'espace.
Il a échangé le salut avec la «Zitouna» bénie qui a répondu à cet appel.

Voici le grand Maghrib, tenant du Prophète les messages de la bonne voie.

L'unité de notre Maghrib aujourd'hui n'est qu'un pas vers l'unité de l'Islam, demain.

En unissant une partie du monde, nous unissons le tout, car la conclusion d'un langage ne saurait contredire ses prémisses.

Peut être notre Maghrib constituera-t-il un exemple parfait que d'autres suivront.

Nous tendrons la main à tous les Arabes s'ils s'engagent dans la bonne voie pour ce qui les concerne.

Nous nous dresserons alors pour que nos âmes leur servent de rachat, car nous sommes ceux qui savent se sacrifier totalement, et qui ont lavé le déshonneur avec le feu, en défiant la mort par la mort...

Et en abolissant les slogans, pour les remplacer par des actes, méritant ainsi puissance et suprématie,

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Dieu ! protège-nous d'un danger imminent ! Seigneur préserve-nous des engins de la démolition !

Les «théoriciens» ont envahi l'esprit de la jeunesse avec des doctrines importées, stupides et délétères.

Ils les ont conduits dans une voie qui exclut leur Islam et n'est point sûre.

Ils ont introduit le virus du «Communisme» comme un poison servi dans la nourriture.

Ils ont dit : «Le progrès est la loi de la vie. Le rêve ne fait pas avancer le dormeur».

Ils ont dit aussi : «Le retour à la religion est une régression. La vie est pour les hommes debout».

La jeunesse perdit son chemin, trompée par cette vipère à la peau lisse et bariolée !

Elle se pressa derrière ces guides de la bassesse, qui la dévièrent des principes éternels et immuables.

Certains professeurs répandirent parmi les jeunes des idées qui ne sont que séquelles d'un colonialisme cruel !

On dit que ce sont de savants «docteurs». Malheur aux savants esclaves de l'erreur !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Cette jeunesse est devenue dissolue et mièvre ! Elle a ruiné sa vertu et s'est liquéfiée !
 Malheur à l'Algérie et aux Musulmans si nos jeunes salissent leur âme !
 Comment un être sot, qui a perdu sa conscience et qui s'est perdu lui-même, peut-il diriger le pays ?
 Qui peut être sûr de l'avenir du pays, si le peuple en confie l'héritage à des veaux ?
 Comment pourraient-ils améliorer la nation alors qu'ils ne peuvent s'améliorer eux-mêmes.
 Comment cette jeunesse pourrait-elle préserver son authenticité, alors qu'elle l'a livrée et vendue ?
 Comment parviendrait-elle à éclairer sa propre route, alors que l'impureté a détruit en elle tout rayonnement ?
 Comment le malade peut-il guérir un homme sain, alors que la phtisie dévore ses poumons.
 De quelle manière peut-il dominer l'existence alors qu'il n'est maître ni de son cœur ni de son langage ? (146)
 C'est là le danger dont le courant irrésistible nous menace de toute part. Si vous ne prenez garde, alors tout est perdu !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Il y a des êtres débauchés qui se sont perdus et qui sont les adversaires notoires des bonnes mœurs.
 Ils prétendent que le progrès consiste à devenir impudent, dévergondé, à commettre des péchés.
 A avoir les cheveux longs, à porter des bijoux et des colliers, comme les filles.
 Ils sont fiers de boire du vin alors qu'au fond du verre tous les malheurs s'accumulent.
 Ils dansent avec la frénésie de l'oiseau que l'on égorge et ne pensent pas au temps qui passe... ni à la mort.
 Ils affirment : «Le progrès c'est cette poésie décadente d'où l'authenticité s'est envolée comme des éclats» !
 Une poésie dans le rythme est comme la conscience des sionistes, basée sur des intentions perfides.
 Aujourd'hui, à l'instar de cette génération, la poésie a perdu sa virilité. La miévrerie y fait fondre les cellules du corps.
 Si on a «sionnisé» notre caractère : ils nous laisse le soin de rester des sujets.
 Pourquoi le colonialiste éprouverait-il de la tristesse après notre émancipation, alors qu'entre ses mains il détient, prisonnière, notre force morale ?

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
 En déclamant des vers ainsi qu'une prière
 dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAKAIR

Edificateurs d'El-Djazaïr, prenez soin de la jeunesse. Ne faites pas confiance aux loups qui la menacent.

Ne négligez pas l'état de nos étudiants. Car leur esprit est plongé dans la désolation.

Que de ravages la falsification a causés dans leur esprit !

Que de destructions elle a opérées dans leur personnalité !

Que de jeunes, dont le sentiment islamique était perverti, ont été détournés de la bonne voie !

Leur pensée est devenue «rouge», (147) hétérodoxe, et leur foi douteuse.

Les inépties de Cohn Bendit ont cours chez eux et sèment le trouble chez les plus naïfs.

Et lorsque retentissent les sirènes de Marx, ils s'empressent de prendre un corbeau comme guide. (148)

Quel malheur pour les jeunes que ces maîtres ineptes qui méconnaissent le livre.

Quel malheur que ces mercenaires, cerveaux à gages, esprits inconséquents.

Parmi nous il y a encore des «yeux» qui observent pour le compte de nos colonialistes, bien que ceux-ci nous aient abandonné le territoire.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

D'aucuns parmi les orientalistes ont aimé la grandeur, d'autres ont propagé l'erreur.

Ceux qui ont été justes à notre égard, qui ont dit la vérité et qui sont venus de loin à notre Séminaire. (149)

Ceux qui n'ont pas cherché à diminuer la valeur de nos gloires, ceux-là seront pour nous des guides et des exemples.

Notre peuple rendra hommage à leur esprit d'équité et la science reconnaîtra leur vertu.

Mais ceux qui cachent la vérité sous un voile tissé de rancunes profondes, ceux qui agissent à l'ombre de la Croix.

Ceux qui furent les agents de nos anciens colonisateurs, et qui sont les produits engendrés par nos nuits de malheur, ceux-là seront conviés par nous à une controverse impartiale, car nous ne craignons pas la controverse.

S'ils sont objectifs envers la science et la vérité nous leur dirons : «Parfait ! l'homme est celui qui respecte l'homme».

Mais si la haine obnubile leur esprit nous les rejetterons, en interrompant le débat.

Avec le sang nous écrivons notre histoire, mais avec la justice nous atteignons la Perfection.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

Le prosélytisme s'écrasa devant la profondeur de la foi islamique. Les «bons offices» ne servirent à rien.

Le poison enrobé de miel, la munificence cachant les intentions criminelles...

Les visites à domicile (alors que derrière les portes notre moral était solide)...

Les soins dispensés au malade (alors que l'on cherche à détruire sa foi et sa langue)...

La lecture de l'Evangile, (en ce cas, de nul effet)...

Tout cela n'a servi à rien.

Que ces expériences pour nous détourner de la foi, pendant un siècle et demi, suffisent à démontrer la stupidité du prosélytisme.

Notre foi, comme notre gloire, atteint un haut niveau. Nous avons toujours vu très loin en ce domaine.

Que celui qui s'en va répandre la bonne parole ailleurs, commence par convertir ses propres enfants; car ils sont devenus des singes pourchassés.

Le «hipisme» les mène à la mort, promptement.

Ne serait-il pas plus logique que nous venions, nous, avec notre Islam et nos principes conformes à la raison, faire parmi vous des prosélytes ?

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

D'aucuns ont épousé des étrangères. Ils disent : «Mon épouse est cultivée, citadine.

Elle danse avec moi, avec celui-ci, avec celui-là; elle est espiègle, mais sans malice. Coquette, elle porte des mini-jupes qui montrent bien ses séductions cachées.

Elle me laisse seul - et je ne lui en veux pas - pour aller assister à des «surprise-party».

Elle découche : n'est-ce pas, ainsi, le progrès ?

Quand elle enfante, de qui est l'enfant ? peu importe, puisqu'il appartient au genre humain. (150)

Le matin, je l'appelle «Salah» mais le soir il répond au nom de «Maurice».

Quand il fait une bêtise, elle lui crie «Bicot» et je pense immédiatement que «Bicot» vient de «Bey». (150 bis)

Elle appelle le domestique «mon Arabe» et c'est là que j'éprouve de l'amour pour l'arabisme et la langue arabe.

Sur son cou j'égorge mon amour-propre; elle devient alors «moi» et je deviens «elle».

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,

EL-DJAZAIR

C'est une pomme qui a fait sortir du Paradis, Adam, maudit par le Ciel.
Mais Eve avala la pomme et troqua le musulman contre l'infidèle.
Son mâle, elle ne voulut point le choisir parmi sa race. Elle s'éprit donc de celui qui «ne jette rien lorsqu'il jette».
Malheur à une jeune femme qui dénature une génération et qui voit son propre sang la maudire.
Malheur à celle qui provoque la colère de Jésus et fait pleurer Marie, accoudée au tronc du palmier. (151)
Malheur à cette société léthargique où les individus ressemblent à des figurines !
La conscience y est morte et enterrée.
L'innocent protège le criminel.
Viens-donc, ô France, reviens tranquillement, tes enfants remplissent le pays.
Demain, en poussant des cris de joie, ils te souhaiteront bienvenue sur notre terre, après tout ce qui s'est passé...
Et vous, dirigeants du peuple, si un tel état de choses dure encore, apprêtez-vous à porter le deuil de votre nation !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Oh ! Séminaire de notre pensée Islamique.
Manifestation de notre Foi Sacrée !
Source lumineuse de notre Inspiration !
Citadelle d'où rayonne notre Authenticité !
Témoignage de la mission glorieuse dont est chargée l'Algérie envers le monde.
Preuve de la fidélité de notre pays envers notre Coran, le long des siècles !
Soyez les bienvenus, ô vous nos visiteurs, soyez honorés sur la terre de nos ancêtres !
Des millions de héros, hôtes du Paradis, sont présents parmi vous, leurs âmes vous entourent.
Elles invoquent en vous la pureté de votre conscience, et l'esprit de justice qui vous anime à l'égard de notre Islam...
Et vous invitent à renouveler l'étude impartiale de son histoire à l'intention de nos générations futures.
Car l'Algérie est le pays de la clarté. Et telle est la pureté de nos intentions.

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Mon pays ! mon pays ! toi dont j'implore grâce
Comment chanter ta gloire avec de pauvres mots ?
Ta majesté sublime défie le langage
et la magie de l'éloquence me trahit !
Les hommes t'ont aimé, et les tyrans aussi
N'épargnant rien en toi, pas même la durée.
Tu as ravis l'esprit de tous tes conquérants
qui, séduits par l'Orient, vinrent trainer leurs sceptres,
sur la terre qu'ils ne voulurent plus quitter,
Le jour où les peuples relevèrent la tête
refusant de plier devant l'indignité !
Un tremblement saisit alors l'immensité.
La lune et le soleil maudirent l'agresseur.
Le peuple le défia, partout résolument,
et le fit culbuter, lors de l'affrontement.
La page de l'Afrique apparut toute blanche
et ton lâche agresseur dut se voiler la face !
Ton âme illuminée atteignit le sublime
Inondant de tendresse et de beauté, l'espace...
Pour toi ma prière et mon plus pur salut
Mon pays, mon pays, toi dont j'implore grâce !

Nous avons occupé la scène de l'Histoire
En déclamant des vers ainsi qu'une prière
dont les invocations jaillissent de ton âme,
EL-DJAZAIR

Ici s'arrête l'Iliade provisoirement, elle se
poursuivra et atteindra avant la fin de l'année
son millième vers.

Moufdi ZAKARIA.

NOTES EXPLICATIVES

- N° 1 A propos de la sorcellerie, le Coran, parlant des Juifs qui s'adonnaient à ces pratiques dit : «Ils suivaient ce que les démons inspiraient au pouvoir de Salomon. Mais les démons furent infidèles. Ils apprenaient la sorcellerie aux gens et leur enseignaient ce qui à Babel avait été inspiré aux deux anges Harout et Marout ; ceux-ci n'édifiaient personne avant de le prévenir : «Nous sommes seulement une tentation, lui disaient-ils, ne sois pas impie». (Coran, 102).
- N° 2 Mutanabbi, un des plus grands poètes arabes, vécut il y a dix siècles à la cour de Séïf Eddaula, à Alep ; pendant sa jeunesse, il prétendit être «Prophète». C'est pour quoi Abou Tayyeb fut surnommé «Mutanabbi» et non «Nabi», (prétendant être prophète et non prophète)
- N° 3 Les belles que Dieu promet aux Croyants dans l'autre monde.
- N° 4 Quartiers connus d'Alger et de la banlieue.
- N° 5 Col qui donne sur l'autre versant du Djurdjura.
- N° 6 En arabe «Azali» signifie éternel, sans commencement ni fin dans le temps.
- N° 7 Hamane est le ministre de Pharaon à qui celui-ci a dit : «Oh ! Hamane, érige-moi un palais pour que j'atteigne le Dieu de "Moïse"». (Coran)
- N° 8 Antilopes. Image courante chez les poètes arabes qui comparent souvent les beaux yeux de leurs bien-aimées à ceux des antilopes (mhâya en arabe dialectal).
- N° 8 bis Sur la route de Bougie à Djidjelli, la grotte des 7 merveilles est célèbre par sa beauté sauvage.
- N° 9 - 10 Mot à mot dans «les deux plus petits organes». Le proverbe arabe dit : «L'homme ne vaut que par ses deux plus petits organes : le cœur et la langue.
- N° 11 Grand poète mystique, saint patron de Tlemcen.
- N° 12 «Aïn-Arroumi».
- N° 12 bis Yahia Ibn Khaldoun, frère de l'historien illustre, et Ibn Khamis sont deux grands poètes tlemcenien.
- N° 13 Laghouat signifie «Oasis» «Jardins». Singulier : «ghaouta». Comparaison avec la Ghaouta de Damas.
- N° 14 Laouh Al Mahfoud est le «livre où Dieu a inscrit tous les secrets du Destin et de la Création.
- N° 15 Abderahmane ibn Rostom qui était d'origine persane, fonda, à Tihert (Tiaret) la dynastie des Rostomides. Ceux-ci durent la fuir, vaincus par les Obaidites, pour créer le Mzab dont l'Etat s'étendit jusqu'à Wineba, au Ghana, qui émigrèrent au Sahara où ils créèrent le Mzab.
- N° 16 Le poète a passé de nombreuses années de sa jeunesse dans les prisons colonialistes.
- N° 17 Le cri d'Adam dans le Coran «O mon Dieu, tu m'as fait habiter, avec ma descendance, dans cette vallée aride».

-
- N° 18 Les richesses en hydrocarbures.
- N° 19 Thamoud et Ad, deux célèbres et prestigieuses tribus arabes disparues, citées dans le Coran en exemples de la précarité des choses de ce monde.
- N° 20 «Iram, la ville aux colonnes «Iram dhât al imad» dont parle le Coran est citée en exemple par Dieu lorsqu'il nous parle des cités antiques anéanties par Lui, à cause de leur injustice et de leur immoralité.
- N° 21 Bologhine, fils de Ziri, fils de Menad, construisit Alger en 392 de l'Hégire.
- N° 22 Seybouse est le nom antique de «Annaba», construite par Ziri Ibn Menad. Le fleuve «Seybouse» porte le même nom que l'antique Annaba.
- N° 23 Firmus fils de Nabal, roi des Amazighs, souleva le Djurdjura et l'Aurès puis toute la Numidie. Les Amazigh-donatistes le reconnurent comme chef de tout le Maghreb. Les officiers romains eux-mêmes le rejoignirent. Il conquiert «Icosium» qui deviendra plus tard «Al-Djazair» et en fit la capitale du pays. Après avoir envahi Cherchell et affronté avec succès les légions de Théodose, le meilleur général romain, il fut trahi par son propre frère Gildon. Plus tard, celui-ci se soulèvera à son tour contre la domination romaine et faillit l'ébranler.
- N° 24 Le poète veut dire que le combat pour l'indépendance n'a pas cessé pendant dix siècles. Nous retrouverons cette idée développée tout au long du poème.
- N° 25 L'Algérie a été envahie en Juillet 1830, elle a proclamé son indépendance en Juillet 1962.
- N° 26 Massinissa, roi des Amazighs (massyles), fils de Gaïa, naquit en 238 avant Jésus Christ, pendant les guerres puniques. Un autre roi Amazigh, Syphax, était alors l'allié de Rome. Massinissa lutta contre ces deux ennemis. Lorsqu'il remporta la victoire de Zama contre les Carthaginois, les Romains souhaitèrent que Massinissa devint leur vassal, chose qu'il refusa. Il fonda un vaste royaume qui connut un essor considérable, surtout dans le domaine agricole. Son épouse Sophonisbe, femme de haute culture, l'aida à organiser cet état qu'il dirigea pendant une cinquantaine d'années. La puissance et la prospérité de cet Etat suscitèrent la jalousie de Rome.
- N° 27 Jugurtha, né en 145 avant Jésus Christ fut un des plus grands rois parmi les Amazighs. Profitant adroitement de la guerre qui sévissait entre Romains et Carthaginois, il fonda un Etat Amazigh, basé sur des règles démocratiques. Cette république, dont les fondements étaient authentiquement numides, eut pour capitale Cirta (Cirta), aujourd'hui Constantine. Son territoire embrassait l'Ifrikia à l'Est, où sa base était Thala et le Kef.
- N° 28 Sophonisbe, reine de Numidie, fut d'abord l'épouse de Syphax puis celle de Massinissa. Après la victoire de Scipion, elle préféra se donner la mort, plutôt que de figurer à Rome, dans le défilé en l'honneur de l'ennemi victorieux. Cette femme d'une haute intelligence était très instruite. Elle contribua, certainement, aux côtés de Massinissa, à faire de la Numidie un Etat prospère.
- N° 29 Tacfarinas, Chef Amazigh, s'est soulevé contre le pouvoir de Rome. Son insurrection, qui a embrassé toute l'Afrique du Nord, jusqu'au Sahara, a duré plus de huit ans.
- N° 30 Faraxen, chef d'une nouvelle insurrection Amazigh qui fit trembler le pouvoir romain jusqu'en 262.

- N° 31 Saint Augustin, né à Thagaste (Souk Aharas) en 354. Evêque d'Hippone (395), il fit triompher la foi contre les hérésies. Auteur de la «Cité de Dieu» et des «Confessions» il fut un des plus grands écrivains de langue latine.
- N° 32 Juba monta sur le trône de Césarée, l'antique Iol, actuelle Cherchell, et dirigea le royaume de Mauritanie Césarienne, située entre Cirta et la Mauritanie Tingitane. Politique avisé, savant d'une haute culture, général victorieux, urbaniste de valeur, il voulut faire de sa capitale l'égale de Rome, en la décorant de nombreux monuments, théâtres et temples. Il y créa une université où l'on enseigna les sciences, les lettres, les beaux-arts sous la direction de savants, de sculpteurs, d'architectes et de chorégraphes qu'il fit venir de Grèce. Auteur d'une encyclopédie générale de toutes les connaissances humaines, il fut le premier à établir une carte géographique de la presqu'île arabe.
- N° 33 Apuléius, née vers 125 à Madaure, étudia la rhétorique et les sciences. Auteur des «Florides» (où l'on trouve les histoires les plus variées) et des «Métamorphoses» histoire d'un homme transformé en âne qui reprend ensuite sa forme première. Ce fut un grand rhéteur et un grand médecin dont la célébrité fut immense à Rome même.
- N° 34 Jorhom est une tribu arabe très ancienne, comme Ad et Thamud. Elle fait partie des «Arabes disparus» «Arab Baida».
- N° 35 Okba dans sa marche vers le Maghreb a soigneusement évité d'une part la mer (où croisait la flotte Byzantine) et la montagne, dont l'accès est difficile. Il a donc établi des étapes le long de la côte. Cette tactique a été suivie par le maréchal Montgomery et par les Allemands lors de la deuxième guerre mondiale. En échangeant le sel du Fezzan contre l'or de l'Afrique noire, il a pu financer cette expédition.
- N° 36 Les Rostomides ont apporté à Tiaret le (Amin Nameh) iranien qui englobe aussi bien le statut gouvernemental que l'étiquette, l'organisation militaire et prétorienne (sifahi) etc... Le gouvernement lui-même était contrôlé par les «Chorât», ceux qui ont «vendu» (chara) leur âme à Dieu. Chara signifie aussi bien vendre qu'acheter.
- N° 37 Le voisin immédiat c'est Mahdia, en Tunisie.
- N° 38 Tabna est une des villes construites par les Aghlabites. Ibn El Hussein At-tamimi, né à Tabna, fut un grand écrivain qui se fixa à Cordoue sous le règne d'Al Mansour, l'omeyyade. Il devint le poète et l'historiographe du royaume. Il fut surnommé «l'Historien de Cordoue». Il y mourut en 394 (1004 de l'ère Chrétienne).
- N° 39 M'sila fut la capitale de Moïzz ibn Badis Al Sanhadji. C'est là que monta l'étoile d'Ibn Hani, le poète algérien surnommé «le Mutanabbi maghribin».
- N° 40 Les Pharaons avaient réduit les peuples en esclaves. Ce n'est qu'après la fondation du Caire que l'Egypte brisa ses chaînes.
- N° 41 L'Egypte en est redevable à l'Algérie, directement.
- N° 42 En réalité c'est Bologhine qui fonda Alger et non Badis.
- N° 43 On dit que Médéa ou Mehdiya signifie l'ancienne. La légende dit que cette ville aurait été construite ailleurs, puis transportée par les anges à son emplacement actuel.

-
- N° 44 Sidi-Ahmed ben Youcef, saint patron de Miliana.
- N° 45 Le «Nid d'Aigle» est le surnom de Miliana, comme l'a écrit Mr. Belhamici dans la revue «Al Aqala». Zaccar est la montagne qui domine Miliana.
- N° 46 Le voyageur Abdari compare l'eau de Miliana à des larmes (tant elle est limpide) et ses cailloux à des parcelles d'or. «Si, dit-il on en aspergeait un homme qui a perdu ses facultés il les retrouverait aussitôt».
- N° 47 Les historiens sont d'accord pour dire que Miliana est une ville romaine, fondée depuis une époque immémoriale, sur les vestiges d'une ancienne cité grecque. Le grand général romain Pompée y serait enterré, aux côtés de son neveu, d'après certaines inscriptions.
- N° 48 Les Almohades, les Banou Ghania, les Ziyantes, les Sanhadjites, les Merénides, les Banou Handal, les Almoravides et les Halcides se sont longtemps disputé la possession de Miliana.
- N° 49 Les gens de Miliana seraient originaires des Banou Handal qui se sont ensuite installés à Warlenines.
- N° 50 Badr Ibn Aïcha était le gouverneur de Miliana, nommé par Ali Ibn Ishaq, compagnon de Abou Youcef Jacob. Mais les gens de Miliana, hostiles à Ibn Aïcha, le combattirent et le firent prisonnier. A la suite de son évasion, ils le tuèrent.
- N° 51 - 52 Abou Abbas Ahmed Ibn Ali fut une gloire de Miliana. Savant, juriste, grand poète, il fut honoré par le Sultan Jacob le Merénide qui lui fit don de la province d'Aghmât au Maroc.
- N° 53 Ibn Ilinas fut un roi hammadite célèbre et puissant qui encouragea les sciences et protégea les savants.
- N° 54 Ibn Hamdis, poète de Bougie, glorifia le règne d'Ibn Ilinas et célébra les louanges des Banu Hammâd.
- N° 55 Aïcha Al Ammaria fut une poétesse célèbre, pendant le règne des Hammadites. Elle excella dans le genre lyrique et dans la poésie satyrique, tels des vers où elle décrit un chauve venu la demander en mariage.
- N° 56 A cette époque l'Algérie disposait d'une flotte puissante. Elle était liée par des accords commerciaux avec la plupart des pays d'Europe.
- N° 57 Fille du poète Tamim Ibn Moïzz Ibn Badis. Elle possédait le palais «Bellara» à Qala'a des Beni Hammad décrit merveilleusement par Ibn Hamdis. En se mariant, Bellara qui était très belle et savait s'occuper des affaires de l'Etat, réussit à unir les deux dynasties (Hammadites de Bougie et Zirides de Mahdia) qui formèrent une espèce de confédération.
- N° 58 Ibn Sib'in, dans sa polémique avec les Chrétiens, réussit à les vaincre.
- N° 59 Abou Madyen et Taalibi, enterrés l'un à Tlemcen, l'autre à Alger, sont natifs de Bougie.
- N° 60 En 524 de l'Hégire, Abdel Moumen ibn Ali fonda la dynastie des Almohades après avoir détruit celle des Almoravides au Maroc. Il poussa vers l'Est, conquiert les deux Maghribs (moyen et oriental), et unifia ainsi tout le Maghrib (Algérie, Tunisie et Maroc) sous la direction de Mahdi Ibn Toumert. Il fixa définitivement les tribus hilaliennes que les Etats précédents n'avaient pas réussi à intégrer.

- N° 61 Les pays du Maghrib reçurent un nombre considérable d'Andalous émigrés qui y trouvèrent un refuge inviolable, étant donné l'ordre qui régnait en Afrique du Nord.
- N° 62 «Aazz mâ youtlab» «Le but suprême» ouvrage de droit composé par Mahdi ibn Toumert.
- N° 63 Chérif ibn Imara composa des muwachah (poèmes en forme de strophes que l'on chante). Youcef ibn Ibrahim, originaire de Ouargla fut un juriste de grande valeur.
- N° 64 En 733 de l'Hégire, Yaghmoracen proclama le pouvoir Zianite et se détacha des Almohades dont le pouvoir déclinait à Marrakech. Pendant cinquante ans, il organisa sans relâche l'état des Banou Ziane.
- N° 65 Après avoir lutté contre les Haicides à l'Est et les Mérinides à l'Ouest, les Banou Ziane purent ériger une dynastie puissante.
- N° 66 Le Méchouar ou «Dar Ech Choura» (Palais du Conseil). Ses vestiges sont encore visibles à Tlemcen.
- N° 67 Ouvrage de Yahya ibn Kaldoun «Le but des chercheurs au sujet des Benou Abdel Wâd».
- N° 68 Ibn Al Fahham a inventé une espèce d'«horloge parlante», à l'intention du roi Abou Hamou Moussa. A chaque heure, l'horloge s'entrouvrait, laissant apparaître des figurines représentant des jeunes filles ravissantes qui déclamaient des poèmes annonçant l'heure de la journée ou de la nuit.
- N° 69 Il s'agit du Cardinal Ximènes de Cisneros qui dirigea les attaques criminelles des Espagnols contre Oran et Mers El-Kebir. Les Portugais et les Français participèrent à ces «croisades» ignobles.
- N° 70 Les «Gitanos» bohémiens espagnols. Ce mot a donné en arabe dialectal algérien (Guezzana) (gitane, diseuse de bonne aventure).
- N° 71 Les Espagnols et les Portugais furent les premiers à instituer la «course» en Méditerranée. Leurs corsaires vinrent piller les régions côtières du Maghreb et s'attaquer aux Andalous qui osaient quitter l'Espagne pour se réfugier en Afrique du Nord. Tels étaient les ancêtres des futurs fondateurs de l'O.A.S. !
- N° 72 Le salut vint de deux frères : Barberousse et Kheirddine qui aidèrent les Musulmans d'Espagne à traverser la mer pour venir s'installer en pays musulmans. Ces deux héros agirent par idéal de solidarité islamique. C'étaient des volontaires de la foi qui réveillèrent les sentiments patriotiques des Algériens. Lorsque l'Algérie remporta la victoire contre ses agresseurs de tous bords, elle sut gré aux Turcs de l'avoir aidée à conserver son intégrité et son indépendance. Les Turcs gouvernèrent sous la direction d'un «divan» composé des notabilités algériennes (diwane). Il y a encore à Alger une «rue du Divan».
- N° 73 L'affaire de la dette que les Français ont contractée pour acheter notre blé est trop connue pour être commentée.
- N° 74 Le Trésor Français s'était associé avec des intermédiaires (comme les deux juifs Bouchenack ou Bacri) pour financer cette opération qui devait sauver la France de la famine.

-
- N° 75 Dans un discours prononcé le 2 Mars 1830 Charles X, roi des Français a proclamé : « Cette expédition que j'ai décidé de faire pour l'honneur de la France profitera, par la grâce de Dieu, à la Chrétienté entière ».
- N° 76 Histoire connue.
- N° 77 L'espion Français, le commandant du génie Boutin, par ordre de Napoléon, fit en Juillet 1808 des levées et des études sur place dont le corps expéditionnaire tira grand parti en 1830.
- N° 78 Après l'invasion, la résistance prit deux aspects : l'un officiel et politique, l'autre populaire. Le premier aspect fut illustré par le Bey de Constantine, Ahmed Bey autour duquel se groupèrent les Algériens et ce qui subsistait des Turcs. Notons que Ahmed Bey était parent d'El Mokrani qui se révolta à son tour en 1871. Lamoricière conquiert Constantine en 1838. Le combat cessa officiellement, mais le feu de la résistance populaire couvait sous la cendre, après que la ville eut lutté avec acharnement, obligeant l'ennemi à un combat de rues resté célèbre dans les annales de l'héroïsme. Le siège dura 7 ans.
- N° 79 La résistance populaire se cristallisa en 1832 lorsque les notables et chefs de tribus se réunirent à la mosquée de Mascara et reconnurent comme émir un jeune homme de 24 ans, réputé pour sa sagesse, sa bravoure et son intelligence : Abdelkader fils de Mahieddine El Hachimi. On lui demanda de chasser l'ennemi et de créer un état musulman algérien indépendant, basé sur l'ordre et la justice. En plus de ses qualités de chef, l'émir Abdelkader était un poète qui exaltait les sentiments nobles et chevaleresques. Son épouse « Omm El Banine » était pour lui une source d'inspiration.
- N° 80 Les batailles de l'Emir contre Bugeaud sont connues. (Voir Touhfat Az-za'ir) (L'offrande au visiteur) qui est une biographie de l'Emir.
- N° 81 La lutte de l'Emir a duré 18 ans (1830 à 1848).
- N° 82 La polémique entre l'Emir et les généraux Français, Bugeaud notamment, se trouve amplement relatée dans l'ouvrage (Touhfat Az-za'ir).
- N° 83 Parmi les procédés les plus vils utilisés alors par la France, il faut mentionner la corruption, moyen remis en honneur et perfectionné par le ministre des Affaires Etrangères Talleyrand, prince de Bénévent et roi du bakchich. Les Français ont offert maintes fois des sommes extraordinaires pour « acheter » l'émir qui a répondu par le plus grand mépris.
- N° 84 La France a traité à plusieurs reprises avec l'émir, chaque fois qu'elle se sentait en danger, quitte à renier sa parole dès qu'elle le pouvait. L'émir savait à quoi s'en tenir au sujet de ces « traités » mais il les signait uniquement pour se donner du repit et la possibilité d'organiser ses troupes.
- N° 85 Le traité final signé par Abdelkader était un « acte d'honneur » qui ne l'a pas empêché d'aider ceux qui continuaient à résister, tels son fils Mahieddine et autres combattants. Dans tous les pays où il a séjourné ensuite, Abdelkader a rempli pleinement son devoir, en tant qu'homme et en tant que musulman.
- N° 86 L'insurrection violente déclenchée dans l'oasis Zaatchas (près de Biskra) était conduite par un pur martyr, Abderrahmane Ibn Ziane. Le « Revue des deux mondes » a donné la relation suivante de ces événements :

Le chef de la tribu, Abderrahmane Ibn Ziane avait conclu avec le commandement des troupes françaises un accord selon lequel elles s'abstiendraient de l'attaquer, en échange de quoi il promettait de leur fournir tout ce dont elles avaient besoin en matière de ravitaillement. C'était, de sa part, une ruse audacieuse qui lui permettait de mieux préparer son offensive. Mais un capitaine Français, ayant flairé le subterfuge, se résolut à provoquer Ibn Ziane, en posant la question suivante : « Existe-t-il un Algérien assez fort pour ne pas se prosterner à mes pieds ? ». Il lui fut répondu : « Oui, c'est Abderrahmane Ibn Ziane, le chef de Zaatchas ». Il le manda, mais le Cheikh refusa de venir le voir. Il lui envoya alors des troupes qu'il décima, puis d'autres qui furent également anéanties et un troisième contingent qui disparut à son tour.

La guerre dura plusieurs années. Les Arabes résistèrent à chaque pouce de terrain, à chaque palmier. On dit qu'un million de palmiers furent détruits et qu'un million de combattants périrent. Puis les Français arrivèrent aux murailles du bordj où ils furent contenus pendant un mois, mourant tous les jours, sans pouvoir franchir l'enceinte. Ils réussirent néanmoins à ouvrir une brèche, et à pénétrer dans la ville où la résistance acharnée des assiégés qui luttèrent au corps à corps, maison par maison, ne cessa que lorsqu'ils détruisirent la porte de la maison où le Cheikh, qui jusqu'alors combattait avec ses hommes, s'était retiré pour prier, pendant que ses enfants tombaient les uns après les autres, les armes à la main. L'officier Français pénétra dans la salle et demanda : « Existe-t-il un Algérien qui ne se prosterna pas devant moi ? ». Abderrahmane lui répondit : « Moi ! Abderrahmane Ibn Ziane ». Le Français lui dit alors : « Si tu te soumetts, tu seras traité convenablement ». Le Cheikh lui cria : « Je suis un Moudjahid dans la voie de Dieu... Je préfère mourir en combattant plutôt que de vivre en traître envers ma patrie ». Le capitaine lui trancha la tête et la présenta à ses soldats il leur dit : « Il y a longtemps que vous n'avez pas joué à la balle, en voici une qui est de taille, amusez-vous ! ». Puis il fit entrer les soldats qui violèrent les femmes. Les hommes se défendirent jusqu'à la dernière goutte de sang. Leurs têtes furent tranchées et jetées à la soldatesque.

C'est alors que l'un des martyrs prononça une phrase prophétique : « Un jour, cria-t-il, nos petits enfants vous chasseront de notre pays ». Ce chahid a dit vrai. Après 104 ans d'occupation, ils furent chassés !

- N° 87 L'insurrection de Bou Maaza et celle de Bou Baghla eurent lieu dans la partie orientale du pays. Les principales batailles se déroulèrent dans les environs de Sétif et de Constantine.
- N° 88 Lalla Fatima Nsoumar était la fille de Sidi-Mohammed Ben Aïssa, le Cheikh des Rahmania. Sa mère était Lalla Khidja, dont le nom a été donné au plus haut sommet du Djurdjura. Le mari de Lalla Fatima s'appelait Sidi Hadj Omar, du village de Takla, des Aït Iraten. Elle dirigea l'insurrection aux côtés de son mari, puis seule; elle tua le bachagha si Djoudi, allié de la France.
 A la tête des moudjahidine, elle résista à l'armée française de 1856 à 1857, face à six généraux : Gastu, Renault, Yusuf, Mac-Mahon, Maissiat et Deliguy, tous placés sous le commandement du maréchal Randon, Chef suprême des opérations et gouverneur général de l'Algérie. Celui-ci disposait de 45.000 soldats bien armés et pourvus d'un équipement moderne, pendant que Lalla Fatima ne disposait que de 7.000 moudjahidine.
 Les opérations de guerre se déroulèrent à travers tout le massif du Djurdjura jusqu'au sommet de Lalla Khidja. Mais la bataille décisive eut lieu à Icherriden, le 24 Juin 1857. Lalla Fatima fut faite prisonnière au village de Takla, le 11 Juillet 1857, en même temps que ses partisans, les Khouans de la confrérie Rahmania.
- N° 89 Jeu de mots : thakla signifie en arabe la femme qui a perdu son fils ou sa fille, pluriel : Thavakil.
 Cette allitération s'appelle, en rhétorique arabe, « jinas ».
- N° 90 Les Ouled Sidi Cheikh se sont révoltés en 1864 sous la conduite du bachagha Slimane ben Hamza ben Boubeker. Ils infligèrent aux troupes françaises des défaites retentissantes au

cours desquelles la totalité des envahisseurs, y compris leur chef, le colonel Beauprêtre, a été anéantie. Le Cheikh Slimane Ben Hamza a péri ensuite en combattant, après avoir tué de ses propres mains ce colonel.

L'ennemi avait recruté des «goumiers» c'est-à-dire des algériens mercenaires qui, pendant la bataille, abandonnèrent leurs maîtres et rallièrent le camp des moudjahidine.

Au Sud de Laghouat, à la même époque, Bouchoucha déclencha une insurrection terrible : son exemple fut suivi, au Sahara également, par Benchohra. Au nord du pays, Boumezrag et Mokrani se livraient à des préparatifs sérieux. C'est alors que le Cheikh Aziz Ben Cheikh El Haddad, adressa des appels pressants à toutes les régions, exhortant les Algériens au combat et leur démontrant la nécessité de saisir l'occasion favorable, la France ayant atteint son plus bas niveau de faiblesse (fin de l'année 1870).

Le 8 Janvier 1871 Mokrani se rendit secrètement à Seddouk où il conféra avec le Cheikh El Haddad, de la nécessité de proclamer le Djihad. Au cours de la même année la famille des Mokrani se rassembla à Médjana. Après avoir prévenu l'autorité française à Alger, et offert sa démission du poste de bachagha, Mokrani, soucieux de respecter les règles du djihad en Islam, qui prescrivent de ne pas agir en traître, proclama l'ouverture des hostilités pour le lendemain. Le 15 Janvier il lança l'attaque contre Bordj-Bouarerdj et l'occupa. De là, les flammes de l'insurrection embrasèrent le pays.

- N° 91 Le 8 Avril 1871 Cheikh El Haddad proclama la guerre. Il avait plus de quatre vingt ans. Ce jour-là, sur la place du marché de Seddouk, il jeta son bâton sur la place du marché, après la prière du Vendredi, en présence d'une affluence nombreuse et cria : «Nous jetterons les Français à la mer, comme moi, aujourd'hui, j'ai jeté ce bâton».
- N° 92 Après de nombreux combats d'une rare violence, le Cheikh El Haddad, fut fait prisonnier. On le fit promener, enchaîné dans un cercueil à travers Bougie.
- N° 93 Le 5 Mai 1871 le Bachagha Mokrani est mort sur le champ d'honneur à Souffilète, près de Bouira.
- N° 94 Malek El Berkani, neveu de Aïssa, un des préfets de l'émir Abdelkader, entra en dissidence le 13 Mai 1871 à Souk-El-Had, dans les montagnes de Beni Mnacer près de Cherchell, selon la méthode suivie auparavant par le Cheikh El Haddad.
- N° 95 Pendant ce temps là, le Cheikh Sadkaoui, de la Zaouïa de Oudris, combattait contre l'ennemi.
- N° 96 Les Ouled Sidi-Cheikh continuaient la lutte qu'ils avaient entreprise dans le sud Oranais depuis 1860. Cette guerre atteignit sa plus grande intensité en 1881, année où les guerriers de Bouamama arrivèrent jusqu'à Médéa et jusqu'aux alentours d'Alger.
- N° 97 Lorsque les actions guerrières des Ouled Sidi-Cheikh et celles du Touat et d'Aïn Salah s'arrêtèrent en 1900, le Hoggar déclencha à son tour une insurrection qui, sous la conduite du Amoud (chef des Touareg) ne cessa qu'en 1912. Amoud signifie en langue Amazigh «le pilier».
- N° 98 L'Aurès et le Djurdjura ne furent jamais soumis à l'envahisseur durant toute la période de résistance.
- N° 99 Vers la même époque, un patriote Algérien, Mohamed Badaoui, a proclamé sur la Place du Gouvernement, actuelle Place des Martyrs, l'indépendance du pays. Avec un groupe de nationalistes, il organisa la résistance sur toute la côte ouest d'Alger jusqu'aux environs de Cherchell. Cette tentative échoua et Badaoui fut condamné à sept ans de travaux forcés.

- N° 100 L'émir Khaled, petit fils de l'émir Abdelkader, revendiquait l'égalité des droits avec les Français, l'abrogation des lois d'exception, (code de l'indigénat) et la représentation parlementaire. Dès la fin de la première guerre mondiale, il forma une délégation qui alla à Versailles où le président Wilson essayait de faire valoir les principes qu'il avait défendus, durant les hostilités, entre autres celui de la liberté des peuples à disposer d'eux-mêmes. Mais en vain...
- N° 101 Le premier hymne nationaliste «Fidaoul Djazaïri rouhi oua mali» dont l'auteur est Mouïdi Zakaria. Ce chant demeura le cri de ralliement de tous les patriotes jusqu'au jour où fut composé l'hymne officiel «Qassaman» écrit par le même auteur.
- N° 102 Le «Centenaire» de l'Algérie célébré en 1930 pour rappeler une triste date, 1830, et la conquête de notre pays.
- N° 103 Après dissolution de l'Etoile Nord Africaine, le P.P.A. reprit le flambeau de la résistance.
- N° 104 Le projet «Blum-Violette» octroyant quelques maigres franchises.
- N° 105 «Le Congrès Musulman» de 1936.
- N° 106 Ferhat Abbas, ayant cessé de se poser des questions, reconnut la vérité. Ce n'est pas là un de ses moindres mérites.
- N° 107 L'idée d'intégration à la France, prêchée par les partisans de l'assimilation, fit naître l'idée d'intégrer les deux partis (le Manifeste et le P.P.A.) après que l'expérience eut prouvé la vanité des théories de l'«Union Française».
- N° 108 Allusion à la surprise extraordinaire que réserva Ahmad Messali aux foules rassemblées dans l'enceinte du stade municipal, lorsqu'il revendiqua l'indépendance de l'Algérie dans son discours prononcé le 17 Juillet 1936.
- N° 109 La police colonialiste ayant fait assassiner le muphti Kahoul, accusa de ce meurtre le Cheikh Tayeb El Okbi, grand tribun de l'«Association des Ulémas».
- N° 110 Allusion à la scission intervenue dans le sein du P.P.A.
- N° 111 Le Mouvement pour le Triomphe des Libertés Démocratiques (MTLD).
- N° 112 Le génocide de 1945 à Guelma, Sétif, Kherrata, El Aïn El Kebira (ex Perrigoville etc...
- N° 113 Préfet de Constantine, un des responsables du meurtre de 45.000 Algériens en Mai 1945.
- N° 114 Sous-Préfet de Guelma, autre responsable de ce carnage.
- N° 115 L'organisation secrète (O.S.), créée en 1949, fut découverte par l'ennemi à Tebessa.
- N° 117 Ali Laïmèche, un des premiers militants nationalistes, fut parmi les fondateurs de l'Etoile Nord Africaine.
- N° 118 Kehhal Arezki fut l'un des militants les plus fougueux de l'Etoile Nord-Africaine.

-
- N° 119 Rabah Moussaoui, autre fondateur de l'Etoile Nord-Africaine.
- N° 120 Le Martyr Guerrafa Brahim, un des tout premiers militants de la cause nationaliste à laquelle il sacrifia tout son être.
- N° 121 Hocine Asla : militant intrépide et infatigable du P.P.A.
- N° 122 Mohammed Taleb, une des gloires de la jeunesse P.P.A. et M.T.L.D.
Douar Mohammed, héros du P.P.A. et du M.T.L.D. Elu par le peuple, il fut assassiné par les colonialistes. Cette liste est loin d'être exhaustive. Les militants nationalistes, aussi bien les morts que les vivants, sont trop nombreux pour que l'on puisse les mentionner tous, ici Comme dit Dieu dans le Coran : «Certains d'entre eux ont goûté la mort, d'autres attendent leur tour. Mais ils n'ont changé en aucune façon».
- N° 123 Allusion aux tendances contradictoires dites de «gauche» et de «droite» qui divisent la résistance Palestinienne.
- N° 124 Allusion aux fameuses «élections libres» de Guy Mollet.
- N° 125 L'autonomie interne assortie d'une dépendance avec la France.
- N° 126 Dans le jeu d'échec, la Tour se dit Rokh en arabe, ou «Roc» en français (Roc venant de l'arabe Rokh).
- N° 127 Les ultras d'Alger avaient dressé des barricades et s'étaient soulevés contre Paris, sous la conduite de Lagailarde (avec la complicité de l'armée colonialiste)...
- N° 128 La conférence d'Evian, prélude à l'indépendance.
- N° 129 «Qassaman» qui est devenu l'hymne national algérien.
- N° 130 Publié dans le «Feu sacré» recueil de poésie de Moufdi Zakaria.
- N° 131 Hymne de l'armée, en arabe parlé (publié dans le même recueil).
- N° 132 «Nahnou Toullabou l'Djazair» l'hymne des étudiants.
- N° 133 «Nahnou oummal al ittihad oua l'amal» chant des ouvriers.
- N° 134 «Ana bint Al Djazair» l'hymne de la jeune algérienne. Tous ces poèmes et chants, composés pour la plupart en prison à Barberousse, figurent dans le «Feu sacré» «Allahab Al Moukaddas» de Moufdi Zakaria.
- N° 135 Khalid Ibn Al Walid et Saad Ibn Waqqas, deux grands généraux des premiers temps de l'Islam. Le premier remporta de nombreuses victoires en Syrie et en Iraq, le second vainquit les Perses.
- N° 136 Hittine est le nom d'une grande bataille qui eut lieu en 1187 (de l'ère Chrétienne) près du lac de Tibériade, en Palestine. Cette victoire de l'armée musulmane, sous la conduite de Salah Eddine El Ayyoubi (Saladin) brisa l'élan des Croisés et ouvrit à l'Islam les portes de Jérusalem.

- N° 137 Ville de Turquie d'Asie mineure, (Antakia en arabe) fut construite par les Grecs de l'antiquité, conquise par les musulmans, sous Omar Ibn Al Khattab, en 636. Les croisés la prirent en 1098 pour y installer un des quatre états chrétiens qu'ils créèrent pendant la 1ère croisade. Les Turcs les délogèrent en 1571 et la conservèrent.
- N° 137 bis Sakiet Sidi Youcef, Bizerte et Oudja, furent le théâtre d'événements sanglants où nos frères tunisiens et marocains eurent plusieurs milliers de morts, parce que l'armée colonialiste entendait appliquer «le droit de suite» c'est-à-dire la faculté de poursuivre les moudjahidine Algériens lorsque ceux-ci se trouvaient au Maroc et en Tunisie, pourtant souverains. Notre poète veut dire que le sang des martyrs tunisiens et marocains, mêlé à celui des martyrs algériens, a scellé l'unité de notre Maghrib.
- N° 138 Il s'agit de recouvrer notre âme originelle (assâla) «authenticité». Ce mot est plus précis que «Thaouafa» «culture».
- N° 139 La France a décidé de transformer la mosquée «Ketchaoua» en église cathédrale, le 5 Juillet 1830, le jour même de la conquête d'Alger. Le maréchal de Bourmont, en décorant les édifices d'Alger avec des drapeaux français, choisit Ketchaoua pour la faire surmonter d'une grande croix, parce que cette mosquée était l'édifice le plus élevé de la capitale.
- N° 140 Le Pape Grégoire bénit lui-même cette action.
- N° 141 Louis Philippe nomma les prêtres et fit paraître un édit royal pour doter la nouvelle cathédrale de tout ce qui lui était nécessaire.
- N° 142 Napoléon III visita deux fois Ketchaoua et apporta le plus grand soin à l'agrandir, en faisant frapper, à cette occasion, une médaille commémorative.
- N° 143 Le cardinal Lavignerie fut un des plus célèbres prélats d'Afrique. Il fit montre d'un grand zèle dans le domaine du prosélytisme. Son action échoua néanmoins car tous les Algériens qu'il arrivait à christianiser dans leur enfance revenaient à l'Islam, une fois qu'ils avaient atteint leur majorité (Voir Gustave Lebon «la civilisation Arabe»).
- N° 144 A l'occasion du «Centenaire de l'Algérie» en 1930 de grandes cérémonies religieuses (congrès eucharistiques) eurent lieu dans l'ex-cathédrale à Alger et à Tunis.
- N° 145 La Zitouna et Qaraouiyine sont les deux foyers de la culture islamique dans le Maghrib.
- N° 146 Mot à mot : les deux plus petits organes : le cœur et la langue (alasgharaïni).
- N° 147 L'auteur dit «quormozi» = rouge foncé. A noter que le mot «cramoisi» vient de là.
- N° 148 Allusion au poète ancien qui dit : «Lorsque les gens acceptent pour guide un corbeau, celui-ci les conduit aux charognes de chiens ! ».
- N° 149 Allusion à une discussion assez animée, qui s'est instaurée lors de ce 6ème séminaire de la Pensée Islamique, et qui avait pour thème l'objectivité des Orientalistes.
- N° 150 Ceci englobe, hélas, un grand nombre de musulmanes algériennes et autres musulmanes appartenant à des pays frères, toutes «évoluées», «civilisées», «progressistes» et «ouvertes» sur le vaste monde.
- N° 150 bis La qualité du Bey (en Egypte) est la «Bekaouya».
- N° 151 Image coranique. Allusion à Marie se réfugiant sous un palmier, prise par les douleurs de l'enfantement.

TRADUCTION DE L'ALLOCUTION DE MONSIEUR Mouloud KASSIM,
Ministre de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses
clôturent le Sixième Séminaire pour la Connaissance de la Pensée Islamique

Monsieur le Grand Imam,
Messieurs les Ministres,
Messieurs les distingués professeurs,
Messieurs,
Frères étudiants, Sœurs étudiantes.

Nous clôturons aujourd'hui ce Sixième Séminaire, après dix huit jours de travail continu, au rythme de trois conférences quotidiennes suivies de débats et de commentaires qui auront eu sensiblement la même durée. Que puis-je ajouter à tout ce qui a été dit sur la question ?

Je serai donc très bref, me contentant d'aborder quelques points précis, en rapport avec le thème de mon propos, même si je suis d'avance convaincu que je n'aurai pas, en fin de compte, accordé tous les soins que j'aurais voulu consacrer à ce sujet.

L'Islam est une religion et un Etat, un système social intégral, valable en tout temps et en tout lieu.

D'aucuns estimeront inutile le rappel de ces évidences qui ne sont plus à démontrer.

D'autres les réfuteront catégoriquement, ajoutant que même si cela a été le cas à un moment donné de l'histoire, cette époque est définitivement révolue !

Néanmoins, les deux thèses sont aussi négatives, aussi stériles et finalement aussi nulles l'une que l'autre !

C'est ainsi qu'en un siècle où le monde se trouve confronté à une lutte intellectuelle, religieuse et, pour employer la terminologie moderne, idéologique, d'une rare violence, nous constatons que les penseurs, ou présumés tels, du monde musulman, se divisent en deux groupes.

Car si certains d'entre eux croient aux évidences déjà énoncées, lesquelles sont matérialisées par une civilisation et une culture parmi les plus authentiques, les plus fécondes, les plus diverses, les plus achevées, les plus profondes, les plus multidimensionnelles, puisqu'elles ont répandu leurs lumières sur la plupart des régions du monde dit civilisé et ont été le point de départ de la renaissance européenne, il s'agit seulement d'une conviction formelle et superficielle. En effet, ils ne les ont pas appliquées dans leur essence, se contentant de quelques unes de leurs apparences, et, dans les meilleurs des cas, d'un minimum de leur contenu.

Ils donnent, ce faisant, une image déformée de l'Islam et se font souvent - sciemment ou naïvement - les instruments dociles des adeptes de la stagnation, en apportant de l'eau au moulin de ceux qui soutiennent l'impossibilité de toute novation par rapport

à ce qui est et se joignent à ceux qui prétendent que ce monde est le meilleur des mondes possibles.

Ils vont même parfois jusqu'à se lier d'amitié et à contracter alliance avec les plus fanatiques d'un certain clergé sous le prétexte de coopération des religions contre l'athéisme, pour finir, sur le plan politique, par emboîter le pas à qui vous savez !

D'autres nient les évidences énoncées plus haut et ne reconnaissent pas à l'Islam ce rôle essentiel et déterminant dans l'histoire de la civilisation humaine. Ils n'hésitent pas à effacer d'un trait de plume quatorze siècles de civilisation et de pensée islamiques, en comblant le vide vertigineux ainsi ouvert par quelques banalités brillantes et certains slogans retentissants appartenants à des idéologies importées, dont le moins que nous puissions dire est que dans l'ensemble elles n'ont pas été et ne sont pas d'une grande utilité même pour ceux qu'elles concernaient, sans compter qu'elles sont incompatibles avec les composantes de notre personnalité et jurent avec notre authenticité.

Ceux-là sont coupables envers eux-mêmes et envers leur nation, qu'ils veulent laisser suspendue dans le vide s'ingéniant à perdre ce qu'elle possède sans rien acquérir de neuf, ils font partie de ces orphelins de la culture et de ces éternels suivistes et dépendants intellectuels qui - en connaissance de cause, ou par irresponsabilité - jouent un rôle combien destructeur, un rôle d'agent de l'étranger, du seul fait qu'ils ignorent l'histoire de leur propre nation, et creusent, en quelque sorte, leurs tombes de leurs propres mains, comme le dit le proverbe arabe !

C'est pour répondre aux uns et aux autres, et pour contribuer à la clarification des idées et au redressement des conceptions erronées que nous organisons ces rencontres entre une élite de penseurs musulmans - et également de non-musulmans pour ce qui est

du présent séminaire - et de jeunes étudiants des facultés et des deux années terminales du secondaire, aussi bien d'Algérie que du monde musulman des trois continents.

Nous pensons qu'en ouvrant ainsi un large débat, en diffusant les conférences dans les organes de la presse écrite, parlée et télévisée, et en les réunissant ainsi que les comptes rendus des débats et discussions dans deux ou trois volumes, en deux ou peut-être trois langues, nous aidons notre jeunesse à approfondir sa connaissance de la vraie nature de l'Islam parmi les courants intellectuels contemporains de par le monde et que nous œuvrons à la coopération et à la solidarité entre les hommes.

Frères étudiants,

Vous entendrez dire : "La religion - quelle qu'elle soit - (et l'on visera surtout l'Islam) est réactionnaire, au service du féodalisme, de l'exploitation de l'homme par l'homme, elle signifie avilissement et fermeture sur le monde !".

L'on vous a cité de nombreux exemples au cours de l'allocution d'ouverture que j'ai eu l'honneur de prononcer au nom du Président Boumediène, et à l'occasion des conférences et des discussions sur l'équité de l'Islam, son insistance à recommander la recherche du savoir, l'équivalence qu'il a établie entre l'encre des savants et le sang des martyrs, la révolution qu'il a apportée dans les domaines économique, culturel et social et dans les diverses activités de l'homme et ses besoins spirituels et matériels.

La raison en est que l'Islam est aussi bien une religion qu'un Etat, un système social intégral, valable en tout temps et en tout lieu, car il s'adapte au progrès bien conçu et aux exigences du siècle, avec un esprit que traduit si parfaitement la notion d'«idjtihad» (effort personnel d'interpréta-

tion des textes selon les circonstances) présente dans les déductions analogiques et le consensus (Qiyas et Idjmaâ).

Cette notion est décelable même dans l'interprétation de la tradition du Prophète, que le Salut et la Bénédiction de Dieu soient sur lui, comme nous l'avons vu à travers le dialogue d'Omar et des Beni Mouzaïna.

L'idjtihad est donc bien l'une des sources de la législation islamique, contrairement à la portée restrictive que voudraient lui accoler les partisans de l'inertie et de la stagnation !

L'Islam est aussi - quoi qu'en disent ou pensent certains bavards et certains pluminifs - un système social intégral, au sens premier comme au sens actuel de ce terme.

Nous avons d'ailleurs longuement traité de la répartition équitable des richesses en Islam, en donnant pour exemples illustres les comportements du Prophète et d'Omar.

Nous avons largement évoqué le socialisme de l'Islam - comme l'a appelé le chahid Hassan al Banna - et nous y avons apporté de nouveaux éclairages, après en avoir suffisamment traité l'an dernier au cours du 5ème Séminaire, dans le contexte de la révolution agraire et des nécessités du développement dans l'économie moderne.

Aussi, je me contenterai ici d'établir un parallèle à propos d'une institution sociale considérée comme le sommet des réalisations révolutionnaires par certains Etats européens avancés, à savoir la sécurité sociale, la pension de vieillesse, etc...

L'Islam a devancé la Suède ou tout autre pays dans le monde, qu'il soit capitaliste ou socialiste, dans la création et l'application de la sécurité sociale et dans l'octroi de ce que l'on nomme aujourd'hui l'allocation-vieillesse aux vieillards invalides et dans le besoin.

En effet, c'est Omar Ibnou Al Khattab qui a institué ce système et en a étendu le bénéfice même aux "dhimmis", c'est-à-dire aux membres non-musulmans de la société.

Ayant aperçu un jour devant la porte d'une maison un mendiant vieux et aveugle, il s'approcha de lui et, après lui avoir tapé amicalement sur l'épaule, il lui demanda : "De quels gens du Livre es-tu ? " "Juif", répond le vieillard. "Qui t'oblige à mendier ainsi ?", lui demande encore Omar, ayant de l'amener chez lui où il lui donna une part de ce qu'il possédait en guise de premiers secours. Il l'envoya ensuite au responsable du trésor public, en lui ordonnant de lui prescrire une allocation suffisante à ses besoins. Puis il récita le verset : "Les aumônes (et plus précisément la zakat) sont exclusivement destinées aux pauvres et au démunis, à ceux qui y travaillent (collecteurs et gestionnaires), à l'affranchissement des esclaves, aux endettés (en cas de carence), au djihad et aux voyageurs sans ressources", ajoutant : "Et celui-ci est un pauvre appartenant aux "gens du Livre".

La zakat avait si bien rempli son rôle social sous Omar Ibnou Abdelaziz que plus personne n'en avait besoin - C'est cette même zakat qui a fait dire au théologue allemand Marx Wilhelm : "Cet impôt était une obligation religieuse incombant à tous".

"Outre son çachet religieux, la zakat est un système intéressant l'ensemble de la société, et une source de revenus employés par l'Etat Islamique au secours des pauvres, selon une organisation judicieuse qui n'est ni autoritaire et dictatoriale, ni circonstancielle, spontanée et aléatoire.

"Et c'est l'Islam qui, le premier dans l'histoire de l'humanité, a jeté les fondements de cette institution admirable. L'impôt de la zakat, en obligeant les classes possédantes, les commerçants et les riches, à consentir à l'Etat une contribution au prorata de leurs

richesses, pour être utilisée au profit des pauvres et des invalides, a détruit le cloisonnement des classes au sein d'une même société et d'un même Etat, et unifié la nation dans un cadre social équitable. Cette institution islamique a enfin démontré qu'elle n'était pas basée sur l'égoïsme abject".

C'est également sous cet angle que nous pouvons le mieux juger de l'attitude ferme d'Abou Bakr, lorsqu'il combattit énergiquement ceux qui se montraient récalcitrants à payer la zakat, en disant à ce sujet : "Par Dieu, s'ils me refusent seulement l'entrave d'un chameau qu'ils livraient au Prophète de Dieu, je les combattrais jusqu'à ce qu'ils s'en acquittent".

Nous pouvons aisément faire la comparaison entre la zakat que le musulman consent librement, en vertu d'une option et pour être en règle avec sa conscience et avec le devoir religieux, et les impôts que beaucoup d'Européens s'efforcent de frauder, au risque de se trouver dans des situations délicates, comme cela est arrivé récemment à un chef de gouvernement européen contraint de démissionner à la suite d'une campagne de presse l'accusant d'avoir falsifié ses déclarations sur ses revenus personnels.

C'est aussi du "Beit el Mal" qu'Omar prélevait les traitements alloués aux impotents ainsi que l'allocation dont il avait généralisé le bénéfice aux vieillards et aux invalides, musulmans et non-musulmans.

L'Islam a été plus généreux et plus juste que les conceptions modernes sur la répartition des allocations familiales. Abou Bakr les avait, en effet, accordées à tous les enfants sans exception, contrairement aux régimes sociaux actuels qui la limitent aux enfants des fonctionnaires et des salariés.

Aux époques de l'apogée de l'Islam, cette institution a porté la générosité et la sollicitude à un point tel que les allocations familiales étaient attribuées même aux enfants

illégitimes. Et c'est Omar, ce Khalife intraitable, ce défenseur farouche des vertus morales et des valeurs familiales, qui est l'auteur de cette "largesse" incompréhensible pour beaucoup et impossible pour l'époque.

La même constatation peut être faite à propos d'El Oualid Ibnou Abd El Malik qui a élargi la sphère d'application de cette allocation spéciale, d'Omar Ibnou Abd El Aziz qui a le premier admis un ascendant, en l'occurrence la mère du bénéficiaire, dans la nomenclature des personnes à charge donnant droit aux allocations familiales.

Tout ceci, grâce à ce système social d'avant-garde qu'est la zakat, l'un des piliers de l'Islam et le plus éminent du point de vue social, et qui n'est cependant pas une aumône ou un don, mais une obligation divine, "un droit inaliénable du nécessiteux et du déshérité". C'est d'ailleurs cette particularité de la Zakat qui inspirera à Chawki ces vers admirables, s'adressant au Prophète (treize siècles après sa mort) :

"L'action pieuse est, chez toi, une dette morale et une obligation sacrée,

Non une aumône que l'on souligne ou un [cadeau,

La zakat a unifié les voies de la piété,

De sorte que les généreux autant que les [avares s'y sont rencontrés,

Tu as donné leurs droits aux pauvres sur les [biens des riches,

Reconnaissant aux uns et aux autres les mêmes droits à la vie,

Si jamais un humain devait choisir sa voie,

C'est sans doute ta religion qu'adopteraient [les pauvres".

Dans le même ordre d'idées, Salah Ed-Dine El Ayoubi (Saladin) a précédé de plusieurs siècles Mendès France dans l'institution de

la célèbre "goutte de lait" ! N'a-t-il pas été le créateur d'une fondation pieuse (waqf) offrant aux mères de famille le lait nécessaire à l'alimentation de leurs enfants, et ce, en édifiant aux portes de Damas deux fontaines publiques dispensant, l'une le lait, et l'autre l'eau sucrée, et où les mamans venaient deux fois par semaine puiser la ration indispensable en calcium, protéine et sucre, de leurs bébés ?

Il existait également des waqfs affectés au financement du traitement des maladies psychiques par le moyen de la musique et d'autres formes de divertissement et de relaxation.

A l'hôpital du sultan Kalaoun, au Caire, il y avait même une troupe théâtrale jouant comme unique répertoire des comédies populaires capables de délasser les malades.

Il y avait également dans le monde de l'Islam des waqfs pour subvenir aux frais de mariage des pauvres, hommes et femmes. Comment ne pas citer également le fameux waqf "ez-zabadi", consacré à l'aide aux gens de maison s'il leur arrivait de casser une pièce de vaisselle au cours du trajet entre la maison de leur maître et une autre destination.

Il suffisait alors à l'enfant ou au domestique de s'adresser au préposé du waqf qui lui remettait sans difficulté une pièce neuve, lui évitant de la sorte une punition corporelle ou une retenue de salaire.

Des waqfs étaient créés même au profit des animaux domestiques et des oiseaux, afin de les protéger, de traiter leurs éventuelles fractures et de leur assurer tel traitement en cas de maladie, ainsi que cela existait encore jusqu'à un passé récent à Damas et à Fès.

Si malheureusement rien de tout cela ne subsiste aujourd'hui dans le monde musulman, après les tempêtes qu'il a subies aux

siècles d'apathie et de léthargie et après que le colonialisme ait été sur le point de lui donner le coup de grâce, l'Europe et l'Amérique ne l'ont, quant à elles, jamais connu, même à l'heure actuelle, si l'on fait abstraction de quelques sociétés protectrices des chiens, qui demeurent des exceptions plus folkloriques que vraiment sérieuses !

Ceci sans compter évidemment les waqfs destinés aux œuvres d'utilité publique, telles que les établissements d'enseignement, les routes, les orphelinats, les maisons d'enfants trouvés, les cimetières, les prisons, les puits et les sources, les hôpitaux, les bibliothèques, les mosquées, etc, etc...

Frères étudiants,

Ce sont là des exemples qui peuvent paraître incroyables à certains, eu égard à l'organisation merveilleuse - progressiste dirait-on aujourd'hui - qu'ils impliquent et au cachet humain qu'ils offrent même lorsqu'il s'agit de nos frères inférieurs !

Il s'agit là cependant d'un minimum de ce que l'Islam et la civilisation musulmane ont atteint même si cela n'est que souvenir.

Notre réconfort, notre espoir, que dis-je, notre intime conviction, est que ce qui a été possible hier l'est aussi aujourd'hui, à condition que nous suivions la même voie et que nous retournions aux mêmes sources, puisque "les dernières générations de cette nation ne recouvreront leur dignité et leur grandeur que si elles observent les règles appliquées par les premières". "Telle est la loi de Dieu et il n'est pas de changement à ses décrets". "Dieu ne transformera point la situation d'un peuple s'il ne commence par se transformer lui-même. (la première citation est du Prophète; les deux dernières sont des versets du Coran).

Les Musulmans ne seront pas appelés à progresser tant qu'ils ne se seront pas posés la fameuse question de Shakespeare : "to be or

not to be" (être ou ne pas être), comme l'a fait Chakib Arslane, et tant qu'ils ne retourneront pas à cette règle d'or que sont les sources de l'Islam lequel a été, reste et restera une religion et un Etat, un système social intégral, si nous demeurons attachés à ses enseignements infaillibles, comme l'a dit Djamel Ed-Dine Al Afghâni, si nous secouons les âmes des léthargiques, comme le disait Badis, et extirpons les racines des traîtres, étant entendu que le traître au regard de Mohamed Abdou n'est pas seulement celui qui a vendu sa patrie, mais aussi quiconque aura eu la possibilité de faire quelque chose pour elle et ne l'aura pas fait, ce qui s'applique à tout musulman ayant les moyens d'éveiller la nation islamique et d'accélérer sa renaissance, mais qui, par paresse, néglige de remplir ce devoir.

Allez de l'avant et n'écoutez pas les voix marginales de ceux qui bégaièrent des mots creux non par conviction mais par complexe.

Ne dansez pas à tous les rythmes et ne vous laissez pas abuser par la conduite d'une certaine catégorie de gens qui ont une fausse idée du progrès et du progressisme et qui pensent que cela consiste à sortir de son authenticité, à délaisser sa religion libérale et lumineuse, à enfreindre les règles de la bienséance et les traditions.

Efforcez-vous de leur porter la contradiction avec mesure, sinon moquez-vous de ce "progressisme" folklorique !

Il m'a été donné d'entendre une fois dans un café connu d'une capitale de l'Orient arabe un homme d'âge mûr discuter avec un compagnon et lui dire : "Untel réactionnaire ? C'est impossible, puisqu'il ne respecte pas le jeûne du carême et que je l'ai vu danser, que j'ai bu avec lui du vin et qu'au surplus, il ne croit pas aux pompes religieuses !".

J'ai été évidemment fort étonné d'entendre pareilles réflexions, mais il y a quelques mois j'ai eu le même écho ici-même de la

part d'un jeune Algérien. N'est-ce pas là une mode qui ne prouve pas autre chose qu'une grande pauvreté de la faculté d'intelligence et du bon sens, cette chose du monde la mieux partagée, si l'on en croit Descartes?

Nous sommes au regret d'ajouter que nous trouvons bon nombre de ces malheureux parmi ceux dont les études ont été "traditionnelles", comme on dit. Comme s'ils voulaient nous démontrer par là qu'ils ont répudié leur passé, qu'ils le renient, le réprouvent, le chargent de tous leurs maux, lui vouent une haine inexplicable, et, pour tout dire, ne se reconnaissent plus en lui.

Ils taxent quiconque appelle au respect des valeurs, ou tout au moins ne partage pas leurs idées superficielles et ridicules, de fanatique et de réactionnaire, d'affligé de mentalité moyennageuse, ignorant en cela jusqu'au sens du Moyen-Âge lui-même et jusqu'à son appartenance historique, et n'adoptant du progrès et du progressisme que ce qui en est le plus éloigné.

Ils croient que le progrès se traduit par la fréquentation des bars et autres cabarets, par la danse et le "verre", ignorant qu'il ne peut être que synonyme d'usines et de domaines agricoles prospères, d'instituts d'enseignement et d'hôpitaux, de production constante et toujours accrue et surtout de sauvegarde des valeurs morales et spirituelles !

Ne vous laissez pas tromper par les slogans creux qui bercent les âmes de ces victimes mais néanmoins prosélytes acharnés, de ceux qui se disent "rationnalistes", alors que toute leur culture, si toutefois ils en ont une, est tendue uniquement vers la critique destructrice, l'action stérile et la négation érigée en système !

Soyez ardents à conquérir le savoir et la culture, et efforcez-vous toujours de les lier à votre attachement indéfectible au code moral, aux règles de la bonne éducation.

Soyez en même temps ouverts au monde extérieur et à ses cultures, tout en préservant comme la prune de vos yeux les composantes de votre personnalité et tous les éléments de votre authenticité qui constituent votre unique sauvegarde.

Par l'Islam nous nous sommes prémunis contre l'aliénation de notre personnalité et contre notre assimilation ; par l'Islam nous avons résisté et combattu depuis Abdelkader, Boumaâza, Lalla Fatma, Cheikh Al Haddad, Al Mokrani, Benchohra, Berkani, Bouchouchi, Boumezrag, Ouled Sidi Cheikh, Bouâmama, Samory-Touré, Cheikh Chamil, Abdelkrim Al Khattabi, Omar Al Mokhtar, Cheikh Amoud et d'autres noms appartenant désormais à l'Histoire.

C'est au nom de l'Islam que fut menée la lutte politique révolutionnaire et le réformisme religieux en Algérie ; c'est sous son invocation que se poursuivit le 1er Novembre 1954 pour aboutir au 5 Juillet 1962, et ce n'est certes pas fortuitement que les soldats de l'ALN se nommaient "El-Moudjahidine", que leur journal avait et a encore pour titre "El-Moudjahid" !

Il s'agit donc de l'Islam qui se matérialise dans l'édification spirituelle et matérielle, qui concilie religion et existence, et non de cette image négative qu'en ont ceux qui voudraient en faire une marionnette inanimée pour y accrocher leurs talismans et leurs espoirs, bornés au demeurant aux antiques "zardaş, waâdas et qaâdas" !

Ceux-là même qui s'opposent à tout "idjtihad", à toute évolution saine, et même au retour à l'authenticité, sous le prétexte de préserver l'Islam de toute altération !

Nous avons vu comment Omar a utilisé à maintes reprises l'idjtihad, lui dont la ferme intransigeance et la dureté étaient proverbiales.

Si nous stigmatisons ceux qui nous invitent - au nom de l'ouverture d'esprit - à détruire en fait tout l'édifice islamique, nous nous élevons également contre les partisans de l'inertie, de la stagnation et du négativisme invoqués au nom de la sauvegarde de la religion. Car si les derniers nous invitent à fermer portes et fenêtres, les premiers nous conseillent d'ouvrir même les toits !

C'est par cet Islam exempt de toute déformation que nous préserverons notre immunité et les composantes de notre personnalité, puisqu'il constitue le ressort de notre existence et qu'en le gardant intact nous verrons nos efforts aboutir, tout en échappant dans le même temps au jugement d'Abou Al Aâla Al Mawdoudi sur tous les pays islamiques libérés, à savoir qu'ils ont combattu par l'Islam, mais qu'une fois victorieux ils lui ont témoigné la plus noire ingratitude et lui ont tournée délibérément le dos !

Soyez plutôt comme les rossignols, qui emploient la nuit au sommeil et se réveillent aux aurores afin de humer l'air pur du matin, entonner leur concert à la louange de Dieu et rassembler leur pitance quotidienne par les moyens licites.

Evitez de ressembler aux crapauds qui passent leur nuit à s'ébattre dans les eaux troubles et à poursuivre leurs horribles croassements, et leur journée dans les creux obscurs et malsains, la vase et les rochers suintants.

Ne vous laissez pas abuser par ceux qui voudraient vous entraîner dans les "caves" et les "boîtes de nuit", dans l'atmosphère étouffante et polluée, en pensant que cela suffit à en faire des lettrés, géniaux, des artistes inspirés, se croyant dans les caves du Quartier Latin sur la Rive gauche et se prenant pour des Jean-Paul Sartre, des Pablo Picasso et des Simone de Beauvoir.

Frères étudiants,

Je voudrais enfin remercier en votre nom à tous, Messieurs les professeurs éminents, - conférenciers et commentateurs - qui nous ont beaucoup appris et ont déployé des efforts dont nous tenons à leur témoigner toute notre gratitude, et nous espérons les retrouver bientôt, de nouveau, en Algérie.

Permettez-moi aussi d'accorder une mention spéciale à Messieurs le Grand Imam, docteur Al Faham, Recteur d'Al-Azhar, Boubou Hamma, Président de l'Assemblée Nationale du Niger, à Leurs Excellences, Chérif Nebhani, ministre du Développement Régional de la République de Guinée, Abd-Allah Ould Boya, ministre de l'Enseignement Fondamental et des Affaires Religieuses de la République Islamique de Mauritanie, Mohamed Abdou Yamani, ministre-adjoint de la Culture du Royaume d'Arabie Saoudite, pour avoir tenu à participer personnellement à ce Séminaire et à contribuer, aux côtés des autres distingués professeurs des pays frères et amis et aussi d'Algérie, au succès de cette rencontre dans la capitale de ce pays qui fête à la fois son millénaire et le dixième anniversaire du recouvrement de son indépendance.

En votre nom, je remercie également toutes les autorités et corps constitués qui nous ont aidés et plus particulièrement la Présidence, les Ministères des Affaires Etrangères, de l'Intérieur, de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique, de l'Enseignement Primaire et Secondaire, des Trans-

ports, du Tourisme, la Gendarmerie Nationale et le Ministère de l'Information et de la Culture, dont les efforts ont permis à cette rencontre de rayonner hors de cette enceinte.

Comme je remercie en votre nom les cités de Milliana et de Médéa, population et responsables, pour les deux journées mémorables qui resteront parmi les plus belles de ce Séminaire.

Je n'omettrai pas de citer également l'ensemble des personnels techniques, dames et messieurs, du Secrétariat, de l'Interprétariat et tous ceux qui ont participé, de près ou de loin, à l'œuvre commune.

A vous frères étudiants, envers qui nous avons utilisé peut être un langage de fermeté et appliqué un règlement sévère, je voudrais enfin vous féliciter pour votre discipline, pour l'attention soutenue que vous avez manifestée tout au long des travaux et pour votre contribution remarquable à l'animation des débats.

Maintenant que les Séminaires ont fait le tour de Qassantina en 1970, de Ouahrane en 1971 et d'Aldjazaïr en 1972, ils doivent désormais se tenir tour à tour dans l'une des villes de l'intérieur, apportant ainsi leur modeste contribution dans la révolution culturelle. Le 7ème Séminaire aura lieu à Tizi-Ouzou.

Mesdames et Messieurs, je vous remercie de votre attention.

VERS UNE RENAISSANCE DU MONDE MUSULMAN DE L'ALIENATION AU RETOUR SUR SA PROPRE PERSONNALITE

Conférence donnée par Madame le Docteur Sigrid Hunke
à l'occasion du 6ème Séminaire pour la Connaissance
de la Pensée Islamique à Alger

Si, en tant qu'allemande, j'aborde le sujet "Vers une Renaissance du Monde Musulman : de l'Aliénation au Retour sur sa Propre Personnalité", je le fais non pas uniquement en raison de l'amitié et de la sympathie que j'éprouve pour votre peuple, de l'admiration que je professe pour l'histoire captivante de votre pays et de l'intérêt que je ressens pour son évolution future, mais aussi, parce que je connais et que je comprends les problèmes de l'Algérie et du monde musulman par expérience dans mon propre pays.

Bien que le destin de l'Algérie ne soit pas comparable à celui de l'Allemagne, il existe néanmoins dans l'histoire de nos deux pays des points comparables, encore que leurs origines soient fort différentes.

Après la deuxième guerre mondiale, l'Allemagne dut reconstruire un nouvel édifice administratif, politique et économique. De plus, il lui fallut et il lui faut encore, en raison du système de «Rééducation» prescrit par les puissances victorieuses, se préserver des risques d'aliénation, de l'Ouest et de l'Est.

C'est d'autant plus difficile que l'Allemagne a perdu, par suite du rôle qu'elle joua dans le dernier conflit mondial et de la défaite qui s'ensuivit, la conscience des idéaux

que lui conféra son histoire. Cette situation l'a amenée à couper les ponts avec son passé. En outre, elle est sujette, tout comme d'autres pays, à des crises psychiques causées par le matérialisme pur remplaçant toute obligation religieuse et idéale.

Cette crise se manifeste par l'insensibilisation du sentiment, du vide et des sentiments à l'égard des réalités existentielles et par les réactions d'une jeunesse recherchant quelque échappatoire dans l'usage de stupéfiants, dans la sexualité et la violence.

Notons également le problème qui consiste à maîtriser la technique, un problème qui se pose à nombre de pays et, notamment, à une société qui a perdu l'héritage de son passé, la conscience de son histoire, sa religion, voire sa propre identité.

Toutes ces blessures brûlantes dans le corps et l'âme de mon peuple m'ont conduite à en étudier les causes dans plusieurs livres dont je suis l'auteur, et à rechercher les remèdes adéquats. Ces études me sensibilisèrent en même temps aux problèmes de l'Algérie et me permirent de mieux saisir leur complexité. Je constatais aussi qu'il n'existait pas de panacée applicable d'un pays à l'autre, mais qu'il fallait considérer la situation particulière à chaque pays.

Le monde arabo-musulman qui aujourd'hui renaît à la vie, demeura pendant bien longtemps sous la férule du colonialisme. Ce colonialisme qui, obéissant à sa propre logique, imposa sa culture, ses valeurs morales, ses intérêts, en un mot, son avantage aux peuples arabes.

Ce fut également le colonialisme qui transforma les hommes en instruments utiles à ses fins, en transformant leurs esprits et les assujettissant à sa manière de sentir et de penser, et à sa morale. Le colonialisme a fait d'affreux ravages dans le monde musulman et dans l'âme même de l'Arabe. Il ne laissa derrière lui que stagnation, régression, effondrement et décadence de la civilisation arabo-islamique avec la perte de la personnalité arabe et de l'identité spécifiquement arabe. Tel est le lourd héritage qu'il transmet au monde arabe.

Mais aucun pays arabe n'a été aussi profondément touché par le colonialisme étranger que l'Algérie. Aucun n'en a autant souffert qu'elle et aucun n'éprouve aujourd'hui de nostalgie aussi grave et passionnée de sa propre identité qui lui a été ravie sciemment et systématiquement par 130 années de domination française.

Le mythe fatal selon lequel la «mission culturelle française» devait franciser les esprits, faire des Algériens des Français et de l'Algérie un territoire français, n'eut d'autres conséquences que de spolier le peuple Algérien de sa liberté, de sa tradition, de sa langue et de sa religion et d'en faire un peuple vassal auquel on inculqua l'idée : «Nos ancêtres les Gaulois». Un gigantesque processus de transformation qui aliéna tout un peuple de soi-même tout en sapant les fondements de sa morale, de sa religion et de sa culture.

Lorsque, libérés de l'oppression étrangère, les pays arabes durent faire face aux exigences des temps modernes, de la haute industrialisation ils prirent des chemins diffé-

rents. Que pouvaient-ils faire d'autre, semblait-il, si ce n'est de s'adapter aux temps modernes, de calquer leur futur mode de vie sur celui de leurs anciens colonisateurs, pour devenir aussi européens que les Européens ou, plutôt, aussi américains que les Américains ou aussi russes que les Russes.

Mais l'Algérie n'a pas succombé à cette tentation. Un fait bien significatif si l'on considère les deux raisons qui ont joué un rôle à cet égard et qui sont inhérentes à sa personnalité et à son histoire :

1) Un peuple qui a souffert du colonialisme au plus profond de lui-même et qui a combattu, comme aucun autre pays musulman, pour sa libération, n'est certes pas disposé à marchander une liberté acquise aux prix de tant de sacrifices, ni à troquer son indépendance si durement obtenue, contre une nouvelle dépendance et une nouvelle aliénation. Cela s'entend aussi bien dans les domaines spirituels et culturels que politiques et économiques.

2) Un peuple qui possède des liens naturels avec son passé et qui entend confier la sauvegarde de ses valeurs éthiques, non pas aux citadins, par trop affranchis, mais, comme l'a souligné le professeur Driss Chabou, aux ruraux attachés aux idées traditionnelles et communautaires, n'a pas le choix entre la tradition et le progrès - un progrès qui avance en s'éloignant de soi-même, de son terroir, de ses origines, de ses racines. Car pour lui l'un n'exclut pas l'autre. Pour l'Algérie en effet, le progrès ne peut s'ériger que sur le fondement de la tradition.

Les dirigeants algériens ont reconnu très tôt cette nécessité et ont agi en conséquence. Ainsi, le Président Boumédiène déclara : «Pour bâtir notre avenir, il nous faut retourner à nos origines et affirmer notre propre personnalité. Seul celui qui reste fidèle à lui-même peut faire face au monde moderne, sans risquer de s'identifier à ce monde et, éventuellement, de s'y fourvoyer. Il

s'agit donc de renforcer les racines pour ne pas tomber d'une aliénation dans une autre», comme écrivit le ministre algérien M. Taleb, et il poursuit : «Notre jeunesse ne pourra assumer et assimiler valablement les plus grandes acquisitions de l'Occident sans partir d'un noyau authentiquement original plongeant ses racines dans notre patrimoine culturel. En d'autres termes, il faudrait qu'elle se nourrisse du suc du terroir avant de puiser aux sources étrangères et s'ouvrir aux sciences, idées et techniques modernes».

«Etre fidèle à soi-même», «retourner à ses origines», à son propre «terroir» ça c'est une maxime berbère qui convient parfaitement à l'Algérie et aux autres pays du Maghreb, pour lesquels authenticité est garantie par croissance végétative et enracinement organique. L'Algérie est, depuis longtemps consciente de cette nécessité ; elle sait qu'un arbre ne peut se dresser haut dans le ciel que si ses racines plongent profondément dans le sol.

Mais quel est ce terroir, cette glèbe dans laquelle l'Algérie doit s'enraciner pour retrouver elle-même et redécouvrir sa propre personnalité.

C'est, primo, la langue arabe. La langue arabe est la clé d'un royaume auquel n'eut accès dans le passé qu'un nombre réduit d'Algériens ; la clé de sa culture héréditaire et de sa religion, de ses traditions populaires, de ses chansons, de ses contes, de ses proverbes et de sa poésie nationale. La langue maternelle est beaucoup plus qu'un simple système d'échanges verbaux.

Et puisqu'elle concrétise la pensée de chaque peuple, elle empreint la pensée de chaque enfant d'une manière qui lui permettra de s'intégrer progressivement dans le monde. C'est donc pas du tout la même chose si les enfants arabes, voire même quelques générations, sont imprégnés par l'esprit arabe ou par l'esprit français et par sa vue du monde.

Dans cet esprit français ils ne peuvent jamais devenir authentiquement eux-mêmes ni authentiquement des Français. En d'autres termes, un peuple qui, dès l'enfance, se développe dans une pensée étrangère ne s'épanouit pas de la même façon que s'il était resté au contact de sa culture originelle, et reste ainsi en vérité chez lui.

La récupération de la langue arabe est une clé qui ouvre différentes portes. Elle permet d'entrer dans le monde arabe, son propre et véritable monde, dans la pensée arabe et de reconquérir la conscience individuelle du monde musulman.

Cette terre dans laquelle l'Algérie doit reprendre racine afin de retrouver son identité c'est, secondo, l'Islam ; une religion qui, bien plus que toute autre, règle le comportement d'un peuple dans tous les domaines. Cette religion ou cette loi fait autorité pour tout ce qui relève de l'éthique, de la vie sociale, du droit privé, de l'enseignement et de la culture. Cette religion est au centre même de l'existence. L'Islam en tant que religion est la pierre angulaire de la civilisation musulmane.

C'est elle qui permettra la renaissance du monde arabe, ces considérations sont motivées par l'expérience que j'ai faite en Europe, sur un continent où l'effacement progressif de la religion prend des relations effrayantes.

Ce processus de déracination religieuse commença en Europe il y a deux siècles, et a atteint aujourd'hui son paroxysme.

Nietzsche avait déjà prédit cette évolution et ses conséquences fatales. Il parlait de la «mort de Dieu» et entendait par là que l'on ne croyait plus aux conceptions chrétiennes de Dieu et du Christianisme. Il prophétisa une éclipse de soleil jamais enregistrée dans les annales de l'histoire et d'importants cataclysmes exactement du genre de ceux que nous connaissons actuellement à l'Est comme à l'Ouest.

Le nihilisme et le matérialisme ont pris naissance, alors que la religion commençait à lâcher prise et l'homme perdait la transcendance. L'existence sans transcendance perd toute dimension de profondeur, elle est plate, vide et terrifiante. L'homme qui s'est coupé de ses racines religieuses ne voit plus aucune raison d'être valable, il souffre du sentiment du vide et de l'angoisse existentielle, il désespère.

En outre, il s'éloigne des responsabilités de ce monde et de ses hommes et cherche une nouvelle voie dans l'indifférence, dans la violence, dans un monde de sensation et de jouissance matérielles. Quant aux jeunes générations, elles vont vers une déchéance totale par la drogue et la terreur, la sexualité et la brutalité, par la maladie et la dépression. L'homme et l'humanité sont à un tournant dangereux de leur évolution.

En tant que vice-présidente d'un mouvement religieux non-chrétien en Allemagne, des Unitariens Allemands, je vois la seule possibilité de résoudre la crise dans laquelle se trouve actuellement notre société malade et d'épargner ainsi à notre civilisation un déclin de l'humanité dans la récupération de la religion et de la transcendance.

La religion faisant partie de l'être humain. Sans elle, il n'est pas possible de guérir le monde des maux dont il souffre. Si nous ne faisons pas appel à la religion, la misère humaine ira grandissante, il y aura une marche à vide à un point mort, décomposition et déclin, et tous nos efforts resteront vains. Les hommes ont besoin d'une religion qui leur indique le chemin à suivre dans le monde et non hors du monde ; une religion qui sache prendre ses responsabilités vis-à-vis du monde et de l'humanité.

J'aimerais faire profiter le monde musulman de cette expérience amère du monde occidental et des enseignements qui en découlent. Le monde musulman, lui, est encore intact quoique menacé par l'arreligiosité.

La perte des principes religieux risquerait d'ébranler l'ensemble de la civilisation arabe.

J'ai constaté à ma grande satisfaction que le monde arabe se tourne de plus en plus vers la religion, qu'il s'emploie à colmater les brèches, à consolider les bases religieuses de l'Islam, sans pour cela tomber dans un excès de fanatisme, de dogmatisme ou d'orthodoxie. Déjà apparaissent de nouvelles forces régénératrices dans l'Islam capables de maîtriser l'évolution actuelle de la société arabe et d'assurer sa renaissance.

Je suis émue de noter que l'Algérie, elle aussi, déploie de nombreux efforts afin de redonner à l'Islam toute sa vigueur. Immédiatement après sa libération, le peuple Algérien, dans un élan de spontanéité, se mit à reconstruire ses mosquées et zaouias. Dans cette renaissance des traditions et valeurs morales, culturelles et sociales, dans ce renforcement de l'esprit de famille, de la solidarité, du civisme et de la coopération, dans cette faculté de se dépasser soi-même et d'agir dans l'intérêt commun, même si cela nécessite un engagement journalier, voire l'abnégation de sa propre personne, on peut constater la régénération des valeurs traditionnelles.

Ces valeurs trouvèrent leur renaissance dans le feu des mitrailleuses d'une guerre impitoyable de sept ans et y connurent l'épreuve du feu. Elles constituent aujourd'hui le «socialisme» spécifiquement arabe. Ce socialisme ou cette forme progressiste de l'Islam arabo-berbère - comme le dit Driss Chabou - fut «appliqué et vécu» par les anciennes générations algériennes, bien avant que n'existaient les théories et les idéologies marxistes, léninistes et maoïstes du socialisme.

Un Islam épuré de ses accessoires non-islamiques, de la superstition et de ce saufisme empreint de fatalisme, de sa croyance à la précarité et à l'irréalité du monde et

de son renoncement à la vie. Cet Islam ouvert au monde et à la réalité ne va pas à l'encontre de toute évolution intellectuelle. Car, comme l'affirme le professeur Mohamed Aziz Lahbabi, «le Muslim s'engage envers Dieu, s'il s'engage en faveur des hommes. La loi musulmane et «Chahada» et «Amal», témoignage en engagement pour le monde c'est-à-dire pour Dieu, engagement de l'être total de l'homme qui est responsable au suprême degré, personnellement, de ses actes».

Retour sur soi-même et sur sa propre personnalité nécessite tertio : une rétrospective du passé historique. En effet, la connaissance de la nature et de la signification de ses propres origines est la supposition de l'identité d'un peuple qui veut agir comme créateur en histoire et civilisation. Et «toute voie vers la liberté commence par celle de son propre passé».

On fit croire à des générations d'Algériens que les Gaulois étaient leurs ancêtres et que leur histoire et leur culture commencèrent le jour où les premiers colons français foulèrent le sol algérien. Mais ils ignoraient alors que leur culture, rayonna pendant plusieurs siècles par delà la culture française encore balbutiante et «qu'avant Descartes il y eut Ghazzali, avant Voltaire et Montesquieu, Ibn Rushd; avant Vico, Ibn Khaldoun, avant Foe, Ibn Tofail, avant St. Bernard, Ibn Sina, avant Dante, Ma'arri, et avant Lamartine, Omar Ibn Rabia», comme Ahmed TALEB l'a formulé. Tandis que l'on cachait aux Arabes la culture florissante de leurs ancêtres ainsi que leur contribution considérable au développement des pays occidentaux, on en faisait accroire aux élèves algériens cette falsification grotesque de l'histoire selon laquelle la défaite arabe à Poitiers en 732 étaient une victoire des pays de l'ouest contre la barbarie.

Il est d'une importance existentielle pour reconquérir la conscience islamo-arabique et redécouvrir les qualités intrinsèques du monde arabe de déterrer le passé. Il faut réedu-

quer une conscience du passé qui demeura longtemps paralysée. Il faut faire revivre le passé du monde arabe dans tout son faste afin que le peuple s'en imprègne au maximum. Oui, il est en effet nécessaire d'analyser les causes du développement de la civilisation arabe, de sa gloire et de son déclin afin d'en tirer une leçon.

Car les Arabes se sont déjà trouvés dans le passé devant un commencement alors qu'autour d'eux dominaient des civilisations supérieures. Ils ont retenu de l'Hellénisme, des Chinois et des Hindous ce qui leur parut vital et utile. Mais jamais ils imitèrent inconsidérément. Bien au contraire, ils passèrent toutes les idées au crible de leur esprit critique. La reproduction pure et simple d'une culture n'est jamais rien d'autre qu'une mauvaise copie qui n'engendrera qu'un semblant de civilisation, stérile et anémique, vouée à s'étioler bientôt.

La plupart des historiens européens reprochent à la civilisation arabe qu'elle soit stérile et que son rôle soit simplement celui d'un facteur des civilisations antiques, sans aucune contribution créatrice. Moi, j'ai réfuté de telles assertions, car elles ne sont pas le reflet de la réalité. Pour rendre justice aux peuples arabes, il ne suffit pas d'être orientaliste. Il faut plutôt connaître la psychologie des peuples et des cultures. L'allégation selon laquelle le monde arabe manque de créativité est motivée - en dehors du préjugé chrétien - par un manque de connaissances psychologiques des caractéristiques structurelles propres aux différentes cultures mondiales.

Cette réaction est, en outre, la conséquence d'une sur-estimation des valeurs matérielles transmises d'un peuple à l'autre - j'entends par là, aussi bien les objets utilitaires ou les éléments d'architecture que les strophes de poèmes ou les notations scientifiques - . C'est aussi un manque de discernement entre les différentes structures sty-

listiques des pensées grecque, indienne et arabe. Bref, l'observation de l'objet se fait sans sujet.

C'est en exploitant les héritages grecs et indiens à l'aide de leurs propres aptitudes, en cultivant ce précieux héritage dans leur manière propre que les Arabes devinrent conscients de leurs capacités créatrices et qu'ils devinrent capables de concevoir une civilisation tout à fait nouvelle d'une portée historique mondiale. J'ai traité en détail cette évolution dans mon livre «Le Soleil d'Allah brille sur l'Occident».

Ainsi naquit une culture mondiale d'une originalité incontestable portant le cachet de l'esprit arabo-islamique. Cette civilisation qui marqua de son empreinte unitaire un immense empire atteint un si haut niveau que même l'Occident, à l'époque hostile à toute culture islamique, s'intéressa secrètement à son enseignement et lui dut de multiples stimulations. Il ne fait aucun doute que la culture occidentale a été fortement enrichie dans tous les domaines par les accomplissements du monde arabe.

Quelle source de la connaissance de la propre personnalité et de confiance en soi-même. Quelle source de compréhension de la manière, des possibilités et des tâches du propre esprit. Quelle source d'optimisme et de fierté, mais aussi d'engagement pour les héritiers actuels de cette civilisation. Quelle source de vénération devant de telles œuvres qui servent de critères au présent. Quelle source de discernement dans la manière et la mission de l'esprit arabe pour l'avenir.

Car, chers amis, il ne suffit pas d'évoquer le passé glorieux. La régénération de la grande civilisation arabe ne doit pas favoriser une évasion, oublier des réalités présentes. Elle ne doit pas servir de prétexte au contentement de soi-même, à la suffisance qui nourrit l'orgueil sans obligation à se montrer digne de son passé glorieux et tirer les nombreuses.

Il ne suffit pas non plus d'analyser les raisons pour lesquelles la civilisation arabe a connu une telle prospérité. Il faut aussi examiner les causes de son déclin, de sa stagnation et de sa décadence afin d'éviter qu'un tel danger ne réapparaisse. Le danger d'orthodoxie et de dogmatisme intolérant, le danger non seulement d'isolement et de fermeture, mais aussi d'aliénation et de dépersonnalisation.

Nous en arrivons, Mesdames et Messieurs, à un point essentiel. Comme je l'ai déjà mentionné, le danger réside non seulement dans l'isolement, mais aussi dans une trop large ouverture sur le monde jusqu'à l'aliénation. C'est une des leçons que l'histoire de la levée et du déclin de la culture arabe nous a léguée :

Tout point de vue exclusif est pernicieux, toute exclusivité, tout «d'une façon ou de l'autre» est l'ennemie de la vie».

Le problème de la renaissance n'est donc pas, comme je l'ai souligné au début : ou tradition ou progrès ; ou souvenir du passé ou ouverture sur le monde moderne et ses techniques. En fait, reconquérir une personnalité propre en régénérant la langue arabe et la religion islamique et en faisant revivre le passé : tout ça ne suffit pas pour s'intégrer dans le monde moderne d'aujourd'hui.

Tradition et évolution ne sont pas des contradictions. La vie a besoin de tous les deux. Une renaissance authentique a besoin de tous les deux : non «seulement» - mais «aussi» : non seulement tradition mais aussi progrès ; non seulement le passé mais aussi l'ouverture sur les évolutions dans le monde moderne. Et de même la question ne se pose pas : parler ou bien l'arabe ou bien le français. Ici comme ailleurs toute exclusivité serait fausse.

La langue arabe ouvre la voie essentielle à la restauration de la personnalité algérienne, elle rouvre la porte à soi-même, à l'Islam, au patrimoine arabe et la porte à l'esprit

de ses grands savants, philosophes et poètes et elle demeurera toujours la base de la culture nationale originelle. La langue française ouvre la civilisation et les sciences universelles et il faut ne pas dédaigner mais reconnaître la contribution de la civilisation française.

Il serait de même absolument faux d'amalgamer le vieux et le moderne, de juxtaposer la civilisation arabe et la civilisation étrangère, le passé et le progrès, sans accord et sans communication, d'acheter des machines techniques modernes et de les placer dans un monde traditionnel ou de cultiver un romantisme et de se donner aux temps modernes décorés seulement par les fresques d'un grand passé.

Une telle culture «qui emprunte du maquillage à la civilisation moderne», pour citer Mr Lahbabi, demeurerait stérile et contrefait, une imitation sans vie et sans valeur.

C'est justement ça ce que l'histoire arabo-islamique peut enseigner aux Arabes d'aujourd'hui : A l'origine de la grandeur des ancêtres arabes et de leur civilisation florissante était la capacité de l'homme arabe d'intégrer l'héritage étranger à sa propre culture et d'assimiler et de transformer les dons étrangers, les idées, les acquisitions scientifiques, techniques et artistiques, les modèles nouveaux par leur esprit propre et

par leur énergie créatrice en les transformant dans une expression originale de leur personnalité.

La grandeur de cette culture et les raisons de sa fécondité résident dans le fait qu'elle ne se contenta pas d'imiter machinalement l'étranger, mais de l'insuffler l'âme propre et de l'animer d'un souffle nouveau d'elle-même.

J'ai la ferme conviction que le monde arabo-islamique est sur la voie droite à sa renaissance authentique autant qu'elle est consciente - comme c'est bien le cas ici en Algérie - que : La victoire sur le colonialisme se complète et se parachève par la liberté intérieure, la liberté de l'esprit et de l'âme.

Loin de se livrer à une nouvelle dépendance découlant des influences étrangères, à une nouvelle aliénation et, par là, de retomber sous la tutelle d'un néo-colonialisme, venant de l'Ouest ou de l'Est, le monde musulman s'efforcera en premier lieu et avec constance en plongeant toujours de nouveau dans ses propres sources à la recherche incessante de son identité, de sa personnalité, de son «moi», et d'en puiser les forces et énergies créatrices qui lui permettront sa renaissance complète et de reprendre sa place bien méritée dans le monde.

Dr. Sigrid Hunke

RECOMMANDATIONS DE LA PREMIERE COMMISSION

Présidée par Mr Abdallah INAN, (historien Egyptien) :

Considérant que l'Islam a été l'artisan d'une riche et haute civilisation.

Considérant qu'il a été un élément moteur dans notre résistance et la lutte des différents pays musulmans qui se sont exposés à l'invasion colonialiste.

Considérant que l'Islam a été le facteur fondamental qui scelle notre unité au cours de notre dernier combat armé libérateur qui a été déclenché au nom du Djihad et que les combattants se sont donné comme nom les "Moudjahidine" et leur porte parole le "Moudjahid".

La première commission recommande :

Premièrement : la nécessité de compléter tous les établissements d'éducation de l'enseignement primaire ou secondaire, et tous les organes d'information dans les pays musulmans pour une éducation islamique, seule capable d'assister les efforts de la famille qu'à son tour doit être orientée par les moyens d'éducatons diverses.

Deuxièmement : faire connaître l'Islam et ses valeurs par différents moyens en particulier le livre, la presse et la radio.

Troisièmement : la tenue régulière de séminaires islamiques dans les pays musulmans et faciliter la rencontre entre les savants, les penseurs et la jeunesse, une coordination judicieuse entre ces pays doit être assurée afin d'éviter l'éparpillement des efforts et la perte d'énergie et assurer une meilleure complémentarité.

Quatrièmement : saisir toute occasion pour multiplier les rencontres dans les pays musulmans entre les savants et les penseurs de l'Islam et entre la jeunesse musulmane, en plus des séminaires pour la Connaissance de la Pensée Islamique qui doivent se généraliser et embrasser les divers pays musulmans, dans un ordre chronologique bien étudié et en parfaite coordination.

Cinquièmement : la nécessité d'insister, au cours de ces rencontres sur le rôle efficace et décisif de l'Islam dans la libération des pays musulmans. Sur le plan politique, économique, culturel, et social et dans leur combat pour leur développement, de leurs structures sociales, l'unité du monde musulman seule capable de rendre à la nation musulmane, sa gloire, sa puissance et lui permettre d'apporter comme par le passé sa contribution au bien être, à la prospérité et la paix dans le monde.

RECOMMANDATIONS DE LA DEUXIEME COMMISSION

Voici les recommandations de la deuxième commission présidée par le Professeur Dr. W. Hoennerbach, Directeur de l'Institut des Etudes Orientales à l'Université de Bonn (RFA), relatives au rôle des cités zirides à savoir : Alger, Miliana, Médéa, dans la civilisation islamique. Ces recommandations concernent également la nécessité d'honorer la mémoire des glorieux ancêtres par la commémoration de leurs souvenirs, la diffusion du patrimoine, et de redécouvrir le passé et l'influence sur l'Europe et sur le Monde.

La deuxième commission propose à l'Assemblée plénière du Séminaire de dégager les différents avis émis par les séminaristes, le programme suivant :

- 1) Rassemblement de tout ce qui a été dit et écrit à l'occasion du millénaire de ces villes.
 - 2) Elaboration d'un catalogue comportant la bibliographie originale des ouvrages historiques d'avant la période coloniale. Seront consignés dans ce catalogue, les documents arabes, turcs et espagnols. Il y sera ajouté les documents français et allemands se trouvant dans les bibliothèques universitaires.
 - 3) Elaboration d'un catalogue signalant les sources secondaires, c'est-à-dire les ouvrages d'Orientalistes tels que : Azan, Bernard, Bertrand, Gautier, Mas Latie, Marçais, Bouges, Yvers, etc...
- Et mettre en relief leur tendance colonialiste.
- 4) Elaboration d'un manuel d'histoire succincte des villes, comme Tiaret, Béjaïa, Tlemcen, Alger, Médéa, Miliana et d'autres en Algérie et dans les pays musulmans en général.
 - 5) Elaboration d'un manuel déterminant la date de la fondation de ces villes, de leurs bâtiments.
 - 6) Mise au point d'un manuel traitant de la biographie des hommes célèbres de ces villes.
 - 7) Elaboration d'un ouvrage géographique qui traite des changements intervenus dans la structure sociale dans la vie contemporaine de ces cités.
 - 8) Description des relations de ces villes avec l'Europe et le monde.
 - 9) Etude des méfaits du colonialisme français en Algérie et des tentatives de celui-ci pour le couper de son passé de ses glorieux ancêtres.
 - 10) Restauration des noms des villes détruites et des grands noms de l'Histoire de celles-ci ainsi que des lieux liés à l'Histoire comme Tobna et autres en Algérie et dans le monde musulman.
 - 11) Donner toute l'importance à la commémoration des anniversaires des villes et des événements historiques, des personnalités illustres en Algérie et dans le monde musulman.

RECOMMANDATIONS DE LA TROISIEME COMMISSION

La troisième commission chargée de l'élaboration de recommandations relatives au point trois a tenu sa réunion le Mardi 29 Djoumada 2 1392 (8 Août 1972) à 10 heures dans la salle n° 3, et sous la présidence de Monsieur Othmane EL KAAK.

Etaient présents les membres de la Commission dont les noms suivent :

Dr. Omar FERROUKH

Abdelwahab SOULEIMAN

Abderrahmane EL DJILLALI

El Mahdj BOUABDELLI

Soleïman DAOUD BEN YOUSSEF

Exposé des motifs

Considérant le point trois ainsi libellé.

Optique des historiens non musulmans sur l'Islam et la civilisation islamique et la nécessité de réécrire nous-même notre histoire.

Considérant les contenus des conférences données au cours du séminaire sur ce sujet.

Considérant l'article paru dans la revue El Açala, première année n° 4 page 99 concernant un entretien avec l'historien français Ageron relatif à la remise en cause des travaux de certains orientalistes sur l'Islam et la civilisation musulmane.

Considérant qu'il s'avère nécessaire de réécrire notre histoire conformément au contenu du point trois.

La troisième commission recommande :

Premièrement : Remise en cause du cadre temporel dans la division des époques historiques qui ont été définies jusqu'à présent d'après les événements historiques du monde occidental et des batailles décisives de la chrétienté. Cette division sera désormais faite d'après les événements nationaux et les grandes dates de l'Islam.

Deuxièmement : Considérant que les documents étrangers manquent souvent d'objectivité, il convient de réunir le maximum d'ouvrages arabes, turcs, iraniens, indiens ou d'Afrique Noire et d'autres pays et les considérer comme des références dignes de foi.

Troisièmement : Publication après une critique comparative des documents qui demeurent encore manuscrits.

Quatrièmement : Réédition des ouvrages épuisés.

Cinquièmement : Traduction des ouvrages étrangers dignes de foi et élaborés par les orientalistes et concernant la biographie des historiens musulmans, la traduction des historiens musulmans et l'étude de l'historiographie chez les musulmans.

Sixièmement : Traduction d'une série exhaustive d'ouvrages les plus importants, sur l'Islam dans tout pays musulman afin de permettre aux musulmans du monde de mieux se connaître.

Septièmement : Création d'une académie d'Histoire musulmane dotée d'une bibliothèque universelle d'archives générales et d'un musée pour les recherches historiographiques musulmanes.

Cette académie publiera un bulletin périodique qui résumera tout ce que publient les Européens sur les musulmans dans les livres et revues, pour permettre à chaque musulman de suivre le mouvement intellectuel islamique et s'informer de tout ce qu'écrivent, bon ou mauvais, les orientalistes et autres auteurs. Cette académie sera dotée de droits d'auteurs et de la protection de la propriété intellectuelle dans tous les pays musulmans surtout ce qui s'éditera en fait d'études historiographiques relatives à l'Islam.

Huitièmement : Constitution d'une commission chargée de l'élaboration d'une encyclopédie historiographique musulmane qui servira de source d'information et de documentation authentique pour les chercheurs.

Neuvièmement : Constitution d'une commission permanente chargée de recueillir les articles de journaux ou de revues islamiques dans toutes les langues, de les classer par décades selon les sujets et de les placer dans l'ordre chronologique selon les sujets et les pays afin de faciliter l'utilisation de ces sources importantes. S'inspirer si besoin est des travaux du professeur anglais Pearson dans la brochure islamique index dans laquelle il a publié les différents sujets traités dans les revues orientalistes pour une période de cinquante ans.

Dixièmement : L'ignorance de leur histoire ancienne et moderne est l'une des causes, des conflits secouant les pays arabes. C'est pourquoi, il s'avère nécessaire de s'intéresser beaucoup plus à l'histoire des nations musulmanes anciennes et modernes dans les programmes d'enseignement comme premier pas pour promouvoir une meilleure connaissance des peuples musulmans entre eux et d'ouvrir la voie à une unité universelle.

Troisième commission :

A N N E X E

Projets de directives relatives à l'enseignement de l'histoire dans les pays musulmans.

A - L'âge de la pierre : La période demeura inchangée par contre son contenu ainsi conçu :

- 1) l'Orient arabe et islamique
- 2) l'Andalousie, le Maghrib et l'Afrique
- 3) comparaison de cette période avec celle de l'Europe en considérant l'Homo sapiens en Algérie comme l'équivalent du Cromanion en France.

B - L'Antiquité : Le début de cette période demeurera inchangé et sa fin débutera à la date de la division de l'empire romain en deux parties : la partie occidentale avec Rome pour capitale et la partie orientale avec pour capitale Byzance jusqu'à l'Hégire du Prophète.

Son contenu sera ainsi conçu :

I - Les arabes pendant la période antéislamique

- la presqu'île arabe
- Syrie
- Irak

II - Les Amazigh (Berbères) : origine

- civilisation amazigh lybique
- guerre de libération amazigh.

III - La Turquie antique

4) L'Iran antique

5) Achor

6) Les Phéniciens - Carthage - civilisation punique

7) Les Grecs (en insistant sur la contribution des peuples conquis à cette civilisation)

Les Romains

8) Les Juifs

9) Les Barbares

10) Les Vandales

11) Les Byzantins

C - Le Moyen-Age : Nous l'appellerons l'âge de la Renaissance islamique contrairement aux allégations des étrangers qui qualifient cet âge de celui de la décadence. Cette décadence s'applique pour eux et non pour nous.

1) L'apparition de l'Islam : le Message ; période antérieure à l'Hégire.

2) Les Khalifes orthodoxes (conquêtes et événements).

3) Le Khalifat Omeyyade

4) Les Abassides

5) L'apparition du Khalifat Omeyyade en Andalousie.

6) Apparition des dynasties (Tahirites, Mamulucs, Hamdanites, Aghlabides, Rostomites, Idrissides, Husseinites en Sicile).

7) Apparition du Khalifat Fatimide au Maghrib - Apparition de la dynastie Ikhchidite en Egypte

8) Apparition du Khalifat Fatimide en Orient

9) Les Sanhadjas au Maghrib

10) Apparition de la dynastie Hamadite en Algérie.

11) Les Almoravides

12) Les Almohades

13) Les Hafsides à Tunis

14) Les Zianides en Algérie

15) Les Mérinides au Maroc

16) Les Seljoukides

17) Les Ghaznaouides

18) Les Ilkhanides en Irak

19) Les Empires du Soudan

20) Patrimoine Islamique et son influence dans le contact de la civilisation avec l'Europe et son influence sur elle.

Les Croisades

D) Les temps modernes :

Depuis la conquête d'Istanbul par le sultan Mohamed et la chute de Grenade jusqu'à la campagne de Napoléon contre l'Egypte.

— Le sultanat Othoman - les nouveaux états Othomans :

— La Roumanie, la Bulgarie, la Grèce, la Yougoslavie, l'Albanie

— Evacuation des Espagnols d'Algérie, de Tunisie et de Libye

— La Piraterie (les chevaliers de Malte) lutte contre la piraterie

— La découverte de l'Amérique - l'action des historiens arabes dans l'évènement de l'Amérique

— Les nouvelles cultures et l'élevage de nouveaux animaux

— Le mouvement réformiste en Europe

— La Renaissance : la nouvelle littérature européenne ; arts nouveaux :

— le seizième siècle

— le dix-septième siècle

-
- le dix-huitième siècle
 - Le progrès des sciences, les nouvelles inventions et découvertes - Australie
 - Début du colonialisme en Indonésie, Inde et Golfe Arabique
 - Iran - Afghanistan
 - La Russie et le Monde Othoman
 - L'exode Indonésienne, causes, phases, influence des Indonésiens sur la Renaissance Economique, sociale et culturelle dans le pays où ils ont émigré
 - Aperçu sur le monde oriental

E - L'époque coloniale :

- De la campagne de Napoléon à Juillet 62
- 1) causes du colonialisme
- 2) guerre coloniale
- 3) politique coloniale
- Pays colonisés
- La Résistance nationale
- Mouvement de la Nahda dans les pays musulmans dans les domaines de la politique, de l'administration, de la médecine, des lettres, des arts, des techniques traduction andalouse : Maroc - Algérie - Tunisie - Libye - Egypte - Syrie - Irak.

— Les organisations :

Développement de la politique coloniale.

- Durcissement des mouvements nationaux

La première guerre mondiale - l'entre deux guerres et les mouvements ouvriers.

Les mouvements de libération - la seconde guerre mondiale.

- La fin du colonialisme, la première indépendance.

F - L'époque des Etats musulmans :

- Le néo-colonialisme
- Les effets du sous-développement
- L'édification - regroupement politique de planification - congrès courants politique, les deux grands, le non alignement.

RECOMMANDATIONS DE LA QUATRIEME COMMISSION

- Commission de l'Eveil du Monde Musulman aujourd'hui et sa renaissance demain et le rôle dynamique de l'Islam face aux défis du siècle et aux multiples formes d'invasion et d'aliénation -

La commission présidée par l'Eminent Professeur Mohamed EL FAHAM, recteur de l'université d'AL AZHAR, s'est réunie pour élaborer ses recommandations relatives à l'éveil du monde musulman dans le temps présent et sa renaissance universelle dans l'avenir.

Elle a tenu plusieurs réunions et étudié le sujet à la lumière des études conférences et communications et commentaires divers entendus au cours des séances plénières.

Considérant que tous les séminaristes ont été unanimes pour affirmer que l'Islam a été et demeurera la religion universelle, que le Coran n'a jamais été atteint par les différentes formes d'aliénation auxquelles se sont exposés les autres écritures, qu'il demeure toujours actuel dans sa lettre et dans son esprit - et que le progrès scientifique ne fait que démontrer d'une manière éclatante, son évidence et son rayonnement sur l'humanité.

Considérant que l'Islam est la religion parfaite parce qu'elle est l'émanation d'Allah que les musulmans sont des humains sujets à erreur lorsqu'ils s'en tiennent à la lettre du Coran sans pénétrer les gardes de son esprit et de ses visées. C'est pourquoi la commission pense qu'il est du devoir des croyants éclairés, informés du message de l'Islam de rappeler les perplexes que la logique de notre esprit et de notre comportement durant les défis du siècle, doit procéder de la même logique à laquelle Allah nous a gardé c'est-à-dire une connaissance approfondie de notre religion et le soin particulier qui mérite la langue du Coran.

Considérant l'insistance des moudjahidine sincères pour la tenue de ce séminaire et de ceux qui l'ont précédé, pour s'initier à la pensée islamique sous ses différents aspects, que la participation des savants, des chercheurs, des étudiants, de l'est et de l'ouest pour y prendre part pour l'analyse, le commentaire et les demandes d'explication est une nouvelle preuve de la justesse de cette religion et de sa vitalité; que si les générations musulmanes montantes parvenaient à en pénétrer l'esprit et en connaître le message, cela lui procurera la vigueur de pensée qui manque dans d'autres pays de l'Islam, aux générations d'égérés.

Considérant que les membres du séminaire ont été unanimes pour affirmer que les pays musulmans affrontent de nos jours, une véritable invasion intellectuelle et s'exposent à des campagnes virulentes dont le but est de semer le doute dans l'universalité de l'Islam et sa capacité à répondre aux exigences du siècle. Pour cela, ils rejettent d'une façon catégorique toute propagande pour une culture intrusive qui essaye de s'infiltrer d'une façon sournoise pour prendre la place du colonialisme vaincu dans nos pays.

Ils exhortent tous les musulmans en général et les penseurs en particulier, d'appliquer les principes moraux islamiques, celui de recommander le bien et de déconseiller le mal et de se libérer de l'attitude négative héritée des siècles de faiblesse, de croire successivement en leur livre, de reprendre confiance en eux-mêmes, bref, de réformer intérieurement leur comportement afin que Dieu les aide à échanger leur situation de demeurer rattachés à leur originalité tout en s'ouvrant sur le monde avec sagesse et détermination.

Recommande :

1) De reprendre l'initiative d'édification et d'action pour sortir le monde musulman de la position de défense qui lui est imposée par les circonstances présentes.

2) De généraliser l'enseignement de la doctrine musulmane et d'introduire cet enseignement dans les programmes scolaires à tous les niveaux.

D'ouvrir à côté des universités islamiques d'autres universités islamiques où s'enseignent toutes les sciences modernes à l'instar de ce qui existe dans certains pays musulmans.

Cet enseignement doit se faire d'une façon judicieuse et claire qui convient à l'esprit moderne et le raisonnement scientifique sans pour cela sacrifier l'essence de la doctrine et l'esprit qui la caractérise.

Le séminaire saisie cette occasion pour saluer l'Algérie et son gouvernement éclairé qui a pris l'initiative de fonder une université islamique à laquelle nous souhaitons tout le succès voulu et demande instamment à ce qu'un nouvel essor soit donné aux grandes universités musulmanes telles que la Zitouna de Tunis, l'université islamique de Libye, l'université islamique d'Oum Darman au Soudan et l'université Elikn en Inde et leur porter assistance pour leur permettre d'assumer leur message de la façon la plus parfaite.

3) La création dans les différents pays musulmans d'instituts d'enseignement dont le but est de former des messagers compétents ayant une large culture musulmane et une connaissance étendue des langues pratiquées par les peuples musulmans non arabes, telles que l'Iranien, le Turc, l'Ordon, l'Indonésien, le Sawahili, tout en introduisant l'enseignement des langues étrangères.

4) Le séminaire recommande de propager la langue arabe classique parmi la jeunesse des pays musulmans et d'inviter les peuples et les gouvernements arabes de s'acquitter de leur rôle pour la réalisation de ce but, que ce soit en créant des établissements d'enseignement de l'arabe en pays musulmans non arabes, ou en y envoyant des missions de professeurs arabes, ou en échangeant des groupes d'étudiants.

5) D'autre part le séminaire recommande de resserrer les liens de la pensée islamique entre les pays musulmans arabes et non arabes. Ceci en procédant à la traduction des grands ouvrages écrits sur l'Islam, sa culture, sa civilisation, dans les langues de ces derniers pays, de s'informer d'une façon continue sur tout ouvrage écrit sur l'Islam par les étrangers ; ce en vue d'en contrôler le contenu, l'apprécier, et réfuter toute erreur ou déviation, y incluse.

6) Le séminaire exprime toute sa reconnaissance et salue les pays musulmans qui ont conservé l'alphabet arabe pour transcrire leurs langues et lancer un appel aux pays qui ont adopté un alphabet étranger en vue de réviser leur décision, ce dans le but de préserver le lien culturel qui les lie à la langue du Coran et à l'héritage de l'Islam.

Deuxièmement :

Recommandations d'ordre pratique :

1 - Le séminaire recommande de prendre soin de l'éducation de la jeunesse musulmane, afin de donner à cette éducation un caractère islamique basé sur la vraie foi, que ce soit au sein de la famille, des foyers, de jeunes, ou des organisations des jeunes : ce en vue de compléter l'enseignement de l'école et de donner naissance à une génération de musulmans forts par leur foi, leur volonté, capables de vaincre les obstacles et d'affronter tout défi.

2 - Le séminaire recommande d'autre part d'aider et de subventionner les institutions sociales, les associations de bienfaisance qui secourent les indigents et les pauvres. Ce en application du principe de solidarité entre musulmans et en vue d'arrêter la propagande missionnaire qui se manifeste par l'action de bienfaisance.

3 - Le séminaire recommande d'établir des contacts avec les musulmans émigrés dans les pays étrangers ainsi qu'avec les musulmans citoyens de ces pays en vue de s'informer de leur situation, de subvenir à leurs besoins et de leur inculquer le véritable Islam.

4 - De coordonner les relations entre les institutions des différents pays musulmans afin de regrouper leurs efforts dans tout domaine d'action pour le bien de l'Islam et des musulmans.

5 - Le séminaire se doit de lancer un appel à toute la nation musulmane peuples et Etats, en vue d'agir avec détermination et positivement en vue d'aider matériellement et moralement la révolution armée du peuple palestinien, et de lutter par nécessité contre la spoliation sioniste qui vise à effacer l'Islam et sa civilisation.

Le séminaire relate à cette occasion, avec grand regret les méfaits d'Israël qui a incendié la mosquée d'El Qods, et qui poursuit la destruction des lieux saints musulmans, la création des colonies juives au lieu et place et proteste contre les atrocités, les exécutions et les internements dont souffrent les musulmans en Palestine occupée.

Le séminaire en appelle à tous les musulmans pour condamner les tentatives de liquidation de la cause palestinienne, de les faire échouer avant qu'il ne soit trop tard; les invite à considérer la révolution Palestinienne comme le seul représentant légal du peuple Palestinien.

Le séminaire dénonce par ailleurs, les agressions répétées des Chrétiens contre nos frères musulmans des Philippines, et leur demande d'intervenir pour mettre fin à ces traitements contraires à tous les principes humanitaires.

6 - Le séminaire invite les peuples et gouvernements musulmans à redoubler de vigilance afin de se libérer de toutes les formes d'exploitation étrangère; les invite à déployer tous leurs efforts pour élever le niveau culturel, social et économique de leur pays.

Leur rappeler que le sous-développement dans ces domaines, les rend vulnérables à l'invasion intellectuelle et coloniale. Car il a été établi d'une façon évidente que le colonialisme culturel et économique est plus dangereux pour les musulmans que le colonialisme politique et militaire.

7 - Le séminaire recommande la constitution dans chaque pays participant d'une commission chargée de suivre l'exécution de ces recommandations.

8 - Le séminaire recommande de se dresser comme un seul homme devant leurs ennemis qui apportent appui et assistance aux sionistes dans l'exécution de leur plan impérialiste et de les boycotter.

Au Nom de Dieu, Clément et Miséricordieux,

Que le Salut et la Bénédiction de Dieu soient sur son Prophète Mohammed.

L'avis de la commission d'Al Iftaâ, en ce qui concerne l'utilisation du calcul astronomique pour la détermination des dates et horaires des pratiques et des fêtes religieuses - dont le jeûne du ramadhan et la prière - et l'établissement d'un calendrier islamique unique.

La commission d'Al Iftaâ, réunie le 29 moharram 1392 H, correspondant au 13 avril 1972.

Après avoir examiné les textes religieux et passé en revue les opinions des savants musulmans, anciens et nouveaux, aussi bien ceux que préconisent que ceux qui rejettent la prise en considération du calcul astronomique et son utilisation pour la détermination de la naissance des nouvelles lunes - dans le cas où la vision du croissant lunaire ne serait pas possible - et notamment l'étude du grand savant et moudjtahid, le cheikh Mohammed Rachid Rédha, incluse dans son exégèse d'Al Manar, ainsi que les recommandations du Congrès des Ulémas tenu en Malaisie du 21 au 27 avril 1969.

Considère : Que l'utilisation du calcul astronomique et des évaluations réalisées par les observatoires est licite et qu'il est permis de s'y rapporter pour déterminer les dates et heures de toutes les pratiques et solennités religieuses - y compris la naissance des nouvelles lunes des mois de ramadhan et chouël, pour la fixation du commencement et de la fin du jeûne.

— Qu'il appartient aux responsables musulmans de prendre dans ce contexte toutes décisions qu'ils jugent conformes aux objectifs et aux textes religieux, attendu :

— Que l'un des objectifs poursuivis par le Législateur consiste à concrétiser en tant que moyen et en tant que finalité l'accord le plus étroit de la nation dans l'observance de ses obligations religieuses et qu'il est évident qu'un tel accord n'est possible qu'à condition d'adopter l'application des calculs astronomiques.

— Que cette adoption est plus rapprochée des vrais desseins de notre religion, qui visent, en l'occurrence, à fixer de façon exacte et ferme, les dates et les heures des pratiques et des événements religieux, et à exclure tout désaccord à leur propos. Car il va sans dire qu'en demandant aux fidèles de déterminer le temps de leurs obligations par la vision oculaire - dans le but d'alléger la charge de ces mêmes obligations en faveur de la nation ignorante - le Législateur n'y voyait - dans sa sagesse - qu'un moyen de lui en assurer la connaissance et non une injonction inimaginable d'adorer la nouvelle lune ou tout autre phénomène naturel.

— Que les calculs élaborés dans les observatoires apportent de nos jours un concours précieux au progrès des sciences exactes, ces mêmes sciences qui nous ont fait un devoir d'assimiler et de promouvoir, et qui représentent l'un des objectifs de notre religion, comme en témoignent ces versets du Coran :

«C'est Lui qui a fait du soleil une source de lumière et de la lune un éclairage, et a fixé les phases de celle-ci afin que vous connaissiez (par le calcul) le nombre des années et la mesure du temps» (1).

«Le soleil et la lune évoluent d'après des lois fixes» (2). Dieu a dit également dans le verset relatif à la «nuit et au jour» : «...afin que vous recherchiez la grâce de votre Dieu et que vous sachiez calculer le nombre des années et mesurer le temps» (3).

— Qu'en cas d'obscurcissement du ciel, à cause des nuages, par exemple, intervient la connaissance astronomique basée sur les calculs et établissant soit la naissance de la nouvelle lune - celle-ci est-elle visible ou non à l'œil nu - soit sa non-apparition, alors que toute autre connaissance ne saurait se fonder en la matière que sur des suppositions.

— Que l'une des règles de notre religion accorde la préférence à la conviction sur la croyance entachée de doute et ne permet pas d'avoir recours à celle-ci en présence de celle-là.

— Que si l'on objecte que le concours assuré par le calcul à la science exacte est, dans le cas qui nous préoccupe, une affaire qui regarde uniquement l'astronome, le Cheikh Mohammed Rachid Rédha, a d'avance répondu à cette objection en déclarant : «Les dirigeants musulmans convaincus de son bien-fondé, peuvent décider par un acte d'autorité l'utilisation officielle de cette méthode, afin que celle-ci soit le seul critère valable pour tous». Il a, en outre étayé son propos en rapportant une troisième opinion de l'Imam Ahmed en ce qui concerne l'attitude à adopter par les fidèles en cas d'empêchement de la vision du croissant lunaire, en disant notamment : «Ils (les fidèles) doivent dans ce cas s'en rapporter à l'avis de l'Imam (c'est-à-dire du roi ou du détenteur du pouvoir) pour la fixation du commencement et de la fin du jeûne».

— Que tous les musulmans se fient au calcul astronomique pour déterminer les heures des prières - et aussi pour commencer ou rompre le jeûne quotidien - et il est connu que la prière constitue pourtant, de l'avis unanime de tous nos savants, le pilier de la religion et une piété beaucoup plus importante que le jeûne du ramadhan.

— En conséquence, la commission recommande, comme il a été préconisé par le Cheikh Rachid Rédha et le congrès des Ulémas de Malaisie, l'établissement d'un calendrier général fixant les dates où la nouvelle lune de chaque mois pourrait être visible, sauf empêchement, dans tous les pays. Ce calendrier serait distribué dans le monde pour être suivi par tout pays musulman. Au cas où un peu partout des groupes de fidèles désignés à cet effet observeraient la naissance de la nouvelle lune, leurs témoignages seraient évidemment les bienvenus et confirmeraient les prévisions de ce calendrier unique.

Il n'est pas douteux que l'usage d'un tel instrument uniforme ne concoure à éliminer un facteur de division entre les musulmans et à renforcer l'harmonie et la concorde qui doivent caractériser leurs relations. Puisse Dieu nous guider dans le droit chemin.

(1) - *Sourate de Jonas, Verset 5.*

(2) - *Sourate du Clément, Verset 5.*

(3) - *Sourate du Voyage Nocturne (et de l'Ascension), Verset 12.*

فهرس المدد

افتاحفة :

- دور التعلفم الاصلى فى ثقافتنا الحدفنة
دراسات ثقاففة وادففة :
- الاستلاب السفساف
الوطفة الثقاففة للمغرب العربف
الاففولوجفة الثورفة فى الحركة الوطنفة
نفثشف والاغلاق الدولفة المعاصرة
دراسة حول دفوان محمد المفد
الجزائر فى الاءب المغربف الحفدف والمعاصر
الكتاب والحضارة
مراكز الثقاففة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ
الموشحات فن اصفل ومتطور
الارض والهجرة
ابن هانف الاندلسف
ابراهفم بن اءمء الففجففى وقصفدفه الطرطفة
« روضة السلوان »
- عثمان شبوب 3
عء المجفء مزان 11
عثمان الكعاك 19
محمد قنائش 25
د. عء الله شرف 31
د. محمد رشدف حسنف 47
د. عباس الجرارى 65
عء المجفء مزان 75
المهنف بوعفءلف 85
د. الطاهر اءمء مكف 109
د. عمار بوحوش 121
اءمء بن ذفب 131
رافع بونار 139

نقد :

- رءا على قرفظ كتاب « مسفرة شمال افرفقا »
ويفلق ما لا تعلمون
التعرفب الجامف فى المفران
دراسات تاريخفة :
- محمد الشرف ساحل 145
مفلدف زكرفاء 149
د. عء القاءر حلفمف 155

رسائل جامففة :

- دور قفبله كئامة فى فكوفن الدولة الفاطمفة
الشعر الءفنف الحفدف فى الجزائر
النشاط الثقافف
- د. موسى لقبال 173
د. عء الله ركفبف 177
185

الكلمة التذكارية للرئيس لوكربي على عهده (الرئيس)

من بين الانجازات التي نحتسم بها هذا العام
انجاز نفخر اليوم بوضع حجر التذكاري ليكون دعامة
لثورتنا الثقافية، وضمنا من ضمانات المقومات
الاساسية لشخصيتنا العربية الاسلامية، واساسا
روحيا لبنائنا الاشتراكي.

وان اهتمامنا بامثال هذه الانجازات يعبر
عن ايماننا بأن أمة تكفي بالبناء المادي دون
الاهتمام بالجانب الفكري والروحي، هي أمة بدون
شخصية أو كيان.

وفقكم الله وسدد خطاكم

هولدي لوكربي

رئيس مجلس الثورة ورئيس مجلس الوزراء

دور التعليم الأصيل

في ثقافتنا الحديثة

لعل أهم حدث ثقافي سجل في اطار الثورة الثقافية وتوجت به انجازات هذه السنة هو اشراف السيد رئيس مجلس الثورة والحكومة الأخ هوارى بومدين بنفسه على وضع الحجر الأساسى لثانوية بلكين (1) للتعليم الأصيل بالعاصمة الذى جاء تأكيدا واضحا من طرف الدولة على تدعيم هذا النوع من التعليم الذى عاش ردحا من الزمن معرضا لشتى أنواع الضغوط والابادة من طرف الاحتلال الأجنبى الذى لم يقتصر على الغزو العسكرى والاحتلال الادارى والاستغلال الاقتصادى، بل عمد الى تحطيم الاعمدة التى تقوم

عثمان شبوب

(1) تكفلت وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية بانشاء وتجهيز هذه الثانوية التى تكون من 40 فصلا دراسيا بالاضافة الى 4 مغابر . وتستوعب 2000 طالب من بينهم 800 طالب داخل . وتستغرق مدة تنفيذ الاشغال 24 شهرا ، ومجموع تكاليف البناء : 281.014.40 د ج . ويقوم بتنفيذ البناء المركب المعمارى والاشغال العمومية على مرحلتين تدوم كل مرحلة 12 شهرا .

وجدت لها صدى فى نفوس وعقول نفر من أبناء وطننا ممن تتلمذوا على أصحاب هذه الكتابات مباشرة ، أو ممن انفعولوا بها بطريقة غير مباشرة، مثل الترجمة ، وهم لا يجدون بأسا فى أن نـمحو صفحتنا الماضية بكل ما خط فيها من مآثر فكرية ومادية ، لنملأها بالثقافة الأجنبية وحدها ، بغير إضافة أو تعديل .

وإذا كان لموقف النفر الأول الذى تضلع فى الثقافة غير العربية ، بعض الايجابية ، بما عرض من فنون وألوان هذه الثقافة ، أما عن طريق الترجمة المباشرة ، أو عن طريق تمثيلها ودمجها فى شخصيته ونظراته للحياة فى أشمل ميادينها، وأرحب آفاقها ، فإن النفر الثانى المنفعل، لا تزيد نزعته عن أن تكون تعبيرا عن عقد نفسية أكثر منها اختيارا فكريا مدروسا . وتلمس ضعالبته الفكرية فى هذا الطابع الخطابى والانشائى والتعميمى الذى يبدو على كتاباته ومعالجته لهذا الموضوع .

فموقف هؤلاء عبارة عن تمرد صبيانى وليس ثورة واعية كما يحاولون أن يوهـموا به غير العارفين .

ان هذين النموذجين فى حياتنا الثقافية لا يمكن أن يلعبا أى دور ايجابى فى المعركة

عليها شخصيتنا وهى اللغة ، والدين ، والتاريخ ، وكل القيم الفكرية والاخلاقية التى نستمـد منها معنى وجودنا وهويتنا .

فقد كان هؤلاء المستعمرون يرون أن الواجب يدعو الى مقاومة « التعصب الاسلامى » على حد تعبيرهم لأنه يمثل الحاجز الأقوى فى وجه ما كانوا يسمونه بحركة « التمددين » والتبشير ولأنه الاطار الأشمل الذى يحوى كل مقومات الشخصية العربية الاسلامية .

كما ركز البعض منهم على تحطيم اللغة العربية وخاصة فى بلدان المغرب العربى، ووضع لذلك مخططات مدققة ، أما لابقائها محصورة فى الكتابات ، أو قصرها على بعض المواد الدينية واللغوية، أو حذفها تماما فى المدارس الفرنسية .

واما بالنسبة لتاريخنا فقد تعرض هو الآخر لشتى ضروب التشويه والمسـخ وأبرزت بشكل مقصود الجوانب المظلمة ، وتجهلت الجوانب المضيئة ، والمشرقة ، وعللت بعض الأحداث بصفات سلبية ، ونفى أن تكون بلادنا كيفت التاريخ بارادة ابنائها .

والمؤسف أن هذه الكتابات المفرضـة

ان تطبيق هذا البرنامج بنفس الوعى الذى وضع به ، وأعنى بذلك السهر بصفة دائمة على تكوين اطرار يتكامل فيها هذان البعدان من أبعاد هذا التعليم : بعد الأصالة ، وبعد المعاصرة والتفتح ، لتتولى تطبيقه بشكل سليم ، وابعاد العناصر المتعلقة التى ما تزال تعتقد « بأن الكون هو ما قد كان » لا « ان الزمان الحى هو ديمومة متصلة واستمرار دائم » كما يقول برغسون أو كما يقول أيضا « ان المقولة الأولى من مقولات الوعى التاريخى لا يمكن أن تكون هى الذاكرة أو التذكر ، بل هى الترقب أو الانتظار، والرجاء أو الاستباق »

أقول ان التعليم الاصلى بمراعاة هذه الشروط يمكنه أن يلبي رغبتنا فى تحقيق التقدم التقنى والفنى ، لا على حساب تجاهل القيم الوطنية والانسانية ، وانما لفائدة ازدهارها وأداء وظيفتها فى تكوين مجتمع متناسق متوازن .

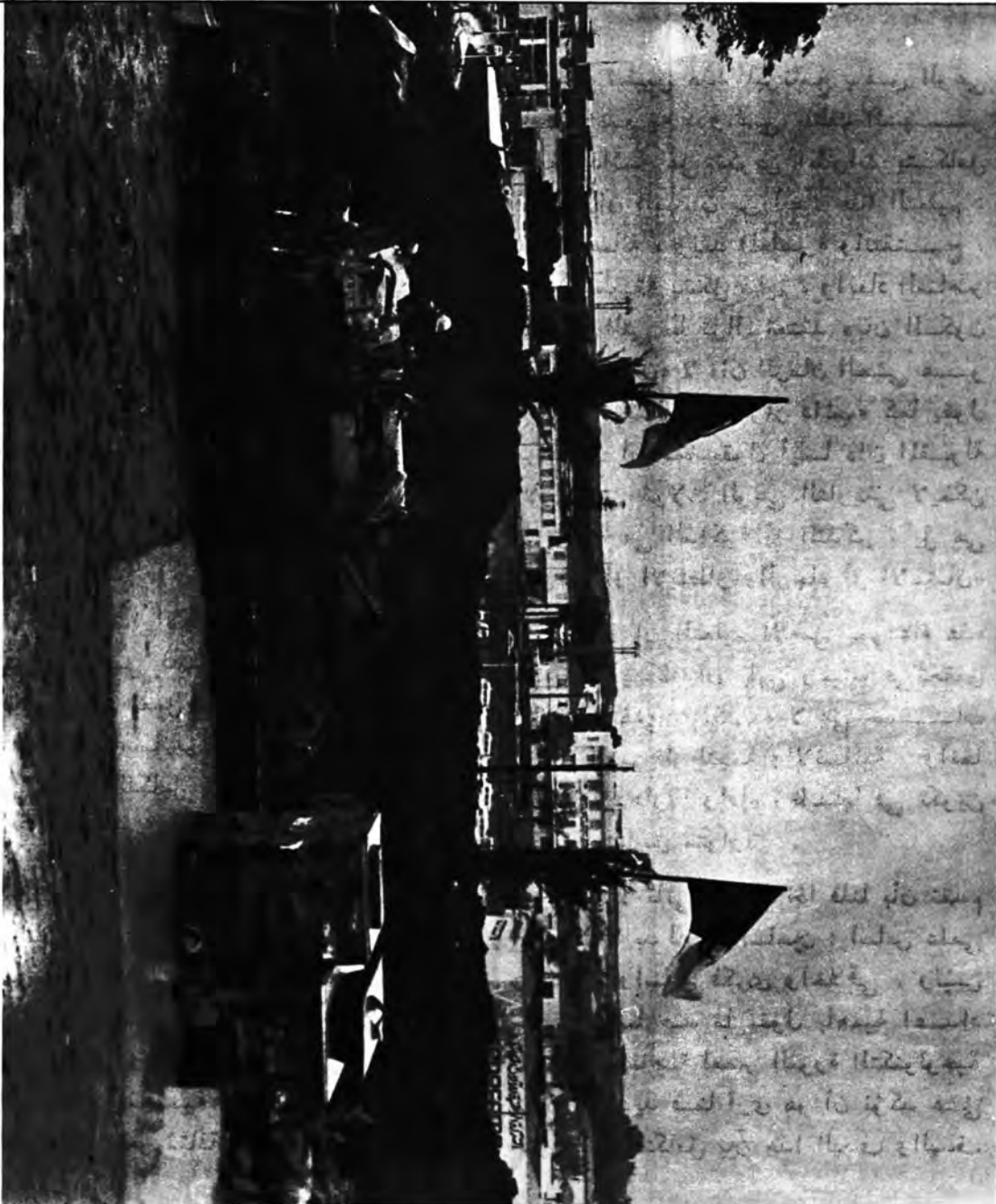
، اننا لا نأتى بجديد اذا قلنا بأن تقدم الشعوب لا بد له من أساسين : أساس علمى وتقنى ، وأساس فكرى وأخلاقي ، وليس جديدا أيضا عند ما نقول بأهمية اعداد الاجيال الصاعدة لعصر الثورة التكنولوجية غير أن الجديد فيما أرى هو أن نؤكد على الترابط والتكامل بين هذا الهدف والهدف

الثقافية التى نخوضها ، باختيارهما طريقة الهروب الى الأمام ، والدويان فى عالم غير عالمهم .

ورأى أن الثقافة العربية الاسلامية الحديثة قد بدأت تتضح لها معالم الطريق من خلال تيار ثقافى صاعد ، أخذ يحتل مكانه فى حياتنا الثقافية ، وهو المؤهل لأن يضطلع بالمواجهة الثقافية مع مشاكل الحياة المعاصرة بكل تعقيداتها وتشعباتها ، وأن يصوغ ثقافة العصر فى مقولات الثقافة العربية الاسلامية كما عرفتها عصورها الذهبية الأولى .

وفى هذا الاطار يمكن أن نضع التعليم الاصلى كأساس لهذه الثقافة الحديثة التى نعمل على اشاعتها فى المجتمع . واذا تأملنا برنامج هذا التعليم نجده يحقق هذا التكامل بين الأصالة والتفتح :

فالى جانب تدريس المواد الاسلامية كالفقه والتوحيد ، والتفسير ، والسيرة ، وأصول الدين ، والفلسفة ، نجد المواد العربية والعلوم الحديثة والرياضيات والفيزياء ، والكيمياء ، والتاريخ ، والجغرافيا ، وما يتبعها من تدريس اللغتين الاجنبيتين الفرنسية والانجليزية تسير فى خط واحد نحو ثقافة متكاملة .



جانب من الأرض التي تقام عليها لائوية بلنكين للتعليم الاصل يعني حسين داي بالخاصية
وهو مكان استراحة ممتاز الكثير من طرف الاخ الرئيس هوادي بومدين بنفسه

التي أطلقت شرارة البحث العلمى التجريبي
فى العالم ؟

وأما بالنسبة لليابان فان الوثبة التي
حققتها منذ بداية عصر مييجى عام 1868
ما تزال تثير اهتمام المؤرخين والاقتصاديين
فى العالم، وأكثرهم يشير الى العناية العامة
بالتعليم التقنى خاصة، والجهود الاستثنائية
فى مجال تصنيع البلاد

غير أن جل الباحثين المحققين لا يقنعهم
هذا التأويل وحده ، بل يبينون أن أساس
هذا كله ، ان التربية اليابانية لم تهتم
فقط بالتعليم التقنى ، بل عنت فوق هذا
بغرس جملة من المبادئ الخلقية والقيم
الفكرية اليابانية القديمة وجعلتها تسير
فى انسجام مع الأفكار الجديدة للثورة
التقنية فى اليابان ، بل وان اليابانيين
ليعتبرون هذا التأليف بين الأفكار القديمة
والأفكار الجديدة هو أهم ميزات ثقافة
اليابان ومزاجه الوطنى .

وهذا مثل الصين الشعبية التي
استطاعت أن توائم بين تقاليدھا الثقافية
القديمة ، والادولوجية الماركسية
الحديثة ، وكانت ثورتها الثقافية مجالا
خصبا لعملية التلاقح الناجحة هذه .

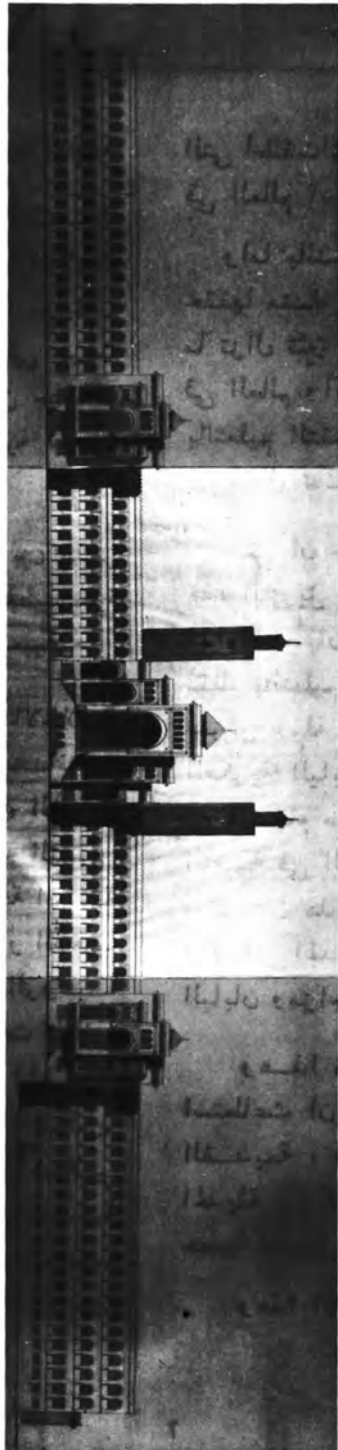
وهذا الاتجاه الى الاهتمام بشكل

الآخر ، وأن تؤكد الصلة الدائرية بينهما .

وشواهد التاريخ العديدة أمثلة
صارخة على ما نقول : انها تبين أن الأمم
التي استطاعت أن تنهض نهوضا سريعا ،
وتخلق حضارة جديدة هي التي عرفت
كيف تجمع بين العلم والتقنية من جهة ،
والقيم الفكرية القومية والانسانية من جهة
ثانية .

وقد تتضح لنا أهمية الجمع بين هذين
العنصرين المترابطين فى مثال الحضارة
الاسلامية واليابان ، والصين الشعبية .

فبالنسبة للحضارة العربية الاسلامية
فقد كانت وليدة قيم روحية وانسانية ،
أمن بها المسلمون ، وأذاعوها بين الشعوب
الأخرى ، وان هذه القيم الروحية التى
احتضنت فى قلبها التجربة الثقافية العلمية
التي ازدهرت وفتحت فى العصور الذهبية
الأولى للاسلام ، وان تلك القيم الروحية
التي أشاعها الاسلام هي التي أنتجت المنازع
العلمية التجريبية التي عرفتھا الحضارة
العربية الاسلامية ، وان المنازع الفكرية
والانسانية فى المجتمع العربى الاسلامى
هي التي تزوجت مع المنازع العلمية
التجريبية ، أو ليست المعجزة الاسلامية
كما يقول فانتيجو وسواه هي تلك المعجزة



منظر عام لتصميم ثانوية بلكين للتعليم الاصل بالماصمة

ان الذين يقدمون مثالاً أوروبا دائماً كحجة دامغة ، ينسون انه لولا أوروبا الزراعية القديمة لما كانت أوروبا الصناعية الحديثة ، فالثقافة الاوروبية القديمة هي التي صنعت أوروبا الحديثة .

صحيح ان هذا التراث القديم يحتوى دوماً على عناصر ميتة ، ولكن المهم هو أن هذا التراث يحتوى على نواة حية هي التي لعبت دوراً في تحريك المجتمع ، ولذلك عند ما نريد تجديد مجتمعاتنا على أسس من تراثنا القديم ، فاننا نعمل الى التخلص من الجوانب السلبية المتهترئة، وبعث الحركة فى النواة من جديد .

وهكذا فاننا اذا أردنا أن ندخل فى عهد الثورة الثقافية فعلياً أن نهتدى الى هذه النواة لتكون محركها وروحها .

عثمان شبيب

القيم ، ظهر واضحاً فى اتجاه أغلب المعاهد والكلليات العلمية فى الشرق والغرب ، حتى ذات التخصص العلمى الضيق ، لادخال العنصر الفكرى والفلسفى ضمن برامجها لاعتقادها ان التقنية ليست عملاً علمياً بآردا ، بل لا بد من ارتباطها بقيم اجتماعية وانسانية تتفاعل معها ، ومن لقاءهما تنبثق دينامية التقدم لفائدة العلم ولفائدة الانسان أولاً وقبل كل شيء .

وبدئى أن لكل شعب قيماً خاصة انحدرت اليه من تجربته الثقافية والحضارية ولا بد من تكييفها مع القيم الانسانية الأخرى المعاصرة لتسهم بشكل ايجابى فى تقدمه العام .

كل هذا معروف . غير أن الظاهرة التى ينبغى توضيحها ومناقشتها هي ظاهرة وضع التقدم العلمى بمظاهره المختلفة ، والتراث الفكرى والثقافى القديم لأى شعب ، كشيئين متناقضين .

منشورات وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية

قريباً سيصدر كتاب :

الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني

لمؤلفه

الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي



تحقيق

المهدي البوعبدلي



من احاديث الرباط :

طوفان الاستلابات

الإستلاب السياسي

الفيلسوف :

تتضمن المفاهيم المتعلقة بالسياسة كثيرا من القموض ، والاضطراب العاطفي . والتنقيب عن المعنى الاصل قد يردنا الى ان نحصر المفهوم في تدبير المدينة . ولكن طرائق التدبير ، ومبادئ هذا التدبير ، وحجم المدينة ، وتخصص المدبرين كلها مشاكل فكرية تجرنا الى النقاش الطويل المتشعب .

3

عبدالمجيد مزريان
استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

عالم الاجتماع :

نماذج مما هو كائن في أنواع الحكم مثلا ، قررت انطلاقا من هذا بأن الاستبداد الآسيوي يتصور في جنكيز خان وتيمور لنك ، والديكتاتورية في هتلر ومن يشابهه في طرائق الحكم ، فانا انطلق من النماذج الحية لأتفهم النماذج النظرية . واما ان أتعدى حدود هذا الموقف النظرى ، فيبدو لى أن ذلك هو الحيال الطائش .

الفيلسوف :

ليس الحيال الناقد ، المتصور لمجتمعات أفضل من النماذج الموجودة ، فى حدود من الواقعية الراجعة الى تحديد امكانيات التطبيق ، مما يجوز وصفه بالطيئش . ذلك أن الثورات مثلا كانت فى انطلاقها نقدا لنماذج موجودة وتصورا لنماذج أخرى من التدبير السياسى ، فى حدود تفكير واقعى . اما تقريرنا أن الميدان السياسى ميدان حتميات مطلقة فمعناه اننا ننفى التطور التاريخى من الاساس .

المؤرخ :

نظرتى الى السياسة من خلال التاريخ جد متشائمة ذلك انى أرى الابداع الانسانى منذ أول حضارة بشرية معروفة وهى حضارة « الفراعنة » ، انما هو ابداع ضئيل . فالسياسة كما كان يراها الفراعنة عبارة عن قهر للشعوب وقد أخذت مختلف الحضارات التى اتت فيما بعد بهذا المبدأ السياسى نظريا وعمليا . فالروم والفرس أهل تدبير سياسى على القهر . اما النموذج الديمقراطى الذى عرف عند اليونان فلم يكن ممكن الوجود الا فى المدن الصغيرة . ولقد انمحي من الوجود بمجرد ان اتسعت المدن

تحديد النقاش يقتضى الاختيار بين منهجين . اما أن ننظم الى النماذج المدنية الموجودة أو التى وجدت فى التاريخ لتدرس كما هى ، وهذا المنهاج الوضعى هو الذى يجرى عليه العلماء ، واما ان نوسع الموضوع الى مبادئ التدبير ونصبح باحثين خياليين وعاطفيين ، ورغم ما للخيال والعاطفة من قيمة فى هذا الميدان فانى أرى ان الطريق الوضعى أصوب .

الفيلسوف :

يجب أن نحتز من ذلك النوع من الوضعية المضيق لآفاق التفكير ، خصوصا فى ميدان انساني مثل ميدان السياسة والمدنية ، حيث الطاقة الخلاقة للبشر وأنواع الابداع كثيرة ومتنوعة . فالخيال كمنطلق تغيير الاوضاع « الوضعية » كما تقولون ، والعاطفة كأساس للنقد الاخلاقى مثلا تعد من صميم السياسة المدنية . وحتى لو كنت وضعيا صلبا فانا لا أومن بوجود نموذج للانسان السياسى لا يتغير ، ولا أرى انه يعيش ويعمل حسب قوانين حتمية تجعله كما يقول ماكيافيلى الرجل « اللااخلاقى لان الاخلاق ليست ميدانه » فعيب المنهج الماكيافيلى هو الاسراف فى الوضعية الذى يجر الى حصر السياسة المدنية فى التطبيقات كما نقول اليوم .

عالم الاجتماع :

جلنا يرى أن السياسة المدنية محصورة فى التطبيقات ، ومن أجل ذلك صرنا نعتبر النماذج الكائنة هى المنطلق الوحيد للبحث العلمى فاذا أخذت

الفيلسوف :

المهم أن نتتبع أنواع الاستلاب السياسي مهما خفيت ذلك ، ان كل تخصص يؤدي الى تنصيب جماعة حاكمة باسم القوة ، أو باسم القانون ، أو باسم مبدأ من المبادئ يجر معه سيلا عارما من الاستلابات . كما سنرى . وعلينا الاختيار بين أمرين : اما احصاء هذه الاستلابات للتخفيف منها واما التفكير في بناء مدنى جديد على أسس لا قهرية . اما ايماننا بالنموذج المدنى الحتمى الذى يفرض حتمية السلطان القاهر فعقم فى الخيال السياسى .

المصلح الدينى :

نخشى ، اذا أطلقنا العنان للخيال السياسى أن ننجر مع ذلك التيار الذى ينتسب الى «الطوبى» أو أنواع المدن الفاضلة كما كان يسميها القدماء ، فنصبح متخيلين للعدالة بكيفية مطلقة ، وللمجتمع المثالى بكيفية شبه فوضوية . بل يجب أن نرى فى الواقع الاجتماعى منطلق كل تفكير اصلاحى ، حتى لا نتيه فى شبه شيوعية أفلاطونية ، أو شبه اباحية منبثقة من مقتنا العاطفى للمجتمع . واذا اردنا أن نرفع الاستلابات السياسية فعلىنا أن نرجع الى الاخلاق لنربط بها المجتمع فى بنائه ونشاطه .

الفيلسوف :

كان دائما هذا الموقف هو عيب التفكير عند الكثير من المصلحين الدينيين : اقرار الواقع السياسى ، ثم محاولة اصلاح هذا الواقع السياسى بالدعوة الى مبادئ أخلاقية . أما التفكير فى ثورة قاضية على المجتمع الفاسد من جذوره وتبديله

والاوطان وليس ابن خلدون بالبعيد عنا وهو الذى عرف السياسة بناء على النماذج الاسلامية بأنها « السلطان القاهر » . ولست أرى أى نوع من الحكم يوجد اليوم منقطع الصلة بالفرعونية القاهرة للشعوب . فاما قهر بدائى من النوع الاسيوى الغليظ واما قهر بالحيل والتستر وراء الديمقراطية ، واما قهر بالتسلط الروحى الذى هو الدعاية وأنواع المخادعات الفكرية والفرعونية كانت تركيبا من كل هذه الأنواع .

طالب :

هل يمكن ان نقول بان الاستلاب السياسى هو هذا السلطان القاهر الذى ذكرتم .

الفيلسوف :

ان الاستلاب السياسى أوسع آفاقا وتأثيرا من القهر الذى يبدو لنا واضحا فى ممارسة السلطة .

عالم الاجتماع :

تتكلمون عن الفهم السياسى بطريقة معيارية كأنه الشر بنفسه ، والواقع أنه من صميم الحياة المدنية . انه نتيجة توزيع الاعمال والتخصص . وهو الوسيلة التجريبية ولا ادعى انه الوسيلة العقلانية ، لتدبير المدينة . فالقهر السياسى استلاب فى حالات معينة وهى حالات التطرف فى بعض النماذج البدائية للحكم . فالسلطة الفردية مثلا والتسلط الطبقي العنيف من الاستلاب السافر . أما وجود الحاكم والمحكوم فشرط من شروط الوجود المدنى نفسه .

الفكرى والسياسى بأكمله ، وهو على كل حال لا يتخيل تقاطعا بين نموذج ممكن الوجود والنموذج القديم ، بل ذهب الى مسايرة هذا النموذج القديم ، وما طال الامد باتباع ابن تومرت حتى غرقوا فى الحمر والجوارى ، ليست الدورية الحلدونية سر من الاسرار العميقة فى الحياة الاجتماعية والتاريخية ، ولكنها محصورة فى عقم الخيال السياسى عند رجال القرون الوسطى .

المصلح الدينى :

لا يخلو التفكير الدينى من خيال سياسى وروح ثورية لانه جاء لتقويض البنيات القديمة التى تسمونها بالفرعونية ، رغم ان هذا التفكير يحمل الناس عاطفة خلقية تمكنهم من التحول الى بناء مجتمع عادل « فالجماعة الاخلاقية فى الاسلام الاول وهى المتكونة من النزهاء مثل على ، وعمر ، وابن مسعود ، وأبى ذر ، فشلت فى مهامها بعد طغيان الارستقراطية التجارية ، ولكن الفكرة باقية ، ويمكن تجديدها .

الفيلسوف :

نحن متفقون فيما يخص ثورية الاديان ، نظريا ومبدئيا ، وما هو صحيح بالنسبة للاسلام الاول ، فهو أيضا صحيح بالنسبة للمسيحية الاولى مثلا . لكن مقتضيات كل دراسة عقلانية تجعلنا ننظر أيضا الى الدين التاريخى أى كما عاشه الناس . وهنا نلمس عقم التفكير السياسى عند جل المفكرين المنتسبين لمختلف الاديان . ذلك أنهم مرتبطون دائما بمشروعية ما ، وانهم غارقون فى الهياكل القانونية

ببناء جديد فكان يعد دوما من قبيل الخيـال الطائش ، فالاخلاق المطلقة التى يتشبثون بها مجرد مبادئ غامضة . واذا تعمقنا موضوع الاخلاق والسياسة فسنجد أن لكل مجتمع أخلاقه ، وقد تكون فى الغالب أخلاق هذا المجتمع مع سياسته بنية فكرية واحدة ، رغم وجود فوارق فى التطبيق ، وصغار الثوار يلجأون الى اصلاح التطبيقات ، وقلما يشتهون الى اصلاح البناء الفكرى . هنا يلعب الخيال السياسى دوره البناء . فكانى بكم تحكمون على الخيال الفكرى فى السياسة كما يحكم عليه المحافظون فى الاحزاب السياسية لانهم يخشون انهيار البناء الذى عليه تعتمد كل امتيازاتهم ومكتسباتهم ، وما رأينا المحافظين ينظرون الى الاخلاق الا كأنها السند الفكرى للامتياز المادى .

وعيب رجل الاخلاق أو شبه المصلح الذى « يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر » هو نظريته الجزئية السطحية التى تجعله يماشى الواقع فى أجزائه النافهة غير منتبه الى تفرعها عن البناء الضخم الذى هو المجتمع بما فيه من اقتصاد وسياسة . وما يختلف اثنان فى أن الواقع التاريخى أو ما نسميه بالحياة السياسية يخضع جله للصدف . فتلفيقات الثورات السطحية التى تبدل الاشخاص والجماعات الحاكمة ، والادعاءات اللفظية للمصلحين الاجتماعيين كل ذلك لا يتعدى مرحلة مسايرة الصدف . وهذا راجع الى عقم الخيال السياسى . وان بطولات مثل هؤلاء المصلحين بطولات كاذبة . فابن تومرت مثلا يفضح حكم المرابطين لان بلاط المرابطين مملوء بالحمر والجوارى ، ولكنه لا يفضح نوع البناء

بينما المهدوية تسالم الاستبداد كأنه شر لا بد منه في انتظار الفردوس المهدوي . فالآمال الميتافيزيقية كتعويض لشرور الواقع استلاب من النوع البدائي .
وأؤكد أن الخيال السياسي البناء لا ينتمي إلى أي نوع من هذه الأنواع التي نتكلم عنها . ذلك أن «أطوبيته» مبنية على دراسة الواقع الحالي وبناء نموذج ذي أسس علمية . فالنسق المدني الذي يتخيله المفكر السياسي منطلق من نقد عميق لما هو موجود . والتفكير في التطبيق هنا لا يقل أهمية عن البناء نفسه ، بل البناء له أساس تطبيقي .

وللزيادة في الايضاح يمكننا أن نقول أن الخيال السياسي البناء يوجد بين الاوطونية المطلقة والواقعية الضيقة . انه عدو المكيافيلية كما انه عدو الافلاطونية .

عالم الاجتماع :

اننا مع كل هذه الايضاحات نفهم أن الخيال السياسي ليس من العلم في شيء مع أن الموضوعية العامة في دراسة المجتمع عدوة الميكافيلية وعدوة الافلاطونية ان صرح وصف الموضوعية بأنها عدوة لشيء ما .

الفيلسوف :

العلم وصف للواقع ، والخيال السياسي نقد لهذا الواقع ، مع محاولة ابداع في تصويره لبناء مجتمع عادل . ان الخيال السياسي يتعدى العلم ولكنه يربط تصورات البناءات الممكنة علميا وعمليا .

أما الشجعان فيتناوشون مع السلطان القاهر في جزئيات خلقية وأما المستدجنون فلا يجوز أن نعرهم أي اهتمام في ميدان الفكر لانهم أساسا متهمون بالتدليس . ولا ننسى مع كل هذا ان عاطفة العدالة المكبوتة عند الشعوب قد وجهت عند كثير من رجال الدين إلى خيال جنوني هو من صميم الاستلاب السياسي . فتعويض العدالة الاجتماعية بالمهدوية مثلا ، وتقديس الصبر على الظلم ، والأنواع الأخرى من الشعوذة المنومة للشعوب هي الضباب أو الأفيون الذي كثر عليه الكلام في أيامنا هذه .

المصلح الديني :

ليس الأفيون موجودا حتى في الفلسفات ؟ ان المثالية الماقئة لكل تدخل في ميدان العمل ، المقصورة على تصورات خيالية ، ضرب من التضليل ، انه لا يكفي أن تكون لدينا أفكار نبيلة فاضلة ، ومهما كمل النسق الفكري الذي ترتبط به هذه الأفكار الفاضلة فانه سخي اذا كان تطبيقها مستحيلا . فجراءة الخيال ليست من فضائل التفكير السياسي فيما أعتقد . ولدينا أمثلة كثيرة عن هذا . منها شيوعية أفلاطون ، وفردوس أوطوبيا لموروس ، وعالم الإنسان المتفوق لنييتشة .

الفيلسوف :

الحقيقة ان هذا الضرب من الخيال يعد متاهة فكرية ، ولكنه رغم كل عيوبه يفوق المهدوية بنزوله إلى الأرض . ان «أوطوبيا» مدينة بينيها البشر للبشر ومسؤوليتهم كاملة في هذا البناء . أما المهدوية ، فاتكال على تدخل الله لاصلاح الشرور البشرية ، والاطوبيات نقد صارخ للاستبداد واللامساواة ،

طالب :

هل يجب أن نفهم من خلال المناقشة أن دور
الخيال السياسي مهم جدا في تحديد الاستلابات
السياسية ؟

الفيلسوف :

هذا هو المقصود من المناقشة . نريد ألا يرد
علينا باسم الواقعية والحتمية حينما نسمى الاستبداد
واللامساواة شرورا سياسية يمكن تبديلها بتدبير
عادل للمدينة . ان ضيق التفكير المكيافيلي راجع
الى خطيئتين على الاقل ، فالخطيئة الاولى هي تصويره
لطبيعة سياسية مستقلة عن ارادة البشر . فالسياسي
في نظره يكون جزءا من هذه الطبيعة وهو يعمل في
اطار قوانين تخضعه ولا يستطيع اخضاعها الا في
نطاق ضيق . فاذا كان السياسي عند مكيافيل
سفاكا وخداعا فهو متجاوب مع الطبيعة السياسية .
ذلك أن اخلاق السياسة ليست بالاخلاق الفردية
ولا الاخلاق المبدئية . وهذا ما نسميه نحن مسaire
للصنف ومسaire للواقع على أنه محتوم لا يمكن
تغييره . أما الخطيئة الثانية في التفكير المكيافيلي
فهي انعدام كل عاطفة وخيال فيه مع استهانة وازدراء
للشخص جعلته لا يتصور مطلقا قدرتهم على الخروج
من الانماط الاجتماعية التي عاشوا عليها منذ
آلاف السنين ، وهي بطبيعة الحال الانماط الاستبدادية
المبنية على اللامساواة واستعباد البشر للبشر .

طالب :

يبدو مما وقع عرضه هنا ان الاستلاب يوجد

حتى في طرح الموضوع أي في تحديد التفكير
السياسي .

الفيلسوف :

نعم ، ان اخضاع التفكير للواقع في ميدان
لا يختلف فيه الواقع عن الصنف لمن صميم
الاستلاب . لتصور مليا كيف كانت تدور الحياة
السياسية في القرون الوسطى : العصبية القوية
تأكل العصبية الضعيفة . ثم تنتصب مشروعية
مكان مشروعية سابقة ، وتستخدم العقيدة والقوانين
لتثبيت المشروعية المتغلبة . وتتوالى العصبيات عبر
القرون دون أن يظهر مفكر ينادى بعقم تفكير رجال
العقيدة ورجال القانون المشرعين لمشروعية العصبيات
فمفكرو المشروعيات في مثل هذه الحالة يعانون استلابا
قاسيا ، لانهم لا يتخيلون انعدام العالم الاجتماعي
الذي يعيشون فيه ، ولا تحركهم أية عاطفة للتفكير
في تفتيته . رغم ما فيه من عفونات محسوسة . ان
مسيرة الواقع في هذا الميدان سور حديدي مضروب
للحد من آفاق التفكير السياسي . وهذا ما نريد أن
نتلافاه في تعرضنا للاستلابات السياسية .

طالب :

إذا كانت المدينة في تكوينها نتيجة لتجارب
بشرية طويلة الامد ألا يمكن أن تعد بعض المكتسبات
صالحة في حد ذاتها ؟ فالمدينة أو لنقل الدولة هي
الاطار السياسي لكل حضارة وكل علم وكل تقدم .

الفيلسوف :

صحيح ان الحضارة والعلم والتقدم مكتسبات
لم تتمكن البشرية من الحصول عليها الا في اطار

الحياة المدنية . ولكن لننظر الى البطء ، والصدف ، واللامساواة ، فى توزيع هذه المكتسبات ونحن لا ندعى أن رفع الاستلاب فى هذا الميدان يبدأ من زمنى الحياة المدنية والرجوع الى الفوضى ، بل القضية قضية تصور نمط عادل للحياة المدنية . فاذا أخذنا الحياة السياسية لنتتبع آثار الاستلاب فيها فأننا بناء على ما ذكرنا سنجد الاستلاب الاول فى بناء الدولة نفسه . لانه بناء تقريبي ، غامض ، أغلب حركاته موكولة بالصدف واللاوعى ، والغريزة . وسنرى أن المفكرين الذين يدعون وجود العقيد الاجتماعى ضمنيا فى نموذج الدولة ذات الطابع

الغربى الرومانى انما هم مفكرون مسايرون للواقع ومشرعون للمشروعات . . وسنرى أيضا أن القانون بناء يدعى الوضعية وصيانة حقوق المجتمع أو الاغلبية منه ، ولكنه فى الواقع قانون لحماية مصالح الطبقة الغالبة . وسنتطرق أخيرا الى الاجهزة المختلفة لنرى ما تحتوى عليه من تدليسات وتناقضات ، وستبدو لنا من خلال المناقشة أنواع الاستلابات السياسية فى هذا النمط الاجتماعى الذى يعده بعضهم قمة ما وصلت اليه البشرية من الابداع فى الميدان المدنى ، ألا وهو النمط الغربى الرومانى . - يتبع



أطفال الشوارع لا ينفون



من أعمال طفل نيتالسي

حالات تحمل الإرهار والمواد الغذائية للمقاتلين وراء الدافع الصادرة للطائرات ، كما ترى أعجاب الأطفال في المدن بالبراف المحببة بهاتوي ، حيث كانوا يتقنون اليها في أغلب الأحيان ، تاركين مدارسهم إما بسبب القصف ، وأما لخصور أعياد رأس السنة القوية وزرع اشجار صغرة ، والرقص في مجموعات كبيرة تحت شمس تغطي السماء كلها . ويقول أحد أعضاء جمعية الصداقة الفرنسية - الفيتنامية : « الأطفال لا يخافون ، إذ أن صناديقهم يعكس صفاء آلتهم . لقد عاشوا ضد الحرب ، ولم يعيشوا في الحرب » .

الطفل الصغير « هو أبنيه » قال في آخر صورة من فيلم راوول

كوتارد عن الفيتنام : « يا أبي كل لي ما هو المسلم » ؟

وفي عام ١٩٦٠ استعان المخرج بأن ليهامون بالأطفال الجزائريين ،

في فيلم « عمري ٨ سنوات » . وتعب الفيلم بتواجد رعب الحرب .

لقد كان ذلك في الجزائر .

وفي ٢٥ الجاري ستعرض رسوم أطفال فيتنام الشمالية في

باريس بأشرف جمعية الصداقة الفرنسية - الفيتنامية . وهذه

الرسوم وضعها أطفال المدارس الذين تتراوح أعمارهم بين ٨ و ١٢

سنة ، وقد قيمت إلى الجمعية في نيسان الماضي ، قبل أن تجسد

القصف بأسبوع واحد .

وفي هذه الرسوم يصور الأطفال الفيتناميون الشماليون حياتهم

اليومية بالأوان . هناك بالطبع الحرب التي تحرق وتقتل ، لكننا قلنا

نراها في هذه الرسوم ، فهي لا تظهر إلا في ثلاثين رسما فقط : امرأة

تألمة على الأرض وتحض طفلها خلال هجوم ، طفل يتأمل بيتا مدمرا ،

اشجار مكسرة بكثرة . وهذه الرسوم تصور الحرب والدمار ، ولكنها

لا تصور العدو البسدا .

وبقية الرسوم تتناول حياة الأطفال ، والأعداد اليومية لحرب

النشب التي يشاركون فيها بجدوة وفح : فتوى في رسوم الأطفال

الوحدة الثقافية للمغرب العربي

ان للمغرب ثقافة مشتركة • ثقافة مرت بعدة لغات وارسى بالنهاية على العربية التي هي أم اللغات وسيدة الساميات ولغة القرآن الكريم ولسان الثقافة العلمية والأدبية والفنية والتقنية طوال اثني عشر قرنا وهي تسترجع الآن أولا بأول وبخطى عملاقة مكانتها العالمية • فان استقلال الدول الإسلامية ولا سيما العربية منها جعلتها تهتم في برامج تعليمها بهذا اللسان المبين • ثم انتشرت في الدول العربية وفي كثير من الدول الإسلامية وحتى الأمريكية أو الأوروبية صحافة كبرى وإذاعات وتلفزات تجعل الانسان يسمع خمس ساعات باليوم على الأقل الى هذا اللسان الموسيقى القوى التعبير الرائع التراكيب اللطيف البلاغيات •

عثمان الكعالك
مؤرخ تونس

ومصطفى شلبي (الحاج خليفة) وأحمد التنيكتي واضرابهم ، لا سيما وأن المستقبل الثقافي في هاته الجمهوريات الاقريقية المحببة سيكون اهتمامها بالعربية والدراسات الاسلامية والتأليف فيها ، ولم تكن هناك طوال العصر الوسيط قطيعة ثقافية بين هذه الاقطار والعالم المغربي على اننا لاننسى نصيبنا من الادب المغربي لأنه أدب رفيع مغذ دسم طريف . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اطلبوا العلم ولو بالصين) ومعناه الامر باكتساب الثقافات المتعددة بعد الانتهاء من الثقافة الاسلامية وحتى قبل الانتهاء منها على شريطة تصحيحها وارساخها في الذهن اولا واعتبارها الكنز الاثمن يمكن الافتخار بتوزيعه على العالم .

وذلك لاننا معشر المغاربة نعيش في رقعة من هذه الارض الكريمة بها اربع نوافذ .

١ (نافذة شرقية اولا : تطل على الشرق ويأتي منها النسيم العليل المنعش وقد جاء منها الفينيقيون الكنعانيون العرب في القرن الثاني عشر قبل الميلاد وعلّمونا الفلاحة والتجارة والصناعة والملاحة والكتابة .

وجاءنا منها العرب : يعلمونا الاسلام والعربية والحضارة الاسلامية .

وجاءنا منها الايرانيون فعلمونا نظام الحكم والعسكرية الفنية والزراعة المستحدثة والآداب الايرانية .

وجاءنا منها الاتراك فعلمونا الاسلحة النارية والشرطة المتحركة وفن الابراج والقلاع الزراعية والاسلامية الحرة الغيورة والملاحة المتقدمة .

٢ (نافذة جنوبية : جاءتنا منها الحضارة الزنجية الاولى التي تشمل الموسيقى وفنون النحت

وتكاثر الكتاب والمترجمون والباحثون ورفعت الامية في كثير من الاقطار وشاركت المرأة الرجل في التعلم العربي والتعليم والتأليف والترجمة وانحدر سن المطالعة الى عهد الطفولة فصار اطفالنا يطالعون في سن مبكرة بعد ان كانوا يشرعون في المطالعة - ان شرعوا ابدا - ليلة زفافهم .

وهذه اللغات التي مرت بالديار المغربية وتركت فيها اثرا ثقافيا هي البربرية والبونيقية واللاطينية والتركية ، والاسبانية والايطالية والفرنسية .

والثقافة ليست الادب فقط بل العلوم والفنون من موسيقى ورسم ونقش ونحت وتطريز وتخريم وترصيع . وهي ايضا المعمار بمدارسه البربرية والبونيقية والرومانية والعربية والتركية والموحدة والاندرلسية والمدجنة Medujar

فكل هذه المظاهر الثقافية هي مقدار اشتراك بيننا معشر المغاربة فهي العروة الوثقى التي لاتنفصم عراها .

لكن هذا لايعني اننا نعيش بمعزل أو يجب ان نعيش بمعزل عن الثقافة العربية الشرقية القديمة والوسيلة والحديثة - كلا والى كلا - لانها مصدر مستمر لثقافتنا العربية . كما ان اخواننا المشارقة لا يستطيعون ان يتجاهلوا ابن هاني وابن زيدون وابن عمار وابن باجة وابن الزرقال وابن رشد وابن زهر وابن طفيل والمقرئ والسوسى وابن رشيق وابن شرف وابن منظور والاجدابی . وليس ذلك فقط بل لابد ان نكون على صلة وثيقة مع الآداب الايرانية والآداب التركية والهندية والهندونيسية والسوداء لأنها آداب اسلامية ولأن هذه الشعوب الاسلامية قد قدمت قسطا وفيرا للادب العربي العام مثل البخاري والترمذي والنسائي وسيبويه والطبري وابن المقفع والفارابي وابن سينا وابن الهيثم وطاش كبرى زاده

والادريسية بالمغرب الأقصى والرستمية بالجزائر والاعلوية بافريقية (بالتشديد أى هي تونس) وانتسبت المدرسة الفقهية المغربية الاولى الى الفسطاط الى أن انتشر مذهب الاوزاعي أولا ، ثم جاء المذهب الاباضي ثم استقرت المدرسة المالكية فانتشرت بواسطة على بن زياد الليبي دفين تونس ثم سحنون بن سعيد التنوخي ودراس بن اسماعيل واضرابهما ، على أن المدرسة الفقهية البرقاوية استمرت في البرقيين الذين كان معظم تعلمهم بمصر الى أن أسس سحنون معهد دروسه باجدابية حيث لا يزال الجامع الذي كان يدرس فيه قائما ، والى أن تأسست مدرسة تاهرت وطبنة والمسيلة وبونة ، وربما تلمسان وقسنطينة فانهما قديمتان ونضيف اليها على الخصوص مدرسة سدراتة .

واتصل المغرب بمصر مرة أخرى كبرى حين توجه الفاطميون الى مصر على عهد المعز لدين الله الفاطمي وتأسيس القاهرة المعزية والجامع الازهر من طرف القائد جوهر .

وعلى عهد النهضة الاولى في مفتتح القرن الماضي تاكدت صلات ثقافية جديدة بين المغرب ومصر فجاءت منها الكتب المطبوعة الاصلية أو المترجمة ثم جاء الامام عبده المصلح الكبير فزار الجزائر وتونس ثم تعددت رحلات المصريين ثم جاء التمثيل ثم الاذاعة ، ثم جاء الاساتذة بعد الاستقلال فقاموا بدور يذكر فيشكر وجعلت ارساليات الطلبة الى الشرق كما كانت في صدر الملة .

وجاء من هذه النافذة الثانية عرب الفتح الاول سنة ٢٧ هـ ، وهم قبائل متعددة من حجازية ونجدية ويمينية وعراقية وكويتية وشامية ، وجاء العرب مرة ثانية في آخر القرن الرابع الهجري فأعان ذلك على تأكيد العربية والعروبة في البلاد .

والمسرح الساذج والصناعات التقليدية الاولى .
وجاءنا منها البربر من اليمن وهم من حمير فهم من العرب العاربة ، فاقاموا حضارة كبرى فيها النظام الجمهوري القبائلي وفيها التعاون الزراعي والصناعي والبنائي والتجاري ، وفيها نشاط النحلة ونظامها المرتب وترتيبها السلمى من ملكة وشغالات وتقسيم عمل ، وفيها دؤوب النملة التي هي الح من خنفساء واكثر عنادا من اندلسي وفيها تقسيم العمل وتقسيم المجتمع النملى واقامته الحدود ، وقد قاموا بدور كبير في القديم والوسيط سواء بالاندلس او بآي قطر من اقطار المغرب واقاموا حتى خلافة الموحدين التي اسسها المهدي ابن تومرت .

وجاءتنا من هذه النافذة الثانية الحضارة المصرية التي انتشرت بقرطاجنة منذ القرن السادس قبل الميلاد مع مصر واثرت في جوانب متعددة من النواحي الحضارية ، وصارت وحدة ثقافية مع مصر و آل بطوس Battides بشحات Cyrène بليبيا مع مدرسة الاسكندرية التابعة للبطاسية وكانت المعاهدة العلمية المغربية بشرشال وقرطاجنة والشحات تتعاون مع مدرسة الاسكندرانية ولما اراد غورد يانوس الثاني Gordien II الامبراطور الروماني التونسي ارسل بعثة عسكرية الى ايران اضاف اليها الفيلسوف المصري فلوطينس Plotin ليطلع على الفلسفة الايرانية والهندية والاشرية والشرقية بوجه عام حتى اذا انضافت الى الفلسفة اليونانية والرومانية كانت كلا فلسفيا عديم النظير .

وجاءت مصر مرة أخرى الى المغرب فمن الفسطاط كان انطلاق عمرو بفتح ليبيا . ومنها كان ياتي السيادة الى المغرب ، الى ان استقلت الولاية المغربية ثم استقلت البلدان المغربية نفسها خلال القرن الثاني الهجري فصارت الدولة الاموية بالاندلس

وتصنفها وتصهرها في بوتقة واحدة فتخرج منها حضارة عالمية إنسانية علمية وأدبية وفنية نوزعها على العالم كأننا وكالة توزيع حضاري عالمي لذلك اتسمت التأليف العربية الأصلية بالعالمية كجغرافية الإدريسي وطب ابن الجزار وفلك ابن أبي الرجال وشمس المعارف اللبوني وموسوعة التيفاشي العلمية ونفح المرقى وتاريخ ابن خلدون ولسان العرب لابن منظور وفلسفة ابن زهر وابن باجة وابن الطفيل وابن رشد وتراجم الكتب العربية إلى اللاتينية التي قام بها قسطنطين الأفريقي *

- النافذة الرابعة : هي النافذة المغربية التي جاءت منها الحضارات المراكشية والمرابطية والموحدية والاندلسية والاسبانية والبرتغالية والقوطية والوندالية والأميركية *

فتكاملت حضارتنا فصار المغرب متحفا دائما حيا متزايدا قارا وحركيا لحضارات الأمم وصار أرشيف هذه الحضارات ومتحفها الناطق بأخباره وآثاره المنوّه بأخبارها والزواوي لازدهارها والمترجم لأعلامها وأخبارها والموزع لها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في عامة أعصاره وعموم أطواره * فلا تشذ عنه حضارة منها ولا يتأخر عن المساهمة بجدارة وصدارة في كل واحدة منها فصار المغربي إنسانا حضريا ساميا مثاليا نموذجيا مربعا بالراس * قد جمع في بوتقة واحدة حضارات العيون والبحيرات والأنهار والبحار والأجواء * وحضارات الزنوج والبربر والفنيقيين واليرانيين والمصريين والبربرانيين والرومان والوندال والبيزنطيين والعرب والنومان والاندلس والاسبانيين والاتراك والاطالين والفرانسيين والأميركيين *

ليس في علوم هذه الأمم إلا ولابناء المغرب فيها نصيب وليس لأدب هذه الأمم أدب إلا وقد ساهم فيه مغربي وكان في الطليعة منه وفي أحسن مكان

النافذة الثالثة : مفتوحة على الشمال جاءت منها الرومان واليونان والنورمان والاسبان والاندلس والاطالين والفرنسيون والانكليز وبوجه عام جاءت منها الشعوب والحضارات الأوروبية في مختلف عصورها الحجرية والقديمة والوسيلة والمعاصرة فاعتنقنا أصولها وهضمناها وشاركنا فيها واجدنا المشاركة وضممنها إلى بقية ما هضمناه من الحضارات الجنوبية إلى الشرقية وصهرناها فإذا بها ، في أحسن أصولها جزء من تراثنا ومن حضارتنا وإذا بنا متصلون ومنفعلون بخير ما يوجد في الحضارة الغربية التي هي تشمل في أصل نشأتها عناصر شرقية صريحة بقدر ما نحن منفعلون بالحضارة الشرقية في أية مرحلة من مراحلها منذ العصر الحجري إلى يوم الناس ، وإذا بالمغربي إنسانان لا إنسان واحد في خير ما يوجد عند الإنسان من عقل وقلب وفكر وعلم وأدب وفن وتقنية وحضارة وسلوك وفلسفة وتصوف وعقائدية *

فنحن إنسان شرقي كامل قد درسنا وهضمنا علوم الشرق وتعاليمه وآدابه وفلسفته وفنونه وتقنياته وتعاقيله وفكره التأملية والرياضية على السواء ، والتحليلية والتجميعية على السواء *

ونحن إنسان غربي على قباب قوسين أو أدنى من الغرب درسنا اللغات الغربية فحذقناها ودرسنا العلوم والآداب الغربية في أي عصر من عصورها وضربنا في ميدانها بسهم مصيب وترجمنا إليها وترجمنا عنها * وانفعلنا بالحضارة الغربية بقدر ما انفعلنا بالحضارة الشرقية ، فإذا أضفنا إلى ذلك شخصيتنا الأفريقية وأصول حضارتنا الأفريقية التي تشمل عناصر مصرية وزنجية وبربرية كنا إنسانا حضريا مثلثا بإدراستنا وكنا بنك حضارات شرقية وغربية وأفريقية تجمع الحضارات وتحللها

أى أن نستقل بمصادرنا التى لا يتم الإستقلال الثقافى
الا بوجودها *

وذلك أن كل أمة مهما كانت اذا وقعت تحت
نير الاستعمار فطالما الاستعمار قائم فيها فمعظم
مصادرنا بلغة المستعمر حتى اذا استقلت وجدت
فراغا عظيما فى هيكل ثقافتها كان ما لديها من الكتب
الباحثة فى شؤونها هو بلغة الاجنبى ، فيجب فى
مرحلة أن تترجم هذه الكتب وفى مرحلة ثانية أن
تصحح اغلاطها وفى الآن نفسه وخصوصا فى مرحلة
ثانية أن تألف كتبها عن نفسها بنفسها لنفسها وبوجهة
نظر نفسها فما حك جلدك مثل ظفرك وما خدم أحد
أحدا أفضل من نفسه *

ثم ان الاوروبيين أسسوا فى بلاد الاستعمار
مجالات اقتصادية وتشريعية وفنية وتاريخية وجامعة
تعد بالعشرات كمجلات علم الاسماك ، والنحل
والاغنام والخيول والحشرات والصيد والفلاحة وزراعة
البرتقال واللوز والكروم وتربية الدواجن الى غير
ذلك * وكل هذه المجالات تعطلت بطبيعة الحال *
فتكونت طبعا هوة علمية تقنية داخلية وخارجية
فيجب أن يتوزع المغرب هذا العبء الثقيل اللازم وان
تظهر معظم هذه المجالات من جديد فيختص كل قطر
بنصيب منها وتشارك جميع الاقطار فى تحريرها
والاتفاق عليها وتكون بالعربية مع تلخيص بالفرنسية
والانكليزية *

ومن جهة أخرى يجب أن تكون هناك معاهد
ثقافية على المستوى الاتحادى مثل المتحف الاتحادى
والمكتبة الاتحادية ومركز البحوث الاتحادى ، ويجب
أن يقع الاتفاق على برنامج تعليمى موحد مع استثناء
ما يجب أو ما تريد الدول أن تحتفظ به كالجغرافية
الخاصة والتاريخ الخاص ، ويجب أن تكون هناك
اجتماعات دورية بين وزراء الثقافة والتعليم

من الشمس به ، وليس لهذه الامم فن موسيقى او
معماري او رسم او نحت الا ولابناء المغرب الدور
الكبير فيه وليس من لغة من لغات هذه الامم الا
وللمغاربة فيها شعر ونثر وكتاب وقول ونصيب شاهد
فى هذه اللغة المغربية الدارجة التى هى قسيقيساء
جميلة ناصعة ملتصقة تصدر هذه الحضارات
المتعاقبة فى ابدع لوحة فسبحان الخلاق العظيم *

هذا هو دورنا الحضارى التاريخى الأوفى
نعطى وناخذ ونشارك ونريد ونخلق ونجمع ونصقف
ونوزع *

فيجب ان تكون ثقافتنا فى الحال والاستقبال
على هذه الاسس العربية ركنها الاول هى لغة
تعبيرها وتاريخها وآدابها ولكن بدون ضيق فى
التفكير ولا تحديد فى التعبير ، فالمغربي يستطيع أن
يتعلم ويتكلم ويجيد الكتابة شعرا أو نثرا
بأية لغة على شريطة أن يكون ذلك بعد حذقه لغته
الوطنية الاسلامية التى هضمت غيرها وعاشت أطول
منها وماتت الاخرى بعد أن أدت رسالتها فورثتها
العربية على وجه الدهر وعاشت بعدها الى أبد
الأبدىن ودهر الداهرين والى أن يرث الله الارض ومن
عليها وهو خير الوارثين *

وعلى هذه الاسس يجب أن تتقاسم جامعاتنا
معاهد دراسات لعصورنا القديمة كمعهد الدراسات
الصحراوية ومعهد الدراسات الاندلسية ومعهد
الدراسات الافريقية ومعهد الدراسات التركية ومعهد
الدراسات الفولكلورية وفى مقدمة هذه المعاهد دار
الدراسات القرآنية ودار الدراسات الحديثية ودار
الدراسات الاسلامية ، ومن معاهد الصدارة
معهد ترجمة ما ألفه الرومان والأتراك والاسبان
والإيطاليون ، والفرنسيون والانكليز عنا ، حتى
نستقل بثقافتنا مثل ما استقلنا سياسيا واداريا
وعسكريا واقتصاديا ، فيجب ان نستقل ثقافيا أيضا

كالجمعية التاريخية والجمعية الاثرية والجمعية
الادبية وجمعية العلوم الى غير ذلك ، ويجب أن
ينظم التزاور والتشاور بين الاساتذة والمثقفين في
دوامه مستمرة *

هذه هي الاصول العامة التي يعتمد عليها
توحيد الثقافة المغربية وفوق كل ذى علم عليم *

والمسؤولين عن الثقافة في الاقطار المغربية للتشاور
وضبط الخطط الموحدة *

ويجب أن تكون هناك مؤتمرات ثقافية دورية
واكاديمية اتحادية تضبط الاصطلاحات وتوحيدها
وتنسقها مع المشرق وتتولى تعريب أمهات الكتب التي
تتعلق بالمغرب وجمع الوثائق ويجب أن يكون هناك
معهد اتحادى للمخطوطات وجمعيات تقنية اتحادية



الأيديولوجية الثورية في الحركة الوطنية الجزائرية

لقد قامت الحركة الوطنية الجزائرية بإيدي العمال المقتربين ، فاصطبغت بالصبغة العمالية وأصبحت تمثل الطبقة الشغلية المهاجرة ، وتأثرت بالجو العالمي الذي كان يسود أوروبا من أفكار جديدة ، وإيديولوجية ثورية ، وترعرعت في فرنسا ، وبصورة خاصة في « باريس » التي شهدت الثورة الفرنسية الكبرى * وثورة ٤٨ وثورة لاكومين ، وكانت تزخر بعد الحرب العالمية الأولى بحركة عمالية ثورية تستمد مثلها من الثورة الروسية وتتغذى بمبادئها : من ماركسية ولينينية ، وبعد اعلان مبادئ ويلسون التي تبخرت على مستوى الحكومات ولكنها اثمرت على مستوى الشعوب ، وبعد نجاح الكارتل دي قوش بزعامة « هيريو » *

أحمد قناش

كل هذه الأحداث قد تركت بصماتها على العامل الجزائري ، وصبغت الأيديولوجية الجزائرية بالثورية وامتدتها بالروح الجديدة ، والنظم المسائرة للتطور التاريخي التي خلقت من العامل الأمي المغترب عن وطنه مناضلا سياسيا ، يفرض وجوده واحترامه على المستعمر في عقر داره ، ويساهم في معركة تحرير عالمية تتخطى الفوارق الجنسية والدينية واللونية .

هذا من ناحية التأثير الخارجي أو الشكلي أما من ناحية المضمون فقد كان هناك رصيد من دين عتيق جمع بين المهاجرين في أرض الغربة ، فائسار فيهم النخوة والكرامة ، وبقايا عادات وتقاليدهم كانوا يعتزون بها حصنتهم من الذوبان والتميع ، ونفس متمردة ثائرة على الطغيان ومتعطشة الى العدالة ، وحنين الى الوطن الأم كان يدفعهم الى أن يقوموا بواجبهم شان غيرهم من المغتربين .

ثم كانت هناك ريسح جديدة هبت من الشرق بعثها جمال الدين الأفغاني بمجلته « العروة الوثقى » التي كانت تصدر ببغداد ، وبتواصلاته المختلفة ، وتصريحاته الجريئة، ثم مصطفى كامل الزعيم الشاب مؤسس الحزب الوطني المصري وما قام به من دعاية في الأوساط الفرنسية ضد الاحتلال الإنجليزي ، ثم الجماعات السياسية العربية التي فرت من استبداد الأتراك وأنشأت جمعيات سرية ومؤتمرات في فرنسا على الخصوص وأوروبا على العموم ، ونهضة تركيا الحديثة ، وانتصارات مصطفى كمال وما تركته من صدى لدى جميع الدول الإسلامية ، وتجربة الأمير خالد في المطالبة بالحقوق السياسية بواسطة الانتخابات ، وأخيرا حرب الريف التي هزت العالم العربي والفرنسي ، وقد قام فيها الحزب الشيوعي بنشاط لا مثيل له ، وأصبح اسم عبد الكريم الخطابي

منارة يهتدى بها ، وقد قال الشاعر السوري في وقته ينبه الشرقيين الى أن يأخذوا المثل من الريف اذ يقول :
الريف في الغرب مرفوع له علم
فهل لواؤك يابن الشرق مرفوع ؟

غير أن الحركة الوطنية قد امتازت على غيرها من الحركات في البلاد العربية والإسلامية بعدة امتيازات :

١ (النظرة الشاملة للمشكل الأساسي وهو التحرير التام من السيطرة الأجنبية بكل مظاهرها : السياسية والاقتصادية والثقافية .

٢ (اختيار العمال كركيزة أساسية ثورية في الوقت التي كانت غيرها من الحركات السياسية تقوم على المثقفين وأصحاب المناصب والتجار .

٣ (الاعتماد على العمل الثوري لتربية المناضلين، وجعله يتمرن على تحمل المسؤولية بشجاعة وحزم .

٤ (الاحتكاك بالأحزاب المخاصمة والمعادية مما مكنه من التسليح بزماد المبادرة أمام كل حادث جديد، وأن يكون مستعدا للهجوم قبل أن يهاجم .

٥ (النظام المحكم ، والامتثال للأوامر التي تعطي من طرف المسؤولين .

٦ (الديمقراطية التي جعلتهم يشاركون بآرائهم في الاجتماعات العامة ويدافعون عنها بكل حرية ، ثم الاقتراحات التي يقدمونها فيما يخص الحلول التي يرونها صالحة .

٧ (محاسبة المسؤولين عن تنفيذ مهامهم ، ثم انتقادهم أو تأييدهم .

٨ (وضوح الأهداف والوسائل وبساطتها .

٩ (تكوين أيديولوجيتها الثورية في ميدان العمل ، وعلى ضوء الحقائق التي كانت تعيشها ، فكانت الأفكار تتولد من العمل وتقود الى العمل .

الأيديولوجية الثورية في الحركة الوطنية

السي الجيلالي محمد السعيد أربعا ناتراثن عضوا
بانون أكلى سيدى عيش عضوا
معروف محمد الأصنام عضوا
قدور فار الأغواط عضوا
سعدون بنى عباس عضوا
وبوسعنا أن نختار ثلاثة أحداث نطل منها على
مدى النشاطات التي قامت بها الحركة في أول
نشأتها ، والطريق الصعب الذي اختارته للوصول
الى أهدافها البعيدة . وهذه الأحداث هي :

- ١ () انشاؤها لجريدة الاقدام
- ٢ () مشاركتها في مؤتمر بروكسل لمكافحة
الاستعمار .
- ٣ () تحديد موقفها من القضية الوطنية ومن
الحزب الشيوعي .

فبعد تأسيس اللجنة المركزية والمكتب التنفيذي،
كان أول عمل استرعى اهتمامها هو انشاء صحيفة
تكون لسانها الناطق باسمها وفعلا فقد أسست جريدة
« الاقدام » في السنة نفسها وقد كتب تحت
عنوانها جريدة شهرية أسست للدفاع عن مسلمي
شمال افريقيا وللأسف لم نتصل بأى عدد منها
الا صورة عنوانها وما نقل عنها في الصحف
والمجلات ولا سيما في نشرة ادارة افريقيا الفرنسية،
وتأسست لجان تحمل اسم أحباب جريدة « الاقدام »
في تونس وفي القاهرة ووزعت منشورات بهذا الاسم .
وها هو منشور باسم جماعة من التونسيين
أحباب جريدة « الاقدام » ان جريدة الاقدام قد اسستها
جميعا نجمة شمال افريقيا . فجميع التونسيين
والجزائريين والمغاربة يمكنهم - بغير تحفظ - الدفاع

١٠ () تكوين أيديولوجيتها الثورية انطلاقا من
أرضية الشمال الافريقي والواقع الاستعماري ،
واعتمادا على قاعدة اجتماعية معينة وواقع تاريخي
يأخذ بعين الاعتبار العقائد والعادات والتقاليد
مستعملة الديالكتيكية الثورية كوسيلة للتحليل
السياسي ، وربط الحركة الوطنية بالحركات
التحررية عبر العالم وبما يجرى على الصعيد الدولي
من أحداث .

وقد تأسست حركة نجم الشمال الافريقي على
انقاض جمعية دينية (١) كانت هي النواة الأولى وعاشت
سنة كاملة من أول ١٩٢٥ الى أوائل ١٩٢٦ بعد ما
يتبين لأعضائها أن من واجبه أن ينزلوا الى ميدان
الكفاح السياسي ، الطريق الوحيد للوصول الى
أهداف سامية وخلق مجتمع جديد يتماشى والتقدم
العصري .

وانعقد أول اجتماع بشهادة السيد بانون (٢)
أكلى أحد أعضائها الأوائل يوم ١٥ ماي بنهج بروطان
٤٩ باريس وفيه وقع الاتفاق على اسم « نجمة شمال
افريقيا »

وفي ٢ جوان عقد أول اجتماع عام أعلن فيه
عن تأسيس الحركة وعن اسمها .

وفي ٢ جوليت انعقد اجتماع للأعضاء بقاعة
النقابة نهج « قرانج اوبيل » وفيه تأسست اللجنة
المركزية التي كانت تضم ثلاثين عضوا أشهرهم
كما يلي :

حاج على عبد القادر غيليزان رئيسا
مصالي الحاج تلمسان كاتباً عاما
شابيله الجيلالي البليدة أمينا للمال

(١) مصال الحاج في حديث خاص

(٢) شهادته ستشر قريبا

الإنسانية أن اجتمع الضعفاء لينددوا بالأقوياء ، فلقد كان يمثل ثمانية ملايين من العمال المشتركين في النقابات المختلفة ، ويتكلم باسم مليار من البشر في الأغلبية الساحقة في سكان المعمورة اذ ذاك . ويمثل القارات الخمس ويعد كذلك كمقدمة لمؤتمر «باندونغ» الذي كان المنطلق لتحرير الشعوب الضعيفة وتكسير القيود الاستعمارية .

وقد كتب السيد فرنسوا مارسال رئيس الوزراء السابق في صحيفة «العالم الجديد» المؤرخ ب ١٥ مارس ١٩٢٧ حول المؤتمر ما يلي : « لقد تكلمت قليلا الصحافة الفرنسية عن مؤتمر بروكسل ضد الاستعمار وهذا غلط ، لأن سياسة النعماء لا تعطى الا الفاكهة المرة . يجب على الخصوص ، فحص الخطر ، وتحديد مناورات الأعداء ، ومعرفة الخبايا .

فالتقليل من قيمة الخصم ذنب ، وتجاهله غلط ، فمن الضروري معرفة حقيقة المؤامرات التي يحولها معارضو الاستعمار الأروبي في اجتماع بروكسل » .

لقد رأينا حضور شخصيات مثل « هنري باربوس » وقيليسيان شالي والشيوخ الانجليزي « لنسبورى » ورئيس دولية المواصلات « بيبي » ولكن الذي يندرج حقيقة بالخطر هو حضور ١٢٧ ممثل أهلى أعلنوا كلهم عن وجوب تحريرهم بجميع الوسائل » .

وقد اغتنمت الحركة هذه الفرصة فاوفدت الى المؤتمر الكاتب العام مصالى الحاج والسيد الشاذلى خير الله ممثلا للحزب الحر الدستوري وعضوا في اللجنة العالمية ضد الضغط الاستعماري والامبريالي وقد تكلم الاثنان في المؤتمر وتعرفا على بعض الشخصيات التي كانت موجودة في المؤتمر مثل هوشى مينه ونهرو وسوكارنو وما نحن ننقل ما جاء في جريدة « الراية الحمراء » ما يلي : « لقد أخذ الكلمة مصالى في مؤتمر بروكسل وقدم المطالب

عن مصالح بلادهم المبني على الوطنية الصادقة والمخلصة ، فليطمئن الشعب التونسي فالجريدة ومسيروها ليس لهم أى ارتباط بأى حزب سياسى سوى حزب الاستقلال الوطنى الثورى » .

ولقد انتظم حول هذه الجريدة بعض التونسيين وهم متيقنون باستقلالها ومتفقون على الموقف السياسى الذى يعبر عن أغلبية الشعب التونسى ، ويوجهون هذا النداء لمواطنيهم يدعوهم فيه الى العمل .

وقد كانت الجريدة تصل الى تونس بانتظام حتى ضاقت بها الإقامة العامة ومنعتها من الدخول بقرار وزارى بتاريخ ٢٨ ماي ١٩٢٧ ثم عطلتها الحكومة فى باريس لوجود صقحة فيها بالعربية والعربية لغة غير معترف بها فى فرنسا ثم خلفتها أخت لها حملت اسم « الاقدام الباريسى » واضطلعت بنفس المهمة ولكنها لقيت نفس المصير . وقد كتب فى صدر أحد اعدادها هذه الفذلكة بالفرنسية السيد « سارو » يؤكد بأن الاستعمار الفرنسى انسانى . فى هذه السنة . فى تونس والجزائر والمغرب ، مات الآلاف من الأهالى يموتون جوعا .

والسنوات تتتابع وتتشابه . فقر ، وضغط فليسقط الاستعمار !

وعلى الصفحة العربية ما يلي : * « فى الانتخابات البلدية بالجزائر ، من ٤٨٠٠٠ جزائري ١٦٠٠ لهم الحق فى الانتخاب وقد امتنع منهم عن التصويت احتجاجا ٨٠٠ و ١٦٠٠ تحدوا الحكومة وصوتوا على الاستقلال » .

أنا فى الطريق الصحيح . فلنتابع طريقنا . أما الحدث الثانى فهو مؤتمر « بروكسل » ضد الاستعمار وهو أكبر حدث سياسى على الصعيد العالمى والأول من نوعه ، فلم يسبق فى تاريخ

الايديولوجية الثورية في الحركة الوطنية

الكاتب العام مصالى الحاج والى اللهجة القبائلية بواسطة السى الجيلالى عضو اللجنة المركزية وافق أعضاء الجمعية على التقرير وشكروا ممثليهم على المهمة التى قاموا بها . ثم أخذ الكلمة السيد الشاذلى خير الله فنوه بأبطال الشمال الافريقى وذكر الأمير خالد والأمير عز الدين والأمير عبد الكريم الخطايب والشيخ الثعالبي ، ثم بين أهمية المؤتمر والدور التى مثلته نجمة افريقيا الشمالية فيما يخص الجزائر وتونس وعقب بأن الحركة ستستعمل جميع الوسائل للوصول الى تحقيق غايتها . وان المتشككين والخائفين سيلاحظون بأن أعمالها لا تكون عفوية مثل حركة الأمير خالد الذى لم يكن يدعّمه أى نظام ، ولا مع الاستعمار المقنع تحت ستار الدفاع عن المسلمين مثل ابن تامى وأضرابه ، ولكن عملها عمل عميق مرتبط على الجماهير الشعبية المتيقنة بقولها وارادتها على الاستقلال، وختمها ببناء لجميع الاخوة التونسيين والجزائريين والمغاربة كيفما كانت مرتبتهم أن يقووا صفها ويقفوا بجانبها قبل أن تدوسهم أقدام الجماهير الشعبية المتحفزة الى التخلص من براثن الاستعمار .

وبعده أخذ الكلمة ممثل هندى وممثل مصرى وشرحا حالة بلديهما ثم ركزا على أن كفاح الشعوب الضعيفة مشترك .

أما الحدث الثالث فهو الاجتماع الذى انعقد فى شهر نوفمبر ٢٧ ، والذى قدمت فيه لائحة تطالب باستقلال الجزائر ونالت أغلبية الأصوات الا أن الشيوعيين احتجوا ضد اللائحة وخرجوا من الاجتماع وخرج معهم بعض الفرنسيين الذين كانوا يظهرون عطفهم على الحركة الوطنية بالرغم من أن الأغلبية المطلقة صوتت على اللائحة .

الجزائرية كالاتى : استقلال الجزائر ، جلاء القوات الفرنسية المحتلة ، تأسيس جيش وطنى ، حجز الاملاك الفلاحية الكبيرة التى استولى عليها الاقطاعيون عملاء الامبريالية والمعمرون والجمعيات الرأسمالية الخاصة وارجاع الاراضى المحجوزة الى الفلاحين التى سلبت منهم ، احترام الاملاك الصغيرة والمتوسطة ، وارجاع الاراضى والغابات التى استولت عليها الحكومة الفرنسية الى الحكومة الجزائرية ، اعانة صغار الفلاحين بقروض واسعة ، الغاء فورى لقوانين الانديجينا والقوانين الخاصة ، العفو عن المساجين سواء المبعدون والمودعون تحت الإقامة الاجبارية ، حرية الصحافة والاجتماعات والجمعيات ، التمتع بالحقوق السياسية والنقابية مثلما يتمتع بهما الفرنسى بالجزائر ، تغيير المجلس المالى المنتخب بإقلية الى برلمان جزائرى ينتخب بالاقتراع العام ، انتخاب المجلس البلدى بالاقتراع العام أيضا ، التمتع بحق التعليم فى جميع المراحل ، انشاء مدارس للعربية ، تطبيق القوانين الاجتماعية .

وقد كتب الشاذلى فى جريدة « الاقدام » التى صدرت بعد مؤتمر بروكسل تحت هذا العنوان « حق الشعوب فى تقرير مصيرها » نقطف منه هذه القطعة « وهكذا حقا ان الشعوب التى تتألم هى نفسها التى تكافح ، وشعوب الشمال الافريقى التى اجتازت مرحلة تحمل الالم قد دخلت ابتداء من مؤتمر « بروكسل » فى طور دقيق من كفاحها فى ميدان الايديولوجية الثورية » وفى نفس العدد من جريدة الاقدام كذلك هذا العنوان « ممثلونا فى مؤتمر بروكسل يقدمون عرضا عن مهمتهم » « اقامت نجمة جمعية شمال افريقيا تجمعا شعبيا عرض فيه ممثلو الجمعية ما قاموا به من نشاط فى مؤتمر بروكسل وبعد قراءة التقرير وترجمته الى العربية بواسطة

الاستعمارية في تافيلالت والأطلس ، والمغرب ونسبت الصحافة هذه الحملة الى الشيوعيين فعلق السيد كلازا أمين المكتب في الجزائر للحزب الشيوعي بأن نجم الشمال الافريقى حركة وطنية لا علاقة لها بالشيوعية والحزب الشيوعي يتتبع بكل اهتمام الحركات الوطنية في المستعمرات التي تسعى لتحرير نفسها وليست له أى علاقة فيما يقوم به من نشاط .

ولم يكد عام ١٩٢٩ يشرف على النهاية أى بالضبط في شهر نوفمبر - حتى ضاقت حكومة طارديو اليمينية بنشاط الحركة الوطنية وقررت حلها وقد استدعى قاضى التحقيق مسؤولى الحركة ليلبغهم قرار الحل ولكن المحامى « بيرطون » نصح المسئولين ان لا يستجيبوا لهذا الاستدعاء ويتجاهلوا القرار . وهكذابقى القرار عديم المفعول لأنه لم ينفذ في حينه

وهنا تنتهى المرحلة الأولى من تاريخ نجم الشمال الافريقى ويمكن أن تنتع بمرحلة التكوين .

وليست هذه اول مناوشة بين الاتجاهين فقد بدأت في مؤتمر بروكسل ضد الاستعمار الذى عقد بين ١٠ و ١٥ فبراير من نفس السنة حينما ركز ممثل الحركة على استقلال الجزائر ، وانسحاب قوات الاحتلال ، وتأسيس جيش وطنى مما اثار ثائرة الشيوعيين ، وكانت المصادقة على لائحة الاستقلال خاتمة المطاف بين الحزب الشيوعى ونجمة شمال افريقيا .

وهكذا ابتعد الشيوعيون عن الحركة ولم يبق الا شابيله أما حاج على عبد القادر فقد رفض المسؤولية وبقي يظهر مرة ويختفى أخرى حتى قدم تسليمه من الحزب الشيوعى ومن الحركة في سنة ١٩٢٩ ، وبعد هذا الاجتماع وقع تحوير في الإدارة فمصالى الحاج أصبح رئيسا وشابيله كاتباً عاماً وسى الجلالى أمينا للمال .

وفي سنة ١٩٢٨ قامت الحركة بتوزيع منشورات في الشمال الافريقى وفي فرنسا ضد الحرب



نيتشه

الإنسان
الأعلى
عند

3

يجب أن نفهم كل شيء أن الإنسان الأعلى عند نيتشه ليس نوعا جديدا يجب خلقه من العدم بل هو نموذج خاص لذلك الإنسان الذي لم يفتأ يوجد من زمن لآخر ، ثم في كل مرة تنال عليه أحقاد المتأمرين ودسائسهم النسوية ليقتضوا على رجولته وعنفوانه وكماله كما فعل الانجليز والخونة من الفرنسيين بنابليون (ولو عاش نيتشه نحو ثلاثين أخرى حتى رأى هتلر لجعله فوق مرتبة نابليون لأنه هو الذي حقق أحلامه كما سنرى) . فالإنسان الأعلى هو ذلك النموذج الخاص من الرجال الذي يجب حمايته ومؤازرته وشد عضده . ولهذا الغاية يجب أن نسير في طريق مزدوجة السبل أن صح التعبير تتعلق أحدهما بنفسية الإنسان الأعلى والثانية بتكوين الآخرين وتثقيفهم .

د: عبدالله شريط

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

هل أنا رجل يحمل في دمه غرائز حربية . وإذا كنت حربيا فهل أنا حربى مهاجم أو مدافع ؟ ويريد أن يكون كل واحد منا منتسبا لصفوف الضباط مهما كانت مهنته خارج الجندية ، وإن يكون فى نفس كل واحد طبع الغازى المهاجم ، لأن ما يجب أن نبحث عنه فى الحياة « هو صورتها العالية وهى حياة الخطر » والهجوم والقتال .

إن المثل الأعلى فى الحياة ليس هو الانسانية التى يجب أن تبقى على حياتها ونحافظ عليها بل هو الإنسان الأعلى الذى يجب أن يوجد على حسابها. أما فيما يتعلق بناحية تربية الآخرين فإنه يجب أن نعيد النظر فى مسألة تحقيق مصلحة الجماعة الحاضرة وإن نعتاض بها ما يحقق المصلحة الكبرى . . المصلحة المنتظرة فى المستقبل ، لقد كان المفكرون يحاولون أن يصنعوا الناس صنعا بواسطة آلة عندهم يؤمنون بأنها قادرة على هذا الصنع وهى العقل ويسمون ذلك مصلحة عامة . وهذا خطأ فادح . إن المصلحة الحقيقية والواجب الخلقى هو أن نعتنى بالتربية عناية ننظر منها الى الجماعة على انها شئ، متحول متبدل دائما وعلى انها بالخصوص وسيلة فقط وليست هى الغاية . هى وسيلة نستعملها لخلق الإنسان الأعلى . اننا نستعمل « كمها » لكى نحقق « كيفها » وهذا يقتضينا ان نتحلل من روابط الحلال والحرام كما يقتضينا حفرة من المسافات والفوارق تعزل ذلك النوع الخاص من الإنسان الذى هو هدفنا حتى لا يختلط الإنسان الأعلى بالإنسان الكلب . وعند ما نحقق هذا النوع من الإنسان يجب أن نمحصه جيدا

فلكى يخلق الإنسان الأعلى ويتكون يجب أن يكون متحررا من كل التقاليد والنظريات وإن يحاكم الأشياء والأحياء بميزان واحد هو ميزان ما لديهم من قوة ، وإن تكون له الشجاعة على « الاحتقار الأكبر » حتى لا يخشى وحشة العواطف وقساوتها والتعبير عنها بملء حياته . كما يجب أن ينمى كبرياءه وما تشعر به احساساته ، أو ما يخطر بها من أفكار أو من أعمال . فالإنسان الأعلى هو ذلك كل ما يأتى به من بطولات والتمتع بكل قوته ومظاهر هذه القوة فيه . يجب أن يصير « قلبه جديدا » وإن يظهر روحه من كل تلك السخافات التى جاءت بها المسيحية وتسميها فضائل لأنها فى الواقع رذائل بعيدة عن الاخلاق . فما أجدره باعمال أولئك الذين يتعذبون لكى ينمى قوته على حسابهم. فما قيمة صرخاتهم وانينهم اذا كانا لازمين لوجود شئ عظيم وجميل . . كالإنسان الأعلى ؟ وهو ينبغي أن لا يخشى الألم بل يجب أن يحبه : فالألم هو الذى يتيح للبطولات أن تنفجر ولصاحبها ان يفـرح بنشوة النصر . « إن هدفى هو خلق الآلام للنفس وللآخرين حتى أصيرهم أكفاء لحمل اعباء الحياة العنيفة حياة المنتصرين الغالبين » يجب على البطل أن يحيا حياته بكل علاء وعمق رغم أنف من لا يعجبهم منه ذلك ، لأن كل ما يصدر عنه جميل وخير فاضل مادام يقضى به الى تحقق الحياة العنيفة النبيلة الواسعة . إن المرائين الجبناء هم الذين يضعون على وجوههم النقاب .

ثم يطلب نيتشة الى كل واحد منا أن يطرح على نفسه هذا السؤال :

صادرة عنه بعقوبة وبساطة لفرط امتثاله وقوته اللتين تفيضان مكتسحتين كل ما عرف حتى الآن ويرى نيتشة ان الخطأ الفاحش الذى وقعت فيه كل المدنيات هو ما انصرفت اليه من الاعتناء بالمخ وحده واعمال كل ما عداه فلا شئ أدى للأسف من ضم عقل راق الى مزاج منهار كالذى تدعو اليه الاديان فمن بلغ بأصخابها العقوق للجسد ان توهبوا بانهم فازوا بالتعليم بعيدا عن جسدكم . ومن هذه الارض . « لان أقول للمستهزئين بالجسد كلمتين فيهم : ان واجبه ان لا يغيروا من طرائق تعاليمهم . ولكن عليهم أيضا أن يودعوا أجسادهم فيستولى على ألسنتهم الخرس . يقول الطفل أنا جسد وروح ، فلماذا لا يتكلم هؤلاء الناس كالاطفال . الا أن الجسد المبدع قد أوجد العقل لخدمته كمساعد يتحرك بأمراته » .

بالاضافة الى هذا يوجد عنصر آخر لتحقيق الانسان الاعلى وهو عنصر الحب أو بالاحرى الزواج وهنا أيضا يأتينا نيتشة بفكرة لا تنقصها الطرافة ان لم نقل القرابة . فاذا كان الناس يقدمون الحب ويضعونه فى مصاف المثل العليا للانسانية فان نيتشة يعتبره عاطفة محطمة للانسانية . وقد تعجب نيتشة الذى يدعو الى ما يغنى النفس ويشحن العواطف وينمى الغرائز ويخصب الفكر كيف وهذه العوامل محطمة للانسانية . وكيف نسي اعجابه بنابليون الذى كان مشهورا بغزارة عاطفة الحب الى درجة الاسراف ، ولكن كما سنرى ليست هذه احدى المتناقضات الصغيرة فى فلسفته . فهو يرى ان الانسانية لكى تنجب انسانها الاعلى يجب أن

لان مهمته ليست فى أن يكون جنديا من السادة فحسب . بل نوع يتمتع بحيوية خاصة تصل فيها القوة الى أوجها من الجمال والبطولة التى تشعر بالحاجة الى الاستبداد لا الى جمع الثروات التى ترتفع فوق « الخير والشر » ومفاهيمها واحكامها . أما المدرسة التى ستنتج هذا النوع فيسميها نيتشة « المدرسة القوية » وتنحصر مهمتها فى العناية بأمرين متلازمين لا يجوز اهمال أحدهما على حساب الآخر وهما : العقل والجسم معا (كان التعلم فى اليونان أيضا قائما على هذين العنصرين) وهى تعلم كلا من الجندى والعالم الطاعة والكفاءة والمقدرة لان العالم الذى يستحق هذا الاسم لا يمكن أن يكون كذلك بدون غرائز الجندية . ومعرفة القيادة هى أيضا معرفة الطاعة النبيلة . وهى تعنى أن الوقوف فى مكاننا بالصف هو استعداد فى الوقت نفسه للقيادة . وهى بعد كل شئ . ايثار الخطر على الدعة والامن واتخاذ المسكنة والضعف عدوا لدودا لها أكثر من الشر . هذا ما يجب أن تعلمه المدرسة القوية . وهو القيادة والطاعة . لهذا المفهوم والاعتناء بالعقل والجسم معا . ويقول نيتشة : ان اولئك الذين يحملون فى أجسامهم أرواحا لا تفتأ تحوم حول القيم التى عرفت حتى الآن متجولين حول شطآن بحر المثالية ، عليهم أن يعرفوا ما هى « الصحة الكبرى » فالصحة عند البطل ليست هى التى يملكها فقط بل التى يحارب من أجلها باستمرار لانه يجب أن يضحي بها باستمرار ولأن مثلا أعلى يعد وامامه دائما فيحمله على ركوب المخاطر والاهوال حتى تصبح تصرفاته

وهذا يعنى « ان المرضى والمجرمين يجب ان يعتبروا صالحين لهذا الانتاج » . وفى هذا الميدان ينبغى ان نتخلص من ذلك المرض المسيحى الذى تسميه الشفقة . ان الشفقة بالمجرمين والمرضى والضعاف والمعتمدين والعجز والمنحرفين وما أشبههم ان الشفقة على كل أولئك تعنى القسوة على الذلل الذى سينحدر منهم .

ويحاول نيتشة ان يؤثر علينا لنعتقد هذه الشريعة فى الزواج فيقول : « لى سؤال انصحك به لأسبر أغوار عمقك يا أخى : انت فى مستقبل العمر وتتمنى ان يكون لك زوج وولد ، فهل انت الرجل الذى له حق فى ان يعانق مثل هذه الامنية ؟ انت الظافر المنتصر على نفسه المتحكم فى حواسه صاحب السيادة على فضائله ؟ أم ان تمنيك هذا ليس شهوة حيوان أو وحش منفرد وحيد ؟ ان ما اريده منك هو ان تتوق بانتصارك وحررتك وتوسعك الى التجديد بواسطة الولد . ان عليك ان تقيم الانصاب الى ما فوق مستواك . وهل يوسعك ان تفعل اذا لم تكن متين البنية من رأسك حتى افحص قدميك ؟ ليس عليك ان ترسل سلالتك الى الامام فحسب بل عليك بخاصة ان ترفعها الى فوق . فليكن عملك فى حقل الزواج ناهدا الى هذه الغاية عليك ان توجد جسدا جوهره انقى من جوهر جسدك انت . ان واجبك هو ابداع من يبدع وخلق من يخلق . ان الزواج فى عرفى ليس الا اتحاد ارادتين لايجاد فرد يفوق ما كانا علة فى وجوده . اما الزواج بالمعنى الذى يفهمه الدخلاء فليس غير مسكنة ودنس ولذه بائنة تتحكم فى اثنين ، ولكن هؤلاء الدخلاء يرون فيه رباطا

تحطم الميل الغريزى عند الرجل نحو المرأة عند ما يتكون بصورة مهمة لاختيار فيها ولا اصطفاء ، وبدون ان يفحص الزوجين هل يتفقان أو يختلفان قوة وضعفا ورقيا وانحطاطا ، وبدون ان نضمن الاختيار الذى يحقق تكامل النسل وتطوره دائما الى ما ارقى وأقوى . ان دورمن كان على خطأ كبير عند ما اعتمد على الطبيعة وحدها لتحقيق ما يسميه « بالانتقاء الطبيعى » . وخاصة عند ما اعتقد ان انتقاءها هذا لا يخطئ، أهدافه فى حين ان الانتقاء الطبيعى لا يهدف لان يأتينا دائما بما تهدف اليه من قوة . تذكر ما قاله نيتشة فيما تقدم من فلسفته لا يبحث لها عن أسس مفتعلة وانما يعمد الى طبيعة الحياة نفسها . ويرى نيتشة ان الانتقاء الصناعى عندما يوجه توجيهها حسنا هادفا يأتى بالمعجزات كما أثبتت ذلك تربية الحيوانات والنباتات . فلم لا نقوم بنفس العملية التلقيفية الاصطناعية فى ميدان الرجل والمرأة ؟ نعم ينبغى أن نفعل ذلك . وينبغى أن نكف عن التغنى بالحب ورقته . انه أزمة من أزمت البدائين ، ونحن تجاوزنا عمر الطفولة فى تاريخ البشرية . ان هدفنا اليوم هو تحقيق ذلك الحدث الخطير العظيم وهو الانسان الاعلى ؟ . الاعلى فى الناحية الجسمية والعقلية والخلقية . جمعا . بذلك الذى يتعدى الانسانية الحاضرة ويجعلها نسيا منسيا « هذه الانسانية التى أصبحت الآن نعرف عنها أكثر مما تستحق منا والتى سئناها ولم نعد الكلام عنها . ان كل قيمتها اليوم هى أنها تصلح أن تكون لنا مزرعة نستخرج منها الجنس الممتاز من الرجال » .

عقدته السماء . . ألا كم من طفل يحق له ان يبكي على ابويه . اننى لأود ان تميد بى الارض على ان أرى رجلا فاضلا يتخذ له زوجة حمقاء .

ولكن هل نستطيع ان نعرف شيئا من صفات هذا الانسان الاعلى الذى يعيشه نيتشة من قبل ان يراه كما يفعل الشيعة عندنا بامامهم المنتظر ؟ نعم اليك شيئا من هذه الصفات الساحرة : « ان ما اريد ان اعلمكم اياه هو الانسان الاعلى . اما الانسان قشء يجب تجاوزه فماذا فعلتم لتجاوزه ؟ ان كل الكائنات التى وجدت حتى اليوم قد مدت بما امكنا القيام به لتجاوز نفسها . اما انتم فتودون ان ترجعوا الى الحيوان الذى يجاوزه الانسان . . ما هو القرد بالنسبة للانسان ؟ انه شء مخجل تعس . وهكذا الانسان بالنسبة للانسان الاعلى . انكم قطعتم ، الطريق الفاصلة بين الدودة والانسان . وقد بقى عليكم ان تقطعوا تلك التى تفصل بينكم وبين الانسان الاعلى . وان من بينكم حتى اليوم كثيرا من ديدان الارض لقد كنتم فيما مضى قرودا واننى لأرى انسان اليوم اكثر فردية من أى فرد كان . ان الانسان الاعلى الذى أريد ان أعلمكم اياه هو الغاية من وجود الانسان على هذه الارض . واننى ادعوكم يا أخوانى ان تبقوا لهذه الارض أوفياء

وان لا تؤمنوا بما وراء الارض . ان أولئك الذين يبشرون بما وراءها انما هم اناس يوشكون ان يسموكم فاحذروهم . فهم انفسهم قد تسموا بما يقولونه عن الروح وعن السماء . وقد تعبت الارض كما

تعبت اجسادهم من حملهم فليفعوا عندها بسلام . . ان الانسان الاعلى اذن لا يؤمن الا بالارض ولكنه ايمان علمى واخلاقي لا ينزل الى اللذائذ الحسية والشهوات العابرة . وهو يحتقر الضعفاء ويدوسهم ولكن لا ينبغي ان تداس ديدان الارض ؟ وهو مترفع عن ان يكون قردا كقروء القرن التاسع عشر الذين خاطبهم نيتشة . ثم هو عبارة عن قوة فائضة تاكل نفسها لتلد نفسها من جديد . وهو عبارة عن ساحة تتصارع فيها تلك القوى الطاغية ويأكل اقواها اضعفها حتى يتغنى منها كل زيف وضعف . وهو لا يهتم لشهواته القريبة الفردية المباشرة لا لأن يحتقر الشهوات بل انه تحرر من سلطانها ولانه تحرر من كل سلطان حتى نفسه وحتى سلطان الحاجة لى شء ولاى كان . انه رجل خلق ليعطى من فيضه . انه يكتسح امام كل المخلوقات التى لا جذور لها المخلوقات الزائفة المفتعلة ، لذلك ينبغي ان تضحي له وفى سبيله بالجموع والقطيع والصعاليك ونسخرهم له ليتحقق فيهم امكانياته وموابعه وحاجته للسيطرة والغزو دون ان نسمح لهم بالقضاء عليه بدسائسهم النسوية ومؤامراتهم الخبيثة وتآلبهم الوضع عليه لانه هو الغاية وهم الوسيلة وليس من شء يقف امام هذه الغاية لانه لا شء انبل منها . انها هى رسالة الانسان على الارض .

هذا هو المعيار الذى يجب ان تخضع له الاخلاق ومفاهيمها ، يجب ان نفهم من كلمة - اخلاق معنى القيم : القيم التى نخلعها نحن عليها وليس فيها الذاتية الموهومة . وبعبارة أخرى الوسائل التى تحقق لنا الانسان الاعلى هى ما يجب ان نعتبرها

من حبه لشيء آخر أو فكرة أو رغبة أخرى . ولأنه يقسم ذاته الى مناطق أو طبقات أو قسّمات يضحى بقسمة منها في سبيل قسمة أخرى .

وهو بالرغم من ثورته على الفلاسفة اليونان يعتبر فلسفتهم « من عصورها قبل التاريخ ولكنها برغم ذلك أو قل بسبب ذلك تحتوى على كنوز غنية مستمرة » .

ومن مناقضات نيتشة البرينة ان اعجابه بعصر العلم لم يمنعه من ان ينحو في كتابة فلسفته منحى القدماء من انباء ما قبل التاريخ في لهجتهم البعيدة عن اللهجة العلمية التحليلية كما فعل بصورة خاصة في كتاب « هكذا تكلم فراديتشت » . تلك اللهجة المليئة بالاهواء المشعة والصور الرومانطيقية الساحرة . وهو يشبه الانبياء الذين ثار عليهم آخر يتمثل في عنايته بشيء واحد من المعرفة هو الاخلاق ومصير الانسان . ولكنه يرى في المثل الاوربية للاخلاق وهي الروح المسيحية والتشاؤم والوجع والديمقراطية والافكار الاشتراكية كلها علامات انحطاط وتدهور في المجتمع الاوربي ونذير لفقر الحياة وانطفائها . لقد كرس جهوده في محاولات قلب التيار الذى يتحكم في القيم الاخلاقية وجعل « ارادة القوة » فى القاطرة التى تجر القيم الاخلاقية وراءها الى هدف الانسان الاعلى وهو غزارة الحياة وامتلاؤها .

لقد كان روسو يقول : ان هذه الحضارة التعسة هي السبب فى فساد اخلاقنا ، اما نيتشة فيرى « ان هذه الاخلاق المائعة هي السبب فى حضارتنا التعسة . وان مفاهيمها فى الخير والشر

فيما عليها . والعراقل التى تعترض هذه الغاية هي قيم ساقطة ولا اخلاقية مهما خلقت عليها الفلسفات والاديان من نعوت الفضيلة والانسانية والسمو .

ان مشكلة الخير والشر لم يعد لها مجال للاستعمال فى قاموس الاخلاق الهادفة لخلق الانسان الاعلى . ان هذه المشكلة يجب ان تبقى سر عالم الصعاليك وضعاف الارادة وديدان الارض ان هم ارادوا ان يلتهموا بها ويصنعوا منها عالما من الاوهام يعيشون فيه حتى لا يهلكوا كمدا وحقدا . ان الانسان الاعلى والانسانية لا تخضع لقانون الخير والشر بل لقانون القوة والعظمة والسيطرة وعمق المياه النفسية التى يعيشها الانسان الاعلى بأنفعال وحرارة والم وفرح عميقين لانها حياة تتصارع فيها قواه النفسية الهائلة لتجدد باستمرار وكذلك تصرفه خارج نفسه فيحطم ويبيد كل الحفائش التى تعترض طريقه وهو صاعد الى اعلى .

ان نيتشة تأثر كثيرا بكتاب القرن الثامن عشر الفرنسيين ولكن من حيث العاطفة المتدفقة واللهجة الحارة فقط . اما مبادئهم وافكارهم فقد ضرب بها عرض الحائط كما فعل بالفلسفة اليونانية . وقد بين فى كتابه « المسافر وظلّه » كيف ان الاحاسيس الاخلاقية الاساسية مثل الشفقة واحتقار الانسان للفرائز وعنايته بفعل الخير لغيره وما الى ذلك من الاحاسيس قد تكونت عند الرجل الاوربي من جراء تفسيرات خاطئة لمبادئ اهداف كانت سائدة قبل عصر العلم . انه يرى ان المبادئ .. الاخلاقية نفسها قائمة على الصراع فيما بينها ، هذه الرغبة عنده ناشئة عن حبه لشيء فى نفسه أو لفكرة أو رغبة أكثر

شيء من لهجته الشعرية المؤثرة وناخذ أفكاره مجردة عن صورها البلاغية الاخاذة فماذا نجد ؟ يصطدمنا قبل كل شيء ادعاؤه لا يخلو من سذاجة بان الاخلاق العائمة على فلسفة القوة كانت أرضا بكرًا لم يحرقها احد قبله . وهو على حق اذا كان يقصد الكونفوشيوسية الصينية أو البوذية الهندية أو الرسالات النبوية في الشرق الاوسط - أى كل المفاهيم الاخلاقية في الشرق فهي مفاهيم قائمة على العناية بالعدد لا بالفرد وبالجماعة الكبيرة لا بالصفوة القليلة من الناس وبالضعفاء والفقراء لا بالاقوياء الاثرياء والعنصر العاطفي الذي يغلب عليها هو الشفقة والاحسان . والعنصر الفلسفي الفكري المسيطر عليها هو مقاومة الفرائز والشهوات وتحكيم العقل والتوسط في كل شيء . ومنذ كونفوشيوس الى بوذا الى المسيح الى محمد كانت دائما القاعدة الاخلاقية المثالية هي ان تحب لغيرك ما تحب لنفسك لا ان تحرم غيرك من كل شيء لتوفر لنفسك كل شيء على حسابه . والحياة عندهم تعاون وليست صراعا . ومحبة وليست مغالبة هذا من أقصى الشرق الى ادناه . ومن القرن الخامس قبل الميلاد الى السابع بعده . عاشت عليها المجتمعات الشرقية واصبحت أكثر من مفاهيم واحكام وفلسفات واتخذت طابع العقيدة والعادة التي لا تتحول . ونحن الى اليوم ما زلنا نعيش هذه «المفاهيم» المتسامحة في حياتنا الدولية بالرغم من كل ما لقيناه من الغرب من نكبات بسبب هذه الطبيعة الساذجة . اما عندما تنتقل الى فلسفة الغرب وان كانت تبدأ من اقرب نقطة الى الشرق وهي اليونان - فاننا

وتأثير هذه المفاهيم على اجسامنا وارواحنا قد انتهت الى اضعاف كل الاجسام والارواح والى تحطيم الرجال الحقيقيين الذين يؤيدون دعائم الحضارة القوية . انه يرى ان شعور القوة هو الاساس لكل ثقافة راقية . على ان شعور القوة عنده ينبغي ان يكون نابعا من الشعور بالاحتقار أكثر من الشعور بالحق . ويثور على العلماء الذين اصبح العلم عندهم « ملجأ لاولئك المنقادين الفاشلين الذين تعذبهم ضمائرهم وتاكلهم شكوكهم لانهم محرومون من الاهداف الاخلاقية ومن الحب الاكبر ان ادمغتهم تغلق ليل نهار لتلد الفوضى والغموض والعمى عن الهدايات الناصعة » . يقول العمري :

وبصير الاقوام مثل اعمى

من فتى عالوا في جنه تصادم

ان هؤلاء العلماء مثلهم مثل الفلاسفة والانبياء قد قضوا على ماضى الانسان لانهم جعلوه في نظره نفسه هو الهدف في حين « ان الانسان جسر وليس هدفا » .

ولانهم حاربوا فيه غريزته في حب المخاطر وحرفوا طبيعته الحقيقية فجعلوه يعيش من أجل رغبته في الحياة في حين انه خلق ليعيش من أجل رغبته في القوة وليكون بطلا . « انتم يا ايها الرجال الاعلون . هل تظنون اننى اتيت لأعيد ما افسدتم ؟ كلا ينبغي ان يموت منكم كل يوم اكثر ما ينبغي ان يموت خياركم لان هذه هي الطريق الوحيدة التي تجعل الانسان يكبر وهو يرتفع » .

(2) مناقشة .

لكي نناقش نيتشة ينبغي ان نتخلص قبل كل

ويرى كاليكليس ان هذا امر مفجع فظيع - وهو ان يصبح قانون الطبيعة غير عادل جاء به هؤلاء الاذلاء المستضعفون هو العدل بعينه .

هذا فضلا عن فكرة افلاطون في ان العبيد ضروريون لكي يقوموا بضرورات الحياة العادية للاحرار ويتوفر لهؤلاء الآخرين الوقت الكافي للاهتمام بجلائل الأعمال ويشيدوا معالم الحضارة .

اليسست هذه اسس عميقة لفلسفة نيتشة ؟ غريب كيف لم يشر اليها ولم يعترف لاصحابها بانهم قدموا له بذور تفكيره في فلسفة القوة وتقسيم الناس الى اقوياء وضعفاء أو احرار وعبيد ؟

كذلك لسنا في حاجة لان نطيل مناقشته في فهمه للحقيقة وكيف أخذها كما هي عن الفسطينيين اليونان : كل له حقيقته حسب تصوره لها وقدرته على تحقيقها . ليس هناك حقيقة عامة لجميع الناس فالخير لبعضهم شر لبعضهم الآخر ومضائب قوم عند قوم فوائد كما قال المتنبي، ايضا ، اما عندما يذهب نيتشة الى انكار وجود الحقيقة اطلاقا (ان هؤلاء ما زالوا بعيدون عن الفكر الحر . انهم ما زالوا يؤمنون بالحقيقة) عندما يذهب الى هذا الحد فاننا نعتبره شاعرا مغاضبا اكثر منه فيلسوفا « عاقلا » .

ان الحقيقة التي آمن بها نيتشة واقام عليها فلسفته الاخلاقية هي الطبيعة وقال ان الطبيعة علمتنا ان نهدم ويحطم القوى من عناصرها الضعيف وهذا القانون صحيح ولكنه ليس وحده . ان هناك قانونا آخر في الطبيعة غفل عنه نيتشة ولا يقل أهمية عن

نجد المناخ قد تبدل والهواء والاخلاق ذات رائحة اخرى تنفج منه رائحة القوة والعناية بالفرد واحتقار العدد وفقدان التسامح وموت العاطفة . وهذا منذ القرن الثالث قبل الميلاد الى الامبراطورية الرومانية في القرن الرابع بعده الى زمن الحرب الصليبية الى عهد الاستعمار الذي كان هو نفسه وما يزال قائما لفائدة « الصفوة » من امم الغرب وليس لفائدة شعوبها وجماهيرها التي يحتقرها نيتشة .

في بعض محاولات افلاطون فصل عنوانه « غورجياس » ولا نظن ان نيتشة لم يقرأ هذا الكتاب - يدور فيه الحديث بين سقراط و (كاليكليس) ويعالج القضية التالية : هل ينبغي ان نفضل التعرض لظلم غيرنا أو يجب ان نوقع نحن الظلم بالآخرين ؟ وما هو الموقف الذي يعتبر اخلاقيا اكثر من الآخر ؟ يرى سقراط انه ينبغي ان نفضل تحمل الظلم من الآخرين على ان نوقعه نحن بهم ونسلطه عليهم . اما (كاليكليس) فيؤكد ان المجتمع البشري يتألف من نوعين من المخلوقات الاقوياء والضعفاء والعلاقة بينهما تخضع لقانون طبيعي ومؤداه ان القوى يجب ان يملك كل شيء لانه قوى ، والضعيف يجب ان يحرم من كل شيء لانه ضعيف . ولكن الضعفاء ، ادركوا ما في هذا القانون من الخطورة فاجمعوا امرهم ورسوا صفوفهم واخترعوا ما سموه « بالعدالة المدنية » ليعارضوا به قانون الطبيعة . وتقضى العدالة التي جاءوا بها ، الاقوياء يجب ان يحترموا من هم اضعف منهم واقل قوة وان يتسامحوا معهم بل ويساعدوهم على متاعب الحياة ويربوا اولادهم على هذه المبادئ والخلال .

اقرب الى الشذوذ منه الى القانون الطبيعى الذى يدعى نيتشة انه استمد منه مبادئه، اذ لا يفضل احد ان « يعيش فى خطر » على ان يعيش سعيدا الا اذا كان مصابا بعاهة نفسية . بل حتى اذا وجدنا من ينزع الى القوة والسيطرة فبدافع الى السعادة والفرار من الشقاء . ولكنه يتصور ان طريق السعادة هى السيطرة على الآخرين كما يتصور آخرون ان طريق السعادة هو المال . وعند آخرين هو الحياة الفكرية الخ . ولكن الذى لا يشك فيه على اية حال هو ان الجميع يبحثون عن السعادة ويفرون من الشقاء . أى ان هناك اختلافا بين الناس فى فهمهم للسعادة ولكن ليس بينهم اختلاف فى طموحهم اليها .

الثن كان هناك من لا يبحث على السعادة فالحياة وفشله فى الحصول عليها وليس لعدم نزوعه اليها :

فما السعادة فى الدنيا سوى شبح
فان ومزمار صخر ماله رنم
يحاول ان يلقي به نغما
لكنه الصخر جسم كله بكم

(الشابى)

4 - كذلك من اغرب الافكار التى طلع بها نيتشة مدعى انه استمدتها من الطبيعة وعودته الى تحطيم عاطفة الشفقة معتبرا انها عاطفة محطمة للحياة . فكيف قبل نيتشة عن ان الشفقة ايضا قانون طبيعى لا تستقيم الحياة بدونه . بل هى الحياة فى أزوع صورها ؟ ماذا كان يكون مصير الطفل الرضيع لو لم تكن عند امه عاطفة الشفقة

الاول فى بناء صرح الحياة . ونفى به قانون التعاون وتبادل المنافع ونحن نجده محكما كلما كانت المجتمعات ارقى من غيرها سواء فى مجتمع الحيوان أو مجتمع الإنسان . ان النحل الذى يضحي بأتباعه فى سبيل الغاية المشتركة - ارقى من السمك الذى لا يعرف هذا التعاون بل يأكل قويه ضعيفه بالضبط على النحو الذى يدعو له نيتشة وأرقى من الحيوانات السامة والمقترة . والمجتمعات البشرية أيضا نجد عندها التعاون بين القوى والضعيف يتدرج نحو القانون العام بقدر ما ترقى المجتمعات فى سلم الرقى . فى حين نجد الجماعات البدائية والمتأخرة قد استحكمت فيها ما يسمى بقانون الغاب ولا تعرف شيئا لمعنى التعاون بين القوى والضعيف . والقرن التاسع عشر نفسه الذى عاش فيه نيتشة اكبر شاهد على ذلك . اذ انتشرت فيه المبادئ الديمقراطية بقدر ما شمله من عوامل الرقى والحضارة . وليس من محض الصدفة ان نجد آثار « النبل » والاقطاعية، والعائلات المتحضرة ازاء بؤس الجماهير وتعاستها وجعلها قائمة كلها فى المجتمعات المتأخرة أو ما نسميها اليوم بالعالم الثالث . فكيف يأخذ نيتشة بالاحط والادنى من هذا القانون ويطبقه على المجتمع الارقى الذى يريد ان ينتج له الانسان الاعلى، ان انسان نيتشة الذى يحلم به ان ننتظر بروزه - حسب هذا القانون من مجتمعات الديدان والحوت - والقبائل البدائية التى يتحكم فيها رئيس القبيلة ولا يجزؤ احد من اتباعه على ان يرفع بصره اليه .

(3) اما ما يزعمه نيتشة من ان الانسان ينزع بطبعه الى ارادة « القوة » لا الى السعادة فهو ايضا

عليه ؟ بل ماذا يكون مصير نيتشة نفسه - وهو ذلك الرجل المريض الضعيف المحطم الأعصاب - لو لم تحن عليه أم حتى وهو كبير ولو لم تشفق عليه بل عملت بفلسفته فاذا الهوان والتعذيب والاذلال منادية بان هذا ما يقتضيه قانون الحياة وميلاد الانسان الاعلى ؟

5 - ويعتبر نيتشة انه اكتشف حقيقة هائلة عندما اعلن ان الله قد مات . فاذا كان يعنى بموت الاله ان تعاليمه لم يعد لها رواج فان القوانين الوضعية قد حلت محل الاديان السماوية عند الشعوب المتقدمة فى اوربا فى هذا الاعلان الجديد بالنسبة لفيلسوف فى القرن التاسع عشر . فالرجل العادى فى المجتمعات الاوربية وحتى فى غير المجتمعات الاوربية لم يعد مستعدا لتقبل أى دين جديد أو بين يظهر على الارض . اما اذا كان يعنى بموت الاله اننا لم نعد نشعر بالحاجة اليه فى أعماق نفوسنا ولا نلجأ اليه فى الملهمات العظمى التى تعجز عن دفعها عن أنفسنا فهو ادعاء باطل . نعم يستطيع نيتشة أن يقول لنا ان ايمانكم بالله وهم تعودتم عليه وتوارثتموه من عصور الانحطاط ولكن من سوء حظ نيتشة ان هذا الوهم نفسه ضرورى لنا ولا نستطيع أن نعيش بدون . « لو لم يكن هناك الاله لوجب أن نخلقه » لاننا نريد أن نشعر باننا لسنا وحدنا فى هذا العالم خلقنا فى هذا العالم أم عن الذين خلقناه بأوهامنا فان شعورنا بوجوده أو لا بد منه ولا نستطيع أن نستغنى عنه .

6 - ومن الأخطاء القديمة التى وقع فيها

نيتشة تهجمه على الاديان وخاصة على المسيحية . ان الاديان بصفة عامة قد أدت خدمة جليلة لكثير من الشعوب وأعانتها على النهوض ودفعتها خطوات كبيرة فى سبيل الرقى . فهل لم يدرس نيتشة التاريخ ، وكيف كان اليهود قبل المسيح عليه السلام قد غرقوا فى التكالب على المادة والمصالح الحقيرة التى يحضرها نيتشة نفسه حتى تلاشت كل القيم الاخلاقية عندهم ودب فيهم التفسخ والانحلال حتى كانت المسيحية كرد فعل يتمشى مع قانون التاريخ فحاربت المصالح المادية حربا شعواء وان كانت قد أسرفت فى ذلك حتى وقعت فى الجانب الآخر من التطرف وأصبحت تقاوم الحياة نفسها . ولكنها مع ذلك أنقذت البشرية من الهوة الوسخة التى كان يدفعها اليها اليهود ، بمبادئهم الجافة المنحطة . فلو نظر نيتشة نظرة تاريخية فاحصة لوجد ان المسيحية كانت مرحلة هامة فى رفع مستوى البشر الى السمو بالنسبة لما كانت عليه فى عهد اليهود . بحيث أن المسيحية جاءت لتقاوم أفكار اليهود ومبادئهم المفرقة فى المادية . وليس اليهود هم الذين اخترعوا المسيحية . لقد كانوا أحقر من أن يرتفعوا الى مستواها . ألم يفتخروا بانهم هم الذين قتلوا المسيح وصلبوه ؟ ثم ألم يكن اليهود يدعون هم أيضا بأنهم خير الامم والاجناس ؟ ولنفرض بعد كل ذلك لان اليهود كانوا مضطرين فعلا ولم يجدوا ملجأ يخرجون به من وضعهم غير اختراع فكرة المساواة - فانه يبقى علينا أن نعترف بأن ليس اليهود هم الذين اخترعوا مبدأ المساواة مما يجعل هذا العبد فاسدا ويجعل

آثار نيتشة :

ومع كل هذا فان فلسفة نيتشة لا تحتوى على الشر وحده . أو على الأقل لم يكن صاحبها يقصد منها الشر للاخلاق والانسانية . بل كان يقصد الخير وان سلك له مسلكا محفوفا بالمخاطر . وشر ما فيها انها وجدت نفوسا مستعدة لقبول عناصرها السلبية وحدها لان اصحابها عجزوا عن ادراك مقاصدها الايجابية الخيرية فنزلوا بفلسفة نيتشة الى مستوى معين من الابتذال ، وجعلوا غايتهم منها تجنيد القوة المادية وحدها وتوفير عناصر التسلط على الشعوب المستضعفة ونهب خيراتنا الاقتصادية بدون أى هدف اعلى يقصدون اليه . بحيث لو بقيت فلسفة نيتشة تعيش فى الكتب وحدها فيقرأها القراء ويدرسها المهتمون بالفلسفة ويناقشونها على انها آراء تقبل الاخذ والرد لما استحققت ان ندرسها فى هذا المكان ونناقشها . اننا اصبحنا نحن ضحاياها وليس ببعيد ان تظل اجيالنا القادمة فريسة لمخالبها اذا لم تدرك الانسانية رشدها ولم تلجم الشعوب المتقدمة اطماع ساستها . وذلك انما ما نزال حتى اليوم نشهد آثار هذه الفلسفة ماثلة فى الاخلاق الدولية الراهنة واذا كانت بعض صور هذه السياسة تبدو فى معاملة اميركا اليوم للسود فى وطنها ومعاملتها لشعوب اميركا اللاتينية وجنوب شرقى آسيا خارج وطنها - فان أفدح هذه العصور قد ظهر فى الفاشيستي الايطالية والنازية الالمانية قبل الحرب العالمية الاخيرة ، وليس هناك ما يضمن لنا بانها لن تعود الى الظهور غدا فى اليابان أو تستمر من

نظرية تسلط الاقوياء على الضعفاء هو المبدأ الذى يخدم تقدم الحياة ويستجيب لقوانينها ، لقد دل التطور الاجتماعى عبر القرون وخاصة منذ عصر النهضة الاوربية بان احترام الاقوياء للضعفاء ومساعدتهم على مصاعب الحياة ليس فى صالح الضعفاء وحدهم بل هو فى صالح السادة الاقوياء أيضا أى فى صالح المجموع . فكم نود ان لو عاش نيتشة فى القرن العشرين واذن لراى الاعاجيب التى حققتها تلك الجموع التى يحتقرها وينعتها بالصعاليك والرعالم وكيف اصبحوا اليوم هم المصدر الرئيسى لكل انتاج ولكل مرافق التقدم الهائل الذى نشهده فى عصرنا ، وكيف اصبح هؤلاء النبلاء والسادة لاهم لهم الا الملذات والتكالب على التافة من الرغائب فى الحياة .

وكيف اصبحوا هم آخر من ينتظر منهم يروى الانسان الاعلى . واخيرا لا نجد انفسنا فى حاجة كبيرة لنقد فكرة نيتشة فى الحب وادعائه بان الزواج بين الرجل والمرأة ينبغى ان لا يخضع بعاطفة الحب بل العامل الاخيار المنظم ، اما الحب فيجب ان نحترقه . ان نيتشة لا يعرف على التأكيد شيئا عن الدور الذى يؤديه الحب فى اخصاب الحياة النفسية تفجير المواهب الذهنية وعبق ما ادته هذه العاطفة الانسانية الحيوية من الخدمات الجليلة فى تزويدها - فى كل مراحل تاريخ البشرية من روائع الفن وتفتح العبقريات وتجميل الحياة والاقبال عليها حتى ان المرء ليصعب عليه ان يتصور الحياة - بدون عاطفة الحب - الا فقرا يدب فيه الموت ويلتهمه الجفاف . ويقضى على كل ما فى أعماق الانسان من شعور بالحياة.

شنتها على العالم اعنف حرب عرقنها البشريه واكثرها ضحايا واذا كان لهتلر مسؤولية مباشرة في هذه الكارثة فينبغي ان لا ننسى مسؤولية نيتشة فيها خاصة عندما يتناول افكاره رجل أسمى مثل هتلر وفي شعب له من مواهب التنظيم وامكانيات الصناعة المدمرة ما للشعب الالماني .

ان كل الفلسفة النازية سواء التي قام عليها « حزب العمال الاشتراكي الوطني » أو التي وضعت في دستور الدولة قد استوحت قوتها ومثلها من آراء نيتشة الخطرة .

فما ورد في مواد ميثاق الحزب تنقية الجنس وتطهيره من كل شخص يجرى في عروقه دم غير آرى .. ولا يحق لغير الذين ينحدرون من دم الماني أو جنس آرى ان يكونوا مواطنين في الامة . ثم شيئا فشيئا تقدمت هذه النظرية خطوة اخرى فأصبحت تقول بتفوق الجنس الآرى على غيره وان هذا الجنس هو الذي يجب ان يتزعم العالم . ومن آراء هتلر انه يجب عدم الاديان كلها لانها عبث باطل اما المسيحية فيجب سحقها تماما من المانيا . وان الالماني يبغي ان يختار بين « ان يكون المانيا أو مسيحيا » اما الضمير الانساني فلا وجود له وانما هو اختراع يهودي ، يبغي ان لا نثق بالعقل أو بالضمير بل بالغريزة وحدها . والقول بحرية العلم واستقلاله بعيدا عن الفائدة المادية نظرية سخيفة . ان العلم يجب ان يكون وسيلة تحقيق الغاية الحقيقية منها وهي امداد الحكام بوسائل السيطرة على المحكومين . اما فكرة الامة فانها بدعة اخترعها الديمقراطيون ، ويجب القضاء عليها واحلال

جديد في المانيا أو ايطاليا حيث ما يزال جمرها خامدا تحت رماد الحرب العالمية الاخيرة .

فمن المبادئ النيتشية التي نجدها في الفاشيستي الايطالية هي « حصر الزعامة والقيادة في ايدي جماعة من الصفوة الممتازة .. والحكومة المثالية في نظر الفاشيستي يجب ان تقوم على مبدأ تفضيل العناصر الصالحة واستبعاد العناصر الرديئة وربط المسؤولية بالكفاية بطريقة تؤدي الى اختيار السلطة العليا للحكم .. وتزعم الفاشيستي انها تنشئ بذلك ارسنقراطية في اهل الكفاية والامتياز . اما الارادة العامة أو ارادة الشعب فانها ليست سوى غريزة القطيع ، وهي لذلك لا تؤمن بسيادة الامة ونظامها في الحكم هو الطاعة بدون مناقشة والنظام والضبط والسلطة .

هذا فيما يتعلق بالحكم الداخلي أو سياسة المجتمع . اما السياسة الدولية في النظم الفاشيستي فانها كانت قائمة على استعارة مجد الامبراطورية الرومانية ، وبدأت فعلا في تنفيذ خططها بغزو الحبشة والباينا ، وكان في نيتها ان تحتل ايضا مصر وتونس وسوريا وتركيا واليونان. ولم تدخل الحرب الا بدافع هذه الاطماع ، ولولا التناقضات الاستعمارية التي وقفت في طريقها هي والمانية في حربهما ضد اطماع المعسكر الديمقراطي لاكتسحت البحر الابيض المتوسط كله شمالا وجنوبا.

اما فيما يخص المانيا فالمسألة ابعد عمقا وابلغ اثرا . فالاشتراكية الوطنية الالمانية التي قامت على المبادئ النازية تعتبر في نظر المؤرخين اعنف ثورة عرفها التاريخ كما تعتبر الحرب العالمية الاخيرة التي

تحتاج الى غذاء اقل وملابس اقل وثقافة اقل مما يحتاج اليه الشعب الارقي) .

هذا هو المستوى المتدهور الذى نزلت اليه فلسفة نيتشة على يد تلك الكمشة من المفامرين الخطرين .

ان القرن التاسع عشر كان عصر الغرور فى اوربا لم ينضج فيه العقل أو بالاحرى استهوتة الاكتشافات العلمية الهائلة فاصبح يتوهم أنه قادر على كل شئ وان العقل الاوربي قد وجد المفتاح لكل مغاليق الكون والحياة ، وانه جدير بالاستيلاء على البشرية كلها واخضاعها لرغائبه وشهواته ولم يكن نيتشة هو وحده الذى نادى بهذه الفلسفة التفوقية الخطرة : بل اشباهه فى كل من فرنسا وبريطانيا تغذت من كتاباتهم طبقة سخيقة من الكتاب النازيين فى عهد هتلر ممن باعوا ضمائرهم وسخروا جهودهم لا لخدمة العلم بل للتهريج والدعاية الساقطة لفائدة المفامرين السياسيين . وقد ألتهتهم هذه الدعاية عن البحث العلمى السليم فنسوا ان المحاضرات الرائعة التى زخر بها التاريخ كانت من انتاج شعوب البحر الابيض المتوسط وشعوب الشرق وان شعوبهم الشمالية هذه ظلت طوال عصور التاريخ تسمى بالشعوب الهمجية ولم تعرف أى حضارة فى التاريخ . انه من التهريج الصيبانى ان يزعم عالم اليوم أو مؤرخ عن هذا الجنس أو ذلك الشعب نقى الدم من اخلاط لحقته عبر التاريخ من اجناس وشعوب أخرى ، ان الامم قد اختطلت بالحروب والتجارة والهجرة والغزو حتى

فكرة الجنس أو السلالة محلها . كذلك ينبغى أن يتحرر العالم من ماضيه التاريخي . ولما كانت الامم هى ميراث التاريخ فيجب تحطيم هذه الامم ووضع حد للفوضى التاريخية التى اوجدتها . وفكره (الجنس) هى اصلح محور لهذا التغير . كان هتلر يزعم انه هو الذى اختارته العناية الالهية ليكون محور الانسانية الاعظم - وانه هو الذى سيحرر الانسان .

وكان هتلر مثل نيتشة قوى العبارة ساحرا يسيطر على الجماهير فى خطبه بنفس السهولة التى يسيطر بها نيتشة على قرائه .

ويرى هتلر فى كتابه « كفاحى » ان الحضارات العظمى لا تقضى الا بسبب اختلاط جنسها بالاجناس المنحطة والشعوب المغلوبة وبعد ان ينعت هتلر اليهود بانهم شعب محروم من الابتكار ولم يخلق أى حضارة بنفسه وبانه لا يحده أى مثل اعلى فى الحياة ينتقل الى تعميم هذا الحكم أو ما يشبهه على جميع الاجناس الاخرى غير الجنس أو الاجناس الآرية ويصفها بانها منحطة سواء منها شعوب البحر الابيض المتوسط جنوبا أو شمالا أو شرقا ، وان هذه الشعوب كلها ينبغى ان يسودها الشعب الجرمانى خالق الحضارات .

وبالرغم من نظريته الاشتراكية فان الاشتراكية عنده تقوم على زعامة الفرد على الجماهير ، وزعامة الطبقة الارستقراطية على غيرها . ولم تتردد صحيفة الحزب الوطنى الاشتراكى ان تكتب سنة 1940 (ان الالمان خلقوا ليحكموا أوربا .. وان الشعوب المنحطة

الفردية وتدخلت حتى في الحياة الخاصة بحجة أن الفرد والأسرة والامة جميعا يجب ان يقنوا في الدولة . وبذلك اصبح الشعب كله عبدا للدولة واجهزتها المجهنية لا يعرف العمل المرهق والحضوع الاعمى للطغيان الرهيب ، واصبحت حتى حياة الاسرة والزواج والتربية والحياة المنزلية تخضع لتعاليم النازية التي لا تعرف رحمة ولا ترعى قانونا انسانيا واخلاقيا من الاحتشام والسمو . كما قضى النظام النازي على الثقافة الجامعية الرفيعة وشرذ آلاف الاساتذة ممن لم يتحمسوا للنظريات النازية السخيفة والحياة العسكرية حتى على الحياة المدنية . اما الآداب والفنون الرفيعة فلم يعد لها شيء مما سمي (بمخلفات الميوعة والديمقراطية) وهكذا اصبحت المانيا في العهد النازي وتحت ظل الافكار النيتشوية عبارة عن معسكر حقيقي يعمل ليلا نهارا لتهينة اكبر مجررة عرفها التاريخ ريثما يخضع بقية البشر لنفس الحياة الخائفة .

ولكن الحياة التي لا تسير الى الوراء بالرغم من مزاعم نيتشة ابت الا ان تحطم المانيا كلها التي اعتقنت هذه المبادئ التقهقرية الرجعية ، ولقيت المانيا الهتلرية أو النيتشوية مصيرها المروع في الحرب العالمية الثانية بعد ان تآلبت عليها الانسانية كلها حتى ايطاليا التي اندفعت معها في الخطوات الاولى من المغامرة . وبزوال النازية زال اكبر خطر هدد البشرية في تاريخها القديم والحديث وتحطمت اعظم قوة غازية برزت الى الوجود ، وخطر على القيم الانسانية والاخلاق الدولية عرفه البشر . ولكن القضاء على القوة المادية المتعدية لا يكفي

أصبح من المستحيل الجزم بان هذا الشعب أو ذاك ينحدر من هذا الجنس أو ذاك دون خلط أو امتزاج بغيره من الاجناس والامم . لذلك يرى كثير من المؤرخين ان العلماء النازيين لم يكونوا يؤمنون بشيء من نظرية التفوق السخيفة هذه وانهم كانوا يسخرون منها ولكنهم يستغلونها مع ذلك لتحسيس الشعب الالماني ودفعه الى الغزو واستكمال القوة والسيطرة على الشعوب . وقد خلقت عند الكتاب النازيين فكرة « المجال الحيوي » الذي يعطى الحق لدولة مثل المانيا ان تبحث خارج وطنها الضيق عن متنفس تدفع اليها ابناؤها للسيادة على بلاد أخرى واستثمار خيراتها لفائدة الشعب الماني : اما البحث فيما اذا كانت المانيا على الحق في هذا الغزو ام لا ؟ فليس له أي اعتبار . ألم يقل نيتشة بان الحق هو ما سميت به انت كذلك . وكانت المانيا عندما راودتها الاحلام (النيتشوية) قد جاءت الى عالم الاستعمار متأخرة عن الوقت وبعد ان استولت الدول الاوربية الاخرى على مختلف المستعمرات في آسيا وافريقيا . وهي تذكرنا بحالة الاميركان اليوم وهم ينبشون قبور الاستعمار في المستعمرات الاوربية السابقة ويرومون احتلالها من جديد بعد ان تخلى عنها المستعمرون السابقون .

ان افكار نيتشة عندما يقرؤها الانسان كافكار يعجب ببلاغة صاحبها وبالنشوة التي كان يشعر بها الكاتب وهو يسجلها في حجة وحرارة ، ولكن هذه الافكار عندما دخلت ميدان التطبيق على يد النازية الهتلرية اصبحت شيئا رهيبا . لقد سحق كل معالم الديمقراطية في المانيا وقضت على جميع الحريات

تذكره) : « اذا كانت رشيدة فستقضى على فكرة القوة ، واذا كانت سقيمة فنقضى عليها بالقوة » .
واننى لم اقصد ان اختم هذا بفصل فكرة من الهند . ولكنه انسياق القلم والحواطر . لقد كان نيتشة مولعا بالتفكير الهندى ولكنه لم ياخذ من فلسفات الهند القديمة المتعددة غير فكرة (البراهمانية) فى وجوب « حفظ الاجناس من الاختلاط خوفا من الانحطاط اذ ان امتزاج الدماء يعتبر جريمة من الجرائم » ، وفكرة تقسيم المجتمع الى احرار ومحاربين من جهة وغيرهم من جهة اخرى وهم المنبوذون .

ان افكار نيتشة كانت جديرة بان تعرفها البشرية فى العهود الاولى من تفكيرها الفلسفى اما ان تظهر فى القرن التاسع عشر وتطبق فى القرن العشرين فعلا فهو ما يعتبر نكسة خطيرة نرجو ان لا تصبح مرضا يعاود الانسانية من حين لآخر .

لانه لا يدوم الا حيننا من الدهر ثم لا بد ان تجد فى التناقضات السياسية ما يساعدها يوما على البروز من جديد وفى يدها من الاسلحة اضعاف ما كان لديها فى السابق ان ما يجب القضاء عليه هو القوة المعنوية والاسس الفلسفية التى نبعت منها جذور هذه السياسة التى لا تدين بالاخلاق ولا تؤمن بالقيم ولا ترعى الا ولاذمة سواء عند المانيا او غير المانيا ، ان فكرة القوة هذه يجب ان تقاوم فى المدارس والكتب والافلام والروايات المسرحية والصحف والاذاعات . وذلك سواء فى الحياة الوطنية داخل كل قطر او فى الحياة الدولية والعلاقات بين الشعوب نعم انه ليس من السهل ان نقيم توازنا ثابتا بين المصالح والمبادئ وبين المنافع والقيم وبين الاطماع والخلق الرفيع سواء بين الافراد او الشعوب ولكن المشكلة ليس لنا فيها كبير خيار : ان الانسانية كما قال نهرو ، (وهو ما يحسن بالسيدة أنديرا ان





أواني من خشب أبدعتها اليد العربية الفنانة

الخصارة الإسلامية والبحث العلمي

لقد كان العلم أهم ما جادت به الخصارة العربية على العالم الحديث، ولكن نماره كانت بطيئة الانفج .. ان المعقريه التي ولدتها ثقافه العرب في اسبانيا ، لم تنهض في عنفوانها الا بعد وقت طويل على اخفاء تلك الخصارة وراء سحب الظلام ، ولم يكن العالم وحده هو الذي أعاد الى أوروبا الحياة ، بل ان مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الخصارة الإسلامية بعثت باكورة استعائها الى الحياة الأوروبية بالرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأروني الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة فان هذه المؤثرات توجد أوضوح ما تكون في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي ..

يريفولت (بناء الانسانية)

دراسة حول

ديوان محمد العيد

تقديم الشاعر :

ان المتصفح للادب الجزائري الحديث يجد في كل صحيفة من صحائفه ذكرا لشاعرنا محمد العيد - بل ان لقب «أمير شعراء الجزائر» كثيرا ما يسبق اسمه .

وان كثرة ترداد اسم شاعرنا محمد العيد والعناية التي أحاطت بشعره دفعتني الى أن اتصل بهذا الشاعر وأقرأ له وعنه ، وهذا الاتصال أقنعني بأنه يستحق الدراسة لا من جانب اخواننا الجزائريين فحسب بل وأيضا من جانب كل من يهتم بالادب الحديث في كافة انحاء العالم العربي (*)

فمحمد العيد يقف في صف الممتهزين من شعرائنا وان المتدبر لشعره يشعر بأنه صورة حية نابضة لقلب الشعب الجزائري بما فيه من كفاح وثورة وانفعالات وأشجان وعواصف ورمود .

د : محمد رشدي حسن

استاذ بكلية الآداب
- جامعة وهران -

(*) اتصل الدكتور أبو القاسم سعد الله بشاعرنا في كتابين له هما : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث - دراسات في الادب الجزائري الحديث ، وكذلك فقد سجل الاستاذ صلاح مؤيد بعض اشعاره في كتاب له بعنوان : « الثورة في الادب الجزائري » كما كتبت الدكتوراة سعد محمد خضر تسيلا عن الادب الجزائري الحديث في كتابها : « الادب الجزائري المعاصر »

منازع . . رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها وله في كل ناحية من نواحيها وفي كل طور من أطوارها وفي كل أثر من آثارها القصائد الغرر والمقاطع الخالدة .

موقف الشاعر من الغزل والمرأة :

وبعد هذه المقدمة التي لابد منها ، نرجع الى ديوان الشاعر فنجد أن شاعرنا قد طرق فيه كل الأغراض الشعرية القديمة ولكنه لم يتغزل أبدا فشعره الغزلي ليس له وجود ، وإن كنا نلمس زقة العاطفة وشفافيتها في الأغراض الأخرى ، وقد تعجبت من خلو ديوان الشاعر من هذا الغزل ولكن عجبنا يزول حين نجد أن كفاح الجزائر المستمر من سنة 1830 لم يجعل شاعرنا يفرغ الى نفسه ولو قليلا ليعبر عن ذاته المحبة المشتاقة ، ولعل شاعرنا الآن بعد أن قرت عيناه وحقق وطنه ما يصبو اليه يتمكن من اضافة باب الغزل الى ديوانه . فالغزل يحتاج الى عاطفة مشبوبة ورفيقة وشفافة ، وعاطفة شاعرنا من هذه الناحية لا تخلو من تلك الصفات ولا يجب أن يكون شعراؤنا - من هذه الناحية -

وقارىء ديوانه يجد أن شعره الذي قاله منذ عام 1954 لم يخب حماسه بالرغم من انه كان قد جاوز الخمسين من عمره ، فشاعرنا قد ولد في مدينة العين البيضاء، على حافة الصحراء سنة 1904 وقد مثل شعبه أصدق التمثيل في ما امتلأ به قلبه ثم نطق به لسانه، فهو شاعر في شعب وشعب في شاعر ، وقد قاسى الأهوال على يد المستعمر الفرنسي الذي ضيق عليه الخناق وسجنه ومنع الاتصال به ثم أفرج عنه وحدد إقامته في مدينة بسكرة ولكنه يرسل شعره رعبا قويا يجلجل به في آذان الشعب وقد انجلت همه هذا الاحتلال ونالت الجزائر استقلالها سنة 1962 ولم تنس فضل أبطال التحرير بالسنان كما لم تنس فضل أبطال التحرير باللسان - وكان شاعرنا محمد العيد على رأس هؤلاء المكرمين فجمع شعره وطلع علينا في ديوان سنة 1967 ووجدنا فيه كلمة للاستاذ محمد البشير الإبراهيمي (1) قال فيها :

« الاستاذ محمد العيد شاعر الشباب وشاعر الجزائر الفتاة بل شاعر الشمال الأفريقي بلا

(1) محمد البشير الإبراهيمي أحد رجال الجزائر البارزين الذين كافحوا بكل ما يملكون في سبيل استقلال الجزائر وأعادتها الى عروبتها ، وقد تولى رئاسة جمعية العلماء المسلمين بالجزائر بعد وفاة الإمام الجزائري عبد الحميد بن باديس سنة 1940 وكان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد تنلهد عليه شاعرنا ردحا من الزمن واستفاد منه كثيرا ، وقد توفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بالجزائر في 21 ماي سنة 1965 بعد أن قرت عيناه باستقلال الجزائر وعودتها الى الحياة العربية الإسلامية من جديد ، ومن مؤلفاته المشهورة : « عيون البصائر » وقد طبع حديثا وقرضه شاعرنا محمد العيد في مجلة الثقافة الجزائرية عدد سبتمبر سنة 1970 بقوله :

يطالعنا بالعود والعود أحمد
نصير لمن يدعو إليه مؤيد
علينا كما تجلو البصائر نورها

كتاب لمن أملاه بالعلم يعهد
يتوجه باسم الله وحمده
عيون بها تجلو البصائر نورها

الجزائريون نسيج أنفسهم في هذا الميدان فتخلو
دواوينهم من هذه الذاتية الرقراقة المحببة الى
نفوس عشاق الفنون والآداب ، وعليهم ألا يستمعوا
الى قول زميلهم الشاعر الجزائري اللقان :

ألا فدع التفزل في غوان

فتلك طريقة المستهثرينا

فليس الفزل في الحسان استهتارا وانما هو رقى
فحب الصورة البشرية مرقى لحب الذات الالهية
بل ان اتقى الشعراء وأصفاهم وأدناهم من الحقيقة
القدسية مثل ابن الفارض ومحيي الدين بن عربي
وعبد الغني النابلسي وقريب الله أبي صالح تفيض
أشعارهم بالفزل الصريح والمرموز .

وبالرغم من دفاعنا عن شعر الفزل فانه لا يمكن
لنا أن ننسى أن الاحتلال الذي قاست منه الجزائر
كان احتلالا بشعا من كل ناحية ، ومن ثم فلا يمكن
لأي شاعر يرى ألوان البشاعة ثم يفيق الى نفسه
ويغنى تأثرها بالجمال أو تشكيها من صد الحبيب ،
لقد قتل المحتلون في 8 مايو 1945 خمسة وأربعين
ألفا من أبطال الجزائريين مرة واحدة فكيف تهنا
نفس الوطنى العادى بل كيف تهنا نفس الشاعر
محمد العيد ليقول الفزل ؟ وهكذا لا نجد مكانا
في قلبه لزنب والرباب ، بل نجد مكانا فقط
للشعب كما يصرح بذلك في قوله :

أيها الشعب أنت موضع شعري

وشعوري لا زنب والرباب

وان وجد مليحة فانه يفض البصر :

يا أبا العين لا
تغترر للصور
انها للبلايا
اجلت للحفر
فادرع للملاح
بفض البصر

وبالرغم من خلو شعره من الفزل الا انه لا ينسى
المرأة على الاطلاق أو دورها البناء في المجتمع
وهو في هذا يعتمد على الاسلام كمهدنا به دائما في
القضايا الفردية وقضايا المجتمع على السواء :

آتوا النساء نصيبهن من الهدى
يخرجن نشئا كالرماح الشارع

وقد صاح الشاعر الصيحة لانه خاف على الفتاة
المعاصرة التي تظن انها بخروجها على الآداب الاسلامية
فانما بذلك تسير ركب الحرية . يقول الشاعر :

ما بال فتاة العصر منحرفا
يهوى بها في مهاوى الافك والزور

ان الجزائر أمست بنتها غرضا
لكل رام بسهم الغى ماجور

ما بالها هجرت آداب ملتها
ما بالها أعرضت عن خير دستور

وبعد أن بين موطن الداء يذكر لنا الدواء والعلاج
المستمد من الاسلام :

ان الذى برأ الجنس خولها
حقوقها فى كتاب منه مسطور

لو أنها اقتبست من نوره وجنت
من روضه التحقت فى الطهر بالهور

قلم يجد الشعب الجزائري بدا من أن يكتل صقوفه ويقاوم المحتل بنفس سلاحه سلاح القوة والبطش، ولكن ثورة السلاح هذه كانت نتيجة لثورة الشعر أولا، فالشعر الثوري الذي تغنى به الشعب الجزائري كان عاملا أساسيا في اشتداد الثورة الجزائرية التي نظمت تنظيميا كاملا منذ سنة 1954 حتى انتصرت على الدخيل الفرنسي سنة 1962، يوضح هذه الفكرة شاعرنا محمد العيد في قوله :

ثورة الشعر أنتجت ثورة الشعب

ب و عادت عليه بالآلاء

فهو يعرف أن للشعر رسالة، ورسالته في مد الثوار بالمبادئ، الخالدة الدينية والقومية والوطنية وهو في هذا يعد ندا للمسلمين الكبار من أمثال جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الابراهيمي، وإن وصول صوت الافغاني في مصر الى محمد العيد في الجزائر لدليل على هذه الوحدة المتكاملة التي تربط بين أجزاء العالم العربي - فجمال الدين عاش في مصر من سنة 1871 الى سنة 1879 وحمل رسالته من بعده الشيخ محمد عبده الذي توفي سنة 1905 ثم وجدنا الامام الجزائري عبد الحميد بن باديس الذي أحبه شاعرنا وتلمذ عليه وأخلص له يؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مايو سنة 1931 وظل رئيسا لها حتى وفاته سنة 1940 فتولى رئاستها من بعده العالم الجزائري محمد البشير الابراهيمي وعنه الجمعية قامت بحركة قال عنها الدكتور أبو القاسم سعد الله بأنها (تستمرت هذه الحركة أول مرة تحت تعاليم الاسلام واللغة العربية

وبعد أن يتحقق هذا الصلاح فإن الفتاة جديرة بأن تتحمل مسؤولياتها كاملة في ثورة واعية :

أنا ثورية سلاما وحربا

فكرتي عدتي و علمي زادي

ثم يختم الشاعر قصيدته على لسان بنت الجزائر قائلا :

كيف أنسى مجد الجزائر قدما

كيف أنسى مآثر الاجداد

لست أنسى مفاخرى فاطمئني

وثقي بي في ثورتى يا بلادي

وفي قصيدة أخرى له يوضح واجب الفتاة نحو نفسها ونحو رجلها ونحو ولدها في قوله :

قمن لله بالقرب

وتحلين بالادب

يا نساء الجزائر

كن في البيت للرجل

نسوة فذة المثل

يا نساء الجزائر

كن في البيت للولد

هاديات الى الرشيد

يا نساء الجزائر

وهكذا ينظر الشاعر الى المرأة هذه النظرة الدينية السليمة ويمسك بعضا القيادة الاسلامية موجها بها ومرشدا .

شعر الوطنية والاسلام والعروبة :

وتتالت المحن على الجزائر منذ احتلالها سنة 1830

دراسة حول ديوان محمد العيد

ليس هو القائل وإن ارتجال الأبيات لا يغفر له هذا الانحدار من سموه العالى .

نخلص من هذا كله الى أن شاعرنا محمد العيد قد الشعر ومكانته وفهم رسالته فلم يعد الشعر فى نظره مجرد مدح للعطا، أو قدح للهجا، ولم نجده فى شعره يتنازل من عليائه ليستجدى حاكما أو ليسترضى ذا جاه . إنما هو حر كريم يصفاح العلياء فى سمائها والكرامة فى ابائها. والوطنية فى بهائها والعقيدة فى صفائها . وليس معنى هذا انه كان يحيا فى برج عاجى ينظر من قمته الى الكادحين فى كدحهم والى المناضلين فى نضالهم ثم يرسم ظلالهم بألوان مزخرفة - كلا - وإنما هو أولا وأخيرا شاعر فى شعب وشعب فى شاعر والشعب فى حقيقته شعب عربى ذو اباء وشمم وكرامة ووطنية وعقيدة - فاذا كان شاعرنا كريما فأنما لان شعبه كريم ، واذا كان شاعرنا مدافعا عن العقيدة ومنافحا عنها فأنما لان شعبه كذلك . يقول الشاعر :

على أنى ارتجيت تجاة شعبى
فأسعفنى الاله بما ارتجيت
ويقول :

جعلت الشعر فى الدنيا نجيبى
فكان لخاطري كالترجمان
ولم أكف عن استنهاض شعبى
به لأراه فى أعلى مكان
لذلك رجوت أن يبقى كذا
لشعبى ، رافع للذكر باني

ومحاربة الخرافات وحفظ شخصية الجزائر ولكنها ما لبثت أن تركزت وأصبح لها جمهور قوى أن أعلنت أن كل المبادئ السابقة تستلزم انفصال الجزائر عن فرنسا) . (2)

فالمؤذن يؤذن فى الشرق فيسمعه من فى الغرب هذا وإن تباعدت الأزمنة والامكنة . الا ان الاحساس بالآلام والآمال متشابهة فلو أن جمال الدين أتى الى الجزائر لم يقل الا ما قاله عبد الحميد بن باديس فيها . وعلى هذا فإن الفجيرة فى ابن باديس حين ما توفى الى رحمة الله كانت فجيرة عاتية اهتزت لها نفس شاعرنا كما اهتزت لها نفوس الملايين وقد ارتجل محمد العيد أمام قبره قصيدة يقول فيها :

يا قبر طبت وطاب فيك عبير
هل أنت بالضيف العزيز خبير
هذا ابن باديس الامام المرتضى
عبد الحميد الى حماك بصير
العالم الذى لعلومه
صيت بأطراف البلاد كبير
بعث الجزائر بعد طول سباتها
فالشعب فيها بالحياة بصير
وقضى بها خمسين عاما كلها
خير لكل المسلمين و خير (3)

وقد نقشت هذه الابيات على قبر الامام الراحل وان كنا قد لاحظنا عادية الالفاظ فى هذه الابيات وخاصة فى الشطر الاخير من البيت الثالث فكلماته فيه هبطت الى الحد الذى ظننا معه أن محمد العيد

(2) دراسات فى الادب الجزائرى الحديث (3) الغير بمعنى الشرف والكرم كما فى لسان العرب بكسر الحاء

ولا يغيب الشعب عن خاطر الشاعر أبدا بل نجده
في كل قصيدة بل في كل بيت من القصيدة وهو
يمزج الشعب بالشعر كأن الشعر هو الذي يخلق
حماس الشعب أو كأن الشعب هو الذي يخلق
حماس الشعر . ها هو يقول :

هو الشعب فانزل على حكمه
و أذعن لاجماعه الباتر
إذا ما أصر على مطلب
فقل أبرمته يد القادر
لقد بذر الشعر فيه الفدا
وحسبك بالشعر من باذر

ثم نجده في نفس القصيدة يعرف لنا الشعر
ولا يخرج تعريفه له عما أشرنا إليه من أن الشعر
من وحى الشعب ذاته :

وما الشعر الا شعور سما
خلى بإيحائه الشاعر
يهز النفوس بتيـاره
فتسمو الى الـاوج كالطائر

وينتقل شاعرنا بعد ذلك الى تعريفنا بأنه قديم
عهد بالشعر وانه اتصل به منذ صباه المبكر وان
كان شاعرنا قد دفع من أجله ثمنا غاليا وموحشا
مهجته ، الا أن هذا كله سيهون في سبيل الشعب
البطل الذي ينتمي إليه :

شغفت به منذ عهد الصبا
فأبت بعمر به عامر

(4) الشاعر محمد العيد لا ينسى في شعره القائدين المجاهدين عبد القادر الجزائري وعبد الحميد بن باديس ويجعلهما قدوة له
ولغيره :

و عرضت نفسي لأخطاره
بما ليس يعرض بالمخاطر
وقفت على الشعب جهدى به
و كرسى عمرى الى الآخر
فدون شعري بمرآته
جلا غابر الشعب للحاضر

ولا يمل شاعرنا من تبليان رسالة الشعر ، وان
الشعر ضياء يسير على أشعته أبناء الوطن
حتى يحققوا المجد للامة الجزائرية التي يتزلف
اليها قربي لانها شغفته حبا بأفضالها عليه وهو ليس
بالناكر للعرفان :

أقدمه مشعلا ثاقبا
الى شعبي البطل الشائر
ليسعى على ضوئه هادقا
الى المجد في ركب السائر
هدية من بهوى شعبه
تسيم مذ فطرة الفاطر
تقرب للشعب زلقى بها
و حاشاه من وصمة الناصر
إذا ما جزاها بعرفانها
أصاب به بغية الشاعر

وان صوت الشعر في الجزائر صوت مدو عال
يستخدمه المناضل في كفاحه كما يستخدم مدفعه
وبندقته ، فالامير عبد القادر الجزائري (4) الذي
قاد الجزائريين ضد الغزو الفرنسي كان شاعرا

او كن كعبد القادر المقدم

وكذلك فان عبد الحميد بن باديس العالم الرفيع القدر والذي رأس جمعية العلماء المسلمين كان ايضا يقول الشعر ولكن محمد العيد كان اعلامهم صوتا واكثرهم واغزهم انتاجا للشعر ، وقد نجح عبد الحميد بن باديس ايما نجاح في وسم الشعار بالابيات القليلة ولكنها سهلة التلحين ميسرة الترداد مما جعله صالحا للانشاد تنشده فرق كفاح الوطن وطلبة المدارس . يقول الامام عبد الحميد بن باديس :

**فاذا هلكت فصيحتي
تحيا الجزائر و العرب
شعب الجزائر مسلم
و الى العروبة يتنسب
من قال حاد عن امله
او قال مات فقد كلب**

اما شاعرنا محمد العيد فيعبر عن شعب الجزائر المسلم العربي في أبيات كثيرة منتشرة في معظم قصائده ، فقد قال مادحا الاساتذة العرب من مصر ومبينا ان الدين والعروبة أبوان للمصريين والجزائريين جميعا :

**لستم هنا غرباء بل في أرضكم
ودياركم ان الغريب المبعد
ما نحن الا اخوة من أسرة
كرمت أرومتها وطاب المحتد
الملة السمحاء أصرة لنا
فوق الاواصر والعروبة مولد**

هيهات تقدر أن تفرقنا يد
والله يجمع شملنا و محمد
ان العروبة امنا الكبرى التي
في الامهات نظيرها لا يوجد
ثم يقول ايضا ممجدا العروبة والمنتسبين اليها :
نبني العروبة من جديد قلعة
من حولها قصف المدافع يرعد
فلتحى وحدتنا بها في منعة
و من المحيط الى الخليج تمدد
ولتحى مصر مع الجزائر في رضى
و محبة و صداقة تتأكد
وليحى شعبانا كشعب واحد
و كلاهما متقرب متودد
وليحى في ظل العروبة ودنا
ملء القلوب و عهدنا المتأبد

فهنا وجه المقارنة اثلافا واختلافا بين ابن باديس ومحمد العيد فقد اتفقا في فكرة واحدة وهي تمجيد الاسلام والعروبة كما رأينا في أبياتهما ، اما الوجه الآخر فقد اختلف الاول عن الثاني في أنه قلل العبارة واوجز فيها ولم يختل المعنى ، بينما أطال الثاني في العبارات التي تمجد نفس الفكرة وكرر ما يدعو اليه في أساليب مختلفة ولم يختل المعنى عنده أيضا .

وقد تكررت معاني تمجيد الاسلام والعروبة في كثير من قصائد شاعرنا الزاخرة الفياضة ، وقد بلغ الشاعر القمة في تقدير هؤلاء العلماء العاملين الذين يعملون على أداء رسالتهم في تثبيت الاسلام في

القلوب ورفع راية العروبة في كل مكان يحلون به
من أرض الجزائر بعد قدومهم من مصر .

ها هو يقول : (5)

أيها الوفد جئت عقبه ضيفا
فتبوات قمة العيان
مد أوراس سفحه لك ظلا
ان أوراس مكرم الضيفان
فغرسست العلوم للنشر روضا
و مددت الفنون كالافنان
كيف يجزيك عن أياديك انا
لا نراها ترد بالشكران
قد عجزنا عن الجزاء صنيعا
فرايننا أداءه بالمثاني
و ثواب الإله للعبد في آخر
سراه أولى من الثواب الفاني
أيها الناشرون للعلم فينا
علما عندنا رفيع المكان
فماض عرفانكم على الأرض حتى
أصبح النيل منه كالفران
كم لكم في الجزائر اليوم من سد
سد ، يباهى السدين في أسوان
انما هذه المعاهد سد
بعد سد تفيض بالعرفان

انما هذه المعاهد برها
ن على حكمكم الى برهان
و دليل ان الجزائر قد سا
دت و عادت لأصلها العدناني
ثم تجده يهتف في آخر قصيدته هذه بالسلام
على مصر وعلى أمة العروبة جمعاء مجددا العهد
لتكون الجزائر عضوا عاملا في أمة العرب .
ها هو يقول :

بلغوا مصر شوقنا و هوانا
و رضانا في السر و الاعلان
و سلام على الكنانة منا
ما استنارت بالازهر المزدان
و على أمة العروبة في كـ
ل مكان يضمها و زمان
سنوالى الجهود حتى نراها
فخمة الحكم ضخمة السلطان
و لواء الاسلام في كل أرض
خافقا يحتمى به الخافقان
وان هذا الشعر قد وضع لنا ان الجزائر متقدمة
في الصفوف من ناحية قدرة شعرائها على التعبير
بأجزل الاساليب وأروع البيان عن وقع الوجد على
الوجدان - وكان شاعرنا قد حقق بالفطرة والكسب
جميع ما دعا اليه الحكيم جمال الدين الافغاني من
أن اللغة هي قوام الامة حين قال :

(5) يغالب هنا وقد العلماء المصريين الذين اتوا الى الحفل الذي اقيم بمناسبة اختتام السنة الدراسية بالمعهد الاسلامي بمدينة
باتنة صيف سنة 1965

دراسة حول ديوان محمد العيد

كان هذا الاعتزاز العميق باللغة العربية والحفاظ عليها .

ومما قام به الفرنسيون في محاربة اللغة العربية انهم يسجنون كل من يفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية وقد تجرأ بعض العلماء وفتحوا مدرسة لتعليم اللغة العربية سنة 1939 في قرية من قرى الجزائر فسجنتهم السلطات الفرنسية - فما كان من شاعرنا محمد العيد الا أن عبر عن رأى الشعب في احساسه بالضيق. لسجن هؤلاء الوطنيين الاشراف :

تساءل الشعب في ضيق وفي حرج
هل للمساجين من عفو ومن فرج
وقد ذكرنا شاعرنا محمد العيد في دفاعه عن اللغة العربية في الجزائر بما فعله زميله شاعر النيل حافظ ابراهيم حينما دافع عن اللغة العربية بمصر في قوله :

أنا البحر في أحشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدقات
ومن الشعر الديني عند محمد العيد ما قاله في تارك الصلاة :

أيها التارك الصلاة أبسن لي
أى عذر له تركت الصلاة ؟ !
أغرورا تركتها ؟ أم نفورا ؟
أم كفورا ؟ أم سخطا ؟ أم شماتا ؟
كل يوم تقول سوف أصلي
سوف أقضى من فرضها ما فاتا

« لا جامعة لقوم لا لسان لهم ، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم ، ولا تاريخ لهم اذا لم يقم منهم من يحيى آثار رجال تاريخهم فيعمل عملهم وينسج على منوالهم » .

وحقق شاعرنا أيضا قول الشيخ محمد البشير الابراهيمي في الاعتزاز باللغة العربية :

« لغة الامة هي ترجمان افكارها وخزانة أسرارها ، فاذا حافظ الزنجي على لسان ولم يبتغ به بدبلا وحافظ الصينى على لغته فلم يرض عنها تحويلا فالعربي أولى بذلك وأحسن لان لغته تجمع من خصائص البيان ما لا يوجد جزء منه فى لغة الزنجي أو لغة الصين ولان لغته كانت فى وقت ما لسان معارف البشر وكانت فى زمن ما ترجمان حضارتهم وكانت فى وقت ما ناقلة فلسفات الشرق وفنونه الى الغرب وكانت فى وقت ما هادبة العقل الغربى العالى الى أمور الحكمة فى الشرق وكانت فى جميع الاوقات مستودعة آداب الشرق وملتقى تياراته الفكرية ولازالت صالحة لذلك لولا غبار من الاعمال علاها وعاق من الابناء قلاها وتيم من لغات الاقوياء المعروفة دخل عليها » .

والحقيقة اننا فى بحثنا هذا قد اعتزنا كثيرا بأقوال هؤلاء الحكماء لان اللغة العربية وجدت فى الجزائر حربا شعواء لا هوادة فيها فالفرنسيون كان من أهدافهم القضاء على اللغة العربية فى الجزائر وفرستها يتوهمون أنهم لا محالة سيحققون فى الجزائر العربية ما فشل الالمان فى تحقيقه فى بلادهم عند ما احتلوها منذ زمن مضى ، وعلى ذلك

هكذا ينقضي زمانك ليلا
و نهارا تؤجل الاوقاتا
بادر الفرض واستر العرض أولا
فترقب من ربك الاعناتا

وبهذا الأسلوب الشعري السهل يخاطب شاعرنا تارك الصلاة في طريقة مبسطة ولكنها تهز الوجدان وتدعو الى أن يتساءل تارك الصلاة الى متى هذا الهجر للصلاة فحينما لا يجيب - وبأى شيء يجب - نجده فوراً يقلع عن غفلته ولا يتوانى عن صلاته مرة أخرى ثم يدفع الشاعر بالحجة تلو الحجة لتكون الصلاة جزءاً من الحياة لا يتركها المسلم أبداً فيقول :

هذه دار كلغة لا تـوان
فاجعل الصبر عدة والثباتا
أيها المطمئن فيها اغترارا
بالاماني متى ملكت الحياتا
انها ساعة تمر كان لم
تفن فيها عشية أو غداتا
كم غنى بالفقر فوجيء يوما
و معافى اذا به قيل مات

وأيضاً فإن شاعرنا يخاطب تارك الزكاة كما يخاطب تارك الصلاة وهو أيضاً يخاطب وجدان المسلم ويبين أن الزكاة فرض وهذا الفرض واجب التنفيذ ، ويا حبذا لو كان الشاعر قد فصل الفوائد الاجتماعية التي تعود على المجتمع الذي يؤدي أفرادها فرائض الدين .

ها هو محمد العيد يقول مخاطباً تارك الزكاة :

أيها التارك الزكاة لماذا
لا تزكى ؟ وقد ملكك النصابا
مر حول عليك من بعد حول
مثلما يتبع السحاب السحابا
تكنز المال صامتاً لست تروى
منه عبا مهما استزدت شرابا
كل يوم تقول هل من مزيد
كلظي زادها المزيد التهابا

وبعد ذلك نجده يوضح القسوة التي منى بها تارك الزكاة فهو يطرد الفقير والمسكين :
و تذود الفقير بالنهر والمسك
كئن عنها كما تنفوذ الذبابا
ثم يختم القصيدة بأبيات يذكر فيها تارك الزكاة بأن الموت نهايته ولن يأخذ شيئاً من ماله معه الى القبر .

ها هو يقول :

ان فرض الزكاة يدعوك فاسمع
صوت انذاره ورد الجوابا
فكأنى بك اخترمت بموت
خاطف بعده تلاقى الحسابا
و كأنى بك احتملت الى القبر
سرو وسدت في التراب الترابا
و كأنى بالاهل بعدك حازوا
منك ميراثهم منابا منابا
قم فقدم زكاة مالك وارقب
بركبات الزكاة وارج الشوابا

لك دين مدى الدهور عزيز
يئذل المال دونه و الرقاب
لك ماض ما مثله قط ماض
تتباهى بمجده الاحقاب
و لسان لم يدن منه لسان
و كتاب لم يدن منه كتاب
تلك فينا وديعة السلف الزا
كى فهلا تصونها الاعقاب
وبعد أن يوجه شاعرنا الشباب الى التمسك
بالدين وباللسان العربى نجده يلج عليه فى الاتجاه
نحو الشرق العربى لان الشرق العربى هو ملاذ
العروبة :

انما الشرق للعروبة ورد
بارد الماء سائخ المستطاب
ويعود بنا الشاعر مرة أخرى الى الدين موجهًا
الشباب اليه حائثًا اياه على التمسك بقيمه فهى
نجاته :

نتمنى بالدين أن تتحلى
من تحلى بدينه لا يعاب
انما الدين لليوث عرين
و تعرنا بالعراء الذئاب
انما الدين فى المبادئ رأس
المجد فيها و غيره أذئاب
ويخاطب أيضا شعب الجزائر مبينا أن من
أعظم دواعى الخلود هو التمسك بالدين واللغة
العربية ، وعلينا أن نذكر الشهداء الذين ضحوا

قم فقدم زكاته فهى ارجى
لك من كنزه وأنجى مآبا
وهذه الروح الدينية تسرى فيه سريان الدم
فلا نجد قصيدة الا وهو يدعو فيها الى التمسك
بأهداب الدين وهو يهجو الخمر مر الهجو فيقول
فيها :

الخمر شربة رجس أم ارجاس
الخمر صاعقة تهوى على الرأس
الخمر محنة سوء من أصيب بها
أصيب فى كل وعى منه حساس
ثم يبين آثارها المضرّة على العقل الذى هو النبراس
الذى يستضى به الانسان :

ما الخمر الا ظلام للنفوس فلا
يفرك منها شعاع لاح فى الكاس
على الفؤاد بها النيران موقدة
وفى الدماغ لها دقات أجراس
وكيف تطفى نبراسا حياك به
رب البرايا وتبقى دون نبراس
فحطم الكاس واهجر كل رفقتها
تعش سعيدا وتأمين السن الناس
ثم نجد ان الشاعر يبين للشباب ان عناصر
مجده وخلوده تتمثل فى العلم والدين كما يقول :

انت من عنصر الخلود لباب
كن الى المجد طامحا يا شباب
لك مشعل العلم فى يمينك يهدى
كل سار به و يجلى الضباب

بالنفس والنفيس في سبيل المحافظة على كيان
الجزائر مسلمة عربية :

و حكم كتاب الله في كل فتنة
فتحكمه لا بد أن يطفى الجمر
تعود لسان الضاد نطقا تعد به
معدا الى الدنيا وتنشر به فهرا
السنا وان طال المدى نسل يعرب
تطول بنا فرعا وتزكو بها جذرا
فأوطاننا أرض العروبة كلها
سواء بها نشوى الجزائر أو مصر
لقد جمعتنا وحدة عربية
على الحق جمعا لا نخاف له كسرا
وكن سماعا صوت الجزائر انها
تناديك بعد النصر أن تبني الوكرا
ولا تنس فعل السابقين الى الفدا
من الشهداء الطيبين بها ذكررا
ترحم عليهم واحتفظ بقبورهم
ورب بنيتهم واتخذ عهدهم ذخرا

والشاعر كعربي يعج بنا الى الشقيقات العربيات
ويتحدث في المناسبات الوطنية ، فمثلا وجدناه
يهتز طربا حينما استقلت السودان فيتحفها
بقصيدة يقول فيها :

ما أسعد السودان باستقلاله
فاليوم يرفع رأسه السودان

ويقول أيضا فيها :

هل كان كالسودان شعب صالح
فيه استقام الشيب و الشبان

ثم ان شاعرنا قد قرأ تاريخ السودان وتعرف
على الحركة المهدية (7) في أواخر القرن التاسع
عشر ومن ثم فهو يمدحها مشيدا بها لان كل حركة
فيها قضا، على الاستعمار في البلاد العربية انما
هي بشير بانبلج الفجر في بلاده هو .
يقول محمد العيد :

أم كيف ننسى فيه أعظم صورة
آثارها لم تمحها الأزمان
ما كاد حاكمه يسوء حكومة
ويسود فيها الجور و الطغيان

حتى بدا المهدي يعلن دعوة
في كرودفان قوامها الايمان
طلعت طلوع الفجر يجلو نورها
سجف الدجى فاستيقظ الوسنان

لما رماها الانجليز بكيد
طافت عليه كأنها طوفان
وتمخض السودان عن عهد نما
فيه الحجى وتدفق العرفان

ويعرج على بلده الجزائر التي كانت آنثى سنة
1956 في أوج ثورتها ضد المحتل الفرنسي :

(7) اقرا عن التعاون الاسلامي العربي بين هذه الثورة المهدية في السودان والثورة العراقية في مصر في كتاب المؤلف (نصيحة
احمد العوام) دار الفكر بيروت

وانه أيضا في هذه القصيدة التي يهنئ فيها ليبيا باستقلالها سنة 1952 يرنو الى استقلال بلاده الجزائر ويرمز لهذا الاستقلال بحمامة ورقاء هام بها ولكن عز منالها . ها هو يقول :

ولقد شجت قلبي وهاجت عرني
ورقاء في شرف بعيد عال
حمراء حرر جيدها من طوقها
في الورق فهي عديمة الامثال
هتفت فقامت مجاوبا لهتافها
ولحنت عن قصد فقلت تعالي
شرقية في الطر أم عربية
ما دمت واصلة فلسـت أبـالى
وا لهفتاه عليك حسنك فاتن
وهواك ممنوع ووصلك غال
من كان في العشاق باسمك ناطقا
فكانما هو ناطق بحال

ثم وهو يتغزل بعهد الاستقلال المنتظر لوطنه الغالي يبين أن هناك مراقبة مفروضة عليه من سلطات الاحتلال الفرنسي . ها هو يقول :

قد أحـدق الرقباء و العـذال بـى
ويحى من الرقباء و العـذال
عز اللقاء ولست منك بيأس
فلعل بعد البين قرب وصال .

وقد قال الشاعر هذه القصيدة قبل أن تـفال الجزائر استقلالها بعشر سنوات . والآن قد صدقت نبوءته نعرف أن الشاعر كان محقا حينما قال (عز

نتبادل القبلات باستقلاله
فرحا وان طافت به الاحزان
متسائلين عن الجزائر هل دنا
بتحرير أم حظها الحرمان ؟
ومتى تفوز بنعمة استقلالها ؟
فقد استقلت دونها الاوطان

وكما مجد شاعرنا استقلال السودان في شعره فانه أيضا مجد استقلال ليبيا في قوله :

أمل تقفى بعد طول نضال
و مثال فوز كان خير مثال
أرأيت أعظم غبطة من أمة
مهضومة حظيت بالاستقلال
اليوم أمة ليبيا قد حطمت
ما أحكم الطغيان من أغلال
شملت أقاليم البلاد بوحدة
ليبية كالعقد نظم لآلى

ثم أيضا يذكر أن الاستقلال الذي نالته ليبيا لم يتم الا بالثمن الغالى وهو دماء أبطالها من أمثال الشهيد الليبي عمر المختار :

و مضى بهم عمر الشهيد يقودهم
للحرب ينأى نامة الرئـيال
خاض الجهاد مظفرا حتى انجلى
عما انجلى و الحرب ذات سجال
لقى الشهادة فيه شتقا مرهقا
تحت الاسنة موثقاً بحبال
كتب الاله له الشهادة مرة
ليفوز منه بطعمها العسال

اللقاء - ولست منك بيائس) فاليأس لا يعرف طريقا اليه ولا الى الشعب الجزائري .

ولا ننسى في حديثنا عن احتفاء الشاعر بالوطنية والعروبة والاسلام ان نتوجه باحتفائه الخاص بمصر التي هي قلب العروبة ومطمح آمال المسلمين . حقيقة فان الشاعر كان شعوره ازاء مصر مفعما بالحرارة والحماس ، الا انه صادق كل الصدق فهو لا يكتفى بآيات المدح بل يعدد الاسباب التي دفعته الى أن يمدح . وهذه قمة الصدق الخلقى والصدق الفني على السواء .

يقول الشاعر :

ولقد تقدم شعب مصر مبكرا
وأنا في التاريخ كل ظلام
وأهاب بالنوام حتى استيقظوا
فابن الكنانة موقظ النوام
أولا تراه على العروبة قائما
يحتل منها الصدر في القوام

ثم يخاطب المصريين مبينا الاخوة التي هي العنوان لعلاقتهم مع الجزائريين :

يا جيرة الوادي المبارك منبعا
ومشيدى السد الكبير السامى
انا وان نأت المسافة اخوة
فى وحدة الآمال و الآلام
فى الدين والدم واللسان اواصر
ما بيننا تقضى بكل وثام

وفى قصيدة نونية له يكرر نفس المعانى السابقة :

يا بنى مصر للعروبة فيكم
مركز القطب خص بالرجحان
ان مصرا أرض الحضارة و العدا
سم و مهد النبوغ والعمران
تتجلى المآثر الشم فيها
عن ذكاء النهى و فن البنان

ثم يستطرد مجددا الاسلام التي تلقت مصر مرجبة به لانه دين الهدى . وبعد أن اعتنقته نشرت هداه فى شرق البلاد وغربها ثم قادت البلاد الى بر الامان :

شرف الدين أرضكم فاقتبلتم
بالايدى هداه و الاحضان
و نشبرتم هداه شرقا و غربا
و كسرتهم عناصر العدوان
و رفعتهم رأس العروبة عاليا
فهى من حسن رعيكم فى أمان

وقد زار الرئيس جمال عبد الناصر الجزائر فى يونيو سنة 1963 ولم ينس شاعرنا محمد العيد فى قصيدته التي يرحب فيها بالرئيس التعبير عما تكنه الجزائر من حب لمصر وما تكنه مصر من حب للجزائر . يتضح هذا فى قوله :

أقبل على البشرى ويمن الطائر
و انزل فأهلا بالنزىل الزائر
ثم يقول :

ان العروبة دوحة لم تنبتا
الا قروعا لا تلين لكاسر

مهما تسر باسم العروبة خطوة
كنا بجنبك في الركاب السائر
ان الجزائر أخت مصر تلاقنا
في شعبنا المتواصل المتزاور
لا فرق في أقطارها و ديارها
ما بين مصرى و جزائرى
ثم يقول :

يا رائد العرب استقمت على الهدى
واقمت أعلام الهدى للحائر
صنت العروبة من عوامل نقصها
وجمعت شمل نظامها المتناثر

وهكذا نرى أن الشاعر لا يكتفى في شعره
الوطني القومي الاسلامي بالتصفيق للوطن والدين
والزعما، وإنما هو في الواقع يعايش هذا كله
ويواكبه ولا يكل أبدا في رحلة عمره المديد
بإذن الله في تمجيد كل مخلص لوطنه .

شخصية الشاعر :

بعد هذا العرض لشعر شاعرنا محمد العيد نحب
أن نتعرف على شخصيته ، وقد آثرت أن نتعرف
على هذه الشخصية في نهاية المطاف حتى أشرك
القارىء معي في هذا التعرف ، وقد خصه كثير من
معاصريه بنعوت مختلفة أشرنا إليها في تقديم
الشاعر ، ولكنى هنا لا أريد أن أعول عليها بقدر
ما أريد أن أعول على شعره وأسلوبه ، فاني من
المؤمنين بأن الأسلوب هو الشخصية .

ان شاعرنا يعجبك أول ما يعجبك فيه ولاؤه
الروحي الصافي فهو متدين وبعمق يعيش دينه
لا كما يعيشه الافراد العاديون وإنما هو قد صب
في الدين صبا فلا يحيد عنه قيد أنملة وهذا هو
سر الايمان القوى الذى اتضح في شعره الذى
استشهدنا به سابقا وهو أيضا قد اعترف صراحة
بهذا الايمان :

أرى الكون قرآنا من الله منزلا
على الروح و الاحداث آى عظات
وهو في هذه النزعة الروحية يذكرنا بشاعر
عربي آخر الا وهو الشاعر السوداني محمد سعيد
العباس الذى يقول عنه الاستاذ الدكتور عبد المجيد
عابدين : « تجلت النخوة العربية مقترنة بالنزعة
الروحية في شعر العباسى ولم تكن النزعة عنده
انطواء واستسلاما ، كان طموحا وثيق الصلة
بالمجتمع متفتحا لشؤون الحياة الى جانب ثقافته
الروحية وايمان عميق بالله ، والقارىء في ديوانه
يحس نفحات من هذه الثقافة وذلك الايمان تترقق
من خلال شعره » (8)

بل ان السيمات الجسمانية تبدو أيضا متشابهة
فكان شاعرنا في الشمال الغربى صورة أخرى
لشاعرنا في الجنوب ، فالشاعر محمد العيد تبرز
ملامحه العربية أيضا في وجهه وجبته وفخامة
نطقه .

وقد أحب شاعرنا محمد العيد البادية حبا ملك
عليه ذاته كما فعل الشاعر السوداني محمد سعيد
العباسى . ها هو محمد العيد يقول :

(8) أنظر كتاب (في الشعر السوداني) للدكتور عبد المجيد عابدين الدار السودانية للطباعة 6

دع الحواضر لا يفررك زخرفها
فجوها قاتم كالغاز خناق
واغش البوادي تنعم في مرايعها
عيشها و يخطئك اعسار و املاق
عيش البوادي نضير لا نظير له
و جوها لعضال الداء ترياق

ولكن هناك شيء رأيته وهو استقرار ملامح وجهه
على وضع واحد فنادر ما تراه يضحك بل هو
يطالب بعقاب كل من يضحك :

لو كنت ذا سلطة في الناس قاهرة
عاقبت بالجلد والتغريب من ضحكا

ولعل هذا يرجع الى ما الممنا اليه في فصل
(موقف الشاعر من الغزل والمرأة) من أن السبب
هو سنوات العسف الطويلة المريرة التي أنست
اخواننا الجزائريين انسهم بالمرح و أنس المرح بهم.

وقد خاف شاعرنا على شخصيته من أن تدوب
وسط تيار المحدثات ومن ثم فهو قد حافظ عليها
ولكنه لا يكره الجديد الصالح ، وضع هذا في قوله :

رب مستهزئ بمبدأ ديني
بين قومي كما يراه يراني
صده عن ترائه كل رأي
أجنبى عتاه في الوديان

قال لي خذ بمنهجى قلت مهلا
كيف أختار قاصيا عن داني
قال لي انه على الغرب أجدي
قلت جوى و جوه ضدان

قال لي انه تقدم فكرر
قلت مرعى و ليس كالسعدان
أعيت ما عشت للتقدم ضدا
غير انى على الحمى غير جاني
ان حفظ المقومات حياة
كل شعب أضاعها فهو فاني

وهو بعد أن عرفنا بشخصيته يجدد لنا هذا
التعريف فيما يقوله لشباب الجزائر وطلاب العلم
بها :

فقدارسوا القرآن فهو هدى لكم
و شفاء أنفسكم من الاسقام
و تعلموا فصيحى اللغات فانها
علوية الاسرار و الانعام
كونوا مع التعريب واحموا جنبه
لا تنسخوه بنقطة الاعجام

ومن أبرز ملامح شخصية شاعرنا انه يعشق
الجزائر العشق الذى يملك عليه نفسه كلها :

يا موطننا لي خصبه و نعيمه
وله هواى على المدى و تشييمى
ما زال حبك ناشئا مترعرعا
فى ناشئ بجوانحى مترعرع
أقسمت لو خيرت فى مصرع
ما اخترت الا فى سبيلك مصرعى

الا أن شخصية الاديب الالمعى فى نفس الشاعر
شخصية تحتاج الى أن يكون صبورا ، لان الاديب
يقابل كثيرا من الكيد فى دنياه التى يحياها :

ثم يعود الشاعر مرة أخرى معزياً لشخصيته
الأدبية التي لها رسالة عليها أن تؤديها بأمانة
لابناء الشعب :

و تبوأ الخلد الذي أعطيته
متنقلا في دوحة المتفرع
أومض ببرقك من بعيد تستبين
و احرق بخورك من جديد يسطع
لا بد أن تعي البلاد نصيحة
مصحوبة لك بالدليل المقنع

مما سبق ندرك الى أي حد تبدو لنا شخصية
شاعرنا محمد العيد كشاعر ممتاز جاد يطرق
أغراض الشعر المختلفة الا الغزل ، وكم هو محب
لشعبه وحذب عليه فهو يحدث حديث الزعيم المشفق
الذي لا يألو جهدا في النصيح والارشاد حتى يتعلق
الشعب الجزائري باسلامه وعروبته ووطنه .

هذا وان كنا من قبل قد اعتبرنا خلو شعر
شاعرنا من الغزل عيباً من العيوب الا انه مع ذلك
لا يعدم الرقة والرشاقة والشفافية ، وكفاه سوددا
وعلو همة انه ظل محتفظا بامارة الشعر في الجزائر
هذه المدة الطويلة ولم تنتزع من يده الراية أبدا
كما أن شعره تطور مع أحداث الجزائر يفنئ
الوطنية ويحدو ركاب الجهاد ، وكما قال الأستاذ
الدكتور أحمد طالب الأبراهيمي وزير الثقافة
والاعلام في الجزائر عنه : « ان شعر محمد العيد
ساير نهضة الجزائر الحديثة وواكبها فهو قلبها
الخفق ولسانها الناطق وترجمانها الصادق » ،
ولعل الاخ الوزير علاوة على اعجابه بالشاعر وبجمال

وترى الاديب الالمعي مؤخرًا
ومحقرا وهو الاديب الالمعي
قل للاديب اعمل وكن متدربا
بالصبر نعم الصبر للمتدرب
ديانا ضد للعباقرة الالى
لا يحفلون بصنعها المتصنع
وهو لاشك يقصد نفسه فهو يعزينا بقوله :
بالله قبل و النبين ازدرى
والقانتين الساجدين الركم
ما رد كيد الناس عنك تذرع
فاصرف لرب الناس كل تضرع
ولعل ذنبك ان قلبك مولع
بهوى به الجمهور ليس بمولع
ثم يبين أن قلمه الذي يسيل بالشعر هو سبب
الالم لانه يشير على موضع الداء فيتألم عليه ذوو
النفوس الضعيفة للنيل من شخصيته ومكانته :

و لعل ذنبك ريشة أوتيتها
أصباغها لم تنشر من مستودع
و لعله قيثارة تسلكو بها
في جو لحن من لهاك مرجع
و لعله ذوب الرحيق تديره
صرفا على الاخوان غير مشعشع

وهكذا فان شخصية الشاعر لا تسمح له بمجارات
ذوى النفوس الضعيفة في تهالكهم على المحتل
(المستودع) وفي تهالكهم على الخمر (الصرف
المشعشع) وشخصيته أيضا تأبى عليه الا أن يشرب
من الرحيق غير المشعشع .

والنهر في جنبات الصفح منبسط
والماء في جنبات النهر رقراق
والبدر في الليل يبدو زاهدا ورعا
له الى الله اخبات واطراق

وهذا البيت الاخير أجاد فيه الشاعر ايما ايجاد
حينما شبه البدر في حالة تلخفه بالسحاب وفي
حالة انقشاع السحاب عنه بالزاهد الساجد الذي
يرفع من سجوده .

ثم انه يبين ان الشاعر الحق يحب الطبيعة :

حب الطبيعة داب
لكل من قال شعرا

ولكن مع حبه للطبيعة لم نجد عنده توازنا بين
حبه وقوله ، فشعر وصف الطبيعة عنده شعر مقل
لان الطبيعة عنده لا تأسر لبه فحبه للاسلام والعروبة
والوطن الذي ميز شخصيته لم يدع له مجالا
للغزل أو الاكثار من وصف الطبيعة ، ولو فعل
ذلك مع عدم اقتناعه به لجاء شعره متكلفا ، وان
الشاعر الذي لا يتكلف في شعره هو الشاعر الحق
فعل هذه الطبيعة الرائعة لم تنعكس بروعتها على
وجدانه لان وجدانه قد صحا مع الاحياء من أبناء
وطنه فرياح المناضلين هي التي هزته وربيع
الاستقلال هو الذي أثر فيه وسماه مجد بلاده هي
التي أطلته فلم ير نجوما الا نجوم الشهداء ولم
يلاحظ ربيعا الا ربيع الاستقلال .

ومع ذلك فاننا نأمل مرة أخرى من شاعرنا
محمد العيد أن يستنطق الطبيعة الرائعة في بلاده
حتى تحدثه وان يرفع النقاب عن جمال الحسن
حتى ينتشى به ، ونريد أن نسمع شعر الطبيعة
وشعر الجمال على لسانه الذي عذب به الشعر
العربي الرصين .

شعره ووطنيته قد ورث ايضا الحب من والده
الشيخ محمد البشير الابراهيمي حين قال عن
شاعرنا : « ان روح الصدق المتفشية في شعره
انما هي من آثار صدق الايمان وصحة التخلق »
بل ان الامير شكيب ارسلان قد مدح شعره أيضا
حين قال : « ان القارىء كان يظن ان القطر
الجزائري تأخر عن اخوته سائر الاقطار العربية
في ميدان الادب ولاسيما في الشعر ، ولعله بعد
الآن سيعود الفرق ، بل يسبق غيره بمحمد العيد »
وحينما نرجع الى كلام الشيخ محمد البشير
الابراهيمي في تحديد ملامح شخصية شاعرنا نجد
ان روح الصدق المتفشية في شعره قد أملت عليه
ألا يكثر من وصف الطبيعة ومظاهرها في بلاده .

وفي ديوانه وصف للبحر الذي يسبح فيه فكرا
لا جسما كما يقول من فيه يسبح :

من فيك يسبح جسما
ففيك أسبح فكرا

ثم هو يمزج كلامه عن البحر بأرائه النابعة من
شخصيته التي لا ترضى بالعيب أو الهجر :

على الشواطئ سيل
من الفضائح أزرى
تلقى الفتاة فتاها
كلاهما فيك معرى
يكاشفانك فحشا
و يسمعانك هجرا

ويبين أيضا جمال الريف في أبيات قليلة يصف
فيها ما به من حقول الكروم والأنهار والقطعان
الطيور والشمس والبدر وكل مظهر من مظاهر جمال
الريف لا يأخذ منه الا بيتا واحدا كأنه على موعد
فهو دائما في شعر الطبيعة متعجل :

والحقل محتفل الاشجار من طرب

تشلى وتهفو به ورق وأوراق

الجزائر في الأدب المغربي

الحديث

و

المعاصر

لعل قبل أن ادخل في صميم الموضوع أرى لزاما على أن أتهجد ببعض التعريف لأدبنا الحديث ما هي أولا الفترة التي نحدد بها هذا الأدب ؟ إن هذه الفترة الحديثة بالنسبة للمغرب تاريخا وأدبا تبدأ منذ احتلال الجزائر سنة 1830 ، لأن هذا الاحتلال هو كيان المغرب العربي هذا عنيقا ، وكان لهذا الهز اثر كبير كاد أن يفضي الى نهضة ، ولكن تعثرت هذه النهضة ، ذلكم أنه بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عاد المغرب الى نفسه يبحث في أسباب هذا الاحتلال ويراجع الآثار القوية والعنيفة التي كانت له اثر هذا الاحتلال .

د : عباس الجباري
استاذ بجامعة محمد الخامس
- المغرب -

محاضرة ألقاها د . الجباري بالمركز الجامعي بآبن عكنون اثناء زيارته للجزائر في الربيع الماضي 1972 م

وفرض الحماية عليه ، ثم كان هناك عائق هو خوف الحكم القائم آنذاك من أى تفتح أو استثمار فكري أو انساني . ولهذا حين عاد هؤلاء الحريجون وجدوا من يسد الطرق أمامهم ، وعادوا الى حرفهم ومهنتهم التي كانوا يزاولونها قبل اتمام الدراسة . ولهذا فالنهضة الحديثة المغربية لم تبدأ الا بعد فرض الحماية ، وبالضبط في بداية الربع الثاني من القرن الحالي ، وكان لها أسباب وعوامل منها ظهور الحركة السلفية التي سارت في خط واحد مع الحركة الاصلاحية في الجزائر . ثم حادث الظهير البربري سنة 1930 الذي تولدت عنه الحركة الوطنية ، ثم انتشار التعليم العربي الحر وما كان له من تأثير ، ثم انتشار التعليم الفرنسي واستفادة المغاربة عن طريق غير مباشر منه ، واذن فالنهضة الحقيقية تأخرت الى هذه الفترة وكان ممكنا أن تظهر من قبل في القرن الماضي ، ومع ذلك فكل هذه المرحلة تعتبر عصرا حديثا .

ماذا عن الادب في هذه الفترة ؟

باختصار ، في القرن الماضي وفي بداية هذا القرن كان الادب يسير في ركاب القديم وتقليد هذا القديم ، يتصل حينها بالشرق بشعراء العربية الفحول ، ويتصل أحيانا أخرى بالتراث الاندلسي ، وربما كان تقليد الاندلسيين الطابع المميز ولاسيما عند المجيدين ، حيث كان « مودة » ، وبصفة عامة كان طابع الزخرفة والصناعة والميل الى تزويق الاسلوب ، كان المميز لادب هذه الفترة شعرا ونثرا ، ولم يتغير هذا الطابع الا في هذه النهضة في اتجاهين :

ومن جملة هذه العوامل التي كانت يمكن أن تخلق النهضة في هذه الفترة ، أن الحكم بدأ يراجع نفسه وفكر في اصلاح الادارة واصلاح الجيش ، عامل آخر أيضا هو ارسال البعثات الى الشرق والغرب فكانت أولى هذه البعثات الى مصر سنة 1276 هـ في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن ، وتخرج بها بعض المغاربة كالاطباء وعلماء الجغرافية والتاريخ وغيرها من العلوم ، ثم كانت بعثات أخرى الى أوروبا في عهد السلطان الحسن الاول ، ولكن لم تأت أكلها ولم تؤت ثمارها لاسباب سترها فيما بعد . وكان أيضا من عوامل النهضة : ظهور الطباعة حيث دخلت المغرب أول الامر سنة 1856 على يد أحد الدبلوماسيين المغاربة الذي ذهب الى فرنسا وعاد معه مطبعة واسمه محمد بن ادريس ، ثم في سنة 1865 مطبعة أخرى حملها معه من مصر الطيب الروداني ، ولكنها لم تكن الا باخراج بعض الكتب الدينية والتي كانت تروج في حلقات القرويين . كذلك من عوامل النهوض ظهور الصحافة ، وأول صحيفة ظهرت في المغرب سنة 1889 كان يديرها بعض اللبنانيين اسمها «المغرب» وهي أسبوعية ، ثم جريدة «المغرب الاقصى» سنة 1900 ، بعد هذه العوامل وجد عامل آخر على مستوى السياسة والفكر وهو حدث الدستور على عهد السلطان عبد الحفيظ سنة 1908 أي قبل أربع سنوات من اعلان الحماية ، ولكن هذه العوامل لم تتم لعوائق وعراقيل منها : عدم وجود رأي عام مغربي ناضج ، ثم ان هذه البعثات لم توجه للنواحي الفكرية والانسانية ، ثم الظروف والملايسات التي كانت تعمل بالمغرب سواء في الاطار المحلي أو العالمي والتي انتهت باحتلال المغرب

ومن هنا فان العثمانيين لم يلبثوا أن تخلوا عن الجزائر حين أصابها الاحتلال . وان ظروف تونس لم تكن تسمح بمد يد المعونة . بل يقال ان سلطات الاحتلال عينت دايا من تونس على اقليم وهران . اذن فكان على الجزائر أن تعتمد على القيادات الشعبية والثوار الشعبيين الذين يقودون الجماهير ، وتحاول أن تستعين بالمغرب . وفعلا مدت الجزائر يدها للمغرب وحاول السلطان عبد الرحمن بن هشام أن يعين الجزائر لاسيما بعد أن طلب منه الامير عبد القادر رسميا ، ولاسيما بعد أن جاءت وفود من تلمسان تطلب بيعة السلطان. واستفتى السلطان العلماء فأفتوا بعدم قبول هذه البيعة ولكنه قبلها بالفعل وحاول أن يمد يد العون للجزائر . ولكنه ماكد أن يفعل حتى أصابته نيران الاحتلال الفرنسي كان بين فرنسا والمغرب معاهدة هدنة ، فاعتبرت فرنسا أن تدخل المغرب الى جانب الجزائر هو كسر لهذه الهدنة ، فأرادت فرنسا أن تعطي درسا للمغرب . فكانت هذه الحملات التي وجهتها نحو المغرب الشرقي في ناحية بني ناسن وعمالة وجدة . وكانت تلك الواقعة الشهيرة وهي وقعة ايسلى سنة 1844 ، هذه الواقعة التي هزم فيها الجيش المغربي والتي كشفت عن مدى هزال الهياكل التي كانت يومئذ تحكم المغرب . وتحت ضغط الهزيمة اضطر الحكم في المغرب أن يحارب عبد القادر الذي كان قد التجأ الى المغرب . وبعد أربع سنوات من المحاربة اضطر عبد القادر الى الاستسلام . بعض المصادر التاريخية الموالية للحكم تقول : ان اسباب محاربة السلطان للامير هو

اما الاتجاه الاول فارتبط بحركة البعث بمصر . واما الاتجاه الثاني كان أحدث منه وارتبط بحركة الديوان وبمدرسة المهجر وبالاتجاهات الحديثة .

ويسير الادب في هذين الاتجاهين الى ما بعد الاستقلال فأخذ طابعا آخر متأثرا بمؤثرات خارجية. متأثرا بالاتجاهات الصادرة عن جيل ما بعد الحرب ، فيها كثير من القلق والاضطراب وملامح الثورة النفسية الداخلية . وكذلك متأثرة بما اطلق عليه الوجدان الجماعي او الاتجاه الواقعي والاشتراكي بمصر بعد ثورة 1952 . ومن حيث الشكل تأثر الادب والشعر خاصة بالحركة الشعرية الاخرى وان لم تستقم الاداة عند الكثيرين .

هذه باختصار خطوط الادب المغربي في فترة النهضة الحديثة .

فماذا عن موقف هذا الادب من القضايا التي كانت تعترض شقيقتنا الجزائر ؟

المسافة طويلة والطريق متعثر . ولكني سأقتصر نقاط موضوعي في حدثين خطيرين هما : الاحتلال ثم الثورة الجزائرية .

لعل في غير حاجة للتحدث عن الاحتلال كواقعة تاريخية . ولكن لا بأس أن ألقى أضواء على بعض الملامح التي ربما ستساعد على فهم مواقف بعض الأدباء المغاربة من الاحتلال . حين احتلت الجزائر سنة 1830 لم يكن امامها الا أن تعتمد على نفسها أو أن تمت يدها الى جيرانها ، الحكم العثماني كان عاجزا عن مواجهة الاحتلال . ويقال ان السلطان لم يكن يقبل أن يزعبه الولى بمشاكل هذا القطر .

أو عما ذلك من الآفاق الحاضرة والبادية . فابقظوا أنفسكم من وسن الغفلة وانتهزوا من عدوكم الفرصة مادامت معكم فسحة الاستعداد . قبل أن يتفاقم الهول ويحد القول ويسد الباب ويحق العذاب وتسترق بالكفر الرقاب » . واستمر على هذا النسق بالحث على الجهاد . ووضح من الخطبة هذا النفس فيه بعض السجع وإن كان لا يبدو فيه التكلف . أيضا من الذين أجابوا أحد القضاة واسمه عبد الهادي العلوي .

ولكن ما دور الشعر . وكيف صور تجاوب المغاربة مع اخوانهم الجزائريين ؟ ويكفيني أن أشير الى شاعرين اثنين هما : ابن ادريس . ومحمد غربط . كلاهما كان وزيرا . وكلاهما كان شاعرا . ابن ادريس قال ثلاث قصائد في هذه المحنة . سحاول أن أقرأ بعض الابيات منها . وسنلاحظ بوضوح أنها تدور حول موضوع واحد هو : تنبيه الناس . هو دق ناقوس خطر الاحتلال . هو الحث على الجهاد . والحث على ضم الصفوف لمواجهة العدو . ففي قصيدة - مثلا - يقول مخاطبا المغاربة :

يا أهل مغربنا حقا نشير لكم
الى الجهاد فما في الحق من غلط
فالشرك من جنبات الشرق جاوركم
من بعد ما سام أهل الدين من شطط
وفي قصيدة أخرى يقول مستحثا الهمم
واستنهاضها على الجهاد :
فرض على كل مسكين وسلطان
حمل السلاح على عباد أوثان

احساسه بطمعه في السيطرة على الامارة في المغرب . ولكن هذا تعليل لا يتفق مع واقع التاريخ . ولكنه تبرير للتخاذل الذي أبداه المغاربة . وما كان بإمكانهم في الواقع أن يفعلوا أكثر مما فعلوا .

حين ننظر الى الادب الذي صاحب هذه الفترة لا نجد في الواقع شيئا كثيرا . ولكن نجد ما يدل على مدى التفاعل والتجاوب مع الجزائريين في فضالهم . ويتجلى هذا التجاوب في بعض جملة مظاهر أدبية . وفي بعض الفتاوى التي قدمها بعض العلماء لبعض المشاكل التي عرضها عليهم عبد القادر في مواجهة العدو . بعضها في كيفية أخذ المساعدات المالية . وكيفية معاملة المنحرفين الذين اتخذهم الاحتلال عملاء . وكيفية معاملة الرعية . وما اليه مما قد يصادفه القائد . وأجاب العلماء المغاربة . ومن أهمها اجابة كان قدمها أحد القضاة واسمه على التسولي . قدم هذه الاجوبة على أسئلة للامير وقدمها في شكلين . شكل مطول ثم شكل وجيز . وهي موجودة في كتاب « فتاوى المعيار الجديد » للشيخ الفاسي .

لا اريد ان أطيل عند هذه الاجابة فهي تتصف بطابع ديني صرف . تحاول الرد على هذه الاسئلة والكشف عن بعض الغوامض مستعينة بالقرآن والحديث وآراء الرسول والخلفاء الراشدين .

ولكن الذي يثير الانتباه في هذه الاجوبة هي خطبة يختم بها هذه الاجوبة وهي حث على الجهاد فيقول فيها : « فالجهاد فريضة على من نزل فيهم عدو الدين . فان لم تكن فيهم كفاية أو لم تجتمع لهم كلمة . فعلى الذين يولونهم . وهكذا الى أن تحصل الكفاية ولو اتصل ذلك منهم مثل المغرب لبغداد

فحمله شرف عال ومفخرة
 خص الاله به أعز عبدا
 لا شيء أحسن من صوت السلاح على
 الاعناق في طاعة المولى ورضوان
 وله قصيدة أخرى طويلة يقول فيها :
 يا ساكني الغرب : الجهاد ! الجهاد !
 فالكفر قد شارككم في البلاد
 والشرك قد نصب أشراكه
 مستعبدا بكيد اللعباد
 ويا حماة الدين ما صبركم
 و المشركون يطلبون البلاد
 ما هذه الغفلة عن ضدكم
 وأنتم في الحرب أسد الجلال
 واسطة الغرب قد حازها
 والامر جد والبلى في ازدياد
 حوى الجزائر و وهرانها
 وراع حاضرا بذلك و باد
 مصائب صبت على معشر
 يبكي من الاشفاق منها الجماد
 اخوانكم دينا وجيرانكم أضحو
 رعايا الشرك بين أعباد
 من حلفت لحية جبار له
 فلتكونن لهيته في اعتداد
 أما الشاعر ابن غربط الذي عاصر فترة الاحتلال
 فيقول قصيدة بعد احتلال تلمسان منها هذه
 الابيات :

مالي أرى جفن أهل الغرب وستانا
 من بعد ما أخذ الرومي تلمسانا !
 كأنهم ما دروا ماذا يريد بهم
 عدو دينهم لا نال امكانا

ولا على فعله في دفتر وقفا
 بأهل أندلس يا بيس ما كانا
 أين الحماة الكماة ما لهم رقدا
 والكفر في أخذهم ما زال يقضانا ؟
 موتوا كراما فان الحر يأنف من
 معيشة تدع الحليم حيرانا
 لا موت أشرف من موت الجهاد لمن
 يرجو من الله رحمة ورضوانا
 ان هذا الاحساس بالخطر جعل الشعراء البعيدين
 عن الخطر أن يقولوا بعض الشعر ويقولوا قصائد
 ويحاولون إبراز بعض العيوب والمناكر التي كانت
 متفشية ومن شأنها أن تقعد الناس . فهناك شاعر
 هو محمد بن الشنقيطي في قلب الصحراء يقول :
 ترانا عاكفين على المغاني
 لفرط الشوق نندبها حيارى
 أسارى لوعة وأسى ننادى
 وما يغنى النداء عن الاسارى
 ولو في المسلمين اليوم حر
 يفك الاسر أو يحمى الذمارا
 لفكوا دينهم وحموه لما
 أراد الكافرون به الصفارا
 بحيث هناك شبه تعليل لما أصاب الجزائريين
 ولما أصاب المغاربة في الناحية الشرقية وما قد
 يصيب المسلمين ، وهو اهمال الدين والالتهام
 بمسائل أخرى بعيدة .
 ولا أود ان أترك هذه النقطة دون الإشارة الى
 تجاوب الأدب الشعبي المغربي مع هذه المحنة . وان
 كان هذا الادب هو الآخر يسير في نفس ركاب الادب
 المعطى .
 ومن هنا نجد شاعراً شعبياً هو الشيخ الاكل
 يتحدث عن قضية الجزائر وعن حال المسلمين فيرد

التي شبت فيها الثورة ، كان المغرب مازال يعاني من الاستعمار وكان هو يكافح ويناضل من أجل استقلاله ، فاذن كان المغاربة مشغولين بقضيتهم ، ولكن المغرب لم يلبث طويلا حتى أحرز على استقلاله. وهنا كان ممكنا أن يلتفت المغاربة الى الثورة الجزائرية ، ولكنهم كانوا في جملتهم منشغلين وكانوا في نشوة الاستقلال ، ولم يستيقظوا الا بعد سنوات ، وبدأت تظهر بعض الانحرافات .

ولكن الشعراء الشباب بحكم ثقافتهم وبحكم وعيهم السياسي وبحكم نضالهم كانوا أبعد نظرا من غيرهم ، فالتفتوا الى هذه الثورة ولم يلتهاوا بنشوة الاستقلال ، والذي يميز أدب هؤلاء في التحامهم مع الجزائر هو الابعاد الشاملة التي أعطوها للثورة التي لم يكتفوا في ادخال أنفسهم في تيار الثورة ولكن أرادوا لها أن تكون ذات أبعاد عريضة ، ولاشك أن هذا يعطي قبة لهذا الشعر ، ومن أهم الشعراء الذين ساروا في هذا الاتجاه يكفي أن أشير الى الشاعر مصطفى المداوي وهو شاعر شاب مناضل لقي حتفه في حادث طائرة سنة 1962 ، وله ديوان كله في النضال والكفاح سواء على المستوى الوطني أو القومي ، وله جملة قصائد في الثورة الجزائرية تعبر كلها الى النظرة الشمولية للثورة ، منها قصيدة «شعوب تطلب الحرية» وهي قصيدة بشكل حوار بين الحرية والشعوب المتعطشة لها ، سواء الشعوب الافريقية أو العربية ، فقال يخاطب الحرية :

نحبك لحنًا يذوب انفعالا
على شفة الحاصد

الامر الى قضاء الله وقدره ، فعنده ان الله اراد ان يرتد العرب ويفشل المسلمون - وان يحتل الكفار هذا الجزء من الوطن الاسلامي فيقول :

العرب بقدره الله تعود مرتدين

تعود باذن الله مكان للكفار

واضيف شاعراً شعبياً آخر هو هاشم السعداني ، له قصيدة اسمها « دخول وجدة » ويتحدث فيها عن القضية كلها سواء احتلال شرق المغرب أو الجزائر وهو يلح على قضية التفريط بالدين وعلى ضرورة الجهاد ، وضرورة الموت في سبيل الله ، ويكفيني ان أقرأ عليكم لازمة هذه القصيدة :

بالاسلام بكيت على دخول وجدة

دون حرب غنمها العدو ونال المراد

يكفيني هذا بالنسبة لفترة الاحتلال وانتقل بسرعة الى تجاوب الادباء مع الثورة التحريرية الجزائرية ، ربما قد تسألونني لماذا تفاضيت عن هذه الفترة الطويلة كلها ؟ في الواقع انه لم يكن هناك أدب يسير في اطار هذا الموضوع الذي نتحدث عنه ، وربما يرجع ذلك لأن المغرب دخل هو نفسه في دوامة الاحتلال ودخل في مشاكله وقضاياها واصابه ما اصاب الجزائر فكانت المأساة واحدة ، فلم يكن للادباء المغاربة ان يتحسسوا ويعربوا عن موقفهم من احتلال الجزائر فقد أصبحوا في بوتقة واحدة .

بالنسبة للثورة الجزائرية نشير الى بعض الظواهر ونميز هنا بين الثورة ابان عملها وابان كفاحها ونضالها ، وبين الثورة بعد انتصارها . أما الثورة ابان احتدامها فلم يتجاوب معها الا الشباب ، لماذا ؟ هناك ردود كثيرة في الفترة

مفرق في الرومانسية اليائسة في بعض الاحيان
وهذا يتضح من عنوان ديوانه «أشواك بلا وردة»
مع ذلك فهو حين يتخلى عن وجدانه الفردي ، ويلتحم
مع الجماهير والآخرين فانه يتخلى عن هذا الاتجاه ،
وله قصيدة «صوت شعب» كلها تضامن وحماس ،
فهو يريد أن يموت في سبيل الجزائر وفي سبيل
العروبة فيقول :

أنا في الجزائر

ثورة لن تخمد

أنا لست أرحب أن يغيبني أن

أمت ، بقيت بطولتي بعدى ما بقي النداء

تحيا جزائري أمة عربية

واذا قضيت فدائها لن أفقد

أنا ان مت فعرويتي تحظى بما

أرجو لها من عزة رغم العدا

أنا صوت شعب أقسمت أوراسه

أن لا تنام وثأره هذا سدى

ولهذا الشاعر أيضا قصيدة على اثر وفاة الاديب
الجزائري مولود فرعون ، وكلها تضامن مع النضال
والمناضلين وكلها تحدى للقضاء ، ويظهر هذا من
استخدامه لأسطورة يونانية :

مولود لم يزل معي امزوجة

لمطلع النصر الكبير

اغرودة بيضاء بين أضلعي

لا تكذبوا على ، مات ؟! لا ، مولود كف اسطيغلا(I)

شكى اللهيب صبرها الخطير

مضت لم تمض بل تحولت

يضع في رواي اسطيغلا الكبير

مولود لم يموت ، مولود لم يموت

نحبك فجرا وفي الضياء

لاعيننا في السنة الوافد

نحبك فجرا وفي الضياء

نحبك أغنية للخلود

تهيم على شفة العائد

وأرض الجدود كريم الخطي

يمائق وهج السنة الشاهد

نحبك هلا فتحت ذراعيك للقارة

الظامية ولونت آفاقنا بالعبير ، وزخرمت جبهتنا
القانية

فتجيبه الحرية :

أبارك ثورة جهل جديد

يريد الحياة بشتى الصور

و أجسو امامه أنلو النشيد

نشيد الوفاء لصفو البشر

و ألهمه نفحات الشروق

ليحضنه النور أنى خطر

فما عاق شعبا حذاء الدخيل

ولا كيلته صروف القدر

ثم يدخل في حوار بين الحرية وشهداء الثورة ،
ويختتم القصيدة بهذا الصوت الذي يأتي من
الجيال الثائرة :

هيه يا رجال شدوا على النضال

بارك المولى أنشودة الأبطال

هيه يا رجال هيه يا رجال

ويكاد يسير في هذا الاتجاه شاعر آخر أيضا ،
ركز على مواضيع النضال وعلى المشاكل القومية
والوطنية ، هو محمد بن دفعة ، وعلى الرغم من أنه

(I) اسطيغلا : بطل اسطورة يونانية أحرق كف يده ليظهر للذين حكموا عليه أنه لا يبالي بالاحراق .

شاعر آخر أريد أن أضيفه الى هذه الاسماء وهو أحمد صبرى . يسير فى نفس الاتجاه ، اتجناه قضايا النضال وقضايا الثورة ، ولكنه لا ينطلق من مضامين فكرية واضحة، ويغلب عليه الحماس ، وفى نفس الوقت يحاول أن يستخدم الرمز ، فهو مثلا فى هذه القصيدة «الطائر الجبار» يقول :

القارب المصبوغ بالدم لم يقف
والعاصفة ماتت على أضلاعه
الطائر الجبار بالمنقار ، خطف الثمار
من نخلة الشمس
الطائر الجبار بالمنقار ، وهب الثمار
للقارب المصبوغ بدماء قلب العاصفة

فى قصيدة أخرى وفى نفس هذا الاتجاه يقول مخاطبا واحدا من المجموعة المناضلة :

ان جاء فحرك بالرصاص معطر الاكناف
برائحة الرصاص
ان جاء ينتعل الجماجم ، غانم وعلى
الجبين نياشين منحوتة فى صلد صخر الافئدة
منقوشة بقداسة الشعب الحبيب
ان جاء يزخر بالحياة وضياء ، بحر كبير ، نصر كبير
ان جاء فحرك بالرصاص معطر الاكناف
عانقه فى لهف يعربد بالهتاف

واسمحوا لى أن أضيف له أبياتا من قصيدة أخرى بعنوان «أبو كبور» أحد الذين ماتوا ، وكان صديقا له ، فذهب الى الجبال فمات شهيدا :

تقلدت البندقية
ووشمت على صدرى

فى الجهة اليسرى قلبا
كنت فيه الجزائر ! الجزائر !
آه للجزائر وتدرجت
على قمم الاوراس نصرا كمليون نصر
وجريت فى هضاب عنابة ومغنية
آه وكان اسم حبيبتي أيضا مغنية
يكفيننا بالنسبة لهؤلاء الشبان الذين تفاعلوا مع
الثورة بهذه الاساليب المختلفة ، وننتقل الى مجالات
أخرى فتحت أمام الشعراء المقاربة بعد انتصار
الثورة الجزائرية .

وهنا يمكننا أن نميز بين اتجاهات مختلفة :

1 - الشعراء الشيوخ الذين فرحوا بهذا
الانتصار فأرادوا أن يعبروا عن هذه الفرحة ،
وكانت مناسبة ليصفوا النضال الجزائرى ومدى
ما قاسته الجزائر ابان هذا النضال .

2 - اتجاه الشباب الذى استمر يشيد بالثورة
ويحاول أن يصور أبعاد هذه الثورة .

3 - اتجاه الذين استقلوا نصر الجزائر ، الشعراء
المرتزقة ، كان هدفهم شيئا آخر .

بالنسبة لاتجاه الشعراء التقليديين نلاحظ عودة
النغم الدينى ، ونلاحظ أيضا السير فى الاتجاه
التاريخى ، والتركيز على أمجاد العروبة وانها عادت،
ثم تصويرا ضافيا لمشاهد من الكفاح الذى عانتة
الجزائر ، ويكفينى أن أمثل بالشاعر محمد بن عمار
العلوى ، له قصيدة «فرحة اللقاء» ، يبدو واضحا
فيها هذا النغم الدينى :

الله أكبر نور حق أشرقنا
فمحا الظلام عن العباد ومحقا

سبحانه من راحم سبحانه
يجزى بعفو بعد أمراض الشقا
يعطى لخلقه ما يشاء لحكمة
في علمه سبقت وفضلا مرتقا
عمت مواهب جوده وتكاثر
ومن المواهب خصمنا قد أخفقا

وهناك قصيدة أخرى أكثر قوة وهي للشاعر
محمد الحلوى بعنوان «صرخة الجزائر» وهو يسير
في الاتجاه التاريخي الذي يعتمد على المجد العربي
الحافل ، وكيف أن الثورة الجزائرية بانتصارها
أعادت للعرب والعروبة هذه الامجاد السالفة ،
وتمتاز بروح قوية سواء في كلماتها أو في نفسها
يقول فيها :

أطلق النار أو فسل الحساما
هم أرادوا أن لا يقرروا السلاما
فاصرخى يا ابنة الجزائر صرخا
رؤوم تدهده الايتاما
ترتتها أظافر الوحش ثكلى
تجرع الجوع والاسى والسقاما
واحضنى أكتة السلاح اذا فاتك
أن تحضنى الهوى والفلاما
وأرى القوم كيف تفترس الغيد
و يخشى المستبسلون الرثاما
واملئى سجع الزمان زغاريد
تدوى و رجعى الانقاما
لهفى للأيدي النواعم كانت
تنسج البردة و توشى اللثاما
عاكفات على التروس تقيض
الحب فيها و يمسك الاقلاما

تصنع الخير والغذاء و ترفوا
و تواسى الحروح و الآلاما
لهفى للبتيم بحث عن أم
طواها الردى يردد ماماما
أذهلتها عنه طلائع وحش
جائع قل أن بعد الفطاما
ان ليل الغزاة ولى و فجا
ر العرب يبدو مهللا بساما
بارك الله في الجزائر شعبا
عريبا مناضلا مقداما
هذا بالنسبة للشعراء التقليديين ، واستمر
الشعراء الشباب في اتجاهاتهم وان كانوا لم
يعطوا كل طاقاتهم لانتصار الثورة الجزائرية ،
ربما لانهم شعلوا بثورة أخرى هي الثورة الفلسطينية
التي بدأوا يتجاوبون معها ، ومنهم من سار على
نهج تقليدى بالاشادة بالانتصار وابداء الفرحة ،
ومنهم من سار على نهج الشبان الآخرين وأعطوها
الابعاد العريضة الواسعة :
من الاتجاه الاول نذكر الشاعر عبد اللطيف خالص
له قصيدة «موكب النصر» وهو يسير وراء الذين
ابتهجوا بدافع ديني وراوا أن الله قد نصر المسلمين
في الجزائر :

الله أكبر لا مرد لأمره
ختم الاله لتتصمرن جزائر
الله أكبر قد أرانا نعمة
ظلت تراود فكرنا و تساور
أرض الجزائر تستعيد كرامة
أيعيث بعد اليوم فيها فاجر

وينطق في المدح الذي هو الهدف من القصيدة :
ومثله شاعر آخر وهو شاعر مجيد ولكنه للأسف
شاعر منحرف وهو الشاعر ادريس الجاى ، له
ديوان « سوانح » أخرجه مطبعة القصر الملكي .
وكله مدائح ، فيه قصيدة « أرض البطولة » :

أرض البطولة جل الامر والشان
كذا يذود عن الاوطان شجعان

يا ثورة شنها الاحرار عارمة

فقوضت ما بنى ظلم و عدوان

واضح من هذه القصيدة أن له نفسا جيدا وقويا.
ولكنه لا يقصد الى الاشادة بالثورة الجزائرية
وبانتصارها ، وانما هي مطية لموضوع آخر هو
هدفه فيقول :

وعاهل المغرب الاقصى وقادة أوراس

الاشاوس أحباب و اخوان

قد عاهدوا الله أن يبنوا لمغربنا

الكبير صرحا له الامجاد أركان

لا اريد أن أطيل أكثر من هذا في عرض هذه
النماذج الادبية ، والادب الذي تجاوب به المغاربة
مع اخوانهم الجزائريين. هناك مجالات أخرى لم أشأ
ان أتحدث عنها ، هناك نشر ، مقالات ، قصائد
نثرية ، أبحاث حول الجزائر والنضال الجزائرى.
ولكن أردت فقط أن ألقى الملامح العريضة ، وانى
على استعداد لكى أتبادل واياكم الرأى ، وأناقش
ما شئت من موضوعات سواء حول هذه النقاط
التي طرحت أو غيرها من النقاط التي تتعلق بالادب
المغربى المعاصر .

شعب الجزائر يستقل و يرتقى

درج الكمال و يحتفى و يشابر

شعب غدا بعد الكفاح محررا

و الخصم منكسر الجوانب صادر

أما الشباب الذين تجاوبوا مع الانتصار وأشادوا
به فى نفس جديد ، فيكفينى أن أذكر الشاعر
ابراهيم السولى ، له قصيدة بعنوان «أخى فى
الجزائر» يقول فيها متضامنا متحمسا :

فديتك يا عيناً على سفح الجبل

يازارع أرضى بحبات الامل ، ومد يد الاجل

أنت أدرى أن أوراس يباهى بك فخرا

قمة العزة أوراس صخرة فاضت على الدنيا حماس

أنت أدرى أن للحرية قصة

سنرى روعتها على الشاشة يوما

أنا أشدو وعباب الثورة

بالشدو يجاهر

دق قلب الفجر فى صدر الدياجر

فابشرى بالنور يا أرض الجزائر .

أما الاتجاه الثالث والآخر ، وهو الذى لم يكن
يهدف الى التعبير عن شعوره نحو الثورة بقدر
ما كان يستغل هذا الحديث عن الثورة للوصول
الى هدف آخر وهو المدح . وهناك قصيدة للشاعر
المدنى الحمراوى ، يشيد بقوة فى الكفاح الجزائرى.
ولكن هذا كله مطية للوصول الى هدفه . حين يقول
عن المناضلين الجزائريين . ومدى صبرهم فى الكفاح
يتخلص من ذلك ليقول :

وللحسن الثانى مؤيد عزمهم

وحافظ عهد العرب أستخلص الشكرا

الكتاب والحضارة

سوف لا يتناول هذا العرض عن الكتاب والحضارة مناقشة مفاهيم الحضارة ودور الكتاب فيها ، كما انه لن يتناول تاريخ الكتاب لان مثل هذه الموضوعات قد كتب عنها كثيرا واهميتها لا تغفى على أحد ، اما عرضنا هذا فانه سيقصر على درس مشاكل حالية، وسيتناولها على الخصوص في مجتمعنا الحالي ، وستبنى أكثر اعتباراتنا على النموذج الحضاري الاقرب الينا وهو النموذج الاسلامي وذلك مراعاة للواقع الحى الذى يحرك ذهنية الاغلبية الساحقة من ابناء امتنا الذين لم يتأثروا بعد بحضارة اخرى رغم ما يبدو من المظاهر السطحية ، وقد يكون من العجب ، ان نبدا بمثل هذه المسلمات فى حديث عن الكتاب وتكلم عن الجماهير مثلا ، مع علمنا علم اليقين ، ان جماهيرنا جماهير امية ، قليلة العلاقة بالكتاب ، ومن هنا يبدأ النقاش .

عبد المجيد مزريان
استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

(*) محاضرة ألقىت بمناسبة الاسبوع الوطنى للكتاب،
بشهر ديسمبر 1972

لا يدركون كيان الحضارة فيفسدون مؤسساتها من حيث لا يشعرون .

كان هذا فى التاريخ نوعا من الصراع المبنى على اللادعى واستهانة الامم بعضها للبعض الآخر وبناء البدخ الحضارى على حساب الشعوب . وانتقام الشعوب من الحواضر حقدا منها على مظاهرها اللامساواة لصارخة الفاحشة . واننا لنعلم اليوم ان كل جماعة بشرية مهما كان قربها من التوحش كما يقول ابن خلدون . انما هى تواق بالطلع الى الحضارة ، واذا لم يسمح لها بهذا الحق فى التحضر فانها ستناضل من أجل الوصول الى هذه الحضارة بالطرق العنيفة كانت هذه المشكلة فى التاريخ ، ولا زلنا نعيش عليها اليوم فى الصراع الذى يجرى بين الامم المتحضرة ، والامم المتخلفة .

كثيرا ما يحكى لنا المؤرخون عن الفساد الذى لحق بعض الحضارات من هجومات البدو المتتالية ، اذ انهم كانوا فى كل هجوم يقوضون جزءا من البناء الحضارى اما عمرانا واما مؤسسات صناعية واما مؤسسات ثقافية وكتب حتى يأتى الانحطاط . كان هذا شأن الحضارة اليونانية مع الروم ، وشأن الروم مع الهمج كما كانوا يقولون ، وشأن العرب مع التتر والمغول ، ولا ننكر ان المجتمعات التى وصلت بكل سكانها الى معاش الاستقرار فى المدن والقرى هى الامم الاكثر تحضرا وان القادة الواعين هم الذين فكروا وسخروا كل مجهوداتهم فى خلق هذا الاستقرار ، ولكن يجب أن نتوقف هنا بعض الشيء لتصحيح بعض المفاهيم .

الكتاب للجماهير ، والكتاب للخواص ، واذا كان لهما كتاب لهؤلاء ، وهؤلاء ؟ واذا كانت الجماهير امة فما معنى الكتاب بالنسبة اليها ؟ واذا تفنن الخواص فى امة ما ، وبقيت الجماهير بعيدة عن كل معرفة ، فما بال الحضارة التى تنتسب اليها هذه الامة ؟ ثم ما هو دور الكتاب فى الغزو الحضارى الذى يجرى بين الامم منذ قرون . ومنذ قرنين على الخصوص ؟ وستكون هذه المناقشة ، رغم تمسكها قدر المستطاع بالموضوعية ، مناقشة ذات غاية واضحة وهى غاية الالتزام بأراء اصلاحية لفائدة الجماهير .

لا جدال فى أن قمة الهرم الحضارى منذ نشأت الحضارة ، تتلخص فى المعرفة المنقولة عبر الآفاق وعبر الاجيال . ولا معرفة ولا نقل للمعرفة دون كتابة أو دون كتاب . لان ما يسمى بذاكرة الامم انما هى قوة واهية تتلاشى بسرعة ان لم تتدونها الدواوين نقلا عن أفواه الرجال . فالكيان الحضارى ذو مستويات ، والمعرفة المسمومة من الافواه ، دون المستوى للمعارف المكتوبة . ولقد كنا نرى عبر التاريخ مواقف الامم المتحضرة تجاه هجومات الامم البدوية . مواقف خوف ومحافظة مستمرة على كنوزها التى هى الكنوز لنقل المعرفة اذ بها قوام الحضارة جمعاء فكنوز المعرفة تنجدد حيوية الامة من جيل الى جيل . ان صور الصين لا يعنى تبديل الجيوش بالجدران الواقية فقط ، ولكنه يعنى الخوف على الحضارة . مما كان يسمى بالهمجية فى تلك العصور . ولقد كانت الحواضر القديمة كلها فى موقف الصين ذات حصون ممانعة . سواء بالجدران ، أو بتسليح الازدهان . وليس ببعيد عنا فى هذا الغرب الاسلامى ، ذلكم الزمن الذى كان يتحدث فيه الحضر عن فساد المدن التى تفتح أبوابها للبدو طوعا أو كرها ، اذ البدو فى نظرهم

اننا نعرف امما امية ، من جهة أخرى ، تقديس الكتاب . وتقديس قبل كل شيء كتاب الآخرين ، اذ لا كتاب لها ، واذا درسنا نفسية مثل هذه الامم وسلوكها الاجتماعي تجاه الكتاب وحملتها الثقافية فاننا سنجد موقف تقدير واعجاب ، فالكتاب هنا مظهر حضارى واسع يعنى التفوق الثقافى . ولا يمكن ان يحصر معناه فى هذه الادارة التى هى الصحف المكتوبة فقط . وهذا شأن البدوى الامى الذى يقديس الكتاب بمعناه الاوسع فى عصرنا الحاضر ومن هنا يمكن تحليل توقانه الى الثقافة التى هو محروم منها ، ولنا فى نفسية المسلمين الاولين خير نموذج لادراك هذه الوضعية . وقد ورثنا جميعا وورثت جماهيرنا من هذه النفسية كثيرا من المظاهر ، لا يزال الامى عندنا يلتقط الصحيفة المكتوبة اذا كانت ملقاة على الارض حتى لا تدوسها الاقدام لان فيها الكتابة المقدسة التى بها يكتب اسم الله ، وبها يكتب القرآن . والمثقف بالنسبة اليه ، الذى يحمل الكتاب يحظى بكل تقدير ، ومهما يرى المراقبون السطحيون من استهزاء أو استخفاف لهذه المواقف فانها تنبئ لدى من يتعمق فى النظرة عن موقف تقديس لكل مظاهر الثقافة ، المادية منها والروحية .

كان الاسلام فى بداية امره ينظر الى اهل الكتاب نظرة تقدير ، وكانت الجماعات الكتابية منحصرة اول الامر فى اليهود والنصارى المتعاشين مع العرب . وما لبث المفهوم ان اتسع بعد الفتوحات الى جماعات أخرى مثل الصابئين والمجوس على انهم أيضا اهل كتاب . واذا ضربنا صفحا عن مناقشات علماء الكلام فى تقديم هذا المفهوم من الناحية

اننا نعلم ان لكل حضارة حروبها الوقائية ، وحروبها التبشيرية ، فمثل الحروب الوقائية يمكن ان يلمس فى تيمورلنك ، انه الغازى الذى يقتل مئات الآلاف من البدو . حتى لا يقضوا على حضارته السمرقندية ، التى ينتسب اليها عشرات الآلاف من البشر . ونراه من جهة أخرى يسطو على كل الحضارات المجاورة من فارسية وعربية وتركسية وصينية ، باسم توحيد الحضارة تحت رايته . واذا نظرنا الى هذا المتحضر نظرة انصاف ، فاننا سنقول بانه كان أشد خطرا على الحضارة وعلى البشرية من جميع بدو الدنيا منذ بداية التاريخ .

ومثل الحروب التبشيرية ما الفناء من جنود الاستعمار فى ادعائهم اننا همج يجب ان يحضرونا بالقوة . وما فعله جنود الاستعمار ونخاسوه من تقتيل وتعذيب وابادة للشعوب لا تعادله اية همجية يمكن ان يتصورها الخيال البشرى .

والحضرى فى مجابهته للحضارة ، عبارة عن قوتين همجيتين أطلق لهما العنان فلا يهدا صراعهما حتى يبيد أحدهما الآخر ابادة نهائية . وان كنوز الحضارة التى أتلّفها الحضرة أهم بكثير من الكنوز التى أتلّفها البدو . ان مفهوم الهمجية مفهوم واسع ، يكتسب كثيرا من الغموض والالتباس وأهم التباس يطرأ عليه هو أن يقرن اطلاقا بين البداوة والهمجية وما أقربنا من عصور واحداث تضرب لنا فيها البراهين على أن التقدم العلمى كثيرا ما يستخدم فى ابادة الشعوب والحضارات . فحروب النازية ، والهجومات على فيتنام وغارات الصهاينة أحسن دليل على اقتران أنواع من المعرفة والحضارة بالهمجية السافرة .

يمكن تلخيصه في اعتبارين ، الاعتبار الاول : هو ان نؤكد وهن الحضارة المادية امام القوة النفسية التي لا تخضع لاغراء الماديات .

والاعتبار الثانى : ان نعلم علم اليقين ان الثقافة ليست وقفا على أمة من الامم ، أو جماعة بشرية دون غيرها من البشر ولكن اذهان الناس مهما اختلفت مستوياتهم الاجتماعية والاقتصادية متفتحة على السواء وتواقة كلها الى اكتساب الثقافة ولا تفاضل فى ذلك لان منطلق الافضلية يرجع الى اختلاف الفرص غير ان توقان الامم لا يكفى وحده ، للصعود الى مستوى الثقافة المحضرة بل لا بد من جهود جماعية وارادة موحدة للخروج من المعرفة السمعية الى المعرفة المكتوبة . كثيرا ما نسمع مثلا الى الحرافة المتداولة بين الناس ، يقول من يذيعها : ان المعارف الاسلامية الاولى كانت سمعية وسمعية فحسب ، ونذكرهم هنا بمجهود المسلمين الاولين فى الكتابة والقراءة ، كان اسارى المشركين يفسدون انفسهم مقابل تعليم الكتابة اولاد المسلمين ، وكان هناك كتاب للوحى يقيدونه فى صحف محفوظة ، وكانت العهود والمواثيق تكتب ويختتم عليها ، وكان السفراء يذهبون مثلا فى تكوين الجماعة الاسلامية الاولى ميثاقا لا يقل أهمية عن أى دستور سياسى مكتوب ، طبعا بالنسبة لذلك العصر حتى ان بعض الصحابة مثل على كان يحمله معه فى صحيفة معلقة بسيفه تقديرا لهذا المكتوب ، وكانت العادة ان تقيّد الديون وتضبط الحسابات بين المتعاملين فى التجارة كل هذه المجهودات فى الكتابة والتقييد وترك عادة الاحلاف الكلامية وضبط الوحى فى الكتاب المقدس

العقائدية ، فاننا نجد الكتاب مقترنا بالثقافة والحضارة عند المسلمين الاولين ، فكل أمة متحضرة ذات ثقافة مكتوبة كانت تعتبر كتابية ، والشورى الاسلامية عند من يعتبرها ثورة . انما هى تجنيد الامم المحرومة من الثقافة لمنازلة أهل الكتاب المتعالمين على البشرية المعترين انفسهم شعب الله دون الناس اجمعين . وأن منازلة الكتابيين بالكتاب الجديد الناسخ الذى هو القرآن ، معناها رفع الاميين الى مستوى أهل الكتاب وأشعارهم بان البشر لا يوجد منهم من هو مختص بالثقافة والتفرق الروحى دون غيره من بنى الانسان كان فى هذا تحقيق للتوقان الحضارى الذى كانت ترنو اليه الشعوب الامية منذ عهد بعيد وان رباطها على ضواحي الحواضر الفارسية والرومانية فى حنين الى التحضر وهو الحنين المكبوت لم يتحول الى حركة ايجابية منطلقة العقد الا بعد ان وعى الاميون الكتاب والحكمة النبوية . فحصلت لهم الثقة بالنفس والشعور بالتفوق الروحى على جيرانهم فأصبحوا ينادون بقدرتهم على تثقيف الآخرين بالاسلام ، وهانت فى أعينهم كل المزايا المادية للحضارة امام الكتاب الذى أصبح الحضارة كلها بالنسبة اليهم .

لنتذكر مثلا ان سفراء المسلمين لدى رستم فى القادسية كانوا يتكلمون بنفس العبارات التى تحط من شأن الحضارة المادية وتفتخر بالكتاب والاسلام وتسفه استعباد الفرس بعضهم لبعض متباهية بالمساواة والعدالة الاسلامية .

ان الاستنتاج الذى يمكن استخلاصه من مثل هذه الاحداث التاريخية وهذه المواقف الحضارية

الكتاب والحضارة

المؤلف يصبح فى مثل هذه الحالة كالمحاور لنفسه ولن يجد أى قارئ يفهمه ، فتناسى المتخصصين لدور الكتاب كأداة اتصال ثقافى من جملة الاسباب القاضية على الكتاب .

لقد وقع احصاء العلوم فى الملة الاسلامية قبيل الانحطاط الى ثلاث مئة وخمسين علما . أما الفنون والصناعات المتعلقة بالثقافة ، فانها كانت تفوق الالف فى الحواضر الكبرى مثل بغداد وقرطبة والقاهرة . وحينما بلغ التكديس منتهاه ، كانت تجمع فى بعض المكاتب مئات الآلاف من الكتب قلما تقرا لانها كانت مفرطة فى التخصص . ولا ننسى ان هجوم التتر على بغداد ادى الى اتلاف جل هذه الكتب بتفريقها فى الانهار ، كما ان رؤساء الكنيسة بالاندلس حرقوا جبالا من المجلدات كانوا يعتقدون انها مصاحف قرآن .

ولسنا نزع ان الحضارة العربية اليوم ستمر بنفس الطريق الانحطاطى الذى مرت به الحضارة الاسلامية والحضارة اليونانية من قبلها ، لان الوضعيات تختلف كثيرا ولقد ارتفعت درجة الوعي الانسانى حتى اصبحنا اليوم نستطيع خلق الوقايات اللازمة لمجابهة اسباب الانحطاط ، لكن مرض التخصص المفرط والتكديس فى الثقافة الكتابية موجود اليوم كما كان موجودا بالامس . من عادة المفكر المنعزل عن الواقع المجتمعى ان ينظر الى المشاكل الحية من خلال عدسته الخاصة ، فيزعم انه يمكن فض هذه المشاكل بالكلام عنها فى كتاب ، وتطوى الصحف وينتهى الامر . هذا مرض آخر من أمراض الثقافة الكتابية ، يتلخص فى مفارقة الواقع الحى

كانت كلها تدل على ارادة الجماعة الاسلامية الاولى فى الخروج من المستوى الادنى للثقافة الذى هو المستوى السمعى ، ولا يمكننا ان ننكر استمرار الثقافة السمعية وتعايشها مع الثقافة الكتابية الى عصور متأخرة . بل الى عصرنا هذا عند الشعوب الاسلامية مثلما هو الشأن فى حفظ القرآن وحفظ الحديث والاخبار التاريخية والروايات الادبية ، ولكن أفواه الرجال لم تكن معوضة فى يوم من الايام عن الكتاب كأداة أساسية للثقافة .

وبمجرد ما شرع المسلمون فى التأليف اتقنوا صناعة الكتاب من نسخ وتحقيق وتجديد وانتاج ضخم للكاغد ، منذ زمن الفضل بن يحيى ، الذى أشار بصناعته كما هو معلوم بكتب التاريخ ، وتمت فى مدة قليلة عملية نقل المعارف من الامم المختلفة كالإيونان والفرس والهند ، ووقع اصهارها فى المعارف الاسلامية التى هى اساس هذه الحضارة ، ولا تهمنا هذه الحقيقة التاريخية فى حد ذاتها ، تفاخرا بما صنع الاجداد كما جرت العادة بذلك فى جيلنا ، وانما المقصود من ذكرها هو الانتباه من جهة الى اهمية الكتاب فى نقل المعارف بين الاجيال والامم لتكوين ما نسميه اليوم بالحضارة العالمية . ثم الانتباه من جهة أخرى الى بعض أمراض الحضارة الكتابية ، ان صح هذا التعبير .

نقول فى عصرنا الحاضر ان الافراط فى التخصص مضر بالعلوم لانه يؤدي الى تشتيتها ويهيىء الجو بسبب هذا التشتيت الى تقهرها ، ومن ثم طبعا ، نصل الى التقهر الحضرى وليس من العجب ان تنزل المجتمعات المتحضرة الى انحطاط ثقافى بسبب التكديس وتضخم الانتاج التخصص الى درجة ان

قرأنا منذ أيام تصريحها على لسان أحد متقينا يقول فيه بأننا شعب لا يقرأ كثيرا لأننا لم نكد نخرج من مرحلة الثقافة السمعية ، وأريد أن أبدأ النقاش حول التبليغ الثقافي من هذه الفكرة التي أعتبرها خاطئة .

فأخطأ الأول هنا أن نعتبر أنفسنا دون تقاليد كتابية . مع أننا أمة تقدر الكتاب وعاشت حياتها الثقافية كلها مع الكتاب فيمكننا أن نقول مع الكتاب وحده ، ولو رجعنا إلى ما قبل الاستعمار بقليل لوجدنا كل قرية بمؤسساتها الثقافية تعقد فيها حلق العلم لآبناء الأمة دون تمييز ، وتشرح على مسامعهم كتب الفقه والتوحيد والحديث وتفسير القرآن ابتداء من المصنفات إلى ذلك . ومهما ذكرنا فلن يكفينا التذكير مثلا ، بأن جيش الأمير عبدالقادر كان يعقد الندوات العلمية في حله وترحاله وأن خزانة الكتب كانت من نفس كنوزه . ولكن الضربات التي وجهها الاستعمار إلى مؤسساتنا الثقافية كانت هي السبب في انكماش معارفنا إلى ذلك النوع السمي الذي كنا نجده قبيل حرب التحرير عند طلبة البوادي من حفظ للكتاب والحديث والمختصرات الفقهية عن ظهر قلب . فضلا منهم لانقاذ القدر الأدنى من الكيان الثقافي الإسلامي في عالم كان كله إذ ذاك حروبا ومؤامرات على هذه الثقافة غير أنه لا يمكننا نكران تراجع ثقافتنا أثناء الانحطاط إلى المحافظة دون الخلق والإبداع . ولا ننكر أن الانحطاط بين الثقافة المكتوبة ، والثقافة السبعية كان على حساب الكتب في كثير من الأحيان . ولكن وجود هذه الأوضاع في فترات معينة لا يعنى

الذي يعيش عليه الناس بكل قواهم الحيوية فإذا أصبح الكتاب ومن يصنعه يكونان معا عالما خاصا هو عالم الفرار والافلات من قبضة الواقع أو يزعمان تعويض الطاقة الفعالة بالطاقة اللفظية ثم نهائيا إبخاس الثقافة من لدن أبناء مجتمعها . هذا عيب كل الثقافات ، ثقافة الأعيان التي تنطوي على نفسها وتعجز عن إبداع الفن الالقي لتبليغ المعارف إلى أكبر عدد ممكن من الناس . فعييبها الأول أنها تبدأ بإبخاس الجماهير وتجاهلها فتترتب عن ذلك جدلية إبخاس واحتقار متبادلة ، فمن بين الملايين من التاليف التي كتبت في مدة أحد عشر قرنا من الأزدهار الثقافي في البلاد الإسلامية لا نجد إلا نوعين من الكتب قدر لها أن تجتاز كل الأخطار وتحظى بالنجاح .

فالنوع الأول هو ما نسميه بالأمهات التي تحفظ الكيان الحضاري أو الكل الوجودي للأمة ، وبها قوام المعارف والشخصية وبها الصمود في وجه الغزوات المختلفة .

والنوع الثاني ذو تلك الملخصات التي كانت السبب في نشر الثقافة بين الجماهير بل وتبسيط المعارف إلى درجة تقريبها لأذهان الأميين حتى لا يحرموا من النصيب الأدنى من ثقافة الأمة ، وقد سبق في مناسبات أخرى أن سميناهم الكتب الحمر للعقيدة الإسلامية .

من هذا الواقع التاريخي يمكننا أن نحصر نتائج صالحة للنصر ، ويتعلق جلها بمشاكل الثقافة ووسائل تبليغها في بلادنا العارمة على النمر

الكتاب والحضارة

أوهام الصور الخلابية والمجلات الملونة والاشربة السينمائية .. الخ . واذا صحت المقارنة فانه يمكننا أن نقارن بين سلوك المواطن قبيل تفكيك جماعته . وسلوكه الآن تجاه الحياة الثقافية ، وستسفر المقارنة عن تبليغ للمعارف المبسطة وقضاء للفراغ في احضان الجماعة قبيل التفكك . بينما الشخص مقذوف به اليوم الى عالم المجهول مفقود الهوية الاجتماعية رغم ان البناءات متلاصقة ، فان الجماعة هنا متشتتة الجماعة الانسانية متشتتة الى اقصى حد ، ولا يمكننا ان نواجه هذه الوضعية بانتظار الاجيال الصاعدة التي ستمر على المدرسة والجامعة لتنشئ لنا المجتمع المتحضر العالم الذي قد يطول انتظاره . ان كل انتظار موكول بالصدف الا اذا كان هذا الانتظار محترما علميا ، وليس الامر كذلك فيما يخصها بل يجب ان نعامل الامية كما نعامل العدو الذي يتطلب تعبئة الجيوش والمعدات من كل جهة .

نتساءل اليوم كيف ان الكتاب قبل عصر المطبعة كان اداة للحضارة في مجتمعنا ، يجتمع الناس حوله للقراءة العمومية ، وكيف اصبح اليوم مع ثمنه الزهيد وسهولة نقله ، اداة غير نفيسة ، ولا نتساءل عن الاسباب الاجتماعية لهذه الوضعية .

تقول الاحصائيات ان ما يصرف على الكتاب في بلادنا لا يتعدى الدينار الواحد في السنة بالنسبة لكل مواطن ، واذا زدنا في التدقيق ادر كنا ان جل الكتب التي تقتنى انما يقتنيها الطلاب على الخصوص والمعلمون للحاجة المهنية لا غير . واذا اردنا ان نعرف من هم هواة الكتاب في مدينة من المدن ، فلا اسهل من أن نسأل عنهم أي مواطن بتلك المدينة لان ارباب

اننا لم نخرج بعد من الثقافة السمعية بينما نحن في زمن ما بعد التخمّة والتكديس الثقافي .

والخطأ الثاني الذي يتعلق بمشكل الاتصال مع الجماهير بواسطة الكتاب هو ان ندعي بان الشعب غير قارئ ونبرر بذلك قطع صلتنا بماضي الامة بل وبحاضرها ، ونخلق لانفسنا عالما متنكرا لهويتنا، ونحافظ محافظة المستميت على الجسور التي تربطنا بالاستعمار غير مميزين بين جسور التبادل المشروعة، والجسور المؤدية الى الدوبان . ويحق لنا اليوم ان نتخوف من اتخاذ مثقفينا أمية الجماهير درقا للفرار الى التعبير بغير لغتنا . وفي ظني ليس هناك فرق بين الامي الصرف والمتقف الذي مرت عليه سنوات الاستقلال كلها دون أن يتعلم لغته الوطنية ؛ هذا مع ان الامي الصرف معذور والمتقف لا يمكن ان يلحق له أي عذر .

ومن الخطأ أيضا ألا ندرك اننا نجتاز مرحلة بناء حضاري جديد بعد التفكك الذي مر علينا ، ولا يخفى على احد ان المؤسسات المختلفة للثقافة الشعبية قد انقرضت نهائيا ولم يفكر في تعويضها حتى الآن . قد ادر كنا حقا بفضل ضغوط الاحداث ان شعبا غير مستقر في مدينة أو قرية لا يمكن تثقيفه . ويظن جلنا ان المدرسة كافية لنشر العلوم وتوعية الاجيال ، والواقع ان المدرسة بعيدة سواء عندنا أو في جهات أخرى من العالم عن سد حاجيات الامة في متطلباتها الثقافية . وقد وصل تفكيك المجتمعات القديمة في بلادنا الى خلق سكان حياري يجولون الى غير قصد من حول العمارات أو في طرقات القرى ، لا يجدون ما يسدون به فراغهم الثقافي الا

خزائن الكتب الشخصية لا يتعدون بضعة اشخاص معروفين عند جميع السكان .

ان السبب الاول في هذه الوضعية هو انعدام القوام المادي للثقافة ، ولا اعنى بالقوام المادي ما يصرف من اموال لهذا الغرض ، ولكن اعنى المؤسسة التي يجتمع فيها الناس للقراءة والعلم . اعنى ما يعرض الزاوية ، أو الرباط أو المسجد ، كبيوت للعلم أى تلك البناءات الحضارية التي كانت مراكز للإشعاع الثقافي في القديم . ان سبب نجاحها كان يرجع الى الحرية والديمقراطية التي كانت تتصف بها طرق تسييرها . ولو دخلتها بيروقراطية ما لافسدها تمام الافساد . ان المؤسسة التي توجد فيها مثلاً خزانة الكتب وتنصب فيها حلق العلم بكل حرية ويأتيها العالم والامى كمواطنين متساويين ليسد كل منهما رغبته الثقافية ، ولا يمكن لاي احد ان يطرد أى احد منها بدعوى الطبقية أو السن أو البيروقراطية أو الدبلوم الخ .. كما نقول اليوم ، هذه المؤسسات التي تسير على هذا النحو لا يمكن ان تكون مؤسسات فاشلة .

منا اليوم من يطرح المشكل بدسنية تجزئية فيتناول درس الوضعية الحالية . اما من زاوية نشر الكتاب أو من زاوية المؤلفين أو من زاوية سياستنا الثقافية ، والواقع ان القضية قضية اجمالية لا تقبل التجزئ . ليس هناك قراء لان الشعب اعمى ، وليس هناك تأليف موجه الى الشعب اذ ليس فى الشعب قراء ، وسياسة بث الثقافة بتشجيع المؤلفين عبارة عن نفع فى الرماد ، اذ ان هذا التشجيع لا ينتهى الى خلق قراء . ان القراءة والتأليف وانتشار الكتاب

اذن قضية حضارية تركيبية ، وهى ايضا قضية تربوية اذا أخذنا التربية بالمعنى الاعم الذى هو تعويد الناس على سلوكات حضارية معينة . اذ ربما نجد ان الناس الذين يحسنون القراءة لا يصرفون فيها الا الوقت اليسير وبعامل الصدق .

واذا أردنا ان نحيط بالمشكل فى ابرز جوانبه امكننا ان نلخص القضية فى النقاط الآتية :

أولاً : ان محور التحول الحضارى الذى نريد ان نخرج به من الامية ، نحن ابناء الامم العازمة على النمو ، لا يدور على تقنيات لتلقيق القراءة ، ولكنه مسألة مجتمعية نفسية ومعناه تجنيد كل الطاقات ولأجل معين من أجل القضاء على هذه الكارثة وهى الامية ، لقد سبقنا غيرنا الى مثل هذه التجربة وكانت ناجحة فى اغلب الاحيان . هناك دول فتية ، تجابه حرباً ضروساً مع الاستعمار قد است حملتها على الامية فى ظرف ست سنوات ، ولا يمكن ان تسفل باسم الاسبقيات تأجيل مثل هذه الحملات الى أجل غير مسمى أو الى انتظار الاجيال الصاعدة . فتارة يقال انما الاسبقية للاقتصاد ، لأن الاقتصاد يمكن ان يزدهر على ايدي الاميين فى عصر التكنولوجيا .

وتارة يقال ان الاسبقية للتعليم العمومي ، ومجهودات هذا التعليم تضيع فى ادغال الجهل العمومي .

كل هذه المواقف المنهجية فى سياسة الاسبقيات معقولة الى حد ما ، ولكنها تظهر شبه تضحية بكهول اليوم الذين يبنون اقتصاد الغد ، ويسهرون على تربية جيل الغد ، فالتحول الحضارى

مجهود تكاملي يقتضى مجابهة اسبقيات متعددة فى نفس الوقت ، ومن لدن جميع المواطنين ، حتى لا نسقط فى فخ التقنوقراطيات الباردة المزدرية للانسان .

ثانيا : توصلنا بعد تجارب التاريخ الطويل ، وتجارب عصرنا الحاضر ، الى الحكم على كل ثقافة للاعيان بأنها ثقافة عقيمة ، لانها تبقى دولة بين اقوام منعزلين عن مجتمعهم يجتروا افكارا وخيالات لا يمكن تبليغها للغير ، وتكون الثقافة فى هذا المجتمع الضيق بمثابة حوار مع الذات ، وما تلبث ان تصبح ظاهرة طبقية مثلما هو الشأن فى الاقتصاد فتتجر عن ذلك التناقضات والصراعات . غير ان هذا الاستنتاج ذى الغائية الخلقية الذى هو الحكم بالعدم على ثقافة الاعيان ، لا ينفى الوجود الواقعى للتفاوت فى المعرفة ، ويصبح ابتداء من هذا فرضا على المحظوظين ثقافيا ان يكونوا من انفسهم قوة طلائعية لتبليغ القدر الضرورى من الثقافة الى كافة مواطنيهم . وعليهم ايضا ان يدرسوا الطرق التقنية والتربوية لهذا التبليغ حتى يصبح من السهولة والشمولية بحيث يصل الى الجماهير دون عراقيل .

ان كل التيارات العقائدية ، والدينية ، متمسكة اشد التمسك بهذا المبدأ الخلقى الذى يبدو خياليا لبعضنا ، مع انه ممكن التطبيق لانه جرب بالفعل فى مواطن كثيرة ، وبصيرنا الحاضر على الخصوص .

ثالثا : ان ديمقراطية الثقافة بمعناها الاوسع دون الاقتصار على التعليم المدرسى لا يمكن ان تعامل كحل يبيد المنال يستهوى به دعاة واقعية مزيفة

مشبطة للعزائم . واذا أردنا ان نحقق هذا المبدأ الذى اصبح من المبادئ المسلم بها عالميا ، مثل حرية التعبير والتفكير ، فعلى ان نخلق المؤسسات الحية التى تحتضن التعليم الشعبى المعمم ويكون جزء منها مخصصا لتكوين ذى الغائية المهنية . ويكون الجزء الآخر مخصصا للتربية الثقافية دون غائية من ورائها لانها غاية الانسانية القصوى .

رابعا : لا يمكن الاستمرار فى ابقاء طرق التوعية موكولة بالصدف والارتجال فى عصر تتباين فيه المجتمعات الى حد كبير بحيث لا يمكن ان تطبق طرق ثقافية لمجتمع ما على مجتمع آخر لعقم الاختلاف الموجود بينهما . ومن هنا يجب ان ندرك ان القراءة ليست فى مجتمعاتنا المتأخرة نشاطا تمتعيا فقط كما هو الشأن فى كثير من المجتمعات الاستهلاكية ، طبعاً بالنسبة لنوع معين من القراءة ، ولندرك ان جزءا كبيرا من الانتاج الادبى فى المجتمعات التى تشكو من التخمّة الادبية انما يبيح عن الاغراءات والتسلّيات والمواضيع المثيرة للغرائز ولا يمكن بالطبع لمثل هذا الانتاج ان يسيطر فى هذا الجزء من العالم الذى لم يخرج بعد من الامية .

ان انتاج العالم الثالث يجب ان يكون ملائما لوضعتهم الاجتماعية . هذا ومن اللاوعى ايضا ان نبدأ بازدراء القراءة والتهافت على الوسائل الاخرى للتبليغ مثل السينما والتلفزة ، معتبرين انهما اداة تثقيفية ، مع انها كثيرا ما تكون وسائل لتبليغ ثقافة مجتمع استهلاكي مريض ، بل لابد ان نعى ان الوسائل الجديدة انما تأتى مكملّة للكتاب والقراءة

والتحول الحضارى ، انه سبب ومسبب فى نفس
الآن ، ولكن ليس فى حد ذاته ، وكلما حاولنا أن
نعالج مشاكل التأليف والقراءة اعترضتنا امواج من
المشاكل الاجتماعية والانسانية الاساسية مما يجعلنا
ستيقنين بأن بداية الامور فى الميدان الثقافى هى
العزم على اقبار الامية دون تأجيل وبوسائل لا
ترضى انصاف الحلول والسلام عليكم ..

فى نشر الثقافة والا سيكون الانزلاق الى الامية فى
اجل قريب .

ونقول مستنتجين ، ان القراءة والكتاب ليست
قضية فنية ينظر اليها بمعزل عن المشاكل المجتمعية
الاخري . ولكنها جانب من المشكل الحضارى الاعم ،
فالكتاب منتوج حضارى ، كما انه اداة للتربية



مراكز الثقافة وفرائس الكتب بالجزائر عبر التاريخ

نشأتها

تطورها

آثارها

المدارس بالجزائر :

عرفها المؤرخ الجزائري أبو راس الناصري (1165 - 1237 هـ) في تاليه « عجائب الاسفار » فقال : « المدرسة المتعارفة عندنا الآن هي التي تبني للدراسة العلم ، أي لتعليمه وتعليمه ، كمدرسة ابني الامم بتلمسان ، والفشاشية بالجزائر ، والمحمدية بام عسكر . . وإن هذه المدارس لم تكن معروفة في اول الاسلام ، وإنما كانت دراسة القرآن وسائر العلوم بالمساجد فقط ، أو بمواضع لا يطلقون عليها اسم المدرسة . . كان ابتداء ظهور المدارس آخر القرن الرابع (1) وأول من بنى المدارس واقتدى به الناس في ذلك أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق الملقب بنظام الملك . »

2

المهدي البوعبدلي
عضو المجلس الاسلامي الاعلى
بالجزائر

(1) المدرسة النظامية انشئت ببغداد سنة 457 هـ لتدريس الفقه الشافعي وعلم فيها ابوحامد الغزالي من 484 الى 488 هـ وحظيت بعدة دراسات بمختلف اللغات ، وقول أبي راس آخر القرن الرابع غلط من النسخ إذ كان محققا

كما ذكر الدكتور حسين أحمد في مجلة «الاستاذ» التي تصدرها كلية التربية بجامعة بغداد ، مقالا عنوانه « المساجد الاسلامية وأثرها في نشر التعليم» (المجلد 12 سنة 1383 - 1384 هـ : 1963 - 64 م) قال فيما يخص موضوعنا : «كانت المساجد الاسلامية هي معاهد التعليم الاولى في العصور الاسلامية منذ بدء الدعوة الشريفة حتى أوائل القرن الرابع الهجري ظلت المساجد هي المعاهد الاولى والاساسية التي تمت المدارس الاسلامية ، التي أنشئت في القرون الوسطى كالنظامية ببغداد . . »

ان أول مدرسة بنيت في الجزائر حسبما يظهر من قول المحقق أبي راس الناصري هي مدرسة ابني الامام بتلمسان ، بناها لهما الملك أبو حمو الزياني الاول المتوفى سنة 718 هـ (وهو رابع ملوك بني زيان) قال ابن فرحون في «الديباج» عند ترجمته لابني الامام المذكورين: «ولما استقل أبوحمو بالحكم ، اختط لهما المدرسة ، وابتنى لهما دارين على جانبيها ، وجعل لهما التدريس فيها في ايوانين معدين لذلك ، واختصهما بالفتوى والشورى فكانت لهما في دولته قدم عالية . . »

هذان الاخوان هما أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ولدا محمد بن عبد الله بن الامام ، كان أبوهما اماما بجامع برشك (برشك مدينة قديمة اشتهرت من جملة مدن امارة مفرارة وبني زيري وهي بين تنس وشرشال وموقعها حيث

يوجد ضريح ابراهيم الخواص حاليا) قتل أبوهما في أواخر القرن السابع ، فارتحلوا الى تونس ثم الى المشرق وبعد رجوعهما اتصل بهما الملك أبوحمو (لخبر بطول) وبني لهما المدرسة التي مازالت منارة مسجدها قائمة تحمل اسميهما - جامع اولاد الامام - بلغ هذان العالمان شهرة في العالم الاسلامي اذ كان من جملة تلامذتهما المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون ، ولسان الدين الخطيب التلمساني ، وكل منهما ترجمتهما ترجمة وافية ، كما تخرج عليهما جل علماء المغرب العربي اذ ذاك ، ومن جملة ما ذكر في ترجمتهما : انهما لما كانا في المشرق ناظرا الامام تقي الدين بن تيمية وظهر عليه «وكان ذلك سبب محنته» (2) قال عبد الجليل التنسي في تاليفه «الدر والعقيان في دولة بني زيان» عند ترجمته للملك أبي حمو الاول قال : «كان أبو حمو صاحب آثار جميلة ، وسيرة حسنة محبا في العلم وأهله ، ورد عليه بعد موت يوسف بن يعقوب (المريني) الفقيهان العالمان الجليلان أبو زيد عبد الرحمن ، وأبو موسى عيسى ابنا الامام فقام بحقهما ، وأكرم مثواهما ، وبني لهما المدرسة التي تسمى بهما ، وكان يكثر مجالستهما ، والاقتداء بهما .

المدرسة الثانية بتلمسان :

هي التي بناها الملك أبو تاشفين الاول ولد الملك أبي حمو السابق الذكر ، وهذه المدرسة هي التي

(2) ولم يعرف موضوع هذه المناظرة اذ لم تذكره كتب التراجم المتداولة فيما نعلم ، وكل ما ذكره انهما ناظرا ابن تيمية وظهر عليه وكان ذلك سبب محنته

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

اختار أبو تاشفين مدرسته العالم الشهير أبا موسى عمران المشدالي البجائي ، صهر العالم الذائع الصيت ناصر الدين المشدالي ، وتخرج عليه من هذه المدرسة كثير من علماء البلاد منهم المقرئ الجيد (وكان عمران المشدالي هذا هو الذي نشر تعاليم صهره التي سنتحدث عنها في موضعها) .

قيل ان عمران المشدالي فر من بجاية أثناء حصار الملك ابي تاشفين لها وسكن الجزائر ، ولما سمع به أبو تاشفين دعاه الى تلمسان اذ كان الملوك يتسابقون الى اختيار العلماء . قال التنسي في «الدر والعقيان» : «كان أبو تاشفين مولعا بتشبيد القصور ، فخلد آثارا لم تكن لمن قبله ولا لمن بعده (كدار الملك) و (دار السرور) والصهريج الاعظم وكانت عنده شجرة من فضة ، على أغصانها جميع أصناف الطيور الناطقة ، وأعلها صقر ، فاذا استعمل المنافخ في أصل الشجرة وبلغ الريح مواضع الطيور ، صوتت بمنطقها ، المعلوم ، فاذا وصل الريح موضع الصقر ، صوت فأقطع صوت تلك الطيور كلها . . وأحسن من هذا كله بناء المدرسة الجليلة العديدة النظير التي بناها بأزاء الجامع الاعظم ، ما ترك شيئا مما اختص به قصره المشيد الا وشيد مثله بها ، شكر الله صنيعه . . وقد عليه بتلمسان العالم أبو موسى عمران المشدالي ، فأكرم نزله ، وأدام المبرة له وولاه التدريس بمدرسته الجديدة ، اه كلام التنسي .

اشتهرت بالمدرسة «التاشفينية» وبقت قائمة الى سنة 1873 وبني على انقاضها المجلس البلدي بتلمسان (الحالي) ذكر القس (3) بارجيس (BARGES) انه شاهد هذه المدرسة التي هدمت سنة 1873 وكانت رائعة . وأبو تاشفين هذا هو مجدد منارة الجامع الاعظم المالكي بالجزائر وما زالت قطعة الرخام التي كتبت عليها أبيات فيها تاريخ البناء محفوظة على حائط المنارة المذكورة ، من جملتها هذه الابيات (على لسان المنارة) أي منار حاله في الحسن كحالي :

أقام أمير المسلمين تفافحا

كسائي بها حسنا وتمم بنياني

وقابلني بدر السماء وقال لي

عليك سلامي أيها القمر الثاني

الخ . كما بنى هذا الملك قصر «الياقوتة» عند حصاره لبجاية ، وهو شبيه بقصور بجاية الناصرية (4) ومازال سكان بجاية يطلقون على بعض دورهم اسم «الياقوتة» ، وموضع قصر الياقوتة الذي بناء الملك أبو تاشفين هو ما يسمى الآن بمدينة «القصر» (التي تبعد عن بجاية بنحو 20 كم) .

شاهد القس بارجيس (ABBE BARGES)

المدرسة التاشفينية واحتفظ ببعض صورها كما شاهد بقايا مدرسة ابني الامام وبقايا المسجد الملحق بها .

(3) كان بتلمسان وكتب عنها كثيرا منها : - تلمسان العاصمة القديمة - (Tlemcen ancienne capitale) طبع بباريس سنة 1859 و - تاريخ بني زيان - ثم ملحقا فيه بعض الفصول من - الدر والعرفان - للتنسي ، الخ
(4) قصر بجاية الذي وصفه بتفصيل ابن همدان واشتهرت قصيدته في تاريخ الادب العربي هو قصر - اللؤلؤة -

وقال المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون في ترجمة شيخه محمد المقرئ (تلميذ المدرسة التاشفينية) قال : . . ثم لزم الفقيه عمران المشدالي تلميذ أبي علي ناصر الدين وتفقّه عليه . وبرز في العلوم إلى حيث لم تلحق غايته . وبنى السلطان أبو تاشفين ، مدرسته بتلمسان ، فقدمه للتدريس بها ، يضاهي به أولاد الامام اهـ

المدرسة الثالثة بتلمسان :

هي مدرسة العباد ، أسسها الملك أبو الحسن المريني قرب مسجد ضريح الشيخ أبي مدين . وقد درس بهذه المدرسة ابن مرزوق (5) الخطيب (الجد) إذ كان أفراد أسرته يتوارثون إمامة جامع العباد (ولهذا عرف بالخطيب) كما درس فيها حفيده الحافظ بن مرزوق الحفيد . واستأذه عبد الرحمن ابن خلدون الذي كان ينوئ الإقامة بها والانقطاع لخدمة العلم بعد خروجه من سجن الملك أبي عنان ومازالت المدرسة تحتفظ بآثار الملك أبي الحسن منها أبيات شعر مكتوبة على قبة المسجد الخاص بها الذي اتخذ كتاباً لتعليم الصبيان وهي هذه :

الحمد لله رب العالمين

بنائي كي يقيم لدى ديننا

الاسلام (؟) أمير المؤمنيننا

أبو الحسن الذي فيه المزايا

تفوق النظم بالدور الثميننا

امام لا يعبر عنه وصف
بما أجرى به الاعمال ديننا
سليل ابي سعيد ذي المعالي
أقر الى الانام به عيونا
وقد ساء خالقه عليا
قاعلاه و أعطاه يقيننا
أبان بصالحات منه ديننا
و ايماننا يكون له معيننا
لشهر ربيع الثاني لسبع
خلون من السنين و أربعينا
الى سبع مئين بدار سعد
محوله مناصده فنونا
و كان له الالاه على اتصال
على مرضاته دأبا معيننا

ويوجد بالمسجد الجامع بالعباد قطعة رخام كتب فيها جميع ما حبسه الملك أبو الحسن على المسجد الجامع والمدرسة والزاوية - ولم ندر هل الزاوية كانت موجودة أو بناها الملك ، والحقيقة أن الملك جدد الزاوية والجامع - يقول المحبس فيما يخص المدرسة والزاوية « أمر ببناء هذا الجامع المبارك مع المدرسة المتصلة بغربيه مولانا السلطان . . . وحبس المدرسة المذكورة على طلبة العلم الشريف وتدرسه . وبعد أن يذكر كل ما حبسه يختم ذلك بقوله . . يرسم اطعام الطعام بزاوية العباد عمرها الله للفقراء والججاج والمقيمين والواردين

(5) ابن مرزوق الخطيب المعروف بالجد هو صاحب كتاب - المسند الحسن في التعريف بالملك أبي الحسن - يقصد المريني وتوجد منه مخطوطة بخرانة الاسكوريال وهو المتوفى بمصر وقد ترجمه لسان الدين بن الخطيب في الاطاعة وابن خلدون

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

عليها . . الخ ، وبقايا زاوية العباد هي مسكن الوكيل حاليا .

المدرسة الرابعة بتلمسان :

هي مدرسة الشيخ الحلوى ، بناها الملك أبو عنان فارس المريني لما خلف والده أبا الحسن ، وقد وجدت كتابة تخص المسجد منها ما كتب على كل من الساريتين اللتين رفع عليهما المحراب ، الأولى كتب عليها «جامع ضريح الشيخ الولي الرضى الحلوى رحمة الله عليه» والثانية كتب عليها «أمر ببناء هذا الجامع المبارك عبد الله المتوكل على الله فارس أمير المؤمنين» وتوجد كتابة ثالثة فيها كلمات محوطة ، وقد بنى أبو عنان زاوية ومدرسة قرب المسجد الجامع ولم يعثر لهما على أثر ، وكل ما عثر عليه هو وصف للزاوية، سجله الأديب الشهير أبو عبد الله محمد بن جزى الأندلسي كاتب أبي عنان الخاص ، قال في وصفها :

هذا محل الفضل و الأيثار
و الفرق بالسكان و المزوار

دار على الأحسان شيدت و التقى
فجزاؤها الحسنى و عقبى الدار

هي ملجأ للواردين و مورد
لابن السبيل و كل ركب سارى

آثار مولانا الخليفة فارس
أكرم بها فى المجد من آثار

بنيت على يد عبدهم و خديم با
بهم العلى محمد بن حـدار
فى عام أربعة و خمسين انقضت
من بعد سبع مئتين فى الأعصار
(754 هـ)

وابن جزى هذا هو الذى حرر رحلة ابن بطوطة المشهورة فى بلاط الملك ابى عنان . وقد غادر غرناطة لضم أدركه بها وقد اشتهرت الابيات التى نظمها عند توديعه غرناطة وصارت مضرب الامثال قال :

و انى لمن قوم يهون عليهم
ورود المنايا فى سبيل المكارم
يطيرون مها ازور للدهر جانب
بأجنحة من ماضيات العزائم
و ما كل نفس تحمل الذل اننى
رايت احتمال الذل شأن البهائم
إذا أنا لم أظفر «بزاد مسافر»
لديكم فعندى « تحفة قادر »

ورى بكتاب زاد المسافر وغرة محيا الادب
السافر لابی بحر صفوان التجيبى المرسى الذى
حققه ونشره الاستاذ عبد القادر محداد التلمسانى
و «تحفة القادم» هو من أشهر تأليف ابن الأبرار
القضاعى الأندلسى .

واندثار هذه المدرسة والزاوية (6) كان لا محالة

(6) ان الزاوية التى ظهرت فى عهد ملوك بني مرين كانت كما وصلها ابن جزى - ملجأ للواردين ومورد لابن السبيل - وهو نفس ما ذكره والد الملك ابى عنان فى تعبيته على زاوية العباد حيث قال : - برسم أطعام الطعام بزاوية العباد عمرها الله للفقراء والحجاج والواردين عليها - ثم نجدها بعد القرن العاشر استحالَت الزاوية الى مركز للطرق الصوفية يذكرون فيها اواردهم ثم تغلّوها للدراسة وستحدث عنها فى القسم الاخير من هذه الدراسة

وأسسوا أعظم شركة تجارية لها نظام وجند تعجز عنها الدول، وقد خصه تلميذ من تلامذته ابن مرزوق بتأليف سماه «النور البدرى» ، في التعريف بالفقيه المسمى كما أخذ عن المقرئ هذا امام القراءات الشهير أبو القاسم الشاطبي الاندلسي ، ولسان الدين بن الخطيب ، ومازال بعض أفراد هذه الاسرة بالمغرب وبجبال زواوة .

المدرسة الخامسة بتلمسان : (8)

هي التي بناها الملك أبو حمو موسى الثاني (سادس ملوك بني زيان) وبني لها مسجدا على العادة المتبعة اذ ذاك ، وكانت المساجد الملحقة بالمدارس خاصة بالاساتذة وتلاميذ المدرسة ، وسماها « اليقوبية » تخليدا لاسم والده أبي يعقوب ولم يبق منها اليوم الا مسجدها المشهور الآن «بجامع سيدي ابراهيم» بنيت هذه المدرسة سنة 765 هـ بعد خروج المرينيين ، وكان أبو حمو هذا علما اديبا تربى ونشأ في الاندلس وهو الذي ارسل اليه عبد الرحمن بن خلدون أخاه يحيى كاتباً ببلاطه وفي قصره ألف كتابه المشهور «بغية الرواد» ، في ذكر ملوك بني عبد الواد، وفي الحقيقة كان هذا التأليف خاصا بمآثر الملك أبي حمو ، اتخذ أبو حمو بعد انتهائه من بناء المسجد والمدرسة مقبرة دفن فيها أباه ثم عميه (أبوه كان

في العهد التركي اذ عد الرحالة الشهير الوزان الفاسي المشهور بليون الافريقي «LEON L'AFRICAIN» انه وجد بتلمسان خمس مدارس عند ما زارها في أوائل القرن العاشر الهجري ، هذا وان فقدت تلمسان مدرسة أبي عنان فان التاريخ احتفظ لنا بمدرسة أبي عنان بفاس التي مازالت تبهر سواح العالم من الفنانين والاثريين والمؤرخين حتى ان كثيرا من المهندسين المعماريين المتخرجين من أرقى المعاهد العالمية يشدون اليها الرحال سنويا ، وقد كان من الصدق ان الملك أبا عنان عين لمدرسته العنانية - مازالت مشهورة بهذا الاسم - هذه قاضي حضرته بتلمسان العلامة الشيخ محمد المقرئ التلمساني ، قبل أن تتوتر العلائق بينهما ، وذلك انه صرح بأن النظام الملكي يخالف تعاليم الاسلام التي تحبذ الشورى كما يدل عليه عمل الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين الذين تولوا انتخابهم تلقائيا ، كما استدل على أن مصائب المسلمين جاءتهم من النظام الملكي - وقد وافقه تلميذه عبد الرحمن ابن خلدون على تسرب التدهور للمسلمين في ذلك العهد أى منتصف القرن الثامن ورجع ابن خلدون ذلك الى أسباب أخرى ذكرها في تاريخه - وكان لمحمد المقرئ هذا مواقف ، وهو من صقرة (7) ، قرية مازالت محتفظة باسمها قرب مدينة بركة بالزاب) وجاء أحد أجداده مع الشيخ أبي مدين

(7) وقع الخلاف في ضبط كلمة المقرئ فيهم من يقرؤها المقرئ بتشديد القاف وفتحها ومنهم من ينطق بها بسكون القاف ونطق العلامة الحافظ ابن مرزوق بسكون القاف في كتابه الخاص بترجمته دليل على ترجيح السكون ، ثم أن السكان انفسهم مازالوا لم يغيروا النطق بسكونها وهي من المدن القديمة التي كانت قبل الاسلام واسمها قديم لم يتغير كثيرا

(8) اظن انه لم يوجد بتلمسان الا هذه المدارس الخمس الى العهد التركي اذ ذكر الرحالة الوزان الفاسي المشهور بليون L'AFRICAIN انه لما زار تلمسان حوالي 920 هـ وجد فيها المدارس المذكورة وهي على غاية من الزخرفة والابهة - رحلة الوزان المذكور ج 2 ص 333 -

On compte également cinq beaux collèges, très bien construits et ornés de mosaïques et d'autres ouvrages d'art

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

ابن خلدون انه لما رجع الى تلمسان فعلا المغرب معارف وتلاميذ وتعرض لما لاقاه من محن في عهد المرينيين ، ويختتم ترجمته بقوله : «انه لما استرجع الملك أبو حمو الثاني المذكور مملكته استدعى الشريف وتلقاه براحتيه وأصهر له في بنته فزوجها له وبني له مدرسته فقام يدرس حتى هلك سنة احدى وسبعين (9) . وكان مولده على ما أخبرني عام عشرة أي وسبعمائة . اهـ كلام ابن خلدون . وهؤلاء العلماء المذكورون الذين عينوا بمدرسة تلمسان كابن الامام وعمران المشدالي وتلميذه محمد المقرئ وابو عبد الله الشريف هم الذين شاركوا وقادوا الحركة الفكرية او «الثورة الثقافية» التي كان الفضل فيها لناصر الدين المشدالي البجائي وتلميذه عمران المشدال مدير المدرسة التاشفينية ، مما سنذكره في موضعه بعد ، كما أن ملوك بني مرين وبني زيان المذكورين ، مؤسسو هذه المدارس ، الذين كانوا كلهم ينتمون الى الدولة الموحدية قبل انحلالها وتفككها كان كل منهم يرى انه الاحق بوراة تعاليم المهدي بن تومرت وكانت فكرة الوطنية الضيقة لم يسر مفعولها بعد ، والدليل على ذلك ان المهدي بن تومرت مؤسس الدولة وصاحب الفكرة لما بويع في وطنه ونصره أهل عشيرته قدم تلميذه الجزائريين المنفردين لأرقى المناصب ، قدم عبد المؤمن بن علي الكومي لولاية العهد والخلافة ، وابا محمد البشير (10)

مجاهدا مشهورا بالعلم والصلاح . وتوفي بالجزائر وعام دفنا بالعباد ثم بقية أفراد الاسرة المالكة ولما توفي العلامة الشيخ ابراهيم المصمودي حوالي سنة 805 هـ دفنوه بهذه المقبرة ، الا أن اسمه مع طول الزمان تغلب على اسم والد الملك والملك نفسه - حيث دفن أبو حمو بتلك المقبرة - وصار يعرف «بمسجد سيدي ابراهيم» اندثرت هذه المدرسة كغيرها ، وكان أبو حمو اختار لها العلامة الشيخ أبا عبد الله الشريف دفين تلمسان ، ترجم ابن فرحون في الديباج لابي عبد الله الشريف هذا فقال عنه : «علامة تلمسان ، بل امام المغرب قاطبة ، وترجمه الحافظ بن مرزوق الحفيد فقال : «شيخ شيوخنا أعلم أهل عصره باجماع» ، وترجمه تلميذه عبد الرحمن بن خلدون فقال : «انه تعلم بتلمسان فاخص بالولاد الامام ثم لزم شيخنا الابلي ، وتضلع من معارفه واستبحر ، وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ، ثم رحل الى تونس سنة 40 (أي وسبعمائة) فلقى شيخنا ابن عبد السلام وأفاد منهم واستعظم رتبته في العلم ، وكان ابن عبد السلام يصفى اليه ويؤثر محله حتى زعموا انه كان يخلو به في بيته ، فيقرأ عليه - أي على تلميذه أبي عبد الله التلمساني - فصل التصوف من اشارات ابن سينا ، لان الشريف قد أحكم الكتاب على الابلي ، ومن نلاخيص أرسطو لابن رشد ومن الحساب والهندسة والهيئة ، وله اليد الطولى في الخلافات» ثم ذكر

(9) وقد دفن أبو عبد الله الشريف بروضة بني زيان هذه وكان ابراهيم المصمودي الذي اشتهر به المسجد والمدرسة من تلامذته المتخرجين عنه ، كما دفن إلك أبو حمو مؤسس المدرسة وكثير من أفراد أسرته بها وعثر على قبورهم بعد نبشها اثر الاحتلال الفرنسي
(10) أبو محمد هذا كان من رفقاء المهدي بن تومرت وعبد المؤمن وافقهما عند ما مر بجبل ونشريس عند رجوعهما من الشرق وقد مات في عهد المهدي بن تومرت في معركة مشهورة مع المرابطين بالمغرب

وكانوا كذلك يعرفون كيف يحيون وكيف يموتون
كان الملك أبو تاشفين (II) الاول مؤسس المدرسة
التاشفينية لما حوصرت تلمسان ودخلها الملك أبو
الحسن المريني وكان المؤرخ ابن خلدون قريب عهد
بذلك قال عن موقف الملك أبي تاشفين وأقاربه :
« فمانعوا دون القصر - أى قصر المشور الحالى -
مستعيتين الى ان استلحموا ورفعت رؤوسهم على
عصى الرماح فطيف بهم وغصت سكك البلد من
خارجها وداخلها بالعساكر واكتضت أبوابها
بالزحام . . . وتراكت أشلائهم ما بين البابين حتى
ضاق المذهب . . . وانطلقت الايدي على المنازل انتهابا
واكتساحا وخلص السلطان الى المسجد الجامع
واستدعى رؤساء الفتيا والشورى أبا زيد عبد
الرحمن وأبا موسى عيسى ابني الامام قدمهما من
أعماله لمكان معتقده فى اهل العلم فحضره ورفعوا
اليه امر الناس وما نالهم من معرة العسكر ووعظوه
فأناب ونادى مناديه برفع الايدي عن ذلك فسكن
الاضطراب » .

ونستدل مما ذكر أيضا على أن العلماء كابني
الامام المذكورين كانوا بفضل حسن سلوكهم
ونزاهتهم ونفوذهم الادبي لدى الراى العام محل
احترام وتقدير عند مختلف الملوك الذين تداولوا
على البلاد رغم الخلافات والخصومات .
ولنرجع الى الحديث عن بقية المدارس فنجد
مدرسة القشاش التي اشتهرت بالجزائر وذكرها
أبو راس فى «عجائب الاسفار» اذ شاهدها بالعاصمة

الونشيريى لقيادة الجيش . ولم يعارضه فى ذلك
أهل عشيرته . كما أن بنى حفص السوسيين ثوارثوا
مملكة تونس ثلاثة قرون فلم يتعرض لهم أى أحد
من انهم غرباء على البلاد . ولهذا ينبغي لنا أن لانحكم
على أحداث ذلك العهد بمناظر زماننا هذا . وبهذا
يتبين لنا أن القبائل الجزائرية والامارات التى
انتصرت للمرينيين أو للمرابطين قبلهم والمفساربة
الذين انتصروا لبلقين بن زيرى وللزيانيين أو لبنى
حفص لم يكونوا خونة كما أراد وصمهم بذلك كثير
من الكتاب الذين كانوا المرة بعد المرة يقودون السواح
لآثار المنصورة ويصحبون معهم بعض تلامذة المدارس
الجزائريين ليظهروا لهم أن الوحدة الاسلامية من
الاساطير والخيال . وقد حضرت مرة - سنة 1935 -
عند ما انعقد مؤتمر طلبة شمال افريقية بتلمسان
وأقام شيخ بلديتها VALEUR مائدة شاي بالمجلس
البلدى صرح من دون حياء ولا خجل للمؤتمريين
« انكم تزعمون ان البلاد الاسلامية عامة وافريقية
الشمالية خاصة كانت موحدة وفرقها الاستعمار
وحال بينكم بأسوار . . فان برنامج « تفسحاتكم »
يشمل زيارة آثار المنصورة فعند ما تصلون هناك
راجعوا ما تفوه به رئيس جلستكم» - وكان اذذاك
المرحوم علاء بلهوان - وغادر الجلسة يستشيط
غضبا من كلمات المرحوم بلهوان . ولنرجع الى الحديث
عن هؤلاء الملوك اى مؤسسى مدارس تلمسان فنجد
معظمهم من اكابر علماء أزمينتهم كانوا يشاركون
فى المناظرات العلمية وينسخون الكتب ويؤلفونها

(11) وقد ذكر الرحالة الوزان رواية أن سكان تلمسان لما شاقوا ذرعا بالحصار ذهبوا الى الملك أبي تاشفين وشكوا له حالهم
فوجدوا على مائدته طعاما مشتملا على حب الشعير وبعض الحشائش فكان أسوا من طعامهم فعندئذ عزم على الخروج هو وافراده
أسرته للقائه العدو المحاصر والاستشهاد فكان موقفه من المواقف التى احيا بها صورة رائدة للهداء.

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

والثانية فيها تاريخ بناء أو تجديد هذه المدرسة ولواحقها ، وقد اطلعت على الوثيقة الثانية بخط المرحوم الشيخ حميدة العمالي العلامة الشهير - 1227 هـ - يقول فيها : « هذه صورة رسم يتضمن ما حبسه شيخ الجماعة خاتمة المحققين سيدي سعيد قدورة لما فضل من ريع أوقاف الجامع الاعظم نقلته هنا تبركا به واعتبارا .. » وبعد ما يذكر « أن جميع ما يأتي ذكره من شراء كتب وأملاك واقامة بناء بعض الاماكن انما ذلك كله من الفضل بيده من خراج أوقاف الجامع المذكور » ، يقول « . . فمن ذلك بناء دار الوضوء المسامية للجامع المذكور والمسجد الراكب عليها والمدرسة وانشاء علوى بازائها لسكنى امام المسجد المذكور . . ما قدر الجميع بالاضافة خمسة عشر ألف دينار . . الخ ، وتاريخ الوثيقة 1052 هـ .

وكانت هناك مدارس أخرى لا يتسع المقام لذكرها كلها ، كما كانت مدارس بقسنطينة وبجاية وأم عسكر ومازونة ووهران ، ذكر أبو راس المدرسة المحمدية بأم عسكر التي اشتهرت في عهده ، وهذه المدرسة هي التي أنشأها الباي محمد ابن عثمان الكبير فاتح وهران سنة 1206 هـ فانه بنى المدرسة والمسجد وقد وصف المدرسة والمسجد

عند ما زارها لأول مرة في طريق رحلته الى الحج سنة 1204 هـ . اندثرت هذه المدرسة ولم يبق عند الاحتلال الفرنسي منه الا مسجدها الذي كان في نهج القناصل ، ذكر المؤرخ د فول (12) (DEVOLUX) في تأليفه القيم « المعاهد الدينية بالجزائر » *Les Edifices religieux* انه عثر على عقد حبس مؤرخ في أواخر القرن العاشر الهجري يذكر أحباس زاوية القشاش ، وقد اطلعت على مصحف محبس على طلبة القرآن - الساكنين بزاوية القشاش ، وتاريخ تحبسه سنة 1156 هـ - كما كانت بالجزائر « مدرسة أبي عنان أو المدرسة العنانية » وهي التي هدمت وبنى على انقاضها الجامع الجديد الحنفي ، وذلك حوالي سنة 1070 هـ - 1660 م . والمدرسة الثالثة بالجزائر هي مدرسة الجامع الاعظم المالكي . وكانت تشتمل على مسجد صغير من دون منارة وزاوية خاصة بالعلماء الفقراء ، هي تشتمل على طابقين ، بنيت أو جددت حوالي سنة تسع وثلثين وألف 1039 هـ ، من ريع أحباس الجامع الاعظم في عهد المفتي الشيخ سعيد قدورة ، عثر د فول على وثيقتي حبس : واحدة تذكر أن مامي ريس (13) القايد البحري ورفقاه اهدوا للمفتي المذكور أسيرا مسيحيا ليبيعه ويشترى بثمانه محلا يحبس على المدرسة المقابلة للمسجد .

(12) كان د فول هذا محافظا لوثائق الاملاك اثر الاحتلال فاطلع على وثائق الاحباس ونشرها في - المجلة الافريقية - التي كانت تصدر بالجزائر ثم خصها بكتاب مستقل سماه : - المعاهد الدينية - *Les Edifices religieux* وهو من اهم الكتب في موضوعه اذ فيه احصائيات لجميع المساجد والزوايا والمعاهد التي كانت بالعاصمة اثر الاحتلال

(13) ان احباس الجزائر التي تصفحت في العهد التركي حتى صارت تفوق اعظم العواصم الاسلامية كانت بسبب الفنائم التي يغصها بها البحارة فكانوا كلما غنموا الا واسهموا للمساجد وسبل الخيرات وبقية المؤسسات حتى كان الطب والتعليم بجميع مراحلها وابوا الفقراء وعابري السبيل والمهاجرين ينلق عليهم من ريع الاحباس

كثير من الشعراء منهم أبو العباس أحمد المقرئ (I4) القرومي (قرومة قرية تابعة للاخضرية PALESTRO السابقة) ولاية تيزي وزو كانت دار علم) قال من قصيدة طويلة :

عجبا له من مسجد في الأرض قد
حاكي السماء تطاولا في المفخر
وترى المدرس قد علا كرسيه
يلقى على العلماء حب الجوهر
تحويه « مدرسة » غدت آثارها
تحية بالعلم النفيس الأشعري
تمحي رسوم الجهل من ألواح
تحمي شمائله من الزور السرى
بنا الأمير محمد في الغرب قد
لاحت آثاره كالصباح المسفر

وقد كان اتمام هذه المدرسة سنة 1196 هـ وقد عين الباي أعظم عالم مديرا لها وهو الشيخ محمد ابن عبد الله الجلالى الذى اشتهر بتنظيم رباط وهران ورياسته ، ذلك الرباط الذى استعان به الباي محمد بن عثمان على طرد الاسبان من وهران. لم يبق من هذه المدرسة الا المسجد المعروف الآن بمسجد حسن وبمسجد الميابة حيث وقعت فيه البيعة الثانية للأمير عبد القادر سنة 1248 هـ كما بنى الباي المذكور «مدرسة» بوهراة بعد فتحها ولم يبق منها الآن الا مسجدتها الصغير وضريح

الباى الفاتح مؤسسها وهو المشهور الآن بجامع الباي محمد بالربض القديم «ربض خنق النطاح» وما دمنا نتحدث عن هذا الباي الفاتح نلحق بهذين المدرستين مدرسة مازونة التى هى من مآثره وخلد فيها صفحة من صفحات الجهاد اذ وهران كما هو معلوم بقيت تحت حكم الاسبان ما يقرب من ثلاثة قرون أى من سنة 914 هـ الى سنة 1206 هـ اللهم الا فى فترة قصيرة استرجعها المسلمون فى عهد باكدش باشا الجزائر من سنة 1119 الى 1144 ، أسس الباي محمد بن عثمان مدرسة مازونة جزاء لرئيس معهد مازونة الشيخ محمد بن على أبو طالب الذى شارك فى حرب وهران سنة 1206 هـ على رأس مائتى طالب من تلاميذ المعهد وابنيه اللذين استشهد احدهما وهو السيد هنى فى الحرب المذكورة كان أبوطالب لما التحق بجيش ورباط وهران يربو عمره على الثمانين سنة ، وقد ضرب الفقيه المذكور المثل لبقية الفقهاء الذين التحقوا بالرباط حيث ذهب ماشيا من مازونة الى معسكر ثم منها الى وهران ورفض الركوب على الدابة الوحيدة التى كانت عندهم وتركها للمرضى والعاجزين عن المشى ، بنى الباي هذه المدرسة وحبس عليها أحباسا هامة وكتبا ، مازالت المدرسة تحتفظ بجزء من صحيح مسلم عليه نص التجبيس بخط ولد الباي المذكور عثمان ، اشتهرت مدرسة مازونة فى عهدها الاخير بأنها تخصصت لدراسة الفقه

(14) أحمد المقرئ هذا من أسرة المقرئ التلمساني التى سكنت بقرومة ، وقد عرف هذا الفرع يسكان زواوة كما ذكر الشيخ ابن شنب فى فهرس - المخطوطات بالجامع الكبير بالجزائر - وقد غلط اذ حسب أن صاحب المخطوط المقرئ الجدة المذكور فى هذه المعاصرة والحقيقة أن صاحب التأليف الذى ذكره ابن شنب ونسبه الى زواوة - قرومة - من أهل القرن العاشر عشر

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

المالكي . وكان يقصدها علاوة على طلبة البلاد .
طلبة المغرب الذين كانت شهادة مدرسة مازونة
معتبرة عندهم . وبقي هذا الاعتبار سارى المفعول
حتى في عهد الحماية حيث كانت السلطات
المغربية تسين المجازين من مازونة (15) في وظائف
العدالة والقضاة الى أن توقفت الدراسة بها أو
لغلت آنفاسها سنة 1940 .

ومازونة وإن كانت دار علم واشتهرت بمعاهدها
العلمية الذين تخرج منهم فطاحل العلماء كالحافظ
الرماسي وأبو راس الناصري ومحمد بن السنوسي
دقين ليبيا . فقد بقيت المدرسة الوحيدة الى العهد
المذكور مدرسة الشيخ أبي طالب يتوارث التدريس
بها أفراد الأسرة . وقد حاولت السلطات الفرنسية
أن تؤمها وتوظف المدرسين بها فامتنعوا معتذرين
بأن عندهم ما يكفيهم لضرورياتهم . وقد زارها
الرحالة صديق خان سنة 1332 هـ . وقد كان على
رأسها الفقيه الشهير الشيخ محمد أبو راس حفيد
الشيخ محمد بن علي أبو طالب . وسمى جده للام
محمد أبو راس المؤرخ الشهير . فمدح الرحالة
المذكور المدرسة ومديرها فقال :

أنا على مازونة وانظروا الملا
في زرة بيت الهدى و سلام
وسل بيت السلام بيت لقاصد
دعاه عوى السبا و مقام
لها شهيرة . قدما بيت علومها
و نشر التقى بين الورى وأنام

حماها منيع و المقام مشيد
و ذكر لها يسرى كيدر تمام
أبي الله إلا أن تكون كعكة
ملاذا لمن قد ضل بين ظلام
رحلت بلادا في الزمان كثيرة
لأنظر حال العلم بين خيام
فشاهدت كلا بين مثنى و شاكر
لها خير صنع في أجل نظام
ولا عجب قاله أيـد أزرها
بهذا الذي بين الملى كإمام
عنيت به بدر الأئمة مالكا
فقيه الثرى بل رأس كل امام
محمد أبو راس لذا سار نهجه
و سوى سبيل الفقه خير امام
و قام له بين الرجال بخدمة
و عزم متين فوق حد حسام
فأظهر مكنونا و أبدى دقانقا
و أخرج آيات بخير قوام

نكتفى بهذا القدر إذ مجال هذه المحاضرة لا يسع
تتبع موضوع يتطلب سلسلة محاضرات . ثم إن
هذه المدارس امتازت بنظام خاص كالقيام بضروريات
جميع ما يحتاجه الطالب والاستاذ مدة الدراسة
ثم السيرة التي تشترط في الطلبة والمواظبة على
الدروس وإن لم تكن هناك امتحانات إلا أن الاساتذة

(15) مازان كثير من خريجي مدرسة مازونة يشغلون وظائف بشرق المغرب وبلاد الريف ، وكان من جملتهم المرحوم محمد بن العاتم عامل وجدة بعد استقلال المغرب وبعض أفراد أسرته

اطلع على ما يقدح في مروءته انصرف عنه كما وقع لكثير من العلماء في عهد شبابهم ودراساتهم مثل المؤرخ أبي راس الناصري فقد حكى في رحلته انه حضر بعض دروس استاذ من أساتذته ولما رأى منه ما كان ينكره انصرف عنه ، ونرى هذا التشدد عند علماء الحديث ، قال ابن عبد البر فيما رواه محمد بن علي السنوسي (16) ان مالكا كان يوصي تلامذته بقوله « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم ، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الاساطين وأشار الى مسجده صلى الله عليه وسلم فمما أخذت عنهم شيئا ، وان أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أمينا الا انهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن » وكان الرأي العام الثقافي لا يعترف بسهولة لمن لم تتوفر فيهم الشروط بلقب العالم أو المدرس فقد قال أحمد (17) بن يحيى الونشريسي في الموضوع : « من هنا يعلم ان اطلاق اسم المدرس على المقتصر على نقل تقايد الرسالة والمدونة من غير فتش ، ولا تنزيل ، ولا كشف ، واستظهار بغيرها : مجاز لا حقيقة ، وهذا الوصف كاد أن يعم أهل الوقت ، أو عمهم ، فنسأل الله العظيم المغفرة من التطفل وتعاطي ما ليس في المقدور » . ثم ان مدة اقامة الطالب بالمدرسة كانت محدودة كما ذكر ذلك الونشريسي في « المعيار » ثم ظهرت في الجزائر ابتداء من أوائل القرن التاسع معاهد لا هي مساجد ولا مدارس ، لها نظام خاص شبيه بالمدرسة من

كانوا يجيزون طلبتهم في مختلف الفنون ، وهذه الاجازات تختلف حسب استعدادات الطالب وتحصيله ، فهناك نوع من هذه الاجازات هو عبارة عن شهادة تمنح لحاملها بانه حضر في الدروس المدة التي حضرها والفنون التي قرأها ، وهناك شهادات تعطى لنبغاء الطلبة والمحصلين ، يأذن لهم فيها الاساتذة بالتدريس وبرواية الحديث الخ وكل هذه الاجازات لا تخلو من توصيات هامة كقول المجيز « اتركوا اليأس مما في أيدي الناس تعيشوا أعزة » وكقوله « اجازة مطلقة عامة ، بشرطها المقرر ، وقيدتها المعتبر ، وهو الصدق والامانة والتحري ، وأن يقول فيما لا يدري لا أدري موصيا له برفع الهمة ، وحفظ الحرمة ، والعمل بالعلم ، فانه يستجلب النور والفهم » ، وكذلك نجد في معظم هذه الاجازات الاشادة بالعلم والتحريض على تعلمه خصوصا عند المتأخرين ، فنجد مثلا العلامة محمد بن عبد الله الجلالى مدير المدرسة المحمدية الآنفه الذكر يقول في بعض اجازاته : « أما بعد ، فان العلم أشرف المكاسب ، وأفضل المناصب ، وأرفع المطالب ، والغاية القصوى لكل طالب . . فهو المفيد ، لكل مستفيد ، فى القديم والجديد ، وهو الرافع لكل خامل ، الراد لكل معاتل ، المشرف الاسافل ، الخافض للخلو منه قدر أبناء الافاضل ، والجاعل للموالى موالى ، فى هذه العصور ، والعصور الخوالى ، الخ. »

ثم ان التلميذ نفسه كان يختار الاستاذ فاذا

(16) - مقدمة موطا مالك - لمحمد بن علي السنوسي طبع القصر الملكى بليبيا
(17) من - ازهار الرياض - لاحمد المغربي ج 3 ص 35 نشر المعهد الخليفى للابحاث المغربية

مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر

والقضاء على ملوك الطوائف ، ومن هؤلاء "نصفهاء" الإمام عبد الحق الاشبيلي ، لم يكن عبد الحق الاشبيلي هذا ولا رفيقه ومواطنه أبو مدين (دقین تلمسان) مجسمين ولا كفارا ولا حتى مترمطين بل كان الكثير منهم ومن أفراد طبقتهم المنتصرين للمرابطين يختلفون مع الموحدين وينكرون عليهم فكرة عصمة ابن تومرت وبعض تنبؤاته المهدوية ، ثم ان هؤلاء الفقهاء الذين كانوا من أنصار العلم والذين كانوا يقارنون بين سير ولاية المرابطين وولاية الموحدين ، فيقدر ما كان المرابطون : ملوكهم وولايتهم مشهورين بالاستقامة والورع كان ولاية الموحدين بعكس ذلك فان الى بجاية الذي وقعت ثورة المرابطين في عهده وهو سليمان بن عبد الله بن عبد المومن كاتب ابن عمه والي تلمسان عليا ابن عمر بن عبد المومن يستدعيه لمائدة شراب يوم الجمعة فقال :

اليوم يوم الجمعة ★ يوم سرور ودعة
وشملنا مفترق ★ فهل ترى أن نجتمع
فأجابه ابن عمه :

اليوم يوم الجمعة ★ وربنا قد رفعه
والشرب فيه بدعة ★ فهل ترى أن ندعه
لاشك ان مثل هذا التحدى من أمير بجاية في وسط فقائها يترك أثرا سيئا في أوساط الفقهاء وبالخصوص عبد الحق الاشبيلي الذي كان من أكبر الزهاد وهو الذي كان يردد قوله :

وماذا أؤمل أو أرتجيه
و قد جرت سنا على أربعين
ولو كان عقلي معي حاضرا
سمعت لعمرى منها أنينا

حيث الالتزام بضروريات الطالب والاستاذ وشروط الالتحاق بهذه المعاهد واما من حيث الدراسة فكانت مسجدية - حلقات - والمواد التي تدرس فيها بلغت في بعض الاوقات ما كان يدرس في جامعتي الزيتونة والقرويين ، ظهرت هذه المعاهد في كامل جهات القطر في الراشدية ، وكانت مشهورة بالتخصص في الفقه والتوحيد وفي تواحي تلمسان وسطيف كمعهد قجال ووادي بجاية والقبائل الكبرى ، وستحدث عنها بعز يد من التفصيل في القسم الثالث والاخير من هذه الدراسة ، وقيل أن نتعرض للحديث عن خزائن الكتب نواصل تنمية الحديث عن تطور الثقافة في عهد المدارس ومساهمة علماء بجاية وتلمسان في ذلك التطور الذي اثمرت اليه في آخر دراسة القسم الاول من هذا الحديث وقد اعترف لهم به جميع من اهتم بدراسة هذا الموضوع منهم المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون وأحمد المقرئ التلمساني ، أحدثت دولة الموحدين أول ظهورها رجة في العالم الاسلامي وفي المغرب العربي والاندلس بالخصوص ، رجة شبيهة بالرجة التي أحدثتها دولة العبيديين الشيعة ، كان من الاقدار أن بجاية التي آوت المهدي بن تومرت أيام محنته ، وضعفه هي التي كانت مسرحا للثورة على تعاليم المهدي بعد انتصاراته واحتلاله البلاد ، كان فقهاء بجاية كما تحدثنا عنهم في القسم الاول من هذا الحديث تكون أغلبيتهم من اللاجئين الاندلسيين الذين شاهدوا ما لحق بلادهم في أيام ملوك الطوائف من الذل والهوان وتفكك الوحدة ، ثم رأوا انقاذ الفاتح العظيم يوسف بن تاشفين للبلاد

وكان يقول :

وهذه النفس لها حاجة
و العمر عن تحصيلها يقصر
و كلما تزجر عن مطلب
كانت به أهيم اذ تزجر
و ربما ألفت معاذيرها
لو انها يا ويحها تعذر
و ناظر الموت لها ناظر
لو انها تنظر اذ ينظر
و زائد الموت له طلعة
يبصرها الاكمه و الابصر
و روعة الموت لها سكرة
و مثلها من روعة تسكر

و بين أطباق الثرى منزل
ينزله الاعظم و الاحقر
يترك ذو الفخر به فخره
و صاحب الكبر به يصغر

ثم ان عبد الحق هذا زيادة على ما اشتهر به من
الزهد والورع كان ينفي الانسانية على الجاهل
اذ هو القائل (18) :

اذا أنت لم تعلم ولم تتعلم
و كنت امرا عما يراد به عم

فكن صورة قد اكمل الله حفظها
من الشكل والتخطيط واللحم والدم
ولا تك انسانا فما أنت منهم
وان كنت لم تعلم بذلك فاعلم

كان معظم فقهاء بجاية على هذه الحالة وقد بقوا
ممتازين عن معاصريهم بالزهد والورع الى أواخر
القرن التاسع فمن ذلك ما ذكره الشيخ محمد
الحواري دفين وهران اذ تخرج على أحمد بن ادريس
- استاذ عبد الرحمن بن خلدون - وتلميذه عبد
الرحمن الوغليسي في أواخر القرن الثامن فوصف
بجاية (19) - على عادته - بأبيات من الشعر
الملحون فقال :

لو وصفت لك ماريت في بجاية وهي هيا
بلد الورع والعلم وترابي حقيقيا الخ

ويقول الشيخ عبد الرحمن النعالي دفين الجزائر
في بجاية التي زارها في رحلته لطلب العلم (20)
« . . . ثم تناهت بي الرحلة الى بجاية فدخلتها عام
اثنين وثمانمائة فلقيت بها الائمة المقتدى بهم في
علمهم ودينهم وورعهم أصحاب الشيخ الفقيه الزاهد
الورع أبي زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي
وأصحاب الشيخ أبي العباس أحمد بن ادريس وهم
يومئذ متوافرون أهل ورع ووقوف مع الحدود
لا يعرفون الامراء ولا يخالطونهم وسلك اتباعهم
وطلبتهم مسلكهم رضى الله عنهم أجمعين » . ولم يكن

(18) هذه الابيات المذكورة موجودة في ديوان عبد الحق الاشبيل المخطوط بغزاة القرويين والذي أملاه نفسه على ناسخه بجامع
بجاية

(19) من ترجمة الهواري الموجودة في كتاب - روضة السرين في التعريف بالاشياخ الاربعة المتأخرين - لابن سعد الانصاري
التلمساني دفين مصر ، والهواري توفي سنة 843 بوهران

(20) هذه الفقرات منقولة من فهرس الشيخ النعالي ذكر فيها رحلته العلمية وترجمته

علما، بجاية كما اتهمهم خصومهم الموحدون بأنهم صورة مصغرة من فقهاء قرطبة بل كان الكثير منهم ينتصر للموحدين في مواقفهم كأبي الفضل بن النحوي دفين قلعة بني حماد فانه صادقه الحال بالمغرب لما أمر ملوك المرابطين الفقهاء باحراق احياء علوم الدين للغزالي وحلفوا المتهمين بكسبه ، فانه أفتى بعدم لزوم تلك الايمان . ثم كان يصرح بأنه نسخ احياء علوم الدين وتمنى «انه لم ينظر في عمره سواء» .

انتصر فقهاء بجاية على الموحدين مثل ما انتصروا على من قبلهم . الا انهم في هذه المرة كانت هذه المعركة مبدأ معركة أخرى في صفوف الفقهاء الذين انقسموا الى مجددين ومحافظين أو انصار المتقدمين وانصار المتقدمين . يقصدون بأنصار المتقدمين المتبعين لمذهب الفرابي وللمتأخرين الرازي . وقد علمنا ان الموحدين بعد وفاة يعقوب المنصور الذي تجرأ في عهده على احراق كتب الفروع وحاكم عدة علماء منهم ابن رشد ثار عليه الرأي العام حتى أن ولده المأمون التجأ الى الوسيلة الوحيدة لارضائه وهي تصريحه من أعلى منبر جامع مراكش - عاصمة دولة الموحدين - وقال : « أيها الناس لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالقوى المذموم ، فانه لا معصوم الا الانبياء ، ولا مهدي الا عيسى . وانا قد نبذنا أمره النحيس » الخ .

أمكن للفقهاء الانتصار على مخالفيهم وخصومهم الموحدين ، ثم على الفقهاء المحافظين المنتصرين لفقهاء قرطبة . وبفضل الانتصار الاخير هذا تطور الفقه وماشي الحضارة واعترف الباحثون ان الانتصار

في هذه المعركة يرجع فضله الى علماء بجاية وتلمسان وكان من الصدف أن العلامة المرحوم مفتي الديار التونسية الشيخ محمد الفاضل بن عاشور نشر قبل وفاته بقليل دراسة قيمة في هذا الموضوع في «مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق» سنة 1389 هـ - 1969 م. وهذه الدراسة يظهر أن الشيخ المرحوم استمدحها من «أزهار الرياض» لاحمد المقرئ التلمساني (ج 3 ص 21) نشر المعهد الخلفي للبحاث المغربية) تحت عنوان « صناعة التأليف بالمغرب» قال بعدها : «ولقد وقفت في بعض التعليلات لاحد المتأخرين على كلام في صناعة التأليف رأيت أن أجلبه جميعه لما فيه من ذكر بلاغة القاضي عياض » الخ . وتبين من المقال الطويل أن صاحب التعليل من علماء القرن التاسع .

أما الشيخ الفاضل فانه عنوان دراسته القيمة « بالثقافة الاسلامية في المغرب » وبعد أن بين موقف فقهاء قرطبة في عهد المرابطين وذكر «ان المجتمع الاسلامي بالمغرب العربي قد أحس بوطة الضغط الشديد الذي ضيق عليه الانفاس في ما أحاطت به من هيكل جسمه قبضة حكم المرابطين» وان كان الشيخ يفرق بين عمل المرابطين السياسي الذي «أنقذ الاندلس ووحدها وضمها الى مملكة الاسلام في المغرب الاريقي» وعمله في الحقل العقائدي «الذي زاد في الحسرة التي امتلكت القلوب من جراء الفتنة الاعتقادية التي أبعدت المجتمع عن تحقيق مثله العليا» ويذكر ان الذي قام بالثورة الفكرية وكان له الفضل في القضاء على فقهاء قرطبة هو الامام المازري الذي «كانت خلق دروسه منابع فياضة

الدين الرازي ودرج على طريقته في الجمع بين العقليات والنقليات على الأسلوب التعليمي الراقى، ثم يذكر أن هذه الطريقة أى طريقة الرازي كان من يتابعها بتلمسان العلامة الشهير امام التعلاليم والرياضيات ابي عبد الله (21) الابلى التلمسانى - المتكون فى حكمته التجريبية على طريقة ابن رشد - فتواصلت طرق التخرج على منهج النظر الحكيمى فى التكاليف الدينية بين أقطار المغرب فى شمال افريقيا والاندلس فظهر من أعلام تلك الطريقة أعلام درسوا الفقه بالتعقيد والمقارنة وربط الفروع بالاصول مثل الامام ابي عبد الله المقرئ التلمسانى (خريج المدرسة التاشفينية) والامام ابي اسحاق الشاطبى الغرناطى (تلميذ المقرئ) والامام العلامة ابي عبد الله العلويتى الشهير بالشريف (مدير المدرسة اليعقوبية) التلمسانى الذى عد من أهل الاجتهاد.

وبعد أن يذكر أحداث المغرب فى ذلك العهد كسقوط بعض بلدان الاندلس واستفحال الازمة الاقتصادية بسبب فتح طريق الهند البحرى «كان القرن التاسع قرنا وضع فيه الفقه المالكى من جديد على بساط النقد والتحيص حيث دخل فى مقاييس الاختيار والترجيح مقياس جديد : هو مقياس الفتوى والعمل» ثم يذكر الفقهاء التلمسانيين مثل العقبانى الذى نشر فتاواه تلميذه يحيى المغيلى المازونى فى «الدرر المكنونة فى نوازل مازونة» وابن

بالتوجيه الى العمل الايجابى فى سبيل حماية الحرية الدينية والحفاظ على شعلة الحكمة الكلامية العالية التى كادت حركة المرابطين أن تطفىء نورها، ثم يتعرض لظهور المهدي ابن تومرت ويرى « أن الحكمة الدينية المتمثلة فى المهدي بن تومرت عند ما انتصرت على المرابطين وادالت دولتهم ، كان ذلك الانتصار رافعا لحاجز كان قائما فى طريق تقدم الحكمتين وحائلا دون تواصلهما» ثم يذكر الاعلام الذين ظهروا بالمشرق والاندلس ويحلل آراءهم وتأليفهم ويذكر منهم ابن الحاجب الذى كان لتأليفه «المختصر» صدق فى المشرق وعند ظهوره وانتشاره عكف الناس عليه و«هجر دارسو الفقه طريقة المدونة وتهاذبها وشروها» الى أن يقول : «وكان طريق اتصال مختصر ابن الحاجب الفرعى ببلاد المغرب العربى ان الشيخ ناصر الدين الزواوى من فقهاء بجاية ارتحل الى المشرق فى اواخر القرن السابع فلقى تلاميذ ابن الحاجب بمصر وتخرج عليهم فجاء معه بمختصر ابن الحاجب ونشره فى تلاميذه ببجاية . ومن هناك انتقل الى عامة أقطار المغرب العربى فعكف الفقهاء على دراسته وشرحه واعتنى به كبار فقهاء تونس ، مثل ابن عبد السلام وابن هارون وابن راشد وفقهاء تلمسان مثل ابى اسحق الامام» ثم يذكر «ان منهجا جديدا فى الدراسة العلمية قد ظهر فى البلاد التونسية وهو منهج القاضي ابن زيتون المتخرج على تلامذة الامام فخر

(21) سمعت فى هذا الشهر سلسلة محاضرات لعلماء جامعيين من الرباط اذاعوها فى - احاديث الظهرة - تعرضوا فيها للنهضة الثقافية فى القرن الثامن وذكروا جل علماء تلمسان وبجاية الذين ذكرهم المقرئ والشيخ الفاضل وقد رجعوا الفضل فى الدراسات الفلسفية لابي عبد الله الابلى هذا وان ابن خلدون نفسه استفاد منه كثيرا

ابن الامام تلميذه الامام أبو عبد الله الشريف .
وانتهت طريقته لولده أبي يحيى المفسر العالم
واستقرت أيضا طريقة ابن الامام في تلميذه سعيد
ابن محمد العقباني (التلمساني) وانتهى ذلك الى
ولده شيخنا أبي الفضل قاسم العقباني رحمهم
الله جميعا اه كلام المقرئ

ثم قال : «قال ابن خلدون ولمن ذكرنا من أهل
المائة الثامنة انتهت طريقة التعليم وملكة التلقى»
يعنى بذلك الشريف والعقباني زحمهما الله قال :
لكونهما ألفا التصانيف البعيدة وزاحما رتبة
الاجتهاد من غير منازع . قلت وكذلك بلغ رتبة
التبريز في تحصيل العلم كل واحد من ولديهما :
الفقيه السيد أبو القاسم بن سعيد والفقيه الواحد
السيد أبو يحيى الشريف اذ بلغا درجة الامامة
والفتيا . ومنهم شيخنا الامام الحافظ المجتهد
صاحب التصانيف المفيدة أبو عبد الله محمد بن
مرزوق (التلمساني دفين تلمسان تلميذ ابن خلدون
واستاذ عبد الرحمن الثعالبي) قلت : انما اقتضت
على ذكر هذين الشيخين - كان ذكر قبل ابن مرزوق
الامام البرزلي تلميذ ابن عرفة - الامامين لما لهما
على من المشيخة ولشهرتهما بالتأليف التي تقوم
مقام الشاهد لما قلته حتى نبعد عن شبهة التعصب»
انتهى كلام المقرئ

ثم قال المقرئ فيما نقله «واما ملكة العلوم النظرية
فهى قاصرة على البلاد المشرقية ولا عناية لحذاق
القرويين والافريقين الا بتحقيق الفقه فقط ولم

مرزوق الحفيد - الذى سما فى فقهه الى أفق تحرير
الافكار وابتكار الانظار - وقد «درس الفقه الشافعى
فى تلمسان بكتاب النبى لابی اسحاق الشيرازى ،
و«الوجيز» للغزالى ، مع انه لم يكن يتلمسان شافعياء
ثم يختم دراسته القيمة بالاشادة بكتاب المعيار
للونشريسى وهو فى أسفار ضخمة يتبين لمصنفه
- عند ما يقابله - بجواهر ابي شاس أو بمختصر
ابن الحاجب . كم استطاع النظر الفقهي فى هذا
المغرب أن ينتج من تطور ويظهر من حيوية . لما
عدل عن المنهج الالتزامى وسار على المنهج التصرفي
الذى فتحه ابن رشد ومهده ابن عرفة وتلاميذه وأقام
أعلامه الونشريسى فى المعيار اه كلام الشيخ
الفاضل .

وقال المقرئ فى الموضوع مما نقله عن «بعض
التعاليق لاحد المتأخرين» بعد أن ذكر ما امتازت
به تأليف المشاركة والمغاربة ووازن بينهما قال :
«والعلة فى ذلك كون صناعة التعليم وملكة التلقى
لم تبلغ فاسا كما هى بمدينة تونس . اتصلت اليهم
من الامام المازرى (22) كما تلقاها عن الشيخ
اللمخى وتلقاها اللخمي عن حذاق القرويين - يقصد
علماء القيروان - وانتقلت ملكة هذا التعليم الى
الشيخ ابن عبد السلام مفتى البلاد الافريقية
وأصقاعها (وابن عبد السلام هذا هو الذى أخذ عنه
ابو عبد الله الشريف التلمساني وقيل انه كان
يأخذ عنه بدوره مؤلفات ابن سينا وتلاخيص ارسطو
لابن رشد) واستقرت تلك الملكة فى تلميذه ابن عرفة
وفى الشيخ ابن الامام التلمساني . ونجب من طلبة

(22) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري الصقلي توفي سنة 536 هـ عن ثلاث وعشرين سنة

مدة على عدة كتب من ضمنها «تاريخ سليمان بن اسحاق المطاطي وتاريخ هاني بن يصدور القوصي وتاريخ كهلان بن أبي لؤي الاوربي في أنساب البربر وإياهم في الجاهلية والاسلام لانهم كانوا نسبة البربر»

كما ذكر الزياني عدة كتب لمؤلفين جزائريين ضاع معظمها ، ثم نجد الخزائن التي اشتهرت في الجزائر الخزانة التي أسسها الملك أبو حمو موسى الثاني بالجامع الاعظم وكل ما بقي من آثارها لوحة على حائط المسجد فيها تاريخ تأسيس هذه الخزانة وكان الملك ابو حمو هذا من كبار العلماء والف كتابه الشهير «واسطة السلوك في سياسة الملوك» (24) وهو من باب الوصايا التي ذكرناها في أول الحديث كتبه وصية لولده ابي تاشفين الثاني وقال الزياني : لما اطلع عليه في تلمسان «وجهه هدية لسلطان الاندلس ومدحه فقهاء الاندلس وعجبوا من سياسته وأدبه وحسن صنيعه ، ذكره ابن الخطيب في الاحاطة، الخ .

كان الملوك يتبارون في التأليف ، وتسخر الكتب بخطوطهم وقد كتب الملك أبو الحسن المريني ثلاثة مصاحف أهداها الى الحرمين وبيت المقدس ، وحبس على قرائها أحباسا هائلة ، وقد شاهد أحمد المقرئ المصحف المحبس على بيت المقدس وكذلك اشتهر كثير من ملوك بني زيان بنسخ الكتب منهم الملك أبوزيان الذي تولى المملكة في أواخر القرن الثامن قمازال مصحف من مصاحفه التي نسخها

يزل الحال كذلك الى أن رحل الفقيه ابن زيتون الى المشرق فلقى تلاميذ الفخر بن الخطيب ولأزمهم زمانا حتى تمكن من ملكة التعليم وقدم الى تونس فانتفع به أهلها وانتهت طريقته النظرية الى تلميذه ابن عبد السلام المذكور واستقل تلميذه ابن عرفة بعده بتلك الطريقة وكذلك أبو عيسى موسى بن الامام التلمساني المذكور ، ولهذا نجد العلوم النظرية بتلمسان» .

نقتصر على هذا القدر لتبين ان دراسة المرحوم الشيخ الفاضل استمدها من «ازهار الرياض» وأفرغها في بوتقة بيانه الساحر وان علماء تلمسان وبجاية كانوا في مقدمة علماء زمانهم من قيادة الفكر في العالم الاسلامي .

خزائن الكتب :

ان مركز الكتاب في البلاد الاسلامية كان ايضا المسجد ، فالامام مالك صنف كتاب الموطأ في مسجد المدينة والامام الشافعي صنف كتاب الام في مسجد القسطنطين وابن حنبل مسنده في مساجد بغداد والخليل بن أحمد ألف كتاب العين في مسجد البصرة وأتمه في جامع دمشق ، وقد اشتهرت الخزائن في الجزائر ووصف بعضها كثير من الرحالين كعبد الرحمن الجامعي الفاسي عند مازارها حوالي 1120 هـ وابن زاكور الفاسي في أواخر القرن الحادي عشر والزياني (1147 - 1249 هـ) ، (23) الذي اطلع بنفسه عند مازار تلمسان وأقام بها

(23) أبو القاسم الزياني - الترجمة الكبرى في اخبار العمود برا ويحرا - نشر وزارة الاعلام بالمغرب 1387 هـ - 1967 م

صفحة 144
(24) طبع هذا الكتاب في تونس سنة 1279 هـ وفي الاستانة سنة 1295

كما اشتهرت اذذاك خزانة اسرة المقرئ المتحدث عنه في هذه الدراسة في ترجمة اسرته الذين اشتهروا بتأسيسهم لاول شركة تجارية قال «فخرجت أموالهم عن الحد . وكادت تقوت الحصر والعد . . ولما درج هؤلاء الاشياخ جعل أبناءهم ينفقون ما تركوا لهم ولم يقوموا بأمر التثمين . . . فها أنا ذا لم أدرك من ذلك الا أثر نعمة . اتخذنا فصوله عيشا . وأصوله حرمة . ومن جملة ذلك خزانة كثيرة من الكتب » . ثم اشتهرت في الجزائر مكتبة الجامع الاعظم المالكي التي كانت شبه مكتبة خاصة . اما الخزانة العامة الدولية فكان مقرها بالجامع الجديد الحنفي مركز شيخ الاسلام الحنفي . ونجد في بعض الوثائق التاريخية قائمة بعض الكتب اشتراها ناظر احباس الجامع المالكي الشيخ سعيد قدورة من ريع الحبس الفاضل على مصاريف المسجد ومن بين هذه الكتب «شرح الامام العيني لصحيح البخاري» في ثلاثة أسفار اشتراه «بألف دينار واحدة واربعمئة دينار» والنسخة المشهورة بالخروبية في عشرين جزءا مكتوبة في الرق «سبعمئة دينار» وهذه النسخة كان يملكها العلامة محمد بن علي الخروبي (25) امام الجامع المالكي . وقد كتب عليها بخطه سماعات نقلها من نسخة قديمة كانت من أملاك المسجد يرجع عهدها الى أوائل القرن الخامس أي عليها خط واجازة محمد بن أحمد بن محمد الهروي امام الرواة ومن عليه المدار في رواية البخاري

بيده موجودا بتونس . وقد نسخ عدة نسخ من صحيح البخاري مازالت بعض الابيات كتبها على نسخة صحيح البخاري يتناقلها الناس وهي :
أحق يد تحوز مدى الفخار
يد نسخت احاديث البخاري
فقد عنيت يداي به جميعا
وان اربى اليمين على اليسار
فهذا ممسك طرسا و هذا
بطرف براعة في الطرس جار
و اخذمت الجوارح فيه طرا
مواصلة العشى بالابتكار الخ .
وهي قصيدة طويلة .

وقد مدح هذا الملك شاعر البلاط الثغرى فقال في الموضوع :

لئن كان بحرا في العلوم فان في
بنان يديه للندا أبحرا عشرا
له بكتاب الله أعني عناية
و بالسنة الفراء هو المفرم المفرا
فما همه الا كتاب و سنة
بنسخها قد أحرز الفخر والاجرا
فنسخ كتاب الله جل جلاله
و نسخ البخاري ضامنا له النصرا
كان هؤلاء الملوك يستخدمون الخطاطين المشهورين من الاندلسيين التي مازال بعضها الى يومنا هذا .

(25) محمد بن علي الخروبي كان اماما بالجزائر في أوائل القرن العاشر ولما توفي حسن بن خير الدين باشا استعمله في السفارة الى المغرب مرتين اجتمع خلالهما بعلماء المغرب وولعت بيته وبينهم خلافا وتبذلت رسائل وتآليف تعرض لها علماء التراجم والسيرة فكانت سبب شهرة الخروبي وقد ترك تأليف قيمة وتوفي بالجزائر حوال سنة 963

زرقة الدحاوي صاحب «الرحلة القمرية في الاخبار المحمدية» التي سجل فيها حرب وهران ، قال متحدثا عن الباي محمد بن عثمان المذكور «فكان من سابغ فضله أن زودني من خزائن كتبه عمرها الله تعالى بطول عمره ودوام منصبه ما استظهر به عليه ما أنا بصده فكان كالدليل المعين على السفر الخ.» وكانت خزانة المؤرخ أبي راس بأم عسكر التي قال عنها في رحلته «ثم اني أختتم هذا الباب الابدع بما مدحت به مصريتنا التي هي بيت المذاهب الاربعة وهذه مكتوبة في بيت كتبنا في يهوها بخط بعض تلامذتنا :

فلله قبة يعز نظيرها
و يهوها قد حاز المباهي مباها
تقول لمن يأتي لها متنزها
تأمل جمالي تستفد شرح حالها
بنيت لخدمة العلوم و بنها
لمن يروح تحوى ومن هو غاديا

الخ . .

ثم كانت خزانة الشيخ عبد القادر بن يسعد البرذعي دفين قرية الدبة قرب قلعة هواة (غيلزان) كان صاحبها من علماء القرن العاشر فتخرج من مجاعة على الشيخ محمد بن علي شيخ سعيد قدورة. كان هذا العالم يستكتب اللاجئين الاندلسيين للنسخ وقد أسس هذه الخزانة وشحنها بأمهات الكتب

(355 - 435 هـ) كان مجموع ما انفقه ناظر الاحباس في شراء كتب اسرة الخروبي وبناء واصلاحات المدرسة والكتاب ودار العجزة من طلبية العلم (التي تحدثنا عن وثيقتها عند الحديث على مدارس العاصمة) 37.302 دينار جزائرية خمسينية العدد.. وذلك في أوائل شهر ربيع الاول عام اثنين وخمسين وألف هـ يذكر ابن رجب الجزائري المشهور بآين المفتي في مذكراته التي ترجمها دقول الآنف الذكر نشرها بالمجلة الافريقية كما نشر بعض فصولها الشيخ عبد القادر نور الدين انه لما هاجم العدو الجزائر بعد موت الشيخ سعيد قدورة وهدموا السور الخارجي للمسجد الاعظم نقلت الكتب الى برج مولاي حسن خارج الباب الجديد ودام هذا النقل ثلاثة ايام على الابل - والهجوم المذكور وقع سنة 1071 هـ - 1661 من الانكليز - والذي يلفت النظر هنا هو قيمة الكتاب اذذاك والاهتمام به . وهذه المصاريف صرفها المفتي الناظر للاعباس من الفاضل على مصاريف المسجد المذكور الذي كان عدد موظفيه يربو على الخمسين موظفا منهم ثلاثون مدرسا وبقي عدد هؤلاء الموظفين الى ما بعد الاحتلال الفرنسي فحاولت الحكومة تغيير نظام حبس الجامع فتعرض لها المفتي مصطفى ابن الكبابطي (26) وذلك سنة 1843 فالقت عليه القبض ونفته (واختار الإقامة بالاسكندرية الى أن توفي بها)

ثم اشتهرت خزانة الباي محمد المصطفى بن

(26) ذكر دقو في تاريخ الجامع الاعظم المالكي : - انه لم يتغير فيه شي. مدة ثلاث عشرة سنة وفي ماي 1843 عسا المفتي ابن الكبابطي اوامر الحكومة علانية فالقي عليه القبض وابعد الى فرنسا وأعتنمت الحكومة هذه الفرصة لتغيير نظام المسجد المذكور واتخذ الوالي العام قرارا مؤرخا في 4 يونيو 1843

الذي نهب دار النشرى وكان سببا في هجرته الى المغرب وذلك سنة 874 هـ .

كما اشتهرت مكتبة الشيخ سعيد قدورة الى أن بيعت منذ أربعين سنة ، وما زالت بعض الكتب من عهد جامعها ومؤسسها قرئت عليه ، وكذلك بعض مؤلفات ابن أبي محلي كان أهداها له عند اجتماعه به وتداخله في الخلاف الذي كان بينه وبين الشيخ عبد القادر بن محمد بن سليمان بن سماعة المشهور بالشيخ - مؤسس أسرة أبناء سيدي الشيخ المشهورين بثورة 1864 -

يمتاز الكتاب المخطوط الجزائري انه كثيرا ما كان يتخذ سجلا للولادات والوفيات للأسرة ولاعيان العلماء والاحداث الهامة ، أما الولادات فان معظم من سجلوا ولادات الأسرة الا ويلحقونها بهذا الدعاء أو الامنية وهي : انه ولد له ولد سماه فلانا وهو يرجو أن «يجعله الله من العلماء العاملين» ولم نجد من طلب غير العلم مع كثرة هذه التسجيلات كما يذكرون فيه عقود الزواج والصدقات وقيمة الشورى والتحييس والاجازات ان كان الكتاب للمؤلف وما ترتب في ذمته ان اشتراه ديناً ، ومن ذلك ما سجله العالم الاديب محمد اقوجيل (27) تلميذ الشيخ سعيد قدورة الذي اشترى كتاب «فتح الباري» على شيخه المذكور فسجل على ظهر النسخة المشتراة هذه الايات :

وقد بقيت هذه الخزانة رغم وجودها في بادية منقطعة محتفظة ببعض ما تبقى على طعم الارضة والاهمال والنهب عليها خط المؤسس وتعليقه كما احتفظت ببعض كتب نسخها اللاجئين الاندلسيون ومن أهم ما كانت تحتفظ به هذه المكتبة وعثر عليه منذ خمس سنوات كتاب «الدرر المكنونة في نوازل مازونة» منقول من نسخة المؤلف وعليه تقريظ للعلامة الشيخ أحمد بن يحيى الوئشريسى صاحب المعيار قبل هجرته الى المغرب ويمتاز هذا التقريظ الذي نقل من خطه انه ترجم فيه لصاحب الدرر المكنونة ترجمة وافية اذ ان كل التراجم الموجودة في «ذيل الديباج» و «البستان» لم تذكر في ترجمته الا سطورا قليلة كما ذكر الوئشريسى انه تلميذ للمؤلف وان سبب انتقال المؤلف ابي زكرياء يحيى بن موسى المظلي الى تلمسان باستدعاء الملك الزياني المتوكل «حين اورد هذا الشيخ المذكور حضرته العلية صحبة ركابه وجعله أحد مشيخته الاعلام المشاورين بقصره المنصور وعلى بابيه وهاهو الآن بها يقرى ويفيد ويعيد» وهذا التقريظ مؤرخ عام 871 هـ . وكان معظم من ترجم للوئشريسى لم يطلعوا على علائقه بصاحب الدرر اذ نجد في ترجمته لاحمد بابا في «ذيل الديباج» عند ما يذكر مصادر فتاوى المعيار «قلت اما فتاوى افريقية وتلمسان فاعتمد في ذلك على نوازل البرزلى والمازونى فيما يظهر لمن طالعهما الخ ، والملك المتوكل هذا هو

(27) هو محمد بن محمد بن علي اقوجيل قرأ بالشرق ولقى العلماء ، وكان ادبيا ترجمه محمد بن ميمون الجزائري في - التحفة الموضعية في الدولة البكداشية - وذكر قصيدته التي وجهها سنة 1067 لباشا الجزائر فيها نصائح وتعرّض على محاربة الاسبان الذين كانوا في وهران ، توفي سنة 1080 هـ

الحمد للمهيمن المعين
على اداء ثقل الديون
و بعد فالتقصدي بندي الابيات
تذكيرة خشية امرياتي
في ذمتي لشيخنا العلامة
حاروي العلوم صاحب الامامة
بالجامع الاعظم بالجزائر
عم نداها تاويا و زائرا
و هو سعيد نجل ابراهيم
لا زال في سعادة مقيما
ستون بيضا من كبار ما ضرب
بصنع روم للريال تنتسب
ترتبت على باختيارى
من اشتراي منه فتح الباري
و اجل الدراهم المذكورة
الى انقضاء سنة موفورة
و مبدا العدد من شوال
من بعد ستين من الاحوال
سنة من بعد الف ماضية
بعون ربنا اكون قاضية

ثم نجد خزانة آل ابن الفقون بقسنطينة التي
اشتهرت من اوائل القرن السادس في عهد عالم
الاسرة واديبها الشهير ابي علي حسن صاحب
الرحلة المنظومة التي ضمنها سفره من قسنطينة
الى مراکش ، اما بجاية فانها كما نعلم جميعا

(28) مكتبة ابي الحبال كانت بيت للخزانة المذكورة بعد وفاته

اصيبت بالاحتلال الاسباني الذي اشتهر بانه كان
اشد خطرا على الكتب العربية من المغول والبتار
والصليبيين الاولين ، وقد عرفنا مصير الكتب بعد
سقوط غرناطة وبتونس كما ذكر ذلك بتفصيل
صاحب المؤنس وكتب الله النجاة لبعض كتب
بجاية بفضل اللاجئين الاندلسيين الذين أسسوا
المعاهد بوادي بجاية وبنى يعلى وتمقرا فانقذوا
الكثير منها كما انقذت مؤلفات عبد الحق الاشبيلي
ومنها ديوانه الذي ذكره صاحب عنوان الدراية
وكان مفقودا بعد ذلك فقد احتفظت به خزانة
القرويين العامرة كما احتفظت بجل تأليفه الا
«العاقبة» فانها بقيت ببجاية الى أن اشتراها المرحوم
الشيخ أبو الحبال (28) مفتى بجاية وهي الآن
بالمكتبة الوطنية ضمن كتبه ، أما ديوان عبد الحق
فقد أملاه على ناسخه حيث يقول : «أنشدني الفقيه
الحافظ الزاهد الامام المحدث الخطيب أبو محمد
عبد الحق الاشبيلي بجامع بجاية سنة ست وسبعين
 وخمسائة » الخ

ولم تكن الكتب مقصورة على الملوك والعلماء فقد
سار داء عدواها الى رؤساء الاقطاع الذين كانوا
يحبون أن يتشبهوا بالملوك في كل شيء فقد
عثرت على نسخة من مختصر ابن ابي جمره يقول
ناسخها : «نسخه بيده الفانية للخزانة العلمية
العلية خزانة أميرنا ومولانا أبو عبد الله محمد
الصخرى بن أحمد الشريف أيدهم الله بنصره
وأدام حياته حصنا متينا لاهل طاعته وذلك في
مجانة سنة 1099 هـ»

واسمحوا لي أن أختتم حديثي بالكارثة العظمى التي أصابت الجزائر عند ما فقدت خزانة الأمير عبد القادر بواقعة الزمالة في طاقين ، إذ أن الأمير عبد القادر علاوة على مركزه السياسي كان شغوفا بالكتب حتى أن أول فرنسي زاره لمسكر بعد معاهدة دوميشال سنة 1835 ووصف انطباعاته اثر هذه الزيارة ذكر انه «وجده جالسا في مكتبه الخاص الذي هو عبارة عن بيت صغير له نافذة وعند ما دخل عليه وجده واضعا على يمينه ويساره نحو الاربعين مخطوطة كلها مجلدة » وهذا الكاتب هو TARTAREAU الذي نقل عنه الاستاذ امريت في كتابه : « الجزائر في عهد الأمير عبد القادر »

والحديث عن خزانة الأمير وبعض نوادر المخطوطات التي استنسخها أو اشتراها أو أهديت له سنتحدث عنها في المحاضرة المقبلة .

والصخرى هذا هو رئيس قبيلة الذواودة الذي ثار على الأتراك وقد سجل ثورته الأديب محمد بن راس العين في رسالة كاتب بها الخلافة بالاستانة قال فيها - يصف الجزائر - « قبلدتنا هذه ذات بساتين وأنهار ، وأصوات وأطيار ، وغدران وأشجار ، وآصال وأسجار ، وأعياد ومواسم ، وثغور وبواسم ، ونفحات ونواسم ، وجهاد وملاحم ، وكرات ومزاحم ، مشائخها تقاة ، وكهولها ثقات ، وولداتها طفاة ، وعساكرها غزاة . . . والآن ضعفت الرعية ، فعظمت البلية ، وحلت الرزية ، وضاق المعاش ، لما كثرت الاوباش ، وضاعت الفقراء ، اذ حارت الامراء ، وعظم الخطب ، وتضاعف الكرب ، ونقص العيش طاغية من طواغى البادية ، فعظم الخطب وحلت الداهية . . » وهذا الطاغية الذي نقص العيش هو صاحب « الخزانة العلمية العلية » .



كلمات

الخطاط العربي

يفوق الفنان

فن الكتابة ملتصق بتاريخ الحضارات حتى أن علماء الآثار يربطون ظهورها في بيئة معينة مع دخول هذه البيئة الأحداث التاريخية ، إذ أن للكتابة أولا فضل التدوين فهي ذاكرة المجتمعات. إن صورت (الهيرغليفية) وإن نقشيت (المسمارية) وإن كتبت الاصوات (الابجدية) تظل أبدا صاحبة دور وظائفى ذى صلة بيوميات الإنسان . وتمتزج مع قيمه وواقعه ، فتتداخل فى أسلوبه التعاطفى العيش حتى الذوبان ضمنه . فكل مجتمع « يكتب » كما يتصرف الحياة . كما يؤمن ويحب ويأكل ويموت كما ينجح فى بناء ثوابت حاضره وفى تطوره لهذا الحاضر الى النهاية .

لذا احتلت الكتابة واجهة الفنون فى الايام السابقة للطباعة ، فالفنان الاول (بعد العمارى) هو الخطاط ، بخاصة فى المجتمعات حيث اقترن الخط بالمقدسات ومن هؤلاء العرب ، حيث أخذت الكتابة العربية وجه (ذاكرة المسلمين) غذتها الموانع المتعددة التى أبعدت صورة الانسان ومتمماتها عن فنونهم ، مما رفع من مضمون الخط وساهم فى تعميمه كوسيلة للتعبير عن روحانية الاسلام ثم فى ترويجه أداة زخرفية أنيقة (تجمل وتعلم) .

نجم عن ذلك تجريد يطبع فن الكتابة العربية ، وبعض الرمزية أيضا ، فليس الخطاط رساما ، إن طبقنا عليه المفهوم الغربى ، «الموروث عن مفهوم قدماء اليونان» وليس مصورا إن نظرنا اليه من الزاوية التقليدية ، بل انه فى اطار واقع الحضارة الاسلامية .

الانسان الذى أحيطت وظيفته بهالة محترمة ، ولقد رأى فيه المسلمون من يعطيهم عطر دينهم ويحفظ لهم تراثهم ، ويزخرف مساجدهم ومجالسهم ، وفى ذلك ما يكفى لاعطائه صفة معنوية هى فوق صفة الفنان .

وهوية التجريد التى فى الكتابة العربية ، لاقت تجاوبا منتظرا عند كبار الفنانين الغربيين الذين رفضوا فى مطلع القرن العشرين الرسم التصويرى ، أى أن هؤلاء باختيارهم فى رسومهم التعبير عن مضمون الاشياء لا عن مظاهرها الواقعية تلاقوا مع الخطاطين العرب . ثم أخذ الشكل صفة المقارنة فى المضمون .

ولقد أعجب خطاط الغرب الاول «جورج مايتو» كثيرا بالخط العربى وتحمس بشدة للكتابة العربية ، وعند ما زار بيروت عام 1960 كان يقف طويلا أمام آرمات المحلات ، كذلك العرب الذين درسوا الفنون التشكيلية حسب القواعد الاوروبية فقد توصلوا الى النتيجة نفسها .

عن «النهار»

الموشحات فن أصيل ومتطور

الحديث عن الموشحات حديث عن فن قديم جديد قديم لأن أصوله تعود الى نهاية القرن التاسع الميلادي او بداية العاشر ، انه فن مضى على ابتداعه ألف عام كاملة ، ومازال حيا رقيقا ، اخاذا جذابا ، ينشد ويفنى ويستمتع به الناس .

وجديد لانه يعيش في فكرنا رغم قنمه ، ظاهرة مشيرة وفكرة ملحة ، ولانه في أصوله وطريقة تكوينه لا يفلق الباب على نفسه ، ولا ينطوي متقوقعا بعيدا عن ركب الحياة المتطور ، وانما يفتح بين يدي مبدعيه والمهتمين به ، ابواب التجديد والتجدد واسعة عريضة ، فاذا اغلقناها ، وهي مغلقة الآن حقا ، فلعب فينا ، وتخلف في حاضرننا ، وليس لاسباب تعود الى خصائص الفن نفسه .

د. الطاهر أحمد مكي
استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

الكاثوليكية ، أضاعت اسبانيا لآعوام قليلة ، بتور الاسلام المستعار ، على حد تعبير المؤرخ الانجليز لين بول . ثم تردت في الظلام . نعم كانت لها امجاد أيام شارل الاول ، أو الخامس عند الاسبان ، ثم ابنه فيليب الثاني ، غير ان الاول لم يكن اسبانيا لا عاطفة ولا لغة ولا اقامة ، والثاني بدد كل التراث الاسلامي الذي ورثوه ، طرد المسلمين ، وكأنوا الفنانين والحرفيين وخيار المزارعين ، وبعر كل قوى امته يحارب الاصلاحيين والتقدميين في الاراضي الواطئة وما بعدها ، وينشر الرعب أيا كان اسبانيا ، عبر محاكم التفتيش ، وحتى فيما وراء المحيط الاطلنطي على امتداد العالم الجديد .

في ذلك الوقت حاول المستشرقون الاسبان ان يشاركوا في المعركة ، وعن طريق ما يجيدون وما تخصصوا فيه ، وان تكون مساهمتهم باظهار الدور الذي لعبته اسبانيا الاسلامية في البعث الحضاري الاوربي المعاصر ، وهو دور اسباني يقدر ما هو مسلم ، ويحسب لها في عداد الاضافات العقلية العالمية التي تعتز بها الشعوب .

بدأ هؤلاء المستشرقون يدرسون تاريخ الاندلس بروح جديد ، وعاطفة حنون ، تحت عنوان «اسبانيا الاسلامية» ، وبكل ما يتطلبه البحث من موضوعية وحيدة ، واختفت - على الاقل لزم - من المؤلفات الاسبانية كلمات الاحتلال العربي، والحق ان الاندلس أو اسبانيا بتعبيرنا الحديث ، أصبح شعبا اسلاميا ، مستقلا . ولم يكن مستعمرة عربية تابعة ، بعد فترة لا تتجاوز خمسين عاما من الفتح الاسلامي ، والاسلام

لقد كانت الجزائر من البلاد التي حافظت الموشحات على مكانها فيها ، لم تتراجع ، ولم تندثر ، وان توقفت عندما كانت عليه منذ قرون . ورسالة الذين يقومون عليها بخاصة ، وعلى المسرح الغنائي بعامة ، ان يدفعوا بها الى الامام ، لتكون بمستوى العصر الذي نعيش فيه ، نغما في الموسيقى ، وفكرة في التعبير ، ولن يتاح لنا ان نطور القديم ، وان نصنع منه جديدا مشعا ، الا بدرسه وتمعنه ، لنذكر القوانين الاصلية الباقية فيه ، ونلمس العوارض المتغيرة .

ويقتضيني الاخلاص أن أشير ، اننا في عنايتنا الحاضرة بالموشحات، درسا وتحليلا وتطويرا، مقلدين للاوربيين وتابعين ، فمنذ قرن من الزمان وهذا الفن العربي يشير بين شعوب البحر الابيض المتوسط غير العربية ، نقاشا حادا وعنيفا ، واتسعت دائرته فشملت أمما وشعوبا تقع بعيدا عن مرمى هذا البحر العريق ، شاهد الحضارات الاولى وطريقتها الى التلاقي والتبادل والترابط والتأثير .

ففي منتصف القرن التاسع عشر قال الكسندر ديما Alexandre Dumas (1802 - 1870) ، كلمة قدر لها ان تغير مجرى الدراسات الاندلسية في اسبانيا الى حد بعيد . قال الكاتب الفرنسي في مجال التعريض باسبانيا وتخلفها اذ ذاك ، «ان أوربا تنتهي عند جبال البرانس» . وطبيعي ان كثيرين من الكتاب الاسبان ردوا عليه ، وأمسكوا بخناقه ، غير ان ردودهم لم تتجاوز العاطفة المنفعلة ، لا يدعمها واقع قائم ، ولا ماض تاريخي مزدهر ، فمنذ أن سقطت دولة الاسلام في اسبانيا ، وقامت مكانه

الموشحات فن اصيل ومتطور

متناثر ، وحدثهم أثر ، وخلافتهم تاريخ ، وتوزع المنتصرون بينهم ، ما بقي من عالم العرب غير مستعمر ، وكان هذا مدعاة لان يستكثر قلة من الباحثين الاوربيين انه يبدع العرب ، وهذا حالهم ، فنا يتجاوز حدودهم ، ويقدمون به لغيرهم المثل . كان المنكرون شيئا ، بينهم البرتغالي Rodriguès Leppa والالمانى APPEL والفرنسى JEANROY وآخرين ، والكثرة منهم يجهل اللغة العربية ، وتعرف الاندلس عن طريق الآخرين ، فبنوا نتائجهم على مقدمات خاطئة . أخطاء واضحة ، الهدف منها الإنكار أولا ، ثم البحث عن الاسباب المؤدية له . أما القلة منهم فتعرف العربية ، ومن بينهم المستشرق الاسباني المعاصر غرسية غومت GARCIA GOMEZ ، فأثرت ان تمسك بالتأثير بين يديها ، وان تستولى على فن الموشحات بدل ان تنكر دوره . وانصرفت الى لون آخر من الدراسة . لم يؤد بعد الى نتائج محققة يطمئن اليها الباحثون . اتجاه هذه القلة يرى ان الموشحات أثرت في الشعر الاوربي الوسيط ، ولكن الموشحات بدورها لم تكن وليدة ابداع مسلمي الاندلس ، وانما كانوا فيها عالة على شعر عامي اسباني قديم ، ذهب به الزمان ولم يحفظ لنا التاريخ منه شيئا . ذلك رأيهم ، والى ان نضع أيدينا على هذا الشعر الاسباني القديم ، أو شيء منه ، والذي قلده الوشاحون الاندلسيون ، فيما يزعمون ، يبقى الامر مجرد افتراض لا يقوم عليه دليل .

لا نعرف شيئا كثيرا عن مبدع الموشحات ، ولا عن ظروف نشأته ، والقليل الذي بين أيدينا ندين به لأدبيين من القرن الثاني عشر الميلادي ، هما : ابن

عقيدة تعتنق ، وليس قوة تتسلط ، فكرة تتبع ، وليس جبروتا ينحنى امامه الناس خائفين .

ليس هنا المجال لان نعرض لنتائج كل هذا الصراع الفكري . ولا الحقائق التي أظهرها انصافا لدور الاسلام في الاندلس ، وانما يعنيها منه ، الدور الذي اضطلع به المستعرب الجليل جوليان ريبيرا Julian Ribera ، وهو بلنسي الاصل ،

فقد عكف على دراسة الموشحات ، وأثبت انها كانت النموذج الذي احتذاه الشعر الاسباني والشعر البروفسي . فكلاهما صيغ على نحو ما صيغت عليه الموشحات شكلا ، وتأثر بها صورا وافكارا ، وترك الثاني آثارا واضحة في الشعر الايطالي الوسيط ، وأخرى أقل قوة في الشعر الالمانى ، ثم جاء نيكل NYKL ، المستشرق التشيكوسلوفاكى الاصل ، والمهاجر الآن الى الولايات المتحدة ، فزاد الامر يقينا ، حين عكف على دراسة شعراء التروبادور ، وأثبت ببراهين قاطعة ، انهم كانوا في قصائدهم يحتفون الموشحات شكلا ومضمونا ، وزاد ففتبع آثارها في اللغة الانجليزية ، واكتشف لنا قصيدة انجليزية قديمة أخذت شكل موشحة تماما . ومعه عكف العالم الاسباني المعاصر MENENDIZ PIDAL فدرس القضية في كتاب كامل هو « الشعر العربي والشعر الاوربي » ، وفي موضوعية مستأنية وصابرة ، ووضوح جلي وموثق ، برهن على ان الموشحات . باشكالها وافكارها ، كانت وراء الشعر الاوربي الوسيط بعامة .

انتهى عالم المستشرقين الى هذه الحقيقة فيما بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، وعقد المسلمين

بسام الشنتريني ، وابو عبد الله الحجارى ، ومؤرخ من القرن الرابع عشر الميلادى ، هو ابن خلدون العظيم . كلهم يقرر ان مخترع الموشحة اندلسى يدعى مقدم بن معافى القبرى ، نسبة الى بلدة قبرة ، مدينة صغيرة ما تزال قائمة حتى أيامنا هذه قريبا من قرطبة . وعاش حياته أيام حكم الأمير عبد الله ، والخليفة عبد الرحمن الناصر ، فى نهاية القرن التاسع وأوائل القرن العاشر ، وطبقا لروايتهم فان الموشحات التى اخترعها مقدم كانت تتكون من أدوار ، والدور الواحد يتكون من مركز يتألف من بيت ، تليه الأغصان مؤلفة من ثلاثة أبيات متفقة القافية فيما بينها ، يليها بيت رابع يسمى القفل ، له نفس قافية المركز ، وكما كان يقول شيوخنا القدامى ، بالمثل يتضح المقام ، ومن ثم سوف أذكر الدور الاول من موشع لابن بقى القرطبي المتوفى عام 1145م :

خذ حديث الشوق عن نفسى
وعن الدمع الذى همعا
أما ترى شوقى وقد
وهما دمعى وأطردا
وأغتنى قلبى عليك سدى
آه من ماء ومن قبس
بين طرفى والحشا جمعا

ولا فرق بين الموشحة والزجل فى الشكل والتركيب ، وكل ما هنالك ان الزجل كان يتخذ مفرداته من لغة الشارع ، أو ما اصطلاح على تسميته بعامية أهل الاندلس ، وكانت مزيجا من العربية والرومانية ، ومفردات أخرى من لغات عديدة ، بينما

صيغت الموشحات من اللغة العربية الفصيحة وكانت لغة الدولة الرسمية ، ولغة التعليم والإدارة ، ولغة الأدب فى المجتمع ، ومن يقلدها أو يلوذ بها . ومن جانب آخر كانت الموشحات أكثر احتشاما فيما تعالج من قضايا العاطفة والوجدان ، بينما يعكس الزجل مشاعر غير محتشمة ، فأنحدر احساسا وتعبرا .

الشكل الذى اشرنا اليه من قبل ، هو الشكل البسيط ، أو البدائى للموشحة ، ثم تطورت مع الزمن ، أصبح المركز يتألف من بيتين ، وطالت الأغصان فأصبحت خمسة ، وأصاب القفل ما أصاب المركز ، وتنوعت موسيقاها ، فأصبح البيت يتكون من وحدات لها قوافي داخلية متحدة . وجرت العادة على ان يسمى آخر قفل ، فى آخر دور ، من الموشحة «خرجة» بقى أن أشير ان اسم الزجل لشهرته فى العصر الوسيط أسىء استخدامه فى المشرق ، فأصبح يطلق على الشعر العادى حين تكون مفرداته عامية ، أى ما يطلق عليه الشعر الملحون فى الغرب الإسلامى . كانت الموشحات تغنى ، ويقوم بالغناء فرد واحد تشاركه مجموعة ، مهمتها ان تغنى المركز عند نهاية كل دور . المغنى ، وهو الموسيقى فى نفس الوقت ، يغنى المركز أولا ، ثم تغنيه المجموعة ، وبعد فاصل موسيقى ، يبدأ المغنى فى غناء الفصن بمصاحبة الموسيقى ، ثم يغنى القفل ، وما ان ينتهى منه ، حتى تبدأ المجموعة فى غناء المركز ، وأذكر مرة أخرى ان قافية القفل تتفق مع قافية المركز ، وهو أمر لم يجيء اعتباطا ، وانما أريد منه أن يكون كالتنبية للمجموعة لكى تتدخل فى الغناء ، وهكذا يتكرر الأمر مع كل

الموشحات فن أصيل ومتطور

للمجهول ، ان نجد لها أسبابا ، وان نتصور عوامل ، وان نقف عندها ، لنقدم فى ضوئها بالموشحات الى عصر جديد .

قريبا من نهاية القرن التاسع الميلادى . بدأت قرطبة عاصمة الغرب الاسلامى تلك طريقها نحو القمة ، تعداد سكان ، واتساع عمران . يعدون لها واحدا وعشرين ربضا ، أى ضاحية بلفسة العصر الحديث . يسكنها ما يزيد عن مليون من البشر ، رقم لم يكن عاديا فى تلك الفترة من الزمن ، وطبقا للمستشرق الهولندى DOZY ، يندر بينهم ، كما يندر بين بقية سكان الاندلس ، من جهل القراءة والكتابة . وفيها ألف وست مائة مسجد فيما هو معقول ومقبول من الروايات ، وبها تسعمائة حمام عام . تزدهم بالمكتبات العامة والخاصة وتزدهج بعناصر متباينة من البشر مقيمة أو وافدة من بلاد سحيفة ، متاجرة أو تطلب العلم ، متجسمة أو تبحث عن المجد ، بغداديون ومصريون وأفارقة ، فرنسيون من الجنوب ، وصقالية من أواسط أوربا ، وحتى نورمانديون من الشمال البعيد . وتتحدث فى شوارعها لغات عديدة ، ويسلك المؤمنون من سكانها طريقهم الى الله عبر أديان مختلفة وتظل الجميع سماحة نادرة ، ويتمتعون بحرية وافرة ، ويصدرون عن مواطنة فريدة . ومع الحياة الرخية والثراء المتدفق ، أقبل الناس على مباحج الحياة يعبون منها بغير حساب ، كأنهم لا يعيشون لغير لحظتهم ، واعطت الدولة العاصمة مزيدا من العناية . فكانت لها الحدائق الواسعة المزهرة والشوارع النظيفة المضاءة ، والنوافير المتدفقة الجميلة ، والبحيرات الواسعة الهادئة . يسبح فيها البط ، وتتناثر فوقها

دور . وكان الغناء يتم بمصاحبة العود أو الناي ، والطنبور والدف . والصاجات ، وقد يتضمن الحفل رقصات تتم أثناء الغناء . وعلى نغمات الموسيقى ، والاغاني والرقصات الشعبية الاسبانية اليوم ، ذات الشهرة العالمية ، والتي تنسب الى اشبيلية ورندة وقادس ومالقة ليست فى الحقيقة الا امتدادا لما كانت عليه الاغاني والموسيقى أيام الاسلام الزاهرة هناك ، وعلى نحو خاص فى القرنين العاشر والحادى عشر ، مع مراعاة أنهم استفادوا من تقديم العصر فى الوسائل والآلات .

صنعت الموشحات أصلا لتغنى ، وأثرت طبيعتها فى تدوينها . مثلا كان المركز يغنى بعد كل قفل ، لكن الذين دونوا الموشحات كانوا يرون فى أحيان كثيرة ، ان تكرار تدوين المركز بعد كل قفل يثقل على القارئ ، فحذفوه . فأصبح بين أيدينا موشحات يذكر فيها المركز للمرة الاولى . ثم لا يكتب ثانياة اعتمادا على متعارف الغناء ، أو لأن المغنى كان يغنى وحده بلا مجموعة ، فليس فى حاجة لأن يذكر أحدا . ان ترديد المركز خمس أو ست مرات فى الموشحة الواحدة ، يصبح جميلا ومقبولا عندما تتغنى به المجموعة ، تردده بروح حماسى وجماعى . أما عند ما يكون المغنى وحيدا ، أو ترتجل الموشحات فى رفقة دون موسيقى أو غناء ، فان ترديده يكون ثقيلًا ورتيبًا .

أشار المؤرخون المسلمون عرضا الى اسم مبدع الزجل أو الموشحات ، ثم صمتوا تماما عن الدواعى الملزمة ، وسكتوا عن الظروف المفسرة وبوسعنا الآن قياسا للماضى على الحاضر ، وانطلاقا من المعلوم

التماثيل ، ويلتف حولها الناس متأملين معجبين سعداء . لون من الحياة الراقية لا تجد لها مثيلا الا في الاسكندرية في القرون الثلاثة الاولى التي سبقت ميلاد المسيح ، وفي باريس في القرن الثامن عشر . أي بعد ألف عام من الزمان .

لم يعرف المجتمع الاسلامي المسرح على نحو ما كان عليه الامر في الحياة اليونانية والرومانية ، ولكنه عرف شيئا آخر ، عرف الافنية الواسعة ، داخل القصور الكبيرة ، تؤدي رسالة المسرح في مجال الموسيقى والغناء ، وانتقالا منها ، وتقليدا لها ، شاع هذا اللون عند عامة الناس . كان للطبقة الوسطى وهي أعم من طبقات المجتمع الاندلسي حلقاتها التي تضم المنقنين والشعراء الموسيقيين والمغنين والراقصين والراقصات ، وكان لعامة الناس حظها من هذه الفنون كلها ، في حلقات تتم أمام البيوت أو في داخلها ، ان الافنية والساحات والاسواق ، والبيوت والقصور في قرطبة ، تكفلت على نحو ما بالدور الذي كان يقوم به المسرح في أثينا من قبل وفي روما بعدها .

في مواجهة هذا الرقي لم تعد الموسيقى العادية قادرة على التعبير عن رغائب هذا المجتمع المزدهر ، ثقافة وتمدينا ، ودون أن تطرب أذواق الناس الرقيقة والمصقولة ، ومشاعرهم المرفهة ، فتطلع الاندلسيون الى المشرق ينتظرون المعجزة ، يقول التيقاشي : احمد بن يوسف ، المتوفى عام 651 هـ - 1253 م ، وهو تونسي ، في كتاب جليل عن فن الموسيقى والرقص أسماء : « متعة الاسماع في علم الاسماع » ، ولما يزل مخطوطا بعد : « أخبرني أبو الحسن علي بن سعيد

ان أهل الاندلس في القديم كان غناؤهم اما بطريقة التصاري ، واما بطريقة حداة العرب ، ولم يكن عندهم قانون يعتمدون عليه ، الى أن تأثلت الدولة الاموية ، وكانت مدة الحكم الربضي « حكم 796 الى 822 » فوفد عليه من أفريقية « أي من تونس » ، من يحسن غناء التلاحين المدنية ، فأخذ الناس عنهم ، الى ان وفد الامام المقدم في هذا الشأن على بن نافع الملقب بزرياب ، غلام اسحاق الموصلي ... » .

جاء زرياب من المشرق ، وكان عبقريا . يعرف عشرة آلاف لحن بأشعارها ، وزاد في أوتار العود وترا خامسا ، بعد ان كانت أربعة ، وجعل مضربه من قوادم النسر بعد ان كانت من خشب ، وحار الناس في تفسير مواهبه ، فأحاطوه بهالة من الاساطير ، أبسطها ما اتصل بضيق أستاذة ابراهيم الموصلي به . وتخييره بين أن يرحل من بغداد أو يعمل على التخلص منه . والذي أراه ان زرياب جاء مدعوا من الحكم الاول ، فرأى الفرصة مواتية ليقترح بمواهبه الفريدة دنيا جديدة ، تطاول بغداد شهرة وثراء ، وتفوقها رعاية للفن واجلالا للعلماء ، ولقد توفى الحكم وزرياب في طريقه لما يصل بعد ، فأوشك ان يعود من حيث أتى ، لكن عبد الرحمن الثاني وقد انتهت اليه مقاليد الامارة لم يكن بأقل من الحكم الاول رغبة فيه ، وزاد فتجاوز في اكرامه ما هو مألوف ومعتاد ، أوفد للقائه بعثة رسمية استقبلته عند الحدود ، وخرج للقائه بنفسه عندما وصل العاصمة ، ثم أنزله في قصر فخم ، وأجرى عليه راتبا ثانيا ثلاثة آلاف دينار من الذهب في العام ، ووهبه عقارا قيمته 40 ألف دينار ذهبيا . ولم يكن ذلك عليه بكثير ، فسرعان ما ملأ الاندلس

الموشحات فن اصيل ومتطور

المعروف ، وصلة الرحم ، والذب عن الاعراض ، والتجاوز عن الذنوب ، وقد يبكي بها الرجل على خطيئته ، ويرقق القلب من قوته ، ويتذكر نعيم الملوك ، ويتمثله في ضميره .

إذا كان المجتمع الراقى يتطلب موسيقى بمستوى تحضيره ، فالموسيقى الرفيعة تتطلب أغنية بمستواها ، فكرة وشكلا وصلاحية للتلحين . ومن الواضح ان القصيدة العربية في شكلها الكلاسيكي قصرت عن الوفاء بحاجات هذه الموسيقى الناهضة فدار الادباء حولها ، وتهيأ المجتمع لمولد فن جديد سوف يدخل التاريخ تحت اسم الزجل أو الموشحات .

نحن أمام فن لا يعرف له مبتدع معين على نحو أكيد ، كان ، فيما يبدو لي شخصيا ، هاجسا خطر بعقول كثيرة ، وضرورة ملحة فكر فيها غير اديب ، وطافت بوجدان أكثر من شاعر ، وترجم كل ما أحس به ، في الاشكال الاولى لهذا الفن ، وضاعت كلها ، أمر يمكن أن يتم مصادفة وعفوا ، على غير لقاء ودون تواعد ، فاتفق المناخ النفسى ، وتشابه الضواغط الاجتماعية ، قد يؤدي الى ابداع أدبي متقارب ، عند عدد من الادباء دون تقليد أو مذاكرة أو تأثير أو تأثير .

لا أود أن أعود الى مناقشة الآراء المتصلة بنشأة هذا الفن ، وبحسبنا أن نقرر أنه فن أندلسي أصيل ، والذين قالوا انه فن مشرقى ، وهم الكثرة الغالبة من مؤرخى الادب فى الثلاثينيات ، وزادوا فنسبوا ابداعه الى الشاعر ابن المعتز بالذات ، كانوا

انغاما وألحانا ، وبهت الناس ازاء جمالها ، فقالوا : ان الجن تأتية فى الليل فتعلمه الالحان . وأنشأ فى قرطبة أكبر معهد للموسيقى ، واتبعه بمدارس أخرى فى اشبيلية وطليطلة وبلنسية وغرناطة .

وكما يحدث فى عصرنا حين تصبح حياة كبار الفنانين المثل والقذوة للشباب وغير الشباب ، يقلدونهم فيما يرتدون من الملابس وما يخترعون من انماط الاناقة . كذلك كان زرياب فى الاندلس ، علم الناس طريقة جديدة لتصفيف الشعر وترجيله نسبت اليه . وبقيت بعده زمنا ، وعرفهم السوانا جديدة من الطعام ، ودلهم على فنون مستحدثة فى ترتيب المائدة . وارشدهم الى اتخاذ اوانى من الزجاج الرفيع بدل الذهب والفضة ، وابتدع لهم نماذج جديدة من الازياء ، باختصار كان لهم كل شئ فى مجال الفن والذوق . لقد أغرقوه كرما وتقديرا ، فأغرقهم ابتداعا وتفننا . وحول الاندلس الى عالم يعيش على الموسيقى والاغنية ويضطرب لها من الاعماق ، فى مسراته واحزانه فى عبادته وفى مبادئه ، حين يضعك وحين يبكي . حين يعمل ، أوحين يأخذ بحظه من الراحة مستجما . وهى خصائص ما تزال باقية بكل جوانبها فى اسبانيا المعاصرة . يقول ابن عبد ربّه ، فى كتابه « العقد الفريد » وكان معاصرا لزرياب ، وكارها له ، وضائقا بشهرته يقول عن الموسيقى انها : « الصناعة التى هى مراد السمع ، ومرتع النفس ، وربيع القلب ، ومجال الهوى ، ومسلّة الكئيب ، وانس الوحيد . وزاد الراكب ... وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خير الدنيا والآخرة ، فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق ، من اصطناع

ضحية لبس مصدره ديوان الشاعر . ذلك أن ناسخ الديوان أعجب بموشحة رقيقة فأضافها إليه ، دون أن تكون للشاعر ، ودون أن يشير إلى صاحبها . فلما نشر الديوان للمرة الأولى تضمن هذه الموشحة ، وجاء المؤرخون المحدثون فاعتقدوا أنها له ، وأقاموا على وجودها نظريتهم ، رغم أنها جاءت يتيمة ، وتفرد بها ابن المعتز فلم يرافقه أو يتبعه شاعر مشرقى آخر . وهذه الموشحة هي :

أيها الساقى اليك المشتكى

قد دعوناك وإن لم تسمع

فلما نشر بعض التراث الاندلسي بعد الحرب العالمية الثانية ، تبين أن الموشحة الملحقه بآخر ديوان الشاعر العباسي ليست له ، وإنما هي لابن زهر الاندلسي . أعجب بها الناسخ فألحقها بديوان الشاعر العباسي ، وتصحيح هذا الخطأ ، سقطت النظرية القائلة بأن الموشح ابتداء مشرقى .

إذا عرفنا أن الموشحات فن أندلسي ، ابتدعه الاندلسيون استجابة لضواغط فنية واجتماعية في حياتهم ، وسبقوا به على غير مثال احتذوه ، فهل كان ما صنعوه أولا ، في البدء ، باللغة الفصحى أو باللغة العامية ، أو بتعبير آخر ، هل كان ما صنعوه في البدء موشحات صيغ الزجل على منوالها أو العكس ؟

فيما أتصور ، أقول أتصور ، لأنني لا أملك بين يدي ، أنا أو غيري ، وثائق مادية قاطعة ، أن الزجل هو الذي صنع أولا ، وكانت الموشحة تهذيبا له ، وصعودا به . وأخيرا فالزجل أو الموشحة

كلاهما خروج على قوانين القصيدة العربية العادية . ودوافع الخروج عليها عند العامة مفهومة وواضحة ، فهم لا يفهمونها بسهولة ، ولا يتجاوبون عند الغناء بها ، فقد كانوا في معظمهم عربا مستعربة ، يتعلمون الفصحى ، يقولون بها الشعر ، أو يكتبون بها الادب ، ولكن لغتهم اليومية . ووجدانهم أقرب ما يكون إلى العامية الاندلسية ، يالفونها داخلها ، ويطربون بما يقال فيها على نحو أقوى ، وإذا فهم في حاجة إلى شعر يتخذ العامية وسيلة للتعبير . والعامية أميل إلى التحلل من القيود والخروج عليها ، وربما كان وراء الاتجاه كله ، تقوية العامية ، وصوغ الازجال فيها ، تيار سياسي يتألف من المسلمين الاسبان ، أولئك الذين ارتضوا الاسلام ديناً ، وعقائديا هو دين المساواة الكاملة ، لكنهم وجدوا لأنفسهم واقعا دون العرب الفاتحين ، فوقفوا وراء الاتجاه يدعمونه ، لا حبا في العامية ، ولا كراهية في العربية ، وإنما مناهضة لمن يمثلونها تقوقا عنصريا .

كانت القصيدة العربية أمام صائغي الزجل ، فعبثوا بها ، تصرفوا في قوافيها ، فأصبحت في الموشحة متنوعة بعد أن كانت في القصيدة واحدة ، وتصرفوا في بحورها من تشطير وتجزئة . فتعددت تقاعيلها ، والتزام البحر الواحد في القصيدة الواحدة أمر جوهري ، وتابعوا عبثهم فكان الزجل ، وتمهدوه عناية ، فأصبح في شكله الذي بين أيدينا . وأقبلت العامة على هذا الفن الجديد هواية وافتنانا واستسهالا ، كرد فعل ضد القصيدة العربية الصعبة ، وتغنى به آخرون منافسة وتقليدا.

الموشحات فن أصيل ومتطور

وحدهم هم الذين نبغوا في هذا الفن . ويحددون أول نابغة فيه عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح ، أمير المرية ، وعاش حتى أواسط النصف الثاني من القرن الحادى عشر ، والحق أن ابن القزاز رقق كثيرا من فن الموشحات ، وجعلها أكثر فنية وتعقيدا ، وكانت الموشحات على أى حال أغلب ابداعه ، وكان معاصرا لابن ماء السماء ، وإن عمر بعده طويلا ، وكثيرا ما يخلط الناس بينهما .

راقت فكرة الزجل للمقنين ، فاستغلوها في الحفلات الخاصة أولا ، ثم العامة فيما بعد ، ولاقت من الناس اقبالا شديدا . حينئذ تحرك الشعراء ليأخذوا بحظهم من هذا الفن الجديد ، يزاحمون الرجالين في فن أصبح قبلة الجماهير غير أن الفرق بين الاثنين أن الشعراء كانوا يكتبون للخاصة المثقفة ، ويريدون لبداعهم الفنى أن يبقى فلم يهبطوا به الى مستوى اللغة العامية ، وإنما صاغوه في الفصحى ، وإن اتخذوا شكل الزجل ، ومع انتشار عقد الخلافة ، وسقطت نهائيا شكلا ورسمًا ، عام 1021 ، أما واقعا فسقطت قبل ذلك بكثير ، حينئذ خفت قبضة العربية ، فتزاحم الشعراء عليه ، ومضوا به الى غايته ، اتقانا وتجويدا ، ولم يعد الزجالون يقصرون في تسجيله ، وهكذا نجد أول كتاب ضم موشحات هو كتاب «المغرب فى أخبار المغرب» لابناء سعيد ، وألف على امتداد القرن الثالث عشر ، وأول ديوان كامل للزجال ، وهو ديوان ابن قزمان ، وصيغ في عامية مختلطة بالرومانتية ، وعسير الفهم للغاية ، يعود الى نهاية القرن الثانى عشر ، ولحسن الحظ

ومن الواضح أن الخطوات الاولى لهذا الفن كانت متعثرة ، لم تنضج تماما ، وإن الدولة لم ترحب به ولم تشجع عليه ، ومن ثم لم يستطع أن يفرض نفسه على الحياة الادبية فى سهولة . لقد عاش مقدم بن معافى أول من تنسب اليه الموشحة حتى مطلع القرن العاشر ، ويهمنى أن أشير الى أنه عاش زرياب ، زرياب شيخا يتقدم نحو النهاية ، ومقدم فتى يواجه بداية الطريق ، وأن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد ، وتوفى عام 940 م ، جرب حظه مع الفن الجديد ، وإن يوسف ابن هارون الرمادى المتوفى عام 1022 ، من شعراء المنصور بن أبى عامر كان وشاحا ، ورغم ذلك فإن موشحات هؤلاء جميعا ضاعت كلها ، لم يصلنا منها ولا دور واحد ، رغم أنهم عاشوا فى زهوة العصر الاندلسى . وعاصروا عددا من كبار مؤرخى الادب ، كابن بسام صاحب كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، والفتح بن خاقان صاحب كتابى «قلائد العقيان» و «مطمح الانفس» . ولم يسجل لنا ابن عبد ربه فى كتابه الضخم «العقد الفريد» شيئا منها ، رغم انه ضمنه عددا لا بأس به من أشعاره . إن أقدم موشحة بين أيدينا فى الحقيقة هى لعبادة بن ماء السماء ، المتوفى عام 1028 م ، ومطلعها :

من ولى فى أمة أمرا ولم يعدل

يعزل . الا لحاظ الرشا الكحل

أى أن موشحات القرن العاشر كله لم يصلنا منها شيء ، ورواية الجبارى ، وابن خلدون صريحة فى أن موشحات هذا القرن كسدت ، وأن المتأخرين

السريع في المشرق ، فان دورها في المغرب لا يحتاج الى فضل بيان .

لقد تابعت الموشحات سيرها صعودا تحت حكم المرابطين والموحدين ، وخلال الدولتين كانت الاندلس تؤلف مع المغرب الآن ، الجزائر وتونس ، ومالي والسينغال وموريتانيا ، جزءا من دولة تتسع أحيانا وتضيق أحيانا أخرى . فمن البديهي ان يكون صدى الاحداث واحدا ، ذلك ان الرحلات كانت مستمرة ، والانتقال بين العدوتين لا ينقطع ، وحتى قبل ان تقوم امبراطورية المرابطين . ان مجموعة من التجار والصيادين الاندلسيين هم الذى أسسوا مدينة وهران مثلا عام 902 م ، وكانت شواطئ الجزائر تتلقى كل يوم مع توالي سقوط المدن الاسلامية في الاندلس في يد النصارى ، افواجا من المهاجرين لا تتوقف . وكان هؤلاء المهاجرون يأتون الى هنا بعداتهم وتقاليدهم ، باحزانهم ومسراتهم ، بأغانهم وموسيقاهم وأسماء القرى التى أعطوها لمهابطهم . وهى أندلسية ، شاهد حتى على ما نقول ، مثل الشراقة ، والبلدية ، وغيرها .

كذلك فان الحروب المتتالية بين المسلمين والاسبان حتى بعد سقوط دولة الاسلام في الاندلس ، جعل الاتصال مستمرا ، والتأثير قائما ، والحروب كما تهلك وتدمر من جانب ، تكون عاملا اثراء واحياء من جانب آخر . ولا احد يستطيع ان ينكر الفائدة الكبرى التى حصلها الروائي الاسباني العالمى سرفانتيس ، مؤلف دون كيخوته ، حين جاء الجزائر أسيرا ، وبقي فيها اعواما طويلة ، عاد بعدها الى اسبانيا ليكتب روايته الخالدة .

فان مخطوطة وحيدة لهذا الديوان وصلتنا . وتوجد الآن في مكتبة ليننجراد في الاتحاد السوفييتي .

انتشرت الموشحات والزجل ، بسرعة كبيرة عبر كل البلاد العربية ، وأورد ابن حزم القرطبي المتوفى عام 1063 . أى بعد قرن من وفاة مقدم بسن معافى مبتدع الزجل ، نصا نسبه للمؤرخ ابنه غالب ، في رسالته عن فضائل أهل الاندلس يعد فيه من فضائل قومه « أنهم ابتدعوا الموشحات . وقد اعجب به المشرقيون كثيرا ، وأولعوا بتقليده » . حتى ان ابنه سناء الملك المصرى قام قريبا من عام 1200 م بجمع وتأليف عدد من الموشحات لكى يفيد منها المعجبون به . وما يزال كتابه هذا من اولى المراجع فى دراستنا للموشحات ، ولما كان الصوفى الاندلسى الشهير ابن عربى قد صاغ أشواقه القدسية فى موشحات ، لكى يتغنى بها تابعوه . فقد دفع بالموشحات الى حيث لا تتحدث اللغة العربية ، ان المسلمين الطيبين فى الهند وباكستان وأفغانستان ، ما يزالون حتى ايامنا هذه ، يذكرون الله على انغام الموسيقى ، يترنمون صحبتها بموشحات ابن عربى . وفى قالب الموشحات صاغ الشاعر الفارسى فخر الدين أسد ، قريبا من عام 1084 م ، قصيدته ويس ورامين WIZ Y RAMIN كما ان الفيلسوف الاندلسى اليهودى ابن جبرول المتوفى عام 1069 تضمن ديوان شعره باللغة العبرية عددا من الموشحات كتبت فى اللغة العبرية ، ولكنها اتخذت شكل الموشحة العربية .

اذا كانت الموشحات قد اصابت هذا النجاح

الموشحات فن أصيل ومتطور

كان محرفا أعدناه الى أصله ، فاذا أصلحنا النصوص، وضبطنا الموسيقى ، تأتي الخطوة التالية ، ان ندرس عوامل التجديد التي أصابت الموسيقى الاسبانية الفولكلورية ، والتي تعرف « بالفلامنكو » ، فهي في العمق تعود الى موسيقى الموشحات ، فنفيد منها في تطوير موسيقانا ، لتكون في مستوى العصر ، نعمنا وفنا . لا شيء يمكن ان يتم بمعزل عن دراسة التطور الغناء الشعبي في اسبانيا ، البلد الذي أبدع الموشحات في القديم .

فاذا صقلنا هذا الفن ، وشددنا اليه السامع ، ودفعنا به الى خشبة المسرح عرضا واستعراضا فسوف تنشق الارض ساعتها عن وشاح جديد ، ينشئ لنا موشحات عصرية تتحدث عن آمالنا وأمانينا وتبشر بغدنا وتقدمنا ، وتكون اسهاما أصيلا في عالم المسرح والفنون .

غير ان الموسيقى الاندلسية والموشحات الاندلسية في حياتها الجديدة ، لم تجر أقدارها على خط واحد ، توقفت في بلاد ، وتحجرت في ثائية ، وتلاشت نهائيا في أخرى .

وقى حركة البعث الثقافي الذي تضطلع به الجزائر اليوم، ويمتد فيشمل الموشحات وموسيقاها، فان من المهم بمكان ، اذا أريد للموشحات ان تعود فنا حيا متطورا يلبي أذواق مجتمعتنا المعاصر ، ان تقوم دراستها وتدرسيها على أسس علمية. تستهدف تنقية الجوهر مما علق به ، خلال عصور الاستعمار والاضمحلال .

ولعله أن يكون مفيدا ان يكون الانطلاق من أغاني وموشحات القرى والمدن الصغيرة ، انها أصدق أصالة ، وأقل تأثرا بالتيارات الأجنبية ، وان نصغي الموشحات التي تغنى ، ماكان خاطئا أصلحناه ، وما



كلمات

أوردت (اكسبريس) خبراً عن الجنرال جون د. لافيل الذي كان يقوم بحرب (خاصة) في الفيتنام ، قالت الجريدة :

لم يبق الدكتور فولامور أسطورة ، انه موجود ، فحتى شهر مارس الماضي كان يخوض حربه الصغيرة الخاصة في الفيتنام الشمالية على رأس 400 طائرة مقبلة و 40 ألف طيار .

هذا ما أخبرنا به الأمريكيون عند ما مثل الجنرال جون د. لافيل القائد السابق للفيلق الجوي السابع في جنوب شرق آسيا أمام لجنة الكونغريس .

ورغم تعليمات رئيس الولايات المتحدة فقد اعطى الجنرال لافيل أمره من شهر نوفمبر 1971 الى غاية مارس 1972 للقيام بتسع وعشرين غارة (خاصة) على الفيتنام الشمالية ، وكان يكتب عنها في التقارير الرسمية ببساطة انها «محرقات وقائية» .

كان الذي اكتشف العمليات هو سرجان الطيران الأمريكي كتب الى أحد الشيوخ الأمريكيين ، وكالعادة بررت القيادة العليا والبانناغون العمليات . وعند ما فاحت الرائحة طالب الكونغريس بإيضاحات .

واكتشف أن أوامر الرئيس ريشار نيكسون عصيت وخرقت حرمة البرلمان الأمريكي . وأن بعض عمليات القرصنة هاته تمت في الوقت الذي كان هنري كيسينغير يفاوض سرياً السيد ديك تهو بباريس ، ويمكن القول انه ربما كانت هذه العمليات وراء فشل المحادثات .

وأعطى البانناغون أمره الصارم بعودة الجنرال لافيل الى الولايات وقدم له منصبا آخر ، لكن الجنرال رفض ، وفضل التقاعد (لأسباب صحية) . ولم تفتح محاكمة . ومن هذه القضية سوف لا يفقد الجنرال لافيل الا نجمة واحدة !!

جنرال أمريكي أراد

ربح الحرب وحده

الأرض والهجرة

« في سنة ١٣٨٠ لم تكن هناك نية لدى الحكومة
أو الشعب الفرنسي لخلق مستعمرات ، لكن رجال
الأعمال الذين رافقوا الحملات العسكرية وجدوا انه
من الطبيعي وضع الاملاك التي استولوا عليها ايام
الارهاب تحت الحماية الوطنية . ومن ذلك الوقت ،
تكون حزب المعمرين الذي خلق اسطورة الجزائر »

د.عمار بوحوش

أستاذ- بكلية الحقوق

انظمت التجارة وجلب المواد الأولية لسد حاجات الشعب الفرنسي . فى حين نجد أن دولا أخرى مثل بريطانيا ، قد شجعت ابتاءها على الهجرة الى مستعمرات ما وراء البحار نتيجة لدوافع تجارية وبقصد سد حاجيات البريطانيين . وعلى هذا ، فالدوافع الأساسية التى أدت بالحكومة الفرنسية الى تبنى سياسة التوسع وراء البحار وخلق مستعمرات ما هى الا عوامل سياسية داخلية أو سياسة خارجية تهدف بالدرجة الأولى الى خلق سمعة شعبية والمحافظة على بقائهم فى الحكم (١) .

وتحديدا لموضوعنا هذا ، فإننا قد قررنا أن تكون ١٨١٥ كبدية لتحليلنا هذا ، وذلك لما تتميز به هذه المرحلة الحاسمة فى تاريخ الاستعمار الفرنسى من صراع متواصل بين العهد القديم والجيل الثورى الجديد ، وتناقض شديد بين الأنظمة الفاسدة التى كانت تسير عليها الأسرة الملكية والتنظيمات الثورية التى تبنتها الثورة ثم دعمتها امبراطورية نابليون المتحررة . (٢) ان مجرد عودة تشارل العاشر وبقية افراد الحاشية المطرودين من قبل قادة الثورة قد اثار مخاوف الفرنسيين خاصة وان الأسرة الملكية قد اعيدت الى البلد من طرف الحلفاء وليس تلبية لرغبة شعبية . ولعل الشئ الذى زاد الوضع تعقيدا هو تصميم المهاجرين العائدين من ابناء الأسرة المالكية على استعادة نفوذهم ومعاقبة المتواطئين مع الحكم الثورى الذى وضع حدا لا مميزاتهم ، وبالفعل لقد اثبتت تجربة ١٨٣٠ انهم «لم يتعلموا شيئا ولم ينسوا أى شئ» . لقد نفذ صبرهم ودفعوا بالأسرة الملكية الى الهاوية يوم شعروا أنه فى امكانهم التحكم فى مصير الشعب الفرنسى من جديد وقرض ارادتهم عليه .

ولتجنب الدخول فى أية مناقشة تهدف الى تحديد العلاقة التى تربط بين الأسرة الملكية والمجلس

لقد أوهم قادته الرأى العام من خلال الندوات الصحفية بأنه لا يوجد هناك أى شئ يماثل مقاطعة الجزائر وضواحيها التى تتميز بوفرة الأراضى لكل من أراد أن يأخذها ، والتى لن تواجه فيها منشآتنا الا عقبة ضئيلة من طرف العرب ، خاصة وأنه فى الامكان « تسويد » ملفات الحكام الجهويين الذين لا يظهرون تأييدا كافيا لسياسة اقامة المستعمرات . وهكذا وقع ترويض السيد النبيل « بيشون » Pichon وأصبح لا مفر من فسح المجال أمام عمليات الجنرال « كلوزيل » الذى يتمتع بتأييد حزب المعمرين وله دراية هائلة بغن الأباد ٠٠٠ » .

السياسة الفرنسية فى مطلع القرن التاسع عشر

من الاشياء المتعارف عليها لدى الفرنسيين هى تعلقهم بوطنهم وقلة رغبتهم فى الهجرة الى بلد آخر . وهذا يعود فى الأصل الى موقع فرنسا الاقتصادى والاجتماعى فى القارة الأوروبية . وخلافا لموضعية بعض دول تلك القارة ، فإن فرنسا تمتعت بتوازن اقتصادى متكامل ومستوى رفيع من الثقافة . فالفرنسيون لم يواجهوا الازمات الاجتماعية والاقتصادية الحادة التى هزت أوروبا . مثل أزمة البطاطس التى حصلت فى ايرلندا أو كارثة وباء القطن فى إنجلترا ، ولذلك لم يواجهوا الاختيار المربيبين البقاء فى بلدهم ومواجهة مجاعة أو الهجرة الى بلد آخر والبحث عن لقمة العيش هناك .

وبالإضافة الى توفر العيش الذى ساعد الفرنسيين على المكوث فى بلدهم ، هناك النمو البطيء الذى تتميز به سكان فرنسا منذ مدة طويلة . فالانخفاض فى مستوى النسل أدى الى قلة الازدحام السكانى واشباع الحاجيات المتزايدة بطريقة نظامية منسقة . ونتيجة لذلك ، لقد قل اقبال الفرنسيين على الهجرة الى الخارج ولم يقع هناك أى ارتباك أو خلل فى

الأرض والهجرة

وهنا وقع العثور على الجيش الفرنسي الذى هو الآخر حلت به هزيمة « وائرلوا » واصبح لامقر له من ازالة تلك الوصمة من العار . لقد شعر قادة الجيش الفرنسي انه من الضروري استعادة مكانة الجندى الفرنسي فى المجتمع و اظهار شجاعته . ونظرا لتفوق بريطانيا والنمسا فى أوروبا ، فليس هناك اى مجال لاثبات كفاءة وشجاعة الضباط الفرنسيين الا فى شمال افريقيا حيث اشتهر قادتها بالسطيرة على المرور عبر البحر الأبيض المتوسط ومصالح الدول الكبرى لانتعاض مع مصلحة فرنسا . والوثائق التاريخية كلها تشير الى أن بريطانيا والنمسا قد شجعتا تشارل العاشر على غزو الجزائر لأن ذلك قد يساعد صديقهم الملك الفرنسي فى المحافظة على عرشه وبقاء فى الحكم لمدة اطول .

وعلى هذا ، فقد اقتضت مصلحة الفئات الثلاث ، قادة الأسرة الملكية المنفيين فى عهد الثورة واهحاب السفن والتجارة وقادة الجيش ، أن يقوموا بغزو الجزائر وتحقيق مطامحهم . وسبب هذه الحرب التى شنوها على شمال القارة الافريقية لم تكن ناتجة عن احتياج الشعب الفرنسي لمواد أولية أو ازدحام فى السكان بقدر ما كانت تستهدف خلق اصوات الطبقة المتحررة والمنادية بالعدل والمساواة واستعادة هيبة الجيش التى اصبحت فى الحضيض منذ اليوم الذى انهارت فيه امبراطورية نابليون الشاسعة الأطراف .

الجيش يقيم دولة

وكتمهيد لاحتلال الجزائر ، فقد استغل تشارل العاشر ذلك الخلاف الطويل الصدى بين تاجرين جزائريين والحكومة الفرنسية التى اشترت القمح منهما وما طلت فى دفع الثمن المتفق عليه . وعندما قام داي الجزائر بمساعى لدى الحكومة الفرنسية لتسديد الديون المتراكمة ، والتى بلغت ما يعادل

الوطني الجديد ، اراد تشارل العاشر أن يتغلب على استياء الشعب من حكومته بمناقسة بريطانيا فى البحار واشعار العالم بعظمة فرنسا فى المجال الدولى . لكن هذه المحاولة لطمس مكاسب الثورة وتحويل الانظار عن السياسة الداخلية المتعارضة مع مكاسب الثورة كان مآلها الفشل . فقد تصدى القادة الباريسيون لسياسة اقامة المستعمرات واصرروا على ضرورة ابقاء مبادئ الثورة واحباط كل مؤامرة تهدف الى عودة الحكم الرجعى القديم . ومن جملة الاشياء التى لجأوا اليها لترجيح كفتهم وانجاح خططهم ، اقامة علاقة ودية مع الطبقات الريفية والتجالف قصد اقامة نظام تحررى يعتمد أساسا على الطبقة الريفية الكادحة (٣) ، وفى النهاية ، لقد كللت مجوداتهم بالنجاح وأطاحوا بالنظام الملكى الذى اراد المرواغة والتهرب من مواجهة الشعب الفرنسي بالبحث عن مغامرات فى الخارج واقامة مستعمرات فرنسية .

والحقيقة أن الطبقة الملكية وحاشيتها لم تكن الفئة الوحيدة التى اظهرت عداوتها للسافرة للمكاسب الاقتصادية والاجتماعية التى حققتها الثورة الفرنسية . فهناك أصحاب الاسطول التجارى ورجال الاعمال الذين حقدوا على كل من تعاون مع الثورة وساعد نابليون على تحقيق المساواة والعدالة فى المجتمع الفرنسي . لقد بدى لهم أن الحياة فى العهد الجديد سئمة وغير منعشة . فالثورة قد جردتهم من مكانتهم المرموقة فى المجتمع والامبراطورية قضت على ارباحهم الهائلة غداة انهزام نابليون واعادة السيطرة البريطانية على التجارة فى العالم . وعلى هذا ، فكروا فى البحث عن حلفاء لهم فى المجتمع الفرنسى الذين قد يساعدهم على تنشيط التجارة واقامة مستعمرات لتصدير البضاعات الفرنسية .

المنافسة للحكم وذلك بإبعادهم إلى الجزائر . فالجيش من هذه الناحية قد يساعد الحكومة على « تأديب » الأفراد الذين يشيرون زوابع سياسية في فرنسا .

وفي البداية أطلقوا اسم « قائد الجيش الأفريقي » على القائد العسكري الذي يعتبر المسؤول الكبير عن تسيير دفة الحكم في الجزائر . إلا أن هذا الاسم أدخل عليه تغييرا خفيفا سنة ١٨٣٤ وأصبح يسمى « الحاكم العام للممتلكات الفرنسية في شمال إفريقيا » وفي هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ الجزائر ، عمد الضباط الفرنسيون إلى توطيد حكمهم واخضاع الجزائريين إلى سلطتهم المباشرة . ولتحقيق هذه الأهداف لجأوا إلى :

١ - جلب العدد الكافي من المعمرين الذين يساعدونهم على إقامة المستعمرات وتزويد الجيش بالمواد الأولية .

٢ - الاستيلاء على أراضي الجزائريين التي منها يكسبون رزقهم .

٣ - إقامة خلايا سرية وعلمية أطلق عليها اسم « المكاتب العربية » ومهمتها التسلل إلى داخل صفوف الجزائريين وتبرير الاحتلال الفرنسي وإظهار مزاياه .

٤ - عدم تخويل السلطة لأية وزارة من الوزارات في باريس بمراقبة أعمالهم ما عدا وزارة الحربية التي تتفهم قضيتهم . وهذه المبادرة من طرف الجيش الفرنسي في الحقيقة لم تكن تهدف إلى إخضاع الجزائريين بقدر ما كانت ترمي إلى إقناع الشعب الفرنسي بفكرة إقامة المستعمرات ومباركة العمل الوطني الذي يقوم به الجيش . وبهذا يتسنى لقادة الاحتلال أن يتغلبوا على امتعاض الشعب الفرنسي من إقامة المستعمرات ورغبته في تحسين الوضع السياسي الداخلي . والشئ الذي أشار

مليون جنتيه سنة ١٨١٧ (٤) ، رفض الملك الفرنسي أن يصغى إلى طلبه ويستجيب لعروضه السخية التي تقدم بها إليه لتسوية الخلاف القائم بين الطرفين . وكانت النتيجة الحتمية هي لطم القنصل الفرنسي بالجزائر على خده بمروحة داي الجزائر الذي استاء من وقاحته وتصرفه المنافي للعرف الدبلوماسي . لقد شعر الداي بأن الدبلوماسية الفرنسية يسعى إلى تعقيد الأمور وأنه يعمل بتواطء مع الفئات الفرنسية التي كانت تحاول خلق جو مكهرب لامجال امامه من دخول فرنسا في حرب مع الجزائر .

إلا أن نتيجة الهجوم على الجزائر لم تأت وفق الخطة التي اعدتها تشارل العاشر . لقد انهار الحكم الملكي وأطاح به الشعب الفرنسي سنة ١٨٣٠ . بيد أن الجيش والتجار حصلوا على الأهداف التي دخلوا المعركة من أجلها . وهذا يتلجى بوضوح في إقامة نظام عسكري في الجزائر يهدف إلى توطيد مكانة فرنسا في شمال إفريقيا وإيجاد الفرصة لتعزيز مهن الضباط ووجود عمل دائم يرتزقون منه . ومن الأشياء التي ساعدت الضباط على إقامة شبه حكومة فرنسية في الجزائر :

١ - التأييد المالي المتواصل من طرف باريس لأن المقاومة الجزائرية لن تتوقف وهذا سيجبر الحكومة الفرنسية على مواصلة امدادات الجيش بكل ما يحتاجه من ذخيرة واعتمادات مالية .

٢ - الوضع السياسي السائد في باريس حيث تكاثرت الأحزاب وتعددت المجالس وأصبح من الصعب على المسؤولين في الدولة الاتفاق على إجراءات جماعية ضد قادة الحكم العسكري في الجزائر .

٣ - احتياج الجيش إلى معمرين فرنسيين للاستيطان بالاماكن التي تحت سيطرته ورغبة الحكومات الفرنسية في التخلص من بعض العناصر

الأرض والهجرة

الأوروبيين تسيير الأمور بأنفسهم نظرا لقلّة عددهم ، يعين الحاكم العسكري العام محافظ عسكري ويكلفه بتسيير الأمور في الناحية المعين عليها . والمعمرون الأوروبيون يستطيعون انشاء المتاجر والحصول على الأراضي التي يحتاجون إليها بعد موافقة وزير الحربية في باريس (١٠) والقسم الثالث اطلق عليه اسم « الأراضي العربية » وللقادة العسكريين فيه مطلق الحرية في تقلد زمام أمور العدالة والتعليم والتسيير الإداري . وانفردت هذه الأراضي بالحكم العسكري المباشر وذلك نظرا لان القاطنين فيها جزائريين والسياسة المتبعة هناك هي حرمان أهل البلد من الحقوق التي منحها الدستور الفرنسي لكل أنسان يعيش تحت السلطة الفرنسية .

وفي الحقيقة فإن السياسة العسكرية التي اتبعها الضباط الفرنسيون في الجزائر هي التي أدت الى هجرة الجزائريين ولن يدرك الإنسان ابعادها الكبرى الا بتسليط بعض الضوء على النفوذ السياسي الذي كان يتمتع به الحاكم العسكري في الجزائر . فقد كان له الحرية التامة في قبول أو رفض جميع المقترحات المقدمة اليه من طرف الأوروبيين لاقامة المراكز التجارية في الأراضي العربية (١١) . وسلطته الواسعة قد أدهشت حتى الفرنسيين انفسهم . فعندما زار الجزائر العالم الفرنسي « طوكفيل » لاحظ أن المهمة الرئيسية للحاكم العسكري في الجزائر كانت تتمثل في فرض السيطرة على البلد ، والاشراف على تسيير أمور السكان ، والاهتمام بالأمور المتعلقة بالمسلم والحرب والنفوذ الواسع لسد حاجيات الجيش وتوزيع السكان الأوروبيين والعرب في الأراضي المختلفة (١٢) هذا ونشير الى انه بموجب المرسوم المؤرخ في ١٥/٤/١٨٤٥ قد أصبح الحاكم العسكري هو المكلف بتعيين كل مدير عام للشؤون المدنية ويعتبر

مخاوف الضباط بصفة خاصة هو الشعور السائد لدى الرأي العام الفرنسي سنة ١٨٣٠ بأنه من مصلحة فرنسا الانسحاب من الجزائر لولا أن هذا يمس شرف الجيش (٥) .

وفي الفترة ما بين ١٨٣٤ و ١٨٤٥ ارتفعت قوة الجيش من ٦٠ الى ١١٠ ألف رجل (٦) وأصبح في امكانه جبر الجزائريين على مهاجرة اراضيهم الخصبة . وقد عبر عن هذه السياسة بدقة المارشال بوجو في خطابه الهام الذي القاه في البرلمان الفرنسي يوم ١٥ جانفي ١٨٤٠ حين قال : « انني لم أجد أية وسيلة فعالة لاختضاع الجزائر أحسن من مصادرة الأملاك الزراعية (٧) وأكد ان السياسة العسكرية ستكون مركزة على اتاحة الفرصة للمعمرين الفرنسيين بالاقامة في كل مكان توجد فيه مياه وارضى خصبة ولن تكون هناك مراعاة لمن هو الملك الشرعي لتلك الأراضي (٨) وأكد أن مهمة الجيش الفرنسي ليست الجري وراء العرب لان ذلك لايجدى نفعا وانما منعهم من زرع وحصد اراضيهم (٩) .

كيف بدأت هجرة الجزائريين

وبطبيعة الحال ، فان سياسة الشدة التي سلكها الجيش الفرنسي قد ارغمت الجزائريين سواء على الاعتصام بالجبال والدفاع عن حقوقهم من هناك أو الانتقال الى أماكن أخرى بحثا عن العيش . وهذه الخطة التي سار عليها الحكام الفرنسيون بدأت تجرى تطبيقها بكل شدة منذ ١٥ افريل ١٨٤٥ يوم قسموا الجزائر الى الأراضي الخاضعة للحكم المدني والأراضي التي تتبع الحكم المختلط والأراضي « العربية » التي تخضع للنظام العسكري . ففي النوع الأول من الأراضي اقاموا المجالس البلدية واختاروا النواب الذين يمثلون مصالح المجموعة الأوروبية . وفي الأراضي المختلطة « حيث كان من الصعب على

وتصدر حكمها بتحويل الملكية . وترتب عن هذا النظام ارتباك في الحياة الاجتماعية وتدهور في العلاقات التي تربط الجيش بالمواطنين . ومن جملة النصائح الهامة التي قدمها « طوكفيل » للحاكم العسكري بالجزائر هي العدول عن أسلوب مصادرة الأراضي بهذه الطريقة الوحشية لأنها قد تعطي فكرة للمواطنين الجزائريين بأن فرنسا تحاول ازاحتهم واحلال محلهم العنصر الأوروبي (١٥) .

وقد بلغ الحكم العسكري في الجزائر أوجه في عهد الجنرال « بوجو » الذي حاول ان يسخر الأوروبيين المدنيين لتوطيد دعائم النظام العسكري . فقد اشترط على كل معمر أوروبي أن يؤدي خدمة عسكرية في الجيش لاتقل عن ثلاث سنوات قبل أن يسمح له بالحصول على الأرض مجاناً . وهذا ، بطبيعة الحال، أدى الى توتر العلاقات بين الجيش والمعمرين الفرنسيين . ولكن الحدث الهام الذي أدى الى زعزعة الحكم العسكري في الجزائر هي الجزيرة الراهية التي ذهب ضحيتها في يوم واحد خمسمائة امرأة وطفل جزائري عندما لجأوا الى كهف وقضت عليهم قوات الجنرالات « بيليسية » و« كافينيك » ، و« سانت أرنو » (١٦) . فقد وجهت انتقادات لاذعة الى الجنرال « بوجو » من طرف نائب فرنسي ، يطلق عليه اسم « لامارتين » حيث اتهمه بأن الأسلوب الذي اتبعه اخذ شكل « الإبادة ويعتبر اسوأ من جرائم نيرون وتيبريوس » (١٧) بيد أن نائب آخر ، يدعى « كورسيل » قد لفت نظر النواب الفرنسيين الى خطر آخر يهدد مستقبل شمال افريقيا . والذي كان يعنيه هذا النائب هم المعمرون المدنيون الذين بدأت صحافتهم في الجزائر العاصمة تنشر الحقائق مشوهة وتحث على محق الجزائريين والتي تعتبرهم من أحط الاجناس البشرية (١٨) .

كل واحد من هؤلاء المديرين المساعد الكبير للحاكم العسكري كما أنه هو الذي يقترح عليه جميع القرارات التي تمس نواحي تعمير الأرض ، والشؤون الفلاحية ، والتجارة والاشغال العمومية (١٣) .

ونحن لا نريد أن ندخل في تفاصيل الموضوع المتعلق بنتائج الحكم العسكري ومن هو المستفيد من اقامته في الجزائر : هل هم المعمرون ، أم الجيش أم اهل البلد الأصليين ، ونكتفي بكلمة شاهد عيان الذي اعطانا وصفا كاملا عن ذلك . ففي شهر اكتوبر ١٨٤١ قام « كوطفيل » بزيارة للجزائر ولاحظ أن هناك أشياء غريبة ومدهشة . لقد أحس بأن قادة الجيش يكونون عداوة للمعمرين . والسبب في ذلك أن الضباط قد حقدوا على المعمرين الذين جمعوا الاموال الطائلة ، ولذلك حاول العسكريون من جهتهم انتهاز كل قرصة ملائمة للتقليل من ارباح المعمرين أو العمل على افلاسهم (١٤) . لاحظ « طوكفيل » ، كذلك ، أن المعمرين من جهتهم كانوا متضايقين وحاقدين على الحكام العسكريين الذين لم يعطوهم الحرية الكاملة للاستيلاء على اكبر مساحة ممكنة من الأراضي واخضاع اهل البلد لحكمهم المباشر .

ومن الاشياء التي اذهلت « طوكفيل » هي « الوحشية السريعة » التي تمت بها مصادرة الأراضي من طرف الحاكم العسكري . فقد استغل هذا الأخير المرسوم الصادر في ١٧ اكتوبر ١٨٣٣ الذي بمقتضاه خول للادارة الفرنسية أن تستحوذ في خلال أربع وعشرين ساعة على أية قطعة من الأرض بدون تعويض فالمحاكم كانت تشتري يوماً واحداً فقط لتعيين خبير من طرف مالك الأرض وخبير من طرف الادارة الفرنسية لتقييم الأرض المؤممة . وفي حالة عدم تعيين واحد من طرف المالك ، تقوم المحكمة بتعيين خبير آخر عنه

الأرض والهجرة

للحاكم العام بمعاينة أى شخص يعتبره مهددا لأمن الجزائر . ونلاحظ أيضا أن « طوكفيل » قد تأثر كثيرا بالقوانين الصارمة التى تفرض على سكان المناطق المختلطة والتى كانت تتكون فى معظمها من الجزائريين وعدد بسيط من الأوروبيين . كما اندهش من كون الحاكم العام يتمتع بجميع الصلاحيات التى تخول له مصادرة أراضى أى فرد ودفع تعويضات له فى شكل سندات يقع تسديدها فيما بعد (٢١) .

وأدت الانتقادات البرلمانية واستنكار «طوكفيل» للأعمال العسكرية التعسفية الى اضمحلال نفوذ الحاكم العام وسطوع نجم القادة المدنيين فى الجزائر . وتصادف تغير القوة السياسية من يد العسكريين الى المدنيين فى الجزائر الاطاحة بحكومة لويس فليب سنة ١٨٤٨ وقيام حكومة ثورية فى فرنسا . ويرى بعض العلماء أن نجاح ثورة ١٨٤٨ يعتبر بمثابة انتصار لـ ١٢٥,٠٠٠ معمرأ أوروبى بالجزائر حيث ان المملكة هى التى كانت سبب مصائبهم . فقد تمادت فى تجاهلها لمطالبهم ووضع حد لسلطة الجيش عليهم . ثم انها تركت قضية الاراضى المصادرة غير محددة . هذا بالإضافة الى وقفها موقف المتفرج ازاء سياسة الادمج وتثبيط عزائم الذين ارادوا اقامة مستعمرات فى البلاد (٢٢) . وعلى العكس من ذلك، نجد أن النظام الجمهورى الجديد قد جاء بسياسة محددة وواضحة تجاه الجزائر . وخلصتها ان الجمهوريين قد صمموا على اتباع سياسة «الادمج» التى كانت مبنية على فكرة المساواة بين جميع الفرنسيين واعتبار جميع المقاطعات الفرنسية جزء لا يتجزأ من فرنسا (٢٣) .

وفى شهر أوت ١٨٤٨ ، وضعوا هذا المشروع حيز التنفيذ حيث اتخذت الخطوات اللازمة لنقل الاعمال الادارية لكثير من المصالح الحكومية من

وترتب عن هذه المناقشة انشاء لجنة برلمانية مكونة من ثلاثة نواب ، وتكليفها بجمع الحقائق عن الاعمال التى يقوم بها الجيش الفرنسى فى الجزائر . وبعد اقامة وجيزة بمدينة الجزائر العاصمة ، عادت اللجنة الثلاثية بتقرير غامض . وخلصته أن مصلحة فرنسا تقتضى انشاء مجموعة فرنسية تسير حسب القوانين والعادات المستمدة من الحضارة الفرنسية . ثم أوصت اللجنة فى قرارها بحسن معاملة ابناء البلد ، كما تقتضى مصلحة الفرنسيين والمحافظة على شرف كلمتهم (١٩) . ولإزالة هذا الغموض وتقديم الاقتراحات الواضحة حول تحسين الحالة العسكرية بالجزائر ، قام « طوكفيل » بتحديد الخطوات التى يجب اتخاذها للتغلب على الفوضى التى سادت الاراضى التى سيطر عليها الجيش الفرنسى بالجزائر . وهذه الاقتراحات يمكن تلخيصها فيما يلى :

- ١ - تخفيف حدة نفوذ باريس على الجزائر ،
- ٢ - ادخال برنامج اللامركزية بالجزائر بحيث أن الحاكم العام يتقاسم السلطة السياسية مع معاونيه ،
- ٣ - الاعتماد على انظمة ادارية تكون غاية فى البساطة والتنسيق المحكم فى الميدان الادارى ،
- ٤ - تمنح للمسؤولين المحليين سلطات تنفيذية أوسع من التى أعطيت لهم .
- ٥ - تعيين مدير للشؤون المدنية وفصل سلطته عن السلطة العسكرية التى هى فى يد الحاكم العام (٢٠) .

ثم ان « كوطفيل » قد كشف النقاب عن الطريقة الاستبدادية التى كان يستعملها الحاكم العام لتوطيد سلطته العسكرية بأى ثمن كان . فقد أبدى تدمره من سلطة الحاكم العام على القضاة وعزلهم اذا هو اراد ذلك . كما أنه استاء من المراسيم التى تسمح

المزيد من رجال الجيش الفرنسي . وعندما قبلت وزارة الحربية الاقتراح الأخير وأصدرت مرسوما يوم ٤ ديسمبر ١٨٤٦ لتبنى هذه الفكرة ، تقدم « بيجو » بطلب الى المجلس الوطنى الفرنسى وحثه فيه على تخصيص ٣ ملايين فرنك لإنشاء المراكز الزراعية لأولئك الجنود الذين قاموا بإداء الخدمة العسكرية فى الجزائر ولما رفض المجلس هذا الطلب لتزويد الجنود بمساعدة مالية ، قدم « بيجو » استقالته فى شهر جوان سنة ١٨٤٧ (٢٥) .

ولكن الحقيقة هى أن الحكم الجمهورى الذى جاء عقب ثورة ١٨٤٨ قد عمل بكل جهد لترضية رغبات المعمرين بالجزائر . وفى ١٩ سبتمبر ١٨٤٨ صدر مرسوم يقضى بتخصيص ٥٠ مليون فرنك لمساعدة المهاجرين المدنيين الى الجزائر : ٥ ملايين تصرف سنة ١٨٤٨ و ١٠ ملايين تخصص لسنة ١٨٤٩ ٣٥ ملايين للسنوات التى تاتى عقب ذلك (٢٦) . وكانت تهدف سياسة الجمهوريين الى توطيد دعائم الاستعمار المدنى وذلك ببناء القرى الصغيرة للمهاجرين الاوروبيين وتشجيعهم على استثمار الاراضى الخصبة . كما انهم كانوا يأملون أن يتخلصوا من المشاغبين فى باريس لأن بقاءهم فى العاصمة الفرنسية يشكل خطرا دائما على النظام الجمهورى . ولترغيب المهاجرين فى الالتحاق بالجزائر اقواجا ، نص المرسوم المذكور آنفا على تزويد كل عامل مهاجر بقطعة أرض تتراوح بين ٢ و ١٠ هكتارات ، ومنزل ، بالإضافة الى بعض المساعدات المادية . وكان لهذه العروض المغرية أثر كبير على نفوس العمال الكادحين . فقد قبل الالتحاق بالجزائر حوالي ١٣,٥٠٠ فى سنة ١٨٤٨ . واثناء توديع الفوج الأول من المهاجرين القى رئيس الحكومة خطابا قال فيه : ان المستقبل لكم ، حيث ستجدون أمامكم مناخ صحى ، وسهول شاسعة وأراضى خام وخصبة ملك لكم وليس لأحد آخر غيركم ، والتى ستحرثونها وترتقون الى حياة مزدهرة وشريفة (٢٧) .

الجزائر الى باريس . وبمقتضى التعديلات الجديدة ، انتقلت أمور العدالة فى الجزائر الى الوزارة المختصة بذلك فى باريس ، باستثناء الأمور التى تتعلق بالمسلمين الجزائريين فقد بقيت تابعة لوزارة الحربية، أما الحاكم العام فقد أصبحت سلطته محدودة ، ولم يعد سوى منسق لشؤون فرنسا بالجزائر . إذ أنه وضع تحت التصرف المباشر لوزيرى الحربية والعدلية فى باريس وأصبحت مهمته هى التأكد من تطبيق وتنفيذ الأوامر القادمة من العاصمة الفرنسية .

وإذا كانت القرارات الهامة الصادرة فى المرسوم المؤرخ فى ١٢ أكتوبر ١٨٤٨ قد اتخذتها باريس لراحة المعمرين من التعسف العسكرى فان المستوطنين الاوروبيين بالجزائر قد شعروا بخيبة الأمل وهضم حقوقهم من طرف باريس . والسبب فى استقبال قرارات باريس ببرود هو تحويل السلطة من الحاكم العام الى وزير الحربية الفرنسى بدلا من وضعها فى يد الأوروبيين المدنيين بالجزائر . ومما زاد فى مخاوفهم اعطاء الصلاحيات لوزير الحربية بالاشراف على جميع الشؤون التابعة لوزارات الداخلية ، والاشغال العامة والفلاحة والمالية . وبهذا بقى مصيرهم فى يد وزير الحربية ومن الصعب عليهم تدعيم نفوذهم فى الجزائر . وقد احتفظ وزير الحربية بهذه المهمات الى يوم ١٢ أوت ١٨٨١ ، يوم صدر قرار آخر بتجريدته من هذه الصلاحيات (٢٤) .

وبهذا الصدد نشير الى أن القادة العسكريين فى الجزائر ووزارة الحربية فى باريس كانا قد دخلا فى صراع حول السياسة التى ينبغى اتباعها فى الجزائر منذ سنة ١٨٤٠ . فبينما كان المارشال « بيجو » الذى كان الحاكم العام للجزائر من سنة ١٨٤٠ الى غاية ١٨٤٧ ، يسعى الى طلب المزيد من الجنود وتوزيع الاراضى المصادرة على الجنود الذين أدوا خدمتهم العسكرية ، نجد الجنرال «لاموريسير» يدافع عن نظرية أخرى قائمة على أساس استثمار الاراضى التى استولت عليها فرنسا وليس جلب

هوامس

- 1) Henri Brunschwing, FRENCH COLONIALISM 1871-1914 : NYTHO AND REALITIES. London Pall mall Press, 1964, p. 16.
- 2) David Thompson, DEMOCRATIC FRANCE SINCE 1870. New York : oxford university Press, 1964 p. 14.
- 3) Brunschwing OP.CIT. p. 18.
- 4) Tania mathews, WAR IN ALGERIA : BACKGROUND FOR CRISIS. New York : Fordham university Press, 1961, p. 7.
- 5) D. K. Fieldhouse THE COLONIAL EMPIRE, London : weidenfeld and Nisbon limited, 1966, p. 181.
- 6) Gsell, HISTOIRE DE L'ALGERIE, Paris : Ancienne librairie Furne Boivin et société, éditeurs 1929, p. 217.
- 7) Bugeaud, in LES CONSTRUCTEURS DE LA FRANCE D'OUTRE-MER. Paris : Editions Correa, 1946, p. 208.
- 8) Mathews, OP. CIT. p. 10.
- 9) Bugeaud, OP. CIT. p. 209.
- 10) J. L. (de) Lamsen : L'EXPANSION COLONIALE DE LA FRANCE. Paris : Ancienne librairie Germer Bailliére et Cie, 1886, p. 84
- 11) Ibid ; p. 84.
- 12) Alexis de Tocqueville, ŒUVRES, PAPIERS ET CORRESPONDANCE DE TOCQUEVILLE. Paris : Editions Gallimard, 1962 p. 338.
- 13) Lamsen, OP. CIT. p. 82.
- 14) Tocqueville, OP. CIT. p. 264.
- 15) IBIA ; p. 217.
- 16) Malvin Richter "Tocqueville on Algeria", THE REVIEW OF POLITICS. Vol. 25, Number 3, (July, 1963) p. 389.
- 17) IBID ; p. 389
- 18) IBID ; pp. 389-90
- 19) IBID ; p. 391
- 20) IBID ; p. 393
- 21) IBID ; p. 393
- 22) Charles - André Julien, HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE : LA CONQUÊTE ET LES DÉBUTS DE LA COLONISATION : 1827-1871. Paris : Presses Universitaires de France, 1964, pp. 342-43
- 23) Gordon Wright, France in modern Times : 1760 to the present Time. Chicago : Rand Mc Nally C°, 1960, p. 256
- 24) Julien, OP. CIT. p. 351
- 25) Frederic Mauro, L'EXPANSION EUROPEENNE : 1600-1870. Paris : Presses Universitaires de France, 1964, p.248
- 26) Quoted in Maurice Moissonier, "Origines et débuts de la conquête de l'Algérie", CAHIERS INTERNATIONAUX, vol. 12, N° 113, 1960, p. 75

مصادر هذا البحث

- 1) Brunschwing, H. FRENCH COLONIALISM 1871-1914 : MYTHS AND REALITIES. London : Pall Mall Press, 1964.
- 2) Bugeaud, in LES CONSTRUCTEURS DE LA FRANCE D'OUTRE-MER. Paris : Editions Correa, 1946.
- 3) Fieldhouse, D. K. THE COLONIAL EMPIRE. London : Weidenfeld and Nisbon Limited, 1964.
- 4) Gsell, HISTOIRE DE L'ALGERIE. Paris : Ancienne Librairie Furne Boivin et société, éditeurs, 1929.
- 5) Julien, C. A. HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE : LA CONQUETE ET LES DEBUTS DE LA COLONISATION : 1827-1871. Paris : Presses Universitaires de France, 1964.
- 6) Lanssen (de) J. L. L'EXPANSION COLONIALE DE LA FRANCE. Paris : Ancienne Librairie Germer Bailler et société, 1886.
- 7) Mathews, T. War in Algeria : BACKGROUND FOR CRISIS. New-York : Fordham university Press, 1961.
- 8) Mauro, F. L'EXPANSION EUROPEENNE : 1600-1870. Paris : Presses Universitaires de France. 1964.
- 9) Moissonier, M. in "Origine et débuts de la conquête de l'Algérie" CAHIERS INTERNATIONAUX, Vol. 12, Number 113, 1960.
- 10) Thompson, D. Democratic France since 1870. New-York : Oxford university Presses, 1964
- 11) Tocqueville, A. CEUVRES, PAPIERS ET CORRESPONDANCE DE TOCQUEVILLE. Paris : Editions Gallimard, 1962.
- 12) Wright, G. FRANCE IN MODERN TIMES : 1760 To the present time. Chicago : Rand Mc Nally Company, 1960.



ابن هانف الأندلسي

لا احسبني مبالغاً اذا قلت : « ان الشاعر النابغة
ابن هاني، الاندلسي » مولداً ، والعربي نسبا ،
والجزائري نبوغا ، والشيعي مذهباً ، ما يزال حتى
الآن لما يوضع موضعه ، ولا ينل حقه من عناية
النقاد والباحثين ، وما تزال الكلمات تكتب حوله
كلمات مجملة حيناً ومتصاربة أحياناً ، ولا تكاد
تفى بما يراد منها .

أحمد بن ذياب

أستاذ بناتوية الفتح
- البليدة -

السندسية - قبلهما يؤيدهما فإن ما جاء بعد ذلك - أو قبل ذلك - في كتب أخرى تقول « انه من مواليد اشبيلية » فهو غير صحيح .

وقد يكون ياقوت الحموى الذى قال فى معجم الادباء « انه ولد باشبيلية ونشأ بها » هو الذى أوقع من أتى بعده فى هذا الخطأ ، فقد تابعه فيه من القدماء رجال مثل ابن خلكان فى وفيات الاعيان وأدباء من المحدثين مثل الزيات فى تاريخ الادب العربى ، وأحمد أمين فى ظهر الاسلام ، والفاخورى فى تاريخ الادب ، وما أكثر غيرهم ، فإذا يطلت رواية «اشبيلية» لا فى المولد ولا فى النشأة نعود الى ابن الأبار الذى يقدم لنا تفصيلات - لا يكاد يتعرض لها غيره فيقول : « محمد بن هانىء بن محمد ابن سعدون الأزدى الاندلسى - غلب عليه ذلك - من أهل البيرة ، ونشأ بقرطبة - يكنى «أبا القاسم» وهو من ولد المهلب بن أبى صفرة ، وأبوه من قرية من قرى المهديّة ، دخل الاندلس ، وولد له ابنه أبو القاسم بها » (I)

فإذا كان هذا هو رأى ابن الأبار - وهو لا يتعارض ورأى ابن سعيد ، - كما كنت قدمت - أمكن أن أنقل النظر الى قوله « غلب ذلك عليه » وهى عبارة تذكرنا بقول الحميدى خرج عن الاندلس فشهر شعره فى الغرب ، فهما يتفقان فى « ابن هانىء » لا يكاد يعد «اندلسياً» اما من وجهة نظر ابن الأبار فلأن أصله عربى تونسى ، ولانه من جهة أخرى لم يقل شعره - أو أكثره - الا خارج الاندلس .

فإذا أضيف الى الاجمال والتضارب اللذين يكتنفانه هذا النقص العظيم فى ديوانه المطبوع - فى لبنان - أصبح له الحق علينا أن نثير حوله نقاشاً ، وأن نحاول جاهدين أن نلقى بعض الاضواء ولو موضعية محدودة ، أو هامشية غير مركزة ، عسى أن تساعد على تجديد النظر فيما قيل - ويقال - عنه حتى يتبين الصبح لذى عينين ، وتتجلى الحقيقة للناظرين والدارسين .

وقد يكون من أول ما يلاقى الباحث - أمام المدخل الاول الى دراسته - هذا الخلاف حول مولده ابن كان ؟ ومتى كان ؟

فالاندلسيون - مثل الحميدى فى جذوة المقتبس - وقد يكون من طلائع من تناوله - يجعل القول حوله اجمالاً ، ولعل هذا الاجمال يفسره لنا قوله « خرج عن الاندلس فشهر شعره فى الغرب »

وتكون عبارة الحميدى المجملّة هذه هى التى يكررها الضبى بنصّها فى كتابه « بغية الملتبس » لكن ابن سعيد فى كتابه « المغرب فى حلى المغرب » وابن الأبار فى كتابه « التكملة » يتفقان على أنه من مواليد « البيرة » وهى - كما يقول ياقوت - مدينة متصلة بأراضى قبلة بين القبلة والشرق من قرطبة ، والبيرة - يومئذ - عاصمة الولاية ماتزال لما تنافسها غرناطة .

وإذا كان ابن الأبار وابن سعيد من أعرف الادباء بتاريخ الادب الاندلسى ورجاله ، وإذا كان ابن حزم نفسه - كما نقل عنه شكيب اربلان - فى الحلل

(I) عن كتابه التكملة ج 1 ص 368

وأما الحميدى فلان «شهرته كانت بدار الغرب»
ولانه لم يمت بالاندلس ، والحميدى تلميذ ابن حزم
الوفى ، وابن حزم يرى أن نسبة الشاعر او العالم
أو الاديب ، ينبغي أن تكون لدار ميله - ان كانت
هى التى تلقت آثاره ، ودفن بها ، وهو رأى محترم
- فى نظرى -

نشأته الاولى :

اما عن نشأته الاولى فقد كانت تتراوح بين
مسقط رأسه البيرة ، ومدينة قرطبة العاصمة
العلمية والسياسية يومئذ - وهى فى أوج عظمتها -
والذى يقيدنا فى هذا الميدان هو ابن الابار الذى
ينص هكذا « من أهل البيرة ، ونشأ بقرطبة » ثم
يقول « وكان أكثر تأديه بقرطبة ، ثم استوطن
أبوه البيرة »

وعد ابن سعيد له فى شعراء « البيرة » يتفق
مع « ابن الابار » فى جانب المولد ، ولكنه لا ينص
على مكان النشأة ، أو مكان الدراسة كما فعل
ابن الابار .

أما عن موعد المولد - أو تاريخه - فهناك روايتان
احدهما تقول انه ولد حوالى سنة 320 للهجرة ،
والاخرى تؤخره الى سنة 326 ، ومن ثم جاء الخلاف
حول تقدير عمره بين كونه عاش ستا وثلاثين سنة ،
أو عاش اثنين واربعين لان موته كان فى أكثر
الروايات دقة سنة 362 .

اما عن طبيعة النشأة فلعلنا نستطيع أن نطمئن
الى قول ابن خلكان الذى يقول عن والده « وكان

شاعرا أدبيا » (2) ، وهى عبارة لا نعثر عليها عند
كل الاندلسيين الذين اطلعنا على ما كتبوه حوله .
فاذا قدرنا أن لابن خلكان «أصلا» استند اليه ؛
أمكن أن نقول ان للوالد كما للبيئة أثرا فى حياة
ابن هانيء وتكوينه ، وأن قرطبة - دون شك - ذات
أثر فى توسيع ثقافته العامة ، ومنها هذه الثقافة
اللغوية الزاخرة التى نحسها فى شعره ، ويطلق
بها ديوانه .

والذين كتبوا حوله جميعا يفتقون على أن الرجل
غادر الاندلس وفى عمره نحو من ست وعشرين سنة .
أما عن أسباب الفراق فأكثر ما قيل محض
تخمين ، وضرب من التكهن لا يستند لحجة قوية ،
ولا سبب تاريخى واضح .

فالذين قالوا ان السبب هو آراؤه المتطرفة
التي تشبه آراء المعري ينسون - أو يتناسون - أن
المعري لم تعرف المعرة مولده الا بعد أن غادر ابن
هانيء هذه الدار بنحو السنة ، أو أكثر ، لان وفاة
ابن هانيء كانت خلال سنة 362 ومولد المعري كان
خلال سنة 363 .

ولكن الذى أوقع المؤرخين فى هذه الورطة ما جاء
فى عبارات « الفتح بن خاقان» فى كتابه المطمح
والتي يقول فيها « غير أن ابن هانيء ثبت به
أكنافها ، وشمخت عليه آناؤها ، وبرئت منه ، وزويت
الخيرات فيها عنه ، لانه سلك مسلك المعري ، وتجرد
من التدين وعري ، وابتدى الغلو ، وتعدى الحق
المجلو ، فمجنه الانفس ، وأزعجه الاندلس ، فخرج

على غير اختيار ، وما عرج على هذه الديار ، الى أن وصل الزاب ، واتصل بجعفر بن الاندلسية (3) .

« وهذه العبارة من الفتح بن خاقان - فيما أعتقد - هي مصدر الشرقيين فيما تناقلوه بعد ذلك ، وكان امامهم في تهذيب العبارة ، وتخليصها من السجع هو ياقوت الحموي في معجم الادباء حين قال : « وكان متهما بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري . وما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق ، وخرج في غلوه الى ما لا وجه له في التأويل ، فآزعجه اهل الاندلس ، اضطروه الى الخروج من وطنه » (4) .

ونحن نعلم أن الفلسفة في عهد ابن هانيء لم يكن لها وجود يذكر بالاندلس ، ولأن حرية الرأي في عهد عبد الرحمن الناصر ، كانت محترمة ، ولأن فلسفة المعري التي ظهرت بعد وفاة ابن هانيء ، بعهد طويل لم تكن تتفق وفلسفة ابن هانيء ان صح أن لهذا فلسفة ، فالاول يسخر من ضعف الانسان ، وتفاهة شأنه في الكون ، وقلة محصوله العلمي - مهما اتسع - بينما ابن هانيء يؤله ممدوحيه ، ويتجاوز بهم كل حد في التقدير والتعظيم ، أو التملق السخيف الوضع .

والاول يخاطب أول ما يخاطب العقول المتفتحة ، والمتفكرين الواعين ، بينما ابن هانيء يخدم الشيعة - ومذاهبهم - لتخدير العامة ، وما يشبه العام لغرض الزلفى والتقرب من جهازهم الاعلامي العام - ان صح هذا التعبير - .

وجميع المصادر الاندلسية لا تشير الى الحاكم أو الأمير الذي نصحه بمغادرة الاندلس خوفاً عليه أو خوفاً من الفتنة وإنما نقرأ عبارة الحميدى هكذا: « خرج عن الاندلس فشهر شعره في الغرب » أما عن رأيه في دينه فيقول : « ومدح المعز أبا تميم معد بن اسماعيل - صاحب المغرب قبل وصوله الى مصر - بأوصاف استجازها فأنكرت واستعظمت (5) ونقرأ عبارة ابن الأبار على هذه الصورة :

« وخرج من البيرة ، فاتصل بجعفر بن علي بن حمدون الاندلسي ، وبأخيه يحيى ، ثم صحب المعز معد بن اسماعيل صاحب إفريقية والمغرب ، وغلا في مدحه بأوصاف أنكرت واستعظمت » (6) .

أما ابن سعيد فيقول « وبرع في الشعر ، واشتهر ذكره ، وقصد جعفر بن علي الاندلسي ملك الزاب من المغرب الأوسط » فوجد باباً معموراً بالشعراء... فمدحه وجل عنده من ذلك الحين ، الى أن كتب اليه المعز الاسماعيلي الخليفة بالقيروان في توجيهه لحضرته ، فوجهه . انظر الجزء الثاني من كتاب المغرب في حلي المغرب .

وبكلمة موجزة نقول بأن أقرب الأسباب الى المعقول هو أن ابن هانيء خرج عن الاندلس نتيجة شعور بالحاجة الى المال ، والرغبة في البحث عن حياة أفضل ، وان قصة «الفلسفة والتأثر بالمعري» كلمات جاءت - في غير موضعها - اما عن سهو من المؤلف ابن خاقان ، أو من بعض تزبيدات النساخ الذين يتاجرون في «الوراقة» أو «نسخ المؤلفات» .

(3) الجزء الخامس من كتاب نفع الطيب ص 183 طبعة 1949 (4) معجم الادباء ج 19 ص 92 (5) جذوة المقتبس ص 96 (6) ابن الأبار في التكملة ج 1 ص 368

وكانت نقول الشرقيين كلهم أو جلهم عن ياقوت الذى روج عبارة الفتوح فى أسلوبه الخاص .

عندى أن الحميدى وابن الأبار وابن سعيد الضبى - وهم أربعة مؤلفين - ما كانوا ليتركوا الإشارة لقصة «الفلسفة» أو ما شابهها لو كان هناك اخراج ، أو اخراج من أجلها .

ثم ان الرجل - كما نرى - لم يثبت عنه فى أى مصدر اندلسى بما فيها «المطمح نفسه» انه عاش باشبيلية ، أو اتصل بأميرها .

فمن أين جاءت كلمات «وأشار عليه صاحب اشبيلية بالخروج» عن الاندلس» درأ للفتنة» كما قال ياقوت .

أو عبارة « واتصل بصاحب اشبيلية ، وحظى عنده وكان كثير الانهماك فى الملاذ ، متهما بمذهب الفلاسفة ، ولما اشتهر بذلك تقم عليه أهل اشبيلية ، وساءت المقالة فى حق الملك بسببه ، وانهم بمذهبه - أيضا - فأشار الملك عليه بالغيبة عن البلد مدة ينسى فيها خبره فانفصل عنها » التى يرويها ابن خلكان فى وفياته ؟

الحق أن الشرقيين - قديما وحديثا - اذا كتبوا عن قضايا المغرب العربى أو أدبائه كثيرا ما يكونون متأثرين بروايات واهية ضعيفة ينقلها اليهم عابر سبيل من قاصدى البقاع المقدسة ، أو رحالة جوال فتروج لديهم ويبنون عليها أحكامهم - دون تحقيق أو تمحيص -

ابن هانيء شاعر جزائرى ، ولكن أدباء الشرق يتجاهلون هذه الحقيقة

اذا عدنا الى التاريخ نجد أن ابن هانيء غادر الاندلس حوالى 346 فى أخريات عهد الاندلس الزاهر عهد عبد الرحمن الناصر ، أو عبد الرحمن الثالث ، وانه قصد المسيلة - أو المحمدية - كما كانت تسمى يومئذ ، وانه وجد هناك الاكرام والترحيب ، وبقي مع جعفر بن على بن حمدون الاندلسى أميرها مدة لا تنقص بأية حال عن احدى عشرة سنة ، قال فيها أكثر ديوانه ، بين مدح ورتا، وتهنئات فى مناسبات . قال شعره فى جعفر بن على ، وفى أخيه يحيى ، وفى قائده أبى الفرج الشيبانى وفى كاتبه الوهرانى ، وفى أمه ، وفى ابنه ، وما اتصل بأسرة جعفر بن على من قريب أو بعيد ؛ وصف قصور المسيلة ووصف متنزهاتها .

وفى الديوان الذى بين أيدينا - رغم نقصه المحقق - ما يتيف على الثلاثين قصيدة ، ومقطوعة كلها قيلت فى اماره بنى حمدون فى المسيلة ما بين سنة 347 هـ حتى سنة 358 هـ

ومع ذلك فان كل الذين ترجموا لابن هانيء من اخواننا المشاركة فى العصر الحاضر يهملون جانب المسيلة ، أو «المغرب الاوسط» أو «امارة الزاب» كأن ابن هانيء - مر فى طيارة بريئة أو بحرية - نقلته من مدينة البيرة «والتي يسمونها - غلطا - اشبيلية» الى مدينة المهديّة ، أو القيروان بتونس . دون أن تظا قدماء تراب الجزائر ، وحتى الهواء الذى استنشقه - أثناء الرحلة - لم يكن للجزائر حظ فيه .

فقد سار على هذا المنوال فى اهمال شأن الجزائر - أثناء ترجمة ابن هانيء - كل من جرجى زيدان

في كتابه آداب اللغة العربية ، والزيات في كتابه تاريخ الادب العربي ، واحمد أمين في ضحى الاسلام ولجنة «المفصل» بأفرادها الخمسة . ثم الفاخوري في تاريخ الادب العربي ، والدكتور جودت الركابي في كتابه «الادب الاندلسي» بل حتى الاخ عبد الله شريط - بالاشتراك مع محمد كرو في كتابهما : «شخصيات أدبية» من المشرق والمغرب يضربان على هذه النعمة فلا يهتمان بنا أو ببلدنا ، أو بشعره فينا .

فاذا أضيف الى هذه الحقيقة أن جزءا من ديوان ابن هانيء في الجزائر غير مطبوع في الديوان - وهو من خيرة شعره - خامرنا الشك أكثر في تعمد هؤلاء نسيان الجزائر ، ومحو أثرها من التاريخ .

والا فبم نعلل عدم وجود هذه القصيدة الرائية التي قالها ابن هانيء في جعفر بن علي - في ديوانه - وهي من خيرة الشعر وأروع ؟ والتي حفظ لنا منها نفع الطيب هذه المقطوعة حيث يقول :

خليلى أين الزاب منى وجعفر
وجنات عدن بثت عنها وكوتر ؟
فقبلى نأى عن جنة الخلد آدم
فما راقه من جانب الارض منظر
لقد سررنى أنى أمر بياله
فيخبرنى عنه بذلك مخبر
وقد ساءنى ألا أراه ببلدة
بها منسك منه عظيم و مشعر
وقد كان لى منه شفيع مشفع
به يحص الله الذنوب و يغفر

أتى الناس أفواجا اليك كأنما
من الزاب بيت أو من الزاب محشر
فأنت لمن قد مزق الله شمله
ومعشره - والاهل - أهل ومعشر
وهى مقطوعة من قصيدة طويلة - كما تدل على ذلك سلاسة القافية وطول نفس الشاعر - كما هي عادته -

أقول لماذا تحذف هذه من الديوان المطبوع في لبنان ؟ مع أن ديوان ابن هانيء - كما يقول جرجى زيدان - توجد منه نسخ في أوروبا ، فهل هى أيضا ناقصة ؟ وقد قيل ان مطبعة « بولاق » نشرته من قبل فهل كانت هى مصدر طباعة لبنان ؟ أو كانت هى - أيضا - ناقصة ؟

وقصيدة أخرى جزائرية لا توجد في الديوان المطبوع وهى هذه القافية التى أبقي لنا منها نفع الطيب - أيضا - عشرة أبيات والتي قالها في جعفر ابن علي فكان منها :

ألا أيها الوادى المقدس بالندى
وأهل الندى قلبى اليك مشوق !
ويا أيها القصر المنيف قبابه
على الزاب لا يسدد اليك طريق !
ويا ملك الزاب الرفيع عماده
بقيت لجمع المجد ، وهو فريق
الى آخر الابيات .

وبالاختصار ، قانا نعود فنقول :
علينا أن نتصدى للبحث عن ديوان ابن هانيء

به - وهو منا بحكم جميع أولى الامر منا ، الذين
اجماعهم فرض اتباعه ، وخلافه محرم اقترافه ،
واما من هاجر منا الى غيرنا فلا حظ لنا فيه ، والمكان
الذى اختاره أسعد به ، فكما لا ندع اسماعيل بن
القاسم - يعنى أبا على القالى - فكذلك لا ننزع
فى محمد بن هانىء، سوانا ، والعدل أولى ما حرص
عليه ، والنصف أفضل ما دعى اليه (7)

ولان أكثر عمره الشعري قضاءه فى الجزائر ،
ولانه لم يقم بتونس أكثر من أربع سنوات على أكثر
تقدير ، كان فيها يحن الى الجزائر ، والى جعفر بن
على الذى اتخذ منه صديقا ، وشاعرا للامارة فى
الوقت نفسه ، حتى تدخل الوشاة وأرسل المعز
فى طلبه .

هذه كلمة ألقى بها لا أريد الا عرض موضوع
ابن هانيء للمناقشة لاعادة الحق الى نصابه .
اما عن شعره ومكانته ورأيه فيه فالى مناسبة
أخرى .

احمد بن ذياب

عسى أن نجد فيه المزيد من الشعر الذى يصور
الجزائر فى امارة بنى حمدون .

والديوان لاشك موجود - فى نسخة ما - اما فى
المغرب أو فى المشرق .

وأخر ما قرأت حوله هذا البحث الذى قدمته
مجلة الهلال فى عددها الصادر بأفريل الماضى ،
والذى جاء فيه مقال حوله للدكتور أحمد هيكل ،
أشار فى أثنائه الى كتاب حديث تحت عنوان «تبيين
المعاني ، فى شرح ديوان ابن هانيء» للدكتور على
زاهد ، فهل يكون تاما لنجد فيه ما فقدناه فى
غيره ؟

اما البحث الذى قدمه هيكل فلا جديد فيه
بالنسبة للجزائر ، اما الدعوة بأنه شاعر جزائري
فهو أن الاندلس أخرجه ، أو خرج منها فارا ، وان
ابن حزم يقول : «وهو يجيب ابن الربيب فى
رسالته المشهورة» :

« ان من هاجر الينا من سائر البلاد فنحن أحق

(7) نفع الطيب ج 4 ص 159



كلمات

كتب Casette في قسنطينة يقول : « من العجب ان لم نتفطن حتى لهذا الوقت لأهمية تعليم الشباب . وفي نفس الوقت كتب Mercier Lacombe الكاتب العام للولاية العامة يقول : « في الوقت الحاضر يجرى تعليم الشعب العربى الجزائرى خارج تأثيرنا ، والمعلمون الذين يمارسون هذا التعليم لم يأخذوا منا شيئا من الافكار وهم خارجون عن رقابتنا ، فكيف نمول عليهم لكى يدخلوا الى عقول تلاميذهم أفكارا تجذب حضورنا حتى يكون الجيل الناشئ . أقل عداء لنا من الجيل الذى قبله ، وفي الوقت نفسه كتب Lacombe يقول : « ان الجيل الناشئ يكبر اليوم امام ابصارنا ويتلقى منذ صباه دروسا فى الحقد علينا . انه لا يجدر بنا أن نترك أكبر المتعصبين ينشرون أفكارهم المعادية لنا فى هذه الاجيال الناشئة التى يجب أن نكسبها نحن . ذلك ان الجيل الذى يربونه لا يقبل سيطرتنا الا بألم ، فانه لا يجوز لنا أن نترك الجيل الجديد ينشأ على نفس الاحقاد ضدنا اننا لا نستطيع ان نبقى وجودنا فى هذه البلاد وجودا عدائيا الى الابد . ولكن لا يوجد أى شئ يدل على اننا نعطي لهذه القضية ما تستحق من اهتمام . اى ان التعليم هو الذى يحفظ استمرار هذا الوجود . ان المعلمين الذين شحنوا بحق لا يتزحزح ضد المسيحيين سيذلون دائما جهدهم ليقوا الجيل الناشئ . بعيدا عنا مع ان هذا الشباب هو وحده الذى نمول عليه فى بقائنا ، (IO9) ولكن المشكلة هى أن هؤلاء المعلمين يستمدون كل سلاحهم ضدنا من التعاليم الدينية .

من كتاب المجابهات الثقافية فى الجزائر المستعمرة - للدكتورة تورين

إبراهيم بن أحمد الفجيجي وقصيدته المطردة "رَوْحَةُ السَّلْوَانِ"

يخيل الى الباحث في الحركة العلمية والادبية في
القطر الجزائري أن أعلام الفكر الذين نبغوا فيه
ينتسبون كلهم الى الشمال . اما الصحراء فهي غفل
من رجال العلم والادب ، ذلك لاننا اذا تصفحنا تراجم
هؤلاء الرجال في مختلف المراجع التي بين أيدينا
كشيل الابتهاج للتنبكي ، وعنوان الدراية للغبريني،
والبستان لابن مريم ، ودوحة الناشر لابن عسكو ،
ونفح الطيب للمقري ، فاننا نجد أن المترجم لهم في
هذه الكتب تعود كثرتهم الغالبة الى حواضر المدن
الشمالية .

ويستنتج الباحث من ذلك ان مدن الصحراء
تكد تكون مقفلة من الدراسات العلمية في العصر
النوسيط .

رابح بونار

وغزلان وجباري وغيرها منذ صغره ، تأثر بكل ذلك وانطبع به شعره بعد أن تضجعت ملكته الأدبية .

رحلته في طلب العلم :

وقد رحل ابراهيم الفجيجي في طلب العلم الى فاس ، وأخذ فيها عن اساتذتها المشاهير في الدراسات العلمية والفقهية كالاستاذ الصغير ، والشيخ ابن غازي ، وابي العباس أحمد الونشريسي صاحب المعيار وغيرهم .

ثم انتقل منها الى تلمسان ، وأخذ فيها عن بعض أعلامها في العلوم الإسلامية كالامام محمد بن يوسف السنوسي ، والامام ابن مرزوق ، والعقباني والحافظ التنسي وغيرهم .

ارتحاله الى المشرق :

وفي أواخر القرن التاسع الهجري ارتحل المترجم له الى المشرق ، وأخذ بمصر عن جلال الدين السيوطي ، واليساطي ، وابن النجار الحنفى . أخذ بالمدينة المشرفة عن السخاوي والاشموني ، وغيرهم ، وله عن جميعهم اجازات ومناولات ومسللات (I)

عودته من المشرق :

وعاد المترجم له من المشرق الى وطنه بفجيج وأقام فيه دارسا ومعلما مدة .

وفي هذه الاثناء توفي مواطنه عبد الحق السكوني الشريف فرثاه بقصيدة لامية جاء فيها :

والحقيقة انه على الرغم من تخلف الحواضر الجنوبية نسبيا عن حواضر الشمال ، فان ذلك لا يبيح لنا أن نجكم عليها بالجدب الفكري ، أو الفراغ العلمي في هذه الفترة ؛ ذلك لاننا اذا بحثنا عن معالم النشاط العلمي فيها نجد في كل عصر اقباسا هنا وهنا تنير طريق الدراسات العلمية والأدبية .

وقد ازدهرت في كثير من هذه الحواضر الدراسات العلمية ، والأدبية بعض الازدهار ، كوارجلان التي تعد أسبق الحواضر تقدما علميا ، واجلها شانا لكثرة من نبغ فيها ، وكللك حاضرة بسكرة التي كانت من أحفل المدن الصحراوية ، وأكثرها نشاطا علميا في مختلف العهود ، وقد عاش ابن خلدون فيها مدة ، وأفاد أهلها .

ومثلها مدينة توات التي ازدهرت فيها الدراسات الفقهية ، والكلامية والأدبية في القرن التاسع وما بعده .

وأخيرا نصل الى فيقيق ، أو فجيج التي نبغ فيها جماعة من الاعلام ، من أجلهم المترجم له ابراهيم ابن أحمد الفجيجي .

ترجمته :

ابراهيم الفجيجي ، هو ابراهيم بن أحمد الشريف الرحالة ، وهو لا تعرف سنة ميلاده ، ولا سنة وفاته بالتحديد ، وقد نشأ في أرض صحراوية تحس كنف الواحات الرائعة ، وفي ظلال النخيل الوارفة ، وأغرم بمعاناة الصيد ، ومطاردة الطرائد من أرانب

(1) جدوة الاقتباس لابن القاي ص 94 - وتعريف الخلف للعنساوي ج 2 ص 3

1 - روضة السلوان ، وهي قصيدة في الادب
الطردى او ادب الصيد .
2 - منظومة في الديانات ، ضمنها عيون الفقه
ونوادر المسائل وسماها « المفيدة » .
3 - ومقطوعات أخرى كالمركبة السابقة ، ومنها
بيتان رواهما أبو القاسم الفجيجي شارح قصيدته
« روض السلوان » وهما في نظم نسب النبي صلى
الله عليه وسلم ، يقول فيها :
علقت شفيعا حال عقل قرانه
كتاب مبين كسب لي غرائبه
فذا معشر نفسى كرام خلاصتى
منى اليهم مذ نيل مجد عواقبه
* * *

وقد ضمن أوائل كل كلمة حرفا من اسم أحد
آباء النبي صلى الله عليه وسلم ، فالعين من علقت
لوالده عبد الله ، والشين لشيبة وهو عبد المطلب ، والهاء
لهاشم ، والعين لعبد مناف ، والقاف لقصى ، والكاف
لكلاب ، والميم لمرة ، والكاف أيضا لكعب ، واللام
للؤى ، والغين لغالب ، والفاء لفهر ، والميم أيضا
لمالك ، والنون للنضر ، والكاف لكنانة ، والخاء
لخزيمة ، والميم لمدركة ، والالف لالياس ، والميم
لحضر ، والنون لنزار ، والميم لمعد ، والعين لعدنان ،
وهو الجد المتفق على صحة النسب إليه ، وقد اختلف
فيما بعده الى آدم عليه السلام ، وهناك قول ينسب
السين للونشريسى أو الزقاق .

كلمة حول مخطوط قصيدة « روض السلوان »
وشرحها :

ان قصيدة «روض السلوان» للفجيجي هي من

تغيرت البلدان و احلوك الليل
وشب ضرام الشر وانهمر السيل
وآن الرحيل عن بلاد تآمرت
بها المفسدون واستمر بها الهول
فلا فتكة الا وتنسيك فتكة
ولا فتنة ، الا ويدخلها العول
ولا صلح الا اثره الف غدره
ولا قول الا غيره القول والفعل
سلام عليها لا تجاور جيرة
من الجور عتباهم اذا عاتبوا المثل
أتشكر أرض ليس ينهى سفيها
على خطر يبقى بها من له الفضل

ارتحاله الى السودان :

ويبدو أن صاحب الترجمة لم يلبث الا قليلا بعد
وفاة مريثه السابق ثم عزم أن يرتحل الى بلاد
السودان ، وقد يعود ذلك الى اضطراب الحياة
الاجتماعية الذى عم منطقة فجيج فى هذه الآونة ،
ونشأ عنه انتشار الفوضى ، وكثرت المظالم والاعتداءات
فحمله ذلك على مغادرة وطنه الى بلاد السودان .
ولا ندرى المدة التى أقامها هناك ، ولا نشاطه فى
موطنه الجديد ، على أنه لا يبدو أن يكون نشاطا
تعليميا تبشيريا استمر الى أن توفى بعد سنة 900هـ

مؤلفاته :

ترك صاحب الترجمة بعض آثار منظومة من
أشهرها :

وقد طرق الموضوع غير هؤلاء من الشعراء ، وأهم ما يلاحظ على قصيدة إبراهيم بن عبد الجبار أنها تمتاز بخصائص قد ترفعها عن غيرها من القصائد التي أنشئت في الموضوع .

ومن أهم ذلك أنها قصيدة ذات وحدة موضوعية لا تشتمل إلا على موضوع الصيد وما يتصل به ، وأنها قصيدة مليئة بضروب الوصف الحي للبيئة الصحراوية كوصف مجالس البادية ، ووسائل الصيد ، ووصف ذكور الطيور ، والجوارح التي يستعملها القناصون وكذلك وصف الديار ونزول الأمطار ونباتات الأرض وذكر أحكام الصيد ونشاطه من الوجهة الفقهية .

وتمتاز هذه القصيدة أيضا بأنها قصيدة طويلة النفس قد بلغ عدد أبياتها 214 بيتا من بحر الطويل وفي آخرها يقول :

وفي مائتي بيت تجلت وعشرة
لهن ثلاث للختام توابع
وأهدى صلاة مع زكي تحية
إلى خير مبعوث ومن هو شافع

وعلى رغم ما في هذه القصيدة من جمال وطرافة فإنها ينقصها الخيال الأدبي ، والعاطفة ، وتثقلها في كثير من أبياتها ألفاظ الفقهاء ، لتغلب الطابع الفقهي على الشاعر .

وقد شرح هذه القصيدة الشيخ أبو القاسم محمد بن عبد الجبار الفجيجي بشرح سماه «الفريد في تقييد الشريد وتوصيد الوبيد» وقال في آخره : أنه فرغ منه في 16 ذى الحجة عام 986 هـ .

أجل القصائد في الأدب الطردى ، ومن نوادر التراث الفكري في الأدب العربي بالجزائر ، لأن منشئها الفجيجي قد طرق فيها موضوعا شيقا في الأدب الوصفي وهو وصف الطرائد ، وحركات القناصين ، وهذا النوع معروف في الأدب العربي ، وقد أنشأ فيه الشعراء العباسيون قصائد جليلة كابى نواس الذى قال فيه ضمن قصيدة :

لما تبدى من حجابيه
كطلعة الأشمط من جلبابه
هجنا بكلب طالما هجنا به
ينتسف المقود من كلابه
كأن متنبيه لدى أنسلابه
متنا شجاع لج في أنسيابه
كانما الأظفور في قنابيه
موسى ضناع رد في نصابه
تراه في الحضر إذا هاهى به
يكاد أن يخرج من أهابه

ومثله ابن الرومي الذى قال فيه من قصيدة :

وقد أغتدى للطير والطير هجع
ولو أوجست مغداى ما بتن هجعا
بخلين تما بي ثلاثة اخوة
جسومهم شتى وأرواحهم معا
مطيعين أهواء توافت على هوى
فلو أرسلت كالتبع لم تعد موقعا
فشاروا إلى آلاتهم فتقلدوا
خرائط حمرا تحمل السم منقعا

* * *

وتوجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1509 ، خطها مغربي جميل ، وحجمها كبير ، وهذه القصيدة وشرحها يعدان من نواذر تراثنا الادبي . وقد شعر الاستاذ نور الدين عبد القادر ، وزميله الحكيم هتري جهير: بأهمية هذه القصيدة فنشراها مع تعليق موجز وترجمت الى الفرنسية سنة 1959م ولو نشرها بشرحها الكبير لكان ذلك أكثر نفعا وأجدي صنعا ، لان هذا الشرح يشتمل على فوائد لغوية جلية ، وقد أحببنا ان نطلع القراء الكرام على نماذج من هذه القصيدة الطريفة ليستعيدوا بمطالعتها لونا من ألوان الادب الطردي الذي يذكرنا بأخلاق الفروسية ، وبعهد الفتوة في مجال الصيد .

نماذج من هذه القصيدة :

يقول ابراهيم الفيجي في مطلعها في وصف منافع الصيد :

يلومونني في الصيد والصيد جامع
لاشياء للانسان فيها منافع
فاولها كسب الحلال أتت به
نصوص كتاب الله وهي قواطع

فصحة جسم ثم صحة ناظر
و احكام اجراء السوابق رابع

و بعد عن الازدال مع صون همة
واغلاق باب القيل والقال سابع

و أيضا لمرض المرء فيه سلامة
و حفظ لدينه و ذلك تاسع

و فيه لاهل الفضل و الدين عبرة
و تذكرة لها لديمهم مواقع

ويورث طيب النفس والجود والسخا
ويألف منه الصبر من هو جازع
و ينفي الهموم المهرمات عن الفتى
و يقمع وفد الشيب كي لا يسارع

و يورث عند الالتحام شجاعة
و فيه من السر الخفي بدائع

كرعى نظام و افتقار رعية
و حفظ جناب من عدو ينازع

و تدبير أمر الحرب و الفتك بالعدى
و صيد أسود الانس و الوحش تابع

* * *

ويصف القانص في بعض أبيات القصيدة فيقول:

بنفسي عقيفا مترفا ذا نزاهة
له في سماء المجد و السعد طالع
على هيكل نهد و فوق شماله
وقور من الصقور أبيض ناصع

* * *

ويستحضر الذكريات الماضية لايام الصيد
فيقول :

أخي هل ترى الايام تجمع شملنا
و نحن على جرد سراع تطالع
لدى كل ربوة و أجراس طيرنا
لها زجل من فوقنا و قعاقع

فنفضى من السلوان بعض غرامنا
و نجنى جنى اللذات و الدهر خاضع

* * *

ويصف الصقر الذى يصيد به تصويرا بديما
يجمع بين وصف الحركة واللون حتى يخيّل الينا
اننا نراه أمامنا فيقول :

عظيم ثلاث رأسه ثم فخذ
و منسره لجزر ما هو صاعد
عليه سمات الفتك اما نظره
أطلت حواجب ! و غارت مدامع
طموح كثير الالتفات مسلط
لام السلاح الدهر منه فجائع

* * *

دنى آخر القصيدة يخاطب قارئه فيقول :
أتيتك بالتحقيق نظما فخذ به
و دع عنك ما سواه فهو جعاجع

و دونكها من بحر فكري درة
تفجر منها للعلوم ينابيع

فتنبت فى أرض القلوب معارفها
و تشرح صدرا ضيقته الزعازع

فمن كان ذا جد رعى خصب حكمة
ومن يبتغي الاحماض فالمرج واسع

وفى مائتي بيت تجلت و عشرة
لهن ثلاث للختام توابع

و اهدى صلاة مع زكى تحية
الى خير مبعوث و من هو شافع

* * *

وهكذا تنتهى هذه القصيدة الطويلة التى جمعت
من ضروب الوصف الدقيق شيئا كثيرا , ولا شك
أن قارئها سيجد فيها متعة وأدبا وطرافة قد لا يجدها
فى قصائد كثير من الشعراء الذين طرّقوا موضوع
الطرديات فى الادب العربى وحاولوا الابتكار
والإبداع فيه .





نقد

ردّ أعلى تقرّظ كتاب : "مَسيرة شمال إفريقيا"

طالعتنا جريدة «المجاهد» اليومية بمقال كتبه السيد
قدور محمصاجي يشيد فيه بكتاب « مسيرة شمال
أفريقيا» الذي ألفه شارل أندري جوليان ، وقام بنشره
لأول مرة عام ١٩٥٢ وصدرت له طبعة جديدة في
المدة الأخيرة .

محمد شريف باهملي

سفير الجزائر
في تشيكوسلوفاكيا

ترجمة هيئة التحرير

من هذا الكتاب، فقد كان على وجه العموم مناهضاتماما ويكفي في هذا الصدد أن أذكر بأنه ، عند ما فتح باب النقاش بعد المحاضرة التي قامها السيد جولييان نفسه في اجتماع نظمه اتحاد طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس ، فإن المحاضر فضل أن يجمع أوراق محاضراته وأن يغادر القاعة عوض أن يرد بكل هدوء على الاسئلة والانتقادات التي وجهت إليه .

وبالفعل ، فلم يكن في الكتاب آنذاك ما يدعو الى المدح والاطراء فالموضوع المطروح لا يمت الى التاريخ بصلة ، بل هو اشبه ما يكون بمقال سياسي يعتمد على تأويلات مفرضة حول تاريخ المغرب العربي . وزيادة على ما جاء في الكتاب من عموميات هي أقرب الى فلسفة التاريخ - وهي فلسفة لا يمكن أن نوافق عليها لما فيها من مزالق - لا بد من الإشارة الى ما لاحظناه من اختلاف واضح ومقصود ، بين طريقته في معالجة قضيتي المغرب الأقصى وتونس ، وبين طريقته في معالجة القضية الجزائرية .

وهل نحن بعد هذا في حاجة الى التعليق على الفقرة المعروفة التي استنكر فيها السيد جولييان ماسماه هجوم الهلاليين ، وتحدث بعبارة مفرضة عن تعريب شمال إفريقيا ودخولها في الاسلام؟ ان السيد جولييان كاتب موهوب وعبارته فصيحة للغاية حينما يقول : «أن بعض الناس ينكرون على فرنسا سياستها الهادفة الى اسكان ابنائها في مستعمراتها . فليكن . . ولكن ما قول هؤلاء في هجوم بني هلال وبني سليم في القرن الحادي عشر عندما اكتسحوا البلاد كالجراد وخرّبوا كل شيء في طريقهم على حد تعبير ابن خلدون ، واستولوا على النساء والاطفال؟ » ان هذا الهجوم هو الذي قضى على محاولة توحيد المغرب من طرف الصنهاجيين وادخل الى المغرب ما يزيد على المليون من البعد

يرى السيد محمصاجي ان هذا الكتاب لا يزال يحظى بالمعجبين ، بل لا يزال ينهل منه الطلبة والباحثون ، لانه اصبح من امهات الكتب بآتم معنى الكلمة ، وسوف يطالعه القارئ للمرة الاولى او الثانية بمزيد من الاهتمام ، لانه من تأليف مؤرخ شغوف بالبحث العلمي ، متضلّع فيه ، يعرف كيف يحلّ نشوء الحركات الوطنية المغربية ، ويكشف النقاب عن اخطاء الدولة الفرنسية التي انتهجت سياسة استعمارية ، ويضيف السيد محمصاجي ان المغاربة انفسهم يقدرون هذا الكتاب حق قدره ، وان اكبر ميزة يمتاز بها هي «انه يتسم بروح التنبؤ، وينم عن تبصر بالامور لان صاحبه استطاع ، من غير ان يزيف الحقائق ، ان يتنبأ بما قامت به فرنسا فيما بعد من ماس ، قسي تونس والمغرب و الجزائر » (١)

وبعد ، فانا لا انوي ان اعود بالقارئ الى موضوع طال حوله النقاش والجدال ، لان صفحات التاريخ اصبحت منذ ١٩٥٢ ، تسجل بطريقة حاسمة لامجال فيها للاخذ والرد . ولكن لا بد لي مع ذلك من الاقرار بأنني ، بعد ما قرأت الكتاب بكل تمنع ، لاستطيع ان اشارك السيد محمصاجي حماسه للكتاب السابق الذكر . ورغم ان المؤلفين تعجبهم عادة عبارات المدح والاطراء ، فانني اتساءل فيما اذا كان السيد جولييان وهو من رجال الفكر والادب - سوف يشعر بالرضى والارتياح لما جاء في كلام السيد محمصاجي من اشادة بما في كتابه «روح التنبؤ» . ويطيب لى ان اعيد الى الاذهان بهذه المناسبة ان السيد جولييان كان له فضل كبير حين اقر خلال حرب التحرير ، في مقال نشرته جريدة «فرانس اويسيرفاتور» بخطئه الفادح في نظراته السابقة الى الحركة الوطنية الجزائرية التي طالما استهان بها . اما بالنسبة الى موقف ابناء المغرب

الفرنسيون من تخوفات ، وما قاموا به من أخطاء سياسية وإذا بحثت في كتاب السيد جولييان عن الحركة الوطنية الجزائرية ونضالها السياسي ، وكفاحها الطويل من أجل الاستقلال الوطني فلا تجد لها أثرا . وقد صرح السيد جولييان ، قبيل اندلاع ثورة فاتح نوفمبر بسنتين ، أن الثورة ليست من التيارات الحتمية في مجرى التاريخ ، بل هي من الظواهر الاجتماعية البسيطة التي تنشأ عن تردى الوضع الاجتماعي ، وعن سياسة القمع و البطش ، وبالتالي فهي من الظواهر التي تزول عندما تنتهج الدولة الحاكمة سياسة رشيدة تقوم على اصلاح الأوضاع .

وانا لا اريد في هذا المقام ان الح على هذه « النظرة التنبؤية » ، وانما اشير الى ان الفرق بين المستعمرين المتطرفين ، وبين المتحررين امثال السيد جولييان ، لم يكن في الهدف بقدر ما كان في الطرائق والوسائل . فهؤلاء جميعا كانوا يريدون ابقاء الجزائر في اطار السيادة الفرنسية ، وكانوا يعارضون بشدة مطالب الحركة الوطنية الجزائرية . وبينما نجد ان المتطرفين يعملون من اجل بقاء السيطرة الفرنسية واخضاع الاهالى من السكان للدولة الحاكمة فان المتحررين من جبهةهم كانوا يقترحون انتهاج سياسة اللحاق والادماج . وهكذا نلاحظ ان الجزائريين كانوا مخيرين بين حلين لاثالث لهما : فاما ان يرضوا بحياة العبودية ، واما ان يصبحوا مواطنين فرنسيين . وهذا لعمرى أشبه ما يكون بمن يخير خصمه في الطريقة التي سوف يقضي بها عليه .

ولقد يستغرب البعض هذا التجاهل للحركة الوطنية الجزائرية ، خاصة اذا صدر هذا الموقف من مؤرخ متخصص في تاريخ بلادنا . الا ان الاستغراب يزول اذا عرفنا بأن هذا الموقف يرجع الى فهم سقيم لتاريخ الجزائر . وقد كان المؤرخ « غوتيي » لا يعترف

الاجانب . فهذه الكارثة العظمى هي التي سهلت عملية تعريب البلاد واسلامها ، ولكن هذا لم يتم الا بعد خراب دام سنين » (٢)

لست ادري اذا كانت هذه الفقرة لاتزال ثابتة في الطبعة الجديدة . والشئ المؤكد عندي ان مثل هذا الكلام اقرب الى المقال السياسي المغرض منه الى التاريخ الموضوعي الرصين . ولا اعتقد انه يوجد اليوم من المؤرخين ، من يصدق الخرافة التي تقول بأن مليوننا من البدو العرب اكتسحوا شمال افريقيا كال موجة العارمة . ان ما يتمتع به ابن خلدون في القديم ، من صيت ذائع ، لا يكفي وحده لتبرير امثال هذه المبالغات والخرافات التي دحضها منذ زمن بعيد ، المؤرخ الكبير المتخصص في منطق البحر الابيض المتوسط ، وأعني به فرنان برودال . والمؤسف في كل هذا أن « روح التنبؤ معتمد فعلا على محك التجربة والواقع ، الا ان القرون الغابرة ، بما يكتنفها من غموض وابهام ، تفسح المجال واسعا للمنظريات المغرضة الضالة ، خاصة عندما تحل الالهام والاغراض محل النزاهة العلمية .

لقد كان مؤلف « مسيرة شمال افريقيا » من المؤيدين والمساندين للمغرب الأقصى وتونس في جهودهما لنيل الاستقلال الوطني . الا انه لا يكاد يتناول القضية الجزائرية بالدراسة حتى يبدي امتعاضه وانقباضه . فتاريخ الجزائر المستعمرة آنذاك يتلخص بالنسبة اليه في عدد من « الفرص التي ضاعت من يد فرنسا » . وفرنسا في نظره ، كان في امكانها مرات عديدة ، ان تربط نهائيا مصير الشعب الجزائري بمصيرها ، عن طريق اجراء اصلاحات مناسبة على الصعيد السياسي والاجتماعي والاقتصادي . ولكن الفرص ضاعت المرة تلو الاخرى ، نتيجة للمعارضة الشديدة الصارمة من طرف المعمرين ، وكذلك نتيجة لما ابداه القادة

دراسات عديدة عن تاريخ الجزائر ، لا يخفي رأيه الصريح في هذه المسألة فهو يقول في تقرير له حول الدراسة التي وضعها آجيرون عن تاريخ الجزائر : « يبدو لي أن السيد آجيرون قد سارع الى تبني آراء المؤرخ جوليان ، وكانى به يعتقد أن الاصلاحات المناسبة (أو الفرص الضائعة) كان من الممكن أن تنقذ الاستعمار الفرنسي من مصيره المحتوم . وهذا ينم عن جهل صريح بروح الشعب الجزائري الذي لم يرض أبدا بالاحتلال ، ومهما يكن من أمر فإن الروح الوطنية التي هي أعمق من الإيمان ، لا بد من أن تنتصر . ففي عصرنا هذا لا يمكن لنا أن نتصور كيف تستطيع حروب الاحتلال أن تنشئ كيانا متينا ، مهما اشتدت وسائل البطش والقمع . وأنا أشك في أن يتبنى مؤرخو المستقبل آراء بعض الكتاب السياسيين «المحررين» أمثال الاستاذ جوليان» (٤)

وبعد ، فإذا كان المؤرخ جوليان قد غير نظرته وطرأته وآراءه ، فإن ذلك حقا من دواعي السرور . وإذا كان الطلبة ورجال البحث عندنا يستفيدون من كتاب «مسيرة شمال افريقيا» فإن هذا أمر طبعي لانه لا بد من أن يطلعوا على كل شيء ، ماداموا مزودين ب زاد كاف من الثقافة والتوجيه السياسي ، يجعلهم قادرين على التمييز بين الوقائع والفرضيات الواهية ولكن . لا يسعني الا أن أبدى أسفى الشديد حين يعتبر البعض كتاب «مسيرة شمال افريقيا» من امهات الكتب .

ان بلادنا قد سلكت اليوم طريق المجد والفخار ، واخذت الى العلياء المرتقى الصعب ، من أجل تشييد مجتمع جديد تسود فيه العدالة ، ومن أجل تأسيس دولة حديثة اشتراكية . فلا بد من أن نتفادى اليوم أكثر من أى وقت مضى ، الوقوع في المزالق الفكرية والانسياق للتضليل العقائدى .

محمد شريف الساحلي .

للانسان المغربي بأية «شخصية ايجابية» ، فلما جاء جوليان وكورتوا ، أقرأ تلك الشخصية لطرفي المغرب العربي ، الا انهما ادعيا بأن المنطقة الوسطى من المغرب لا تتمتع بأية شخصية : «أن من يستعرض تاريخ شمال افريقيا في خلال ثلاثين قرنا ، يدرك أن الطرفين من هذه المنطقة لهما شخصية متميزة ، في حين أن الجزائر الواقعة وسط تلك المنطقة لها شخصية «سلبية» اذا صح التعبير» (٣)

ولئن كانت آراء غوتيي موسومة بالطابع الاستعماري المعروف ، فإن آراء السيد جوليان مرجعها الى عدم تبصره في القضايا السياسية ، شأن غيره من الاشتراكيين الفرنسيين الذين تلاحقوا منذ القرن التاسع عشر . وهذا ما دعا كارل ماركس الى استنكار موقفهم المعارض للحركات الاوربية الهادفة الى التحرر الوطني ، وقد كانوا يرون بأنه لا فائدة من تكوين دول جديدة ، مادامت البشرية سائرة نحو الاممية ، مما جعل ماركس يرد عليهم في إحدى المناسبات : «أن اصدقاءنا الفرنسيين يريدون زوال جميع الامم وجميع الدول ، ولكنهم في الحقيقة يريدون ادماج تلك الامم والدول في الامة النموذجية ، وهي الامة الفرنسية» .

ومن المحتمل ان السيد جوليان قد تغير موقفه وتحسن بالنسبة الى آرائه في التاريخ ، ولكن القارئ الذى يطالع كتابه «مسيرة شمال افريقيا» لا يستطيع ان يمنع نفسه من القول بأن اتجاهات المؤلف السياسية قد أوقعتة في ضلال مبين فيما يتصل بدراساته وأحكامه التاريخية . وإذا كان الامر كذلك فلا يسعنا الا ان نبدي ارتيابنا بالنسبة الى قيمة ما كتبه حول تاريخ الجزائر على وجه الخصوص ، وتاريخ المغرب العربي على وجه العموم .

ولعله من المفيد أن يطلع القارئ على ما يقوله أحد المؤرخين الفرنسيين انفسهم ، في مجال الرد على السيد جوليان . فالكاتب الشهير «ايميريت» الذى له

3) Histoire de l'Afrique du Nord T.I. p. 18

4) Revue "Annales", Juillet - Août 1965 (n° 4)

وَيَخْلُقُ مَا لَا تَقْلُمُونَ !!

قام بعض المنتسبين (للاسلام الجغرافي) بحملة مسعورة في بعض صحفنا المحترمة ، ظاهرها الفيرة على أصالة الاسلام الذي لا يملكون منه حتى المظاهر ! وباطنها الحريشة السخيفة ابتغاء اشاعة الغموض والارتياب في المجهودات البناءة التي يبذلها من اصطفاهم الله وزكاهم حسن الاختيار وتقدير الكفاءات لتركيز حقيقة الاسلام . وغزو الضلالات والشكوك التي ما انفك يلصقها بهذا الاسلام - عن عمد وسابق اصرار ، خصوم الاسلام المقنعون ، وذوو العقول المراهقة التي لم تبلغ بعد فطامها . أولئك الذين جرفتهم التيارات المدخولة لتسخر منهم طوابير هدم وتخريب !

مفتي زكرياء
شاعر النضال السياسي النوري
والكفاح التحريري المسلح

فأجابه الصوفي فوراً : أقول له : أسكت
يا حمار !

5 - ومتى كانت الشرائع السماوية تعنى فيما
شرعته من حلال وحرام ، بدنيا النبرات والانغام ؟
أما بعث النبي داود عليه السلام وبين يديه
معجزة المزمار لادخال المبادئ التي أمر بتبليغها في
مجتمع يتهالك في الألحان والمزامير ! !

أما وقف رسولنا الاعظم سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم متواجداً أمام منزل تنبعت منه
نبرات نقر الدفوف والتغنى بالاهازيج الحاملة ؟
أما استقبل في المدينة بأغنية بنات النجار ؟
وما دفعه الفضول أن يسأل هل اللحن مقتبس من
أغنية غرامية أم هو لحن وليد ؟

والرسول محمد الانسان - وقد عرف الحب
الذي ساعد رسالته على الانتشار ، لم يتردد أن
يخلع برده على ابن أبي سلمى ويتواجد مع :

بانت سعاد ، فقلبي اليوم متبول
متيم اثرها ، لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا
الا أغن أسيل الطرف مكحول
تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت
كانه منهل بالأراح معلول
هيفاء ، مقبلة ، عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طول !!

فهل أنكر محمد الانسان على زهير الانسان هيامه
وتغنيه بلهيب جسد محبوبته سعاد ! وهل غاب

وإن تعجب ، فعجب قولهم : ان الألحان
الوجدانية التي تفرغ على كلمات المدائح النبوية
والاناشيد القومية مروق عن الأصالة وتحد لشعور
المؤمنين ، وانتهاكا لحرمة مساجد الله .

1 - قد يكون في منتهى الغباوة من بلغ به
الانغلاق والتخلف الذهني الى الاعتقاد بأن الموسيقى
تدخل في نطاق التفكير المتحجر الضيق المحدود ،
وهي لغة القلوب النابضة المتجاوبة مع دقات
القلب البشري . ودفقات الدماء الحار التي تبعث
الحياة والدفء في الكائن الحي . مهما تكن الكلمات
والاغراض التي تحتضنها . بعيداً عن حماقات الزميتين
وشذوذ المتحذلقين .

2 - ليس هذا الكون لوحة جمالية تدل على
حقيقة وجود هذه القوة الخلاقة التي نسميها الله ؟
وهي وحدة لا تتجزأ ولا تحدها الحواجز المصطنعة
والحدود المفتعلة .

3 - فزقزة العصافير . وأنين النواخير ، وحفيف
الأشجار . وخرير المياه ، وسوسة الحلي ، والشفق
الباكي ، والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ،
والقلب الخافق العذب اذا انتفض للحب وتضرع للاله
الجميل ، كل أولئك يكونون (سنفونية وجودية
خالدة) تسبح بحمد الصانع البديع ، وتؤكد عظمة
هذا الوجود .

4 - وقدما قال أحد الصوفية :

وكل نائحة في الكون تطربني

فعب على بعض الفضوليين قائلاً : ولو كان
النائح حماراً ؟

ولاشاشا ، والمامبو ، ليست الحانا أفريقية صرفة
لا تزال طابعا لأحاسيس أشقائنا في قارتنا السمراء
المشوبة ؟

١٠ - ليست كل الإلحان الإندلسية المبتكرة
تعنى - قبل وبعد - بنوع من الحب يمتد على حساب
الوقار الى ما وراء الحدود الطبيعية فيما نعرفه من
مدلول كلمة (حب) ، ومع ذلك تقام لتخليدها
واحياؤها مهرجانات على الصعيد الرسمي ، يخصص
لها (هذه السنة) شهر رمضان المبارك ! الذى
أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى
والفرقان ؟

١١ - وبعد : فليعلم الضالون الاغرار من
(المسلمين الجغرافيين) ان انتحال الإلحان الغرامية
وخلعها على التسابيح الدينية والقومية ، فلسفة
عميقة مدروسة وتخطيط هادف اهتدى له أولئك
الذين يؤمنون بأن «أقرب مسافة بين نقطتين خط
مستقيم» فعلية غسل المخ وتحويل الاتجاه الخاطئ
لشبابنا المحموم برقصات الاغاني العريضة ، لاتنجع
الا بالتسلل من خلال هذه الإلحان نفسها الى أعماق
الذهنية الشابة وترويضها على استيعاب ما تصخب
به هذه الإلحان من كلمات هادفة فى الترغيب بالمثل
العليا ، ويأتى التعود عليها كأرضية انتقالية من
مفهوم الى مفهوم ، ولقد أثبتت التجارب ان اصلاح
النفوس من طريق الاصطدام الفاشل والمواجهة
الصماء عقيم الجدوى ، وزرع المثل العليا فى النفوس
١٢ - عن طريق المتعة حيلة ناجحة . وقد
أثبتت التجارب نجاعتها فى العلاج التدريجي
للمدمنين وضحايا العاهات .

عليه أن تحدث عن شقراء أو سمراء أو هيفاء أو
عجاء وهو فى مقام تسمو قداسته عن قداسة بيوت
أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه .

6 - وفى (المدارك) غنى أحدهم امام الامام
مالك الانسان رضى الله عنه فأفسد اللحن فقال له
مالك : غن هكذا ، فأدى الامام مالك لحن الاغنية
على قواعده ، ثم نهاه أن يعود لمثل هذا المسخ
والتشويه .

7 - ثم ليست جميع الاوزان الايقاعية
المضبوطة من عند الحليل تستعمل كلها أو جلها فى
تجويد القرآن الكريم - مثل الصيكة - والحجاز -
والصبا - كما تستعمل نفس هذه الإلحان على غير
كلام الله مما تصطبخ به حوالج هذا الانسان
الظلم الجهول ؟ فهل يدفعنا هذا الى تحريم تجويد
القرآن فى مساجد الله ؟

8 - واذا كنا نأخذ سخافات المخربشين
مأخذ الجد متكرين لواقع القلب البشرى وما أودع
الله فى أعماقه من صراع دائب بين القوة والضعف
وجب علينا أن نلقى من مصاحف القرآن الكريم
سورة سيدنا يوسف عليه السلام ، ونحضر على
ذوى الأصالة فى الاسلام تلاوتها فى مساجد
الله . ليست سورة يوسف لوحة واضحة سافرة
عن خوالج الانسان ؟ ليست قصصا متحررا عن
اللف والدوران ؟ ليست مثالا حيا لتسمية الاشياء
بأسمائها بعيدا عن التزمت والنفاق ؟ (وقالت هيت
لك ...)

9 - ثم ، ليست هذه الإلحان (التقديمية)
الجديدة التى وضع الغربيون على رقصاتها -
أغاني السويتق ، والرومبا ، والصامبا ، والبوليو .

13 - وما عرف اللفيف حلاوة الاسلام الا عن طريق الشطحات الصوفية ، ومواجد ابن الفارض سلطان العاشقين ومن سار على منواله كابن خميس وشعيب بن الحسين ابي مدين الجزائريين وامام الثوار الامير عبد القادر الهاشمي الجزائري .

14 - وما اجتذب رجال الدين المسيحي جماهيرهم نحو الدين الا عن طريق الاغاني الكنائسية التي اقتبس منها الاخوان رجباني ما اثار اعجاب الجماهير بغيروز .

15 - ولو استعرضنا بانصاف وتجرد اغاني فرقة (السلامية) بتونس ، وفرقة (الجيلالية) بالجزائر منذ العشرينات لتبين لنا الهدف الذي تعمل من اجل تحقيقه هذه المجموعات الضخمة من الاهازيج التي لا تزال تحتفظ بجديتها وعناصرها الايجابية .

16 - نحن نردد في كل مناسبة دينية ، ونرسل على امواج الاثير الاغنية القائلة :
يا كعبة ، يا بيت ربي ما احلاك
ونذكر ابدا انها مقتبسة من الاغنية القرامية العريضة القائلة :

يا كعله يا بنت عمى ما احلاك
ومنذ انطلاق الحركات الوطنية بالجزائر ما انفك مناضلونا (المسلمون حقا) يرددون نشيد :
- حيوا الشمال -

والمولعون بذكرىات الماضي الحالم يذكرون انها مأخوذة من الاغنية التونسية القديمة - قدم قلة الحياء -

كحلة لهذاب
الليلة يا كحلة لهذاب الليلة يا

كحلة لهذاب
سعدى بمواضى لحباب الليلة يا

ولا نضيع الوقت في سرد الامثلة والاتيان بالمقارنات . وربما افردنا لذلك حديثا خاصا في يوم غير بعيد .

وكم أتمنى مذ عمدت - وأنا بأعماق بربروس - لابدال جل الاغاني الغرامية المتداولة بين الجمهور آنذاك ووقفت لتحويلها الى ملاحم ثورية وانشيد وطنية مثل رقصة المدفع :

دوم دوم لشعبك دوم حرر شعبك المظلوم
دوم لشعبك ، دوم لشعبك ، دوم دوم
وقد وضعت على لحن أغنية غرامية مشهورة :

دوم دوم لحبك دوم
وكانت تجيد أداءها المطربة لطيفة

ومثل (الدبكة) المشهورة :
يا غزيل يا بو لعبية
التي أبدلت هكذا :

يا التزاير يا لحبيبه راهى الحرية قريبه
نار الثورة شعاله نرعى روى فى لهيبه
ومثل الاغنية الشامية :

ليش ، ليش ، يا ولقى ما تخاف الله
أبدلت هكذا :

ليش ، ليش ، يا خاين ما تخاف الله
ومثل الاغنية التونسية :

أنت جفيت جبدتي روحك منى
طريق السلامة او خاطرى متهنى
أبدلت هكذا :
أنت ظلمت سلبت حقى منى
طريق السلامة او خاطرى متهنى
ومثل أغنية :

يا جارحة قلبى
التي أبدلت هكذا :

يا ظالمة شعبى

وغير ذلك كثير سياخذ طريقه للمجتمع بعد اعداده
وطبعه باسم (أهازيج الزحف المقدس) بما فيه من
أغان شعبية موضوعه تجسد مراحل الكفاح التحريرى
وإحداثه الصارخة والتحديات الاستعمارية
المافونة .

وأخيرا - فليفهم المسلمون الجغرافيون ، أن
المصادر التى نستقى منها أصالتنا غير المستنقعات
التي أغرقتهم فى الحماقات الى الازقان ، وأن الغيرة
على الاصاله ليست فى مسخ الطابع الاندلسى
العريق ، وحذف (ربع المقام) من الاغانى المدسوسة
على الاندلسيين (وربع المقام) فى الموسيقى العربية
هو وحده قوام عراقه نسبها الغير المغموز ،

والاستغناء عن الآلات التقليدية وإبدالها بآلات
«ميكانيكية اليكترونية باهتة غربية ليس من الاصاله
فى شئ» ، واقتباس جانب المأساة والبكاء من التراث
الاندلسى ليس مما يتماشى مع ثوراتنا الصاخبة ،
ولا نزال - مع الحسرة والاسى - نقف عند الشطر
الاول من « قفا نبك »

ألفنا بكاء منذ أن قال قيسنا
قفا نبك .. لكننا بكينا وما قمنا

وليعلم المخربشون ان الايقاع الموسيقى
ملك مشاع بين القلوب الشاعرة بالله . وبيدع
صنع الله الجميل .

وإن منطق (اللامعقول) الذى يخاطبوننا به
يدفعنا الى تشريف العقل الذى قيل فيه :

ولولا العقل ، فالضرغام أولى
من الانسان بالشرف الرفيع

فقولوا ما شئتم واتركونا نغنى ونرسل
التسايع ، وحسبنا ما تأمرنا به الاصاله ،

وحسبكم أن تذرفوا دموع التماسيح .
والقافله تسير .

والى الله تصير الامور





لوحة ليكاسو عن مناظر البحر الأبيض المتوسط وهي
رحلة رسم عبر عنها الرسام الكثير من لوحاته

التعريب الجاسمى فى الميزان

يتفق الباحثون على أن للمقومات الوطنية أسسا ودعائم منها : الدين والتاريخ واللغة . فالدين هو المقوم الروحى ، والحرك الاخلاقى ، والموجه النفسى نحو عمل الخير لنيل السعادة ، وراحة الضمير . فالجماعة التى تدين بدين واحد تشعر دائما انها كتلة واحدة ، متساوية فى الشعور ، وتزداد الثقة المتبادلة بين افرادها . والتاريخ هو التراث الحضارى المشترك الناتج عن التفاعل البشرى والاحتكاك الانسانى .

د: عبدالقادر حليلى

استاذ بكلية الآداب

- جامعة الجزائر -

اذ الكل يعبر بلغته التي تشربها في أصوله البعيدة ولا يبقى بها بدyla ، ويعتز بها أشد الاعتزاز ، ويدافع عنها كل الدفاع ويعتبرها جزءا من شخصيته وكيف لا وهي جزء من كيانه الحقيقي .

ونفس هذه الحالة من التصارع اللغوي نجدها في بلجيكا بين الفلامانيين في الشمال والفلونيين سكان الجنوب ، فالفلونيين ينحدرون من أصل لاتيني ويعبرون بالفرنسية ، أما الفلامانيون الذين يمثلون البرنسية فهم من أصل جرمانى ويعبرون بلغة قريبة من الهولندية ، وبين الطائفتين نزاع قوى وصراع شديد منذ مدة طويلة على فرض لغته على الآخر ، ولقد ذهب التعصب اللغوي بالفلامانيين الى التشطط في الحكم فأنشأوا لهم جامعة في مدينة جاند التي تلقى فيها الدروس بالفلامانية ، وطالبوا بالانفصال الادارى والسياسى عن الفلامانيين والامثلة من هذا النوع كثيرة ، وهكذا يظهر أن اللغة مازالت تمثل حتى الوقت الحالى أهم دعامة لوحدة المجتمع وأهم قاعدة للدولة وهذا حتى في الدول المصنفة في قائمة التقدميين.فالتفاهم والاتحام بين أفراد المجتمع يتم في التخاطب بلغة واحدة . والتناظر يكون في الحديث بلغة لا يفهما السامع . ولعمري ما كان انسجام شعورى بين فردين يختلفان في اللغة .

ولم يغفل الاستعمار الفرنسى في الجزائر عن مدى أهمية هذا المقوم في حياة الشعوب ، ولقد أدرك منذ البداية أن لا سبيل للسيطرة والسيادة الا بفرض لغته ، وأنه متى تم له ذلك فقد أحرز النصر النهائي ، وسجل الهدف الاخير ، اذ أن ببقية المقومات تأتي تباعا ، ولهذا صوب سهمه نحو هذا الهدف وركز مجهوده نحو افساد وتظليل اللغة العربية ، واستعمل أسلوبه الجهنمى لاقناع المستضعفين في الرجوع عن لغة الاجداد والتخل عن لغة الآباء والامهات ، وزين لهم محاسن اللغة الفرنسية وطمس أعينهم عن الصواب . ولقد

والانسجام قوى بين أفراد الجماعة الذين مرت بهم نفس الحوادث ، واشتركوا في بناء نفس الكيان التاريخى واجتازت نفس المحن . أما اللغة فهي أدوات نقل أو آلة التوصيل للمشاعر ، والاحساسات والتفكير ، ولعل اللغة هي أهم مقوم يميز المجموعات البشرية عن بعضها ، وبالخصوص المجتمعات الحالية التي تعددت فيها اللغات ، وراح الكل يبحث عن أصله في لغته ، وحيث أن حضارة القرن العشرين أخذت تتخطى العصبية الدينية التي كانت عليها في القرون الوسطى أو العتيقة ، وتميل نحو التسامح في المعتقدات ، عملا بما جاء في الدين الاسلامى ، «فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه» .

ثم ان الحضارة الحالية مبنية على الماديات والمحسوسات ولا تؤمن بالميطافيزيقة الا قليلا . ولهذا بقيت اللغة أهم نقطة مركزية للمقومات الوطنية تتحد حولها المجموعات البشرية ، بل ان اللغة كثيرا ما كانت مبررا صحيحا في تخطيط التخوم الدولية ، وضبط الحدود السياسية ، وتتميز بها المجموعات البشرية وما زلنا نسمع ونقرأ حتى الوقت الحالى عن الاصطدامات التي تحدث من حين لآخر بين مجموعتين بشريتين تسكنان اقليما واحدا أو دولة واحدة نتيجة الاختلاف في اللغة . ولنضرب مثلا بكندا التي يعمرها 18 مليون نسمة منهم 12 مليون نسمة يعبرون باللغة الانجليزية لانهم يمثلون الطائفة المهاجرة من بريطانيا ، ومنهم 6 ملايين نسمة لغتهم الفرنسية لانهم يمثلون الطائفة ذات الاصل الفرنسى ، وبين الطائفتين تنافس وغيرة شديدة على اللغة . فالمهاجر الفرنسى يعبر بلغته ويحاول أن يجعل لها اليد العليا في تسيير شؤون البلاد ، والانجليزى يعبر بلغته ويعتز بها ويحاول أن يجعل منها سيادة لغة البلاد ، وكم حاولت السياسة الكندية أن تزيل هذه العصبية اللغوية ، لكن هيهات.

أن تكون لها اليد العليا في الادارة الموروثة . أما المثقفين بالعربية فقد أبعادوا عن الادارة بدعوى انه من الصعب تعريب البلاد في فترة وجيزة . أو أن العربية عاجزة عن تسيير الادارة أو ليست في المستوى التقني . أو بحجج أخرى واهية مثل أن العربية لم تنجح في تونس والمغرب فكيف يمكنها أن تنجح في الجزائر ؟ وأنه إذا عربت خربت ، والغريب أن دعاة اللغة الفرنسية يحكمون على اللغة العربية بالعقم دون أن يتركوا لها المجال للخصب . فهم يبعدون أصحابها عن أحيائها ويصفونهم بالجمود زاعمين أن لغة الضاد لم تأت بشيء جديد وانها لا تصلح الا للشعر لانها ولدت في الصحراء حيث مجال الخيال والبيئة الفقيرة لذلك كانت خيالية وفقيرة وعقيمة ولا تتلاءم والمكانة الحديثة . ولذلك تسامحوا في تعريب كلية الآداب بجامعة الجزائر وعارضوا كل المعارضة في تعريب كليات أخرى . ولم يدر هؤلاء أن اللغة العبرية ولدت في الصحراء . وهي تعد حالياً من اللغات العتيقة المحلية التي أحيها اليهود وراحوا يعبرون بها حتى عن أحدث المخترعات . وانها قد اتسعت لاستيعاب الحضارة بجميع فنونها . مع انها لم تبلغ قديماً ذروة التطور التي بلغتها اللغة العربية . وهناك أمم أخرى كثيرة قد تخلت عن لغة المستعمر أو لغة الدخيل وعادت تبحث عن أصولها القديمة بعد أن تبين لها أن لا مجال للتحرر من السيطرة الأجنبية الا بالتحرر الفكري واللغوي . وما حوادث الشعب الملقاشي الناتجة عن الرجوع الى الاصل ببعيدة عنا .

ومما يجلب الانتباه في انتشار اللغة الفرنسية بالجزائر في عهد الاستقلال هو انها أصبحت تتعاطى وتستخدم أكثر مما كانت عليه أيام الاحتلال . حيث أننا كثيراً ما لاحظنا ان الذين يملكون منها الكلمة أو الكلمتين يحاولون استعمالها كلما أتاحت لهم الفرصة خشية أن يفلت منهم هذا الكنز الثمين . وصدق المثل العربي من أن أحب

أنشئت الجامعة الجزائرية أول ما أنشئت لهذا الغرض . واتخذت منها فرنساً منبعاً لانطلاق وتعميم اللغة الفرنسية ونشرها في البلاد . لهذا اقتصر فيها التعليم بالفرنسية . أما اللغة العربية فقد وضعت جانبا . بل ان الذين كانوا يعلمونها لأبناء الجزائر وهم من الفرنسيين كانوا لا يتورعون عن ابرازها في شكل مشوه للغاية . وكيف لا . والهدف الاساسي هو حمل المثقفين من أبناء الوطن على مقت لغتهم . والتصديق بعجزها عن استيعاب التطور الحضاري . والمخترعات الحديثة . وكان للسدة الطويلة التي قضاها الاستعمار الفرنسي في الجزائر أثرها البالغ على لغة السكان حيث آمن بعض المستضعفين من أن اللغة العربية لا يمكنها أن تكون لغة علم . وبالتالي أخذ يتقلص ظل اللغة العربية وينحصر لدى الجماعات التي كفرت بهذا المبدأ الاستعماري . ونبتت هذه الفكرة الأوروبية . وقامت جماعات من الشعب تنادى بالرجوع الى الاصل وكان من بينهم الرجل العظيم عبد الحميد بن باديس الذي رأى أن الشخصية الجزائرية بدأت تنهار بانهايار اللغة العربية وان حياة الشعب الجزائري متوقفة على هذا المبدأ ولذلك كرس جهوده لاهياء هذه اللغة وبعثها من جديد . لكن الوبا . الذي زرعه الاستعمار الفرنسي بين أفراد الشعب كان له مفعوله الخاص . واشتد الصراع بين اللغتين وتعالى بعض الحناجر بالمبادئ المزيفة من أن اللغة الفرنسية هي لغة الخير والحياة والتقدم . واللغة العربية هي لغة التاخر والآخرة .

وهكذا تبلورت مشكلة اللغة في المجتمع الجزائري كان لها مفعولها الواضح حتى - بعد الاستقلال - حيث أن الجزائر بعد استقلالها أخذت تعاني مشكلة ازدواج اللغة . لان الاستعمار الفرنسي بعد خروجه من الجزائر ترك أفكاراً مشبعة بالرواسب المتعفنة وهي الافكار التي اعتنقت المبدأ الاستعماري وحلت محله واستمرت في نشره . وكان من الطبيعي

فهو كالفرخ الذى تربى فى أحضان امه ولا يريد الخروج من عشه رغم قدرته الا بعد أن تدفعه الام بالقوة من أعالي الشجرة ، هنالك فقط عند ما يرى نفسه انه واقع لا محالة يفتح جناحيه ، ان عدم الثقة فى النفس مرض خطير يجب معالجته فى الحين والا سرت العدوى وكان التأخر ، لان الفترة التى تجتاحها الجزائر حاليا هى مرحلة تدعو الى التعاون الجماعى ، وللسير بخطى سريعة نحو التقدم وقطع المسافة البعيدة أو بلوغ المرحلة التى بلغتها الامم المتطورة وهى ليست مرحلة البحث عن الطريق ، أو مرحلة التوقف للاختيار ، بل ان الاختيار قد تم فى أول نوفمبر سنة 1954 عند ما انطلقت أول رصاصة لاسترداد الحقوق والشخصية ، فعلى الذين يجنون ثمرة الكفاح المرير أن لا ياكسوا المبادئ المقدسة التى ماتت من أجلها أكثر من مليون نسمة .

ولا نعننى بهذا الحديث اننا ضد اللغات الاجنبية بل العكس ، اننا نريد اعادة السيادة للغة القومية ، والتى مات لحياتها الملايين من أبناء الوطن ، وان اللغات الاجنبية يجب اتخاذها مادامت تخدم اللغة القومية ؛ فاللغة الفرنسية والانجليزية وغيرهما هى من اللغات الحية التى يجب ان تسخر لخدمة اللغة العربية وتطورها ، ولا يصح أن تكون لهما اليد العليا على اللغة القومية .

شئ للانسان ما منع منه ، كما لاحظنا أن البعض ممن يعتبرون ضمن المثقفين بالفرنسية يبحثون عن الكلمات الفرنسية البالية أو الميتة وينفخون فيها من أرواحهم ليعيدوا لها الحياة فهم بذلك يخدمون اللغة الفرنسية أكثر مما يخدمها الفرنسيون أنفسهم ومما يزيد استغرابا انهم يكفرون أشد الكفر بلغة أجدادهم وانهم آمنوا كل الايمان باللغة الاجنبية وغرفوا منها الكثير حتى تملتهم وأعمتهم عن الصواب فراحوا يعملون ما فى وسعهم للتطفل على غيرهم ، وكيف لا ، وهم لا يؤمنون بأنفسهم ان ظهوروا أمام الرجل الفرنسى، ويقدمسون الفرنسية أشد التقديس وكأن وجودهم مرتبط بالفرنسية ويعتبرونها ضرورة لحياتهم كضرورة الماء للأسماك ، ان هذا البلاء عظيم لامة تريد بناء كيائها وفرض وجودها على الحياة والتاريخ ، فالكيان يحتاج الى شخصية ، وللشخصية لغة ولا شخصية لمن لا لغة له ، وهل يمكن أن يبنى كيان بمن لا ايمان له بنفسه ؟ فالذى يتطفل على لغة غيره يعيش بلا عنوان ، اذ من المعروف أن أساس المشاركة فى الركب الحضارى والتحرر من السيطرة الاجنبية هو اكتساب الثقة بالنفس ، والارادة القوية ، والاتحاد فى العمل نحو هدف معين ، وكيف يمكن التلاحم والعمل سويا مع من لا ثقة له بنفسه أو من يتكل على غيره أو ينتظر توجيهها من غيره للسير قدما نحو الحياة ؟



ثورات العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند

في الاسبوع الاخير من شهر اغسطس 1921 ثار المابليون العرب في اقليم مالابار على اوضاعهم فقالت صحيفة التايمز اللندنية في افتتاحية لها معلقة على هذه الثورة (اغسطس 29) ما نصه :

«مادامت جماعة صغيرة من شعب هم سريعو الثورة تستمر ساكنة بين هنادسة اميل الى المسألة ، ويكونون غلا واستياء على صعوبات زراعية واقعا كانت ام وهما ، فلا بد من ان نسمع اخبارا عن اضطرابات مابلية من حين الى حين» من البين ان كاتب افتتاحية التايمز لم يجرب شخصيا تلك الصعوبات الزراعية «التافهة» التي عسى المابليين «وهموها» والتي نزلت بشعب ابي قديم من ماض بدروة الازدهار والمجد والعظمة الى حاضر قاس هم فيه اقمان زراعيون مضطهدون منتظرين تنفيذ الخطط المرسومة لحجو معالم كيانهم وهويتهم .

دنس ووفر

استاذ التاريخ
بجامعة استراليا

انقلنا من الاستاذ دنس ووفر بهذه الدراسة نشرها شامرين

فيستمر كاتب افتتاحية التايمز بسأله الاستعماري الانيق. عن هذا «العنصر الغريب الساكن في ركن شاسع بعيد لشبه قارة الهند» باستشفاف عدم تمثيلهم لواقع الهند العام : «يجب علينا أن نفهم أن المابليين ليسوا بالعموم من أصل هندي ، أنهم ينحدرون من عرب يحبون خوض المعارك استوطنوا بساحل مالابار منذ قرون ، رغم تزواج كثير . . » ومع أن الوحوش المابليين **THE WILD MOPLAHS** لم يمثلوا جماهير الشعب الهندي لعلهم مثلوا خطرا كامنا في القومية الهندية الناشئة التي هي بالاساس حلف حركة الخلافة الاسلامية مع حركة المؤتمر القومي - الهندوسي - قاده غاندي ، فحاولت التايمز أن تفسر الثورة بتلك الطريقة وتدعو الى اجراءات «حاسمة» من قبل السلطات البريطانية : «ثارت المابليون في الماضي تعصبا غير مسؤول منهم ، وكثيرا ما أثارتهم نزاعات عقارية مع ملاكين عقارين هنادسة ، أما الآن فثاروا من تحريض المحرضين «الخلافيين» الذين وجدوا جهلهم السريع الاشتغال يسير الاستغلال في سبيل إثارة أعمال العنف ، اعترف انه منذ أشهر كان المبعوثون المسلمون من مناطق هندية أخرى ينشرون دعايتهم التخريبية بين المابليين ، منذ شهرين اثنين جاءت الاخبار أن جماعات متطوعين مابليين يلبسون نوعا من البزة العسكرية . . ان الامر الذي نحن له من المتوقع هل حكومة الهند التي قد كانت يدها خفيفة جدا ، تستطيع الاستمرار في تضاضيتها عن أعمال المحرضين الخلافيين

التخريبية ؟ ان رسالة نطبعها اليوم تثبت ان دعاية خطيرة مماثلة تجرى في بانجاب والاقاليم المتحدة الهندية الآن ، في حين تثير بلاغة السيد غاندي الريحية - بانتظام - هيجانا على نطاق واسع يفضي الى اسالة الدماء ، ان لسياسة التسامح الرسمي حدودها حتى في الهند ، فيبدو أننا وصلنا الى هذا الحد . . »

ان هذا الكلام - وهذا غنى عن القول - فارغ تماما . ان «البنات» البريطانية المثبة لاصل «خلفي» لثورة المابليين العرب ضئيلة جدا بشكل مربك ، ومما لاشك فيه ان البريطانيين - لو ظنوا بجد أن حركة الخلافة تريد تدبير ثورة في طول الهند وعرضها للاطاحة بحكم الرجل الابيض الاستعماري - لقمعوها بأسرع من لمحة البرق ، ولكنهم لم يفعلوا شيئا من هذا - فكما أعلن سير وليام قنسننت في الجمعية التشريعية بمدينة سيملا بتاريخ سبتمبر 1916 «ان سياسة الحكومة ازاء حركة عدم التعاون وحركات الخلافة لن تتأثر نتيجة لنشوب انتفاضات تعصبية في أى ركن من أركان البلاد» رغم ان الحكومة ، لاحظت ، كما قال سير فنسننت ، مظهرها مربيا من مظاهر التحريض الخلافية وهو محاولة العبت بولاء الشرطة والجنود، محاولة فشلت من حسن الحظ (I) ، ان هذه الخطوط البسيطة - نشر الدعاية المعادية للاستعمار البريطاني بين صفوف الجنود المسلمين الذين في الجيش البريطاني - كانت الواحدة التي اتخذها حركة الخلافة ، التي تتشدد بشعارات الوحدة

1) The London Times 7.9.1921

الخلافيين لم يستطيعوا انقاذ المابليين الذين يبيدهم الانكليز في بيوتهم بجوارهم فكيف ينقدون خلافة المسلمين والدولة العثمانية ؟ فان بحثا علميا في حركة المابليين العرب لابد له أن يتخلص من الضباب الكثيف الذي أثاره الانكليز فرارا من الاسباب والوقائع الحقيقية في مثل هذه الفقرة من التاييمز - «مع أن السياسيين يقدمون الحجة ان معضلات ملكية الاراضي LAND TENURE هي المسؤولة عن الانتفاضة ، فكل الدلائل والبيانات تثبت ان هذه المشاكل انبثقت من تعصب وجنون دينيين اسلاميين أثارها محرضو حركة الخلافة الخطباء» (2) ان هذا النوع من الاقوال ، المقعمة بالتحيز الاعمي ورفض النظر في أوضاع المابليين وعواطفهم - كما عرفها ثقات وسياسيون محلوي هم يلمون بأوضاع مسقط رأسهم علما - هو السبب الاساسي للغموض التاريخي والاهمال الشائن للذين هما يحاصران هذه الثورة المهمة الى يومنا هذا ، فعلينا ان نتعرف نحن المسلمين مرة أخرى على ثورة من ثورات العروبة الخالدة ان الاحوال التي عاشها هذا الشعب العربي في جنوب الهند هي تبين مغزى الثورة ، ان نظرنا فيها ، ان الثورة المابلية كانت انتفاضة ثقافة منخقة على حكم اجنبي وبيئة معادية قد احاطا بها وشرعا يخنقونها شيئا فشيئا ، انها مثلت تحديا اجتماعيا عميقا وجذريا لكل ما مثله المجتمع الهندي من ظلم وطبقات وراثية ، وتمييز عنصري وطبقي شنيع ، ان هذه الثورة تشبه تماما ثورة

الاسلامية العالمية ، تضامنا مع المابليين المواجهين للابادة العنصرية ! فأمام هذه الحقائق يجب علينا ان ننظر في شعارات حركة الخلافة النارية مرة أخرى ، اننا نجد حكيم اجمل خان ، رئيس الحركة مثلا يفيد المحتلين خبرا بأن «آسيا الصغرى من جانب والهند من الجانب الآخر ليسا الا حلقتان بعيدتان في حلقات سلسلة الاتحاد الاسلامي العالمي الذي سيحقق في المستقبل» وأضاف منددا «بالمذابح الوحشية» البريطانية ، كلاما لم يكن له أن يفيد المجاهدين المابليين العرب شيئا في هذا التاريخ المتأخر ، والمذابح تكاد أن تهيم اجراءها والشعب المابلي على وشك الانهزام بعد مقاومة بطولية طويلة وقفوا ابانها في وجه اكبر امبراطورية في العالم عندئذ ، فان أثبت بيان حكيم اجمل خان هذا ، المدلى به في 28 سبتمبر شيئا ، هو أن حركة الخلافة في التحليل النهائي ، رغم شعاراتها الطنانة عن الوحدة الاسلامية العالمية لم تكن على استعداد أن تخرج من اطار الاعمال السياسية الذي أقامه الحكم البريطاني ، لم تكن على استعداد أن تنور على نظام البؤس والحرمان المفروض على جماهير الشعب الهندي لانها كانت اسير القومية البورجوازية التي مثلها غاندي فلهذا السبب بقيت اعمال الحركة داخل حدود النظام الهندي القائم على اللاعنف ، بخلاف كلماتها التي حلقت فوق طول العالم الاسلامي ، فلو سمعت خطابات الرنانة تصورت أن حركة الوحدة الاسلامية هذه حركة ذات باس جديرة بأن تهز الدنيا . . ولكنهم هؤلاء

2) The London Times 2.9. 1921

شريعة الله ودود هوميان في بنغال ابتداء من العقد الثالث للقرن التاسع عشر - ان الابداء الاستعمارية لمواقع الطبقة الاسلامية الحاكمة في بنغال واستئصال الثقافة الفارسية الناتج عن هذه الغزوة الاستعمارية العسكرية والاقتصادية قد خلا المجال امام قيام قوى أكثر جذرية من بين جماهير الشعب البنغالي ، بدون رادع من طبقة مسلمة نبيلة تكون «القيادة الرسمية» للشعب ، وان البند التام للثقافة الطبقة الايرانية التقليدية الذي امتاز به قادة الحركة الفرائضية أخذ تعبير عودة الى الاسلام الاصل ، كما تراه حركة الوهابين العرب في جزيرة العرب ، فكان كل قواد الفرائضية نصف عرب ثقافيا عرفوا مهد العرب جيذا وأجبروا أتباعهم على أكل الجراد - أكل يستحبه العرب ويكرهه الهنداسة - رمزا لانفصالهم من العالم الهندوسي الذي قد انغمس فيه الاسلام في شكله الشعبي في البنغال ، ان حركة الفرائضية عبأت الطاقات الثورية للاسلام الذي اعتنقه في الهند المستضعفون في الارض من المنبوذين والطبقات السفلى والذين عرفوا التمييز العنصري والاستغلال الطبقي في مجتمع الهندوسية فارادوا النجاة منها. ان الحركة وجدت الملاكين العقاريين المسلمين الباقين في البنغال يلجأون الى الانكليز ويعملون مع الملاكين العقاريين الهنداسة ، الذين خلقهم الاستعمار ، في سبيل قمع انتفاضة جماهير الفلاحين المسلمين ، كانت دوافع الحركة المابلية جد معاملة ، ان الفتح البريطاني ، كما في البنغال ، أفقر وخرب المسلمين اقتصاديا عن عمد مسبق

واضع الجماهير المسلمة في نفس الوقت لطبقة ناشئة من الملاكين العقاريين الهندوس الذين أخفض لهم جناحه ، وكان الاسلام يكسب دائما أتباعا جددا من المنبوذين والفلاحين الفقراء الهنداسة الذين دخلوا في دين الله أفواجا في جنوب الهند مما رسم خطوط الكراهية الطبقة أكثر حدة بين الحالتين الانتين ، اللتين ينتمیان أيضا الى دينين وثقافتين لا توفيق بينهما ، فكانت المنطقة دائما تشهد ثورات فلاحية اسلامية عنيفة على المستغلين الهندوسيين المحمين من قبل الادارة الاستعمارية البريطانية ، فتقول دائرة معارف الاسلام : «قد نشبت ابان القرن الماضي ما يعادل 51 انتفاضة تعصبية بين المابليين ، بالخصوص في ارناس بمقاطعة مالابار ، ضد الهنود ، ان بعض المابليين يبدؤون على العموم بقتل ملاك عقارى هندي ، وبعد هذا الاعدام ، يطلبون الاستشهاد قاتلين الكفار ؛ فيتضم آخرون في صفوفهم بعد تطبيق زوجاتهم ، فيخرجون لابسين ثوب الشهادة الفضفاض ليستشهدوا مقاتلين الكفار ، وهم لا يشعرون بشيء ازاء الموت الا الاحتقار المطلق ، انهم ينتهكون حرمة الهياكل الهندية ويحرقونها و يختنون اجبارا أولئك الهنداسة الذين لا يقتلونهم ، وكان بعض هذه الانتفاضات حركها استياء الفلاحين الهنداسة المسلمين ضد ظلم الملاكين العقاريين الهنداسة» ولكن المقالة تضيق «غير أن الانتفاضة الاخيرة - سنة 1921 - كانت ذا طابع سياسى بحث فائرها حركة الخلافة ؛ انها اختلفت من كل التي سبقتها من ناحية اتساع نطاقها والدلائل الواضحة

ثورات العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند

الجائعون حتى أغمى عليهم . ان الشعب البنغالي في أكتف أيامه سودا . بعد الهدم التام لقيادته التقليدية . في شبه عزلة من الوطن العربي ورغم ظروف قاسية ومواصلات بدائية وانغماس الشعب في الجهل وجاهلية ثانية . استطاعوا قلب أحوالهم رأسا على عقب وارساخ وعى اسلامي أممى في عقول الجماهير المؤمنة الففيرة . بخلق اطار حضارى عروبي جديد قضى على العقلية الراجحة في بنغال آنذاك والتي هي خليط من عناصر متناقضة للحضارتين المغولية الايرانية والهندوسية الشعبية . لم يحتج البنغال في ذلك العهد الى اللاعنفيين الخلافيين البورجوازيين ولم يحتج المابليون العرب . كذلك . الى «محرضي» هذه الحركة من بعد مئة سنين ! ! كقاهم الاسلام ذخيرة من الهداية وكقاهم تجربة تاريخهم العربي القومي استراتيجيات لكي يخوضوا هذه الثورة المسلحة . ان حقائق صغيرة كثيرة تثبت الطابع الجماهيري . الجذري اجتماعيا . الذي لهذه الثورة المابلية - رغم اغفال المؤلفين الاجانب اهم البيئات والدلائل ! - ان المابليين مثلا احرقوا كل السجلات المتناولة الممتلكات العقارية التي هي الاساس القانوني للاوضاع الاجتماعية القائمة في الريف المالاباري . . فقال مؤلف بريطاني «ان تدمير هذه السجلات والوثائق ستؤثر في مصير الهندسة المساكن الذين سيصعب عليهم الآن اثبات صحة ادعائهم لممتلكات وأراض هي لهم ؛ بدون أدنى شك ، (5) وان الفطائع التي اقترفها بشناعة الاستغلال الذي عاناه الشعب العربي

على تنظيمها واستعدادها المخطط ؛ ان الفضائح التي جاءت بها ضد الهندسة تثير الغثيان بشكل خاص (3) . كاني أرى الباحثين الغربيين النصاري يشغلهم «الغثيان» - ولو كان الغثيان مبررا من «فطائع» المابليين - عن دوافع المابليين أنفسهم والظلم والقهر اللذين عانوهما هم كمسلمين في مجتمع من أظلم ما خلق الله من أنظمة انسانية . ان انتفاضات فلاحية . او انتفاضات عبيد ليست جميلة أبدا فاعتقد ان مواقف كمثل موقف هذه المقالة تهمل مرجع هذه الوحشية وفي هذا المثل المذكور بالفوق . تؤدي الى رؤية «اختلافات» حيث هي معدومة وتجنب درس علمي بدعوى بعض العوامل أو الوقائع التي غمى تعيين مغزاها قد وقع اختلاف كثير . فجودة التخطيط العسكري مثلا الذي امتاز به الثوار . والذي رأاه البريطانيون كدليل آخر على يد خلافي .. كتب مراسل التايمز من بومباي انها «طبيعية تماما فتماثل تمالك قبائل حدود الهند الشرقية الشمالية أنفسهم أمام النيران وقيادتهم الجنود» (4) كما دلت قطاعة اليوم التالي في التايمز على الدور الذي لعبه جنود متقاعدون في صفوف الثوار العرب المابليين .

ان كل الثقات والملمين بشؤون مالابار اعترفوا بشناعة الاستغلال الذي تضرور من وطائه الشعب العربي المابلي من قبل ملاكين عقاريين هنود لجأوا الى كل الوسائل الممكن اتخاذها لأجل اعتصار الاموال منهم ، هذا الاستغلال الذي تضرور من وطائه

4) The London Times 2 Septembre 1921
5) The London Times 30.11.1921

(3) دائرة معارف الاسلام ليدن حرف م ص 261

تعبيرها الصادق في ثورة الفلاحين المسلمين «العرب» فان اعمال اغتصاب نساء طبقة النايار NAYARS الهندوسية الحاكمة ، مثلا ، من جانب الثوار تبدو كأنها اهانة مسددة الى نظام الطبقات الوراثية المتخذ لرمز منع التزاوج كرمز لظلمه أكثر منها تهيج لا دافع وراءه الا الشهوانية، ان ثار الجماهير العربية ، من حفر مقابر جماعية للذين عادوا الثورة مثلا شيء رهيب ولكن نظام الطبقات الوراثية الهندوسية كذلك انكار شنيع لآخرة الانسان وكان العرب والجماهير الكادحة الداخلة في صفوفهم قد عقدوا العزم ، وهم يعون تاريخا مجيدا ، ألا تفرض عليهم مرة أخرى تلك العبودية فأصاب «الكفار» عقاب بما قدمت ايديهم .

فلنر الآن على أى مستوى كانت تخاطب الثوار وما كانت أهدافهم ، وأى نوع من حرب شعبية هذه ، وما كانت نتائجها الأخيرة كتجربة رائدة رسم طريقا أمام كل من الشعب الهندوسى والشعب الإسلامى فى شبه قارة الهند - باكستان .

يقتطف ر . س . مجامدار آراء التقرير الانكليزى لرسمى فى نشوب الثورة (6) ورد أفعال الهنداسة حاول جمعها الآن باقتطاف أقوال التاييز لكى نرى صورة متحركة للثورة مرحلة مرحلة فنستنبط الدوافع الحافزة للقائمين بها ، ولو انتصر الثوار العرب وكتبوا هم كتب التاريخ والابحاث الاكاديمية أمكنهم تقديم تفسير ثان يختلف من الذى رائج ، من التقرير - «ابان الاشهر الاولى فى 1921 ،

الثوار كأن بعضها مسددة الى نظام اجتماعى تجرع القائمون بالثورة من قبل مرارة منه ومهانة واستقلالا نزل بهم الى مستوى البهائم تنضور منه النساء والاطفال حتى يغمر عليهم جوعا . ان كثيرين من الذين انضموا بين «العرب» فى مالابار كانوا من الملاعين والمنبوذين والمحترقون فى المجتمع الهندى، فاعتنقوا الاسلام لانهم آنسوا فيه اخاء ومساواة فى توحيد الله ففقزوا فى دققة من الموقع الاسفل الى الذروة فى أوضاع مالابار ، ولكن المستعمرين البريطانيين فتحوا مالابار واضطهدوا الشعب العربى هناك ، محاولين محو ثقافتهم ولغتهم ، واقامة طبقة جديدة من الملاكين العقاريين الهنداسة عليهم مرة أخرى مما جعل المسلمين مستضعفين فى الارض بضرب عليهم المسكنة والحرمان فيجدون أنفسهم بأسفل المجتمع الهندى . ورغم هذا استمر الاسلام يكسب اتبعا جديدا من فقراء القوم والفلاحين المعوزين فى كل العهد البريطانى ، ورغم خسارة أكثر المابليين لغتهم العربية الاصلية ، ورغم سياسة الافقار والتجهيل الرسميين، انهم احتفظوا بشعورهم العربى العميق ، بواسطة أغانيهم النشيدية الشعبية باللغة اللامايالامية الداعية الى الكفاح والجهاد ضد الاستعمار وعملائه الهنداسة ، فكان من الواضح ان ارتباط هذه القومية العربية المتغربة بجماهير مستائين من فلاحين قد طال عليهم الظلم لابد له ان يخلق وضعاً مخطرا جدا . ان ثورات عبيد أو أقتان ليست أبدا جميلة ، ان المجتمع الهندوسى فى مالابار كان مجتمعا غير عادل وجدت قوى انفجاره

8) B.C. Muzumdar "History of The Freedom Movement in India Calcutta 1963 page 190

ثورات العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند

والمواصلات ، ان معنويات الثورة لم تهتز بعد فلا تزال مراكز الشرطة والمحاكم مغلقة ولم تسنح الفرصة بعد لتقييم مدى الضرر والتخريب اللذين الحقوهما بأمالك الحكومة والمدنيين ، ان الجسور والطرق التي رميمها الجنود دمرها الثوار للفور مرة أخرى .

« كاليكوت 18/9/1921 وردت الاخبار من بيلا عمبور التي تبعد 36 ميلا من كاليكوت شرقا ان وريانكوناث كنجد الحاج يدعى سلطته المستقلة في ارناض الشرقية فيصف ارناض ووالانناد كملتكتين خلافتين WALAWANAD مزعومتين ، انه افتخر بانه فتح ارناض ووالانناد اللتين لن تدفع الضرائب الزراعية العقارية فوق اراضيها مرة أخرى» ان هذا المقتطف الاخير يبرز مرة ثانية أولية الاستياء العقارى الذى بصدر الفلاحين المسلمين القائمين بالثورة، فلم تكن الوحدة الاسلامية العالمية من طراز الحركة الحلافية او «دولة اسلامية» الا البناء الفوتى النظرى الذى قام على هذا الاساس»

ان التاييم تقدم تصويرا للهجمة المضادة الاستعمارية التى مثلها الزحف على ما بوروم انقاذا للمدينة «ان كثارا من المابليين الواقفين فى وجه طابور النجدة التى أرسلت من كاليكوت انقاذا لمدينة ملابوروم كانوا جنودا متقاعدون من الجيش الهندى البريطانى سابقا ، اشتركوا فى الجيش البريطانى فى معارك ما بين الرافدين ، ان هؤلاء حصنوا انفسهم فى بيوت بوقاطور PUKKATUR

7) The London Times 8 Septembre 1921

قصرها . انهم هجموا على مكاتب الدولة والمحاكم، فدمروا كل السجلات العامة ، وسلبوا مراكز الشرطة كل أسلحتها وذخيرتها حتى ان الحكومة المدنية توقفت عن السير تماما ، ان فجأة نشوب الثيران واتساع نطاقها يدلان بما لا يقبل الجدل من الاثبات على وجود منظمة خطيرة واسعة ، قوادما كانوا يترقبون فرصة لمحاولة الاطاحة بالحكومة القائمة بواسطة العنف المسلح (7) .

تعطى ملحمة محاصرة المسجد بميمير فكرة عامة لبسالة المابليين فى خوض معارك مستميتة ، « كان ثمة كثير من المقاتل قبل ما استسلم الثوار ان يطعنوا بسكاكينهم حتى بعد ما اخترقتهم الحراب» وفى المعركة الحامية الوطيس التى ذهبت بأرواح أكثر المسلمين المرابطين بالمسجد الذين حوصروا بهم من بعد ثمة ياردات «أصاب كثارا من الموتى - العرب - طلقات رصاصية كثيرة قبلما صرعتهم . فكان احتقارهم للموت خارقا حقا» (8)

وكتبت التاييم بتاريخ 19/9/1921 تحت عنوان «روح المابليين الكفاحية لم تكسر بعده» ما نصه :

« سبلا 16 سبتمبر أعلن فى مجلس الدولة (كونسل أوف ستيت) ان الاوضاع فى مالابار لا تزال خطيرة ، ان الاراضى الداخلية لارناض وولاناواد لا يزال الثوار يسيطرون عليها وعددهم يقدر بثلاثة آلاف ، ويعرقل حركات الجنود سرعة تنقل الثوار من مكان الى مكان وصعوبات النقل

(8) نفس المرجع

السائدة في ذلك المجتمع - أعنى الهندوسية البرهمانية ونظام طبقاته الوراثية - انكار امكانية نشوء وحدة شاملة من الاخاء القومي . كان بين الطبقات المختلفة في مالابار - التي هي بالحقيقة كيانات عنصرية فبالتحته ثمة الدراقديون سكان الارض الاولون وبالقمة الآريين الرصانة الغزاة - كان بينها وهدة لاجسر عبرها . ولكن ، ليس ممكنا أن هذه التوترات الطبقية تنحصر داخل اطار مادي مصلحي طبقى ؟ يكاد يمكن . لولا مجيء العرب الذين فجروا هذه الدنيا الجامدة . الراكدة . وقدموا على تراب مالابار كيانا قوميا واقتصاديا يخالف النظام القائم كل المخالفة . ف جذبوا الجماهير اليهم وهم الاسلام والعروبة بالسيطرة على الاوضاع . ولكن مجيء البرتغاليين عرقل سير هذه العملية الطبيعية التقدمية في المجتمع المالابارى . ثم جاء الانكليز وأخذ نظام الهندوسية الطبقي نفسا آخر بعد احتضاره وبدأت مصائب تصيب العروبة من جراء انهيار أسسها الاقتصادية التجارية مما ألحق أضرارا بالغا بالثقافة العربية ومعالم الشخصية العربية . فابتدأت اللغة العربية تتراجع الى الوراء بعد زوال التأييد الشبه الرسمي الذي تلقته في العهد السابق لمجيء البرتغاليين . ولكن التحدى للظلم الاجتماعي الذي كمن في عقائدية الاسلام أنقذ العروبة من قاعدة تجارية طبقية مدنيّة ذات ملحق فلاحى الى قاعدة فلاحية ريفية ذات ملحق تجارى بسيط . فى ابان هذا الانتقال زالت العربية تكون

وردوا بشدة على طلقات الجتود الحاملين عليهم بنيران مماثلة . فلم يجد الجنود الهاجمون بدا من أن يكتسحوا عددا من المتراسات بهجوم مقابل وجها لوجه . . . وقال البيان العسكرى الذى أصدرته السلطات البريطانية : ان الثوار هجموا على طابور النجدة التى أرسل بها الى مالابورم من الامام والخلف وكلا الجانبين . ولم يتبعثوا الا بعد أربع ساعات من القتال بالسلاح الابيض ثم قال البيان ما له مغزاه العميق بعد شهر كامل من مقاومة الوحوش المزعومين للعرب المابليين : « ان السكة الحديدية الى كاليكوت قد أعيد استعمالها مؤقتا ولكن كل البرمالابارى ما سوا « تعلق » بالغات (أى منطقة بالغات) لم نسيطر عليه بعده (9)

كلما حمى وطيس الحرب وتضاعدت اعمال الجانبين عنفا ووحشية كسبت المقاومة العربية طابع حرب شعبية أكثر فأكثر . ولكن الشعب الذى كانت الحرب له لم يكن بالتأكيد الشعب الهندوسى الذى وقف فى جانب البريطانيين من اللحظة الاولى للثورة . ان هذا الاصطلاح «الشعب الهندوسى» طبعاً سيثير الجدل . ولكن مسألة الاصطلاحات اساسية فى فهم الحوادث . ان المعلقين والمؤلفين الهندوس والانكليز يرون انتفاضة المابليين كـ «تعصب» محض ولا شئ آخر . ان هذا لانهم يابون النظر فى الحركة من موقف تحليل قومى واجتماعى . ولكن ، كما رأينا من البحث . لم تكن فى المجتمع المالابارى أى وحدة قومية مطلقا بل كان أساس العقائدية

9) The London Times 21.9.1921

ثورات العرب ضد الاستعمار في جنوب الهند

(10) ولكن السؤال هو : فى أى معنى كان العرب المالاباريون «مواطنين» للهندود الا من الناحية الرسمية الاسمية ؟ فان مستيدا اجنيا مشتركا لا يخلق قومية مشتركة ، ان القوميين الهندود يقولون للمابليين انهم «عصبة من مسلمين متعصبين فقراء جاهلين عددهم حوالى مليون نسمة . ينحدرون من العرب المستوطنين على ساحل مالابار . . . » (11) فهل أعمال عنفهم تدل على «تعصب» غير معقول لا دافع عقلانى له أم على مصالح تخالف مصالح الذين يجاورونهم لانها قائمة على أساس قسوى وطبقى لا غير ، لا توفيق بينهما ولا شفاء للظلم الناتج عن اقامة الانكليز أحد القوميين على الآخر الا انفجار عربى عنيف ؟ ! هل «الجهل» بالجمهير العربية فى جنوب الهند أم بالذين يحكمون على هذه الجمهير من العليا ؟

أيد الهندوسيون الانكليز على العرب الثوار ، ان مجامدار ينكر هذا ، ويدعى انه كلام كاذب من قبل متطرفى حركة الخلافة يذهبون بها فطائع المابليين التى «لا سبب لها» ولكن أخبار التاييمز تفيد عكس ذلك ، فاذا قرأنا ما بين سطورها تبين أن مجموعات معينة بين الهندود عارضوا الثوار وفعلوا كل ما استطاعوا لعرقله سيرهم لنفس أسباب تأييد آبائهم للانكليز حين غزوا شبه قارة الهند باكستان - انهم اعتبروا العرب المسلمين شعبا ليسوا منهم ، لا مصلحة مشتركة لهم ، ففضلوا حكم المسيحي الازرق العينين الذى يحمى مصالح الرجعيين الهندود على المسلم

اللغة الام لمعظم المسلمين فى الاقليم ولكن العقائدية العروبية بقيت وارتبطت بكفاح الفلاحين المسلمين الفقراء ضد دولة ونظام اجتماعى هما يضطهدانهم من ناحيتين - طبقية وقومية ، ان الثورة المابلية ثورة قوم مضطهدين وطبقة مضطهدة وان هاتين الحقيقتين ، أى هذا الاضطهاد المزدوج ، يعلنان عنف الانتفاضة واسالة دمانها .

طبعاً لن يرضى عقائدو القومية الهندية البرجوازية بهذا التحليل ، ولا الانكليز ، لانه - لو أثبتناه - سوف يعنى ان وحدة ارض الهند وهم من الاوهام. ان لها أقواما وشعوبا وأما متعددة ، وليست ذات مقومات هوية موحدة ، ولكن تطور الحوادث تؤيد تحليلنا . ان غاندى من الاول لم يفهم ما يجرى فى مالابار فايد الى حين ثورة العرب هناك وتفاضى عن اسالة دماء الهنداسة فى الاقليم ، الا أن الانكليز والرجعية الهندوسية المحلية الذين سدد ضدهم ضربات قاصمة بعثرتهم كالعن المنفوش لم يريدوا أيضا فهم ما جرى ، ان كل الاطراف الثلاثة رفضت اعتبار الثورة المابلية ماكانت - ثورة امة عربية متغربة فوق تراب الهند. امة لاعهد لها بالاقوام الاخرى التى شاركتها تراب الهند اللهم الا الشعب الاسلامى الشريف فى السد والبانجاب والبنغال الذى يشاركها حضارتها الاسلامية ، فقال السيد مونتاغيو ، وزير الهند ، أمام البرلمان البريطانى : وقد اقترف الثوار فظائع ما اكثرها اثارا للفتيان ضد مواطنيهم الهنداسة الذين كانوا رعايا مواليين لنا» their loyal Hindu Fellow subjects.

10) The London Times 9.11.1921

11) E.S. Majumdar History of The Freedom Movement in India page 190

الاسمر كمثلهم الذي يطالب المساواة والعدل واستقلال البلاد ، وإن أقوال التايمز تثبت بما لا جدال فيه أن الهنداسة كانوا حقاً استحقوا اطراء وزير بريطانيا للهند أمام البرلمان الانكليزي - كانوا فعلاً «رعايا مواليد» ، فلم تكن أعمال العنف والثار بدون سبب ، ولم تكن الثورة انفجاراً فوضوياً ، بل عملاً منظماً لها أهدافها المرسومة العادلة ، فإن قائداً كمثلهم سيثيكويا تهنكل مثلاً الذي انضم في

SEETHIKOYA THANGAL

الثورة يعلن جمهورية إسلامية بمنطقة كورمرام في شهر سبتمبر قد أصدر قبل استسلامه في ديسمبر أكثر من فتوى ، باسمه كوالى مملكته الخلافية ، تحرم على اتباعه أعمال السلب وفظائع أخرى ، مشيراً بكلماته إلى أن البلاد الآن لهم ، (12) ولكنه من شهر أكتوبر فصاعداً - كلما تحسن وضع الانكليز وازداد الضغط على الثوار فوجد الهنداسة شجاعة أكثر ، أخذ الثوار ثاراً رهيباً من الذين تعاونوا مع العدو ، إن منطق الاختلافات الطبقية واللغوية والثقافية والدينية كانت تفصل بين الجاليتين الهندوسية والإسلامية حسب خطوط هي عنصرية وقومية ، كان الشعبان في مالابار يتخذان موقفين مختلفين كل الاختلاف من مسألة الثورة المسلحة في سبيل الاستقلال لأن كل واحد منهما رأى استقلال الآخر أو ازدهار الآخر عبودية بالنسبة إليه ولكن رد الفعل العربي لم يكن بدون تمييز رغم أنه عنيف ، كانت أسباب ملموسة موجودة «إن الثوار سلبوا مكان دكان لأن صاحبه أعطى سجاسر

للجنود ، فهو الآن خفي وعين له يومان عليه أن يظهر مرة أخرى والا فهددوا بقطع الأيدي» (13) ، «إن جيمبر اسيرى تهنكل الذي انضم في صفوفه كون حماد الحاج قد أعلن الحكم العسكري حسبما تفيد الاخبار ، وهدد بقتل كل هندوسى لا يعتنق الاسلام ، إن الثوار يشكون من مساعدة الهنداسة للحكومة، إن حفر القبور الجماعية التي تزعمها المصادر الانكليزية ، إن صح كان همجية أو بربرية ولكنه يجب علينا أن نفهم نوع البربرية فتقول التايمز : «مثلاً سلخ القائد العربي جيمبراسيرى جلد رجل اتهم بأن قدم اللبن إلى الجنود الانكليز» (14) ولكن التايمز تذكر كذلك أن مسلمين تعاونوا مع الانكليز لقوا نفس العقاب الشديد ، فنرى كون حماد مثلاً يحاكم المتعاونين الاعوان فيحكم بقطف رؤوسهم عليهم من بينهم 34 هندوسياً وماليارين اثنان كما يقول التايمز ، فى يوم 25 سبتمبر (15) هذا ويدل على حكم صارم على كل من عاون المستعمر بدون مراعاة طائفية .

وبعد الفترة الاولى من الهجوم العربي سرعان ما تحولت الحرب إلى حرب عصابات طويلة الامد جر بكثير من الآلام على السكان المدنيين من جراء سياسة «احراق الارض البريطانية» فكانت هذه حرب شعب بأسره لاحت عصابات متفرقة ، فبعد بعض الهزات أصبحت قوى الشعب يلتجئون إلى الاتلال من حيث يخرجون ليلة نازلين على القرى يقدمون النساء المالبليات ما لذ وطاب من الاكل لهم هناك ويضربن الطبول كلما اقترب جنود الحكومة البريطانية» (16)

12) The London Times 23.12.1921

13) The London Times 19.9.1921

14) The London Times 24.11.1921

15) The London Times 5.10.1921

16) The London Times 3.10.1921

فيدون أسلحة تفرياً اللهم إلا بعض السكاكين المصنوعة في القرى المأهولة الفقيرة. جاهد هذا الشعب الباسل أقوى الدول الاستعمارية بأسا آنذاك لكي يعيش حياة حرة - أما الإنكليز - فكانوا متأسفين كل التأسف الاثني من ضرورة إبادة المابليين إبادة جماعية - كمثل النازي في افتتاحيتها المهدبة الأولى حول الإنفاضة إذ قالت «ان المابليين هم منعصمون حقيقيون يخرجون مصممين على الاستشهاد وفي الماضي صفتهم كانت الا يستسلموا أبداً ، منذ خمس وعشرين سنة كان لابد من صرع مئة منهم بإطلاق الرصاص عليهم على مضض منا - في هيكل تملجى لانهم اختاروا الموت على الاستسلام» (١٧) ان المابليين مرة أخرى - فضلوا الاستشهاد على حياة مهين تحت نير مواطني أصحاب التامر الذين يمدون يني البشر على مضض .

رغم الضغط المبرح الذي عليهم من ملاحقة الجحافل البريطانية - طور المابليون مستوى استراتيجيتهم في حرب العصابات وحرب المقاومة الوطنية . كانت الحرب الى حد بعيد اقتصادية ، فكان من المحتم أن تكسب هذه الأبعاد بعد نشوبها فكان أصحاب المزارع الانكليزية الذين كانوا يغرسون التوابل ومحصولات تجارية أخرى يعرفون أن الثورة الشعبية حددت بالقضاء على سيادتهم الاستغلاية ، ولهذا نظموا دبريات من المرتزقين المحليين والميليشيا الاستعمارية ، مواجهة للوضع المخطر . ان المابليين قد عانوا منهم فلم يرحمهم

فلا شك أن هذا النوع من الخبر حفز البريطانيين ان ينتقموا من اولئك المابليين الذين يمدون اليهم الايادي من أهل القرى العزل ، فان الهجوم المضاد البريطاني لم يحقق النتائج الحاسمة المتوقعة ، فكما قال أمين الشؤون الداخلية

HOME SECRETARY

بسملا SIMLA 1921/9/30 «مجموع عصابات المابليين المسلحة عشرة ألف رجل ولا تزال مقاومتهم تقوى وان تكتيكاتهم العصابية من الأرجح انها ستطيل فترة العمليات العسكرية فستحيل اذا أن تتنبأ بسحب الحكم العسكري فرأى مراسل التايمز في رسالته المؤرخة 1921/10/21 «ان الماطلة وعلان الحكم العسكري أعطت الوقت اللازم للشوار أن يغيروا تخطيطهم فالآن هي تخطيطات حرب العصابات ، فالآن يختفون بأعداد كبيرة في الغابات الاستوائية الكثيفة فلم ير مراسل التايمز أملاً أن يقضوا على الثوار قبل عيد الميلاد . من جراء كرمهم البريطاني المعتاد الذي دائماً لا يلائم معاملة وحوش مابليين . ، وفي الاحيان التي تقدم العرب فيها للمعركة كانت النتيجة أقرب الى مجزرة منها الى قتال بالمعنى الحقيقي للكلمة . فخذ البيان العسكري بتاريخ 1921/11/15 صادر في دلهي الجديدة : «ان الفين اثنين مابليا هاجموا بشدة حصن بانديقاد الذي رابط فيه فصيلة من «البنادق 2 - 8 الغوركهاوية ، فخسر العدو 230 قتيلاً . كان خسائرننا القبطان ايقزل وثلاثة رجال من مراتب أخرى قتلى و 34 جريحاً . ان أمر البريد المدني بيانديقاد ذبح ، اننا قبضنا على بندقية و 139 سكيناً ان الجملة الأخيرة هي التي تثير العواطف

من السكان يقتفون هذه الخطوة، شيئا فشيئا أصبحت الجماهير يرون المعركة كأنها عدية أمل، فانهارت المعنويات الشعبية وبالتالي معنويات رجال المقاومة فانتصرت بريطانيا مع رشاشاتها وطائراتها ومدمراتها على هذا الشعب الابى الذى جاهدهم بما عنده .

كان النصر الانكليزي بدون هوادة ، كان قواد الثورة يتوفون فى سجن الانكليز فى ظروف مشبوهة مريبة وانكشفت خفايا كمثل خنق سبعين أسيرا عربيا فى داخل قطار فى طور نقلهم الى المعتقلات فى حر الشمس ، ان الانكليز لم يعطفوا على الاسرى العرب كما عطفوا على جنودهم هم الذين رأتهم الصحف الانكليزية مضرب المثل من البطولة لانهم يزحفون على العدو فى حر الشمس التى قتلت السبعين عربيا ورفضت السلطات الانكليزية طلب الدوائر القومية بين المسلمين ان يجلس ممثلون للرأى العام الشعبى فى لجان « التحقيق » أو « التقرير » التى أجرتها السلطات فى شأن هذه الفضائع .

لاشك ان الثورة المابلية من أعظم النضالات التحررية بطولة فى تاريخ الهند - باكستان فى عهد الاستعمار . ان المابليين برهنوا بضحاياهم ان الثورة المسلحة للجماهير شىء ممكن وفعال ينطبق على كل الشبه قارة وعلى كل شعب اسلامى وعربى فى كل مكان ازاء تحدى الوجود الاجنبى ، وبهذا سود المابليون وجه القومية الهندية البورجوازية ووجه القومية الاسلامية البورجوازية أو الاقطاعية الصغيرة التى مثلتها حركة الخلافة كذلك ان ثورة العرب فى مالابار أسهمت فى كفاح

وقتلوا هؤلاء المستغلين الاجانب كلما استطاعوا الى القتل سبيلا ، وفى الايام الاولى للثورة كان الطريق الى غودالوويناد ، وهو الشريان الرئيسى بالنسبة الى الفارسين الانكليز ، مسدودا تماما ، فالاراضى المجاورة تكتظ بالثوار واستطاع هؤلاء الثوار العرب تطوير طرائق محاربتهم العدو حتى بعد ابتداء دور المهاجمة المضادة الانكليزية (رغم دوريات أصحاب المزارع انهم عرفوا كيف يسددون ضربات الى الاسس الاقتصادية الاستغلالية التى للانكليز ومواقفهم ، فوجد ذى تايمز تقول بشئ من الحزن (12/16 1921) والثورة « تقترب من الانهيار » : « ان وحدة محلية.. قد أعلنت فتح الطريق أخيرا - أى الشريان الحيوى لأصحاب المزارع الانكليز ولكن أخبار اليوم الواردة تفيد حدوث فظيعة مابلية ، عملتها كما يبدو عصابة غازية قرب فودالور - قتل مفتش شرطى وكستبلان اثنان وجرح أربعة شرطيين » وكلما شددت السلطات ربكة جحافلهم حول الثوار كانوا اما ينسلون من بينها واما يردون على التخطيطات الانكليزية بضربة غير متوقعة فى نقطة ضعف ما - كهجومهم على قرية ياندالور التى هى خارج حدود مالابار مثلا ، والتى لم يتوقع الانكليز أى هجوم عليها

ولكن انهيار القاعدة الشعبية تحت ضربات الانكليز انهكت مصدر طاقات الثوار، فحسب رسالة من كاليكوت (مؤرخ بـ 1921/12/14) أن « قدمت تسع انسام (أقسام مقاطعات) بضواحي تيروواناغادى ذات مجموع سكانى من 4400 نسمة عريضة الى الحكومة أن يسمح لهم الاستسلام ، ان أناسا آخرين

ستهدم الوحدة الاممية للشعوب الاسلامية . فقد قرأنا خطاب أجمل خان ، رئيس الخلافيين ، دعا فيه الى اتحاد اسلامي دولي يضم الاراضى الاسلامية في الهند . فغنى عن القول ان لا توفيق بين هذا الهدف وأهداف القومية الهندية التي عند «حزب المؤتمر القومي» - حزب غاندى الهندوسي البورجوازي - فوضعت ثورة المابليين غاندى في ورطة لان العرب في مالابار وجدوا الهندوسيين ليسوا من أمتهم ، ولا يتعاطفون مع أمتهم ، بل يكونون للعروبة عداء وغلا ويتعاونون مع الانكليز فاصبح النضال العربي صراعا بين الامة العربية الاسلامية من جانب والامة الهندوسية وحمايتهم الانكليز من جانب آخر. فاول الامر حاول غاندى أن يرى كفاح المابليين ككفاح قومي . هو للهنود بقدر ما هو للمسلمين . ولكن « المعتدلين » في حزبهم استغلوا موقفه هذا ضده في تقويض قاعدته الشعبية عند الجماهير الهندوسية التي كانت في حال غليان ضد العروبة ، فوجد نفسه يخسر شعبيته ووجد هندوسيين مدارس مثلا ، التي يجوار منطقة الثورة ، يرفضون أن يلبسوا الطاقات القاندية وهي رمز للقومية الهندية . فاجبر غاندى على تعديل موقفه الغير واقع في حين أن المنظمات الاسلامية عباوا - على مستوى الكلام على كل حال - تأييدهم المطلق للشعب المابلي . فلا شك ان ثورة العرب المابليين كانت مفترق الطرق بالنسبة الى شعوب الهند . فأخذ المسلمون طريقا وأخذ غاندى طريقا آخر أفضيا في آخر الامر الى غايتين متخالفتين ومتناقضتين - أفضيا الى نشوء دولتين مستقلتين من انقاص الهند البريطانية الموحدة -

كل الشعوب الاسلامية عموما فكانت جزءا من كفاح الشعوب الاسلامية الدولي . كما رأت افتتاحية التايمز « تعقيدات الشرق الاوسط » التي ربطت « حركة الخلافة التحريضية » و « حتى الوحوش المابليين » باخطار الحركة في آسيا الوسطى لمصالحنا المتعددة في الشرق » فهذه المصالح . بعد فشل العميل الامين فيصل في فرض نفسه على أوضاع العراق « بينه بما يكفي عند ناس هذه البلاد » من هذه الناحية . قدمت انتفاضة المابليين نقدا ثوريا للقوميتين الهندسية والاسلامية الناشئتين في الهند آنذاك مما أثر في المدى البعيد في تطور حركات الارهاب مثلا في بنغال . وفي مواقف المسلمين في جنوب الهند وحيدرآباد بالخصوص . ان الثورة العربية المابلية اول خروج شعبي هندي من اطار التطور السياسي اللاعنفي الذي أقامه الاستعمار . انها قفزة من المعارضة باللسان . وهو أضعف ايمان . الى طور المعارضة باليد .

ثانيا : كشف كذب نظرية « قومية هندية واحدة غير طائفية » التي قد تشدق بها غاندى في بعض الاوقات مع أن أسلوبه الجدلي عند الجماهير لم يترك مجالا للشك ان قوميته الحقيقية هندوسية بحت . تستجيب مع عواطف البورجوازية التقليدية الهندوسية الصغيرة . ان غاندى قد كسب تعاون المسلمين بواسطة اتخاذه لموقف صارم ضد الفزوة الاستعمارية في الشرق الاوسط . الذي اهتم المسلمون الهنود به معتبرين اياه بوطنهم الام . فدعا غاندى الحكومة البريطانية الى الامتناع من عزل الخليفة العثماني . وهي خطوة

ترجوه أن يشدد تنفيذ تشديدا أكثر . ان السكان الهنود استجدوا وسأموا أن يرسل مزيدا من الجنود لتضمين عقاب كاف سريع فعال لكل المجرمين» (١٨)

ومن الممكن أن في هذا اليوم ولد باكستان . دولة منفصلة لمسلمي الهند الذين وجدوا أنفسهم أكثر فأكثر مندفعين الى الدفاع عن عروبتهـم العنصرية التي قادها غاندى ونهرو والتي لم تكن مستعدة لمنح المسلمين في الهند حق المحافظة على ثقافتهم العربية الخاصة ضمن دولة هندية موحدة . فثار المسلمون على الهنداسة . وسادتهم الانكليز ، وحققوا استقلال وطنهم . باكستان .

هما الدولة الاسلامية «باكستان» والدولة الهندوسية «الهند» فلا نستغرب فرح التايمن من تطور الحوادث من خيانة القوميين الهنود الجبناء للثورة المابلية . واستسلامهم أمام الوجـود الاستعماري : «ان نظرننا في الهند بصورة عامة نجد دلائل كثيرة على الثبات والاستقرار ، ان الذبح المابلي الوحشي لهنادسة كثيرين قد جعل كل الهند تدرك نوع القوضى الذي سيجيء من جراء اختفاء لـذراع البريطانى القوى ، ان لوردريدنغ الذى حاول اعتدالا

LORD READING

وتمالكا ذاتيا في تنفيذ في مالابار واجهته أخيرا عريضة تحمل توقعات كثيرة من منطقة الانتفاضة ،

^{١٨}) The London Times 16.11.1921





رسائل جامعية

دورية كتامة

في تاريخ الدولة الفاطمية

اخترت هذا الموضوع لاعتبارات منها ، أنه موضوع بكر ، لم يلق حتى الآن عناية جادة من الباحثين ، ولأن تاريخ كتامة يمثل جزءا هاما من التاريخ القومي لسكان المغرب الاوسط في العصور الوسطى ، وهو مرحلة هامة لدراسة احوال هذه البلاد على مدى أكثر من قرنين تمتد حتى القرن الخامس بعد الهجرة . هذا فضلا عن ان تاريخ كتامة زاوية هامة أو نافذة يطل منها الباحث على سير العلاقات العامة بين المغرب والمشرق الاسلامي ، ومصر الفاطمية ولا يخفى أن تاريخ كتامة هو تاريخ نجاح التجربة الوحدوية الرائدة . او تاريخ نجاح اللقاء ارادة ابناء المغرب بارادة ابناء مصر والمشرق العربي على صعيد الوحدة والجهاد لاعلاء كلمة الاسلام .

د . موسى لقبال

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

ملخص رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الاسلامي 21 صفحة فولسكاب
موضوعها : « دور قبيلة كتامة في تاريخ الدولة الفاطمية » - قدمها لقبال موسى بن علاوة - مدرس التاريخ بكلية الآداب، جامعة الجزائر
الى كلية الآداب - جامعة عين شمس - ناقشها الاساتذة الدكاترة : 1 - سعد زغلول عبد الحميد - استاذ ورئيس قسم التاريخ
وعميد كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - 2 - عيد المنعم ماجد - استاذ ورئيس فرع التاريخ الاسلامي بكلية الآداب - جامعة عين شمس
3 - سعيد عبد الفتاح عاشور - استاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى ورئيس الفرع بكلية الآداب جامعة القاهرة
مدة المناقشة : أربع ساعات ونصف - تاريخ المناقشة : 11 - 7 - 1972
التقدير : نالت الرسالة مرتبة الشرف الاولى -
- وتعتبر اول رسالة عند قبائل المغرب الاوسط - في العصر الفاطمي - ودورها الرائد في توجيه الاحداث في المشرق العربي .

الاسماعيلية ، وهذه الفترة أى ما قبل التشيع يصح اعتبارها فى تاريخ كتامة فترة الغمرة والخمول .

٤ - وكان الباب الثانى : الذى يتناول ما يصح

اعتباره فى تاريخ كتامة فترة الشهرة والظهور عبارة عن شرح مستفيض لدور هذه القبيلة ، وعلاقاتها بالحركة الاسماعيلية منذ بدء ظهورها حتى قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب على انقراض الدويلات المحلية . وفى اطار هذا الباب بحثت مسائل هامة تتعلق بالبذور الاولى للتشيع فى بلاد المغرب ، ودور الادارسة والدعاة فى التمهيد لنجاح فكرة التشيع لآل البيت ، وبالتالى لتبنى الدعوة الاسماعيلية الاولى (دور الهجرة) فى بلاد المغرب، وهى : ايكجان وتازروت فى اقليم كتامة ، فى مد نفوذ الحركة الاسماعيلية تدريجيا من منطقة كتامة الى بقية اقليم الزاب ، فحواضر افريقية الاخرى ، حيث كانت الخاتمة سقوط الامارة الاغلبية ، وصيرورة مدينة رقادة الداخلية لفترة قصيرة عاصمة مؤقتة للخلافة الفاطمية ، وذلك قبل بناء دار هجرة جديدة او عاصمة سياسية جديدة هى المهديّة فى منطقة الساحل التونسى وعلى مقربة من مركز تابيسوس القديم .

٥ - وكست الباب الثالث لبحث دور كتامة

المنتصرة فى حراسة مكاسب النظام الجديد وفى العمل على مد نفوذ الخلافة الفاطمية سياسيا ومذهبيا خارج ارض افريقية وتضمن هذا الباب مسائل تتعلق بدور رجالات كتامة فى التصدى لحركة المعارضة الداخلية والخارجية سواء كان مأثما من بترزناة المعادين لكتامة وصنهاجة لانهما من فرع البرانس او من الاباضية والصفوية او من بقايا بنى الاغلب ومواليهم ، او من جانب الادارسة العلويين ، وغيرهم من عملاء الروانية ، ثم خصصت حيزا هاما لبحث دور كتامة فى تغذية الصراع المذهبى ومحاولتهم

ولا اعتقادى بان عمل الكتامين كان شاملا للمغرب والمشرق ، ومتكاملا فى نواحيه السياسية والمذهبية ، فقد جعلت بحثى صدئ لاقتناعى بهذه الحقيقة ، منطلقا من التعريف بفروع حلف كتامة ودورهم منذ ما قبل القرن الثالث بعد الهجرة الى قرب نهاية القرن الخامس (هـ) وقد تضمن البحث .

١ - مقدمة مركزة عن اهمية الموضوع وفى كون عمل كتامة يمثل فترة حاسمة فى نهضة الفروسية الاسلامية فى بلاد المغرب .

٢ - دراسة نقديه هادفه عن مظان البحث ، ومصادره الاصلية والمساعدة بان اثناها الدور الهام الذى تمثله المصادر الخطية والمذهبية وكتب الرحلة والانساب والنحل .

اما مادة البحث فقد وزعت على خمسة ابواب تختلف اهمية وحجما غير انها تتصل ببعضها اتصالا وثيقا وتتكامل اجزاؤها الخاصة بالمغرب مع اجزائها الخاصة بالمشرق ، مثل تكامل عمل كتامة ، وسائر ابناء المغرب مع اخوانهم ابناء مصر والمشرق العربى سواء بسواء .

٣ - وقد اضمن الباب الاول : تعريفا شاملا بالقبائل المتصلة بكتامة ، التى يشملها مصطلح « البرانس » فى افريقية والمغرب الاوسط ، ثم دراسة شاملة عن فروع كتامة ، بما فى ذلك زواوه التى يشملها مدلول الحلف ، مع مضاربهم ورجالاتهم ، ووصف مراكزهم ومدنهم الساحلية والداخلية على مستوى بلاد المغرب بما فيها الاندلس ، كما تضمن فقرة عن جوانب الحياة العقلية ، وعن علماء كتامة وزواوه وفقهاؤها ، وعن دور هذه القبائل فى الحياة السياسية والمذهبية فى بلاد المغرب حتى قبيل نهاية القرن الثالث بعد الهجرة ، حيث ظهرت الحركة

ذلك غلبة الطابع المشرقي ، على حلقاء الدور المصري وضعف اهتمامهم تدريجيا بشئون المغرب ، وإهمالهم لرعاية حال عصبيتهم الكتامية في المشرق ، وفي المغرب أيضا ولهذه الأسباب لم تبدر من كتامة في المغرب بادرة عصيان أو ثورة ضد المعز بن باديس الذي أعلن الحرب السياسية والمذهبية ضد الخلفاء الفاطميين « الكفرة الملاحين » في نظره .

وكانت ملاحق البحث صورة معبرة عن المحتوى العام ، ومتماشية مع محاوره الأساسية وهي الحياة « السياسية » للعلويين ، وحركة التوسع الاسماعيلية في بلاد المغرب ، وردود الفعل الداخلية والخارجية ، ومميزات العصر الذهبي لعنصر كتامة ، ولدورهم في العلاقات ، وهذا مع محاولة استخراج المع أسر كتامة التي لعبت أدوارا هامة في مصر وبلاد الشام . وكل هذه الملاحق أخذت من مصادر خطية ومذهبية ، بحيث يعتبر أغلبها فريدا في بابها .

وكانت خاتمة البحث عرضا مختصرا لآفاق الدراسة وللنقاط الجديدة التي توصلت إليها وأهمها .

أن كتامة ليست مصطلحا قبليا وجغرافيا يحيط به قدر كبير من الغموض ، ولا قبيلة صغيرة ، بل هي حلف عتيد يتضمن زواوة ، ولقروعه حواضر ومدن كبرى مازال بعضها يمثل دورا هاما في الحياة الاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط (الجزائر) .

وأن مجالات هذا الحلف هي أوسع بكثير مما حدده ابن خلدون ، وتشمل المغرب الثلاثة مع بقية جزيرة الأندلس .

وليست قبيلة كتامة ، طبقة عسكرية فقط ، بل كانت لها إسهامات ثقافية في بلاد المغرب ، والمشرق على السواء .

ولم تكن فروع القبيلة كلها مؤيدة للحركة الاسماعيلية ، بل احتفظ بعضها بمذهبه القديم وهاجم

بتشجيع من الخلفاء الفاطميين فرض أرائهم ومعتقداتهم الاسماعيلية على جمهور سنى يأبى إلا التمسك بمذاهبه وتقاليده ، كما حاولت تحديد وضع كتامة نفسها في نظام الخلافة الفاطمية وذلك منذ قيام الدولة حتى عصر المعز لدين الله الذي يمثل بحق عصرا ذهبيا لكتامة ، وللخلافة الفاطمية أيضا ، لانه توج بفتح مصر وبلاد الشام بواسطة عناصر أغلبها كتامة وكان هذا يعني تحقق حلم رجال الدعوة الاسماعيلية القديم ، في اتخاذ قاعدة أو دار هجرة في نقطة ما من بلاد المشرق العربي ، وكانت القاهرة هي تلك العاصمة الجديدة التي ورثت مجد المهديّة والمنصورية وايكجان ، وغدت على مدى أكثر من قرنين قاعدة انطلاق فاطمية لمواصلة النضال ضد العباسيين « المعتصمين » والروم البيزنطيين .

٦ - وكان الباب الرابع : شرحا وإفيا لجهود كتامة وغيرهم من أولياء الخلافة الفاطمية من أجل تحقيق المشروعات الحيوية لها في مصر وبلاد الشام وما وراءهما ، تحقيقا ثم تأكيدا على ضرورة وحدة الخلافة وإرجاعها الى مستحقها من العلويين وردا على تحديات الروم وأحلافهم ، وقد بانّت ملامح خطة الحركة الاسماعيلية تجاه المشرق منذ وقت مبكر يرتبط بالمهدى الذي أشرف على النشاط الثغري ضد مصر ، العباسية من عاصمته الجديدة التي اختارها على الساحل التونسي .

٧ - أما الباب الخامس : فكان مخصصا لدراسة دور كتامة وغيرهم من أولياء الدولة في العلاقات مع دار الحرب ودار الاسلام ، خاصة مع الأمراء الزيبريين في بلاد المغرب ، الذين كانوا ميالين الى الانفصال . وبفضل كتامة الباقية في المغرب تأخر انفصال بلاد المغرب عن مصر فترة طويلة .

وللبحث عن أسباب ظاهرة الانفصال في القرن الخامس ، لابد من الإشارة الى بعض أسبابها ، ومن

الامر عبارة عن تدهور سريع لنفوذهم وتضاؤل لقيمتهم وأهمية دورهم لفائدة عناصر اجنبية أخرى . ومع ان عمل الكتاميين في المغرب ، وفي المشرق على السواء لم يكن عملاً سيئاً كله بالنسبة لجماع السكان ، فان هؤلاء بدافع الخلاف المذهبي ، قسوا على العناصر الكتامية منذ القرن الخامس بعد الهجرة وهو عصر انتعاش السنة ، وأخذوهم بجيرة اعمالهم السابقة في نصرة المذهب الاسماعيلي وتأييد الفاطميين ، وأذلوهم وأمعنوا في ذلك بقصد الثأر لما حل بأسلافهم علماء السنة ورجالها ، من عنت واضطهاد على أيدي الفاطميين ، ولم يقتصر اضطهاد الكتاميين ، عند حد الايذاء المادي بل تجاوز ذلك الى محاولة تعفية آثارهم ، وأسمهم من بيئتهم الاصلية ومحو أغلب الآثار التي تشير الى عصرهم في مصر وبلاد الشام .

ويلاحظ أن البون شاسع بين ما عهده الناس قديماً وعلى مدى أكثر من قرنين ، من اعتبار الانتساب الى كتامة مبعث فخر واعتزاز وقوة ، وبين ما استقر عليه الوضع بعد القرن الخامس للهجرة ، ومن حرص الكتاميين على اخفاء نسبهم واعتبار النسبة الى كتامة وصمة عار ومبعث سخرة واحتقار .

في سبيلنا - خارج بيئة كتامة وارض المرقية - وال ايكبات - القاعدة الاسماعيلية الاولى في كتامة ، او دار الهجرة الكبرى في التي انطلقت منها حركة الدعوة والتمريع ايها - وتوجد بقاياها بجوار قرية بني عزيز CHEVBEUL دائرة العين الكبيرة PPREGOTTEVILLE وكان دور كتامة متكافئ في تواجده السياسية والمذهبية والاسلام لبلاد المغرب ومن هذه الناحية فقد حفظت كتامة بمساعدة اولياء الدولة المشرقية تجربة وحداوية فريدة في نوعها في فترة عبقرية - قلمية في سعةها وشمولها التجربة التي تتدفقت على نبي الموحدين في بلاد المغرب ، ثم على اصحاب الامير المؤمنين الثالث في المشرق العربي .

ومما يلفت أن صلبه كتامة بالمطعم الفاطميين : في كتامة القديمة لم تنس على نسق واحد أو حتى اسلوب واحد ، والتأثير قليل أن اعتري هؤلاء في تلك الفترة : لغة ، سيمهم جو الفداء والسلبية في هذا الجهد .

أما العبد المذهبي الذي عاشه الكتاميون بعد قيام الخلافة لفترة ، ثم في عهد المعز لدين الله فقد استمر حتى المسترشد الاولى من خلافة الحاكم بأمر الله . ثم انقلب الاسم ، بالنسبة اليهم تدريجياً ، وغدا



الشعر الديني الحديث في الجزائر

أحرز الأستاذ عبد الله ركيبي ، مدرس الأدب العربي في كلية الآداب بجامعة الجزائر على دكتوراه دولة بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى^{٠٠} ناقشها أستاذة اللغة العربية والأدب العربي في كلية الآداب بجامعة القاهرة : الدكتورة سهير القلماوي ، والدكتور عبد القادر القط ، والدكتور شكرى عياد^٠ وملك القضية الضخم عنوانه « الشعر الديني الحديث في الجزائر »^{٠٠} في سبعمائة وخمسين صفحة « فولسكاب » ، بالإضافة الى عدة ملاحق في مائتي صفحة تقريبا^{٠٠} وهي تغطي مساحة زمنية طولها مائة عام^{٠٠} والقضية بعد ذلك تحاول الاثبات والرد على عاملين اثنين مهمين في حياة الفكر الجزائري الحديث هما :

وبادى ذى بدء ٠٠ نقول ان الشعر الدينى ٠٠
كان هو الفارس المغوار ، وهو الذى عبر عن كفاح
الجزائر ٠٠ وتاريخها فى هذه الفترة ٠٠ اصدق
تعبير ٠٠

ورغم أن الكثير من الباحثين ينظرون الى دور
الشعر الدينى بصفة عامة صوفى او غير صوفى ٠٠
الى أنه دور سلبي ٠٠ فانه كان على العكس بالنسبة
للجزائر ومناخها ٠ كان له دور ايجابى ٠ فالدين
اضطهد فى الجزائر مثلما اضطهدت الثقافة القومية
ولم يجد الفرد والمجتمع ملاذا سوى الدين ، فقال
الشعراء قصائدهم بالفصحى والعامية ، تعبيرا عن
نوازعهم الروحية من جهة ، وتنقيسا عما يحسون
به ٠٠ كمواطنين جزائريين - من ظلم وضغط ، وارهاب
فكرى وعسكرى ٠٠ أثناء الاحتلال - من جهة أخرى ٠

اذن ٠٠ فالشعر الدينى الجزائرى لعب فى
حياة الجزائرى دورا هاما ٠٠ انه استطاع ان يعبر
عن وجدان الجزائرى ، وعن العقيدة الروحية
للمجتمع ٠٠

والواقع انه بالدين استطاع الجزائرى أن يحقق
ذاته ٠ وبه استطاع الجزائرى ان يقف صلدا أمام
عمليات « المسخ والتغريب » التى حاولت القضاء على
شخصيته العربية الاسلامية ٠٠ بل ان الدين اذكى فى
الجزائر حب الحرية التى هى مبدا من مبادئ الدين
الاسلامى ٠٠ حتى ليقال ان « الزوايا » ٠٠ و « جدران
الطرق الصوفية » ٠٠ كانت فى وقت من الاوقات
« خلايا » ثورية ٠٠ تقوم بدورها ضد المستعمر ٠٠
ثم حُل « الاصلحيون » ٠٠ بعد ذلك الرسالة ٠٠
وظلوا على حملها بأمانة الى ان قامت ثورة المليون
شهيد فى نوفمبر عام ١٩٥٤ ٠٠ لتعبر عن وجه
الجزائر العربى الاصيل ، وتؤكد ٠٠ وبذوب كل
ذلك حتى ولو فى الظاهر ٠٠ !!

● ان كثيرا من الباحثين الاجانب والمستشرقين ،
يزعمون ان الثقافة العربية فى الجزائر قد توقفت ،
خاصة فى الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ٠ وان
الادب العربى قد انتهى دوره فى الحياة الفكرية
والاجتماعية ٠

● ان موضوع الدين فى الشعر الجزائرى الحديث
لم يعن به الدارسون الجزائريون أو غيرهم ٠٠ بينما
هو يمثل تراثا عريقا فى الادب الجزائرى بخاصة ،
والادب العربى بعامة ٠

ومن أجل هذين العاملين ٠٠ كانت رسالة
الدكتوراه هذه فى « الشعر الدينى الجزائرى
الحديث » ٠٠ تحاول ان تربط بين دوره فى الحياة
الادبية والاجتماعية ٠٠ بحيث انعكس عليه ما كان
يجرى فى البيئة الجزائرية ، وما يضطرم فيها من
افكار وراء ٠٠ وثورة واثراء فكرى وادبى ٠

وكانت ثورة « المقرانى » ١٨٧١ بداية للرسالة
٠٠ فهى تعد آخر ثورة شعبية عمت أجزاء كثيرة
من الوطن الجزائرى ، وشارك فيها الفلاحون ، وكثير
من الفئات الجزائرية الاخرى ، وهددت الوجود
الاستعمارى الفرنسى فى الجزائر ٠٠ وكانت العوامل
كثيرة ومتشابكة - سياسية واجتماعية واقتصادية -
ادت الى قيام هذه الثورة ٠

كما أن نهاية الرسالة كانت سنة ١٩٣٠ ٠٠
وهذا التاريخ يمثل مرور قرن كامل على الاحتلال
الفرنسى للجزائر ٠ فقد احتفلت فرنسا بهذا التاريخ ،
واعتبرت ان الجزائر القت السلاح ، وتوقفت عن
النضال سياسيا وفكريا وعسكريا وادبيا ٠

وهذا التاريخ - فى الواقع - يمثل فاصلا زمنيا
واضحا فى الحياة الثقافية والسياسية ٠٠ بالاضافة
الى ان الكثير من الشعراء موضوع الرسالة ٠٠
انتهى دورهم فى الفكر والادب ٠٠

* * *

الشعر الديني الحديث في الجزائر

لبست سواد الحزن المسرة
وعمت بداريك القتون بلا حصر
ويختم الشاعر محمد بن الشاهد قصيدته قائلا :
ويا صاح تدبير الامور لخالق
فصبرا عسى عسر يبدل باليسر

شعر هذه الفترة ٠٠ هو في الواقع تقليد للعصر
التركي ، وما ساد فيه من ان شخصية الشعر لا تظهر
شخصية الشاعر ، فيما عدا شعر الامير عبد القادر .
وأسلوب الشعر ركيك ، وضعيف الى حد ما ، يغلب
عليه الطابع التعليمي والمباشرة ، وتخفت فيه العاطفة
ويقل التصوير . وقيمته في واقع الامر انما تأتي مما
سجله من أحداث ووقائع ، أو من حياة تلك المرحلة ٠٠

أما الشعر الملحون ٠٠ وهو الشعر الشعبي
والزجل ، أو الفولكلور ٠٠ فهناك قصائد لشعراء
مدحوا فيها الامير عبد القادر ، أو هاجموه ٠٠ وتركوا
لنا نماذج جيدة في الشعر الشعبي ، وفي أسلوب
قوى متين معبر ٠٠ وخاصة حين تغنوا في قصائدهم
بحب الوطن ، بعد أن نفاهم الاستعمار الفرنسي خارج
البلاد ، أو هم فروا هربا من ظلمه واضطهاده ٠٠
ومن هؤلاء الشعراء مصطفى بن ابراهيم ، وبن حوا
٠٠ فهؤلاء تغنوا بالامير وشجاعته ، كما تغنوا بحب
الوطن ٠٠ في نغمة دينية سيطرت على فكر العصر ٠٠

* * *

أما الفترة الثانية ، التي تبدأ بها الرسالة ٠٠
فهى ثورة « المقراني » وما آلت اليه ٠٠ و « المقراني »
٠٠ كان موظفا في الادارة الفرنسية ، ثم استقال من
وظيفته ، ودعا الى الثورة ٠٠ وقد أيدته فيها « مقدم
زواية » ، وهو رجل من رجال الطرق الصوفية
الرحمانية . وهذا التأييد ساعد المقراني على أن
يوسع من دائرة ثورته فامتدت الى اماكن شتى في

والشعر الديني في فترة البحث صنفان أو
أسلوبان ٠٠ أسلوب تقليدي ٠٠ هو مفيد من الناحية
التاريخية ٠٠ ولكنه لا يفيد الناقذ الذي يبحث عن
نفسية الشاعر ، وفهمه لمهمته ووظيفته ، ثم الشعر
الشعبي ٠٠ فالشعر الشعبي الجزائري استطاع بما
يملك من حرية في التعبير ، وجرأة في التصرف ، أن
يكون مجددا في صورته وأسلوبه . الشاعر الشعبي
لعب دورا هاما في الحياة الادبية والفكرية للشعب ،
وللعامة من الناس ٠٠ حتى تحررت الجزائر في
الواقع .

* * *

ولقد قسم الباحث الرسالة الى ثلاث فترات
الفترة الاولى من الاحتلال الفرنسي في ١٨٣٠ الى
عام ١٨٧١ بدء قيام ثورة « المقراني » .

الفترة الثانية من ١٨٧١ الى عام ١٩٠٠

أما الفترة الثالثة فهي التي تبدأ مع بداية القرن
العشرين وتنتهي في عام ١٩٣٠

والفترة الاولى يمثلها بصورة واضحة شعر
الامير عبد القادر الجزائري ٠٠ اثناء كفاحه ضد
الاحتلال الفرنسي : فهو قد قاد المقاومة ضد
الفرنسيين طيلة ١٥ سنة . وكان شعره معبرا عن
نفسيته كشاعر فارس عربي مارس الحرب وتغنى بها
ووصفها ، وأشاد بشجاعة جنوده ، شان الشعراء
الفرسان ٠٠

وهناك شاعر آخر عاش في هذه الفترة ،
ووصف حالة الجزائر بعد نكبتها بالاحتلال الفرنسي ،
وصفا دقيقا يعكس ما آلت اليه البلاد بعد استعمارها ،
هو الشاعر محمد بن الشاهد فهو هنا يصف الجزائر
فيقول :

أمن صولة الاعداء سور الجزائر
سرى فيك رعب أم ركنت الى الاشر

ومن هنا فإن الشعر الجزائري ارتبط بالزوايا التي أسسها « الطريقون » وأشرفوا عليها ، خاصة وأن التعليم كان يركز على الدين والقرآن والحديث واللغة وقواعدها ، والعلوم العربية المعروفة .

وأيضا اتجه الشعراء الى الدين بعد فشل هذه الثورة ، لأنهم لم يجدوا ملاذهم سوى في الدين ، فمدحوا الرسول ، وتحذثوا عن الدين الاسلامي منوهين بفضل المقيدة .

ومن هنا يمكن التفريق بين نوعين في مدح الرسول :

البيعض من الشعراء كان يركز على وصف جمال الرسول ، والنور الممدى ، وعلامات النبوة . الخ مثل قصيدة الشاعر الصوفي محمد بن سليمان وعنوانها « ياسائلا عن جمال كان لى وطننا » يقول فيها :

يا سائلا عن جمال كان لى وطننا
ولم ازل اجتليه وهو ما بطنا
حركت منى ولوعا كان مستترا
ولم ازل أختفيه وهو يعلننا
لكنها صولة الاقدار قد حكمت
وكلنا تحت قهر الحسن قد سكتنا

والبيعض الآخر من الشعراء مما يمكن أن نطلق عليهم الشعراء الإصلاحيين، مدحوا الرسول، ولكنهم نظروا اليه هاديا ومرشدا ومصلحا ، حتى لقبوا « بالمصالح » فهو مدح يدعوا الى اليقظة والى الثورة . شعر يربط بين وصف الرسول وبين ما آل اليه الوطن . ويهاجم في نفس الوقت المستعمر . وهو يتمثل أكثر ما يتمثل في شعر محمد العيد ، الذي يعتبر رائد الشعر الاصلاحى الدينى الحديث ، حيث يقول هذا الشاعر :

الجزائر . وقد وصل عدد أتباعه الى ٥٠٠ ألف في تنظيمات قوية .

ولقد قيل في هذه الثورة الكثير ، قال عنها الفرنسيون أنها موقف شخصى .

لكن الحقيقة أن الثورة قامت تعبيرا عن سخط عام بين الجزائريين . حين أحدثت الادارة الفرنسية في الجزائر قانون « كريمو » ١٨٧١ . وهو القانون الذى يجعل من اليهود فرنسيين . وبذلك منحوا نوعا من التمييز عن المواطنين الجزائريين .

على أن البعض يقول أن سبب الثورة هو اشتراك فرنسا في حرب السبعين . والبعض يقول أن العامل الاقتصادى لعب دورا كبيرا ، لأن الحكومة الفرنسية سيطرت على المراكز الاقتصادية وطردت الجزائريين من أراضيهم وأعطتها للمستوطنين الفرنسيين . كما يقول البعض أن العامل الدينى كان سببا رئيسيا في تحريك هذه الثورة .

ويرى الدكتور عبد الله ركيبي في رسالته أن الثورة قامت من أجل كل هذه الاسباب مجتمعة . وهي امتداد لثورات سبقتها مثل ثورة الأمير عبد القادر في عام ١٨٢٠ ، وثورة اولاد سيدى الشيخ ١٨٦٤ ، وثورة بو عمامة وثورة بو معزة . وغيرها من الثورات والانتفاضات التي وقعت في القرن الماضى .

على أن العامل الرئيسى في قيام هذه الثورة ، هو حب الحرية ، والتخلص من الاستعمار ، بعد أن ذاق الجزائريون مرارته وظلمه .

وفي هذه الثورة ، وما سبقها ، لعب رجال الطرق الصوفية من الشعراء دورا بارزا ، لأنهم كانوا يمثلون « النخبة » أو الطبقة المستنيرة في عصرهم ، وكانوا قادة وزعماء القرن الماضى في الجزائر .

الشعر الديني الحديث في الجزائر

أملطنا الحجاب فانمحي عيب السوى
وزال أنا وانت وهو ، فلا لبس

ولم يبق غيرنا ، وما كان غيرنا
أنا الساقى والمسقى والخمر والكاس

ويلاحظ أيضا أن الشعر الصوفي أغلب أوزانه
مكسورة ٠٠ لضعف ثقافة الشعراء الصوفيين ٠
ولأنهم لم يراجعوا ماكتبوه ٠ فهم لم يلتزموا بقواعد
اللغة ، ولا بما تفرضه عروض الشعر من التقيد
بالأوزان السليمة ٠ وهم ركزوا على المعانى ،
واعترفوا بضعفهم فى مقدمات دواوينهم ذلك أن
ما يهمهم هو الهدف ، أو المعنى لا المبنى ٠ كما يقول
الشاعر البوعبدلى :

ما در من نال التقى او فاتته

اعراب قول ، أو قياس مناد

اعراب قول ، أو قياس مناد

الذى تغنى به الناس ٠ ورغم أنه قديم فى الجزائر ٠٠
فهو قد خرج عن واقعه ، وهاجم الاستعمار واليهود
وسخر منهما ٠ وقد خاض الشعر الملحون - قصائد
وموشحات وأزجال - كل أغراض الشعر ٠ وجاهد
من أجل إعادة الروح المعنوية للشعب الجزائرى ،
الذى حاول الاستعمار الفرنسى قتلها بكل الطرق ٠٠
ولكنه فشل ٠٠ حتى أن الكثير من المستشرقين كتب
الى الادارة الفرنسية ينبه الى خطورة هذا الشعر ٠٠
ومن أبرز شعراء الملحون ، الحسين بن بركات والشاعر
بن يوسف ٠٠

وهاك مثالا للشعر الملحون يصف حالة الجزائرى
بعد انكسار ثورة المقرانى والغيم الذى حل على
السهول والجيال ٠ وهو الحسين بن بركات الذى
عاصر ثورة المقرانى :

اشكو اليك بما تجدد من اذى
بعد التحاقك بالرفيق الاصعد

عصفت على الاسلام بعدك صرصر
فتهدد الاسلام كل مبدد

وجرت بارض المسلمين حوادث
شنتى كامواج الخضم المزبد

اتذوق امتك النكا مضاعفا
من عاثت فى ارضها متمرده

والملاحظ على خلاف ما يروج المستشرقين من
أن الشعر الدينى الجزائرى ، لم يتفصل عن الشعر
فى المشرق العربى ٠ فهو الشكل التقليدى للقصيدة
العربية ٠ وقد تناول كل الاغراض تقريبا ٠ كذلك
هناك خاصية بارزة فى هذا الشعر ، وهو تاثر
الذين قالوه بالقدماء فى أساليبهم وأخيلتهم ٠٠ حتى
أنه وجد فى الشعر الجزائرى ما يعرف باسم البديعيات
والطولات والملاحم ٠٠ فالشاعر الجزائرى « يلقاسم
بن منيع » يكتب قصيدة من ٤٠٠ بيت على نهج
« البردة » للبوصيرى ٠٠ هذا رغم أن بعض الشعراء
كانوا يعتبرون مجددين مثل الشاعر محمد بن سليمان
الذى جاء شعره جيدا تظهر فيه شخصيته ٠

ثم ان الشعر الصوفى البحت الجزائرى ،
ارتبط بالتصوف الاسلامى فى افكاره وأساليبه كما
تأثر بمصطلحاته وقاموسه اللغوى ٠ حتى الشطحات
الصوفية ، والخمر الالهى ، ورفض المنطق والعقل
والنور المحمدى ٠٠ كل ذلك ظهر فى الشعر الجزائرى
ونحن نجد فى شعر الامير عبد القادر « فكرة الشهود »
الذى نادى بها ابن الفارض ٠

ومعنى « فكرة » الشهود ٠٠ هى أن الشاعر
يندمج فى الله ، بحيث لا يحس بما عداه ٠ يقول
الشاعر الامير عبد القادر الجزائرى فى ذلك :

ومما يذكر هنا أن الحركة الإصلاحية في الجزائر كانت اعتدادا للحركة الإصلاحية في المشرق ٠٠ التي وضع بذورها جمال الدين الافغاني ٠٠ ولقد كان الصراع حتى بين الاصلاحيين والمستشرقين ينعكس تأثيره على الجزائر ٠٠ فمثلا رد الشيخ محمد عبده على « هانوتو » ٠٠ رد الجزائريون على المستشرق « أشيل » الذي هاجم الاسلام ٠

أيضا فإن الشعر الاصلاحى قىام بدور ضد « الفرنسة والتجنيس » ٠ وقد عبر الشعر عن وجهة نظر رجال الفكر الاصلاحى اصدق تعبير ٠٠ ومثال ذلك هذه الابيات التى تقول :

وما يصلح الاسلام الا برجة
الى خير قول نابذ الجهل والمقت

ويقول آخر

فما الدين الا من كتاب وسنة
وغيرهما زور من القول منكر

اما وظيفة الشعر كما فهمها الاصلاحيون ٠٠ فهى خدمة الدين والشعب والتعبير عن قضايا المجتمع ٠ يقول فى ذلك أحد الاصلاحيين :

واخدم بشعرك شعبك الحر الذى
مزجت بطينته دما الاعراق

واختر لشعرك أحسن اللفاظ
لاتنظم سوى فى المجد أنت الراق

وأهم ما يميز هذا الشعر الاصلاحى ، أنه ظهر فيه « الرمز » لا « الرمزية » ٠٠ بمعنى أن الشاعر حين كان يتغزل مثلا فى السياسة فهو يرمز اليها بامرأة ٠٠ ومثال ذلك :

خاطبتها حين بدت برونقها
الا أسعفتنى اننى بالصدق مقتول

طاح الدمس على ظلال الليل سواد
زاد الغيم على المراقب غطاها

زال الضوء اخوتى لآبو الاثماد
ماصيناش طريق نمشيو معاها

هب الريح على مصابيح التوقاد
فيهاها من قوته راه أظفاها

ولقد رد الدكتور عبد الله ركيبي على هؤلاء الذين يقولون ٠٠ ان الشعر الملحن ينتمى الى الشعر اللاتينى لا الى الشعر العربى ٠٠ وأثبت أن « الملحن » من الشعر عربى فى مفرداته وقصائده ٠٠ وحتى أغراضه ٠

وأخيرا نأتى الى آخر فصل فى الرسالة ٠٠ حيث تتناول الشعر الاصلاحى الدينى ٠٠

فى هذه الفترة انتقل الشعر من التصوف الى التعبير عن قضايا الشعب الجزائرى ٠٠

ان تأثير الحرب العالمية الاولى ، وانفتاح الجزائر على الطباعة ، وظهور الصحافة ٠٠ والثورات التى حدثت فى العالم العربى ٠٠ كل ذلك فتح الذهن الجزائرى ٠٠ ودفعه الى التخلص من الاستعمار ٠٠

وقد خاض الشعر الاصلاحى معارك كثيرة ٠٠ حتى ضد الفكر الجزائرى الكلاسيكى.

وهو يتميز بميزات عدة أهمها ٠٠ التركيز على النهضة والايقاظ ٠٠ فقد دعا لتعليم المرأة وبناء المدارس ، والاستفادة من الحضارة الغربية كما هاجم البدع والخرافات ٠

ولذلك فإن الشعر الدينى الاصلاحى نقل الينا ما كان يجرى فى هذه البيئة الجزائرية ، وما يصطرع فيها ٠٠ من أفكار جديدة ٠

الشعر الدينى الحديث فى الجزائر

غضت وولت ومالت لى لقد نزلت
آيات رب الورى والوحى مرسول

عمت فى هذا الشعر ظاهرة التضمين والتشطير
بصورة لافتة للنظر *

* * *

لكن الشاعر كان يفسر الرمز فى نفس القصيدة
باستثناء الشاعر الجزائرى محمد العيد الذى كان
يتغزل فى الحرية ** لكن رمزه كان دون تفسير :

وبعد ** فهذا هو الشعر الدينى الجزائرى
الحديث ** من خلال رسالة الدكتور عبد الله ركيبي
وهو موضوع جديد وحديث فى الادب العربى
** أضاءت جوانبه هذه الرسالة ** التى تضع
الاصابع على مجال جديد ** أمام الباحثين
والدارسية *

كما ظهرت فى الشعر الدينى الجزائرى
الرومانسية ، والاتجاه الى الواقع ** ولكن بأسلوب
تقليدى **

وهو بعد ذلك يحتاج الى دراسات مقارنة
بالنسبة لما كان فى المشرق ** فى هذا الوقت
وهو يثبت أن الجزائر ** رغم كل شىء **
ورغم كل المحاولات ظلت وجهها عربيا ** وامتزج
فيها الدين بالوطن *

يضاف الى ذلك أن الشعر الدينى الجزائرى
لاصلاحى ** وجد فيه أسلوب قصصى حوارى
سقاى بالبساطة فى الاداء ورسم الشخصية ** ولكن
يعلب عليه أيضا الصراخ والنبرة العالية ** كما





صراع باخرتين - للفنان الجزائري محمد راسم -



النشاط الثقافي

الاسبوع الوطني للكتاب

الذي عرض بمعهد تقنيات التخطيط والاقتصاد المطبق ، وهذا الكتاب التقني يعالج أساسا التقنيات الاقتصادية ، والمالية والفنية ، وهي أعمال في معظمها منشورات حديثة .

وتتوجها لهذا المجهود الذي تقوم به الشركة الوطنية للنشر والتوزيع في خدمة القراء وخدمة الثقافة العامة قام د . أحمد طالب الابراهيمى بوضع الحجر الأساسى للمركب الطبعى الجديد بناحية الرغبة دائرة روية - ولاية الجزائر . وهذا المركب كفيل بأن يضمن النجاح الكامل للتعليم والتعريب ، وذلك بفضل الأسعار الزهيدة التى يسمح بها هذا الانجاز ، وبهذا سيكون هذا المركب احدث مطبعة فى افريقيا ويقدر انتاجه السنوى حوالى ٧ ٥٠٠ ٠٠٠ كتاب و ٧٠٠٠ ٠٠٠ كتيب ومجلة ماعدا اللافتات ، والمنشورات ، والبطاقات ويقدر الورق المستهلك سنويا بـ ٤٠٠٠ طنا .

ولقد عاش هذا الاسبوع مظاهر ثقافية القيت خلالها محاضرات من طرف مسؤولين بالشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ودارت هذه المحاضرات بالخصوص حول أهمية الكتاب كأداة للثقافة والمعرفة وحول مشاكله .

نظمت الجزائر كثيرها من الدول الأخرى اسبوعا وطنيا للكتاب فى الفترة الواقعة ما بين ٢٧ نوفمبر الى ٢ ديسمبر ١٩٧٢ . وذلك فى نطاق الاسبوع الدولى للكتاب الذى تشرف عليه المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة « اليونسكو » وقد أشرف على تدشين معرض الكتاب فى الجزائر د . أحمد طالب الابراهيمى وزير الاعلام والثقافة وذلك بمركز الاعلام التابع للجيش الوطنى الشعبى ، ولإقامة هذا المعرض الثقافى ابعاد كثيرة أهمها تقييم المجهودات المبذولة فى الجزائر منذ الاستقلال فى ميادين النشر والاشهار ، والبعد الثانى وهو ابراز الغاية والقائدة المرجوة من الاسبوع الوطنى للكتاب وبالتالى التعريف باحتياجات الجزائر فى مادة الكتاب وامكانيات التصدير واستيراد الكتب وخاصة الكتب العربية فى نطاق ثورة التعريب ولكن هناك ملاحظة هامة ومفادها انه للوصول الى هذه الغاية وخاصة جعل الناس يقبلون على القراءة أكثر فأكثر هناك مرحلة لا بد منها وهى تعميم التعليم والثقافة ، والتربية .

وقد تم الى جانب عرض كتب أدبية وثقافية باللغتين الوطنيتين والفرنسية عرض الكتاب التقنى

المنسوخة باليد وطلبوا منهم أن يقدموا هذه الكتب
لعرضها ثم ترد اليهم بعد انتهاء العرض *
والخلاصة التي يمكن استنتاجها من هذا
الأسبوع هو أنه انتهى بعلامة تفاؤل بالنسبة لجوانبه
المختلفة مثل البحث عن المخطوطات والانتاج
والتسويق ومحاولة ايجاد سياسة للقراءة ومضاعفة
عدد القراء *

كما قامت المكتبة الوطنية من جهتها بعرض
لمخطوطات قديمة في اطار مسابقة لأحسن مخطوط
قديم وتكون هذه المخطوطات حوالى ٣٠ كتابا كانت
هذه الكتب تعكس صورة التراث الذي ظل قائما برغم
الاهمال الذي تعرض له طيلة سيطرة الاستعمار ،
ونظرا لأهمية هذه المخطوطات فى التاريخ والحضارة
اتصل مسؤولو المكتبة الوطنية بمالكي الكتب القديمة



الملتقى المغربي للمطالعة والكتاب

- الحمائمات - تونس

الثقافة ، كما توجد في أغلب مساجدنا مكتبات يتمكن خلالها المؤمن من المطالعة المثمرة .
وقال : ان جهود الجزائر هذه تتدرج في اطار نظرتها الشمولية لمشاكل التطور والتنمية اذ انها تعتبر ان التقدم الاقتصادي والاجتماعي مرهونان ومرتبطان بشكل عضوي بمشكل النهضة الثقافية التي يعتبر الكتاب أحد وسائلها الاساسية .
هذا واثار جلسة الافتتاح نظم معرض للكتب المغربية لم نشاهد فيه أى كتاب جزائري ، اللهم الا مجموعة من مجلة الاصاله وكتاب الملتقى الرابع والخامس للتعرف على الفكر الاسلامي الذي حملها الوفد معه .

جدول الاعمال :

في جميع الجلسات كانت تقدم ابحاث لمختصين في التربية والتعليم ، تعتمد على الطريقة المباشرة ، والاعمال الميدانية لجعل الطفل يقبل على المطالعة ويرغب فيها ، وعرضت أفلام مدرسية وتجارب عن اثر الوسائل السمعية والبصرية في الترغيب في المطالعة .

كما نظمت زيارات لبعض المدارس حيث شاهد الملتقون دروسا نموذجية ، كما نوقشت في الملتقى مشكلة النشر ووضع المكتبات في تونس وعلاقتها بنشر الكتاب . وقدم هذه الابحاث المختلفة مختصون من تونس ومن اليونيسكو .

وأما وفد الجزائر فقد كانت مشاركته تقتصر على التدخلات والمناقشات ، اللهم الا الكلمة التي

بناء على دعوة من وزارة التربية القومية التونسية شارك الاخ عثمان شبوب ممثلا لوزارة التعليم الاصيل والشؤون الدينية بجمعية ممثلين لوزارتى التعليم الابتدائي والثانوي ، والاعلام والثقافة في الملتقى المغربي حول الكتاب والمطالعة ، بالحمائمات الذي ابتداء في 21 - وانتهى في 25 نوفمبر 1972 م .
والقى في جلسة الافتتاح كلمة باسم الجزائر نوه فيها بالمبادرة التونسية لتنظيم هذا الملتقى ، وأبرز تقديرنا لأهمية الموضوع وعلاقته بتطورنا الثقافي والاجتماعي والاقتصادي .

وقال على الخصوص : ان ما نلاحظه في حياتنا الثقافية من أزمات يعود بعضها الى تلك الهوة بين المثقفين وعامة القراء وابتعاد الآخرين عن الاهتمام بالكتاب والمطالعة بصفة عامة ، الامر الذي جعل التفاعل بينهما قليلا ان لم نقل معدوما ، وانعكس هذا بطبيعة الحال على بطء تطور حياتنا الثقافية وفقدانها للفعالية اللازمة .

وقام بمقارنة بين البلدان المتقدمة حيث الكتاب عندهم صديق الجميع ، وسلوة للنفس ، ومتعة للقلب ، وزاد للذهن يفتح آفاق المعرفة والاتصال بالثقافة الانسانية على أوسع نطاق ، وبين البلدان المتخلفة التي لا تزال تتخبط في أمية شاملة .

وقال : ان الجزائر ، ايماناً منها بأهمية هذه المسألة ، تبذل جهودا كبيرة من أجل محو الأمية أولا ، كما انها تطبق سياسة مدققة لانتشار الكتاب وتشجيع التأليف وفتح المكتبات العمومية والمراكز

ومواضيع الملتقى منذ شهر جوان 1972 .
هذا ، و اثر انتهاء أعمال الملتقى ، شكلت لجنة
لوضع التوصيات ضمت الجزائر والمغرب وتونس ،
وقد أكدت هذه التوصيات على ضرورة تبادل التجارب
والخبرات بين بلدان المغرب العربي وتشجيع التأليف
المدرسي والاكتثار من المكتبات ودور الثقافة .

توصيات الملتقى المغربي حول قضايا الكتاب والمطالعة

تبادل الوثائق والمؤلفات المدرسية :
ضرورة العمل على تبادل الوثائق التربوية من
دراسات ومؤلفات ووضعها في يد المؤلفين .

قضايا النشر :

1 - القيام بكشف شامل لاحصاء المشاكل
التي تعترض نشر الكتاب وتوزيعه . وتنظيم ملتقى
يضم المؤلفين والناشرين والمسؤولين عن الاقتصاد
والمكتبات ومراكز الثقافة ، ومراكز التوثيق لدرس
هذه المشاكل ، وايجاد حلول عملية لها تضمن نشر
الثقافة في بلدان المغرب العربي على أوسع نطاق .
2 - ينعقد الملتقى في شهر جويلية 1973 في أحد
البلدان الثلاثة على أن يهيأ له بعقد ملتقيات على
الصعيد الوطني في كل قطر خلال السبعة أشهر
القادمة .

المكتبات :

- ضرورة الاسراع بتنفيذ الاتفاقيات الثقافية
بين المكتبات على الصعيد المغربي .
- تبادل الزيارات والخبرات والمنشورات .

ألقاها الاخ جدواني نوار مندوب وزارة الاعلام
والثقافة عن وضع المكتبات في الجزائر لاننا لم
نتصل بمواضيع الملتقى ومتطلباته الا قبل أيام
قليلة جدا من انعقاد الملتقى ، والدوائر المسؤولة
في وزارة الخارجية تلقى المسؤولية على تونس ،
والاخوان التونسيون يؤكدون بأنهم وجهوا الدعوة

ان الملتقى المغربي لقضايا الكتاب والمطالعة
المنعقد بالحمامات من 21 - 25 نوفمبر 1972 م
يوصى بما يلي :

قضايا اللغة العربية :

1 - القيام بكشف شامل لتدريس اللغة
العربية في جميع مراحل التعليم ومختلف المواد ،
ووصف ما قد يوجد من تجارب جارية لتغيير
الوضع الموجود على أن يكون العمل جاهزا آخر
السنة الدراسية 1973 .
2 - اقتراح تنظيم ملتقى جديد في الجزائر
يدرس المشاكل التي يواجهها تدريس اللغة العربية
في جميع مراحل التعليم حتى العالي وتقديم التجارب
للاستفادة منها ، وذلك في أفريل 1973 على أن يكون
الملتقى الثالث في المغرب .

3 - الاستفادة من مكتب التنسيق التعريب التابع
لجامعة الدول العربية في استخدام نتائج أبحاثه
في التدريس والتأليف .
4 - تبادل الكتب المدرسية .

بلاغ

حول الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي

تعلن وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية ان الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي سينعقد في مدينة تيزي وزو من 10 الى 20 جمادى الثانية 1393 هـ (الموافق 19 الى 20 يوليو 1973) .

وسيحضره طلاب وطالبات من جامعات الجزائر وقسنطينة ووهران وتلاميذ وتلميذات السنتين السادسة والسابعة من الثانويات (الاولى والنهاية سابقا) وى طالب مسلم حيثما كان ومن اى بلد كان .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلى . ويمكن السماح بالنظام الخارجى لمن يطلبه وسيسمح لاطارات الادارة بقدر الامكان بالمشاركة فى الملتقى .

هذا وتحمل الوزارة ، فى اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب الوطنى ، الا انه سيطلب من المشاركين اسهام رمزى قدره خمسون دينارا جزائريا .

ورسل طلبات المشاركة الى ادارة البحوث الاسلامية ، بوزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية ، 4 نهج تيمقاد ، حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية من الغلاف .

وعلى كل مترشح ان يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية ، وآخر اجل لارسال طلبات المشاركة هو 27 ربيع الاول 1393 هـ الموافق 30 ابريل 1973 م ، وسيكون ختم البريد شاهدا .

وستدعى الى الملتقى شخصيات بارزة من الجزائر وغيرها من انحاء العالم الاسلامي وبلدان اخرى لالقاء المحاضرات والمناقشة مع الطلبة .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالاتى :

- (1) - روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامي .
- (2) - المؤامرات التى تعرضت لها وحدة الامة الاسلامية بالامس ويتعرض لها ما تبقى منها اليوم من طرف الصهيونية وغيرها وما يجب علينا حيال ذلك .
- (3) - نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالامس واليوم وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر .
- (4) - اخطار العزلة والاندماج التى يتعرض لها أبناء الجاليات الاسلامية فى الهجرة وواجب الدول الاسلامية نحوهم .
- (5) - دور وسائل التأثير على الجماهير وخاصة منها الصحافة والسما والتلفزة فى البناء أو التخريب الذاتى لما تبقى من الامة الاسلامية المفروض انها فى صميم معركتها لاسترجاع نفسها ، ومسؤولية هذه الاجهزة فى مكافحة أو نشر جنوح الاحداث بل والاجرام نفسه والانحلال الخلقي والاحاد .

فهرس المدد

افتتاحية

بعد أربعة عشر قرنا من نزول « اقرا »
« أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب »

3 مولود قاسم

دراسات ثقافية وأدبية

- حدود الخيال السيامي عند الفارابي
محمد تومرت وتوفيقه بين الحكمة والشرعية
فن المقامة في النثر الجزائري الحديث
هايزيش شليمان أو ميلاد علم جديد
ابعدوا عنا الفلاميات والحمريات
اغنائى كراشوفسكى وآثاره في ميدان الاستشراق
العربي
من جوانب الازدواج اللغوي في ندرومه
- 11 عبد المجيد ميزان
19 د . يحيى هويدي
31 د . عبد الله ركيبي
41 د . هشام الصفدي
51 مولود قاسم
57 المهدي البوعنلي
69 جليل جران جيوم

تلوات :

- حوار جديد
الحوار التي منعت أوروبا من فهم العرب
دور التراث العربي في تحديد نظرة العرب لأنفسهم
ولأوروبا في القرن 19
- 77 د . عبد الله شريط
85 بول بالطا
93 محمد عماره

دراسات تاريخية :

- بين الشاذلي القسنطيني والامير عبد القادر
اشير عاصمة بني زيري
مقاومة الجزائر للتكتل الأوروبي قبل الاحتلال
في تاريخ جامع مستغانم العتيق
- 109 د . ابو القاسم سعد الله
113 د . رشيد بورويبة
121 د . العربي الزيري
131 د . مولاي بلحميسي

دراسات اسلامية :

- يقظة العالم الاسلامي اليوم ونهضته غدا
الحساب الهجري على أساس الرؤية العلمية
- 137 عبد الله ولد بويه
149 احمد حماني

النشاط الثقافي

- نافذة على العالم
- 165 ن . شوبجي
177

بعد أربعة عشر قرناً من نزول "إقرأ!" أمة أمية

لا تكتب ولا تحسب !!!

أصحاب المعالي
حضرات السادة

باسم الوفد الجزائري أشكر الكويت
الكريم المضيف أميراً وحكومة وشعباً ،
وخاصة صاحب المعالي السيد راشد الفرحان
على هذه المبادرة الطيبة التي جمعتنا هنا
لنتدارس بعض الجوانب التي تهتم حياة
ومصير الأمة الإسلامية .

فبخصوص تحديد وتوحيد العمل
بالشهور وأيام المناسبات الإسلامية أظن
أن موقف الجزائر معروف فقد أعلننا عنه
عملياً بعد اليأس من اتخاذ أية خطوة
إيجابية فاصلة في هذه المسألة على مستوى
الأمة الإسلامية .

مولود قاسم

رئيس التعليم الأصلي والشؤون الدينية

نص الكلمة التي القاها السيد مولود قاسم وزير التعليم الأصلي والشؤون الدينية في مؤتمر وزراء الشؤون الدينية
والإسلامية والأوقاف في البلاد العربية المت عقد بالكويت .

وطبقنا ما دعا اليه الامام رشيد رضا والاستاذ علال الفاسي ، وما أوصى به مؤتمر ماليزيا وانتهت اليه لجنة الافتاء الجزائرية من ضرورة اتخاذ تقويم قمرى اسلامى على مدار السنة على أساس امكانية الرؤية بالحساب الفلكى .

وفعلا فقد بدأنا العمل بهذه الطريقة التى تجمع بين الرؤية وضمن صدق هذه الرؤية ، وهى استعمال الوسائل العلمية التى تفيد القطع الذى هو من مقاصد الشريعة الاسلامية ، وأصدرنا يومية تبين لنا بدقة ووضوح وتحديد أيام المناسبات الدينية ، وذلك منذ رمضان الماضى حتى عيد الفطر المقبل ، وبها عرفنا متى سيكون اليوم الأول لرمضان المنصرم ، وعيد الفطر وعيد الأضحى اللذين تلياه ، وعرفنا مقدما بشهور ميلاد السنة الهجرية الجديدة ويوم عاشوراء ، وعرفنا متى سيكون اليوم الأول لرمضان المقبل ، ومتى سيكون عيد الفطر وعيد الأضحى لعام 1393 هـ (1973-1974م) ، وهذه اليومية ، يومية الجيب والمكتب ، هى الآن لديكم وزعناها هنا على حضراتكم .

طبعاً وجدنا أماناً بعض من ظل أياماً يردد ذلك الحديث : «انا أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا ، أو هكذا وهكذا وهكذا وعقد ابهامه ، أى 30 أو 29 يوماً ! ولكننا ذكرنا لهم ما أفتى به الامام محمد رشيد رضا من جواز العمل بل ضرورة استعمال الحساب الفلكى فى العبادات وبالتالى اتخاذ تقويم قمرى ثابت على الحساب استناداً الى روح الشريعة الاسلامية ومقاصدها التى تدعو الى اليقين الذى يفيد العلم بوسائله الحديثة ، مما يمكننا من التثبت من امكانية رؤية الهلال يوم مولده ، علمياً ، سواء رؤى أم لم ير بالعين المجردة حيث ان رؤيته ليست تعبدية وغاية فى ذاتها ، وانما هى وسيلة وأداة فتمتى تحققت امكانية رؤيته ثبتت لنا شرعاً وصح العمل بها ، بل وجب أى ان الرؤية الحكيمة تغنى عن الرؤية الفعلية غير المضمونة .

وأضاف رشيد رضا بأننا نعمل به فى الصيام ، وذلك اننا نعلم جميعاً ان مؤذنيننا وأئمتنا سامحهم الله يؤذنون ويصلون بالاستناد الى ساعات صنعها ، نصارى ،

ويهود ! ومجوس هنا وهناك، ولا يتحققون اطلاقا أو غالبا من غروب الشمس ومن الغسق ولا من تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود !

وذكرناهم أيضا بفتوى أصدرها الاستاذ علال الفاسي وهو من علماء القرويين ومجتهدى هذا العصر اذ قال ان ذلك الحديث « صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته ، انا أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب ، الشهر هكذا الخ ، قد خرج تخريج الكلام المعلن ، وهو جهل العرب اذ ذاك ، أما وقد زال ذلك الجهل فتطبق عليه القاعدة الأصولية المعروفة القائلة بأن المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما » أى أنه ما دامت الأمية قد زالت أى أصبحنا نقرأ ونحسب ، سقط علينا الالتزام بالعمل بالرؤية بالعين المجردة ، بل وجب علينا العمل بالوسائل التى تفيد القطع وهى الوسائل العلمية .

واسمحوا لى أن أضيف الى هذا انه من العجب العجيب – مهما كانت أسانيد الحديث المذكور – أن نظل نتمسك بظاهره بعد أربعة عشر قرنا من نزول « اقرأ » الذى فرض علينا العلم بعدد السنين والحساب ، فى أمة كانت حقا أمية ومن أكثر الأمم أمية وجهلا ، وتأخرا ، ولكنها أصبحت بذلك « اقرأ باسم ربك » معلمة البشرية ، اذ زودتها بالجبر والمثلثات ، وأنجبت جابر بن حيان ، والخوارزمي ، وابن الهيثم ، والبيروني ، وابن سينا ، والادريسي ، والرازي ، وابن الجزار ، وابا القاسم ، وابن النفيس ، وابا حمزة ، وغيرهم كثيرون !

وانه لمن الأعجب – ولكن ليس التناقض الوحيد فى حياتنا ! – أقول انه لمن الأعجب أن يستعمل هؤلاء الناس اليوم النظارات ليحققوا مخطوطات الفقه والحديث ، ومكبرات الصوت الكهربائية للأذان أو سماعه ، ويستعملون آلات التصوير لأخذ نسخ من أمهات كتب الشريعة ، ويركنون الى الأذان من الاذاعة ، ويسجلون القرآن أو يستمعون اليه مسجلا فى اسطوانات أو مرسلا من اذاعات ، ويركبون السيارات الى صلاة الجمعة ، والطائرات الى بيت الله الحرام ، بل ويعتمدون على المراصد

والساعات فى تحديد أوقات الصلوات ، بل وحتى فى الصوم يعتمدون على هذه المراصد
والساعات فى تحديد الامساك والافطار من بداية اليوم الأول حتى نهاية اليوم
الأخير ، أى مدة ثمانية وعشرين أو سبعة وعشرين يوما ، الا فى تحديد ميلاد اليوم
الأول وانتهاء اليوم الأخير من رمضان ، فلا يصدقون المراصد والساعات ،، هذه
الأجهزة الشيطانية الملعونة !

أصحاب المعالى . حضرات الاخوان

على ضوء هذه المعلومات الحديثة التى ذكرناها ، على أساس مقاصد الشريعة التى
وضعتها أعلام من علمائنا ومجتهدينا فى العصر الحديث واستنادا الى تجاربنا الخاصة ،
والضوء الأخضر الذى أمدتنا به لجنة الافتاء ، قررت الجزائر العمل بقوله تعالى : «ولتعلموا
عدد السنين والحساب» واستغنينا نهائيا عن العمل بالرؤية وبالعين المجردة فى اثبات
الهلال ، ووضعنا تقويما قمريا اسلاميا على مدار السنة ، وأصبحت الأعياد
الاسلامية والأيام الكبرى مثل بداية رمضان وبقية شهور التقويم الهجرى معروفة
مقدما ، يعمل بها ، وتحترم على المستوى الشعبى والرسمى ، وانتهى الأمر الذى
كانوا فيه يستفتون ، ويتجادلون ، ويتخاصمون ، ويتسابون ، ويضحكون ،
به على أنفسهم وعلينا العالم !

بقى ان هذا الذى تم فى الجزائر ، لا يكون له مغزاه كاملا الا اذا تم على مستوى
العالم الاسلامى وتوحدت الأعياد والايام الكبرى ، وكان هناك تقويم ثابت عام ، كما هو
الشان بالنسبة لليهود والمسيحيين فى جميع أنحاء العالم أو أغلبها ، وهذا ما يجب علينا
أن نحققه هنا :

والجزائر رغبة منها فى هذا التوحيد مستعدة طبعاً لأن تضرب صفحا عن تقويمها
هذا اذا تم الاتفاق هنا على تقويم آخر على مدار السنة وبصفة نهائية ، على أساس
علمى واضح ثابت ، ايا كان البلد الذى سيكون مرصده هو المرجع والمنطلق لهذا



- (1) « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب . ما خلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون »
« صدق الله العظيم »
- (2) « ... انا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ... » ؟
ولكنه قال أيضا : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة »
« حديث شريف »

التقويم القمري الاسلامى الموحد ، الشامل لسائر أو أغلب انحاء العالم الاسلامى والمعروف مقدما على مدار السنة .

إذا لم يتم هذا ، فاننا سنبقى عاملين بتقويمنا ، ولن نعمل بأية رؤية بمجرد العين ، كما كان الأمر حتى هذه السنة حيث تتضارب الشهادات ، وتتعارض من بلد الى آخر ، وأغلب الأحيان فى نفس البلد وفى نفس الحى من طرف شهود ثقة ، ثقة ، يكذب بعضهم بعضا ، وكثيرا ما يتبادلون التهم ويتفضل بعضهم على الآخر بغاية السهولة والسخاء والبساطة بكفارة الستين يوما كاملا غير منقوص ، مما يحول أعياد المسلمين من مناسبات أفراح ، وتآلف ، وتآخ ، وتزاور ، ومظهر وحدة واتحاد ، الى تنافر وتبادل تكفير وسباب ، واحن ، وبغضاء ، أو على الأقل الى خلاف وجدال يعرضاننا لسخرية العالم .

حضرات السادة

موضوع المراكز الاسلامية هام جدا فى داخل العالم نفسه حيث يتعرض شبابنا للنشاط الهدام الذى تقوم به مراكز ثقافية ومنظمات عديدة الاتجاهات والألوان من تبشيرية وصهيونية ، والحادية ، وغيرها ، ولكن متشابهة الطرق ، وموحدة الأهداف ، تتمثل طرقها فى الكتب والمجلات ، والنوادي ، والنشرات ، والأفلام التى تعرضها أجهزة بعض الدول الاسلامية مع الأسف ، وأهدافها كلها خلخلة عقيدة شبابنا ، وذبذبة شخصيته ، وزعزعة أصالته الاسلامية وتشكيكه فى أصله وتوجيهه نحو مختلف مظاهر الاختلال والانحلال ، التى تهيبء كلها للاحتلال !

وأهمية هذه المراكز بالنسبة لأبناء الجاليات الاسلامية فى الخارج ليست دون الأولى ، اذ هم معرضون هناك للذوبان ، والاندماج ، والامساخ الذى يعقبه الانسلاخ حيث تركز عليهم عديد من وسائل الاغراء ، وأحيانا حتى التهديد غير المباشر من حيث فرص العمل ، والتوظيف ، والتجارة ، وغيرها من سبل العيش ، وحيث تعلن بعض الدول جهارا عن عزمها عن تلك النية وتبدأ فى تطبيقها .

فاذا كانت وسيلتنا الوحيدة لتحسين شبابنا هنا هي احياء جامعاتنا الاسلامية المهلهلة أو المندثرة ، يجعلها جامعات كاملة تشمل الدنيا والدين ، كما يقال ، والاسلام كما نعلم دين ودولة ، وتميز هذا التعليم ونشره من رياض الأطفال حتى الابتدائى والثانوى ، فان ملاذنا الوحيد بالنسبة لأبنائنا فى الهجرة (فى الوقت الحاضر على الأقل) هى هذه المراكز الثقافية وما يمكن أن ننشئه من مدارس لتغذية أبنائنا هناك بلبان ثقافتهم ، ودينهم واعطائهم صوراً عن تراثهم وعن مجد أمتهم . وواقعها الأليم وأفاقها الباسمة ان أرادت !

وبهذه المناسبة أود أن أخبر الاخوان هنا أن ملتقى للهجرة قد انعقد أخيراً فى الجزائر ، وان موضوع أبناء جالياتنا مع موضوع التبشير بمختلف أنواعه هو احدى نقاط جدول أعمال الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى الذى سينعقد فى الجزائر فى الصيف القادم بين نخبة من الأساتذة من سائر أنحاء للعالم الاسلامى وطلبة الجامعات والسنتين النهائيتين من الثانوى ، الذين يبلغ عدد المشاركين منهم أحياناً حوالى الألفين من الجزائر وغيرها .

وأخيراً اذ أشكر مرة أخرى الكويت الشقيقة على هذه الخطوة المباركة ، أود أن أقترح عليكم جميعاً أن نجعل مؤتمرنا هذا دورياً ، ينعقد كل سنة ، أو كل سنتين ، وان نوسعه ليشمل البلدان الاسلامية كلها ، لا العربية وحدها ، وانى لأدعوكم الى عقد المؤتمر القادم فى الجزائر ، وربما كان أحسن الأوقات له بمناسبة احدى هذه الملتقيات التى تنعقد سنوياً ، قبيل الافتتاح أو الاختتام مباشرة ليحضره الجميع .

ان مهمة المسؤولين على هذا القطاع الروحى التربوى مهمة شاقة ، فعلىنا أن نقوم بها بروح هذه المسؤولية ، ونحن كلنا عابرو سبيل ، بل علينا أن نكون الضمير الواعى لأمتنا الاسلامية ، وان نبصرها بما لها وما عليها ، والا نبقى سلبيين .
عجلين وعجلين ، ونكتفى بالاستعاذة والحوقة فى حالات الاستنكار .

وفقنا الله جميعاً الى القيام بالرسالة ، واداء الأمانة ، والسلام عليكم .

التقليد

يقول ابو العلاء المعري في حال اولئك
الذين لا يهتدون يهدى عقولهم ، وانما يأخذ
بعضهم عن بعض تقليدا ومحاكاة بغير تفكير
مستقل .

« يلقن الطفل الناشئ ما سمعه من الاكابر ، فيلبث معه في الدهر
الغابر ، والذين يسكنون في الصوامع ، والمتعبدون في الجوامع ، يأخذون
ما هم عليه كنقل الخبر عن المخبر ، لا يميزون الصدق من الكذب لدى
المعبر ، ... واذا المجتهد نكب عن التقليد ، فما يظفر بغير التبليد ، واذا
المعقول جعل هاديا ، تقع بريئه صاديا ، ولكن اين من يصبر على احكام
العقل ، ويصقل فهمه ابلغ صقل ؟ ! هيهات ! عدم ذلك في من تطلع
عليه الشمس ، ومن ضمنه في الرمم رمس ، الا ان يشذ رجل في الامم
يخص من فضل بعمم » .



حُدُودُ الْخَيَالِ السِّيَاسِيِّ

عند الفارابي

ان عقم الخيال السياسي الذي يتهم به مفكرو الاسلام
اصبح بمثابة الامر المسلم به نهائيا عند كثير من الباحثين •
ويرجع هذا الموقف فيما يبدو لجل المهتمين بالموضوع ، الى قلة
الانتاج السياسي ، الذي يرد بدوره الى نوعية الحكم عند
المسلمين •

عبد المجيد مزيان

أستاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

بعض الزندقات بأقل جراءة فى دعواتها الاجتماعية، من كل المعتقدات السياسية التى نقلت عن اليونان وانه لمن الممكن اليوم ان نستخلص من مختلف المذاهب والعقائد ابعادها السياسية ، اذا التزمنا فى مناهج بحوثنا بالتحليلات العلمية لمختلف البناءات الاجتماعية التى ظهرت واذيعت فيها هذه العقائد . ولا يظن ان النصوص تنقصنا فى هذا الميدان .

ثم انه يجوز لكل باحث فى التفكير السياسى ان يتعدى ذلك النوع من الدراسات التى تتدرج بموضوعية سطحية وتنحصر فى الكلام عن الخلافة وخطتها ، وعن الاحداث العسكرية كانها تستوعب كل التاريخ . بل الاهم فى التنقيب عن التفكير السياسى عند المسلمين هو الرجوع الى المبادئ الاسلامية نفسها من شورى وعدالة اجتماعية ومساواة وصراع مع العرقية والاستبداد ، وروح تضاللية تتلخص فى الجهاد وفى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وانه لمن العجب ان لا نبحث عن الاسباب التى جعلت هذه المبادئ القوية تظمس فى تطبيقات ادارية تافهة وخطط استبدادية تكاد تكون مخالفة كل المخالفة لروح العدالة الاسلامية : فتسلط العصبية فى بناء الدول، وانعدام مؤسسات للشورى وتصرف الملوك والرؤساء فى اموال الامة تصرفا مطلقا ، وايجاد خطط ذات اختصاصات بيروقراطية طاحنة ، مثل الوزارة والحجابه والحسبة التى لا يسأل اصحابها الا من لدن السلطان القاهر كل ذلك يعد من قبيل التصرفات والنظم التى تبرهن على ازدراء الحكام لامتهم ومبادئ امتهم . فلا عجب والحالة هذه ان تتعدد المذاهب وتنسدر من وراء الافكار الدينية

يقولون انه ليس من العسير على عالم الاجتماع مثلا، ان يصنف للدول الاسلامية ، لانها من نمط واحد انها قبل كل شئ دول تبنى السلطة على روابط روحية بين «المواطنين» ، فى ظل رئاسة تستمد نصف قوتها من الدين والنصف الآخر من «العصبية» فى مظهرها العسكرى . هذا ولن يجد المؤرخون المستعجلون فى تاريخ الامة الاسلامية ، الا خلافا متتابعة على الخلافة والملك . اما الفيلسوف فانه سيستعرض الانتاج السياسى فيجده منحصر فى سطرته عن الامامة اقلام الفقهاء وعلماء الكلام ، وفى بعض الانتاج الضئيل من النمط الفلسفى فى السياسة المدنية ، جادت به قرائح الحكماء ، مع اعطاء مكانة خاصة لابن خلدون من أجل واقعيته ، والفارابى من أجل مثاليته و«سعة خياليته» على شرط ان نعتبر سعة الخيال هذه امرا نسبيا .

يبدو لى ان دور مؤرخى الفلسفة ، فى عصرنا هذا ، اهم مما نتصوره فى ميدان التنقيب عن انتاجنا السياسى فى جميع مظاهره . نعم ، قد يسهل علينا ان نقول ، اذا اردنا التخلص من المناقشة ان جمهورية افلاطون مثلا ، لم تؤثر فى المفكرين المسلمين لان نوع الحكم الذى كان يعيش حكماؤنا تحت ظله ، كان نوعا استبداديا لا يسمح بديوع الافكار ذات الصبغة الديمقراطية. والحقيقة ان كثيرا من المذاهب الاسلامية دعت الى ديمقراطية تكاد تكون فوضوية ، ولم يتمكن نوع الحكم من كبتها، لا عن اذاعة افكارها ولا عن شن حركات سياسية وعسكرية عميقة التأثير فى الجماهير . ليست افكار افلاطون باكثر تطرفا من افكار بعض القرامطة ، فى مظهرها الشيعوى ، ولا

السياسية المخالفة لمصالح الحكام القائمين ، ولكن هذه الصدفة لا تفسر شيئا لان المناوئين لهؤلاء الحكام كان في استطاعتهم ان يذيعوا بالقدر الكافي كتباً مثل الجمهورية ونماذج دستورية لها صبغة ديمقراطية ، زيادة على كتاب السياسة لأرسطو مثلاً . ولا يكفى ان يقال بان الازمنة التي عاش فيها كبار الفلاسفة مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد كانت أزمنة اضطهاد ، لا يسمح فيها بالالتفات الى الحيال السياسي عند اليونان ولا عند غير اليونان . ذلك ان كثيراً من المفكرين اضطهدوا من أجل افكار قد نعتبرها اليوم قليلة الاهمية لانها محض نظرية ، بينما لم يجرؤ أى واحد منهم الى اثارة الاضطهاد من أجل تفكير سياسى ذى نزوع نقدى . وقد يتبادر الى أذهان كثير من مؤرخى الفلسفة ان الذوق والتكوين السياسى للمفكرين المسلمين كان لا يتفق مع الاتجاه الذى اتخذته التفكير السياسى اليونانى ، والا فلاطونى منه على الخصوص ، ولنا خير مثال فى التراث الادبى اليونانى الذى لم يثر انتباههم طول فترة احتكاكهم بانتاج اليونان . يبدو ان الجواب عن كل هذه التساؤلات والملاحظات قد ينحصر فى نقط ثلاث على الاقل، وذلك قبل توسيع المناقشة الى اعتبارات اجمالية عن المجتمع الاسلامى : فالنقطة الاولى ترجع الى تحديد ميادين الفلسفة من لدن المفكرين المسلمين وحصرها فى العلوم الحكيمية مع سيطرة المنطق سيطرة كاملة على جميع الميادين. وقد برهن على هذه السيطرة بكل ما تستحق من تدقيق الفيلسوف المعاصر ابراهيم مذكور فى كتابه عن تأثير اورجانون ارسطو فى الفلسفة العربية ، فلا سبيل مع هذا التمسك

للتعبير عن خيبتها وعن آمالها السياسية . من أجل هذا نقول ان الانتاج السياسى متعدد الجوانب ويشترط ان يبحث عنه حتى فى غير مؤلفات السياسة المدنية والاحكام السلطانية بل نجده فى الفقه والعقائد . فالتراث هنا واسع الآفاق . بينما الانتاج السياسى ذو الصبغة الفلسفية قليل .

تجرنا هذه الملاحظة الى التساؤل عن ضعف تأثير الفكر السياسى اليونانى فى المفكرين المسلمين واذا سلمنا ان الفكر اليونانى لا يتلاءم مع معتقداتهم فانتا نتساءل لماذا لم يظهر الى الوجود انتاج سياسى منبثق من صميم المبادئ الاسلامية فيكون هذا الانتاج متمسكا بالنقد والخيال البناء الرامى الى اصلاح الوضعيات الفاسدة التى خلقها « السلطان القاهر » و « الملك العضوض » الذى كان يشتكى منه كل المسلمين ؟ ونخصص من بين المفكرين كبار الفلاسفة فنقول لماذا لم يعتنوا لا بهذا الجانب ولا بذاك بالقدر الذى يستحقانه . مع ان الموضوعين الاسلامى مثل اليونانى من صميم اختصاصهم ، زيادة على ان كليهما مشحون قوة واغراء ؟

قد ننتيه فى البحث عن السبب والمسبب اذا بقينا منحصرين فى دائرة ربط القضية كلها بنوعية الحكم. لانه يجوز ان نتصور استبداد الحكام المسلمين كبتاً للخيال السياسى فى صفته الفلسفية . كما يجوز ان نتصور ضعف الخيال وضعف الانتاج السياسى سبباً فى دوام الاحكام الاستبدادية .

وقد يكون من اسباب الصدق التاريخية ان وقع نشر التراث اليونانى على يد مثقفين مرتزقة او شبه مرتزقة لم يجرأوا على تبسيط وتوضيح الافكار

تثير النصوص السياسية الفارابية بعض اضطراب عند قرائها ، خصوصا اذا سبق لهم قراءة افلاطون وأرسطو من جهة ، وسبق لهم أن تعودوا على البحث في الاخلاق السياسية الاسلامية من جهة أخرى . ذلك لان الوضوح الذي يجدونه في الفكر اليوناني أو في المبادئ الاسلامية يصبح محاطا بكثير من الغموض والتلفيق الغليظ في النصوص الفارابية .

نقول فيما يخص العنصر اليوناني ان المدينة الفاضلة تكاد تكون كلها نقلا عن الجمهورية ولكننا نحس في هذا النقل بتعثر قد يرجع في الاصل الى سوء تكيف المفاهيم الافلاطونية مع العبارات العربية ، زيادة على ان هناك غموضا في الامثلة . فاذا أردنا ان نتبع الاصول الافلاطونية لتصنيف المدن والدساتير من خلال التصنيفات التي أتى بها الفارابي ، فإن المقابلة ستطول ، ويدخلها كثير من الضباب والالتباس فلن نجد مثلا ، الا بشق الانفس . وبعد مقابلات عديدة أن الاوليغارشية هي مدينة النذالة ، وأن الديمقراطية هي مدينة التغلب وأن الديمقراطية هي المدينة الجماعية . ثم انك تجد العبارات قد تغيرت أحيانا فتصبح الديمقراطية مدينة ضالة ، والاوليغارشية مدينة فاسقة ، والديمقراطية مدينة جاهلة . وتأتي عبارة المدن الجاهلية للزيادة في اللبس ولن تعرف أنها الانحراف عن الارستقراطية أو المدينة الفاضلة الا بعد المقارنات العسيرة . ولا يسعنا في مثل هذه الحال الا الاقتصار على الاوصاف الأكثر بروزا ، لان بعض الاوصاف الجزئية لمختلف الاصناف تتداخل بكيفية تقلق القراء المتعودين على وضوح التصنيف الافلاطوني .

بالعقلانية الصورية الى اثاره مواضيع يتدخل فيها الخيال ، وتبنى فيها مدن الاحلام مثل التي بناها افلاطون . والنقطة الثانية هي الصبغة الارستقراطية التي كانت تصطبغ بها الفلسفة عند المسلمين بادعاء « منتحليها » أن ثقافتهم ثقافة أعيان تسمو على « السوق » واهتماماتهم . فالسياسة المدنية حسب مقتضيات التفكير الفلسفي الارستقراطي هي قبل كل شيء قضية « تدبير للرعية » بمقتضى الحكمة والاخلاق ومنطق تسخير الناس بعضهم لبعض . فلا عجب إذن ان تسود عندهم كل الافكار الآخذة باتجاه أرسطو لانها أقرب الى المنطق والارستقراطية في ميدان السياسة . ولا عجب أن تطمس الافكار المشوبة بالخيال في كل الشروح والتلخيصات التي وردت عن سياسة افلاطون .

والنقطة الثالثة ترجع الى اهتمام الفلاسفة المسلمين بالتوفيق بين الاسلام والحكمة ، ولم يستثنوا السياسة من هذا الاهتمام . ولقد كان جل مفكرينا ينتسبون الى السنة او الى الشيعة في حدود شبه تقليدية وحاولوا اشباع مذاهبهم بالحكمة اليونانية في مظاهرها المتفقة مع المعتقدات السائدة ، دون محاولة تجديد أو أبداع سواء فيما يخص الفلسفة أو فيما يخص الاسلام .

يمكننا ان نتحدث عن حدود الخيال السياسي عند فلاسفة المسلمين انطلاقا من هذه الاعتبارات . هذا على شرط أن نمنح الفارابي مكانة خاصة ضمن هذه الحدود . كما سبق ان أشرنا الى ذلك من قبل ، لانه الفيلسوف الوحيد الذي اعتنى بالمدينة المثالية .

من الطبيعي أن النماذج التي كان يصفها أفلاطون كانت مأخوذة من دساتير يونانية قد سبق له أن تعرف على بعضها ، ومهما كانت المبالغات التي أدخلها خياله الحصب على هذه النماذج فإن منطلق تصنيفاته هو الواقع الحى . أما الفارابى فلم تفده تجربته الشخصية شيئا فى تصور النظم المختلفة ، لأنه لم يعرف من الواقع الحى الا نموذجا واحدا بما فيه من اختلافات اخلاقية الا وهو النموذج الاستبدادى الذى ينتسب الى الاسلام - ولكن لا يجوز أن ندعى أن ذلك هو السر الوحيد فى غموض ملامح المدن التى وصفها المعلم الثانى ، فقد تكون هناك اعتبارات أخرى، منها رداءة النقل من اليونانية الى العربية ، ومنها التيسيع المتعمد للمفاهيم السياسية فى التصورات الخلقية ومنها المحاولات التوفيقية بين السياسة والفلسفة الأولى .

نقول بصدد هذه الملاحظة الأخيرة انه يمكننا العثور فى كتاب السياسة المدنية الذى سماه الفارابى مبادئ الموجودات على محاولة تنسيق بين الاكوان المختلفة من العقل الاول والارواح العلوية الى المدينة والانسان الفرد بما فى هذه الاكوان من مراتب متفاوتة ، وهو لا يتوقف هنا عند النظريات الافلاطونية مع انه اليها أميل فى هذا الميدان ، بل كثيرا ما نعثر على آراء أرسطية ، خصوصا فيما يتعلق بالتفاوت العرقى بين اجناس البشرية ويعد وصفه الدقيق للجنس الادنى الذى يسميه « البهيميين بالطبع » من أبرز الامثلة لهذا التأثير بالآراء الارسطية . حيث يقول : « البهيميون بالطبع ليسوا مدنيين ولا تكون لهم اجتماعات مدنية أصلا ، بل يكون

بعضهم على مثال ما عليه البهائم الوحشية ، فبعض هؤلاء أمثال السباع . وكذلك يوجد فيهم من يأوى البرارى متفرقين ، ويوجد فيهم من يأويها مجتمعين ، ويتسافدون تسافد الوحش . وفيهم من يأوى قرب المدن . ومنهم من لا يأكل الا اللحوم النية . ومنهم من يرعى النبات البرى ، ومنهم من يفترس مثلما تفترس السباع هؤلاء يوجدون فى أطراف المساكن المعمورة اما فى اقصى الشمال ، واما فى اقصى الجنوب . وهؤلاء ينبغي أن يجرؤا مجرى البهائم فمن كان منهم انسيا وانتفع به فى شئ من المدن ترك واستعبد واستعمل كما تستعمل البهيمة . ومن كان منهم لا ينتفع به او كان ضارا عمل به ما يعمل بسائر الحيوانات الضارة . وكذلك ينبغي ان يعمل بمن اتفق ان يكون من اولاد اهل المدن بهيميا . ان النزعة العرقية والاسترقاقية التى دافع عنها أرسطو فى أكثر من نص مع تبريره لابادة الشعوب «الهمجية» لما يظهر بكل وضوح فى هذه السطور . فالاخلاق السامية هنا والنزعة الانسانية التى تنسب الى الفارابى انما هى اخلاق وانسانية اليونان العريقين لم تدخل عليها لا الاعتبارات الاسلامية مثلا ولا المجهود الشخصى فى نقد هذه المواقف بمقتضى الواقع الاجتماعى الذى كان يعيش فيه « المعلم الثانى » وهو يشاهد قدرات الامم البدوية على التحول والابداع فى الحضارة . ولا يسعنا الا ان نلاحظ فى مثل هذا الموقف تمسك الفارابى بالحكمة اليونانية على ان هذه الحكمة فى نظره حقيقة مطلقة لا يمكن أن يتسرب اليها الخطأ بأى وجه « نالوجوه » فموقف المناضل الذى يذود عن الحكمة اليونانية ويحاول تبرير شواذها

والتوفيق بين مختلف آرائها بما في ذلك من آراء متناقضة ، بقي هو هو في انتاجه السياسي .

بقي علينا ان نعرف ما هي العناصر الاسلامية التي أوحى الى الفارابي بعض مواقفه في هذا الميدان . يظهر من تصنيفه للعلوم انه كان مدركا للعلاقات الموجودة بين « العلم المدني » وعلم الفقه وعلم الكلام ، وإذا كان العلم المدني مستوحى يأتيه من « كتب أفلاطون وكتاب بوليطيقي الذي هو كتاب السياسة لارسطوطاليس » على حد تعبيره فان علم الكلام بصفته علم الدفاع عن الملة وهو ذو فوائد سياسية واضحة يرجع أغلبه الى العقائد الاسلامية المتعلقة بوحانية الله والوحي مع تفسيرات فلسفية ذات صبغة ارسطية على الخصوص . وقد بذل الفارابي كثيرا من المجهودات التوفيقية في هذا الميدان الى درجة ان القارى يقتنع حينما يطلع على مقدمات مقالاته السياسية بأنه المفكر القوى المتمسك بدين التوحيد الذي حاول ان يعقلنه ببراهين المنطق والصيغ التعبيرية الفلسفية . ويفسر هذا المنهج في ارجاع كل مقالة سياسية الى جذورها العقائدية بما فيها من الهيات وأخلاق نظرية بادراكه قوة الاتصال الموجود بين الموضوعين . وقد صرح عن ذلك بكل وضوح في أكثر من مناسبة وفي احصاء العلوم على الخصوص لانه كان مدركا ان تماسك المدينة او الملة منوط بقوة عقيدتها .

وإذا كان اطلاع الفارابي ، كما يبدو في الكثير من مصنفاته ، اطلاعا قويا في ميدان علم الكلام ، فان مراجعته وثقافته الفقهية تظهر زهيدة من خلال ما ترك لنا من آثار. وسوف لا نكون مبالغين إذا اعتبرناه من

أقل الفلاسفة المسلمين اطلاعا على الفقه ، خصوصا في المواد التي كان عليه ان يدققها لمقارنتها مع آراء أسلافه اليونان ، مثل الاخلاق الاقتصادية ، والامامة والجهاد . ويظهر ان موقفه هنا موقف الحكيم الصرف الذي يتناسى هذه الميادين لأنها لا تعد مبدئية في نظره. وهي من اجل هذا لا تستحق كثيرا من العناية ولعله موقف انفراد به من بين سائر الفلاسفة المسلمين الذين كانوا كثيرى الاعتناء بشريعة ملتهم . وتكفينا الاشارة الى ابن رشد والرازي وابن خلدون والى سعة اطلاعهم في الشريعة ليتضح لنا تفاضل الفارابي عن هذا الميدان الثقافي .

وانه يمكن تفسير نظرية الفارابي في الرئاسة انطلاقا من هذا الموقف المتمسك بالحكمة اليونانية مع الاعتناء بالعقيدة الاسلامية . دون تدقيق في مسائل الامامة الشرعية ، فالمطابقة بين صفات الرئيس الفاضل الحكيم في المدينة الفاضلة ذات الطابع الافلاطوني وصفات الامام المهتم « الذي ينبغي ان يقال فيه ، حسب تعبير الفارابي ، انه يوحى اليه » انما هي مطابقة بين الارستقراطية الافلاطونية والارستقراطية الشيعية في مستوى تركيبى عام . ولا يمكننا الادعاء بأنها مطابقة عفوية ما دمنا نعلم مقدار الجاذبية التي تكونها نظرية الفيض وتفاوت العقول وانطباع أدائها بأعلاها عند مفكرى الشيعة الذين أرادوا لاجتماعهم ان يكون ارستقراطيا يراسه حكماء ملهمون معصومون . فالنزعة الشيعية في التفكير السياسي عند الفارابي لا تحتاج الى سرد مطول للدلالة ، لأنها واردة بكل وضوح في مختلف النصوص غير أن موقف المعلم الثاني موقف تقليدى محدود كما

ونقول من جهة أخرى ما معنى عدم الاكثارات بالقوانين والدساتير في التفكير السياسي مع ان كتب الفلاسفة اليونان تكون منها محورا للدول والمدن التي وصفتها سواء كانت هذه المدن « فاضلة » أو « جاهلة » ؟ اليس هو عدم ادراك لاهمية الدساتير بصفتها تجسيد للنظريات الاخلاقية وللعقائد عند الامم ؟ أو لم يتضح هذا في ذهن المعلم الثاني من قراءاته لأفلاطون ؟ أم هي التقية والموقف الارستقراطي ايضا لان الدساتير تعطى مبدأيا حقوقا للشعوب ؟

ثم ما معنى تجاهل الفكر الاسلامي . الا القدر العقائدي الضئيل منه ، مع أن هذا الفكر يوسع آفاق النظريات السياسية ويكسب الفكر الفلسفي كثيرا من الغنى، لانه يراجع عرقية أرسطو ومثالية أفلاطون ؟ كل هذه التساؤلات تجعلنا نشك في تخطيط الفارابي لحدود انتاجه . وادراكه بكل دقة تلك التضييقات التي ينطبع بها فكره السياسي .

ليس من الطبيعي ان ننتقد بذهنيتنا المعاصرة عمق الخيال السياسي عند مفكرى القرون الوسطى، خصوصا اذا استندنا على مفاهيم لم تبرز للوجود الا اثباتا من أحداث سياسية قريبة العهد بنا . وانا لمتيقنون أن لكل عصر مدينته أو مدنه الفاضلة وهي مدن الاحلام التي تناقض مدن الواقع الذي يتألم منه أبناء العصر . وقد يذهب الخيال أحيانا الى انواع المدن الالهية . والجنات الارضية . والمهدويات المنقذة . والطوبيات والفوضويات المنتقمة في الاحلام من الاستبداد . كل ذلك لتعويض الآلام التي تقاسيها الامم عند ما يصبح النظام السياسي نينا ياكل الناس أكلا . ولعمري

قلنا . سواء بالنسبة للتفكير الشيعي أو بالنسبة للتفكير الفلسفي ، لانه دون الخيال الافلاطوني الحصب ودون الحماس الشيعي بكثير . اما البحث في المبادئ السياسية الاسلامية مثل المساواة والعدالة ونقد الاستبداد . انطلاقا من نماذج حية ، ايجابا مثل خلافة الراشدين ، أو سلبا كالقيصرية والكسروية . فلا اثر له مطلقا في انتاج الفارابي .

قد يصل بنا الشك أحيانا الى اعتبار هذا الانتاج السياسي مقصود التحديد مسبقا . حينما نراه مقتصرا على جوانب محدودة من الفكر اليوناني والفكر الاسلامي . وقد يظن ان صاحبه رمى الى اخراج ضرب من التفكير يجمع بين العقيدة والحكمة دون اسراف في الخيال . وانها لفكرة يمكن الدفاع عنها اذا اقتنعنا بأن الفارابي كان يرمى قبل كل شيء الى بث الافكار اليونانية عند المسلمين لانها الحكمة العصماء في نظره وكان عليه ان يصيغها في صيغ مقبولة منطقيا وشرعا، ولكننا نخشى ان يكون هذا التعليل مجرد عذر نبرر به كثيرا من مواقفه . ونخشى ان تكون أعدارنا مصطنعة في كثير من الوجوه .

هل يصح العذر مثلا حينما نجد الفارابي يتجاهل واقع عصره . ولا يعطى ولو مثلا واحدا عن النظم السياسية والاجتماعية التي كان يشاهدها ومشاهدة العيان . مع العلم ان سلفيه أفلاطون وأرسطو كانا كثيرى الامثلة المأخوذة من الواقع الحي ؟

ان التقية الشيعية لا تكفي وحدها لتفسير هذا الموقف اذ ان مختلف الامم والقبائل والانظمة المعاصرة للنظام الذي كان يعيش الفارابي في احضانها ويتقيه ما هي الا امثلة قريبة لا تحتاج الى كثير من التنقيب .

انه لخيال غير عقيم ، وانه للوجه الآخر للواقع المر ،
يمكنك أن تقرأ فيه مرارة هذا الواقع .
ولا سبيل الى البحث عن هذه الاحلام السياسية
الفياضة في صفحات انتاج فلسفى تقيد في بداية
ظهوره بالمنطق البارد والافكار المجردة، وبأرستقراطية
محتقرة لآلام الشعوب واحلامها .
اذا اردنا ان نقرأ قراءة جديدة تاريخ انتاجنا
السياسى فليست امثال المدينة الفاضلة وآراء اهلها

المضيقة لكل من الخيال الافلاطونى وحماس الاسلام .
بالنموذج المعبر بصدق عن واقع المجتمع الاسلامى
واحساسه واحلامه . بل أصبح من المحتوم علينا
ان ندقق البحث فى طبقات العقائد المذهبية ، وفى
كتب الشريعة وفى الاساطير الشعبية ، وفى كثير من
الاحداث التاريخية نفسها ، لما يبدو فيها من حماس
الشعوب واستماتتها فى سبيل عقيدتها . وستتضح
لنا اذ ذاك معالم التفكير السياسى عند المسلمين .



محمد بن تومرت وتوفيقه بين

الحكمة

والشريعة

١ - ترجمة حياة محمد بن تومرت :

اختلف المؤرخون في تحديد السنة التي ولد فيها محمد بن عبدالله بن تومرت الملقب بمهدي الموحدين ، وهو الرجل الذي أسس دولة الموحدين التي قامت على انقاض دولة المرابطين . فالبعض (ابن الاثير في الكامل) يجعلها سنة 469 أو سنة 473 والبعض الآخر (القفطي في اخبار العلماء بأخبار الحكماء ، وحاجي خليفة في كشف الظنون) يجعلها سنة 493 . وآثر البعض الآخر (عبدالواحد المراكشي في المعجب في تلخيص اخبار المغرب وابن ابي ذرع في الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس) عدم التعرض لها اطلاقا .

د . يحيى هويدي

عميد بكلية الآداب
- جامعة القاهرة -

فيه ، قال : كان يقول لابد لهذا البربري ان يكون له شأن » . أما صاحب المعجز فيقول ان اللقاء بينهما قد تم في الشام وليس في العراق : « كان ابن تومرت حاضرا لمجلس الغزالي في الشام وروى له ما فعل أمير المسلمين بكتبه التي وصلت الى المغرب من احراقها وافسادها . وابن تومرت حاضر ذلك المجلس . فقال الغزالي حين بلغه ذلك : ليذهبن عن قليل ملكه وليقتلن ولده . وما أحسب المتولى لذلك الا حاضرا مجلسا » . ولكنه يعود فيشكك في هذا اللقاء بهذه العبارة : « وقيل انه لقي أبا حامد الغزالي أيام تزعمه فאלله أعلم » .

لكن المستشرق جولد تسيهر في المقدمة الفرنسية التي كتبها وهو يقدم كتاب « أعز ما يطلب » لابن تومرت يقول ان « علينا ان نلغي من تاريخ حياة ابن تومرت واقعة لقائه مع الغزالي » . وذلك لان ابن تومرت قام برحلته الى المشرق عام 501 (الجزائر ، 1903) .

وباستثناء هاتين النقطتين في تاريخ حياة ابن تومرت : وهما تحديد تاريخ مولده ولقاؤه مع الغزالي فان ترجمة حياته لا تثير صعوبات كثيرة فهو رجل من أهل السوس ، من قبيلة تس هرغة ، بطن من بطون السامدة ، وهو علوي يتصل نسبه بالحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب . رحل في شبابه الى الاسكندرية واختلف فيها الى مجلس ابي بكر الطرطوش . ونفاه المتولى على الاسكندرية عن البلاد فركب البحر واستمر بالسفينة على عادته من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى ان لقاها أهل السفينة

وبالإضافة الى هذه النقطة الغامضة في حياة ابن تومرت ، هناك نقطة غامضة أخرى تدور حول لقائه في شبابه بالامام الغزالي في تلك الرحلة التي اعتزل فيها الغزالي الناس وسلك سبيل التصوف واستمرت عشر سنوات (488 - 499) . وبدأت برحيله عن بغداد عام 488 وزار خلالها بيت المقدس ومكة ومصر فأبن الأثير يقول ان لقاءهما تم في بغداد : « وكان ابن تومرت قد رحل في شبابه الى بلاد الشرق في طلب العلم .. وصل في سفره الى العراق واجتمع بالغزالي » . وابن خلدون يقول في « العبر » (ج 6) « ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي » مما يشعر بأنه يشك في هذا اللقاء . وابن خلكان في وفيات الاعيان يؤكد انهما التقيا في العراق فيقول : « رحل الى المشرق في شبابه طالبا للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بابي حامد الغزالي » وابن ابي دينار في المؤنس في أخبار افرقية وتونس يقدم لنا بصدد هذا اللقاء روايتين : في الاولى يؤكد لنا ان هذا اللقاء قد تم دون أن يحدد لنا زمانه ومكانه قائلا : « وأول أمره كان متقشفا مشغلا بطلب العلم فرحل الى المشرق ولازم أبا حامد الغزالي ثلاث سنين وحصل عليه علما عظيما . وكان أبو حامد اذا رأى ابن تومرت يقول لابد لهذا البربري من دولة » ، وفي الرواية الثانية ، يذهب الى ان هذا اللقاء لم يتم فيقول : « ولما اتسعت دعوة ابن تومرت وفد الى عبد المؤمن أهل اشبيلية بالبيعة في سنة 542 وفيهم أبو بكر بن العربي فسأله عبدالمؤمن : هل رأى المهدي عند الشيخ ابي حامد الغزالي ، قال : ما لقيته ولكن سمعت به . فقال له فما كان أبو حامد يقول

اكتفى هؤلاء الفلاسفة بأن غاية الدين وغاية الفلسفة واحدة تتمثل في تحقيق السعادة للإنسان . واكتفوا بتحويل بعض آراء فلاسفة اليونان في النفس والحركة والذوات لتتفق مع الشريعة ، ولكن هذا كله لم يكن كافياً . ولا أدل على أن الفلاسفة الإسلاميين لم يكونوا صادقين في توفيقهم بين الحكمة والشريعة انهم في مسألة خطيرة كمسألة اذاعة الحكمة أو الفلسفة بين الجمهور وافق رأيهم جميعاً على عدم اذاعتها بينهم لان أفهامهم تقصر عن تذوقها ، واجمعوا على أن الشريعة وحدها هي التي تتناسب مع أفهام عوام الخلق . والذي ينبغي علينا ان نفهمه من كلامهم هذا ان الشريعة في رأيهم لا تحتوى على الحكمة أو أنها خلو منها ، وانها من أجل ذلك جاءت على قدر عقول العوام أما الحكمة فلان العامة ليسوا أهلاً لتعلمها ولانها من اختصاصات أهل البرهان وهم الصفوة فهي موجهة أصلاً الى طبقة خاصة هي طبقة الفلاسفة (انظر في هذا : الفارابي الجمع بين رأي الحكيمين أفلاطون وأرسطو ضمن « المجموع » طبعة القاهرة 1907 م - ابن سينا : النجاة ، طبعة القاهرة 1321 هـ ، وكتاب منطق المشرقين - نشرة محب الدين الخطيب ، القاهرة ، 910 م - الغزالي : اخلاء علوم الدين ، ج 1 ، كتاب العلم ، الجام العلوم عن علم الكلام ، القاهرة : 1303 هـ - ابن طفيل : حي بن يقظان - لابن سينا وابن طفيل والسهوردي تحقيق وتعليق أحمد أمين ، دار المعارف ، 1959) . ومن الطبيعي بعد أن اقيمت الحواجز على هذا النحو بين طبقة الفلاسفة التي تتوجه الى رجالها الحكمة، وطبقة العوام التي تتوجه الى رجالها الشريعة ان يكون

في البحر . ثم انتشلوه منه . ووصل الى بجاية بالمغرب ولقى عبدالمؤمن بن علي وعرف فيه ضالته ، وتسمى بالمهدي . وانتقل الى مراكش ايام خلافة يوسف بن علي بن تاشفين وناظر فقهاء المرابطين وطعن فيهم وفي ملوكهم وفي تبرج نسائهم واخذ يدعو الى خلع طاعتهم ، وتوافدت عليه القبائل وعلمهم التوحيد باللسان البربري . وندبهم الى جهاد المرابطين وكتب له النصر على جيوش المرابطين وأسس دولة الموحيدين عام 515 هـ وتوفي عام 524 هـ . وبعد وفاته تلاه خليفته عبدالمؤمن ثم خلفاء عبد المؤمن واستمرت دولة الموحيدين حتى عام 674 هـ (1275 م) بعد أن كان قد دان لها بالطاعة جميع المغرب وافريقية والاندلس .

ب - توفيقه بين الحكمة والشريعة :

1 - مقدمه : اول من أخذ مسألة التوفيق بين الحكمة والشريعة ، مأخذ الجد من بين جميع مفكرى الاسلام وفلاسفته جميعاً ، هو محمد بن تومرت امام الموحيدين ، ومن بعده أبو الوليد بن رشد فيلسوفهم فليس بصحيح ما يقال من أن الاتجاه العام الذي يميز الفلسفة الاسلامية هو توفيقها بين الحكمة والشريعة ، وذلك لانه بالإضافة الى النظريات التي اشتملت عليها هذه الفلسفة وجاءت متعارضة مع العقيدة (نظرية الفيض ونظرية المعدوم مثلاً) علينا أن نتساءل : ما هي الجهود الجادة التي بذلها الفلاسفة الاسلاميون واستخراج ما اشتمل عليه كتاب الله من فلسفة قرآنية ؟ والاجابة الصريحة على هذا التساؤل انهم لم يقدموا لنا الا النذر اليسير . فقد

حديث الفلاسفة الإسلاميين في التوفيق بين الحكمة والشرعية من قبيل ذر الرماد في العيون .

وما هكذا كانت محاولة ابن تومرت وابن رشد في التوفيق بين الحكمة والشرعية . فنحن نلتقي في فلسفتيهما بتأسيس تام للتوحيد على العقل ، وبإبراز الدور العقلي في أمور الدين . وبمقابلة تفصيلية بين القياس العقلي والقياس الشرعي أو الفقهي ، وفوق هذا كله نلتقي عندهما ، وهذا هو الأهم ، بتأكيدهما أن الشريعة تتضمن ، فيما تتضمن ، طريقة البرهان أي الحكمة حقا . اننا نلتقي عندهما بما وجدناه عند سائر الفلاسفة الإسلاميين ، من توصية بحظر إذاعة الفلسفة على الجمهور ، ولهما أن التأويل لا يتناسب مع أفهام العامة . لكن كلامهما في هذا السبيل ينبغي أن لا نسوقه سوفا واحدا مع كلام غيرهما من الفلاسفة وذلك لأن مؤدى كلام الفلاسفة أن الشريعة لا تحتوى على الحكمة . أما مؤدى كلام ابن تومرت وابن رشد فهو أن الشريعة تحتوى على الحكمة وزيادة . ومن أجل هذا ، ينبغي أن ننتقي من الشريعة الطريقة التي تتناسب مع أفهام من نتوجه اليه بكلامنا ، من حيث أن الشريعة تشتمل على جميع طرق الإيمان ، ومن حيث أنها تخاطب كل فريق من الناس على قدر عقولهم . إذ لو خلطنا بين الطريقة التي تتناسب مع أفهام الجمهور وهي وقوفهم عند الظاهر ، والطريقة التي تتلأم مع أفهام أهل البرهان ، وهي حرصهم على التأويل ، وقدمنا طريقة هؤلاء إلى أولئك ، أو طريقة أولئك إلى هؤلاء ، فيسودى هذا حتما إلى فساد الحكمة والشرعية وإلى تشويش عقول الجمهور وأهل البرهان جميعا .

وعلينا أن نلتفت أيضا إلى أنه بينما يتحدث الفارابي وابن سينا مثلا عن الحكمة النظرية ويفصلان بين أصحابها الممتازين وبين أهل الجمهور أصحاب الشريعة على نحو ، بوسعنا أن نقول عنه أنه فصل طبقي قائم على ارسطراطية عقلية واضحة ، إذا باين تومرت وابن رشد لا يتحدثان إلا عن « التأويل » أي عن تأويل الشريعة ، باعتبار أنها تمثل عندهما المصدر المشترك لجميع أنواع الأدلة التي تتناسب مع جميع الناس على اختلاف طرق إيمانهم والتأويل عندهما هو ما يقابل الحكمة النظرية عند غيرهما ، ولكنهما يكتفیان بتسميته تأويلا ليتجه الذهن إلى المصدر المشترك للمعرفة وهو الشريعة ، ولسبب آخر أيضا ، وهو أن أهل البرهان أو أهل التأويل عندهما لا يمثلون طبقة ، بل يمثلون بالأحرى أصحاب منهج معين أو طريقة معينة في الاستدلال ، هذا بالإضافة إلى أن هذه الطريقة - طريقة أهل البرهان أو أهل التأويل - لا تمثل عند ابن تومرت وابن رشد معا الطريقة الممتازة في الاستدلال ، بل الأخرى أن نقول هنا أن كفة أهل الظاهر - وهم الجمهور - ترجح كفة أهل التأويل البرهاني ، فضلا عن الجدلي . وإذا أضفنا إلى هذا أن كتب أهل البرهان مليئة بالتأويلات الفاسدة التي حرص كل من ابن تومرت وابن رشد على بيان أسس تهافتها ومواطن الزلل فيها ، فإن كفة الجمهور سترجح - من باب أولى - كفة البرهانيين والجدليين لأنها ترجح كفتهم وهم في أحسن أحوالهم . أي وهم يقدمون لنا استدلالات صحيحة . فلا بد أن يتفوقوا عليهم - من باب أولى - وهم يقدمون استدلالات فاسدة .

أبى برده وبخاصة على يد محمد بن عبدالله بن مسرة (توفي عام 319 هـ) الذى مزج الاعتزال بأراء الاسماعيلية ونظريات الافلاطونية المحدثه . وظهرت كذلك فى تلك الفترة بعض الآراء الالحادية على يد جماعة المفكرين اللادريين الذين نادوا بتكافؤ الادلة (ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ج 5 ص : 119 - 121 طبعة بولاق) وعلى يد جماعة اخوان الصفا ورسائلهم - وهى رسائل اسماعيلية (الفصل ج 2 ص 91 - 92) .

وكان لابد لهذه الهوة القائمة بين الحكمة والشرعية من أن تعبر . ومن هنا نفهم أهمية الدور الذى قام به ابن تومرت فى التقريب بين الحكمة والشرعية ، وكان يرمى من وراء هذا الى هدفين : (أولا) غرس الاسلام السميع فى نفوس الامازيغ الاحرار،والاسلام الصحيح فى نظره لم يكن شيئا آخر الا التوحيد القائم على أساس العقل (ثانيا) : اخراج أتباعه ومواطنيه من الجهل الذى ضرب عليهم أيام المرابطين، وكسر الحصار الذى ضربه فقهاء المرابطين حول الدين باهتمامهم بالخلافات ليزداد شعور الناس والسلطين معا بحاجتهم اليهم .

2 - اسس التوفيق عند ابن تومرت :

يقول ابن تومرت « ان التوحيد هو أساس الدين الذى بنى عليه . وان فرحه انما تثبت بعد العلم بشبوته» (أعز ما يطلب ص : 271) فلا بد اذن من البدء باثبات التوحيد،والعلم بهذا الاثبات،اما الطريق الى هذا فهو العقل:«بضرورة العقل يعلم توحيد سبجانه» وهذا كله هو ما يطلق عليه اسم العلم . وقد احتوى

وقبل أن ننتقل الى تفصيل هذا كله ، علينا أن نشير الى ان هذه المحاولة الجادة التى قام بها ابن تومرت وابن رشد فى التوفيق بين الحكمة والشرعية تلك المحاولة التى تحدونا الى وضعهما كرائدين هامين من رواد الفلسفة القرآنية ، ليست منفصلة عن الظروف العقلية والاجتماعية التى نشأت فيها دولة الموحدين فى كل من المغرب والاندلس على انقاض دولة المرابطين . وهذا هو الذى يجعلنا نقول بتأثير قوى من جانب ابن تومرت على ابن رشد باعتبار انها ممثلين لاتجاه واحد وهو اتجاه فلسفة الاسلام فى عهد الموحدين وباعتبار أن ابن تومرت هو امام الموحدين وفيلسوفهم الأول .

فقبل ظهور ابن تومرت لم تكن العلاقة بين الحكمة والشرعية على ما يرام فى كل من المغرب والاندلس ففي المغرب كان السائد أيام المرابطين هو اهتمام الفقهاء بالخلافات وفروع الفقه . واهمالهم لعلوم الاصول : أصول الدين وأصول الفقه وعلوم الحديث أيضا ، مع جنوح الى التجسيم والتنشبيه حتى أطلق عليهم اسم « حشوية الفروع » . مع ما ارتبط هذا كله بتنشدد فى تطبيق الاحكام (انظر البكرى : المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ، نشرة دى سلاتن ، فصل تحت عنوان : ما شذ فيه عبدالله ابن يس من الاحكام . وكذلك المعجب للمراكشى . وفى الاندلس لم يمنع ظهور مذهب مالك من اهتمام الاندلس بعلوم الحديث على يد بقى بن مخلد وابن وضاح (انظر ابن الفرضى تاريخ علماء الاندلس) . ولم يمنع هذا أيضا من ظهور بعض الافكار الحرة على يد بعض من دان بالاعتزال من أمثال محمد بن

كتاب « أعز ما يطلب على فصل في فضل العلم » عدد فيه ابن تومرت الآيات والأحاديث التي وردت في تكريم العلم والعلماء . مثل قوله تعالى : « شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط » (فسوى الله تعالى في هذه الآية العلماء بنفسه وبملائكته باستعمال واو التشريك) . ومثل قوله تعالى : « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » . ومثل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . ومثل قوله تعالى لنبيه الكريم : « قل رب زدني علما » .

أما طرق العلم فثلاث : الحس والعقل والسمع . والعلم الذي يأتي عن طريق العقل يقوم على القياس العقل . أما العلم الذي يأتي عن طريق السمع فيقوم على القياس الشرعي . ولا فارق عند ابن تومرت بين القياس العقلي والقياس الشرعي : لا فرق بين القياس العقل والشرعي في الاطراد اذا حقق معناه . فان القياس العقلي هو المساواة فيما يجب ويجوز ويستحيل والقياس الشرعي هو المساواة في الوجوب والتحليل أو التحريم » (ص : 173) .

فالقياس الذي يقيس به الشرعيون المحرمات على المباحات مثلا قياس فاسد ، وكذلك قياسهم التحليل على الوجوب . وانما يجب عليهم أن يقيسوا الوجوب على الوجوب ، والتحليل على التحليل ، والتحريم على التحريم . وقد ادى عدم مراعاة الشرعيين لهذه القاعدة أن مزقوا الشرع كل ممزق . مثال ذلك ما حكى عن بعضهم في قوله عليه السلام « من تبدل دينه فاضربوا عنقه » انه أوله بمعنى ان النساء لا يقتلن اذا بدلن اديانهم . وقال انما هذا خطاب للرجال بدليل النهي

عن قتل النساء في حديث آخر . فيقال له : هل تماثلت المعاني أو اختلفت ؟ وتماثلها باطل . فان المعاني مختلفة . اذ المعنى ترك قتل النساء لأجل ضعفهن وقلة فائدتهن في القتال ، وهذا في الجهاد . أما قتل من بدل دينه فانه نكال وردع يدخل فيه كل من فعل ذلك » (ص : 173) .

وقد عرف عن الصحابة التوقف والتحري لانهم كانوا يفهمون عن الرسول المعنى الذي نبه عليه فحملوا عليه . وكل ما حملوه على سبيل المصلحة والمشورة « ولا يقال انهم يستخرجون من عقولهم احكاما وشرعية . ومن تقول ذلك عليهم فقد افترى » (ص : 175) .

أما رجال الشرع فاستخرجوا من عقولهم احكاما كثيرة وعارضوا الاخبار وتركوها جانبا مع ان هذا لا يجوز بوجه . لانه « لا يجوز تقديم قياس على خبر » (ص : 174) ، وبالفقهاء في الاعتماد على القياس حتى تواضعوا فيما بينهم شروطا للقياس وذهبوا الى أن القياس انما يصح بأربعة شروط هي : العلة والحكم والأصل والفرع . وكل هذا باطل .

وليس معنى هذا انه لا مجال للقياس الشرعي . فالقياس الشرعي جائز ، ولكنه لا يجوز الا في الحكم . أما التشابه فلا يلزم اتباعه ولا العمل به . لكن المحكم اما ان يكون واضحا لا اشكال فيه ، وهو لا يثير مشكلة ، وانما ان يكون ملتبسا . لكن الملتبس له ضوابط تضبطه . فاذا تعارض حكمان شرعيان مثلا ، فحكم التعارض الجمع ، فان تعذر ، فان الحكم المتأخر أولى من المتقدم ، فان تعذر فالذي عليه العمل

الحكمة والشرعية ، ويؤدي الى فتح باب الحكمة امام رجال الشرع وباب الشرع امام الحكماء . بل يؤدي حتما الى ان تتكشف الشرعية امام رجال الجمهور ، بكل ما فيها من بساطة ووضوح ، وتزول هذه الهالة التي اقامها علماء الشرعية حول علومهم ليزيدوا من غموضها امام الناس .

ولكن هذا التقارب بين العقل والشرعية ينبغي ان لا يساء فهمه . اذ من الممكن ان يفهم على اساس ان ابن تومرت قد اباح تدخل العقل في احكام الشرعية من غير حدود . لكن هذا هو عكس ما قصد اليه تماما اذ ان ما عابه على فقهاء المرابطين انهم بالغوا في تحكيم عقولهم في احكام الشرعية ، ولكي يقاوم ابن تومرت هذا الاتجاه نادى بمبدئه المعروف وهو ان « العقل ليس له في الشرع مجال » ص : 17) . وان « العقل لا مدخل له في السمع ، والسمع لا طريق له الا التوقيف » (ص : 146) .

ومع ذلك ، فاذا كان ابن تومرت قد قاوم على هذا النحو أولئك الذين يستنبطون من عقولهم احكام الشرعية ، فان مقاومته للطائفة الاخرى التي ظنت ان الشرعية خلو من الحكمة لم تكن اقل عنفا من مقاومته للطائفة الاولى . يقول ابن تومرت في الرد على هؤلاء : « هذه اشارة ترد على بعض من لا خلاق له فيما ذهبنا اليه من ان الشرعية لا حكمة فيها ، وانها ليست على سنن العقل جارية طعنا منهم في الدين وجهلا بحكمة الله تعالى » (ص : 164) .

والحل الوحيد اماننا مراعاة شروط القياس الشرعي وشروط القياس العقلي على نحو ما ذكرنا . وسنرى في نهاية الامر ان الشرعية اخت للحكمة .

فان تعذر فالترجيح بالصحة والكثرة . ولا بد للقياس الشرعي من مراعاة هذا كله . فالقياس مثلا يسقط اذا قوبل بالعمل ورجح العمل ، ويسقط اذا قوبل بالخبر والكثرة والتواتر . وهكذا ، اما ان « يستخرج رجال الشرع من عقولهم احكاما شرعية » فهذا غير جائز .

اما القياس العقلي فالقاعدة فيه - كما قدمنا - المساواة فيما يجب وفيما يستحيل وهو محصور في النفي والاثبات . وكل ما تعدى ذلك فغير جائز . فالقياس الذي يقيس به بعض المتكلمين الغائب على الشاهد قياس باطل : « بطل قياس الغائب على الشاهد . اذ لا جماع بينهما لان كل واحد منهما مضاف للآخر . لان ذا يفعل وذاك لا يفعل ، وذا قديم ، وذا محدث ، وذا مفتقر وذا غني ، فاذا قيس أحدهما على الآخر بطلت حقيقتهما لان القياس انما يصح بين المتماثلين اذا كان بينهما شبه . والبارى سبحانه ليس له مثل ولا شبه . فاذا ثبت هذا وصح ، بطل به التشبيه وبطل به قياس الغائب على الشاهد » (ص : 168) . هذا فضلا عن ان البحث في ذات الله ووحدانيته وصفاته هو بحث في دائرة الواجب . وهي دائرة مختلفة عن دائرة الجائز او دائرة المستحيل . لان هاتين الدائرتين يدخل فيهما الجهل والشك والظن ، وكلها من اصل الضلال الذي لا يقنى عن الحق شيئا .

وهذا التقابل التام الذي اقامه ابن تومرت بين القياس العقلي والقياس الشرعي يؤدي اذا روعيت احكامه وشروطه الدقيقة الى التقارب بين ميداني

وسخرهم بتسلط الحاجات ، وأظهر عجزهم بتبدل الحالات .. سبحانه من أوضح لعباده الآيات وأظهر لهم الدلالات على فاطر السموات فنطقت بوجوده الجمادات » (ص : 242 - 243) .

ونلاحظ أن ابن تومرت بالرغم من علمه التام بأقوال الأشاعرة وبالرغم من موافقته لهم في القول بالجواهر الفرد عند تقسيمه للموجودات وقوله أنها على ضربين « منفرد ومؤتلف » إلا أنه لم يؤسس براهينه على وجود الله على هذا القول وضرب صفحا عنه . وآثر أن تكون هذه البراهين هي نفس الأدلة التي وردت في التنزيل الإلهي .

وينتقل ابن تومرت إلى نظريته في التأويل فيقول : « السائلون ثلاثة : مسترشد ومستفت ومناظر . فالمسترشد يسأل عن الحكم وعن الدليل . والمستفتي هو الذي يسأل عن الحكم . وأما المناظر فليس هذا زمانه » (ص : 220) .

وواضح أن المناظر هو ما يقابل عند ابن رشد الجدليين ، والمسترشد هو الذي يقابل البرهانيين . أما المستفتي فمن الممكن أن نقول أنه يقابل الخطائيين عند ابن رشد . لكن من الجائز أيضا أن نقول أنه يمثل العوام في إيمانهم الأعمى ، وفي رغبتهم الصادقة في التعرف على أحكام الشريعة دون اجتهاد أنفسهم في التفتيش عن الأدلة والبراهين العقلية .

وابن تومرت يقف في صف هؤلاء العوام ونشعر بتفضيله لطريقة إيمانهم ، فموقفه مثلا من المتشابهات هو موقف السلف الصالح : « أورد من المتشابهات التي توهم التشبيه والتكييف كآية الاستواء وحديث

ولا أدل على أن الشريعة تجري على سنن العقل وإنها ليست خلوا من الحكمة كما افترى المفترون ، أننا نجد فيها جميع الأدلة والبراهين على وجود الله . فالشريعة تخبرنا بأن الله فاطر السموات والأرض : « أفي الله شك فاطر السموات والأرض » . وتخبرنا بأن الإنسان حدث : « وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا » ، ومعنى ذلك أنه خلق بعد أن لم يكن . وإذا علم الإنسان هذا علم وجوده خالقه . والقرآن الكريم مليء بهذه الآيات التي تشهد بوجود الخالق والتي تخاطب في الإنسان عقله ، فالليل والنهار والدواب والأنعام والطيور والسموات والأرض وجميع المخلوقات . كل هذه أشياء حادثة إذا علم الإنسان أنها موجودة بعد أن لم تكن علم أن المخلوق يستحيل أن يكون خالقا » (ص : 233) .

ثم يضيف ابن تومرت إلى هذه الأدلة أدلة أخرى فيقول مثلا : « وبالفعل الواحد يعلم وجود الباري سبحانه ، وكذلك الثاني والثالث إلى ما لا ينحصر » وهذا الدليل الآخر وهو دليل الحركة : « كما يعلم بحدوث الحركة الواحدة لوجوب افتقارها إلى الفاعل واستحالة وجودها من غير فاعل » . ثم يجمع ابن تومرت آيات العناية الإلهية ودلائل الاختراع الرباني فيما أطلق عليه اسم « تسبيح الباري سبحانه فيقول » سبحانه من أرسى مهاد الأرض بالشامخات وارتفعت بقدرته السموات ، ودبر الأزمان بالنور والظلمات ، وتدكدكت لجلاله القاسيات ، وأثار السحاب بالعاصفات وأنزل الشجاج من المعصرات فأخرج به من الأرض البركات وقسم بعدله الأوقات سبحانه من قيد الخلق بالحركات والسكنات ، وصورهم بتباين الهيئات ،

وتسمية المعاني بأسماء الاشخاص » (ص : 182) .
وكل هذا يوجب العلم باللغة والاعراب على من يأخذ
نفسه بالتأويل ، ليتسنى له ان يخرج الالفاظ من
دلالتها الظاهرة الى دلالتها المجارية من غـ ان يخلوا
فى هذا بعادة لسان العرب .

واصحاب التأويل يلجأون الى القياس العقلى ،
ولكن القياس العقلى له شروطه التى ذكرناها سابقا
والتي تتلخص فى المساواة فيما يجب وفيما يجوز
وفيما يستحيل . واذا راعى المتأول هذه الشروط
فسينتهى حتما الى قياس صحيح ، وسيكتشف ايضا
انه لا خلاف بين الحكمة والشرعية . أما اذا أغفلها
فسينتهى حتما الى اقيسة فاسدة ، وسيتهم قيام
تعارض بين الحكمة والشرعية . يقول ابن تومرت :

« ان القياس الفاسد على خمسة اضراب : قياس
الوجود وقياس العادة وقياس المشاهدة وقياس العلل
وقياس الافعال . فأما قياس الوجود فهو قياس
المجسمة الذين قالوا بأن جميع ما شاهدناه وجوده
على ثلاثة أقسام : جواهر واعراض وأجسام . وأدى
بهم هذا الى ان يلحقوا الجسمية بالله سبحانه أو أن
يقولوا انه جوهر متحيز . أما قياس المعطية الذين
قالوا ان جميع ما شاهدناه من موجودات انما هو
ولد من والد وزرع من زارع وطائر من بيضة ،
وطردوا ذلك فى جميع الموجودات . فجرهم ذلك الى
ابطال الفاعل ، وأما قياس المشاهدة فهو قياس
أصحاب الجهة الذين قالوا ان جميع ما شاهدناه من
موجودات لم تشاهد شيئا الا فى جهة . وكذلك
الفائب عنا أى البارى سبحانه . وأما قياس أصحاب
العلل الذين قالوا بأن قيام العلم بالعلم علة فى كونه

النزول وغير ذلك من المتشابهات فى الشرع فيجب
الايان بها كما جاءت مع نفي التشبيه والتكييف »
(ص : 233) .

وفى موقفه من مسألة صفات الله نجده لا يوافق
الأشاعرة فى تصورهم لها على انها معان قديمة
قائمة بالذات . ولا يوافق المعتزلة فى قولهم بانها
عين الذات ، بل يقرر ان الصفات هى أسماء الله
تعالى التى سمى بها نفسه ، وهى موقوفة على اذنه .
ثم يؤكد انها ينبغى أن تفهم على انها استحالات
للقائض : « فاذا علم انفراده بواحدانية على ما وجب
له من عزته وجلاله علم استحالة النقائص عليه لوجوب
كون الخالق حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا
متكلما من غير توهم تكييف (ص : 235) .

لكنه مع هذا كله يجيز التأويل ، ويجيزه بنوع
خاص للمسترشد الذى يسأل عن الحكم وعن الدليل ،
وذلك لان هذا المسترشد لن يقع بالوقوف عند الدلالات
الظاهرة للالفاظ ، وقد يوقعه حرصه على البحث عن
الدلالات والبرهان فى التجسيم او التعطيل . لهذا
يصبح التأويل هنا ضرورة . ومن المبررات القوية
للتأويل ان اللغة ، التى نزلت بها شريعتنا الغراء
تفتح المجال امام كثير من التأويل . اذ ان فيها
« التشبيه والاستعارة وحذف المضاف واقامة المضاف
اليه مقامه ووصف ما لا يعقل بصفة من يعقل وتسمية
الشيء بما يؤول اليه وتسمية الشيء بأصله وتسمية
السبب وتسميته الشيء بمعظمه وتسمية الشيء بما
يقاربه وتسمية الشيء بما يقارنه وتسمية الشيء بما
يقاربه وتسمية الشيء باسم ما يخالفه وتسمية
الشيء باسم ما يناقضه وتسمية الجملة باسم البعض

علما شاهدا ، فكذلك ينبغي أن يكون في الغائب ، فوصفوا علم الله تعالى بأنه علة . لكن هذا خطأ إذ أن العلة يجوز أن تفارق المعلول ويجوز أن تبقى معه ، فليس بقاؤها بأولى من مفارقتها ، ولا مفارقتها بأولى من بقائها الا بمخصص . وأما قياس الأفعال فانهم أرادوا بذلك خروج بعض المخلوقات عن أن يكون الباري سبحانه خالقها لحيالات توهموها . وذلك أنهم قالوا رأينا شاهدا بأن كل من فعل فعلا اتصف به ، فمن اعتدى أو ظلم سمي بذلك جائرا وظالما . فدل على أن الباري سبحانه لا يفعل ظلما ولا جورا ، لو فعل هذا لسمى به ، والذي قالوه باطل لأن الباري سبحانه لا تتصف أفعاله بالجور والظلم » (ص : 165 - 166) . ونكاد نقطع بأن ابن رشد اعتمد على هذا النص الهام في نقده للمتكلمين والفلاسفة الذي قدمه لنا في كتاب « مناهج الأدلة في عقائد الملة » .

3 - أسس التوفيق عند ابن رشد :

هذا مجمل نظرية ابن تومرت في التوفيق بين الحكمة والشريعة ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون ابن رشد قد اطلع على كتابات ابن تومرت ، ولكن ما دمنا نفتقر الى دليل قاطع يؤدي هذا الاطلاع ، فليس أمامنا الا أن نحلل كتابات ابن رشد في التوفيق بين الحكمة والشريعة لنرى مدى التشابه بين أقواله في هذا الباب وأقوال ابن تومرت .

فابن تومرت - كما رأينا - يرى أن التوحيد قائم على أساس النظر العقلي ويبرز في هذا السبيل فضل العلم والعلماء ، ويورد الآيات الكثيرة التي توصي

بالنظر في الكون والموجودات . كذلك ابن رشد ، فإنه أبرز ما يقرره الشرع من وجوب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها ، يقول ابن رشد : « واذ تقرر أن الشرع قد أوجب النظر بالعقل في الموجودات واعتبارها ، وكان الاعتبار ليس شيئا أكثر من استنباط المجهول من المعلوم ، واستخراجه منه ، وهذا هو القياس ، أو بالقياس ، فوجب أن نجعل نظرا في الموجودات بالقياس العقلي . وبين أن هذا النحو من النظر الذي دعا إليه الشرع وحث عليه هو أتم أنواع النظر بأنواع القياس - وهو المسمى برهانا - وإذا كان الشرع قد حث على معرفة الله تعالى وموجوداته بالبرهان ، كان من الأفضل - أو الأمر الضروري - لمن أراد أن يعلم الله تبارك وتعالى وسائر الموجودات بالبرهان ، أن يتقدم أولا فيعلم أنواع البراهين وشروطها » (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال - كتاب فلسفة رشد يحتوى على كتابي فصل المقال والكشف عن مناهج الأدلة تأليف ابن رشد نشرة المكتبة المحمودية التجارية سنة 1935 ، ص : 10) .

فابن رشد يرى أن الشريعة حق ، وأن الحكمة حق « والحق - كما يقول في فصل المقال - لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد عليه » (ص : 10) . ثم يقرر ابن رشد أن كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع فإن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي وهو « إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقانه أو غير

الكلام مع نشره لكتاب مناهج الأدلة - الطبعة الثانية (1964) ، وللأدلة التي ساقوها حول الصفات والجهة والرؤية والعدل والجور هي نفس أنواع الأقيسة الفاسدة التي تحدث عنها ابن تومرت في النص الهام الذي أوردناه سابقا ، وأعنى بها : قياس الوجود وقياس العادة وقياس المشاهدة وقياس العلل وقياس الأفعال .

4 - هل نصح بالحكمة للجمهور أم لا نصح لهم بها ؟ :

لكن ابن رشد وابن تومرت متفقان معا على عدم اذاعة الحكمة بين الجمهور . فابن رشد ينتقد المتكلمين والفلاسفة - وبخاصة الغزالي - بل ويكفرهم ، لأنهم صرحوا بالحكمة للجمهور « والصواب » كان ألا يصرح (أي الغزالي) بالحكمة للجمهور . وابن تومرت كذلك بالرغم من إيمانه بالدور الذي يلعبه التأويل في فهم الشرع ، إلا أنه يفضل الوقوف عند ظاهر المنشابهات ويؤثر الايمان بها بلا تشبيه ولا تكييف . لكن عدم التصريح بالحكمة للجمهور لا يتفق منطقيا مع ما أوصانا به الشرع من تحكيم النظر العقلي ومع ما أراه كل من ابن تومرت وابن رشد من تثقيف الجمهور وانتشاله من هذا الجهل الذي أراه لهم فقهاء المرابطين كما أسلفنا ، ليظلوا هم - أي الفقهاء في نظر الجمهور الملجأ الوحيد لهم ولسلطانهم في أمور الدين . فالمنطق يأبى علينا أن نسلم بأن ابن تومرت وابن رشد أرادا أن يستبدلا بالارستقراطية الفقهية التي كانت سائدة في عهد المرابطين ارستقراطية عقلية ، وهذا المنطق نفسه يفرض علينا

ذلك من الأشياء التي عودت في تعريف أصناف الكلام المجازي » (ص : 16) . وهذه هي الفاظ ابن تومرت بعينها .

وكما قرر ابن تومرت أن الشريعة تحتوي على الحكمة وانها جارية على سنن العقل يقرر ابن رشد أن الشرع « يشتمل على جميع أنحاء طرق التصديق وأنحاء طرق التصور » (ص : 29) . أي أنه يشتمل فيما يشتمل عليه ، على طريقة البرهان ، لأنهما أي الحكمة والشرعية - أختان رضيعتان . وهذا ما لم يقل به أحد من فلاسفة الاسلام إلا ابن تومرت امام الموحيين وفيلسوفهم الأول .

وبراهين ابن رشد على وجود الله هي عينها البراهين الواضحة البسيطة التي وردت في القرآن الكريم ، وأعنى بها دليل العناية ودليل الاختراع ، وهي عينها البراهين التي قال بها ابن تومرت . ونقد ابن رشد للأشاعرة بصفة خاصة على أساس أنهم يقيسون الغائب على الشاهد هو نفس النقد الذي وجهه ابن تومرت لهم . وحديث ابن رشد في التقابل بين القياس العقلي والقياس الشرعي أو الفقهي هو نفس حديث ابن تومرت . وتقسيم ابن رشد - في فصل المقال وفي مناهج الأدلة - الناس الى برهانيين وجدليين وخطابين هو نفس تقسيم ابن تومرت السائلين الى ثلاثة أصناف : مسترشد ومستفت ومناظر . وكلام ابن تومرت عن التأويل هو نفس كلام ابن رشد عنه ، وحديثهما عن معناه يكاد يتفق حتى في الألفاظ . ونقد ابن رشد للمتكلمين في كتابه مناهج الأدلة في عقائد الملة (انظر المقدمة التي كتبها الدكتور محمد قاسم في نقد مدارس علم

القول بأن كسب الجمهور الى صفوفهما كان أمرا يسعى اليه كل منهما . فقيم أذن القول بعدم التصريح بالحكمة أو بعدم التصريح بالجمع بينها وبين الشريعة للجمهور ؟

الحكمة الضارة بالجمهور هي الحكمة الملفة التي ابتدأ فيها المتكلمون والفلاسفة من مقدمات أخرجوها من عقولهم هم . لا من الشرع في أصوله ، ومن تأويلات نزولها - بنص تعبير ابن رشد - على الاعتقاد بوجود الله ووحدانيته وصفاته وكونه جسما وكونه في جهة ، وكذلك على الاعتقاد بحدوث العالم وقضاء الله وقدره والجور والعدل .. الخ ، وعرضوا كل هذا للجمهور فأفسدوه وأفسدوا الحكمة والشرع جميعا . وإذا كانت الحكمة كلها من هذا الطراز الملق ، فالتصريح بها للجمهور ضار لا ريب في ذلك - لكن الحكمة ليست - لحسن الحظ - كلها من هذا الطراز ، أو - على الأقل - فإن الحكمة كما فهمها ابن تومرت وابن رشد والتي كانا يأملان في إزالتها بين الجمهور وفي تنويره بها . تمشيا مع الاتجاه العام لفلسفة الاسلام في عهد الموحدين ، ليست من هذا الطراز . الحكمة الضارة التي ينبغي عدم التصريح بها للجمهور هي اذن أقوال المتكلمين وتخريجات

الفلاسفة التي شوشوا بها عقول الجمهور وأبعدوهم عن شريعتهم الحققة ، كما أبعدهم عنها ايضا فقهاء المرابطين في خلافياتهم الفقهية . أما الحكمة المفيدة التي ينبغي إزالتها بين الجمهور فهي تلك التي تبدأ بالتزام نص الشرع ، وبالوقوف عند ظاهره . وبالتوقف والحيطه في الحكم بأن هذه الآية أو تلك من التشابهات أم لا ، وبعدم الالتجاء الى التأويل الا اذا دعت الضرورة اليه ، مع ملاحظة أن هذا التأويل يجب أن لا يخرج عن لسان العرب ، وأن أى تأويل أو قياس يسقط اذا كان هناك نص غير ملتبس يعارضه او اذا كان يناقض السنة المطهرة . سواء كانت خبرا متواترا او عملا ، هذه الحكمة التي تراعى هذا كله هي التي تلتقى بالشرع حتما ، وهي التي علينا أن نذيعها بين الجمهور . اذا كنا واثقين من قدرته على التأويل الصحيح ، في الحدود المشروعة له . وذلك لأننا سنجنى من وراء إزالتها الخير كل الخير .

وفي كلمة واحدة نستطيع أن نقول ان الحكمة الضارة التي ينبغي عدم التصريح بها للجمهور هي الفلسفة الاسلامية . اما الحكمة المفيدة التي ينبغي التصريح بها للجمهور فهي الفلسفة القرآنية .

محاضرة القاها الدكتور هويدى فى البلدية أثناء زيارته للجزائر فى السنة الماضية .



فن المقامة

في النثر الجزائري الحديث

إذا كان الشعر الجزائري الحديث ، قد وجد من يعنى به من الدارسين ، ووجد عناية تمثلت فيما قدم من ابحاث تاريخية او نقدا او جمعا ، فان النثر الجزائري الحديث ، رغم ما قدم فيه من ابحاث ، مازال في حاجة الى مجهودات أخرى تبرز قيمته الفنية والانسانية ، ذلك ان الدارسين لادبنا الحديث يجتذبهم الشعر قولا او دراسة بوصفه ذلك الفن العريق في الادب العربي .

د. عبد الله ركيبي

أستاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

مظلونا يعطيها صبغة خاصة ، وعالجنا موضوعا مختلفا عما ألفناه في فن المقامة المعروف في الادب العربي . ومن المعروف ان هذا الفن قديم في ادبنا العربي ، وان المقامة بوضفها ، أحاديث تلقى في جماعة قد شاعت منذ وقت مبكر وتعددت وظيفتها من اعلامية ، الى وعظية دينية او اخلاقية الى وظيفة لغوية .

ولكن هذا الفن رسخت جذوره منذ ان ظهر « الهمداني » ثم بلغ الذروة منذ ان جاء « الحريري » وتميزت ملامحه وخصائصه وأخذ طابعه الذي عرف به بعد ذلك حتى جاء العصر الحديث فنقل هذا الفن الى مرحلة أخرى لم تصبح فيها المقامة عملا أدبيا يعنى الكاتب فيها بالجانب اللغوي اكثر من غيره وانما يعنى بالواقع وتقده ويسعى الى تغييره كما ظهر هنا في مقامات « المويحلي » في كتابه « حديث عيسى ابن هشام » ، وفي « مجمع البحرين » لليازجي .

أما في النثر الجزائري فقد ظهرت فيه المقامة منذ وقت مبكر . وهناك اديب جزائري برع في هذا اللون من الكتابة الادبية ونوه الكتاب والدارسون بآثاره في النثر والفن هذا الكاتب هو « محمد بن محرز الوهراني » الذي عاش في القرن السادس الهجري ، وكتب مقامات ومنامات ورسائل أدبية صور فيها ، بصدق وبعبارة قوية ، بعض جوانب الحياة في المجتمع العربي في عصره «عصر الايوبيين» وقد ظل الوهراني ، زمنا طويلا ، مجهولا بالنسبة لكثير من الدارسين ، ولكنه في السنوات الاخيرة وجد من يعنى به وبآثاره ، بل اصبح موضوعا لبحوث جامعية في الشرق العربي .

أما النثر فلا يتمتع بهذه النظرة ، لذلك لم يعط ما يستحق من عناية واهتمام ، في حين ان النثر الجزائري في بعض أشكاله كان اكثر تعبيرا عن احساس الكاتب من جهة ، وأقوى تصويرا لواقع المجتمع في مرحلة معينة ، من جهة أخرى ، على ان شكلا آخر من أشكال هذا النثر لم يجد عناية اطلاقا لا قليلا ولا كثيرا ، هذا الشكل هو : فن المقامة في هذا النثر بالرغم من انه لعب دورا هاما في الحياة الأدبية ، اثناء القرن الماضي . وسجل بعض القضايا التي كانت محل عناية الادباء والكتاب ، كما سجل مظاهر سادت في تلك الفترة ونقل لنا صورة من المجتمع وما كان يعيش فيه من اوضاع اجتماعية وثقافية واقتصادية .

وقد فطن الى هذا اللون من الادب بعض الاجانب وعنوا به نشرا أو تعليقا عليه ، ولكن من زاوية خاصة تتفق ونظرتهم للتراث القومي ، التي هي نظرة لا تنفذ الى الجوهر وانما تكتفي بما يظهر على السطح دون ان تبحث عن الأعماق او المعطيات .

ومن هنا رأيت ان اعرض لهذا الموضوع بعد ان عثرت على انتاج يتصل بأدب المقامة في أدبنا الحديث لا لأن في هذا دراسة للتراث القومي ، وتقويما له ، ولا لأن نظرتنا مختلفة في فهمه عن هؤلاء الاجانب فحسب ، ولكن لأنه يمثل لونا جديدا في المقامة الادبية في ادبنا الحديث . وهو لون ، في تصوري يظهر ، لأول مرة ، في ادبنا العربي الحديث فيما أعرف ، هذا اللون هو المقامة الشعبية التي ظهرت في الثلث الاخير من القرن الماضي واتخذت اسلوبا جديدا في تصوير البيئة الجزائرية كما نقلت لنا

فن المقامة في النشر الجزائري الحديث

بعمامة بعد ان ترجمت الى لغات متعددة ، لكن تأثيرها لا يقاس بتأثير قصص ألف ليلة وليلة في الآداب الاجنبية .

اما المقامة في النشر الجزائري الحديث فيبدو انها انتشرت بصورة أقل مما هي عليه في الادب القديم وربما يرجع السبب كما ذكرت ، الى ان الشعر كان هو الفن المسيطر على الحياة الادبية ، أو ان ما كتب من مقامات لم يظهر بعد لسبب أو لآخر .

ومع هذا فان الذي بين أيدينا من بعض النصوص يؤكد ان فن المقامة وجد في النشر الجزائري الحديث ويمكن التمييز فيه بين انواع ثلاثة :

المقامة الصوفية - المقامة الادبية النقدية ثم المقامة الشعبية - فالمقامة الصوفية هي من الاشكال الادبية تنتمي الى النشر الصوفي وقد عبر فيها اصحابها عن نزعاتهم الروحية مثلما عبروا عن ذلك بالشعر ، ويعد الامير عبدالقادر ممن عالج الامرين معا :

الشعر والنثر الصوفيين ، وكتب ما يمكن ان يعد مقامة أو شبه مقامة أدبية صوفية نشرها في كتابه « المواقف » وقد أراد لها ان تكون بمثابة المدخل لهذه المواقف يساعد على فهمها ويصور بها الموضوع الذي ارق المتصوف طويلا وهو موضوع « الحقيقة الالهية » وكيف انها تدرك بالذوق لا بالعقل ، لذلك فان البرهان عليها بالادلة العقلية مستحيل ، والامير يعمد الى خلق شخصية في هذه المقامة ، وان لم يذكر لنا اسما خاصا ، بل اكتفى بتعريفها لنا بقوله : « عريف الجماعة ومقدم أهل البراعة » .

وقد أشاد بأعماله الادبية بعض الباحثين الجادين أمثال الدكتور « عبدالعزيز الأهواني » الذي قدم لأعماله الادبية بقوله : « ان هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النشر الفني في الادب العربي بميزات ترفعها الى مقام عال » .

ولا نكاد نجد في النشر الفني ، في الادب العربي القديم نصوصا فيها ، ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب « (I) »

وهذا النص لباحث عالم سجل فيه رأيه فيما انتجه هذا الأديب الناصر الجزائري اثناء الحديث عن مناماته التي شهر بها . هذا النص يؤكد ان النشر الجزائري ما زال في حاجة الى دراسة مستفيضة تكشف عما فيه من قيم أدبية وإنسانية .

والواقع ان الدارسين يفرقون بين « المنامة والمقامة » ، فالاولى غالبا ما يكون أشخاصها ممن تستحيل رؤيتهم وممن وجدوا في التاريخ كالصحابا مثلا .

أما المقامة فانها مستقاة من واقع الحياة ومن واقع العصر الذي عاش فيه المؤلف وصور بعض النماذج التي عاشها أو استوحاها من بيئته .

وقد استطاعت المقامة ان تتخطى في تأثيرها النطاق العربي - كما يذهب بعض الدارسين - استطاعت ان تؤثر في الادب الاسباني فيما عرف « بقصص الشطار » بل ان بعضهم يذهب الى أبعد من ذلك ، فيرى انها قد أثرت في الادب الأوربي

(I) سنذكر هذه المراجع بالتفصيل في نهاية هذه الدراسة

وحين يسأل البطل عن هذه الغاية لا يجد جواباً شافياً ورغم هذا يستمر في البحث ويستمر في السير وتستمر المقامة في تصاعدها الروحي . كما يسر البطل بأقوام تحاول مثله الوصول الى المحبوبة . لكنه يجد الناس بين غارق وتائه وعائر عاجز ، بينما هذا البطل يساعده الصبر « على الوصول » وعلى تحقيق الهدف .

وحين عاد من رحلته هذه والتقى بالجماعة ، سئل عما رأى فرفض ان يجيب بشئ سوى ضرب الامثلة لان المسألة لا تروى أو تحكى وإنما تحس بالذوق والمشاهدة والتجربة .

وهذه هي النتيجة التي يريد المؤلف أن يصل اليها وهي ان معرفة الحقيقة الصوفية لا تتم عن طريق الفكر والمنطق ولكنها تتحقق عن طريق السباحة الروحية ان صح التعبير .

فهذه المقامة اذن أشبه بالرحلة الدائرية ، رحلة من الأرض الى السماء ثم من السماء الى الأرض ، الحركة فيها ليست حركة بالمعنى المألوف، ليست بالجسم وإنما هي بالروح .

أما مضمونها حينما يقوم فلا ينبغي ان ينظر اليه على أساس غير ما عرف لدى المتصوفة من فهم او نظر يتصل بالكون وبالطبيعة وما بعد الطبيعة . لان هذا هو طريقهم وسبيلهم الى المعرفة عن طريق الذوق والرياضة والمشاهدة .

كذلك فان أسلوب هذه المقامة قد تأثر بمصطلح المتصوفة ، اذ يغلب عليه الرمز والغموض والحديث في هذه المقامة تلميح لا تصريح ، وإشارة ورمز كما

وبالطبع فان لفظتي العريف والمقدم من الالقاب الصوفية ، والامير يصف مجلساً حضره هذا الراوى واجتمع فيه أناس ظرفاء ليتحدثوا او ليستمعوا الى من يقص عليهم قصة « معشوقة غير مرموقة » وهو يمهّد بذلك لتصوير مغامرة روحية فيصف هذا المجلس حين يقول : « حضرت محاضرة من محاضرات الشرفاء ومسامرة من مسامرات الظرفاء في نادى من اندية العرفاء ، فجاؤوا في سمرهم بكل لطفة غريبة مستظرفة عجيبة ... » .

ووصف هذه « المعشوقة » يكون بتلك الاوصاف التجريدية التي نلاحظها في الادب الصوفي والتي لا تحدد الموصوف تحديداً يوضح الملامح والصفات التي تميزها عن غيرها ، وإنما تكون أوصافاً عامة ، فهي : « الباطنة ، الظاهرة ، المستورة السائدة ، الجامعة للتضاد ، بل لجميع أنواع المنافاة والعنادة .

فالامير هنا يتحدث عن « الذات الالهية بأسلوب صوفي غامض لينطلق بعد ذلك الى الرحلة التي قام بها بطله بحثاً عن المجهول . وتبدأ المغامرة يقوم بها بطل ، ولكنه ليس من اصطناع المؤلف أو اختراعه شأن كتاب المقامة في ابتكار شخصيات معينة وإنما البطل هنا هو المؤلف نفسه الذي يقوم بمغامرة روحية فريده يصعب على غيره ان يقوم بها ، والتي لا يمكن ان يحققها الا امثاله ممن قدر لهم الوصول الى غاية يقصر أو يعجز عن تحقيقها غيره .

والطريق الى هذه الغاية محفوف بالاشواك والمخاطر طريق وعر يكتنفه التيه ، مجاهله كثيرة ، ويحيط به القفار من كل جانب وليس هناك دليل سوى المجهول،

فن المقامة في النثر الجزائري الحديث

اما النوع الثاني للمقامة في النثر الجزائري الحديث فهو « المقامة الادبية النقدية الفصيحة » ، ولكن هذا اللون لم ينتشر في أدبنا الحديث بالرغم أن هذا الأدب خضع بصورة واضحة للأساليب البيانية في الأدب العربي . وكنا نتوقع ان تظهر مقامات كثيرة لانها تتناسب مع فكرة الاحياء التي دعا اليها رجال الحركة الاصلاحية، من جهة ، ولانها تساعد على صب افكارهم في هذا قالب القديم .

والواقع اننا وجدنا خليطا من هذا الشكل ومن اشكال أخرى في النثر الاصلاحى عرضنا له في دراستنا للقصة القصيرة الجزائرية ، ولكننا لم نثر على مقامة متكاملة ومستوحاة من الاشكال القديمة، متكاملة في خصائصها وسماتها كما عرف لهذه المقامة من مميزات تجعلها فنا خاصا له تقاليده المعروفة . غير أننا عثرنا على مقامة أدبية كتبها « عمر بن برهيمات » ونشرها في جريدة « المغرب » سنة 1903 تحت عنوان : « مقامة أدبية » تحدث فيها عن رحلته الى المؤتمر العلمى الذى انعقد ببافيس في شهر سبتمبر سنة 1897 م ، وفيه التقى برجال العلم ونوه بالشيخ المفتى التونسي « سالم ابو حاجب » ومدحه بمقطوعة شعرية .

وفي هذه المقامة يصور « بن برهيمات » كيف انه اجتمع اثناء هذا المؤتمر بوفود كثيرة ، لكن شخصا من بين الحاضرين لفت انتباهه بتظاهره بالعلم ولباسه الذى كان يقلد فيه العلماء ، فقد كان : « يلبس عمامة ولكنه قام يستنقص من المسلمين وعلومهم ولا يعرف له نسب وان كان متعما كما يتعم اهل جزيرة العرب ... » فالكاتب استخدم اسلوب المقامة

هو الامر في النثر الصوفى بعامة . تبدو لغة الامير في هذه المقامة لغة قوية جزلة ، غير ان الحوار نادر فيها وما وجد منه لا يختلف في طريقته عن السرد من حيث انه حوار غامض يعتمد على الايماء وعلى التلويح بالمعاني والافكار . اما عنصر القص فهو ضعيف لان الحركة غير واضحة وغير موجودة بصورة تجعل من عنصر القص اسلوبا مشوقا ، لان الموضوع بطبيعته يتسم بالتجريد والتعميم ، كذلك فان الامير يقلد كتاب المقامة في الاستشهاد بالشعر ليؤكد غرضه أو يوحى لما يهدف اليه من كتابة هذه المقامة ووظيفتها هنا تختلف عن وظيفة المقامة اللغوية التي تهدف الى التسلية والترفيه أو الى ابراز تمكن الكاتب من اللغة أو اظهار البراعة اللفظية وانما تهدف المقامة الصوفية الى ابراز المعنى الميتافيزيقى للمعرفة .

وبصرف النظر عن تجاوبنا أو عدمه مع هذا الاتجاه ، فان الذى يعنى الباحث هو رصد الظاهرة الادبية وتحليلها ورصد السمات والخصائص الادبية للاشكال أو الانواع أو الاجناس الادبية المختلفة . وقد يكون من التطويل ان نعرض للعوامل التي دفعت الامير الى ان يتجه الى التصوف والتأليف فيه شعرا أو نثرا ، وهل هذا الاتجاه بعيد عن عصره أو هو تقليد للسابقين أو انه يرتبط بتكوين الامير وثقافته، خاصة ، وقد عرضنا لهذا كله في دراستنا للشعر الدينى الجزائري الحديث. ولكن الذى نسجله ان الامير في هذه المقامة قد اطلق عليها لفظه « قصة » كما اننا نسجل بان مقامته هذه اسهمت من الناحية الادبية في النثر الجزائري الحديث . وان اتخذت طابعا خاصا واتجاها معينا .

ان الذى تؤكده المقامة هو ان اللغة العربية فى فترة متقدمة كانت تتمتع بقوة ساعدتها على الاستمرار والتطور رغم ما عاشته من ظروف قاسية صعبة ، ولو انتشر فن المقامة فى تلك الفترة لأمكن ان نعرف وضع العربية باعتبارها أداة فن وثقافة ، ولاستطعنا ان نعرف القضايا التى كانت تشغل أدياء ذلك العصر ولكن الذى نقل ما افتقدناه فى المقامة الادبية التى كتبت بلغة عربية فصيحة معربة انما هو كاتب آخر عالج نوعا من المقامة مختلفا عما الفناه فى اسلوبها ولغتها ، هذا الكاتب هو « محمد بن على » الذى ترك لنا مقامات شعبية أطلق عليها : (المقامات العوالية فى اخبار العلالية على اللغة المغربية) . وقد نشرها وترجمها : ج. فوز ، كما قدم لها : م . ج . دلفين . وقد نشرت بالمجلة الاسيوية .

وأهمية هذه المقامات ليست فقط فى انها انتاج أدبي ظهر فى فترة كانت اللغة العربية - أواخر القرن الماضى - تمر بمرحلة من أخطر المراحل التى مرت بها فى حياتها منذ وقع الاحتلال الفرنسى لبلادنا ، كذلك ليست أهميتها أيضا فى انها كتبت بأسلوب مختلف وبلغة تختلف عن المقامة القدية التى اتخذت العربية الفصحى المعربة أداة للبيان ولكن هذه المقامات كتبت بلغة جمعت بين الفصحى والعامية ، ليست أهميتها فى هذا كله وانما أهميتها تبدو أكثر فى القضايا التى عالجتها وفى المشاكل التى صورتها ، وهى قضايا ومشاكل تعطينا صورة عما كان يجرى فى المجتمع الجزائرى وما كان يضطرب فيه من آراء وافكار وما كان يعانى من جراء الاستعمار

ليطوعه الى تصوير وقائع شاهدها واراد بواسطه هذه الطريقة ان يسخر من هذا الشخص الذى حضر هذا المؤتمر الذى هاجم فيه المسلمين وعلومهم شأن بعض المستشرقين حين يندسون لخدمة الفكر الاسلامى او خدمة الادب العربى ولكن لخدمة افكار أخرى يدسونها باسم العلم او باسم الثقافة . ولكى يصور الكاتب هذه الشخصية المزيفة تصويرا (كاريكاتوريا) ضاحكا وهو اسلوب قديم فى المقامة ، لكى يفعل ذلك أخذ يصف حركات هذا الشخص وتصرفاته بأسلوب ساخر فيه فكاهة كثيرة وفيه سجع كثير أيضا .

يقول بن برهيمات : « ثم انه صار يدندن كالسنور ويخور خوارا كخوار الثور والناس يسمعون وجلهم له يلعنون فلما أتم سفهه ، والبزاق قد ملأ فمه وكان قد لازمى أحد فضلاء اللجنة الاخيار من ابناء امجادها الابرار اشتملت ذاته على غالب أوصاف الادب غير انه لم يكن يعرف لغة العرب . وكان حفظه الله يرغب منى ان أعجم له تلك المقالة ، فلم يسعنى الا اجابته الى ما طلب . . . »

وهذه المقامة توضح ذلك الصراع الذى مازالت آثاره موجودة بين بعض المستشرقين وبين علماء المسلمين فيما يتعلق بالثقافة والفكر والادب ، والثرات العربى الاسلامى . ولا شك ان استخدام الكاتب عن وعى لاسلوب المقامة انما كان هدفه التأثير فى المتنقى من ناحية كما ان عنايته بالسجع وبالفواصل وبالموسيقى كانه يقصد منه انه يحدث نوعا من اللغة الادبية من ناحية ثانية ومن جهة ثالثة عمد الى السخرية ليصبغ على مقامته نوعا من الحيوية ، ولكن عنصر القص فى هذه المقامة ضعيف الى حد ما غير

فن المقامة في النثر الجزائري الحديث

الاستعمارية خاصة وأنه في فترة من حياته كان قاضيا تابعا للإدارة الفرنسية . إذن فقد أشار إلى تعدد اللهجات في القطر الجزائري وبوجه خاص في غربه حيث نشأ الكاتب وتنقل بين ربوعه وخالف قبائل كثيرة تختلف لهجاتها اختلافا واضحا أدى إلى ضعف اللغة العربية حيث اعترف بأن العلماء الذين يأتون من الشرق قد لا يفهمون اللهجة الجزائرية رغم أن المغرب كما يقول قد انجب علماء فطاحل في مختلف فروع المعرفة والثقافة والأدب .

وهو يسجل بأن هؤلاء العلماء الذين نشأوا في الجزائر أصبحوا مجهولين في بيئتهم ، فما بالك في البيئات الأخرى . كل هذه الدوافع قد حركت فيه هذه النزعة لأن يكتب هذه المقامات بغرض واضح وهو أنه : يرجو من الله أن تكون تخلصا للفصاحة في الأوطان المغربية وزبدة لتقريب قاريها بالنظرية وإني أفتها على صفة المقامات لأنها تفيدنا عن غيرها من المقالات ، ولأن سلفي بذلك حاززون التفضيل والاحسان ، والشكر الجزيل بلا فخر ولا أمنان العلامة بديع الزمان همدان وأبو الفتح الإسكندري وابن هشام ، والعلامة الحريري وأبو زيد السروجي والحارث بن همام فلا حرج أن أعذري واضح وعدم قدرتي فادح ، وإني لا طاقة لي لاستباحة بيحورهم» فالكاتب في المقدمة يستخدم أسلوبا متفاسحا استخدمه في المقامات وهو يصرح بهدفين :

أولهما - كما أشرنا - هو إعادة الصفاء للغة العربية في الفاظها وتعايرها وصلها صقلا يعيد لها بيانها المشرق . أما الثاني فإن الكاتب يعترف بعجزه عن تقليد كبار كتاب المقامات في العصور

بالرغم من أن الكاتب لا يفصح عن هذا تصريحاً ولكنه يرمي إلى ذلك رمزا أو تلميحاً .

وقبل أن نعرض لهذه المقامات بالتحليل لابد أن نشير إلى الظروف التي ظهرت والمؤثرات التي دفعت كاتبها إلى أن يختار طريقا مختلفا عما ألفناه في كتابة المقامة الأدبية سواء من حيث اللغة ، أو الموضوع أو المضمون .

والكاتب «محمد بن علي الطاهر الجباري» ينتمي إلى أسرة من أسر «بطيوة» - أرزيو القديمة - بغرب الجزائر وقد عاش فترة بسعيدة ومعسكر ، وقد أتبع له أن يدرس بالمساجد ويتعلم بالزوايا حيث التقى بنماذج من الطلبة الجزائريين في ذلك الوقت وعاش بينهم يتعلم العربية وقواعدها بالطرق التقليدية وبالأساليب الجامدة المعروفة في عصره وشاهد هذا كله وأثر فيه وتأثر به فانشأ هذه المقامات تصويرا لواقع هؤلاء الطلبة ، وما يعيشون فيه من ظنك وفقر . كما شعر بظاهرة انتشرت وهي أن اللهجات المحلية قد سيطرت على اللغة العربية الفصيحة المعربة، حيث استشرى فيها اللحن وطغت عليها الرطانة فهزه هذا الوضع الخاص باللغة ودفعه إلى تأليف بعض هذه المقامات وقد شكى من انتشار العامية التي يطلق عليها (البربرية) بلهجاتها المتعددة والفاظها البعيدة عن العربية الأم ، وقد ذكر جملة منها ولكنه لم يذكر الفرنسية التي طغت في عصره بل وظهرت حتى فيما كتبه هو نفسه في هذه المقامات كما ظهرت في كتابات غيره أيضا .

ولكنه لم يشر إلى ذلك فيما نتصور لأنه لو اعتبر اللغة الفرنسية أجنبية ربما تعرض لأذى السلطات

الى كتابة مقاماته هذه بالاسلوب الذى اختاره وباللهجة التى اصطفاها ، فهو يساير موجة فى الادب سادت فى عصره والتى سببها ضعف اللغة العربية الى حد ما وانكماشها فى اطار خاص وبين فئة معينة . يضاف الى ذلك خوفه على هذه اللغة حتى ولو كانت عامية ان تضمحل أو تذوى فاختر هذه الطريقة ليصور مظاهر فى المجتمع ويسجل ظواهر نشأت فى عصره مازال بعضها يعيش فى البيئات الشعبية فى بلادنا .

ونحن نميل الى القول ان اهتمام بعض الكتاب الاجانب بالادب الشعبى انما يقصد منه توجيه الانظار الى اللهجة العامية بدل اللغة المعربة الفصحى بفرض التقليل من قيمة هذه الاداة واعطائها صبغة خاصة تجعل منها مجرد لهجة من اللهجات التى انتشرت فى البلاد .

ومما يؤكد هذا ان مقدم هذه المقامات لم يشر الى وضع اللغة العربية أثناء حديثه عن هذه المقامات التى تثير قضية من أخطر القضايا ، ونعنى بها الصراع بين العامية والفصحى والتى عرض لها الكتاب والباحثون واسهموا بأرائهم فيها بقطع النظر عن الدوافع التى تحرك بعضهم وبقطع النظر عن الصورة القومية أو الفنية بالنسبة للاديب شاعرا أو ناثرا و أيضا بقطع النظر عن التعاطف أو عدمه تجاه اللغة القومية أو تجاه اللهجات العامية .

ومما لاشك فيه ان الظروف التى احاطت بالمجتمع كما اشرنا سواء منها السياسية والاقتصادية أو الثقافية أو الاجتماعية قد أسهمت فى انشار الادب الشعبى الذى لعب دورا هاما فى الحياة الادبية بحيث وجدت فيه الجماهير تعبيرا عن مطالبها وآلامها لذلك لم يكن غريبا ان تظهر المقامة الشعبية فى هذه الفترة

الزاهرة ولكنه استخدم المقامة وعاء لتطوير افكاره وآرائه لما لها من تأثير فى المتلقى بسبب ما تمتاز به من صفات وخصائص . وليس غرضه فقط - كما ذكر دولفين - تسلية القارىء وإثارة الرغبة الحارة فى نفسه ، كذلك لم يكن يهدف الى كتابة المقامات لتصبح أدبا شعبيا أو لتدخل فى اطار الفلكلور المغربى ، كما ذهب الكاتب أيضا ولكنه كتبها فيما نعتقد بحثا عن أسلوب جديد يساعد على بقاء اللغة العربية فى عصر الكاتب ، لغة أدب وفن وثقافة كما صرح بذلك . هذا من ناحية ، أما من ناحية ثانية فان هدف الكاتب هو عرض افكاره وآرائه وتوصيلها الى البسطاء من المتعلمين الذين أطلق عليهم - دولفين - « انصاف المثقفين » وهم اولئك الذين تعلموا تعليما تقليديا صرفا لايساعدهم على التذوق الادبى بقدر ما يساعدهم على حفظ النصوص الفقهية واللغوية فالكاتب من جهة ثالثة يهدف الى أحداث اللذة الفنية باصطناعه اسلوبا معيناً واختياره لغة وسطا تجمع بين العامية والمعربة الفصيحة .

وواقع الامر ان الادب الشعبى سواء منه ما تناقلته الشفاه والرواة أو ما أصبح نصوصا تدخل فى هذا المصطلح ، رغم ان كتابه معروفون ، هذا الادب انتشر فى الحقبة المشار اليها فى القرن الماضى لظروف كثيرة ، فعين ضعف الادب الرسمى وجد هذا الادب ليملأ فراغا كبيرا كان يحس به الشعب الجزائرى الذى حرم من لغته ومن ثقافته القومية فوجد فى الادب الشعبى ملاذا له من الحرمان الذى كان يشعر به المنشأ والمتلقى على السواء .

فكاتبنا قد يكون هذا من بين الدوافع التى دفعته

فن المقامة في النشر الجزائري الحديث

كله ، فتظهر الاحوال الاقتصادية التي اضطربت في عصر المؤلف .

وقد اعترف مقدم هذه المقامات بأن هؤلاء «الطلبة» كانوا يعيشون في وضع خاص في حياة تتسم بالاضطراب والفاقة ولكنها أخذت : (اليوم في التلاشي بسبب تغييرات كثيرة أدخلها النظام الاستعماري الذي يقصد القضاء عليها نهائيا) .

فمحاولة القضاء عليها ليس لأنها تمثل وضعاً سيئاً ولكن لأنها تمثل وضعاً خاصاً بقي للغة العربية ولا يقصد من القضاء على هذا الوضع نشر اللغة العربية أو انقاذ « الطلبة من حياة الفقر بقدر ما كان يهدف الى ازالة ما بقي من قشور للثقافة القومية ، كان هؤلاء الطلبة يمثلونها ويحافظون عليها .

والظاهرة التي أرقّت الكاتب الجزائري هي ظاهرة الفقر انه المحور الذي أدار حوله هذه المقامات الاثنتي عشر والذي يجسد بصورة مهولة وضع الجزائر أواخر القرن الماضي ، ومدلول الفقر يتسع ليشمل الفقر المادي المعروف وفقر العلم وفقر الحضارة ، والكاتب لا يشير الى سبب هذا التخلف وإنما نحن نستنتج ان المجتمع الجزائري في هذه الفترة عاش وضعاً شاذاً من جراء السيطرة الاجنبية يضاف الى هذا ان الكاتب عرض ، ناقداً او ساخراً ، لمظاهر سلبية حدثت في عصره سنعرض لها حين ندرس مقاماته من ناهيتي الأسلوب والمحتوى .

بالذات تهدف ضمن ما تهدف اليه الى تشريح المجتمع وما استشرى فيه من مظالم ومساويء اجتماعية نشأت بسبب الاستعمار وآثاره.ومن ثم وجدنا في هذه المقامات الحث على فضائل معينة والنهي عن رذائل كانت قد ظهرت في عصر الكاتب وبالتالي كان يهدف مؤلف هذه المقامات الى تقديم العبرة والنصيحة من خلال أعماله الادبية هذه .

فالهدف التعليمي اذن واضح فيها ، أما الهدف الفني فيتمثل في استعراض المؤلف لمقدرته اللغوية ومعرفته لمفرداتها واستيعابه اللهجات المحلية المتعددة في البلاد ، أما مسرح أحداث هذه المقامات فهو القطر الجزائري كله بمختلف بيئاته الاجتماعية والطبيعية. ذلك ان المؤلف قد تنقل بين أماكن كثيرة وعرف مناطق متعددة وان كان الشطر الاكبر مما كتبه قد كرس لمنطقة وهران التي عاش في نواحيها وخالف قطاعاً كبيراً من سكانها غير ان القطاع الذي سيطر على فكره وعنى به في مقاماته هذه هو قطاع « الطلبة العرب » وهو اصطلاح اطلق على من كان يدرس القرآن والفقه وقواعد اللغة العربية كما أشرنا . وغالباً ما كانت الدراسة تتم في ظروف غاية في الضنك والضييق فكان هؤلاء الطلبة ينتقلون من بلدة الى أخرى طلباً للعلم ويبدو ان هذا المؤلف كابد كثيراً في سبيل ذلك وعانى طويلاً من حياة قاسية وتمرض للجوع والفاقة فخرج بهذه التجربة التي تصور قطاع « الطلبة » وحدهم ، لكنها فيما اتصور تسجل ظروف المجتمع

فيلم عن العالم العظيم (البيرونى)

ان المخرج السينمائى شهرت عباسوف المشهور فى الافلام « أنت لست يتيما » و « طشقند ، مدينة الخبز » و « مأساة الحب » يباشر بتصوير فيلم جديد يتكون من فصلين عن البيرونى ، مفكر الشرق العظيم فى القرون الوسطى .

يقول شهرت عباسوف : ان وضع فيلم عن البيرونى وعصره مهمة ذات شأن كبير فوق العادة ، لقد امتاز العالم الموسوعى العظيم بأراء تقدمية بالنسبة لزمته ، انه ناضل ضد العداوة بين الشعوب ، وكتب عن الحروب الاحتلالية بسخط وغضب .

وأثرت أفكار واكتشافات البيرونى تأثيرا كبيرا على تطور الفكر الفلسفى والعلوم الطبيعية للشرق فى القرون الوسطى ، ومن المقرر انجاز الفيلم عن تاريخ وسيرة حياة العالم العبقري فى عام 1973 الى حلول الذكرى الألفية لميلاد البيرونى .

هاينريش شليمان

أوميلاد علم جديد

هنالك في حقل الصراع البشري عدد وفير من الحروب الكبرى
الا ان عددا قليلا جدا من هذه الحروب بقيت اخبارها حية في
ذاكرة الشعوب . ولعل الحرب الفروس التي دارت رحاها
بين الاغريق وأهل مدينة طروادة قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة
في طليعة تلك الملاحم الخالدة . ولا يخفى عن البال ان حرب
طروادة ما كانت لتحتل مكانة مرموقة جدا في التاريخ وفي
الأدب العالمي لو لم تخط اخبار السنة الأخيرة من براعة كاتب
عبقري عاش في القرن الثامن قبل الميلاد ، شاعر يكاد يكون
مجهولا من الناس رغم انه خلق لهم أجمل ملحمتين من ملاحم
الشعر العالمي هي الإلياذة والأوديسسة .

د. هشام الصمدي

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

1) بمناسبة مرور مئة وخمسين عاما على ميلاد العالم شليمان 1822 - 1972

الطروادية لا تشكل فصلا حقيقيا من فصول التاريخ
البشرى *

هوميروس وحرب طروادة :

نشيد الزمان

وقصيدة الماضي

وغناء السلف !

.....

انشديا هوميروس

واملاء الاحقاب موسيقى

واللانهاية جمالا وسحرا

فالارواح ظامئة ، والقلوب متعبة ، والانسانية
ولجفة ، والآذان مكدودة من دوى العصر ، فهي ابدا
تحن الى سكون الماضي ! (2) *

بهذه الاشعار الحادية يفتتح هوميروس ملحمة
الايادة ، وبقصة التفاحة الشهيرة يمهّد للاحداث
المروعة التي ستؤدى الى دمار مدينة عظيمة .
الاسطورة :

فى احتفال الآلهة بعرس زيتيس ابنة نريوس
رب الاعماق على ملك فيتيا قدمت الربّة ايريس
(ربة الحصام) غاضبة لانها لم تدع من دون كافة
الارباب الى الحفل ، ولكى تنتقم لنفسها ألقت على
الحوان تفاحة كبيرة من الذهب نقشت عليها كلمة
مقتضبة : « للأجل » *

لقد سجل الشاعر هوميروس فى كتابه الايادة (1)
اخبار واحداث أناس عاشوا قبل عصره بمئات السنين
ورغم ذلك استطاع هوميروس بما لديه من موهبة
فذة ، وخيال ملهم حتى أن ينقل قراءه الى ذلك العالم
الاسطورى . عالم اشترك فيه البشر والآلهة على
السواء فى صنع احداث حرب رهيبه انتهت بدمار
مدينة طروادة بعد حصار طويل وحروب مريعة .

وتكاد روعة الوصف التى تفرد هوميروس بها تجعل
من الصعب على القارئ أن يميز بين ما هو بشرى
وبين ما هو فوق البشر ، الحقيقة والاسطورة . ومع
مرور الزمن تناقلت ، الشعوب ملحمة طروادة حينما
وضعها هوميروس . وازداد اهتمامهم بها خاصة مع
بزوغ عصر النهضة الاوربية - التى اتخذت من
التراث الحضارى الاغريقى - الرومانى قاعدة للحضارة
الوليدة فى أوربا ، واعتبارا من ذلك العهد انقسم
الناس بين مصدق ومكذب لما جاء فى مرويّات
هوميروس من أخبار ، بل وذهب البعض الى انكار
وجود الشاعر نفسه ونسبة مؤلفاته الى كتاب آخرين
مجهولين ، لذلك كان من الطبيعى ان ينشب جدل
فى الاوساط المثقفة الاوربية حول هوميروس
ومؤلفاته ، وان يستمر اللغط حتى منتصف القرن
التاسع عشر ، وبالنظر الى الاحداث الخيالية الاسطورية
التي حفلت بها ملحمة الايادة ، مال الكثيرون الى
رفض هوميروس كمؤرخ ، والى اعتبار وقائع الحرب

(1) دون هوميروس فى هذه الملحمة قصة الصراع حول مدينة - ايليون - ولكنه لم يكن يتوخى فى عرضه للاحداث كتابة سجل التاريخ
للحرب : فلم يبدأ ملحمة من تاريخ نزول الاغريق على شواطئ طروادة ، ولا استعرض السنوات العشر التى يستغرقها الصراع ، بل
اقتصر على اخبار السنة الاخيرة وجعل « غضب البطل اخيل » عنوانا لها

(2) الايادة لشاعر الملود هوميروس ، ترجمة درينى خشبة ، دارالهلل ، ص 10

طروادة ٠٠ ، وفي مدينة اسبارطة يلتقي باريس بهيلين أجمل نساء الأرض وزوجة مينلاوس ملك المدينة . وما إن تلتقي عيناه بعينيها حتى ينسى باريس نفسه ، إذ رمت هيلين بسهم من عينيها الساجيتين زلزل قلبه . وتهرع الربة فينوس الى باريس تشجعه على وصال زوجة مضيفه والتجيب اليها . وينتهز الشاب فرصة سفر مينلاوس ليتابع محاولاته فتستجيب اليه هيليك ٠٠ وما إن يسألها باريس : « ألا يسرك يا هيليك ان نعيش سويا أبد الدهر..؟ » حتى تجيبه : « ألا يسرنى ؟ وما السرور اذا يا حبيبي باريس ؟ » « اذا فلنرحل في ظلام الفجر ، الى طروادة . ويهرب باريس عائدا الى طروادة ، حاملا في مركبه حبيبته الجميلة هيلين ، وحينما يعود الملك مينلاوس من رحلته القصيرة ، يعرف قصة الخيانة ، ويتمرغ بعار الفضيحة فليصبح ملثما : « الحرب الحرب ! الانتقام من الفاجرة .. »

اقتلوا الخائن يا حلفائي .. تنداريوس ادع حلفاءك .. لقد اقسموا جميعا .. استيقظي يا اسبارطه .. جنودي .. شعبي .. هلموا الى « (5) واستمعت هيلاس الى صرخة مينلاوس وانتفضت فصارت ثكنة تعج بالجنود وتضج بالآلات الحرب ، واضطربت البحار بالاساطيل .. ولن يرسو الاسطول الا في مياه طروادة .

وما لبثت جميلات الحفل ان اختلفن على ملكية التفاحة ، وانضمت اليهن الربات حيرا ، مينرفا ، فينوس ، وكل منهن تعتقد نفسها اجمل نساء العالم ، وانها أحق انثى بالتفاحة الذهبية . ولما احتدم الخلاف اتفقت الربات على تحكيم اول عابر سبيل . وتشاء الاقدار ان يكون باريس الراعي الشاب الوسيم وابن الملك بريام ملك طروادة ذلك الحكم (3) . وعندها تتقدم آلهة الحب فينوس ذات الجمال الساحر تتثنى امام باريس بكل الوان الاغراء وتحثه على ان يحكم لها بالجمال قائلة : «الست تحب ان اهبك اجمل زوجة في العالم ؟ ستكون زوجتك مثلي تفمرك بجمال لا حدود له ، ولن تشعر معها الا انك تعيش منها في جنة .. فتنة .. نظرات حلوة .. خد مورد .. اهداب كظلال الخلد .. عينان نجلاوان .. جسم مشوق طويل .. زوجة ترضيك وتغريك .. قلب يتبض بحبك .. هاتها يا باريس ، هاتها يا حبيبي .. » فيرق قلب الفتى ويلقى التفاحة في يد فينوس ، وبذلك يجر على نفسه وعلى قومه ، غضب الربتين حيرا ومينرفا .

يتابع هوميروس عرض الاسطورة العاطفية لاسباب الحرب الطرداوية فيقول: «ان الربة فينوس لم تكذب لان الآلهة لا تكذب ، واذا كانت الآلهة لا تكذب فلن يكذب ابولو (4) ، لابد ان تصدق النبوءة القديمة . لابد ان يبحر باريس الى هيللاس ليجر الخراب على

(3) تقول الاسطورة : ان بريام ملك طروادة اخذ ابنه الوليد باريس الى هيكل الرب ابو للو ليتعرف طالع . فجاءت النبوءة تقول : بان باريس سيكون كارتة على قومه وعلى بلده ، وانه سيأتي من الاثم ما يجر الى قتل ذوويه وبني جلدته ، ويفضي الى سقوط طروادة في يد اعدائها . فيصمم الوالدان على التخلص من باريس ، لكن راعيا يعثر على الطفل المنبوذ في الغراء فيتبناه ويحبه في كنفه راعيا للغنم . الى ان تكافته الربة فينوس بعد قصة التفاحة الذهبية ، فتعيده الى والده .

(4) الالبادة ، نفس المرجع ، ص 16

(5) كانت هيلين ابنة للرب زويس وثمرة حبه لامها ليدا . وقد تزوجت امها الامير تنداريوس بعهد ان هجرها زويس . وفي قصر تنداريوس شبت هيلين

عشر على تلك المحاولة الجريئة : سواء لتحديد موقع طروادة ، او للتنقيب والكشف عن بقايا أسوارها وقصورها . وبقيت الملحمة الكبيرة تتابع حياتها في ذاكرة الشعوب حتى عام 1870 ، ففي هذا العالم تم لرجل جرى اسمه هاينريش شليمان ، ان يحقق حلمه ما انفك يراوده منذ طفولته : حلم البحث عن المدينة المسحورة التي خلدتها هوميروس في ملحمة . والتحقق من صحة وجودها .

الطريق من الاسطورة الى الحقيقة التاريخية :

كان من الممكن جدا ان تبقى مدينة طروادة مفقودة - شأنها في ذلك شأن الكثير من المدن التي قامت ثم اندثرت وضاعت - الا انه من غرابة الاقدار ان يرتبط اسم المدينة الاسطورية بعد قرون من الثبات باسم رجل مجهول ، وان تقتزن عملية بحثها بنقطة حياة طفل بدأ حياته صبيا لبقال في مدينة المانية صغيرة ، وان يكون اسم ذلك الصبي المجهول هاينريش شليمان . كان والد شليمان راهبا بروتستانيا فقيرا في مدينة انكرسهاجن ، وقد مات والدته في سن مبكرة ، ثم فصل والده عن العمل بسبب خطيئة ارتكبها . وبالنظر لفقر والده لم يتمكن هاينريش الصغير ان يتابع دراسته الثانوية ، واضطر الى مغادرتها الى العمل المهني بعد ان حصل على دبلوم بسيط ، وبذلك ضاعت على الفتى الطامع الى المعرفة والى التعليم فرصة التعليم الجامعي والدراسات العليا . جابه شليمان الحياة القاسية ولم يكن له بعد أكثر من اربع عشرة سنة ، فعمل صبيا في بقالة صغيرة . وقد تحمل خلالها الكثير من الاسى ومن الشقاء . ولم ينقذه من هذا العمل المنهك الا انهياره

يتضح من المقطع المتقدم من الياذة بأن اسباب نشوب الحرب الطروادية يعود الى احداث اسطورية خرافية . وقد قدم هوميروس العواطف البشرية : من حب وكراهية ، من غيرة وانتقام بأنها المحرك الرئيسى لاحداث دولية خطيرة تجاوزت آثارها آفاق البر الاغريقي . وبالتالي ولد مزج الشاعر للاسطورة الغامضة بالاحداث التاريخية شكلا قويا لدى كثير من المفكرين ، وميلا الى تكذيب ما يروى . وكانت حججهم في الانكار تستند الى تحليل منطقي ، فاذا كان الجزء الاول من ملحمة الياذة اسطوريا عاطفيا ، فلماذا ينبغي عليهم ان يصدقوا ان الجزء الآخر الدراماتيكي من الملحمة يشكل حقيقة تاريخية؟ اوليست اسما أبطال الياذة الرئيسيين : كبريام ومينلاوس ، وباريس ، وهيلين ، وهكتور ، وأخيل.. الخ اسما اسطورية لم يعيش اصحابها الا في مخيلة الشاعر هوميديس ، وبين صفحات كتابه ؟ وبالمثل حق لهم ان يتساءلوا : أين هي مدينة طروادة العظيمة وهل قامت حقا مدينة بهذا الاسم ، عاشت وازدهرت ثم جاءت حملة اغريقية عاتية لتنهى وجود المدينة بالنار والدمار ؟

الى جانب المنكرين لحقيقة ملحمة الياذة ، وجد نفر آخر من الناس اقتنعوا بأن الاخبار التي تضمنتها فصول الياذة تشكل جزءا من التاريخ ، حتى وعلى الرغم من الطابع الاسطوري الذي يسيطر على القصة وقد استندوا في تصديقهم الى ما اورده الشاعر اللاتيني فيرجيل عن دمار مدينة طروادة ، ومع ذلك ظل الصمت والغموض يلفان المدينة العتيقة قرونا طويلة فلم يقدم أحد حتى منتصف القرن التاسع

هاينريش شليمان

رسم قدر حياته منذ طفولته الباكرة . وفي هذه الطفولة البريئة بدأت قصة الصراع الطويل بين الاسطورة والحقيقة التاريخية . وكان للانطباعات الفنية التي حصل عليها من والده آنذاك تركت اثرا عميقا في فكره . فقد كان والده معجبا بالشاعر هوميروس ويستهو به التاريخ القديم . وكان الاب يقرأ لابنه مقاطع من الالياذة والاوليسة ويحدثه عن الابطال السالفين . مما ملأ قلب هاينريش الصغير إعجابا بهم وبمدينة طروادة الرائعة . كان هاينريش يحلم بالمدينة وبالمصير البائس الذي لقيته ، وقد صدف ان رأى في كتاب تاريخ أعد للأطفال ، صورة خيالية لطروادة والنار تلتهم قصورها واسوارها ، فقال لابييه ان مؤلف الكتاب لم يكن يستطيع رسم مثل هذه الصورة لو لم ير المدينة . فهل كان لقصر بربام اسوار ضخمة بهذه الدرجة ؟ وعندما اجابه والده بالاجاب . اضاف هاينريش : « اذا كان الامر كذلك فان الاسوار والمدينة لا يمكن ان تختفي كلية . لابد ان تكون طروادة مدفونة باسوارها ومنازلها تحت القبار والتراب وانقراض القرون العديدة . وعندما سأصبح كبيرا سوف اذهب لافتش عن طروادة ، ولانبش في المدينة كل الكنوز التي احتوتها ! » .

لم يفارق هذا العزم مخيلة هاينريش خلال مراحل حياته العصامية . وقد بدأ الطريق بتعلم اللغات الاجنبية ، واقبل عليها بشره وعطش شديدين فتعلم الانكليزية والفرنسية والهولندية والاسبانية واللاتينية . وكان يحفظ مجلدات بكاملها عن ظهر قلب . وفي عام 1846 ارسله مدير المؤسسة التجارية التي يعمل فيها في امستردام ليمثل

مرة تحت وطأة برميل ثقيل كان يحمله . ولذلك اضطر هاينريش الى البحث عن عمل آخر يحتمله جسده المجهد . فانتهاز الفرصة ليتعلم اصول المحاسبة ، ثم جمع القليل مما ورثه عن امه . وسافر هاربا من شقائه الى هامبورج املا في اكتشاف العالم وفي بدء حياة جديدة . وخيل للفتى ان الحظ يبتسم له اخيرا . عند ما عثر على عمل في فتزويلا ، فركب البحر متوجها الى هناك ، غير ان عاصفة تدهام مركبه ، وهو لم يبتعد عن الشاطئ الاوربي بعد . وكان شليمان من بين القلائل الذين نجوا من الفرق . فعاد الى امستردام وعمل فيها صبيا في مكتب تجاري براتب ضئيل . ومع ذلك اخذ يخصص نصف هذا المرتب لتعلم اللغتين الانكليزية والفرنسية ، وكان النصف الآخر لا يكفي لسد ثمن الطعام واجرة المسكن . وفي هذه المرحلة الهامة من حياة شليمان تتبلور خصائص شخصيته وتظهر الى الوجود . اذ أثبت انه لم يكن ذلك الطفل الحالم ، ولا الخيالي المتحمس حسبا اعتاد اهله ان يسموه ، بل تميز بحس واقعي وبروح واضحة صافية . ، وقد زادت الآلام قوة وصلابة . وكان شليمان قبل كل شيء يعرف ماذا يريد . وقد اراد ان يخرج من الفقر الذي يشل فعالياته مؤمنا بأن الطريق الى ذلك يكمن في الحصول على المعرفة ، والحصول على المال ، لذلك صمم على الحصول عليهما معا مهما كلفه ذلك من ثمن .

هنالك عظماء كثيرون في التاريخ وصلوا الى ما يصبون اليه دون ان يكون لمراحل طفولتهم الباكرة دور كبير في نجاحهم . الا ان شليمان يتميز بانه

لم يترك له مجالا غير الطلاق منها . وقد تم عام 1868 ذكرنا ان شليمان اراد منذ عام 1858 هجر التجارة وكان شوقه نحو تعلم اللغات تعبيرا عن اسفه الشديد لحرمانه من الدراسة العليا لسبب خارج عن ارادته . وكان حلم طفولته يراوده دوما ويقول في رسائله : « أأملى تزداد ، ويجب ان اعيش من اجل العلم الذي أحبه كثيرا » . وهذا العلم كان « علم الآثار » ، والحلم الذي يراوده منذ الطفولة هو الكشف عن سر طروادة وفي عام 1863 تم لشليمان نهائيا الانسحاب من حياة رجل الاعمال التي عاشها خلال عشرين سنة بنجاح كبير .

شليمان العالم :

ابتدأ شليمان ، الصفحة الجديدة من حياته برحلة طويلة حول العالم استغرقت سنتين . كتب مذكراته خلالها في 580 صفحة ، بالإضافة الى كتابه الاول عن « الصين واليابان » الذي ظهر في باريس عام 1867 . ثم استقر في مدينة باريس وكان له من العمر انذاك اربعة واربعون عاما . وهناك بدأ دراسته العلمية في الصوروبون ، وتسجل في دراسة اللغات والآثار المصرية والفلسفة والادب الاغريقي . واللغة والشعر العربي . الخ . واعتبارا من عام 1868 يكرس نفسه للدراسات الاثرية فقط . وفي ابريل من السنة ذاتها بدأ شليمان رحلته في بلاد الاغريق متقنيا آثار هوميروس ، حيث وطأت قدماء لأول مرة ارض طروادة . فاخذ يبحث عنها حاملا اليادة هوميروس في يده .

لم يكن شليمان أول من ذهب للبحث عن طروادة بل سبقه عالم فرنسي حدد موقعها خطأ في مكان آخر

الشركة في فرعها في روسيا ، فانكب على تعلم اللغة الروسية مما ساعده على تحقيق تقدم كبير في عمله في مدينة بتسبرج . وما لبث ان استقل في تجارة استيراد الحشب والشاي والسكر والقهوة من امريكا اللاتينية . وابتسم له الحظ عندما قبل عام 1847 في النقابة الاولى لتجار الجملة ، الامر الذي فتح له الطريق الى معرفة العائلات الشهيرة واصحاب الاعمال في روسيا . وهكذا اصبح لشليمان صلات تجارية مربحة بين اوربا الغربية وروسيا . اضاف اليها تجارته بالذهب في الولايات المتحدة بعد وفاة شقيقه الذي قضى باحثا عن الثروة في العالم الجديد . وفي عام 1855 بلغت ارباح شليمان الصافية 220,000 تالرم ما لبثت ان ارتفعت الى ارقام خيالية . وفي رسالة كتبها عام 1858 الى صديق له يقول شليمان « لقد قمت بتجربة جمع الثروة وعرفت الفشل مثلما عرفت النجاح ان متابعة هذا الجهد يتجاوز قوامي . وهذا ما يهدمنى معنويا وجسديا » .

وحتى اذا استطعت ان اربح الملايين نتيجة الاستثمار في التجارة فاني سأرفض ذلك . . . » . ولعل من بين اسباب عزوف شليمان عن متابعة التجارة فشله في حياته الزوجية وفي علاقته مع زوجته الروسية التي رزق منها بطفلين ثم بنالت . فصفاته في العمل الجدى وفي متابعة دراسة اللغات كالاغريقية القديمة والحديثة والبولونية والسلافية ، لم تترك له مجالا للتفرغ للحياة البيتية . وكان من الصعب على امرأة شابة ان تعود نفسها على مثل هذا الرجل العنيد المليء بالحياة الذي يستغرق العمل كل وقته . وبما ان زواج شليمان لم يكن وليد حب ، فان برود زوجته الزائد

البحث عن طروادة وبند الحفريات الأثرية :

تقدم شليمان الى الحكومة العثمانية يطلب يرجو منها الموافقة على مشروع التنقيب عن طروادة في تل « حصارك » ، واستغرق انتظاره سنة كاملة . وكان قد انتقل للعيش في مدينة اثينا احدى مساح ابطال احلامه وبسم الحظ له بان تزوج من صوفيا الاغريقية ، وهى فتاة جميلة ذكية من فتيات أسر مدينة اثينا ، المرموقة ، ولم يكن لها من العمر انذاك اكثر من سبعة عشر عاما .

جاءت الموافقة من السلطات العثمانية فى استامبول وقد اشترط فيها ان يقدم الجزء الاكبر من الاشياء التى سيعثر عليها الى الدولة ، وان يلتزم بالحاق موظف تركى ببعثته ، علاوة على تحمل شليمان مصاريف التنقيب .

اعتمد شليمان على وصف هوميروس للمدينة فى كتاب الالياذة ، وهذا ما قاده الى الاستنتاج بان « الطبقات العليا من التل يجب ان تخفى فى طبقاتها طبقات المنشآت العائدة الى العهدين الرومانى والاغريقى . وتحت هذه الطبقات يجب ان توجد مدينة طروادة المدفونة تحت انقاض الآف السنين . ولذلك يجب التفتيش عنها فى اعماق التل » . وبالفعل بدأت الحفريات ، على سطح التل عام 1871 بحفر عديدة وعميقة ، وبلغ عدد العمال حوالى 20

وبعد بحث طويل قادته خطاه الى هضبة « حصارك » - بعد ان تتبع مجرى نهر اسكندر - وهى تل يقع على مبعدة ساعة من شاطئ البحر « اطللسبونت » بشكل مستطيل طوله 230 مترا وعرضه 160 مترا م ويقول شليمان : « هنا كان قصر ميريام . وبواسطة الرفش ساقدم البرهان على ذلك » ولكى يستمع الناس الى وجهة نظره ، فكر فى ان يقدم نفسه اليهم ليصبح معروفا من قبلهم . فكتب كتابا بعنوان : « ايتاك ، والبيليونز ، وطروادة ابحاث أثرية » ضمنه نتائج رحلته مع نبذة من تاريخ حياته لينال به درجة الدكتوراة من جامعة روستوك ، والآن اصبح شليمان يمتلك معظم الوسائل التى تؤمن له تحقيق حلم طفولته . فكانت حياته ملحمة متكاملة : من الطفولة الى العمل ، الى الزواج ، والعلم . ولم يكن الانتقال بين هذه المراحل فجائيا كما رأينا وهذا خلافا لما يرمى به البعض شليمان بانه مجرد تاجر غنى - بل كان بطيئا متواصلا عاش كل مرحلة منه بكل ابعادها وعرف فيها الشقاء مثلما عرف السعادة وكما كان طريق ارتقائه من صبي بقال الى تاجر غنى محاطا بالصعوبات وبالمشاق ، فان طريق شليمان من طالب علم الى مكتشف وعالم كبير لم يكن بأقل صعوبة . وقد انهال النقاد على كتابه يسفّهون آراءه ويجرحون النتائج التى اراد التنبيه اليها (6) .

(6) تميزت حملة العلماء على شليمان بالنقد العنيف : مرة لانهم اعتبروه دخيلا على الوسط العلمى ، وثانية لانه هدم لهم مسجلات كانوا يملكون بها . وكتب الى والده يقول : « وبينما أهدم كل ما كتبه سترابون والمؤلفون النالون عن طروادة ، يصبح كتابى هدفا لنقد عتيف ومع ذلك فانى لست اخاف النقد لاني ساقدم براهين عديدة تستند الى حقائق مؤكدة » ، وكان النقاد يقولون عنه : « انه غنى ، ولكنه مجنون » .

يؤدى الى السهل المجاور . وزاد فى قناعة شليمان عشوره على آثار حريق ضخم على جدران السور أكد ظنه فى ان البوابة الضخمة هى المدخل الى مدينة بريام . وهكذا خيل الى شليمان انه وجد حلا للغز الكبير ، وانه استطاع بمساعدة الرفش والمعول الوصول الى هدفه . وبان طروادة كانت موجودة حقا . ولم يكن ذلك نصرا لاحلام صبي البقال هابيريش شليمان فقط بل كان ايضا نصرا للشاعر هوميروس .

اعتقد شليمان انه انجز مهمة حياته فى طروادة . وبينما كان يتأهب لانهاء الحفريات ومفادرة المدينة يوم 15 جوان 1873 ، اذا به يفاجأ باكتشاف جديد مذهل . فقد عثر فى مكان خفى من السور على كنز كبير من الذهب أطلق عليه اسم « كنز بريام » ويتألف الكنز من طلاسات ثقيلة من الذهب ، وأواني كبيرة وصغيرة وقصعات من الفضة ومن الالكتروم (مزيج من الفضة والذهب) وتيجان ذهبية ، وأساور وأقراط وعقود .. الخ . فأخفى أمرها عن العمال ونقلها سرا الى كوخه الصغير . ثم غادر تركيا حاملا الكنز معه .

نشر شليمان تقريراً يتضمن صوراً وفيرة لاجزاء الكنز والحفريات فى طروادة . وكان التقرير فى مجلدين تحت عنوان « آثار طروادة » . وظهر الخبر فى الصحف ، العالمية منذ يوم الاكتشاف ، فأحدث رد فعل عنيف لدى مختلف الاوساط من مؤرخين واثريين وعلماء وسياسيين فى أوروبا . وتبلور رد الفعل فى نقد عنيف وموقف سلبي . وزعم البعض بأن الكنز مزيف . واتهموا شليمان بأنه « مزيف ومحب للشهرة » ، أو بأنه « مجنون وناضج للذهاب

عاملا ، أشرفت زوجته صوفيا على ادارة قسم منهم . وكانت صوفيا من انصار هوميروس ومتحسة جدا لعمل زوجها . وما ان بدا العمال يتعمقون فى باطن التل حتى أخذت البقايا الاثرية تتكاثر . فهناك جدران من الحجارة المنحوتة والاراضى الفخارية والادوات من مختلف الانواع والاشكال مما شجع شليمان على متابعة الحفر بحماس ، فقام بشق سبر جديد من حافة التل الغربية متجها الى وسط التل . فأصبح العمل صعبا وخطيرا بسبب احتمال انهيار جوانب السبر فوق العمال . كما كانت الرياح تسفى الغبار والتراب فى عيونهم ، والحرارة تنهكهم وازدادت الصعوبات عندما اتضح لشليمان بان السبر فى اعماق التل يكشف عن عدد وفير من طبقات المدن والسكنى توضع فوق بعضها البعض . وكان بعضها يحمل على الجدران وفى التراب آثار حريق واضحة . هذا التعاقب الطبقي برهن بأنه توجد فى تل « حصارك » مدن عديدة غير مدينة طروادة ، بلغ عددها سبعة مدن أولا ثم ازداد الى تسعة مدن فيما بعد . وهذه المدن فيها قصور ومساكن وادوات على مستوى مختلف من التطور الحضارى . والآن وقف شليمان أمام حيرة كبيرة . فأى المدن هذه كانت المدينة التى تغنى شاعره الكبير هوميروس بأخبارها .

اخيرا وصل العمال الى الصخر الاصم ، فعثروا على عمق عشرة امتار من سطح التل على سور ضخم من الحجارة مازال قائما فى مكانه بارتفاع ستة امتار والسور يذكر بأسلوب بنائه بابنية العهود القديمة ومع تتبع الجدار ورفع التربة والانقاض ظهر للعيان بوابة ضخمة ذات بابين ، فاعتقد شليمان مبتهجا بأنها ، بوابة مدينة طروادة ذات المرتقى المنحدر الذى

زوجته على اكتشافات مذهلة ضمن قبور المدينة . فتضمنت القبور ثروة من الذهب من حلى وأقنعة وتماثيل وأسلحة لا تدفن عادة الا مع جثث الملوك والامراء . فكتب في نشرة الحماس « لم يعثر احد حتى الآن في اوربا على لقي من قبل التاريخ على مقارنتها بهذه الكنوز ، وكل متاحف العالم لا تملك مجتمعة خمس هذه الثروة ! » . ومع ذلك ورغم الضجة الكبيرة التي أحدثتها اكتشافات شليمان في ميكني لم يعثر بعد على جواب قاطع . فعاد الى طروادة من جديد ليووسع المنطقة المحفورة ، وليكشف عن عدد من المباني الكبيرة عن الطريق الموصل الى البوابة الواقعة في الشمال الغربي من القصر الملكي وبمساعدة المهندس والمستشرق اميل بورونوف Bournouf وابنته التي كانت ترسم مخططات ومقاطع دقيقة للاسبار وللمباني المكتشفة ، تمكن العالم من اكتشاف ثلاثة كنوز جديدة في الطبقة الثالثة من سويات السكنى . واستأنف العمل في المدينة عام 1882 يصاحبه المهندسان دورفلد Dderpfled وهوفلر Höefler : اذ مازال الشك يقلقه . فطروادة التي اكتشفها كانت « صغيرة جداً » بالنسبة لطروادة التي وصفها هوميروس ، ولربما لا تكون هي نفسها ! وسعى شليمان لاجراء قياسات دقيقة ، ومخططات لطبقات المدينة المختلفة . تبين بنتيجة الاعمال الاخيرة ان سويات السكنى التي تم الكشف عنها كانت تختلف عن تلك التي

الى المنفى » . ولم يقف الى جانبه الاشخاص : ينوتون مدير المتحف البريطاني ، وجلاد ستون رئيس وزراء بريطانيا الذي كان من المعجبين بهوميروس . واستقبل شليمان في انكلترا كما لو انه ظفر للتاج البريطاني بمستعمرة جديدة . وما لبثت الاكاديميات العلمية ان دعت له لقبول عضويتها ، وحظى بمقابلة خاصة مع ملكة هولاندة . غير ان الحكومة العثمانية اقامت عليه الدعوى لانه اخرج الآثار الثمينة التي اكتشفها في طروادة . وحكم عليه بدفع تعويض قدره عشرة آلاف فرنك ، اسرع شليمان لدفع خمسين الفا عوضاً عنها وفيما بعد اهدى شليمان « كنز بريام » الى متحف مدينة برلين الى الشعب الالماني لكي يملكه ويقوم بالحفاظ عليه الى الابد (7) وفي 14 جويلية عام 1881 استقبلت عاصمة الرايخ ابنها العالم ومنحته لقب مواطن شرف في احتفال منقطع النظير (8) .

بين الشك واليقين :

لم تبارح الشكوك خاطر شليمان حول فرضياته واستنتاجاته بالنسبة لهوية مدينة طروادة . واعتقد ان الجواب القاطع على دوامة الاسئلة العديدة لابد ان يكون في البر الاغريقي نفسه : في بقايا المدن والقصور التي عاش فيها اجامنون وصيفلاوس وبقية ابطال الحرب الطروادية . لذلك طلب من الحكومة اليونانية الموافقة على اجراء تنقيبات اثرية في موقع مدينة ميكني . وابتسم الحظ من جديد لعالم الآثار مثلما ابتسم من قبل للتاجر . فقد عثر مع

(7) فقد الكنز الكبير خلال الحرب العالمية الثانية .

(8) لم يمنح لقب مواطن شرف لمدينة برلين قبل شليمان الا الى بسمارك وفون مولتكه

عن الكنوز الى مصاف العالم ٠٠٠ وقد فرض شليمان نفسه لا بالنجاح فقط الذي حققته له اكتشافاته ، بل وايضا بالطريقة التي اتبعها في العمل . لاريب ان الياذة هوميروس الخالدة قد استحوذت على خيال هايزيش الذي شكل ايضا مفتاح نجاحه ٠٠٠ ومع ذلك لربما كانت مدينة طروادة « المحترقة » ماتزال اليوم والى الابد تحت ظلام التراب ، لو ان الرفش لم يكن يوجهه الحيال ٠٠٠ » . ويقدر العالم سايس Soyce جهود شليمان في مقدمته : « لا يوجد اليوم عالم آثار مختص سواء في بلاد اليونان أو في أوروبا الغربية يشك بالاعمال الرئيسية التي اثبتتها حفريات شليمان » . فقد دشن حقبة جديدة في دراسة التاريخ الكلاسيكي ، وبعثر مفاهيمنا عن الماضي ، وأرسخ العلام الأول والهادي في ميدان البحث العلمي بواسطة الرفش » .

افترضها شليمان في مواسم التنقيب السابقة . ولقد كان لهذه النتيجة وقع مؤلم على شليمان . ولكنه توجب عليه قبولها باسم الحقيقة العلمية . فالمدينة « المحترقة » التي عثر على بقاياها سابقا اصبح الآن ترتيبها الثانية اعتبارا من الاسفل الى الاعلى ، بينما اعتبرها شليمان خطأ المدينة الثالثة . فلم تكن هي مدينة طروادة الهومرية . بل كانت تعود الى عهود أقدم بكثير . وبالتالي فإن الكنز الذي اكتشفه انذاك ليس على الإطلاق « كنز الملك بريام » ملك طروادة الى جانب العمل في ميدان التنقيب ، تابع شليمان تأليف كتابه الهام (ايليوس) Ilios (9) وهذا ما زاد من شد انتباه المثقفين في انحاء العالم الى اهمية عمله والى خطورة النتائج التي أسفر عنها وتضمن الكتاب مقدمة للعالم الالماني الكبير اميل فيرشو Virchow جاء فيها : « الآن انتقل الباحث

(9) صدر الكتاب بالتناوب باللغات الانجليزية ، الالمانية ، والفرنسية

ابعدُ واعنا الحُرِّيَّات والغلاميات واعطونا موسيقى وطنية ذات بُعد عالِي

ملخص رسالة اجاب بها السيد
مولود قاسم ، وزير التعليم الاصل
والشؤون الدينية ، عل دعوة وزارة
الاعلام والثقافة ، ال المشاركة في
الملتقى الخاص بالموسيقى الاندلسية
الذي انعقد اخيرا ، وكلمة القاها
في جلسة التتاح الملتقى :

... « فبقطع النظر عن الجانب الفني
البحث ، من حيث استعمال هذه الآلة أو
تلك ، من تقليدية أو حديثة ، ومن
استعمال النوطة لتسجيل التراث
والانتاج الجديد والحفاظ عليهما ، وتعميم
فائدتهما ، بنشرهما واعطائهما صبغة
عالمية ، أقول ، وبقطع النظر عن هذا أو

التي كانت بداية انحدارها وانتهيارها في نفس الوقت ، كما هو شأن أغلب الحضارات على مر الزمن !

فاذا كان افراد العائلة اليوم يفترقون ، كل في جهة ، وينفرون عن الجهاز ، بعد أن كانوا محيطين به ، عند سماع مثل هذه الكلمات في أفواه « شيوخ الفن » على رأس الفرق المحترفة ، مثل عبد الكريم دالي ، ودحمان بن عاشور ، والصادق البجائي ، ومحبي الدين باشتارزي ، وعبد الرزاق فخارجي ، وعبد المؤمن بن طوبال ، والطاهر الفرقاني ، وحسن العنابي ، والمرحومين الشيخ العربي بن ساري والحاج المحفوظ ، والمرحومتين مريم فكاي وفضيلة الجزائرية ، وزهور الفرقاني ، وثرية، وسلوى، الخ، الخ، فان سماع مثل هذه الكلمات وغيرها في أفواه شبان، بل أطفال صغار وبنات يافعات، من تلاميذ وتلميذات المدارس، لشيء فظيع لا ينبغي أن يسمح به بعد اليوم تحت صورة من الصور ، وبأية حجة أو تلمعة من الحجج والتعللات !

وفي امكاننا ، بل من واجبنا ، أن نعوض ذلك كله بروائع من الخنساء ، وجريير ، والفرزدق ، والمتنبي ، والبحتري ، وأبي تمام ، والمعري ، وابن هانئ وابن حمديس ، وابن قنفذ ، وبلارة ، وغيرهم

ذاك من الجوانب الفنية فهناك جانب يهتمني أكثر من غيره ، وأظنه يهم الجميع ، وخاصة المواطن الجزائري « الشعبي » ، العادي ، البسيط ، « المحافظ » ، الذي يحب هذه الموسيقى - أو ينبغي تحبيبها اليه - ويود أن يتمتع بها بين أفراد أسرته بدون حرج وخوف من المفاجآت ... الأكيدة ، وهذا الجانب أود أن أعبر عن رأيي بخصوصه منذ الآن ، وهي الفقرة الثالثة من النقطة الأولى أي المحتوى أو النصوص ، ولقد سبق لي مرارا أن أسررت بشعوري الخاص هذا الى كثير من الاخوان المسؤولين على هذا القطاع ، من المستوى الأعلى ، حتى المشرفين على الاذاعة والتلفزة ، وحتى بعض شيوخ هذا الفن .

فاذا كانت الحان موسيقانا هذه رائعة كلها ، وتعطينا صورة عما وصل اليه الرقي الفني لدى اسلافنا ، فان محتواها مؤسف جدا ، في غاية السخافة ، والسطحية ، والسماجة ، بل والقبح !

فكم من مرة فوجئت أسر مجتمعة حول جهاز التلفزة لسماع موسيقانا بكلمات ناشزة بذينة تتغنى لا بالخمر والخلاعة وو ... فحسب ، بل وأيضا بقده ، وخده ، وثغره ، الخ ، من الغلاميات المعروفة ، خاصة في قمة ازدهار الحضارة الاسلامية ،

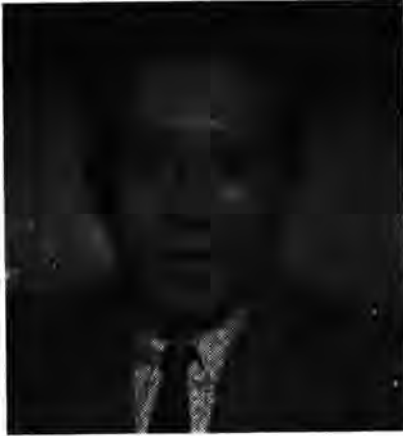
ودفورجاك فى تشيكوسلوفاكيا ، وبارتوك وكودالى فى المجر ، الذين أخذوا من الحانهم الشعبية ووضعوا منها موسيقى عالمية ، وفى الجزائر المرحوم محمد ايقربوشن الذى صاغ موسيقى وطنية فى غاية الروعة وعلى المستوى العالمى من الحاننا الشعبية من مختلف جهات الجزائر ، وتراثه معروف عالميا ، حيث وضع الموسيقى لأكثر من مائة شريط سنيماى فى أوروبا ، وهو الذى درس فى المعاهد الموسيقية العليا فى إنجلترا ، والنمسا ، وفرنسا ، وسجلت له قطع موسيقية عالمية رائعة ، ولا تزال كثير من مؤلفاته على مستوى المخطوطات فى المعهد الموسيقى الجزائرى نرجو أن تبدأ فى الخروج من الدواليب ، وأخرى مسجلة فى اسطوانات ، وفى اذاعتنا التى عرضت الكثير منها فى السنوات الماضية ، وخاصة منها قصيدته السيمفونية المعروفة « ليالى الجزائر » . ومع ذلك فيوم مات فى مارس 1967 أو 1968 كنا قلائل الذين حضرنا جنازته مع أسرته ، ولم نر هناك فى المقبرة مدندنا واحدا من هؤلاء المدندنين المدربين ، كما لاحظت ذلك معنا صحفية فى جريدة الشعب بامضاء عفيفة .

(انظر نص كلمتها صحبة هذا المقال)

من شعرائنا القدماء ، والمحدثين ، والمعاصرين ، من ذلك الشعر الجزل محتوى وشكلا ، ولنكف نهائيا عن سخافات المنحليين من الاندلس الذين ظلوا قرونا يرددون مبتذلاتهم من نوع « اسقنا كؤوس الخلاعة » حتى خلعوا عن بكرة أبيهم وجدهم الأول !

وهذا لا يمنعنا من ان نسجل اعترافنا لشيوخ هذا الفن بفضل الحفاظ لنا على هذا التراث ، وخاصة طيلة العهد الاستعماري الذى حاول ادماجنا والقضاء على تراثنا الثقافى ، ولكننا نطلب منهم فقط أن يعيدوا النظر اعادة جذرية فى هذا التراث من حيث الشكل ، حيث اللحن الفظيع ، لأنهم حفظوه عن ظهر قلب وأغلبهم لا يعرفون العربية ، وكذلك وخاصة من حيث المحتوى الذى قلنا أنه ينبغي تطهيره ، بل تعويضه بمحتوى جديد يتفق أكثر وأمجاد ماضينا ، ومشاكل وقضايا حاضرننا، وآفاق مستقبلنا.

ثم ان هناك نقطة أخرى هامة جدا ، وهى العناية بتراثنا الشعبى ، من حيث الحانه على الأقل ، فى اقامة موسيقى عالمية رائعة ، كما فعل الكثير فى مختلف أنحاء العالم ، وأذكر منهم هنا فوج الخمسة فى روسيا ، ريمسكى كورساكوف ، موسورقسكى ، بورودين ، الخ) وسميتانا



محمد ايقربوشن

فلا بد لنا أن نرقى بموسيقانا الى المستوى العالمى ، وأن ينسج شبابنا على منوال محمد ايقربوشن ، ليكون لموسيقانا صداها فى مختلف انحاء العالم ، وألا نبقى مكتفين بترديد الدندنة القديمة ، وخاصة بمحتواها المبتذل البذىء ، اذا ما أردنا أن نسمع صوت الجزائر فى العالم فى المجال الموسيقى الذى لا يقل أهمية عن أى مجال آخر من مجالات التعبير ، ان لم يكن أهمها ، وببتهوفن هو الذى قال مرة : «ان الموسيقى هى وحى اعلى من كل فلسفة، واعمق من كل حكمة ! والذى تنفتح له موسيقاى يتحرر من جميع المحن التى تثقل كواهل الآخرين ! » .

الموت بداية حياة فنان جزائرى

— محمد ايقربوشن —

لقد خسرنا اكبر مرشد لنا فى ميدان الموسيقى . . . واسمحوا لى اذا قلت الحقيقة الجارحة : لقد تغلبنا عن موسيقار عظيم ، ولم نقدر العواقب . . . لم نقرا حسابا للخسارة الفظيعة التى نلانيها فى ميدان الموسيقى بوفاته الفنان العظيم الاستاذ الموسيقار ايقربوشن .

كان الاستاذ الراحل يتمنى ان تعطى له مسؤولية الاشراف على التكوين الموسيقى فى هذا المجال او ذاك ، وهو خريج اكبر معهد للموسيقى فى العالم فى فيينا ومات وامنيته معه ، فبرها فى اللحد . . . لقد تنكرنا له ، ولم نعطه ما يستحق . . . ولم نضع له المجال ليعمل ويبدع . . . وينتج ويكون .

لقد قال لى اكثر من مرة : لقد هجرت من كانسوا يحترمونى وجئت الى بلدى . . . لا حيا فى المال ولا الجاه . . . ولكن حيا فى الانتاج والتكوين والعمل ، وكان الحال كما ترين تجاهل تام كاننا لا نعرف فى الموسيقى غير الانتساب .

كان الاستاذ الراحل يعمل لفائدة الجيل الجديد لا من اجل المال . . . وكان يتمنى ان تنطلق شهرته باسم : محمد الجزائرى لا باسم جورج ايقربوشن ، كما نشاهد ذلك فى كثير من الافلام السينمائية العالية التى يضع لها العائنه التصويرية .

هذا العبقري كرس حياته فى سبيل الفن . . . والبلاد . وعوض ان نشجعه ، لم يتردد البعض فى وصفه بالجنون ولا يصفه بذلك الا منافسوه . . . وما اكثرهم ولكنهم مع الاسف — بدون سلاح — اى بدون ثقافة موسيقية ولا موهبة موسيقية فنية اصيلة .

ان الفنان تتراكم عليه الصعاب فى اول الامر . . . لكنه يصمد ويصارع الى ان ينتصر . غير ان حياة ايقربوشن كانت بالعكس ، كالفخ وناضل وصمد وصارع فى الخارج . . . الى ان انتصر . ثم جاء الى الجزائر ليقيم مع فنه فكرة مجهولة لا يهتم به احد .

ولم اتعجب عند ما سرت فى جنازة المرحوم . . . لقد تأكدت اننا لا نقدر الفنانين احياء ولا امواتا . . . فلم املك الا ان ارسل دفعة حرة مشفوعة بالدعوات ليسكن الله فقيد الفن ، فسبح الجنان ، ورحم الله رحمة واسعة كل فنان كرس حياته من اجل الفن والحياة فى بلاده امثال رشيد القسنطينى ومحمد تورى ووراد بومدين وغيرهم .

عليقة

من جريدة «الشعب»



بيتهوفن

الخارج ، امثال البرادعى ، وحكيم ،
ومرزاق .

وأخيرا ، اننا اذ نهنىء أنفسنا بهذا
الملتقى ، الذى جاء بعد طول انتظار ، نرجو
أن يثمر ، وان يحقق الآمال المعلقة عليه ،
والنتائج المرجوة منه كمنطلق أول ،
ولنستعص بها عن كؤوس الخلاعة لأبى
عبد الله الخليع ، آخر ملوك الاندلس !

مولود قاسم . .

وذلك ان بيتهوفن لم يكن من انصار
«الفن للفن» بل كان يرى ان فنه أداة
تعبيره عن تمجيده للطبيعة وآلامه
الشخصية ، مع القدر ، كما فى السيمفونية
السادسة والخامسة ، أو عن مشاعره
الوطنية ، كما فى السيمفونية الثالثة مثلا
وقطع أخرى ، وعن مبادئه الأخلاقية ، كما
فى « فيدليو » ، وعن عقيدته أو بالأحرى
روحه الدينية ، كما فى مؤلفاته العديدة ،
وافكاره الانسانية ، كما فى السيمفونية
التاسعة الخالدة !

وبهذه المناسبة استغربت من أن
صحافتنا التى أوردت فقرة أو فقرتين من
من كلمتى فى افتتاح ملتقى الموسيقى
الاندلسية التى ذكرت فيها محمد ايقربوشن
والموسيقين الروس والتشيكوسلوفاكيين
والمجريين لم تذكر هؤلاء الأخيرين ،
وضربت صفحا عن العبقرى الجزائرى
الوحيد عندنا الى الآن فى هذا الميدان ، مع
كل الآمال التى نعلقها على الشبان الناشئين
الذين يبعثون حقيقة على التفاؤل الكبير ،
وبدأوا فعلا ينتجون ويشرفون البلاد فى

الفصل بين العلم والعمل

يقول ابو حيان التوحيدى فى كتابه « الاشارات الالهية » فى معرض نقد طائفة من علماء عصره ، كانت تسد منافذ الهواء امام التفكير الحر وضد استخدام العقل ، واقامة هوة عميقة بين الفكر والسلوك . وهو نقد ما يزال يصدق على طائفة من « علمائنا » المعاصرين الذين يحاولون نفس المحاولة :

« ... والعجيب انك - أيها العالم الفقيه ، والأديب النحوى تتكلم فى اعرابه وغريبه (يقصد القرآن الكريم) وتأويله وتنزيله ، ... وكيف ورد ، وبأى شىء تعلق ، وكيف حكمه فيما خص وعم ، ودل وشمل ، وكيف وجهه ، وكيف ظاهره وباطنه ، ومشمئله ورمزه ، وماذا أوله وآخره ، واين صدره وعجزه ، وكنايته وافصاحه ، وكيف حاله وحرامه ، وبلاغته ونظامه ، وغايته ودرجته ومقامه ، ومن قرأ بحرف كذا وبحرف كذا ، ثم لا تجد فى شىء مما ذكرتك به ، ووصفتك فيه ، ذرة تدل على صفائك فى حالك وادراكك ، مالك ، بل لا تعرف حلاوة حرف منها ... فعلمك كله لفظ ، وروايتك حفظ ، وعملك كله رفض »

لُغْنَايْنِي أَكْرَانْتُونْسِيكِي وَأَثَارُهُ فِي نِيَمَدَارِهِ

الاستشراق العربي

نشرت « المجلة المدار » التي تصدرها وكالة انباء
نوفوستي السوفييتية في عددها الاول المؤرخ (يناير 1972)
مقالا عنوانه « الاستعراب في الاتحاد السوفييتي بقلم ع.
شوباتوف الدكتور في الفلسفة » قال فيه : « الاستعراب
السوفييتي اليوم علم كبير متعدد الجوانب ، وهو يبحث عن
تاريخ العرب القديم والحديث ولغتهم وآدابهم الكلاسيكي
والحديث وفلسفتهم واقتصادهم .. وقد أدى الاكاديمي
كراتشوفسكي امام المستعربين السوفييات خدمات جليلة في
ميادين دراسة الادب العربي ووضع في مدة 45 عاما من النشاط
العلمي أكثر من (450) مؤلفا ، ومن أعماله أول دراسة في
العلم العالمي للادب العربي الحديث وعدد كبير من المقالات حول
ابداع شعراء الجاهلية والقرون الوسطى .. » اهـ .

المهدي البوعبدلي

عضو المجلس الاسلامي الاعلى
بالجزائر

العالم اجمع ببلادها ، وهذا هو رأى الاختصاصيين
فى ميدان الاستشراق .

ان مذكراته التى اتممت ترجمتها الى الفرنسية
والتي أنوى نشرها قريبا ستعرفه لا محالة فى محيط
أوسع . وتعرف فيه زيادة على العالم الاختصاصى ،
العالم الانسانى الذى لا يخلو عمله فى الميدان العلمى
من حيوية مقرونة بعمق فى التفكير يفتح الآفاق
الواسعة فى تاريخ التمدن « انتهى كلام كانار . ترجم
الكتاب . أى «مع المخطوطات العربية» أو «المذكرات»
(كما سماها كانار) الى عدة لغات ، منها العربية ،
فقد ظهرت سلسلة فصول منه فى « مجلة الرسالة »
المصرية سنة 1946 ثم ظهرت ترجمة عربية مستقلة
سنة 1963 ترجمت من الأصل الروسى مباشرة .
قامت بها زوجته العالمة الجامعية فىرا كراتشوفسكى
باعانة بعض مواطنيها . وقد مت لها مقدمة هامة
وسمت التأليف « مع المخطوطات العربية » عرفت
فى هذا التقديم بزوجها ، واهتمامه المبكر بالاستشراق
ورحلته فى شبابه الى البلاد العربية الشرقية ، وذلك
بين سنوات 1908 و 1911 ، زار خلالها لبنان وسورية
وفلسطين ومصر فتعرف ببعض الادباء المشهورين اذ
ذاك كأمين الريحانى ، وجرجى زيدان ، وأحمد
تيمور ، ومحمد كردعلى ، وميخائيل نعيمة ، وكان
يتبادل معهم الرسائل حتى ان كثيرا من الكتاب
التجأوا الى تلك الرسائل ليستعينوا بها على تراجم
بعضهم . من ذلك الرسائل المتبادلة بينه وبين الاديب
الشهير ميخائيل نعيمة ونشرها كراتشوفسكى (2)

كان أهم ما ألفه المستشرق المذكور هو كتابه
«مع المخطوطات العربية» وهو شبه مذكرات تحدث
فيها عن المدة التى اشتغل فيها بدراسة اللغة العربية
وزار المشرق ومعاهده ومكتباته التى اكتشف فيها
نوادير المخطوطات التى نقد معظمها بأسلوبه الساحر
ال جذاب وبمجرد ظهور الكتاب اعتنى به كثير من
الكتاب ونقدوه ثم ترجموه الى عدة لغات كان من
جملة من نقد الكتاب وترجمه الى الفرنسية ونشر
دراسته القيمة فى « المجلة الافريقية » (1) الاستاذ
- سابقا - بكلية الآداب بالجزائر كانار قال : «كتاب»
« أربعين سنة مع المخطوطات العربية » أو « مذكرات
مستعرب » هما العنوانان اللذان اخترتهما للكتاب
القيم الذى ألفه كراتشوفسكى عضو المجمع العلمى
بالاتحاد السوفيتى واستاذ اللغة العربية بجامعة
لنينغراد ، ذلك الكتاب الذى ألفه مدة الحرب العالمية
الثانية نال نجاحا كبيرا فى روسيا ، ذلك النجاح
الذى جعل مؤلفه يتبع طبعته الأولى التى ظهرت سنة
1945 ، بطبعة ثانية ظهرت سنة 1946 يعرف
المستشرقون انتاج كراتشوفسكى حيث ان الكثير
منها نشر أو ترجم الى اللغات الغربية ، ويعرفون أيضا
مكانة المؤلف فى أوساط الاستشراق .

أما عامة القراء فان معرفتهم له ضئيلة . ولهذا
فان كثيرا ما افاجئ اصدقاء ، بالجزائر ومنهم
الروسيون ، عندما أقول لهم أن روسيا يمكن لها ان
تفتخر بوجود اعظم مستشرق - مستعرب - فى

(1) - المجلة الافريقية - اعداد 406 الى 409 المؤرخة سنة 1946 ص 118

(2) وقد ترجم هذه الرسالة محمد منير مرسى فى مجلة - الرسالة - المصرية بعدد 1052 - 28 شوال 1383

اغناطي كراتشوفسكى

ثم ذكرت زوجته ان مجموع ما كتبه ستماية دراسة علمية معظمها فى تاريخ الآداب العربية القديمة والحديثة ، وتذكر انه عندما حاصر المحور مدينة لينينغراد فى الحرب العالمية الثانية وكان كراتشوفسكى محافظا لقسم المخطوطات العربية بالمتحف الاسيوى وكان يصدد كتابة تأليفه بذل جهودا جبارة فى صيانة تلك الذخيرة وانقذها بالفعل (مجموعة المخطوطات) فقدرت الحكومة السوفياتية صنيعه هذا ومنحته بعد الانتصار أعلى وسام ستوكيتى (وسام لينين) كما عززت له ذلك سنة 1945 بوسام ثان تقديرا لمآثره العلمية .

طبع هذا الكتاب خمس مرات باللغة الروسية ونفذت هذه الطبعات بسرعة ، ثم ترجم (I) الى الالمانية سنة 1949 والى البولندية 1952 والانجليزية 1953 والفرنسية 1954 - وقد علمنا ان كانار استاذ جامعة الجزائر ذكر انه ترجمه سنة 1946 -

ثم تذكر الزوجة ما قاله المترجم فى مقدمته للتأليف والذي يمكننا ان نعتبره تلخيصا لدواعى تأليفه قال « اننى لم اتعمد فى هذا الكتاب السعى الى تبسيط العلم فليس يهمنى ان لا يتذكر القارىء جميع ما ورد فيه من الوقائع المنفردة أو اسماء الاعلام ولكنى اقتصرت فى تحديد مادة الكتاب على المواد القريبة من محيط عالمي ، واكتب عن اشياء متعددة أخرى بطريقة تختلف عن ذى قبل ، ولهذا فقد يجد القارىء من حين لآخر ، فى هذا الكتاب ، اشياء جديدة ومفيدة للعلم ، على ان هذا ليس ما يهمنى من الامر ، وانما

تحت عنوان « ميخائيل نعيمة يحكى قصة حياته » لم يكتف المترجم طيلة مدة أقامته بالديار الشرقية لم يكتف بالتردد على المعاهد العلمية وخزائن الكتب ومخالطة الادباء والعلماء بل كان يقضى اوقانا طويلة فى الأسواق والمقاهى ومجالس القصاص والزجالين حتى امكنه ان يجيد اللغة الدارجة بمختلف لهجاتها كما كان يتقن الفصحى .

ثم ذكرت ارملة الكاتب ان زوجها ألف كتابه أيام الحرب العالمية الثانية اذ شرع فيه بالضبط سنة 1941 بلنينغراد عندما كان محافظا على القسم العربى من مخطوطات « المتحف الاسيوى » قبل نشوب الحرب (الالمانية - الروسية) وبعد اندلاع الحرب انتقل المؤلف الى ضواحي موسكو « اثر مرض عضال أصيب به وقت حصار لينينغراد » ورغم انه كان يعالج فى بعض المصحات فقد واصل بها اتمام تأليفه وابى الله الا ان يتأخر اتمامه الى سنة 1945 بلنينغراد نفسها بعد رد هجومات العدو والنصر النهائي كان ابتداء دراسة المستشرق للغة العربية سنة 1901 فالتحق بكلية اللغات الشرقية بجامعة بطرسبورغ (لينينغراد) ثم واصل تعليمه الى ان رحل الى المشرق كما ذكرنا وبعد رجوعه من رحلته الشرقية الى بلاده عين عضوا فى اكاديمية العلوم السوفيتية سنة 1921 ثم انتخب سنة 1923 عضوا فى المجمع العلمى العربى بدمشق كما عين عضوا فى مختلف الاكاديميات والجمعيات العلمية فى جملة بلدان أخرى .

(I) ذكر تاريخ هذه التراجم عبد الرحمن بدوى فى - مجلة الكتاب العربى - المصرية عدد اكتوبر 1964

البحوث (الاستشراق العربى) بشرط ان تفرغ وتقدم لهم فى اطارات حيوية » ثم يصف لنا الكتاب فيقول « انه يحتوى على 28 مقالا تشملها سبعة فصول مع مقدمة وخاتمة ، كل مقال يذكر فيه الظروف التى اكتشف فيها تلك المخطوطات وانطباعاته » ونجد المؤلف يقول فى مقدمته : « فما كتبت هذه المذكرات عن نفسى ، بل عن المخطوطات العربية التى لعبت دورا كبيرا فى حياتى ، والتى شاء لى الحظ ، ان اقع عليها ، أو التى شقت طريقها الى دنيا العلم عبر يدي » .

ولنقتصر على تقديم مقالين من هذه المقالات المذكورة
1) دراسة بعض أوراق بالحط الكوفى من مصحف
2) دراسة ديوان ابى بكر بن قزمان الاندلسى .
فالدراسة الاولى عنوان لها : « قرآن كوفى »
« وجدة عربية » والثانية (مخطوط وحيد وعلماء
« اثنتى عشرة لغة ») .

قال عن (قرآن كوفى » وجدة عربية » ما يلى :
« يمثل القرآن الكوفى من القرنين الهجريين الاول والثانى شيئا نادرا جدا فى مجموعة المخطوطات وتعتبر النسخ الكاملة منه احادية فى كل العالم وكان زينة مكتبتنا العامة مدة طويلة ، القرآن الذى يعرف بالعثمانى أو السمرقندى ، وقد حمل الى مدينتنا بامر الجنرال فون كاو فمان ، كغنيمة حربية عند غزو آسيا الوسطى ، ثم عاد من جديد الى آسيا الوسطى بعد ثورة اكتوبر وبالطبع فانه لم يكن مطلقا فى يد الخليفة فى اللحظة التى مات فيها ، مثله كمثله توائمه التى عرف منها فى العالم ما لا يقل عن ثلاث أو اربع نسخ ، ولكنهما تنسب كلها أو ترجع الى

الذى يهمنى هو شيء آخر ، اننى لا اخفى اننى اردت ان اقوم بشيء من الدعاية لميدان عملى ، وان اتحدث بملء صوتى عن علم اللغات والآداب الشرقية ، لقد اردت ان ابين قدر طاقتى كيف ان ثمة اناسا يعملون فى هذا الميدان لمجرد ان لديهم ذوقا ذاتيا غريبا على حد ظن بعضهم ، يجتذبهم الى هذا العمل ، وان هؤلاء الناس يطوفون بهذا الميدان ، لا بدافع الولع بالغرائب وانهم ليسوا بزهاد ينزلون عن الحياة ، ان ذكريات مشاعرى نحو المخطوطات تحتم على ان اتكلم عن كل نقطة تفصيلية فيها ، لانها تتكامل فيما بينها ، وترتبط بمسائل ضخمة ، تتعلق بتاريخ الثقافة ، وجميعها تصب آخر المطاف ، فى تيار قوى ، نحو مثل الانسانية الرفيعة ، هذا هو ما كان يستحوذ على فكرى دائما وانى اود ان تجد هذه الافكار الطريق الى عقول وقلوب من سيقروون هذا الكتاب » .

هذا بعض ما قاله الكاتب فى مقدمة تأليفه وهو على سرير مصحة من مصحات ضواحي موسكو وقد أحس ان اعتناءه بمثل هذا التأليف « ومبالغته » فى التنويه بشأنه لربما يجر عليه بعض التهم التى كانت تكال لكثير من المستشرقين ، منها ما اشار اليه « ان لديهم ذوقا ذاتيا غريبا » أو أنهم يعملون فى هذا الميدان « بدافع الولع بالغرائب » وما الى ذلك فقال : « وقد يرى الناس فى حديثى فيضا من العاطفة والرومانطيقية الا اننى لا اخاف هذا اللوم ، فهكذا عشت عملى وهكذا أتذكره » .

ثم نرجع قليلا الى نقد الاستاذ كانار حيث قال « ان الاقبال الذى لاقاه التأليف فى روسيا يثبت ان جماهير القراء يمكنهم ان يهتموا بهذا النوع من

اغنائى كراتشوفسكى

جزء المصحف الذى اشتراه المؤلف لخزانتهم وذكر
ضمنها المصحف العثماني الذى كان بالمتحف الاسيوى
بلينينغراد *

ولنقف قليلا لنحدث عن المصحف العثماني
المذكور . كانت هذه المصاحف اى المنسوبة لعهد
الخليفة عثمان بن عفان يتسابق الى اقتنائها الملوك
والسلاطين وبالفعل يحكى ان واحدا منها ختم به
المطاف ببجاية (I) وكان الناس يجتمعون للتبرك به
ليلة 27 رمضان لحبر يطول ثم ، عرف ان مصحفا آخر
كان بخزانة تيمور اللق بسمرقند وبالفعل لا زالت
آثار سمرقند تحتفظ « بالقاعدة الرخامية » اى
مصطبة من رخام بساحة البلدة وقيل ان هذه المصطبة
كانت داخل مسجد الخوجة احرار « وقد امر ببنائها
العالم الفلكى الشهير اولغ (2) بك حفيد تيمور
اللق ليوضع عليها المصحف واثّر الزلازل التى
هدمت كثيرا من معالم البلدة اخرجت هذه المصطبة
الى الساحة العمومية وقد تعرضت مجلة «دعوة الحق»
التي تصدرها وزارة الاوقاف بالمغرب بالحديث عن
هذا المصحف فى معرض سلسلة احاديث كانت
نشرتها بمناسبة زيارة الوفد المغربى الذى زار الاتحاد
السوفييتى سنة 1968 تحت رئاسة السيد احمد
برقاش وزير الاوقاف حينئذ قالت المجلة المذكورة

القرن الاول الهجرى فان تلك النسخة الكاملة لم
تبق في لينينغراد وكان الامر هنا وفي البلاد الاخرى
عادة ان القرآن الكوفى فى كل مكان يتمثل فى اوراق
ناقصة من الرق ، يختلف عددها باختلاف الاماكن ،
بل ان مارسيل المشهور ، مؤسس المطبعة العربية
فى مصر وقت حملة نابوليون . والهاوى الكبير لفن
المخطوط ، ولعلم تطور المخطوط الاثرية لم يستطع ان
يحمل معه - من مصر - الا اوراقا منفردة وقع جزء
منها فى مكتبتنا العامة ، ولقد شكلت امريكا طيلة
القرن الاخير وبفضل ملايينها ، مجموعات فى مجالات
مختلفة ، يكشف ضوءها احيانا مجموعات العالم
القديم ، الا انها حتى الآن ليست اسعد من هذا العالم
فى المخطوطات الكوفية ، وهى تقوم بنشاط بوصف
وبحث الاوراق الجزئية المختلفة التى تقع لديها من وراء
الحيط الا ان مثل هذه الاوراق الكوفية لم تكن
تظهر بصورة كثيرة *

ولذلك يصبح من المفهوم كيف خفق قلبى . عندما
وقع فى يدى ذات مرة فى خريف 1936 ، بضع عشرات
من الاوراق الرقية الكبيرة الرائعة بخط كوفى قديم ،
وكانت سيده مجهولة قد حملت هذه الاوراق الى
معهد الاستشراق لتبيعهها ٠٠٠ « وهنا تبدو قصة *

(I) عثرت فى بعض الاوراق على قصيدة وصف فيها صاحبها حالة بجاية ويذكر ان اهلها كانوا يخرجون ليلة 27 رمضان الى ساحة
سفع وجبل فليفلة ليتبركوا بالمصحف العثماني . وبالفعل استحال هذا الاجتماع الى ما سمي بصلاة 27 وتسببت تلك الصلاة انها
كانت لاهياء ذكرى احد مشائخ الطريقة الرحمانية ، والحقيقة او ما يقرب منها هو ما ذكره الشاعر حيث بقى سكان البوادي يزورون
البلدة ومساجدها ليلة 27 رمضان من كل سنة

اولغ بك الذى خصه العالم الانكليزي المستشرق Thomas Hydo (1636 - 1703) بتأليف قيم والذى ما زالت آثاره بمتحف
انكلترا بنى له متحف بضواحي سمرقند على انقاض مرصده الفلكى الذى اكتشفه العالم الاثرى الروسى فانكين سنة 1934 وقد كانت
تأليفه عمدة فى الفلك الى القرن الثامن عشر

في عددها المؤرخ - شوال (1388 - 1969) تصنف مكتبة طشقند - عاصمة اوزبكستان - « انها تضم عشرين ألف مجلد من بينها نحو الألفين من المخطوطات التي لا توجد الا في هذه المدينة ٠٠ وفيها من الآثار النفيسة والاعلاف الثمينة نسخة فوتوغرافية من مصحف عثمان رضى الله عنه وهو يعتبر من الآثار التي قدمتها الدولة السوفياتية الى المسلمين حيث اهتمت الحكومة بان تعيد الى المسلمين مقدساتهم وذخائرهم الدينية ٠٠٠ وفي سنة 1968 اى بعد استلاء القوات القيصرية على سمرقند بوقت قصير عثر حاكم تركستان العسكرى على هذا المخطوط القديم القيم في مسجد « خواجه احرار » وارسله الى المكتبة الامبراطورية بطرسبورغ ٠٠٠ وبايعاز من لنين اعادت السلطة السوفيتية على الفور الى المسلمين هذه الذخيرة القومية التي يحترمونها احتراماً عميقاً .

وقد أبدى فضيلة الاسناذ عبدالله قنون (احد اعضاء الوفد الزائر) شكه في نسبة هذا المصحف الشريف الى سيدنا عثمان لان الفن الدقيق الذى كتب به وابعاد الحروف الهندسية الجميلة للكلمات كل ذلك كان بعيداً عن شكل الكتابة المتداولة في عهد سيدنا عثمان رضى الله عنه حيث كانت رسوم الكلمات اذ ذاك غير مستحكمة فى الاجادة ٠٠٠ » اهـ

ما نشرته المجلة ورغم خفقان قلب كراتشوفسكى عندما قدمت له السيدة المجهولة الاوراق الكوفية

فقد ذكر كيف استشار اختصاصيين « فى علم تطور الخطوط الاثرية العربية » كلا على حدة . واتفق جوابهما له ، ان تلك الكتابة « ترجع الى بداية القرن التاسع الميلادى أو ربما الى نهاية القرن الثامن، ذلك انه رغم تخصصه فقد رأى عدم الاتكال على نفسه بالتحقيق فى قيمة الاوراق المعروضة عليه ثم يتحدث عن بائعة الاوراق فيقول « وهذه السيدة سمت نفسها باسم روسى عادى الا انها قالت انه كانت لديهم منذ وقت بعيد جدة عربية توفيت لا تذكرها » ثم يذكر كيف امكنه ان يفرى تلك المرأة حتى تلحق بقية الاوراق التى عدها من اعظم النفائس وبالفعل ألحقت البقية التى صار مجموعها يشتمل « ربع مصحف » واكتشف اثناء تصفحه للاوراق ولبعض كتب الحققتها مع الاوراق ان البائعة الروسية ليست لها جدة عربية بل جد عربى من اكابر العلماء المستشرقين والذى يهيم من امر هذا المستشرق وحفيده هو ما ختم به مقاله : « ٠٠٠ وبعد احوام كثيرة عرفت مصادفة ان تخمينى كان مضبوطاً واننا اشترينا القرآن الكوفى حقيقة من حفيده نوفل (1) »

حفيده نوفل هذه التى قال عنها المؤلف بان جدها « كانت مكتبته جيدة فى وقت ما ولم تحو الكتب فحسب بل والمخطوطات أيضاً ٠٠٠ وكان نصيب المكتبة لسوء الحظ مؤسفاً ، باولاده نصف الروسيين ونصف الفرنسيين كانوا قد تلقوا تعليمهم فى المدارس

(1) هو ارينى غيورغييفتش نوفل عربى مسيحى من اسرة مشهورة فى طرابلس الشام كان يعلم فى القسم التعليمى بالوزارة الخارجية بروسيا حوالى 1860 من جملة ما قال فيه كراتشوفسكى : « فقد كان نوفل كالكثير من العرب المسيحيين لا يميل الى الاسلام وسمح مراراً لنفسه فى كتبه بالنيل من الرسول محمد ومن الاسلام وقد احتج السفير التركى على ذلك وطلب مصادرة كتبه » .

قبله وبعده ، فابن بسام لم يفرد له ترجمة في الذخيرة ، وابن خاقان لم يشر اليه في القلائد أو المطمح ، ٠٠٠ اما ابن الخطيب فقد ترجم له في الاحاطة ولكنه خلط بينه وبين عمه اما الذين ترجموا له من الاندلسيين فهم ابن الأبار في تحفة القادم ذكر اسمه وانه من أهل قرطبة وقال ، وهو المنفرد بالابداع في طريقة الازجال وذكر انه توفي سنة 554 هـ .

وبعد ان يذكر الاهواني من ترجموا لابن قزمان من القدماء شرقيين واندلسيين يقول ٠٠٠ ذلك مبلغ ما وصلنا من عناية القدماء بابن قزمان ، اما المحدثون والغربيون منهم بنوع خاص ، فكان لابن قزمان عندهم شأنا آخر ، اذ ان اكتشاف ديوانه كان لديهم حدثا جديدا في تاريخ الشعر الاندلسي بل والاوربي كله. فعكف عليه العلماء، سواء في ذلك اصحاب الدراسات العربية او الدراسات الرومانية في القرون الوسطى، يقتبسون منه الشواهد ويقارنون بين نظام القوافي عنده وعند التروبادور ، ويحاولون تفسير بعض الفاظ اعجمية استخدمها الزجال ، الى غير ذلك من ابحاث عد منها الاستاذ ليفي بروفنصال في مقالة له كتبها سنة 1944 تسعة وعشرين بحثا أو اشارة أو اقتباسا ويمكن ان يضاف الى هذا العدد مقالات جديدة صدرت بعد التاريخ المذكور ، اه كلام الاهواني .

ولنواصل حديث كراتشوفسكى : قال اثر العنوان « غالبا ما كنت في حياتي الاستعرابية التقى

الخاصة بأولاد كبار الشخصيات ، وكانوا من أولئك الاولاد « ذوى الملاعق الذهبية » الذين كانوا معروفين آنذاك ، ولم يكونوا يهتمون لا بالعلم ولا بالأدب . . . وانتهى بهم الامر تدريجيا الى انهم انتهزوا فرصة شيخوخة والدهم فاخذوا يبيعون الكتب المختلفة . . . ولعل حفيدته لم ترد ان تتذكر مساوى والدها أو لعلها خافت ان تكشف عن جدّها الذي كان مستخدما كبيرا في وزارة الخارجية في زمن القيصريّة . وبسبب هذا استبدلت « الجد العربي » « بالجدّة العربيّة » ومن الصعب القول أيا من هذين الاحتمالين هو الاصح ، والدراسة الثانية هي تحليله لديوان ابن قزمان وللظروف التي اكتشف فيها ووصل الى خزائنه لينقراذ فقال تحت عنوان (مخطوط وحيد وعلماء « اثنتى عشرة لغة ») .

وقبل ان نذكر مقال المترجم نذكر بايجاز نبذة من حياة ابن قزمان كما حررها احد (I) الادباء الاختصاصيين فقال « لولا المصادفة التي حفظت لنا ديوان ابن قزمان في نسخة وحيدة كتبت في صفد في القرن السابع الهجرى لكان مبلغ علمنا عن امام الزجالين لا يتجاوز كثيرا القدر الضئيل الذي نعلمه عن حياة ابن زجال آخر ، ذكره صاحب المقرب ومع هذا فالنسخة التي جمعت فيها أزجاله قد سقطت منها أوراق ، ولم تذكر شيئا عن المناسبات التي قيل فيها الزجل ، ولا عن تاريخ نظمه ، وقد ندرت اخبار ابن قزمان لان اصحاب كتب التراجم من الاندلسيين اعرضوا عن ذكره ، كما اعرضوا عن ذكر الزجالين

(I) هو الدكتور عبد الميزان الاهواني «الزجل في الاندلس» طبع مصر سنة 1957 ص 67

المثريين في أول عهده ، فالتجأ الى بيع خزانته وكان ذلك بواسطة المستشرق الفرنسي المعروف

سيلفيستر دوساس « أكبر مستشرق ثم مشهور في عصره الذي كان يقدر جيدا قيمة هذه المجموعة » فاتصل بواسطة تلاميذه بوزير التعليم الشعبي بروسيا فبيعت المجموعة على دفعتين في عامي 1819 و 1825 و « حرمت فرنسا من مجموعة قيمة » يذكر ان هذه المجموعة هي التي كانت اساسا لمجموعات المتحف الاسيوي العالمية الشان التي جذبت بدورها المستشرقين « أول خازن للمتحف الاسيوي ومؤسس استعراينا العلمي » وان هذا المستشرق هو أول من اعد فهرسا لهذه المخطوطات التي كان من ضمنها « ديوان ابن قزمان » وحفظت وجوده الا انه بقي مغمورا اكثر من ستين عاما ، ولما عين روزن المستشرق الالماني (عضوا معاونا) للأكاديمية الروسية طبع ونشر فهرسا للمخطوطات الموجودة بالمتحف الاسيوي ، ووجه اهتماما خاصا لديوان ابن قزمان . وطبعه بانفراده باللغة العربية لأول مرة . واستعان على شرح المفردات التي كان الكثير منها باللغتين العربية والاسبانية الدارجتين ، واستعان بالمستشرق الشهير دوزي الهولندي « الذي كان خبيرا بالموضوعات الاسبانية احسن من كل المستشرقين في أوروبا » الا ان دوزي كما قال كراتشوفسكي « كان يشعر بان ايامه تميل نحو

بمخطوطات كانت قد اكتشفت منذ زمن بعيد دون ان يشعر احد ودون أية جلبة أو ضوضاء الا ان قصة دخولها بالتدريج الى دنيا العلم ، تذكر احيانا بأسطورة سحرية : في هذه القصة يقوم بالادوار مجموعة من الشخصيات ارتبطت اقدارهم معا بدون انتظار . ومع ان موضوع القصة « بدون رتوش » الا انها تعطي صورة ذات دلالة للعمل الجماعي لعلماء كثرة من الشعوب الذي يجذب الى مجراه موهوبين ممتازين وعاملين بسطاء وشعوبا كاملة بتراثها الاستعراي القديم والقوميات التي نالت استقلالها امام عيوننا بل ويجذب الى مجراه الشرق والغرب كافة على اختلاف اشكالها الظاهرية ، حقا انها لصورة جذابة تحمل بين جوانبها قوة معلية . ومثل هذه الصورة كمثل « الشمس على قطيرة ماء » تعكس حركة الثقافة الانسانية التي لا تعرف الكلل » .

ثم يذكر المؤلف ابن قزمان ونبذة من ترجمة حياته والوسط الذي عاش فيه وكيف وصل (I) ديوانه الوحيد الى مكتبة ليننغراد وذلك ان احد احفاد الكاتب الفرنسي الشهير جان جاك روسو كان له حفيد اعين قنصلا لحكومته بحلب وبغداد . وانجب هناك ولدا شغف بالعربية حتى صار من علمائها ، وجمع مجموعة من المخطوطات القيّمة منها « ديوان ابن قزمان » وانتقل روسو المستشرق الى طرابلس الشام وتغيرت ظروفه المادية ، اذ كان من كبار

(I) يذكر كراتشوفسكي ان ديوان ابن قزمان شق طريقه رويدا رويدا من الاندلس الى الشرق العربي ، وهناك في فلسطين وبالقريط في مدينة صفد ، قام شخص عربي بعد مائة سنة من ظهور الديوان بنسخ هذه الاجزاء ورغم قيامه بكتابتها بدقة وعناية الا انه كان يجهل لهجات الاندلس الشعبية والاسبانية فلماذا تسربت الاخطاء ، ثم يقول : وعلى كل حال فما كنا لنعرف الشيء الكثير عن ابن قزمان لو لم يخزن هذا المخطوط في المتحف الاسيوي

اغثناني كراتشوفسكي

علامة الماني في ذلك الوقت الذي بدأت فيه فقط دراسة ابن قزمان ، وظهر ان مؤلف المقالة الثانية هو رائد الاستشراق العلمي في يوغوسلافيا بيرقترافيتش الذي كانت تتوحد في استعداداته جامعنا فينا والجزائر ولا يقل دلالة ان قد ظهر بعد مرور ستين سنة بعد صدور مقالة روزي الفرنسية الاولى المتعلقة بالمخطوط ، بحث تحليلي دقيق عن بعض اشعار ابن قزمان ، وكان قد كتب هذا البحث باللغة الفرنسية البليغة أوفوتوليو المستعرب الفنلندي الموهوب والمتخصص في الدراسات الرومانية

وختم كراتشوفسكي دراسته القيمة بعد ما وصف المخطوط - الاصل للديوان - بأنه متواضع بسيط مائل الى الصفرة وغلافه ردىء من الورق المقوى بالوان مختلفة انطفأت من تأثير أشعة الشمس وهذا الجلد يرجع في أصله الى الشرق ثم يقول ٠٠٠ وفي كل مرة كنت امر فيها امام المخطوط كنت اتوقف قريبا منه بشعور خاص يسيطر على : ان هذا الكتاب انما هو مخطوطنا الفريد المشهور لديوان ابن قزمان وبدا في ان المخطوط يملك قوة جذابة بالنسبة للعلماء فان كثيرا منهم من تطلع باهتمام بل وسنوات طويلة في هذه الاوراق الصفراء أو في صورها الفوتوغرافية ومن هؤلاء العلماء : الانجليز والفرنسيون والروس والهولنديون والاسبانيون والامان وكان احيانا كل من اليهودي والتشكي يحاولان فك رموز سطوره الملقزة باصرار لا يقل عن اصرار العربي أو الفنلندي ، انها لامية العلم حقا يوحدنا هدف واحد وبأى امتاع ترى كلمات العالم الفنلندي الاخيرة في عمله عن ابن قزمان التي املها وهو

الغروب - وقد مات فعلا بعد عامين - وعلى هذا لم يجرأ على ان يربط نفسه بعمل جديد مجهد ولم يستجب لتحرش روزي الا بخطاب يتضمن بعض ملاحظات طريفة تتعلق بالشاعر ابن قزمان وباشعاره وحول سنة 1880 قام المخطوط برحلة خاصة الى غرناطة حيث كان يدرسه الاستاذ الجامعي الاسباني سيمونيت ، وقد قام بتعريف ابناء وطنه بالشاعر القرطبي في مقالة خاصة كتبها ، وكثيرا ما كان يستعين بعناصر من مؤلفات ابن قزمان في اعماله العلمية عن تاريخ الاسبان المستعربين الى ان قام البارون دافيد غينتسبورغ تلميذ روزي وهذا البارون رغم انه من رجال الاعمال وكبار الراسمالين فانه كان يهتم بالعربية وتاريخ الاندلس فقام بنشر ديوان ابن قزمان بماله الخاص ٠٠٠ وهكذا اصبح المخطوط في متناول كل راغب في دراسته .

وبعد ان يذكر اهتمام المستشرقين الاسبانيين بالديوان كريبيرا ٠٠٠ والمراحل التي اجتازها بعد هذه الطبعة يذكر اهتمام المستشرق التشيكي تيكل المتخصص في الدراسات الرومانية الذي رأى ان الحروف العربية « لا تعبر عن صوتياته الا بصورة رديئة » فاختار طبعه بالحروف اللاتينية وكانت هذه الطبعة هي المرحلة الثانية (بعد طبعة غينتسبورغ) في خلق (ادوات العمل على أزجال ابن قزمان ٠٠ » وقد استمرت التأليفات عن ابن قزمان تنمو دون توقف حيث انه يوجد في المجلد التكميلي للطبعة العالمية لدائرة المعارف الاسلامية التي صدرت بثلاث لغات ، ظهرت المقالة الثانية عن ابن قزمان ، والمقالة الاولى موجودة في مجلد اساسي ، وكان قد كتبها

اللغة العربية في روسيا فعاش هناك من عام 1847 حتى عام 1861 (وهو الذي خلفه نوفل جد بائعة أوراق المصحف الكوفي) وتوفي ودفن هناك ، وفي العام الماضي أخرج كتابا طريفا بعنوان « مع المخطوطات العربية » وقد تحدث فيه حديثا قصصيا خلافا عن رحلته الى بلاد الشرق العربي ... فالمستشرق كراتشوفسكى وثيق الصلة بالأدب العربي القديم والحديث ، وقد عاصره عن قرب أكثر من أربعين عاما فاذا تحدث عن « الأدب العربي في القرن العشرين » فلاشك ان حديثه حديث العالم الحير « اه تقرظ الرسالة وقد ظهر كثير من تأليفه في ميدان الاستشراق وقد اهتم بها الكتاب فترجموها الى اللغة العربية ونقدوها ومن اهم هذه التأليف « تاريخ الأدب الجغرافي » الذي ترجمه أو ترجم القسم الأول منه الدكتور صلاح الدين هاشم السوداني وقد طبعت هذه الترجمة بالقاهرة سنة 1963 ونقدتها كثير من الكتاب منهم الدكتور عبدالرحمن بدوي والدكتورة عائشة بنت الشاطي. نشر الدكتور عبدالرحمن بدوي نقده في « مجلة الكتاب العربي » بعددها الخامس المؤرخ في جمادى الآخرة سنة 1384 - 1964 فقال « هذا كتاب ممتاز ، أعد ، من خير ما أخرجت المكتبة العربية من كتب علمية في تاريخ العلوم عند العرب وترجمته الى العربية عمل جليل خصوصا والمترجم الدكتور صلاح الدين عثمان هاشم من السودان قد ترجمه عن اللغة الروسية مباشرة ولم يترجم الى لغة أخرى : انجليزية أو فرنسية حتى يكون في متناول الباحثين ولم يوجد في بابيه غير كتاب جوزيف رينو (1795 - 1867) المستشرق الفرنسي المعروف الذي

على سرير المرض في آخر أيام حياته اثناء فترة قصيرة ما بين الحربين اللتين عذبنا وطنه الصغير : « ايها العمل السلمي العالمي ، ليتك تستطيع ان تستمر وتتصل بصرف النظر عن كل ما يهددك اليوم بالدمار » (ان للمخطوطات اقدارها) فان قوتها السحرية التي توحد العلماء الكثيرين في اندفاع مشترك تطرد نهائيا في يوم من الايام أرواح الظلام الشريرة التي ترمى الى التفرقة بين الناس والشعوب « اه كما ظهرت لكراتشوفسكى تأليف أخرى منها « الأدب العربي في القرن العشرين » قرظته مجلة الرسالة المصرية فقالت « هذا عنوان كتاب أخرجه حديثا المستشرق الروسي الشهير (يوليفيتش كراتشوفسكى) تناول فيه بالبحث والتحليل التيارات الادبية في العالم العربي ومؤلفات الكتاب العرب البارزين وعقد فصلا خاصا للحديث عن الأدباء المصريين الذين امتد تأثيرهم الى العراق وسوريا والاقطار العربية المختلفة ، وختم الكتاب بفصل مطول عن المؤلفات التي ظهرت لكتاب العرب في مرحلة الحرب العالمية الثانية وما بعدها . كما تحدث في هذا الفصل عن قصائد الشعراء العرب في الموضوعات الحربية وما نظم منها خاصة في تمجيد بطولة « ستالينجراد » وكراتشوفسكى وثيق الصلة بالشرق العربي من قديم وله صداقات كثيرة بعلماء العربية ورجال الأدب العربي ثم يذكر رحلته في زمن التعلم - التي ذكرناها - ويقول « نشر كراتشوفسكى كثيرا من الآثار العربية النادرة بعد ان قام بتصحيحها واستكمالها وفي عام 1930 ألف كتابا خاصا عن الشيخ عياد الطنطاوى الذي سافر من مصر لتدريس

اغنائى كراتشوفسكى

بعض المستشرقين الروس والدانيماركيين ٠٠٠ ثم يصل الى المدرسة الكلاسيكية التى يؤلفها جغرافيو القرن الرابع الهجرى وعلى رأسها البلخى والاصطخرى وابن حوقل والمقدسى وبها تبدو الحرائط الجغرافية العربية .

ثم يذكر جغرافىي القرن الخامس مثل البيرونى ، وابى عبيد البكرى الاندلسى ثم جغرافىي القرن السادس كالادريسي صاحب كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » الذى كتبه فى بلاط ملك صقلية روجارو الذى امتاز بانه أول كتاب رسمت فيه خريطة للعالم .

ثم يختتم الدكتور بدوى دراسته بقوله « والمؤلف فى ذكره لكل علم من هؤلاء يتحدث عن أهمية ما نشر له ومصادره وقد يتحدث عن المخطوطات والدراسات التى كتبت حول المؤلف والكتاب وما ترجم الى اللغات الاوربية » .

أما الدكتورة عائشة بنت الشاطىء فكتبت فى جريدة الاهرام المصرية بعددها المؤرخ ١٩٦٤ تحت عنوان « تاريخ الادب الجغرافى العربى » (كتاب من موسكو) ما يلى : « هذا كتاب يحمل آثار جهد شاق صابر وعمل مخلص دائب استغرق ثلث قرن من الزمن . امضاء المستشرق الروسى « كراتشوفسكى » فى جمع مادته الحصبة من تاريخ الادب الجغرافى عند العرب من الايماءات الأولى فى قديم ما وصل اليها من الشعر الجاهلى الى قريب من العصر الحديث .

وياخذنى العجب ، وانا اتمثل هذا العالم الكبير ، يستقرى مئات المصادر الادبية والعلمية ويراجع دواوين الشعراء واساطير العرب ، ويطالع فى القرآن

بدأ فنشر مع ماك جوكين دى سلان كتاب « تقويم البلدان » لابي الفداء سنة ١٨٤٥ ثم ترجم الكتاب الى الفرنسية ٠٠٠ ومنذ دراسة رينو هذه لم يظهر غير مقالات متفرقات عن الجغرافيين العرب الى ان جاء اجنائى كراتشوفسكى من تلاميذ روزى المستشرق الروسى الكبير (١٨٤٩ - ١٩٠٨) .

ثم يذكر ترجمة المؤلف (التى سبق ان ذكرنا مجملها فى هذه الدراسة) ويقول : « وقد طبع كتابه هذا لأول مرة سنة ١٩٥٧ الجزء الرابع من « منتخبات آثار أبى كراتشوفسكى » وانما طبع منه قبل ذلك فصولا متفرقة أو اما كاملة أو مبتورة على هيئة مقالات مستقلة ، وكان تأليفه له فى الفترة بين عامى ١٩٣٨ و ١٩٤٥ فكان الكتاب لم ير النور بضرورته الراهنة فى حياة المؤلف الذى توفى سنة ١٩٥١ وقد أشرف على طبعه زوجته وميخايلوفا يعاونها بلباثف وبيكوف وبيسارفسكى وتسريتلى والترجمة التى بين ايدينا هى للقسم الأول من الكتاب (وقد ظهر منذ سنتين أو ثلاث القسم الثانى منه) .

ثم يذكر الناقد « ان المؤلف اتبع فى تأليفه الترتيب التاريخى فبدأ ببداية الجغرافيا الرياضية عند العرب قبل ظهور المصنفات الجغرافية الأولى ، وقفى على ذلك بدراسة بداية الجغرافية عند العرب ثم الجغرافيين العرب المتأثرين بكتب الجغرافيا اليونانية (الحوارزمى ، الزرقانى ، الحازنى ، والمراكشى ، نصير الدين الطوسى الخ ٠٠٠) .

ثم يتناول الجغرافيين اللغويين ٠٠٠ ثم يذكر الرحالة الذين زاروا الاصقاع الشمالية (روسيا وغيرها) مثل ابن فضلان الذى كتب عن رحلته

يا لها من رحلة مثيرة في اعماق تاريخنا الجغرافي يرويها لنا شيخ المستشرقين الروس بكل ما حوت من عجائب وغرائب ، ويضع بين ايدينا بعد كل مرحلة من مراحلها ، حشدا من المصادر والمراجع التي كشفت له عن معالم الطريق واضاءت مسالكه ، ووجهت خطوات السير فيه فما انتهت الرحلة الا وقد اجتمع لنا الفهرس الجامع لمراجع البحث في تاريخ الجغرافيا عند العرب ، دليلا مرشدا للمتخصصين في الدراسات العربية والاسلامية ، ومؤرخي الحضارة الاسلامية بوجه عام ٠٠٠ ٠ ٠

الكريم والاحاديث النبوية ، ويتتبع قصص الرحلات والاسفار وكتاب البلدان ومؤلفات العرب في الجغرافيا الوصفية والرياضية والاقليمية، ليستخلص منها جميعا معالم تاريخنا الجغرافي على امتداد سيره الطويل وليسجل ما وعلى الزمان من خيالاتنا الاسطورية وتصوراتنا الادبية وبحوثنا العلمية وكشفنا الجغرافية متتبعا مجرى التيار على درب الزمن ، ليرقب روافده الاصيله التي انطلقت الى الخارج تحمل الى الدنيا ثقافة العرب ومعارفهم الجغرافية ، ويميز في الوقت نفسه ما تلقى التيار من روافد خارجية على مر العصور والادهار ٠



من جوانب الازدواج اللغوي في ندرومة

ان اللغة العربية الدارجة في ندرومة ، كجميع اللهجات الاخرى ، ما فتئت تتطور باستمرار . ومن خصائص ذلك التطور ، ادخال كلمات فرنسية في اللغة الدارجة . ولا يخفى ما لذلك الاقتباس من اهمية ، خاصة اذا عرفنا ان الفرنسية لا تزال تحتفظ بمنزلة كبرى في الادارة والمطالعة والحياة العامة ببلاد الجزائر .

ان الاسباب الداعية الى الاقتباس من الفرنسية متنوعة ، وأولى الاسباب ان الازدواج اللغوي ، اذا نظرنا اليه من الناحية اللسانية ، وضعية لا يرتاح اليها الناس . ولذلك فان قانون « الاقتصاد في الجهد » يدعونا الى ان نحاول ما امكن تخفيض ما نتكلفه من الجهود في التخاطب ، عن طريق استعمال لغة واحدة ، بدلا من لغتين . وعلى سبيل المثال ، فان المتكلم العربي ، وان كان يعرف الكلمة

جيلير جران جيوم

استاذ بجامعة وهران
ترجمة هيئة التحرير

تنشر هذا المقال كوجهة نظر قابلة للنقاش

العربية «قابلة»، إلا أنه سوف يكون ميالا لاستعمال كلمة قريبة من اللفظة الفرنسية «بواب» BOITE التي اعتادها عند ما يتكلم الفرنسية . فاذا ما تحدث بالعربية ، فانه سوف يستعمل اللفظة «بوابة» BWATA ، اذ من فوائد هذا الاستعمال أنه يخلف من شدة التدليب والحيرة بين اللغتين .

ان هذا التطور اللغوي الذي يسميه البعض «فساد اللغة» ، يمكن أن يصبح معتدلا ، لانه خاضع للقانون الذي يتحكم في أداة التبليغ ذاتها ، كما انه خاضع لسلح السخرية ، وهو السلح الذي يحارب به المجتمع كل من يشذ عن قواعده . ومن المفروض في الحالة الاولى ألا يفهم كلام من يستعمل أمثال هذه المفردات الجديدة . الا اننا نلاحظ أن تلك المفردات مفهومة تماما ، بل هي في كثير من الاحيان مفهومة أكثر مما لو استعمل المتكلم بدلا عنها ، مفردات من الفصحى ، لان الفصحى غير معروفة الا لدى الخاصة . واما بالنسبة الى العقاب الاجتماعي الذي يتمثل في السخرية ممن يستعمل مفردات جديدة ، فانه في الواقع معدوم تماما ، لان الناس عادة يفضون الطرف عن هذا الاستعمال . . ومما لاشك فيه ان المتسمكين بالقواعد اللغوية قد يحتجون . . ومن ذلك الصورة الكاريكاتورية التي نشرتها جريدة «الشعب» اليومية في عددها الصادر في 14 مارس 1967 ، وهي تمثل أحد معلمى العربية . وقد لبس عمامة وجلابة ، وأخذ يكتب على السبورة بالحروف العربية : «بسكلاتن» و «توم أوبيلن» .

وهناك سبب آخر لهذا التطور وهو دخول بعض المفاهيم العصرية التي ليس لها ما يقابلها من

المفردات في اللغة الدارجة ، مثل «الثلاجة أو البراد والملاعب» الخ . . فالعامة من الناس يجهلون المصطلحات الدالة على تلك المفاهيم في اللغة الفصحى ، واذا عرفوها فانهم لا يستعملونها ، لانها تعتبر من الدخيل في لغتهم الدارجة . وبالإضافة الى ذلك ، فان الاسماء العربية في نظر البعض منهم غير ملائمة للمسميات العصرية ، ولذا ترى الواحد من هؤلاء ، يتمتع عن اطلاق تلك الاسماء عليها .

وزيادة على ما سبق ، فلا ينبغي أن ننسى موقف التنطع MOBISME لدى البعض من الشبان الذين يتوهمون ان التكلم بالفرنسية سلوك يدل على التمدن والحضارة . بينما التكلم بالعربية وحدها دليل على التأخر . والادهي من هذا ، أن يعتبر المتكلم نفسه مهانا اذا خاطبه أحد الناس بالعربية ، لان هذا الاخير ربما يظن أنه جاهل ، ولا يعرف الفرنسية . .

الا أن هذه الحالات الشاذة ، وهذا التطور السقيم للغة ، لا نجد لها أثرا الا في المدن الكبرى ، وهذا ما توصلنا اليه من خلال دراسة استقصائية قمنا بها في وهران . . على أن هذه التبدلات في اللغة حاصلة أيضا في مدينة ندرومة . وقد أردنا ان نحدد مدى التبدلات ، فقمنا باستقصاء في ندرومة ما بين فبراير ومارس من عام 1969 ، ونقيم فيما يلي عرضا لما توصلنا اليه :

استقصاء حول تطور اللغة :

قمنا بهذا الاستقصاء بالاشتراك مع تلامذة المدرسة المتوسطة التابعة لمدينة ندرومة . وبعد أن

من جوانب الازدواج اللغوي

على أن أداة التعريف هذه لا تظهر دائما في الصيغة العربية ؛ فهي في هذه الحالة مندمجة في الحرف الاول الصامت من الكلمة . وذلك ان القاعدة تقضي في العربية بادماج أداة التعريف « ال » في الحرف الاول الصامت ، اذا كان ذلك الحرف من الحروف الشمسية ، وعلى وجه العموم فان الكلمة الفرنسية الببدوة بأحد الحروف الصامتة الآتية : التاء ، الدال ، الزاء ، السين ، اللام والنون ، هذه الكلمة تدمج معها أداة التعريف في النطق العربي ، بحيث يصبح الحرف الاول مضاعفا ، أو ممدودا ، وان كان المد غير واضح في الكلمات الدارجة الاستعمال . وعلى سبيل المثال ، فان الكلمة الفرنسية « ريجل » REGLE المقترنة بأداة التعريف LA ، يتلفظ بها في العربية « ار - ريجلة » .

أما اذا كانت الكلمة لا تستعمل الا في صيغة الجمع ، فان أداة التعريف LES تتحول الى LI وتندمج مع الكلمة . مثلا : LES BAS تصبح في النطق العربي « ليبا » .

أما حالة النكرة ، فمن المعروف أنها تكون في العربية بحذف أداة التعريف ، وفي الفرنسية بزيادة UN أو UNE فاذا كانت الكلمة الدخيلة نكرة ، فانها في الغالب مقترنة في النطق العربي بالحرف « أ » أو « ها » الذي يشير الى الصوت الفرنسي UN .

مثلا :

« بوى اشراانا أفريجيدير » . (أبى اشعري لنا نسلجة) .

شرحنا لهم أهمية دراسة تطور اللغة ، طلبنا منهم أن يسجلوا خلال فترة محدودة (فبراير - مارس 1969) الجمل التي يتفوه بها المتكلمون العرب الذين تعودوا ادخال العبارات الفرنسية في كلامهم ، وطلبنا منهم كذلك ملء جذاذة FICHE تشتمل على العناصر الآتية :

- الجملة المسموعة (ويسجلها التلميذ بحسب طريقة بسيطة في الرسم الاملائي) .

- المعنى ، كما فهمه التلميذ (بالفرنسية) .

- جنس المتكلم (ذكر أو أنثى) ، وعمره على وجه التقريب وحالته الاجتماعية .

- متى سمعت الجملة وفي أي حي من أحياء المدينة .

- اسم التلميذ القائم بالتحقيق .

ومتوسط عمر التلاميذ من البنات والصبيان الذين شاركوا في جمع المعلومات 17 سنة ، وبعد الغاء بعض الجذاذات التي لم تتوفر فيها الشروط المطلوبة ، حصلنا على النتائج الآتية : قامت 18 بنتا بملء 400 جذاذة ، وهي تشتمل على 1000 جملة حصلن عليها في مختلف أحياء المدينة ، وفي مختلف الاوساط ، ما بين ذكور وإناث .

ملاحظات عامة حول التبدلات :

عند ما تدخل كلمة فرنسية الى العربية ، فان أداة التعريف التي تسبقها في الفرنسية تصبح كأنها لاصقة بها ، كما لو كانت جزءا من الكلمة .

مثلا : « الكلاصا » LA CLASSE « لا كرى » LA CRAIE

ايبيسرى EPICERIE تصبح « لبيسرى »
(بالباء أو P

أوبيراسيون OPERATION تصبح
« لاباراسيون »

وبما أن الحروف الشفوية و غير معروفة
في العربية . فإن الكلمات الفرنسية المبدوءة
بهما . يتحول فيها هذان الحرفان إما الى باء أو فاء
أو يظلان على حالهما . مثلاً كلمة :

ليفير LIVRE تنطق « الليبرى » أو « الليفرى »
لامب LAMPE تنطق « اللمبة » (بالباء أو
P بالحرف

وفى بعض الحالات . فإن الحرف الاخير من أداة
التعريف LES . تندمج فى الكلمة . كما فى :

آلوميت ALLUMETTES التى تصبح
« زالاميت »

مفردات فى الادارة :

1 - الشرطة :

البوليس . البوليسى (ويجمع على : البوليسية) .
الشرطة والشرطى .

الجدرمى (ويجمع على الجدرمية) : الدركى .

ابريجاديير (بالجيم المصرية) : العريف .

الكوميسار : مفوض شرطة .

الشمبيط : الناطور .

سامحتك هذا الخطرة . بصح خطرة أخرى
ابروسى . «أصفح عنك هذه المرة . ولكن . مرة
أخرى . أسجل عليك مخالفة »

« خدمت ها ش - شابو » . (صنعت قبة) .
« ايخصك ها بولون فى ار - راس (معناه حرفياً
تنقصك محزقة فى الرأس) .

وفيها يتصل بالتبدلات التى تطرأ على الحروف
الصامتة . فاننا نلاحظ نوعاً من التداخل بين
الحروف المتقاربة المخرج كالراء والنون واللام . ومن
ذلك انقلاب الراء عن اللام :

الكول تصبح أركول

تلفون تصبح ترفون

تلفزيون تصبح ترفزيون

أوتيل تصبح نتير

وانقلاب النون عن الراء :

فريجيدير تصبح أحياناً « فريجيدين »

وانقلاب النون عن اللام :

ميليتير تصبح « مونيتير »

فولار تصبح « فونارة » أو « فولارة »

ليموناد تصبح « نيموناد »

تيليجرام تصبح « تينيجرام »

بوتو تيلغرافيك تصبح « تينغرافة »

كولوار . تتحول الى « كونوار » أو « كولوار »

وبما أن الفنة NASALISATION غير موجودة
فى العربية . فإن الحرف الصائت الأغن يتلفظ به
على حدة . وبشكل واضح فى أكثر الأحيان .

وبما أن الكلمة فى العربية لا تبدأ الا بالحرف
الصائت فإن الكلمات الدخيلة المبدوءة بالحرف
الصائت يحذف منها ذلك الحرف فى أكثر
الاحيان .

- 6 المجال التقني :

البيسكليت أو «الباسكليت» أى الدراجة
خويا عندو الفيلو مكروفيه ، أن أخى عنده
دراجة عجلتها مثقوبة
جيب البومبة انعمر البيسكليت ، هات المنفاخ
لتعبئة الدراجة

أما خير ، البيسكليت والا الموبيليت ؟ أى : ماذا
تستحسن : الدراجة أو الموبيليت ؟
أنت جونفليت (بالجيم المصرية) بها اللوتو :
أنت نفخت به (أى بالمنفاخ) السيارة
هذا الكاميو راه امشارجى : سيارة الشحن هذه
محملة

شارجيت الكاميو ؟ : هل حملت (البضائع) على
سيارة الشحن ؟

استاسيونى فى استاسيون تاع تاكسيات ، أى
توقف (بالسيارة) فى موقف سيارات الاجرة .

السيما : الاسمنت

الماشينا ، لوزين : الآلة ، المصنع

خويا راه ماشى يخرج جنيور : أخى سوف
يتخرج مهندسا .

- 7 التجارة :

البنثورة : الطلاب ، الدهان

ليصانص : بنزين

عمر لى البلانى ديسانص : املا الخزان بالبنزين

رح للمارشى : اذهب الى السوق

- 2 الجمارك :

الديوانة : الجمارك .

نحن الديوانية ، نخدمو بزاف ، أى « نحن رجال
الجمارك نشغل كثيرا »

- 3 دار البلدية :

لاميرى ، المير : دار البلدية ، شيخ البلدية .
الدوسى : الملف .

أدى هذى الكارطا اللاميرى باش اتسنيها
«خذ هذه البطاقة الى دار البلدية للتوقيع عليها»

- 4 البرية والاتصالات :

البوشطة : مركز البريد

تيلغرام أو تينغرام : برقية

تيلفون أو تيريفون : الهاتف

التامبر : طابع البريد

الكولى ، الكورى ، الفاكور : الطرد ، بريد

الرسائل ، موزع البريد

الفاكتور سربا الكورى : وزع ساعى البريد

الرسائل

المائدة : حوالة بريدية

الروسفور : المحصل

- 5 المتنوعات :

الدومينيات المؤمة كتيرة بالزاير « الاملاك

المؤمة كتيرة بالجزائر »

هذى لبسه تاع المونيتير ، أى هذه بدلة عسكرية

راك كونترولور علينا ؟ أى أنت علينا رقيب

حسيب ؟

هالك اشتر لي باكية دخان البوفيلتر : خذ واشتر
لي علبة سجائر بمصفاة

امشيت البيسرى واشريت باكى تاع زالاميط
»ذهبت الى دكان البقال واشترت علبة كبريت
أوزن في الباسكول : ضع في الميزان

ها ميل فرا واشري لي تمبر ورد لي لاموني :
هالك ألف فرنك : اشتر لي طابعا ورد لي الصرف

اشتر مل كالتيتي : اشتر من النوع الممتاز
انريجلو داك الكونت : هيا نسو هذا الحساب

اشتر لي بومادا من عند الفرماسيان : اشتر لي
مرهما من عند الصيدلي

ماركيا في لكارني : سجلها في دفتر الحساب
العلاقات الاجتماعية :

راك واقف جرنيزو GARNISOU ؟ « ما لي
أراك واقفا كالحاوس ؟

زاني امديجوتي DEGOUTE : نفسي مشمزة
ما تنرفينيش : لا تزعجني

* في ساعة اتدرفا : انزعج في الحين
طانديني هنا : انتظرني هنا

خاصك الكوراج : تنقصك الشجاعة
انا ما وكلتش كبشي بالفوراج تاع الزاوية

»أنا لم أغذ كبشي بكلا الزاوية «
ما ناكلشي من فوراج الزاوية : لا أنغذي من كلا
الزاوية

مانديو MON DIEU يا الهى
زاني نتريري في الدروبة : اتسكع في الطرقات

ما تانكييتيش : لا تقلق

كونفيونسييتو : منحنه الثقة

أواه يكى ، جوموفو عليه ! : اذا كان يدخن
فانا لا يهمنى أمره

عندك رانديفو في هذا الكارتى : عندك موعد
في هذا الحى

بركة ما تبلجى : كف عن الهزل
أنت تجى غير تبروفيتي ، بسارازيت ! : أنت
لا تأتي الا لمصلحة ، يا طفيل !

كن ديجوردي : كن فطنا
ألور قال لي موفيو ماشي ديجوردي : عندئذ قال
لي : لست من ذوى الفطنة

ايخصك بولون في الراس : (أنت مختل العقل)
أنا انجارانتى لك بللى اتديجوتى : أضمن لك
أنك سوف تشمز .

الحياة المدرسية :

1 - أدوات مدرسية :

لاتروس ، الكايي ، الكريون أو الكريون ، أى :
المقلمة ، الكراس ، القلم .

لاردواز - الطابلو ، لأكري ، أى اللوحة ،
السبورة ، الطباشير

الستيلو ، لبلوما ، البيفار أى قلم الحبر ، الريشة
النشافة

الكارني ، الكولور ، أى : المفكرة ، الاقلام الملونة
الليفري ، ويجمع على ليفريات أو ليفرات ، أى :

الكتاب ، وهذه العبارة العربية غير مستعملة اطلاقا .
الكرطابل أى المحفظة - كرتابلك ، أى محفظتك

الكولا ، الريجلا ، أى : الصمغ ، المسطرة

من جوانب الازدواج اللغوي

الا انها تعبر تماما عما يجرى فى اللغة من تطور .
وعن آليات ذلك التطور .

فالمسألة ليست مجرد استعمال للمفردات
الاجنبية ، بل هى مسألة اقتباس واقتراض لتلك
المفردات .

وقد رأينا كيف ان هذه المفردات أصبحت
خاضعة لقواعد الصوتيات والنحو ، من حيث الجمع ،
وتصريف الافعال ، الخ ، . وأكثر هذه الافتراضات
EMPRUNTS متعلقة بمبادئ الحياة العصرية .
علما بأن اللهجات السائدة فى أقطار المشرق العربى
تعبر عن هذه المعانى العصرية بكلمات عربية محضة .
ويبدو أن هذا الوضع مرجعه فى الماضى الى استعمال
الناس للفرنسية ، والى ضعف الجهود فى ميدان
التعريب .

ما هو مستقبل هذا التطور اللغوى ؟ ان الشئ
الملاحظ فى ندرومة وفى غيرها من المدن ، أن هذه
الافتراضات أكثر ما تكون فى لغة الشبان ، وذلك
أن التعليم الجزائرى قد أقر الازدواج اللغوى على
جميع الاطفال ، وهذا الامر يدعوا الى الاقتباس
ويشجع عليه .

ويبدو أن هذا التيار متزايد فى المرحلة الراهنة ،
وان كان البعض يعتقد بأن مساعى التعريب قد
تعوقه . الا ان هذا ليس مؤكدا ، لان الظاهرة
اللغوية لا يمكن أن تعزل عن غيرها من الظواهر .
وعلى هذا ، فإن تطور اللغة الدارجة سوف يكون
بدوره خاضعا نوعا ما ، لتأثير مختلف الانماط
الثقافية فى الشبيبة .

الطالبة ، الكلاصا ، اى : الطاولة ، القسم

الكوليج ، الليكول ، الليسى ، اى : المدرسة
المتوسطة ، الابتدائية ، الثانوية

الميطرات ، اى المعلمون

الميطر ضربنا ، اى ضربنا المعلم

2 - تعابير متنوعة :

فاصى الطابلو ، اى امسح السبورة

سولينى السطر بالريجلة ، ضغ سطرنا
بالمسطرة .

ما تكوبيش : لا تنقل ، (إى لا تفش)

طابيت الكريون ، اى : برت القلم

مانكا الدرس / منك الدرس / مانكا الكلاصا ،

اى : تغيب عن الدرس

كوفرى الليفرى : اصنع غطاء للكتاب

ماريزوميتش بزاف : لم ألخص كثيرا .

3 - جمل ينسبها بعض التلاميذ الساكنين الى
معلمى الصربية :

فاصى الطابلو : امسح السبورة

ابلاسيه هنا : ضعه هنا

منك الدرس : تغيب عن الدرس

اكتب فى الكايبى : اكتب على الكراس

جيب هذا الليفرى : هات ذلك الكتاب

هذى الكلاصا فيها بزاف تاع ليزيليف ، اى :

هذا القسم فيه كثير من التلاميذ .



لاشك أن هذه الدراسة الاستقصائية محدودة .

المرونة والحزم

منذ عام 1968 ، أى منذ البداية الفعلية لمفاوضات باريس حول فيتنام ، تركز انتباه صحافة العالم حول سيدة هادئة ، انيقة بسيطة فى بداية العقد الخامس من عمرها وهذه السيدة كانت هى التى ترأست وفد الحكومة الثورية لفيتنام الجنوبية فى المفاوضات .

انها السيدة نفوين تى بنه ابنة موظف بسيط ولدت فى سايفون .. ولم تعرف منذ طفولتها وشبابها ، سوى النضال الحازم ضد المستعمر الفرنسى ، ثم المحتل الامريكى ، وضد الحكم العميل فى سايفون .

ابتداء من عام 1950 ، خاضت السيدة بنه النضال عبر الحركات الطلابية وحركات المثقفين ، وتولت مركز الصدارة فى مظاهرة 19 مارس - اذار الشهيرة ، ضد المحتل الفرنسى - وبعد ذلك بعام واحد اعتقلت حيث بقيت فى السجن اربع سوات ، ثم خرجت منه لتتابع نضالها وتصبح احدى أهم قائدات الثورة الفيتنامية .

تعرف السيد بنه نضالها بانه يرتكز على « المرونة والحزم » تقول « لقد ابدينا الكثير من المرونة ، ومع ذلك ظلت الادارة الاميركية على تصلبها ، فاضطررنا الى متابعة القتال .. بحزم .. » .

انها مثال ونموذج حى للمرأة فى عصرنا .



حوار جديد

في إطار اطلاع القراء على مختلف الندوات التي تنعقد في العالم حول الثقافة العربية الإسلامية وعلاقتها بالثقافات الأخرى ، ننشر هنا ثلاثة أبحاث القيت في ندوة فلورنسا التي نظمها معهد العلاقات بين إيطاليا وبلدان أفريقيا وأمريكا اللاتينية والشرق الأوسط وتمكنت المجلة من الحصول عليها .
ونحن نرحب بأي نقاش موضوعي يأتينا في هذا الموضوع ايماننا منا بأن الحوار الموضوعي هو أفضل سبيل لدراسة اوضاعنا المختلفة ، والوصول الى الحقيقة .
« الاصاله »

يبدو أن هذا الحوار بين ثقافتين يتطلب من المثقفين العرب أن يتحدثوا عن علاقة ثقافتهم بالثقافة الأوروبية ، وأن يتحدث المثقفون الأوروبيون عن علاقة ثقافتهم وقضاياهم الفكرية بالثقافة العربية . وماذا يمكن أن نبذل من جهد لتطوير الحوار القائم على هذا الاساس .

د . عبدالله شريط

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

ولذلك سأحاول أن أعطي لهذا الحوار هنا طابعا عمليا بقدر الامكان وبسيطا وواضحا في نفس الوقت .

المثقفون من أبناء العالم المتخلف عند ما يدعون الى حوار كهذا مع المثقفين من أبناء العالم المتقدم - لا يشعرون بحرج لانهم ينتمون الى عالم متخلف ، بل يشعرون بتعقد جديد ومصاعب اضافية تنضم الى ما يعانون ، في بلادهم من صعوبات في الحوار مع مجتمعهم ، بل مع أنفسهم ، كل واحد منهم في هذا الحوار يتساءل ماذا يفعل مع لفته المحنطة وثقافته التي فقدت حيويتها ، ومجتمعه المتخلف ، هل يحطم أم يرمم ؟ هل يبنى على فراغ أم على جدار قد اخنى تحت وطأة القرون ؟ يبدأ من الصفر أم من اللانهاية ؟ يعود الى الماضي أم يبدأ من الحاضر ؟ يلتفت الى الوراء أم يقفز الى الامام في المجهول وحده ؟

اننا نعيش في تناقضات مع انفسنا ومع مجتمعنا ، تناقضات بين ماضينا ومستقبلنا ، بين حياتنا المادية المصطنعة وحياتنا الفكرية المذبذبة . نعيش في مجتمع ثقل علينا عبء حمله من القرون البدائية الى عصر التكنولوجيا .

نعيش في خصومة بين المؤمن بالقوانين الطبيعية في نزول المطر ، وبين المؤمن بإرادة الله التي تفعل وحدها كل شيء . خصومة بين قوانين المرور التي تستمدّها من عندكم وتسوق بها السيارة في الشارع ، وبين طبيعة البدوى الذي لا يعترف لأحد

بالمرور قبله . خصومة عندنا بين من يقول تنتهى حريتك حيث تبدأ حرية غيرك ، ومن يقول : الشيء الذي أبصرته فهو لك، وما لم تبصره فلك فيه النصف بين طبيعة رجل يشتري لزوجته آخر مودة من اللباس ، ويمنعها من مصاحبتها الى حفلة ساهرة . خصومة بين ما أخذناه عنكم من «أشياء» نكدها لان أخذها سهل ، نشترىها فقط ونستعملها . ولكنها ليست من انتاج حضارتنا - وبين ما يشكل حقيقة الحضارة ، وهو الانسان الذي يعيش بعقله لا بالاشياء المكسدة .

هذه الخصومة نشأت في عصرنا هذا من ان طبيعة الاتصال بين تخلفنا وتقدمكم مرت عن طريق علاقة بين تجارنا وتجاركم ، كان فيها العقل متغيبا ، وبين سياسينا وسياسيكم لم يحضر فيها من الفكر الا عنصر الحيلة ، وبين عسكرينا وعسكريكم الذي كان الجسر الوحيد الذي اقاموه بينهم للقاء هو جسر الموت ، وبين رجال الدين الذين كان كل فريق منهم يعتقد أنه وحده المؤمن ، وان الآخر كافر ، لقد ثار عليهم ابوبكر الرازي منذ القرن العاشر الميلادي . (وهو ذلك الفيلسوف الذي ترجمت اكثر كتبه الى اللاتينية هنا في ايطاليا) البندقية وصقلية) في القرن 13 و 16) ثار على الاتجاهات الاستغلاية للاديان كلها، لانها عنده « أخرت الناس في سلوكهم وعاداتهم السيئة، وزادت من ضيق عقولهم، بالإضافة الى ما سببته بينهم من حروب وعدوات ، وما سببته من عداوة رجال الدين للفلسفة والفلاسفة ، في حين أن الفلاسفة افادوا الانسانية أكثر من الانبياء » انظر احمد أمين - ظهر الاسلام . ج 2 - ص : 186 .

حوار جديد

اما السعداء منا فيخلقون جنة لانفسهم من اوراق البلاستيك - يقيمونها في الرمال ليشعروا انهم معكم في أوروبا ، ويلد لهم ان يضيفوا الى لهيب الصحراء لهيب الحمر ، لانكم تشربون في البرد . ويرقصون في الخرائب والفبار لانكم ترقصون في القصور وعلى ضفاف الانهار .

انكم اذا حذفتم من وجودنا كل ما هو انتم ، لا يبقى شيء تتحاورون معه . ولكن انتم ، ماذا تمثلون في مجتمعكم ؟ .

هل تمثلون انسان ما بعد الحرب ، كما صورته لنا الوجودية ؟ يعيش في حلقة الخوف والياس . وكما يصفه « موني » بأنه انسان متهافت غير متين ، لان معتقداته مفامرة ، ومؤسساته العقلية غير ثابتة . والعالم من حوله صامت لا يقول شيئا ، والموجودات غارقة في الوحنة . والعدم يصاحب كل شيء ، ينظر الى الناس من حوله على انهم اشياء ، ويتوهم انهم ينظرون اليه على انه شيء ، لانهم سرقوا حريته فرفض معهم كل تواصل . ام تمثلون في مجتمعكم ذلك الانسان البورجوازي صاحب الشراسة المتسمة (لنفس الكاتب) ذلك الذي يعتبر ان الفضائل الاخلاقية تنحصر في كثرة المطالب والجشع وعلم الاهتمام بالغير ، لان محبة المال قد التهمت عنده كل الفضائل الاخرى وحلت عنده قيم الرخاء والبدخ رأس درجات السلم . لا يسمع نداءات الاخرين لانه لا يرى من التعاسة الا تعاسة الشخصية ، ذلك الانسان الذي نشأ في رجل المال ثم امتد الى التاجر والفلاح والعامل والصانع وساكن القرية وترك اثره في كل الطبقات ظاهرا كالسيول المدمرة ؟

وبعد الرازي اضيف الى العداوات الدينية ، عداوات الاقتصاد والحريية ، والسياسة التي جعلت لخدمتهما ان الاتصال الوحيد الذي لم يقع الا نادرا في علاقتنا الحديثة . هو الاتصال بين المثقفين ، هؤلاء ليست بينهم ، على الاقل من حيث المبدأ ، عداوة تسهرها الاطماع التجارية او الحيلة السياسية . او التدمير العسكري ، او الحق الديني . انهم يؤمنون بقيمة وحيدة فوق كل القيم المالية والسياسية والعسكرية والدينية ، وهي كرامة الانسان ورفيه .

واليوم وفي هذا الحوار الجديد بيننا وبينكم . ماذا نمثل كلنا ، نحن وانتم ؟ هل نمثل مجتمعاتنا ؟ هل نمثل انفسنا فقط ؟ هل نمثل حضارة ؟ اما فيما يخص حضارتنا نحن فقد خرجنا منها ، وحضارتكم لم ندخلها بعد . لان السباق بيننا وبينكم كالسباق بين اخيل والسلحفاة عند زينون في ابطاء الحركة .

لنمثل مجتمعا لاننا اقلية فيه . نحن وحدات ضائعة في خضم لا يكاد يشعر بنا ، نحاول ان نعيش معكم . ولكننا لا نريد ايضا ان ننقطع عن مجتمعا ، ومجتمعنا ما يزال يعيش مع اجداده وهو يجهلهم وهو دون مستواهم ، بما تركوا له من مسكن وعادات وفكر . هم يؤثرون فيه لانهم يعيشون معه حياته اليومية ، ولا يستمع الى اقوالنا لاننا نرمي بها اليه ونحن مارون في سيارتنا امام كوخه. اننا لم نستطع ان نلحقكم انتم ، ولا ان نبقي مع مجتمعنا ، حيث هو يقعد به الجوع . فيشعر بعضنا بالحاجة الى الثورة ونحن مختنقون في ملابسكم لانها لم تخلق لحرارة الشمس في صحرائنا .

اما العمل فى حد ذاته فليس الا حلقة فراغ بين سلسلة اللذات ، هو وقت تغيب عن الحياة . مجتمع مدلل لا يعجبه شىء ، ولا شىء فى نظره جميل همه ان يشكو باستمرار وهو جالس فى حلقة دائرة تحيط به العابه البراقة ، التى خيبت آماله .

ونقرأ عنكم بومير الالماني فنجد مجتمعكم عنده اصبح يكثر من استعمال التقنية الصيدلية ليواجه مشاكل الحياة الحديثة وأتاعبها ، أصبح لا يعتمد على مقاومته الطبيعية ، واتما يصنع وسائل هذه المقاومة ضد ما صنعه من وسائل المتاعب والتعقيد . وهو نوع من الضعف العضوى الذى جعل الناس يحسون باى ألم على انه مصيبة عظمى تفسد مزاجهم . وتجعلهم فى حالة توتر دائم تشبه حالتهم وهم يسوقون السيارة .. لقد اصبح كل واحد يساق الى عملية التقدم الصناعى بدون شفقة دون ان يتصور ماذا يحقق من وراء عمله ، انهم مطالبون دائما بالتلاؤم مع ما يظهر من جديد فى عالم التكنولوجيا ، وعندما يشعر بالحاجة الى الروح يصنع لنفسه روحا بالمواد الكيماوية .

ان التقدم الصناعى لا بد أن يدفع ثمنه بالانحدار الانسانى وفقدان الاسس الاخلاقية ، وعالم التكنولوجيا - ولعل هذا قد بدا فعلا - هو الذى ينحدر منه الانسان الى العالم البدائى .

ونفس النظرة نجدها عند (فولكوف) الروسى وان كان يعزو أسبابها لا الى التقدم العلمى والتكنولوجى ، بل الى نوعية العلاقات الاجتماعية فى المجتمع الرأسمالى .

لا تنزعجوا هذا هو نفس الانسان الذى وصفه ابن خلدون عندنا قبل أن يحكم علينا الاستعمار الحديث بالفقر العام .

كلا انكم لا تمثلون هذه القيم الناقصة - ولا هذا المجتمع الكافر بالانسان - لانكم انتم الذين تصيحون فيه ليستيقظ . وتعرضون للتيار فلا يجرفكم . ولكنكم لا تستطيعون ايقافه ، كما لانستطيع نحن ان نشعل النار فى الرماد .

لقد استولى على مجتمعنا الاموات كما يقول (اوغست كوث) . واستولت على مجتمعكم فردية الآلة ، واننا لو نستمع واياكم لما تقوله لنا روح الاستسلام لوجدنا انفسنا فى جمهورية افلاطون ، جموع العبيد فيها اكثر من الاحرار ، وعبيد اليوم هم الجماهير التى لا تشعر بشقائها . والاحرار فيها هم من يملكون الاساطيل والبنوك والمراقص ، وينفقون فى ليلة على شهواتهم ما يعيل اسرا بأكملها طيلة عام عندنا . ولكنهم هم ايضا ليسوا احرارا لانهم مملكون لما يملكون . ان اغلال عبودية العالم اليوم اصبحت مرة أخرى اغلالا نفسية ، لان الجشع الذى تحكم فى كل الطبقات أصبح هو مركز الرخى فى العالم المعاصر .

هذا هو الاله العنيد الذى ثار عليه سقراط والمسيح ، ومحمد ، وثار عليه نيتشه وماركس وغاندى . وروسكين ، وكروتشى ، ومونى .

اننا نقرأ وصفا لمجتمعكم عند «ريش» فنجدكم مجتمعا يعمل على نشر أخلاق المتعة ، والهدف عنده هو استفزاز شهوة الاستهلاك من أجل الازدهار الاقتصادى .

حوار جديد

الاول يعرف سبب المجاعة . اننا لا نقصد من هذا أن تعملوا على أن يتنازل مجتمعكم عن بعض ما عنده لمجتمعنا فنحن هنا نؤمن برأى (تيبورماند) بأن مساعدات الدول المتقدمة للدول المتخلفة هي العرقلة الاولى امام الدول المتخلفة ، لتتغلب على مصاعبها . ويؤمن الواعون منا بمبدأ الاعتماد على النفس ولا نرضى بأن يأكل البطال الكسول عندنا ثمرة العامل الكادح عندكم ، وان بقي بعض المسؤولين في العالم الثالث يمدون أيديهم ! ولكن ما نطلبه ، وما نعتبره حقاً مقدساً هو مبدأ الاحترام . واعتقد شخصياً أن هذا اللقاء بيننا وبينكم قائم على هذا المبدأ أكثر من أى شيء آخر : مبدأ الاحترام وتبادل المعارف والتجربة الانسانية . اننا في الوقت الحاضر لا نصنع ما نتبادل به وياكم ، ولكننا نملك من تراثنا ما يفيدكم أن تتطلعوا عليه . ولا تظنوا أن الحضارة الحديثة قد حوت كل الحقيقة . وان ما قبلها من حضارات قديمة لم تعرف الا الخطأ .

ان ما نعمله في مجتمعنا نحن . عن وعى وعن غير وعى ، هو تمجيد القيم التي قامت عليها حضارتكم، ننشر هذا في محيطنا الراكدة المتخلف ونعلمه لأطفالنا في المدارس ، ولكننا لا ندرى بعد اذا كنتم تقومون في مجتمعكم بمثل هذا التمجيد للقيم التي قامت عليها حضاراتنا وتجاربنا الغنية في الحياة الانسانية . ونحب ان نعتقد ان هذا الملتقى الذي دعوتونا اليه مشكورين ، هو حركة من هذا العمل، تريدون أن تتعرفوا من خلالها على تجربة أمم أخرى غير تجربتكم لا لتستفيد السياسة عندكم من هذه المعرفة أشياء لنفسها ، بل لتساعدكم في عملية

ولكن ما يهنا من كل ذلك هو ان مجتمعكم ، على ما نفهم مصاب بأمراض الشبع ، الشبع بكل انواعه وفي مختلف ميادين المعاشية ، كما يسميها ، - ابن خلدون - عندنا : شبع في المأكول والملبس والعلاقات الجنسية ، والعمل والتثقف والحروب والغربة والضياع ، انتم مصابون بأمراض الحياة المكثفة القصيرة التي يفضلها - ابن سينا - عندنا على الحياة الفارغة الطويلة وهذه الحياة الفارغة الطويلة التي يعانيها مجتمعنا نحن . حياة الجوع بكل انواعه ومختلف اشكاله وميادينه المعاشية : الجوع في المأكول والملبس والتثقف ، وكل ضروب المتعة الفكرية والمادية . هناك شيء واحد يتميز به مجتمعنا عن مجتمعكم وغداؤه منه أوفر ، وهو غداء الطمأنينة والراحة والايمان والرضى الابله . يقابله ما يسميه (فولكوف) عندكم بضياع معنى الحياة وفقدان الايمان بأى شيء وعدم الثقة فى أى شيء .

وما عندنا وما عندكم فى كلا المجتمعين لانقره جميعاً، ونستنكره ونحاربه، كل فى ميدانه وبالسلاح الذى توفر له ، ولكن ما نلاحظه هو ان صياحكم ضائع فى ضجيج الالة ، وصياحنا ضائع فى سكون الصحراء . ولقاونا اليوم وحوارنا اذا كان فيه ما يجمعنا حقاً ، فهو هذا التضامن بيننا تضامن الضائعين الغرباء . فى مجتمعات فقدت توازنها . وفقدان التوازن فيها هو ايضا ما يجمع بينها لان أمراض الشبع فى مجتمعكم ناتجة عن أمراض الجوع فى مجتمعنا، تذكرون كلكم قصة برناردشو مع (تشرشل) عندما قال له هذا : مالك نحيف هكذا يا صاحبي ؟ ان من يراك يحسب انجلترا تعيش فى مجاعة . فاجابه شو بقوله : ومن يراك أنت يا حضرة الوزير

ولكن الاجماع بين هؤلاء واولئك تنخره المتناقضات التي تنشأ دائما عن المصلحة المادية وتنافسها ، أما المثقفون فعند ما يتحدثون على المستوى العالمى ومن أجل خوض معركة الانسان وسعادته ، فانهم لا توجد بينهم متناقضات لانهم لا يتنافسون من أجل مصلحة مادية وهذه هي قوتهم ، ولكنهم لم يشعروا بها بعد.

غارودى : (ان المهمة الاولى فى تكوين الكتلة التاريخية الجديدة ، المهمة الحاسمة بالنسبة للمستقبل هي اتحاد قوى العمل والثقافة) . تحالف اليد والفكر على المستوى العالمى .

ولكى يأتى هذا التحالف بشمرته المنعشة لكل شعوب العالم ، يجب أن يكون فيه المثقفون على مقربة فى حياتهم من قوى العمل ، وتكون قوى العمل ذات مستوى ثقافى .

هذا ما فعله (سقراط) فحكم عليه بالاعدام من السياسيين ، وهذا ما حاول (الاسكندر) الاكبر أن يمنع أرسطو من القيام به . وهذا ما فعله المسيح فانتشرت دعوته بتضحية قوى العمل الفقيرة . وهذا ما فعله (محمد) الذى كان يقول : « اللهم احينى مع الفقراء وأمتنى مع الفقراء وابعثنى يوم القيامة مع الفقراء » .

هؤلاء الفقراء هم الذين يتكون منهم اليوم مجتمعكم المقتدر الى الايمان والقناعة والقيم الخلقية ويتكون منهم مجتمعنا المقتدر الى الحُبز والكتاب والنشاط .

وكل هذا يتطلب منا نحن أن نتحرر من عقدنا وتحرزنا منكم ، ويتطلب منكم انتم أن تحذروا من

انقاذ مجتمعكم ، ونحن نستجيب لهذا اللقاء أيضا لاننا واثقون ان تجربتنا مهما كانت ثرية فهي لا تغنينا عن معرفة تجربتكم بخيرها وشرها . لان كل حضارة شرها جزء من خيرها .

ان التضامن الذى يجب أن يقوم بيننا نحن المثقفين من ابناء المجتمعات المتخلفة ، وبينكم انتم المثقفين من ابناء المجتمعات المتقدمة هو تضامن لنفس الحركة . هذا التضامن أصبح ضروريا لأن المثقفين فى العالم اليوم سواء منه العالم المتخلف أو المتقدم، أصبحوا أخف وزنا فى مجتمعاتهم مما كان عليه سابقوهم فى المجتمعات القديمة . فى الوقت الذى ندعى فيه بأن عصرنا هو عصر العلم والتكنولوجيا والثقافة . ولكن المثقفين فيه لا يؤثرون فى توجيهه بقدر ما يستغلهم رجال السياسة والاقتصاد والحروب فى تحريف الحياة الاجتماعية عن قيمها العليا .

لقد انقسموا طائفتين متناطحتين : طائفة تعيش بالمثل والكتب وتجهل الحياة الصاخبة ، وطائفة انتهازية تباع ثقافتها كما تباع كل السلع فى الاسواق . وتنتج حسب الطلب المستعجل الانى ، انتاجا نسى مشكلة القيم ولم تطرح امامه .

واذا أردنا أن ننقذ مجتمعاتنا المتقدمة والمتخلفة على السواء يجب أن نجد نداء ماركس ولكن الى المثقفين ، يا مثقفى العالم اتحدوا !

ان السياسيين اليوم على المستوى العالمى تجمعهم مصلحة استغلال الشعوب ، والاقتصاديين تجمعهم مصلحة استغلال الطبيعة والامخاخ البشرية.

حوار جديد

التراث العربي معروفا فقط من المستشرقين عندكم؟
إذا أردنا أن نهى أجيالا في بلداننا لمستقبل
يكون فيه أكثر تفاهما وانسجاما فيجب علينا أن
نبدأ من هنا .

اننا اليوم بعض أفراد مجتمعين في هذه القاعة
جئنا من أربع قارات . أما غدا فيجب أن تصبح
هذه الملتقيات على مختلف المستويات : بين المثقفين
والشباب والنقابات والاحزاب والتشكيلات الجماهيرية
يتكلم كل واحد منهم لغة الآخر . ويعرف تراثه
وابطاله في الفكر والتاريخ . وهذا ما نسميه غدا
بالاحترام المتبادل . ان أى طالب من طلابنا يعرف
من هو أرسطو ودانتي وديكارت وهيكل وكروتشي ،
فهل يعرف الطلاب في المدارس الاوروبية أسماء
ابن سينا وابن رشد وابن خلدون ومحمد عبده
وباديس ؟

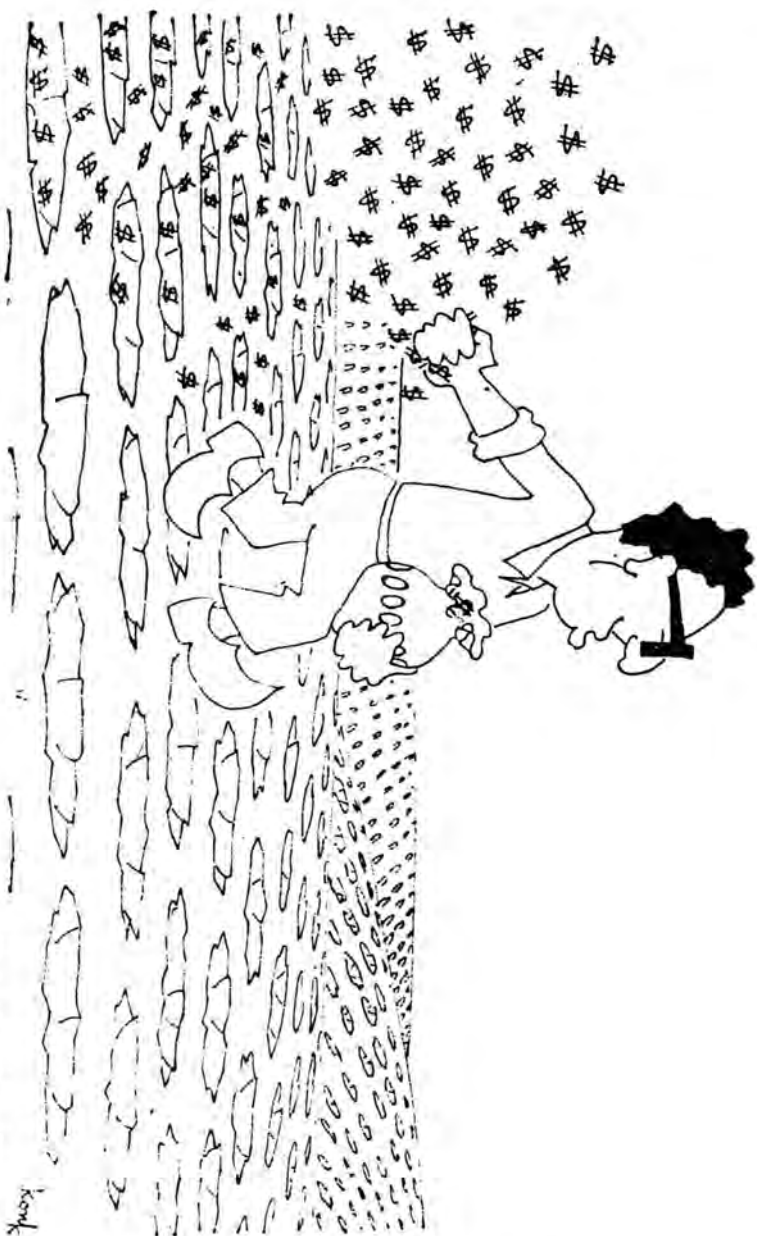
هذا ما يجب أن يتطوع له دعاة مناضلون لبثه
في الحياة الثقافية والتعليمية في أوروبا ، وعندئذ
فقط يمكننا أن نتكلم عن المجموعة الثقافية المتوسطية

ان يستخدمكم السياسيون والتجار لرواج بضائعهم
باشهار ثقافى .

نحن اليوم في العالم الثالث بما فيه العالم
العربى يقوم بيننا حوار عن قيمكم : بعضنا يعلمها
للنشء ويحرض عليها ، والبعض الآخر يرفضها
ويعتبرها تبعية ومسخا . فهل يوجد هذا الحوار
اليوم بين المثقفين في الغرب فيما يتعلق بالحضارة
والثقافة العربية ؟ هل تدرسون حضارتنا ومشاكلنا
ووجودنا في غير الكتب الاستشراقية الخاصة التى
لا يقرأها الا الخاصة ، يؤلفها مستشرقون ، ويقرأها
مستشرقون . أما بقية المجتمع الاوروبى فلا يعرف
عنا شيئا ؟

اننا نتساءل اليوم أمامكم . هل سيعمل المثقفون
في الغرب على تلافي هذا النقص في المستقبل ؟
هل سنجد في يوم من الايام مفكرينا وعلماءنا
مذكورين في كتب التاريخ وكتب تاريخ الفلسفة ،
وتاريخ الآداب العالمية ، يدرسون في المعاهد
الثانوية والجامعات كما ندرس نحن علماءكم
وفلاسفتكم وأدباءكم في مقاعد مدارسنا ، ولا يبقى





(Dessin de Konk.)

من « لوموند »

المساعي الاميركية لعادة بناتاليد الصينية

الحواجز التي منعت أوروبا من فهم العرب

حدثني الجنرال دي غول يوما عن علاقات فرنسا مع العالم العربي فقال : « ان التجارة والاقتصاد والثقافة ، كلها أمور مهمة ، ويجب ان نتكلم عما يجرى فيه العمل من هذه الامور ، لانها هي التي تهتء المستقبل . يجب ان ننظر الى البعيد . انظروا مثلا الى الضفة الاخرى من البحر الابيض المتوسط ، تجدون بلدانا فى طريق النمو ، ولكن توجد عند اهلها حضارة أيضا ، وثقافة وانسانية وحس بالعلاقات الانسانية لا نجدها فى مجتمعاتنا نحن المصنعة . ولعلنا يسعدنا يوما ان نجدها عندهم .

بول بالما

صلى لرسى
ومندوب فرانسى

الحوادث والحقائق والتواريخ التي تجري حاليا ، بل يريد ان يفهم نفسية الشعوب ، ويوسع ميدان نشاطه الى علم الاجتماع ، لان هذا العلم يساعده أكثر على فهم الظواهر الاقتصادية والسياسية . ان صحفيا كهذا تبدو له الوضعية مخيبة للامل من عدة جوانب .

ان هذا الملتقى قد اتخذ كموضوع له مسألة التلاقى بين الثقافة العربية والثقافة الاوربية . وأود من ناحيتي ان انكب بالخصوص على الحواجز التي تشكل عرقلة فى طريق هذا التلاقى . والبحث فى هذه العراقيل ، أليس هو من نوع البحث عن اسباب المرض لايجاد أنجع الادوية ؟ وهذه الحواجز منها ما هو من نوع تاريخي ، وآخر اجتماعي ، ونوع آخر سياسى .

الحواجز التاريخية :

فى المجتمع الاوربي كثيرا ما نثير ذكريات الحروب الصليبية والغزو العربى الى «بواتى» ، والنزاع التقليدى بين الصليب والهلال ، وما نسميه «بالتعصب الاسلامى» كل ذلك نفسى به موقف التحرز ، ان لم يكن موقف العداء - كما لو كان العداء هو دائما القاعدة - وفى كثير من الاحيان نستعمل هذه «الكليشيات» لتبرز بها الصعوبات القائمة بين الثقافتين .

أما ان يكون العالمان الاوربي والعربي قد تحاربا فهذا ما لا يستطيع انكاره أحد . ولكن هل نستطيع ان ننسى ان المسيحية والاسلام قد تعايشا اربعة قرون : اذ توفى محمد سنة 632 ، والحرب الصليبية الاولى وقعت سنة 1095 . وفى هذه القرون الاربعة ، فان وجود المسلمين فى الارض المقدسة ، لم يشر أى

اننا واياهم جميعا نتقدم ، بحسب سرعتنا وامكانياتنا وعبقريتنا نحو حضارة صناعية . ولكن اذا اردنا ان نكون حضارة حول البحر الابيض المتوسط مهد الحضارات ، واذا اردنا ان لا تكون هذه الحضارة على الطراز الامريكى ، حتى يكون فيها الانسان غاية لا وسيلة - اذا اردنا كل ذلك ، فيجب ان نتفتح ثقافتنا انفتاحا واسعا - نحو بعضهما البعض .

وعند ما سألته لماذا لا يقول مثل هذا الكلام أمام العموم فى مؤتمر صحفى مثلا ، أجابنى بقوله : «كنت أخشى ان يسيء فهمى الناس» . ثم رفع رأسه وأضاف : «وأخشى الآن ان اليوم الذى يحسن الناس فيه فهم هذا الكلام ، يكون قد فات أو ان فائدته» .

ان فى هذا الكلام مسحة من التشاؤم لا محالة ، ولكننا لا نجد مناصا من الاعتراف بانه يوجد فيه نصيب من الحقيقة ، اذا لم نقل كل الحقيقة . ومن المؤكد ان الجنرال دى غول فى هذا القول كان يفكر فى مصلحة فرنسا . ولكن الوضعية القائمة فى فرنسا لا تبدو لى فى هذا الميدان مختلفة عما عليه فى الاقطار الاوربية الاخرى . ان من المحتمل ان يرى الاختصاصيون واساتذة اللغة العربية والادب العربى والمؤرخون وعلماء الاجتماع والباحثون ، وباختصار كل المهتمين بالعالم العربى والاسلام ان يروا الامور بمنظار اكثر اعتدالا ، فى الحدود التى تسمح لهم فيها اعمالهم بالمحافظة على الاتصال المستمر مع رجال العالم العربى والاسلامى ، ومع ماضيه وحاضره وآثاره .

أما بالنسبة لصحفى مختص فى الشؤون العربية المعاصرة ، ولكنه لا يريد ان يقصر اهتمامه على جانب

الحواجز التي منعت أوروبا من فهم العرب

وهل يمكننا ان ننسى ان اسبانيا نادرا ما بلغت في تاريخها مستوى الرخاء الذي بلغته في ايام مملكة قرطبة وغرناطة (739 - 1492) ، وانها لم تستطع ان تنفلت من قبضة محاكم التفتيش التي اعقبت تاريخ الاسلام ؟

وهل يمكننا ان نجهل ذكرى «بواتي» وذكر الحروب الصليبية لم تمنع «فرانسوا الاول» من الاستنجاد بالخليفة العثماني سليمان الثاني في القرن السادس عشر ليواجه سيطرة «شارل كان» على البحر الابيض المتوسط ؟

وهل يمكننا ان ننسى ان فرنسا الجمهورية قد تابعت باستمرارية رائعة سياسة التعاون ، التي كان يسير عليها النظام الملكي قبلها مع العالم العربي الاسلامي ؟ وهل يمكننا ان ننسى اخيرا ان كتاب دائرة المعارف الفرنسية انفسهم كانوا يعطون المفكرين والفلاسفة المسلمين كمثال على التسامح ؟ وان «التعصب» الذي كثر عنه الحديث هو ظاهرة متأخرة نسبيا ، ارتبطت بظاهرة أخرى هي الاستعمار فكان في الحقيقة عبارة عن رد فعل دفاعي قام به جسم المجتمع .

واريد بعد هذه التحليقة التاريخية القصيرة ان استشهد بأحد كتاب القرن التاسع عشر ، وهو ميشلى ، لانه صور لنا بأقصى ما يمكن من الدقة والعمق ، المستوى الفكرى الذى كانت عليه أوروبا في القرن السادس عشر . ان نظرة هذا الكاتب ما تزال بالنسبة إلينا نحن ابناء القرن العشرين ، غنية بالمعلومات . يقول ميشلى : « باستثناء البندقية وبعض الفرنسيين ، لا نجد رجلا في اوربا يعرف شيئا

نزاع خطر بين الكنيسة والخلفاء المسلمين ، كما لم يمنع الحجاج المسيحيين من التوجه الى القدس . فهل نقول هذا في كتبنا المدرسية ؟ وهل يمكننا ان ننسى ان الصليبيين في حربهم كانت لهم أسباب لا علاقة لها بالدين ولا بالآخرة اطلاقا ؟ وهل ننسى ان صقلية في عهد روجي الثاني و فريديريك الثاني في القرون الوسطى كانت مهدا للثقافة الاسلامية المسيحية والتي كان يفتخر فيها الاوربيون بانهم يتكلمون اللغة العربية ؟

لننظر الآن كيف كتبنا نحن هذا التاريخ ، ولنفتح قاموس «لاروس الكبير» الذى يستغرق عشرة أجزاء . اننا لا نجد فيه أى ذكر «لروجي الثاني» ولا «لفريديريك الثاني» واننا نجد في كلمة صقلية هذه المعلومات : « تعرضت صقلية للغزو العربى ، ولكن اللغة اليونانية واللغة اللاتينية لم تمحيا منها . . وازدهرت في هذه الفترة الآداب والهندسة المعمارية . . وقد هزم «هوتفيل» العرب ، وحرر الجزيرة من سيطرتهم ، وجعل صقلية مركزا لمملكة مزدهرة قوية . . وقد احترم «النورمان» شعائر الاسلام وتقاليده أهله » .

ونلاحظ في هذا النص اختيار الكلمات والتعابير بعناية . ولكن ما هو الشعور الذى نخرج به من قراءته . الا ان الغزو النورماندى كان أكثر حضارة وأكثر تسامحا من حضارة وتسامح العرب ؟ ومع هذا يكفي ان يزور المرء هذه الجزيرة الجميلة ، ويستنطق الهندسة المعمارية فيها وحدها ليعرف انها كانت ملتقى رائعا لتعاون الحضارتين النورماندية والعربية.

«شارل مارتيل» قد هزم العرب سنة 732 ، وبقيت صورة العرب في ذهني وأنا طفل ، هي صورة الهمج الذين قدموا من آسيا الوسطى في القرن الخامس غازين اوربا وخاصة فرنسا . وذلك لان تلك الكتب لا تذكر لنا الى جانب ذلك ان العرب قد اقاموا حضارة في اسبانيا من ألمع الحضارات ، حضارة لم تكن تدانيها حالة فرنسا اذاك وحالة بقية اوربا .

وفي اواسط القرن التاسع عشر ، اختل التوازن القديم بفعل الاستعمار . وفي النصف الثاني من القرن العشرين جاء دور القضاء على الاستعمار بفضل حركات التحرير ، ولكن هذا لم يعد يخلق بعد توازنا جديدا ، يصبح فيه التعاون قائما مقام علاقات القوة في كل الميادين ، ولم يخلق فكرا جديدا ، ولم ينظم اعترافا حقيقيا بوجود عدوتين للبحر المتوسط . ولكن في الوقت الذي بدأ فيه تراجع المد الاستعماري ، جاءت المشكلة الاسرائيلية العربية لتضيف حاجزا جديدا يخفي كثيرا من الحقائق ويعرقل التقارب المنتظر .

الحاجز السياسي :

وهنا نصل الى الحاجز الثالث ذي الطابع السياسي ويكفي ان نفتح أعيننا وأذاننا ، لنسمع الاذاعات ، ونبصر التيلفزيون ، ونقرأ الصحف ، فلا نجد لها في مجال الاخبار تذكر شيئا عن العالم العربي الا اذا وقعت فيه توترات داخلية ، أو أمر يتعلق بالنزاع العربي الاسرائيلي في الشرق الاوسط . وحتى في هذه الحالة يذكرون العرب كما لو كانوا امة لا ماضي لها ، ولا تقاليد ، ولا حياة خاصة بها ، ولا نظرة الى المستقبل ، وانتظرنا عندنا في فرنسا سنة 1971 لكي نرى في التيلفزيون سلسلة من الحلقات ، وهي

عن الشرق . وعند ما أفل نجم البندقية ورثت عنها فرنسا دور الوساطة بين الاسلام والمسيحية ، أي بدور انقاذ اوربا . لقد أصبحت فرنسا بعد البندقية ، وباعانة الاتراك ، هي المدافع عن المسيحية حتى لا تقضى على نفسها ، فحفظتها من ان تقضى عليها اسبانيا ومحاكم تفتيشها . لهذا يجب ان نحیی الرجال الاحرار ، ذوي الافكار والشجاعة ، الذين كانوا من باريس والبندقية من ناحية ، ومن اسطيمبول من ناحية أخرى . يمدون ايديهم بعضهم الى بعض عبر القارة الاوربية ، لينقذوها . فلتقشعر الارض ، ولترعد السماء . فان ما حصل ، بفضل الجراحة اللادينية ، والعمل المقدس ، الذي تم من خلال التصالح بين اوربا وآسيا ، هو الذي خلق التوازن الجديد . والنظام الاعظم للعصر الحديث ، وهو كون الانسجام المسيحي قد ترك واختفى وترك المكان للانسجام الانساني .

ان هذه النزعة الانسانية هي التي يجب علينا نحن اليوم ان نوليها الصدارة من اهتمامنا . ولكن بالرغم من وجود بعض الرواد في هذا المجال ، فانه يخيل الى اننا ما زلنا بعيدين عن هذه الغاية . ذلك انه - بعد الحاجز التاريخي الذي نكتبه ونقرؤه - يقوم في طريقنا الحاجز المجتمعي ، و «الكليشيات» المعادية للعرب ، والضاربة بعروقها في اعماق الكثيرين منا ، يرجع تاريخها الى حد بعيد ، للعهد الاستعماري ، ان الاستعمار لكي يبرر وجوده من الناحية الاخلاقية ، عمد الى التنقيص ، او تشويه ، بل الى انكار القيم العربية الاسلامية اطلاقا ، ولناخذ مثلا صارخا على ذلك ، أذكر ان كتب التاريخ التي تعلمتها في المدرسة ، كانت تقف عند القول بأن

الخواجز التي منعت أوروبا من فهم العرب

انها جزء من التراث العالمى ، تعتبر من أهم العوامل التي أوجدت عندنا هذه الظاهرة الغريبة .

ان الحروب التي تطاحت فيها فرنسا والمانيا وبريطانيا وايطاليا لم تحملنا على أن نحذف من كتبنا المدرسية ، ومن مسرحنا - شكسبير ، وموليير ، وجوته ، ودانتى ، بل ان بقاء هذه الشخصيات في برامجنا المدرسية والمسرحية ومؤلفاتنا الادبية هو الذى أعان على تحقيق التصالح بعد مرور فترة الحرب بين هذه الدول .

وفى مقابل ذلك متى واين يقظنا فى طلابنا وتلاميذنا روح الاهتمام بالبحث عما قدمه للثقافة العالمية ابن خلدون الاب الاول لعلم الاجتماع ، وابن رشد وابن سينا اللذين طبعا بطابعهما القوى تفكير القديس «توما الاكوينى» و «ديكارت» ؟

من منا لا يعرف رحلات «ماركو بولو» ؟ ولكن من منا يعرف شيئا عن ابن بطوطة الذى لا تقل قصص رحلاته روعة عن قصص «ماركو بولو» ؟

اعرف ان موضوع ملتقانا هذا يتعلق بالتبادل القائم فى الوقت الحاضر ، ولكن هذا التبادل يدخل فى اطار ، وجهلنا بالماضى ليس من شأنه ان يهى احسن الظروف للتلاقى . واليوم ، كم عدد القصص العربية المعاصرة التي ترجمت فى اوربا كلها ؟ وكم هو عدد الناشرين الكبار الذين اهتموا بها ؟ وفى ميدان علم الاجتماع للعالم العربى المعاصر ، نجد الثغرات والنقائص اقل مما فى غيره ، وهذا على الاقل فى مستوى الباحثين ، ولكن أى مجهود بذل فى مستوى التوزيع والتعريف والتبسيط الذى يمكن الجمهور من التعرف على هذا الميدان ؟

من التعاون الفرنسى الايطالى ، عن تاريخ الاسلام . ومن حسن الحظ ان التعليق على هذه السلسلة قد عهد به الى مثقف كفء بالعربية هو السيد «أندرى ميكيل» . وكان علينا ان ننتظر ايضا سنة 1972 ، لكى يعطينا «جان مارى درو» صورا ذكية ومحمسة عن مصر .

واليوم وانا انتهق من كتاب الفته أنا وزوجتى ، عن «سياسة فرنسا نحو العالم العربى» عثرنا على حقيقة هى أشبه بسخرية القدر ، او بالتناقضات المذهلة ، وهى ان الاوربيين اليوم أصبحوا يعرفون عن شؤون العالم العربى الاسلامى اقل مما كانوا يعرفونه الى عهد حفر قنال السويس سنة 1869 .

اننى أبعد ما اكون عن انى أنكر صدور مؤلفات عندنا عن العرب ، تعتبر فى الدرجة الاولى من حيث الاهمية والمستوى ، ولكن ماذا يباع من هذه المؤلفات ؟ ألفان ، ثلاثة آلاف ، خمسة آلاف نسخة على أكثر تقدير . فكيف نفسر هذا الاهتمام الهزيل الذى تلقاه عندنا الكتب المؤلفة عن العالم العربى ، فى الوقت الذى ازداد فيه عدد السكان زيادة هامة عما كان عليه منذ قرن مضى ، وفى الوقت الذى يزداد فيه السواح نحو العدو الاخرى من البحر الابيض المتوسط ؟

ليس الامر اذاً أمر التكوين الذى ننصهر فى قلبه ، وامر الاخبار التي تقدم الينا ؟

ان الصورة المنفرة التي تقدم الينا عن العالم العربى ، والتي لا تميز بين سياسة هذه الدولة او تلك ، وتترك كل واحد منا حرا فى الحكم عليها ، وكذلك نوعية الثقافة التي نتلقاها ، والتي نفترض

العصور . ولكن هذه الحقيقة تصدق اليوم أكثر من أى وقت فى الماضى ، حتى ولو كانت هذه الحقيقة لا تبدو بديهية لدى المجتمعات التى تقدم لها المعلومات والاخبار تقديمًا ناقصًا أو مشوها .

فى الوقت الذى أصبح فيه البترول حيويًا لأوروبا وتمثل البتروكيمياوية وحدها من 40 إلى 50 فى المائة من الانتاج الصناعى لبلدان أوروبا الرئيسية فى السوق الأوروبية المشتركة فإن ما هو حيوى بالنسبة للدول العربية مهما كان نظامها السياسى هو التطور الصناعى ، ألا يوجد هنا ميدان واسع مفتوح للتعاون ، تعاون يبدو لنا ذا أهمية أساسية؟ ان بعض رجال الاعمال ، يخشون ، دون أن يقولوا ذلك صراحة ، ان يخلق التطور الصناعى القوى فى البلدان العربية ، منطقة جديدة للتنافس ، والواقع ان تطوراً كهذا يخلق امكانيات جديدة للتبادل حتى ولو أدى ذلك الى تلاؤم جديد فى هذا القطاع أو ذاك . ولكن ما هو أساسى ، هو ان هذا التطور يكون اكبر ضمان لاستقلال الدول العربية ، وفى الوقت نفسه هو أفضل وسيلة ، ان لم يكن الوسيلة الوحيدة ، التى تمكنها من الافلات من السيطرة الاجنبية . واستقلال العالم العربى وتدعيم اركانه يكون بالنسبة لدول البحر الابيض المتوسط الأوروبية وللدول الأوروبية الاخرى ايضا ، ضماناً لاستقلالها الخاص . وان الوعى بهذا التكامل والتضامن بين عدوتى البحر الابيض المتوسط ، هو الذى يمكننا من النجاح فى المحافظة على القيم التى تمتاز بها الحضارات القديمة التى تعز علينا ، ونستطيع أن نستخرج منها انسانية جديدة .

أما ما يتعلق بالمفكرين فى العالم العربى ، فإن بعض الاوساط عندنا تتجاهل اهميتهم ، بل ولا تعترف بوجودهم اطلاقاً .

لنرجع مثلاً الى الملتقى الذى عقد فى «لوفان» فى أكتوبر 1970 ، والذى كانت أهم البحوث فيه قد نشرت تحت عنوان « نهضة العالم العربى » ، وقراءة هذا السجل الكبير من شأنها ان تعدل من رأى المتشائمين ، وتزيد من معلومات الآخرين ، ولكن يحسن هنا ايضا ان نضع السؤال : كم من صحيفة وكم من اذاعة تحدثت عن هذا الملتقى ؟

لعل من المناسب ان نقول كلمة ايضا عن تعليم اللغة العربية عندنا ، تلك اللغة التى قال عنها ماسينيون انها ضرورية لسلامة العالم ، كضرورة الانجيل لسلامة المسيحيين . ان فرنسا من بين الدول الأوروبية كلها ، هى الدولة الوحيدة التى تعلم هذه اللغة فى مدارسها الثانوية ، ولكن فى فرنسا كلها لا يتجاوز عدد الطلاب الذين يتعلمونها الخمسمائة طالب .

ان كل هذه النقائص التى أتينا عليها فيما يتعلق بتلاقى الثقافتين العربية والأوروبية تبدو غريبة ولا مبرر لوجودها ، خاصة وان التبادل فى الميدان الاقتصادى يبلغ أقصى درجات الأهمية بين عدوتى البحر الابيض المتوسط . ان أوروبا هى المصدر الاول للعالم العربى ، وهى فى نفس الوقت المستهلك للبترول العربى .

وفى الوضعية التى تهمنا هنا - وهى وضعية البحر الابيض المتوسط - نجد الاقتصاد غير منفصل عن الحضارة والثقافة . هكذا كان الامر منذ أقدم

الحواجز التي منعت أوروبا من فهم العرب

صحيح، ولكنى اعتقد ان هذا الدور يعود الى اصدقاءنا العرب عند ما يتحدثون عن مشاكلهم الخاصة . وارىد ان اضيف مع ذلك . بأن التجربة علمتني ما يلي ، وهو :

ان العرب يعملون جهدهم على ازالة الحواجز ورفع الستائر المنسدلة ليتصلوا بالجانب «الآخر» ، وذلك في الحدود التي يشعرون فيها بان «الآخر» يبادلهم التفاهم والتعاطف اللذين ، بدونهما ، لا يمكن ان يتحقق تلاق ولا حوار ، وهم في هذا الميدان يبرهنون عن حدس لا نملكه نحن في أغلب الأحيان .

ان هذا يتطلب منا حتما ان نتغلب على بعض التناقضات ، وان نهتم على الفور بمداواة آثار الجراح التي خلفتها النزاعات القديمة ، أو الحديثة ، ويتطلب هذا من اوروبا خصوصا ان تعتمد الى عملية انتزاع الفكر الاستعماري من دماغها . ويجب ان نتجاوز التحرر من الاستعمار الثقافي الى التعاون الثقافي ، وهذا يفترض ان يعترف كل منا بأن «الآخر» له شخصيته الكاملة .

يمكن ان اتعرض هنا للملاحظة وهي انى لم اذكر الا الحواجز والعراقيل القائمة من الجانب الاوربي ، وان هناك حواجز اخرى قائمة من الجانب العربي . وهذا



الشيء العور بالعدالة

رسالة عمر ابن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري

لقد عرف عمر بن الخطاب بتمسكه الصارم بالمبادئ حتى ولو كان ذلك على حساب نفسه أو على حساب أسرته . وكذا كان يعامل المسلمين جميعهم مهما كانت رتبهم ومهمهم امتازت مكانتهم الاجتماعية . وكان يأبى إلا أن يتابع بنفسه النزاعات والمخلافات عند نشوبها وينظر شخصياً في صيغ الأحكام التي كانت تصدرت عهد عهده للث فيها . كما اشتهر عمر برسالته الرامية إلى تطهير واستقامة العلاقات بين الناس بعضهم بعضاً : بين الحاكم والمحكومين وبين القضاة والمتقاضين . وهما في إحدى رسالته التي بعث بها إلى أبي موسى الأشعري :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس سلاو عليك . أما بعد فإني القضاء فريضته محكمة وسنة مبيعة فافهم إذا أدت إليك فإنه لا ينفع تكله بحق لانفاذه . واس بين الناس في وجهك ومجلسك وغذ لك حتى لا يطمع شريف في خيفك ولا يئأس ضعيف من عدلك . البينة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلاصلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً . ولا يمنع قضاء قضيتك بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم فيما للخلاج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرف الأمثال والأمثلة وقيس الأمور بأشياءها . وأجعل للمدعي حقاً غائباً أو بينة أمداً ينتهي إليه فإن أحضر بينة أخذ بحقه . ولا وجهت القضاء غلبي . فإن ذلك آجلى للعي وأبلغ للعذر . المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حدة أو مجرباً في شهادة زور أو ظنيئاً في ولاء أو قرابة فإن الله سبحانه وتعالى تولى منكم السرانز وذرأ عنكم بالبينات . وليناك والعلق والضجر والتأذي للناس والتشكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحرم بها الذخر . فإنه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو علم نفسه يكفه الله ما بينه وبين الناس ومن تزيت للناس بما يغلو الله منه غير ذلك مشانه الله

دور التراث العربي في

تحديد نظرة العرب
لأنفسهم ولأوروبا

في القرن التاسع عشر

تؤرخ الحركة الفكرية العربية بالقرن التاسع عشر لعصر النهضة العربية الحديثة ، إذ في هذا القرن بدأت في العالم العربي ، وبالذات في مصر ، عملية التفتح على أسباب الحضارة والتعرف على وسائل التقدم ، وبدأ الإنسان العربي منذ ذلك التاريخ يدرك مكانه من حركة التقدم الإنساني ، ويعقد المقارنات بين مكانه ومكانته وبين ما وصل إليه غيره ، خصوصا في أوروبا ، وأوروبا البحر المتوسط بالذات *

محمد عمارة

مندوب جمهورية
مصر العربية

قيدا واضحا عجز القوى الاقطاعية العثمانية ومعها الرجعية الدينية التي كانت تبرر لها مظالمها واستعمارها للعرب باسم الاسلام .

كما بدا واضحا عجز الممالك ، اولئك الفرسان الاقطاعيون الذين ركبوا الموجة لعدة قرون في البلاد العربية لما أحرزوه من انتصارات حربية ضد الصليبيين والتتار .

كما بدت واضحة مخاطر ذلك التحدي الاستعماري الأوربي الجديد ، ذلك الذي ورث فيه البورجوازية الاوربية - مسلحة بالحضارة الحديثة - دور أمراء الاقطاع في العصور الوسطى في محاولات التوسع والاستعمار بالوطن العربي . تلك المخاطر التي تجلت بعد حملة بونابرت في الحملة الانجليزية التي قادها الجنرال « فريزر » ضد مصر سنة ١٨٠٧ م . وفي الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة ١٨٣٠ م والاحتلال الانجليزي لعدن سنة ١٨٣٨ م واشتراك انجلترا مع العثمانيين في مناوأة الجيش المصري بالشام سنة ١٨٤١ م ثم احتلال تونس سنة ١٨٨١ م واحتلال مصر سنة ١٨٨٢ م . الخ . الخ . وإذا كان تكشف عجز العثمانيين والممالك قد أبرز دور القوى الاجتماعية الجديدة ، والعنصر الوطني الأصيل ، في مصر خاصة والبلاد العربية الأخرى بوجه عام ، فإن هذه القوى الاجتماعية الوطنية لم تواجه التحدي الاستعماري الأوربي بالانطواء على الذات والعزلة بعيدا عما يمثلها الانسان الأوربي الذي طرق باب الشرق بالعنف في ذلك الحين . وذلك لأسباب من أهمها :

١ - أن النظام الاستعماري ، الذي كان بسبيله الى أن يصبح نظاما عالميا ، وبما يملك من وسائل الحضارة الحديثة النامية ، قد أخذ يضيق المسافات بين القارات ، وذلك تمهيدا لمحاولة الغائها ، مما

ولقد كان هذا التفتح وتلك المقارنة البداية لعمليات من القلق والمعاناة ومحاولات من الخطا والصواب ، وحركات ثورية وأخرى اصلاحية وانجازات ناجحة أو مخففة قام بها وحاولها وحققها الانسان العربي على طريق نهضته وتقدمه ، محاولا بكل الوسائل تجاوز العصر المظلم الذي ساد عالمه منذ أن غابت عنه شمس ازدهار الحضارة العربية ، وبالأذات منذ أن بدأ العصر المملوكي سنة ١٢٥٠ م ، والذي ازداد ظلاما وتخلقا تحت حكم الأتراك العثمانيين الذي بدأ في سنة ١٥١٧ م .

كانت شعوب الوطن العربي احتكت من قبل بأوروبا خلال الحروب التي نشبت في العصور الوسطى والتي عرفت باسم الحروب الصليبية (١٠٩٧ - ١٢٩٤ م) ، ولكن الاحتكاك الذي حدث مع بداية القرن التاسع عشر قد أثار في العالم العربي مالم يثره ذلك الاحتكاك القديم . فخلال الحروب الصليبية كان العرب ، حضاريا ، في مكان رفيع ومتقدم اذا ماقيسوا بأمراء الاقطاع الأوربيين الذين قادوا حملات الغزو تحت شعارات المسيحية وصليب المسيح . أما في هذا الاحتكاك الأخير ، والذي مثلت حملة بونابرت ثلاثه سنة ١٨٩٧ م ، فلقد كان الوضع على النقيض . العرب أسرى التخلف الحضاري الذي كرسه العثمانيون ، بينما الحضارة في أوروبا قد قطعت شوطا كبيرا على طريق الازدهار .

ولقد أسهم هذا الاحتكاك العنيف بين العرب والأوربيين في تفجير وإبراز وتنمية عوامل المقاومة في الانسان العربي ، مما كشف عن عجز القوى الاجتماعية التي سادت في عصور تخلقه ، وأفسح بعض الطريق لقوى اجتماعية جديدة كي تبدأ صفحة جديدة في كتاب تطور هذا الانسان .

التراث العربي الاسلامي ..

الفروسية في هزيمة موجات الغزو الصليبي ويطردوا آخر قلولها من حصن « عكا » سنة ١٢٩٤ م .

فهو اذا النظر الى الذات ، ونقد الواقع ، ومحاولة التخفف من قيوده ومعوقاته ، وكذلك النظر الى الخصم ، ومحاولة التعرف على عوامل قوته وأسباب تفوقه ، ثم استعارة ما يمكن هضمه وتمثله واقلمته من هذه العوامل والأسباب . كان ذلك هو سبيل شعوب الامة العربية في صراعاتها التاريخية القديمة الشهيرة ، على اختلاف طبيعتها ، وكان هذا هو سبيلها في القرن التاسع عشر عندما وقفت وجها لوجه أمام تحديات الاستعمار الأوربي الحديث ومخاطره .

ويجسد لنا هذه الحقيقة ويبرزها اننا لا نبصر بين كبار المفكرين العرب الذين قادوا عملية البحث والاحياء للوطن العربي في القرن التاسع عشر ، على اختلاف منطلقاتهم وتعدد بيئاتهم ، من دعى الى مواجهة تحديات أوربا الاستعمارية والتصدي لما تمثله بالعزلة والتقوقع والانطواء على الذات . وانما نجد القسمة المشتركة بين هؤلاء المفكرين والقادة والثوريين والمصلحين هي الدعوة للانفتاح على أوربا وتجديد صلاتنا بها ، بل وتوثيق هذه الصلات ، والتعلم منها ، كما سبق لها أن تعلمت من الحضارة العربية في فترة ازدهارها ، والمواءمة بين ما يجب بعثه مما هو صالح للتطور والتطوير من تراث العرب والمسلمين وبين ما لابد لهؤلاء العرب والمسلمين من استعارته ووعيه وتمثله من الانجازات الحضارية للأوربيين .

جعل التفكير في مواجهته بالعزلة والتقوقع ضربا من الوهم وخداع الذات .

٢ - أن الشعوب العربية - وهي ليست فريدة في ذلك - كانت لها تجارب سابقة في صراعاتها التاريخية ، تعلمت منها أن من أهم الاسلحة فعالية في هذه الصراعات أن تبصر العوامل التي تحقق تفوق أعدائها ، وتجتهد لتحصيلها وامتلاكها تمهيدا لاستخدامها والاستفادة منها في هذه الصراعات . صُنعت ذلك عندما واجهت الصراعات الفكرية التي تعرض لها الاسلام على يد تيارات فكرية مثل « المانوية » و « الغنوصية » و الصابئة » والنساطرة (١) و « اليهود » بعد أن فتح العرب البلاد التي كانت تتوطن بها شعوب تؤمن بهذه المذاهب والأديان ، وفي هذا الصراع الفكري تسليح العرب المسلمون ممثلين يومئذ في حركة « المعتزلة » - تسليحوا بأدوات المنطق الأرسطي ، والفلسفة اليونانية ، واستخدموا هذه الادوات كأسلحة عربية اسلامية ، ضد هؤلاء الخصوم الذين كانوا مسلحين بهذه الادوات .

وفي العصور الوسطى ، وبعد نجاح الموجات الأولى للغزو الصليبي ، نظر العرب المسلمون مليا في حركة الفروسية التي كان يمثلها يومئذ أمراء الاقطاع الأوربيون الغزاة ، وأدى ذلك الى نشأة نظام الفروسية عند العرب ، ذلك الذي قامت على أساسه « الدولة الزنكية » في « الموصل » سنة ١١٢٧ م ، والتي خلفتها في تبنيها « الدولة الأيوبية » عندما قامت بمصر سنة ١١٧١ م ، واستطاعت هي ، والمماليك من بعدها ، أن يستخدموا المؤسسات العسكرية القائمة على نظام

(١) « المانوية » هم اتباع « ماني » (القرن الثالث الميلادي) ويقولون بالهين - النور والظلمة - للخير والشر ، (والبنوصية) - نسبة الى « غنوصيس » - حركة فلسفية ودينية نشأت في العصر الهلنستي ، وهي تقول بالخلاص عن طريق المعرفة . « الصابئة » ديانة قديمة عاش أصحابها بشمال العراق ، وأسهموا في الحركة العربية ، زمن الحكم العباسي . « والنساطرة » هم اتباع «نسطوريوس» بطريرك القسطنطينية . الذي اعترض على تسمية مريم العذراء بأم الاله . واستقرت تعاليمه بالكنيسة الفارسية

نجد ذلك عند أبرز هؤلاء المفكرين والقادة والمصلحين والثوريين ٠٠ وفى مقدمتهم : رفاعه رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣ م) وجمال الدين الافغانى (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) ومحمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) وعبد الرحمن الكواكبي (١٨٥٤ - ١٩٠٢ م) وغيرهم من الذين تركوا بصمات افكارهم على هذه الحقبة ٠

ويكفى أن نعلم أن الطهطاوى - وهو الرائد لحركة البحث والتجديد فى الوطن العربى - قد اعتبر الصلات التى تجددت بين العرب ، وخاصة مصر ، وبين أوروبا فى القرن التاسع عشر من أهم الانجازات التى قام بها نظام حكم « محمد على » ، واعتبر هذه الصلات الحضارية « الدواء الشافى والعلاج المعانى » للداء الذى عانى منه العرب لعدة قرون فكتب يقول : انه « لو لم يكن للمرحوم محمد على من المحاسن الا تجديد المخالطات المصرية مع الدول الأجنبية ، بعد ان ضعفت الامة المصرية بانقطاعها المدد المديدة والسنين العديدة ، لكفاه ذلك ، ففقد اذهب عنها داء الوحشة والانفراد ، وأنسها بوصول أبناء الممالك الأخرى والبلاد ، لنشر المناقع العمومية واكتساب السبق فى ميدان التقدمية (١) » وأنه قد اعتبر المخالطة « مغناطيس المناقع » ورأها مع العمل الوطنى طريق التطور، ورأى أن الحرية هى سبيلهما ، وأبصر أنه لابد للمخالطة التى تؤدى الى « كسب المعارف العمومية » من أن تصاحبها « المحبة الوطنية » كي يتأتى لنا « ابلاغ الوطن المطلوب » ٠٠٠ ولم يقزع الطهطاوى من أن تكون هذه المخالطة نتيجة صراع استعماري تشنه أوروبا مثلا على الوطن العربى ، اذ من الممكن والضرورى للعرب أن يستفيدوا جوانب

ايجابية من خلال الاحتكاك الذى يصاحب هذا الصراع فهو يقول : ان « مخالطة الأعراب ، لا سيما اذا كانوا من أولى الألباب ، تجلب للأوطان من المنافع العمومية العجب العجائب ، ولو كانت مترتبة على التغلب والاغتصاب ، فربما صحت الأجسام بالعلل ٠٠!! ٠٠ (٢) ولم يكن الطهطاوى فريدا فى هذا الموقف ، بل كان معه فيه ، وان يكن بدرجات متفاوتة ، أبرز اعلام الفكر العربى فى ذلك القرن ٠

ولما كان الهدف المنوط بهذا البحث هو ابراز دور التراث العربى الاسلامى فى تحديد نظرة العرب لأنفسهم ولأوروبا فى القرن التاسع عشر ، فلقد أثرنا أن يكون عرضا لبعض الآثار التى قدمها عدد من المفكرين العرب حول أهم وأبرز القضايا التى استهدفوا من خلالها بحث شعوب أمتهم كى تنفصل من نطاق التخلف العثمانى والملوكى وتتصدى للوجه الاستعماري الأوروبى وتبنى كيانها الذاتى المستقل والمتقدم ٠٠ وهى الآثار التى وضع فيها اثر التراث العربى الاسلامى - الذى ألم به هؤلاء المفكرين ووعوا آثاره حسب طاقاتهم ومواقفهم الفكرية - كما وضع فيها أثر الصلات الفكرية التى كانت بين هؤلاء المفكرين وبين الحضارة الأوربية التى تفتحت عليها عيونهم وقلوبهم وعقولهم منذ أن وطئت أقدام رفاعه الطهطاوى أرض باريس سنة ١٨٢٦ م ٠

فهم مفكرون قد نشأوا وتكونوا فى محيط الثقافة العربية الاسلامية ، ثم انفتحوا على الحضارة الأوربية فكانت معالجاتهم للقضايا معاصرة بقدر ما هى ضارية بجذورها فى أعماق تراثنا القديم ، وكانت مقارناتهم بين ما أنجزته الحضارة الأوربية الحديثة وبين ما أنجزته الحضارة العربية فى عصر ازدهارها

(١) الطهطاوى (مناهج الالباب المصرية فى مباحث الآداب العصرية) الباب الرابع - الفصل الثالث .

(٢) المصدر السابق - الباب الثالث - الفصل الثالث .

القرن الماضي ٠٠ والمدى الذى بلغه فى ذلك ٠

الموقف من العقل :

بمقدار الصدام الفكرى والعملى بين المفكر العربى ، فى القرن التاسع عشر ، وبين السلطة العثمانية ونمط تفكيرها ، كان اقتراب هذا المفكر أو ابتعاده عن الايمان بالعقل وقدراته فى ميدان البحث والنظر ، ومدى الثقة الممنوحة له فى تقدير الحقائق واستكشاف المجهول ٠

فجمال الدين الأفغالى ، وهو الذى تزعم تيارا فكريا وسياسيا عقلانيا وثوريا ، نجد صدامه مع الرجعية الدينية العثمانية ، ونمط الحياة العثمانى ، ونظامهم السياسى ، أحد الدوافع التى ابرزت لديه الموقف العقلانى ، وجعله يؤمن بالقدرات غير المحدودة للعقل الانسانى فى البحث واستكشاف المجهول ٠٠ كما نجد فى موقفه ووعيه للتراث العربى الاسلامى عاملا هاما فى عقلانيته هذه ٠

فهو فيما يتعلق بالعقائد الاسلامية ، والقضايا الخلافية التى ثارت بين علماء الكلام الاسلاميين كان يميل الى مذهب « الماتريدية » (١) ، وهم تيار فكري وسطى يقترب من عقلانية « المعتزلة » اكثر من اقترابه من « الاشعرية » (٢) المحافظين ٠

وهو فيما يتعلق بالموقف من التراث الصوفى فى الفكر الاسلامى كان اقرب الى « التصوف الفلسفى » او « التصوف العقلانى » - ان جاز التعبير - منه الى التصوف العملى القائم على « التنسك » و « الذوق » و « الحدس » ٠٠ فمعروف عنه تقديره الكبير للشيخ محى الدين ابن عربى (١١٦٥ - ١٢٤٠ م) الذى يعد من أبرز اعلام التصوف الفلسفى فى الفكر الاسلامى ٠

٠٠ كان ذلك هو الأساس الذى جعل من آرائهم نماذج اتحدت فيها نظرة العرب الى ذواتهم بنظرتهم الى أوروبا فى ذلك الحين ٠

أما القضايا والأفكار التى تصلح ، كأمثلة ، من تراث هؤلاء المفكرين والقادة والمصلحين والثوار فإنها كثيرة منها مثلا :

١ - الموقف من العقل ، فى بيئة سيطرت عليها لعدة قرون مناهج العثمانيين الرجعية والجامعة والمحافضة ، وسادت فيها « النصوص » وزحزحت سلطان العقل والفلسفة عن عرشه ٠٠ ذلك الأمر الذى تجلى فى اضطهاد « ابن رشد » (١١٢٦ - ١١٩٨ م) فى البيئة العثمانية ، وإعلاء شأن « الغزالى » (١٠٥٩ - ١١١١ م) وإطلاق العنان للحركات الصوفية ، وسيادة الشعوذة وانتشار الخرافات ٠

ما موقف هؤلاء المفكرين الجدد من العقل والمنهج والعقلانى فى التفكير ؟؟ وكيف نظروا للتيار العلمانى الأوروبى ؟؟ وكيف عالجوا هذه القضية فى بيئتهم العربية الاسلامية ؟؟ ٠

٢ - الموقف من الديمقراطية البورجوازية ، التى بشر بها بونابرت فى مصر ، والتى شاهدها الطهاوى فى باريس ؟؟ وكيف رآها هؤلاء المفكرون فى ضوء تراثهم العربى الاسلامى ، وفى ضوء الاحتياجات الملحة للتخلص من أسلوب الحكم العثمانى الاستبدادى ، وليبعث الروح فى الحركة الجماهيرية كى تسهم فى صد الغزو الاستعمارى الأوروبى ؟؟

تلك هى بعض القضايا التى يمكن بواسطتها ان تبرز كيف لعب التراث العربى الاسلامى دورا فى تحديد ملامح نظرة العرب لأنفسهم وإلى أوروبا فى

(١) الماتريدية هم اتباع أبو منصور الماتريدى (المتوفى سنة 944 م)

(٢) الاشعرية هم اتباع أبى الحسن الاشعرى (873-94٢ م) وهو تيار فكري فى العقائد الاسلامية نشأ مناقضا للمعتزلة واتجاههم العقلانى ٠

طار بأسرع من العقبان ، وغاص فى البحار يسابق
الحيتان ، وسخر البرق ، بلا سلك ، لحمل أخباره ؟
وتحدث عن بعد شهر مع غيره كأنه قلاب قوسين أو
أدنى • وهل يبقى مستحيلا إيجاد مطية توصله للقمر
أو الأجرام الأخرى ؟! وما يدرينا بعد ذلك ما يأتيه
الإنسان فى مستقبل الزمان إذا هو شابر على هذا
المسير لكشف السر بعد السر من مجموع أسرار
الطبيعة التى ما وجدت الا للإنسان وما وجد الإنسان
الا لها (٢) •

ثم يرتب على علو قدر العقل علو قدر الإنسان
فى الكون ، فيقول : « أن الإنسان من أكبر أسرار هذا
الكون ، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من
أسرار الطبيعة ، وسوف يصل بالعمل وبإطلاق سراح
العقل الى تصديق تصورات ، فيرى ما كان من
التصورات مستحيلا قد صار ممكنا ، وما صورته
جموده وتوقف عقله عنده بأنه « خيال » قد أصبح
« حقيقة » •• (٣)

ولقد شارك الأفغانى فى هذه العقلانية المصلح
الدينى الشيخ محمد عبده ، لأنه كان زميل نضاله
ضد نمط الحكم والحياة والتفكير لدى العثمانيين ،
فوجه هجومه مباشرة الى ذلك المبرر الذى حاول
العثمانيون بواسطته احكام قبضتهم الاستعمارية
على العالم العربى ، مبرر وحدة الدين بين اغلبية
العرب وبين الأتراك العثمانيين •• فهاجم محمد
عبده وجود « السلطة الدينية » من أساسها ، وأعلن
أنها لا صلة لها بالاسلام ، بل وأن الاسلام يرفضها
ويدعو الى تقويضها •• وكتب يقول : « انه ليس فى

فالمصدام مع العثمانيين ، والفهم العقلانى
لقضايا التراث العربى الاسلامى ، كانا من أبرز
الأسباب التى جعلت الافغانى يقترب هذا الاقترب
الشديد من العقل والعقلانية •

فهو يقدم لنا فكرا ناضجا عن العلاقة بين
« الفكر » و « المادة » والتأثير المتبادل بينهما ،
فيتحدث عن أن (الملاحظة) « الشهود » تحدث (فكرا)
ثم يعود (الفكر) الى التأثير فى (العمل) والواقع ،
ثم تستمر علاقة التأثير المتبادل والتأثر المتبادل دائما
وباستمرار لتحدث التغيير الدائم المستمر فى
كل الأشياء ، وذلك عندما يقول : أن « كل شهود
يحدث فكرا ، وكل فكر يكون له اثر فى داعية يدعو
اليها ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل
الى الفكر • دور يتسلسل ، ولا ينقطع الانفعال بين
الأعمال والافكار ما دامت الارواح فى الاجساد ،
وكل قبيل هو للأخر عماد ، آخر الفكر أول العمل ،
وأول العمل آخر الفكر (١) •

وهذه النظرة الجدلية التى جعلت الافغانى يقيم
الواقع هذا التقييم العالى ، ويبرز اثره فى حركة
الفكر ، جعلته يؤمن بالقدرات غير المحدودة للعقل
الانسانى ، على عكس النظرة الجامدة أو المحافظة
فى هذا المجال ، فهو يعلن أنه لا حدود أمام انتصارات
الإنسان الفكرية على الطبيعة والكون والمجهول ،
شريطة أن يتحرر العقل الانسانى من قيود الأوهام ،
فيقول : انه « اذا ظفر العقل فى هذا العراك والجدال
وتغلب اقدمه على الأوهام ، واستطاع فك قيوده ،
ومضى مطلق السراح ، لا يلبث طويلا الا وتراه قد

(١) الافغانى (الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره) دراسة وتحقيق محمد عماره ص ١٥٤ طبعة القاهرة
سنة ١٩٦٨ م .

(٢) المصدر السابق - ص ٢٥٥

(٣) المصدر السابق - ص ٢٦٤ - ٢٦٥

للقاضى ؟ او للمفتى ؟ او لشيخ الاسلام ؟؟
واقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء احدى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام ، وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهى سلطة مدنية قدرها الشرع الاسلامى ، ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعى حق السيطرة على ايمان أحد ، او عبادته لربه ، او ينازعه فى طريقة نظره .. فهو يقطع - وكان يومئذ هو « مفتى » الديار المصرية وأبرز علماء الاسلام - ان سلطات « القاضى » و « المفتى » و « شيخ الاسلام » هى سلطات مدنية لا دينية .

ثم يعم هذا الموقف العلمانى العقلانى فيقيم به التاريخ العربى الاسلامى .. ويقرر ان الحروب والفتوحات التى حدثت بعد ظهور الاسلام كانت فتوحات سياسية ، ولم تكن بالحروب الدينية ، وأنها كانت ضرورة من ضرورات « الملك » لا « الدين » .. فيقول : لقد « أشهر المسلمون سيوفهم دفاعا عن انفسهم ، وكفا للعدوان عليهم ، ثم كان الافتتاح بعد ذلك من ضرورة الملك .. » وهذا ينطبق على الحروب التى دارت بين الفرق الاسلامية ، فهى لم تكن حروب « عقيدة دينية » وانما كانت حروبا « سياسية » ، فنحن « نعرف بحروب الخوارج ، كما وقع من القرامطة ، وغيرهم .. وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف فى العقائد ، وانما اشعلتها الآراء السياسية فى طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لاجل ان ينصروا عقيدة ، ولكن لاجل ان يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الامويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة ، وهى بالسياسة اشبه ، بل هى اصل السباحة .. »

وهذا الموقف العلمانى العقلانى هو الذى جعل الشيخ محمد عبده يوافق ويصوغ فى برنامج الحزب الذى قاده الثورة العربية بمصر سنة ١٨٨١ م

الاسلام سلطة دينية ، سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة الى الخير والتنفير عن الشر ، وهى سلطة خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها انف اعلامهم ، كما خولها لاعلامهم يتناول بها من ادناهم « أى انه ليست هناك سلطة سياسية دينية فى الاسلام »

بل يذهب الى ما هو أبعد من هذا ، فيرى ان احدى المهام التى جاء لها الاسلام ونهض بها فى المجتمع الذى ظهر فيه ، والتى تعتبر أصلا من أصوله هى قلب السلطة الدينية واقتلاعها من الجذور ، فيقول : « أصل من أصول الاسلام .. قلب السلطة الدينية والاتيان عليها من أساسها ، هدم الاسلام بناء تلك السلطة ، ومحا اثرها ، حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم .. على ان الرسول ، عليه السلام ، كان مبلغا ومذكرا ، ولا مهيمنا ولا مسيطرا .. فليس فى الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه .. »

ثم يتحدث عن القائم بالسلطة السياسية فى المجتمع وهو ما يسميه المسلمون « بالسلطان » او « الخليفة » ، فيؤكد ان الأمة هى صاحبة الحق فى اختياره وانتخابه ، وهى صاحبة الحق فى السيطرة عليه ، وهى صاحبة الحق فى عزله وخلعه ، وذلك لأنه - حسب تعبير محمد عبده - « حاكم مدنى من جميع الوجوه » .

وهو لا ينفى وجود السلطان الدينى والسلطة الدينية عن القيادة السياسية العليا للمجتمع فحسب ، بل ينفى اعتراف الاسلام بها ، او اقراره لها بالنسبة لاية مؤسسه من المؤسسات التى تمارس سلطة من السلطات فى مجتمع المسلمين ، مثل المؤسسات التى تتولى « القضاء » او « الافتاء » او قيادة « علماء الدين » (شيخ الاسلام) فيكتب : « يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الدينى ، أفلا يكون

(الحزب الوطنى الحر) - المادة الخامسة التى تقول :
« الحزب الوطنى حزب سياسى ، لادىنى ، قائمه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب، وجميع النصارى واليهود ، وكل من يحرق أرض مصر ويتكلم لغتها منضم اليه ، لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات ، ويعلم أن الجميع اخوان ، وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية، وهذا مسلم به عند اخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الحزب ويعتقدون أن الشريعة المحمدية الحققة تنهى عن البغضاء ، وتعتبر الناس فى المعاملة سواء ٠٠ » .

وهذا الموقف العلمانى العقلانى ، الذى قاد محمد عبده الى الوقوف على أرض التفكير القومى ، هو الذى جعله يتصدى سنة ١٨٨٨ م - من منقاه فى بيروت - لاحدى محاولات الوقية والتفرقة بين المسلمين وبين المسيحيين المصريين ، بسبب تصرفات منسوبة لبعض الموظفين فى وزارة الحاقانية - (العدل) - يومئذ ٠٠ فطالب بالتفرقة بين الوطنى - بصرف النظر عن دينه - وبين الأجنبى المستعمر ، وكتب يقول : « أن التحامل على شخص بعينه لا ينبغى أن يتخذ ذريعة للطعن فى طائفة أو أمة أو ملة ، فان ذلك اعتداء على غير معتد ، ومحاربة لغير محارب ، أو كما يقال : جهاد فى غير عدو ، وهو مما ضرره أكثر من نفعه ، أن كان له نفع ٠٠ فليس من اللائق بأصحاب الجرائد أن يعمدوا الى احدى الطوائف المتوطنة فى أرض واحدة فيشملوها بشيء من الطعن أو ينسبوا الى شائن من العمل ، تعللا بأن رجلا أو رجلا منها قد استهدفوا لذلك ٠٠ فاذا تناقرت

الطوائف تشاغل كل منها بما يحط شأن الأخرى ، فكانت كل مساعيمهم ضررا على أوطانهم ٠٠٠ نعم ٠٠ أن كانت الطائفة أو الأمة - (أى الجماعة) - من قوم أجانب عن البلاد ، متغلبين عليها بقوة قاهرة ، أو حيلة غادرة ، وكانت أعمال آحادها مبنية على أصول سنها المتغلبون ، فيكون عمل الواحد كانه صادر عن الجملة ، كما فى أعمال الانجليز بمصر ، جاز للنقاد أن يأخذ الجماعة بأثم الواحد منهم ، ويستصرخ أبناء الوطن جميعا لكشفهم عن بلاده ، واستخلاص الحق منهم لأربابه ٠٠ » (١) .

وهذا الحسم الذى نجده عند محمد عبده فيما يتعلق بالعلمانية المؤسسة على العقلانية ، والنابعة من الوعى العقلانى للتراث العربى الاسلامى ، والصراع ضد الأتراك العثمانيين ، ورؤية الأثر التقدمى الذى لعبته العلمانية فى تقدم أوربا الحضارى ٠٠ هذا الحسم نجده عند عبد الرحمن الكواكبي ٠٠ فهو يرى أن الحكام والساسة الذين يحاولون الخلط ما بين « الدين » و « السياسة » لا يترأون بالدين الا بقصد تمكين سيطرتهم على البسطاء من الأمة » (٢) وأن موقفهم هذا لا أصل له فى الاسلام كدين ، لأنه « لا يوجد فى الاسلام نفوذ دينى مطلقا فى غير مسائل إقامة الدين » (٣) .

ولقد أبصر الكواكبي - عندما نظر الى الواقع العربى - عظم المخاطر التى تتعرض لها الوحدة المرجوة للعرب بسبب الطائفية الدينية التى تشجعها بعض الدوائر العثمانية ، كما أبصر - عندما تطلع الى آثار الدسائس الاستعمارية الأوروبية - عظم

(١) حول موقف محمد عبده من هذه القضية يرجع الى الدراسة التى كتبناها فى التقديم لأعماله الكاملة ج I (الكتابات السياسية) ص 104-109 طبعة بيروت سنة 1972 م
(٢) (الأعمال الكاملة لعبد الرحمن الكواكبي ، مع دراسة عن حياته وآثاره) دراسة وتحقيق محمد عمارة - ص 82 طبعة القاهرة سنة 1970م
(٣) المصدر السابق - ص 348

التراث العربي الاسلامي .

العرب ، يشير الكواكبي الى هذه اللعبة التي أدت الى المجازر الطائفية الشهيرة سنة ١٨٦٠ م ، فيخاطب الأطراف العربية قائلًا لهم : « اليس مطلق العربي أخف استحقاقًا لأخيه من الغربي ؟! » الغربي مهما مكث في الشرق لا يخرج عن كونه تاجر مستمتع ، هذا الغربي قد أصبح ماديًا لا دين له غير الكسب ، فما تظاهره مع بعضنا بالأخاء الديني الا مخادعة وكذبًا ٠٠ » (٢) .

فهو هنا يدعو الى الوحدة على اساس قومي ، والى اسقاط الفروق الدينية والخلافات المذهبية ، لان موقفه العلماني العقلاني قد قاده الى الوقوف على أرض الفكر القومي ، حيث رأى ان الأمة والشعب هو عبارة عن « جمع بينهم روابط جنس ولغة ووطن وحقوق مشتركة » ٠٠ (٢) ولانه كان يدعو الى « الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية » (٤) كما يقول صديقه الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥ - ١٩٣٥ م) .

اما رفاة رافع الطهطاوي فهو يقف ، عمليا ، مع هذه العلمانية والعقلانية ، لانه لم يكن مجرد مفكر ومتقف بالمعنى المتعارف عليه ، وانما كان رجل دولة حمل على كاهله عبء الاسهام في بناء التجربة « المدنية » التي قامت بمصر في عهد محمد علي (١٨٠٥ - ١٨٤٩ م) وعهد الخديو اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩ م) على انقاض النظام العثماني المملوكي الذي كان يخفي استبداده ومظالمه بستار من الدين .

المخاطر التي تحدثها هذه الدسائس على الوحدة العربية المرجوة ٠٠ فأعلن هذا الفكر العربي الشجاع ان العلاج الكفيل بتلافي هذه المخاطر وابطال مضارها هو الوحدة العربية ، على اساس قومي ووطني وجنسي ، دونما نظر للخلافات الدينية والمذهبية ، وتقدم الى قومه بهذه الدعوة ، ضاربا الأمثلة بالنجاحات التي أحرزتها مثل هذه الوحدات القومية في أوروبا وأمريكا ، فتحدث عن تلك الأمم التي تحررت وامتلكت مقدرات حاضرها ومستقبلها ، واستراحت من أخطبوط النزاعات الطائفية ، وقال : « هذه أمم أوستريا وأمريكا ، قد هداها العلم لطرائق شتى ، وأصول راسخة للاتحاد الوطني دون الدين ، والوفاق الجنسي دون المذهب ، والارتباط السياسي دون الإداري - (أى اللامركزية) - فما بالنّا نحن لا نفكر في ان نتبع احدى تلك الطرق أو شبيهها ، فيقول عقلاننا لثيرى الشحناء من الأعجام - (أى العثمانيين) - والأجانب - (أى الاوربيين الطامعين) - دعونا يا هؤلاء ، نحن ندير شأننا ، ونتفاهم بالفصحاء ، ونتراحم بالأخاء ، ونقواسى في الضراء ، ونتساوى في السراء دعونا ندبر حياتنا الدنيا ، ونجعل الأديان تحكم في الاخرى فقط ، دعونا نجتمع على كلمات سواء ، الا وهى : (فلتحيا الأمة ، فليحيا الوطن ، فلتحيا طلقاء اعزاء) ٠٠ » (١) .

ثم يشير الى دسائس الفرنسيين الاستعمارية التي حاولوا بها استخدام « الطائفة المارونية » العربية ضد « الدروز » العرب ، والذين كان الانجليز يستخدمونهم أيضا في لعبة التفرقة الطائفية بين

(١) المصدر السابق - ص ٤١٧ - ٤١٨

(٢) المصدر السابق - ص ٤١٨

(٣) المصدر السابق - ص ٤٢٩

(٤) المصدر السابق - ص ٥٠

يطمئن الذين نظروا الى هذه القوانين الاوربية باعتبارها خروجاً على الشريعة الاسلامية ، فقال لهم - وهو الواعى بتراث العرب المسلمين فى التشريع - : ان « من زاول علم اصول الفقه ، وفقه ما اشتمل عليه من الضوابط والقواعد ، جزم بأن جميع الاستنباطات العقلية التى وصلت عقول أهالى باقى الأمم المتقدمة اليها ، وجعلوها أساساً لوضع قوانين تمدنهم واحكامهم، قل ان تخرج عن تلك الاصول التى بنيت عليها الفروع الفقهية التى عليها مدار المعاملات » فما يسمى عندنا بعلم اصول الفقه يسمى ما يشبهه عندهم بالحقوق الطبيعية أو النواميس الفطرية ، وهى عبارة عن قواعد عقلية ، تحسبنا وتقبحا ، يؤسسون عليها احكام المدنية . وما نسميه بفروع الفقه يسمى عندهم بالحقوق أو بالاحكام المدنية ، وما نسميه بالعدل والاحسان يعبرون عنه بالحرية والتسوية . » (٤)

ولكن هذا الموقف الذى وقفه الطهطاوى من القوانين الاوربية ، والذى أبصر فيه وجه الشبه بينها وبين التراث العربى الاسلامى فى التشريع ، لايعنى أن الرجل قد دعا الى الاستعاضة عن التراث التشريعى العربى بالقوانين الاوربية التى عقد معها المقارنات ، بل لقد جيز الرجل استلهاهم ما فى تراث العرب التشريعى من اصول وقواعد ، وذلك بعد صياغتها الصياغة العصرية ، وبشرط أن تكون ملائمة لروح العصر وطبيعة الواقع الجديد وحسب تعبيره : بعد توقيفها على الوقت والحال » (٥) .

والفكر الوطنى والقومى لرفاعة الطهطاوى - فضلاً عن مواقفه العملية - يجعله فى المعسكر المناقض للسلطة العثمانية ونمطها فى التفكير . فهو يتحدث عن سر اختيار العثمانيين للمذهب الفقهى الذى أرسى قواعده الإمام ابوحنيفة النعمان (٦٩٩ - ٧٦٧ م) فيرجع هذا السر الى ملائمة بعض قواعد هذا المذهب لنمط الحكم المطلق العثمانى ، والى اناحة هذا المذهب الفرصة للعثمانيين - وهم أتراك غير عرب ، ولا علاقة لهم بقبيلة قريش كى يفتصبوا تعبيره : انه « بهذا كان مذهب أبى حنيفة أوفق للملوك !! » (١) . وهو يتحدث عن فتوحات الجيش المصرى فى الشام ، تلك التى هزم فيها الجيش العثمانى ، وحرر من قبضته مناطق شاسعة من بلاد المشرق العربى ، فيفتخر بها ، ويزدري الأتراك ، الذين يسميهم « الاروام » ويقول : ان هذه الفتوحات « لم تكن من محض العبث ولا من ذميم تعدى الحدود » وانما كان الهدف الأساسى من ورائها ايقاظ الامة العربية ، وبتعبيره هو : « تنبيه اعضاء ملة عظيمة تحسبهم أيقاظاً وهم رقود » (٢) .

والطهطاوى الذى انجز مع تلاميذه ترجمة القوانين المدنية والتجارية الفرنسية للدولة المصرية فى القرن الماضى ، فعل ذلك من موقف عملى علمانى، ونبه على ذلك بقوله : « ان الحالة الراهنة اقتضت أن تكون الأقضية والاحكام على وفق معاملات العصر بما حدث فيها من المتفرعات الكثيرة المتنوعة بتنوع الأخذ والاعطاء من اسم الانام » (٣) وحاول أن

(١) مناهج الالباب - الخاتمة - الفصل الثانى

(٢) المصدر السابق - الباب الرابع - الفصل الاول

(٣) المصدر السابق - الخاتمة - الفصل الثانى

(٤) الطهطاوى (المرشد الأمين للبنات والبنين) الباب الرابع - الفصل الخامس -

(٥) (مناهج الالباب) الباب الثانى - الفصل الرابع -

الطهطاوى ، والذي ساعد على التزامه به ولزومه له ان الرجل وان تناقض مع العثمانيين وأيد لوجبتهم ونمطهم الفكرى الا انه لم يدخل ضدهم صراعا فكريا كما حدث للأقفاى ، ومحمد عبده ، والكواكبى فالصراع الفكرى الذى خاضه هؤلاء ضد العثمانيين قد حسم انحيازهم الفكرى الى العلمانية والعقلانية ، بينمابقى تردد الطهطاوى ، بل وتنكره للعلمانية والعقلانية ، عندما يفكر فى المسائل الاعتقادية الدينية او فى القضايا المتصلة بهذه المسائل بسبب وثيق .

فلم يقف الطهطاوى على مقربة من تيار « المعتزلة » العقلانى فى الفكر الاسلامى ، كما صنع الآخرون ، بل لقد اعتبر آراء « المعتزلة » مجرد « شبه » يجب الابتعاد عنها . وعند ما اراد مدح علماء الدين بمصر مدحهم باعتبارهم من « أهل السنة » الذين « طرحوا وراءهم ظهريا ما كان منها مشوبا بالضللال ، وتباعدوا عن شبه أهل الاعتزال » (٢) .

ورغم ان الرجل يعتبر « أن الشريعة والسياسة مبنيتان على الحكمة المعقولة لنا أو التعبدية التى يعلم حكمتها المولى سبحانه وتعالى » الا أنه يدعو الى أن لانهتمد على العقل فى الحكم بحسن الأشياء أو قبحها فيقول : « ليس لنا أن نعتد على ما يحسنه العقل أو يقبحه الا اذا ورد الشرع بتحسينه أو تقبيحه . . ان تحسين النواميس الطبيعية لا يعتد به الا اذا قرره الشرع . . » (٣) .

ورغم اعتراف الرجل بأن « الشرع الشريف لا يحظر جلب المنافع ولا درء المفاسد ، ولا ينافى المتجددات المستحسنة التى يخترعها من منحهم الله

بل لقد استنكر الرجل أن يكون الاحتكام فى المنازعات التجارية بين التجار الشرقيين والأوربيين الى القوانين الأوربية » حيث ترتب الآن فى المدن الاسلامية مجالس تجارية مختلطة لفصل الدعاوى والمرافعات بين الاهالى والاجانب بقوانين، فى الغالب اوروبية ، مع ان المعاملات الفقهية لو انتظمت وجرى عليها العمل لما أخلت بالحقوق . . ومن أمعن النظر فى كتب الفقه الاسلامية ظهر له أنها لاتخلو من تنظيم الوسائل النافعة من المنافع العمومية ، حيث بسوبوا للمعاملات الشرعية ابوابا مستوعبة للأحكام التجارية كالشركة والمضاربة ، والقرض ، والمخابرة ، والمعارية والصلح ، وغير ذلك » (١) .

وهكذا اجتمعت للطهطاوى النظرة العلمانية ، فى الموقف العلمى ، فنظر الى الحضارة الأوربية وعلى عقله التراث العربى الاسلامى الذى وعى الكثير من صفحاته قبل وبعد رحلته الى باريس (١٨٢٦ - ١٨٣١ م) .

على أننا، ونحن نتحدث عن العلمانية والعقلانية عند الطهطاوى ، لابد من أن نوضح ما اشرنا اليه عندما قلنا انه كان حاسما فى انحيازه لها « فى الموقف العلمى » عندما كان يترجم قوانين الفرنسيين ويتحدث عن علومهم العملية والانسانية . . أما عندما كان الرجل يقترب من ميدان الفكر الدينى فانه يتجلى مسلما « سنيا » « أشعريا » محافظا ، ويظهر لنا ، عندئذ التناقض بينه وبين الموقف العلمانى العقلانى فى التفكير . . وهذا أثر من آثار الجانب المحافظ فى التراث الاسلامى ، وهو الجانب الذى مال اليه

(١) المصدر السابق - الباب الثانى - الفصل الرابع

(٢) الطهطاوى (انوار توفيق الجليل) التمهيد . الفقرة الخاصة بكيفية تقدم الفنون والمعارف

(٣) المرشد الامين - الباب الرابع - الفصل السادس

وعندما يتحدث الطهطاوى عن « الأسباب » وارتباطها « بالمسببات » يقف قريبا من موقف « الغزالي » الذى كان يرى أن النار ليست هى التى تحرق^١ ، وأن الثلج ليس هو سبب البرودة ، وإنما السبب هو الله ، وأن ما نسميه « أسبابا » و« مسببات » ليست سوى أشياء قد جرت « العادة » « باقترانها » بعضها ببعض عند حدوث النتائج (٤) ؟ ! فيجب أن الطهطاوى « مباشرة الأسباب » « مع عدم الاعتماد عليها » (٥) ؟ ! كما يعتبر أن التوكل على الله يعنى « اسقاط الأسباب عن حيز الاعتداد بها والاعتماد عليها » (٦) .

يتخذ الطهطاوى هذه المواقف الجامدة والمحافضة التى تبعده عن الموقف العقلانى ، على الرغم من أنه ، عندما يفكر فى الحضارة المادية ، والعلوم العملية ، يعطى ثقته للعقل الإنسانى الذى زين الله به الإنسان كى « يميز به بين الحسن والقبيح والضار والنافع والخطأ والصواب » (٧) . وعند ما يفكر فى هذه الميادين ، أيضا ، يوحى حديثه بصواب الاعتماد على الأسباب ، والثقة المتزايدة فى العقل ، فيقول أن الإنسان « بالادراك يقتدر أن يرتب المقدمات لاستخراج النتائج ، وأن ينسب الماضى للحال ، ويتبصر فى عواقب المستقبل ، ويتصور أسباب الظواهر الجوية والحوادث السماوية ، ويميز الحسن من القبيح ، والضار من النافع » وبالادراك والفهم

تعالى العقل والهمم الصناعة « إلا أنه يشكر الاعتماد على العقل المجرد كسبيل لتحقيق المناقح ودرء المفسد ، فيقول : أنه « ينبغي تعليم النفوس السياسة بطرق الشرع ، لا بطرق العقول المجردة » فكل رياضة لم تكن بسياسة الشرع لا تثمر العاقبة الحسنى فلا عبث بالنفوس القاصرة الذين حكموا عقولهم بما اكتسبوه من الخواطر التى ركنوا إليها تحسينا وتقبيحا ، وظنوا أنهم فازوا بالمقصود بتعدى الحدود » (١) .

لقد وقف الطهطاوى من العقل ، ومن قدرته على التحسين والتقبيح للأشياء هذا الموقف الجامد والمحافظ ، لأنه كان « سنيا » « أشعريا » يرفض فكر « المعتزلة » ، وهم الذين قالوا ، فى التراث العربى الإسلامى ، بالتحسين والتقبيح بواسطة العقل ، وأن العقل هو الذى يحكم بحسن الأشياء أو قبحها ، بصرف النظر عن النصوص والروايات الماثورة فى هذه الأشياء .

والطهطاوى قد اتخذ هذا الموقف الجامد والمحافظ ، رغم أنه قد أدرك قيام الحضارة الأوروبية على قاعدة التحسين والتقبيح بواسطة العقل ، لا النصوص (٢) ، وبالرغم من أنه قال : أن الأدلة التى يقدمها الفرنسيون لاثبات ما أسماه « حشوات ضلالية مخالفة لسائر الكتب السماوية » هى « أدلة يعسر على الإنسان ردها ؟ ! » (٣) .

- (١) المصدر السابق - الباب الثالث - الفصل الأول
- (٢) الطهطاوى (تخلص الأبريز فى تخلص باريز) المقالة الرابعة - الفصل الخامس -
- (٣) المصدر السابق - المقالة الثالثة - الفصل الثالث عشر
- (٤) أبو حامد الغزالي (تهافت الفلاسفة) ص 65 - 68 طبعة القاهرة سنة 1903 م
- (٥) المرشد الأمين - الباب السادس - الفصل الثانى
- (٦) المصدر السابق - الباب الأول - الفصل السادس -
- (٧) المصدر السابق - الباب الثالث - الفصل الخامس

حذا حذوه فيه خلفاؤه الذين توارثوا حكم البلاد من بعده .

٣ - الدعوة الى ان تقوم جماهير الشعب بدور اكبر في ادارة شئون بلادها والاشراف على مقدراتها . وهو الامر الذي يعجل بتجاوز المجتمع العربي للتخلف ، ويسرع به نحو مدارج الرقي ، مما يقطع الطريق على الاطماع الاستعمارية الاوربية التي كانت تحرس التخلف في الامبراطورية العثمانية حتى تتمكن من النفوذ من خلال ثغرات هذا التخلف لمورثة تركية دولة الرجل المريض .

ومن هنا كانت الدعوة الى الديمقراطية للبلاد العربية في القرن الماضي تعني الشيء الكثير ، ويحاول دعايتها ، بوعى عميق ، ان يتخذوا منها احد الاسلحة التي يحاربون بها اغلب الاعداء المتريصين بهذه البلاد .

ولذلك فأننا نجد هذه الدعوة ذات وزن كبير عند جمال الدين الافغانى وتياره الفكرى والسياسى الثورى ، وهو التيار الذى تصدى لمحاربة الزحف الاستعمارى الاوربى ، والتخلف العثمانى ، وناضل لتجديد حياة الشرق والشرقيين .

فالتنظيم السرى - (الحزب الوطنى الحر) - الذى اقامه الافغانى بمصر في سبعينات القرن الماضي كانت من اهدافه اقامة حكومة دستورية مفيدة « بالقانون الاساسى » (الدستور) ، وخاضعة لرقابة مجلس نيابى منتخب من الشعب . والافغانى يطلب من الخديو توفيق (١٨٧٩ - ١٨٩٢ م) - باسم هذا الحزب - ان يامر « باجراء انتخاب نواب عن الامة

يصلح الانسان الاشياء ويشكلها على الوجه المطلوب » (١) .

فالمطهاوى ، اذا ، لا يتنكر للعقل جملة ، كما انه لا ينتصر له بشكل مطلق . فهو ينتصر له في ميدان العلوم العملية والانسانية، ويتحفظ على قدراته عندما يكون الحديث متعلقا بالعلوم الالهية والقضايا الدينية وما هو متصل بها بسبب وثيق . ومن هنا شابت علمانيته شوائب نعتقد ان مصدرها هو فهمه المحافظ لبعض صفحات التراث العربى الاسلامى ، ذلك الفهم المحافظ الذى ساعد على بقاءه في فكر الرجل وملازمته له حتى آخر حياته انه لم يدخل معركة « فكرية » ضد النمط الفكرى اللاعقلانى الذى كان سائدا في الدولة العثمانية كما صنع ذلك الافغانى ومحمد عبده والكواكبي ، الذين جاءوا من بعده ، فكانوا امتدادا متطورا لكثير من الافكار التى قدمها هذا العملاق للانسان في مطلع عهد هذا الانسان بحركة البعث والنهضة والاحياء .

الموقف من الديمقراطية :

كان الموقف من الديمقراطية ، بالمفهوم والشكل الليبرالى كما عرفتها أوربا بعد الثورات البورجوازية لشعوبها ، من القضايا التى طرحت على العقل العربى في القرن التاسع عشر ، ولقد كانت المطالبة بالأخذ بهذه الديمقراطية واقامة مؤسساتها تعنى :

١ - التصدى بالمعارضة والمقاومة للنمط الفردى الاستبدادى الذى كرسه الحكم العثمانى في البلاد العربية لعدة قرون .

٢ - المطالبة بتعديلات جوهرية في نمط الحكم الفردى الذى اتبعه محمد على في مصر ، والسدى

(١) المصدر السابق - الباب الاول - الفصل الاول

على شرط الامانة والخضوع لقانونها الاساسى - (الدستور) - وتتوجه على هذا القسم ، وتعلنه له : يبقى التاج على رأسه ما بقى هو محافظا أيضا على صون الدستور ، وانه اذا حنث بقسمه ، وخان دستور الأمة ، اما ان يبقى رأسه بلا تاج او تاجه بلا رأس ؟ !! » (٥) *

وهذه الدعوة الديمقراطية الثورية التى بشر بها الافغانى نجد صداها عند الكواكبي، الذى تأثر بالافغانى ومدرسته ، كما استفاد من فكر الكاتب الايطالى « الفيرى فيتريو Alfieri Vittoria (١٧٤٩ - ١٨٠٣ م » . فلقد كان الكواكبي حاسما عندما قرر ان كل امراض الشرق انما مرجعها الى « الاستبداد » وانحلال « السلطة القانونية » وغلبة شخص او عدة اشخاص على هذه السلطة ، و « أن العافية المفقودة هي الحرية السياسية » (٦) *

وعندما نظر الكواكبي فى تجربة أوروبا الديمقراطية تحدث عن أوجه الشبه بينها وبين مادعا اليه الاسلام ، فقال : « ان هذه الامم الموقفة خصصت منها جماعات باسم مجالس نواب ، وظيفتها السيطرة والاحتساب على الادارة العمومية السياسية . وذلك منطبق تماما على ما أمر به القرآن الكريم فى اية (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) » * وهذه الوظيفة

تسن القوانين ، وتنفذ * * * (١) ويحدد مطلب الحزب فى جعل السلطة بيد الشعب ، يقوله : ان « حكم مصر باهلها انما أعنى به : الاشتراك الاهلى بالحكم الدستورى الصحيح » (٢) ويتحدث عن أن المطلوب ليس المؤسسات الشكلية المفرغة من المضمون والتى يقيمها الحاكم تفضلا منه على الأمة ، وانما المطلوب : مؤسسات ديمقراطية حقيقية يقيمها الشعب بنضاله وينتزعها من غاصبى حقوقه وحرياته ، فيقول : « ان القوة النيابية ، لى امة كانت ، لا يمكن أن تحوز المعنى الحقيقى الا اذا كانت من نفس الأمة * * * وائى مجلس نيابى يأمر بتشكيله ملك أو أمير أو قوة اجنبية محرقة لهما ، فاعلموا ان حياة تلك القوة النيابية موقوفة على ارادة من أحدثها * * * (٣) وانه « اذا صح ان من الاشياء ما ليس يوهب فاهم هذه الاشياء : الحرية والاستقلال ، لان الحرية الحقيقية لا يهبها الملك والمسيطر للأمة عن طيب خاطر ، والاستقلال كذلك * * * بل هاتان النعمتان - الحرية والاستقلال - انما حصلت وتحصل عليها الأمم اخذا بقوة واقتدار * * * اما تغيير شكل الحكم المطلق بالشكل النيابى الشورى فهو أيسر مطلبا وأقرب منالا * * * (٤) » *

كما يدعو الافغانى الى ان تختار الأمة حاكمها ، وأن يكون خضوعه للدستور أهم شرط لبقائه فى الحكم ، فيقول عن هذا الحاكم : « تأتى به الأمة فتملكه

(١) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى - ص 473

(٢) المصدر السابق - ص 477

(٣) المصدر السابق - ص 473

(٤) المصدر السابق - ص 478

(٥) المصدر السابق - ص 477 - 479

(٦) الاعمال الكاملة لميد الرحمن الكواكبي - ص 62

« القوة المحكومة » ، أى الشعب ، وان كان يطلب أن تكون « القوة الحاكمة » مفيدة و « مشروطة بالقوانين » . وأكثر من ذلك نراه يتحدث عن اختصاصات ووظائف المجالس النيابية فيحصيها في النطاق « الاستشاري » فقط ، بينما تبقى السلطة الحقيقية للحاكم الأعلى للبلاد ، فيقول : « وأما وظائف المجالس الخصوصية ومجالس النواب فليس من خصائصها إلا المذكرات والمداولات وعمل القرارات على ما تستقر عليه الآراء الاغلبية ، وتقديم ذلك لولى الامر » (٣)

ونحن نعتقد أن الموقف المحافظ الذى وقفه الطهطاوى فى فهم قضايا التراث العربى الاسلامى وتقييم تياراته الفكرية قد كان له أثر فى موقفه هذا من الديمقراطية ومؤسساتها . لأن التيارات الفكرية الاسلامية التى وقف ضدها الطهطاوى - (الخوارج والمعتزلة مثلا) - هى فى مقدمة التيارات الفكرية التى يستطيع الانسان العربى أن يلمح فى تراثها بذورا وجذورا للفكر الديمقراطى الحديث .

فاذا ماجئنا الى موقف الشيخ محمد عبده من هذه القضية ، وجدناه يبدأ حياته الفكرية - قبل الثورة العرباية - بموقف معارض لادخال المؤسسات الديمقراطية الى بلاد الشرق ، بدعوى عدم نضج الشعب وغياب « الرأى العام » الذى لم يتكون بعد . حتى اذا ما قامت الثورة العرباية سنة ١٨٨١ م ، واصبح الدستور والمجلس النيابى حقيقة واقعة ، غير الرجل موقفه ، لقيام هذه المؤسسات بالفعل ، ولتغير صورة الجماهير فى نظره بفعل الثورة وأحداثها . حتى اذا ما فشلت الثورة فى سبتمبر

شريفة فى ذاتها ، ممقوتة « طبعاً عند المستبد واعوانه » (١) .

كما حبذ النمط الليبرالى فى الحرية عندما تحدث عن أن « الأمم الحرة قد أطلقت حرية الخطابة والتأليف والمطبوعات ، مستثنية القذف فقط » ورات أن تحمل مضرة الفوضى فى ذلك خير من التحديد ، لأنه لاضامن للحكام أن يجعلوا الشعرة من التقييد سلسلة من حديد ، يخنقون بها عدوتهم الطبيعية : الحرية ، (٢) .

أما الطهطاوى ومحمد عبده فاننا لانجد عندهما ذلك النضج والحسم اللذين نجدهما عند الأفغانى والكواكبى حيال قضية الديمقراطية . صحيح أن الطهطاوى قد تحدث بأعجاب عن التجربة الديمقراطية الفرنسية بكتابه (تخلص الابريز فى تخلص باريز) وكان حديثه هذا أول كلام عربى عن الديمقراطية الاوربية يدخل من بوابة الشرق المحكومة بسلطات الحكم الفردى الاستبدادى . صحيح أن الرجل لم يكن هدفه مجرد الوصف والحكاية ، وإنما استهدف ايقاظ وطنه وفتح عيون مواطنيه . ولكن ذلك الرباط الوثيق بين الطهطاوى وبين جهاز الدولة ، سواء فى عهد محمد على أو عهد اسماعيل ، قد ابتعد بفكر الرجل وقلبه عن أن يتخذ الموقف الناضج والحاسم والمنحاز الى جانب الفكر الديمقراطى . فهو عندما يتحدث عن فروغ القوة الحاكمة ، وهى السلطة التشريعية ، والسلطة القضائية ، والسلطة التنفيذية يرى أن مرجع هذه السلطات ومصدرها « القوة الحاكمة » ، أى السلطة العليا فى الدولة ، وليس

(١) المصدر السابق - ص 390

(٢) المصدر السابق - ص 389 - 390

(٣) منهاج الالباب - الخاتمة - الفصل الاول

تلك اشارات سريعة - من خلال قضيتي العقلانية والديمقراطية - الى دور التراث العربى الاسلامى فى تحديد نظرة العرب لأنفسهم وأوربا فى القرن التاسع عشر ، من خلال ذلك اللقاء الذى تحقق فى عقول هؤلاء المفكرين ، الذين وعوا - بدرجات متفاوتة ومن مواقع فكرية مختلفة - تراث أمتهم ثم انفتحوا على حضارة أوربا وانجازاتها ٠٠

فهل استطاعت هذه الصفحات أن تنهض بذلك أو بشئ منه ؟ ؟

ان كانت الاجابة ب : نعم ٠٠ فذلك ما قصدنا اليه ٠٠ والا فحسبنا شرف المحاولة فى ذلك الميدان ٠ وشكرا ٠

سنة ١٨٨٢ م نجد الرجل يعود ثانية الى موقفه « الاصلاحى » ، بل ويبشر بعد ذلك بنظرية الحاكم الفرد - (المستبد العادل) - الذى رآه ضرورة لا بد منها كي يعد الناس للحرية قبل ان ينالوها ؟ ! (١) ٠ ولقد كان موقفه هذا ، المعادى للديمقراطية ، أثرا من آثار نوريته « الاصلاحية » التى علق فيها الآمال على « النخبة المثقفة المستنيرة » ، بينما رأى الجماهير العاملة « هملا ، لا يحدثون تقدما ولا يمنعون تأخرا ؟ ! » ومن ثم لم يعلق أية آمال فى الاصلاح على اعطاء هذه الجماهير السلطات التى تمارسها من خلال المؤسسات الديمقراطية ٠٠ وهو موقف مغاير ومناقض لموقف كل من الأفغانى والكواكبي حيال هذا الموضوع ٠

(١) الاعمال الكاملة للإمام محمد عبده ٠ ج ١ (الكتابات السياسية) - ص 33-99 ، 716





دراسات تاريخية

الشاذلي القسنطيني والأمير عبد القادر

بين

لا ندري متى بدأت صلة الشاذلي القسنطيني بالأمير عبد القادر هل سبق لهما التعارف الشخصي قبل شتاء ١٨٤٩ - ١٨٥٠ ؟ لأحد قد تحدث عن ذلك على ما نعلم * والقصيدة التي سنقدمها لا تصرح بأن الشاذلي قد زار الأمير أو عرفه شخصيا قبل التاريخ المذكور * وتذكر المصادر الفرنسية (١) أن سبب سفر الشاذلي إلى أمبواز هو أن السلطات الفرنسية في الجزائر قد رشحته لمواءسة الأمير بعد أن أبدى هذا قلقا من الوحدة التي كان يعانيها * ولكن هذه المصادر لا تذكر ما إذا كان الأمير قد طلب الشاذلي بالاسم أو أن السلطات الفرنسية ، وبالاخص المكتب العربي في قسنطينة ، هي التي اختارت الشاذلي دون غيره *

د. أبو القاسم سعد الله

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

(١) اخذ بهذا الرأي ايضا الأمير محمد في - تحفة الزائر - ج ٢ ص ١٨

غير أننا عرفنا من الرسائل ومن ظروف أخرى أن الشاذلي كان راغبا جدا في العودة الى فرنسا والعيش فيها والاتصال هناك ببعض شخصياتها ولا سيما بعد أن ذاق في الرحلتين السابقتين لذة التكريم والاعتبار . وقد لاحظنا من قبل أنه خلال رحلة سنة ١٨٤٧ قد أبدى إعجابا قويا بمظاهر الحضارة هناك أو على الأقل هكذا صورته المصادر الفرنسية عندئذ كما لاحظنا أن الشاذلي لم يكن راغبا في البقاء في قسنطينة وأنه كان يشعر بنوع من الالتزام في التمداد في وظيفته ، وأنه كأديب كان يريد التنقل واقتطاف ثمار المعرفة حيث وجدها ، ولكن هل كان الفرنسيون على علم بقصيدة الشاذلي في الأمير أو على الأقل برأى الشاذلي فيه ، وهو الأمر الذي جعلهم يقدمونه على غيره من علماء الجزائر عند اختيارهم من يؤانس الأمير ؟ هذا أيضا ما لا نستطيع الجزم به لعدم وجود الأدلة القاطعة .

ومهما يكن من أمر فإن المصادر الفرنسية تذكر أن الشاذلي لم يبق لدى الأمير بدور الرفيق المسلى فقط ولكنه قد قام أيضا ، وهذا هو المهم ، بدور الملمن والمعرف بالحضارة الفرنسية وبالمشاكل الفرنسية السياسية والاقتصادية التي منعت حتى ذلك الحين من إطلاق سراحه . فالأمير ، بناء على هذه المصادر ، كان قلقا منزعا من ترك قضيته جانبا واهتمام الفرنسيين بمشاكلهم الخاصة وأنه قد استسلم الى نوع من اليأس والقنوط موطننا نفسه أن مصيره سيكون السجن المؤبد والنسيان الأبدى . ومن جهة أخرى كان الفرنسيون منشغلين بمشاكل الحكم والتنظيم الاجتماعي . فهذا الحكم الملكي قد سقط وحلت بعده الجمهورية الثانية ، ولكن التحيزات

وظهور القضايا العمالية ونفوذ الجيش وامكانيات انقلاب في صالح الامبراطورية ، كلها كانت لا تسمح للفرنسيين بالتفكير في قضية جزئية صغيرة مثل سجن أو إطلاق سراح عبد القادر . لذلك فكر خبراءهم فيمن يخفف عنه الوطاة فلم يجدوا أفضل من الشاذلي الذي كانوا يثقون في موقفه منهم والذي كان في نفس الوقت ادبيا وقاضيا ، أي عالما من علماء الجزائر الذين في امكانهم ملء عين الأمير بعلمهم ومعارفهم وادبهم . وقد جاء الشاذلي ، بناء على هذه المصادر ، ليقول للأمير بأن الفرنسيين غير ناسين له ولكنهم كانوا منشغلين بقضايا أهم من قضيته وليطلعه على ما للفرنسيين من حضارة عريقة ونظم سياسية واجتماعية جديدة بالاحترام ، وبالتالي ليخفف من غلواء ونقمة الأمير ضدهم . فكان مهمة الشاذلي كانت تليين عريكة الأمير ورفع روحه المعنوية وتخفيف حدة طبعه وتعصبه الديني نحو الحضارة الأوروبية عامة والفرنسية خاصة . (١) وبهذا التفسير تصبح مهمة الشاذلي نحو الأمير مهمة سياسية وليست انسانية . ولكننا عرفنا أن الشاذلي كان قد جاء الى فرنسا بدون ترتيبات سابقة وأنه كان في الواقع يعمل أثناء وجوده في فرنسا لمصالح شخصية . أما السياسة الفرنسية ومؤانسة الأمير فقد كانتا في الدرجة الثانية بالنسبة اليه .

وصل الشاذلي الى باريس في أكتوبر سنة ١٨٤٩ . (٢) وبعد أن أقام بها فترة توجه الى أمبواز لاداء مهمته بجانب الأمير . وفي أمبواز توطدت العلاقة بين الرجلين . وتعددت بينهما الزيارات والمساجلات الشعرية . ويبدو أن الشاذلي كان يقيم في جزء من القصر خلال هذه المدة . ولكنه كان يتردد

(١) هذا هو الرأي الذي يأخذ به بريس ، ص 337 - 338 ، ومورنان ص 315

(٢) رسالة بتاريخ ١6 أكتوبر 1849 من الشاذلي الى بواسوني ، وقد جاء فيها أنه وصل الى باريس يوم 15 أكتوبر وأنه نزل في ساحة المادلين رقم 33 عند السيد دين وأنه قد حل بباريس لكي ينظر بواسوني في أمره

بين الشاذل القسطنطيني والامير عبد القادر

ياكل الى حد التخمّة صفار البيض مع الامير عبد القادر الذي كانت معه زوجته وسراريه ، حتى اذا ما هاجت نفسه واشتد به الشوق راح ينصح الشباب بان لايفعلوا فعلته (١) .

ويصرح الامير بانه لم ير الشاذلى قبل امبواز وانما سمع عنه كثيرا ، وكان يرغب فى التعرف عليه والاجتماع به . ولكن الظروف لم تسمح له بذلك . وفى الابيات التالية التى استقبل بها الامير ضيفه عند وصوله دليل على ما نقول :

طالت مساعلتى الركاب تشوقا
لجمال رؤية وجهك المتعاضم
لاغرو ان احببتكم من قبل ما
شاهدتكم انتم جمال العالم
كانت على سمعى تغار نواظرى
حتى رأتك وانت انت مكالمى

فهذه الابيات لا تدع مجالا للشك فى ان الامير كان قد سمع الكثير عن الشاذلى ولكنه لم يلتق به وانه كان يسأل عنه الغادين والرائحين ويود لقائه ويحس نحوه بميل خاص ، حتى لقد كانت عيناه تغاران من سمعه عليه ، الى ان تحقق ما كان يريد واجتمع الصديقان وجها لوجه ، اما الشاذلى فقد اشار ايضا الى انه كان يشرب الى روية الامير وانه كان يريد لقاءه ولكن على سدة الملك وليس فى سجن امبواز . غير ان الايام تدور والدهر خداع . فلنستمع اليه :

وكان مرادى ان الاقيكم على
بساط عزيز الملك والحرب فى نشب
وما كان فى ظنى ارى سيدى كما
رايت الا الله ما تصنع النوب (٢)

على باريس من وقت لآخر لقضاء مآربه وتدبير شؤونه . ومرض اثناء ذلك عدة مرات وكان شتاء منطقة اللوار القارس اقوى من جسمه فلم يحتمله بالاضافة الى مرض عينيه ، ومعنى هذا ان اقامته فى امبواز لم تكن كلها سعادة وهناء . ولاندرى ايضا ما اذا كان الشاذلى قد جاء باهله او ببعض اقاربه معه ، ولكن الظاهر انه قد جاء منفردا ، ولذلك كان هو الآخر يبحث عن مؤانسة فى ليالى الشتاء الباردة فالتقى بالفتاة الفرنسية واحبها حبا جما واراد الزواج منها ، وهى التى دخلت شعره الرقيق الذى ساجل به الامير ، عندما قال :

ايا اهل فن الطب بالله خبروا
ايوجد للصب النحيل دواء
كلفتم بها وهى الفريدة والتى
تجمع فيها الحسن وهى ضياء

وهكذا اصبح الشاذلى هو الغريب وليس الامير . وقد زاده المرض شعورا بالغربة الى ان شكا ذلك للامير فى قوله :

مرضت غريبا بين قوم اعزة
فكلهم عن زورتى متمنع
اذا كنت مصحوب السلامة اقبلوا
وان كنت فى سقم فربك بلقع

ولم يجد الامير بدا من ان يسليه ويخفف عنه هذا الشعور القاسى ، فكتب اليه :

ولست غريبا بين قوم احبة
مكائنك فيهم من بنى الدهر ارفع

ومن العجيب ان رجلا غريبا فى وسط العمر (كان عمره اذاك حوالى ٤٢ سنة) بعيدا عن زوجته

(١) انظر هذه القصة فى - تحفة الزائر - ج ٢ ص ٢٥

(٢) انظر هذه المساجلات فى نفس المصدر ص ١٩ - ٢٥

اجنحة النسور ، وكنا قبل وروده علينا نناغي الحائم ونسامر الفرقدين والحمام ، وان كانت الحمام اذا صدحت لاتفهمنا وتجيبنا بالشجي فتدنفنا » (٢) وقد ارتبطت بينهما هذه الصداقة واستمرت حتى بعد عودة الشاذلي الى قسنطينة وارتحال الامير الى المشرق . فقد وجدنا في بعض الرسائل (٤) ان الامير قد طلبه اليه في المشرق وان الشاذلي قد رحب بذلك غير انه اشترط بعض الشروط المادية على الدولة الفرنسية .

وللشاذلي رأى في الامير جدير ايضا بالموقف عنده . واذا كانت القصيدة التي سنتعرض لها صريحة في اعجابه به ورفع له مصاف القواد العظماء والرجال الشرفاء ، فان اوصافه له المنبثة هنا وهناك تعطي صورة واضحة على تقديره للامير ، وكان الشاذلي يظهر التواضع الجرم امام الامير حتى لقد وصف نفسه « بالعبد الذليل » وخاطب الامير بقوله « سيدي » ونعته بصاحب الخلق الكريم والمحدث النبيل وكان عنده محل ثقة واحترام حتى لقد طلب ان يتزوج على يديه بالفتاة الفرنسية ، ورحب ، كما رأينا بالحقاق به في المشرق . ومن سوء الحظ اننا لم نعثر على كل اوراق الشاذلي ، ولو تحقق ذلك لكشفت لنا عن المراسلات التي قد تكون دارت بينه وبين الامير بعد عودته من عنده أو في مناسبات أخرى . (٥)

فهذان البيتان لا يدعان مجالا للشك ايضا في ان الشاذلي لم ير الامير من قبل . بيد انهما تنمان عن شيء جديد وهو ان الشاذلي كان قد سمع بالامير اثناء معاركه وحروبه وانه كان يتطلع الى ملاقاته وهو عزيز قوى صاحب ملك وسلطان . ولكن امنيته لم تتحقق . فهذا المعنى يساعدنا على فهم القصيدة التي سندرسها بعد قليل ، والتي ما هي الا نداء من بعيد الى رجل سبقته سمعته لينجد قروما كانوا في شدة وعسر . والواقع ان دراسة المساجلات دراسة نفسية وتاريخية تساعد على فهم العلاقة بين الرجلين .

وللامير رأى واضح في صالح الشاذلي . فبالاضافة الى الاوصاف التي اطلقها عليه في المساجلات مثل « الحبيب » و « فريد عصره » و « قرة العين » و « سمي قطب العارفين » (١) فانه قد وصفه نثرا او صافا قريبة من النفس حبيبة الى القلب من ذلك قوله فيه ، كان لنا خير انيس واحسن جليس نفس من همومنا بلطائفه وطرائفه مالا تنفسه الصبا واجلى من احزاننا ما لاتجليه الصها » (٢) ويبدو ان الامير قد الفه كثيرا وفرح بمقدمه واقامته معه وتالم لرفاقه غاية التالم . وقد قارن بين حالته قبل قدومه عليه وحالته بعد فراقه له ، معترفا له بالفضل « لازمني ايام نفور الحميم والقريب ، وأنستى حين لى من الجنس او غريب وتجشم شقة دونها اكبر مشقة في مكان لا يقتحمه الاسد الهصور ، بل تنقطع دونه

(١) وهو يعنى بذلك ابا الحسن الشاذلي صاحب الطريقة المعروفة باسمه وقد كان الامير - شاذليا - ايضا

(٢) انظر تحفة الزائر ج ٢ ص ١٩

(٣) نفس المصدر ص ٢٤١

(٤) رسالة بتاريخ ١٥ فبراير ١٨٥٤ من الشاذلي ويقول الشاذلي ان العقيد دنف هو الذي اخبره من مدينة الجزائر بان الامير قد طلبه اليه وقد عثرنا على رسالة بتاريخ ٩ فبراير ١٨٥٣ من الامير الى السيد ف هاليقي يطالب فيها الامير - وهو عندئذ في بروسة - ارسال الشاذلي اليه لمؤانسته - مجموعة رسائل بالكتابة الوطنية تحت رقم ٢٢٧٤ -

(٥) كان الشاذلي محبوبا لدى الامير ويذكر السيد مورنان - ص ٣١٣ - انه قد وجد عند زيارته لقصر امبوز طفل الامير محمد صاحب - تحفة الزائر - ومحبى الدين يلعبان في الحديقة وكان اول ما سألاه عنه هو احوال الشيخ الشاذلي . والمعروف ان الامير كان يحب لعبة الشطرنج . انظر تحفة الزائر ج ٢ ص ٣٠٧ . وكذلك كان الشاذلي . فقد طلب بواسوني ذات مرة منه - الشاذلي - ان يعلم صديقا له الشطرنج فدعاه الشاذلي الى بيته - في باريس - عند العصر وعلمه هذه اللعبة . وقد روى ذلك الشاذلي بتاريخ ١٢ يناير ١٨٥٥ الى بواسوني

أشير

عاصمة بني زيري

ان على مسافة ١٥٠ كم جنوبى الجزائر العاصمة ، وفى ولاية تيطرى قرب قرية عين بوسيف ، نجد آثار مدينة قديمة لعبت دورا هاما فى تاريخ المغرب وكانت مركزا عظيما للحضارة الاسلامية . هذه المدينة هى اشير عاصمة بني زيري موضوع مقالنا هذا فقسمنا دراستنا لهذه المدينة المشهورة الى خمسة اقسام وهى : تاسيس مدينة اشير ومراحل تشييدها ووصفها وتاريخها والابحاث والحفريات التى اجريت بها .

د . رشيد بورويبة
أستاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

(١) تأسيس مدينة اشير

اتفق المؤرخون والجغرافيون على ان مؤسس مدينة اشير هو زيرى بن مناد . فقال البكري (١) عن محمد بن يوسف « ان الذى بنى اشير هو زيرى والدليل على ذلك ما انشده عبد الملك بن عيشون

يا ايها السائل عن غربنا

وعن محل الكفر اشير

عن دار فسق ظالم اهلها

قد شيدت للافك والزور

اسسها المعلنون زيرىها

فلعنة الله على زيرى

وقال ابن عذارى المراكشى (٢) « اما مدينة اشير فبناها زيرى بن مناد الصنهاجى » ثم ذكر نفس الابينات الشعرية التى نكرها البكري غير انه كتب فى الشطر الاول للبيت الاول « يا ايها السائل عن حربنا عوضا عن « يا ايها السائل عن غربنا » .

وقال صاحب « كتاب الاستعمار فى عجائب الامصار » (٣) وهو يحدثنا عن اشير « بناها زيرى بن مناد الصنهاجى وتعرف باشير زيرى » وسماها الادريسي باشير زيرى (٤) وقال ابن خلدون (٥) : ولما كانت فتنة ابي يزيد ، والتاث امر العبيديين بالقيروان والمهدية . كان لزيرى بن مناد منافرة الى الخواوج اصحاب ابي يزيد واعقابهم وتسريب

الحشود الى مناصرة العبيديين بالقيروان كما سنراه واخطت مدينة اشير »

وقال النويرى (٦) « وصل زيرى الى مكان اشير وقال لاصحابه « هذا هو المكان الذى يلائمكم واسس فيه مدينة » وذكر ابن الاثير (٧) : « ان تبع زيرى كثروا بعد انتصاره على زناته » فضاقت بهم ارضهم فقالوا له : لو اتخذت لنا بلدا غير هذا فصار بهم الى موضع مدينة اشير فرأى ما فيه من العيون فاستحسنه وبنى فيه مدينة اشير وسكنها هو واصحابه »

هذا فيما يخص اسم الامير الذى اسس مدينة اشير . اما فيما يتعلق بتاريخ تأسيسها فنحن امام روايتين ، رواية النويرى التى تذكر ان اشير اسست سنة ٣٢٤ / ٩٣٦ - ٩٣٧ ورواية ابن الاثير التى تقول ان اشير اسست سنة ٣٦٤ / ٩٧٤ - ٩٧٥ . ولكن التاريخ الذى ذكره ابن الاثير يناقض ما قاله المؤرخ من قبل وهو ان مدينة اشير اسست فى عهد زيرى بن مناد لاننا نعرف ان زيرى قتل سنة ٣٦٠ / ٩٧١ اذن نستطيع ان نقول ان نص ابن الاثير فيه غلط ولكن السؤال المطروح هو : هل وقع الغلط فى اسم الامير الذى اسس مدينة اشير او فى تاريخ تأسيسها ؟

ففى رايانا وقع الغلط فى تاريخ تأسيس اشير للسببين الاتيين الاول هو ان جميع الاحداث التى يذكرها ابن الاثير بعد تاريخ تأسيس اشير مثل ثورة

(١) البكري ، كتاب المغرب فى ذكر بلاد المرقية والمغرب ، ص 6١

(٢) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب فى ذكر اخبار المغرب ج ١ - ص 306

(٣) كتاب الاستعمار فى عجائب الامصار ، ص 58

(٤) الادريسي ، وصف المرقيا الشمالية والصحراوية ، ص 59

(٥) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج 6 - ص 313

(٦) النويرى ، الملحق الاول للجزء الثانى من ترجمة دى سنان لتاريخ ابن خلدون ، ص 489

(٧) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ، ج 8 ، ص 47

ومرحلة التحصين ومرحلة تشييد « القصور والمنازل والحمامات »

(٣) وصفها :

ان المؤرخين والجغرافيين الذين وصفوا أشير اكدوا على حصانتها وكثرة مياهها وأهميتها ومبانيها

(أ) حصانتها

فقال ابن حوقل (٩) « انها مدينة محصنة » وذكر الإدريسي انها « حصن حسن الموقع » وقال صاحب « كتاب الاستمارة في عجائب الأمصار » ابن زيري بنى « سورها وحصنها وعمرها فليس في تلك الاقطار احصن منها وهي بين جبال شامخة محيطة بها » وقال البكري « هي جلييلة حصينة يذكر انه ليس في تلك الاقطار احصن متناولا ولا مراما ولا يوصل الى شيء منها بقتال الا من موضع يحميه عشرة رجال وهو في شرقيها الذي ينفذ الى عين مسعود وسائر نواحيها تزل عنها العيون فكيف الاقدام وهي مع ذلك بين جبال شامخة محيطة بها دائرة عليها » وذكر النويري « ان أشير مدينة حصينة لا يوصل اليها الا من موضع من شرقيها يحميه عشرة رجال ومن حيث انها مبنية في سفح جبل وعر لا تحتاج الى سور »

(ب) كثرة مياهها

قال ابن حوقل « لها عيون ثرة » وقال صاحب « كتاب الاستمارة » « داخل المدينة عينان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر » وذكر البكري عينا توجد شرقي المدينة وهي عين مسعود ثم قال ان داخل المدينة « عينان ثرتان لا يبلغ لهما غور ولا يدرك لهما قعر احدهما تعرف بعين سليمان والاخرى بعين

ابن يزيد ومحاربة الزيريين لجعفر بن علي بن حمدو وقعت بدون شك في عهد زيري بن مناد * والسبب الثاني هو ان صاحب « الكامل في التاريخ » (١) ذكر ما بين الاحداث التي وقعت سنة احدى وستين وثلاثمئة ان بلقين بن زيري اتاه الخبر « ان زناتة نزلوا على تلمسان فرحل اليها فهربوا منه واقام على تلمسان فحصرها مدة ثم نزلوا على حكمه فغفا عنهم الا انه نقلهم الى مدينة أشير فبنوا عندها مدينة سموها تلمسان » *

ان هذا النص يدل على ان أشير كانت موجودة سنة ٣٦١ *

اذن تاريخ التأسيس المذكور في « الكامل » اي ٣٦٤ غير صحيح ومن حيث ان ذكر هذا التاريخ جاء قبل ذكر حصار مدينة المهديّة من طرف ابن يزيد الذي وقع سنة ٣٣٣ ، ففي رأينا التاريخ الذي اراد ابن الاثير ان يكتبه هو سنة ٣٢٤ او لا للتشابه بين (٢) و (٦) وثانيا لانه يوافق التاريخ الموجود في رواية النويري وهكذا نستطيع ان نقول ان مدينة أشير اسست سنة ٣٢٤ *

(٢) مراحل تشييدها

قد رأينا ان ، على قول ابن الاثير ، مدينة أشير اسست في عهد زيري بن مناد واتسعت في عهد بلقين بن زيري * فنجد ايضا مرحلتين في تشييد أشير في كتاب البكري من حيث انه بعدما قال ان أشير اسست في عهد زيري بن مناد ، اضاف الى ذلك : « الذي بنى سورها بلقين يوسف بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة سبع وستين وثلاث مائة »

اما ابن خلدون فيذكر لنا ان أشير بنيت في ثلاث مراحل في عهد زيري بن مناد : مرحلة الاختطاط

(١) الاثير الكامل في التاريخ ج ٨ ص ٤٦ - ٤٧

(٢) ابن حوقل كتاب صورة الأرض ترجمة كرامير وفيات ص ٨٨

تالانتيرغ « وقال النويرى « ان داخل مدينة اشير عينان ثرتان ماءها زلال » .

ج (اهميتها

قال ابن حوقل : « لمدينة اشير اسواق وبساتين وارض تصلح للفلاحة » وذكر الادريسي ان « اشير زيرى ٠٠٠ كثير المنافع وله اسواق يوم معروف يجلب اليه كل لطيفة ويبيع به كل طريقة » .

وقال ابن خلدون « كانت من اعظم مدن المغرب واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمر انها ورحل اليها العلماء والتجار من القاصية » وذكر النويرى ان « مدينة اشير شهرت بفقهاؤها وعلماؤها وتجارها واخبرنا بان فى ذلك العهد كان سكانها لا يستعملون الذهب والفضة فى تجارتهم بل كانوا يبادلون ابلهم وبقروهم وغنمهم بالاشياء التى يحتاجون اليها هذا ما دفع زيرى الى ضرب السكة قاعطى جنوده مالا كثيرا ودفع لهم اجرتهم فى مواعيدها حتى اصبحت الدنانير والدراهم وافرة عند سكان المدينة وذكر النويرى اخيرا ان الشعوب الرحالة التى كانت ساكنة بنواحي اشير رضيت بخدمة الارض » .

ونذكر البكرى ان اربع طروق كانت تجمع اشير بمرسى الدجاج (١) وجزائر بنى مزغنة (الجزائر العاصمة الحالية) (٢) ومليانة (٣) وقلعة بنى حماد (٤) .

فكانت الطريق الاولى تمر بشعبة (٥) وسوق حمزة (بويرة الحالية) وبلياس (٦) والطريق الثانية تجوز بالمدينة وقزونة (ناحية البلدية) واغزر (ناحية بوقاريك) والطريق الثالثة تمر بسوق هواره (٧) وسوق كرام (٨) ومليانة . اما الطريق الرابعة فتمر بالمسيلة .

د (مبانيها العظيمة

بجانب ابن خلدون الذى ذكر ، كما راينا من قبل ، القصور والمنازل والحمامات التى بنيت باشير اخبرنا صاحب « كتاب الاستبصار » ان « بالقرب من المدينة بنيان عظيم عجيب يعرف بمحراب سليمان لم يربنيان اعظم منه ولا احكم ، فيه من الرخام والاعمدة والنقوش ما يقصر عنه الوصف » .

هـ (تاريخها

من تاسيسها الى تعيين بلقين بن زيرى كخليفة للقاطمين على افريقية والمغرب كانت مدينة اشير عاصمة الزيريين واعظم مدن المغرب الاوسط . ومن تعيين بلقين الى تأسيس مدينة قلعة بنى حماد سنة ٣٩٨/١٠٠٧ - ١٠٠٨ بقيت اشير تلعب دورا هاما فى تاريخ المغرب . فنرى مثلا ان المتصور بن بلقين يبيع بها بعد موت ابيه والقى بهاخطابه المشهور « ان ابى وجدى اخذ الناس بالسيف قهرا وانا لا اخذهم الا بالاحسان » وما انا فى هذا الملك ممن يولى

(١) البكرى كتاب المغرب فى ذكر افريقية والمغرب ص 64 - 65

(٢) نفس المرجع ص 65 - 66

(٣) نفس المرجع ص 60 - 61

(٤) نفس المرجع ص 59 - 60

(٥) لا نعرف شيئا عن موقع هذا المكان

(٦) هو نية البقاس قرب الجزائر على قول دى سلاف

(٧) لا نعرف شيئا عن هذا المكان

فى ترجمة لكتاب البكرى ص 135

(٨) اسم قرية مبنية على ضفة نهر شلف على قول دى سلاف فى ترجمة لكتاب البكرى ص 127

أشير عاصمة بني زيري

كرامة أخو باديس إلى أشير • فحاصرها حماد وفتحها سنة ٤٠٦/١٠١٦ (٧) •

وبقيت أشير في حالة سلم من سنة ٤٠٦/١٠١٦ إلى سنة ٤٢٤/١٠٤٦ ثم ثار سكانها على القائد بن حماد ، الأمير الحمادي الذي كان يحارب الأمير الزيري المعز بن باديس • فحاصرها القائد وفتحها (٨) ثم رجع الهدوء إلى أشير لكنه لم يدم من حيث أن يوسف بن حماد خربها وعلى قول البكري (٩) « استباح أموالها وفرض حرما ذلك بعد سنة ٤٥٥ ١٠٦٣ ثم تراجع إليها الناس بعد خمس وخمسين وفي عهد الأمير الحمادي الناصر بن علناس كانت أشير مقر ولاية على رأسها يوسف بن الناصر • ففتحها المنتصر بن خزرون « مع عدى من قبائل » (١٠) وبقي بها إلى أن الناصر هجم عليه واضطره إلى الفرار وفي عهد المنصور بن علناس غزاها تاشفين بن تينعمرو إلى تلمسان بأمر من يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي وفتحها وخربها سنة ٤٩٦/١١٠٣ (١١) ونظن أنها بقيت تحت سلطة المرابطين إلى شوال ٤٩٦ يوليو - أوت ١١٠٣ عندما فتح المنصور مدينة تلمسان •

ثم لا نعرف شيئا عن مدينة أشير إلى حوالي سنة ١١٨٠/٥٨٠ حيث نرى غزى الصنهاجي حليف بني غانية يتغلب عليها (١٢) وبعد ذلك يحدثنا ابن خلدون مرتين عن أشير • فالمرة الأولى يقول لنا (١٣)

بكتاب ويعزل بكتاب لاني ورثته عن آبائي واجدادى وورثوه من آبائهم واجدادهم حمير (١) • وبها استقبل المنصور سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزر (٢) وبها ولد باديس بن المنصور يوم ١٣ ربيع الأول ٣٧٤/١٤ أوت ٩٨٤ (٣) •

وفي عهد هذا الأمير الأخير كانت مدينة أشير مقرا لأحداث خطيرة فحاصرها زيري بن عطية الزناتي (٥) وثار بها ما كسن وزاوى ومغنين وعزم ، أخوة جد باديس سنة ٩٩٩/٣٨٩ هذا ما دفع زيري بن عطية إلى السير إليها من جديد و « اناح عليها واستامن إليه زاوى بن زيري ومن كان معه من اكابر اهل بيته المنازعين لباديس » ومرض زيري بن عطية أثناء الحصار ومات قريبا يوم ١٢ رمضان ٣٩١/١٥ أوت ١٠٠١ (٦) •

وبعد تأسيس مدينة قلعة بني حماد قلت أهمية أشير وأصبحت تحت حكم حماد بن بلقين الذي ولى خلف الحميري عليها وبعد ما ثار حماد على ابن أخيه باديس الأمير الزيري أصبحت مدينة أشير من جديد مقرا لأحداث مهمة • فخضع إليها خلف الحميري لباديس ومنع حمادا من الدخول إليها وهو متبوع بجيش باديس وفتحها باديس (٧) ثم بعد موت باديس التي وقعت أثناء حصار قلعة بني حماد سار

(١) انظر ابن عذاري البيان المغرب في ذكر اخبار المغرب ج ١ ص 443

(٢) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج ٧ ص 82

(٣) انظر ابن عذاري البيان ج ١ ص 344

(٤) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 322

(٥) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 158

(٦) ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 352

(٧) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 352

(٨) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 352

(٩) البكري كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ص 60

(١٠) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 7 ص 90

(١١) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 360

(١٢) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 508

(١٣) انظر ابن خلدون كتاب العبر ج 6 ص 92

وبعد بربورق ، زار شاباسيار Chabassière موقع اشير سنة ١٨٦٩ وافادنا بمخطط قصبة منزه بنت السلطان (٣٣) وفي سنة ١٩٠٨ قام النقيب رودى Rodet (٤) ببحث جدى عن اشير فوجد بها ثلاثة مواقع : منزه بنت السلطان وياشير او الاشير وبنية . فالمكان الاول يقع على ١٠ كم شمالى/شمالى غربى عين بوسيف فهو حصن حصين طوله ٢٧٦ م وعرضه ٢٥ م وكان على قول رودى مدينة زيرى بن مناد قبل تأسيس اشير . والمكان الثانى ياشير يقع على ١٢ كم شرقى /شمالى شرقى عين بوسيف فهو على شكل مربع منحرف مساحته حوالى ١٥ هكتار . وهو فى رأى رودى مدينة اشير الاولى . واما المكان الثالث ، بنية ، فهو على حوالى ٢ كم جنوبى/جنوبى شرقى ياشير . فهو على شكل مربع مساحته ٣٥ هكتار و وجد رودى به بنيانا ظن انه حمام . وبنية فى رأى رودى هى المدينة التى يصفها البكرى .

وفى سنة ١٩٢٢ قام جورج مارسى برحلة الى اشير وافادنا بالنتائج التى حصل عليها فى مقال ذى اهمية كبيرة (٥) اكد فيه ما جاء فى مقال رودى الا فيما يخص البنيان المربع الموجود ببنية فهو مسجد لا حمام كما ذكره رودى . وبنية عثر جورج مارسى على تاج عمود من الحجر وعلى كتابة منقوشة على الحجر وهى معروضة فى متحف الآثار بالعاصمة .

وفى سنة ١٩٥٤ مساعد لقسم الجغرافية التابع لكلية الادب الجزائرية ، اسمه تابوتو كشف اثناء ابحاثه فى جبل تيطرى فى مكان يسمى

ان قبيلة حصين نزلت « بتيطرى وهو جبل اشير وملكوه وتحصنوا به » وذلك « لما عاد بنو عبد الواد الى ملكهم لعهد ابي حمو موسى ابن يوسف بعد مهلك ابي عنان » سنة ١٣٥٩/٧٦٠ . واما المرة الثانية (١) فيخبرنا ان الثعالب كانوا « يسكنون تيطرى الى ان ازاهم قبائل حصين » . فترى اذن ان مدينة اشير كانت فى اول الامر بين يدي الثعالب ثم تحت سلطة حصين .

وبعد العهد الزياني يظهر ان مدينة اشير تسميت فمن هذا النسيان اراد الباحثون والآثاريون ان يخرجوها كما سنراه

٥) الابحاث والحفريات الاثرية

ان اول بحث اهتم بمدينة اشير هو بربورق Berberuguer فرحل مرتين اليها فى يوليو ١٨٥٠ وفى اوت ١٨٥٢ ، فكشف اثناء ابحاثه خربة قصبة بمكان اسمه منزه بنت السلطان وهو فى رايه مدينة اشير الاولى كما عثر على مكان اخر شمالى منزه بنت السلطان وهو على قوله اشير الجديدة التى يذكرها النويرى . وبجانب ذلك يخبرنا فى المذكرة التى تركها لنا (٢) بان اشير تدعى ياشير باللهجة البربرية وان هذه الكلمة معناها مقلب وتلقى على المراكز العسكرية القوية لانها تهدد العدو كالمقلب . واخيرا يعلمنا بان اشير كانت فى العهد العثمانى بين يدي قبيلة اولاد الان وانها مازالت لها اهمية استراتيجية من حيث ان اولاد الان كانوا يلجؤون اليها عندما يريدون ان يستخلصوا من دفع الغنائم .

- (١) ابن خلدون كتاب العبر ج ٦ ص ١٢٨
- (٢) انظر دى سنان ترجمة كتاب العبر لابن خلدون ج ٢ ص ٤٩٠ مذكرة (١)
- (٣) شاباسيار كاف الاخضر وخرجه المجلة الافريقية سنة ١٨٦٩ ص ١١٦
- (٤) النقيب رودى خرب اشير المجلة الافريقية سنة ١٩٠٨ ص ٨٤ - ١٠٤
- (٥) جورج مارسى ابحاث عن الآثار الاسلامية المجلة الافريقية سنة ١٩٢٢ ص ٢١ - ٣٨

أشير عاصمة بني زيري

مزينة بالروح جصية منقوشة وبحيوطه المزينة باقواس
مشتبكة *

وعثر الاستاذ قولفين على حجرة من الكلس
مزخرفة برؤوس اسود وعلى قطع من الخزف مزينة
بزخارف مسحوبة وعلى اربعة تيجان مزينة باوراق
منحرفة مثل تيجان جامع سيدي عقبة بالقروان وجامع
الزيتونة بتونس *

هذه هي النتائج التي حصل عليها الاستاذ
قولفين * فالقصر الذي اكتشفه هو في راينا البنيان
العظيم العجيب الذي ذكره صاحب «كتاب الاستبصار»
وسماه محراب سليمان *

علينا الان ان نواصل الابحاث حتى نكتشف
المباني التي نكرها ابن خلدون من قصور ومنازل
وحمامات والمباني التي لم تذكر من طرف المؤرخين
والجغرافيين مثل المساجد التي كانت موجودة بدون
شك بمدينة أشير عاصمة بني زيري *

بنية المرحوم خرائب ذات اهمية على نحو كيلومتر
شرقي ياشير * وعند رجوعه الى العاصمة اخبر
جورج مارسى باكتشافه * فانتقل جورج مارسى
وتابوتو والاستاذان لى تورنو Tourneau وقولفين
Golvin الى اشير وقرروا باجراء حفريات بهذا
المكان تحت رئاسة الاستاذ قولفين *

وهكذا اجريت حفريات ياشير من سنة ١٩٥٤
الى سنة ١٩٥٦ * فاكتشف اثناءها قصر زيري بن
مناد * فافادنا الاستاذ قولفين بالنتائج التي حصل
عليها في كتابه المشهور «المغرب الاوسط في عهد
الزيريين (٦)» ويمقال

صدر في المجلة الاميريكية «ارس اوربانتا ليس (٧)»
ان قصر زيري بنيان من الحجر على شكل
مستطيل طوله ٧٢ م وعرضه ٤٠ م يمتاز بسور محصن
بأبراج مربعة في الزوايا ومستطيلة في اضلاع
المستطيل وبباب عرضه ٩ م بارز على الحائط بحوالي
٣ م وبصحونه الخمسة المحيطة بقاعات مختلفة الشكل

(6) لوسيان قولفين المغرب الاوسط في عهد الزيريين من ١٨٥٠-١٨٤١

(7) لوسيان قولفين قصر زيري ياشير (القرن العاشر) اريانتا ليس سنة ١٩٦٦ من ٦٧ - ٧٦



الحرب العالمية الاولى لم تزل تقتل

نشرت دوائر الدفاع المدني فى فرنسا أرقاما تكاد لا تصدق وتشهد بأن حرب سنة 1914 - 1918 لم تزل لها ضحايا بعد انقضاء 55 سنة على نهايتها !

ففى سنة 1971: عثرت دوائر كسح الالغام على 260 ألف قنبلة وقذيفة ولغم الخ كانت دفينة فى الارض ولم تنفجر ، وفى سنة 1970 كانت قد عثرت على مثل هذا العدد .

وتبين بعد التحقيق ان صنف هذه الالغام والقنابل كان قد استخدم فى الحرب العالمية الاولى .

وفى سنة 1963 اى بعد انقضاء عشرين سنة على نهاية الحرب العالمية الثانية ، عثر فى فرنسا على 175000 صنف من أصناف القنابل والالغام التى لم تنفجر ، وفى الستين العشر المتصرمة كان نحو 540 شخصا ضحية لانفجار قنابل أو ألغام دفينة ، ومعظمهم من الاطفال الذين لا ينتبهون عادة الى خطر هذه الدقائق .

وان عمليات الكسح والتعطيل مشحونة بالخطر أيضا بدليل انه كان ضحية هذه العمليات منذ سنة 1962 الى اليوم نحو 592 من العمال الذين اشتركوا فى هذه العمليات . كما انه قد جرح نحو 850 آخرين .

وتفسر دوائر الدفاع هذه الاوضاع بانه قد دست فى الارض بضعة ملايين من الالغام المتنوعة بين سنة 1940 و سنة 1945 وان هذه الالغام تصعد الى السطح بفعل الانجراف والتاكل الطبيعى ولا سيما فى السواحل وفى الاراضى المفلوحة وفى الاماكن التى تجرى فيها مشاريع بناء كبرى .

ولهذا لم تزل السلطات تحذر السكان من مس هذه الدقائق الخطيرة وتطلب منهم أن يخبروا الشرطة حال عثورهم عليها

مقاومة الجزائر

للتكتل الأوربي

قبل الاحتلال

لقد كانت معظم الدول الاوربية وامريكا ، فى نهاية القرن الثامن عشر ، تدفع ضريبة سنوية واخرى دولية الى اىالة الجزائر مقابل حرية الملاحة فى البحر الأبيض المتوسط ، وكان حكام الجزائر يشترطون ان تكون جل الدفعات فى شكل مواد اولية او مصنوعة مثل اللوح والبارود والاسلحة والحبال الى غير ذلك مما تحتاج اليه الدولة فى حياتها اليومية (1) ، والتي يتعذر الحصول عليها بالطرق الاخرى ، لأن تجار شمال افريقيا كانوا لا يقبلون فى تلك البلاد ، واذا دخلوها ، فانهم يعرضون أنفسهم وما يملكون للهلاك والضياع .

د . محمد العربي الزبيري

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر -

(1) يذكر صاحب التقرير بأن جميع الدول الاوربية تقريبا ، تخضع طواعية للجزائر ، فيعوضها يزودها بالسفن والاسلحة ، والبعض الآخر يقدم لها الكور والبارود ، وجميعها تهدى الدراهم والبضائع وغير ذلك من الاشياء الثمينة.

(1) ANP, AE B3 304, "Rapport de THEDENAT",
présenté le 19 Août 1802.

وفي مستهل القرن التاسع عشر ، دعمت الجزائر اسطولها الحربى حتى أصبح يحتل مكانة مرموقة . ويتكون من ثلاثين مركبا ، وبارجتين باربع واربعين مدفعا تحت قيادة ضباط أكفاء مثل الرئيس حميدو (3) . ومن ثم تضاعف النشاط البحرى مستهدفا جميع الاساطيل الاوربية بنوعها ، وكثرت الغنائم ، خاصة وان اوربا كانت مشغولة بحروب نابليون التى دوختها واضعفت قواها ، فلم تعد تفكر الا فى الخلاص من براثن الامبراطورية الفرنسية التى كانت تعمل جاهدة ، لبسط نفوذها على كامل انحاء القارة ، وحينما انتصر الحلفاء أعادوا البوربون الى عرشهم فى فرنسا ، وراحوا يبحثون عن كيفية يحافظون بها على الانتصار : فكلفوا امبراطور النمسا (4) بتوجيه دعوات لمثل سائر الشعوب الاوربية التى شاركت فى الحرب لحضور مؤتمر يعقد فى فيان (5)

والواقع ان الدول الاوربية ، فى ذلك الحين ، كانت تعيش فى نزاع دائم فيما بينها نتيجة تضارب المصالح واختلاف النظم ، ثم جاءت حروب الثورة الفرنسية فكادت تعمها جميعا ، وجندت لها كل طاقة حية . ولذلك لم تتمكن هذه البلدان من اتخاذ اجراءات حاسمة تجعلها فى مأمن من مدافع بحارة الايالة . بل على العكس ، فان عددا من هذه الدول كانت تتقرب للجزائريين وتخطب ودهم ليساعدها على مجابهة اعدائها ، او على تحطيمهم كما فعلت انكلترا فى عهد الداى بابا حسن لعزل فرنسا وتجريدها من الامتيازات التجارية التى كانت تحظى بها فى موانئ الشرق الجزائرى (2) وكان الجزائريون يجدون ، فى هذه المواقف الاوربية ، خدمة لمصالحهم فيؤيدون هذا مرة ، ويقفون ضده مرة أخرى الى أن يضاعف الهدايا ، ويزيد فى تنويعها .

ومن جملة القضايا الهامة التى أثرت فى هذا المؤتمر مسألة الجزائر التى ظلت تتابع جهادها البحرى مقلقة ، بذلك ، سائر الدول المسيحية . وبعد مداولات ومناقشات ، أجمع الحاضرون على ضرورة القيام بعمل مشترك للقضاء على حكومة الدايات « وايجاد حكومة محلية ، تحترم القوانين

واذا تأملنا فى تصرف الايالة هذا الذى قد يعتبر غير مشرف لعدم التزامه بالمبادئ ، وجدنا انه يشكل - بالاضافة الى كونه من متطلبات الجهاد البحرى - رد فعل على وقوف اوربا ضد تكوين اسطول تجارى جزائرى ، وعلى الاستغلال التجارى الذى يتعرض له الاهالى نتيجة لذلك .

(2) Mercier, HIST. DE L'AF. SEPT. T III P. 445.

(3) هو حميدو بن على من مواليد مدينة الجزائر ، اشتهر بالشجاعة والمهارة الحربية ، حقق انتصارات كثيرة لبلاده ، وعند ما تولى عمر باشا حكم الايالة طلب منه ان يحضر له سفينة امريكية فخرج الى المحيط الاطلسى حيث التقى باسطول من الولايات المتحدة يقوده الكومادور ديكاتور ، واشتملت نيران المعركة ولكن «المسعوده» (سفينة الرئيس) لم يتمكن من قهر البوارج الامريكية واصيب حميدو بقبيلة اردته قتيلا ، والقيت جثته فى البحر حسب رغبته وتطبيقا لشعار البحارة الجزائريين «يا بريطة ، يا كريمة ، يا قاع البحر»

(4) هو فرانسوا الاول - 1768 - 1835 - الذى حارب نابليون ثم زوجه ابنته ماري لويز

(5) وقع سنة 1814 - 1815

مقاومة الجزائر للكتل الاوربي قبل الاحتلال

سنوات (7) ، وقد أدت عملية النقل هذه الى توقف النشاط التجارى ردحا من الزمن ، كما انها تسببت فى تهديم المؤسسات بعد ان ألقي القبض على من كان بها من ممثلى التجارة البريطانية ، كما سبق أن رأينا .

وعلى الرغم من ان هذه الحملة كانت ، فى ظاهرها ، تنفيذاً لارادة الدول الاوربية ، فان بريطانيا كانت تهدف ، من خلالها ، الى فرض سيطرتها على البحار للاستحواذ على طرق المواصلات وللحفاظ على مصالحها فى الشرق والهند، بعد ان فقدت مستعمراتها فى القارة الامريكية ؛ كما ان هناك دافعا أساسيا آخر جعلها تقوم بهذا العدوان . ويتمثل فى حصولها على جميع الجزر الايونية (8) .

وقد تمت الحملة على مرحلتين : مرحلة اولى ابرمت فيها عدة اتفاقات مع اولى الامر فى الايالة ، وكانت كلها لصالح الجزائريين ؛ حتى ان البلاطات الاوربية احتجت بشدة ونددت بتصرفات اللورد التى قيل عنها انها «تسمح لقرصنة الجزائر بملاحقة السفن المسيحية التى ترفض تسديد الاتاوات لها» (9) ، واتهمته بالضعف والجبن مما دفع حكومته الى تانيبه ، وأمره بإعادة الكرة لتحرير العبيد وارغام الجزائر على ارجاع المبالغ المالية التى اتصلت بها كقضية لبعض هؤلاء الاسرى . أما المرحلة الثانية ، فهى التى انضم فيها الى الاسطول الانكليزى . اسطول هولندى بقيادة

الدولية ، (6) وبما ان بريطانيا كانت ، فى ذلك الحين ، قد بلغت أوج سلطانها ، كلفها المؤتمر الاتصال بالجزائر ، واستعمال كل ما لديها من وسائل لأرغام الايالات العثمانية على إلغاء الرق ، وانهاء ما أسموه بالقرصنة فى حوض البحر الابيض المتوسط .

غير ان الجزائر لم تعط أية أهمية لقرارات هذا المؤتمر ، وضاعفت حملاتها المظفرة ضد الشواطئ والاساطيل الاوربية ، اقتناعا منها بان ذلك ضرورى لانه يعوض منافع التجارة التى حرمت منها نتيجة تأمر الاوربيين ، واضطرت ان تتركها بين ايدي الاجانب يعيثون بها وبغيرها من ثروات البلاد .

وهكذا ، فان الجهاد البحرى كان يشكل رد فعل على وضع قائم تسببت فيه الدول الاوربية بتصرفاتها العدوانية المتعصبة ؛ ولا يمكن التخلل عنه بمحض الارادة . ولذلك قررت بريطانيا تنظيم حملة تأديبية واسعة النطاق أطلق عليها المؤرخون اسم قائدها اللورد آكسمات .

حملة آكسمات :

لقد أثرت هذه الحملة تأثيرا كبيرا على التجارة الخارجية فى الشرق الجزائرى ، لانها جعلت السلطات الجزائرية تعيد حق استغلال الموانئ هناك الى الفرنسيين بعد ان تمتع الانكليز مدة لا تقل عن 10

(6) Fillias, NOTICES... P. 14.

يذكر المؤلف ان هذه الفكرة جاء بها السيد كاستلرى وزير خارجية بريطانيا فى ذلك الحين
(7) Ferraud, "Destruction des Etablissements Français de la Calle en 1827, d'après des documents indigènes" R.A. T. 17, 1873, P. 426.

(8) Mercier, HIST. DE L'AF. SEPT., T III, P. 491.

(9) نفس المصدر

وانتهت بعد ثلاثة ايام بانتصار الحلفاء ، و ابرام اتفاق
يحتوى على النقاط التالية :

- 1 - الغاء الرق الغاء كلياً ودائماً .
 - 2 - تسليم جميع العبيد مهما كانت جنسيتهم
الى الاميرال الانكليزي .
 - 3 - استرجاع الاموال التى قبضها الداي منذ
بداية السنة مقابل تحرير بعض العبيد .
 - 4 - تعويض الخسائر التى اصببت بها القنصلية
الانكليزية .
 - 5 - اعتذار الداي امام وزرائه وضباطه ، وفقاً
للصيغة التى اختارتها انكلترا .
- أما عن أسباب الهزيمة ، فهناك روايتان متناقضتان
تقول الاولى : لقد انهزم الجزائريون لانهم لم يكونوا
قد استكملوا الاستعداد ، ولان القائد البريطانى
استطاع ان يقضى على اسطولهم ، وهو فى الميناء ،
عند ما أرسل ، تحت وابل من القنابل ، قارباً الصق
أقمصة مكبرة بالبوارج التى تسد مدخل المرسى ،
ثم وجه اليها مدافعه فاشتعلت النيران والتهمت كامل
القطع التى تشكل الاسطول الجزائرى (10) ، ومعنى
ذلك ان الجيوش المسيحية انتزعت هذا الانتصار
انتزاعاً بفضل تفوقها على اعدائها من حيث التخطيط
والاستماتة فى القتال .
- أما الرواية الثانية ، وهى جزائرية ، فانها تنسب
الهزيمة الى تحايل اللور آكسماوت وانخداع
السلطات المحلية له : ذلك ان «التمرود رفع راية

الاميرال فان كابلان ، وتجلي فيها التكتل المسيحي
ضد الايالة المسلمة . ولنا أدلة كثيرة على هذا التكتل
نستخلصها من مختلف المصادر التى عثرنا عليها (10)
ونوجزها فى النقاط التالية ، بالإضافة الى الوحدة
المذكورة بين الاسطولين الهولندى والبريطانى :

- 1 - ان ملوك هولنده واسبانيا وصردينيا قد
منحوا رتبة القروسية الى اللورد .
 - 2 - ان مدينة لندن منحتة حق البورجوازية ، وان
رئيس البلدية فيها سلمه ، باسم أصحاب الحرف ،
سيفاً مرصعاً بالماس .
 - 3 - ان مدينة اوكسفورد البريطانية منحتة حق
البورجوازية .
 - 4 - ان جمعية تحرير العبيد فى فرنسا ضربت
ميدالية ذهبية تخلد الانتصار وتحمل صورة اللورد ،
وذلك على الرغم من العداوة التقليدية بين فرنسا
وانكلترا ، وعلى الرغم من ان بريطانيا كانت قد
بذلت كل ما فى وسعها للقضاء على الامتيازات
الفرنسية فى شمال افريقيا .
- و حينما وقع الاتصال بالجزائر ، ورأى عمر باشا
(11) هذا التكتل وما وراءه من قوة ، لجأ الى الماطلة
فى جوابه وادعى انه لا يستطيع البت فى امر هام
كهذا ، بدون استشارة الباب العالى ، ولذلك طلب
مهلة لاعطاء الرد النهائى ؛ وفى الواقع ، لقد اتبع
هذه الحطة ليتمكن من الاستعداد للمعركة التى بدأت
يوم السابع والعشرين أوت من نفس السنة - 1816 -

(10) ANP, F 80 et F 80 1670 .

— OMCH, F IX, Dossier ALG. EXPEDITION DE 1816, PP. 5-8 .

— Playfair (R.L.), "Episodes de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbares
avant la conquête Française", R.A. T 24, 1880, PP 31 - 34 .

(ANP, F 80, CHRONOLOGIE ALGERIENNE, P. 11).

(11) هو الداي الثامن بعد بابا حسان ، وقد تولى الحكم سنة 1815 بعد ان قتل سابقه الداي محمد ، وفى عهده حل الطاعون واجتاح
الجراد الايالة ، ووقع السلم مع الولايات المتحدة

(12) Fillias, L'ALGERIE DE 1830 A 1860, P. 14.

مقاومة الجزائر للتكتل الاوربي قبل الاحتلال

2 - تأكد الشعب الجزائري من عجز الدولة العثمانية التي كان يعتقد انها قادرة على حمايته ، وتيقن انه يجب الاعتماد على النفس ، فراح يستعد للطوارئ ؛ الامر الذي سيمكنه ، فيما بعد ، من الصمود ، سنوات عديدة ، في وجه الاستعمار الفرنسي .

3 - اكتشاف السلطات الجزائرية لاهمية البيون الحربية ، وتزويدها له بمدافع ثقيلة تمنع هجومات من هذا النوع .

4 - شعور فرنسا بان بريطانيا تحوم حول المنطقة ، وتهدف الى احتلالها ، قصد السيطرة على البحار . ووجود انكلترا في حوض البحر الابيض المتوسط يحد من نشاط التجارة الفرنسية ، مما جعل من المحتوم على مملكة العود ان تتخذ التدابير التي يمكن ان تحول دون هذا الاحتلال ، ومن ثمة كانت هذه الحملة سببا في خلق عداوة جديدة بين هاتين الدولتين الاوربيتين المسيحتين في المنطقة .

5 - استرجاع السلطات الفرنسية لاهم المؤسسات التجارية التي تدخل في نطاق الامتيازات ، والتي ظلت في حوزة بريطانيا مدة عشر سنوات ابتداء من عام 1807 .

هذا وقد اورد شالار (15) قائمة بأسماء المراكب المكونة للاسطولين اللذين قاما بالعدوان على الايالة ، نوردها هنا لنعطي فكرة عن القوة الهائلة التي استعملها الحلفاء في حملتهم هذه ، مع العلم بأن أكبر بارجة حربية جزائرية لا تتوفر على أكثر من سبعين مدفعا .

بيضاء على الصواري تشير الى السلم . ثم توجه الى الارض وأرسل كتابا الى الباشا يذكر فيه انه جاء يشتري جميع العبيد . ولكن ذلك كان كذبا وبهتاناً، لان الغرض الحقيقي من الرسالة كان هو صد الانظار حتى يتمكن من تنفيذ خطته . وعند ما دخل الاسطول الى المرسى ، باغت المدينة بوابل من القنابل (13) . وما من شك ان هذه هي الرواية الصحيحة لان السيد شالار الذي كان قنصلا عاما لامريكا في الجزائر ، يؤكد بأن البحرية الجزائرية كان من الممكن ان تنتصر على أعدائها بكل سهولة لو انها اطلقت النار على اسطول الحلفاء ، ومنعته من الدخول الى الميناء حيث احتل مواقع استراتيجية (14) .

ومهما يكن ، فان المعركة كانت حامية حتى ان اللورد اضطر الى التراجع ، وصار يفكر في الانسحاب النهائي . ولكن تخوف السكان من تكرار هذا الهجوم المفاجيء الذي أحدث لهم أضرارا كبيرة ، هو الذي دفع الداي الى قبول المعاهدة الآنف الذكر ، ولو انه ثبت في موقفه قليلا لاستطاع ان يخرج من القتال منتصرا ، وان يجنب البلاد كارثة كان لها بالغ الاثر في جميع الميادين .

أما النتائج التي أسفرت عنها هذه الحملة فمتعددة وأهمها :

1 - ظهور التضامن الفعال بين بلدان المغرب ؛ اذ سارع سلطان مراكش وبای تونس الى مساعدة الايالة المهزومة على تجديد اسطولها . ولم يمض على الحادثة المؤلة عام واحد حتى تجدد الاسطول ، واعيد بناء العاصمة ، كما لو لم تصب بقنبلة واحدة .

(13) Devoulx (A.), TACHRIFAT, Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger, SD. PP. 13 - 14.

(14) شالار ، ص 172

(15) شالار ، ص 383

جدول بأسماء السفن الحربية التي شاركت في الحملة ضد الجزائر

سنة 1816

| الاسطول الهولندي | | الاسطول الانكليزي | |
|------------------|-------------------------|-------------------|-------------------------|
| عدد مدافعه | اسم المركب | عدد مدافعه | اسم المركب |
| 40 | Le Mélanus لوملبيس | 100 | Charlotte الملكة شارلوت |
| 44 | La Frédirica لافريدريكه | 98 | L'imprenable لانبرونايل |
| 36 | Le Dagaraad لودكراد | 74 | Le Superbe لوسيبارت |
| 40 | La Diane لاديان | 74 | Le Minden لومندن |
| 44 | L'Amstel لامستال | 74 | L'Albin لالبيون |
| 24 | L'Andracht لاندراخت | 50 | Le Léandre لولياندر |
| | | 40 | Le Severn لوسفرن |
| | | 40 | Le Glascon لوكلاسكون |
| | | 36 | Le Granique لوكرانيك |
| | | 36 | Le Hebre لوهبر |

والى جانب هذه السفن الحربية دعمت انكلترا اسطولها بالقطع التالية :

- 5 بوارج حربية
- 4 قاذفات للقنابل (أو مقنبلات)
- 14 قاربا حربية للنجدة

مقاومة الجزائر للتكتل الاوربي قبل الاحتلال

يستسلم مهما كانت الظروف وكيفما كانت رغبة ملوك اوربا ، وان ايلته حرة في ان تحارب من تشاء وتسالم من تشاء . ولكي يقرن القول بالعمل ، أمر بمضاغفة النشاط البحري ، واستدعى جميع قناصل الدول المسيحية وأخبرهم بان « كل بلد يتراخي في تسديد الضرائب أو يتهاون في ارسال الهدايا المعهودة ، سوف يعتبر عدوا ، ويتعرض - لا محالة ، لغزونا ونيران مدافعنا » (20) .

حرب عام 1824 :

وقد ظل الوضع على هذه الحال الى ان كانت سنة 1823 ؛ فتطورت الامور تطورا خطيرا ، وأخذت الايالة في تشديد الرقابة على الهيآت الاجنبية التي بدأت تتدخل في شؤون البلاد ، وخاصة قنصلية فرنسا ، في عنابة ، التي كانت تقوم بالعمليات التجارية المحظورة مثل توريد الاسلحة النارية وبيعها الى مختلف القبائل الجزائرية (21) .

وفي اواخر السنة المذكورة ، اتهمت السلطات الجزائرية بعض الاشخاص ممن يعملون في القنصليات الاجنبية ، اتهمتهم بالتآمر على أمن الدولة ، وارادت النظر في أمرهم ، فطلبت من القناصل تسليمهم ،

وبالنسبة لاعضاء مؤتمر فيان ، فان الحملة لم تؤت ثمارها ، اذ ان البحارة الجزائريين لم يهنوا ، وواصلوا نشاطهم بنجاح باهر حتى ان اوربا اندهشت لذلك وخصصت الجزء الاكبر من مداولاتها - اثناء مؤتمر آكس لاشبال الذي انعقد في العشرين من نوفمبر سنة 1819 - لدراسة الوسائل اللازمة للقضاء على ما أسموه بالقرصنة (16) . ثم اتفق المؤتمر على ان اى اعتداء تتعرض له المصالح التجارية لأية دولة اوربية يجب ان ينجر عنه عقاب شديد تقوم به جميع الدول ضد الايالات المغربية ؛ وطلبوا من ممثلي فرنسا وانكلترا (17) أن يتوسطا لدى حكومتيهما لتوجها الى دول شمال افريقيا « كلاما جديا ، وتندراها بان الاستمرار في طرق العنف والعداء ضد التجارة المسيحية سيكتل ضدها - مرة أخرى - قوات اوربا بأسرها » (18) .

وعلى اثر هذا الاتفاق ، تم تشكيل وفد مزدوج سافر الى الجزائر يوم 5 سبتمبر 1819 تحت قيادة الاميرالين جوليان Julien الفرنسي وفريمنثلي Free mantle الانكليزي ؛ ولكن الداي حسين (19) رفض الامتثال للامر الذي اتيا به وقال انه لن

(16) بيليسى ، ج 1 ص 16 ، غير ان مارس فى - تاريخ شمال افريقيا - ج 3 ص 506 يذكر بان المؤتمر وقع يوم 18 نوفمبر بدلا من يوم 20

(17) وزير خارجية فرنسا السيد ريشليو ، ووزير خارجية انكلترا السيد كاستلري

(18) Fillias, L'ALGERIE DE 1830 A 1860, P. 56.

(19) تولى الحكم سنة 1818 بعد وفاة على بورصلى خليفة عمر باشا وفى عهده اصبحت البلدة برزال مريح ، واشتدت الرقابة على المؤسسات الفرنسية فى عنابة ، وفى عهده كذلك وقعت حادثة المروحة الشهيرة ، وتم احتلال البلاد ، وقد كان رجلا تقيا ، مخلصا وشجاعا ، حكم الايالة بالعدل والاعتدال (ANP, F 80, Chronologie Algérienne, P. 11).

(20) Fillias, L'ALGERIE DE 1830 A 1860, P. 57 et Mercier, HIST. DE L'AF. SEPT., T. III, P. 506.

(21) بيليسى ج 1 ص 14

عاصمة الايالة . ومن جملة هذه التعليمات أن يلجأ الى السفينة ، وان يتخذ منها مقرا يعلى منه شروطه على السلطات الجزائرية (24) .

ولما علمت الجزائر بهذا التكتل ، أرادت أن توجه ضربتها الى السيد ماك دونال - رأس الفتنة وروح المناورات - فطلبت من الحكومة الانكليزية استبداله بشخص آخر ، ورفضت كل تفاهم معه ، خاصة بعد ان غادر التراب الجزائري والتحق بالسفينة المذكورة وحاول جميع القناصل المحايدون ان يتدخلوا لتسوية الخلاف ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك ، الامر الذي جعل سينسر يعود الى بلاده كما جاء .

وفي فاتح فبراير سنة 1824 ، قدم الامرال هاري نيل في اسطول حربي بأمر مكتوب يقول : « ان بريطانيا تعتبر نفسها في حالة حرب مع الجزائر ، وان نيل سيشدد الحصار على الموانئ ، ويتخذ جميع التدابير اللازمة الى أن يستجاب لمطالب العرش الانكليزي . وتتلخص هذه المطالب في النقاط التالية (25) :

- 1 - امتداد الحصانة الدبلوماسية الى دارالقنصل الريفية .
- 2 - حق رفع العلم البريطاني فوق مبنى الدارين (26) .

ولكن قنصل امريكا ، وبريطانيا لم يستجيبا للطلب وأصرا على عدم الامتثال لاوامر الداي الذي اعتبر الموقف تدخلا في شؤونه الخاصة . ووجه لهما انذارا أخيرا ؛ ثم استعمل القوة لفرض ارادته ، واحترام السيادة الجزائرية ؛ مما جعل قناصل هولندية وانكليترا وامريكا (22) يرفعون احتجاجا ، باسم حكوماتهم ضد العنف . غير ان الديوان اهمل برقيتهم ، ولم يعرها أى اهتمام ؛ ولذلك انعقد اجتماع آخر يوم 2 ديسمبر 1823 ، في دار القنصل الامريكي ضم جميع القناصل الاجانب ، وتمخض عن لائحة احتجاج ثانية . حملت حيناً ، الى الداي الذي ردها عليهم مذكرا اياهم بان الايالة حرة في تصرفها مع رعاياها تماما كما هو الشأن لسائر البلدان المتحضرة (23) .

وأخبر الدبلوماسيون حكوماتهم بهذا الرد الحازم ، فقامت كل من فرنسا وانكلترا باتخاذ الاجراءات التي رأتها ضرورية لرفع التحدي ، ولارغام الايالة على التراجع عن موقفها . أما السلطات الفرنسية فقد أمرت قنصلها ان يتصل بزميله البريطاني لتتضافر الجهود ، وليعلم الداي انه أمام تحزب فيعدل عن نواياه . واما البريطانيون ، فانهم أرسلوا الى ميناء الجزائر ، بارجة حربية بقيادة النقيب سينسر تحمل التعليمات الى ممثلهم في

(22) اما قنصل فرنسا فانه امتثل للاوامر ، وسلم ما عنده من خدم ولذلك ، فان ماك دونال (القنصل الانكليزي) يقول عنه انه رجل بدون ضمير ، لا يمكن الاعتماد عليه . (شالار ص 227)

(23) نفس المصدر

(24) شالار ، ص 239 - غير ان دونال في مقاله ص 203 يذكر بأنه ارغم على مغادرة البلاد (25) OMCH, Fonds IX, DOSSIER ALG. AVANT 1830, Shaler, P. 247 et Aouell, P. 204.

(26) دار القنصلية في المدينة ، والدار الريفية التي يرتاح فيها القنصل . ويعتبر المبنى الثاني خاصا فلا يرفع عليه العلم

مقاومة الجزائر للتكتل الاوربي قبل الاحتلال

لم تقدم على هذه الحرب الا بعد ان تحققت من ان الايالة ارسلت الى السلطان محمود الثاني جزءا كبيرا من اسطولها ، مع خيرة بحارتها للمساهمة في اخماد الثورة اليونانية (29) .

وعلى الرغم من ان اعلان الحرب لا يمكن ان يصدر الا عن حكومة ، فان السلطات الفرنسية قد امتثلت له وامرت اعضاء الغرفة التجارية في مرسيليا باتخاذ التدابير اللازمة لمنع الاتصالات بموانئ الجزائر الشرقية ، حتى لا تتعرض مراكبهم للقنبلة او للحجز وحتى لا يتعكر الجو من جديد بين البلدين .

ولما كانت بريطانيا تريد الاضرار بمصالح التجار الفرنسيين ، فانها امرت اسطولها المحاصر بأن يسمح لغير السفن الفرنسية - وهي قلة - بالدخول الى ميناء الجزائر ، ويقول شالار ، عن هذه التصرفات بانها كانت منافية لقوانين الحرب (30) .

وقد ظل هذا الحصار قائما حوالى نصف عام ، تعطلت فيه التجارة الخارجية التى تتم عن طريق البحر، ولكن الجزائر لم تتأثر لذلك كثيرا لان خزينتها عامرة ، ولان الاسواق التونسية والمغربية كانت تزودها بكل ما تحتاج اليه من المواد الاوربية .

وحينما يشست القوات البريطانية من استسلام الايالة بواسطة الحصار ، لجأت الى حد السلاح وبدأت المعارك يوم 11 جويلت 1824 (31) ، ولكن صمود الجزائريين ارغم الانكليز على التقهقر ، وابرم السلم يوم 26 من نفس الشهر بعد ان قبل القائد الاعلى

3 - الاعتراف بالقنصل الانكليزى كعميد للقناصلة المسيحيين ، واعطاه جميع الامتيازات المترتبة على ذلك (27) .

4 - اعفاء الاهالى الذين يخدمون القنصل الانكليزى من الضرائب .

5 - عدم مراقبة الدبلوماسيين البريطانيين .

ومن الواضح ان هذه الشروط تهدف من جهة الى اشعار سلطات الايالة بالتفوق الانكليزى ، وخلق الجو المناسب الذى يساعد الدبلوماسيين الانكليز على استعمال جماعة من السكان فى القيام بأعمال التجسس ؛ وترمى من جهة أخرى الى القضاء على نفوذ فرنسا التى كانت تعمل على البقاء فى مركزها الممتاز ، والتسلل الى القارة السمراء لتوسيع تجارتها ، وتجنب الاخطار التى تتعرض لها بضائعها باستمرار ؛ والى تدعيم نفوذ بريطانيا التى فقدت مستعمراتها فى القارة الامريكية ؛ وأصبح عليها ان تضع خطة جديدة تمكنها من ايجاد أسواق عديدة تباع فيها منتوجاتها ، وتأخذ منها كل ما تحتاج اليه من المواد الاولية .

وقد ره الداي على هذه المطالب بأنه يرغب فى التصالح مع انكلترا ، ولكنه يرفض باصرار رجوع القنصل القديم ، ولذلك قرر حكام الانكليز انهم يعلنون الحرب ضد الجزائر ، وانهم يحاصرونها بحرا ويحتجزون جميع المراكب التى يجدونها على كامل الساحل الجزائرى (28) . ومن البديهي ان بريطانيا

(27) كان هذا الامتياز ، حتى ذلك الحين ، من حق القنصل الفرنسى

(28) Devoulx, TACHRIFAT, P. 15 et OMCH, F IX, Dossier ALG. avant 1830, LETTRE DU COMMISSAIRE GENERAL DE LA MARINE A L'INTENDANT DE LA MARINE A TOULON, le 24 Mars 1824.

(29) جاء فى هذه الوثيقة الاخيرة ان «نيل كتب لنا بان الحصار الذى يقوم به يشمل جميع موانئ الايالة»

(30) شالار ، ص 263

(31) دونال ، ص 204 ، ولكن شالار ، ص 273 يقول بان المعارك بدأت يوم 12

- السيد نيل - استبدال القنصل ماك دونال (32).
وهكذا ، لم تنجح انكلترا - مرة أخرى - في فرض
سيطرته على قلب شمال افريقيا ، وتأكدت من ان
القوة لا تجدى نفعا ؛ وبذلك تحتم عليها ان تغير
سياستها تجاه الجزائريين ، وان تعمل على التقرب
منهم بدلا من اعلان الحرب عليهم .

(32) OMCH, F IX, Dossier ALG. avant 1830, LETTRE DU CONSULAT DE SA MAJESTE BRITANIQUE A LA CHAMBRE DE COMMERCE, Marseille le 3 Août 1824 et Devoulx, TACHRIFAT, P. 15.



في تاريخ جامع مُستغانم العتيق

يوجد باقدم حي لمدينة مستغانم ، بنهج « البايك »
سابقا مسجد تاريخي عتيق يحاذي وادي العين الصفراء
ومساحته حوالي ١٢٠٠٠ متر مربع (١)
وما من شك انه اعيد بناؤه مرة او عدة مرات على
انقاض المسجد الاول الذي يرجع عهده الى ايام احتلال بني
مدين لتلمسان وذلك في القرن الرابع عشر ميلادي . اما
الصومعة الحالية فهي من هندسة تركية .

د . مولاي بلحميسي

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

(1) THIREAU, Mostaganem et ses environs, P. 115

ويذكر أبو عبد الله بن مرزوق (٤) من بين مآثر السلطان المريني ومنجزاته بناء عدد من المساجد بالغرب الجزائري مثل مسجد العباد ، ومسجد هنين وتوسيع الجامع الكبير بالعاصمة .

وتثبت السطور الاهدائية في الرخامة النفيسة أن بناء مسجد مستغانم كان من صنع أبي الحسن

ثم أن هذه الوثيقة المنقوشة ذات قيمة إخبارية جد هامة إذ غفل المؤرخون عن تاريخ تشييد هذا الجامع ، وعناية السلطان به ، كما يدل على ذلك ما أوقفه من دكاكين وأفران وغلال ينفق دخلها على الجامع في سبيل الله ، وعلى من يعمل به .

وبما أنه لا يوجد بين أيدينا في الوقت الحالي نص يثبت بصفة قطعية تاريخ استيلاء بني مرين على مستغانم فإن ما ورد في هذه الرخامة يدل على الأقل أن المدينة كانت سنة ٧٤٢ هـ ١٣٤١ م تابعة (مؤقتا) لدولة أبي الحسن على (٥) .

وينسب المستشرق روني باسي تشييد هذا الجامع إلى السلطان أبي عنان خلف السلطان أبي الحسن علي الذي حكم بفاس من ١٣٤٨ إلى ١٣٥٨ (٢) وبقى هذا الغلط التاريخي قاشيا إلى أن اكتشفت بحمام ابن برنو لوحة من الرخام مربعة منقوش عليها بخط أندلسي نص بناء هذا المسجد وتاريخه وتفاصيل أخرى ما كنا نعرفها من قبل .

فأثبتت هذه اللوحة أن باني هذا الجامع هو المريني أبو الحسن علي بن أبي سعيد . وكان ذلك في عام ٧٤٢ هـ الموافق لسنة ١٣٤١ م (٣) .

وكان السلطان المريني في ذلك العهد يقود جيوشه في سلسلة من الفتوحات لتوسيع رقعة مملكته ولتحقيق أعلى أحلامه وهو التحلي بلقب « أمير المؤمنين » .

ويشهد التاريخ لرجال لهذه الدولة الفاسية في ميدان العمران بما خلد ذكرهم ، فشغفوا بالبناء وخاصة في النصف الأول من القرن الرابع عشر .



(2) RENE BASSET, Mélanges... P. 105.

(3) A. BEL, Inscriptions arabes de Fès P. 390

(5) ولد بلمتسان سنة 710 هـ / 1310 م وتوفي بالقاهرة سنة 781 هـ - 1379 م ، وله كتاب سماه « المسند الصحيح » الأحسن في مآثر مولانا أبي الحسن »

(4) والغريب أن « المسند » الذي عدد منجزات السلطان في جميع تنقلاته لم يشر قط إلى حوادث مستغانم في أيام أبي الحسن



صورة الوقف

نص الوقف :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين (١) أمر ببناء هذا الجامع المبارك سيدنا ومولانا السلطان الاعدل عبد الله على أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبو الحسن بن مولانا أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف بن عبد الحق وصلى الله على نبيه وبلغه في فعل الخير سعيه ومقصوده وجعل ملوك الشرك خوله وعبيده وذلك في عام اثنين وأربعين وسبع مائة وحبس عليه خلد الله مفاخره وأريد أثاره الكريمة ومآثره حانوتين ثنتين *

بالسوق الكبير (٢) فتح باباهما قبلة وهما الملاصقتان لدار ابن أبي عروز وفرثي اثنين أحدهما *

قبلى هذا الجامع المبارك والآخر عن يمين الخارج من باب البلد وثلاث جرار من الزيت المستفاد *

من العشر لتصرف غلات الربيع المذكور في مرتب الامام الخطيب وقراءة الحزب والمؤذنين والحصر بعد الروم والاصلاح ويصرف من الزيت المذكور في الاستصباح ويتولى النظر في ذلك وصرفه حيث *

ذكر القاضي والخطيب معا وعشرة من اهل الخير نفعا الله بذلك المقام العلى وضاعف أجره وأطال عزه *

(١) قرآن كريم : ٧ ، آية ١٢٧

(٢) لعله السوق الموجود بالنهج الممتد من الدائرة - اليوم - الى المسجد * ويسمى ايضا حارة الحمام حيث عثر على اللوحة *

LA GRANDE MOSQUEE DE MOSTAGANEM : Historique.

Dans la rue du Beylik, le long de l'Aïn Sefra, un vaste édifice religieux occupe une superficie d'environ 12.000 m². (1)

Cet édifice occupe soit le tout, soit une partie d'une ancienne Mosquée édifée sous l'occupation de Tlemcen par les Mérinides. Le Minaret actuel est turc cependant.

René Basset attribue la fondation de la Grande Mosquée à Abû 'Inân, (2) (fils et successeur d'Abû I-Hasan'Ali qui régna à Fès de 1348 à 1358).

Mais un jour, on découvrit dans le vieux bain de Benbernou, une dalle carrée portant, en caractère andalous, l'inscription avec indication de la date exacte de la fondation de l'édifice religieux.

C'est bien le Sultan mérinide Abû I-Hasan Ali ibn Abî Sa'id qui ordonna la construction de la Mosquée en 742 de l'H = 1341-42. (3)

Cette date nous rapporte au temps des grandes conquêtes de ce Sultan, à l'époque où il cherchait non seulement à étendre les limites de ses Etats mais aussi à prendre pour lui-même le titre éminent et combien envié de «Prince des Croyants» (Amîr al Mu'mînin).

Les Mérinides furent en effet de grands bâtisseurs, surtout dans la première moitié du XIV^e siècle.

A l'actif du Sultan Abû I-Hasan Ali, ibn Marzûq (4) cite la construction de nombreuses mosquées, dont une à al'Ubbâd, une autre à Hunaïn ainsi que l'agrandissement de la Grande Mosquée d'Alger.

La fondation de la Mosquée de Mostaganem, qui n'avait jamais été attribuée à Abû I-Hasan est pourtant bien établie par l'inscription dédicatoire suivie de la table des habous.

Ce document épigraphique de cette époque est très précieux pour l'histoire, car les chroniqueurs sont muets sur la construction de cette Mosquée Cathédrale.

La traduction de cette inscription s'impose. Nous l'empruntons à A. Bel (inscriptions arabes de Fès).

TRADUCTION

- Louange à Allah, Maître des Mondes ! "La fin heureuse est à ceux qui craignent (Dieu)" (5).
- L'ordre de construire cette Mosquée bénie a été donné par notre Seigneur et Maître, le Sultan très juste, le serviteur d'Allah, Ali, l'Emir des Musulmans, soldat de la guerre dans la voie du Maître des Mondes, Abû I-Hasan, fils de notre maître, l'Emir des Musulmans, guerrier dans la voie du Maître des Mondes, Abû Sa'id,

(1) Thireau, Mostaganem et ses environs P. 115.

(2) R. Basset, Mélanges... P. 105.

(3) A. Bel, Inscriptions arabes de Fès. P. 390.

(4) Abû'Abd Allah ibn Marzûq, né à Tlemcen en 1310-11 / =710-11 mort au Caire en 1379/781, auteur d'un "Musnad"

(5) Qur'an, VII, 125.

fils de notre maître l'Emir des Musulmans, soldat de la guerre dans la voie du Maître des Mondes, Abû Yûsuf ibn'Abd al Haqq.

Qu'Allah répande ses Grâces sur son Prophète Muhammad ! qu'il mette l'acte de ce souverain au nombre des bonnes actions, fasse atteindre à ce monarque le but qu'il s'est proposé ! qu'il place les rois chrétiens parmi ses biens et en fasse ses esclaves !

Ceci eut lieu en l'an 742 (1340-1341). (Le fondateur) a établi en habous pour l'entretien de cette Mosquée - qu'Allah perpétue ses glorieux mérites conservés par les nobles pages de son histoire et les monuments qu'il a laissés ! :

1) Deux boutiques sises au souq principal (es-sûq al Kabîr) (6) ouvrant tous deux dans la direction de la qibla et contiguës à la maison d'ibn Abî'Azzûz.

2) Deux fours (à pain) dont l'un est au Sud de cette Mosquée bénie et l'autre à droite en sortant par la porte de la villa (7).

3) Trois jarres de l'huile retirée de la dîme.

Les revenus des immeubles ci-dessus seront employés au traitement de l'Imam et Hatîb de cette Mosquée, des lecteurs du hizb quotidien, à celui des Muezzins et à l'achat des nattes après (avoir prélevé le nécessaire) pour l'entretien et les réparations. Quant à l'huile ci-dessus mentionnée, elle sera employée dans les lampes (de la Mosquée).

Le contrôle de ces dépenses et leur emploi comme il a été dit sont attribués au qadi et au Hatîb ensemble, ainsi qu'à dix personnes (choisies) parmi les meilleures (de la ville).

Qu'Allah rende profitable (les actions de) ce noble souverain qu'il augmente la récompense (qu'il lui réserve) et étende sa puissance !

A défaut d'un texte historique précis sur la prise de Mostaganem par le Mérinide, l'inscription de la Mosquée indique, tout au moins, qu'en 742 de l'H/ = 1341-42 la ville faisait partie des Etats de Abû l-Hasan Ali (8).

(6) Peut-être le souq de la rue en pente dirigée à peu près d'Ouest en Est et qui part de la Daïra pour aboutir près de la Mosquée à sa partie basse. On l'appelle encore Harat al Hammam, à cause du bain maure qui se trouve dans le bas, non loin de la Mosquée et dans lequel a été trouvée cette inscription.

Il s'agit peut-être du nom de l'une des portes de la Mosquée, celle qui donnait du côté de la rue principale conduisant en ville.

(8) Dans le "Musnad" il n'y a aucune mention de la Mosquée de Mostaganem. Est-ce une omission ou un manque d'information ?



دراسات اسلامية

بِقِطَّةِ الْعِلْمِ لِلْإِسْلَامِ الْيَوْمَ وَنَهْضَتِهِ غَدًا

وَدَوْرُ الْإِسْلَامِ
الْفَعَّالِ فِيهِمَا
أَمَامَ تَحْدِيَّاتِ الْعَصْرِ
وَمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِ
الْغَزْوِ وَالْإِسْتِلَابِ

أود قبل كل شيء أن أحيي باسم حزب الشعب الموريتاني وحكومته الشعب الجزائري الثائر وقادته وأن أهنئهم بالإنجازات الكبرى التي تعتبر بحق مفخرة ومثالا يحتذى وأتمنى لهم التوفيق ومسيرتهم الطاهرة الاستمرار كما أود أن أشكر أخى الفاضل معالى مولود قاسم على الفرصة التي أتاحها لى لحضور هذا الملتقى حول الفكر الإسلامى الذى سنته وزارة التعليم الأسمى والشؤون الدينية فى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية سنة نرجو أن يقتدى بها فى أقطار أخرى من العالم الإسلامى حتى يعم الانتفاع بهذه التجربة الرائدة فى ميدان توجيه الشباب وتعريفه بحضارته الإسلامية العظيمة .

عبد الله ولد بويّة
وزير العدل
بالجمهورية الإسلامية الموريتانية

الا انه عندما نحاول اصدار حكم على العالم الاسلامي ككل وخصوصا عندما نريد ان نتنبأ عن مستقبل نهضته تصبح النظريات الرياضية وقواعد الاستقراء تقريبا عديمة الجدوى وتصبح لغة الأرقام والمعادلات غير معبرة *

ان أى نظرية تحقق نوعا من الحكم التقريبي كنظرية الاحتمال مثلا يصعب تطبيقها لرسم خط تقريبي لسير العالم الاسلامي ، ان عملية انتقاء العينات لتكون أساسا لاصدار قرار على مجتمع ما من الصعب الاعتماد عليها في هذا الموضوع لأننا أمام مجتمعات متعددة والعينات التي نأخذها قد لا تكون دقيقة لأنها غير ممثلة تمثيلا صحيحا كما ان عوامل التحيز شخصية أو مكانية أو زمانية لها دورها في التأثير على القرار *

اذا كل الذي أريد ان أقوله هو اني لا أستطيع اصدار حكم قاطع على العالم الاسلامي ككل كما اني لا يمكن ان اتنبأ عن مستقبل نهضته كما يتنبأ عن الانواء وحالات الجو لعدم وجود معطيات أكيدة وخصوصا لعدم وجود العينات التي تمثله ككل تمثيلا دقيقا *

اخواني الأفاضل :

بعد هذه الملاحظة وطبقا لطريقة عرض الموضوع التي أعلنت عنها قبل قليل ، فلنلق نظرة عابرة على ما سبق اليقظة الحديثة للعالم الاسلامي مكتفين بالإشارة والالمام بدون التعرض للتفاصيل ولا للاستدلال اذ ان المقام لا يتسع لأكثر من مقدمة بسيطة للموضوع الذي نحن بصدد معالجته *

ان العالم الاسلامي أخذ شكله الجغرافي الحالي تقريبا في القرن الأول بمعنى ان هذه الرقعة في آسيا وافريقيا شملها الاسلام في ذلك الوقت واقول تقريبا

وأود أيضا ان أقول ان حرصى على الحضور شخصيا لا يعنى أبدا اننى ادعى لنفسى مقام المحاضر أو أهقر الى كرسى الاستاذية لأقدم لهذا الملا الجليل نظريات جديدة ومعلومات نادرة بل انى أردت فقط ان أستفيد شخصيا من البحوث والدراسات المفيدة الخصبة التي ستكون ثراء في موضوع له أهميته في حياة الأمة الاسلامية العملية وكذلك لاستفيد من اسلوب نظام هذا الملتقى من جهة ، ومن جهة أخرى لتبادل وجهة النظر حول بعض المواضيع مع أخى مولود قاسم الذي أتمنى له كل نجاح وتوفيق *

ان الموضوع الذي سأحاول ان أقدم فيه مساهمة متواضعة هو « يقظة العالم الاسلامي اليوم ونهضته غدا ودور الاسلام الفعال فيهما أمام تحديات العصر ومختلف أنواع الغزو والاستلاب » وكما ترون فهو موضوع مترام الأطراف متسع الأرجاء كاتساع رقعة العالم الاسلامي * وفي رأيي ان دراسته تقتضى منا ان نقسمه الى اقسام لنتمكن من لقاء الضوء على جوانبه المختلفة باختصار *

ولذلك أستعرض بصفة موجزة ما قبل هذه اليقظة ثم ننتهى الى اليقظة ومميزاتها والشروط التي يلزم ان تتوافر لتكون نهضة الغد قائمة على أساس صحيح ملمعين في نفس الوقت الى التحديات التي تقف في وجه النهضة ودور الاسلام ومكانته في هذه المراحل المختلفة *

ان ملاحظة تفرض نفسها وأريد ان أقدمها بين يدي هذا المقال حتى لا اتحمل مسؤولية الحكم في موضوع لا يمكن الضغط عليه ولا الاحاطة بكل جوانبه * من المعلوم ان تطبيق النظريات الرياضية على الظواهر الاجتماعية والتنبأ عن سير الحركة الاقتصادية وعلاقة الانتاج بالسكان أصبح امرا ميسورا *

لتلك الحروب والأوضاع الداخلية المتردية منهوكتى القوى تجران أذيال الدمار وتلوحان بأعلام الفناء .
حتى أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . فدعى الناس كافة الى الاستسلام لله وحده وليكونوا أمة واحدة ققام معه أولئك الذين وفقهم الله لفهم هذه الدعوة ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور أو « من السرداب المظلم الى قسيح من الأرض » على حد تعبير المستشرق الانجليزى اللورد هيدلى الذى وصف بذلك حالته عندما خرج من ديانة قومه ودخل فى الدين الاسلامى .

وهكذا أذنت العناية الالهية بظهور عهد جديد قوامه العدل والأخوة الانسانية والمساواة والشورى وقاعدته الايمان بالله الواحد الأحد ورقض الخرافات مهما كان نوعها وأيا ما كان مصدرها .

أسوق هنا كمثال بسيط كسوف الشمس فى عهد النبى (ص) يوم وفاة ولده ابراهيم فيقول الناس انما خسفت بوفاته فيصعد الرسول على المنبر لينفى نفيا قاطعا مثل هذه الخرافة قائلا ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخفان لموت أحد ولا لحياته .

انها حياة جديدة من الجد والاجتهاد ، لا تعرف الملل ولا تخضع أمام العقبات ، كانت حياة الرسول وخلفاؤه مثالا يحتذى وقدوة لا يوجد له نظير ، ان حياة النبى صلى الله عليه وسلم كانت كلها هدى ونورا وعبرة لأولى الالباب .

فماذا يمكن أن أقول عنها ، ولكنى سأترك كاتباً غريباً هو كارلايل توماسى الانجليزى فى القرن التاسع عشر يتكلم عنها فى كتابه الأبطال « انه من الخطأ أن نعد محمدا رجلاً كاذباً متصنعاً متذرعاً بالحيل والوسائل لغاية أو مطمع وما الرسالة التى أداها الا الصدق والحق وما كلمته الا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول ، وما هو الا شهاب

لأن اندونيسيا وبعض النواحي الأفريقية لم يصل اليها الاسلام الا فى فترات متأخرة .

بدأ هذا الدين من جزيرة العرب فغير مجرى تاريخ البشرية التى انحرفت فى ذلك العصر عن الطريق السوى وضيعت امانه ولم تقم بأعباء الخلافة فى الأرض فأذن الله بقيام الأمة الوسط التى عهد اليها بقيادة البشرية « وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم » .

وهكذا كانت بعثة النبى (ص) فاتحة ذلك العهد الجديد بعد أن بلغت الجهالة أوجها وسادت الخرافات وعبادة الحجارة وغيرها حيث أصبح لكل قبيلة رب .
مما عبر عنه الشاعر بقوله :

أريبا واحدا أم الف رب
أدين اذا تقسمت الشؤون

فلا العزى أدين ولا ابتيتها
ولا صنمى بنى طسم أدين

وتبعاً لهذه الحالة فإن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية كانت متردية الى اقصى حد فعمليات النهب والسلب كانت قانون العرب .

ولم تكن الحالة مرضية فى الامبراطورية الفارسية التى تقع على الحدود الشرقية للعرب فالعالم المانى والمزدكية لم تعد صالحة ، والفلاحون يعيشون ظروفا قاسية والاعتقال للاستيلاء على العرش أصبح سنة والحرب مع الملكة البنظية لا يطفأ أوارها حتى تشب من جديد ولم تكن هذه الملكة البنظية التى تقع على الحدود الشمالية العربية بأحسن حالا . فالامبراطور هو كل شيء والديانة المسيحية قد حرفت وأصبحت وسيلة لتكديس الثروة فى أيدي رجال الكنيسة .

وباختصار فإن الامبراطوريتين خرجتا نتيجة

أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء :

أحب محمدا لبراءة طبعه من الرياء والتصنع ، ولقد كان ابن الصحراء مستقل الرأي لا يعتمد الا على نفسه ولا يدعى ما ليس فيه ولم يكن متكبرا ولا ذليلا في ثوبه المرقع كما أوجده الله يخاطب بقوله الحر المبين أكاسرة العجم وقياصرة الروم يرشدهم لما يجب عليهم لهذه الحياة والحياة الآخرة ، تلك نبذة مما قال وقاله كتاب آخرون منصفون *

وأما أصحابه فكما وصفهم أحدهم كانوا على قلب رجل واحد ، وكفى أن نتعرض لميدان الرئاسة أو الخلافة قد كانوا يعتبرونها عبئا جليلا من حملته على كاهله يصبح هو نفسه تجسيدا للمسؤولية يسهر على أحوال الرعية من أدناها الى أعلاها فالخليفة الذي يعين عن طريق الشورى يلزم نفسه بهذه الشورى ، فالاجتماعات تلو الأخرى لمناقشة المسائل المختلفة من قتال أهل الردة أو الثوار الذين يهددون وجود الدولة الى مشاكل توزيع أرض العراق وكل ذلك يقع البت فيه علنا وبمراءى ومسمع من الأمة الاسلامية بعد مناقشات تصل الى الحدة في بعض الأحيان كما وقع بين الخليفة عمر وبلال في مسألة أراضي العراق مما لا مجال لذكره هنا *

مصلحة الأمة أصبحت فوق كل الاعتبارات فالدولة تتوسع رقعتها والادارة تنظم والأموال توزع بعدالة والولاة يراقبون مراقبة شديدة وأحوال الرعية تقع متابعتها بدون تراخ فلو قتل ذيب شاة في أقصى المملكة لكان الخليفة مسؤولا على حد تعبير الخليفة عمر *

ان الروح الجماعية كانت من الظواهر الواضحة في أيام حكم الخلفاء ، ولكن بعد ثلاثين سنة يتغير الحكم ويصبح حكم الشورى أو ما سميناه بالحكم

الجماعي حكما ملكيا فرديا وارثيا أو على حد تعبير الحديث الشريف « ملكا عضوضا » واختفت الأمة ولم تعد للشعب الاسلامي كلمة في أخذ القرارات كما كان في عهد الراشدين *

لا أريد أن اتحدث عن حقبة التاريخ المتتالية الى عصور الانحطاط الا بقدر ما نشير بعلاقتها بالعصر الذي نعيشه فقط *

أقول ان انحرافا عن الطريق للعصر الأول قد طرأ مما يشكل بداية نظام لا يتلاءم مع روحانية الاسلام ومثاليته *

الا ان انطلاقة الاسلام لم تتوقف وامتداده لم يتعطل ، والحركة العملية التي مهد لها الاسلام استمرت وساد العمران في انحاء المملكة الاسلامية التي ظلت رقعتها تتسع يوما بعد يوم وتستقطب شعوبا جديدة أضناها الظلم واضاعها الفساد لتجد في احسان الدين الجديد طلاق سراحها وصلاح احوالها ومنتفس احزانها وانطلاق قواها الاخلاقية ، الا ان الانحراف عن الروح الاسلامية ظل يطبع خط سير المجتمع وأصبحت الهوية تزداد مع الايام عمقا بين سلوك الأمة وتعاليم الاسلام وبالتالي انحسرت الروح الاسلامية الحققة من حياة الدولة لتصبح قضية شخصية وسلوكا فرديا وبالتالي مسألة ضميرية وفرضت على الاسلام عزلة عن الحياة العملية اليومية غيرت طبيعته وانحرفت عن رسالته وردته الى ابعاد غير ابعاده الحقيقية - فتكونت في المجتمع طوائف وطبقات ونشأ تصوف ورهبانية بجانب القصور والملا هي فلا أولئك استطاعوا اصلاح المجتمع ولا هؤلاء قدروا على قيادته فخوت النفوس من الايمان و « لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه » ونتيجة لهذه الاوضاع الفاسدة استغل السوء وعز السوء ووطئت الارض الاسلامية الطاهرة سناياك

المرض واضناه الاعياء وخانته اطرافه المشلوله وقوة الضربات التي سددهت اليه فلم يكذب يفيق من ضربة الاسددهت اليه اخرى ، الا ان القوة الذاتية للاسلام كانت اقوى من كل الضربات واقدر من كل النكبات وكانت حدها كفيلا رغم العقبات والصعاب باعادة الشباب الى العالم الاسلامي .

فقامت الانتفاضات والكوارث في كل مكان وتحركت الهمم واثرت العزائم ، ولقد كان المسلمون في بداية عصر الاستعمار مثل جيش فقد قادته واختل نظامه فأصبح كل فرد يقاتل لينجو بنفسه ويسير في غير اتجاه فقد سدت عليه الابواب وأفقده المواجهة صوابه .

الا اننا في عصر اليقظة نشاهد هذا الجيش ينظم وحداته وتقوم كل خلية منه بتنظيم نفسها وتعود اليها معنوياتها وفعلها فقد تحركت هذه الخلايا من جبال المهاليا الى جبال الاطلس ومن جبال باريزان في اندونيسيا الى جبال الفوتاحل في غينيا ، ان اصداء الدعوة الى الجهاد او الاصلاح اذا ردها جمال الدين الافغانى والدكتور اقبال والشيخ محمد عبده وابن باديس يتجاوب معها العالم الاسلامي في كل مكان وتنطلق التحذيرات على كل لسان فيقول الشيخ سيد محمد بن الشيخ سيديا منذ ٨٠ سنة من موريتانيا في قصيدة له يحذر فيها من الاستعمار والويلات التي تنجر عنه :

**حماة الدين ان الدين صار
اسير للصووص وللنصارى
فان بادرتموه تداركوه
والا يسبق السيف البدارا**

ان عهدا جديدا قد بدأ لا محالة وان ريحا جديدة قد هبت ، ان هذا الوعي وهذه الحركة تتفاوت من بقعة لآخرى ومن قطر لآخر بناء على معطيات تاريخية واجتماعية لا سبيل لسردها في هذا المكان ولذلك فقد

خيول العدو قمن حملات الصليبيين الى غزو التتار الى سقوط الاندلس الى آخر تلك الاحداث المؤسفة التي فتحت ثغرة خطيرة من القلعة الاسلامية ايدانا بغزوها واحتلالها .

كما حذرنا منه نبينا حيث نهانا عن ترك الجهاد واوعدنا ان نحن تركنا بان العدو سيطر ارضنا وستغزونا في عقر دارنا وهذا هو تأويل الآية الكريمة يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يولونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ، والآية الأخرى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، وهذه هي نظرية القوة الرادعة والحرب من أجل السلام ، الى ان وصلت هذه الاحداث المؤسفة الى اوجها باحتلال الاقطار الاسلامية قطرا قطرا بدون ان ترفع الاقطار المجاورة رأسا أو تعد للحرب عدة رامية عرض الحائط بكل الأوامر السماوية التي توجب الجهاد اذا اصبح أى بلد اسلامى مهددا في أمنه أو متعديا على حرمانه .

وهكذا نزل بالامة الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها حادث الاستعمار الذي هو في جوهره ليس الا امتداد لحرب صليبية أعدت لها العدة منذ اجيال وتوارثها الابناء عن الاجداد تلك الحرب التي شنها عدو يتربص بنا الدوائر يعرف كيف ينتهز الفرص وكيف يستغل علمنا ضدنا وكذلك كيف يستغل خطانا ويفرق كلمتنا وكانت خاتمة مطاف كيد ومؤامرتة انشاء دولة يهودية في أكبر قلعة من قلاع الاسلام وفي جزء مقدس من ارضه في الشام وبالذات في القدس الشريف ، لتحقيق مالم يستطع الغزو الصليبي تحقيقه .

وفي هذه الاوضاع الحائرة اليائسة وامام امتهان الكرامة وانواع وسائل الضغط واذا به الشخصية وطمس معالمها التاريخية بدأت الحياة تدب في جسم الامة الاسلامية الخائر الذي أتهكه

ثبت في أول حديثي الى أن عدم التجانس في العينات يجعل من الصعب تعميم حكم على العالم الاسلامي الا أن هناك قاسما مشتركا بين كل هذه التحركات ، هو الشعور بالذات أي اليقظة وانطلاقا منه ميلاد الروح المعنوية الجماعية أو روح الفريق ولقد كان الاسلام حتما وراء هذه الروح .

أن الروح الجماعية لها أهميتها ودورها في تغيير أية أوضاع كما يقوله علماء الاجتماع فيقول « كانت » : أن هذه الروح تتعلق بعاملين رئيسيين : وجود هدف مشترك لأفراد الجماعة ، ووجود خطة مقبولة اجتماعيا لتحقيق الهدف .

ويرى البورت أنه يجب توافر بعض العناصر ، بأن يكون للفرد قيم ومعتقدات راسخة تجعل حياته ذات غاية وذات قيمة مما يوفر لديه الطاقة والثقة لمواجهة المستقبل ، أن يكون مدركا لوظيفة معينة ينبغي أن ينجزها ليدافع عن القيم التي يؤمن بها ، وينبغي أن تكون قيمه متفقة بصفة رئيسية مع قيم الجماعة التي ينتمي اليها الى آخر الآراء المعروفة لديكم ، الا أنني أسمح لنفسى أن أقول أن الروح المعنوية الجماعية كما أراها - هي حالة نفسية تجعل المرء يتجاوز الأنا حتى لا يرى الا المثل العليا وحينئذ فهو يتمثل نفسه في الجماعة التي تؤمن بمثل مبادئه وتسهل عليه التضحية لتحقيق مثلها ومبادئها .

وان هذه الروح المعنوية الجماعية تميز أساسا هذه اليقظة الجديدة لدى العالم الاسلامي ولذا كنت أريد أن أعطي مثالا فاني أريد أن أقارن بين شيئين إذ أنه بذكر الأشياء تتبين اضدادها ، أنه في عصور الانحطاط كانت الثورات والانتفاضات يقوم عليها رجال أفراد مهما بلغ حسن نيتهم فانه لا يمكنهم أن يسدوا الفراغ الكبير الذي هو روح الجماعة ، أما في عصر اليقظة الحديثة فالذي ضمن لهذه الثورات النجاح هو روح الجماعة إذ أنها لم تعد ثورة الامير

عبد القادر ولا ثورة المقراني ولا أولاد سيدى الشيخ انها ثورة الجميع ثورة الشعب الجزائري ، فالروح المعنوية لعبد القادر أصبحت تتمثل في كل فرد وبالتالي فان اللاسمية واللاشخصية لهذه الثورة ، وتجاوز الانا جعلها تنجح لا محالة وهذه النتيجة العكسية التي لم يكن الاستعمار ينتظرها إذ أنه بقدر ما يحاول فرض شخصيته تتحرك الشخصية الوطنية بقوتها الذاتية كرد فعل وتنمو الروح المعنوية الجماعية .

ان مقومات هذه الروح لا يمكن أن تعزل عن الاسلام ، واني هنا لا أريد أن أنكر وجود ثورة عالمية وحركة تحرر عالمية بدأت تنمو من بداية هذا القرن في شتى بقاع المعمورة ، الا أنه من المكابرة والعناد وعدم الواقعية أن ننكر دور الاسلام بالنسبة للحركة التحريرية في الاقطار الاسلامية وأن المثل والمبادئ التي المعنا الى وجوب توفرها لقيام روح معنوية جماعية تجعل الفرد يضحي بنفسه في سبيلها هي مثل اسلامية بمعنى أن المقاتلين كانوا يضحون لتبقى شخصيتهم الحضارية في الوقت الذي تهدد فيه من طرف شخصية أخرى .

ومادما في الجزائر فان المثل غير بعيد وكفينا أن نقول مع ابن باديس .

**شعب الجزائر مسلم
والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله
أو قال مات فقد كذب**

لنعرف مدى عمق الفكرة الاسلامية في الثورة وأن الصراع هو صراع بين الشخصية الاصلية والشخصية الغريبة التي تريد ابتلاعها واذابتها وأنه بقدر ما تتقوى الروح المعنوية الجماعية تصبح الشخصية الاصلية قادرة على الدفاع عن نفسها

ومستعدة لخوض معركة المصير .

إذا فإن رد الفعل وميلاد الروح الجماعية هو أعظم حدث اجتماعي صبغ حركة الأمة الإسلامية في عصر اليقظة ، ان هذه اليقظة أدت الى رحيل الاستعمار عن كثير من الاقطار الاسلامية وإلى زوال وجوده المادي وانسحاب جيوشه الى مواقع أخرى ، الا ان التحديات لاتزال كبيرة ويقدر ما تستطيع الأمة الإسلامية مواجهتها بقدر ما تضمن قيام نهضة الغد على أسس صحيحة ومضمونة خالية من الارتجال والخطوات الخاطئة والالهاك كما كان عاملا حاسما في نمو الروح المعنوية وميلاد اليقظة أمام تحديات الازابة والابادة فإنه سيظل عاملا أساسيا في تحقيق نهضة الغد حيث يجتاز العالم الاسلامي مراحل دقيقة في وقت بلغت فيه السرعة والحركة أو سرعة الحركة أوجها واحتد فيه السباق في الميدان الاقتصادي بالذات وفي ميدان التكنولوجيا والعلوم الا ان القواعد التي تحكم هذا السباق ليست دائما أخلاقية وليست دائما خالية من نزعة السيطرة والهيمنة الانانية حتى ولو كان ذلك على حساب الشعوب الأخرى التي تئن تحت وطأة الفقر وفي بعض الحالات تحت وطأة الحرب والدمار بأحدث مخترعات العلم ، ان هذا يبرهن لنا ان هذه الحركة الظاهرة يتستر وراءها جمودا فكريا متجرا ، وان هذا الربيع المشرق يجري على انياله شتاء سبيريا قارصا لايعرف دفء العواطف النبيلة الا بقدر ما يتلاعب بهذه العواطف لتحقيق مطامعه ومخططاته ، اذا فالتحديات خطيرة فنحن أمام السرعة والسباق ونحن متخلفون فعلينا ان تلحق بالركب وبالتكنولوجيا الحديثة في أسرع وقت فالتواني تعد علينا وامام اللا أخلاقية التي لم يزل يبرهن عنها الطرف الآخر في حلبة السباق الذي لايحترم قواعد اللعب الا بقدر ما هي في مصلحته والذي لا يتورع

عن استعمال القوة جهرا وعن استعمال أخبث المواءمات والدسائس سرا ليفرض علينا موتا بطيئا وليجعلنا في حالة مزرية حالة انسان من الدرجة الثانية أو الثالثة كتلك الخرافات التي يروجونها في جنوب افريقيا .

وأخيرا فأننا أمام برد سبيريا القارص وثلوجها وعواصفها الهوجاء فعلينا ان نتحصن بالعاطف ونعتقل بالملاجئ حتى لاتجتاحنا الايديولوجيات الغازية ونصبح ريشة في مهب رياح الشرق وأعاصير القرب .

ان دور الاسلام والمسلمين في هذه المرحلة خطير ، ان الاسلام هو الروح المعنوية وهو الايمان وهو المثل العليا التي ولدت في ظلالها اليقظة التي حقزت المجاهدين الى التضحية ويجب ان تظل الحافز القوي والعامل الاكيد في مرحلة البناء وفي مواجهة التحديات الجديدة .

اننا نجد في الاسلام الصحيح ما يدعونا للعمل ويحرضنا على العلم ان لم يكن بين الاسلام الصحيح والعلم في يوم من الأيام خلاف أو خصومة كما يحلوا لخصوم الاسلام ان يوهمونا ، قل انظروا ماذا في السموات والأرض ، فهو يحثنا على التدبر وكشف نواميس الكون وما فيه من عجائب وغرائب .

وما ورد في الاحاديث الشريفة من فضل العلم وما نكره العلماء في تفضيله على العبادة وقد اعترف بهذا الأوروبيون المنصفون أنفسهم فيقول بول كازانوف المستشرق الفرنسي والأستاذ في كلية فرنسا بباريس : (يعتقد الكثيرون منا ان المسلمين لا يستطيعون تمثيل آرائنا وهضم افكارنا ، يعتقدون ذلك وينسون ان نبي الاسلام هو القائل بأن فضل العلم خير من فضل العبادة) .

الى اهدافها الكبرى ، وفعلًا فقد كان الاسلام في العصر الذهبي اكبر وسيلة للتعبئة وداع للحياة قاله سبحانه وتعالى يقول : (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) .

والتعبئة في ميدان الجهاد قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة الآية ، (انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) ، ولقد طبقت هذه الأوامر عملاً في حياة الأمة الإسلامية فينهض الصحابة في حملة لمحو الأمية يتعلمون من أسارى الحرب ، ولقد كان النساء يشاركن في الأعمال بجانب الرجال ففضلاً عن النساء المجاهدات كنسبية وخولة يحدثنا الحافظ أبو عمر بن عبد البر في كتابه الاستيعاب عن ممرضات يصحبن النبي في حملاته لداواة المرضى ومعالجة الجرحى ويسمى أسماء بعضهن كليلي الغفارية وأم عطية الانصارية ، ويقول بالحرف الواحد عن هذه الأخيرة ، « كانت من كبار نساء الصحابة وكانت تغزو كثيراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرض المرضى وتدوى الجرحى » .

ان مهمة استرجاع الماضي صعبة ولكن بدونها لا يمكن مواجهة التحديات الأنفة الذكر عن طريق الاسلام وسيكون مصير العالم الاسلامي الانحلال والتقليد والسقوط في أحضان اية دعوة – وبالتالي فان تطوره اذا كتب له التطور سيكون عن طريق غير اسلامية وانطلاقاً من ذلك سيفقد شخصيته الحضارية الى الأبد وسيقطع حاضره ومستقبله من ماضيه وعليه ان يبدأ من الصفر ليجد مثلاً ومبادئ جديدة ولن يجدها الا في احضان المشبهين وانه بذلك سيفقد عنصر وحدة قوى هو العنصر الأساسى الثقافى المشترك الذى يربط العالم الاسلام برباط واحد فى وقت يحاول فيه الآخرون التكتل ويبحثون عن وسائل التجمع .

فأى رئيس دينى كبير وأى قس من القساوسة العظام كانت له الجرأة أن يقول مثل هذا القول القوى الفاضل المتين ، الى آخره .

ومن المعلوم لديكم ان الحضارة الاسلامية أسهمت اسهاماً كبيراً فى ميلاد الحضارة الفنية الجديدة وليس هذا مكان سرد آثار العلماء المسلمين فى الرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية فهذا شئ مفروغ منه ، المهم ان الرجوع لهذه المنابع الاصلية والاسلام الصحيح يمكن أن يكون حافظاً للعمل وعملاً فى ظهور عبقريتنا ونبوغنا من جديد ، وأن نحاول ادخال روح جديدة على مفاهيم هذه الحضارة التى وصفتها آنفاً بالالاقية فالدين الاسلامى هو بكل جدارة دين الاخلاق ، والحديث الشريف يقول : (بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) ان قانون الغشاب ومؤامرات الكبار أو مؤتمرات الكبار ونهب ثروات العالم الثالث ومعاملة معاملة جائرة كلها أدلة على نوع اخلاق الانسان الأعلى أو السبيلين حسب تعبير نيتشه .

ولكن كيف نغير هذه المفاهيم ونحن نمثل الضعف والفوضى ونشكل سوقاً لا تباع فيها المنتجات ما يسمى بالدول الصناعية فقط ولكن تباع فيها كذلك الادبيولوجيات والأفكار التافهة والموضات الجديدة . انه يجب علينا فى هذا الميدان أيضاً أن نحسن شبابنا بتقديم الغذاء الثقافى الاصيل لشبابهم يبحث عن المعرفة وعن الافكار والنظريات العملية .

علينا أن نكون على مستوى التحديات بالرجوع الى المنابع الاصلية للاسلام ، وعلينا أن نخلص عقليتنا مما علق بها طيلة عصور الانحطاط حتى نظهر الاسلام فى اثوابه القشبية كوسيلة للتقدم وداع الى الهدى والنور ومنقذ من الجهل ومخلص من التخلف المادى والفكرى ومعين لقوى الأمة لتصل

الانحطاط كثيرا من الصعوبات من طرف أولئك الذين يريدون المحافظة على مصالحهم الخاصة تحت ستار الدين مما جعل دعوة المصلحين تخرج مشوهة وتستدرج الى ذلك النوع من الجدل المقيم الذي اضاع وقتا كبيرا على المسلمين ذلك لأنه لايمت للواقع العملي بصلة وبالتالي لايمت للاسلام لأن الاسلام قبل كل شيء عملي ودعوة الى العمل أمام كل هذا فان الدعوة يجب أن تكون شاملة بحيث تشمل كل قطاعات الحياة ويجب أن تكون قوية بمعنى أنها تستمد جذورها من قوة الايمان وحيوية الشباب الاسلامي الطالع ، وانه لعماء يبشر بالخير ان تباشير هذا الفجر بدأت تظهر للوجود مع تبني بعض الدول الاسلامية لاتجاهات ومفاهيم اسلامية صحيحة تتصف بالشمول وبالتجديد .

ان مفهوم الاصاله هنا في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الشقيقة والذي يعنى على حد ما اقهمه الرجوع الى ما هو أصيل والتخلص من الدخيل ومن مظاهر التخلف الذي فرضه عهد الاستعمار البائد في مختلف أشكاله هو ما نسميه في الجمهورية الاسلامية الموريتانية استعادة الشخصية الموريتانية الذي يعنى حسب مفهوم حزب الشعب الموريتاني استرجاع الشخصية الكاملة للشعب الموريتاني الذي سلبه الاستعمار شخصيته في جميع الميادين وفي مختلف المجالات فعلى ان نسترجع شخصيتنا الثقافية والاقتصادية والسياسية ولقد اعطى البيان الاخير للمكتب السياسي بعدا جديدا لهذا المفهوم حيث أصبح يغطى علاقات موريتانيا مع الدول الاجنبية . فاسترجاع الشخصية الموريتانية بهذا المعنى يقتضى أن تكون علاقاتنا مع هذه القوى على قدم المساواة والا يكون هناك أى مجال للاستغلال والاستعلاء الذي من شأنه أن يجعل سياستنا ناقصة وبالتالي ابقاءنا في

نحن اذا على مفترق الطرق ، والاختيار واضح فعلى ان نحمل رسالتنا التاريخية بالعودة الى منابع الاصلية للاسلام في الوقت الذي نرفض فيه تطورا ليس عن طريق الاسلام ونرفض التجبر والجمود الفكرى الموروث عن عهد الانحطاط ، بقدر ما نرفض الانصياع للاديولوجيات الدخيلة الغربية التي تحاول أن تدخل من النافذة بعد أن خرج الاستعمار من الباب فاذا كانت الاصاله والرجوع الى منابعهما الحل الذي يجب أن نتوخاه ونجعل مساعينا تندرج في اطاره فان الطريق اليهما غير واضح المعالم ومحفوفة بالاشواك والمخاطر وذلك لأسباب عديدة مختلفة بطبيعتها الا انها كلها تثول الى نتيجة واحدة هي ابقاء العالم الاسلامي في وضع مزر متخلفا اقتصاديا واجتماعيا وفكريا وثقافيا .

(١) فمن هذه الأسباب التجبر الفكرى والجمود العقلى الذى كان وليدا للأوضاع والعقليات التي كانت سائدة في عصور الانحطاط الامر الذي حجب الرؤية الصحيحة للاسلام وابعد المسلمين عن مفاهيمه الحقيقية .

(٢) حملات التشكيك في صلاحية الاسلام وثقافته للبقاء والتطور ولمايرى روح العصر التي يقوم بها ويغذيها أعداء الاسلام من الغربيين وتلاميذهم من الذين يصبحون من غير وعى ببيغوات تردد اقوال الآخرين وأدوات لترجيح أصداء تلك الاراء المشبوهة باسم التمدن والتقدم وهم بذلك انما يرددون مع الاستعمار بيد أن الاسلام كنظام غير صالح لهذا العصر .

(٣) مصالح القوى الدولية الطامعة التي لن تدخروعا في اعاقه نهضة العالم الاسلامي .

(٤) ان الذين يطالبون بالرجوع الى منابع الاصلية كانوا قلة وقد كانوا يلاقون في عصور

ماركس ولينين وغير ذلك من الدعوات التي لم تعد ترضى المجتمعات التي ولدت فيها فضلا عن مجتمعات لاصلة لها بها حضاريا بدون أن يكون له رأى ولا فكر منزوع السلاح *

انها مهمة عاجلة تتمثل فى تغيير البرامج وتعلم الدين الاسلامى الصحيح فى المدارس والجامعات ونشر الفكر الاسلامى حتى نحسن الشباب لابد من اعطاء الدين مفاهيم اديولوجية كنظام شامل للحياة وحمل امانة الكون وقيادة العالم *

فالاسلام دعى كل الملل للدخول فى دين واحد يضمن الحرية والمساواة ، (قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء) * الى آخره *

لابد من تفسير كل تلك المفاهيم حتى يصبح الشباب شاعرا بنفسه وبشخصيته وبرسالته واكاد أقول بهذا الصدد ان العلوم الانسانية فى العالم الاسلامى يجب أن تكون مستمدة من الاسلام ولا يعنى هذا بحال من الأحوال دعوة الى الانغلاق والانكماش والاسلام نفسه لم يفرض على اتباعه مثل هذا الانغلاق فالرسول عليه السلام كان يحاور اهل الديانات ويتحاكم معهم على العقل السليم ويقارعهم بالحجة بالحجة والله سبحانه وتعالى يقول له : (وجادلهم بالتي هي احسن) * ولم يأمره بأن يغلغل بابه دونهم الا ان الاسلام لا يمكنه بحال من الأحوال أن يكون مستعدا لخلق شخصيته الحضارية ليتقمص شخصية حضارية أخرى *

فى اعتقادى أن أهمية هذا الموضوع تبرر دراسته من طرف المسئولين عن التربية وشئون الشباب فى الدول الاسلامية لتحديد خط السير الصحيح الذى يجب أن نسير عليه *

٣ (القيام بالدعوة من جديد لتكوين دعاة للاسلام من طراز جديد ليس من نوع الدعاة الذين

وضع مستخلف يضمن مصالح القوى الأجنبية الى وقت غير محدود * ان مفهوم الشمول كان واضحا فى تحرك حزب الشعب فلقد أعلن أننا نريد تكوين شباب يستمد قيمه من القيم الاسلامية الصحيحة ، كل هذه الحركات وبالذات هذه العينات من العالم الاسلامى تبشر ببداية عهد جديد يتسم كما ذكرت آنفا بالشمول وبالعمق وبالأصالة وبالوعى ، ومهما يكن من أمر فان العالم الاسلامى بملايينه الثمانمائة وبموقعه الجغرافى الممتاز فى القارات الثلاث : آسيا وافريقيا ، وأوروبا ، ويتحكم فى طرق المواصلات وثرواته الهائلة التى تخبئها اراضيه البكرة وثقافته العريقة وماضيه المجيد يملك كل مقومات النهضة *

ايها الاخوان *

ان الدلائل تشير على ان العالم الاسلامى يسير فى طريقه الى نهضة رغم النكسات وتعرج خط سيره والعقبات التى ستظل توضع فى طريقه ، واذا كان الشمول يجب أن يكون منطلقا فان عملا محددا يجب أن نقوم به *

١ (على العالم الاسلامى ان يصنع نفسه حتى يكون استقلاله صحيحا واستعادة شخصيته كاملة وبالتالي يستولى على امكانياته الاقتصادية ليستخدمها فى مصالحه ويغير الانطباع الذى أراد الاستعمار والامبريالية ان يلصقاه به وهو أنه وجد ليكون سوقا للمنتجات ، ومصدرا للمواد الخام وليس من قبيل الصدف ان اقرن فى هذه المحاضرة بين سوق البضائع وسوق الادبيولوجيات لأن جودة الانتاج قد تؤخذ كمثال حى على صلاحية الادبيولوجية *

٢ (ان استقلالا ثقافيا وفكريا يجب أن يكون « أولى الأولويات » حسب العبارة المصطلح عليها عندنا وفى هذا المجال بالذات يقرر مصير العالم الاسلامى هل سنرضى لشبابنا أن يظل يرجع اصدااء

يقظة العالم الاسلامي ..

من التجمعات الاسلامية مهما كانت دوافعها والظروف التي تحيط بها الا دليل على رغبة تتبلور يوما بعد يوم في التعاون بين الشعوب الاسلامية *

وكما قلت في بداية هذه المحاضرة فان الدين الاسلامي دين الشمول ودين الحياة والعمل وبهذه المفاهيم فقط يمكن ان نواجه التحديات في الوقت الذي تواجه فيه الحضارة العالمية ازمات اخلاقية ونفسية مستعصية *

ويمكن لنهضة الغد ان تقوم على اساس صحيح وسليم ، ويمكن في النهاية ان نقول مع مبعوث جيش الاسلام عندما كان يستعد لفتح العراق وقد سألته كسرى امبراطور فارس ما الذي جاء بكم ها هنا ؟ فاجابه المبعوث الاسلامي : « ان الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام » *

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته *

يضررون بالاسلام او الذين لا يستطيعون مواجهة اوساط معينة وخصوصا ان وجود مثل هؤلاء الدعاة ضروري في المرحلة التي نجتازها لتعميق الفكر الاسلامي ، الا ان هؤلاء الدعاة لن يتوجهوا في هذه المرة الى غير المسلمين لادخالهم في حظيرة الدين ولكنه يجب ان يجوبوا كافة انحاء العالم الاسلامي ليحاضروا في الجامعات وليكونوا فakra اسلاميا موحدا *

يجب ان نقوم بالدعوة الشاملة في العالم الاسلامي قبل ان نحمل الدعوة الى الخارج وستحمل نفسها وان تعاوننا وثيقا واقعيا يراعى الظروف الخاصة لكل بلد ، يجب ان يقوم بين الدول الاسلامية *

وما المؤتمرات العديدة التي بدأ عقدها مع اليقظة الجديدة منذ الثلاثينات ، ومؤتمر القمة الاسلامي ، وصندوق ميثاق الدول الاسلامية وغيرها

محاضرة القاها السيد عبد الله ولد بويه وزير التعليم الاساسي والشؤون الدينية بجمهورية موريتانيا سابقا ، ووزير العدل حاليا في الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي



كلمات

ثمرة الخطيئة فى الولايات المتحدة !

أفردت المجلة الاسبوعية الامريكية « نيوزويك » مطالعة مفصلة عن تجارة « الجنس » وعن أرباحها ، كائنا ما كان شكلها ، كالأفلام السينمائية الخلاعية والكتب والمجلات المصورة ، و « صالونات التمسيد » والملاهى الليلية ، فضلا عن البغاء التقليدى .

تعتقد المجلة أن أرباح هذه التجارة أعلى مما ذكرته لجنة التحقيق الرسمية أى نحو مليارى دولار فى السنة .

قالت المجلة الامريكية أن مدينة نيويورك أصبحت عاصمة هذه التجارة المربحة ، ففى مدة سنتين انتقل عدد « صالونات التمسيد » من أربعة الى ستة وأربعين ، علما أن هذه التسمية ليست سوى « تورية » للدعاة ومحايلة على القانون ، وذكرت أن ثمن عناية ثلاث « ممسكات » يبلغ مئة دولار ، وأن بعض صالونات التمسيد تستقبل كل يوم مئة رجل ، ولا تعطل فى نهاية الاسبوع .

غير أن ثمرة الخطيئة هذه ، كما سمّتها المجلة انما تستدرّ خاصة من الأفلام الخلاعية ، وكان أحدثهم فيلم « ديب ثروت » أى المنجرة العميقة ، فقد در على أصحابه ثلاثة ملايين دولار بينما لم يكلفهم سوى 25 ألف دولار .

الا أن الاختصاصيين فى علم الاجتماع يعتقدون أن هذه التجارة أشرفت على الكساد ، وانه لن تمضى سنة أو سنتين حتى يصاب السكان بالملل والضجر ، مثلما حصل فى الدانمارك .

الحساب الهجري على أساس الرؤية العلمية

مشكلة الاضطراب في اثبات دخول الشهور القمرية ، وما تسببه من خلل في حياة الامة الدينية والاجتماعية ، ومن تفرقة في صفوف المسلمين - حتى في القطر الواحد - مشكلة قديمة . وكانت الادارة الاستعمارية المهيمنة على مقدرات بلادنا تنتهزها فرصة لتزيد في

احمد حماني

رئيس المجلس الاسلامي الاعلى
واستاذ بجامعة الجزائر

وان هم الا يظنون . فمنهم الجاهلون المذنبون ومنهم المعاندون المغرضون المتفنون بالارجاف في المدينة . ولقد كان الامر كما احتسب فالجمهور المسلم اقتنع بما ادلى اليه ، ورضى بما عرض عليه ، واطمان لاجراء اتخذه من حملهم الامانة الثقيلة فحملوها معاهدين الله ان يثبتوا ويصبروا ، والا يثنيهم عن الخدمة الصادقة للامة المسلمة والدين الحنيف والشرعية المطهرة ارجاف من مرجف في المدينة ، ولا شتم سفيه ، ولا قذف بذىء ولا خربشة مخربش ، ولا ارعاد مرعد .

لقد ارتاح العلماء والعقلاء لزوال عهد الاضطراب واقبال عهد الثبات والاستقرار ، وهم يرجون ان يعم هذا الامر جميع بلاد المسلمين ويتحدوا في عبادتهم واعبادهم ، ولعل هذا يكون بداية لوحدة تعم جميع شؤونهم .

اما بعض «المتعلمين» فقد ظن ان هذا القرار خرق لاجماع سابق من علماء المسلمين وبدعة جديدة في الدين . وان من جاء به قد جاء شيئا ادا ، يكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الارض وتخر له الجبال هدا .

ولم يعلم هؤلاء ان القول بالعمل بالحساب الفلكي النجومى واعتماده - اذا غم الهلال - قول قديم معروف . حكته كتب جميع المذاهب الاسلامية القديمة وذكرته ، ولم تبدع اصحابه ولا كفرتهم ، وغاية ما ذكرته ان المشهور خلافه ، اما العلماء

شدة الخلاف ، وتمحيق الهاوية ، وتوليد اسباب الاحن والشقاق . وبعد زوال الكابوس الاستعماري عن بلادنا ، وعن أغلب الاقطار الاسلامية ، التي أصبحت تملك ارادتها - أحس المسلمون - في جميع اقطارهم ، وعلى اختلاف مذاهبهم - بضرورة معالجة هذا الاضطراب ، وازالة هذا الخلل الذي أصبح يمتد الى حياتهم الادارية ، والسياسية ، والاقتصادية ، بل أصبح يهدد نفس التاريخ الهجرى والتقويم القمري بزواله والاعراض عن استعماله . ومن أنكر هذا فقد قال : ان الصبح ليل !

لقد أصبحت الحكومات الاسلامية تبدي تساؤلها ، وتلح أن تجد لها مخرجا . واهتم العلماء بالامر ، واخذ كل في نطاق اختصاصه يحاول ان يشارك في ايجاد حل للقضية . وعلاج شاف لهذا الداء .

أما بالنسبة الينا فقد كان الامر يحتاج الى دراسة مقنعة ، وجراءة حازمة ، وخطوة حاسمة . وهذا ما أقدمت عليه وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية .

ولقد كان المسؤولون يعلمون ان ما اتخذه من اجراء في الموضوع لا بد ان يثير عواطف بعض الناس ، من الذين حسنت نيّتهم . وزكّت نفوسهم ، ولكنهم فطروا على التقليد الاعمى ، فهم لا يريدون به يديلا ، او من الذين هم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى

المحدثون فانهم بحثوا الامر من جديد ، وأتوا فيه حقا بالجديد المفيد ، وهذا ما سنعرض اليه فى كلمتنا الآتية :

علماء التابعين :

لعل أول من عرف عنه هذا القول واشتهر به مطرف بن عبد الله بن الشخير وهو من كبار التابعين وكل من تكلم فى الموضوع أشار الى مذهبه وقوله . وممن نقل قوله من المالكية القرطبي ، والقاضى ابن رشد ، وغيرهما ، ومن الشافعية النووى فى شرح مسلم . ومن الزيدية الشوكانى . ومن الاباضية الاستاذ الامام ابوطاهر اسماعيل بن موسى الجيظالى الاباضى فى كتابه القواعد اذ قال : «وروى عن مطرف ابن الشجرى وكان من التابعين انه اذا غم الهلال اعتبر الحساب بسير الشمس والقمر ومثله روى عن الشافعى ! .» (I)

الشافعى :

ولقد اشتهر بهذا القول المذهب الشافعى ، لانه احد الاقوال المنسوبة الى الامام الشافعى نفسه ، وان شهر علماء الشافعية خلافه . ونقل هذا القول عن الشافعى أصحابه واصحاب المذاهب الاخرى . ومن الناقلين له الامام الجيظالى الاباضى فى كتابه المذكور آنفا اذ قال عقب نقل مذهب مطرف : «ومثله روى عن الشافعى انه قال : من كان مذهبه الاستدلال بالنجوم ومنازل القمر ثم تبين له من قبل ذلك ان الهلال مرئى وقد غم فانه يعتقد الصوم ويجزيه» (I)

وقد اقتبسنا فيما نشر فى عدد ماض من الاصاله نقول العلماء الآخرين وتعليقاتهم .

هذا القول من الشافعى ، وان شهر المتأخرون خلافه ، فان فيهم علماء محققين اثباتا لا يتطرق الشك الى ديانتهم وأمانتهم وكفاءتهم العلمية تصروا هذا المذهب ودعموه بالحجج الواضحة .

عند المالكية :

وهو قول موجود فى الفقه المالكى ، معروف لعلمائه . حكاه شهاب الدين القرافى - وهو ثقة فى روايته وعلمه ، لا يحوم الشك حول أمانته وديانته - وان شهر المالكية خلافه ، قال القرافى فى كتابه الجليل « الفروق » :

« الفرق الثانى والمائة بين قاعدة أوقات الصلوات يجوز اثباتها بالحساب والآلات وبين قاعدة الاهلة فى الرضانات لا يجوز اثباتها بالحساب ، وفيه قولان عندنا ، وعند الشافعية رحمهم الله تعالى ، والمشهور فى المذهبين عدم اعتبار الحساب » (2) . والشاهد فى قوله «فيه قولان عندنا وعند الشافعية» . ولا يقدح فى القول عدم شهرته فمن المعلوم ان المشهور ما كثر قائلوه . وقد يكون القول مشهورا ومقابله هو الصحيح ، فان الصحيح ما قوى دليله . ولا ندعى ذلك هنا ، وانما ننبه الغافل المنكر لوجود القول بالحساب . أما ما ذكره القرافى من فرق بين القاعدتين فقد أباه الشيخ محمد رشيد رضا

(I) كتاب القواعد بحاشية الشيخ ابى عبد الله محمد بن عمر بومدة الوردجلى على كتاب القواعد تأليف الامام الشيخ اسماعيل بن موسى الجيظانى الاباضى وقد طبع سنة 1297 هـ والنقل من نسخة خطية من الهامش ص 312
(2) الفروق ج 2 ص 199 - 200 .

اذ جعل ان الرؤية للاهله كالرؤية لعلامات اوقات الصلوات من رؤية لضوء الصبح ، والزوال ، وظل القامة ، والغروب للشمس والشفق ، انها كلها وسائل لحصول العلم بدخول الوقت ، فالمراد من نصب الشارع لها حصول العلم وليس التعبـد بالرؤية .

هل يجوز العمل به ؟

اشتهر ذكر هذا القول في الفقه الشافعي، وبحثوا فيه ، ومنهم من اعتمدوه وصحح العمل به ، ومنهم من اباه . وقد بسط مذهبهم القسطلاني في شرح البخاري فقال : «قال الشافعية ولا عبرة بقول المنجم فلا يجب به الصوم ولا يجوز . والمراد بالآية «وبالمنجم هم يهتدون» الاهتداء في ادلة القبلة ، ولكن له ان يعمل بحسابه كالصلاة ولظاهر الآية . وقيل ليس له وصحح في المجموع ان له ذلك ولكن لا يجزئه عن فرضه . وصحح في الكفاية انه اذا جاز اجزاه ، ونقله عن الاصحاب . وصوبه الزركشي تبعا للسبكي وصرح به في الروضة » (I) .

وتوضيح هذا الكلام ان الحاسب والمنجم اذا دلهما الحساب على وجود الهلال وامكان رؤيته لهما ان يعملوا بعلمهما في انفسهما لظاهر الآية « وبالمنجم هم يهتدون » وقياسا على الصلاة . ومن صام منهما برئت ذمته واجزاه صومه عن الفرض كما صوبه السبكي وتبعه الزركشي ، وقيل يصوم ولكن لا تبرأ

ذمته ولا يجزئه صومه . واما قوله ولا عبرة بقول المنجم فان مراده في الحكم بايجاب الصوم على العامة وعلان الصوم والافطار لهم .

من هو الحاسب ومن هو المنجم ؟

عرفهما القسطلاني وفرق بينهما فقال : «والحاسب وهو من يعتمد منازل القمر وتقدير سيره في معنى المنجم وهو من يرى اول الشهر طلوع النجم القلاني وقد صرح بهما في المجموع » (I) .

وانما نفر العلماء من المنجمين لانهم يهتمونهم بالقول بالحدس والتخمين ، ومن قبل كان مذهبهم مرفوضا مقبوتا « قال ابن بزيمة وهو مذهب باطل (يعني الرجوع الى قول المنجمين) فقد نهت الشريعة عن علم النجوم لانها حدس وتخمين ليس فيها قطع ولا ظن غالب » (2) .

والمحققون من علماء الشريعة يفرقون بين التدجيل بالتنجيم ، وبين علم الفلك والنجوم والحساب ويحكمون ان هذا العلم يفيد القطع واليقين لا الظن والحدس والتخمين . وعلماء أوربا يشهدون ان علماء العرب بلغوا فيه شأوا بعيد .

قال شهاب الدين القرافي :

« ان حساب الاهلة والكسوفات والحسوفات قطعي فان الله أجرى عاداته بأن حركات الافلاك وانتقالات الكواكب السبعة السيارة على نظام واحد طول الدهر بتقدير العزيز العليم قال تعالى : «والقمر

(I) نقلا عن فتح العلي المالك ... فتاوى الشيخ عليش ج I ص 169

(2) القسطلاني في فتح الباري ينقل علال الفاسي في كتابه الجواب الصحيح - ص 29 .

الحساب الهجرى على أساس الرؤية العلمية

القول المخالف بقوله :

وقال بل حسابه يعتبر
بجريان الشمس حين تعبر
وذا هو المعروف بالتقويم
لدى اصطلاح علم النجوم
لابن سريج الشافعى نقلا
ومطرف من علماء من خلا
وزعم صاحب النظم انه مذهب الروافض وانهم
مجمعون عليه فقال :

وهكذا طبقت الروافض
ايضا على الاخذ به وناقضوا

الى ان يقول :

قالوا فكل من يكون حاسبا
فبالحساب الصوم صار واجبا

وقال صاحب « حى على الفلاح حاشية الايضاح »
ما نصه :

« ... وما الصوم والافطار بحساب الفلك فخطا
وكفر ومخالفة للسنة ... » وفي هذه الكلمة « كفر »
من العنف ما تنزهت عنه اقلام الفحول المتقدمين ،
وقد مر فى حكاية الجيطالى ما يدل على العلم والادب
الجم والدين المتين ، وينبغى أن تموت أمثال هذه
الكلمة من افواه واقلام الكاتبين ، فلقد اجمع جميع
الناقلين على ان القول بالعمل بالحساب النجومى

قدرناه منارل حتى غاد كالرجون القديم » وقال
تعالى « الشمس والقمر بحسبان » أى هما ذوا حساب
فلا ينخرم ذلك ابدا وكذلك الفصول الاربعة لا ينخرم
حسابها والعوائد اذا استمرت أفادت القطع كما اذا
رأينا شيئا نجوم بانه لم يولد كذلك بل طفلا لأجل
عادة الله بذلك والا فالعقل يجوز ولادته كذلك ،
والقطع الحاصل فيه انما هو لأجل العادة واذا حصل
القطع بالحساب ينبغى ان يعتمد عليه كاوقات
الصلوات فانه لا غاية بعد حصول القطع » (1)

فهذا البيان الساطع من شهاب الذين يوضح
بطلان آتهام علم الفلك وحسابه بانه ظن وتخمين .
ولعمري ان هذا القول من هذا الامام الفحل يزين
علماءنا ويرفع عنهم وسما نجلهم أن يوسموا به ،
كما وسم به علماء الكنيسة آنذاك الذين كانوا
يحكمون العلماء الفلكيين ويحكمون عليهم بالاعدام
حرقا جزاء بحوثهم واكتشافاتهم العلمية .

وكما ورد ذكر الخلاف فى استعمال الحساب
فى كتب المالكية والشافعية ، ورد فى كتب غيرهم
فقد جاء فى « النيل » وهو عمدة المذهب الاباضى
قوله « وان غم وتعذرت الرؤية وجب الاكمال وعليه
الاكثر (2) » فقوله وعليه الاكثر يفهم ان كثيرا على
غيره وفى الجزء الثانى من شرح النيل صفحة 187 ما
نصه « وتعذرت الرؤية وجب الاكمال بان يعد للشهر
ثلاثون وعليه الاكثر وهو قول اصحابنا » وحكى فى
« سلك الدرر فى نظم النيل صفحة 273 - 274 هذا

(1) الفروق ج 2 ص 200

(2) النيل ج 1 ص 165

فهذا تصريح واضح بين ان حقيقة الرؤية غير مشروطة في اللزوم * وان الصيام واجب لوجوب السبب الشرعي وهو وجود الهلال الممكن رؤيته في الاحوال العادية *

وهذا الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، والتاويل اليين الصريح للاحاديث الصحيحة فهمه وصرح به امثال ابن دقيق العيد في المتقدمين ، ومحمد رشيد رضا وعلال الفاسي في المتأخرين ، وأذاعوا ما علموه بغاية البيان *

وبما ان مذهب هؤلاء الثلاثة - في الحقيقة - مذهب واحد ، فاننا نذكرهم متتابعين وان اختلفت أزمانهم . وقد تقدم كلام الاول ، وهاكم مذهب الآخرين :

محمد رشيد رضا :

رفض الشيخ رشيد رضا في بحثه الفرق بين اثبات اول الرضانات ، والشهور بالاهلة ورؤيتها ، وبين اثبات أوقات الصلوات برؤية علامات الفجر والزوال ، والظل والقامة ، والغروب للشمس والشفق ، وجعل غرض الشارع في كلها معرفتها وحصول العلم بها لا التعبد برؤيتها . وما ذكره (ص) من نوط اثبات الشهر برؤية الهلال او اكمال العدة علله بكون الامة كانت أمية في عهده ، ومن مقاصد شريعته اخراجها من الامية لا ابقاؤها فيها . « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان

مذهب مطرف . ووسموه بانه من كبار التابعين وأجمع النقل على أنه قول للشافعي في رواية عنه سلم صحتها اليه امثال الشيخ عليش في المتزمتين وامثال ابن رشد في المقدمات فكيف يكفر من أخذ بتأويل صحيح النسبة الى امام مجتهد مثل الشافعي، هذه زلة قلم ينبغي سترها *

لقد صرح بجواز العمل بالحساب الفلكي علماء اعلام امثال الزركشي ، وابن السبكي، ولكن اصرحهم قولا ، وايينهم حجة هو ابن دقيق العيد *

ابن دقيق العيد :

هذا الامام من اعظم علماء الحديث والسنة والفقه الشافعي ، خدم الاسلام خدمات جليلة ، قال في شرح « عمدة الأحكام » بنقل الاستاذ علال الفاسي :

« والذي اقول به ان الحساب لا يجوز ان يعتمد عليه في الصوم بمفارقة القمر للشمس على ما يراه المنجمون من تقدم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية بيوم أو يومين فان ذلك احداث لسبب لم يشرعه الله تعالى *

واما اذا دل الحساب على ان الهلال قد طلع من الأفق على وجه يرى لولا وجود المانع كالغيوم مثلا فهذا يقتضي الوجوب ، لوجوب السبب الشرعي ، وليس حقيقة الرؤية بمشروطة في اللزوم لان الاتفاق على ان المحبوس في المطومة اذا علم بالحساب باكمال العدة أو بالاجتهاد بامارات وجب عليه الصوم وان لم ير الهلال ولا أخبره من رآه » (1) *

(1) الجواب الصحيح - ص 30

الحساب الهجرى على أساس الرؤية العلمية

الحاسبين ، بل يوجد الهلال وانما يبينون للناس متى يرى (I) .

وكلام الشيخ محمد رشيد بيان لكلام ابن دقيق العيد ، وكل منهما يرفض ان يعتمد على المنجمين القائلين بتقديم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية. ولكنه يقبل قول الحاسبين والمنجمين المفيد للقطع بان الهلال موجود يتخلف مغيبه عن مغيب الشمس تمكن رؤيته في الاحوال العادية لذوى الابصار العادية او انه يغيب قبلها أو معها او بعدها بقليل بحيث لا تمكن رؤيته . وفى الحالة الاولى يثبت الشهر ، وفى الحالة الثانية لا يثبت .

الشيخ علال الفاسى :

وقد ألف العلامة الجليل الاستاذ علال الفاسى فى مسألة طرق الاثباتات الشرعية للاهلة والنظريات المختلفة لعلماء المذاهب الاسلامية رسالة جلييلة ، أو كتب فتوى تشرح رأى الشريعة الاسلامية وما ينبغى ان يكون العمل بمقتضاها . وعنوانها «الجواب الصحيح والنصح الخالص عن نازلة فاس وما يتعلق بمبدأ الشهور الاسلامية العربية» . وقد طبعت هذه الرسالة التى تم تأليفها فى رمضان 1385 هـ ، برهن السيد الفاسى على علم غزير ، وفهم دقيق ورأى صائب ، وشجاعة يتحلى بها الراسخون .

ولما وصل الاستاذ الفاسى الى الجواب عن السؤال: هل يعمل بالحساب قال :

كانوا من قبل لفى ضلال مبين « وفى معناه دعوة ابراهيم فى سورة البقرة « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم » ، ويؤخذ من هذا ان لعلم الكتابة والحكمة حكما غير حكم الامية .

ومن مقاصد الشريعة اتفاق الامة فى عبادتها ما امكن الاتفاق وسيلة ومقصدا ، ولا سبيل الى هذا الاتفاق الا بالعمل بالحساب والمراسد عند ثبوت افادتها للعلم القطعى بهذه الاوقات التى جرى بها العمل فى جميع بلاد الحضارة الاسلامية فى الصلاة و «لو» مع المحافظة على الاستهلال ورؤية الهلال فى حال عدم المانع من رؤيته للجمع بين ظاهر النص والمراد منه . والصلاة أعم وأعظم من الصوم .

فمذهبه صريح فى الاعتماد على الحساب واستعماله وانه المراد من النص . وقد بين كيفية اثبات الشهر بالحساب بما يوضح كلام ابن دقيق العيد فقال :

كيفية اثبات الشهر بالحساب :

«يشبتون (الحاسبون) وقت ولادة الهلال ، أى مفارقتة للشمس فى آخر الشهر بالساعات والدقائق ومنه يعلم امكان رؤيته لمعتدلى البصر أو عدم امكانها، فاذا كان من الدقة بحيث لا يرى لايشبتون الشهر بولادته ، واذا كان بحيث يرى قطعاً عند انتفاء المانع من غيم او نحو ذلك يشبتون الشهر .

ويقال «ان الشهر ثبت برؤية الهلال حقيقة ارحكما فلا يكون اثبات وجوب الصوم بقول الفلكيين

«ان المشهور في كل مذهب هو القول بعدم العمل بالحساب في الصوم والافطار وغيرهما من المواسم والاعياد ، والسبب في انتشار القول بذلك أمور : (1) فهم الحديث ان المقصود به المنع مطلقا من الحساب ، وان الرؤية هي الامارة الشرعية الواحدة حتى لو تبدلت الاحوال .

(2) التخوف من الوقوع فيما وقع فيه البابليون وقدماء الامم الذين خالطوا التنجيم ، والخلط بين عبادة النجوم والسحر بها ، وبين استعمال الحساب والرصد لفائدة المعرفة وتدقيق السنين والحساب . (3) كون الاغلبية الساحقة في العصور الاولى بل جميع الامم فيما قبل العصر العباسي كانت بعيدة عن اتقان الفلكيات حتى تستفيد منها .

وقد تطورت الاحوال وبقي معظم علمائنا على القول بما قال به الاولون الا فئة يسيرة ممن اعملوا رأيهم من العلماء في كل عصر ومن بينهم العلامة ابن دقيق العيد .. ومن بينهم الشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي ... (1) »

ثم ذكر الاستاذ الفاسي بعض القائلين بالحساب : مطرف ، والشافعي في احدى المنقولات عنه ومحمد بن مقاتل الرازي ، وبعض المالكية وابن طاووس من الامامية وجماعة منهم (2) والعاملي وابن الحديد وابن ابي الحديد ، ومن المتأخرين الشيخ أحمد شاکر ، والشيخ أحمد بن الصديق الغماري من المفاربة ، (والظاهر انه لم يطلع على بحث الشيخ رشيد رضا) .

(1) الجواب الصحيح - ص 30

ثم بين الاستاذ الفاسي رأيه الخاص فقال : والذي أعتقد ان الحديث - انا أمة أمية لا تقرا ولا تحسب - خرج مخرج الكلام المعلن ، وهو ان العرب ، بل الذين كانوا في عصر النبي (ص) من أمم العالم لم يكونوا على درجة من العلم يجعل نتائج حساباتهم قطعية ، بل كانت مقدمات الحساب الفلكي لاثبات الشهر قبل الاسلام والى حياة النبي (ص) ظنية غير متقنة الانتاج كما تدل على ذلك بقايا نصوص الفلكيين القديمة . اما اليوم فقد تطورت حال معرفة المسلمين للفلك ، ومنذ العصر العباسي وعلمائنا يتعاطون هذا الفن . وانضمت اليه الدراسات العصرية ، فلم يعد من الممكن القول بأن النتائج الحسابية ظنية بل هي قطعية بقدر ما تكون الرياضيات قطعية . وعليه ، فما دام الحكم قد خرج معللا ، وما دامت العلة قد انتفت أي اننا لم نعد أمة أمية بل اصبحنا نقرا ونحسب فقد ارشدنا الحديث الى العمل بالحساب طبقا للقاعدة الاصولية التي تقول : العلة تدور مع المعلول وجودا وعدما . ولا عبرة بادعاء ان الحكم يبقى مستمرا حتى بعد تغيير الاحوال لانه لا دليل عليه . وايضا فانه (ص) قال في حديث : « فان غم عليكم فاقدروا له » ، وقد فسر الشراح بمعنى خذوا له التقدير الحسابي . وقال عليه السلام في الرواية الاخرى : « فاكلوا العدة ثلاثين » فجمع (ص) بين حال من يعرف الحساب

(2) المشهور عن الامامية انهم ينصرون القول بالحساب الفلكي فهؤلاء السادة من اعلامهم ، وقد رأينا في مجلة ايرانية ثناء على من اهتم بالقضية من الاخوان المغاربة ، ثم بلغنا ان سماحة الامام موسى الصدر امام الشيعة بلبنان عبر عن اغتيابه بالبادرة الجزائية القاضية بالعمل بالحساب الفلكي - وانها ستكون مثالا يحتذى لجميع البلاد الاسلامية طال الزمن أو قصر

الحساب الهجرى على أساس الرؤية العلمية

يسره ، ويقلد فيه من خواصه واصحابه ولا ينكر عليه .

ولقد روى لنا الشيخ عليش حادثة عالم شافعى معاصر فى سؤال ورد عليه أدرجه فى كتابه «فتح العلى المالك» ، فى الفتوى على مذهب الإمام مالك ، وأجاب عنه ، ونص السؤال :

«ما قولكم فيما وقع من بعض الشافعية ، مشهورا بالعلم والديانة ، من اعتماده فى ثبوت رمضان وشوال على حسابه سير القمر وعدم اعتباره لرؤية الهلال بالبصر واتفق له مرارا صومه قبل عموم الناس بيوم وفطره قبلهم كذلك . ويظهر ذلك لخواصه واحبابه ويقلدونه فيه ، وربما تعدى الامر لغيرهم فقلده ايضا وكاد ان يتسع هذا الخرق واهل العلم ساكتون عليه » (2) .

والذى يلفت النظر ما جاء من وصفه بالعلم والديانة . ومن اعتماده على الحساب وعدم اعتباره لرؤية الهلال ، وانه يقلد من احبابه وخواصه . وان اهل العلم ساكتون عنه .

أما الشيخ عليش - وهو مالكي غير شافعى - فلم يسكت عنه ، بل أثار السؤال أعصابه فاتهمه بهدم الدين ، وبالجعل المركب ، وعدم الديانة ، واختلال العدالة ، ودناءة الهمة ، وعدم المروءة . وما كان ينتظر من الشيخ عليش غير ذلك ، فقد كفر بما هو أهون من هذا ، كفر محمد بن على السنوسى ، ورفع العصا على الشيخ محمد عبده . ولكن هذه

وحال من لا يعرف . فالامة فى حال قصورها العلمى تعتمده الرؤية المحضة تسهيلا على الناس ، فاذا كانوا قد تعلموا واصبح فى مقدور المتخصصين منهم ان يهيئوا لهم وسائل التقدير الحسابى فعليهم ان يعملوا بالحساب فى الصوم كما عملوا به فى الصلاة تحقيقا لقوله تعالى : « والقمر قدرناه منازل . . . لتعلموا عدد السنين والحساب » .

نعم يجب ان نحقق المناط طبقا لما فعله العلامة ابن دقيق العيد فنقول : ان الحساب الذى تعتمده هو الذى يدل على ان الهلال قد طلع من الافق على وجه يرى لولا وجود المانع مثلا فهذا يقتضى الوجوب لوجود السبب الشرعى ولا تعتبر حقيقة الرؤية مشروطة . اما الحساب بمفارقة القمر للشمس على ما يراه المنجمون من تقدم الشهر بالحساب على الشهر بالرؤية بيوم او يومين فهذا ما لا أقول به لانه احداث لسبب شرعى لم يشرعه الله ، فأنا متفق تماما مع رأى الامام ابن دقيق العيد رحمه الله (1) .

وهذا الذى اتفق عليه رأى هؤلاء العلماء الثلاثة هو الذى أخذت به لجنة الفتوى واعتمدته وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى قرارها .

أثناء القرن الماضى :

وقد يظن ان القول بالحساب الفلكى فى اثبات الصوم والافطار والعمل به فعلا - لا قولا فقط - من مبتكرات هذا العصر . ولكن الصحيح ان فى علماء المسلمين من كان يعتقد ويعمل به ، ويعلنه ولا

(1) الجواب الصحيح - ص 31 - 32

(2) فتح العلى المالك - ص 168

وجاء في قرارات المؤتمر السنوى لمجمع البحوث الاسلامية ما نصه :

«4 يعتمد على الحساب في اثبات دخول الشهر اذا لم تتحقق الرؤية ، ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوما» .

ولقد جاء في توصيات مؤتمر ماليزيا :

«ان على الاقطار الاسلامية المختلفة ان تقيم هيئة من الخبراء لتحديد بداية شهرى رمضان وشوال بما يتفق والمبادئ السابقة والمطالبة بالعمل على اخراج تقويم قمرى اسلامى موحد» .

ففى توصيات مؤتمر العلماء بماليزيا ، وقرارات مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية ترجيح لمذهب مطرف وقول الشافعى ، ومذهب الذين جاءوا من بعدهم وسلوكوا طريقهم ، بل فيه شىء جديد وهو ان مطرفا والشافعى - فيما نسب لهما - يقولان بان الحساب يعمل بعلمه فى خاصة نفسه ، ولا يلزم غيره . اما التوصيات والقرارات فان مفهومها ان للحكومات ان تعلن ذلك للناس وتلتزمهم به . ولقد سبق لنا نشر توصيات مؤتمر العلماء بماليزيا ، واليوم ننشر كامل نص قرارات مجمع البحوث الاسلامية حسبما جاء فى مجلة «منبر الاسلام» برواية فضيلة شيخ الجامع الازهر .

شيخ الازهر يجيب :

سؤال 7 « ورد فى الحديث : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته الخ » . والرؤية كما يتبادر من الحديث حسية وتقع بالعين المجردة او بواسطة آلات الرصد ، فهل يمكن ان تفسر هنا بمعنى تحكم العقل والعلم واستخدام الحساب الفلكى دون الاعتماد على الرؤية البصرية الا فى

الوثيقة التى لا يتطرق الشك الى صحتها تثبت اصرار بعض اهل العلم من الشافعية على القول بالحساب والعقل به لا فى خاصة انفسهم ، ولكن لهم ولغيرهم ، وكان زملاؤهم ومعاصروهم يرون ذلك منهم ولا ينكرونه .

فى هذا العصر :

اما فى هذا العصر فقد تعالت اصوات المسلمين من كل قطر ومصر تطالب بالخروج من هذا الاضطراب ، وتلج فى وجوب الوصول الى حل يزيح عن صدور المسلمين هذا الحرج . واهتم بالامر العلماء افرادا وجماعات ، وخرجوا بفتاوى او بحوث او توصيات وقرارات . ولم يعالج الموضوع ، فى رأينا . وحسبما اطلعنا عليه باحسن مما عالجه العلامة السيد محمد رشيد رضا فى مجلة المنار ، والسيد غلال الفاسى ، وكل منهما أعلن رأيه بصراحة فى انه ينبغى العمل بالحساب الفلكى لانه حساب يفيد القطع ، ولان الشارع الحكيم ارشدنا الى العمل به فهو المراد من النص ، اذ علل العمل بالرؤية والاكمال باننا امة أمية لا نقرأ ولا تحسب ، وهذه العلة قد انتفت . وهما يتفقان فى ان ذكر «الامية» فى الحديث علة لنوط اثبات الشهر بالرؤية البصرية او اكمال العدة ، وان من مقاصد بعثة محمد (ص) اخراجها من الامية .

ولقد جاء فى توصيات مؤتمر العلماء المسلمين المنعقد بماليزيا :

«اذا تعددت الرؤية لسبب من الاسباب .. وكان الحساب الفلكى يثبت امكان رؤية الهلال يباح الاعتماد على الحساب الفلكى» .

حالات الامكان ٠٠ ودون ان يكون هناك تعارض بين الدين والعلم وذلك حتى يكون فى الامكان توحيد أوائل الشهور العربية ليتمكن الاحتفال بالشعائر الدينية فى الوطن الإسلامى ؟

« عدد كبير من القراء »

الجواب :

« ان موضوع توحيد مبدأ الصيام وبالتالي توحيد العيد فى البلاد الإسلامية موضوع مناقشة الفقهاء فى القرون الاولى ، كما ناقشه علماء مجمع البحوث الإسلامية فى السنوات الأخيرة ، وهم جميعاً متفقون على انه لا تعارض بين الدين والعلم ابداً . فالدين نفسه هو الذى يدعو الى العلم . وفى مسألتنا هذه علق الحديث الصوم والافطار على رؤية الهلال فان لم تمكن الرؤية بالبصر لجأنا الى العلم . وما الارشاد الى اكمال شعبان ثلاثين يوماً الا توجيه الاحترام الحساب الذى هو مظهر من مظاهر العلم . والراصدون للهلال يستعينون بالمنظير وهى ادوات علمية ، كما يستعينون بمصلحة الارصاد فى اجهزتها وامكانياتها الأخرى .

وقد القى فضيلة الاستاذ الشيخ محمد على السائس عضو مجمع البحوث الإسلامية بحثاً مستفيضاً فى هذا الموضوع امام المؤتمر السنوى وانتهى المؤتمر الى اصدار القرارات الآتية :

١ - ان الرؤية هى الاصل فى معرفة دخول أى شهر قمرى كما يدل عليه الحديث الشريف ،

فالرؤية هى الأساس ، لكن لا يعتمد عليها اذا تمكنت فيها التهم تمكناً قوياً .

٢ - يكون ثبوت رؤية الهلال بالتواتر والاستفاضة كما يكون بخبر الواحد ذكراً كان او انثى اذا لم تتمكن التهمة فى اخباره بسبب من الاسباب ، ومن هذه الاسباب مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به الصادر ممن يوثق به .

٣ - خبر الواحد ملزم له ولمن يثق به ، اما الزام الكافة فلا يكون الا بعد ثبوت الرؤية عند من خصصته الدولة الإسلامية للنظر فى ذلك .

٤ - يعتمد على الحساب فى اثبات دخول الشهر اذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوماً .

٥ - يرى المؤتمر انه لا عبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الاقاليم متى كانت مشتركة فى جزء من ليلة الرؤية وان قل ، ويكون اختلاف المطالع معتبراً بين الاقاليم التى لا تشترك فى جزء من هذه الليلة .

٦ - يهيب المؤتمر بالشعوب والحكومات الإسلامية ان يكون فى كل اقليم اسلامى هيئة اسلامية يناط بها اثبات الشهور القمرية مع مراعاة اتصال بعضها ببعض والاتصال بالمراسد والفلكيين الموثوق بهم» (١) .

ومن يتمعن فى هذه القرارات الموفقة جيداً يجد انها تجاوزت حقاً قول مطرف وابن الشخير ، وقول الشافعى الى القول بالزام العموم بعلم الحساب

بحثا قيما في الموضوع ، اقتبس منه فقرات مفيدة الاستاذ علال الفاسي في كتابه النفيس « الجواب الصحيح » . وقد اقترح الاستاذ ابو العلا على الحكومات الاسلامية ان تجتمع وتختار « المبدأ المكاني » أى الدوران لليوم الشرعى حلا لمشاكلهم الاجتماعية الدينية كما اتفقت الدول حلا لمشاكلهم الاجتماعية المدنية » (I) .

ثم اقترح ايضا .

« ان ينشأ جهاز حسابى فلكى يعمل على ضوء الشريعة الاسلامية لتقوم بحساب جداول عامة بجميع المسلمين فى بقاع الارض لاقوات الصلوات الخمس وضبط احوال رؤية الهلال فى جميع البلاد المهمة التى يمكن رؤيته فيها وعمل جداول عامة أيضا لتعيين القبلة ، وان تمنع النتائج (اليوميات) التى لم يؤخذ حسابها من هذه الجداول العامة والتى لم تسخر الوضع الهلالى فى حساب أول الشهر القمري وان تراعى حدود الرؤية لمبدأ الامكان والوجوب فى ابعاد حكومة اسلامية نحو الغرب وهى مراکش فى النتائج (اليوميات) التى تنشر حتى تكون هلالية عالمية » (2) .

رمضان هلم السنة :

ونقلت صحيفة « العلم » المغربية عن مجلة «منبر الاسلام » التى يصدرها المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بحثا نفيسا فى الموضوع ، تعرض بالخصوص لرمضان فى هذه السنة ، ونشر قبل الاعلان عن

والاعتماد عليه ، ولقد ذهبوا أبعد من ذلك ، الى رد الرؤية اذا تمكنت فيها التهمة تمكنا قويا . ومن الاسباب لرد الاخبار مخالفة الحساب الفلكى الموثوق به المصادر ممن يوثق به . وفى القرار الرابع التصريح بالاعتماد على الحساب فى اثبات دخول الشهر اذا لم تتحقق الرؤية ولم يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوما ، ومتى لا يتيسر الوصول الى اتمام الشهر السابق ثلاثين يوما ؟ الا يكون ذلك اذا قرر العلماء المسلمون المتقنون الحاسبون ان الهلال موجود تمكن رؤيته عادة لو زالت الاسباب المانعة ؟ ومتى يتيسر الوصول الى الثلاثين ؟ الا يكون ذلك عندما يقرر علماء الحساب الفلكى ان الهلال يغيب قبل الشمس أو معها أو بعدها بمدة لا تتيسر رؤيته ؟ أليس هذا نفس ما قرره ابن دقيق العيد ، ومحمد رشيد رضا ، وعلال الفاسي بفصيح العبارة وبيان لا لبس فيه ؟

أما أهل الاختصاص من علماء الحساب الفلكى والمراسد من المسلمين الاتقياء الفيورين على شريعتهم العالمين حقا انها صالحة لكل زمان ومكان ، فانهم يحاولون نشر معارفهم المتطورة ، ومبلغ علمهم فى الموضوع لانارة أفكار علماء الشريعة المختصين ، وجمهور المسلمين وذلك فى الكتب المفيدة ، أو فى المجالات والنشريات الموثوق بها .

ومن هؤلاء العلماء السيد محمد أبو العلا البنا استاذ الفلك بكلية الشريعة بالجامعة الازهرية . كتب

(1) الجواب الصحيح

(2) الجواب الصحيح - ص 31

بدايته • وقد كتبه العالمان الجليلان الدكتور زكى غياد والاستاذ احمد حسين احمد ، تحت اشراف الدكتور جمال الدين الفندى •

ولقد قدموا للموضوع بمقدمة هذا نصها :

« ليس من العجيب فى شيء ان يعد المسلمون الى الاستعانة بالحساب الفلكى فى شأن ضبط التقويم الهجرى . فقد سبقنا الى ذلك الفرنجة ايام قام جريجورى الثالث عشر باصلاح التقويم الميلادى • لهذا نتقدم للعالم الاسلامى بسلسلة من البحوث نشرح فيها وجهة نظر العلم آملين ان يهتم بها علماء المسلمين ...

... ولا بد لكى تقوم بذلك ان تؤمن بالحساب الفلكى قاعدة للوصول الى ما نريد »

وبعد شرح واف لدوران الارض حول الشمس ، والقمر حول الارض وسيره قالوا « ان الحساب الفلكى يتطلب فقط تحديد لحظة انسلاخ القمر عن الشمس فاذا وقع ذلك قبل غروب الشمس ، وغرب الهلال بعد غروب الشمس ، بدا الشهر فى اليوم التالى » . ثم اعلنوا أنهم قاموا بحساب لمعرفة دخول شهر رمضان لسنة 1392 هـ فى المنطقة التى تقع فيها البلاد الاسلامية •

« من غرب موريطانيا غربا ، حتى شرق اندونيسيا شرقا ، ومن شمال تركيا شمالا حتى جزيرة مدغشقر جنوبا (لا ندرى لماذا جعلوا الحد الشمالى للمنطقة شمال تركيا ، مع أن المسلمين يتوغلون الى ابعد من ذلك فى بلاد روسيا وهم مستوطنون بموسكو ، وبفنلندا كاستيطانهم مدغشقر وتنزانيا !) وذلك

على الحاسب الالىكترونى ، وقسمنا هذه المنطقة فى الرسم الى مربعات طول ضلع كل منها خمس درجات ودونا فى بعض اركانها وعلى مواقع المدن الهامة الفترات التى يمكنها الهلال فى الافق الغربى بعد غروب الشمس ، وبذلك انقسمت الخريطة الى ثلاث مناطق مميزة •

(1) فى المنطقة السفلى المظللة بخطين متقاطعين يرى الهلال يوم السبت الموافق 7 أكتوبر •

(2) وفى المنطقة الوسطى المظللة بخط واحد مائل يرى الهلال فى يوم الاحد الموافق 8 أكتوبر ولا يمكن رؤيته فى هذه المنطقة فى يوم 7 •

(3) اما فى المنطقة العليا غير المظللة فلا يرى الهلال قبل يوم الاثنين الموافق 9 أكتوبر •

وجدير بالذكر ان المنطقة السفلى تضم بعض بلاد المسلمين مثل دار السلام وجزيرة مدغشقر ، وغانا ، وغينيا ، وليبيريا • ويمكن الهلال فى تناناريف عاصمة مدغشقر لمدة ثمان دقائق • اما المنطقة الوسطى فهى تضم اغلب بلاد المسلمين بحق • • • • (1) •

فهذا البحث النفيس يدعم رأى علمائنا الفلكيين القاعدين للرصد برصد « أبى زريعة » الفلكيين الحاسبين الذين أعلنوا أن هلال رمضان 1392 هـ يستحيل ان يرى فى كامل سماء الجزائر مساء السبت 7 أكتوبر • وانما يرى مساء الاحد ، وهذا ما قرره الباحثون المصريون ، لأن كل بلاد العرب ، واغلب بلاد المسلمين واقعة فى المنطقة الوسطى حسب رسمهم وتقسيمهم وقد قالوا « ولا يمكن رؤيته فى هذه

المنطقة يوم 7 أكتوبر (I) .

وإذا كان هذا حكم العلماء المختصين - وقولهم يفيد العلم والقطع - فإن كل شهادة برؤيته في الاقطار التي حكموا باستحالة رؤيته فيها متهمة، معرضة لتكذيب العلم .

وقد رأينا ان مؤتمر مجمع البحوث الاسلامية جعل من اسباب رد الاخبار بالرؤية مخالفة الحساب الفلكي الموثوق به . ولفقهاءنا الاقدمين قولان في الموضوع . سئل الشيخ عlish عن شهادة عدلين برؤية الهلال مع قول أهل الحساب انه لا تمكن رؤيته قطعاً فافتى بانه « يعمل بشهادة العدلين ويطرح كلام أهل الحساب (2) » ونقل عن الخطاب قوله « الذي يظهر من كلام اصحابنا انه لا يلتفت لقول أهل الحساب (2) » . ونقل عن السبكي وغيره من الشافعية « انه لا تقبل الشهادة لأن الحساب أمر قطعي والشهادة ظنية . والظني لا يعارض القطع (2) » ونازع في قول ابن السبكي بعض الشافعية ورده المتأخرون منهم . كما نقل عlish .

وقد كانت الشهادة المتهمة - منذ القديم - شهادة سوء كما وسماها مالك بن انس . وسحنون ، وحكم علمائنا الاقدمين عليها حكم صارم كحكم المتأخرين من علماء « مجمع البحوث الاسلامية » .

جاء في « تبصرة الحكام » لابن فرحون في فصل الحكم بالقرائن والامران ما نصه :

« قال اصحابنا اذا شهد شاهدان في الصحو في المصر الكبير على هلال رمضان ولم يره غيرهما : قال سحنون : هما شاهدا سوء فاذا قبل فعد ثلاثون يوماً فلم ير الهلال والسماء مصحبة قال مالك هما شاهدا سوء لأن ذلك قرينة ظاهرة في كذبها (3) » .

هذا احتياط علمائنا الاقدمين - في اتهام شهادة الشاهدين يريانه وحدهما في المصر الكبير ، وكانت ظروف تلك الازمنة لا تسمح بنشر الانباء بسرعة اليوم . ويكاد كل مصر يكون مستقلاً ، فكيف لا يتهم اليوم شاهدان يشهدان برؤيته وحدهما دون ان يراه غيرهما لا في قطر واحد أو مصر بل في اقطار واسعة وقد شهد العلم باستحالة رؤيته .

فان كان الذين أعلنوا اثبات رمضان بيوم الاحد 8 أكتوبر قد اعتمدوا رؤية ما ، في بلاد تقع في هذه المنطقة ، فقد صادموها رأى الفلكيين الحاسبين المفيد للعلم وان كانوا قد اعتمدوا رؤية فعلية في الاقطار الجنوبية ، أو رؤية « حكيمية » فيها ، كما قطع به الحاسبون وان الهلال مرئى لا محالة في هذه الاقطار الواقعة في المنطقة الاولى حسب تقسيمهم ، وجعلوها ملزمة للكافة في جميع انحاء بلاد الاسلام - فقد ساروا خطوة واسعة نحو توحيد فعل للعالم الاسلامي في هذه العبادة ، وانه حل يلبي رغبة جميع المسلمين ، ويثلج صدورهم . اننا لنامل ان يكون هذا ما وقع فيكون عالم المسلمين الشرقي قد صام

(1) جريدة «العلم» عدد 8132 في 24 شعبان 1392 - 3 أكتوبر 1972 م

(2) فتح الملئ الملك - ص 170

(3) تبصرة الحكام في أصول الاقضية ومناهج الاحكام ج 2 ص 99 المطبعة البهية (القاهرة) سنة 1302

وخراسان • واعتبر الشافعية اختلاف المطالع ، وقالوا لكل الاقليم رؤيته • وكاد المتأخرون يجمعون على الغاء اختلاف المطالع واصطلحت مجتمعاتهم ومؤتمراتهم على اعتبار الاشتراك في ليلة الرؤية ولو بجزء يسير •

وان هذا مما يسهل اجتماع المسلمين وتوحيد كلمتهم ، ولكن التوحيد الحقيقى انما يتم يوم تتفق الحكومات الاسلامية على العمل بالحساب اليقيني القطعى كما قال السيد محمد رشيد رضا رحمه الله « اذا تقرر لدى اولى الامر العمل بالتقاويم الفلكية من مواقيت شهرى الصيام والحج كمواقيت الصلاة وصيام كل يوم من الفجر الى الليل امتنع التفرق والاختلاف بين المسلمين فى كل قطر او فى البلاد التى تتفق مطالعها » •

على رؤية واقعة فعلا ، ممكنة علما ، ولا يكون هذا الا فى المنطقة التى قال العلم عنها ان ذلك ممكن فيها ، أما ان كان الصيام عن رؤية « فعلية » زعمت فى منطقة قال العلم فيها « لا يمكن ان يرى الهلال فيها » فان ذلك قد يجزنا لموقف يكون فيه ديننا عرضة للتهمة ، وعلماؤنا عرضة للسخرية • فليقرر علماؤنا ان رؤية مدغشقر او دار السلام ، او كوناكرى سواء كانت فعلية او حكمية ملزمة لجميع المسلمين المشتركين فى جزء من الليل مع بلد الرؤية تستجب جموع المسلمين ، وتطمئن قلوبهم ، ويقبلوا على عبادتهم او أعيادهم جادين فرحين مستبشرين ان اختلاف المطالع ملغى عند فقهاء المالكية ، ومتى ثبت الشهر فى اقليم وجب الصوم على بقية الاقاليم، ما لم يكن بين الاقليمين بعد فاحش ، قالوا كالاندلس



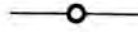
منشورات وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية

قريباً سيصدر كتاب :

الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني

لمؤلفه

الشيخ أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي



تحقيق

المهدي البوعبدلي



المؤتمر القادم لوزراء الشؤون الدينية والاسلامية والاقواق ينعقد بالجزائر بمناسبة الملتقى الثامن للتعرف على الفكر الاسلامي

في أوروبا على ضرورة التنسيق الكامل بينها ومضاعفة عددها وذلك ليس فقط للتعريف بالفكر الاسلامي في البلاد الاجنبية ولكن - وهذا هو الأهم - للمحافظة على ابناء الجالية الموجودة هناك وخاصة في أوروبا وأمريكا والذين كثيرا ما يتعرضون لمختلف وسائل الدوبان والسلخ عن مجتمهم الاسلامي .

أما فيما يتعلق بالاعیاد والمواسم الدينية اوضح الاخ مولود قاسم أن الوفد الجزائري في مؤتمر الكويت قد أكد على ضرورة وأهمية توحيد هذه المواسم بوضع تقويم قمری ملزم شامل ومنظم وثابت على مدار السنة ، الأمر الذي سيمكن البلاد الاسلامية من البرمجة والتخطيط بالنسبة للمستقبل دون انتظار ميلاد أو نهاية الشهر .

وأضاف الاخ الوزير أن الوضع اليوم ليس وضع ما قبل ثلاثة عشر قرنا بل لدينا امكانيات لمعرفة ميلاد الشهر أو اختفائه مقدما بشهور وسنوات

عاد الاخ مولود قاسم وزير التعليم الاصلی والشؤون الدينية الى الجزائر من الكويت حيث شارك على رأس وفد جزائري هام في اشغال مؤتمر وزارة الشؤون الدينية والاقواق العرب الذي انعقد بالعاصمة الكويتية في الفترة بين 23 محرم 1393 هـ الموافق 1973/2/26 و 28 محرم 1393 هـ الموافق 1973/3/3 .

وفي القاعة الشرفية بالمطار أدلى الاخ مولود قاسم بتصريحاً الى ممثلي الصحافة الوطنية ذكر فيه بأن اشغال المؤتمر قد تركزت على عدة نقاط أهمها توحيد الاعیاد والمواسم الدينية في البلاد العربية وشرح الفكر الاسلامي ورد الاباطيل التي تداع عنه والتنسيق بين المراكز الاسلامية الموجودة في أوروبا وبيين مختلف المؤتمرات والملتقيات التي تنعقد في العالم العربي .

وأضاف الاخ مولود قاسم أن وفد الجزائر في مؤتمر الكويت قد أكد بخصوص المراكز الاسلامية

المستشرقون : لماذا تختلف الدول الإسلامية في صومها وافطارها ومختلف أعيادها ! » .

ان اللجنة التي تم تشكيلها ستعرض التقويم الذي ستضعه على مدار السنة على المؤتمر القادم لوزراء الشؤون الدينية والاداريات العرب الذي سينعقد في الجزائر بمناسبة الملتقى الثامن للتعرف على الفكر الاسلامي .

وقال انه بشأن التنسيق بين المؤتمرات والملتقيات الاسلامية وبين المراكز الاسلامية الموجودة خاصة في أوروبا تم تكوين لجنة تضم في عضويتها الجزائر .

وعلى سؤال حول صدى ملتقيات التعرف على الفكر الاسلامي التي تنظم سنويا في الجزائر ذكر الاخ مولود قاسم أن هناك اهتماما كبيرا جدا لدى أغلبية الدول العربية والاسلامية بهذه الملتقيات لانها تمتاز عن غيرها التي تنعقد في البلدان العربية الاخرى بالاتصال والحوار الحبيب الذي يدور بين الشباب والاساتذة المتخصصين ، ولذا تقرر عقد المؤتمر القادم لوزراء الشؤون الدينية والاسلامية والاداريات بالجزائر بمناسبة عقد الملتقى الثامن حتى يتمكن هؤلاء الوزراء من حضوره .

واحيانا بعشرات السنوات وقال أن الوفد الجزائري قد اعلن في المؤتمر أن الجزائر مستعدة للتنازل عن التقويم القمري الذي وضعته لنفسها اذا ما اتفقت الدول العربية في مرحلة أولى والدول الاسلامية في مرحلة ثانية على وضع تقويم شامل وملزم للجميع .

وذكر الاخ مولود قاسم أن القرار الذي صادق عليه المؤتمر والمتصل بهذا الموضوع قد نص على تكوين لجنة تضم علماء الدين وعلماء الفلك من الجزائر وتونس ومصر والكويت وقطر لوضع تقويم قمرى ثابت مقدم بسنة وملزم لجميع الدول الاسلامية .

وأكد الاخ مولود قاسم بأن الموضوع هام للغاية عكس ما يبدو للبعض واذا كنا لا نتفق في هذه الشكليات فكيف نريد أن نتفق في المسائل الجوهرية .

وأضاف الاخ مولود قاسم : وحتى سمو أمير الكويت عندما استقبل وفد الوزراء المؤتمرين سألهم أول ما سألهم : « ماذا فعلتم لنا في موضوع توحيد الاعياد ورمضان الخ ! اننا نجد أنفسنا دائما في حرج وخجل عندما نكون في أوروبا ويسألنا



مقررات وتوصيات مؤتمر وزراء الشؤون الدينية والاسلامية والاقواف في البلاد العربية

الاقواف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت تداول المؤتمر في كافة الموضوعات المطروحة عليه واستمع الى كلمات الوفود وتدارس جميع الاقتراحات المقدمة من الاعضاء وشكل لها اللجان المختصة وهي :

- ١ () لجنة الدعوة الاسلامية والصندوق .
- ٢ () لجنة التنسيق والمقترحات .
- ٣ () لجنة توحيد المناسبات الاسلامية .
- ٤ () لجنة الصياغة .

انتهى المؤتمر الى المقررات والتوصيات التالية :

أولاً : - فيما يتعلق بالدعوة الاسلامية :

قرر :

- ١ - انشاء صندوق للدعوة الاسلامية تكون المساهمة فيه اختيارية .
- ٢ - اختيار الدعاة الصالحين من العلماء المؤهلين للنهوض بهذا العبء مع توفير الامكانيات الادبية والمادية لهم ولنشاط دعوتهم .
- ٣ - تعميم مدارس تحفيظ القرآن الكريم وتفهم معانيه لتكوين روافد للتعليم الديني . ووضع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه من أجل اعلاء كلمة الله وتجاوبا مع مشاعر الأمة العربية والاسلامية ووحدتها ونهوضا بالواجب الملقى على عاتقها بالدفاع عن قضايا المسلمين ومقدساتهم وتراثهم وحضارتهم ولغتهم .

وبناء على الدعوة الكريمة الموجهة من السيد وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية في دولة الكويت وبرعاية من حضرة صاحب السمو أمير دولة الكويت المعظم وسمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء ، انعقد مؤتمر وزراء الاوقاف والشؤون الاسلامية والدينية في البلاد العربية بدولة الكويت في الفترة الواقعة ما بين ٢٣ محرم ١٣٩٢ هـ الموافق ٢٦/٢/١٩٧٢ م - ٢٨ محرم ١٣٩٢ الموافق ٢/٣/١٩٧٢ ، وقد مثلت في المؤتمر جميع الدول العربية كما شاركت الامانة العامة الاسلامية لمؤتمر وزراء الخارجية ومنظمة التحرير الفلسطينية .

وبعد أن أجمع الحاضرون على اسناد رئاسة المؤتمر الى السيد راشد عبد الله الفرحان وزير

- ٣ - يوصى المؤتمر بتطوير مناهج التعليم وأساليبه في كل المواد وبصورة تدعم العقيدة وتركز الايمان في نفوس الطلاب وجعل الدين مادة أساسية في جميع المراحل التعليمية .
 - ٤ - يوصى المؤتمر بالعمل على ايجاد رياض اسلامية للأطفال يستغني بها عن المؤسسات الاجنبية .
 - ٥ - زيادة الاهتمام والعناية ببناء الشهداء والايتم المسلمين .
 - ٦ - ايجاد التعاون بين وزارات الاوقاف والشئون الدينية ووزارات الشؤون الاجتماعية والتعليم والاعلام في البلد الواحد وتنسيق الجهود وتبادل الآراء بين وزارات الاوقاف والشؤون الدينية بمختلف البلاد العربية والاسلامية .
 - ٧ - تغذية وكالة الانباء الاسلامية في جده بالاعخبار الصحيحة لتحرير الخبر الاسلامي من قيود وعوائق وكالات الانباء الاجنبية .
- ثانيا : وفيما يتعلق بتوحيد أوائل الشهور القمرية والمناسبات الدينية .**
- قرر :
- ١ (ان رؤية الهلال هي الأصل في تحديد أوائل الشهور القمرية ، شرط الا تتمكن منها التهمة تمكنا قويا ، وهي تثبت بالتواتر والاستفاضة او بخبر الواحد العدل اذا لم تتمكن التهمة في الاخبار لسبب من الأسباب ومنها مخالفة الحساب الموثوق به .
 - ٢ (انه لاعبرة باختلاف المطالع وان تباعدت الأقاليم متى كانت مشتركة في جزء من ليلة الرؤية وان قل واذا ثبتت الرؤية في بلد ، وجب ان تأخذ بها
- ٠ الحوافز المشجعة على الالتحاق بها .
 - ٤ - مراجعة ترجمات معاني القرآن الكريم في كل اللغات بدقة وعناية .
 - ٥ - مراقبة كل ما يطبع من المصاحف الشريفة بواسطة لجان من العلماء القراء للتأكد من صحتها والوثوق بها وان تعلن للدول العربية والاسلامية عند وقوعها على الأخطاء .
 - ٦ - وضع تفسير لكتاب الله يتضمن أفضل ما كتب في هذا الشأن ويكون موضوعيا ومختصرا على أن يترجم الى اللغات الحية ولغات الشعوب الاسلامية .
 - ٧ - العودة بالمسجد الى سيرته الأولى ووضع أسلوب جديد لخطبة الجمعة ليقوم برسالته على اكمل وجه .
- التوصيات :**
- ١ - يوصى المؤتمر بالعناية بإبراز الحضارة والثقافة الاسلامية مع تجسيد تعاليم الاسلام في سلوك عام بين المسلمين بوضع خطة تجعل الشريعة الاسلامية واقعا حيا بحكم حياة المسلمين .
 - ٢ - يوصى المؤتمر : (١) - بانشاء كليات للدعوة الاسلامية .
- ب (- بتعديل مناهج كليات الحقوق يجعل مادة التشريع والفقه الاسلامي مادة أساسية في الساعات والدرس تتناول كافة الأحكام في المعاملات وغيرها .

النشاط الثقافي

ثالثا : فيما يتعلق بالتنسيق بين مختلف الأنشطة الإسلامية .

قرر :

(١) أن ينشئ المؤتمر مكتباً للمتابعة والتنفيذ ، يكون تابعاً له ، ويسمى (بمكتب التنسيق الإسلامي) ، ويوضع لهذا المكتب نظام خاص يحدد شكل العمل عند تنفيذ مقررات المؤتمر ، وتكون له ادارته وموظفوه وهيئة الاشراف فيه كما تكون له ميزانية خاصة به تسهم في تغذيتها الدول العربية كل حسب امكاناتها ، وأن تكون دولة الكويت مقراً له .

(٢) وأن تكون مهمة مكتب التنسيق الإسلامي تأمين الدراسات والمعلومات عن حاجات المسلمين الروحية والمادية في شتى أنحاء العالم من جهة ، وذلك بغرض توجيه هذه الامكانات وتنميتها بحيث تكون قادرة على تغطية الحاجات الإسلامية المشار إليها من جهة أخرى .

(٣) بأن يهتم مكتب التنسيق الإسلامي بشكل خاص بالأمور التالية :

١ (التنسيق بين المؤتمرات الإسلامية التي تعقد في شتى أنحاء العالم ، بحيث يعمل على عدم انعقاد أكثر من مؤتمر واحد في وقت واحد ، كما يعمل على عدم تكرار الموضوعات المطروحة والتي انتهت بحثها في مؤتمر من المؤتمرات ، بالتنبيه الى ضرورة عدم طرحها في مؤتمر آخر .

ب (يساعد مكتب التنسيق الإسلامي على انشاء اتحاد محلي للجمعيات والهيئات الإسلامية في كل دولة فيها نشاط إسلامي ، بحيث يتكون هذا الاتحاد المحلي في اطار النظم والقوانين المعمول بها .

البلدان الأخرى اذا كانت اذاعة ذلك البلد من جهة رسمية وبالوسائل المعتمدة .

(٣) أنه اذا تعذرت الرؤية يجوز الاعتماد على الحساب الفلكي الموثوق به .

(٤) وجوب عمل تقويم قمرى بمعرفة لجنة معتمدة من فقهاء الشريعة الإسلامية وعلماء الفلك تلتزم به الحكومات الإسلامية في صومها وفطورها وفي تحديد مواسمها الدينية وفي تاريخها .

(٥) أنه حتى يصدر هذا التقويم يبقى الاعتماد على رؤية الهلال أساساً لتحديد أوائل الشهور القمرية (وكما تحفظت عدة دول بخصوص بعض النقاط سجلت الجزائر التحفظ التالي بخصوص هذه النقطة : « يتحفظ وفد الجزائر بخصوص النقطة الخامسة من موضوع توحيد أوائل الشهور القمرية والمناسبات الدينية وذلك طبقاً لما كان قد صرح به رئيس الوفد بمختلف المناسبات اثناء المؤتمر وخاصة في كلمته الملقاة امام المؤتمر ، وكذلك لدى اقرار توصيات وقرارات المؤتمر من طرف رؤساء الوفود » .

(٦) توطئة لاعتماد الحساب الفلكي الموثوق به في تحديد أوائل الشهور القمرية يقرر المؤتمر تعميم المراصد الفلكية في البلاد العربية والإسلامية والمبادرة الى تأليف اللجنة المشار إليها في المادة الرابعة بحيث تنتهي من مهمتها قبل انعقاد المؤتمر الثاني لوزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية والدينية .

(٧) اتخاذ يوم الجمعة عطلة اسبوعية رسمية لدى الحكومات العربية والإسلامية كافة تأكيداً لوحدة الأمة الإسلامية وتعزيزاً لشعائرها .

- ٤ - بأن يقوم الاتحاد المحلى باحصاء ودراسة الحاجات الاسلامية المحلية من جهة واحصاء ودراسة الامكانيات الاسلامية من جهة أخرى ، ويحاول تغطية الحاجات الاسلامية المحلية بالامكانيات الاسلامية الموجودة عن طريق التنسيق . وفى حال الحاجة الى المعونة الخارجية ، يعد الاتحاد المحلى الدراسات فى هذا الموضوع ويرفعها مع مقترحاته الى المؤتمر بواسطة مكتب التنسيق الاسلامى .
- كما يرفع الاتحاد المحلى عن هذا الطريق أيضا ، تقاريره الدورية الى المؤتمر موضحا بنوع خاص ما يلى :
- ١ - حاجات المسلمين فى الدولة التى ينتمى الاتحاد اليها .
- ٢ - الامكانيات التى يمكن ان يقدمها المسلمون فى هذه الدولة لمساعدة المسلمين فى الدول الأخرى ، وينبغي ان تتناول هذه الحاجات والامكانيات معلومات عن البعثات الدينية والمنح الدراسية والجامعية والمساعدات المالية والكتب والمجلات والمنشورات والمواد الاعلامية الاسلامية المتنوعة والمعلومات المتعلقة بالشبهات التى يثيرها اعداء الاسلام للرد عليها وتقنيدها بما يحض الناشئة ويمكن للعقيدة فى النفوس .
- ٥ - أن يجتمع المؤتمر مرة فى السنة ، وكلما دعت الضرورة الى ذلك ، بدعوة من وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والدينية فى أى بلد من البلدان التى يتم الاتفاق المسبق على انعقاد المؤتمر فيها .
- رابعا : وفيما يتعلق بالمقترحات العامة التى تقدمت بها الوفود
- قرر :
- ١ - تعطى الافضلية للحركات الاسلامية التى تضع هدف تحرير المقدسات الاسلامية فى فلسطين وهدف تحرير الاراضى العربية المحتلة فى طليعة التزاماتها .
- ٢ - يستنكر المؤتمر ما تلاقيه الاقليات الاسلامية من عسف واضطهاد فى كثير من البلاد ويطالب
- بإيقاف المجازر ضد المسلمين فى الفلبين وغيرها كما يطالب بالافراج عن الاسرى الباكستانيين كما يشجب التفرقة العنصرية اينما تكون .
- ٣ - ويعلن استنكاره للعدوان الصهيونى على طائفة الركاب المدنيين اللبية وعلى مخيمات اللاجئين فى لبنان ويهيب بالضمير العالمى ان ينهض لوضع حد لمثل هذا الطغيان .
- ٤ - يحىي المؤتمر حكومات وشعوب البلدان الافريقية التى قطعت علاقاتها مع اسرائيل ويقدر موقفها النبيل ويدعو لمناصرتها وتمتين العلاقات معها .
- ٥ - وضع قانون موحد للأوقاف مستمد من الشريعة الاسلامية بحيث يكون محققا للاهداف السامية التى وجدت الأوقاف من أجلها .
- ٦ - يوصى المؤتمر الدول العربية والاسلامية بالنص فى دساتيرها على ان دين الدولة هو الاسلام والشريعة الاسلامية هى مصدر التشريع .
- ٧ - يوصى المؤتمر الدول العربية والاسلامية بنبذ الخلافات السياسية والمذهبية وحل مشكلاتهم بالطرق السلمية والعمل صفا واحدا لتعزيز الكيان الاسلامى وحماية وجوده .
- ٨ - يفوض المؤتمر وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية بدولة الكويت الاشراف على مكتب التنسيق الاسلامى ودارته حتى انعقاد المؤتمر القادم .
- ٩ - لايسع المؤتمر اخيرا الا ان يرفع الى حضرة صاحب السمو امير دولة الكويت المعظم اجزل الشكر وخالص التقدير والامتنان على رعايته السامية لهذا المؤتمر ، كما يقدم شكره الصادق لمعالى وزير الأوقاف ومساعديه وللصحافة وسائر اجهزة الاعلام فى الكويت على ما قدموه من جهود مخلصه لانجاح هذا المؤتمر وايصاله الى ما يتطلع اليه من خير للامة الاسلامية .
- املين من الله العلى القدير ان يصون دولة الكويت وكافة الدول العربية والاسلامية ويجمع كلمة المسؤولين فيها فى ظل الاسلام ومبادئه الرفيعة .

توصيات الملتقى الوطني للموسيقى الاندلسية

ننشر فيما يلي نص التوصيات التي صادق عليها
الملتقى الوطني للموسيقى الاندلسية الذي انعقد في الشهر الماضي بالجزائر

توصيات اللجنة الخامسة المكلفة بالمحتوى والتطوير وآفاق المستقبل

د - دعوة الملحنين الى استلهاهم
التراث لتغذية الحانهم الجديدة
والمحافظة على الطابع الوطني في
الألحان .

- ليقسنى مزج التراث بأسلوب
حديث في حياتنا العصرية

- لتحبيبه الى الأجيال الحديثة
وجعله في متناول الجميع واعطائه
بعدا عالميا

- ليساهم في التربية الموسيقية
للأجيال الصاعدة

هـ - دعوة الفنانين المعاصرين
الى السمو بنتائجهم الفني ومسيرة
الثورة لصقل الأذواق وتهذيب
العواطف وربط الفن بالحياة ليكون
في خدمة الجماهير الشعبية .

٢ - فيما يخص آفاق المستقبل :

١ - فيما يخص المحتوى والتطوير :

١ - تنقيح واصلاح بعض
الكلمات والعبارات غير اللائقة في
النصوص المغناة من الشعر
والموشحات .

ب - تكليف مجموعة من
الشعراء

- اما بنظم قطع شعرية تتوفر
فيها مقاييس المعاني والموازن التي
تتوفر في مقطوعات التراث
الموسيقى

- واما باختيار القطع الشعرية
التي تتوفر فيها نفس المقاييس من
النجاح العربي .

ج - دعوة المطربين الى المحافظة
على سلامة النطق والوضوح في
الاداء .

اجتمعت اللجنة الخامسة
المكلفة بمشاكل المحتوى والتطوير
وآفاق المستقبل بمقر المعهد الوطني
للموسيقى من ٢١ الى ٢٣/٢/١٩٧٣
وارتأت بأنه .

نظرا لما تحتوى عليه الأغنية
الجزائرية الكلاسيكية أو غيرها من
كلمات وعبارات لا تتناسب وبعض
الظروف الاجتماعية .

ونظرا الى أن بها بعض
التوجيهات الخلقية تتنافى والتوجيه
السليم للجيل الصاعد .

ونظرا للدور الذي تلعبه
الأغنية كوسيلة توصيل لغوى .

ونظرا الى أنها تعكس جانبا
مهما من الحياة الاجتماعية
والثقافية لمجتمع ما فان اللجنة
الخامسة توصي بما يلي :

النشاط الثقافي

- ان اللجنة الخامسة توجه دعوة الى المسؤولين
- ١ - لتخصيص عناية كافية بالأغنية العصرية ورجالها لتكون تلك العناية دافعا للفنانين على النتائج بثقة واعتدال .
- ب - لتخصيص جوائز تحمل اسماء شهداء فنانين تمنح للفائزين في المباريات والمهرجانات التي تقام عبر الوطن .
- ج - تكوين لجنة وطنية دائمة مهمتها تنفيذ قرارات وتوصيات
- والملتقيات والعمل باستمرار على تطوير الموسيقى الوطنية .
- د - لاطلاق اسم : الموسيقى الكلاسيكية الجزائرية على التراث الموسيقى المسمى سابقا الموسيقى الأندلسية .

قرارات اللجنة الثانية المكلفة بالمحافظة على التراث الوطني

- ان الثورة الثقافية التي يشعر كل جزائري بضرورتها الملحة من أجل تشييد مجتمع اشتراكي ، يجب حتما أن تقوم على أساس استعادة الشخصية وقيمها الثقافية الأصلية .
- وبناء على هذا فإن أساس كل عمل يجب أن يوجه من أجل المحافظة على تراثنا الموسيقى في جميع أشكال تعبيره .
- ان اللجنة الثانية المجتمعة في ٢١ و ٢٢ فيفري ١٩٧٣ ، وبعد اطلاعها على عمليات جمع التراث من طرف المعهد الوطني للموسيقى وشعورا منها بضرورة شمول هذا العمل لجميع أنواع الموسيقى في كافة أنحاء التراب الوطني، توصي بما يلي :
- ١ - مواصلة هذه المهمة وباستعمال جميع الوسائل التقنية مثل التسجيل على الأشرطة
- السمعية منها والبصرية ، والكتابة . واتباع المناهج الحديثة والاستفادة من خبرات مختلف الشيوخ الحاملين لهذا التراث وبالرواة الذين لهم معرفة في هذا الميدان ، كل هذا من أجل المحافظة على أصالة تراثنا .
- ٢ - الاستفادة من جميع مصادر الاعلام مثل الاذاعة والتلفزة الجزائرية والمكتبات الخ . وتدعو اللجنة المؤسسات والهيئات العمومية مثل المجالس الشعبية البلدية والولايات واللجان الجهوية ومديريات التربية والثقافة كما تدعو جميع الأشخاص الذين يملكون وثائق خاصة ان يقدموا للمعهد الوطني للموسيقى كل مساعدتهم من أجل انجاح هذا العمل ذي الأهمية الوطنية .
- ٣ - تبني فيما يتعلق بأشغال التنوير الموسيقى ، النظام العالمي
- المكمل بالاشكال النوعية الخاصة بموسيقانا حسب النتائج التي تم الوصول اليها حتى الآن .
- ٤ - مواصلة عمليات الدراسة والبحث للمواد التي تم جمعها طبقا للمناهج العلمية المقارنة وتحديد القواعد التي ينبغي أن تسير بمقتضاها مختلف أنواع التراث الموسيقى وترتيبها ونشرها .
- ٥ - المحافظة على أصالة الأسلوب الخاص بكل مدرسة او بكل جهة طبقا لنتائج البحث والدراسة التي تم التوصل اليها وذلك لكي لا نقضى على هذه الثورة محافظة على تنوعها في اطار الوحدة .
- ان اللجنة الثانية تعبر عن ارتياحها لانشاء مصلحة تابعة للمعهد الوطني للموسيقى مكلفة

النشاط الثقافي

الشباب بشرط ألا تشبه سلمنا الموسيقى والا تمس بجمال موسيقانا .

وفي الأخير فإن الشيوخ المشاركين في اللجنة الثانية شعروا منهم بالدور الذي يتعين عليهم القيام به من أجل انجاح مهمة المحافظة على التراث الموسيقى الناطة بالمعهد الوطني للموسيقى ، يتعهدون بمساعدة المعهد ، ويرجون من كل الشيوخ تقديم مساعداتهم الفعلية ليؤدي هذه المهمة على أكمل وجه .

العمومية لقائمة الآلات الأصلية التي يتركب منها الجوق التقليدي للموسيقى الكلاسيكية، هذه الآلات هي الرباب ، كويطرة ، الدربوكة ، عود عربي ، قانون الجواق ، والنغرات .

ان الأداء الغنائي يمكن ان يكون جماعيا أو فرديا بالتناوب بينهما .

ونظرا لتعدد الآلات المستعملة فإن اللجنة لا تمنع من ادخال جميع الآلات التي لها تأثير على

توصيات اللجنة الأولى المكلفة بمشاكل تنظيم المهرجان

بحيث يطلع عليها المشاركون بسنة على الأقل قبل التظاهرات المقررة ، الا ان هذا الاجل سيخفف الى ستة اشهر بالنسبة لمهرجان الموسيقى والأغاني العصرية .

وفي الأخير ، ولكي تتمكن من ايجاد تقاليد فنية خاصة ببعض المدن الكبرى بالبلاد فإن اللجنة الأولى تعبر عن رغبتها في أن يشرع في جعل المهرجانات تأخذ اتجاها لا مركزيا .

وتفضل اللجنة أن يتم اختيار المدن من جهة على أساس التقاليد الثقافية الموجودة بتلك المدن ، ومن جهة ثانية على أساس وجود هياكل للاستقبال تكون مناسبة .

الأولى المجتمعين بتاريخ ٢١ و ٢٢ فبراير ١٩٧٢ يوصون بالآتي :

١ - تنظيم مهرجانات للموسيقى الكلاسيكية .
- مهرجانات للموسيقى والأغاني الشعبية .

- مهرجانات للفكlor ومهرجانات للموسيقى والأغاني العصرية .

٢ - اقامة نظام للمهرجانات المقبلة بحيث تتم بالتناوب كل ثلاث سنوات ، باستثناء مهرجان الموسيقى والأغاني العصرية الذي ينظم كل سنة .

٣ - العمل من الآن على اقامة تنظيمات نوعية لكل مهرجان ،

بالمحافظة على وثائق التراث الموسيقى .

وبناء على هذا فإن أعضاء اللجنة الثانية يلحون على ضرورة اسناد مهمة المحافظة على كل ماله علاقة بالموسيقى بما في ذلك الآلات الموسيقية الى المعهد الوطني للموسيقى .

كما تعبر اللجنة عن ارتياحها لوضع مشروع انشاء متحف للآلات الموسيقية .

وتتضمن اللجنة فرصة انعقاد هذا الملتقى للفت انتباه السلطات

ان وزارة الاعلام والثقافة ، سعيا منها وراء التعريف بتراثنا الموسيقي وتطويره قد قامت بتنظيم عدة تظاهرات فنية بواسطة الاسابيع الثقافية والمهرجانات الوطنية .

وقد برهنت هذه التظاهرات على أنها أحسن طريق لجمع مختلف أنواع الموسيقى وحصرها ، كما أنها أحسن حافز لتنمية نشاط الجمعيات الموسيقية .

وشعورا بضرورة وجود تقاليد ثقافية بحيث تصبح التظاهرات الفنية ذات طابع رسمي يساعد على تنشيط طاقة الجماهير الشعبية ، لذا فإن أعضاء اللجنة

توصيات اللجنة الثالثة المكلفة بنشر الموسيقى

البرامج التي تعرض في مختلف المناسبات *

٢ - توسيع المبادلات مع الخارج بالفرق الموسيقية والشخصيات الفنية والبرامج الاذاعية والتلفزيونية والاسطوانات والمؤلفات المختصة مع احترام قواعد المعاملة في التبادل *

٣ - على الاذاعة والتلفزيون التي لها دور اساسي في هذا الميدان :

١ - أن تخصص للموسيقى الجزائرية بجميع أنواعها التقليدية أو العصرية مقدارا من الوقت يعادل على الأقل ثلثي المقدار العام المخصص لبرامج الموسيقى والنوعات *

ب - أن تحدد لبرامج الموسيقى الجزائرية أوقاتا مناسبة للسمع موزعة على مختلف القنوات *

ولتحديد هذه الأوقات وهذه البرامج توصي اللجنة بتكوين لجنة استشارية للبرامج لدى الإدارة العامة للاذاعة والتلفزيون الجزائرية مؤلفة من مسؤولين من الاذاعة الوطنية ومن شخصيات ثقافية وموسيقية يعينها وزير

هـ - نشر وتوزيع المطبوعات الموسيقية والمجلات وغيرها لتعليم هذا الفن والتعريف به *

و - تأسيس هيئة وطنية تتمتع بمنحة قارة ماثلة لما هو موجود في بلدان أخرى تحت اسم « السببية الموسيقية » *

ز - تنظيم ألعاب ومسابقات مختلفة لتعريف الشباب بشؤون الموسيقى *

ولكي تكون هذه الجهود أكثر فائدة فإن دور البلديات والولايات ضروري وحتمي *

وينبغي على البلديات بالخصوص :

١ - الدعوة الى تكوين جمعيات موسيقية وتشجيعها *

ب - توفير المحلات للجمعيات وتسهيل جمع جميع الضرورية لنشاطها ، آلات ، وثائق منشطون *

وعلى مستوى الولايات ينبغي تكوين لجان ثقافية جهوية تكلف ليس بمساعدة الجمعيات والفرق الموجودة وتنسيق جهودها فحسب ، بل باقتراح المبادرات تخطيط المبادلات داخل الولاية وبين الولايات والعناية بجودة

ايماننا بالدور الذي تستطيع ان تلعبه الموسيقى في رفع المستوى الثقافي لبلاد هي في ازدهار مستمر مثل بلادنا يؤكد المشاركون في اللجنة الثالثة ضرورة نشر هذه الموسيقى على اوسع نطاق باحدث الوسائل وأكثرها فعالية *

وبناء عليه فهم يوصون بما يلي :

١ - تكوين وتوعية الجمهور بوسائل مثل :

١ - محاضرات متبوعة بحفلات موسيقية وأخرى تتخللها نماذج موسيقية ومتبوعة بمناقشات *

ب - حفلات موسيقية قارة ومتنقلة تحييها فرق مختصة *

ج - نشر وتوزيع الاسطوانات والأشرطة المسجلة « كاسات » بأسعار منخفضة ... وتحتوي على برامج معدة اعدادا خاصا ومرفقة بتوضيحات وتعليق مكتوبة أو منطوقة بعدة لغات للمساعدة على فهم محتوى ذات المقطوعات المسجلة *

د - اخراج افلام موسيقية ذات طابع تعليمي أو ترفيهي *

النشاط الثقافي

الاعلام والثقافة ويمكن ان يكون ،
مهام هذه اللجنة ابداء الراى فى
المبادلات مع الخارج .

ج - أن تنظم بطريقة منهجية
مستمرة ، برامج موسيقية فى
المحطات الجهوية والأستوديوهات
خارج العاصمة .

احترام حقوقهم كفنانين وعمال ،
احتراما كلياً .

ب - أن يعفو من الرسوم
الجمركية الآلات الموسيقية والقطع
اللازمة لها والتي هى ضرورية
لتعليم وممارسة الفن الموسيقى .

ج - أن يوفر - فى قريب -
الامكانيات اللازمة لصناعة الآلات
الموسيقية داخل الوطن .

وأخيرا بما أن نشر الموسيقى
الوطنية يتطلب موسيقيين أكفاء
يكثرون فإن المشاركين فى الملتقى
يلتمسون من كافة المسؤولين بصفة
خاصة :

١ - أن يضمنوا لجميع
الموسيقيين ، مؤلفين وملحنين
ومطربين وعازفين ومعلمين ،

توصيات اللجنة الرابعة الخاصة بالتعليم والتكوين

ابتداء من أولى مراحل حياة
الطفل .

ويتحتم أن تتواصل ممارستها
وتتأكد خلال جميع أطوار التكوين .

ب - يجب أن تهدف التربية
الفنية والجمالية فى التعليم
الابتدائى الى تربية الذوق الموسيقى
دى الطفل وتلقيه .

فى اطار النشاط الثقافى -
المبادئ الأولية لهذا الفن وذلك
طبقا لميوله واستعداداته الطبيعية .

ج - أن هذه التربية المبسطة
يجب أن تسمح للطفل بالتعرف على
المبادئ الاساسية للموسيقى
وخاصة الايقاع والالسان ، وذلك
باستعمال الطرق التربوية
النشطة .

ويجب أن تعتمد أساسا على
الغناء الجماعى واستعمال الآلات

ان لجنة التعليم والتكوين
المتفرعة عن الملتقى الوطنى
للموسيقى المنعقد بالجزائر
والمجتمعة بالمعهد الوطنى للموسيقى
من ٢١ الى ٢٣ فيفري ١٩٧٣ .

- شعورا منها بضرورة
تكامل الأبعاد الثقافية الاصلية فى
اطار الاختيارات الاساسية للوطن .

- حرصا منها على تكوين
المواطن الصالح الذى يكون راسد
المجتمع الاشتراكى .

- شعورا منها بضرورة
اعطاء الطفل تعليما متكاملًا وتربية
جمالية ملائمة .

توصى بما يلى :

١ - توجيهات عامة :

١ - أن الموسيقى باعتبارها
تربية فنية وجمالية ، يجب أن
تمارس فى جميع الأوساط التربوية

الموسيقية التى تكون فى متناول
الطفل .

د - أما بالنسبة للتعليم
الموسيقى والثانوى فيجب أن
تتواصل التربية الموسيقية بصورة
أعمق وأكثر اعتمادا على دراسة
النظريات الموسيقية والنوتة وتاريخ
هذا الفن .

يجب كذلك أن يتواصل
الاعتماد على الغناء الجماعى
بصفته أساسا لهذه التربية ، ومن
المأمول أن تجرى ممارسة احدى
الآلات الموسيقية .

هـ - تتمنى اللجنة أن يستمر
تعليم الموسيقى فى الجامعة وأن
يتواصل الاهتمام بها فى هذا
المستوى .

٢ - الوسائل :

وللوصول الى الأهداف
المحددة آنفا فمن الضرورى تسخير

الوسائل البشرية والمادية الكافية والملائمة .

و يتمثل اعداد الوسائل البشرية ، يادى ذى بدىء ، فى تكوين الاطارات تكويننا ملائما لكل مرحلة من مراحل التعليم بالاعتماد على مختلف مراحل النمو النفسانى للتلميذ .

وينبغى أن يتم هذا التكوين فى المظهرين الآتيين :

– التكوين الاولى داخل المؤسسات المخصصة لهذا الشأن من جهة

– تنظيم دورات تدريبية للمعلمين المباشرين للعمل ، من جهة أخرى مع اعلام واسع النطاق متجه لكل فئات المعلمين .

أما بالنسبة للوسائل المادية فهى تشمل التجهيزات الفردية والجماعية فى صورة وسائل سمعية وبصرية ومطبوعات .

ومن ناحية أخرى يتم انتاج تلك الوسائل من طرف القطاعات الوطنية المختصة .

واللجنة الفرعية تقترح مبدئيا الوسائل الآتية :

1 – طبع مختارات من الاناشيد المدرسية تشتمل على الكلمات والموسيقى .

ب – طبع كتب مدرسية خاصة بتعليم هاته المادة .

ج – اعداد وسائل تعليمية جماعية وفردية مرفوقة بمذكرات تربوية .

د – انتاج اسطوانات واشرطة تعليمية .

هـ – انتاج افلام وصور ثابتة تعليمية مرفقة بمذكرات توضيحية للمعلم .

و – انتاج افلام ثقافية وترفيهية ضمن منتوجات السينما التربوية التابعة للمعهد التربوى الوطنى .

ز – تزويد كل مؤسسة تعليمية بآلات التسجيل والعرض السنمائى وجهاز اسطوانات .

3 – هياكل التكوين :

بغية الاستجابة للحاجيات من الأطراف الموسيقية فى كل المستويات التى يبدو فيها نقص ثابت سواء على صعيد التبليغ (عازفين) أو على مستوى التكوين (اطارات مكونة) ، توصى اللجنة الفرعية بما يلى :

1 – القيام بصفة عاجلة بإنشاء وحدة تكوينية ذات نظام داخلى بالجزائر العاصمة لاستقبال التلاميذ الوافدين من مختلف أنحاء المهنى ، تعليميا ملائما ومختصا بالناحية التربوية والثقافية .

ج – إنشاء مدارس للتربية بالقسنطينى .

ومن الضرورى أن تتلقى الاطارات المستفيدة من هذا التكوين ، علاوة على التكوين كل ما سمحت الظروف بذلك .

الموسيقية على مستوى البلديات ، وفى نطاق هذه العملية الهادفة الى التعريف بالموسيقى

على اوسع نطاق وتكوين الاطارات توصى اللجنة بإشراك المدارس والمعاهد البلدية الموجودة حاليا .

د – إنشاء مؤسسة مختصة تتولى تكوين الاطارات الفنية وانتاج مختلف الآلات الموسيقية لتحقيق الاهداف المنشودة ، وتدريب نفس الاطارات القائمة على هذا الانتاج .

هـ – إنشاء مسلك دراسى مستوى القطاعين الوهرانى يؤدى الى تخريج حملة البكالوريا الموسيقية .

وفى الختام فان اللجنة الفرعية ترجو من كل السلطات

ب – إنشاء وحدات تكوين أخرى فى مرحلة قادمة على البلاد . المعنية أن تنعكف على وضع القوانين الخاصة بالمهنة الموسيقية وفق السياسة الثقافية للبلاد .

4 – التنسيق بين الهيئات المعنية : من أجل مضاعفة النشاطات المنجزة من طرف مختلف المؤسسات المكلفة بانتاج ونشر وتبليغ المادة الموسيقية ، فعلى جميع القطاعات الوزارية المضطعة بدور الوصاية أن تقوم بما يلى :

1 – تنصيب لجان تقنية .

ب – تنشيط لجان البحث والدراسة .

ج – القيام بالترتيبات الادارية اللازمة بغية ضمان المساهمة فى ترقية سياسة ثقافية وطنية متجددة ، وذلك بفضل القيام بالتزاماتها المشتركة .



نافذة على العالم

الحضارة

الانسان : عود على بدء ؟

على الرغم من أن قابيل مازال يقتل اخاه ، نجد أن جهود الأنبياء والمرعين والمصلحين الأخلاقيين تنجح عبر مئات القرون في التوصل الى تحريم اكل الانسان لحم اخيه الانسان . وباستثناء بعض المجتمعات البدائية المنعزلة التي يقال : بأن افرادها يتعاطون اكل لحوم البشر ، وباستثناء بعض الحالات القاهرة خلال الحروب وفي معسكرات الاعتقال - يمكن القول بأن الانسان بكل ألوانه واجناسه أصبح مقتنعا بهذا التحريم، مثل قناعته مثلا باستحالة الزواج من والديه .

ن. شوريجي

آثار الحبر وما زال يثير ردود فعل مختلفة لدى البشر في أنحاء العالم . وسارع علماء اللاهوت لتقييم هذا العمل . والحكم على « آكلي لحوم البشر » بالعفو أو بالادانة . ومن الطرافة بمكان أن أحدا لم يجرؤ على ادانة عملهم . حتى الفاتيكان نفسه مال الى تبرير عملهم من الناحية الاخلاقية ، باعتبار ان عملهم تم بدفع ضرورة قاهرة وحفاظا على الحياة .

اما من الناحية القانونية فان هذا الموضوع يماثل الى حد كبير فحوى الدعوى التي رفعتها سيدة زنجية اميركية مؤخرا ضد ذلك الطبيب الذي سمح لنفسه وبدون إذن منها - ان ينتزع قلب زوجها الشاب . وكان الشاب الزنجي قد قتل في حادث اصطدام سيارة ، فزرع اخصائي القلب قلب الزنجي في صدر مريض احضر الى المستشفى مصابا بازمة قلبية مميتة ولربما سيلجأ اقرباء الرياضيين الذين « افترس » رفاقهم لحومهم الى القضاء أيضا لينظر في هذه القضية الفريدة من نوعها في التاريخ المعاصر .

الصحة

الطريق الى القبر معطر باريج القهوة .

يجمع الاطباء أن الاكثار من الاطعمة ، وقلة الحركة، والاجهاد ، والتدخين وتناول المشروبات الكحولية من بين العوامل الرئيسية التي تسبب مرض الذبحة الصدرية . والى هذه العوامل تمكن العلماء مؤخرا من اضافة عنصر جديد هو القهوة التي يتناولها الناس بنسب مختلفة ويعتبر الامريكيون في طليعة مستهلكي القهوة « اذ يبلغ متوسط استهلاك الفرد سنويا حوالي ألف فنجان من القهوة » مما دفع الاطباء الاميركان الى

قبيل اعياد الميلاد المنصرمة اهتزت مشاعير الانسانية من جديد وبعنف ، ازاء خبر يزلزل هذه القناعة . وينكص الى الوراء بكل ما تم التعارف عليه بين البشر المتحضر .

بدأت القصة المثيرة في طائرة للركاب كانت تحمل فريقا رياضيا من الأرجواي في امريكا اللاتينية . اذ اصطدمت الطائرة وهي تحلق فوق جبل الاندين في الشيلي وسقطت على قمة يبلغ ارتفاعها 3600 مترا . وتصادف سقوطها في هاوية عميقة ضمن الجبل ، مما سبب انهيار جوار من الثلج سقط فوق الطائرة ودفن تسعة وعشرين فردا من ركابها . أما من نجي من الكارثة وعددهم ستة عشر مسافرا فقد التجأوا الى الجزء المتبقى من هيكل الطائرة ، وظلوا يقاومون الموت بردا وجوعا مدة تسعة وستين يوما الى أن تم العثور عليهم وانقاذهم .

اعتبر انقاذ الرياضيين الباقين على قيد الحياة معجزة . الا ان المعجزة سرعان ما تحولت الى مأساة مرعبة . فقد ذكر الناجون من أعضاء الفريق الرياضي بانهم استعانوا على مقاومة البرد والجوع بما تبقى في مستودع الطائرة من الطعمة . وعندما نفذت مؤونتهم لجأوا خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة الى تدبير خطير جدا وهي الاقتيات بلحوم رفاقهم الموتى ، والذين مازالت جثثهم محفوظة ضمن الثلج . وبعد حوار طويل بين الناجين تم تنفيذ القرار . وكان اللحم البشري المقتطع من جثة أحد الرفاق يكفي لاطعام مجموعة الناجين وعددهم ستة عشر رجلا مدة خمسة أيام . وعلى ذلك اقتيات الرياضيون بلحم ستة من رفاقهم الموتى .

الشك بأن شرب القهوة يساعد على الإصابة بمرض المدنية الاول في عصرنا اي بالذبحة الصدرية أو (الجلطة) .

وقد نشرت مجلة الطب البريطانية مؤخرا نتائج بحث كان الاطباء الاميركان قد أجروه على 1380 مريضا في مستشفيات مدينة بوسطن ، واختار الاطباء بصفة خاصة من بين هؤلاء المرضى 276 مريضا كانوا دخلوا الى المستشفى بسبب اصابتهم بذبحة صدرية حادة . وقد حرص الاطباء على استجواب هؤلاء المرضى والاستعلام منهم عن كمية ونوع المشروبات التي كانوا يتناولونها يوميا ، وخاصة القهوة ، أو تدخين السجائر وفيما اذا كانوا قد اصابوا بارتفاع ضغط الدم ، أو بعرض السكر ٠٠٠ الخ فتبين للاطباء ان نسبة الإصابة بالذبحة كانت مرتفعة بشكل واضح بين اولئك المرضى الذين يتناولون القهوة . فالشخص الذي كان يتناول أكثر من خمسة فناجين من القهوة يوميا كان احتمال تعرضه للآزمة القلبية مضاعفا بالنسبة للشخص الزاهد في القهوة . والسيدات اللواتي يشربن القهوة يتعرضن أكثر من الرجال لخطر الإصابة بالذبحة .

فمن يستهلك من السيدات عشرة فناجين من القهوة أو أكثر يوميا ، يكون تعرضهن للآزمة القلبية اربعة اضعاف بالنسبة لغيرهن . ولا يقتصر خطر الإصابة بالذبحة عن المدمنين على شرب القهوة . بل يشمل أولئك الذين يتناولون السائل الاسود (القهوة) باعتدال فهم يتعرضون بالإصابة بل أكثر من أولئك الذين يشربون القهوة اطلاقا . فالذين يشربون وسطيا فنجانا الى خمسة فناجين من القهوة

في اليوم من المرضى الموضوعين تحت الدراسة في مستشفى بوسطن - يتعرضون للإصابة بالذبحة أكثر بمرة ونصف من الاشخاص الذين لا يشربون القهوة . علاوة على ذلك تبين للاطباء الباحثين بأن الشخص الذي يحمل جسمه عناء شرب أكثر من خمسة فناجين من القهوة ، بالإصابة الى تدخين أكثر من عشرين سجارة يوميا ، يتعرض للإصابة بالذبحة ثلاث مرات أكثر من زميله الذي لا يدخن ولا يشرب القهوة .

غير انه لم يتضح للاطباء بعد ماهية المادة الموجودة في القهوة ، والتي تسبب الذبحة الصدرية . ومن المحتمل انها مادة كيميائية تؤثر على عملية تبادل المواد الدسمة أي على كمية الكوليترين في الدم . ولا يستبعد الاطباء أيضا انه يكون للعنصر النفساني دور في الموضوع ، وذلك بأن يكون الاشخاص المدمنون على شرب القهوة بنفس الوقت نماذج لأولئك الاشخاص المعرضون بالإصابة بالذبحة الصدرية .

وهنا لابد من الإشارة ان مادة الطائفتين الموجودة في القهوة ، والتي تسبب نشاطا للانسان عقب شرب القهوة ، ليست مسؤولة عن الإصابة بالذبحة كما قد يخيل للبعض . ذلك ان كمية 100 - 150 ملليجرام من الطائفتين التي يحتويها فنجان القهوة موجودة بنفس النسبة في أي فنجان من الشاي .

أما شراب الشاي فقد تبين لنفس الباحثين وبشكل يثير الدهشة - انه ليس مضرا ، بل على العكس تبين أنه وسيلة تساعد على الوقاية من الإصابة بالذبحة الصدرية فالمرضى الذين كانوا يحتسون أكثر من خمسة فناجين من الشاي يوميا - بدلا من شرب القهوة -

تقل نسبة اصابتهم بالذبحه خمسين بالمئه بالنسبة الى الاشخاص الذين لا يشربون الشاي ! .

الجنس

العلاقة بين الجنس في الصين الشعبية .

لربما يلوح موقف شعب الصين من الجنس محيرا بالنسبة للزائر الاجنبى. ففي الايام الاولى من الاقامة فى الصين يلوح للزائر كما لو ان الصينيين ليس لديهم اهتمام بالجنس كليا . فثياب الصينيين فضفاضة خيطة للنساء وللرجال على السواء ، وعلى نمط واحد. وتتميز انها لا تساعد البتة على اظهار شكل تقاطيع الجسم. وكذلك يندر للزائر ان يصادف امرأة ترتدى (تنورة) او ثوبا نسائيا

ومع ذلك تمتلئ متاجر الدولة فى مدينتى بكين وشنغاي بانواع وفيرة من دهون البشرة ومستحضرات التجميل . ويذكر أحد المحررين الغربيين ان الفضول دفعه ليسأل فتاة صينية تعمل دليله فى معرض سنغاي الصناعى عن يستعمل طائفة الالوان والمساحيق والعطور المعروضة على الرفوف فى أروقة المعرض ؟ فتلعنت الفتاة قليلا ، ثم اجابت بان مواد التجميل معدة للتصدير ، وفيما بعد شرع أحد القائمين على المعرض حقيقة الامر قائلا : « ان الفتيات الصينيات يحببن الجمال الطبيعى » . وفى الصين يقابل الزائر فتيات جميلات جذابات ، يعمل بعضهن فى الصناعة ، وحتى فى ميادين من الصناعة ليست مخصصة فى بلاد أخرى للنساء. ورغم ذلك تحافظ الفتاة الصينية على انوثتها ، فهي تتقبل - شأنها

شأن أى فتاة أخرى - نظرة اعجاب من الرجل بابتسامة رقيقة تدل على العرفان .

ويذكر المحرر نفسه انه قابل فى ترسانه السفن فى شنغاي فتاة طويلة فاتحة البشرة تحمل آلة ثقب فى يدها . فتوقف ليبادلها الحديث . وبعد تبادل أسئلة وأجوبة فى مواضيع تدور حول عملها ، تطرق ليسألها فيما اذا كانت متزوجة؟ فما كان منها الا ان أجابته على الفور : « بان هذا الموضوع أمر شخصى » . ثم استدركت ضاحكة بانها « لم تتزوج بعد » .

هناك ظاهرة هامة يتميز بها المجتمع فى الصين الشعبية ، تتلخص فى تحريم Taboo العلاقات الجنسية قبل الزواج ، وفى ضبط النفس الشديد فى التعبير عن الحب وعن العواطف .

ومن النادر ان يرى الزائر الشباب والفتيات سوية الا ان ذلك لا يشمل الأزواج من النساء والرجال الذين يمشون عبر الطريق المحاذى للنهر فى مدينة شنغاي . والمجال الرئيسى لتقابل الشباب والفتيات يكون فى المدرسة أو فى العمل أو فى قصر الثقافة الشعبى . وهذه الاماكن السالفة الذكر هى المواضيع التى التقى فيها الأزواج بزوجاتهم حسبما يؤكد الكثير من الصينيين .

اما بالنسبة الى الحب فان الكثير من الصينيين يضحكون عندما يسألهم زائر غريب فيما اذا كانوا يقولون لزوجاتهم عبارة « أحبك » ؟

ويجيب ناشر احدى الصحف فى شنغاي على نفس السؤال بان « هذه العبارة أى احبك، ليست ضرورية » ويقول « نحن نفهم هذه الاشياء دون ان نحتاج للتفوه بها »

المتحدة . فهي تمسك بخناق المجتمع الاميركي وتتسبب في اونة الى اخرى في اصطدامات دموية ، وحوادث عنف يذهب ضحيتها عادة « المواطنين الاميركيون السود » ، وكثيرا ما يكون الاغتياي والتصفية الجسدية من بين الوسائل التي يستخدمها العنصريون البيض للتخلص من رجال المقاومة كما حدث للرقيم الراحل مارتين لوتركينج . ومن بين الوسائل الاخرى العديدة ارسال الاميركيين « الزنوج » الى آتون الحرب في فيتنام . وهي حرب لا ناقة للسود فيها ولا جمل . لذلك كانت عناقيد الغضب تتجمع لتنفجر في الوطن نفسه - في الاطار المدني ، مثلما تتجمع في الخارج - حتى ضمن الاطار العسكري ، وحيثما وجد الجنود السود في قطعات الجيش والبحرية الاميركية .

لعل من اخطر مظاهر انفجار الغضب الاسود القتال الذي نشب مؤخرا بين البحارة السود وزملائهم البيض العاملين على حاملة الطائرات الاميركية المسماة « كيتي هول » . وهي احدى قطع الاسطول الاميركي العامل قرب سواحل فيتنام ، وعلى الرغم من ان ثورة الملاحين السود كانت صغيرة في انتشارها ، محدودة في وسائلها ، حرصت دوائر البتاغون اخفاء امرها قدر المستطاع ، وتمويه اسبابها وحقائقها . ومع ذلك ما لبث الخبر ان تسرب وانتشر في العالم بعد عودة الحاملة الى قاعدتها في ميناء سان دييجو .

هنالك روايات عديدة حول الحادث واسبابه . ويقول الملاح الابيض جونسون أحد شهود المعركة : ابتدأت الفتنة على ظهر الحاملة بان لوح أحد البحارة السود بقضيب من الحديد ثم رمى به ضابطا أبيضاً فاصابه في ساقه . وما لبث القتال ان نشب وكانت

ومع ذلك يجد الزائر ان الجنس امر معترف به في الصين الشعبية . حينما يسافر المرء يرى أقساما مخصصة للعيادات التناسلية في المستشفيات الملحقة بالبلديات وبالمعامل ، تقدم حبوب منع الحمل مجاناً ، وتؤمن الاجهاض بنفقات زهيدة . ومراكز رعاية الامومة أساسية ومنظمة . وتحصل الامهات عادة على اجازة أمومة مقدارها خمسون يوما . وتبقى المرأة الوالدة اسبوعا في المستشفى بعد اتمام الوضع وهي تنهض وتسير على قدميها عقب الولادة ومنذ اليوم الاول . وكما يصرح احد اطباء الصين : « لا تسبب ولادة طفل للمرأة العاملة في الحقل أى مشكلة » .

بحسب التقاليد السابقة في الصين يتمنى الاهل ان يرزقوا ببنين يرثونهم أما الفتيات فلا قيمة كبيرة لهن ، الا ان الموقف سرعان ما تبدل حديثا بالنسبة للرغبة في الحصول على بنين . فالدولة تهتم بأمور المواطنين في الشيخوخة . ولم يعد المواطن يعتمد على ابنائه في العناية به عند الكبر . اما بالنسبة للمهنة التي يفضلها الاباء في الصين لابنائهم . فان اختيار المهنة أصبح مرتبطا بالدولة ولا ادل على التلاحم الوثيق بين المواطن والدولة من الاجابة التي ذكرها أحد الاباء الصينيين حول موضوع اختيار مهنة لابنه : « أى شيء » سيؤدي الى خدمة الدولة سيكون جيدا لابني » .

التمييز العنصري

هل حرر ابراهام لينكولن العبيد حقا ؟

تعتبر مشكلة التمييز العنصري من ابرز المواضيع التي تهز بعنف اركان « الديمقراطية » في الولايات

مدة ثمانية أشهر - بل انتقل الى اليابسة أيضا فلم يطلق السود تحمله . ويبدو ان التميز في المعاملة بين الملاحين السود والبيض يعتبر أمرا مالوفا في القاعدة البحرية . ففي كل مطعم أو بار أو ملهى يلقي الملاحون السود معاملة من الدرجة الثانية .

ومع القلق ازداد عدد الاشاعات . وما لبثت الاشاعات ان تحولت الى حقيقة عندما قام أربعون ملاحا أبيضاً بالاعتداء على ملاح أسود في نادى سان ميغيل ، وما ان وصل الخبر الى البحارة السود حتى بلغ الغضب أشده . وكانت السفينة آنذاك تشق طريقها اتجاه المياه الفيتنامية . واحتقن الجو في السفينة الى درجة من السخط لم يكن يعلم معها في أى لحظة ينفجر فيها .

حدث الانفجار ليلة 12 أكتوبر 1972 . وكان سببه نافها . يقال بان أحد الطهاة البيض رفض اعطاء ملاح أسود نصيبه الاضافى من الطعام . وهناك من يقول بان أحد البيض جلس في مكان محجوز لملاح أسود ، أو انه فرض على أحد الملاحين السود ان يمسح أشياء سكبها ملاح أبيض على الارض .

المهم ان الملاحين الأميركيين السود ضاقت صدورهم بالاضطهاد وبالمذلة . وما لبث العراقي بالايدي ان أعقب المباراة بالكلمات وبالشتائم . وسرعان ما تدخل بوليس السفينة شاهرا الاسلحة لكى « يخضع السود ويلقيهم الى الخارج » حسبما تناهوا للسمع ملاح أسود . وانتشر القتال من المطعم الى سطح الصنوبر حيث كان الصراخ وتحطيم الكراسي تسمع من بعيد . ويقول أحد البحارة انه سمع ضابطا في السفينة يأمر باعداد الاسلحة . وبإطلاق النار اذا لزم الامر .

اسلحته الايدي واللكمات ، وكانت صيحات الملاحين البيض تدوى : « اقتلوا الزوج Niggerse » ، وصرخات الملاحين السود تنادى : « اقتلوهم اقتلوهم » واستخدم الطرفان كل ما وصلت اليه الايدي من سلاسل حديدية ، وكراسي وعصى بعنف متناهي . ويقول الشاهد جونسون : « انه خيل اليه ان امر حاملة الطائرات التى تزن 75000 طن قد أفلت من يدى قائدتها وانتقل الى جماعة من الثائرين الزوج هبوا لاصطياد الملاحين البيض ! » .

ومن الواضح هذا الادعاء لا ينسجم مع الحقيقة الراهنة . فالجنود السود لا يتجاوز عددهم 600 ملاح مقابل 4400 ملاحا أبيضاً . كما ان الملاحين السود لم يكن لديهم أسلحة بعكس بوليس الحاملة المسلحين . اخطأ قائد الحاملة عندما اذاع فى خضم الازمة « بان الامور ليست سيئة كما قد يتراءى » . « فالفتنة التى نشبت على ظهر الحاملة الاميركية كيتى هول لم تنحصر آثارها فى هذه السفينة بل انها هزت البحرية الحربية الاميركية بكاملها وحتى جذورها » . حسب تعبير جريدة التايمز الصادرة فى لوس انجلوس وسرعان ما أعقبها فتن عنصرية مماثلة على السفن الاخرى . مما جعل البنتاغون يضطر للاعتراف « بان التمييز العنصرى النظامى مازال يمارس يوميا فى أوساط البحرية الحربية الاميركية » .

ورغم ذلك ما زالت غلالة من السرية « تلف الاحداث التى جرت على سطح الحاملة كيتى هول » . ويقال بان جذور الفتنة بدأت منذ رسو الحاملة فى موانئ الفلبين . فالتمييز العنصرى لم يقتصر على نطاق الفتنة فقط - حيث حجز البحارة السود على ظهرها

فى الحواشى والتذييلات على « الديوان الشرقى للمؤلف الغربى » يقول :

« ان الرسول محمدا (ص) فى اعراضه عن الشعر كان منطقيا مع نفسه الى أقصى الحدود حين حرم كافة الاساطير . فقد كانت الاعيب ذلك الخيال الارعن الذى يحوم فيما بين الواقع والمستحيل ويصور غير الممكن وكأنه حقيقة لا تقبل التجريح , أنسب ما يكون نى عرف الحسية الشرقية الى الراحة الرخية , والكسل المريح . وقد تكاثرت هذه الاشكال الهوائية المتأرجحة فوق أرضية من الاعاجيب الى ما لا نهاية له فى عهد الساسانيين , وهو ما تعرضه لنا « ألف ليلة وليلة » فى امثلة مصفوفة على خيط محلول . وان طابعها الذى يميزها ان ليس لها غاية خلقية , وعليه فانها لا تمضى بالانسان عائدة به الى ذاته , وانما تنطلق به الى خارج نفسه حيث الحرية المطلقة , وما اراد الرسول محمد هو عكس هذا على خط مستقيم .

ومن الغريب ان الصراع العرقى على ظهر الحاملة لم يقتصر على الملاحين , بل شمل القيادة أيضا . فقد حاول الضابط الاول وهو اسود ان يفصل المتقاتلين فطلب من بوليس الحاملة الانسحاب الى مقدمة السفينة وأمر الملاحين السود ان يذهبوا الى المطعم فى المؤخر . وهنا يدع قائد الحاملة الى التدخل فيلغى الامر الذى آذاعه الضابط الاول الاسود عبر مكبرات الصوت فى الحاملة , ويذيع القائد مصححا بان الضابط الاول كان لديه معلومات خاطئة عن الفتنة .

ولقد أسفر الصراع العنصرى على ظهر حاملة الطائرات الاميركية « كيتى هول » عن اصابة 46 ملاحا بجروح , وعن تقديم 21 ملاحا الى المحاكم الحربية

الادب

ألف ليلة وليلة والاسلام .

كتب الاديب الالمانى يوهان ولفجانج جوتة فى



وضع المرأة .. فى اميركا اللاتينية !

نشرت منظمة الدول الاميركية ، مؤخرا ، تقريراً يشير الى بعض المعطيات حول المرأة فى اميركا اللاتينية . ويشير التقرير ، فيما يتعلق بالدراسة الابتدائية الى ان غياب الجنس اللطيف وتركه للمدرسة كبير النسبة ، وهو يتمركز فى المناطق الريفية بشكل حاد وكثيف ، وهذا يمكن تفسيره بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية من جهة ، وباضطرابها وحدها للقيام باعباء المنزل من جهة أخرى ، وبالأحكام المسبقة حول قضية التعليم من جهة ثالثة . اما الرغبة فى متابعة الدراسة لما بعد المرحلة الابتدائية فمعدومة عند النساء ، بسبب الزواج .. وأيضاً بسبب العمل . اما على مستوى التعليم العالى فالفروقات بين نسبة الرجال ونسبة النساء يمكن الحديث عنها بلا حرج .

كل هذا ما هو الا دليل حاسم على الوضع الذى تعيشه المرأة فى جنوب القارة الاميركية .. ولكن هنا لا بد من طرح تساؤل حاد : كم هى بعيدة اميركا اللاتينية عن وطننا العربى .. وفى هذا المجال بشكل خاص . ترى أليس صحيحاً ان البعد يقترب .. وان المصيبة بإمكانها جمع

من لا يجتمع ؟

فهرس المدد

افتتاحية

التوجيهات الحديثة للدعوة الاسلامية

دراسات اسلامية :

ضمان حياة عائلية هادئة مستقرة

حول الاسرة

الرباط والفداء في وهران والقبائل

التكافل الاجتماعي في الميزان

دراسات ثقافية وادبية

على هامش مؤتمراتنا الادبية : الاديب العربي والشعب

جراح لا تنام

فن المقامة في النثر الجزائري الحديث (2)

الامراض والعاهات وما يتصل بها في عاميتنا

ادباؤنا والمسيرة الثورية

جان بول سارتر يتحدث عن الاصلاح والعنف والثورة

الحلاج والقرامطة

نظرية العصبية عند ابن خلدون وابن الازرق

دراسات اجتماعية :

الارض والهجرة

جمع أم تشتت

نلدوات :

ندوة الاصاله : الغزو الثقافي

في ممارسة البحوث الاجتماعية وما يجب ان يلقاه الباحث الاجتماعي

علم الاجتماع هل هو ممكن ؟

اتجاهات في منهج البحث في الدراسات الاجتماعية

دراسات تاريخية :

مدرسة بجاية الاندلسية واثرها في احياء العلوم بالمغرب الاوسط

جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي

من آثارنا المغفورة : بغية الرواد في اختيار بني عبد الواد

الوجه الاقتصادي والاجتماعي لبلاد العرب قبل الاسلام

نافذة على العالم

من الصحافة

2 مولود قاسم

9 د . بوعلام بن حمودة

11 الأستاذ احمد حماني

19 المهدي البوعبدل

39 د . فتحي الدريسي

51 د . عبد الله شريط

59 مفدي زكريا.

65 د . عبد الله ركيبي

77 د . عبد الملك مرتاض

85

91 د . هشام الصفدي

109 د . محمود قاسم

121 الحسن السايح

125 د . عمار بوحوش

133 فتيحة بفاي

139

159 عبد المجيد مزيان

177 الطاهر اللبيب الحديدي

187 د . عمار الطالبي

193 د . عبد الله عنان

199 عبد الرحمن الجلال

213 محمود بوعباد

225 د . موسى لقبال

235

243

التوجيهات الحديثة للدعوة الإسلامية

مولود قاسم

وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأمين العام .

اصحاب السعادة .

حضرات السادة والسيدات .

اود فى بدء هذه الكلمة ان اسدى واجب الشكر للامانة العامة الاسلامية على هذه البادرة الطيبة التى اتخذتها بعقد هذا المؤتمر الذى حان وقته ، ومنذ مدة ، والذى نرجو ان يبقى مؤسسة دائمة تنعقد دوراتها بانتظام ، وان تتوسع لتشمل افريقيا ، وآسيا ، وامريكا ، واستراليا ، بحيث يصبح هذا المؤتمر فى اجل قريب مؤتمر المراكز الاسلامية فى العالم ، عند ما توجد هذه المراكز ، ويجب ان توجد .
حضرات السادة .

لقد كان الموضوع الاول المقترح على هو « الاسلام دين ودولة ونظام اجتماعى كامل » ، وهو موضوع على اهميته كنت طرفته فى الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى الذى انعقد فى الجزائر فى الصيف الماضى ، ونشر فيما بعد فى مجلة الاصاله ، ولذا رحبت كل الترحيب بالموضوع الجديد الذى اقترحته الامانة العامة الاسلامية فيما بعد عوض الاول ، والذى سحاول ان اطرقه اليوم ، اذ يندرج اكثر فى جدول اعمال المؤتمر .

غير اننى ساعطيه وجهة ربما تختلف قليلا عما يكون قد قصد منه السادة منظمو المؤتمر ، اذا ما فهمته جيد الفهم .

وذلك ان المقصود عامة بمفهوم الدعوة هو كسب مسلمين جدد ، اى زيادة عدد المسلمين فى العالم . فاذا كان هذا هو المقصود من الموضوع المقترح على طرقة فانى قد اصدم بعض العواطف ، واخيب بعض الآمال ، اذا ما اختلفت وجهة نظرى عن هذا الراى ، اللهم الا اذا اعتبرنا انفسنا نحن مسلمى اليوم غير مسلمين حقا وصدقا ، وارادنا ان نعود بانفسنا الى الاسلام الصحيح ، وفى هذه الحال لا باس ، بل من المستحسن ، بل من الواجب ان نحاول زيادة الانصار حتى من بين الذين لم يرثوا الاسلام معنا ارثا ابا عن جد ، منذ اربعة عشر قرنا او بضعة قرون على الاقل ، ونعمل على كسب اكبر عدد ممكن منهم للاسلام ، الذى نود ان نقول انه هو الطريق الامثل للانسانية دائما ، واليوم اكثر من اى وقت مضى .

كلمة السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية فى مؤتمر المراكز الاسلامية المنعقد فى لندن فيما بين 14 - 16 ربيع الثانى 1393 هـ - 17 - 19 مايو 1973 م .

وذلك ان عدد المسلمين الناشئين الذين ينصرفون عن الاسلام ، او على الأقل المعرضين لمختلف الهزات والزواجع الدعائية المختلفة ، وبالتالي المتشككين في قيمه الخالدة وفي صلاحيته لكل زمان ومكان وحتى اليوم وغدا ، يزداد باطراد ، هنا خارج العالم الاسلامي حيث توجد جاليات كبيرة وخاصة الصغار منهم الذين ينتمون بسهولة في الوسط الذي هم فيه ، وبالتالي ينسلخون بسهولة اكبر عن اصلهم واصالتهم من دين ، وثقافة ، وتقاليدهم ، بل وكثيرا ما ينسلخون حتى عن جنسياتهم بمجرد بلوغ السن القانونية ، بفعل تأثير الوسط ، وكذلك بفعل التركيز عليهم من طرف منظمات مختلفة لكسبهم لاديان اخرى ، منزلة او وضعية ، وحتى تلك الاتجاهات التي تنكر الاديان هي في الواقع اديان جديدة حسب منطق هيجل الذي استند اليه دعاة الدين المادي الجديد .

على اننا نجد هذا الانجراف ، او على الأقل هذه الزعزعة للعقائد الصحيحة ، وهذه الخلخلة للمفاهيم السليمة ، حتى داخل العالم الاسلامي او ما يسمى كذلك ، حيث تجد البعثات التبشيرية المتعددة والاتجاهات المادية الانحلالية مرتعا خصبيا في غفلة عن الاجهزة المسؤولة من هذه البلدان ، المنهمكة غالبا في البناء المادي الصرف ، او المتهاككة على معارك جانبية ، وفي كلتا الحالتين يبقى الشباب مسلما تسليما يكاد يكون كليا لاسراب الدعاة المختلفة الاشكال والالوان ، سواء منها التي تتكلم علانية عن تمسيح شعوب العالم الثالث عوض التركيز على شعوبها التي تعاني هي بدورها ما تعاني ، او تلك الاخرى التي تدعو للجنة الارضية التي لم تر منها شعوبها الا النزر القليل !

ومن هنا دعوت في الكلمة التي القيتها اخيرا في الكويت في مؤتمر وزراء الشؤون الدينية والاسلامية والاقواف الى الاهتمام بنوعين من المراكز الاسلامية ، داخلية في البلدان الاسلامية نفسها لتحسين شبابها ، وخارجية حيثما وجدت جالية اسلامية للحفاظ على ابنائها هناك ، سواء كان ذلك في اوروبا ، او امريكا ، او استراليا ، او في بلدان افريقية واسيوية كثيرة .

وذلك اني اتصور الدعوة الاسلامية الحديثة مركزة بالدرجة الاولى على ابنائنا وبناتنا ، حتى لا ينسلخوا عن الاسلام ، قبل ان نهتم بكسب مسلمين جدد ، من المانيا ، او بريطانيا ، او اليابان ، او غيرها ، وكم من واحد يفرح ويهلل عندما يسمع او يتعرف بفرنسي او برازيلي دخل في الاسلام ، وفي نفس الوقت لا يهمهم مصير عشرات بل مئات الآلاف من المسلمين الذين يلبون في الهجرة ، في امريكا اللاتينية ، او فرنسا ، او بريطانيا ، او امريكا ، ولا مآل للشباب الاسلامي داخل العالم الاسلامي نفسه وهو يتعرض لمختلف مؤامرات التفتيت ، والسلخ ، والمسخ ، باسم ايديولوجيات مختلفة ، او مذاهب واديان عديدة ، بل ولا يهمهم مصير عشرات الملايين من المسلمين هنا وهناك في العالم الاوسع !

ان العبرة بالكيف وليست بالكم ، وتعداد الامة الاسلامية والحمد لله هائل ، يقرب المليار ، ولكنه ، مع الاسف الشديد ، الف كاف ! فالاجدر بنا ان نهتم بما في بيتنا اولا ، ونحصنه ، ونضمه ، قبل ان نرنو بانظارنا بعيدا ، ونفرح بكل من يدفعه نوع من حب الفولكلور ، او تحركهم اغراض

اخرى خطيرة على مصير ما تبقى من امتنا الى الدخول في الاسلام ، لتخريبه من داخله ، وما الدونمة عنايبعية ، وامتنا المسكينة لا تزال تعاني من ويلاتها ومؤامراتها الى الآن !

ولذا فاذا كان الاسلام ليس ملكنا ، وهو الدين عند الله ، وليس لنا ان نفلق بابه امام احد ، فانه ليس من صالح الامة الاسلامية ايضا ان تنهافت على التضخم ، وتزيد من تعدادها بطريقة اصطناعية تعود عليها بالوبال اكثر مما تفيدها ، والاجدر بها الف مرة ان تمتن اساسها ، وتعزز بناءه على ما هو عليه ، من ان تنهالك على بناء طبقات عديدة فوقه تنهار على البناء الاصل ، وتؤدي به عوض ان تزيد من علوه ، وجماله ، وقوته .

ولكن الذي يجب علينا ان نقوم به ، وقد نكون قد قصرنا فيه التقصير الكبير ، منذ وفاة شبيب ارسلان ، هو دحض الاباطيل ورد المفتريات التي تبثها اوساط مختلفة المشارب ، ولكنها موحدة الهدف ضد الاسلام ، لابانة وجهه الروحي والثقافي الصحيح ، واماطة الستار الذي اسدلته عن دوره الحضاري الانساني قرون من الجهود ، والركود ، والتخلف ، وعمقه الاستعمار وركائزه من تبشيرية ، وايدولوجية مختلفة ، من صهيونية وغيرها ، وما اكثرن الوانها واصباغها !

وهذا وحده عمل عظيم سيتطلب جهودا مفضية ، ولكن اذا كانت يصاحبها شيء من التصميم والتخطيط ، ولم تعدم التنسيق ، وكانت شاملة لجوانب الفكر الاسلامي وحضارته ، وشارحة للجوانب الروحية ، والاجتماعية ، والصحية ، والاقتصادية ، والتشريعية ، التي تشتمل عليها اعمدته ، كالجانب الاجتماعي الاقتصادي في الزكاة ، والصحي التربوي في الصوم ، والروحي بل والسياسي ايضا في الصلاة والحج ، بنظرة علمية كما يقال اليوم ، من اقتصادية ، واجتماعية ، نفسية ، وطبية ، تقوم على الفحص والتحليل ، والامثلة ، والمقارنة ، فان هذه الجهود ستاتي بشمرة مزدوجة ، تقنع شبابنا الضائع او المعرض للضياع بصلاحيته دينه لكل زمان ومكان ، وتمحو من اذهان كثير من غير المسلمين ما يكون قد علق بها عن دعايات واكاذيب عن الاسلام ، وتجذبها اليه ، وتكسب له انصارا جديدا ، ومسلمين عن اعتقاد واقتناع قد يصلحون اكثر من الذين ورثوه ارثا ، ولم يتعمقوا في دراسته ، او على الاقل لم يتشبعوا بروحه ، وانما بقي عندهم على مستوى العادات والتقاليد ، والطقوس الالية الرتيبة .

على اننا ينبغي لنا دائما ان نكون حذرين ، فامثال اتيان ديني ، او عبد الكريم جرمانيوس قليلون جدا ، وامثال ليون روش (Léon Roche) في الجزائر ، وغيره من الدونمات الكثيرة ، ومن يهودية ، ومسيحية ، وغيرها ، لا تكاد تحصى ، وكما كانت موجودة بالامس ، فهي اليوم اكثر وجودا واغوى عددا ، واحد سلاحا ، وان كان هذا لا ينطبق طبعا على الجماهير او القبائل الافريقية او الاسيوية التي تدخل في الاسلام افواجا .

واذا ما اردنا الآن ان نبين بعض الوسائل لتحقيق هدف هذه الدعوة الشاملة للمسلمين وغير المسلمين ، فربما استطعنا ان نذكر الطرق الآتية على سبيل المثل لا الحصر :

(1) تكوين الدعاة :

فللقيام بدعوة ما لا بد من دعاة ، ودعاة الاسلام في عالم اليوم ينبغي ان يتسلحوا بوسائل اليوم ، فحتى داخل العالم الاسلامي ينبغي لأئمة المنابر مثلاً ان يقلعوا عن طرقهم القديمة ، التي لا تقنع الا الكبار المسنين المقتنعين ، فطريقة الوعظ والارشاد ينبغي ان تتغير جذريا ، فالدعوة الخصبة المثمرة هي التي تنصب على غير المقتنعين لتقنعهم ، وعلى المزعزين المذبذبين لتعيدهم الى الجادة الصحيحة وتحصنهم ، وخاصة منهم ما يسمى بالشباب المثقف الذي هو ليس في الغالب الا متعلما لا مثقفا . ولذا فعلى ان نحرس على اعطاء ثقافة واسعة متنوعة شاملة لدعاتنا لكي يخاطبوا شباب اليوم بلقته ، وليقولوا له وهو الذي يتكلم عن العلم والعلمية والتفتح وافيون الشعوب ان باستور و اينشتاين كانا يخرجان من مخبريهما احدهما الى كنيسه ، والاخر الى بيعته ، وان عبقريتهما واكتشافاتهما العلمية لم تمنعهما من الايمان بدينهما والعمل بهما ، بل عمقت فيهما الروح ، والايمان ، والتمسك بعقيدتيهما ، كما راينا ذلك لدى اسلافنا من امثال الرازي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم ، والبيروني ، وابن الجزار ، وابن القاسم ، وغيرهم ممن اسهموا في الحضارة الانسانية وقلموا العلم البشري درجات ، ومع ذلك ظلوا مسلمين وربما احسن من كثير من غيرهم ممن لم يسيروا في الارض ولم ينظروا ، ولم يتفكروا ، ولم يتذكروا ، ولم يعقلوا ، ولم يبصروا ، ولم يشتغلوا في المخابر ، ولا امسكت ايديهم بالمجاهر !

(2) التركيز على الشباب والذهاب اليهم في انديتهم ، ومقاهيهم ، ومعسكراتهم ، ومراكزهم حيثما كانت ، وعدم التأفف من ذلك ، كما هي عادة ائمتنا ودعاتنا الذين يفضلون الحلول السهلة الممثلة في الاقتصار على الشيوخ الذين ينصتون اليهم وهم مقتنعون مقدما ، ويفرون من الشباب وجيل اليوم مستعدين منه ، ومبسملين ، محوقلين !

وينبغي ان يستعملوا مع الشباب الطرق التربوية التي يكونون قد تلقوها هم انفسهم ، حتى لا يصلحوا الشباب بالموانع والمحرمات فحسب ، بل يحاولون ان يكسبوهم ، مع تبصيرهم بلغة العصر باخطا. سلوكهم واخطاره عليهم ومستقبلهم . وما الذي يمنع مثلاً دعاتنا من ان يقولوا للشباب في التلفزة ، والاذاعة ، وخطب الجمعة ، ودروس الوعظ والارشاد في المساجد ، والنوادي ، وغيرها ، انه الى جانب راي الشريعة الاسلامية في الخمر والكحول عامة ، نجد ان اوربا اليوم تقاوم هذه الافة لاضرارها بالصحة ، والانتاج ، وتسببها في امراض عديدة ، وفي حوادث السير والعمل ، وان عالما اوربيا مشهورا مثل المؤرخ ارنولد طوينبي - ونحن في بلده - قال : انه من مزايا الاسلام على البشرية انه منع جميع انواع السكر ؟ ان استعمال مثل هذه البراهين قد يفيد لدى الشباب اكثر من مائة درس وعظ وارشاد مع الاسف ! وما الذي يمنع من الجمع بين الاثنين ؟

وما الذي يمنع من ان نقول في تحذيرنا من العواقب الوخيمة للاختلاط اللاضروري جدا انه الى جانب حكم الاسلام في ذلك نجد ان علماء اجتماعيين كثيرين في اوربا وامريكا ينسبون اليه ما انحدرت اليه الاوضاع الاخلاقية فيهما اليوم ، وان فيلسوفا عظيما مثل برتراند راسل - مثلاً - ونحن في بلده ايضا - كتب في مؤلفه : «الاخلاق والزواج» ما يلي : «هناك شرط مهم يساعد في دعم الحياة

الزوجية ، ذلك هو خلو الحياة الاجتماعية من النظم التي تسمح بالمصادقة والمخالطة بين الرجال والنساء، سواء في العمل او في المناسبات والحفلات وما شاكلها» .

ويضيف راسل فيقول :

ان العلاقات العاطفية بين المتزوجين وغير المتزوجين من رجال ونساء خارج دائرة الحياة الزوجية هي سبب شقا. الازواج وكثرة حوادث الطلاق ، وليس عسيرا ان نجمع امثلة كثيرة عن البيوت التي انهارت بسبب اتصال الازواج والزوجات بغير شركائهم في الحياة الزوجية ، سواء في العمل او في المناسبات الاجتماعية » .

ان الاستدلال بهذا الرأي مثلا في مناقشة مع الشباب في مثل هذا الموضوع لفي غاية الاهمية بالنسبة للامام في منبره ، او في نادى الشباب ، او في الشارع ، او في اى مكان ، الى جانب بيان راي الاسلام في الموضوع طبعاً ، الا ان اكتفاءه بهذا الاخير قد لا يكون له اى صدى مع الاسف لدى شباب اليوم ، الذى قد يقولون له ان هذا كان منذ اربعة عشر قرناً ، لدى نزول القرآن ، اما نحن ففي القرن العشرين . ولذا فليستدرك ايضا برأى اعظم فيلسوف من فلاسفة اوربوا وامريكا في القرن العشرين، وسيكون لكلام الامام وقع وصدى ! وقد كنت قلت في الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي في وهران سنة 1391 - 1971 اننا في هذا لسنا مع اولئك الذين يدعوننا باسم التقاليد الى اغلاق كل من الابواب والنوافذ ، ولا مع اولئك الذين يدعوننا باسم التفتح والتطور الى فتح النوافذ، والابواب، ونزع السقوف ايضا ، بل نحن مع الحل الاوسط الذى يقضى بالاحتفاظ بالسقف ، مع فتح النوافذ ، بل والابواب عند اللزوم ، وهذا وحده هو الحل السليم .

(3) تطوير دور المسجد ليقوم بالتعليم ايضا للكبار والشباب الذين فاتتهم سن التعليم ، وتحفيظ القرآن للصبية والقاء المحاضرات ، وادارة المناقشات ، هذا كله يجعل دور المسجد حيويًا خصبًا ، ويجذب اليه المصلين ، ويمكنه من القيام بدوره لا كمسجد فحسب ، بل وايضا كمدرسة ، ومجلس علم، وممتلى ، وملتقى ، وخلية نحل ، مما يجعله مركز الحى او القرية، يجيد بالكثير من الشباب بل والكهول عن اماكن اخرى لا يتعلمون فيها الا المضار .

(4) تاسيس جامعات اسلامية على غرار الجامعة الازهرية الحالية ، وجامعة لوفان ببلجيكا ، والجامعة الكاثوليكية بفرنسا ، حيث تدرس جميع العلوم الحديثة مع العلوم الدينية والاخلاقية بحيث يتخرج منها الطبيب مثلا مجهزا باحدث المعلومات والتجارب وفي نفس الوقت محصنا بالاخلاقيات والقيم الانسانية المثل التي يتمثلها مع المواد الدينية ، والاخلاقية ، والتربوية .

وتبنى الجزائر حاليا الكلية الاولى من هذا النوع في قسنطينة كنواة اولى لجامعة اسلامية كاملة تشمل جميع الكليات ، حتى العلمية منها كالطب ، والهندسة ، والزراعة ، والعلوم الخ .

(5) زيادة الاهتمام بالنشر في المجلات والجرائد والكتب في العالم الاسلامي وخارجه ، وخاصة خارجه ، لنشر مبادئ الاسلام ، وابرار دوره الحضارى في تاريخ الانسانية والاكتشافات العلمية لرجالاته في الماضي ، مع تشجيع باكورات الجهود الحالية في المجال العلمى .

(6) تجنيد اجهزة الاعلام والتاثير على الجماهير من صحافة ، واذاعة ، وتلفزة ، ومسارح في نفس

الغرض ، عوض الدور السلبي الذي تقوم به حاليا هذه الاجهزة في اغلب انحاء العالم الاسلامي ، بما تعرضه من خلاعات في قصصها ، وافلامها وصورها ، ومسرحياتها عامة .

(7) حضور جميع المحافل العلمية خاصة خارج العالم الاسلامي بقدر الامكان لتمثيل وجه الاسلام الحقيقي ، بابرار صفحاته المجيدة والرد على المفتريات التي تبث عنه بمناسبة ودون مناسبة في جميع انحاء العالم .

(8) تنظيم ملتقيات دورية للشباب في العالم الاسلامي وخارجه لتعريف شبابنا وشباب العالم بالاسلام مع ضمان مستوى عال من حيث المحاضرين والمناقشين وافساح مجال المناقشة للشباب .

(9) اقامة جامعات ومعاهد ومدارس ثانوية وابتدائية في العالم الاسلامي الاوسع وخارجه بقدر الامكان مع ضمان ازدواجية اللغة ، لتزويد شباب الاسلام بتكوين تام وتحصينه من مختلف التيارات الجارفة التي تستهدفه في مختلف انحاء العالم بمختلف الطرق وخاصة بطريق التعليم .

وذلك ان الاكتفاء بارسال بضعة مصاحف او كتب من حين لآخر او ارسال وفود عابرة ، او عقد بعض الاجتماعات ، كل هذا يتبخر بسرعة وفي وقته ولا يكون له خصب كبير ذو فعالية وتأثير باقيين ونتاج متجددة دائمة .

فلتقم الجزائر مثلا او المغرب او تونس او معا ثانوية في باريس مزدوجة اللغة توصل حتى الشهادة الثانوية ، لانباء الجالية الاسلامية هناك ، ولينضم اليها بقدر الطاقة حتى آخرون ، ولتفعل مصر او باكستان او ماليزيا او ليبيا نفس الشيء هنا في لندن ، ولتشيد المملكة العربية السعودية او الكويت جامعة في كوناكري ، او نواكشوط ، او روما ولتقم سوريا كلية او ثانوية في سيراليون ، او بغداد ، او في اية مدينة اخرى في افريقيا او اسيا ، وليقم هذا البلد او ذاك مسجدا ومدرسة ابتدائية او ثانوية ملحقه به في التشاد ، او اندونيسيا ، او اسبانيا ، او البرازيل ، او واشنطن .

وليكن هذا العمل بتعاون واسهام بين جميع الدول الاسلامية او بيوادر انفرادية خاصة بكل دولة ، ولكن بتنسيق وتوزيع عمل بينها من طرف الامانة العامة الاسلامية مثلا ، كان تعلمها كل دولة تريد التبرع باقامة جامعة ، او كلية ، او ثانوية ، او جامع مع مدرسة ابتدائية في بلد ما بعزمها حتى لا تنصب جهود عدة دول على مدينة او بلد واحد وتبقى اخرى بدون شيء . وليكن في ذلك تسابق ايجابي بين الدول الاسلامية ، وفي ذلك فلتتنافس المتنافسات !

بل ولم لا يفتح الباب في ذلك امام الجمعيات الخيرية ، بل والافراد المحسنين ايضا ومختلف المنظمات ، ولتكن مثلا ثانوية او مدرسة فلان بن فلان الكويتي ، او الافغاني في كندا ، او زنجبار ، او ثانوية او جامع ومدرسة جمعية الاصلاح الاجتماعي الكويتية في ستوكهولم او ثانوية او جامع ومدرسة جمعية تحفيظ القرآن التونسية في جنيف ، او بروكسيل ، او اوغاندا او الكمرون ، او اريتريا ، وقد راينا في الجزائر افرادا متوسطي الدخل انشأوا مساجد ومدارس معها في مدن مختلفة من القطر من مالههم الخاص ، تبتناها الدولة فيما بعد وتضمن تسييرها .

وستتبنى كثير من الدول في افريقيا وآسيا بل وربما حتى في اوروبا وكندا واستراليا تسييرها المالي او المساهمة فيه على الاقل ، وعلى الامانة العامة الاسلامية ان تتعاون مع الدول الاسلامية ، بل وربما ايضا مع جامعة الدول العربية ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، واليونسكو ، لضمان تسييرها المالي

فيما بعد ، وقد راينا بلجيكا مثلا تساهم بالكثير في هذا المجال لتحقيق مركز ومسجد بروكسيل وضمان التعليم العربي الاسلامي على الاقل لابناء الجاليات الاسلامية في بلجيكا .

10 (وهل نتكلم عن اقامة مستشفيات ايضا في بلدان اسلامية عديدة تستعمل فيها مستشفيات لتحويلها عن دينها ؟ قد يكون هذا من انجع الوسائل ، ولكن قد تكون هذه الوسائل معقدة نوعا ما ، وتتطلب جهودا اكبر من غيرها فلتكن على الاقل محط انظارنا لمشاريع المستقبل .

11 (واخيرا ، وليس آخرا ، ربما كانت احسن الوسائل وانجعها على الاطلاق هي القدوة ، هو المثل الحسن من طرف الافراد والامة للافراد والامم ! ان حسن سلوك مسلم او مسلمة في وسط اسلامي او غيره لاشك يجذب الى الاسلام افرادا آخرين ، من مسلمين وغير مسلمين ، كما ان القدوة التي تتمثل في ازدهار دول وشعوب الاسلام ، ان الامة الاسلامية في مجموعها او في بعضها ، من حيث السلوك الاسلامي الصحيح في الجمع بين الدين والدنيا ، والاسلام دين ودولة ، بنظامها ، وازدهارها في مختلف المجالات من اقتصادية ، وثقافية ، وصحية ، واجتماعية عامة ، وبروزها العلمي ، وتحقيق العدالة الاجتماعية وتساوي الفرص بين جميع افرادها ، واستثمار مواردها بنفسها لصالح افرادها ، والامة الاسلامية ، والاسهام في التقدم البشري العام ، كل هذا سوف يجذب الى الاسلام الافراد والامم ، وتكون فيه احسن طرق الدعوة الى الاسلام ، كادق نظام يضمن للبشر ، وخاصة في معترك اليوم ، السعادتين ، فهل نحن ، افرادا ، وشعوبا ، ودولا ، في امة الاسلام ، شاعرون بهذا ، مدركون له ، مستمعون لتحقيقه ؟

حضرات السادة .

اظن ان في وسعنا ان نقوم بالشئ الكثير من هذا ان لم يكن بالكل ، اذا ما توفرت الارادة وهذه هي مشكلتنا ، ارادة التضحية ، وهي مشكلة المشاكل ، وليست الوسائل المادية ولا الاطارات الانسانية هي التي تعوزنا !

فاذا ما صممنا حققنا ، وقد حققت الجاليات اليهودية في اغلب انحاء العالم العجائب في هذا المجال ، وهم لا يبلغون في جملتهم العشرين مليونا ، فهل المليار او ما يقرب المليار من المسلمين بطاقتهم ، وثرواتهم ، وتعدد امكاناتهم ، عاجزون عن تحقيق هذا او جزء منه ؟ هذه هي الحكاية . علينا ان نسال على غرار هملت : ان المشكلة هي مشكلة الوجود او الانصراف ، الروحي اولا ، ثم المادي فيما بعد بقليل ، واذا انصرفنا روحيا من سطح الارض ، فذلك اخطر انواع الاستسلام والفناء !

اننا امام نقطة تحول كبرى ، وعلينا ان نحتاط منذ البداية ، هم الذين يقولون : « Wehret den Anfaengen ! » اي حذار من البداية ، لان بعض الامراض اذا بدات استفحلت ، واذا استفحلت صعب علاجها ، او استحال !

مرة اخرى اود ان اشكر الامانة العامة الاسلامية على هذه البادرة ، التي نرجو ملحين ان تستمر ، وتنظم ، وتصبح دورية ، وان يخرج من هذه الدورة ، من هذا المؤتمر ، الاول ، لا الاخير ، كل الفوائد المرجوة لامتنا الاسلامية ولحضارة الانسان وقيمه ، واتمنى للمؤتمر مطلق النجاح . والسلام عليكم .



ضمان حياة عائلية هادئة مستقرة

ايها الاخوة ، ايها الاخوات ،

بعد ايام قلائل سنقدم مشروع قانون الاسرة لمجلس الثورة ومجلس الوزراء فاعتبرنا من المفيد ان نفتح مناقشة حول النقاط الرئيسية ، في اطار ملتقى يجمع ممثلين عن الحزب والمنظمات الوطنية وممثلين لكل الوزارات واساتذة متخصصين في الفقه الاسلامي وفي قانون الاسرة وفي علم الاجتماع وقضاة ومحامين لهم خبرة بالمسائل التي تتعرض لها الاسرة الجزائرية .

د. بوعلام بن حمودة
وزير العدل وحافظ الاختام

والمشروع ياتي كحلقة من حلقات تنظيم حياتنا الوطنية في جميع الميادين بعد ان انتزعنا استقلالنا وسيادتنا .
انه يجسم رغبتنا في التحرر السريع من قوانين بائسة لا تتلاءم مع شخصيتنا العربية الاسلامية ومع حضارتنا ومع ثورتنا .

(*) نص الكلمة التي القاها السيد بوعلام بن حمودة وزير العدل وحافظ الاختام في الملتقى الذي نظمته وزارة العدل حول «مشاكل الاسرة» والذي انعقد بقصر زيرورت يوسف بتاريخ 22 و 23 صفر 1393 هـ الموافق لـ 27 و 28 مارس 1973 م .

المجيدة ، مثال واحد يبين قيمة هذه القاعدة ، قررنا اشراك العمال اشراكا تاما في تسيير المؤسسات الانتاجية والاجتماعية والثقافية فاذا لم تكن استقامة اخلاقية يضطرب لا محالة سير المؤسسة .

فكيف تسيير سيرا حسنا اذا نشأت حزازات تافهة وتكتلات مفسدة واذا انتشر التراخي في الانتاج والتهاون والاهمال واذا اغمضت العيون عن التبديد والاختلاس ؟

ولا شك ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الجزائر من شأنها ان توفر بيئة مواتية للأسرة فتوفير العمل للجميع ، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد وحتى بين الجهات وتقوية وسائل التعليم والتثقيف ، والاهتمام بالشبيبة ، كل ذلك تجندت من اجله الثورة الاشتراكية ، ولكن يبقى على الاسرة ان تؤدي دورها من جهتها اذا. المجتمع ، فهي مسؤولة بقسط كبير عن سلوك الناس في الشوارع وفي الاحياء وفي اماكن التجمعات واماكن العمل لان تربيتها هي التي تقوم او تعوج وهنا يتجلى معنى الحديث الشريف : « كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته » .

ستستمعون بعد قليل الى تقرير يقدمه قاض من القضاة ويتناول بالوصف المسائل التي تتعرض لها الاسرة ، اذا استقرانا الملفات التي تقدم للمحاكم وستستمعون ايضا الى تقرير من محام يشرح لكم الخطوط العريضة لمشروع قانون الاسرة ، والنقاط التي استرعت انتباه اللجنة الوطنية الاستشارية ، ومن بعد تقديم التقريرين سنفتح مناقشة عامة تطرح فيها الآراء بكل موضوعية وواقعية آخلة بالاعتبار ارتباطا بالاسلام ، وحالة العصر الجديد وتطورات المجتمع تحت تأثير مباشر مما يجري في وطننا ، وتأثير غير مباشر مما يجري في العالم .

وتنظيم حياة الاسرة ياتي في اوانه متمما للتشريعات التي ضببت امور الادارة والمجموعات المحلية وضببت تسيير الوحدات الانتاجية والوحدات الثقافية . واكثر من ذلك يعتبر تنظيم الاسرة كضرورة ملحة لانجاح المجهودات الضخمة التي تنفذها الثورة الجزائرية لان هذه الثورة التي تستهدف من وراء الازدهار الاقتصادي كرامة الانسان تحتاج الى تجنيد الطاقات البشرية والى مواطنين صالحين منسجمين مع التيار الثوري ومع الخلايا الاجتماعية التي لها دور فعال في بلوغ الغاية المنشودة ، توجد الاسرة ، هذه الاسرة التي يولد فيها الطفل ويربى ويلقن آداب السلوك في المجتمع وما يسمى بفلسفة الحياة ، وما يخرج منها بعد 25 سنة تقريبا الا ليؤسس ببلوره اسرة جديدة يمدد بها النسل ويعد فيها مواطني الغد .

اننا تفهمنا هذه المعاني وحاولنا في قانون الاسرة ان نخلق جوا ملائما لحياة عائلية تقل فيها الزواج ويسود فيها الوثام الذي له تاثيرات حسنة في السلوك خارج الاسرة .

ولكن القانون وحده لا يكفي ، فيجب ان ننظف البيئة التي تحيا مثلا فيها الاسرة وينبغي ان نحارب الاخطار التي تحلق بها وتعوق نموها الصالح ، ومن الاخطار الانحلال الاخلاقي الذي نلاحظه عادة في المجتمعات التي خرجت من فترة الحرب والتي تتعرض للتراخي الاخلاقي ، ومن الاخطار ايضا الافلام والكتب ان لم تكن مراقبة ، ونذكر من بين الاخطار بعض السير الاجتماعية المستوردة التي تلبسها اللعابة البراقة ، ثياب التقدم العصري والتطور الختمى وما هي الاعلامات انحطاط كان قد عرفها العالم الاسلامي في دمشق وفي بغداد وفي الاندلس .

ان الاستقامة الاخلاقية ليست ثانوية كما يظن البعض ، فعليها يتوقف قطاف ثمرات الثورة

حول مشاكل الأسرة

ان اعظم مميزات الشخصية القومية في كل
امة : الدين واللغة .

وان العدو اذا تغلب على امة من الامم واراد
ابتلاعها يعلم انه لا يتمكن من ذلك الا بمحو
شخصيتها . ولذلك فهو يسعى للقضاء على
الدين ليعم الانحلال الخلقى ، وفساد العقائد ،
والدبذبة والقضاء على اللغة فتذهب اداة التعبير
الجامعة واداة العلم والثقافة والرقى الذهني .

أحمد حماني

رئيس المجلس الاسلامي الأعلى
واستاذ بجامعة الجزائر

(*) نعى الكلمة التي القاها الاستاذ احمد حماني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى في الملتقى الذي نظمته وزارة العدل حول « مشاكل
الاسرة » والذي انعقد بقصر زيروت يوسف بتاريخ 22 و 23 صفر 1393 هـ الموافق لـ 27 و 28 مارس 1973 م .

ولقد كان شأن الاستعمار - منذ حل ببلادنا - ان يحاول القضاء على الدين واللغة ما استطاع ، فشجع فساد العقائد وانتشار الدجل والتحريف ومنع كل ما يبرز الشخصية الدينية ، وابرز مظاهرها : المساجد والمحاكم .

ففى المساجد تقام شعائر العبادات وتحارب الآفات ، وتقوم الاخلاق ، وتدرس علوم الدين ، وتزدهر دراسة القرآن والحديث ، فعهد المستعمر الى المساجد وخربها وأتلف تسعة اعشارها ، واغتصب معين حياتها من الاوقاف ، وطارد رجالها من العلماء .

وفى المحاكم ينفذ القضاء الشرع بالاحكام ، وكان القضاء فى بلادنا - كما هو فى سائر بلاد المسلمين - محترم الجانب موفور الكرامة لا يتولاه الا من توفرت فيه النزاهة والاستقامة وغزارة العلم واكتسى لباس التقوى ، يحكم فى المسلمين بما انزل الله ، فلا يجدون فى انفسهم حرجا مما قضى ويسلمون تسليما ، وكان امرؤنا يحترمون القضاء ، ويضمنون له الاستقلال ، ويخضعون هم وعائلاتهم لاحكام القاضى . فكان هم الاستعمار الاول التوصل الى نفس هذا القضاء ، والاستراحة منه .

مراحل نفس القضاء

اول محاولة وقعت كانت بعد II سنة من نزول المستعمر ببلادنا ، ومهد لذلك بابعاد القضاء الاقوياء الشخصية ، امثال العنابى والكبابى رحمهما الله ، ثم اصدر قانون

28 - 2 - 1841 فنزع به من القضاء الاسلامى سلطة الاحكام فى الجنايات والجنح ، وجعل احكامه فى غيرها تستأنف امام المحاكم الفرنسية وفى عهد نابليون الثالث عاد اليه ثلاث مرات فى 1 - 10 - 1854 و 31 - 12 - 1859 و 12 - 13 - 1866 . وانتهى به الى اجبار المسلمين على التقاضى امام قضاة الصلح . ثم جاء عهد الجمهورية الثالثة فتم فيه نفس اعظم جانب منه ولم يبق له الا بعض الاحوال الشخصية ، فقد اصدر فيه قانون 26 - 5 - 1873 وقرار 17 - 4 - 1889 واخيرا قانون 7 - 6 - 1889 المنقح بقرار 25 - 5 - 1892 والذي زعم فيه انه تنظيم القضاء الشرعى الاسلامى بعد ان نزع منه كل سلطة ، واصبح نظر القاضى لا يمثل الا الانكحة والموارث وتنفيذ احكام قضاة الصلح .

ان هذه الاعتداءات المتكررة من المستعمر على القضاء الاسلامى والتي اراد بها ان يحو كل اثر شخصيتنا بالتدريج قد توالى فى كل العهود وعلى مختلف مشارب حكوماته المركزية .

ومن عجيب امره ، ان الاستعمار - وهو يلفظ انفاسه الاخيرة وقد تيقن بدنو اجله - قد تابع مكايده ضد شريعتنا ، واعلان حقه الدفين ضد شخصيتنا ، فاصدر قوانين ينسف بها البقية الباقية من الاحكام الاسلامية التى كانوا يطلقون عليها لقب : « قانون الاحوال الشخصية » نسفا .

فى II - 7 - 1957 اصدر القانون الخاص بالولاية ، وفى 4 - 2 - 1959 اصدر القانون

عقدها ، وهي « الاندماج » . فقانون الاحوال الشخصية هو الذى كان يتنازل عنه كل متجنس عند ما يمضى وثيقة تجنيسه فيصبح منبوذاً من امته محكوماً برده .

فكيف يخطر على البال اننا فى عهد الحرية والاستقلال نحقق ما ابيناه فى عهد الاحتلال ؟

تنظيم الامة لا يعنى الفاء الشرعية

ان تنظيم الاسرة لحفظ كيانه وحمايتها من التلاشى والانحلال ، واجب المجتمع الذى تمثله الدولة ، والدولة مكلفة بالسهر على الامن والنظام ، يحفظ الدين ، والعرض ، والمال ، والارض . وبذلك تحفظ كيان الامة وتذب عنها العواذى ، ولقد كانت الدولة الاسلامية منذ عهد رسول الله (ص) الى اليوم وعلى مختلف العصور والدول تعنى عناية شديدة بتنظيم الاسرة . ومن مظاهر ذلك التنظيم انها كانت تختار اكما القضاة واتقاهم للفصل بين الناس ، وتعطيهم كل الاستقلال والحرية فى احكامهم التى لا تتقيد الا بالنصوص الشرعية ، ومن ذلك ان الامير الاغلبى اراد ان يولى سحنون القضاء ، فاشترط عليه ان يكون حكمه نافذاً عليه وعلى اهل بيته من الامراء والاميرات فقبل الشرط . ورد قاضى قرطبة محمد بن بشير شهادة رئيس الدولة الامير الاموى الذى ولاه القضاء ، فارتاح لحكمه ولم يقضب عليه . وخضع المأمون لحكم قاضيه يحيى بن آثم كما خضع من قبله على بن ابي طالب لحكم قاضيه عليه ، وكذلك عمر لحكم شريح

الخاص بالزواج والطلاق او ما اسموه « انحلال الزواج » وصدر مرسوم التطبيق فى 17 - 9 - 1959 وهذا القانون هو المنسوب لوزيرة الاستعمار الانسة سيدقاره .

ان الاستعمار فى سنتى 1957 و 1959 كان يحاول ان يفاوض الثورة الجزائرية فى شأن رحيله وقد تحقق انهزامه . فلم يصدر هذه القوانين الخاصة لينسف بها آخر ما تبقى فى المحاكم من شؤون القضاء الاسلامى واحكام الشريعة ؟

لا شك انه كان يريد ان يترك فينا ارثا عفنا ، وجرثومة خبيثة او قنبلة زمنية تفسد علينا حالنا ، وتستعبد قضائنا .

ان شعبنا المسلم الابى قد رفض كل محاولات الاستعمار لمحو شخصيته ونسخ شريعته والتنازل عن احكام قرآنه قولاً وعملاً واعتقاداً . وقد كان ينظم ما اختل من احكام شريعته بواسطة علمائه وفقهائه وجماعاته ، وقد جعل من قضاة المحاكم موثقين فحسب - وقاطعت اكثرية المسلمين - وخصوصاً فى البوادي والقرى . وهى صميم الامة - قضاته حتى فى الشؤون المالية ، وحكموا علماءهم وجماعاتهم . ولقد تمسك شعبنا تمسكاً شديداً « بالاحوال الشخصية » رغم المساومة عليها والتلويح بالحصول على كل الحقوق الفرنسية بالتنازل عنها . ولو وجد تجار السياسة ادنى تهاون منه لثم لهم عقد اكبر صفقة كان الاستعمار حريصاً على اتمام

عليه . وكذلك كان كل المسلمين يخضعون لحكم القاضي ويرضونه ، والسبب في ذلك ان القاضي منفذ الشرع بالاحكام .

ولم ينفك ولاية أمورنا يصرحون بانهم اذا كانوا يهتمون بتنظيم الاسرة فلا يعنى ذلك انهم يريدون نسخ شريعتنا . فهذا تصريح الرئيس بومدين الاخير في المهرجان الشعبى الاخير بمناسبة اليوم العالمى للمرأة يقول : « اذا كنا نعمل من اجل حرية المرأة وحصولها على حقوقها المشروعة فاننا فى نفس الوقت نؤكد ضرورة ان يتم ذلك فى اطار المحافظة على العناصر الرئيسية لشخصيتنا العربية الاسلامية التى حاول الاستعمار القضاء عليها ، وكان احتفاظنا بها هو السلاح الرئيسى الذى تمكنا بواسطته من تحقيق الانتصار » . وجاء فى تصريحه وهو يتكلم على القوانين الصادرة فى العهد الاستعماري التى قرر قانون 31 - 12 - 1962 امتدادها ، وكان هذا التصريح فى 13 - 3 - 1971 :

« ان قانون كل امة قطعة من ماضيها الطويل وحاضرها المائل يمثل نشأتها وتطورها واخلاقها وتقاليدها ودينها ومعتقداتها . . وان قوانيننا الحالية غربية عنا تتعارض مع احسن ما فى تشريعنا الاسلامى التقليدى . . فيجب اذن اعادة النظر فيها جذريا لترد الى المصادر التشريعية الاسلامية » .

احكام الشريعة صالحة لكل زمان ومكان

ان احكام شريعتنا القراء صالحة لكل زمان

ومكان لمرونتها ، وبنائها على الحكمة ، والرفق ، والرحمة ، والمصلحة الراجحة ودفع المضرة . ولقد أشار الى ذلك الرئيس بومدين فى خطابه أمام اللجنة الاستشارية لاصلاح القوانين يوم 13 - 3 - 1971 اذ قال : « ان ما فى خصائص التشريع الاسلامى من سعة ودقة فى بناء الاحكام ومكانة العرف فيه وحرصه على التوازن فى الحقوق بين الفرد والجماعة مثل منع التعسف فى استعمال الحق الخاص ومنع الاحتكار فى التجارة وموضوعية احكامه وتجردها من كل عصبية او عاطفة خاصة سوى فكرة العدل والحق المطلق ومرونة اصوله ومصادره .

أقول هذا كله أكسب الشريعة الاسلامية سفة الخلود وقابلية الاستجابة لتغطية جميع الحاجات التشريعية تبعا لمصلحة الامة فى مختلف مراحل نموها على مر الزمن وعلى اساس المحافظة على أصالتها وروحها فى تطورها وتطور الحضارة الانسانية الشاملة » .

مصادر احكام « الاحوال الشخصية »

ومن المعلوم ان مصادر الاحكام شخصية كانت او غير شخصية - اما القرآن الكريم فى آيات محكمة صريحة ، واما السنة فى احاديث صحيحة ، واما الاجماع الذى لا بد ان يستند الى نص معلوم لنا او علمه المجمعون ، واما القياس ومنه آراء المجتهدين والعلماء المتأولين المؤلفين الشراح .

ان الذى يدرس النصوص المعروضة علينا يتحقق انها اخذ غالبها بحروفه من القانون المدنى الفرنسى ، او من قانون II - 7 - 1957 الخاص بالولاية ، او من القانون التعيس قانون الآنسة سيد قاره الصادر فى 4 - 2 - 1959 ، ومرسوم التطبيق الصادر فى 17 - 9 - 1959 الخاص بالزواج والطلاق او انحلال الزواج كما يقولون . وحتى بعض ما فى مواد هذا القانون من حسن قد مسخ فيه وابدل ، مثل اشتراط القانون الفرنسى فى عمل الزوجة أن لزوجها ان يعترض وان رضا مشروط ، بينما يقول مشروع لجنتنا عكس ذلك ، ويعطيها حق العمل دون رضا زوجها فمثل هذا نشوز وخروج عن الطاعة وقد أصبحت به قوامة على زوجها ، ويناقض حتى النص الذى يقول فيه : « ان الرجل رئيس العائلة ومثل ابتداء ترتيب آثار الطلاق عليه فى قانون الآنسة سيد قاره يبدأ ذلك من يوم طلب الطلاق ، بينما عدل فى هذا المشروع بأنه يبدأ من يوم الحكم بالطلاق وقد يكون الزوج قد طلق بالفعل منذ شهور او اعوام ، وخرجت من العدة شرعا ومع ذلك فلو فرض ان جاءت باولاد - هم لسفاح دون شك - فهذا القانون يعتبرهم ابناؤه .

ان هذه القوانين الاستعمارية البغيضة المصادمة لروح شريعتنا تريد ان تلبس لنا جبة جزائرية محتشمة وتنسل انسلا شريعنا الى محاكمنا .
ان شعبنا ياباها ، لقد صرخ بذلك فى كل

فاما رد النص الصريح من القرآن والحكم الثابت الصحيح من الرسول (ص) فهو ردة وكفر بلا شك لقوله تعالى : « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون » فاولئك هم الظالمون . فاولئك هم الفاسقون » قال الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله : « . فالذين يتركون ما أنزل الله فى كتابه من الاحكام من غير تاويل صحته يصدق عليهم ما قال الله تعالى فى الآيات الثلاث . فمن اعرض من الحكم . . غير مدعن له لاستقبحه اياه وتفضيل غيره من اوضاع البشر عليه فهو كافر قطعاً . » ثم قال : « الاحكام المنزلة من الله منها ما يتعلق بالدين نفسه كاحكام العبادات وما فى معناها كالنكاح والطلاق وهي لا تحل مخالفتها بحال . . » ومثل مخالفة القرآن وحكم الرسول ، العدول عن الاجماع ، لانه لا يستند الا الى نص اذا صح الاجماع . واما آراء الفقهاء والشراح والعلماء فيمكن النظر فيها وترجيح بعضها على بعض واعمال بعض واهمال الآخر ، فهى محل اجتهاد ونظر والحكم للمصلحة العامة .

عمل لجنة قانون الاسرة

ان اللجنة الموكول اليها وضع نص لقانون الاسرة يجب ان تكون مقيدة بالمحافظة على هذه الروح كما يريدونها شعبنا وكما أعلن عن ذلك رئيسنا ، وليس لها ان تخرج عن ذلك الى النسخ لنصوص القرآن والمسوخ لاحكام الفقه والتنكر لماضيها الطويل فى الاسلام .

زيادة على ارتدادنا في الدين وكفرتنا بالقومية - بالعجز والعقم وسوء التدبير !

نتهم بالكفر ؟ أجل وبالنفاق ، فقد قال الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل : « ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا ان يكفروا به ، ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ، واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا » .

فمن قال انا مسلم مؤمن ثم طاب نفسا ان ينسخ حكم آية او يجعلها قد تجاوزتها الاحداث ، او من التقاليد القديمة او يجعل القرآن من المصادر التاريخية فانه يزعم الايمان والاسلام ، وهو مكذب فيهما . وقد نفى الله ذلك وأقسم الله عليه اذ قال : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

لا يمكن لمسلم او مسلمة حقا ان يوافق على نص قانوني ينسخ نصا قرآنيا او يصادم حكما شرعيا . ولا يمكن لوطني او وطنية حقا ان يتبنى قوانين استعمارية كريهة .

وبناء على كل الاعتبارات السابقة ، وبناء على ان هذا المشروع لم يوضع باللغة العربية لغة الشريعة ولغة الشعب ولغة المحكمة ، وبناء على رداءة النص العربي لكونه مترجما غير اصيل مع ان لغة المحكمة عربية ، وبناء على مصادمة كثير

مناسبة وجرت دماؤه الزكية في سبيل ردها وطرد مشرعها . ولقد عبر عن ارادة الشعب اصدق تعبير رئيس مجلس الثورة والحكومة في تصريحه امام اللجنة الاستشارية لاصلاح القوانين في يوم 13 - 3 - 1971 حيث قال :

« ان التشريعات التي فرضها النظام الاستعماري على بلادنا فرضا مدة قرن وربيع قرن والتي سلبنا بها مكتسباتنا الروحية والمادية وحاول بها طمس ماضينا ومحو عناصر شخصيتنا قد بقي معظمها جاريا به العمل بمقتضى قانون 31 - 12 - 1962 وهي الغريبة عن ديارنا والتي وضعت لاستغلالنا وانكار وجودنا وذاتيتنا . والآن وقد انفكت الاغلال وملكتنا زمام امرنا لتسيير شؤوننا بانفسنا ، فعلينا ان نتخلص نهائيا من القوانين الدخيلة علينا ، ومن التركة التشريعية التي كانت في خدمة الاحتلال العسكري والاستغلال الاقتصادي » .

وهكذا نرى اننا اذا تبنيينا - وقد ابطلت شريعتنا التبنى - قوانين وضعت في عهد الاستعمار لم نكن عند حسن ظن شعبنا بنا ، ولا عند ارادة رئيس مجلس الثورة والحكومة منا .

عجبا ! انعجز في عهد الاستقلال والحرية عن صوغ قانون لنا بأسلوب لغتنا المعجز ، ومن نصوص شريعتنا وصميم أمتنا وتلف على نسخ مواد مريبة ونسخ أبواب مهلهلة مما وضعه غيرنا حسنا كان او رديئا .

الا نخشى اذا اطلع عليه غيرنا ان نتهم -

فى الفقه الاسلامى والقانون من وزاتى العدل والتعليم الاصلى والشؤون الدينية ، مهمتها تحقيق ما سبق ووضع القانون فى صيغته النهائية .

رابعاً :

يجب الاسراع بالعمل فى تنفيذ ذلك حتى يمكن اتمام المشروع فى اقرب وقت .

سيدى الوزير ،

ايها السادة ، ايها السيدات ،

هذا ما رأينا ان من واجبنا الدينى والوطنى ان نصدع به . حتى لا يقال لقد تم العمل باجماع ولم تقولوا .

والله مولانا ومعتصمنا ، وانه لنعم المولى ، ونعم النصير .

من نصوصه لنصوص محكمة من القرآن او الحديث او لآحكام معلومة فى الفقه الاسلامى ، وبناء على ان هذا المشروع لا يستجيب فى مضمونه ولا فى شكله لطابع شخصيتنا المسلمة العربية المعتزة باستقلالها السياسى والاقتصادى والساعية بكل مجهوداتها الى استكمال استقلالها الثقافى والتشريعى .

بناء على كل ذلك فاننا نقترح :

اولاً :

اعادة النظر جذرياً فى المشروع المعروض علينا

ثانياً :

ان يوضع الاصل باللغة العربية ليعبر تعبيراً جيداً عن نصوص الشريعة ومصطلحات الفقه دون تحريف يقع من الترجمة .

ثالثاً :

تشكل لذلك لجنة من المختصين المتضلعين



بلاغ

حول الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي

تعلن وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ان الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي سينعقد في مدينة تيزي وزو من 10 الى 20 جمادى الثانية 1393 هـ (الموافق 10 الى 20 يوليو 1973) .

وسيحضره طلاب وطالبات من جامعات الجزائر وقسنطينة ووهران وتلاميذ وتلميذات الستين السادسة والسابعة من الثانويات (الاولى والنهاية سابقا) وائ طالب مسلم حيثما كان ومن اى بلد كان .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلى . ويمكن السماح بالنظام الخارجى لمن يطلبه وسيسمح لاطارات الادارة بقدر الامكان بالمشاركة فى الملتقى .

هذا وتحمل الوزارة ، فى اطار الملتقى ، نفقات الإقامة والتنقل داخل التراب الوطنى ، الا انه سيطلب من المشاركين اسهام رمزى قدره خمسون دينارا جزائريا .

ويرسل طلبات المشاركة الى ادارة البحوث الاسلامية ، بوزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، 4 نهج تيمقاد ، حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية من الغلاف .

وعلى كل مترشح ان يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية ، وآخر اجل لارسال طلبات المشاركة هو 27 ربيع الاول 1393 هـ الموافق 30 ابريل 1973 م ، وسيكون ختم البريد شاهدا .

وستنقى الى الملتقى شخصيات بارزة من الجزائر وغيرها من انحاء العالم الاسلامى وبلدان اخرى لالقاء المحاضرات والمناقشة مع الطلبة .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالاتى :

- (1) - روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع اليوم فى العالم الاسلامى .
- (2) - المؤامرات التى تعرضت لها وحدة الامة الاسلامية بالامس ويتعرض لها ما تبقى منها اليوم من طرف الصهيونية وغيرها وما يجب علينا حيال ذلك .
- (3) - نشاط التبشير ودوره الاستعمارى التخريبى بالامس واليوم وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر .
- (4) - اخطار العزلة والاندماج التى يتعرض لها أبناء الجاليات الاسلامية فى الهجرة وواجب الدول الاسلامية نحوهم .
- (5) - دور وسائل التأثير على الجماهير وخاصة منها الصحافة والسنما والتلفزة فى كلباء أو التخريب الذاتى لما تبقى من الامة الاسلامية المفروض انها فى صميم معركتها لاسترجاع نفسها ، ومسؤولية هذه الاجهزة فى مكافحة او نشر جنوح الاحداث بل واجرام نفسه والانحلال الخلقى والاحاد .

الرِّبَاط والفداء

في وهران والقبائل الكبرى

ان موضوع حديثي في هذه الدراسة : الرباط والفداء، في تاريخ البلاد الاسلامية بصفة اجمالية، وادركت بحثي عن الرباط الذي اشتهر بمدينة وهران حيث لعب ادوارا رائعة ، وحظي بدراسات هامة لكثير من كبار المؤرخين بينوا فيها بتفصيل نظامه وموقعه وحياة المرابطين فيه وكيف كان فضله من اسباب انتصار المسلمين على الاسبان وطردهم من وهران ، بعد احتلال دام ما يقرب من ثلاثة قرون .

المهدي البوعبدلي

عضو المجلس الاسلامي الاعلى

كما أتحدث عن الفداء الذي اشتهر ببلاد القبائل الكبرى بعد الاحتلال الفرنسي ، اذ امتاز بنظام خاص لم نجد له شبيها في بقية البلاد الاسلامية عبر التاريخ .

الرباط والفداء في بلاد الاسلام عامة وفي بلاد المغرب العربي خاصة

الرباط هو الملازمة في سبيل الله ، اصلها من ربط الخيل ، ثم سمي كل ملازم لغر من لغور الاسلام مرابطا ، فارسا كان او راجلا ، واللفظة مأخوذة من الربط : مصدر رابط يربط ، بمعنى أقام ولازم المكان ، ويطلق في اصطلاح علماء الدين خصوصا الفقهاء المتصوفين على الامكنة التي تنشأ في المواقع الحربية ، لحماية البلاد وحراستها من هجومات الاعداء ، وكذلك تطلق على البقاع التي تؤسس لاجتماع المنقطعين لله والمتعبدين للذاكرين ، وكذلك على المعتكفين لتعلم الدين وتعليمه .

واصل الرباط في القرآن قوله سبحانه وتعالى « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » وقوله « يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » .

قال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر في «الجواهر الحسان» في تفسير هذه الآية : روى مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى

عليه عمله ، الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه وأمن الفتن » وخرج الترمذي عن فضالة عن عبيد على ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كل ميت يختم على عمله ، إلا الذي مات مرابطا في سبيل الله ، فإنه ينمو عمله الى يوم القيامة» ويؤمن من فتنة القبر » ، قال ابو عيسى هذا حديث صحيح ، وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «من مات مرابطا في سبيل الله ، أجرى الله عليه أجر عمله الصالح الذي كان يعمل ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتن ويبعثه الله آمنا من الفزع» وروى مسلم والبخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها» ثم قال روى ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «رباط يوم في سبيل الله ، وراء غرة المسلمين محتسبا من غير شهر رمضان ، أعظم اجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ، ورباط يوم في رمضان افضل عند الله وأعظم اجرا من عبادة ألفي سنة ، صيامها وقيامها» ذكره القرطبي مسندا ، ثم تعرض الثعالبي لمعنى الرباط الانغري فقال : «ان زين الدين العراقي ذكر في اختصاره لغريب القرآن تأليف ابي حيان معنى رابطوا داوموا وأثبتوا» وهذه الاحاديث النبوية التي ساقها الثعالبي في تفسير هذه الآية الكريمة دالة على اهتمام تعاليم الاسلام بالرباط والترغيب في دوام الاقامة به ، اذ الدوام والثبوت اللذين فسر بهما زين الدين العراقي ، الآية

ثم قال الخطاب وسالم السنهوري : وهى فى هذه الايام رباط ، وان العدو توصل الى بلاد الهند فى اوائل العاشر ، واستولوا على بلاد كثيرة منه ، ووصلوا الى جدة سنة تسع عشر وتسعمائة (919) فشق ذلك على المسلمين ونزل الناس الى جدة ، ثم خذل الله العدو بعد ان بنوا حصنا لوخم ارسله الله عليهم ، ثم جاءوا سنة ثلاث وعشرين ونزلوا بساحل جدة فى ثمانية وعشرين قطعة ، وحصل للناس وجل عظيم ، وايقنوا بالاخذ ، ونزلوا الى جدة من المدينة وغيرها ، وحصنوها بالمدافع ، فألقى الله الرعب فى قلوب العدو ، وحبسهم عن النزول للبر حابس ثم تشتتوا ، وغنم منهم امير جدة غرابا ، واسر من فيه ، ثم فى سنة ست وعشرين أتوا الى قرب جدة ورجعوا مخذولين ، وفى سنة تسع واربعين وتسعمائة (949) جاء منهم بعض الاغربة لساحل جدة ، واخذوا بعض الجلاب الواصلة لها من الشام ، واليمن ، وفيها جماعة من الحجيج ففك الله اسرهم ونصرهم ، والهمهم رشدهم وخذل الكفرة ، ورد كيدهم فى نحورهم اه . فلا شك حينئذ ان ما حكم به مالك على رباط جدة قد زال ، وان رباط جدة من اعظم الرباطات ولهذا قال ابن جريج ، ان فضل مرابطى جدة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلاد .

والحاصل ان الثغور فى الاصطلاح ، جعلت علما على الامكنة المخوف عليها من العدو ، وهذه الخطورة تتغير زيادة على ما ذكرناه من تفاوت

الكرمية . لا يتأتى غالبا الا مع السكنى ، ثم ان المفسرين والمحدثين قسموا هذه الرباطات والاقامة فيها الى درجات ، وجعلوا تفاوت أجور المرابطين بها حسب موقعها وبعدها أو قربها من بلاد الاسلام، خصوصا الموجودة منها فى الشواطىء القريبة من بلاد الكفار .

قال فى كتاب الحبس من المدونة : ومن حبس فى سبيل الله فرسا او متاعا فذلك فى الغزو ، ومواخير الرباط كالاسكندرية ونحوها ، وامر مالك فى مال جعل فى السبيل ، ان يفرق فى السواحل من الشام ومصر ، ولم يرض جدة من ذلك ، قيل له : قد نزل بها العدو ، قال كان ذلك أمرا خفيفا ، قال ابن الحاجب فى التوضيح : وسأله قوم ايام كان من دهلك ماكان (ودهلك هذا فى كلام المدونة اسم ملك من ملوك السودان وبه سمي البلد ، وهى جزيرة ساحل البحر من جهة اليمن) - قاله عياض ، وقال هو بفتح الدال -

وقد تجهزوا يريدون الغزو الى عسقلان ، والاسكندرية ، وبعض السواحل ، وسألوه ان ينصرفوا الى جدة ، فنهاهم عن ذلك ، وقال لهم الحقوا بالسواحل اه .

وحكم مالك على رباط جدة ، قد ألغى فيما بعد ، اذ ذكر كثير من الفقهاء المتأخرين ، ان جدة نزل العدو بسواحلها فى اوائل القرن العاشر الهجرى ، فهى ثغر ، ذكر هذا الفقيهان الخطاب وسالم السنهوري ، وعن بعضهم يكون بها قتلى وشهداء لا شهيد على وجه الارض افضل منهم ،

أجر المرابطين حسب مواقعها ، تتغير ايضا بحسب الامكنة والازمنة ، وقوة العدو وضعفه ، واهتمام الملوك بالدفاع عن حمى الوطن او تقاعسهم واتفاقهم مع العدو سرا او علانية كما وقع ذلك فى كثير من الاوقات ببلاد المغرب العربى .

وقد اشتهرت الربط لحراسة الثغور ، ورباطات المتعبدين فى بلاد الاسلام من اوائل الفتح ، وقويت لما اشتدت غارات المسيحيين على شواطئ المغرب العربى والشمال افريقسى ، اثر الحروب الصليبية ، واسترجاع المسيحيين لجزيرة صقلية ، واثر غارات الاسبان والبرتقال على قواعد البلاد الاسلامية بشواطئ افريقيا الشمالية ، فزيادة على شن غارات الاعداء على السواحل المذكورة كانت بعض العصابات المسيحية تكونت لحسابها الخاص ولها اساطيل تقصد شواطئ القرى المنقطعة ، فتختطف السكان لتنصيرهم او بيعهم فى اسواق الرقيق ، او لمبادلتهم مع الاسرى المسيحيين . ذكر الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفى فى تاليفه المسمى « بهجة الناظر فى اخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان من الاعراب كبنى عامر » الذى الفه سنة 1178 هـ عن نوع من المتعاونين مع الاسبان مدة احتلالهم لوهران كانوا يعرفون بالمغطسين او المغاطس ، يستعين بهم الاسبان لاختطاف اولاد المسلمين ، قال بعد ان عرف افراد قبيلتهم التى كانت تسكن بقرية كرشتل (التى تبعد عن

وهران بنحو 20 كلم) قال : « وسكنوا بها فى القرن الثامن من الهجرة وبنوا بها مدشرا محصنا بالجبال من البر ، لا طريق له الا من جهة موعرة ، وكانت بتلك الارض عيون عذبة منهجرة ، فاستقروا بها للآن ، وكان شأنهم مع الاسبانين جلب الاخبار لهم ، وتغطيس الناس ، فهم المغاطيس ، ويقال لهم المغطسون ، فهذا الاسم هو لهم على الحقيقة ، ولغيرهم على المجاز . لعملهم عملهم اقتداء بهم ، ويحكى عنهم انهم غطسوا امامهم الذى يصلى بهم ، بانهم باعوه للاسبانين غفلة منه ، وكيفية التغطيس انهم يأتون بدوابهم للدواوير ، على صفة الحضر المدوسين بالدواوير البائعين للعطرية ومعهم مناطق من الجلود الغلالية ، فاذا وجدوا خبرا جلبوه للنصارى ، واذا راوا فرصة فى الصغير او الكبير أخذوه ، وجعلوا الجلود على فيه كى لا يتكلم ، وحملوه على دوابهم ، ومشوا به ليل لوهران ، فيبيعونه للاسبانين ، وينتفعون بشئنه ، هذا دأبهم لعنهم الله واخراهم ، وأخلا الارض منهم ومسكنهم حال انحصارهم بالمسلمين بالادوية التى بساحة وهران ، حنو البرج الاحمر اسفل خنق النطاح ، وكانت لهم زوارق يسافرون فيها من مدشهم لوهران اذا اشتد عليهم الامر . وسدت عليهم الطرق البرية ، يحملون فيها سائر الخضر ونحوها ، وكان الاسبانيون لا ينقطعون عنهم فى البحر ، لاخذ ما يفتقرون اليه من عندهم . وكان من الكرشتليين بعض الاعين للنواحي الشرقية والقبلية اه .

برغواطة» و (برغواطة هذه قبيلة بربرية تنتمي الى مصمودة كانت تسكن في هذه الناحية وانتصرت لميسرة المطغرى ، الذى تاز على العرب سنة 122 هـ وانتحل مذهب الخوارج الصفرية ، وبقي افراد قبيلة برغواطة فى حالة حرب وسلم مع المسلمين الى ان خضد شوكتهم المرابطون الملتزمون فى القرن الخامس الهجرى) .

وقال البكرى : «ويقال ان الذى جلب الساقية الى مدينة السوس عبد الرحمن بن مروان ، أخو محمد الجعدى ، وانه هو الذى عمر وادى السوس الى وادى ماشة ، مسيرة يومين ، عليه قرى كثيرة ، وهو ينصب فى البحر المحيط ، وماسة التى أضيف اليها الوادى رباط مقصود عندهم ، له موسم عظيم ، ومجمع جليل ، وهو مأوى للصالحين» ، وقد عرف البكرى ايضا رباط سوسة وادس والمنستير بقوله فى «المسالك والممالك» :

«خارج مدينة سوسة محارس ، وروابط ومجامع للصالحين وداخلها محرس عظيم ، كالمدينة ، مسور بسور متقن ، يعرف بمحرس الرباط ، هو مأوى للاخيار والصالحين ، داخله حصن ثان يسمى القصبة . . الى ان يقول . . ومن محارس سوسة المذكورة محرس المنستير ، الذى جاء فيه الاثر المتقدم الذكر . . ثم يقول . . وفى الطبقة الثانية منه مسجد لا يخلو من شيخ خير فاضل ، يكون مدار القوم عليه ، وفيه جماعة من الصالحين والمرابطين ، قد حبسوا انفسهم فيه منفردين ، دون الاهل العشائره ، أما

ولهذا كثر عدد الربط طوال شواطئ البلاد وكان الكثير منها يشرف عليه ويؤسسه علماء الدين باتفاق مع السكان ، وقد رأينا ان كثيرا من الرحالين والجغرافيين والمؤرخين ذكروا بعض هذه الرباطات ، التى كانت فى اوقات الخطر تتحول الى مراكز حربية ، وحصون عسكرية . ذكر ابن حوقل وكذلك البكرى والادريسي كثيرا من هذه الرباطات التى شاهدها او ذكرت لهم . كرباط ماسة بجنوب المغرب الاقصى ، ورباط شاكرا ، ورباط سلا ، وتيط والمنستير ، ورباط رادس ، وسوسة ، وشرشال ، ووهران وندرومة وجبل ارزيو وغيرها ، والكثير من هذه الربط يرجع عهده الى زمن الفتوحات كرباط ماسة الذى يرجع عهده الى زمن الفاتح الشهير عقبة ابن نافع ، ورباط شاكرا المعروف اليوم بالمغرب «بسيدي شاكرا» وهو على ضفة وادى نقيس بحوز مراکش ، وفيه دفن المجاهد العربى شاكرا من اصحاب عقبة بن نافع ، وقد بناه يعلى بن مصلين ، أحد رجال رجاجة السبعة ، الذين يقال انهم وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببكة ، فأسلموا ورجعوا الى المغرب دعواة ومبشرين بالدين الاسلامى الحنيف ، وكذلك أقام المسلمون رباطا آخر بشمال تامسنى ، على ضفة نهر ابي رقراق او وادى سلا كما يسميه ابن حوقل الذى وصف هذا الرباط بقوله : «والناس يسكنون ويرابطون برباط يحف بها ، وربما اجتمع فى هذا المكان من المرابطين مائة الف انسان يزدون وينقصون ، ورباطهم على

بذلك ، ولا بلغ الخبر الى عبد المؤمن بن علي ، التحق بوهران ، وسمى ذلك الرباط ، برباط صلب الفتح ، بدلا من رباط صلب الكلب الذي كان مشهورا به قبل هذه الواقعة .

وقد عرف البكري رباط جبل ارزيو بقوله : «وبقرب مدينة أرزيو جبل كبير فيه قلاع ثلاث ، مسورة ، رباط يقصد اليه» ، وقال البكري ايضا في التعريف برباط ندرومة ما يلي : «ومدينة ندرومة هي في طرف جبل تاجرا ، وغربيها وشمالها بسائط طيبة ومزارع ، وبينها وبين البحر عشرة اميال . . الى ان يقول . . وله مرسى مأمون وعليه حصنان ، ورباط حسن مقصود يتبرك به» .

وقد ذكر ابو عبد الله محمد بن مرزوق المعجسي التلمساني المعروف بالجد وبالخطيب والمتوفى بالقاهرة (سنة 781 هـ - 1379 م) وهو من مشائخ المؤرخ ابن خلدون ، ولسان الدين ابن الخطيب السلماني قال في تأليفه : «المسند الصحيح الحسن» ان الملك ابا الحسن المريني لما كثرت هجمات القراصنة الاوربيين على شواطئ المغرب العربي في عهده ، أنشأ ربطا طوال هذه الشواطئ «واذا وقعت النيران في اعلاها ، تنصل في الليلة الواحدة او في بعض ليلة ، وذلك في مسافة تسير فيها القوافل نحو من شهرين ، وفي كل محرس منها رجال مرتبون ، نظار ، وطلاع ، يكشفون البحر ، فلا تظهر في البحر قطعة تقصد ساحل بلاد المسلمين

رباط رادس فهو الذي رباط فيه المجاهدون الفاتحون في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، وقال الصحابييان الشهيران انس بن مالك وزيد ابن ثابت للمجاهدين «من رباط برادس يوما فله الجنة حتما» ، وقال لعبد الملك بن مروان : «امدد هذه البلاد ، وانصر اهلها ، ليأمنوا من العدو ، ويكون لك ثوابها واجرها ، فانها من البلدان المقدسة» الخ .

ومن الرباطات المشهورة ايضا في المغرب العربي رباط وهران ، ويسمى برباط صلب الفتح ، وسبب تسميته بذلك ان تاشفين بن الملك علي بن يوسف بن تاشفين ، آخر ملوك دولة المرابطين الملتزمين للمتوكلين ، لما اشتدت الحرب بينهم وبين الموحدون وانتقلت رحاها من المغرب الى الجزائر ، سيره والده علي بن يوسف على رأس جيشه ، ليكون قبالة عبد المؤمن بن علي ، فمات ابوه ، وايس تاشفين من ربـح المعركة فقصد وهران ، مركز اسطولهم لينسحب منها الى الاندلس ، فدخلها مختفيا ، وصادف ليلة سبع وعشرين من رمضان ، سنة تسع وثلاثين وخمسائة ، فذهب تاشفين مختفيا مع ثلة من اصحابه الى رباط وهران ، للحضور في احياء ليلة القدر ، وكان الموحدون منه بالمرصاد منذ دخل وهران ، يتتبعون حركاته ، ولحقوا به في تلك الليلة ، وحاصروه بالرباط ، واحرقوا عليه بابيه ، فخرج تاشفين منتظيا جواده ، فترامى به حتى تردي من جرف فلقى حتفه ، وقتل اصحابه الذين كانوا برفقته ، ولا علم لعسكره

الا والتنغير يبدو في المحارس ، فأمنت السواحل في أيامه السعيدة .

وكان هذا النوع اى الاتصال بين الرباطات والمنارات على طريق ايقاد النيران معروفا من قديم ، ذكر بعض المؤرخين لدولة الاغالبية «انه كان لبنى الاغلب علائم نارية ، يبلغ بها الخبر في الليل من طود الى طود بسواحل الزاب وغيرها من المغرب بحيث ينتقل الخبر من سبتة الى الاسكندرية في ليلة واحدة» .

ثم ظهرت هذه الرباطات وتطورت بصورة جلية ونظمت بعد الاحتلال الاسباني لمدن سواحل المغرب العربى ، وكان جلها يؤسسه ويشرف عليه علماء الدين ورؤساؤه ، حيث تبين ضعف الملوك عن المقاومة ، وتخاذل الامراء ، حتى ان الكثير منهم كانوا يقدمون خدماتهم وتعاونهم للمحتلين ، ويتعهدون لهم بدفع الجزية ، وامدادهم بما يحتاجونه من العتاد والتموين مما هو مشهور عند المؤرخين .

وقد احتفظ لنا التاريخ ببعض الوثائق تثبت كيفية انشاء هذه الرباطات ، منها وثيقة مؤرخة في سنة 954 هـ الموافقة لـ 1548 م ، بخط العلامة الشيخ عبد الرحمن اليعقوبى صاحب المعهد المشهور الآن بمعهد اليعقوبى بنواحي ندرومة ، وهذه الوثيقة عبارة عن معرض لمؤتمر دعا الى انعقاده العالم المذكور بعد احتلال الاسبانيين لتلمسان ، وكان رؤساء القبائل الذين استجابوا لدعوته ، هم رؤساء قبائل

اتقاد ، وبني سنوس ، وترارة ، ومطقرة ، وبعض علماء تلمسان واعيانها ، تعهدوا بامداد الرباط بالمال والرجال ، ثم لما ظهر الاتراك واحتلوا تلمسان ، نبذ هذا المشروع وانتقل صاحبه الى المغرب .

ومثل هذه الوثيقة التي تظهر لنا تطور الرباط في ذلك العهد ، نجدها ايضا بالمغرب الاقصى بعد احتلال بعض شواطئه اثر غارات البرتغاليين وظهور العالم المجاهد الشيخ ابو عبد الله محمد بن احمد العياشى ، الذى تزعم المقاومة ونادى بالجهاد ، وابلى في سبيله البلاء الحسن .

ذكر كثير من المؤرخين ومنهم الناصرى صاحب الاستقصاء : ان العياشى جمع مؤتمرا لمبايعته ، قال الناصرى عن المؤتمرين : «وقدموه على انفسهم والتزموا طاعته ، وان اى قبيلة خرجت عن امره ، كانوا معه يدا واحدة على مقاتلتها ، حتى تقى الى امر الله ، فأعطوا بذلك خطوطهم ، فى ظهير ، وانهم رضوه ، وقدموه على انفسهم ، ووافق على ذلك قضاة الوقت وفقهاؤه ، من تامسنا الى تازى ، وكان الحامل له على طلب ذلك منهم انه بلغه عن بعض طلبه الوقت ، انه قال : لا يحل الجهاد الا مع الامير ، ففعل ذلك خروجا عن تلك الدعوة الواهية» .

انشئت معظم الرباطات فى بدايتها للعبادة والتعلم ، ثم انها اتخذت عند ما دعت الحاجة ، بعد شن غارات الاعداء ، الى ربط ، ومراكز حربية ، وذلك كرباط يحيى بن ابراهيم اللمتونى الذى كان يعلم فيه ، ويدعو للاسلام عبد الله بن

ياسين الجزولي ، وتتلذد لعبد الله بن ياسين جل القبائل المجاورة ، ثم استحال هذا الرباط الى مركز انطلاق لأعظم دولة اسلامية عرفها الاسلام بالمغرب العربي والاندلس ، وهي المعروفة بدولة المرابطين الملتحمين واللمتونيين .

ولهذا اشتبه على كثير من الكتاب والمؤرخين الرباط بالزاوية ، وبقيّة المعاهد الموجودة في قمم الجبال .

والحقيقة ان الرباط غير الزاوية ، فاذا وجدنا الرباط مرتبطا بمعهد الفتوحات الاسلامية فان الزاوية عرفت في اوائل القرن الثامن الهجري ، فكانت تطلق على مكان معد للعبادة ، كالمسجد ، ويشتمل على المرافق للطلبة المجاورين بها ، وايوانها للواردين عليها ، وعابري السبيل ، وقيل انها عرفت في المغرب بعد القرن الخامس الهجري وسميت في بادى امرها « بدار الكرامة » كالتى بناها الملك يعقوب المنصور الموحدي في مراكش ، ثم اطلق المرينيون على الزوايا التى بنوها فى عهدهم اسم « دار الضيوف » ومن ذلك الزاوية العظيمة التى اسسها الملك ابو عنان المريني خارج سلا وهى التى ذكرها ابن بطوطة فى رحلته ، وزاوية شالة فى الرباط التى دفن فيها الملك ابو عنان والده ابو الحسن ، وزارها لسان الدين بن الخطيب وخاطبه فيها بخطبته الشهيرة فى تاريخ الادب العربى .

ثم عرفت الزاوية بعد ذلك فى المغرب العربى بانها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية ،

يجتمع فيها مريدوهم لذكر الاوراد ، كما كانت تتخذ ماوى لطلبة القرآن والعلم وبقيّة الزوار الذين يقصدونها للاستفتاء ، والصلح بين المتخاصمين ، وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر ، بعد هجومات البرتغال والاسبان على شواطئ المغرب العربى ، وقد كان لبعض هذه الزوايا شأن عظيم ، استحالت الى ممالك ، وذلك كالزاوية الدلائية بالمغرب التى كتب عنها كثير من المؤرخين ، وخصها اخيرا الاستاذ محمد حجي بدراسة قيية ، نال بها جائزة الدراسات العليا من جامعة الرباط ، وكالزاوية السنوسية بليبيا فقد استحالت الى اخرى الى مملكة .

ثم ظهر نوع آخر من هذه المعاهد لا هى زاوية ولا رباط ، تعرف فى بلاد القبائل بالمعمرة ، وهى عبارة عن معاهد لتعلم القرآن وحفظه ، او لدراسة العلوم ، وقد انتشر هذا النوع بوادى بجاية بعد احتلال اسبانيا لبجاية ، ومفادرة سكانها ، خصوصا الجالية الاندلسية التى كانت لاجئة فيها ، فان الكثير من افرادها اسسوا معاهد فى بنى يعلى العجيسى ، وببنى وغليس ، وكانت هذه المعاهد او المعمرات ، لها اجناس هامة ، وقوانين داخلية ، انتشرت فى معظم معاهد القبائل الصغرى والكبرى ، وهى تمتاز عن نظم الزاوية ، اذ الزاوية فى الغالب تخضع لتصرف شيخ الطريقة ، او مقدميه ، اما هذه المعاهد فان لها قوانين داخلية ، محكمة ، واذا وقع خلل او سوء فهم لتطبيق تلك القوانين ، او

تداخل السلطات ، فان قديما المتخرجين منها هم الذين يرجع لهم الامر ، فيجتمعون لحل المشاكل ، وبعض هذه الزوايا او المعاهد المسماة بالمعمرة كثيرا ما كانت تشهد أزر الرباط في اوقات الحروب ، وتعينه على اداء مهمته ، فمن ذلك ما ذكره ابو الحسن الشريف في « كامل البقية » ونقله عنه صاحب « تعريف الخلف برجال السلف » قال : « خرجنا الى ثغر تفرتنس فلقينا سيدي محمد بن علي ، وانزلنا بزاويته في مجاجة ، وكنا في جوع ونحن نحو 1300 ، (ثلاثة عشر مائة) نفس ، وقصدناه للزيارة ، فأكرمنا خارج الزاوية ، لكثرتنا ، وكانت خيولنا ذكورا واناثا ، فقال لنا اتركوها ، من الف بين قلوبكم يؤلف بينها ، وامرنا بالجلوس على 24 جلسة ، وافاض علينا الثريد واللحم والعسل والسمن » الخ .

ولنرجع الى الحديث عن الربط فان في عهد الاتراك لما اشتدت الحرب بينهم وبين الاسبان ، اعتنى الاتراك ببعض الرباطات ، وتعاونوا مع مؤسسيها ، وعلى حد تعبير المعاصرين ، أمموها ونظموها نظاما لم يعهد من قبل في تاريخها ، وكان من حسن حظ التاريخ ان خصصت لهذه الربط التي أحياءها الاتراك ، تأليف ، تعرض فيها مؤلفوها لذكر هذه الربط ، ووصفوها وصفا مفصلا ، منها تأليف « الرحلة القمرية في الاخبار المحمدية » لمحمد المصطفى بن زرقفة ، و « الثغر الجمانى في ابتسام الثغر الوهراني » ، لآحمد بن سحنون ، فانهما تحدثا بمزيد التفصيل

والتوضيح لرباط وهران الذي أحياء الباي محمد بن عثمان فاتح وهران سنة 1206 هـ .

وكما تعرض لرباط وهران عبد الرحمن الجامعي الفاسي شارح ارجوزة الحلفاوى التي تعرض فيها مؤلفها لفتح وهران الاول سنة 1119 على يد باشا الجزائر محمد بكداش ، اذ وهران دام احتلالها (280) ثمانين ومائتي سنة ، اذ احتلت سنة 914 هـ ، وفتحها لأول مرة بكداش باشا سنة 1119 ، ثم استرجعها الاسبان بعد بقائهم بها خمسة وعشرين سنة ، سنة 1144 ، ويقوا بها الى ان اخرجهم الباي محمد بن عثمان سنة 1206 هـ .

قال صاحب الثغر الجمانى يصف الرباط الذي أحياء الباي محمد بن عثمان :

ورتب المراتبين في الجبل
من كل حبر عن هوى الموت جبل
وكل مقدم هام وبطل
منذ بدا باد الضلال وبطل
مؤمرا لشيخنا الجلالى
محمد الاحق بالاجلال

ومحمد بن عبد الله الجلالى الذى ولاء الباي رئاسة الرباط كان من اكابر علماء البلاد ومديرا للمدرسة التى انشأها الباي فى قاعدة ولاية معسكر ، وسماها بالمدرسة المحمدية ، كما عين لمساعدته قاضى القضاة السيد الطاهر بن حواء ، وكاتبه الخاص محمد المصطفى بن زرقفة ، مؤلف الرحلة القمرية المتحدث عنها . قال المؤلف ان

البابى محمد بن عثمان لم يزل منذ ولى يتحيل على الظفر بالكفرة ، وينصب لهم المكائد والخدع الشبيهة بالاشراك التى تنصب للطير ليقبض فتارة يوجه لهم المهرة بالسباحة فى البحر ، فيبيتون من قدروا عليه منهم فى بيوتهم ، ويأتونه برؤوسهم ، وتارة يرصد لهم الكمين قرب اسوارهم حتى يظفروا بهم ، وتارة تحمل عليهم طلائع جنوده ، فيتخطفونهم مخطف السقور للبيضاة - الى ان يقول - ثم ظهر له ايده الله فقرر فيه المربطين للتضييق على الكفرة ، فنادى فى رعيته من ارتحل الى الرباط سقطت عنه المطالب المخزنية ، وبقي محترما موقرا فاجتمعت فيه امة من الناس ، من كل ناحية باموالهم ، واولادهم ، فنزلوا فيما بين سيدى معروف والبريدية الى عين تانشالت وجعل عليهم قوادا يقومون بأمرهم ... ولعمري لقد بلغوا غرضه فى المضيق على الكفرة ، حتى منعوهم من ادامة الخروج ، وقصرت ايديهم عن نيل اكثر ما كانوا ينالونه من الفياض والمروج ، وانقطعت غارة المغايطس فصاروا لا يبلغون وان جهدوا مبلغ اصوات النواقيس من بعد ان كانوا يغزون البلاد ، ويقيمون مع المسلمين عند جليلهم اسواق الجلال ، فكم لهم من غارة شهيرة ، انتهبوا فيها اموالا كثيرة ، تارة يفوزون بها ، فيبلقونها لناديتهم ، وتارة يعترضهم المسلمون فينتزعونها من ايديهم ، ثم حسم مادتهم ، وقطع شافتهم ، بجمع الطلبة فى الجبل ، وهنا يذكر لنا المؤلف بمزيد البيان والتوضيح رباط وهران فيقول « وقد كان الامير جهاز نحو الستة من الطلبة

البستهم لباسا جيدا ، ودفع لهم عدة رفيعة ، ووجههم لجمع الطلبة وترغيبهم فى الرباط ، فلم تمض الا ايام قلائل حتى قدموا من مختلف الجهات ، فبعث لهم الاسلحة ، وكل ما يحتاجون اليه ، ولم يزل مددهم يتواصل حتى اربى عددهم عن الحد ، كل هذا ، وهو يوجه لهم بالاطعمة والسمن والزيت والفواكه ونحوها ، وبالشاء والبقر للذبح ربما استحدثت من السلاح والبارود الخ . وبعث مع ذلك فى كل شهر من يقسمه عليهم ، من أمثاله ، حتى ترتفع التهم ، منهم ، عن أميره عليهم وقد كان مطبخهم واحدا ، تأخذ كل جماعة منه ما يكفيها ، فلما كثروا وعجز الطباخون عن القيام بجمعهم ظهر له ان يدونهم خمسة وعشرين خمسة وعشرين ، فى الديوان ويدفع لكل ديوان ما يكفيهم من الطعام والدرهم لشراء المصالح ، فبعث من دونهم بعد ان فاضهم فى القدر الذى يكفيهم من ذلك ، فاتفق رأيهم على اربعين صاعا من القمح لكل ديوان فى الشهر ، وخمسة وعشرين لمصالحه ، فكانوا يذهبون بالقمح لمن يجاورهم من الاعراب يطحنونه لهم بأجرة ، فصعب ذلك عليهم ، وكانوا لا يفترون معهم غالبا الا عن خصومة او مضاربة ، فالتزم لهم بدفعه مطحونا بنقص ريال من واجب كل ديوان ، ثم بدا له فبنى له ثلاث ارحاء ماء بنهر مسرقه ، بينهم وبينه نحو الثلاثة اميال لجهة الغرب ، كل هذا وهم يتزايدون حتى انهم قسموا الرزق أول رجب على ستين ديوانا ، ثم قسمنا على ما ينيف على المائة ، وتصدق عليهم أول شعبان ، بزيادة

ريال لكل شخص ، وقد كان اشترى لهم نحو
الالف سيف ، فأمر فجعلت لها الاغمد والحماثل،
ثم بعثها لهم ، ففرقناها عليهم مع بعض المكاحل
التي كان يوجهها اليهم مرة مرة ، فتسابقوا اليها
وتزاحموا عليها الى ان آل الامر الى انهم خطفوا
بعضها نهبه ، ثم ردوه فقسم عليهم سواء ، وفي
ذلك يقول مؤلف الثغر الجمانى :

ملتزما لرزقهم جميعا

ملبيا لقولهم سمعا

فوقعت هنالككم حروب

زيدت بها على العدى كروب

ومات في اولها المفضل

قاضي القضاة الطاهر المفضل

كان اهتمام الباي بالرباط وبساكنيه متزايدا
اذ في كل اسبوع بل في كل يوم يفد عليه
المرابطون ، فانتشرت الاخبية والمضارب ،
والقياطين ، والخيم ، على جميع تلك الآكام، وذلك
الوطاء الفياح ، فكستها ، وما زالت الكتائب
تتواصل ، والجيوش تتراسل ، والمواكب تجتمع
اعدادها ، والابطال تنتظم ازواجها وافرادها ، وهم
مشتغلون بقراءة القرآن والفقه والنحو لا يتركون
ذلك الا في اوقات القتال ، وبالليل يبيتون يتلون
القرآن العزيز ، لا يفترون عنه الا نحو الساعتين
من اوقات النوم ، ومتى انتبه النائم وجددهم
على حالتهم تلك ، وسمع التلاوة من كل ناحية
في ذلك الوادى ، فكانوا كما قيل في سلفهم
الصالح رضى الله عنهم : رهبان بالليل أسود
بالنهار .

هذا في الجملة رباط وهران الذى احياء
الباى محمد بن عثمان ، وقد احدث بعد احتلال
الاسبان مباشرة ، كما ذكر ذلك الجامعى ، اذ كان
حصار وهران وعلى رأس المحاصرين اهل العلم
والدين متوصلا طيلة مدة الاحتلال ، وقد أحدث
هذا الرباط كما بينا فى غير موقع الرباط
القديم المشهور الذى حوصر فيه آخر ملوك
المرابطين تاشفين بن على بن يوسف بن تاشفين ،
ذكرت بعض الفقرات فى وصفه كما ذكرها
الكاتبان احمد بن سحنون فى الثغر الجمانى
ومحمد المصطفى بن زرقفة فى الرحلة القمرية :
وهذا الاخير اهتم بتسجيل معظم رسائل الباي
الى رئيس الرباط ، لا يسع المقام لذكرها ، وقد
اتخذ الباي لهذه المراسلة بريدا خاصا .

وقد اعتنى ايضا بهذه الرباطات بعض
المستشرقين فخصوها بدراسات قيمة منهم
العلمان الاثريان Henri ZERRASSE & René BASSET
حيث كتبوا على رباط تيط بنواحي الجديدة بالمغرب
الشقيق ، وجورج مارسى الذى كتب عن مسجد
ابى مروان بعنابة الذى كان يجمع بفضل موقعه
الجغرافى بين مجمع العباد والمرابطين ، الا ان
معظم دراسات هؤلاء المستشرقين كانت ترجع
الى الناحية الفنية والمعمارية .

كان هذا الرباط اى رباط وهران بوادى يفرى
غربى ساحل وهران ، وقد كان طلبة القرآن
ورجال العلم بالمدينة يحيون ذكره سنويا ، الا
انه لطول العهد تنوسيت اسباب هذه الذكرى
وصار جل الحاضرين يعتقدون ان هذا الاجتماع

مجرد احتفال عادى للطلبة ، وقد بقيت هذه الذكرى تقام سنويا بيفرى الى اوائل الحرب العالمية الثانية ، وكثيرا ما كان يرأسها عالم وهران الراحل الشيخ الطيب المهاجى .

الفداء والرباط

أصله من الكتاب آيات متعددة ، منها قوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن » ، اى سواءا قتلوا ورجعوا ، أو قتلوا ، ولهذا ذهب بعض الصحابة الى ان كل مؤمن له بيعة فى عنقه ، اذ انه بايع الله على القتال فى سبيل الله ، وجزاؤه الجنة ، وقد ذكر الامام ابو عبد الله الحضرمى الاندلسى فى تأليفه (الفرائد المرويات فى فوائد الثلاثيات) اى ثلاثيات البخارى ، فى حديث يتصل بسلمة ابن الاكوع الصحابى قال : «بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ثم عدلت الى ظل شجرة ، فلما خف الناس قال : يا ابن الاكوع الا تبايع ، قال : قلت قد بايعت يا رسول الله ، قال : وأيضا ، فبايعته الثانية ، فقلت : يا ابا مسلم ، على اى شىء كنتم تبايعون يومئذ ؟ قال : على الموت » .

وقد قام الصحابة الكرام بأعمال فدائية جريئة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وبأمر منه ، فهى اذن سنة عملية من سنن الاسلام ، ومن هذا يتبين لنا ان العمل الفدايى مشروع كتابا

وسنة واجماعا ، وهو نوع من الجهاد الذى حض عليه الشرع ورغب فيه ، وأوجبه عينيا على كل مسلم ، وان القائمين به يعدون من السابقين الاولين المستحقين للمدح الذى خص الله به سلفهم فى قوله تعالى : « لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى » ، والله بما تعملون خبير » . قيل ان اول فدائى فى الاسلام هو الخليفة على بن ابي طالب كرم الله وجهه ، حيث خلف النبى صلى الله عليه وسلم فى فراشه ليلة الهجرة ، تضليلا للمشركين الذين كانوا يترصدون بالنبى لقتله ، وتفقدوه بالفعل فى تلك الليلة ، الا انهم كانوا يجدونه ملقى على فراشه ، فاطمأنوا على وجوده ، الى ان بوغتوا فى الصباح عند ما رأوا عليا خارجا من المنزل ، وعندئذ لم يتمالكوا ، فتسابقوا اليه يسألونه عن النبى اين هو ، فما كان من على الا ان أجابهم بانه لا يعلم عنه شيئا . وقد ذكر المؤرخون واصحاب السير عدة فدائيين من الصحابة والتابعين، كمحمد بن مسلمة الانصارى ، ورفيقه ابي نائلة اللذين قتلا كعب ابن الاشرف اليهودى المتهم باذائه النبى واصحابه قتلاه بأمر منه صلى الله عليه وسلم ، وان امثال هذه الاعمال الفدائية كثيرة فى عهد النبى وفى عهد خلفائه ، وتاريخ الاسلام مترع بروعة التضحية فى سبيل الله وحب الفداء .

ثم ان حياة النبى صلى الله عليه وسلم نفسها قدوة حسنة للمسلمين عبر تاريخهم الطويل

في بذل نفوسهم ، وتضحياتهم بأغلى ما يملكه الانسان في هذه الدنيا ، ألا وهي الحياة ، فلقد غزا صلى الله عليه وسلم سبعا وعشرين غزوة في نحو عشر سنوات ، وبدأ حياة الجهاد بعد الهجرة بعام ، وعمره يزيد عن ثلاث وخمسين سنة ، فكان لا ينتهي من معركة الا ويستعد لمعركة اخرى .

ولقد ذكر اصحاب السير باسهاب مواقفهم يوم حنين ، حيث صعد على ربوة مرتفعة ، وقد افترق عنه اصحابه ، فواجه أعداءه ناديا اصحابه ومشجعا لهم ، والسهام تتساقط عليه ، فتسابق حينئذ كثير من اصحابه ملبيين نداه ، وخاضوا المعارك ، فممن من قضي نحبه ، ومنهم من نجا ، وقائمة المستشهدين في هذه الغزوات خصوصا غزوات حنين وبدر وأحد طويلة ، لا يسع المقام لتتبعها بتفصيل ، وانما لا يفوتنا ان نذكر ان مواقفهم صلى الله عليه وسلم ومواقف اصحابه توارثها المسلمون خلفا عن سلف ، في مختلف العصور ، وكانت الهدف والمثل الاعلى للمجاهدين في مختلف الامكنة والازمنة ، فكان المسلم عند ما يخرج للمعركة يخرج لها مستعدا استعدادا نفسيا ووجدانيا ، ويوطن نفسه على القتل والموت ، قبل يوم القتل والموت .

ان كثيرا من المؤرخين حتى في العصر الاخير ، خصوصا الاجانب منهم وقفوا حيارى مدهوشين عن اسباب الانتصارات التي احرز عليها الفاتحون المسلمون بتلك السرعة التي ضربت الرقم القياسي في تاريخ الحروب العالمية ، ولم يسع

المسيحيون انفسهم الا الاعتراف بروح التضحية والفداء اللتين كان يمتاز بهما الفاتحون حيث تمكنوا من الانتصار ، واطاحة معظم الدول التي حاربهم ، فعند ما جمع البابا Léon الرابع المؤتمر الشهير للملوك المسيحيين بفرنسا في عهده (886 م 912 م) وبحثوا فيه احداث جيش دولي لمحاربة اعداء المسيح ، وكان هذا الجيش اول نواة للحروب الصليبية . ووعد فيه البابا المذكور المحاربين المسيحيين ، وعدهم بالجزء الالاهى لكل من مات مقاتلا ، اذ كانت التعاليم المسيحية تحرم في اول عهدها قتل النفس وتري المقاتل الذي يموت في الحرب كقاتل النفس ، وكان على رأس هؤلاء الرؤساء البابوات Lactance TERTULLIEN, DRIGENE فكانوا يحرمون رفع السيوف ، وهدر الدماء ، الى ان كان عهد St Augustin الشهير في القرن الرابع المسيحي ، فقسم الحرب الى حربين : حرب مباحة ، وحرب محرمة ، فالحرب المحرمة هي التي تمنع وتحرم المقاتل الذي يموت في ساحة الوغى من الجزء الالاهى ، أما الحرب المباحة فلا ، ومن الحروب المباحة عند المسيحيين طبعاً هي الحروب الصليبية ، الا ان هناك بعض الكنائس بقيت متشبثة بالتعاليم الاولى ، ولهذا أفنى البابا Léon الرابع في هذا المؤتمر بان المحاربين في سبيل العقيدة المسيحية ، ينالون الجزء الالاهى خصوصا من مات منهم مقاتلا .

واستدل البابا Léon هذا في ذلك المؤتمر بحروب المسلمين وكيف كانوا لا يهابون الموت ، وانما قال لبلبلة افكار المؤتمرين « ان العرب الذين يشاركون في الجهاد ، كان يحدو الاغنياء منهم التضحية في سبيل سعادة شعوبهم وخدمتها ، أما الفقراء فكان الداعي لهم الحصول على الغنائم ، وقد يعين المجاهدين على التسليح النساء والاطفال ، حيث ان تعاليم دينهم ، ترى ان من لم تمكنه المشاركة في الحرب ، فبهذه الاعانة يعد كالمشارك فيها بنفسه » ، وهناك بعض المؤتمرين اعترفوا بالحقيقة وقالوا : « ان المسلمين يندفعون للحرب المقدسة بأسباب اخرى ، ويعرفون خصوصا فكرة الفداء ، وما اعدده الله للمجاهد ، الا انهم قالوا : ان هذا الجزاء الموعود به قاتل النفس يعد منكرا في التعاليم المسيحية » .

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو ان الفداء في الاسلام كان موضع اهتمام اعداء المسلمين في مؤتمراتهم ، ويقرءون له الف حساب ، وقد ذكر بعض علمائنا : « ان بعض الصحابة سئلوا من بعض التابعين ، فقالوا لهم : ما لكم انتم في قلعة وتهزمون الجيوش ، ونحن الآن في عدد كثير ، ولم يكن لنا ما كان لكم من النصرة ؟ فاجابهم احد الصحابة قائلا : انا نحن كنا في الحروب نفضل الموت على الحياة ، وانتم لربما صرتم تفضلون الحياة على الموت ، فوقع في قلوبكم الرعب » .

اشتهر المسلمون عبر تاريخهم بتوطين نفوسهم على التضحية والاستشهاد في سبيل الله ، فرادى وجماعات ، وان تتبع اشهر الوقائع لا يسعه

مجال هذه الدراسة المحدود ، وانما لا يفوتنا ان نذكر على سبيل المثال بعض المواقف وقفها المسلمون عند ما كانوا يصطدمون بالحوادث الجسام ، فتهدون عليهم نفوسهم كما ذكرنا فرادى وجماعات ، يحدثنا التاريخ ان أحد رفقاء المهدي ابن تومرت وتلميذه عبد المومن بن علي لما كانوا في طريق عودتهم من بجاية الى المغرب وقضوا ليلة ببعض القرى تقدم ذلك الرفيق لعبد المومن وطلب منه ان يستبدل معه مكان نومه فأجابه عبد المومن الى رغبته وفي الصباح وجد الرفيق ميتا ، فادرك السر وتحقق ان ذلك الرفيق فداه بنفسه ، كان اسم هذا الفدائي اسماعيل بن يحيى الهزرجي ، وقد ذكر الرحالة ابن جبير الاندلسي في رحلته في الحديث عن مدينة صور وهي اذاك تحت حكم الصليبيين فقال : « . . وكانت راحتنا مدة مقامنا بصور بمسجد بقي بأيدي المسلمين ولهم فيها مساجد اخر ، فاعلمنا به احد اشياخ اهل صور من المسلمين ، انها أخذت منهم سنة ثمان عشرة وخمسمائة واخذت عكة قبلها باثنتي عشرة سنة بعد محاصرة طويلة ، وبعد استيلاء المسغبة عليهم ، ذكر لنا انهم انتهوا منها لحال نعوذ بالله منها ، وذلك انهم عزموا على ان يجمعوا اهلهم ، وابناءهم في المسجد الجامع ، ويحملوا السيف عليهم غير من تملك النصارى لهم ، ثم يخرجوا الى عدوهم بعزمة نافذة ، ويصدموهم صدمة صادقة ، حتى يموتوا على دم واحد ، ويقضى الله قضاءه ، فمنعهم من ذلك فقهاؤهم والمتورعون منهم ، واجمعوا على دفع البلد ، والخروج منه بسلام ، فكان ذلك » .

هذا وان منع الفقهاء والمتورعون سكان صوور من تنفيذ ما عزموا عليه من قتل اهليهم غيرة من تملك النصارى لهم ، فان التاريخ القريب يحدثنا عن مسلمين آخرين نفذوا بالفعل هذه الخطة ، حيث قتلوا نساءهم وابناءهم ، ثم قتلوا انفسهم عند ما تحققوا وقوعهم في قبضة الاسر ، وكان الاسر في هذه الواقعة عند اخوانهم المسلمين لا عند النصارى مثل اصحاب صوور . وهذه الحادثة المؤلمة نذكرها للاستدلال على ما يتعلق ببحثنا هذا ، اذ كان المسلمون في مشارق الارض ومغاربها وفي مختلف العصور عند ما يصطدمون بالحوادث الجسام كان شعارهم دائما « النار ولا العار » ، وقعت الحادثة الثانية هذه لجيش الامير عبد القادر عند ما كان بالمغرب ، وتوترت العلاقات بينهم وبين جيش ملك المغرب الشقيق . ولنترك الكلمة للمؤرخ قال : « اثر الخلاف الذى وقع بين الجيشين بعث المؤرخ الناصرى هو وجهة نظر المغرب الرسمية قال : « اثر الخلاف الذى وقع بين الجيشين باث الملك لجيش الامير عبد القادر عسكرا من الشرادة فاجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد ، من ذلك انهم اعتصموا بربوة ، وجعلوا يقاتلون على حريمهم وكانوا رماة ، لا تسقط لهم رصاصة في الارض ، فكانوا كلما توجهت اليهم طائفة من الجيش (المغربى) استأصلوها بالرصاص ، وكانوا يجمعون موتاهم فينصبونها اشبارا يتترسون بها ويقاتلون من خلفها ، ولما اعيا الجيش امرهم ، حملوا عليهم حملة واحدة ، حتى خالطوهم في معصمهم ، وجالدوهم بالسيوف ، وطاعنوهم بالرمح

والتوافل ، وانقطع البارود فكانوا يقتلون ابناءهم ونساءهم بأيديهم فرارا من السبى والعار ، ثم جعلوا يقتلون انفسهم حين تحققوا انهم في قبضة الاسر . ثم يسترسل الناصرى في الحديث ويقول . . ان الامير عبد القادر عمد ذات ليلة الى طائفة من جنده نحو الخمس عشرة مائة على ما قيل ، كلهم بطل مجرب ، انتقامهم انتقاء ، وكان جيش الخليفة اى ولى عهد ملك المغرب منقسما قسمين ، بعضه معه ، وبعضه مع اخيه ، فصمد الحاج عبد القادر اليهما بتلك العصبة ، الذين هم فتيان الكريهة ، ومساخير الهيجاء ، وجمرات الحرب ، طالما هد بهم الوقائع وخاض غمرات الموت مع الفرنسيين ... الى ان يقول ... فهلك من المحلطين بسبب ذلك بشر كثير ، واما الامير عبد القادر فانه فر فى اصحابه بعد ان حملوا الكثير من موتاهم معهم ، ولما اصبح الناس وتفقدوا حالهم ، وجدوا فيهم من المرحى نحو الالف ، ومن القتل ما يقرب من ذلك ، واصبح حول المحلة من قتل اصحاب الامير عبد القادر الذين اجهضهم القتال من حملهم نحو الخمسين ، واسروا نفرا احياء ، فشاهدوا من طمأنينتهم عند القتال ما قضوا منه العجب ، ووجدوا عليهم لبس رفيعة ، مطرزة بالصقل ، والحريز ونحو ذلك : والشاهد عندنا من رواية هذه القصة هو قول المؤرخ الناصرى « كانوا يقتلون ابناءهم ونساءهم بأيديهم فرارا من السبى والعار ، ثم جعلوا يقتلون انفسهم حين تحققوا انهم في قبضة الاسر » وقوله فى ختام حديثه « واسروا نفرا

احياء فشاها دوا من طمانينتهم عند القتل ما قضاوا
منه العجب ووجدوا عليهم كسى رفيعة مطرزة
بالصقلى والحريز .

فاكتفى بهذا القدر للاستدلال على ما ذكرناه
والا فلو تتبعنا اشهر المواقف فى هذا الميدان
لاحتاج ذلك الى مجلدات ، فمواقف الاندلسيين
ببلنسية على ما حكى ابن الأبرار ، ومواقفهم
بالبيازين بعد سقوط غرناطة لا يقلان روعة ولا
بسالة عما تحدثنا عنه .

ولنتقل الآن الى الحديث عن نظام الفداء
الذى ظهر فى بلاد القبائل بعد الاحتلال الفرنسى،
وبهر كثيرا من الكتاب خصوصا الضباط الفرنسيين
الذين خصصوه بتأليف قيمة منها تأليف الجنرال
HANOTEAU الذى سماه « بلاد القبائل وعوائد
سكانها » "La Kabylie et les coutumes Kabyles".

المسبلون :

كان هذا النوع من الفداء يسمى فى بلاد
القبائل بامسبلن وهو جمع مسبل بلغة البلاد ،
وهو يطلق تماما على الفدائي فى بقية البلاد
الاسلامية الا انه يختلف عنه فى بعض الجزئيات،
تخص ضبطه ونظامه فى بلاد القبائل ، لايجند
المسبل الا بطلب واذن المسؤولين السياسيين
والعسكريين عندما تعلن البلاد حربا مع دولة
اجنبية للدفاع عن حمى الوطن ، أو طرد العدو
المحتل ، ومن هذا لا يجند المسبل للحروب
الداخلية بين القبائل بعضهم لبعض ، কিفما كانت
الاسباب الداعية لنشوب تلك الحروب وبعد

الحصول على الاذن من المسؤولين المذكورين الذين
يحددون عدد ما يحتاجونه ، تتقدم شخصية
دينية تتمتع بالنفوذ والسمعة الطيبة فى البلاد ،
فيفتح سجلات لتسجيل المجندين ، وفى الغالب
يقع ذلك فى الاسواق والمجتمعات العامة ،
ويشترط فى المسبل ، ان يكون اعزب ويقدمه
أهله ، وبالحصوص والده ان كان حاضرا ، ويقبل
المتزوج ان دعت الحاجة الى ذلك ، وبعد التسجيل
لا يقبل باى وجه رفض لمجنّد للخدمة ، কিفما كان
العدر ، اللهم الا اذا كان والده غير حاضرا ،
وتعرض له ، فانه يقبل منه ذلك ، وقد يحاط
هؤلاء المجندون بمجرد تسجيلهم فى فرقة
المسبلين بالاحترام والتقدير ، ويتولى الجماعة
أى المسؤولين السياسيين والعسكريين النفقة
عليهم ، وعلى ذويهم ، ويقدم لهم الشعب جميع
الهدايا من سلاح وتموين لهم ولافراد اسرتهم ،
ثم بعد الانتهاء من التسجيل تقدمهم الشخصية
الدينية للجماعة ويكون ذلك فى حفل عمومى ،
فيصطف المسبلون صفوفًا ، ويرتل القرآن ، ثم
تقرأ بعض الادعية من الحاضرين ، والمسبلون
صامتون ، لا يشاركون بقية الحاضرين لا فى قراءة
القرآن ولا فى الادعية ، وتعد تلك القراءة بمثابة
الصلاة على الجنائز ، وحينئذ تعين الجماعة اى
المسؤولين القائمين بالدفاع عن البلاد، مهام اولئك
المسبلين ، فتخطط لهم البرامج التى يتبعونها ،
والمواضع ، ونوع الاسلحة ، وحتى الامكنة التى
يذهبون اليها أو ينسحبون فى الكر والفر بحيث
لا يجاوز المحل المعين له فى حالة الانتصار أو فى

ربوة مرتفعة ، محاطة بنساء القرية ، يحرضن المسبلين على الموت في سبيل الله ، ويذكرن المسبلين بما وعد الله به الشهداء ، وكانت المقاومة من اعنف ما لاقاه الجيش الفرنسي في حروبه ببلاد القبائل رغم قلة عدد المسبلين الذين اطلع عليهم فيما بعد ، ان السيدة فاطمة عند ما اعلنت الحرب كان يشد ازرها اخوتها ، وتولى أحدهم وهو السيد الطاهر تجنيد المسبلين اذ اذن له في تجنيد الف مسبل ، فلم يسعه الوقت الا لتجنيد 157 مسبلا اذ هاجمه الفرنسيون ، ورغم قلة هذا العدد امكن للزعيمة ان تدافع عن قريتها سومر بنى يتورغ واستشهد جل المسبلين الذين دافعوا دفاع الابطال باعتراف اعدائهم ، وبقيت السيدة فاطمة او لالا فاطمة كما كان يدعوها السكان ، تواصل المقاومة والجهاد تارة على رأس المسبلين وتارة على رأس المجاهدين الى ان اسرت سنة 1857 ، وسجنت صحبة ما تبقى من اخوتها بنى سليمان حوز مدينة الاخضرية الحالية ، وكان السكان وبالأخص النساء يزورونها من جميع البلاد القبائلية ، حتى ان السلطات الفرنسية احصت عدد زوارها الذين بلغوا في يوم من الايام مائتي نسمة ، معظمهم من النساء والصبيان ، ولم ينقطع سيل هؤلاء الزوار طيلة ايام حياتها اذ توفيت رحمها الله سنة 1863 .

كانت معركة لالا فاطمة نسومر بنى يتورغ هي التي ظهر فيها لأول مرة حرب المسبلين ، وذلك سنة 1854 ثم كانت ثورة سنة 1871 ، وهي المشهورة بثورة المقراني وصهره الشيخ

حالة الانسحاب ، ثم ان المسبلين في حالة الحرب لا يختلطون ببقية المجاهدين ، وبعد الاستشهاد تتخذ لهم مقابر خاصة تدعى بتمقبرت امسبلين اما الذين ينكصون على اعقابهم ، او يفرون من ساحة الوغى فانهم يهجرون ، ويحاطون بالخزي والعار ، وكثيرا ما يعدمهم اقاربهم للعار الذي يلحق الاسرة ، وحتى القرية والقبيلة والناكص الذي ينجو من الاعداء تضيق عليه الارض بما رحبت فيها جراح البلاد ، وينقطع خبره واثره .

واول ما ظهر هذا النوع من المسبلين في بلاد القبائل في يونيو 1854 عند الاحتلال الفرنسي Randon وثورة الشريف بوبغلة ، فكان الجنرال Mac Mahon خرجا على رأس الجيش الفرنسي في جولة تفقدية ، اذ كانت الحرب اوشتكت على النهاية ، فعند ما وصلا الى قرب بنى يتورغ راوا النيران موقدة على قمم الجبال ، فتوجسا خيفة ، اذ ايقاد النيران بقمم الجبال كان بمثابة الاذن لاجتماع المجاهدين ، وتهيئهم للحرب ثم اطلعوا على الحقيقة وهي ان امرأة من سكان الناحية تزعمت المقاومة ، ورفضت الاستسلام ، ونادت بالجهاد ، واحيت سنة المسبلين ، الذي قال بعض من كتب عنها انها كانت قديمة جدا ببلاد القبائل ، كانت هذه المرأة هي لالا فاطمة كما كان يدعوها السكان ، ولقبها الفرنسيون بنبية الجرجرة La Prophetesse de Djurjura . وقد وصفها الضباط المذكورون ، انها كانت مرتدية حانكا احمر في ذلك اليوم ، وهي فوق

محمد أمزيان ابن الحداد ، فظهرت حينئذ حرب المسلمين بصفة جليلة ، واعتنى بها ايضا قادة الجيش الفرنسى وخصوصا بتأليف قيمة ، ذكروا فيها النظام الخاص بالمسبلين ، وهو لا يختلف عما سبق ذكره ، ولتكتف بذكر واقعة اهتم بها المؤرخون وكتبوا عنها بتفصيل ، كتبوا عن موقف هؤلاء المسبلين حيث كلفوا بالهجوم على حصن اربعاء بنى راتن المشهور بفورناصيونال كان عدد المسبلين المجندين للهجوم على هذا الحصن 2280 مسبلا فحاصروا الحصن ابتداء من 14 افريل 71 ، وكانوا تحت قيادة الشيخ محمد وعلى اوسحتون وجمعوا اثناء الحصار 700 سلما منها المتخذ من الجبال ومنها السلايلم الخشبية واتفقوا على ان الهجوم يقع ليلة 22 مايو وقد وصف قائد الجيش الفرنسى فى تقريره الرسمى الذى ارسله الى رؤسائه يصف لهم فيه الواقعة وكان هذا التقرير مؤرخا فى 16 يونيو قال : . . . ان ليلة 22 مايو كانت هادئة بخلاف الليالى السابقة ، فلم يسمع اذن صوت من خارج الحصن ، ولا اية طلقة نارية فعندما اوقدوا القناديل المستعملة بالحصن كان الهدوء التام فى الحصن وفى البلدة .

وعند الساعة الثانية بعد منتصف الليل سمع نشيد دينى من روابى تابلبلت ، وبعد ربع ساعة سمع نشيد آخر من روابى اورفيا ، ثم تلا هذين النشيدين صمت دام ربع ساعة ، وحينئذ سمعت اصوات مزعجة ، من الشعاب المحاطة بالحصن ، واطلقت نيران البنادق صوب الحصن وكانت

السلايلم مجهزة فصعد عليها المسبلون ، وصاروا ينادون فرادى الواحد بعد الآخر بأعلى اصواتهم «انى انا فلان ابن فلان وانى مسبل» ويطلق نيران بندقيته الا ان المقاومة كانت عنيفة من الحصن ، وكان كلما سقط المسبلون من اعلى السلايلم ، الا ويخلفهم آخرون ، وهكذا دامت المعركة الى ان طلعت الشمس ولم تات بالنتيجة المرجوة اذ كان المحاصرون على علم من الهجوم فى تلك الليلة ، فالموظف المدعو امين الامناء بذل جهودا ليبلغ الخبر قبل الهجوم بليلة الى قائد الحصن الفرنسى وكيفما كانت تلك النتيجة فانها تركت آثارها عند المحاصرين اذ لما انسحب المسبلون فى الصباح وتركوا بعض السلايلم حملوا امواتهم وجرحاهم الا انهم تقدموا للموت بشجاعة لم يمهدها ضباط الحصن لا فى الحروب التى شاهدها اذ كان معظم ضباط حرب الاحتلال الفرنسى ممن شاهدوا وخاضوا غمار حروب نابليون الاول باوروبا وروسيا خصوصا عند ما راوا ان بعض المسبلين كانوا يربطون بعضهم بعضا بالجبال حتى لا يتأخروا ويشاركون بعضهم بعضا فى الاستشهاد وكان هذا الربط يسمى بانسغراس ايشدان ولم يخف الضباط الفرنسيون اعجابهم بهذا النوع من المقاتلين فى تقاريرهم الرسمية الى رؤسائهم حيث يلفتون انظارهم ان الامة التى تهتدى وتحافظ على هذا النوع من النظام الحربى ينبغى ان لا يستهان بها ويقرؤ لها حسابها .

بحث كثير من الكتاب الاوروبين وبالخصوص الضباط الفرنسيين الذين ارتطموا بهذا النوع من الفدائيين ببلاد القبائل سواء في حرب الاحتلال 1854 او ثورة المقراني وتحققوا انه وراثي يرجع عهده الى الازمنة القديمة ، وقد سجل في التاريخ الجزائري في اوائل القرن العاشر الهجري عند ما احتل الاسبانيون مدينة بجاية ثم ظهر الانراك في الميدان فحاصرها صالح رايس ما يقرب من الشهر فاستولى على حصن عبد القادر ثم هاجم حصن موسى - قصبة البلاد في العهد الاسلامي - فتحصن بها حاكم البلدة لويس دوبرالطا LOUIS de PERALTA فكانت المقاومة عنيفة ودامت ثلاثة اسابيع فعندئذ تقدم سبعة جنود (فدائيين) واتخذوا سلاييم من حبال ولا سقطوا تحت وابل رصاص الاسبان

لم تذهب تضحياتهم سبھلا فقد خلفهم كثير من رفقائهم ولم تضي تلك الليلة حتى تغلب اصحاب السلاييم على المقاومين الاسبان وفتحوا الحصن فخلد صالح رايس اثر احتلاله هؤلاء الشهداء وبنى لهم ضريحا في سفح برج موسى واشتهر هذا الضريح بهم مدة ، وما زال الى الآن حمام بسيط بقربه يحمل هذا الاسم (حمام السبعة رجال) .

هذه في الجملة نبذة تاريخية عن الرباط والفداء ، وهي كما رايتم وان كانت كل بلدة اسلامية لا تخلو منها ، الا ان نظام الرباط بوهران والفداء ببلاد القبائل لم نجد لهم نظيرا في بقية البلاد الاسلامية او لم يمن بها المؤرخون كما اعتنوا برباط وهران ، وفدائي القبائل .



منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

صدر كتاب



التكافل الاجتماعي في الإسلام

لابد لنا قبل أن نستنبط بالأدلة الأصول الدينية التوجيهية والتشريعية التي ينبثق عنها التكافل الاجتماعي في الإسلام من أن نتناول بالبحث النظرية العامة التي قامت عليها الشريعة الإسلامية ، وتفرعت عنها أحكامها العملية المنظمة لجميع شؤون الحياة وما ترمى إليه من هدف عام تتجه جميع تلك الأحكام جزئيا و كليها - نحو تحقيقه ، ومما لا ريب فيه أن النظرية العامة للشريعة وطبيعة ما ترمى إليه من هدف يعكسان لنا الاطار الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي يحدد لنا ذاتية النظام التشريعي الإسلامي العام، وفي ضوء ذلك يمكننا أن نتبين أصول التكافل الاجتماعي في الشريعة الإسلامية بمعناه الواسع ماديا ومعنويا .

د . فتحي البريني

استاذ الحقوق
جامعة الجزائر

النظرية العامة للشريعة تحدد ذاتيتها وهدفها العام : من المقرر الثابت عند جمهور علماء الأصول والفقه أن أحكام الشريعة - فيما خلا التعدييات-انما شرعت لاهداف ومقاصد على وجه التفصيل، الامر الذى ينفي عنها صفة العبث أو التحكمية ، اذ لا يتسق ذلك مع الحكمة الالهية من انزال الشريعة ، او مع واقع مسلك الشارع فى تحليل النصوص كتابيا وسنة .

ويتفرع عن ذلك وجوب اعمال الفكر والنظر ممن اوتوا ملكة الاجتهاد لتبين هذه المصالح - الجزئية والعامة - التى قصد الشارع الى تحقيقها عن طريق تشريع الاحكام . تم تقصى هذه المقاصد فى الحال ، الطارئة العارية عن النصوص ، والتحقق من وجودها بعينها او جنسها فيها لسحب الاحكام المنصوصة عليها تنفيذا لمرادات الشارع فى اوسع مدى .

على أن ذلك غير كاف - فى نظرنا - فى تحديد ذاتية الشريعة ، ونظامها التشريعى العام ، بل لابد مع ذلك - من استخلاص الهدف التشريعى العام وهو المحور الذى تدور حوله أحكام الشريعة كلها ، وتبين طبيعة هذا الهدف الذى يعتبر معيارا علميا لكل حكم ، وتوافق مدى اتساقه أو تناقضه مع ذلك الهدف ، لان الشريعة كل متسق لا تتناقض اجزائه ، ومبدأ التكافل الاجتماعى فى الاسلام فى اصوله التى نهضت به ، لا يفهم الا على ضوء من ذلك كله .

وبديهى أن الشريعة الاسلامية - وهى قانون عام شامل ترسم باحكامها ومقاصدها الاساسية وما يتبعها ملامح المجتمع الاسلامى فى شتى نواحي حياته - بل وتشيد بنيانه على نحو خاص ، له خصائصه ومميزاته الذاتية ، ومن هنا اشار الامام الشاطبى الى أن احكام الشريعة ومقاصدها الهية ، لا لينفى عنها صفة المعقولية ، والا لما كانت غائية ذات اهداف ، بل ليؤكد ذاتية الشريعة ، وانها من وضع

الشارع الحكيم حكما ومقصدا ، وأنه ليس للمجتهد سلطة ابتداع الاحكام ، لانه قضاء على تلك الذاتية ، بتاسيس فقه جديد ، فضلا عن انه افتئات على حق الله فى التشريع ، اذ يقول : «واما تحريم الحلال وتحليل الحرام وما اشبهه فمن حق الله تعالى لانه تشريع مبتدا وإنشاء كلية شرعية الزمها العباد ، فليس لهم فيها تحكم .» فهو مجرد احكام فيما ليس لغير الله نصيب ، فلذلك لم يكن لاحد فيه خيرة ، هذا فى الاحكام .

واما المصالح التى هى غايات الاحكام فقد اشار الى انها من وضع الشارع الحكيم ايضا بقوله : «ان كون المصلحة مصلحة تقصد بالحكم ، والمفسدة كذلك، مما يختص بالشارع ، لا مجال للعقل فيه .» فاذا كان الشارع قد شرع الحكم لمصلحة فهو الواضح لها مصلحة ، والا فكان يمكن عقلا الاتكون كذلك .

الاحكام منشأ الحقوق

ان الذى يعنينا من بيان منشأ الحق فى الشريعة الاسلامية هو اثره فى تحديد مدى استعماله تحقيقا للتكامل الاجتماعى بين الافراد قبل بعضهم وبين الفرد والجماعة .

فمن المعلوم بداهة أن منشأ الحق فى الشريعة، هو الحكم الشرعى ، وهو ما يعبر عنه فى الفقه القانونى «بالقاعدة القانونية» وعلى هذا لا يعتبر الحق حقا فى نظر الشرع الا اذا قرره الشارع ، وتقريره انما يكون بحكم ، والحكم يستفاد من مصادر الشريعة ، فكانت مصادر الشريعة هى مصادر الحقوق .

ويتفرع عن هذا أن «الحق» من وضع الشارع الحكيم فهو اذن منحة منه تعالى ، وهذا ما يؤكد الامام الشاطبى بقوله : «فان ما هو لله أى من الحقوق - فهو لله ، وما كان للمعبد فراجع الى الله ، من جهة حق الله فيه ، ومن جهة كون حق المعبد من حقوق الله اذ كان لله الا يجعل للمعبد حقا أصلا» .

وشرعت من القواعد ما يكفل التنسيق أو التوفيق بينهما ما أمكن ، ويؤكد مبدأ التكافل الاجتماعي في الإسلام ، حتى إذا تعذر ذلك قدمت المصلحة العامة ، وهو اجماع تصرح به الشريعة إذ تعتبر أن ما يصرح به الامام الشاطبي بقوله : «المصلحة العامة مقدمة ج ٢ ص ٢٥٠» صادقا .

وأخيرا ، فإن الحكم إذا كان منشأ للحق (والحكم وسيلة وليس غاية ذاته بالاجماع) فالحق هو ثمرة والحكم مجرد وسيلة من باب أولى ، وهو ما نقلنا نظيره عن الامام الشاطبي فيما سبق .

الهدف المزدوج :

لا عبرة بالوسيلة إذا تقاعدت عن تحصيل مقصدها من الثابت أصوليا أن الوسيلة إنما شرعت طريقا لتحقيق مصلحة معينة مرسومة ، حتى إذا أضحت تلك الوسيلة في ظرف من الظروف غير مفضية إلى ذلك أو غدت تقضي إلى نقيض مقصودها يقينا أو الغالب من الظن ، بطلت مشروعيتها ، لأن الوسائل تسقط بسقوط مقاصدها بالاجماع . يقول الامام العز بن عبد السلام «كل تصرف تقاعد عن تحصيل مقصوده باطل (٢)» .

ويقول صاحب منح الجليل : «والوسيلة لا تشرع عند ظن عدم ترتب المقصود عليها (٣) وهذه من قضايا العقل ، كما أنها من قضايا الدين ، وأصل ذلك قوله تعالى : «وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا» فإذا كان الحبس وسيلة مشروعنة من وسائل الاكراه البدني لحمل المدين الواجد على قضاء دينه في رأى فريق من العلماء ، فإن هذه الوسيلة تصبح غير مشروعنة حالة الاعسار ، لأنها لا تثمر ولا تحصل مقصودها ، وهكذا تسقط الوسيلة بسقوط مقصودها شرعا ، والآية الكريمة إذ توجب انظار

تخلص من هذا إلى أن الشريعة هي أساس الحق ، وليس الحق هو أساس الشريعة - وبيان ذلك أن الحق في نظر الشريعة ليس صفة ذاتية من صفات الانسان ، أو خاصية من خصائصه الفطرية كما يرى أنصار المذهب الفردي في فلسفة القانون ، حتى يكون الاصل في الحق الاطلاق لأنه سابق في وجوده على القانون والجماعة والدولة ، وتقييده ليس الا استثناء لدفع العدوان على حق الغير ، أقول ليس الحق صفة ذاتية سابقة على وجود ، الحق فالشريعة هي التي أنشأت الحق انشاء وجاءت به ، ويقرر الامام الشاطبي هذا المعنى بقوله : «لأن ما هو حق للعبد انما ثبت كونه حقا باثبات الشرع ذلك له ، لا بكونه مستحقا لذلك (١) بحكم الاصل ويتفرع عن هذا أن الحق في الشريعة مقيد بما قيد به الشارع ابتداء ، فالاصل فيه التقييد لا الاطلاق على ما سيأتي بيانه» .

وأيا ، لو كان الحق صفة ذاتية للانسان وإنه خلق مزودا بها ، ولم يكن ثمة من قيد يرد على الحق الفطري ابتداء ، فكان لذلك مطلقا ، لو كان الحق كذلك ، لما كان للمصلحة العامة أي اعتبار ، إذ ليس لها على هذا النظر حقيقة أو وجود مستقل ، وهذا ما تصرح به فلسفة الفرديين ، من أن المصلحة العامة ليست الا حصيلة المصالح الفردية ، لا لتصور التناقض بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة ، ويتفرع عن ذلك أنه لا تناقض إذ التناقض فرع وجود المتناقضين ، والمصلحة العامة ليس لها حقيقة جوهرية ، أو وجود مستقل في نظر هذا المذهب كما قدمنا ، لأنها تتحقق تلقائيا بمجرد مراعاة المصالح الفردية ، وهو ما اثبت الواقع بطلانه ، أما الشريعة الاسلامية فقد اعتبرت أن للمجتمع مصلحة عامة جوهرية ومستقلة عن المصالح الفردية . ومن ثم أمكن تصور وقوع التناقض بينهما ،

(١) الاصل ج ٢ ص ٣١٦ (٢) قواعد الاحكام : ج ٢ ص ١٦١ - ص ١٦٢ (٣) ج ٢ ص ١٠٢ - ص ١٠٣

المعسر تنذب الى التصديق عليه بالدين ، ولا يخفى ما لهذا الاصل من صلة بمبدأ التكافل الاجتماعى فى الاسلام ، وتمتين روابط الاخوة بين افراد المجتمع الاسلامى .

الهدف العام الذى يعتبر محور احكام الشريعة :

سبق أن قررنا أن الشريعة الاسلامية قد اعترفت بالمصلحة العامة لحقيقة جوهرية مستقلة عن المصالح الفردية فى مجموعها ، وترتب على هذا الاصل اماكن وقوع التناقض بين المصلحتين الفردية والعامة ، وهو ما عملت الشريعة على تنسيقه بقواعد محكمة . من مثل قاعدة «يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام» وايضا اجمع الاصوليون والفقهاء على أن المصلحة العامة مقدمة «حين يتعذر التوفيق مع مراعاة المصلحة الخاصة فى التعويض» ولا يخفى أن التضحية بالمصلحة الفردية عند تعارضها مع مصلحة الجماعة انما يعتبر أصلا من اصول التكافل فى الاسلام . اما اذا لم يكن ثمة تعارض فان كلا من المصلحتين يعتبر ، يدلنا على هذا تقسيم الاصوليين الحق الى قسمين رئيسيين : حق الله وحق العبد ، وتفسير الاول بأنه انما اضيف اليه لشمول نفعه وعظيم خطره ، ولا يقصد بالمصلحة العامة الا هذا ، ومن التطبيق العملى على هذا الاصل احكام الاحتكار ، والتسعير الجبرى ، وبيع الحاضر للبائى فى الشريعة الاسلامية ، حيث تجد أن فى تلك الاحكام رعاية للحقين معا . دون افتئات أحدهما على الآخر .

فعلى هاتين المصلحتين دارت احكام الشريعة كلها ، وشرعت لهما الوسيلتين اللتين اشرنا اليهما وتفصيلان الى تحقيقهما وهما حق الله وحق العبد ، فالهدف العام فى الشريعة الاسلامية اذن مزدوج . ويترتب على هذا الاصل أن الشريعة الاسلامية لا تجعل مدار احكامها على مصلحة الجماعة فحسب كما هو الشأن فى بعض النظريات القانونية ، دون النظر الى المصلحة الفردية ، ولا تهدر القيمة الذاتية للانسان

وذلك لانها تستند مبدئيا الى عقيدة دينية ، وهى بالفرد امس والصق بل لولم تراخ حق الفرد ومصالحته أولا وبالذات لفقدت مبرر انزالها كشرعية سماوية . فليس الفرد فى نظر الشريعة آلة اجتماعية مسخرة ، او مجرد عنصر تكوين يعمل لصالح الجماعة دون اعتبار لمصالحته الخاصة . ولا ادل على ذلك من الادلة الواردة فى الكتاب والسنة الناهضة بتقرير حق الملكية الفردية كحقيقة ثابتة معلومة من الدين بالضرورة . وهذا الحق يتفرع عنه حق الارث .

طبيعة الهدف العام فى الشريعة يؤذن بواقعيتهما وخلودها :

ليس من ريب فى أن الشريعة الاسلامية اذ تجعل الهدف العام الذى اتخذه محورا لتشريعها مزدوجا قوامه مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وتشرع لهما حق الفرد وحق الله كوسيلتين انما تقرر ذلك نزولا منها على مكونات الواقع ، فلا نكران أن المجتمع مكون من افراد لكل منهم مصلحة ذاتية ، وكيان مستقل ، باعتباره كائنا حيا حرا مستقلا مسئولا .

كما أن للمجتمع مصلحة جوهرية مستقلة عن مجموع المصالح الفردية ، والافما هذا التناقض الذى كثر وقوعه بعد القرن الثامن عشر ايان انتشار الانتاج الصناعى الكبير نتيجة للتقدم الحضارى ؟

فاهدار أى منهما يعتبر تجاهلا لمكونات الواقع ، والتشريع بما هو قانون الحياة ينبغى الا يتجاهل الظواهر الاجتماعية التى ما وجد الا لينظمها على ضوء من الحق والعدل ، وليس التجاهل لاحدى المصلحتين سبيلا الى العدالة ، بل هو منكرة لها . وبهذا التجاهل يفقد التشريع مقومات وجوده وهو عنصر العدالة .

هذا شئ وشئ آخر هو أن التكافل الاجتماعى انما يتحقق على الوجه الصحيح فى ظل من العدالة الاجتماعية ، لانه ليس الامظها من مظاهرها ولذا انرى

الشخصية الانسانية العاملة المستقلة ، أو رعاية المصلحة الذاتية ليس أمرا مقصودا قصدا أوليا وأصالة وبالتالي لايتصور أن تعمل على تحقيق ذاتية الفرد ، أو يفسح المجال لمواهبه الشخصية وملكاته النفسية لكي تعبر عن نفسها ، ولا أدل على ذلك من اعتبار الفرد مجرد موظف عام لا صاحب سلطة . لذا لانرى في هذه الفلسفة مظهرا كاملا للتكافل الاجتماعي كما يبدو ذلك واضحا في أصول التشريع الاسلامي وفلسفته العامة ، يرشدك الى هذا أن مفهوم الحق في نظر تلك الفلسفة لا يعدو أن يكون مركزا قانونيا أو وظيفة اجتماعية مما يؤذن بأن صاحب الحق ليس الا موظفا عاما يعمل لصالح الجماعة لا لمصلحته الخاصة أولا .

استقر في اصول الفقه الاسلامي أن كل حق فردى مشوب بحق الغير ، وبحق الغير أهم من أن يكون مصلحة الفرد أو الجماعة ، وليس لذى الحق «خبرة» في اسقاط حق الغير بل اعتبره علماء الاصول «حق الله» في كل حق فردى .

هذا ، وليس المقصود بالمحافظة على حق الغير عدم الاعتداء أو تحريم المجاوزة فحسب، لأن هذا مقرر في جميع الشرائع ولأنه فعل محرم بذاته لخروجه عن حدود الحق الموضوعية، بل المراد أن حق الغير محافظ عليه شرعا إبان استعمال الفرد لحقه كسبا وانتفاعا وممارسته إياه ولو ضمن حدوده الموضوعية واهدار حق الغير في هذه الحال يعبر عنه بسوء استعمال الحق، أو التعسف في استعماله، وهو أمر لم تهتد اليه التشريعات الوضعية الا في هذا القرن العشرين وعلى نحو ضيق ومبهم في حين أن الشريعة قد جاءت به منذ أربعة عشر قرنا نظرية عامة مدعمة الاصول من الكتاب والسنة وفقه الصحابة ومن بعدهم محددة المعايير منبسطة الظل على جميع أنواع الحقوق ،

أن ثمة تكافلا اجتماعيا حقا فيما ينكر حق الفرد أو حقا للجماعة باطلاق من النظم التشريعية .

وإذا كان هدف الشريعة العام انعكاسا لمكونات واقع المجتمع الانساني حيثما وجد ، أدركنا ما تنطوي عليه الشريعة من عناصر الحياة والبقاء لواقعيتها وتحريها معايير العدالة .

مظهر التكافل الاجتماعي في الحقوق الفردية في الشريعة الإسلامية :

لانرى أصلا للتكافل الاجتماعي نهض به الفلسفة الفردية للقانون ، تلك الفلسفة التي تذهب الى اطلاق الحقوق والحريات العامة ، ولا تقيدوها الا استثناء بضرورة المحافظة على النظام العام والآداب ومقتضى ذلك أن للفرد أن يتصرف في حقوقه وحرياته العامة وفق رغبته ومشيبته، دون اعتبار لمصلحة غيره من الفرد أو الجماعة ، ولا تتجه عليه المسألة القانونية الا في حالة مجاوزته حدود حقه الموضوعية أو الاعتداء على حق غيره .

وعلى هذا لايرد أى قيد يلقي واجب التكافل الاجتماعي على عاتق الفرد إبان ممارسته لحقه أو لاية حرية من حريته العامة . كما لاتسعف مبادئ تلك الفلسفة الفردية على اعطاء تفسير لأصل تدخل الدول في شئون الافراد فضلا عن تحديد مداه ما دامت المصلحة الفردية هي محور التشريع وغايته المقدسة .

أما الفلسفة الفقهية للقانون التي اتجهت عكسيا بحيث اوضحت على النقيض من الفردية أساسا وهدفا، ونعنى بها تلك الفلسفة التي تجعل الجماعة وحدها محور التشريع وغايته ، فإن كفالة مصلحة الجماعة هي المقصد العام الوحيد من التشريع في نظرها، حتى اتسعت مبادئها بالتالى لتفسير تدخل الدولة بل اعتبرته الاصل ، أما المصلحة الفردية فترى أنها مكفولة ضمنا أو تبعا ، لكن بقى أن يتجه على هذا النظر أن اعتبار

وتعتبر دستورا كاملا بحكم استعمال الحقوق على نحو يحقق التكافل الاجتماعى بأجل صورته ، فى الفرد قبل نفسه أولا لانه مسئول عن صون حياته وعن اضلال نفسه وتضييع ماله مثلا ، أو بين الفرد والفرد ، أو بين الفرد والجماعة أو الفرد والدولة وبذلك تضىف الشريعة على الحق الطابع الاجتماعى ، وتنفى عنه الصبغة الفردية أو الانانية .

يقول الامام الشاطبى : « وايضا ، ففى العادات حق الله تعالى من جهة وجه الكسب ووجه الانتفاع ، لان حق الغير محافظ عليه شرعا ايضا ، ولا خيرة فيه للعبد ، فهو حق الله تعالى صرفا لا فى حق الغير ، حتى يسقط حقه باختياره فى بعض الجزئيات ، لا فى الامر الكلى ونفس المكلف ايضا داخلة فى هذا الحق ، اذ ليس له تسليط على نفسه ولا على عضو من أعضائه بالاتلاف (١) » .

فالعادات - من الحقوق والحريات العامة - ليست خالصة لاربابها ، حتى حق الحياة نفسه ليس خالصا للانسان فى نظر الشرع ، فليس له ان يقضى على حياته انتحارا ، أو التسليط على نفسه أو أى عضو من أعضائه بالاتلاف ، لان الله تعالى حقا خالصا ايضا فى حياة الانسان ، وهو العبودية له تعالى والنهوض بالالتزامات الايجابية والسلبية التى يقضى بها مبدأ الاتلاف فى الارض تمعدا ونشرا للقيم الانسانية الخالدة فى ظل من عبودية الله نفيا للظلم والاستبداد وتصرف الانسان فى حق حياته على وجه لا يحقق ذلك محرم ، لان فيه اهدارا لحق الله وحق الجماعة ، وهذا لاريب من أقوى وجود التكافل الاجتماعى فى الاسلام اذ يجعل للجماعة حقا فى حياة فرد ، فليست حريته اذن مطلقة فى التصرف حتى فى حق نفسه أو أى عضو من أعضائه جسمه .

(١) الموافقات : ج ٢ ص ٢٢٢ (٢) الفروق : ج ٢ ص ١٤١

كذلك لا يجوز للفرد افساد مال نفسه ، لان المال انما خلق عونا للفرد فى دنياه وآخرته ، وافساد المال فى غير المصلحة التى شرع من أجلها محض عبث والعبث حرام بناء على القول بالمصالح فى المال حق الله تعالى وهو حق .

يقول الامام القرافي « فحجر الرب تعالى برحمته على عبده فى تضييع ماله الذى هو عونه على امر دنياه وآخرته ، ولو رضى العبد باسقاط حقه فى ذلك لم يؤثر رضاه ، وكذلك حجر الرب تعالى على العبد فى لقاء ماله فى البحر وتضييعه ، من غير مصلحة ، ولورضى العبد بذلك لم يعتبر رضاه (٢) » .

ففى المثال الاول صورة للتصرف فى حرية عامة ، وفى الثانى صورة للتصرف فى حق الملكية ، وكلاهما مقيد بما يحقق التكافل الاجتماعى ، لان للمجتمع حقا خالصا فيهما .

فمبدأ المحافظة على حق الغير من الفرد أو الجماعة اذن قوام الحقوق الفردية والحريات العامة ، وهى فى مال الامر قوام التكافل الاجتماعى فى الاسلام .

وليست المحافظة على حق الغير مقصورة على الناحية السلبية من التصرف فى حدود الموضوعية للحق الفردى ، وهى عدم التسبب فى الاضرار اiban ممارسة الفرد لحقه ، بل تشمل الى ذلك الناحية الايجابية التى تفرض على المالك ان يخلى سبيل غيره للانتفاع بما يملك اذا لم يعد على الاول ضرر ومن باب اولى اذا كان يعود عليه نفع ، وهذا يؤكد الاصل العام الذى جاءت به الآية الكريمة « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » وهوى يقضى بان كل فرد - حاكما أم محكوما - ملزم ايجابيا بالعمل على تحقيق مبدأ التعاون أو التكافل ، كما هو ملزم

الأصول الدينية التوجيهية الى العمل بمقتضيات هذا المبدأ^١.

الأصول الدينية التوجيهية التي تنهض بناء التكافل الاجتماعي ماديا ومعنويا :

تفرض الشريعة واجبات دينية وخلقية شتى، سموها بالذات الانسانية ، واستكمالا لفضائلها النفسية لأن ذلك من المهمة الاولى للمشرية ، وليس من جزاء على الاخلال بهذا الواجب الا نفور الرأى العام ، والادانة الاخروية ، وهى أعظم سلطانا ورهبة من الجزاء الدنيوى^٢.

على ان القاعدة الدينية او الخلقية قد ترقى الى قاعدة شرعية تواجه اثر الاخلال بها اذا ترتب عليه ضرر للناس ، وذلك لترتيب جزاء دنيوى^٣.

ولقد كان محرما ديانة التصرف فى حق الملكية تصرفا يضر بالجار ضرا بينا او قاحشا عند الامام أبى حنيفة ، ولا يمنع من التصرف قضاء ، لان الناس مسلطون على اموالهم ، ولكن افترى المتأخرون بتحويل هذه القاعدة الديانية الى قاعدة شرعية تطبق فى القضاء ، حتى افترى المتأخرون من الحنفية بمنع المالك من التصرف فى ملكه على هذا الوجه لضعف الوازع الدينى ، وعدوا ذلك من باب الاستحسان لضرورة المصلحة (٢)^٤.

وكذلك «الاحتكار» فجميع ماورد بشأنه فى السنة احكام ديانية ترتب الجزاء الاخرى فحسب حتى جاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاصدر منشورا بشأن الاحتكار^٥ كما ورد فى موطا الامام مالك وغير ذلك كثير

مزج القواعد الدينية بالقواعد التشريعية

فى الفقه الاسلامى :

على أن هذه القيم الانسانية والمثل العليا ، امتزجت

حسبها بالامتناع عن كل ما يخل بمقتضيات هذا المبدأ^٦ وهو أصل يقيد بمقتضاء جميع الحقوق فى الشريعة، حتى لا يوجد فيها حق جزئى يتنافى مع هذا الاصل الكلى ولقد طبق الاصوليون والفقهاء هذا المبدأ فى كثير من جزئيات المسائل الفقهية وسنورد طرفا منها فى شرحنا لمبدأ تقييد الحق الفردى رعاية لمصلحة اخرى خاصة وتقييده بالنسبة للمصلحة العامة تحقيقا لمبدأ التكافل الاجتماعى (١)^٧.

الطبيعة المزدوجة للحق الفردى :

نخلص من هذا الى أن الحق الفردى فى الشريعة الاسلامية ذو طبيعة مزدوجة فردية وتتبدى فيما لدى الحق من مصلحة ذاتية واجتماعية ، وهى المصلحة المحافظ عليها شرعا فى كل حق فردى كما قدمنا ، وفى تقديم المصلحة العامة اذا تعذر التوفيق بينها وبين المصلحة الفردية^٨.

والواقع أن هذه الطبيعة المزدوجة للحق فى الفقه الاسلامى تعتبر انعكاسا لطبيعة الانسان نفسه بما هو كائن اجتماعى ، لايسعه العيش على نحو فردى منعزل بل لايمكنه أن يحيا الا فى وسط اجتماعى ولكن ذلك لايعنى أن ليس له مصلحة ذاتية خاصة^٩.

طبيعة الحق الفردى تتسق مع الهدف العام للتشريع :

الطبيعة المزدوجة للحق الفردى التى يقتضيتها مبدأ التكافل الاجتماعى فى الاسلام تعتبر انعكاسا للهدف العام للنظام التشريعى الاسلامى ، وهو رعاية المصلحتين الفردية والاجتماعية معا ، وهذا مما يؤكد المعنى الاجتماعى للحق فى الشريعة الاسلامية^{١٠}.

وقبل أن نتناول تفصيل الأصول التشريعية التى تنهض بمبدأ التكافل الاجتماعى وما ترفع عنها فى الاجتهاد التشريعى ، نود أن نلقى نظرة عامة على

(١) راجع المواقفات : للامام الشاطبى - ج - ص (٢) تبين الحقائق - للزيلعى : ج ٤ / ص ١٩٦

فى الفقة الاسلامى بقواعد التشريع المصحوبة بالجزاء من البر والاحسان والرحمة والاخوة والايثار تستمد معاييرها وتدعيمها من ينبوع واحد هو الايمان بالله تبارك وتعالى ، كما تهدف الى غاية مشتركة ، هى اقامة الدنيا بحيث تكون سبيلا الى الآخرة تحقيقا لصالح الفرد والجماعة ، بل والانسانية بعامه ، اى لبناء مجتمع انسانى فاضل على اساس من التعاون والتكافل المادى والمعنوى فى دائرة البر ، والتسابق فى الخير ، والتواصى بالرحمة ، والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح والسعى - افرادا وجماعات - لابتغاء مرضاة الله ، وهو الهدف المشترك للفرد والجماعة فى الشريعة .

فالشريعة الاسلامية لاتفصل المعنى الدينى عن كل تصرف ، عبادة كان ام معاملة لسبب بسيط ، هو أن الاوامر والنواهى ، وهى مناشىء الحقوق والواجبات كما علمنا ، شاملة للقواعد الخلقية الميثوقة فى الشريعة واذا كانت الشريعة انما أنزلت للامتنال ابتغاء مرضاة الله ، فالقواعد الخلقية والفقهية كلاهما فى نظر الشرع بمنزلة سواء من حيث وجوب الامتنال ، ومن هنا تسهم القواعد الدينية والخلقية فى خلق التكافل الاجتماعى تحت تأثير الوجدان أو العقيدة الدينية وذلك لما ينأى بالحق عن معنى السلطة المطلقة أو الانانية الفردية ، ذلك المعنى الذى عانت منه التشريعات الوضعية ردحا من الزمن وعجزت عن مواجهة أزمة التضارب بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة ، مما ترتب عليه مظالم اجتماعية فادحة ، فهذا المعنى لوجود له - كما رأينا - فى الشريعة الاسلامية .

هذه السمة البارزة التى تتسم بها الشريعة الاسلامية تتفق مع طبيعة التشريع من حيث هو قانون تقويى لاتقوى :

مزج القواعد الخلقية بالقواعد التشريعية خصيصة

اتسمت بها الشريعة الاسلامية على نحو لم يعرف فى اى نظام تشريعى ، ومن المقرر أن أصل القاعدة التشريعية (القانونية) قاعدة خلقية ، وأن غنى القانون انما يقاس بخصوبة ما يرتكز عليه من قواعد خلقية اذا ثبت هذا - وهو ثابت لامرية فيه ، ان الشريعة الاسلامية تعتبر من اخصب النظم التشريعية فى العالم .

منافاة منهج بعض النظم التشريعية لطبيعة التشريع نفسه :

على أن بعض الفلسفات القانونية من مثل فلسفة العميد «ديجى» فى مذهبه التضامن الاجتماعى لاتجعل للمثل العليا والمبادئ الخلقية من الايثار والرحمة والعفومكانا فى التشريع ذهايا منها الى أن المنهج الذى يجب أن يخضع له القانون مبادئ محسوس هو المشاهدة والتجربة وصدا للظواهر الاجتماعية باعتبار ان القانون ليس الاظاهرة اجتماعية ، وعلى هذا لامكان للامور المثالية ولاسيما تلك التى تتعلق بما وراء الطبيعة لانها أمور لاتتعلق بالواقع المحسوس المشاهد ، والقانون وظيفته تقرير ذلك .

ولكن يرد على هذا النظر أن المنهج العلمى فى البحث يجب أن يكون مشتقا من طبيعة المادة المدروسة والشريعة أو القانون يختلفان طبيعة وهدفا عن العلوم التقريرية التى تخضع لوسيلة المشاهدة والتجربة كالعلوم الفيزيائية والكيميائية التى تقر حقائقها العلمية التجريبية فى المعامل المخبرية ، فهى علوم تقريرية .

اما الشريعة فتعنى أولا وقبل كل شىء بتقويم الواقع لابتقيره ، ومن ثم كانت متعلقة بالارادة فتقومها لتتجه الى الغاية المرسومة من التشريع ، فيجب أن تحكم بقانون الغاية ، ومن ثم تدخل المثل العليا والمبادئ الخلقية فى الشريعة لما لها من اثر تقويم الارادة وتوجيهها وحينئذ يكون اتخاذ قانون الغاية

الجريمة عدل يرتاح له ضمير الفرد ، وتطمئن اليه نفسه ، ويعسر عليها أن تتقبل احتمال الأذى والظلم ، ذلك لأن النفس لا يرضيها إلا المماثلة في الجزاء غالباً. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن شرعية القصاص زاجرة للنفس التي لا يردعها عن الظلم والفساد إلا أحكام رادعة ، فلا بد إذن من تشريع القصاص عدلاً وردعاً ، وفي هذا تساوٍ الشريعة منطق الواقعية من ناحيتين من ناحية من له الحق وناحية من عليه الحق .

غير أن الشريعة في الوقت نفسه قد فتحت السبيل للتخفيف من حدة المماثلة ، وشدة وطأة المعادلة الدقيقة في الاقتضاء ، تسامياً إلى المثالية وحثت النفوس على ذلك ، وراعت تفاوت همسها ، فجعلت لولى الدم العفو إلى بدل مالي وهو الدية ، أو العفو المطلق ، وعلى من عفا إلى بدل أن يتبع القاتل بالمعروف ، ولا يطالبه بعد العفو إلا بالمال المصالح عليه ، وعلى القاتل أن يؤدي بدل الصلح بإحسان أي بلا مظل ولا بخس ، يؤكد مبدأ العفو هذا نصوص كثيرة من مثل قوله تعالى : «وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين» ، «وإن تعفوا هو أقرب للتقوى» .

ولاشك أن في ندب الشريعة إلى إسقاط الحق ، كما في التصديق بالدين على المدين المعسر ، وكما في العفو المطلق عن القاتل ، تمتيناً لروابط التكافل الاجتماعي ، ولا يخفى ماقى التعبير بقوله تعالى : «من أخيه» من التعطف الداعي إلى العفو والإشارة إلى أن عاطفة الأخوة في الدين أقوى من عاطفة الانتقام ، فالقتل لا ينبغي أن يذهب بأخوة الإيمان ، وهذا أكبر مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعي بين الأفراد كما يؤكد ما قررناه سابقاً من أن المبدأ الذي حثت عليه الشريعة في استعمال الحق ، هو تجاوز العدل إلى الإحسان

أساساً لبحث الشريعة متفقاً أو مشتقاً من طبيعة المادة المدروسة وهو أحدث ما وصل إليه منطق دراسة العلوم من مناهج ، والشريعة علم تقويى لا تقريرى .

الأصل الدينى الذى تؤصله الحكمة القرآنية فى بناء التكافل الاجتماعى فيما يتعلق بالحق قضاء واقتضاء

بيننا أن المعنى الدينى والخلقى لا ينفصل عن المعاملات فى الفقه الإسلامى ، بل أن من الأصوليين من يجعل العفو عن المظالم وإسقاط الحقوق من قواعد الشريعة ، ويعتبر تحريم العفو والأخذ بالجزاء دائماً أبعد عن القواعد ، يقول الإمام العز بن عبد السلام : وقال بعض العلماء ينبغى ألا يعفى عن الظالم كيلا يجترأ على المظالم ، وهو بعيد من القواعد ، لأن الغالب ممن يعفى عنه أنه يستحى ويرتدع عن النظم ولا سيما عن ظلم المعافى ، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه لا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح مع أن الجراة عليه أقبح من كل جراة ، ولأن العفو لا يؤدي إلى الجراة غالباً . . . وقد مدح الله العافين عن الناس ، وهو يحب العفو بقوله «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» وقال فى القصاص «فمن تصدق به فهو كفارة له» (١) .

وواضح أن العفو - فى الأصل - شيمة خلقية ، وفضيلة نفسية ، وهى عند علماء المسلمين أصل من أصول الشريعة يتصل بقواعدها ، ولعل هذا العفو يتصل بالرحمة ، ورحمة قد أنزلت الشريعة كلها من أجلها «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» ، «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» .

واقعية المثالية ومثالية الواقعية فى الفقه الإسلامى :

أن الشريعة الإسلامية إذ شرعت القصاص أقرت بواقع فطرة النفس الإنسانية ، فالجزاء الوفاق على

(١) القواعد : ج ٢/ ص ١٦١ - ١٦٢

والفضل، ممثلاً بقوله تعالى : «ولاتنسوا الفضل بينكم» وقوله تعالى : «ان الله يامر بالعدل والاحسان» وقوله تعالى : «ولن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور»^{*} الاخوة الدينية اصل في الشريعة اعتبره القرآن والسنة مؤيدا لمبدأ التكافل الاجتماعي :

لايكفى - لاعتبار المجتمع قائما في نظر الاسلام ، وجود افراد متكاثرين يعيشون في مكان ما ، اذ ليست مقومات المجتمع الاسلامي مجرد عناصر مادية بل هي خصائص معنوية ، وعلى رأسها هذه «العقيدة» التي هي ينبوع الخير ، ومنشأ الخصائص الانسانية للبشر كافة^{*}

والعقيدة هي رباط روحي ، توحد شعور الافراد بقيم انسانية خالدة ، وتجمعهم على هدف مشترك ، ومن هنا كانت الاخوة الدينية حقيقة نفسية واقعية في يقين المسلم قد قررها القرآن الكريم على نحو ما يقرر الحقائق الواقعية التي لا تقبل ما يتناقضها من الوان الصلوات الاخرى ايا كان نوعها ، قال تعالى «انما المؤمنون اخوة» بل قد رتب الله سبحانه الوعيد على ايثار اية صلة اخرى ولو كانت صلة الدم والنسب : قال تعالى ، «لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم ، اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه ، اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون»^{*}

واذا كان الايمان بالله تعالى هو سبيل التحرر من عوامل الخوف واسباب الاضطراب فهو السبيل ايضا الى بث روح الاستبشار والتفاؤل في الفرد قال تعالى «يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين ، الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما

اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا ، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم»^{*}

وقال تعالى : «الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»^{*}

هذا الايمان هو الذي يخلق الشعور بالاخوة الدينية وهي اكبر ضمان نفسي لتحقيق التكافل الاجتماعي لان المسلم الحق ينزل على مقتضياتها في التعامل مع اخيه في جميع مجالات الحياة ، وقد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بان هذه الاخوة هي مصدر التكافل الاجتماعي في الاسلام ماديا ومعنويا بقوله : «المسلم اخو المسلم ، لا يظلمه ولا يسلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى ههنا - ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرىء من الشر ان يحقر اخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه»^{*}

فالشريعة تؤكد ان التكافل لا يتحقق الا عن طريق عوامل نفسية ، وأنه لا يكون في الاصل مفروضا من خارج^{*}

والاخوة في المبدأ شعور نفسي واقعي يستلزم ، المحبة ، وهي اصل العلاقات الطيبة في المجتمع الانساني ، وقد اعتنى الاسلام بهذه القيمة الانسانية الخالدة ايماء عناية ، اذ ربطها بالايمان ، بل جعلها دليلا على كماله ، قال صلى الله عليه وسلم «لا يؤمن احدكم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه»^{*}

هذا ، والاسلام اذ يجعل من الخصائص الاصلية للمجتمع الاسلامي ، ولاء افرادهم بعضهم لبعض والولاية تنطوي على كل معاني التناصر والتساند ، فانما يشير الى هذه الثمرة التي تترتب على الاصل الديني الاول وهو الاخوة ، فالنزول على مقتضياتها

قوله الكريم : «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» *

فانت - كما ترى - تلك الدعامة بوجهيها الايجابي والسلبي من اكبر الدعائم التي شيد الاسلام عليها صرح التكافل الاجتماعي *

صحيح أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ينشأ عنه مؤيد معنوي هو هذا الرأي العام الذي يبسط سلطانه المعنوي على الافراد ويلزمهم ادبيا بالتكافل ، غير أن الاصوليين لم يقصروا حكمها على ذلك بل عملوا بمقتضاها حين يتخذ التصرف ذريعة الى اهدار واجب أو تحليل محرم ، فلم يجيزوا ذلك التصرف المشروع في ظاهره ، وعللوا بطلانه بان في تصحيحه تعاوننا على الاثم والعدوان ، وذلك غير جائز باطلاق ، وقد اشار الرسول الكريم الى أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقتصر على معنى النصيح والارشاد بل يتعدى ذلك الى التنفيذ العملي بابقاء المعروف وازالة المنكر عملا حيث يقول : «من رأى منكم منكرا فليغيره» *

ثم وضع الفقهاء نظام الحسبة في الاسلام كمؤيد مادي للتكافل الاجتماعي ، والحيلولة دون الافتئات عليه أو الاحتيال على عدم تنفيذه ، فأوجب هذا النظام تنفيذ هذه القاعدة على كل المرافق الحيوية في الدولة صيانة للمجتمع من الظلم والفساد *

هذا ، والتكافل اذ ينبثق من الخصائص الانسانية التي اصلها القرآن والسنة يصبح أداة فعالة في حفظ كيان المجتمع الاسلامي ، وذلك بحفظه من التدهور والخذلان أمام عدو متربص مهاجم ، وذلك بالحفاظ على هذه الخصائص الانسانية وتنميتها ، وذلك لايتأتى الا بالحيلولة دون تسرب ولاية الاجنبي على بلادنا ، لأن ما لا يتحقق به الواجب فهو واجب *

يستلزم التكافل ، ولاسيما وقت الشدة والازمات *
«والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض»

ويصور الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الشعور بالحقائق النفسية التي قررها الاسلام ثمرة للايمان من الاخوة والمحبة والولاية بقوله عليه السلام «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى» *

وهو تعبير عن عمق الشعور الديني وصدقه ووحدة وعن هذا التجارب النفسى بين افراد المجتمع الاسلامي وقت الازمات والشدة ، فالتعاطف والتراحم والتواد كل أولئك قيم انسانية خالصة تعتبر منطلقات أساسية للتكافل الاجتماعي في الاسلام ، وهذه القيم النفسية هي التي تجعل من المجتمع وحدة منسجمة شعورا ومقصدا على النحو الذي عبر عنه الرسول صلى الله عليه وسلم : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» *

والواقع أن المجتمع الاسلامي الذي تسوده هذه العلائق التي قوامها قيم انسانية هو مجتمع انساني ، على أن مقومات المجتمع الاسلامي لاتقف عند هذا الحد من المعانى دون أن يكون من جانب افراده عمل ايجابي يحقق مقتضاها ، بل على العكس من ذلك تظهر ايجابيته أولا في تحقيق هذا التكافل عن طريق تكوين رأى عام فاضل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر * وهو نتيجة حتمية للولاية *

فالتكافل الاجتماعي في الاسلام قد تايد اذن بعامل معنوي هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر *

وايضا صار من الاسلام تلك القاعدة الدينية المقامة التي تعتبر ملاك الشريعة كلها ، وهي التي يقررها

منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

صدر أخيرا:

ديوان الكفاح التحريري الجزائري





على هامش مؤتمراتنا الأدبية :

الأديب العربي والشعب

لو اردنا ان نقيم موقف الاديب العربي من
مجتمعه ، واظن ان هذا التقييم من اهم واجباتنا
اليوم بعد نصف قرن من يقظة العالم العربي
الحديثة ، ولو اردنا ان نجمل هذا التقييم في
خطوط رئيسية ، لوجدناه على ما اعتقد يتمثل في
المراحل التالية :

د. عبدالله شريط

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

المرحلة النضالية :

كان في العصر الذي نسميه جاهليا ادبيا شعبيا حقا ، وفي صدر الاسلام كان ادبيا مناظلا ، وفي العصر الاموي كان ادبيا سياسيا ، وبعد ذلك دخل في حياة ارستقراطية فارسية انعزل فيها عن الشعب . وفي عصور الانحطاط الطويلة فقد وجوده تماما ثم في عصر الاستعمار لم ينقصل عن الشعب فحسب بل انفصل عن امته باكملها ، والتحق بالحضارات الحديثة مخلقا وراءه شعبه وتراث شعبه في وادي الهمال والنسيان ، لان الثقافة الحديثة وجدها امامه جاهزة يستطيع استغلالها بسهولة اما تراث شعبه فيتطلب خلقا من جديد .

هذا بصورة اجمالية ، فالمجتمع العربي في الجاهلية كان مجتمعا طبقيًا من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ولكنه كان مجتمعا ديمقراطيا شعبيا متجانسا متلائما لا تناقض فيه من الناحية الادبية او الفكرية ولعلنا نجد سبب ذلك واضحا في اشارة عند بن خلدون يتحدث فيها عن موضوع اخر ، وهو ان اللغة كانت فطرية وتبعية بالنسبة لكل الطبقات فلم يكن الغنى قادرا على تعلمها والفقير عاجزا عن ذلك كما اصبح الامر فيما بعد ، بل كانت اللغة رابطا طبيعيا بين كل الطبقات مهما تفاوتت اقتصاديا او اجتماعيا ، ولم تكن هناك لغة للمخاضة واخرى للعامة ، فالثروة اللغوية واحدة بالنسبة للجميع ، والادارة التي تحمل هذه اللغة وتنقل بها من طبقة الى اخرى كانت اداة واحدة ومن الشعر الى جانب الحكم والامثال والخطب والاقاصيص الاسطورية واذا قيل عن الشعر انه ديوان العرب فانه كذلك حقا بالنسبة لجميع العرب لابلانسية للمتعلمين منهم او الاغنياء دون الاميين او الفقراء ، ان المنزلة الثقافية لم

تكن تتفاوت بتفاوت المستوى الاجتماعي بأي شكل من الاشكال ، ولا يستطيع احد ان يقول لنا ان الشعر الجاهلي كان يصور الحياة الارستقراطية في قريش دون سواها ، لا بل نحن نجد الاصداء والصور التي يحملها شعر الشنفرى الصعلوك هي نفس الصور والاصداء التي يحملها امرؤ القيس الامير ، وهي ايضا نفس الاهتمامات والمثل الاخلاقية .

في العهد الاسلامي اكتسب الاديب العربي روحا نضالية واخلاقية جديدة ومثلا عقائدية عن الدين دخل بها الى معترك سياسي في العهد الاموي . وبقي الاديب العربي على احترامه لانتاجه الادبي معتبرا اياه ذلك المحرك العاطفي والسياسي يستخدمه في نصرة مذهب او اتجاه ، وان كان البعض من فحولهم قد مال الى الدعة والافراط في التغزل الا ان البعض الآخر ، وخاصة الخوارج ، اصبح عندهم الشعر سلاحا من لخطر ما يخشاه خصومهم لما فيه من الشعلة النضالية ، والطهر الديني والسمو الخلقي الى جانب الصور الحية الرائعة والتعابير الفخمة ، كما ظل الى جانبهم شعراء الشيعة يدوتون مآسيهم وينديون حظهم في شعر كله الم وبكاء ، ولئن خلا من الروح النضالية . الا ان كلا من اولئك وهؤلاء ظل شعرهم ، كما كان الشعر الجاهلي بالنسبة للقبيلة ، شعرا يسمو به صاحبه عن احلامه الشخصية وفرديته الضيقة وقضاء حوائجه التافهة .

هذه الفترة من حياة الاديب العربي وتاريخه والتي استغرقت العصر الجاهلي وصدر الاسلام والعصر الاموي يمكن ان ندعوها كلها بالمرحلة النضالية في الشعر العربي ، هي المرحلة التي كان فيها الشاعر ، وهو الصورة المفردة للمثقف العربي

لا يعيش ادبيه من اجل نفسه بل من اجل قبيلته او المثل الاعلى لقومه او الدعوة الروحية لامته ، او الالتزام الفكرى لمذهب يدين به دون آخر ، ويلقى فى سبيل كل ذلك من المتاعب والعنت والتشرد اكثر مما يلقى فيه من المجد وعلو المكانة والمنفعة المادية .

مرحلة الانحراف :

تبدأ هذه المرحلة بالعصر العباسى الذى دخل فيه الاديب العربى فى امتحان قاس خسره الى اليوم . وذلك كما يقول ابن خلدون « لما غلب العرب على الفرس والترك فخالطوهم وتداولت بينهم لغاتهم فى الاكره والفلاحين والسبى الذين اخذوهم خولا ودايات واضاروا ومراضع . وكذا اهل الاندلس مع عجم الجلالة والانفرجة » واصبح العربى يدخل هذا المجتمع الخليط فيجد اهله كما قال اعرابى : « يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح » . اما حياة هذا المجتمع فقد دخلتها الطبقة لأول مرة . يقول عنها الجاحظ « ضراب اللين والطين والمراس ، وكذلك ما صفر من التجارات والصناعات ، الاترون ان الاموال كثيرا ما تكون عند الكتاب وعند اصحاب الجواهر والوشى والانماط والصاغة » . اما الحكام فى هذا المجتمع فقد بلغوا ذروة انفصالهم عن الشعب فى حياتهم وليس فقط فى اساليب حكمهم ، ذلك الاسلوب الذى بداه الحجاج قبل ذلك وقال عنه اعرابى ساله عنه عمر : « لقد تركته يا امير المؤمنين يظلم وحده » يقصد : يحكم وحده دون استشارة غيره .

الكتاب اذن فى هذا الانفصال اختاروا الانضمام لا الى السقاء والطيان وضراب اللين والمراس والتاجر الصغير والفلاح الصغير ، بل

اختاروا ان يكونوا فى طبقة الحكام واصحاب الجواهر والوشى والصاغة والنحاسين . حتى ان الجاحظ يوازن بينهم وبين اصحاب الحرف واهل الأسواق فى التناقص والتناحر فيجد ان الكتاب لم يكونوا جديرين بمهنتهم فهم « يتنافسون كالكلاب يمر بها اصناف الناس فلا يتحركون ، وان مر بهم كلب متاع نهضوا اليه باجمعهم حتى يقتتلوا فى حين انك لو نظرت الى القصابين فى سوقهم لوجدت احدهم ان اعلن حاجته الى المال سارع الآخرون لعونه وجعلوا ربح يوم من كسبهم . فاين هؤلاء من اولئك ؟ » (انظر الجاحظ والحضارة العباسية للدكتورة وديعة طه النجم) . وبعد حكم الجاحظ هذا على الاديب العباسى يحكم عليه ابن خلدون بحكم لا يقل قساوة عندما يقول : « ثم جاء خلف لم يكن اللسان وانما تعلموه صناعة ، فمدحوا باشعارهم امرأ العجم الذين ليس اللسان لهم طالبين معروفهم فقط لا سوى ذلك عن الاغراض كما فعله حبيب والبحترى والمتنبى وابن هانئ ومن بعدهم ، فصار غرض الشعر فى الغالب انما هو الكذب والاستجداء لذهاب المنافع التى كانت فيه للاولين » .

ابن خلدون هنا يربط بين هذه الارستقراطية وبين العجمة فى ان كليهما دخيلة على الحياة العربية ، فاصبحت الثقافة ذات قيمة تجارية ولم تعد لها القيمة الاخلاقية والنضالية التى كانت لها فى العصرين الجاهلى والاسلامى الاول .

مرحلة التحجر والاستعمار :

فى عصر التحجر او ما يسمى بعصر الانحطاط لا حاجة بنا الى الاضافة فيه اكثر من اختصاره فى كلمة واحدة وهى ان الاديب او الكاتب او الشاعر اصبح اميا ليس له حتى

تكوين رجال متكاملين متجاوبين مع مثلهم الأعلى
فى الحرية والنازع الانسانية .

ويمكننا القول أيضا أن هذه المآثر النضالية
فى المثقف العربى بالجزائر قد ظلت ارثا استطاع
ليل الاستعمار الطويل أن يخفيه ويخنقه ويشله
زمتنا طويلا ولكنه لم يستطع أن يقضى عليه تماما .
فلم تكد النهضة السياسية تسترجع كلمتها بعد
الحرب العالمية الاولى حتى وجدت المثقف الجزائرى
الى جانبها يواكبها فى المسيرة يدفعها أحيانا
وتدفعه أحيانا أخرى ، وتحول وعيه السياسى فى
هذه المرحلة الجديدة الى شىء من الوعى القومى
أيضا .

نعم ان التكوين العلمى لهذه النخبة ظل الى
هذا العهد تكوينا دينيا تقليديا فى مصر او تونس
او المغرب ، وهم بالاضافة الى ذلك قليلو العدد جدا
كما ظل المثقفون عندنا - واعنى بهم دائما المثقفين
بالعربية - مفصولين عن الثقافة الحديثة . وعندما
استأنفوا المعركة القومية الى جانب النضال
السياسى لم يستخدموا الأدب فى صورته الحديثة
سلاحا فى هذه المعركة ، بل استخدموا التوعية
الدينية السلفية التى كانت تجد صدى بعيدا فى
الأوساط الشعبية كما يعتمدون أيضا الى حد ما
على الشعر الذى كان تأثيره أقل فعالية لانتشار
الامية فى الريف والمدينة معا ، والذى كان ثمرة
من ثمار سياسة التجهيل المنظم الذى حققه الغزو
الفرنسى طيلة قرن من الزمن والذى يعد المسؤول
الاول عما بلغته اللغة والثقافة بصورة عامة من
تدهور يكاد يتخذ فى الجزائر طابعا من القساوة
والحدة لا يوجد فى غيرها من انحاء الوطن
العربى . يضاف الى التجهيل الثقافى واللغوى

البضاعة الثقافية التى كانت لزميله فى العصر
الذى اصطلح على تسميته بالعصر العباسى . كل
ما بقى له من الثقافة فى مغربنا العربى على
الخصوص هو قواعد اللغة لا اللغة نفسها كما
يقول بن خلدون . يعرف النحو ولكنه لا يعرف ماذا
يصنع بالنحو . حتى يشبهه ابن خلدون بمن يعلمك
قواعد النجارة والخيطة ولكنه لا يعرف شيئا
من الخياطة والنجارة نفسها . ولكن الفترة التى
يحسن أن نتوسع فيها بعض الشئ هى فترة
الاستعمار التى شاهدنا فيها الأديب مثل غيره من
المواطنين يتململ ويحاول الخروج من منطقة
الاختناق . فنجد المثقفين عندنا فى الجزائر - فيما
يرى الاستاذ مصطفى الاشرف - منذ أوائل الغزو
الفرنسى يشكلون روح المقاومة وفى بعض الأحيان
أطرها السياسية والعسكرية . وأن الأمير عبد
القادر وهو الشاعر المفكر جمع حوله النخبة
المتأثرة من المفكرين فى زمنه موكلا اليهم المسؤوليات
الجسام ضمن الدولة الجزائرية التى كانت يومئذ
فى حالة حرب . وكان تكوين هذه النخبة الدينى
والفقهى مستمدا من ثقافة ذلك الزمن ومن التراث
العربى القديم .

ولكن كان من نتائج تلك الحرب الاستعمارية
التى دامت اربعين سنة ان قضت على
عدد كبير من رجالات هذه النخبة المفكرة التى
كانت من جهة ثانية بحكم منشئها الريفى قد الفت
الحياة العملية والجهد الجسدى القاسى ، بل الفت
النضال المسلح لمقاومة الغزو الاجنبى ، اقول ان
عددا كبيرا من هذه النخبة ذهب ضحية المعارك
والقوضى والتهديم المنظم للمدارس والمكتبات وقد
ظل الأمير عبد القادر ولقيف من مساعديه نموذجا
لثقافة موغلة فى المحافظة الا انها تحتفظ بمرية

ظروف سابقة لوجودهم ، بل خارجة حتى عن ظروف مجتمعهم الراهنة . لقد كانوا فى مجموعهم من ابناء الشعب ، ابناء التجار الصغار وصغار الملاكين و ابناء العمال والفلاحين ، او من الايتام العصاميين الذين اقتلعوا اشواك الامية والجهل عن انفسهم باظافرهم العارية ، فالذى وجد امامه العربية المتجمدة طريقا للثقافة اخذ بها والذى وجد السبيل مهية بالفرنسية لم يتردد فى التزود منها . ولكن الذى تعلم الفرنسية لم ياخذ اللغة وحدها ، بل اخذ معها مفاهيمها الحياتية وقولها الذهنية وطمح الى المستوى الحضارى الذى لابنائها . والذى تثقف بالعربية اخذ ايضا ما فيها من رواسب الانحطاط ومن السلبية والاكتفاء بما تيسر من أسباب الحياة الفكرية . وكان ما نتج عن هذا الوضع عندنا فى الجزائر كما يقول الاشرف هو ان « نجد فى بلدنا لغتين كتابيتين ولغة ثالثة هى لغة التخاطب . وكل من هذه المجالات وهذه الثقافات نمت بمعزل عن الأخرى . فنحن بازاء كتل مبعثرة لا رابط بينها ولا تخضع لاي تطور تبادلى . ان الجزائر لم تستعمر طيلة قرن وثلث القرن دون ان تدفع الثمن ، وهى اليوم تواجه تأثيرات اجنبية ولكنها لن تتمكن من هذه المواجهة بصورة فعالة الا اذا عازمت على القيام بعملية تحويل صعبة متسلسلة تبدأ بالتعليم وتنتهى الى البحث المنظم والابداع فى كل المجالات مارة حتما بتلك الكتلة الرئيسية التى هى فى آن واحد الخصم والحكم وهى الجمهور المتشدد الفطن .

وفى هذا الموضوع ايضا يقول الاستاذ محمد سعيدى : « اننا اذا اردنا ان نأخذ الجزائر كمثال للمشاكل الثقافية الذى تواجهه الشعوب النامية نجد الجزائر المستقلة ورثت تركة ثقيلة مكونة من ثقافة الاقطاع وما

المنظم التجهيل الفكرى وتشجيع الاباطيل والعقلية الخرافية فى الاوساط الشعبية .

وفى اوائل الحرب العالمية الثانية ظهر كتاب جزائريون باللغة الفرنسية تنبهوا لبعض القيم الوطنية ولم يكن عملهم ناتجا عن ثقافتهم الفرنسية بقدر ما كان ناتجا عن الانقلابات التى سبقتها هذه الحرب والتكوين العقائدى عند بعضهم ومشاركة بعضهم الآخر فى حوادث ١٩٤٥ الدامية فاخذ هذا الادب يعكس ولو بصورة ناقصة حقيقة جزائرية .

ولكن هذا الادب مع ذلك لم يكن انعكاسا اصيلا للمجتمع الجزائرى وبخاصة على مستوى الجماهير الشعبية الكادحة المستغلة ، ولا الشعب بصفة عامة بفضائله وانسانيته ومقاومته الصامته او العلنية للضغط الاستعمارى . ان هؤلاء الكتاب بحكم تكوينهم كانوا بعيدين عن التقاليد الشعبية فى المدن وخاصة فى الريف ، فعبثوا بصورة تعليمية جافة عن واقع محدود محلى خيل اليهم انه واقع البلاد بجملة . انهم عجزوا ايضا - مثلهم فى ذلك مثل زملائهم المثقفين بالفصحى - عن استثمار ينايع الادب الشعبى الحية ، وماساة هذا الادب الجزائرى المكتوب بالفرنسية انه يجد قراءه خارج بلاده ، وخاصة فى فرنسا حيث يقرأه اناس يريدون تهدئة اصوات ضمائرهم . اما الشعب الجزائرى فهو وحده القادر على ان يحكم على اصالة هذه الآثار . ومع ذلك فان الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية اذا لم تعكس بامانة صادقة نضال الشعب فقد طبعت نزوعه نحو الحرية والحقيقة . (انظر كتاب « الجزائر امة ومجتمع » لمصطفى الاشرف)

والحق اننا هنا لا نستطيع ان نلقى التبعية كلها على المثقفين فى هذه الفترة لانهم كانوا ضحية

لا يعملون لاسعاد المواطنين وخدمتهم بما حصلوا عليه من علم وثقافة ، وانما كل مهمم السابق لتقاسم ثورة الوطن .

وتزخر اليوم الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا بأثمن الاطارات الثقافية من الناحية الكيفية من المواطنين العرب الذين يتركون شعوبهم التي تناضل من اجل التغير الاجتماعي ويلتجئون الى البلدان الغربية الرجعية التي تفويهم بالمال والجاه .

لعلنا (١) من هذا العرض الموجز يمكن ان نخرج بتقييم موضوعي لموقف ادبينا من مجتمعه على ضوء القيم الجديدة التي ياخذ بها العالم الحديث اليوم دون ان نضطر الى اشارة قضية الالتزام او عدمه . اذ اننا نتحدث عن الالتزام لا عن الالزام ، عن شعور الاديب بمسؤوليته كمواطن في مجتمعه شعورا داخليا اختياريا اى شعورا اخلاقيا على نحو ما يؤمن به كنت .

ولقد استشهدت ببعض ما يعالجه كتابنا اليوم في الجزائر عن مشكل القطيعة المستحكمة بين ادبيتنا وبين جماهير الشعب لأبين ان هذه المشكلة نعيشها في الجزائر بشيء كثير من الحدة والتوتر . ونحن سائرون في طريق صعب في هذا الميدان الثقافي ، لانه ليس طريق الاستسلام للوضاع التاريخية والاجتماعية التي فرضت على جيلنا . بل نحن نبحث عن اصل الداء ونحن عازمون على اقتلاعه من طباعنا ومن وسطنا مهما كان هذا الاقتلاع مؤلما لنصل الى الحل الذي نعتقد انه لا مفر منه ، وهو ان يندمج الاديب في

يتبعها من تعصب ديني وقبلي ومن اناثية وتسلط ، ومن ثقافة الكولون الفرنسيين الذين كانوا يمثلون قمة الاقطاع الاوروبي ومن خليط من الثقافة الفرنسية المشوهة . ويمثل «الماساة» الثقافية في بلادنا فقدان لغة جامعة يمكن لكل المواطنين التفاهم بها في شؤونهم . عندنا قطاع من المثقفين بالفرنسية وهم في غالبهم غرباء عن الجماهير الشعبية الواسعة وجماعة من المثقفين بالعربية ولكن تنقص الغالبية منهم ديناميكية الثقافة المعاصرة فهم مشدودون الى الماضي اكثر مما هم منطلقون الى المستقبل ، وفي وسط هذين التيارين تقف جماعة قليلة جدا من مزدوجي الثقافة وهم يشقون طريقهم في جبال من الصعاب والتناقضات .

ان الشعوذة ما زالت منتشرة عندنا وفي الجزائر الثائرة استطاع مشعوذ ان يحدث «ضجة» وان يستولى على عقول كثير من الجماهير ويسلبها وعيها ونقودها .

وما زالت التعاويذ تسيطر على عقول الاغلبية الواسعة من المواطنين في الارياف والقرى ، وما زالت العقلية الطبقيّة « مجذرة » في الوطن العربي كله : فقراء واغنياء ، علماء ، وجهال ، سعداء واشقياء ، وماشاكل ذلك من القدرية العمياء . وهذه الوضعية هي التي جعلت عددا ضخما من اطباؤنا وحشيين يحرصون على ملء جيوبهم اكثر مما يحرصون على رعاية صحة المواطنين وسلامتها وكذلك مهندسين ومحامين واساتذة وحشدا كبيرا من المواطنين الليبروقراطيين والمحترفين السياسيين ومن الاساتذة والكتاب والصحفيين والفنانين الذين

(١) يلاحظ القاري، ان كل هذه المواضيع الملحة التي هي مواضيع تخلف لم يتفطن اليها الادباء العرب بعد ، بل عقد مؤتمرهم الاخير في تونس تحت شعار : الادب والتكنولوجيا - كما لو اننا بلغنا من التقدم التكنولوجي حدا أصبح به يشكل لنا مشكلة صحية او اخلاقية او حضارية في حياتنا ! (ر الاصاله) .

شعبه لا بحياته اليومية فقط بل بانتاجه ، فيتفاعل معه ويستطيع ان يتاثر به ويؤثر فيه ويستطيع ان يحركه ويتحرك به ويقضى على هذه الغربة التى قضت عليه بان يعيش بها فى صميم مجتمعه .

ان ثورتنا الوحيدة سواء كانت اقتصادية او سياسية او ثقافية هى الشعب وعزلة اديبنا عن الشعب هى التى جعلت اديبنا يمد يده للانتاج الخارجى ، اكثر مما يستوحى الثروة الهائلة التى تنطوى عليها حياة شعبه من التجارب الانسانية الخالدة .

ان هناك ظاهرة بقيت مهمة فى تاريخنا الفكرى ، وهى ان تراثنا السياسى وبطولاتنا الشعبية وحروبنا التى خضناها مع الغزاة الاجانب مثل حياة شعبنا اليومية والحضارية ، وتقاليده وعاداته ، كل ذلك ظل احداثا تاريخية جامدة فى الحدود التى كتب له فيها ان يسجل فى التاريخ ،

ولم يتحول بعد الى تراث ادبى او فنى يسجل تلك الاحداث تسجيلا حيا ، تعيشه اجيالنا وتستأثر به وتنطبع بطابعه . وهذه الثغرة فى نظرى لعبت دورا كبيرا فى الشعور بالاستخفاف الذى يقابل به شبابنا تراثنا الحضارى . بل هو يشعر ان تاريخنا نفسه فارغ من التجارب الانسانية ومن البطولات والقيم .

واذا كان للقاءاتنا هذه من فائدة فهى لا تحققها الا بقدر ما تعبىء من طاقاتنا الفكرية لتوجيهها هذه الوجهة بشكل منظم ومتضامن . وان اختلاف الانظمة السياسية لبلداننا لاعلاقة له فى نظرى بهذا الموضوع . فلتكن هذه الانظمة اشتراكية او ملكية او جمهورية او ماشاءت ان تكون ، فان النقطة التى نستطيع ان نلتقى فيها نحن فى هذه الانظمة هى خدمة الشعب واخراجه من منطقة التخلف الذهنى ورفع مستواه العقلى والانسانى .



منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

قريبا سيصدر كتاب :

الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي

في طبعتين منفصلتين بالعربية والفرنسية
كل منهما في عدة أجزاء

وتشمل سائر

المحاضرات

والتعليقات

والمناقشات

الجراحُ التي لا تنام

مُفدي زكرياء

| | |
|----------------------------|--|
| نطق الجرح، فاخرستُ الكلاما | مَهْرَجَانِ الشَّعْر، أَقْرَبِكِ السَّلَامَا |
| وأحييتُ، على جمر الغصَا | وأَهَادِيكَ كِلَامَا... لَا كِلَامَا ! |
| وأغنيك، تراثيل الدَّمَا | وتَسَائِيحِ الشَّكَايَا، وَالْأَيَامِي |
| وأناجيكَ، ولي فيكَ رَجَاء | من جراحَاتِي، أبت أن لَا تَنَامِي... |

نزلاً، فن رفف الخلد الذي
 عانقوا الأرواح، في هذا الرحى
 واقروا الأبحاد في الواحها
 تونس الخضراء، نشيد في في
 زرع الزيتون فيهما رجمة
 زانها الرشد، وزكاهما الحجى
 - ضرب التفكير منها مثلاً
 وانطوى الإنسان في آلامه
 وتداعى الحب، في أعماقه
 كلما طفت بها، عاد شبابي
 مهرجان الشعر في أرض الفدا
 ضاق صدر الشعر بالشعر، فلا
 لم يعد يطربني شعر الهوى
 عمر الخيام... مهمما حاجني

لعلاء، قعد الدهر، وقاما
 وأهبطوا الخضراء، إخوانا كراماً
 وأسألوا- عن طبعها، الشعب المماما
 باركوا- في قدسها، البيت الحراما
 وسلاما، علم السجع الحماما
 ومضى يخطو وإياها، قواما
 يلهم الدنيا، انزائاً، وانسجاما
 فبراهما، مبدع الكون- ابتساما
 فتلافاه جيبي فاستقاما
 وأكتوى من حبها القلب، فهاماً
 والبطولات... جلالاً، واحتراماً
 نلبسوا- التنزيل- لهواً وغراماً
 وعذابي في لظى كان غراماً
 للغوايات، تذكرت الخياما !!!

أنا من حطمت كاسي، بعد ما
 أنا من أهرقت دني عند ما
 وسلا القلب من الحب فما
 ويح هذا القلب... ما أكفره!!
 إن هذا القلب كونه غامض
 ألمته، ثورتي، في مغربي
 سفراء الشعر، من وحي الدما
 ورفضوا شعر (الخفافيس) الذي
 وغمسوا الريشة في أكبادكم
 وابعثوها، مع أملاك السما
 واسألوا العرب، متى يسمو النهمي؟
 ومتى نذرو يميننا، ويساراً
 لابن عفان، قميص واحد
 وضمير النفط حُرٌّ، لم يدع

أترعوها من دوا الشعب مداما
 أسكر الوهم السهاري، والندامي
 عادير عي ظبية، ترعى الخزامي!
 ما الذي أوحاه أن يجفوا الهياما؟
 هذه الخطب، فأبقاه خطاماً
 فعدا بالنار صرباً مستهما
 شرفوا الوحي، وفاء، والزاماً
 صوبوه للأصالات، سهماً
 واعمروا الألواح، نوراً، وضراماً
 لفلسطين... صلاة وسلاماً
 ومتى يصحو السكاري؟؟ وإلى ما
 يتقاضانا... اقتناصاً واعتناماً؟
 فارحموه... فهو يابى الاقتساما
 بيد الدولار، والروبل الزماما

وشَتَّات الصِّفِّ تحزير الدما
 هَجَمَ الرَّجْسُ عَلَى أَقْدَارِنَا
 وَوَقَفْنَا بَيْنَ شَدِيقِي، مَكَارِدِ
 وَالشُّعَارَاتِ... وَمَا اسْخَفَهَا
 وَمَلَأْنَا بِالْأَنَاشِيدِ، الدَّنَا
 سَخَّرَ الْعِلْمَ يَهُودًا فَاهْتَدَى
 كَمْ بَكِينًا مَعَ (قَفَانَبَكْ) فَلَمَّ
 وَعَقَدْنَا قَعَمًا... لَكِنَّا
 وَانْحَرَقْنَا عَنْ مَدَى أَهْدَافِنَا
 وَتَفَضَّلْنَا مِنْ فِلَسْطِينِ يَدَا
 وَتَفَاوَضْنَا فِرَادَى... وَالرَّدَى
 بِيَدِ الشُّطْرَنْجِ... مَاعَادَبَهُ
 وَفِلَسْطِينِ لَهَا أَكْبَادَهَا
 وَتَلْقِيهِ، أَهْيَارًا وَانْهَرَامَا
 وَتَهْجَمْنَا اجْتِرَامًا، وَاتِّهَامَا
 نَحْجُلُ الْكُونُ ضَرْجِيًّا، وَخَصَامَا
 تَرَكْتُ يَعْزَبُ، يَسْتَفِ الرِّغَامَا
 وَالدَّنَا تَصْرِخُ، أَحْدَاثًا جَسَامَا
 وَتَعَلَّلْنَا بِأَجَادِ الْقِدَامَى
 نَكْ نَبِكِي - كَامَرَى الْقَيْسِ - قِيَامَا..
 مَا بَلَّغْنَا فِي مَرَامِيهَا الْمَرَامَا..
 وَصَرَفْنَا عَنْ سِوَانَا الْإِهْتِمَامَا..
 وَنَحْنُ... فَذَكْرُنَاهَا... احْتِشَامَا!
 جَاشَمُ، يَنْتَقِعُنَا الْمَوْتَ الرِّوَامَا..
 مَغْم... طَوَّعَ هَوَاهُ نَتْرَاحَى
 بَلَّغُوا الرِّشْدَ... وَمَاعَادُوا يَتَامَى!

فاعمِدْ وازحف بِلَيْتِهَا تنصُر
 واتركوا الرشاش، يعقد قمة
 أخرست السنة النار اللغى
 وتقرّر بلاطها، وضعنا
 وادفنوا التفكير في حكم غد!!
 وثقوا بالشعب... يفرض حكمه
 واسخروا بالتبعيات التي
 وعلى نصف المبادئ في الدنيا
 إن في الإسلام ما يهدي الوري
 ودعوا الأحرار في مغربنا
 وحدته في الوغى أهدافه
 موطن، شمو به أهدافه
 رفض الأحلام في واقعه
 وتحدي الصمت في درب المنى

وترج الظلم فيهما، والظلاما
 لفلسطين... بها ترفع هاما
 فدعوا النار تنهنه، من تعلمنا
 وتبدد عن طوايانا الركاما
 أيمننا؟.. أم يسارا؟.. أم قواما؟؟
 أو ما قد بلغ الشعب الفطاما؟؟
 تصنع الأصنام للفوضى سناما
 والأصالات... تشيع الانقسام
 في المتاهات، وما يرسى النظام
 علم الدنيا انصهارا والتحام
 فعدا في ثورة الحق إماما
 وسجاياء، ويأبى أن يضاما
 وتحاشى مع ماضيه الإصطدام
 ومضى يفضج بالعز والآنما

جل هذا الشعب... ما أروعهُ
 هكذا أخلاقنا في مغرب
 هكذا عودتنا إيماننا
 هكذا علمنا إسلامنا
 وإذا ما جدّد جد، فاسألوا
 واسألوا عن صدقنا أندلسا
 وإذا ما جدّد لها جلادها
 إنما الوزر على أبنائها
 هذه الأرض مثال للوفاء
 وإذا أنكرنا إخواننا
 بادلوها الصّدق، والحبّ، عسى
 وإذا ما فضل (العرب) الكلام!!

علم الإنسان أن يرعى الذمّاما
 (وحدوي) بالمبادي يتسامى
 أن نرى النجدة فرضا ولزما
 أن نرى الإسلام حبا ووثاما
 مصرعنا، واسألوا عنا الشثاما
 هل على أندلس (جيطان) دما
 وطفى في الأرض حقدا وانتقاما
 لأعلىنا... فاصرفوا عنا الملاما
 والرسالات، انفتحا، وانتظاما
 ذات يوم... أو ما كنا كراما،
 يجد الجرح بأيدينا التثاما
 مهرجان الشعر أقرئك السلاما

مفدح زكرياء

فن المقامة

في النشر الجزائري الحديث

الحلقة الثانية

في المقال السابق عرضنا لأنواع من المقامة الادبية في النشر الجزائري الحديث ، واشرنا الى نوع جديد من هذا اللون راينا فيه اسلوبا جديدا لكتابة المقامة الادبية سواء من حيث الموضوع او الاسلوب او المحتوى ونعمد في هذا المقال الى عرض الموضوع بالتفصيل .

د. عبدالله ركيبي

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

ومن البداية نذكر ان «المقامة الشعبية» التي كتبها - كما اسلفنا - «محمد بن علي» قد استخدم فيها طريقة القدماء من كتاب المقامات في وصف الاحداث وتصوير البطل عن طريق الراوى ، وهو هنا ابن العربى . اما البطل فقد اختار له اسم «الحبيب بن عيسى» وربما فى تسمية الراوى ما يوحى بقصده من انه يوعز الى «العربى الجزائرى» فى ان يتأمل ما سيقصه عليه ، ويفكر فى وضعه ووضع المجتمع الذى ينتمى اليه .

على ان بطل المقامات - الحبيب بن عيسى - قد يتشابه مع بطلى الهمذانى والحريرى ، فهو يمتاز بالكر والدهاء والحيلة ويتصف بالدعابة والمرح وايضا فهو صعلوك متشرد لفظه المجتمع ، فانتقم منه باصطناع الحيلة والاستهتار . فالصفة المشتركة بين ابطال بعض المقامات القديمة ومقامات كاتبنا ، هى انهم اناس فقراء معدمون، ضاقت بهم السبل وسدت فى وجوههم طرق الرزق الشريفة فى وطنهم فعمدوا الى الحيلة والتحايل على الآخرين .

فبطل مقاماتنا - الحبيب بن عيسى - هو الآخر لا يملك سوى دهائه وسعة حيلته واعتمد على ذلك لكسب رزقه وعيشه ، ورغم ان الكاتب احيانا يرسمه فى صورة البطل المستهتر الدجال، الا اننا مع هذا نتعاطف معه اكثر مما نتعاطف مع ابطال المقامات الاخرى لان وضع البطل فى المجتمع الجزائرى غيره فى المجتمع القديم ، صحيح ان ابطال المقامات القديمة عانوا من الفقر ومن

الطبقية ومن الفروق الاجتماعية والاقتصادية المادية ، ولكنها لم تبلغ الفروق التى عاش فيها الفرد الجزائرى تحت الاحتلال الاستعمارى . فقد تعمد الاحتلال اذلال الفرد والشعب معا ، واستولى المعمرين على كل شئ ، ولم يتركوا للطبقة الشعبية - ومنها بطل هذه المقامات فرصة للحياة الكريمة - ومن ثمة وجد هذا النموذج الذى يتكسب بالحيلة والدهاء والاستهتار ايضا . ومما يزيد من تعاطفنا مع هذه الشخصية ان المؤلف صور بطله فى صورة فكاهية وبأسلوب ساخر فى احيان كثيرة ، يضاف الى ذلك انه يضعه فى مواقف مختلفة وينوع من شخصيته فى الظاهر ، ولكن تبقى الحقيقة واحدة ويبقى الهدف واحدا ، هو نقد المجتمع والاضاع السيئة ، وهو فى تنوعه لحال البطل يقصد الترويح عن المتلقى وكذلك نقد الواقع والظروف والبيئات التى تعج بالمشاكل المتعددة ، ويقدم المؤلف بطله على هذا النحو : «وجدت ابن عيسى الهوالى يتلاعب بالاوصاف والاحوال ، فمرة يحضر مع الطلبة فى الجنائز ، وطورا يقصد خطبة العجايز ، وتارة يميل الى مجالس العلامة واخرى يحضر مع كبار الجماعة ، وساعة يأتى راكبا مع الميعاد ، ويتخالى مع الامراء والقياد ..» فهذه الاوصاف لبطل المقامات تدل على ان الكاتب يهدف الى رسم صورة لهذه الشخصية التى تندس بين الفئات تبحث عن رزقها اينما وجدته .

على ان المؤلف لم يرسم لنا شخصية البطل رسما دقيقا وانما يكتفى باللامع العامة ، فهو

ولكنه في نفس الوقت يمهد لبطله الذي خسر المقامرة التي سعى إليها .

والواقع ان هناك سمة أخرى تميز بطل هذه المقامات عن غيرها هي انه في معظم الاحيان ناجح في مقامته وأهدافه وخاصة مع البسطاء الطيبين الذين ينتمى اليهم ، مع السذج ، مع « الطلبة » من أبناء الشعب ، لكنه فاشل ومواهبة تتعطل ولا تسعفه حين يصطدم بالسلطة . وهذا الشخص ليس محبا للمال فقط ولكنه محب للطعام أيضا فهو نهم حتى انه قد يغمى عليه الا اذا وجد الطعام أمامه فينسى صومه واحزانه . وهذا يؤكد مرة أخرى وضعية هذه الطبقة الفقيرة التي كانت لا تجد حتى الطعام في الفترة التي تصورها هذه المقامات .

واذا كنا قد عرضنا باختصار شديد لبطل هذه المقامات وكيف رسمه الكاتب ، فأننا نحاول بايجاز أكثر عرض مضمون هذه المقامات والافكار التي عالجها الكاتب من خلال هذه الشخصية دون أن نفيض القول في ذلك لان المجال لا يتسع الى التفصيل .

في المقامة الاولى - الصحراوية - يعرض فيها المؤلف الى قضية خطيرة لها مساس بالمجتمع الجزائري في الثلث الاخير من القرن الماضي ، ونعني بها السخرة ، وهو يحدد تاريخها بعام 1882 ولعله يشير الى ثورة « أبي عمامة » فهو لا يذكرها حرفيا وانما يذكر الاحداث التي وقعت في ذلك التاريخ ، ويسوق هذا على لسان

ينتقل من بلدة الى أخرى ومن حال لغيره ، ولا يعني الكاتب بنفسية البطل وسماته الا نادرا ، انما تعنيه الاوصاف الجسدية ، فبطله تقدم في السن فازداد ترهلا ، وبدأ الشيب يدب في راسه واذا سار يهرول ويبدو كأنه « يستنكف » على وجهه ، وحين يضحك يقهقه من اعماقه ، واذا وقع في مأزق يتخلص منه بسهولة عجيبة ويفر هاربا في كل مرة يحدث له ذلك ، وهو شغوف بالنوادر والملح والتكت ، يسخر من الناس باستمرار او يرثي لفلتهم وجهلهم .

وبالرغم من ان هذه الشخصية لا تتطور في تفكيرها كثيرا ، فان التنوع يبدو في مواقفها واساليبها ، وقد احس الكاتب بان تنوع هذه المواقف يؤثر في المتلقي ويضفي الحيوية على بطله وعلى الحدث او الاحداث معا ، فجعله تارة رجلا اعزب وأخرى متزوجا ولديه اطفال ، ومرة هو أرمل - وكثيرا ما يمهد للحدث بوصف موقف البطل وحاله ومظهره حتى يعدنا لتلقى الخبر او النهاية . مفرحة او حزنة : « اذا رايت شيخنا ابن عيسى طالعا مع الواد مهدونا في مشيته كأنه من اهل الرشاد ، فلقيته ماشيا بالحى وطرت عليه من القفى ، ولما سلمت عليه وسألته عن احواله وكيف حاله من امتحاله ، زفر زفرة المفترق وكاد من الفيظ يختنق ... » .

فقد صور هيئته هنا في صورة الشخص المتعب مثل « اهل الرشاد » وهو بهذا يشير الى واقع أصبح فيه اهل الخير والرشاد في ضنك وتعب ،

الراوي الذي ذهب مع جماعة ، ولكنهم تفرقوا في الطريق ، خوفا من البطش والظلم أو الموت . وحاول أن يختفى على أعين الناس وسمع رجلا يتحاوران ، فيقول أحدهما للآخر : « اعلم يا ولدي أنك إذا بليت بنوبة السخرة وعينت لتقطع فيافي الصحرا ، فكن صبورا على كيد الزمان ومحنه ... » .

وهذه النصيحة تجسد الظلم الذي سلط على الشعب بعد هذه الثورة وكيف كان الناس يساقون بالجملة وتحت الارهاب لخدمة المعمرين الذين يسخرونهم لأربهم الخاصة . وقد رأى الراوي صورا من هذه السخرة ، ورأى البطل مع كثيرين غيره ، ويصفه وصفا حيا معبرا عما تعرض له من عذاب : « قد رق جلده واصفر لونه ، ثم ان لحمته هزلت ولحيته تكشردت ... » . ويصف كيف رآه يبكي بدموع حارة فعطف عليه واعطاه من المال ما يكفي لاطلاق سراحه ومنذ ذلك اليوم اختفى البطل ولم يعثر له على أثر .

والمؤلف بدأ بهذه الصورة القاتمة للمجتمع الجزائري ليرسم بعد ذلك الخطوط العريضة للاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والفكرية يستكمل بها شيئا فشيئا صورة الجزائر في تلك الفترة . ولكي يربط الكاتب بين ظلم الاستعمار وبين مسخه للعدالة والقضاء واستخدامه للقضاء الذين أصبحوا أداة قمع للاستعمار ، يسوق هذا في المقامة الثانية التي يصور فيها وجها آخر من وجوه الظلم متمثلا في القضاء المتعسف بحيث يعاقب الفرد لأتفه

الاسباب ، فابن عيسى عاقبه القاضي بأن : « يجلد على بطنه بمشحاط زيتون غلظة كالخنصر وطوله شبران ومفصلان ويجلد من يد طالب يكون سنه أكثر من (21) احدى وعشرين سنة ، بعدد ما مضت من الايام من السنة العجمية من يوم التاريخ ، والضرب يكون متوسطا على بطنه مرتقفا ، وذلك أن يرفع المشحاط بينه وبين بطنه قدر ذراعين مالكية فقط ثم ينزل بخفة متوسطة ... » .

فالكاتب يبدو خيرا بأساليب القضاة - وقد كان قاضيا - يصف في أسلوب ساخر ، الدقة الكاملة في اختيار العضا ومن يضرب بها ، ويعني بالتفاصيل والجزئيات بل يستخدم حتى الالفاظ التي هي من قواميس القضاة ، وفي نفس الوقت يصور قسوة القضاة وظلمه وتدهوره ، وقد أشار الى ضعف القضاء الاسلامي في تلك الرحالة المعروف « محمد يرم التونسي » في كتابه : « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار ... » وذلك حين مر بالجزائر وسجل مشاهداته ونقد القضاة وجهلهم بل واستهتارهم . ويزيد من تجسيد صورة القاضي وعسفه والسخرية منه أيضا ، فضلا عن عما سبق ، أن هذا القاضي لم يصدر حكمه هذا الا بعد أن قرا كثيرا في كتب التفسير والحديث والفقه ، وحتى تكون المقارقة أكثر احياء وتعبيرا ، فإن هذا العقاب انما سببه أن البطل طلب قليلا من التين من صاحب بستان فراوغه ولم يعطه شيئا فذهب - اي البطل - الى القاضي يشكو له فعاقبه بالجلد

والكاتب يكاد يتتبع مساوي المجتمع في وقته، فهو في المقامة الرابعة ينقد ظاهرة قراءة القرآن على الاموات بقصد التكسب ، وقد انتشرت في عصره ولعلها ما زالت موجودة حتى اليوم في بيئات معينة .

والواقع ان المقامة التي شذ فيها عن موضوعه وعن القضايا الاجتماعية هي المقامة الخامسة التي تحدث فيها عن جمال الطبيعة بوهران ورسم لها صورة أخاذة كما تحدث عن الحمر والموسيقى ، ولكنه لم يفصح عن هدفه من ذلك ، ويبدو أنه أراد أن يصور وضعا مغايرا للطبقة الاخرى التي تتمتع بالجاه والمال والنفوذ وتعيش منغمسة في اللهو والشراب وتبحث عما يتمتعها ويزجي فراغها ، ولكن على أية حال فان المقامة هي من النوع الرومانسي في أسلوبها وطريقة الاداء فيها .

ومع هذا فان المؤلف سرعان ما رجع الى موضوعه ، الى الحديث عن الفقر والتخلف ، ولكنه يضع ذلك في اطار جديد يعتمد هذه المرة على اللغز - كما فعل الحريري قبله - فكان البطل يرمى بالالغاز واحدا فواحدا على مسامع بعض الفتيات وحين يعجزن عن الحل يطلب منهن الهبة لقاء عجزهن ، ويظهر البطل ذكاء ودهاء كبيرين ، كما تظهر سرعة بديته واعتماده على الحيلة واعمال الفكر بهدف الكسب . ومما يؤكد ان الكاتب له خط واضح في تصوير الفقر انه يلتجئ الى النساء بعد أن خاب أمله في الرجال ، وهو يبرر ذلك في قوله شعرا ملحونا :

وعاقب صاحب البستان بغرامة وباقامة « زردة » تكون وليمة للطلبة العرب . ويأتي الحكم على القضاء حكما ساخرا قاسيا حين يسأل البطل عن عدم قدرته وعجزه عن الدفاع عن نفسه ، يقول : « يا ولدي ! ألم تعلم بأن الرشوة عبدة ، والدراهم زبدة ، وأن كبشنا سميئا عند الطلبة أفضل من سبعين خطبة ... » . فالمزج بين السخرية والجد هي من سمات هذا الكاتب وقدرته على النقد في ثوب الفكاهة .

وهو - كما أشرنا - يؤرقه الفقر الذي انتشر في الجزائر في عصره ، ويصوره من خلال مواقف مختلفة ، فهو في المقامة الثالثة يختار مسرح أحداثه بين البائل والاعراش وينتسب لها مهما تعددت لهجاتها ولكنها تنكره ولا تعطيه شيئا فيغضب ويهجوها وربما كان يهدف - فوق أنه يصف الفقر ، فهو أيضا يهدف الى نقد الروح القبلية التي غذاها الاستعمار حتى يفتت وحدة الشعب الجزائري ويمزق شمله ويجعله متناحرا مبغثر الاجزاء وهي دوافع معروفة .

كذلك فان المقامة الثالثة تعالج موضوع الكاتب المحبب الى نفسه ، وهو ضيق الرزق ، فيطلبه أينما ذهب لا يجد رزقا ولا ملجأ ولا معينا وانما يضادف التعب والطرء ، واذا ابتسمت له الحياة مرة فانها تقطب له مرات ، واذا سلم من السلطة فانه لا يسلم من اللصوص ، والربط بين الفقر واللصوصية له دلالة ومغزاه ، فالفقر تنشأ عنه الرذائل بما فيها اللصوصية .

يا ابن العربي يا حبيبي لا تلمني فيما مرا
بن الدهر سخي ييلى وصير عيشي مرا
والكاتب يعي اخلاق مجتمعه ويعرف عصره
ومعاصريه فنراه يقدم تلك الصورة المتشائمة
السوداوية عن زمانه فيحكم على اخلاق الناس
بقوله أيضا ملحونا :

ما فيهم الا حسد وبغض وبدلوا بالخير شرا
ومن هنا فهو يرفض الانتماء اليهم ، لانهم
اصبحوا فرديين أنانيين فمن حقه أن يرفضهم لانه
افتقد الخير في الرجال فمال الى النساء ، ولهذا
دلالة معينة :

واني ضربت عنهم صفحا ودحضتهم بالجزع فرا
ولدا الى النساء ملت نلت ما يسد فقرا
والملاحظ ان الكاتب اقحم في هذه المقامه
وصفا للمهرجانات التي كانت تقام في وقته
تحدث فيها عن الفروسية والرقص، وكان يراقص
الفتيات ويعلمهن « فن الرقص » مقابل مكافاة
مالية .

وفي المقامة السابعة يستخدم شكل الرسالة
ولكنه لا يعالج فيها قضية واضحة بقدر ما يحاول
اظهار براعته في « فن التوسل » وقدرته على
التلاعب بالالفاظ والجمل وهي طريقة امتاز بها
الحريري أيضا .

على أن الكاتب يعود مرة أخرى الى وصف
أدواء المجتمع وأمراضه وما استشرى فيه من
مظاهر تدل على جمود في الفكر وعلى تخلف في
التفكير ، يعود الى هذا في المقامة الثامنة التي

كرسها لقضية خطيرة هي المتاجرة بالدين من
الدجالين الذين يسخرون الدين لأربهم الخاصة
ويضللون العامة باسمه ، ويستغلون البسطاء.
والسذج الذين يعتقدون في الزوايا والأضرحة
والأولياء . يعرض لهذا من خلال ما كان يقام
من ولائم أو ما يسمى « بالوعدة » ويصف بطل
المقامة الذي كان يهتز مجذوبا مثل الآخرين ،
وصفا حيا :

« يهتز كأنه برميل ويرمي بشرر ثقيل ، وحين
يسأل عنه يقولون له : هذا شيخ أتى من المغرب
الأقصى . . . » والكاتب ينقد هذه الظاهرة
السلبية التي اجتاحت المجتمع الجزائري في القرن
الماضي بل واستمرت معه الى فترة متأخرة . وهي
تظهر أيضا أن كثيرا من مدعي « الولاية » كانوا
يأتون من المغرب ويفدون على الجزائر ولهم شهرة
ذائعة في ادعاء أشياء كثيرة منها قدرتهم - كما
يزعمون - على فتح « الكنوز المفلقة » ومعرفة ما
يغض من الأمور وادعاء التصوف ، فبطلنا
استخدم هذه الطريقة ليعيش منها ويتكسب بها
وادعى أنه قدم من المغرب حتى ينال رضى الناس
عنه :

ويصف الكاتب - في صور حية - تزامم
القوم على الطعام حين قدم لهم ويصف بدقة
« مقدم الزاوية » الذي يقوم بالدعاية للشيخ
ويطلب من الناس أن يجزّلوا له العطاء حتى
ينالوا بركته .

والواقع أن عناية الكاتب بهذا الموضوع

لانه فقير أراد أن يشتري دابة فعجز فالتجأ الى هذا الامر .

ويعود الكاتب الى هذا الموضوع مرة أخرى في المقامة الثانية عشر ، ولكنه فيها يركز على المرايطين وكيف ضلوا الشعب وخاصة من حرم نعمة العلم والتعلم لا سيما أن الاستعمار شجع هذا الجهل وهذا التأخر حتى يظل الشعب بعيدا عن الواقع المر الذي يعيش فيه . ويكون هذا النقد من خلال وصف « الزردة » التي تقام في المساجد حيث يجتمع الناس وقت الفجر في انتظار المرباط أو الشيخ الولي فيخرج لهم من ثنايا أمواج البحر فيحتفلون به ويلتسمون منه البركة والخير .

على أن المؤلف هنا يظهر وعيا بالموضوع بحيث يؤكد بأن هذه العادة - كما أطلق عليها - قد ذهبت ، ولكن الناس طالبوا بها والحواء في عودتها . وحتى يبعث الاهتمام فينا ، يجعل الخلاف يشتد بين المؤيدين لرجوعها والمعارضين لذلك ، حتى وصل الامر الى القضاء ، واجتمع العلماء واحتكموا الى الفقهاء فلم يصلوا الى اتفاق . وحتى يبرز الكاتب التناقض العجيب بين هدف العلم والعلماء في هذه المرحلة وبين الدجل باسم الدين ، بل وحتى يبرز جهل العلماء وخلافهم حول قضية لا تستحق هذا الخلاف ، فانه يعمد الى « شخص يضرب الرمل » فيحكم برجوع « الزردة » ، بل لكي يبرز دور الاستعمار الفرنسي وحكمه الجائر وتشجيع هذه الظواهر السلبية فان الوالى

والحاحه عليه يؤكد أن هذه المظاهر قد انتشرت وكثر المدعون والسماصرة باسم الدين وطفى التصوف على الحياة الفكرية والثقافية وكان لذلك كله اثره في عقول الناس حتى اختلط بالدين ما ليس منه . كما انتشرت البدع والخرافات وسيطر الوهم على العقول والقلوب بتشجيع من الاستعمار بحيث استمر رجال الطرق هذا الوضع ودأبوا على ترسيخه في اذهان العامة ، خاصة وأن الفترة التي كتبت فيها هذه المقامات هي الفترة التي اشتد فيها نشاط هذه الزوايا ومال أصحابها الى الراحة ومهادنة الاحتلال وبحوثوا عن الاطمئنان والاستقرار فتعلقوا أشد التعلق بهذا الوضع .

والكاتب يعي هذا جيدا ، فيجسده من خلال هذه الصورة لمقدم الطريقة : « هلموا أيها العباد : هذا سوق ماله نفاذ ، فمن زين نيته نور سريره ، ومن خاب ظنه ، ضيع سعيه » وهذا شيخنا الكبير خليفة السيد الامير فمن تعلق بأذياله ، نال جميع تنجالة ، ومن أراد اصلاح أموره فليبادر بما في مكتوبه (جيبه) . . . »

واذا كان الكاتب يصور الشخصية الثانية للزاوية وهي الداعية للشيخ القائمة على أموره ، فانه يصور أيضا فكرة انتساب هذه الطرق الدينية الى الاشراف ، وهذا الشيخ ينتسب للامير ، وهو يقصد الامير عبد القادر فيما يبدو لانه كان ينتمي الى احدى هذه الطرق الصوفية . وتكون المفارقة أشد حين ندرك أن الشيخ هنا انما هو بطل المقامات الذي تستر باسم الدين

أو الحاكم الاجنبى يدافع عن رجوع هذه العادة التى تدل على التخلف المادى والثقافى .

ومثلما هو شأن الكاتب فى اظهار المفارقات بين هذه التناقضات المختلفة ، فانه أيضا يجعل « الشيخ » لا يقدم سوى التمنيات والادعية مقابل الاموال التى تقدم له ، وأن مشاكل الناس تحل - على يديه - بهذه التتمتات التى تصدر منه فى تكلف، ويضيف الى هذا كله صورة هذا « المرابطة » الذى يلبس الثوب الجديد بينما الناس لا يجدون حتى الاسمال البالية ، وهى صورة طريفة معبرة عن الغرض المقصود .

ويتصل بهذا الموضوع أيضا ما ساد فى عصره من سحر وشعوذة واعتقاد فى هذه الاوهام والحرافات واعتقاد الناس خاصة فيما يتعلق بالزواج والطلاق واثار السحر فى هذا . وقد عنى الكاتب بتعلق الناس بهذه الامور السطحية الغيبية بأسلوب فكه ، وقرن السحر أحيانا بالفقر فالطلبة الذى يكتبون « الرقى » يفعلون هذا بدافع فقرهم ويهدف الرزق ، ذلك أن عيشهم الصعب وسط ظروف قاسية يدفعهم الى هذا الموقف ، لهذا يسخر الكاتب من الطرق التى تستخدم فى هذا المضمار ، فكتب رسالة فيها رموز مما شاع فى هذه الرقى ، كتبها على لسان البطل بلهجة عامية واضحة يقول فيها : « أجى سى اللام وآضره رينج والمورميز ريند لواد ، فيز ، رينص ومع رينج ، الوالبة رينط ... » فهذه الكلمات لا معنى لها مثل كثير منها فى هذه المقامة وإنما جاء بها الكاتب لينتقد الزيف

والدجل عند مدعى السحر والشعوذة بهذا الأسلوب الساخر القاسى فى كثير من الاحيان ، وبوجه خاص حين يعرض للزواج وما يحيط به من غموض فى العلاقة بين الرجل والمرأة .

ومن المظاهر السيئة التى عالجها الكاتب ما انتشر فى عصره وما زالت آثاره حتى الآن ، وهو نقد ظاهرة المرأة السمسارة أو « الخاطبة » التى تتوسط بين الرجل والمرأة . وقد هاجمها الكاتب فى مقامته العاشرة حيث ذكر أن البطل طلب من امرأة طاعنة فى السن أن تتوسط له لدى حبيبته ولكنها غدرت به فذهب الى الحاكم يشكوها فكان جزاؤه الركل والضرب ، ولعل الكاتب يقصد نقد البوليس ويجمع الى ذلك نقد المظاهر الكاذبة التى سادت فى عصره حين يلبس الشخص لباسا نظيفا ويبدو فى هيئة « العالم » أو « الفقيه المتدين » مثل البطل لان الشرطى ظنه من هذا الصنف من العلماء بينما هو يشكو من قضية تافهة ، قضية المرأة التى خدعته . وأغلب الظن أن الكاتب يهاجم أولئك الذين يتظاهرون بالعلم وهم جهال أغبياء مدعون وقد يأتون أشياء ويقتربون أمورا لا يفعلها من يحترم نفسه ، فوق أن المؤلف ينتقد - كما أشرنا - السمسرة لقاء ثمن معين . كذلك فإن الكاتب هاجم تعدد اللهجات واختلافها وما تسببه من غموض فى المعنى .

بقيت المقامة الحادية عشر التى ضمنها الكاتب نقد بعض الامور ولكنه عنى فيها بالنصح والوعظ والارشاد الى جانب انه أعاد وصف مهرجان آخر بوهراة وصف فيه الفروسية العربية وبعض

تتفرع عن هذه القضايا وتتشابك معها وتتصل بها من قريب أو بعيد تحتاج الى دراسة مفصلة أكثر وإلى مجال آخر أوسع وأرحب *

على أن هذه الدراسة لا تكتمل صورتها سوى بربطها بأسلوب الكاتب وطريقته في التعبير وكيفية تناوله للموضوع والمحتوى معا ، والسمة الاولى في هذه المقامات أن الطابع العام الذي يغلب على أسلوبها هو طابع الفكاهة الراقية فالاولى يقصد منها الاضحاك لمجرد الاضحاك ورسم الصورة الكاريكاتورية الباسمة ، اما الثانية فهي الفكاهة التي لا تقصد لذاتها ولكنها تقصد النقد في صورة ضاحكة مرة وساخرة مرة أخرى ، وهذه السمة ليست مقصورة على موضوع دون آخر وإنما يمكن أن تكون في مثل ما كتب فيه الكاتب أو في غيره من الموضوعات ، والكاتب العظيم في أية لغة هو ذلك الذي يتمتع بقدر يقل أو يكثر من هذه الفكاهة ، بل إن الكاتب الجاد لا تخلو كتابته من مسحة فكاهية لاذعة تنفذ الى أعماق النفس فتفجر أعماقها ضحكا أو سخطا على الواقع ومن ثمة تكون البداية للتغيير والعمل على التخلص من الرواسب القابعة في أغوار النفس أو في الجانب المظلم من الفكر المتخلف ، ومن ثمة يقوم الادب في صورته الفكاهية بدور الايقاظ والتنبيه والوعى وكاتبنا يتمتع بموهبة الاثارة والسخرية والفكاهة الى جانب أنه يعرف مختلف اللهجات الوطنية ، فهو متبحر في معرفته لهذه اللهجات وادراكه للفروق بينها وما توحى به هذه الفروق التي قد تغير من

التقاليد الجزائرية في عصره والتي لا زالت حتى اليوم ، على أن الجدير بالملاحظة أن المؤلف استخدم هنا في هذه المقامة تعبيرا سياسيا اطلقه في هذه الفترة المتقدمة ، ونعني به تعبير « الامة العربية » الذي ظهر مع اليقظة الحديثة ، ولكن الكاتب استخدمه في وقت مبكر جدا ، وكان يقصد به التفريق بين الامة الفرنسية - كما نعتقد - وبين الشعب الجزائري العربي ، فهو في معرض حديثه عن العرب يقول : « فعند ذلك شهد أهل الدولة وأضيافهم السادات الكرام وعلمائهم ببراعة الامة العربية ، بفضيلة اهلها على غيرهم بالكلية » . وقد ساق هذه الجملة أثناء وصفه للفروسية العربية في المهرجان المشار اليه ، وأغلب الظن أن الكاتب يهدف أيضا الى اظهار الخلاف في التقاليد بين الجزائر وفرنسا وان هناك خصائص معينة لكل شعب منهما بغرض اثبات أن الجزائر لها كيانه الخاص وذاتيتها الخاصة ، لا سيما وأن الفترة كانت فترة دعوة الى الادمج الكامل للشعب الجزائري ومحاولة فرنسسته والقضاء على شخصيته ، والا فكيف نفسر بداية الكاتب لمقامته بموضوع بعيد كل البعد ثم انتقاله الى هذه الفكرة لولا انه يهدف - فيما اتصور - الى ابراز الحقائق الخاصة بالشعب الجزائري واظهار تميزه عن غيره *

هكذا نكون قد عرضنا الى المخطوط الرئيسية في هذه المقامات واثرنا بعض الافكار التي عالجهها الكاتب وأوضحنا الافكار الاساسية التي قصد اليها قصدا ، ولكن تبقى جزئيات كثيرة وتفاصيل

هذا المنظر وهو يعرف أن هذا الدجال بطل المقامة فيقول : « قربوا له كاليشا واركبوه وركب معه أعيان القوم وشرفوه ، وانطلقوا به مع الطريق السلطانية بلا أمل راجعين للقبة برأس الجبل وكر الهجيج في أثرهم يتلاعبون ويتصارفون ويتسابقون ويتضاربون وهم فرحين مستبشرين لازالة ما كان على قلوبهم متكدر ، من الشوق لرؤية قطبهم المخضر فاتبعنا أثرهم رويدا رويدا والامام رفيقي يكل من السير ويشد عضدا عضدا ونحن فاكهة الحديث على ما رأينا من البهجة التي لم يلبث لها لبث ففقت ان لم أبين له السر المكتوم أكون عنده غير صادق مأثوم ... » ويستمر الراوي في وصف احتفال الناس بهذا الشخص الذي يعرفه حق المعرفة ، يعرف أنه يتظاهر باسم الدين ويستغله من أجل الحصول على المال ، ويصفه بأنه : « ليس بولي صالح ، ولا بعالم ناصح ، وانما هو صعلوكا لكعا خداعا بداعا ، أصله زمالى اسمه ابن عيسى العوالى وهذه صحة علامته ويقين حكايته ... » ويطول بنا الامر لو أردنا أن نسوق امثلة على فكاهة الكاتب وروحه المرحه لان أسلوبه في هذه المقامات كله فكاهة ونقد .

والسمة الثانية قدرة الكاتب على الوصف والاطناب فيه واستقصاء الفكرة وتقليبها على وجوها كما يقول واحتفاله بالصور والتشبيهات البسيطة والمركبة أحيانا ، وهي كثيرة في المقامات سواء منها ما كان وصفا للمظاهر السلبية والعيوب الاجتماعية أو لوصف الطبيعة أو لوصف

اشياء كثيرة بل تغير المعنى كلية ومن هذا اللون الفكاهي الصافي تلك الصورة التي رسمها للهجة إحدى المناطق الجزائرية حيث ينطق القاف فيها كافا والتي قد تشوه - لا النطق العربي الفصيح فقط وانما تشوه بلاغة وفصاحة القرآن - يصور المؤلف هذا تصويرا له دلالة فيقول على لسان البطل :

« وأول ما شاهدته وأغرب ما رأيته اننى مررت بمسجد وسمعت طالبا يتلو القرآن ويرتل بزعمه البيان وهو يقول : « كال كائل منهم لا تكتلوا يوسف والكوه فى غيابات الجب ، وهو يقصد : قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه فى غيابات الجب ... » وهذه آية قرآنية حرفها النطق ، وحين تعدد اللهجات المتضاربة يصعب التفاهم والتخاطب ويصعب حتى فهم القرآن . وإذا كان الكاتب يلح على هذه الفكرة بسخريته المعهودة فانه - لكى يعمق فكرة أن الجهل قد تفشى بين مواطنيه ، يقرر بطله الذى سمع ذلك التحريف ان يتجول فى الشارع عارضا ببيع النقط ، نقط القاف لاهل البلدة .

ومن الصور الفكاهية البسيطة وصفه - مثلا - لرجل كفيف ذهب للحمام فنضحوه بالآ يطيل فيه البقاء كثيرا لان حرارته مرتفعة جدا فلم يستمع لانه أراد أن يأخذ حقه كاملا فى الاستحمام لقاء ما دفع من دراهم ، فكان أن قضت عليه الحرارة فمات لعناده . الى غير هذا من الصور الكثيرة المعبرة عن قدرة الكاتب على الاضحاك والتفكه .

ومن النوع الذى يتسم بالسخرية والفكاهة النقدية قوله وهو يصف البطل الدجال الذى لبس لباس الولي الصالح حتى ان الناس أصبحوا يتوقبون منه ما يزيل كرههم . ويصف الراوي

الامة الذي سهل له أن يتلاعب بالالفاظ و اظهار البراعة اللفظية .

وكذلك خاصية الاستشهاد بالشعر في الغرض المقصود أو بالمثل والحكمة يفرض التعلم والوعظ والعبرة . وقد اقتفى كاتبنا هذه الطريقة ولكن الابيات التي جاء بها هي من تأليفه وبلهجة عامية تمتاز بالفكاهة والصور الساخرة تارة يبرر بها موقف البطل وحيله وتارة يصف بها الناس والزمان أو يصف بها الطبيعة وجمالها وما الى هذا السبيل .

ولا شك أنه من التقاليد المعروفة في المقامة هي اعتمادها الى حد ما على الحوار بين الاشخاص، ولكن الحوار لا يأتي للتعبير عن مستوى الشخصية كما هو الشأن في القصة الفنية الحديثة ، بل يأتي في أغلب الاحيان لاضفاء الحيوية على القصة المقامة ويأتي للتعبير عن أفكار الكاتب ، وهذا هو الطابع العام في مقاماتنا هذه وان كان أحيانا يأتي موجزا معبرا عن الفكرة في حين أنه في كثير من الاحيان لا تكون وظيفته فنية بقدر ما تكون لإبراز الهدف الذي يرمى اليه المؤلف ، فهو اذن حوار لا يساعد كثيرا على رسم الشخصية خاصة وهو قليل في هذه المقامات بالقياس الى العناصر الأخرى ، لأن المؤلف مشغول بالسرد والوصف ، وهو سرد يمتاز بالحيوية والتدفق لما فيه من حركة واضحة منبعها تتابع الاحداث وسلسلة التعبير ورصد المفارقات والتناقض بين المواقف ونقد الواقع في وعي وفهم عميقين .

بطله وحيله وطرقه الذكية في استغلال الآخرين والضحك على أذقانهم واللعب بعقولهم وعواطفهم . والسمة البارزة أيضا في كتابته أن لفته متفاحصة - كما ذكرنا - يمزج فيها بين الفصحى والعامية ، ولكن الفصحى تغلب على لفته وأحيانا يأتي بالعامية ليس فقط لتخليص العريضة من اللهجات المحلية المتضاربة ولكن من أجل اثبات قدرته على استيعابها من جهة وعلى الترويح على النفس من جهة أخرى ، كما أنه قد يستخدم مفردات وألفاظا أجنبية ، ربما أيضا لأنها تعبر عما يريد أن يصوره لأنها أصبحت من اللهجات الدارجة أو لأنها علقت بذهنه أو يأتي بها من أجل الاضحاك وهي على كل حال تدل على أن اللغة العربية - معربة أو دارجة - قد طغت عليها الفرنسية في تلك الفترة وتغلغلت في اللهجات المحلية بعد أن فرضت بالقانون والقوة على البلاد ولغتها وثقافتها القومية .

وهناك خاصية أخرى وجدت في المقامات منذ استقام فننا وهي العناية بالسجع ولكنه في كثير من الاحيان يأتي عفو الحاطر وهو في الوقت نفسه تقليد لاسلوب شاع في الادب العربي نشره وشعره في فترة جموده وذاع في المقامات بوجه خاص ، وكان يقصد منه اللذة والامتاع الفني والتأثير من خلال الموسيقى والتوازن بين العبارات والقوافي في الجمل أو في الكلمات ولكنه في فترة متأخرة أصبح هدفا لذاته لا لغاية جمالية أدبية ، كما يظهر في اسلوب كاتبنا استيعابه للغة العربية الفصيحة المعربة والدارجة أيضا

عن نتاج أدبي لعب دورا هاما في الحياة الادبية والاجتماعية وسجل كاتبها ما رآه وعاشه ، ويكفيه أنه كان صادقا في تصويره لبيئته ولمجتمعه ونقل لنا ما كان يضطرب في عصره من قضايا وافكار هي من صميم الحياة الاجتماعية عاشها ، ويكفيه أنه كان شاهد عصره ، وكانت مقاماته وثيقة صارخة على ما كان يجري في مجتمعه ، والادب الحى هو الذى ينقل لنا - بصدق - احوال الافراد والمجتمعات وكيف كانوا يفكرون ويحلمون ، وليس اصدق شهادة من الادب حين يتوفر فيه عنصر الصدق والكشف عن الحقيقة وتصوير الحياة .

على أن بناء هذه المقامات فى الغالب - بناء مفكك لان الكاتب لا يكتب قصة قصيرة فنية يراعى تقاليد ومقوماتها بقدر ما يعنيه عنصر القص والفكرة التى تلح عليه ويهدف الى اظهارها وبراهاها ، فهو لا يربط بين الشخصية والحادثة ربطا محكما متفاعلا متطورا فى خط مستقيم ، وانما ينتقل من فكرة الى أخرى ومن موضوع الى آخر حسبما يطرا فى ذهنه فى افكار وما تختزن مخيلته من صور وما ترسب فى عقله ونفسه من تجارب يهمه ابداء الراى فيها . ولسنا بصدد مناقشة هذه المقامات ومدى ما حققته من سمات القصة القصيرة وهل هي من هذا الشكل ؟ أو هي شكل مستقل بنفسه ؟ وانما غرضنا فقط الكشف

بعض مراجع هذا البحث :

- « المقامة » - سلسلة فنون الادب العربى - د . شوقي ضيف - مطبعة المعارف سنة 1954
- « رأى فى المقامات » - د . عبد الرحمن ياغى - المكتب التجارى - بيروت سنة 1969
- « منامات الهمداني » - من مطبوعات المجمع اللغوى - القاهرة
- « صفوة الاعتبار بمستودع الامصار والاقطار » - محمد يبرم التونسى - المطبعة الاسلامية سنة 1884
- « المواقف » - الامير عبد القادر ط 1 ح 1 مطبعة الشباب سنة 1911
- « مجلة المغرب » - العدد 11 سنة 1903
- « المجلة الاسيوية » - الحلقة 11 عدد 2 سنة 1913
- « مغامرات طالبين » - نشرت بوهرا وباريس سنة 1887

الأمراض والعاهات والعيوب

وما يتصل بها في عاميتنا

يمثل هذا البحث الفصل الخامس من كتاب
قدم الى الطبع ، وعنوانه : « العامية الجزائرية
وصلتها بالفصحى » • فلا غرو اذا لاحظ القارئ
الكريم اشارات في هذا المقال الى امور مضت
ولم ترد فيه •

د. عبد الملك مرياض

عاميتنا في هذا الباب ، كفصحانا تقريبا .
ففصحانا لاتبرح شديدة الخجل ، كثيرة التردد في تسمية هذه الأدوية الحديثة الكثيرة الاسماء ، ان أن أسماء هذه الأدوية خلقت معها . وولدت يوم استكشافها ، فما تصنع العربية والحال أن أهلها لا يخترعون اليوم شيئا من الأدوية ولا من غير الأدوية ؟ فالملاحة هنا لا تقع على العربية المظلومة ، وانما تقع على الناطقين بها .

ولما كانت العامية بنتا للفصحى في معظم مفرداتها وتراكيبها ، ناشئة عنها ، منحوتة منها ، فانها تقوى في الموضوعات أو المجالات التي تقوى فيها الأم ، وتضعف في المواطن التي تضعف فيها .

من أجل كل ذلك ، نجد عاميتنا شديدة القصور في مجال التطبيب ، وذكر أسماء الأمراض وما يتصل بكل ذلك من الفاظ كثيرة متنوعة دقيقة .

بيد أن عاميتنا لاتبرح محتفظة بمعظم الأمراض والعوارض التي تعتور الجسم ، والتي يكثر شيوعها في فصحانا القديمة .

وهدفنا في هذا الفصل أن نذكر ما حضرنا من هذه الألفاظ التي لا تزال جارية على السنة عوامنا في البوادي والقرى ، وحتى المدن .

السل :

(ينطقونها بفتح السين) وقد أشرنا غير مرة إلى أن عوامنا ، يعدلون عن الضم إلى الفتح لخفته .

ويستعملون من هذا اللفظ اسم المفعول استعمالا قاصيا صحيحا فيقولون : هو مسلول .

(1) انظر اساس البلاغة : زلم .

(2) انظر اساس البلاغة : رهص .

وهي مسلولة . ولوجود هذا اللفظ في عاميتنا علاقة بوجود المرض نفسه الذي ظل يفتك بحياة كثير من الناس . غير أن هذا المرض كان قليلا في البوادي ، بالرغم من عدم وجود أي طبيب أو مستشفى . ونعزل ذلك ، لا بالنظافة ، وحسن الغذاء ، ومراعاة جميع الشروط الصحية المطلوبة ، وانما بنقاوة الهواء ، وقلة ازدحام السكان .

بوزلوم :

يطلقون هذا اللفظ على ذاء « الروماتيزم » . والعربية لاتزال في ضيق من تسمية هذا الداء . وانا لانقطع بعربية لفظ « بوزلوم » ، غير أننا نميل إلى عربيته ، على أنه جاء من لفظ « زلم » الذي معناه « قطع » (بتضعيف الطاء) (١) . لأن هذا الداء يتسرب إلى جسم الانسان ، وإلى بعض أعضائه خاصة ، فيصيبها بالآلم وأوجاع تشبه المناشير التي تقطع .

والعامة عندنا يتداوون من هذا الداء بطرق ساذجة شتى ، أهمها ما يشيع في الغرب الجزائري من وضع سلك اصفر رقيق في أسفل الأذنين ، ولكن ذلك لا يتم الا بيد شيخ مشهود له بالكرامة والبركة ، كالشيخ ابن عمرو أو أبنائه بندرومة .

الرهصة :

(بفتح الراء وسكون الهاء) ينطقها العوام عندنا على الأصل بدون أي تغيير . والرهصة عبارة عن تورم وتعفن يحدثان في أسفل القدم اما من اثر شدة الحفا ، واما من احتكاك القدم بالأحجار والاشواك نتيجة لمشى الشخص حافيا (٢) .

الى يومنا هذا ، وهي تشبه الرهصة من حيث طبيعة
الآفة (٣) .

الداحوسة :

لقطة عربية فصيحة لاتزال جارية على السنة
كثير من الفلاحين والرعاة لم يصبها أدنى تغير
المعلول :

يقولونه هكذا على مراد الوضع ، لأن لفظ
العليل إنما اريد به « المعلول » . وهذا جار على
باب جريح ، واراد به مجروح ، وقتيل ، والمراد به
قتيل ، وهم جرا .

وهم يطلقون هذا اللفظ على المريض الذى
طال مرضه ، دون ان يشتد عليه فيؤدى به الى
التلف .

غير انهم يستعملون احيانا لفظ « العليل »
ايضا .

مجنون :

يستعملون هذا اللفظ لما استعمل له فى
الأصل ، وهو ضد العاقل .

مجدوب :

(ينطقونه بالبدال المهملة وهو نطقه فصيح
صحيح ، ويريدون بلفظ « المجدوب » الى الرجل
الذى أصيب بخلل ما فى عقله ، فتغير تصرفه ،
وأصبح الناس ينكرون من أمره بعض ما كانوا
لا ينكرون .

ورغم ان المعاجم العربية لا تكاد تذكر من
هذا المعنى شيئاً ، فأنى افترض عربية المجدوب ،
على اساس انه أت من لفظ « الجادب » الذى من
معانيه : العيب ، والكذب (٤) .

فكان المجدوب معاب ، وهو حق .

غير انهم يطلقون لفظ « المجدوب » على كل
رجل يزعم انه يعلم شيئاً من الغيب ، فيتكلم
بالأغاز ، ويعمى فى أحاديثه ، فيصعب تأويلها .

فهذا قرق ما بين لفظى المجنون والمجدوب .
اما الأحقق فهو عندهم كل شخص كان ناقص العقل
على نحو ما .

غير انهم يتصرفون فى لفظ الأحقق ما
لا يتصرفون فى غيره ، فهم يستعملون منه الفعل
والصدر والتعجب على أسلوبهم الخاص .

عيان :

يريدون بهذا اللفظ الى معنى « متعب »
وهى عربية فصيحة عالية ، ولكن تستعمل فى
الأصل للعجز المطلق ، لا للتعب ، ومنه قوله تعالى
« أفعبينا بالخلق الأول » ؟ (٥) . ولفظ عيان
يستعمل لمعنى النصب فى أقصى غربنا ، اما فى
وهران وضواحيها ، فانهم يصطنعون لفظاً آخر هو
« عى » . وهذا اللفظ من مرادفات « عيان » ، فان
العرب تقول : عيان ، وعى ، وعياء ، وعى .
وتجمعه على أعياء ، وأعياء (٦) .

(٣) اساس البلاغة : دحس .

(٤) انظر مادة « جدب » فى لسان العرب .

(٥) سورة ق : الآية : ١٥ .

(٦) انظر القاموس المحيط : 370/4 (عى) .

الشقيقة :

الشقيقة من الأمراض التي كانت تعتور النبي عليه الصلاة والسلام ، وهى عبارة عن وجع يصيب الرأس أكثر ما يكون خفيفا نسبيا ، وأكثر ما يكون عارضا قصيرا سرعان ما يذهب .
واللفظة عربية فصيحة وهى لا تبرح قائمة مستعملة فى بوادينا وقرانا خاصة .

الطبيب :

لا يقول اهل القرى والبواي غير هذا اللفظ لهذا المعنى . ولكن اهل المدن عندنا كثيرا ما يستعملون لفظا من هذه الألفاظ الاجنبية الدالة على هذاسمى ، وربما قالوا ، هم ايضا ، « الطبيب » ولكن بنطق فرنسى بحت ، بحيث تصبح الطاء تاء مضمومة ، بعدها باء رقيقة .
ومن الغريب ان لفظ « الطبيب » دخل الى الفرنسية الحديثة والمعاصرة نفسها ، فى حين ان بعض الجزائريين من المتفرنسين لا يبرحون يستعملون غيره .

الدواء :

معظم الناس عندنا يصطنعون هذا اللفظ العربى .

دواء العرب :

يقصدون به الدواء التقليدى الذى يشيع استعماله بين من لهم تجربة فى هذا الشأن ، كالشيوخ والعجائز فى البواي خاصة ، فهم يتطببون بأدوية من العشب ، لا نزع منها ساذجة ، ولكن نقول : انها تقليدية قديمة . وهذه الأدوية كثيرا ما تدور على محور واحد غالبا ، هو العسل .

الداء :

ينطقونه صحيحا بدون تحريف ، اذ ليس فى هذا اللفظ ما ينبغى أن يحرف .

الفارماسيان :

لا يعرف العوام عندنا لفظ « الصيدلى » ، وان كانوا يعرفونه فانهم لا يصطنعونه ، ويستعملون فى الأغلب اللفظ الفرنسى المذكور . غير ان لفظ الصيدلى اخذ يشيع فى مجتمعنا قليلا بفعل التعليم والاذاعة .

العملية :

الواقع ان لفظ « العملية » اخذ يدور على الألسنة فى مجتمعنا دورانا يدعو الى التفاؤل بمستقبل العربية فى الجزائر ، فانك قلما تسمع عند الذين يحبون العربية غيره . ومن العوام عندنا من اخذوا اللفظ الفرنسى وعربوه بحيث ينطقونه بدون عناء ، فاذا هم يقولون : « الباراسيون » .

قوت لافيزيت :

لا يقال فى اوساطنا الشعبية غير هذا ، اى لا يقولون : « الزيارة » . مع ان هذه اللفظة بالذات كثيرة الشيوخ فى عاميتنا ، وربما قالوا : « فيزيتا » وهم حين يستعملون هذا اللفظ الاخير كانهم يعتقدون اذ اقرب الى العربية ، مع انه اسبانى . وكل ما فيه من العربية هذا التحريف النطقى .

العماش :

يريدون بهذا « العمش » ، فيشبعون الميم بالألف .

اعمش :

ينطقونه نطقا صحيحا *

الطمسة :

يريدون بهذا اللفظ الى المرض الحاد الذي يصيب العين فيطمسها ، فلا يدع شقا بين جفنيها *
وهي عربية قسيحة عالية لا تبرح قائمة الى يومنا هذا * ويقولون للمصاب بهذا المرض من الاطفال خاصة ، في فصل الخريف ايان جنى الرمان خاصة : انه « مطموس » ، بدون تغيير ولا تبديل *
خاصة : انه « مطموس » بدون تغيير ولا تبديل (٧) *

الدمعة :

لا يريدون بهذا اللفظ هنا البكاء ، وانما يريدون به الى ما يصيب العين العلية من دموع غير طبيعية ، فيقولون : عينه مريضة ، فهي حمراء تدمع *

السعلة :

يقولون هذا ، ويقولون ايضا : « الكحة » -
ولا أدري من أين جاءوا بهذا اللفظ *

الحمى :

ينطقون هذا اللفظ بفتح الحاء بدل ضمها ، على دأبهم في مثل هذه الحالات ولكنهم ينطقون حرفا من هذه المادة نطقا صحيحا فيقولون : فلان محموم *

الجدري :

(٧) انظر اساس البلاغة : طمس .

(٨) انظر اساس البلاغة : (حرز) .

ينطقونه بفتح الجيم وسكون الدال المهملة ، مع ان الأقصح هو غير ذلك * وهم انما صنعوا ذلك لقرارهم ابدا من الضم الى الفتح ، ومن الفتح الى السكون * اى قرارهم من الثقيل الى الخفيف ، ومن الخفيف الى الأخف *

البواسر :

يريدون بهذا اللفظ ، كما هو واضح ، الى « البواسير » * وهي كلمة على صيغة منتهى الجموع يصعب على العامة نطقها نطقا صحيحا ، الى ما كلفوا به من حب التغيير ، وحب التخفيف *

الحرز :

ينطقونه بفتح الحاء ، والوجه الكسر (٨) * وهو العوذة المعروفة التي يكتبها المحترفون من حقة القرآن ، ومن بعض المشعوذين *

وتنفق سوق كتابة الحروز في بلادنا نفاقا كثيرا ، وبالرغم من بعض المحاولات التي قام بها بعض الكتاب الاجتماعيين لمحاربة السحر والتدجيل والشعوذة في الاذاعة والتلفزة وسواهما ، فان هذه الظاهرة يصعب اختفاؤها وزوالها الا بعد ان يمضى وقت لا نستطيع تحديده * وانا اعرف من كتاب الحروز من يعيش أفضل من الموظف الكبير ، ويعقد صفقات مع النساء الثريات رابحة جدا ، وقد تبلغ العملية ألف دينار كاملة ، وربما فاقتها اذا اتصل الامر خاصة بالتطبيق والتزويج ونحوهما من القضايا المعقدة *

والعجب ان عقيدة « الكتابة » او « الكتبة » كما يقولون ، تشيع في معظم المجتمعات النسوية ،

وحتى عند بعض المثقفين • فاني اعرف كثيرا من
المعلمات يطلبن الى الفقيه المفضل ان يكتب لهن
حروزا خاصة ، اذا اردن الزواج ، او اذا شعرن
بان بعولتهن لا يحبونهن حبا كافيا ، وهلم جرا •

والطبيب لا يساوى شيئا على الاطلاق امام
الفقيه في حالات خاصة في مجتمعنا ، منها ان
العروس اذا دخل على حليته قياتت ليلة حرة ،
فان اهله يفزعون حالا الى كتبة الحروز ليحلوا لهم
هذا العروس « المربوط » • وقد اخبرني من اثق به
ان عملية من هذا النوع جرت في مغنية ، ففزع اهل
العروس الى امهر الكتاب المحترفين ولكن ذلك
كلفهم مبلغا من المال ضخما ، قبل ان تببت العروس
ليلة شبياء •

العزيمة :

وجمعها عزائم ، وهي فصيحة (٩) •

والعزيمة هي ان يقرأ الفقيه آيات او أورادا
خاصة على « المسكون » اي على الذي اصاب
بالصرعة الجنونية المفاجئة • والعزيمة من هذه
الناحية اقل ثمنا ، لانها اصعب مراسا من الكتابة
العادية • فكل فقيه كاتب حروز ، ولكن ليس كل
فقيه قادرا على احتراف « العزيمة » •

المسكون :

يريدون به الشخص الذي اصاب بصرعة
جنونية مفاجئة • وارادوا انه سكتته الجن ، قبضه
للمجهول •

اعوج :

يريدون به الى الاعرج • وهم لا يستعملون
الا هذه الصفة عند ارادة هذا المعنى بالذات ،
شاذا تصرفوا واصطنعوا الفعل ، فانهم يقولون :
وقلان يعرج • وهم اكثر ما يستعملون لفظ «العرج»
للبيهائم والمواشي ، اما العوج فهو عندهم للانسان
فقط •

اعور :

يطلق لفظ اعور في عاميتنا على كل اعمى ،
لا على كل انسان فقد عيننا واحدة ، وبقي يبصر
بواحدة أخرى فقط • فهم يستعملون هذا الحرف
في غير موضعه اللغوي غالبا •

اعمى :

يستعمل عندهم لعنى الأعور ايضا • وهم
يرونهما مترادفتين لشيء واحد مع انهما مختلفان •
وهم حين يدعون على الشخص يقولون : « العمى »
اي «سلط الله عليك آفة العمى ، فيختصرون •
ولكنهم كثيرا ما يقلبون هذا الحرف ، فيقولون :
« معمى » (على وزن مكوى ومروى) وهم انما
يريدون « اعمى » ، ويؤنثونه فيقولون : « معمية » •

اطرش :

يريدون به اصم • واطرش لفظ عربي ،
ولكنهم لا يقولون : اصم ، ابدا •

بكوش :

يريدون به ابكم • وهو حرف ليس عربيا ،
غير انهم اذا ارادوا اظهار العطف والشفقة على

(٩) انظر الحيوان : 184/4 ، 185 ، 187 ، 186 ، 189 ، 190 •

ويتصل بهذا اسماء المفعول الدالة على مرض
أو داء أو آفة عارضة ، كقولهم قولوا صحيحا
فصيحيا :

مجروح ، مقتول ، ملسوع ، مسموم ، ملعون
مدفون ، مجنون (وقد سبقت) ، مسعور ، محموم
مظلوم ، وهلم جرا . فمثل هذه الأوصاف لا تزال
تحتفظ بفصاحتها ونقاوتها فى عاميتنا الى اليوم .

الماشية قالوا : « يكماء مسكينة » ، فاذا ارادوا
الانسان قالوا : « بكوش » .

والذى يتتبع عاميتنا فى مجال الأوصاف
السيئة المذمومة ، وغير المذمومة ، يجد عوامنا
ينطقونها نطقا عربيا سليما فى الغالب ، كما فى
هذه الالفاظ التى تحضرنى مثلا :

احول ، احمق ، اصلع ، اقرع ، اقطس
اعمش .



منشورات
وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية

قريباً ستصدر فى طبعة مستقلة كاملة مع الترجمة

الباذة الجزائر

التي نظمها خصيصا للملتقى السادس
للتعرف على الفكر الاسلامى

الشاعر
مفدى زكرياء

أدبنا والمسيرة الثورية

لا اعرف ان قضية نالت من النقاش والبحث
مثل ما نالت قضية « الالتزام » ، وهذا للمكانة
الخاصة التي تحتلها بين القضايا الادبية المعاصرة،
وفي البحوث والمقالات السياسية والاجتماعية .
واكثر ما تثار قضية الالتزام عندما تضطرب
الأفكار ، وتتضارب النزعات ، ويجد مجتمع ما
نفسه في مرحلة انتقالية حساسة من حياته .
وليس من شك في ان مجتمعنا يمر اليوم بمثل هذه
المرحلة ، وفي انه يطمح الى حالة افضل من حالته
الحاضرة ، حالة تتماشى والمكانة البارزة التي
يحتلها بين شعوب العالم الثالث .

د. محمد صايف

وهذا في اعتقادي من الأسباب الأساسية في كثرة الكلام حول الالتزام والمتزمين في السنوات الأخيرة ، وفي تصنيف أدبائنا إلى طائفة ملتزمة ، وأخرى سلبية لايهمها من أمر المجتمع شيء . ومهما كان الأمر فإن بلادنا في أمس الحاجة إلى مجهودات وإخلاص جميع أبنائها ، وبخاصة إلى مجهودات هؤلاء الذين يتمتعون بثقافة عالية ، ويملكون وعيا حادا بالقضايا الوطنية ، وإحساسا عميقا بحاجيات الوطن والمواطنين .

وليس بمعقول مطلقا أن يظل هؤلاء الأدباء بمعزل عما يعتمل في بلادهم من ثورات ، بل من المنتظر أن يتحملوا مسؤوليتهم بكل شجاعة في هذه الثورات ، وأن يغذوا مسيرتها بأفكارهم المدروسة الناضجة ، وأن يوجهوها وجهة تتناسب والاتجاه العقائدي العام الذي تعتنقه بلادنا، وتعمل من جرائه تأصيله في سياستنا الوطنية . فما رسالة الأديب بالضبط في هذه المرحلة الحاسمة ؟

أول ما يمكن أن يقال في هذه الرسالة أنها شاقية ، وإنها تتطلب من الأديب إيمانا صادقا بالقضايا التي يعالجها ، وروحا مثالية ، وشجاعة أدبية في اتخاذ المواقف ، وفي الدفاع عنها ، وعمقا في التفكير يمكنه من مواجهة المشاكل والقضايا بنجاح وقوة . ويقدر ما تتوفر هذه الشروط في الأديب بقدر ما يوفق هذا الأديب في رسالته . ويعد انعدام هذه الشروط أو بعضها في الأديب من الأسباب التي تكشف عما نطلق عليه « الأزمة الثقافية » ، إذ لا يتنازع اثنان في أن ثقافتنا الوطنية تعاني أزمة حادة حقا . ويكفي للتأكد من هذه الحقيقة المؤلمة أن نفتح معظم صحفنا ومجلاتنا ، وأن نقرأ ما تنشره عن ثوراتنا الثلاث قراءة متأنية ، فقلما نعثّر على مقال أو قصة أو

قصيدة تقول عن هذه الثورات أكثر مما يقول رجل الشارع . ومن المؤكد أن هذه السطحية البارزة في معظم ما تنشره صحافتنا راجعة إلى انعدام العلاقة النفسية بين أدبائنا وبين القضايا التي يعالجونها ، هذه العلاقة التي ينبغي أن تكون الأساس الأول الذي تقوم عليه شخصية الأديب الحق ، وتجعل من انتاجه لذلك انتاجا قياديا في هذه المرحلة من حياتنا .

ومما يحز في النفوس أن أدباءنا لا يتفاعلون مع مجتمعهم بطريقة ايجابية ، فيكتفون غالبا بالتعبير عن مسيرته من الخارج ، الأمر الذي يجعل أعمالهم الأدبية تبدو وكأنها كتبت من طرف أجانب لايهمهم من أمر هذا المجتمع لانجاحه ولا فشله . اليس من اللافت للنظر أن نرى بلادنا تخوض ثورة صناعية ضخمة ، وتبدأ في تطبيق ثورة زراعية تشر بمستقبل زاهر ، ولا نرى الثورة الثقافية ، وهي الثورة الثالثة التي تعنى الأديب بالدرجة الأولى ، تخرج من مكاتب المسؤولين ، ومن المؤسسات التربوية المختلفة ؟ إن هذه الظاهرة لتلفت النظر حقا ، لأن ثورة ثقافية لا تحس آثارها في المشاريع ، وفي المزرعة ، وفي الصحف والمجلات ، وفي الانتاج الواعي المتنوع ، لا تعد من الثورات في شيء ، وإنما هي كلمة تقال في المناسبات ، ويستغلها العاجزون منا عن التفكير المثمر . وليس هذا منى ضربا من التشاؤم أبدا ، بل هو تعبير عن واقع سيء يحسه كل أديب مخلص ويشعر به كل مواطن واع .

إن كل ثورة من الثورات الثلاث تجند طاقات بشرية هائلة ، وترصد لها أموال طائلة ضخمة . وليس من أحد يستطيع التعبير عن هذه الطاقات وهذه الأموال والخبرات غير الأديب . وإنما

سلاحه الأول الذي ينبغي أن يتحلى به للقيام بهذه الرسالة هو الاتصال النفسي المباشر بقضايا هذه الثورات كما سلف ، وإخلاصه في التعبير عن هذا الاتصال تعبيراً قنياً مناسباً . وبدون هذا الاتصال لا يتسنى للأديب أن يسجل أحداث هذه الثورات ومواقفها إلا تسجيلاً فوتوغرافياً لا يصل إلى القلوب . واعتقد أن الكثير مما نقرأه عن الثورتين الصناعية والزراعية لا يعدو هذا النوع من الكتابة ، النوع الذي يكتفى فيه صاحبه بلوك الشعارات ، وباستخدام الخطب الرسمية في ملء الأوراق والأعمدة . ولعل هذا من الأسباب التي جعلت شعبنا لا يقرأ بحماس ما يظهر في صحافتنا كل يوم ، ويستغنى عن القراءة بالاستماع إلى الأخبار والتعليقات التي تقدمها الإذاعة والتلفزة الوطنية .

وعندما ما نتساءل عن علة عجز أدبائنا عن التعبير عما يعمل في مجتمعنا من ثورة ، ويجري في بلادنا من حركة ، لا نستطيع إلا أن نرد ذلك إلى ضعف إيمان هؤلاء الأدباء بما تشهد بلادنا من تغيير . وينتج هذا الضعف عادة عن انفصال الأديب عن مجتمعه ، واكتفائه لذلك بملاحظة حياة مواطنيه من بعيد . وهو شيء يحدث غالباً لكل أديب أثر العزلة ، واتسم بالانانية وحب النفس . ولا اشترط في الكاتب أن يعيش في مزرعة ، أو معمل ، ليقوى إيمانه بالثورة الزراعية أو الثورة الصناعية . وإنما أرى أن من واجبه أن يخالط أفراد شعبه بصدق ، وبنية التعرف إلى مشاكلهم ومطامحهم ، وأن يحاول الوصول ولو بعقله وشعوره إلى كرخ الفلاح الفقير الذي لا يجد ما يعول به نفسه وأولاده . إن هذه المخالطة الهادقة ، وهذا التفكير الجدي في مشاكل الآخرين ، لما يعين

الأديب على الاتصال نفسياً بالطبقة الكادحة من شعبه ، ومن ثم على القيام برسالته قياماً مرضياً . إن الإيمان الناتج عن هذا الاتصال بمشاكل المجتمع هو الذي يضيف على كتابة الأديب حرارة ضرورية للأعمال الأدبية الناجحة . وليس من شرط الكاتب أن يكون ماركسياً ليؤمن بحق الضعفاء في الحياة ، الكريمة ، بل يكفي أن يكون إنساناً القلب والعاطفة والعقل ، فإن هذه الإنسانية هي التي تجعله يحس بما يحس به الآخرون ، وتتألم لما يتألمون له ، ويتمنى لهم ما يتمناه لنفسه وذويه من حياة كريمة ، ومستقبل زاهر . وإذا افتقد الكاتب هذه الإنسانية فقد فقد كل دافع للاتصال بالآخرين اتصال تعاطف ، وأمسى المواطن في نظره شيئاً لا يستأهل الالتفات إليه ، فضلاً عن الاهتمام به .

وهذا الإيمان بحق الآخرين في الحياة الكريمة هو الذي يخلق في الأديب روحاً مثالية ، روحاً تدفعه إلى العمل من أجل مواطنيه ، وإلى السعي في سبيل تحقيق أهداف إنسانية سامية ، فتعود الكتابة بالنسبة إليه شيئاً تملّيه العقيدة بقدر ما تفرضه حياة مواطنيه . فإذا امتلأ قلب الأديب بحق كل إنسان في العيش الكريم ، ونشأت لديه هذه الروح المثالية ، استطاع أن يقف موقف الدفاع من قضايا هؤلاء المواطنين ، واعتبر نفسه ليس ممثلاً لحق شعبه فحسب ، بل منافحاً عن قضايا تهمه هو بالدرجة الأولى . ومن هنا تكون كتابته قطعة من نفسه ، وبالتالي قادرة على التأثير في الآخرين . وهذا التأثير الإيجابي هو الذي نطلبه من كل عمل أدبي خليق بهذا الاسم . وهو ما نفتقده بكل تأكيد في جل الأعمال الأدبية التي نقرأها . وليس لك إلا أن تقرأ ما تطالعنا به

الصحف لتعلم أنه لا علاقة بين معظم المقالات والبحوث وبين نفوس أصحابها ، وإنما لم تكتب في الواقع إلا لقتل الوجة وتزجج الفراغ .

فإيمان الكاتب بما يعالجه من قضايا ، وإخلاصه فيما يتخذه من مواقف ، هما الشرطان الأساسيان لقيام هذا الكاتب برسالته خير قيام ، وذلك لأنه من حق الأديب ألا يكتفى بتلخيص أقوال الآخرين ، ولا بتبنى مواقف المسؤولين بصورة سطحية ، بل عليه أن يعمق هذه المواقف ، وأن يشكل منها اتجاها يجتمع حوله المواطنون ، وعقيدة تدفعهم إلى النشاط والتضحية . وهذا لا يكون بطبيعة الحال إلا إذا وعى الأديب رسالته ، وعرف المراد من الكتابة والنظم . ولا اعتقد أن الكثير من كتابنا يدركون هذه الرسالة الخالدة حق إدراكها ، ويعرفون بالضبط ما ينتظر منهم الفن والمجتمع ، فليس من هم الأديب أن يمس الأشياء مساخفيا ، ولا أن يكتفى بالعرض المبسط الموجز ، لأن ذلك شيء يستطيعه كل من تعاطى فن الكتابة بشكل من الأشكال . ولكن من هم أن يتخذ موقفا من القضايا التي يعالجها ، وأن يعبر عن هذا الموقف في قوة وحرارة . وهذا لا يمكن إلا بالإيمان بهذه القضايا ، ويعمق التفكير فيها . ولعل أول مرحلة من مراحل العمل الهادف هي التفكير العميق الذي قد يطول الساعات والأيام ، وقد يطول الأسابيع والشهور . فليس فن الكتابة أن يحمل الواحد منا يراعه ، ويسطر به على ورقة أو أوراق ما يبدو له لأول وهلة ، بل هو أن يفكر قبل كل شيء في موضوعه ، وأن يزن الأمور بميزان القلب والعقل ، وأن يرى مدى اتفاقه أو اختلافه مع الآخرين ، وأن يعرف أنه يكتب للأجيال المتعاقبة التي ستحكم عليه من خلال ما يقول . كل هذا يجب

أن يفعله الكاتب الهادف قبل أن يعمد إلى الورقة والقلم . وهذا هو الذي يضفي ميزات خاصة على الأعمال الأدبية الخالدة . وبهذا فقط ، وبمراعاة متطلبات الفن ، يستطيع الكاتب أن يزعم أنه أبدع عملا أدبيا خالدا ، عملا ينتسب إليه ، ويعرف به . ولا أظن أننا نختلف ، بعد تحديد مهمة الكاتب بهذا الشكل ، في وسم معظم انتاجنا الأدبي بالضعف ، وبالسطحية . والشيء المؤسف حقا هو أن نرى هذه السطحية طابعا لجميع الأنواع الأدبية ، للقصة والقصيدة والمقالة الصحفية . فإذا كان الكاتب الصحفي يكتفى عموما بالعرض والجمع والتنويه ، فإن القصاص والشاعر لايزيدان في غالب الأحيان ، على مس القضايا الاجتماعية مساخفيا ، بحيث لا يهتمان بوصف الشخصيات ، ولا بتحديد المواقف ، بقدر ما يهتمان بسرد الأحداث الخارجية التي لا تشكل في الواقع أكثر من إطار للموضوع .

لقد قلت أن السبب الأساسي في هذه السطحية البارزة في معظم انتاجنا هو ضعف إيماننا بالقضايا التي نعالجها ، وبالتالي عدم اتصالنا بهذه القضايا اتصالا مباشرا وهادفا ، وأضيف إليه هنا سببا ثانيا هو التسرع في العمل ، وعدم التثبت فيما نرى ونقول . فالقليل من أدبائنا يأخذ من الوقت ما يكفي لتجويد العمل الأدبي ، وتقويم الآراء والمواقف . وهذا التسرع هو الذي يجعل بعض أدبائنا يتخذون أحيانا مواقف أدبية وفنية أقل ما توصف به أنها لا تدل على شيء ، وأنها إنما اتخذت مجاملة لصديق ، أو نكاية في خصم . والمؤسف في الأمر أن هذه المواقف وهذه الآراء تقرأ من طرف ناشئتنا ، وتقلد ، وتؤخذ على أنها قضايا مسلم بها ، الأمر

وعنصر عام يشترك فيه هذا الأديب مع أفراد المجتمع . ولاشترط العنصر الشخصى فى الأدب الرفيع يحتاج الأديب الى شجاعة ادبية خاصة يعبر بها عن هذا العنصر ، وهو يحتاج اليها فى القضايا الادبية الخالصة ، كما يحتاج اليها فى القضايا الاجتماعية العامة . وفى قضايا الأدب والفن يستحيل على الأديب مخالفة الشائع دون هذه الشجاعة ، وفى القضايا الاجتماعية هو فى حاجة اليها لتناول الأشياء بطريقة خاصة ، ولتعميق الأفكار والمواقف المتداولة وتجديدها . على أن فى مجتمعنا مساوئ ينبغى التنبيه اليها فى قوة وصرامة ، لأن فى استطاعة هذه المساوئ اذا لم تعالج أن تقف فى طريق مسيرتنا ، وأن تعطل تطورنا فى الأمد البعيد . ولا اعتقد أن ثورتنا فى غنى عن النقد البناء ، بل اعتقد جازما أن حاجتها الى هذا النقد اكبر من حاجتها الى التنبؤ المزيف . أجل أن فى ثورتنا جوانب ايجابية تستحق التقدير، وتستوجب تهنئة المسؤولين القائمين عليها . غير أن هذه الجوانب الايجابية العديدة لا ينبغى أن تنسينا الجوانب السلبية ، بل من حق هذه الجوانب أن تدفعنا الى الكشف عنها ، وعلاجها فى أسرع وقت ، وبأسلوب ثورى . وهذه مهمة تحتاج الى شجاعة ادبية عالية كما أسلفت ، وهو ما افتقدناه الى اليوم فى كتاباتنا . وقد أن الأوان لأن نتدارك هذا النقص فى ثورتنا الثقافية .

هذا بخصوص الكتابة الادبية بصفة عامة ، أما فيما يخص كتابة القصة ونظم الشعر فالمشجاعة الادبية المطلوبة هنا تختلف قليلا عنها كما وصفناها فيما سلف . فالقصاص والشاعر مطالبان كذلك بالنقد البناء فى آثارهما ، بيد أن نقدمها يحتاج الى شجاعة ادبية فى البحث

الذى يشكل خطرا أكيدا على مستقبل الثقافة فى بلادنا بصفة عامة ، وعلى تكوين هذه الناشئة بصفة خاصة .

ومن الشروط التى أراها ضرورية للانتاج الرفيع ما سميت فى بداية هذا البحث « بالمشجاعة الادبية » ، وأعنى بها هذه الشجاعة التى تفرض على الأديب اتجاها عقائديا معيناً ، وتمكنه من الاعلان عن هذا الاتجاه فى صراحة ودون لف ولادوران . وبهذه الشجاعة وحدها يفرق بين أديب ملتزم ، وآخر غير ملتزم ، إذ أن الالتزام فى الفن لا يعنى مجرد اتخاذ موقف ما فحسب ، بل يعنى علاوة على ذلك أن يأتى هذا الموقف معبرا عن وجهة نظر الأديب ازاء نفسه ، وازاء مشاكل المجتمع الذى يعيش فيه . وليس بين تعبير الأديب عن وجهة نظره وبين ما ينبغى له من التجاوب مع محيطه أى تناقض ، بل بينها تكامل يعد شرطاً أساسيا فى الأدب الرفيع ، لأن المواقف الذاتية المحضة أمست اليوم لا ترضى النقد الحديث ، كما أن المواقف الاجتماعية التى لا تعبر عن نفس صاحبها بصدق وعمق مواقف مزيفة لا تسمو الى درجة الأدب الانسانى الخالد . فنحن اذا طالبنا الأديب بالتعبير عن نفسه ، وعما تمده به هذه النفس من مواقف وأحاسيس ، لا نريد من هذا الأديب أن ينزوى فى عالمه الذاتى الخاص ، ولا أن يمنع حواسه ومشاعره من الاتصال بمحيطة اتصالا مباشرا ومفيدا . على أنه حتى لو أردنا ذلك ما أفلحنا ، لأن الأديب ، وهو انسان عادى ، ليس الا عضوا كاملا فى مجتمعه الذى يؤثر فيه ، ويتأثر به .

فالأدب الرفيع يقوم إذن على عنصرين اثنين : عنصر شخصى يمثل الأديب ومشاعره ،

والدراسة أكثر مما يحتاج إليها في التعبير وإبداء الرأي . لأن ما تفتقده القصة الجزائرية والشعر الجزائري الحديث عموما هو الاحاطة بالموضوع ، والغوص على السمات المميزة ، ومحاولة الإبداع في العمل . وهذه شجاعة تعنى الأديب وموضوعه أكثر مما تعنى المجتمع أو أفراد المجتمع ، فعلى القصاص والشاعر الجزائريين ألا يكتفيا بالعرض والتكديس ، بل عليهما أن يدرسا موضوعهما دراسة عميقة متأنية ، وأن يحاولا تقديم نماذج بشرية إيجابية صالحة لأن تكون أسوة حسنة للمواطن الجزائري . ومما لا شك فيه أن هذا عمل يتطلب أناة وخبرة ونشاطا متصلا . وهذا ما نراه نادرا فيما نشر بعد الثورة الجزائرية ، فالكثير من

قصاصينا وشعرائنا يهتمون بالحجم والعدد أكثر مما يهتمون بالكيف والجودة . وهذا ما جعل نهضتنا الثقافية متأرجحة بين الغناء والحياة ، وجعل مثقفينا يقرأون قليلا في البلدان العربية الشقيقة .

هذه هي حالة الثقافة في بلادنا ، وهذا هو موقف أدبائنا منها . ولن تلحق ثقافتنا بشقيقاتها في البلدان العربية إلا إذا امتلك الأديب القدرة على تحمل مسؤوليته كاملة في مسيرتنا الثورية . وهذا لا يمكنه أن يقوم به إلا إذا تحلى بالآيمان والروح ، وتعاطى البحث والدراسة بجد واستمرار ، واتخذ موقفا واضحا من شؤون الحياة والمجتمع في شجاعة والتزام .



جان بول سارتر يتحدث عن : الإصلاح والعنف والثورة

د . قشام الصفري

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

في هذا الحديث الذي اجراه محررو مجلة « دير شبيغل »
الالمانية (1) مع الفيلسوف سارتر ، وكان بعنوان « الجبهة
الشعبية ليست بالفضل من الديفولين » ، تحدث سارتر قبيل
الانتخابات الفرنسية التي جرت في شهر مارس 1973 ، فعبّر
عن رأيه في عدد من المواضيع الهامة . ومن أبرز هذه
المواضيع : الآثار المباشرة والبعيدة للاضطرابات التي هزت
فرنسا عام 1968 وأدت الى استقالة الجنرال ديغول ، موقف
سارتر من الاحزاب اليسارية الفرنسية والشيوعية ، واسباب
انقسام الحركات الثورية اليسارية ، العنف والارهاب ،

1 (مجلة « دير شبيغل » العدد 7 ، 12 فيفري 1973 ،
ص 84 - 98 .

والصراع العربي - الإسرائيلي .

آخرين بصدد أزمة الملاحة في خليج العقبة . انحسار فيه الى الجانب الاسرائيلي وتغلغل عن سياسة الحياد السابقة المتعاطفة مع قضية اللاجئين الفلسطينيين . هذا التحول يكاد يسير متوازيًا مع ما طرأ على سارتر عام 1968 عقب اضطرابات الطلاب في فرنسا ، ودخول القوات السوفياتية الى تشيكوسلوفاكيا . فبنتهم الحزب الشيوعي الفرنسي بغاية ثورة الطلاب المذكورة ، ويدخل التدخل السوفياتي . ويلوح كان هناك ترابطًا وتبادلاً في التأثير في الموقفين لدى سارتر . وهي مواقف متناقضة حقًا . وفي حديثه مع محرري مجلة دير شبيغل يعطى الحق للفلسطينيين الفلسطينيين في الدفاع عن قضيتهم ، مثلما فعلوا في مونبخ - ويدخل البوليس الألماني والمسؤولين الاسرائيليين بالتسبب في قتل الرهائن - ولكنه يسمح للاسرائيليين في الوقت ذاته في مقاومة (الارهاب) - أي مقاومة الحق الذي اقره للفلسطينيين - كييفًا امكتمهم ذلك .

وبكلمات أخرى يجمع سارتر بين الضحية والجلاذ على صعيد واحد ، لربما لأنه يؤمن بأن الصراع اساسي لكل العلاقات البشرية . الا ان سارتر كان قد عبر سابقًا عن شعور مختلف في موقف مماثل ، وذلك ابان الثورة الجزائرية . اذ خاطب مواطنيه الفرنسيين الذين خرس اصواتهم عن ادانة المجازر الفرنسية في الجزائر قائلا : « اذا كانت خمس عشرة سنة كافية لتحويل القسحايا (1) الى جلاذ (2) ، فذلك لان الظرف هو وجهه الذي يقرر : فحسب الظرف يستطيع اي كان ، وفي اي وقت ان يصبح ضحية او جلاذ . وفي أثناء الحرب عندما كانت الاذاعات الانكليزية تتحدث عن مذبحه « اورادور » كنا ننظر للجندود الامكان الذين ينتزهون في الشوارع نظرة بريئة . وكنا نقول احيانا : انهم ، مع ذلك رجال يشبهوننا ، فكيف يكون باستطاعتهم ان يفعلوا ما فعلوا ؟ .. » (3) . ومن الغريب حقا ان الظرف وحده : أي دعم الامبريالية للصهيونية المالية - هو الذي حول اليهود الاوروبيين : ضحايا النازية بالاس - الى جلاذ لا للشعب الفلسطيني فحسب ، بل لكافة الشعب العربي اليوم . ترى ألم يخطر ببال الفيلسوف سارتر ان يطرح على الاسرائيليين خاصة وعلى شعوب الغرب عامة - وهو يتجول في شوارع القدس - نفس السؤال الذي كان وجهه للفرنسيين من قبل ؟ وكيف يمكن لشورى متطرف في ثورته وفي ثقته على الامبريالية - ان يتغلغل عن المنطق والتاريخ مؤقتًا - فيتناسى التحالف الوثيق المفقود بين الامبريالية وبين جلاذ الشعب العربي المجدد ؟ ايديهم في فيتناس كمجرمي حرب ، ويتساهلهم في فلسطين 1

اذا لم نغطي الفن بثورة سارتر ، يغيب الينا احيانا ، وكأنه يشير بكلماته الى الطريق الوحيد - والذي سلكته من قبل الثورة الجزائرية : « ان الشقاء في ظل الحروب الاسرائيلية لا تنتهي الا بالحرب والا للعداء العربية » .

يصلق عن سارتر ما قالته الكاتبة ايريس موردوخ : « ان تفهم شيئا عن سارتر ، معناه ان تفهم شيئا هاما عن عصرنا الراهن » . اذ يبدو في اجابات سارتر على المواضيع الاتفة الذكر شيئا من التراجع والتناقض : مثل مهاجمته للشيوعيين او مصادقتهم ، الاعتدال ، والتطرف ، وهي ظواهر تكررت في احداث عديدة كانت اضطرابات عام 1968 ثم انتخابات الجمعية الفرنسية عام 1973 بعض حلقاتها . ويقول بعض المفكرين ان التراجع في موقف سارتر يكمن وراءه عنصر استعراذ واطراد هو الدفاع عن الاشتراكية ، وكراهية البورجوازية ... وكما تقول رفيعة سارتر سيمون دي بوفوار في كتابها « قوة الاشياء » : « ... اما الآن فان سارتر يرى في (الاشتراكية) خط الانسانية الوحيد ، وشرط اكتمالها الخاص في وقت واحد » .

يعود سارتر مجددا الى أسلوبه المتراجع عندما يعقد المقارنة بين اليمين الراسمالي المحافظ من جهة - وبين اليسار الاشتراكي - الشيوعي في فرنسا من جهة أخرى . فيعبر عن رأي متطرف يتلخص في انعدام الفوارق بين الطرفين ، وينادي بضرورة محاربتهم على السواء : لان الديكتاتيين يمكن شراؤهم « ، ولان الجبهة الاشتراكية - الشيوعية تساهم حسب رايه في تدعيم النظام الراسمالي . ويخلص سارتر الى القول بان الشيوعيين الفرنسيين لا يمثلون اليسار الثوري ، وان الثورة الاجتماعية التي تتم عن طريق الانتخابات التقليدية ليست بثورة حقيقية . ويشير مقعما بان نظام الحكم اليساري الجديد في فرنسا قد يكون اسوأ من النظام الذي يقول !!.. ويبدو الآن وكان سارتر اليساري المتطرف يفضل بقاء نظام الحكم المحافظ في فرنسا - وهذا ما حققته الانتخابات الأخيرة . فهو يرفض الإصلاح والحلول الوسطى - التي تستهدف رفع نسبة الانتاج دون ان تهتم بتجديد نسبة الادراج - ولا يقبل بديلا عن تحقيق تغير جذري ثوري في كيان المجتمع الاوربي الصناعي . ويتطلع الى التجربة الصينية باعتبارها تجربة واعدة للثورتين الاجتماعية والثقافية . كذلك يهاجم سارتر نقابات العمال ، والاحزاب التقليدية . وينفذ فكرة (النخبة) من الثوريين المحترفين الذين يعيشون بمعزل عن الجماهير ليصنعوا لها افكارا ، مثلما يهاجم الفكر الكلاسيكي ويدعوه لافساح المكان للمفكر المصري . اما تحقيق الحرية للانسان فسوف يتم عن طريق العنف الجماعي لا الفردي . اخيرا لا ينسى سارتر ان يفهم من مثله الاعلى « الصيني » منذ ان تحولت الصين الى دولة عظمى ، فخطت برايه خطو الاتحاد السوفياتي في ممارسة السياسة الوطنية على حساب القضية الثورية .

يلاحظ المتابع لموقف سارتر من القضية العربية حلول تحول في تفكيره بطرا فجأة بوضوح عقب زيارته لاسرائيل عام 1967 ، ثم ما عقب ذلك : من بيان اصلده مع مفكرين

(1) يقصد بالضحية الفرنسيين أثناء الاحتلال النازي لفرنسا

(2) الجلاذون الجدد هم الجيش الفرنسي والمنظمة السرية الذين يحاربون الشعب الجزائري

(3) راجع : سارتر « عارنا في الجزائر » ص : 47

وفي الحقيقة يدور الامر في هذه الاضرابات ايضا حول المطالبة بالاجور ، ولكنها غدت حركة مستقلة .

المحرور : ألا تحاول ان تتوصل بواسطة امثلة منعزلة الى استنتاجات عامة ؟

سارتر : لا اعتقد بأن المرء يستطيع القول بأن الاضرابات الراحنة التي يقوم فيها العمال المضربون مرارا بحجز ارباب العمل بأنها امثلة منعزلة . من المؤكد بأن هذه الامور تشكل حالات متفرقة ، غير انه يجب علينا ان نسجل وجود غضب موجه لا ضد الرأسماليين والمدراء فحسب، ولكنه وجه مجددا ايضا ضد من يسمون «بصفار الرؤساء» ، وضد رؤساء الورشات ، وضد معلمى العمال الذين يتولون جميعا حث العمال ودفعهم الى المزيد من السرعة في العمل . فيقوم العمال باخضاع هؤلاء الناس واجبارهم مثلا على ان يمارسوا هم بأنفسهم العمل في نطاق « البساط الدائر » *«Fließband»* ،

أو انهم يحجزون حريتهم . وهذا يرى ارادة معادية لتدرج المراتب **HIERARCHIE** ذات وقع ملحوظ اذ ان الكراهية التي توجه ضد كل هؤلاء الناس ليست موجهة ضدهم باعتبارهم اشخاصا ، بل باعتبارهم ممثلين « لتدرج المراتب » ضمن العمل . وهذا هام جدا .

المحرور : هل هنالك فرق كبير ، فيما اذا كان العمال يحتجون بشدة ضد الرؤساء الكبار ، أم ضد الرؤساء الصفار ؟

المحرور : صرح الجنرال ديغول في عام الثورة 1968 بأن الامور لن تكون في المستقبل مثلما كانت عليه في السابق . ولقد عبرت يا سيد سارتر انذاك عن قناعة مماثلة في حديث صحفي لمجلتنا . ومما لا ريب فيه اليوم ان النظام القديم للمجتمع ما زال قائما دون أن يمس . فهل خاب أملك ؟

سارتر : قطعاً ، فنتيجة الانتخابات التي تلت شهر مايو من عام 1968 تعطى في الحقيقة الانطباع، كما لو أن نظام المجتمع ما زال نفسه وكما كان عليه في السابق . إلا ان هذا النظام قد تزعزع في الواقع .

المحرور : الى أي مدى ؟

سارتر : منذ ذلك الحين توجد حركة كبيرة تنادى بشرعية نظام مناهض لتدرج المراتب ، وهي حركة تدعو للحرية الكاملة. هذه الحرية لا اعنيها بالمدلول الفوضوي - حركة تدعو مثلا لحرية النساء ، أو لحرية الرجال المنحرفين جنسيا . فعندما يقوم موظف كبير مثل جابريل أرنادا بكشف النقاب عن فضيحة كبيرة ، ندرك ان هنالك شيئا جديدا في المجتمع يستحق التسجيل. **المحرور :** الامثلة التي تقدمها تمس فقط مظاهر هامشية للمجتمع .

سارتر : بإمكانك أن تسمى ذلك مظاهر هامشية . غير انك عندما تأخذ الطبقة العاملة على سبيل المثال ، فانك ستتحقق من ان الاضرابات الطويلة تختلف عما كانت عليه في السابق .

ساوتو : أرى ان الموضوع يدور حول اجزاء من ظاهرة واحدة ، نصفها بأنها ثورة عقائدية • وعلى المرء أن لا ينسى ما كان لدى العمال في السابق من خوف سحري تجاه هذه السلطات • وعلى كل نجد الآن انه عندما يسجن رئيس صغير ، أو رب عمل ، فانه لا يعود في علاقاته مع العمال - بعد هذه الحادثة - نفس ما كان عليه من قبل • اذ انه لم يعد يمتلك ذلك الشيء السحري أو المقدس الذي كان يمتلكه في السابق • والعمال لا يرون في العادة رب العمل كثيرا • ولكنهم ما أن يقبضوا عليه مرة ، ويجبروه على البقاء في المعمل ، وعلى تناول ما يقدموه له من طعام ، حتى يدركون انذاك بأن ذلك الشخص بشر مثل أى بشر آخر ، بل وانه انسان نزع منه سلاحه •

المحرر : نلاحظ أن عدد الثورات بالنسبة لعدد رؤساء العمل - الكبار منهم ، أو الصغار بصفة خاصة - ضئيل جدا حقا •

ساوتو : لا يوجد الكثير من الثورات ولكن هنالك البعض منها . والملاحظ ان في كل مرة يتطور فيها الخلاف الى صراع ، يكون الصراع قاسيا جدا •

المحرر : ومع ذلك ، ليس كل هذا قليل جدا تجاه الآمال الكبرى التي تفتحت في شهر ماى عام 1968 ؟

ساوتو : لا يجوز لك أن تنسى ، بأن الحركة الجديدة ابتدأت بهزيمة • واذا نظرنا الى الامر بشكل موضوعي ، فان شهر ماى عام 1968 كان

هزيمة • لقد قمنا بانتفاضة ، وعندها سمح لنا ان نقترح • الا ان الحكام السابقين ما لبثوا ان عادوا من جديد للقبض على الأعنة • وهذا كان بالطبع هزيمة • ومع ذلك لا تنسى بأن انتفاضة ماى قادت الى استقالة ديغول - حتى ولو انه لم يسقط مباشرة بفعل القلاقل نفسها •

المحرر : نرى بأن الرأسمالية تزدهر ، والارباح والاجور تتصاعد ، ونقابات العمال اندمجت كلية في النظام الرأسمالى - وهكذا لم يبق شيء من الاحلام •

ساوتو : حقيقى للأسف أن النقابات عادت اى امساك زمام العمال بيدها • ومع ذلك فلسنت أرى بأن نقابات العمال كان لها دور كبير في الحركة المناهضة للسلطة • وفى البرنامج الانتخابى للأحزاب اليسارية يجرى الادعاء بأن النقابات تمثل الطبقة العاملة ولكن ...

المحرر : ألا تصدق هذا الادعاء ؟

ساوتو : لا •

المحرر : ما هو الدور الذى يمكن للنقابات بعد ان تلعبه حسب رأيك ؟

ساوتو : لاريب فى ان النقابات مفيدة جدا للعمال ، الا ان النقابات تميل فى حالة الاضراب الى الحلول الوسطى غالبا • والنقابات تمارس الاصلاح وتبقى شريك تحدث دائم للطبقة الشعبية • اما عقلية العمال وصغار المواطنين فانها تتغير • فالكثير من الاضرابات تبدأ اليوم

سادتر : نعم . أعرف ذلك .

المحرر : كيف تعتقد رغم ذلك ، بأن اسلوب الديمقراطية المباشرة يمكنه ان يعمل ؟

سادتر : انا افترض حتى ، بأن الديمقراطية المباشرة يمكن تطبيقها لا في ميدان العمل فحسب ، بل وفي مجالات اخرى ايضا : في السياسة الخارجية والداخلية مثلا . ولا تنسى بأن الامر يدور في هذه الحالة حول ظاهرة سوف يعين موت الدولة على تحقيقها .

المحرر : لا يلحظ المرء وفرة في الظواهر التي تشير الى موت الدولة

سادتر : تقول لي : « بأن المرء لا يعثر على ظواهر كافية » تشير الى موت الدولة . ولكني اوضح لك بأنه توجد تلك الظواهر . كذلك توجد امثلة تشير الى ان الديمقراطية يمكنها ان تغلح في عملها دون الحاجة الى وجود مندوبين عن السلطة . وفي كثير من المعامل الفرنسية تعمل اليوم لجان كفاح «Kampfausschuesse» في الاحوال التي لا يوجد فيها اضرابات . ولكن ما أن ينشب اضراب في أحد المعامل ، حتى يحل محل لجنة الكفاح هيئة للاضراب — Streik — Komitée . أو ان لجنة الكفاح تحول نفسها الى هيئة اضراب . وهكذا نرى حدوث تجديد مستمر ينطلق من القاعدة .

المحرر : كما يرينا التاريخ ، قامت الحركات الثورية اليسارية بالانقسام على نفسها . وهذا الشيء لم يحدث في فرنسا فحسب. لذلك لا عجب

بدون النقابات ، ثم تقوم النقابات بعد ذلك بكثير بتبني العمل .

المحرر : لقاء أى شيء تريد استبدال النقابات؟ هل لقاء منظمات أخرى ؟

سادتر : لا اطلاقا .

المحرر : اذا هل تريد استبدالها بفرق الكفاح ؟

سادتر : اريد استبدالها بذلك الشيء الذي يسميه المرء « الديمقراطية المباشرة » وذلك في الحقيقة في مراكز العمل وفي كافة الاجتماعات التي يلتقى فيها أناس تجمعهم اهتمامات متماثلة .

الديمقراطية المباشرة في العمل والسياسة

المحرر : تمنون اذا مجالس للعمال .

سادتر : نعم .

المحرر : هل هي مجالس عمال كتلك التي قامت في ألمانيا مباشرة بعد الحرب العالمية الاولى؟

سادتر : نعم ، أو كتلك التي قامت في روسيا بعد عام 1905 . فقبل عام 1917 وجد في روسيا مجالس سوفيت حقيقية . وكانت انذاك اجتماعات يمكن للمرء أن يصفها بأنها «ديمقراطية مباشرة» . وفيما بعد حل محلها ممثلون للسلطة ، أى من الحزب .

المحرر : وكما فشلت التجربة الروسية ، فشلت كافة التجارب من هذا النوع حتى الآن .

أن لا يوجد اليوم لهذه الحركات تأثير يذكر في أي بقعة من بقاع العالم . ألا يثبط ذلك من عزيمتك ؟

سأوترو : كلا . هذا الوضع لا يثبط العزيمة ، بل أنه الموقف الراهن الذي وصلت إليه الأمور .

المحرور : وضع الاشتراكيون والشيوعيون في فرنسا برنامجا مشتركا للحكم سيخوضون الانتخابات على هديه . وبذلك سيكون في فرنسا لأول مرة في فترة ما بعد الحرب بديل يساري للأغلبية المحافظة . اليسست هذه الظاهرة أحفل بالمعاني من نشاط كافة الجماعات الثورية ؟

سأوترو : لهذه الظاهرة مدلول معين ضمن إطار الأسلوب بالنسبة لنا . إذ يتوجب على المرء أن يحارب ضد كليهما ، أي أن يحارب ضد الرأسماليين كما وضد أحزاب الاشتراكيين والشيوعيين الذين يدعمون هذه الرأسمالية .

المحرور : سيكون أمامك في هذه الحالة الكثير من الأعداء .

سأوترو : وليكن ذلك . فمارشي Marchais رئيس الحزب الشيوعي

يقول : « نحن نريد نظاما اجتماعيا أكثر عدالة ، دون أن نسبب الألم لأحد » . وهنا أسألك : أين يكمن الفارق هنا على سبيل المثال بينهم وبين الديفوليين الشيعيين ؟ في الواقع ليس ثمة من فارق .

المحرور : عندما وصلت الجبهة الشعبية إلى الحكم في فرنسا عام 1936 ، أدى ذلك إلى تعبئة

الجماهير وإلى اضطرابات عامة . هل يحتمل أن يتكرر شيء من هذا القبيل ؟

سأوترو : يحتمل أن يستفيد الحزبان الاشتراكي والشيوعي من مثل هذه التعبئة الجماهيرية فقط ، ويفرضان عليها عقيدتهم . وفي هذه الحالة ستهدد حرية وتلقائية الجماهير فورا .

الثورة التي تتم عن طريق بطاقة الاقتراع

ليست بثورة

المحرور : هل تريد القول بأن انهيار الديفولية «GAULISMUS» وإقامة حكومة يسارية في فرنسا أمور لا تعنى بالنسبة لك تحقيق أي تقدم ؟

سأوترو : الشيوعيون والاشتراكيون ليسوا ممثلي اليسار . أما بالنسبة لنا فهناك حتى من يقولون بأن نظام الحكم هذا لربما يكون أسوأ من النظام الديفولي .

المحرور : ألا تقيم فارقا على الإطلاق بين الديفوليين والشيوعيين ؟

سأوترو : إذا نظرنا إلى ذلك من الناحية الاجتماعية لوجدنا أن الفارق ضئيل . وإذا نظرنا إليهما من الناحية السياسية نجد أن الطرف الأول يمكن شراؤه ، واطن أن هذا الشيء أقل احتمالا بالنسبة للشيوعيين وللأشتراكيين . لذلك لربما تكون الحكومة اليسارية أكثر إخلاصا ، ولكن هذا ليس الحاسم في الأمر .

المحرر : من المحتمل ان العمال ينظرون الى الامر نظرة مختلفة عن نظرة الفلاسفة . ذلك ان برنامج الاحزاب اليسارية يتضمن على كل حال سلسلة من النقاط ، يحارب ملايين العمال من اجلها منذ امد بعيد .

سارتر : تعنى بان العمال لديهم مطالب محددة بدقة ، اكثر من تلك التى تجول فى رأس سارتر المشوش ؟

المحرر : هل تعنى بأن القلق لا يستند على اسباب صحيحة ، نظرا لان الحزب الشيوعى تخلى عن كل الاهداف الثورية ؟

سارتر : هذا لم نقله .

سارتر : لا أقول بان الحزب الشيوعى قد تخلى الى الابد عن كل هدف ثورى ، غير ان هذا الحزب لا يرى فى المستقبل التاريخى القريب امكانية القيام بثورة . والثورة التى تتحقق عن طريق بطاقات الاقتراع ليست بثورة .

سارتر : اجيبك على ملاحظتك بان هذه المطالب دقيقة ولكنها مبهمه . فهى قد أعيد تشكيلها وتحويلها من قبل النقابات بكل ما تحتويه النقابات من عناصر مصنفة وفق مبدأ تدرج المراتب «Hierarchie» . وهنا أود ان أقول لك بأن الامر لا يدور حول افكار سارتر ، بل انه يدور حول افكار مناهضة للتدرج فى المراتب ، والتى غدا لها اليوم مدلول اساسى .

المحرر : انت لا تعتقد بان الشيوعيين أفضل من الديغوليين. وقد اوصيت انت المواطنين بالامتناع عن التصويت فى الانتخابات التى ستجرى فى شهر مارس عام 1973 . كذلك كنت افصحتم مقدما فى الحديث الذى اجرته عام 1968 مع محررى مجلة شبيغل عن احتقارك « لرفاهيه الاشتراكية الديمقراطية » . ألا يستنتج من ذلك انك تتبع سياسة الحصول على كل شىء أو لا شىء ؟

سارتر : ولا بشكل .

الحزب الشيوعى ليس ثوريا

المحرر : فى الواقع أنت تقسم الناس والاحزاب والنقابات الى فئتين : ثوريين ، ومصلحين ، وتلاحظ ان كل ما يقوم به المصلحون - حتى ولو كان

المحرر : فى البرنامج المشترك الذى أعدته الاحزاب اليسارية يرد على سبيل المثال العزم على تأميم تسعة مشاريع خاصة . وهذا شىء ليس بالقليل .

سارتر : لا اعتقد بأن التأميم سوف يغير الشئ الكثير . فعندما يحافظ المرء على الكيان الرأسمالى ويقوم بتأميم المشاريع يحصل نتيجة ذلك على رأسمالية الدولة . وانت تعلم حقا بأن احد المشاريع الفرنسية ، التى يقتل فيها البوليس

يستهدف تحقيق تقدم اجتماعي حقيقي - لا يلقي الموافقة من جان بول سارتر ، فى حين أن كل ما يفعله الثوريون يكون جيدا فى نظره .

سارتر : أنت تعرض الامور بطريقة بسيطة نوعا ما ، وهذا لأنى اعتقد بأن حزبا كالحزب الشيوعى ، يعلن عن نفسه بأنه ثورى ، وهو فى الحقيقة ليس بثورى .

المحرور : ما رأيك فى الاشتراكيين أحلاف الشيوعيين ، ما رأيك مثلا فى فرانسوا ميران ؟

سارتر : هذا ما لا اود التصريح به .

المحرور : أى دور سيلعبه ميران حسب رأيك فيما اذا نجحت الجبهة الشعبية فى الوصول الى الحكم ؟

سارتر : لو أن الامر يتعلق ببلد من بلدان المعسكر الشرقى ، لامكنتى ان اتصور بأن ميران سوف يشنق ، أو أنه سيلقى به من نافذة فى مدينة براغ . ولكن لن يحدث شيء من هذا القبيل هنا فى فرنسا حسبما اعتقد . فعندنا فى فرنسا يحترم الشيوعيون المواثيق التى يعقدونها .

المحرور : لا يمكن حتى للذى يحتقر الاتجاه الاصلاحى الاشتراكي - الديمقراطى أن ينكر بان التقدم الاجتماعى والاعتناق السياسى قد تم قبل كل شيء بفضل الاشتراكيين - الديمقراطيين ، وان انتصار المصلح وبلى براندت مثلا قد غير المناخ السياسى فى جمهورية المانيا الفيدرالية .

سارتر : من المؤكد ان هذا شيء هام ، ولكن يشترط فيه ان يستخدم المرء هذا الانتصار لكى يقوم بتحقيق شيء ما .

المحرور : وهذا يعنى ؟

سارتر : بعد زيارتى المتكررة لالمانيا يتولد لدى الانطباع بأنه لا توجد الآن هناك رغبة كبيرة جدا نحو التغيير . وهذه الرغبة لا توجد حتى لدى المثقفين . ويمكن القول بوضوح انه لا يوجد فى المانيا الغربية تيار ثورى قوى . ولكن هناك قوى Kraefte «Bader-Meinhof» فيها تلوح لى ذات اهمية مثل جماعة «بادر - ماينهوف» .

المحرور : ما هو موقفك من نشاط جماعة بادر - ماينهوف ؟

سارتر : يلوح وكان دخول هذه الجماعة سابق لاوانه . ولكنى لا ادرك الاسباب التى تجعل الناس فى المانيا يشعرون بالسخط على اولئك الذين ايدوا هذه الجماعة . ولدنا مثلا الكاتب بول Boell حيث ان الاتهامات التى اوردها المتهجمون عليه لا يمكن تصديقها .

المحرور : لم يعلن الكاتب بول عن تضامنه مع جماعة بادر - ماينهوف .

سارتر : كلا . ولكنه عالج المشاكل بطريقة موضوعية . وعلاوة على ذلك اعتبر كما قلت أنفا ان نشاط هذه الجماعة سابق لاوانه . ويلوح بأن لدى افرادها اشياء حقيقية ملموسة تتمثل : فى الفعالية ، والروح ، والمبادأة ، والحس الثورية .

المحرر : أنها عناصر حقيقية بالتأكيد ، ولكنها بالكاد ان تكون واقعية . ألم يبرهن تاريخيا ان المخطط الاصلاحي ينفرد حتى الآن من بين المشاريع الاخرى فى فرض نفسه فى البلدان الصناعية العصرية . فى حين تم النجاح للمخطط الثورى فى البلدان المتخلفة اقتصاديا مثل روسيا عام 1917 ، ثم الصين فيما بعد - وهناك ايضا لامد معين فقط . الا يجب علينا ان نستنتج من ذلك ان الطريق الوحيد الذى يؤدى الى الهدف المنشود بالنسبة للبلدان الصناعية كفرنسا والمانيا هو طريق الاشتراكية الديمقراطية ؟

سارتر : كلا . برأى هنالك حركة اصلاحية او بالاصح حركة تنقيحية Revisionistische يمكن تاريخها منذ بداية القرن العشرين ، الا انها لم تستمر الا الى حوالى العام 1960. ثم ما لبث ان ظهر ببطء عنصر جديد. فقد تقدم الشباب فى المانيا وفى فرنسا بمطالب لم تعد تقتصر على تحسين الاجور وتحديد اسعار السلع ، بل تصدت مطالبهم الى الوسائل والامكانيات التى تساعد على التمتع بحياة حرة ، حياة كريمة جذيرة بان يحياها الانسان ، حياة يتوفر فيها أشياء اخرى غير السلع الاستهلاكية الكثيرة . ولهذا السبب نرى الشباب فى فرنسا وفى المانيا يعزفون عن متابعة العيش فى مجتمع الانتاج الذى يتزايد فيه الانتاج بهدف تحقيق اكبر قدر من الارباح ، ويتسبب هذا بالتالى فى تلوث البيئة . وهم يهتمون اكثر فى ان ينطلق الانتاج من وحي الحاجات الحقيقية للفرد . شأنهم

فى ذلك شأن الصينيين الذين لم يعودوا يشعرون بوطاة رؤسائهم الصغار تجثم فوق رؤوسهم خلال العمل . والشباب يريدون حقا ان ينتجوا - لا اقل مما ينتج الآن - ولكن بأسلوب آخر . فهم لا يريدون مثلا ان يرغموا على شراء ثلاجة جديدة كل ثلاثة أو خمسة سنوات ، بل على العكس يريدون ان ينتجوا ثلاجة تستطيع خدمة مالكةا مدة عشرة أو خمسة عشر عاما .

المحرر : هنالك المصلحون ايضا ، يريدون تحسين نوعية الحياة .

سارتر : كلا . يدور الامر بالنسبة للمصلحين فى ان ينتجوا اكثر مما كان عليه مستوى الانتاج فى السابق . وهم لا يفكرون بادخال اصلاح على نسبة الارباح . ولو أنهم ارادوا ذلك ، لكنت الثورة .

انا مؤيد للماركسية ولست ماركسيا

المحرر : طالما انك لا تتفق مع النقابات ولا مع الشيوعيين ولا مع الاشتراكيين الديمقراطيين ، فالى من تميل الى الانتماء ؟

سارتر : الى « الماو » MAO

المحرر : ما الذى تفهمه من هذا الاسم ؟

سارتر : تحت هذا الاسم أفهم الماويين، ولكن هذا ينبغى ايضا حه من وجهة نظر تاريخية . فالماويين موجودون فى فرنسا منذ عام 1967 . وقد عملوا انذاك فى الجماعات الاساسية ، وفى

شخصيا عندما اتمكن من تقرير مصيرى ، او عندما تتمكن الجماعة التى انتسب اليها من تقرير مصيرها ، نكون آنذاك متمتعين بالحرية . وهذا يشترط مقدما ، انتفاء كل شكل من أشكال الارغام . وبكلمات أخرى ، يشترط تحقيق الحرية مقدما قلبا ثوريا لنظام المجتمع الرأسمالى .

المحرور : لربما يكون فى ذلك اعراض عن الماركسية .

سارتر : أنا مؤيد للماركسية «Marxien» ولست بماركسى .

المحرور : ما هو الفارق بين المؤيد وبين الماركسى ؟

سارتر : ليس من السهل ذكر الفارق ، ولكنى ألفت كتابا ضخما حول هذا الموضوع عنوانه « نقد التعقل الديالكتيكى la critique de la raison dialectique » وقبلت ضمنه كافة التحاليل الماركسية تقريبا باستثناء تلك التحاليل التى تتعلق بالبشر فى « مواقف » « Situation » ، وبكلمات أخرى ، أنا أوافق كلية عندما تكون الماركسية جدلية . الا انه يوجد حتم ماركسى «Determinismus» فى تقييم الافراد ، والأعمال الجماعية لا اقبله ، وذلك لاني بقيت مخلصا لفكرة الحرية . وانا اعتقد بان الناس احرار .

عند مقتل نيكسون سافرك يدي « ابتهاجا »

المحرور : من الواضح ان مفهومك للحرية لا يعنى بالضرورة بان الناس لا يخضعوا لالزامات اجتماعية .

اللجان التى شكلت ضد الحرب الفيتنامية . ويستندوا فى عملهم على انموذج الصين ، وعلى الثورة الثقافية خاصة . وعلى الرغم من ان معظمهم من المثقفين، نجد انهم لم يحققوا عام 1968 تأييدا كبيرا لانتفاضة الطلاب . لذلك تحولوا فورا الى المعامل وحاولوا ان يشاركوا فى الكفاح هناك ، ذلك الكفاح الذى تحقق ايضا . واطلق على هؤلاء الناس اسم الشباب الشيوعى الماركسى - اللينينى . ثم انقسموا على انفسهم الى فئتين : تحالفت الاولى مباشرة مع الصينيين ، بينما شكلت الاخرى منظمة « البروليتاريين اليساريين » وهى المنظمة التى تقربت أنا منها . وفى هذه الاثناء صدر امر بمنع هذه المنظمة ، وما لبثت ان حلت نفسها بنفسها . وقد توفر فيها تيار ثورى يمتلك رغم ذلك أداة تنظيمية معينة . وهؤلاء هم من اطلق عليهم اسم « الماو » .

المحرور : انت لست بفوضوى اذا ؟

سارتر : كلا . فانا ادرك ما الذى يفعله الفوضويون عندنا . وبرأى ان هذه الاعمال ليست اعمالا مترابطة يمكنها فى وقت من الاوقات ان تؤدى الى الثورة .

المحرور : اذا ما أنت ؟

سارتر : اننى اقف قريبا من مخطط يعرف فى فرنسا بانه تحريرى «Libertaire» وهو يتضمن ان البشر اسياذ فى تقرير حياتهم ، واسياذ بالمثل فى تحديد شروط هذه الحياة . فانا

الناس احرارا حقا ، فليس من الجائز ان ينتهوا
دوما الى ذلك الشيء الذي اسميه « الغربة
Entfremdung » . واعنى

ان الانسان حر اليوم ، ولكنه غير محرر (بضم
الميم وفتح الراء) . وهذا يعنى انه توجد طبقات
ويوجد مجتمع تعمل فيها قوى متنوعة على تغريب
الانسان (I) . فهى تعلق حريته ، وتجبره فى
النهاية على الاقدام على افعال ، ما ان يقوم بها
مرة ، حتى لا يعد يتعرف عليها بأنها افعاله .
والمثال على ذلك كما يلى : لدينا عائلة من العمال
رزقت بطفلين سابقا ، وهناك طفل جديد تنتظر
ولادته . فما العمل فى هذه الحالة ؟ أمامنا حالات
ثلاث : اما ان تقدم الاسرة على اجهاض الطفل ،
أو ان الطفل يولد ثم يموت لانه لم يلق العناية
الكافية ، أو انه يعيش حاملا آثار الاهمال . انها
فى الواقع ثلاث خيارات يفترض انها حرة ، لكنها
تنطلق من موقف وحيد هو الارغام Zwang

وبما ان الاسرة المذكورة لا تحصل الا على أجر
محدود ، فانها لن تستطيع فى هذه الحالة اعادة
أكثر من ولدين. وفى هذه اللحظة نجد ان الخيارات
الثلاثة الآتية الذكر يتم البت فيها دون ان يكون
الفرد سيدا للموقف كلية ، بل ان المجتمع هو
الذى يبت فيها .

المحرر : هل تدخل الاحزاب القائمة حاليا فى
عداد القوى التى تعيق تحرر الانسان ؟

سارتر : على العكس أريد من ذلك ان أقول :
اذا توجد الزامات اجتماعية ، فذلك لان الناس
احرار . واذا امكننا ان نتكلم عن الغربة التى
يشعر بها الفرد فى مجتمعه ، فذلك لان الناس
احرار . ولو كان الناس مجبرين
«determiniert» ، فأن معنى يكون انذاك لاعطائهم
مزيدا قليلا من الرفاهية ، ثم التوقف عند هذا
الحد ؟ لا ، فالبشر يريدون العثور على الامكانية
المؤدية الى الحرية ، والتى بلا ريب لم يمتلكوها
اية مرة ، رغم انها تعيش فيهم .

المحرر : للماركسية مخططات متنوعة : فهناك
أولا ماركس الذى حلل مجتمع القرن التاسع
عشر الرأسمالى فى كتابه « رأس المال » . ولكن
هناك أيضا كتابات ماركس الباكرة والتى تظهر
الماركسية فيها اكثر من مجرد مخطط اخلاقى :
فالانسان ينبغى ان يتم تحريره لكي يحصل على
امكانية تقرير مصيره بنفسه . هل تعتقد بأن هذا
المبدأ ما زال سارى المفعول ؟

سارتر : نعم ، وبشكل مطلق . فالحرية كما
وصفتها أنا فى كتاب « الوجود أو اللاوجود »
«L'Être et le néant» كانت وما زالت حرية
بشر بلا طبقات . وهناك اعتراض استخدمه
رايموند آرون AROND مرة ضدى ، جعلنى
اعيد التفكير فى الامر . فقد قال لى آرون : « بما
ان الناس احرار ، فلماذا تنتهى الامور
نهاية سيئة ؟ » . وفى الحقيقة اذا
كانت الطبقة معدمة ، واذا كان

(I) جعل الانسان غريبا فى مجتمعه .

ابدا لم يكن الرهائن في مونيخ ليقتلوا

المحرر : وكيف يكون الحال عندما يقوم الثوار باختطاف سفير دولة رأسمالية لكي يرغموا الآخرين على تحرير المساجين ، مثلما حدث عام 1970 مع جراف سبرتي سفير ألمانيا الغربية في غواتيمالا ؟

سارتر : في البداية أسفرت العملية عن نتائج في البرازيل ، ثم توقف ذلك الآن .

المحرر : ما هو موقفك من عملية الفلسطينيين خلال الألعاب الأولمبية في مونيخ ؟ هل كانت ارهابا فرديا لا معنى له ، أم كانت ارهابا جماعيا خافلا بالمعاني ؟

سارتر : اود ان اقول اولا اني شخصا لست من انصار تدمير دولة اسرائيل ...

المحرر : لمعظم اصدقائك من « الماويين » ولكن من الجماعات اليسارية رأى آخر في هذا الصدد .

سارتر : لم أحاول في اى مرة أن اخفى هذا الاختلاف في الرأي . ومن جهة اخرى لم يعقني الاختلاف رغم ذلك ان اظل مرتبطا بهذه الجماعات . أعنى ان للفلسطينيين الحق المطلق في ممارسة الارهاب حيثما شاؤوا ، نظرا للظروف الحالية التي يعيشون فيها . وأعنى بلا ريب ايضا بان الاسرائيليين يجب ان يدافعوا عن انفسهم ضد هذا الارهاب كيفما امكنهم ذلك .

المحرر : اذا لقد كان من الصواب : ان يحتجز الفلسطينيون الرهائن الاسرائيليين اثناء الألعاب

سارتر : نعم وبالتأكيد . فالاحزاب نشأت في الاصل نتيجة لمساغى البشر ان يمنحوا انفسهم صيغة اكثر حرية . الا ان الاحزاب ما لبثت ان تحولت ففدت تسودها البيروقراطية ، والنسقية Serialisiert - والنسقية مدلول استعمله انا - ومنذ ذلك الحين لم تعد الاحزاب مثلما كانت في الاصل .

المحرر : انطلق لينين من ان الجماهير تحتاج الى قيادة ، أى الى حزب قائد يهديها الطريق دوما خلال العمل .

سارتر : لا أشارك لينين هذا الرأى . فاذا نظرنا الى الموضوع تاريخيا نجد فيه شيئا من الحقيقة . لكن الامر كان يدور انذاك حول تدريب الثوار المحترفين . أما في الوقت الحاضر فلم يعد هنالك معنى لفكرة وجود نخبة من الثوريين المحترفين ، يعيشون بمعزل كلى عن الجماهير ويقدمون أفكارا ، تحتضنها بعد ذلك الجماهير .

المحرر : ما هو الدور الذى يلعبه العنف المباشر - اى الارهاب - في تحرير البشر ؟

سارتر : انه لدور ضخم . فأنا أؤمن بان المرء يستطيع ان ينجح في تحرير البشر بواسطة العنف - وبالطبع ليس بواسطة العنف الفردى ، لان هذا النوع لا يمكن ان يكون له الا اهداف فردية . لنهب ان شخصا سيقوم غدا بقتل نيكسون ، عند ذاك سأفرك يدي ، لاننى اعتبر نيكسون انسانا مضرا الى اقصى حد . ورغم هذا سيبقى على قيد الحياة اولئك الرجال الذين يدعمون نيكسون ، ولا شيء سيتغير .

لا تفرقة بعد اليوم بين المثقفين والعمال

المحرور : انت نفسك لم تمارس العنف خلال اعمالك ، ومع ذلك فقد توغلت ضمن معامل رينو للسيارات لكي توزع المناشير هناك . كما قمت مع اصدقائك باحتلال مكاتب شركة الكهرباء والغاز الحكومية ، وتوليت بيع جريدة ممنوعة هي « قضية الشعب » *La cause du peuple* في شوارع باريس . ألم يخب أملك من نتائج اعمالك . *Aktionen* (2)

سارتر : لا ، وبأى حال . أما فيما يتعلق « بجريدة قضية الشعب » فقد حققنا نصرا على الحكومة ، واصبح من الممكن بيع الجريدة بحرية .

المحرور : تتمتع كافة اعمالك (2) بنوع من الترف ، وذلك بان يدع البوليس الفرنسي الفيلسوف سارتر ذى الشهرة العالمية فى سلام . ويذكر ان ديغول قال مرة ملمحا اليك : « بان المرء لا يعتقل فولتير » ، فى الوقت الذى كان فيه الضر نصيب المتظاهرين الآخرين المجهولين .

سارتر : من الطبيعى ان يكون المفكر شخصية ، لا تقبع ضمن الاطار العادى . ومن الطبيعى ان يكون عندى شئ - لا يخصنى ولا استخدمه شخصا - وهو ما يمكن ان يطلق عليه اسم « دور النجم » *STARROLLE* . الا اننى عندما اعمل مع جماعة من الناس يتعرضون

الاولمبية ، كما وان يطلب الاسرائيليون من المسؤولين الالمان ان يتصلبوا فى موقفهم ؟

سارتر : اعتقد بان الرهائن لم يكونوا ليقتلوا . لو ان المرء تركهم يطيروا صحبة مختطفينهم . فهم كانوا سيرسلون عندئذ الى مصر او الى الجزائر ، ثم سيطلق سراحهم ان عاجلا او آجلا . ولقد قاد تصرف بوليس مدينة مونيخ وحده الى الكارثة ، عندما قام ببساطة باطلاق النار . ومثل هذا الشئ مستحيل .

واذا نظرنا الى الامر من الناحية السياسية ، نجد ان الفلسطينيين كانوا على حق . فبعلهم الثورى اوصلوا صراعهم الى المسرح الدولى .

المحرور : الا ان العمل الثورى المزعوم الذى قام به الفلسطينيون لم يقرب الصراع فى الشرق الاوسط مترا واحدا من الحل المنشود .

سارتر : لا بالطبع . وهذا ما لا تقدر العملية ايضا على تحقيقه . فالمرء لا ينجح فى الوصول الى حلول بمجرد ان يخضع عدة رياضيين فى مونيخ لسيطرته . وهنا لابد لى من التاكيد ايضا بانى لا أستطيع ان اؤيد بصفة خاصة مثل هذه الاعمال الفردية . وفى الجزائر كان الشعب كله يقف وراء الارهابيين (I) وهذا كان ايضا شيئا آخر حقا .

I - راجع جان بول سارتر : عازنا فى الجزائر ، ترجمة عائدة وسهيل ادريس ، بيروت 1958
2 - المراد منها العمل السياسى

والاساتذة . واعتقد بأن المفكر انسان يرى التناقض القائم بين الهدف العالمى للعلم وللتكوين العلمى من جهة ، وتطبيقاتها الخاصة من قبل المجتمع - ذلك المجتمع الذى تهيمن فيه طبقات محددة على السلطة - من جهة اخرى . علاوة على ذلك انطلقت فى اعتقادى بأن هذا التناقض جزء من المفكر : فهو يكمن فيه ، ويعانى منه .

المحرور : هل يجب على المفكر اذا ان يتألم ؟

ساورتر : وجد العالم اينشتاين نفسه فى تناقض . فهو خلال عمله على القنبلة الذرية كان يدرك تماما بأن هذه القنبلة سوف تمنح قوة متفوقة لنظام اجتماعى معين يتفوق بها على نظام آخر ، كما انها قد تهيىء فرصة لاشغال نار الحرب . والعالم الذى سينادى مثل اينشتاين محذرا : « انتبهوا ، هذا أمر سيء » سيتحول فى هذه اللحظة الى مفكر .

المحرور : لقد كان هذا نقطة الانطلاق . فما الذى تغير بعد احداث ماى 1968 ؟

ساورتر : لم يشك أحد بى بعد فى شهر ماى عام 1968 عند ما استطعت التحدث مع الطلاب فى السوربون ، بل فيما بعد عام 1969 عند ما (حصلت لى صعوبات مع الطلاب) فقد أدركت عندها بأن هنالك شيء يلقى الطلاب . فاتفق لى بأن هذا المفكر لم يعد بإمكانه الآن ان يعيش ، نظرا لان الجماهير تريد شيئا شاملا وتتمنى زوال الامتيازات . وعلى المفكر اذا ان يندفع نحو الجماهير وان يضع نفسه تحت تصرفها .

لهجوم سياسى ، لا اتردد فى مساعدتهم بواسطة « دور النجم » عندما يكون ذلك مجديا .

المحرور : متى تقوم بالضبط بتقديم المساعدة عن طريق « دور النجم » ؟

ساورتر : لقد تناقشت مرارا حول هذه المسألة مع اصدقائى . وأوضحنا بأن عملا لا يمكنه ان يقوم الا باشتراك ساورتر ، هو عمل سيء .

المحرور : هل لديك مثال تقدمه عن عمل جيد قمت به ؟

ساورتر : طبعا . فعندما اغتال بواب الفتى العربى جلالى البالغ اربعة عشر عاما من العمر ، رجائى الناس ان اشارك فى مظاهرة احتجاج . وقد ذهبنا الى المقاهى والمطاعم التى يتردد اليها العرب ، وتحدثت مع الناس فى الشارع . وحاولنا ان نشعل نوعا من الثورة ضد الكراهية العرقية . وفى كل مكان وقف رجال البوليس دون ان يفعلوا شيئا ضدنا . وكما علمت فيما بعد ، لم يشأ رجال البوليس ان يضربوا المتظاهرين ، لاحتمال ان يرغموا على ضرب ساورتر ايضا . الا ترى كم كان ذلك مفيدا ، فقد استطاع اصدقائى بهذه الوسيلة ان يتحدثوا مع الناس مثل ما فعلت انا .

المحرور : هل هذا هو الدور الذى تريد اليوم ان تعطيه للمفكر بصفة عامة ؟

ساورتر : كان رأيى حتى عام 1968، بأن المفكر رجل مصطفى ، وانه ينبغي عليه ان يشعر بذاته انه مصطفى ضمن اولئك الذين اطلق أنا عليهم اسم « اخصائى العلم العملى » : وهم الاطباء ، والعلماء ،

المحور : لم تعد مهمة المفكر اذا ان يصنع افكارا للجماهير ؟

سارتر : كلا . لقد قام المفكر بهذه المهمة سابقا ، وللجماهير ان تستمد افكارها من رجل عالمي **Universalen** وليس من مفكر لا يفهم من الامر شيئا عندما يكون منفصلا عن الجماهير .

المحور : لديك اذا نمطين للمفكر : المفكر الكلاسيكي ، والمفكر العصري .

سارتر : نعم . واني لآمل ان تتغير الاوضاع خلال مائة سنة او ربما خلال خمسين سنة ، حتى يزول التفريق بين المفكرين والعمال .

المحور : اليس ذلك وهما ؟

سارتر : كلا . لان المرء يرى ذلك في الصين ، وهذا جيد جدا . وعلى سبيل المثال سيكون لي في القريب العاجل سكرتير ، هو ابن عامل ، تعلم المهن اليدوية ، وتأثر كثيرا في مدرسة التكنيك المهني من محاضرات القاها فيلسوف . فوجه هذا الرجل نفسه نحو الفلسفة ، مع متابعة عمله اليدوي بنفس الوقت . والآن يستعد لاداء امتحان الدولة في الفلسفة . هذا الرجل يختلف كثيرا عن المفكرين أمثالي .

المحور : عندما تتابع الآن عملك في كتابة سيرة حياة فلوير **Flaubert** فهل انت « اخصائي في العلوم العملية » ؟

سارتر : نعم ، ولكن عمري 67 سنة . ولو كنت في الخامسة والعشرين أو في الأربعين أو حتى في الخمسين من العمر لكان باستطاعتي أن أفعل أكثر من ذلك . لاني استطيع بالتخلي عن بعض الاشياء التي بدأت بها ، ان اضع اهدافا جديدة . وعندما يكون المرء في السابعة والستين من العمر ، ويعمل منذ عشرين سنة في تأليف كتاب ، يبرز عندئذ ذلك الشيء الذي يطلق عليه اسم الاهتمام العقائدي . وكل كاتب لديه هذا الاهتمام ، وهو ليس باهتمام مالي . وخلاصة الامر ان الكاتب قال اشياء ، يتوجب عليه ان يتابعها . فمثلا تتطلب مني المجلدات الثلاثة التي الفتها عن فلوير تأليف جزء رابع . ولقد ذكرت في المجلد الثالث : « الآن يستطيع المرء رؤية فلوير » وهذا كلام موجود في المجلد ويشكل لي تحديا ذاتيا . ولعلك ترى بأن هذا الرجل ذو السبعة والستين عاما ، والذي لا يذهب الى العمل ، ولا يستطيع حتى المشاركة في اعمال يتطلب فيها السير بسرعة - مجبرا ان يحيا **Aktionen** حياة متناقضة ، ولكنها حياة مختلفة عن حياة المفكر الكلاسيكي . وهذا لا يعني بالضرورة : حياة موزعة بين العالمي والمميز ، ولكنها حياة موزعة بين ذلك الذي يتبقى من المفكر الكلاسيكي - الكتب التي أؤلفها ، والعمل (السياسي) **AKTION** الذي أشارك به الآن رفاقي . وهذا هو الوضع الذي أوجد فيه حاليا .

حكومة لا تقول ما تفعل

المحرور : هل يسبب لك هذا الوضع المتناقض صعوبات ؟

ساوتير : لا يسبب لي ، ولكنه يسبب لاصدقائي « الماويين » مثلاً . فهم يسألونني : « لماذا تؤلف اذا كتاب قلوبير ؟ » لانهم لا يطيعونه . وهم يتركونني اذفع عن نفسي ، ولكنهم يفضلون ان اكتب شيئاً آخر : كرواية شعبية ، أو قصة متسلسلة . اما بالنسبة لي فاني لا اعارض في ذلك لانه قد يكون مسلياً تماماً .

المحرور : ما هي الفرصة التي تتوقعها لاشكال الفن الجماعي ، في ميدان الادب مثلاً ؟

ساوتير : لا توجد بعد كتابة جماعية ، واعني بذلك كتابة جماعية حقيقية ، وبالمقابل اعتقد انها ممكنة في الروايات المسرحية .

المحرور : هل يمكن للمرء ان يكتب مقالات الصحف ايضاً بشكل جماعي ؟ فانت تريد تأسيس صحيفة يومية . لماذا ؟

ساوتير : نريد تعميم الحركة النازعة الى التحرر والمناهضة لتدرج المراتب anti hierarchie . غير ان جريدة اسبوعية كصحيفة « قضية الشعب » لا تلائم لذلك . اذ لا يمكن كتابة تقرير عن اضراب بعد اسبوع من شر الاضراب ، وانما يجب الاعلام عنه في الصباح التالي .

المحرور : متى ستصدر الجريدة ؟

ساوتير : بين الخامس من فبراير وبداية مارس .

المحرور : هل ستكون جريدة كفاح سياسي ، أم صفحة اعلامية ؟

ساوتير : ستكون صفحة اعلامية ، ولهذا السبب بالضبط ستكون صفحة كفاح سياسي .

المحرور : هذا تناقض .

ساوتير : كلا . نريد ان نخبر الجماهير عن سرين كبيرين في فرنسا المعاصرة . عن سر حكومة لا تقول ما تفعله . حكومة يمكنها ارتكاب الشائعات نظراً لان الشعب لا يطلع (بضم الياء) على ما يجري . اما السر الثاني فانه يكمن في ان احداً من الناس لا يطلع على موقف الآخرين من عمل Aktion يخصهم بالذات .

المحرور : تريد اذا ان تترك هؤلاء الناس يمارسون التعبير عن انفسهم مباشرة ؟

ساوتير : نعم . ونحن نرى ضرورة وضع هؤلاء الناس في سوية واحدة مع الصحفيين الذين سيتولون استجوابهم . ولسوف يكون أجر صحافينا مماثل لاجر عامل متعلم . هؤلاء الصحفيون سوف يكونون في الشوارع وامام العامل وفي المطاعم . وباختصار سيكونوا موجودين مع اولئك الناس العاملين .

نيكسون اذا مجرم حرب

المحرر : تقول ان التاريخ يقدم لنا هذا البرهان - ونحن نؤيد رأيك عن طيبة خاطر . وكنت في السابق استثنيت الصين . الا انه في هذه الاثناء انهدت الصين الثورة الثقافية ، وتخلت عن الاعمال الثورية في العالم ، وتقربت حتى من الولايات المتحدة ...

ساوتر : في الحقيقة اصبحت السياسة الخارجية للصين - الى المدى الذي افهمها فيه - سياسة دولة عظمى .

المحرر : هل تعني بان الصين خطت خطو الاتحاد السوفياتي عندما اخذت تمارس السياسة الوطنية على حساب قضية الثوار ؟

ساوتر : في هذا شيء من الصحة : وانت تعرف بان جريدة « قضية الشعب » قد نحت مؤخرا صورة رأس ماوتسي تونغ من صفحتها الاولى . ولكنني لا أعرف تماما هل ان تصرف الصين يرد الى خطيئة أم الى ضرورة ملحة . وانني اشكو شخصا من سياسة الصين على سبيل المثال تجاه بنغلاديش وتجاه سيلان . واتألم بالمثل لان الصين استقبلت نيكسون الذي سمح عقب تلك الزيارة باستئناف القصف الجوي ضد فيتنام .

المحرر : ألم تغير حكمك على الحرب في فيتنام؟

ساوتر : كلا . لقد مارس الامريكان مدة سبعة سنوات عملية قتل الشعوب . وعندما تضع دولة مؤلفة من مئتي مليون نسمة - وهي بنفس الوقت اكبر قوة رأسمالية في العالم -

المحرر : هل ستساهم بشكل فعال في العمل في هذه الصحيفة ؟

ساوتر : سوف اكرس نفسي لهذه الصحيفة لمدة ثلاثة اشهر .

المحرر : هل تبغى انشاء حركة سياسية تلتف حول هذه الجريدة ؟

ساوتر : كلا . لا أريد ذلك في البداية على الاقل . نريد حاليا ان نساهم في التقريب بين جماعات المجتمع المتنوعة ، وذلك بان نقوم بنشر اعلانات صغيرة مجانية نقول فيها مثلا : « في هذا اليوم أو ذاك ستضطر هذه العائلة أو تلك لمغادرة منزلها . ويتبغى في هذه الحالة توفر من يراقب اولادها الثلاثة . من يريد التكفل بذلك ؟ ثم نرجو عائلة عاملة اخرى ان تعلن : ستكون ابنتنا البالغة عشرين سنة من العمر غير مرتبطة بعمل في هذا اليوم أو ذاك . وسوف تقوم بمراقبة الاولاد وتتأمل فيما بعد ان تلقى مساعدة ماثلة » .

المحرر : هل تعزف عن انشاء منظمة جديدة ، لانك تخشى ان تتحول المنظمة بالضرورة الى بيروقراطية جديدة ، وبالتالي لان تؤدي الى غربة جديدة ؟

ساوتر : هذه المخاوف موجودة لدينا في الحقيقة . فالتاريخ يبرهن بان الامور سارت دوما على هذا المنوال ، وبانه تنشأ كيانات بيروقراطية وتدرج في المراتب .

واقعا سياسيا ، ولكن الواقعية السياسة تقضى
ايضا بان ينظر اليه كمجرم حرب .

المحرر : والآن لقد قام ماوتسى تونج باستقبال
نيكسون هذا . لنفترض مرة بان الصين تحولت
غدا الى قوة معادية للثورة ، فهل سيصبح سارتر
انذاك متشائما من مفهومه الثورى ؟

ساوتر : اعترف بطيبة خاطر بانى فى طبيعة
الحال متشائم فى السياسة . ولست بمتأكد اننا
سننجح اية مرة فى تحقيق ذلك الذى نريده ،
سواء هنا أو فى أى مكان آخر . وقد احتفظت
شخصيا بنوع من الشك السياسى منذ ان كتبت
كتاب « القرف » DER EKEL . « . لربما
يكون له تأثير نظرا لانى انحدر من الطبقة
الشعبية . وعلى كل حال لدى هذا الشك . ولكن
هذا لا يعنى بأنه يتوجب علينا ان لا نقوم بعمل
الشيء الذى نعمله . وبكلمات اخرى : الحالة
السيئة ، ولكنها لربما تصبح اكثر سوءا ، لو انه
لم يوجد اناس يكافحون ضد النظام الراهن .

عندما تضع كافة امكانياتها الحربية ضد بلد
متخلف ، يبعد عنها آلاف الكيلو مترات ، وعندما
يكون خلافا للمنطق أن تتصور الولايات المتحدة
احتمال اعدام هذا البلد الصغير - فيتنام - على
توجيه ضربة معاكسة ، فان المرء يجد نفسه
تجاه شيء يجب ان يطلق عليه اسم قتل محدود
لشعب ، الا انه مع ذلك قتل شعب . وحتى أمد
معين قام عدد من الجماعات بتنفيذ عمل القتل
سواء من طرف البنتاغون أو الى حد ما من طرف
جونسون . غير ان التنفيذ لم يتم اية مرة من قبل
هذا الشخص وحده . ومنذ ذلك الحين غدا كل
شيء واضحا : فهناك بالنسبة للجرام الذى
اقترب فى فيتنام شخص واحد يعتبر مسؤولا
عنه . وحتى لو ان البنتاغون قد ضغط عليه
ليتصرف ، فان نيكسون هو الذى أصدر القرار .
وفى لحظة محددة قال نيكسون : « افعلوا هذا » .
فهو اذا مجرم حرب . وما فعله نيكسون قد يكون



الحلاج والقرامطة

يجب الاعتراف بأن كتابات « لويس ماسينيون » عن الحلاج تعد المرجع المعاصر الاول الذى يجب الرجوع اليه للكشف عن ملامح تلك الشخصية العجيبة التى كان لها اثرها الدينى فى تاريخ الاسلام ، كما كان لها آثارها العميقة فى التاريخ السياسى لهذه الأمة منذ اواخر القرن الثالث الهجرى حتى يومنا هذا . كذلك ينبغى ان نشيد بالجهاد العظيم الذى بذله « ماسينيون » فى جمع مادته وحشد النصوص والوقائع من التراث الفكرى فى الاسلام ، فانه جهد يتواءم به المختصون، ويكاد يدفعنا الى القول بأن نوعا من المودة بين « ماسينيون » وفكر الحلاج هو الذى ساعده على بذل هذا الجهد الخارق للعادة.

د. محمود قاسم

عميد كلية العلوم
- القاهرة -

ولكى نسير على نهج واضح ، ولكيلا نضل الطريق في كثير من الشعاب التي يقفز إليها أحيانا تفكير « لويس ماسينيون » رأينا أن نبدا بدراسة الأفكار الموجهة عند القرامطة وما أدت إليه من أحداث على أن نقارن فيما بعد بين هذه الحركة وبين ما نجده في كتاب « ماسينيون » من وقائع توشك أن تفصح عن صلة وثيقة بين الحلاج والقرامطة (I) . ونعتقد أن هذا المنهج يتسق مع طبيعة الفترة الزمنية التي عاش فيها الحلاج . فقد عاصر حركتين شعوبيتين هامتين هما ثورة الزنج وثورة القرامطة ، وربما تكشفنا لنا خيوط تربط إحدى هاتين الثورتين بالأخرى . وذلك أمر يتسق مع طبيعة الأحداث التاريخية والاجتماعية . وسوف نوجز في عرض هذه الأحداث والايولوجية المرتبطة بها بقدر ما نستطيع ، أي بالقدر الذي يسمح بوضوح الفكرة والمنهج في آن واحد .

ويمكن القول بدءا بأن القرن الثالث الهجري شهد عدة حركات سياسية ترمى الى تقويض الدولة العباسية والتمهيد لدولة علوية ، بعد أن فشلت جهود القرن الثاني في نقل الخلافة من الأمويين الى آل البيت . وكان من الطبيعي أن تصطبغ هذه الحركات بصيغة دينية جلبا للأنصار من الخائفين على الدولة العباسية ، وربما كانت هناك دوافع اجتماعية وسياسية وعنصرية توجب الحلق على أصحاب هذه الدولة . لكن سارت الثورات السياسية جنبا الى جنب مع ظاهرة دينية . إذ كان ادعاء النبوة أو

غير أن هناك ظاهرة أثارت اهتمامنا فيما كتبه « ماسينيون » ، وبخاصة في كتابه الضخم عن الحلاج « شهيد الصوفية في الاسلام » ، وهي أنه بدا شديد الحرص على نفس الصلة بين الحلاج والقرامطة ، وقد ظل يؤكد لنا أن هذا المتصوف لم يكن داعية سياسيا بل انتهى به الحب الإلهي الى التضحية بنفسه على مذبح هذا الحب . كذلك يؤكد لنا ، دون ملل ، أن الحلاج كان متصوفا سنيا أراد تعميق الروح الدينية في بيئة جفت عاطفتها الروحية ، وتمسكت بقشور الدين دون لبه . وقد ظن « ماسينيون » وبعض تلاميذه أن الحلاج ، الذي قال بحلول الله فيه ، يعد جسرا بين المسيحية والاسلام السني . ومع ذلك ، فإن هذا الحرص الشديد على نفس الصلة بين الحلاج والقرامطة قد يؤذن ، على عكس ذلك ، بوجود هذه الصلة بينه وبينهم .

وتلك هي المسألة التي نريد ، نحن ، أن نتبين وجه الحق فيها . وبخاصة لأن « ماسينيون » يعترف في موطن ما من كتابه عن الحلاج بأن موقف هذا المتصوف من فريضة الحج كان سببا في اذنته ومصرعه . وأنه جرد مكة من افضليتها وقداستها ، مما شجع القرامطة على مهاجمتها والفتك بالحجاج وهدم الكعبة ونزع الحجر الأسود منها ، ثم ارساله الى هجر حيث بقي هناك نحو من اثنين وعشرين سنة ، فلم يعد الى موضعه الا بعد أن استقرت الدولة الفاطمية وبعد أن ثبت الحكم الفارسي في بغداد بدلا من الحكم العربي .

(I) سنخصص مقالا آخر لمناقشة هذه الوقائع تفصيلا

الربوبية أمرا مألوفاً في تلك الحقبة الفاضلة من تاريخ الدولة العباسية التي بدأت تتحلل لكي تمهد لظهور عصر الدويلات الصغيرة ، منذ أواخر القرن الثالث بصفة خاصة .

اذن لم يكن الحسين بن منصور الحلاج أول من ادعى الألوهية ولا آخرهم . فقد سبقه كثيرون ، كما تبعه آخرون فيما بعد ، وبعضهم كان من تلاميذه . ونعني به أبا عمرة الذي عاش في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري . وليس من هدفنا أن نعرض بالتفصيل لتاريخ هؤلاء الذين ادعوا الربوبية ، تقريراً بالسذج من العامة ومساندة لبعض الحركات السياسية . فذلك أمر يطول سرده ، ويخرجنا عما نحن بصددده . من الكشف عن حقيقة الصلة بين الحلاج والقرامطة . لكن لنا أن نذكر على سبيل المثال أن رجلاً يقال له محمود بن الفرج النيسابوري ظهر في سامراء سنة 235 هجرية ، فزعم أنه نبي ، واخترع كتاباً ادعى أنه قرآن آوحى به إليه ، كما سيفعل الحلاج فيما بعد عند ما حاول معارضة القرآن بكتاب ادعى أنه وحى الاهي . أما ذلك النبي النيسابوري فقد أحضر هو وأصحابه إلى الخليفة المتوكل ، وضرب ضرباً شديداً فاعترف بكذبه . وأمر المتوكل أصحابه ، وكانوا سبعة وعشرين رجلاً ، أن يصفعه كل واحد منهم عشر صفعات ، وذلك بعد أن « أخذوا له مصحفاً فيه كلام قد دبحه » (1) .

وفي سنة 250 هجرية ظهر أحد العلويين بالكوفة وهو يحيى بن عمر . ودعا إلى الرضا من آل محمد أي إلى البيت العلوي فاجتمع الناس إليه وتبعه بعض العامة من أهل بغداد « وبايعه جماعة من أهل الكوفة ممن لهم تدبير وبصيرة في تشييعهم ، ودخل فيهم أخلاط لا ديانة لهم » لكن فشلت تلك الثورة وحملت رأس صاحبها إلى الخليفة المستعين . ثم ظهر في السنة نفسها علوي آخر فبايعه « الديلم » وكثر جمعه وأتاه كل طالب نهب وقتنة « ثم استولى على الري . وولى عليها رجلاً من شيعته (2) . وهكذا ساعد ضعف السلطة المركزية في بغداد على تتابع الفتن فيها وفي الموصل ، ثم على نجاح ثورة الزنج التي بدأت في سنة 255 هـ ، واستمرت نحواً من خمسة عشر عاماً .

وقد بدأت هذه الحركة أيضاً تحت لافتة دينية . إذ قام بها رجل تظاهر بالدعوة إلى آل البيت ، وهو محمد بن محمد بن عبد الرحيم الذي ولد في الطالقان بخراسان ، وهي المنطقة التي كان يجوب فيها دعاة الاسماعيلية الفاطمية من أبناء ميمون القداح ، والتي جال فيها الحلاج أيضاً ، والتي ثارت بعد مصرع هذا الأخير - نقول أن هذه الحركة بدأت بمجيء صاحب الزنج من خراسان . وقد ادعى هذا الرجل أنه على بن محمد بن أحمد بن عيسى من أبناء الحسين ، ونجح في كسب ثقة الزنج فاجتمعوا حوله . ثم اتجه إلى البحرين التي ستكون من أهم المراكز القرمذلية فيما بعد . فاتبه جماعة كبيرة من أهلها وغيرها . ثم

(1) الكامل لابن الأثير ج 7 ص 43

(2) مروج الذهب ج 4 ص 146

ادعى لنفسه النبوة ، وزعم ان الوحي ينزل عليه . وقد نقل عنه انه قال : « اوتيت ، تلك الايام ، بالبادية ، آيات » من آيات امامتى ظاهرة للناس ، منها أننى لقنت سورا من القرآن . فجرى بها لسانى فى ساعة ، وحفظتها فى دفعة واحدة ، منها سبحان ، والكهف ، وصاد . ومنها أنى فكرت فى الموضع الذى أقصده ، حيث نبت بى البلاد ، فأظلمت غمامة ، وخطبت منها ، فقل لى : أقصد البصرة وقصد استطاع خديعة أهل البادية لفترة من الزمن ، لكنهم انفضوا عنه بعد هزيمة قتل فيها كثير من اخوانهم .

ثم انتقل الى البصرة ومنها الى بغداد « فزعم بها أنه ظهر له آيات عرف بها ما فى ضمائر اصحابه . وما يفعله كل واحد منهم . » وتلك هى الكرامة التى نسبها الحلاج الى نفسه أو نسبها اليه اصحابه فيما بعد ، فسمى حلاج الاسرار . ومهما يكن من أمر فقد استطاع صاحب الزنج استمالة جماعة من بغداد ثم انتقل هو واتباعه الى البصرة فى سنة 255 . ومن الطريف أن الحلاج سلك هذا المسلك فقد اقتنع جماعة من الاهواز بالانتقال معه الى بغداد فاستقروا بها ابتداء من سنة 292 هـ . أما صاحب الزنج فقد اختار البصرة مركزا له ، بعد ان عزل واليها فأظهر هو انه وكيل لولد الواثق لبيع السباغ . ثم أخذ يستدرج العبيد ، وكون منهم جماعات نصب على كل جماعة منها رئيسا من بينهم . وكان يعدهم الجنة . فاجتمع لديه عدد كبير من غلمان أهل البصرة الذين أقبلوا عليه خلاصا من الرق والتعب . وأقسم لهم انه لن يخونهم . ولما جاء أصحاب العبيد يطالبون بارتقائهم « بطحهم وأمر عبيدهم بضربهم » لكنه كان

يأخذ من كل عبد ينضم اليه خمسة دنانير ، وهو نفس الأسلوب الذى طبقه القرامطة مع أنصارهم فيما بعد . ولما قوى أمره سار الى القادسية ونهبها هو وأصحابه . ثم عاد بهم وهاجم البصرة ووضع فى أهلها السيف بعد ان هزم جيشها ، فقتل من أهل البصرة خلقا كثيرا . وربما بالغ المسعودى صاحب كتاب مروج الذهب فى تقدير عدد القتلى والفرقى من البصريين ، اذ يقول ان عدد هؤلاء كان 300,000 نفس . ثم يرسم لنا المسعودى صورة بشعة لكارثة البصرة فيقول : « واختفى كثير من الناس فى الدور والآبار ، فكانوا يظهرن بالليل ، فيأخذون الكلاب فيذبونها ويأكلونها . والفيران والسنانير فأفنوها .. فكانوا اذا مات منهم الواحد أكلوه . »

وهكذا لم تلبث حركة الزنج أن كشفت عن وجهها الحقيقى ، فبيعت النساء من نسل الحسن والحسين والعباس وغيرهم من الهاشميين والقرشيين فى أسواق الرقيق « تباع الجارية منهن بالدرهمين والثلاثة ، وينادى عليها بنسبها : هذه ابنة فلان الغلانى . لكل زنجى منهم العشرة والعشرون والثلاثون ، يطؤون الزنج ، ويخدمن النساء الزنجيات . »

وكان من عادة صاحب الزنج أن يقتل الأسرى . فأثار الرعب فكانت بعض المدن تسلم حصونها دون قتال ، كما فعل أهل عبادان . وقد دخل الاهواز وخرّبها ثم أحرّقها ، ولم يكن يحترم وعدا أو عهدا مع أعدائه . ذلك انه لما دخل البصرة « اقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت ويوم السبت . ولما طلب أهل البصرة الامان منهم . فلما تجمعوا فى دار حددت لهم غدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم ... »

وادعاء الألوهية الى جانب المناداة بإبطال فرائض الاسلام من صلاة وصيام وحج وزكاة، وتوحيد ايضا. وسنرى كيف حاول « ماسينيون » جاهدا أن ينفي عنه التهمة السياسية . وان أقر بأن الحلاج نادى بإسقاط التكاليف وبأن الولي أعلى مرتبة من النبي وله أن ينسخ الشريعة وأن يقرر عبادات جديدة . وعلى الرغم من هذا الفاصل الزمني بين نهاية ثورة الزنج وبداية ثورة القرامطة فانا نجد أنفسنا في الواقع أمام ثورة متصلة أجيد تخطيطها والاعداد لها بصور متقاربة . وهذا أمر تشهد التجربة المعاصرة بصدقه . فلقد بدأت هذه الحركة عندما قدم رجل منهم من خوزستان فهبط الى سواد الكوفة. وأظهر الزهد والتقشف ، وأعلم الناس أنه جاء يدعو الى امام من آل بيت الرسول . ولما مرض هذا الداعي المتشيع حمله رجل من أهل القرية التي نزل بها ويسمى « قرمط » الى داره وعنى به حتى شفى « ودعا أهل تلك الناحية الى مذهبه ، وكان يأخذ من الرجل اذا أجابه دينارا وزعم أنه للامام » ثم جعل يرسم لجماعة صلوات خاصة ، كتلك التي رسمها الحلاج فيما بعد حتى يعفيهم من الصلاة جملة باعتراف « ماسينيون » نفسه . اشتغل الناس به عن أعمالهم ، ولا سيما بعد أن أقنعهم ، هو الآخر ، بأنه صاحب معجزات . أما تلك المعجزة التي نسبت اليه فترجع الى أن أحد الملاك وجد تقصيرا في العمل، فلما بحث عن سببه علم بأمر ذلك الرجل الذى

وأحرق البصرة فى عدة مواضع ، واتسع الحريق . وقتلوا كل من راوه بها . فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ، ومن كان فقيرا قتلوه لوقته » وهذا هو ما فعلوه بمدينة واسط عندما دخلوا اليها فى سنة 264 هـ ، ولم تتمكن جيوش الدولة العباسية من الصمود أمام طائفة الزنج وصاحبها الا ابتداء من سنة 267 هـ عندما هزمهم أبو العباس الموفق الهزيمة الاولى . فكان هذا هو أول الفتح (1) ثم كتب الموفق الى صاحب الزنج كتابا يدعوه فيه الى التوبة مما اقترف من سفك الدماء وانتهاك المحارم وخراب البلاد وادعاء النبوة والرسالة . لكن الثائر لم يستجب . فحاصر الموفق مدينته التى سماها « المختارة » وضيق عليها الحصار وأجاد التأثير النفسى فى أعوان صاحب الزنج فأخذ هؤلاء يتسللون من المدينة المحاصرة ومن بينهم بعض القواد وكانوا يطلبون الأمان من الموفق فأمنهم ، وظل يحاصر المدينة حتى اشتد الجوع بمن فيها . فكان الواحد منهم يأكل صاحبه اذا انفرد به .

وأخيرا اقتحم الموفق المدينة المحاصرة وأحرق قصورها وأنقذ النساء والأطفال . واستطاع القضاء على ثورة الزنج فى سنة 270 هـ (2) .

لكن ما لبثت ان نشبت ثورة جديدة بعد وفاة الموفق فى سنة 278 هـ ، ونعنى بها ثورة القرامطة التى امتدت قرنا من الزمان . وقد اتهم الحلاج بأنه من كبار دعايتها والمروجين لها تحت ستار من التصوف

(1) الكامل لابن الاثير ج 7 ص 121

(2) نفس المصدر ج 7 ص 159

يصرف القوم عن أعمالهم ، فأخذه وحبسه في بيته وأغلق باب البيت بمفتاح ، ووضع المفتاح تحت وسادته ، غير أن إحدى جواريه رقى قلبها للرجل فأخذت المفتاح خلصة وأخرجت الرجل من سجنه ، ثم أعادت المفتاح إلى مكانه . ولما أراد صاحب الدار الفتك بسجينه لم يجده « وشاع ذلك في الناس . فافتتن به أهل تلك الناحية ، وقالوا : رفع . ثم ظهر في ناحية أخرى ، ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم . فسألوه عن قصته . فقال : لا يمكن أحد أن ينالني بسوء ، فعظم في أعينهم » وتشبه هذه المعجزة التي افتتن بها بعض أهل ذلك العصر ما نسب إلى الحلاج فيما بعد من أنه كان يخترق جدران سجنه ثم يعود إليه حسيما يريد . ثم إن هذا العلوي المزعوم خاف على نفسه ، فخرج إلى الشام واتخذ لنفسه اسم الرجل الذي حمله إلى داره عندما أصابه المرض . فعرف في موطنه الجديد باسم « قرمط » لكن هناك رواية أخرى تقول إن « قرمط » لقب لرجل كان بسواد الكوفة يحمل غلة الاقليم على ثيران له وكان اسمه حمدان .

وأيا ما كان الأمر في نشأة هذه الطائفة فمن المؤكد أنه كانت للقرامطة « ايدولوجية » دينية لا تتسق مع ما يعرفه المسلمون عن دينهم ، سنية كانوا أم شيعة . فقد ادعى القرمطي الأول أنه داعية المسيح وأنه عيسى وهو الكلمة وهو المهدي وهو جبريل، وينم هذا الخلط العجيب عن الطابع التلفيقي للماسونية القرمطية والباطنية بصفة عامة ، ثم ذكر أن المسيح

تصور له في جسم إنسان . وأخبره أنه هو الحجة ، وحدد له أمورا كثيرة منها أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان بعد غروبها (1) وأن الرسل أولو العزم هم آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد . وهذا ما نجده عند الاسماعيلية التي لم تكن طائفة القرامطة إلا فرعا منها عهد إليه بالاعداد للدولة الفاطمية في المشرق. على نحو ما ستكشف الحوادث عنه فيما بعد عندما دب الخلاف بين الطائفتين في عصر المعز لدين الله . ويخبرنا ابن الأثير أن « قرمطا » اتصل بصاحب ثورة الزنج قبل مقتله وأخبره أن معه مائة ألف ضارب بالسيف . لكن لم يتفق الرجلان لبعض الفروق المذهبية . وعلى الرغم من هذه الفروق المذهبية فقد اتفقت أساليب الطائفتين إلى حد كبير من سبي النساء والجوارى وقتل الأسرى والسلب والنهب ، مما يشعر بوحدة الفكر في التخطيط .

وفي أول الأمر ، ظهر نشاط حركة القرامطة بالبحرين سنة 281 هـ . فقد ادعى رسولهم إلى هذه المنطقة ، وهو يحيى بن المهدي ، أنه رسول المهدي المنتظر ، وأنه جاء ليدعوهم إلى مناصرته ، وأخبرهم أنه سيظهر عما قريب « وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، وكان يبيع للناس الطعام .. ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي إلى شيعته « وفيه يطلب إلى هؤلاء أن يدفع كل رجل منهم ستة دنانير وثلثين لرسوله فدفعوها إليه ، ثم رحل عنهم مرة ثانية . ولما عاد طلب إليهم

(1) انظر وصفا تفصيليا لفريضة الصلاة والصوم عند القرامطة في كتاب الكامل لابن الأثير ج 7 ص 160 - 161

لكن ينبغي ان نشير بايجاز الى ان اسلوب القرامطة كان امتدادا لاسلوب صاحب الزنج فقد أغار أبو سعيد الجنابي على نواحي هجر ، واقترب هو وأعوانه من البصرة فهزموا قائد المعتضد في سنة 287 . وكان الجنابي يقتل الأسرى ويحرقهم . ولما بدأت جيوش العباسيين تنكل بالقرامطة في سواد الكوفة ظهر احد دعائهم في الشام في سنة 289 وزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق . وقد أطلق جماعة من أتباعه على أنفسهم اسم الفاطميين . وبدأ يهاجم العراق وأحرق مسجد الرصافة ، ثم انتشر القرامطة في تلك السنة بسواد بغداد التي ستصبح بعد سنوات قليلة ، مسرحا لأسطورة الحلاج .

ومن الطريف أن نجد من بين القرامطة رجلاً كان يمكن أن يكون هو ايضا موضوعا لأسطورة الحلاج نفسه ، وهو ابن ابي الفوارس الذي ادعى أن روح الله وروح أنبيائه قد حلت فيه لتعصمه من الزلزل ولتوفقه الى صالح العمل . فلما قبض عليه وأحضر بين يدي الخليفة المعتضد قال : « يا هذا ان حلت روح الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس فما ينفعك ؟ فلا تسأل عما لا يعنك . وسل عما يخصك » ثم جعل يجبه الخليفة بأن العباسيين اغتصبوا الخلافة ، فأمر المعتضد بتعذيبه ، وقطع يديه ورجليه ، ثم قتل وصلب (2) . وكان لأهل بغداد في قتل ابن ابي الفوارس أراجيف كثيرة . فقد قيل

بكتاب آخر من المهدي أن يدفعوا اليه خمس اموالهم ففعلوا . ولا بد من ان يكون الاغراء شديدا حتى يسارع هؤلاء يدفع ما يطلب اليهم عن طيب خاطر . وفيما بعد كان الحمقى في احدى جزائر البصرة يشتررون الذراع في الجنة بمائة دينار ، كما يخبرنا الامام الغزالي . وفي اثناء ذلك كله توثقت صلة هذا الرسول بأبي سعيد الجنابي حتى قيل ، على حد ما يرويه لنا ابن الاثير . ان أبا سعيد طلب الى زوجته أن تعنى عناية خاصة برسول المهدي لو أراد.

ثم انتقل يحيى بن المهدي يدعو بنى كلاب وعقيل وغيرهم « فاجتمعوا معه ومع ابي سعيد فعظم أمر أبي سعيد » . وفي سنة 286 حشد هذا الأخير جماعة من الأعراب والقرامطة بالبحرين وجعل يغير على ما حوله من القرى ، ثم سار الى القطيف ، وقتل من بها ، وظهر أنه يريد البصرة ، وطبعى أننا لا نريد ان نغترف هنا من المراجع التاريخية تفاصيل ثورة القرامطة التي لم تكن ثورة اشتراكية كما خيل الى الاستاذ روجيه جارودي في محاضراته بالقاهرة سنة 1969 (1) . بل كانت حركة سياسية ترمى الى الاطاحة بالدولة العباسية ، لكي تجعل مكانها دولة الفاطميين . وهم من الاسماعيلية ، وكانت حروبها ، في التحليل الأخير ، أشبه بأساليب السطو وقطع الطريق والتنكيل بالا برياء .

(1) انظر ردنا على جارودي - الهلال عدد يناير 1971 بعنوان : لاسلام والاشتراكية

(2) الكامل لابن الاثير ج 7 ص 185

بعد . وأيا ما كان الأمر فإن تلك السنة هي التي بلغت فيها ثورة القرامطة أوجها من العنف . فقد حاصر القرامطة فيها دمشق وضيقوا على أهلها وأشرف كثير من أهل دمشق على الهلاك .

ولما قتل الحسين شيخ القرامطة في الشام على باب دمشق اجتمع من بقي منهم على بيعة أخيه الحسن الذي سمي نفسه أحمد . ثم سار إلى دمشق وصالح أهلها على خراج دفعوه إليه ، فانصرف عنهم ، واتجه إلى حمص وقد لقب نفسه بالمهدي أمير المؤمنين « ولما اطاعه أهل حمص وفتحوا له بابها خوفاً منه ، سار على حماة ومعرة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها وقتل النساء والصبيان ، ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها .. ثم سار إلى سلمية فمنعه أهلها ثم صالحهم ، وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فبدأ بمن فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ، ثم قتل البهائم والصبيان » (على نحو ما يفعل اليهود في حروبهم) ثم خرج منها وليس بها عين تطرف « وفي الجملة ، سلك مسلك صاحب الزنج فجعل يخرّب القرى ويسبي ويقتل ويحرق . حتى جاءت جيوش الخليفة المكتفي وأنزلت بالقرامطة بعض الهزائم واسرت زعيمهم الذي كان يلقب بأبي شامة ، وحمل هذا القرمطي إلى بغداد ومعه نفر من أصحابه فقطعت أيديهم وأرجلهم ثم ضربت أعناقهم ، ورفعت رأس أبي شامة على خشبة ونصبت على الجسر .

لكن سرعان ما تجمع القرامطة عندما جاءهم كتاب من أحد زعمائهم ، وهو زكرويه ابن مهرويه يخبرهم

أنه قال لبعض من حضر مقتله من العوام ، وقد أوصاه بحفظ عمامته ، أنه سيعود بعد أربعين يوماً . « فكان يجتمع في كل يوم خلائق من العوام تحت خشبته ، ويحصون الأيام ، ويقتتلون ، ويتناظرون في الطرق في ذلك . ثم تمت الأربعون ليلة فكثرت لفظ العامة « فكان بعضهم يقول هذا جسده ويقول آخر قد مر ، وإنما السلطان قتل رجلاً آخر وصلبه موضعه لكيلا يقتتن الناس » وبعد عدة أعوام أعاد عوام بغداد هذا الخلاف فيما بينهم . بسبب مقتل الحلاج . فقد سمع أحدهم الحلاج وهو في طريقه إلى تنفيذ الحكم يقول لاتباعه لا تجزعوا . سأعود إليكم بعد ثلاثين يوماً ، وقال ابن زنجي أنه سمع أنه قال بأنه سيعود بعد أربعين يوماً (١) . ومهما يكن من أمر فقد ظل أبو الفوارس مصلوباً فترة طويلة من الزمن بعد أن طلى جسمه بالصبر وغيره من الأطلية القابضة والماسكة ، ثم ضاق به أهل بغداد فأنزله جماعة من العامة من خشبته . وجعلوا يتراقصون بجثته ويقنون وينادونه باسم الأستاذ ، ثم ألغوه في النهر . وألقى بعض العامة بأنفسهم وراءه ففرق منهم عدد كبير على نحو ما يروى لنا صاحب مروج الذهب .

ويبدو أن الحلاج الذي كان يجوب خراسان منذ سنة 285 هجرية لفترة امتدت نحواً من خمس سنوات كان شديد اللهفة على ظهور المهدي المنتظر فأخذ يقسم بسنة 290 هجرية ، وهي السنة التي كان يقسم بها بعض دعاة القرامطة في خراسان أيضاً على نحو ما سنفصل القول فيه بعض التفصيل فيما

(١) ماسينيون : كتاب الحلاج ج ١ ص 301

301 ، ويقول ابن الاثير عنه انه كان « مشعبذا في قول بعضهم وصاحب حقيقة في قول بعضهم ، ومعه صاحب له ، ف قيل انه يدعى الربوبية (2) وفيما بعد قال الامام الجويني امام الحرمين ان الحلاج كان من دعاة القرامطة » وانه اتفق هو والجناي وابن المقفع على افساد عقائد الناس ، وتفرقوا في البلاد ، فكان الجناي في هجر والبحرين ، وابن المقفع ببلاد الترك ، ودخل الحلاج العراق « غير أن ابن خلكان الذي نقل كلام الجويني يلاحظ أن ابن المقفع كان قبل الحلاج بزمان طويل ، أي في أيام السفاح والمنصور . ولذا نجد ابن كثير صاحب البداية والنهاية يصحح كلام امام الحرمين فيقول ان الثلاثة الذين اجتمعوا في عصر واحد على اضلال الناس وافساد عقائدهم هم الحلاج وابن السمعاني ، وهو أبو جعفر بن محمد بن علي ، وأبو طاهر سليمان بن أبي سعيد بن الحسن بن بهرام الجناي القرمطي » (3) . ومهما يكن من شيء فقد ظهر امر الحلاج وانتشر ذكره في سنة 299 هـ .

غير أنه لم يكن لمقتل أبي سعيد الجناي ولأربعة من أكابر رؤساء القرامطة على يد احد خدمه من الصقالبة في سنة 301 هـ تأثير كبير في حركة القرامطة التي مدت سلطانها على هجر والأحساء والقطيف والطائف وسائر بلاد البحرين . وأخذ القرامطة يقطعون الطريق على الحجاج بعد خروجهم من مكة . وزادت حركة القرامطة عنفا عندما تزعمها أبو طاهر ابن أبي سعيد الجناي وكان في السابعة عشرة من عمره

فيه أنه قد أوحى اليه « ان صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان . وان امامه الذي هو حي يظهر بعدهما ويظفر » وبدأت جيوش القرامطة تغير على دمشق من جديد . وعلى طبرية . وقد فعلوا بهذه المدينة الأخيرة ما فعلوا بغيرها من قتل وسبي . ثم أعدوا عدتهم للاستيلاء على الكوفة واتجهوا اليها يحملون راياتهم البيضاء وهي تشبه رايات الاسماعيلية في لونها . فلما عجزوا عن فتحها ساروا الى القادسية ، وقد ادعى زكرويه أنه من أولياء الله ، وكان اتباعه متى رأوه سجدوا له كما كان يفعل اتباع الحلاج وقد استطاع زكرويه أن يهزم جيش الخليفة في سنة 293 بعد أن نصب له كميناً وقتل منه عددا كبيرا . ثم جعل القرامطة يقطعون الطريق على الحجاج من أهل خراسان . وربما امكن تفسير ذلك بانهم كانوا حريصين على جعل خراسان منطقة مغلقة لدعاتهم هناك حتى يتم كسب الخراسانيين للدعوة الاسماعيلية وكان نساء القرامطة يطفن بالماء بين القتلى يعرضن عليهم الماء ، فمن كلمهن قتلنه (I) ثم جهز المكتفى الجيوش وقتل من القرامطة خلقا كثيرا ، وأصيب زكرويه بضربة سيف في رأسه مات بعدها بخمسة أيام فنقلت جثته مع أسرى القرامطة الى بغداد ، وحملت رأسه الى خراسان حتى لا ينقطع الحاج .

وفي أثناء الصراع بين القرامطة وخلفاء بغداد ظهر مدع آخر للربوبية سنة 289 ، ثم قبض على الحلاج في

(1) الكامل لابن الاثير ج 7 ص 195 - 196

(2) نفس المصدر

(3) البداية والنهاية ج 11 ص 143 - 144 ، وماسينيون نفس المصدر ص 70

صلة وثيقة بين القرامطة وبين الفاطميين في تلك وسمعته وهو يقرأ ولا ينكرون، بجهلهم وغباوتهم، انه لا يجوز ان يعطى من العمر ما يظنون، فقال له : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم . فمن فيهم على مذهبك ؟ فقال : وأنت بهذا العقل تدبر الوزارة ؟ كيف تطمع منى أن اسلم قوما مؤمنين الى قوم كافرين يقتلونهم ؟ لا أفعل ذلك ! فأمر به فضرب ضربا شديدا ، ومنع الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة ايام ! !

ومن ذلك أيضا ما روى من أن المهدي أرسل خطابا الى أبي طاهر القرمطي الصغير يلومه فيه ويعنفه . فان القرمطي هاجم مكة في سنة 317 هـ في يوم التروية فنهب هو وأصحابه أموال الحاج ، وقتلهم حتى في المسجد الحرام ، ثم خلع الحجر الأسود وأرسله الى حجر حيث ظل هناك أكثر من عشرين سنة . ثم قتل أمير مكة ومن معه من الأشراف ، وألقى بالقتلى في بئر زمزم . ودفن الآخرين في المسجد الحرام بغير كفن ولا غسل ولا صلى على أحد منهم . ثم انتزع كسوة الكعبة وقسمها على أصحابه ونهب دور مكة . فلما « بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبيد الله العلوي بافريقية ، كتب اليه ينكر عليه ذلك ويلومه ويلعنه .. ويقول : قد حققت على شيعتنا ودعاة دولتنا الكفر والألحاد بما فعلت . وان لم ترد على أهل مكة وعلى الحجاج وغيرهم ما أخذت منهم . وترد الحجر الأسود الى مكة ، وترد كسوة الكعبة فانا برىء منك في الدنيا والآخرة .. » (2)

عند ما فتك بالحجاج العراقيون في سنة 313، وعندئذ خرج نسوة العراق ممن قتل أزواجهن في أثناء العودة من الحج ، ومن نكبهن ابن الفرات في بغداد « وجعلن ينادين القرمطي أبو طاهر قتل المسلمين في طريق مكة ، والقرمطي الكبير قد قتل المسلمين في بغداد . وكانت صورة قطيعة شنيعة ، وكسر العامة منابر الجوامع وسووا المحاريب » (1) وعجز الخليفة وأعوانه عن الوقوف في وجه القرامطة ، فدخل القرمطي الصغير الى الكوفة وأرسل الى الخليفة يطلب منه البصرة والأهواز . فلما لم يلق جوابا نهب الكوفة ثم عاد الى هجر . وساءت أحوال الحكم في بغداد . ثم سار أبو طاهر القرمطي الى الكوفة في سنة 315 وهزم الجيوش التي حاولت الايقاع به وأعوانه .

وهناك ظواهر ذات دلالة خاصة تشير الى وجود صلة وثيقة بين القرامطة وبين الفاطميين في تلك الفترة الغامضة من تاريخ الدولة العباسية وقت احتضارها . فمن ذلك ما نقله الينا ابن الأثير من أن انسانا جاء الى أحد وزراء بغداد وأخبره بأن « في جيرانه رجلا من شيراز على مذهب القرامطة يكتب ابا طاهر بالأخبار . فأخبره وسأله ، واعترف . وقال ما صحبت أبا طاهر الا لما صح عندي أنه على الحق ، وأنت وصاحبك (أى الخليفة) كفار تأخذون ما ليس لكم . ولا بد لله من حجة في أرضه . وامامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب . ولسنا كالرافضة والاثناء عشرية الذين يقولون . بجهلهم ، ان لهم اماما

(1) الكامل لابن الأثير ج 8 ص 50

(2) نفس المصدر ج 8 ص 69

القرامطة وعلى رأسهم الحسن بن أحمد بن الإحساء على مصر لحصارها . « فلما سمع المعز لدين الله صاحب مصر أنه يريد قصد مصر كتب إليه كتابا يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته . وأن الدعوة واحدة وأن القرامطة إنما كانت دعوتهم إليه وإلى آبائه من قبله ، ووعظه وبألف في تهديده . وسير الكتاب إليه . فكتب جوابه : وصل كتابك الذي قل تحصيله ، وكثر تفصيله . ونحن سائرون اليك على أثره والسلام (2)

وهكذا لم يدب الشقاق بين القرامطة والفاطميين إلا بعد تحقيق الهدف المشترك وهو القضاء على دولة آل عباس . لكن الذي يعنينا هنا هو أن نفسر عنف القرامطة في محاربة الحجاج والفتك بهم . وسنرى كيف اضطر « ماسينيون » ، رغم محاولاته العديدة إنكار الصلة بين الحلاج والقرامطة ، أن يعترف بأن الحلاج كان يريد إبطال فريضة الحج . ويبدو أن محاولة تدنيس الكعبة كانت هدفا أساسيا من أهداف الدعوة الفاطمية . فقد تجددت هذه المحاولة حتى بعد انتهاء حركة القرامطة بزمان طويل . فقد روى لنا ابن الأثير في أثناء كلامه عن حوادث سنة 414 هـ أن رجلا من مصر قام بعد صلاة الإمام في المسجد الحرام ، وبأحدى يديه سيف مسلول وفي الأخرى دبوس « فقصد ذلك الرجل الحجر الأسود كأنه يستلمه . فضرب الرجل الحجر ثلاث ضربات بالدبوس وقال إلى متى يعبد الحجر الأسود ومحمد وعلى ؟ فليمتعني مانع من هذا .

لكن يبدو أن هذا السخط الذي أظهره المهدي لم يكن الا ظاهريا فحسب . بل ربما كان يخفى شيئا آخر اتفق عليه مع دعاة دولته . ذلك أن الدولة لم تكن قد استقرت تماما للفاطميين في المغرب ، لقد تظاهر أبو طاهر أنه سيرد الحجر الأسود وأنه استرد ما يمكنه من أموال مكة أما كسوة الكعبة وأموال الحجاج فقد اقتسمها الناس ولذا فلن يستطيع ردها ، ومهما يكن من شيء فقد احتفظ أبو طاهر القرمطي بالحجر الأسود في هجر . ومات في سنة 332 دون أن يرده . وظل الحجر الأسود في حوزة القرامطة حتى سنة 338 ، ولما أعادوه في تلك السنة ، قالوا : « أخذناه بأمر . وأعدناه بأمر » وقد ردوه دون عوض . بعد أن رفضوا رده مقابل 50,000 دينار « فلما أرادوا رده حملوه إلى الكوفة وعلقوه بجوامعها حتى رآه الناس ، ثم حملوه إلى مكة وكان مكثهم عندهم اثنتين وعشرين سنة » (1) غير أننا نلاحظ أنه لم يرد إلا بعد القضاء على الدولة العباسية إذ لم يعد ثمة ما يوجب محاربة فريضة الحج بعد نجاح الدولة الاسماعيلية .

وإذا بقي بعد ذلك ريب في أمر الصلة بين القرامطة والدولة الفاطمية الاسماعيلية في المغرب فلنا أن نذكر حدثا تاريخيا له دلالة . وهو أن المعز لدين الله كتب إلى أحد رؤساء القرامطة في سنة 363 هـ ، أي بعد الانشقاق بين القرامطة والفاطميين . يذكره بتلك الصلة الوثيقة بين الطائفتين ، وذلك عند ما سار

(1) نفس المصدر ج 8 ص 175

(2) نفس المصدر ج 8 ص 229

فانى أريد هدم البيت . فخاف أكثر الحاضرين ، وتراجعوا عنه . وكاد يقلت . فثار به رجل فضربه بخنجر ، وقطعه الناس وأحرقوه . وقتل ممن اتهم بمصاحبتهم جماعة وأحرقوا ، وثارت فتنة .. والح الناس ، ذلك اليوم . على المغاربة والمصريين بالتهب .. فلما كان الغد ماج الناس واضطربوا ، وأخذوا أربعة من أصحاب ذلك الرجل . فقالوا نحن مائة . فضربت أعناق هؤلاء الأربعة » (I) .

كذلك لم تنقطع ظاهرة ادعاء الربوبية بعد مقتل الحلاج فقد ادعاها السلفاني لنفسه . ثم ادعاها أحد الحلاجية في القرن الخامس الهجرى كما أشرنا الى ذلك من قبل . ويمكن القول بأن هاتين الظاهرتين أعنى ظاهرة ابطال فريضة الحج وظاهرة ادعاء الألوهية هما الظاهرتان الغالبتان في المجال الدينى طيلة القرنين الرابع والخامس الهجريين . وقد جمع الحلاج

بين هذين الأمرين ، ثم اختلف الناس فى تفسير مقتله ، أكان بسبب محاولته اسقاط فريضة الحج . أم كان بسبب ادعائه للألوهية ؟ لكن يبدو انه كان يريد الأمرين معا ، فانه يصرح بأنه يدين بمذهب الحلول ، ويعترف بأنه يريد صرف الناس عن الحج اليس هو الذى يقول :

**على دين الصليب يكون موتى
ولا البطحا أريد ولا المدينة ؟**

فهو ، عندما يجمع بين الأمرين ، لا يفعل سوى أن يسير فى الاتجاه العام لكل من حركة القرامطة والدعوة الفاطمية ، وإن استعان فى سيرته هذه بالسحر والتصوف فى الوقت نفسه ، على نحو ما يعترف له بذلك أنصاره وخصومه ، وعلى نحو ما سنكشف من جانبنا عن حقيقة صلته بالقرامطة من دراسة لويس ماسينيون فى مقال آخر .

(I) نفس المصدر ج 9 ص 184 - 185



نظرية العصبية عند

ابن خلدون وابن الازرق

يزعم كثير من المستشرقين ان المؤرخين المغاربة لم يهتموا بتاريخ البادية المغربية وهي التي لا يمكن أن يتجاهل احد أهميتها في فهم حركة تاريخ المغرب ، ويستدلون على ذلك بقلة الوثائق في هذا الموضوع بالذات ، والواقع ان المؤرخين المغاربة لم يغفلوا عن تدوين كثير من أحداث البادية غير أن المؤلفين الذين صرفوا جهدهم لهذه الناحية من التاريخ هم اصحاب الرحلات وعلماء الانساب والمترجمون للقبائل وانسابها وصلحاتها .

الحسن السايح
الرباط - المغرب

وقد يكون عمل المؤرخين المغاربة قليلا بالنسبة لما اضطلع به المؤرخون العرب للبادية العربية حيث كانوا يتقصون أخبار البادية لمعرفة اللغة واستخراج قواعد النحو بالاعتماد على السماع اللغوي ، أما المؤرخون المغاربة فكان عملهم يرمى الى استقصاء الانساب ومعرفة الرجال ، ثم تسجيل الاحداث التاريخية في هذا الاطار ثم تجاوزوا ذلك الى تحليل العلاقة بين البادية والحاضرة ، وأقاموا على ذلك فلسفة العصبية وظهورها في البادية وتفسخها في الحواضر. كما فعل ابن خلدون وشراح نظريته من بعده ولم يكن جورج مارسي منصفاً حين ذكر في كتابه *Les Arabes en Berberie* بأن تاريخ المغرب هو تاريخ بواديته نفسه ، ولهذا فهو لم يفر المؤرخين العرب مستدلاً على ذلك بقلة الوثائق .. وهذا خطأ في استقراء عمل المؤرخين المغاربة لأن تاريخ المغرب هو تاريخ البادية والحاضرة معاً ، ولأن المؤرخين المغاربة كتبوا عن البادية في غير المصادر التي ألفها المستشرقين ككتب الرحلات والفهارس والفتاوى والتراجم بل استفاد المستشرقون أنفسهم من ذلك كما هو واضح فيما كتبه R. Montagne وما كتبه J. Berttre وغير ذلك من الكتب المهمة بهذا الموضوع .

وقد اعتمد هؤلاء جميعاً على المصادر المغربية . وجعلوها نواة لدراسة حديثة . ولا شك أن المؤرخ ابن خلدون اعتمد على مصادر كثيرة من المؤلفات القديمة عن القبائل البدوية فيما ألفه في تاريخه ولا يهمننا أن نستقصى مصادره ومطائنه. وإنما نريد أن نذكر خلاصة تجربته وفلسفته في موضوع الحضرة

والبدو وتقارن عمله بما كتبه ابن الأزرقي وابن خلدون يخصص الفصل الأول من الباب الثاني في مقدمته للكلام على العمران البدوي والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض في ذلك من الأحوال ، وهو في هذا الفصل يتناول بالدراسة حقيقة البادية والحاضرة ، وأقدمية البدو على الحضرة وطبيعة أهل البادية من الحيرة والشجاعة ، وأسباب فساد طبيعة أهل الحضرة ويقارن بين المجتمع الحضري والمجتمع البدوي ، وضرورة العصبية للبادية ، وتفسير العصبية والنسب واختلافه وكيف تكون الرياسة في أهل العصبية ولأهل الموالي مع تعريف الحسب وأثره في تكوين العصبية ثم الرجوع الى اثر الامم الوحشية في التغلب وهدفه الذي هو الملك ثم بيان علاقة الملك بالتنافس في الحلل الحميدة وأخيراً يطبق ابن خلدون هذه النظرية على العرب مبيناً أنهم لا يتغلبون الا على البسائط وكيف يعاجلونهم ، ثم كيف يحصلون على الملك بصيغة نبوة أو رئاسة أو ولاية ، ثم يرجع للبادية من جديد مبيناً أسباب تغلب أهل الامصار على البوادي ثم يوضح ابن خلدون في الفصل الثالث ضرورة العصبية للملك ومتى يستغنى عنها ، وأثر الدين في العصبية . الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب كيف لا تستحكم فيها الدولة مع بيان عمر الدولة وكيف تنتقل من اليدوة الى الحضارة .

وقد ظلت اصطلاحات ابن خلدون لا تكاد تفهم لجدتها وحدائتها ، ولأن المؤلف لم يكلف نفسه عناء شرحها . ولهذا بقيت كلمة (العصبية) و (العروبة) و (الاجتماع) وغيرهما من الكلمات ذات الابعاد والاحتمالات العديدة بالنسبة للمستشرقين بالخاص

العرب كما ترجمها دوسلان ومعظم عبارات ابن خلدون في العرب تمثل البربر والاكراد والتركمان كذلك صراحة أو ضمناً وإذا كانت مصطلحات ابن خلدون في حاجة إلى الشرح ، وإن الفلسفة الخلدونية ظهرت واضحة في كتابه القيم - المقدمة - ولم تكن النظريات الخلدونية في تفسير التاريخ في حاجة إلى معاجم لتصبح مفهومة واضحة عند معاصريه ، لأن ابن خلدون له من القدرة على التعبير ما جعل أفكاره واضحة مفسرة في كتابه ... غير أن المستشرقين أسرفوا في اتهام عصر ابن خلدون بالجمود الفكري متفاقلين أن هذا العصر عرف أكبر نكبة في العالم العربي والإسلامي ، وهي سقوط غرناطة التي بدأ معها سقوط العالم الإسلامي كله ، وبذلك صرف الناس اهتمامهم عن الدراسات العلمية (بعد أن عجزت عن انقاذهم) إلى التبتلات الصوفية كما يفعل المريض ساعة الاحتضار ... ورغم ذلك كله فقد عرف عصر ابن خلدون كتاباً اهتموا (بالمقدمة) وعلى رأسهم القاضي ابن الأزرق 832 - 896 مؤلف كتاب بدائع السلك في نظام الملك ... (أو بدائع السلوك في نظام الملوك) وهو تحليل وشرح لفلسفة ابن خلدون وتوضيح لبعض نظرياته ... وقد استعمل ابن الأزرق نفس الاصطلاحات الخلدونية وأعطى للكلمات تفسيرات واضحة لا تدع مجالاً للشك أن ابن الأزرق عرف الخلدونية حق المعرفة وتجاوزها إلى مصادرها ، وكابن السكاك محمد بن الأغالب ، المكناسي الأصل الفاسي الدراسة المتوفى سنة 818 هـ 1406 مؤلف كتاب الأساليب وكتاب نصيح ملوك الإسلام .. وإذا رجعنا إلى ابن الأزرق فنحن نراه يخص (المقدمة) الأولى من كتابه لنفس الموضوع أي

إذا كان ابن خلدون يرجع في آرائه لاستنتاجات كثير من الفلاسفة والمؤرخين الذين سبقوه ، ويستعمل اصطلاحات لغوية ذات أصول في اللغة العربية ، فالواقع أنه أضفى عليها معنى جديداً .. ، فكلمة العصبية مأخوذة من العصب .. كما (جاء في سورة يوسف ونحن عصب) غير أنها عند ابن خلدون تدل على رابطة القرابة والنسب والولاء والحلف والاصطناع وعلى أساسها تلتحم الحياة الاجتماعية ، وقد بنى ابن خلدون فلسفته السياسية على العصبية ومراحلها الاجتماعية ودورها السياسي وعلاقتها بالدولة والديانة والملك والدعوة ، واختلف المترجمون في مدلولها وترجمتها من (دوسلان) إلى غيره ، كما أن كلمة (العرب) المستعملة عند ابن خلدون تختلف بمفهوم الجنس والاجتماع واللغة (فالعرب) عنده تعني البدو والأعراب ، لا بمعنى الاصطلاح القديم المفرق بين العرب والأعراب ، ولا بالمفهوم الجنسي الحديث ، وقد استعمل ابن خلدون كلمة العرب أو العربي في عدة مواضيع من المقدمة ، لم يستعمل الأعراب والأعرابي إلا في بضعة مواضيع أخرى وهو يستعمل العرب بمعنى سكان البادية ، وفي التاريخ نفسه يستعمل العرب بمعنى سكان البادية بالمفهوم الاجتماعي لا بالمفهوم الجنسي وكذلك يستعمل العرب بمعنى الأعراب أي البدو ، وخالف ابن خلدون مؤرخي العرب في تقسيم العرب إلى ثلاث طبقات ، وهي البادية والعاربة ، والمستعربة ، فقسّمهم إلى أربع طبقات ، وهي العاربة ، والمتعربة ، والتابعة والمستعجمة ، ويريد بالمستعجمة القبائل البدوية ، وعلى هذا فالعرب عند ابن خلدون هم الأعراب ومنهم

البدواء والحضارة والعصبية ، ولكنه يربط ذلك بنتيجة العصبية فيقول (المقدمة الاولى فى تقرير ما يوطىء للنظر فى الملك عقلا) وتشمل هذه المقدمة عشرين سابقة .

واذا فابن خلدون خصص فى الباب الثانى من المقدمة تسعة وعشرين فصلا لهذا الموضوع ثم أعقبه فى الكتاب الثانى فى الدليل العامة والملك والخلافة وأعراض السلطانة وما يعرض فى ذلك كله من الأحوال ، وفى هذا الكتاب تكلم عن الملك وحصوله بالعصبية ومتى يمكن الاستغناء عنها ، وأثر النبوة والدين فى العصبية وعدم جدوى الدعوة الدينية دون عصبية اما ابن الأزرقي فقد اختصر الباب الثانى فى (عشرين سابقة) وجعل الكتاب الاول فى حقيقة الملك والخلافة وقسمه الى سوابق تتناول حقيقة الملك والخلافة والعصبية وغير ذلك من الابحاث بأسلوب جديد وتنسيق محكم ، وإذا تجاوزنا الاطار الى التحليل فابن الأزرقي يختصر فصول المقدمة ويرتبها ترتيبا آخر متسلسلا ، فهو يذكر فى السابقة الاولى فى الاجتماع الانساني ويفسره بأنه هو (عمران العالم ، ويرى ضرورته ، ومن ثم قال الحكماء ان الانسان مدنى بالطبع أى لا بد له من الاجتماع الذى هو المدنية عندهم ، يحفظ به وجوده وبقاء نوعه اذ لا يمكنه انفرادة بتحصيل أسباب معاشه واعداد ما يدفع به عن نفسه دون معين من أبناء جنسه فيضطر الى اجتماع يتكفل له بذلك على أيسر مرام لتتم حكمة ايجاده وغاية ما خلق له) .

ويذكر فى السابقة الثانية أن من العوارض الطبيعية لهذا الاجتماع أموراً خمسة (أولها) البدو، وهو الذى يكون فى الضواحي والجبال الى آخر التعريف وفى السابقة الثانية يتكلم عن أسباب انقسام العمران . ثم يأخذ فى بيان تقدم أسباب العمران الى أن ينتهى الى العصبية فيفسرها ويتحدث

عن نتائجها ويفسر ابن الأزرقي العصبية بقوله : ولا يصدق ذلك الا اذا كانوا ذوى عصبية مشتبكة وأهل تشييع واحد ، وحينئذ تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم لما جبل فى القلوب من الشفقة والنعرة على ذوى الرحم والقرباة ، ومن ثم قال أخوة يوسف عليه السلام (لئن أكله الذئب ونحن عصبة اننا اذا لحاسرون) والمفترقون فى النسب قل أن يجد أحد منهم نعمة على صاحبه يوم الكفاح على حد ما هى من ذوى الارحام ، فلا يقدرون لذلك على سكنى القفر والا كانوا فريسة من سواهم وبعد أن يتم ابن الأزرقي الكلام على العصبية مبينا أنها انما تحصل بالتحام نسب أو ما فى معناه كالولاء والحلف ، وان الرئاسة على أهل العصبية لا تكون فى غير نسبهم وأن شرف البيت فى الحقيقة لأهل العصبية ولغيرهم بالمجاز ، ثم يتكلم على معنى الحسب ونهايته . يعود الى قدرة الامم الوحشية على التغلب وأخيرا يصل الى (العرب) فيذكر أنهم لا يتغلبون الا على البسائط واذا تغلبوا عليها أسرع الحراب اليها لأن طبيعة التوحيش تنافر العمران ، ولأن غاية الأحوال عندهم هى الرحلة والتغلب ، ولأنهم يكلفون على أهل الصنائع أعمالا لا يرون لها قيمة ولا استحقاقا ولأنهم لا غناية لهم بالأحكام الواجبة شرعا وسياسة. وكذلك لأجل تناقضهم فى الرئاسة ويختتم ابن الأزرقي هذا الفصل بملاحظة تحت عنوان (تعيين) قال (ابن ابى خلدون) وهؤلاء العرب وفى معانهم طواعين البربر وزناتة بالمغرب ، والاكراد والتركمان بالمشرق قال الا أن العرب أبعد نجمة وأشد بدواة لاختصاصهم بالقيام على الابل فقط ، وهؤلاء يقومون عليها وعلى الشاء والبقر ، وبه يتبين أن جيل العرب طبيعى لابد منه . ومن هذا الفصل تعرف أسلوب ابن الأزرقي فى شرح المقدمة أى أنه يختصرها ويرتبها ترتيبا جديدا متساوما ومتكاملا ، فاهما اصطلاحات ابن خلدون ! حق الفهم .



الأرض والهجرة

هناك اختلاف بسيط بين سياسة الجمهوريين وسياسية نابليون الثالث . فبينما اختار قادة النظام الجمهوري هجرة المدنيين ومساعدتهم على استثمار الأراضي الشاسعة ، نجد ان لويس نابليون قد اختار « هجرة رؤوس الأموال » وخاصة فيما بين ١٨٥٨ - ١٨٥١ . وخلاصة فكرته ان الهجرة يجب ان تتم على اوسع نطاق ممكن وان الشركات في امكانها ان تحصل على امتيازات واراضي خصبة مقابل بناء مساكن للمهاجرين الفرنسيين الى الأراضي الجزائرية . ونتج عن هذه السياسة تغير ملحوظ في العدد وفي نوع المهاجرين الجدد . فمن سنة ١٨٥١ ارتفع عدد المهاجرين الاوروبيين من ١٣١٠٠٠ الى ١٨١٠٠٠ نسمة . ومما تجدر الاشارة اليه هنا ان نصف المهاجرين الى الجزائر ينتمون الى فرنسا .

د. عمار بوحوش

استاذ بكلية الحقوق

ومن جهة أخرى عمل ، باتفاق مع الحاكم العام بالجزائر ، على ترضية المهاجرين الأوروبيين وقدم اليهم مساعدات لم يخلوها بها من قبل - ففى مرسوم صدر أواخر سنة ١٨٥١ ، بعث الحاكم العام بتعليمات للولاة فى القطر الجزائرى وطلب منهم ان تمنح فورا ، لكل معمر أوروبى مساحة من الاراضى بشرط ان لا تزيد عن ٥٠ هكتارا. وجاء فى تعليماته للولاة ان الاراضى تعطى مجانا وبدون تأخر . ونظرا لاقبال الأوروبيين على اخذ نصيبهم ، فان الاراضى الموجودة فى حوزة الدولة قد نفذت بسرعة ، وأنذاك لجأ الجنرال « روندون » الى اتباع سياسة جديدة تكفل له الحصول على المزيد من أراضى العشائر والشخصيات الجزائرية . وقد اطلق على خطته الجديدة سياسة « الأقليم Cantonnement أو تجزئة الاراضى الى قطع صغيرة بحيث لا يترك لاية قبيلة الا الجزء الذى تحرثه للحصول على قوت افرادها وما زاد عن ذلك تتخلى عنه لأيواء المهاجرين الأوروبيين (٣١) . وحسب تقدير الخبراء ، فان سياسة راندون التوسعية قد مهدت الطريق لا ستيلاء الحكومة على ما لا يقل عن ١,٥٠٠,٠٠٠ هكتار (٣٢) .

والسبب فى اتباع سياسة الاستعمار الراسمالي واقامة مراكز الاستيطان للجالية الاوروبية يرجع بالدرجة الاولى الى رغبة نابليون الثالث فى ترضية جميع العناصر التى كان يخشى ان تشكل خطرا على سلطته . وأول فئة كان يسعى الى تلبية مطالبها هى الجالية الاوروبية التى بقيت مرتبكة وغير قادرة على استثمار الاراضى التى فى حوزتها وذلك نظرا لخوفها من هجمات اصحاب الارض الاصليين أو الوطنيين الذين يجهدون مواصلة المعركة حتى النهاية . وبما انه من الصعب على حكومة لويس نابليون تزويد كل مستوطن أوروبى بقوات عسكرية تحميه وتتيح له

اما النصف الآخر فيحملون جنسيات مختلفة . وكانت هذه فئاتة عهد جديد بالنسبة للمهاجرين الاجانب الذين بدأوا يدخلون الى الجزائر افواجا وكانهم فى تسابق مع الفرنسيين لتوطيد قدمهم فى ارض الجزائر . ومما يلاحظ فى هذا الشأن ، ان عدد الاسبانين والاطاليين القادمين الى الجزائر قد بلغ ١٥٥,٧٣٥ نسمة سنة ١٨٧٦ وعدد الفرنسيين الذى وصل الى ١٥٥,٧٢٧ يأتى فى الدرجة الثانية . (٢٨) وترقب عن هذا السباق الى الهجرة بين الفرنسيين والاقليات الاجنبية الأخرى زيادة فى الاقبال على اخذ الارض ومزاحمة الجزائريين بين ميدان الفلاحة الذى كان هو مصدر العيش بالنسبة لما لا يقل عن ثلاثة ارباع الشعب . ويذكر المؤرخ الفرنسى الشهير جوليان ان بعض العائلات الجزائرية التى تقطن بشرق الجزائر قد فقدت ما يتراوح بين ٤٠ و ٨٥ ٪ من اراضيها (٢٩) .

ثم ان لويس نابليون ، الذى كان يحاول ان يظهر بمثابة الحاكم المنصف ، قد عكر علاقته مع المعمرين الاوروبيين فى الجزائر دون ان يتجرأ على تحديد العلاقات التى تربط بينهم وبين اهل البلد الاصليين . فابتداء من ديسمبر ١٨٥١ ، وهو تاريخ الانقلاب الذى قام به للاستيلاء على الحكم فى فرنسا ، ونابليون الثالث يسعى لاسخال تعديل على النظام الذى اقرته الحكومات الفرنسية السابقة بالجزائر .

فمن جهة ، ارجع السلطة الى القيادة العسكرية بالجزائر وذلك بتعيين الجنرال راندون حاكما عاما ، من سنة ١٨٥١ - ١٨٥٨ . واكثر من هذا ، اثار الامبراطور الفرنسى مخاوف الجالية الاوروبية بالجزائر عند ما جردهم من حقهم فى اختيار ممثلين ينوبون عنهم فى مجلس النواب الفرنسى ، كما فعل فى دستوره الجديد الذى ظهر فى جانفى ١٨٥٢ (٣٠) .

أو ما نسميهم بـ «المكاتب العربية»، وأمر بتغيير نوع الحكم في الجزائر . ففي يوم ٢١ أبريل ١٨٥٨ ، بدأ حلقة جديدة من سلسلة مغامراته بأوروبا وأفريقيا . لقد أقدم في ذلك اليوم على إخلاء كرسى الزعامة في الجزائر من الطرفين المتنازعين عليه ، واجلس عليه ابن عمه الأمير جيروم Prince Gêrôme ثم لطلق عليه لقب « وزير الجزائر والمستعمرات » . وتوج قرارته الصادرة يوم ٢١ أبريل ١٨٥٨ بزيارة مجاملة الى الجزائر حيث أراد أن يتطلع بنفسه على سير الأمور هناك ويتعرف على أبناء رعيته من العرب . ثم عاد الى باريس وهو مخلوب اللب بالشعب العربي وعاداته (٢٢) وقد لوحظ أنه تأثر كثيرا بالحالة البئسة التي كان فيها العرب بالجزائر وقال انه من غير الانصاف عدم « حماية الجزائر من هجومات الأجانب » . وانساق وراء عواطفه وشعوره بالعظمة وأعلن بكل جراءة أن الجزائر ليست مستعمرة ولكنها مملكة عربية . وبناء على ذلك ، قال نابليون الثالث : « أن أهل البلد الأصليين بالجزائر لهم حق التمتع برعايتي وانتي اعتبر نفسي امبراطور العرب ، تماما كما انني امبراطور الفرنسيين » . ثم اوضح بأن واجب الفرنسيين هو « اقناع العرب بأن الهدف من مجيئنا ليس هو تعريتهم وانما تقديم مزايا التمدن والتقدم الانساني اليهم » .

ولم يمض الا وقت قصير على هذه التصريحات حتى بدأ الامبراطور يدرك عدم قدرته على مجابهة الضغوط المتوالية عليه من طرف قادة الجيش والمعمرين بالجزائر بشأن التخلي عن اقامة مملكة عربية ذليلة لامبراطوريته . وبالفعل ، فقد عدل عن مشروعه السابق وأصدر يوم ١٠ سبتمبر ١٨٦٠ مرسوما يقضى باعادة السلطة الى يد الحاكم العام العسكري في الجزائر . وفي الحال ، تم تعيين

فرصة زراعة الأرض ، فقد استقر رأيه على اقامة مراكز الاستيطان وتشجيع كل معمر على استغلال الاراضي الخصبة التي في حوزته . وهذا العمل يقود الى نتيجة اخرى الا وهي ايجاد العمل لأبناء البلد الأصليين . وبذلك تستطيع السياسة النابوليونية تجنب ثورة الطبقة الكادحة التي تعتبر الأرض مصدر الرزق ، من جهة ، ودفع الاوروبيين الى العمل المنتج بدلا من الاعتماد على أموال الدولة الفرنسية لتغطية تكاليف اقامتهم . وأكثر من هذا ، فان توفر ايد عاملة تتقاضى اجورا بسيطة يعتبر نعمة بالنسبة للاقتصاد الفرنسي . ولهذا فلا ينبغي أن يتوانى المعمرون الجدد في تسخير هذه الطاقة الانسانية الهائلة لمصلحتهم ومصلحة فرنسا بالجزائر .

ويلاحظ أن الجيش الفرنسي كان يسعى هو الآخر لظهور عبقرية قادته ، الذين ينظر اليهم الشعب الفرنسي نظرة ازدراء ويعتبرهم آلة مسخرة لخدمة اغراض الشخصيات السياسية . ولذا نجدهم هذه المرة قد عقدوا العزم على مساعدة المعمرين المدنيين واسكات الذين يروجون دعايات مغرضة ضد سياسة الحكم العسكري في الجزائر . كما حاولوا التقرب والتفاهم مع الجزائريين وذلك حتى يتسنى لظباط الجيش الفرنسي أن يحصلوا على ثقة أهل البلد الأصليين ويقموا بأفريقيا « فرنسا الجديدة » .

ولكن مجهودات قادة الجيش الفرنسي لم تكلل بالنجاح حيث أن التعاون الذي حاولوا اقامته مع أبناء الجزائر كان صوريا فقط والغرض منه خلق جبهة موحدة ضد المعمرين الذين يتناقسون معهم على كرس القيادة في الجزائر . وانتهاز لويس نابليون فرصة كشف الستار عن بعض الفضائح التي وقعت في صفوف بعض الجزائريين الموالين لفرنسا الذين كانوا ينتمون الى شبكة التجسس لمصلحة الجيش الفرنسي

الماريشال بيليسى فى هذا المنصب الجديد . وباستثناء أمور العدالة والتعليم العمومى والشؤون الدينية التى الحقت بالوزارات المختلفة بباريس ، فان الحاكم العسكرى أصبح هو المكلف بجميع الأمور العسكرية والمدنية فى الجزائر . وبإيجاز ، فقد صعد الى كرسى القيادة وهو يتمتع بالصلاحيات الآتية التى وضعت مصير البلد فى يده :

١ - أن يكون الحاكم الجديد ، غير تابع لوزير العدلية كما كان الحال فى السابق ، وان تتم المفاهمات والاتصالات بينه وبين وزير الحربية بطريقة مباشرة .
٢ - أن يقوم القائد العسكرى الجديد بتحضير واعداد ميزانية الجزائر .

٣ - أن يقرر نوعية جباية الضرائب التى تفرض على المنتجين والمتملكين .

٤ - أن يتكفل بمراقبة كل قضية تتعلق بكل تسليف لاجل قصير أو قرض طويل المدى (٢٤) .

وجاءت هذه القرارات بمثابة صدمة للمستوطنين الأوربيين بالجزائر . فاعادة قائد عسكرى الى كرسى القيادة اقنعهم بعدم جدوى مساعيهم لابعاد قادة الجيش من الجزائر واستيلائهم على زمام الأمور هناك . ولكن الشيء المحزن ، بالنسبة للجالية الاوروبية بالجزائر ، هو امكانية تجديد التحالف بين الجيش والجزائريين ومضايقتهم . ومما زاد فى مخاوفهم ، قرار الامبراطور الفرنسى المؤرخ فى ٢٢ ابريل ١٨٦٣ الذى ينص على اعادة توزيع اراضى الأحواز الى اصحابها الاصليين (٢٥) . ويعتبر هذا المشروع الذى اطلق عليه نابليون الثالث اسم « قرار مشيخي Senatus Consulto تراجعاً فى قراراته السابقة التى اعددها سنة ١٨٥٨ واصبح بمقتضاها من حق الدولة أن تستولى على اراضى الحبس والعشائر التى يتجاوز حجمها ما يحتاجه الافراد المعنيون بتلك

الأرض . ثم ان رغبة نابليون الثالث فى السماح للجزائريين الاحتفاظ بالاراضى التى فى حوزتهم قد جابهت المعمرين فى الجزائر بالحقيقة المرة وهى أن الباب أصبح مغلقاً فى وجه المهاجرين الذين قد لا يستطيعون ، من الآن فصاداً ، انتزاع الاراضى الخصبة من أهل البلد (٢٦) . ومما زاد الوضع تعقيداً ، اصرار الامبراطور على رفض الدولة لتمويل مشاريع الاستثمار ، وخاصة تلك التى تتعلق بتدعيم مصالح المعمرين التجارية والعمرانية ، وحثه ، للمهاجرين الاوربيين بايجاد رؤوس الأموال الخاصة لتدعيم أعمالهم (٢٧) .

ومن كل هذا بدا يتضح للجالية الاوروبية بالجزائر أن مقاومة الامبراطور أو الدخول فى صراع معه ليس فى مصلحتهم ابداً . ولهذا ركنوا الى العمل بجهد وصمت وأخذوا يترقبون ذلك اليوم الذى تواتيهم فيه الظروف لتغيير مجرى الأحداث . ومما ضاعف فى أملهم أن انتظارهم لن يطول ، تدهور الوضع السياسى بأوروبا وتضاييق الرأى العام الفرنسى من سياسة حكومة نابليون الثالث المزمته . هذا بالإضافة الى أن فرنسا قد تركزت بالجزائر وأن مهمة الجيش قد اوشكت على الانتهاء . وبالفعل ، فقد استقبلت الجالية الاوروبية ببرودة اعصاب القرار الذى اتخذه الامبراطور يوم ٧ جويلية ١٨٦٤ والقاضى بالغاء منصب مدير الشؤون المدنية وتبعية الاعمال التى يقوم بها السولاة الى الجنرالات العسكريين فى كل ولاية (٢٨) . ولم يثيروا اية ضجة ، كعادتهم ، حينما عمد الامبراطور الفرنسى الى تشديد قبضة الجيش على المواطنين الجزائريين سنة ١٨٦٧ . وفى هذه الفترة وجد نابليون الثالث أنه من مصلحته التخلّى عن فكرة حماية أبناء « مملكته العربية فى شمال افريقيا ومناصرة الضباط

ثم انضم إلى صف المهاجرين الفرنسيين رجال الكنيسة الذين شعروا أن سبب فشلهم في تحويل الجزائريين إلى مسيحيين يعود إلى عدم تعاون القادة العسكريين معهم خاصة وأن أسقف الجزائر العاصمة لا فيسجري الذي تزعم حركة الدعوة المسيحية قد أصبح شبه مقتنع بأن الجيش هو الذي حال دون قيام دولة مسيحية بالجزائر (٤١) . وبالإضافة إلى هذه التجمعات المناهضة لنفوذ الجيش بالجزائر ، فقد حدثت مجاعة مخيفة سنة ١٨٦٧ وذهب ضحيتها نصف مليون جزائري (٤٢) . وأدت هذه الكارثة إلى إعطاء فكرة سيئة للرأي العام الفرنسي عن الوضعية بالجزائر وأجراء تحقيق حول الموضوع .

واستجابة للضغط المتزايد عليه ، أمر نابليون الثالث في أبريل ١٨٦٨ بتكوين لجنة برلمانية وكلفها بمهمة استطلاعية في الجزائر . وأثناء إقامة اللجنة بالجزائر ، استطاع رئيسها ، السيد Le Comte Le Hon الصديق الروحي للإمبراطور ، أن يتفهم نفسية الجالية الأوروبية ويقدم تقريراً مفصلاً عن مطالبهم إلى مجلس النواب الفرنسي . ويبدو أنه كان مقتنعاً مقدماً بأن الحل الوحيد لاسكات المعمرين والتغلب على معارضتهم هو الاستجابة لمرغباتهم . ومما جاء في الوثيقة التي قدمها إلى مجلس النواب الفرنسي الاقتراحات التالية :

- ١ - توسيع رقعة الأراضي التي تخضع للنظام المدني .
- ٢ - إلغاء المكاتب العربية التابعة للجيش .
- ٣ - تقسيم أراضي الأعراس أو الأراضي التي تخضع للملكية الجماعية ولا تباع إلا باتفاق جميع الأفراد الذين يهمهم الأمر .

العسكريين الذين أصبحوا أداة فعالة لتأديب المتمردين على سياسة الإمبراطورية . ومن جملة الخدمات التي قدمها لهم تزويد « المكاتب العربية بالمزيد من النفوذ والسلطة وذلك حتى يتمكن الجيش من فرض سيطرته على أبناء البلد الأصليين والمعمرين المدنيين معا » .

إلا أن سياسة تجنب الدخول في صراع مع نابليون الثالث لا تعني تخلي الجالية الأوروبية عن فكرتهم الأساسية في إبعاد القادة العسكريين من الحكم واستلام زمام القيادة بالجزائر . فنظروا لشعورهم بالضعف وعدم قدرتهم على مواجهة الجيش بالجزائر . قرروا نقل المعركة إلى باريس حيث ضمو أصواتهم إلى خصوم الإمبراطور وحاولوا تلويث سمعة حكومته واتهامه بالدكتاتورية . وتركزت حملتهم بصفة خاصة على مستقبل الفرنسيين المغتربين وكيفية تذليل العقبات التي تعترض سبيل إقامتهم بالجزائر . ووجدت هذه الفكرة تجاوباً من طرف بعض القادة الباريسيين الذين تطوعوا للدفاع عن قضايا الجالية الأوروبية بالجزائر . وكانت الشخصية الفرنسية البارزة التي تزعمت حركة الدفاع عن مصالح الجالية الأوروبية في مجلس النواب الفرنسي هي سيادة جول سيمون Jules Simon الذي هو أحد قادة حزب الجمهورية (٣٩) وفجأة بدأ الرأي العام الفرنسي يظهر عداوته للحكم العسكري بالجزائر ، خاصة وأن شخصية فرنسية مرموقة ، مثل Prevost-Parédoz قد أظهرت حماساً لقضية الجالية الفرنسية بالجزائر وشنت حملة واسعة النطاق في La France Nouvelle التي شرح فيها أنواع المساواة التي يتعرض لها هؤلاء الفرنسيين الغرباء . وفي رأي قائد هذه الحركة أن الجزائر يجب أن لا تكون « معسكر لتمرينات جيشنا » . لكن أرض مسكونة ومملوكة ومحروثة من طرف الفرنسيين » (٤٠) .

الحين أمر الامبراطور الفرنسي بتعيين لجنة متكونة من تسعة اعضاء (٣ عسكريين و ٦ مدنيين) وعلى رأسها المارشال « راندون » . وفي شهر مارس ١٨٧٠ ، تقدمت اللجنة بمشروعها الى نابليون الثالث الذي قبله في الحال واحاله الى مجلس الدولة للتأكد من سلامة محتويات الدستور الجديد الخاص بالجزائر . الا أن مجلس النواب رفض المشروع بدعوى انه لا ينص على « الاندماج التام » وانه قد منح سلطات واسعة للوزير المقيم بالجزائر . ثم انه يهدف الى تجميد الوضع الراهن فيما يتعلق بأمور العدالة ولا يتماشى ورغبة الجالية الاوروبية في ايجاد نظام للمحلفين الذين ينتظرون في جميع القضايا الجنائية . وأكثر من هذا ، أصر النائب « لوهو » LE HON وزميله Jules Favre على ادانة « الدستور الخاص » بالجزائر وذلك في جلسة مجلس النواب التي عقدت يوم ٢٨ ماي ١٨٧٠ . وأخيرا ، تعثر هذا المشروع وقضى عليه نهائيا في استفتاء ١٨٧٠ الذي امتنع فيه عن التصويت ٣٥ ٪ من المعمرين وقالوا لنابليون الثالث بانهم « يتجاهلون حتى وجود الامبراطورية » (٤٦) .

وهكذا تمكن المهاجرون الفرنسيون والاجانب من كسب المعركة وعرقلة مشاريع الامبراطور الفرنسي لترجيح كفة الجيش واخضاع ابناء الجزائر لسيطرته . ففي المرسوم الصادر يوم ٣١ ماي ١٨٧٠ ادخل تعديل على نظام ولايات الجزائر حيث أصبح كل والي تابع للحكام العام وليس الى جنرالامت عمالة ، كما كان في السابق (٤٧) . ثم جاءت نكسة سدان ووقوع نابليون الثالث اسيرا في يد جيوش بيسمارك فاتيحت الفرصة لقادة النظام الجمهوري الجديد وزعماء الجالية الاوروبية بالجزائر لوضع برنامج مفصل يكفل لهم السيطرة على شمال افريقيا وفرنسة الجزائر بصفة خاصة . ومما يلاحظ في هذا الصدد ان المعمرين بالجزائر قد حملوا الامبراطور وجيشه مسؤولية الهزيمة واتهموا قادة الجيش الفرنسي بانهم « جبناؤ وخونة » .

- ٤ - السماح بتكوين الملكية الفردية .
- ٥ - التخلص من قادة العرب الاستقراطيين .
- ٦ - عدم استعمال الشريعة الاسلامية التي يتبعها القضاة وتطبيق قوانين العدالة الفرنسية على جميع القاطنين بالجزائر .
- ٧ - تكوين هيئة محلفين من الفرنسيين للنظر في الاعمال الجنائية (٤٣) . وبالإضافة الى هذه الاقتراحات المقدمة من طرف اللجنة البرلمانية تقدم المعمرين من جهتهم ببعض الاستثناءات التي يعفون بقضاها من القوانين الفرنسية :
- ١ - لاضرائب على الأرض والممتلكات الاخرى
- ٢ - الاعفاء من الخدمة العسكرية
- ٣ - فرض ضرائب على أهل البلد الأصليين .
- ٤ - خضوع المسلمين الجزائريين للقوانين الفرنسية وتطبيقها عليهم في جميع الحالات (٤٤) . وقد وصف احد المعمرين ، واسمه De Montebello ، مقترحات اللجنة البرلمانية بانها تهدف الى تحقيق « الاندماج » الذي هو لصالح الفرنسيين فقط . فالمسلمون لا يرغبون في أي شيء ولديهم كل ما يحتاجون . ان الفرنسيين ليست لديهم نية لتقاسم امتيازاتهم او سلطتهم مع اجناس يرغبون في ان ينزلوا بنا الى درجة سفلى » (٤٥) .

وعندما ما تطورت الوضعية لصالح المعمرين اوصبح النائب « لوهو » LE HON المتكلم باسمهم في مجلس النواب الفرنسي ، بادر وزير الحربية بكتابة رسالة الى الامبراطور يوم ٢٤ افريل ١٨٦٩ وانذره فيها بتكهرب الجو وامكانية حدوث اضطرابات خطيرة ما لم يسارع بتحويل قضية الجزائر من مجلس النواب الى مجلس الشيوخ . ثم نصحه ان يوجه تعليمات لاعضاء المجلس الاخير باعداد « دستور خاص » للجزائر على أن يتضمن الاعتراف بحقوق الجالية الفرنسية وصيانة مصالح ابناء البلد الأصليين . وفي

BIBLIOGRAPHIE

- (28) Un Algérien, "La Question Algérienne" REVUE POLITIQUE & PARLEMENTAIRE, Volume 29, (Juillet, Août, Septembre) 1901, P. 90.
- (29) Julien, HISTOIRE DE L'ALGERIE CONTEMPORAINE, Op-Cit. P. 405
- (30) Henri, Blet, HISTOIRE DE LA COLONISATION FRANÇAISE : 1789-1870. Paris : B. Arthaud, 1946, P. 185
- (31) Stephen H. Roberts, HISTORY OF THE FRENCH COLONIAL POLICY 1870-1925 (two volumes). London : P. S. King, 1929, P. 197
- (32) Robert Aron, LES ORIGINES DE LA GUERRE D'ALGERIE. Paris : Fayard, 1962, P. 42
- (33) Wright, OP. CIT. P. 258
- (34) Lanessan, OP. CIT. PP. 90-91
- (35) Vincent Confer, FRENCH AND ALGERIA : THE PROBLEM OF CIVIL AND POLITICAL REFORM, 1870-1920. Syracuse, N.Y. Syracuse University Press, 1960, P. 5
- (36) Roberts, Op. Cit. P. 199
- (37) Edwar Behr, THE ALGERIAN PROBLEM. New-York : W. W. Norton and Company Inc. 1962, P. 34
- (38) Blet, OP. CIT, P. 189
- (39) Quoted in Confer, OP. CIT., P. 5 from August Brunet, JULES SIMON & LE PROBLEME DE LA CONSTITUTION COLONIALE. Paris : Charles-Lavauxelle, 1945
- (40) Blet, OP. CIT., P. 191
- (41) IBID ; P. 19 : For a good study of this question, see :
Marcel Emerit, "Le problème de la conversion des Musulmans d'Algérie sous le Second Empire : le conflit entre Mc Mahon et Lavigerie", REVUE HISTORIQUE (Janvier-Mars) 1960, PP. 63-84
- (42) Charles-Henri Favrod, La Révolution Algérienne. Paris : Plon, 1959, P. 15
- (43) Charles-Robert Ageron, LES ALGERIENS MUSULMANS & LA FRANCE : 1871-1919. Paris : Presse Universitaire de France, 1968, P. 44
- (44) IBID ; P. 44
- (45) IBID ; P. 44
- (46) IBID ; P. 44
- (46) IBID ; P. 44 and Julien, OP. CIT. PP. 442-446
- (47) Lanessan, OP. CIT. P. 92

مستقبل الشعر كما يراه توفيق الحكيم

ان الشعر فى عصرنا الحديث اخذ
فى الضعف سائرا الى الفناء او الى ما يشبه
الفناء ! .. ان كل شاعر يمضى يترك مكانه
فراغا ! .. وكل ذواقة للشعر يذهب لا يترك
له خلفا ! .. وكل راوية للشعر منقرض ! ..
وكل ناشر لدواوينه مبتعد ! .. ترى هذا اليوم
فى كل بلد فان دور النشر فى انحاء العالم
لا تطبع ديوان الشعر الا وهى مؤمنة بالحسارة
مدركة لفداحة التضحية .. لماذا ؟ .. هنا
الخطر .. الخطر الحقيقى على الشعر .

والعلة فيما اعتقد هى ضعف الثقافة فى الشعوب .. ان شعوب الارض
اليوم تتعلم على نطاق واسع تعليميا سطحيا .. ان تلك الطبقة المختارة من
المتذوقين للفنون العليا تكاد تفرق اليوم فى محيط هذه الملايين من اشباه
المتعلمين ، هذا المحيط الطامى لم تنتشر فيه الثقافة ولكن الذى انتشر فيه
هو ضعف الثقافة . وهذا المحيط الذى يمتد فى كل بقاع الارض - من المشارق
للمغارب - هو الذى يفرض ذوقه على الانتاج الذهنى وعلى دور النشر .
والشعر هو خلاصة الثقافة وعصارة الذوق فهو لذلك فى مركز يضغط فى
ابياته القليلة ما يوحى بالكثير الى اصحاب الافهام . انه ليس كالنثر فمن
اسهاب وايضاح يفرغ فى رؤوس الناس ما يريد من كلام وثروة ومعلومات
يزدردونها هينة بلا جهد ولا اجهاد .

ان الشعر فى ايجاز وايحاء يفترض فى السامع قدرا من الثقافة وحظا من
الذوق . انه ليس طعاما يقذف به فى الفم ولكنه مفتاح تحرك به موسيقى
النفس فلا بد اذن ان تكون الناس مستعدة له وان تكون قد هذبت اوتارها
قبل ان تنهيا للمفتاح .

هذا التهذيب او الاعداد لم يتح بعد لكل ذرات هذا المحيط الطامى من
الشعوب .. وما دامت الغلبة للعدد فلا مفر من ان يلبي المجتمع نداء غالبية
الطاغية الساحقة ! وما هو هذا النداء ؟ انه الرغبة فى التقام السؤال اى النثر !
وليس كل النثر ايضا ، ففي النثر ما يسمو الى مرتبة الشعر ايجازا
وتفكيرنا وفنا .. هذا ايضا يجب ان يبعد او يحصر فى اضيق نطاق الى ان
يختنق .

جَمْعُ أُمِّ تَشْتِيت

ان اى نظام تربوى او اجتماعى لا يهدف الى
تعزيز المثل العليا التى تنادى بها المبادئ الانسانية
والقيم الروحية ويعمل على اقامتها بين افراد
المجتمع لهو نظام لا يفصل بين الخيال والواقع .
وان تلك المثل الروحية التى تميز الانسان
عن الحيوان اذا لم يعمل النظام الاجتماعى على
تحويلها الى حقائق واقعية فى مدنية يدور بناؤها
حول الانتاج والاستهلاك والنجاح فى السوق باى
ثمن ، وحول العمل الآلى المتواصل لتحقيق هذا
الكسب المادى الضخم .

فَسِيحَة بَغَاي

استاذة فلسفة

وفها يتأثر الشاب بالعوامل الثقافية السائدة في المجتمع ، وتكون حسيطة هذا المجتمع ونتاج هذا الشعب ذلك المراهق الذي ورث عنها العوامل البيولوجية من ناحية وأخذ عنها النمط الثقافي والتوجيهي والتعليمي من ناحية أخرى .

وهو هذا الفرد الذي يبحث لنفسه في المجتمع الذي يعيش فيه عن وضع ما ، من الاوضاع كى يحقق وجوده ويصبح شخصا له كيان مستقل ومكانة بيئية .

والمراقبة في المجتمعات المتحررة المستقرة تعتبر مرحلة اكتساب توجيه سليم وخبرات مفيدة ونمو طبيعي واضح الاتجاه .

وفي المجتمعات الصاعدة النامية ، كثيرا ما تكون متقلبة ، متغيرة غامضة المعالم متناقضة الاهداف .

أما في المجتمعات المترتبة الرجعية ، فشد ما تكون مرحلة التوافق عسيرة خانقة ، وقد ينجو المراهق باتزانته النفسي والذهني أو قد تشملته طلاس الخرافات والمعتقدات البالية .

ومهما كانت أوضاع المجتمعات ، فكلها تتغنى بنشيد واحد وهو تربية نشئها احسن تربية ، واعداده للاندماج الفعال في انظمتها كى يعزز صفها ، ويضاعف طاقتها . غير ان السبل المتخذة والتخطيطات المسطرة هي التي ستضمن لنا نجاح هذه الاهداف او اخفاقها .

ولذا وجب على التربية ان تحدد نماذج التطور والمدنية التي ينبغي ان تحذو حذوها لان مدارس البلدان العربية بصفة عامة لازالت تأخذ على عاتقها أن تمد طلابها بالمعارف التي لامناص لهم من تحصيلها لكى يؤدوا واجباتهم العملية في

كما لا يمكن من ناحية أخرى ان يحقق هذا النظام السياسة المنشودة ما لم تكن الفلسفة السائدة نتيجة تخطيط وتدبير محكم يهدف الى تطبيق مبادئ الثورة الوطنية في الواقع الحى بين افراد المجتمع .

ولسنا في حاجة ماسة الى البحث عن حكمة جديدة ولكننا بحاجة الى الايمان باصالة حكمتنا والى الاخلاص اليها .

ومن واجب النظام التعليمي والتربوي قبل كل نظام ان يثبت في الناس المثل التي نسترشد بها ، ومن واجب المدرسة ان تنشر تعاليم النظام الاجتماعي المنشود بين طلابها وان تعمل على توجيههم الى الخطة التي رسمتها لتحقيقه على أسس متينة علمية ، وطرق موضوعية ، حديثة تبرز كرامة الانسان وتعزز ارادته الحرة في العمل والتفتح وفهم الحياة .

وأكثر مراحل هذا التعليم خطورة وعناية بهذا الجانب التوجيهي ، هي مرحلة الاقسام النهائية من التعليم الثانوي ، ففيها يتلقى الشاب الاتجاه الذي سيدخل به معركة الحياة الاجتماعية الكبرى .

وفيهما يطلع على اكبر المذاهب الفكرية والانظمة الاجتماعية ، وفيها يتساءل عن وضعه في هذا الوجود ، وعن وضع بلاده وعن مصيره ومصير أمته وعن غايته في هذه الحياة ، وغاية وطنه .

وخلالها يتم اعداد الناشئ لتحمل مسؤولياته كمواطن له مهام يقوم بها مساهمة في المحافظة على بقاء مجتمعه ، وشخصية شعبه وأصالة عنصره بما لديه من لغة وعقيدة وتفكير ومبادئ .

(الفرنسية والعربية) من طرف استاذين مختلفان
في المبادئ والمواقف والنزعات ، ويشتركان في
تدريس مادة واحدة وأحيانا مواضيع واحدة .

وأي اتجاه سيسلك الطالب الذي يستعد
لخوض الحياة الاجتماعية الواسعة ؟ إذا سمع
استاذ الفلسفة باللغة الفرنسية يقول له : (لا يوجد
اله ، ولا وجود لروح فهذه خرافة القرون الوسطى
كل ما يوجد هو المادة فإذا زالت المادة زال
الإنسان وإذا حذفنا الدماغ توقف التفكير ، وكل
حقيقة لا تتجسم في الواقع المحسوس ، فهي وهم
وخيال - لاروح ولا ضمير للروح بعد زوال الجسد
فالحقيقة مادية والكون آلة ضخمة اجزاؤها
الكائنات التي تظهر وتتوارى وتروح وتغدو وتنمو
وتضمحل خاضعة في ذلك لحتمية طبيعية لا تتبدل
وخضوع الإنسان لهذا النظام خضوع سائر
الحيوانات والنبات والجماد .)

ثم يضع تحت تصرف الطلاب كل الوثائق
التي تؤيد قوله . ويسمع نفس الطالب الى استاذ
الفلسفة باللغة العربية وهو يقاوم بشدة وإيمان
ما صلب في الاوعية الصاغية من معلومات يقوله :
ان الله موجود - وان الإنسان يتكون من مادة
وروح ، ولا يمكن الفصل بين الجسم والعقل لادراك
العالم ويستدل بأدلة عديدة ، ثم يواصل : « ومهما
أجاد الإنسان في أداء عمله ومهما بلغ من التهذيب
والنزاهة والرفاهية المادية ، لا يكون ولن يكون
راضيا عن نفسه كل الرضا لأن شعور الإنسان
بالاطمئنان في هذه الحياة ، وشعوره بالراحة
النفسية الداخلية لا يتحقق الا اذا تجاوز الإنسان
حياته المادية ، وحاول رفع القيم الروحية فوق كل
القيم المادية بدليل كذا وكذا » ***

الحياة وقلما تزودهم هذه المعاهد بالقدرة على
التفكير النقدي ، المنطقي ، وفهم المبادئ الانسانية
المقدسة التي يقرها كل كائن بشري ، وقد يجوز
ذلك مادامنا نشكو نقص الاطارات ولكن اذا تم
ذلك ، أو كان علينا لا بد من ان نحافظ في نفس
الوقت على وحدة الشخصية الوطنية ، وأن نعزز
مقوماتها ونثبت كيانها ، فلا مفاصل لنا اذن من
احداث انقلاب اساسي في طريقة التربية ورسم
برامج تهدف الى اعداد اساتذة اكفاء لتنفيذه على
أكمل وجه ، فتكون غايته نمو الشيا بنمو طبيعيا ،
انسانيا ، ثابت الاصله واضع الاهداف .

هذا الشاب الذي يبحث عن قالب يصب فيه
مقومات شخصيته الناشئة كي يحقق وجوده في
عالم الكهول ، عالم تتزاحم فيه تيارات شتى
وتسيطر عليه قيم عديدة ، فيجد الشاب نفسه بين
هذه التيارات وهذه القيم في صراع عنيف مع
نفسه ومع مجتمعه ، فاما ان يخرج من هذا
الصراع ويثبت كيانه والا اختلطت عليه الامور
وتعددت المذاهب واستغلت المذاهب المادية هذا
الصراع النفسى الذي يستبد بالشباب في فترة
المراهقة ، ودعتهم الى اثبات ذواتهم بشتى الطرق
ومختلف السبل .

وسأحصر حديثي على اهم مادة تمد المراهق
بهذا التوجيه وتساعد ذهنه على التفتح الكامل
امام كل معرفة انسانية : تلك هي مادة الفلسفة
والتي من المفروض ان تلعب دورا هاما مع بقية
المواد العلمية والادبية والدينية في العمل على
تكوين الشاب تكوينا يتماشى مع اهداف الثورة
الوطنية في المحافظة على الاصله الحضارية وعلى
الشخصية الجزائرية ولكن ماذا يحدث في المدارس
المزدوجة اللغة مثلا حيث تعطى هذه المادة باللغتين

بل ربما لأنها لم توضع له في قالب محسوس يجعلها قريبة من فهمه .

ليس من اللائق أن نحاول ما استطعنا أن نعيش وفق معتقداتنا الدينية ، ولا أقل من أن نؤمن بمبادئ الاعتدال في المواقف ، وعدم التطرف في الاحكام او تجنب اقناع الغير بشتى الوسائل حتى الدنيئة منها والحقيقة سعيًا وراء تحقيق أغراض ذاتية وبث الذبذبة والفوضى في عقول الشباب لأهداف قلما تتصف بالاعتدال والانصاف والموضوعية وقلما تخدم الصالح العام والمبادئ الانسانية . أولا تنحصر مهمة أستاذ الفلسفة في اطلاع الطالب كل الاطلاع على المعلومات الملقنة بكل حذق ومهارة وحذر ، دون تعصب ولا إباحية ؟ أو لم يكلف بتدريب الشباب على استعمال تفكيره والتخليص شيئًا فشيئًا من التبعية الذهنية التي لازال يخضع اليها الكهول ؟ وكيف ذلك اذا لم يوجه الطالب الى التفكير المؤسس على المنهج العلمى البعيد عن الأهواء والاعتقادات حتى يضمن له نوعًا من الاستقرار في الحياة التعليمية ، ويسهل له فرصة معالجة المشاكل عن طريق هادئ عقلى سليم .

وكل مجهود يبذله الطالب في حل هذا الصراع وتثبيت سلوكه على نمط سليم ، هو الذى سيخلق منه شخصية سوية متكاملة مبدعة .

ان الأستاذ معلم قبل كل شيء ورسالته تنتهى عند تبليغ المعرفة للطالب ووضع كل الوسائل المؤدية الى فهم واستعمال تلك المعرفة بين يديه .

فما عليه الا أن يعلمه كيف يفهم الوجود فهما دقيقا ، وكيف يتعلم وكيف يفكر ، وكيف يختار ويحسن الاختيار ، وكيف يراجع اختياره اذا كان متسرعا ، وكيف ينتقى من بين المعلومات الملقنة ما

أى مصير سيؤمن به هذا المراهق ؟ هل هو المصير الروحى المعنوى أو هو المصير المادى الألى ؟ وسيعمل على تحقيق ماذا ؟ روحانيته ؟ أم حيوانيته ؟ أم انسانيته ؟ كل يتغنى حسب رأيه الشخصى وكل يتطرف لموقفه الخاص من الحياة ولبادئه الخاصة .

وكلا هما يفرس بذورا في نفوس التلاميذ ، ويصب معلومات واتجاهات في لا شعورهم عن قصد أو بدون قصد .

وكل أستاذ يصل الى اقناع الشاب بمنطقه الخاص والتأثير في نفسه ببراعته الخاصة ، وقلما يتفق أستاذان على مبدأ واحد وعقيدة واحدة .

وما الذى يحدث خلال هذا الصراع الذى يقم فيه المراهق المسكين ، هذا الذى يجتاز أخطر وأصعب مرحلة من حياته النفسية والبيولوجية ويبحث خلالها عن اثبات كيانه باختيار موقف من الحياة لأنه لا زال يجهل هذه المواقف .

وينعزل الطالب بما سجله من معلومات ويأخذ في الفحص والمقارنة والبحث عن طريق يخرج من الشك في بعض المعلومات .

فماذا يقع ؟ أما أن يكفر الطالب بجميع المذاهب ويرى فيها تناقضا وتضاربا ونسبية لا محدودة وأما أن يتخذ الموقف الذى أثر في نفسه أكثر من الآخر وأى المواقف سيختار طبعًا ؟ وأى الاتجاهات ؟ فغالبا ما ينساق وراء المذاهب المادية والوجودية لأنها أبسط المذاهب شرحا وتلقيها وأقربها الى عالم المحسوس الذى لازال يخضع اليه المراهق .

فهو لا يؤمن الا بما هو ملموس في الواقع المادى أما المعانى المجردة والنظريات التى تحتاج الى نضج عقلى وسن معينة فغالبا ما يميل الى تجنبها لأنها صعبة الادراك بعيدة المنال ، أجلة التحقيق

غموضات التصوف التي تثقل كاهل الطالب الشاب فلا يقدر على هضمها ولا يتشوق الى معرفتها ، خاصة اذا سبقت له في قالب خطابي طويل النفس ، كثير الطلاسم عديد الوعظ ، ثقیل الاسلوب غامض الافكار - بهذا نحيد عن مهمتنا وتنفر نفوسنا كنا نهدف الى انطباعها واقناعها منطقيا كي يتسنى لنا توجيهها توجيها يليق بكرامة الانسان في القرن العشرين *

فماذا عسانا نحقق بهذه الطريقة ؟ جمع مقومات الشخصية لدى الطالب او تشتيتها وتقسيمها ؟ وهي لازالت بعد في مرحلة التكوين واية فكرة سياخذها الطالب عن هذا التحزب المذهبي الذي يعود بنا الى عهد اختلاف الائمة واحزابهم وشيعهم وحملاتهم العنيفة التي ادت بالمسلمين الى التفرقة والضعف والاضمحلال ؟

يليق باوضاعنا وفلسفتنا ، وكيف يميز بين الصواب والخطا بين الجمال والقبح ، بين العدل والظلم بين الخير والشر ، بين الحق والباطل بين الكرامة والذل وهذا يعنى تنمية التفكير النقدي لديه وكم يفتقر سواد شعوبنا العربية الى تلك الميزة ، بل تمجها بعض الانواق وتصفها بالجرأة والوقاحة اذا مست حساسية شعورها * اما مواقف الطالب من المذاهب الفكرية الكبرى فله كل الحق لا تخاذما وله كذلك تجاربه الخاصة وممارسة العملية للحياة الاجتماعية المتشعبة *

واننا اذ ندعو الى حياد الاستاذ واعتداله في تلقين تاريخ الفكر الانساني فاننا ننكر كذلك على بعض الاساتذة تطرفهم الى الجانب اللاهوتي وتعمقهم في الروحانيات والتحديدات الميتافيزيقية والسقسطة ، والنظريات التقريبية المهلهلة وبعض



القى الاب مكرم قزح وهو كاهن ماروني
محاضرة عن الدور الذي ينبغي على الكنيسة
العربية والشرقية ان تلعبه ، نقتطف منها
ما يلي :

**شعار القومية
و العلمنة
لماذا ؟**

يقول مكرم : ان وضع الكنيسة في المشرق تأثر كثيرا بنمو الظاهرة الطائفية منذ ان اثارت السلطنة العثمانية حفيظة الطوائف الدينية ، الى ان جاءت الدول الغربية تستغل الحساسيات الدينية ابان ضعف السلطنة ، وحتى تكريس هذا الخط الطائفي بانشاء الكيان الاسرائيلي العنصري التیوقراطي في فلسطين .

ورغم هذا الجو المحوم ، لعب مسيحيو لبنان دورا رائدا في النهضة العربية المعاصرة . فعدا الاسماء العديدة في ميادين الادب والفن ، فان اغلب التنظيمات السياسية الوطنية التي نمت بعد ذلك ، وما زالت حتى يومنا هذا تلعب دورا بارزا في الحياة العربية كان على راسها مسيحيون من المشرق للعربي . فقد دعا عفلق الى البعث القومي ، واسس جيش حركة القوميين العرب ، وجاء فؤاد الشماي الى بكفيا يكون نقابة لعمال التبغ ، ويدعو الى الشيوعية ، في حين كان سعادته يدعو الى ما كان يسميه « بالنهضة السورية »

اما لماذا نما الفكر العلماني عند المسيحيين العرب في المشرق ، فان مكرم يرد ذلك الى جملة عوامل واسباب اهمها : ان الدين المسيحي يميز في جوهره بين ما لله ، وما لقيصر . ثم ان المسيحيين يشكلون اقلية في المجتمع الاسلامي الذي يعتبر الدين والدولة توأمان لا ينفصلان ، وبالتالي فان العلمنة تصبح ضمانا لوجودهم كمواطنين ، وتبعد عنهم الخوف من اللويان ، وفقدان شخصيتهم او حقوقهم . خاصة وان بعض دعوات القومية العربية ايام الشريف حسين كانت دعوات دينية في الاساس ، ولم تكن محاولات فصل العروبة عن الاسلام سوى محاولات جزئية ومتردة . لهذه الاسباب كلها يرى مكرم انه لما لدى مسيحي المشرق مركب خوف من العرب والمسلمين ، ومركب تفوق في آن واحد . « بينما الحقيقة هي اننا كمسيحيين ما زلنا متخلفين . بعضنا ما زال يعيش في العصر البيزنطي وبدايات الفتح الاسلامي » على حد قول المحاضر .

عن مجلة «البلاغ» اللبنانية عدد 68



الغزو الثقافي

أبدأ هذه الندوة بتقديم شكر مجلة الاصاله
للاساتذة الحاضرين الذين لبوا دعوتنا ووافقوا
على الاشتراك فيها . فقد رأت المجلة أن تساهم
في هذا الظرف بالذات ، وكلنا يعرف طبيعة
المرحلة الصعبة الدقيقة التي تمر بها الثقافة
العربية الاسلامية .

أقول رأت المجلة إن تساهم بالتوعية الفكرية
وتوضيح بعض المفاهيم في موضوع يعتبر من

ادار الندوة
عثمان شجوب

مرحلة يطمح فيها الى بناء مجتمع جديد فهو قد يستفيد من هذا التواصل حين يكون أمر الثقافة أمرا يتصل بالجانب الانساني منها ، فاذا كانت الثقافة هدفها خدمة الانسان فانتنا سنستفيد من هذه الثقافة وتسهم في تقدمنا وتطورنا الفكري ، والاجتماعي ، والروحي ... الخ .

أما اذا كان هذا التواصل يقصد السيطرة أو التأثير لغرض من الاغراض فهنا يأتي الغزو الثقافي وهذا لابد ان نفرق بينه وبين التبادل الثقافي ، فالتبادل يكون بين شعبين أو بين مجتمعين متكافئين في المستوى الحضاري ، والفكري ، والثقافي ، ومن ثم فهناك ندية - ان صح التعبير - بين هذين الشعبين ولا يمكن ان يكون هناك غزو ثقافي في هذه الحالة ولكن في الحالة الثانية ، وهي ان شعبا اقوى حضارة وثقافة من شعب آخر فانه يستطيع ان يؤثر فيه وهنا يمكن ان نضرب المثل باحتلال الاستعمار الفرنسي للجزائر في القرن الماضي ، فهذا الاستعمار حين جاء بالقوة وسيطر على الشعب الجزائري جاء بثقافة تسندها حضارة عدائية وبذلك استطاعت هذه الحضارة ان تترك نفوذا كبيرا في مجتمعنا وفي وطننا ، الامر الذي اوجد ما نسميه بالغزو الثقافي اليوم . ربما يكون الغزو الثقافي ليس فقط عن طريق هذه القوة العسكرية وانما يكون عن طريق آخر ، عن طريق ما تنتجه المطابع من كتب أو من صحافة أو من دوريات ربما يكون عن طريق الاذاعة والتلفزة خاصة ونحن اليوم نعيش في عالم اصبح كالبيت الواحد . وشكرا .

أخطر الموضوعات وأهمها فيما يتعلق بحاضر الامة العربية ومستقبلها ، لذلك قررت تنظيم هذه الندوة حول موضوع « الغزو الثقافي » . والموضوعات التي يمكن ان يتطرق اليها البحث هي تحديد مفهوم الغزو الثقافي : مظاهره ، نتائجه . اذا رايتم بدانا بهذه الموضوعات تباعا الواحد بعد الآخر يتحدث في كل منها من يريد ان يتحدث ، ونجرب بعض الحوار ، ثم ننتقل الى موضوع آخر ، والكلمة للدكتور عبد الله الركيبي .

د . عبد الله الركيبي : لاشك ان هذه الندوة تدخل في اطار مراجعة الحياة الفكرية والثقافية في مرحلة يمر بها وطننا تحتاج الى اعادة النظر في الامور التي تدخل في مجال اعادة تقييم النظرة ومحاولة الوصول الى افكار جديدة او الى نتائج جديدة ، ومن هنا فان اختيار الغزو الثقافي كمناخية يناقش فيها الاخوة الاساتذة هذا الموضوع ستكون بلا شك من احسن ما يمكن ان يقدم للقارئ الجزائري الذي عانى كثيرا من الغزو الثقافي . ومن الصعب جدا ان نعرف الغزو الثقافي بتعريف جامع مانع كما يقول المناطقة او الفلاسفة ، وانما يمكن ان نقول انه عبارة عن تسرب ثقافة عدائية الى ثقافة شعب من الشعوب وتأثيرها في نفسية الفرد والجماعة بفرض تحطيم الروح المعنوية والتأثير في فكر الناس وجعلهم تابعين شعوريا أو لا شعوريا في نفوذ هذه الثقافة ، ولا شك ايضا اننا في عالم معاصر يوجد فيه تواصل بين الشعوب ، وهذا التواصل منه ما قد يكون مفيدا بالنسبة لنا كشعب خرج من حرب ودخل في

الاستاذ عبد المجيد مزبان

ان تكويننا السياسى النظرى يرجع اليوم الى مفاهيم غربية من ديمقراطية ولا مركزية ، واستمرارية للدولة ، وهى مفاهيم ثقافية داخلية فى تكوين كل فرد من مجتمعنا ، فآين الحدود اذن بين السياسة والثقافة ؟ فى القديم كانت الحضارة العربية الاسلامية فى مستوى عال ماديا واقتصاديا وعسكريا ، لم تكن هناك مشكلة بالنسبة اليها اذ كانت متوفرة على شروط المناعة التى تجعلها تبتلع الثقافات الاخرى او تبتلع الحضارات الاخرى وتكون منها مركبا يسمى مركب الحضارة الاسلامية . لكن فى عصرنا الحاضر يمكننا ان نقول باننا وصلنا الى وضعية من نوع آخر وهو ان الحضارة الغربية سيطرت على جميع بقاع الدنيا بما فيها العالم الاسلامى وسبب سيطرتها يؤول الى ظاهرتين : فالظاهرة الاولى ترجع الى فرض الانظمة السياسية الغربية كما اشرنا الى ذلك سابقا والظاهرة الثانية تتلخص فى وجود العلوم الوضعية والتكنولوجية ولا يمكن لآى شعب من الشعوب فى عصرنا الحاضر ان ينفلت من هذا النوع من الاستيراد الثقافى وهو مفروض مبدئيا اذ لا يمكن لآمة ما ان تصبح آمة متحضرة وقوية ما لم تحصل على هذين الشرطين . ولا يمكننا ان ندعى ان هذا الاستيراد سيجعل حتما من الآمة « المستوردة » آمة ضعيفة مغلوبة . بل لدينا أمثلة حية تكذب هذا الادعاء ولنضرب مثالا بالصين ، فى الصين توجد أنظمة سياسية من نوع أوروبى ، كما توجد تكنولوجيا معاصرة ، وعلوم من أصل غربى ،

قبل أن نطرح مشكلة الغزو أو الاصطدام الثقافى لابد ان تبدأ من حل المشكل المنهجى الذى يتلخص فى هذا السؤال وهو لماذا نعزل الثقافة عن المركب الحضارى الواسع ؟ ثم ان هناك مفهوما اجتماعيا تسبب فى كثير من الالتباسات وهو مفهوم الحضارة العالمية . ان الحضارة العالمية اليوم سواء اردنا ام كرهنا هى الحضارة الغربية التى وصلت الى مستوى مكنتها من فرض نفسها بعد طور الاستعمار ، على اغلبيية الشعوب . أنها أوجدت كثيرا من السلوكات الاقتصادية والثقافية والسياسية الجماعية مع ما لها من امتدادات فى الميدان الفردى . وهى فى غالب الاحيان سلوكات محاكاة غير واعية اذ فرضتها علينا الحضارة الغربية فى عصرنا هذا . ومن العجب أننا ننتبه الى شيء واحد وهو الثقافة بصفتها ظاهرة منعزلة عن المركب الحضارى ولا ننتبه الى السلوكات الاخرى السياسية والاقتصادية مثلا .

هناك الغزو الاستعمارى المركب كما قلنا ولكن هناك أشياء أو سلوكات حضارية أو فى بعض الاحيان ثقافية قبلناها بأنفسنا ، اننا حينما نتكلم عن الانظمة السياسية فى جميع بلاد العالم الثالث فنحن نعرف بان هذه الانظمة السياسية هى أنظمة تحاكي الأنظمة الموجودة فى البلاد الغربية ، واننا اذ قبلنا هذه الأنظمة السياسية الثقافية ، اذن فالحضرة متشابهة الى اقصى حد .

ويوجد مع هذا شعب ذو مناعة ثقافية ، اذ بقى هناك القدر الادنى من الثقافة الوطنية بما فيه من لغة وظيفية ومقومات وطنية واضحة فى السلوك الاجتماعى . كل هذا جعل الصين تضمن لنفسها الاستقلال الحضارى رغم الاستيراد الضخم الذى آتت به من أوروبا .

اما بالنسبة للبلاد العربية الاسلامية فى عصرنا الحاضر ، فانها فى الجملة مستسلمة للغزو الثقافى الغربى فاذا أخذنا الطبقات العليا فى أغلبية هذه البلاد وهى الطبقات الحاكمة ثم التى تليها من المثقفين فانها طبقات استغربت بمعنى الكلمة أى أنها خضعت للغزو الثقافى الغربى فى جميع الميادين سياسيا ، واقتصاديا ، وسلوكيا ، بحيث أن السلوكات أصبحت كلها سلوكات طبقة معينة منعزلة عن الشعب . نعم ان الشعب فى حصانة فى هذه البلاد ولكنها حصانة الجهل وليست حصانة الرقى ، انها حصانة المحافظة المنكمشة . ان الثقافات الشعبية قد تقف فى وجه الغزو الثقافى الخارجى ظاهرا ولفظيا فقط ولكنها مع الاسف فى مستوى من الجهل بحيث لا تمكن الشعوب من التصرف الواعى فى مستقبلها . ان الشعوب المتروكة للصدف أصبحت اليوم تتأثر بالغرب الرأسمالى وكأنها تغزو نفسها بنفسها ، انها من هذا المنظار لذات حصانة مكذوبة تدعى الرفض سوريا ولا تستطيع أن تقاوم فى أى ميدان .

افتتح جهاز التلفزيون فى أى بلد من البلاد المتخلفة أو اقرا الصحف أو شاهد سلوكات

البشر فانك ترى تأثير العالم الغربى واضحا فى كل ميدان اننا نتطرق الى مشاكل ليست من مشاكلنا ولنا سلوكات وأذواق وبيت على نمط غربى ، فنحن نعشق الموضة من باريس ونهوى الافلام الامريكية ... الخ ، من هنا يمكننا ان نقول بأن الشعب الذى يريد أن يواجه الغزو الثقافى يجب عليه ألا يترك أى شئ للصدفة ، أى يجب عليه ان يتسلح عقائديا ، وسياسيا ، واقتصاديا ، وثقافيا دون عزل للثقافة عن البناءات الحضارية الاخرى .

الاستاذ الشيخ بوعمران :

ان العبارة هذه تستحق ان نقف عندها بعض الشيء : عبارة الغزو الثقافى . انى ارحب بها كل الترحيب . وانما هناك مرحلة يجوز فيها استعمال هذه العبارة ، وهناك مرحلة تحول فيها الغزو الى صراع ثقافى ، وهناك مرحلة اخرى وهى الثالثة والاخيرة ، يمكن ان نتحدث فيها على التفاعل الثقافى .

كان الغزو الثقافى فى المرحلة الاولى من مراحل تاريخ شعوبنا ، ونحن الآن فى العالم الثالث ، وهذا شئ لا ينكر . تلك هى المرحلة التى صادفت الغزو الاستعمارى . فالغزو الثقافى مظهر من مظاهر الاحتلال .

وبعد ما حصلت الكثير من الشعوب المتخلفة على استقلالها السياسى تحول هذا الغزو الثقافى الى نفوذ ثقافى او الى صراع ثقافى بين الثقافات الاجنبية وعلى رأسها ثقافة الدولة التى استعمرت

هذه الشعوب نفسها ، وهي الثقافة الأوروبية ، اما عن طريق الانجليزية اما عن طريق الفرنسية او عن طريق لغة اخرى .

نشاهد ، أولا ، مخلفات العهد الاستعماري ، ولا يمكن ان تذوب هذه المخلفات بمجرد استقلال الشعوب التي كانت مستعمرة ، ثم نشاهد مجهودات او تخطيطات للقضاء على هذه المخلفات ولانتهاج سياسة ثقافية جديدة تتناسب والظروف الجديدة التي يعيش فيها هذا الشعب الحديث العهد بالاستقلال ، ثم يظهر جانب ثالث وهو التفاعل الثقافي وهذا يقطع النظر عن العلاقات السياسية والاقتصادية التي توجد عادة بين الشعوب . ان التفاعل الثقافي يكتسب مظاهر علمية او حضارية معينة ، فالتقدم العلمي والتكنولوجيا اصبح اليوم ضروريا لجميع الثقافات ، ولا يمكن ان نطلق عليه اسم الغزو الثقافي او الصراع الثقافي لان هذا الجانب من الثقافة العصرية مقبول عند جميع الشعوب التي تريد ان تكون من الشعوب المتقدمة والا تبقى متخلفة حضاريا بعد الاستقلال الجديد الذي نالته ، وثم جوانب مشتركة في تطور الانسانية في اللباس او في المأكولات او في المواصلات ، منها التلفزة والاذاعة ... كل هذه المظاهر التي آتتنا من اوربا بعد ما تقدمت علميا وتكنولوجيا واقتصاديا يمكن ان نتفق عليها ولا نتكلم في شأنها عن الغزو او عن الصراع ، لانها مقبولة ومطلوبة . هذا ما يتعلق بالنقطة الاولى التي هي تحديد مفهوم كلمة الغزو الثقافي او الصراع

الثقافي او التفاعل الثقافي ، ثم سنعود الى الحديث بشيء من التفصيل بعد ما ننتقل من هذه النقطة الاولى الى النقطة الثانية .

د . هشام الصفدي :

في الواقع،الموضوع كبير ولا تتسع هذه الجلسة القصيرة للاحاطة به ، ولكن سنحاول ان نصل الى الاهداف التي نريدها .

الغزو الثقافي جزء من كل . ومن الخطا ان يبدأ الانسان بمعالجة الجزء ان لم يكن محيطا بالموضوع ككل . واعتقد بالنسبة الى ان الغزو الثقافي جانب من جوانب الاستعمار : اي الاستعمار البشري الذي ابتليت به شعوب ضعيفة قهرت من قبل شعوب قوية سبقتها في التطور . وهناك في التاريخ امثلة وفيرة من الغزو الاستعماري من شعوب قوية لشعوب ضعيفة . وعلى ذلك ينتج في تعريف معنى كلمة الاستعمار او مفهوم الاستعمار الثقافي انه جانب من جوانب الاستعمار الاقتصادي . والاستعمار الاقتصادي يرمى الى ربط المجتمعات المستعمرة ، وعلى كل صعيد بالمستعمر . ويهدف الى تغيير الشخصية القومية والثقافية ، ووضع اليد على الموارد الاقتصادية . فاذن لدينا غزو ثقافي مباشر مرتبط بالغزو الاستعماري . وهذا امر واقع في الهند ، وفي الشرق الاوسط ، وفي شمال إفريقيا ، حيث ابتليت هذه الشعوب بالاستعمار الانجليزي او الفرنسي . ولكني اعتقد ان المشكلة لم تعد تقتصر على الغزو المباشر او على الاستعمار المباشر ، وانما نحن نعانى اليوم

هذه المشكلة مثلاً عالجتها الصين الشعبية وذلك من خلال الثورة الثقافية ، والصين بدد عفاندى اشتراكى استطاع ان ينزع حرته عن طريق الصراع الطبقي ، وان يفرض سيادته وان يضع المناهج التى يريد لها لتطوير المجتمع . وكان فى طليعة هذه المواضيع الثقافة والثورة الثقافية ، وهنا أحب ان أقارن بشكل واضح بين موقفنا نحن شعوب العالم الثالث تجاه غزو ثقافى مباشر او غير مباشر وموقف دولة كبرى مثل الصين - تجاه الغزو المائل - التى احرق كنب جوتيه والننى حطمت اسطوانات بيتهوفن والموسيقى الكلاسيكية كلها خلال فترة طويلة واوقفت الانتاج الثقافى والادبى، لكى تقوم كما يقول ماوتسى تونغ باعطاء المجتمع «علاجاً عن طريق الصدمة» وهذا العلاج بالصدمة كان وصفة من القائد ماوتسى تونغ للمجتمع لكى يحافظ على قوة الدفع الثورية. وهذه الصدمة تتضمن مبدءاً اساسياً وهو ان الادب والفن والثقافة يجب قبل كل شىء ان تخدم البروليتاريا وان تستوحى منها ، فمثلاً كثير من الادباء الصينيين توقفوا عن الانتاج ، وقيل لهم اعيدوا النظر فى مواضيعكم وكتبكم واصقلوها من جديد واخرجوها من جديد على ضوء الثورة الثقافية . وبعض الكتاب مضى عليهم ثلاثة او اربع سنوات لم يكتبوا حرفاً واحداً وانما يتقاضوا اجورهم فى الصين ليدرسوا المجتمع قالوا تركنا المكاتب وذهبنا الى المصانع والى المعامل والى المناجم لنراقب الانسان لنحتك به لنفهم حاجاته ونعيد كتابها من جديد

من مشكلة اخطر بكثير وهى الاستعمار غير المباشر الذى يرمى الى نفس الاهداف تقريباً ولكن بوسائل مختلفة . فبدلاً من الغزو العسكرى هناك الغزو الاقتصادى : سواء يجعل المنطقة المغزوة مكاناً لتصريف البضائع المنتجة ، او لاحتكار السلع الخام الموجودة فى المنطقة لاستخدامها فى الصناعات الكبرى . والمثل الذى تضربه المنطقة العربية جيد لكلا الشرطين : لاستهلاك البضائع المصنوعة ولاحتكار المواد الاولية الخام - كالبترول مثلاً - التى تتوفر فيها . فاذن اذا اردنا ان نتحدث عن الغزو الثقافى يمكن ان نعالجه على مرحلتين : مرحلته المباشرة التى ارتبطت بالاستعمار . وبما اننا انتهينا الآن فى معظم هذه المنطقة من الانظمة الاستعمارية تبقى الرواسب والبقايا لهذا الغزو ، وسنحلل الآثار الناتجة عنه فى حينها . ثم يكون امامنا التصدى للمشكلة الرئيسية وهى : الغزو غير المباشر ، وهو غزو مقنع . لان الغزو الثقافى له هدف وليس وليد الصدفة ، اذ انه متمم للغزو الاقتصادى ، وملامز له ان لم يكن شرطاً له . فعلى سبيل المثال نحن لا نخطر علينا من مؤلفات واعمال جوته و فيكتور هيغو و شكسبير ولا الثقافة الادبية لاوربا على الاطلاق اذا اتبع لنا ان نهمل منها ، ولكن الخطر من هذه الثقافة يكون فى الواقع عند ما يحتم علينا ان ندرس جوته وفيكتور هيغو وشكسبير وان نتخلى عما لدينا من لغة ومن ادب ومن ثقافة ، ونصبح نحن ظلاً للثقافات الاخرى ، وهنا برأى يكمن الخطر .

وتدفعنا الى القاء نظرة على ما حولنا وتصفح واقعنا لمعرفة ما اذا كانت هاته الظاهرة ، موجودة فعلا . هل هناك حركة ديناميكية تقتحم وجودا ساكنا ؟ وهل في واقعنا الثقافي شيء من هذا ؟ قبل معالجة هاته القضية يجب أن يتم تحديد اطارها واستخلاص بعض المسائل التي هي متفق عليها من طرف الجميع . فكلمة الغزو الثقافي هي صيغة عامة لا يمكن مناقشتها قبل أن يتم تحديدها بدقة . فضرورة التقدم العلمي والتقني وضرورة التصنيع بالنسبة لشعوب العالم الثالث هي قضايا يتفق عليها كل الناس ولذلك - في رأيي - يجب أن يقرز جانبنا وأن لا تحتويها كلمة الغزو الثقافي . لتصبح هاته الاخيرة تدل فقط على تلك التيارات الفكرية التي تطرح قضايا الانسان : مشاكله ، ظروفه الحياتية ، وضعه وتنظيماته وافاقه بالنسبة للمستقبل . بمعنى أن هناك فرقا واضحا بين الحركة العلمية من جهة والتيارات الثقافية من جهة أخرى . فالثقافة في نظري هي تلك التيارات الفكرية التي تطرح مشاكل الانسان من مختلف الزوايا . ومن هنا تبدو خطورة استعمال كلمة الغزو في هذا الاطار .

ففي نظري أن كلمة « الغزو » لا تنطبق على واقع العالم الثالث اليوم بقدر ما تنطبق عليه كلمة « العقم الثقافي » . وهذا لا يعنى مطلقا انكار بعض المسلمات معترف بها من طرف الجميع وهي : وجود سيطرة استعمارية كانت قد فرضت في الماضي على أغلب شعوب العالم الثالث وأن هاته السيطرة تركت وراءها أثارا ومخلفات في مختلف الميادين من بينها الميدان الثقافي . لكن اذا نظرنا الى هاته المسألة بمنظار الساعة

لأننا لا نستطيع ان نكتب مشاكل البروليتاريا ونحن في ابراجنا العاجية . يجب ان نحتك بالبروليتاريا . هذا نموذج لردة على غزوة ثقافية قامت بها دولة كما قال الاستاذ عبد المجيد مزيان « لديها الحصانة الثقافية » ، ولكن كيف الحال بالنسبة لنا نحن شعوب العالم الثالث ! نحن ما نزال نعانى أصلا من آثار الموجة الاستعمارية التي تركت آثارا ثقافية بعيدة لدينا، ولسوء الحظ نصاب من جديد بشكل مزدوج بآثار الغزو الثقافي الغير المباشر . وهنا لا أخطئ اذا اعدت الى الذاكرة كلام ابن خلدون « المغلوب مولع بتقليد الغالب » نحن في انظمتنا أخذنا كثيرا من مظاهر المجتمع الرأسمالي الغربي . ونحن نحاول اقتباسها بوعي او بدون وعي سواء في الاذاعات او في الكتابات او في التلفزيون ، او في مظاهر الحياة الأخرى : من اللباس حتى الى العادات والى الكلمات والاصطلاحات التي نستعملها . هنا قيل ان ننتقل الى العلاج - لان الجزء الثاني من الموضوع يبدأ في العلاج أي في بعض التحليل وفي ايجاد المقومات اللازمة للوقوف في وجه الغزو الثقافي المباشر الذي هو الاستعمار ، والاعراض التي تعاني منها المجتمعات في العالم الثالث من الغزو الثقافي غير المباشر .

الدكتور جمال قنان

ان موضوع « الغزو الثقافي » يجذب الانتباه وي طرح عدة قضايا في نفس الوقت . يجذب الانتباه لأنه عنوان مثير : فكلمة « غزو » تدل على وجود حركة عنيفة تقتحم وجودا ساكنا،

وضع خطة شاملة للنهوض بالثقافة القومية التي هي من بين جوانبها الاستفادة من العناصر الايجابية التي تحتويها التيارات الثقافية المعاصرة . ومن خلال هذا يتضح ان المشكلة ليست مشكلة « غزو » بقدر ما هي مشكلة « عقم » ثقافي تعانيه شعوب العالم الثالث .

عثمان شبيب :

الآن ننتقل الى المناقشة والكلمة الاولى الى الاستاذ عبد المجيد مزيان .

عبد المجيد مزيان : اريد على الخصوص ان ادقق نقطتين ، النقطة الاولى هي قضية العلم والتكنولوجيا ، يبدو لاول وهلة بان العلم والتكنولوجيا مسلم لابد ان ننطلق منه لان قضية التطور بالنسبة لشعوب العالم الثالث تفرض هذا ، ولكن لا ننسى بان الاخذ بالعلم والتكنولوجيا يقتضى كثيرا من الوعي ، لان عددا من الافكار وخصوصا في الميدان الانساني قد تعد علمية في بعض الاحيان (وهذا التباس كبير) بينما هي مجرد مفاهيم وقيم حضارية نسبية ، وهذا صحيح لكل العلوم الانسانية من اقتصاد واجتماع وتاريخ ، ان التحليلات الانسانية حينما تأتينا من الغرب تأتينا على انها مسلمات علمية لانها تتقنع بقناع العلم فالاستلاب هنا ان نخضع لاعتبارات سياسية وعقائدية مصحوبة بتحليلات نصف علمية ونأخذ بها انها حقائق مطلقة . هذا شأن الافكار التي تأتينا من الغرب الرأسمالي مثلا في التحليلات الاقتصادية والاجتماعية : انها تعكس العقيدة

وتفحصنا واقع العالم الثالث اليوم فأننا نجد اغلب بلدانه قد استردت حريتها وبنيت أو أعادت بناء كياناتها السياسية ، وتطمح الى المستقبل . وهنا يتبادر سؤال آخر الى الذهن : ما هو موقف هذه الشعوب من هذه التيارات الثقافية التي هي مواكبة للغزو الاستعماري في الماضي . وتنطلق في الحاضر - في اغلبها - من نفس المناطق التي ينطلق منها الاستعمار الجديد ؟ هل يكون موقف الرقض بدعوى ان هاته التيارات نفقت عن طريق الدول الاستعمارية الى بلدان العالم الثالث ؟ أم يكون موقفها هو التقييم واعادة النظر في هاته الافكار وتصفيتها والاخذ ما يناسب منها ويساعد على بناء الدول النامية ؟ وفي الحقيقة فليس هناك رد واحد على هذين السؤالين . أو بالآخرى فليس هناك اى رد . ومن هنا تبدولى كلمة « عقم » هي اقرب الى الحقيقة من كلمة « غزو » ، وذلك ان في واقع العالم الثالث اليوم لم يبرز هناك اى مجهود جدى - ما عدا بعض المحاولات لم تتأكد بعد ظهرت في مناطق متفرقة - يهدف الى اعادة النظر وتقييم هذا التراث الذى واكب الغزو الاستعماري ويعمل على غريبته معتمدا في ذلك على أسس تضعها شعوب العالم الثالث هي نفسها وتنطلق من حاجياتها ومن طبيعة الاهداف التي تسعى الى تحقيقها .

وبطبيعة الحال فلا يمكن وضع مقاييس عفوية لغريبة هذه التيارات لخطورة النتائج التي قد يؤدي اليها اى موقف متطرف في كلا الاتجاهين . انما يجب ان يتم ذلك - في نظري - عن طريق تحديد موقف واضح جلى من كل القضايا التي تطرحها هاته التيارات اولا ثم

المثال : ان ثقافتنا الآن نحن الشعوب النامية سواء فى العالم العربى الاسلامى او افريقيا او آسيا او امريكا اللاتينية قد طغى عليها الطابع الادبى وضعف فيها الجانب العلمى او كاد ان يكون معدوما . هذا شئ معروف ، وهو ناتج عن اوضاعنا المختلفة سياسيا ، واقتصاديا ، وثقافيا ، ولم يكن الامر هكذا فى جميع مراحل تاريخنا . فالعالم العربى الاسلامى عرف مراحل تاريخية قد ازدهرت فيها العلوم واستطعننا ان نأخذ من الثقافات الاجنبية ما كان يناسب اهدافنا الحضارية ، مثلا نقلنا علوم اليونان الى الحضارة العربية فى بداية العصر العباسى واخذنا من الثقافة اليونانية العلوم والفلسفة خاصة وقمنا بغربة غريبة من نوعها ، لم نأخذ من الشعر اليونانى شيئا الا نادرا ، واخذنا الفلسفة تقريبا كلها وقمنا بتقييمها واخذنا من العلوم علم الفلك والرياضيات والطب الى غير ذلك . غير اننا قمنا بعملية يجب ان نقوم بها الآن فى عصرنا بالنسبة الى الثقافة الاوربية التى اتفقتنا على انها تفوقت اليوم ، وهى عملية الفحص والغربة واثراء ما وصل اليها والابداع فى هذه المجالات المختلفة، وكل هذا قد تم بمعنى الكلمة فى العصر العباسى ومن هناك انتشرت الثقافة العربية الى اوربا وآسيا وافريقيا . . . هذه المرحلة وصلنا اليها فى فترة معينة من تاريخنا ، فنجحنا فيها حتى عرفنا اوربا بالفلسفة اليونانية وبجوانب اخرى من الثقافة اليونانية . اما فى عصرنا القريب فذكر بعض الزملاء الصينى ، حقيقة الصين الآن

والرغبات الرأسمالية ولكنها تخفيها من وراء التحليلات والمناهج الشبه علمية .

أما النقطة الثانية فهى نقطة التبادل الثقافى فى الوقت الحاضر نقول : ليس هناك تبادل ثقافى ولكن هناك تيار ذو اتجاه واحد - يأتى من الغرب او من البلاد المتطورة تكنولوجيا وعلميا ليذاع بين الامم الضعيفة ، اننا لا نرى اثرا لثقافتنا فى اوربا باستثناء ما نجده من اهتمام تلك الدوائر القليلة من المتخصصين الذين هم المستشرقون ، نراهم يتعلمون لغات العالم الثالث ويهتمون بمجتمعات وثقافات هذا العالم . وليس هذا الاهتمام من التبادل فى شئ لانه محدود وقليل التأثير . ان التبادل يجب ان يكون اوسع من هذا ، يجب ان يصدر بين مجتمع ومجتمع وثقافة وثقافة بالمعنى الواسع . هذه كلها تدقيقات كان لا بد من تقديمها لنرى ان الغزو لا زال ممتد الآثار حتى بعد التخلص من السيطرة السياسية ، اذ لا زلنا نعانيه ، ولا زلنا لم نصل بعد الى مرحلة التبادل الذى يقتضى تكافؤ الانتاج وتكافؤ القوى والمستوى الحضارى بين المتبادلين .

الاستاذ الشيخ بوعمار :

اذا عدنا الى تحديد موضوع الندوة وهو الغزو الثقافى يبدو لى ان العبارات التى استعملناها فى هذا الموضوع كلها غير كافية من ناحية ، وكافية من نواحى ، مثلا اذا قلنا بالمعم ، حقيقة هناك عمق فى بعض المجالات ، ولكن ثمة انتاج ايضا وادب وثقافة فى مجالات اخرى ، على سبيل

كنت اريد ان اقله تعقبا على مفهوم الفـزو الثقافي او الركود الثقافي بعبارة ادق .

د . هشام الصفدي :

أشارك الزملاء في موضوع التصدي الى العقم الثقافي لان هذه الكلمة طيبة ، واذا اردنا ان نرجع الى الكلمات بشكل حرفي نجد ان المرأة العقيم هي التي لا تنجب اطفالا . وفي الواقع الحضارات التي كانت مزدهرة في العالم الثالث ومنها الحضارة العربية الاسلامية أنجبت أولادا كثيرين موزعين في انحاء العالم . وافضل اذا وافق الزميل جمال قنان استعمال كلمة «ركود ثقافي» لانها تعبر عن الواقع لسبب بسيط وهو ان الثقافة ليست انتاج مجموعات لا منظورة !! لا ، فالثقافة هي انتاج الافراد من القاعدة ، من الخلية التي تبدأ بالاسرة وتنتهي الى القرية او المجتمع او الوطن . فاذا اردنا ان ننصف الحقيقة نجد ان الافراد في العالم الثالث وقد فرض عليهم على كثير منهم ان ينهلوا من الثقافة الغربية بحكم تبعية بلدانهم في احيان كثيرة الى استعمار غربي طويل الامد فرنسي او انجليزي او هولاندي . . الخ ، فهؤلاء النخبة اذا حق لنا ان نسميهم كذلك ذهبوا الى الغرب ووجدوا هناك في اوساط ثقافية وعلمية صحيحة ، فحققوا ذاتهم هناك ، واثبت الكثير منهم انهم على مستوى المسؤولية . ولمع الكثيرون منهم ممن بقوا في المجتمعات الغربية اليوم وأصبحوا علماء وساروا في مضمار الحياة مثلهم مثل اي انسان من ابناء المجتمع الاوربي وهناك

بارزة في العصر الحديث ، وانما ثمة شعب آخر في آسيا وهو الشعب الياباني ، وكانت وضعيته في القرن التاسع عشر تقريبا هي وضعية العالم الثالث اليوم . وكان قد تعرض الى غزو عسكري واقتصادي من طرف امريكا . ان هذا الشعب قد اقتبس الكثير من الحضارة الغربية وهنا استعمل كلمة الحضارة بدلا من كلمة الثقافة لانه تبني كل ما في اوربا وامريكا من ظواهر اجتماعية وثقافية وتكنولوجية ، ووضع اليابان كل هذا في مجتمع ياباني وهو غير المجتمع الاوربي والامريكي ، وقام هذا الشعب بفحص وغربة ونجح الى حد كبير في مزج هذه الظواهر الحضارية الاوربية بحضارته الاصلية وحافظ على ظواهر كثيرة من حضارته الى يومنا هذا ، ذلك هو الطابع الموجود في الصين وفي اليابان اليوم مع بعض الفوارق منها الاختيار العقائدي او السياسي بصفة عامة . ولكن تعقبا على ما قال بعض الزملاء ومهما قال ابن خلدون في العبارة التي ذكرها الزميل ان التاريخ يدل على ان بعض الشعوب المغلوبة قد تؤثر في الشعب الغالب واذكر على سبيل المثال قضية الحضارة اليونانية والغزو الروماني ، ان روما لم تكن في المستوى الحضاري الذي كانت فيه اليونان ، وعندما احتلت روما المدن اليونانية اثرت الثقافة اليونانية في الثقافة اللاتينية بشكل واضح انا نستطيع القول بان ليس هناك فلسفة لاتينية بمعنى الكلمة ، الفلسفة الموجودة هي الفلسفة اليونانية التي اثرت في الفكر الغربي كله الى يومنا هذا ،

لكي تستطيع هذه المنطقة او دول العالم الثالث ان تتخلص من التخلف وان تقاوم الغزو الثقافي يجب ان يكون لها عقيدة نابعة من ذاتها عقيدة تملئها مصالح الاكثريّة الطبقة الكادحة او جماهير الناس . هذه الارادة للأسف لم تعمل في يوم من الايام بشكل واضح الى ما فوق الماء . وهي كلما تبرز برأسها كلما تغمس اعماق واعماق في الوحل حتى لا تتمكن من التعبير عن ذاتها . اذن ، نحن الآن في ماء عكر ننتظر الفرصة لكي تستطيع هذه الامكانيات ان تصعد فوقه وتحوله الى ماء صافى : كما كان في الماضي وكما يجب ان يكون في المستقبل .

الدكتور جمال قنان

في الحقيقة ان استعمال كلمة « عقم » تستوجب وقفة لتوضيح المقصود منها ودلالاتها بالنسبة للمسألة المطروحة أمامنا . فأننا عندما استعملت هاته الكلمة أقصد مطلقا الماضي عندما كانت أغلب شعوب العالم الثالث تعيش تحت وطأة الاستعمار وارادتها مغلولة ومقهورة بسبب هاته السيطرة . فأننا اكدت كثيرا وركزت على واقع العالم الثالث اليوم ، وهو الذي يعني ، كما ان استعمال هاته الكلمة استعمالا مجردا ومبهما قد يؤدي الى خدمة أغراض ونوايا ليست هي التي نرعى اليها عندما استعملناها . ولا نقصد بها أن شعوب العالم الثالث غير قادرة بالطبيعة على الخلق والابتكار . كما اكده بعض الغلاة من منظري الاستعمار انما تقصد العكس ، بأن هاته الشعوب تستطيع ، ولكنها لم تفعل ، لمرض هي قادرة على علاجه والتخلص منه ولكنها

علماء كثيرون في كندا والولايات المتحدة والمانيا من بلدان العالم الثالث . ولا حاجة للذكر بالتخصيص . اذن المشكلة ان مواطن الدول المتخلفة او دول العالم الثالث مشكلته ليست في انه عقيم او خصب ، مشكلته إتاحة الفرصة العادلة له لكي يحقق ذاته ولكي يعطي مجتمعاته الحضارة والازدهار الثقافي اللازم لها ، هنا أصل الى التعليق على التعبير الذي استعمله الاخ جمال قنان وهو «العقم» لان العقم فعلا قد ينتج عن اجهاضات - اذا استعملنا الاصطلاح الطبي - متكررة ، المرأة التي تجهض عدة مرات قد تصاب بالعقم . ولسوء الحظ نجد في بلادنا ان التفتحات الثقافية - سواء في المغرب او في المشرق العربي - والتي أعطتنا فلاحا من العلماء ومن المثقفين ، لا حاجة لتسمية اسمائهم ، قد أصيبت باجهاضات متعددة كلما آن الاوان لقطاف موسم جديد ليبنى عليه موسم تال ، والثقافة ليست هي لبنة واحدة توضع وكفى ، وانما هي بناء يبنى عبر الاجيال من آلاف اللبنة ويتوارثه الاب عن الجد . الخ ويعطيه الى ابنائه . فمشكلتنا في العالم الثالث ان هنالك محاولات عامدة لاجهاض الحركات الثقافية . وكما قلت في بدء التعريف للغزو الثقافي ، ان الغزو الثقافي جزء من كل ، والكل هو الاستعمار بكامله الذي يطمح الى شيء اساسي هو المكاسب الاقتصادية ، وهذا روح الرأسمالية العالمية وسر الاستعمار .

ثانيا نحن ندور في حلقة مفرغة وقد نختلف على التسميات ولكن المحتوى هو شيء واحد .

لم تكتشفه بدقة ولم تشخصه الا في عمومياته عن طريق بعض اعراضه الخارجية . ذلك ان حالة « العقم » الثقافي الملاحظة عند شعوب العالم الثالث مربوطة بأسباب موضوعية اذا دققناها ربما نجد انها أسباب تتجاوز امكانيات الافراد - كل على حدة - ولكنها لا تتجاوز المجتمع اذا ما حاول التخلص منها . وكذلك لا أستطيع أن أقول ان هناك ركودا . ذلك ان هناك حركة نتاج في مختلف فروع الآداب والعلوم الانسانية . ولكن ما قيمة هذا الانتاج في حركة التاريخ بالنسبة لهذه الشعوب . ففي مجمله - ما عدا بعض الاستثناءات القليلة - نجده عبارة عن تكرار ومحاكاة لما قاله علماء الغرب وليس هو خلق وابتكار كما هو مطلوب . واعتقد بهاته الاضافة ان استعمال كلمة «عقم» واضحة الدلالة ولا يمكن أن يتخللها لبس ، أو تؤدي الى سوء فهم .

د . عبد الله الركيبي :

الواقع ان موضوع الندوة اثار نقاشا مهما جدا والاخوة تقريرا متفقون على ان هناك تفريقا او ينبغي ان يكون هناك تفريق بين امرين فيما يتصل بالغزو الحضاري كما عبر عنه بعض الاخوان وليس الغزو الثقافي . والحقيقة ان الحضارة والثقافة في اغلب الاحيان متلازمان والتفريق بين شيئين وهي العلم والتكنولوجيا وبين العلوم الانسانية كما ذكر الاستاذ عبد المجيد مزيان ، هذا لابد ان نضعه في الاعتبار ، صحيح ينبغي ان نأخذ بحذر فيما يتصل بهذا النوع بالعلم أو بالتكنولوجيا ولكن على العموم هذا الجانب عام

يلتقي فيه الامريكي كما يلتقي فيه الروسي كما يلتقي فيه الغربي في اوروبا الغربية كما نلتقي نحن ايضا فيه وفي العالم الثالث سواء كان في الصين أو في الهند أو في افريقيا أو في اي بلد آخر ينتج صناعة حتى ولو كانت صناعة بسيطة لان هذه الصناعة البسيطة قد يستفيد منها هذا المتقدم حضاريا او صناعيا وانا اعرف ان هناك بعض الصناعات الوطنية الجزائرية اليوم يمكن ان تؤخذ بعين الاعتبار في اوروبا المتقدمة صناعيا مثلا فيما يتصل بالقماش ، هناك صناعة جزائرية متقدمة وهناك صناعة في العالم الثالث متقدمة يمكن ان تقارن حتى بالصناعة في اوروبا ، ولكن المشكلة الاساسية في رأيي الشخصي واطن ان بعض الاخوان اشار اليها هي ان الغزو الثقافي غالبا ما يأتي من الجانب الانساني في العلوم الانسانية ونحن نعرف ان تشويه التاريخ الوطني التاريخ الجزائري وربما هذا ينسحب على الشعوب التي بليت وابتليت بالاستعمار قد جند الاستعمار التاريخ كما جند علم الاجتماع كما جند الفلسفة جند الادب كما جند علم النفس، كما جند كل العلوم الانسانية ليشوه هذا التاريخ وليجعل الشعوب المغلوبة على امرها تحس او تشمر بالنقص تجاه الدولة الفازية ، اذن فالعلوم الانسانية هي التي يأتي من خلالها وبواسطتها الغزو الثقافي ومن ثم الحذر هنا من هذه العلوم ينبغي ان يكون اشد واقوى من الحذر من الجانب التكنولوجي ونحن نعرف مثلا انكم مارستم الثقافة في بلادنا وتمارسونها وتكتبون وتؤلفون

العقيدة فإذا كان هناك فراغ عقائدي وخصوصا في فترات التبعية للاستعمار ، فإن المجتمع المغلوب يتبنى مرغما عقيدة مستعمره قبل فترة الوعي والنضال .

لنأخذ مثلا حيا من بلادنا . مقاومة الجزائر لحضارة أجنبية غازية وهي الحضارة الفرنسية كانت في أواخر القرن العشرين مبنية على عقيدة هي العقيدة الإسلامية لأنها كانت قوية في ذلك الوقت مما أدى الى تجنيد الشعب بأكمله من أجل مقاومة حضارة أجنبية مع ما فيها من قوة مادية وثقافية معا وبعد ماتوغل الاستعمار في البلاد فإن أول شيء بدأ به هو الحرب الثقافية . وكانت المدارس الفرنسية حسب مخططات الولاية العامة تسعى تدريجيا لاثبات لغتها وثقافتها ثم التوصل أخيرا الى محو آثار كل كيان ثقافي وطني في هذه البلاد بما فيها اللغة لأن اللغة لها أهمية كبيرة في هذا الميدان اذ الكيان الوطني يبدأ من اللغة انما تمتاز الامة عن غيرها من الامم بالتعبير وبالتبليغ الثقافي قبل كل شيء . فإذا كانت هناك « مبادئ مستوردة » فكلمة استيراد تقتضي نوعا من الاختيار . نحن في عصر غزو ثقافي لا يسمح بالاختيار ، ولكنه الاخضاع والخضوع .

لنأخذ مثلا من الاقلية المثقفة بالفرنسية في عصر ما قبل الحركات الإصلاحية عندنا أي في سنة 1926-1927 حينما انتجت المدارس الفرنسية أول دفعة من المثقفين الذين انعزلوا عن شعبهم وكانوا يتبحرون بالثقافة الفرنسية والعلم الفرنسي ويطلبون الاندماج الكلي في المجتمع

وتحاضرون وتعرفون ماذا قد حصل من تشويه للتاريخ الجزائري فيما يتصل بالجانب الثقافي وبجانب العلوم الانسانية يكفي هنا ان نثير قضية اللغة مثلا وهي أداة الآداب التي تعطى الطابع الحقيقي لشخصية شعب من الشعوب في الصين اذا انتصرت فقد انتصرت بلغتها واليابان اذا انتصرت فقد انتصرت بلغتها والفيتنام اليوم تنتصر بلغتها وقد رأيت ممثل الفيتنام يتحدث بلغته ويترجم وهو يعرف لغات متعددة كغيره من بقية الاشخاص .

عثمان شبيب : اظن ان انتقلنا الى النقطة

الثانية وهو استعراض بعض المظاهر ، مظاهر الغزو الثقافي من شأنه ان يوضح كثيرا من اهداف هذا النقاش الذي دار حول النقطة الاولى . واذا انتقلنا الى النقطة الثانية وهو استعراض بعض مظاهر هذا الغزو وانا اقترح كمدخل عبارة متداولة كثيرا في هذا الموضوع وهي عبارة المبادئ المستوردة ، نريد ان نوضح هذه المبادئ المستوردة مع ذكر الامثلة ، لان هدف هذه الندوة في الأخير هو كما قلنا في التقديم توضيح بعض المفاهيم المتداولة عندنا .

الاستاذ عبد المجيد مزiane :

ان كلمة « مبادئ مستوردة » غير لائقة في نظري ، بل ان هناك ما نسميه اجمالا بالغزو الثقافي ، ويمكننا ان نتكلم بالتدقيق عن الغزو الايديولوجي ذلك لان الغزو الثقافي يتضمن

الاستعماري لا يمكننا ان نقول بأن هؤلاء يكونون جماعة واعية استوردت المبادئ من فرنسا وانما هي جماعة كونها الفرنسيون لانفسهم كطبقة معينة ليحكموا بواسطتها الشعب الجزائري ولينشروا بواسطتها ثقافتهم .

عثمان شبيب :

ان الذين يتحدثون عن المبادئ المستوردة يقصدون بعض الايديولوجيات المعاصرة مثل النظريات الاشتراكية بأنواعها فيقولون ان هذه الايديولوجيات داخلية في نطاق الغزو الثقافي !

الاستاذ عبد المجيد مزبان :

اذا كنا نتكلم عن الوضعية الحالية ونقول بأن هناك نظريات « مستوردة » فكلمة « استيراد » تتضمن هنا كذلك موقفا نقديا معناه ان الشخص الذي يسمى هذه المبادئ مبادئ مستوردة يعم الاستيراد في الظاهر ، ولكنه في النهاية لا يقصد الا الاتجاه الاشتراكي وحده . فلماذا لا يقصد العقائد التي تأتينا من الغرب ؟ بل كثيرا ما نرى هؤلاء المنتقدين للنظريات الاشتراكية يدعون ان النظريات التي تأتي من أمريكا او من فرنسا تتفق مع الاسلام لانها تدافع عن الملكية الشخصية ولانها تدافع عن الفرد وتدافع عن قيمنا الاسلامية بينما نحن نعلم حق العلم ان المصائب الكبرى انما آتت الى الشعوب الاسلامية من الغزو الرأسمالي . لكن المنتقدين لا يتكلمون عن الغزو الثقافي الرأسمالي بل يتكلمون دائما عن الغزو الماركسي وهنا الالتباس . ومن حقنا ان نوضح

هذا الموقف كامل الايضاح . ان الغزو مفهوم اجمالي وعمل يقتضي تخطيطا من المستعمر يرمى الى تفكيك المجتمع المغلوب وابتلاعه والغزو الثقافي وجه جزئي من الغزو الشامل واذا كنا واقعيين ومنصفين اعترفنا ان الاستعمار هو الغازي الاكبر ، واذا عرفنا ان الاستعمار وجه من وجوه الرأسمالية علمنا ان الغزو يأتينا قبل كل شيء من الرأسمالية . فنظريات النظام الرأسمالي ليست مستوردة فقط وانما هي نظريات عدائية غازية اما النظريات الماركسية فانها آتت في غالب الاحيان مساندة للحركات الاستقلالية التحررية ولقد كان على مفكرى الحروب التحريرية ان يأخذوا بسلاح الثورة الماركسية ليحاربوا به الرأسمالية لان الاستعمار في قمة الرأسمالية . والماركسية كانت دائما تعتبر منهجا تحليليا وعمليا بالنسبة لزعماء الحروب التحريرية لانها المذهب الوحيد الذي فضح الرأسمالية بكيفية علمية وواقعية . نعم لقد وقع كثير من الالتباس في استعمال هذه التحليلات الماركسية ، لان النضج الثقافي لم يكن موجودا عندنا وصرفنا نأخذ بظاهر المذهب غير واعين ما في هذا الاخذ الوثوقي من أخطار اذ لم يدرك بعضنا ، وخصوصا المثقفون الذين تنقصهم التجربة السياسية . ان مجتمعنا مغاير تمام المغايرة للمجتمعات الاوروبية التي كانت نماذج لتحليلات الاشتراكية العلمية الاولى . نعم اننا نعتز أن هذا الموقف الوثوقي نوع من عدم الوعي ، ولكن عدم الوعي الذي يؤدي الى احتضان افكار العدو

الاستاذ الشيخ بوعمران :

اود ان ننتقل الآن الى النقطة الثانية التي هي الغزو الثقافي او الركود الثقافي او العقم الثقافي حسب المصطلحات التي ناقشناها ، ولا يمكن ان نذكر جميع هذه المظاهر وانما اريد ان اركز على البعض منها ، ولا شك ان الزملاء سيركزون على مظاهر أخرى .

اذا اقتصرنا على الجزائر ويهمننا طبعا المجتمع الجزائري بالدرجة الاولى كنموذج من نماذج العالم الثالث ، تظهر لنا سياسة الاستعمار في بداية الاحتلال الفرنسي . ان هذا الاحتلال كان احتلالا حضاريا كما قلنا ، وذلك من جميع النواحي قد - اتى المستعمر بنظام سياسى ، واقتصادى ، وثقافى ، وعلمى ، وعسكرى - اراد ان يفرضه على الجزائر بقطع النظر عن الظروف التي تعيش فيها الجزائر ، واراد ان يتجاهل الشعب الجزائري وتقاليد وثقافته ، وهذا ظاهر في كتابات المؤرخين الفرنسيين والمثقفين والعسكريين والحكام في بداية الاحتلال - لانهم اصطدموا بواقع لم يقرأوا له حساب ، فأخذوا يفكرون في هذه القوة السرية او الخفية التي تواجه القوة الفرنسية التي كانت في ذلك العصر من ابرز القوى في اوربا - فاكتشفوا اصالة الشعب الجزائري ، فاهتدوا الى ان هناك شخصية جزائرية واخذوا يدرسون الشخصية وبرز فيهم علماء استعماريون طبعا من مؤرخين ، وادباء ، وأطباء ، وفولكلوريين واثنوغرافيين . وقبل ان تستعمل كلمة علم

والدفاع عنها لانها توافق مصالح بعض الطبقات الخاصة عندنا انما هو كارثة ثقافية وسياسية لا نظير لها .

عثمان شبوب :

وزيادة في التوضيح اذكر اننى قلت في تقديم هذه الندوة تريد ان نوضح بعض المفاهيم بأمثلة . حينما نتكلم عن الايديولوجية الماركسية فانها طبعا تتمثل لنا في عدة مفاهيم ماركسية . ان الذين يتحدثون عن الغزو الماركسى ويلحون عليه وعند ما يتحدثون عن المبادئ المستوردة فانما يقصدون الفكر الاشتراكي بصفة عامة .

عبد المجيد مزيان : اما الفكر الراسمالي فلا يذكره ؟

عثمان شبوب : الراسمالي لا يذكره وسيأتى توضيح لهذا ، ان المبادئ المستوردة عندهم يحددونها في مفاهيم مثل مفهوم طبقة ومفهوم «اشتراكية» او مادية تاريخية فان هذه المفاهيم هي التي يسمونها مبادئ مستوردة ويقولون يجب ان نتخلى حتى عن هذه الكلمات .

السؤال الثاني وهو غير موجه للاستاذ عبد المجيد فقط وانما لجميع الاخوة الحاضرين نظرحه للنقاش .

هل تعتقدون بان الفكر الاشتراكي بصفة عامة اكثر خطورة على الشعوب النامية وعلى ثقافتها من الفكر الراسمالي بجميع انواعه كما يقول هؤلاء .

الاجتماع التي ذكرها الزميل عبد المجيد مزيان كانت علوم الشعوب البدائية انتروبولوجية واعتبروا اننا من هذه الشعوب، الشعوب المتخلفة حضاريا فالفوا كتبنا في هذه المسائل ثم ارادوا ان يقضوا على مظاهر الحضارة العربية الاسلامية في الجزائر وعلى اللغة العربية وعلى المجتمع العربي بما فيه من عقائد دينية وتقاليد شعبية وأصالة ثقافية .

وما بعد الاستقلال طبعاً اول شيء قمنا به ونقوم به في العالم الثالث هو تصحيح هذه المفاهيم التي زيفها الاستعمار ، تلك هي المرحلة الاولى . فاعدنا النظر في تاريخنا وثقافتنا ، وقيمنا وتقاليدنا والآن ما زلنا نكتب ونحاضر ونحارب تشويه تاريخ الجزائر وتشويه الفكر أو العقيدة الاسلامية في الجزائر من طرف المستشرق فلان أو فلان ، اعدنا النظر في التعليم و الادب الفرنسي الذي يدرس في التعليم الابتدائي والثانوي والعالي حتى نقوم بعملية فرز في الادب الفرنسي الذي يحمل ايدولوجية تختلف مع اختيارتنا الاساسية ، ثم في العصر الذي نعيش فيه قد تمسك بعض المثقفين بالثقافة الاجنبية وهذا مرض نعانى منه في العالم الثالث لان الكثير من المثقفين - وهم اقلية بالنسبة الى بقية الشعب يرون بان هذه الثقافة هي الوحيدة القوية التي يمكن ان تتبعها . فهذه بقايا من رواسب العصر الاستعماري ، واعدنا النظر في مشاكلنا الحضارية لنقضي على التخلف الاقتصادي والعلمي والتكنولوجي والفكري والادبي ، لان الانتاج

الادبي كما قلت موجود كذلك الانتاج التاريخي وهناك محاولات فكرية لا تنكر وما نسميه الفكر هو الفكر العالمي لا جزءا منه خاصة بنا في منطقة معينة ان لقاء بعض الافكار أو الاجماع عليها في العالم باسره ، ما زلنا نتباحث فيها وقد نكتفي بمناقشات بزنطية حول مفردات أو مصطلحات في قضية الطبقة أو قضية الاشتراكية فنحن نتناقش طويلا ونكتب مقالات كثيرة في تحليل مصطلحات اجمع الناس عليها وهذا لا يليق طبعاً بمستوى ثقافي محترم ، يبدو لي ان قضيتنا اليوم كما كانت من قبل قضية حضارة لا قضية ثقافة معينة وطبعاً الثقافة تلعب دورها وينبغي ان ندرس علاقتنا نحن شعوب العالم المتخلف بالثقافة الاوروبية سواء كانت أوروبا الغربية أو امريكا او أوروبا الشرقية التي تطبق اشتراكيات متنوعة حسب ظروفها الخاصة و اذا استطعنا ان نبحت هذه المسائل ونسلط عليها فكرنا وتفكيرنا يمكن ان نكون في مستوى العصر اما واذا اكتفيننا بذكر امجادنا العلمية والثقافية والادبية والتاريخية والسياسية فنحن ان هذا الموقف يدل على ركودنا الشامل .

د . هشام الصلدي :

بالواقع بالنسبة للمظاهر هناك الشيء الكثير وكما قال الاستاذ والزملاء بان المظهر الرئيسي في الغزو الثقافي يشمل بالدرجة الاولى اللغة القومية لدى كل الشعوب ، وهذه حقيقة ، وقد

ان نبدا بحث الوسائل الناجعة للتغلب على آثار مظاهر الاستعمار الثقافي السابقة والتي قلت عنها مباشرة ، والتصدي الى محاولات الغزو المقنع تحت الشعارات الثقافية - وهو اقتصادي في صميمه - وايجاد حلول عملية كثيرة لها . هنا احب ان اذكر مثالا صغيرا عانيت في مطلع وصولي الى الجزائر الحبيبة وهو الحادثة التالية : كان أحد زملائنا يشكو دوما من ألم في رأسه ويخاف من المطر لانه أصلع الرأس فيضطر الى وضع قبعة ، ولما اتى الجزائر اخبره الطلاب والزملاء بان هذا منكر : لان القبعة رمز للرومي اي رمز للمستعمر ، عليك بان تخلعها . فأسرع مذعورا الى خلعها وألقاها دون ان يستعملها مرة اخرى . بقي هذا الحادث في ذاكرتي ، ولكم تبادر الى وانا ارى بعض الفتيات وخاصة في المدينة العاصمة يرتدين «الميني جيب» اي الحراطة القصيرة جدا ويمشين حتى في شهر رمضان في الشوارع بهذا الشكل . فقلت يا سبحان الله المواطن الجزائري صدمته القبعة التي تحمي الرأس ولم تصدمه «القندورة» القصيرة التي تعرض جسم الفتاة الى البرد والى غير البرد ؟ حاولت ان افسر هذه الظاهرة لانها فعلا ظاهرة عامة ، فقلت في نفسي : الحق مع ذلك المواطن الذي احتج على القبعة لانها رآها ترافق حراب المستعمر فجعلها شعارا للمستعمر وللرومي بصفة خاصة ، واما «الميني جيب» فقد جاءته عقب خروج المستعمر وتسلمت اليه عن طريق السلام والتعاون ، فاعتقد انها مظهر من مظاهر الحضارة

رأينا انه في المنطقة التي هي المغرب او المشرق العربي اللغة العربية كانت وعاءا للإسلام،والاسلام واللغة العربية تقريبا مترادفين يتلخص عنهما وينتج حضارة عامة شاملة صبغت اجيالا ورقعا جغرافية بصبغة معينة . ويحق للانسان ان يفخر بها . ولكن المشكلة في رواسب الغزو الاستعماري هو كما قال احد الزملاء ان هنالك اجيالا فرض عليها ان تتنكر للفتها القومية وان تعتقد بان الاخذ باللغة الاجنبية اي لغة المستعمر مهما كان اسمه ولونه ، ان هذه اللغة هي مفتاح السلام ، واقول مرة اخرى انه لا يمكننا ان نفصل بين العلم وبين التكنولوجيا وبين العلوم الانسانية لانها كلها تصب في بحر واحد هو المجتمع الذي يعيش فيه الفرد فلا يمكن ان يفكر بنصف عقله بالتكنولوجيا بمفاهيم معينة وان ينظر بنصف عقله الى العلوم الانسانية فيعالجها بمفاهيم معينة . وكما وجدت الصين في تجربتها الرائدة الناجحة الخلاص وطريق الخلاص في العودة الى الحاجات المحلية النابعة والتخلي عن المستوردات والعقائد الغريبة على المجتمع الصيني ، أعود فأقول ان طريق الخلاص بالنسبة للمجتمعات المتخلفة في العالم العربي الاسلامي وفي العالم الثالث هو في العودة الى أصالته . ونحن نتكلم عن الاصاله وعن الدروع الواقية التي حمته قرونا طويلة وأضرب افضل مثال على ذلك من الجزائر : اذ ان الدين الاسلامي واللغة العربية كانت الحصن الحصين الذي تجمعت وراءه ارادة التحرير الجزائرية وانتصرت مؤخرا ، فاذن من هذا المنطلق يمكننا

وحول امكانياتها واهميتها وحتى ضرورتها بالنسبة لنا . ولا اعتقد ان هناك احدا يستطيع أن ينكر مدى ما سببه هذا الموقف المتشكك من الصعوبات في طريق انجاز هذه المهمة الوطنية التي هي مهمة أساسية وحجر الزاوية بالنسبة لمستقبلنا .

د . عبد الله الركبي :

اعتقد انه فيما يتصل بمظاهر الغزو الثقافي ان المبدأ الاول والاساسي هو قضية التأثير والتأثر ، فهناك جانب قوى مؤثر في جانب ضعيف والجانب الضعيف يتأثر بالجانب القوى ، اولها فان موقف هذا الجانب الضعيف وهو ينطبق على الشعوب التي استعمرت طويلا أو على العالم الثالث كما يتحدث الاخوان ، ينطوي على موقف واحد يشمل مظاهر الحياة بمختلف مجالاتها واشكالها ، وتنوعها هذا الموقف هو ان الفرد مثل المجتمع في هذه البيئات المتخلفة باستمرار يعتمد الى المقارنة بين ما لديه وبين ما لدى القوى أو ما لدى الآخرين ، وهذا بطبيعة الحال قد نشأ من شعور الفرد او شعور المجتمع بالنقص تجاه القوى او تجاه الحضارة القوية او الثقافة الغازية فهو باستمرار في موقف المدافع كما ذكر الاستاذ مزيان في ملاحظة من الملاحظات ، والشعور بالنقص او مركب النقص هذا يمكن ان يعم على كل ما في حياتنا من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية او الثقافية او الحضارية او اللغوية او الدينية فكل ما هو موجود لدينا يخضع لهذا المبدأ وهو مبدأ المقارنة مبدأ الشعور بالنقص وسأضرب امثلة مثلا ، فحين يظهر في مجال الثقافة ونحن

والتقدم يمكنه ان يقلده دونما خطر . هذا مثال بسيط يمثل لنا كيف ان الشعوب المتحررة حديثا قد تتخلى سريعا عن الدروع الواقية التي استعملتها في الماضي للتحرر لاعتقادها انها أصبحت في مأمن ، وانها يمكنها ان تفض الطرف عن احتمال استعمار جديد . وارى ان الاستعمار الثقافي وغير المباشر يستهدف في طبيعة ما يستهدف «العقيدة» التي تتجسد فيها مكارم الاخلاق ، «واللغة» التي كانت وما زالت وعاء الحضارة واداة تعبيرها . ولا غرابة في ذلك ، فالعقيدة واللغة دعامتان اساسيتان ترتكز عليهما شخصية وحضارة المجتمعات البشرية في المنطقة الممتدة من المحيط الى الخليج .

الدكتور جمال قنان

مسألة المظاهر في الواقع هي متشعبة لكنها في نظري تتلخص في موقفين : الموقف الاول هو التردد الثقافي وهذا التردد الثقافي يعكس أنماطا من السلوكيات الفردية المختلفة نستطيع أن نضعها تحت عناوين مختلفة . والذبذبة الحضارية وهاته على مستوى المجتمعات . معنى هذا انها تشكل حاجزا ضد النمو والتطور والامثلة على ذلك كثيرة في مجتمعنا العربي . وأبرزها هنا في الجزائر موقف بعض الطوائف من مسألة اللغة القومية : وهي اللغة العربية . ومن قضية التعريب . ومن المسلمات لدى كل مواطن سليم الطوية وصفى الضمير انه لا يمكن مطلقا التشكك حول امكانيات هاته اللغة من الناحية الثقافية وقدرتها على مواكبة التطور بجميع مراحلها وفي جميع الميادين ومع ذلك وجدنا مواقف متشككة حول هاته اللغة

ننتهي الى هذا المجال ، حين يظهر كتابا ألفه جزائري او الفه عربي او الفه من ينتمي الى العالم الثالث فلا يجد القبول ولا تعطى له قيمة مهما كانت قيمته الا اذا بصم عليه الاجانب ونوهوا به او نقدوه او عرفوا به في صحفهم او في بلدانهم ، مثلا فاذا كتب منا كاتب رواية فأننا نعد باستمرار الى المقارنة هل هي تشبه ما كتبه الروائي الفلاني الغربي أولا ؟ ماذا تحقق فيها من آراء أو من مبادئ أو من خصائص أو من افكار مما وجد عند الاجانب ، فاذا خططنا للاقتصاد الوطني فنحن دائما نعد الى المقارنة هل هذا يشابه ما هو موجود في البلد القوي أو البلد الذي كان بالامس بلدا مستعمرا حاكما ام يختلف عن ذلك ؟ فاذا ظهرت ظاهرة اجتماعية فهل هذه الظاهرة الاجتماعية الموجودة في بيئتنا توجد في البيئة الاخرى ؟ فنحن باستمرار في موقف المقارنة وهذا هو المظهر الاساسي والمظهر الواضح والمظهر الطاغى على حياتنا وبالطبع حين نتحدث عن العلاج سيأتي الطرف المناسب لذلك .

هناك ايضا قضية تتصل بهذا الموضوع بالذات وهو ان الشخص حينما يقارن وحينما يشعر بمركب النقص فانه يعمد الى التقليد يقدر الاجنبى ، وما ضربه الاستاذ الدكتور هشام الصفدى فيما يخص المرأة وتقليد الغرب ، هذا يمكن ان يسحب او ينسحب على مجالات اخرى ، على الشباب ، على اللباس ، على الاكل ، بل أكثر من هذا ينسحب على التصرفات ، احيانا الشخص يتصرف كما يتصرف الاجنبى سواء عن شعور او

عن غير شعور او عن قصد او غير قصد لان الغزو الثقافي والحضارى ترسب في الاعماق ويتصرف او يشكل حركاته دائما وابدا بالمقارنة الى الرجل القوى او الحضارة القوية ، ماذا خلق هذا كله ؟ خلق هذا انعدام الثقة بالفرد وبالمجتمع ، وخلق هذا استسلاما للفرد وللمجتمع لهذه الثقافة الغازية لهذه الحضارة العدائية واصبح مستسلما يتلقاها دون رد فعل اطلاقا لان معنوياته اصبحت في درجة من الانهيار لا تساعد على ان يقاوم هذا التأثير تأثير الغزو الفكرى او الثقافى او الحضارى ، اكثر من هذا ان الكثير من الشعوب التي استقلت في العالم الثالث تقلد حتى في انظمتها السياسية الغرب ، مثلا هل يصلح الحكم البرلماني أو لا يصلح ؟ مادام قد صلح وافاد في البلدة الفلانية او في المكان الفلاني مثلا فانه لابد ان يصلح في البلد الحديث الذي استقل حديثا ، ومن هنا نتطرق أو ننطلق الى موقف الطبقة التي تأثرت اكثر من غيرها بالغزو الثقافى او الحضارى واعنى بها الطبقة البورجوازية في العالم الثالث والتي ثقفت الثقافة الاجنبية ولم تتحصن ضد هذه الثقافات واصبحت تدعو الى افكار ربما لا تتلاءم مع بيئتها ولا تصلح لشعوبها بدافع التقليد او بدافع الانبهار لانها انبهرت من هذه الثقافة او من الحضارة فتريد ان تنقل وهي تظهر في نقلها لهذه الحضارة او الثقافة نقلا او نسخا كاملا دون التفكير في البيئة ، تنقل هذه الثقافة او هذه الانظمة السياسية او الاقتصادية او الاجتماعية دون ان تراعى الواقع الوطنى او

الغزو الثقافي يتمثل في غزو الماضي للحاضر والمستقبل . نريد الآن مناقشة مدى تعبير هذين النموذجين عن الحقيقة .

عبد المجيد مزيان :

أنا يظهر لي بأن كلا الموقفين على خطأ ، أولا نقتصر - كما قلت آنفا - على اتجاه واحد وهو ان نقول بأن الايديولوجية الماركسية هي العدو الوحيد الذي يجب ان نتقى منه ، ان هذا موقف مسرف وموقف مفروض الى اقصى حد ، لان جميع الاضرار التي لحقت العالم الثالث لم تلحقه من الايديولوجيات التحريرية ولكن لحقته من الرأسمالية مباشرة بما فيها من قوة عسكرية وبما فيها كذلك من افكار مسمومة التي تبنتها بوجوازياتنا في العالم الثالث . وبوجوازياتنا هي نسخة طبق الاصل من البرجوازية الغربية فهي عدوة لشعبها بقدر ما كانت القوة الاستعمارية عدوة لشعبها . هذه امثلة البرجوازيات في العالم الثالث كلها ، مثلا حينما اقول بأن بوجوازياتنا الجزائرية قبل مثلا الحركة الاصلاحية كانت تدعو الى الاندماج ، فهذا موقف صريح فيما يخص العداوة للشعب الجزائري لان الاندماج هو الغاية التي كان يقصدها الاستعمار بالذات وهو ذوبان شخصيتنا ، او مثلا في مصر ما قبل الثورة حينما كانت الاقطاعات المصرية تساند الاستعمار الانجليزى وتضرب على رأس الفلاح المصرى فهي عدوة بمعنى الكلمة ، وكانت تدعو اقتصاديا وثقافيا الى الحضارة الغربية ، والعراق

الواقع القومى وبذلك تخلق صعوبة جديدة لان الفرد لم يصل الى درجة من الوعي أن يهضم ربما هذه الاشياء الجديدة أو لانه يحتاج الى نظام يلائم حياته يختلف تماما عن الانظمة الاخرى ، ونحن نعرف ان الطبقة البورجوازية عندنا في الجزائر منذ دخل الاستعمار وهو يخلق فيها شعورا بالنقص ويحاول ان يمسحها مسحا كاملا لتساعده على ان يحكم الوطن ، وهذه حقيقة تاريخية وكلنا نعرفها كلكم تعرفون ان هذه الطبقة لا زالت الى اليوم لها جذور ولها بقايا لليوم ما زالت موجودة وحين نسأل السؤال الذى طرح منذ لحظات فى الفكر المستورد او الفكر غير المستورد .. الخ نجد هذه الفئة هي التي تتزعم هذه الفكرة ولا ترى فى افكار اخرى هدامة لا ترى التفكير البرجوازي ، التفكير الرأسمالى الذى غزى بلادنا قرنا ونيف لا ترى فيه عنصرا هداما فى مجتمعنا وانما ترى فى اشياء اخرى . واظن اننا من هنا سننتقل الى النقطة الثالثة والاخيرة وهذه ربما تلخص الافكار كلها .. وشكرا .

عثمان شبيب :

انا اذا سمحت لي ، ان هذه الندوة تحاول ان تجيب الى حد ما عن التساؤلات المطروحة فى حياتنا الثقافية بشكل عام : انا ارى ان هناك نقطة لا بد ان تحدد ، لان كلمة الغزو الثقافى كلمة واسعة ، وكل واحد من مرديها يقصد اشياء معينة ومحددة . فمثلا هناك من يقصد بالغزو الثقافى الماركسية ، وهناك من يرى بأن

والموقف هنا هو اننا لا نرفض كل ما ياتينا من الخارج بدعوى انه آت من الخارج ، بل يجب ان يأخذ بعين الاعتبار كل الاشياء التي تعد سلاحا لتحررنا . كما اننا مثلاً نستفيد من التكنولوجيا والعلوم بصفة عامة لرفع مستوانا الحضارى كذلك اذا كانت هناك افكار يجب ان ندرسها بالدقة اللازمة وبالموضوعية اللازمة وتحت منظار مصالحنا الخاصة دون عداة مسبق .

الاستاذ الشيخ بوعمران :

أما فيما يتعلق بهذا السؤال فإن المعركة التي ينبغي ان يهتم بها العالم الثالث ليست منحصرة فى هذا الجانب فقط ، ان خطورة المعركة على العالم الثالث تتجسم فى الصراع ما بين القديم والحديث ان المشكلة الاساسية التي يعانى منها هذا العالم هي قضية التخلف الاقتصادى والعلمى والتكنولوجى والسياسى والثقافى . تلك هي القضية الاساسية فينبغى ان نبحث على كيفية حلها، هناك طرق مختلفة منها الطريقة الرأسمالية والطريقة الاشتراكية يجب علينا ان ندرس الاوضاع العالمية كلها بما فيها المحاسن والمساوى، وان نسلط عليها تجربتنا نحن شعوب العالم الثالث منها ما يليق بنا من هذه الانظمة العالمية وبحضارتنا حتى نقضى على التخلف بأبى وسيلة كانت ، مثلاً وقعت تجربة فى اسرائيل فى اثناء الصحراء التي اصبحت منتجة وقد ملكنا هذه الصحراء منذ قرون فتركناها كما كانت عليه فجاءت اسرائيل بوسائل حديثة من أوروبا وأمريكا واعادت النظر فى هذه الطبيعة

قبل الثورة مثلاً مع حكم نوري السعيد ، هذه كلها ادلة واضحة صريحة على ان البرجوازية عدوة للشعوب وما تبنته هذه البرجوازية من افكار يعنى فى الواقع كانت افكار غزو وعداء لشعوبها ، هذا موقف صريح ، اما قضية الخطر الوحيد الموجود على شعوبنا الآن هو غزو الماضى للحاضر ، انا اعتقد كذلك بان فيه اسرافاً لانه لا يمكن ان تسلب امة فى الدنيا عن ماضيها . فماضيها منها ، هل هناك مثلاً شعب من الشعوب حتى مثلاً حينما نأخذ الاتحاد السوفييتى ، هل تحول الاتحاد السوفييتى عن لغته ؟ التي هي الروسية ، بل وقعت هناك عملية واسعة لنشر اللغة الروسية فى جميع بقاع الاتحاد السوفييتى بما فى ذلك الاقليات التي لها لغتها الخاصة . اذن ، الانسلاخ عن الشخصية والماضى يتنافى مع تثبيت الشخصية وتركيز الكيان . اذا انسلخنا عن الماضى فنحن لا شيء ، اين هي الشخصية بدون ماض ؟ اذن هذا كذلك التباس من نوع آخر ، وهؤلاء الاشخاص يريدوننا ان نكون فى حالة التبعية ونندمج فى شبه حضارة متلاشيته بدعوى العالمية ! ان الماضى هو الكيان الحضارى الاساسى الذى يبنى عليه الوطن ، ثم من بعد ذلك نبنى الجسر الذى يؤدى بنا الى المستوى الحضارى العالمى ، لكن لا عالمية بدون وطنية ، اذا لم تكن هناك عالمية فليس هناك وطنية مطلقاً : لان نفى الذات لا يؤدى الى الوصول الى مستوى أعلى ، الذى هو المستوى الحضارى . اذن انا اعتقد بأن المشكل مطروح بكيفية غير لائقة .

مجلة ، بأن النفس لها قوانين ثابتة طبيعية
فأراد أن يسلط عليها الاضواء وأن يدرسها ،
واكتشف من جملة ما اكتشف بأن هناك حقائق
لا تتغير في نفسية الطفل مع وجود تغيرات كثيرة
في المحيط من حوله هذا المثل ينطبق على حديثنا
اليوم ان الماضي موجود في الحاضر ، والحاضر ذاته
يتطلع الى المستقبل وكل واحد يتفاعل مع الآخر
وهناك جوانب من الماضي قد انتهت ولا نتحدث
عنها وهذه حقيقة من الحقائق العلمية التي يمكن
ان نتفق عليها جميعا ولا يجدر بنا ان نردد
المجادلات الادبية التي كانت دائما تقارن ما بين
الحاضر والماضي وتريد ان تفضل الماضي على
الحاضر ، أو الحاضر على الماضي ، ان هذه المجادلات
مصطنعة ولا صلة لها بالواقع .

عثمان شبيب :

ان عملية التشخيص قد تكون ميسورة الى
حد ما ، ولكن الصعب هو في ايجاد الحلول . فما
هي في رأيكم انجع الحلول لهذه المشاكل ؟

الاستاذ هشام الصفدي :

نتطرق الآن الى الحلول وهذا اصعب جانب
من الموضوع على ما اعتقد ، لاننا في كثير من
المحاولات لايجاد حلول للمشاكل التي تعانينا ،
نقف عند التشخيص وننسى الحلول ، والواقع
ان الغزو الثقافي الذي نتصدي له اليوم ، يتمثل
في مظاهر عديدة كلها تخدم هدفا واحدا وهو في
رأى الهدف الاقتصادي لانه لا غاية لشعب ان
يملا ارض شعب آخر بآلاف المجلات من جميع

وجلبت لها الخبراء من أي جانب كان فأضحت
هذه المناطق اراضى صالحة للزراعة ، هذه التجربة
ينبغي ان ندرسها ونستفيد منها ، ثم وقعت كذلك
في روسيا او في الصين او في أمريكا في هذه النقطة
بالذات تجارب اخرى ينبغي ان نطلع عليها وان
نطبقها حسب ظروفنا ، فلا نستورد أي فكرة
كما هي لان ظروفنا في الجزائر او في تونس او
في المغرب او في العالم العربي او العالم المتخلف
بصفة عامة تختلف عن بقية البلاد الاخرى في
أوروبا الغربية او الشرقية او أمريكا وكل شعب
من هذه الشعوب المتخلفة له ظروفه الخاصة به .
فيجب ان نقرأ حسابها وان نطبق عليها ما يليق
وتجنب ما لا يليق ، ان العملية الثانية بعد
القضاء على التخلف هي تحديد مفهومنا للاتصال
والعصرية وهذا الموضوع مطروح ضمنا في هذه
الندوة وقد نختم به الحديث ، اني اريد قبل ان
نتقل الى النقطة الثالثة والاخيرة، ان اقول كلمة
وجيزة في قضية القديم والحديث . هذه مشكلة
من المشاكل المزيفة في رأيي . فالصراع بين
القديم والحديث من المشاكل المصطنعة التي يرددها
الناس ومنها العقم الثقافي الذي اشار بعض
الزملاء اليه ، اني اعتقد انه ليس هناك ماضى
مجرد جامد لانه كل ماضى فيه جوانب حية
تسير في الحاضر وتنمية وهي الحجر الاساسي الذي
يبنى عليه الحاضر ، فالحاضر ليس مخلوقا من
عدم ، قد حاز اخيرا العالم السويسري «بياجي»
على جائزة في علم النفس بعد ما مر على اكتشافاته
اكثر من ثلاثين سنة ، فذكر في حديث له مع

وكالنهر ، وهي تتدفق دائما . وانما يلزم فقط تنظيم هذا التدفق حتى لا يصب في الصحراء . بل يصب في بحر الحضارة الانسانية ايضا . هذا التنظيم لدفع الغزو الثقافي لا يكون الا بالاستناد الى المبادئ الاخلاقية ، لانه لا فائدة ان نسلح ابناءنا بالتكنولوجيا وبالعلوم ، وفي نفس الوقت نجدهم يصبحون بلا اخلاق ، او يصبحون مدمنين على الحشيش ، او لا يؤمنون بوطنيتهم ولا يؤمنون بشخصيتهم . اذن هذا علم لا فائدة له وهو ثقافة مستوردة لا تخدم في الاخير المجتمع الذي ستعمل به . قد يقول البعض باننا في هذا الدفاع عن وجود الشخصية القومية يقول باننا متعصبين او يرمينا باننا نستخدم الدين لاغراض طائفية ، او لتنمية الحقد او لاشعال الكراهية ضد الآخرين . وللأسف نجد ان الشعوب الاخرى تحافظ على ذلك ، ففرنسا في عهد ديغول وقبل عهده كانت ايضا تعتني بالديانة الكاثوليكية وفي المؤسسات الكاثوليكية والفكر الكاثوليكي وكل ما ينتج عن ذلك من اعمال لها دور هام في المجتمع رغم انها دولة علمانية ، اذكر بهذا الصدد مثلا : صورة رأيتها في زيارة لمدينة مكناس في السنة الماضية . اذ وجدت في جامع المدينة الجميل البناء ، العريق في التاريخ ، والذي ينطق بالحضارة وبالاتصال وجدت شابا وفتاة اوريبيين تكاد تكون الفتاة عارية تجلس مع الشاب في حرم المسجد يتطارحان الغرام وهما جالسان على ارض البلاط كأنهما في بيتهم ، وكانت جماعات الزوار تدخل وتخرج

الانواع والكتب والمطبوعات التافهة والجيدة - وغالبا ما ترسل التافهة اكثر مما ترسل الجيدة - الا اذا كان له هدف من ذلك . ومن ذلك ايضا الكتب والافلام والزيارات ، وحتى الشهادات التي تمنح ، فمثلا من احدى الظواهر التي هي خطيرة فعلا هو ان كثيرا من ابناء العالم الثالث يذهبون الى اوربا للثقافة فتعطى لهم شهادات للتصديق لان هذا المتخرج «لن يخدم في المجتمع الغربي وانما سيذهب الى بلاده» ، وطالما انه سيذهب الى بلاده فليأخذ علما من الدرجة الثانية او من الدرجة العاشرة وليكون ما يكون . هذه مظاهر واشياء خطيرة ، ولكن اذا اردنا ان نعود الى الواقع يجب ان نرجع قبل كل شيء الى الشعب والى حاجات الشعب فهي التي تبني الحصون ضد الغزو الثقافي . وحاجات الشعب لم يقررها فرد او طبقة ، وانما يقررها المجتمع بكامله عن طريق هيئات للدراسة . فمثلا كم تفتقد بلدان العالم الثالث الى مؤسسات لدراسة الظواهر الاجتماعية ، او لدراسة مظاهر الغزو الثقافي مثلا ، كيف التحرر ، كيف الخلاص ؟ تدور الافكار في حلقة مفرغة ولا تجد طريقا عمليا . والخلاص لن يكون ارتجاليا بل يجب ان يكون مدروسا منهجيا فتوضع حلول واقعية . والحلول يجب ان تكون مستمدة من واقع الشعب ومن حاجاته الاساسية - ونعني بالشعب ، الجماهير العامة - وان تستمد من الشخصية القومية لان شخصية الشعب لا تبدأ في يوم معين او في عهد شخص معين وانما هي هدير مستمر كالبحر

وكان الامر لا يعينهم . انا اعتقد ان شخصية الانسان جزء لا يتجزء ، واذا كان الانسان يتنازل في احترام شخصيته او في فرضها ، فهو مستعد ان يتنازل عن جوانب اخرى . وبالمقابل بعد هذا الحدث بيومين كنت في مدريد اזור « ريال بالاسيو » القصر الملكي في مدريد . وهناك في القصر صومعة خاصة لعبادة ملك اسبانيا وزوجته مليحة بالذهب والفضة وكل الكنوز التي سلبها الاسبان من امريكا اللاتينية ، ويوجد مقاعد في هذه الغرفة . كان معي في زيارة القصر ابني الصغير فوضعت على الكرسي ثانية لكى اصلح له حذاءه الذى كاد ان يخرج من قدمه ، فلم اجد الا والحارس ينقض على ويقول بالاسبانية - وفهمت ما يريد - اذا كررت هذا العمل مرة اخرى ساطردك من القصر ! لماذا ؟ لماذا التمسك والمحافظة على الشخصية في هذا المثال ، ولماذا الاهمال والتهاون في ذلك المثال ؟ وارتد ان اكتب حقا الى وزير السياحة المراكشى اعلمه بان هذا شيء معيب ولا يليق مطلقا ان تصبح المساجد او مقدسات الشعب مثلا في هذا الوضع من الاستهانة بحجة ماذا ؟ بحجة اننا اذا تشددنا سيذهب السواح عنا . فليذهبوا وليخسر البلد هذه الدراهم المشؤومة التي تأتي عن طريق السياحة لكى يحتفظ بشخصيته . واذا ضربنا هذا المثال فرضا في عهد احتلال الجزائر، هل كان باستطاعة أى اجنبى ان يهين المقدسات التي تمثل الاخلاق وتمثل الشخصية بهذا الشكل ؟ اعتقد انه كانت تحدث مذبحه وكانت تشتعل ثورة عارمة

في كل مكان ضد هذا الوضع . فاذن بعد هذه المرحلة نجد ان هناك نوعا من التراخي عن مقومات الشخصية . وهذا اخطر ما يحدث . والذي يتخلى عن الشخصية في ميدان يتخلى عنها في ميدان آخر ، والميدان الرئيسى هو اللغة والقومية والشخصية الاجتماعية ، بكل اختصار اريد ان اقول ان الحلول سهلة ، والحلول - بخطوطها العريضة - وكما عبر عنها الصينيون هي: الاكتفاء الذاتى . وكل العالم اليوم يسير نحو الاكتفاء الذاتى حتى في الثقافة ، لنرى كيف ان الصينيين يريدون ثقافة خاصة بهم . فهم يفتحون على العالم كله ولكنهم ايضا يأخذون ثقافة تلائم المجتمع الصينى . فلنأت ونطبق هذا المثال - لا من قبيل التجربة - على المجتمع ، أى على العالم الثالث . هذه المجتمعات فرض عليها جهل قرون طويلة بسبب الاستعمار وبسبب عوامل أخرى ، كيف الخلاص منها ؟ الخلاص منها بالعلم ، والعلم هو أول وآخر دواء ، كيف نأتى بالعلم ؟ نأتى بالعلم من العلماء ، أين يوجد العلماء ؟ اما ان يكونوا في المنطقة ولهم ادوار ثانوية وللأسف في كثير من البلدان المتخلفة ، والعلم والعلماء هم آخر من تكون لهم الكلمة وآخر من يسمع صوتهم ، واما ان نستورد العلم والعلماء ونطبق هنا مثالا مستمدا من الحياة الاقتصادية في أوروبا ، فعندما لم تستطع أوروبا أن تقيم الاكتفاء الذاتى اقتصاديا ، اضطرت لاقامة السوق الأوروبية المشتركة : فانفتحت الحدود وزالت الحواجز وحتى الحواجز القومية التي كانت

علم • وكل اختلال فى هذه الاعمدة الثلاثة سيؤدى الى افساح المجال امام الغزو الثقافى •

الدكتور جمال قنان

الحديث عن العلاج حديث فى اعتقادى صعب ، صعب ، لأنه يطرح عدة مشكلات جزئية ويتطلب أيضا النظرة النقدية لفحص بنية مجتمعاتنا فى مختلف الميادين ، لكن لا مانع مطلقا لأن يحدد العلاج بكيفية عامة فى اطار مبادئ أساسية • من المعروف تاريخيا ومؤكد أن المجتمع الذى لا يخضع ، واستعمل هنا ، التعبير الشائع ، « للغزو الثقافى » هو المجتمع المتكامل بمعنى هذا ، أن له نظرة لكل المشكلات التى تطرح للفرد • فيما يخص وضعه الاقتصادى وفيما يخص حياته المادية ، الثقافية والروحية وعلاقاته الاجتماعية ••• الخ هذا المجتمع الذى له نظرة تكاملية هو الذى يكون بمنأى أو بمعزل عن الغزو الثقافى ، فى واقعنا اليوم هل يمكن أن نجد مثل هذه الوضعية فى بلداننا ، البعض يعتقد أن بالسلفية يمكن أن توجد كل الحلول لكل المشاكل المطروحة ، النظرة الموضوعية للانسان تثبت أن هذا الكائن هو فى تطور مستمر وبالتالي فإن حاجياته لا يمكن أن تسد مرة واحدة فقط ، إنما هى حاجيات تتوالد وتستمر ، والحلول التى توجد هى حلول تسد حاجيات المرحلة ريثما تظهر حاجيات أخرى ، فنظرتنا لتراثنا ولثقافتنا فى الماضى ، عندما نقيمها على مستوى عصرها ، أيام ازدهارها ، نجدها فعلا تملك هاته الخاصية الفرد يجد حاجته ، يجد غذاءه الروحى كما يجد غذاءه المادى فى هذه الثقافة وفى هذا التراث وفى هذه المبادئ ، لكن لا يمكن أن ننكر مطلقا

كالمحرمات فى السابق انفتحت • وأصبحت أوروبا بلدا واحدا تقريبا ، اقتصاديا وحتى علميا • لماذا لم نتبع تجربة مماثلة على الأقل فى عالمنا من الاكتفاء الذاتى ، وهذا ما تطبقه الجزائر فعليا فى نطاق العلم ، حيثما يقتقد الى عالم أو الى خبير من أبناء المنطقة يمكن استيراده عن طريق اقامة سوق عربية أو سوق مشتركة ثقافية للعالم الثالث لماذا نتكلم عن الاقتصاد ولا نتكلم على الثقافة بايجاد سوق ثقافية مشتركة حتى تستطيع كل دولة من هذه الدول أن تسد حاجياتها • وعندها يحدث الاكتفاء الذاتى عن طريق دراسة كل ما يرد من تيارات ثقافية على ضوء المصلحة المحلية ، أو على ضوء حاجات الجماهير كما قلت • وهذه السوق يمكن أن يكون لها حماية مثلا ، مثلما هنالك حماية تفرض على منتجات بلد ناشئ فعندما ينتج بلد من البلدان أحدى ، ويكون له معمل للأحذية تضخ الدولة حواجز جمركية ، لتمنع دخول أحذية أخرى تنافس الصناعة المحلية • وهذا ينطبق على الصابون وعلى السلع الاستهلاكية وعلى السلع الصناعية كلها ، فلم لا نقيم للكتاب الذى ينبع من ضمير هذه الأمة حماية ؟ لماذا لا نكون له حماية جمركية ، أو حماية ثقافية ، فنجعله يستطيع الوقوف على أقدامه ، نعطيه فرصة الحياة ولندعه يؤدى الرسالة الوطنية ، الرسالة الثقافية الصحيحة التى يمكن بواسطتها أن نحارب الغزو الثقافى • بدون كتاب وبدون استاذ لا توجد ثقافة وبدون معاهد لا يوجد

بأنه يفصلنا عن نهضتنا فترة لا تقل عن خمسة قرون عشنا فيها بمعزل عن التطورات التي شهدتها الإنسانية كنا في سبات عميق ، وخلال الخمسة قرون هذه ، كان مجتمعنا موجودا ، وكانت مشاكله موجودة وزاد من عمق هذه المشاكل اصطدامه بحضارات أجنبية ، وبدأ واضحا أن مجتمعنا اليوم يفصله عن تراثه هوة عميقة ونتج بمقارنته بالمجتمعات المتقدمة اليوم التخلف والركود ، إذن ما هو الحل ؟ أين يمكن أن نجد الحل ؟ بطبيعة الحال لا يمكن أن يوجد أيضا عند دعاة السلفية ، ولا يمكن أن يوجد أيضا عند دعاة الضحية . بمعنى هذا أولئك الذين يتشبثون بقشور الثقافة الأجنبية ، كنت قد ذكرت أن من مظاهر الغزو الثقافي واستعمل هنا الكلمة الشائعة هو وجود ذبذبة على المستوى الثقافي على مستوى كل فرد وموجود التردد على مستوى الحضارة ، ولما كانت هذه هي الوضعية بطبيعة الحال ، فهذا يعني أن الثقافة السلفية لم تستجب لمطالباتنا لم تستطع أن تغطي حاجاتنا المتزايدة إلى الضوء وإلى الوضوح ، وأيضا هل في الثقافة الأجنبية وأعني الثقافة الغربية حل ، هل نستطيع أن نشبع ظمنا من هذه الثقافة وننهل منها ونجد فيها حولا لمشاكلنا ، لا يمكن أن نجازف بجواب سريع ، لكنه يجب أن نحص ماضيها القريب ، عشنا هذه الثقافة مدة تقرب من قرنين الآن وهي ثقافة ذات طابع ، مؤكد ، بورجوازي ، وعندما أقول طابع بورجوازي ، أريد أن أوضح استعمال هذه الكلمة ، فلم يكن الماركسيون أبدا هم أول من استعمل هذه الكلمة ، لأن هذه الكلمة وردت كتعريف ومصطلح أنجبته وأتت به التطورات والتيارات الإنسانية

الحديثة ، إذن ، فالثقافة البرجوازية التي واكبناها والتي عشناها خلال النظام الاستعماري كله لم نجد فيها حلا لمشاكلنا وخاصة ، وكل يعرف ذلك ، كل مثقف سليم السريرة لا يمكن أن ينكر هذا ، أن الثقافة الغربية هي ثقافة طبقية وحتى المثقفين الغربيين لا ينكرون هذا الشيء ، كبار علمائهم لا ينكرون هذا ، أنها ثقافة طبقية ، فهل يمكن لهذه الثقافة التي هي ثقافة طبقية ذات طابع استغلالي ذات طابع تعسفي وهجومى على الشعوب التي هي في طريق النمو ، أن تلبي حاجتنا ؟ بطبيعة الحال ، لا ، إذن ما هو الحل وأين نجد الحلول لمشاكلنا ؟ فلا يمكن أن نجدها في خزانة مقفلة نفتحها ونستخرج الحلول ، هناك اجتهادات ، وهناك محص وتصفية يجب أن نعمل اليه وأن نعتمد كاسلوب • من جملة مظاهر السلبية للثقافة البرجوازية ، أنها منذ بداية القرن العشرين عملت على تشجيع ونشر بعض التعاريف المغرضة ، عن الثقافة الماركسية أنا شخصا وأنا طفل كنت لا أعرف عن هذه الماركسية إلا بعض الشيء ومن جملة هذا الشيء هو أن الماركسية ضد الإيمان ، وتعتبر الدين أفيون الشعوب ، وهذه التعاريف كانت شائعة ومنتشرة في جميع الطوائف ثم أيضا ما نعرفه عن الماركسية هي أنها كذلك تحلل ما تحرمه الاخلاق والديانات أي تدعو للإباحية مثلا وعندما بلغ الإنسان مبلغ الإدراك واستطاع أن يطلع ويقرأ وجد أنه فعلا في الماركسية شيئا ضد الديانة لكن هذا يعتبر الجانب الثانوي والجانب غير العلمي في الماركسية وليس هو الجانب الأساسي ذو الأولوية فيها • فهذا جانب عقائدي تماما يخص ما وراء الطبيعة ويخص

الشخص نفسه فلسفيا ، وأما الاباحية فشئ لا وجود لها ، لا وجود لها مطلقا في الغرب الرأسمالي فان الطوائف الاجتماعية التي لها اخلاقيات هي الطوائف التي تنتمي لهذه المذاهب وذكر الزملاء تجربة الصين في عدة مجالات وهنا اذكر أن تجربة الصين من الناحية الاخلاقية هي اروع مثال أو تجربة الفيتنام اليوم أيضا هي اروع نموذج الاخلاقية في تعريفنا الاسلامي للاخلاق . اذن بقي لنا هذا المعين هو المعين الاشتراكي ، فالماركسية تعطى لنا نموذجا ، نظرة وطريقة الامساك بالحل ولا تقول انها طريقة نهائية ، فنحن بترائنا عند ما يتم اعادة سبكه وبعثه تحت ثوب جديد يمكن أن نأخذ الكثير من هذه المبادئ ونستفيد منها ، والدليل على قوة هذه المبادئ هو أن الكثير منها أصبح الآن مأخوذا به ، حتى من طرف المذاهب الرأسمالية . فكلمة « تخطيط » مثلا هي مأخوذة من الفكر الاقتصادي الماركسي وقد أصبحت الآن تشكل حجر الزاوية في التطور الصناعي للبلدان الرأسمالية وقد كانت من قبل غير معترف بها من طرف هذا المذهب ولا أقول أن في الاشتراكية نجد الحلول جاهزة لكن أقول في اجتهادنا في الاشتراكية نستطيع ان نجد حلولاً ، اذن كما ترون انها مشكلة تتطلب كثيرا من التدقيق وكثيرا من التفكير وكثيرا من الاجتهاد .

د . عبد الله الركيبي :

اظن ان معالجة هذا الموضوع المطروح واقتراح الحلول في جلسة كهذه من الصعب جدا أن يحاط به من جميع الاطراف كما ذكر الاخوة الزملاء ،

وانما يمكن ان نختصر الاجابة فنقول بأن الحل الاساسي في رأيي الشخصي يتمثل في تحرير الفرد والمجتمع من السيطرة ، سواء سيطرة الماضي أو سيطرة الحاضر بشئ مفهوم هذه الكلمة ، أو بأي نوع من انواع المفاهيم لهذه الكلمة ، ذلك اننا نحتاج الى أن نبحت عن طريقة نكون بها توازنا بين هذا الماضي وبين هذا الحاضر ، وحين نصل الى هذه الطريقة عندئذ نقول اننا نملك انفسنا ونملك وجودنا وسنستطيع ان نوجد عبقريتنا سواء كأفراد أو كوطن أو كمجتمع ، فاذا استطعنا ان نطور من اساليبنا فيما يتصل بالجانب الثاني من الشخصية وهو اللغة بأن نطور منها من اساليبها من كلماته ، من تعابيرها ، من مصطلحاتها . الخ . واذا استطعنا ان نطور من اقتصادنا من مفاهيمنا الاجتماعية ووصلنا الى الحد الذي يمكن ان نضع فيه هذا التوازن فاننا سنصل الى الحل المطلوب ، ولكن حين يصبح الفرد أو المجتمع يعيش متقوقعا في الماضي بصرف النظر عن الحاضر أو ينغمس في هذا الحاضر نهائيا ويرفض الماضي رفضا كلياً فهنا يصاب بنسوع من الانغلاق لان الذي ينغلق في الماضي نهائيا أو في الحاضر نهائيا هو انسان ينعزل عن الحياة وعن الواقع ، كما ان الفرد لا يمكن ان ينكر ماضيه ، ومن هنا نجد ان الجانبين يلتقيان في نقطة مثلا الذين يعيشون في الماضي كلهم ينهالون باللوم على المجتمع العربي وعلى النكبة او النكسة او الكارثة التي حدثت له بعد 1967 يلتقي مع ذلك الذي لا يؤمن بالماضي اطلاقا والذي .

يجرى وراء الحضارة الغربية وراء المثل الاعلى في رايه وفي تفكيره ، يلتقيان جميعا في الموقف الواحد تجاه هذه القضية ، قضية العرب في 67 بينما التفكير المنطقي يقتضى اننا نراجع انفسنا كل فرد يراجع نفسه ، وكل مجتمع يراجع نفسه ، كل فئة تراجع نفسها ، وتبحث عن العيوب الموجودة في الفرد الموجود في المجتمع الموجودة في مظاهر الحياة الموجودة في مظاهر التفكير، في مظاهر الثقافة... الخ فحين نصل الى التحليل السليم للاوضاع وللظروف وللعوامل عندئذ نصل الى الحل ، وفي الواقع هنا يمكن ان نطرق قضية الثقافة ونصل الى الحل ، فالثقافة في المفهوم البرجوازي هي سلعة من السلع ، تقدم لطائفة معينة او لفئة معينة تستخدمها تلهو او تتسلل بها وتشبع فراغها وتشبع رغباتها تشبع ربما غرائزها... الخ ، وقد كان الادب وهذا ربما لي صلة به اكثر من غيره لدى اوروبا سواء في عصور الاقطاع او عصور ما بعد الاقطاع عصور الصناعة نجد ان الادب كان في عصر الاقطاع ما هو الا تعبير عن تفكير الاقطاع ، يعنى ان الكاتب كان يلهو به صاحب الاقطاع فيكتب له قصة او رواية او قصيدة يشغل فراغه او يمتعه او يلهيه او يسليه... الخ وحين جاءت الطبقة البرجوازية التي نتجت بعد النهضة الصناعية أصبح الادب يواكب او يساير النهضة الصناعية ، ويدعو الى التفكير البرجوازي ويساند الكتاب والادباء كانوا يساندون هذه الطبقة ، اذن فالثقافة حين تصبح

سلعة تساير طبقة معينة او فئة معينة هنا تفقد اصلتها وتفقد الطابع او العنصر الاساسي وهو العمل من اجل الانسان ، فاذن فالعلاج من وجهة نظري هي اننا نغير من مفهوم الثقافة في بلدنا ، بلدنا له تقاليده وله مثله وله واقعه وله حضارته وله شخصيته فلا بد ان تكون الثقافة تعبيراً عن هذا كله حتى نتميز عن غيرنا من بقية الشعوب الاخرى التي لا تتفق معنا لا في اللغة ولا في الدين ولا في الحضارة ولا في الاخلاق ، واذا استطعنا فعلا ان نوجد هذه الثقافة فاننا سنقضى على الغزو الثقافي لان حينئذ تكون لدينا حصانة فكرية وحصانة معنوية وحصانة ادبية وحصانة اجتماعية وحصانة ثقافية تمكننا من ان نقاوم أى غزو ثقافي كيفما كانت قوته وكيفما كانت سيطرته وهذا اذا استعزنا ربما بالاساليب الطبية فاننا نقول ان المجتمع مثل الجسم يحتاج الى حصانة والى تلقيح ، ولنا امثلة كثيرة في هذا المجال ، فانا قد قرأت رسالة في الطب لمؤلف ولعالم جزائري اسمه ابن العربي الفها سنة 1882 نال بها جائزة طبية من جامعة فرنسا في ذلك الوقت حول الطب العربي والطب في الجزائر، فلو فعلنا نحن ايضا هذا في المجالات الاخرى فاننا نصل الى الحلول الحقيقية ، وأنا لاحظ بالمناسبة مثلا ان التفكير البرجوازي هو الذي يقف ضد التقدم ، تقدم الفرد ، تقدم المجتمع ، لنا مثل حي اليوم ان هذا التفكير هو الذي يقف ضد الثورة الزراعية ، لا أقف ضدها أنا اطلاقا بل انا مع الثورة الزراعية وكلنا معها والفلاح

معها والعامل معها ولكن التفكير البرجوازي يقف ضد هذه الثورة ، الثورة التي تخدم الانسان وتخدم المجتمع الجزائري وتحرر طاقة الفرد وتحرر طاقة الفرد هي المفتاح لتحرير المجتمع .
وشكرا .

الاستاذ الشيخ بوعمران :

يظهر لي في نهاية الحديث انه لا يمكن ان نحصر جميع الحلول التي يمكن ان نتفق عليها وانما ينبغي ان نشير الى البعض منها كما ذكرنا في بداية الحديث ، ان بعض المظاهر من الغزو الثقافي واضحة فعلينا ان نجتمع هنا بين ما يجب ان نقوله وما قلناه في بداية الندوة عندما تناقشنا في مفهوم الثقافة قد قلنا بان الثقافة جزء من الحضارة فينبغي ان تكون الحلول كذلك في مستوى حضارى فيجب ان تتركز الثقافة على اللغة الوطنية وعلى الشخصية الوطنية لحياء التراث المفيد فنعتبر الاهمية للجوانب الحية منه التي لها قيمة وفعالية في عصرنا وعلينا ان ننشر الثقافة في عامة الناس لانه من رواسب الغزو الاستعماري ان تحصر الثقافة في نخبة معينة وان ينفصل المثقفون عن عامة الشعب ، ان هذه المظاهر خطيرة فالحق ان عليها ضروري في اقرب وقت وباسرع الوسائل ، لاننا لا نفصل بين مظاهر الحضارة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية وقد اشار الدكتور الصفدي الى هذا ، لان ما سماه هو بالذاتية الاقتصادية يعنى الاستقلال الاقتصادي وهذا لا بد منه . مثلا تعميم الشركات الصناعية والسكة

الحديدية ، والاراضي الواسعة شيء اساسي ، ثم من الناحية الاقتصادية والسياسية معا ينبغي ان يشارك المواطن في تطور البلاد وبعبارة أخرى ان المواطن في العالم الثالث بصفة عامة لا يشارك عمليا في تطوير الاقتصاد ولا في التخطيط الثقافي وانما يملئ عليه غالب الاوقات من مجموعة معينة فهذا الاستبداد الفكري والسياسي يجعل المواطنين في جل بلاد العالم الثالث كأن الامر لا يهمهم وانما الامر يهم فقط طبقة معينة لا الشعب كله ، اما في الجزائر وبعد عشر سنوات من الاستقلال فان الواقع يدل على التقدم الاقتصادي ، غير ان التقدم الثقافي لم يواكب هذا التقدم الاقتصادي واريدها ان اشير الى دور المثقفين ما دمنا في ندوة ثقافية لمجلة ثقافية فواجبهم ان يساهموا في هذا النهوض بالمجتمع وان يفكروا جديا في الحلول الجوهرية لذلك ، وهذه الحلول يمكن ان تنحصر فيما نسميه بتحقيق العدالة الاجتماعية وهذا هو المقصود بالاشتراكية الجزائرية الحققة فالغرض منها نشر العدالة الاجتماعية في الوطن مع احترام ظروفنا العامة وهي الظروف الحضارية والتاريخية الخاصة بالجزائر وجميع البلاد الاخرى تحاول ان تطبق هذه الاشتراكية حسب ظروفها ، اننا نشاهد انواعا من الاشتراكية في العالم واصبح الامر مسلما لان كل وطن يختار النوع الذي يليق به ، ان الاسلام الحقيقي اذا تفهمناه لا يتنافى اطلاقا مع هذا المفهوم للعدالة الاجتماعية وبعد ما اشار بعض الزملاء الى السلفية ، اقول بان السلفية

والسنوسية في ليبيا وغيرها • هناك عدة مدارس •

عثمان شبيب :

مسألة السلفية وتقييم الحركة السلفية من جميع جوانبها يحتاج الى موضوع خاص ولكن هذه الندوة لا تتسع لهذا الموضوع ، والشئ الذي نريد ان نختم به هذه الندوة هو اننا في مجتمع في طريق التحول ، ومن مميزات هذه المرحلة وجود تناقضات اجتماعية تنعكس على المستوى الفكري وتمثل في هذه الاتجاهات المختلفة ، والتصورات المتباينة ، وفي حالة عدم وجود ايدولوجية محددة فانا اعتقد بان احسن طريق للوصول الى الحقيقة هو الايمان بمبدأ الحوار • والحوار الموضوعي هو افضل سبيل للوصول الى الحقيقة ومناقشة اوضاعنا وتوضيح كثير من المفاهيم ، وبالتالي صياغة ايدولوجية متكاملة لمجتمعنا • واشكر جميع الاساتذة على الجهود التي بذلوها في هذه الندوة ، وعلى التوضيحات التي قدموها •

والسلام عليكم •

الحقيقية اذا دققنا البحث فيها توافق على هذه العدالة ، ان ابن حزم الذي اشتهر بالتشدد في موافقه يذهب في بعض الكتب الى تأميم جميع ما يملكه الاغنياء في حالة المجاعة وهذا بناء على اصول ونصوص دينية واضحة وهذه المواقف غير محصورة في هذا المثل ، اذن ينبغي ان نعيد النظر في هذا المجتمع الذي نعيش فيه وان نجتمع ما بين الاصاله الحقيقية بعد ما نزيل عنها كل هذه المفاهيم الفاسدة وان نواكب العصر ليكون كل هذا في خدمة المجتمع والانسان حتى نقضى على المخلفات والتخلف من جميع النواحي •

د • جمال قنان :

الحقيقة اننى استعملت كلمة السلفية ولا اقصد بها تراثنا في عصر النهضة ، تراثنا لما كان مشرقا ولما كان خلافا ، ما اقصده بالحركة السلفية هي تلك الحركة اصلاحية التي ظهرت في القرن التاسع عشر وفي الحقيقة هناك عدة مدارس في السلفية ، فهناك المدرسة التي ظهرت في الجزيرة العربية والمهدية في السودان

في ممارسة البحوث الاجتماعية

وما يجب أن يلقاه الباحث الاجتماعي من شجاعات

كلما تطرقنا الى مشكلة تشجيع نوع ما من
الابحاث العلمية اعترضتنا مبدئيا مشكلة الفوائد
الملموسة الحالية التي تحصل عليها الامة من هذه
الابحاث . لا نذكر ان قضية حساب الفوائد
العاجلة من أبرز مظاهر ذهنيتنا كأبناء أمة
مستعجلة تخوض معركة التنمية بحمي المجتمع

عبدالمجيد مزياين

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

في إطار اطلاع القراء على مختلف التلوات التي تعقد ، ننشر في هذا العدد ثلاثة ابحاث القيمة في «حلقة النهوض بعلم الاجتماع في البلاد العربية» التي عقدت بالجزائر بأشراف «المنظمة العربية للترقية والثقافة والمعلوم»

أما الأمم الفتية فلها اهتمامات وأسبقيات أخرى ، خصوصا أن عدد الباحثين فيها لا يزال قليلا ، أو نقول أن عدد العلماء لا يزال لم يصل بعد إلى مستوى البحث الحقيقي ، لأن إعباء التدريس والإدارة لم تسمح حتى الآن لذوى الاستعدادات بالتفرغ إلى البحث الصرف ، كما هو الشأن في البلاد المتقدمة .

أنه لمن الواضح أن تبقى سياستنا تجاه البحث والباحثين ، لمدة غير قصيرة ، مربوطة بهذا الواقع وإذا أردنا أن نتكلم عن التشجيعات التي يتطلبها البحث الاجتماعي لنتفقد عن إنتاج غزير الفائدة ، فلا يمكن مطلقا ، فيما يبدو لي أن تنهم الإدارات ورجال التسيير بالتقصير ، ذلك أنهم لم يلمسوا بعد فائدة هذا النوع من الأبحاث ، وليسوا على كل حال مسؤولين عن العقم ، ومفارقة الواقع . ولا يسعنا إلا أن نحمل علماءنا الناشئين بعض المسؤولية ، ولا يمكن استدراك الحلل إلا بإجراء نقد قوى على الوضعية الحالية ، ولا يمكن أن يصدر مثل هذا النقد الذاتي إلا من لدن الخبراء أنفسهم ، لأنهم أدرى الناس بمشاكلهم .

لقد سبقت الإشارة غير ما مرة في البلاد الناشئة إلى وجوب القيام بحملة عارمة لتتبع آثار العقيدة الاستعمارية في ميادين البحث الاجتماعي . وليست العقيدة الاستعمارية ، مع الأسف بالامر الواضح الذي يسفر عن وجوده تلقائيا ، كما يبدو ذلك لأول وهلة ، لأن ما هو علمي وما هو عقائدي في العلوم الاجتماعية

الذي يخشى أن يفوته الوقت وتماشيا مع هذا الواقع نقول أن جوهر قضيتنا اليوم هو أن نتساءل عن الفائدة العاجلة التي تضمنها البحوث الاجتماعية للامة . وبالجواب عن هذا السؤال يمكننا أن نعرف هل ستعطى التشجيعات في يوم من الايام للباحثين في العلوم الاجتماعية ، أم سيبقى هذا التشجيع مجرد رغبة تعلن عنها التوصيات الملحة في مختلف الملتقيات . أن مثل هذا الاصطدام العنيف مع الواقع قد يكون مفيدا على الأقل في تغيير ذهنية الباحث الاجتماعي ، وفي تغيير الصور التي أخذت عنه حتى الآن ، كما أنه يطرح مسائل جوهرية تهم الاتصال والانفصال المنهجي والغائي بين الباحثين في الأمم العازمة على النمو ، وبين الباحثين في الأمم النامية .

أن الباحث الفردي المنعزل السائر على منهاج الباحثين النظريين ، بدعوى تنزيه الفكر العلمي المجرد عن كل التزام علمي ، لهو النموذج الذي يعرفه الرأي العام عندنا ، وأن الصورة العالقة بأذهان الناس عن هذا النوع من العلماء هي التي جعلتهم حتى الآن يعاملونهم معاملة الأشخاص القليل الفائدة العملية .

ليس من الطبيعي أن تتناسى فضل الأبحاث النظرية ، إذا تخصص لها عدد من العلماء سبق لهم أن مارسوا القدر الضروري من الأبحاث العملية . ولا يعاب على أمة وصل بها الرقي العلمي إلى الحد المستحب أن تشجع بعض أفرادها على التخصص في النظريات .

لان ذهنية العصر تجاء الاعراق ، والشعوب ،
والمجتمعات الصغرى قد تغيرت بكيفية جذرية .
غير ان ادراك واقع مجتمعات العالم الثالث ،
وتحديد حركياتها وتطلعاتها الثورية ، والوقوف
بدقة على اهتماماتها لا يمكن ان يحصل على يد
باحثين تعودوا منذ زمن بعيد على التبسيط
والتجزئي في كل ما هو اجنبي عن المجتمع
الغربي . وان هذه الاعتبارات لما يجعلنا نطرح
بكل الحاح مشكلة التتلذذ الاعمى على باحثين
مختلفين عنا كل الاختلاف في اهتماماتهم
وذهنياتهم .

وان اثاره هذه القضية لا يمكن ان يرمى الآن
بوجه من الوجوه الى مقابلة مدرسة بمدرسة
أخرى لمجرد المعارضة ، ولكنه يعنى الخروج بمناهج
البحث واهتمامات الباحثين من اتجاه فرضته
سيطرة الاستاذية المتسلطة الى الالتزام بمناهج
واهتمامات منبثقة من صميم الواقع المجتمعي الحى
في البلاد العازمة على النمو . واذا كان هذا
الموقف يقتضى تقاطعا منهجيا وغائيا بين الباحثين
في البلاد المتقدمة والباحثين في بلادنا ، فلا بد من
تحديد وجوه هذا التقاطع بكل ما تستحقه من
جدية علمية .

I - نقول فيما يخص المنهج بأن الابحاث
الاجتماعية التى تقتصر على دراسة المجتمعات
الصغرى من جانبها الثقافى ، ليست الا امتدادا
لاهتمامات المدارس القديمة التى كانت تعنى
بالاعراق والعادات انطلاقا من تجزيشات
وتصنيفات فاسدة فى غالب الاحيان . أما الآن

يكونان معا ميدانا متشابكا الى أقصى حدود
التشابك . والنزاهة العلمية تقتضى ان نتخلص
من مركبات الردود المزيفة والسطحية على
الاستعمار ، بقدر ما تقتضى التخلص من مركبات
التتلذذ الصيغاني والتبعية العمياء للمدارس
الغربية .

لقد كان من نصيب الابحاث الاجتماعية فى
الغرب ان تنطرق الى دراسة كل المجتمعات ، او
نقول ان نصيبها الاوفر كان يهتم بمجتمعات
العالم الثالث . ولا يخلو هذا الاختيار من مواقف
ضمنية سواء فيما يخص المنهج والغائية .

واننا لو اقتصرننا على ذكر المواقف الاتنية
المجزئة اصطناعيا لمجتمعات العالم الثالث ،
كنموذج لمنهج فاسد يتضمن غائية عقائدية تكاد
تلمس فيها العرقية الاستعمارية بالايدي ، لكفانا
ذلك مثالا عن هذا الاتجاه . وأما اشتراطهم ان
تكون كل الدراسات الموضوعية من خارج فيتضمن
ان هناك مجتمعات تنتج الدارسين وان كل ما
سواها ليس الا مادة للدرس ، وأى ادعاء يثبت
النزعة الاستعمارية كهذا الادعاء ؟

يصعب علينا ان نثبت استقلال الاتجاه فى
الابحاث الاجتماعية عن متطلبات المجتمع الذى
يرتبط به الباحث . وبناء على هذا لا يمكننا ان
نتعجب من مساهرة البحوث لمتطلبات القضية
الاستعمارية فى فترات طغيان الاستعمار . أما
الآن وقد دخلنا فى عصر التخلص من الاستعمار
فلا عجب ان نشاهد بعض المجهود من بعض ابناء
الدول المتقدمة فى مراجعة المناهج والاهتمامات ،

ونعتقد ان هذه المؤسسة للبحوث ستعين على رد النزعات الفردية الى اهتمامات الجماعة الواسعة ، كما انها ستعين على التخطيط للبحوث، وستقضى بذلك على عادات الانقياد مع الصدف والاهواء التي نشاهدها اليوم عند الكثير من الباحثين .

3 - وأما تحديد غائية كل بحث اجتماعي فيبدو انه أصبح من المتطلبات الاكيدة في بلادنا الفتية . فلا يمكن ان يطرق موضوع التنمية مثلا دون ان ينظر الى ائمانها الاجتماعية والاطلاع على الوضعيات الحالية للمجتمعات التي ستنتفع من مخططات هذه التنمية ان الربط بين البحث والواقع الذي ينوى تغييره هو الغاية من كل بحث مفيد . فاذا اخذنا ظواهر اجتماعية تعد من ابرز مميزات التخلف مثل الامية ، ونظام الرحل ، فان التزام الباحث بدراسة هاتين الظاهرتين لا يعنى الوقوف عند الملاحظة ، وعرض الاحصائية ، بل يفترض من دراسته ان تبين وطاة الامية ونظام الرحل في التخلف ، وان توحى بأهمية الموضوعين حتى تتناولهما المخططات الوطنية ضمن المشاكل المستعجلة . ان الدراسة للدراسة ، أو انعدام الغاية العملية في البحث العلمى نوع من الترف الفكرى لا يمكن ان يوجد في البلاد المتخلفة ، هذه ثلاث نقط بينا فيها باستمجال خصوصية الاتجاه الذى يمكن ان يسيطر على ممارسة البحث الاجتماعى في بلادنا ليصبح بحثا عمليا نافعا قابلا للاستغلال ضمن المخططات الوطنية . ولا شك أن هذا الاتجاه العملى ، سيضمن ، ان تحقق

وقد حلت الامة محل المجتمعات الصغرى في جميع انحاء العالم الثالث ، وفي بلادنا العربية على الخصوص ، فينبغى على الباحث ان يراجع في كل مرة مناسبة ابحاثه بالاستناد على هذا الواقع ، وان يدمج كل وحدة صغيرة في الوحدة الاساسية التي هي الامة .

2 - وأما التخصص الضيق الذى يتناسب مع نوع الابحاث الفردية المنعزلة فقد أصبح قليل الفائدة لان جل المخططات الوطنية تكتسى صبغة من الشمولية والاستعجال يصعب معها التباطؤ في محاولات ادماج مثل هذه الاعمال الفردية ضمن البحوث الواسعة التى تفرضها ظروفنا الحالية . ولا نرى ان ممارسة الابحاث الاجتماعية بمعزل عن الابحاث الاقتصادية مثلا بقى كثير الجدوى ، بل لابد من ادراكنا ان التخصص في الاجتماع او الاقتصاد يقتضى تكاملا بين الميدانين وتناسقا موحدا لنتائج الابحاث حتى تصير شبه جاهزة بالنسبة للمخططين . فلا غرابة اذا ان يتبين لنا من هنا فضل الاعمال الجماعية على الاعمال الفردية في البحث الجامعى الذى يعطى سويكات من الاقتصاد لعلماء الاجتماع وسويكات من الاجتماع لعلماء الاقتصاد سيعين على حل المشكل ، ذلك ان القضية قضية عملية ، ترجع الى الممارسة اليومية للابحاث الاجتماعية الاقتصادية فيما بعد التكوين الجامعى، وترجع فى بدئها الى خلق المؤسسة ذات الفعالية التى ستعمل فى اطارها الجماعة المتماسكة من علماء الاقتصاد وعلماء الاجتماع .

ونجد في مشاريع أخرى التعرض الى تنمية جهة من الجهات بمحض المنجزات الصناعية مثلا ، دون التعرض الى حالة السكان الاجتماعية ودون دراسة عن الرفع بمستواهم بعد تحقيق المنجزات . وأما تقييم الكوارث الاجتماعية الكبرى التي تعرقل الاقتصاد والحياة الاجتماعية والسياسية معا ، مثل الامية وأنواع البطالات المقنعة ، وفوضوية العمران في المدن الناشئة ، فانها عملية لم تتناولها بالدرس مخططاتنا في البلاد الفتية . وكثيرا ما نسمع من الخبراء الذين يسند اليهم تحرير مثل هذه المشاريع أنواعا من الاعذار مثل قولهم : « اننا خبراء تنحصر مهمتنا في نطاق ضيق » ، وأما توسيع المشاريع الى النظرة الشمولية اى الاقتصادية والاجتماعية معا ، فهي في نظرهم من اختصاص المسؤولين السياسيين . ومهما الحنا فانه لن يكفينا الإلحاح على اضرار هذه العزلة لانها تشتت للجهود ، وتضييق لآفاق المنجزات . ولدينا مثال آخر عما تجره العزلة بين الباحثين ورجال العمل من اخطاء ، الا وهو الاسراف في استخدام شركات الابحاث الاجنبية لدراسة كثير من المشاريع الوطنية . ان الاعذار التي تقدمها مختلف الادارات عن هذا السلوك تتلخص في نقطتين وهما الاستعجال ، وعدم وجود الدارسين الكفاء من ابناء الوطن . لقد كان في امكان كثير من الباحثين أن يطلعوا بدقة على نماذج من البحث الذي انتجته هذه الشركات ، وقد لاحظوا كلهم اهمية الثغرات الموجودة في دراساتهم ، زيادة على الاخطاء

في يوم من الايام ، ابطال الصور المشوهة التي اخذت عن الباحثين في علم الاجتماع ، بصفتهم مبروطين بمدارس تقليدية محض نظرية منحصرة مجالاتها في الاهتمام بالاعراق والعادات وحاجيات العقيدة الاستعمارية البالية .

بقى علينا الآن ان تبين ما هي التشجيعات التي ستنهض بالبحث الاجتماعي في بلادنا ، بعد ان ذكرنا اهمية التحول الذهني الذي تنتظره الامة من علمائها .

نقول في البداية ان جل هذه التشجيعات تعد من قبيل التشجيع المعنوي ذلك لان المشكل الاساسي الذي يتعرض له الباحثون انما هو مشكل العزلة والانفصال عن الاعمال التي تهتم ميدان خبرتهم . ولقد تعمدنا في الجزء الاول من هذا العرض التنبيه الى مسؤولية الباحثين في خلق هذه العزلة بسلوكهم المتعالى على الحياة العملية ، غير ان المسؤولية مشتركة بينهم وبين رجال العمل في ضرب هذا السد بين الجانبين . ولا يمكن أن نلاحظ دون استنكار ذلك النوع من الانطواء على الذات الذي يتميز به كل من الباحثين ورجال الادارة ، ورجال التخطيط . واذا اردنا ان نأتي بالادلة التي تثبت النقائص الناتجة عن هذه العزلة فليس من العسير ان نعثر عليها ، لانها واضحة كل الوضوح في كثير من المشاريع والمخططات . اننا نجد في كثير من المشاريع ذات الصبغة الاقتصادية والاجتماعية معا اغفال الجانب الاجتماعي وتضييق النظرة الانسانية وحصر التحليلات في معطيات اقتصادية باردة .

الجماعي النافع الذي تنتظره الامة من جميع الباحثين .

قد يظن لاول وهلة ان انشاء مؤسسات من هذا النوع يقتضى فى البداية وجود باحثين من ذوى الشهرة العالمية يسهرون على التوجيه والتخطيط والتنسيق فى هذا الاطار العلمى وقد يظن من جهة اخرى ان مراكز للابحاث قد تعد بمثابة مؤسسات لرفع الصيت والتفاخر ، على غرار ما هى عليه فى بعض البلاد المتقدمة حيث ينضم اليها علماء من مختلف الفنون والمشارب تضيق ابحاثهم فى النظريات ، وتنفق الاموال فى البحوث القليلة الفائدة العملية .

نقول للجواب عن كل هذا ان مؤسسات البحوث الاجتماعية فى الوطن العربى تختلف جوهريا عن اخواتها فى البلاد الاوروبية ، اذ انها فى اوروبا نتيجة الترف الثقافى ، بينما هى فى بلادنا وليدة الضرورة العملية .

لقد ضربنا ، فى الفقرات السابقة ، مثلا بشركات البحث الاجنبية وتلاعبها بالبحوث ، واشترنا الى الاموال الضخمة التى تنفق فى دراسة المشاريع المختلفة . ولقد كان من حقنا ان نذكر ان طبيعة البلاد الفتية التى تخوض معركة النمو ، هى التى خلقت هذا النوع من الشركات المتخصصة فى الدراسات الاقتصادية الاجتماعية . ذلك لان حاجيات البلاد فى هذا الميدان اصبحت ملحة ومستعجلة بقدر ما تعتبر الانجازات الاقتصادية والفنية ملحة ومستعجلة فى هذا الفترة المتوقدة بالحماس الا وهى فترة الاقلاق عن التخلف . ولا

الفاحشة التى يرتكبونها فى الميدان الاجتماعى بالخصوص . وقد لوحظ مرارا فى بعض الدراسات ورودها على نمط واحد فى مختلف الجهات والاقطار ، مما يجعلنا نستنتج ان النماذج موجودة مسبقا ، ويكفى ان تغير فيها بعض الفقرات وبعض الاسماء الجغرافية لتصبح صالحة لاكثر من مكان واكثر من زمان . وهذا طبعا مما يعين على تحقيق رغبة رجال الادارة المستعجلين ، وانه لما يقصر ايضا سرعة الانجاز . واننا نعتقد يقينا ان الباحث المبتدىء من ابناء الامة لا يمكن ان يرتكب نفس الاخطاء ، ونفس التهاون الذى ترتكبه مثل هذه الشركات المرتزقة التى تحظى بالاقبال ، ويقدر غير يسير من الاموال .

واننا نعتقد ايضا ان اجتماع باحثين من بين متخصصين فى الاقتصاد ومتخصصين فى الاجتماع على مشروع مشترك ، سيقدمون لمجتمعهم دراسات اكثر جدية واكثر واقعية من أى دراسة يأتى بها الاجانب ، لانهم الصق بالمشاكل ، واكثر ادراكا لواقع بلادهم .

هذه نظرة عن التقاطع الموجود بين الباحثين ورجال الادارة اردنا ان نعطيه كإبرز مثال عن العراقيين التى يعانيتها البحث العلمى فى بلادنا العربية ، وان احسن تشجيع يمكن ان يحظى به علم الاجتماع لينهض قويا عندنا ، هو القضاء على هذه العزلة المصطنعة .

واما الجانب التنظيمى الذى سيكون بمثابة التشجيع الاكثر فعالية ، فهو انشاء مؤسسات للبحوث الاجتماعية تصبح الاطار العادى للعمل

في صميم الواقع التقني وفي صميم الواقع المجتمعي ، يفرضها عليه نوعا من العمل يدخل في مخطط مضبوط ودقيق يصعب معه التيه في النظريات ، والانقياد مع الهويات الشخصية . ولا يمكن ان نقول بان نفقات تسيير مثل هذه المؤسسات ستكون عبء على الامة لانها ستتحصر في ضمان مرتبات ومصاريف بعثات داخلية وخارجية لشرذمة من الباحثين يعدون في مستوى الاساتذة الجامعيين ، ونحن متيقنون ان نفقاتهم السنوية سوف لا تتعدى عشر ما تصرفه الامة على الدراسات التي تحضرها الشركات الاجنبية .

ولو لم نعد من فضائل هذه المؤسسات الا مساهمتها الفعالة في خلق التصود على العمل المشترك بين الباحثين في الاقتصاد والباحثين في الاجتماع ورجال الادارة والتخطيط لكان فضلها كبيرا على امتنا الناشئة التي تحتاج الى تضافر الجهود بين ابنائها .

بقي علينا الآن ان نتكلم عن تبادل البحوث والخبرات كوسيلة مشجعة بالنسبة للباحث الاجتماعي . انه لا يخفى على احد ان الوضعيات الاجتماعية متشابهة ، ان لم نقل هي واحدة في كثير من الاحيان اذا عمنا دراستنا في الاقطار العربية . ويمكننا الزيادة في التعميم فنقول ان جل البلاد المتخلفة تعاني ازمت اقتصادية واقتصادية من نوع واحد لانها خضعت لنفس المخططات ونفس الاحتلال الاستعماري المفكك للمجتمعات هذا ولا يخفى علينا ايضا ان اهتمامات

يخفى على احد ان العالم الرأسمالي خبير بحاجيات الامم المتخلفة واستغلال هذه الحاجيات اسرافا وبدارا ان تفيق . ولو قدر لمؤسسات البحوث الاجتماعية - الاقتصادية ان تفي ولو بجزء من حاجيات ادارتنا العربية في الدراسات لكانت ذات مردود عملي آني ، ولكانت أداة للتحرر من ربكة تعاون ملي بالفرور والاضطار .

وأما نظام هذه المؤسسات للبحث فاننا نراه يختلف كل الاختلاف في بلادنا عن النظام الموجود في البلاد الاوروبية . ذلك ان النزعة الفردية والنزعة النظرية التي تمتاز بها مراكز البحث في اوربا الغربية مثلا يجب ان تتقي من البداية ، كما ان انزال المتخصصين بعضهم عن البعض يجب ان يعتبر خطرا يحترز منه في كل حين . فتكتل الباحثين في اطار مؤسسة تفرض عليهم توزيع العمل ، وتضافر الجهود ، والخضوع لمخطط واحد ، وتنسيق النتائج ، لما يضمن التغلب على التشتيت والاضطار . ولستنا نعتقد ان الشهرة العالمية في المعرفة النظرية ، كما يقومها الاساتذة الاوروبيون بمعاييرهم الخاصة تعد شرطا اساسيا للقدرة على المشاركة في مثل هذه الابحاث الجماعية . فلقد رأينا اكثر ما من مرة جماعات من الطلبة يقدمون ابحاثا ذات مستوى مقبول بحث اسراء اساتذة متدثين وما نقص من قيمة ابحاثهم انهم مبتدئون .

ثم اننا نرى من مزايا مؤسسات البحوث الاجتماعية الاقتصادية قيامها بالدور التكويني السريع في الميدان العملي ، لانها تقذف بالباحث

رجال الاقتصاد في بلادنا العربية ، رغم اختلاف مناهجهم العملية ، ترجع الى الاصطدام مع الواقع المؤلم الذي يتجلى في مظاهر التخلف . ان كل مجتمعاتنا تعاني الشدائد من انخفاض مستوى الحياة في الارياف ، ومن الامية ، ومن فوضى العمران في الحواضر .

ولا نشك ان دراسات كثيرة في هذه المواضيع صدرت هنا وهناك ، ولكنها بقيت مجهولة بالنسبة للباحثين في البلاد الشقيقة . وكثيرا ما يتكرر نفس البحث ولنفس الغرض التطبيقي فتضيع الجهود في هذا التكرار عوض ان تصرف في اهتمامات جديدة . واعتقد ان عزلة الباحثين التي ذكرناها في الفقرات الاولى من هذا العرض وهي العزلة داخل القطر نفسه ، ليست بأشد

وطأة من العزلة بين الباحثين في مختلف البلاد الشقيقة . وما نظن ان تبادل الوثائق ، وتبادل الخبرات والدراسات من الامور التي يصعب تطبيقها ، اذا عدت من اهتمامات مؤسسات البحوث ، ومن اهتمامات الباحثين انفسهم اذا حصل بينهم الاتصال والتعارف . ولعل هذا التبادل وهذا الاتصال سيؤدي بعد اجل قريب الى القيام ببحوث مشتركة تتناول الظواهر الاقتصادية والاجتماعية المشتركة بين الاقطار الشقيقة . ومن يدري . فلعلنا نصل بعد ذلك الى انشاء مركز عربي للبحوث الاجتماعية والاقتصادية يفرضه واقعنا الموحد وتطلعاتنا الموحدة الى القضاء على الكوارث الاجتماعية التي تتخبط فيها شعوبنا .



علم الاجتماع العربي هل هو ممكن :

حلمة قطّال في العلفنة بين علم الاجتماع والدورولوجيا

لقد أمكن أن يكتب على حائط سربون ماي 68
أي بعد عشر سنوات من خلق اجازة فرنسية في
علم الاجتماع ما نعتذر عن البدء بتذكيره كما
أتى : « اذا شئنا آخر بيروقراطي بامعاء آخر عالم
اجتماعي فلن تكون لنا مشاكل » ، كما كتب
اختصارا : « اقتلوا علماء الاجتماع » . طبعا في
هذا أولا انذار بافلاس علم الاجتماع الفرنسي
التقليدي أو « الرسمي » كما يقولون هناك . علم
لم تسمح له طرقه الاستفتائية ومفاهيمه
السكونية أو باختصار القواعد الدوركهايمية

الطاهر الجري

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

المرونة بتحليل الدينامكية وما قد تحوى من قطع أو قطيعة . على انه جدير بالاشارة بدءا ان جل من نادوا اذاك بسقوط علم الاجتماع كانوا ينتسبون الى علم الاجتماع . لهذا كانت فيما تلى تلك المدة كتابات وملتقيات فرنسية كان موضوعها التحليل السوسيولوجى لظاهرة اجتماعية جديدة هى اتهام السوسيولوجيا للسوسيولوجيا .

لكن هناك أيضا - وهذا محور الحديث - فكرة الربط بين هذا العلم والايديولوجيا ولتكف الاشارة الى أن أول اطار للحركة التى انتخبت هذا التواعد الرمزي بالعالم الاجتماعى الفرنسى كانت المظاهرات المعادية للامبريالية والهاطقة بحياة الشعب الفيتنامي . كما ان البند 23 مما سماه الطلبة اذاك « ميثاق السربون » ينص على رفض الفصل بين العلم والايديولوجيا فضلا ما انفكت اغلبية أهل العلوم الانسانية عامة وعلماء الاجتماع خاصة تؤكده وتدافع عنه بدعوى ما تسميه الموضوعية . لهذا مثلا لاقت كتابات التوسير ALTHUSSER ابتداء من 68 وبعد نجاحها الاول ردود فعل عنيفة لا تقبل خاصة ما يسميه « القطع الايبستيمولوجى » جاعلا من 1844 حدا فاصلا بين الايديولوجية والعلمية عند ماركس .

ماذا اذا من أمر علاقة اكدتها الازمات ، ثم ما صلة هذا بمشروع النهوض بعلم الاجتماع فى الوطن العربى ؟

من المفروغ منه اليوم ان العالم تنقاسمه الايديولوجيات . تنقاسمه الى حد ان فكرة «العالمية» مثلا بل وحتى فكرة «الحوار» تبدوان من أخطر أمراض العالم الثالث اجمالا . ذلك ان العالم على عكس ما يزعم اهل الحيايلة او المثالية يسير سيرا حثيثا الى نظام الكتل ، بحيث اصبح الشعور بالانتماء لا عنصرا تعريفيا فحسب بل وعاملا حيويا من عوامل البقاء . على ان التجربة العربية فى هذا الباب جد معلومة ..

من هنا جاءت تصنيفات ابرزها على وجه التأليف : علم اجتماع رأسمالى وعلم اجتماع اشتراكى ، ثم علم اجتماع البلدان المتقدمة وعلم اجتماع العالم الثالث . على أن خلال هذه التصنيفات وما تحصره من تصنيفات وسطية يبدو تمييز عام بين ما لا يتردد فى تسميته علم اجتماع تقدمى وعلم اجتماع رجعى .

النزعة الايديولوجية موجودة اذا ووجودها ثابت فى المستوى النظرى وفى المستوى التطبيقى أو على الاصح فى المستوى الايبستيمولوجى الرابط بينهما :

لكى لا ندخل مبدئيا فى ملابسات تماريف الايديولوجيا المتعددة يكفى فهمها تبسيطا على أنها تمثل ذهنى للواقع تمثلا يحده التاريخ ويرتبط بوضع نفعى . فهى بالتالى بناء نظرى قد يشوه الواقع وقد يكون غير واع لدوافعه ، ولكنه قد يكون أيضا عن وعى ذا صلة موضوعية بالواقع

وبالتالي ذا وظيفة غير نفعية في المعنى الضيق للكلمة .

على هذا الاساس تكون فكرة الفصل بين علم الاجتماع والايديولوجيا مدعية وجود عالم اجتماعي خارج عن كل وضع واقعي يتمثله تبعا للتأثير المتبادل بينهما . علم لا يكون له ككل الناس دور ومكانة تواليا وباستمرار .

لكن اصل الفكرة معلوم : دراسة الظواهر الاجتماعية كما تدرس الاشياء ومن الخارج . مما افضى الى مطالبة العالم الاجتماعي بموقف الفيزيائي . وهي مطالبة وضعية وهمية . ذلك ان المسافة التي تفصل العالمين عن موضوعيهما ليست من طبيعة واحدة . فعلى عكس الفيزيائي يصعب الى حد الاستحالة على العالم الاجتماعي التمييز بين الشيء الواقعي اى ما يعرض على الادراك والشيء المبنى بالدراسة وخلالها . واذا كان للادراك عوامل ذاتية مفروغ منها فان ما يبنى اعتمادا عليه مجبور على التغير ، فى حين يبقى الفيزيائي على حاله مستقلا بذاته ، بل ان دارسه لا يبنيه بل لا يدركه بالمعنى البسيكولوجي للكلمة .

ان الفرق واضح بين من يحلل معدنا تحليلا لا يخضع - مهما كانت فلسفة الحياة - الا الى قوانين علمية داخلية وبين من يحلل ظاهرة اجتماعية هو اولا جزء منها ، ثم هو لا يباشرها مجردا من مكتسباته النفسية والذهنية ومن وعيه الممكن اى من نزعة التوق الى حل مشاكله فردية كانت أم جماعية . معنى هذا انه يتناولها رجوعا

الى جملة من الرموز والاصطلاحات حدد مضمونها الانتماء الى وضعية معينة ابرز اشكالها الوجود الطبقي . كما ان الثقافة فى حد ذاتها ككسب امتيازى كافية لتشخيص هذا الوجود . بل لقد يمكن القول بان رفض المثقفين ايدولوجيا للعرقية الطبقيّة *ethnocentrisme de classe* ومنهجيا للموضوعية قد لا يكون غير تغطية محكمة أو مغرية لعريقتهم الثقافية او المهنية كمجموعة - مرجع ، وبالتالي ذات سلطة . وليسمح بالاشارة العابرة فى هذا الخصوص الى غرابة الترسية البنوية التي يمكن الحصول عليها اعتمادا على مشتقات كلمة الثقافة كما تثبتتها القواميس العربية : هناك رسم مرتبى قاعدته الذكاء او اللامساواة الطبيعية وقيّمته الغلبة او السيطرة او كما تقول القواميس: الاصابة فى الفترة .

لهذا يمكن التساؤل : اذا كان مستحيلا على العالم الاجتماعي ان يتجرد من مسبقاته المفهومية التي لا يعلى عليه موضوعه فحسب ، بل وأيضا منهجيته ، واذا كانت فكرة التخلص من القيم الايدولوجية ليست تبعا لذلك الا موقفا ايدولوجيا خاصا ، واذا كان الامر فرق بين موضوعية العلم وموضوعية العالم ، اذا كان هذا وذاك فكيف يعزل هذا التضارب الذى يجب فى اعتقادنا - ان يتفطن اليه الباحث فى العالم الثالث عموما وفى البلدان العربية خصوصا : طغيان فكرة التجرد الايدولوجي *désidéologisation* فى فترة يطغى فيها الصراع الايدولوجي فى العالم ؟

تلخيصا للاشارات السابقة وانطلاقا منها تبدو فكرة التجرد الايديولوجي ايديولوجية غربية ذات حدين على الاقل : انتقاد التحليل الاشتراكي وقواده ، ثم بل قبل ذلك واساسا المدافعة الضمنية عن نظام اجتماعي واقتصادي طبقي يجد فيه العالم الاجتماعي كغيره من العلماء مكانه بل مكانة في البيروقراطية الموجودة .

النقطة الاولى يطول الجدل في ملاساتها ويكفي الرجوع الى عوارضها الاولى عند ماكس فيبر وكارل منهايم بالنسبة للنقطة الثانية يلاحظ أولا ان الانتاج في البحوث العلمية والاجتماعية يخضع لقانون العرض والطلب . لكن من يعرض ويطلب في البلدان الرأسمالية ؟ هنا صلب القضية .

في عام 1969 خصص 130 مليارا من الفرنكات للبحث في الولايات المتحدة ، لكن على الوجه التالي : 50٪ للدفاع و 25٪ للقضاء و 12٪ للذرة ، بحيث لا يصرف في دراسة كل ما تبقى من جوانب الحياة البشرية الا 13٪ . صاحب الطلب هنا الايديولوجيا الحاكمة ، واذا فالاشارة الى صلة البحث بالسياسة الامريكية داخلا وخارجا اشارة ميتذلة .

كذلك الامر اذا كان صاحب الطلب مؤسسة من المؤسسات او منشأة صناعية او تجارية خاصة . لا مجال هنا للتعميم ، ولكن من المعلوم ان المستقلين من الباحثين في البلدان الرأسمالية قلة بالنسبة للبيروقراطيين العاملين لفائدة القطاع الخاص . بل هم يعانون كبتا ماتاه أن لا تحظى

نتائجهم بالتطبيق لانها لا تلبي طلبا . ولقد ذكر ميرتون MERTON الذي اهتم بهذا الموضوع مثال الميز العنصري في مركز صناعي بشمال الولايات المتحدة الذي اكتشف فيه تدهور نفسي عند العمال السود وانخفاض في مستوى الانتاج يعزى ظاهرا الى الميز العنصري . « كان المشكل بالنسبة للباحث البيروقراطي معروفا كما يلي : كيف يمكننا ارجاع الميز العنصري مطلقا أو مستطلقا عند العامل الاسود ؟ ثم ينبه هذا الباحث (البيروقراطي) الى أن أنواعا من الدعاية يمكنها رفع معنويات السود دون أن تقضى على الميز . فهو يقحم نفسه اذا داخل سياسة سابقة يدعمها . « هذا النوع من الموقف سمح لكثير من الناظرين في علم الاجتماع الصناعي الامريكي باعتبار مشروع الاندماج او التلازم موضوعا أساسيا فيه . فكرة الدفاع الضمني عن نظام يستغله مالك العمل ومالك الثقافة لا يحتاج هنا الى الاثبات .

هذا ما ينطبق أخيرا على النقد الاجتماعي نفسه . ذلك ان النقد الموجه الى المجتمع لا مناص له من الرجوع الى نوع ايديولوجي خاص او في طريق التبلور وبالتالي الى قيم يطالب بها المجتمع نفسه ، وهو ما يمكن اكتشافه أيضا وراء دراسات هاجمت في أمريكا مثلا جوانب معينة من النظام الرأسمالي الاستهلاكي كما فعل ميلس MILLS وفانس باكار FACARD وغيرهما . وعلى كل فالمقصود من هذه الاستشهادات المقتضبة لا تتجاوز ضرب المثل على

الذي هو حكم الايديولوجيا والعامل الذاتي الذي هو ادراك العالم لهذه الايديولوجيا على أنها من ثمار ابحاثه جناها اختيارا وبمحض ارادته .
لنترك هذه النقطة للتأمل وليكن تلخيص العلاقة ان علم الاجتماع لا يتأثر حتما بالايديولوجيا فحسب ، بل يصبح نفسه ايديولوجيا او وسيلة من وسائل الصراع الايديولوجي .

يمكن بعد هذا وعلى ضوءه التفكير في كمونيات هذا العلم في البلدان النامية بما فيها البلدان العربية . ولعله من الحشو التنبيه الى ثغرات ستبدو في محاولة تمر على تباين الاوضاع وتضاربها سعيًا في تأليف مجبر بالتالي عن التناول .

السؤال اذا هو التالي : المناداة بالتجرد الايديولوجي كانت ولا تزال باسم الموضوعية والمنهجية ، لكن أية موضوعية وأية منهجية ؟ . وفي خصوص المنهجية - وهي من العقد العصبية - كلنا يعلم ان ما يؤخذ عن الغرب كان وسيلة اختارها هذا الغرب لتحليل ذاته أي كان عرضا تاريخيا لحلول تناسب مشاكله الخاصة . فهي حلول مكيّفة تفضي استعارتها على رمتها الى جملة من المفاهيم المرتبطة بتطور يختلف بناء عن تطور المستعير بل ان تطبيق بعض الوسائل في البحوث الميدانية نفسها قد يؤدي الى نتائج لا تمت الى الواقع بصلة . ذلك ان الاستمارة السوسيولوجية او الزائر (أو التناست) البسيكولوجي قد تحوي مفاهيم لا ترجع الى معنيات مضبوطة في دنيا الشخص المدروس .

التوازي بين النزعات الايديولوجية واتجاهات البحث في بلد أراد أن يرث قورث فعلا عن دور كهائم وماكس فيبر خاصة ما يسمى بالتجرد الموضوعي . وهو تواز يمكن التعميم وربط بين ذاتية الموضوعية وموضوعية الذاتية .

ولنتفتح في خصوص هذا التعميم قوسين يحصران وضعًا غريبًا في بلداننا العربية : المجتمع العربي اجمالًا مجتمع أدبي الى حد الآن . ولستنا ندري ما اذا كان في هذا اثبات للرأي القائل بأن الشعوب المضطهدة لا تجد من التعبير عن حالها غير الادب . على كل ومهما يكن من أمر فان الادب هو الذي أثار جوانب هامشية تسبب ما نتحدث عنه : مشكلة الشكل والمضمون وصلة العبارة بالمجتمع وفكرة الالتزام والفصل بين الذاتية والموضوعية ، الى غير ذلك . . . ولنتذكر مثلا من جملة المعارك ما كان بعد الثورة المصرية حوالى عام 1954 بين طه حسين أو العقاد ومحمود العالم أو عبد العظيم أنيس وأنصارهم . وهي غالبا معارك لا يواجه فيها الادب غير الادب . بل ان كثيرا من مواضيع الطلائعية اليوم - وهي من اهتمامات علم الاجتماع الحديث في بلدان اخرى - لا يزال يرد عنها ولا تقول يحللها ادباء لا تربطهم بالمنهجية العلمية اية رابطة . وهم طبعا ادباء يمثلون اعراضا ايديولوجية قلما تم الشعور لهم بها .

ان ما يدعو نهاية الامر الى تحليل ابيسيتمولوجي هو هذا التداخل الغريب واللاواعي غالبا بين ما سمي العامل الموضوعي

الذهاب أبعد من ذلك : يجب الاعتراف بأن من الحقائق أو بعبارة أوضح بأن من البحوث عن الحقيقة ما قد لا تكون تدليلاته ونتائجه إلا عملا سلبيا ، ولنقل رجعيا - ولم لا ؟

في المستوى البشرى ، أما ما يزعم أنه الحياد في البحث فمعه أيضا ما ليس إنسانيا ولو سلمت طويته . المثل يضرب يوميا : جدل هزلي الدراما وبيزنطة مهددة !

العالم الثالث وفي مقدمته البلدان العربية مهدد باستعمار جديد يتسرب اليه في كل مستوياته من شعاب دقيقة وفي أشكال غريبة . هذا يقطع النظر عما يستمر من استعمار صريح في بعض أراضيه . في هذا المستوى العلائقي قد لا يكون الموضوع كموضوع إلا بعدا ثقافيا من أبعاد هذا الاستعمار الجديد ، وقد كان كذلك فعلا فيما مضى . على أن في الرأي الغربي نزعة قوية ظاهرة إلى استنتاج تفوقه استنادا إلى سيطرة مواضيعه على البلدان النامية . وإذا كان مشكل اللغة مبسوطا فذلك لأنها هي أيضا موضوع وليست مجرد شكل حيادي كما كان يظن . دل على ذلك مثلا موقف فرنسا اللغوي من دخول بريطانيا في السوق الأوروبية المشتركة . ثم أنه لغني عن الذكر هنا أن البحوث الخاصة بالبلدان النامية هي نفسها جلها بين أيدي أهل الاختصاص الأجانب يقومون بها أو يشرفون عليها . فالدراسات حول المغرب العربي مثلا لا يزال أكثرها - رغم تزايد الباحثين إجمالا في البلدان الثلاثة ورغم رغبتهم الواعية في التعويض - لا

أن المنهجية المطبقة في البلدان النامية لم تكتشف ولم تطور تلبية لحاجيات هذه البلدان ، وهو شيء طبيعي منطقي . بل العكس هو الصحيح وتاريخ الاتنوغرافيا شاهد على ذلك . بل يشهد عليه اليوم فشل الكثيرين من أهل الاختصاص الأجانب كلما تناولوا ولو ثوريا وبعزم سليم مشاكل غيرهم بأساليب غريبة .

باختصار ، أن المنهجية المستعارة لا تبعدها عما نريد تحليله من واقعنا فحسب ، بل أنها تقوى الشعور « بالعقدة » أمام منهجية - معيار تتطور في الغرب تطورا غريبا . إذ معلوم أن سرعة الحلق وسرعة الإخذ لا تتعادلان . هذا دون اعتبار لوقت تتطلبه الملاءمة لو كانت موجودة . هذه المسافة المتزايدة دوما تبدو في موقف السمسرة بقواعد دوركهيلم أو في العيش بها وعليها ، في حين أن آفاقا منهجية أخرى ظهرت واتسعت تتشعب فيها الآراء والمناقشات وتتعدد النتائج متكاملة لفائدة الفكر العلمي . وهي نتائج إذا استوردت يوما وقد ولي زمانها فسوف تكون جوابا عن سؤال غير مطروح .

أما في خصوص الموضوعية فالمشكل أن هذه الموضوعية كما اتضح سابقا تعني أولا اختيار موضوع وثانيا ما يزعم أنه الحياد . إلا أن الأهم من ذلك - وهنا نتناول الجانب الإيجابي أو التقدمي أو الموضوعي الفعلي للأيديولوجيا - أن من المواضيع المدروسة في بلداننا ما يذهب جفاء لا ينفع الناس ، أو هو - وهو أدهى - لا ينفع غير قلة أصحابه بمن فيهم الباحث . بل لقد يمكن

المشرئية الى التقدم والتي لا تعاكس التاريخ .
وهي التي وظيفتها على الصعيد العالمي - تأكيد
الشخصية القومية كتركيب تاريخي امام عمليات
المسح او المسخ الخارجى وتوطيد مشيئتها - تحليلا
لا هتافا طبعا - نحو الثبات الحيوى وسط
مجموعة يدعو اليها منطق التقدم والتآزر
المحتمل : عالم ثالث ، وطن عربى ، مغرب عربى ،
الى غير ذلك .

على هذا الاساس تعطى الاولوية بحثا وتعلما
الى مواضيع تباشر التغير الاجتماعى او
الديناميكية وهي الموضوع الفعلى لعلم الاجتماع
لا الى مواضيع تكون نتائجها « الموضوعية » اثبات
السكونية وما وراء ذلك من نزعة المحافظة على ما
هو موجود . على هذا الاساس تعطى الاولوية
للمنوع وللوعى الممكن (او ما يسميه الفرنسيون
connaissance possible :

وهو من واقع المجتمع لا الى مواضيع تصبح الثقافة
فيها فلكلورا ينشر لفائدة السائح واغرابيته .
على هذا الاساس تكون المواضيع مرسومة داخل
كلية ذات حاصلة تقدمية لا متشعبة او مشتتة
باسم الموضوعية والدقة : قبائل ، لهجات وغير
ذلك دون ان تبدو التناقضات كقوة محركة فى
التغير الاجتماعى ، مما يبقى او يسقط العالم
الاجتماعى فى انعكاس الدراسات الاتنوغرافية
عقما وارثا . على هذا الاساس ايضا تعطى
الاولوية لتحرر الشعوب ولتحليل الاستعمار
الجديد وهو موضوع سيكون اختصاصا فى
مستقبل العالم الثالث ولا شئ .

يزال من انتاج المؤسسات الفرنسية عملا
وتوجيها . ويبدو ان عدد الباحثين الانقلو -
سكسونيين قد تفاقم فجأة بعد استقلال المغرب
العربى خاصة فى المغرب الاقصى وتونس .

ان الفخ المنسوب اذا - فى المستوى النظرى -
يغطيه منطق الربط بين الموضوعية والموضوع
ربطاً تعمى فيه نسبة الاختيار . بحيث يكون
الحل الوهمى هو التالى : اكتساب الموضوعية عن
طريق الموضوع الذى ثبتت فيه . هذا ما يفسر
المسايرة الرائجة لكتب سوسيولوجية غربية
فصلا فصلا او فكرة فكرة فى تدريسنا الجامعى
مثلا . وهو بالتالى ما يفسر المسافة المهولة بين
طالب فى علم الاجتماع والمجتمع الذى كان من
أؤكد حقوقه معرفته . ثم من منا لم يعيش تجربة
غربية شاء التاريخ ان نتعرف فيها فى مجتمعاتنا
عن الغرب وفى الغرب عن مجتمعاتنا . وهى
تجربة لم يجابه فيها المستشرق مستقبلا بل
رافق متغربا .

واذا فباى موضوع وباية منهجية نهتم ؟ على
الاصح : أية موضوعية نختار ؟ واضح هنا ان
عبارة الاختيار مقصودة بعد ان ذكرت صلتها
بالايديولوجيا . فهى لا تعنى رفضا شاملا يبطله
تكامل الثقافات ولا انطواء دوغماتيكي قد يؤول
الى عمل هاتف لا هادف . انها تعنى الاولوية .
اولوية تحددها ايديولوجيا موضوعية . هذه
الايديولوجية الموضوعية واحدة لا غير : تلك التى
وظيفتها الاجتماعية خدمة ما يجب ان تعنيه فعلا
عبارة المصلحة العامة ، أى مصلحة المجموعات

أولى من ذلك واؤكد بكثير: مشاكل حياة او موت . نفس الحية تقريبا بين من ينقل نظريات تجاوزها أهلها وبين من لا يفهم واقعها الا انطلاقا منه ورجوعا اليه . المسألة اذا مسألة اولية اكسب الحق في تحديدها تحرر الشعوب . لذلك لا بد هنا من احتراز : قد يؤول امر البحث الى خطية مبتذلة لا خلق فيها ولا تجديد كما ان التركيز على المباشر قد يؤدي الى عقم الفكر النظري او كبته في حين ان المرحلة النظرية هي التي تمكن من بلورة المفاهيم وضبطها انطلاقا من خصوصية التجربة ، وهي بالتالي هي التي تصوغ صياغة تأليفية ما نترقبه من نوعية الاستقلالية في البحث .

وختاما لا شك ان فيما سبق شيئا من التبسيط ومرا على كثير من الملاحظات الموضوعية هي ايضا . من ذلك اساسا حرية الباحث موضوعا ومنهجيا حسب امكانيته داخل الاطار التقدمي العام . هذا طبعا اذا وجد هذا الاطار العام . اما اذا لم يوجد - كما هو واقع - او حال وجوده دون ظهور التحليل النقدي كما هو واقع ايضا ، فأما ان يساهم الباحث باسم العلم في افساد وضع فاسد ، واما ان يضمر البحث ويختنق بالتركيز في براغماتيكية سطحية ضيقة ، وهو ايضا نوع من الافلاس : التأليف التكامل هنا جد عسير بين حتمية الايديولوجيا الموضوعية وحرية الباحث ، ولكنه مرحلة حاسمة الاساسية . لهذا تساءلنا ما اذا كان علم الاجتماع ممكنا في البلدان العربية . وهو تساؤل

طبعا لا مجال هنا لعرض القائمة الكامنة ولا مجال لذكر المراجعات الضرورية التي يجب ان عليها التأمل في علاقة المعرفة بالواقع الحي . وهو تأمل مستعجل الضرورة كما تنبعت الى ذلك بعض النداءات الفردية وقلة من مشاريع السياسة الثقافية في المغرب العربي مثلا . ففي تونس - وهي نسبيا ذات عملة سوسيولوجية - خطب الباحث الرسمي باسم الشخصية القومية وانتقد التعليم باسم التونسية . وفي الجزائر يكفي الرجوع الى المشروع الثوري الرامي - كما ينص الاصلاح - الى ان « تجد الجامعة نفسها في شعبها وان يجد الشعب نفسه في جامعته » ، الى « ارضاخ المواد الموجهة او الملوثة بايديولوجيا استعمارية » كالتاريخ والانتوغرافيا والانتولوجيا الى صيرورة الانتعاق من الاستعمار » . لا شك ان عراقيل هذه المشاريع متعددة الطبيعة والدرجة ، لكن لها مساس بالسياق : فقد يفرض اتصال « الموضوعية » بموضوع مستعار غير واف بأغراض التقدم الى محو شخصية الباحث نفسه او الى نوع من « التموضع » .

لقد شاء رسام فرنسي ان يعلق على رحلة لآنديرا غاندى في أوروبا فرسمها أمام طفل عار جائع يطلبها قوتا فتفتح له حقيبة ملئت شعارات: تفهم ، رحمة ، سند معنوي وما شابه ذلك . . . نفس الحية تقريبا - مع اضافة العمد طبعا - بين من يعطى الاولوية الى الوظيفية او الى البنيوية التقليدية (وليس في هذا رفض لما يجب نقد معرفته ومعرفة نقده) وبين من يرجو حلا لمشاكل

بايديولوجيا موضوعية ذات وظيفة اجتماعية
تقدمية (لا شك يفضى الى خلق فعلى فى هذا
الميدان وبالتالي الى اثراء المعرفة فى العالم .

ثم لعله - ومن يدري ؟ - قد يخلق فى الوطن
العربى علم اجتماع متميز الموضوع والمنهجية ،
وبالتالى متميز الايديولوجيا .

هذه - فى اعتقادنا - امكانية علم يعتبر
الامكان من ابعاد موضوعه الجذرية ، علم يساير
التاريخ ولا يريد ان يشنق يوما !!

اقرب الى الغيرة منه الى شىء آخر . تساؤل يريد
فيه تشاؤمه المتفائل ان يراهن على المستقبل .

من ذلك ايضا مشكلة الكفاءة او التجربة على
الاصح ، اذ معلوم ان استقلال البلدان النامية
لم يعن كسبا تلقائيا لهذه التجربة . لكن - ودون
تبذير فى العبارة - قد لا يكون هذا الحرمان فى
ميدان البحث الا حظا فريدا فى توجيه مستقبل
فريد . ذلك ان المنحنى العام الذى سبقت محاولة
رسمه (وهو ارتباط علم يخال حياديا
بالايديولوجيا ، ربطا لا حل له غير الربط





... حل ينزل المطر الآن ؟

قتلوهم لكي ينزل المطر !

حكومة جنوب أفريقيا العنصرية ، نشرت هذه الصور ، ووزعتها بواسطة طائرات الهليكوبتر على سكان جنوب أفريقيا الاصليين ، مع التعليق التالي : « لقد قتل هؤلاء الرجال ، لانهم ساعدوا الارهابيين ... وبعضكم يفعلون الشيء نفسه ! ان ارواح موتى قبيلتكم ، تقول لكم انها غاضبة عليكم لهذا السبب . وبسبب هذا الغضب لم تمطر السماء .. وستصاب محاصيلتكم باليباس والقحط ، وستكون هناك مجاعة كبيرة .

« الحكومة هي التي يمكنها مساعدتكم ، اذا ساعدتموها بالقبض على المخرين والارهابيين ، واخبرتموها عنهم » .
ومن المعروف ان وطني جنوب افريقيا ، قد بدأوا اخيرا القيام بحملة مركزة من الكفاح المسلح ، ضد الحكومة العنصرية . هذا عدا الاضرابات العمالية في المناجم .. وهي اضرابات لا تجابهها السلطة الا باراقة الدماء .

البحاث في الدراسات الاجتماعية

يبدو ان العلوم الاجتماعية عامة وفي صدارتها
علم الاجتماع تمر بأزمة ، ويمكن القول بان لهذه
الازمة وجهين : أزمة نمو على صعيد البلاد الفنية،
وأزمة نشوء على صعيد البلاد الفقيرة او المتخلفة ،
وهي أزمة ذات صبغة منهجية قائمة في التفسير
وناشئة عن عدم وجود نظرية واضحة في
الانسان .

د. عمار طالع

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

اتجاهات في منهج البحث في الدراسات الاجتماعية

يبدو أن العلوم الاجتماعية عامة وفي صدارتها علم الاجتماع تمر بأزمة ، ويمكن القول بأن لهذه الأزمة وجهين : أزمة نمو على صعيد البلاد الغنية، وأزمة نشوء على صعيد البلاد الفقيرة أو المتخلفة ، وهي أزمة ذات صبغة منهجية قائمة في التفسير وناشئة عن عدم وجود نظرية واضحة في الإنسان .

د. عمار طالع

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

في البلاد الاشتراكية ازاء التعليم الاجبارى لمادية
ديالكتيكية اصبحت دين الدولة الرسمي .
ومن معوقات البحث العلمى والتنمية عتدنا
الزعم بان النموذج الوحيد للحضارة هو النموذج
الغربي او الشرقي وصراع الايديولوجيات
الموجه من قبل الاستعمار فالابحاث الاجتماعية
التي اجراها الفرنسيون في بلاد المغرب عامة
تشير الى هذا ويمكن ان تصنف الى ثلاث
اتجاهات :

1 - علم الاجتماع الادبي ويمثله جاك بارك
الذي يحاول ان يجمع حوله اتباعا يسلكون
مسلكه ويكفي ان نصفه بأنه أدبي .

2 - علم الاجتماع السياسى الذى اتخذ اسم
الاثنوغرافيا تارة والانتولوجيا اخرى ويبدو ذلك
في أعمال Pierre Bordieu وهو اتجاه
فولكلورى مقصده سياسى يؤدى الى التمزيق
والابقاء على التخلف باسم العلم .

3 - واتجاه ثالث نسميه الاتجاه الديماغوجى
ويمثله جماعة منهم MAXIM RODINSON
واتباعه ممن يشوهون الحقائق عن طريق دعاية
ايديولوجية يغرون بها الشباب الذى يتعلم
عليهم . وما كتابه : الماركسية والعالم الاسلامى
وما كتاب احد اتباعه الايديولوجية العربية الا
دليل واضح على ذلك .

ان هؤلاء وغيرهم من الباحثين الفرنسيين
ينظرون الى مشاكلنا ومجتمعنا بنظارات ملونة
بلون حضارتهم ويحاولون ان يكونوا لنا باحثين

التعاونيات مثلا يتضمن رفع مستوى ثقافة العمال
لا في معارفهم الفنية فحسب ، ولكن في شعورهم
بالمسؤولية نحو المستقبل والثقة فى امكانية
تغيير الانسان لعالمه بوسائله الخاصة .

وقد استطاعت الصين ان تبرهن على امكانية
ايجاد بديل آخر لنموذج الحضارة الغربية
والسوفياتية فبدلا من حمى التنافس وزيادة
الدخل اوجدت مدنا دون بنوك ولا مخدرات ولا
كحول ولا سيارات خاصة ولا اعلانات اشهارية ،
وتوقفت شانغهاى عن ان تكون مركز اعلاميا
للقيون ووصلت الى نجاح علمى به العالم بالرغم
من انها قطعت الاعانة الفنية وغيرها اكثر من
عشر سنوات سواء من قبل الرأسمالية او
الاتحاد السوفياتى ، وغيرت طريقة التربية
ووجهت جميع الطلاب المتخرجين من الثانويات
دون استثناء لا الى الجامعة مباشرة وانما الى العمل
فى المصانع ، وفى الريف لمدة ثلاث سنوات على
الاقل . والذين ابدوا نجاحا فى اعمالهم وسلوكهم
هم الذين يفتح لهم باب التعليم العالى (1) هذه
ظاهرة تشير الى امكانية فتح طريق جديد وتغيير
أهداف ثقافة ما ، ووسائلها ورؤية سبيل آخر
لمشروع حضارة جديدة وقد فشلت عدة مناهج فى
نطاق استمرار حضارة فى الحضور على رضا
الباحثين وحتى المنهج الديالكتيكي توقف عن أن
يكون منهجا ، وأصبح ايديولوجية تبرير واحتجاج
ودفاع حيث اعتبرت - كما يقول Garaudy

التاريخ حالة خاصة من حالات الديالكتيكية
الطبيعية ، وهذا يشير اليه موقف الشباب القلق

وإذا كان البحث العلمي والتقني من شروط الثروة والقوة فانهما ليسا غاية في ذاتهما، ويبدو أن الاتجاه أصبح يشير بشعور أو بغير شعور * إلى أن تنمية الانتاج غاية في ذاتها ، وابتعدت عن أن تكون تنمية للإنسان فهي تنمية علمية تقنية انتاجية * وما الإنسان إلا أداة لها لا غاية والدليل على ذلك أننا نصنف الأمم على أساس العائد القومي الخام بحسب كل فرد من أفراد السكان *

ومن جهة أخرى فهناك مسئلة تكمن وراء هذه الاختبارات والتجارب والاستبيانات في المصانع وغيرها ألا وهي أن الإنسان أداة للانتاج * وإذا كان المنهج التجريبي أو الامبريكي صالحا لحل مشاكل عارضة للأمم المتحضرة التي ركبت جهاز حضارتها من الاشخاص والافكار والاشياء وانطلق محرك هذا الجهاز الذي قد تعترضه عوارض فيحتاج إلى اصلاح فهل يمكن للأمم المتخلفة أن تقلع أو تنطلق على أساس هذه البحوث الميدانية الجزئية التي تعالج خلا جزئيا هنا وهناك ؟

اننا نعتقد أن التخلف الذي تراكم علينا منذ قرون وانقلنا حمله لا يتزحزح بمجرد اجراء اختبارات أو بحوث ميدانية جزئية تساعد على إزالة نقص هنا وهناك * ان التخلص من التخلف يكون بفعل تغيير شامل وهو ما نسميه بالثورة . وليست الثورة علما فقط أو فلسفة أو ايديولوجية ، انها كيفية لحركة تاريخية ، حركة

الإنسان في التاريخ أو حركة المجتمع مبدؤها الإيمان بإمكانية التغيير ، وبارادة التغيير ، والشعور بالمسؤولية عن هذا التغيير وبالإضافة إلى ذلك فإن العالم الثالث أو المجتمعات المختلفة قللت الغرب وتقلده في انشاء الجامعات وفي طرق البحث كأنه لا يوجد إلا نموذج واحد ينبغي أن يتبع ، وكأنه ليس في الامكان فتح أفق جديد يتلاءم مع اوضاعه واهدافه ومستوى وجوده الحضارى ، إذ أن هذه المناهج الغربية كلها قائمة على أسس فلسفية نظرية ، أما فلسفة تجريبية أو دياكتيكية أو فلسفة ظواهرية أو غيرها من الركائز الخلفية . وهذه الفلسفات نشأت في ظروف اجتماعية وحضارية معينة ومن ثم فإن هذه المناهج تؤدي وتطبق في نطاق حضارة ، ولكن نحن على أهبة الدخول إلى مرحلة الحضارة بعد أن خرجنا عن نطاقها قرونا * ان المناهج التجريبية الحالية مناهج تعالج مسائل جزئية في نطاق كل ، ولكن مشكلتنا كلية في حاجة إلى علاج كلي وإلى منطق كلي ، فهناك مناهج استمرار حضارة وجدت ، وهناك منهج مشروع حضارة ، وفرق بينهما . ان البلاد المتخلفة تصع بحوار البؤس العام والفقر ترفا غربيا لجماعة قليلة ناشزة وتعالج المشكلات علاجا ترقيعيا لما لا يقبل الترقيع لا تساع الرقعة على الراقع . فان الامر يتطلب اختيارا اجتماعيا أساسيا يختلف في غاياته ووسائله عن النمط الغربي أو الشرقي ان نظام

(1) Giraudy, P. Alternative, Robert Laffont, 1972, P. 132

تخلصنا من التبعية فذلك نجاح وبداية فى الطريق الموصل . ويمكن تلخيص هذا المنهج الذى جاء به الاستاذ مالك وطبقه فى دراساته وحلقاته الاسبوعية مع الطلاب فى ان كل مجتمع تاريخى معاصر او مندثر يحتل مركزا محددًا على محور يمثل جميع مراحل التطور وهى ثلاثة :

- 1 - مرحلة المجتمع قبل التحضر
- 2 - مرحلة المجتمع المتحضر
- 3 - مرحلة المجتمع عند التحضر (I) .

وجرت العادة عند المؤرخين ان يميزوا بين المرحلة الاولى والثانية ولكنهم لم يميزوا بينهما وبين المرحلة الثالثة وهى مرحلة ما بعد التحضر لان المجتمع ما بعد الحضارة ليس مجتمعًا يواصل سيره فى طريق حضارته وانما هو مجتمع ينتكس فى خط سيره ويتجه الى الحلف بعد ان انحرف عن طريق حضارته وانقطعت صلته بها . وفى كل مرحلة من هذه المراحل هناك علاقات متبادلة جدلية بين عناصر ثلاثة هى عالم الاشخاص وعالم الافكار وعالم الاشياء . فنشاط المجتمع وحركته تتداخل فيها هذه العناصر . وخصائص هذه الحركة تكون تابعة للعلاقات الداخلية التى تقوم بين عناصرها فى عالم الثقافة، وكل طور من اطوار المجتمع تواكبه علاقة معينة بين الاشياء والاشخاص والافكار فى كيان تلك

يلبسونهم هذه النظارات ليروا بها رؤية تحجبهم عن الحقيقة الواقعة بحيث لا يرون بأعينهم وانما بأعين مستعارة ، اذ ان هؤلاء الباحثين لا يرون الا مصالحهم . ان الاثنولوجيا لا تنفعنا وان عبرت عن حقائق واقعة .

ومن ثم وجب التفكير فى وضع علم اجتماع جديد ومنهج جديد يخضع لمنطقنا ولتاريخنا ولتجربتنا فاننا لا نصل الى الحقائق الاجتماعية عن طريق السوربون ولا عن طريق موسكو ، وليس من شأن التقليد ان يضىء طريقنا الحضارى بنورهما .

وأود ان أشير الى منهج جديد فى دراسة الواقع الاجتماعى يمثل الاستاذ مالك بن نبي وترجع اصالة هذا المنهج الى كونه قابلاً للتطبيق على جميع اطوار الامم المتطورة والمتخلفة وهو منهج يمكننا من رؤية قضايانا من جذورها لا من سطوحها . ذلك ان رؤية القضايا رؤيتان .

- رؤية تجلّى بعض الحقائق وتخفى اخرى تبعا لمنطق مخطط وهى رؤية الاجنبى الى قضايانا ورؤية الخبراء والمتعاونين الاجانب .

- رؤية اصيلة يتولاها الانسان صاحب المصلحة مباشرة بعينه وخبرته ولمسه ، ويعبر عنها بلسانه ولا يرى عن طريقها بأعين الآخرين وخبرتهم . وهذه الرؤية ان لم تحقق الا كونها

(1) مالك بن نبي ، مشكلة الافكار فى العالم الاسلامى ، مكتبة عمار القاهرة 1971 ص 141

(2) ترجمة محمد عبد العظيم ، مكتبة عمار ، القاهرة 1391 - 1971

(3) ترجمة عبد الصبور شاهين دار العروبة القاهرة 1959

(4) ترجمة عبد الصبور شاهين دار العروبة القاهرة الجزء الاول 1962

المشكلة الجوهرية ، هي خلق واقع اجتماعي معين لم يوجد بعد فهي خلق لهذا الواقع اكثر منها مشكلة فهم ، وتفسير لواقع ، المشكلة هي منهج التحقيق كبرنامج تربوي . ويرى الاستاذ مالك ان المجتمع النامي لا يتميز بقلة الوسائل المادية (الاشياء) بقدر ما يتميز بقصور في الافكار ويتجلى هذا القصور خاصة في طريقة استخدامه بفاعلية او عدم فاعلية للوسائل المادية المتوفرة لديه مع عجزه عن ايجاد غيرها فالارض اليوم هي الطريقة المأمونة للاقلاع كما يقول المتخصصون في دراسة مشكلات العالم الثالث ولكن نرى اكثر الاراضي خصوبة (اندونيسيا والعراق) لم تمكن هذين البلدين من الاقلاع . وقد اتجهت الثورة الزراعية عندنا لاستخدام هذه الوسيلة لا للانتاج فقط ولكن لتغيير الوجه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي . وايجاد العلاقة الفعالة بين الانسان والارض اذ من المشكلات الاساسية في الوطن العربي مشكلة الارض ولحد الآن لم تستغل وهذا جدول يشير الى استغلال الارض في بعض البلاد العربية :

| البلاد | قابلة للزراعة % | مزرعة فعلا |
|----------|-----------------|------------|
| العراق | 20 | 3 |
| الاردن | 9 | 5 |
| لبنان | 60 | 44 |
| السعودية | 4 | 2 |
| سوريا | 20 | 8 |

لكن لا يتم ذلك الا بشروط نفسية واجتماعية يساعد على ايجادها عالم الاجتماع .

الحركة الامر الذي سماء جدلية العالم الثقافي بما في ذلك من جدلية الفكرة والشيء وصراع الفكرة والشخص . وهذا التركيب الديناميكي قد يحدث فيه اختلال يكون لصالح احد الطوائف فقد يطغى الشيء فيصبح المجتمع المحروم يستسلم لسيطرة عالم الاشياء بسبب ندرتها ويولد فيه مركب الحرمان فيميل الى التكديس في المجال الاقتصادي.

وفي البلد المتقدم درجة معينة من التقدم يسيطر الشيء بوفرته ويفرض نوعا من الاشباع يتولد عنه الميل الى الهروب والتمرد على سيطرة الاشياء ويتجه الى تغيير اطار حياته . ونحن الآن في مرحلة ما بعد التحضر وعلى ابوابه واجهتنا صعاب كثيرة واصبحت حركة مجتمعاتنا التاريخية تسير بعيدا عن حدود المقاييس الفعالة . وتتم في ظل الفوضى الفكرية وبضياع الوقت وتبديد الوسائل من جراء عدم تماسك الافكار وطغيان الاشياء او الاشخاص او اعتبار الافكار مجرد زينة او حلية يتحلى بها .

وطبق هذا المنهج في كتابه مشكلة الافكار في العالم الاسلامي (2) وفي كتابه مشكلة الثقافة (3) وكتاب ميلاد مجتمع (4) فمواجهة مشكلة الثقافة مثلا انما هي مواجهة تكون حسب درجة التطور في مجتمع ما ، وتبعاً لمرحلته التاريخية فالعالم العربي يختلف في موقفه من دراسة الثقافة عن العالم العربي يختلف في موقفه من دراسة الثقافة عن العالم الغربي والعالم الشيوعي . فهي تتصل لديها بفهم واقع اجتماعي معين موجود بالفعل في نطاق تاريخي معين وعندنا في الوطن العربي

طه حسين وقضايا اللغة العربية

لأننا أساساً عرب» .

ثم تحدث الدكتور طه حسين عن أعمال المجمع . ودور الجامعات بقوله : « المجمع اللغوي يتعب نفسه كثيراً بتعريف المصطلحات الحضارية والعلمية ، ثم لا ينفذ أي شيء مما تقوم به .. وحتى الآن ، في التعليم الثانوي ، يدرس التلاميذ بالعامية لم ؟ دار العلوم لها مائة سنة ، ماذا عملت باللغة العربية ؟ تخرج معلمين ينقلون الكلام الموجود في الكتب إلى تلاميذهم ، وكفى » . أما بالنسبة للجامعات « فالعراج العلمي لم تعرب فيها كلها » فلو تمت ترجمة أهم العراج العلمية من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، لكنت لغتنا هي سيادة الموقف الآن في الجامعة ، ولكن الحال غير ذلك .

وأنا أسأل : هل يحدث هذا الآن في باريس ؟ بمعنى هل يدرس في جامعات باريس بأي لغة أخرى غير اللغة الفرنسية ؟ .. والجواب طبعاً لا ! ..

يجب أن يكون هناك الزام بأن يكون التدريس باللغة العربية وحدها ، ولا يستثنى من هذا سوى الكليات التي تدرس اللغات الأجنبية » .

ثم يشير الدكتور طه حسين إلى أنه لا يوجد أي اتصال بين مجمع اللغة العربية في القاهرة ، ومجامع اللغة العربية الأخرى في العالم ، ويدعو إلى الاهتمام بإحياء التراث ونشره وتقديمه مع الدراسات اللازمة ..

أما عن دور المستشرقين فهو يرى : « أنه لا يهمهم الانتقال ما في اللغة العربية ، فكل جهودهم تتم لصالح لفهم أصلاً ، وليس لصالح اللغة العربية ! » .



البداية إلى أنه طالما لم تتحقق الوحدة السياسية في العالم العربي ، فلا أمل بتحقيق مجمع موحد للغة ! . ثم أضاف : « أننا نهتم باللغة العربية الفصحى فقط ، حيث أنها لغة واحدة ، أما اللهجات المختلفة ، والعامية فهي ليست لغة .. أن ما يكتب باللغة العامية لا يسمى أدباً نحن لا نعتزف باللغة العامية ، وليس ذلك بموجب قانون المجمع ، ولكن

على اثر اختتام الدورة التاسعة والثلاثين لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والتي حضرها أكثر من 150 مندوباً من مختلف الاقطار العربية . وأوردت مجلة « المصور » المصرية حديثاً هاماً للدكتور طه حسين الذي يرأس مجمع اللغة العربية . يستحق أن نتوقف عنده قليلاً . فقد أشار الدكتور طه حسين في



دراسة تاريخية

مدرسة بجاية الاندلسية وأثرها في إحياء العلوم بالمغرب الأوسط

إن بجاية اليوم هي ثغر هادئ من ثغور
الجزائر الشرقية ، ولكنها كانت منذ احقاب طويلة،
مهذا لحركة علمية جلية ، ازدهرت عصرا في هذه
المنطقة من المغرب الاوسط ، وليبت مدى قرن من
الزمان تنافس قرينتها تلمسان ، عاصمة المغرب
الاوسط العلمية ، وكانت هذه الحركة العلمية التي
اختصت بها بجاية تمتاز قبل كل شيء بانها امتداد
لحركة العلوم الاندلسية المجيدة ، التي نزحت اليها
في ظروف عصبية مؤلمة .

عبدالله عنان
- القاهرة -

شاطبة ودانية ولقنت وأوريوله وقرطاجنة ، ثم دخلوا مرسية صلحا بعد ذلك باريعة أعوام ، وبذلك تم استيلاؤهم على شرقي الاندلس .

وفي خلال هذه المحنة الغامرة ، غادر القواعد المفتوحة ، معظم سكانها المسلمين ، وهرعوا الى بقية القواعد بالاندلس الجنوبية ، وعبرت طوائف كبيرة منهم الى الضفة الاخرى من البحر ، الى مختلف الثغور الافريقية ، وفي مقدمتهم جمهرة كبيرة من العلماء والفقهاء والادباء .

وكانت الدولة الحفصية ، في الضفة الاخرى من البحر ، ترقب مصاير الاندلس بمنتهى الجزع ، وكانت تشعر بعد انهيار الشرق ، وسقوط قواعده على هذا النحو في ايدي النصارى ، بالرغم مما بذلته من مجهود يائس لاتجاد بلنسية ، ان عليها واجبا آخر ، نحو ذلك التراث الفكرى والحضارى الاندلسى المنهار . وكان الامير ابو زكريا الحفصى ورجال دولته يشعرون انهم بحماية هذا التراث العلمى المنهار - تراث الاندلس المجيدة - انما يعملون على صون التراث المشترك ، تراث العلوم الاسلامية ، وهو من تراث أمة عزيزة بلغت فى ميدان العلوم والاداب اعظم شأى ، فاذا كانت الظروف لم تمكن الدولة الحفصية ، من ان تقوم بانجاد بلنسية ، ورجالات الاندلس ، بطريقة ناجعة فقد كانت على الاقل تستطيع ان تفتح ذراعيها لاستقبال هذه الجمهرة الحاشدة من علماء الاندلس ، شرقها وغربها وان تسبغ عليهم رعايتها وحمايتها . وكان البلاط الحفصى ، وعلى رأسه الامير ابو زكريا يرى ان التجاء هؤلاء العلماء الاندلسيين الى مملكته انما هو تشريف لها ، واغناء لثروتها العلمية ، وسمعتها الأدبية فى افريقية والعالم الاسلامى ، وكان كأمير مستنير يرى ان

كان ذلك فى اوائل القرن السابع الهجرى . او الثالث عشر الميلادى . وكانت الاندلس قد اضطربت شتونها ، واخذ سلطان حكامها من الموحدين يتداعى وينهار تباعا فى القواعد والثغور الكبرى ، بسبب ما اصاب الخلافة الموحدية بالمغرب من التصدع والتمزق عقب هزيمة العقاب المشئومة فى سنة ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) وعجزها بذلك عن ان تمد الاندلس بالغوث والعون . واشتد ساعد اسبانيا النصرانية فى نفس الوقت ، واخذت تستولى تباعا على القواعد الاندلسية الكبرى - وبدا الانهيار فى شرقي الاندلس ، حينما دهم الملك خايمى ملك ارجوان بقواته ثغر بلنسية العظيم ، وضرب حوله الحصار فى رمضان سنة ٦٢٥ هـ (١٢٢٨ م) . وبعث الامير ابو جميل زيان بن مردنيش امير بلنسية بصريخه على يد كاتبه الفقيه الشاعر المؤرخ ، ابن الابار القضاعى ، الى الامير ابى زكريا الحفصى عاھل افريقية ، والقى ابن الابار بين يديه قصيدته السينية الرائعة الشهيرة التى مطلعها .

أدرك بخيلك خيل الله اندلسا

ان السبيل الى منجاتها درسا

فاستجاب الامير ابو زكريا الى الصريخ ، وبعث عدة من السفن المشحونة بالعتاد والاموال انجادا للمدينة المحصورة ، ولكنها لم تستطع اختراق الحصار . واضطر البلنسيون آخر الامر الى التسليم ، وسقطت بذلك بلنسية فى ايدي الارجونيين ، فى اليوم السابع والعشرين من صفر سنة ٦٢٦ هـ ، الموافق لليوم التاسع من اكتوبر سنة ١٢٢٨ ، وانهارت بذلك سائر خطط الدفاع عن شرقي الاندلس ، واستولى الارجونيون تباعا على

الابار القضاءي ، وابن عميره المخزومي ، وابن عبد الله بن محمد المعروف بابن الجنان * وقد وفد اولهم وهو ابن الابار ، وهو الفقيه المورخ والشاعر الكبير على تونس عقب سقوط بلنسية في ايدي النصارى ، ونزل بتونس في كنف عاهلها الامير ابي زكريا ، واخذ يتردد بين بجاية وتونس ولما توفي الامير ابو زكريا ، لقي نفس الرعاية من ولده المستنصر ، وقد استدعاه المستنصر من بجاية الى تونس ، وضمه الى بطانته العلمية ، ولكن فريقا من خصومه دسوا في حقه الى المستنصر ، فاشتد غضبه عليه ، وامر بجلده ثم قتله * وقع مصرع ابن الابار المؤسى على هذا النحو في المحرم سنة ٦٥٨ هـ (يناير ١٢٦٠) وكانت هذه سقطة مؤسفة للمستنصر اسبغت سحبا على خلاله .

وثاني اولئك العلماء النازحين الاعلام ، هو ابو المطرف بن عميرة المخزومي ، وهو الكاتب والشاعر البليغ المبدع ، وكان بعد أن سقطت بلنسية ، قد عبر البحر الى العدو والتحق بخدمة الخليفة الموحدى ، وتولى القضاء في عدة جهات ثم غادر مراكش وسار الى افريقية ، وقصد الى بجاية محط العلماء الوافدين ، وسكن بها حينما ثم رحل الى تونس ، وحظي لدى عاهلها المستنصر فولاد القضاء * وكان مثل زميله ابن الابار يمثل كلاهما بشعره ونثره ، نفثة من نفثات الاندلس المحتضرة ، ويودع كلاهما رسائله انفس نماذج ، من تراثها الادبي الاخير ، وتوفى ابن عميرة عن

هذه الرعاية ، تضافى على شخصه بهاء ولعانا . وعلى سمعته سناء ونخرا ، هذا فضلا عما كان يخالجه من شعور ، بان لهؤلاء النازحين عن ديارهم ، حق اللجوء والعول ، في اقرب بلد شقيق يتطلعون الى رعايته وحمايته *

ومن ثم كانت تلك الحركة العلمية والادبية الجياشة التي قامت بافريقية ، في ظل هذه الرعاية ، وعلى يد اولئك العلماء النازحين ، ومنهم جمهرة كبيرة من اساطين الفقه والحديث والادب واللغة ، واستمرت آثار هذه الحركة طوال القرن السابع الهجري * وكانت مدينة بجاية بالأخص ، منزلا مفضلا لكثير من العلماء النازحين ، وقد اقاموا بها مدرسة علمية زاهرة ، واستمرت عصرا ، وبرز فيها كثير من علماء العصر ، ويرجع ذلك اولا الى موقع بجاية الجغرافي ، وقربها من معظم تغور الشرق الاندلسي ، وثانيا لانها كانت بعد العاصمة تونس عن اهم مراكز التجمع العلمى ، وثالثا لانها كانت منذ البداية مقصد جمهرة من زعماء العلماء النازحين ، فكانوا هم قدوة في تفضيلها والنزول بها (١) *

وانه لمن الصعب ان نحيط بذكر العلماء الاندلسيين ، الذين وفدوا بعد الانهيار ، وسقطت قواعد الشرق ، على افريقية ، سواء منهم من نزل بجاية أو تونس * بيد اننا نذكر أنه كان في مقدمة اولئك العلماء ثلاثة من اعظم والمع كتاب الشرق الاندلسي ، وهم ابو عبد الله محمد بن

(١) واود ان اضيف هنا بعد ان قمت بزيارة بجاية في اواخر اغسطس الماضي اثناء شهودى بالجزائر للمؤتمر السادس للتعرف على الفكر الاسلامي وهي الزيارة التي تفضل السيد الوزير الهمام مولود قاسم مشكورا بتيسيرها لي - اذا ما شهدته من جمال موقع بجاية على البحر ، ومن مناظرها الطبيعية الساحرة وهوائها العليل المنعش ، كانت بلا ريب من اسباب اجداب العلماء الاندلسيين النازحين الى النزول بها .

سن عالية في رمضان سنة ٦٥٨ هـ *

وثالثهم هو أبو عبد الله بن محمد الانصاري المعروف بابن الجنان ، وهو أهل مرسية ، وكان محدثا راوية وكاتبا بليغا ، وشاعرا محسنا ، ولما استولى النصارى على مرسية غادرها ، ونزح الى افريقية ، ونزل ببجاية وعاش الى ان توفي سنة ٦٥٠ هـ *

ولحق ببجاية في نفس الوقت رهط آخر من العلماء النازحين ، نذكر منهم أبو عثمان بن سعيد بن زاهر الانصاري البليسي ، وكان اماما في القراءات والعربية وتوفي سنة ٦٥٤ هـ . وأبو بكر محمد بن أحمد بن سليمان الزهري المعروف بابن محرز ، وهو أيضا من أهل بلنسية ، وكان اماما في الحديث والفقه والأدب واللغة ، وله شعر رائق ، وقد عبر الى العدو واستوطن بجاية وكان لسمو قدره العلمي ، يعتبر عميد الجامعة الاندلسية بها ، يأتون الى منزله ، ويعقدون به حلقاتهم واجتماعاتهم ، وفي مقدمتهم ابن الأبار وابن عميرة ، وابن سيد الناس ، وابن الجنان وغيرهم ، وتوفي ابن محرز سنة ٦٥٥ هـ *

ولم يكن حضور العلماء ، النازحين الى بجاية قاصرا على علماء الشرق ، ولكن كثيرا من زملائهم ، من أهل قرطبة واشبيلية ، حذو حذوهم ، ولحقوا بهم الى بجاية ، ونذكر من هؤلاء أبو بكر محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمرى الاشبيلي ، وكان من أئمة الحديث واللغة * واستوطن بجاية وولى الخطبة بجامعها وأقرأ بها * وحملت شهرته الخليفة المستنصر على استدعائه الى تونس ، فحضر اليها ، وحظي لديه ، وتوفي بالحضرة سنة ٦٥٩ هـ *

واستمرت بجاية عصرا موثلا للعلماء النازحين المفضل ، وقد في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، عدد كبير من علماء الشرق ومعظمهم من أهل مرسية وشاطبة ، اللتين تأخر سقوطهما وقتا في أيدي النصارى ، وبعضهم ممن حاول المقام في الوطن المغلوب ، ولكنه لم يستطع الاستمرار ، وتستطيع أن نذكر من هؤلاء الوافدين المتأخرين ، ابن اشكورنه الأزدي المعروف بابن برطلة ، وكان محدثا بارعا ، وقد على بجاية واستوطنها مدة * ثم انتقل الى تونس ، واستمر بقرى بها حتى توفي سنة ٦٦١ هـ . وأبو الحسن علي بن مؤمن الحضرمي المعروف بابن عصفور من علماء اللغة ، وهو من أهل اشبيلية ، عبر الى العدو ، ونزل ببجاية واستوطنها مدة ، ثم ارتحل الى تونس وحظي لدى المستنصر ، وكان من خواص مجلسه * وتوفي بتونس سنة ٦٧٠ هـ ، وأبو القاسم محمد بن أحمد الأموي المعروف بابن ابدراس ، من أهل مرسية ، وكان طبيبا بارعا واماما من أئمة اللغة * وقد على بجاية وكان يقرئ بها ارجوزة الشيخ الرئيس ابن سينا ، واشتهر بدقته وبراعته في تشخيص الأمراض ، والبحث عن اسباب العلل . وتوفي بتونس ٦٧٤ هـ *

وممن نزلوا أيضا ببجاية واستقروا بها في اواخر القرن السابع ، أبو العباس ابن خضر الصدي ، امام القراءات والرواية ، وقد توفي ببجاية سنة ٦٧٤ هـ ، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الشاطبي ، من أهل شاطبة ، وكان عالما بالعربية واصل الفقه ، وقد توفي بتونس سنة ٦٩١ هـ . وأبو العباس أحمد بن محمد بن الغمار الانصاري البليسي ، وقد نزح الى بجاية ، ولقى بها اكابر الشيوخ من مواطنيه النازحين * وولى

وقد استمرت مدرسة بجاية العلمية ، وجل
اساتذتها ، حسبما راينا من الاندلسيين النازحين
عصرا ، وازدهرت طوال القرن السابع الهجرى ،
ومن بعده أحقايا ، على يد تلاميذها من ورثة
التراث الاندلسي ، وبثت فى سائر الحواضر
الافريقية ، نهضة علمية زاهرة ، كان لها اعظم
الاثر فى احياء العلوم والآداب فى المغرب الاوسط،
وقامت فى ذلك بنفس الدور العظيم ، الذى كانت
تقوم به قرينتها ومناقستها تلمسان ، فى الناحية
ال اخرى من المغرب *

وانه ليحق اليوم لبجاية ان يذكر هذا الماضى
الجليل ، وان تعتز به ، وان تحاول الاسترشاد
بهديه فى حاضرها الجديد *

القضاء ببجاية حيناً ، وكان مقرباً من الخليفة
المستنصر أثيراً لديه ، وقد ندبه للسفارة عنه الى
بعض ملوك المغرب لبراعته وبعد همته . وتوفى
بتونس سنة ٦٩٣ هـ *

وان الحديث ليطول ، اذا امضينا فى ذكر
هذه الجبهة الغفيرة من العلماء النازحين من كل
ضرب وفن ، الى هذا الثغر الرموق - بجاية -
والذين شملتهم الدولة الحفصية الزاهرة برعايتها *
وعاشوا فى ظلالها آمنين مكرمين ، وقد ذكر لنا
منهم العلامة المعاصر ، ابو العباس الغرينى
عشرات وعشرات فى كتابه « عنوان الدراية ، فيمن
عرف من العلماء فى المائة السابعة فى بجاية » *





اكتشافات أثرية فريدة بالصين

الذهب والفضة واليشب والبرونز والاحجار الكريمة والاثاث المبرنق والحديد .

ويتضمن العدد المذكور من « رسالة اليونسكو » دراسة هامة عن اختراع الورق والطباعة والحروف المتحركة في بلاد الصين .

فقد عثر مؤخرا في مقبرة شان-سي على اقدم قطعة من الورق عرفها العالم ، فهي ترجع الى

القرن الثاني قبل الميلاد . وبهذا المكشف يرجع تاريخ اختراع الورق المتعارف عليه الى الموراء باكثر من قرنين ، ومن المعروف ان هذا الاختراع كان ينسب الى تساي لون ، ويقال انه تم حوالي عام 105 بعد الميلاد .

تمت اكتشافات اثرية عريضة في الصين خلال حملات الحفائر الكبرى التي نظمت بهذا البلد في الاعوام الاخيرة اثناء الثورة الثقافية . فقد عثر علماء الآثار الصينيون على عدد كبير من التحف لم يسبق ان راتها عين ، وكنوزا لم يشهد لها مثيل ، من بينها كفنان من اليشب والذهب لاميير واميرة من سلالة هان الملكية توفيا منذ المي عام تقريبا .

وقد حيك هذه الشرائح فيما بينها باسملاك من الذهب ، وهي تكون في مجموعها شيئا شبيها بدرع يغلف البدن بأكمله . كما عثر في المغارة التي دفن بها الاميران على اشياء اخرى لا يقل عددها عن 2800 قطعة من

جَوَابُ مَنْ كَفَّاح
الشيخ عبد الحليم بن سَمَاية

السياسي

والثقافي

هـ 1353-1283

م 1933-1866

من أوجب الواجب علينا وقد أخذنا العهد
على أنفسنا حسبما سطرناه على واجهة كتابنا
« تاريخ الجزائر العام » من ذكر نبذ من تراجم
العقريين وأرباب القرائح لمشاهير الجزائريين عبر
العصور ، وقد اثبتنا هذا فيما تقدم نشره فيما طبع
منه في الجزئين الاولين من أجزاء الكتاب الاربعة ،
ولقد سرننا في الجزء الثالث والرابع على نمط
الطريقة التي سلكتها من قبل ، فترجمنا لطائفة
من صفوة نبغاء الجزائر وأفذاذها الممتازين المبرزين
في مختلف الميادين وعلى اختلاف مشاربهم وتنوع

عبد الرحمن الجيلالي

(*) فصل من الجزء الرابع لكتاب « تاريخ الجزائر العام » لتلميذه الاستاذ عبد الرحمن الجيلالي الذي سيطهر شربا

نشاطهم ، فكان لزاما علينا ونحن نؤرخ في هذا الجزء - الرابع - من الكتاب للجزائر المعاصرة ان لا نغفل كتابنا هذا من ذكر بطل من أبطال الجهاد الجزائري في سبيل الدين والعلم والوطن ، وان لانحرم قراء هذا التاريخ من الاطلاع والتعرف على شخصية فذة هي من صميم أبناء الجزائر - العاصمة - ذوى النفوس الأبية والشهامة الاسلامية والأفكار الحرة الزكية والمهمة الشماء والمعارف الواسعة ، ذلكم هو عالم جيله وامام وقته شيخنا العلامة المحقق الاستاذ عبد الحليم بن سماية سقى الله ضريحه *

واذا ذكر الشيخ عبد الحليم بن سماية لدى من رآه أو عرفه أو عاصره أو سمع به فليسرعان ما ينهر لسماع اسمه وينصرف ذهنه في الحال الى ما يتصوره أو يتمثله في ذهنه ومخيلته من المثل العليا في النيوغ والفضل والعلم الصحيح والتقوى والشجاعة والوطنية والكمال النفساني وطهارة الروح وبمائة الاخلاق والتبذل والنزاهة والاياء ، فاسمه رحمه الله لا يزال ولا ريب عند من عرفه عنوانا لهذا كله ، وليس يصح من أحد أيا كان ممن تكون له ابي صلة بالحركة العقلية أو الاجتماعية أو السياسية لهذه البلاد أن يجهل مكانة هذا الرجل ومثقلته السامية في المجتمع الجزائري ، هذا ان لم يكن يعرف عنه الكثير والكثير من مواقفه المشرفة وخصائصه الكريمة ، وهذا امر يعترف به حتى الأجانب ذوى النفوذ من خصومه الفرنسيين المعمرين ممن كان يجهر أمامهم وعلى مرأى ومسمع منهم بكلمة الحق فيبيهتهم ، ولا يحجمه عن الصراحة بذلك هيبة مهيب ولا رهبة رهيب ، الى ما أوتيته من ثبات في الجنان وسحر في البيان *

ومن ذلك ما يشهد له به موقفه الصارم الذي وقفه تجاه الاستعمار الفرنسي يوم ان جاء هذا

بمشروعه لتجنيد الشعب الجزائري في الجيش الفرنسي ، فعارضه الاستاذ معارضة شديدة حتى انه هم بمغادرة الوطن والهجرة منه الى المشرق ان تم تنفيذ هذا القانون الاجباري ، فعلا لما شعر بتصميم الحكومة على تنفيذه أخذ يسعى في قطع جميع العلائق التي تربطه بوطنه وأقر يائه وقدم استقالته من وظائفه في التدريس سواء في ذلك المسجد الجامع أو المدرسة وباع مسكنه الذي كان ان ورثه عن أبويه وعرض اثاث منزله على السوق وأهدى كتبه ولم يستثن منها سوى المصحف وتفسير الجواهر الحسان وودع اصدقاءه واستعد للرحيل لولا ان وقف في وجهه اهل الجزائر واعيانها مستعطفين ومتوسلين قائلين له : ان مخرجنا انت فالى من تتركنا ؟ فاهتز الشيخ لهذا الموقف المؤثر الرهيب وعدل عن رأيه مكبرا لهم كريم اخلاقهم وخالص وفائهم *

ثم انه جاء اليوم الذي استدعت السلطة الفرنسية فيه الشيخ لسماع رأيه الأخير في الموضوع واجتمع المأ بدار البلدية في الجزائر يوم الثلاثاء ٢٥ يوليو ١٩١١ م وحضر ذلك المجلس كبار ضباط فرنسا وحكامها وحضره جمهور من الناس وكثير من المسلمين وكان الى جانب الشيخ فضيلة مفتي الحنفية الشيخ محمد بوقندورة وجاء دور الكلام فاستنطق الشيخ عبد الحليم ، فأول ما فعل ان توجه الى الجمهور قائلا : أيها الناس اتأذنون لي ان أتكلّم بالنيابة عنكم وعن اذنكم ، ام لا تأذنون فأسكت وأصمت ؟ ٠٠ فكلمهم أجاب ! بلسان واحد : نعم ٠٠ نعم ٠٠ تكلم تكلم أيها الاستاذ ! فنهض قائلا : أي هؤلاء - مشيرا الى جماعة المسلمين لو انهم ارتضوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية فانهم لا يكونون بذلك مسلمين

لا يخافون في الله لومة لائم ، ولولا تمسكه بنصر الله واعتصامه بحبله المتين للعبت السياسية الفرنسية الاغبيها وأوقعت به في مجاهل الفتنة ٠٠٠ ولقد اشتهر رحمه الله بتفرد من بين علماء عصره بهذه المنقبة الجليلة منقبة الشجاعة الادبية والبطولة التي كانت تظهر عليه عندما يجابه طغاة الحكام المستعمرين وقد سجلها له التاريخ بكل فخر فاثبتها الاستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس في كلمته الموجزة التي نعاها بها يوم وفاته على صفحات الشهاب (م ٩ ج ٢) اذ قال : « ان الاستاذ الشيخ عبد الحليم ابن سماعة عالم عامل غيور على دينه ووطنه مخلص لهما ٠٠٠٠ رحمه الله وجازاه عن العلم وخدمته واحترامه والاعتزاز به خيرا ٠٠٠ » وكما شهد له بهذا العدو قبل الصديق *

واصدق وصف للشيخ هو ما جاء في كلمة العالم القرآني الاستاذ احمد بن محمد التيجاني وهو من أخص تلامذة المترجم ومريديه الاكرمين فيما كتبه عن شيخه بمجلة التلميذ ٣ - ٤ (السنة الثانية) حين بلغه نعيه وكان اذ ذلك بالمغرب الأقصى فقال حفظه الله « انه عالم الاتقياء وتقى العلماء ٠٠٠ انغلق ذلك الفم المتعطر بذكر الله وكان عينا فياضة بالمعارف يشرب منها عباد الله يفجرونها تفجييرا » سكت ذلك اللسان الفتان وكان حجة أهل الإيمان في الديار الجزائرية وعندليب رياض الآداب بتلك الربوع ، اغمدت بقية ذلك السيف اليماني لا بل تلاشت تلك البقية التي ابقتها الايام من ذلك البطل ، ولا غرابة ولا استعجاب فان اصدق ما يصح تعريفه به انه كان نفس غالب في جسم مغلوب ، عرفنا ذلك منه نحن معشر تلامذته بما كنا نشاهده من أحواله

بجميع معنى الكلمة ، ولو أنهم مع ذلك ينالون من الحرية ما يخول لنفيائهم التربع على دست الجمهورية - الفرنسية - وانطلق يستدل على صحة كلامه بما جاء في كتب الشريعة ونصوص القرآن والسنة ٠٠

ثم قال : ودعوى ان ذلك يدفع بفرنسا الى منح الحرية السياسية للمسلمين فهي دعوى باطلة ، واعلموا انه اذا منح لهم ذلك مقابل تجنيدهم تكون هنالك الضربة القاضية على القومية الاسلامية والجنسية معا ، اذ يقع بذلك اندماجهم في الأمة الفرنسية نهائيا ! ٠٠٠ وهنا حصلت في المجلس ضجة واغتنمها بعض المتفرجين فاحدث تشويشا حول خطاب الشيخ وقال : ان هذا الرجل قد اسهب في الموضوع على حين أن المسألة لا علاقة لها بفلسفة القرآن ، فرد عليه الشيخ كلامه وقال - مشيرا الى رئيس الجلسة وهو يومئذ الكاتب الفرنسي الفنان م * دوغالان

اني اتكلم مع رجل عالم قد دعوني انهى خطابي مع جنابه ، فانه يدري ما أقول ويدرك الامور ، والا فتكلموا انتم معشر الخشب المسندة !! ونهض الشيخ ميمما نحو باب القاعة عازما على الانصراف من القاعة فاسترده رئيس الجلسة مظهرا اسفه الشديد على ما حصل ونديه لاتمام خطابه فعاد الشيخ لاتمام حديثه مستوفيا لمقاصده ومعانيه ، ولما أتمه صاح الجمع من المسلمين ومن بينهم فضيلة المفتي الحنفي بأنهم موافقون على رأى الشيخ الذي جاء في خطابه هذا حول رفض مشروع التجنيد الاجباري في الجيش الفرنسي (١) *

نرى من خلال ذلك ان الشيخ كان من ألد أعداء الاستعمار ، وانه كان من القوم الذين

فى أثناء الدروس كلما عن لنا مثل عربى من نحو : النار ولا العار ، المنايا ولا الدنيا ، أو عنت لنا آية من مثل قوله تعالى : رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ، نرى مثل تيار كهربائى ينبعث من اعماق الأستاذ ويلوح كالبرق الخاطف اثر عامله القوى على صفحات محياه ...

وحيث يتأكد على من يتعاطى لتدوين تراجم الرجال أن يذكر أطوار حياتهم العامة ويتعرض الى ما كانوا يعيشون عليه ويحيونه ككل كائن حتى منذ الزيادة الى الوفاة وجب ان نذكر مجمل تفاصيل حياة شخصية الشيخ فاليكها أيها القارئ الكريم كما يلي :

تنتمى أسرة الشيخ عبد الحليم الى آل سماية وهى أسرة من الأسر التركية العريقة بالعاصمة ويرجع أصلها الى اترك بلدة ازمير ، وهنا عندنا بالعاصمة اسرتان مشتركتان فى التلقب بهذا اللقب وهذه النسبة ، اذ كل منهما تدعى « ابن سماية » وكلتاهما من أصل تركى ، وهما فى نفس الامر والواقع متباعدتان كل البعد عن بعضهما بعضا فى النسب ، فأسرة الشيخ عبد الحليم ترجع فى نسبها الى حسن خوجة قاطع السكة بدار الامارة الجزائرية ، على عهد الاتراك ، وهى أكثر شهرة بهذا اللقب - ابن سماية - من الثانية التى ينتمى اليها الشيخ يوسف بن سماية ، فان لقب هذه الحقيقى هو « بكير خوجة » وهو اللقب الرسمى الذى يجرى عليه العمل الادارى فى جميع أوراق التعريف الرسمية لكامل افراد هذه العائلة ، وان كانت هى كذلك تعرف بابن سماية وليس عليه العمل ، بخلاف أسرة الشيخ عبد الحليم فانها لا تعرف الا به ، ولا أدري كيف حتى اشتركتا هاتان الاسرتان فى لقب واحد ؟ ..

أما والد الشيخ المترجم فهو على بن عبد الرحمن بن حسن خوجة ، وكان رجلا مثقفا ثقافة عربية اسلامية تتماشى مع العصر فهو ممن كان أخذ عن العلامة الشيخ مصطفى الحرار الجزائرى وكان يشغل منصب التدريس بالمساجد فكان أولا مدرسا بجامع سفير ثم انتقل الى مثل وظيفته بالجامع الجديد بالعاصمة ، وأما والدته فهى كريمة المحتد من آل الشيخ مصطفى ابن الكبابى آخر مفاتى المالكية بالجزائر على عهد الاتراك ، وهو الذى ابعدته السلطة الفرنسية واقصته عن البلاد سنة ١٨٤٣ بسبب ما اتخذه من موقفه الصارم فى رفضه لقبول وضع يد فرنسا على الاوقاف الجزائرية فتوفى رحمه الله بمدينة الاسكندرية غريبا ، قطوبى للغرباء .

ازدان بيت الشيخ على بن سمايه بمولوده عبد الحليم سنة ١٢٨٣ هـ ١٨٦٦ م فاعتنى والده بتربيته تربية أساسها الدين والاخلاق ، وحينما انس منه الاقتدار على مزاولة تعلم القراءة والكتابة أخذه الى كتاب بحى القصبة يعرف بجامع بالرقيسة - أو ابن رقيصة - وكان شيخ الكتاب وامام الجامع اذ ذاك هو الشيخ المبارك الميمون حسن بوشاشية ، وعليه تخرج مترجما فى حفظ القرآن الكريم كما تخرج على يده أغلب علماء الجزائر وحمل القرآن بها يومئذ ، وفى نفس الوقت كان والده يعمل على تلقينه مبادئ العلوم وتوجيهه فنشأ ابنه عبد الحليم على حب الفضائل والتناعى بالعلم والعمل ، وكان يصحبه معه الى مجلس درسه بالجامع ، فاخذ الغلام العربية والفقه والتوحيد عن والده ولزم مشائخ وقته وعلماء بلده مثل الشيخ على بن الحاج موسى والشيخ محمد القزادري والشيخ على ابن الحفاف والشيخ ابن

الجزائري وهو يومئذ بتونس مهاجرا (٢) فشد اليه رحله ونزل عليه ضيقا محببا مكرما وتلميذا مدلا ، لا سيما وقد جمعت بينهما المناسب فأكرمه الأستاذ ابن عيسى وانزله من نفسه منزل الابن فلازم عبد الحليم منزله مكبا على الدرس والتحصيل ولم يغادر المكان متفسحا أو متجولا في رحاب المدينة حتى يتعرف الى معالمها الشامخة وأثارها الرفيعة وأسواقها الغنية الثرية أو يسمح على الأقل بنظرة الى جمالها الفتان ، كل ذلك لم يحرك منه ساكنا ، حتى انتهى من اتقان فنه المطلوب والمرغوب فيه فعاد الى وطنه دون أن يعرف عن تونس شيئا ! ولما حل بالجزائر سألته أصدقاؤه ورفاقه ان يصف لهم تونس ؟ فقال لهم سلوا عنها من رأها ! ! ! . . . وهذا نهاية الحب والشغف والتفاني في التعلق بالمبدأ بل هي التضحية نفسها بكل حلو ولذيذ وكل متعة في سبيل العلم ، وكان ممن أخذ عنهم من كبار العلماء أيضا علامة القطرين الشيخ محمد المكي ابن عزوز حينما كان هذا الأستاذ يتردد على الجزائر بحكم انه جزائري الاصل وله فيها رحم وخؤولة ، فكثيرا ما كان يرحل من تونس الى الجزائر ليزور خاله الشيخ أبا القاسم الحفناوي ويتصل ببني عمه وقربته في برج بسكرة وبوسعادة فكان مترجمنا ينتهز هذه الفرص ليجتمع به فيستفيد منه ، فهؤلاء هم أساتذة شيخنا الذين

ظاهر الوترى المدني والشيخ قدور باصوم والشيخ طاهر قيطوس وحضر دروس الشيخ محمد سعيد ابن زكري وغيرهم فأخذ عن هؤلاء فنونا من العلم في اللغة وآدابها وعلوم الشريعة وفنونها كما انه تلقى الحساب والفرائض عن صهره الشيخ على بن حمودة ، وعلم الربع المجيب في الفلك والتوقيت ومواقف العضد كلاهما عن شيخنا أبي القاسم الحفناوي صاحب كتاب تعريف الخلف برجال السلف ، وأخذ علم الاسطرلاب عن الاستاذ عارف بك .

وتشوق الشيخ الى معرفة علم الحكمة والفلسفة على طريقة قدماء الفلاسفة من مشائين واشراقيين ، ولا سيما فيما يتصل من بحوثهم في الالهيات ، فتعلقت همته بدرس الفلسفة اليونانية وانصرف ذهنه الى طلب ما يسمونه بالمقولات العشر المنسوبة الى أرسطو الذي حصر مباحثه في هذه المطالب العشرة ، على خلاف ما مشى عليه المتكلمون من عدها ثلاثة فحسب ، والباقي عندهم أمر اعتباري فقط كما هو مقرر في مضامنه من كتب الحكمة والفلسفة القديمة ، فتعاطى مترجمنا لمطالعة كتب هذا الفن ودفعه حماسه العلمي الى البحث عن استاذ ماهر يلقتنه هذا العلم ، فأشير عليه بالاتصال بعالم جليل هو صديق حميم لوالده منذ أيام الطلب ، ذلك هو الشيخ محمد ابن عيسى

(2) هو من اكابر بلغاء الكتاب وعلماء اللغة ومشاهير الترسلين ولد بالجزائر سنة 1243 هـ - 1828 م وكان فيمن اخل عنهم العلم بها العلامة الشيخ حميدة العمال ، هاجر الى تونس سنة 1272 هـ وهناك انقطع للعلم معلما ومتعلما وتولى رئاسة الكتابة العامة بالوزارة الكبرى سنة 1276 هـ وترقى الى خطة الانشاء سنة 1302 هـ وعرض عليه منصب رتبة حاكم مجلس الجنابات فابى وامتنع فؤثرا خدمة العلم والادب ، كان ذا اخلاق كريمة مع عفة ونزاهة وزهد ، وله تأليف لطيفة طريقة ، منها الرسالة الموسومة بالثريا لمن كان بعجائب القرآن حفا ، مطبوعة بتونس 1307 هـ واخرى اسمها : الماس في احتياك يعجز الجنة والناس ، وهي مطبوعة ايضا بتونس 1306 هـ وقصيدته الموسومة لى مدح اهل الفضيلة ، طبعت بتونس سنة 1306 هـ ، وكانت ولاته بالهجر سنة 1310 هـ رحمه الله

استقى منهم معلوماته وكلهم كان اماما وحجة في قته ، فما بالك بمن يتخرج عن مثل هؤلاء ؟

وما بلغ السنة الحادية والعشرين من عمره حتى كان قد بنى بكريمة من كرائم الأسر الجزائرية العريقة وهي كريمة السيد محمد بن مصطفى غياطو قاضى المالكية بالعاصمة واسمها عائشة فانجبت له ولدين : سعد الدين ومصطفى وثلاث بنات . واحترف الشيخ مهنة التجارة فاكترى دكانا لبيع التبغ بحى باب الواد تجاه جامع على بتشنى فكان يعول أهله ويرتزق منه ومن ثمن كراء منزل له كان يدر عليه أربعين فرنكا مشاهرة ، ولم يلتفت للوظيفة حتى دعى اليها فتولى خطة التدريس بالمدرسة الرسمية، وذلك في يوم ٤ ديسمبر ١٨٩٦م وعمره يومئذ لايتجاوز ثلاثين سنة ، فكان فيها أول من أقرأ كتاب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني ، والاقتصاد فى الاعتقاد للغزالي وتلخيص المفتاح لجلال الدين القزويني ، والبصائر النصيرية فى المنطق لابن سهلان ، والمفصل فى النحو للزمخشري وغيرها من الكتب المعتمدة عند اهل الخبرة والعلم ، فكان بذلك رحمه الله أول من أدخل نظام اصلاح التعليم العالى بالجزائر ، كما أنه كان أول من اهتم بتدريس رسالة التوحيد للامام محمد عبده وختمها فى ظرف سبعة أشهر .

ولما زار مؤلفها الجزائر صيف سنة ١٩٠٣ م جمادى الاولى ١٣٢١ هـ كان شيخنا أول من اسرع الى اقتباله وملازمته ليلا ونهارا فلم يفارقه طيلة

ايام اقامته بالعاصمة حتى غادرها الامام الى تونس (٣) ومدحه بقصيدة بعثها اليه بالقاهرة نشر بعضها فى مجلة المنار المصرية فى عددها الصادر يوم ٦ ذى القعدة ١٣٢١ هـ ١٩٠٤/٢/٣ م وقدم لها صاحب المجلة الاستاذ محمد رشيد رضا بقوله : « قصيدة عالم جزائري بل اشهر علماء الجزائر مدح بها الاستاذ الامام وأرسلها اليه فى القاهرة من عهد قريب فسرنا منه أنها آية من آيات صلة علماء الاسلام بعضهم بعض فى الاقطار المتباعدة وشعور أهل المغرب منهم بما يشعر به اهل المشرق من قدر الاستاذ الامام ، واننا نقتطف منها هذه الابيات وأود منها عشرين بيتا وهى تفوق فى عددها الخمسين واليك أيها القارى مقطوعة منها . قال يخاطب الاستاذ الامام :

قانت لنا شمس تنير على المدى
أتى نورها من غير أن نتطلعها
ادير بذكراك الذى منك قد مضى
فاشرب كأسا بالصفاء مشعشعا
يذكر فيك المجد والعلم والتقوى
فانظر من عليك عرشا مرقعا
وتلوى الى تلك المجالس فكرتى
فتترك قلبى بالخيال ممتمعا
محافل كان العلم فيها مجالسى
أسامر بدرا بالجلال تقنعا
فاسمع فصلا من حكيم وحكمة
إذا ما بدت خرت ذرى الزور ركعا

(3) رايت بعض من كتب عن زيارة الاستاذ الامام للجزائر وعن الدرس الذى القاه بها ، فى تفسير سورة والعصر ، فقال عن الدرس انه القى بالجامع الجديد ، والصواب ان الدرس كان بجامع الحاج مصطفى الاكحل - الحر - الكائن بالقائم الى اليوم بحى الحامة - بيلكور - بالقرب من ضريح الولي الشيخ سيدى محمد بن عبد الرحمن الازهرى

فما يال أقوام هدى الله عقلهم
يمارون فيه والسحاب تقشعا
الخ ٠٠٠٠

وإثنى صاحب المنار على صاحب القصيدة
فى الجزء الاول من تاريخ الاستاذ الامام حينما
ساق الحديث عن زيارة الامام للجزائر فقال :
« وقد نال مراده فاجتمع بخيار العلماء والعقلاء
الذين يقدرون الاصلاح قدره ومن خيارهم فى
الجزائر الشيخ محمد ابن الخوجة صاحب
المصنفات والاستاذ الشيخ عبد الحليم بن سماية -
وقد رأى هذين الفاضلين وغيرهما مغتبطين بالمنار
ولا سيما دروس العقائد التى ينشرها تحت عنوان
« آمالى دينية » - وقالوا له اننا نعدده مدد
الحياة لنا ، فاذا انقطع انقطعت الحياة عنا (٤) .
وهذه صورة شمسية التقطت هنا بالجزائر
للشيخين عبد الحليم ومحمد عبده وهما جالسان
على أريكة واحدة جنباً الى جنب مما يدل على
كامل الصفاء والود وتأكيد العلاقة الاخوية بينهما .
وخلفهما اقرباء الشيخ ابن سماية وولد الحاج
مصطفى الاكل

ولما غادر الشيخ محمد عبده الجزائر وحل
بصقلية نزل « بلرم » ومنها خاطب الشيخ عبد
الحليم ابن سماية برسالة مؤرخة فى ٣٠ جمادى
الاخيرة سنة ١٣٢١ هـ وبها نعلم مقدار منزلة الشيخ
العلمية كما يراها الاستاذ الامام الشيخ محمد
عبده جاء فيها : « حضرة الاستاذ الفاضل الشيخ
عبد الحليم بن سماية - لا يزال يؤتسى مثالا
من علمك وفضلك ويعجبني رفيق رقيق من كمالك
وتبلك وما كان ذلك ليفارقنى بعد ان صار بضعة
منى ، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لى منها

لعلمت مقدار ما آتاك الله من نعمة العقل والادب
ولعرفت انك ستكون امام قومك تهديهم ان شاء
الله سبل الرشاد وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين
حظ المعاش وحظ المعاد ، هذا هو أملى الذى أسأل
الله تحقيقه ، فخذ من الوسائل ما يبلّغك بفضل
الله غاية ما يرمى اليه استعدادك - الخ ٠٠٠ (١)
واشتهر الشيخ عبد الحليم من بين اساتذة
عصره بالصلابة فى الدين ودفع شبه المعارضين
بما يستنبطه من الأدلة اليقينية ، فانه كان مهما
تعرض عليه بعض الشبه التى يدلى بها بعض
الناس - نحو الاسلام - واغلبهم كان من مشائخ
الافرنج بالجامعة الجزائرية حينما كانوا يتصلون
بتلامذة الاستاذ بالمدرسة الا ويتصدى لها الشيخ
بالمناقشة والحوار العلمى حتى يدحضها بناصع
برهانه وصحيح استدلاله ، وهكذا كان رحمه الله
فى كل موقف يقفه تجاه الملحدين وضلالات الميشرين
واعتراضات المبطلين ، ولا عجب فى ذلك من رجل
ثاقب الذهن مثله رزق البراعة فى البيان والاهتداء
الى ناصع البرهان .

وفى ١٥ اكتوبر ١٩٠٠ م أسندت اليه خطة
التدريس بالجامع الجديد مكان والده المرحوم
الشيخ على بن سماية فشمر الشيخ عن ساعد الجد
والاجتهاد وكرس حياته لخدمة الملة الاسلامية واخذ
على عاتقه القيام بالمنصبين احسن قيام فقسم
ساعات العمل اليومية بين المدرسة والمسجد ، فجعل
منها للمسجد ١٢ ساعة فى الاسبوع والمدرسة ١٤
ساعة ، وشرع فى تدريس علوم اللغة والشريعة
والنطق بما سبق ذكره من الكتب ، وبما أنه رحمه
الله كان حنفى المذهب فانه كان يقتصر فى دروس
الفقه على كتب الشرنبلالى والقدرورى والطحاوى

(١) فانظرها فى تاريخ الاستاذ الامام ج ٢ ص 617 ط القاهرة 1344 هـ
(٤) تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص 872 ط دار المنار القاهرة 1931 م

تكون متصلة بموضوع الدرس ، فكان لذلك لا يمل حديثه ، ولا يشعر بالضجر جليسه ، وبهذا الصنيع تخرج على يده جمع من الأدباء والعلماء شغلوا مناصب التدريس والقضاء والافتاء والامامة في مختلف انحاء القطر الجزائري وفيهم من شارك في وظائف سامية بالمغرب الشقيق ***

وكان رحمه الله لا يرى مرتاحا فيما يليقه على تلامذته من الدروس الا اذا شعر من نفس التلميذ باطمئنان الى ما تلقاه ووعى وحفظ لما زاوله من المسائل المطروحة في الدرس *

وكان للشيخ المام باللغة الفرنسية فهو يتحدث بها أحيانا عند اللزوم كما كانت له معرفة باللغة العبرانية واطلاع على ما بيد أهلها من نصوص العهد القديم والجديد من انجيل وتوراة وتلمود ، وكثيرا ما كان يجادل اصحابها في دينهم وينظر أحبارهم ورهبانهم ويسرق لهم الأدلة والنصوص من كتبهم وبلسانهم ، وسمعه مرة يروي لنا قصة مناظرة جرت له مع حبر من أحبار اليهود حول اثبات تبشير التوراة بنبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فأنكرها اليهودي ، فبينما الشيخ مستمرا في حديثه بفصيح العبارة اذا به ينطق بهذه الجملة الغريبة (وهملخ هايا هو بمركبه نوخح ارم) فاسرعت الى كتابتها أولا ثم بعدما انتهى من حديثه استفهمته عن معاني الفاظ هذه الجملة وعن تركيبها ؟ فقال لي : هذه الفاظ عبرانية تعبر عن ثبوت ذكر نبينا محمد عليه الصلاة والسلام في كتبهم ، وقد جاءت هذه الجملة في كتاب لهم معظم لدى اخبارهم يسمونه (ميلاخيم) وينسبونوه لليسع عليه السلام والعبارة هذه تثبت ذكر اسم نبي الاسلام عندهم كما انها تحمل البشارة بظهوره وهكذا كان يفعل مع رهبان

وابن عابدين والتسفي ، وعندما يستشار من طرف العامة في اختيار كتاب لهم في الفقه ، فانه يشير عليهم برسالة ابي محمد بن ابي زيد القيرواني المالكي *

وكان فيما اخذناه عنه وتلقيناه منه من الكتب التي أقرأها في تدريسه بالمسجد خلال سنوات ١٣٤٣ - ٤٤ - ٤٥ هـ : ورقات امام الحرمين في الاصول ، وشطرا من تنقيح القرافي ، ورسالة العضد في علم الوضع ، وشرح السجاعي على المقولات العشر ، والجواهر المكنون في البلاغة للاخضرى بشرح مؤلفه المخطوط ، ونظم الخزرجية في العروض ، وقطر الندى في النحو ، وتفسير سورة البقرة بالجواهر الحسان للعلابي ، وهذا من غير ما كان يليقه من دروس عامة للعامة في سائر الامكنة العامة والخاصة وفي المحافل والنوادي وحيثما حل وارتحل وفي ابي بلد وجد سقرا وحضرا *

وانى لمعتز وفخور بما اتحفنى بل وشرفنى به من تفضله على بكتاية اجازة بخطه أجازنى فيها بما أجاز به والده وجمع من مشائخه في رواية صحيح الامام البخارى متصلة السند المسلسل بشيوخ العلم والحديث على الطريقة السلفية *

وكان درسه رحمه الله جزلا بليغا يتكلم بفصاحة وعبارة متقحة بليغة والفاظ فخمة وذلك يرجع الى غزارة مادته اللغوية التي كونها او تكونت فيه بسبب انكبابه على مطالعة معجم لسان العرب حتى كاد أن لا تخفى عليه مادة من مواده ، فهو لا يتنازل في دروسه للغة العامية ابدا اللهم الا في بعض النوادر او الحكايات التي قد يسوقها أحيانا في المجلس للتسلى وهى لا تخلو من فائدة

والالحن والطبوع الموسيقية الاندلسية التي اشتهر
اليها الشيخ سيدي احمد بن عمار في رحلته
« نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب » وكان
الشيخ يحسن هذا الفن ، فانصت معي الى قوله في
طالع موشح :

يا روح سار تعطر
من نشر اهل الخيام
بالله تتخطر
واحمل اليهم سلامي
بلغ الى اهل طيبه
منى عظيم التحية
قف وقفة مستطية
عند كريم السجية
وانشق هنالك طيبه
من روضة عبقرية
الخ ٠٠٠

وهذه مقطوعة له أخرى من قصيدة نظمها
بمناسبة اطلاعه على صنيع صديقنا الاستاذ احمد
الاكحل في رسالته (روح السعادة) المطبوعة
بالجزائر ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٥ م فقال :

رعى الله امرأ يرعى المعالي
يسامر نجمها جنح الليالي
له نفس لها لحظ طموح
الى اعلى ترى حسن الخلال
له عقل له انف شموخ
ابى الا طلوعا كالهلال
وخير الناس من يهدى أناسا
اذا ركبوا امواج الضلال

النصرانية أيضا فكان يجادلهم بأنجيلهم وكثيرا
ما يفهمهم ولا سيما عندما يستدل لهم بأنجيل
« بارنايا » فكانما رماهم بقاصمة الظهر . *

واماما فطر عليه وجبلت عليه نفسه من
الاخلاق الكريمة والشيم فانه كان كما عرفه جميع
من عاشره حلو الشمائل شجاعا طموحا الى
الاخطار في استرجاع الشجاعة الادبية وفي
المجتمع أيضا الى قومه ، يلتهب غيرة على دينه
وطنه بمعناه العام الواسع لا الخاص الذي حددته
السياسة ، وقورا عظيم المهابة كريما اريحا أنوفا
متواضعا يتلأل في وجهه نور العلم والوقار
والجمال وضاح المحيا جميل المبسم مشرق الجبين
قد داعيت زرقه السماء مقلتيه فاشرقنا في طلعه
البهية اشراق الشمس والقمر ، متماسك الجسم
تام الخلق ربعة فسبحان من خلقه في أحسن تقويم ،
وكان حسن الشارة يظهر دائما في شكل أنيق
وهيئة حسنة ، يتعمم بعمامة هندية الصنع جزائرية
الوضع والشكل (طريانطى) ويلبس من فوق
القميص (البداعى) وقوقهما (الجياضولى) أو
ما يسمى (الدامى) وفوق ذلك كله العباءة أو
تارة البرنس يلقيه كرداء على كتفيه ، وقد يجمع
بين العباءة والبرنس في حسن سمت ، وكان مولعا
بتناول القهوة والتدخين *

وللشيخ مقدرة عظيمة على الترسل ونظم
الشعر وله مكانة عالية في نثره ونظمه ، فهو
يكتب على اسلوب البلغاء من الرعيل الاول ، فلا
تكلف ولا تعسف وتارة يميل الى السجع ، وله
تخصص في الشعر بنظم الموشحات على أسلوب
ما نظمه ادباء الجزائر وعلمائهم من موشحاتهم
المولدية الشهيرة الموزونة على مقتضى الانعام

وخير الهدى هدى من لسان
امون ناصح للزور قالى
ويقول فيها :

اذا ضيعت عمرك فى محال
متى تسمو الى أفق الكمال
فوقت للطعام ووقت نرد
وأوقات على قيل وقال
متى تترك أخى للعلم وقتا
فنجم العلم عندك يرج خال
الخ
ولهذه القصيدة مقدمة اجتماعية كتبها الشيخ

نفسه تمهيدا لها نقتطف منها الفقرة التالية كنموذج
لأسلوب الشيخ فى نثره وما يرمى اليه من اصلاح
المجتمع ، وكتابة المرء نماسة على علمه وعقل
الكاتب فى قلمه .

« الحمد لله الذى ورث ذرية سيدنا محمد
العلم ، وخصهم منه بمطالع اذا اهلت اهلتهم فيها
هلل لرؤيتها ذو البصائر والقهم ، وشهدوا ان
ذلك الجمال ، لا يشرق الا من افق العلا والكمال ،
والصلاة والسلام على منبى الحكم ، ومثير
الدجاجى اذا اذلهت دياجر الظلم . وعلى آله
وذريته وعترته الأخذيين باليمين رايات المجد
والكرم .

وبعد فان الجزائر بلدة كانت يشار اليها
بالبنان ، فى العلم والهناء ومصادر الخيرات
والجود والاحسان ، مصونة مما هو نصب الاعين
من التجاهر بالفساد ، ومما هو شائع وذائع من
مراءى الزنى والسكر وكل ما يقضى العين ويهيج
الفؤاد ، مشكومة اهلها بشكيمة الدين ولجام العفة

ومكارم الأخلاق والحياء ، عن التلطف بالفاظ
الفحش فضلا عن التجاهر به فى الخلاء والملاء ،
الى ان قضى الله بهتك سترها ، فافضت الى ما
هو مشاهد من أمرها ، بعوامل قاطعة لازمة الدين ،
والحسنة لاطة فيه بالقذف والتقيب والتشيين الى
ان انقلب ظهر المجن ، وصار اعقل الناس من كان
فى حضرة المكر أجن ، وسدت أبواب الارزاق ،
وضاق بالخلق النطاق ، محنة دخلت على المسلمين
من اهمالهم وصية سيد المرسلين (من حسن
اسلام المرء تركه مالا يغنيه) فعوضا عن العمل
بها اشتغل كل فرد الا القليل بما لا ينفعه ولا
يغنيه الخ .

وكان للشيخ اصدقاء واحباء كثيرون
منتشرون فى انحاء البلاد ، وكانت تجرى بينهم
وبينهم مكاتبات فى مواضيع شتى ففىها الرسائل
الادبية وفيها الرسائل العلمية وفيها الرسائل
الودية وفيها غير ذلك ، واليك نموذج منها نستكمل
به معرفتنا بأسلوب الشيخ فى انشائه لرسائله
ومخاطباته ولما فيها من الفوائد العلمية أيضا .

ففى سنة ١٢٢٢ هـ أى بعد ان كان قد زار
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مدينة الجزائر
وغادرها باحد عشر شهرا بالضبط اتصل شيخنا
برسالة من استاذة وصديقه الشيخ على بن عبد
الرحمن مفتى وهران ملتصقا منه ان يكشف له عن
نظريته الخاصة فى شخصية الشيخ محمد عبده
ومستطلعا رأيه عن سلوكه وعلمه وأخلاقه ، فكان
ذلك هو الباعث له على تحرير الرسالة التالية ،
وهي لا تزال مخطوطة ومحفوظة بخزانة صديقتنا
الاستاذة المهدي البوعبدلى . وهذه نبذة منها :

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وسلم

تركهم العمل فيما انزل عليهم من الأمر بالتعاون والتناصر واتخاذهم بدل ذلك التخاذل والتقاطع والكذب والخداع الى ان صاروا حجة لغيرهم على دينهم وقتنة للذين كفروا ، وتأخروا وتقدم غيرهم بما كانوا يتقدمون به في الازمنة السالفة . . .

الى أن يقول :

ولقد شاهدت منه - أي من الشيخ عبده - فعلا كما سمعت منه قولا ان يفر من الاختلاف قراره من الاسد ، ومن عجيب امره انه ما خالفه مخالف في مجلسه الا وتمكن من القاء القبض عليه بجند من جنود الحق حتى يوقفه الى جنبه ، وكل ذلك بكلام لا يخالطه اللغط وعقل لا يستغزه الطيش وخلق لا يأتى على وسعه ضيق بمقدمات ينتزعها من وجدان مخاطبه حتى يضطر الى الاقرار والاعتراف بنفسه من نفسه ، ولعها وراثه من شيخه جمال الدين الافغانى الذى تظافرت الروايات عنه انه ما خصم احدا الا وخصمه . . .

وهكذا أطال الشيخ عبد الحليم في ابداء رأيه النقدي الصحيح حول ما عرفه وخبره بنفسه عن عبده يوم ان اجتمعا في الجزائر معترفا بفضل الامام على الاسلام والمسلمين وما له من المزايا العديدة على الشعوب الاسلامية في يعثها نحو التقدم والرقى والمجد .

ويظهر ان من تكاثرت أعمال الشيخ الثقافية الثقيلة في ميدان التدريس والاقراء شغلته عن العمل في مجال التأليف والتصنيف فلم يؤثر عنه كبير أمر من حيث الانتاج ووضع الكتب والاسفار اذ ليس يعلم من مؤلفاته المطبوعة سوى رسالة وضعها في احكام الربارد بها على من يقول باباحة

مشرفنا الذى نعشو الى شمس انواره ، ورياض طيب حياتنا الذى ننتعش بها ستنشاق ازهاره ، مولانا وسيدنا على بن عبد الرحمن امدنا الله من همته العالمية ما يبلغنا الى المراتب ، ويدفع عنا كل ما يلم من المتاعب والمصائب والحواجب .

ازكى سلام ، ينافح الزهر في الأحكام ، ويكاثر قطر الغمام ، وأوفى تحيات طيبات مباركة اخص بذلك مقامكم الأعلى زاده الله علوا ، ومن حضرة القدس دنوا ، وقد انهالت على رحمة ونعمة بكتابتكم الشريف الذى عمى انسه ، ونفخ عبيره ، وحل من نفسى محل النفس وقوى رجائى فى الله عما أجراه على لسانكم من مستجاب دعائكم زاده الله بكم خيرا ولا ردنى على عقبي ببركتكم آمين آمين امين لا ارضى بواحدة .

ومما تضمنه كتابكم الرفيع استبداء راى فيما أعلم من فضيلة العلامة الذى شاع ذكره واشتهر امره ، وانى عملا بالواجب على كل متدين من الذب عن أهل الله وان لم يكن العلماء اولياء الله فليس لله ولى اصدع بما اصنعت عليه من خصائص الرجل فى هذا الزمان الشبيه بزمان الفترة فاقول : هذا الرجل الجليل رجل حنكته تجارب الزمان ، واستقصى احوال الأمم حتى ميز منها ما زان وما شان ، وتطلع من القنون على اختلاف انواعها ، ومواضيعها وأعمل فكره أعمق تفكر وتدبر فى الحبل المتين والقرآن المبين فأدرك قوله عز وجل لنبيه الكريم وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ، فهو يرى أن كل خير صدر أو يصدر فى الوجود انما هو لمحة من شعاعه ، وبركة ناشئة من اتباعه ، فما سعد من سعد من الامم الا باتباع سننه ، والامتداء بأنواره ، وقد أقصص بذلك فى مقالة له طويلة يتأسف فيها على الاسلام من

اتخاذ القليل منه وعنوانها : « اهتزاز الاطواد والربى من مسألة تحليل الربا » اذ يقول في مقدمتها كنت طالعت في بعض الجرائد - من غير ان يذكر اسم الجريدة - والامر لله ان بعض من يشار اليه بالبنان في العلم من غير ان يذكر اسم المشار اليه احل القليل من الربا وحرّم الكثير منه محتجا بقول الله تعالى وتنزه عما يقول الظالمون علوا كبيرا يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة ٠٠٠ » وهى رسالة غزيرة المادة فى موضوعها استوعب فيها المؤلف اصول هذا الباب واحاط بفروعه وجاء فيها باستنتاجات واحكام فقهية مركزة صحيحة ولقد دعا فيها علماء الاسلام قاطبة الى تحمل مسؤوليتهم امام هذا الموضوع الهام موجها رسالته هذه الى الاعلام منهم حيث كتب تحت العنوان ما يلى : « تعرض على انظار العلماء الاعلام وتطلب تأدية ما فى رقابهم من بيان الاحكام » وهى مطبوعة بالجزائر ١٣٢٩ هـ ١٩١١ م ، او ما قدمه وألقاه بنفسه فى المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين المنعقد هنا بالجزائر سنة ١٩٠٥م مما حرره من بحث فيما يتعلق ويتصل بحضارة الاسلام وفلسفته ، ولا يزال هذا البحث مجهولا لدينا الى اليوم فلا نعلم عنه شيئا ! ٠٠٠ كما انه اشتهر عند بعض تلامذته بان له تأليفا فى العقائد موجودا عندهم ناقش فيه الشبه التى يأتى بها المحدون فردها عليهم ولم نطلع عليه . ونشرت له بجريدة الاقدام الجزائرية التى كان يديرها الامير خالد عدة مقالات افتتاحية فى السياسة والاجتماع والاخلاق فيها ما كان يمضيه باسمه الصريح وفيها ما كان ينشر بدون امضاء مراعاة لمقتضى الحال وكذلك فعل بمقالاته فى الجرائد التونسية كجريدتى المشير والوزير وغيرهما .

وجئنا يوما الى الدرس - بالمسجد - وبهد احدنا مجموع كان فيما يحتوى عليه نبذة من الاحاديث القضائية ، فاستلم الشيخ ذلك المجموع من يد صاحبه وبعد ان تصفحه ووقف على الاحاديث التى فيه قال لنا استعدوا بتحضير ادوات الكتابة مع القرطاس فستنشر فى شرح هذه الاحاديث ان شاء الله ، وفعلنا جئناه من الغد مستعدين لكتابة ما يلقيه علينا حول شرح هذه الاحاديث النبوية فاخذ رحمة الله عليه يستملى منا نص الحديث حسب ترتيبه فى الكتاب ثم يأخذ هو فى الشرح بطريقة الاملاء وبدون ان يحمل فى يده شيئا من الكتب والأوراق وأخذنا نحن فى كتابة ما يمليه علينا على أن يكون ذلك له تأليفا مستقلا ، وهكذا استمر الشيخ على متابعة املائه فى عدة مجالس ، ثم كانت هنالك عوارض قطعت عنا ذلك المعين العذب الزلال ولم يتم الكتاب ، او ما هنالك من قصائد شتى فى أغراض ومواضيع مختلفة وهى لا تبلغ أن تكون ديوانا .

ولقد كان ان نشرت له رسالة صغيرة الحجم بعنوان : « الكنز المدفون والسر المكنون » طبعت بالجزائر على نفقة بعض الافاضل نحا الشيخ فيها منحى صوقيا خاصا ، فلم يرق ذلك لبعض رجال الطرق ولا سيما منهم التجانية فحذروا فى كتبهم ومجالسهم من مطالعتها وسعوا فى جمع ما وصلت اليه ايديهم من نسخ هذه الرسالة فأعدموها حرقا ، ولا أدري لماذا كان ذلك ؟ ٠٠٠

وهناك طورثان عاشه الشيخ فى أواخر حياته يختلف كثيرا عن الفترة الاولى التى عاشها والمدة التى قضاها فى صدر ايامه واعوامه الخالية فاصبح فى هذه المرة عديم المبالاة بنفسه فلا يلتفت الى مظهره ولا الى هيئته فى ملبسه وسمته وهندامه

وحتى في سلوكه وحياته اليومية العادية العامة كل ذلك تغير منه الى شبه احوال من يسمونهم بالمجاذيب ، فاتخذ لركبه حصانا وتمنطق سيفا وأخذ يتجول ما بين ارباض العاصمة واحيائها ، وتارة يسافر الى ما جاورها من البلاد القريبة منها مثل البلدية والقلعة وبلدية وشرشال ولا يبالي اين ادركه الليل او طلعت عليه شمس الغد ، وحيثما حل كان ملحوظ المنزل عند الناس وذلك لما يشعرون به نحوه من العطف والحنان وما يكون له في صدورهم من التقدير والتعظيم والتبجيل .

وكثيرا ما كان ينتزع سيفه فيشهده في وجوه رجال السلطة الحاكمة او عندما يتأثرو يشتد انفعاله مما يراه من تخلف قومه وتقدم عدوه على حساب وطنه واتخذ بعض الناس ذلك منه دعوة الى الفروسية ورمزا لحمل السلاح في وجه الغاصبين ، وطالما صرح وهو في هذه الحال بعبارات وتصريحات جارحة في جانب المعمر ، رد بعضهم ذلك الى اسباب نفسانية والى انحراف وقع في مزاج الشيخ حيث اضحى عصبى المزاج متأثرا بما يحمله في صدره وينطوى عليه كشمه من الكآبة والبغضاء في جانب الاستعمار بالاضافة الى ما هنالك من اسباب وراثية أخرى ، وهو الى ذلك لا يفتأ عن القاء دروسه في المدرسة وفي المسجد ويفتي ويجيب سائليه عن عويص المسائل في جميع ما تخصص له من فنون العلم والمعرفة بدون أن يخرج عن الموضوع ، واذكر يوما انني كنت مرافقا لصديقي الاستاذ حمزة بركرشة وكان اذاك امتع الله به حديث عهد برجوعه من جامع الزيتونة بعد أن حصل على رتبة التطويع العلمية ، فلمحنا الشيخ جالسا بجانب متجر على قارعة الطريق وهو في طوره الثاني من حياته ، فقلت

لصديقي تعال نتقدم نحو الشيخ لنسلم عليه ونختبر حاله ، واتفقنا على أن نطرح عليه سؤالا علميا ، وقلت لصديقي بما انك حديث عهد بمجالس ودروس جامع الزيتونة وانك خبير بما يجري من المناقشة بين الاساتذة والطلبة في الفنون المدروسة هناك ففضلت انت بالقاء السؤال وبعد المفاوضة في تعيين موضوع السؤال اتفقنا على أن يكون في البلاغة ، فكان الامر كذلك ، وكان موضوع السؤال هو باب الفصل والوصل من علم المعاني وبعد أن اطرق الشيخ هنيهة تدقق كالسيل الجارف يحلل الموضوع تحليلًا شافيا أتيا بالشواهد والامثلة من القرآن الكريم ومن كلام العرب فاستقدنا من كلامه فوائد جلية وحقائق دقيقة وقيلنا يده وانصرفنا . وللشيخ اخبار واثار عجيبة يرويها عنه العامة هنا وهناك وهي غامضة وخارقة للعادة في بعض الاحيان وعدما بعضهم من الكرامات . واستمر الشيخ على هذا النمط من حياته فترة من الزمن ثم استقرت حاله وسكن نوعا ما ثم انتابه الامر مرة ثانية بصفة أهون من حالته الاولى ، وهكذا الى أن حل شهر رمضان لسنة ١٣٥١ هـ .

فانه لما حل هذا الشهر اجتمع جيران الشيخ وهم سكان ضاحية (الحامة) بيلكور من العاصمة وقرروا فيما بينهم التوجه الى الشيخ ليعقد لهم مجالس دينية في ليالي رمضان ووقع اتفاقهم على أن يكون مجلس الدرس بجامع زاوية الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهرى - بالقرب من سكني الشيخ - وعلى أن يكون زمن الدرس فيما بين العشائين وعرضوا عليه ذلك فوافقهم عليه ، وشرع بالفعل في تدريس ردالة ابن أبي زيد

وودع الدنيا ملبياً دعوة مولاه : « يا ايها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي
في عبادي وادخلي جنتي » . فختمت انقاسه
الزكية ليلة الخميس ٥ رمضان = ١٩٣٣/١/٢ م
ومضى منصرفاً الى جوار ربه مستقبلاً وجه البقاء
فشيعت جنازته من الغد في جم غفير ودفن بتربة
الشيخ عبد الرحمن الثعالبي رحم الله الجميع
ورثاه على قبره بعض شيوخ المدرسة والتلاميذ
وبعض السياسيين من الحكام مترحمين أسفينين .
تلكم هي الخطوط العريضة من حياة شيخنا
عبد الحليم بن سماية قدس الله روحه .

القيرواني من أول رمضان وكان يأتي للدرس ولا
يحمل معه سوى المتن فقط ، قالتف حوله الجمهور
واقبل عليه الناس يتعلمون ويتبركون وسار بهم
الشيخ على هذا المنهاج اياماً اربعة ، وفي الليلة
الخامسة من الشهر المبارك حضر الى المجلس
كعادته وشرح في تقرير موضوع الدرس ، وفي
الاثناء شعر يفتور عام في جسمه وعلاه شحوب
قصمت هنيهة ، فلما رآه الحاضرون على ذلك
فزعوا اليه واخذوا بيده واسعفه بعضهم فمشى
معه ورافقه الى منزله الذي هو قريب من مكان
الدرس ، وما ان رجع القوم من المنزل حتى ودعهم



من آثارنا المغمورة

بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد

لأب زكريا يحيى ابنه فلدون

من بين الآثار الثقافية الوطنية التي لم يلتفت إليها الباحثون ولم يعطوها حق قدرها ، كتاب « بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد » ، وهذا رغم نفاسة هذا المصدر بالنسبة للمنقب عن تاريخ الجزائر في القرنين السابع والثامن من الهجرة (الثالث عشر والرابع عشر من الميلاد) ، ورغم قيمته لدارسي الأدب والحركة العلمية في ذلك العهد . فقد بقي هذا الكتاب مهملا منسيا ، لم يكتب مقال عن صاحبه ، ولم يدرس محتواه ، ولم يفكر احد في اعادة نشره وجعله متداولاً بين

محمود بوعيار

مدير المكتبة الوطنية
- الجزائر -

الباحثين وجمهور القراء ، حتى كأن الكتاب تناول موضوعا لا يهتم احدا ، ولا يمت بعلاقة الى تراثنا وتاريخنا . وقد اعتنى المستشرقون في اوائل هذا القرن الميلادي فنشره ادهم كما سنذكر ، غير ان الناشر لم يخرج الا نسخا قليلة على عادة المستشرقين في ذلك العهد حيث ان كل انتاجهم كان موجها الى اقلية من المتخصصين . فأصبح الكتاب مفقودا لا تملكه الا بعض المكتبات . وفي الفترة الحاضرة التي كثرت فيها المساعي لحياء التراث ، قصدنا بهذا المقال الفات اهتمام الباحثين لهذا الاثر ، بتذكيرهم بوجوده ، وبالتحدث عن محتواه .

مؤلف الكتاب :

ولد يحيى بن خلدون سنة ٧٢٤ هـ - ١٣٣٣ م بتونس حيث اخذ العلم على نفس الشيوخ الذين تتلمذ لهم أخوه عبد الرحمن صاحب كتاب العبر ، ولا نعرف عن حياة يحيى الا النزر اليسير ، وكل ما نعرفه مستخرج من كتابه « بغية الرواد » ، ومن المعلومات القليلة المذكورة في « كتاب العبر » لعبد الرحمن الذي خص فصلا صغيرا من كتابه لمقتل اخيه الاصغر سماء : « وثبة ابن تاشفين بيحي بن خلدون كاتب ابيه » (١) . وذكر أخاذا ايضا في ترجمته الشخصية في آخر كتاب العبر . وهكذا عرفنا أن يحيى بعدما تولى مناصب لا شأن كبيرا لها ببجاية عند امرائها الحفصيين ، عينه ملك تلمسان أبو حمو موسى ، بوصية من أخيه عبد

الرحمن ، في منصب كتابة الانشاء سنة ٧٦٩ هـ - ١٣٦٨ م . وكان كاتب الانشاء في الادارة الزيانية بتلمسان في منزلة كاتب الدولة والوزير في النظام السائد اليوم في العالم ، وبقي يحيى في منصبه الى سنة ٧٨٠ هـ ، وهي السنة التي ذهب فيها ضحية مؤامرة دبرها أبو تاشفين ابن السلطان أبي حمو .

وكان يحيى اديبا ميالا الى البديع في المنثور والمنظوم ، ولم يخلف حسب مالدينا من معلومات ، الا كتابا واحدا هو « بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » . وقد نشره مع ترجمة فرنسية المستشرق الفريد بيل ما بين سنة ١٣٢١ هـ - ١٩٠٤ م وسنة ١٣٣٢ هـ - ١٩١٣ م بالجزائر في جزأين وثلاثة مجلدات (٢) . وقد احتوى المجلد الاول على تاريخ تلمسان ، وتاريخ الدولة الزيانية الى تولية أبي حمو موسى ، ونشرت الترجمة الفرنسية في نفس المجلد . وقسم الناشر الجزء الثاني الى مجلدين ، الاول نشر فيه المتن العربي وكله خاص بأخبار أبي حمو وضم الثاني ترجمته الفرنسية .

عنوان الكتاب :

ان ناشر بغية الرواد قد اكتفى في غلاف الكتاب المنشور وفي صفحة العنوان الداخلية ، بذكر العنوان التالي : « بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد » ، غير أننا عثرنا داخل المتن من الكتاب المنشور ، على عنوان اطول ، ولا مرأ انه العنوان الحقيقي الذي اسنده يحيى لكتابه ، بدليل انه قال : وسميته : « بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد » ، وما حازه مولانا أبو حمو من

(١) كتاب العبر ، ج ٧ ص ٢٩٢ - ٢٩٣

(٢) IBN KHALDOUN (Abou Zakaria Yahia) : Histoire des Béné 'Abd El-Wad, Rois de Tlemcen, édit. et trad. par Alfred Bel. - Alger, 1903-1913.

وهذا ما يفسر لنا أن ثلثي الكتاب خصهما المؤلف لأخبار أبي حمو وأخبار عصره ، وهذا ما يبين لنا أيضا كما سنرى ، تملق يحيى ، وتودده للدولة الزيانية بأجمعها ، وتملقه لمستخدمه الملك أبي حمو .

وقسم ابن خلدون كتابه الى ثلاثة اقسام ، ثم قسم كل قسم الى ثلاثة ابواب ، وكل باب الى عدة فصول .

أما القسم الاول فخصه « للتعريف بكنه قبيل عبد الواد وأوليته » وأول ابوابه الثلاثة « فى ذكر محل اعتمازه من الارض » . ووصف فيه مدينة تلمسان وذكر محاسنها ، وما قيل فيها من اشعار ، ثم انتقل الى « تعداد من انجبهته تلمسان واستقر بها من العلماء والصالحين » . وترجم المؤلف فى هذا الفصل الهام من الكتاب ، لثمانية وخمسين ومائة عالم وصالح ، من بينهم بعض اشياخه ، واعقب هذه التراجم بخلاصة تاريخ مدينة تلمسان ابتداء من الفتح الاسلامى الى عهد الموحدين ، وهو زمان ظهور بنى عبد الواد ، « وتملك هذا القبيل الشريف بلد تلمسان » (٧) .

والباب الثانى من القسم الاول ، « فى التعريف بجنس هذا القبيل الكريم وقضله » . واستهله « بذكر البربر ومنتهى زناقة فيهم » . وإذا كان يحيى قد ذكر باختصار الروايات المختلفة الشائعة عن نسب البربر وتقسيم قبائلهم ، فإن

الشرف الشاهق الاطواد » (٣) ، وهو أدل على محتوى الكتاب لأن ثلثي الكتاب تقريبا خصهما المؤلف لذكر أخبار الملك أبي حمو موسى ، كما سنرى بالتفصيل بعد قليل فى الفصل الخاص بمحتوى الكتاب . ونعثر فى المصادر القديمة على روايات أخرى . فبعض نسخ المخطوط كتبوا : « نجعة الرواد » عوض « بغية الرواد » وقد ذكر هذه الرواية الفريد بيل ، وقد عثر عليها فى أحد المخطوطات التى اعتمد عليها ، فأشار اليها فى هامش الكتاب المنشور (٤) . أما أحمد المقرئ فى نفح الطيب ، فذكر رواية ثالثة ، فقال : « بغية الرواد فى أخبار بنى عبد الواد ، وأيام أبي حمو الشاهقة الاطواد » (٥) ، عوض « وما حازه مولانا أبي حمو من الشرف الشاهق الاطواد » ، وهكذا لم يلتزم كل من ذكر بغية الرواد ، العنوان الذى أعطاه المؤلف لكتابه .

محتوى الكتاب :

الف يحيى بن خلدون بنية الرواد بطلب من أبي حمو موسى حسيما صرح هو فى مقدمة الكتاب . فبعد أن تحدث عن مشروع تدوين « ما جمعته سيرته الكريمة من حرب وسلم ، وتخليد ما لدولته الكريمة من معال الخ » . قال : « وكنت ممن يأمره أعلى الله مقامه بذلك ثم رايت أن امتثال امره العزيز علي فرض ، وأن طاعته من طاعة الله على بعض ، فانتدبت لاملأ هذا الكتاب راكبا فيه لرضاه الاخطار الخ » (٦) .

(٣) بغية الرواد ج ١ ص 6

(٤) نفح الطيب ج 9 ص 340

(٥) بغية الرواد ج 1 ص 4

(٦) نفس المصدر ج 1 ص 88

اقتفى هذا الراي محمد التنسي في كتابه «نظم الدر والعقيان في شرف بني زيان» وذكر هو ايضا أن بني عبد الواد من ذرية القاسم الادريسي، خلافا لباقي بطون زناتة * أما عبد الرحمن بن خلدون فقد أنكر هذا التسبب واعتبره «مزعما لا مستند له الا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه» (١١) *

أما الباب الثالث من القسم الاول هذا، فهو خاص «بالتعريف بأولية بني عبد الواد» وترحيل (كذا) أيامهم * وقد عاد المؤلف في هذا الباب الى تاريخ القبيلة مبتدئا بعهد الموحدين، حين ترك بنو عبد الواد الصحراء واستقروا بالقل الذي اتخذوه مربعا «بما أتسود من خصبه وغضارة عيشه» (١٢)، مسالمين الدولة الموحدية، خلافا لابناء عمومهم من بني مريـن الذين ثـمادوا في مناهضتها ونصب العداء لها * ثم انتقل المؤلف الى «ذكر سبب مصير الملك اليهم»، وذلك حين استولى جدهم جابر بن يوسف، في عهد الخليفة المامون الموحدي (١٣) على تلمسان، «واستقل بحكمها، الا ما كان من ذكر المامون على المنبر، وفي الدرهم والدينار» (١٤) *

وأتبع ذلك «بذكر من ولى منهم غير مستبد» أي من بقى من الامراء على طاعة خليفة مراكش من الدولة المومنية *

اخاء عبد الرحمن قد اطنب في الحديث عن هذا الموضوع، وخص صاحب البغية الفصل التالي «لذكر شعب بني عبد الواد» الذي ينتسب الى زناتة، كما ينتسب الى زناتة ايضا بنو مريـن * وسرد باختصار تاريخ بني عبد الواد، وذكر طاعتهم لعقبة بن نافع فاتح المغرب، واهداهم اياه بالنجدات ثم اتصالهم بالمهدي بن تومرت * ومما ذكر في هذا الفصل حادثة وقعت بين بني عبد الواد وبني مريـن، أيام عبد المؤمن الذي استنجد بالاولين على الآخرين * وهذه الواقعة حلقة من سلسلة الوقائع التي ادت الى العداوة والبغضاء بين القبيلتين القريبتين المنتسبتين الى جد واحد *

ونكرر يحى في هذا الفصل ان بني زيان شرفاء، وذلك لأن احد الادارسة من سلالة ادريس مؤسس الدولة الادريسية بناس، واسمه القاسم «انضاف الى بني عبد الواد وتزوج فيهم، ونسل بينهم ذرية صالحة» (٨) منهم الملوك من بني عبد الواد * وزاد قائلا: «فبنو القاسم هم الذين حازوا الشرف» (٩) الى ان قال: «ولا يسمع للطعن في هذا النسب الكريم لأنه من الشهرة في الافاق، والفشو في القبائل والاباء (كذا)، بحيث لا يحجبه بعد دار، ولا يجحده لسان عدو» (١٠) * وقد

(8) بغية الرواد ج 1 ص 102

(9) نفس المصدر ج 1 ص 102

(10) نفس المصدر ج 1 ص 103

(11) العبر ج 7 ص 149

(12) بغية الرواد ج 1 ص 104

(13) خليفة من سنة 624 هـ - 1227 م الى سنة 630 هـ 1232 م

(14) بغية الرواد ج 1 ص 107

والباب الثاني « في أوليته ومصير الملك اليه » * وينتهي الكتاب بالباب الثالث وهو أطول باب في الكتاب (١٥) * وقال عنه المؤلف ، « انى ذكر في هذا الباب ما التزمته من تفصيل ما اشتملت دولته من حرب وسلم ، وتفريق ولم ، وحكمة وحكم » (١٦) * وترك المؤلف في بداية هذا الباب ، تقسيم المتن الى ابواب وفصول ، وشرع في طريقة جديدة لتدوين الاخبار ، فرتبها على السنوات ، مثلما فعل قبله ويعدده ، عدد كبير من المؤرخين الذين فضلوا ترتيب الاخبار على السنين بدلا من التبويب *

وشرع يحيى في تدوين الاخبار على المنهج الجديد سنة ٧٦٠ هـ - ١٣٥٩ م وهي سنة «استقرار ابي حمو بدار الملك » ، وينهى اخباره في سنة ٧٧٧ هـ - ١٣٧٦ م اي قبل مقتله بثلاث سنوات * ومما لاشك فيه ان يحيى لم يتم كتابه اذ كان في نيته مواصلة تدوين اخبار مولاة * ويفهم ذلك من النص الذي بين ايدينا ، فقال المؤلف حسبما ذكرت بعض النسخ ، لا كلها كما بين ذلك الناشر * قال « تم السفر الاول من كتاب بغية الرواد الخ * » ، (١٧) * ولو لم يكن في نية يحيى ان يواصل حديثه لما ذكر ان ما كتب هو السفر الاول * واكبر الظن ان الموت حال بينه وبين مواصلة التصنيف * هذا هو مضمون الكتاب عرضناه باختصار * والجدير بالذكر ان يحيى بن خلدون لم يعن باخبار باقى العالم ، فكان محور حديثه الدولة الزيانية وبالأخص ابا حمو موسى ، فلم يذكر اخبار بنى مرين وبني حفص الا اذا كانت لها علاقة بتاريخ الدولة العبدوادية *

اما القسم الثاني الذي قسمه يحيى بن خلدون ايضا الى ثلاثة ابواب فقد خصه المؤلف لذكر السلاطين من بنى عبد الواد * وذكر في الباب الاول تباعا الملوك الاولين ، واخبار دولتهم ، والوقائع التي خاضوها ضد بنى مرين وما اكثرها الى ان بلغ بحديثه خبر مقتل الملك ابي تاشفين بباب قصر « المشور » سنة ٧٣٩ هـ - ١٣٣٩ م ، وطمس معالم الدولة على يدى السلطان المريني ابي الحسن * ثم اتى في الباب الثاني بخبر « احياء الدولة عقب العفاء » *

اما الباب الثالث والاخير من هذا القسم فهو خاص باخبار « دولة السلطانين ابي سعيد وابى ثابت » * وكان على ايديهما احياء الدولة سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م * فجلسا على عرش ابائهما واقتسما مقاليد الحكم بدون ان يحدث بينهما اى خلاف ويفرقهما اى شقاق *

وخص المؤلف القسم الثالث من كتابه « لما حازه امير المسلمين مولانا ابو حمو من الشرف الشاهق الاطواد » * وهذا القسم كما قلنا سابقا هو اطول اقسام الكتاب * وقسمه المؤلف مثلما فعل في القسمين السابقين ، الى ثلاثة ابواب : الاول « في نكر سجاياه وسيره الحميدة » ، وأورد فيه بالخصوص مساعي ابي حمو لحياء الدولة الزيانية بعد ان قضى عليها من جديد السلطان المريني ابو عنان ، ومما تجدر الاشارة اليه ان السفر الثاني من كتاب « زهر البستان في دولة بنى زيان » لمؤلف مجهول قد استهله صاحبه هو ايضا بذكر اخبار احياء الدولة على يد ابي حمو موسى *

(١٥) بغية الرواد من ص ٣٧ الى ص ٣٣٢ من ج ٢

(١٦) نفس المصدر ج ٢ ص ٣٧

(١٧) نفس المصدر ج ٢ ص ٣٢٧

الآخبار تتعلق بالفترة الاولى للدولة لم يذكرها أخوه * ويشترك المؤلفون الاربعة فى ظاهرة واحدة وهى اتصالهم كل واحد فى وقته ، بفترة من الفترات التى دونوا تاريخها ، فكانت روايتهم رواية شاهد عيان احيانا ، غير ان التنسى لم يهتم فى « النظم » بتاريخ ملك زمانه ووعد بتأليف كتاب خاص به * وتميز عبد الرحمن من بين الاربعة ، بنقده للأخبار ، ونفيه لبعض الخرافات ، ومنها الحاق بنى عبد الواد بسلالة على بن ابي طالب . كما تميز بعدم تحيزه لدولة من الدول المغربية التى اتصل بها وخدمها *

أما اتصال يحيى بن خلدون بالدولة ، فكان ناتجا عن طبيعة عمله * فقد مكثه منصبه وهو كتابة الانشاء ، من استعمال الوثائق الرسمية من رسائل ، ومعاهدات من ناحية ، وبالاتصال برجال الدولة من الذين لعبوا دورا فى اكثر الاحداث التى سردها أو كانوا من المشاهدين لها من ناحية اخرى * واكبر الظن ان يحيى سمع روايات شيوخ بنى عبد الواد عن تاريخ قبيلتهم ، كما مكن له منصبه من التقاط الاخبار من كل تلك الشخصيات التى اخذها ابو حمو رهنا كما ذكر عبد الرحمن بن خلدون من اهل العمالات ، وقبائل زناتة ، والعرب ، حتى من قومه بنى عبد الواد * * « وتجاوز ذلك الى اهل الامصار والثغور من المشيخة والسوقة » * واسكنهم بجانبه فى عاصمته (١٨) - فنعتقد ان يحيى جمع ما كانوا على علم به من اخبار قبائلهم واخبار منازل عشائرتهم فاطلع هكذا عن كتب على اخبار الدولة دقيقتها وجليلها . فجاء كتابه مشحونا بالتفاصيل التى استفاد منها من أعقبه من المؤرخين فنقلوها عنه ومنهم المقرئ فى كتابيه « نفح الطيب »

وكان لثقافة يحيى بن خلدون الواسعة ، وليله للادب والبلاغة ، اثر كبير فى بغية الرواد * فجاء الكتاب وبالخصوص الباب الطويل الخاص بابى حمو موسى ، مشحونا بالاشعار وبأوصاف المجالس الادبية ، ويجتمع يحيى فى هذه الظاهرة مع معاصره ، مؤلف زهر البستان ، ومع التنسى فى نظم الدر ، وكثيرا ما نجد نفس القصائد فى الكتب الثلاثة ، واغلبها لشعراء من المغرب الاوسط بينما تميز عبد الرحمن بن خلدون بعدم ايراده الشعر ، الا ما ذكر فى المقدمة وفى ترجمته الشخصية * وسبقت الاشارة الى ان صاحب البغية اهتم اهتماما كبيرا بحياة العلماء والادباء والصالحين ، فترجم لعدد كبير منهم فتحوا عيونهم بتلمسان او استقروا بها * وقد خالف بذلك كلا من صاحب زهر البستان واخيه عبد الرحمن والتنسى *

قيمة الكتاب :

من المعروف عند الباحثين المهتمين بتاريخ الجزائر فى العصر الاسلامى ، ان اركان التاريخ الزيانى ثلاثة ، وهى : بغية الرواد ليحيى بن خلدون وكتاب العبر لأخيه عبد الرحمن ، ونظم الدر لمحمد التنسى ، ولولا ضياع ثلثى كتاب زهر البستان فى دولة بنى زيان لا اعتبرناه ركنا رابعا ، غير ان اهميته نقصت بهذا البتر . واذا قارنا هذه المصادر الاربعة فيما بينها ، اكتشفنا ان لكل واحد منها مزاياه وخصائصه ، كما ان لكل واحد منها عيوبه . فان بغية الرواد تفوق فى الغالب كتاب العبر ، ونظم الدر بتفصيلها للأخبار ، لا سيما الخاصة منها بعهد ابي حمو * ويشاركها فى هذه الخاصية زهر البستان ، غير ان عبد الرحمن قد انفرد ببعض

الايوسط أو استقروا بتمسسان * فأنقذ بذلك انتاجا لولاه لضاع أكثره ، اذ ان كتب الادب او التاريخ الاخرى مثل نفح الطيب ونظم الدر التي اوردت شعر شعراء المغرب الاوسط ، قد نقلت أكثره عن زهر البساتن الذي يشاركه في الميزة نفسها *

واعتمادا على هذه المزايا والخصائص التي ذكرناها ، نرى ان يحيى بن خلدون قد وصف المملكة العبدوانية ، سواء من الناحية السياسية او من الناحية الادبية ، وصفا من الداخل اعتمد المؤلف فيه على محفوظات الدواوين ، وعلى اتصاله بالرجال ، وعلى رواية الرواة ، وفي الاخير على مشاهداته الخاصة التي مكنته منها خدمته للدولة ، فجاء كتابه أكثر من الكتب الاخرى الخاصة ببني عبد الواد وتاريخ دولتهم ، مرآة للحياة بالمغرب الاوسط على العموم ، وبتلمسان على الخصوص *

وقد اثر ميل يحيى الى الادب والبلاغة في اسلوب الكتاب ، فجاءت كتابته رصينة بديعة ، ولم يستعمل السجع الا قليلا فاستعمله بالخصوص في بداية بعض الابواب * ويشترك يحيى بن خلدون في هذه الظاهرة ، وهي رصانة الاسلوب ، مع التنسي غير ان اسلوب صاحب « نظم الدر » ، أكثر سلاسة وأكثر جمالا في نفس الوقت ، أما أخوه عبد الرحمن بن خلدون فانه لم يهتم بتنقيح الفاظه وتنميق صيغه *

ونجد بجانب هذه المزايا والخصائص ، نقائص في بغية الرواد ، وهي :

اذا كان لاقتراپ يحيى بن خلدون الوثيق من السلطان اثره في الاطلاع الواسع على احوال

« وازهار الرياض » ، والتنسي في « نظم الدر والعقيان » الذي اعتمد على بغية الرواد اعتمادا كبيرا ، وابن مريم في « البستان في ذكر العلماء والاولياء بتمسسان » ، وقد اشرنا سابقا الى ان يحيى اهتم اهتماما كبيرا بآثار الاولين ، فترجم لعدد كبير من العلماء والصالحين *

ومن امثلة الاحداث التي انفرد صاحب بغية الرواد بتدوينها بالتفصيل ، خبر احياء الدولة الزيانية سنة ٧٤٩ هـ - ١٣٤٨ م ، بعد ان أطاح بها ابو الحسن السلطان المريني عشر سنوات من قبل باستلائه على تلمسان ، فأكمل يحيى بهذه التفاصيل الاخبار التي اوردها اخوه عبد الرحمن في القسم الخاص ببني عبد الواد من العبر ، عن هذا الحادث كما ذكر تفاصيل جديدة عن نكبة ابي الحسن ونهايته ، لا نجدها كلها في القسم الخاص ببني مرين من العبر ، ولا عند مؤرخي الدولة المرينية والدولة الحفصية الآخرين *

سبق ان قلنا انه كان لثقافة يحيى بن خلدون وميله للادب ، تأثير كبير على كتابته بل على توازن كتابه * اذ أكثر من رواية القصائد الطويلة ، رواها في غالب الاحيان بحذاقيرها كما وصف المجالس الادبية ، وذكر للمترجمين لهم في سلسلة تراجمه لعلماء تلمسان وصلحائها ، تأليفهم ، واعتنى احيانا بالناحية الفنية ، فقال على سبيل المثال في ترجمة ابي الحسن القلعي : « كان فقيهاً أديباً حسن الخط ، مغربيه وشرقيه » (١٩) * وكان لاهتمام يحيى بن خلدون بالشعر ونقله للقصائد ، فضل كبير على الادب العربي على العموم والجزائري على الخصوص ، اذ انه لم يرو في أغلب الاحيان الا انتاج شعراء ولدوا بالمغرب

للدولة الحاكمة ، لتففس السبب وهو التقرب من السلطان ، إذ أن التنسي مع أنه لم يكن من موظفي الدولة حسب الظاهر ، دون كتابه هو أيضا تقريبا من السلطان محمد المتوكل ، بل بطلب منه ، فذكر هو أيضا كل ما يرفع من سمعة الدولة ، وسكت أو كاد عن كل ما يندس مجدها ، وينقص من نفوذها . واثبت بالخصوص بدوره أن بني زيان من الشرفاء . ونذكر بهذا الصدد أن بغية الرواد كانت كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، أهم مصدر لمحمد التنسي لكتابة نظم الدر ، إلا أنه لم يذكر دائما مصدره عندما نقل عنه ، وإن كان هذا النقل نقلا حرقيا لفقرة طويلة ، ومن الذين استعملوا البغية أيضا ابن مريم صاحب « البستان في ذكر العلماء والاولياء بتلمسان » . وقد ذكر المستشرق الفرنسي دي سلان أن عبد الرحمن بن خلدون رجع إلى كتاب أخيه لكتابة الفصل الخاص ببني عبد الواد في تاريخه (٢٠) ، فتمكن من احكامه وصقله غير أن المقارنة التي قمنا بها بدورنا بين كتابي الاخوين ، لم تبين لنا حقيقة رجوع عبد الرحمن إلى كتاب يحيى قبل تدوين الفصل الخاص بدولة أبناء يغمراسن .

هذه هي أهم مميزات بغية الرواد ، وهذه هي عيوبه ، غير أن هذه العيوب والنقائص يجب ألا تحجب عنا ، ولو قليلا ، فضل هذا الكتاب على تاريخ الدولة الزيانية ، وعلى الباحثين في تاريخها ، وكذلك على الدارس للأدب العربي بالجزائر . فالدلائل التي بسطناها في هذا البحث ، تدل كلها على أن كتاب يحيى بن خلدون ، من أهم مصادر تاريخ الجزائر ، ومن أنفس مصادر تاريخ أدبنا ، وأنه في انتظار من يهتم به ، فيخرجه أولا للناس ، ويعنى بعد ذلك بمحتواه ، يحلله ويدرسه (٢١) .

دولة بني عبد الواد ، وعلى سیر الاحداث الداخلية والخارجية ، قد ترتب عن هذه العلاقة نقص كبير وهو تحيزه لملوك تلمسان ، والتملق لهم ، وغض الطرف عن عيوبهم ونقائصهم « فمما تملق به لبني عبد الواد ، اثباته شرفهم رغم تفاهة الرأي القائل أن مجموع زناتة بربر ، سوى قخذ واحد، منها هو من سلالة قاطمة الزهراء ، وقد علمنا أن عبد الرحمن بن خلدون قد فنذ هذا النسب ونفاه نفيا باتا . ولم يظهر المؤلف على العموم فكرا نقادا في اختياره للأخبار . فسرد اغربها وابعدا عن الواقع والمنطق بدون تعليق ، وابداء شك في صحتها . لقد روى لنا مثلا في أول الكتاب ، احاديث نبوية لا يقبلها العقل ، تثبت فضل مدينة تلمسان على غيرها من المدن ، وذكر أن بها جدار موسى والخضر عليهما السلام ، بدون تفنيد لهذه الخرافة وهكذا . ودفعه التودد لمستخدميه من بني عبد الواد واصحاب النعمة عليه ، إلى الاطناب في الكلام متى احرزوا على نصر من ناحية وإلى الاختصار الكبير أو السكوت تماما من ناحية أخرى ، عن كل خبر هزيمة منى بها سادته أو جريمة ارتكبوها احدهم . غير أن يحيى لم يتعرض بسوء إلى اعداء بني عبد الواد من بني مرين وبني حفص ورؤساء بعض القبائل التي خذلت اصحاب النعمة عليه في أخرج المواقف . فلم يحط من قيمة احد ، ولم يشتم دولة ولا ملكا ، خلافا لما قام به مؤرخ الدولة المرينية ابن الأحمر في روضة النسرين ، من التشنيع بملوك تلمسان ، والصاق كل نقصية وعيب بهم .

ومما تجدر الإشارة إليه أن محمد التنسي صاحب « نظم الدر » جارى يحيى بن خلدون في مجاملة ملك زمانه من بني عبد الواد ، وتملقه

(20) IBN KHALDOUN : Histoire des Berbères, trad. de Slane, Tome I, P. XXXVIII, note 1.

(21) علمنا أخيرا أن السيد عبد الحميد حاجيات استاذ مساعد بكلية الآداب منكب على تحقيق بغية الرواد ، وأنه حصل على نسخة جيدة منه لم يسهلها الفريد بيل ، وأنه ينوي اخراج الجزء الأول منه في الشهور القادمة ، وفقه الله

مصادر البحث :

(١) المصادر العربية

- ابن الاحرر (اسماعيل بن يوسف) *
- روضة النسرین ***
- ابن خلدون (عبد الرحمن) * - كتاب
العبر ***
- التنسی (محمد بن عبد الله) * - نظم
الدر والعقیان ***
- زهر البستان فی دولة بنی زیان *

(٢) المراجع الاجنبية

- A. Bel-Ibn Khaldoun : Encyclopédie de l'Islam, II, 418-420
- A. Ibn Khaldoun . - Histoire des Berbères ,
trad. de Slane.



المظهر الاقتصادي والاجتماعي وصلته بالبيئة الجغرافية في بلاد العرب قبل الاسلام

بلاد العرب شبه جزيرة كبرى ، سماها العرب
جزيرة تصورا بأن الصحراء تمثل بحرا من
الرمال وهي حدها من جهة الشمال - وتعتبر
بادية العراق : السماوة ، وبادية الشام : الحماد
في اطار الحد الشمالي .
وتقسم بلاد العرب الى جزء جنوبي وآخر
شمالي ، يختلفان في مظاهر الحياة الاقتصادية
والاجتماعية والثقافية .

د . موسى لقبال

استاذ بكلية الآداب
- جامعة الجزائر -

ونميز في القسمين : الجنوبي والشمالي الاجزاء الآتية :

- اليمن وملحقاته - نجدا - الحجاز - تهامة - العروض . واساس التقسيم سلسلة جبال السراة التي تمتد من جنوب شبه الجزيرة الى شمالها .

وقديما ميز الجغرافيون والرحالة الاغريق والرومان في بلاد العرب بين ثلاث وحدات سياسية كبرى هي :

بلاد العرب السعيدة ARABIA FELIX وتتضمن بلاد اليمن وسائر جنوب الجزيرة

وبلاد العرب الصخرية ARABIA PETRA وتطلق على منطقة البحر الميت .

وشبه جزيرة سيناء وهي مركز دولة الأنباط وبلاد العرب الصحراوية ARABIA DESERTA وتطلق على ما بقى من صحارى ، وحرار ، ودارات في شمال الجزيرة العربية .

- ويظن ان شبه الجزيرة العربية هي الموطن الاصلى لمجموعة الشعوب السامية ؛ ومنها البابليون والاشوريون ، والعموريون ، والامازيغ ، والفنيقيون ، والعبرانيون والآراميون ، والعرب والاثيويون ، وقد خرجوا من شبه الجزيرة في هجرات متعاقبة ابتداء من منتصف الالف الرابع ق م . حتى القرن السابع الميلادى ؛ تفصل الواحدة منها عن الاخرى ألف سنة تقريبا .

- ويختلف جنوب شبه الجزيرة عن شمالها في مظاهر الحياة الاقتصادية ، ولهذا كان سكان

الجنوب من المستقرين المتحضرين ؛ وبقي معظم سكان شمال شبه الجزيرة من البدو المتنقلين للمرعى الحبيب والماء الوفير .

ويسكن شمال شبه الجزيرة - العرب المستعربة ، - الاسماعيلية ، العدنانية .

ويسكن جنوب شبه الجزيرة العرب العاربة والعرباء ، وهم بنو قحطان (يقطن في التوراة) واذا فللعرب جذمان رئيسيان هما :

القحطانية - او بنو قحطان ومنهم حمير ومن هؤلاء صنهاجة وكنانة وسائر البرانس .

العدنانية - او بنو عدنان - ومنهم قيس عيلان ومن هؤلاء زناتة وسائر البتر .

أما لماذا كان جنوب الجزيرة مركز حضارة واستقرار لفرع بنى قحطان وأسلافهم؛ فمرجهه :

- أمطار منتظمة وموسمية ؛ ووفرة .

- تربة صالحة للزراعة والغراسة .

- مناخ ملائم .

- موقع جغرافى بحرى - وجه السكان نحو البحرية التجارية ، وجعلهم مثل الفينيقيين من قبل - وسطاء في التجارة بين المراكز الحضارية في العالم القديم والوسيط .

- نظام سياسى مركزى قار ؛ تمثل في الدول العربية التي نشأت في جنوب شبه الجزيرة ، منذ الالف الثانى ق م . وكانت دولا تجارية واهمها : دولة معين عاصمتها القرناء (1200 - 950) ق م . وسبأ وعاصمتها مأرب (950 - 115) ق م .

ثم التجارة وكانت نشيطة في الداخل ، ومن أسواقها المشهورة سوق « موزا » وهي مخا الحالية ، كما كانت نشيطة مع الخارج ، أى مع مراكز الثقافة والحضارة في غربي آسيا ؛ وفي حوض النيل ، وفي اقليم البحر الابيض المتوسط .

وأهم متاجر الجنوب هي : التوابل (البهارات) العطور ، اللبان - القرفة ؛ بالإضافة الى البضائع التي كانت تفد من الحبشة ، والهند والبنجاب والصين .

وكانت هذه البضائع مرغوبا فيها ، ومطلوبة فكان اللبان مثلاً ، يستخدمه المصريون في التحنيط كما كانوا يحرقونه في هياكل العبادة وكانت التوابل يقبل عليها سكان البحر الابيض المتوسط .

ومظهر دور عرب الجنوب في الحركة التجارية كان في الاشراف على استقبال المتاجر الخارجية واحتكار بيعها ووضع مكوس مرتفعة عليها .

- ثم في تسويقها بأسعار مناسبة يحددونها بأنفسهم .

- وحراسة القوافل التجارية بواسطة خفراء وضعوا في محطات على طول الطرق التجارية

- وكانت متاجر الجنوب المحلية والمستوردة من الخارج ، تأخذ طريقها الى مصر ، وبلاد الرافدين وفتيقا عن طرق برية وأخرى بحرية ، وكانت الطرق البرية مفضلة عندهم ؛ فرارا من أخطار

وتعاصرها قتبان ؛ ثم حدير وعاصمتها ظفار (115 - 575 م . وهذه الدولة الأخيرة لم تقتصر في نشاطها على الميدان الاقتصادي التجارى مثل سابقتها ، بل طمح تباعثها وأقيالها الى التوسع العسكرى ، خارج مجال شبه الجزيرة ، ومن هنا نشأت قصص عن عظمة سبأ وثراء أهلها . وبلاط بلقيس ، مثلما نشأت قصص عن مغامرات وفتوحات الملوك الحميريين في العراق وفارس والهند وأفريقية التي تنسب الى إفريقس الملك الحميرى المشهور ، وفي ظل الانظمة السياسية السابقة عرف سكان جنوب شبه الجزيرة حياة حضارية تطورت في مستواها الى مدى يدعو الى الدهشة والاعجاب خاصة في مجالى الزراعة وتنظيم الرى ، والتجارة الداخلية والخارجية والحياة العمرانية ؛

وقد سميت بلاد اليمن نظرا لعمرائها المستبحر بالعربية السعيدة ، ثم بلاد القصور ، وبلاد الطيوب وأرض اللبان ؛ وبلاد السدود أيضا .

ومظاهر الحياة الاقتصادية في الجنوب هي :

- الزراعة الموسمية - وكان يبعث على نموها وازدهارها ، تنظيم الرى والمحافظة على المياه وحجزها فى سدود كبيرة ، لوقت الحاجة وقد اشتهر منها : سد مأرب ، أو العرم ؛ لانه ذكر فى سورة سبأ ، بيد أن مثله كثير حتى ان أحد شعراء اليمن من (مخالف يحصب) ذكر بفخر أن بلاده يوجد فيها وحدها ثمانون سدا ؛ وبالبقعة الخضراء من أرض يحصب ثمانون سدا تقذف الماء سائلا

هـ - وقد بدأت الانظمة السياسية البعيدة والمجاورة ترنو ببصرها الى موقع بلاد العرب الجنوبية؛ الذي ضمن لسكانها تمثيل دور الوسيط والمحتكر لتجارة الشرق الاقصى وافريقيا .

- فالفراعنة ليتيسر لهم الحصول على متاجر الشرق مباشرة اهتموا بربط النيل بالبحر الاحمر بواسطة قناة ؛ حفروا ستوسرت ؛ واهتم بها من جاء بعده وهي التي اصبحت خليج امير المؤمنين بعد فتح مصر على يد المسلمين .

والملكة حتشبسوت ارسلت بعثة الى بلاد بونت (الصومال) لهذا الغرض، ومثلها نحو تمس - وسليمان الحكيم - صاحب ارشليم - يتحد مع حرام حاكم صور الفينيقية ويسيران اسطولا تجاريا من خليج العقبة عبر البحر الاحمر الى شواطئ بلاد اليمن للحصول على متاجر الشرق وافريقيا مباشرة ، وكان الغرض الاساسي تحطيم الاحتكار الذي فرضه عرب الجنوب على التجارة بين الشرق الاقصى وعالم البحر الابيض المتوسط. - وقد فكر الاسكندر الاكبر في ضم بلاد العرب الى نفوذه ، فأرسل بعثة نارخوس لكشف الطرق البحرية .

- وائر وفاهه ، واستبداد البطلمية بمصر ، احيوا مشروع القناة التي تربط النيل بالبحر الاحمر ، وعرفت بقناة (بطلموس قنالا دلفوس) وغرضهم منافسة عرب الجنوب ، وكسر الاحتكار، والاتصال ببضائع الشرق وافريقيا مباشرة . - وقد نشط أحد الرواد الاوائل ويسمى

الملاحه في البحر الاحمر وفي الخليج العربي (الفارسي) .

- وعند طريق عرب الجنوب ، وجدت متاجر فنيقية وبلاد الشام سبيلها الى بلاد اليمن - وكانت المعاملة التجارية تتم مقايضة ؛ في هذه الحالة . والتجارة في البر كانت تنطلق من بلاد اليمن الى البتراء عاصمة الانباط ، والى غزة - وبعد ذلك تجد طريقها الى بلاد الشام والعراق .

أما التجارة في البحر فقد كانت تنطلق في البحر الاحمر الى خليج العقبة (ايليا) ومنه تحمل برا الى فلسطين وبلاد الشام ومصر .

وكانت السفن التي تحمل متاجر - لمصر الفرعونية ، ترسو في ميناء القصير على البحر الاحمر ، ثم تحمل المتاجر برا الى مدينة قفط على نهر النيل ، وبواسطته يتم نقل المتاجر الى منفيس وغيرها من مدن مصر القديمة .

وتصل البضائع التجارية الى العراق ، اما عن طريق الخليج العربي بحرا أو برا عن طريق القوافل التجارية .

وكانت نتائج الحركة التجارية واسهام عرب الجنوب فيها عظيمة وتمثلت :

- أ - في الازدهار الاقتصادي .
- ب - وفي التقدم في الحياة الثقافية والعمرانية
- ج - وفي كثرة السكان .
- د - ثم في التطور في اساليب الحياة الاجتماعية وشيوع الفنى واساليب الترف .

- وقد جاءت المحاولة الثانية لكسر الاحتكار ، من طرف الاحباش - الذين نظروا الى جيرانهم واقربائهم فى السلالة النسبية ، بنظرة ملؤها الحسد والغيرة؛ ولم تخل من التعصب الدينى ايضا - خاصة بعد أن أخذوا بالمسيحية - التى كانت دين اقلية فى اليمن، بجانب اليهودية، والوثنية - وتركز المسيحيون فى مدينة نجران - ولم يتيسر للاحباش احتلال بلاد اليمن فى القرن السادس الميلادى - الا عندما ظهرت مشكلة اضطهاد نصارى نجران ، من طرف الملك الحميرى ذى نواس - (وعرفوا بأصحاب الأخدود فى القرآن) ، عندئذ استجاب امبراطور بيزنطة جستينيان - الى نداء نصارى نجران - وحث الاحباش المسيحيين على تأديب الملك الحميرى ؛ واحتلال اليمن ؛ - وما كان هؤلاء يريدون غير ذلك منذ أمد بعيد تحقيقا لأهداف اقتصادية .

- غير ان النفوذ الحبشى ، ومن ورائه النفوذ البيزنطى - السياسى والاقتصادى لم يستقزا لان الحركة الوطنية فى الجنوب - بقيادة سيف بن ذى يزن - استمدت العون الخارجى من اعداء البيزنطيين ومنافسيهم على السيطرة السياسية والاقتصادية فى بلاد العرب - وهم الفرس الساسانيون - الذين ظهروا بمظهر حماة الوثنية ، واليهودية والنسطورية - تحقيقا لاهداف استراتيجية سياسية واقتصادية ، وبمساعدة الفرس ، صفى النفوذ الحبشى ، وعادت بلاد اليمن تحت حكم ابنائها ظاهريا يتزعمهم سيف بن ذى يزن - الذى سلك سياسة الشدة والعنف مع بقايا الاحباش فقتلوه .

- هبالوس - لكشف سر الملاحة البحرية فى بحر الهند ، وبحر العرب ، وكانت خطرة فى نظر الرحالة والجغرافيين الاغريق .

كما كان هم هبالوس ان يعرف اتجاه ربيع السموم ومواعيد هبوبها وكانت سرا لا يعرفه غير عرب الجنوب .

وعندما تجح هبالوس فى مغامرته ورجع من بحر الهند والبحر الاحمر الى الاسكندرية بسفينة شحنت ببضائع الشرق بدأ صرح الاحتكار يتهاوى وكانت بداية النهاية لنفوذ عرب الجنوب فى الميدان الاقتصادى ، اذ ظهرت اساطيل البطلمة فى البحر الاحمر ، واجتازت مضيق باب المندب .

- وقد ورث الرومان بعد احتلالهم مصر ، عن البطلمة سائر ممتلكاتهم وساروا على نهجهم فى ضرورة كسر الاحتكار ، والتوصل الى تجارة الشرق وافريقية مباشرة ؛ اذ كانوا فى أشد الحاجة اليها لترفهم ، ولحياتهم الدينية .

- وأول خطوة عملية خطاها الرومان - بعد احتلالهم مصر - هى ارسال حملة عسكرية بقيادة والى مصر الرومانى : ايلنيوس غالوس سنة 24 ق م ويساعده دليل من الانباط (سلاوس) فبلغت نجران فى الشمال ، ثم تجاوزتها الى مرياما - ثم حاق بها الفشل ولم يتمكن قائدها الذى فتك بجنده الوباء - من تحقيق اهدافه فى جنوب الجزيرة ورجع الى مقر ولايته فى مصر - وقد سجل اخبار هذه الحملة الفاشلة ، وعزا فشلها الى خيانة الدليل النبطى - المؤرخ والجغرافى اليونانى استرايون (24 م) الذى رافق قائد الحملة .

الاصوات بالشكوى ، وعندما نشط البرتغاليون للكشف عن طريق بحري مباشر الى الهند - ووقفوا في كشف طريق رأس الرجاء الصالح - انتقل مركز الثقل اليه - وتدهورت الحياة الاقتصادية في مصر ، وفيما جاورها . وعندما اراد البرتغاليون التوسع في البحر العربي والسيطرة على منافذ التجارة في البحر الاحمر ، والخليج العربي (الفارسي) واحتلال الحجاز ، بمساعدة الاحباش - ظهر الاتراك العثمانيون - فعدلوا الوضع ورجعوا الكفة الى جانب دار الاسلام وحسوا سكانها من غضب المستعمرين المبشرين في بداية العصور الحديثة .

- وقد وقع لسكان الجنوب العربي - في القديم - ما وقع لمصر المملوكية بعد كشف طريق مباشر الى الهند - في بداية العصور الحديثة .

- فضعت الانظمة السياسية .

- وتدهرت الحياة الاقتصادية .

- واهملت المرافق الحيوية للبلاد . وكان من مظاهر التدهور :

اهمال العناية بالسدود - فتفجر كثير منها - واشهر سد تفجر وكانت له اصداء خارجية هو سد مأرب (ماء راب أي كثير) .

- وكان من أثر ذلك :

- حدوث هجرات عربية من الجنوب الى الحجاز (الاوس والخزرج في المدينة) ، والى الشام (عرب غسان) ، والى العراق (عرب لحم في الحيرة) - وهذه الهجرات أثرت على تماسك المجتمع في بلاد

- واصبحت منطقة جنوب الجزيرة منطقة صراع دولي عنيف يتخذ شكلا سياسيا ودينيا ولكنه كان في جوهره صراعا اقتصاديا بين امبراطوريتين عظيمتين هما : امبراطورية الروم البيزنطيين ، وامبراطورية الفرس الساسانيين .

- وكان لكل من الدولتين ماض قديم وعلاقات تاريخية مع العرب في باديتي الشام والعراق ، فعلاقة الفرس باللخمين او المناذرة من عرب الحيرة جنوب الفرات ، تحاكيها علاقة منافسيهم بعرب غسان او الغساسنة عرب جليق وحوارن في بلاد الشام .

- وهكذا كان موقع جنوب الجزيرة - واشراف عربها على تجارة الشرق واحتكارهم للبضائع المرغوب فيها سببا في احتدام النزاع الذي هدا قليلا وتجمد بظهور الاسلام ودخول اليمن دائرة الدولة العربية الاسلامية ، التي اطاحت بنظام الساسانيين ، وازاحت نفوذ البيزنطيين عن كل من هو عربي سواء في شمال الجزيرة ، أو في جنوبها ؛ أو في بلاد الشام وافريقية أيضا .

- ويلاحظ ان الطريق التجاري - بين الشرق الاقصى - واروبا الغربية في العصور الوسطى - كان يمر ببرزخ السويس الى البحر الاحمر ، والبحر العربي - والمحيط الهندي وبسبب مرور التجارة عبر هذا الطريق - استفادت الانظمة السياسية في مصر وفرض سلاطين المماليك شروطهم على التجار الاوربيين - كما فرضوا مكوسا باهظة ، مما كان له أثر في ارتفاع

ومن العرب ابن الحائك الهذاني في كتابيه «الاكلي» و «صفة جزيرة العرب» .

واعظم من كشف عن مظاهر الحضارة العربية في الجنوب - الرواد الاوربيون في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر م وأشهرهم : كارستن نيبهر وجوزيف هاليفي ، وادوار غلازر .

وبفضل هؤلاء عرفت حضارة عرب الجنوب كما دونوها على الرقم والأحجار ، بالابجدية الحيرية او السيائية القديمة وتعرف بالخط المسند الذي يختلف كلية عن ابجدية الشمال ، او الخط الشمالي الذي دون به القرآن .

أما شمال شبه الجزيرة العربية حيث بنو عدنان او الاسماعيلية الذين عرف بعضهم في الكتابات القديمة باسم السراقينو : الشرقيين Les Sarrasins بسبب اغاراتهم المستمرة على مراكز الحضارة والاستقرار ، فكان حظهم من هذه الحضارة ضعيفا ، اذا استثنينا مدن الحجاز ، ومنطقة الواحات ، والتهائم ، والاطراف حيث بادية الشام والعراق :

فكانت المناطق الداخلية في شمال شبه الجزيرة - صحراء جرداء قليلة العمران ، او خالية (الربع الخالي) يسودها الجفاف ، وبالتالي فتربتها غير صالحة للزراع ، وانما تصلح للرعي احيانا .

وكانت الانماط البدوية هي السائدة بين سكانها القليلين ، مثل الانماط التي سادت بين فرغ البتر في افريقية ، والروح القبيلية هي القوة المسيطرة على بدو الصحراء ، وبالتالي :

الجنوب ، فتفرق ايدي سبا - كما يقال في المثل العربي .

- وقد انتقل من جراء ذلك مركز الثقل والقيادة من جنوب الجزيرة الى شمالها ومن عرب بنى قحطان الى عرب بنى عدنان ، ومنهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ولئن فقد عرب جنوب الجزيرة تماسكهم كمجتمع ، وكنظام سياسي ، فقد استمر دورهم ايجابيا بعد ظهور الاسلام . ومظاهر الايجابية تبدو :

- في اسهامهم في نشر الحركة الاسلامية خارج بلاد العرب دعاة ، وجنودا ، ثم في صناعة السفن واقامة نواة للبحرية الاسلامية ؛ حيث كانت لهم خبرة سابقة في الملاحة البحرية .

- ولقد كانت اعدادهم في جيوش الفتح كثيرة ، وقد كونوا لهم مراكز ، وطبقات ، وبقوا في مواطن هجرتهم سواء في المشرق أو في المغرب والاندلس يعتزون بأصلهم وبتقاليدهم .

- ولم يخل دفاعهم عن كياناتهم وتقاليدهم من ريع الشقاق والعداء - بينهم وبين عرب الشمال . - وحوليات التاريخ الاسلامي في المشرق وفي المغرب والاندلس - حافلة بصراع القيسية وتمثل نزعة عرب الشمال مع الكلبية وتمثل نزعة عرب الجنوب .

أما آثار حضارة الجنوب العربي وما صنعه بنو قحطان فقد اشار اليه من الجغرافيين والرحالة الاغريق هيروdot (ق5م) ثم استرابون (ق2م)

وازدهرت الحياة الاقتصادية في المدينة (يثرب) لسببين :
 - موقعها على طريق القوافل التجارية المتجهة الى الشام ،
 - نشاط سكانها العرب ، وجاليته اليهودية ، فكان بنو قينقاع صاعقة ، وبنو النضير وبنو قريظة زراعاً مثل يهود خيبر .
 أما وسائل العيش ومظاهر الحياة الاقتصادية بين سكان شمال الجزيرة فتختلف بين البدو والمستقرين .

فأما البدو فقوام حياتهم :
 أ - التنقل والرحلة حيث مواطن الكلا والماء ، وقلة هذه الأماكن ، وكثرة قصاها ، مع عدم وجود نظام وازع ، وروح فردية مفرطة بنين البدو - جعل النزاع امراً لا مفر منه . وبعض حروب العرب او ايامهم تفهم اسبابها على ضوء ضيق الحياة الاقتصادية .
 ب - ثم الاغارة على مراكز الاستقرار والحضارة لآخذ ما يحتاج اليه البدوي ، وحيانا اخرى كانت الغارات توجهها قبيلة ضد اخرى مجاورة او بعيدة لنفس الهدف ، ويصور ذلك شاعر قديم بقوله :

أغرّن من الضباب على حلال
 وضية انه من حان حانا
 وحيانا على بكر اخينا
 اذا ما لم نجد الا أخانا

وبين العرب من يغيرون وهم في غنى ويسر - وهم فرسان العرب او فتيانهم او الصعاليك -

فلم يكن هناك في اي وقت قبل الاسلام نظام سياسي جامع لكل بدو شمال الجزيرة - بل كانت هناك حكومات قبلية في عصر الجاهلية .
 أما منطقة الواحات واغلبها في شمال الحجاز ، فهي مراكز للزرع والضرع ، وينعم سكانها بحياة مستقرة وهادئة بسبب وجود الماء ، ومن ذلك واحة خيبر ، ووادي القرى ، وفدك وتيماء .
 وكذلك تسود حياة الاستقرار للزراعة والغراسة في منطقة تهامة وهي السهول الساحلية المجاورة للبحر الاحمر .

أما مراكز الحضارة والاستقرار في شمال شبه الجزيرة ، فهي المدن المشهورة : مكة (بكة) وتعرف بأم القرى (موطن قريش) وبجوارها مدينة الطائف ، حيث قبيلة ثقيف ، ثم يثرب وهي المدينة المنورة . ففي هذه المدن الثلاث كان مستوى الحضرة والرفاهية رفيعاً .

اذ كل مدينة كانت تنعم بنظام اشبه بنظام الحكومة (قارن ذلك بالحياة في المدن اليونانية والفينيقية) .

وازدهار مكة آت من :

أ - نشاط قريش في التجارة ،
 ب - ومن كونها قبلة القبائل العربية في الشمال ، بسبب وجود الكعبة مقام ابراهيم ، ومجمع الاصنام العربية ، والاسواق المشهورة ، ومن أشهرها سوق عكاظ التي كانت تفيد منه قبيلة ثقيف في الطائف بسبب قربها من مقر اقامته .

وهذه العناصر هي سبب ما تمتعت به مكة وسكانها قريش من مكانة في نظر القبائل العربية قبل الاسلام .

ب - التجارة الخارجية ، وبسبب ذلك - قام رجال قريش بدور الوسيط التجاري - مع مراكز الحضارة في حوض النيل والفرات وفي منطقة بلاد الشام ، وقارس وبلاد الحبشة ايضا .

ولشهرة قريش : البطاح (الدواخل) والظواهر (اطراف مكة) بالتجارة مع الخارج، قيل ان اشتقاق الكلمة ، من التقرش وهو التجارة او التجمع من أجلها ، او للحصول على القرش .

وقد نوه القرآن بتجارة قريش ، وأشار الى بعض رحلاتهم الخارجية ومنها رحلتان موسميتان - رحلة الشتاء الى اليمن والجنوب العربي ، - ورحلة الصيف الى بلاد الشام وما جاورها .
وفضلا عن ذلك :

كانت لقريش رحلات الى الحبشة للتجارة ، وبفضل هذه الصلات عرف الرقيق الاحباش في بلاد الحجاز ، ومنهم طائفة عرفت بلقب : الاحابيش ، وكان دورهم حفظ الامن والنظام في مكة ، وحراسة القوافل التجارية .

ومما له دلالة عن علاقة قريش بالحبشة ان اول سفارة قرشية لمكايدة الدعوة الاسلامية كانت اليها ، وقد رأسها عمرو بن العاص .

ولعرفة الرسول (ص) بهذه العلاقة القديمة بين قريش والحبشة امر اصحابه بالهجرة اليها

الذين يأخذون من الموسرين ، ويعطون للمعسرين ج - وحراسة القوافل التجارية ليلا في مجاهل الصحراء ، والدفاع عنها ضد المفيرين وارشاد رجالها الى المسالك والدروب كانت وسيلة للكسب ايضا .

اما المستقرون في الواحات والتهائم فقوام حياتهم :

الزراعة - ثم الصناعة والتجارة ايضا .
ولما كانت الزراعة موردا لا يفي بحاجة السكان الذين يتكاثرون - كانت تحدث الهجرة ، اختيارا ، فاذا اجتاحت البلاد موجة الجفاف ، اضطر الناس الى الهجرة بحثا عن مجال حيوى للعيش .

وقوام حياة سكان المدن الحجازية :
أ - التجارة الداخلية - وتكون في داخل المدن ، او في الاسواق الموسمية التي تجتمع القبائل من كل ناحية في اوقات يحرم فيها القتال ، ومن ذلك سوق عكاظ - بين مكة والطائف - وكان يعقد في شهر ذي القعدة وهو من الاشهر الحرم .

وللاسواق العربية مظهر اقتصادي وثقافي ايضا .

والاسواق والكعبة في مكة ، ومجمع آلهة العرب تعتبر عناصر للوحدة بين عرب شمال الجزيرة قبل الاسلام - قارن ذلك بآثر النبوءات واثر البحر ، ومجمع آلهة اوليمبوس في حياة الاغريق القدامى) .

تصدى لحماية غير قريش وخرج من مكة لتأديب المسلمين عتبة بن ربيعة جد معاوية لأمه . فكان أبو سفيان صاحب العير ، وعتبة صاحب النفير ، ومن ثم يقال على الخامل الشأن مثل عربي هو - لا في العير ولا في النفير -

وكان لأبي سفيان ضياع وأموال خارج الحجاز بسبب نشاطه التجاري وقد ورثها عنه ابنه معاوية .

كما سافر عمر رضي الله عنه قبل الإسلام إلى مصر تاجراً ، ومثله أبو طالب الذي سافر إلى الشام .

وقد اشترك محمد (ص) قبل بعثته في الحركة التجارية إلى بلاد الشام مرتين ، وكان في المرة الأولى صغيراً مع عمه أبي طالب . وفي بصرى من أرض حوران تعرف عليه زاهد مسيحي يعرف «بحيرا» وشاهد مخايل النبوة عليه فأوصى به عمه خيراً ، وكان في المرة الثانية كبيراً ، وقد جاء بتجارة للسيدة خديجة بنت خويلد وذلك قبل أن يتزوجها .

وبسبب مركز قريش التجاري ، وأهمية مكة كمحج للقبائل العربية في الشمال ، حاول أبرهة (إبراهيم) الحبشي من مركزه في صنعاء أن يصرف القبائل العربية عنها إلى اليمن ويؤثر في مركزها التجاري ، فكانت لذلك :

حادثة الفيل الفاشلة ضد مكة التي روى أخبارها القرآن : « ألم تر كيف . . »

حتى يكونوا في مأمن من مضايقة أقربائهم وفي حماية النجاشي ملك الحبشة ، الذي رفض طلب قريش وتمسك بمبدأ حماية اللاجئين ، والمستجير والمضطهد في دينه

وتجارة قريش كانت برية على شكل قوافل كبيرة (غير) تشبه الحملات العسكرية ، وتمثل سائر بطون قريش ، وتسير في حراسة شديدة في الصحراء ، أو بمحاذاة البحر الأحمر ، وكان يقوم على حراستها عنصر «الاحابيش» سمووا بذلك لأن موطنهم الحبشة أصلاً ، وقد اتخذوا مراكزهم في مكة ، بقرب جبل حبيش ، فيما يظن وظهر فروع قريش في ميدان التجارة الخارجية هم :

بنو عبد مناف ومنهم بنو عبد شمس وهم أصول دولة بني أمية ، ثم بنو هاشم وهم أصول واجداد محمد (ص) ، وكانت المنافسة بين هذين الفرعين شديدة قبل الإسلام ، واستمرت كذلك بعد ظهور الإسلام ، وموقف أبي سفيان من الرسول (ص) مثل موقف ابنه معاوية فيما بعد من علي - يفسر على أساس المنافسة القديمة ، لذلك لم يسلم بنو عبد شمس وهم سادة وأغنياء في الجاهلية بالرئاسة لأقربائهم بني هاشم عند ما بعث الرسول منهم .

وقد قاد أبو سفيان المعارضة ضد النبي (ص) وكان هو صاحب العير (القافلة) التي قدمت من الشام إلى مكة واعترضها المسلمون (بدر الأولى) لكن أبا سفيان أفلت من قبضتهم بحيلة ، وقد

على أموال القوافل ، او برصد الطريق ومراقبتها وحصارها عند الحاجة .

ولان حادث الهجرة جعل المدينة فى مركز ممتاز من النواحي الدينية والسياسية والاقتصادية وهى للمسلمين موقعا يمكنهم فى المستقبل من فرض حصارهم الاقتصادى، ومن املاء شروطهم على قريش مكة الوثنيين ، ولشعور هؤلاء بأن زمام الامور قد بدأ يقلت من ايديهم وقد يأتى بنذر الشر فى القريب ، بدأت مقاومة قريش تأخذ شكلا حادا وعنيفا وذلك بالتعاون مع وثنيين العرب ويهود الحجاز ، فكانت سلسلة الغزوات المشهورة .

ولم تهدأ مقاومة قريش ولم يعترف زعمائها بالامر الواقع فى الحجاز ، الا عشية فتح مكة وهدم الاصنام ، واعلان هذه المدينة العظيمة بلدا حراما مقدسا ، يتمتع سكانه بالعفو العام . وعلى عكس ما كان يعتقد زعماء قريش فقد احتفظت مكة فى ظل الاسلام ، بمكانتها وبهيبتها وبمركزها التجارى ، كما اصبح سكانها وهم «الطلقاء» مع سكان المدينة والطائف جنود الدعوة الاسلامية ووقودها فى انحاء شبه الجزيرة .

ثم فى ارض الهلال الخصيب ، وفى وادى الرافدين وحوض النيل ، وفى ارض فارس وافريقية ايضا

وانثناء هذه الحادثة ظهرت شخصية عبد المطلب جد الرسول دون غيره من قادة قريش .

وحادث الفيل الذى وقع قبل ولادة الرسول بسنة ، اصبح أهم الحوادث التى يؤرخ بها عرب الشمال حتى السنة 17 من الهجرة النبوية .

ولحرص قريش على مكانتها التاريخية وهيبتها بين القبائل :

عارضت فكرة انشاء معج للقبائل العربية (القليس ECCLESIA) فى صنعاء ، لان هدف ابرهة الحبشى كان اقتصاديا ، ودينيا ايضا .

كما عارضت الدعوة الاسلامية ، لانها ضد الاصنام والاولثان ، وهى معبودات العرب ، الذين كانوا يؤمنونها فى المواسم للزيارة والتبرك وكان مركزها مكة المكرمة ، ومجى القبائل الى مكة كان يدر ارباحا كبيرة على سكانها ، كما هو الشأن الآن .

وعارضت قريش هجرة الرسول (ص) الى المدينة ، وحاولت منع المهاجرين من تنفيذ الفكرة ، لان المسلمين من موقعهم فى المدينة المنورة التى توجد فى طريق القوافل التجارية المتجهة الى الشام سيصبحون قوة ضاعطة على قريش للاذعان ، وسوف يستطيعون ان يصيبوا قريشا بخسائر مادية محققة ، وذلك بالاستيلاء

تبرعوا بالكتب لمكتبات المساجد

إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث :
صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له ، او علم نافع
ينتفع به .

حديث شريف

ابعثوا بكتبكم الى :

المكتبة المركزية لوزارة التعليم الاصلى

والشؤون الدينية

قصر حسن - ساحة ابن باديس

الجزائر العاصمة



نافذة على العالم

« ابادة المسلمين في الفيليبين »

عندما أعلن الرئيس فرديناند ماركوس الاحكام
في الفيليبين في شهر سبتمبر من السنة الفائتة،
توقفت مؤقتا واحدة من اسوأ الحروب القذرة التي
عرفها العالم . وهي حرب السنوات الاربع التي
تدور رحاها بين المسلمين والمسيحيين في جزر
ميندناو وسولو . وحسب الاحصاءات الرسمية
يقال انه تم في المعارك التي تشبعت في جنوب
البلاد الفيليبينية قتل ثلاثة آلاف مواطن ، وجرح

اعداد
ن • شوريجي

وتشريد حوالى نصف مليون نسمة ، كما هدمت مئات القرى ، وذهبت مبانها طعمة لـ نيران المشاعل .

وفى الواقع لم تنته الحرب ضد المسلمين رغم اعلان الاحكام العرفية ، اذ تبين ان الاحكام العرفية التى أعلنها الرئيس الفلبينى جاءت لتوقف صراعا قديما ولتخلق صراعا جديدا .

فقد وجد المسلمون انفسهم الآن مضطرين لتابعة النضال ضد قطعات جيش الفلبين النظامية بدلا من مصارعة المستوطنين المسيحيين المتدفعين عليهم .

وقد ارسل رجال الجيش الى مناطق الحرب بحثا عن الاسلحة (الغير مشروعة) ، ولاعتقال زعماء الجزر المذكورة الذين يقودون حركة استقلالية تنتشر بسرعة . وعندما احتدمت نيران المقاومة من جديد ، دعا الرئيس ماركوس مرة اخرى لايقاف اطلاق النار وعرض على المسلمين مراوغا شروطا جديدة للسلام .

تتميز جزيرة ميندناو بأنها تقع فى الجنوب الاقصى من جزر الفلبين ، وتضم اكثر من مليونى مسلم يشكلون الآن حوالى ثلث سكان الجزيرة . ويتميز المسلمون فى هذه الجزيرة وبفخر بانهم لم يخضعوا قط من قبل لغاصب : سواء من قبل المستعمرين الاسبانيين خلال قرون الاستعمار التقليدى ، أو من قبل الامريكيين خلفاء الاستعمار الاسبانى فى المنطقة ، أو من اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية . ولم يتعرض المسلمون فى ميندناو الى خطر اجنبى يهدد وجودهم ومجتمعاتهم

مثلما يتهدد الآن وجودهم على يد مواطنيهم الذين ينتسبون مثلهم الى نفس الجنس ، ولكنهم يختلفون عنهم فى العقيدة . اذا اندفع المسيحيون نحو الجزيرة قادمين من مناطق الشمال المكتظة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بحثا عن اراضى يستغلونها فى اقصى حدود البلاد الجنوبية . وما لبث الوافدون الجدد ان اقصوا سكان الجزيرة الاصليين من الفلاحين المسلمين الذين لم يكونوا متعودين على مفهوم « عقود التملك » ، ودفعوهم تدريجيا عن أفضل حقول الارز فيها .

نشبت الصراع عام 1969 بعد ان تنبه المسلمون الى الخطر المحيى بهم . اذ وجدوا انفسهم قد غدو بين عشية وضحاها اقلية بالنسبة للمسيحيين الوافدين - فى منطقة يعتبرونها ملكا لهم . لذلك بادروا للدفاع عن انفسهم مستعينين بعصابات اطلق عليها اسم « باراكودا » و « القصمان السوداء » . وقابلهم المسيحيون بضربات من عصاباتهم المعروفة باسم « ايلاجا » أى (الجردان) .

لم يكن اى من الفريقين المتقاتلين يعترف بقوانين او برجال القانون لدى الفريق الآخر . فالمسيحيون ادعوا بأن الشرطة التى كانت تتضمن عددا من المسلمين ، كانت تعطف على الثائرين . وبالمقابل ادعى المسلمون بأن جيش الفلبين المؤلف من المسيحيين يؤيد عصابات المسيحيين .

لذلك لا عجب أن رد المسلمون بعنف على قوات الجيش الفلبينى ، عندما ارسلها الرئيس ماركوس للبحث عن الاسلحة لدى الثوار ومصادرتها . وقد قام الجيش بضرب الثوار

كل مكان ، ضمن أشجار النخيل . ويتميز هؤلاء بدقة اصابتهم للهدف حتى من مسافة بعيدة . واستطاع القناصة في سولو اسقاط ثلاث طائرات للحكومة خلال الاشهر الثلاثة الماضية . وتجب قوات حكومة الفلبين على مقاومة المسلمين بكل عنف . وما ان يشتبه بوجود قوات المسلمين في منطقة حتى يعلن الجيش انها منطقة مباحة ، يطلق فيها النار على كل انسان : مدنيا كان ام عسكريا . وقد ذهب مؤخرا في جزيرة جولو 200 مواطن مسلم ضحية نار الجيش ، وقصف قطع البحرية للمنطقة بالمدفعية . ويعد جيش الفلبين ايضا الى اخلاء المناطق من سكانها . وبذلك تم اجلاء حوالى 14000 مواطن منهم في سبعة عشر مخيما للاجئين اقيمت في جزيرة باريلان .

أما العفو الذى اعلنه الرئيس ماركوس في 10 جانفى فانه يشترط على الثوار ان يسلموا سلاحهم حتى أجل أقصاه 28 فيفري . ولكن ثائرا واحدا لم يتقدم حسب اعتراف الجيش حتى الآن ليستفيد من العفو المزعوم . وهناك قول ماثور في جزيرة مينداناو بأن المسلم قد يتخلى عن زوجته قبل ان يتخلى عن سلاحه . وينتظر الجيش انتهاء مهلة العفو حتى يتابع حملته ضد الثوار الذين لم يتوقف قناصتهم يوما ، ومن الصباح الباكر عن اصطيد رجال الجيش الفلبيني ، واجبارهم على ملازمة الحنادق والاوكار . ويعترف المراقبون بأن الثوار المسلمين وخاصة «التوسوج» منهم ، مقاتلون اشداء خيرون بفنون القتال ، وجيدو التسليح . ينطلقون الى اهدافهم في زمر

المسلمين بكل عنف ولم يتورع عن استخدام الطائرات النفاثة ضدهم خلال احدى المعارك التي نشبت في جزيرة جولو في شهر ديسمبر الفائت .

وكما تقدم أمر الرئيس ماركوس الجيش بايقاف الهجمات ، وعقد مؤتمرا ضم 300 من قادة المسلمين . وقد اعترف بأن بعض الظلم قد الحق بجماعاتهم . كما تقدم « بعفو مشروط » لرجال الثوار الذين ما زالوا معتصمين في الهضاب ، وبرنامج واسع للمساعدة الاقتصادية لمساعدة فلاحي وصيادى الاسماك في المنطقة . ورغم هذه العروض لم يتقدم الثوار حتى الآن برد على مقترحات رئيس الدولة . والظاهر ان الرئيس ماركوس قد تقدم بعروضه وهو تحت تأثير ضغوط عديدة وبأمل الوصول الى تسوية للصراع . وكان عليه ان يتحرك بحذر خوفا من أن يثير جيرانه المسلمين ، الذين يشكلون اكثرية في كل من دولتى ماليزيا واندونيسيا من جهة ، وليتجنب الحرب على جبهتين بأن واحد من جهة أخرى . فجيش حكومة الفلبين يحارب قوات اليساريين « جيش الشعب » الذين ثاروا في شمال البلاد ، وقاموا بشن حرب عصابات في مقاطعة ايزابيل في جزيرة لوزون .

لم يؤد اعلان الاحكام العرفية الا الى اثارة نقمة المسلمين . فكان كالزيت يصب على النار ، ويزيد في استئصال المسلمين واصرارهم على الدفاع عن حقوقهم . وفي جزيرة جولو يسيطر المسلمون على ثلثي المنطقة ، ويتوزع قناصتهم في

من بين هذه الابحاث تجربة قام بها عالم الحيوانات الدكتور فون هولست في معهد علم الحيوان في جامعة مونيخ . وقد اختبرت حيوانات السنجاب لاجراء التجارب عليها . كانت السنجاب المضحكة الصغيرة الحجم تعيش بسلام في القفص الكبير . تتبادل بسرور التحية عن طريقة اللبس باللسان ، وخاصة عندما يقابل الابوان صغارهم ، أما الام فقد حرصت على زيادة النسل بشكل منتظم . فكان عدد الاسرة الصغيرة يزداد كل ستة اسابيع بولادة سنجابين صغيرين وسطيا .

غير أن الحياة الهادئة ما تلبث ان تتغير في القفص . وذلك عندما نمت أول أنثى في العائلة ونضجت . ومع ذلك بقيت الام تنجب كالسابق تسلا جديدا وبشكل منتظم . ولكن النسل الجديد كان قصير العمر . فما ان تمضي ساعات قليلة على ولادة السنجاب الجديدة حتى تلتقط الام اولادها من العش وتفرسهم .

كتب العالم فون هولست

تتأخر ابحاثه في « مجلة العلم والتكنيك » الالمانية بعنوان « السلوك الاجتماعي والاجهاد الاجتماعي لدى حيوانات التوباجا » . وتعرض لآثار هذه الظاهرة الفريدة : أي حماية الذات في وقت مبكر نجاء خطر تزايد عدد الجماعة التي تعيش في نفس البيئة . وقد توخى الباحث الاجتماعي - النفساني وزملاؤه من أبحاثهم أن يتبينوا : « متى وبأي طريقة تتحول الحياة لدى جماعة من جنس واحد الى عبء متبادل على افرادها . وقد اختار

صغيرة تتألف من ثلاثة مقاتلين ، يحمي كل منهم الآخر خلال الادغال . ويحرصون على نقل جثث واسلحة رفاقهم القتلى او المجروحين . ومما يدعو للدهشة انه لم يقع تآثر واحد منهم أسيرا في قبضة الاعداء ، كما لم يعثر على جثة شهيد منهم في ساحة المعركة حتى الآن . ومع ذلك فانه نسبة الاصابات كانت مرتفعة بين المتقاتلين . ويعترف الناطق العسكري الفيلبيني بأن الجيش فقد حوالي 50 جنديا من جنوده خلال القتال ، بينما يدعى الثوار المسلمون بأنهم قتلوا حوالي 200 جنديا من الاعداء .

ورغم ضراوة القتال يحرص المسلمون على القتال الشريف . فيعترف الكولونيل الفونسو الكوسيا قائد القوات البرية هناك ، بأن هؤلاء القوم « يعاملون عدوهم بشهامة في ميدان المعركة ، فلا يمثلون بجثث القتلى ، ولا يذسسونها » .

علم الاجتماع :

آثار اكتظاظ البيئة على حياة الانسان

لعل من أبرز مشاكل مجتمعات القرن العشرين تزايد عدد افراد الجنس البشري ، وتكاثرهم في بيئات معينة ، وخاصة في البلدان الصناعية . وهناك اصبح الناس يعيشون متلاصقين الى درجة فاقت الحد الطبيعي . ولدراسة هذه الظاهرة المقلقة ، عمد العلماء الى اجراء التجارب على الحيوانات أملا في تحديد النتائج المأساوية لضيق مجال العيش .

الشعر طيلة 50٪ من الوقت الذي كانت فيه تحت الدراسة . لذلك لم تعد البويضات في مبايضها صالحة للاخصاب . وبالمثل تبين للباحثين بأن ذكور التوباجا لا تعود صالحة للانجاب عندما تتعرض طيلة 70٪ من وقت الدراسة الى حالة اجهاد .

كذلك تبين انه عندما تتجاوز مدة التعرض للاجهاد عشر ساعات في اليوم ، يؤدي التهيج الطويل الامد الى كارثة . فسرعان ما تسمن الحيوانات ويزداد وزنها ، ثم تصاب بعد عدة ايام بتقلص في العضلات وبشلل ، ثم تدخل في اغماء تنتهي بالموت .

حاول الباحثون ان يتعرفوا على السبب المولد لهذا التهيج ، فتوصلوا الى انه ناتج عن « تأثير ازدهام غير محدد » ، يحدث دوما عندما يزداد عدد افراد اسرة التوباجا الى حد كبير . فيفقد ذكور هذا الحيوان واناثه من قوة الاخصاب بفعل الاجهاد ، وتبدأ الاناث بافتراس نسلها .

من جهة اخرى يتحدث الباحثون عن سبب آخر للتهيج يعرف باسم : « المؤثر السوسولوجي - النفساني » فحيوانات التوباجا تتعرض للاجهاد المستمر عندما تضطر للعيش خلافا لارادتها - وعلى مرأى عينها - مع نظير لها من نفس فصيلتها ولكنها ليست ندا له .

هنالك مثال نموذجي يقدمه العالم فون هولست للحالة الاخيرة فقد وضع ذكرين من ذكور التوباجا في قفص واحد ارتفاعه 60 سنتيمترا واتساعه

الباحثون حيوانات التوباجا لهذه التجربة لسببين :

1 - الاستعداد الطبيعي لدى حيوانات التوباجا وقابليتها للتأثر من الاجهاد .

2 - امكانية مراقبة المظهر الخارجي لهذه الحيوانات ، والتعرف بواسطتها فيما اذا كانت الحيوانات موجودة تحت تأثير الاجهاد ، وبالتالي قياس آثار الاجهاد .

وهذا هو وضع حيوانات التوباجا التي تتميز بانها نموذجية في كونها « لا اجتماعية » حسب تعبير فون هولست ، والتي غالبا ما تعيش بشكل زوجين ، فيكون عبئا عليها ان تقابل غسرباء من نفس جنسها . وحيوانات التوباجا تنحسب بكل تعكير يطرأ في بيئتها : مثل الضوضاء الفجائية ، او تنسم رائحة غريبة - فتسبب لها اجهادا .

يمكن رؤية هذه الحالة من الاجهاد النفساني عند سناجب التوباجا بشكل واضح ، حيث تظهر الاعراض على ذيل الحيوان : فينتفش شعر الذيل ، وينتفخ في حالة الاجهاد والتهيج ، اما في الحالة الطبيعية فان الذيل أملس رفيع . وهكذا استعان العلماء الباحثون بظاهرة مرئية على ذيل الحيوان ، واستخدموها مقياسا للمدة التي يستغرقها تعرضه للاجهاد .

سرعان ما تبين للباحثين بنتيجة الملاحظة ، بأن التعرض للاجهاد يتولد عنه نتائج متنوعة ، ولكنها ذات أثر بعيد . فأثنى التوباجا كانت تفدو وتتسلق أثناء تعرضها للاجهاد ، وذيلها منقوش

الطب :

عصر الفيتامينات

لم يمض زمن طويل على اكتشاف العلماء للفيتامينات ، بأنواعها الوفيرة حتى غدت تحتل مكانا هاما في عالم الطب . وقد زادت اكتشافات العلماء والاطباء في العصر الحاضر من قناعة الناس بأن الفيتامينات تشبه اكسير الحياة : فهي تؤمن للجسم البشرى الحماية من كثير من الامراض من الروماتيزم الى الشلل ، ومن العمى الليلي الى التهاب البلعوم ومجارى التنفس ، من التعب العضلي ومن الضعف الجنسي . . . وغيرها كثير . وفي كل عام يوسع الباحثون مدى ومجالات استخدام الفيتامينات ، حتى شملت مثلا امراض السرطان ، لان بعض الاطباء رد بعض اسباب نشوء هذا المرض الى نقص في الفيتامينات .

وحتى عهد قريب كان العلماء يجمعون الرأي بأن جسم الانسان لا يحتاج الا الى كميات قليلة من الفيتامين ، لكى يمكن صيانتة من الامراض الناشئة عن قلة توفر الفيتامين في الجسم .

وفي الحقيقة يحتوى غذاء الاصحاء كميات قليلة من الفيتامينات ، وتؤكد الكتب المقررة لطلاب الطب بأن كميات قليلة من الفيتامينات التى تزيد عن حاجة الجسم الطبيعية يوميا الى هذه المواد ، تبقى اما عديمة التأثير او انها تؤدى على الاقل فى بعض زمر الفيتامينات - الى آثار ضارة .

الا ان هذا الرأي الذى كان معبما فى الطب المدرسى ، يتزعزع اليوم . فالعدد الوفير والمتزايد من الباحثين يميلون الى القناعة بأن هناك قوى

مترا مربعا . فما لبث القتال ان نشب بين الفريقين المحتاجين ، وكان هدفه تحديد الاقوى بينهما . وانتهت المعركة خلال ثلاث دقائق بانتصار احد الخصمين وهزيمة الآخر . ولم تمض عشرة دقائق حتى هدا المنتصر ، وسبلت شعرات ذيله ، وعادت ملساء كالسابق . اما السنجاب المهزوم فقد قبع مختبئا وشعر ذيله منفوش باستمرار ، يراقب بعينه كل حركة من حركات خصمه المنتصر . ولم يهدأ المهزوم الا عندما ادخل الباحثون جدارا حاجزا (غير شفاف) فصل بينه وبين غريمه . وعندها عاد المهزوم بعد انتهاء الصراع الى هدوئه بنفس السرعة التى استغرقها المنتصر للعودة الى الحالة الطبيعية .

من هذه التجربة الاضافية استنتج علماء الحيوان بأن « رؤية » الخصم المنتصر ، وليست « رائحة » المنتصر المكروه ، هى التى تعرض الحيوان المهزوم لحالة اجهاد Stress .

او بكلمات اخرى : هى التى تقود الحيوان المهزوم الى الموت قهرا . وفى جميع التجارب المماثلة ماتت الحيوانات التى عرضت للاجهاد بعد عدة أيام : بسبب عجز الكليتين عن العمل .

اخيرا يعتقد العالم فون هولست بأن علاقات السيادة الشخصية هذه يوجد مثلها لدى افراد البشر - وهى بالاضافة الى التعايش فى مجال ضيق جدا - لا تؤثر فقط على كليتى حيوانات التوباجا التى أجرى الاختبار عليها فحسب ، بل أن أعراض الاجهاد تظهر بشكل عام لدى الحيوانات الثديية : بما فى ذلك الانسان نفسه .

من الأرض ، مثلما تم في السابق تطهير الجزيرة البريطانية من مرض الجدري . ولكن الاخصائيين أضاعوا هذه الفرصة ، حسب رأى باولينغ .

تلقى الاخصائيون هذا التوبيخ دون ان يدافعوا عن انفسهم تقريبا ، فعلى الرغم من كل التقدم الذى تم في السنوات الاخيرة في ميدان البحث العلمى ، لم يتمكن الاخصائيون خلال هذه الفترة الا من تلمس خطواتهم خلال متاهة الكيمياء العضوية الطويلة . وتوقفوا عند المشارف الامامية لهذه المتاهة حيث يضع اثر الفيتامينات من الواضح ان الجسم البشرى لا يستطيع ان يركب بنفسه الفيتامينات ، بل يحتاج لان تدفع اليه من الخارج باستمرار. وهذه الفيتامينات تلعب فى عملية تبادل المواد العضوية دور المستقطبات . فهى على سبيل المثال تشعل وتوجه التفاعلات الكيميائية العضوية فى ميدان هرمونات الجسم : سواء لتركيب الدم ، او لبناء انسجة الجسم . وبما ان طريق البحث فى ميدان الفيتامينات حافل «بالاجوبة التى يبحث المختصون عنها ، وبالاسئلة الجديدة التى يجابهونها » ، نجد الأطباء المختصين لا يميلون الى تأكيد نظريات العالم باولينغ ، ولا الى نقضها . ومع ذلك قام عدد منهم بمحاولة لفحص ادعاءاته . وبنتيجة الابحاث توصل فريق من العلماء فى تورنتو (كندا) الى اعلان نتائج محاولة كبيرة قاموا بها . ويستخلص منها انه فى حالة اعطاء كميات ضخمة من فيتامين ث فان الامراض المعدية لا يندر حدوثها ، ولكنها اصبحت خفيفة الوطأة

شفائية معينة توجد فى الفيتامينات ، يمكنها ان تلعب دورا فعالا اذا اعطيت للمريض يوميا بكميات مرتفعة جدا - يرمز لها باصطلاح **Mégavitamine** يتجاوز احيانا المقدار

المألوف سابقا بحوالى الف مرة .

نادى بفكرة اعطاء الفيتامينات بكميات مرتفعة ومركزة الكيمائى الأمريكى لينوس باولينغ **L. Pauling** قبل عدة سنوات . وكان اول من يبشر بالمذهب الجديد . وقد اهلته ابحاثه خلال 71 سنة للحصول على جائزة نوبل . وفى عام 1970 نشر باولينغ بعض النتائج التى توصل اليها فى مضمار الفيتامينات فى كتاب علمى مبسط للشعب عنوانه : «فيتامين ث والرشح » فانارت اهتمام القراء ، غير ان الاخصائيين قابلوها بالهزء . ويؤكد العالم باولينغ فى ابحاثه فكرة جديدة مفادها انه لا توجد كمية معينة محددة لحاجة جسم الانسان اليومية الى فيتامين ث . بل ان حاجة الجسم من الفيتامين المذكور تتصاعد وتزيد الى حد كبير فى حالة الاصابة بمرض معدى : كالاصابة بالرشح ، لان الفيتامين ث يلعب دورا حاسما فى اعداد المواد الدفاعية التى ينتجها الجسم لحماية ذاته . ويعتقد العالم باولينغ ان الأطباء الاخصائيين كان باستطاعتهم شن حملة ناجحة ضد امراض الرشح منذ زمن طويل لو انهم مارسوا معالجة المرضى بجرعات ضخمة من فيتامين ث ، ولو انهم اتبعوا هذه الطريقة منذ زمن طويل لكان بإمكانهم طرد امراض الرشح والنهائى القصبات مرة والى الابد

حالة تعرضه للاضطرابات النفسانية كانفصام الشخصية «الشيزوفريني» . كذلك يوصون باعطاءه لمعالجة المدمنين على الكحول ، وللأطفال المصابين باضطرابات في التعلم ، وللمرضى بالسكر . وقد افتتح في ولاية كاليفورنيا عيادة طبية تعتبر الاولى من نوعها بين المستشفيات الحكومية في الولايات المتحدة ، يتم فيها معالجة المرضى بالطريقة الجديدة . ومع ذلك لم يؤد تأسيس هذه العيادة الى تبديد شكوك غالبية الاطباء . وعلاوة على وجود ثغرات علمية ما تزال قائمة في اسس طريقة المعالجة الجديدة بالفيتامينات ، ينبه الاطباء الى ناحية هامة تتناول الجانب العلمى فى الطريقة الجديدة ، وهى استحالة تركيب وصفة الفيتامينات المناسبة لكل مريض على حدة . اما العالم باولينغ المبشر العبقري بطريقة المعالجة بالفيتامينات ، فان انتقادات الاطباء لم تفت من عزمه ، بل انه يجيب مدافعا عن نظريته « طالما ان المعالجة بالفيتامينات لا يقترن بها اى خطر ، فاني انصح كل طبيب ان يجرب هذه الطريقة » .

على المرضى ، ويشفون منها بسرعة . وكان العالم باولينغ اوصى باعطاء المريض كمية تتراوح بين ملليغرام الى اربعة ملليغرامات من فيتامين ث يوميا عند اصابته بالرشح . علاوة على ذلك ، اكتشف الكيمايون العضويون فى ولاية تكساس بان حاجة الجسم الى هذا الفيتامين تختلف بشكل مدهش من فرد الى آخر ، وان هذه الحاجة مرتفعة اكثر مما كان العلماء يتصورون سابقا .

اخيرا ادت نتائج الاختبارات فى هذا الميدان، وخاصة فى الولايات المتحدة الى قيام حركة تتجه الى تعاطي الفيتامينات بكميات ضخمة «ميجافيتامين» ويدعو انصار هذا الاتجاه الى معالجة المرضى عن طريق «تركيز مثل هذه المواد» التى توجد عادة فى الجسم البشرى كالفيتامينات مثلا . وهو مفهوم ابتدعه العالم باولينغ واصبح يعرف باسم Orthomolekularemedezine واستنادا لذلك يوصى مؤيدو هذه الطريقة فى الطب ، اعطاء «كوكتيل» مركز من الفيتامينات . فيعطى الفرد غالبا مزيجا من فيتامين ث وفيتامين ب3 فى





من الصحافة

على اثر العدوان الاسرائيلي الاخير على بيروت واغتيال بعض القادة الفلسطينيين في ديارهم ، كتبت جريدة «الشهاب» اللبنانية بامضاء «حنظلة» هذا التعليق :

تلقي لبنان العدوان بصدر مفتوح . فقد جاب المعتدون شوارع بيروت من شمالها حتى جنوبها ، من الاوزاعي الى فردان . ومن الرملة البيضاء الى الدورة ، وخلفوا وراءهم وصمة عار على كل من في هذا البلد . بل لقد شرع كل مواطن يتحسس موطنه قدمه : اليس بالامكان ان يكون هو الضحية في مرة قادمة ، سواء كان في شمال لبنان او جنوبه او في عاصمته الساحرة اللعوب بيروت ؟ !

أسئلة حيرة مخزية تطرح نفسها ولا تجد الاجابة . هل كان المعتدون في طائرات فانتوم ام يسعون على الارض ويركبون السيارات السياحية . هل كانوا مسلحين بصواريخ هوك الاميركية ام بمجرد الاسلحة الخفيفة المعتادة ؟! ما الذي جعلهم يضربون ضربتهم دون ان يتحسبوا لسلاحنا الذي يستطيع ان يردعهم او للرجال الذين يستطيعون استعمال السلاح ؟ !

لقد وقفوا على حقيقة واحدة ، هي ان العرب قد اهلوا اتفاق صناعة الموت ، وان ما وصف به القرآن اليهود قد انتقل الى العرب « ولتجدنهم احرص الناس على حياة . يود احدهم لو يعمر الف سنة » . وما دام الناس لا يريدون ان يموتوا فلن توهب لهم الحياة ، حتى ولو بقيت فيهم دماء تندفق وعروق تنبض .

جريدة «الشهاب» اللبنانية :

وكتب السيد فتحي يكن في نفس الجريدة تعليقاً حول الاوضاع الحالية في البلاد العربية جاء فيه :

« ٠٠٠ وقد لا يكون هناك من تفسير لهذه الاوضاع الشاذة التي تعيشها الامة الا ما يكاد يصل الى درجة اليقين عندنا وهو «ان الصهيونية تخطط ، والاستعمار يضغط ، وبعض العرب - ان لم اقل جلهم - ينفذون ! ! » ولقد آن للامة ان تفيء الى رشدها وان تكشف من كانوا ولا زالوا سبب شقائها وبلائها ٠٠٠

لقد آن للحس الديني ان يستيقظ فيها ، ويصبح ملاك امرها وقاعدة تصورها وتصرفها ، في وقت يتضاعف هذا الحس لدى اعدائها وتعتمده اسرائيل - دون غيره - لدفع الحركة اليهودية العالمية ، وتجنيد قواها وامكاناتها لخدمة الصهيونية في فلسطين .

لقد آن لجماهير الامة ان تثور لكرامتها وعزتها ، وتعلن غضبتها على الجناة الادعياء الذين اوردوها موارد الهلاك ، حتى لا يقودها الى الذبح من جديد ، وحتى لا تتكرر المأساة .

اعلن من اندر

لم يكن من الصدفة ان تظهر بعض المذاهب المنحرفة في العالم الاسلامي وفي فترة واحدة وسنين متقاربة ، بل كل الادلة تشير الى وجود مخطط للقضاء على وحدة المسلمين الفكرية والسياسية ليتسنى للمستعمر دخول البلاد واستثمار الحيرات ، وهكذا كانت اساليب الاستعمار المتنوعة - فظهرت البهائية في ايران والقاديانية في الهند وغيرها في بلاد اخرى ، وكان الخطر البهائي من اهم ما حاربته علماء الشيعة في النجف الاشرف وقم المقدسة وغيرها من الحواضر العلمية ، وبداءوا يطاردونها

ويلاحقونها وينهبون المسلمين الى زيفها وضلالها ، وقد بدا واضحا للعيان ارتباط هذه الفئة بالاستعمار من اتصالات القائمين عليها بالاسياد وخاصة حينما اتخذوا اسرائيل مقرهم الذي فيه يعقدون محافلهم ومؤتمراتهم ليؤكدوا ارتباطهم بالصهيونية العالمية .

ومن المؤسف انهم حاولوا التغلغل في بعض البلاد العربية والاسلامية فاثاروا الاعتراف بهم رسميا في لبنان ، ولكن جهود المخلصين الفيارى قضت على لعبتهم ، وما تجدر الاشارة اليه هنا الرسالة التي ارسلها آية الله العظمى السيد شريعتمداري الى رئيس الحكومة اللبنانية بواسطة سفير لبنان في طهران منبها ومجذرا من هذا العدو الجديد .

كما وصلت انباء عن تسرب بعضهم الى امارات الخليج وكذلك الى المملكة السعودية ، واندونيسيا ، واننا نرى من واجبا ان نوجه هذه الصرخة الى من يهمهم امر هذه الامة وخاصة العلماء الاعلام ليقوموا بدورهم في كشف حقيقة هذه الفرقة الضالة وبيان زيفها واباطيلها امام الناس جميعا لتكون الامة في مأمن من الانزلاق في احابيلها ولتلا تقف فريسة للصهيونية الحاكمة التي لا تفتأ وبكل الوسائل من القضاء على كيانتنا وتمزيقنا بتمرير مخططاتها النجھنية . « وقد اعذر من انذر » .

عن مجلة الهادي - ايران

بل نحن التقدميون وانتم الرجعيون

كتب الاستاذ صالح جودت نائب رئيس مجلس ادارة «المصور» ورئيس تحرير مجلة «الهلل» في مجلة «المصور» المصرية مقالا بعنوان : «بل نحن التقدميون وانتم الرجعيون» تقتطف منه هذه الفقرات للاطلاع عليها :

بل نحن التقدميون وانتم دعاة الثورة المضادة الجديدة ، هؤلاء يسمون انفسهم بالتقدميين ، ويقولون اننا رجعيون !

- من الرجعية عندهم ، ان يؤمن الانسان بالله عز وجل لان « انبياءهم الجدد » احق عندهم بان يتبعوا ، ولان الدين - في عرفهم - الهيون الشعوب !

أمريكا .. تدعم روسيا اقتصاديا !! فهل يمكن ان تقف روسيا .. ضد أمريكا ؟

من انباء هذا الاسبوع ان امريكا الراسمالية (!!)) قدمت لروسيا الشيوعية (!!)) دعما اقتصاديا ضخما بلغ 8 ثمانية آلاف مليون دولار .. وقبل قليل .. حصلت روسيا من امريكا على صفقتين اقتصاديتين احدهما بثلاثمائة مليون دولار والاخرى بسبعمائة مليون دولار .. وبذلك تكون روسيا .. قد حصلت على 9 تسعة آلاف مليون دولار امريكى .. فى فترة قصيرة !! وهذا الدعم الامريكى الضخم لروسيا ليس منفصلا عن احداث منطقتنا .. ولا عن الطمع الدولى فيها .. وفى مقابل هذه الاموال الهائلة .. قدمت روسيا لامريكا تسهيلات وخدمات .. ضخمة ايضا ..

- اغراق فلسطين المحتلة بالمهاجرين اليهود السوفييت ..
- ان تعمل روسيا على ابقاء اليهود متفوقين عسكريا فى المنطقة .. بمعنى ان تخدر العرب كثيرا بدعاوى الدعم المسلح .. بينما تعمل فى الواقع على منعهم من بناء اية قوة عسكرية حقيقية ..
- تمكين امريكا من السيطرة على منطقة الشرق الاوسط .. على ان يكون جنس الثمار من نصيب الدولتين معا .. امريكا تقطف ثم تمنح روسيا نصيبها من الاموال فى شكل قروض او تعاون اقتصادى بين الدولتين !
فهل هناك مجال - بعد الآن - للمتاجرة بالدعم الروسى للعرب ؟
وماذا يقول الشيوعيون واليساريون العرب فى هذا التحالف الامريكى - الروسى ضد مصالح الشعوب !
انها دعوة حارة لكى يفيق هؤلاء من مخدرات الشعارات .. ودعوة حارة .. الى المسؤولين المخلصين .. وشعوب المنطقة كلها .. بان يكون الاعتماد على الله وحده .. وعلى انفسنا من بعد .. ان اعدادنا البشرية هائلة ..
وثررة العالم تكاد تكون تحت اقدامنا .. وبين ايدينا .. وموقعنا الجغرافى .. موقع استراتيجى ممتاز ..
فعلام نعطى الدنية .. فى عقيدتنا وانفسنا وبلادنا ؟
ولا ينبغى ان نخشى احدا ابدا .. فان هؤلاء الطامعين ضعاف ياكلهم الخوف والجزع ..
« ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون .. وترجون من الله ما لا يرجون ... »

مجلة المجتمع الكويتية

لبنان . . والجنون الجنسي

يشهد لبنان منذ سنوات - وفي غفلة من كل رقابة - جنونا جنسيا محموما . .
 في عالم السينما تجتاحه الالم جنسية ساقطة تعرض لكل انواع الرذيلة والشلوذ ..
 وفي عالم الكتب والمجلات تغطي اسواقه مؤلفات عربية واجنبية غايتها الدعوة الى الرذيلة
 بشتى اساليب الانارة والاغواء . . وفي عالم الازياء تتزاحم فيه كل ما انتجته مواخير العالم
 من ملابس فاضحة مبتذلة

هكذا يبدو الجنس في لبنان وقد اصبح الشغل الشاغل للناس ، بل اصبحت ممارسته
 والاغراق فيه غاية الغايات وقمة الامنيات للغالبية الساحقة من المواطنين ! !

وفي الواقع انه يستحيل السير اليوم في اية مدينة من مدن لبنان دون التعرض «للفصف
 الجنسي» اعلانات من كل حجم . . مجلات واغلفة مصورة الالم سينمائية صور مرفوضة
 في مداخل علب الليل ، نساء وفتيات يرتدين ثيابا او اشياء ثياب ؟ ؟
 في كل يوم تطلع الصحافة اللبنانية على الناس باخبار « الجنس » . . شبكات المتاجرة
 بالرفيق الابيض الاعتداءات على الاعراض خطف القاصرين والقاصرات الغابات
 الزوجية او كوار الرذيلة والشلوذ . . الخ

هذا الجنون الجنسي المحموم الذي بدأت طلائمه منذ سنوات كان حصاد اوضاع وقيم
 عقائدية وفكرية واخلاقية معينة
 لم تكن هذه الظاهرة وليدة الصدفة ابدا . . وانما كانت نتيجة واقع وثمرة شجرة
 وتغلقت من هذا الواقع

كان حصول ذلك متوقعا ومنتظرا ، منذ اللحظة الاولى امتى بدا الفكر المادى يحتاج وجودنا .
 منذ اللحظة الاولى التي انقطعت فيها الصلة بين الكائن البشرى وبين الحقائق والمسلمات
 القبيية ، منذ اللحظة التي انكر الناس فيها وجود الله ، وبالتالي وجود ضوابط اخلاقية لحياتهم
 وعقوبات ربانية لتصرفاتهم ، منذ تلك اللحظة غدا الانسان حيوانا يعيش بغرائزه ولها ، ويبدأ
 لنزواته وبها ، تعطلت فيه نوازع الخير واستيقظت لديه نوازع الشر . اصبح والشهوة اكبر
 همه ، والدنيا مبلغ علمه ، اولئك كالانعام بل اضل سبيلا .

ان المسؤولية الاولى تقع على الاسس التي تقوم عليها حضارتنا . على النظم التي تحكم
 امتنا ، على القوانين المرعية في بلادنا .

ان جرثومة فناء هذه الاسس والنظم والقوانين في انها بشرية وضعية قاصرة عن استيعاب
 الحياة ومشاكلها المتجددة ، عاجزة عن احتواء الفرد ورعايته كإنسان . . ان مشكلتنا في لبنان هي
 مشكلة الانسانية في كل مكان :
 « نسوا الله ، فانساهم انفسهم »

للاستاذ متحى يكن
 عن الشهاب

فهرس لمد

افتتاحية

موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ الجزائر

منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر
النظريات التاريخية بين التفسير والتحريف
حول الدفاتر العربية والتركية بالجزائر
البولونيون وتاريخ المغرب الوسيط
نماذج من تشويه المؤرخين الاجانب لتاريخ الجزائر
نظرة تقييمية لدراسات تاريخية حديثة عن حركات
المهاجرين في المغرب العربي في العصر الوسيط
المؤرخون الفرنسيون والجزائر في العصر العثماني
كلمة مقتضية لتطهير تاريخ الجزائر من الشوائب
الاستعمارية
حول جنسية التاريخ
اضواء جديدة على تاريخ المغرب
الجزائر واقطار العالم الثالث في نظر علم الانتولوجيا
في القرن التاسع عشر
المؤرخون الالمان والجزائر
موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ الجزائر عبر العصور
الجزائر عبر العصور
من بواعث الاستشراق واهداف المستشرقين
الحقيقة عن دور زاوية صدوق والاخوان الرحمانيين
تاريخية لاحتاج الى اعادة نظر
دور فرنسا في النهضة القومية الجزائرية
مساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح اساسا لتنمية
تاريخنا القومي

نصوص

ندوة الاصاله في تونس
ندوة الاصاله في المغرب

دواست تاريخية عامة

من آثارنا المفقودة
الغزو الاسباني للجزائر في القرن 16 م
نبذة تاريخية عن الدولة الجزائرية
تراجم بعض مشاهير علماء زواوة

مقابلات

التاريخ النضالي للصحافة الوطنية

ملف

صفحات من تاريخ جامع كشافة
نبن دنيا نا موحدة

رسائل جامعية

دولة بني حماد في الجزائر
النشاط الثقافي

| | |
|-----|------------------------|
| 2 | مولود قاسم |
| 7 | د . سعد الله |
| 27 | عبد المجيد مزبان |
| 35 | د . عبد الجليل التميمي |
| 43 | د . ابراهيم فخار |
| 57 | محمد ابراهيم الميل |
| 65 | د . الحبيب الجنتاني |
| 71 | م . بلحميسي |
| 81 | شارل روبير أجرون |
| 87 | ايغون توران |
| 99 | د . هشام الصلبي |
| 113 | ديوسف نسيب |
| 117 | د . ابو العيد دودو |
| 125 | المهدي البوعجل |
| 139 | عثمان الكعكالك |
| 155 | عبد الرحمن الجيلال |
| 161 | يحيى بوعزيز |
| 173 | الطاهر قيقة |
| 177 | د . محمد برج |
| 187 | اسماعيل العربي |
| 199 | |
| 215 | |
| 229 | محمود بوعباد |
| 239 | حكمت ياسين |
| 255 | وليام شالير |
| 263 | المهدي البوعجل |
| 275 | الزير سيف الاسلام |
| 287 | ترجمة الطاهر بوشوشي |
| 299 | مفلى زكريا |
| 303 | عبد الحليم عويس |
| 309 | |

الافتتاحية

انما الامم...

احتفلت الجزائر منذ أسابيع قليلة بالعيد الحادى عشر لاستعادة استقلالها واسترجاع سيادتها بعد كفاح طويل .

وهى الآن بصدد اعادة البناء ، وتدارك قرون من الجمود والركود ، اعقبها أكثر من قرن وربع من الاستعمار القائم على الثلاثى المشؤوم ، الذى حدده أرسطو منذ أكثر من ألفى عام ، وهو الفقر ، والجهل ، والمرض .

واذا كانت الجزائر قد استردت حريتها وثرواتها المادية ، وإذا كانت اليوم فى طريق التغلب على هذا الثلاثى المشؤوم ، فان هناك جانبا واحدا لم تستكمل فيه تحررها وانعتاقها ، وهو لا يقل أهمية عن أى جانب من جوانب البناء ، وهو الوجه الروحى الاخلاقى ، الذى هو الاسمنت الروحى للمجتمعات والامم .

فهو الذى يميز ، بل يضمن وحدتها وتماسكها ، ويجعلها تتخلص من كل ما يكون قد علق بها من عادات سيئة مستوردة، وتحصن نفسها ضد كل غزو فكرى، يسترجع بيد ما سلمه بأخرى عن كره ومضض .

والجزائر فى هذا ليست وحدها من بين اخواتها . ولكن ليس هذا طبعا بعزاء أو تخفيف للنفس مما يحز بها من توجسات ، ويقضها من تخوفات ، من ان ينطبق عليها من قريب أو بعيد ذلك البيت المعروف فى هذا السياق :



مساواة! وحرية! وتفتح على العالم الأوسع!
Égalité!... Emancipation! Ouverture sur le Monde, le Vaste Monde



انفتاح وانبطاح... والشباب عماد المستقبل!
33 خبّاطة!

(انما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا !)

لقد اوضحت هذا كله باسهاب فى جريدة المجاهد اليومية التى تصدر بالفرنسية بتاريخ 29 سبتمبر 1970 ، ويجده القارئ فى هذا العدد بلفته الاصلية (ويلخص معناه هذان الرسمان بريشة ابن شهيد يتيم الام) ، وخاطبوا الناس بما يفهمون !

وحيث ان هذه المصيبة عامة شاملة لمختلف ديار الاسلام ، ونحن فى ملتقى للتعرف على الفكر الاسلامى ، وهى التى تعانى ما تعانى بدرجات متفاوتة فى هذا المجال ، فلتجد فيه جميع البلدان الاسلامية انذارا وتحذيرا ، ونداء وتذكيرا ، فكلنا فى الهم شرق ، وليس بين بلداننا فى هذا فرق !

واذا لم توجد فى بعض البلدان الاسلامية هذه النماذج ، فقد رأينا أبنائها وبناتها هكذا فى الخارج !

فالبناء المادى ، اذا لم يكن هناك حس حاد بالشرف ، لن يكون الا عملاقا من خزف ! هكذا رسبت أمم قبلنا ، وعائيناها بأندلس ، والذكرى تنفع المؤمنين !

مولود قاسم نايت بلقاسم

منشورات
وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية

صدر اخيرا كتاب
الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي
باللغة العربية
ويحتوي على خمسة مجلدات



انتظروا الترجمة الفرنسية كاملة



موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ الجزائر

منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر

يذكر السيد بيربروجر ، اول رئيس
(للمجمعية التاريخية الجزائرية) ، ان الفرنسيين
قد شرعوا في ادخال نظمهم العلمية والادبية
والفنية الى الجزائر منذ ١٨٣٠ . وتروى الصحيفة
الرسمية (المُرشد الجزائري Moniteur algérien
التي اسسها الفرنسيون سنة ١٨٣٢ ، انه قد
وجدت آنئذ مدرسة للطب ، وجمعية خيرية تقوم
بنشاطها في (جامع السيدة) ، كما شرع في انشاء
مكتبة عمومية . ومن بين هذه النظم العلمية ايضا
الدراسات التاريخية . ففي سنة ١٨٣١ اذن
بيرتزين ، قائد الجيش الفرنسي ، للسيد شهاقي
الذي كان عالما اثيريا ، بالتنقيب عن الآثار في
المنازل والحدائق العامة (١) .

وفي دراستنا لمنهج الفرنسيين في كتابة
تاريخ الجزائر سنقصر حديثنا على الفترة الواقعة
بين ١٨٣٠ - ١٩٥٤ مع بعض الاشارات للعهد
العثماني (١٥٠٠ - ١٨٣٠) كلما اقتضى الامر
ذلك .

د . ابو القاسم سعد الله

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

انظر التاليف في آخر البحث

مجالات البحث عند الفرنسيين :

ورغم جهل الفرنسيين اول الامر بواقع الجزائر وتاريخها ، ورغم انشغالهم بعمليات الحملة والاحتلال واقتدارهم في البداية الى الذوق الثقافي ، فانهم اتجهوا في البحث ثلاث مجالات في نفس الوقت :

١ - نشر الآثار السابقة عن الجزائر .

٢ - انشاء اللجان العلمية ، ومنح الرخص للأفراد للقيام بعمليات البحث والجمع والتعريف بالآثار التاريخية في البلاد .

٣ - تكوين الجمعيات المختصة ، والصحف والدوريات التي تحفظ المكتشفات التاريخية وتعتنى وتعرف بها المهتمين .

وفي نطاق المجال الاول نشروا منذ ١٨٢٠ كتب الرحلات والانطباعات التي كتبها الاوروبيون عن الجزائر خلال العهد العثماني ، مثل شيلروش وبنانتي ورونودو وهايديو وفانتوردي بارادي . كما نشروا غزوات عروج وخير الدين مترجمة عن النسخة العربية واهتموا (بالزهرة النيرة) وبالوثائق العربية لحملة شارل الخامس على الجزائر . وعادوا الى كتب المؤرخين والرحالة العرب وشرعوا ايضا في نشرها ، جزئيا او كليا كابن خلدون ، والبكري والعايشي وحسن الوزاني (ليون الافريقي) ، وغيرهم . ومن جهة اخرى نشروا مراسلات دايات الجزائر مع حكام فرنسا ، ومذكرات وتقارير القناصل والجواسيس الفرنسيين امثال دوبوا - تانفيل ، وبوتان وكيرسي . واهتموا بارشيف الغرفة التجارية بمرسيليا وتقارير الشركات الفرنسية التي توالى

على ما كان يسمى (بمعصن فرنسا) . وبالإضافة الى ذلك ابدوا عناية بالوثائق العثمانية التي وجدوها في الجزائر والتي ضاع كثير منها ساعة الفوضى التي سادت دخولهم الجزائر (٢) .

وبخصوص المجال الثاني (انشاء اللجان العلمية) ، نجد ان اللجنة الافريقية ، التي زارت الجزائر سنة ١٨٣٣ بقصد التحقيق في مصير الجزائر ، تنهى اعمالها بتقارير ومحاضر غنية عن الجزائر في مختلف المجالات ، ولا سيما الاقتصادية والاجتماعية . وفي ١٨٣٧ انشأت وزارة الحربية لجنة باسم (اكتشاف الجزائر العلمي) . وقد قامت بنشر دراسات هامة في عدة اجزاء عن الآثار والعلوم الطبيعية والفنون الجميلة والتاريخ وعلم السلالات . وكذلك قام العديد من الافراد يبحثون وينشرون اعمالهم في التاريخ المحلي ، عن اللهجات ، والطرق والنظم ، وطبائع السكان ، والزوايا ، والحياة القبلية والمدن الخ . وقد ظهرت من ذلك مجموعة من الدراسات والانطباعات التي كتبها عسكريون سنتحدث عن دورهم بعد قليل (٤) .

اما المجال الثالث (الجمعيات والصحف) فقد ظهر هو الاخر منذ بداية الاحتلال . فممنذ ٢٦ جوان ١٨٣٠ ولدت الصحافة بالجزائر في سيدي فرج . ولعلها لم تكن صحافة بالمعنى الدقيق للكلمة ، لان اول جريدة حقيقية اسسها الفرنسيون في الجزائر هي «المشهد الجزائري» . وكانت تهتم بالإضافة الى القرارات والاعلانات الرسمية ، بالتاريخ المحلي واخبار المسلمين وحركات الاهالي ، وكان على رأسها السيد بيروبرجر الذي

للباحثين في تاريخ الجزائر يجدون فيهما المخطوطات العربية المطبوعات والآثار التي هي عدة المؤرخ . والملاحظ ان اول مقر للمكتبة والمتحف هو (دار الحاج عمر) ، صهر الداي حسن باشا وكانت هذه الدار على الطراز الاندلسي الجزائري الجميل . وكانت تتكون من طابقين خصص الطابق الثاني للمكتبة ، وكان يضم اربع قاعات ثلاث منها للكتب والرابعة للمطالعة . والقاعة الاخيرة مقسمة الى جناحين واحد للمطالعين الاوروبيين والثاني للمطالعين الجزائريين . والملاحظ ان الجناح الاول كان يحتوى على الكتب المتعلقة بالجزائر والتي كانت مطلوبة اكثر من غيرها .

اما المتحف فكان في الطابق الاول من الدار وكان يضم ايضا اربع قاعات ، خصصت ثلاث منها لعرض وحفظ التحف والاشياء الثمينة والخطوط والآلات والآثار والاسلحة والحيوانات الخ . اما القاعة الرابعة منه فقد خصصت لدرس اللغة العربية الذي كان يقوم به السيد بريسني . وبالإضافة الى مكتبة ومتحف مدينة الجزائر توسعت المكتبات العسكرية التي كانت تتبع الحاميات في المدن التي وقع احتلالها ، كما تكونت متاحف اخرى مثل متحف شرشال الذي تكون في الشهور الاولى للاحتلال والذي تخصص تقريبا في حفظ الآثار الرومانية التي اولاهما الفرنسيون اهتماما خاصا (٧) .

دوافع البحث في تاريخ الجزائر :

انطلق الفرنسيون في كتابتهم تاريخ الجزائر من عدة معطيات اهمها : كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة ، وكونهم شعبا متحضرا حكموا شعبا متخلفا ، وكونهم مسيحيين قبضوا

كان له دور في ادخال كثير من عوامل الحضارة الاوروبية الى الجزائر . ثم صدرت جريدة (الاخبار) سنة ١٨٣٩ ، وكانت هي الاخرى تهتم بالابحاث التاريخية الى جانب كونها جريدة سياسية اخبارية . وقد اهتمت ايضا (المبشر) التي ظهرت ١٨٤٧ بالاخبار المحلية وان كانت قليلة ، ولا سيما في عهدها الاول .

غير ان تأسيس (جمعية قسنطينة للآثار) سنة ١٨٥٢ قد ادى الى ظهور الدوريات المتخصصة في الدراسات التاريخية والآثرية . فقد كانت هذه الجمعية تصدر منذ عامها الاول (تقويميا Annuaire تحول فيما بعد الى (مجموعة Recueil من الدراسات والملاحظات المتعلقة بتاريخ المنطقة . وبوحي من الحاكم العام راندون ظهرت في مدينة الجزائر سنة ١٨٥٦ (الجمعية التاريخية الجزائرية) (٦) التي اصدرت (المجلة الافريقية (R.A) وهي المجلة التي اصبحت بعد مائة سنة وثيف مرجعا لاغنى عنه للباحثين في تاريخ الجزائر في مختلف عصوره . ولم تحن سنة ١٨٧٨ حتى ظهرت في وهران ايضا (جمعية وهران الآثرية) . وقد اصدرت بدورها (نشرة Bulletin تضم ابحاث اعضائها ومراسليها عن تاريخ المنطقة . وكل هذه الدوريات استمرت طويلا واثرت البحث التاريخي في الجزائر وظهر على صفحاتها جم من العلماء الذين كرسوا اوقاتهم لجمع المعلومات عن التاريخ المحلي .

والى جانب هذه الدوريات والجمعيات ظهرت مكتبة ومتحف الجزائر فقد ظهرت اول فؤاة (مكتبة مدينة الجزائر) سنة ١٨٣٥ ولم تبدأ في العمل فعلا الا خلال سنة ١٨٣٨ . وبوحي من بريسون المتصرف المدني ، اضيف الى المكتبة (متحف آثري) . واصبحت المكتبة والمتحف منطلقا

على زمام شعب مسلم . وهذه المعطيات ، متفرقة ومجتمعة ، هي التي قررت نوعا من (الجمعية التاريخية) عندهم ، وهي التي حددت منهجهم الذي تطور مع الزمن كلما ازدادوا صلة بالجزائريين . ولعل تلك المعطيات هي التي ما زالت تتحكم في الكتابات الفرنسية عن الجزائر حتى اليوم .

وكانت هناك دوافع كثيرة دفعت الفرنسيين الى الاهتمام بالتاريخ الجزائري . فهناك اولا الرغبة في التعرف على شعب وقع في قبضة الحضارة الاوروبية . وكانت هذه الحضارة تحمل معها الى الجزائر كل ادوات الغزو الفكري . فقد جاءت بالمطبعة والصحيفة ، وبالمستشرقين الذين يدعون معرفة الاسلام وتاريخه ، وبالتراجم الذين تخرجوا من مدارس اللغات الشرقية الاوروبية او من الذين جاؤوا من الشام ومصر بعد ان ارتبطوا بالحضارة الاوروبية عقب حملة نابليون (٨) .

وهناك ثانيا دافع السيطرة والاحتلال ، ولا يمكن ان يتحقق ذلك الا بجمع الاثار المكتوبة وغير المكتوبة وتمحيصها وتقييمها واستخلاص النتائج منها . ومن اجل ذلك استعان الفرنسيون ايضا بالكتاب الجزائريين ونذكر على سبيل المثال ما كتبه العنتري وابن المبارك عن تاريخ قسنطينة بوحى من بواسوني ، وما كتبه محمد بن علي التلمساني عن علماء وهران وتلمسان بوحى من عامل وهران الفرنسي . وماترجمه ونشره ابن ابي شنب والحفناوي وغيرهما بتحريض من الحاكم العام جوناك وجملته من الباحثين الفرنسيين .

وهناك ثالثا دافع الفضول العلمي . فقد احتلت الجزائر في وقت كان فيه العقل الاوروبي (الديكارتى) جامحا يتطفل على ميادين المعرفة ويجوب افاق الحياة يكتشف اسرارها ويذوق لذاتها ويحاول السيطرة على المجهول والخيف منها . بينما العقل الشرقي (الجزائري) كان ما يزال راكدا قابعا . ومع سيادة العقل الاوروبي ظهرت فكرة التمايز والتفاضل بين الشعوب فاصبح هناك علماء يؤمنون بافضلية الشعوب الاوروبية على الشعوب غير الاوروبية ، وينادون بضرورة «تعمدين» هذه الاخيرة بواسطة الاولى ، وهم يطالبون بذلك لا على انه تمنيات وآمل ولكن على انه (رسالة حضارية) لا بد من القيام بها والعمل من اجلها . وسنرى ان كتاب التاريخ الجزائري من الفرنسيين كانوا من دعاة هذا المذهب .

وهناك اخيرا دافع الدين فقد احتلت الجزائر بعد صراع شديد بينها وبين اوروبا المسيحية دام ثلاثة قرون . والاوروبيون يطلقون على ذلك عهد القرصنة (٩) ، وهو في الواقع كان الفصل الثاني من عهد الحروب الصليبية . ولذلك اهتموا بتاريخ الجزائر اولا لمعرفة اسرار العهد المشار اليه ، وثانيا لتعطيم المعنويات التي قد تحدث تغييرا جذريا بعد نجاح الاحتلال . وسنرى انهم اهتموا بالدراسات الاسلامية والطرق الصوفية ورجال الدين ذوي النفوذ الروحي ، تمشيا مع هذا الاتجاه . كما شاركت الكنيسة ، بواسطة رجال التبشير ووسائلها المعنوية والمادية في تبني هذا الاتجاه (١٠) .

ويمكن ان نقسم فترات البحث في تاريخ الجزائر الى عهدين كبيرين هما : عهد المؤرخين

كتابة تاريخ محكومهم . فخلال العشر سنوات الاولى من الاحتلال ظهر كتاب عسكريون امثال كاريت ، وبيليسي وهانوتو ، وديلامار ، وغيرهم . وقد شارك هؤلاء في «اللجنة العلمية» التي اشرفنا اليها (١٨٣٧) والتي كونتها وزارة الحربية لاكتشاف الجزائر ومعرفة احوال اهلها الماضين . وهكذا كتب كاريت عن القبائل الجزائرية وعن العلاقات الاقتصادية بينها ، وكتب بيليسي دي رونو كتابه (اخبار الجزائر) الذي ارج فيه للثمانى عشرة سنة الاولى من الاحتلال . كما كتب هانوتو عن لهجات ونظم الجزائريين ، وجمع ديلامار وثائق عديدة عن الآثار والخطوط . يضاف اليهم البارون دي سلان الذي ترجم تاريخ ابن خلدون وجغرافية البكري وغيرهما ، واختص الضابط بروسلا بالخط العربي . وقام فورنيل بكتابة تاريخ شمال افريقية في العصور الوسطى اما لاكروا فقد نشر دراسات عن الاستعمار والادارة الرومانية في افريقية . ومن كتاب هذا العهد ايضا بيربرجر الذي ملا (المجلة الافريقية) بمقالاته عن اخبار الجزائر سواء التي جمعها مباشرة او التي ترجمها عن كتاب مسلمين مثلما فعل مع رحلة العياشي .

واذا كان هؤلاء قد التفوا حول (اللجنة العلمية) فان هناك جماعة اخرى من الباحثين العسكريين قد التفوا حول مشروع الوحة عن وضع المنشآت الفرنسية في الجزائر) وقد ظهر من هذا المشروع الضخم سبعة عشر مجلدا ، بين سنوات ١٨٤٣ - ١٩٦٤ . وفيه دراسات احصائية وغوص في حياة السكان . ورغم قدم العهد فان هذه المجادات ما تزال مرجعا للباحثين . ومن كتاب هذا العهد شارل فيرو ، والاسكندر بيلامار ، وارنو ، وولسن ايسرتهازي ، ورويان ، وترملي

العسكريين وعهد المؤرخين المختصين او الجامعيين . وسندرس فيما يلي اهم ما تميز به كل عهد من الاهداءات ، واشهر رجال كل عهد . عهد المؤرخين العسكريين ١٨٣٠ - ١٨٨٠ :

يطلق المؤرخ ستيفان غزال على هذا العهد اسم (المدرسة الجزائرية القديمة) (١١) في كتابة التاريخ . ذلك ان الذين تولوا كتابة تاريخ الجزائر ، الاقتصادي والسياسي والاداري خلال هذا العهد هم كتاب عسكريون بالمهنة او ترجمة عسكريون وقد ظلت الادارة الفرنسية في الجزائر عسكرية من ١٨٣٠ الى ١٨٧١ (باستثناء سنتي ١٨٥٨ - ١٨٦٠) . وان هناك مناطق من الجزائر ظلت عسكرية الى قيام الثورة . ولذلك فانه يمكن ان يقال بان الحكم الفرنسي في الجزائر كان حاكما عسكريا بالنسبة للجزائريين حتى عندما كان حاكما مدنيا بالنسبة للاروبيين المقيمين بالجزائر . ذلك ان الادارة الفرنسية قد اعتمدت في (الشؤون الاهلية) على ضباط كانوا يتكونون تكويننا خاصا ثم تسند اليهم وظيفة محلية محددة كان يطلق عليها اسم (المكتب العربي) . وشيئا فشيئا أصبحت (المكاتب العربية) هي في الواقع الحكومة المحلية التي تباشر تسيير شؤون الجزائريين . وقد اختلفت ادارة شؤون الاروبيين من عهد الى عهد . ولكنها بالنسبة للجزائريين ظلت تعتمد على (المكاتب العربية) حتى ١٨٧١ . وعند ما تحولت الادارة العليا الى ادارة مدنية في عهد الجمهورية الثالثة اصبح الجزائريون خاضعين لاجراءات لا تختلف عن مزيج من الادارة العسكرية والبوليسية .

ومن هنا لا نستغرب ان يتولى العسكريون وهم الذين كانوا على صلة مباشرة بالجزائريين

كمحافظ للارشيف العربى ، ونشر خلال ذلك وثائق هامة عن تاريخ الجزائر الدينى ، والعسكرى ، والبحرى (١٤) . ورغم ان اعمال هؤلاء الباحثين العسكريين كانت تعتمد الجمع ، ولا سيما من المصادر الشفوية والملاحظات الشخصية ، فانها قد تركت للمؤرخين اللاحقين ارضية يبدؤون منها ومنافذ يطلون منها على احوال الجزائريين الذين لم يكونوا يعرفون عنهم الا القليل .

عهد المؤرخين الاختصاصيين ١٨٨٠ - ١٨٥٤ :

بتأسيس جامعة الجزائر يبدأ عهد جديد من كتابة تاريخ الجزائر عند الفرنسيين . ففى سنة ١٨٨٠ صدر قانون بانشاء (المدارس العليا) فى الجزائر ، وهى التى اصبحت بعد حوالى ثلاثين سنة (١٩٠٩) جامعة الجزائر ، وكانت المدارس العليا تضم مدرسة الآداب ، ومدرسة الطب ، ومدرسة الحقوق ، ومدرسة العلوم ، وقد تكاثفت جهود اساتذة الجامعة مع جهود رؤساء الجمعيات التاريخية والآثرية التى سبق نكرها ، وكتاب الدوريات العلمية ، واساتذة التاريخ فى الثانويات ونتج عن هذا التكاثر اهتمام خاص بتاريخ الجزائر ، ولكن ميلاد المدارس العليا تصادف مع موجة الاستعمار العنيفة التى بلغت ذروتها بالنسبة للجزائر فى الاحتفال بمرور مائة سنة على الاحتلال ، وتعكس الدراسات التى ظهرت خلال هذا العهد مدى تبعية كتابة التاريخ للاستعمار ، او مدى ذاتية المؤرخ عندما يرتبط بمصلحة وطنه ويضحي فى سبيل ذلك بقيم البحث وأخلاق العلم ، ذلك ان كتابات هذا العهد كانت تعمل على تبرير الاستعمار والتاريخ له . وتعمل فى النهاية على انجاحه واستمراره (١٥) .

ولويس رين ، وغيرهم . وبالإضافة الى مشروع (اللوحة) تجمع هؤلاء حول (جمعية قسنطينة للآثار) و (الجمعية التاريخية الجزائرية) ومجلتيهما . وقد امدوا هذه المنشآت بالدراسات والمنكرات عن القبائل وزعمائها والطرق والآثار والتواريخ المحلية . واللجئات والنظم والشخصيات السياسية التى لعبت دورا فى تاريخ الجزائر كالامير عبد القادر ، والحاج احمد وبومعزة ، وبويغلة ، والحوادث الهامة كالمعارك والثورات ، ودور بعض العائلات والطرق الصوفية ، ولا نكاد نجد تاريخا لحروب الامير ، ونزاع الحاج احمد مع خصومه فى الزيبان وحوادث جرجرة ، وثورات اولاد سيدى الشيخ وثورة ١٨٧١ ونحوها الا بالعودة الى كتابات بيلامار ، وزيروكا ، ورويان ، ورين وتروملى ، ودوماس ، ودونوفو ، واضرابهم (١٦) .

وقد اعتمد هؤلاء فى كتاباتهم على المصادر الاهلية فى غالب الاحيان . وهذه المصادر على نوعين مكتوبة وشفوية . ومن المصادر المكتوبة وثائق العائلات الكبيرة ، وعقود الملكية، ومنكرات رجال العلم الجزائريين . اما المصادر الشفوية التى اعتمدوا عليها اكثر من الاولى ، فقد جعلتهم يسجلون قصصا واحداثا من مختلف المشارب والانواع (١٧) ، وقد ساعدت الاداة هؤلاء الباحثين بجمع ما تفرق من الوثائق العربية والتركية التى وجدها الفرنسيون ساعة دخولهم الجزائر ، وفى هذه الوثائق معاهدات ، ودفاتر حساب ، وسجلات عسكرية ، وعقود وأوراق ادارية ، فقد انشئت (ادارة الدومين) ووضعت تلك الوثائق فى قسمها العربى الذى استندت ادارته الى السيد ديفو وظل ديفو ٢٥ سنة

للمساتذة سواء اثناء وجودهم على كرسى التدريس أو اثناء تنقلاتهم بحثا عن المعارف والمصادر . وتذكر المصادر ان هؤلاء الاساتذة قد تنقلوا كثيرا ويعيدا وركبوا في سبيل هدفهم الاحصنة والبقال وحتى الجمال (١٦) . ومن الاساتذة الجامعيين الذين برزوا خلال هذا العهد السيد ماسكرى ، الذى لم يختص بموضوع بعينه ورنى باسى الذى اختص بالدراسات اللغوية واللهجات المحلية ، ودوتى الذى كرس جهوده للابحاث الاجتماعية ، وجورج ايفير الذى اهتم بتاريخ الاحتلال ، وستيفان غزال الذى تخصص فى تاريخ شمال افريقية القديم ، ومارسيل ايميرت الذى اهتم بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية للاهالى خلال العهد الفرنسى ، وياكونو الذى تناول قضايا الاستعمار والمكاتب العربية ، ويضاف الى هؤلاء عدد من المهتمين بتاريخ شمال افريقية فى فرنسا نفسها امثال شارل اندرى جوليان (تاريخ شمال افريقية) وما نصو (التاريخ الادبي لافريقية المسيحية) ، وكانييا (الجيش الرومانى الافريقى) ودبل (افريقية البيزنطية) .

وخلال هذا العهد انشئت عدة مصالح ساعدت هؤلاء المؤرخين الاختصاصيين على اداء مهمتهم ففى سنة ١٨٨٠ تأسست (مصلحة الآثار التاريخية) بالجزائر، وهى التى قامت ببعث مدينتى جيميل وتيمقاد الرومانيتين ، وفى باريس تأسست سنة ١٨٨٢ (لجنة افريقية الشمالية) التى كانت مهمتها بعث الوثائق والخطوط والنقوش الاثرية . وفى عهد جوناك تأسست سنة ١٩١٥ لجنة بالجزائر عهد اليها بنشر مراسلات ومذكرات رجال العهد الفرنسى فى الجزائر وعلاقات الاهالى معهم ، وضمن هذا المشروع صدرت

وتصادف ميلاد جامعة الجزائر ايضا مع احتلال فرنسا لتونس واهتمامها بقضية المغرب الاقصى ، وبذلك اتسعت رقعة البحث لدى مؤرخى هذا العهد واصبحوا يتناولون فى كثير من الاحيان تاريخ شمال افريقية بصفة عامة ، ويربطون بين مصالح فرنسا فى الاقطار الثلاثة ، وبضاف الى ذلك منطقة الصحراء التى دخلت اهتمامات الابحاث الفرنسية خلال هذا العهد ايضا ، ولا غرابة ان نجد بعض التراجمة والباحثين الذين (تدربوا) فى الجزائر قد اصبحوا عاملين فى تونس والمغرب ايضا ، ولا غرابة ايضا ان تتكون سنة ١٩٣٥ (اتحادية الجمعيات العلمية لشمال افريقية) وقد اصبحت تجتمع كل سنة فى احدى مدن المغرب العربى لتنسق جهودها وتتناقش فى خطتها وتتبادل الخبرات والمعلومات وتلقى خلال ذلك الابحاث والدراسات ، وخلال هذا العهد ولد ايضا (معهد الدراسات الشرقية بالجزائر) ١٩٣٣ الذى اخذ على عاتقه الاهتمام بالحياة العربية الاسلامية لماضى الجزائر بالذات وقد تولى كبر اموره السيد جورج ماسى ثم هنرى بيريس المعروف بتعصبه ضد الجزائريين ، كما ولد سنة ١٩٤٠ (معهد الابحاث الصحراوية) .

بدا اذن العهد الجديد من اهتمام الفرنسيين بتاريخ الجزائر خاصة وماضى شمال افريقية عامة (بعد احتلال تونس والاستعداد للمغرب) عندما فتحت مدرسة الآداب العليا (كلية الآداب فيما بعد) مجال التدريس والبحث فى تاريخ المغرب العربى وافريقية ، ولما كانت الابحاث تهدف الى خدمة الادارة الاستعمارية سواء فى الجزائر أو فى غيرها من اجزاء افريقية ، فان تسهيلات وتشجيعات مادية ومعنوية قد توفرت

هامة عن تقدم الكتابة التاريخية خلال سنوات ١٩٣٠ - ١٩٥٦ . ونذكر من بين هذه الدراسات عن الفترة التي نكتب عنها مقالة ياكوفو التي تناول فيها تقييم ما كتب منذ الاحتلال ، وجزءا من مقالة روجي لوثورنو عن (العصور الوسطى والعهد الحديث) ، وهما بحثان غنيان بالأراء والملاحظات والمراجع ، وفي نفس الوقت يبرهنان على مدى ما وصلت اليه الكتابة التاريخية الفرنسية عن الجزائر ، ومن جهة أخرى نلاحظ أن الباحثين كتبوا في بدايات أحداث الثورة الجزائرية ولذلك لا نستغرب أن ينتهي لوثورنو الى القول بأن «البحث التاريخي عن الجزائر المسلمة ما يزال بعيدا عن الانتهاء (١٧)» ، وان ينتهي زميله ياكوفو الى القول بأنه لا توجد دراسة شاملة عن سياسة فرنسا الاسلامية في الجزائر ولا عن التحول الذي أصاب الاهالي يتأثر الاستعمار (١٨) . والواقع أن المؤرخين الفرنسيين في الجزائر قد درسوا تاريخ الحملة والاحتلال والاستعمار ، ولكنهم لم يدرسوا تطور المجتمع الجزائري ولا سياسة بلادهم نحو الجزائريين .

مواقف المؤرخين الفرنسيين من قضايا التاريخ الجزائري :

رغم بحث الفرنسيين عن المصادر الاهلية فانهم كثيرا ما شككوا في قيمتها واتهموها بالتجريدية والمبالغة ، بل نادى بعضهم بعدم الاعتماد عليها ، فقد ادعى وليام مارسى انه يجب الاعتماد في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني على المصادر الاوروبية ووثائق الارشيف الرسمية والتجارية (١٩) ، وهو في هذا يقتدى برأي دي سلان الذي شك في صحة اخبار

مراسلات كلوزيل وروفيكو وفوارول وديرلسون واثار بوتان كما صدر كتاب (الجزائر في عهد الامير عبد القادر) لا يمرت ، وفي عهد جوناو ايضا اعطيت الاشارة لتشجيع الدراسات الاسلامية فقام محمد بن أبي شنب بنشر رحلتي ابن عمار والورتلاني ، وتحقيق كتب قديمة كعنون الدراية للغبريني ، والبستان لابن مريم ، وبغية الرواد ليحيى بن خلدون ، وقام الحفناوي بوضع قاموس تراجمه (تعريف الخلف برجال السلف) وتولى لوسيانى (الذي كان مسؤول الشؤون الاهلية في نفس الفترة) التعريف بأثار رجال الدين المسلمين كالسنوسي وعبد الرحمن الاخضرى .

وعندما حان الاحتفال بمرور مائة سنة على الاحتلال تجند هؤلاء المؤرخون في اللجان التي كونتها (الحكومة العامة) عندئذ لوضع دراسات تركيبيه عن تاريخ الاستعمار في الجزائر وعن جهود فرنسا الحضارية فيها ، مع نظرة نقدية شاملة لما تحقق في ميدان الكتابة التاريخية حتى ذلك العهد ، وقد خرجت من هذا الجهد مجموعة من الابحاث اصبحت تعرف (بمجموعة المائة سنة) وهي تشمل ميادين التاريخ ، والآثار والجغرافية ، والفنون ، وغيرها ، وهذا اللقاء بين المؤرخين الفرنسيين في جامعة الجزائر وبين الحكومة العامة يبرهن من جديد على مدى تواطؤ هؤلاء المؤرخين مع الادارة الاستعمارية وخدمتهم لاغراضها .

وبحلول سنة ١٩٥٦ احتفلت (الجمعية التاريخية الجزائرية) ومجلتها (المجلة الافريقية) بمرور مائة سنة أيضا على ميلادها ، وقد قدم عدد من المؤرخين الجامعيين والباحثين دراسات

أخرجها بمناسبة الاحتفال المئوي بالاحتلال ، وكذلك الدراسة التي قام بها السيد كور بعنوان (ملاحظات عن كراسي اللغة العربية) في الجزائر ونود أن نلاحظ أن الفرنسيين لم يكتفوا بما قام به مترجموهم في نشر الدراسات الإسلامية العربية عن الجزائر ، بل استعملوا ، كما أسلفنا ، بعض المثقفين الجزائريين لنفس الغرض أيضا ، ومن هؤلاء محمد بن أبي شنب ، والمعتري ، والحاج صادق ، وصوالح ، وإسماعيل حامد ، ويكفي أن نذكر في هذا الصدد ترجمات الفرنسيين للكتب التالية : (تاريخ باشوات الجزائر) لابن المفتي ، و (الزهرة النيرة) للملمساني ، و (غزوات عروج وخير الدين) لمجهول ، و (الحلل المسندية) و (عجائب الاسفار) لأبي رأس الناصري ، و (بهجة الناظر) للمشرقي ، و (رحلة الباي محمد الكبير) لابن مطال ، و (رحلة الورتلاني) ، و (رحلة ابن عمار) ، و (كشف الرسوم) لابن حمادوش ، و (تاريخ قسنطينة) لابن المبارك ، و (مذكرات) حمدان خوجة ، و (مذكرات بوضرية) و (مذكرات) سي عزيز بن الشيخ الحداد ، و (مذكرات) الحاج أحمد باي قسنطينة ، و (تاريخ بنى زيان) للمتمسى ، و (تاريخ العدواني) ، و (الفارسية) لابن قنفذ وغيرها . بالإضافة إلى العديد من الوثائق والرسائل والشعر الملصون ، وكتب الفقه والنحو والاصول .

وإذا كان هؤلاء المؤرخون قد اهتموا بالطرق الصوفية ورجالها وكتب الفقه والاصول كمصادر للتفكير الاهلي ، فانهم وقفوا موقفا مشبوهما من الاسلام ، ذلك أننا لا نجدهم يعترضون على استيلاء الادارة الاستعمارية على ضم الاوقاف الى الدولة (الدومين) ولا على تحويل المساجد الى كنائس ،

العرب عن المغرب (٢٠) . ووافقه في هذا الادعاء استيفان غزال حيث قال عن المعهد الاسلامي (من الفتح العربي الى ١٥٠٠) أن الباحث فيه يدخل في «ظلام دامس» لعدم وجود الوثائق الصحيحة والمعاصرة ، وقال ان الباحث لا يجد سوى بعض الحوادث المتأخرة وغير المنقودة وبعض التسجيلات للاحداث لكنها تسجيلات مرتبطة بالنظم العسكرية وغير نزيهة . ولم يستثن غزال من هذا الحكم سوى ابن خلدون ، لذلك نادى ايضا بالاعتماد على رحلات الاوروبيين وارشيف الدول الاوروبية . وقد وقف نفس الموقف من المصادر الاهلية خلال العهد العثماني ، فقال ان المؤلفين العرب لم يكتبوا عن السادة (يعني الاتراك) وعلاقتهم بالايوروبيين والسلطان ، لذلك رأى ايضا الاعتماد ، لدراسة هذا العهد ، على الارشيفات الاوروبية ، والارشيف التركي ، والرحلات الاوروبية (٢١) ، والواقع ان الذي سبق الى هذا الرأي هو دي غرامون الذي رفض في كتابه عن تاريخ الجزائر العثمانية الاعتماد على المصادر الاهلية لعدم الثقة فيها .

ومع هذا الموقف المجحف من المصادر الاهلية ، فان الفرنسيين قد عملوا كما لاحظنا سابقا على ترجمة الآثار العربية عن الجزائر في شتى العصور ، ولا يكاد يوجد مخطوط رحلة أو وثيقة أو مجموعة رسائل أو سجلات حكومية الا ترجموها كاملة أو مجزأة ، ويطول بنا الحديث لو استعرضنا هنا كل الاعمال التي قاموا بها في هذا الصدد ، ويكفي ان نحيل القارئ الى الدراسة القصيرة ، لكنها مفيدة ، التي قام بها السيد هنري ماسي بعنوان (الدراسات العربية في الجزائر من ١٨٣٠ - ١٩٣٠) وهي الدراسة التي

والكتابات التي كتبها الفرنسيون عن الامير عبد القادر كثيرة ، ولكنها لا تخرج في اغلبها عن الحط من دوره الوطني ، وجعله شخصا متعصبا دينيا في البداية وصديقا لفرنسا في النهاية ، وهذا الموقف يلخصه بصراحة كتاب بول ازان المسمى (الامير عبد القادر من التعصب الاسلامي الى القومية الفرنسية) ذلك ان اسناد دور المدافع الوطني للامير يبطل عمل فرنسا في الجزائر ، والغريب ان مؤرخا مختصا مثل جورج ايفير الذي تناول الامير وعصره في عدة مناسبات يقول عن الامير انه لم يكن بطل جنسية عربية في الجزائر لانها لم توجد ، ولم يكن سياسيا مجددا يهدف الى ادخال الحضارة الاوروبية على مواطنيه الذين كانوا (نصف برابري) ولكنه كان مرباطا طموحا اراد ان يحل نفسه محل الاتراك ، واستغل لتحقيق ذلك الهدف غفلة الفرنسيين ونسبه الشريف وشجاعته الشخصية ، ويضيف ايفير ان الامير قلد الاتراك في ادارتهم لانها كانت تصلح للاهالي، فعلا خزائنه بالمال مثلهم (الاتراك) واعتمد على حكم القوة ، وقد اخذت فرنسا هذا النظام ايضا وطبقته على الاهالي ولكنها جعلته (اكثر انسانية) وينهى ايفير حكمه على الامير بقوله انه لم يأخذ من الحضارة الاوروبية الوسائل المادية التي تجعله يتخلص بسهولة من اعدائه المسلمين والمسيحيين على السواء (٢٤) ، ولم يكن بول ازان واندري جوليان (٢٥) اقل قسوة في الحكم على الامير من ايفير ، ونفس الموقف في الواقع يقفه هؤلاء المؤرخون من زعماء المقاومة الوطنية ، فلا الحاج احمد ولا المقراني ولا الحداد ولا بويغلة ، ولا حمدان خوجة قد وجد من هؤلاء دارسا نزيها يحكم له او عليه ، دون الارتباط المسبق بخدمة المصلحة الاستعمارية ، ذلك ان

ولا على تهديم بعضها ، حتى باسم الآثار والحرص على (الوجه الافريقي) للجزائر ، وقد اکتروا في كتاباتهم من استعمال عبارات «الاسلام الجزائري» و «الاسلام الجزائري الجديد» وهم يعنون الاسلام كما يمارسه الجزائريون الذين يتهمونهم بانهم لم يعتنقوه عن وعي ولم يمارسوه عن عقيدة ، وانما هو عندهم نوع من التقاليد الموروثة والفولكلور الذي يظهر في المناسبات ، ويتجلى هذا الموقف من نعت الفتح العربي (بالغزو العربي) ، ومن التركيز على احداث تاريخية خاصة كحادثة الكاهنة مع حسان بن النعمان ، وحادثة كسيلة وعقبة بن نافع ، وعندما تحدثوا عن هجرة بني هلال تحدثوا عنها «كفارة ذناب» ، حسب تعبير ستيفان غزال ، على المغرب قصد فرض لغتهم ودينهم على السكان، وقد تأسف هذا الكاتب على ان الرومان قد اخطأوا عندما لم يحولوا السكان في شمال افريقيا الى «مسيحيين لاتينيين» (٢٢) .

ويعزو هؤلاء المؤرخون شدة مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي لا الى الروح الوطنية والنفور من حكم الاجنبي وانما لضيق الافاق والتعصب الديني (٢٣) ، اما ايميل قوتى فقد اطلق اسم « القرون الفامضة » على عهد الامارات الاسلامية في الجزائر والمغرب من الفتح العربي الى مجيء العثمانيين ، ويتصل بهذه النقطة اعتناؤهم «بقديسي الاسلام» في الجزائر فقد نشر دوتى كتابا بعنوان (الاسلام الجزائري) ونشر ترو ملى كتابا بعنوان (قديسو الاسلام الجزائري) واهتم دونوقو ولويس رين وكولانسي (بالمرابطين والاخوان) ودرس اغسطين بيرك (المرابطين والعلماء) ، واخرج مارسيل بودان دراسة عن احمد بن يوسف الملياني ، وهلم جرا .

الا في علاقتنا بهم ، أما الفرنسية فهي لا تفتح لهم باب العلاقات معنا فقط ولكنها بالنسبة اليهم هي المفتاح الذي يدخلون به الى كتبنا واساتذتنا ، أي الى العلم نفسه ، وقد لخصت هذه الجريدة الموقف بقولها : ان ما بعد تعلم العربية ليس سوى اللغة اما ما بعد تعلم الفرنسية فهو جميع المعارف الانسانية (٢٧) .

وقد اكدت سنوات الاحتلال المتلاحقة على هذا الاتجاه ، ولذلك لا نستغرب ان لم يستعمل المؤرخون الفرنسيون في الجزائر اللغة العربية في مصادرهم ، باستثناء بعض الترجمات كما لاحظنا ، بل انهم لا يكادون يعودون ، في تناولهم للعهد الفرنسي ، حتى الى ما كتب باللغات الأوروبية الاخرى عنه ، وقد لاحظنا انهم يلجأون الى هذه اللغات في العهود السابقة لسنة ١٨٣٠ لعدم ثقتهم في المصادر العربية عن الجزائر .

والممتنع لانتاج هؤلاء المؤرخين يجدهم يتناولون كل الموضوعات تقريبا ما عدا (الشعب الجزائري) وإذا ما اطلقت هذه العبارة (الشعب الجزائري) عندهم فهم يعنون بها السكان الأوروبيين بالجزائر ، أما السكان الاصليون فهم (أهليون) وهو تعبير يشعر الجزائريين بالذلة والصغار ، لانه لا يطلق الا على من كانوا غير مواطنين ، أي غير المتساويين مع الآخرين في الحقوق والواجبات ، وبهذا المعنى ظل مؤرخو العهد الاستعماري يكتبون ، فغطوا ميادين الحملة والاحتلال والاستعمار والجيش الفرنسي ، والادارة والتشريعات والهجرة الأوروبية والاقتصاد ، واللهجات المحلية والطرق الصوفية .. الخ ، الا (الشعب الجزائري) أو الوطنية الجزائرية (٢٨) .

الهدف البعيد لهؤلاء المؤرخين هو تجريد الجزائريين من «ابطالهم» كما حاولوا تجريدهم من اسلامهم الحق ، واتهامهم بالايمان « باسلام جزائري » هو اقرب الى الخرافة منه الى العقيدة الراسخة الواعية .

وإذا كان المؤرخون العسكريون يعرفون في الغالب اللغة العربية التي استفادوا منها ونقلوا عنها ، فان المؤرخين الاختصاصيين الذين يفترض فيهم البحث في تاريخ الجزائر معرفتها ، كانوا يجهلونها فلا ايفيروا غزال ، ولا ايعريت ولا ياكتر كانوا يتقنون اللغة العربية - لغة الشعب الذي يكتبون عنه - ومن هنا اعتمدوا في فهم (الروح الاهلية) على ترجمات الصنف الاول من المؤرخين وعلى خريجي (مدرسة بيريس) من الجزائريين الذين كانت مهمتهم سواء كانوا تراجمة عسكريين أو شرعيين أو معلمين ، ترجمة المصادر الاهلية للفرنسيين .

ويتبين من هذا ان اللغة العربية لم تكن محل ثقة عند المؤرخين الفرنسيين (لأنهم انتقدوا مصادرهم) كما انها لم تكن أداة تاريخ عندهم ، وهم بذلك يصدقون على وجهة نظر الدوق دي روفيقو الذي اعلن سنة ١٨٣٢ عندما كان قائدا أعلى للجيش الفرنسي في الجزائر قائلا ان هدفنا هو ان نحلّ الفرنسية محل العربية بنشرها بين الاهالي عن طريق السلطة والادارة ، ولا سيما اذا أقبل الجيل الجديد على التعلم في مدارسنا (٢٦) .

وقد اكدت هذا الاعلان الرسمي جريدة (المشهد الجزائري) في فاتح سنة ١٨٣٣ عندما كتبت تقول ان هدفنا هو ان يعرف الاهالي لغتنا لا ان يعرفوا لغتهم ، فالعربية ليست مفيدة لنا

وهذا في الواقع هو النقص الفادح في الكتابات التاريخية الفرنسية عن الجزائر الذي ظل الى قيام الثورة ، بدون تدارك . وقد اشرنا سابقا الى ملاحظة ياكوفو الذي كان يكتب سنة ١٩٥٦ . ومن جهة اخرى اعترف جورج ايفير سنة ١٩٣٠ انه قد كتب الكثير عن الجزائر منذ مائة سنة ولكن الكتابات التاريخية الموضوعية قليلة وسطحية ، وكثير منها عبارة عن نقل عما سبقها (٢٩) . غير ان ستيفان غزال الذي كان يكتب في نفس السنة تمنى ان يرى علماء يكتبون تاريخا عن الاسلام في شمال افريقيا ، وتاريخا عن المنشآت الاسبانية والبرتغالية في شمال افريقيا ايضا ، وتاريخا كاملا عن الاحتلال الفرنسي ، وتاريخا عن الاستعمار الفرنسي في الجزائر (٣٠) . هذه اذن هي تمييزات المؤرخ الفرنسي بعد مائة سنة من الاحتلال . والذي يلاحظ على هذه التمنيات ان صاحبها لم يقترح كتابة تاريخ اى جانب من جوانب المجتمع الجزائري (سياسيا ، اقتصاديا ، ثقافيا) . ولكن الذين اوصلوا الرسالة بعد ١٩٣٠ لم يخرجوا عن هذا الاطار الذي تمناء لهم ستيفان غزال .

بعض الاستنتاجات :

ومما سبق يتضح ان الفرنسيين قد كتبوا الكثير عن الجزائر وتناولوا تقريبا كل فرع من فروع المعرفة الخاصة بها . كما انهم ادخلوا تكتيكا جديدا في البحث ، واستعملوا طريقة النقد الحديثة للمصادر ، وتوصلوا الى جمع اثار ومخطوطات ووثائق كثيرة عن الجزائر وحفظوها في المتاحف والمكتبات والارشيفات وانشأوا الجمعيات العلمية ، وعقدوا اللقاءات والمؤتمرات التي يكشفون خلالها عن اكتشافاتهم ويتبادلون

الخبرات والمعلومات ويوثقون الصلات فيما بينهم . وبالإضافة الى ذلك اسسوا الصحف والدوريات التي كانت تنشر ما توصلوا اليه من نتائج وما جمعه من مواد . وكانت الادارة العامة للجزائر تدمم بالمال وتوفر لهم امكانيات الانتقال والاتصال والاطلاع ، وتساهم في تجمعاتهم وفي جمعياتهم وفي طبع انتاجهم . كما كانت الجامعات والمعاهد الفرنسية في فرنسا تساهم في الاخرى بامكانياتها البشرية والعلمية والمعنوية في دفع عجلة البحث الذي يقوم به الفرنسيون بالجزائر . وكانت الحكومة الفرنسية ايضا تغطي نشاطهم وتفتح امامهم مجالات العمل وتشجع على عمل اللجان وتحمل مفاخرات الافراد من اجل البحث لانها في الواقع هي المستفيدة في نهاية المطاف . ولكن هؤلاء الكتاب والباحثين لم يكونوا مؤرخين بالمعنى الاختصاصي الدقيق للكلمة . كان معظمهم من الهواة ومن كتاب الثقافة العامة والانتطاعات والذكرات ، والتقارير الرسمية . وقد راينا انهم في الفترة الاولى كانوا ضباطا عسكريين يجمعون بحماس شديد كلما تقع عليه ايديهم من مصادر مكتوبة أو شفوية ، ومن اثار قديمة وحديثة . وهدفهم من ذلك الوصول الى فهم السكان الذين يحكمونهم وليس هدفا علميا . وكانوا يحصلون على تلك المصادر بالاغراء تارة وبالقوة تارة اخرى وبالضغط مرة ثالثة . وتذكر الكتابات ان بيريروجر كان يتبع الجيش حيثما توجه ، وعندما تحتل مدينة يأخذ هو المخطوطات العربية من الزوايا والجوامع والمكتبات الخاصة ويعود بها الى العاصمة (٣١) . كما تذكر المصادر ان الجزائريين كانوا يضطرون الى بيع مخطوطاتهم واثارهم وتحققهم اثناء شهر رمضان الذي تكثر فيه المطالب الاقتصادية (٣٢) .

ويمكننا تلخيص النواحي الايجابية في اعمال المؤرخين الفرنسيين بالجزائر في النقاط التالية: (١) جمعهم المصادر والآثار وحفظها في المكتبات والمتاحف والسهر عليها والاستفادة منها (٢) نشر كثير من الآثار العربية الاسلامية في لغتهم ، وحياتها في نصها الاصلى ، وبذلك ساعدوا على بقائها ومكنوا الباحثين منها (٣) استخدام التقنية الحديثة في البحث كتصنيف المواد حسب الاختصاص ، وتنظيم الفهارس ، والكatalog ، والتنظيم الابدائي ، ومصطلح الفترات الزمنية والتصوير ، وما الى ذلك (٤) استعمال وسائل البحث وتشجيع الباحثين ، وشيوع التضامن العلمي بينهم وتبادل الخبرات عن طريق نشر الدوريات والكتب وعقد الملتقيات والمؤتمرات ، وتبادل الزيارات ، وتوفير المادة الضرورية لجمع المعلومات ونشرها بأقرب الطرق (٥) وأخيرا نقد المصادر والوقوف منها موقف الشك والتحفظ وهذه النقطة وان كانت ايجابية اذا نظرنا اليها كظاهرة من ظواهر البحث الحديث الا انهم طبقوها خصوصا على المصادر العربية - الاسلامية ، فاصبحت وكأنها ظاهرة غير علمية في هدفها رغم ان اساسها علمي واضح .

اما النواحي السلبية عندهم فيمكن حصرها ايضا في النقاط التالية : (١) اهمالهم للشعب الجزائري في تناولهم لتاريخ الجزائر . لقد كتبوا عن الجزائر كمنطقة جغرافية من العالم تداولت عليها الدول والشعوب من الفنيقيين حتى الفرنسيين . وليس هناك في نظريهم «شعب» أو «أمة» أو «كيان» أو «مجتمع متماسك» وانما هناك قبائل متنافرة متنازعة تخوض حروباً مستمرة ، ولا تخضعها الا القوي كالرومان والأتراك

وكان بعض الباحثين الفرنسيين قد حصل على جواز مرور من الحاكم العام ليجمع المعلومات والكتب من مكتبات الزوايا في الصحراء . وكان الاهالي يخافون فيقدمون ما عندهم عندما تطلب منهم سلطات المكاتب العربية ذلك . ولعل بعضهم كان يفعل ذلك تملقا وتقربا ايضا ، وهكذا توفرت للباحثين الفرنسيين العسكريين مصادر اهلية استفادوا منها كثيرا في حكمهم للشعب الجزائري .

ونفس الظاهرة تنطلق على كتاب العهد الثاني . فاذا استثنينا بعض المؤرخين الاختصاصيين الذين تميزت كتاباتهم بالتحليل والنقد والمقارنة ، فان معظم الذين يطلق عليهم (مؤرخو الجزائر) لم يكونوا في الواقع مؤرخين وان كانوا باحثين بالمعنى الواسع للكلمة . اخذ مثلا ايميل قوتبي الذي كتب (القرون الغامضة) والذي كتب تاريخ الاستعمار الفرنسي حتى سنة ١٩٣٠ . انه لم يكن مؤرخا بالمعنى الدقيق . بل كان كاتباً عاماً في قضايا الاستعمار والمستعمرات . وكان اساس اهتمامه الجغرافية وطبقات الارض ونحو ذلك . وخذ مثلا آخر جوزيف ديبارسى الذي كتب الكثير عن عادات وتقاليدهم للشعب الجزائري ، انه لم يكن مؤرخا هكذا ايضا وانما اهتم اثناء تدريسه بالبلدية ، بالنواحي الفولكلورية الجزائرية ، فركز على هذا الجانب وجمع منه مواد كثيرة في العقائد الشعبية والخرافات ونحوها . وقد كان هدف هؤلاء ، كما كان هدف اولئك ، هو مساعدة الادارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر لكي تسيطر على مقاليد الجزائريين وبالطبع الدعاية للثقافة والوجود الفرنسي بين الجزائريين من جهة وبين الاجانب من جهة اخرى .

مثلا . وبذلك اهتم تاريخ الجزائريين السياسى والثقافى والاجتماعى .^(٤) اهتم الفرنسيون بالعهد ١٨٢٠ - ١٩٥٤ وكتبوا عن رجاله وسياساتهم وتغير الحكومات الفرنسية واثار ذلك على الجزائر ، وعن الهجرات الاربوية الخ . ويأتى فى المرتبة الثانية من اهتمامهم تاريخ الرومان فى الجزائر وتاريخ المسيحية فيها ، وأخيرا تاريخ البيزنطيين فيها ايضا ، اما تاريخ العرب والمسلمين ، تاريخ العهد الذى تحرر فيه السكان من القيود الاجنبية واصبحوا فيه احرارا يؤسسون اماراتهم ويديرون شؤونهم بأنفسهم فقد ظل عندهم «عهدا غامضا» ، حسب تعبير قوتى . وكذلك فعلوا مع العهد العثمانى فى الجزائر . وهو العهد الذى قويت فيه شوكة الجزائر وتوحدت فيه جغرافيا وسياسيا وتمركزت ادارتها .

هذه ، اذن بعض نقاط القوة وبعض نقاط الضعف التى تميزت بها الكتابات الفرنسية عن تاريخ الجزائر خلال الفترة من ١٨٢٠ الى ١٩٥٤ . وانى اعترف بان هذه دراسة تقتصر الى مزيد من التعميق ، لانها فى الواقع اقرب الى المدخل منها الى الدراسة الكثيفة المركزة .

والفرنسيين . هذه هى «فلسفة» الفرنسيين فى كتابتهم تاريخ الجزائر وهم لم يطبقوا هذه «الفكرية» على عهدهم الذى يبدأ من سنة ١٨٣٠ ، ولكن على جميع عهود تاريخ الجزائر تبريرا لوجودهم .^(٢) مجارة المؤرخين ، عسكريين واختصاصيين، للسلطة ، ولا سيما الادارة الاستعمارية ووزارة الحربية التى كانت مسؤولة عن الجزائر ، وخضوعهم للاحاح وضغط المعمرين ، ونستطيع القول ان هؤلاء المؤرخين كانوا «اصوات» السلطة العسكرية فى الفترة من ١٨٢٠ الى ١٨٧١ و «اسواط» الادارة خلال الفترة المدنية الممتدة من ١٨٧١ - ١٩٥٤ . وهذه (التبعية) للسلطة قد اعتمدت عن الحقيقة وجعلت اعمالهم التاريخية تفقد روح البحث المجرد، واصبحت تتميز «بالطابع الرسمى» الضيق .^(٣) وهذه الظاهرة جعلتهم يركزون فى كتاباتهم على التاريخ الاقتصادى والادارى والعسكرى جريا وراء الاستعمار والادارة (عسكرية ومدنية) وتحركات الجيش وقواده . فاذا ما تناولوا قضية دينية او قبلية او نحو ذلك فانما ذلك من اجل محاولة السيطرة على اصحابها كما فعل دونوفو بالنسبة للطرق الصوفية



التعليق

- ١) بيربروجر في مقدمة المجلة الافريقية (١٨٥٦ - ١٨٥٧) ، ص ٤ .
- ٢) وليام مارسى في كتاب «التاريخ ومؤرخو الجزائر» ، باريس ، ١٩٣١ ، ص ١٦٣ .
- ٣) انظر عنها كتابي «تاريخ الجزائر الحديث - بداية الاحتلال» ، القاهرة ، ١٩٧٠ (معهد البحوث والدراسات العربية) .
- ٤) ستيفان غزال في كتاب «التاريخ ومؤرخو الجزائر» ، ص ٧ - ٨ .
- ٥) يعود الفضل في تأسيسها الى الضابط كرولى ، والضابط بروسلا ، وشيربونو ، استاذ العربية .
- ٦) اول مكتب لها كان يتكون من بيربروجر (رئيسا) وعضوية دى سلان ، ودونوفو (كلاهما عسكري) وبريسنى (كاتب عام) استاذ اللغة العربية .
- ٧) بيربروجر في مقدمة «المجلة الافريقية» (١٨٥٦ - ١٨٥٧) ، ص ٤ - ٦ ، انظر كذلك «لوحة عن وضع المنشآت الفرنسية» (مجلد ١٨٤٦ - ١٨٤٩) ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .
- ٨) مثل جورج غروى ، وجونى فرعون . انظر شارل فيرو «مترجمو الجيش الافريقى» وكذلك هنرى ماسى «الدراسات العربية في الجزائر» (١٨٣٠ - ١٩٣٠) فاصلة من «المجلة الافريقية» ٣٥٦ - ٣٥٧ (١٩٣٣) ، ص ١ - ٣ .
- ٩) يقول الفريد بيل ان حكومة الاتراك في الجزائر كانت حكومة قراصنة ، جعلت القرصنة البحرية نظاما لها . وكان اعضاؤها اترাকা او مرتدين مسيحيين . وكان اسلامهم «خفيفا» . انظر «التاريخ ومؤرخو الجزائر» ص ١٩٤ .
- ١٠) منذ السنوات الاولى للاحتلال كانت صحيفة (المرشد الجزائرى) تتحدث عن تأثير الكنيسة على الجزائريين . سنة ١٨٤١ كون (دوبوش) رئيس كنيسة الجزائر جمعية باسم (جمعية سان او غسطين) .
- ١١) انظر «التاريخ ومؤرخو الجزائر» ص ٧ - ٨ .
- ١٢) بالاضافة الى انهم عسكريون فانهم اصلا لم يكونوا مهتمين بالدراسات الجزائرية . غير ان وحدة الهدف ووحدة العمل ، وكذلك الزمالة ، جعلتهم يتكاتفون وينتجون . انظر غبريال اسكير ، «الجمعية التاريخية الجزائرية» في «المجلة الافريقية» (١٨٥٦ - ١٩٥٦) ، ص ١٩٨ .
- ١٣) وليام مارسى «التاريخ ومؤرخو الجزائر» ، ص ١٦٦ . ينتقد الكاتب المصادر الاملية بانها تفتقر الى الضبط التاريخى ، فهي حسب رايه تصف احداثا مضى عليها من ٥٠ الى ٢٥٠ سنة .
- ١٤) نفس المصدر ، ص ١٦٣ . يقول الكاتب ان ديفو لم يكن فوق النقد وان بعض الوثائق التي كان يشرف عليها وجدت تباع اثناء حياته .

١٥) بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئوية للاحتلال (١٩٢٠) انعقد في الجزائر المؤتمر الوطني الثاني للعلوم التاريخية. وكان ذلك بتأييد من الحكومة العامة بالجزائر. وقد ترأسه السيد كوفيل رئيس اللجنة الفرنسية للعلوم التاريخية. وكان المؤتمر الوطني الاول قد انعقد في باريس سنة ١٩٢٧. وفي خطبة الافتتاح التي حضرها الحاكم العام السيد بوره، قال كوفيل ان انعقاد المؤتمر بالجزائر لا يعنى فقط الاحتفال بحادث عسكري مجيد (يعنى نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر) ولكنه يعنى ايضا الاعتراف بمقامات به فرنسا في الجزائر منذ مائة سنة انظر «المؤتمر الوطني الثاني للعلوم التاريخية» (الجزائر ١٩٣٢)، ص ٨.

١٦) انظر غزال (تاريخ ومؤرخو الجزائر)، ص ٩.

١٧) لوتورنو (المجلة الافريقية) (١٨٥٦ - ١٩٥٦)، ص ١٤٣.

١٨) ياكوتو - نفس المصدر، ص ١٨٣.

١٩) وليام مارسى، «تاريخ ومؤرخو الجزائر»، ص ١٦١.

٢٠) نفس المصدر، ص ١٧٤.

٢١) غزال، نفس المصدر، ص ٦ - ٧.

٢٢) نفس المصدر، ص ٥.

٢٣) الفريد بيل، نفس المصدر، ص ١٩٦.

٢٤) جورج ايفير، نفس المصدر، ص ٢٩٠.

٢٥) انظر مقالى «الاستاذ جوليان والتاريخ الجزائرى» المعرفة (الجزائرية)، عدد جوان ١٩٦٥ ص ١ - ٢٣.

٢٦) ماسى «الدراسات العربية في الجزائر»، ص ٤.

٢٧) (المرشد الجزائرى) عدد ٥٢، تاريخ ١٩ جانفى (يناير)، ١٨٣٣.

٢٨) يجب ان نستثنى بعض كتابات جوليان، ونوشى، واجرون.

٢٩) جورج ايفير «التاريخ ومؤرخو الجزائر»، ص ٢٦٧.

٣٠) غزال، نفس المصدر، ص ١٦.

٣١) انظر «المجلة الافريقية» (١٨٥٦ - ١٩٥٦)، ص ١٩٥ وما بعدها.

٣٢) انظر «لوحة عن وضع المنشآت الفرنسية في الجزائر» (سنوات ١٨٤٦ - ١٨٤٩)، ص ١٩٦.

ملحق (١)

اللجان والجمعيات التي اهتمت بتاريخ الجزائر

- ١) لجنة التحقيق المعروفة باسم (اللجنة الافريقية) سنة ١٨٣٣ .
- ٢) لجنة اكتشاف الجزائر العلمي (اصدرت ١٧ مجلدا) سنة ١٨٣٧ .
- ٣) جمعية قسنطينة الاثرية (لها مجلة) سنة ١٨٥٢ .
- ٤) المفتشية العامة للآثار التاريخية والمتاحف الاثرية سنة ١٨٥٤ .
- ٥) الجمعية التاريخية الجزائرية (لها مجلة) سنة ١٨٥٦ .
- ٦) اكاديمية هيبون (عناية) (لها مجلة) سنة ١٨٦٣ .
- ٧) جمعية وهران الاثرية (لها مجلة) سنة ١٨٧٨ .
- ٨) مصلحة الآثار التاريخية بالجزائر سنة ١٨٨٠ .
- ٩) المدارس العليا (منها مدرسة الاداب العليا) سنة ١٨٨٠ .
- ١٠) الجمعية الجغرافية لمدينة الجزائر وشمال افريقيا (لها مجلة) سنة ١٨٩٦ .
- ١١) جامعة الجزائر (منها كلية الاداب) سنة ١٩٠٩ .
- ١٢) لجنة جوناك لنشر الوثائق التاريخية (نشرت مراسلات ووثائق) سنة ١٩١٠ .
- ١٣) لجنة التحضير للاحتفال المتوي بالاحتلال (نشرت المجموعة المتوية) سنة ١٩٢٥ .
- ١٤) معهد الدراسات الشرقية بالجزائر (له مجلة) سنة ١٩٣٣ .
- ١٥) اتحادية الجمعيات العلمية في شمال افريقية (نشرت ابحاثها السنوية) سنة ١٩٣٥ .
- ١٦) معهد الابحاث الصحراوية بالجزائر (له مجلة) سنة ١٩٤٠ .
- ١٧) جمعية اصديقاء تلمسان القديمة سنة ١٩٠٩ .
- ١٨) جمعية تبسة لما قبل التاريخ والآثار سنة ١٩٠٩ .
- ١٩) الجمعية التاريخية والجغرافية لمنطقة سطيف سنة ١٩٠٩ .

ملحق (٢)

الجمعيات العضوة في «اتحادية الجمعيات العلمية بشمال افريقية» عام تأسيسها سنة ١٩٣٥ بالجزائر

عن الجزائر :

- اكااديمية هييون (عناية)
- مركز دراسات الاستعمار المقارن
- معهد الدراسات الشرقية
- الفرع الجزائري للجمعية الفرنسية الفزيائية
- جمعية قسنطينة الاثرية
- الجمعية الاثرية والسياحية لتغاست (سوق اهراس)
- جمعية جغرافية مدينة الجزائر
- جمعية وهران للجغرافية والاثار
- جمعية التاريخ الطبيعي لمدينة الجزائر
- الجمعية التاريخية الجزائرية
- الجمعية التاريخية والجغرافية لمنطقة سطيف
- جمعية اصديقاء تلمسان القديمة

عن تونس :

- معهد قرطاج
- جمعية سوسة الاثرية

عن المغرب :

- مراكز الدراسات القضائية المغربية
- لجنة دراسات المياه الجوفية
- جمعية الدراسات الاقتصادية والاحصائية
- جمعية المغرب الجغرافية
- جمعية التاريخ الطبيعي بالمغرب

ملحق (٣)

الاسماء الاجنبية الواردة في البحث

ملاحظة : تسهلا للباحثين الذين يريدون الاقتداء بهذا البحث ، اضع هنا قائمة بالاسماء الاجنبية بالحروف اللاتينية حسب الترتيب الابجدي . ولم اشأ ان اثقل البحث بذكر الاسماء بالحرفين العربي واللاتيني في ثناياه .

| | | | |
|--------------------------|-------------------|---------------------|---------------------------------|
| Coppolani | كوبلاني | Arnaud | ارنو |
| Cour, A. | كور | Azan, P. | ازان |
| Daumas | دوماس | Basset, R. | باسسي |
| D'Erlon | ديرلون (حاكم عام) | Berthezène | بيرتزين (قائد عام الجيش) |
| Delamare | ديلامار | Berque, A. | بيركه |
| De Neveu | دونوفو | Bellemare | بيلمار |
| De Slane | دي سلان | Berbrugger, | بيربروجر |
| Diehl | ديل | Bresnier | بريسني |
| Desparmet J. | ديبارمي | Bresson | بريسون |
| Devoux | دوفو | Brosselard | بروسلار |
| Dubois-Thauville | ديبوا - تانفيل | Bodin | بودان |
| Emerit, M. | ايميريت | Boissonnet | بواسوني |
| Feraud, Ch. | فيرو | Boutin | بوتان |
| Fournel | فورنيل | Cagnat | كانيات |
| Gautier, E.F. | قوتي | Carette | كاريت |
| Grammont (de) | غرامون | Charles V | شارل ٥ |
| Gsell | غزال | Claudel | كلوزيل قائد عام الجيش وحاكم عام |

| | |
|---|--|
| Péris, H. بيريس | Hanoteau هانوتو |
| Randon راندون (حاكم عام) | Haedo هايديو |
| Renandot رونودو | Jonnart جونار (حاكم عام) |
| Rinn, L. رين | Julien, Ch. A. جوليان |
| Robin روبان | Lacroix, N. لاكروا |
| Rovigo روفيقو | Letournou لوتورنو |
| Sciavi شيافي | Luciani لوسيانى |
| Seroka سيروكا | Marçais, G. مارسى ، جورج |
| Sholer شيلر | Marçais, W. مارسى ويليام |
| Shaw شو | Marsquary ماسكارى |
| Trumelet ترملى | Masset, H. ماسى |
| Venture de Paradis فانتور دى بارادى | Monceaux مونصو |
| Voirol فوارول (حاكم عام) | Kercy كيرسى |
| W. Esterhazy ويلسن - ايسترهازى | Pannanti بانانتي |
| Yacono, X. ياكونو | Pellissier (de Reynaud) بيليسى |
| Yvez, G. ايغيز | |

النظريات التاريخية بين التفسير والتحريف

انه لمن ادعاءات عصرنا ان نستائر دون ابنه
المصور الاخرى بالتحليلات النظرية على التاريخ
ونؤكد لانفسنا أننا فهمنا المخطط العام للمسيرة
البشرية واكتشفنا الانسانية كانها الكائن النوعي
الموحد الذي رسمت له غريزته الحيوية اهدافا تزعم
انه من الممكن النظر اليها في آفاق المستقبل
البعيد •

عبد المجيد مزيان

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

الى سهولة التصورات واختصار البحث في العلاقات المتشعبة الدقيقة .

من قبيل التصورات المختصرة تلك النظرية التي يمكن ان نسميها نظرية « الاستدجان » عند توينبي . وملخصها ما يلي :

ان الحالة الذهنية التي يكتسبها الانسان من سلوكه المعاشي تبقى متوغلة فيه . وقد تسيطر عليه حينما ينتقل من وضعية اقتصادية واجتماعية بدوية الى وضعية حضارية . فتتفتح هذه الذهنية عن انتقال صوري بينما محتوى السلوك يبين ان الذهنية لم تتغير جذريا وانما بقي صاحبها محافظا عليها ، رغم التحول السطحي الظاهر .

وتطبيق هذه النظرية ان البدوى الذي يسكن المدينة مثلا يبقى محافظا على معايير المعاش البدوى رغم مظاهر التحضر السطحية .

ولنا في التاريخ ، فيما يدعى توينبي خير مثال عن صحة هذه النظرية : فلناخذ المجتمع التركي كنموذج للبدو الذين مروا بمراحل حضارية مختلفة المستويات . ان الترك كانوا في آسيا الصغرى يربون المواشي . وقد تمودوا على ترويض الطبيعة الحيوانية من الاسهل فالاصعب حتى مروا على « تدجين » انواع مختلفة من الشاة والمز الى الكلاب الى الخيل الى الابل . وحضارتهم كحضارة كل من في وضعيتهم من البدو انما هي حضارة كلها تربية وترويض للحيوان . ومن الطبيعي في ذهنيته ان يحاولوا تطبيق هذه الرياضة او قل هذه التقنية التي هي تقنية التربية

وكم من تخليط وقع في مثل هذا الموقف بين معقولة التاريخ وسحرية الخيال . ولقد أصبح من الواجب الاكيد على الناقد ان يتحذر اليوم من مؤرخي الاحداث الجزئية الذين يفككون التاريخ قطما قطما حتى لا تعنى اى قطعة اى شئ ، بقدر ما يتحذر من بعض فلاسفة التاريخ الذين يجولون في عالم ما وراء التاريخ كمن ينظر الى الارض من ابعاد السماء .

لقد تساوت في السخف نظرية « تأثير انف كليوباترا » في تاريخ العالم ونظرية المعقولة المسبقة لكل التاريخ . ولقد تاه باسكال في جزئيات الوجوه والانوف بدعوى التفكير الدقيق بقدر ما تاه هيجل في تتبع مخطط خيالي مشترك بين الله والناس لتحديد اهداف الوجود .

ليس للتاريخ عقلانية مستقلة عن الاحداث التاريخية نفسها ، وليست الاحداث شظايا مشتتة لا يمكن جمعها . وهذا الاعتبار هو الذى يفرض علينا ان نحدد معقولة التاريخ في نظريات لها قيمتها كأداة لفهم الاحداث ، على شرط ان لا تصبح هذه النظريات عقيدة فلسفية مستقلة بذاتها ، وعلى شرط ان نقول بنسبيتها في الزمن وفي مختلف المجتمعات . ان مهمة النظرية التاريخية هي ان تفسر الاحداث وتمثل التطورات والارتباطات وليست مهمتها لذاتها . وما من نظرية الا ولها وجهان : انها صالحة مادامت أداة للمعقولة، وهي فاسدة حينما تدعى الاطلاق والتسلط على كل عصر وكل زمن، وهي فاسدة أيضا حينما تجر

وإذا أردنا ان نتصور صحة هذه النظرية كما يظن توينبي فما علينا الا أن نرجع الى النماذج الاجتماعية التي أتانا بها التاريخ . ان المجتمعات الحربية كلها من نمط واحد : انها تصل بالنظام العسكري الى مستوى الاتقان وما تلبث الحراسة التي هي وظيفة هذا النظام ان تخنق الوظائف الاخرى خنقا ، فاذا تأملنا سبارتا مثلا وجدنا مجتمعها قوى النظام ولكنه قفر حزين لا فن فيه ولا فكر ، ولا اختراع . هكذا كانت المجتمعات الآسيوية في القرون الوسطى وهكذا كانت الفاشية في القرن العشرين . وما يلبث المجتمع الحربي أن يصاب بالترف الاقتصادي والمالي لتكرار هجماته ولاشتداد حراسته . وسرعان ما تتحول « كلاب الحراسة » اذا جاءت ، الى ذئاب ضارية ترتضى على القطيع اكلا وتقتل ، ويتدهور الاقتصاد والعمران ، وتعدم الفاية التي كانت ترمى اليها وظيفة الحراسة وهي الحرب الخارجية للسلم الداخلي ويضطر المجتمع الى تقتيل « كلاب الحراسة » الأكلة للقطيع ويتبادل القتل ويعم ، ويفنى هذا النوع من الحضارة في مناظر كابوسية كلها موت وخراب وقفار ، وجيف ونسور ، وحزن وهيب .

هذا ملخص نظرية الاستدجان . وانها لنظرية جذابة ولا أنكر اننى احببتها لقوتها الشعرية وليتها كتبت بأسلوب دانتي لتكون جزءا رائعا من رحلته الى الجحيم .

وليس الجانب الشعرى الخيالى هو الوجه الوحيد الذى يحبب اليها هذه النظرية ، اذا قرأناها

على أعلى حيوان في سلم الوجود الا وهو الانسان . ان الترك شرعوا في استدجان البشر بمجرد ما تحولوا الى الحياة الحضارية أى بعد تسلطهم العسكرى على البلاد الإسلامية ، وقد وصلوا باستدجانهم هذا مرتبة المنظومية والاتقان حينما بدأوا في الاستيلاء على بعض المناطق الغير الإسلامية .

ولقد كان مآل هذه الحضارة ابتداء من الفترة الاتقانية في النظام ان اخضعت كل وجودها لهذه الظاهرة التي هي ظاهرة استدجان البشر .

وكانت الحلقة التي تجول فيها هذه الحضارة منحصرة في اختطاف البشر لتربيتهم في الثكنات، للهجوم على بشر آخرين ، الاختطاف ، للهجوم ، في دور وتسلسل عقيم ، عبر الاجيال . فالانكشارى او الملوكة ربي على أن يكون « كلب حراسة » قماما ككلب الحراسة الذى يرعى القطيع ، والشعوب المحتلة ربيت على أن تكون شيئا يستخرج منها المعاش . وأثرت سلوكات « كلب الحراسة » في كل من الطبقة الحاكمة والحراسة على السواء وتنجرت بذلك الحضارة تحجرا سريعا أدى بها الى الانحطاط . فأتقان ظاهرة الاستدجان للبشر من ترويض طبقة منهم على أن تكون بمنزلة « الكلاب » وترويض طبقة أخرى على أن تكون بمنزلة « الشياه » ، وتعميم هذه التقنية هو سبب هلاك السلطنة العثمانية ، لانها رجعت بالانسان الى مستوى الاتقان والتحجر الذى عرفه النحل والنمل ملايين السنين قبل ان يتأسس الانسان فوق الارض .

النظريات التاريخية صورة واضحة للعقيدة التي ينتمي اليها اصحاب هذه النظريات . فالبحت عن الاصول العقائدية لكل نظرية تاريخية يعد اذا من الخطوات الاولى في سبيل النقد التاريخي .

انه لا يصعب على أى باحث ان يلمس في نظرية الاستدجان موقفا عقائديا تحركه عواطف البغضاء . للانظمة العسكرية ، ويحركه التمسك بذلك النوع من الحرية الاقتصادية الذي يسيطر على العالم الغربي منذ ثلاثة قرون .

لماذا ننتبه الى نوع واحد من الاستدجان ولا ننتبه الى أنواع الاسترقاق النازلة بالانسان ؟ ولماذا ننتبه الى تربية البشر في التكنات العسكرية ولا ننتبه الى استعبادهم في المصانع التي هي سجون عصر التكنولوجيا ؟ ذلك لاننا ندرك كوارث الآخرين وتمنعنا عقيدتنا النابعة من مجتمعنا عن ادراك تناقضاتنا وتدهور حضارتنا . ان المجتمعات البشرية عاشت كلها على أنظمة استرقاقية منذ أقدم عصور التاريخ . ولم يكن من حظ البدو ان اخذوا بنظام الاسترقاق أكثر من غيرهم من المجتمعات . فلو سلمنا ان العرب باستعمالهم الممالك ، والترك باستعمالهم الانكشارية ، كانوا النموذج الأكثر بروزا لهؤلاء البدو الذين تجرأوا على تربية البشر كما تربي الحيوانات لسلمنا بموقف خاطئ في بدايته ، وذلك لسببين . اما السبب الاول فلان جيوش المرتزقة وأنظمة الارتزاق كانت من الانظمة المعروفة المشهورة في مختلف الحضارات وفي

مصرعين . بل نقول ان لها قوة المعقولة المريحة التي تفسر لنا جزءا كبيرا من تاريخ الانسانية . وهو تاريخ المجتمعات الحربية في جميع الفترات والبقاع . وهي أيضا مفتاح لفهم لغز الانحطاط الحضارى الذى أتممتنا مجهودات التحليل بشأنه ولم نصل بعد فيه الا لنتائج تقريبية لا تؤدي الى الاقتناع . واما اذا نظرنا الى هذه الفكرة من حيث التماسك ، فانها في الظاهر متماسكة وقوية لانها تربط ربطا وثيقا بين الاقتصاد والتفكير والسلوك في صيرورة الحضارات . اننا هنا بصدد حضارة بدوية ارتقت الى مستوى الاتقان وكانت جل تحولاتها في اتجاه واحد ، مع تحسن مستمر في هذا الاتجاه : من أسفل الى أعلى ، من تربية الحيوان الى تربية البشر وهو قمة الاتقان . ولكن ليس بصدد قمة الاتقان النظامي الا التحجر . والتحجر الاجتماعي هو الانحطاط بالذات . فكاننا بصدد المعقولة العلمية التي لا تقبل النقاش ، وكان النظرية توحى هنا بقانون النشوء والارتقاء والفناء الذي يسيطر على الكائنات الحية ، والمجتمع كائن حي ممتاز .

انى لمعترف ان هذه النظرية كان في الامكان ان تقنعني اقناعا كليا وان لا افكر في مناقشتها في يوم ما لو تناولت نموذجا حضاريا مثل سبارتا ، والمانيا النازية مثلا ، ولكنى بدأت اشعر بعدم صحتها لانها تناولت تاريخ بلادى وتفسير حضارتى بطريقة تنير الاحساس وتثير الشكوك في نفس الحين . وان اعترافى هذا يحتوى ضمنا على تمسكى بمسبق منهجى وهو اعتقادى بان

أساطيل ، وملوك بكل ما فى معنى الملك من قوة وسلطان . ولا تعنى هذه الملاحظة اننا نحبذ النظام الذى كانت تسوده مثل هذه العلاقات ولكننا نريد أن نثبت ان الاستدجان كثيرا ما يقع لصالح المالك لانهم يتصرفون فى اصحاب السلطة الشرفية تماما كما يتصرف الحاكمون فى محكوميهـم، من تنصيب ، وعزل ، وقتل ، ومراقبة شديدة على سلوكياتهم العمومية . ولم يمر دهر طويل على هذه الظاهرة الحضارية حتى اصبحت قضية الدولة هى قضية المالك . هم المهيـمون على كيانها ، والصامدون فى وجه اعدائها ، والمستيتون فى سبيل عقيدتها . وليس هذا السلوك من قبيل سلوك العبيد أو المستدجنين ، أو المرتزقة التقليديين .

ومن تمويهات نظرية الاستدجان انها تعتمد الى قانون الاحياء لتقرن بين الاتقان والانحطاط . كان المجتمع حيوان كبير يخضع لقانون النشوء والارتقاء والفناء . وليس الاتقان النظامى فيما تزعم النظرية الا من حظ المجتمعات الحربية ، واسرافها فى الاتقان والآلية هو الذى يجرها الى الهاوية لانها تقضى على روح الاختراع . أو لم يلاحظ المؤرخون ان ما يسمى بالاتقان النظامى انما هو حالة تحجر يكون قد سبقها الانحطاط الحقيقى منذ أجيال ؟ فآلية الانظمة سواء فى أجهزة الادارات أو أجهزة الجيوش انما هو انكماش يدل على روح التقليد وعدم القدرة على الاختراع ، وعدم تفهم الصيرورة التاريخية التى تفرض دوام التجديد .

مختلف العصور . وكانت مستويات الاتقان فى هذا النظام عدية العلاقة بالاصل البدوى أو الاصل المدنى للمجتمعات . ان قرطاجنة العريقة فى الحضارة مثلا قد وصلت بنظام الارتزاق الى حد لا يستهان به من الاتقان النظامى . وأما السبب الثانى فيرجع الى التفاضل عن ظاهرة التحول الاجتماعى والانتقال من حال الى حال . ان النظام السياسى الذى يستعمل الارتزاق ويدقق له الوسائل والقوانين ، هو النظام الذى قد تعود على الحياة الحضرية وصار عاجزا عن حراسة ممتلكاته الا بوسائل الاستدجان . فالعرب المستعملون للمالك أو الترك المستعملون للانكشارية انما هم أبناء مجتمعات قطعت كل علاقاتها الاقتصادية والاجتماعية والذهنية مع البداوة الاولى . والخطأ هنا فى التخليط بين الاجيال وعدم الانتباه الى التحولات الجذرية التى فصل بينها .

هذا ولا ينتبه اصحاب هذه النظريات المختصرة الى حقيقة ظاهرة اتخاذ المالك جندا وحرسا فى العالم الاسلامى . انها تختلف عن الرق كل الاختلاف . ان الملوك يحارب من أجل اسبياد ظاهريين ، وانه فى عالم طفت عليه الحروب وشتى الاصطدامات السياسية لهو السيد الحقيقى لانه يحمل السلاح . ولو قارنا بين المرتبة الشرفية التى كان يحظى بها الخلفاء ووضعية الملوك الذى كان يضبط بكل قوة سلاحه ونظامه العسكرية على الاحداث ، لراينا ان السلطة الفعالة كانت بيد الملوك . من المالك قواد حرب ، وأمراء

وليس التحجر والانحطاط من حظ المجتمعات العسكرية وحدها .

لا يعني كثيرا أن تعدد الأدلة التاريخية على فساد مثل هذه النظرية ، بقدر ما يهمني أن تفكك أجهزتها إلى العناصر العقائدية والعاطفية التي ركبت منها . هل يمكن لفيلسوف ومؤرخ يؤمن بحرية الحرية الاقتصادية التي يعيش عليها مجتمعه أن ينظر إلى العالم الخارجي نظرة استحسان ؟

إن التسلط العسكري ، والاستبداد في الحكم . والرق ، والبداءة الفاشية ، والبدائية كلها ظواهر اجتماعية وتاريخية لا يمكن بزعمهم ، أن توجد لها النماذج الا خارج الغرب .

ولقد سبق لهيجل أن التمس رمزا للحكم المستبد فلم يلمسه الا في النوع الآسيوي، وحينما أراد أن ينوه بالبناء السياسي الامثل فلم يجده الا في النظام الاوروبي المشبع بالعقيدة الفلسفية الجامعة بين الفكر الغربي وروحانية المسيحية . ولنقف قليلا عند الاسترقاق .

إذا كان لابد من البحث عن نوع من الاستدجان، واتقان النظام فيه فليس هناك نموذج اجتماعي وتاريخي يمثل هذه الظاهرة أحسن من الإقطاعية الغربية التي عاشت عليها أوروبا عدة قرون . إن الحاق البشر بالأرض وتشبيثهم في المعاملات المتعلقة بها ، ومنعهم من التملص منها ، والاحتكار الطبقي لكل النشاطات المتعلقة بالزراعة ، لمن الاتقان الدقيق للنظام الاسترقاقى . فهل كان إقطاعيو العالم الغربي ، وأخوانهم من رجال الكنيسة بدوا قد وصلت بهم البراعة في تربية

المواشي إلى البراعة في تربية رقيق الأرض ؟ وهل جر هذا الاتقان الدقيق لنظام الاسترقاق إلى انحطاط العالم الغربي ، أم أدت به الاسرافات في تشديد النظام إلى الثورة والنهوض ؟

وهل يمكن أن نلمس الاستدجان واتقان نظام استغلال الإنسان للإنسان وهو الامتداد العصري للاسترقاق ، في غير الانظمة الرأسمالية التي استعانت اليوم بالتكنولوجيا لتدقيق أجهزة ذلك الاستغلال ؟

واننا لنعجب في مثل التصنيفات التي يأتي بها فلاسفة التاريخ المتشبعون بعقيدة الغرب الرأسمالي أن يجعلوا بعض المجتمعات الإسلامية نماذج للنظام الحربي ، ويتفاخرون في كل مرة عن الالتفات إلى النماذج العسكرية التي يأتي بها الغرب .

لقد كان من الممكن أن نأخذ المجتمع الانجليزي في عصر الاستعمار كنموذج لاتقان النظام الحربي وسيطرته على جميع الأجهزة السياسية الموجودة آنذاك . ليست سياسة التوسع المستمر ، وتوطيد النظام في المستعمرات عبارة عن اتقان دقيق لفنية الحروب ؟ وإذا أردنا أن نكشف عن منظومية الحرب وطفانها على باقي النشاطات الحضارية في المجتمعات فلا أحسن من المجتمعات الغربية لأعطائنا نماذج واضحة صريحة عن هذه الظاهرة . ولننظر إلى التاريخ القريب : فمن الامبراطورية النمساوية إلى بروسيا إلى فرنسا البونابرتية ثم الاستعمارية إلى أمريكا في عصرنا هذا إلى دولة صهيون ، أنها كلها مجتمعات تقدر الحرب وتتم لها الأسباب ، وتعممها تعميما

الاقتصادية التي تدعو الى تشجيع المبادرات ، والتفتح على الاكتشاف والاختراع ، والتقليل من الانظمة المضيق على حرية الافراد . ويمكننا ان نقول بعبارة اخرى ان هذه الفلسفة ليست الا عبارة عن عقيدة المجتمع الذي نبعت منه وانها تحتوى ضمنيا على تناقضاته الاقتصادية والاجتماعية . انها تمثل الحرية الفردية لصالح افراد فى طبقة ، ولكنها تمثل المجر وتمتين النظام والحراسة الشرطية والعسكرية على باقى الطبقات ، وعلى الشعوب التي تعترض حرية « الافراد المخترعين » . انه لا يمكن مع هذا الالتزام الشعورى واللاشعورى بالعقيدة ان نؤمن بمعقولة النظريات التاريخية مهما ظهر منها من تماسك وقوة بناء .

يقول ماركوز فى كتابه عن « الانسان ذى البعد الوحيد » ان معقولة التاريخ هي الممكن فى حدود الحتمى . ونجيبه نحن ابناء العالم الثالث بان الحتمى أضخم مما يتصوره المؤرخون، ان تصارع الحضارات يفرض علينا الدخول فى تيار العراك ، ونحن ملزمون بالتجهيز لهذا العراك من اتقان لوسائل الحرب ، وتحرر مستمر . وليست عظمة بعض الحضارات فى عالم اليوم الا بناء يرتكز على استغلال الشعوب والضغط عليها وانزالها الى مرتبة الخضوع وفقدان الوعي ، الذى بواسطته يمكن تفهم حدود الممكن والحتمى فى كل انجاز حضارى . هذه حالة مضيق لحدود الممكنات . ان بعض المجتمعات بنت عظمتها على حساب مجتمعات اخرى . وليس هناك امكان بالنسبة لهؤلاء وهؤلاء

جنونيا وتسعى لآبادة الآخرين ، وتتفنن فى استخدام الفكر واستدجان المحاربين ، والعلماء ، والمهندسين حتى تسخر كل الطاقات المادية والفكرية فى سبيل الحروب . فاين غريزة الراعى فى مثل هذا النظام العسكرى الذى يسهر على تربية الجيوش واتقان اجهزتها ؟ ولماذا لا يمكن ان نتكلم عن التحجر والانحطاط فى مثل هذه الحال ؟

اننا نلمس من هذه المقارنات اهمية العقيدة كمحرك للنظرية التاريخية . ولسنا ندعى التحليل النفساني لصاحب النظرية فنقول ان العقيدة تحركه بكيفية لا شعورية وتجعله يعشو عن كوارث مجتمعه ويخلق بفكره فوق مجتمعات الآخرين . بل نرى انه فى عقيدته ونظرياته ذو التزام صريح بفلسفة مجتمعه بكل ما لها من جوانب سياسية واخلاقية وتطبيقية .

اننا نرى من خلال الحكم على النظام والاتقان بالعم والتحجر موقفا شعوريا واخلاقيا يجعل صاحبه مبالغا فى مقت كل حضارة لا تؤمن بالحرية والاختراع . ولو تصورنا الحاسة المضارية فى المجتمع الامثل ، حسبما يوحى علينا هذا الموقف، لتصورناها عبارة عن تجسس فى الظلام ، واختراع مستمر ، وقدرة دائمة على التكيف مع الظروف . هكذا يمكننا ان نلخص كل مواقف الفلسفة التجريبية العملية التي ظهرت فى العالم الانجليزى الامريكى منذ القرن الماضى . ولا يظن الباحث فى تاريخ الافكار ان هذه الفلسفة نبعت الى الوجود من آدمغة المفكرين وبمحض الاختيار المطلق ، بل ليس من الممكن ان نفعل عن ربطها بفكرة الحرية

ما المقصود العمل من هذا العرض ؟ وما هي اغراضه بالنسبة لتاريخنا ؟ يمكننا تلخيص الاجوبة في بعض النقاط :

(1) ان كل ما كتب عن تاريخ بلادنا وأمتنا يمكن مراجعته وتفسيره من جديد ، كما يمكن ازالة جميع التخریفات النظرية والخيالية التي الصقت بهذا التاريخ .

(2) يجب ان يكون النقد التاريخي جذريا ، لاسترجاع الواقع ، وان ينتبه الناقد الى الالتزام العقائدي الذي يحرك المؤرخين

(3) ليس المقصود من النقد التاريخي هو ابطال نظريات الاجانب للدفاع عن حضارتنا والانتصار لمذاهبنا ، بل يجب ان يكون النقد التاريخي نقدا ذاتيا أيضا ، وان ينبه الناقد الى واقع مجتمعنا بالاضواء التي لا تتوفر عند الآخرين ، وذلك للمساهمة عن طريق التوعية الفكرية في انجازات التاريخ الحاضر الحى . وذلك للاعتبار الآتى :

(4) ان التاريخ هو قبل كل شيء ما ينجز ، واما ما يكتب فهو في الغالب تصوير ذاتي أكثر منه عقلاني لاحداث وظواهر تجزئى الواقع وتصبغ عليه الوانا من العقائد والشعورات .

وأقول بهذا الصدد لآخوانى الذين تذهب أنفسهم حشرات على سوء نية المؤرخين الذين يزيفون تاريخ أمتنا بأن التاريخ ليس ضميرا انسانيا شموليا الا في ميدان الانجاز لانه هو الباقي الملموس الذى تشاهده الاجيال ، وأما كل ما يكتب فيمكن نقضه بمكتوب جديد .

الا التمدادى في الصراع واعداد العدد له من الطرفين ، الاقوياء للمحافظة والزيادة في القوة ، والضعفاء للتخلص من الضغوط والاستغلال . فكان الممكن ضاق حتى أصبح هو الحتمى بالذات . وبناء على هذا الاعتبار نقول ، ان تعميم الانظمة العسكرية واقتانها بالوسائل التكنولوجية ، وخلق الحروب المتسلسلة ، وجدلية الصراع المستمر ، أمر محتوم في عالم اليوم ، سواء للمحافظة او للتححرر . وترجع مسؤولية هذا الوضع الى الحضارات البورجوازية لان الحضارات الاخرى عبارة عن ردود فعل واجوبة على تحديات العظمة والطفان للعالم الغربى . ومن العجب ان خالقى حتمية الحروب يهاجمون ظاهرا عن الحرية والسلم . لسنا ندعى حينما نتكلم عن ضخامة الحتمى وتحديد نطاق الممكن ، بأن الارادة البشرية لن تتجاوز هذا الوضع . ولكنها ستتجاوزها بالقضاء على التوازن الحالى الذى يفرض بقاء بعض البشر فى الحمول ، ليصعد البشر الآخرون الى النجوم . وهذه هي رسالة الثورات . لكل مجتمع حريته وسلمه . ان حرية الشعوب الضعيفة وسلمها هي أن يرفع عنها كابوس الضغط والاستغلال ، وان حرية المجتمعات القوية وسلمها هي ان لا يتغير أى شيء . كل شيء نسبي كما نرى في ميدان التاريخ : ان الفكرة نسبية ويختلف مفهومها من مجتمع الى مجتمع ، وان النظرية التاريخية نسبية لا تتعدى صفة الاداة لفهم وضعية محدودة في الزمن ، وان التحليل والنقد الذى يسلطه المؤرخون على المجتمعات يحتوى على مواقف مذهبية مهما كانت مظاهر المعقولة في النقد والتحليل .

الدفاتر التركيبية والعربية في الجزائر

د. عبد الجليل يحيى

استاذ بكلية الآداب

جامعة تونس

يتمتع فن التاريخ (1) هذه السنوات باهتمام المسؤولين في المغرب العربي ، فكثيرا ما نسمعهم ينوهون بعلم التاريخ داعين المؤرخين المغاربة الى كتابة تاريخنا القومي وتنقيته من الافتراءات والاطغاء والتشويه الذي لحقه واصابه على يد المؤرخين الغربيين ، ذلك ان هذا الميدان كان وقفا عليهم يوجهونه حسب ارائهم ، ومعتقداتهم،

(1) هذه الدراسة هي خلاصة للمقدمة التي وضعتها لكتابنا المخطوط : « فهرس موجز للوثائق العربية والتركية » والذي نأمل ان ينشر قريبا باللغتين العربية والفرنسية

التصدى لكتابة هذا التاريخ ، دون ان تقوم بعملية اولية للكشف عن كنوزنا الوثائقية والمخطوطات والعمل على فهرستها لتحسس مدى غناها واهميتها ، ونشرها ان امكن ، ومن هنا تاتي اهمية نشر الفهارس مهما كانت موادها ، ذلك ان عمل الباحث اليوم يقوم على اساس الفهارس والبيبوغرافيا ، فضلا عن نشر الوثائق نفسها ، ولا بد اذا اردنا للمدرسة التاريخية المغربية الناشئة ، الشمول والنجاحة والجدية والعلمية من توفير مثل هذه الادوات لنقضى دراساتها ونكسبها القيمة العلمية الثابتة .

★ ★

ولنا ان نتساءل ما مرد عدم الاهتمام الذي اظهرته المدرسة التاريخية الفرنسية تجاه تاريخ الجزائر خلال الثلاثة قرون من وجود العثمانيين بالبلاد ؟

يعلل المؤرخون الفرنسيون سبب ذلك الى عدم استغلال وثائق ودفاتر الحكام العثمانيين والمحرة باللغتين العربية والتركية والتي استولت عليها الحكومة الفرنسية يوم ان احتلت الجزائر مع اوائل الربع الثاني من القرن الماضي ، وقد نادى هؤلاء المؤرخون بضرورة الاهتمام بهاته الدفاتر وفهرستها (2) لتكون اساسا ومنطلقا لدراسة

ومخططاتهم ، ومن المؤسف ان يكون هؤلاء المؤرخون خاضعين لعند من الاحكام المسبقة على تاريخ شعوبنا بتركيزهم البحث على فترات دون فترات وعلى اشخاص دون آخرين وعلى فنون دون اخرى ، من ذلك الاهتمام المفرط بتاريخ المغرب قبل الفتح العربي واكسائه اهمية خاصة وكذلك فترة الاحتلال الفرنسي ، اما الفترات الاخرى ، فقد عرفت ارتفاعا ونزولا حسب اهتمامات المختصين وتكوينهم العلمي وسير ابخائهم .

ولقد شعر عدد من المؤرخين الفرنسيين بعدم توازن الدراسات التاريخية وحثية الاهتمام بما يسمونه « بالعصور المظلمة » حتى تستكمل الفجوات الخطيرة التي يشعر بها كل باحث لتاريخ المغرب العربي .

من ذلك يجمع المؤرخون الفرنسيون ان الحلقة المظلمة والمجهولة من تاريخ المغرب ، على الرغم من قربها التاريخي ، هي فترة العهد العثماني ، اذ الدراسات التي نملكها تكاد تكون نادرة ومعلوماتنا العامة قد استمدت من انطباعات الرحالة الاوروبيين ومن تقارير قناصل الدول الاجنبية ، اما وثائق الدول المغربية العربية والتركية ، فلم يقع الاهتمام بها ولم تفهرس ولم يتم استغلالها ، وعلى هذا الاساس لا يمكننا اليوم

A) BUSQUET, Raoul, *Le fonds des Concessions d'Afrique et l'Organisation du Gouvernement Général de l'Algérie*, (2) pp. 385-401, in, la Révolution Française, Revue d'Histoire Moderne et Contemporaine, 28^e année, 405, Paris, Novembre 1908.

B) DELPHIN, G, *Histoire des Pachas d'Alger de 1515 à 1745*, extrait d'une chronique indigène traduit et annoté, pp. 161-233, in, Journal Asiatique, Paris, Avril, Juin, 1922.

C) DENY, Jean, *A propos du fonds arabo-turc des Archives du Gouvernement Général de l'Algérie*, pp. 375-378, in, Revue Africaine, 1^{er} trimestre, 1921, Alger, 1921.

العهد العثماني بالجزائر كما هو الحال بالنسبة لتونس وليبيا لم يدرس ، وإن الأبحاث القليلة التي تناولت بعض المسائل المتفرقة لا يمكن اعتبارها أساسية ، إذ هي تكتسي قيمة نسبية هذا ما يعترف به مؤرخو الغرب على اختلاف نزعاتهم وتكوينهم العلمي .

ودون أن نتعرض إلى السرد التاريخي لمصير الوثائق الرسمية وهذا ما فصلناه في مقدمة مخطوطنا ، نلاحظ أن الدفاتر العربية والتركية التي نجت من الضياع تتألف من حوالي 500 دفتر تضم 42 ألف ورقة مخطوطة تقريبا ، سنحاول إعطاء بعض الإشارات حول مختلف موضوعات محتوياتها .

تجارة واقتصاد ولاية الجزائر

إن الدراسات التاريخية التي تناولت تجارة بلاد الجزائر مع دول البحر الأبيض المتوسط قليلة وعليه تكاد تكون معرفتنا بهاته المواضيع شبه معدومة .

فمثلا تكاد تتركز معظم الدراسات التي ظهرت عن القرن السابع والثامن عشر حول القرصنة واسترقاق الأسرى المسيحيين وفديتهم، الشيء الذي جعل بعض المؤرخين يذهبون إلى الاعتقاد أن القرصنة تشكل الصناعة الوطنية

ولاية الجزائر ، ذلك أنه لا سبيل إلى دراسة تاريخ بلد ما ، دون أن نضع يدنا على وثائق الدولة الرسمية ومراسلاتها وقوانينها الإدارية والمالية والاجتماعية والعسكرية التي سنتها . والتي تعتبر العمود الفقري لأي محاولة جادة لسبر الأبعاد التاريخية والحضارية للبلد المعنى والمراد دراسته .

إن الجزائر كسائر الولايات المرتبطة بمركز الامبراطورية العثمانية قد عرفت نشاطا حثيثا تجاريا وعسكريا في حوض البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث ونتج عن ذلك وفرة الوثائق الرسمية . ولا أدل على ذلك من هاته المراسلات التي تمت بين الجزائر والباب العالي وانتظامها ، وبين الجزائر وسائر الدول الأوروبية حيث احتفظت لنا دور وثائقها بالنسخ الأصلية التي كان قد أوفدها حكام الجزائر إلى رؤسائها ، ويمكن لنا أن نقرر بالنتيجة أن الدولة الجزائرية كانت لديها دفاتر وثائقها الرسمية المتعلقة ببيت المال والتجارة الخارجية والداخلية والضرائب والإحباس وما يتعلق بالانكشاريين ، بالإضافة إلى مراسلاتها السياسية مع جميع الدول .

ونظرا إلى علم استعمال كل هاته المراجع الأساسية ، يمكننا أن نقرر على ضوء ذلك ، أن

B) MARÇAIS, William , *Un siècle de recherche sur le passé de l'Algérie Musulmane*, p. 163, in, Histoire et Historiens de l'Algérie, Paris, 1931.

E) EMERIT, Marcel, *l'Algérie à l'époque d'Abdelkader*, Paris, 1948.

F) YACONO, Xavier, *L'Algérie depuis 1830*, p. 162, in, Revue Africaine, centenaire de la Société Historique Algérienne, 1856-1956, Alger, 1956.

G) MANTRAN, Robert, *Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie*, pp. 243-248, in Annuaire de l'Afrique du Nord, 1962, Aix-en-Provence - Paris, 1963.

صقلية(5)والبنديقية والغرفة التجارية بمرساي(6)
Chambre de Commerce de Marseille

وارشيف استنبول ودار الوثائق التونسية .

الادارة الجزائرية في عهد الاتراك

ان هذا الحقل من الدراسات لم يهتم به الباحثون الا نادرا وتكاد تكون معرفتنا لاصول الادارة العثمانية بالجزائر قد استمدت من الرحالين الاوروبيين امثال لوجيبي دو طاسي¹ Lougier de Tassy.

وبيصونال (Peyssonnel) وديفنتان (Desfontaine)

وبواري (Poiret) وفنتور دو برادي (Venture de Paradis) شعوا (Shaw) وغيرهم ، وقد وصفوا الادارة وتركوا لنا انطباعاتهم التي لا تخلو مطلقا من الاهمية (7) على الرغم من ان اكثرهم كان يحقد على الاتراك ، واصفين اياهم بالبربرية والقرصنة وقد تبع هؤلاء عدد من المؤرخين خاصة في القرن التاسع عشر وهم الذين حاولوا دراسة هذا الموضوع وتبنوا احكامهم ونتائجهم (8) .

كانت الادارة التركية بالجزائر خلافا لما يعتقد ادارة محكمة التنظيم وجد دقيقة ، اذ كان الدايات بالاستعانة بعدد من الوزراء والموظفين والمسؤولين قد تمكنوا من تسيير مختلف شؤون البلاد ،

(3) والمورد الرئيسي للبلاد ، وهو راي خاطيء .
ان نظرة سريعة لمحتويات هاته الدفاتر تفقد بصورة لا مجال للشك فيها ، بطلان هذا الرأي، فالدولة الجزائرية عرفت حركة تجارية نشيطة مع موانئ الشرق مثل ازمير وسالونيك واسكندرية (4) وطرابلس بسوريا وطرابلس الغرب وتونس والمغرب الاقصى ، وكذلك مع موانئ الدول الاوروبية وخاصة مع مرساي وكان لدای الجزائر وكلاء له في عدد من هذه الدول .

ان هاته الدفاتر تذهب الى ابعد من اعطاء صورة مصغرة على هاته التجارة ، بل على العكس من ذلك ، تسمح لنا بتقييم تجارة الجزائر تقييما تقريبا بما توفره من معرفة صادرات وواردات البلاد ومقاديرها مع ذكر اسعارها . ولا ننسى ان الجزائر لعبت دورا متكاملا مع وضعية البحر الابيض المتوسط مع كل من مالطة والبنديقية ومرساي وصقلية وغيرها من الموانئ ، وانه اذا اريد كتابة تاريخ الجزائر الاقتصادي والتجاري للمائتي سنة التي سبقت الاحتلال الفرنسي ، لا بد من دراسة الدفاتر العربية والتركية اولا ثم تكملتها بدراسة دور الوثائق بايطاليا وخاصة

(3) ESQUER, Gabriel, *Le Commencement d'un empire : la prise d'Alger*, p. 11, Alger, 1923.

تلاحظ ان القرصنة شكلت بالنسبة للقرن السابع عشر موقدا للجزائر المعاصرة ، خلافا لقطاعات ولاية الجزائر الثلاث التي كانت تعتمد على التجارة والصيد عموما

(4) GIRARD, P.S., *Mémoire sur l'agriculture, l'industrie et le commerce de l'Egypte*, pp. 299-305, t. 17, in, *Description de l'Egypte*, l'Edition, Paris, 1924.

(5) TRASELLI, Carmelo, *Les sources d'archives du trafic maritime en Sicile*, pp 106-119, in, *Les sources de l'histoire maritime en Europe du moyen âge au XVIII^e siècle*, Paris, 1962.

(6) CARRIERE, Charles, *Les sources provençales de l'histoire de l'économie maritime à l'époque moderne*, pp. 227-243, in, *Les sources de l'histoire maritime en Europe du moyen âge au XVIII^e siècle*, Paris, 1962.

(7) COLOMBE, Marcel, *L'Algérie Turque*, pp. 99-123, in *Initiation à l'Algérie*, Paris, 1937.

(8) BOYER, Pierre, *Introduction à une histoire intérieure de la Régence d'Alger*, pp. 297-316, in, *Revue historique*, Avril-Juin, 1966.

القبائل وتوفر لنا معلومات مشجعة لعلاقات الجزائر ببقية البايكات الثلاثة والاحداث الداخلية والمعارك التي شنتها الدولة ضد القبائل النائرة التي ترفض تسديد الاداء كما نجد تسجيلا دقيقا لتعيين الموظفين وتاريخ ذلك ثم عزلهم وتاريخ من عوضهم واسمائهم . كما نجد معلومات عن الهدايا التي ترفع لدار السلطان والضرائب (الدنوش) التي يحملها بايات ولاية الجزائر الى الداي مرتين كل سنة اثناء فصل الربيع والخريف وكذلك ما يقدمه الاغاوات والامراء وسائر القبائل من اداء وهدايا الى دار السلطان . ومن جهة اخرى نأمل ان تساعدنا هاته الدفاتر على تحديد بعض الوظائف الادارية وتمدها واختصاصات كل منها واسماء القائمين عليها . على ان الباحث يجد بعض الاشارات والمعلومات التاريخية المفيدة لعلاقات الدولة الجزائرية مع الامبراطورية العثمانية وعدد كبير من دول البحر الابيض المتوسط وخاصة مع جاراتها .
والواقع اننا لا نستطيع التعرض لكل محتويات هاته الدفاتر ، فهذه لمحة سريعة استوجبهها التعريف بها وبمحتوياتها .

فالدولة كانت تتبع نظاما دقيقا لجباية الضرائب مثل العشر والمعونة والغرامة واللزمة وغيرها (9) كما كانت الدولة تميز القبائل الغنية من الفقيرة وفي بعض الاحيان كانت تسجل عدد افراد القبائل واملاكهم الشخصية (10) وعدد الحيوانات التي يملكونها ومدخيل المحصولات الزراعية (11) وكان جمع الضرائب وتوزيعها يتم على اساس نسبي للثروات والمحصولات ، كما ان هاته الدفاتر احتفظت لنا بتفاصيل كاملة للاداءات المفروضة على الواردات والصادرات ونشاط المصارف وضرائب الشرطة على الاسواق اليومية والاسبوعية وكذلك الضرائب على تجارة اليهود ، كما نجد ايضا معلومات اخرى حول كميات الذهب والفضة التي اخذت من خزانة الدولة ليقع تحويلها الى عملة نقدية للتداول . ثم عجز الميزانية التي ترتب عنه تخفيض العملة في كثير من المرات . (12)
تمكننا مثل هذه المعلومات من دراسة كل المظاهر الادارية والاجتماعية لحياة الدولة الجزائرية ، وتكون منطلقا لدراسات مفصلة ودقيقة ، كما ان هاته الدفاتر العربية والتركية ، تسمح لنا ايضا بالقيام باحصاء تقريبي لبعض

يذكر لنا السيد بوايج ان معلوماتنا عن الجزائر لم تتقدم منذ السنة التي نشر فيها قران Gremont سنة 1881 كتابه التالي :
Histoire d'Alger sous la domination Turque
يبدو لنا ان عمل قران ومرسي Mercier الذين يطان من انصار المدرسة التاريخية والمستندة في اغلبها على اساس الاحداث السياسية الفاصلة Histoire événementielle هما في نظرنا على الرغم من معاولتهما المجدية يظنهان لمعطيات والكمار مسجلة وخاطئة عن الجزائر اثناء الحكم التركي
ان الضرائب التي كانت مفروضة على المواطنين بالجزائر هي اقل بكثير واخذ واطاة من الضرائب التي فرضها البايات الحسنيون وحكاهم على رعايا البلاد التونسية والذين ضربوا اسوا الاستغلال على ابتزاز اموال المواطنين بالقوة
(10) راجع الدفتر رقم 4 من القسم الثاني الموجود بلوشيف الرقاسة بالجزائر
(11) راجع الدفتر رقم 13 من القسم الثاني الموجود بلوشيف الرقاسة بالجزائر
(12) لقد تعرضنا بشئ من التفصيل في المقدمة الى ذلك ، خصوصا ما كان متعلقا منها في الربع الاول من القرن الماضي

الاجباس

تعتبر الاجباس من اهم المشاريع الخيرية التي اوجدها المجتمع الاسلامي ، ذلك ان المحبس لشيء يملكه لفائدة النفع العام كان مدفوعا في ذلك بحبه للخير والتقرب لرضا الله ورحمة بالفقراء وحبا للعلم ، وعليه انشئت المساجد وشيدت المعاهد العلمية والخيرية والزوايا والملاجئ والتكايا ، وقد تزامن الحكام والاغنياء في تحقيق ذلك .

وقد تعددت في مدينة الجزائر خاصة فضلا عن قسنطينة وهران ، الاملاك المحبسة ، حيث كانت مداخلها ذات قيمة كبيرة سمحت بالقيام بعدد من المشاريع الخيرية والتعليمية مثل الاهتمام بالطلبة ومساعدتهم وصرف مبالغ كبيرة للاستاذة والقائمين على شؤون التعليم ورعاية السقايات ومساعدة فقراء الولاية وتخصيص قسم من مداخل الاجباس لفقراء الحرمين الشريفين (13) والمرابطين والاندلسيين والشرفاء ودار الانكشاريين وقدي الاسرى المسلمين الذين وقعوا في اسر المسيحيين الى غير ذلك من المشاريع التي تكتسب طابعا خيريا وانسانيا .

ان الدفاتر العربية والتركية تسمح لنا بالقيام باحصاء تقريبي لمداخل الاجباس نقدا ومحاصيل ومعرفة مصادرها ونوعيتها والمبالغ المتأتية عن كرائها ، كما تمكننا من تحديد

ممتلكات الافراد والقاء بعض الاضواء على المعطيات الاولى للحياة الفلاحية وبعض الاسعار العامة ، كما نجد بعض الاحصائيات لمصاريف الدولة العامة على الاجباس كالترميم مثلا ، ومن جهة اخرى نجد سجلا بالمبالغ المرسلة الى الحرمين الشريفين او الموزعة على فقراء الجزائر او المودعة في بيت المال مع ذكر تصفية الحسابات مع الوكلاء القائمين على جمع مداخل الاجباس ، وبالتالي تعد هاته المصادر مصدرا لدراسة طبقات المجتمع والفروق الموجودة بينها ، ذلك ان هذا النوع من الدراسات لم يجلب اليه الباحثون ولا بد اذا اريد الاهتمام بهذا الحقل من الدراسات من استغلال وثائق الاجباس الثرية والمتضمنة عددا من المعطيات الاقتصادية والمالية والاجتماعية قل ان توفرها لنا الوثيقة التاريخية السياسية الصرفة .

الانكشاريون

ان الدفاتر الموجودة بالمكتبة الوطنية بالجزائر والتي يبلغ عددها 35 دفترا تمكننا من تعميق معرفتنا بفيلق الانكشاريين ومختلف وحداتهم ومرتباتهم واسماء الثكنات العثمانية التي كانوا يقيمون بها ، كما نجد في عدد من الدفاتر الاخرى والموجودة برئاسة الوزراء بالجزائر اسماء الانكشاريين الذين جندوا من الامبراطورية العثمانية وتاريخ وصولهم وعددهم .

(13) JANSSENS, Gérard Busson de, *Contribution à l'étude des habous algériennes*, p. 27, étude dactylographiée.

يذكر المؤلف ان الاجباس المسجلة في الجزائر باسم الحرمين الشريفين تبلغ ثلاثة ارباع الاجباس جميعها : نستطيع حصر نسبة ذلك بالفيصل غير اننا نسري ان الاجباس باسم مكة والمدينة كانت بالفعل تتمتع باغل نسبة في ذلك

وكثيرة الاخطاء ، ولا بد ان نتصور ان موظفي الاتراك القائمين على الشؤون المالية والادارية لم يكونوا يتمتعون بثقافة واسعة . ومن هنا نعلل كثرة اخطائهم ورداءة اسلوبهم .

لقد هدفنا بهذا العرض السريع لمحتويات هاته الدفاتر ، لفت الباحثين العرب والاجانب لوجود هاته الدفاتر وغناها واهميتها دون ان ندعي اننا احطنا بكل شيء ، وكفانا مسؤولية اننا وفرنا اطارا ومادة جديدة للبحث العلمي التاريخي . (14)

ولدراسة ادارة الاتراك بالجزائر ، لا بد من الاهتمام بفيلق الانكشاريين وطريقة حياتهم والنظم العسكرية التي كانوا يخضعون لها حتى يكون اهتمامنا بتاريخ الجزائر اثناء الحكم التركي اكثر تبصرا ووعيا .

لغة الدفاتر

حررت اكثر الدفاتر باللغة العربية وبخط مغربي تختلف جودته ورداءته من دفتر لآخر . اما الدفاتر الهامة فقد حررت بلغة تركية وهو ما اصطلح عليه «بالعثمانية» وهي صعبة القراءة



(14) لقد فصلنا في المقدمة التي وضعناها للمفهرس المخطوط ، الظروف والالاسات التاريخية التي لازمت هاته الدفاتر الى ان نقلت الى فرنسا قبيل الاستقلال ، ولم تسترجع الى الجزائر الا سنة 1965 بعد ان احتفظت الادارة الفرنسية بنسختين منها على شكل ميكروفيلم ، اودع احدها بالارشيف الوطني بباريس تحت رقم 15 وسلم الثاني الى الارشيف الوطني بأكس آن بروفانس بنفس الرقم الباريسي

اما اصول هذه الدفاتر فقد احتفظت بارشيف رئاسة الوزراء بالجزائر ، هذا وقد تأكد لدى ان قسما من اصول هاته الدفاتر لم تسلم بعد الى الجزائر .



« قصر باردو بالعاصمة »

البولونيون وتاريخ المغرب الوسيط

تقديم

يتسم العصر الحديث الذي تنوعت فيه الدراسات بالمنهجية العلمية في أغلب أنواع المعرفة وبالتخصص الدقيق في كل علم أو فن بحيث انه صار لكل علم وكل مجال من مجالات المعرفة منهجيته الخاصة وعلماءه المتخصصون .

اما في مجال التاريخ العربي عامة والمغربي خاصة فقد اتسمت كتابة المؤرخين الاوروبيين بعدم التعقل والتبصر أولا ثم بالمبالغة والغلو في المناهج العلمية أو الرياضية ثانيا .

د. ابراهيم فارس

استاذ محاضر في تاريخ المغرب
عميد كلية الآداب
جامعة قسنطينة

هذا التاريخ المغربى الأفريقى بتاريخ الشعوب الإسلامية دون النظر الى مهبط وحياها أو مسقط رأسها اذ يوجد حتى اليوم فى أقطار الأرض مسلمون يستشهدون من أجل نصرة الإسلام كما ان هناك اسلاما تنتهك حرمانه دون أن يحرك أتباعه الجغرافيون أى ساكن .

واعتقد ان هذه الخطوة الأولية أمر ضروري، وإذا اقترنت هذه الخطوة ببعض الشروط الحتمية فقد نحقق بعض النجاح ونقدم خلال عشرين عاما تاريخا لا تظهر فيه روح المؤرخ بقدر ما تظهر الصورة الحقيقية الحية للشعب أو الوطن الذى أرخ له أو عنه بحيث تذوب شخصية المؤرخ ضمن المجموعة التى يؤرخ عنها وينتمى إليها ويكتب من أجلها .

وهذه الشروط فى رأينا هى :

(1) جمع كل الوثائق والمخطوطات المهربة والتى لها صلة بتاريخ المغرب بصفة عامة (2) .

(2) ابعاد كل ما كتبه المؤرخون الغربيون المتعصبون عن المغرب والجزائر ، وإذا استخدم ما كتبوه فيكون استعمال هذه الكتابات للرد عليها ودحض الشبه .

(3) استخدام ما كتبه المؤرخون والباحثون الذين يحدوهم الصدق فى العمل والجديّة فى البحث والتجرد للعلم ليس غيره .

(4) توحيد الجهود وتنسيق العمل بين أبناء المغرب المتخصصين فى التاريخ وذلك مثل تأسيس مؤسسة علمية على مستوى مغربى تعنى

أما بالنسبة لمؤرخي الإسلام فى العصر الوسيط عامة فقد اتسمت دراساتهم للتاريخ بمناهج البحث الأدبى والإسرائيليات ثم بالتحيز وعدم الالتزام ، الأمر الذى يحتم علينا ان نعيد النظر من جديد لا فيما كتب عن تاريخ المغرب الوسيط فحسب بل وحتى بالنسبة للتاريخ الإسلامى العام ؛ فتاريخ الإسلام والهجرة يحتاج الى مراجعة وغربلة وتاريخ الشام تلزم إعادة النظر فيه ، وتاريخ بغداد تنبغى دراسته على ضوء روح العصر الذى كتب فيه ، وكذا الأمر بالنسبة لتاريخ شمال إفريقيا (قديمه وسيطه وحديثه) فهو فى اشد الحاجة الى ثورة شاملة لكنها ثورة هادئة وهادفة يكون الغرض منها : (1) إعادة الاحداث التاريخية الى وضعها الطبيعى أى ابعاد جميع الخرافات وروح العصبية التى طبع بها .

(2) وضع هذه الاحداث حسب العصور فى جوها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى الذى تبلورت فيه حتى نتمكن من تفسير هذه الاحداث واخضاعها لقانون العملية .

(3) جعل التاريخ المغربى العام فى شخصيته الخاصة به كتاريخ شعب وأمة تعيش - جغرافيا - بمنطقة معينة وتخضع لنواميس تتأثر بها وتؤثر فيها .

(4) وبعد اصفاء طابع الشخصية المغربية على تاريخ هذه المنطقة نضع هذا التاريخ المغربى البارز الشخصية فى الاطار العام المشترك بين تواريخ الشعوب عامة ، ابتداء من تاريخ الإسلام والمسلمين فى المغرب والقارة الأفريقية الى ربط

فالبولونيون (أقصد منهم المؤرخين المحدثين أو المعاصرين) عندما ارادوا دراسة تاريخ المغرب لجؤوا الى مصدر واحد هام في نظرهم هو النصوص وكل كتابة عندهم لا تعتمد النصوص التاريخية المغربية أو ما كتبه المغاربة انفسهم تعد لغوا وهراء غير ان الملاحظ في هذه المدرسة البولونية التي ظهرت أواخر القرن الثامن عشر ومطلع هذا القرن هو انها اهتمت بتاريخ المغرب اهتماما كبيرا وجمعت خلال ثلاث وثمانين عاما اعز واغلى وانفس ما يملكه المغرب من وثائق ومخطوطات .

وقد يتبادر الى الذهن سؤال أو أسئلة .
ما علاقة البولونيين بتاريخ المغرب الوسيط ؟
ولماذا عنى البولونيون بهذا القسم من افريقيا الشمالية سيما ليبيا وتونس والجزائر واخيرا امتدت جذور هذه الدراسة بحكم الترابط والموقع الجغرافي الاستراتيجي امتدت الى جنوب المغرب الاقصى فموريتانيا ثم النيجر ومالي وتشاد وتركزت خصوصا حول أودغشت وتمبكتو وتادمكت .

رما هي طبيعة الدراسات وفرع التاريخ المغربي الذي أهتم به البولونيون ؟

هل توجد وثائق ومخطوطات مغربية في بولونيا الكبرى ؟

كل هذه الاسئلة وغيرها هي موضوع دراستنا هذه .

حسب ما توصلت اليه من دراسة عميقة وبعد اتصالات مباشرة وعمل مع البولونيين في بولونيا تبين ان اكتشاف البولونيين لتاريخ المغرب يرجع

بتاريخ المغرب وشؤون مجتمعه ، اصدار مجلة مغربية للتاريخ ، واخيرا تبادل الآراء في القضايا التاريخية التي يشترك فيها ككل .

هذه بعض الاقتراحات التي هي مجرد رأي يمكن ان تناقش ويضاف اليها أو يعدل فيها ، المهم هو انه حان الوقت للنظر في هذا الجانب الهام سيما اذا عرفنا ان هناك أناسا يدعون البحث والتعمق فيه ، وجدوا الطريق مهيأة الى وثائقنا المكتوبة منها والمروية على حد سواء ، فتسللوا أولا الى عقول البسطاء فاعتمدوها مصدرا لكتابة تاريخهم المفرض ، ودخلوا المكتبات العامة والخاصة فهربوا كنوزها وتسربوا الى أقسام الوثائق باسم العلم وعالية الثقافة فابتزوها ثم ادعوا فيما بعد انهم - دون سواهم - اعرف بتاريخ بلادنا وهم اقدر على فهم التاريخ وربطه بقانون العلية والاسباب والمسببات وهم يرمون من كل هذا تشويه الشخصية الوطنية وتجريدها من كل مقومات الحضارة والرقى .

البولونيون .

انصافا للعلم والحقيقة لا نريد ان ننسى أولئك الذين انصفوا تاريخ العرب والمغرب والاسلام ، وظلوا مغمورين طيلة نصف قرن كامل .

لقد حاول البولونيون ان يدرسوا تاريخ المغرب على ضوء الوثائق والمخطوطات ووضعوا مبدا لهم هو تخليص الدراسات التاريخية المغربية من الشوائب التي علقت بها ، هذه القاعدة هي التي اعتمدتها المدرسة البولونية عندما تصدت لدراسة تاريخ المغرب أو تقديم بحوث عن المغرب .

وفي خلال مدة عشرين عاما (1880 - 1900) كون مونيلانسكى نواة أولى لمكتبة مغربية تجمع عينات من الوثائق والمخطوطات ، اعقبها بمذكرات عن مشاهدته وملاحظته حول سكان الصحراء عامة .

هذه المجموعة كلها ارسلت الى مدينة لفوف (3) البولونية السوفياتية واصبحت تحمل اسم « مجموعة مونيلانسكى » (4) .

وهذه الوثائق والدراسات التي تضمها مكتبة جامعة لفوف هي :

(1) سيرة ابن الصغير المالكي (القرن الثامن الهجرى) فى سيرة أئمة بنى رستم بتاهرت، ترجم الى الفرنسية وقدم عام 1905 كبحث فى المؤتمر العالمى الرابع عشر للمستشرقين المنعقد فى الجزائر .

(2) الحملة الاسبانية ضد جزيرة جربة (تونس) فى مطلع القرن السادس عشر .

(3) لهجات سكان أغدامس (دراسة فى علم الصوتيات واللسانيات) 1904 .

(4) جبل نفوسة وصف اجتماعى وديموغرافى للجبل وسكانه متبوع بهوامش وتعليق عن النطق ومخارج الحروف واللفظة والتراكيب . باريس 1898 .

(5) نصوص لفوية تتعلق بسكان جربة الحومة أجيم صدغيان والغ والمحبوبين .

(6) مؤلفات الاباضية ، درست وجمعت عام 85 - 1886 (5)

الى.العقد الثامن من القرن التاسع عشر ذلك ان الرائد البولونى الاول الذى تعرف على هذا المغرب فى الفترة المذكورة هو دى كالاسنتى مونيلانسكى الذى كان ترجمانا عسكريا فى خدمة الجيش الفرنسى ، ولكنه اذا كان قد وضع خبراته كترجمان فى خدمة الجيش الفرنسى فقد سخر مواهبه الى ح تاريخ المغرب وارصاله مباشرة الى بولونيا بدل فرنسا .

ولقد كانت مساعى مونيلانسكى الاولى تتلخص فى الخطوات التالية :

(1) جمع اكبر ما امكن جمعه من الوثائق والمخطوطات المغربية سيما التي لها صلة بصحراوات المغرب وعلاقتها الاقتصادية مع افريقيا الغربية والوسطى .

(2) محاولة التعرف على عادات الشعب وتقاليده واخلقه مع دراسة الانظمة الاجتماعية التي تسيره

(3) تمتين الصلة مع اعيان المغرب من علماء وشيوخ ورؤساء القبائل ، وبحكم معرفة الرجل العميقة لعدة لغات منها العربية التي يملك زمامها والبربرية التي يتقنها والفرنسية التي يجيدها والانجليزية التي درسها ، بحكم هذه المعرفة استطاع ان يضمن لمساعاه النجاح .

(4) توطيد العلاقة بينه وبين الاب دى فوكولد الذى كان منزويا فى اعماق صحراء الجزائر ، وفى ظل الرحمة الكنائسية والحماية الفرنسية استطاع الاثنان ان يستجليا مجاهل هذه الصحراوات العامرة المغفورة .

(2) شرح الجهالات (IO) لابي عمار عبد الكافي
التناواتي الوارجلاني (II) *

(3) الدليل والبرهان لابي يعقوب يوسف بن
ابراهيم الوارجلاني السدراتي ، من علماء الكلام
والمنطق والرياضيات (النصف الثاني من القرن
السادس الهجري) حياة حافلة بالاسفار والمؤلفات
درس في سدراتة (وارقلة) ثم رحل الى المشرق
ومنه عاد الى المغرب فقصده قرطبه حيث قام
بالتدريس في جامعها فترة من الزمن وهناك تعرف
عليه بعض الالمان الذين كانوا يدرسون العربية
ولنا عودة في دراسة قادمة على علاقة الالمان
واهتمامهم البالغ بتاريخ المغرب في عصر مبكر
جدا *

بماذا نفسر وجود مخطوطات وثائق مغربية
ذات قيمة في مكتبات المانيا ؟

هذه المخطوطات التي يرجع تاريخها الى القرن
الخامس والسادس الهجريين ، سؤال وجهته الى
كاتب الدولة الالمانى للثقافة فرد على اثناء زيارته
لجامعة قسنطينة - نعم هناك مؤلفات مغربية في
في المكتبات الالمانية شأنها شأن غيرها من الكتب
العربية التي شقت طريقها الى اوروبا *

(4) كتاب اخبار المرجية (بفتح الميم) في سيرة
خير البرية لابي العباس احمد الحفاني * هذه
المجموعة توجد كاملة في جامعة لفوف * واذا اردنا
تصنيف هذه المجموعات التي جمعت ما بين 1880
الى 1926 نجد :

أولا : ان هناك مجموعة ارسلها موتيلانسكى
مباشرة الى لفوف وهي التي كانت للدارسين

(7) العقيدة الاباضية مترجم الى الفرنسية ،
وقدم الى المؤتمر المذكور اعلاه *

(8) مدينة القراة منذ نشأتها مترجم الى
الفرنسية ، واهم ما فى « مدينة القراة » *

التعليق الذى اضفاه موتيلانسكى على هذه
الترجمة 1885 *

(9) اصول العادات الاجتماعية وقواعد السياسة
لسكان مدينة غرداية، دراسة تدخل ضمن التعليقات
السالفة الذكر *

(IO) ابراهيم بن سليمان الشماخي تراجم
(II) اسم الجلالة فى اللغة البربرية (6) *

هذا ما استطعنا حصره بالنسبة لهذه المجموعة
الموتيلانسكية التي توجد خارج الجزائر * وكانت
مكتبة جامعة الجزائر تضم مجموعة أخرى منذ 1925
تحمل اسم موتيلانسكى * الا ان زيقمونت
سموقورزفسكى البولونى ورفيق موتيلانسكى فند
فى رده العنيف على مرسيل مرسييه (7) الزعم
القائل بان مجموعة أخرى قيمة ولا تقدر كان قد
جمعها موتيلانسكى ثم اختفت وظهرت فجأة فى
احدى الجامعات باميركا دون ذكر اسم هذه الجامعة
ويقول سموقورزفسكى فى دراسته ورده المذكور
(8) : ان مرسيل مرسييه يجهل وجود مجموعة
موتيلانسكية من المخطوطات فى حوزة الاستاذ
قتنير الالمانى الذى تنازل عنها لصالح جامعة لفوف
فى الاتحاد السوفيتى (9) *

وهذه المجموعة كما ذكرها سموقورزفسكى
مرتبة على النحو التالى :

(I) كتاب النيل وشفاء العليل للشيخ عبد
العزيز اليزجنى *

البولونيين نقطة انطلاق واستمرار البحث عن المخطوطات المغربية .

ثانيا : مجموعة أخرى كانت توجد في حوزة قننير الالماني الذي تنازل عنها لفائدة جامعة لفوف .

ثالثا : مجموعة أخرى ثالثة مجهولة تسربت الى إحدى الجامعات الاميركية والبحث عن هذه المجموعة لا زال مستمرا .

رابعا : مجموعة رابعة أوقفها موتيلانسكي نفسه على جامعة الجزائر قبل وفاته 1884 - 1883 كما يشير الاهداء الذي سطره البولوني على إحدى صفحات المخطوط وهذه المجموعة الأخيرة غير المجموعات الثلاثة الموجودة في الاتحاد السوفيتي واميركا اذ يؤكد زيقمونت سموقورزفسكي « انها غير معروفة في اوربا » ولقد أكد لي الدكتور محمد حميد الله في باريس 1965 انه عثر هو الآخر على مجموعة من المخطوطات المغربية في مكتبة جامعة استراسبورغ وارسل بقائمتها الى الاستاذ البولوني المعاصر طدوز لفسكي في بولونيا . ولم أحصل على هذه القائمة التي ارسلها الدكتور حميد الله بعد عودتي من بولونيا ، الا ان هذه المجموعة تقبل احد الاحتماليين :

اما انها من جمع الالمان (قننير ، شاخ ، وكارل سوتير) واما انها من عمل موتيلانسكي اهداها او ارسلها الى استراسبورغ والذي يرجح هذا الاحتمال الاخير هو ان موتيلانسكي ذكر في رسالة شخصية بعثها الى الاب دي فوكولد في الهجار

« إن وفدا المانيا عقد له زيارة ودية بمقر حكمه بمدينة غرداية واطلمهم على كنوز العلم والمخطوطات التي لا ينضب معينها » (12) .

اما الرائد البولوني الثاني الذي واصل رسالة موتيلانسكي هو الاستاذ زيقمونت سموقورزفسكي الذي زار المغرب وافريقيا الغربية الوسطى في الربع الاول من القرن الحالى 1925 واستطاع هو الآخر بحكم سابق معرفته لاهمية تاريخ المغرب ومخطوطاته السهلة المنال ، بحكم هذه المعرفة سلك منهاجا جديدا في جولته الاستطلاعية وهي تتمثل في الحصول على انفس المخطوطات التي اشار اليها موتيلانسكي ولم يعثر عليها ، فكان زيقمونت يستهدف من هذه الرحلة تركيز عمله على استكمال ما نقص من مهمة سالفه .

وأول ما حصل عليه سموقورزفسكي هو كتاب السيرة واخبار الائمة (13) بجزئية .

الجزء الاول ضمنه تاريخ المغرب الاسلامي الوسيط وعلى وجه الدقة تاريخ سياسة بنى رستم في تاهرت وعلاقتهم بالاندلس والادارة والاغلبة تدرجا في العرض الغير المنظم الى عصره ، ويعتبر هذا القسم الاول تاريخي اما القسم الثاني فهو في التراجع خاصة .

وهذا المخطوط لم يطبع بعد انما ترجمه الى الفرنسية ترجمة ركيكة الباحث الفرنسي اميل مسكراى وطبع في الجزائر 1878 مع هوامش وتعليق ضافية .

بولونيا انما في مكتبات معينة مثل مكتبة المتحف البريطاني وبرلين وليبزيغ واكسفورد ولندن والمكتبة الحديوية بالقاهرة أو المكتبة الظاهرية بدمشق .
غير ان المخطوط الوحيد الذي لا زال في طي الغموض والكتمان هو « التاريخ الكبير لوارجلان وسدرته وارينغ » (I5) لابي يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني الذي يعده الدارسون اكبر عالم رياضي في المغرب (الجزائر) الا انه لا زال في طي النسيان .

هذا المخطوط ذكره المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب وقال (I6) عنه انه رآه يباع في تركيا المستشرق موتيلانسكي ولو ان له دراهم لاقتناه ولكنه اقتصر على شراء رسالة ابن الصغير المالكي .
ورغم ان البحث عن هذا المخطوط لم ينته بعد يمكننا - تاريخيا - ان نشير الى ان لهذا المخطوط الثمين قصة سوف نعود اليها في دراسة مستقلة .

وكل ما يمكن الحديث عنه الآن هو ان ابا يعقوب كان قد سافر الى السودان الغربي وقدم لنا وصفا قيما عنه (I7) ثم قام بالتدريس في جامع قرطبه حيث تعرف عليه هناك جماعة من الامان الطلبة وفي هذه الاثناء (القرن الثاني عشر ميلادي) كان قد انتهى من اعداد كراريس ودقاتر « التاريخ الكبير » وفجأة يظهر المخطوط - في السودان - في افريقيا حيث استولى عليه البرتغاليون ، ثم ينتقل المخطوط من ايدي البرتغال الى الامان حينما كانوا بافريقيا واخيرا بيع - على حسب رواية المؤرخ التونسي - في مطلع هذا القرن ضمن تركة موتيلانسكي .

ولقد كانت توجد في مطلع هذا القرن عدة نسخ متوفرة من مخطوط كتاب السيرة الا ان شاخست الالمانى في دراسته منذ سنوات قليلة اكد انه لم يعثر الا على نسخة واحدة ، غير ان ط . لفتسكي اخبرني شفويا انه توجد نسختان من المخطوط في لفوف باسم مجموعة زموقور زفسكي تحت رقم I57 ، I58 ونسخة خطية أخرى كاملة في كراكوفي تحت رقم 275 .

2) مخطوط طبقات الدرجيني (I4) في قسمين والقسم الثاني مستقل عن القسم الاول ، ذكره سموقورزفسكي ضمن الكتب التي عثر عليها وارسل بها الى لفوف تحت رقم 275 .

3) دراسة حول شاعر مغربي (مجهول الاسم) ظهرت هذه الدراسة في المجلة البولونية الشرقية الجزء الثاني ص 260 - 268 .

4) جرد مفصل للمخطوطات والمؤلفات عند اباضية المغرب والمشرق ، وهو عبارة عن فهرست المؤلفين الذين تركوا آثارا مهمة ومشتتة هنا وهناك .

ولقد اعتمد سموقورزفسكي في عمله على كل المخطوطات بحيث كان استخدامه للمصادر مبنيا على دراستها العميقة ، وهو يذكر انه متم لما لم يأت به موتيلانسكي .

والذي يهتما في الدرجة الاولى قبل تقييم عمله هو حصره للمخطوطات وذكره لها بامانة معترفا بأنه جمعها وارسلها الى جامعة كازيميرب . لفوف ثم يذكر في نفس الوقت المخطوطات التي لا توجد في

والاسئلة التي تطرح هنا هي :

هل المخطوط الذي رآه حسن حسني عبد الوهاب هو بعينه المخطوط الذي كان بين ايدي البرتغاليين والامان ؟

كيف واين عثر عليه موتيلانسكي ؟

من اشتراه ضمن التركة التي خلفها موتيلانسكي في سمسرة المخطوطات ؟

اليهود الامان ومن باريس وجد طريقه الى جامعة تل ابيب ؟

كل هذه الاسئلة تحتاج الى جواب والجواب هو متابعة هذا المخطوط الذي قيل انه عثر عليه في المانيا من غير تأكيد .

وكذلك الامر بالنسبة لمخطوط يهودا بن قريش التاهرتي (من علماء تاهرت في القرن الثاني الهجري) الذي يحمل عنوان « النحو التنظيري » دراسة لغوية مقارنة بين اللغة العبرية والعربية والبربرية . هذا المخطوط نعرف انه موجود باكسفورد ولكن ينبغي الحصول على نسخة فتوغرافية على الاقل .

والى جانب هذين المخطوطين الهامين هناك مخطوطات اخرى لا تقل قيمة عنهما ذكرها البولونيون لما ما دون أن يمتلكوها أو يشيروا الى مكان وجودها .

اما الرائد البولوني الثالث الذي أستأنف رسالة أستاذيه موتيلانسكي و سموقورزفسكي هو الاستاذ المعاصر طدوزلففسكي (18) زار المغرب وافريقيا الغربية والوسطى عدة مرات كما أنه

جاء صحراوات افريقيا بحثا عن مخطوط أو حصولا على تفسير كلمة طوبوغرافية عثر عليها في نص تاريخي ، وهكذا تعتبر اعمال ط . لفتسكي بمثابة ثمرة مجهود علمي كبير دام قرنا الا ربعا .

واذا كان الرائدان الاولان قد اعتمدا في عملهما على اكتشاف مجاهل المكتبات المغربية المطبوعة و ابرازها فقد عمد ط . لفتسكي الى النصوص المغربية المستخرجة من بطون المخطوطات التي تملكها بولونيا فدرسها وقارنها وعلق عليها فجاءت كل هذه الدراسات صورة جلية للمؤرخ الذي يدرس التاريخ من خلال النصوص التي ترجع الى عصر أو آخر .

وهذه بعض الاعمال التي انجزها في ميدان التأليف والتحقيق دون الحديث عن مساهمته في اعادة طبع دائرة المعارف الاسلامية الحديثة ، وعن محاضراته التي يلقيها في المؤتمرات العالمية في موسكو ، وفرنسا ، وإيطاليا ، وتونس . ما عدا الجزائر (19) .

ونسرد الآن قائمة مؤلفاته دون مراعاة الترتيب الزمني لها .

(I) « أوائل تجار العرب الذين سافروا الى الصين لغرض التجارة » .

دراسة نشرت لأول مرة بمجلة لفوف البولونية 1936 وتعتبر من أهم الموضوعات التي تجب العناية بها وتوجيه الباحثين اليها ذلك لوفرة المصادر والمراجع فيها ولأن تجارة العرب مع الصين ترجع الى عهد قبل الاسلام .

ولقد اعتمد المؤلف في هذه الدراسة على :

اقطار المملكة الاسلامية والامبراطورية الرومانية كن يغالين في طلب العنبر وكن يدفعن الثمن اضعاف ثمنه المطلوب .

والعنبر الاصفر البلطيقى يستخرج من بحر البلطيق بعد ان تكون الامواج قد عقدته والقت به على شواطئ نهر GONIA (المانيا) ومن هنا يجمع ويتوجه به التجار نحو الغرب والشرق الاسلامى والمغرب والاندلس .

اما بالنسبة للغرب فيمر عبر بروس وتروسو التى تقع فى مقاطعة البلاق ELBLAG أو البنىق ELBING الحديثة شرق دانزق DANZIG الى خليج فنلاندا عن الطريق البحرى صامبي SAMBIE

اما دور التجار العرب فى هذه المادة فهم يلعبون دور الوسيط ، وتستنفذ بغداد والشام والحجاز اكثره بحيث كلما قل عرضه كثر طلبه بالنسبة للتجار المغاربة ولذلك لا يصل العنبر الاصفر البلطيقى الى المغرب والاندلس الا بعد ارتفاع سعره بصورة فاحشة . ولقد اعتمد ط . لفتسكى فى دراسته للموضوع على النصوص العربية القديمة سيما التى لها شبه تخصص فى مضمار التجارة بأصنافها والعملة المتداولة بأنواعها والطرق السلوكية برا وبحرا .

ونقتبس الآن نصا واحدا من هذا البحث لتوضيح الفكرة التى يسير عليها ط . لفتسكى فى عمله .

أقدم نص تشير اليه المصادر هو ليعقوب بن اسحاق الكندى (22) (933 - 1048) الذى عاصر

(1) استخدام النصوص العربية المأخوذة من مظانها كالبلاذرى والدينورى وطبقات المشائخ (مخطوط فى لفوف) وابن خرداذبه .

(2) ذكر اسماء التجار العرب الذين احترقوا التجارة مع الصين فى عصر مبكر جدا .

(3) تصنيف أنواع البضائع التى كان العرب يجلبونها الى الجزيرة العربية ثم الى المغرب .

(4) ذكر وسائل النقل التى كانوا يستعملونها فى اسفارهم الى الصين دون اعمال المحطات والموانئ التجارية التى كانوا يقصدونها لتبادل البضائع أو للاستراحة فيها .

(5) ذكر جميع المصادر العربية والغربية التى اعتمد عليها فى هذا البحث .

(2) « الكتاب العرب فى العصر الوسيط وحديثهم عن العنبر المستورد من بحر البلطيقى الى بلاد العرب » (20) .

من المعروف بداهة ان مادة العنبر الاصفر أو ما يسمى بالكهربا (21) (يضم الرء) كانت ولا تزال من المواد التجارية الهامة فى الغرب والشرق على حد سواء الا ان الحكام العرب بالغوا فى طلبها ودفعوا النفيس من أجل اقتنائها وذلك لما لها من خاصيات على الحالات النفسية فى المرأة خاصة ولقد كانت المنافسة للحصول على هذه البضاعة النفسية شديدة لا من طرف أوروبا فحسب بل وحتى من طرف الحكام العرب فى الشام وبغداد ، لقد كان ولوع الافارقة بالعنبر أكثر ما يكون ولوعا بالتبر والآلى والمرجان كما ان أميرات القصور فى

بطبيعتها الى بحثين آخرين مغربيين لظهور لفتسكي
الاول تحت عنوان :

(تاهرت وعلاقتها التجارية مع السودان الغربي
في نهاية القرن الثامن وبداية التاسع الميلادي)

والثاني تحت عنوان : (حلقات التاريخ التجاري
عبر الصحراء في العصر الوسيط) نشر البحث
الاول في دفاتر الدراسات الافريقية رقم 8 وقدم
كمحاضرة في المؤتمر الخامس والعشرين للمستشرقين
المنعقد في موسكو .

والبحث يضم 23 صفحة مع 92 تعليقا كلها
مركزة وغزيرة من حيث قيمتها العلمية وتحقيقاتها
المستفيضة .

والذي نلفت الانتباه اليه عن هذه الدراسة
أمور :

1) اعتمد ط . لفتسكي - كعاداته - على
النصوص المغربية المستمدة من المخطوطات .

2) رد على الكتاب الغربيين الذين اعتقدوا
- تعصبا - ان العلاقات التجارية بين المغرب
والسودان لم تعرف طريقها اليه الا في نهاية
القرن التاسع وبداية العاشر الميلادي .

وعلى العكس من هذه النظرية المتأخرة نسبيا
ارجع لفتسكي العلاقات التجارية بين المغرب
والسودان الى القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي
اي ان الفارق الزمني بين ماركروبوفيل وبين
لفتسكي هو قرن كامل .

المأمون والمعتصم والمتوكل ، والنص الذي أورده
الكندي نقلا عن ابي الريحان البيروني (23) في
كتابه المسمى « كتاب الجواهر في معرفة الجواهر »
(24) الذي ألفه ما بين 1040 - 1048 .

والنص الذي اقتبسه ط . لفتسكي هو : (25)
« الكاهربا صمفة كالسندروس من شجرة(25)
تنبت ببلاد الصقالبة على شاطئ نهر (26) كل ما
سقط منها في الماء انعقد وجري الى البحر والقته
الامواج الى الساحل وما وقع على الارض لم ينعقد»
وهكذا من خلال دراسة ط . لفتسكي لتسعة نصوص
في نفس الحجم والمضمون استطاع ان يقدم لنا
بحثا قيما مركزا في 39 صفحة معتذرا في آخر
البحث بأن الموضوع يحتاج الى دراسة عميقة على
ضوء المخطوطات العربية ، هذا ودون اهمال ذكر
اهمية العنبر ودوره في الطب العربي (27) والذي
يهمنا من هذا المثال الذي تعرضنا له بشيء من
التفصيل هو دور العنبر في الحركة التجارية بين
دول المغرب الوسيط وافريقيا الغربية والوسطى
اذ تذكر النصوص المغربية هي الاخرى ان العنبر
كان يشكل احدى البضائع الهامة التي يصدرها
التجار المغاربة الى سكان السودان حيث انهم
يستعملونه في عدة امور منها التطيب (وذلك
لكثرة البخارة) والتداوي بل وحتى للسحر
والتعوذ من الجن وتحنيط الموتى .

والصلة الوثيقة بين الموضوعين السابقين «التجار
العرب الاوائل الى الصين » « وحديث الكتاب
العرب عن تجارة العنبر وخصائصه » تجرنا

ودائما في اتجاه السودان، تكرر عبر موريتانيا، أودغشت (29) غانا، كومبي صالح جنوب شرقي تشيت، صنفاي قاو، تادمكت الى مصب نهر النيجر ثم اخيرا تشاد *

(3) تسمية اغلب التجار والبعثات السياسية (الديبلوماسية) التي قصدت هذه البلدان لغرض التجارة أو السياسة أو حتى المصاهرة (30) مع ملوك السودان الغربي *

(4) حصر جميع البضائع الواردة والصادرة من الشمال الى السودان أو العكس منها (العنبر الذي سبقت الإشارة إليه) *

(5) بلغ عدد التعاليق على هذا البحث 65 وحوالي 113 مصدرا ما بين غربية وعربية ومغربية *

(6) وآخر كلمة انهى بها لفتسكي بحثه هذا هي « ولكي نشبع رغبة التعرف على موضوع العلاقات التجارية المغربية والسودانية في العصر الوسيط فلا تكفى دراسة مختصرة مركزة مثل هذه » *

وبمثل هذه العبارة ننهي هذا التقديم الاول عن البولونيين وتاريخ المغرب الوسيط ونكمل في بحث قادم دراسة مؤلفات لفتسكي التي تربو على العشرين (31) *

(3) عنى لفتسكي عناية خاصة بالاسواق والمدن التجارية في كل من المغرب والسودان مع تحديد لمواقعها الجغرافية واهمية كل منها بالنسبة للدورة الزمنية حسب فيضانات النيجر وما يتبع ذلك من استخراج التبر بعد انحسار المياه ، وبالنسبة للبضائع التجارية تصديرا واستيرادا *

(4) ذكر لفتسكي بكل دقة وامانة جميع المصادر العربية والمغربية التي تناولت العلاقات التجارية بين المغرب والسودان *

اما البحث الثاني حلقات التاريخ التجاري عبر الصحراء في العصر الوسيط فقد نشر في المجلة البولونية لدراسة أخلاق وعادات الشعوب * ج 8 ETNOGRAPHIA POLSKA * 1964

ويتميز هذا المبحث بما يلي :

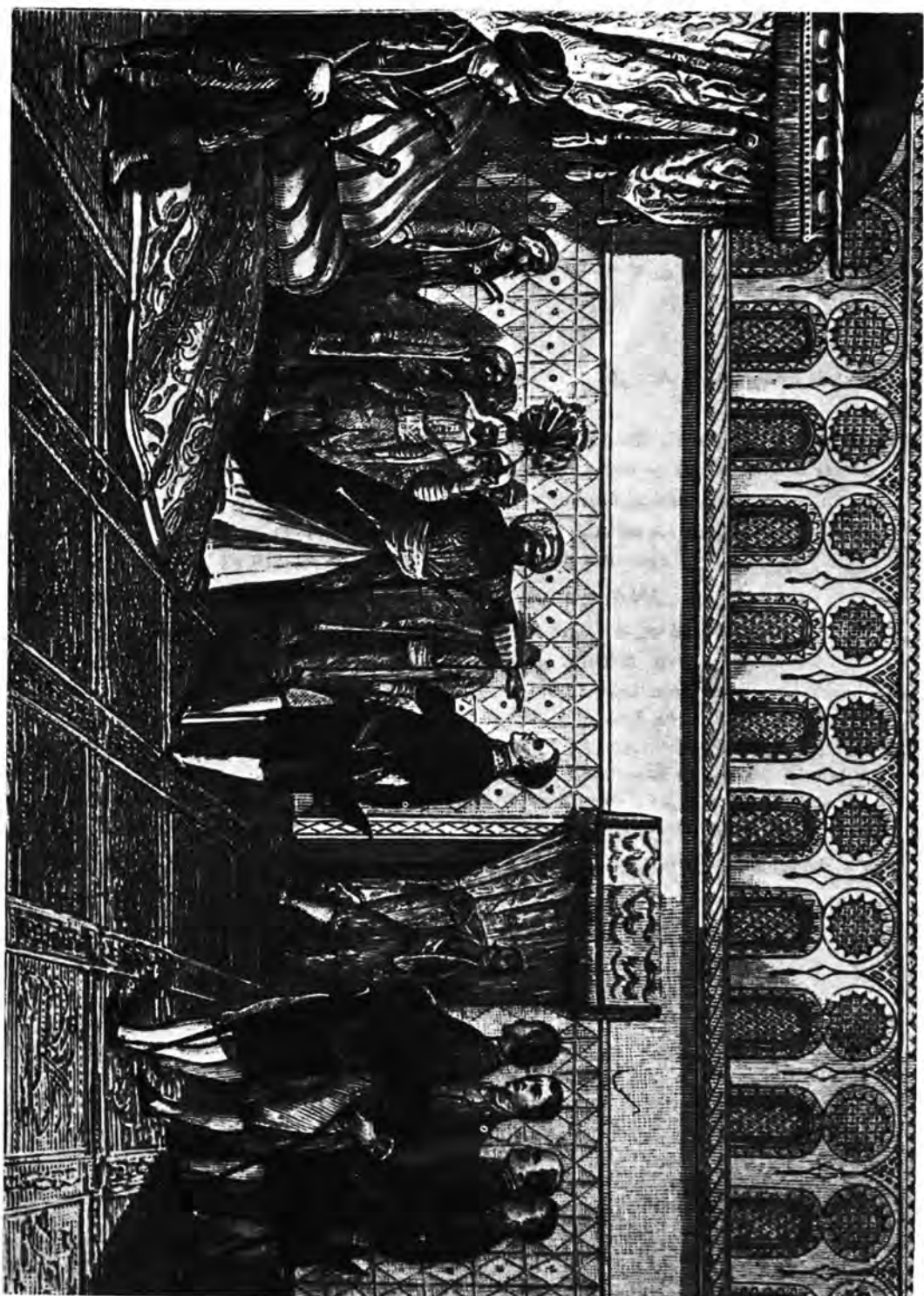
1) استخدام النصوص المغربية المأخوذة من المخطوطات ثم النصوص العربية في الدرجة الثانية

2) دراسة الطرق الصحراوية للقوافل التجارية ابتداء من جميع اسواق المغرب سلجاسة تافيلالت فاس ، تاهرت ، يسكرة ، توقورت ، مسيلة ، وارجلان ، بجاية ، القيروان ، توزر جادو بليبيا الى صحراء فزان ، تبستي ، كوار ، أهقار وانبيا *

هوامش

- (1) « المغرب العربي في منظور المؤرخين الاستعماريين » محمد الحيل مجلة الثقافة العدد 12 يناير 1973 حيث اشار الاستاذ اشارة ذكية بارعة الى هذا الموضوع
- (2) نحن بصدد دراسة شاملة عن « المخطوطات المغربية في المكتبات الاوروبية » والتي ستظهر في حينها
- (3) مدينة لفوف LWOW تقع على الحدود البولونية الروسية وكانت قبل الحرب العالمية الثانية تابعة لبولونيا الكبرى
- (4) توجد في الحى الشعبى القسطنطينى (سوق حاليا) زقة لمعمارة التي لا زالت تحمل منذ مطلع هذا القرن الى الآن اسم (موتيلانسكى) سميت باسمه تخليدا للذكرى وفاته ، الم يكن حين لاعادة اسم الزقة الى اسمها الاول الاصيل ؟ علمنا والمقال مائل للطبع ، وفي ايام زيارة الاخ الرئيس بومدين لمدينة قسنطينة ، ان البلدية قررت الغاء يلفظة موتيلانسكى وابدلتها فعلا باسم آخر غير زقة لمعمارة قديما
- (5) فى BCA الجزء 3 ص 15 - 72 - الجزائر
- (6) خلاصة مركزة في مجلة الدراسات الافريقية رقم 1905،257
- (7) كتاب الوقف الاباض وتطبيقاته ط الجزائر 1927
- (8) رد على « دراسة مارسيل مرسية للوقف الاباض » ط لفوف 1929 ص 14 الفقرة 4
- (9) نفس المصدر ص 15 الفقرة الاولى السطر السادس
- (10) هو شرح لكتاب الجهالات الذى الله ابو اسماعيل البشير المزاتى في الكلام - وتوجد منه نسخة خطية في مجموعة لفوف نقلت الآن من الاتحاد السوفيتى الى مكتبة ط . لفتسكى بولونيا
- (11) من مواليد وارجلان (وارقلة) في القرن السادس الهجرى ، درس في تونس ثم رحل الى الشرق وبعد عودته بدأ التدريس والتأليف بمسقط رأسه ، وعند زيارة سمو قوروزفسكى البولونى لاهله المدينة عام 1925 وجد ضريح ابيه عمار كما هو وعلى بعد 5 كيلومترات من الشمال الغربى لورقلة
- (12) ونشير هنا الى ان لابي عمار مؤلفات وكتبا اخرى ذكرت في عدة مصادر عربية واوروبية
- (12) مراسلات الاب دى فوكولد تأليف جورج قورى ط . باريس 1936 - 1946
- (13) تأليف ابي زكريا يحيى بن ابي بكر الوادجلاني (القرن الخامس الهجرى 11 م) ومن علماء الطبقة العاشرة ، قفى عشر سنوات في تامولاست قرية جبلية في الجنوب الشرقى التونسي حيث درس على ابي الربيع سليمان بن يغلف المزاتى ، وفي تعاوات (بوارقلة) ألف كتابه المذكور ثم توفي فيها حوالي (1110-1111م) 504 هـ
- (14) الله ابو العباس احمد بن سعيد بن سليمان بن عل بن يغلف الدوجينى من علماء ليبيا في القرن (6 هـ - 12 م) رحل تشريع وتاريخ ، يرجع نسبه الى تاميجار القرية الواقعة في جبل نفوسة بليبيا ، ونسبه الى دوجينى السلال الجديدة قرب نفطة بتونس انما بسبب استقرار والده العالم في هذه القرية
- (15) وهناك تسميات اخرى لهذا المخطوط « فتوح المغرب » « تاريخ المغرب او » التاريخ الكبير »
- (16) في مراسلة له مع ابي اليقظان
- (17) ذكر المؤلف ابو يعقوب في رسالته « الاقاليم السبعة وخط الاستواء » ما يلى : « وقد وصلت انا بنفسى الى قريب من خط الاستواء وليس بينى وبينه الا مسيرة شهر وكاد ان يستوى الليل والنهار فيه » الدليل ج 3 ص 216
- (18) رغم تقدم سن ط . لفتسكى فقد ساعدنا مساعدا كبيرة في اعداد الدكتوراه كما انه احسن ولادتنا عند اقامتنا في بولونيا
- (1965) ، ولقد كان لقاؤنا به مرة اخرى في موريتانيا لغرض البحث اثر كبير في اعداد عمل علمى مشترك سيظهر في حينه

- (19) وجهت اليه دعوة رسمية للحضور الى الجزائر ولكنها تاجلت على ما يبدو
- (20) نشر هذا البحث في المجلة البولونية رقم 4 - 1962 - ص 1 - 140
- (21) استعمله الكندي الكاهن والمؤرخون المتأخرون كتبه : كاربيا ، كاهروا ، وفهريا ، واصل الكلمة فارسية كاهرياي او كاهرياي في النصوص الجبلية (قرن 3 ميلادي) اي قبل غزو العرب لدولة الساسانيين ، والكلمة مركبة ومعربة عن الفارسية من كاه روبا ومعناها التبن الاخاذ او « سالب التبن » كما شرحها بالنص الحرلي يوسف بن اسماعيل بن الكبير الحوي (1311) في قاموس الادوية المسمى : شرح ما وقع من اسماء الادوية باليونانية والكتاب مخطوط في مكتبة كاسبرج ، ولم يطبع منه جورج الا الجزء المتعلق بالعنبر انظر ص 377 - 370
- Neue Beiträge (Contribution moderne).
- (22) ترك الكندي حوال مائتي نص في شتى ميادين العلوم
- (23) انظر حول حياة البيروني : كراتشكوفسكي في 1 ج ، ع ، ص 244 - 266 لفيتسكي : عالم الصقالية : ص 368 - 369 بروكلمان GAL ج 1 ص 475 - 476 والتكميل ج 1 ص 870 - 875
- (24) وهناك ترجمة اخرى لعنوان الكتاب « الجواهر والمياه المعدنية » « الجواهر والمعادن السائلة » الاحجار الكريمة المستخرجة من الارض « انظر محمد يحيى هاشمي الذي اختار التسمية الثالثة ط . جلد آباد 1936 - 1937 ص 211 سطر 15 - 21 وفي النص الالمانى ط بون 1935 ص 11 - 13 Die Quellen des Steinbuches des Beruni (Edi. BONN 1935).
- (25) السندروس هو صمغ الصنوبر او القلونية : انظر كتاب « شرح ما وقع من اسماء الادوية » للخبوي (1311) ، كتاب معجم اسماء النباتات الواردة في تاج العروس ، جمع وتحقيق محمود مصطفى المصايلى القاهرة 1966
- (26) المقصود بالنهر هنا هو التحليج الواقع بالقرب من البلاق الالمانية والذي يؤدي الى بحر البلطيق
- (27) ذكر ابن بطار نقلًا عن الرازي الطبيب في كتابه « الشفاء » ان العنبر يستعمل ضد النزيف والاسهال
- (28) انظر ج ماركار MARQUART في مجموعة لا تعرف تاريخ نشرها ، وبوفيل E. W. BOWILL في The golden trad of the moors. Londres 1958.
- (29) في خلال اقامتي بموريتانيا 67 - 68 اتصلت بالبعثة الاثرية المشتركة بين موريتانية والسينيغال التي اكتشفت مدينة اودغشت الواقعة بين حدود البلدين ، ومن بين ما عثر عليه في هذه المدينة الاثرية بعض قبور التجار المقاربة التي يرجع تاريخها الى القرن الثاني الهجري والتي تضم الاواني وحتى بعض انواع العملة المغربية التي شاهدها في قسم الآثار بجاسة دكاكر . ولقد جرت العادة في السودان الوسيط ان يدفن الغرب المجهول الهوية بما سه في حوزته . انظر : كتاب اودغشت لـ روبير هوجو ودلفيز ط . باريس 1970 Robert HUGO et DEVISE ED ARTS et METIERS.
- (30) محمد بن عرفة سفير الامام الفتح الرستمي الى ملك قافو (جوجو في المخطوطات المغربية) انظر : رسالة بن الصفيح المالكي والازهار الرياضية لسليمان الباروني في (ط . جريدة القاهرة 1904 ص 184 - 185)
- (31) نحن بصدد ترجمة هذه الدراسات الى العربية التي نأمل ان تفرج الى القارىء قريبا
- « حقوق الترجمة والتعريب والطبع مطبوعة للمؤلف والمترجم » (كراكوفي 11 - 65)



واقعة الكروية

نماذج من تشويه بعض المؤرخين الأجانب لتاريخ الجزائر

مدخل

بعد مضي أحد عشر عاما على استقلال الجزائر، ما تزال تصدر كتابات ودراسات فرنسية مختلفة عن حرب الجزائر، وهو أمر طبيعي : فقد زلزلت حرب التحرير الجزائرية الامبراطورية الفرنسية، وأجبرت الاستعمار المباشر في القارة الافريقية على أن يتحول الى استعمار حديث . واضطرت الاستعماريين الراديكاليين الى تقديم تنازلات كبيرة في تونس والمغرب، وتسببت في سقوط الجمهورية الرابعة وتعريض فرنسا لخطر حكم عسكري فاشي .

محمد الميلي

مدير الاعلام
وزارة الاعلام والثقافة

العنان لقراصنتهم ضد دول أوروبا وقد استراح الفرنسيون لهذا الوهم الكبير ، فعلى الرغم من الوان المقاومة الشعبية التي اصطلح بها الاستعمار وعلى رغم عديد الحروب التي نظمت ضدهم فى كامل أنحاء الجزائر ، فقد فضلوا تجاهل الوجود التاريخى لشعب ، وقدموا تفاسير مختلفة لمقاومته مثل «التعصب الدينى» أو «الوحشية الفكرية» ، أو «عدم القابلية للحضارة» الخ ...

وهكذا استراح الاستعمار لنظرية «لا تاريخية الشعب الجزائرى» ، التي تعتبر أن تاريخ الجزائر (الارض) هو سلسلة من الحروب والاحتلالات الاجنبية تعاقب خلالها الرومان والوندال والبيزنطيون والعرب والأتراك ، ثم الفرنسيون . وقد خلقت هذه النظرية أثارا كتابية عديدة ، تركت ولا شك آثارها فى الذهنية الفرنسية .

العامل الثانى : هو أن الاستعمار بطبيعته ، يرفض الرؤية السليمة للتاريخ ، لأن هذه تؤدى الى الاعتراف بوجود كيان المستعمر (بالفتح) وبالتالي تفتح المجال لمحاورته ، وهذا ما يتنافى مع طبيعة الاستعمار المباشر الذى يستمد وجوده من تجاهل الآخرين وانكار حق الحياة على غيره من الكيانات .

ولا شك أن هذا الموقف الاساسى قد ترجم عن نفسه فى الواقع ، كتابات وسلوكا واتجاها طبعت اجيالا من فرنسيي الجزائر ، وفئات واسعة من فرنسيي «المتروبول» .

العامل الثالث : ان الفرنسى بصفة عامة ، وفرنسى المستعمرات بصفة خاصة ، نرجسى النظرة لنفسه ، معجب بذاته ، هائم بكيانه ، لا يتصور أنه يمكن أن يوجد شعب أعرق منه أو يمكن أن يساويه مؤهلات حضارية .

ثم ان ارسال المجندين الفرنسيين للمساهمة فى الحرب ، طيلة نحو من سبع سنوات ، واساليب التقتيل والتدمير وتعميم التعذيب والقمع الوحشى وتنظيمه ، يعنى أن الشعب الفرنسى قد ساهم - من خلال موجات المجندين المتلاحقة - فى الحرب وأن هذه قد خلقت أثارا عديدة فى نفسيات أبنائه الذين باسروا الحرب ومارسوا التعذيب .

من الطبيعى والحالة هذه أن تتوالى الكتابات الفرنسية عن الجزائر ، لكن ما يدفع الى التساؤل هو التأويلات التي تعطى للاحداث : فنادرا ما نجد أنفسنا أمام محاولة موضوعية علمية ، بل ان معظم الكتب التي غمرت السوق الفرنسية منذ بضع سنوات ، هي كتابات متحيزة ، متجنبة ، تتجاهل الواقع ، وترفض - عمليا - التسليم بالمقدمات المنطقية التي تبرهن عليها نتيجة الاستقلال وواقع الثورة .

فهناك غير واحد من السياسيين الفرنسيين ، ممن عاشوا حرب الجزائر ، من يؤكد - الان - بأنه كان من الممكن أن تظل الجزائر فرنسية لو ... والواقع أن هذا العمى السياسى يصعب تفسيره بعامل واحد ، انه وليد عدة عوامل يمكن تلخيصها فيما يلى :

اولا : ان نظرة الفرنسيين الى الجزائر ، ما انفكت منذ الاحتلال فى القرن التاسع عشر ، تخضع لموقف معين من التاريخ ، هو عبارة عن جهل شنيع بتاريخ المنطقة ، ورفض عنيد للتعرف على حقيقة تاريخ المنطقة وحقيقة شعبها .

فقد استطاع الفرنسيون أن يوهموا أنفسهم بأنهم احتلوا الجزائر كي يطردوا منها الأتراك ، والذين أخلوا بالامن فى حوض المتوسط واطلقوا

وهناك مظهر آخر لرفض الهزيمة ، هو عبارة عن نوع من «خيبة الامل» ، نجده عند عينات مختلفة من اليسار ، فمعظم ممثلي اليسار بفرنسا اعطوا لحرب التحرير الجزائرية تفسيرات مغرية لكنها في الواقع غير صحيحة تماما ، لانها تتبع من استقراء الالواضاع الاربوية ، اكثر مما تعتمد على التطور التاريخي لبلادنا .

يضاف الى ذلك ان عدة عناصر من ممثلي اليسار ، قد توهموا انهم وجدوا ضالهم المثلى في حرب الجزائر ، اى انهم تصوروا انهم ، مقابل الدعم الذى يولونه للثورة الجزائرية ، سيكون فى امكانهم التأثير عليها ، وتحقيق الكثير مما كانوا يحلمون به عبرها .

لكن تطور الثورة الجزائرية ، خارج الوصاية اليسارية الفرنسية اوجد عند معظم اليساريين نوعا من خيبة الامل وخلف شيئا من المرارة وهذا ما يقصر ذلك الاتجاه الى اصدار كتابات ودراسات غير موضوعية عن الجزائر .

وهذا الوضع هو ما يفسر ، التلاقى احيانا ، بين طوائف اليمين واليسار ، ضد الثورة الجزائرية رغم اختلاف المواقع التى تنطلق منها .

سادسا : ان الفرنسيين - والغرب بصفة عامة - كان قد تعود على «الشرعية» التى سنّها ووضعها هو ، وهى «شرعية» تستند الى اجهزة سياسية وقانونية ودستورية من صنعه ، تتحكم فى توجيه العقليات والافكار .

فى حين ان الثورة الحقّة ، سواء كانت بالجزائر او يقيتنام او يغيرهما من بلاد العالم الثالث تعنى الخروج على الهياكل التى تستند

وانطلاقا من هذه النرجسية ، يسعى الفرنسى الى فرض الفرنسية على الآخرين ، بل ويعتبر ذلك تفضلا منه وكريما . ولا يستطيع ان يهضم ، كيف ترفض الفرنسية ، وكيف يسمح هؤلاء «البيكوي» لانفسهم برفض «الشرف الكبير» الذى اتاحته لهم «فرنسا السخية» .

ولسنا فى حاجة الى الكشف عن النفاق الكامن وراء هذا الموقف ، لان الذى يعيننا هنا هو تفسير العمى السياسى والعلمى الذى تميزت وتتميز به كتابات فرنسية عديدة .

العامل الرابع : الصراع السياسى والاجتماعى بفرنسا اليوم ، يدفع مراكز القوى المتصارعة الى تقديم تبريرات او تفسيرات ردا على هجوم هذه الجهة او تلك . وغير خاف ان «خسارة الجزائر» او «التفريط فيها» (الوصف يختلف باختلاف موقع المهاجم من الخريطة السياسية الفرنسية) يعتبر من المواضيع الحساسة التى لا تتردد هذه الجهة او تلك فى استعمالها لتعزيز موقعها والنيل من الموقع المضاد .

العامل الخامس : رفض الهزيمة . ذلك ان الاستعماريين الفرنسيين يرفضون الاعتراف بالهزيمة ، فاذا كانت الجزائر تتمتع باستقلال ، فالسبب يرجع الى «ضعف النظام الديغولوى» و «تفريطه فى الجزائر» . او الى «وجود مؤامرة عالمية ساهمت فيها كل من الولايات الامريكية المتحدة والاتحاد السوفياتى» او بفعل «الطابور الخامس» الذى يعنى عندهم رجال اليسار والمتعاطفين مع كفاح الشعب الجزائرى . وهذا المظهر من مظاهر الرفض للهزيمة ، نجده عند طوائف اليمين المتطرف .

فوق أرضه . فى حين أن التأميم الذى يتم فى البلاد الغربية يختلف منطلقا وغاية . فالتأميم فى البلاد الغربية ، عملية تفرضها متطلبات فنية واقتصادية أولا ، وهى ثانيا تنال مؤسسات «وطنية» ساهمت مساهمة أساسية فى صنع الازدهار وتحقيق التصنيع . فالتعويض فى هذا الاطار ، له ما يبرره .

أما البلاد التى عانت من الاستعمار ، فإن التأميم يفرضه منطق يختلف كل الاختلاف عن التأميم فى البلاد الغربية المصنعة : انه يصبح وسيلة ضرورية لتحقيق النهوض الاقتصادى ، وفى نفس الوقت الطريقة الوحيدة لاسترجاع الثروات الوطنية ووسائل الانتاج التى تتحكم فيها مؤسسات رأسمالية أجنبية . وهذه المؤسسات ليس فقط لم تلعب أى دور ايجابى فى تطوير البلاد المستعمرة اقتصاديا ، ولكنها على العكس من ذلك كانت عامل نهب للثروات الوطنية ، لانها كانت تعتبر بلادنا مجرد امتداد جغرافى تعتمد فى تطوير نشاطاتها وتنمية حجمها واسترداد أرباح ضخمة يتم تحويلها الى «الوطن الام» .

بل أن المسؤولية الكبيرة التى تتحملها الرأسمالية الغربية فى هذا المجال ، لا تتوقف عند حدود النتائج التى تؤدى اليها هذه المقارنة بين طبيعة نشاطها فى بلدها الاصلى وطبيعة نشاطها فى المستعمرات ، لأن هذين الوجهين المختلفين للرأسمالية ، بناء وتنمية وتصنيعا هناك ، وتفقيرا واستغلالا ونهبها هنا ، يفسران الى حد كبير ظاهرة «التخلف» ، التى هى ، نتيجة لذلك ، ظاهرة حديثة لم يعرفها العالم من قبل فى تاريخه الطويل .

اليها الشرعية الغربية ، وتقتضى استبدالها بشرعية أخرى .

لتوضيح هذه النقطة ، نسوق مثالا كان وما يزال موضوع نقاش ومثار مجادلات وصراعات لم تقتصر على ميدان الكلام .

موضوع التأميمات مثلا . ان اقدام أى بلد من العالم الثالث على استرجاع ثرواته والتحكم فيها ، يكون مصحوبا عادة برد فعل عنيف من طرف استعمارى الامس ، مثلما شوهد عند تأميم البترول بالجزائر أو تأميم النحاس بالشيلى .

فى هذه الحالة ، تتحرك الاجهزة المختلفة ، التى تعتمد عليها «الشرعية الاستعمارية» لتطالب البلد صاحب الحق فى التأميم ، بتقديم الحساب . ويجد البلد الذى أمم شركات استعمارية ظلت طيلة سنوات عديدة تنهب وتستفيد وتحقق تراكما ضخما فى الارباح - يجد هذا البلد نفسه فى موضع «المتهم» ويطالبونه بدفع ثمن التأميم . أى أن المضطهدين هم الذين يطالبون بتقديم الحساب للبلاد .

ذلك أن الغرب ، ينطلق فى هذه القضية من مبدأ «الشرعية الاستعمارية» أولا ، ويريد ثانيا أن يخضع عملية التأميم فى البلد المستقل عنه ، الى نفس القوانين والاساليب الاجرائية المعمول بها فى بلده .

انه يعتبر وجوده السابق «شرعيا» يخوله استمرار امتلاك الثروات الاقتصادية والتجارية ، والاستقلال عنده ، انما يضع حدا لسيادة سياسية أما الوضع الاقتصادى فيجب أن يستمر على ما كان عليه .

فى هذا الاطار ، يعامل التأميم فى البلد المستقل عنه ، نفس معاملته للتأميمات التى تتم

التاريخية الفرنسية بالجزائر ، صريح في اخضاع علم التاريخ لمتطلبات الاستعمار . ونتأكد من وجود هذا الاتجاه عنده ، من خلال تحليل الجملة الاخيرة من الفقرة التي أوردناها ، فهو قد أحجم عن مناقشة الرأي القائل بأن «التاريخ هو أقل العلوم جدوى» من حيث هو واقتصر على مناقشته فيما يتعلق بتطبيق هذا الرأي على تاريخ المغرب العربي ، انه واضح في تحميل التاريخ مسؤولية محددة ذات علاقة مباشرة بخدمة الاستعمار والمنطق الذي يتحكم في هذا الاتجاه ، هو منطق تبرير الاستعمار . لان ازاحة الستار عن حقيقة تاريخ الجزائر والمغرب العربي ، يعنى نسف احدي الدعام المعنوية الاساسية التي كان يستند اليها الاستعمار الفرنسي .

فقد كان هذا الاستعمار في حاجة الى القول بعدم قابلية الجزائر لان تشكل شعبا او أمة ، مثلما كان في حاجة الى انكار أي وجود سابق للجزائر كدولة .

لقد كان في حاجة لذلك كي يقر هذه الفكرة، عند أروبي الجزائر حتى يكونوا أشد اطمئنانا الى وجودهم بالجزائر وأكثر ثقة في مستقبلهم بها . وكان في حاجة الى ذلك أيضا كي يخلق الشك عند الجزائريين .

فانكار أي وجود تاريخي للجزائر ، دولة أو أمة ، يهدف الى تحقيق هذا الهدف المزدوج : ضمان تكوين فكرى وعقائدى معين لدى أروبي الجزائر ، وزعزعة المعلومات التاريخية عند الجزائريين وتشكيكهم في تاريخهم .

وقد اكتست عملية التشكيك ، تشكيك الجزائريين في تاريخهم ، طابعا خطيرا ، فزيادة

تلك أهم العوامل التي تفسر اتجاه الكتابات المعاصرة في فرنسا الى تشويه الحقائق التاريخية المتصلة بتاريخ الجزائر وبتاريخ الثورة الجزائرية واذا كانت عملية التشويه ، تتم الان ، على مرأى ومسمع من الجيل الذي اضطلع بثورة نوفمبر ، والجزائر مستقلة ، وثورتها تزداد تجذيرا ، فأننا نستطيع أن نستنتج من ذلك مدى التشويه الذي تعرض له تاريخنا خلال الاستعمار .

والواقع أنه بالنسبة للكتابات الغربية ، والفرنسية بصفة خاصة ، التي تناولت تاريخنا خلال الاستعمار ، نجد أن هناك عوامل أخرى دفعت مؤرخين غربيين الى تشويه الحقائق التاريخية ، يمكن حوصلتها في ثلاثة عوامل أساسية :

١ - معظم الكتابات التاريخية ، عن الجزائر بأقلام فرنسية ، صدرت بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر في ١٨٣٠ . وكثير من هذه الكتابات صدرت في نطاق خدمة الاستعمار .

يقول ستيفان غزيل في مقدمة كتاب تاريخ الجزائر ومؤرخوها

يسطر التاريخ لنا واجباتنا أيضا . (١) بالنسبة للجزائر، وهي تتمثل في ارادتنا المصممة على أن نكون أسيادا في كل مكان والى الابد ، وفي ضرورة اقامة اعمار يستند الى اسكان أروبي قوى في الريف ، كما يتمثل في ضرورة تقريب السكان منا ، رغبة وأملا في تحقيق انصهار على مدى قريب أو بعيد ، ان هذا التاريخ اذن «لا يعتبر في افريقيا ، هو أقل العلوم جدوى» (١) فستيفان غزيل الذي كان من مؤسسي الدراسات

(١) ستيفان غزيل وآخرون

صحيح أن عددا كبيرا من المؤرخين الفرنسيين قد تناولوا بالبحث تاريخ الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ، لكن هذا تناول كان لا يخلو من أحد المآخذ التالية :

١ - محاولة تشويه الماضي لايجاد مبرر - قبل الابان - للاستعمار الفرنسي الذي جاء بعد ذلك .
ب - التركيز على عهود ما قبل التاريخ وعلى العهد الروماني ، وإهمال العصر الاسلامي .

ج - إهمال أو تجاهل المصادر المحلية ، والعربية لتاريخ الجزائر . والنتيجة العملية لكل من المآخذ الثلاث المذكورة ، هي وجود تعريف ما ، متعمدا كان أن غير مقصود ، يقلل من أهمية فترات الاستقلال وعصور السيادة التي عرفت بها بلادنا ، قديما وخلال العصور الوسطى ومسح مطالع العصر الحديث .

٣ - يطبق المؤرخون الفرنسيون في معالجة تاريخ الجزائر والمغرب العربي ، مناهج للبحث والتقييم ، ضببطت في نطاق أروبي ، لمعالجة التاريخ الأروبي ، ومن المعروف أن الاطوار التي مرت بها شعوب أوروبا ، تختلف عن الاطوار التي مرت بها الشعوب العربية ، الاسلامية .

ومن هنا تأتي معظم الكتابات الفرنسية عن تاريخ الجزائر مطبوعة بهذا الطابع الذي يحكم عليها من الاساس : فالموازين والقواعد التي يقع الاحتكام اليها عادة ، وهي موازين وقواعد استنبطت من التاريخ الأروبي ، تجعل من تناول تاريخ الجزائر من الفرنسيين يعمد الى الحكم على تاريخنا بالنسبة لشيء ما ، ولا شك أن تحكيم مثل هذه النسبية المفرطة ، ومثل هذه المقارنة غير الواردة ، لا يمكن الا أن يعطى نتائج غير صحيحة علميا .

عن تحريف معلومات الكتب المدرسية التي تتصل بتاريخ الجزائر بصفة خاصة وتاريخ العرب والاسلام بصفة عامة ، نجد أن المعلمين الفرنسيين كانوا يروجون خرافات واهية ، تهدف الى دفع الطفل الجزائري الى القرف من تاريخه وتهيته نفسيا لان يتقبل الذوبان في الاستعمار الفرنسي ، ويقبل به قضاء وقدر لا مندوحة عنه .

عديدون هم الجزائريون ، الذين سمعوا في المدارس الفرنسية ، تلك الصورة التاريخية التي تقول ان سكان الجزائر باعوا مدينتهم مقابل «قصعة زلابية» اعطاها لهم الفرنسيون . وقد كان الكتاب المدرسي الذي يشتمل على هذه الخرافة ، مصحوبا برسوم موضحة ، تبين عددا من الجزائريين تحلقوا حول قصعة زلابية .

ان امثال هذه الخرافات ، تصبح مع طول الزمن ، حقيقة مسلما بها في اوساط الاروبيين خصوصا اذا عرفنا المستوى الثقافي السطحي الذي كان يطبع اغلبية الفئات الاستعمارية .

١ - العسكريون والاداريون الفرنسيون هم الذين وضعوا المواد الاولية لكتابة تاريخ الجزائر في الادب الفرنسي . وفي ذلك ما لا يخفى من تحيز يتنافى مع كل موضوعية . فالعسكري أو الاداري الفرنسي ، يعتبر كتاباته امتدادا لعمله في الميدان ، وعمله الاساسي هو الحرب ضد الجزائر وضد كيان شعبيها .

يضاف الى ذلك أن الفرنسيين بصفة عامة عسكريين كانوا أو اداريين أو غير ذلك ، نظروا الى تاريخ الجزائر من زاوية فرنسية ، فكشانت كتاباتهم في الحقيقة تاريخا للاستعمار الفرنسي من وجهة نظر فرنسية ، ولم تكن تاريخا للجزائر .

عندما يكتب مشيرا الى الفتح العربى الاسلامى
والى العهد التركى :

«... فى كلتا الحالتين ، غزا المشرق هذا
الجزء من الغرب» (٢)

تلك فى رأينا بعض العوامل الاساسية
التي تحكمت فى توجيه كتابات فرنسية عديدة
توجيها مغلوطا ، وتجعلها تسهم ، عن وعى أو
بغير قصد ، فى تشويه تاريخ الجزائر القديم
والحديث والمعاصر .

وسوف نتبين فى بحث قادم ، من خلال
نماذج مختلفة ، حقيقة هذا التشويه ، الذى شمل
كل العصور التاريخية فى بلادنا .

بل ان هناك مؤرخين فرنسيين قد استغلوا
وجود الاستعمار الرومانى فى الماضى ، فأرادوا
أن يربطوا بينه وبين الاستعمار الفرنسى ، وأن
يقفزوا من فوق خمسة عشر قرنا من الزمان ،
وصولاً الى نتيجة معينة وهى أن الوضع الطبيعى
للجزائر هو وجودها فى نطاق أروبي ، وفى حكم
التابع .

فستيفان غزيل لا يتردد فى التأكيد على أن
الجزائر هى :

«جزء اقتطع تمسقا من افريقيا الشمالية» (١)

ويردد وليام مارسى صدى هذه الفكرة ،

(١) المصدر السابق ص ٢

(٢) نفسه ص ١٣٩ .



المجلة التاريخية المغربية

انه لمن دواعي سرورنا أن نعلمكم بإنشاء مجلة جديدة تتناول تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر وتحمل العنوان التالي : **المجلة التاريخية المغربية** .

والواقع أن مجلة بهذا الاختصاص عن تاريخ المغرب العربي سوف تسد فراغا كبيرا ؛ هاته المجلة التي نود أن تكون موضع احتكاك حقيقي وفعال لكل المختصين بتاريخ المغرب ، نريد لنفسها أن تكون مجلة علمية بحتة ، وسيقوم على تحريرها أساتذة من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بكل من جامعة تونس والجزائر والمغرب الأقصى ، على أننا ندعو أصدقاءنا غير المغاربة المختصين بتاريخ مغربنا ، الانضمام إلينا لنتعاون جميعا ، يحدونا إخلاصنا للعلم وللحقيقة التاريخية المطلقة .

إن الهدف الذي نعمل من أجله ، ونحن الذين نؤمن بالحوار البناء المتفتح ، هو تعزيز البحث العلمي وفتح مجالات جديدة للمخلق التاريخي والعمل على كتابة تاريخنا بصورة أكثر وعيا وموضوعية وشمولا ، لنساعدهم من جانبنا في توعية الإنسان المغربي الجديد وتغذية تطلعه إلى ماضيه وإيقاظ ضميره الإنساني حتى يواكب متطلبات العصر ، خصوصا وأن المغرب كان قد عرف طوال عصوره ، ترابا وتلاحما ووحدة في مصيرته التاريخية .

أن اللغات التي نريدها للمجلة هي العربية والفرنسية والانجليزية ؛ غير أننا لضمان نجاعة احتكاك المؤرخين ذوي الاتجاهات المختلفة بعضهم مع بعض ، ندعو زملائنا الذين يعررون أبحاثهم باللغة العربية ، أن يقدموا لنا موجزا باللغة الفرنسية إذا أمكنهم ذلك ، وإذا تعذر عليهم القيام بذلك ، فإننا نرجو منهم أن يوجزوا لنا أبحاثهم في صفحة واحدة باللغة العربية وسنعمل من جهتنا على ترجمتها إلى الفرنسية ، والعكس بالعكس ، كل دراسة بالفرنسية أو الانجليزية سوف ترفق بموجز باللغة العربية .

كما أن هيئة التحرير رأت ضرورة وحتمية الاهتمام بنشر الوثائق التاريخية ، وعليه سوف تخصص المجلة قسما من صفحاتها لنشر الوثائق العربية أو الفرنسية والانجليزية .

أما الوثائق بغير هاته اللغات ، فسنعلم على آثبات ترجمتها وهذا من شأنه أن يضيف على المجلة قيمة جديدة ويجعلها أداة عمل لا مناص للباحث والمؤرخ من الاستغناء عنها ، وسوف نركز بالخصوص على المصادر العربية والعثمانية والتي أهملت إلى وقت قريب جدا ، ذلك أن واجبتنا اليوم هو إثارة الاهتمام لأهمية الوثائق غير الفرنسية لتاريخ مغربنا .

نكتب اليكم لندعوكم إلى الانضمام إلينا ومشاركتنا عملنا وتعزيز تجربتنا بما توفده علينا من دراسات أو وثائق أو تحقيقات وغير ذلك . وسنحاول إصدار عديدين أو ثلاثة في السنة وستوافيكم بنشر أبحاثنا بانتظام .

هذا هو عنواننا المؤقت : الدكتور عبد الجليل التميمي ، 21 شارع سوفيل ، الوردية ، حي الأزدهار - تونس ؛ على أمل الاتصال بكم واستلام رد منكم ، تقبلوا صديقنا الأستاذ ، أطيب مشاعرنا الودية .

الهيئة

نظرة تقييمية لدراسات تاريخية حديثة عن حركات الخوارج في المغرب العربي في العصر الاوسط

تهدف هذه الدراسة المتواضعة الى خدمة
غرضين اساسيين يؤمن بهما كثير من الباحثين
المغاربة المهتمين بالدراسات التاريخية والآثارية
اليوم .

اولا - العمل على بحث مدرسة تاريخية
مغربية لها مميزاتها ، ورؤيتها الحضارية الخاصة
كما هو الشأن بالنسبة لكثير من المدارس
التاريخية المعروفة اليوم في العالم .

د. الحبيب الجنعاني
استاذ بكلية الآداب
جامعة تونس

هذا نص موجز للدراسة التي قدمت لندوة تاريخ المغرب العربي المنعقدة بالمركز الثقافي الدولي في
الحمامات بالجمهورية التونسية من ٢٥ الى ٢٧ ماي ١٩٧٢ . وسننشر الدراسة كاملة في عدد قادم .

— دراسات معمارية ، وهي قليلة (٢)
— دراسات اقتصادية واجتماعية ، وهي
نادرة .

وسنقف في هذه النظرة التقييمية لدى
الدراسات التاريخية ، وهي نفسها قليلة بالنسبة
للبحوث ذات الطابع التكنولوجي ، او العقائدي .
ونذكر هنا اهم الدارسين الاجانب قبل
تقييم بعض اعمالهم :

ترجم كتاب كشف الغمة لمؤلف Pency Badguen —
مجهول ، استخرج من كتابه تاريخ ائمة عمان
— Emile Masqueray

ترجم القسم الاهم من كتاب «السيرة وأخبار
الائمة» لابي زكريا مع تعليقات مفيدة ، الجزائر
١٨٧٨ .

— Motylinski : Bibliographie du Mzab. Bulletin de
correspondance Africaine.

الجزائر ، ١٨٨٥ ، ج ٢

— Motylinski : Le Djebel Nefousa.

ترجمة نص من البربرية الى الفرنسية مع
التعليق عليه ، باريس ١٨٩٨ م .

وقد كان Motylinski مترجما عسكريا في
مزاب ، ويقول في بداية مقاله Bibliographie du Mzab

انه منذ احتلال مزاب سمي فيها ، وأخذ
يهتم بالاباضية ويقول : ان دراسة مخطوطات
الاباضيين هامة لمعرفة جنس البربر ، ومعرفة
شمال افريقيا .

— René Basset : Les sanctuaires du Djebel Nefousa,
Journal Asiatique.

ثانيا — نعتقد ان الخطوة الاولى في بناء هذه
المدرسة تتمثل في تقييم الدراسات التي الفت عن
عصر من العصور ، او مسألة معينة في تاريخ
المغرب العربي .

وتعد حركات الخوارج — دون ريب — حلقة
اساسية في تاريخ المغرب الوسيط ، لما كان لها
من نتائج خطيرة في تطور احداث المغرب خلال
فترات طويلة .

وسوف تبقى كثير من الاسئلة بدون جواب
ما لم يتمكن الباحثون من الاجابة عن كثير من
نقاط الاستفهام حول ثورات الخوارج ، وحياة
مجتمعاتهم بالمغرب . ونلاحظ ، بادىء ذي بدء ، ان
الجوانب التي تهتمنا في حركات الخوارج المغربية
هي الجوانب التاريخية المعاصرة بالدرجة
الاولى ، اما الاصول المذهبية فتهتم بها بقدر
ما تنير لنا المسائل التاريخية ، والاحداث
السياسية في حياة الحركة ، وتطورها .

ان المصادر والمراجع عن تاريخ الخوارج في
بلاد المغرب قسمان :

— قسم قديم معروف ، ونعني هنا كتب التاريخ،
والسير ، ومصادر المذهب الفقهية ، وغيرها .
— وقسم الدراسات الحديثة ، وهي موضوع
هذه المحاولة التقييمية ، وقد بدأت تظهر في
النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ونستطيع
تقسيمها الى :

— دراسات ايتنوغرافية وبيوغرافية .

— دراسات جغرافية بشرية (١)

- Notice sur la chronique ibâdite d'ad-dangini.
- نفس المجلة .
- Un royaume ibâdite peu connu : l'Etat des Banu Marâla (IX^e siècle).
- نفس المجلة ج ١٣ العدد الثاني ١٩٦٨
- Un document ibâdite inédit sur l'émigration des Nafusa du Gabal dans le Sahel Tunisien au III^e IX^e siècle.
- Les historiens, biographiques et traditionnistes ibâdites - wahbites de l'Afrique du Nord du VIII^e au XVI^e siècle. Krakow, 1962.
- Les Ibâdites en Tunisie au Moyen-âge. رومة ١٩٥٨
- Le pays de Guguaf, Bruxelles, 1970.
- Etudes ibâdites nord-africaines, 1955. فرصوفا
- Quelques textes, revue des Etudes Islamiques, 1934.
- عدد ٣
- Une chronique ibâdite. «Kitab as-Siyar». Revue des études Islamiques, 1936, cahier III (3). للشماخ
- * *
- اما دراسات الباحثين العرب في المشرق والمغرب فهي قليلة ، واهمها :
- أطروحة الاستاذ د. ابراهيم فخار ، عميد كلية الآداب بجامعة قسنطينة (٤)
- خصص الاستاذ د. سعد زغلول عبد الحميد في كتابه «تاريخ المغرب العربي» (القاهرة ١٩٦٥) فصولا قيمة لحركات الخواجه في المغرب .
- أطروحة د. محمود اسماعيل عبد الرزاق عن «الخواجه في بلاد المغرب» (٥) .
- وتعرض كل من الاستاذين د. محمد الطالبي في أطروحته عن امارة الاغالبة ، و د. قرحات

ماي - جوان ، ١٨٩٩ ، جويلية - أوت من نفس السنة .

ودراسة بيليوغرافية كتبها المستشرق الالماني شاخت بعنوان :
— Bibliothèques et manuscrits abâdites, R. A. 1956
الجزائر ، ١٩٥٦
ونلمح الى دراسات ثانوية قام بها المستشرقان الالمانيان Sachac و Strothman والى اعمال «La Rosa» في ايطاليا .

ونذكر الدراسة الفقهية القيمة التالية :
— Marcel MERCIER : Etude sur le waqf abâdite et ses applications au Mzab, 1927. الجزائر

ولا ننسى اعمال المستشرق البولوني «زيغمونت سموكور سفسكي» (Zygmunt Smogorzewski) بالرغم من انه لم يتمكن من نشر كثير من البحوث، ولكنه جمع مجموعة ذات قيمة من المخطوطات الاباضية في مكتبة جامعة «لفوف» وتخرج اشهر مختص في شؤون الاباضية في المغرب اليوم المستشرق البولوني الاستاذ «تادوش ليفسكي» T. Lewicki

ونشير هنا الى اهم ما نشره ، زيادة عن مقالاته في دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة

- Les subdivisions de l'Ibâdyys, Studia Islamica, Fasc. 9/1958.
- Ilâdîtica, Rocznik Orientalis lyczny.

ج ٢٥ ، العدد الثاني .

- La répartition géographique des groupements ibâdites dans l'Afrique du Nord au Moyen-Age. ج ٢١ - ١٩٥٧ نفس المجلة 21. 1957

وهنا نترك النصوص القديمة نفسها توضح هذه الاسباب *

يقول ابن الاثير في كتابه «الكامل في التاريخ» (ج ٣ ، ص ٩٢ - ٩٣) :

«ثم لم يزل اهل افريقية من اطوع اهل البلدان واسمعهم الى زمان هشام بن عبد الملك حتى دب اليهم اهل العراق واستثاروهم فشقوا العصا ، وفرقوا بينهم الى اليوم ، وكانوا يقولون : لا نخالف الاثمة بما تجنى العمال ، فقالوا لهم : انما يعمل هؤلاء بأمر أولئك ، فقالوا : حتى نخبرهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم ، فدخلوا على الابرش فقالوا : ابلغ امير المؤمنين ان اميرنا يغزو بنا فاذا غنمنا نعلمهم ، ويقول : هذا اخلص لجهادنا ، واذا حاصرنا مدينة قدمنا واخرهم ، ويقول : هذا ازدياد في الاجر ، ومثلنا كفى اخوانه ، ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها ويطلقون الفراء البيض لامير المؤمنين فيقتلون ألف شاة في جلد ، فاحتملنا ذلك ، ثم انهم سامونا ان ياخذوا كل جميلة من بناتنا ، فقلنا لمن نجد هذا في الكتاب ولا السنة ونحن المسلمون فاحببنا ان نعلم : اعن رأى امير المؤمنين هذا أم لا ؟ فطال عليهم المقام ونقدت نفقاتهم ، فكتبوا اسماءهم ودفعوها الى وزيرائه وقالوا : ان سال عنا امير المؤمنين فأخبروه ، ثم رجعوا الى افريقية فخرجوا على عامل هشام فقتلوه واستولوا على افريقية ، وبلغ الخبر هشاما فسأل عن النقر فعرف اسماءهم فاذا هم الذين صنعوا ذلك» *

ويقول ابن عذارى في «البيان المغرب» (ج ١ ص ٥٢) :

الدشراوى في اطروحاته عن الفاطميين بافريقية الى الخوارج في المغرب بصفة هامشية (٦) *

* *

ان جوانب التقييم متعددة ، ولكننى سأقتصر على ذكر نقطة واحدة تستجيب الى رأينا في ضرورة اعادة التقييم والنظرة لبعث مدرسة تاريخية مغربية ذات رؤية جديدة ، وتتصل بتفسير اسباب هذه الحركات والعوامل التي جعلت الدعوة الخارجية تجد تربة خصبة بين القبائل البربرية بعد اعتناقها الاسلام (٧) *

ان الدراسات التاريخية الاجنبية ، ولا سيما ما كتبه «قوتى» Gautier ، و«جوليان» Julien و «ج. مارسى» G. Marçais تركّز عن قصد على نقطة حساسة ، وهي أن ثورات الخوارج في المغرب هي رد فعل من السكان الاصليين ، البربر ضد العرب الفاتحين الذين هم دخلاء على البلاد ، فهي عنصرية جنسية بربرية ضد العنصر العربى الدخيل ، وهي فكرة خاطئة هدفت الى محاولة اثبات رفض السكان الاصليين ، وقد أسلموا ، وحسن اسلامهم ، للعرب الاجانب عن البلاد ، ونلاحظ أن الحديث هنا عن ثورات الخوارج التي اندلعت لأول مرة سنة ١٢٢ هـ ، وليس عن مقاومة القبائل البربرية للجيش العربية اثناء فترة الفتح *

ولكننا نرى أن ثورات البربر ، واعتناقهم لمذهب الخوارج تكمن وراءها اسباب سياسية واجتماعية ، فهي أبعد عن أن تكون عنصرية بربرية ضد عنصرية عربية ، وان برز هذا الجانب قيعا بعد *

ولكنه برز بصفة عرضية ، وليس له اتصال بالاسباب التاريخية التي جعلت الدعوة تجد تربة خصبة بين البربر المسلمين في المغرب بصفة خاصة *

اعتنقها البربر ، وأمنوا بها إيماناً عميقاً ابتداء من بداية القرن الثاني للهجرة .

أنه من الغريب - إذن - أن نفس حركات الخوارج بعد هذه النصوص الواضحة بأنها حركات ضد العنصر العربي الدخيل كما حاول الإيهام بذلك بعض المؤرخين الفرنسيين ذوي النزعة الاستعمارية .

هذا نموذج من نماذج كثيرة تجعل الباحثين المغاربة يفكرون في إعادة التمهيد والنظر ، اعتماداً على المصادر الأصلية ، واستناداً إلى المنهجية العلمية الحديثة في الدراسات التاريخية في كل ما كتب عن المغرب العربي منذ القرن التاسع عشر ، وهي اللبنة الضرورية الأولى لبعث المدرسة التاريخية المغربية .

« ثم أن عمر بن عبد الله المرادي ، عامل طنجة وما والاها ، أساء السيرة وتعدى في الصدقات والعشر ، وأراد تخميس البربر ، وزعم أنهم فيء المسلمين ، وذلك ما لم يرتكبه عامل قبله ، وإنما كان الولاة يخمسون من لم يجب للإسلام ، فكان فعله الذميمة هذا سبباً لنقض البلاد ووقوع الفتن العظيمة المؤدية إلى كثير القتل في العباد نعوذ بالله من الظلم الذي هو وبال على أهله » .

* *

أن هذه النصوص التاريخية تبين في جلاء أن ثورات الخوارج المعتمدة على العصبية القبلية البربرية كانت رد فعل ضد تصرف ممثلي الحكم المركزي في دمشق أولاً ، ثم في بغداد ثانياً ، وضد معاملة أبعد ما تكون عن المبادئ الإسلامية التي

التعليقات

(١) نذكر على سبيل المثال : Despois

(٢) أمها

— Le Djebel Nefousa.

— Le Djebel Ousselat.

G. MARÇAIS et A. DASSUS — LAMAR : Recherches d'archéologie musulmane : T. HIRT, in R. A., 1946.

(٣) أن الدراسات الأجنبية ذات الطابع التاريخي البحث ، فهي قليلة جداً لا تتجاوز فصولاً كتبها كل من T. Lewiski, G. Marçais, Julien, Gautier :
R. Idris.

(٤) هذه الأطروحة لم تنشر لحد الآن - حسب علمنا - ، ولم نتمكن من الحصول على نسخة مرقونة منها .

(٥) لم تنشر بعد .

(٦) نلاحظ أن بحوث الدارسين العرب عن تاريخ حركات الخوارج المغربية ما تزال قليلة بالرغم من أهمية هذه الحركات ، ونتائجها التاريخية .

(٧) نلاحظ للقارئ الكريم من جديد أن هذا النص هو اختصار للدراسة الكاملة ، ولهذا اقتصر في التقييم على ذكر فكرة رئيسية واحدة .

مدافع الرشاشة في الاحتلال



المؤرخون الفرنسيون والجزائر



ما أكثر ما كتب الباحثون أن تاريخ الجزائر التركية مكتوب انطلاقاً من مصادر أوروبية وفي نظر بعضهم أن تاريخ الجزائر من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر - خلافاً لتاريخ العصر الوسيط المغربي - يجب أن يدرس - بصفة رئيسية - من خلال ما رواه مراقبون غربيون وبواسطة وثائق تاريخية (أرشيفات) وقد انتقل المغرب الأوسط - الذي يسمى بالجزائر فيما بعد - إلى مرحلة جديدة من تاريخه * وصارت الجزائر من ممتلكات العثمانيين طوال ثلاثة قرون - وذلك إثر غارات الإسبان ضد المدن الساحلية الرئيسية (المرسى الكبير - وهران وبجاية) *

مولدي باحميسي

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

فى هذه الحقبة قد عرض فيها عدة مشاكل : مثل التنظيم الادارى (٥) نظام الحكم التركى (٦) التعمير ، والدين (٧) الطرق الصوفية ، والقبائل (٨) اليهود (٩) والنصارى فى الجزائر والعلاقات مع الدول الاجنبية (١٠) *

وهذا الترتيب للكتب وقع وفقا لموضوعاتها الرئيسية ولكن الكتب التى ألفت عن الجزائر لم تنحصر فى أغلب الاحيان داخل نطاق الموضوع المحدد لها تحديدا دقيقا *

القيمة الاخبارية لهذه المؤلفات :

وهذه العروض - على الرغم من النقص الكثير والاحكام المسبقة الخطيرة التى تشتمل عليها - والتى نتعرض لذكرها فيما بعد - لاغنى لتاريخ بلدنا عنها لان المصادر الاسلامية فيما يخص هذه الحقبة نادرة وذات رديئة غالبا (١١) فالمصادر التركية التى كانت محط آمال كبار لا تتخطى القرن السابع عشر *

والمصادر التى يرجى منها أن تهدي 'المؤرخ' ترقى الى القرن الثامن عشر فحسب * وان جزأ من الوثائق التركية المحفوظة (أرشيف) نشر فى تونس واصطنبول والبندقية * وقد نشرت وثائق تركية خاصة بافريقية الشمالية فى كتاب عزيز سميح التر : «الترك فى افريقية الشمالية» (١٢) وفى المقالات النادرة التى نشرتها مجلة جمعية تاريخ الترك - نشرة - وتشتمل فى أساسها على سجلات محاسبة ترجع الى ما بعد سنة ١٦٥٠ * واستبطن محتوياتها لا يلقى ضوءا جديدا على حوادث وحياة المغرب الاوسط لان الجندي والضابط من الاوجاق لم يهتم اهتماما ذا خطر بسبب عدم مبالاةهما وأميتهما بتخليد ذكر الحوادث التى شاركا فيها *

وأصبح التركى هو العدو الالذ للأسبان * فان تدخله صد المغاربة عن الخضوع للقوانين الكاثوليكية وصارت للجزائر ، منذ ذلك الحين ، حكومة مركزية فى مدينة الجزائر وادارة اقليمية وتخوم فى الشرق والغرب واسطول حربي وأصبح للجزائر بصفة خاصة أهمية بالغة فى العلاقات الدولية وتزايدت المعارك بينها وبين أوروبا *

وحيرت هذه الحقبة التركية أوروبا وأثارت في لا سيما عند الاسبان - اهتماما متزايدا * وكانت من بين الحقب التى أسالت كثيرا من الحبر فى اسبانيا وفرنسا وايطاليا وفى غيرها من البلدان *

وقد اتاحت الحروب والتجارة والتجسس والديبلوماسية واقتداء الاسرى وحب المغامرات لسكان الضفة الاخرى من البحر المتوسط فرصا عديدة للتعرف على المغرب الاوسط او التأليف فى تاريخه وتفصيل الكلام عن حادثة أو أخرى من الحوادث التى وقعت فيه *

ولاجل ذلك كانت الآداب والعلوم الاجتماعية والسياسية جد كثيرة وجد متنوعة *

سنقتصر فى هذه الدراسة الموجزة على المصادر الفرنسية

* * *

والى جانب تصانيف وصفية (١) وكتب جغرافية عامة واقليمية للبلاد ، وأدلة عامة وأدلة طرق ومسالك ورحلات برية وبحرية ووصف أقطار اجتازها الكتاب ومدن زاروها وأخلاق وعادات للسكان * يجب اضافة بحوث فى التاريخ العام (٢) تاريخ فترة من الفترات وذكريات وكتيب فى دراسات خاصة (٣) وتراجم (٤) ولنشر أيضا الى الدراسات حول السياسة الجزائرية

سمو النظر الذي نجده عند المؤرخين الكبار في العهد الوسيط وبصفة خاصة عند اكبرهم جميعا ابن خلدون . ومؤرخو العصور الحديثة والتاريخ المعاصر يحملون طابع البيئة التي عاشوا فيها . فقد قام لديهم كره غير المسلم الذي يشفقون ذكر اسمه باللعن أو بوصف يشعر بالاحتقار مقام التسامح النسبي لدى مؤرخي العهد الوسيط (١٧) وهكذا يعكس هؤلاء الكتاب عقلية عصرهم ويقدمون لنا ما يؤيد هذا التحول الكبير (١٨) وقد احتلت الدراسات الدينية - منذ بداية العصور الحديثة - منزلة مرموقة في قلوب سكان المغرب - « قباستثناء الفنون التي يستعان بها على فهم الدروس الدينية مثل النحو واللغة العربية اللذين لا يتعلم منها فقط الا لقدر الكافي لفهم النصوص الفقهية والدينية » .

وباستثناء علمي البلاغة والمنطق اللذين ينتفع بهما في خطب الوعظ والارشاد وعلم التوحيد وباستثناء مبادئ الحساب اللازمة لقسم الموارد وعلم الفلك الذي يهدي لمعرفة أوقات العبادة وأدائها جميع النشاطات التي لا صلة لها بالدين والشؤون الالهية تهمل على أنها لافائدة فيها أو هي صالحة فقط - مثل الفلسفة - لتشويش الأفكار (١٩) .

والمجهود الذي بذله المؤرخون الفرنسيون هو ضخم في الجملة : البحث يحمل طابع الصبر والناة . وعلى العمل ميسم الضيق والاتقان والتقسيم دقيق ، وهذه الملاحظات هي المزايا الجسمية التي تكتسب بها آثار باحثين مثل مرسى Mercier وغرامونت Grammont أو ماسون Masson والتي كانت ركائز كتب جديدة في التاريخ مؤلفة باللغة العربية .

أما المصادر العربية المعروفة حتى الآن لا تصلح كأساس لدراسة الحقبة التي نهتمنا . فالنصوص نادرة وقليلة القيمة غالبا (١٣) والفنون القريية من التاريخ نزحت الى تونس وقاس فور وصول الاتراك الى المغرب الاوسط .

و في تدوين حوادث التاريخ لم يكن موجودا في الجزائر في هذه الحقبة لانه يزدهر فعلا في حماية الدول فقد اتفق عرش بنى زيان أشرف على الانهيار في مطلع القرن بينما - يعكس ذلك - مزدهرا في تونس وقاس (١٤) ذلك ما يزودنا أحيانا - ولا سيما بصفة غير مباشرة - بمعلومات عن طائفة من حوادث المغرب الاوسط .

والدراسات التاريخية المتخصصة ينبغي أن تقرأ بحذر لانها حررت في أغلب الأحيان لمجاملة الأمراء الحفصيين أو السعديين الذين كانوا طبعاً معادين لاتراك الجزائر .

والرحلات الثرية بتراجم الاولياء جد ضئيلة باى خبر عن حالة البلاد . ودونت على أى حال بزمان طويل بعد النصف الاول من القرن السادس عشر (١٥) ولكن ادب التراجم يسمو على ركام الآثار الادبية في المغرب الاوسط على أن ازدهاره في المغرب الاوسط يقل بكثير عن ازدهاره في المغرب (١٦) ونحن وان اطلعنا على حياة طائفة من المتصوفة المدرسين أو الشرايح في القرن السادس عشر نبقى - بعكس ذلك - جاهلين لحياة الرجال الذين أسهموا في الحياة السياسية للبلاد وكان الحكام الاتراك ازهد الناس بالايغاز بتدوين مآثرهم . والتاريخ الصرف بمثله - هو ايضا من بين آثار المؤلفين المسلمين في بلاد البربر ابتداء من القرن السابع عشر - طائفة التأليف لم تخل تماما من كل قيمة ولكننا لم نعد نجد فيها

وكثير من الباحثين اقاموا في مدينة الجزائر أو طافوا خلال البلاد الجزائرية أو خدموا في حاشية البايات والدايات (٢٠) وملاحظاتهم مباشرة ومعلوماتهم التي يجودون بها هي جد نفيسة وكان لطائفة من البحاث بعد سنة ١٨٢٠ الفضل في تعريب تقارير رسمية واست ثمار كثير من الوثائق الاصلية المتينة المهمة (٢١) وعنت طائفة منهم بموضوعات جد تقنية وجد مفيدة (٢٢) .

ولكن هذه المزايا لا يمكن أن تتسبب الجانب السلبي في أغلب هذه الآثار وأهمية هذه المصادر وهذه الكتب - فيما يخص الحقبة العثمانية - هي بعيدة كل البعد عن اجماع الباحثين .

فقد كتب رن RINN : « ان الوثائق الجيدة التي تخص العهد التركي قليلة . واذا كان ما ملكه منها هو صادق ومثير للفضول ومفيد فلا يكاد يشتمل على شيء من تاريخ العرب والبربر الذين عاشوا خارج الاوليفارشية حكم المستغلين المسيطرين على البلاد » (٢٣) .

عندما نبحث الوثائق المكتوبة في القرنين الثامن والتاسع عشر لا سيما الفرنسية منها نلاحظ أن أوسع اهتمام فيها قصر قعلا في عهد «البربرسك» على القرصنة وعلى عمليات التلصص في عرض البحر وعلى استعباد النصارى وعلى اقامة الاسرى الاوربيين في مدينة الجزائر . وعلى يؤسهم وشقايتهم وعلى أوجاعهم والامهم وعلى اقتداء الاسرى وعلى جمعيات الاقتداء (٢٤) وعلى حياة التجارة (٢٥) وعلى الرهبان المبشرين بالنصرانية وعلى عدم ثبات

اصلهم وعلى دور آباء جمعية الثالوث الاقدس وآباء جمعية القديس لازار رواد الكادرينال لا قيجري » .

والعنوان الذي اختاره الاب « دان لكتابه هوذو مغزى : «تاريخ بلاد البربر وقراصنتها » ومملكة ومدن الجزائر وتونس وسلا وطرابلس ، حيث يبحث عن حكومتهم وعن أخلاقهم وقساوتهم وعن لصوصياتهم وأسحارهم وعن كثير من خصائصهم الاخرى اللافتة للنظر » .

هذا هو تاليف الاب «دان» حامل البكالوريا في علم اللاهوت ورئيس « دير الثالوث الاقدس لافتداء الاسرى » (٢٦) . والمؤلف الذي أقام في مدينة الجزائر بين سنتي ١٦٢٤ م ١٦٣٥ قصر أكبر جزء من كتابه على طريقة تسليح القرصنة وعلى خصائص المرتدين والاعلاج و«على العقوبات والمصائب التي يذيقها الترك والمتوحشون للنصارى الذين يستعبدونهم ويقصر ما بقى من كتابه على الحديث عن جمعية الثالوث الاقدس » .

والموضوعية ليست هي المزية الكبرى في هذه التاليف والتفسير فيها هي غالبا مفرضة والحذف من النص مقصود والمعلومات خاطئة .

وهؤلاء الباحثون المنتمون الى مختلف الجمعيات الدينية (٢٧) صنفوا كتباً دعائية وكانوا يهدفون بها الى ترغيب أتباعهم في العطف على الاسرى لجمع موارد مالية .

فالمبالغة والقسوة والرعب هي الاشياء الوحيدة التي تستطيع أن تلين القلوب . وكان نشر هذه التصانيف يسمح بأكبر اذاعة لهذه المعلومات الرامية الى تغذية الحقد على المسلمين

الاستعمارية عروض وتقارير رسمية ورشائق أخرى فهم حيث أقبلوا على دراسة الحقبة الإسلامية قد واجهوا صعوبات في تفهم النصوص العربية في التاريخ أو الجغرافية وحكموا عليها بأنها تكاد تكون كلها دائما «غير دقيقة» وتترك حيزا فسيحا للافتراض» وقد ظهرت لهم أسماء الاسر منفرة والحوادث «تحولات مستمرة لتاريخ يتألف ويتفكك باستمرار» (ج. مارسى) .

وما أقل عدد المؤرخين الذين كانوا يقرأون العربية بسهولة ويفهمون دقائقها وصيغ تراكيبها أو صورها . وإلى جانب أعمال متينة نجد كتباً تهدف إلى التعميم الشعبي ولاصلة لها البتة بالتاريخ العلمي (٢٩) بل كانت الغاية منها الحصول على الاعجاب أو كانت كتباً موجزة تحشر كل الحوادث في تاريخ بلد في أقل من مائتي صفحة (٣٠) أو كانت أنواعا من القوائم الفهارس تسرد حوادث بدون أي بيان أو تفسير (٣١) .

ويصير هكذا تاريخ الحقبة التركية عبارة عن نظرة موجزة ينتقل منها الباحث بسرعة إلى اعتداء ١٨٣٠ (٣٢) . لنطالع كتاب ل. قالييرت :

« البلاد الجزائرية القديمة والحديثة » (باريس ١٨٤٤ ، أكثر من ٦٣٩ صفحة) وصف البلاد وتاريخها منذ العصور العتيقة حتى سنة ١٨٣٠ يقفان في صفحة ٢٤٩ وكل ما بقي من الكتاب مقصور على السيطرة الفرنسية . النزعة الخيالية ونزعت الكلف بالأخبار العجيبة تختلطان بالتاريخ الصرف (٣٣) .

والبحث - بعكس ذلك - منفر أحيانا لأن القارئ لا يجد أمامه الاقساوات رانقلابات

لا لارضاء فضول الافكار المتعطشة لمعارف أوسع . ويقع التأثير من المصائب التي يصيبها الجزائريون على النصارى لشحن حرب صليبية على المسلمين .

والقناصلة الاوربيون (٢٨) الذين كانوا يشغلون مناصبهم في مدينة الجزائر دونوا ذكرياتهم وقيدوا حوادث ورووا أشياء لها صلة بالمغرب الاوسط .

حتى كانت طائفة منهم شهدوا معاصرين . وكانوا اذن بصفة عامة على خبرة جيدة بمشاكل عدة ومراسلاتهم وتقاريرهم كانت ذخيرة لا تنقذ من المعلومات .

ولكن كان تأييدهم في الجملة للحكام الجدد في دولة الجزائر ضعيفا قاترا - ومن جهة أخرى قد قصرت اقامة عدة من القناصلة على مدن سكانهم . وكانوا لا يسافرون أن بالآخرى كما أقس ما كانوا يسافرون . وكانوا لا يعيرون انتباهها خاصا للحياة العميقة في البلاد .

وفي العاصمة نفسها كان المجتمع الاسلامي سرا مكتوما عنهم . وكانوا يجهلون حياة السكان في الارياف والحوضر «يشاطرون مواطنينهم في الاقتناع بالآراء المسبقة وفي نظرهم كان سكان المغرب منبعاً للمصائب كلها مخادعين كسالى جشعين منكرين للجميل . وباختصار اجتمعت فيهم كل الرذائل .

والكتب التي ظهرت بعد ١٨٣٠ تكتسى بنزعة أخرى . ولها قيم متفاوتة . اذا كان الباحثون يعتمدون - فيما يخص الحقبة الرومانية على المصادر المأثونة فقد راجعوا عن تاريخ العصور العتيقة ذات النصوص لمؤلفين يونان ورومان وان استثمروا فيها يتعلق بالحقبة

الموضوعات الكبيرة في تاريخ الجزائر قبل ١٨٣٠ هي مآسى الاسر والحملات ضد الاتراك .

أما أسرى المسلمين الذين أخذوا في البحر وبيعوا في « ليفورن » بصفة خاصة فلا يوجد له صدى وايضا . وكثير من المؤرخين يستولى عليهم التفكير في قوة الجزائر والرغبة في ذكر «كهف اللصوص» ويحلون بشن غارة حاسمة ضد الجزائر .

وكان التعصب في نظرهم قوة من قوى الايمان . فهم يحكمون على الاسلام وفق افكار مسلمة لديهم هذا دين عندهم خاطيء . فمن جاءوا من اوربا واعتنقوا الاسلام خائنون والردة لا تغفر حتى اغراء المنفعة لا يمكن أن يعد عذرا لها «لان اكبر خطيئة يرتكبها مسيحي هي العدول عن دينه»

وقد تحدت في أوربا في القرن التاسع عشر فقط النقد للمنهجية التاريخية . وان طائفة من الاخصائيين في تاريخ المغرب بدأوا يجمعون المصادر ويقارنون بعضها ببعض ، ويعرضون أبحاث تركيب ناجحة الى حد ما وهي - على ما فيها من نقض وتوجيهات معينة تحدثنا عنها من قبل - تعد مشاركة ضرورية لمعرفة ماضيها . ونحن لسنا ملزمين برفض أو قبول كل شيء كتبه بل ينبغي أن ننتفع بجد من هذه الاعمال التي تستحق طائفة منها ، قليلة مع الاسف أن تعرف لصالح الباحثين .

وحروباً ممتدة على قرون وسيطرة الكبير على الصغير . لا تقدم ولا حضارة والا اكمال بشرية بناءة . هذه هي الانطباعات عند قراءة كتاب الجنرال فور بيقيت (٢٤) .

وقد تعرض بايجاز عدة جوانب من الحياة الجزائرية قبل ١٨٣٠ - يحاول دويوا فونتانييل (جوزيف قاسبار) أن يعرضها (٣٥) في ٦٠ صفحة من الجزء الرابع من كتابه .

وذلك نوع من تاريخ الجزائر في شكل سرد أحداث يحكم عليها بأنها رئيسية منذ القرن السادس عشر ورواية طائفة من النواذر . تعدى الدايات على سلطة الباشاوات الممثلين للسلطان ونقص مواز لسلطة الباب في مدينة الجزائر واثراء عجيب يحظى به أسير مسكين كان من قبل تعيسا قلما يرتد ويصير قرصانا ثم باشا طرابلس ثم باشا مدينة الجزائر والغارات الرئيسية من قبل الدول الغربية على مدينة الجزائر .

هذه الثروة وهذا التنوع في الموضوعات المعالجة يفسرها أن أوروبا تكتشف المغرب منذ القرن السادس عشر بسبب حقبة مضطربة ساعدت على وضع المشاريع الضخمة فهناك روح غزو عالمي وعسكري وتجاري وفكري يحرك نفوس الاوربيين . فالاسفار البعيدة والاكتشاف لارض جديدة ولشعوب مجهولة كان لزاما أن يؤدي كل ذلك الى توسيع هائل للبحث التاريخي ، وباستثناء تذوق الاخبار العجيبة والخرقة ، نجد أن

تقايد ومراجع

- راجع كتاب :

- (1) *Ch. Taillard* ; L'Algérie dans la littérature française, essai de bibliographie méthodique et raisonnée jusqu'en 1924, Paris 1925 pp. 79-160.

- نذكر من بين الكتب العامة :

- (2) *Bardon (X)* ; "Histoire nationale de l'Algérie" (Paris 1886 428 p.)
- الباب الاول : تاريخ الجزائر العام ، المناخ ، الحيوانات ، السكان ، النواحي الادارية ، الدين ، الضرائب العوائد

- الباب الثاني : الفرنسيون في الجزائر .

- الباب الثالث : مستقبل الجزائر .

Berbrugger ; "Les époques militaires de la Grande Kabylie" (Alger 1857).

Cat (E) ; "Petite histoire de l'Algérie, Tunisie, Maroc". (Alger 2 V. 1888-1891).

Clausolles (P) ; "L'Algérie pittoresque ou histoire de la Régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours..." (Paris 1843 2 V.).

Galibert (L) ; L'Algérie ancienne et moderne (Paris 1844) :

من صفحة ١ الى ٢٤٩ : الجزائر من اقدم العصور الى ١٨٣٠ . وخصص ثلثا الكتاب الى الاحتلال الفرنسي وتقدم الاستيطان الفرنسي .

Garrot (H) ; "Histoire générale de l'Algérie" (Alger 1910).
(Sorte de répertoire, une compilation...)

Mercier (E) ; "Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés à la conquête française (1830). (Paris 1888-1890 3V.)

Faure Biguet ; (le général) "Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane" (Paris 1905-458 p.).

- (3) *Peste Maldjoglon* ; Mers Al Kébir, historique et description... (R.A. 1942).

Troussel ; Kalaa des Beni Rached (B.S.G.O. 1927).

Mac Carty ; Constantine.

Leclerc ; Koukou, ancienne capitale de la Kabylie (R.A. 1857).

Féraud ; Documents pour servir à l'histoire de Bône (R.A. T. XVII).

Galland (Ch. A) ; Bougie 1895.

Féraud (Ch.) ; Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Djijelli, Philippeville, Bône, Tougourt (Constantine 1864-1888).

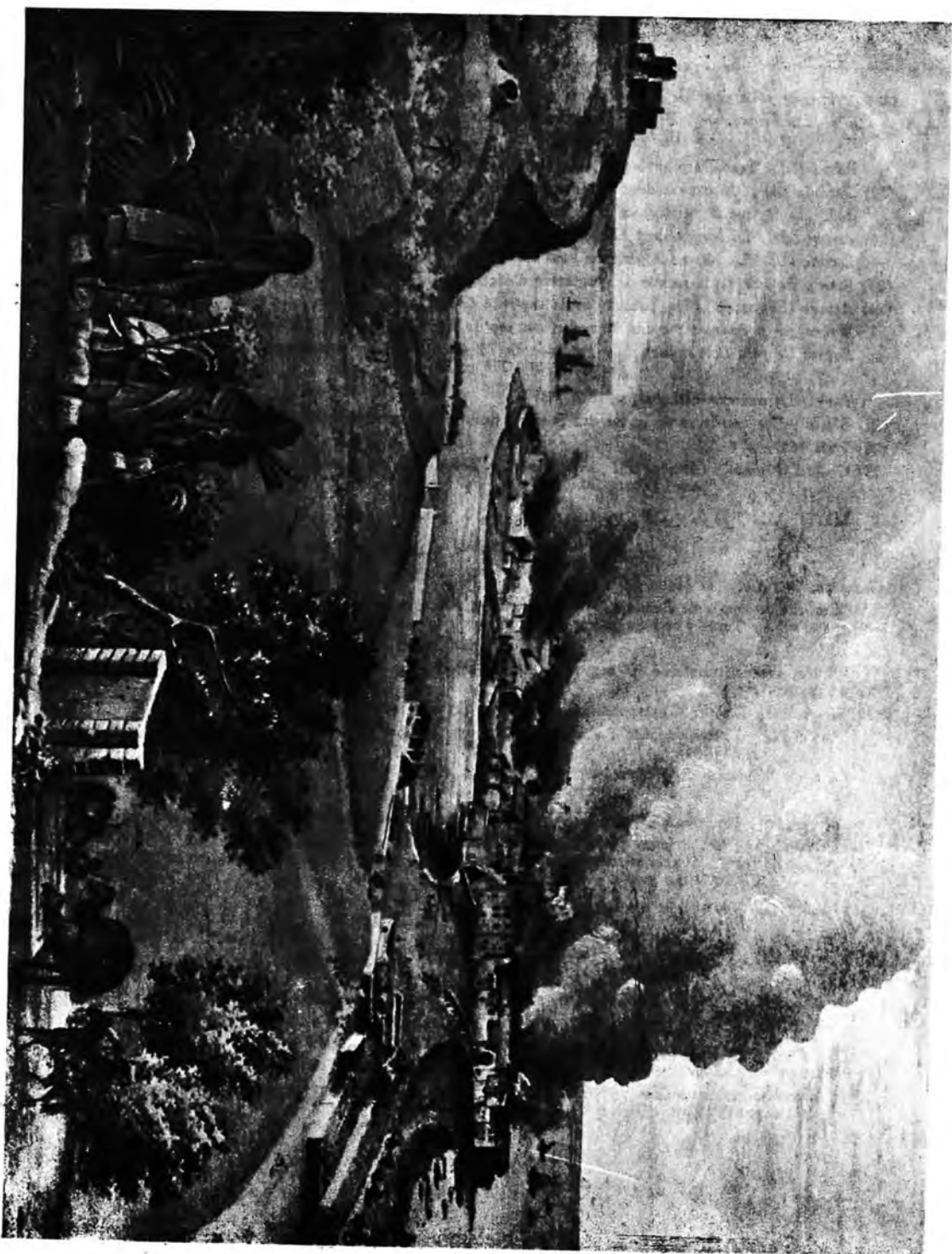
Bel (A) ; Histoire de Tlemcen.

- (4) *Devoulx (A)* ; Le Raïs Hamidou. Notice biographique sur le plus célèbre corsaire algérien du XVIIIème siècle (Alger 1852).

Ibid ; Le Raïs Hadj M'barek (R.A. 1876).

- (5) Devoulx (A) ; Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger: (Alger 1852 99 p.).
- (6) Rocqueville (le sieur de) ; "Relation des mœurs et du gouvernement des Turcs d'Alger" (Paris 1675 - 112 p.).
هو وصف لمدينة الجزائر ولحفلات الزواج بالمدينة واستعراض للمصالح الحكومية والادارية وذكر
لمختلف أنواع العذاب الذي يتعرض له الاسرى النصارى ووصف للصلوات ولرمضان ...
- (7) Bel (A) ; La Religion Musulmane en Berbérie T.I. (Paris 1938).
Boyer (P) ; La politique religieuse des Turcs (Revue l'Occident Musulman et de la Méditerranée N° 1, 1966).
- (8) Gourgeot ; Les Beni Amer (R.A. 1857).
Féraud ; Notices sur les tribus de la Province de Constantine.
Noël ; Documents pour servir à l'histoire des Hmiyan B.S.G.A.O. 1915 - 1916 - 1917.
- (9) Eisenbeth (M) ; Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque 1516-1830.(R.A. 1952).
Cahen (Ab) ; L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger (1509-1830) Paris 1904.
Dupuy (E) ; Américains et Barbaresques 1776-1824 (Paris 1910).
Watbled (E) ; La France et les Barbaresques au XVII^e siècle. (Nouvelle revue 1893 T. 84) - p. 368-388.
Grammont (H. de) ; Relation entre la France et la Régence d'Alger au XVII^e siècle (R.A. 1879).
Playfair (R.L.) ; Episode de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats Barbaresques avant la conquête française (R.A. 1878 - 1879 - 1880).
- (11) Montran (R) ; Les données de l'Histoire Moderne et contemporaines de l'Algérie et de la Tunisie. (Annales de l'Afrique du Nord 1962 - p. 243-248).
- (12) 2 V. Istambul 1936-1937.
- (13) R. Mantran ; Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie (Annales de l'Afrique du Nord, 1962 pages 243-248).
- (14) L. Provençal ; Les historiens des Chorfas, Paris, 1922.
- راجع
(15) أشهرها رحلة التمقروتي (القرن ١٦) والعباشي (القرن ١٧) والورثلاني (القرن ١٨) .
- ولا يستحق الذكر الا كتاب البستان ... لابن مريم مع ما فيه من نقص وقلة المعلومات التاريخية
(16) اتهم الغربيون المصادر الاسلامية بالتحيز وكان التحيز خاص بالمسلمين دون سواهم . ولم يكتب
التاريخ في أوروبا على أسس علمية وبشبه موضوعية الا في اواخر القرن التاسع عشر .
- (17) (18) A. Bel ; La religion musulmane en Berbérie. Paris, 1938, Page 376.
(19) A. Bel ; La religion musulmane en Berbérie. Paris, 1938, Page 374.
- (20) Shaw ; "Voyage dans la Régence d'Alger" édité en 1775.
Thédénat ; "Les aventures de Thédénat esclave et ministre du Bey de Mascara".
وهي مذكرات قيدها الفرنسي الذي وقع في قبضة المسلمين وأصبح في خدمة الباي محمد الكبير
راجع المجلة الافريقية سنة ١٩٤٨ .
Venture de Paradis ; Alger au XVIII^e siècle (R.A. 1895 - 1896 - 1897).

- (21) Berbrugger ; La prise de Mers-El-Kébir par les Espagnols en 1505.
Elie de la Primaudaie ; Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, 1506-1574.
(R.A. 1875-1877).
- Ricard (R) ; Textes espagnols sur la Berbérie (XV^e - XVI^e - XVII^e siècles) (R.A. 1945).
- (22) Devoulx (A) ; Un exploit des Algériens en 1802 (R.A. 1865).
Ibid ; La Marine de la Régence d'Alger (R.A. 1869).
Lacour (A) ; La Marine de la Régence d'Alger avant la conquête (Alger 1835).
Lacoste (L) ; La Marine Algérienne sous les Turcs (l'Amirauté d'Alger à travers l'histoire) (R. Maritime 1931).
- (23) Rinn ; Bulletin de la société de géographie d'Alger 1903.
- (24) Aranda (Emmanuel d') ; Relation de la captivité (Paris 1657, 2 parties).
Berbrugger ; Voies et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les Etats barbaresques (R.A. 1867).
Busnot (le père Dominique) ; La Tradition de l'Eglise dans le soulagement et le rachat des esclaves
(Rouen 1714 - 278 p.).
- Pavy ; La piraterie barbaresque, (R.A. 1857).
- (25) Blavin ; "La condition de la vie des Français dans la régence d'Alger". (Alger 1899, 104 p.).
- (26) Paris 1637.
- (27) Godard (l'Abbé) ; (Ancien curé de Laghouat) "Les soirées algériennes, corsaires esclaves et martyrs de Barbarie" (Tours 1857, 236 p.).
- هي سلسلة من الاخبار ترجع الى العهد العثماني بالجزائر : المسلمون الذين طردوا من الاندلس -
الأتراك - القراصنة - الاعلاج - هروب الاسرى ، المفاداة - الایاء العازرين .
- Godefroy, Cornelin et la Motte (les pères) ;
"Etat des royaumes de Barbarie, Tripoli, Tunis et Alger, contenant l'histoire naturelle et politique de ces pays, la manière ou les Turcs y traitent les esclaves comme on les rachète et diverses aventures curieuses" (Rouen 1731 263 p.).
("L'état chrétien politique du royaume d'Alger, description de Bône séjour à Alger (1700) avec la narration des pourparlers").
- (28) Grammont (H. de) ; Correspondance des consuls d'Alger (1600-1742) (Paris 1890 - 293 p.).
Plaufet (E) ; Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (1577-1830) (Paris 1893-1894 - 2 V. 654-784).
Arvieux (Chevalier d') ; Mémoires... (Paris 6 V.) La narration de son voyage à Alger se trouve dans le T. V, il y séjourna en 1674).
- Berbrugger ; Un consul à Alger au XVIII^e (R.A. 1862) il s'agit de Bruce, consul d'Angleterre).
- Devoulx (A) ; Les archives du consulat général de France à Alger (S.D. 152 p.).
- (29) Clausolles (P) ; "L'Algérie pittoresque ou histoire de la Régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours..." (Paris 1843 - 2 V.).
- (30) Filias (Ach) ; L'Algérie ancienne et nouvelle. (Paris 1875 - 192 p.) "Une sorte de vade-mécum pour gens cultivés".
- (31) Garrot (H) ; "Histoire générale de l'Algérie" (Alger 1910 - 1189 p.).
- (32) Vinchon (Le Baron de) ; "Histoire de l'Algérie et des autres Etats barbaresques jusqu'à nos jours" (Paris 1839 - 316 p.).
- (33) Farine (Ch) ; Deux pirates au XVI^e siècle, histoire de Barberousse. (Paris 1869 - 377 p.).
- (34) Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane (Paris 1905 - 458 p.).
- (35) "Anecdotes africaines depuis l'origine ou la découverte des différents royaumes qui composent l'Afrique jusqu'à nos jours" (Paris 1775 - 8 T. en 1 V.).



مدينة الناصرة - ولاية عساف

كلمة مقتضية لتطهير تاريخ الجزائر

من الشوائب
الاستعمارية

للجزائريين الحق كل الحق في التشكي من بعض المؤرخين الاجانب الذين لم يكونوا منصفين في دراستهم لتاريخ الجزائر ، اما لغرض في انفسهم ، أو بسبب جهلهم لحقائق الامور . ونذهب الى ابعد من هذا فنقول بأن النظرة الاستعمارية كثيرا ما وقعت في ضلال مبين بعض المؤرخين سواء النزهاء منهم او المغرضين . ولهذا ، فان تطهير التاريخ الجزائري من الشوائب الاستعمارية أصبح من اوكد الواجبات بالنسبة الى كل من يبحث عن الحقيقة التاريخية الناصعة ، سواء كان اوروبيا أو من أبناء المغرب العربي .

شارل روبرا جردن

مؤرخ فرنسي

الاستعمار » . وقد كتب يقول بأن المسألة ليست مجرد اختلاف بين رجلين ، « بل هي اختلاف بين نظامين » .

ان هذه الاحكام المفرضة ، وهذه الطريقة التعسفية في كتابة التاريخ ، تبث في حد ذاتها على الاسف الشديد ، فما من مؤرخ الا ويعرف أن الحقائق التي يتوصل اليها تقريبية لا يقينية ، وان اسلوب الحكم في مجال التاريخ هو الاحتمال . وانه يجدر بالمؤرخ النزيه أن لا يطلق أحكاما حاسمة . على أن هناك ما هو أدهى وأمر ، اذا نظرنا الى المعيار الذي استند اليه هذا المؤرخ المزيف .

كان الوهراني ديمونتيس يرى ان الوطنيين الفرنسيين الحقيقيين هم المعمرين Colonistes (وهي التسمية التي كانت تطلق عليهم عام 1831) ، والمؤيدون لسياسة اسكان الجزائر . اما من يعارض هذه السياسة فهو في نظره خائن ، حتى ولو كانت له أسباب سياسية تبرر موقفه . ولا شك ان الكثير من الفرنسيين ، وخاصة الاوروبيين المقيمين في الجزائر ، كانوا يشاطرون ديمونتيس مبدأه السقيم هذا . ومن الجدير بالذكر ان كل من يقصر في كيل الثناء ودفع الاموال للمعمرين ، كان يعتبر في بداية هذا القرن خائنا . وكان من تسول له نفسه ان يكتب كلمة للدفاع عن حقوق الاهالي المسلمين الجزائريين كان يعتبر « متأثرا بالبرنوس » . ونشير هنا الى ان ايدوار كاط ، كان قد ألف بين 1889 و 1891

وبما انني قمت ببحث جامعي لم ينشر الى حد اليوم - وكان الغرض منه نفي الطابع الاستعماري عن سياسة الجنرال برتوزين بالجزائر عام 1831 - فاني اسمح لنفسي بأن أسوق مثالا عن أحد المؤرخين المزيفين الذين كتبوا عن تلك الفترة ، ومن الجدير بالذكر ان نظرات هذا المؤرخ ظلت مدة طويلة من الزمان تعتبر مرجعا أساسيا ، واعني به « فيكتور ديمونتيس Victor Demontès الذي سوف اقتصر هنا على دراسة كتاب له يدعى أنه « كتاب علمي » ، وهذا الكتاب هو أطروحته التكميلية في الآداب التي عنوانها : « ادعاءات الجنرال برتوزين ضد سياسة الاستعمار في بلاد الجزائر » ، وهو منشور في الجزائر عام 1918 ، ويقع في 311 صفحة .

ففي هذا الكتاب نلاحظ ان فيكتور ديمونتيس يتحامل بصريح العبارة ضد الجنرال برتوزين ، حاكم الجزائر بالوكالة ، والقائد العام لجيش الاحتلال الفرنسي في مدينة الجزائر . ولم يقتصر على هذا ، بل أخذ في كتابه يتهم تهجما شديدا على هذا الرجل حتى ينال منه ويحطمه ، فوصفه بأنه « يناهض الاستعمار ، ويقف موقفا معاديا لمشروع الاحتلال » ، ولذلك ، فقد استنكر بشدة سياسته « المتسمة بالمجاملة تجاه الاهالي ، وبعدم الثقة تجاه الاوروبيين » . ويرى ان الجنرال برتوزين « هو المسؤول عن ضياع عشر سنوات في عملية اخضاع الجزائر للاستعمار » ، وعقد مقارنة غريبة بين هذا الانسان المناهض للاستعمار ، وبين بطله المفضل ، الجنرال كلوزيل « المخلص لسياسة

برتوزين في نظر ديمونتيس وايدوار كاط ، هي انه اتخذ قراره « بناء على ما سمعه من الاهالي من آراء حول الاوبئة المتفشية في سهل المتيجة ، فما كان منه الا ان صدق أقوالهم » .

وهنا يكشف لنا ديمونتيس عن معيار آخر في الحكم لا يليق بعالم يدعي بأنه يلتزم الموضوعية في البحث : فقد أدان برتوزين لا شيء سوى لانه لم يتردد في استشارة الاعيان الجزائريين ، ولانه عاملهم بكل احترام ، ولانه « سارع الى تصديق ما سمعه من الاهالي العرب » . وباختصار فان هذا « المثقف » كان يتميز حقدا وغيظا ، كما هو شأن كل معمر . وقد ادعى ان قصده من تأليف كتابه هو النقد النزيه . والحقيقة انه لم يكن يرمى الى الكشف عن شخصية برتوزين وحكومته ، بقدر ما كان يرمى الى اقامة الدليل مرة أخرى - وخاصة في سنتي 1917 - 1918 ، حيث كانت السلطات الفرنسية تستعد لمنح الجزائريين بعض الحقوق التي وعدتهم بها عام 1914 - على انه لابد من استعمال سياسة الحزم تجاه حركة الشبان الجزائريين .

وقد كان هذا الاستاذ يعتقد دائما في قرارة نفسه بأنه مجند للدفاع عن « الجزائر الفرنسية » فظل طوال حياته يطبق ، كمؤرخ ، مفهومه الغريب عن التاريخ ، ذلك المفهوم الذي وصفه فوستال

Fustel de Coulanges

دي كولانج

بأنه « سطحي » ، وهو مفهوم يحط من قدر التاريخ ، وينزل به الى مستوى الدعاية المفرضة . ومن المعروف ان ديمونتيس كان - بصفته صحافيا وكاتبا - يدافع بمنتهى الحماس عن وجهة نظر

كتابا عنوانه : « مختصر تاريخ الجزائر
une petite histoire de l'Algérie

في جزئين ، وقد استفاد منه ديمونتيس نفسه وكذلك أوغسطس بيرنار . ان حكم هذا المؤلف على برتوزين شبيه بالحكم السابق ، لانه اعتمد فيه على نفس المبدأ ، فقد كتب يقول : « ان حماقته هي السبب في الصعوبات التي واجهتها عملية الاحتلال فيما بعد » . وقد أنكر عليه تسامحه (لانه لم يتصرف تصرفا حازما مع الاهالي العرب) كما انكر عليه سرعة تصديقه (لانه القى آذانا صاغية « للنصائح المفرضة » التي قدمها اليه الاهالي في الجزائر ، وخاصة ابو ضربة وحمدان ابن عثمان خوجة) .

وقد عاد ديمونتيس الى نفس هذه الانتقادات ليدين بها برتوزين وليدعم بها نظريته السقيمة ، ولذلك يقول : لئن تخلى برتوزين عن فكرة احتلال المنطقة التي كانت تسمى « سهل المتيجة الموبوء » لا فيها من مستنقعات ، فلانه أراد بذلك ان يعاكس الحاكم السابق كلوزيل بايعاز من الاهالي العرب الذين كانوا يملكون اراضى شاسعة في المتيجة . ومما كتبه في هذا الموضوع : « بذل الجنرال برتوزين كل ما استطاع من جهد لتحويل تيار الهجرة عن هذه المنطقة ، عملا بنصائح الاهالي المفرضة » ، الا انه لم يقدم أية حجة لتدعيم هذا الحكم التعسفي . اما بالنسبة الى اتهام برتوزين بمعاكسة الجنرال كلوزيل ، فلا يمكن تصور ذلك الا اذا كانت معاكسته مسبقة ، لان الجنرال كلوزيل لم يكشف عن خطته لاحتلال المتيجة الا عام 1833 . على ان الجناية العظمى التي ارتكبها

المعمرين الفرنسيين في النشوية التي كانت لجنة افريقيا الفرنسية تصدرها . على انه لم يكن احد يتصور بأن تحيزه سوف يؤدي به الى تسخير البحث العلمي للدعاية الاستعمارية . وهذا الموقف من شأنه ان يخرج نهائيا من زمرة المؤرخين .

فلا نستغرب بعد هذا ان تعمد الحكومة العامة للجزائر الى مكافأة هذا الداعية النشيط على خدماته الجليلة . وقد بذلت هذه الجهة الرسمية كل ما وسعها من جهد لتعيينه استاذاً في الكوليج دي فرانس ، فلما اخفقت مساعيها ، « عينته مدرسا chargé de cours

يلقى محاضرات عن شمال افريقيا ، علما بان النفقة المترتبة على هذا المنصب معتمدة في ميزانية الجزائر . فهل نستغرب بعد هذا ان يتقانى في الدفاع عن المعمرين ؟

رأيت لزاما على نفسي ، بعد ما اطلعت على اداة الجنرال برتوزين ، بهذه الطريقة التعسفية المتسربة ، من طرف شخص يدعى العلم ، رأيت لزاما على نفسي ان أعود الى الموضوع من اساسه وان أنظر في الوثائق التي نشرها ديمونتيس ، وعددها 121 وثيقة . ولا يتسع المقام هنا لشرح النتائج المفصلة التي توصلت اليها في التحقيق ، أما بالنسبة الى النتائج المتعلقة بشخصية الجنرال برتوزين الذي اعتقد جازما بأنه حاكم ميال للاهالي العرب ، فانها تشرف هذا الانسان النزيه الذي لم يعرفه الناس على حقيقته . كان مفوض الشرطة دويكنوسك d'Aubignosc يصف الجنرال

برتوزين بالجنرال النزيه . فالاستقامة المتناهية التي كان يتحلى بها هي التي جعلته يتولى الدفاع عن الجزائريين . ولا شك انه - وهو القائد المنتصر في معركة الاسطى وعلى STAOUELI

كان معجبا غاية الاعجاب بالجزائر « التي هي اجمل بلد رأيت ، بل هي اجمل بكثير من ايطاليا » . وكان همه الوحيد هو المحافظة على سمعة فرنسا لدى الجزائريين ، بممارسة حكم يتسم بالعدل والانصاف . ان هذا القائد العسكري الذي كان على رأس الحرس الامبراطوري في حملة نابليون على روسيا ، لم يتردد في التفاوض مع مرابط القليعة (شيخها) سيدي علي مبارك . ان هذا التصرف الذي استاء له ديمونتيس يعد في الحقيقة تصرفا طبيعيا جدا . فقد كان الجنرال برتوزين يرى بأنه لا يمكن « ان تسند ادارة شؤون بلدة أهاليها مسلمون ، الى شخص أوروبى يجعل تمام الجهل قوانينهم وتقاليدهم ولغتهم ومصالحهم وحاجياتهم » . وكان يرى انه لا بد لمن شاء ان يبسط سلطانه على قبائل لا يعرف طبائع أهلها ، أن يستعين بوسطاء يتم اختيارهم من بين السكان. والحقيقة ان مرابط القليعة لم يكن ينوى ان يقدم خدماته الى فرنسا ، بقدر ما كان يريد ان يستتب السلام في المنطقة ، ولذلك لم يقبل منصب الآغا الا بعد ما أكد له الجنرال برتوزين بأن القبائل لن تتعرض بعد اليوم للهجوم . وهكذا تقيد الطرفان بالتعهدات ، وعاد السلام الى المنطقة .

وكان هذا الجنرال الفرنسي ينوى من وراء انتهاج « سياسة الاحترام » أن يجعل الاهالى

وقد لاحظ بليميز دى رينو ان الاعتقاد السائد آنذاك هو : «ان اظهار اى نوع من انواع العطف نحو العرب يكاد يكون خيانة» علما بأنه قد استنكر هذا الموقف . وبهذا ندرك السبب الحقيقي الذى جعل بعض اشباه المؤرخين المتعصبين لفكرة «الجزائر فرنسية» ، يتعاملون بشدة على هذا الجنرال الذى بنى نظام حكمه على معاملة الاهالى العرب بالعدل والانصاف . الا ان العشرة اشهر التى قضاها فى الحكم لم تكن كافية لتطبيق سياسته ، بل ان الحزب «المعمر» *parti coloniste* هو الذى بذل المساعى لكى يستدعى من الجزائر حتى لا يسمح له بتحقيق ما اراد ، وكان يرتوئين يقول بأنه قد استمد سياسته من سياسة الجنرال دوسييكس *Desaix* الذى استحق لقب «السلطان العادل» فى حملة نابليون على مصر . وكتب فى سنة 1834 يشرح اسباب استدعائه من الجزائر : بان هذا «النظام الذى طبقه هو النظام الوحيد المشرف لفرنسا وهو اقرب الانظمة الى السياسة الحكيمة ، واكثرها نفعا ، الا انه من جهة اخرى قد اضر بكثير من المصالح ، واثار العديد من المخاوف ، وحطم الكثير من المشاريع وتسبب فى معارضة شديدة» ونضيف الى ما قاله يرتوئين بأنه تسبب فى كراهية مستديمة . وهكذا ، فلم يفكر احد فى الاشادة بهذا الانسان الذى لجأت به الظروف ، رغم مشيئته ، فى مشروع استعماري ، ولم يخطر ببال احد ان ينوه بذكر هذا الجنرال الشجاع ، الا بعد ان تمت تصفية الاستعمار .

ينسون اعمال العنف التى قام بها الحاكم السابق . وقد اوعزت اليه الدوائر الاستعمارية ان يعمل على اخلاء المنطقة من السكان ، فاعتبر هذه المبادرة عملا يتسم بالدناءة والجور . وقد حاول على العكس من هذا ان يطمئن الاعيان العرب المقيمين فى الجزائر العاصمة . ومن ذلك انه أمر برفع الحجر عن املاك الاتراك والمؤسسات الخيرية ، ومن جهة اخرى ، فقد ابلغ كل «من يريد ان يحكم بالباطل وان يستخدم وسائل تتنافى مع الحضارة ، وكل من يؤمن بالمثل الذى يقول : الويل للمغلوب» ابلغ جميع هؤلاء بان سياسته يخالف هذه المبادئ . ونحن لا نفكر انه امتثل لاوامر المارشال سولت *SOULT* عند ما امره بالرجوع الى سياسة الاستيلاء على البلاد ، لان فرنسا قررت ان لا تتخلى عن الجزائر . الا انه امتثل للاوامر ، لا عن يقين وايمان ، وقد كتب يقول فى وثائقه الخاصة : ان المستعمرات لا ترفع من شان الدول ، ولا تزيدها غنى وثراء ، بل كلفت فرنسا دائما نفقات باهظة . وكان يرى بان المنطقة الاولى التى ينبغي الاستيلاء عليها هى منطقة الساحل القريب من العاصمة الجزائرية ، وذلك لاسباب تتعلق بالامن وبالصحة . ومهما اختلفت الآراء ، فان انتشار الاوبئة فى سهل النتيجة ليس خرافة ، بل هو حقيقة لا مراء فيها ، بدليل ان 968 من الجنود لاقوا حتفهم فيها عام 1831 ، و 1415 عام 1832 ، نتيجة للحملات الخبيثة المتسببة عن فوحان المستنقعات .

وكان يندد : «بأعمال العنف الوحشية» التي يقوم بها الجنود الفرنسيون ويستنكر «أعمال العنف المادية والمعنوية، والغدر والخداع والاهانة» وما الى ذلك من الوسائل التي استعملها المعمرين الاولون : «تلك الخيانة التي تعد احقر واحط ما تمخضت عنه ضفاف البحر الابيض المتوسط» . وربما رأى البعض بان حياة هذا الجنرال لا تستحق كل هذا الاهتمام . الا اننا نعتقد بانه مثال يقتدى . ولقد استشهدنا به لنأتى بمثال يبين الاثر السيء الذي خلفه اشباه المؤرخين المتعصبين لفكرة الجزائر فرنسية . وختاما لهذه الكلمة نقول بان تطهير تاريخ الجزائر من الشوائب الاستعمارية يهم الفرنسيين والجزائريين على حد سواء .



حول جنسية التاريخ

عندما اخذت علما بالموضوع الذى طرحته مجلة الاصاله على بساط البحث فى عددها الممتاز ، وهو : « الجزائر عبر العصور ، ومواقف المؤرخين الاجانب » راودتنى اسئلة كثيرة ، ولعل ابرزها هو السؤال الآتى : بما اننى انا بالذات مؤرخة أجنبية ، فقد أصبح من واجبي ان أحكم على نفسى بنفسى ، أى أن أكون الخصم والحكم فى نفس الوقت ولا يخفى على أحد أن هذا عمل شاق ٠٠٠ ولذلك ترددت بعض الوقت ، ثم اقتنعت بضرورة المساهمة

د. ايفون توران

استاذ التاريخ
بجامعة الجزائر

التاريخ كعلم ، ليس هو الكشف عن وجه الحقيقة الثابتة ، بل هو الاطلاع على مختلف الآراء والمناظرة بينها .

ومهما يكن من أمر ، فهذه الاختلافات دلالة عميقة ، بل استطيع ان اذهب الى ابعد من هذا لاقول بأن هذه الاختلافات تبعت الاطمئنان في النفس ، وهي ضرورية لانها عماد التاريخ ، ولكل مؤرخ ان يفتخر بها اذا شاء . ولعل القارىء يستغرب هذا الكلام . ولكن الاستغراب لا شك سيزول اذا عرف بأن هذه الاختلافات تبرهن على أن المسائل التاريخية لا تشبه في شيء المسائل الحسابية ، والا لاستحال ان تتعدد الحلول المقترحة لتلك المسائل التاريخية ، كما انها تبرهن وتؤكد بأن أبناء البشر الذين يحاول الباحث ان يطلع على احوالهم ليسوا مجرد وحدات تصلح للعد والحساب ، بل هم قادرون ، لحسن الحظ ، على أن يفلتوا من رقابة الجهاز الالكتروني الذي يحاول ان يحصى حركاتهم وسكناتهم . ان المشاكل التي يتخبط فيها أبناء البشر تخلف دائما وراءها بقايا لا يمكن تفسيرها تفسيراً مطلقاً . وتلك البقايا هي موضوع الجدل والخلاف بين المؤرخين ، وهي التي تسمح للمؤرخ بأن يستخدم طريقة التأويل في تعليقه للمشاكل التاريخية المستعصية . وهكذا فإن الانتقال من الشك الى اليقين معناه التوصل الى حقيقة يستطيع أى مؤرخ آخر ان يتوصل اليها باتباع طريق آخر غير الطريق الاول ، شريطة ان لا يؤدي هذا التعدد في الطرائق الى حد التهور المتعمد أو الى حد تزوير الحقائق .

نظرا للبادرة الحسنة التي اتخذتها المجلة ، ونظرا كذلك للثقة التي أظهرتها تجاه أولئك الاجانب . ولهذا وجدتنى مضطرة للجابة لكى أعبر لها عن شكرى الجزيل ، وان يكن الدخول فى هذا الموضوع فيه مخاطرة .

ان المشكلة التي طرحتها مجلة الاصاله من نوع المشاكل التي يختص بدراساتها « علم وصف التاريخ Historiographie » أو علم تاريخ التاريخ . وذلك ان تاريخ جميع المشكلات ، وخاصة منها المشكلات العويصة ، مرتبط بعلم يصفه من الناحية التاريخية . ان تاريخ الديانات ، وتاريخ العلاقات الدولية ، من العلوم التي لم يصفها العلماء على منوال واحد ، بل تغير وصفها كثيرا على مر العصور ، فبالنسبة الى تاريخ الديانات ، نلاحظ ان العلاقات بين الدين والمجتمع ، وبين الملل والنحل في حد ذاتها ، قد تطورت الى حد بعيد في الغرب على وجه الخصوص . وأما بالنسبة الى تاريخ العلاقات الدولية ، فقد لوحظ ان الحياة الدولية تتفاعل فيها اطراف متعددة كثيرا ما تكون متصارعة فيما بينها ، ولكل طرف منها سياسة تناوى سياسة الطرف الآخر . ويمكن ان نستشهد بالحرب العالمية الاولى كمثال نموذجي عن هذه الاختلافات التي لم يستطع المؤرخون الفرنسيون والامان تذليلها في لقاءاتهم الكثيرة . وربما كان من الاحسن ان لا يحاول المؤرخون تذليلها ، بل عليهم فقط ان يحدوها تحديدا دقيقا وان يشرحوها شرحا واضحا ، لأن هدف

ولا بد هنا من ابداء ملاحظة ، وعى انه لا يوجد مؤرخ بدون جنسية • وقد كان مفهوم الجنسية في القديم يتصف بالمرونة ، خلافا لما يتسم به اليوم من تشدد ، بحيث ان جنسية المرء صارت تعتبر صفة راسخة في نفسه ، كانه مطبوع عليها طبعا • ولا اخال ان احدا يوافق اليوم مونتسكيو في رأيه اذ يقول : « خلقت قبل كل شيء انسانا ، واصبحت فرنسيا بالمصادفة » • ومع ذلك فان المؤرخين عندما كانوا في القديم يتحدثون عن مناقب الملوك ، كانوا بعملهم ذاك يعبرون عن انتمائهم الى شعب من الشعوب ، وهذا الانتماء ، وان لم يكن واضحا ، الا انه يفرض على المؤرخ التزامات معينة ، وبناء على هذا ، فليس هناك مؤرخ يشذ عن هذه القاعدة ، سواء تصدى لكتابة تاريخ بلاده ، أو تاريخ البلدان الاجنبية • ويمكن حينئذ ان يصاغ السؤال على الشكل الآتي : هل يستحسن ان يتولى المؤرخ كتابة تاريخ بلاده ، أو على العكس ، يجدر به ان « يكون أجنبيا » بالنسبة الى الحقائق التي يريد ان يكشفها لنفسه ولغيره من الناس ؟

ونقول بادىء ذي بدء بأن المؤرخين الانجليز او الايطاليين الذين كتبوا تاريخ انجلترا وايطاليا ، أكثر عددا من المؤرخين الفرنسيين الذين أرخوا لالمانيا أو أمريكا • على أن ارتباط المؤرخ بتاريخ بلاده ، مرجعه في الواقع الى ظروف العمل ، وإلى توفر الامكانيات والتسهيلات داخل البلاد التي ينتمي اليها الباحث • فالصيني أقرب الناس الى فهم حقائق بلاده ، بسبب معرفته للغة ، ووجود

ومما لا شك فيه ان تاريخ الاستعمار ، وتاريخ الاقطار التي كانت خاضعة للاستعمار ، يندرج كل منها في نطاق هذه المسائل التي يحتدم حولها الجدل ، وبذلك نلتقي مع الموضوع الذي اقترحتة مجلة الاصاله •

على أن هذا الموضوع يتجاوز نطاق الصعوبات التي تعترض المؤرخ المتقيد بالمنهج الوصفي المتعارف لدى العلماء • • • بطبيعة الحال ، قد يكون من المفيد ان نعرف كيف ان مشاكل الساعة أفضت ببعض المؤرخين الاجانب المعروفين بالتدقيق والتحقيق ، الى التسرع في الاحكام ، وكيف ان الغرور الصريح أدى ببعض منهم الى الضلال ، وكيف ان الالتزام السياسي انعكس على أوضح صورة في « التاريخ الملتزم » الذي هو أقرب في منحاہ واتجاهه الى الجدل ، بل الى الاخبار الملفقة تلفيقا • على أن هذه الاحتمالات كلها ان هي الا جوانب من المشكلة الجوهرية التي سوف نتحدث عنها ، بعد ما أثارتها مجلة الاصاله وخصتها بالذكر • ويمكن تلخيص ذلك في السؤال الآتي : هل هناك فعلا مشكلة تتعلق بجنسية المؤرخ تجاه التاريخ الذي يسجل احداثه ؟ وفيما يتصل بالجزائر على وجه الخصوص ، هل يواجه المؤرخ الاجتبی صعوبة بالنسبة الى الوفاء لرسالته كمؤرخ ؟

ولنحاول الآن ان نلقى بعض الاضواء على السؤال الاول الذي يكتسى طابعا عاما ، ولننتقل بعد ذلك الى السؤال الثاني الذي يهتما على وجه الخصوص •

نتساءل : هل تعتبر هذا التنوع في البحث التاريخي من الحسنات او من السيئات ؟ وهل يشترط في من يريد ان يفهم آراء غيره ان يكون مشابها له ؟ أم يجب على العكس ان يختلف عنه حتى يتمكن من الاهتداء الى ما لا يستطيع الغير ان يظن له بنفسه ؟ اننا نعتقد بأنه لا يوجد أي تعارض بين الموقعين ، بل هما متكاملان ، شريطة ان يصدر كل منهما عن روح تتميز بالتجاوب ، كما قال هــ مارو ، في كتابه « معرفة التاريخ »
«H. Marrou : Connaissance de l'Histoire»

وهذه الروح المتجردة من التحيز ، ومن التعصب للآراء والمذاهب - وهما موقفان مناقضان للعلم والاخلاق - هذه الروح هي التي تجعل المؤرخ يبحث في حدود وصمت ، ويتناسى أغراضه الشخصية .

وقد لا يخلو الامر من فائدة في أن نبحث عن الصورة التي يقدمها الغير عنا . وعلى سبيل المثال ، فقد وفق تمام التوفيق ذلك الامريكي الذي ألف كتابا عن قرية من قرى فرنسا ، وعنوانه : « قرية من قرى الفوكلوز » (5) . ان تلك الدراسة ، وإن كانت انتقادية ، إلا أنها مع ذلك ذات صبغة ودية فيما تضمنته من ملاحظات طريفة ودقيقة حول الحياة اليومية التي يعيشها مجتمع ريفي

الوثائق والمصادر في مكان قريب . أما اذا تصدى أحد الاجانب لكتابة تاريخ الصين ، فانه سوف يضادف صعوبات لا من حيث جهله للغة وعدم توفر الوثائق والمصادر في عين المكان فحسب ، بل كذلك لانه سوف يضطر لاستكمال الوثائق المكتوبة بالآثار والشهادات غير المكتوبة . وهذا لا يمنع من القول بأن بعض المؤلفات الانجليزية او الامريكية تعد في فرنسا من المراجع الاساسية حول تاريخ الامبراطورية الثانية (نابليون الثالث) (I) وبالمقابل ، فإن بعض المؤرخين الفرنسيين هم الذين كشفوا للانجليز المراحل الاولى المتعلقة بالثورة الصناعية في إنجلترا (2) . ومن الامثلة على ذلك أيضا ان تاريخ الحركة التحررية في منطقة ريناني (ألمانيا) كتبه أحد المؤرخين الفرنسيين (جـ . دروز) الذي يعد الى حد اليوم أحد الاختصاصيين الكبار في تاريخ ألمانيا (3) . وأنا شخصيا كمؤرخة فرنسية لم اقم بأي بحث حول تاريخ فرنسا ، بل انصرف اهتمامي الى ما يسمى اليوم بتاريخ الافكار في اسبانيا والجزائر (4) . وكثير من الامريكيين يهتمون اليوم بتاريخ العصور الوسطى في فرنسا وأوروبا . وهكذا ، فالامثلة التي يمكن الاستشهاد بها في هذا المجال لا تعد ولا تحصى . ويمكن هنا ان

(1) V. Wright : Le Conseil d'Etat sous le Second Empire, Colin, travaux et recherches des Sciences politiques 1972 After Sedan, cornell univ., Press

J. Rothney : Bonapartism , Ithaca, N.Y. 1969

(2) F. Crouzet : L'économie Britannique et le Blocus Continental 1806-1813, Paris P.U.F. 1958.

(3) J. Droz : Le Libéralisme Rhénan, 1815 - 1848. Contribution à l'étude du libéralisme allemand, Paris, Sorlot, 1940.

(4) L'Education et l'Ecole en Espagne de 1874 à 1902, Libéralisme et tradition P.U.F. 1959.

Miguel de Unamuno, Universitaire, Biblioth. Gle de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes. Paris, SVEPEN, 1964.

(5) Laurence Wylie : «Un Village du Vaucluse , Paris, Gallenard, 1968.

ان هذا الكتاب الذي قلناه صاحبه عام 1960 كاتروحة في علم الاجتماع ، كان مكتوبا بالانجليزية ، الا انه لم يترجم الا جزء يسير منه الى الفرنسية ، مغالاة ان يستاء سكان الفوكلوز مما جاء فيه ، عل ان شيخ هذه البلدة الصغيرة هو الذي طلب فيما بعد ان يترجم الكتاب بتمامه ، قائلا بان النقد البناء اكثر فائدة على حال من التملق والرياء

المؤرخون الاجانب . ولكننا نتساءل : من هم هؤلاء الاجانب ؟ ان الوضعية الاستعمارية تتميز بكونها قد ربطت بين شعبين في تاريخ واحد ، بحيث ان المؤرخ الفرنسي هو فعلا اجنبي ، الا انه لا يريد ان يكون اجنبيا ، خاصة انه لم يكن بالامس القريب اجنبيا عن تاريخ الجزائر واحداثها . وهكذا فالمؤرخ الفرنسي يجد انه هو بالذات من المعنيين بالامر بالنسبة الى التاريخ الذي يسجل احداثه ، فيات لزاما عليه ان يضع نفسه موضع التساؤل وان يحدد الدور الذي لعبه في تلك الاحداث وبذلك اصبح تاريخ الاستعمار من حيث كيفية كتابته ، أصبح جزء لا يتجزأ من القضايا الخاصة بتاريخ العلاقات الدولية ، وان كانت القضية هنا اكثر تعقيدا ، لان الطرفين (فرنسا والجزائر) غير متكافئين ، ولانه لا تتوفر في الوقت الحاضر آراء عديدة قد تكشف عن وجهات النظر المختلفة .

وفي الواقع ، يمكن ان نميز في تاريخ العهد الاستعماري الذي مرت به الجزائر ، أو أي بلد آخر ، فترتين : فترة المؤلفات المكتوبة قبل الاستقلال ، عندما كان تاريخ البلاد الخاضعة للاستعمار لم يتوصل بعد الى الحل النهائي ، وكانت الحوادث التي يسجلها التاريخ مرتبطة بالكفاح - واكبر شاهد على ذلك ما كتب بمناسبة الاحتفال بمرور قرن على الاستعمار - ، وفترة التاريخ الذي بدأ بعد الاستقلال . ولكن ، هل نستنتج من هذا التقسيم ان ما كتب في الاولى كله تاريخ اسود ، وان ما كتب في الفترة الثانية كله تاريخ ناصح ؟

صغير . وهذا الكلام يصدق أيضا على كتاب :

« صمت العقيد برامبل
Les silences du Colonel Bramble » ، فهو كتاب لا يستطيع

أن يؤلفه شخص رانجليزي ، لقد تناول فيه صاحبه وصف الرجل الانجليزي ، في شكل قصة طريفة رفعت أندري موروا الى ذروة المجد ، وجعلت ذلك العقيد يشتهر في مشارق الارض ومغاربها . واذا رجعنا الى القارة الافريقية ، فربما كان من المفيد أيضا لو تصدى أحد الافارقة البارعين في الوصف ، ليقدم للاروبي صورة تهكمية صادقة عن نفسه ، فيدرك ما آل اليه من تكالب على الحياة ، ورغبة في استغلال كل شيء لصالحه ، واشباع شهواته (6) وهكذا يتبين لنا ان وجهات النظر اذا تعددت ، فانها تقدم للانسان صورة عن نفسه اصدق من الصورة التي يراها هو منعكسة في المرآة .

هذا ما كنت أريد ان أقوله من الناحية العامة .

* * *

اما اذا أردنا ان نتطرق للحديث عن تاريخ الاستعمار ، فان هذا التاريخ ينبغي ولا شك ان يكون جزءا لا يتجزأ من تاريخ البشرية . الا انه مع ذلك قد احتفظ بمميزات خاصة به . ان الموضوع الذي اقترحته علينا مجلة الاصاله هو : « مواقف المؤرخين الاجانب » . ولا شك ان هذه طريقة لبقه للاشارة الى المؤرخين الفرنسيين على وجه الخصوص ، لانهم اكثر من تناول بالدرس تاريخ الجزائر ، وان كان المؤرخون الانجليز والاطاليون والاسبان قد ساهموا في هذا الميدان بنصيب . نحن نعرف ان المعنيين بالامر هم

(6) Y. Turin : « Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale ». Maspéro, 1971, p. 367.

اشباه المؤرخين لا يفرقون احيانا بين الدراسة التاريخية الرصينة والآراء الصحافية المفرضة ، حتى ان بعض الدراسات التي قدمت في هذا المجال ، على أساس أطروحات جامعية ، لا تشذ عن هذه القاعدة .

ان تاريخ الاستعمار ، سواء كان قبل الاستقلال أو بعده ، كان له ، ويمكن ان يكون له اليوم جانبان : فالجانب الاول استعماري النزعة ، أو قل بعبارة أخرى انه تاريخ متحيز ، أو « ملتزم » ، وهي العبارة الشائعة اليوم . أما الجانب الثاني فهو مناهض للاستعمار ، الا انه مع ذلك لا يقل تحيزا والتزاما عن النوع الاول ، بل يظل هو الآخر مرتبطا من ناحية معينة ، بالاستعمار . وذلك ان الدراسات المتعلقة بتاريخ الاستعمار تتضمن ناحيتين احدهما استعمارية والاخرى مناهضة للاستعمار ، ولكنهما معا مرتبطتان أشد الارتباط بالنظرة الاستعمارية . ان كل واحدة منهما تتناول من زاوية معينة تاريخ الاستعمار والمستعمرين ، وقلما تتحدث عن الشعب الخاضع للاستعمار الذي لم يحظ الى حد الآن بالدراسة . ولذلك فمن المهم جدا ان نميز تمييزا واضحا بين التاريخ المناهض للاستعمار في الجزائر ، وبين تاريخ الجزائر الصرف . ولا شك ان الطريقة الثانية في البحث هي وحدها القادرة على التخلص من النظرة القديمة . ان التاريخ المناهض للاستعمار يشترك مع صنوه الملزم له (تاريخ الاستعمار) في اتباع طريقة يحاسب بها الشعب المسيطر نفسه ، بنظرة قد تكشف للمواطنين عن

البياض ؟ لا شك ان مثل هذا التمييز ينافي العقل تماما . فقد كان هناك مؤرخون كبار قبل الاستقلال ، وبعده ، كما كان هناك مؤرخون منافقون بعد الاستقلال وقبله . ولا يكفي ان يكون النص مناهضا للاستعمار حتى يعد من النصوص العلمية . والجزائريون يعرفون هذا جيدا . وهنا يتدخل علم وصف التاريخ لكي ينظر في ما كتبه الباحثون من دراسات تاريخية في المجالات المتخصصة . أما فيما يتعلق بى شخصيا ، فقد كان قصدي ان ابين الى أى مدى يمكن ان تؤثر الروابط التاريخية المعاصرة في العلاقة بين المؤرخ وجنسيته ، وأن أوضح كيف ان الميزة الرئيسية للاستقلال تتجلى قبل كل شيء في تطهير التاريخ من الشوائب الاستعمارية ، أى تخليصه من الحلقة الاستعمارية التي سوف تظل دائما استعمارية النزعة ، رغم التظاهر احيانا بمناهضة الاستعمار .

ان الجزائر لا تزال حديثة العهد بالاستقلال ، ولذلك فمن السابق لاوانه ان نحاول تحديد خصائص ذلك الاستقلال . أما تحديد مفهوم التاريخ الاستعماري ، فانه أمر ممكن ، وسوف يساعدنا في فهم التيارات التي لا تزال اليوم تسود في ميدان التاريخ ، بل في ميدان علم الاجتماع أيضا ، لان النتائج التي ينتهي اليها المؤرخ وعالم الاجتماع واحدة ، ولان علم الاجتماع الاوروبي الحالي ، وان كان محصورا في نطاق محلي ، الا انه كثيرا ما يتخذ صبغة تاريخية ، فتختلط بذلك المسائل ويسود الاضطراب في الآراء ، خاصة ان بعض علماء الاجتماع وبعض

اعادة قراءتها على ضوء معطيات الساعة - كأنها تتحدث عن بلاد يسود فيها الهدوء التام ، مما يدل على أن الجو العلمي السائد آنذاك قد افسدته المواقف السياسية الذاتية . ولكن السؤال الذي يمكن ان يطرح هو السؤال التالي : هل يحتفظ ذلك الفكر العقائدي بنفس المحتوى بعد الاستقلال. ام انه يتغير تدريجيا الى أن يصبح مناقضا لما كان عليه قبل الاستقلال ؟ وهل يطابق الشكل المحتوى ، وهل يماثل الظاهر الباطن بالنسبة الى من لا يزال ينطق باسم ذلك الفكر العقائدي ، ومن بينهم بعض علماء الاجتماع وبعض المساهمين في كتاب « تقويم شمال افريقيا 1. Annuaire de l'Afrique du Nord » ؟ (8) ولا بد من الإشارة هنا الى ان المؤرخين قلما يصدر عنهم آرائهم عن ذلك الفكر العقائدي ، باستثناء الماركسيين منهم ، الذين يكتبون في المواضيع التاريخية لا كتخصص ، بل كهواية ، مثل ايف لاكوست ، وم. برونان . أما جاليسو ، فهو مؤرخ بالمهنة .

* * *

وسواء نظرنا الى التاريخ ، أو الى علم الاجتماع المناهض للاستعمار ، فاننا نتساءل : أليس وراء كل منهما موقف ، وعقيدة قد بليت كما يلي الاستعمار ، وكما يلي التاريخ الاستعماري ؟ وإذا كان الامر كذلك فلماذا ؟ وما هو السبب ؟

لنقل بصفة عامة بأن السبب في ذلك يرجع الى ان مثل هذا الموقف يمنح العقلية الاستعمارية أمدا أطول ، ويظل بها مرتبطا ، ويحافظ على

(7) Paris Julliard 1952

عيوب النظام البائد . ولذلك فالتاريخ المناهض للاستعمار شبيه تماما بصنوه ، حتى ولو كان المذهب العقائدي الذي يصدر عنه ينطوي على شيء من المجاملة للشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار وعلى هذا الاساس ، فلا يكفي ان يكون التاريخ مناهضا للاستعمار ، كما لا يكفي ان يكون التاريخ جزائريا ، حتى يعد مطابقا للحقائق التاريخية . على اننا اذا تعمقنا في تحليل هذا المفهوم للتاريخ او لعلم الاجتماع المناهضين للاستعمار ، وتأملنا في هذا المذهب العقائدي المجامل للشعوب الخاضعة للاستعمار ، فاننا نستطيع ان نتساءل : هل يمكن ان نمنحه الثقة التامة ، أم ان هذا المفهوم يخفي وراء ابتسامة المجاملة ، نوايا خبيثة ؟

وهنا أيضا قد يكون من المفيد ان نتخذ الاستقلال اساسا ومعيارا للتمييز بين طريقة وأخرى في كتابة التاريخ . فقبل الاستقلال ، لم يكن هناك فرق بين التاريخ الاستعماري من جهة ، والتاريخ وعلم الاجتماع المناهضين للاستعمار من جهة أخرى ، لانه يوجد قاسم مشترك بينهما ، وهو خوض المعتقد السياسي . فلا شك اذن ان تلك العلوم قد اتخذت كسلاح من اسلحة النضال والصراع ، لافحام الخصم ودحض حججه . ولا يسعنا مع ذلك الا ان نلاحظ بأن بعض المؤلفات التي اعتبرت في تلك الفترة مناهضة للاستعمار ، مثل كتاب « افريقيا الشمالية في مسيرتها » لشارل اندري جوليان (7) تبدو لنا اليوم - بعد

(8) ومنهم ش. سوريان على وجه الخصوص ، وقد اتخذ منها لترويج آرائه

الاساس الذى تقوم عليه فكرة السيطرة فى حد ذاتها ، وهذا الاساس هو : عزلة الانسان الخاضع للاستعمار ، وانفصاله عن بقية ابناء البشر ، من حيث طبيعته وأصله . وبذلك يظل دائما شخصا لا يستحق ان نتحدث عنه ، أو أن نتعامل معه أو ان نتناوله بالدراسة ، الا على اساس انه مخالف لغيره من الناس ، لانه ينتمى الى عالم آخر غير هذا العالم الذى نعيش فيه ، واذا حاولت ان تخرجه منه ، فسوف ينوب امامك ويختفى ، ولذلك فلن يجد الباحث مادة للدراسة ، وربما اضطر الى استعمال الكبير لعله يعثر على بعض الحقائق .

ان هذا الفكر العقائدى المجامل للشعوب المستعمرة يعد من الاساليب الخفية التى كان يستخدمها الاوروبى المستعمر . وقد استطاع هذا الفكر العقائدى ، بما اتسم به من نقد مزيف يصل أحيانا الى حد التطرف ، أن يوهم الناس بأن هناك درجات كبرى وفروقا بين المستعمر والمستعمر ، كما استطاع ان يلفت انتباه العالم الى وضعية المستعمر الغربية ، عوضا من ان يعتبره كأي انسان آخر ممن يحتل مكانا فى هذا الوجود ، ويعيش كغيره من ابناء البشر . ان هذا الفكر يقوم على رؤاسب نظرة ثنائية تعتبر ان الناس فئتان : فئة تفهم وتدرک ، وفئة أخرى هى موضوع الفهم والادراك . . . فئة تحكم ، وفئة أخرى يحكم عليها . وذلك ان أصحاب هذا الفكر يدعون - باسم الفكر المطلق - بأنهم يعرفون عن الشعوب المستعمرة سابقا ، أكثر مما تعرفه تلك الشعوب

عن نفسها ، وأنه أصبح من حقهم ان يرشدوها اليوم ، كما أرشدوها بالأمس ، عما يجب عليها ان تعمل ، أو عما يجدر بها أن تعمل . وهكذا نجد ان العقلية الاستعمارية القديمة المتميزة بعلاقة السيد بالمسود ، وعلاقة العالم بالاسرار ، بمن اسراره كلها معلومة ، تلك العقلية تبعت اليوم من جديد تحت ستار مناهضة الاستعمار .

واننا لنجد مثالا مطابقا لذلك فى بحوث صدرت أخيرا تحت عنوان (المعلمون الجزائريون المكونون فى مدرسة المعلمين فى بوزريعة من سنة 1883 الى سنة 1939) اذ وردت فيها جمل مثل هذه الجملة : « انهم يقولون انهم مدينون بكل شيء لمدرسة المعلمين لان القوم ما فتئوا يكررون لهم انهم مدينون لها بكل شيء » ان فى ذلك ما يعبر عن نفسية الباحث السائل تجاه المعلم المسؤول الذى كان يجيبه عن حسن نية واخلاص ان هذا المعلم على الرغم من تجاربه واجتهاده فى تحليل نفسيته انما هو رجل غير قادر على التفكير والاجتهاد - فى نظر ذلك العالم المثقف - ولذلك اصدرت محكمته حكمها بحشره فى زمرة البقاوات وكيف يستطيع هذا المعلم ان يملك نظرا خاصا للأشياء (اديولوجيا) غير النظر الذى ينبثق معينه الصافى من الصفات العليا التى يتمتع بها ذلك الباحث الذى يسأله من أعالي كبريائه وقد جرده من معاني الثقافة كلها حتى جعل موضوع بحثه سفليا وبذلك يرجع المبدأ الاستعماري الى مجراه .

وقد تبدو هذه الظاهرة غريبة ولكن غرايتها فى المظهر فقط ونحن نجدها منتشرة لدى الاجتماعيين

بل الظاهر ان الحقائق تختلف حسب عالم الباحث وعالم المبحوث فيه .

ان هذا الاجنبى يستطيع بفضل رجاحة فكره واتساع علمه ونضج طبعه وعالمية ثقافته وحكمة تجاربه ان يعرض نفسه لجميع الانواء ويشم الهواء فى لجج البحر ويمارس هواياته الفنية ويشبع رغباته بالاطلاع كانسان على جميع العوالم التى تثير اهتمامه بل فى وسعه ان يبهر أنظاره ويسحر شعوره بمختلف الثقافات المتعددة كما فى وسعه ان يكتفى باستخلاص انفع ما فيها من دون ان يستهدف للادماج الثقافى Acculturation أو للتجريد من الثقافة deculturation

انه لا يخشى أية سيادة على فكره انه لا ينحل فى غيره بل بالعكس ينحل غيره فيه ان التأثيرات الاجنبية لا تحدث الادماج الثقافى عندما تلمسه بل تحدث التثقيف (ان صح هذا التعبير) انه يزداد ثروة ورقة وجدة - شأنه شأن بيكاسو الرسام عندما استلهم الفن السودانى أو اليابانى . انه « بعبارة واحدة » يحيى وان هذه الحياة التى تتصف بالحركة والتحول والنشدان (وهيئات أن تكون الحياة سكونا) يأبأها صاحبنا على غيره من الناس ويقول لهم انها تنكر وعقوق بل تفكك وانحلال انه يزرع فى العالم التفوق والسيادة وينتمى - على كل حال - لعثرة الاختيار اولئك الذين متوهم فى الاحياء الصامتة المتصلبة ذات الابواب الموصدة فويل لمن يطرقها من عقاب الادماج الثقافى وهكذا يبقى صاحبنا ينعم فى جنته مطمئنا على فاكهته التى لو أكلها أكل غيره لاهلكته .

الذين عنوا بدراسة الجرائر اكثر من انتشارها لدى المؤرخين لان المؤرخ الناقص هو وحده الذى يقيم نفسه حكما او (مدعيا للربوبية) كما يقول مارو نعم اذا نحن امعنا النظر فى هذه الاديولوجيا التى فشت عقب انهيار الاستعمار فاننا نرى ان نظرية التثقيف الاجتماعى ACCULTURATION ما هى الا محض عبارة وان الافكار التى تنطوى عليها لم تنشأ قط فى البلدان التى كانت خاضعة لغيرها بل ان اوروبا وأمريكا هما المسيرتان - فى هذه المرة أيضا - الى ما ينبغى ان يقال ويذكر والصانعتان لاساليب التفكير المستحسن اتباعها مع مراعاة ان هذه الافكار لم تخلق فى البداية الا لغيرهم من الناس ولم يشرعوا فى استعمالها شيئا ما الا منذ عهد قريب اذن فالسادة القدامى هم الذين يوحون لرعاياهم القدامى ما ينبغى ان يعتقدوه فى أنفسهم وهم الذين يوزعون تفكيرهم مستعينين فى ذلك بما يعترفون به من نقص فى تلك الافكار فيظفرون لدى المستعمر القديم بالتأييد والموافقة وهذا هو العجب العجيب ! انهم اصحاب ثقافة غالبة وجدوا اللفظ حيلة لعدم مشاطرة غيرهم اياها ألا وهى قتل رغبتهم بجعلها آثمة .

ان هذا العالم الاجنبى بل هذا الباحث الاجنبى الذى يعتد بأجنبيته هل يرى نفسه معنيا بما يكتشفه من أفكار وهل تثير هذه الافكار فى قرارة نفسه حيرة واهتماما ؟ وهل يرى المخاوف والاضطراب التى تكتنف اشخاص بحثه مخاوف واطقارا فى عالمه الذى يحيى فيه ؟ كلا لسنا متأكدين من ذلك

وهكذا نجد عالين متقابلين العالم الذى نحى فيه والعالم الذى نطوف من دون جدوى على مغائيه (والا حصل الموضوع للغالب) وبذلك تنعكس الفكرة والالفاظ المؤدية لها انعكاسا كليا فيؤدى معنى ضده ويستطيع المستعمر القديم ان ينام ناعم البال .

ان هذه النظريات الاوروبية الغربية هي ايضا اوروبية غربية من جانب آخر اذ انها تعتمد على فكرة خلوص الثقافات وتوهم الى الرجوع لحالة اولى طاهرة خالصة لم تشبها شائبة أوحث بها أشنع مذاهب الرجعية التى تمخض عنها الفكر الاوروبى فى القرنين 19 و 20 ثم طبقها أعنى نظرية طهارة الدماء ونقاوة السلالات التى لا يعد صفاء الثقافات الا نسخة منها ولم يكن اذن مولد هذه النظريات التى ابتكرها اعداء الاستعمار فى أوروبا ونشؤوها فى تلك التربة صدف من الصدف ولو ان كاتباً تصدى لكتابة هذا الموضوع لكان بحثه شيقاً حيث يدرس العلائق بينها وبين النظريات المالية فى القرن 19 وما بينهما من صلة وشبهه وقرق ويبحث عن تاريخ العلماء الذين استعملوها وافكارهم الاجتماعية لو اعطى هذا الجانب حقه من العناية لافادنا ايما افادة فى الاطلاع على مآتى النظريات المذكورة وعلى كل فان فكرة (الاصل المشوب) التى نجدها ملازمة لفكرة الادماج الثقافى وتأييمه انما هي فكرة اوروبية وانما نتحدث عن (الاصل المشوب) لدى الآخرين (لا لدى الاوروبيين) ولنضرب مثلاً بالفرنسى أو الباريسى فى القرن العشرين ما هي بداية هذا

الشوب أو (التلوث) لديهما ؟ انها لمسألة عويصة فهل فقد هذا الباريسى طهارته الثقافية الى حد يجعلنا لا نستطيع الوقوف لها على أثر أم هل بلغت هذه الطهارة حدا من الحصانة تجعله فى مأمن من فقدائها وهل يوجد مكان فى الارض بلغت فيه العوامل المؤثرة ما بلغت فى باريس من القوة والعنف لا فى ميدان الازياء فقط بل فى شتى المجالات الفكرية حتى صار من العسير جدا ان نعثر فيها على تفكير أصيل .

وان هذه الملاحظة لتهمد لنا سبيل التنقل الى جانب آخر من هذه البحوث التى خصصناها - بفضل مجلة الاصاله - الى الدور الذى يقوم به الاجانب فى تطور العلوم التاريخية والاجتماعية فى هذه الفترة ، فترة ما بعد الاستعمار .

لقد عرف الادماج الثقافى - مبدئياً - بانه نتيجة الاتصال بين ثقافة غالبية وثقافة مغلوبة ومن هذه الحيثية نجد علم التاريخ أو علم الاجتماع المناهضين للاستعمار يعتبران عبارة (التغلب السياسى) مرادفة لعبارة (الثقافة الغالبة) كما يعتبران (الرضوخ السياسى) مرادفاً (للثقافة المغلوبة) فهل هذه المقاييس صحيحة ؟ كلا انها من الجانب التاريخى خاطئة فان التاريخ يفيدنا انه لا وجود لصلة ضرورية بين التغلب السياسى والتغلب الثقافى ولا بين الرضوخ السياسى والرضوخ الثقافى وليس معنى هذا انه لا يوجد أبداً وبصفة مطلقة أى اتصال بين الحالىين ولكن معناه ان الدولة الغالبة قد تستطيع ان تشجع صنفاً آخر من الثقافة الا ان القوانين التى تجرى

النتيجة وتأكيدا قبل الشروع في البحث واليكم بعض العبارات التي تنم عن اسلوبهم منها (ان الميدان اصبح مساعدا لتبين الامر الذي اردنا ان نبينه) (غرضنا ان تبين ٠٠٠ كان من اللازم ان تبين فيما بعد) (لقد حاولنا ان نظهر) .

وهكذا اصبحت نية عالم الاجتماع محصورة في التزكية لا في العرفان واصبح العلم خديم الايديولوجيا (ان لم نقل شيئا آخر ربما يكون اقبح) فليس من المستغرب ان نضم الى هذا المذهب فئة الماركسيين وتآليف فاليسو وايف لاكست وبرونان ونوشى فى بعض ما كتب .

ومما يؤكد ذلك ايضا موقفهم امام جماهير هذا العالم المستعمر الذي بقي ملحا على الرقص مخلدا الى العزلة الثقافية ما بقي الاستعمار والذي اصبح اليوم يعبر عن نفسه بهذه المجلة او عن طريق المظاهرات ومن بينها اسابيع ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى التى ليست اقل المظاهرات خطورة وشانا ولكنها تفاجئ القوم فيما القوه وتقلقهم فيما اقاموه من نظريات وارادوه من تبين وماذا عسى ان يكون موقفنا امام طريقة تخضع الحقيقة لايديولوجيا تحتوى انواعا من السلوك الثقافى غير متوقعة ولا مطابقة للبنية المعدة لها . فمما لا شك فيه ان بقاء مخلفات (أى روااسب لا يمكن تليها)

Résidus

يظهر لنا الى أى مدى ينتهى بنا التعجيل بالاقرار واستعمال الاساليب العلمية المشكوك فى صحتها وان الباحث الذى يؤكد عمله قبل ان يشرع فى بحثه ليوشك

على الحياة الثقافية غير القوانين التى تجرى على الحوادث السياسية ومعناه ايضا ان المفعول الثقافى ليس نتيجة زائدة ينتجها العمل السياسى ولنضرب عن ذلك مثلا واضحا معروفا وهو استيلاء روما على اليونان ان الرجل اليونانى الحر اصبح حينذاك ذميا رومانيا وصارت روما تسوس اثينا بواسطة مجلس شيوخها ولكن اثينا اصبحت تسوس روما بثقافتها وكذلك كان الامر عندما فتحت الشعوب الاخرى مملكة روما فأصبحت تدين للثقافة الرومانية بكل شيء لهذا ينبغي ان ندرس امور الثقافة دون ان نجعل للسياسة سيطرة مطلقة عليها كما انه لا ينبغي ان نستنهى بتأثير السياسة عليها الى حد تجاهلها وانما خير المواقف الوسط وحتى فيما اذا كانت السيطرة السياسية مصحوبة بحالة ثقافية سيئة فان الثقافة المغلوبة تنتقم لنفسها فى آخر الامر وتلك سنة مطردة أحسن مثال عنها اولئك الفرنسيون الذين ولدوا فى الجزائر ثم جلوا الى فرنسا بعد الاستقلال ويسمونهم (الارجل السود) *Pieds noirs* فاننا نجد لديهم من العوائد التى انتحلوها فى المآكل وفى الاسرة بل نجد غيرها من العادات لدى الجماعة الاوروبية التى لجأت الى فرنسا بعد الاستقلال الجزائرى وهى كلها تؤكد القاعدة المذكورة .

وهكذا كثيرا ما نجد التاريخ والاجتماع لدى المناهضين للاستعمار (فى الفترة بعد الاستقلال) يطبقون فى أعمالهم مجرد كليشاهات ويسلطون على العلم طريقة مضادة له ديدنهم الشروع باعلان

أن يترك ذلك الشيء المجهول يفلت من بين يديه وربما يكون المفلت هو الشيء الذي كان يبحث عنه بالذات .

واني لا ترك جانبا في هذا المقال ما نستطيع ان نسميه التاريخ المتعلق لانه هو ايضا امتداد للموقف الاستعماري الذي يرى انه حسب اولئك الذين يعاملهم معاملة الاطفال ان يقدم لهم من العلم اوهاما واحلاما ..

اننا اجتهدنا ما استطعنا في معالجة قضية التاريخ وجنسيته واستطردنا شيئا ما الى القضايا التي يطرحها تاريخ الجزائر خاصة . وقد اقترحت مجلة الاصاله عبارة (مؤرخين اجانب) ولكننا عالجنا التاريخ كما عبر عنه اجانب وحللنا طبيعة النوايا التاريخية التي افصحوا عنها بالفعل وبذلك تحاشينا الاغترار بالمظاهر والانخداع بالالفاظ وحرصنا قبل كل شيء على اثبات ذلك السطر الناري الذي يسطره الاستقلال في علم وصف التاريخ وغيره من العلوم والاشياء . فكل ما قد كان من قبل السطر لا يمكن ان يكون من بعده حتى ولو انه (نوايا حسنة جدا) .

وقد آن لنا الآن ان نبرح ميدان التحليل والتشريح وندخل نحن أيضا في ميدان المناظرة - بعد ان اعلنا هذا الدخول - متسائلين : هل يجب على علماء التاريخ والاجتماع الاجانب المعالجين لتاريخ الجزائر ان يكونوا مثل ذلك الجيش الفرنسي الذين قيل عنه انه دائما متخلف على أوانه بحرب ؟ هل يجب ان يفكروا كما في ذي قبل والواقع اننا في ذي بعد ؟ وان يبقوا عاجزين على

ان يحلوا المعرفة محل الاصطدامات ؟ ان ما نسميه بذى قبل لم يفد كل فريق الا بأشياء طليقة عن الفريق الآخر وذلك على الرغم مما قيل وعلى الرغم من جميع المظاهر ان الاجنبي الذي ينزل باقطار شمال افريقيا عقب استقلالها لا يظفر الا بافراد قلائل من ابناء جنسه ممن في وسعهم ان يفيدوه بما لديهم من التجارب والعظات كما لا يجد الا افرادا قلائل من الجزائريين يشعر لديهم انهم يعرفونه حق المعرفة حتى ولو كانوا من الذين يتكلمون لفته احسن منه وهكذا يتضح لنا ان هذه المصنفات التاريخية - من استعمارية ومناهضة للاستعمار - ما هي الا خطان متوازيان لا يلتقيان وامتداد لانعزال عنصرى متبادل بل انعكاس لصورة الاستعمار الغابر ان لم يكن رجوعا اليها وربما جاز لنا ان نصف هؤلاء بانهم قوم يحنون الى الماضي اجل ان احوال الاستعمار كانت تعوق المعرفة الحققة ولهذا يجوز الرجاء ان يكون الاستقلال عصر النهوض بها وحياتها .

ومن هنا تظهر لنا قيمة هذه البادرة التي بدت عن (مجلة الاصاله) فاستحققت بها كل شكر وثناء .

ان هذه المجلة التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية قد ضربت لنا مثلا عن نفسها فاقتربت علينا بحثا حول المؤرخين الاجانب لا لمحاربتهم ولكن لمحاورتهم حتى يجنح كل فريق الى التأمل والتدبر ففتحت على المصراعين ابواب اعمدها لجميع المعلقين والملاحظين .

فلتسمح لي ان أعبر لها عن شكرى اذ سمحت لي بالاسهام في هذا المجهود .

أضواء جديدة على تاريخ المغرب

إذا تمعن الدارس في الخطوط العريضة لتاريخ
العالم القديم في منطقة حوض البحر المتوسط ،
استرعت انتباهه عدة حقائق أساسية :

1 - سبق المنطقة الشرقية من بحر المتوسط
في الدخول إلى التاريخ ، وتسارع تطورها
الحضارى • ويتمثل ذلك في الحضارات الراقية ،
المصرية ، الكنعانية ، الإيجية •

2 - تأخر المنطقة الغربية من المتوسط حوالى
ألفى سنة ، ثم تدرج ليخولها في الحقبة التاريخية
في أزمنة مختلفة ، وعلى درجات متفاوتة من
التطور •

د. هشام الصقدي

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

وقد تم ذلك بتحريض قادم من المنطقة الشرقية، ويشتمل في تحركات بشرية : لفينقيين ، اتروسك ، اغريق الذين نقلوا معهم الادوات الرئيسية للدخول في التاريخ ، وفي مقدمتها الكتابة الابجدية : الفينيقية والاعريقية *

3 - باستثناء مصر ، تتميز المنطقة الجنوبية من حوض المتوسط بضالة المعلومات التاريخية عنها ، حتى ان فصولا عديدة من تاريخها ما تزال تتألف من صفحات غير مكتوبة ، يضاف اليها ثغرات تتخلل الفصول الاخرى ، هذا رغم ان بقعتين من هذه المنطقة المعروفة باسم شمال افريقيا : « ليبيا » ثم « الولاية الافريقية » اى تونس منحت اسمها مرتين للقارة السوداء . فكانت ليبيا سابقا ، وافريقيا لاحقا . هنالك اسباب عديدة يمكن ان تقدم كمبرر للوضع الراهن بالنسبة لتاريخ المغرب القديم . يرد في مقدمتها الوضع الجغرافي - المناخى الذى فرض نوعا من العزلة . نتج عنها بطء في التطور ، وخاصة في الانتقال من العصور الحجرية الى العصور التاريخية . ثم الوضع السياسى الذى شغل تاريخ المغرب بصراعات مع شعوب مجاورة ابر في التحضر : من مصريين ، وايبجيين ، وفنيقيين واغريق . وقد عبر المؤرخ جوليان بشكل مبالغ عن ذلك : « لم يصطدم التاريخ بالبربر الا عرضا ، وذلك عند اتصالهم بالشعوب الاخرى » (I) . وبالضرورة قام بتسجيل هذه العلاقات كتاب ومؤرخون وفنانون اجانب من ابناء الشعوب التى اتصل المغاربة بها ، فكان تاريخا مختزلا وحيد الجانب ، لا يخلو من تحيز *

ولم تتمكن الكتابة اللبية مثلا من التطور والوصول الى مرحلة يمكن فيها تثبيت اللغة فى واسطة نقل ادبية ، علاوة على تعدد اللهجات . اخيرا وليس آخرا ، فقد المغرب القديم معظم مصادر تاريخه الكتابية والمادية المباشرة خلال الصراع الطاحن بين روما وقرطاجنة ، وبعد هزيمة الاخيرة . مثلما فقد الكثير من مصادر تاريخه غير المباشرة والتى تغطي حقبات هامة من الالف الاول ق م . اثر هزائم مدينة صور ثم دمارها على يد الاسكندر الكبير ، واضمحلال المدن الفينيقية فى شرقى المتوسط *

اذا كانت العوامل السالفة تركت نتائجها السلبية ، والعميقة الاثر ، فى تاريخ المغرب القديم ، فلن يعنى ذلك ان الوضع الراهن للبحث سيستمر بالضرورة . واذا كانت مصادر تاريخ المغرب الكتابية تتميز بانها وحيدة الجانب حتى الآن ، اى انها من تأليف الآخرين - فان هنالك عنصرا يمكن ان يصبح معادلا لها من حيث القيمة التاريخية ، وهو المصادر المادية والكتابية المباشرة ، التى ما تزال تكمن عبر الأزمنة تحت تراب المغرب وفى مواقعه الاثرية . وهذه لم تلق بعد القدر الوافى من العناية والبحث . ثم تاتي المصادر المادية والكتابية غير المباشرة المتناثرة فى البلاد التى احتكت بالمغرب من قريب أو بعيد . ولعل من أغراض هذا البحث ان يلفت انظار المهتمين بتاريخ المغرب لا الى اهمية المصادر المباشرة فحسب ، بل الى الدور البالغ الخطورة الذى يمكن ان تقلعه المصادر غير المباشرة ايضا (2) *

المصادر المصرية :

ذكرنا ان تاريخ المغرب القديم مستمد الى حد كبير من حوليات وشواهد ومستندات مصرية أو ايجية ، أو فنيقية ٠٠٠ الخ . وتتميز المصادر المصرية حسيما تضمثها حوليات الفراعنة وافاريز رسوم حملاتهم بأنها تكاد تنفرد في القاء الاضواء على مرحلة ما قبل التاريخ المغربى . غير انها لا تصل الى مرتبة الكتابة التاريخية المنهجية التى سيكون المؤرخ هيرودوت أول من يمارسها بالنسبة لتاريخ المغرب (I) . كذلك لا تقتصر العلاقات المصرية - المغربية بالشمول ، بل تقتصر على المناطق الواقعة الى الغرب من النيل مباشرة - وخاصة فى الواحات الغربية - ولا تتعدى على ما يبدو قرينى او خليج السرت الكبير . أما المنطقة الممتدة وراء ذلك حتى شواطئ المحيط الاطلسى ، وافريقيا عامة فكانت أرضا مجهولة من المصريين . وقد اطلق هؤلاء على المناطق الواقعة غربى النيل اسما عاما هو imnt أى الغرب (2) كما اطلقوا اسم تهنو TEHENU وتميهو TEMENU وليبو LEBU وغيرها كثير على الجماعات المقيمة مباشرة الى الشمال والجنوب والغرب منهم . واستنادا الى الوثائق المصرية من حوليات الدولة الحديثة - وخاصة من عهد رمسيس الثالث - والتى تخبر عن جهود المصريين لضم مناطق الواحات الى مصر - يتبين ان ليبيا كانت تشمل منذ الالف الثالث على الاقل مناطق واسعة غربى النيل مباشرة (I) ، لا تنطبق مع معالم الحدود الحالية . وهذه حقيقة يشير اليها

هيردروت عندما يقول : « تبدأ ليبيا من غرب النيل وتمتد حتى الاطلسى ، ويحدها من الجنوب ارض الاثيوبيين السود ذوى الشعر الصوفى » (2) .

يسيطر على العلاقات المصرية - الليبية جهود الفراعنة المستمرة - منذ العصر الثينى 3000 - 2700 ق.م . أى منذ عصر الملكين العقرب وناومر - لدفع الليبيين الذين جذبتهم ثروات وادى النيل وأراضيه الخصبة ، وخاصة البدو سكان الصحراء الليبية . كذلك افقدهم الامل فى الوصول الى مناطق المدن والحضارة لنهبها او الاستقرار فيها ، وذلك عن طريق معاقبتهم خاصة انهم كانوا يتحالفون مع الثوار فى الدلتا . وهؤلاء كانوا يرفضون الاتحاد مع مصر العليا (3) . وقد درج فراعنة العصر الثينى ، والسلالات الاولى والثانية ، والدولة القديمة على اتباع هذه السياسة الدفاعية . وخلدوا اخبارها على اوايد تذكارية : كالمهرات الحجرية ، ولوحات مزج مساحيق الزينة . ومن أبكر هذه الوثائق التى تسجل مواضيع تاريخية لوحة لمزج المساحيق SCHNINKPALETTE

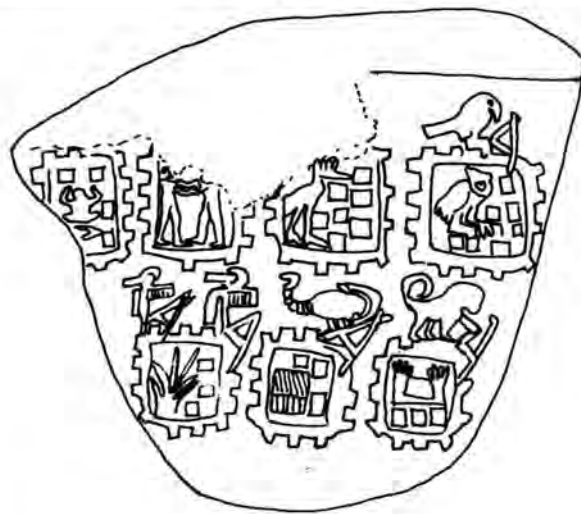
اصطلح الباحثون على تسميتها : « لوحة الحصون » ، تعرض مشهدا يرمز لانتصار حققه الفرعون الفامض المعروف باسم « العقرب » . فقد رسم على الوجه الاول للوحة (I) صورة سبعة مواقع محصنة بأسوار ذات أبراج تقوم حيوانات ترمز الى الملك - من بينها العقرب - بتهديمها (الصورة I) . وعلى الوجه الآخر يرى صفوف من ثيران وحمر واكباش متتالية ، وفى الاسفل اشجار (تين ؟) غنمها الملك العقرب من ليبيا . وهناك

لنفسه زوجة ليبية هي أم حتب - حيريس الشقراء (2) . ومنذ هذا العهد الباكر ستتخذ مصر موقفا متماثلا من الليبيين فتكرر عبر السلالات الواحدة والعشرين أى حتى غزوة شعوب البحر حملات الفراعنة وجهودهم لصدهم ، ويتكرر معها تسجيل هذه الاعمال على أوابد ووثائق الدولة المصرية بالكتابة وبالتصوير والنقش .

المصادر الايجية - الاغريقية :

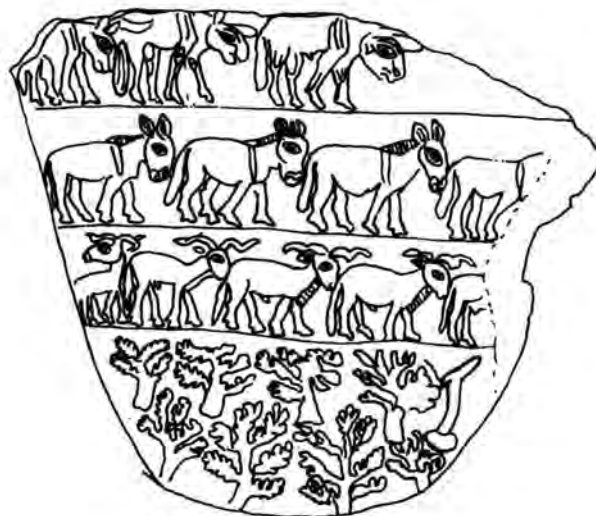
لم يكن البحر المتوسط خاليا من النشاط الملاحي ، قبل أن يسخر عبابه الفنيقيون والاغريق ، متجهين نحو الجزء الغربى منه ، بل كان الاخيريون ورثة حركة ملاحية نشيطة بداها سكان جزر السيكلار منذ الالف الثالث ق.م . فعرفوا مسالكه بمراكبهم المتطاولة ذات المقدمة المرتفعة (I) المنتهية بشكل سمكة . كما شاركهم المصريون بسفن « اعلى البحار » الشهيرة ذات المجاذيف الوفيرة ، وتلاهم ملاحو جزيرة كريت « الكفيتو » KEFITU العظام ، الذين يكثر ذكرهم فى النصوص المصرية ، وملاحو العالم الايجي وخاصة فى العهد الميكيني . وقد استعمل هؤلاء سفنا تدفعها المجاذيف الوفيرة ، بالإضافة الى شراع مربع الشكل ربط على السارى الاوسط فى المركب . ومما لا ريب فيه ان الثراء المادى الضخم والازدهار الحضارى الذى حققته الحضارة « المينوسية » فى جزيرة كريت « والميكينية » فيما بعد فى شبه جزيرة البليبيونيز ، يعود بالدرجة الاولى الى الحركة التجارية - البحرية الكثيفة التى تولتها اساطيل هذه المدن خلال الالف

الى جانب الاشجار العلامة الكتابية الخاصة بليبيا (الصورة I ب) ويستنتج المؤرخ الكسنسدر شارف من كل ذلك ان هذه اللوحة تخلص نصرا مصرياً على جيران مصر الغربيين المقيمين فى ليبيا (2) . وهناك اثر ثان قد يؤيد هذا الرأى ، هو هراوة للملك العقرب نفسه عثر عليها فى انقاض معبد العاصمة هيرا كوتبوليس ، تصور الملك يرتدى تاج مصر العليا الابيض ويحتفل بانتصار الجنوب على تحالف يتألف من مصريين وأجانب (3) . أما الملك آها أو (مينس ؟) - أول ملك فى السلالة الاولى - فهناك عدد من الاوابد تشير الى انتصاراته على اقوام الليبيين ومصرى الشمال . وبفضل حجر « بالرمو » نسمع عن حملة قادها الملك سنغرو (أول ملوك السلالة الرابعة) لحرب الليبيين ، انتصر فيها وعاد بعد ان غنم 11000 اسير و 131000 رأس ماشية (I) . ومن الجدير بالذكر ان وثائق السلالة الرابعة تقدم معلومات لأول مرة عن علاقات ذات طابع غير حربي فى العلاقات المصرية - الليبية . فحفيد الملك سنغرو - وابن خوفو بانى الهرم الاكبر - المسمى ددفرع يتزوج اخته من ابيه واسمها حتب - حيريس . وقد عثر على صور هذه الملكة فى مدفن ابنتها محاطة بكامل القابها الملكية . وخلافا للنساء المصريات تتميز حتب - حيريس بشعر اشقر وعيون فاتحة ، كما ترتدى ثيابا اجنبية . ويمكن اعتبارها أقدم ممثلة لليبيين الشقر « التميهو » ، الذين يدخلون لأول مرة عن قرب فى تاريخ الدولة المصرية القديمة . والمرجح ان الملك خوفو اتخذ



1

حيوانات الملك العقر - سديم المدنة المحصنة الليبية



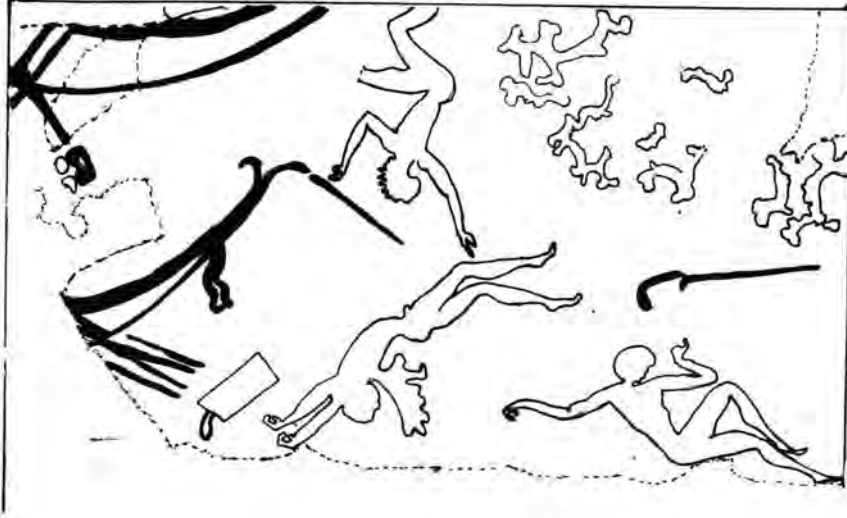
1 bis

عقبات الملك العقر - مع الدلائل التي ترمز إلى ليبيا

فكانت بعيدة الاثر ، بسبب الحريق والدمار الذي انزلوه بالمدن المزدهرة في الاناضول وعلى طول شواطئ سورية وحتى مصر من جهة ، وبسبب تغير موازين القوى في المنطقة من جهة اخرى (I)

قد يخيل للقارئ أن المغرب القديم بقي في معزل عن الفعاليات والتيارات البسافة الذكر ، والتي سادت المتوسط الشرقي خلال الالف الثاني ق.م . ولعل ندرة المصادر التاريخية المباشرة تبرر ذلك الظن . غير ان الواقع الجغرافي للمغرب وسير الاحداث التاريخية حوله ، تقدم دلائل قوية على ان المغرب ، خاصة شرقيه ، كان له

الثاني ق.م . فكان الحوض الشرقي للمتوسط يشبه بحيرة داخلية ، تتبادل الدول المطلة عليها المنتجات الزراعية والصناعية وخامات المعادن . ومع السلع انتقلت الافكار والتاثيرات الحضارية في كافة الاتجاهات ، وخاصة بين مصر والعالم الايجي ، وبين مدنه وعالم آسيا الغربية . ولم يوقف هذه الحركة الدولية النشطة في عالم ساهد تعايش دولي ، الا غزوة لشعوب همجية قدمت من اوروبا ، واجتاحت منطقة البحر المتوسط الشرقي في حوالى 1200 ق.م . وقد عرفت باسم غزوة « شعوب البحر » . اما الاثار التي خلفتها غزوتهم

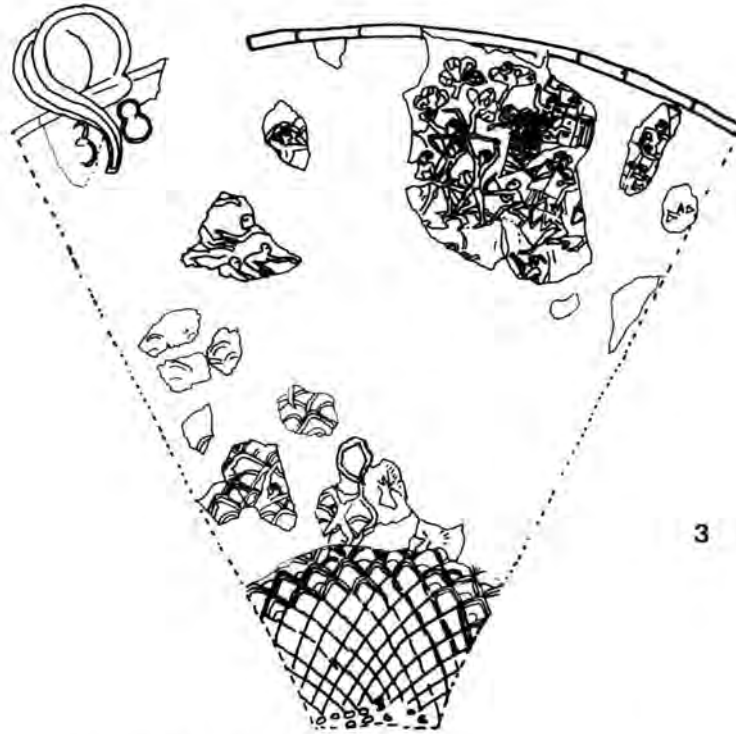


2

جنود قتل يخرقون في البحر قرب مركبين محلات لهم البني

وهي نفس المسافة بين كريت ومرفأ اثينا ، او
قيريني ودلتا النيل تقريبا . وبسبب قرب المسافة
كانت جزيرة كريت شديدة الصلة مع قيريني ،
أكثر من اتصالها مع بلاد اليونان الام (I) وكانت
الملاحنة من كريت الى مصر تمر في طريقين :
مباشر ، يتوقف على تهنيء طقس مناسب ورياح
غربية ، لكنه محفوف بالمخاطر - وآخر غير مباشر

دور هام . وتنظافر الادلة المكتشفة حديثا على دعم
هذا الرأي . وعلى رفع الضباب الذي يلف تاريخه -
تكفي نظرة الى خارطة البحر المتوسط لتبيان صلة
المغرب الشرقي (ليبيا) الوثيقة بتلك التفاعلات
فليبيا تقع مباشرة تجاه بلاد الاغريق الام ، التي
تؤلف جزيرة كريت واجتها الجنوبية . ولا يفصل
قيريني CYRENAICA عن كريت أكثر
من 300 كيلو متر .



مراكب مكيانية سلاهم مدينة على طرف الليس

يتجه الى قيريني ، ثم يتابع السفر الى مصر مستفيدا من الحُلجان والشواطئ الرملية على طول الساحل الليبي .

وهالك طريق ثالث طويل يدور عبر جزيرة قبرص والساحل السوري . ومما لا ريب فيه ان الطريق الى مصر عبر قيريني كان اسهل واسلم هذه الطرق البحرية . ولا يستبعد ان العلاقات الوثيقة بين الحضارات المصرية - والمينوسية ، الميكنية استفادت من هذا الواقع (2) كذلك لا يستبعد العالم ايفانز قيام علاقات مباشرة بين ليبيا والعالم الايجي .

هنالك حدث يمكن ان يقوم برهانا على قيام مثل هذه العلاقات ، ولكن في فترة تالية - يتمثل في اختصار الاغريق لمنطقة قيريني في منتصف القرن السابع ق.م لتأسيس خمسة مستعمرات . وقد قام مؤسسوا مدينة قيريني نفسها CYRENE من جزيرة ثيرا THERA ، التي تقع مباشرة شمال جزيرة كريت (2) .

وبالمثل لا يستبعد ان يكون المينوسيون قد أسسوا مستوطنات على الساحل الليبي - قبل ألف سنة ، ساهمت في التجارة الدولية . وخاصة في تصدير الثروات الزراعية والحيوانية التي اشتهرت بها ليبيا وفي مقدمتها نبات « السلفيون » SYLPHIONU (1) . ويستدل أيضا على قيام الصلات انذاك من العثور على نقش يصور مركبا منخفضا (في مقنة بين باجه وطبرقة) - زود صاريه الاوسط بشراع شكله شبه منحرف ،

يمثل المراكب المستخدمة في الالف الثاني . ويحمل المركب جنودا يرفع احدهم سلاح الفاس المزدوج الشائع استعماله لدى المينوسيين . وقد يكون من المفيد لدعم الرأي المؤيد لقيام هذه العلاقات ، ايراد الاساطير التي تدور حول الموضوع ، والتي لا بد وانها تحمل في طياتها قبسا من حقيقة تاريخية يماثل ما قدمته اسطورة طروادة . ومن ذلك ما يذكره ديودور الصقلي عن قيام ابطال الاغريق بتأسيس مدينة مشالة عقب عودتهم من حرب طروادة . وما تذكره احدي الاساطير من أن كورويوس الكريتي قذفت به العاصفة الى الشواطئ الليبية فعاد اليها مرة ثانية يقود سفينة (2)

اكتشافات جديدة من جزيرة ثيرا :

اشرنا الى ان اوائل المستعمرين الاغريق الذين تذكرهم المصادر التاريخية قدموا الى قيريني في القرن السابع ق.م من جزيرة ثيرا . وكانت للاغريق مع الليبيين معارك عديدة وعنيفة ، الى ان تم اختلاط العنصرين وتعايشهما . ومن جزيرة ثيرا نفسها ترد الآن اكتشافات تاريخية هامة تلقى اضواء جديدة على حقبة تاريخية تكاد تكون ضائعة . ولربما تؤدي هذه الاكتشافات الى اعادة كتابة فصول بكاملها من التاريخ القديم .

تم الاكتشاف الاول على يد بعثة من الاثريين اليونان برئاسة العالم سبريدون مايناتوس . وقد نقبوا مدة ستة سنوات للكشف عن موقع مدينة هامة في جزيرة ثيرا ، كانت مركزا هاما من مراكز

المينوسية ، وعمارة بحرية صغيرة معادية له - وكان مسرح المعركة على مبعدة من شاطئ احدى المدن الساحلية . وبعد ان تمكن المقاتلون المينوسيون من الظفر باعدائهم ، نزلوا الى اليايسة ودمروا المدينة ، واستولوا على ما فيها من اشياء ثمينة . وقد قام الفنان باعادة تركيب تفاصيل المعركة : فهناك رجال يسقطون في البحر من سفن غارقة (الصورة 2) وهم ينحدرون الى الاعماق ، وبالمقابل تقفز نسوة هلعات يائسات من ابراج المدينة . بينما يقوم الجنود الظافرون بدفع قطعان الاغنام والابقار المنهوبة .

وفي الواح أخرى نرى سكان مدينتين اخريين يرحبون بالمنتصرين . وهذه الاعمال تدور امام خلفية من مناظر الطبيعة التي تحفل بالاسود والوعول والنمور والفهود وحتى بالزرافات ، اضافة الى حيوان اسطوري له رأس وجناحي نسر وجسم اسد (جريفي) .

استنادا الى معالم وجوه السكان ، وانواع الحيوانات الاهلية التي كانوا يربونها ، والحيوانات الوحشية التي تملأ خلفية المنطقة ، يستنتج العالم ماريناتوس بان هذه المشاهد الحربية دارت على الشاطئ الليبي (I) ولربما كانت المدينتان المذكورتان اما مدينتي حليفتي للمينوسيين ، او مستعمرتين لهم . وقد قام أهل المدينتين على ما يبدو باستدعاء نجدة بحرية مينوسية لتساعدهم ضد مدينة غريبة او منافسة لهم . واذا كان ماريناتوس مصيبا في هذا التفسير للوثائق المصورة ، فان الافريز الملون الذي عثر عليه في

الحضارة المينوسية (نسبة الى الملك الاسطوري مينوس) ولحسن حظ المؤرخ ، كانت هذه المدينة قد ردمت تحت غطاء من الرمال والتراب الذي شمل المنطقة في حوالي 1500 ق م نتيجة انفجار بركان كبير فيها (I) . وبذلك سلم كثير من معالم المدينة من عوامل الفناء ، او من التلف على يد السكان التاليين .

هنالك في طليعة الوثائق المادية المكتشفة رسوم جدارية FRESCOES رائعة الجمال تعرض مشاهد طبيعية متنوعة : من سنونيات تحلق بين الازهار ، او غلامين يتلاكمان ، او رجل يركع في وضع العبادة ... علاوة على ذلك هنالك رسوم تعرض مشاهد تاريخية تتصل بشكل وثيق بماضي القوة البحرية التي ساعدت أهل جزيرة ثيرا على تكوين ثروتهم الضخمة . وقد عثر على هذه الوثائق في منزل تم اتقاذه من كتل الرماد في الصيف الفائت. وكان مزينا بافريز يبلغ طوله 630 مترا رسم بشكل عصابة تطوف بثلاثة من جدران المنزل . وقدم هذا الافريز المصور - بعد ترميمه - وصفا مثيرا « ملحة حربية » تماثل ملحمة طروادة ، الا ان الفارق بينهما - كما عبّر عن ذلك العالم ماريناتوس - ليتركز في ان ملحمة طروادة تتألف من شعر خطته يراعة كاتب ، وملحمة ثيرا تتألف من شعر صورته ريشة فنان .

مشاهد الملحمة :

تتألف اللوحة من سلسلة من المشاهد الصغيرة، لا يتجاوز ارتفاع احدها 40 سنتمترا . تعرض تفاصيل معركة حربية دارت بين اسطول من السفن

جزيرة ثيرا يدفع تاريخ ليبيا ألف سنة إلى الوراء ،
أى إلى منتصف الألف الثانى ق.م . « ولهذا
الاسباب يعتبر الافريز اثنى وثيقة تاريخية أمكن
الحصول عليها حتى الآن من بقايا حضارات عصر
البرونز » (2) .

تزداد قيمة اكتشاف الصور الملونة فى جزيرة
ثيرا إلى حد كبير إذا استطعنا الآن أن نضيف إليها
اكتشافا سابقا ، ظل أمره مهملًا مدة طويلة لحطاً
فى تفسيره . فقد عثر سابقا فى ما يسمى « القبر
الرابع » SCHACHTGRAB من القبور
المكتشفة فى مدينة ميكنى (فى شبه جزيرة
البيليبونز) (I) على اناء مخروطى الشكل صنع
من معدن الفضة RHYTON . وكان الاناء
الشمين من ضمن الممتلكات الشخصية الوفيرة
والغنية التى دفنت مع أمراء الاسرة الحاكمة فى هذه
المدينة . رسم على الاناء الفضى مشهد يمثل هجوم
محاربين ميكنيين على مدينة تقع على الشاطئ .
(صورة 3) . ويرى أهل المدينة يقفون على برج
واسوار المدينة ، وقد رفعوا أيديهم حلعا ويأسا ،
وهم يشاهدون المعركة التى تدور رحاها امام
اسوار مدينتهم بين الغزاة والمدافعين . وبالنظر
إلى ان المشهد المرسوم على الاناء قد تشوه وضاعت
أجزاء كثيرة منه مع الزمن ، فإنه يمكن فيما تبقى
منه رؤية محاربين صرعى ينحدرون إلى أعماق
المياه ، ومن المحتمل جدا ان المشهد كان يتضمن
صورا للمراكب البحرية التى اشتركت فى
المعركة . وفى خلفية الصورة ترى اشجار
(التين ؟) . ويمكن تمييز المهاجمين بخوذهم ذات

الدؤابة (2) ، عن المدافعين العراة وحاسرى
الرؤوس ، الذين يستخدمون القوس والنشاب
والسيوف ؟ . ويعود تاريخ الاناء الفضى إلى بداية
الثقافة الميكنية ، أى إلى القرن السادس عشر ق.م
اختلف المؤرخون حول المكان الذى دارت فيه
هذه المعركة . واعتمدوا انذاك على احتمال وجود
حيوان رسم ضمن الماء ، فسروه بأنه (فرس نيل)،
ليقولوا بأن المعركة يحدث أنها تمثل هجوما
بحريا على حصن أو مدينة للهكسوس واقعة فى
دلتا النيل ؟ وقد شك العالم شاخرماير فى صحة
هذا التفسير ونوه بأنه غير مؤكد (I) . وإذا قارنا
بين مشهد المعركة المرسوم على الاناء الفضى ،
والمشهد الجدارى FRESCO المصور فى
جزيرة ثيرا ، لراعنا التشابه التام فى الموضوع :
(معركة بحرية امام مدينة ساحلية) . وفى
التفاصيل : (محاربون صرعى يسقطون فى أعماق
الماء ومدينة تهزم) . هذا بالإضافة إلى الخصائص
الفنية المشتركة : فى أسلوب الرسم ، وفى دقة
التعبير عن الحركة الحرة فى سقوط الاجسام فى
الماء ، ومحاولة التعبير عن وجود الماء بشكل
تموجات تتكاثف مع ازدياد العمق . وهى جميعها
خصائص تتميز بها مدرسة الفن الايجي . أخيرا
يخلد كلا المشهدين ذكرى انتصارات هامة تعتمد
على غزو بحرى .

تقييم الشواهد التاريخية :

من المسلم به ان طبيعة المغرب ومناخه ساهمت
إلى حد كبير فى تطوره التاريخي . فعن هذه
المعطيات الطبيعية نشأت ثلاثية البيئة : من سهل

العلاقة بينها - الى الاصل الواحد الذي كانت تمت اليه .

واذا عدنا الى الشواهد المستمدة من الالف الثالث لاحظنا ان مصر مارست علاقات متصلة مع المغرب الشرقي (ليبيا) ، وبالمثل كان للمغرب في نفس الفترة (عصر البرونز الباكر) تأثيرات قوية على جزيرة كريت تظهر في انتقال فن العمارة الميجاليتية بابنيته المستديرة واسلوب بناء قببها ، ومن كريت انتقلت هذه التأثيرات الى جزر السيكلاد والى بلاد اليونان الام . وتشير لوحة الملك « العقر » على ما يبدو ، الى ان سكان ليبيا - مهما كانت حدودها الشرقية ، كانت لديهم منذ الالف الثالث مدن محصنة ، وزراعة ، وتربية مواشى وحيوانات اهلية وفيرة وملابس وعادات خاصة ، وملامح اتنوجرافية محددة ، وصلات مع مراكز الحضارات الاخرى . ولا يستبعد ان كانت ليبيا متحدة مع دلتا مصر في الاصل ولها دور سياسى وحضارى يعبر عنه « اخذ فرعون مصر التاج الابيض من ايدى الاجانب العظام الذين يحكمون الليبيين » . ثم حدث انفصال لاسباب اقتصادية تتعلق بطبيعة وادى النيل وضرورات اتحاد الجنوب مع الشمال . ولربما تشكل عودة الليبيين الى مصر في عهد السلالتين 22 - 23 رجوع الى البداية التي انطلقت منها العلاقات بين المنطقتين في باكورة التاريخ .

اما الشواهد عن العلاقات مع العالم الابيجى فقد جاءت لتؤكد حقائق عديدة وهى استمرار الصلات الحضارية خلال الالف الثانى ، ووجود المدن

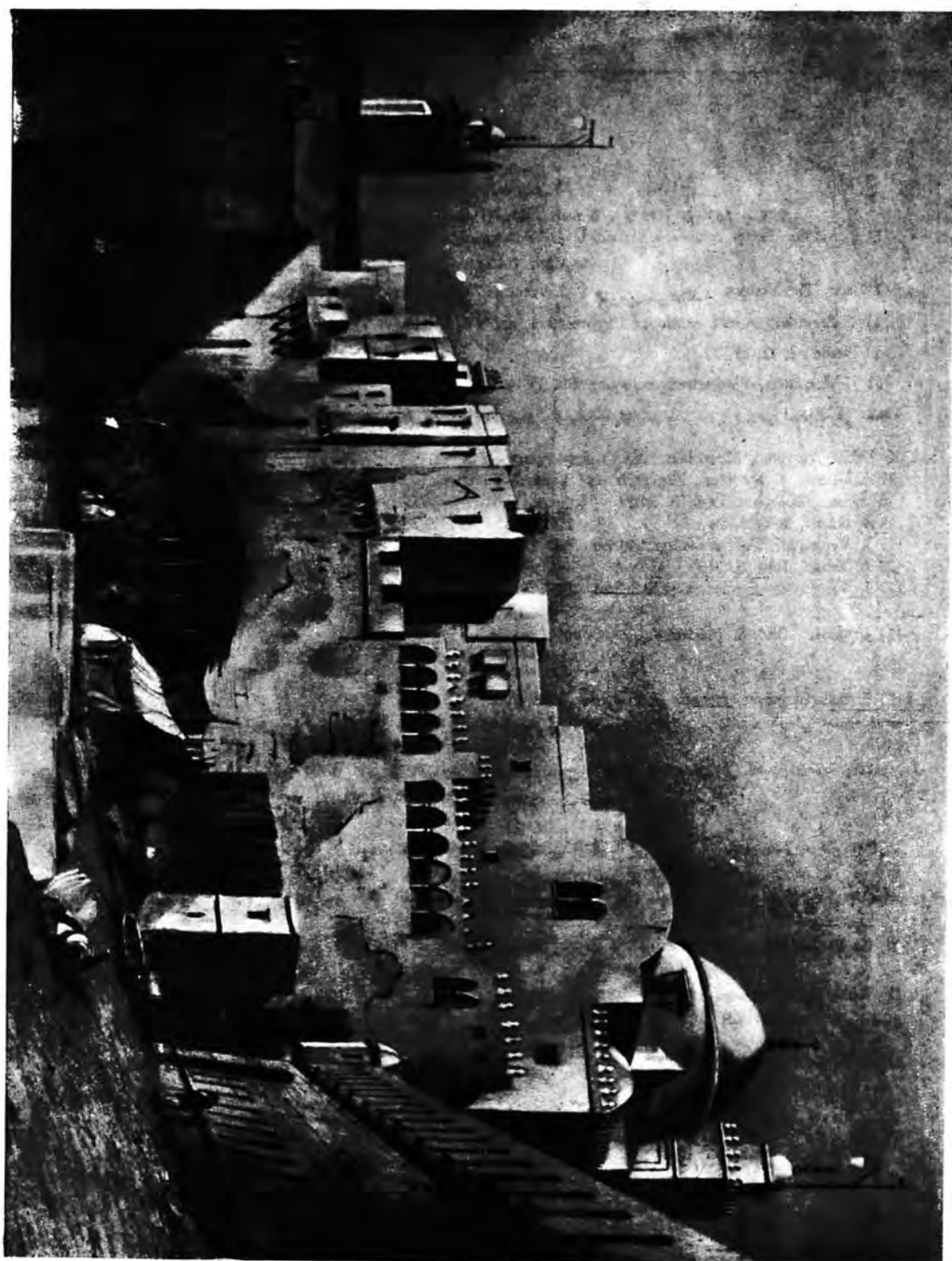
وجبل وصحراء ، ومنها تكونت ثنائيته الاجتماعية: بدو وحضر . ولقد انتج المغرب منذ العصور الحجرية حضارة رائعة فى المنطقة التى ستتحول الى « صحراء » ، بقيت رسومها الصخرية ، وأدواتها الحجرية شاهدة على قيامها وعلى صلاتها الحضارية بالمراكز المجاورة . أما السهل او شريط الحياة ، فانه غدا مع تزايد الجفاف فى الداخل ماوى للذين نزحوا عن مواطنهم السابقة ، ومهدا طبيعيا لقيام واحتضان حياة حضرية تعتمد على الاستقرار والزراعة وانشاء المدن . وبقدر ما كان تاريخ المنطقة الداخلية « الصحراء » غنيا بالشواهد عن ثقافة الصيادين الرعاة - لانها سجلت على مواد عسيرة على الفناء - تميزت منطقة السهل بقلّة المصادر والشواهد التاريخية فى المرحلة الهامة التى سبقت بداية التاريخ فى المغرب ، أى فى الالفين الثالث والثانى ق م الا ان هذه الظاهرة ليست دليلا على « لا تاريخية المغرب » ولا نعدو الحقيقة اذا شبهنا تاريخ المغرب القديم بصورة ضخمة من الموزاييك تبعثرت عبر الزمن الجزئيات الصغيرة التى كانت تتألف منها : فتشوه قسم ، وتحطم آخر ، وضاعت اقسام اخرى بفعل عوامل طبيعية وبشرية . ويمكن القول على ضوء الشواهد التاريخية التى قدمناها - من مصر ومن العالم المينوسى - الميكنى ومن المغرب نفسه - خلال هذا البحث ، بأن جزئيات من الصورة الضخمة تظهر مباشرة ، أو غير مباشرة ، نتيجة الصدفة حيناً ، أو نتيجة البحث التاريخى والتنقيب الاثرى احيانا . وهى تشير أى الجزئيات - حين يتم جمعها وتحدد

سترابون» عن بداية الزراعة والتمدن لدى اهله ،
والمؤرخون المعاصرون أمثال قوتيه وجولييان عن
« لا تاريخية المغرب القديم » ، ومما لا ريب فيه
ان الشواهد المقدمة تفتح أمام المؤرخ آفاقا جديدة
من تاريخ المغرب القديم ، وتضع أمامه مهمة شاقة
وممتعة بنفس الوقت لجمع المزيد من المعلومات ،
ولايضاح الدور الحقيقي الذي لعبه المغرب بالنسبة
للحضارة الانسانية .

المحصنة في المغرب الشرقي واستقرار الحياة
الحضرية فيه رغم وجود توازن مع نمط الحياة
المترحلة . وتكاد الوثائق الثلاثة التي قدمناها من
فترات ومناطق مختلفة تجمع على تأكيد هذه
الصورة من التطور ، مثلما تشترك في اعطاء
فكرة عن طبيعة العلاقات التي كانت سائدة
انذاك . والوثائق تكفي لدحض الافكار السلبية
على الاقل التي ارسخها المؤرخ سالوست عن
« بربرية أوائل سكان المغرب » ، والجغرافى

هوامش :

- (1) ش . جوليان ، تاريخ افريقيا الشمالية . تعريب مزال وين سلامة ، ص 70
- (2) راجع ه . الصلبي : نحو وعى الفضل لتاريخ الجزائر ، مجلة الاصاله ، العدد 8 ، 1972 ، ص 163 - 177
- (1) Herodote, Textes relatifs à l'Histoire de l'Afrique du Nord par S. Gsell Alger 1915, p. 9
- قارن تحديد هيرودوت لانحاء القبائل ومناطق انتشارها
- (2) راجع الجداول المقارنة لاسماء ومناطق توضع Libyans 1970, p. 39 f.f. المؤلف O. Bates, The Eastern
- (1) J. Breasted, ancient record of Egypte 1906, vol. IV, p. 213.
- (2) Herodote, II, 17, 32.
- (3) J. Vercoutter, Fischerweltgeschichte, Bd. II, s. 242 ff.
- (1) لم يبق الا النصف الاسفل من هذه اللوحة المصنوعة من حجر الادرداز ، ويبلغ طولها 28 سنتيمترا ، وهي مطوقة في متحف القاهرة ، راجع :
- (1) K. Lange Aegypten, Muenchen 1961, Taf.3 unten und S. 37.
- (2) A. Scharf, A. Moortgat, Aegypten und Vorderasien im Altertum, Muenchen 1950, S. 23-24.
- (3) A. Scharf, Ibid, S. 24.
- (1) J. Vercoutter, Fischer weltgeschichte, Bd. II, S. 256
- (2) A. Scharf, Ibid, S. 57.
- (1) J. Vercoutter, Egypte et préhellénès, 1954, P. 73.
- (1) راجع آثار غزوة شعوب البحر على شمال افريقيا ، وعسل ليبيا خاصة :
- (1) A. Scharf, Ibid, S. 164-169.
- (1) حدث الامبراطورية الرومانية جزيرة كريت وقيريني في ولاية واحدة
- (2) راجع
- (1) F. Schachermeyer, Aegaeis und Orient, wien 1967, S. 9-12.
- (3) عرفت المدن باسم « البتانبوليس » وهي : قيريني - برقة - برينيكه - آينوي - ابو اللونا ، واعطت قيريني اسمها كدالة المنطقة
- (1) انقرض السلفيون من ليبيا بسبب تهافت الاغريق الشديد على قطع وتصديره ، وقد استعملوه في تطيب الاعضاء والتداوي قبل معرفة نوابل الهند ، فساحموا بذلك في انجراف التربة الليبية
- (2) راجع جوليان ، نفس المصدر ، ص 73
- (1) انظر التقرير الموجز الذي نشرته مجلة « تايم » الامريكية عن بطى نتائج التنقيب في عدها السادس عشر ، عام 1973 ، ص 40 ، وصورة الجزء من المشهد
- (1) قابل وصف هيرودوت : اشترت الى الليبيين البدو الذين يسكنون على طول (شاطئ) البحر ، وفوقهم وفي داخل البلاد توجد ليبيا الحيوانات التوحشة
- (2) اعتمدنا في الوصف على تقرير مجلة « تايم » وعلى الصورة الوحيدة التي نشرت جزء من الافريز (صورة 1) ، ولا شك ان نشر بقية الصور سيمنح من اجزاء مقارنات واستنتاجات تاريخية اكثر دقة
- (1) Karo, Schachtgraben, 1930, Nr. 481, Taf. 122 Lhote
- (2) تشبه الخوذ التي يرتديها جنود مسينيون ودرست على اثار فخاري ، وهناك نموذج منها اشار اليه العالم فسمون رسوم الصحراء الصخرية
- (1) F. Schachermeyer, Ibid, S. 48, 63.
- في الحقيقة ليكن حيوان (فرس النيل) في تفاصيل هذا المشهد



الجامع الجديد بالقاهرة

الجزائر وأقطار العالم الثالث في نظر الإثنولوجيا في القرن التاسع عشر

من الشيق ان نتساءل كيف كان علماء
الانتولوجيا الاوروبيون في القرن التاسع عشر
يتصورون معشر الجزائريين وشعوب اقطار العالم
الثالث على العموم .

ومن المعلوم ان الاكتشافات الكبرى للهند
وامريكا التي جاءت بعد عصر الانبعاث الاوروبي
قد أثارت في أوروبا رغبة البحث عن الشعوب
القضية وما في معاشها من عجائب وغرائب كان
ذلك عند انتهاء القرون الوسطى المتسمة بالطابع

د. يوسف نسيب

استاد بكلية الآداب
جامعة الجزائر

المسيحي اللاهوتي التي كان شعارها (لا منجاة خارج حضيرة الكنيسة) معنى ذلك ان الشعوب الاخرى لا تكون بطبيعة الحال الا قبائل متوحشة . فكانوا اذن يربطون كل شيء بأوروبا ونظرتها الى العالم وأوروبا تنبعت (لتحضير) العالم بحضارتها فكان (بروسير) (1) يرى من واجبه تهذيب (كالبان) (2) وهكذا كان شكسبير من ذلك العهد قد طرح قضية الاستعمار على البساط .

ولكن القوة الغاشمة هي التي كانت تسيطر على الموقف آنذاك فكانت شروط اللعبة واضحة ويا للأسف حيث يعلم (كالبان) و (بروسير) كلاهما ان للجزيرة مالكا شرعيا واحدا ولكن الاول كان يتمتع بقوة السيف في حين كان الثاني لا يتحصن الا بقوة الحق .

وفي حوالى سنة 1830 (وهي سنة ذات اهمية تاريخية مزدوجة بالنسبة للجزائر) شرع التوسع الاوروبى واستثماره للاصقاع الغنية القصية يحاولان ان يدعما كيانهما الاخلاقي بدعائم من العلم فقامت المباحث الانتولوجية في بدايتها ابان القرن الماضى تلعب هذا الدور اى دور الحديم العلمى وبقيت مدة طويلة وهي تحمل في جبينها تلك الوصمة - وصمة الخطيئة الاولى - .

ونشر اوغست كونت نظريته سنة 1830 مبنية على نموذج التطور الثلاثى حسب قطبين احدهما يتمثل في جهالة التوحش والآخر في اشراق نور

الوضعية فاغرث هذه النظرية عقول الناس ومعنى ذلك ان اشراق نور الفكر وايناع بساتين الاخلاق انما هما في أوروبا ربة المحاسن اما مجاهل الجهالة وانحطاط الاخلاق فموضعهما في المجتمعات النائية القصية ذاك مع حكم به سداة الانتوجيا في بدايتها فاتحد الزمان بالمكان واطمئنت الضمائر بحصول هذا القران اى ان النائي القصى والبدائي الاصل اصبحا شيئا واحدا في ذهن الرعيل الاول من علماء الانتولوجيا كما ان القريب الداني والمتحضر المتمدن يمتزجان في الثقافة الاوروبية المعاصرة لهم .

ان ذنب المجتمعات (المباينة) هو مباينتها لاوروبا فهي اذن مجتمعات (ليس لها تاريخ) واتفق ان العالم (بوشى دى برت) عثر في حفرياتة وتنقيبه عما قبل التاريخ على بعض الادوات البدائية (سنة 1829) فخطا القوم بنظريتهم خطوة جديدة فقالوا ان الادوات التي تستعملها الفئات الافريقية وهي المسماة عندهم (بدائية) هي نفس الاشياء (تقريبا) او مثل الاشياء التي عثر عليها في الرواسب او الغيران (وبعبارة واحدة) : كانت الانتولوجيا الناشئة تظن أنها عثرت على الانسان الذى انقرض منذ آلاف السنين واندرست ثقافته وتعتقد انها وجدته حيا يرزق . . في المجتمعات التي سميت فيما بعد اقطار (العالم الثالث) . لا شك ان لهذا الانسان الذى نجا من غير الزمان ميزات عقلية وبيولوجية معينة فهو غير

1 و 2 ، بروسير وكالبان من الاشخاص القرائين الذين انشاهم شكسبير في روايته (العاصفة) يمثل الاول السيد المتحضر لحاصب الجزيرة ويمثل الثاني القوة المتوحشة النائرة ضد الفاضل

تتعرف على (الاهالي) وان تعلم ما هي المقاييس والحاجيات الموجودة في تلك الفئات حتى تكون مستعدة لمجابهة رد الفعل منها . ان بدرت منها بادرة فانه سدرت المباحث الانتولوجية الى مستوى وظيفة التطلع او الاستطلاع وهكذا شاهدت الجزائر عشرات من ضباط (الشؤون الاهلية) وصغار المعلمين والرحالين والمبشرين الغربيين يرتجلون علم الاجتماع ويعدون انفسهم علماء في معاش الاهالي.

أجل ان في بعض ما درسوه لفضلا اذ صوروا لنا طبق الاصل واقعا يصعب تحريفه وهو اليوم فوق المتناول لانه واقع زال وانقرض بل انهم تركوا لنا وثائق وحيدة في نوعها لانها ثينة وفريدة نقول ذلك (مثلا) عن القاموس الواسع الذي خلفه لنا الاب دى فوكو في لغة (تاماشك) وهي لغة ابناء الهجار ولو لم يبق بذلك العمل لكان من الصعب علينا اليوم ان نأتي بمثله ونقل مثل ذلك عن العمل الذي اتمه عسكري آخر وهو الجنرال هانوتو الذي جمع ديوانا حافلا عن القصائد القبائلية سجلها بالحروف اللاتينية حوالي سنة 1860 ومع هذا نلاحظ ان نية علماء الانتولوجيا في القرن الماضي لم تكن في غالب الاحيان علمية صرفة فقد كانوا ينظرون الى الاشياء بمنظار شعورهم بالتفوق وفي اطار الاحتلال والتغلب فكانت العينة الثقافية التي يحط بها اولئك الحاطبون في غاب العجائب والغرائب والنوادر والشواذ

قادر على (التنظير) أي انشاء نظرية - ذاك ما ما زعمه باحثو المدرسة الاحيائية وهو ايضا متقيد بالمحاكاة أي التقليد ، محكوم عليه بالركود وعدم التطور هذا هو الانسان المتوحش العاجز عن تصور المعاني وادراك ما بينها من ارتباط محمول على اللجوء الى (التصورات الجماعية) أي الى مزيج من العقل والعاطفة . وهكذا نشأت نظرية *causalite mystique* (التعليل العقائدي

الغامض) (I) التي اصبحت احدى دعائم الفكرة التي اطلق عليها صاحب كتاب (النفسية البدائية) عبارة (ما قبل العقل) *PRELOGIQUE*

وقد كانت هذه الصورة في حقيقتها تمهيدا يزعم نفسه علميا وهو داخل في الاطار السياسي الذي وضعه الاستعمار فالانتولوجيا في القرن التاسع عشر وظهور الظاهرة الاستعمارية فرسا رهان ورضيعة لبان احدهما يساند الآخر اما عن قصد او بدون قصد فاذا شرح لنا المتحضر حالة المتوحش غارقا في الجهالة تمين اذن تهذيبه وتمدينه واسرع القوم الى اصدار حضارتهم وابرمت الصفقة التي نعرف محتواها فان ما زعموه من (رسالة تمدين) ما كان الا دعوى خاطئة يستظهر بها مجتمع غالب لاستعباد مجتمع مغلوب على امره والقضاء على كيانه الجسمي والثقافي وان جميع عمليات الابادة تتخذ ستارا من الحياء والاخلاق تنسجه على منوالها الخاص .

وما ان استقر المصير في بلد المغلوب حتى طفتت الادارة الاوروبية تحاول بجميع الوسائل ان

1 (من معاني (مستيك) بالفرنسية العقيدة التي يكون مبعثها العاطفة وقد عبرناه بالمعقائدي لا الصوفي وهي من معاني مستيك

معرضة للتشويه والتحريف حتى فيما يكتبونه
لنعتها ووصفها *

أما التحليل نفسه فنهايك به من تحليل ! ان
غاياته الاساسية مشبوهة اذ يرمى الى اخبار
السلطة المتعسفة فلا مناص من أن تكون الدراسات
كلها تهدف الى تزكية الواقع الاستعماري
وتبريره * الم يكن الهولنديون (من سنة 1870)
يعلمون حكام مستعمراتهم في المحيط الهادى علم
الانتنولوجيا ؟ أما فى بلادنا الجزائرية فقد كان
عدد كبير من حكام (الاحواز المتزجة) يصفون
الاهالى وما فى حياتهم من أشياء ملهية او مخيفة
فنظروا الى الحياة الريفية بهذا المنظار لذلك نجد
عددا كبيرا من النصوص التى تصف المظاهر
الدينية عند الجماهير الشعبية كمناظر غريبة فى
نفسها ولكنها مخيفة فى عواقبها والتفتوا الى
الزوايا بمزيد العناية لانها كانت تحتضن أصل
المقاومة التى لا تقهر وثارت نقمة هانتوتو على
(الطريقة الرحمانية) لانها سببت ثورة (بوغلة)
فى عهد المقرانى *

وفى الحقيقة لم يكن علم الانتنولوجيا
الاستعمارية علم الانسان الشامل ولم يبحث فى

مختلف حضارات آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا
والمحيط الهادى للتقريب بين شتى هذه الحضارات
ولم يهتم بنفسه كدراسة تفارقية بين الفرق
والحضارات باعتبارها حرة متساوية فى الحقوق
ولكنه جعل افتراضه ونتيجته فى حين واحد أن
المجتمعات فيما قبل الطور الصناعى (ولا سيما
مجتمعات ما قبل الطور الكتابى)
اعنى المجتمعات التى لم تيسر لها اسباب
تاريخية معينة معرفة الفحم والآلة الصناعية
كلها فئات منحلة أى ان القوم طبقوا علينا أوهاما
من الحكم أو أحكاما من الوهم لا قبل للعلوم بها

ان الباحثين فى عالمنا الثالث لجد شاعرين بهذا
التحريف للواقع والتشويه للحقيقة وقد آن لنا -
حيث طوينا تلك الصفحة من مغربنا - أن نجعل
بلادنا فى علم الاجتماع ذاتا تبحث عن نفسها لا
موضوعا يبحث فيه وقد حان أن نرجع علم
الاجتماع البشرى الى منزلته الحقيقية والى رسالته
الحقة التى تجمع كل صفات الوضعية والخصوبة
والواقعية والحرية بل تتضمن أيضا - ولم لا ؟ -
أصول المقارنة والمناظرة *

المؤرخون الالمان والجزائر

ليست علاقة المؤرخ بالتاريخ هي علاقة الرحالة به ، فارتباط المؤرخ بالتاريخ اوثق ، وصلته به امتن ، ومع ذلك يمكن ان يعتبر الرحالون الالمان الذين كتبوا عن الجزائر ، مؤرخين بشكل او بآخر . فمن النادر ان نجد بينهم من لم يهتم بتاريخ الجزائر في طور من أطوارها ، ويحاول ان يقدم صورة عنه ، ولو كانت مختصرة غير وافية . وكثيرا ما تكون هذه الصورة المختصرة تمهيدا لدراسة نفسية الشعب الجزائري ، وعاداته وتقاليده ، وأساليب حياته وطرق معيشته ، ولما تخلفه الاحداث التاريخية في ذلك كله من آثار وسمات خاصة ، وبعبارة موجزة لربط ماضيه بحاضره . وهذا ما يجعل هذا الرحالة يختلف عن ذلك في تناول التاريخ واختيار الفترة الملائمة للجوانب التي يريد معالجتها .

د . ابو العيد دودو

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

مواطنيه ، سبق لهم ان وصلوا الى الجزائر مع الحملة الفرنسية . واستمد بعض معلوماته من جهة اخرى من الجزائريين ، الذين اتيح له ان يقيم معهم علاقات ودية . وحين بنحدرت عن العقيدة الاسلامية وتاريخها وتعاليمها يلجأ شيمبر الى من كتب عن هذا الموضوع قبله ، وما ذكره يشبه الى حد كبير ما ورد في كتاب الراهب الفرنسى دان « تاريخ البرابرة والقراصنة » ، الذى نشر سنة 1637 ، مما جعل حديثه هذا ذا صبغة صليبية واضحة ، ولكن صليبيته هذه تنعدم بمجرد ان يبدأ بوصف علاقاته بالجزائريين وصلاته بهم .

واذا كان شيمبر قد اعتمد على مراجع أغلبها اجنبية ، خاصة فى حديثه عن تاريخ الجزائر ، فان مواطنه فرديناند فنكلمان يعتمد فى كتابه « تاريخ احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين سنة 1830 » ، وقد أصدر كتابه عام 1832 ، على سيمون بفايفر وعلى مصادر فرنسية متنوعة ، ولا سيما كتاب ضابط الحرس الفرنسى رونودو ، الذى ترجم الى الالمانية ونشر سنة 1830 ، واستفاد كذلك مما كتبه الشاعر الايطالى فينيو بناتى فى مؤلفه « مغامرات فيليبو بناتى وملاحظاته عن سواحل البلدان البربرية » . وقد ترجم الى الالمانية ايضا وصدر سنة 1824

اما الامير النمساوى فريدريش شغار تسنيرغ فقد شارك فى الحملة الفرنسية ، وهو لهذا شاهد عيان فيما يخص تاريخ الاحتلال ، مما يجعل لكتابه أهمية كبيرة . وتقوم الفصول الاخيرة من كتابه

وكانت مصادرهم متنوعة ، وتأتى فى الدرجة الاولى المصادر التاريخية المحضة وكتب الرحلات ، سواء كانت الالمانية او اجنبية ، ثم التجارب الشخصية والروايات الجزائرية والاجنبية . وهذه المصادر الاخيرة فى نظرى أهم بكثير من غيرها ، لانها تقوم على شهادات أناس عاصروا الاحداث ، وشاهدوها عن قرب ، وعرفوا حقيقتها والطريقة التى تمت بها ، وقلنا يلحقها التشويه ، خاصة اذا كانت قد صدرت عن انسان عادى ، لا مصلحة له فى التزوير ، وسجلت من طرف رحالة نزيه ، ولو انه من الصعب التاكيد من نزاهته .

ولعل سيمون بفايفر هو الالمانى الوحيد ، الذى اعتمد على تجاربه الشخصية وعلى ما سمعه من أفواه الجزائريين . فقد أكد (أنظر رحلاتى وسنوات سجنى ٠٠٠ ص 101) انه ينقل ما رواه له الجزائريون . صحيح انه لم يقدم أى ضمان على صحة ما روى له ، ولكنها فى اعتقاده ، توضح بعض ما ورد فى المصادر الفرنسية . وقد تكون هذه التحفظات ، التى ابداهها بفايفر ازاء الروايات الجزائرية ، دليلا على صدقه ونزاهته ، ولعل هذا ايضا ما حمل مقدم كتابه فريدريش شميتهنر على أن يصف كتاباته (ص 5) بأنها تمتاز بالبساطة والصدق .

واعتمد فيلهلم شيمبر على ملاحظاته الخاصة وعلى ما حدثه به بعض الجنود ، الذين شاركوا فى عدة معارك ، وكان لهم دور فى بعض ما وقع من جرائم واعتداءات ، وكان من بينهم عدد من

ويعتبر موريتس فاغنر أفضل من غيره بكثير ، فقد تناول في كتابه « رحلات في ولاية الجزائر في سنوات 1836 ، 1837 و 1838 » ، 1841 ، المصادر ، التي اعتمد عليها . تناولها في المقدمة ، وهذا ما لم يفعله غيره من الرحالة الألمان على هذه الصورة . فآخذ على الرحالة توماس شو الانجليزى وبيصونيل الفرنسى ، وقد نشر كتاب هذا الأخير « رحلة في سواحل البلدان البربرية » عام 1838 ، ان كتابيهما يتسمان بالجفاف ويهتمان بجانب واحد ، ويقول فاغنر (ج 1 ص 17) ان المؤلفين قد وجها اهتمامهما لدراسة الآثار ونسبها في غمرة ذلك الانسان ، الذى هو على حد تعبير غوته ، أهم شيء فى أى مكان كان . ويشكو المؤلف الألماني (ص 18) من عدم صدور كتب جيدة عن الجزائر منذ الاحتلال ، فالكتب العشرون او الثلاثون ، التي صدرت حتى ذلك الحين ، تقتصر على معالجة الناحية السياسية او الناحية الاستعمارية ، ويفضل من بينها « الحوليات الجزائرية » لبيليسى . ويعترف فاغنر : لا يعرف من كتب الرحلات الحديثة سوى ثلاثة كتب ، أما البحوث العلمية فهي متناثرة فى المجلات المتخصصة .

وهذه الكتب هي « رسائل من الجنوب » لتوماس كامبل ، و « سيميلاسو فى افريقيا » لبوكلر - موسكاو ، و « رحلة فى ولاية الجزائر » لروزيه . ويصف الاول بأنه كان دون شك شاعرا أنجح منه رحالة ، فما يجده الانسان عنده أقل مما يجده فى انطباعات السائح العادى . ويصف

« التفاتات الى الجزائر واحتلالها من طرف القوات الملكية الفرنسية فى سنة 1830 » ، الصادر عام 1837 ، على ملاحظاته الخاصة ، التي كان قد حرص على تسجيلها فى يومياته فى حينها . أما الفصول الاولى ، التي يحتوى عليها القسم الاول ، فقد اعتمد فيها على الرحالة الانجليزى توماس شو ، صاحب كتاب « رحلة توماس شو فى ولاية الجزائر » ، الذى صدرت ترجمته الالمانية فى سنة 1765 ، واعتمد كذلك على ف . شيلز ، القنصل الأمريكى ، مؤلف « موجز الجزائر » الصادر سنة 1826 .

وسلك الطبيب الألماني أدولف فون شونبيرغ نفس المنهج ، فقد شارك هو الآخر فى الحملة الفرنسية ، وسجل فى الفصل الاول من كتابه « نظرات على الاحتلال الأخير للجزائر وتاريخها واستعمارها الحديث » ، الذى نشره عام 1839 ، اليوميات ، التي كتبها فى الميدان . وتناول فى الفصل الثانى ثمانية من دايات الجزائر ، ابتداء من الداي مصطفى (1798 - 1805) الى حسين باشا ، الداي الأخير . وقد كتب تاريخهم ، فيما ذكره فى المقدمة ، اعتمادا على معلومات ، زوده بها شخص ، لم يذكر اسمه ، عاش فى الجزائر أيام الحكم التركى مدة طويلة ، وكان شاهد عيان لبعض ما رواه من اخبار ومعلومات ، ولكن شونبيرغ لم يكتف به ، بل استعمل مصادر أخرى لم يحدد طبيعتها . وكانت مصادر الفصل الثالث والأخير ، الذى تناول فيه المناخ الجزائرى والحركة التجارية والصناعية ، فرنسية بحتة ، من ضمنها بعض الوثائق والتقارير الرسمية .

الثاني بأنه أكثر سطحية من الاول وأنه أصح لوصف الحياة في قصور النبلاء منه لوصف الحياة البدوية واكتشاف حقيقتها . ويفضل الثالث عليهما (ص 91) ، ولو أنه اكتفى بوصف مدينة الجزائر والبلدية والمدينة ووهران ، ويشن فاغنر على مواطنيه شيمبر وميليتس .

ويذكر فاغنر (ص 21) أنه كتب القسم التاريخي عن الجزائر بعد دراسة دقيقة للمصادر القديمة والحديثة ، واستمد معلوماته عن تاريخ الجزائر الحديث من الحوليات الجزائرية لبيليسي، ومن محادثاته مع بعض الشخصيات الهامة ، التي عاشت الكثير من الاحداث التاريخية ، فنقل عن صديقه الضابط السويسري مورالت قحة اللقاء ، الذي تم بين الامير عبد القادر وبوجو في التافنة واخذ فاغنر أيضا بعض المعلومات عن المارقين الالمان ، الذين عاشوا في الجزائر مدة طويلة ، وخاصة مارق يدعى بودوان ، قال عنه انه أصبح عربيا بأنم معنى الكلمة ، يحسن اللغة العربية ، ويتكلمها مثل أي رجل من رجال الدين . ثم الماني آخر ، اتخذ اسما عربيا ، وهو بن حميدو ، وكان اسمه الحقيقي غايستينجر ، حارب الى جانب الامير في عدة معارك ، منها معركة المقطع الشهيرة ، وكان فاغنر قد التقى به أيام اقامته بمعسكر ، عاصمة الامير . وبعد معركة المقطع وجهه الامير الى المغرب ليسلم هدية الى السلطان مولاي عبد الرحمن ، وهي عبارة عن عربة للذخيرة ، غنمها الامير في معركة المقطع .

ويذكر فاغنر ان الامير قال لغايستينجر عند

سفره الى المغرب : « ابق هناك اذا شئت » . اما اذا كنت تجبني ، فما بي حاجة الى ان أمرك بالعودة . » وسافر الالماني ، وكان قد أسلم في أثناء ذلك ، الى المغرب ، واشترى مقهى بالمسال الذي زوجه الامير به . ولكنه عاد في النهاية الى سيده الامير ، فعينه مديرا لمصنع الذخيرة بتلمسان . ويضاف الى هذين الالمان آخرون ، هما فندلين شلوصر ، مروض السباع في قصر باي قسنطينة ، وسند ، مدير معمل الاسلحة في المدينة نفسها . وكان هذا الاخير قد وقع في الاسر بعد انضمامه الى الفرقة الاجنبية ، فحمل الى المرباط سيدي علي بن عيسى في بلاد المجرجة ، فأرسله هذا الى باي قسنطينة الذي زوجه واعطاه دارا وزوده بالمال لفتح معمل للاسلحة (ص 391 ، ج 2 ص 332) .

ويعترف المؤلف (ص 21) بأنه قد اخذ بعض المعلومات عن المواطنين الجزائريين . وقد حضر بنفسه أحداثا بالغة الاهمية ، فسجل في كتابه ما شاهده في الحملات الثلاث ، التي شارك فيها عضوا في اللجنة العلمية ، وهي حملة البليدة ورغاية ، وقسنطينة . واستمر فاغنر يسجل مذكراته الى ان ترك الجزائر في شهر يوتيه سنة 1838 ، وذلك بعد ان زار جميع المناطق ، التي كانت فرنسا قد احتلتها في ذلك الحين ، وبعض المناطق التابعة لدولة الامير عبد القادر .

اما كارل فون ديكر فقد رجع في وضع كتابه « الجزائر والحرب الدائرة هناك » ، الذي نشر عام 1844 ، الى كتابات بيليسي ، وبوكلر موسكاو ، وروزيه ، وفاغنر . وكان قد زار الجزائر عام 1842

تكاد تكون واحدة عندهم جميعا ، فهذا ما تثبتته لنا تصريحاتهم على الأقل . لقد اعتبر الألمان احتلال الجزائر أهم حادثة وقعت في القرن الماضي ، وقد رأوا ما سيكون لهذا الاحتلال من ابعاد سياسية في أوروبا وأفريقيا على حد سواء . فقد فتح امامهم أفقا جديدة ويسر لهم سبل الهجرة والمغامرة . والهجرة تتطلب معرفة بظروف المهجر وأوضاعه المختلفة ، ومن هنا كان لابد للمهاجر من كتب وأدلة سياحية ، وخاصة اذا كانت البلاد ، التي يريد ان يهاجر اليها ، خصبة التربة ، فاتنة المناظر ، شاسعة الاطراف .

ولم يدع بفايفر صراحة الى الهجرة ، ولكنه يتحدث (ص 231) عن روعة الجزائر ، وخصوبة أراضيها ، فيقول : « كثيرا ما فكرت ، بعد عودتي الى أوروبا ، في دولة الجزائر ، في وضعها السابق ، وفي وضعها الراهن ، وفي الوضع الذي يمكن ان تكون عليه في المستقبل . لقد ألتنى ان تظل هذه البلاد الرائعة في بعض اجزاها ، الغنية بمنتجاتها ، التي يمكنها ان تمد الملايين العديدة بالطعام والغذاء ، وتكون بالنسبة لاصحابها الجدد ذات منافع لا حدود لها . هكذا قفراء غير مستغلة ، لان الفرنسيين اقتصرُوا في صراعهم مع أهلها على الجزائر وحدها تقريبا » .

ويرى شقار تسنبرغ (ص 3 - 4) ان ما حدث في افريقيا قد جلب اهتمام الرأي العام ، نظرا الى ما سيكون للوجود الفرنسي في شمال القارة من اثر كبير في تاريخ العالم ، ولذلك فان كتابه سيكون ذا أهمية كبيرة ، لانه يتضمن وصفا متنوعا

ليكون قريبا من أحداث الحرب وأوضاعها . وأوضح ديكر في مقدمة كتابه انه لا يريد كتابة تاريخ الحرب الجدير بالاهتمام ، فتاريخ ذلك كله لم يكن بعد وقت كتابته ، وانما أراد الحديث عن الحرب الجارية في الجزائر . واعتمد ديكر كذلك على ما كتبه فريدريش شقار تسنبرغ ، ونقل بعد فقره ليستشهد بها .

ويصف ديكر كتاب فاغنر بأنه احسن كتاب صدر عن الجزائر باللغة الألمانية ، ويحذر القارئ من ان يتصور ان موريتس فاغنر متعصب لفرنسا ، لانه اهدى كتابه الى ولى العهد الفرنسي ، فالواقع خلاف ذلك ، وينصحه بالمضى في القراءة ، حتى يكتشف بنفسه عكس ما يوحي به الاهداء . فمواطنه في نظره بعيد عن التعصب ، وكان همه الاول والاخير اعطاء صورة صادقة عن الجزائر في جميع الميادين .

وهناك من الرحالين الألمان من لا يعتمد على من سبقه اطلاقا ، وانما يكتفى بتسجيل تجاربه الخاصة . وهذا ما فعله كليمنس لامبينغ في كتابه « مذكرات عن الجزائر » ، الذي نشره سنة 1844 ، اذ وصف فيه اصداقائه الجزائريين وحياتهم ، وتحدث عن اهتمامتهم العامة ، كما وصف بعض المعارك التي شارك فيها ، وكذلك المناطق والمدن ، التي زارها وأقام فيها فترات متفاوتة .

ومن الضروري ان نتساءل بعد هذا عن الاسباب ، التي حملت الألمان على الاهتمام بالجزائر ، والعناية بتاريخها ، والحرص على وصف مظاهر الحياة فيها بدقة . والواقع ان هذه الاسباب

الالمانى يقوم باصلاح الاراضى الى جانب المستعمر الفرنسى . والعالم الالمانى يعمل مع العالم الفرنسى لاكتشاف تاريخ شمال افريقيا القديم . والغريب ان يفخر فاغنر أيضا بأن الهدف من ذلك كله هو نشر الحضارة والحرية فى الاراضى الجزائرية ، التى كانت فى القديم مزدهرة عامرة ! ويرجو فاغنر (ص 20) بعد ذلك ان يكون كتابه دليلا امينا للسائح والمهاجر ، الذى يريد ان يستقر فى الجزائر بصفة دائمة ، ومصدرا مهما لمن يهتم بدراسة الشعوب وطبائعها واسلوب معيشتها . ويؤكد بدوره على الاهمية ، التى يكتسبها شمال افريقيا يوما بعد آخر ، لان فرنسا ، فى نظره ، ستعلم سكان الجزائر ان وظيفة الانسان لا تتمثل فى محاربة اخيه الانسان ، وتمزيق لحمه ، واهمال اراضيه الجميلة الحصبة المعطاء !

ونجد لودفيغ بوفرى فى كتابه « الجزائر ومستقبلها تحت الحكم الفرنسى » ، الذى صدر سنة 55 ، يمثل نفس الافكار ، فهو يعتبر الجزائر بلادا صالحة جيدة . يمكن استعمارها واستغلالها ، ويقدم نصائح الى ابناء بلاده الراغبين فى الهجرة ، ويشير الى ان هناك احكاما مسبقة ، تتعلق بالهجرة الى الجزائر ، مبعثها عدم معرفة البلاد على حقيقتها والاطلاع على اوضاعها من جهة ، وجشع بعض الالمان الذين وصلوا الى الجزائر من جهة ثانية . ويؤكد (ص 18 - 19) ان الرغبة فى نفع مواطنيه والحيلولة دون هجرة الاسر بناء على ما يشيعة بعض المخادعين هو الذى دفعه الى وضع كتابه هذا .

وبعيدا عن التحيز للحملة الفرنسية ، كتبه شاهد عيان . ويعتقد ان القصص التى تاتي متأخرة فى التاريخ تعتبر اصدق من الاخبار الاولى ، لان هذه غالبا ما تكون متحيزة . تتحكم فيها الاحكام المسبقة . ويؤكد على ضرورة المعلومات ، التى يقدمها فى كتابه بالنسبة للمؤرخ والسياسى والعسكرى . فالنزول فى شواطئ قارة اجنبية يتطلب معرفة كاملة بخصائصها واطوارها السياسية واجواء مناخها وطبيعتها ، لا سيما وان موالي شمال افريقيا ستكون ذات اهمية كبيرة بالنسبة لاوروبا .

ويقدم شيمبر (ص 160 وما بعدها) نصائح لمواطنيه ، الذين يرغبون فى الهجرة الى الجزائر ، فينصحهم بعدم الاختلاط بالسفلة والادبائش ، الذين قدموا الى الجزائر للسلب والنهب ، ويحدد لهم الاماكن ، التى لا يتعرضون فيها لهجمات العرب ، ويصف لهم الطرق ، التى يجب اتباعها للحصول على رخص الهجرة من الدوائر المعنية ، كما يحدثهم عن وسائل العيش فى الجزائر وغلاء المعيشة . ويحذروهم من الالتحاق بالفرقة الاجنبية ، ويطلب منهم ان يتجنبوا تلك التصرفات التى صدرت عن بعض مواطنيه ، وكانت تسيئتها ان اصبح الاسم الالمانى محتقرا فى الجزائر .

ويفخر موريتس فاغنر (ج I ص 5) فى الكلمة التى اهدى بها كتابه الى لويس فيليب ، دوق اورليانس ، بان بلاده تشترك فى تأسيس المستعمرات الاوروبية فى شمال افريقيا ، فالجندي الالمانى يحارب الى جانب الجندي الفرنسى ، والفلاح

يصبح عدد الأوروبيين في المناطق الحصبة أكثر من عدد السكان الأصليين !

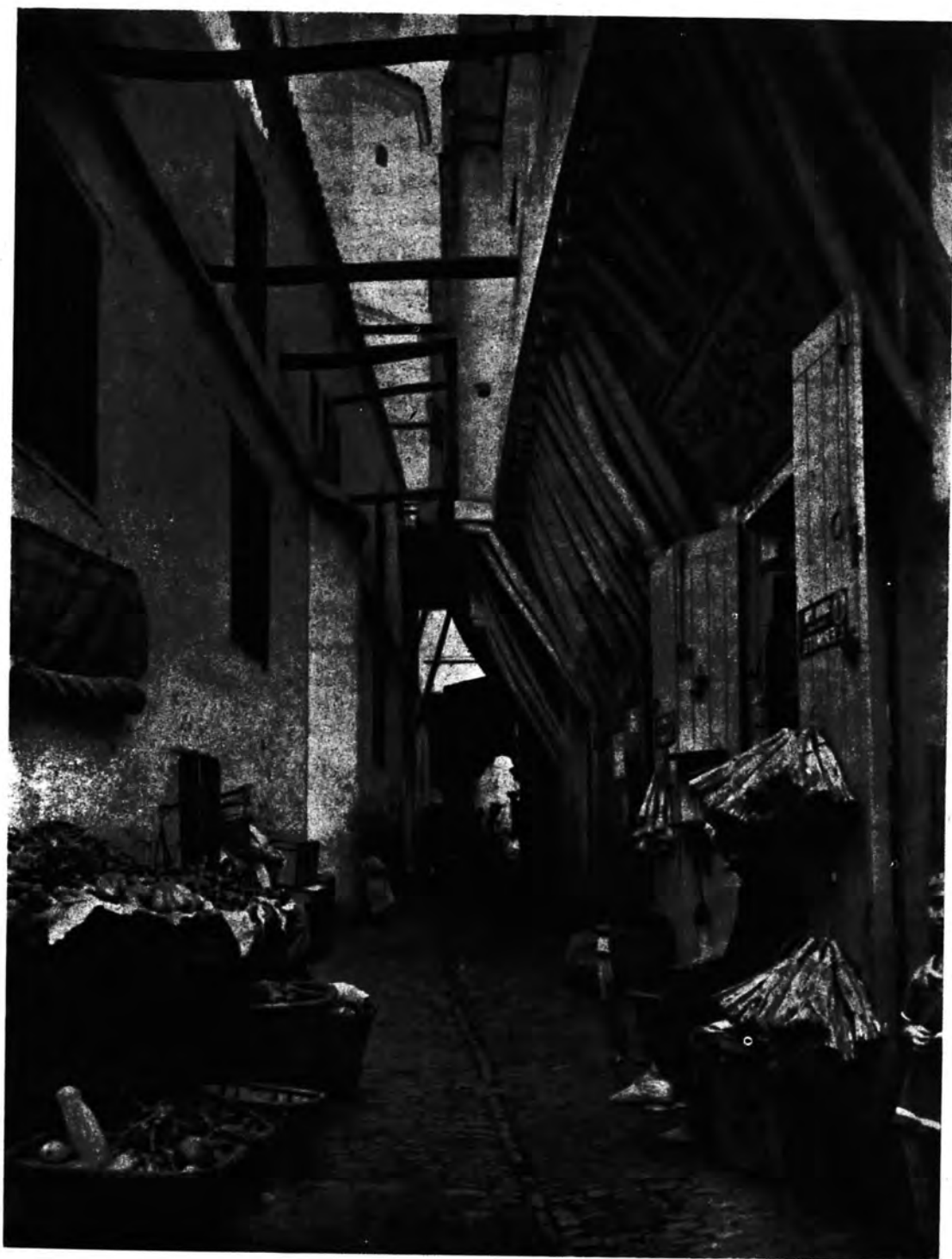
هذا ولا تخلو كتابات الألمان من اظهار العداء للجزائر ، التي اهانته أوروبا لمدة طويلة ، وكان ذكر اسمها مجردا يثير الرعب في قلوب ابنائها ، مما جعل شونبيرغ يعترف (ص 62) بأن اسم الجزائر لا يحمل على التفكير في جمال سمائها ، وصحية مناخها ، وخصوبة أراضيها بقدر ما يحمل على التفكير في الآلام ، التي عرفها العبيد المسيحيون فيها . وهذا ايضا ما جعل كتاباتهم تتسم بالطابع الصليبي في اغلب الاحيان ، فقد أشفت فرنسا غليـلـ بعضـهم في الانتقام من الجزائريين ، فيصفونهم بالهمجية على غرار ما فعله بقية الأوروبيين مما كتبوا عن الجزائر .

لم أتناول في هذه الدراسة جميع الرحالين الألمان ، فكتب الكثير منهم لم يمكنني الاطلاع عليها بعد ، وانما اقتصر على بعض من اتاحت لي مجهوداتي الفردية معرفة ما كتبوه عنا . ومع ذلك أرجو ان اكون قد قدمت فكرة تقريبية عن مصادرهم واغراضهم ، وليس بمستبعد ان تكون لهم اغراض اخرى لم يصرحوا بها ، واحتفظوا بها لانفسهم في وثائقهم الخاصة او في وثائق بعض الجهات التي مدت اليهم يد العون للقيام برحلاتهم . وأتمنى ان تتاح لي الفرصة في المستقبل للاطلاع على وثائقهم في مضانها ، حتى اتمكن من تقديم معلومات اخرى قد لا تخلو من فائدة في مجال كتابة تاريخ الجزائر .

ويصف بوفري المناطق الصالحة للزراعة ، ويعترف (ص 19) بأن الأوروبيين ، الذين كانوا عاجزين عن الحصول على قوتهم اليومي في بلادهم قد تمكنوا من كسب ثروة ، تجعل الفرق بين ما كانوا عليه في السابق وما هم عليه الآن واضحا تمام الوضوح . وهو يقدم لهم هو الآخر معلومات متنوعة عن طبيعة البلاد ، ومناخها وآثاره ، والأمراض ، التي يمكن ان يتعرض لها المهاجر الألمانى ، ويبين كذلك طرق الاتصال بالادارات الخاصة ، التي تسهل له وسائل الانتقال الى المناطق الآمنة ، ومحاولة الاستقرار فيها .

وقد اهدى فون بوفري كتابه لنابليون الثالث ، ونوه في الاهداء بالاعمال الجبارة ، التي تقوم بها فرنسا ، من أجل بناء حضارة جديدة ، تحل محل الحضارة القديمة ، تحت راية المسيحية ! ويبدى اعجابه بالازدهار ، الذي بدأ يعم مناطق الجزائر المتنوعة .

وهكذا نرى ان الجزائر كانت بالنسبة للألمان مهجرا جديدا ، يستطيع ان يعيش الألمانى فيه في هناء ورفاهية ورخاء ، كما صرح بذلك فرديناند فنكلمان (ص 61) ، فالجزائر بالنسبة له مستعمرة رائعة ، والألمانى فيها أكثر كرامة واوفر عزة من الجزائرى ، لان فرنسا تحمى الألمانى كما تحمى غيره من الأوروبيين ، ولا تسمح للجزائرى بأى نوع من التحدى والمقاومة . وهذا ما جعل فنكلمان يتنبأ (ص 71) بأنه لن يمر وقت طويل حتى



نهج من النهج حي القصبة (العاصمة)

موقفُ المؤرخين الأَجَانِب من تَاريخ الجزائر عبر العَصُور

ان المؤرخين الاجانب الذين اعتنوا بتاريخ
الجزائر يعنون بالملئ، ولا زالت تأليفهم متواصلة
ويمكننا ان نقسمهم الى ثلاثة اقسام :
القسم الاول تخصص فى تاريخ البلاد القديم،
اي عهد احتلال الرومان وما قبله .
والقسم الثانى اهتم بتاريخ الفتوحات والعهد
الاسلامى .
والثالث اعتنى بتاريخ الاحتلال الفرنسى وما
اعقبه من تطور الاستعمار وانتشاره واثاره .

المهدي البوعبيدي

عضو المجلس الاسلامى الاعلى
- الجزائر -

الجزائر لم تتوحد في تاريخها ، وانها كانت دائما خاضعة للمغيرين ، واشهر هذه الطبقة واكثرها صراحة ، هو فليكس قوتي Felix Gautier اما الطبقة الثالثة وهي التي تمثل الاكثرية ، فان معظم كتابها مجدوا بطولة قادة جيش الاحتلال ، واشادوا بالاستعمار ، وظهرت آثار هذه الطبقة، اثر انتهاء مقاومة الامير عبد القادر ، ثم عند الاحتفال المئوي للاحتلال سنة 1930 .

واذا امعنا النظر في جل ما وصلنا من هذا السيل العرمم من التأليف ، نجد القسم الذي يستحق العناية والاهتمام ، هو القسم الشبيه بالمذكرات ، او مجاميع سجلات التقارير الرسمية ، فانها تحتوى على جوانب مفيدة في حاجة الى الدراسة والمراجعة والتحقيق ، ولهذا فاني في هذا البحث ساتعرض للقطعات (وان كانت مفككة ومجتمعة) لمختلف كتاب هذه الاقسام المذكورة لاجنب القاريء الدخول في التفاصيل التي يمكنه تتبعها في مواضعها ، وهذا لا يمنع من الخروج عن هذا الالتزام ببعض الاحداث الجوهرية فاذكرها بنوع من التفصيل وهذه الطريقة هي التي تفرضها مثل هذه الدراسات المحدودة .

القسم الاول

كتب ستيفان قزيل Stephane Gsell المتوفى في الثلاثينات من القرن المسيحي الجارى، كتابه الشهير « التاريخ القديم لافريقيا الشمالية » والكتاب يشمل ثمانية اجزاء ، خص جلها لتاريخ

قمورخوا القسم الاول بالفوا في الاشادة بروما ومدنيتهما ، واحبوا ما تبقى من آثارها ، واستعانوا بما كان يمدهم به العنصريون، ودعاة « افريقيا المسيحية » ، وميزانية الدولة التي كانت تفتح لهم - على مصراعيها - ابوابها ، فأسست الجمعيات في جميع انحاء البلاد ، للبحث والتنقيب عن الآثار ، واتخذت لها مكتبات ، ومجلات ومراكز للمحاضرات ، واقامت مؤتمرات علمية كانت تدعو لضورها ، وللمشاركة في بحوثها اساطين العلم من الاثريين ، كل هذا لتتوصل الى هدف دعوتها : وهي ان الحضارة الرومانية المسيحية طبعت هذه البلاد بطابعها ، وان احتلال هذه البلاد هو استرجاع حق مفصوب ، وقليل منهم من اهتم بتاريخ سكان البلاد الاصليين - ان لم يكن ذلك لبث روح البلبلة والاحسن فسي الافكار ، واطهار العنصر العربي دخيلا ومستعمرا وما الى ذلك - اللهم الا ما كتبه المؤرخ العبقري ستييفان قزيل Stephane Gsell فانه خصص لهم تأليفا قيما ، اجمع المؤرخون الاختصاصيون ، انه اهم واجمع مصدر لتاريخ الدول البربرية ، التي كانت تتمتع باستقلال داخلي ، وكانت لها حضارة مبتازة ، الا ان كثيرا من المؤرخين لتلك الفترة اهلواها .

اما القسم الثاني فان جل كتابه كان هدفهم من دراساتهم تصوير الفتوحات الاسلامية بانها فرضت دين الاسلام بالاكراه ، والسيوف، وقطعت صلة البلاد مع الحضارة الغربية والكنيسة ، فتعطلت المدنية ، وتوقفت ، كما استنتجوا ان

او العثور على بعض الآثار كالمسكوكات والاضرحة الخ . كما يرجع فضل هذه الاكتشافات الى صمود ومحافظة سكان افريقيا ، اذ هم مشهورون ومعهم الايطاليون ، بانهم في مقدمة الامم المحافظة على التقاليد والعادات ، وقد ضرب المؤلف مثلا لذلك بالتوارق الذين حافظوا على كثير من العادات والتقاليد ، كانت موجودة في بلادهم قبل الاسلام ولم يمنعهم اعتناقهم للدين الاسلامي من المحافظة عليها ، وفيها ما تنكره تعاليم الاسلام ، ثم ذكر او عقد فصلا للحضارة المادية البربرية بين فيه نموذجا من طريقة استنتاجاته التي اتبعها في تأليفه فقال : « السكان كانوا يعيشون جماعات فان الآلة الحجرية المجموعة في مكان واحد قرب منابع المياه ، تثبت وجود قرى أهلة بالسكان ، قريبة من منابع الماء ، ليتمكن لهم الاستيطان والدفاع عن انفسهم ، كما ان الاسرة تكونت هنا من قديم ، بخلاف بلاد آسيا ، وان المرأة كانت وظيفتها القيام بشؤون المنزل وخدمة الصوف ، وتربية الاولاد والحيوانات ، وان روح الجماعة والتفافها حول رئيسها ، ثم التفاف الجميع حول رئيس القبيلة ، كانت سارية المفعول كانت العصبية العائلية تسود المجتمع البربري ، كما كانت القرية تخضع لنظام الجماعة المنتخبة ، وكان الانتخاب يختلف ، فمنه ما ينتخب صاحبه لمدة الحياة ، ومنه لمدة تمكن فيها عزل المنتخب وتعويضه بغيره ، ثم يذكر المؤلف ان هذه القبائل كانت كثيرة التمرد على الحكم ، وبعد ان يتعرض للامارات التي تكونت والى زعمائها ، ومواقعها ،

الحضارة البربرية في المدة التي تتراوح بين سقوط قرطاجنة واحتلال روما للبلاد ، وهذه المدة لا تتجاوز خمسا وثمانين ومائة سنة ، (185) اثبت المؤلف ان قرطاجنة لم تكن هي افريقيا ، اذ كان جل مؤرخي تلك الفترة يقتصرون على الاعتناء بالمراكز التجارية التي احدثتها قرطاجنة طوال شواطئ البلاد ، ومثل هؤلاء المؤرخين كمثّل زملائهم الذين - ولا زالوا - اقتصروا في تأليفهم التاريخية عن حياة الملوك وقصورهم ، ضاربين صفحا عن حياة البلاد وسكانها وحضارتها وثقافتها ، هذا الفراغ هو الذي حاول قزيل ان يتداركه ، فنجح حيث ان مقرطى كتابه متفوقون على انه احسن ما الف في الموضوع ، بل هو التأليف الوحيد في العالم لهذه الفترة ، ويعدونه موسوعة تاريخية جمعت ما تفرق في غيره ، وميزته استنتاجاته التي دعم بها آراءه ، فمما ذكره قزيل في الموضوع : « ان تاريخ عهد قرطاجنة لا ينحصر في المدن التي احدثوها كمراكز تجارية بشواطئ البلاد ، فان بداخل البلاد ، كان يوجد شعب كون امارات ، وكانت هذه الامارات البربرية في حالتها حرب وسلم مع حكام البلاد الفنيقيين ، اي القرطاجنيين - كما بقوا على هذه الحالة في عهد الرومان بعدهم - وان هذه الامارات كانت مجهولة تماما - الا القليل منها - لدى المؤرخين القدامى من اليونانيين واللاتينيين ، وان اتيح لنا اليوم ان نكشف القناع عن تاريخهم ، فذلك يرجع الى فضل النقوش باللغة الفنيقية ، او الليبية (لغة لم نعرف منها الا اسما الاعلام)

القسم الثاني هو ما ذكر فيه العهد الاسلامي وهو كثير ايضا ، اذ تخلل هذا العهد الاحتلال الاسباني لبعض مدن السواحل كوهان وبجاية ، وقد بقي الاسبان ما يقرب من ثلاثة قرون بوهان ، وفي هذه المدة اهتم كثير من مؤرخي الاسبان بتاريخ البلاد ، اذ كان هذا الاحتلال سببا في اثاره الاحقاد الصليبية الكامنة في نفوس كثير من الكتاب الذين كانوا لا يخفون ان بلاد الشمال الافريقي طبعت من العهد الروماني بالطابع المسيحي وكانوا يرون ان الفتوحات الاسلامية جريمة لا تغتفر ، وتفننت هذه الطبقة من الكتاب الذين كانت تشجعهم الكنيسة ماديا ومعنويا لبث السموم وتشويه الحقائق ، ثم نجد هذه الفترة غيرت الاوضاع ، واستولت على البحر الابيض اعظم قوة بحرية عالمية صارت اساطيل العالم تقرأ لها الف حساب وحاولت القضاء عليها بشتى الوسائل فلم تفلح ، فصارت تمدد بالقدية مكرمة ، وهذه القوة البحرية التي هيمنت على البحر الابيض طيلة ثلاثة قرون هي قوة الدولة التركية التي شبهها بعض المؤرخين بقوة قرطاجنة البحرية في عهد ازدهارها ، ويذكرون ان البحر الابيض لم يشاهد مثل هاتين القوتين - أي التركية والقرطاجنية - في تاريخه الطويل .

ورد الى الجزائر للاسباب المذكورة كثير من علماء اوربا المتصلين بالجزائر وكذلك الرخالون والاسرى والتجار والقناصل فكتبوا الكثير عنها ويمتاز بعض ما كتب بجوانب مفيدة فرضت نفسها وصارت من المصادر الهامة التي لا يستغنى

وحياة الابطال امثال سيفاكس وماسنيسا ويوغرطة والحروب التي خاضوا غمارها ، تعرض للحياة الاقتصادية ، ومنتجات البلاد من حبوب وفواكه ، وخضر ، وتربية المواشى والنحل وصيد السمك وتصديره ، وصادرات البلاد التجارية ووارداتها ، ومساكنهم ، وانواعها تعرض للتمدن المعنوي ، فقال ان اخلاق البربر وعوائدهم لفتت انظار المؤرخين والباحثين القدامى ، فسجلوا لهم خصوصيات غريبة ، منها ان مجتمعهم كانت تسوده الطهارة والعفاف ولهذا كانوا يصلون الى ارضل العمر ، محتفظين بصحتهم البدنية المثالية فهم لا يأكلون اللحم الا قليلا - رغم تربيتهم للمواشى ومختلف الحيوانات - ثم نجدهم لا يأكلون لحم الخنزير ولا يربونه الخ .

ان هذا التأليف قيم في موضوعه وصاحبه مشهور بالعلم ، وعمق التفكير ، وسعة الاطلاع وهو وان كان من اقطاب افريقيا المسيحية « والجزائر الفرنسية » الا ان تأليفه هذا يتوقف عليه تاريخ البلاد ، فهو دعامة لربط حاضرها بماضيها ، اذ الحقبة التي تعرض لها المؤلف وخصص لها ما يزيد على مائتين والف صفحة تلقى اضواء على تاريخ البلاد الحضاري . الذي كثيرا ما اهمل اذ نجد اشهر كتابنا لم يهتموا بهذه الفترة ، وكل ما يذكرونه عندما يجدون آثارا قديمة هذه العبارة « وفيها آثار للاول » ان لم تختلط بالاساطير ، او ما تعود العوام ان يطلقون عليها ، مثل قولهم « بلاد الجهلاء » او « الاصنام » او « الحربة » .

ان القائد الاعلى للجيش الاسباني كان يتعهد للقبائل الموالية لهم بالحماية ، فاذا به يهاجمهم في حللهم للاستحواذ على اموالهم ومواسيهم ، وعندما يرجع جيشه الى وهران حاملا الغنائم ، يتقدم الجنرال من دون حياء ولا خجل ، فيقطع لنفسه قسمة الاسد، ثم يذكر بان العدل والنزاهة لا يحلم بها الا المتملقون ، وان كل ما يقع في البلاد من احداث وهزائم ومجاعة يجهلها الملك ، اذ تصله التقارير مزيفة ، وان ما قاله هذا الكاتب يؤيده آخرون من مواطنيه صوروا الحياة بوهران بحياة الجحيم ، وهم اقلية ، ولكن بعد مرور الزمن اعترف المؤرخون الاسبانيون انفسهم بان كل من صوروا الواقع الوهراني بغير ما وصفته هذه الاقلية كانوا من طبقات الكتاب الماجورين او المتعصبين للكنيسة ، التي لم ترد ان تعترف بان هجومها واحتلالها لهذه المدينة كان كارثة على البلاد ، اقتصاديا ، ولنرجع الى ما كتبه بعض المؤرخين الفرنسيين وغيرهم لهذه الحقبة ، ولنبدأ بأشهر كتاب لفت انظار القراء والكتاب وحظي بنقد تحليلي لمحبذيه من العنصريين والاستعماريين وصار عندهم الكتاب المفضل وعنوانه يدل على مضمونه « ماضى افريقيا الشمالية في القرون المظلمة » لامييل فليكس قوتي 1940-1864 E. F. Gauti الاستاذ السابق بمدرسة الآداب العليا بالجزائر، كان هذا المؤلف من غلاة المعمرين له عدة تأليف لم يخف فيها هويته الاستعمارية المتطرفة ، وقد كان تخصصه في الجغرافية فعين استاذا فيها بالمدرسة المذكورة في اواخر القرن المنصرم ، ولهذا ارتكب عدة غلطات فادحة ، تتناقض في

عنها ، ومن ذلك تأليف الراهب الاسباني ديقو دى هايدو Fray Diégo de Haëdo الذي كان اسيرا في الجزائر ودون مذكرات سماها «تخطيط وتاريخ عام للجزائر» واهم ما فيه تخطيط مدينة الجزائر ومعالمها وتاريخ ملوكها ، طبع هذا التأليف لأول مرة على نفقة الكنيسة الاسبانية سنة 1612 ثم ترجم الى الفرنسية سنة 1870 وقد اعتمده كل من اشتغل بتخطيط مدينة الجزائر وذكر معالمها كما اعتمده ايضا كثير من المؤرخين في تاريخ الحكم التركي وتداول حكم الباشوات، ومما يلحق به كتاب « تاريخ شمال افريقيا » لمواطنه ديقو سارز Diégo Suarez الذي كان جنديا بوهران بين سنوات 1577 و 1604 تعرض في تأليفه لجغرافية البلاد ثم للاسباب الداعية الى احتلال وهران والهجوم الفاشل للملك شارلكان على الجزائر ذلك الهجوم الذي كان من اسباب تخليه عن الحكم حيث ان مفعول الهزيمة اثر في معنوياته ، ففقد توازنه وقد عبر عنه احد متأخري الكتاب (I) بقوله « وشارلكان الذي اشابهه الاحداث ، غادر الجزائر مطاطيء الراس وطلقات المدافع يملا دويها اذبه ، غادر شارلكان اسوار الجزائر التي شاهدت ابتداء تقلص ظله » كما وصف سيارز الاسباني بعض المعارك شاعدها ، واهم ما في الكتاب اعتراف مؤلفه بالحياة التعيسة التي كان يحياها الجيش الاسباني المرابط بوهران الذي شبه حياته فيها بحياة المساجين في سجونهم وتعرض لقادة الجيش فاتهمهم بالفسح والطمع والسرقة ونقض العهد ، وضرب امثلة لذلك منها

(1) الكاتب دومينيك لوسيانى مدير الشؤون الاسلامية السابق بالولاية العامة ورئيس النيابة المالية في تايينه للكاتب ستيلان فزيل بالمجلة الافريقية سنة 1931

بل صقلتها وهذبت فصولها في مختلف العصور . الموسوعة التاريخية القيمة لقزيرل التي لا زالت لم تتم ، (هي التي تحدثنا عنها في القسم الاول) ثم يقول : « ان تاريخ المغرب ابتدا في غاية الوضوح ، الا انه اعقبه الظلام طيلة قرون ، الى ان كان القرن الثاني عشر المسيحي ، فقد ظهرت الوثائق المتعددة لعهدي المرابطين والموحدين ، وهذه الآثار سواء منها البناءات او الكتابة فانها لا زالت مبعثرة » ثم قال مفسرا لعنوان كتابه ومدلوله « القرون المظلمة من ماضى تاريخ افريقيا الشمالية » ان العصر المظلم الذى هو فى حاجة الى الانارة والبيان ، هو ما بين الغزواتين العربيتين الغزوة الاولى التى قام بها الامراء ممثلوا الخلافة الاسلامية فى آخر القرن السابع المسيحي ، والثانية التى قام بها البدو الهلاليون والتى ابتدأت فى منتصف القرن الحادى عشر المسيحي ، فهذه الفترة تنفصل تماما عن التاريخ المغربى » وبعد ان يذكر ان هذه الفترة من تاريخ البلاد المغربية التى شاهدت فتح الاندلس وصقلية ومصر يمكننا ان نسميها قرون المجد ، حيث شاهدت ذروة المجد ، ومع هذا فهمى فى الوقت نفسه « القرون المظلمة » فانها القرون المجهولة فالفاتحون المسلمون لم يهتموا بالتاريخ ، فالعربى همجى ، لا يهتم بالتاريخ ، فلم يظهر حب الاطلاع العلمى الا فى ايام الدولة العباسية عندما اقل نجم العنصر العربى وخلفه العنصر الفارسى والشرقى الممثل للمدنية الفارسية التى اجتاحتها الغزوات العربية الخ .

كثير من الجزئيات مع الاختصاصيين فى التاريخ ، حتى من الاستعماريين انفسهم ، ومن جملة ماذهب اليه فى تأليفه المذكور « هو ان سكان المغرب اى العنصر البربرى لم يملك شؤونهم ابدا ، وبقدر ما نبحت فى التاريخ نجد سلسلة متصلة الحلقات لاحتلال الاجانب لهذه البلاد ، ان الفرنسيين خلفوا احتلال الاتراك ، الذين خلفوا احتلال العرب ، الذين خلفوا احتلال البيزنطيين الذين خلفوا احتلال الوندال ، الذين خلفوا احتلال الرومان ، الذين خلفوا احتلال القرطاجنيين ، وليسجل التاريخ ان هؤلاء المحتلين على اختلاف اجناسهم وازمنتهم كانوا يتصرفون بكامل الحرية فى شؤون البلاد الى ان يخرجهم ويطردهم محتل آخر ، يرث بدوره البلاد ان السكان الاهالى لهذه البلاد لم يتوصلوا يوما من الايام الى طرد مستعمرهم » ثم يقول : « ومع هذا نجد ان هؤلاء الراضين باستعمار بلادهم من دون ان يحركوا ساكنا ليسوا من الاجناس الهادية فانهم رجال حروب ، ولهم قادة واباطال من عهد حنبعل Annibal الى عهد الامير عبد القادر » .

ثم يعقد فصلا للتاريخ فيقول ان المغرب يبدو مع الحروب الفينيقية فى الوقت الذى تكلم فيه المؤرخون اليونانيون واللاتينيون مكان المؤرخين القرطاجنيين الذين سكتوا ، فاننا نجد آخر عهد قرطاجنة وتاريخ افريقيا الرومانية روايات نخبة رجال التاريخ مثل بوليبي Polybe وصالوستر Sallustre وتيتليف Tite-live التى لقت عليها الاضواء آثار البناءات والنقوش

لها سلوك ممتاز في هذا الميدان فانها تترك الحرية التامة للمتدينين الساكنين ببلادها ، وبقدر ما يشتهر عندهم الانسان بالتدين الا ويرتفع قدره عندهم ويحترمونه ويحمونه ، ويناقدش دو طاسى المؤلف الهولاندى الحساب ويظهر له مصدر هذه الاتهامات فيقول « ان منبع هذه الحملة المفرضة هم القسيسون المنسوبون الى جمعية الاقتداء المسيحية Redempteurs التي انشئت في نابولى سنة 1731 ويسمون انفسهم بالمنقذين والمخلصين والفادين (للاسرى المسيحيين الذين كانوا بالجزائر) فانهم هم الذين يتهمون الجزائر بانها تضغط على الاسرى المسيحيين وتكرههم على اعتناق الاسلام ، وهذا غير صحيح ، ويخاطب هؤلاء القسيسين فيقول لهم : ان شهادتكم لا تقبل حيث ترتكبون اشنع الفظائع باسم الدين ، فانكم تبيحون الفتك بالمسيحيين الذين من سوء طالعهم ولدوا من آباء مسيحيين ، Protestants ويرد مزاعمهم في الاكراه على الاسلام ، فيقول : ان الجزائريين لا يثقون فى الاسرى المعتنقين للاسلام ، اذ يرون ان دخولهم فى الاسلام صوري ، يقصدون به قضاء مآربهم، الخ اما القسم الثالث فان كتابه كما ذكرنا ينقسمون الى فرقتين : الفرقة الاولى واكثر افرادها من الضباط الذين خاضوا غمار حرب الاحتلال فدوتوا احداثها ككتاب «حولييات الجزائر» Annales Algériennes لبليسي دورينو Pellissier de Reynaud الذى سجل احداث الجزائر ما بين سنوات 1848 و 1854 والكتاب

ثم نجد من كتاب هذه الفترة الراهب الانكليزى شاو Schaw الذى عاش ما يزيد على العشر سنوات تجول في ربوعها ، تعرض لوصف كثير من المدن ولاخلاق السكان وعوائدهم ومعيشتهم ، وقد نشرت هذا التاليف جامعة اكسفورد Oxford سنة 1738 ، وترجم الى الفرنسية ثم اخيرا لحص وترجم الى العربية وهو مفيد ، كما زار الجزائر سنة 1732 الكاتب الالماني هيوستريت Hebeustreit وكتب عنها PERSONNEL وبيصونيل الذى زار الجزائر سنة 1725 وفنتور دو براد Venture de Paradis الذى زار الجزائر سنة 1788 والاب رينال Abbé Raynal ولوجى دو طاسى Laugier de Tassy الذى قدم تاليفا لمؤلف هولاندى طبع بامستردام سنة 1725 وطبع في باريس بعد ترجمته سنة 1727 ، ومعظم هؤلاء الكتاب اقاموا بالجزائر لمختلف الاغراض ، وسجلوا انطباعاتهم ، ومشاهداتهم ، او ما استقوه من المعلومات عن الاوربيين المقيمين بالبلاد ، او من السكان المسلمين الذين كانوا يتصلون بهم، بحكم وظائفهم ومهنتهم وهى لا تختلف عن بعضها ، واكثرها نظريات سطحية ، ويمتاز من هؤلاء المذكورين لوجى دو طاسى Laugier de Tassy فانه في تقديمه للكاتب الهولاندى رد عليه الاتهامات التى اتهم بها الجزائر : منها التعصب الدينى فقال فى رده عليه « فى الميدان الدينى نجد احسن شئ واروع التسامح ، وهذا التسامح موجود في الجزائر ، ويستحق سكانها الشكر والاعتراف بالجميل » ثم قال « ان حكومة الجزائر

والمغرب وتونس « المطبوع في الجزائر سنة 1891 (مطبوعة جوردان) فقال : «في الخامس يوليو امكن للجيش الفرنسي ان يخرق باقدمه شوارع الجزائر الضيقة مسلحا ، تلك الشوارع التي امتنعت على الملك شارلكان ولويس الرابع عشر ولم تطأ اقدام اجدادنا طرقاتها الا مكبلية بالحديد ، اسرى او عبيد ، فهذا مبدا اعظم احتلال يسجله التاريخ لفرنسا » ثم استدل المؤلف بكلام ركلوس O. Reclus الذي قال قى الموضوع : «ان هذا اليوم عظيم لان هذا الانتصار ليس هو من الانتصارات العقيمة المملوءة بها بعض صفحات كتبنا ، انه ليس انتصار ماريانيان Marignan ولا روكروا Rocroy ولا فونتناي Fontenay ولا واغرام Wagram فهذا الانتصار هو احتلال الجزائر في 5 يوليو 1830 ، ان هذه البلاد بموقعها ستسهل علينا الحاق جناحيها وبلاد الصحراء وتفتح لنا الطريق الى السودان » الخ . (يقصد بالجناحين المغرب وتونس) وهذا الكتاب رغم افكار صاحبه الاستعمارية يحتوى على حقائق هامة سنذكرها في موضعها ، ولننتقل الى الحديث عن كتاب ظهر اخيرا اى طبع سنة 1965 وهو من نوع المذكرات نشره الكاتب بيير سيرفال Pierre Serval تحت عنوان «المجهولون في التاريخ» وهى مذكرات للمارشال دوبورمون قائد جيش الاحتلال الفرنسي للجزائر ، لم يسبق نشر كثير من فصولها قال الكاتب في مدخل تأليفه : «انه منذ مائة وثلاثين سنة في برج قصر انجقان Angevin

يقع في ثلاثة اجزاء وطبع بالجزائر سنة 1854 ، وهو من المصادر الهامة لذلك العهد ، وكثير من الكتاب يعترفون لمؤلفه بالشجاعة الادبية وبالنزاهة النسبية ، اذ نجد كثيرا من تصريحاته وتعليقاته على الاحداث لم تكن في صالح السلطات ، كما يمتاز كتاب هذه الفرقة بسجلات تقاريرهم التي جمعت وطبعت بمناسبة الاحتفال المئوي، فنجدها تعرضت لكثير من احداث حرب الاحتلال كالمعارك الشهيرة «واقعة وادي المقطع» «واقعة سيدي ابراهيم» «طاقين» «الوفايا» «واقعة التنصير» فصورتها على ما يقرب من الحقيقة واعترف فيها كتابها بالغلطات الفادحة التي ارتكبها الجنرال تريزيل وتسببت في هزيمة « وادي المقطع » ، والغلطة التي ارتكبها زميله الكولونيل دومنطانيك Mantagnac ولقى فيها حتفه بسيدي ابراهيم الخ . وهؤلاء الكتاب هم الجنرالات دوبورمون De Bourmont وكلوزيل Clauzel وقوارول Voirol ودامريمون Damrémont الخ ، ثم اعقب هذه الطبقة كتاب آخرون واصلوا آثارهم ، وجلهم اشادوا بالاحتلال وصفقوا لنجاحه ، خصوصا انصار الكنيسة الذي كان شعارهم « افريقيا اللاتينية » و « الجزائر الفرنسية » اذ كانوا يرون ان احتلال فرنسا للجزائر عبارة عن امتداد المدنية الرومانية في هذه الربوع التي حال بينها الفتح الاسلامي ، وقد صرح بذلك كثير منهم ككاط E. Cat المبرز في التاريخ ، والاستاذ بمدرسة الآداب العليا بالجزائر في تأليفه « التاريخ الصغير للجزائر

شارلكان الفاشلة لاحتلال الجزائر سنة 1541 ، كما هو معروف ، ثم يذكر ما نسب الى الفارس الفرنسي بونس دوبالاقير Ponce de Balaguer الذي غرز سيفه قرب باب عزون وصرخ بقوله « سنرجع » وقال ان هذه الكلمة صارت شعاعا من ذلك العهد لقادة الحروب منهم ماك ارتور Mac Arthur الامريكي الذي ردها عند ما اخرجها اليابان من جزر الفيلبين . ثم يتعرض المؤلف للتطاحن الذي كانت باريس مسرحا له بين الجمهوريين والملكيين وكيف استغل الملكيون قضية المروحة وبين بتفصيل ما ايد به آراءه من هذه المذكرات ، والذي يهمنها منها - ان المذكرات - وله علاقة بموضوعنا هو دور التاجرين اليهوديين بوشناق وباكرى في قضية المروحة ، والاحتلال الفرنسي ، ان قضايا اليهود ومواقفهم ازاء المسلمين ودولهم من قديم الزمان لا ينبغي لها ان تهمل ، او تعد من القضايا العادية ، بل ينبغي لها ان تدرس مرتبطة ببعضها ، وقد علمنا ان وجود اليهود بالجزائر قديم ، وقد آوت الجزائر - باعتراف المؤرخين اليهود - اللاجئيين منهم والمطرودين من مختلف البلاد الاوربية ، ابتداء من القرن الرابع عشر المسيحي ، الى ان وصل عددهم في عاصمة الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي الى ستة آلاف نسمة ، وقد علمنا انهم اعترفوا بجميل الاحسان شاركوا في المؤامرة التي سهلت على الاسبان احتلال المرسى الكبير ، ثم تطوعوا للجوسسة لصالح الاسبان بعد احتلالهم بجاية ،

توجد بعض الوثائق المهمة ، وبعد الاطلاع عليها يكتشف القارئ الاسرار الغامضة التي تتعلق باحتلال الجزائر سنة 1830 ، ثم يقول : « ان هذه الاحداث وان كانت قديمة ، فانه يمكن تطبيقها على الحالة الحاضرة ، حيث ان التاريخ يعيد نفسه ، ان التشابه بين قضية الجزائر في القديم والحديث ، بلغ الى حد انه يمكن للانسان ان يكتفى بتغيير الاسماء والتاريخ فقط ، حتى يظن ان احداث هذا العهد هي نفس احداث الماضي » ثم يقول : « اننى اعد نفسى محظوظا حيث ان الفرص اتاحت لي الاطلاع على مئات الوثائق ، الكثير منها مجهول ، وان صحتها لا نزاع فيها ، ان هذه الوثائق سجل لوزير الحرب اذ ذاك وقائد جيش الاحتلال الفرنسي ، ولاهمية هذه الوثائق والحفاظ بقيمتها ، اخترت ان اتواى وراء ممثلها الحقيقيين ، فاتركهم ، يتحدثون عن الاحداث التي مثلوها بدلا منى ، وان ما ذكرته لم يتمكن لي ، لولا فضل الكنت دوبرومون Comte Louis de Bourmont وقرينته اللذين فتحا لي باب برج قصرهم العتيق ، وتركوا لي الحرية التامة لتصفح وثائق جدهم الماريشال دوبرومون ، كما انى مدين للكولونيل هنرى دوبرومون الذى شرح لي احداث تلك الفترة ذلك الشرح الذى يدل على سعة الاطلاع » .

ثم يتعرض المؤلف سيرقال (1) فى الفصل الاول من التأليف الى سرد احداث محاولة

(1) "Les Méconnus de l'Histoire". (Le Maréchal de Bourmont) par Pierre Serval (Edit. Caliman-Levy Paris 1965)

الى ان امر بطردهم الملك شارلكان (I) لما اخفق في هجومه على الجزائر سنة 1541 وقال قولته المشهورة في حقهم : « اننا اخرجناهم واطردناهم من بلادنا بخسة القدر المتأصلة فيهم ، وقد آوهم اعداؤنا واحسنوا اليهم وبدلوا خوفهم لنا بجوسسة اللثام » هذا كله معروف في كتب التاريخ وانما اردنا تذكير القراء قبل ان نتحدث وننقل رواية صاحب المذكرات قائد جيش الاحتلال دو بورمون فشهادته لها قيمتها ووزنها ، وقد كشفت القناع عن الدور الخطير الذي لعبه اليهود اذ ذاك في سياسة حكام الجزائر وجعل كثيرا من المؤرخين والكتاب يتساءلون عن اسباب تدهور الدولة التركية في آخر عهدها وكان ختامه احتلال البلاد ، قدم المؤلف لحديثه عن قضية اليهود مدخلا قال فيه : «عند ما خفق شارلكان في حملته - 1541 - وايس من الاستيلاء عليها كان عمر الجزائر كقاعدة وعاصمة ثلاثين سنة ، ولكنها عاشت ثلاثة قرون مهيمنة على البحر الابيض ، مستعبدة للمسيحيين الذين كانوا يرزحون تحت قيد السلاسل والاغلال ، وقد بلغت ثروتها بفضل غنائم قراصنتها (غزاتها) الرقم القياسي الذي لم تبلغه دولة اخرى حينئذ ، وقد هاجمها بعد شارلكان ، الاميرال الفرنسي دوبروليو de Beaulieu باسم الملك لويس الثالث عشر ، ثم الملك لويس الرابع عشر بواسطة قائد اسطوله الدوك دوبرفور

de Beaufort سنة 1663 ثم في سنة 1668 القائد الفرنسي دستري d'Estrée فكانت النتيجة واحدة : الخيبة ، ثم تجددت هجومات الاميرالان دو كس و تورقيل (Duquesne) و (Tourville) فارتطما بنفس الخيبة .

فتدخل بعد هذا الدانمرك ، ثم الاسبان سنوات 1773 و 1783 و 1784 فكانت هجوماتهم كضربة السيف في الماء ، ثم اهتم بها نابليون بونبارت واعد للامر عدته ، فلم تساعده الظروف ، فخلفه للقيام بالمهمة اعداؤه الانكليز فارسلوا سنة 1816 اللورد اكسموث Exmouth فخفق ، ثم اعادوا الكرة سنة 1824 وكان قائد الاسطول الاميرال نبال Néale فكانت الخيبة المتكررة المعروفة . ثم يدخل الكاتب في الموضوع ويبين موقف الملكيين الذين كانوا يخشون من انفجار الثورة ، فاتفقوا على ان املمهم الوحيد في التغلب على الاحداث ، هو تجنيد جيش وخوض غمار حرب والتحصيل على نجاح ولو وهمي ليشغلوا بها الراي العام ، فكانت قضية المروحة ، وبعد حديث مفصل ينتقل المؤلف الى الحديث عن قضية دين اليهود فيتحدث عن علائق اليهودي جوزيف باكرى مع طاليران وزير نابليون ، ثم يتعرض لمكانة طاليران عند نابليون فقال : « كل ما يعرفه نابليون يعرفه طاليران ، والعكس بالعكس ، اللهم الا مسألة واحدة كان يعرفها طاليران ولا يعرفها نابليون وهي

(1) مر شارلكان على مرسى بجاية في طريق عودته بعد الهزيمة ووجد الاهال يلبسهم في البلدة فاخبرتهم يهود اسبانيا المطرودين تطلعوا بالجوسسة لعرفتهم لغة البلاد والاسبان

علائق طاليران مع التاجر اليهودي جوزيف باكرى « ولهذا فوجئ نابليون عند ما اطلع على تقرير سرى ارسله طاليران الى زميله وزير المالية روبر لاندى Robert Lindet مؤرخ فى 24 اوت 1800 نصه : « ان علائقنا مع الجزائر تستوجب ان نظهر لليهود نوايانا الحسنة معهم ولهذا فان قضية الدين لا ينبغي ان ننظر اليها من زاوية العلائق التجارية الخاصة العادية بل ينبغي لنا ان نعتبرها قضية دولة » .

ثم تساءل المؤلف فقال ما هو هذا الدين ؟ واجاب عن سؤاله بما يلى : « كان الفلس يهدد حكومة فرنسا من جهة ، وخطر المجاعة يهددها من جهة اخرى ، فكانت الدولة اذ ذاك فى اشد الحاجة الى القمح ، مهما بلغ ثمنه ، فتوجهت حكومة المديرين Directoire الى داي الجزائر ، ونظرا لعلائقه الودية مع فرنسا اذ ذاك ، اجابهم لرغبتهم ، فباع لهم ما قدره مليون فرنك قمح ، وتبرع لهم بقرض من دون فائض » .

كلف الداي شركة اليهود لتنفيذ الصفقة التجارية ، وتحمل ضمان المبلغ من خزينة الدولة ، ثم ذكر المؤلف تفاصيل الصفقة وما جرته لليهود من ارباح ، اكثرها معروف فى كتب التاريخ ثم بين افراد الشركة ، ونشاطها التخريبى فى المنظمات الحربية والاقتصادية فى البلاد ، فاعرضنا عنه ، لطوله واخترنا تتبع جوانب ما يهم من قضية الدين » .

امكن لطاليران ان يحصل لباكرى الذى زاره

بباريس اعترافا من الحكومة الفرنسية بما قدره مليونان ومائتان وسبعة وتسعون الف فرنك وتعهدت فرنسا ان تدفع هذا المبلغ بالتقسيط الا انه عند ما توترت العلائق بين تركيا وفرنسا ، وانقطعت العلائق بين الجزائر وفرنسا بسببها ، توقف دفع الدين الى ان وقع اتفاق بين الداي وممثل فرنسا مؤرخ فى 17 ديسمبر 1801 ، من جملة بنوده ، تعهد الجانبان بتسهيل دفع ديون رعايا كل من الدولتين ، فكان مبلغ دين اليهود تضخم الى ان وصل ثمانية ملايين فرنك ، فقبض منه ثلاثة ملايين ، ثم مليون ومائتى الف فرنك وكان الداي اذ ذاك يجهل تفاصيل هذا الدين وانما كل ما يعرفه من القضية ان لرعاياه اليهود دين على فرنسا يجب الاسراع بقبضه ، فتكونت لجنة برلمانية فى فرنسا للبحث فى هذه القضية ، فاقرت هذا الدين لحبر يطول واكتفى المؤرخ بالاستدلال على ما حكم به احد كبار المؤرخين لما تعرض للحديث عنها وهو قابريرال اسكير Gabriel Esquer صاحب كتاب «احتلال الجزائر» سنة 1830 La Prise d'Alger قال « ففى هذه القضية نجد الحكومة الفرنسية ودائى الشركة اليهودية بل حتى اعضاء الشركة اليهودية (وهم كلهم من اسرة باكرى وبوشناق) كلهم خدعوا من طرف جوزيف باكرى الذى كان يتظاهر بالبلادة » ثم ذكر المؤلف ان الامير سكست دو بوربون Prince sixte de Bourbon علق على هذه الفقرة بقوله « كلهم خدعوا ماعدا طاليران » .

واننا ذكرنا هذه القضية بنوع من التفصيل

وقع عزل كثير من البايات ثم اجراءات استثنائية ضد القناصل الاوروبيين، فقصبت اموالهم، واهين كثير منهم، ومن هؤلاء قناصل انكلترا، والسويد والدانمارك، فقد عوملوا بقساوة واهانة، بخلاف قنصل فرنسا، فانه كان محاطا بالتجلة والتقدير الى حد ان الخليفة العثماني لما امر الداي باعلان الحرب على فرنسا بسبب الهجوم على مصر، امتنع الداي من تنفيذ امره، وعندما تكرر الامر المصحوب بالانذار، اكتفى الداي بالقاء القبض على بعض الرعايا الفرنسيين، وكانت معاملتهم حسنة، وقد اعتذر الداي لفرنسا (سنة 1799) معترفا لها انه اقدم على هذا الفعل مكرها، وبعد مدة تغيرت الاحوال وهاجم الاسطول الجزائري بعض شواطئ فرنسا وهددها باعلان الحرب لجر يطول ثم يتعرض المؤلف لقضية اليهود فيقول : « ان نفوذ اليهود المتألق، وعجبهم وغرورهم بانفسهم، جر عليهم موجة غضب من طرف السكان ولم يكن الغضب خاصا باليهوديين بوشناق وباكرى بل شمل معهما الداي الذي كان ياتمر باوامرهما ان عدة مظاهرات غضب انفجرت ضده وفي ثلاث مرات اصيب وهذا نص الاصل : وفي ثلاث مرات اصيب من جرائمها بجروح خطيرة وهذا نص الاصل :

«Cependant la faveur croissante des Juifs, leurs vanité de parvenus, leur avaient attiré de nombreux ennemis. Buschnack et Bakri particulièrement étaient détestés et le Dey qui écoutait leurs conseils était enveloppé dans la même haine. Plusieurs ennemis éclatèrent, contre lui, trois fois à diverses reprises il reçut des blessures graves».

لان لها ابعاد واشباهها في التاريخ العالمي وبالخصوص الاسلامي، اذ لم تكن هذه الكارثة مقصورة على قضية الدين الملققة والتي كانت خيوطها بباريس، ولا نريد ان نطيل على القارئ وسنرجع اليها في فرصة اخرى وانما تميم للموضوع انقل ما وعدت به عند الحديث على المؤرخ كاط E. Cat السابق الذكر فقد وجدنا في تاليفه ما ايد به دو بورمون في مذكراته، وحديثه تفسير لما تساءل عنه كثير من المؤرخين (I) عن سبب تدهور الحكم التركي في اواخر عهده فقال « ٠٠٠ عند ما اندلعت ثورة فرنسا سنة 1789 امتنع الباشا حسن ان ينضم الى اعداء الثورة لعلاقته الحسنة مع فرنسا، وذلك رغم تدخلات انكلترا، واغراءاتها، وقد انقذها من شبح المجاعة التي كانت تهددها، فسهل لها شراء القمح واقرضها خمسة ملايين فرنك من دون فائض، ثم قال المؤرخ كاط فيما يخص اليهود « ان يهوديين لهما نفوذ وهما بوشناق وباكرى دفعا هذه الحبوب وقد جرت هذه القضية مشاكل معروفة، ثم ذكر وفاة الداي حسن سنة 1798 اثر مرض وخلفه صهره الخزانجي مصطفى (1798 - 1805) ويذكر ان هذا الداي كان كناسا بشوارع العاصمة، جهولا فظا، وهو مدين بمنصبه لليهودي بوشناق، فلهذا كان لليهود في عهده التصرف المطلق في شؤون البلاد فبسبب تداخلهم في شؤون الدولة وقعت مصادرات لا نهاية لها كما

(1) منهم حمدان بن عثمان خوجة في المرأة فانه عقد فصلا عاما تعرض فيه للتصرفات الجنونية في ذلك العهد

خصوصا بعد ما اشتهرت قضية الدين وحوصرت الجزائر ما يقرب من ثلاث سنوات ثم احتلت ، وقد ظهر موقف اليهود بعد الاحتلال الفرنسي ، فقد شاركوا الفرنسيين في افراحهم رجالا ونساء ومع هذا كله نجد احمد باي قسنطينة يعين يهوديا للتفاوض مع الجنرال دامريون اى مع ممثله الذى ارسله لهذا الغرض الى تونس ، ثم عين مرة ثانية يهوديا آخر كان من خدامه ليتفاوض من جديد مع دامريون الذى كان هذا اليهودى الثانى المسمى بوشناق ، من سكان العاصمة وكان من ابرز جواسيس دامريون نفسه ، اما اليهودى الاول فكان اسمه ابن باجو ، ثم نفس الغلطة تكررت فى عهد الامير عبد القادر الذى عين ممثلا يهوديا بالعاصمة ، وقبل ان نختم هذه الدراسة نذكر ان كثيرا من مؤرخي فترة الاحتلال الفرنسى لم يخفوا ما وجده جيش الاحتلال الفرنسى عقبه فى طريقه ، واعترف بعجزه عن ازالتها ، او تذليلها ، ولنقتصر على ما كتبه فى القضية المؤرخ الشهير موريس (I) وهـل Maurice Wahl وقد نشره وقدمه المؤرخ الشهير اوقستان برنار وهو كذلك من اقطاب غلاة المعمرين ، قال لما تحدث عن طبقات سكان البلاد اذ تأليفه خصه لجغرافية الجزائر : « ان الذى يجمع بين سكان الصحراء وفلاحي التل هو الدين ، كلهم مسلمون : فالمساجد والزوايا والقبب (الاضرحة) هي مراكز تجمعاتهم ، ان الكثيرين

كانت اخطر هذه المظاهرات هي الواقعة فى يونيو 1805 وسببها ان جنديا تركيا (انكاشرى) اطلق على اليهودى بوشناق طلقة نارية اردته قتيلا . وقد خاطبه عند اطلاق الرصاص عليه بقوله (خذها يا ملك الجزائر اذ كان لقوة نفوذه يطلق عليه لقب ملك الجزائر) .

وقد تسابق رفقاء الجندي اليه فحملوه على الاكتاف معلنين اغتباطهم بفعلته ، اما الداي فقد احس بالخطر ولم يسعه الا العفو عن القاتل اذ بمجرد ما بلغ السكان خبر القتل ، تسابقوا الى الحي اليهودى ، فنهبوه وخربوا دوره ، ومتاجره ، وقتلوا خمسين فردا منهم ، اما رد فعل الداي فكان ان امر بالقاء القبض على كثير من اعيان اليهود وابعاد الآخرين لينجى نفسه من تهمة حماية اليهود وصدافته لهم ، ومع هذا لم يسمح له السكان فقد ذبح بعد شهرين من قتل بوشناق وذلك فى اوت 1805 وقد طالت المظاهرات ضد اليهود ، ثم توترت العلاقات بين الجزائر وفرنسا من جديد ، واطرد الداي قنصل فرنسا ، ونكاية فيها حسنت الجزائر علاقتها مع انكلترا ، فغضب لذلك نابليون وعمد الى الهجوم على الجزائر فكان تكليف الكمندان بوتان Boutin بتسليح تصميم الجزائر ، ذلك التصميم الذى اعتمدته جيش الاحتلال فيما بعد .

هذه صفحات لا ينبغي دراستها متفرقة ومقطعة ومع الاسف لم يتعظ بها حكام الجزائر اذ ذاك

(1) "L'Algérie" par Augustin Bernard (Edit. Alcan Paris 1903).

الاسلام بسيطة ، ومعنوياته واضحة ، فهو من هذه الناحية لا يختلف عن بقية الاديان التوحيدية، انه شبيه لها ، فالمسلم متعصب غير متسامح ، ولكنه في هذه الاحوال شبيه ببقية المتدينين الآخرين من مسيحيين ويهود ، وان القرآن وان كانت توجد فيه آيات تشيد بالقوة المادية ، فانه يشتمل على آيات تدعو الى الرحمة والعدل . فمحاربة التعصب او تلطيفه يكون بنشر الحضارة والعلم ، فالاديان السماوية وحدها غير كافية ، فهي في حاجة الى نشر العلم ، وتعزيزها به ، والاهل الجزائري سيبقى مسلما ، كما ان الفرنسي المسيحي يبقى مسيحيا ، الا انه سيصير رجلا معاصرا لقرنه » . اهد كلام المؤرخ وهل

وما نقلناه في ختام هذا البحث للمؤرخ وهل واقتسان برنار هوما كاد ان يجمع عليه ببقية المؤرخين آراءهم ، الا ان هذه الحصانة ، حدث ما يهددها بالتزعزع : طغيان الروح المادية ، ومتطلبات المادة التي انغمس فيها الافراد والجماعات ، فالروح الدينية التي كانت تجمع اشقات القبائل لم تعد كافية وحدها في مجتمع صار كثير من افراده يحاربون التقاليد والتعاليم الدينية ويتنكرون لها .

منهم منخرطون في الطرق : الرحمانية ، الطيبية ، القادرية ، التجانية والسنوسية ، فهي كلها طرق قوية واطرها السنوسية ، ان اكثرهم متشبثون بتعاليم دينهم وقليل منهم من لم يراع هذه التعاليم : وضوء ، صلاة ، صيام رمضان ، وفي كل سنة يذهب الآلاف منهم الى الحج ، فمنهم من يموت في طريق الذهاب او الاياب ، ومنهم من يرجع منهوك القوى من اثر التعب والحرمان ، الا انهم مسرورون باداء الواجب المقدس ، ان هذه الروح الحماسية في التعلق بالدين ، هي العائق الوحيد الذي وجدناه في طريقنا ، فهي التي تعزز الروح الوطنية لايقاد نيران الفضب ، وتشجيع المقاومة ، ان معظم الثورات التي اجتاحت البلاد كانت بسبب دعاية رجال الدين والانكى انهم بمجرد اعلانهم الحرب على العدو الكافر ، تزول الخلافات بين الافراد ، وبين القبائل ، فهذه هي الحقيقة المخيفة دائما ، والتي لربما نصل الى التخفيف من وطأتها ، الا ان القضاء عليها صعب جدا ، ثم يقول : « اما تنصير المسلمين الذي يحلم به بعضهم فهو خيال وحلم محفوف بالاعطار ، فتعاليم

موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ الجزائر

1) تصدير صغير .

هناك قواعد أصولية وبديهيات مسلمة هي جوهر هذا الموضوع الذي نظره وعمود الفكري منه وقطب الدائرة له والموضحة لأساسه ، والرافعة لالتباسه فلا بد من ايرادها أولا وبالذات
1) القاعدة الاولى .

هي ان كل امة وقعت تحت حكم غيرها تكون مصادرها التاريخية طوال حكم الاجنبي بلفة هذا الاجنبي ، وبمفاهيمه ، ونزعاته ، وما تقتضيه احكام سياسته . فما يؤلف في التاريخ من كتب

عثمان الكعالة

مؤرخ تونسي

تتعلق بتاريخ الامة العام ، أو تاريخ جهة من جهاتها أو قبيلة من قبائلها ، أو مؤسسة من مؤسساتها ، لا يكون الا بمقتضى القاعدة الاولى التى بينهاها .
ويضاف الى ذلك ما يؤلف من مذكرات أو يوميات أو اخبار وقائع يؤلفها القواد المحتلون ، فهى مرآة صادقة للنوايا المبيتة والتخطيطات المسطرة .
ويكفينا شاهد على ذلك رسائل المارشال بيجو الى زوجته وهى مطبوعة ومعروفة ، ومن اكتفى بمطالعتها وحدها دون غيرها كفته مؤونة مطالعة غيرها ، وتالله لقد قضيت عاما كاملا اطالعها بامعان فكنت امراض فانقطع وارجع فامرض وهكذا دواليك طوال العام الذى كان بطول القيامة واشد هولا .
ماذا قاسى الجزائريون ! ماذا احتملوا ! كم صبروا وصابروا ! اشياء اقلها يشيب لهولها الاطفال .
ويكفى ان نطالع الرسائل الاولى ، ووقعة ام الطبول حتى نكتفى وزيادة . واقول انه من الخير ان تترجم هذه الرسائل الى العربية حتى يعلم ابناء الجزائر والعروبة والاسلام ماذا قاسى الاسلام والعروبة والجزائر .

ولكل قاعدة استثناء والاستثناء يؤيد العموم كما يقول المناطقة ، فقد جاءت مجلة العالمين Revue des deux mondes سنة 1549 وذكرت فى تفاصيل واقعية موضوعية مجسمة خالية من كل زيادة ونقصان واقعة الزعاطشة قرب سيدي عقبة من احواز بسكرة فى الجنوب الشرقى الجزائرى فانصفت وروت الاحداث كما هى وهى احداث هائلة مريمة فضيعة مرعبة تقشعر من هولها الجلود وتحمر الشمس وتربد السماء يبكى الناس

بدم قلوبهم على كنة فضحها الجند امام حميها وعلى شيخ محترم عابد ناسك جعل رأسه كرة للترفيه على الجنود وعلى حامل بقر بطنها واخرج جنيها واجبرت على طبخه واكله . وماذا اقول ايضا .
لكن العرب بالباب والمجلة موجودة وهى شاهد عدل لا مطعن فيه .

وهناك ايضا وثائق الجزائر documents d'archives الموجودة ليست فقط بالجزائر فى دواوين الحكومة والبلديات وأرشيف المحاكم وغيرها بل ايضا بفرنسا ووزارات الخارجية للامم كلها التى لها صلة بالجزائر والتى لها مواقف صدق وولاء او مواقف حياء او مواقف لا مبالاة او مواقف عدا . فهذه الارشيف التى فيها المعاهدات والاتفاقات والمراسيم والقرارات واذن الولايات ورؤساء البلديات هى مادة ثرية تبين المواقف النهائية المعادية التى وقفها كل ذى سلطة قلت او جلت . وهناك أرشيف مجالس الجزائر ومجالس الولايات ومجالس البلديات وما حرر من محاضر جلساتها . فهذه ايضا مادة اخرى ثرية لابد من مراجعتها ولايسة ولاية ودائرة دائرة وحوزا حوزا ، وهناك أرشيف المحاكم المدنية او العسكرية وأرشيف الانديجينا (الاحكام الاهلية) . فهذه كلها تبين من الالف الى الياء وبوضع المنقط على الحروف وفى دون التواء ولا احجام جميع ما وقع بالجزائر .

وهناك التقارير العسكرية والمجلات العسكرية .
وهناك الصحافة الجزائرية الفرنسية اللسان .
وهناك المجلات الجزائرية الفرنسية وهى مئات

وامتدادات ، ومن باب الذكرى التى تنفـح
المؤمنين .

ولنتساءل الآن : لماذا لا يكتب أبناء البلاد
المحتلة تاريخ احتلالهم ؟ قيل للارنب مرة لماذا
تمعتين فى اكل العشب ولا تأكلين اللحم ، انه انفع
لك ؟ فقالت : سبحان الله ! انا سلمت بلحمى
حتى آكل لحم الغير ؟

ان المحتل الاجنبى لاسيما اذا كان لاتينيا من
اسبان وفرنسيين وإيطاليين وبلجيكيين يمنع حرية
القول وحرية النشر وحرية الصحافة . ومن غير
شك ان هذا فى اتجاه واحد . وكما يقول المثل
التونسي : « عليهم عليهم يا سيدى القاضى » او كما
يقول المثل الآخر : « اذا كان ولدنا ضرب ولدكم
هاكا حال الصغار ، واذا كان ولدكم ضرب ولدنا
شام النهار » فاية رقابة قائمة عسكرية او مدنية
تسمح لصحيفة او لكتاب ان يقولوا عشر معشار
الحقيقة حتى ولو تلميحاً دون تصريح أو حتى
باسلوب الحرافة والرمز مثل كليله ودمنة وقصص
جحا ولافونتان . كلا ثم كلا ، فمذهب هؤلاء
هو اقامة محاكمة من اجل النية والمقصد اللذين
لا يعلمها الا الله . فكيف اذا كانت هناك قطرة
من يم ونزر من جم من الحقيقة ؟ الا تعلمون قصة
الذئب من الخروف

La raison du plus fort est toujours la meilleure

ان حق الاقوى هو الافضل على وجه الدهر ، او كما
قال الرصافى :

مختلفة المواضيع . منها ما فيه فوائد نزيهة
فى كثير من الاحيان مثال La Revue Africaine
ومنها ما فيه الملاعن .

هذا هو الاصل الاول ويضاف اليه ان الدول
الاستعمارية الاخرى هى ايضا تمشى مع فرنسا
القلة بالقلة من باب :

فان ستروا عنى تسترت دونهم

وان بحثوا عنى ففيهم مباحث

وهو ما يسمى بتونس «شهادة باجية» اى اشهد
لفائدتي وانا اشهد لفائدتك . ومن غير شك
فهنا ايضا الاستثناء يؤيد العموم . فهناك دول قد
انصفت مثل تركيا ودول قد انصفت احيانا ولم
تنصف احيانا او انصفت فى موضوع ولم تنصف
فى آخر . والانصاف صعب للشهادة الباجية التى
تحدثنا عنها ولان مصدر المعرفة هى الجـزائر
نفسها ووسائل اعلامها او وسائل اعلام فرنسا
نفسها فرواية الاخبار والاحداث ومهازل تقديم
مجريات الاحوال للضيوف الذين سيكونون
« شهودا من اهلها » كلها تتم وفق المرام باساليب
كوميديية ابرع وابدع واروع من اساليب
موليار لولا انها بعيدة كل البعد عن المـرعى
الاخلاقي ونزاهة الفكر وصدق القول . وليراجع
من يشاء منا ما رواه كبار المشاركة عن زياراتهم
المحتفى بها للجزائر فهى مكتوبة مشطرة مطبوعة
بما فيها من خير وشر ، وبما فيها من صدق
او تلبيس ابليس كما يقول ابن الجوزى . على ان
موضوعنا الاصل هو ما كتبه المؤرخون الافرنج
وما ذكرناه انما هو ذيل لذلك التاريخ الاصلى

وصارت القضية الجزائرية كما قيل في حكم
عمورية :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

ولكن انتهت المعركة الاخيرة بانتصار الجزائريين
انتصارا مبينا ونهائيا وابديا . غير ان الكتب
التي الفها الاستعمار ووثائق الارشيف والصحافة
والمجلات بقيت هي المصدر الوحيد لمعرفة التاريخ
ولما رجع الجزائريون الابل من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فمن معارك الجهاد الاكبر معركة
الكتاب الاستعماريين والوثيقة الاستعمارية
بالترجمة وكشف اللثام ومقابلة الكتاب بالكتاب .
وهي معركة طويلة النفس ولكن لا يهم . ولما كانت
طويلة فلنبدا من الايام . فلنترجم ولنهدب ولنحقق
ولنحرر النقاط . فما نهض الاسلام الا بترجمة
المأمون . فعلينا بالترجمة في هذا العصر الميمون .
والا لبقى ابناءؤنا يرجعون الى تلك المصادر ويتأثرون
بها فتمسح ادمغتهم ومفاهيمهم ويبقون مع جهل
من حقيقة الامر على وجه الدهر . فعلينا ببينيسلين
الميكروب التاريخي الاستعماري .

القاعدة الثانية :

هي ان السياسة الاستعمارية تبدأ اولا بتفطية
من التلبسات التاريخية والمغالطات والسفسطات
وانصاف الحقائق وارباع الحقائق واللاحقائق
واضداد الحقائق . كما تبدأ المعركة المعاصرة
بتفطية من اسراب الطيارات تجعل العمران قاعا
سفصفا فتاتي الجيوش زاحفة كأنها متجولة في

يا قوم لا تتكلموا
ان الكلام محرم
ناموا ولا تستيقظوا
ما فاز الا النوم
وتأخروا عن كل ما
يقضى بأن تتقدموا
ان قال ان ثماذك
سيل ! فقولوا مفعم
او قيل ان شهدكم
مر ، فقولوا علقم
او قيل ان نهاركم
ليل ، فقولوا مظلم
او قيل ان بلادكم
يا قوم سوف تقسم
فتحمدا و تشكروا
و تنعموا و ترنموا

ومع ذلك فان الجزائريين لم يفعلوا ادنى شيء
من ذلك فما حمدوا الا الله الذي لا يحمد على
مكروه سواء ولم يمدحوا الجزائر ، بل فعلوا ما في
الوسع . بل جاء من المؤرخين حمدان خوجة الذي
ذكر مخازي الاحتلال في عصره ، وجاءت مجلة
البصائر التي ذكرت الحقائق كما هي ، وجاءت
خطب البشير الابراهيمي ومقالاته التي هي الشهب
المحرقة . ولكن ذلك جاء بالاضافة الى فرنسا «عند
العي والكبر» وفي الفصل السابق للختام من
الرواية ذات المائة والعشرين فصلا .

علمية ما عليه من مزيد ورسالة حضارية سامية
وظاهره رحمة وباطنه عذاب *

فقد جاء الاقطار المغربية Shaw و Tissot
واضراهما وبحثوا عن حضارة الرومان وبينوا
مجد الرومان واقاموا الدليل ببراءة علمية ايضا
على ان العرب هدموا معالم الرومان وعطلوا الحضارة
اربعة عشر قرنا . ويحمد الله جاء الفرنسيون
او الاسبانيون او الايطاليون واعادوا مجد الرومان
ولا شك ان الفرنسيين والاسبانيين والايطاليين
هم احفاد الرومان بالمغرب حقيقة لا غبار عليها
ولا مراء فيها ولكنها كلمة حق اريد بها باطل .
فالذين قاموا بخضارة الرومان ليسوا الرومان
ولكن ابناء البلاد المغاربة . فمدينة شرشال بناها
يوبا الثانى الملك البربرى وبنى جامعته الكبرى
والف اول موسوعة علمية عالمية اول جغرافية
جامعة . والمسرح الرومانى بناه المغاربة والف
مسرحياته القرطاجنى طيرنسيوس وهو واضع
علم التمثيل الحقيقى عند الرومان ومؤلف المسرحيات
الرومانية الاصيلية الطريقة . والنقد المسرحى
وضعه مقاربة اصليون امثال اونيبيوس وترتوليانوس
والقديس أوغستينوس ، واول مشروع رومانى وضع
المجلة الدائمة هو تونسى من بير بورقبة سلفيوس
جوليانوس وكبار الامبراطورية الرومان مقاربة
امثال كارل كله وسيتيموس سافاروس وغوديانوس
الاول والثانى والثالث بناء قصر الجم بتونس *

وجاء Dussau فبحث عن الفينقة وان الفينقة
ام الحضارة بالبحر المتوسط . وهذه ايضا كلمة
حق اريد بها باطل فهم يريدون من الفينقة ان

بستان عمومى هو فى الحقيقة مقبرة للبشر
والحيوان والنبات والمعالن والآثار وكل اسباب
ال عمران وموجبات الحياة *

وقاعدة هى المعركة التاريخية تركز على بيت
الشاعر :

فان تكن سبة طاروا بها فرحا
وما راوا حسنا الا وقد كتموا

او قول الآخر :

وعين الرضا عن كل عيب كليله
كما ان عين السخط تبدى المساويا

وقول المثل : « الى تحبو سقط لو ، واللى
تكرهو لقط لو » ، او قول المثل الآخر : « اللى
ما فيه مخلوق ، يشريو هولوم السوق » والمثل
الآخر : « يقطع يد اللى ما تضربش » *

والمهم فى الامر هو ان نجعل اهل البلاد يؤمنون
بحضارة غير حضارتهم ويعجبون بحضارة دين
غير دينهم قد اخذ حضارته من دينهم وان تؤمن
بعدم وجود حضارة لدينا ولا قدرة على اكتساب
حضارة ما او بناء دولة او انشاء دولة علم او ادب
او فن او معمار او تقنية . بحيث ينسى الناس
فى امجادهم او يحاول القوم ان ينسوههم فى
امجادهم وفى دورهم الحضارى وفى رسالتهم
العالمية فيزهدون ويتزاهدون . ووسائل ذلك
هى الآتية :

1 - العناية بالآثار : وهذه العناية تسببق
الاحتلال بمدة تقل وتزيد . وهى تتظاهر ببراعة

وحثين ولكنهم يشتمون الفاتحين الاتراك امثال اتيلا وهولاكو وجنكيز خان وتيمور لنك ويمشى المتأوربون من الاتراك فى هذه السبيل ويبقى الشعب التركى الاصيل والعقلاء فى حظيرة الاسلام الذى كون حضارتهم الكبرى واعز دولة ظهرت فى بلادهم *

ويذهبون الى العراق ، فيبحثون عن آثار بابل وآشور واور ونيوى ويحاولون تبيين انها اعظم من حضارة العراق الاسلامى *

ولا يصيب العراقيين الجنون والافتتان بترهات هؤلاء العلماء الذين لا يبحثون « لله » لانه « ما تماش قطوس يصطاد لربي » ، ولكن كل هذه البحوث لابعاد الناس على حضارتهم الاصلية والهائهم بحضارات سابقة هى جزء لامع من حضارتهم الاصلية وجعلهم لا يؤمنون بحضارتهم الى آخر ما قلنا *

وانتقل الاثريون الى ايران نفسها والى الهند فتحدث كريستنسن Christensen عن الساسانيين وكليمان هوار Cl-Huart عن تاريخ ايران فى العصور القديمة كل ذلك قصد انساء الايرانيين والمسلمين عامة فى مجد الطاهريين والصفاريين والصفويين والغزنويين واثبات عظمة قورش ودارا ورستم وانساء عظمة البخارى والنسائي والترمدى والبىرونى وابن سينا والشيرازى وابن بختيشوع والحوارزمى ، بل بلغ من امرهم انهم مجدوا الخيام الشاعر وحاولوا انساء الناس فى عمر الخيام الرياضى والعالم بالجبر والمقالات والمثلثات *

نعدل عن تاريخنا العربى الى الحضارة الفينيقية والحضارة الفينيقية هى حضارة عربية اصيلة لان الفينيقيين من بنى كنعان وهم اليوم من سكان لبنان وسوريا والاردن وفلسطين . فاذا كانت الفينيقية هى ام الحضارة ونحن نسلم بذلك فابو الحضارة هو يعرب بن قحطان *

وذهب شامبوليون الى مصر فاخذ يطبل ويژهى لحضارة الفراعنة وهى ايضا ام الحضارات . يا اخى ! يا اخى ! اذا سلمت بانه يجوز ان يكون لاحدهم آباء متعددون فالام دائما واحدة . فما بال الحضارة عديدة *

واذا كنا نسلم بمجد الحضارة المصرية القديمة وانها اثرت فى حضارات البحر المتوسط حتى الحضارة البونيقية نفسها فما هى الا حضارة مصرية مسبوقة بحضارة ليبية ومجد مصر فى عصرها العربى الاسلامى اضعاف مجدها الفرعونى الذى فيه حضارة اليمن وحضارة الهكسوس وحضارة الايرانيين وحضارة الليبيين البطوسين Battides من اهل الشحات Cyrène والمصريون الاقدمون والمحدثون عرب ، والا فما بالهم ينشئون الجامعة العربية ويحدثون المرة بعد الاخرى شخصية علمية وادبية وفنية عربية اسلامية كبرى ولماذا يخرج منهم كبار المصلحين المعاصرين الى جانب الامير عبد القادر وخير الدين باشا التونسى *

ثم يذهب اخواننا الاثريون الى تركيا يبحثون عن آثار الطوخاريين والحثيين فيجدون السدب الابيض وحضارة الاتراك القدامى من سرامطة

وحاولوا تمجيد هند بوذا وبراها والنرفانا
وانساء الناس في هند محمود الغزنوي واكبر
واورنغ ذيب وتاج محل واقبال والتهانوي .

ب - الحملة التشويهية : العربي جاهل قذر
وسخ اشوه يلبس اطمارا بالية واسملا ملطخة
مرقعة قملة وهو كذوب لص مخادع كسول مراوغ
قلب فاسد الاخلاق عديم المروءة لا عهد له ولا ميثاق
ضعيف مريض يحمل جرائم الاوبئة وينشر
الامراض الوافدة غير مؤتمن لا يمكن ان يسترسل
اليه في اي امر .

هذه هي الحملة التشويهية التي قام بها
الفرنسيون ضد الجزائريين قبيل الاحتلال وعند
الاحتلال وخلال الاحتلال وبنوها في كل مكان بجميع
وسائل الاعلام من صحافة وكتب ومسرحيات
وروايات وقصص وخطب ومحاضرات .

لكن ! كيف يقام الدليل على ذلك ؟ الامر
بسيط . يقال بالتونسية : « من لحيثوا اقبل لو
شكال » فقد قال ابن خلدون وهو اكبر مؤرخي
العرب « اذا عربت خربت واذا خربت لم تعمر » ،
لا شك انها كذبة فقد قيل لرجل : بما ذا عرفت
انها كذبة ؟ قال : من كبرها . فابن خلدون لم
يقبل العرب وانما قال الاعراب اي البدو الرحل
فيأتي المسيو دوسلان ويترجم Les Arabes وتبنى
على ذلك دنيا الاكاذيب وترهات بسايس والمزاعم
والنظريات الخاطئة . لكن من يستطيع ان يكذب
المسيو دوسلان ؟

اذا قالت حذام فصدقوها
فان القول ما قالت حذام
العربي جاهل : لا يا سادة . فكتابه الكريم
يبدأ بفعل الامر من مادة قرأ . ويسمى القرآن
ولا يسمى كتاب كاء الشجرة La Bible ونبيه
يقول : « طلب العلم فريضة على كل مسلم وكل
مسلمة » ويقول : « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد »
والله تعالى يقسم بالقلم في كتابه فيقول : « ن
والقلم وما يسطرون » ويقول تعالى : « قل هل
يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

والمسلمون هم الذين علموا أوروبا الصفر
والارقام العربية والحساب والجبر والمقابلة
والمثلثات والخوازمية وعلومهم الفلك وقاسوا
لهم خطوط الطول وخطوط العرض وعلومهم المعمار
المرجن فبنوا لهم كنائسهم المرجنة واديرتهم
وقصورهم باوربا واميركا ، وهم الذين نقلوا اليهم
الكاغد والطباعة والتجليد ، وهم الذين علموهم
الكيمياء والطبيعية والدورة الدموية والتحليل
والتصعيد واصول الصيدلة المنفصلة عن الطب
وعلموهم تلقيح الجدري وعلم التطعيم بوجه عام .
واخترعوا لهم الساعة والدفة والبوصلة والاسترلاب
والخرائط البحرية وعلموهم مسالك البحار .
وعلموهم القافية والوزن والموشح والزجل والغرام
المتظرف والبلاغيات وعلموهم الجمع gamme
والنوطة الموسيقية وادخلوا الى بلادهم العود والرباب
rebec والنقارات hacine والسرناي
haubois وعلموهم البلطة haliebarde
والاسلحة النارية من البندقية الى المدافع ونظام

الاستحكامات في القلاع ، فهل يبقون بعد كل هذا جهالا ؟

وانما انتم جهلتموهم فأغلقتهم مدارسهم الوطنية وحرمتهم من مدارسكم وجامعاتكم على حين انهم فتحوا لكم جامعات قرطبة وطليطلة وبالمرم وسالرن والقيروان وبجاية وفاس .

المسلمون قنرون ؟ استغفر الله ! فالمسلم يغتسل طهورا اكبر مرة في الاسبوع على الاقل وهو قد اخترع الحمام الرائع والمشن والصابون والطفل المعطر وانواع الغوالي *crème de beauté* حتى سميت الغالية بالاسبانية *algalia* وبالفرنسية القديمة *algalia* وبالبرتغالية *algalie* وهم الذين ابتدعوا لكم انواع

العطور والمسك والزبد (انظر الجزء الثاني عشر من نهاية الارب للتويرى وكتاب العطور للكندي) وقد نشروا في اوربا الصابون ، ولفظ الصابون وصناعة الصابون كما نشروا لفظ الزبد *cevette* ومسك *musc* والانيق *alambic* وجلاب *julape* وماء الزهر *agna de azahar* وهم

الذين اهتموا بنظافة الثوب ونظافة المكان ونظافة المدينة وهم الذين يغسلون اطرافهم ورؤوسهم ويستنون ويستنشقون ويستنشرون خمس عشر مرة في اليوم ، وهم الذين لا تصح صلاتهم الا بطهور البدن والثوب والمكان والذهن والقلب فكيف يكون العربى قدرا ؟

وما قلناه عن العربى الجاهل والعربى القذر نقوله عن العربى السارق فهذا اختلاق آخر

ما انزل الله به من سلطان . هل العربى اخذ اراضى الفرنسى ام الفرنسى اخذ اراضى العربى ؟ ولولا خوف الاطالة لاوردنا من الامثلة العجيب والغريب .

والمهم من هذه السياسة التشويهية هو خلق مركب النقص ومركب الجريمة فى نفس العربى حتى لا ينوى يوما ان يثور على الجنس الرفيع الذى يحتل بلاده بعقود رومانية وغالية *gauloises* اخنى عليها الذى اخنى على لبد .

ومع ذلك فما خضع العربى ولا خنع ولا ارغم انفه فى التراب . ولا ذل ولا استكان ولا تمسكن حتى يتمكن الى ان قضى الله امره كان مفعولا .

فكل هذا الادب التاريخى التشويهى يجب ان يجمع لتعرف عليه حتى لا يختلط على الباحثين فى التاريخ الحابل بالنابل وحتى نعرف الكوع من البوع وحتى ننقى الحنطة من الزوان وحتى نجعل ما لله لله وما لقيصر لقيصر .

القاعدة الثالثة :

اننا اذا حللنا طبقات المؤرخين المستشرقين وجدنا عند آخر تحليل انهم ينقسمون الى ثلاث طبقات :

الطبقة الاولى .

المؤرخون المستشرقون الذين ينتسبون الى اقطار غير استعمارية ، فهؤلاء يكونون عادة اقرب انصافا فى دراستهم أو اقل حدة فى احكامهم فتاريخ الادب العربى لكارل بروكلمان أو كتابه الآخر « الموجز فى تاريخ اللغات السامية المقارنة » لا يمكن ان

واقلمهم المصنف اذا تحدث عن تاريخ البلاد التي يستعمرها مثال ذلك غوستاف لربون في تاريخ العرب فقد اعطاهم حقهم وزيادة وعرف بحضارتهم ليس الا فرنج فقط بل حتى المسلمين ، ومثل Leclercq في تاريخ الطب عند المسلمين ومثل W. Marçais في تاريخ الحديث وقيمته العظمى التربوية والاخلاقية عند الامم كافة فلا يوجد له نظير في أى ادب من آداب الامم ولا عند آداب الامم كافة ، أو في بحثه عن اللهجات وأصول الكلمات المغربية أو في تخريجه المدرسين المسلمين الافذاذ اما اذا دخل السياسة فيصير شيئا آخر ومثل Pons Bouygues باسبانيا صاحب كتاب طبقات المؤرخين الاندلسيين وقد احصى فيه وترجم بما ينيف عن ستمائة مؤرخ اندلسي ومنهم المؤرخات ومثل قنزالس بلنسيه صاحب كتاب تاريخ الادب الاندلسي الذي ترجمه وعلق عليه الدكتور حسين مؤنس ، ومثل كتاب تاريخ الحضارة الاندلسية وتأثيرها على حضارة اوروبا الذي شرعنا في ترجمته ، ومثل كتاب El Islam الحضارة الاسلامية في حضارة اوروبا الناشئة . y Occident وهو اروع ما كتب عن تأثير وقد ترجمناه وهو مائل للطبع .

ومثل امارى الايطالى صاحب كتاب تاريخ مسلمي صقلية وهو معلم ومعلمة نادر الوجود ولم يترجم الى الآن ، ولست ادري ما يصنع الناس . ومثل Mielli الايطالى صاحب كتاب تاريخ علماء الرياضيات عند العرب ، ومثل Schiapparelli الذي ألف تاريخ المعمار الاسلامي بصقلية .

نوصفنا بنعصب بل انهما معلمان من معالم الدراسات الاسلامية لا يوجد بالعربية لهما مثيل الا ما ترجم منهما . وكتاب زار Sarre في تاريخ التجليد الاسلامي شيء عظيم وكفى بالله . ولا عيب فيه الا انه لم يترجم بالعربية . وكتاب Toussaint المكسيكي عن تاريخ الفن المدجن الاسلامي باميركا El arte mudejâr en Amérique يقيم الدليل القاطع والبرهان الساطع على ان المعمارين المدجنين الاندلسيين الذين كانوا التقنيين في ذلك العصر قد بنوا طوال اربعة قرون كنائس جمهوريات اميركا واديرتها وقصورها وبساتينها بطراز عربى فيه الزليج والنقش العربى والقبة والسقف العربى والمشربية « القنارية » Verandah وذكر لنا البعض من اسماء هؤلاء وآتى بالتصاوير التى هى البرهان الذى لا يدحض . فهذا الرجل قد قام بعمل تاريخي لبيان مجد المعمار الاسلامي لم يقم به أى مؤرخ معمارى مسلم . وديامند الاميركي الذى ألف كتابا في الفنون الصغرى الاسلامية من اثاث وانسجة وسلاح وزجاجيات وعاجيات واوان وحلى وتحف على اختلافها هو ايضا محتاج الى ان يقام له تمثال .

• الطبقة الثانية •

المؤرخون المستشرقون المنتسبون الى اقطار قامت فيها دولة العرب والاسلام مثل الاندلس والبرتغال وجنوب فرنسا وجنوب ايطاليا (قلوريات كالابريا Calabre وصقلية وسردانيا ومالطة) . فهؤلاء معظمهم منصف اذا تحدث عن تاريخ المسلمين في بلاده او في العالم

ومثل تألف Joseph Bedier في تأثير القصة العملية في أدب القصة بأوروبا . ومثل دراسة لاوي بروفانصال عن نشأة شعر الطروبادور على غرار الموشح الاندلسي ووجود الخرجة العربية في شعر الطروبادور Guillaume d'Aquitaine (القرن التاسع الميلادي) أو دراسات الدكتور Reinaud عن أطباء العرب بالاندلس والمغرب أو Souneck عن الموسيقى الاندلسية أو Coulangette Rudolphed Erlange Farne عن الموسيقى العربية ، أو Terrasse و G. Marçait و Golvin أو Alexis Chottin عن المعمار المغربي . عن الموسيقى المغربية فهؤلاء نستطيع ان نطمئن اليهم مع التحصن بالاحتراز كما قال الشاعر :

أعد نظرا يا عبد قيس لعلماء
اضاءت لك النار الحمار المقيدا

أو كما يقول المثل التونسي « اقرأ يس وهز حجره في يدك » أو كما قال مالك ، رضى الله عنه « اعقلها واتكل » وحتى لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين .

وقد قال صالح بن عبد القدوس :
واذا امرؤ لسعته افعى مرة
تركته حين يجرح جبلا يفرق
وهو مثل المثل الجزائري : اللي لدغته حية من
ظل الجبل يفزع .

وقال ابن شمس الخلافة :
ومن يذق لدغة الافعى ، وان سلمت ، منها
حشاشته يفزع من الرسن والمثل التونسي يقول :

اما اذا انتقلنا الى الريف الاسباني سابقا او الى ليبيا التي رزحت تحت نير الايطاليين فان الانصاف يقل ومع ذلك نجد من بحث بانصاف مثل Romanelli في تاريخ ليبيا الرومانية واقوستيني في تاريخ القبائل العربية ببرقة . اما اذا وصلنا الى Beguinot فيجب ان نتجهز بالمقص العازل والمجهر الميكروبي .

الطبقة الثالثة :

ونعني بها على الاكثر المؤرخين المستشرقين الذين نشؤوا ببلاد الاستعمار نفسها او الذين نشؤوا خارجها ولكنهم سخروا اقلامهم لخدمة الاستعمار في الدوايب الحكومية او الدوايب الاستعمارية .

ثم ان هذه الطبقات الثلاث تنقسم بدورها الى الصنوف الآتية :

الصنف الاول : الباحث العلمي النزيه والمؤرخ المتمحص للبحث عن الوثائق الصحيحة من مخطوطات وكتب تاريخ ووثائق خزائية للوصول الى حقيقة تاريخية لا غبار عليها تبين مزية العرب على الحضارة مثل دراسة Blum عن الكاغد عند العرب ونشروهم اياه بأوروبا وفضلهم على الثقافة بهذا النشر . ومثل دراسات جامعة هال عن تاريخ الفلك عند المسلمين ، ومثل تأليف Vernet و Villacrosa الاسبانيين عن تاريخ الرياضيين الاندلسيين ، ومثل تأليف Ribera عن تأثير الموسيقى العربية بأوروبا وتأليفه الآخر عن تأثير القصة العربية في كوميديا دانتي الايطالي الالهية

الاعتبار الثالث

ان آثار الرومان بالمغرب هي آثار المغاربة
لا الرومان . فهي جزء لا يتجزأ من ثراثنا لا من
تراث غيرنا .

الاعتبار الرابع

ان آثار البربر والفينيقيين والرومان بالمغرب
اعظم منها بالمشرق فحضارة البربر الكبرى انما
ظهرت بالمغرب 50,000 سنة قبل المسيح حسبما
تدل عليه حفريات الغارمنت بليبيا ، وحضارة
الفينيقيين انما ازدهرت بالمشرق .

ومعالم الرومان وأدبهم وفنونهم ومسرحهم
ومعمارهم وطبهم وقوانينهم ومحاكمهم انما ازدهرت
بالمغرب اضعاف ما ازدهرت بالمشرق وقامت على
ايدي مغاربة اضعاف ما قامت على ايدي رومانيين
حتى في رجال النصرانية أنفسهم وما عمله
الامبراطورة المغاربة الذين جلسوا على عرش رومة
اعظم مما عمله الامبراطورة الرومان واقرب الى
الانسانية ، فخذ لك مثلا من ان القانون الروماني
يقسم الناس الى *populus-romanus* الشعب الروماني
والى *Rem* . لا شيء أو شيء بالمعنى المغربى أى
ان « الاهلى » هو بمثابة حجر لا ينتفع به أو
عنكبوت أو اية كمية مهملة فلا وجود له قانونى
ولا حق له فى التراجع لدى المحاكم الى آخر ما هنالك
وهذا يذكرنا بدقة بقوانين الاهلية بالجزائر فلما
جاء الامبراطور سبتيموس سافاروس وهو بيسى
محا هذه الفروق العنصرية فصار « الاهلى » بدون

الى يقرموا الحنث من جرة الحبل يخاف .

الصنف الثاني

المؤرخ المستشرق المحايد . وهو غالبا يبتعد
فى الزمان أو فى المكان . مثل *Stephan Gsell*
الذى درس بدقة لا مزيد عليها تاريخ المغرب
القديم قبل العرب أو مثل *Carcopino* الذى
درس تاريخ المغرب الاقصى القديم فاجاد . فهذا
الصنف قد درس مواضيع تهتم تاريخنا مباشرة
لكن فى غير العصور الاسلامية ، ونحن بوجه عام
لا نعرفه كثيرا وليست لدينا عنه مصادر كثيرة .
وهم فى الغالب مرتبطون بوثائق اثرية يصعب
الطعن فيها فالقسم الاول من تاريخنا يمكن الاعتماد
عليهم فيه بالاعتبارات الاتية :

الاعتبار الاول

ان البربر عرب من حير فحضارتهم حضارة
قحطانية عروبية أولى ، وليست هنالك خرافة
ثلاثية البربر من السلت الغال *gaulois*
من السلت ، فالبربر من الغال واذن فهم فرنسيون
فهذه تسمى بالتونسية خرافة أم سيسى تكنس
تكنس لقات فلشين ، أى شنشنة اعرفها من اخزم
أو حديث خرافة يا ام عمرو .

الاعتبار الثاني

ان الفينيقيين عرب من بنى كنعان فحضارتهم
حضارتنا ومجدهم مجدنا .

ان يتجنس بملك ويتعلم ويتصرف ويكون ناخبا
ومحوبا .

الصنف الثالث

المؤرخ المستشرق المفرض الذى يريد ان « يغطى
عين الشمس بالغربال » وهم غلاة الاستعمار
بستان اقلامهم وعذبة لسانهم الذى هو اشد سما
من الافعى . ولهؤلاء كتبهم التى يدسون فيها
السم فى الدسم مثل Gauthier فى كتابه
« عصور المغرب المظلمة » و André Servier الذى
يريد ان ينبذ عرب الجزائر الى الصحراء (ويا حبذا
فى هذا الزمان ! لو كان يدري !) .

وهؤلاء قد يذكرون حقيقة ما احيانا ولكنها
غابة حطب على وقية غسل فانت يجب ان تبحث
عن الحقيقة فى قعر البئر . وموقفنا من هذه الكتب
ومن صحف مورينو واضرابه وخطب غلاة الاستعمار
ان يترجم ويحلل ويصنف ما فيها ليعلم الناس
الحقائق المرة اليوم ونحن فى فرحة الحياة وليتبين
مجد المجاهدين الذين اخرجوا الناس من هذه
المتاهة المظلمة التتنة العفنة المملوءة بالاشواك
والعقارب وكسارة الزجاج والافاعي والنييران الملتهبة
والاصوات المزعجة والنيازك المحرك والتى دامت
130 سنة بدون ان يعلم لها آخر وبدون ان يساعد
الجزائرية من خاتمة المطاف والخروج من المتاهة
بسلام وعافية ومجد وشرف .

ولهؤلاء فضل علينا عظيم حيث قال الشاعر :
عداتى لهم فضل على ومنّة
فلا اذهب الرحمان عنى الاعاديا

هو بحثوا عن زلتى فاجتنتها
وهم نافسونى فاكسبت المعاليا
فهم حافظ لها وأى حافظ للبحث عن امجادنا
واخراج دررها اليتمية للموعة المخبوءة فى اصدافها
المغمورة فى اغوار البحار الهوجاء .

2 - صميم الموضوع :

قد تبين من كل هذا ان العمل بالاضافة الى
المؤرخ المسلم المعاصر هو ان يطرح كل شئ وان
يبدأ من الصفر . ومعنى ذلك يتلخص فى
المناهج الآتية :

المنهاج الاول : ترجمة كتب المستشرقين
وبعد تقسيمها الى أ و ب و ج فالف هى كتب
المستشرقين النزهاء و ب هى كتب المحايدين ،
و ج هى كتب المفرضين . فنجعل قائمة من ذلك
ونترجم اكثر ما يترجم ونهذب ما يمكن ان يهذب
ونصحح ما يجب ان يصحح وهو عمل طويل نفس
دقيق وجدى ونفيس .

المنهاج الثانى : ان نلجأ الى الوثائق الثابتة
وهى الانواع الآتية :

النوع الاول : الآثار . كل الآثار وان نعيد
النظر فى دراستها وان نجتمع المصادر التى الفت
عنها . فلا توجد بالجزائر قرية او قبيلة لم يكتب
عنها الفرنسيون واغلب ما كتبوه فى مجلات
الاثريين ، انظر :

S. Gsell : Atlas archéologique de l'Algérie + biblio-
graphie.

وفى مجلة La revue Africaine ولمعرفة ذلك
فلينظر المصادر الجزائرية الصادرة سنة 1930 و
Pearson : Index Islamicus وفهارس دار الكتب

الالبسة والاطعمة والاشربة والزينة والحلى والاسلحة والمسارح الشعبية والعلوم الشعبية الى غير ذلك ، فهذا ايضا مصدر حقيقى للبحث عن تاريخ الشعب الحقيقى . وقد كتب الفرنسيون كثيرا عن الفولكلور وكتب عنه المسلمون (رشيد ابن شنب ، بخوشة ، شعيب التلمساني ، بلقوثى بو على وغيرهم) . واكثر هذه الدراسات مفهرس بدار الكتب الوطنية الجزائرية وبالمقامات التى اشار اليها Pearson فى Index Islamicus وهذا قليل من كثير فيجب القيام بالمسح الفولكلورى cadastre folklorique اى انطلاقا من المدن والقرى والمداشر والقبائل تتكون لجان محلية صغرى فى الدائرة ، تصب عملها فى الولاية التى ترسل الكل الى اللجنة الوطنية الفولكلورية بالعاصمة .

النوع الرابع : المسح الثقافى cadastre culturel

ويشمل :

اولا : الدواوين corpus اى دواوين الدواوين النقاشية corpus des inscriptions وهى بربرية وبونيقية ورومانية وعربية وتركية فيجب ان تكمل الى يوم الناس up to day **ثانيا ديوان الكتاب الجزائرى :** وهو احصاء الكتاب الجزائرى منذ ظهوره الى يوم الناس بآية لغة (بربرية - بونيقية - لاتينية - يونانية - عربية - تركية - فرنسية - اسبانية - وبآية لغة اخرى كتبت عن الجزائر ويسمى هذا : corpus librorunus algerisorunus

ويكون فى يوم ما جزء corpus librorunus araborunus

ثالثا : ديوان الرجال الجزائريين (من رجال

الوطنية الجزائرية وليضبط فى ذلك فهرست ابجدى بمصادر تاريخ المدن والقرى والمداشر والقبائل الجزائرية ، هذا عمل اولى يسهل البحث على الباحثين . وينطلق منه الباحثون فى كل ناحية يبحثون عن ناحيتهم .

النوع الثانى المعمار : وهو المدارس المعمارية

الجزائرية من العهد الحجرى الى البربرى الى البونيقى فالرومانى فالوندالى فالبيزنطى . ثم العصور الاسلامية من عصر الولاة الى الرستميين الى الفاطميين الى الحماديين الى الموحيدين الى الاتراك . ثم يقارن بالمدارس المغربية والمشرقية ويقابل المدارس الاوربية وما كان مبلغ تأثيره عليها .

ويراجع من اجل ذلك :

Creswell : Early Islamic architecture

G. Marçais : Manuel d'Art Musulman et toute son œuvre.

Terrasse : Introduction à l'art Maghrébin.

Golvin : La Mosquée - La Kalaâ des Beni Hammad - Sitifés etc...

وللمقارنة :

Ahmed Fikry : La Cathédrale du Puy

Emile Boule : Ses études sur l'influence de l'art musulman sur l'art français + bibliographie.

النوع الثالث الفولكلور : فغالب الشعوب

الاوربية او الامريكية او الاسياوية او الافريقية او الاسترالية التى كانت تحت الاستعمار واخذت تبحث عن تاريخها وجدته فى فولكلورها . فالفولكلور يشمل الامثال التى هى حكمة الامم وديوان سلوكها ومصدر تربيتها وعماد تفكيرها . ويشمل الملاحم التى هى ديوان ادب وشعر ولغة وقوة تعبير وتاريخ احداث ماجدة وبطولات نادرة . ويشمل دراسة

العرب . وما يوجد في الصحافة الغربية (Pearson : Index) والعربية ، وما ينشر على التوالي بأية لغة من كتاب ومجلة وصحيفة بالاشتراك مع وكالات التحليل المكلفة بذلك .

ثانيا : تضاف اليها مؤسسة تاريخ التحرير الوطني عبر التاريخ فتؤلف معجما باسماء الوقائع ومحالها وتاريخ احداثها ورجالها وابطالها وتذيل ذلك بالمصادر الوطنية التي هي في الغالب تكون مسجلات وعرضحالات عن شهداء عيان او تقارير عسكرية وطنية او اجنبية واخباريات وكالات الاخبار او كتب تاريخية معاصرة . وقد فعل ذلك بالاضافة الى ليبيا العلامة الليبي السيد خليفة عمر التليسي انطلاقا من المصادر الوطنية والاطالية واصدر معجمه فكان من عجائب الدنيا . على ان هذا العمل يقتضى مشروعا داخليا - وهو الذى ذكرناه من اوله الى آخره - وعملا عربيا اسلاميا وهو الذى تعقد له مؤتمرات على ضوء هذه المعلومات الصالحة للجميع وهذه المناهج العامة التى يمكن تطبيقها فى كل مكان وزمان . ولكن هذا يأتى من بعد . وفى راحة بال وبعد تجارب اولى تصحح الاوضاع وتثبت او تعدل النظريات والمبادئ المرسومة . وفوق كل ذى علم عليهم .

3 - الموضوع فى العصور الجاهلية :

وهى العصر الحجري ، والعصر البربرى ، والعصر البونيقي ، والعصر الرومانى ، والعصر الوندالى ، والعصر البيزنطى . اما العصر الحجرى فهو كله مبنى على الآثار والمقارنة . لكن الفرنسيين يركزونه على آثارهم من انسان كرومانيون بينما العصر الافريقى يعتمد على انسان بير العائر او الانسان الوهرانى او الانسان الغرامنى او الانسان الكبسى l'homme capseen وكلها حضارات ترجع الى العصر الحجرى وهى اقدم عهد وادق حضارة من انسان كرومانيون .

ونساء) المشهورين عبر التاريخ فى الحرب والسياسة والعلوم والادب والفنون والتاريخ والتقنيات والتجارة والبحرية والاختراع . على غرار الاعلام للزركلى ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة . ويعتمد فى ذلك على ترجمة الرجال فى كل عصر يوبا الثانى ، عقبة بن نافع ، وعبد المومن ابن على ، وباديس ، وابن باديس الخ . . . بدون فرق ولا تمييز . وتذيل كل ترجمة بمصادرها .

رابعا : ديوان الامكنة الجزائرية (جبال - انهار - رؤوس - خلجان - بحيرات - مدن - قرى - مداشر - قبائل -) ويذيل كل فصل بمصادره .

ومن اجل الفقرات الرابعة والثالثة والثانية والاولى اعلاه تؤسس اكااديمية العلوم التاريخية والجغرافية الجزائرية التى يكون اعضاؤها جزائريون ولها مراسلون اجانب فى الخارج ولها فرع فى كل ولاية وفرع ثانوى فى كل دائرة ولها فرق مسج جواله مزودة بالآلات العصرية البصرية والصوتية والقبسية ولها روزنامة آجال معينة مسبقا . ولها الاعتمادات اللازمة للقيام بهذا العمل الجبار الذى يمكن ان يتم فى عشر سنوات ولا مزيد .

وتضاف اليها ايضا مؤسسة ترجمة المصادر التاريخية واعدادها التى تتولى :

اولا : ترجمة الكتب التاريخية التى الفها الاجانب او الوطنيون او المخطوطات التى يعثر عليها ، فتجمع هذه الكتب وتعطى لها ارقام قيمة من واحد الى عشرة وتمتد ترجمتها ونشرها على عشر سنوات فما كان برقم واحد يترجم فى السنة الاولى وما كان برقم اثنين يترجم بالسنة الثانية وهلم جرا الى العشرة .

فاذا جاءت السنة العاشرة وهى 1984 يكون قد تم كل شئ .

وهذه اللجنة نفسها تعد المصادر الجزائرية ما كتبه الفرنسيون او الانكليز او الاسبان او

واما العصر البربري فهو يعتمد ايضا :

أ - على النقوش الصخرية بالمغرب والجزائر وتونس وليبيا . ويعتمد على الكتابات الهيروغليفية الواردة في المسلات والمصاطب وغرف وادي الملوك وادفو وغيرها .

ويعتمد على كتب الانساب البربرية القديمة المكتوبة باللوية والتي ترجمت ببيت الحكمة بالقروان والتي اعتمدها ابن خلدون ، وكتب الانساب الوسيطة مثل تأليف سابق المطماطي وغيره من نسابة البربر ممن اعتمد ابن خلدون أيضا . وتعتمد على أسماء القبائل المقارنة مثل حمير وخمير وغمار ، وعلى الصلات اللغوية بين الحميرية والبربرية وعلى أسماء الامكنة البربرية وعلى العادات البربرية المشابهة للعادات اليمنية في السكن والملبس والمأكول والاثاث والخط وغير ذلك ، وعلى تحبيط خرافات الاوروبيين في المقارنات اللهجية أو الانثروبولوجية المدلّسة مثل تلبسات

Chantre et Berthlon في

Recherches anthropologiques dans la Berberie orientale.

وعلى اخبار البربر التي أوردها مؤرخو اليونان هيرودتوس ، بوبلبوس وقد جمعها S. Gsell

في كتاب بالفرنسية تجب ترجمته للتخلص من الموضوع مرة واحدة نهائية . أو مؤرخوا الرومان الخارجيون مثل ساللوسطس أو الداخليون الوطنيون مثل ابو ليوس وفلوروس واولو جيلس والقديس أو غوستينوس وغيرهم . وهذه الكتب عظيمة الاهمية وقد درسها Paul Monceaux في

La littérature romaine d'Afrique و Les Africains

علاوة عن الالمانى Mommsen في Geschichte der Römer

تاريخ الرومان وهو اوسع كتاب في تاريخ افريقيا الرومانية ، أو ما كتبه الفرنسيون أو الايطاليون عن افريقيا الرومانية مثل Boissier S. Gsell Toutian Boissier Andollent Vergara

الخ Combes Romanelli Toulotte

واما العصر الوندالي فقد كتب عنه مطولا Schmidt الالمانى : Histoire des Vandales

وهذا الكتاب لا بد ان يترجم لانه دسم ككل الكتب الالمانية (وهو مترجم بالفرنسية فصار الامر سهلا) و Gauthier Genseric Roi des Vandales : يجب ان يترجم أيضا .

واما العصر البيزنطي فقد افردته بالتأليف

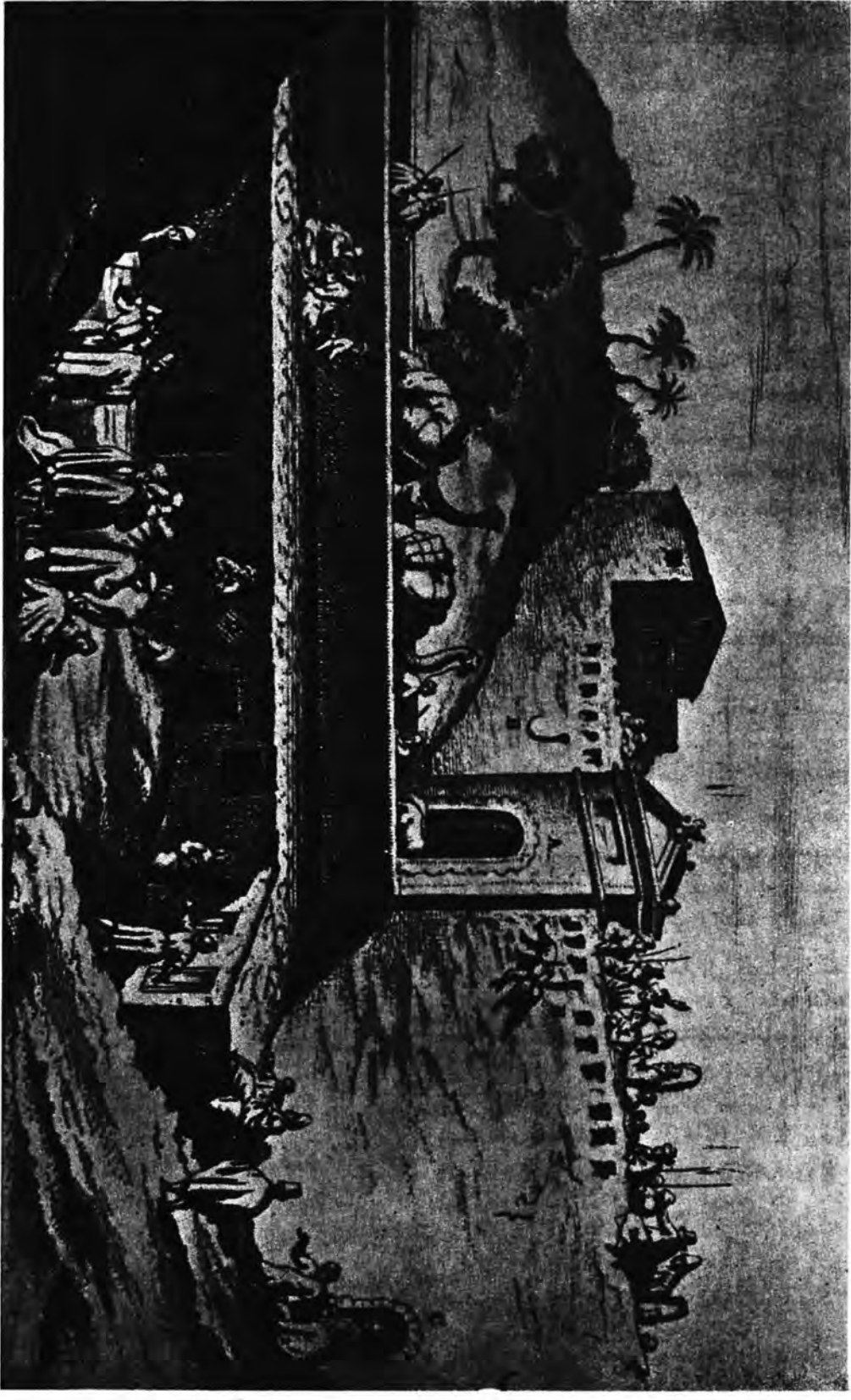
Charles Dichl في كتاب L'Afrique Byzantine

وهو ايضا يحتاج الى ترجمة وكلها تدخل في البرنامج العشري على ان الكتاب المطول الدسم الذي جمع فاعى فشمّل باطالة واسهاب وتدقيق وشمول كل عصور الجاهلية المغربية فهو S. Gsell

Histoire de l'Afrique du Nord dans l'Antiquité

وهذا اذا ترجم فقد حققنا للمغرب الجاهلي كتابا مطولا دسما مثل كتاب جواد على تاريخ العرب في جاهليتهم وبنفس الاسلوب والدقة والعدد .

ونحن لسنا في حاجة الى كثير « التنقية » و « التصفية » و « التمهيص » في هذه الكتب لان اصحابها كتبوها بنية التمجيد والتحميد والمثل يقول ما توصى يتيم على نواح اذا بكى اعمى عينيه ويقول المثل الاندلسى آش (سيد) تعلم اليتيم البكا ، وجاء المثل المغربى قائلا : « لا توصى يتيم على بكاه . أو هو كما يقول المثل التونسى الآخر : آش يعمل السراج فى سرج ابنو » ؟



مدخل باب عزون بالعاصمة قبل الاحتلال

من بواعث الإستشراق وأهداف المستشرقين

لقد أدرك رجال الغرب فضل العرب على العلم منذ توطيد سلطان الامويين بالاندلس ، وان المدنية الشرقية والحضارة العربية الاسلامية سبقت اختها الغربية بقرون . فآخذ بعض المتحمسين من هؤلاء الغربيين - حبا في الاطلاع وللمعرفة والعلم - الدخول الى تلك المملكة العربية الاسلامية للدرس على علمائها ثم العودة بعدها الى بلاده لنشر ما اخذه عن العرب بين قومه وفي انحاء وطنه الغربى ، وكان فيهم اليهود والنصارى ،

عبد الرحمن الجيلالى
مؤرخ جزائرى

باقسامها الحاضرة الا بعد ان تفرعت العلوم اخيرا فقط .

ثم تنوعت اغراض هؤلاء المستشرقين واختلفت مقاصدهم بحسب اختلاف اتجاهاتهم نحو الشرق وتنوع غاياتهم منه، سياسيا ، ودينيا، واقتصاديا، وادبيا ، ففي أوائل القرن السادس عشر ظهر الخلاف الدينى الذى وقع بالثورة البروتستانتية فى المانيا وعم الغرب كله واضطر اهله الى الرجوع بمباحثهم اللاهوتية الى دراسة التوراة العبرية فاضطروا حينئذ الى التعرف على قواعد اللغات السامية فدرسوا منها العربية والعبرانية والكلدانية والسريانية وقابلوها ببعضها بعضا استعانوا فى ذلك باليهود والعرب ، فاتسع لهم بذلك مجال البحث وفشت بسببهم البحوث حول الآداب الشرقية وانشئت يومئذ المناابر لتعليم اللغة العربية فى أشهر مدارس اوروبا ، وطبعت التوراة لأول مرة بالعربية فى ألمانيا سنة 1514 م وحضرت هذه الحركة الاستشراقية اتجاهها ضمن الدراسات الدينية ردحا من الزمن ولم تتحول الى الآداب العامة الا فى العصر التى نظمت فيها العربية بباريس تنظيما علمانيا ايام وجود المستشرق الفرنسى « سيلفيستر دوساسى » فى القرن الماضى، ويومئذ ظهرت الدراسات الوافية باللغات الاوروباوية كالاتينية وغيرها تبحث فى تاريخ العرب والاسلام وقل مثل ذلك فى السياسة والاجتماع .

وبما ان كلا من دول فرنسا وانكلترا وهولندا وأمريكا والنمسا والمانيا كل منها كانت ولا زالت

وفيهم من اخذ بحظ وافر من علوم الشرق فانتفع بها فى حياته العملية وحاز بها أعلى المراتب ، فكان منهم من ارتقى الى البابوية مثل البابا « سلفيستر الثانى » الذى تخرج من مدارس الإنديس ، وكذلك « البير الكبير » و « روجى باكون » وغيرهم ، وكان الله سخر العرب لفتح الاندلس وصقلية وتعميرهما حتى ينقلوا لاهل أوروبا ألهم الحضارات .

وشاعت فى القرون الوسطى يومئذ لغتان شرقيتان واشتهر امرهما بين العلماء هما العربية والعبرانية ، فالعربية هى لغة الدين الجديد والدولة الجديدة العتيدة ولغتها هى لغة العلم والفلسفة يومئذ ، واللغة العبرية هى لغة من اللغات السامية الشرقية الاصيلية فكان من الواجب على المستشرق ان يطلع على ما فى هاتين اللغتين من علوم ومعارف ، فكان من أثر ذلك تأسيس درس عام بباريس (أواسط القرن الثالث عشر) لدرس اللغة العربية ، وكانت أول ترجمة للقرآن عرفتها اوروبا هى ترجمة ما كتب طليطلة التى نقلها « كوثيت » سنة 1143 م مستعينا باثنين من العرب وعرضها على « دكلين » بقصد نقدها ، فاتضح يومئذ بهذا ميدان للاستشراق .

وكان فى طليعة المعتننين بهذه البحوث الاستشراقية ولا سيما منها العربية هم الرهبان فتراهم منكبين على دراسة الفلسفة الاسلامية وترجمتها الى اللاتينية وبذلك تسربت اليهم علوم العرب ، وذلك لان الفلسفة فى عهدها الاسلامية الاولى كانت تنطوى على العلوم كلها ولم تعرف

لها مصالح مرتبطة بالشرق وتلك المصالح غالباً تناط بالسفراء والقناصل فكان رجال السلك الدبلوماسي مضطرين الى دراسة اللغات الشرقية، وكان عكوفهم على تفهمها حق الفهم باعثاً لهم على البحث عن المخطوطات المؤلفة بلغات الشرق فاجتمع لهم في تنقلاتهم ورحلاتهم في الشرق كميات ثمينة من المخطوطات النادرة هي اليوم زينة المكتبات المعتبرة في أوروبا ، كما انه كان من بواعث الاستشراق وغاياته التوسع في الميدان الاقتصادي والتجاري ، فكان هذا الميدان ولا يزال ينبوعاً فياضاً بالخير غزير المادة ، والفائدة جامعاً لمنابع الثروة ، فاقضى ذلك المزيد من النفقة في فقه اللغات الشرقية ولا سيما منها العربية لانها كما ذكرنا لغة شعب حمل لواء التفكير الانساني اكثر من اربعة قرون ثم انه كان قبل ذلك يمثل المدنية الانسانية على مستوى العالم وقد اشتملت لغته على جميع ما انطوت عليه الحضارة الانسانية يومئذ ولا تزال هذه اللغة تماشى الحضارة الى اليوم ، ثم ان اساس الحركة الفكرية في اوروبا منذ القرن الثالث عشر الميلادي يرجع الى المؤلفات العربية التي تناولها الاوروبايون بالمطالعة والدرس ، وزد الى ذلك ان لهؤلاء العرب ديناً جليلاً له تأثير عظيم في عقليات كثيرة تبلغ مئات الملايين من الناس منذ نشأته الى الآن ، فمدرسة هذه اللغة يسهل لهم استغلال أهلها والانتفاع بما عندهم .

وهناك طائفة ممن اتخذ الاستشراق مهنة يرتزق منها ولا يبالي حيثما توجهت به الاهواء فهو

مع السياسة كيفما كانت اغراض سادته فيستخدم العلم كآلة لبلوغ غاية معينة ، ومنهم من تسوقه الاغراض السافلة الى الطعن في الثقافة الاسلامية وتشويه الحقائق وهذا المسكين لا يدري وانه بذلك يشوه سمعة جماعة من قومه ومن بنى جنسه اخلصت للعلم وخدمت العلم للعلم ، ومنهم من يخطط خبط عشواء فهو لا يعير اهتماماً لتحقيق المسائل ولا يتحرى الصواب في كثير منها ، ومنهم من وقع في اخطاء لم تكن متوقعة من مثله ممن اشتهر بالتحقيق والامعان في البحث وسعة الاطلاع والتضلع من الثقافة الشرقية والغربية ، وخذ اليك مثلاً العلامة (بروكلمان) المستشرق الالماني الكبير الف كتاباً في تاريخ الشعوب الاسلامية ونشر بعدة لغات ومنها العربية ، ورغم ما احتوى عليه هذا الكتاب من الفوائد الجمة واستيعابه للتاريخ الاسلامي من مبدأه الى العصر الحاضر ، فان صاحبه وقع في اخطاء ولا أدري أهى عن عمد او عن غفلة وقلة مبالاة !!

فعندما تكلم بروكلمان عن الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضى الله تعالى عنه واتى بتفصيل لحوادث الفتنة الكبرى التي أدت الى اغتياله ذكر من اسبابها خلع عمرو بن العاص رضى الله عنه من ولايته على مصر وتولية عبد الله بن سعد ابن ابي سرح ، قال « واشتدت النقرة على عثمان في مصر وانضم الى عمرو في اذكائها محمد بن ابي حذيفة وهو ابن ابي بكر الصديق بالتبني ... » !!

فوا عجباً هكذا يذكر بروكلمان بنفسه اسم والد محمد فيقول هو ابن ابي حذيفة ، ثم يقول

وهو ابن ابي بكر الصديق بالتبني ٠٠٠٩ ومعلوم ان محمد ابن ابي حذيفة هذا ولد بأرض الحبشة ورباه عثمان بن عفان فلما شب رغب في غزو البحر فجهزه عثمان وبعثه الى مصر الخ القصة ٠ وكيف يتبناه الخليفة الاول ابو بكر الصديق وهو ممن تلقى القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة ومن أعلم الناس بحلاله وحرامه وحكم تحريم التبني في الاسلام من المسائل المعلومة من الدين بالضرورة فكيف تخفى على ابي بكر حتى يرتكبها بنفسه ٠٠٠!!؟ هذا مما لا يسيغه النقل ولا العقل ولا ادري كيف وقع في هذا الغلط الفاحش مثل بروكلمان ٠٠٠٩

وفي هذا الكتاب أيضا تعرض لتاريخ انشاء المنبر في الاسلام فذكر ان هذه المؤسسة الاسلامية « وقعت من عمال الامصار الذين كانوا يؤمون الناس في أيام الجمعة في الصلاة العامة بأنفسهم فهم أول من اصطنع هذا المنبر ، ولم يصبح - حسب زعمه - في الناس عادة شائعة الا في المائة الثانية للهجرة » ٠٠٠ والواقع بخلاف ذلك فان علماء التاريخ الاسلامي مجمعون على ان انشاء المنبر وتأسيسه للخطابة بالمسجد كان على عهد النبي صلى الله عليه وان ابتداء العمل به كان سنة سبع او ثمان للهجرة وقد شوهد عليه الصلاة والسلام يخطب وهو واقف على المنبر بمسجده في المدينة ، وكان هذا المنبر يشتمل على ثلاث مراق - درجات او درج - الى زمن خلافة معاوية بن ابي سفيان وكان الوالي على المدينة مروان بن الحكم (42 - 49 هـ) فزاد فيه هذا ست درجات ، ولقد

استمر هذا المنبر الشريف بمكانه من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ومنه كان يلقي الخلفاء خطبهم الى ان احترق باحترق المسجد سنة 654 هـ ٠ فكيف يصح بعد هذا ان يقال ان المنبر هو من صنع عمال الامصار ٠٠٠!!؟ وانه لم يصبح ارتقاء المنبر للخطابة في الناس عادة شائعة الا في المائة الثانية للهجرة ٠٠٠٩

وكذلك الامر بشأن احداث المنائر واتخاذها لتأدية شعيرة الآذان بالمساجد ، فاننا نرى بروكلمان يقول : « ٠٠٠ والواقع ان العثمانيين هم أول من ضم المثانة الى المسجد في آسيا الصغرى ٠٠٠ » والواقع هو بخلاف ذلك ٠ فان أول من احدث المنائر بالمساجد والجوامع هو مسلمة بن مخلد حين ولايته على مصر (47 هـ / 667 م) فانه هدم ما كان عمرو بن العاص بناه من المسجد بمصر وبناه هو وأمر ببناء منار المسجد ، فهو أول من احدث المنائر بالمساجد والجوامع ٠٠ (النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ج 1 ص 133 ط دار الكتب بالقاهرة) فأين هذا مما نسبته بروكلمان الى الاتراك العثمانيين بآسيا الصغرى ٠٠٩

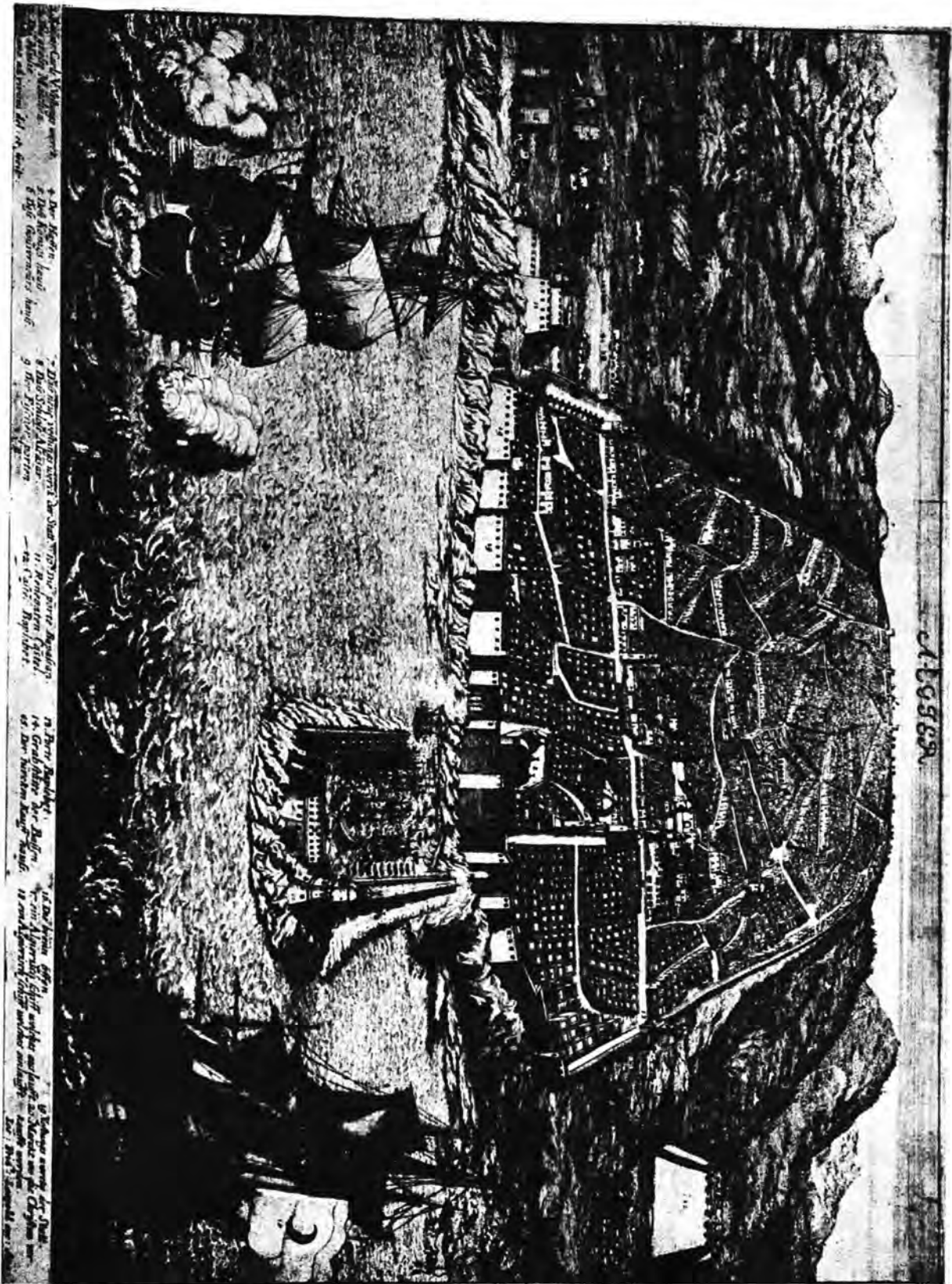
ومن ذلك ايضا قول هذا المستشرق في نفس الكتاب بان « ٠٠٠ النظر في المظالم والحكم بين المتخاصمين ، وهي مهمة لم يكن يعين لها رجال مخصوصون حتى أيام مؤسس الخلافة الاموية ٠٠ » فأين هذا مما هو مشهور من ولاية القضاء في التاريخ الاسلامي على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد بعث على بن ابي طالب الى اليمن ليقضى بينهم، وعلمه كيف يقضى فقال له : اذا جلس

بين يديك الحصان فلا تقضى بينهم حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول فانه احرى ان تبين لك القضاء . . .

كما انه عليه السلام عين معاذ بن جبل لقضاء الجند وكان ابو موسى الاشعري قاضيا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان القضاء على عهد النبي ستا : عمر وعليا وعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وزيد بن ثابت واما موسى الاشعري ، وشريح الكندي كان قاضيا على عهد عمر بن الخطاب بالكوفة . .

الى غير ذلك من مسائل شتى طرقها هؤلاء المستشرقون دون ان يعيروها أدنى تحقيق ، وهذا لا يمنعنا من ان نعترف لهم بالفضل في بذل جهود جبارة في تحقيق المخطوطات النادرة وطبعها طبعة علمية مفهومة بفهارس مفصلة مع ترجمتها ونقدها والتعليق عليها بتعليق مفيدة وشروح فريدة وتوضيحاتهم لكثير من المسائل العلمية وتبديد ما تراكم عليها من غبار الاوهام والشكوك ، فلهم منا على ذلك مزيد التقدير والاحترام .





مدينة الجزائر في القرن السابع عشر

الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإفخون الرهمانين ففي ثورة 1871

اصول اسرة الحداد ونشأة زاوية صدوق :

ان البلد الاصلى لاسرة الشيخ الحداد هو
بنى منصور ، ومنها انتقل بعض الاحفاد الى
ايموله في الضفة الغربية لوادى الصومام ، والى
بلدة صدوق الفوقانية على الضفة الشرقية
للوادى بين مدينتى اقبو ، وبجاية ، وذلك منذ
اربعمائة عام قبل وقت الثورة ، وخمسائة عام
حاليا . وفي صدوق تعاطى الحفيد الذى هاجر
اليها حرفة الحدادة ، وخلف ولدان احدهما كان
مثقفا واسس زاوية لتعليم القرآن ، وهو والد
الشيخ امزيان الحداد زعيم الثورة .

يحيى بو عزيز

استاذ جامعة الجزائر

وبين زوايا الرحمانيين انفسهم هناك خلاقات وتنافس ، فزاوية طولقة رضيت منذ البداية بالتعامل مع سلطات الاحتلال ، واعلن رئيسها سي علي بن عمر طاعته لسلطات الاحتلال منذ عام 1844 ، وفتح زاويته للقوم والجنود الفرنسيين في احداث بسكرة بنفس العام . بينما زاوية نفطة كانت ملجأ لكل الفارين والمضطهدين من طرف سلطات الاحتلال منذ عام 1849 ، ولكن سياستها تغيرت بعد ان اصبح على راسها سي الحسين بن علي بن عثمان شقيق رئيس زاوية طولقة ، وتأثر باتجاه اخيه فاصبح من اعوان الفرنسيين وهو الذي ابلغهم عام 1871 بوصول محيي الدين ابن الامير عبد القادر صحبة ابن هلال اقدم كتاب ابيه ، وتقابله مع ناصر بن شهره ، وبوشوشة .

اما زاوية صدوق فكان لها اتجاه مستقل ويمثل شيخها واتباعها الافكار الديمقراطية لان معظمهم من الطبقة الشعبية الكادحة المحرومة (2) وصلاتها بسلطات الاحتلال محدودة لانها لم تكن اسرة اوروستقراطية غنية من جهة ، ولم يتقلب افرادها في الوظائف العامة الادارية باستثناء عزيز الذي عين قائدا على دوار عموشة لمدة قليلة وكان الشيخ امزيان الحداد يمثل الروح الاستقلالية والاتجاه الديمقراطي ، ويكره بطبيعة تكوينه الديني سياسة المراوغة ، والانتهاز التي تتبعها العائلات الاوروستقراطية الاقطاعية امثال

تعليم الشيخ امزيان في زاوية ابيه ، فحفظ القرآن ، وتعلم بعض مبادئ العربية ثم ذهب الى زاوية الشيخ ابن اعراب في جبال جرجرة حيث واصل تعلمه مدة من الزمن ، وفي نهاية دراسته اخذ الميثاق على خليفة سيدي عبد الرحمن بوقبرين في زاوية سيدي علي بن عيسى في جبال جرجرة . وعاد الى صدوق وتصدى للتعليم في زاوية ابيه ، واختاره اهل القرية اماما ومعلما في مسجدهم . وعند ما تكاثر الطلاب في زاويته اذن له باعطاء الورد كمقدم وخليفة لطريقة سيدي عبد الرحمن ، واصبح يعطى الميثاق للمريدين ، وارتفع عدد الطلبة في زاويته الى حوالي 500 ياكلون ويشربون ، وشاركت الزاوية في تقديم اعانات مادية للمعوزين اثناء مجاعة عامي 1867 - 1868 م (1) .

وقد استطاعت عائلة الشيخ الحداد ان تفرض نفوذها وسيطرتها الدينية على المنطقة الواسعة شرقي وادي الصومام من البحر الى سهل الحضنة وعلى مناطق واسعة في منطقة القبائل الكبرى ايضا .

ولزاوية صدوق ، من الناحية الدينية صلة بزاوية طولقة التي تعتبر الزاوية الام لكل الاخوان الرحمانيين في الهامل ، ونفطة ، وتنافسها في الاتجاه والسلوك زاويتا قيماسين، وقمار التيجانيان .

(1) سي عزيز : مذكرات منهم ، ص 77 - 81

(2) لويس دين : تاريخ ثورة 1871 بالجزائر ، ص 89 - 92 - 105 -

المكاتب العربية ، وساعد الجيش الفرنسي على عبور منطقة وادي الساحل فكرموه ومنحوه لقب ضابط الشرف Officier de la Légion d'Honneur ووافقوا على امتيازات احتفاظه بمكانته وخدمته ، وعلى عدم دفع الضرائب . واستدعى عام 1852 لحضور حفلة زواج الامبراطور نابليون في كومبين Compiègne ويعتبره وارثي من اكثر الجزائريين تنويرا وتحضرا ، ولكن خضوعه لسلطات الاحتلال اساء لسمعته فضعف نفوذه . ومع انه بعد انتصارات راندون في احتلال القبائل الكبرى استعاد سمعته بعض الشيء الا ان اغلبيه اتباعه انضموا جماعات جماعات الى الشيخ الحداد في صدوق ، ولم يبق له من قوة سوى فرق « القوم » المرتبطين بوظيفته ، والمدعمين بالسلطة الفرنسية . (4)

وكان ابن علي الشريف يتباهى باصله لكونه يتحدر كما يدعى من الادارسة ، وبذكائه السياسي ، ويعرض بعائلة الحداد ، ويقول انها لا اصل لها ، وليس افرادها سوى عمال في مهنة الحدادة . ويعود سبب الكره والحقد بين شلاطة وصدوق الى احداث بوبغلة كذلك حيث هاجم الشيخ امحمد بن الشيخ الحداد ، عزيز بن علي الشريف في 18 مارس 1851 ، تماما كما حصل لزاوية الشريف ابن الموهوب ، ولما هذا الحقد والكره وتضاعف حتى بلغ اقصاه عام 1871 . فقد تآكدت السلطات الاستعمارية من اخلاص

عائلة باشاغا شلاطة ، التي تتصف بالكبرياء والتعالى ، وتعارض روح ومبدأ المساواة ، والديمقراطية . (3)

مشاكل زاوية صدوق :

ان هذا الاتجاه الديمقراطي لزاوية صدوق ، المعادى بصورة عامة للاوروستقراطية هو الذى خلق لها مشاكل فى المنطقة من ضمنها التنافس والصراع الحاد الضمنى والعلنى مع زاوية باشاغا شلاطة ابن علي الشريف ، وزاوية الشريف الشيخ محمد امزيان بن الموهوب ، شيخ العرش فى ايموله ، المتحدثين فى السيرة والاتجاه .

فزاوية الشريف محمد امزيان بن الموهوب ساءرت سلطات الاحتلال ، ودخلت فى خدمتها منذ عام 1847 وتضامنت مع زاوية شلاطة ، وتحمل حقدًا ضد عائلة الشيخ الحداد ، لان الشيخ محمد بن الشيخ امزيان الحداد كان ضمن جنود الشريف بوبغلة فى حركته ، وهو الذى هاجم زاوية ابن الموهوب فى 5 مارس 1851 ، وخرّبها ، لمعارضة صاحبها للثورة . وبقي هذا الكره والحقد حتى عام 1871 ، وتعرضت نفس الزاوية لهجوم عزيز فى 15 ابريل 1871 .

اما زاوية شلاطة فشاكلها مع عائلة الحداد وزاوية صدوق اكثر تعقيدا . فزعيمها ابن علي الشريف خضع لسلطات الاحتلال منذ احداث عبد القادر . وتعاون مع الجنرال بيجو فى اطار

(3) اندرى جوليان : تاريخ الجزائر المعاصر ، ص 481 - 482

(4) اندرى جوليان : تاريخ الجزائر المعاصر ، ص 481

فلقد شرحنا سابقا طبيعة الخلاف والمشاكل بين زاوية صدوق الرحمانية ، وزاويتي شلاطة ، ويلولة ، ونضيف هنا بان عائلة الباشاغا المقراني نفسها ، كانت منقسمة على نفسها الى فرعين : فرع الباشاغا محمد بمجانة وكان صديقا لباشاغا شلاطة ابن علي الشريف ، وفرع محمد بن عبد السلام المقراني قائد عين تاغروط شرق برج بوعريريج ، وهو صديق للشيخ عزيز قائد عموشة ، وعائلة الحداد بصدوق . وقد خلق هذا الانقسام في عائلة المقراني ، وهذه الصداقة المتعكسة ، وضعا شاذا انعكس على الاحداث فيما بعد قبيل نشوب ثورة 1871 ، وزاد في حدة هذا الخلاف والشقاق التصرفات السيئة التي سلكها الضباط الفرنسيون بالمنطقة خاصة الجنرال اوجورو، والكولونيل بونفالي ، وريلهاك .

ففي اواخر 1870 استدعى بونفالي من مليانة ليخلف اوجورو في قيادة منطقة سطيف ، بعد ان نقل الاول الى قسنطينة ، وسلك سياسة المراوغة واطهر ميله لصف اولاد عبد السلام خصوم الباشاغا المقراني ، ولعائلة الحداد خدمة للمصالح الفرنسية ، واقترح عليه اوجورو قبل رحيله ان يحاول اصلاح ذات البين بين الصفيين في منطقة وادي الساحل ، خاصة بين شلاطة وصدوق ، ورحب المقراني بالفكرة لان ذلك سيضمن عزل الاخوان الرحمانيين عن خصومه من ابناء عمومته صف محمد بن عبد

ابن علي الشريف ، فعينته باشاغا على شلاطة يوم 24 فيفري 1869 ، واصبح نفوذه يشمل زاوية صدوق ، فلم يرتج عزيز لهذا العمل وهو قائد عموشة ، فقدم استقالته وتحول الى خصم لدود لابن علي الشريف يفتنم كل الفرص لاثارة المتاعب ضده . وقد اكد في مذكراته بان ابن علي الشريف له لسان طويل يلعب على الحبلين ، احيانا مع سلطات الحكومة ، وحيانا مع الثوار ، حتى لا يخسر احدا ، ويكون دائما هو الرابع ، ويتضح ذلك من احداث بوبغلة حيث كان يستقبل ثواره سرا ، ويعمل علنا مع فرنسا . (5) وهي نفس الفكرة التي اكدها بيدولت حيث قال : «ان ابن علي الشريف في زاوية شلاطة قوى ومعروف في كل القبائل ، ولكن ماضى اجداده وسلسلة نسبه ضاعت ، وعند ما ارتفعت قيمة الحداد في صدوق حاول ان يكسب السمعة بامواله ، وسياسته ، وذلك بالحصول على منصب باشاغا شلاطة في الجزائر ، واصبح يسيطر على بني وغليس ، واوغلاقن ، ويلوله ، وبني عيديل ، وبني ميسينا واصبح له مرتب شهري بمبلغ 12 الف فرنك (6)

اسباب التجاء المقراني الى الشيخ الحداد :

كانت بمنطقة القبائل الصغرى ، والضفة الغربية لوادي لصومام وضعية شاذة بين الزوايا الدينية ، والعائلات الارستقراطية . تعتبر احدى الاسباب التي ادت الى ثورة 1871 والى فشلها .

(5) سي عزيز : مذكرات متهم ، ص 10 - 11 و 36 - 37
(6) بيدولت : الحقيقة على الجزائر ، ص 56 - 58

عزيز الحداد وحدة خلافاته مع ابن علي الشريف، فاندفع بحماس لفتح مفاوضات معه ومع ابيه، رغم ان عزيز كان صديقا شخصيا حتى ذلك الوقت لمحمد بن عبد السلام المقراني. وهذه العلاقة هي التي اخرجت الاتصال بين صدوق ومجانة حتى هذه الساعة وجعلتها واهية.

وقد جاء هذا الاتصال ليزيد من طموح عزيز ويرفعه، فأكد له بأن كل الاخوان الرحمانيين سينسحبون من صف ابن عبد السلام، ويلتحقون به في الحال، ولم يكتف بهذا فأخذ يحث الناس على الجهاد قبل اعلانه رسميا، وعقد اجتماعات عامة في صدوق وضواحيها خلال ايام 27 - 30 من مارس للتبشير بالجهاد، وبسرعة اخذ الرحمانيون بزمام الموقف، وتحول عزيز الى زعيم ثائر منذ اواخر سبتمبر عام 1870. وقد كان واري من منذ اكتوبر 1870 قد طلب من السلطات الفرنسية ايقاف شقيق عزيز، الشيخ امحمد، ولكن دوريو عارض، استنادا الى تأكيدات وضمانات الجنرال اوجورو في اخلاص عائلة الشيخ الحداد.

ولما كان الشيخ امزيان الحداد كبير السن، طاعنا، ولا يميل الى الحروب لكونه كان يرى فيها تخريبا وتحطيم لزاويته، وامكانياتها المادية والدينية، فقد تسلط عليه ابنه عزيز الذي كان على العكس منه حتى اقنعه باعلان الجهاد يوم 8 ابريل 1871. (8)

السلام، فاتصل بعدد من الشيوخ والقياد، وتآلف وقد خلال شهر جانفي 1871 ذهب الى بجاية، ومنها الى صدوق، ثم الى اقبو بصحبة عزيز. وكان اللقاء بين ابن علي الشريف وعزيز يوم 9 جانفي 1871 بأقبو فاترا وباردا محوطا بالشكوك والريب. ولم يفلح المقراني في ازالة شكوك ابن علي الشريف نحو صدوق. (7)

لم يقدر لهذه الزيارات ان تثمر لان الخلاف كان عميقا وجذريا بين صدوق وشلاطة. وقد وصل الى علم بونفالي تأكيد عزيز بان اي تفرقة بين ابيه والاخوان سيؤدي الى نشوب ثورة، وابلغه ابن علي الشريف نفسه في رسالة وجهها اليه والى حاكم بجاية ولبهاك بان عزيز يضايقه، وعليه ان يعتقله او يوقفه على الاقل، فطلب من عزيز بأن يكف عن اثاره المشاكل، ويتصل بحاكم بجاية، ويزوده بالاخبار والمعلومات الضرورية.

وهكذا وجد المقراني نفسه وحيدا، وشبه معزول عن تأييد هذه العائلات الاوروستقراطية، وفي نفس الوقت اشتد قلقه من تزايد صعود نجم خصومه: صف اولاد بن عبد السلام المقراني واشتدت الاشاعات، وقويت عن اعتزام السلطات الفرنسية انتزاع الباشاغوية منه واعطائها لهم.

وهذه تفكيره الى استمالة الشيخ الحداد، والاخوان الرحمانيين بالتبعية. واستغل غضب

(7) الفريد رامبود: ثورة الجزائر عام 1871، ص 19، ورين ص: 111 - 116
(8) جوليان: تاريخ الجزائر المعاصر، ص 481 - 482، ورين ص: 198 - 199

عوامل استجابة الاخوان الرحمانيين للثورة :

هذه هي بعض الدوافع التي حفزت المقراني على الالتجاء الى اتباع الشيخ الحداد والاستنجاد بهم في حركته الثورية . فما هي العوامل التي حملت عزيزا واباه على الاستجابة بهذه السرعة وتلبية نداء الثورة ، واقحام الاخوان الرحمانيين؟

ان معظم الذين كتبوا على هذه الثورة وعلى راسهم لوى رين ، اعتبروا حركة الاخوان الرحمانيين ، ووصفوها بانها حرب دينية مبنية على التعصب الديني والعرقى ، بل ان البعض منهم اراد ان يتهم الاخوان بانهم مدفوعون من طرف مشوشين جاؤوا من مكة .

ففاوتي مثلا يقول : ان كل الجزائر اخذت تستعمل النار مدعمة برياح التعصب الديني للاخوان (الرحمانيين) الذين انتشروا في مصيف جرجرة ، ومن حدود المغرب الى حدود تونس ، وان اخوان 1863 و 1865 ما يزالون اليوم يقودون الحرب الدينية . وقد جاؤوا من مكة لزراع التشويش الديني في كل الجزائر . (9)

ولكن الحقيقة غير ذلك ، وهناك ظروف عامة وخاصة اقحمت الاخوان في المعركة :

اولا : الخصومة التقليدية والحادة بين زاوية صدوق وزاوية شلاطة، وتبادل الطرفين التهم والسباب والشتائم ، فابن علي الشريف كان يظهر تكابره نظرا للمنصب الاداري الذي يشغله كباشاغا ،

ويعرض بعائلة الحداد ويقول بانها لا اصل لها ، وان ابناءها من الحدادين ، والحدادة في نظره من المهن القذرة . وعزيز يرد عليه في مذكراته ، ويتهمه بالمقابل بانه لا اصل له ولا نسب رغم ادعائه بانتسابه الى الادارسة ، وقد سبق ان عرضنا راي بيدولت في ذلك . ويزيد عزيز ايضا لفكرته قائلا : ليس هناك عيب او احتشام ان ينحدر الانسان من جزار او خماس ، او حداد أو تاجر او حمال ، ولكن العيب ان يجهل الانسان اصله ، ونسبه ، هذا هو السؤال . (10)

ولم يتورع ابن علي الشريف في اتخاذ اية وسيلة لتحطيم اسرة الحداد ، وبلغت به الجراة ان اقترح على حاكم بجاية اعتقال عزيز باعتباره مشوشا ، ورفض مساعي المقراني وغيره من الشخصيات من اجل تحقيق الصلح بين العائلتين كما سبق . وبالمقابل فان عزيز اندفع ليرد الخطر ويدافع عن اسرته واتباع زاوية ابيه . ان مرارة عزيز من ابن علي الشريف تجاوزت الحد كما يتضح ذلك في مذكراته .

ثانيا : السلوك السيء الذي يتبعه الشيوخ والقواد الموظفون ، وضباط الجيش الفرنسي تجاه الاهالي خاصة الاخوان . ففي رسالة بعث بها عزيز الى ايلهاك حاكم بجاية يوم 14 جوان 71 ، حمل فيها مسؤولية الحرب على هؤلاء القواد والضباط ، الذين خربوا وحطموا المسلمين دون رافة بما يقومون به من نقل اخبار مزيفة

(9) فواتي : استقلال الجزائر ، ص 3 - 8
(10) سي عزيز : ص 81 - 84

النظام المدني بدلا من العسكري ، واعطاء اليهود الجنسية الفرنسية بصورة جماعية ، وارهاق الناس بالضرائب ، والتهديد بانتزاع اراضيهم واعطائها للمهاجرين الاوروبيين الجدد بعد حرب السبعين ، وما سبق ذلك من مجاعة ، وما استتبع ذلك من احتمال تسلم اليهود السلطة بالبلاد ، وتسلمهم على الجزائريين . كل هذه الاشياء استعملها عزيز في دعايته للثورة ، وكذلك كل مقدمى الاخوان الرحمانيين ، وهى امور ذات صلة بالوضع السياسى للبلاد ، ومستقبلها ، ولها تأثير كبير فى دفع الاخوان لخضم المعركة .

وهكذا يتضح ان وصف حركة الاخوان الرحمانيين بانها دينية متعصبة ، فيه نوع من المبالغة ، والتجنى عن الحقيقة .
دور الاخوان فى الثورة :

لا شك ان ارتقاء الاخوان فى خضم هذه الثورة هو الذى ادى الى حدوث تطورات خطيرة فيها ، فتحولت الحرب من طابعها الاوروستقراطى ، الى ثورة شعبية ، واصبح الاخوان الرحمانيون يجاهدون بعاطفة الدين لغرض الحصول على الاستقلال ، بتأييد من كل القبائل كقاعدة شعبية .

فبعد اعلان الشيخ الحداد الجهاد المقدس يوم 8 ابريل 1871 ببلدة صدوق امتدت الثورة الى

له . واكد فى مذكراته ان ارهاق القواد والمقربين للناس هو الذى دفعهم الى الانضمام الى صفوف الثوار ، وقال انى شهدت بنفسى كيف عانى سكان قرية صدوق من تبذير اموالهم فى استضافة ولد بن على الشريف حين قدم اليها وبقي بها اربعة ليال كاملة . (II)

واوضح فى رسالته السابقة بانه على استعداد للسلم وفق الشروط التى يقترحها اذا كانت هناك رغبة للسلم ، وهو الاول لذلك ، ولكن اذا احتفظت السلطات الفرنسية باولئك القواد فسيبقى هو ورفاقه واقفين بمساعدة الله وتأييده للجهاد الى اليوم الذى يرزقه الله بحكومة اخرى تضع معهم سلما ، «والى هنا نحن متحزون ضدكم بحول الله » (I2)

ثالثا : ان اندفاع الاخوان للثورة لم يكن بسبب العاطفة الدينية المتعصبة كما يصفها الكتاب الفرنسيون ، وانها لاسباب اكثر عمقا سياسية واقتصادية واجتماعية ، وجاء العامل الدينى ليدعمها . وقد دافع عزيز نفسه على هذا خلال دفاعه فى محكمة قسنطينة حيث اكد بان الحرب الدينية التى تزعمها ليست الا وسيلة للعمل ، وليست حربا دينية ، وان الالقاب والعناوين التى الصقت به كأمير المجاهدين ، والمدافع عن الدين ما هى الا تصورات نتجت من الظروف .

رابعا : وهناك الظروف العامة التى تعيشها البلاد من اقدام على اعادة التنظيم وانشاء

(11) سى عزيز : ص 43 - 45
(12) جوليان : ص 485 - 489

امتداد نفوذ الاخوان :

بعد التعرف على كيفية قيام حركة الاخوان الرحمانيين ، لابد من التعرف على مدى امتدادها داخل منطقة الحوادث لاستكشاف مدى نفوذها وخطورتها ومدى سيطرتها على الحوادث .

وما من شك في ان لزاوية صدوق انصارا واتباعا في معظم منطقة القبائل الكبرى ، والصغرى ، والشمال القسنطيني ، وفي العاصمة واحوازا ، ولها صلات روحية ببعض الزوايا الاخرى في حوض الشلف ، ووحدات الجنوب الشرقية .

وعلى هذا الاساس تحرك اتباعها في كل هذه الجهات وقادوا الناس للجهاد افواجا وجماعات بدون صعوبات كبيرة بعد ان اعطى لهم شيخهم اشارة الضوء الاخضر في اعلان 8 ابريل 1871 .

ففي جبال بابور بالشمال القسنطيني ، والمنطقة الشرقية لوادي الصومام حيث اتباع الحداد بكثرة ، قاد عزيز بنفسه الحركة ، وتحولت زوايا المقدمين فيها الى مراكز الثورة ، ومصادر لالهام المجاهدين بالحماس ، ومن ابرز القادة الرحمانيين رئيس زاوية فرجية ، والمقدم الحسين بن احمد بن الشريف المدعو مولاي الشقفة زعيم زاوية مولاي الشقفة بالبابور . غير ان عزيز والاخوان الرحمانيين بجبال البابور واجهوا صعبا ومقاومة من بعض العائلات

كل المناطق والقبائل الشمالية من الجزائر العاصمة الى القل وجيجل وباتنة ، وحوصرت مراكز الفرنسيين وقلاعهم في بجاية ، ودلس ، وتيزي وزو ، واربعاء نايت ايرائن ، وذراع الميزان ، والاضرية ، وغيرها . وجر هذا الاعلان للجهاد من اتباع الحداد الرحمانيين اكثر من مائة وعشرين الف مجاهد ينتمون الى مائتين وخمسين قبيلة تؤلف ستمائة الف نسمة في خلال نصف شهر تقريبا . بينما لم يستطع الباشاغا المقراني قبل ذلك ان يجند سوى بعض مئات من آلاف الاشخاص يمثلون 25 الف محارب موزعين بين قبائل برج بوعرايج ، وبوسعادة ، وسور الغزلان .

وهذا الامر اصبح يمثل خطرا كبيرا بالنسبة لفرنسا ، لان عزيز واباه ليسا من المشعوذين او المتعصبين ، واعلانهما للجهاد ، واقحامهما الاخوان الرحمانيين في المعركة لا يمثل حدثا دينيا فقط ، وانما يتجاوز ذلك الى غرض سياسي يستهدف خدمة مصالح القبائل المادية . (13)

وفي رسالة للجنرال لاباسي الى الجنرال لالمان بتاريخ 18 ابريل 1871 من معسكره بالقصر قرب بجاية قال له :

ان الجزائر تمر بمرحلة صعبة ودقيقة وثورة الاخوان الرحمانيين الموزعة الى عدة فروع دينية اثرت على اصدقاء فرنسا من تونس الى المغرب ، وقد اصبح الشيخ عزيز مثل السلطان بالقبائل (14)

(13) فيكتور بيكي تاريخ الجزائر الفرنسية (1830 - 1930) ص 230
(14) ضابط قديم في الجيش الافريقي الجنرال لاباسي الجزء 2 ص 259

فى المنطقة ووكيلا للزاوية وهو الذى تولى اعلان الجهاد باسم الشيخ الحداد ، ولم يتورع جيش الاحتلال فى حرق القبة والزاوية، بعد ذلك ، وظل الثوار يحاصرون ذراع الميزان حوالى 42 يوما من 20 ابريل الى 2 جوان ، ويذكر رين ان الجعدى هو الذى تسلم طابع الباشاغا وبعض اوراقه بعد استشهادة فى معركة وادى السفلى قرب البويرة يوم 5 ماي 1871 * (15)

وفى منطقة تيزى وزو : هناك فرع من عائلة اوقاسى المنحدرة من اسرة سلاطين بنى حماد ، مالت الى الرحمانيين ، وبرزت السيدة خديجة بنت بلكانون ارملة الباشاغا بلقاسم اوقاسى ، فربطت صلاتها باتباع الطريقة الرحمانية ، وعينها الشيخ الحداد مقدمة لاتباعه فى المنطقة ، واصبحت تزوره بين الحين والآخر كما كان يزورها مقدم زاوية اوسحنون محمد على اوسحنون والى جانب هذه السيدة هناك المقدم الرحمانى محمدوعلى اوقاسى من بوهينون الذى قام بنشاط واسع لصالح الثورة منذ 15 ابريل ، وكان مرشدا فصيح اللسان ذا سمعة كبيرة ، واستعمل فى دعايته نفس الاسلوب واللغة التى كان يستعملها عزيز والمقرانى فى دفع الناس للجهاد، وذلك بالتاكيد لهم على ان فرنسا اصبحت بدون جيش ، ويتحكم فيها اليهود ، وان الفرنسيين يحاربون رجالا مخلصين امثال الشيخ الحداد والمقرانى .

المتعاونة مع سلطات جيش الاحتلال امثال : اولاد نابت ، وعائلة ابن حبيلس ، واولاد داوود ابن كسكاس .

ولا شك ان ثقل الاخوان الرحمانيين كان فى هذه المنطقة ، وفى حوض الصومام .

وفى الضفة الغربية لوادى الصومام كان شقيق عزيز الشيخ امحمد هو الذى يقود المعركة فواصل محاصرة بجاية ، ومحاربة اتباع واعوان ابن على الشريف المتعاون مع الفرنسيين ، وخاض معركة تالاوريان غرب بجاية ضد قوات ريلهاك Reilhac يوم 24 ماي فقد كثيرا من جنوده نتيجة اختلاف اساليب الحرب بين الطرفين وفقدان جيش الشيخ امحمد للأسلحة الكافية وغير خفى ان الشيخ امحمد اعتاد على الجهاد منذ مدة طويلة فكان من قادة جيش الشريف محمد الامجد بن عبد المالك بوبغلة ، يحمل حقدا دفيناً على سلطات الاحتلال وجيشها ولهذا اندفع بحماس للجهاد والحرب ، غير ان استسلام اخيه اثر فى قواته ، وغرر به احد اولاد اورابح فسلمه الى حاكم بجاية فى اليوم الثانى من شهر جويلية 1871 بعد يومين فقط من استسلام عزيز للجنرال لالمان بالجرجرة .

وفى ذراع الميزان : كانت زاوية سيدى عبد الرحمن بوقبرين مركز نشاط الاخوان الرحمانيين وكان مقدمها الشيخ محمد بن محمد الجعدى قد عينه الشيخ الحداد منذ عام 1860 رئيسا للاخوان

على انه يلاحظ ان وجود على اوقاسى بالمنطقة وصلاته الوثيقة بابن على الشريف باشاغا شلاطة المعروف بميوله لفرنسا ، كان احدى العقبات فى عمل الاخوان الرحمانيين بهذه المنطقة رغم ما حصل من حصار البلد ، وحصول حوادث دامية ، وارتقاء على اوقاسى بعد ذلك فى احضان الثورة .

وفى دلس : كان هناك الحاج عمر بن محبى الدين الذى هو خصم لعائلة اوقاسى ، وممثل للاخوان الرحمانيين . وقد عين الشيخ الحداد ابن اخيه الشيخ محمد بن على بن امحمد مقدما للرحمانيين فى هذه الجهة ، وهو الذى اعلن الجهاد فى ابريل 1871 ، فارتضى كل افراد قبيلته فى احضان الثورة وتبعهم كل الاخوان الرحمانيين وحاول الحاج عمر نفسه رغم كبر سنه ان يغور بمحافظ شرطة دلس ويأخذ منه الاسلحة بعنوان الدفاع ليسلمها الى الثوار .

وقد تأثر نشاط الاخوان فى الأخرية (باليسطرو سابقا) بسبب عمق الخلافات بين العائلات الكبيرة خاصة آيت رحمون .

وفى الجزائر العاصمة ونتيجة : امتد نشاط الاخوان الدعائى فى محاولة دفع الناس الى الثورة نظرا للعلاقات الروحية الموجودة بين الهيئات الدينية بصورة عامة ، وقد توصلت سلطات الاحتلال بمنشور موزع من طرف الاخوان يوم 26 ابريل ، دون ان يكون عليه امضاء واضح حتى

لا يتعرض اصحابه للمتابعة والايقاف . وفجوى هذا المنشور التهيئة لهجوم واسع على قرى سهل متيجة خلال يومى 29 - 30 ابريل . وراجت الاشاعات بان الثوار سيطلبون نجدة السلطان العثمانى ، ولربما الاسطول الانجليزى ومن الغريب ان التقرير الموجه الى دوقيدون كان مصحوبا برسالة ممضاة من وجهاء قسنطينة ، وكان من ضمن من وقع عليها الشيخ محمد امزيان بن الحداد .

وقد حاول وارنى ان يرد هذا الغضب العام للاهالى ، الى قيام سلطات الاحتلال بمصادرة اوقاف المساجد الاسلامية ، والتعريض بالدين الاسلامى ورجاله ، كما حاول ان يدلل على ان محررى الوثيقة من مهاجرى الاندلس المستقرين بالعاصمة ، نظرا لما تحتويه من امثلة عن قيام الاسبان بطرد المسلمين وتنصيرهم بالقوة بالاندلس . (16)

وفى منطقة باتنة والاوراس : لم يكن لاتباع الشيخ الحداد نفوذ ومركز كبير لان السكان هناك مرتبطون بزواية طولقة التى اظهر شيخها على ابن عثمان بن عمر اخلاصه لسلطات الاحتلال ، وعارض الثورة من اول يوم لارتباطه بالتيجانيين الذين وثقوا صلاتهم بالادارة الاستعمارية .

ولكن اتباع الشيخ الحداد لم يقفوا مكتوفى الايدى ، فعلى اثر اعلان الجهاد فى ابريل 1871 ، توجه جماعة من مقدمى زاوية صدوق الى بليزما

تعميم حركة الاخوان :

ان الاخوان الرحمانيين اتباع زاوية صدوق ارتموا بكل ثقلهم وبصورة جماعية في حركة الثورة الى جانب المقراني . وكان دخولهم على هذا الشكل حدثا بالغ الاهمية بالنسبة للثورة نفسها ، وخطيرا بالنسبة لسلطات الاحتلال ، بحيث تحولت استراتيجية الحرب واساليبها وتغير طابعها . اذ كانت في البداية حركة اروستقراطية بزعامه رؤساء اقطاعيين، واصبحت في ابريل و ماي ثورة شعبية عارمة يقودها رجال كادحون لا صلة لهم بالمظاهر الاوروستقراطية ولا تربطهم بالادارة الاستعمارية سوى ظاهرة الخضوع ، وكان المفروض ان تكون النتائج في مستوى هذه الخطورة من الجانب الانجابي للبلاد ومستقبلها .

غير ان الملاحظ هو ان الاخوان جاء اخفاقهم بصورة سريعة لها شبيهه بطريقة ارتمائهم في الثورة ، وذلك من الامور التي عجلت بوضع حد لها .

– فالشيخ عزيز استسلم للجنرال لالمان في جبال جرجرة يوم 30 جوان .

– واخوه الشيخ امحمد غرر به احد رجال عائلة اورابح ، وقاده الى بجاية وسلمه الى حاكمها الفرنسي يوم 2 جويلية ليتقرب بذلك من السلطة .

– وابوهما الشيخ امزيان الحداد سلم للجنرال سوس يوم 13 جويلية في تيزي الاكحل

وعلى راسهم : احمد بن عبد الله ، يخلف بن مرا ، وعلى بن بوشيرب ، حاملين معهم امر اعلان الجهاد، فانضم الى الحركة جماعة من الاخوان الرحمانيين بالمنطقة من جماعة بن رحمون ، وسليمان بن دروعى ، كما انضم بعض مقدمى زاوية نفطة الرحمانية المنشقين عن زاوية بن عبيد ، ثم توالى انضمام الناس للحركة الثورية من غير الرحمانيين غير ان السلطات الفرنسية حاولت ان تعتبرها حركة عصيان من طرف قطاع الطرق والمجرمين : *des bandits* كما كتب عنها رين ، وروبين (رين 319 – 338 – 487) .

وحتى في بنى مناصر : بمنطقة شارشال ، – غرب الجزائر العاصمة – اندلعت حركة ثورية في جويلية 1871 بزعامه شخصية دينية ، ولكن اسبابها الرئيسية تعود للمشاكل المعقدة بين عائلتي : مالك البركاني ، ومحمد الغبريني ، ولو ان صدى حركة الاخوان الرحمانيين شرق العاصمة له دخل وتأثير على هذه الاحداث ، خاصة وان الرحمانيين له بعض الانصار والاتباع في منطقة حمام ريفه .

والخلاصة : ان حركة المقراني ما كانت لتعم وتنتشر الى كل هذه الجهات ، وينضم اليها عشرات الآلاف من الناس ، لولا قيام الاخوان الرحمانيين الى جانبه ، وارتماؤهم في خضم المعركة بصورة تكاد تكون جماعية . والسؤال المطروح : لماذا انهارت هذه الحركة بسرعة كذلك ؟ ؟

قرب ذراع الاربعاء بعد ان علم بوقوع ابنه في يد قوات جيش الاحتلال .

وكان استسلامهم على هذا الشكل كقيادة وقيادة ، سببا في استسلام العديد من الرجال والقبائل ، وهذا امر طبيعي لان ضياع القيادة هو ضياع في نفس الوقت للجبهة نفسها خاصة في مثل تلك الظروف .

فما اسباب هذا يا ترى ؟

ان الجواب على هذا السؤال ما يزال بحاجة الى تحقيق وثبت ، ولكن هناك بعض الظواهر يمكن ان تكون جزءا من الاجابة عليه ، مع ملاحظة ضرورة التركيز على عزيز بصورة خاصة باعتباره زعيم الاخوان ونائبا عن ابيه . والمسؤولية الكبرى تقع على عاتقه هو .

واول هذه الظواهر وجود او ظهور خلافات بين عزيز وبومزراق المقراني بعد استشهاد الباشاغا زعيم الثورة ، وهذه الخلافات على ما يبدو تعود الى طبيعة التكوين نفسها، فبومزراق شخصية اوروستقراطية مثل اخيه الباشاغا ، وعند ما تسلم راية الجهاد بعد 5 ماي اراد ان يكون مصدر كل شيء في التوجيه والعمل ، ولكن عزيزا لم يكن يطبق مثل هذه السيطرة وكان يود ان يكون له دور مماثل على الاقل ، ولما اعترضته صعوبات في البابور ، وفشل في تكوين

مركز قوى في الضفة الغربية لوادي الصومام ، تسرب اليه الفشل ، واسرع الى الاستسلام .

وثاني هذه الظواهر هو تصرفات عزيز شبه الحمقاء تجاه العائلات الدينية وخاصة زاوية الشريف بن الموهوب ، وزاوية شلالة ، رغم ذلك العداء كان من حقه ان يتجنب ما امكن الصدام معها حتى لا يخلق المزيد من الاعداء ، ولا يبعد عن صفوفه المزيد من الانصار ، فهاجم زاوية ابن الموهوب في 15 ابريل ، وزاوية شلالة يوم 24 ماي .

ولا ننسى ايضا طريقة تعامله مع بعض القبائل حيث كان يرهقها بالضرائب لدرجة اظهرت استياءها وكفت عن تأييده ومناصرته كما حصل مع بنى جليل .

وهناك ظاهرة اخطر من كل هذا ، نعتد فيها على مذكراته وهو انه لم يثر الا انتقاما من ابن علي الشريف ، ومضايقة حاكم بجاية فقد قال في مذكراته : « ان كل ما احكيه عن حاكم بجاية وابن علي الشريف اذا شهدوا على شيء فهم مخطئون ، الا يبحثون الا على مصالحهم الشخصية ، ان السبب الذي دفعنا الى الخصومة ضد الحكومة الفرنسية ليس الا تصرف الجنرال اوجورو ، الحاكم الاعلى لمدينة سطيف الذي يعرف اوضاع الصفوف القبائلية التي لم تحصل على مطالبها » (17) .

تاريخنا يحتاج الى اعادة نظر

لابد ان تتبدل نظرتنا الى تاريخنا ...
اذكر استاذنا لمادة التاريخ كان يبسط على
تلامذته الاسباب التي جرت الغارات المتوالية
التي شنها في القرن العاشر الهجري نصارى
صقلية والاسبان على سواحل البلاد التونسية وعلى
جزرها مثل « قرقة » التي اكتسحوها اكتساحا
وجررة التي خربوها وكانت لهم فيها هزيمة
شنعاء .

الطاهر قيقة
مدير المركز الثقافى الدولى
بالحمات - تونس

كان ذلك الاستاذ يقول ما ملخصه : لما ازدهرت البحرية فى موانئ شمال افريقيا وعات القراصنة المسلمون فسادا فى سواحل ايطاليا وفرنسا واسبانيا ، تآلب النصارى عليهم وقرروا دفع اذاهم بالغارة عليهم ومحاولة احتلال قواعده انطلاق سفنهم .

ولما سئل الاستاذ فليل له : انت مواطن هذا البلد ، الا يمكن ان كانت الحوادث على عكس ما قلت ، أى ان اجدادك هم الذين كانوا يدافعون عن انفسهم وعن حماهم فى عصر نزلت فيه نكبة من اكبر النكبات التى اصابت دار الاسلام وهى اجلاء الاندلسيين المسلمين عن الاندلس .

فاجاب الاستاذ هكذا لقنت التاريخ فى الجامعة . وتلك هى الكارثة اخترت هذا المثال عمدا . ان الدراسات فى تاريخنا العربى تقدمت وازدهرت فى اوساط المستشرقين والمؤرخين باوروبا اكثر من تقدمها وازدهارها فى اوساطنا العلمية وهذا تابع لتقدم أوروبا وامريكا الشمالية علينا . وقد وقع تشويه بعض فترات من تاريخنا خاصة تلك الفترات التى اشتد فيها الصراع بين المدنية العربية والعالم الاوروبى النصرانى وفى احسن الحالات اول المؤرخون الاحداث حسب نظرتهم الخاصة المتأثرة طبعا بقيمهم الحضارية .

واحسن مثال هو مثال القرصنة ، سموها قرصنة ولصوصية فى البحر ، ونسوا ان الغارات على السواحل كانت تشن على ضفتى البحر الابيض المتوسط الضفة الشمالية النصرانية

من قبل السفن المغربية والضفة الجنوبية المسلمة من قبل السفن النصرانية . اولئك الذين كانوا ينطلقون كالعقبان على ظهور سفنهم من موانئ طرابلس الغرب وسوسة وبزرت وعنابة وجيجل والجزائر وشرشال ووهران وندرومة وطنجة ورباط الفتح منقضين على شواطئ صقلية وسردانية وايطاليا الجنوبية وخليج جنوة وجنوبى فرنسا وجزيرتى ميورقة وشواطئ بلنسية كانوا بالنسبة الينا مجاهدين فى البحر يذودون عن سواحلنا وموانينا التى كانت دوما مهددة بغارات الاعادى .

كان القرن العاشر الهجرى الموافق للقرن السادس عشر الميلادى شديد الوطأة على المغرب العربى ، سقطت غرناطة فى ايدى الاسبان وكانت آخر معقل للمسلمين فى اسبانيا وأجلى كثير من اهلها فلاجأوا الى المغرب العربى . وبعد ثمانية عشر عاما فقط احتل الاسبان مدينة وهران وسقطت عدة مدن ساحلية بايدى الاسبان آخرها تونس .

ان تداخل مجاهدى البحر الاتراك ثم الاسطول والجيش العثمانى فى المغرب العربى قد جنبه احتلالا اسبانيا قد خططته الحكومة الاسبانية والكنيسة الكاثوليكية معا .

ان خير الدين باشا استخدم اسطوله لحمل اللاجئين الاندلسيين شيوخا ونساء ، واطفالا من شواطئ اسبانيا الى الجزائر ، قيل انه حمل قرابة مائة الف لاجئ ، لم تكن هذه العملية قد املاها الطمع والجشع . وان النوتيين فى اسطول خير الدين الحظير كانوا من الاندلسيين اللاجئين

والحرص على الحصول على الغنائم ، بل كانت تطبيقا
لسياسة عامة كانت تسلكها الدولة العثمانية .

الدليل على ذلك ، هو ان خير الدين باشا كان
يشارك في اهم العمليات التي يقوم بها الاسطول
العثماني . وان درغوث باشا الذي كان يباغت
النصارى بغاراته الفجائية حتى سموه « نمر
البحر » كان ممثلا لاوامر الباب العالي يلتحق
بالاسطول العثماني كلما دعى الى ذلك استشهد
درغوث باشا تحت اسوار مالطة في صفوف الجيش
التركي .

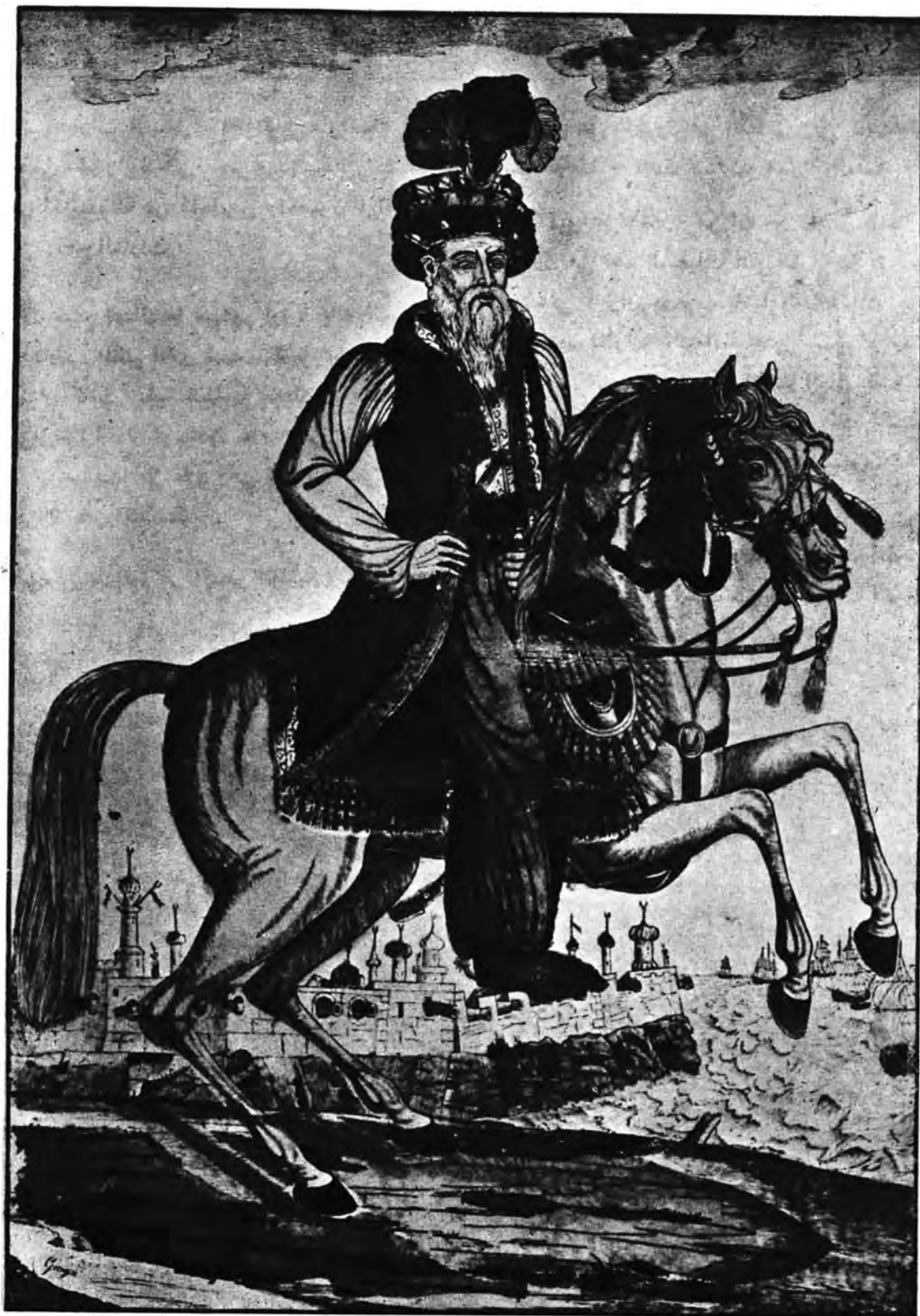
من سيهتم منا بأبطال البحر باولئك الذين
ذادوا عن حمانا في احلك ظروف تاريخنا القومي ؟

وكانت غارات الاسطول الجزائري متواصلة على
شواطئ اسبانيا حتى اجبر « فيليب » الثاني
على بناء سلسلة من المحارس والحصون لمراقبة
البحر ودفع الغارات .

ان جميع اعمال ما سمتهم اوروبا بالقراصنة
في ذلك القرن المظلم الذي شهد سقوط تونس بأيدي
الاسبان كانت تمليه سياسة مخططة باسطنبول
ترمي الى حماية دار الاسلام، خاصة في اخطر منطقة
كان يهاجم فيها الاسلام وهي الناحية الغربية من
البحر الابيض المتوسط .

لم تكن غاراتهم في البحر تلقائية يملها الطمع





أحد دايات الجزائر في لباسه الرسمي

دور فرنسا في النهضة القومية الجزائرية من فلاك مزاعم مؤرخين أجنبيين

اشكر لمجلة الاصاله الغراء دعوتها الكريمة لي
بالمساهمة في بحث في عندها الخاص الذي ازمعت
اصداره عن « موقف المؤرخين الاجانب من تاريخ
الجزائر عبر العصور » .

وطالما اشتاق المؤرخون في عالمنا العربي لمثل
هذه المبادرات من مجلاتنا الثقافية والعلمية
للكشف عن ذلك الزور والبهتان الذي غشى
تاريخنا بفضل كتابات العديد من المؤرخين الاجانب
زيفوا وقائع تاريخنا حتى بات البعض منا يصدق
اقوالهم بل ويردد احاديثهم . ويا للأسف !

د . محمد بكي

استاذ بكلية الآداب
جامعة الجزائر

الاسلامية ثم انتقل الى الحديث عن سيطرة الغرب على الشرق . ثم جاء حديثه عن العصبية الجنسية . عرف العصبية الجنسية بانها مقصد مشترك عند عدد كبير من الناس يعقدون عليه قلوبهم وضماثرهم فهم يؤلفون ، جنسية ، متمايضة عن سواها .

ونراه في بحثه يرجع التنبيه القومي وثورة العصبية الجنسية في العالم الاسلامي الى تيار الغرب الذي وفد على هذا العالم (الاسلامي) . وبدأت هذه الحركة القومية في العالم الاسلامي - وعلى حد قول الكاتب - في تركيا متمثلة في حركة تركيا الفتاة « فبات رجال تركيا الفتاة على اختلافهم في شؤون اخرى يدعون الى هذه للعصبية وهم في سبيلها مغامرون مستبسلون وبعد ان انشأت تباشير اليقظة القومية والعصبية تتبدى في العرب . فيقظوا يقظة كان شأنها شان كل يقظة مثلها يبتغيها شعب محكوم » ثم هو يتحدث عن الحركة الوهابية والجمعيات العربية التي قامت في سوريا قبل الحرب العالمية الاولى والمؤتمر العربي الذي عقد في باريس سنة 1913 . . . مما لا يدخل في مجال بحثنا هذا .

ثم هو ينتقل - وهذا هو المهم - الى الحديث عن النهضة القومية في شمال افريقيا فيخطا الخطا كله حين يقول او حين يردد مع القائلين بان الوحدة القومية في الجزائر مرجعها فرنسا . وننقل هنا فقرة من حديثه :

وبودي لو اتبعت هذه المجلة هذه الخطوة المباركة التي اقدمت عليها بخطوة اخرى هامة اشمل واعم فدعت المؤرخين للمساهمة بالكتابة في احداث تاريخنا الاسلامي¹ عبر عصوره المختلفة وما زيفه المؤرخون منه وما زالوا يزيفون منه دون ان يجدوا من الدراسات الاسلامية الجادة ما يبطل تشويههم واني لاظنها قادمة على ذلك باذن الله بعد ان بدأت بتاريخ امة اسلامية نالت من تزيف المؤرخين الشيء الكثير ، ذلكم هو تاريخ الجزائر في مراحلها المختلفة .

وسأركز بحثي اليوم حول كاتبين : احدهما امريكي اسمه لوثرود ستودوارد Lothrop Stoddard وهو رجل عالم ما في ذلك شك ، صدرت له عدة كتب منها الثورة على الحضارة The Revolt against civilisation وكتاب آخر بعنوان : « نهضة الشعوب الملونة » The Rising tide of colour

و «اوروبا اليوم : فكرها القومي» Present day Europe : its national states of mind ثم كان كتابه الشهير عن العالم الاسلامي بعنوان عالمنا الاسلامي اليوم The New World of Islam وقد نقل الكتاب الى العربية واختار مترجمه عنوانا له اسم : حاضر العالم الاسلامي . وقد صدر سنة 1925 وعلق عليه المرحوم الامير شكيب ارسلان .

والكتاب دراسة مستفيضة عن العالم الاسلامي ما في ذلك شك واوفى كثيرا من المسائل حقها من البحث والدراسة خاصة في مسائل الجامعة الاسلامية . تحدث عن اليقظة الاسلامية والجامعة

1) كانت هذه المسألة احدى نقاط جدول اعمال الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي الذي انعقد بالعاصمة بتاريخ 24 يونيو 1972

وسؤالنا الآن : هل حقا اوجدت فرنسا نهضة قومية في الجزائر ؟ وهل تلك الحركات الاستقلالية التي شهدتها الجزائر مرجعها تلك النهضة التي اوجدتها فرنسا ؟ هذان هما السؤالان اللذان يدوران حولهما بحثي .

يلقى المرحوم الامير شكيب ارسلان على ما قاله هذا الكاتب الامريكي في كتابه « بينما انا احرر هذه السطور قرأت في الجريدة الفرنسية نبأ عودة بعض النواب الفرنسيين من الجزائر حيث كانوا قد ذهبوا للاطلاع على حقيقة احوالها . فكان من جملة تحقيقاتهم ان من الاربعة ملايين ونصف مليون مسلم في الجزائر ، اربعة ملايين نسمة لا يملكون شيئا من الدنيا ، بل هم جميعا مزارعين واجراء وعملة عند طبقة المستعمرين (الكولون) والمتملكين من المسلمين ، وان هذه الملايين الاربعة يتكفون باجرتهم اليومية وتراهم على اسوا حال من المعيشة ويموت اطفالهم 80 في المائة من سوء الغذاء ويمضي شكيب ارسلان في تعليقه فيقول : ومعلوم انه منذ سنوات لم تنقطع المجاعة من بلاد الجزائر وكان جميع فتكها بالمسلمين وفي كل سنة تقول الحكومة الفرنسية انها اتخذت التدابير اللازمة لمنع ويل هذه المجاعة ولم ير العالم من ذلك شيئا . ولا يزال مسلمو الجزائر من 1920 الى اليوم (1925) يموت منهم الالوف من الجوع كانما ذلك من قبيل مكافأة فرنسا لهم على الاثنين والستين الف قتيل التي سقط منهم في الحرب العامة (يقصد الحرب العالمية الاولى) . ثم يتعجب شكيب ارسلان كيف ان تجارة الجزائر التي زادت بشكل كبير وثروة

« ان فرنسا ارخت على البلاد سكينه واكسبتها نظاما ونجحا ماديا . غير ان هذه المنافع والفوائد التي اتت بها السيادة الاوربية في هذه الاقطار الافريقية كما في غيرها من الاقطار الشرقية قد كان من شأنها ان خلقت نوعا حديثا من الوحدة والتضامن والتماسك بين اهل البلاد حتى غلبوا جميعا على مستوى متماثل في الاجماع على شئنا الفاتح الاوربي وعلى نيل المطمح العام الذي يطمحون اليه ، وهو الاستقلال والتمتع بالحكم الذاتي بمعزل عن السيادة الاجنبية بته . لذلك فقد شهد العالم خلال الجيل الماضي نشوء (الجزائر الفتاة) و (تونس الفتاة) وفيهما الاحزاب السياسية يقودها رجال فرنسيون من اهل العلم والتهذيب المتشبعين كل التشبع بالحكم الذاتي والحرية » .

ومعنى هذا القول وما سبق من حديث الكاتب هو انعدام الوحدة القومية بين اهل الجزائر قبل الحكم الفرنسي فنراه يقول « انه ليس في الشمال الافريقي (مراكش ، الجزائر وتونس) من كان شعبها فيما مضى امة واحدة . وفوق هذا فليس هناك اليوم من الظواهر الجلية ما يدل على ان احد هذه الشعوب العديدة سائر في سبيل يصير بها امة صحيحة » .

ونراه يؤكد ان السكينة والنظام والنجاح المادي قد اوجد في الجزائر نوعا من الوحدة بين اهل هذه البلاد جعلهم يطلبون الاستقلال . وان نشوء تلك الحركات الاستقلالية مرجعه تلك النهضة التي اوجدتها فرنسا .

الفترة الاولى فترة البيلربكات سنة 1518 الى سنة 1588 حين نجح الحكام العثمانيون في السيطرة على رجال الجيش والبحرية ولكن شأنهم اخذ يتضاءل بعد هزيمة الاسطول العثماني في موقعة ليبانتو في اكتوبر 1571 (I) ، فالقت الحكومة العثمانية نظام البيلربك وجعلت من الجزائر ولاية عادية يتولاها احد الباشاوات الذين يعينون لمدة ثلاث سنوات فقط . ثم تبدأ المرحلة الثانية من سنة 1588 الى 1659 حين فقد الباشاوات سلطتهم على الانكشارية وانتقلت السلطة الفعلية الى الواجه او كبار ضباط الجند .

ولم تطل هذه الفترة لان الاهالي استاءوا من استئثار الانكشارية بالسلطة ومالوا الى تأييد الطائفة او رؤساء البحر ، وتبدأ منذ ذلك الحين الفترة الثالثة .

أما الفترة الرابعة فتبدأ حين نجح رؤساء البحر في فرض احد رجالهم على الواجه سنة 1671 وشاع منذ ذلك الوقت استعمال لقب داي .

واذا كان خير الدين قد بسط سلطانه على القسم الشمالي من الجزائر فان خلفاءه اهتموا بتوسيع دائرة نفوذهم جنوبا . فاقامت حاميات عثمانية في بسكرة جنوب شرقي الجزائر وكذلك في تلمسان بعد سقوط الدولة الزيانية ، ونقرأ

1) يطلق المؤرخون الفرنسيون على هذه المعركة الحرب الصليبية المسيحية La Croisade Chrétienne والسبب في تسميتها لها بهذا الاسم ان حلفا صليبييا تكون ضد العثمانيين عقب سقوط جزيرة قبرص في ايديهم فدعت اسبانيا والبندقية الدول الاوربية الى حلف صليبي ضد العثمانيين وقد وضع في قانون الحلف نص صريح يقرر ان الاستيلاء على بلاد المغرب هو هدف من اهداف الحلف ، واذا كان العثمانيون قد هزموا في موقعة ليبانتو Lepante فانهم استطاعوا ان يلغوا على البندقية معاهدة مهينة وان ينتزعوا تونس من الاسبان

الكولون التي تضخمت على نمو عجيب تعجز عن تحسين حال الجزائريين . ثم يختم كلامه بقوله . ولا غرو بعد هذه البراهين الحسابية التي لا تقبل ادنى جدال ، ان يبقى اربعة ملايين ونصف مليون نسمة مسلمة هناك (في الجزائر) لا يملكون شروى فقير ويعيشون بأجرة عملهم اليومي أو بالاحرى لا يعيشون ...»

لكن المرحوم شكيب ارسلان وهو يعلق على قول الكاتب الامريكي تناول بالحديث الجانب الاقتصادي لفرنسا في الجزائر او ان شئت الجانب المادي دون الجانب القومي . ولعله اراد ان يرد على قول الكاتب «ان فرنسا ارخت على الجزائر نظاما ونجحا ماديا ...»

والسؤال الاول ما هي حقيقة دور فرنسا في النهضة القومية الجزائرية ؟ لقد وقع الكاتب الامريكي شان الكثير من الكتاب الفرنسيين في خطأ حين يذكرون ان الجزائر كوحدة سياسية قائمة هو من عمل الفرنسيين .

وما من شك في ان ذلك يتجاوز الحقيقة كثيرا . ذلك ان الوحدة السياسية للجزائر تشكلت خلال العهد العثماني . فلقد شهدت الجزائر تغيرات كثيرة خلال الحكم العثماني لها حتى انه يمكن تمييز اربع فترات مختلفة في العهد العثماني :

جاءني في يوم صديق يزورني ويقول
انت كتبت عن الاسلام وعدم ملائحته للعصر
الحاضر وانت تجهل ان الاسلام في العصور الوسطى
كان مشعل الحضارة . وان هناك من المسلمين
فلاسفة عظام وعلماء ومفكرين . ويقول ان هذا
الصديق وابناءه يجهلون روح الاسلام وانه من
الممكن للمسلم ان يتعاون مع «رومي» ويصفهم
بانهم مثاليون لا يعيشون الواقع . وان المسلم
مهما كان لا يقبل التعاون مع هذا المسيحي ابدا
خصوصا اذا كان قد غزا ارضه .

وفي بداية الكتاب يقول سرفييه انه وقعت
في ايدينا (يعني ايدي فرنسا) وثائق من مصريين
يحرضون مواطنينا الجزائريين على الثورة . ويقول
ان هذه الوثائق تؤكد ما اصبح يسود تلك
المناطق من العالم الاسلامي سواء الخاضعة لانتاجات
مثل مصر او الخاضعة لنا مثل تونس والجزائر .
اننا ساهمنا في خلق هذه العصبية الاسلامية .
ثم راح يوضح خطر هذه الحركة الاسلامية
Panislamisme ويقول ان عددا من الجزائريين
الذين شربوا روح الحضارة الاوربية التي جئنا
بها الى الجزائر باتوا يحلمون ان يلعبوا دورا اكبر
مما ينبغي ان يلعبوه وصاروا يحلمون احلاما
عظمى . انهم يحلمون ان يحكموا انفسهم دون
خضوع لسيادة اوروبية . ولقد شجعهم على المضي
في هذا الطريق اطماعهم الشخصية وتشددهم
وتعصبهم لدينهم الذي لا يسمح لهم بالتعاون
مع غير المسلمين . ومن ثم فانهم (هؤلاء الجزائريون)
يعتبرونها نوعا من الحرب المقدسة لتدعيم
النفوذ الاسلامي .

عن قوات عسكرية تتجه الى توغرت . كما نقرا
في تحفة الزائر ان السلطنة العثمانية امتدت الى
واحات الميزاب . ولكن الكتاب الفرنسيين يحاولون
التقليل من اهمية الحكم العثماني في الجزائر ،
فيقولون انه كان مقصورا على الساحل وانه اتمسم
بالقوضى وعدم النظام .

ولهذه المغالطات التاريخية هدف سياسي ما في
ذلك شك ، فالمقصود به التاكيد على زعمهم القائل
ان الجزائر بحدودها السياسية الحالية هي من صنع
فرنسا ومن جهودها .

يردد هذا القول بوضوح وفي اكثر من نقطة
كاتب فرنسي استقى منه الكاتب الامريكي الذي
سبقته الاشارة اليه - بعض معلوماته عن
الحركة القومية في الجزائر . ومن هنا لم يوفق
كما سبق ان ذكرت .

اما هذا الكاتب الفرنسي الذي اود الحديث
عنه الآن فهو سرفييه SERVIER صاحب
الكتاب المعروف *Le nationalisme musulman en Egypte en Tunisie en Algérie.*

وقد سمى هذه الحركة الاسلامية في كل من مصر
وتونس والجزائر بانها خطر المستقبل .

Le péril de l'avenir
ومن اجل هذا فان الاسم الكامل للكتاب هو :
خطر المستقبل : القومية الاسلامية في مصر
وتونس والجزائر . والكتاب الذي رجعت اليه هو
الطبعة الثانية لكتابه الصادر في قسنطينة
ديسمبر سنة 1912 طبعت طبعته الثالثة بعد ذلك
عام 1913 . كتب مقدمة الكتاب نائب فرنسي
اسمه موريس آجام AJAM وتلمس من المقدمة
التي كتبها هذا الرجل عداؤه للاسلام، يقول آجام :

البحث ، وآمل ان اتناوله في اعداد قادمة من هذه المجلة ان شاء الله .

وانما يقتصر حديثنا عن الجزائر .

والكتاب علىء بالمغالطات التاريخية والتعصب المتوقع من مثله فيقول - وهو يحلل المجتمع الجزائري - انه «مجتمع متأخر عن المجتمع التونسي ليس فيه وحدة الشعب التونسي . قبل الغزو الفرنسي لم توجد قوة قوية تسيطر على البلاد . فالداي لم تكن له سلطة الا على المدن . وان حكمنا الذي قام على اساس احترام النظام والمساواة قد قارب بين هذا المجتمع وبين المجتمع التونسي» . ثم يقول عن المجتمع الجزائري انه بدأ في دور التكوين وهناك البرجوازيون (الموظفون ، التجار واصحاب الارض) ثم العمال والفلاحون .

ثم يتناول بالحديث الجزائر الفتاة ، ويرى ان هؤلاء الشبان الجزائريين الذين تلقوا - على حد زعمه - تعليما وثقافة فرنسية هم اخطر الناس على فرنسا . هو لا يخشى من الاجيال الجزائرية التي تجاوز اعمار الكثيرين منهم اربعين عاما فهم يقرون لنا بالاصلاحيات التي ادخلناها في بلادهم . اما هؤلاء الذين استفادوا من تعليمنا ونظمنا اي هؤلاء الشباب فهم من نتاج عملنا *Est notre oeuvre* اننا بتشجيعنا للعلم فتحنا الآفاق لهؤلاء فقد كنا كرماء معهم كما كنا دائما عبر تاريخنا كله ! ! . اننا بما فعلناه معهم لم يعد يرضيهم ان يعيشوا معنا في ونام كما عاش من قبلهم . وهو بهذا يتجاهل تماما تلك الحركات الاستقلالية التي قام بها الوطنيون الجزائريون ضد

ويقول سرفييه *Servier* ان هذه الحركة (يقصد الحركة الاسلامية في مصر وتونس والجزائر) بدأت في مصر في 22 اكتوبر 1907 حين اعلن في الاسكندرية عن برنامج الحزب الوطني الذي اصبح هو رئيسه . وينادي هذا الحزب بتقوية الروابط بين مصر وتركيا وبخروج الانجليز من مصر، ويقول ان مصطفى كامل يردد بان المصريين لم تعهد تخدعهم الالفاظ الطنانة للاصلاحيات ولن يهدأ لهم بال الا بوجود حكومة وطنية مستقلة دستورية «فهو (مصطفى كامل) يرمى لطرد الانجليز من مصر» . وجاء من بعده محمد فريد وظهر لطفي السيد بأرائه التي اخذها ينشرها في صحيفة (الجريدة) وعلى يوسف في (المؤيد) .

ويقول سرفييه لا بد ان ندرس افكار هؤلاء ، لان افكارهم وآراءهم اثرت على رجال تونس الفتاة والجزائر الفتاة . وهم (محمد فريد وغيره في مصر) يرون ان المسلمين في مصر والجزائر وتونس قد كفاهم ما تعلموه من الانجليز والفرنسيين وينبغي ان يدبروا شؤونهم بانفسهم ويجب اذا ان تكون مصر للمصريين وتونس للتونسيين وكذلك الجزائر للجزائريين .

ثم نراه ينه الى خطورة هذه اليقظة الاسلامية على فرنسا ، انجلترا ، وإيطاليا التي دخلت هي الاخرى طرابلس الغرب . ويقول يجب ان نخطط للمستقبل «ان نكشف عن العصبية الاسلامية وافكارهم وآرائهم . ان هذا محور المشاكل في المستقبل» .

ويبدأ الكاتب دراسته للحركة الاسلامية في مصر ثم في تونس وهو ما يخرج عن نطاق هذا

2 () - اثاره سخط المواطنين بتوضيح سوء
حظهم وان المحتل يعاملهم معاملة
سيئة ،

3 () - خلق وحدة في المجتمع الاسلامي .
ويقول ان الصحافة الجزائرية نهجت نفس المنهج .
ويقول ان صحيفة الاسلام تنقل وتتبع اسلوب محمد
فريد وعلى باشي جانيه في تونس . ويورد مقتطفات
من صحيفة «الاسلام» (2) . من ذلك ما كتبه في
14 جانفي - يناير سنة 1912 - تقول وهي تعرض
الجزائريين على الثورة : الشهداء العرب ، ان دروس
الماضي علمتنا ما فيه الكفاية ، وما ننتظره من
الجزائر التي احكمت فرنسا فيها الظلم من حوالينا
ان الجزائر اصبحت شهية للمستعمرين الذين
يحتقرون العربي ، هذا العربي ضحية القاهرين
استحوذ المستعمرون على الارض واستغلوهما
وسادوا عليها .

ثم يورد من نفس الصحيفة اقوالا تثبت قيامهم
(قيام كتاب هذه الصحيفة) بالدعوة الى التضامن
الاسلامي والتأكيد على ان الشعب الجزائري جزء
من الامة العربية .

ويمضي الكاتب يؤكد ان حركة الجزائر الفتاة هي
شيء مستورد من آراء وافكار مصر الفتاة وتونس
الفتاة وان هذه الحركات الثلاث اقتبست اشياء
كثيرة من حركة تركيا الفتاة .

النقطة الاخيرة التي احب ان اتعرض لها في
هذا الكتاب ما جاء في الجزء الرابع منه تحت عنوان:
«سياستنا (يقصد سياسة فرنسا) الاسلامية»

المحتل الاجنبي مبتدا بالامير عبد القادر وما تبع
ذلك من حركات وطنية عبر السنين التي بسط
فيها المحتل الفرنسي وجوده على الارض الجزائرية .

ويرى هذا الكاتب ان حركة تركيا الفتاة
ونجاحها في القسطنطينية هي التي فتحت الآفاق
امام هؤلاء الجزائريين . «وبمثل ما يطالب به
رجال مصر الفتاة (I) ان مصر للمصريين يطالب
هؤلاء الجزائريين انه اذا لم يكن ممكنا لهم ادارة
بلادهم كاملا فليكن لهم جانب في ادارتها» .

ولا يخشى سرفييه من الفلاح الجزائري فيقول هو
رجل امي لا ينبغي ان يقام له وزن .

ثم ينتقل الكاتب الى الحديث عن اثر الحرب
بين روسيا واليابان (التي انتهت في سبتمبر سنة
1905) وكيف ان انتصار اليابان في هذه الحرب
قضى على خرافة سيطرة الحضارة الغربية والغرب .
ويقول ان اثر ذلك انه بدأت انجلترا تواجه
متاعب في الهند . «ونحن في الجزائر نجد ان الحرب
التركية الايطالية انعشت الروح الدينية التي
تؤثر دائما على المصير السياسي . ان العقيدة
خصوصا الاسلامية هي المؤثر الكبير على السياسة»

ثم يتحدث عن النهضة الجزائرية فيصفها بانها
ضعيفة تافهة تنقل الصحافة الجزائرية كثيرا مما
يكتب في مصر وتونس ، ثم يعرج مرة اخرى على
سياسة مصطفى كامل في مصر ويقول انها تقوم
على ثلاثة امور :

I () - عدم الثقة بالادارة الارووية .

(1) يقصد رجال الحزب الوطني في مصر

(2) صحيفة جزائرية كانت تصدر في الجزائر العاصمة اسمها محمد عز الدين القلال وصديق دندان في اوت - اغسطس 1912 - ارجع
الى فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية

النفوذ الغربى فى كل مستعمراته فى آسيا
وافريقيا .

ثم يتساءل هل يمكن مقاومة هذا الخطر ؟
يقول سرفييه : « ان القومية الاسلامية هي نتيجة
الحضارة التي جئنا بها لهذه البلدان ! ! انها ثمرة
الثقافة والحضارة الاوربية . ويقول ان مصر شهدت
بداية هذه الحركة الاسلامية لماذا ؟ لان مصر
شهدت اول نفوذ اوروبى » . ثم يضى قائلا ان
الغزوة الفرنسية بقيادة بوناپرت هي التي حركت
القومية فى مصر . ان هذه الحملة الفرنسية هي
التي جاءت بحضارة اوربا الى الشرق .

واترك الرد على تلك الادعاءات القائلة بان
الحملة الفرنسية هي التي نقلت الحضارة الى
عالمنا الاسلامى لأبحاث مقبلة ، كما اترك تهجمه
على الاسلام حين قال : ان الاسلام لا يتمشى مع
الحضارة وانه عدو لكل تقدم

Bref : l'Islam n'est compatible avec la civilisation parce
qu'il est hostile a tout progrès.

هو يرى ان هناك اخطارا حادقة بالنفوذ
الاستعماري سواء فى مصر او فى تونس او
الجزائر ويرى انه يجب على فرنسا ان تبادر
باحتواء هذه الحركة ويرى ان ذلك ممكن تحقيقه
بان تسمح فرنسا بقدر ضئيل من التعليم يتناول

يقول الكاتب : يتضح مما استعرضناه عن
الحركة الاسلامية فى مصر وتونس ان هذه الحركة
الاسلامية حركة متعصبة وانها ممتدة فى انحاء
كثيرة من آسيا وافريقيا تحاول ان تثير تعصب
الجماهير . ويورد اقوالا لمراسل صحيفة الطان
Le Temps من القاهرة يقول ان حرب تركيا
مع ايطاليا وحرب البلقان قوت امر هذه الحركة
فى افريقيا وهذا امر يهم فرنسا بالدرجة الاولى .
ثم يقول ان هناك اتحادا سوريا اسمه الوحدة
المغربية Union Maghrebine يهدف الى ان
يضم كل المسلمين فى المغرب وغرب افريقيا . وان
هذا الاتحاد - على حد ما اورد الكاتب - مؤسس
فى القاهرة بتشجيع من الشيخ على يوسف صاحب
المؤيد وان امين صندوق هذا الاتحاد جزائرى
اسمه امين بك المغربى . ويؤكد المراسل ان لهما
فرعا فى الجزائر العاصمة وتونس وان المشجع
الكبير لهما هو المنتدى الادبى (I) فى القسطنطينية

ويمضى مراسل الطان حسب ما نقله سرفييه
يقول : ان هدف هذه الوحدة المغربية تنظيم ثورة
عامة فى افريقيا الفرنسية .

يخلص الكاتب من ذلك الى ان هذه الحركة
الاسلامية خطر علينا (على الفرنسيين) خطر يهدد

(1) المنتدى الانبى هو جمعية ثقافية اسمها مجموعة من العرب فى عاصمة الدولة العثمانية فى الاستانة ليكون مقرا ومكانا يجتمعون
فيه سنة 1910 برئاسة عبد الكريم الخليل وهو احد الشهداء العرب الذين اغتالهم جمال باشا السفاح اثناء الحرب العالمية الاولى

ارجع الى توفيق برد : العرب والترك فى العهد الدستوري العثماني ص 210 وما بعدها

أول ما يتناول أمور التعليم خاصة الزراعي منه .
ولا تسمح بوجود مثقفين جزائريين
Pour l'instant l'Algérie n'a pas besoin d'intellectuels !

«علينا ان نسيطر على الامور ان نتحكم فسي
الماهير حتى تكون لنا سيطرة سياسية ومعنوية
وثقافية بهدف ان نبقي نحن الموجهين والمرشدين
للاهل» .

وبعد ، فتلك لمحة سريعة لما كتبه سرفييه وحاول
شأنه شأن غيره ان يغطط الحركة الوطنية الجزائرية
حقها . هو يرجعها الى تيار وافد عليها من الشرق
الاسلامي ثم هو يرجع تيار هذه النهضة الاسلامية

لما تفضل به المستعمرون الاوربيون على عالمنا
الاسلامي فتجده يقول في صفحة 186 من كتابه
ان انتشار افكارنا الحضارية وانتشار التعليم
اوجدا اجماعا ، وبدأت احلام الاستقلال تراود
الاهالي . ان الحضارة الاوربية اعطتهم احساسا
بحقوقهم وجعلتهم يحسون بقيمتهم واشعرتهم
انهم قادرون على ادارة شؤون بلادهم .

وما احوج تاريخنا الاسلامي الى ان يجد من
ابنائنا من يتصلون لمثل هذه الاكاذيب والادعاءات
والله الموفق .



مُساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح أساساً لتنمية تاريخنا القومي؟

الصورة الخلفية

ان تاريخ الجزائر عبر العصور القديمة والعصور الوسطى ملتحم بتاريخ المغرب العربي كله التحاذاً قويا ، ولا سيما بتونس والمغرب الأقصى . وهذا التاريخ يبدأ بانتشار المستعمرات الفينيقية في الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، اى قبل تاسيس قرطجنة بحوالى اربعة قرون . وفى غضون القرون التالية ، توغل النفوذ السلمى الذى يرافق التجارة الدولية مع الثقافة الفينيقية فى هذه الديار .

إسماعيل العربى

كاتب جزائري

وقد اطلق الاجانب اسماء متعددة لم نعترف بها على بلادنا ، مثل « لوبو » الذى كان اليونان والعبريون يسمون به المناطق الشرقية ، واسم « المور » الذى كان الرومان يطلقونه فى البداية على شمال المغرب الاقصى ، ثم وسعوا مدلوله فى الاتجاه الشرقى . وكذلك عرفت هذه البلاد تحت اسم « البربر » الذى كان الرومان يطلقونه على الشعوب التى لا تنتمى الى الحضارة الرومانية .

واما العرب ، فقد اطلقوا كلمة « افريقية » (التى يرجح ان تكون تسمية فنيقية) على المناطق التى تعرف باسم تونس حاليا على وجه التقريب ، والمغرب الاوسط ، على الجزائر ، والمغرب الاقصى على البلد الذى لا يزال يحمل نفس الاسم حتى اليوم .

وفى القرن التاسع عشر ، خلق الجغرافيون الاوروبيون تعبير « افريقية الصغرى » ، على غرار آسيا الصغرى ، للتمييز بين المغرب وبين بقية اطراف القارة ، ولالفاظ النظر الى اهميتها الاستراتيجية فى حوض البحر الابيض المتوسط الغربى . وهذا التعبير ، كان بمثابة كلمة السر فى عملية انقضاخ الاستعمار الفرنسى على هذه البلاد التى ستعيش فى ظله نيفا وقرن من الزمن ستعرض خلالها مقوماتها الثقافية ومميزاتها القومية لامتحان عسير .

وجميع هذه الاطوار والحقب التى مرت بها الجزائر ، عالجه المؤرخون الفرنسيون باستفاضة فى كتب تختلف احجامها واهدافها وقيمتها العلمية .

وقد ظلت اللغة الفنيقية التى مهدت الطريق للغة العربية شائعة فى المغرب حتى فى عهد الفيلسوف الجزائرى سانت اغسطين (القرن الخامس الميلادى) (١) ، اى قبل الفتح الاسلامى بوقت قصير - الامر الذى لم يجد معه سكان هذه البلاد صعوبة فى التفاهم مع العرب وتقبل الدين الاسلامى .

وبعد سقوط قرطجنة (١٤٦ ق م .) ، واحتلال الرومان لشواطئ هذه البلاد ، سار اباطرة روما على حكمها بواسطة الملوك والامراء المحليين . ولكن الطمع وشهوة السيطرة جعلتهم يوسعون سلطاتهم تدريجيا حتى اتموا ضم الجزائر نهائيا فى عهد الامبراطور كاليجولا (٤٠ م) . على ان مساحات شاسعة من هذه الارض (تلال ولاية الجزائر وتلال ولاية وهران) ظلت مع ذلك حاملة لواء الحرية واقلت من قبضة الاستعمار الرومانى .

وفى القرن الخامس الميلادى تعرضت البلاد لغزو الوندال المخربيين ، ثم لغزو بيزنطة فى سنة ٥٣٣ م . وفى اواخر القرن السابع ، تم للعرب فتح الجزائر بعد ما قضوا على فلول جيش بيزنطة وتغلبوا على جيوب المقاومة المحلية . وفى اوائل القرن السادس عشر استقر الامر للاتراك فى هذه البلاد ، بعد ما طردوا الاسبان من شواطئها (فيما عدا وهران التى سيستولون عليها نهائيا فى سنة ١٧٠٨) .

وقد ظلت الجزائر فى غصون فترة تمتد على ما يقرب من ثلاثة قرون ، القوة الرئيسية فى البحر الابيض المتوسط ، حيث عجزت اساطيل شارل كينيت ولويس الرابع عشر عن قهر اسطولها .

Gsell (St) l'Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, Hachette 1913, T. IV, P. 498.

لاغراض ادارية وعسكرية وعلمية الخ . ، منذ المراحل الاولى بعد الاحتلال . وقد انتهى بهم الامر الى تقسيم البلد في وقت مبكر الى ثلاث مناطق متوازية تمتد من الغرب الى الشرق : الاطلس التلى ، والسهول المرتفعة ، والاطلس الصحراوى . وقد كان الرأى السائد بين الجغرافيين الاوائل هو أن سلسلتى جبال الاطلس تمتد على هذا النحو من التوازى فى جميع شمال افريقية . ولكن هذا الرأى تغير حينما انتبهوا أنلى ان سلسلتى الاطلس تلتقيان فى شرق الجزائر

ومهما يكن من شىء ، فان سلسلتى الاطلس متميزتان فى هذا البلد . فان الاطلس التلى يتميز بتضاريسه الحادة وبالارتفاع والهبوط الشديد فى منحدراته .

واما الاطلس الصحراوى ، فهو على العكس ، يتسم بالاعتدال فى تدرجه وبالهبوط والصعود الرتيب نوعا ما بحيث ينتهى الى الاتصال بالمرتفعات الصحراوية بصورة لا تكاد تكون ملحوظة .

وكذلك يلح الجغرافيون الفرنسيون على تقسيم آخر بين المناطق الشرقية والمناطق الغربية فى الجزائر . والسهول المرتفعة التى تحيط بها سلسلتا الاطلس لا ترتفع فى الحقيقة الا فى الغرب . فهناك تمتد سلسلتان من السهول : سهول الشلف التى تكملها سهول سيج وسبخة وهران من جهة ، وسهول معسكر وسيدي بلعباس وتلمسان ، من جهة اخرى . وهى تحيط بها من الشمال جبال ساحل وهران وجبال الظهرة المتفرعة عن الاطلس التلى ، ومن الجنوب جبال تسالة والورسنيس التى هى اعظم الكتل الجبلية التى تمتد فى غرب الجزائر .

وعلى الصعيد الجغرافى ، تمثل جزيرة المغرب كما يحلو لبعض المؤرخين ان يسميها ، فضاء مربع الاضلاع يمتد بين شواطئ البحر الابيض ورمال الصحراء الكبرى والمحيط الاطلسى ورأس بون . والاضلاع غير متساوية . فان المسافة بين رأس اسيرتل ورأس بون تبلغ حوالى ١٥٥٠ كيلو متر ، وبين رأس بون وجابس ٢،٢٠٠ كيلو متر ، وبين رأس بون وجابس ، اقل من ٤٠٠ كيلو متر . ومجموع هذه المساحة تبلغ ٩٣٠ ٠٠٠ كيلو متر مربع .

ومستوى ارتفاع الارض على البحر فى اكثر من نصف هذه المساحة ، يزيد عن ٨٠٠ متر . والمتوسط فى كل واحد من الاقطار الثلاثة هو - ٣٠٠ متر فى تونس ، و ٨٠٠ متر فى المغرب الاقصى ، و ٩٠٠ متر فى الجزائر . على ان ارتفاع هذا المعدل ، لا يدل على وجود جبال كبيرة العلو . لاننا اذا استثنينا قمة جبل تويكال فى المغرب (٤١٦٥ مترا) ، وأعلى قمم جبل اوراس (٢٣٢٨ مترا) ، فان بقية جبال المغرب لا يتجاوز ارتفاعها ١٦٠٠ مترا . والارتفاع الشائع فى المغرب يتراوح بين ٨٠٠ و ١٢٠٠ مترا - وهو ارتفاع معتدل .

على ان الجبال يحدث ان ترتفع قممها وتنفصل عن السهول والوهاد التى تحيط بها فجأة . وهذه هى الحالة ، مثلا ، بالنسبة الى الاطلس التلى المتيجى الذى يطل على مدينة البليدة من ارتفاع قدره ١٤٠٠ مترا فى اعلى قممه . والامر كذلك بالنسبة الى جبل سيدي عقبة الذى يشرف على سهول افلو من علو يبلغ ١٤٢٦ مترا .

لقد بدا الجغرافيون الفرنسيون استكشاف الاراضى الجزائرية ودراسة مختلف نواحيها

تنتشر جبال ثانوية تشكل امتدادا لهما في السهول المرتفعة القسنطينية بغير انتظام بحيث يسود هذه المنطقة وضع غير واضح ، اذ تنخفض الارض حيناً وترتفع حيناً آخر .

وعلى كل حال ، فان الاطلس الصحراوي يحتفظ باتجاهه الاصلى ، من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى ، وتمثل جبال اوراس ذات التكوين غير المنتظم امتدادا مرتفعا له . وبين اوراس ، من جهة ، وبلزمه وجبال الزيبان ، من جهة اخرى ، ينفتح منفذ الى الجنوب عن طريق وادى القنطرة الذى يجمع بين السهول المرتفعة والصحراء .

تلك هي ، بايجاز ، المعالم الرئيسية للتكوين الطبيعى للجزائر الذى عنى بدراسته وابراز تفاصيله عدد من الجغرافيين الفرنسيين الذين ندين لهم باعمال لا بد من الاشادة بقيمتها الموضوعية ، خصوصا لان هذا المجال علمى ويتعدى اكثر من التاريخ عن التاثر بالاعتبارات السياسية .

ولكن ما هي اثار هذا التكوين الطبيعى للارض على السكان والمؤسسات والمجتمع البربرى ، بصفة عامة ؟ هل كان عاملا من عوامل القوة والوحدة ، او سببا فى الضعف والانقسام ؟ وباختصار ، هل كان له حقا ذلك الثقل المزعوم على تاريخ المغرب وعلى تطوره السياسى والاجتماعى ؟

تلك اسئلة تلقت ردودا بالاجاب من الكتاب الفرنسيين لا تعتبرها مدعمة بما يكفى من الادلة والتحليل العلمى . وهى فى رايانا لا تتعدى كونها فروضا واستنتاجات يمكن للباحث ان يصل بسهولة الى نتائج تناقضها . (١)

وفى الجنوب تمتد سلاسل قصيرة من الجبال التى تتصل بالاطلس الصحراوى ، وهى جبال القصور وعمور واولاد نايل التى تبدأ فى المغرب الاقصى وتتجه شرقا حتى الحضنة فى ارتفاع منتظم تقريبا ، وتفصل بينهما ممرات واسعة تسهل المواصلات عبرها من الجنوب الى الشمال .

وفى القسم الشرقى فقدت الجزائر كثيرا من انتظام هندسة جبالها . فان معظم المناطق الساحلية عبارة عن جبال تتخذ اشكالا غير متسقة ولا مريحة للنظر . ولكنه فى اقصى طرفى المنطقة الشرقية ، تمتد سهول مجاورة للشواطىء ، وتلك هي سهول متيجة الواقعة خلف الهضاب الشاطئية فى الغرب ، وسهول عنابة المشهورة التى تبدأ فى جنوب جبل ايدوغ ، الذى كثيرا ما يسير موازيا للشواطىء مع سلسلة جبال بلاد القبائل التى تسندها من الجنوب جبال جرجر . والى الشرق من ذلك ، ترتفع جبال البابور ومجموعة من الجبال المتقطعة التى تمتد بين راس بوقرعون ورأس الحديد .

وخلف المنطقة الساحلية تمتد جبال التل من الشلف حتى الحدود التونسية فى شكل مختلط الارتفاع والانخفاض بحيث لا يتجاوز ارتفاع اعلى قممها ١٨٠٠ مترا . وهى فى بعض المناطق تمتزج بسهول محدودة المساحة ، مثل سهول ميلة وسهول قالمة .

وبنهاية منخفضات الحضنة فى الجنوب ، تنتهى السهول المرتفعة فى هذه المنطقة ، واما سلسلتا الاطلس التلى والصحراوى ، فهما تلتقيان فى منطقة عنابة ، كما اشرنا ، بينما

(١) قارن

Ch. - André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, 1/12
E. F. Gautier, le passé de l'Afrique du Nord, P. 9 - 10.

R. Cagnan, l'Armée Romaine en Afrique et l'occupation militaire sous les Empereurs, 1912.

كتاب متوسط المادة حسن الترتيب ويحتوى على معلومات من كل نوع تتجاوز النطاق الذى حدده المؤلف لبحثه .

H. Carrot, Histoire générale de l'Algérie, 1910.

عمل ضخم الحجم ، جمعت موادها جميعا دون عناية فى التنسيق والاختيار والترتيب . وهو لا يقدم مساهمة تستحق الذكر .

E. Carette, Recherches sur les origines et les migrations des principales tribus de l'Afrique septentrionale et particulièrement de l'Algérie, sur exploration scientifique de l'Algérie, III, 1853.

كتاب يمثل مجهودا كبيرا فى البحث وترتيب المواد ، وهو لا يزال مرجعا مفيدا لمن يهتم الموضوع ، ولا سيما الخريطة المرفقة به .

J. Despois, l'Afrique du Nord (Collection géographie de l'Union Française. T. I.) 1949.

عمل يعطى فكرة واضحة عن الجغرافيا الطبيعية والبشرية لبلدان المغرب . والكتاب يحتوى على قائمة كبيرة من المراجع . والقسم الثانى منه يعالج الصحراء .

Ch. Dichl, l'Afrique Byzantine, Histoire de la domination Byzantine en Afrique (533 - 709) , 1890.

كتاب كبير القيمة ويحتفظ بكثير من جدته فى هذا المجال الذى لم يحظ بعناية الباحثين . ولكنه مع ذلك يحتاج الى نظرة ناقدة متفحصة ممن يريدون الاستفادة منه .

Four - Biguet (Général) l'Histoire de l'Afrique Septentrionale sous la domination des Arabes, 1905.

كتاب متوسط الحجم حسن المادة والترتيب ويمتاز بالتحري فى ترجمة النصوص العربية

نموذج ممثل لمساهمة الفرنسيين

Paul Azan (Général), l'Emir Abd El-Kader du Fanatisme Musulman au patriotisme Français. Hachette 1925.

يمثل هذا العمل الموجه لخدمة اهداف سياسية مجهودا فى البحث . وقد تمكن مؤلفه ، بفضل لقبه العسكرى الرفيع ، من الحصول على وثائق ادارية والتنقيب فى الارشيفات - وهى مزية لاتتاح لباحث عادى . واما نزعة الكاتب واغراضه ، فيدل عليها عنوان الكتاب بوضوح . وقد اراد ابراز بطولية الامير عبد القادر فى المعارك لكى يزيد من قيمة انتصارات الجيش الفرنسى عليه ، ثم لكى يضرب بتحول الامير عبد القادر المزعوم ، مثلا للجزائريين لكى يحذوا حذوه .

E. Abertini, G. Marçais et G. Yever, l'Afrique du Nord Française dans l'Histoire Lyon-Paris, 1937.

كتاب غزير المادة ، حسن الترتيب ويقرأ بسهولة ، ولكنه كثير الايجاز . وضع له مقدمة -

R. Lespes

A. Bernard, l'Afrique Septentrionale et Occidentale (Collection Géographique Universelle de P. Vidal de la Blanche et L. Gallois) , 1937.

كتاب مهم يعطى فكرة اجمالية عن الجغرافيا الطبيعية والبشرية للمناطق التى يعالجها (وهى لا تشمل ليبيا) .

A. Bernard, l'Algérie, 1929.

كتاب فى التاريخ والجغرافيا يعالج مختلف النواحي مستعينا بوثائق متينة .

G. Boissiere, Esquisse d'une Histoire de la Conquete et de l'Administration Romaine dans l'Afrique, et particulièrement dans la Province de Numidie, 1878.

كتاب ضعيف المادة . وعلى الرغم من عنوانه الطويل والمغرى ، فهو قليل الفائدة والقيمة العلمية .

S. Gsell, l'Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, 8 vol. : I: Les conditions du développement Historique (1913) ; II l'Etat Carthaginois, 1918; III Histoire militaire de Carthage, 1918 ; IV Civilisation Carthaginoise, 1920 ; V Organisations sociale, Politique et Economique, 1927 (2^{éd.} 1929), VI les Royaumes Indigènes, vie matérielle, Intellectuelle et morale, 1928 ; VII la République Romaine et les Rois Indigènes, 1928 ; VIII Jules César et l'Afrique. Fin des royaumes indigènes 1928.

كتاب نادر المثال فى غزارة المادة والتعمق فى البحث ويمتاز بالعرض الشيق والتحليل النفاذ . ولكن البحث العلمى قد تجاوز الآن بعض اقسامه . ونحن نشير على من يهيمه الامر بتكميل اطلاعه على الجزء الاول بمراجعة الكتابين التاليين :

P. R. Wulsin, The Prehistoric Archeology of North West Africa, Harward university, 1947 ; M. Almagro Basch, Prehistorica del Norte de Africa y del Sahara Espagnol, Barcelone, 1946.

St. Gsell, Atlas Archéologique, 1911.

كتاب متخصص فى المعالم والاثار القديمة ولكنه يتناول ايضا العصر الاسلامى . وهو ذوقايدة كبيرة للباحث المتعمق فى آثار الشمال الافريقى فى هذه العصور .

St. Gsell, G. Marçais, et G. Yever, l'histoire de l'Algérie, 1927.

كتاب لا يزال من احسن المؤلفات التى تعالج تاريخ الجزائر فى جملته . وكان القسم الذى يتعلق منه بالعصور القديمة قد نشر قبل ذلك فى سنة ١٩٠٣ تحت عنوان l'Algérie dans l'Antiquité

H. R. Idris, la Barbarie orientale sous les Zirides, Paris 1962.

واستعمالها ، حيث كان الكاتب ذا معرفة طيبة بلغتنا .

H. Fournet, les Berbères, Etude sur la conquête de l'Afrique du Nord par les Arabes, 2 vol. Paris, 1875-1881.

كتاب اكبر حجما من الكتاب السابق ويضم وثائق ونصوصا مترجمة او مختصرة من اللغة العربية بدون كبير عناء فى التحرى . وهو يعالج تاريخ المغرب حتى رحيل المعز لدين الله الى القاهرة . ويلاحظ على الكتاب ايضا ضعف الربط وقلة التسلسل . والكمية فيه لا تغنى عن النوع . والباحث الذى تتوفر لديه امهات الكتب العربية ويمكنه استعمالها يمكنه ان يستغنى عنه .

E. F. Gautier, le passé de l'Afrique du Nord, Payot, 1952.

كان هذا الكتاب قد نشر معظمه فى مجلة Revue Africaine تحت عنوان

Considérations sur l'Histoire du Maghreb

ثم طبع الكتاب تحت عنوان

Les Siècles obscurs du Maghreb

فى سنة ١٩٢٧ ، واعيد طبعه فى سنة ١٩٣٧ . والكتاب ، مثل كاتبه ، العلامة جوتيه ، يتمتع بشهرة خاصة بين الباحثين فى تاريخ افريقية الشمالية . ويمتاز الكتاب الذى نقح عدة مرات بنظرة نفاذة تتجاوز ما يستخلص من النصوص الى اعماق الماضى السحيق ، وكذلك يمتاز بما يشتمل عليه من المحاولات الجرئية ، التى قد لا يوافقها الكثيرون عليها للتركيب والتقريب بين التيارات والحوادث . والكتاب يقدم كثيرا من الحلول الافتراضية لمشاكل تعوزنا الوثائق بشأنها ، وكل ذلك مع احترام لقواعد متشددة فرضها الكاتب على منهاجه فى البحث .

الشمالية لا تزال تحمل في الطبعة الأخيرة المنقحة اسم « أفريقية الشمالية الفرنسية » .

G. Marçais, les Arabes en berberie du XI^e au XIV^e siècle, 1913.

كتاب يعالج بكثير من الدقة والاستقصاء (اطروحة) غزو بني هلال وتوسعهم . وهو من الاعمال التي لا يستغنى الباحث عن الرجوع اليها في تاريخ هذه الفترة المضطربة من حياة المغرب .

G. Marçais, la Berberie musulmane au moyen age 1946

يمثل هذا الكتاب المتوسط الحجم ما يقرب من ثلاثين سنة قضاها المؤلف في البحث والتنقيب والتأمل في تاريخ أفريقية الشمالية في العصور الوسطى . والكتاب مكتوب بأسلوب علمي ولكنه غير ممل ويسود مختلف اقسامه تنظيم للمواد وتوازن في توزيعها .

E. Mercier, l'Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête Française, 3 vol 1888 - 1891 .

هذا العمل يمثل مجهودا فرديا منقطع النظير في الموضوع ، ولا سيما اذا اعتبرنا ان هذا الكاتب كان يعمل في قسنطينة ، وبالتالي ، بعيدا منقطعا عن مكتبات العاصمة ومتاحفها وغير ذلك من مصادر المعلومات التي لا يستغنى عنها الباحث . والكتاب غني بالمعلومات المختلفة القيمة ويعتبر من الامهات التي استفاد منها كثير من الكتاب الفرنسيين ، على انه اصبح الآن قديما وتجاوزته الوقت .

L. Mougu, vue générale de l'Histoire berbère, Alger, 1950.

كتاب يعرض المعلومات في ترتيب علمي محكم ويعتمد على وثائق حسنة ولكنه يدافع عن عدد من النظريات بحجج ضعيفة .

دراسة يمكن القول بانها ستظل وقتا طويلا من ضمن المراجع الاساسية في الموضوع . وهي تمتاز بالمنهج المحكم وبما تشتمل عليه من التفاصيل الدقيقة في الحياة الاقتصادية والثقافية الى جانب النواحي السياسية والعسكرية في عهد الزييريين في أفريقية (تونس) . واما شئون المغرب الاوسط تحت ملوك بني حماد ، فان المؤلف قد اكتفى بنظرات سريعة عليها . وهو لا يمكن ان يلام على ذلك ، حيث ان عنوان الاطروحة يحدد موضوعها بوضوح .

P. Jalabert, Histoire de l'Afrique du Nord, 1945.

كتاب ضعيف المادة ضحل التحليل وليس له اية قيمة علمية .

Ch. - André Julien, Histoire de l'Afrique du Nord, 2 vol. : (I. des origines à la conquête arabe (647) ; II de la conquête arabe 1930) 1968 (1949)

كتاب كبير الفائدة يسمح باخذ فكرة تركيبية وافية عن تاريخ أفريقية الشمالية ، خصوصا للقارئ الفرنسي وقد اعتمد المؤلف لتحرير هذا العمل على جميع الوثائق التي اكتشفت حديثا ، ولو انه - كما هي الحال في كل عمل تركيبى من نوعه - لا يحيل الى المراجع التي ياخذ منها ، وهو امر يحرم القارئ من متعة المقارنة والمراقبة ومن بعض الفائدة ايضا . ويؤخذ على الكتاب في مجموعه قلة التوازن بين مختلف اقسامه والتركيز على العصور القديمة خصوصا ، على حساب العصور الاسلامية . ويكفى ان نذكر هنا ، مثلا ، بان المؤلف لم يكرس في هذا العمل لدولة بني حماد (حوالي قرن من الزمن) سوى اربع صفحات . ثم ان أفريقية

E. Pellissier, mémoire historique et géographique sur l'Algérie, 1844.

يشتمل على دراسات لا تزال لها بعض القيمة عن الحملات التي شنّها الاسبان والايطاليون والانجليز والفرنسيون على بلاد البربر .

تلك رزمة من الكتب اخترناها من بين مئات من الكتب والمنشورات التي تحتوي على مساهمات تختلف قيمة كل منها عن الاخرى ، بقصد تقديم نموذج يمثل الاعمال التي تعالج مختلف العصور . وغيرى قد يضيف الى هذه القائمة او يحذف منها ، ولكننى اعتقد انها فى مجموعها تشكل العمود الفقري لمساهمة المؤرخين والجغرافيين الفرنسيين . وكما يلاحظ ، فان بعض هذه الاعمال يتناول التاريخ العام لشمال افريقية او للجزائر ، والبعض الآخر يتناول حقبا معينة . ولكن هذه القائمة لا تشمل الكتب التي تخصص فى نواحى معينة ، مثل تاريخ الفن والحفريات الخ . . . كما انها لا تشمل الدراسات التي ظهرت فى الدوريات وتعالج مختلف الموضوعات .

الاسلوب والمنهج

كان المترجمون فى الجيش والادارة (مثل فيرو ودو بارسيفال) والصحافيون واشباه الصحافيين اول من تفتحت اعينهم الى اهمية تاريخنا وتصدوا للكتابة عنه بمحصولهم العلمى المتواضع فى المراحل الاولى عقب الاحتلال . وقد ترك لنا فيرو ، مثلا ، دراسة لا تخلو من قيمة عن مدن ولاية قسنطينة ، كما وضع دوپارسفال (وهو

الذى تولى ترجمة معاهدة تافنا) دراسات منها رسالة عن تاريخ العرب تقع فى جزأين . وقد قام عدد كبير من الصحافيين فى بداية عهد الاحتلال بنشر استطلاعات ومقالات عديدة فى الصحف الجزائرية والفرنسية . ونحن ندين بالفضل ، مثلا ، لبربروجر (محرر المجلة الافريقية) بالتعرف على موقع اشير والقات نظر علماء الحفريات الى اهمية خرائطها .

وفى مرحلة تالية ، اكتشفت الادارة الفرنسية فى الجزائر ابعاد التراث الثقافى العربى ، ولا سيما ما يتصل منه بالتاريخ ، كما ادركت اهمية فهم هذا التراث لارساء قواعد الاستعمار على اسس متينة ، فأخذت تشجع ترجمة بعض الكتب العربية الى الفرنسية . وقد كان من بين الاوائل ومن اكبر العاملين فى هذا الحقل ، المستشرق المعروف ، البارون دوسلان الذى حقق القسم الذى يتصل ببلاد البربر من كتاب العبر لابن خلدون ونشره فى جزأين ، ثم وضع ترجمة له الى اللغة الفرنسية (١) . وكذلك نشر دوسلان ايضا كتاب المغرب فى نكر افريقية والمغرب لابی عبيد البكرى فى فترة تالية وترجمه الى الفرنسية (٢) وفى اواخر القرن كان عدد من امهات الكتب العربية فى التاريخ او من النصوص المقتبسة منها ما يتعلق بالجزائر والمغرب مترجما وتحت تصرف الباحثين .

وقد كان المستشرق فانان E. Fagnon الذى ترجم عددا مهما من النصوص ، وفى مقدمتها تاريخ الموحدين والحفصيين للزركشى (٣) ، والنصوص التي تتعلق بالمغرب فى الكامل

(١) نشر النص المحقق مع الهوامش فى سنة 1848 ، ثم ظهرت الترجمة الفرنسية خلال الفترة بين 1952 - 1856

(٢) ظهرت طبعة الجزائر المرفقة بالترجمة فى سنة 1911 - 1913

(٣) قسنطينة ، 195

ومن جهة أخرى • هل يترك تاريخ أفريقية الشمالية في العصور الوسطى الإسلامية للمستعربين دون سواهم - مع العلم بأن تكوين المستشرق يختلف عن تكوين المؤرخ • وهذا فضلا عن أن المستشرق قلما يترك له عمله الذي يتصل بالنصوص ، وقتا لمعالجة المشاكل التاريخية •

وهكذا كان يبدو وكان المشكلة حلقة مفرغة لا يدرى أحد أين طرفها (٣) •

على أن هذه المشكلة النظرية وجدت حلها عمليا إذ مضى الكتاب الذين لا يحسنون اللغة العربية ، يكتبون في التاريخ ، وذلك في الوقت الذي ظهرت فيه نخبة من المؤرخين الذين مكنتهم معرفتهم باللغة العربية من استقواء مادتهم من المصادر مباشرة •

وفي مقدمة هذه الفئة ، بل وعلى رأسها ، العالم جورج مارسى ، الذي ندين له بأهم ما لدينا من الدراسات عن تاريخ الفن الإسلامي في المغرب ويعدد من الكتب التي تتناول بكل ما يشرف العالم من الجد والاستقصاء حقبا كانت مغلفة من تاريخنا •

ولكن التضلع في اللغة العربية والتفرغ لتاريخ المغرب ، لم يكن دائما ، مع الأسف ، مرادفا للولاء للثقافة العربية ، أو حتى وسيلة لفهم التاريخ فهما موضوعيا مجردا من الأغراض • والحق أن هذا العالم الذي تجد أعماله تقديرا شاملا بين المهتمين بتاريخ المغرب (ومن

لابن الأثير (١) ، والنصوص التي نشرها في مجلد تحت عنوان « نصوص غير منشورة » (٢) ، فضل كبير في توسيع نشاط الترجمة التي تحسنت الآن واصبحت أكثر دقة •

ومع ذلك كله ، فإن المؤرخ الجاد ، لم يكن في استطاعته أن يكتب تاريخ الجزائر في العصور الإسلامية بالاعتماد على الأعمال المترجمة وحدها ، حيث كانت معظم المصادر لم تتناولها حركة الترجمة •

وكذلك ظهرت في أوائل القرن الحالي مشكلة كان من المفروض أن يتعرف عليها المؤرخون منذ البداية وهي : هل لمؤرخ أن يكتب عن أفريقية في العصور الوسطى العليا ، إذا لم يكن مستعربا ويملك الوسيلة الضرورية (اللغة) للبحث والتحقيق ؟

وهذه المشكلة ، نجد رجعا أنها تهمننا نحن المغاربة بصفة خاصة ، لأن التأثير (أن لم نقل التوجيه) المباشر وغير المباشر الذي تتعرض له الدراسات التاريخية من الإدارة السياسية والأكاديمية والرأي العام الفرنسي والناشرين والمناخ الثقافي بصفة عامة ، تجعلنا نفقد حتى الحد الأدنى من الضمانات والمراقبة العلمية ، متى كان المؤرخ في حل من الرجوع إلى الأصول العربية والاحالة إلى مراجعه • وإذا كان من بين الباحثين ، مثل جوتييه ، من فرض على نفسه منهجا علميا متشددا يراعى الدقة والأمانة ، فإن هذه الفئة تشكل اقلية صغيرة ، مع الأسف •

(١) الجزائر ، 1901

Extraits inédits relatifs au Maghreb, géographie et Histoire Alger, 1924.

(٢)

(٣) عانى جوتييه من هذه المشكلة شخصيا وكرس لها فقرة في كتابه المذكور حدد فيها موقفه . راجع

le passé de l'Afrique du Nord, P. 51.

فهي مستودع لقوى لا التحام بينها (وبالتالي)
فهي تحتاج الى تلقى النفوذ الموجه من الخارج :
من الفنيقيين أو من الرومان ، أو من الشرق أو من
اسبانيا ، *

والمؤلف يصطنع الخجل ، فلا يضيف فرنسا
الى قائمة مصادر النفوذ المحتملة ، ولكن ذلك
مفهوم ضمنا وبحكم الامر الواقع !

وكانما خشي الا يستخلص قارئه جميع
النتائج التي يريد ان يستخلصها من ملاحظاته ،
فتكفل هو بالقيام بهذا العمل واردف في شكل
خاتمة يقول *

« وما اشد ردود البربر ضد التقدم الذي
يفرض عليهم ! وكم تساوى كلمة « البربر »
معناها باللغة اللاتينية (أى الهمج) !

« وفي المعركة الهائلة التي تشنها بلاد
البربر على الحضارة ، كم من مرة كان حظ
البربر فيها الهزيمة والاندحار ! » (٢) (علامات
التعجب مرقومة في النص الاصلى)

والقارئ الحسن النية سيندهش بدون شك
لهذا التهجم الخالى من كل تحفظ في كتاب علمي
وفي موضوع بعيد عن النزاع بين الجزائريين
والاستعمار * بل ان البعض قد يتساءل في براءة :

كيف يجهل هذا الكاتب ان سكان هذه البلاد
هم الذين فتحوا الاندلس ومعظم جزر البحر
الابيض المتوسط ، وان كتامة (هذه القبيلة
البربرية) كانت ارضها منبت الدولة الفاطمية ،

بينهم بعض علماء المغرب ايضا) ، لا تختلف
نظرتهم الى المغرب ، ولا يختلف تفسيره العام
لتاريخ هذه البلاد عن تفسير اجهل الكتاب
الفرنسيين بالتاريخ والثقافة المغربية *

لماذا ؟ هي العنصرية وحدها ، أم تضاف الى
العنصرية اغراض اخرى مثل الرغبة في كسب
الشهرة بين الجماهير والسعي لتسخير العلم
لاهداف السياسة الاستعمارية ؟

مهما تكن الدوافع والاسباب ، فان جورج
مارسى تجنى بالقلم على ثقافة هذه البلاد وعلى
الشعب المغربي ، كما اعتدى عليه غيره بالسيف ،
وذلك في اكثر من موضع في كتبه * ونحن نأخذ
هنا اشهر كتبه واكثرها تدعيما لسمعته العلمية ،
وهي اطروحته التي سبقت الاشارة اليها والتي
تشتمل على الخطوط العريضة لنظرياته التي
تبلورت في اعماله اللاحقة * فما هو رأى الكاتب
في هذا الشعب الذي يصر على تسميته بالبربرى ،
ياترى ؟

يقول مارسى : انه « تنقصه الوحدة
والاستمرار » ونحن « لا نكتشف فيه شيئا يمكن
مقارنته بالجهود الشاق الواعى (٠٠٠)
الذي يدفع الشعوب الاوروبية نحو تحقيق مثال
اجتماعى ، أو لتكوين دولة اكبر » (١) *

ويمضى الكاتب فيقول :

« وبلاد البربر لا يبدو ان في امكانها التقدم
بوسائلها الخاصة ، بل يجب عليها ان تضع نفسها
وراء عربة اخرى لتجرها * فان قضاء وقدرها
يمنعها من ان تكون الاتباعه أو خاضعة لغيرها *

(1) راجع المصدر المذكور 1

(2) نفس المصدر ، ص 2

قليلًا !) ، لم تقم فيها دعوة لمراجعة التاريخ الذي سجل في العهد البريطاني والعمل على أسس جديدة لتنمية تاريخها القومي . والهند الصينية وأفريقية الغربية وغيرها من المستعمرات السابقة كلها كانت في وضع مماثل لوضع شمال أفريقية .

وقد يقال أيضا أن فكرة إعادة تقييم المساهمة الفرنسية تعبر عن نزعة وطنية ضيقة ، وانها حتى لو وجدت ما يبررها نظريا ، فإن تطبيقها عمليا يكاد يكون في حكم المستحيل ، بسبب ضخامة هذه المساهمة وشمولها .

ونحن لتوضيح الفكرة ينبغي أن نبين أولا مالا تستهدفه . فهي لا تدعو إلى أي تحريم للكتب التي وضعها المؤرخون الفرنسيون عن تاريخ بلادنا . وزيادة على ذلك ، فهي لا تنادي بالاستغناء عن هذه المساهمة وبدء العمل من الصفر لتنمية تاريخنا القومي . وإعادة التقييم يعنى ضمينا الاعتراف بقيمة نسبية لمجهود الباحثين بقدر ما يكون هذا المجهود نزيه الدوافع وبقدر أهمية النتائج التي كشف عنها بالنسبة إلينا وفي حدود استجابته لأولويات التنمية الثقافية في بلدنا .

وإعادة تقييم المساهمة الفرنسية في تاريخنا عملية تفرضها عدة اعتبارات ، يمكن أن نوجز أهمها فيما يلي :

١ - أن النظام الاشتراكي الذي اختارته الجزائر والذي حطم معظم الاطارات الاجتماعية التقليدية بما في ذلك نظام الملكية الزراعية ، لا يمكن أن يهمل قطاعا ثقافيا حيويا له واثق الصلة بشخصيتنا ، ونعني بذلك تاريخنا القومي . فمما لا ريب فيه أن هذا التاريخ لم يكتب حتى

وأن القبيلة هي التي حملت لواء الدولة لفتح مصر والشام ، وأن صنهاجة اقامت دعائم حضارة من اعظم ما شهده البحر الابيض المتوسط وأن زناتة اقامت عددا من الدول في المغرب بدات بدولة عطية بن زيري ، وأن امير المؤمنين يوسف بن تاشفين الذي بسط سلطان المرابطين على المغرب والاندلس ، هو نبتة « اصيلة من تربة هذه الارض ، وأن ابن تومرت وعبد المؤمن واضعا اركان دولة الموحدين ، لم يكن لهما ولاجداهما وطن غير هذ الوطن ، وذلك على الرغم من جميع شجرات النسب المختلفة !

ولكن المشكلة هي أن جورج مارسى ، مثل غيره من العنصريين ، لا يجهد هذه الامور ، بل هو يعرف تفاصيلها كما لا يعرفها الا الخبراء .

أن المنطق واعتبارات الكرامة تفرض علينا الاندع ما تنطوى عليه كثير من المساهمات الفرنسية من الاغلاط والانكار المفرض لماضيها يتسرب كالسموم إلى عقول الناشئة والمثقفين الذين لم يتسلحوا بالمعرفة وطرق النقد التي تسمح لهم باكتشاف التزييف والتجنى على وطننا .

ضرورة إعادة التقييم

قد تبدو فكرة إعادة تقييم المساهمة الفرنسية في تاريخنا فكرة غريبة لأول وهلة . فإن الباحثين في كل بلد يتناولون بالدرس ويكتبون تواريخ جميع البلدان الأخرى ويقعون في اغلاط أيضا ، دون أن نسمع أن واحدا من هذه البلدان شعر بالحاجة إلى تقييم المساهمة الأجنبية في تاريخه - فضلا عن إعادة تقييم هذه المساهمة . فالهند (وباكستان) التي ظلت تحت الاستعمار البريطاني نيفا وثلاثة ارباع القرن (اقل منا

الاختيار ، فان اعادة التقييم عملية يحتملها التحول اللغوي نفسه .

٤ - جرى المؤرخون الغربيون على تنسيق حوادث تاريخ المغرب خارج السياق الثقافي الاسلامي التقليدي ، بحيث يكون التاريخ المعروض قريبا من نمط التاريخ الدنيوي الذي ألفه القارئ الاروبي . وهذا المنهج ، اذا كان لا يخلو من بعض المزايا من حيث الشكل ، فهو في الحقيقة يضع عقبة في طريق فهم الاتجاه العام للتاريخ ، حيث يسلب الحوادث من مناخ الثقافة الاسلامية ويعزلها عن الجو الفكري الذي جرت فيه . فان القارئ الاروبي ، مثلا ، يفهم ان انطلاق بني هلال لغزو المغرب ، كان سببه قرارا سياسيا اتخذه المعز بن باديس بالاستقلال بالمغرب عن الخليفة الفاطمي . وهذا صحيح من الناحية الشكلية (وخروج امير تابع عن طاعة ملك من الاحداث الشائعة في التاريخ الاروبي وغيره) . ولكن هذا التعليل غير كاف لفهم صلب المشكلة وابعادها ، حيث ان السبب الحقيقي لهذا الحدث الذي كان من نتائجه تخريب الحضارة الزيرية ، هو تحول المغاربة عن عقيدة الشيعة التي فرضت عليهم فرضا ، الى مذهب اهل السنة ، حينما وثقوا من زوال نفوذ الفاطميين ، وشاع ان الملك نفسه كان على مذهب اهل السنة (سرا) .

كيف يستطيع المؤرخ الاروبي ان يقدم هذا التعليل ، لدى عرضه لهذا الحادث ، دون ان يحتاج الى بحث خاص للتعريف بمذهب السنة وعقيدة الشيعة ؟

وخلاصة القول ، ان العودة بتاريخنا الى مناخ التقاليد الثقافية الاسلامية ، يجب ان يكون من الاهداف الاساسية التي نتوخاها وراء مجهود اعادة تقييم المساهمة الغربية عموما والمساهمة الفرنسية ، خصوصا .

الآن بالطريقة التي تتلاءم مع هذا التطور ومع النظرة الاشتراكية الى الاشياء . ومجهود اعادة تقييم ما كتب باللغات الاجنبية عن تاريخنا ، مجهود يخرج عن نطاق امكانيات الافراد من الباحثين ، ولذلك فهو يحتاج الى اهتمام قومي يمنح العمل لتخليص هذا القطاع من آثار الاستعمار الثقافي مكانة عالية بين او لويات التنمية الثقافية .

٢ - ان الشعوب التي قبلت المساهمة الاجنبية بدون مراجعة هي ، اما شعوب لم يمس استقلالها وكرامتها السياسية ، او هي من الشعوب التي رضيت نهائيا بمبدأ « ازدواج الشخصية » ، ذلك الانحراف الذي يصعب معالجته في الافراد ، ولكنه اصبح الآن اساسا شائعا للتنمية الثقافية في عدد من المجتمعات المتطورة . واما الجزائر ، فقد شغيت من هذا الانحراف بفضل الصدمة التي هزت كيانها في ثورة شاملة . فاذا رضيت شعوب افريقية الغربية والهند ، وخصوصا أمريكا اللاتينية ، بادماج تراثها الثقافي القومي في تيار الثقافة الغربية ، فذلك لانها قامت بعملية المواءمة والتوفيق الضروري بين هذين التراثين في اطار الشخصية المزدوجة . ولكن الجزائر التي اختارت مبدأ « الاصالة الشخصية » ، قد التزمت نحو نفسها ضمينا بهذا الاختيار ببذل مجهود لفرز جميع العناصر التي ستشكل اساسا لنهضتها الثقافية المقبلة .

٣ - ومن هذا الاعتبار ينبثق اعتبار آخر ، فرعي ولكنه مهم ، وهو ان كثيرا من المستعمرات سابقا (والامثلة السابقة صالحة في هذا السياق) قد اختارت لغة المستعمر السابق لتكون لغتها الوطنية ، بينما أبت الجزائر ، في هذا المجال ايضا ، الا أن تعود الى اصلها . وانطلاقا من هذا



ندوة الاصاله في تونس

موقف المؤرخين الأجانب من تاريخ المغرب العربي

أود أولا ان أشكر الاساتذة الافاضل الذين
لبوا دعوتنا وساهموا معنا في هذه الندوة التي
تطرق موضوعا على غاية من الاهمية بالنسبة
لتاريخنا ، وهو موقف المؤرخين الاجانب من
تاريخ المغرب العربي ، وأضع امامكم للنقاش ثلاثة
مسائل يدلى فيها كل واحد منكم برأيه ثم نجرى
المناقشة ان كان هناك ما يستوجب ذلك . وفيما
يلي هذه المسائل :

ادار الندوة
عثمان شبوب

1 - كيف نشأ الاهتمام عند المؤرخين الاوروبيين بتاريخ المغرب العربي ؟

2 - ما هي العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية التي انطلقوا ومارسوا فيها كتاباتهم ؟

3 - ما هي الجوانب الايجابية او السلبية في هذه الكتابات ؟

4 - ما هو المنهج الذي ينبغي اتباعه في اعادة كتابة تاريخنا من جديد ؟

الاستاذ مصطفى زبيس ... متفقد الآثار بتونس .

نشأت فكرة التاريخ لدول المغرب العربي عند المؤرخين الاجانب غالبا لظروف سياسية وخدمة سياسة معينة ، أي السياسة الاستعمارية . ولا يمكن ان نفرق بين من اخذ منهاجا موضوعيا وغيرهم ، لان العمل كان متجها الى تدعيم السياسة مهما كان الشخص الذي تعاطى هذه المهنة ، ففي ميدان الآثار بالخصوص كانت النزعة الاصلية التي وجهت جميع المجهودات هي ان هذه البلاد كانت بلادا تشبعت بالحضارة الرومانية ، ثم انقلبت عند مجيء العرب الى تحطيم هذه الحضارة الرومانية وغالبا لم يكن رأيهم الا المرور مرورا عابرا على هذه الفترة الطويلة ، وكان رأيهم الاستنتاج وراء الاستكشافات التي عثروا عليها بعد التنقيب والبحث لاثارة أولى الامر من المستعمرين لتعاطى السياسة المعينة ، فمثلا اذا نظرنا الى الفسيفساء ، يقول هؤلاء ان الفسيفساء ازدهرت في هذه البلاد ايام الرومان وبعدهم ،

لانهم يحكمون على انها انقطعت عند مجيء العرب وهذا غلط من الناحية المنطقية ، أولا وغلط من ناحية الواقع .

من الناحية المنطقية هذا لان اصحاب الصناعة - الفسيفساء - كانوا من الامل من سكان البلاد الذين كانوا في انعزال سياسي ، فكانوا يعملون لهؤلاء وهؤلاء لاغراض مالية وعيشية لكسب عيشهم ، فعندما تتبدل الاوضاع السياسية فالمعمل او المصنع الذي كان يصنع فيه الفسيفساء او غيره كان دائما اعماله متواصلة واصحابه في مبانهم ، وكان الصانع يتعاقب مع صناع آخرين من ابنائه ومن الآخرين المتواردين بعده ، ولم يكن هناك سبب لانقطاع هذه الصناعة من جراء تبديل الوضع السياسي ، من الناحية الواقعية نجد في كثير من الاماكن قطع من الفسيفساء ازدهرت ايام العرب وتمادت الى مدة طويلة فقد وجدنا في المهديّة قاعة من قاعات القصور الفاطمية او الصنهاجية يعنى القرن 4 و 5 هـ وجدنا هذه الفسيفساء في مكانها وعلى مساحة جيدة ولا يمكن ان تكون من آثار الرومان او البيزنطيين ، وفي رقادة وهي مدينة انشأها الاغالبية في القرن 3 هـ ، هناك قاعة من الفسيفساء وهناك امكنة استعملت فيها فسيفساء جلبت من امكنة اخرى ، هذا ربما تضطرب من أجله الافكار الا أن القاعة التي هي ما زالت موجودة تدل على أن هذه الفسيفساء استمرت بعد الرومان وبعد البيزنطيين ، وقد عثرنا على أناس كانوا يبحثون هنا في تونس في 1947 ، 1948 في ناحية جبل مروج في ضيعة من

أصيلة متماشية مع السياسة التي كانت هناك ، ولهذا كثيرا من هؤلاء الباحثين - على انهم عملوا عملا طيبا ومستقيضا في نشر كثير من المعلومات وكثير من المصادر ، فلا نحكم على هؤلاء بالبطلان التام ، فهناك من الكتب ما يفيدنا الا اننا معشر الجيل الحاضر لابد ان نعيد النظر في هذه الكتب وفي هذه النظريات وينفى ما يمكن الغاؤه ونزيل ما هو باطل ومخالف للحقائق التاريخية وتاريخنا بالخصوص .

**الدكتور محمد طالبى - استاذ بكلية الآداب -
جامعة تونس :**

كيف نشأ اعتناء الغربيين بالتاريخ الاسلامي ، يرجع ذلك الى قرون بعيدة جدا ، وهذا الاعتناء في الحقيقة لم ينقطع أبدا طوال العصور بالنسبة للغربيين فيما يخص الامم الاخرى لان الاتصال بين المسيحية والاسلام كان متواصلا منذ الفتح الاسلامي الى يومنا هذا ، فريمو جولو الاسباني الشهير كان قام بتنشئة اولاد الامويين ، ويمكن ان أضرب امثلة عديدة ، اذن كان الاتصال دائما وأبدا موجودا بين الاسلام والمسيحية التي أصبحت فيما بعد العالم الغربي ، لكن نشأت حركة جديدة في هذا الميدان يرجع ذلك فيما اظن الى القرن السابع عشر عندما اخذ الغرب يشعر بقوته من ناحية وبضعف الطرف المقابل - الاسلامي - من الناحية الاخرى ، فالغرب قد اكتشف ضعف العالم الاسلامي في القرن السابع عشر فانقلبت الاوضاع والصلات التي كانت موجودة والتي كانت صلات تبادل وتعارف أصبحت صلات

ضيقات اصدقائي فوجد الباحث الاثرى في هذا المكان وكان مبدئيا قرر ان هذا المكان انما هو مكان لا يمكن ان يكون فيه الا الآثار الرومانية ، واذا به فوجيء بالعشور على كميات من النقود الاغلبية ، فما جعل هذا يدل ان يضم هذا الى مستكشفاتة ، اخذ هذه الكمية ووضعها جانبا حتى تبعد عن أصل البحث ، فمثل هذه الاعمال انما تؤدي الى قلب الحقائق والى البعد من الحقيقة الموضوعية المجردة في البحث ، ومثل هذه الحالات كانت موجودة منذ ان تدخل الباحثون في هذه البلاد اما للبحث عن الآثار وأما للبحث عن التاريخ . والى جانب هذا توجد النزعة من طرف العسكريين والسياسيين ورجال الدين ، هذه النزعة كانت تهدف الى جعل هذه البلاد دائما وأبدا بلادا منجزة عن لاتينية والحضارة الرومانية بصورة عامة ، هذا كان مبدؤهم ، وعلى هذه الاسس كانوا يعملون وكانوا يبحثون كأنهم يقدمون النتيجة على البحث ، وكان البحث يستمر في تدعيم وجهات هذه النظرة العنصرية ، واذا وجد من بين هؤلاء من ينازع هذا المبدأ او من يناصر الحق فكانت هناك هيئات عظيمة تحطمه ، ولعلكم تتذكرون وانه في سنة 1940 او 1942 كان هناك أب يقال له الاب بيرييه فالف كتابا عن الحضارة الاسلامية وانتشارها في العالم الغربي وكان بحثه معجدا من اوله لآخره لهذا المبدأ ، ولكن لا يمكن لاحد ان يجد هذا الكتاب ، فقد غمر ، وفقد منذ صدوره ، ولم أعثر عن هذا الكتاب الا في نص تحليلي في مجلة من المجلات ، فهذه النزعة لم تكن الا نزعة

العدة من قبل وكونوا مدارس الاستشراق ، ثم وجدوا أنفسهم في صلب الاقطار التي كانوا قد افردوها بعنايتهم ، فهذا الوضع التاريخي الجديد كان حافزا لهم ومنشطا للتنقيب بأكثر جدية واهتمام ، فاعتنوا بجغرافية بلاد مختلفة وحيوانها ونباتها واقتصادها واجتماعها ، وبتاريخها ، فآخذوا يكتبون تاريخ هذه البلاد ، كل مؤرخ مهما كانت ارادته كي يصل الى الموضوعية يستحيل عليه ان يتخلص تماما من الملابس الزمنية والاضاع الاجتماعية التي يعيش فيها ، فالغربيون كانوا يشعرون بحكم قوتهم وحضارتهم بتفوق كبير بالنسبة لاهالي البلاد المحتلة ، طبعا في هذه الصورة كان يعسر عليهم ان لا ينظروا الى هذا التاريخ نظرة تحليلية تمكن من تفسير الوضع الذي عليه هذه الامم المتخلفة على ضوء تاريخها ، تلك هي المشكلة ، هم أرادوا ان يعللوا الوضع التخلفي الراهن بحكم تطور تاريخ هذه الامم قرأوا في ذلك التاريخ تاريخا يؤدي الى التخلف ، فكانت هذه النظرة من هذه الزاوية تؤدي الى قراءة للنصوص لا تتفق وما اصبح عليه التاريخ اليوم ، لكن تلك القراءة في عصرهم وفي ظروفهم وفي حياتهم كان من العسير جدا ان يتخلصوا منها ، والتاريخ دائما يجب ان يقرأ من جديد حسب الملابس والظروف ، لان التاريخ شعرا كان تأويلا واسئلة تلقى على الماضي ، فهذه الاسئلة التي تلقى على الماضي يجب ان تلقى بها اجوبة لما يخامر نفوسنا اليوم ، لذا يجب ان يكتب التاريخ دائما ونحن نحاول اليوم بفضل ما اكتسبنا من

دراسة من طرف الاختصاصيين لحضارة عدوها قد انقرضت أو أخذت في التلاشي ، هذا الموقف ادخل اختلافا في النظر ، فالغربيون آخذوا شيئا فشيئا يشعرون لا بقوتهم المادية فقط ، بل أيضا بقوتهم الفكرية وصادف ذلك القرن الثامن عشر نشوء فكرة الرقي والنور والتقدم والتطلع الى الحضارات الآفلة فاعتنى بعض علماء الغرب فيما اعتنوا به من جملة المواد بما سموه بالشرق ، وهذا الشرق يمتد من اليابان الى البلاد الاسلامية ، ونشأت بآتم معنى الكلمة مدارس الاستشراق في كامل البلاد الغربية وأسست المؤسسات واصدرت الاموال لذلك وأسست المكتبات وآخذوا يعتنون بالحضارة الاسلامية من جملة الحضارات التي هي جديرة بالاعتناء والاهتمام ، فاعتناؤهم اذن بهذه الحضارة ناشئ عن فكرة علمية عن تقدم علمي آخذ يخرج بالعلماء من نطاقهم القومي الضيق الى نطاق عالمي ، هكذا اذن نشأ الاعتناء ، ونجد من بين هؤلاء المستشرقين من بذل الجهود الجبارة لاكتشاف كثير من البحوث العربية التي غفلها اصحابها فآخذوها بالنشر وبالبحت والقواعد مؤلفات فيما يخص كامل مظاهر الحضارة الاسلامية ، ثم كان القرن التاسع عشر وصادف ذلك القرن التوسع الغربي بالقوة طبعا وبالعنف في كثير من الاحيان الى خارج حدوده ، فقسمت الاراضي بين امم كانت تحتل الركب التاريخي كما لفرنسا وكانت تمتاز بقوة مادية وفكرية واحتل كل فريق المنطقة التي اعدت له بعد المقاسمة الشهيرة في برلين سنة 702 أو 1872 ، طبعا هناك أناس كانوا قد اعدوا

مرت بمراحل عسيرة هائلة خطيرة شاقه وهي تسير الى الامام لان سنة الله ان تسير البشرية الى الامام كي يتم الخلق لان الخلق مستمر والكائن البشرى جعله الله متطورا وجعله يسير الى اكثر انسانية ، كي نصل اذن الى هذا يحسن بنا ان ننظر الى التاريخ نظرة علمية وان نضع دائما وابدا الامور في مستواها العالمى كي نخرج من التحزب الى شق دون شق والى التأويل العاطفى الذى يبعثنا عن العلم .

عثمان شبوب - أريد ان اسال الاستاذ طالبى سؤالين : السؤال الاول : ما رايه في بعض المناهج التى استعملها المؤرخون الاوروبيون في دراستهم لهذه المنطقة من المغرب العربي ، المنهج الاتنوغرافى مثلا . والسؤال الثانى هل تتفقون مع الذين يقولون بان المنهج الماركسى هو أفضل منهج لاعطائنا تفسيرات دقيقة عن احداثنا التاريخية .

د . محمد الطالبى : الاتنوغرافى علم منفصل ليس بالتاريخ ، لان الاتنوغرافية تهتم بالعادات والاوزاع التى عليها مجتمع من المجتمعات فى يومه الحاضر ، فاذا تصور الحياة الحاضرة فى أشكالها الاجتماعية وفى عاداتها . وتقاليدها الخاصة ، والتاريخ يهتم بالماضى ، فهما اذن علمان مستقلان ، لكن الاتنوغرافيا قد تكون بالنسبة للمؤرخ من العلوم المساعدة كالأثار او غير ذلك من العلوم ، فالأوروبيون طبعا قد اهتموا اهتماما كبيرا بالاتنوغرافية وذلك امر طبيعى بالنسبة لهم لانهم قد وجدوا انفسهم فى بلاد جديدة وعوالم هامة يتعرف عليها ، أما لأسباب علمية ... أو

تجربة فى الماضى ان نكون اكثر موضوعية ممن تقدم او لعل مهما بلغت جهودنا ومهما بذلنا من عناية فى هذا الصدد ، حكم المؤرخين فى المستقبل لعله لا يكون اقل شدة من حكمنا اليوم على من سبقونا ، اذن يحسن بنا عندما ننظر الى هذه الامور ان لا ندخل فى قراءة تاريخيه مدحية لماضيها لاننا اليوم نشعر بالنقص فنحاول ان نتلافى ذلك النقص بأن ننظر الى مرآة مجد نعتبره صافيا عظيميا خالصا ، ونحرف هذا التاريخ تحريفا يجد السبب فيه أهواءنا اليوم كما فعل القدامى الذين حرفوه لأسباب ناتجة عن ملاسبات وضعف ، نحن هذا القيد نخشى ان نحرف تاريخنا أيضا اعتمادا على ملاسباتنا فنكتب تاريخا مدحيا ، وهذا نجده فى كثير من الكتب فهى فاسدة تماما لانها تمجيد اكثر منها تثبت واعتناء ، اذن يجب علينا عندما ننظر الى هذا المشكل ، كيف كتب تاريخنا من طرف غيرنا وماذا يجب علينا ان نفعل فى تاريخنا ، يحسن بنا ان نقف موقف الاعتدال بدون تهجم على من سبقنا مهما كانت ظروفه وملاساته . وبدون ايضا سداجة تجعلنا نؤمن بما كتبه كل غربي لان نكسب عليه هذا التقليص ، وفى نفس الوقت يحسن بنا ايضا ان نقاوم فينا النزعة المدحية بتحليلها بصفة علمية فنخرج من المأزق ونخطو خطوة اخرى فى طريق الموضوعية التاريخية حتى نصبح فى يوم من الايام نؤمن بأن التاريخ علم بآتم معنى الكلمة ، لا علم الدولة التونسية او الفرنسية او الروسية ، بل يجب ان يكون علما بشريا ، الذى يريد لنا سر هذه البشرية كيف

ودبح بفضل مجهودات هؤلاء الاجانب الذين عندما فتحوا البلاد وجهوا عنايتهم الى مختلف أوجه الحياة في هذه البلاد .

السؤال الثاني : هذه الايام اصبحت من الوسائل التي تعاد وتكرر ، أى هل يكتب التاريخ كتابة ماركسية وما هي قيمة هذه الكتابة ؟

اظن ان الحرب بين الطرق التقليدية لكتابة التاريخ والطرق الماركسية بدأت تضع اوزارها فالיום اصبحنا وكل ذى عقل يؤمن بذلك ان ماركساتي باشياء هامة وفتحت في ميدان التاريخ بفضل الآراء التي ابدتها ووجه البحث الى نواحي لم يكن الاعتناء بها كثيرا ، وكل منا اليوم مقتنع بتلك الفكرة الماركسية ، من ان عنصر التاريخ او ان محور من محاور التاريخ هذا المحور الذي له دور هام الى جانب المحاور الاخرى هو المحور الاقتصادي ، هذا لا يشك فيه اثنان ولا يتناطح فيه عنزان ، الآن أصبح الامر واضحا جليا ، اهتمام مثلا ماركس بقراءة النصوص تجعلنا احيانا نرى فيها حركة جدلية تدفع البشرية الى الامام ، كل مؤرخ اليوم يؤمن بأن هذه القراءة ان لم تكن الوحيدة فهي مفيدة جدا لانها قد تفسر كثيرا من الاشياء لولاها لتبقى غامضة ، فاذن ماركس اليوم قد قبل بصدر رحب من كل علماء التاريخ ، المشكل الوحيد هو ان هناك من المؤرخين الذين يريدون ان يجعلوا من كتاب ماركس قرآنا وان ينظروا اليه نظره تعصبية تتنافى والمبنى الماركسي نفسه ، لان ماركس كان ثوريا على الاساليب التي تقاومه ، فاذا أردنا نحن ان نقلده تقليدا ديناميكيا حركيا

لاسباب عملية لان هذا التعرف يعينهم على حسن سياسة تلك البلاد كيف يعاملون الناس ، كيف يجب ان يتفهموا عقول الناس حتى يحسنوا التصرف معهم باثارة أقل ما يمكن من المشاكل والقلق ، وحتى طبعا يتمكنوا من استثمار البلاد لصالحهم ، عندما يحتلون بلدا من الطبيعي ان يحاولوا استثمار مجهوداتهم التي مكنتهم من الاستيلاء على مقاطعة من المقاطعات فالانتوغرافية اذن بالنسبة اليهم علم هام جدا لانه علم ككل العلوم يمكن فيما بعد ان يبحث في مقارنة عادات هذه المدينة وهذه المدينة ، والعيوب الاجتماعية والاخلاقية واللسانية وغيرها ، وعندما نجمع الملاحظات الانتوغرافية لبلاد العالم فان يمكن فيما بعد ان نستنبط بعض القوانين العامة التي تتصل بالبشرية وفيما يخص أيضا الحضارة ، اذن هو علم مستقل اعتنوا به كثيرا لاسباب نظرية ولاسباب عملية ونحن اليوم في كثير من الاحيان ندين لهم بالفضل الكبير في هذا لان كنا نحس بمركب النقص الذي زرع فينا من تخلفنا ننقم نقمة كبرى على عاداتنا وتقاليدنا ولا نريد ان ننظر فيها ولا نريد ان نسجلها للتاريخ ، فمن بين بنى وطن المغرب كتب في عاداتنا وتقاليدنا منذ قرن أو نصف قرن منا اعتنى بالبربر وعاش اوساطهم وصورهم للعظمة ، نحن لا نفعل ذلك ، فالغريبيون اذن ديجونا بهذه الصفة بمجموعة من الوثائق الهامة التي اصبحت تاريخا ، فالمؤرخ اليوم عندما ينظر في تاريخ القرن العشرين او التاسع عشر سوف يجد مجموعة من الوثائق حرر

اذن حياة عسيرة جدا حياة المؤرخ لانه يجب ان يكون جماعا لعلوم شتى ويجب ان يكون ايضا محللا لنفسه ومحللا لوضعه ومتفتحا على كل التيارات والافكار وفي نفس الوقت متحررا من كل التيارات والافكار .

عثمان شبوب : أنا أود من الاساتذة الآخرين ان يناقشوا جميع هذه الافكار المنهجية وغيرها . وأود ان أوضح ان الاتنوغرافيا وهو منهج داخل في نطاق علم الاجتماع كما هو معروف ، لكن كثير من المؤرخين بنوا على هذا المنهج كثيرا من الاستنتاجات العنصرية الاستعمارية .

الدكتور التميمي : اجابتي عن السؤال متى بدأ اهتمام المؤرخين الاوروبيين بالتاريخ المغربي وكيف ؟ ان شاركت الاستاذ محمد طالبى فيما قاله حول اهتمام الاستشراق فى العالم العربى والاسلامى والبحر المتوسط ، لا أشاركة بأن اهتمامهم بتاريخ المغرب العربى قد سائر هذا الاهتمام فى نفس الوقت ، ذلك ان اهتمامهم بتاريخ المغرب العربى قد ظهر اخيرا فى القرن 19 اما اهتمامهم قبل هذا الوقت فقد كان مقتصرنا على ارسال بعض الرحالين لمعرفة عادات وتقاليده والظروف المناخية التى يعيش فيها المغرب العربى، وعندنا عدد كثير من الرحالة الاوروبيين الذين تركوا لنا انطباعات ، غير اننا لا نعرف اى عمل تاريخى كتب عن تاريخ المغرب العربى قبل 1830 وذلك تاريخ احتلال المستعمر الفرنسى للجزائر ويمكن اعتباره نقطة التحول باهتمام المؤرخين وخاصة الفرنسيين بتاريخ مغربنا ، ذلك ان

يجب ان نقلده بأثمن شئ علمنا اياه هذا الرجل ، هى النظرة النقدية وعدم التبعية ، لم يكن متبعنا ولذلك انشأ نظريته ، فاذا نحن تبعننا بما يؤدى الى الجمود والتبعية فقد خنا رسالة ماركس خيانة كبرى ، وهذا ما فعله كثيرون ، فاصبحوا يحرقون تاريخهم تحريفا بليغا لانهم ارادوا ان يقصدوا من التاريخ محاور أخرى توجههم كالمحاور النفسية ، ونحن نعرف ان فى كثير من الاحيان الحركات العاطفية كان لها دور هام جدا فى توجيه التاريخ فبقطع النظر عن الحركات الاقتصادية ، ثم ايضا يجب ان لا نؤمن بالتحليل الماركسى الاقتصادى الى حد ان نجعل او نتجاهل قيمة عمل الفرد ، فمن منا مثلا يستطيع ان يعتبر ان تاريخ قرطاج كان يكون هو نفس التاريخ بعدم وجود هانيبال ، هذا من المستحيل ، او تاريخ المانيا فى الفترة الاخيرة هل كان يكون نفس التاريخ لاسباب اقتصادية او غير ذلك ، اذن لو حذفنا هتلر وما اصاب به من امراض عقلية . اذن هذا التطرف فى كتابة التاريخ على مذهب وحيد هو الذى يجرنا دائما وأبدا الى الانحراف ، اذن يحسن بالمؤرخ ان يكون دائما وأبدا انسانا حرا ، يجب ان يتحرر من أهوائه وعاطفته وان يقاوم فى نفسه نزعاته ، ويجب ان يتحرر ايضا من الضغوط الخارجية من ملابسات وأوضاع وحالات سياسية واقتصادية ، ويجب ان يتحرر ايضا من المفكرين الذين قد يوجهوه توجيهها غير طيب ، اذن يجب التحرر والتفتح لان يعسر عليه ان يكتب التاريخ وهو يجهل ما قاله المؤرخون والعلماء من قبل ، فهى

السؤال الثاني كيف كتب هذا التاريخ ، بطبيعة الحال كتب من وجهة نظر معينة معتمدين على معطيات معينة ان وجد بعض المستشرقين الذين درسوا التاريخ الوسيط وكانوا يعرفون العربية ، فانه لا يوجد حسب علمي في القرن الماضي من اهتم بالتاريخ المغربي يعرف العربية الا القليل جدا منهم . وعلى هذا الاساس فان التاريخ المغربي الذي كتب في القرن الماضي لا يجب اعتباره تاريخا فنيا ، ويجب تنقيته وتصحيحه ، هذا باختصار حتى افسح المجال لبقية الزملاء .

الاستاذ محمد فنطر - استاذ بكلية الآداب - قسم التاريخ : في الحقيقة عندما ننظر الى سؤال اهتمام المؤرخين الغربيين وخص منهم المؤرخين الفرنسيين ، فيما يتعلق مثلا بالدور القديم قبل احتلال

نرى ان امثال جورج غوتيه او جليز شارل بيكات ، بما انهم قرأوا التاريخ او حاولوا قراءته لاهداف معينة كانت لهم اهداف ويصرحون بها في صريح العبارة ، فعند ما نقرأ مثلا كاتوبينوف يقول في مقدمة كتابه المتعلق بالمغرب : « انه يحاول ان ينظر فيما كان عليه المغرب في عهد الرومان حتى يستنتج ما يساعده على ارساء الحماية او الاحتلال الفرنسي فيقول انه لاحظ ان الحضارة الرومانية اينعت بالبلاد ويعتبرون ان الافارقة قبلوا على هذه الحضارة وتبنوها وساعدوا على اثرائها ، اذن يعتبرون ان الاحتلال الروماني كان ناجحا ، فاطلاهم على تاريخ البلاد يهدف الى مد السلطة الفرنسية بوسائل تساعد على ارساء

احتلالهم الجزائر جعلهم في وضعية جديدة امام شعب جديد ومعطيات جديدة ودين جديد وانظمة جديدة ، هذه الفترة وهذا التاريخ بالذات 1830 قد جعل المسؤولين الفرنسيين يعجلون بارسال الفرنسيين الى البلاد العربية ويلحون على معرفة اللغة العربية وبالتالي الى معرفة الشعب الجزائري ، من هو هذا الشعب ؟ وفلا تعددت بعثات الفرنسيين وأذكر دوسلان كان أول احتكاكه - وهو اكبر المستشرقين - في الجزائر قبل ان يحتك بأي شعب آخر ، وجاند روجر ودوفكس وكثيرا من الفرنسيين الذين شعروا ان نواشدهم هو التعرف على الشعب الجزائري ومعرفة معطيات الشعب ، هذا بطبيعة الحال تفوقهم الاقتصادي والثقافي جعلهم ينظرون ويقللون من أهمية الشعب المغربي وتاريخ الشعب المغربي وهذا يعلل اهتمامهم بفترات دون أخرى وتركيزهم بالبحث على شخصيات دون أخرى ، هادفين بذلك مباشرة تفكيرهم ومخططاتهم التي تهدف بالدرجة الاولى الى جعل الشعوب المغربية يشعرون بدور التقليل من شأنهم وعدم اظهار مميزات التاريخ المغربي اذكر بذلك اهتمامهم بالتاريخ ما قبل الفتح العربي كان بالغا اذا ما قارناه بالتاريخ العثماني في شمال افريقيا ، وتعتبر فترة مظلمة والفرنسيين لم يهتموا بها وقد كانوا يؤكدون على ان هذه الفترة فترة مظلمة وحكام قساة وجور ، هذا بقطع النظر عن اسباب أخرى ، معناه حديثهم هدفه هو افساد . والطابع الفرنسي طابع عدالة وطابع انقاذ للشعب المغربي من محيط التخلف العقلي الذي هو فيه .

ثم هناك حاجة أخرى خاصة بالتاريخ القديم ، الفرنسيون لما درسوا التاريخ قالوا - موش كور الذى كان يمضى بعض مقالاته بكلمة رد بالك - يقول موشى كور : عندما اضع اذنى على الارض استمع الى رنين خطوات جنود اجدادنا الرومان ، فاذن قرأوا التاريخ الرومانى باعتباره حضور آثار اجدادهم فى هذه الديار ، ويقول موشى كور : نحن لسنا أجنبى فى هذه البلاد ، بل العرب هم الاجانب ، هذا يقوله بصريح العبارة وهذه الافكار سيطرت من غير شك كما قال الاستاذ طالبى بصفة شعورية او غير شعورية وكانوا غير قادرين على التخلص من تلك الملابس والجو الذى كان يعيش فيه ، وكلنا مجبورون على أن نتحمل بصفة ما المحيط وما فى المحيط من ظروف سياسية واجتماعية الى غير ذلك ، هذا هو الشيء هذا هو النبراس الذى على ضوئه درسوا تاريخنا فى القديم والوسيط والمعاصر .

بقى كيف نحن نقرأ التاريخ : نحن نقرأ التاريخ بالتخلص من كل ما يجعلنا نزيغ التاريخ ، لا ينبغى أن نمجد ولا ينبغى أيضا أن تكون لنا مركبات نقص أو غرور تكون خطرا على الحقيقة التاريخية ، فان هؤلاء رغم نظرتهم الحاطئة ويمكن أن نقول الملتزمة (لانه كان تاريخا ملتزما) ينبغى أن نؤمن بأن المنهاج ، لا شك أنهم بلغوا مستوى علميا لا بأس به ينبغى أن نتحلى به ونأخذه ، هذا المستوى العلمى يمكن أن نقوله فى جميع الوثائق وتكوين الملفات لحل القضايا التاريخية ، ففى مستوى التحقيق - لان المؤرخ يمكن أن نقارنه

الاحتلال الفرنسى وتساعدهم على التقرب من العنصر الوطنى حتى يصبح متحمسا للحضور الفرنسى وللحضارة الفرنسية والى غير ذلك ، وهناك نظرة أخرى هي انهم يريدون تعليل او تبرير الحضور الفرنسى ، هنا فيه شيء لازما من واجبات الحضارة أن يكون الغربيون والفرنسيون بالذات فى هذه البقعة ، لماذا ؟ يقولون ان هؤلاء الافارقة البرابرة هم عاجزون بطبعهم عن ادارة شؤونهم بأنفسهم ، فلا بد ان يكون خارجى يأتى ليستتب الامن ويتمكن من ادارة هذه البقاع ، ونرى ان من كتب فى التاريخ المغربى ينظرون الى الحضارات التى تعاقبت على البلاد دون ان يفرزوا مساهمة المغاربة فى تلك الحضارات ، فيقولون : الفينيقيون ، الرومان ، العرب الى غير ذلك لكن دائما البلاد لا وجود لها ، وهذا ما يدفعهم للقول جاء الفينيقيون ، جاء الوندال ، جاء البيزنطيون جاء العرب ، ولا وجود لسكان البلاد ، بل الحضارة لا تثبت وتظهر الا اذا كان أجنبى موجود فى البلاد ، كل التاريخ يكاد يكون مركز على هذه النظرة وربما فى شيء من اليأس ما زلنا الآن ندرس تاريخنا بهذه النظرة ، فى كتب تقدم الى الطلاب والتلاميذ والاطفال تقدم لهم هذه النظرة ، عطاء ، فقر ، هاتان الفكرتان هما جعلا بصفة عامة هناك ربما بعض الاشياء لا تدخل فى هذا النطاق ، لكن فى غالب الامر الدراسات ، هاتان الفكرتان هما الموجودتان ، حتى شارل أندرى جولييان الذى نعتبره او نغالى بسخاء اراءه هو لم يتخط هذه الفكرة وهو يقول ان الافارقة لا يستطيعون ان يديروا انفسهم بأنفسهم.

بقاضى التحقيق - ففي جمع الوثائق وطريقة الاستنتاج ينبغي ان نأخذ بطرق علمية عالمية لا يمكن ان تقتصر بها نحن دون غيرنا ، لكن في مسنوى استنتاج الوثائق ، المرحلة الثانية ، لا شك اننا نحن أدري بشعابنا كما قال سقراط : « أعرف نفسك » نحن أقرب الناس لان نعرف أنفسنا ، فاذا دخلنا الى أنفسنا وتعرفنا على أنفسنا أمكننا ان نقرب أكثر من غيرنا الى الحقيقة التي عشناها سواء بأنفسنا أو بالاستمرار من الذين سبقونا والذين ما زلنا نحمل آثارهم على كتفينا .

الحبيب الجنجحاني - كلية الآداب - تونس :
شخصيا في الحقيقة اننى اعتقد ان الزملاء الذين سبقونى قد عالجوا الموضوع من زوايا مختلفة ، وهناك اجابة طبعا من الطبيعى ان تختلف باختلاف النظرة الى هذه القضايا ، ولذا انا شخصيا لى ملاحظتان خاصة بما استمعت اليه من الزملاء ، الاولى لا شك انا نحن نفرق كما قيل سلفا بين الاتصالات القديمة بين الاسلام والمسيحية وقد كانت صلات تعارف وتبادل قبل العهد الاستعماري ، ولكن كما أشير أيضا تغير طابعها تغيرا كبيرا بعد نهاية العهد الاستعماري وهذا من الطبيعى لان هذه العلاقات ليست علاقات التعامل الند للند ، بل علاقات هيمنة ، يعنى سيطرة جديدة على شعوب مستعمرة ومسيطرة عليها ، فمن الطبيعى ان تتغير طبيعة هذه العلاقات ، ونتيجة تغير طبيعة هذه العلاقات نلاحظ بروز فئتين من المستشرقين والباحثين في شؤون المغرب العربي والعالم العربي بصفة عامة ، هنالك فئة بحكم الاتصال بالشرق وربما هي امتداد لتقاليد من القرون الوسطى منذ

العلاقات بين الاسلام والمسيحية هذه الفئة اهتمت بالدراسات الشرقية واللغويات وكانت بعيدة والاستعمار سهل لها الاتصال والزيارات ولكنها بقيت في ميدان الاختصاص الضيق ، والفئة الثانية واعتقد انها لعبت الدور الاكمل على الاقل في مرحلة معينة هي فئة المستشرقين الذين دخلوا ميدان الاستشراق عن طريق خدمة الادارة الاستعمارية في بلدان المغرب العربي والعالم العربي ، مثلا ٠٠ وقد أشرت في الكلمة وهذا ليس سرا من أن مولتسكي نفسه يقول بأنه كان مترجما عسكريا في بنى ميزاب ، عن طريق خدمته للادارة الاستعمارية في هذه المنطقة اصبح يهتم بالحركات الاباضية وبنى ميزاب وأصحاب هذا المذهب ٠٠ الخ يعنى كاتب آخر وهو من كبار المعروفين في حياة تاريخ المغرب العربي ، ولكن لا ننسى انه بدأ حياته موظفا اداريا في المغرب ، جاك بيرك نفسه وربما هذا يفسر لنا التحول في مواقف هؤلاء المستشرقين من قضايا هذه البلدان ، لان البعض منهم نرى كتاباته قبل 20 أو 25 سنة كتبوا أشياء ومواقف معينة ، وكتبوا أشياء بعد استقلال بلاد المغرب العربي بنظرة أخرى ، حولوا في مواقفهم ربما عن اقتناع وربما حسب الظروف ، وأود ان اذكر اسما آخر يعد من كبار المستشرقين في الادب ورجال اللغة ولا يزال حيا ، وهو لم يكن يشتغل في الادارة الاستعمارية وانما كان موظفا اداريا في المكتب الثانى الفرنسى ، فى سوريا ٠٠ الخ ، شامبليون هذا ليس سرا مثلا بالنسبة لالمانيا بيكر كان من كبار الموظفين فى وزارة الخارجية واهتم بشؤون الاسلام وكتب عنه ، لكن هنا أيضا نود أن نقول ان الحقيقة بدأوا طريقهم وحياتهم فى

المانيا المستعمرات الوحيدة في الحرب العالمية الاولى كانت في افريقيا الشرقية ، بلاد السودان طبعا اهتمام البريطانيين . معناه اذا اردنا اليوم ان نكتب بحثا عن السودان وعن جنوب السودان لا نستطيع بدون الرجوع الى ما كتبه البريطانيون، ولماذا لم يكتب الفرنسيون عن السودان وكتبوا عن شمال افريقيا ، اذن اسئلة واضحة ومنطقية بين ظاهرة الاستعمار والاستشراق ، بقى نحن انذاك لم نفعل شيئا ، طبعا المسألة مسألة تخلف لاننا كنا شعوب كانت بعيدة عن الحضارة كان الجهل منتشرا ، وكانوا هم في موقف القوة والسيطرة ، لكن المهم كما قلت هو في نظرنا فيما كتب التخلص من مركبات النقص تجاه ما كتبه المؤرخون الاجانب عن تاريخنا ، نعتز بالاشياء الحقيقة التاريخية والاخرى ندينها ، يعنى لا نمجد الدراسات ربما الهزيلة التى كتبت في عهد معين في تاريخنا ، ولكننا أيضا لا نمجد ما كتبه الاوروبيون لانه كتب من طرف الاوروبيين ، وهذا ما يعانى منه بعض المؤرخين المغاربة ، هو النظرة التمجيدية لهؤلاء الاوروبيين ، هذا ليس صحيحا، هو المهم التخلص من عقدة النقص هذا الشيء الاساسي .

عثمان شبوب الآن نأتى على النقطة الثانية وهي المناهج. اظن ان الاستاذ طالبى تكلم عن هذه المشكلة وانتهى ، فالآن الكلمة للاستاذ التيمى : بالنسبة للمنهج الذى يجب اتباعه فى كتابة تاريخنا تحدث الاستاذ طالبى عن المنهج العقائدى بقى المنهج العلمى لكتابة هذا التاريخ وسأتكلم

الاستشراق عن هذا الطريق ، البعض منهم بعد ذلك بعد عن ميدان الخدمة الادارية واصبح يهتم فقط بالبحث ، وهذا يفسر لنا ويلفت النظر ان كثيرا منهم تحولوا من موظفين اداريين الى اساتذة كراسى في الجامعات الاوروبية ، لكن مع بقاء الصلة وايضا ليس من السر ان الكثير منهم رغم اختصاصهم أنهم يستشارون من وزارة الخارجية في شؤون المغرب او بلاد العالم العربى في القضايا السياسية ، وهذه الطريقة ما زالت مستمرة بشكل آخر باسم الاستعمار المقنع من طرف البلدان الاخرى ، كثير من الباحثين الاوروبيين يأتون الى البلد ان العربية باسم البحث واعداد الاطروحات ولكنهم يكتبون تقارير من نوع آخر يرسلونها الى مراكز أخرى ، بحيث تغيرت ، لكن مثل ما قال من سبقوني أن هؤلاء الناس الذين توفرت لهم الظروف تركوا لنا أعمالا يجب ان نعتز بها ونعتمد عليها مثلا احياء قسم من المخطوطات ، بعض الدراسات ذات الطابع التاريخى او اللغوى ، المهم هذا عمل قاموا به وان لم يقوموا به من اجل العلم والبحث فالنتيجة قد حصلت ، فيجب ان نقف منها موقف الجراءة نعتز بالنقاط الايجابية منها ، ولكن نقف موقف جراءة متخلصين من المركبات ونقاط الضعف ، طبعا الامثلة كثيرة ، والا يعنى هي ظاهرة مثل ظاهرة التبشير مرتبطة في بعض مظاهرها بالاستعمار بالعالم العربى والمغرب العربى على الخصوص ، وليس من الصدفة ان نجد الالمان يعتنون بالدراسات الافريقية كتاباتهم احسن ما كتب عن افريقيا الشرقية ، لماذا ؟ لان

وعيا واكثر شمولاً ، بطبيعة الحال هذا يتوقف لا فقط على المؤرخين لان المؤرخ يحتاج الى عالم اجتماع والى الاديب ، ثم شيء متكامل لا يمكن ان نفصل علم التاريخ عن الاجتماع ، أنا اعتبرهما علمان متكاملان في هذا الإطار ، اطار فهم جديد اكثر وعيا لوضعيتنا الجغرافية ولفهم الماضي ايضا يمكن لنا ان نضع اطارا جديدا لمبدأ منهجية تأخذ بالاعتبار كل ما كتب وكل معطيات الوثائق التاريخية ، وهذا الحال لا يتوقف على فرد معين ولكن على المعاهد العلمية في تاريخ المغرب العربي، يمكن ان ننشئ عددا من المعاهد وكل معهد يختص بفكرة معينة ثم تستكمل الابحاث بعضها البعض المهم من هذا نظرية الشمول ، لابد ان تكون نظرية الشمول ونظرية ان يكمل الباحث التونسي الباحث المغربي والباحث الجزائري *

بالنسبة للمذهب الماركسي ، والله أنا لا اضيف شيئا لما قاله استاذنا الفاضل محمد الطالبى ، اعتقد ان المذهب الماركسي فيه عناصر ايجابية لابد ان تؤخذ بالاعتبار ، وفيه عناصر سلبية الا اننى اعتقد ايضا ان المؤرخ يجب ان يكون بعيدا على كل التيارات فوظيفته الفهم ، محاولة الفهم ، ممكن ان لا يفهم ، محاولة فهم المعطيات مهما كانت الطريقة. اذا كان المذهب الماركسي يؤدي بنا الى ان نفهم مجتمعنا اكثر وضوحا واكثر عمقا فمرحبا لكن شخصا اعتقد ان المؤرخ يحتاج الى كل المعطيات وكل المذاهب دون ان يركز على مذهب دون آخر *

الاستاذ محمد فنطر : فيما يتعلق بالمنهج الذى ربما ينبغي على المؤرخ ان يتوخاه فى قراءة التاريخ

فى نطاق التاريخ الحديث والمعاصر ، فكل ما عندنا وكل ما كتبه الفرنسيون كان يعتمد على الوثائق ودور الارشيف الفرنسية ، واغلب المؤرخين لم يعتمدوا على دور الوثائق العربية والتركية ، فهذا الوضع جعل المؤرخين الفرنسيين يشعرون بالنقص ، هم يعترفون ان كتاباتهم تعكس وجهة نظر فرنسية ، والدليل على ذلك بكل تواضع ، هناك استاذ فرنسي هو كرواييه ويعتبر المختص الوحيد لدراسة تاريخ الجزائر كتب أخيرا مقالا فى مجلة « افريقيا المسلمة والبحر المتوسط » العدد الاخير كتب يتكلم عن كتاب نصوص ووثائق التاريخ المغربى ، ويقول بالحرف الواحد : أنا لا أحجل ان أقول اننى كنت مخطئا عندما كتبت عن تاريخ الجزائر بهذه الطريقة ، ولا أحجل ان أقول اننى غيرت رأى راسا عن عقب ، أنا أظن ان هذا المثال فى منتهى الشجاعة الادبية ويؤدى بنا الى الاعتراف بأن ما كتبه الفرنسيون يجب ان نقف منه موقف الحذر لا أن نرفضه بالعكس ، أن نأخذ ونكمل عليه ، ما هى الطريقة العملية ،

أولا يجب ان نقوم بعملية احصاء لكل تراثنا سواء كان المخطوط او المطبوع وبالدرجة الاولى المخطوطات والوثائق سواء كانت عربية او تركية او ايطالية او اسبانية او غيرها ، ثم ان تكون عندنا قدرة كاملة على استيعاب كل هذه المعطيات وان نفهم ونذهب الى أبعد ما يكون من الوثيقة ، ان لا نقف عند ظاهر كلمات الوثيقة ، بل أن نعرف الظروف الجغرافية والظروف المناخية والحياتية ، كل هذا يؤدي بنا الى فهم جديد اكثر

"Il n'est pas de Nations..."

L'Algérie a célébré depuis quelques semaines le onzième anniversaire de son indépendance et du recouvrement de sa souveraineté après une longue lutte.

Elle consacre aujourd'hui ses efforts à la reconstruction et à la résorption du retard accumulé pendant les siècles de léthargie et de stagnation auxquels ont succédé 125 ans de colonialisme basé sur la trilogie néfaste définie par Aristote depuis plus de deux millénaires : la misère, l'ignorance et la maladie.

Si l'Algérie a reconquis sa liberté et ses richesses matérielles, si elle est aujourd'hui en voie de vaincre cette néfaste trilogie, il est cependant un seul domaine où elle n'a pas encore parachevé sa libération et son affranchissement, domaine qui n'est pas moins important que celui de l'édification, à savoir les valeurs morales et spirituelles qui sont le ciment spirituel des sociétés et des nations.

Car ce sont ces valeurs qui renforcent et même garantissent leur unité et leur cohésion et qui leur permettent de se libérer des mauvaises habitudes importées, de se fortifier contre les tentatives de conquête intellectuelle qui visent à reprendre d'une main ce qui a été cédé de l'autre sous la contrainte.

L'Algérie n'est pas - sur ce plan là - un cas isolé, un cas unique parmi ses sœurs. Mais ceci ne constitue évidemment pas un réconfort ni une atténuation de ses craintes et de ses appréhensions, tant elle redoute que ne s'applique à son endroit - de près ou de loin - ce vers connu du poète chawki :

"Il n'est pas de nations sans valeurs morales.

Que disparaissent ces valeurs et les nations s'en iront à leur tour".

Je me suis longuement exprimé sur ce point dans le quotidien national de langue française "El-Moudjahid" en date du 29 septembre 1970, sous le titre : "Tirer la sonnette d'alarme !" et le lecteur trouvera dans ce numéro cet article dans sa langue d'origine (résumé par deux tableaux d'un fils de chahid orphelin de mère). Il faut parler aux gens le langage qu'ils comprennent !

Etant donné que le mal est général pour les différents pays musulmans, qu'ils en souffrent à des degrés divers - et l'occasion est propice de le rappeler à l'occasion de ce séminaire pour la connaissance de la pensée islamique -, que ces pays y trouvent un avertissement et une mise en garde, un appel et rappel, car nous sommes tous logés à la même enseigne !

Même si ces modèles n'apparaissent pas dans certains pays musulmans, c'est ainsi que nous avons vu leurs fils et leurs filles à l'extérieur.

L'édification matérielle, s'il n'existe pas un sentiment aigu de l'honneur, ne pourra être qu'un géant aux pieds d'argile !

Ainsi ont sombré des nations avant nous, et le même mal a causé notre perte en Andalousie. "Le rappel est certes utile aux croyants !" comme le dit le verset coranique.

Mouloud Kassim NAIT BELKACEM,



"Tirer la Sonnette d'Alarme"

par Mouloud KASSIM,
Ministre de l'Enseignement Originel
et des Affaires Religieuses.

En prenant l'heureuse initiative de cette table ronde sur les mœurs, sur la femme, la famille et la jeunesse dans la Nation, «El-Moudjahid» ne fait qu'être fidèle à lui-même. Il fait œuvre de continuité et honneur à son glorieux passé d'organe de la lutte de libération, cette libération qui n'a fait que commencer avec le recouvrement de l'indépendance politique et de la souveraineté.

Une autre bataille, non moins importante, est celle que doit mener et que mène notre Algérie socialiste et musulmane sur les plans économique, social et culturel. La libération des cerveaux et des cœurs n'est pas la moindre, car elle détermine et conditionne toutes les autres. Nous pensons donc que, tandis qu'il accomplit sa tâche de réveiller les consciences et participe ainsi très efficacement à l'achèvement de notre indépendance et à la récupération de tous nos biens moraux, après celle de nos richesses matérielles, c'est un grand honneur que nous fait notre quotidien national que de nous donner cette possibilité de prendre part à la campagne nationale d'assainissement. Tout en le remerciant vivement, encore une fois, et en nous permettant la prétention de recommander à nos autres organes en arabe et en français, ainsi qu'à la R.T.A., de suivre ce bon exemple, nous devons,

dans ce contexte, saisir ici l'occasion de remercier également certains de nos services de souveraineté d'avoir agi sur le terrain et d'avoir contribué directement à l'œuvre de salubrité nationale.

La société algérienne est, dans son ensemble, encore très saine. Mais il faut se dire que la situation dans les grandes villes commence à connaître de grands changements et que notre société subit actuellement les débuts d'une certaine érosion. En effet, nos grandes cités accusent présentement des signes alarmants, alors qu'elles offraient, jusqu'à la veille de la reprise de la lutte pour la libération nationale, le visage d'une vie exemplaire.

La population citadine (car il ne sera nullement question ici de nos campagnes qui demeurent encore, Dieu merci, intactes et fidèles à elles-mêmes), mue par les principes de base de notre religion, de son corollaire moral et de nos traditions ancestrales, et transposant les fondements de la vie familiale sur le plan national, avait fait échec à tous les procédés diaboliques de dépersonnalisation et de dénationalisation mobilisés par le colonialisme.

Mais la dislocation de plusieurs familles pendant la guerre de libération, un incontestable désordre et cosmopolitisme

durant les premières années du recouvrement de l'indépendance, favorisés par le snobisme de certains responsables de l'époque — qui étaient conseillés de l'extérieur par des spécialistes de la désintégration des peuples et du pourrissement des sociétés; pour les dépouiller de leur immunité, les mettre en condition et les préparer à subir ou même à réclamer des changements étudiés et planifiés hors des frontières de leur pays — tout cela, joint à une certaine démission criminelle des parents et une abdication lâche et honteuse des maris, a entraîné les débuts de cette érosion que nous connaissons maintenant dans les grandes villes. Cette situation menace, si elle n'est jugulée à temps, de s'étendre au reste du pays dans le sillage de la vague du bestialisme, du sexualisme, de l'alcoolisme, de la délinquance juvénile, des divorces, des femmes et enfants abandonnés, et de déboucher sur la dislocation familiale et, partant de la société ainsi que de toutes les valeurs humaines sur lesquelles repose toute civilisation.

D'abord insoupçonné, puis minimisé, ce mal du siècle, qui envahit le monde et qui constitue une crise de civilisation, est de plus en plus pris au sérieux aussi bien en Europe qu'en Amérique, ainsi que dans bon nombre de pays du Tiers-Monde, et particulièrement en Afrique centrale et australe.

L'on n'a qu'à observer de près les campagnes organisées à différents niveaux en Europe occidentale, aux USA et en URSS, pour ne rien dire de la République Populaire de Chine, de la RPD de Corée et de la République Démocratique du Vietnam qui elles, ont enrayé tous ces maux, tout en travaillant d'arrache-pied pour l'édification du socialisme.

Tout récemment encore, une telle campagne a été déclenchée en URSS, par-

ticulièrement dans l'organe des Jeunesses Communistes «Komsomolskaia Pravda», contre une certaine jeunesse dévoyée et notamment contre certaines femmes à l'affût du luxe et de l'étranger. Une autre campagne, en URSS également, a été, il y a peu de temps, consacrée à la lutte contre l'alcoolisme : elle conduisit à limiter strictement la consommation des boissons alcoolisées à certaines heures de la journée, en l'occurrence entre 11 h et 20 h, et à l'interdire totalement et sévèrement à proximité des établissements scolaires et universitaires, des usines, des théâtres, des cinémas et tous lieux publics, car ces boissons, stipulaient les textes de cette campagne anti-alcoolique «droguent le peuple et nuisent à la production du pays». En URSS, où les soins sont gratuits pour tous, les ivrognes ramassés dans la rue sont conduits de force dans les hôpitaux où ils sont soignés à leurs frais. Ils règlent même la dépense de leur transport à l'hôpital quand il est fait en taxi.

Chez nous, et des lettres de citoyennes, mères de famille, sont là, entre autres, pour en témoigner, l'alcoolisme, avec la promiscuité qu'il favorise, est l'une des principales causes des nombreux divorces qui sont en passe de devenir une mode et qui livrent les femmes et leurs enfants à la rue, poussant parfois les malheureuses abandonnées au plus vieux métier du monde et jetant les enfants dans l'école de la criminalité, comme y contribue également la fameuse loi portant le nom de la non moins fameuse Mlle Sid Cara, qui confère toujours le droit de garde à la mère, à tort ou à raison !

Nous avons cité, tout récemment dans un entretien avec «El Moudjahid», le cas de Sidi Aïch qui a vu proliférer le nombre de ses buvettes. Avec des amis,



مسألة! حرية! وتفتح على العالم الأوسع!
 Égalité!... Emancipation! Ouverture sur le Monde, le Vaste Monde

de passage dans d'autres petits villages et villes : Tiaret, Djelfa, Miliana, sans parler d'Alger, d'Oran et d'Annaba, il nous est arrivé de ne pas trouver de boissons non-alcoolisées : «pas d'eau minérale» ; quant au café : «la machine est en panne ! ». Il ne nous restait plus que la «33» et en abondance, celle-ci !

Toynbee écrivait qu'il fallait mettre à l'acquit de l'Islam d'avoir liquidé notamment l'alcoolisme. Cet Islam-là n'est-il plus valable ou ne serions-nous plus musulmans ?

Il y a un autre fait à signaler, qui illustre cette imitation aveugle de l'étranger, c'est celui de l'habit féminin. Des cervelles superficielles peuvent penser que c'est superficiel de «s'abaisser» jusqu'à parler de mini-jupes qui, elles, sont effectivement très «élevées», redeviennent «maxi», pour remonter peut-être très bientôt plus haut encore qu'elles n'étaient auparavant !

Si l'habit ne fait pas le moine, il est néanmoins l'un des signes de toute civilisation à travers les siècles. L'on a toujours dit et écrit en Occident que ce sont les primitifs et sauvages qui se dénudent. Devons-nous suivre l'Occident dans toutes ses turpitudes et acrobaties et adopter le semi-nudisme simplement parce qu'il nous vient de lui ? Et comme par hasard, nous ne le suivons presque toujours, et très vite, que dans ses mauvais côtés !

Si nos traditions les plus respectables de décence et de pudeur auraient dû interdire à toute femme ou jeune fille jouissant de ses facultés de s'offrir en spectacle à ses parents, ses frères et sœurs, comment se fait-il que ceux-ci tolèrent de telles scènes insolites et obscènes ? Outre les règles les plus élémentaires de décence et de respect de soi et des autres, il aurait dû y avoir également le respect du

bon goût, celui de l'esthétique la plus élémentaire. Or, tous les bons goûts s'accordent pour dire que l'habit long est plus gracieux, plus élégant plus féminin et plus esthétique !

Même cette «maxi» que nous trouvons nous «paysans», très jolie, et que nous avons admirée portée par nos paysannes et d'autres, espagnoles, tchèques, allemandes ou suédoises, certaines de nos femmes, celles des villes évidemment, ne se sont décidées à la mettre qu'une fois importée d'outre-mer, alors qu'elles s'en moquaient il n'y a pas longtemps, lorsqu'elles la voyaient sur nos sœurs !

Non, décidément, il faudrait prendre un chemin détourné, et d'abord convaincre l'Occident que certaines choses sont bonnes, ou nous paraissent telles, pour qu'elles soient adoptées chez nous par les écervelées ! celles-ci sont toujours là à singer... au gré de l'esprit mercantile de certains «modistes» fourbes qui exploitent le manque de cervelle chez nombre de femmes, lesquelles changent de costume et de coiffure du jour au lendemain selon la fantaisie, pas toujours inspirée et encore moins désintéressée, de ces mauvais prestidigitateurs.

Heureusement que ce ne sont pas nos «pauvres paysannes» de Tamanrasset, de l'Ouarsenis, de Kabylie ou des Aurès qui sont prises de telles fantaisies favorisant la corruption. Ces mêmes fantaisies demeurent encore l'apanage de certaines marquises de grandes villes dont on se demande comment leurs maris et... elles-mêmes s'en procurent les moyens !

Certains s'étonneront que l'on accorde tant d'importance à des points qui leur paraissent futiles, concernant la femme. Mais nous ne nous laisseront complexer ni par ces «conseillers professionnels» d'outre-mer qui veulent toujours couvrir



انفتاح وانبطاح... والشباب عماد المستقبل!
33 خبّاطة!

les pays dits du Tiers-Monde, ni encore moins par certains des nôtres qui demeurent encore mentalement colonisés. C'est que la femme, à notre avis comme de l'avis de tous, est la gardienne des traditions et la colonne vertébrale de la famille, cellule de base de la société. Et toute vie morale ou dissolue dans la famille et la société est déterminée en premier lieu par le comportement de la femme. Son rôle est donc capital.

Or, — et là encore nous ressasons peut-être des banalités mais qu'il faut malheureusement sans cesse rappeler — le ressort moral de toute nation est son premier et principal capital, même pour les pays socialistes qui ont chacun leur code moral, leur livre révélé ou mûrement réfléchi, blanc, noir, ou rouge. Il ne servirait à rien de multiplier des Hadja si l'on ne cimente pas en même temps la vie sociale. Une prospérité matérielle sans âme ne ferait de nous, comme de toute autre société, qu'un colosse aux pieds d'argile.

Aussi nous faut-il rectifier les fausses conceptions et réfuter les argumentations spécieuses et fallacieuses sur la fameuse émancipation de la femme. Avant l'Islam aussi bien que depuis, la femme n'a jamais été chez nous esclave comme ce fut le cas en Europe, où certaines hautes, très hautes, autorités ecclésiastiques se sont posé la question de savoir si elle avait une âme, et où certains rois lui ont interdit de toucher aux Livres Saints qu'elle «profanait», et même de s'instruire !

Dans notre histoire, surtout pendant les moments décisifs, nous avons eu plusieurs grandes dames qui ont même mené les hommes à la résistance. Il nous suffit de rappeler un seul exemple, celui de la

célèbre Lalla Fatma N'Soummer qui a dirigé les fameux moussebeline contre les généraux de l'armée d'invasion française dans les montagnes de Kabylie. Et l'histoire de l'Islam en général est riche de tels exemples.

L'Islam est contre tout excès. Mais, de l'état de «sans âme» à la «liberté» des cabarets, à la promiscuité des boîtes de nuit, et même jusqu'au «droit» de se prostituer, qui sont les corrolaires de cette «émancipation» que l'on nous vante d'outre-mer, il y a pour la femme plus que de l'écart et que des excès !

S'il est nécessaire, tel que le recommandait, voire l'imposait, le Prophète, il y a quatorze siècles, d'envoyer les filles comme les garçons sur les bancs des lycées et des facultés («s'instruire est un devoir pour chaque musulman et musulmane»), il est coupable, par contre, de les abandonner à elles-mêmes, de leur lâcher la bride et de ne pas surveiller leurs sorties et leurs rentrées à la maison. Il est encore plus condamnable de les accompagner, comme le font certains, jusqu'à Dar-El-Beïda, munies de passeports et d'argent ; ou même de leur libérer de somptueux appartements et villas sur les hauts d'Alger pour y «fêter Noël et la Saint-Sylvestre», seules avec leurs amis accourus d'outre-mer pour la circonstance, comme l'a fait telle famille algéroise très «civilisée» et très «ouverte sur le monde» !

Il est vrai que sans la confiance l'on ne peut rien garantir, mais il est encore plus vrai que la confiance à elle seule, et même doublée d'une bonne éducation, ne suffit nullement. Il ne faut pas tenter le diable en nous tous. Et Lénine avait, dans un autre contexte mais valable dans ce sens également, une devise que les allemands affectionnent et citent souvent :

«Vertrauen ist gut, Kontrolle ist besser !»
(La confiance est une bonne chose, mais
le contrôle est meilleur !).

D'autres écervelées, qui du temps de Schopenhauer avaient «les cheveux longs et les idées courtes» et qui, maintenant, ont tout en court : idées, cheveux et habits, pratiquent, sans sortir même hors de nos frontières, et préconisent publiquement, comme le dénonçait «El-Moudjahid» dans une toute récente enquête, ce qu'elles appellent effrontément les «unions libres» ! Là également nous connaissons des cas spécifiques, même ou surtout dans certaines castes dites «chorfa» et «haute société» de grandes villes, et dont se vantent bon nombre de nos hôtes étrangers qui vivent en concubinage avec des algériennes ! Si de tels cas ont existé et existent encore, et de plus en plus, dans la plupart des pays industrialisés, et même dans certains pays frères, nous croyions, quant à nous, dans notre naïveté peut-être, que notre pays était exempt d'une telle tare ! Et c'était effectivement ainsi jusqu'au recouvrement de l'indépendance. Certes, ce ne sont encore, heureusement, que des accidents relativement rares, mais il faut remarquer que les mauvais exemples sont suivis bien plus souvent que les bons, car, et c'est la nature — il est banal peut-être de le rappeler — la pente est toujours plus facile... «la pente qui entraîne et perd» !

D'où viennent tous ces maux sinon d'une certaine promiscuité, fausse conception de la liberté et de l'émancipation de la femme, bref ! d'une certaine démission des parents et des maris qui doivent se ressaisir ? Démission coupable, abdication criminelle, aussi bien à l'égard de leurs enfants que de la Nation ! Pendant les années passées en Europe, il nous a été donné de constater tout le contraire, de voir même des professeurs d'université en

France, Tchécoslovaquie, Allemagne Fédérale, Autriche, Suède, Suisse, attendre leurs filles à la sortie des lycées et des facultés.

Dans ce contexte, il faut souligner le fait que certains étrangers résidant en Algérie se sont assigné ou se sont laissé assigner la tâche de miner les fondements de la famille algérienne. Il y a des cas innombrables et flagrants qui dénotent une démarche systématique, réfléchie et planifiée. Je ne pourrais citer, dans le cadre de ces mots, que deux exemples révoltants qui résument tout et qui sont connus de certaines de nos autorités : celui d'un professeur d'éducation physique dans une petite ville près d'Alger, qui a ruiné l'avenir de sept de ses élèves-filles, et celui d'un autre coopérant à Alger qui a détruit le foyer de trois familles algériennes !

Sans parler d'une certaine activité de gens qui se disent missionnaires de Dieu... mais qui le sont du diable ! Ceux qui se sont faits les auxiliaires zélés de la pénétration coloniale et luttèrent pour sa pérennité, veulent détruire d'une main ce qu'il n'ont pu garder de l'autre ! Nous sommes au courant de ces activités destructrices portant sur notre jeunesse : telles des soirées dites «d'études» et des «sorties de week-end» pour jeunes filles et garçons... !

D'autres idéologues, d'un autre bord ceux-là, mais procédant de la même manière et poursuivant le même objectif — celui de la destruction systématique de notre cellule familiale et des fondements de notre société, tels le sens familial, le sens civique, le sens national tout court, le sens de l'honneur et de la dignité humaine —, vont jusqu'à inciter des étudiants et étudiants à prouver leur manque de «fanatisme», leur «ouverture sur le monde», leur «émancipation» et autres

choses belles en elles-mêmes mais que ces missionnaires du diable et révolutionnaires professionnels, en «détachement» chez nous, utilisent à des fins beaucoup moins belles, poussant ces jeunes âmes à des comportements immoraux pour démontrer cette «ouverture sur le monde» !

Et ceci alors que les pays de ces ressortissants étrangers font tout pour se ressaisir chez eux et sauvegarder leurs fondements.

Récemment encore, nous avons reçu de grands intellectuels d'une confession chrétienne d'un pays qui pratique depuis des siècles la séparation de l'Eglise et de l'Etat. Ceux-ci ont essayé de nous persuader du sens anachronique de l'enseignement religieux chez nous, et ce, au moment même où, conscients qu'ils sont de l'impact de l'éducation morale et religieuse sur la jeunesse et, partant, de son importance pour la nation, ils viennent de décider chez eux, en accord avec l'Etat, des mesures pour encourager cet enseignement religieux, appelé «enseignement libre» à tous les niveaux. C'est aussi le moment où ces «conseillers» étendent leur système d'enseignement missionnaire jusque chez nous et jusqu'à Kerala, et font tout pour le maintenir, et même, si possible — c'est le but de leurs «conseils» — de lui assurer l'exclusivité !

Certains autres «conseillers» ne diffèrent guère de ces hordes sionistes qui, par une certaine presse et des Cohen-Bendit interposés, stigmatisent tout rappel aux bonnes mœurs, les taxent d'étroitesse d'esprit, crient à l'anachronisme et au fanatisme et incitent partout à travers le monde au désordre, à la contestation et au rejet de toutes les valeurs morales. Excepté en Israël, bien sûr, où la morale est de rigueur parce que «constituant le fondement de l'Etat et la sauvegarde de l'âme du peuple élu», où l'on interdit le

porc, impose le cachir, même aux non-juifs, et même dans les bateaux navigant au loin où l'on a refusé à la petite fille de Ben Gourion le droit d'épouser un officier supérieur de l'armée sioniste, parce que sa mère, en l'occurrence la bru de Ben Gourion, n'était pas juive de naissance, mais seulement convertie ; où l'on observe chaque samedi le Sabbat de la manière la plus officielle et solennelle et où l'on fixe un délai-limite de six mois à tout nouvel immigrant pour apprendre et utiliser l'hébreu, langue morte depuis plus de deux mille ans et ressuscitée en tant que lien sacré entre les juifs dans le monde et en tant que langue des sciences et de la vie quotidienne.

Pour revenir à l'Algérie, et avant de clore ces mots, nous voudrions souligner un point important pour l'ordre public et pour la morale de la jeunesse : nos services compétents, s'ils doivent redoubler d'efforts afin d'enrayer, de supprimer cette maladie masculine que l'on appelle «dragage» et qui empoisonne nos rues et nos plages, il est non moins nécessaire qu'ils sévissent contre une certaine gent féminine qui contribue à la progression des divorces et déshonore nos villes et notre pays.

Pour les paysans traditionalistes et «retardataires» que nous sommes, il est devenu presque impossible de nous trouver ensemble avec des parents ou avec des amis âgés dans certains carrefours et artères de nos grandes villes, à cause de toutes sortes de spectacles désagréables que l'Espagne, par exemple, pourtant très attachée au tourisme, interdit même sur les plages les plus osées.

Dans le même ordre d'idées, nous voudrions insister sur la nécessité impérieuse de rappeler au moins à l'ordre, sinon de fermer, toutes sortes de bars, cabarets et autres boîtes de nuit et dan-

cings, qui empoisonnent les gens jusque dans leurs domiciles par leur tapage nocturne, favorisent la promiscuité, la corruption, les divorces, la délinquance juvénile, nuisent à toute la société et à la nation et donnent à notre capitale l'aspect de Changhaï d'antan, que la Chine Populaire a supprimé radicalement, ainsi d'ailleurs que l'ont fait chez elles la République Démocratique du Vietnam, la R.P.D. de Corée et Cuba, entre autres.

Nous pensons fermement d'ailleurs que, parallèlement à toutes ces mesures plus que nécessaires d'assainissement et de sauvegarde, le Service National, par sa discipline et son effort éducatif, constituera pour la jeunesse une école exemplaire de sens civique et moral et contribuera à éliminer tous ces comportements qui jurent avec nos traditions et notre génie national.

Toute bonne éducation est faite de persuasion et de rigueur. L'Islam n'a jamais été une religion de privation ni d'ascétisme. Et s'il est la religion de l'au-delà, il est également et avant tout religion d'ici-bas et code de civilisation.

C'est le Prophète qui, en réponse à un des premiers croyants lequel se vantait de s'être imposé la pratique du jeûne durant toute l'année, la prière toute la nuit sans repos et le célibat, lui dit : «Moi, Prophète de Dieu, je me nourris, me repose et suis marié. Ce que tu fais, toi, n'est pas dans le sens de l'Islam».

Et c'est le second Khalife Omar, surnommé le Juste, qui, surprenant un jour dans une mosquée des fidèles psalmodiant encore après la prière obligatoire, aurait fait usage de sa canne en leur disant :

Sortez, au travail, il ne pleut pas d'argent, encore moins d'or ! ».

Mais c'est lui aussi, un jour que passait devant lui un jeune homme à la démarche dandinante et à l'allure efféminée, qui aurait encore fait usage de sa canne, lui criant : «Pourquoi fais-tu ainsi le mort dans ta démarche ! Vous nous avez tué notre religion, que Dieu vous donne la mort ! ».

Quant à ceux qui invoquent la liberté individuelle, nous leur rappelons simplement que toute liberté a ses limites, et que celle des uns finit justement où doit commencer celle des autres. Liberté n'a jamais signifié libertinage, licence, indécence, désordre et anarchie.

Hélas ! il faut bien rappeler à ceux qui prennent tout d'une façon nonchalante, et même calculée et criminelle, et qui pensent ainsi avoir leur part de cette danse macabre, que toutes les civilisations et grandes nations ont sombré en minimisant la portée de leurs premiers pas vers la décadence. Qu'il nous suffise de rappeler l'exemple de la Grèce, de Rome et de l'Andalousie.

La sonnette d'alarme devait être tirée. Nous lançons cet appel à la Société, à l'Etat et à la Nation toute entière. Nous avons peut-être écorché un peu tout le monde au passage. Nous nous attendons à la réaction que nous savons, mais nous sommes, en tant que citoyen, conscient de nos responsabilités. C'est un gigantesque haut-parleur qu'il faudrait utiliser, et qui doit rugir en permanence, celui-là.

Mouloud KASSIM

Revue d'Histoire Maghrébine

Cher Professeur et Collègue,

C'est un grand plaisir de vous annoncer le projet de la création d'une nouvelle revue d'histoire moderne et contemporaine intitulée : *Revue d'Histoire Maghrébine*.

En effet la nécessité d'une telle revue sur le Maghreb se fait sentir ; celle-ci, dont nous voulons faire un lieu de rencontre utile pour tous les spécialistes du Maghreb tant Maghrébins qu'étrangers, se veut une revue à vocation scientifique. Des Universitaires de la Faculté des Lettres et Sciences Humaines de Tunis, d'Alger et de Rabat vont assumer cette responsabilité et invitent leurs collègues et amis étrangers à accorder leur collaboration pour la réussite de ce projet.

Notre tâche consiste à promouvoir un mouvement en faveur de la recherche concernant l'Histoire du Maghreb, dans une perspective objective et scientifique afin de contribuer à la formation d'une conscience historique chez les Maghrébins, pour enrichir leur présent par une meilleure connaissance de leur passé, surtout que les pays du Maghreb ont connu une solidarité et une communauté de destin dans leur évolution historique.

La Revue se propose d'utiliser l'arabe, le français et l'anglais. Pour assurer une meilleure utilisation de la Revue, nous jugeons utile d'accompagner toute étude par un résumé traduit dans une deuxième langue. Le résumé en question peut être soit directement rédigé par l'auteur soit traduit par nos soins sur un original présenté par l'auteur.

Le Comité de Rédaction de la Revue a jugé nécessaire de publier des documents inédits de préférence en langue arabe, française ou anglaise et nous tâcherons de traduire les documents rédigés dans d'autres langues ; nous insistons dans ce domaine sur les sources d'archives arabes et turques négligées jusqu'à ces derniers temps.

En vous écrivant, nous vous invitons à collaborer avec nous, à seconder et enrichir notre activité ; nous croyons, en effet, à l'ouverture, au dialogue et au progrès.

La Revue paraîtra à raison de deux ou trois numéros par an que nous nous chargerons de vous faire parvenir.

Voici notre adresse provisoire : Prof. Abdeljelil TEMIMI. — 21, Rue Souville, La Cagna - Tunis, Tunisie.

Nous espérons pouvoir compter sur votre participation et nous vous prions d'agréer, cher Professeur et Collègue, l'expression de nos sentiments les meilleurs.

Le Comité de Rédaction

L'Histoire et sa Nationalité

Yvonne TURIN,
Professeur d'Histoire
à la Faculté des Lettres d'Alger.

En prenant connaissance du sujet choisi pour le numéro spécial d'El Açalah : «L'histoire de l'Algérie à travers les siècles et les prises de positions des historiens étrangers», bien des questions me vinrent à l'esprit, mais celle-ci d'abord : historienne étrangère moi-même, il m'appartenait ainsi de devenir mon propre juge, d'être à la fois juge et partie. Difficile entreprise... J'ai donc hésité. Je me suis laissée convaincre par le geste de la revue elle-même et par la confiance qu'il exprime à l'égard de ces mêmes étrangers. Dès lors, comment ne pas répondre pour que soit dit le remerciement, même si l'engrenage est dangereux...

Le problème énoncé par El Açalah est de ceux qu'analyse l'historiographie, cette science de l'histoire. Toutes les histoires et surtout les problèmes difficiles ont une historiographie. L'histoire religieuse, l'histoire des relations internationales sont parmi celles dont la présentation a le plus varié.

La première parce que les relations entre la religion et la société, entre les formes religieuses elles-mêmes, ont beaucoup évolué en Occident notamment, la seconde parce que la vie internationale met en cause plusieurs parties, souvent antagoniste qui ont sur leur politique des points de vue non moins opposés : l'histoire de la première guerre mondiale peut être un exemple type de ces divergences et toutes les rencontres d'historiens franco-allemands n'ont pas réussies à éliminer totalement les désaccords. L'important étant, d'ailleurs, moins peut-être de les supprimer que de les situer et de les exposer clairement, la science historique n'ayant pas d'abord pour but l'expression d'une vérité intangible, mais la connaissance des opinions différentes et leur confrontation.

Ces discordances ont d'ailleurs un sens profond. J'irai jusqu'à dire qu'elles sont rassurantes. Elles sont essentielles, sinon l'essentiel de l'histoire, elles en sont la gloire! Paradoxe ? Non pas. Quoi donc alors ? Elles prouvent, ces divergences, que les problèmes historiques ne sont pas du même ordre que les comptes arithmétiques, sinon la variété des solutions proposées serait inconcevable. Elles affirment que les êtres humains que l'on cherche à connaître ne sont pas de simples unités de compte, qu'ils échappent toujours un peu, pour leur plus grande sécurité, à l'ordinateur.

Les difficultés où s'affrontent les hommes laissent toujours un résidu, réfractaire à l'explication absolue. C'est ce résidu qui est l'enjeu des querelles d'historiens et c'est lui qui permet à l'interprétation de s'immiscer dans le raisonnement historique. Passer du peut-être au sûrement, c'est alors franchir une frontière où chacun peut légitimement pénétrer par des portes différentes à condition, toutefois, que cette variété n'aille pas jusqu'à la fantaisie délibérée ou, encore, jusqu'au truquage.

Dans ces domaines controversés, l'histoire coloniale, et plus largement l'histoire des pays colonisés à sa place, et nous rejoignons ainsi la question posée par El Açalah.

Mais, cette question déborde les difficultés propres à l'historiographie classique : il est intéressant, évidemment, de découvrir comment les problèmes du moment ont pu conduire certains esprits étrangers, par ailleurs, rigoureux, à des interprétations rapides, comment l'autosatisfaction trop manifeste a engendré l'aveuglement et de quelle manière l'engagement politique s'est reflété dans une «histoire engagée» qu'il serait plus juste d'appeler polémique, sinon même quelquefois fabriquée. Mais toutes ces possibilités ne sont que des manifestations du problème fondamental que voici et que la curiosité d'El Açalah oblige à analyser en priorité : existe-t-il réellement un *problème de l'historien et de sa nationalité* face à l'histoire qu'il écrit ? Y-a-t-il, dans le cas particulier de l'Algérie, une difficulté propre à cette relation de l'historien avec lui-même lorsqu'il est étranger ?

Essayons d'éclaircir quelque peu la première question — d'une formulation universelle — pour glisser lentement jusqu'à la seconde qui nous intéresse plus particulièrement ici.

Une remarque tout d'abord : il n'est pas d'historiens sans nationalité, et lorsque les nationalités n'étaient pas durcies comme elles le sont aujourd'hui, considérées en quelque sorte comme source d'une seconde nature — «Je suis homme d'abord et Français par hasard» de Montesquieu semble si loin... — lorsque les chroniqueurs racontaient le geste de leur roi, ils n'en appartenaient pas moins à une communauté dont les contours étaient moins nets, mais les exigences conceptuelles aussi certaines. Il n'est donc pas d'historiens qui puissent échapper au problème qu'il écrive ou non l'histoire de son propre pays. La question peut alors être formulée ainsi : est-il préférable d'écrire sa propre histoire, ou vaut-il mieux au contraire "être étranger" au monde que l'on engendre pour soi et pour les autres, à la connaissance ?

Il est certain, tout d'abord, que plus d'Anglais ont écrit l'histoire d'Angleterre ou d'Italiens celle d'Italie, que de Français n'ont raconté celle d'Allemagne ou d'Amérique. Mais cette fréquence du lien entre l'historien et son pays d'origine tient surtout aux conditions et aux commodités du travail scientifique. La langue d'abord, la localisation des documents ensuite plus nombreux en Chine sur l'histoire de Chine que nulle part ailleurs, c'est trop évident, surtout si l'on complète la documentation écrite par celle qui ne l'est pas. Ceci n'empêche que certains ouvrages anglais ou américains font aujourd'hui autorité en France pour l'histoire du Second Empire, par exemple (1), et inversement que certaines thèses françaises ont révélé aux Anglais les premiers pas de leur in-

1) V. Wright, *Le Conseil d'Etat sous le Second Empire*. Coll. Travaux et recherches de Sciences Politiques, 1972.
J. Rothney, *Napoleonism after Sedan*, Cornell Univ. Press, Ithaca, N.Y., 1969.

dustrialisation (2). Ou bien encore, l'histoire du libéralisme rhénan a été écrite par un français, J. Droz, qui est resté un spécialiste de l'histoire allemande (3). Française, moi-même, je n'ai jamais travaillé sur l'histoire de France, mais sur ce qu'on a coutume d'appeler l'histoire des idées en Espagne ou en Algérie (4). Bien des Américains s'intéressent aujourd'hui au Moyen-Age français et européen. On pourrait multiplier les exemples à l'infini. Cette diversité est-elle un avantage ? Est-elle un inconvénient ? Faut-il ressembler à quelqu'un pour le comprendre ? Ou faut-il au contraire en différer pour lui découvrir ce qu'il peut difficilement dire de lui-même ? Les deux attitudes peuvent fort bien cohabiter, et se compléter, à condition qu'elles relèvent toutes les deux de cette manière de "sympathie" dont parle H. Marrou dans sa *Connaissance de l'histoire* (5), sympathie qui n'est pas tendance à la partialité — non plus qu'à l'apologie, aussi injurieuse scientifiquement que moralement —, mais goût du silence attentif et effacement conscient de soi-même.

Il peut y avoir une richesse à ce que d'autres que soi vous regardent. Seul un Américain par exemple, pouvait écrire ce *Village du Vaucluse* (6), critique mais amical aussi dans son observation amusée et stricte de la vie quotidienne d'une petite communauté provençale. Seul un non-Anglais pouvait surprendre *Les silences du Colonel Bramble* qui, sous forme de roman, étaient aussi une peinture de l'homme anglais, silences qui firent la gloire d'André Maurois en même temps que du fameux Colonel. Pour en revenir à l'Afrique, ne fallait-il pas quelque maître du rêve et du temps sans contrainte, quelques Africains, pour broser cette satire impitoyable mais combien évocatrice et qui, soudain, révèle l'Européen à lui-même devenu brusquement, dans son besoin de tout exploiter «ce grand nègre robuste» prêt à féconder les veuves «pour ne rien laisser d'improductif» (7). Des regards convergents, mais dissemblables, révèlent mieux l'homme à lui-même qu'un simple miroir.

C'était là quelques mots sur le problème général.

2) F. Crouzet. *L'Economie Britannique et le blocus continental, 1806-1813*. Paris, P.U.F. 1958.

3) J. Droz. *Le Libéralisme RHÉNAN 1815-1848. Contribution à l'étude du libéralisme allemand*. Paris, Sorlot, 1940.

4) Ed. Seuil, 1954.

5) *L'Education et l'école en Espagne de 1874 à 1902. Libéralisme et tradition*. P.U.F. 1958. Miguel de Unamuno Universitaire. Bibliothèque Générale de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes. Paris, SVEPEN, 1964.

6) Laurence Wylie. *Un Village du Vaucluse*. Paris, Gallimard, 1968. L'ouvrage qui a été présenté comme thèse de sociologie avait été rédigé en anglais, en 1960, mais traduit partiellement de peur d'offenser les habitants du Vaucluse. C'est, finalement, le maire de la petite cité décrite qui en a demandé la traduction intégrale pensant que la critique saine pouvait être plus louangeuse que la flatterie.

7) Y. Turin. *Atterissements culturels dans l'Algérie coloniale*. Maspéro, 1971, p. 367.

L'histoire coloniale, si elle n'est et ne doit finir par être qu'un élément de l'histoire universelle, n'en a pas moins gardé, jusqu'à la fin de la colonisation surtout, des caractères particuliers. "Les prises de positions des historiens étrangers", dit El Açalâh. C'est là une façon discrète de désigner surtout les historiens français, les plus nombreux à traiter du sujet, même si Anglais, Italiens et Espagnols, ont aussi participé à cette élaboration. Historiens étrangers, en effet, mais de quel étranger ? La situation coloniale avait cela de particulier qu'elle liait deux peuples dans la même histoire, de sorte que les Français sont ici un étranger qui n'acceptait pas de l'être et qui, d'une certaine manière ne l'était pas. Dans l'histoire qu'il composait ainsi le Français devenait partie prenante, il lui fallait se mettre en cause lui-même et se représenter. L'histoire coloniale rejoignait alors dans son élaboration les problèmes propres à l'histoire des relations internationales, aggravés même par la disproportion des partenaires et l'absence momentanée d'hypothèses contradictoires.

Car, on peut, en effet, distinguer dans l'histoire coloniale de l'Algérie, ou d'ailleurs deux périodes : les ouvrages écrits avant l'indépendance, alors que l'histoire du pays colonisé n'a pas encore trouvé sa solution et sa fin, que le geste décrit reste en quelque sorte incorporée à la lutte — une partie des publications du centenaire sont révélatrices à ce sujet — et celle qui commence à s'élaborer après la libération. Est-ce à dire que tout ce qui s'est dit avant est noir et que tout ce qui s'écrit après est blanc. Pareil contraste relève, évidemment, de l'absurde. Il y a de vrais savants avant et après, il y a des courtisans après comme avant, et il ne suffit pas à un texte d'être anti-colonialiste pour être scientifique ! Les Algériens le savent bien. Mais, c'est alors à l'historiographie particulière de reprendre ses droits et de suivre pas à pas l'état des publications spécialisées. Nous avons seulement voulu marquer, quant à nous, ce qui de la nature des rapports historiques contemporains peut rejaillir sur la relation entre l'historien et sa nationalité, et comment le fait essentiel de l'indépendance doit aussi décoloniser l'histoire, c'est-à-dire l'arracher au cycle colonial dont les manifestations anti-colonialistes n'en restent pas moins coloniales, par définition même et quel que soit le complément politique qu'elles se font à elles-mêmes.

Le temps de l'indépendance est encore aujourd'hui bien court, il est trop tôt pour en définir les caractères. Préciser la notion d'histoire coloniale permet, au contraire, de voir plus clair dans les courants qui restent aujourd'hui dominants non seulement en histoire mais — ajoutons-le — en sociologie, car les analyses se rejoignent ici et la sociologie actuelle européenne, même si elle est d'origine locale, se donne volontiers des couleurs historiques qui, pour mélanger les genres, n'en augmente que plus la confusion — ces sociologues, pseudo-historiens, confondant souvent l'histoire et les convictions journalistiques. Certains travaux récents qui se présentent cependant, comme des thèses, n'échappent pas à cette attitude.

L'histoire coloniale, que ce soit avant ou après l'indépendance, pouvait et peut avoir deux aspects : colonialiste, synonyme d'histoire partisane, d'histoire engagée comme on dirait aujourd'hui, et anti-colonialiste qui, pour l'être d'une autre manière, peut-être tout aussi partisane et tout aussi engagée et qui, SURTOUT, N'EN EST PAS MOINS COLONIALE. La rubrique histoire coloniale comprend, en effet, deux volets : colonialiste et anti-colonialiste, mais tous rivés à LA MEME OPTIQUE COLONIALE.

L'un est l'autre, sous des jours opposés, font l'histoire de la colonisation, des colonisateurs beaucoup plus que du peuple colonisé qui reste, lui, l'objet d'une autre entreprise, disponible pour une autre écriture. Il y a, à ce sujet, un contraste entre le titre et le sous-titre de l'ouvrage de Ch. A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine. T. I : La conquête et les débuts de la colonisation, 1827 - 1871. Seul le sous-titre correspond bien à la réalité historique du texte qui est, lui, l'histoire de la colonisation (8). Il est, donc, d'une extrême importance de ne pas confondre : histoire anti-colonialiste de l'Algérie et l'histoire de l'Algérie tout court. Seule la seconde est un effort pour échapper à l'ancienne vision. Tout comme sa campagne détestée mais inséparable, l'histoire anti-colonialiste reste un regard du peuple dominant sur lui-même, même si ce coup d'œil déshabille ses concitoyens pour en révéler les plaies, même si "l'idéologie", pour parler comme certains sociologues européens actuels d'Algérie, qui l'habite est bien pensante, regard clos, cependant sur des semblables s'il s'agit d'un historien français, et non pas vision intime de l'autre, dont le rythme et l'heure pouvaient ne pas être ceux du colonisateur.

Il ne suffit donc pas à une histoire d'être anti-colonialiste pour être vraie, au sens que prend ce mot dans cette science, non plus que pour être algérienne.

Mais poussant plus à fond l'analyse de ce concept d'histoire ou de sociologie anti-colonialistes, de cette "idéologie" vénérée par certains comme une panacée, peut-on réellement lui vouer la confiance qu'il appelle, et n'a-t-il pas, ce concept, quelques replis sournois qui, derrière le sourire cachent la grimace ?

Là encore, il semble bon de distinguer dans le temps, l'indépendance servant de charnière et de critère de référence. Avant l'indépendance, comme l'histoire colonialiste, l'histoire ou la sociologie anti-colonialistes entrent ou peuvent entrer dans le jeu politique. Elles sont, qu'on le veuille ou non, un élément de la lutte à qui il leur arrive de fournir des arguments contradictoires. Encore que certains de ces ouvrages qui, en leur temps, parurent iconoclastes, comme *l'Afrique du Nord en marche* de Ch. A. Julien (9), apparaissent singulièrement calmes aujourd'hui à travers une relecture contemporaine — ce qui prouve, d'ailleurs, à quel point le climat scientifique lui-même était, alors, détérioré par les réactions passionnelles. Mais la question qui se pose est celle-ci : la même « idéologie » garde-t-elle après l'indépendance la même signification ou bien se change-t-elle peu à peu en son contraire ? Et ceux qui continuent de s'y référer ouvertement comme certains sociologues ou certains commentateurs de l'Annuaire de l'Afrique du Nord notamment (10) — les historiens ont été plus discrets, sauf ceux d'origine marxiste dont plusieurs ne sont d'ailleurs que des historiens d'occasion, Y. Lacoste ou M. Prenant par exemple, M. Gallissot qui est lui, un historien de métier, font-ils l'œuvre qu'ils ont l'air de dire ? L'affiche correspond-elle au produit ?

8) P.U.F., 1984.

9) Paris, Julliard, 1952.

10) Ch. Souriau en particulier et de ceux-là qui l'utilise comme un étendard.

Histoire, sociologie anti-colonialiste n'y a-t-il pas là, en effet, une attitude, une «idéologie» vieillie en même temps que la colonisation elle-même et que l'histoire colonialiste, son antithèse ? Et si tel était le cas, pourquoi ?

Disons d'une façon très générale ; parce que cette attitude prolonge la mentalité coloniale, qu'elle lui reste liée, qu'elle maintient ce qui était le fondement du principe dominateur lui-même : l'isolement du colonisé, son état d'être séparé du reste des hommes, de par son nature même en quelque sorte. Il reste ainsi celui dont on ne peut parler, traiter, qu'on ne peut «étudier» que comme un dissemblable. Quelqu'un d'un autre monde et qui doit y rester sous peine d'évanouissement. Dans le cas contraire, le savant étranger se verrait obliger de chercher l'objet de son étude à la loupe ou, qui sait, de perdre sa proie.

Cette "idéologie" bien pensante se révèle ainsi être une des formes les plus subtiles de la conscience supérieure qui animait "avant" l'Européen-colonisateur. Elle réussit ce tour de force qui, sous couleur de critique et même d'hypercritique à l'égard de soi-même, parvient à maintenir les distances et les différences, à désigner du doigt le colonisé à la curiosité universelle au lieu de le considérer comme à sa place dans le monde de tous, dans la communauté des hommes. Elle est fondée sur une dualité conservée, le monde qui comprend et celui qui est compris et, souvent même le monde qui juge et celui qui est jugé, *car ces adeptes d'eux-mêmes s'ils jugent au nom de l'absolu qu'ils créent l'ancien colonisateur, n'hésitent pas, grâce à leur critère infaillible, à savoir mieux que l'ancien colonisé lui-même ce que celui-ci aurait dû faire ou ne pas faire, hier comme aujourd'hui.* La situation coloniale, dominant dominé, celui qui sait celui qui est su, renaît alors sous le couvert de l'anti-colonialisme.

Un bon exemple de cette attitude est fourni par une étude récente "Les instituteurs algériens formés à l'Ecole Normale de Bouzaréah 1883-1939". Des phrases comme celle-ci : l'Ecole Normale "à laquelle ils disent qu'ils doivent tout, *parce qu'on leur a sans cesse répété qu'ils lui doivent tout*" (11) exprime bien l'état d'esprit qui anime l'enquêteur face à l'instituteur qu'il interroge et qui se livre à lui de bonne foi. Cet homme malgré son expérience, malgré l'effort d'introspection qu'il réalise, vu du tribunal du savant "culturé" n'est même pas considéré comme capable d'une pensée personnelle, il est rangé parmi les perroquets. De quel droit s'attribuerait-il, en effet, une idéologie propre ? Il n'y en a point d'autre possible, pour lui, que celle dont la pureté nécessaire prend racine dans la qualité supérieure de celui qui le toise. Ainsi la notion d'acculturation maniée par l'enquêteur maintient-elle l'objet de son enquête en état définitif d'infériorité. Le principe colonial est rétabli.

Ce phénomène n'est qu'apparemment paradoxal. S'il s'est manifesté plus largement parmi les sociologues intéressés par l'Algérie que parmi les historiens, c'est que, seul, le mauvais historien s'érige en juge, "se prend pour Dieu", comme dit H. Marrou. Si l'on observe plus attentivement, en effet, l'origine des notions mises à la mode par cette "idéologie" dominante de l'ère post-coloniale, la théorie de l'acculturation en est une expression, on remarque en effet que ces notions ne prennent leur source dans au-

11) F. Colonna. Thèse du 3^e cycle, dactylographiée, 1971, p. 233.

cun des pays dominés, mais qu'une fois encore l'Europe ou l'Amérique suggèrent ce qu'il faut dire, qu'elles élaborent les modes de pensée convenable, notions élaborées pour les autres d'abord, même si leur usage s'est depuis quelque peu élargi. Ce sont les anciens maîtres qui soufflent aux anciens sujets ce qu'ils doivent continuer à penser d'eux-mêmes. Ce sont eux qui diffusent, d'autant plus facilement qu'elle leur paraît défavorable, leur réflexion. Ils obtiennent, pour ce faire — c'est bien là le paradoxe ! — l'aide de leurs anciens subordonnés. Maîtres d'une culture dominante, ils ont ainsi découvert le moyen le plus subtil d'en éviter le partage ; éteindre le désir en le rendant coupable.

Car ce monde étranger, ce savant étranger et qui se veut tel, se sent-il lui aussi concerné par ses découvertes. Les théories qu'il élabore, éveillent-elles sa propre inquiétude ? Les menaces qui côtoient ses sujets d'observation ont-elles aussi une réalité dans son monde à lui ? Rien n'est moins certain. Il semble que les normes soient autres dans cet ailleurs préservé.

Il peut cet étranger, grâce à son intelligence sûre, à sa formation encyclopédique et adulte, à son expérience culturelle universelle et avertie, s'exposer à tous les vents, respirer au grand large, exercer sa curiosité d'esthète ou simplement d'homme auprès de tous les mondes qui éveillent son intérêt, il peut s'émerveiller et s'enchanter de la multiciplité des cultures, ou très prosaïquement en extraire l'utile sans que jamais l'acculturation, ou pire la déculturation ne le guette. Aucun effet de domination ne peut jamais s'exercer sur lui. Il n'est jamais assimilé, il assimile ce qui — est-il besoin d'y insister ? — est exactement le contraire. A son contact, les influences étrangères ne produisent pas l'acculturation, mais si on ose ce néologisme affreux : « la culture ! » Lui s'enrichit, s'affine, se renouvelle — tel Picasso cherchant l'inspiration auprès de l'art nègre ou bien japonais. Pour tout dire, il vit. Mais cette vie qui est mouvement, changement, recherche — a-t-on jamais vu la vie immobilisée ? — il la refuse à d'autres pour qui elle devient reniement et risque de décomposition. Il sème dans un monde supérieur, dominant, il appartient en tout cas à une aristocratie dont les quartiers sont tacites mais rigides et dont les portes sont définitivement closes sous peine « d'acculturation » par celui qui les franchirait.

Ainsi pourra-t-il jouir en paix de ce Paradis dont la pomme défendue conduirait celui qui la mangerait l'autre, au néant. Il y a ainsi deux mondes ; celui où l'on vit et celui où l'on doit tourner en rond, sous peine de « domination ». Le concept, et son vocabulaire propre, sont alors, totalement inversé. Le même mot désigne désormais, l'effet contraire, et l'ancien colonisateur peut vivre en paix.

Européennes, occidentales ces « idéologies » le sont encore d'une autre manière. Elles reposent sur une notion de pureté des cultures, elles suggèrent la référence à un état premier, non contaminé, qui s'inspire des théories élaborées et appliquées par les tendances les plus réactionnaires de la pensée en Europe au XIX^e et au XX^e siècle : les notions de pureté de sang ou de pureté de race, dont la « pureté » des cultures n'est qu'une variété.

Ce n'est donc sans doute pas un hasard si les théories maniées par les anti-colonialistes ont été inventées sous ces cieux occidentaux. Une étude fort intéressante serait à faire à ce sujet pour préciser leurs rapports, leurs ressemblances et leurs diffé-

rences, avec les idéologies racistes du XIX^e siècle. Une histoire et une sociologie des savants qui les utilisent seraient aussi, sans doute, fort instructives pour en mieux comprendre l'origine. La notion d'impureté qui chemine tout au long de la notion d'acculturation et qui la culpabilise est, en tout cas, ici, une notion d'origine européenne et, le plus souvent, d'impureté des autres. Car où commencerait pour le Français ou le Parisien du XX^e siècle l'état d'impureté ? Difficile problème ! Aurait-il, ce Parisien, si irrémédiablement perdu sa virginité culturelle qu'il ne soit plus possible d'en retrouver la trace, ou bien faudrait-il croire qu'elle est, cette virginité, d'une constitution telle qu'elle soit, pour lui, impérissable ? Car, enfin, où donc les influences sont-elles plus nombreuses, la tyrannie des modes, même intellectuelles, plus violentes, leur effet de domination plus fréquent, la difficulté de retrouver une pensée originelle plus grande ?

Cette remarque permet d'aborder un autre aspect de notre réflexion, dédiée, grâce à El Açalah, au rôle de l'étranger dans l'évolution des tendances post-coloniales des sciences historiques et sociologiques.

L'acculturation est, en principe, définie comme le résultat de la relation entre culture dominante et culture dominée. Dans cette optique, l'histoire ou la sociologie anti-colonialistes considèrent comme synonymes et concordantes domination politique et culture dominante, soumission politique et culture dominée. Ces équivalences sont-elles exactes ? Historiquement non. L'histoire enseigne qu'il n'y a pas de lien NECESSAIRE entre domination politique et domination culturelle, entre soumission politique et soumission culturelle.

Cela ne veut pas dire qu'il n'y ait jamais de rapports, cela veut dire que si une domination peut en favoriser une autre, les lois qui régissent la vie culturelle sont différentes, sont distinctes, de celles qui conduisent les événements politiques. Cela veut dire que l'effet culturel n'est pas un surproduit de l'acte politique. Prenons un exemple, le plus connu, le plus évident : la Grèce conquise par Rome, le libre citoyen grec devint sujet romain. Rome gouvernait Athènes par son Sénat. Mais Athènes gouverna Rome par sa culture. Les Barbares conquièrent l'Empire, mais la culture romaine à son tour les domina. Il faut donc étudier les faits culturels, non pas en ignorant la politique — ce qui serait absurde, un excès ne peut en compenser un autre — mais en évitant de tourner en système ce qui n'en est pas un. Même lorsque la domination politique se double d'un rapport culturel parallèlement défavorable, il n'est pas d'exemple d'une certaine revanche de la culture dominée. Les habitudes culinaires des "pieds-noirs", certaines formes de vie familiale des "petits blancs", d'autres habitudes encore que l'on découvrirait sans doute si l'on entreprenait, sous cet aspect, une étude de la communauté européenne repliée en France, en sont la preuve.

Ainsi, l'histoire et la sociologie anti-colonialistes postérieures à l'Indépendance travaillent-elles souvent sur des modèles stéréotypés, appliquant à la science une méthode anti-scientifique qui consiste à commencer par énoncer le résultat, à affirmer les conclusions avant même d'aborder la recherche qui n'a d'autre but que de s'y conformer. Quelques phrases comme celles-ci sont révélatrices à ce sujet : "Le terrain devenait favorable à la démonstration envisagée : il s'agissait de montrer... Il fallait montrer en-

suite... On a essayé de montrer que... L'intention du sociologue n'est donc pas la connaissance, mais la justification. La science devient alors vassale de l'idéologie (12) - pour éviter un mot plus cru.

Révélatrice aussi l'attitude à l'égard de cette masse du monde colonisé dont le refus et l'isolement culturel s'est effectivement maintenu pendant toute la période coloniale et qui s'exprime aujourd'hui dans cette revue même, ou bien par des manifestations, dont les moins importantes ne sont pas ces semaines de la Pensée Islamique qui surprennent parce qu'elles dérangent la théorie et gênent la démonstration. Que faire dans un système qui soumet la réalité à l'idéologie de comportements culturels non prévus et non conformes aux schémas préparés ? Il est certain, en tout cas, que l'existence de "résidus" aussi importants "montrent" les limites d'affirmations trop rapides et de procédés scientifiques discutables. A savoir avant même d'entreprendre la recherche on risque de laisser échapper l'inconnu qui est, justement, ce que l'on cherchait.

Je laisse de côté dans cet article l'histoire ou la sociologie qui relèveraient de ce qu'on pourrait appeler l'histoire courtisane. Quelques uns croient encore que la flatterie peut remplacer la science (13). C'est là aussi le prolongement d'une attitude coloniale portée à croire qu'une science d'illusion suffit à ceux que l'on traite en enfants.

Nous avons essayé de traiter au fond le problème de l'histoire et de sa nationalité, l'infléchissant peu à peu vers les questions posées par l'histoire particulière de l'Algérie. El-Açalah proposait "les historiens étrangers", nous avons analysé l'histoire formulée par des étrangers et la nature des intentions historiques effectivement manifestées par eux, essayant de déjouer les apparences et de désamorcer l'illusion des mots, nous efforçant de montrer surtout que l'Indépendance trace dans l'historiographie comme ailleurs une ligne de feu. Plus rien de ce qui était avant ne peut être encore après, même s'il s'agissait de "très bonnes" intentions.

Quittant alors le plan de l'analyse et de la dissection pour entrer nous-mêmes dans le débat — en le disant — et pour conclure, nous nous interrogeons. Historiens et sociologues étrangers traitant de l'histoire d'Algérie doivent-ils être comme l'armée française dont on a coutume de dire qu'elle est toujours en retard d'une guerre ? Doivent-ils penser avant alors que nous sommes après, incapables de faire succéder la connaissance au temps des affrontements ? Car l'avant quoiqu'on en pense et quelle que soient là aussi, les apparences n'apprit que très peu aux antagonistes sur chacun d'eux. Rien n'est plus évident pour l'étranger qui débarque en Afrique du Nord après les indépendances : rares sont les leçons trouvées auprès des siens qui peuvent lui être de quelque utilité, mais rares également les Algériens par lesquels il se sente vraiment connu — même s'il arrive à ceux-ci de manier sa langue mieux que lui-même (14). Ainsi ces histo-

12) Il n'est pas étonnant de rattacher à cette tendance toute l'école mardiste et les travaux de R. Gallissot, Y. Lacoste, M. Prenant.

13) Ce sont souvent ceux qui, ayant vécu dans les pays colonisés comme Ch. Sourdel, voient dans l'anti-colonialisme flatteur une manière de compensation.

14) Il faut ici distinguer encore une fois : la linguistique, surtout structurale, a eu tendance à confondre les mots qui parlent et ce dont parlent les mots, la langue et ce que l'on dit grâce à elle. Or il semble manifeste, dans la pratique, que si la langue peut être une occasion d'identification, elle peut aussi servir à exprimer tout autre chose.

res parallèles colonialistes ou anti-colonialistes sont-elles des monologues et le prolongement d'une ségrégation réciproque, le reflet, sinon le retour à la situation coloniale. On pourrait en quelque sorte les dire nostalgiques. Si la situation coloniale entravait la véritable connaissance, on peut espérer qu'enfin l'indépendance en soit la promotion.

C'est ici que l'initiative d'El-Açalah prend toute sa valeur et qu'il faut lui en savoir infiniment gré. La revue qu'édite le Ministère des Affaires Religieuses donne l'exemple. Elle propose une étude sur les historiens étrangers, non pas comme un combat, mais sous forme de dialogue, incitant chacun à l'introspection, ouvrant largement ses colonnes aux remarques de tous. Qu'il me soit permis de la remercier pour m'avoir associée à son effort.

Y. Turin



**Simple note en faveur de la décolonisation
de l'Histoire Algérienne
à propos d'un pseudo-historien de l'Algérie française**

Charles Robert AGERON
ancien Professeur d'Histoire
à la Faculté des Lettres d'Alger

Les Algériens se plaignent à bon droit que leur histoire ait été parfois étudiée avec peu d'impartialité par des étrangers malveillants ou ignorants. Les préjugés colonialistes ont même pu dans certains cas, infecter littéralement quelques historiens ou pseudo-historiens, et la décolonisation de l'histoire algérienne s'impose donc à tous ceux qui ont en commun le souci de la vérité historique, qu'ils soient Européens ou Maghrébins.

Parce que j'ai consacré un travail universitaire demeuré jusqu'ici inédit à décoloniser *l'histoire du gouvernement du Général Berthezène à Alger en 1831*, je me permettrai de citer l'exemple d'un pseudo-historien de cette année 1831, dont les jugements ont cependant fait autorité pendant longtemps, j'ai nommé Victor Demontès dont je n'entends examiner ici qu'un ouvrage à prétention scientifique, sa thèse complémentaire de doctorat ès lettres intitulée, *les prétentions du Général Berthezène contre la colonisation de l'Algérie*, Alger 1918, 311 pages.

Dans ce livre, Victor Demontès ne cachait pas ses propres préventions à l'égard du Général Berthezène, gouverneur intérimaire et commandant en chef du corps d'occupation français d'Alger. Mieux encore, il donnait à son travail le caractère d'une charge violente contre un homme qu'il qualifiait, pour le mieux accabler, «d'anticolonisateur», «d'adversaire passionné de la colonisation algérienne». Il stigmatisait sa politique «toute de complaisance envers les indigènes, toute de défiance envers les Européens» et le désignant comme «l'autorité responsable de dix années de retard dans la colonisation algérienne».

A cet anticolonisateur, il opposait dans un face à face saisissant son héros préféré le Général Clauzel «un colonisateur» «il ne s'agissait pas seulement de deux hommes, écrivait-il, il s'agit de deux systèmes».

Ces jugements manichéens, cette manière d'écrire l'histoire en noir et blanc sont choquants en eux-mêmes : tout historien sérieux sait bien qu'on ne peut parvenir qu'à une vérité approchée, que le mode du jugement historique est la probabilité, et qu'on doit donc s'abstenir de jugements aussi tranchés. Mais plus inquiétant encore est le critère sous-jacent retenu par ce pseudo-historien : les "colonistes" comme on disait alors en 1831, les partisans d'une politique de peuplement de l'Algérie, étaient aux yeux de l'Oranais Demontès les seuls patriotes français, ceux qui y répugnaient, fût-ce pour des raisons patriotiques, étaient désignés comme des traîtres.

Ce postulat presque inconscient, V. Demontès le partageait sans doute avec beaucoup de Français de son temps, mais plus encore avec la totalité des Européens de l'Algérie. Quiconque au début de ce siècle prétendait mesurer les louanges ou les crédits à la colonisation agricole, était tenu par les Européens d'Algérie pour traîtres à la France. Quiconque croyait pouvoir dire ou écrire un mot en faveur des Musulmans algériens, passaient pour avoir subi "l'enveloppement du burnous". Edouard Cat qui publia entre 1889 et 1891 une *Petite Histoire de l'Algérie* en deux volumes, dont V. Demontès et Augustin Bernard se sont beaucoup servis, avait déjà formulé sur Berthezène les mêmes jugements au nom du même postulat : " Par son ineptie, écrivait Cat, il avait rendu plus difficile l'œuvre ultérieure de la conquête." Et Cat de lui reprocher encore sa faiblesse (il n'avait pas su agir vis-à-vis des indigènes avec la vigueur nécessaire) et sa crédulité (il aurait ajouté foi aux "conseils intéressés" des Maures d'Alger, notamment Abou Darbah et Hamdân Ben Othman Khodja).

Précisément, V. Demontès reprit ces accusations pour étayer sa thèse malveillante : si Berthezène renonça à l'idée de coloniser ce qu'on appelait alors "l'infeste Mitidja", «ces marais pontins de l'Algérie», ce ne pouvait être que pour «discréditer son prédécesseur Clauzel» et à l'instigation des Maures «grands propriétaires en Mitidja» : «c'est sur les conseils intéressés des Maures d'Alger que le Général Berthezène s'employa à détourner le courant d'immigration qui se dirigeait de ce côté» écrit V. Demontès sans donner la moindre preuve de cette affirmation gratuite. Quant à vouloir discréditer Clauzel ce devait être par avance sans doute puisque Clauzel ne publia son plan de colonisation de la Mitidja qu'en 1833. Mais le vrai crime de Berthezène selon Demontès et son prédécesseur Ed. Cat était de s'être prononcé «d'après les propos des Maures sur le caractère insalubre de la Mitidja qu'accepta la crédulité de Berthezène».

Dès lors apparaît nettement un autre critère plus inavouable encore pour un savant prétendument objectif, Berthezène était condamné parce qu'il n'hésitait pas à consulter des notables algériens, parce qu'il faisait profession de les respecter, parce qu'il n'hésitait pas à «croire à la bonne foi des indigènes». Bref, en cet érudit grondant la passion du colon, son livre à prétention critique visait moins à faire la lumière sur le personnage et le gouvernement de Berthezène qu'à démontrer une fois encore, et plus spécialement en ces années 1917-1918 où les autorités métropolitaines s'apprétaient à accorder aux Algériens des réformes promises en 1914, la nécessité de la fermeté vis à vis des *jeunes Algériens*.

Ce professeur eut toujours quelque tendance à se croire mobilisé au service de l'Algérie française : Historien, il pratiqua sa vie durant cette conception de l'Histoire, que Fustel de Coulanges avait baptisée : *Ad. Profandum*, conception qui la ravale au rang d'une propagande. V. Demontès défendit comme journaliste et chroniqueur dans le bulletin du *Comité de l'Afrique Française* le point de vue des colons algériens avec l'exclusivisme le plus passionné - cela est bien connu. Mais il était moins connu que jusque dans un travail scientifique, il n'ait pas hésité à faire œuvre de propagandiste. Aux yeux des historiens, cela devrait le disqualifier à jamais.

On s'explique mieux d'ailleurs, que ce publiciste officieux ait été finalement récompensé de ses loyaux services par le gouvernement général de l'Algérie. Cette administration désespérant de le faire élire au Collège de France, le fit nommer comme chargé d'un cours sur l'Afrique du Nord, poste dont la charge financière revint au budget de l'Algérie. Les choses étaient ainsi plus claires, du moins, pour ceux qui connurent le fait.

Après une condamnation aussi sommaire et peu sereine de la personnalité du général Berthezène par un pseudo-savant, j'ai pensé qu'il importait en m'aidant d'ailleurs de nouveaux documents et en m'appuyant aussi sur les 121 pièces d'archives publiées par V. Demontès de reprendre complètement le sujet. Ce n'est point ici le lieu de dire les résultats détaillés de mon enquête. Quant aux conclusions concernant le personnage du général Berthezène que je n'ai pas hésité à appeler un gouverneur indigénophile, elles sont tout à l'honneur de cet honnête homme, si longtemps méconnu.

L'honnêteté farouche de «l'incorruptible général Berthezène», comme l'appelait le commissaire d'Aubignosc, le conduisit tout naturellement à prendre la défense des Algériens. Le vainqueur de la bataille de Staouéli avait certes été séduit par l'Algérie «le plus beau pays que j'ai vu et l'Italie et bien loin de le valoir» mais, il entendait surtout assurer par une stricte justice le renom de la France auprès des Algériens.

Cet ancien général d'Empire, qui commandait les grenadiers de la garde impériale pendant la Campagne de Russie, n'hésita pas à traiter avec le marabout de Koléa Sidi Ali M'Barek. Ce fait qui scandalisait V. Demontès, s'explique pourtant tout naturellement : Le général Berthezène pensait qu'il n'était pas possible de «faire administrer une ville musulmane par un européen qui n'en connaît ni les lois, ni les mœurs, ni le langage, ni les intérêts, ni les besoins», il estimait qu'il était à plus forte raison nécessaire, pour administrer des tribus inconnues, d'avoir des intermédiaires pris dans la population. A vrai dire, le marabout de Koléa n'entendait pas servir la France, mais ramener la paix et il n'accepta la charge d'aghâ des Arabes que parce que le général Berthezène l'assura qu'il n'y aurait plus d'expéditions contre les tribus. De part et d'autre, les engagements furent respectés et la paix rétablie.

Cependant le général français entendait par une «politique des égards» faire oublier les violences de son prédécesseur. Considérant comme «infâme et inique, la proposition qu'on avait osé lui faire d'obliger les habitants à désertifier le pays», Berthezène s'efforça tout au contraire de rassurer les «notabilités maures» d'Alger ; par exemple, il donna ordre de lever le sequestre établi sur les biens des Turcs et ceux des fondations pieuses. Inversement, il fit savoir à tous ceux à qui «il fallait, disait-il, une justice partielle et des moyens pris en dehors de la civilisation, à ceux dont la maxime est : malheur aux vaincus» que telle n'était point sa politique.

Certes, lorsque le maréchal Soult lui ordonna de reprendre l'idée de colonisation dans un pays que la France n'entendait plus abandonner, il s'exécuta. Mais ce fut sans conviction car il notait dans ses papiers personnels : «les colonies n'ajoutent rien à la force des Etats. Ajoutent-elles à leur richessrsonnels : «les colonies n'ajoutent rien à la

France». Et s'il désigna le Sahel d'Alger comme la première région à coloniser, ce fut pour d'évidentes raisons de sécurité et de salubrité, quoi qu'on en ait dit, l'insalubrité de la Mitidja n'était pas une légende puisque 968 militaires moururent de «fièvres pernicieuses dues à l'exhalaison des marais» en 1831 et 1415 en 1832.

«Montrer quelque sympathie pour les Arabes c'est presque une trahison» notait Pellissier de Reynaud qui condamnait quant à lui cette formule. Telle fut la véritable raison pour laquelle certains pseudo-historiens de l'Algérie Française se sont acharnés sur la mémoire de ce général intérimaire qui définissait son «système» comme fondé sur l'équité vis à vis des Maures et des Arabes. Dix mois de gouvernement ne lui permirent pas d'appliquer sa politique ou plutôt le parti «coloniste» le fit rappeler pour qu'il n'en eût point le temps.

Plaçant son action sous le patronage du général Desaix — «le sultan juste» de l'expédition d'Egypte —, Berthezène notait en 1834 pour expliquer son rappel que «ce système, le seul digne du nom français et qui paraissait à la fois le plus politique et le plus utile, blessait trop d'intérêts, éveillait trop de craintes et renversait trop de projet pour ne pas soulever de violentes oppositions». Ajoutons les haines durables.

Il aura fallu attendre la décolonisation pour qu'on pût rendre hommage à ce colonisateur malgré lui, à ce général courageux qui osait condamner «les violences à la turque» des militaires français et «les violences matérielles et morales, les fraudes, les humiliations» imposées par les premiers colons «ce rebut de ce que les rives de la Méditerranée avaient de plus misérable et de plus immoral».

Le cas de ce général pourrait paraître de peu d'intérêt s'il n'était exemplaire. *Ab uno omne disces*. Et l'on voit assez par cet exemple ce que put être la malfaisance des pseudo-historiens de l'Algérie Française. Finalement la décolonisation de l'histoire de l'Algérie importe autant aux Français qu'aux Algériens.

Charles Robert AGERON.



Les Historiens Français et l'Algérie à l'Époque Ottomane

Moulay BELHAMISSI
Professeur d'Histoire
Faculté des Lettres - Alger

On a souvent écrit que l'histoire de l'Algérie turque est faite à partir des sources européennes et on a pensé, qu'à l'inverse de l'histoire du Moyen Âge Maghrébin, celle de l'Algérie du XVI^{ème} au XIX^{ème} siècle, doit être étudiée surtout à travers les relations d'observateurs occidentaux et aux moyens de pièces d'archives.

Avec le XVI^{ème} siècle, le Maghreb Central — l'Algérie plus tard — entre dans une phase nouvelle de son histoire. Pendant plus de trois siècles, le pays a été une possession turque, à la suite de l'action espagnole contre les principales villes côtières (Mers Al Kâbir, Oran, Bidjâya...). Le Turc devient l'ennemi majeur des Espagnols, son intervention empêche «les Maures» de se soumettre aux lois catholiques. Le pays possède dès lors un gouvernement central à Alger, une administration régionale, des frontières à l'Est et à l'Ouest, une marine et surtout un poids dans les rapports internationaux. Les conflits avec l'Europe sont de plus en plus nombreux.

Cette période turque intrigue l'Europe et éveille chez les Espagnols surtout, un intérêt grandissant. Elle est parmi celles qui ont fait couler beaucoup d'encre en Espagne, en France, en Italie et ailleurs.

En effet, les guerres, le commerce, l'espionnage, la diplomatie, le rachat des captifs et le goût de l'aventure ont donné aux gens de l'autre côté de la Méditerranée, d'innombrables occasions de connaître ou d'écrire sur le Maghreb Central ou d'en relater tel ou tel événement qui s'y est produit.

C'est pourquoi les ouvrages sur la littérature et sur les sciences sociales et politiques sont très nombreux et très variés.

Nous nous limiterons, dans cette brève étude, aux sources françaises seules.

A côté d'ouvrages descriptifs, (1) géographie générale et régionale du pays, guides, itinéraires, récits de voyage, narrations de navigation, descriptions des contrées traversées, des villes visitées, mœurs et coutumes des populations, il faut ajouter des travaux

1) Ch. Tailland : L'Algérie dans la littérature française, essai de bibliographie méthodique et raisonné jusqu'en 1924 Paris 1925 pp. 79-160.

d'histoire générale (2) ou partielle, des souvenirs, monographies (3), biographies (4). Signalons également les études sur la politique algérienne de l'époque. Plusieurs problèmes y sont abordés : organisation administrative (5), régime turc (6), peuplement, religion (7), confréries, tribus (8), Juifs (9) et Chrétiens en Algérie, relations avec les puissances étrangères (10).

2) Parmi les ouvrages généraux citons :

- Bardon* (X) « Histoire nationale de l'Algérie » (Paris 1886, 428 p.).
I - de l'Algérie en général son passé, son climat, les animaux, les habitants, divisions administratives, religion, impôts, mœurs.
II - les français en Algérie.
III - avenir de l'Algérie.
Berbrugger « Les époques militaires de la Grande Kabylie » (Alger 1857).
Cat (E) « Petite histoire de l'Algérie, Tunisie, Maroc ». (Alger 2V. 1888-1891).
Clausolles (P) « L'Algérie pittoresque ou histoire de la Régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours... » (Paris 1843 2V.).
Galibert (L) « L'Algérie ancienne et moderne » (Paris 1844).
De la page 1-249 : l'Algérie depuis l'antiquité à 1830 ; les 2/3 sur la domination française et les progrès de la colonisation...
Garrot (H) « Histoire générale de l'Algérie » (Alger 1910).
(Sorte de répertoire, une compilation...)
Mercier (E) « Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés à la conquête française (1830) ». (Paris 1888-1890 3V.).
Faure Biguet (le général) « Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane » (Paris 1905 - 458 p.).
- 3) *Peste Maldjoglon* : Mers Al Kebir, historique et description... (R.A. 1942).
Troussel : Kalaa des Beni Rached (B.S.G.O. 1927).
Mac Carty : Constantine.
Leclerc : Koukou, ancienne capitale de la Kabylie (R.A. 1857).
Féraud : Documents pour servir à l'histoire de Bône (R.A. T. XVII).
Galland (Ch. A.) : Bougie 1895.
Féraud (Ch.) : Histoire des villes de la province de Constantine, Bougie, Djidjelli, Philippeville, Bône, Tougourt... (Constantine 1864-1888).
Bel (A) : Histoire de Tlemcen.
- 4) *Devouls* (A) : La Raïs Hamidou. Notice biographique sur le plus célèbre corsaire Algérien du XVIII^e siècle (Alger 1852).
ibid : Le Raïs Hadj Mbarek. (R.A. 1876).
- 5) *Devouls* (A) : Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger. (Alger 1852 99 p.).
- 6) *Rocqueville* (Le sieur de) : Relation des mœurs et du gouvernement des Turcs d'Alger (Paris 1675 112 p.). (Description de la ville d'Alger, cérémonies du mariage, gouvernement des Turcs, genres de supplices infligés aux captifs, prières, Ramadan...).
- 7) *Bel* (A) : La religion Musulmane en Berbérie T.I. (Paris 1938).
Boyer (P) : La politique religieuse des Turcs (Revue de l'Occident musulman et de la méditerranée n° 1 1966).
- 8) *Gourgeot* : Les Béni Amer (R.A. 1857).
Féraud : Notice sur les tribus de la Province de Constantine.
Noël : Documents pour servir à l'histoire des Hmiyan B.S.G.A.O. 1915-1916-1917.
- 9) *Eisenbeth* (M) : Les Juifs en Algérie et en Tunisie à l'époque turque 1516-1830 (R.A. 1952).
Cohen (Ab) : Les Juifs de l'Afrique septentrionale (R.N.S.A. de Constantine 1867).
- 10) *Cour* (A) : L'établissement des dynasties des Chérifs au Maroc et leur rivalité avec les Turcs de la Régence d'Alger (1509-1830) Paris 1904.
Dupuy (E) : Américains et Barbaresques 1776-1824 (Paris 1910).
Watbled (E) : La France et les Barbaresques au XVII^e siècle (Nouvelle revue 1893 T. 84 - p. 368-388).
Grammont (H. de) : Relations entre la France et la Régence d'Alger au XVII^e siècle (R.A. 1879).
Playfair (R.L.) : Episode de l'histoire des relations de la Grande Bretagne avec les Etats barbaresques avant la conquête française (R.A. 1879-1880).

Cette classification des œuvres est faite d'après leur objet principal ; mais les livres sur l'Algérie ne sont pas dans la plupart du temps tenus sévèrement dans les limites d'un sujet arrêté avec précision.

VALEUR DOCUMENTAIRE DE CES ŒUVRES.

Ces récits, malgré les nombreuses lacunes et les graves préjugés, que nous relèverons plus loin, restent indispensables à l'histoire de notre pays car les sources musulmanes sont à cette époque rares et souvent de valeurs médiocres (11).

Les sources turques dont on attendait beaucoup remontent au 17^e siècle seulement.

Celles qui sont susceptibles d'aider l'historien datent seulement du XVIII^e siècle. Une partie des documents d'archives turcs a été publiée à Tunis, Istambul et Venise. Quelques documents turcs relatifs à l'Afrique du Nord ont été publiés dans l'ouvrage de Aziz Samih Ilter «Simali 'Africa da Türkler» (les Turcs en Afrique du Nord) (12) et dans de rares articles de la revue de la société d'histoire turque, *Belletín*. Elles consistent pour l'essentiel en registres de comptabilité postérieurs à 1650. Leur exploration n'apporte guère de lumière nouvelle sur les événements et la vie dans le Maghreb Central car le soldat et l'officier de l'oudjac insouciant ou illettrés se sont peu préoccupés de consacrer le souvenir des événements auxquels ils ont pris part.

Les sources arabes connues jusqu'à ce jour, ne peuvent servir seules de base à l'étude de la période qui nous préoccupe. Les textes sont rares et souvent de valeur médiocre (13). Les genres voisins de l'histoire ont émigré vers Tunis et Fès dès l'arrivée des Turcs.

L'historiographie est inexistante en Algérie à cette époque. En effet, ce genre s'épanouit à l'ombre des dynasties. Or, le trône des Ziyânides était chancelant dès le début du siècle. Par contre, il fleurit encore à Tunis et à Fès (14), ce qui nous renseigne parfois, indirectement surtout, sur certains événements du Maghreb Central.

Les monographies historiques sont à lire avec beaucoup de prudence, car elles sont écrites la plupart du temps pour ménager les souverains Hafcides ou Sa'adiens, naturellement hostiles aux Turcs d'Alger.

Les relations de voyages (Rihla-s), riches en biographies de saints, sont très pauvres en renseignements sur l'état du pays, et en tout cas très postérieures à la première moitié du XVI^e siècle (15).

La littérature biographique émerge cependant de cet amas de productions littéraires dans le Maghreb Central. Certes, elle est loin de connaître un essor comparable à celui

11) *Montran* (R) : Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie. (Annales de l'Afrique du Nord 1962 - p. 243-248).

12) 2 V. Istambul 1936-1937.

13) R. *Montran* : Les données de l'histoire moderne et contemporaine de l'Algérie et de la Tunisie (Annales de l'Afrique du Nord 1962, p. 243-248).

14) Voir L. *Provençal* : «Les historiens des Chorfas», Paris 1922.

15) Les principales sont celles de Tamagroufti (fin XVI^e siècle) ; de Al Ayyâchi (XVII^e), de Al Warthilâni (XVIII^e).

du Maroc (16). Si nous connaissons la vie de plusieurs soufi, professeurs ou commentateurs du XVI^e siècle, nous ignorons par contre celle des hommes qui furent mêlés à la vie politique du pays, et les dirigeants turcs étaient trop peu soucieux de voir relater leurs exploits.

L'histoire proprement dite, est représentée elle aussi parmi les écrits d'auteurs musulmans de la Berbérie, à partir du XVII^e siècle, par des œuvres qui ne sont pas sans valeur, mais l'on n'y trouve plus la hauteur de vue des grands historiens du Moyen Age, et notamment du plus grand de tous : Ibn Khaldûn. Les historiens des temps modernes et de l'époque contemporaine sont marqués par l'ambiance dans laquelle ils ont vécu : Chez eux, la tolérance relative des historiens du Moyen Age est remplacée par la haine du non-musulman dont ils accompagnent le nom d'une malédiction ou de quelque qualificatif méprisant (17). Ainsi, ces écrivains reflètent l'état d'esprit de leur époque, et nous apportent par là confirmation de ce grand changement... (18).

Les études religieuses ont, dès l'aurore des temps modernes, tenu une grande place au cœur des populations du Maghreb.

«En dehors des disciplines auxiliaires des études religieuses comme la grammaire et la langue arabe dont on apprend tout juste ce qui est indispensable à la compréhension des textes juridico-religieux, de la métrique et de la prosodie pour les poèmes didactiques et la poésie mystique, de la rhétorique et la logique pour les sermons d'édification et la théologie, des rudiments de calcul nécessaires au partage des successions et de l'astronomie servant à la fixation des temps canoniques pour les exercices culturels, toutes les autres activités intellectuelles n'ayant trait qu'aux choses terrestres sans rapport avec la religion et les choses divines sont délaissées comme inutiles, ou tout juste bonnes, comme la philosophie, à troubler les esprits» (19).

Dans l'ensemble, le travail fourni par les historiens français est énorme, la recherche est patiente, le labeur consciencieux et les divisions nettes. Ces remarques sont les qualités majeures des travaux d'un Mercier, d'un Grammont ou d'un Masson qui ont été la base de récents livres d'histoire en langue Arabe.

Plusieurs auteurs ont séjourné à Alger, ou parcouru le pays, ou servi dans l'entourage des Deys et des Beys (20). Leurs observations sont directes et les renseignements qu'ils donnent sont très précieux.

16) On ne peut citer que le «Bustân» d'Ibn Mariam ; d'une sécheresse et d'une monotonie désespérante, on n'y trouve généralement que le nom du personnage, celui de ses professeurs, la liste des ouvrages qu'il a étudiés, et la date de sa mort, rien sur la vie intime du personnage, de son état d'esprit, rien sur les événements auxquels il a pu être mêlé...

17) Les occidentaux ont accusé les sources musulmanes de partialité. La partialité est-elle le fait des seuls musulmans ? Il n'y a pas longtemps qu'ont été définies en Europe les règles critiques de la méthode historique. (Voir les cas de Haëdo, Dan, etc...).

18) A. Bel : La religion musulmane en Berbérie, Paris 1938, p. 376.

19) A. Bel : La religion musulmane en Berbérie, Paris 1938, p. 374.

20) Shaw : «Voyage dans la Régence d'Alger» édité en 1775.

Thédénat : Les aventures de Thédénat esclave et ministre du Bey de Mascara. (Mohamed al Kebir, mémoire rédigé en 1785) publié par M. Emerit (R.A. 1948).
Venture de Paradis ; Alger au XVIII^e siècle (R.A. 1895-1896-1897).

Quelques chercheurs, après 1830, ont eu le mérite de traduire des rapports officiels et d'exploiter nombres de documents originaux, solides et d'importance (21). Certains ont abordé des sujets très techniques et très utiles (22).

Cependant ces qualités ne sauraient faire oublier l'aspect négatif de la plupart de ces œuvres.

L'importance de ces sources et de ces livres, pour la période ottomane, est loin de faire l'unanimité des chercheurs. «Pour la période turque, écrit Rinn, *Il y a pénurie de bons documents*, et si ceux que nous sont parfois sincères, curieux et instructifs, ils ne disent presque rien de l'histoire des Arabes et des Berbères ayant vécu en dehors de l'oligarchie, maîtresse du pays» (23).

Quand on examine les écrits des XVIII^e et XIX^e siècles, français notamment, on remarque que dans le cycle barbaresque, la plus grande place est réservée, en effet à la course, à «la piraterie», à l'esclavage chrétien, au séjour des Européens captifs à Alger, «à leur misère, leurs souffrances, leurs tourments, aux rachats des captifs et aux ordres de rédemption (24), à la vie des commerçants (25), des missionnaires, à la précarité de leur sécurité, au rôle des pères trinitaires et lazaristes «précurseurs du Cardinal Lavigerie».

Le titre choisi par le père Dan à son livre est significatif : «Histoire de Barbarie et de ses corsaires, le royaume et les villes d'Alger, de Tunis et de Salé de Tripoli où il est traité de leur gouvernement, de leurs mœurs, de leur cruauté, de leurs brigandages, de leurs sortilèges et de plusieurs autres particularités remarquables par le Père Dan, bachelier en théologie et supérieur du couvent de la Sainte Trinité pour la Rédemption des captifs» (26).

L'auteur qui a séjourné à Alger entre 1634 et 1635, consacre la plus grande partie de son livre à la façon d'armer en course, aux particularités des renégats «aux peines et aux misères que les Turcs et les Barbares font endurer aux Chrétiens qui les tiennent esclaves et enfin à l'ordre de la Sainte-Trinité».

L'objectivité n'est pas la qualité maîtresse de ces œuvres. Les interprétations sont souvent tendancieuses, les omissions volontaires et les informations erronées.

- 21) Berbrugger : La prise de Mers El-Kebir par les Espagnols en 1505.
Elie de la Primaudoie : Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique, 1506-1574. (R.A. 1875-1877).
 Ricard (R) : Textes espagnols sur la Berbérie (XV^e-XVI^e et XVII^e siècles) (R.A. 1945).
- 22) Devoulx (A) : Un exploit des Algériens en 1802 (R.A. 1865).
 Devoulx (A) : La marine de la Régence d'Alger (R.A. 1869).
 Lacour (A) : La marine de la Régence d'Alger avant la conquête (Alger 1835).
 Lacoste (L) : La marine algérienne sous les Turcs (l'Amirauté d'Alger à travers l'histoire) (R. Maritime 1931).
- 23) Rinn : Bulletin de la société de géographie d'Alger 1903.
- 24) Aranda (Emmanuel d') : Relation de la captivité (Paris 1657, 2 parties).
 Berbrugger : Voies et moyens du rachat des captifs chrétiens dans les Etats barbaresques (R.A. 1867).
 Busnot (le père Dominique) : La tradition de l'Eglise dans le soulagement et le rachat des esclaves (Rouen 1714 - 278 p.).
 Pavy : La piraterie barbaresque (R.A. 1857).
- 25) Blavin : «La condition de la vie des français dans la Régence d'Alger». (Alger 1899, 104 p.).
- 26) Paris 1637.

Ces auteurs, appartenant aux différents ordres religieux (27), ont écrit en fait des ouvrages de propagande. Ils voulaient intéresser les fidèles au sort des captifs pour ramasser des sommes d'argent. L'exagération, la cruauté et l'horreur pouvaient seules rendre les cœurs plus tendres. La publication de ces écrits permettait une plus large diffusion de ces renseignements susceptibles d'alimenter la haine contre les Musulmans et non de satisfaire la curiosité d'esprits avides de plus amples connaissances. On s'émeut sur les malheurs que les Algériens infligent à la chrétienté pour en appeler à la croisade contre l'Islam.

Les consuls européens (28) qui étaient en poste à Alger ont consigné leurs souvenirs, noté des faits, rapporté certains événements touchant le Maghreb Central.

Certains étaient même des témoins contemporains. Ils étaient donc généralement bien informés sur quelques problèmes. Leurs correspondances et leurs rapports sont une mine de renseignements.

Mais ils sont dans l'ensemble peu favorables aux nouveaux maîtres de la Régence. D'autre part, plusieurs consuls étaient confinés dans les villes de leur résidence, ne voyageaient pas, ou très peu, et ne portaient pas une attention particulière à la vie profonde du pays.

Dans la capitale même, la société musulmane leur restait secrète. Ils ignoraient la vie des ruraux et des citadins et «partageaient les préjugés de leurs compatriotes.

A leurs yeux, les gens du Maghreb étaient la source de tous les malheurs ils étaient fourbes, paresseux, avides, ingrats, en un mot, ils avaient tous les vices».

Les livres parus après 1830 ont une autre tendance et sont d'inégale valeur. Si pour la période romaine, les auteurs ont eu recours aux sources autorisées, ils ont consulté pour l'Antiquité les textes mêmes des auteurs grecs et latins, si pour la période coloniale ils ont exploité les comptes rendus, les rapports officiels et d'autres documents, pour la période musulmane ils ont éprouvé des difficultés à étudier les textes arabes d'histoire ou de géographie qu'ils jugeaient presque toujours «jamais précis et laissant une grande part à l'hypothèse...» Les noms de famille leur paraissaient rébutants, et les événements des «revirements constants d'une histoire qui se fait et se défait sans cesse» (G. Marçais). Rares sont les historiens qui lisaient couramment l'arabe et en comprenaient les finesses, les tournures ou les images.

- 27) *Godard* (l'Abbé) : (ancien curé de Laghouat). «Les soirées algériennes. Corsaires esclaves et martyrs de Barbarie» (Tours 1857 - 236 p.) : c'est une suite de récits sur la période Turque Maures expulsés d'Espagne, les Turcs, les Corsaires, les prises, les rênégats, la fuite des esclaves martyrs, le rachat. Les Lazaristes. *Godefron, Gornelin et la Motte* (les pères) : «État des royaumes de Barbarie, Tripoli, Tunis et Alger, contenant l'histoire naturelle et politique de ces pays, la manière ou les Turcs y traitent les esclaves comme on les rachète et diverses aventures curieuses» (Rouen 1731 - 263 p.). («L'État chrétien politique du royaume d'Alger description de Bône séjour à Alger (1700) avec la narration des pourparlers»).
- 28) *Grammont* (H. de) : Correspondance des consuls d'Alger (1600-1742) (Paris 1890 - 293 p.). *Plantet* (E) : Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (1577-1830) (Paris 1893-1894 - 2 V. 654-784). *Arvieux* (Chevalier d') : Mémoires... (Paris 6 V.) (La narration de son voyage à Alger se trouve dans le T. V. ; il y séjourna en 1674). *Berbrugger* : Un consul à Alger au XVIII^e (R.A. 1862) (il s'agit de Bruce, consul d'Angleterre). *Devouls* (A) : Les archives du consulat général de France à Alger (S.D. 152 p.).

A côté de travaux solides, il y a de nombreux ouvrages de vulgarisation populaire qui n'ont rien d'une histoire scientifique (29) mais dont le dessein est de plaire ou des œuvres condensées : en moins de deux cents pages toute l'histoire du pays y passe (30) ou des sortes de répertoires, on énumère des faits sans expliquer et sans commenter (31).

L'époque turque n'est qu'esquissée pour pouvoir arriver rapidement à la conquête de 1830 (32).

Parcourons le livre de L. Galibert. «L'Algérie ancienne et moderne (Paris 1844, plus de 639 p.). La description du pays et son histoire depuis l'antiquité jusqu'en 1830 s'arrêtent à la page 249. Tout le reste est consacré à la domination française.

Le romanesque et le goût du merveilleux s'y mêlent à l'histoire proprement dite (33). Par contre le travail est quelquefois rebarbatif, on n'a, en face de soi que brutalités, révolutions, guerres pendant des siècles, domination du petit par un grand, Pas de progrès ou de civilisation, pas d'œuvre humaineconstructives. Telles sont les impressions en lisant le livre du Général Faure-Biguet (34).

Quelques aspects de la vie algérienne avant 1830 sont parfois rapportés brièvement.

Dubois-Fontanelle (Joseph Gaspard) essaye de les présenter (35) en 60 pages du tome IV de son livre.

C'est une sorte d'histoire d'Alger par narration des faits jugés principaux depuis le XVI^e siècle et le récit de quelques anecdotes : empiètements des Deys sur le pouvoir des pachas, représentants du sultan, et diminution parallèle de l'autorité de la Porte à Alger, fortune extraordinaire d'un pauvre captif d'abord misérable et couvert de vermine qui renie, devient corsaire, puis pacha de Tripoli puis d'Alger, et les principales attaques des nations européennes d'Alger.

Cette richesse et cette variété de sujets traités s'expliquent par le fait que l'Europe dès le XVI^e siècle découvre le Maghreb à la faveur d'une époque agitée qui favorise les grands desseins. Un esprit de conquête universelle, militaire, commerciale et intellectuelle anime les Européens. Les voyages lointains, les découvertes de nouvelles terres et de peuples inconnus devaient conduire à un élargissement considérable de la recherche historique.

29) *Clausolles* (P) : «L'Algérie pittoresque ou histoire de la Régence d'Alger depuis les temps les plus reculés jusqu'à nos jours... (Paris 1843 - 2 V.).

30) *Filiat* (Ach.) : L'Algérie ancienne et nouvelle. (Paris 1875 - 192 p.) «une sorte de vade-mécum pour gens cultivés».

31) *Garot* (H) : «Histoire générale de l'Algérie (Alger 1910 - 1189 p.).

32) *Vinchon* (Le Baron de) : Histoire de l'Algérie et des autres Etats barbaresques jusqu'à nos jours (Paris 1839 316 p.).

33) *Farine* (Ch.) : Deux pirates au XVI^e siècle, histoire de Barberousse. (Paris 1869 - 377 p.).

34) Histoire de l'Afrique septentrionale sous la domination musulmane (Paris 1905 - 458 p.).

35) «Anecdotes africaines depuis l'origine ou la découverte des différents royaumes qui composent l'Afrique jusqu'à nos jours» (Paris 1775 - 8 T. en 1 V.).

Mis à part le goût du merveilleux et de l'extraordinaire, les thèmes majeures de l'histoire de l'Algérie, avant 1830, sont les drames de la captivité — celle des Musulmans pris en mer et vendus à Livourne notamment, n'y figure pas — et les campagnes anti-turques.

Nombre d'historiens sont obsédés par la puissance d'Alger et par le désir de raser «la caverne des voleurs», et rêvent d'une opération décisive contre Alger.

L'intolérance est à leurs yeux une force de la foi. Ils jugent l'Islam avec des idées reçues. C'est une religion erronée... Ceux qui venus d'Europe se faire musulmans sont des traîtres. Le reniement est impardonnable et même les tentations de l'intérêt ne sauraient l'excuser, «car la faute la plus grave qu'un Chrétien puisse commettre et de renoncer à sa religion».

Au XIX^e siècle, les règles critiques de la méthode historique sont définies en Europe. Certains spécialistes du Maghreb commencent à rassembler, des matériaux, à confronter les sources et à présenter, avec plus ou moins de succès, des travaux de synthèse qui, malgré les lacunes ou les orientations données et que nous avons relevées plus haut, demeurent un apport substantiel à la connaissance de notre passé. Nous ne devons pas tout rejeter ou tout accepter, mais utiliser avec précaution ces travaux dont certains — rares hélas — méritent d'être traduits en arabe au grand profit des chercheurs.

Moulay BELHAMISSI



L'ALGERIE ET LE TIERS-MONDE POUR L'ETHNOLOGIE
DU XIX^{ème} SIECLE

par Youssef NACIB
Maître-assistant à l'Université d'Alger

Il est intéressant de se demander ce que représentaient les Algériens et les peuples du Tiers-Monde en général aux yeux de la plupart des ethnologues européens du XIX^e siècle.

On sait qu'après la Renaissance, les grandes découvertes (Indes, Amérique etc...) ont engendré le désir de partir à la recherche des peuples exotiques et de leurs "étranges" façons de vivre. Au sortir du Moyen-Age clérical et dogmatique qui enseignait qu'hors de l'Eglise, point de salut, les "autres" — qu'étaient les sociétés extra-européennes — ne pouvaient tout naturellement être que des tribus sauvages. L'ethnocentrisme était la norme. C'est en son nom, avoué ou tacite, que l'Europe se lançait dans sa grande entreprise de "civilisation". Prospéro se faisait un devoir de dégrossir Caliban : Shakespeare, déjà, posait de fait le problème colonial...

Mais dans tout cela la puissance aveugle gardait le maître-mot. Du moins, les règles du jeu avaient-elles le piètre mérite de la clarté. Caliban autant que Prospéro savait que l'île avait un seul propriétaire légitime. Mais le second avait le fer pour lui quand le premier n'était fort que de son bon droit.

Or, à compter des années 1830 (date doublement marquante pour l'Algérie), l'expansion européenne et l'exploitation par elle de riches contrées lointaines tenteront de trouver leur fondement moral dans les exigences de la science. Les études ethnologiques débutantes du siècle dernier joueront alors ce rôle de savantes de service : elles en conserveront longtemps un arrière-goût de péché originel.

Dès la publication de la théorie comtiste à partir de 1830, donc, le schéma ternaire de l'évolution ayant pour double pôle l'obscurantisme de la barbarie et la clarté de l'âge positif, séduira les esprits. Or, les lumières de la raison et la santé morale, dans la perspective européenne-centrique, étaient évidemment européennes ; quant aux affres de l'ignorance et de la sous-éducation, l'ethnologie balbutiante les attribua d'office aux sociétés exotiques. Ainsi, le temps épouse-t-il l'espace et leur union rassure-t-elle les bonnes consciences... Le lointain géographique et le primitif originel ne font qu'un dans l'esprit des premiers ethnographes, tandis que le plus proche et le civilisé se confondent dans la culture européenne de l'époque. Les sociétés "différentes", coupables

d'être différentes de l'europe, sont vite perçues comme a-historiques. Boucher de Perthes ayant exhumé des outils préhistoriques dès 1828, un autre pas fut franchi : on songea que l'équipement technologique des groupes africains, dits primitifs, devait être le même, à quelques nuances près, que les objets recueillis dans les couches sédimentaires ou les cavernes. En un mot, l'homme qui s'est éteint avec sa culture il y a des milliers d'années, l'ethnologie naissante croyait l'avoir retrouvé vivant dans les futurs pays du Tiers-Monde.

Ce rescapé du Temps devait avoir des caractéristiques mentales et biologiques déterminées. Il était notamment, suivant les chercheurs de l'école animiste, inapte à la théorisation. Sa tendance au mimétisme en faisait un être voué à la stagnation. Ce "sauvage", faute de pouvoir dégager des concepts et saisir les rapports, se réfugia dans les "représentations collectives" qui font se fusionner l'intellect et l'affectif. La théorie de la "causalité mystique" restera l'un des supports de ce que l'auteur de *l'Ame primitive* a appelé du terme significatif de "pré-logique".

En réalité, cette toile de fond qui se voulait scientifique s'inscrit dans le contexte politique de la colonisation. Ethnologie du XIX^e siècle et phénomène colonial : celui-ci est inséparable de celle-là, la première cautionnant le second intentionnellement ou indirectement. Car une fois expliqué que le "sauvage" est bien sauvage et que son éducation s'impose, le "civilisé" qui ne demande qu'à exporter sa civilisation s'empresse de le faire. On sait de quelle raison seront inspirés les termes du contrat... La prétendue mission civilisatrice a toujours été l'un des arguments les plus fallacieux qu'ait brandi une société dominante pour asservir, sinon assassiner physiquement ou culturellement, une société dominée. Ordinairement, les génocides affectionnent le voile pudique d'une morale forgée sur mesure.

Bref, dès l'implantation des colons, l'administration européenne cherchera par tous les moyens à connaître "les indigènes". Connaître surtout les valeurs et les besoins du groupe pour prévoir ses réactions dans les circonstances les plus variées. Les études ethnologiques seront ravalées à cette fonction d'éclaireur. En Algérie, des dizaines d'officiers des affaires indigènes, de petits enseignants, de voyageurs et de missionnaires européens s'improviseront sociologues de l'autochtone !

Certes, certaines de leurs études ont le mérite d'avoir photographié une réalité difficilement déformable et aujourd'hui insaisissable parce qu'éteinte. A ce titre, elles nous ont conservé des documents uniques au monde, précieux parce que singuliers. Ainsi, grâce au père de Foucauld, nous héritons d'un immense lexique tamacheq que nous n'aurions peut-être pas pu reconstituer de nos jours. Nous devons à un autre militaire, le général Hanoteau, un recueil dense de poésies Kabyles transcrites dans les années 1860...

Cependant, il est à noter que l'intention, dans la plupart des cas, était étrangère à la science chez les ethnographes du siècle dernier. Perçu sous le prisme déformant du complexe de supériorité et dans le contexte de l'occupation, le trait culturel collecté par les glanneurs d'extravagances subissait, dans la description même qui en était faite, une mutilation fatale. Et que dire de l'analyse ? Orientée vers une première finalité sans équivoque qui était de renseigner l'autorité répressive, l'étude sous couvert de science, se devait de justifier le fait colonial accompli. Les Hollandais n'enseignaient-ils pas dès 1870 l'ethnologie à leurs administrateurs des Indes néerlandaises ?

Dans notre pays, nombre d'administrateurs de communes mixtes ont décrit ce qu'ils croyaient être la sauvagerie amusante ou comminatoire de leurs administrés. Le monde rural, notamment, a été considéré sous ce double aspect. D'où la multitude de textes sur la religion populaire décrite comme spectacle exotique dans ses manifestations, mais redoutée dans ses effets. Si l'attention a été autant retenue par les zaouias, c'est qu'elles portaient en elles un germe de résistance irréductible. Hanoteau s'en est pris violemment aux Rahmaniya qui suscitèrent le soulèvement de Bou-Beghla, à l'époque d'El-Mokrani...

Somme toute, au lieu qu'elle fût considérée comme la science de l'Homme universel, étudiant pour les rapprocher les différentes civilisations d'Asie, d'Afrique, d'Europe, d'Amérique et d'Océanie ; au lieu qu'elle se constituât en étude différentielle des ethnies et des cultures libres et égales en droit pour ainsi dire, l'ethnologie coloniale a délibérément retenu comme hypothèse et conclusion que les sociétés pré-industrielles (à fortiori les groupes pré-scripturaires) — entendons : les sociétés qui, au XIX^e siècle n'avaient pas encore connu pour des raisons historiques précises l'ère des charbonnages et du machinisme — étaient nécessairement inférieures. En d'autres termes, on nous a appliqué des préjugés scientifiquement intolérables.

Les chercheurs du Tiers-Monde prennent conscience de cette déformation des faits. La page coloniale étant maintenant tournée au Maghreb, il nous appartient de faire en sorte que le Maghreb-objet se transforme, dans le domaine sociologique, en Maghreb-sujet. Il est temps de réhabiliter la science du fait social dans sa vocation qui est d'être tout à la fois positive, féconde, concrète, libre et — pourquoi pas ? — comparative.



فهرس العدد

| | | |
|-----|----------------------------|---|
| | الافتاحفة | |
| 3 | عثمان شهبوب | ثلاثة نماذج |
| 11 | مولود قاسم | وحدة وحضانة |
| | دواسات ثقاففة وادفة | |
| 15 | د . عبد الواحد وافي | اتهام ابن خلدون بالتحامل على العرب |
| 23 | د . الحفبف المئحافف | حركة التبشفر والسفاة الاسفعماففة الفرفسفة فف المغرب |
| 39 | بلقاسم الففمف | العربف فف القرن 19 |
| 51 | د . على عفسف | جوانب من الكفاف الثقافف للمرحوم نعمف الففمف |
| 57 | الصادق بسفس | الجفف فف الثقاففة والحضارة |
| 63 | هانرفش مالفسفان | ملاحف من حفاة الشفخ الطاهر بن عافور |
| 71 | معمد عفزف الحبابف | ملفانة |
| | | الانسان حفوان ففكلم |
| | دواسات اففماففة | |
| 83 | د . عمار بوحوش | الارض والهجرة |
| 97 | ففففة بفاف | العمل الجماعف واسف الفعاون |
| | دواسات سفاسفة | |
| 107 | بول بالفا | من مؤفرف باكو الى مؤفرف الفمة فف الفزانف |
| | | فلفة الافالة |
| 117 | | الفبشفر |
| | دواسات فاففففة | |
| 133 | معمد المفل | نماذج من فشفوف بفض المؤرخفن الافافف لفارفع الفزانف |
| 141 | اسماعفل العربف | صنفافة وكمافة وعرها من الفرفف سكان شمال افرففقا |
| 161 | حسن حموفن | الفصاففة |
| | | للا فاطمة فسومف |
| | ملف المففف | |
| 167 | | كلمة افور السافاف |
| 168 | | كلمة احمف فوففق المففف |
| 172 | | فقففب السففف مولود قاسم |
| 174 | | كلمة راشف عبف الله الفرفان |
| 177 | | كلمة الفففور الفجافف مففام |
| 179 | مولود قاسم فافف بلقاسم | كلمة الاففففام |
| 183 | | اففوصفاف |
| | اففباعاف المففف | |
| 195 | معمد عبف الله عفاف | فلافف ففضة اسلامفة جفففة |
| 199 | د . عبف الملك مرفاف | خواففر عن المففف |
| 207 | الامام موسى الصفر | اففطوف والاسلام |
| | | ففاب الافالة |
| 209 | فالفف بول بالفا | سفاسة فرفسا ففاه العرب من فففول الى بومففف |
| 221 | عرض اسماعفل العربف | من وراء البچار افكار ومفافف |
| 233 | اسماعفل العربف | الحفاة الففاففة |
| 243 | | مع المجلات العربفة |
| 247 | | رفسالة فونس |

بـ...لا غ حول الملتقى الثامن للفكر الاسلامي

تعلن وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ان الملتقى الثامن للفكر الاسلامي سينعقد في بجاية بقاعة المسرح البلدى من الفاتح الى الثانى عشر من ربيع الاول 1394 هـ الموافق الخامس والعشرين مارس الى الخامس من ابريل 1974 م .

وسيحضره طلاب وطالبات جامعات الجزائر ، وقسنطينة ، ووهران ، وتلاميذ وتلميذات السنتين السادسة والسابعة من الثانويات (الاولى والنهائية سابقا) من اى بلد كان ، وسيسمح لغير الطلبة من الجزائر وغيرها ممن هم فى المستوى المذكور بالمشاركة فى الملتقى حسب الاماكن الشاغرة .

وستنص الى الملتقى شخصيات جامعية ورجال بحث من الجزائر وغيرها من انحاء العالم الاسلامي وبلدان اخرى لالقاء المحاضرات ، وعقد الندوات ، والمناقشة فيما بينهم بحضور الطلبة ومشاركتهم .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلى ، ويمكن السماح بالنظام الخارجى لمن يطلبه .

هذا وتنحصر الوزارة ، فى اطار الملتقى . نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب الوطنى ، وبالنسبة للطلبة الآتين من اوروبا فستتحمل الوزارة نفقات سفرهم ذهابا وايابا من مرسيليا واليه او احد موانى البحر الابيض المتوسط .

وسيتطلب من المشاركين اسهام رمزى قدره خمسون دينارا جزائريا ، ويعفى منه الطلبة الآتون من خارج الجزائر ، جزائريين كانوا او غيرهم .

وترسل طلبات المشاركة الى ادارة البحوث الاسلامية ، نيابة الملتقيات ، وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية 4 ، نهج تيمقاد حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية الفلاف .

وعلى كل مترشح ان يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية .

وآخر اجل لقبول طلبات المشاركة هو السابع من محرم 1394 هـ الموافق 31 يناير 1974 م .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالاتى :

- (1) - وضع الاقليات والجاليات عموما والاسلامية خصوصا فى كثير من بلدان القارات الخمس ، وواجب العلماء والمفكرين ، ورجال الاعلام نحوها .
- (2) - دور الفكر اليوم وعلى مر العصور فى امته وتجاه الانسانية فى كل من قضايا الساعة وآفاق المستقبل .
- (3) - مساهمة بجاية الحمادية فى الحضارة والفكر الاسلاميين والعالميين واسباب وآثار انحطاطهما .
- (4) - مساهمة الحضارة والفكر الاسلاميين فى مختلف مجالات العلوم ، والفنون، والتراث الانساني على العموم . عوامل ازدهارهما - اسباب انحطاطهما وشروط انبعائهما .
- (5) - الاصاله والتفتح - ما معناهما ؟ وما مدى اهمية هذا الجمع اليوم بالنسبة للافراد والامم ولصير الانسانية كلها ؟



الامبريالية الثقافية :

ثلاثة نماذج

لا شك ان ما يقاسيه العالم العربى اليوم من تخلف يكاد ان يكون شاملا ، انما هو نتيجة لأزمة حضارية وبالتالى لفشل ثقافى ، يتمثل فى القصور العلمى والتكنولوجى ، والعجز عن التنظيم الاجتماعى واستغلال ما توفر لديه من طاقات ، وامكانيات مادية وبشرية ، بالاضافة طبعا الى عوامل اخرى ، سياسية وتاريخية . لذلك اصبح الاتجاه اليوم مركزا على اعطاء الثقافة - كمفهوم شمولى - الجانب الأوفر من الاهتمام ، بصفتها اساس المعركة المصرية الشاملة ، لا مجرد نشاط كمالى يتفرغ اليه بعض المعطوظين والباحثين عن التسلية والترفيه .

وتأكد هذا الاتجاه خاصة بعد هزيمة 1967 وتحديات الصهيونية المتوالية، وضغط التيارات الحضارية المعاصرة .

عثمان شبيب

الثقافى ، كمدهم بوسائل النشر ، نشر انتاجهم باللغة الاجنبية خاصة ، وانشاء مجلات تنطق بلغتهم وتبشر بثقافتهم وحضارتهم ، وتقدمها على انها النموذج الامثل المدير بالاتباع .

والامثلة فى الواقع كثيرة عن هذه الانشطة المركزة والموجهة والمخططة والتي تقف وراءها الدوائر السياسية الامبريالية ، وسأكتفى فى هذه الكلمة الوجيزة بايراد ثلاثة نماذج تستحق ان نوضح لشعوبنا ابعادها وأخطارها .

التعاون الثقافى

أعتقد ان كلمة « التعاون » هى فى الواقع ، وفى ضوء التحليل الاولى البسيط ، لا تعبر عن الواقع المعاش اذ التعاون يكون من الجانبين أى هناك تبادل، بينما الحقيقة ان هناك جانباً واحداً فقط هو ما تقدمه الدول المتقدمة للدول المتخلفة من اعانات اللهم الا اذا اعتبرنا ما تحققة هذه الدول المتقدمة على حساب واقع التخلف من مكاسب ثقافية واقتصادية بسبب هذه الاعانات .

هذه ملاحظة هامشية فقط فى هذا الموضوع وليست هى موضوع كلمتى ،

لذلك لابد ان يقوم المثقفون فى البلاد العربية والاسلامية والعالم الثالث عموماً بتحديد خطوط الرسالة الثقافية التى عليهم ان يضطلعوا بها ، وان يقوموا بتحديدات لمختلف الشعارات التى تسود الحياة الفكرية والثقافية فى بلدانهم ، ويعطوها محتواها الحقيقى .

ان قضايا العلاقة بين الأصالة والمعاصرة ، وقضايا التعاون الثقافى والفنى ، وقضايا التعريب اللغوى والثقافى او بعبارة أوجز ، رسم آفاق ما نسميه بالثورة الثقافية ، كل هذا يتطلب القيام بمجهود فكرى حقيقى ، لأنه بدونه ، ستكون مسيرة هذه الشعوب، معرضة للتذبذب ، والاهتزاز، والانحلال، والاختلال ، كما قال الأخ مولود قاسم فى عدة مناسبات ، وخطر الذوبان والتلاشى. وما هذه الندوات والمؤتمرات التى تعقد هنا وهناك ، والمعاهد والمؤسسات ذات الطابع الثقافى التى تؤسس فى بلدنا ، والارساليات الدينية التى تعم أرجاء ما يسمى بالعالم الثالث ، ودور النشر التى تفرق سوقها بأطنان من المجلات والمنشورات ذات الطابع الانحلالى والمعونات الضخمة التى تقدم لأولئك الذين نسميهم بحق ضحايا الاستعمار

وقد تجلى من خلال أجوبة المتعاونين أنفسهم في المغرب العربي ان أغلب المتعاونين يعتبرون انفسهم حلقة في سلسلة الغزو الجديد ، وامتدادا متطورا طبيعيا لسياسة محو الثقافات الوطنية للشعوب محل الاهتمام .

يقول السيد فوشى وهو وزير تربية سابق في الحكومة الفرنسية مشيرا الى هذا الدور : « لقد خسرنا امبراطورية استعمارية ، فيجب ان نتدارك ذلك بتشبيد صرح امبراطورية ثقافية » . ويقول احد المتعاونين للمجلة المذكورة وهو استاذ في تونس : « الواقع اننا نقدم للتلامذة شعرا بذلك او لم نشعر ، مثلا أعلى برجوازيا ، ونمطا غربيا ينتمى الى مجتمع الاستهلاك الذى ننتسب اليه ، مما يورث هؤلاء التلاميذ شعور الحرمان ، كثيرا ما يحاولون اثبات شخصيتهم بتقليدنا كالقردة » .

واورد الاستاذ محمد مزالى ، مدير مجلة الفكر التونسية مثالا فى تعليق له عن هذا الموضوع : ان الاب جان فونتان وهو من الآباء البيض المستوطنين فى تونس قال فيما معناه ، خلال حديث له عن الادب التونسى الحديث ، وبعد ان انتقى من انتاج الادباء الشباب ما يراه

كما انى لا انوى التعرض الى جانب آخر فى مشكل « التعاون الثقافى » وهو ما ينتج عنه من انحلال خلقي وتفكيك للتماسك الاجتماعى . فهذه قضية أخرى تضاف الى ملف التعاون .

وبالنسبة للناحية الثقافية والفكرية التى تعيننى فى هذه الكلمة فهناك تساؤلات : هل التعاون الثقافى قناع تختفى وراءه أهداف استعمارية تهدف الى استرجاع الامتيازات التى اجبرت اثناء الفترة الاستعمارية المباشرة ، على التخلي عنها ؟ هل التعاون استعمار جديد تقوم فيه رؤوس الاموال ، والمؤسسات الثقافية والاقتصادية ، والخبراء الاديولوجيون بالانتماء الذاتى ، أو الموجهون بالتخطيط ، مقام المبررين التقليديين والمعمرين والعساكر ؟

أسئلة لم يطرحها المثقفون عندنا خاصة المثقفين الذين يسمون أنفسهم متفتحين - الا على ثقافتهم وواقع شعوبهم ، والطبيعة الحققة للتبادل الثقافى - لانهم لم يروا فى هذا شيئا غير طبعى ، وانما هى أسئلة أو تساؤلات طرحتها مجلة فرنسية هى مجلة «اسبرى» عدد جويلية أوت 1970 الخاص بهذا الموضوع .

ولهذا النموذج اعوان وعملاء فى انداخل ، عن شعور او لا شعور، يساهمون فى تحقيق هذه الاهداف التخريبية عن طريق المناورات ضد الثقافة الوطنية واللغة الوطنية بالخصوص ، والتشكيك فى امكانياتها وصلاحياتها للعصر ، عن طريق دفاعهم وتطبيقهم ما اتاحت لهم الفرصة لمخطط الاستعماريين فى تسيير الدراسة وفى ضبط البرامج، وخاصة فى العلوم الانسانية المتصلة بالناحية الفكرية والقيم الشخصية ، مع مدهم بوسائل بارعة لتنفيذ مخططهم . وهذا النموذج هو الذى عناه الاخ هوارى بومدين ، رئيس مجلس الثورة والحكومة اثناء ازمة النفط بالحزب الفرنسى .

* *

اما النموذج الثانى فهو ذلك الذى يتمسح بمسوح القومية والثورية . ومن آرائه فى ميدان التعليم خاصة ، ان تعريب الفلسفة ، وما يتطلبه من تدريس نظريات الفلاسفة المسلمين هو رجوع الى الوراء ، وان تدريس التاريخ باللغة العربية يشكل خطرا كبيرا . وتعتبر الاكثريه منهم الفكر العربى الاسلامى خادما للاقطاعية وبالتالى فهو صورة عنها . وبقطع النظر عما فى هذه الاحكام من

يمثل تحديا للمقدسات الدينية وللغة الوطنية وللکفاح الوطنى ، ان هذا الادب بدأ يتجه نحو فرنسا ، وان ادباءه يستلهمون افكارهم من الاتجاهات الادبية والفنية السائدة فيما وراء البحار . وقال : بأن هؤلاء الادباء الشبان يخوضون حربا ضد الرجعيين الذين يحملون - بسبب فشلهم - شعار التعريب، ويشهرون المعركة ضد التزوج بالاجنبيات .

وهذا الاب كما يلاحظ من رايه يضع نفسه كرائد «للتقدمية» عند ما يكون الامر متعلقا بالثقافة العربية الاسلامية . وهى خطة جديدة بدأتها الكنيسة العالمية لمواجهة التيارات الفكرية الجديدة ، ومحاولة التسرب الى الشباب الطالبى خاصة لاحتوائه باسم التقدمية . وهذه قضية تستحق وحدها مقالا خاصا .

* *

هذا النموذج ، يصور الى حد ما ، ما يمكن تسميته بالنموذج الاستعمارى الحاقد الصليبي ان صح التعبير والذى تقف وراءه مؤسسات رسمية وغير رسمية وهدفه تخريب الكيان الثقافى لهذه الشعوب لتحقيق اهداف استعمارية معينة .

ورأينا منهم من يقول أيضا ان التعريب مناورة ضد الثورة الزراعية ويكتبون ذلك فى احدى نشراتهم ، وبالرغم من سخافة هذا القول منطقيا ، فان التجربة أثبتت ان اللغة الوطنية هى أداة الحوار والتجاوب الحقيقى مع الفلاحين .

لقد أوجد هذا التيار المسمى بالتقدمى سواء عن طريق المتعاونين أو عن طريق التأثير الثقافى المحض، أو عن طريق آخر، هذه النوعية من التقدميين المزيفين الذين كانوا وبالا على حقيقة الفكر التقدمى الانسانى الأصيل ، بحرفيتهم وجمودهم عن ادراك الوقائع المتحركة من حولهم .

والواقع ان مصيبة هؤلاء هى ان أغلبهم لم يكونوا فى مستوى من النضج الفكرى والثقافى بحيث يسخرون هذا المنهج ، المنهج الماركسى كأداة فى توضيح ماضى، وحاضر مجتمعاتهم، وأصبح عبارة عن عرض بيداغوجى مبسط لمقولات ماركس فى التاريخ والاجتماع والسياسة ، ممثلا عنها بأمثلة مأخوذة من مجتمعات وتواريخ بعيدة عنا . وبهذا جعلوا منها مجموعة أحكام بمثابة قوانين منزلة ، ونتج عن هذا كله أى عن هذه

عموميات ساذجة ، نريد ان نسألهم هل الغوا من تاريخهم الفكرى والثقافى كل ما لا يمت الى الفكر الماركسى بصفته الصيغة التى ما تزال تحتفظ بجذورها للفكر الاشتراكى العالمى ؟ ان الكثير من هؤلاء الأميين الذين لا يعرفون من الماركسية الا الشعارات المعدة للاستهلاك السياسى اليومى ، لم تخطر ببالهم الاجابة عن هذا السؤال ، وانما اكتفوا باستعمال الاحكام الجاهزة التى تنم عن كسل عقلى فضيع .

انهم يقولون بكل بساطة : ان شعار الأصالة مثلا الذى طغى فى الآونة الاخيرة على الفكر العربى يعبر فقط عن اختيار ذاتى مؤقت لطبقة معينة هى البرجوازية الصغيرة الريفية ، تخوض به معاركها السياسية والاقتصادية ضد فئات أخرى منافسة لها .

فقضايا الدين واللغة الوطنية والثقافة هى كلها ميول ذاتية عابرة لطبقة معينة . وليست مكونات اساسية لشخصية الامة ، وتحديد لهويتها الخاصة . ولو قالوا على الاقل ان هناك فئة أو فئات فى هذه البلدان تعطى لهذه المبادئ الجوهرية مضمونا يعبر عن مصالحها ونزواتها الطبقيّة لكان كلامهم قابلا للنقاش .

فبلدنا موكل اليها ان تكون مركز اشعاع روحى ، وعليها ان تحافظ على خصوصيتها الروحانية المبنية على حرارة الايمان . واما أوروبا فهي مركز التفكير المحض ، والتعقل الصارم .

وهذا يفسره مثلا ، موقفها من هجرة العقول من هذه البلدان نحو أوروبا ، الذى تبرره بأنه انتقال من بيئة لا يفيدها العقل كثيرا الى بيئات أخرى تحتاج بفضل طبيعة حضارتها وبيئتها العقلية الى اعداد وفيرة من هذه العقول . وبقطع النظر عن تهافت هذا الحكم من الناحية التاريخية والمنطقية . فلنا ان نتساءل : هل أوروبا وبالتالى الثقافة والحضارة الأوروبية عموما خالية من هذه الروحانية؟ ليست وقائع الاحداث المعاصرة تؤكد انغراس هذه المثل الروحية لديها الى حد العنف والعدوان ؟

وهم أيضا يدعوننا الى التمسك بالاصالة ، ولكن أى أصالة ؟ انها تلك المظاهر الفولكلورية التى يحتاج اليها السائح ليريح عقله المكدود . انهم يريدون باسم الاصالة ابقاء شعوبنا متحفيا للقيم الاثرية يكون فيها الماضى متجسدا فى الحاضر

النصوصية المغلقة ابتعادهم عن اختبار قدرتها على كشف منطق التطورات التاريخية ، والتلازمات الاجتماعية داخل بلدانهم . وتركيزهم على عوامل أجنبية خارجية ، والتغنى بتفوق هذه الدولة أو تلك من الدول .

قابتعاد هذه الفئات عن مجتمعاتها ، وانفصالها عن ثقافتها الوطنية ، وبالتالى عن شعوبها يمثل احد الاسباب الرئيسية لفشلها فى ان تقوم بدور فعال وايجابى فى معارك شعوبها . وهذا يصدق أيضا على الفئات التى تمثل التيار الأول .

وهكذا ، فباستقراء الوقائع ، يتبين ان كلا التيارين ، - على مستوى الرواد والمريدين - يستهدفان غاية واحدة هى محو أو على الاقل تجاوز الثقافات الوطنية اما على انها متخلفة لاتلائم العصر عند التيار الأول ، أو لانها رجعية اقطاعية عند التيار الثانى .

* *

أما التيار الثالث فيبدو وكأنه متعاطف مع هذه الثقافات الوطنية ، ويتمثل فى موقف بعض المستشرقين الذين يوزعون مراكز الابداع والخلق على أساس جغرافى :

لتاريخ التبادل الثقافي عبر القرون ،
ولحقيقة الثقافة واهدافها الانسانية .

ونحن الى ذلك ، ننتقل من مقولة
فلسفية أصيلة في تراثنا الفكرى والثقافى
تقوم على اساس ان كلمة « أنا » التى
جعلها ديكارت محور فلسفته ، لا يتم
معناها الا « بالآخر » . وان معرفة الانسان
لنفسه التى أوصى بها سقراط مستحيلة
الا اذا أخذنا الآخر فى الاعتبار . لان
وجود الآخر شرط جوهرى لمعرفة الذات .

ومن الناحية العملية فواقع التخلف
الذى ورثناه عن عهود الانحطاط والاحتلال
الاجنبى ، ومتطلبات سياسة التنمية
تفرض علينا جميعها استيراد الاطارات
العلمية والفنية ، وهذا أمر لا اظن من
يجادل فى وجاهته ، ولكن علينا فى
نفس الوقت ان نحدد سياسة عامة وذات
طبيعة فكرية وثقافية فى الاساس ، تمثل
حصانة وقدرة على احتواء كل نتائج
هذا التعاون الثقافى والفنى . والتاريخ
يعلمنا ان الشعوب التى تترك للصدف
سيكون مآلها الدوبان والامساخ .

واذا اردنا ان ندخل حقا فى عهد
الثورة الثقافية فعلينا أولا ان لا ننظر
الى الثقافة وكأنها منعزلة عن البناءات

ولهذا التيار أيضا مريدون محليون ،
يتخذون نفس منهجهم فى دراسة التراث
العربى الاسلامى .

* *

لكن مع هذا كله ، فمن الموضوعية
القول ، انه يوجد بازاء هذه التيارات
المعادية لهذا السبب أو ذاك ، مجموعة
من المفكرين والباحثين فى الشرق والغرب
تصدوا بالدرس ، والتحليل لتراثنا الثقافى
القديم ، فى سنوات نومنا العميق ،
وركودنا الطويل . وكان لهم الفضل فى
الكشف عليه ، والتعريف به لنا ، ولاقسام ،
ولو كانت محدودة من مثقفهم . هؤلاء
آمنوا بضرورة تعدد مراكز الاشعاع
الثقافى وتكاملها ، وحذروا بلدانهم من
مغبة الهيمنة والسيطرة الفكرية ،
وبضرورة اندراج كل استيراد ثقافى
وتقنى فى نطاق تبادل للخدمات ، لا فى
نطاق اعانة مزعومة منطوية على ألوان
من الاهانة .

وموقفنا هذا ليس صادرا عن تعصب
أو ضيق نظر ، فطبيعة ثقافتنا ، وواقع
تاريخنا يؤكد بقوة ، مدى رحابة صدرنا
وتسامحنا المفرط الى حد الميوعة ، كما
يندرج فى اطار نظرتنا واستقراءنا

المضارية الاخرى ، ولا ننتبه الى السلوكات السياسية والاقتصادية لان ما اسميناه بالامبريالية الثقافية هو مركب معقد من مختلف مظاهر الحياة العامة ، والتركيز على جانب واحد فقط هو تجزئة مصطنعة لمشكل واحد ، فلا بد لنا من التفكير الاستراتيجي ، والتخلص من التفكير المرحلي المؤقت .

انه بالامكان ان نحول هذه التحديات الى ازمات خالقة ، مبدعة ، مفجرة لارادتنا. ونقول اخيرا لاولئك «المتفتحين» جدا « عليكم الانفتاح على ثقافتكم الوطنية أولا واستغلال ثقافتكم الاجنبية لفائدة تطوير ثقافتكم الوطنية واغنائها لا ان « تناضلوا » لكي تكون بديلا عنها .

وحدة وحصانة

مولود قاسم نايت بلقاسم

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين ،

اصحاب المعالي ،

حضرات الاساتذة الافاضل ،

اود في بدء هذه الكلمة ان ارحب بكم باسم الرئيس بومدين ، والحكومة ، والجزائر كلها ، وفي هذه الربوع بالذات ، عند سفح هذه الجبال الشامخة السماء ، التي صارت الغزو والاحتلال ، وكافحت الاستعمار والاذلال ، على مر العصور واختلاف الفزاة ، هذه القلعة من قلاع الاحتجاج والاشهاد ، بالتضحية والاستشهاد ، في وجه كل ثمود وعاد !

انها جبال جرجرة التي تحمل قممها للا خديجة اسم ام بطلة كانت امرأة من عظام الرجال ، للا فاطمة نسومر التي كافحت الجيش المعتدى سنة 1856 - 1857 ، الذي كان يقوده سبعة جنرالات على راسهم الحاكم العام الفرنسي في الجزائر ، المارشال راندون ، وجرعته من العذاب ، واعطتهم ، على راس جيشها من المسبلين ، صورة حية عن الفداء والجهاد !

اصحاب المعالي ،

حضرات الاساتذة الافاضل ،

حضرات السادة والسيدات ،

اخواني الطلبة والطالبات ،

نلتقي اليوم ، والامة الاسلامية - واقول الاسلامية - نلتقي اليوم والامة الاسلامية ، التي كانت خير امة اخرجت للناس ، تركز عليها ، او على ما تبقى منها ، كل وسائل التخريب ، والتمزيق ، والتضليل !

نلتقي لتندارس نقاطا من صميم ما تعاني هذه الامة ، نقاطا تتصل بصلب حياتها ، اذا لم تعالج عجلت بموتها !

1 (فتشريعها ، المنتظر منه ان يبين لها شرعتها ، ويضمن لها ، اذا ما طبق ، سلامتها وتماسكها ، بل ونموها وازدهارها ، ابعد ما يكون ، في اغلب جوانبه ، عما شرع الله لها من الدين ، واقرب ما يكون الى ابعادها عن قواعدها واصولها ، وهي روح القوانين ، وشرعية الجهد ، والجهاد ، والاجتهاد !

كلمة الافتتاح التي القاها السيد مولود قاسم في افتتاح الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي بتميزي وزد

2 (ووحدها ، التي كانت قوتها ووجودها ، خاطرت بها عن غفلة وسداجة من قوم تبع لكل من يريد هلاكها ووادها ، بعد ان أعد لذلك بالتآمر على فك عراها وتفتيتها ، وراحت تصفق لكل غراب ناعق ، لسم خصومها لاقق ، غربان مختلفة الالوان والصفات ، ولكنها في هذا موحدة الاهداف والغايات ، فتحاقد طورانيوها وقحطانيوها ، فمزقتها الشعوبية ، وكادت لها الدونمة ، وشهد لها لورانس بالشجاعة والعبقرية ، ووقع عبد الحميد لرفضه ان يوقع ، فسقطت معه القبله الاولى ، واصبحت الامة في غمة ، وضحكت من جهلها الامم !

لقد نشرت أخيرا جدا مجلة «در شيبقل» الالمانية مقالا عن الاسلام جاء فيه ان « خلافة جديدة توحد المسلمين من المغرب الى انلونيسيا ستبقى حلما من أحلام المثاليين ، وأمنية من أمانى الطوباويين » . هل يبقى الامر في عصر التجمعات الكبرى ، عبر الاجناس والقارات ، والاديان واللغات ، على ما هو عليه لامة الاسلام من التشتت والتفرق ، والتنازع والتمزق ، وهى التى ينبغي ان يجمعها كل شىء ، والا يفرق بينها أى شىء ؟

هل من جواب على التحدى ؟ هل سيبقى العقد هكذا منتثرا ، والمجد الى الابد مندثرا ؟ 3 (وسلامة عقيدتها وصحة ايمانها ؟ ألم يعبث العابثون بعقول الكثير من ابناءها وبناتها ، بعد ان ظننا انها ، أى هذه الامة ، باستعادة الاستقلال ، الذى كان تأمر عليه المبشرون مع الجنرالات بالتمهيد للاحتلال ، ستضع عندها حدا لعبث التبشير ، فتستأصل جذوره ، وتجتث أصوله وبلوره ؟

هل ننسى فى الجزائر مثلا ما قام به دوفوكو من دور فى هذا المجال ، الذى أدى به الى ما نعرفه من مآل ؟ ولا فيجرى بعده ، ألم يجهد نفسه فى تنصير اليتامى فى 1866 اثر المجاعة ، وان لم تكن لمساغيه كل النجاعة ؟

كثير من السذج لدينا يستخفون بمحاولات الدين هم بالضللال والردة مبشرون . ويقولون خطأ عنهم انما هم جهودهم مبثرون !

ولكنهم ينسون ان احد اساطين التبشير وهو زويمر هو الذى قال ان الغاية من التبشير ليس التمسيح بالضرورة ، ولكن يكفينا ان ندبذب المسلمين ، ونشككهم فى عقيدتهم ، ونزعزع ثقتهم بانفسهم وأصالتهم .

لقد اكدنا مرارا لمختلف رجال الدين المسيحي فى الخارج ، الذين زارونا ببادرة منهم ، من بروستانت ، وكاثوليك ، وارثوذكس ، ان الاسلام ، ان كان سمحا ، فهو لا يتسامح فى نفسه ، واننا مستعملون دائما لمساعدتهم فى مهمتهم ... ولكن لدى ابناء دينهم ، وعليهم ان يتركوا ابناءنا وشأنهم !

ومع ذلك لا نزال نتلقى أكواما من الرسائل من دوائر تبشيرية مختلفة ، ومن بلدان متعددة ، شرقية ، وغربية ، ياتى اليها آباء الاطفال الذين ترسل اليهم بالبريد ، أو توزع عليهم قرب المدارس ، يأتون اليها محتجين علينا بأننا لا نفعل شيئا ليقصف هذا السيل العارم من هذه المحاولات الاجرامية ، للتغريب بالاطفال العزل الإبرياء !

4 (وأبناء هذه الامة فى الخارج ، وما يتعرضون له من مثل هذه المحاولات ، ومن غيرها مما هو أكثر اغراء لهم ، وضغطا عليهم ، ماذا يمكن هذه الامة ، أو ما تبقى منها ، ان تقوم به ازاءهم ؟

فهناك ملايين من المسلمين فى أوروبا ، وأمريكا ، وأستراليا ، وبنائهم يزداد عددهم باطراد .

أما من نواد ثقافية ؟ أما من مدارس ابتدائية ، وثانويات مزدوجة اللغة ؟ هذا ما قررت بعض الدول الشروع فيه ، وعزمت على انجازه ، ولكن يدا واحدة لا تصفق ، كما يقال ، وهل من تنسيق ، وتعاون ، والاقلاع عن الاهمال والتهاون ، على الاقل فى هذا المجال ؟ هل من تدخل فعال من جمعيات خيرية ، وبوادر فردية ، تنعما جهود الدول والمؤسسات ؟

5 (وأخيرا وليس آخرا ، تعاني هذه الامة المسكينة من نفسها ربما أكثر مما تعاني من غيرها ، وما ربك بظلام للعبيد ! نعيب على الغير ، ولكن العيب فينا ، نعيب على جيل اليوم ، وعلى الزمن ، وعلى القرن الرابع عشر الهجرى ، أو العشرين الميلادى ، والعيب كله فينا ، وأبو الطيب هو الذى قال :

نعيب زماننا والعيب فينا

وما لزماننا عيب سوانا !

وأظن ان عنوان محاضرة استاذنا الدكتور عثمان أمين ، الذى اقتصر على الجزء الثانى من صدر البيت ، يشير الى نفس الموضوع ، وان لم نتصل بالنص بعد !

وفعلا ، ألا تبحث هذه الامة فى مجموعها عن حتفها بأنفها ، وألا تخرب بيتها بيديها ، وألا تعرض دولها طهارة أطفالها للسموم والجراثيم ، بما تعرضه فى أجهزتها الرسمية من خلاعات ، ونايات ، فى شكل افلام تنعوا الى الاخاد ، والانحلال ، وتدفع الاحداث الى الجنوح ، بل والكبار الى الاجرام ، كما رأينا أمثلة لذلك نستطيع ان نذكرها بالاسماء ؟

ونود ان نقول هنا بدون أية مبالغة ان بعض الاشرطة التى تعرض فى تلفزات كثير من البلدان الاسلامية تحت حشا مباشرا على الانحلال والاجرام ، هذان التوأمين المشؤومان !

ألا نستفيد من تجارب الدول التى تصدر اليها مثل هذه الاشرطة ؟ ام نريد ان نعرض انفسنا لما تعانيه ، وان لم تكن لنا نفس الوسائل لمعالجته ، أو التخفيف من حدته ، اذا ما نما واستشرى !

لقد جاء فى جريدة لوموند بتاريخ 30 مارس 1973 ان امريكا تنفق 750 مليار فرنك قديم سنويا على مكافحة الاجرام .

هل لذة الجمهور ، وممتعة الاشرطة البوليسية والاجرامية ، تستحقان ان ندفع من اجلهما هذه المبالغ على فرض توافرها لدينا ، ونعرض مجتمعاتنا للهزات والزواجع ؟ هذا هو السؤال !

لقد جاء في احدى الصحف الاوروبية اخيرا ان فرنسا رفع قضية على شركة للطيران لانها عرضت ، في طائرة لها وهي في الجو ، شريطا مخلا بالآداب ، شاهده مكرها وبجنبه بنته الصغيرة .

قد يكون هذا السعى منه ناشزا في نظر الكثير . الا يستحق منا المناصرة والتقدير ؟ ام نحن نحب التشويز في السلبات فحسب ، لان المنحدر دائما اسهل ، والانسان الى الشر بطبعه اميل ؟

ان اجهزة الاعلام وسائل هامة ، وجامعات شعبية خصبة او قاتلة ، اذ تنفذ الى صميم الديار والاسر . فماذا نريد ان يكون برنامجها ؟ وماذا نريد ان يتعلم منها اطفالنا ؟ وماذا نريد ان نجعله بواسطتها من امتنا ؟

هذا هو السؤال الذي ينبغي ان يلقيه المسلمون على اجهزة اعلامهم ومسؤوليهم ، لان المصيبة عامة طامة لأغلب اجزائها التي زرناها ، او قرأنا عنها اليوم ، وما اكثرناها تلك التي تستحق اللوم والعتاب ، والجزائر في الدرجة الاولى في هذا المجال مع الاسف الشديد !

ان المسؤولية لمرء يعود لها معنى اذا لم يكن امام المسؤولين سائلون ، واذا مات حس الخير والشر في النفوس ، وانعلم روح الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واكتفى رجال الدين بالفتاوى الادارية ، والدعاء بالخير وطول العمر لأصحاب الساعة ، واقتنع رجال الفكر والفن بالتنسيق والتزييق ، والتصفيق !

ليست هناك اشرطة علمية ، تاريخية ، موسيقية راقية ، تربوية ، تملأ بها البرامج ، وتغلز بها العقول . وتستطيع الاسرة مجتمعة ان تشاهدها بدون أى خوف او احتياط ؟

هناك بلدان اوروبية تمنع بعض المناظر لا في شوارعها فحسب ، بل حتى على شواطئها ، وفي بواديها ، وتعاقب عليها العقاب الشديد .

ونحن نرى هذه المناظر ليس فقط في شوارع ، الكثير من البلدان الاسلامية التي نعرفها ، ولكنها تتبع الانسان الى المنزل ، وتنفذ الى صميم الاسرة !

وفي الاخير ، هل نحن مسلمون بصلق ، او فقط عن وراثة وتقليد ؟ هل نحن في الاسلام ، ام ننتمى اليه فقط من بعيد ، بالذكريات والنسب المقطوع ، كابناء الدوقات ، والمركيزات ، والاميرات ، والملوك والباطرة ، والقيصرة ، الذين زال ملكهم ، وطردهوا من بلادهم ، يعيشون في المنفى ، وليس لهم من ملك آبائهم وامهاتهم الا اللقب الشرفي الموروث ؟

اسمحوا لي ان اختتم هذا « الوعظ والارشاد » ، كما قد يرى البعض ، بذلك التحذير الذي استخف به الاثنان في احدى مراحل تاريخهم ، وندموا على ذلك مر الندم . وهو « ! Wehret den Anfängen »

أي حذار من البداية !

والسلام عليكم



دراسات ثقافية وأدبية

اتهام ابن خلدون بالتحامل على العرب

وضع ابن خلدون لبعض فصول من مقدمته عناوين يظهر منها في بادئ الرأي انه يتحامل على الشعب العربي وينتقص من قدره * ويظهر هذا على الاخص في عناوين أربعة فصول متتالية في الباب الثاني (من الفصل الخامس والعشرين الى الفصل الثامن والعشرين) وفي عنوان الفصل التاسع من الباب الرابع ونصوص هذه العناوين ما يلي :

« فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط » ؛ « فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة » ؛ فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب ؛ فصل في ان العرب ابعد الناس عن السياسة والملك » ؛ « فصل في ان المباني التي كانت تختطها العرب يسرع اليها الفساد الا في الافق » (1) *

د. علي عبد الواحد وافي
استاذ علم الاجتماع
جامعة القاهرة

(1) انظر المقدمة ، طبعة لجنة البيان العربي ، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الجزء الثاني صفحات 623 - 628 والجزء الثالث صفحات 991 - 992 (الطبعة الثانية)

ورعايتها ، والابل تدعوهم الى التوحش في القفر لرعيها من شجره وتناجها في رماله ٠٠٠ » •

ويقول في الفصل الخامس والعشرين من الباب الثاني وهو الذي عنوانه بقوله : « فصل في ان العرب لا يتغلبون الا على البسائط » : « وذلك انهم بطبيعة التوحش الذي فيهم اهل انتهاب وعيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ، ويفرون الى متجمعهم بالقفر » •

ويقول في الفصل السادس والعشرين من الباب الثاني وهو الذي عنوانه بقوله : « فصل في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الحراب » : « والسبب في ذلك انهم أمة وحشية باستحكام عوائد التوحش واسبابه فيهم ٠٠ وهذه الطبيعة منافية للعران ومناقضة له ، فغاية الاحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب ، وذلك مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له فالحجر مثلا انما حاجتهم اليه لنصبه اثنافي للقدر فيثقلونه من المباني ويخربونها عليها ويعيلونه لذلك • والحشب ايضا انما حاجتهم اليه ليعملوا به خيامهم ويتخلوا الاوتاد منه لبيوتهم (من الشعر) ، فيخربون السقف عليه • فصارت طبيعة وجودهم منافية للبناء الذي هو اصل العمران » •

ويقول في الفصل السابع والعشرين من الباب الثاني ، وهو الفصل الذي عنوانه بقوله : « فصل في ان العرب لا يحصل لهم الملك ، الا بصبغة دينية ٠٠٠ » : « والسبب في ذلك انهم خلق

والحقيقة ان ابن خلدون لا يقصد من كلمة «العرب» في مثل هذه الفصول الشعب العربي ، وانما يستخدم هذه الكلمة بمعنى الاعراب أو سكان البادية الذين يعيشون خارج المدن والقرى ويشتغلون بمهنة الرعي وخاصة رعي الابل ، ويتخذون الحيام مساكن لهم ويظعنون من مكان الى آخر حسب مقتضيات حياتهم وحاجات انفسهم التي يتوقف عليها معاشهم ؛ وهم المقابلون لاهل الحضر وسكان الامصار ؛ كما تدل على ذلك الحقائق نفسها التي عرضها ابن خلدون في الفصول التي وردت فيها هذه الكلمة :

فهو يقول في الفصل الثاني من الباب الثاني : «واما من كان معاشهم من الابل فهم اكثر ظفعا ، وابعد في القفر مجالا ٠٠٠ فكانوا لذلك أشد توحشا ، وينزلون من اهل الحواضر منزلة الوحش غير المقدور عليه والمفترس من الحيوان العجم ، وهؤلاء العرب وفي معنائهم طعون البربر وزناطة بالمغرب ، والاكراد والتركمان بالشرق ؛ الا ان العرب ابعد نجعة واشد بداوة لانهم يختصون بالقيام على الابل فقط » •

ويقول في الفصل التاسع من الباب الثاني ، وهو الذي عنوانه بقوله : « فصل في أن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر من العرب ومن في معنائهم » : « وذلك لما اختصوا به من نكد العيش ، وشطظ الاحوال ، وسوء المواطن حملتهم عليها الضرورة التي عينت لهم تلك القسمة ولما كان معاشهم من القيام على الابل وتناجها

كلها ، والظن كليل لهم بطبيعتها لأن الرياح انما
تخبث مع القرار والسكنى ، » *

ويقول في الفصل الحادى والعشرين من الباب
الحامس ، وهو الفصل الذى عنوانه بقوله : « فصل
فى ان العرب أبعد الناس عن الصنائع » : « والسبب
فى ذلك انهم أعرق فى البدو عن العمران الحضري
وما يدعوا اليه من الصنائع وغيرها . والعجم من
اهل المشرق وأمم النصرانية عدوة البحر الرومى
أقوم الناس عليها ، لانهم أعرق فى العمران
الحضري ، وابتعد عن البدو وعمرانه ، حتى ان الأبل
التي أعانت العرب على التوحش فى القفر والأعراق
فى البدو مفقودة لديهم بالجملة ومفقودة رعايتها »
وقضلا عن هذا كله فان ابن خلدون نفسه قد
صرح بما يقصده من كلمة العرب اذ وضع للباب
الثانى الذى وردت فيه الفصول الأربعة التى
يبدو فيها شدة التعامل على العرب عنوانا يدل على
انه انما يدرس فى هذا الباب الشعوب البدوية
دون غيرها فقال : « الباب الثانى فى العمران
البدوى والامم الوحشية » *

وذكر فى خاتمة تمهيد المقدمة السبب الذى
دعاه الى تقديم دراسة هذه الشعوب على دراسة
غيرها فقال : « وقد قدمت العمران البدوى لانه
سابق على جميعها كما نبين لك بعد » *

صحيح انه قد يتبادر الى الذهن مما ذكره ابن
خلدون فى ثلاثة مواطن من الابواب السابق ذكرها
انه يقصد شعب العرب على الاطلاق . ولكن بامعان

التوحش الذى فيهم اصعب الامم انقيادا بعضهم
لبعض . . . فاذا كان الدين بالنبوة أو الولاية
كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبير
والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم » *

والتوحش الذى يعنيه هنا ابن خلدون ، كما
يعنيه فى جميع المواطن التى يذكر فيها هذه الكلمة
هو البعد عن الحضر وسكنى القفار وعدم الاستقرار
وايلاف النجعة والظن من مكان الى آخر .

ويقول فى الفصل الثامن والعشرين من الباب
الثانى ، وهو الفصل الذى عنوانه بقوله : « فصل
فى ان العرب أبعد الامم عن سياسة الملك » :
« والسبب فى ذلك انهم أكثر بدواة من سائر الامم
وابعد مجالا فى القفر ، وأغنى عن حاجات التلوك
وحبوبها لأعتيادهم الشظف وخشونة العيش ،
فاستغنوا عن غيرهم ، فضعف انقيادهم بعضهم
لبعض » *

ويقول فى الفصل التاسع من الباب الرابع
وهو الفصل الذى عنوانه بقوله : « فصل فى ان
المباني التى كانت تختطها العرب يسرع اليها
الحراب الا فى الاقل » : « والسبب فى ذلك شان
البدواة والبعد عن الصنائع . . . وله والله أعلم
وجه آخر . . . وذلك قلة مراعاتهم لحسن الاختيار
فى اختطاط المدن . . . وانما يراعون مراعى
ابلهم خاصة ، ولا يباليون بالماء طاب أو خبت ولا
قل أو أكثر ، ولا يسألون عن زكاء المزارع والمنابت
والاهوية لانتقالهم فى الارض ونقلهم الحبوب من
البلد البعيد . . . واما الرياح فالقفر مختلف للمهاب

وقد صرح بغرضه فيما يتعلق بأفريقية والمغرب
اذ ذكر انه قد اصابها هذا الحراب حينما تغلبت
عليها شعوب بنوية من بنى هلال وبنى سليم .

2 - ورد في الفصل الثامن والعشرين من
الباب الثاني ، وهو الفصل الذي عنوانه بقوله :
«فصل في ان العرب بعد الامم عن سياسة الملك»
ما نصه : «فبعدت طباع العرب لذلك عن سياسة
الملك ، وانما يصيرون اليها بعد انقلاب طباعهم ،
وتبدلها بصيغة دينية تمحو ذلك منهم ، وتجعل
الوازع لهم من انفسهم ، وتحملهم على دفاع
الناس بعضهم عن بعض كما ذكرناه . واعتبر
ذلك بدولتهم في الملة ، لا شيد لهم الدين
السياسة بالشرعية واحكامها المراعية لمصالح
العمران ظاهرا وباطنا ، وتتابع فيها الخلفاء
عظم حينئذ ملكهم وقوى سلطانهم . كان رستم
(قائد جيوش الفرس في موقعة القادسية التي
نشبت بينهم وبين المسلمين في عهد عمر) يقول :
آكل عمر كبدى ، يعلم الكلاب الآداب . ثم انهم
بعد ذلك انقطعت منهم عن الدولة اجيال نبذوا
الدين فنسوا السياسة ، ورجعوا الى قفرهم ...
فتوحشوا كما كانوا » .

فعلى الرغم مما يتبادر الى الذهن من ظاهر هذا
النص من ان ابن خلدون يقصد به شعب العرب
على الاطلاق فان تأملا عميقا في عباراته يتبين منه
انه يريد ان يقرر ان جيوش المسلمين في حروبهم
في بلاد الفرس كان كثير من افرادها وافدين من
قبائل بدوية همجية صعبة الانقياد ، وان وازع
الدين هو الذى يرجع اليه الفضل فى تهذيب هذه

النظر فى هذه المواطن الثلاثة يتبين انه انما يقصد
القبائل البدوية وحدها . وسنعرض فيما يلى نص
عباراته فى هذه المواطن مبينين ما يدل على حقيقة
مقصده منها .

١ - ورد فى الفصل السادس والعشرين من
الباب الثاني ، وهو الفصل الذى عنوانه بقوله :
« فصل فى ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع
اليها الحراب » ما نصه : « وانظر الى ما ملكوه
وتغلبوا عليه من الاوطان من لدن الخليفة كيف
تقوص عمرانته ، واقفر ساكنه ، وبدلت الارض
فيه غير الارض : فالىمن قرارهم خراب الا قليلا
من الامصار ؛ وعراق العرب كذلك قد خرب عمرانته
الذى كان للفرس اجمع ؛ والشام لهذا العهد
كذلك ؛ وافريقية والمغرب لا جاز اليها بنو هلال
وبنو سليم منذ اوائل المائة الخامسة وتمرسوا بها
لثلاثمائة وخمسين من السنين قد شق بها وعادت
بسائطه خرابا كلها ، بعد ان كان ما بين السودان
والبحر الرومى كله عمراننا ، تشهد بذلك آثار
العمران فيه من المعالم وتماثيل البناء وشواهد
القرى والمدامر » .

فمع انه يبدو من النظرة السطحية فى هذا
النص انه يقصد شعب العرب على الاطلاق ، فان
تأملا عميقا فى عباراته يتبين منه انه يقصد اليمن
والعراق والشام فى عهودها الاخيرة المعاصرة له
والقريبة منه ، وهى العهود التى تقوص فيها
سلطان الخلافة المركزى وتغلبت عليها اسرات
وشعوب همجية بدوية الاصل وتوزع السلطان
فى كل بلد منها بين عصبية متنافرة متناحرة

هذا ، وقد اساء كثير من الباحثين فهم مدلول كلمة « العرب » فى عناوين فصول المقدمة ، ولم يمعن النظر فيما يذكره ابن خلدون تحت هذه العناوين من الامور القاطعة بأنه يقصد من هذه الكلمة سكان البادية الذين يشتغلون مهنة الرعى وخاصة رعى الابل . ويعيشون عيشة تنقل ونجعة وهو احد المعانى اللغوية القديمة لهذه الكلمة ، وهو كذلك معنى لا يزال متداولاً ومقصوداً من هذه الكلمة فى الوقت الحاضر فى لهجات أهل الجزائر خاصة المناطق الشرقية منها كقسنطينة وما اليها فظن انه يقصد منها شعب العرب المقابل لشعب العجم . ومن وقع فى هذا الخطأ الاستاذ الدكتور فيقول : الدكتور طه حسين بعد ان بين مظاهر الاجتماعية « والاستاذ محمد عبد الله عنان فى كتابه عن « ابن خلدون : حياته وتراثه الفكرى » طه حسين فى رسالته عن « فلسفة ابن خلدون الضعف الذى انتهى اليه امر العرب فى عصر ابن خلدون «فليس غريباً اذن ان يزدرهم ابن خلدون ولا سيما انه عاش فى ظل الاسر البربرية المجاهرة بعدائها للعرب الذين خربوا افريقية الشمالية فى القرن الخامس» . - ويقول الاستاذ محمد عبد الله عنان بعد ان اشار الى عناوين الفصول السابق ذكرها وقرر انها تنطوى على تعامل وعداء شديدتين للشعب العربى : «وقد يفهم سر هذا التعامل الذى يطلق رأى ابن خلدون فى العرب بمثل هذه الشدة اذا ذكرنا انه رغم انتمائه الى

العناصر وتذليلها للانقياد والنظام . ويؤكد ذلك ما يذكره فى خاتمة هذا النص اذ يقول : « انهم لما لبذوا الدين نسوا السياسة ووجهوا الى قفرهم فتوحشوا كما كانوا » .

3 - ورد فى الفصل التاسع من الباب الرابع وهو الفصل الذى عنوانه بقوله : « فصل فى ان المباني التى كانت تختطها العرب يسرع اليها الحراب الا فى الاقل » ما نصه : « وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقروان كيف لم يراعوا فى اختطاطها الا مراعى ابلهم ، وما يقرب من القفر ومسالك الظعن . فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعى للمدن ... فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ... فلاول وهلة من انحلال امرهم وذهاب عصبيتهم التى كانت سياجا لها أتى عليها الحراب والانحلال كان لم تكن »

ولسنا فى حاجة فى هذا النص الى تأمل عميق لان عباراته نفسها تدل على انه يقصد انه قد غلبت على من اختطوا هذه المدن طباع البداوة والميل الى النجعة والظعن والتنقل والحرص على توافر مراعى الابل والقرب من القفر ، وهى الطباع التى كانت سائدة حينئذ لدى كثير من القادة والزعماء المنحدرين من قبائل بدوية . وغنى عن البيان ان هذه ليست طباعا لشعب العرب على الاطلاق وانماهى طباع لبعض قبائل من هذا الشعب وهى القبائل البدوية غير المستقرة التى تجنح للنجعة والتنقل وتعيش على مهنة رعى الابل .

* * *

(I) « فلسفة ابن خلدون الاجتماعية » ترجمة محمد عبد الله عنان - ص 2 ، I

المستشرقين ومن الاتراك حتى القدامى منهم .
واليك مثلا البارون دوسلان الذي ظهرت ترجمته
الفرنسية لمقدمة ابن خلدون سنة 1868 فانه
يقول في تعليقه على عنوان الفصل الثاني من
الباب الثاني ، وهو الفصل الذي عنوانه بقوله :
« فصل في ان جيل العرب في الحلقة طبيعي » ما
ترجمته « استخدم ابن خلدون في هذا الفصل وفي
الفصول التالية كلمة العرب بمعنى البدو » ويقول
في شرحه لكلمة العرب في معجم الالفاظ الملحق
بترجمته للمقدمة ما ترجمته : « ان العرب عند
ابن خلدون هم البدو الرحل » (3)

Les Arabes d'Ibn Khaldoun sont les Arabes nomades
وقد أشار كذلك الى هذا المعنى ضمنا لاصراحة
المؤرخ التركي جودت باشا الذي لم يترجم كلمة
« العرب » الى التركية بمعناها المتبادر الى ذهن
وانما ترجمها على انها « قبائل عرب » او « القبائل
العربية » فاضافة لفظ « قبائل » هنا يفيد ذلك المفهوم
البدوي لا الحضاري، وهو المفهوم الذي قصده ابن
خلدون .

ومع ذلك فقد وددنا لو استعمل ابن خلدون
كلمة « البدو » في هذا المقام ، وهي الكلمة
الصريحة فيما يقصده ، بدلا من كلمة « العرب »
التي تطلق احيانا على المعنى الذي يقصده (لان
الواقع انه لم يات بهذا المعنى من عنده ، بل
انه احد المعاني اللغوية القديمة للكلمة) ، ولكنها
في الغالب تطلق على الشعب العربي . واذن
لاتقى هذا اللبس ، ولما اتاح لاحد مجالا للاعتراض

أصل عربي ينتمي في الواقع الى ذلك الشعب
البربري الذي افتتح العرب بلاده بعد مقاومة
عنيفة وفرضوا عليه دينهم ولفتهم واضطروه بعد
طول النضال والمقاومة والانتفاض ان يندمج اخيرا
في الكتلة الاسلامية وان يخضع راغما لرياسة
العرب في افريقية واسبانيا حتى تحين الفرصة
لتحريره ونهوضه . والخصومة بين العرب والبربر
في افريقية واسبانيا شهيرة في التاريخ الاسلامي
وقد ورث البربر بغض العرب منذ بعيد . ونشا
ابن خلدون وترعرع في هذا المجتمع البربري
يضطرم بمشاعره وتقاليده وذكراياته ، ونشأت
فيه أسرته قبل ذلك بمائة عام ، ونعمت برعاية
الموحدين والبربر وتقلبت في نعمهم ، فليس غريبا
بعد ذلك ان نسمع منه اشد الاحكام واقساها على
العرب » (2) .

وقد رتب بعض هؤلاء على فهمهم غير الصحيح
لمدلول كلمة « العرب » في عبارات ابن خلدون
نتائج غريبة . فمن ذلك ما ذهب اليه بعضهم من
ان ابن خلدون يدين بالماذهب الشعوبي المعادي
للعرب وانه من الكافرين بالعروبة . ومن ذلك
ايضا ما يزعمه بعضهم من ان في تحامل ابن خلدون
على العرب دليلا على انه من أصل غير عربي ، وانه
على الرغم من ادعائه العروبة فان طبيعة دمه
تغلب عليه في تفكيره ، ومفاضلته بين الشعوب .
ومن الغريب ان يقع في هذا الخطأ باحثون من
العرب . حينما يسلم منه كثير من الفرنجة

(2) محمد عبد الله عنان ، ابن خلدون ، الطبعة الثانية - ص 12 ، 121
3) Vol. 3, p. 488

ولكننا لا نوافق الاستاذ محمد جميل بيهم فيما ذهب اليه بعد ذلك من انه من المحتمل ان يكون ابن خلدون قد قصد هذا الاتهام وتعمده تزلفا لاصحاب السلطان عند أهل المغرب من البربر ؛ لاننا لم نجد من استقراء كلام ابن خلدون واحواله ما يدل على تعمده هذا الغموض لغرض ما . هذا الى انه لم يأت من عنده بالمعنى الذى قصده من كلمة « العرب » فى الفصول السابق ذكرها ، بل انه احد المعانى اللغوية القديمة للكلمة كما ذكرنا ذلك من قبل (5) .

عليه . ومن ثم كان الاستاذ محمد جميل بيهم محقا اذ يقول : « لقد كان ابن خلدون جليا فى انه كان يذم البدو دون العرب ، وذلك بالفصول الاربعة التى جاءت تحت عنوان « فى العمران البدوى والامم المتوحشة والقبائل » ؛ كما كان واضحا فيما بعد انه كان يطرى العرب ويشيد بهم وبحضارتهم فى الاسلام وما قبله . ولكن مصدر الالتباس يرجع الى انه فى الحالتين استخدم كلمة « العرب » فترك المجال للشعوبيين لان يتجاوزوا قصد المؤلف الى التمسك بالكلمة دون المعنى ، والى اتخاذها حجة لهم فى التنديد بالعرب والحط من شأنهم » (4)

(4) محمد جميل بيهم : « العروبة والشعوبيات » ص 52 ، 54

(5) انظر فى هذا الموضوع بحثين قيعين : احدهما للمرحوم ساطع المصرى فى كتابه « دراسات عن ابن خلدون » ص 151 - 168 ؛ الآخر لصديقنا الاستاذ محمد عبد الفتى حسن فى عدد ما يو 1961 (المجلة) بعنوان : « ابن خلدون بين الشعابية والشعوبية والنصرى »



... ان الضيق الذى يشعر به الاوروبيون او الامريكيون اليوم فى بعض مرافق الحياة ، ويعانيه مسؤولو دولهما فى مجال الطاقة ، وهم الذين يعيشون فى بذخ ولا مبالاة وتجاهل للغير ، سيجعلهم يتساءلون عن السبب الحقيقي لكل هذا البلاء ، ويصورون قليلا ما يعانيه شعب بأكمله ، هو الشعب الفلسطينى ، لا فى مجال الحرمان المادى فحسب من حيث ضرورات المعيشة ، ولكن خاصة بسبب العذاب النفسى المتمثل فى تجريده من اكسير هذه الحياة نفسها الذى هو الحرية والكرامة ..

لقد ظلت النداءات الى الراى العام العالمى لمراعاة نكبة الشعب الفلسطينى بدون صدى ، والتلويح بل والتصريح باستعمال بعض الاسلحة العربية يثير على الشفاه ابتسامة التشكك ، بل والسخرية المرة ، والتهكم اللاذع ، ولم يسمع للامة العربية الا بعد ان بدأت تعطى اقوالها مضمونا فعليا ، وبدت قوتها مجسمة فى مجال الحياة الاقتصادية ومرافق الحياة الضرورية لكثير من بلدان العالم وبرز وجودها وكيانها فجأة على المسرح العالمى .

وكم كنا ننتظر - ولا نزال - ان تعيد اوروبا تقييمها لعلاقتها بالامة العربية ، لا على اساس اعتبارها منابع للطاقة وسوق استهلاك ، ولكن كمجموعة بشرية كبرى لها وجودها بحضارتها وقيمها وكرامتها وحقوقها فى الحياة عزيزة غيورة على هذه العزة والكرامة .

الرئيس بومدين فى اختتام مؤتمر القمة العربى السادس بالجزائر

حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر

تعد حركة التبشير من أخطر الحركات التي واجهها العالم الإسلامي في تاريخه الحديث والمعاصر ، وازداد خطرها عندما ارتبطت في القرن التاسع عشر بالنظم الاستعمارية التي فرضت على كثير من البلدان الإسلامية .

د. الحبيب الجنحاني
كلية الآداب
جامعة الجزائر

(+) هذا نص المحاضرة التي أقيمت في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد من ١٠ إلى ٢٢/٧/١٩٧٣ م بمدينة تيزي وزو بالجزائر .

أندريه جوليان يضطر في كتابه « تاريخ الجزائر المعاصرة » *Histoire de l'Algérie contemporaine* إلى التعرض في صفحات مقتضبة ويحذر واضح إلى دور الكردنزا ٧ فيجري بالرغم من أنه دور خطير في الفترة التي يعالجها الكتاب *

إن الباحث يستغرب من هذا الصمت ، خاصة حين يدرك أن الكنيسة كانت تمثل دعامة أساسية من دعائم السياسة الاستعمارية ، فهي ثلاثة الأثافي : الجندي الاستعماري والصليب ، والمعمر *

وقبل الحديث عن حركة التبشير في القرن التاسع عشر نتساءل كيف كان وضع الاقليات المسيحية في العالم الاسلامي قبل هذا العهد ، وما هو التحول الذي حدث في القرن التاسع عشر ؟ إن من المعروف أن الاقليات المسيحية في العالم الاسلامي في العصر الوسيط كانت تتمتع بحماية الدولة الاسلامية ، وبحرية ممارسة طقوسها الدينية ، خاضعة لمبادئ الشريعة الاسلامية في معاملة أهل الكتاب ، وهكذا كانت العلاقات بين المسيحية والاسلام علاقات طبيعية تتسم بروح التعايش والتفاهم ، وبروح التسامح الاسلامي ، وقد تغيرت طبيعة هذه العلاقات حين شنت أوروبا المسيحية حملاتها الصليبية ضد العالم الاسلامي (١٠٩٦ م - ١٢٧٠ م) *

وبعد انتهاء الحروب الصليبية ، وانتصار العالم الاسلامي أصبحت الاراضي المقدسة ، ومدينة القدس بالذات خاضعة لسيادة الدولة الاسلامية ، وهو الوضع الجديد الذي يطلق عليه مؤرخو الكنيسة « سقوط مملكة القدس اللاتينية تحت ضربات المسلمين » *

إن تاريخ حركة التبشير ، والمراحل التي مرت بها ، والاساليب التي استعملتها معروف من الناحية الدينية ، وتصدى كثير من المفكرين المسلمين ، ولا سيما في المشرق الاسلامي ، للرد على حملات التنصير ، والتهجم على الاسلام ، ولكن القضية التي سنحاول معالجتها هنا هي ارتباط حركة التبشير بالسياسة الاستعمارية ، وهي ظاهرة نجدها في جميع البلدان التي استعمرتها الدول الأوروبية ، تعترضنا في تاريخ الاستعمار في الشرق الاقصى ، وفي البلدان الافريقية جنوب الصحراء ، وفي أمريكا اللاتينية بالنسبة للاستعمار الاسباني والبرتغالي ، ولكننا سنقتصر في هذه الكلمة على المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر *

إن ارتباط الكنيسة بالاستعمار ما يزال في حاجة إلى دراسات علمية مركزة تعتمد خاصة وثائق الكنيسة من جهة ، ووثائق الادارة الاستعمارية من جهة أخرى ، وتدرس بدقة رد فعل المجتمع الاسلامي ضد حركات التبشير ، وما اتصل بها من اساليب تبشيرية مقنعة ، وتعوز الباحث الوثائق الكافية عن رد فعل البلدان الاسلامية نظرا للوضع الذي كان عليه العالم الاسلامي آنذاك ، وندرة النصوص الاصلية حول رد الفعل هذا *

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المؤرخين الاوروبيين الذين كتبوا عن تاريخ بلدان المغرب في القرنين التاسع عشر والعشرين لم يتحدثوا عن حركة التبشير ، ودور الكنيسة في تدعيم أسس النظام الاستعماري الفرنسي ، ونميل إلى أنه سكوت مقصود ، فنجد مثلا أحد المختصين الفرنسيين في تاريخ المغرب العربي الاستاذ شارل

الخاصة بل اتخذ بعض أمراء المغرب الأقصى / وتلمسان وبجاية وتونس حرسا خاصا من المسيحيين ، وسمحوا لهم بممارسة طقوسهم الدينية ، وقامت جمعيات مسيحية تألفت لشراء العبيد المسيحيين ، ولا سيما أولئك الذين أسروا أثناء الغزوات البحرية التي قامت بها سفن مغربية ضد القراصنة الأوروبيين ، بنشاطها بكل حرية .

ولكننا نلاحظ أن رد فعل المجتمع الاسلامي كان دائما عنيفا حين تجاوزت البعثات المسيحية حدود نشاطها بين الاقليات الأجنبية ، وقامت بحملات تبشيرية ، مهاجمة للاسلام .

فلما أرسل سان فرانسوا داسيس Saint-François d'Assise أنصار طريقته الجديدة Franciscaïns سنة ١٢١٩ الى تونس والمغرب الأقصى للقيام بالرسالة التي أوصاهم بها :

(التبشير بدين المسيح بدون خوف وتحمل جميع ألوان العذاب) ، ونزلوا في ميناء حلق الوادي مبشرين بالمسيحية ، مهاجمين الاسلام كاد أن يبطش بهم المسلمون ، فاحتجوا بالتجار المسيحيين المقيمين هناك .

ونرى أن المجتمع الاسلامي يقوم في هذه الحالات بالدفاع الذاتي دون اللجوء الى الحاكمين .

وأمام موقف المسلمين هذا ، وانتشار حركة القرصنة تقلص ظل الحركة التبشيرية في المغرب العربي قبل القرن التاسع عشر . وأشهر المبشرين الذين أرسلوا الى تونس ، ثم الجزائر في القرن التاسع عشر هو « جان لوفاشي » Jean le Vacher الذي قام بدور تمهيدى خطير لحركة التبشير في تونس أولا (من ١٦٥٠ م الى ١٦٦٨ م) ، ثم انتقل الى الجزائر ليقوم بنفس الدور .

وحاول العالم الاسلامي أن يطوى صفحة الماضي الاليم بالرغم من المآسى التي مر بها المجتمع الاسلامي أثناء الحملات الصليبية ، وسمح للاقليات بممارسة نشاطها التجارى، وأداء طقوسها الدينية .

ولكن الكنيسة لم تنس انتصار المسلمين ، واستعادتهم لبيت المقدس ، واضطرت بعد هزيمتها العسكرية أن تغير السياسة فحولتها من سياسة عسكرية الى سياسة دبلوماسية ، وخاصة بعد سقوط عاصمة البيزنطيين ، القسطنطينية تحت ضربات دولة اسلامية قوية آنذاك ، الدولة العثمانية .

وقد بدأ هذه السياسة الدبلوماسية فرانسوا الاول في اتفاقية سنة ١٥٣٥ م مع الباب العالي ، فاستقر رهبان يسوعيون فرنسيون في اسطنبول ابتداء من ١٥٨٣ م ، فعوض التسرب الفكرى والدينى ، والبعثات التبشيرية الحملات العسكرية .

وبالرغم من هذه الاتفاقيات فقد كانت الدولة الاسلامية ايام قوتها آنذاك بالمرصاد لمحاولات التبشير ، وكانت البعثات الدينية تقصر نشاطها بين افراد الجاليات المسيحية المقيمة في كثير من المدن الاسلامية ، وخاصة الساحلية منها ، لأنها كانت تمارس التصدير والتوريد بالخصوص في نشاطها التجارى .

فقد كانت تعيش في كثير من المدن المغربية اقليات مسيحية تحترف التجارة وتمارس طقوسها الدينية بكل حرية ، فنجد اقليات في طنجة ، وتبسة ، ووهران ، وتلمسان والجزائر ، وبجاية ، وعناية ، وتونس ، والمهدية ، وصفاقس ، وقابس ، وجربة ، وطرابلس ، وكانت لهم كنائسهم ومقابرهم

الجزائرية حيث نجد الحركات الدينية الرجعية تستند على ذلك الأساس النظرى لتبرير موقفها فى مناصرة سياسة القمع التى اتبعتها الادارة الاستعمارية ضد الشعب الجزائرى المجاهد (١) .

ويتلخص هذا الأساس النظرى فى أن العالم قد خلق لجميع الناس ، ولا يستطيع أى شخص أن يضع العراقيل أمام بلوغ الانسان ثروات العالم حيثما كانت . ان الانجيل يأمر قائلا : « اذهبوا وعلّموا جميع الامم » ، ولا يمكن لأى شخص أن يعرقل الدعوة التبشيرية بدين المسيح .

فقد أصبح حق التبشير ، اذن ، وحق الاستعمار ، والاستيلاء على ثروات الشعوب الاخرى حقا واحدا ، وهو بالتالى حق استعمال العنف ضد كل شعب يدافع عن أرضه ، وثرواته ، وعقيدته .

وقد اشرفت البابوية نفسها على تقسيم المستعمرات فى البداية ، فلما نشب الخلاف بين البرتغال واسبانيا حول التجارة الافريقية أعلن البابا نيقولا الخامس عن حق البرتغال فى احتلال الاراضى الافريقية الى غينيا ، وما بعدها ، وحرّم على بقية المسيحيين ممارسة التجارة فى هذه المناطق مهددا اياهم بالطرد من الكنيسة .

ولما برزت اسبانيا كقوة بحرية كبرى بعد اكتشافات (كريستوف كولومب) قسم البابا الكسندر يوم ٤ ماي ١٤٩٣ م مناطق النفوذ فى العالم بين اسبانيا والبرتغال . ولا مناص هنا من توضيح ثلاث نقاط :

أولا - قد يتساءل أحد المستمعين قائلا : ولكن الكنيسة نددت ببعض حركات القمع التى قامت بها النظم الاستعمارية ضد الشعوب المستعمرة ؟

ولكن الوضع يتغير جذريا مع بداية القرن التاسع عشر فالدولة العثمانية تنتقل من حالة ضعف عسكري ، وتقهقر أمام الجيوش الأوروبية ، وحالة ركود اقتصادية ، وتعفن نظام الحكم المطلق القهرى الى حالة أزمة خانقة جعلت حالة الرجل المريض تزداد سوءا من فترة لأخرى ، ويصبح عاجزا عن الوقوف أمام التوسع الاستعماري الأوروبي . ان الاحتلال الرسمى لكثير من اجزاء

العالم الاسلامى لم يسبقه تسرب اقتصادى ، ونفوذ سياسى فحسب بل مهد اليه تسرب دينى تبشيري ويكفى أن نذكر هنا بالاتفاقيات التى فرضتها الدول الأوروبية على الباب العالي ، والتى تنص على الحقوق التجارية والسياسية للدول الأوروبية ، وعلى الحريات الدينية للأقليات الأوروبية الخاضعة للدولة العثمانية ، وما أدى اليه ذلك من نظام الامتيازات ، الشهير ، ونذكر ايضا بقضية الاراضى المقدسة ، واستغلالها من طرف الدول الأوروبية لفرض سيطرتها على العالم الاسلامى ، وتعديتها للحروب الدينية والطائفية فى بلاد الشام بالخصوص .

فلا غرابة - اذن - أن نجد الكنيسة تسير فى مقدمة الزحف الاستعماري الفرنسى على اقطار المغرب العربى ، وجعل احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ حركة التبشير فى المغرب تدخل عهدا جديدا .

وتستعمل الكنيسة فى تبريرها لمناصرتها للسياسة الاستعمارية ذلك الأساس النظرى الذى استند اليه مفكروها فى اثبات حق الاستعمار ، وربطه بحق التبشير ، وقد شرّحه العالم الدينى الاسبانى « فرانسوا دوفيتوريا François de Vittoria » وبقى مفكرو الكنيسة يعتمدون الى الثورة

كتب من سوريا يوم 30 نوفمبر 1837 يشير الى هذا التناقض بين سياسة الحكومة الفرنسية اللايكية في فرنسا مساندتها الواضحة لحركات التبشير في المشرق الاسلامي ، ولكن اعترافه بنتائج هذه المساندة لدى الاقليات المسيحية في المشرق ، وانتصاب العلم الفرنسي مرفرفا فوق الكنائس هنالك يكشف عن اهداف هذه السياسة رغم ما يبدو عليها من تناقض (2) *

ان سياسة الدولة الفرنسية تجاه الكنيسة في المستعمرات لا يدع مجالا للشك في اعتماد السياسة الاستعمارية الفرنسية على الكنيسة ورجالها . وقد قبلت الكنيسة هذا الدور بالرغم من موقف الدولة تجاهها في فرنسا نفسها لانه يمكنها من تنفيذ اهدافها السياسية والدينية التي تتحد مع اهداف النظام الاستعماري *

وقد اتسمت علاقات حركات التبشير بالنظام الاستعماري الفرنسي في بلاد المغرب بطابع التعاون الوطيد ، ورأت في احتلال الجزائر عسكريا فتحا مسيحيا وبداية اعادة امجاد الماضي وتحقيق الحلم القديم حلم افريقيا المسيحية ، ومن الاعمال الاولى التي قامت بها الكنيسة بعد انتصابها تحت حماية الجيش الفرنسي فوق ارض الجزائر العربية المسلمة محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الافريقية ، والعودة الى العهدين الروماني والبيزنطي لتعطي لرسالتها التبشيرية الجديدة اسسا تاريخية تعود الى قرون بعيدة وتري في الفتح الاسلامي وانتشار الاسلام في ارض المغرب العربي غلطة لا تعترف جعلت الدور التبشيري الجديد تفصله عن الكنيسة الرومانية قرون طويلة من الصعب طمسها بسهولة *

قد وقع التنديد فعلا في بعض الحالات ولكن لا بد ان نعرف انه صدر عن بعض رجال الكنيسة ، او عن ممثليها المحليين ، ولكن ليس عن الكنيسة كمنظمة ، وهذه المواقف النادرة نددت بعمل معين دون ان تدن النظام الاستعماري نفسه *

ثانيا - ان الكنيسة قد غيرت اساليب سياستها التبشيرية في القرن التاسع عشر نتيجة تجربة طويلة امتدت من نهاية الحروب الصليبية الى القرن التاسع عشر ، فأصبحت لا تدعو مباشرة الى اعتناق المسيحية ، وخاصة في المجتمع الاسلامي ، ولا تهاجم الاديان الاخرى ، ومن المعروف ان هذه السياسة القديمة تسببت لها في مشاكل معقدة بل ركزت جهودها على ميدانين اساسيين : « الاعمال الخيرية » من انشاء المستشفيات ، ومأوى لليتامى والعجز ، وارتفع شعار « الطب في خدمة التبشير » من جهة ، وانشاء المدارس من جهة اخرى *

وهكذا عملت الكنيسة على تدعيم ثقافة المستعمر ، ومحاولة طمس الثقافة الوطنية ، امله ان تصل عن طريق التسرب الفكري الى التسرب العقائدي *

ثالثا - ان هذه النقطة الثالثة تتصل بتعاون الكنيسة الفرنسية مع النظام الاستعماري الفرنسي في بلدان المغرب العربي ، لانه يبدو ان هنالك تناقضا بين مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وسياسة الحكومة اللايكية في فرنسا نفسها والتعاون المتين بين الكنيسة والادارة الاستعمارية في المستعمرات الفرنسية ، وهو التناقض الذي لاحظته مستشرق فرنسي شاب أصبح فيما بعد من كبار البشريين « أوجان بور » Eugène Bore حيث

وقد طبق بورغاد أساليب التبشير الجديدة فأسس مدرسة ، ومعهد سان لويس ، ومستشفى ، ومطبعة حجرية ، (٥) وألف كتباً بطريقة الحوار البسيط حول قضايا الأديان ليصل في نهاية الحوار إلى تفضيل المسيحية على الإسلام ، وضرورة اعتناقها .

وقد أسس سنة ١٨٤٧ م « جمعية سان لويس أو حملة صليبية سلمية هدفها نشر الحضارة المسيحية بين المسلمين بواسطة مؤلفات مكتوبة في لغتهم ، أو مترجمة إليها » .

وأشهر مؤلفاته « مسامرة قرطاجنة » ، وقد طبع بالفرنسية أولاً في باريس سنة ١٨٤٧ م ، ثم ترجمه مع أحد تلامذة معهد سان لويس سليمان الحراري (١٨٢٤ م - ١٨٧٧ م) وطبع في مطبعة الحجرية في تونس سنة ١٨٥٠ م ، وقد طبع بالعنوان التالي « مسامرة قرطاجنة ، محادثات بين مفت وقاض وراهب نصراني » ، ثم ألف كتاب « مفتاح القرآن » ، وكتاباً ثالثاً بعنوان « المرور من القرآن إلى الانجيل » .

ولا نريد هنا أن نسهب الحديث عن أعمال الكاهن بورغاد التبشيرية ، ولكننا نريد الإشارة إلى أنه استطاع أن يقوم بهذا النشاط التبشيري في تونس ، وهي لم تستعمر بعد ، وذلك نتيجة النفوذ الأوروبي ، وتأثير احتلال الجزائر على الأوضاع في تونس وكان عمله يهدف إلى تمهيد احتلال البلاد التونسية ، فقد سعى جاهداً إلى بيان فضل الانجيل على القرآن ، وإلى خدمة أهداف الاستعمار الفرنسي ، ونجده في المحاور الأولى من كتابه « مفتاح القرآن » يحصر في الحوار شخصية جزائرية يلقبها « بالدريبي » ليخصص فصلاً طويلاً عن « مشاريع الحكومة

ومن أبرز الرهبان الذين كرسوا جهودهم لكتابة تاريخ الكنيسة الأفريقية الراهب (ج مسناج) Jean Meunage (3).

وقد وردت عليه رسائل الشكر والتمجيد من رجال الكنيسة بمناسبة صدور كتابه « المسيحية في إفريقيا » ، كتب إليه الأسقف « قوتي » Gottl قائلاً : « اهنئكم على دراستكم الجديدة الهادفة إلى إلقاء أضواء على أمجاد الحضارة المسيحية في إفريقيا الرومانية » ، وكتب إليه « بيار فرنان » Pierre Firnane أسقف وهران يقول : « ... ولا بد من الإشارة إلى الفعلين ٤ و ٥ حول توسع دعاية التبشير في هذا البلد الذي أصبح بلدنا ! !

ونشطت الكنيسة اثر احتلال الجزائر في تنظيم هياكلها في الجزائر ، وبعث جمعيات تبشيرية ، فبعث القساوسة جمعية المبشرين وحاء قانون الأبرشة الصادر سنة ١٧٤٩ يتص في أحد بنوده على ما يلي :

« لا يتسى الرهبان رسالتهم الأصلية لدى الأهالي ، أي تنصيرهم عندما تحين الفرصة ، ولذا يجب عليهم تعلم العربية ، والقرآن ، ودراسة عادات الأهالي وتقاليدهم حتى يتمكنوا من إطلاعهم على الجانب الفالط والأخلاقي في عقيدتهم » (٤) .

وأول من تزعم حركة التبشير في الجزائر ، ثم تونس في القرن التاسع عشر ، وقام بدور كبير هو الكاهن فرانسوا بورغاد (١٨٠٦ - ١٨٦٦) (٥) ، فقد برز دوره ، في تونس بعد قدومه إليها من الجزائر سنة ١٨٤٠ مرافقاً « لآخوات الصفاء الساعيات في مصالح الفقراء والمرضى ابتغاء مرضاة الله » ، وقد غادرن الجزائر متوجهات إلى تونس بعد خلا فهن مع أسقف الجزائر .

وقد ارتبط تعيينه من طرف الماريشال ماك ماهون ، حاكم الجزائر العام ، أسقفا في الجزائر بأسطورة رؤيا سبقت هذا التعيين رأى فيها رسالة الالهية للقيام بعمل مسيحي جبار في هذه القارة الافريقية التي يجب ان يعاد لها مجدها المسيحي الروماني قبل كل شيء ! !

ولما وطلت قدماء لأول مرة الارض الجزائرية في ١٥ ماي ١٨٦٧ م كان يؤمن :

اولا - ان الجزائر هي نقطة الانطلاق التي ستتسرب منها حركة التبشير الى افريقيا كلها .
ثانيا - ان نشر المسيحية ركن اساسي في البناء الاستعماري الذي تنشده فرنسا ، فالكنيسة وفرنسا متحدان لحياء أمجاد الماضي ، فقد كتب الى رهبان الجزائر يوم ٥ ماي ١٨٦٧ قائلا : « سأتبكم ، اخواني الاعزاء ، في ساعة مشهورة في تاريخ افريقيا المسيحية ... الكنيسة وفرنسا متحدان لحياء أمجاد الماضي » .

ثالثا - أنه جاء لحياء الماضي المجيد ، فهو الوارث لكرسي القديس سيبريان فهو يقول : « وكنيسة تونس هي كنيسة قرطاج الا ان قرطاج ... هي مهد المسيحية في افريقيا وفيها كرسى الجائليق المشرف على سبعمئة كنيسة اسقفية وهي مدينة العديد من الشهداء والعلماء والمعرفين والعذراء المقدسات ، هي مدينة ترتيليان ، وسيبريان ، وفولجانس ، وفيليسيبي ، وبرييتو ، ومدينة تلك المجامع الشهيرة التي كانت مدة طويلة نور العالم المسيحي » (٨) .

وهذا الدور التبشيري سوف لا يقتصر على انقاذ الشعب الجزائري وادماجه في فرنسا بعد تنصيره كما يقول بنفسه : « واذا وقعت المواظبة على هذا المشروع (مشروع تربية الاطفال) ...

الفرنسية الراحمة الى تحسين حالة الاهالي في الجزائر » وليشنع على الامير عبد القادر وأنصاره ، ان « أن سلوكه في افريقيا يضر مصالح العرب ودين القرآن أكثر مما ينفعها » (٦) .

وتأتى ثورة ١٨٤٨ فتضطرب الاحوال في فرنسا ، ويغادر تونس بعد ذلك ليوصل نشاطه في باريس ، وقبل أن يموت مسنا تعترف الدولة الفرنسية بدوره في خدمة السياسة الفرنسية في أقطار المغرب فتقلده وسام الشرف الفرنسي .

عاشت السياسة التبشيرية في المغرب منعرجا جديدا على يد شخصية بارزة ركزت جهودها لتدعيم الكنيسة والنظام الاستعماري في كل من الجزائر وتونس سنوات طويلة ، ونعنى هنا شخصية الكاردينال لافيغري (١٨٢٥ م - ١٨٩٢) (٧) فقد كان أول اتصاله بالعالم الاسلامي ، وبنصاري الشرق الاسلامي سنة ١٨٦٠ م حين زار بلاد الشام ، وحمل الى المسيحيين هناك اعانة جمعت في أوروبا لمساعدة المسيحيين الذين اضطهدهم الدروز في الحرب الطائفية التي اندلعت بين الدروز والمسيحيين ، والتي أثارها الدول الأوروبية نفسها فبرز تدخلها في شؤون الباب العالي ، وآمن آنذاك ان الاسلام أخطر اعداء المسيحية ، ولذا يجب العمل على القضاء عليه ، وتخليص معتنقيه من شروره ، وادخالهم في احضان المسيحية ، ويعود من المشرق الى باريس مارا بالباب في الفاتيكان فيحرضه على مساندة حركات التبشير في العالم الاسلامي ، ولقت انتباهه الى اهمية الموضوع ، وفي باريس تعترف الحكومة الفرنسية بدوره في خدمة السياسة الفرنسية في العالم الاسلامي فتستد اليه ، اعترافا بالجميل ، وسام الشرف الفرنسي في ٨/٢/١٨٦٦ م .

فهو يقول في رسالته الشهيرة الموجهة الى رهبان الجزائر: « اننى سميت لتحقيق الفتح معكم ، ولجعل الارض الجزائرية مهدا لامة عظيمة سخية ، مسيحية ، فرنسا أخرى ».

وفي كلمة واحدة : نشر من حولنا الانوار الحقيقية يكون فيها الانجيل المنيع والقانون ، وحمل هذه الانوار الى ما وراء الصحراء ، الى قلب هذه القارة الكبرى السايحة في الوحشية ، الى ريف افريقيا الشمالية وافريقيا الوسطى بحياة الشعوب المسيحية ، ذلك هو المصير الذى اختاره لنا الاله (١١) وقد ادى تعصبه لسياسة التبشير ، وادماج الشعب الجزائرى فى الشعب الفرنسى عن طريق التنصير الى ظهور خلاف بينه وبين المسؤولين العسكريين فى الجزائر ، وفى مقدمتهم المارشال « ماك ماهون » لانه اراد أن يبيث المبشرين بين القبائل الخاضعة للسلطة العسكرية التى تخشى رد الفعل ، واندلاع ثورات جديدة ، ولكن الكردينال لافيغرى يريد أن يحمى الجيش الفرنسى حركات التبشير ، ويشن حملة ضد سياسة الحكومة الرسمية الهادفة آنذاك الى بعث مملكة عربية داخل الامبراطورية الفرنسية، ويقول : ان القضية ليست قضية بعث مملكة عربية بل هى قضية ادماج عن طريق التنصير ، ويصبح لافيغرى يمثل سلطة الكنيسة فى الجزائر التى فاقت السلطة السياسية والعسكرية ، وبالرغم من معارضة « ماك ماهون » لسياسة الكردينال التبشيرية المفضوحة ، وتهجمه على الاسلام – وقد خشى المارشال أن يؤدى الى حرب دينية – وبالرغم من تحفظ الامبراطور نابليون الثالث ، وقد نصح الكردينال بسلوك سياسة لبقة وحذرة فى هذا الميدان ، فإن الكردينال يواصل سياسته التبشيرية

فستكون لنا بعد بضع سنوات مشتلة من العمال النافعين المؤيدين لاستعمارنا الفرنسى والاصدقاء له ، ولنقلها بوضوح : من العرب المسيحيين ، أن هؤلاء الاطفال المساكين الجاهلين غاية الجهل بكل شىء سواء بأمور دينهم ، أو بغيرها ، ليس لهم حتى من هذه الوجهة أى رأى مسبق وأى نقور منا ، ولا أشك فى أن الكثير منهم متى استفادوا من اقوالنا سيطلبون بانفسهم يوماً ما التعميد ».

وسيكون ذلك بداية تجدد هذا الشعب ، وهذا الادماج الحقيقى الذى يبحث عنه لكن بدون طائل لان البحث عنه قد كان الى حد الآن مع القرآن ، وستكون مع القرآن بعد ألف سنة كما نحن اليوم كلابا من المسيحيين وسيكون ذبحنا والقائنا فى البحر عملا مقدسا يثاب عليه صاحبه ٠٠٠ يجب انقاذ هذا الشعب ، ينبغى الاعراض عن اخطاء الماضى لا بد من الكف عن حصره فى قرآنه كما وقع ذلك فى مدة طالت اكثر من اللازم وكما يراد فعله الآن بواسطة مملكة عربية مزعومة ، يجب أن نلهمه ، عن طريق ابنائه على الاقل ، احساسى أخرى ومبادئ أخرى ، وينبغى أن تقدم له فرنسا ، بل انا مخطيء ، تسمح بأن تقدم له مبادئ الانجيل باشراكه أخيرا فى حياتنا ، أو أن تطرده فى الصحارى ، بعيدا عن العالم المتمدن (٩) المسيحية – اذن – أو التشريد فى الصحارى ، قد اشرنا الى أن الدور التبشيرى سوف لا يقتصر على انتقاد الشعب الجزائرى فحسب ، بل يجب أن يعبر الصحراء ، ويشمل شعوب افريقيا الوسطى بعد أن « أصبحت الجزائر المسيحية بسرعة حقيقة حية » فى نظر لافيغرى ، وقد أرسل دعائه فعلا يبشرون بالمسيحية بين شعوب افريقيا الوسطى (١٠) .

- لم فارقتهما ؟
- قالت لي : نفذ الخير هنا ، اذهب الى قرى المسيحيين ، فأتيت *
- ماذا فعلت في الطريق ؟
- أكلت العشب ، أسير نهارا في المروج ، وفي الليل اختفى في الحفر حتى لا يختطفني العرب ، فقد قيل لي : انهم يقتلون الاطفال ، ويأكلونهم *
- والآن ، أين ستذهب ؟
- لا أعرف *
- هل تريد أن تذهب الى شيخ زاوية عربي ؟
- لا ، أبدا ، فلما ذهبت الى هؤلاء الشيوخ أطرودوني ، فإذا لم اذهب بسرعة أطلقوا على كلابهم *
- هل تريد أن تبقى معي ؟
- نعم ، بكل سرور أريد ذلك *
- إذن تعال الى دار اطفالي ، سأعاملك مثلهم ، وستسمى مثلي « شارل » *
- ويصبح شارل عمر هذا مسيحيا - حسب هذه القصة - ويتزوج مسيحية ، ويقول له الاسقف بعد مدة :
- هل تريد الرجوع الى أمك ؟
- لا ، لا أريد
- لماذا ؟
- لأنني وجدت أبا أحسن من والدتي !
- وهكذا يصل لافيغري الى بيت القصيد ، فينهى أسطوره في سرور واطمئنان *
- وقد اختار لافيغري منطقة القبائل الكبرى بصفة خاصة لتطبيق خطته التبشيرية ، ولذا ليس

ويستغل الكردينال انتشار المجاعة سنة ١٨٦٨ م فينشئ « ماوى للارامل واليتامى في سهول وادي شلف يريد ان تتحول الى «قرى عربية مسيحية» ويرسل رجال طريقته الجديدة ، « جمعية مبشرى افريقيا » المعروفة « بالاباء البيض » لجمع الاطفال الايتام ، ليوزع عليهم الخبز أولا ، ثم لينصرهم فيما بعد وقد اتهمه ماك ماهون نفسه بأنه « يريد أن يدفع أولئك العرب المساكين ثمن الخبز الذي يوزعه عليهم بالتضحية بدينهم » ، وحاول عبثا أن ينفذ هذه التهمة ، لأن سلوكه يصدقها ، فقد جمع ١٧٥٣ یتيما وأراد تنشئتهم في القرى التي أنشأها ، ولما طلب منه اعادتهم لاسرهم بعد المجاعة رفض ذلك رفضا باتا ، وقال : « لا يمكن أخذهم من مآويهم الا بالقوة » *

ولم يتورع الكردينال من اختلاف قصص خيالية ليعين نتائج تنشئه لاطفال مسلمين ، فرجال الكنيسة الذين ارخوا لحياة لافيغري يذكرون قصته مع « شارل عمر بن سعيد » بكل فخر ، واسمحوا لي ان اقصها عليكم كما وردت في كتاب الراهب « بونارد » Bounard عن لافيغري (ج ١ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٤) *

التقى لافيغري نفسه يوما من أيام سنة ١٨٦٧ م مع شاب في سن العاشرة تقريبا ، فجرت المحادثة التالية : بين الكردينال وبين الشاب الجزائري الذي اصبح يعرف باسم « شارل عمر بن سعيد » *

- من اين أنت قادم يا بني ؟
- من الجبل ، بعيدا ، بعيدا
- وأبوك ، اين هما ؟
- ابي توفي ، وأمي في كوخها *

فرنسا الدينية « على تونس ، وكان دليل « قامبنا »
« وجول فيري » فى وضع خطة احتلال البلاد
التونسية ، فقد كتب : « لويس بارتورو »
Louis Bertraud بمناسبة مرور قرن على ميلاد
لافيجى سنة ١٩٣٥ يقول : « لو لم يقم الا بتهيئة
انتصاب حمايتنا على تونس ، تلك الحماية التى
كان يمكن عقدها قبل الاوان الذى عقدت فيه
لواستمع اليه ، وبأقل مما كلفتنا من الرجال
والاموال بكثير لاستحق كل اعتراف بالجميل من
الوطن الام ٠٠٠ » (١٣) .

ان احتلال تونس مرتبط لدى الكنيسة ،
وبالخصوص فى ذهن ممثلها الاول فى افريقيا
الكردينال لافيجى يبعث مجد قرطاج الرومانى ،
وإمتابعة أهداف الحملة الصليبية التى قادها
ملك فرنسا « سان لويس » ضد الشعب التونسى
العربى المسلم .

فقد فرض قنصل فرنسا فى تونس « ماتيو
دوليسبس » Mathieu de Lesseps بعد اسابيع قليلة
من احتلال الجزائر على باى تونس معاهدة (فى
٨ أوت ١٨٣٠) ينص فصل سرى منها على التنازل
الابدئى لفائدة فرنسا عن ربوة ببرزى بقرطاج
لانشاء معبد تخليدا للذكرى سان لويس المتوفى فى
ذلك المكان اثناء الحملة الصليبية (١٢٧٠ م) .

ونجد لافيجى يهتم بمجد قرطاج المسيحى
الرومانى ، وبانشاء كنيسة لسان لويس بعد
تسميته اسقفا فى الجزائر وتونس معا ، وقبل
احتلال البلاد التونسية رسميا بسنوات طويلة .

وقد واصل الاستعمار الفرنسى تدعيم الكنيسة
فى سياسة التبشير والتنصير فى بلدان المغرب العربى
فى القرن العشرين ، وأصبح له المجال فسيحا فى
المغرب الاقصى ابتداء من سنة ١٩٠٧ بالخصوص

من الحدى التاريخى القول : ان أحد العوامل
الرئيسية فى اندلاع الثورة الشعبية فوق هذه
الارض المجاهدة ، الثورة المعروفة بثورة المقراني
(١٨٧٠ - ١٨٧١ م) يعود الى رد فعل السكان
ضد سياسة التنصير هذه ، واستغلال مجاعة سنة
١٨٦٨م فجمع الارامل واليتامى فى قرى لافيجى
المسيحية ، خاصة اذا ذكرنا هنا سياسته الرامية
الى بث الشقاق بين العرب والبربر ، وقد بدأ
أحد أتباعه الراهب « كروزات Creuzat » يعمل
فى هذا الاتجاه ، ولكن سياسته باءت بالفشل
الذريع حيث يعترف الكولونال « هانوتو Hanoteau »
فى تقاريره باضطراب الوضع فى المناطق التى
نشط فيها الراهب ، وبرد فعل السكان ، الامر
الذى أدى الى قلق السلط العسكرية ، وخشيتهما
من الانتفاضات .

وهنا نتساءل : هل يستطيع ان يقوم لافيجى
بكل هذا النشاط لولا ذلك التعاون المتين بين
الكنيسة والادارة الاستعمارية ، فقد اشرنا الى أنه
ربط دائما بين التنصير وسياسة الاندماج والاحتلال
النهائى للجزائر ، فقد كتب يتحدث عن القرية التى
جمع فيها عددا من اليتامى الذين نصرهم قائلا :
« ان ما نريده هو خاصة ضرب مثل ، وفعلنا نريد
أن نبين ما يمكن أن يرجى يوما ما من هذا الجنس
الافريقى الذى هوى الى الحضيض بانشاء قرية
عربية فى ظل الصليب ، ولو كان ذلك فى ظروف
غير ملائمة فان ما يعترض احتلالنا النهائى
للجزائر هو فى الواقع مسألة دين كما قلناه
مرارا » (١٢) .

ومن المعروف ان دور لافيجى التبشيري
الاستعماري تجاوز الجزائر ، وبلغ افريقيا كما
أشرنا ، وهو الذى رفع شعار « انتصاب حماية

الاسلامية، والوطن، بل نجد كثيرا من الانتفاضات انطلقت من مبدأ الجهاد في سبيل الاسلام، والذود عن حماه، وقد اشرنا سلفا الى الاتصال المتين بين سياسة لافيجري التبشيرية وانشائه للقرى المسيحية وتنصيره لليتامى وبين اندلاع ثورة المقراني الشعبية فوق هذه الجبال الصامدة البطلة.

وبعد هذه اللمحة عن السياسة التبشيرية أولا - ما هي النتائج التي حققتها هذه السياسة الاستعمارية يتسائل المرء عن نقطين :

التبشيرية ؟

النتائج معروفة ، انه الفشل الذريع ، وأبلغ حجة قاطعة على ذلك ثورة المجاهدين الجزائريين الابطال ، وكفاح شعوب المغرب العربي في الذود عن شخصيتها الاسلامية العربية ، هذا النضال الذي توج باستقلال الجزائر العربية المسلمة ، وثورتها الزراعية والاقتصادية اليوم ، وهي تهدف الى تحقيق الدعامة الثورية الثالثة .

الثورة الثقافية التي لا يمكن الا ان تكون ابرازا وصقلا لمعالم الشخصية الوطنية العربية المسلمة ليس فقط للشعب الجزائري المجاهد بل لجميع شعوب المغرب العربي التي كانت خاضعة بالامس القريب لنفس النظام الاستعماري ، وميدانا لتطبيق سياسة الكنيسة التبشيرية .

ونذكر دليلا آخر اعترف به المستشرق الفرنسي الاستاذ « جاك بارك » ، وهو أن عدد الجزائريين الذين اعتنقوا المسيحية في عهد لافيجري لم يبلغ الالف رغم الوسائل الكبرى التي سخرها ، ورغم مساندة النظام الاستعماري ، واستغلال لافيجري لانتشار المجاعة والايئة في سبيل تحقيق خطته (١٤) .

ثم جاء فرض الحماية على الشعب المغربي سنة ١٩١٢ مقترنا بتطبيق سياسة لافيجري التبشيرية التي بدأها بين قرى هذه الارض المجاهدة التي تجتمع اليوم فوق أديمها .

وقد حاولت الكنيسة والاستعمار بث روح الشقاق بين العرب والبربر في المغرب الأقصى .

وما الظهير البربري في المغرب الأقصى ، وسياسة التجنيس في تونس ، ثم انعقاد المؤتمر الافخارستي سنة ١٩٣٠ الذي جمع أكثر من سبعمائة راهب من جميع انحاء العالم تحت خيام حملة صليبية جديدة نصبت فوق ربوة ببرصا بقرطاج ، وقرب قبر سان لويس ، وما احتوى عليه برنامج المؤتمر من مسيرة صليبية في شوارع تونس تحت حماية الجيش الاستعماري احتفالا بمرور قرن على احتلال الجزائر ، ونصف قرن على احتلال تونس ، ما ذلك كله الا مظهرا بينا لمواصلة سياسة التنصير في القرن العشرين ، وارتباطها بأهداف السياسة الاستعمارية في ادماج ، والقضاء على معالم الشخصية الوطنية العربية الاسلامية لشعوب المغرب العربي .

أردنا بهذه الاشارة الخاطفة الى ربط حركة التبشير في القرن التاسع عشر ، وهو موضوع كلمتنا ، بمحاولات التبشير والتنصير في القرن العشرين ، وهي محاولات تخضع لنفس الخطة وتخدم نفس الاهداف، وان تباينت الاساليب في بعض الاحيان ونؤكد من جديد على ظاهرة الترابط الوثيق بين السياسة الاستعمارية والكنيسة من جهة ، وعلى فهم الحركات الوطنية المغربية لذلك الترابط ، ولذا اصبحت مقاومة الاستعمار هي في نفس الوقت مقاومة لسياسة الكنيسة التبشيرية ، وجهاد في سبيل العقيدة

الهجرة الى المغرب في العصور القديمة

عرفت افريقية الشمالية عند اليونان باسم ليبيا . والمؤرخون الاغريق وفي مقدمتهم هيرودوت Herodote وسيلاكس Syllax واسترابون Strabon يذكرون سكان افريقية الشمالية باسم الليبيين . وهذه التسمية هي التي يستعملها هو ميروس ايضا في الاوديسة . وقد ذهب بعض الباحثين الى ان كلمة « ليبيا » ، مشتقة من الكلمة الاغريقية "Libia" التي كانت تطلق على الريح الجنوبية الغربية . على ان البعض الآخر ، وفي مقدمتهم دوبرا Duprat يلاحظ ان الاولى ان تكون هذه الريح هي التي اخذت اسمها من ليبيا ، لا العكس - تماما كما كان الرومان يسمون هذه الريح نفسها بالريح الافريقية .

ولكن اعتقاد بعض المؤرخين المحدثين بان هذه التسمية اغريقية ، يرجع الى انهم لم يجدوها في مصادر اقدم من المصادر الاغريقية . وهذا لا يمنع من ان يكون الاغريق قد اخذوها بدورهم عن قدماء المصريين ، أو الفنيقيين ، مثلا .

وكذلك يوجد رأى يقول بان « ليبيا » ليست تسمية «توغرافية» ، وانما هي وصف كان يطلق على طبيعة الارض وجو البلاد المجاورة لمصر من الناحية الغربية .

وعلى كل حال ، فان اول اتصال بين افريقية الشمالية (أو ليبيا) بالبلاد الواقعة على شواطئ بحر ايجية ، هو الذي يقدمه لنا هو ميروس في الاوديسة . فبعد انتهاء حروب طروادة وسقوط هذه المدينة الجلييلة طعمة للنيران والخراب ، قفل معظم الاغريقين الى منازلهم . ولكن يوليس ،

ملك ايثاكة ، ومعه بعض ابطال هذه الحرب المضنية التي دامت عشر سنوات ، ألوا على انفسهم الا يعودوا الى احضان الحياة المنزلية الا بعد عشر سنوات من التجوال والمغامرات التي افضت بهم الى اعمدة هرقل (جبل طارق) .

وكذلك ترىنا اسطورة جوموس Goumous شيخ التسلايين وهو يلقي عصا الترحال في ليبيا ، كما تخبرنا اسطورة أخرى بنزول للكريميين Les Locrémiens في مدينة بنتبيول - ببرقه .

ويروى هودوت الذي عاش في القرن الخامس قبل المسيح ، ان الماكسيس Les Maxyes الذين كانوا يعيشون ، حسب هذا المؤلف ، غربي نهر تريطون Trilon - أي على شواطئ تونس الشرقية - ينتسبون الى الطرواديين .

وذكر ديودور الصقلي Diodore de Sicile الذي عاش في القرن الاول للمسيح ، ان الاغريقين قد بنوا اثر عودتهم من حرب طرواده مدينة عظيمة اسمها ميشالن وان هذه المدينة سقطت في يد احد قواد أجاثوكل Agathocle السيرا قوسي ، عدو القرطاجنيين المعروف . ويحدد بعض العلماء موقع هذه المدينة في الشمال الغربي لتونس غير بعيد من حدود الجزائر الشمالية الشرقية .

ومن جهة أخرى ، فقد دلت بعض الدراسات الحديثة على وجود عدد كبير من الكلمات البربرية المشتقة من أصول اغريقية . وقد اتخذ العالم الفرنسي برثلون Bertholon ، أحد الباحثين الذين تعمقوا في درس هذا الموضوع ، من ذلك شاهدا على وجود أكثر من هجرة واحدة آتية من شواطئ بحر ايجية الى افريقية الشمالية ، في غضون الالف الثانية قبل الميلاد . بيد ان محاولات برثلون التي

تستهدف إبراز التقارب بين اللغة البربرية واللغة
عغربية لوحظ عليها شيء من الغلو ، ومن ثم
عان بعض علماء اللغات لا يوافقونه على جميع
النتائج التي استخلصها .

ولكنه اذا كانت هذه الاساطير والروايات
التاريخية لا تثبت على وجه القطع وجود هجرة
من شواطئ بحر ايجيه وجزره ، الى شمال
افريقية ، فنحن ، في مقابل ذلك ، نعرف على وجه
التأكيد ان الحضارة الايجية تركت أثارا لم تمتد
اليها يد القناء في جزر مالطة وصقلية وسردينية ،
وفي جزر البليار المجاوره لشواطئ افريقية
الشمالية ، بل وفي اسبانيا ايضا ، في الالف
الثانية والثالثة قبل الميلاد . وقد كانت الادوات
والمنتجات التي صنعت في البلاد الواقعة على
الشمال الشرقي للبحر الابيض ، تصدر الى صقلية
وسردينية في القرون الاخيرة من الالف الثانية
قبل المسيح ، كما كانت سفن تلك البلاد ، التي
أصبحت تعرف فيما بعد بالاغريقية تمخر الحوض
الغربي للبحر الابيض المتوسط .

واذا كانت المعلومات المتوفرة لدينا حاليا
تسمح باستبعاد كل غزو استعماري اغريقي او
هجرة واسعة النطاق ، فهي مع ذلك تسمح
بالاعتقاد بوجود اتصال تجاري من النوع الذي
يرافقه النفوذ الثقافي ، بين منطقة ايجية
وانشواطئ افريقية .

وفيما يتعلق باحتمال وجود هجرة الى
عغربية الشمالية من مناطق أخرى ، غير منطقة

بحر ايجية ، توجد لدينا روايتان يختلف الباحثون
في تقييمهما اختلافا كبيرا ، احدهما أوردها
سالوست ، الحاكم والمؤرخ الروماني في
كتابه عن حرب يوغورطة (١) والثانية نكرها
المؤرخ اليوناني استرابون .

جاء في رواية سالو ستوس مانصه :

« فاول سكان افريقية هم الجيطلول والليبيون
الذين كانوا قوما بدائيين وكانوا يعيشون على
لحم الحيوانات والاعشاب وكانوا يبيتون حيث
يجدهم الليل ، فلا رئيس يقودهم ولا قوانين
تضبطهم . ولما لقي هرقل حتفه في اسبانيا وترك
وراءه جيشا عرمرما مؤلفا من اجناس مختلفة ،
قام بين رجال هذا الجيش خلاف حول من يخلفه
في القيادة ، ثم تفرقوا في عرض البلاد .

وقد ركب الميديون *Los Médos* والفرس
والارمن متن البحر وعبروا الى افريقية ، فنزل
الفرس في المغرب الأقصى ، عند المحيط ، واتخذوا
من جدران سفنهم منازل لاتعدام مواد البناء في
البلد ، ولم يكن في الامكان استجلابها من اسبانيا
بالشراء أو التبادل .

وعلى مر الزمن ، اختلط الفرس بالجيطلول
بالزواج .

ولما كان هؤلاء الاقوام كثيرى التنقل في
عرض البلاد ، فقد سموا بالنوماد (أي الرحل) .

ولما الميديون والارمن فقد امتزجوا بالليبيين
الذين كانوا يعيشون على شواطئ البحر في

(١) ولد سالوست *Saluste* في سنة 87 ق م - وفي سنة 47 ق م ، ارسل الى افريقية ليشغل منصب الحاكم على مملكة
يوغورطة . وفي افريقية ، اهتم بدراسة شؤون هذه المملكة التي تمثل على وجه التقريب الرقعة التي تشغلها الجزائر حاليا ، وقد
اعتمد سالوست على عدد من الكتب الفينيقية التي ترجمت له ، والتي يقول انه نقل منها هذه الرواية . وقد قام بترجمة كتاب
نرس عن حرب يوغورطة من اللاتينية ، الكاتب الفرنسي جول رومان ، ونشر هذا الكتاب في باريس ، في سنة 1924 .

أفريقية (١) - بينما كان الجيطلول يتعرضون للشمس في المناطق الشديدة الحرارة (أي في الجنوب) * وقد بنوا (الفرس والارمن) مدنا في وقت مبكر واقاموا علاقات تجارية منتظمة مع اسبانيا التي لا يفصلهم عنها سوى مضيق قصير ، ثم حرف الليبيون فيما بعد اسم الميديين وحولوه في لغتهم البربرية الى المور *

على أن قوة الفرس تزايدت بسرعة * وقد اضطروهم ازدهام السكان الى الهجرة تحت اسم النوميدي (شرقا) واستولوا على المنطقة التي تسمى حاليا نوميديا والتي تقع قريبا من طنجة * وفي مرحلة تالية ، تعاونوا على اخضاع سكان المناطق المجاورة بقوة السلاح حيناً ، وبالارهاب حيناً آخر فارتفع اسمهم وكسبوا لانفسهم المجد والشهرة ، لان الليبيين كانوا اقل ميلا الى الحرب من الجيطلول *

وهكذا انتهى الامر بهم الى الاستيلاء على جميع المناطق الداخلية من افريقية وادمجوا الشعوب التي اخضعوها واطلقوا عليها اسمهم * « وفي العصور التالية ، كان الفنيقيون يبحثون عن مجال للتخلص مما كانوا يعانونه من كثافة السكان ، والبعض منهم سعيا للغزو ، فدفعوا بالطبقات الشعبية والمغامرين الى الهجرة الى افريقية حيث اسسوا عصابة وبنزرت وسوس الخ » *

وهذا النص الذي يلقي ضوءا خفيفا على وضع افريقية قبل الفنيقيين ، نورد كما هو بدون تعليق ، حيث تعوزنا الوثائق التي تسمح بالمقارنة

والتمحيص * ولكننا نحيل من يهمل هذا الموضوع الى الهوامش التي وضعها عليه جول رومان (٢) *
واما رواية استرابون ، فهي تتصل بهجرة اخرى قيل انها جاءت من الهند * فهذا المؤرخ يذكر عند الحديث على بعض فروع البربر الرئيسية ، انه يوجد من يزعم أن البربر نزحوا الى شمال افريقية من الهند * وقد اغتتم بعض المؤرخين المحدثين هذه الاشارة كما التقطوا كلمة ورور Warwar التي وردت في بعض النصوص المكتوبة باللغة السنسكريتية - والتي يبدو أنها كانت تطلق على شعب كان يقطن جنوب آسيا - وحاولوا ربط اصل البربر باصل هندي *

فقد ورد في قصيدة هندية في معرض الحديث عن أحد أبطال أسطورة ، أن هذا البطل قد قهر الجافانيين Javani (الجاويين) والطبودشاش Tamboudchache والورور Warwar (وهي الكلمة التي قيل انها حرفت الى «بربر») *

ويستند انصار هذه الهجرة المزعومة في رأيهم ، خصوصا ، على وجود اسم البربر على شواطئ خليج عدن ، فيتخذون من هذه المنطقة المرحلة الاولى ، للهجرة ، ومن منطقة النوبة التي تمتد بين الشلال الاول والشلال الخامس ، والتي تحمل اسم البربر ، مرحلة ثانية ، قبل وصول العنصر البربري الى شمال افريقية *

وقد وجدت رواية هجرة البربر من الهند مدافعا في المؤرخ الالماني Carl Ritter الذي عني بتقديمها وشرحها في كتابه المعنون Die Erd Kunde

(١) أي المناطق الغربية الواقعة على البحر من افريقية - هامش المترجم ، جول رومان *

(٢) راجع التحفظ الذي عبر عنه المؤرخ الفرنسي المشهور تجاه هذا النص

Gsell (St.), (Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, I De Siane, les Berbères, 1/169

(١) وكذلك اهتم بها ودافع عنها بعض المؤرخين الفرنسيين ، ومن بينهم دوبرا الذي اشرنا اليه .
تلك هي الخطوط العريضة للروايات الغربية المهمة التي تتصل بهجرة واسعة النطاق لعناصر اثنوغرافية من مختلف المناطق غير الجزيرة العربية ، الى شمال افريقية ، في العصور القديمة التي سبقت استقرار الفينيقيين في هذه الديار .
واما الرواية العربية التي تتصل بهجرة عناصر من قلب الجزيرة العربية او من فلسطين ، فستعرض لها في الفقرة التالية التي نكرسها لتسمية افريقية ، ولاصل البربر ، وذلك محافظة على الارتباط الذي بين هاتين المسألتين في الرواية .

تسمية افريقية واصل البربر

وردت عدة احاديث نبوية شريفة في فضل المغرب وافريقية ، لا يتسع هذا المجال لنقدها وتمحيصها ، ولكننا نذكرها هنا ، خصوصا ، لقيمتها التاريخية ولدلالاتها على أن اسم افريقية كان معروفا وراسخا في الازمان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر ابن الشباط في كتاب مسلم فقال حدثنا يحيى بن يحيى ، قال حدثنا هشام عن داود بن أبي هند عن أبي عثمان عن سعيد بن أبي وقاص ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة » .

وفي كتاب الطبقات في علماء افريقية (٢) حدثني قرات بن محمد قال حدثنا عبد الله بن أبي حسان اليحصبي عن عبد الرحمن بن زياد عن

أبي عبد الرحمن الجبلي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلعم قال : « لياتين اناس من أمتي من افريقية يوم القيامة وجوههم افضل نورا من القمر ليلة البدر » .

وروى جعاعة عن سحلون بن سعيد وموسى بن معوية جميعا عن ابن وهب عن سعيد بن أبي ايوب عن شرحبيل بن سويد عن أبي عبد الرحمن الجبلي ، قال بعث رسول الله صلعم سرية ففقلوا فذكروا لرسول الله شدة برد اصابهم ، فقال رسول الله : « لكن افريقية أشد بردا وأعظم أجرا » وفي رواية أخرى : « أن البرد الشديد والاجر العظيم لاهل افريقية » .

وروى ابن أبي العرب ، قال حدثني قرات حدثني عبد الله بن أبي حسان عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن أبي عبد الرحمن الجبلي ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينقطع الجهاد عن البلاد كلها فلا يبقى الا بموضع في المغرب يقال له افريقية » الخ الحديث .

وروى ابن أبي العرب عن عبد الله بن عمر العمري عن أبي لهيعة عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو انه قال ، والله لليباعن الجمل بمصر بعشرة دنانير ثم ليباعن بمائة دينار لمغلاة الناس بها . وكانى اسمع صرير المخامل على عقبه التثنيه من مصر الى افريقية يطلبون بها الجهاد والعدل . وليلكن افريقية رجل يعدل فيهم اثنين وعشرين (أو اربعاً وعشرين) سنة .

فهذه الاحاديث كلها تتصل بافريقية وسكانها الذين تعزو اليهم خصائص من التقوى وحسن الاستعداد للجهاد ، وليس من الملائم أن نبحث في

(٢) راجع الطبعة الثانية ، برلين سنة 822 ، ص 554 وما يليها

(2) نقله القيرواني - المؤتى ، 17

ولكنه اذا كان من الممكن تسرب كلمة هندية الى اللغات الاروبية حتى فى تلك العصور ، فان من المستبعد أن تنتشر كلمة ذات معنى غامض ، مثل الغرب ، بحيث تصبح الاسم الذى تعرف به منطقة تقع على مسافة آلاف الاميال من الهند . ولو انطبقت هذه التسمية على جميع البلدان الاسيوية الواقعة غرب الهند ، لكان لافتراض هذا الاشتقاق شئ من الوجاهة . ولكن الامر ليس كذلك .

ولما تعرض العلامة جوثي F. Gauthier فى كتابه المعنون « ماضى شمال افريقية » لهذه التسمية ، قال ان كلمة افري Afri كانت تطلق اثناء الحروب الرومانية الفينيقية على الاهالى الخاضعين لحكم قرطجنة . واما الاهالى الناثرون أو الذين لم يشملهم سلطان قرطجنة ، فقد كانوا يحملون اسماء القبائل التى ينتمون اليها ، مثل مورى وبربرى ، ولكنه لم يكن يطلق عليهم اسم الافريقيين (١) .

وبعبارة اخرى ، فان الرومان ورثوا تسمية الافريقيين عن القرطجيين .

وهذا أيضا هو رأى البارون دوسلان ، مترجم ابن خلدون الى الفرنسية ، الذى قال ان الرومان أخذوا كلمة افريقية عن الفينيقين وأصبحت كلمة لاتينية تعنى عندهم « قطعة أو جزءا أو قطاعا منفصلا عن الارض الاصلية التى تركها المعمرون » (٢) .

وهذا التفسير يتفق مع ما ذكره بعض الباحثين من أن كلمة « افريكا » تعنى فى اللغة

طياتها عن تحديد تاريخى أو جغرافى . ولكننا مع ذلك لا نستطيع ان نمنع انفسنا من ملاحظة التفرقة الهامة التى وردت فى الحديث المروى عن ابن ابي العرب بين المغرب وافريقية ، واعتباره أن افريقية ليست الا موضعا من أرض المغرب . وهذا موضوع سنعود اليه لدى محاولة تحديد مدلول افريقية الجغرافى .

ولكن من اين جاءت كلمة « افريقية » التى كانت جارية الاستعمال فى الجزيرة العربية فى أوائل القرن السابع الميلادى ؟

يقول بوشار ، أحد العلماء فى اللغات القديمة ان كلمة افريقية مشتقة من اسم فينيقى ترجمته « السيف » ، وأن هذه التسمية ترمز الى ما يتمتع به هذا البلد من الخصب والخير .

واما ديسبورج Desborough الذى عنى هو الآخر يبحث اشتقاق هذه الكلمة ، فيرى ان « افريقية » مأخوذة من الكلمة السنسكريتية Apra أبرا التى تعنى « ما وراء » . وهذه الكلمة توجد محرفة فى بعض اللهجات الهندية الى Aprica وهو شكل كما نرى ، قريب من الكلمة الاروبية Africa . وكلمة Apra فى اللغة الهندية تطلق على ما وراء نهر الكنج ، كما تدل على الاتجاه الغربى عموما .

ومما يعزز وجاهة هذا الاشتقاق اللغوى ، أن نظر هؤلاء الباحثين ، أن اللغة السنسكريتية قد أمدت الجغرافيا القديمة بكثير من الكلمات والمصطلحات .

(١) راجع F. Gauthier, le Passé de l'Afrique du Nord, P. 115-116

(٢) راجع De Slane, Histoire des Berbères, IV/571-72

كان أول استعمال الرومان لهذه الكلمة يعود إلى الشاعر اللاتيني أنيوس Ennius (٣) الذي عاش بعد الحرب الفينيقية الأولى وكان معاصراً للحرب الفينيقية الثانية (٤) .
وقد أطلق الرومان أسماء على عدة مناطق من افريقية أورد المؤرخ اتيان دوبيزانس Etienne de Byzance قائمة معتبره لها تقتصر على ذكر الاسماء التالية منها :

أوليمبي Olympie أوسيانيا Océanie اسخاتي Eakhatt (أو أقصى المعمورة) كوريف Koriphe (أو الأرض المرتفعة) هيسبري Hesperie (أو مغرب الشمس) ، أرتيجي Ortygie أمونيد Ammonide اثيوبيا Ethiopie سيرين Cyrène أوفوريوس Ophius ليبيا Libya كيفي Kephene وأيري Aerie

وبعض هذه الاسماء واضحة المدلول ، مثل مغرب الشمس ، والأرض المرتفعة ، أو هي لا تزال تحمل نفس الاسماء التي نعرفها بها الآن في اللغات الأربية ، مثل ليبيا وسيرين . ولكن هذا المجال لا يتسع لمحاولة التعرف عليها أو لتحديد كل منها .

والآن نعود إلى الرواية العربية لنعرض رأي المؤرخين والكتاب العرب في تسمية افريقية .

الفينيقية بلدا منفصلا عن الأرض الاصيلية (١)
الوطن) ، أو المستعمرة (١) .

ومن الطرائف اللغوية التي تتصل بتسمية افريقية ، ذلك الاشتقاق الذي يعزى إلى الشاعر اللاتيني فرجيل الذي قال ان هذا الاسم اما ان يكون من اصل لاتيني Africa ، فيكون معناه الأرض المعرضة للشمس ، أو من اصل اغريقي ، A. ph. rike فيكون معناه الأرض المحرومة من البرد . . . !

ولكن الرواية التي تستحق كل اهتمامنا ، لانها تلقى ضوءا غير متوقع على هذه المسألة ، هي تلك التي نقلت اليها عن الشاعر اليوناني اسويداس Suidas (٢) الذي كان يستقي معلوماته من مصادر قيمة . فقد ذكر الكاتب ان « افريقية » كان هو الاسم القديم لقرطجة . وقد اطلقت هذه التسمية فيما بعد لتشمل المناطق التي تمتد شرقا حتى مصر ، ثم اتسع مدلولها عند الرومان واروبا اللاتينية ليشمل غير هذه المنطقة .
يقي امامنا الآن ان نسال هذا السؤال : متى دخلت كلمة « افريكا » إلى اللغة اللاتينية لأول مرة ؟

(١) عالم لغوي وشاعر عاش في القرن العاشر بعد المسيح ، وقد اشتهر خصوصا بتجميع النصوص

(٢) وردت الكلمة في البيت التالي من قصيدة طويلة كرسها لتجديد روما :

(٣) راجع Dureau de la Malle, l'Afrique Ancienne, P.U.F. P. 4

Africa Terribile Trémitt

Herrida Terra Tulumulta

"Undique"

Lenn. Annal (Cicéro, Festus, Esc.)

"Lati Campi Quos Gerit Africa Terra Qolitos"

Lenn. Satyr, III (Nonius Marcellus)

(٤) والد انيوس في قلورية Calabre في سنة 240 ق م وتوفي في سنة 169 ق م وقد عمل ضابطا في الجيش الروماني طون الذي تولى انيوس تعليمه اللغة اليونانية واصطاحبه الامبراطور واشترك في الحرب الفينيقية الثانية ، وكان صديقا حميما لقا معه إلى روما ، وكذلك عرف انيوس بحظوته لدى السيبينون المدعو الافريقي (235 - 183 ق م) والذي انتصر على القائد القرطاجي هنيال ، وقد اشتهر انيوس بأنه أكبر عامل في ادخال الثقافة اليونانية إلى روما

باسمه - وفي رواية أخرى ، وبني فيها مدينة
سميت باسمه (٣) .

وصلب هذه الرواية يتمثل فيما نقله ابن
خلدون عن ابن حزم ، ونحن ننقلها بنصها مع
الإشارة إلى اختلافها في بعض التفاصيل عما
ذكره غيره (٤) .

قال ابن خلدون أن إفريقش « هو إفريقش
بن قيس بن صفى ، أخا الحارث الرايش ، هو
الذى ذهب بقبائل العرب إلى إفريقية ، وبه سميت
وساق إليها من أرض كنعان (التى) مريها عندما
غلبهم عليها يوشع وقتلهم ، فاحتمل ألفا منهم
وساقهم إلى إفريقية فأنزلهم بها وقتل ملكها
جرجير . ويقال أنه سمي البربر بهذا الاسم ، لأنه
لما افتتح المغرب وسمع رطانتهم ، قال : ما أكثر
بربرتهم (!) ، فسموا البرابرة (٥) والبريرة في
لغة العرب هي اختلاط أصوات غير مفهومة ،
ومنه بربره الأسد » .

« ولما رجع من غزو المغرب ، ترك هناك من
قبائل حمير صنهاجة وكتامة . فهم إلى الآن بها ،
وليسوا من نسب البربر ، » قاله الطبري
والجرجاني والمسعودي وابن الكلبي والسهلي
وجميع النسابين » .

يقول أبو عبيد الكبري : قال قوم أنها
إفريقية ، أي صاحبة السماء . ويمضى فيذكر
أيا آخر مؤداه أن الأفارقة وبلادهم إفريقية ،
أما سموها بذلك لأنهم من ولد فارق بن مصرم ،
ثم يقول : وقد زعموا أن اسم إفريقية ليبية سميت
ببنت ياقوه بن يوتش الذى بنى مدينة منقش بمصر
وهي التى ملكت ملك إفريقية أجمع قسمي بها (١)

ويقول ابن أبي دينار القيرواني « إنما
سميت بإفريقية لأنها فرقت بين المشرق والمغرب »
وقيل «سميت إفريقية باسم أهلها» . والأفارق من
ولد فاروق بن مصرام (١) ، وكذلك نقل ابن أبي
دينار عن الشباط بن إفريقية تكتب بالباء وليس
بالفاء ، وهي من البريق ، لأن سماءها خال من
السحاب . ولكن المؤرخ يرد على هذا الرأي قائلا
أنه بعيد ، لأن إفريقية كثيرة السحاب حتى قال
بعضهم أن القيروان لا تخلو من السحاب في
غالب السنة (٢) .

ولكن الرواية التى ينكرها المؤرخون
والجغرافيون العرب بما يشبه الاجتماع ، مؤداه
أن ملكا حميريا اسمه إفريقش غزا هذه البلاد في
وقت لا تحدده الرواية وقتل ملكها ، وسميت

(١) الكبري ، ص 21

(١) المؤنس ، ص 15

(2) نفس المصدر ، ص 16

(3) راجع الكبري ، ص 21 ، الاستبصار ، ص 111 - كتاب العبر - طبع بيروت - 2 - 95 - 96 - المؤنس ص 15 ، مرادف
الإطلاع 101-1003 ، معجم البلدان 325 ، روض القرطاس ص 75 - المختصر في أخبار البشر 1 - 67

(4) أورد الملك أبو الفدا رواية أخرى نقلها عن سعيد المغربي لا تجد لها أثر في المصادر الأخرى المعروفة لدينا ، ومؤداه أن شداد
ابن عاد - من ملوك التباينة - قد « غزا البلاد إلى أن بلغ المغرب الأقصى » (المختصر في أخبار البشر) 67-1

(5) كلمة البربر مأخوذة من أصل إغريقي ، ببربروس Barbaros اختلفت في اللاتينية شكل Barbarus وقد
كان اليونان يطلقونها على جميع الشعوب غير الهيلينية ، بما في ذلك الرومان ، وأما الرومان فكانوا يطلقونها على جميع الشعوب
الأجنبية غير الإغريق والرومان ، ولكننا لا نستبعد أن تكون الكلمة مستعملة بمعنى إثنوغرافي في شمال إفريقية في عهد الفينيقيين
حيث كانت إحدى القبائل تحمل اسم بربري ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك

الرمل * وأما ما وراء هذا الزهر ، فهو مجهول محفور بالمخاطر ، لكثرة الرمل فيه ***

وأما العبد بن أبرهة ذو الانعار الذي تقول الرواية انه خلف افريقش في حكم افريقية ، فنحن لا نعرف عنه الا القليل وهو على كل حال شخص ذو وجود تاريخي والذي نعرفه عنه جرى له ، لا في افريقية ، بل في اليمن * فنحن نعرف انه دخل في حرب مع كيقاوس بن كنعان ، ملك الفرس ، كانت نتيجتها انهزام كيقاوس الذي أسره ذو الانعار ، وظل في الاسر حتى جاء لنجده وزيره رستم ، الذي زحف الى اليمن بجموع الفرس وحارب ذا الانعار فغلبه واستخلص كيقاوس من أسره *

ومن جهة أخرى ، ينقل الينا ابن خلدون رواية ترقى الى نفس هشام بن الكلبي ، مؤداها أن ذا الانعار ، هلك مسموما على يد بلقيس (٣) *

وقد خلف ذا الانعار على عرش التبابعة ، الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن ذي الانعار ، الذي ملك ست عشرة سنة (في رواية المسعودي) ثم ملكت بعده ابنته بلقيس سبع سنين *

واثرها تولى ملك التبابعة ناشر (أو ياسر) بن عمرو بن ذي الانعار (الذي يعرف بناشر النعم) *

والذي يتبادر الى الازمان لاول وهلة ، هو أن ناشر بن عمرو هو ابن ذي الانعار ، حيث أنه لم ترد بينهما وصلة نسب أخرى * ولكن العلامة

« ثم ملك من بعد افريقش أخوه العبد بن أبرهة ، وهو ذو الانعار عند المسعودي * قال : سمي بذلك لكثرة ذعر الناس من جوره ، وملك خمساً وعشرين سنة * وكان على عهد سليمان بن داوود ، وقبله بقليل وغزا ديار المغرب » (٢) *

وفي رواية أخرى ، تصعد الى نفس المصدر ، ونعني بذلك ابن الكلبي ، أن ملوك التبابعة قاموا بغزوة أخرى للمغرب في عهد ناشر بن عمرو بن يغفر الذي يقال له ياسر أنعم * وقد سار هذا الملك غازيا الى المغرب « حتى بلغ وادي الرمل ، ولم يبلغه أحد ، ولم يجدوا فيه مجازا لكثرة الرمل وغير أصحابه فلم يرجعوا ، فأمر بصنم من نحاس نصب على شفير الوادي ، وكتب في صدره بالخط المسند : هذا الصنم لياسر أنعم الحميري * ليس وراءه مذهب ، فلا يتكلف أحد ذلك فيعط (٢) *

وبعبارة أخرى ، فإن التبابعة قاموا حسب هذه النصوص ، بغزو شمال افريقية في عهدين مختلفين * قام بالغزو الاول ملك اسمه افريقش الذي لا نجد له ذكرا بين ملوك التبابعة المعروفين ، وقام بالغزوة الثانية ياسر أنعم الذي خلف بلقيس التي كانت زوجة لسلميان ، على عرش التبابعة *

والرواية التي بين ايدينا صريحة في أن ياسر أنعم هذا ، لم يأت الى المغرب لتعزيز ملك أجداده ، وإنما هو جاء اليه مغامرا مستكشفا ظن أن حدود هذا الجزء من العالم تنتهي عند وادي

(١) العبر ، ١ - ٩٥ - ٩٦

(٢) نفس المصدر ٢ - ٩٧

(٣) نفس المصدر

ومهما يكن من شيء ، فإن غزو افريقش لافريقية ، يفترض أن يكون قد وقع قبل عهد سليمان بن داود عليه السلام (٩٧٠ - ٩٣١ ق م) ، أي في بداية الألف الأولى قبل ميلاد المسيح .

بل إن ذكر الرواية ليوشع الذي خلف موسى (القرن الثالث عشر ق م) في قيادة بني اسرائيل ، يدل بوضوح على أن غزو افريقش وقع في أوائل القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، بينما تذكر روايتنا أن ذا الأذعار (الذي خلف افريقش على افريقية) كان معاصرا لسليمان .

وكذلك نجد بالمقارنة والاستنتاج ، أن القارق الزمني الذي يفصل بين افريقش وذي الأذعار ، يمتد على ما يتراوح بين قرنين وثلاثة قرون .

ولكن لننظر الى الرواية الآن من زاوية أخرى . فقد قيل أن افريقش لما نزل بافريقية على رأس قوة من رجاله وقوة من الفلسطينيين ، حارب ملكها جريجر وقتله .

وجريجر هو بالتأكيد تحريف للاسم الروماني جريجوار . والمقصود هنا ، بدون شك ، هو باتريس جريجوار Patrice Grégoire الذي كان واليا على افريقية من قبل الامبراطورية البيزنطية حينما قام عبد الله بن سعد في عهد عثمان بن عفان (ض) بغزو افريقية . وقد اشتبك الجيش الاسلامي في معركة حاسمة بجيش بيزنطة في سنة ٢٥ هـ (٦٤٥ - ٦٤٦ م) في اسبيطلة وانتهت هذه المعركة بهزيمة باتريس جريجوار الذي يرجح أن يكون عبد الله بن الزبير هو الذي قتله بنفسه .

ابن خلدون يتشكك في ذلك ، ويقول انه قد يكون بين الاثنين منهما عدة من الآباء . على أن المؤرخ يعترف ايضا باحتمال أن يكون «ملتصقا به» (١) .

وبعبارة أخرى ، فإن عهد عمرو بن ابرهة (ذي الأذعار) وعهد ابنه (أو حفيده) ناشر بن ذي الأذعار لا يفصل بينهما سوى فترة ملك خلالها ملكان ، وهما ، حسب الرواية التي بين ايدينا : الهدهاد بن شرحيل بن عمرو بن ذي الأذعار (أخو ناشر) ، والملكة بلقيس . وقد كان مجموع مدة ملكهما ٢٣ سنة (١٦ و ٧) .

ولكن نصوصا حميرية اكتشفت حديثا تلقي ضوءا آخر على المسألة وتجعل من هذه الصلة ومن تواريخ هذا التتابع على عرش التبابعة مجرد تلفيق للاحداث وربط لا معنى له بين الاسماء .

فقد عثر على نص حميري يوافق تاريخه سنة ٢٧٠ م تقريبا يتعلق بياسر انعم (أو ياسر يهنعم) ، (٢) وعلى نص آخر يتصل بحفيد له يحمل لقبه (لم يذكره المؤرخون العرب) يوافق تاريخه سنة ٢٧٤ م . وكلا النصين يشكل دليلا على أن ما زعم من أن ناشر النعم كان معاصرا لبلقيس ، زوجة سليمان ، كان وضعها واختلافا لا يستند على أي اساس تاريخي . ثم إن ناشر النعم هذا ، هو ابو « شمر يرعش » . وقد عثر على كتابة لشمر يرعش ، يوافق تاريخها سنة ٢٨١ ميلادية . وهذا تسلسل معقول في النسب ويدل على أن ناشر انعم وابنه قد عاشا في القرن الثالث ، بينما عاش حفيد ناشر النعم ، في القرن الرابع الميلادي .

(١) العبر - طبعة بيروت - ٢ - ٩٧

(٢) راجع ترجمة ناشر انعم تحت «مالك بن عمرو» في الاعلام ٦ - ١٣٩

تحت لواء قيصر * ولم فضل القتال مع الرومان بدلا من التحالف مع جوبا ، ليضمن لنفسه حقا شرعيا في الإقامة في البلد ؟ تلك وغيرها أسئلة لا تسمح بأخذ هذا الفرض الى الاعتبار *

على ان المشكلة الجوهرية في رواية غزو افريقش لافريقية الشمالية تتصل بالمصدر الذي نقلت عنه ، او بالاحرى ، بالثقة التي يمكن ان نوليها لذلك المصدر ، وهو هشام بن الكلبي * ولكن هذه المسألة ستعرض لها فيما بعد *

اما الآن فسنحاول التركيز على الجانب الذي يتصل باصل البربر من هذه الرواية *

رأينا كيف ان افريقش احتمل معه الى افريقية جموعا من الكنعانيين وانزلهم في هذا البلد وانه لما رجع من غزو المغرب ترك معه من قبائل حمير صنهاجة وكتامة الذين هم « ليسوا من نسب البربر » * وبالتالي ، فان الكنعانيين يشكلون العنصر البربري الذي جاء به افريقش من فلسطين

وهذا ايضا هو مضمون رواية الشريف الادريسي حين يقول : « كانت ديار البرابر فلسطين ، وكان ملكهم جالوت بن ضريس بن جفا ، وهو ابو زناتة المغرب * وجنى هو ابن لؤي بن قيس بن الياس بن مضر * فلما قتل داوود جالوت البربري ، رحلت البربر الى المغرب حتى انتهوا الى اقصى المغرب فتفرقت هناك ونزلت مزارع ومغيلة وضريمة الجبال ، ونزلت لواته ارض برقة ونزلت طائفة من هواره بجبال نفوسة (٢) *

وهكذا نرى ان رواية غزو افريقش الحميري المزعومة لافريقية تخلط بين اشخاص تفصل بينهم نيف والف وخمسمائة سنة ، وذلك في نسج مهلهل يسوده الطابع الاسطوري *

والجدير بالاشارة ان المستعرب والمؤرخ الفرنسي كوسان دوبارسيغال قد اقترح في رسالته عن تاريخ العرب فرضا لحل ما يمكن ان نسميه بلغز افريقش ، ولكنه زاد الموضوع تعقيدا وأضاف من الاسئلة اكثر مما وفر من الاجوبة والحلول *

فقد ذكر هذا الكاتب ان قيصر الذي كان امبراطورا على مصر ، زحف على شمال افريقية في سنة ٤٦ ق.م * ليقتضى على بقايا جيش بومبي الثائر ، وان جوبا النوميدى عرف بخير هذا الزحف كما بلغه ان جيش قيصر صغير ولذلك فقد زحف اليه على أمل ان يتمكن من سحقه * ولكن جوبا انهزم بسبب ظهور جيش من المرتزقة بقيادة شخص يدعى تيتوس Titus الذي استجاب لنداء القيصر لناصرته (١) *

وهنا يتساءل الكاتب : لما لا يكون جيش تيتوس هذا جيشا عربيا ، او جيش الملك الحميري الذي لا نعرف اسمه ؟

ونحن نتساءل بدورنا ، كيف وصل هذا الجيش الحميري الى افريقية بعد ما مر بعدد من البلدان ، ومن بينها مصر التي كانت تحت الرومان دون ان يجد مقاومة ؟ واذا كان قد جاء لفتح افريقية فكيف يتحول الى جيش مرتزق ويعمل

Causain de Porcenal, Essai sur l'Histoire des Arabes, 1/68.

(١) راجع

(٢) اورد الادريسي وغيره من الكتاب بشأن تسمية هواره قصة أكثر سذاجة من قصة افريقش نفسها ، فهو يقول ان اميرا من امراء العرب يدعى المسور ، تاهت ابله ، فصار في طلبها مع غلام له ، ولما كان في بعض الطريق سال الغلام : اين نحن من الارض فاجاب الغلام : نحن في افريقية . فقال الامير : لقد تهورنا افسدوا لذلك « هواره » ، ولما نزل هذا الامير في قوم من زناتة ، تزوج منهم امرأة ، فولد منها ابنا اسمه لوط ، وآخر اسمه صنهاج . وقد اشار ابن حزم الى هذه الرواية بصيغة التشكيك ، بقوله : « ويقال ان صنهاج ولط هما ابنا امرأة واحدة » يقال لها تزكي ، لا يعرف لها اب ، تزوجها اوريخ ، فولدت له هواره ، فهم اخوة من أم » - (انظر جبهة اتساب العرب ، ص 463)

وكذلك نرى أن صنهاجة وكتامة في هذا النسب أيضا تعتبر من قبائل البربر *

ولكن ابن خلدون الذي يتنقل عن غيره ، لا يريد أن نحمله تبعة ما قد يقع بين رواياته من التناقض * ولذلك ، فقد عقب ، بعد ما فرغ من ذكر بطون البربر قائلا : « وأما إلى من يرجع نسبهم من الأمم الماضية ، فقد اختلف النسابون في ذلك اختلافا كبيرا * فقال بعضهم أنهم من ولد إبراهيم عليه السلام من نقشان ابنه * وقال آخرون أن البربر يمنيون * فقال المسعودي من غسان وغيرهم ، تفرقوا عند ما كان سيل العرم * وقيل من لخم وجذام وكانت منازلهم ، وأخرجهم منها بعض ملوك فارس * وقال آخرون أنهم من ولد جالوت (١) * »

وأما بر ، أبو برنس وما دغس ، المشار إليه فهو ، فيما زعموا ، بر بن قيس عيلان *

ونزل الغير ، ومنهم مصموده ، بالمغرب الاقصى (١) *

ولكن الجغرافي الصقلي لما تعرض لذكر قبائل البربر ، أورد قائمة طويلة نجد من ضمنها زناتة وصنهاجة وكتامة * ويعبارة أخرى ، فإن صنهاجة وكتامة ليست من قبائل حمير التي رافقت أفريقش وتركها في أفريقية بل هي من الفلسطينيين الذين هجروا إلى هذه البلاد وتفرقوا فيها أثر قتل داوود جالوت *

ونذكر ابن خلدون الذي نقلنا نص روايته لغزوة أفريقش ، في معرض الحديث عن بطون البربر ، أن علماء النسب « متفقون على أنهم (البربر) يجمعهم جذمان عظيمان وهما : برنس وما دغس * وهما معا ابنا بر * » ويضيف المؤرخ المغربي « أن شعوب البرانس عند أكثر النسابين يجمعهم سبعة أجدام وهي : ازداجه ومصموده وأوربة وعجيسه وكتامة وصنهاجة وأوريفة * وزاد سابق بن سليمان لمطة وهكسورة وكزوله (٢) * »

(١) الإدريسي ، ص 57 ، نحن لا نستبعد هجرة مجموعة النطاق في الظروف التي يشير إليها بعض المؤرخين العرب ، ولكن الذي لا يمكن تصوّره هو أن تكون أفريقية الشمالية خالية من السكان قبل هذه الهجرة ، والواقع أن مؤرخا بيزنطيا ، من المستحيل أن تكون قد وصلت إليه الرواية العربية ، وهو بروكوب Procope (مات سنة 562 م) يذكر أن هجرة فنيقية وقعت في عهد يوشع الذي تولى رئاسة اليهود اثر موت موسى (ع س) لدى غزو المبريين لكنعان ، ويقول بروكوب « وكانت الشواطئ التي تمتد من صيدا حتى مصر في ذلك الوقت كلها تسمى فنيقية ، ولما تبين للفنيين أن القائد الأجنبي لا يمكن قهره قرروا مغادرة اوطانهم وأجروا أولا إلى مصر التي كانت على مقربة منهم (عند أبوابهم) ومن هناك اتجهوا إلى أفريقية التي احتلوها حتى اعمتة هرقل » وهذا النص معروف وقد نقله كثير من مؤرخي العصور القديمة ، وأنا اقتبسته من كتاب العلامة

F. Gautier, le Passé de l'Afrique du Nord, P. 130.

(2) دول البربر - طبع الجزائر - 117-1

(١) نفس المصدر

لبنى أسد - فقلت له : هي زينب بنت عرعره بن جذيمة بن نمر بن قعين ، فسر بذلك ووصلني (٣) . وقال صاحب الاغانى عن ابن الكلبي ان الاخبار التي ذكرها عن دريد بن الصمة موضوعة والتوليد بين فيها وفي اشعاره (٤) . وقد تحفظ زكى باشا عند ذكره بصفته راويا للحديث فقال : « ونحن لا نريد الاعتماد على ابن الكلبي بصفته من اهل الحديث (٤) » .

ولكن ابن الكلبي ليس هو المصدر الوحيد للتزييف في التاريخ والنسب . لان المصالح السياسية ومحاولات رؤساء بعض قبائل البربر ربط نسبهم بالعرب ، اعتقاداً منهم أن السيادة في هذه الديار لا يمكن ان تقوم الا على اساس الانتماء الى سلالة الرسول (صلع) ، أو على الاقل الى قحطان قد لمعت دوراً مهماً فيما لحق اسناب البربر من الغش والتضليل . فان ابناء عبيد الله المهدي الذي وضع لنفسه شجرة نسب ترقى به الى سلالة الرسول ، رأوا انه لا بد لاستقرار سلطانهم في افريقية من ربط اصل كتامة انصار دعوتهم الاوائل ، وصنهاجة خلفائهم في الحكم ، باصل عربي قح . وأما صناعة قوائم النسب فهي لا تنطوي ، بطبيعة الحال ، على اية صعوبة ، متى وجدت تأييداً وتشجيعاً من الحكام . وقوائم اسناب البربر توجد قرائن تدل على انها وضعت في القرن الرابع الهجري وحررت باللغة العربية (١) . فان أحد قرعى البربر ، مثلاً يسمى بالبتر (جمع أبت) .

ولكن ابن حزم ، صاحب جمهرة انساب العرب ، لما تعرض لانساب البربر ذكر أن قوماً قالوا « انهم من ولد حام بن نوح عليه السلام » . وادعت طوائف منهم الى اليمن والى حمير ، وبعضهم الى بر بن قيس بن عيلان . وهذا باطل لا شك فيه . وما علم النسابون لقيس عيلان ابناً اسمه بر ، ولا كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا في تكاذيب مؤرخي اليمن (١) » .

ونحن نستطيع أن نضيف الى مؤرخي اليمن كلمة : وبعض الرواة العرب . وفي مقدمة هؤلاء بدون شك ، هشام ابن الكلبي الذي تصعد اليه رواية غزو افريقش للمغرب وبعض الروايات التي تتصل بالانساب . فمن هذا المصدر استقى ابو محمد بن حزم الذي استقى منه ابن خلدون ومحمد بن الحسن الهمداني الذي اعتمده صاحب روض القرطاس وغيره من المتأخرين .

ومن المعلوم ان رواية الحديث يجمعون على تجريح هشام بن الكلبي (توفي في سنة ٢٠٤ هـ) (٢) وقد اتهم هو وابوه بالوضع في الحديث . وهشام بن الكلبي ، هو الذي يرفع اليه أبوه الفرج ، صاحب الاغانى ، اصبح الاتهام أكثر من مرة قائلاً : « وهذا من اكاذيب ابن الكلبي » (٣) بل ان ابن الكلبي نفسه ليعترف صراحة بكذبه في النسب .

فقد نقل عنه صاحب الاغانى قوله : أول كذبة كذبتها في النسب ، هي أن خالد بن عبد الله القسري سألني عن جدته أم كريز - وكانت بغيا

(١) راجع جمهرة انساب العرب ، ص 461

(٢) راجع ترجمته في : خير الدين الزكي ، الاعلام ، 9 - 87 ، وفي الانسكلو بيدا الاسلامية (الطبعة الانجليزية) مقالة

Brocklmon

(٣) الاغانى ، 19 - 58

(٤) نفس المصدر ، 9 - 19 - 20

(٥) مقدمة كتاب الاصنام لابن الكلبي ، طبع دار الكتب المصرية 1924 ص 15

(6) راجع De Slane, Les Berbères, 1/196

وفي ختام هذا التحليل أرى أن أفضل تعقيب لتلخيص رأيي في الموضوع ، هو اقتباس التعليق الذي سجله ابن خلدون حين يقول : « والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متميزون بشعارهم عن الأمم منذ الأحقاب المتطاولة » .

فما الذي يوجبنا إلى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم ويحتاج إلى مثله في كل جيل وامة من العجم والبربر (٢) » .

امتداد افريقية

يختلف المؤرخون والجغرافيون العرب اختلافا كبيرا بشأن امتداد المساحة التي يطلق عليها اسم افريقية . وبينما يطلق هذا الاسم في نظر البعض على القيروان فقط (٤) فإذا بافريقية تمتد في نظر الآخرين ، طولا من برقة إلى طنجة وعرضا من البحر الأبيض المتوسط حتى بلاد السودان (٥) .

وبين هذين الطرفين يضع الكتاب العرب حدود افريقية في أماكن مختلفة .

فابن سعيد المغربي (القرن السابع الهجري) يقول أن آخر سلطنة ببجاية وأول سلطنة افريقية هي مدينة بونه (٦) .

وفي نظر ياقوت أن افريقية تمتد حتى بجاية « وقيل حتى مليانة (٧) » . وأبو عبيد البكري الذي عمل عنوان كتابه ، « كتاب المغرب في ذكر

ولكن شجرة نسب صنهاجة يلاحظ ادخال تحسينات كبيرة عليها منذ بداية ولايتهم لافريقية . فان ابن خلكان عند ما يترجم لتميم بن المعز بن باديس ، يذكر لهذا الملك الصنهاجي ثلاثة وخمسين جدا آخرهم هود عليه السلام . وقد عزى ابن خلكان شجرة النسب هذه إلى عماد الدين الاصفهاني (١) .

وبمراجعة كتاب جريدة القصر وجريدة العصر (٢) وجدت أن قائمة عماد الدين الاصفهاني لا تقف في الحقيقة عند النبي هود ، بل ترتقي بنسب صنهاجة إلى آدم أبي البشر .

والذين يندهشون لهذه الدقة العجيبة في معرفة الانساب وتسلسلها ، ستزول دهشتهم إذا عرفوا أن عماد الدين الاصفهاني ، قد ذكر أنه كان على صلة بالأمير عبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز الصنهاجي الذي كان يقيم معه في دمشق ، وأنه أخذ منه قائمة أجداده ، مع ديوان شعر للملك الصنهاجي ، تميم .

وهذه القائمة هي نفسها التي يوردها النويري في نهاية الأرب .

وقد لاحظ دوسلان في تعليق له على هذه القائمة التي اشتمل عليها الملحق الذي أخذه من نهاية الأرب ووضعه في آخر ترجمته الفرنسية لكتاب دول البربر ، كثرة ما تشتمل عليه من الاسماء البربرية ، إلى جانب الاسماء العربية التي حشرت فيها حشرا .

(١) وفيات الاعيان ١٧٣

(٢) النسخة الخطية في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٣٣٣٥ ورقة ٥٩ ظهر

(٣) دول البربر طبع الجزائر ١ - ١١٧

(٤) المؤنس ، ص ١٥

(٥) الاستبصار ، ص ١١٢

(٦) كتاب الجغرافيا ص ١٤٢

(٧) معجم البلدان ، ١ - ٣٢٥ . راجع أيضا ، مرصد الاطلاع ، ١٠٣ - ١٠١

من المغرب الاوسط وفي المغرب الاقصى ، فقد اعتبروا من البربر .

وهذه القبيلة التي تعرضت اجيالا طويلة لمطاردة الزيريين ورات قواتهم تشتت مجموعها وتمحو مدنها من الوجود اكثر من مرة ، لم تدع الانتماء لغير هذه الارض ، ولم تحاول اصطناع نسب عريى لها حينما أصبحت هي الاخرى ، ففي عهد زيري بن عطية ، قوة سياسية معترفا بها في المغرب . وهذه ميزة كبيرة لا بد من تسجيلها والاعتراف بها لهذه القبيلة التي تركت على هامش التاريخ ، على الرغم مما أبدته من ضروب الشجاعة والبطولة في النود عن كيانها .

ومهما يكن من شيء فان القبائل الثلاث كانت تشكل مجتمعة (مضافا اليها مصمودة وبرغواطه) كتلة سكان المغرب الاوسط والمغرب الاقصى في العصور الوسطى .

وكتامة وصنهاجة كانت تشكل ، مع زواوه بالضبط المناطق التي تسمى الآن بلاد القبائل أو موريطانيا في عهد الرومان (١) .

وفيما يلي نحاول تحديد المنطقة الجغرافية التي كانت تحتلها وتعيش فيها كل واحدة من القبائل الثلاث .

كتامة

كان اسم هذه القبيلة معروفا لدى الاغريق وقد ذكره بطليموس ، كما كان معروفا لدى الرومان واتخذ في عهدهم الشكل اللاتيني *Ukalmami* الذي عثر عليه منقوشا على بعض الآثار في المنطقة التي تمتد بين ميلة وجيجل (٢) .

اخبار افريقية والمغرب ، لا يعتبر كلمة افريقية مرادفة للمغرب ، ولو انه لا يتعرض لذكر الحدود بينهما .

ولكن الرأي هو ان نعتبر « افريقية » مصطلحا سياسيا ذا مضمون جغرافي غير محدد . واذا كان هذا المصطلح ينطبق في عهد الاغالبة وفي اوائل عهد العبيديين على حدود تونس الحالية تقريبا ، فان مدلوله قد اتسع في عهد الزيريين ليشمل المغرب الاوسط والاراضي التي فتحوها في المغرب الاقصى ، والتي كانت في عهد بلكين تمتد حتى شواطئ المحيط الاطلسي .

وكذلك تقلصت رقعة افريقية في عهد بنى حماد بحيث تقف حدودها عند حدود مملكتهم شرقا .

واحتلال بنى حماد لمدينة تونس وبعض المدن والمناطق الواقعة في غربها منذ عهد الناصر بن علناس حتى سقوط المهدية في يد النور مانديين ، لا يبدو انه غير شيئا في مدلول هذه التسمية .

صنهاجة وكتامة وزناتة

راينا في الفقرة السابقة كيف ان خلافا مصطنعا قام بين المؤرخين العرب بشأن أصل صنهاجة وكتامة ، القبيلتين اللتين كان لهما اكبر الفضل في انتصار العبيديين على الاغالبة ثم في استمرار نفوذهم على المغرب . وانه لما يستلقت النظر في هذا السياق ان إحدى هاتين القبيلتين قلما يذكرها المؤرخون على انفراد، بل هم يجمعون بينهما في الغالب ، فيقولون صنهاجة وكتامة .

واما زناتة أعداء صنهاجة التقليديين ومنازعوا سلطان الفاطميين في المناطق الغربية

(١) راجع F. Gantier, le Passé de l'Afrique du Nord. P. 322

(٢) Gsell (St.), Atlas de l'Algérie, feuille de Philippeville راجع

يقطنونها فقد كانوا يستعملون البغال للتنقل .
 واما الخيل فعلى الرغم من أن صنهاجة كانت
 تستخدم في الحدود التي تسمح بها طبيعة الارض
 فسوف لا تكتشف قيمته الا بعد ما تبني المدن
 وتنظم الجيوش ، أى بعد بناء اشير .

ولكن صنهاجة كانت لها دائما قرى تعقد
 فيها اسواقا يقصدها الناس مرة في الاسبوع
 لبيع منتجاتهم ولشراء الاسلحة والادوات
 والوانى وللافاة صناع السروج وتجار التوابل
 الخ . ، على غرار ما يجرى العمل به اليوم في
 بلاد القبائل .

واهم مدن صنهاجة ، قبل بناء اشير والقلعة
 وبجاية ، كانت هي الجزائر ومليانة (اللتين
 بناهما زيرى بن مناد) والمدينة والمسيلا وسوق
 حمزة (البويره) .

وقد اختلف اسم صنهاجة في المغرب الاوسط
 في وقت لا نستطيع تحديده ولو ان بعض أفضاء
 القبيلة مثل ونوغة وبنى مليكش التي يعتقد أنها
 من بينها ، لا تزال موجودة وتعتصم بجبال
 جرجره .

زنااته

كانت المناطق التي تمتد بين نهر الشلف
 والمحيط الاطلسي مرتعا خصبا لبطون زنااته التي
 كانت تعيش حياة البدو الرحل . وكانوا يتقاسمون
 هذه المنطقة مع عدد من القبائل التي من أهمها
 برغواطه .

بحيث كان من عاداتهم المبالغة في تكريم الضيف
 بأن يقدمو اليه ابن العائلة . وكانت هذه العادة
 ماثرا للسخرية والاستهزاء بهم حتى في قصور
 الملوك والامراء ، الامر الذي من شأنه أن يجعل
 الكثيرين يخلون من الانتساب الى كتامة .

صنهاجة

تمتد اراضى صنهاجة (ازناجه) التي
 يقول بعض الكتاب المحدثين ان اسم السنيغال
 مأخوذ من اسمها ، في المناطق الواقعة في شرق
 الجزائر على الشمال الشرقي لخط يمتد من جبال
 اوراس حتى تنس (١) وتشكل جبال زواوه ، على
 حد قول ابن خلدون الحدود التي تفصل بين
 صنهاجة وكتامة .

وقد اتسعت اراضى القبيلة في الاتجاه
 الغربى تدريجيا بعد ما طردوا مغراوه وغيرهم
 من فروع زنااته مؤقتا ، من الاراضى الواقعة على
 ضفاف نهر الشلف .

ولكنه يوجد قبيل آخر من صنهاجة منه
 انحدر الملتمون (المرابطون) وهم من الرحل الذين
 كانوا يعيشون في المناطق الجنوبية الغربية في
 المغرب الاقصى (٢) .

وعلى عكس اخوانهم صنهاجة الغرب الذين
 كانوا يجوبون القفار مستخدمين الجمل في تنقلهم
 ويعيشون على الرعى ، فان صنهاجة الشمال
 كانوا يعيشون حياة مماثلة لحياة جيرانهم كتامة
 وزواوه ، تعتمد على الزراعة والرعى ويسودها
 الاستقرار . ونظرا لمعورة الجبال التي كانوا

(١) راجع L. Golvin, le Maghreb Central sous les Zirides, P. 33

(٢) راجع اعمال الاعلام ، ص 62

وكذلك تفسر لنا هذه الظروف الطبيعية صلابة عود هذه القبيلة التي انتزعت دفعة الحكم من يد العرب الفاتحين لتضع في يد البربر لأول مرة في التاريخ .

وقد توجت انتصاراتها في المغرب بالاستيلاء على مصر وبناء القاهرة .

على أن هذه القبيلة انقرضت في وقت مبكر جدا . فان الشريف الادريسي الذي كان يكتب في منتصف القرن السادس الهجري (القرن الثاني عشر الميلادي) يقول انه لم يبق في عصره من هذه القبيلة سوى ما يقرب من أربعة آلاف رجل « وكانوا قبل ذلك عددا كبيرا وقبائل وشعوبا (٢) » .

والسبب الرئيسي في اختفاء اسم كتامة في هذه البلاد يعود في المرتبة الاولى الى أن هذه القبيلة كانت تمد الفاطميين بجزء مهم من الجيوش التي كانوا يعتمدون عليها في فتوحاتهم كما كان الكتاميون يشكلون العمود الفقري للإدارة في القيروان ، ثم في مصر والشام ، بعد ذلك ، وقد انغمسوا في حياة القصور واستبدلوا وطنهم بأوطان أخرى .

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فإن كثيرا من بطون القبيلة التي بقيت في المغرب الأوسط ، اثر رحيل العبيديين الى مصر ، كانت تنفر من الانتساب الى كتامة بسبب الاضطهاد الذي كانت تتعرض له هذه القبيلة نتيجة لما عرف عنها من التعلق بمذهب الشيعة ومناصرتها له . وكذلك كان الشذوذ الجنسي منتشرا بين هذه القبيلة ،

والمنطقة التي كانت تحتلها كتامة معروفة ومحددة بوضوح .

فأراضى كتامة تحدها غربا ببلاد زواوه . ولكن صلة كتامة بزواوه غير واضحة تماما فنحن نعرف أن زواوه كانت حليفا سياسيا لكتامة عند بدء الدعوة الشيعية ، ولكننا نجهل صلة القرابة والدم بينهما (١) ، وتمتد المساحة التي كانت تشغلها كتامة في شرقي بلاد القبائل الصغرى بين سطيف وجيجل والقل ، وبين سلسلة جبال البابور وقسنطينة . ومدن كتامة الرئيسية هي سطيف ونقاوس وتيجست والمليلة ، وجيجل وسكيكدة والقل وقسنطينة ، أقدم مدن الجزائر .

وهذه المنطقة تسود فيها المرتفعات والهضاب وتحيط بها غابات وجبال وعرة قليلة المداخل ، وتشكل نظاما طبيعيا للدفاع . ومعظم القرى الواقعة في أرض كتامة مبنية على قمم الجبال في مواقع يصعب حصارها ووصول العدو إليها . وسكان هذه المناطق يحرصون على امتلاك السلاح .

ويضاف الى هذه العقبات صعوبة تموين الجيوش الغازية لهذه المناطق بسبب قلة الطرق المسلوكة وتضامن السكان وتضاضهم ضد الاجنبي .

وهذه الاعتبارات تفسر لنا انتشار دعوة الشيعة بين كتامة الذين التجأ اليهم أبو عبد الله الداعي في حوالي سنة ٢٧٧ هـ ، دون أن يمتد إليها سلطان الأغلبية .

(٢) ذكر ابن خلدون أن زواوة من بطون البربر البر ، وروى عن أبي حزم أن زواوة من كتامة ، ولكن المؤرخ المغربي لا يستند في هذا الرأي إلا على ما عرف عن القبيلتين من اتصال الموطن والتشيع . - العبر 6 - 148 -
(٢) الادريسي ص 99

الامويين السنيين في الاندلس حلفاءها الذين تدين لهم بالولاء ، خصوصا ، بعد ما تركز سلطانهم في فاس تحت زعامة زيري ابن عطية . ولكن النضال القبلي الذي استمر اجيالا طويلة بينها وبين صنهاجة سيستنزف كثيرا من قوة هذه القبيلة التي انقسمت على نفسها الى عدة امارات كثيرا ما دخلت في معارك طاحنة ، بل ان بعضها سينضمون صراحة الى معسكر صنهاجة ، بعد ما بسطت سلطانها على مختلف اطراف المغرب .

ولكن فروعاً أخرى من زناتة كانت تعيش أيضا في المناطق التي تمتد في المغرب الأوسط جنوب خط الأوراس - تنس .

وكانت زناتة التي لم تتأثر بالعقيدة الإسلامية الا تأثرا سطحيا توفر موثلا وسندا للدعاة والثوار ولا سيما من الخوارج .

ولما انقسمت أسر البربر في المغرب وسارت كنامة ، ثم بعدها صنهاجة على مذهب الشيعة ، رأت زناتة التي كانت تشعر بقوتها أن تجعل من



مراجع البحث

- ابن ابي دينار القيرواني ، المؤنس في اخبار افريقية وتونس - طبع تونس سنة ١٢٨٦ هـ .
 ابن حزم (ابو محمد بن علي بن سعيد) ، جمهرة انساب العرب ، تحقيق Lévi Provincial طبع القاهرة سنة ١٩٤٨
 ابن الخطيب (لسان الدين) تاريخ المغرب في العصر الوسيط ، وهو الجزء الثالث من كتاب اعمال الاعلام ، تحقيق العبادي وابراهيم الكتاني ، طبع دار البيضاء ، سنة ١٩٦٤ .
 ابن خلدون ، كتاب العبر طبع بولاق (١٧ اجزاء) سنة ١٨٦٧ .
 ابن سعيد المغربي كتاب الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العربي ، طبع بيروت ، سنة ١٩٧٠ .
 ابو الفدا (الملك المؤيد) المختصر في اخبار البشر (١٤ اجزاء) طبع بيروت .
 ابو عبيد البكري ، كتاب المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، تحقيق De Slane الطبعة الثانية باريس ١٩٦٥ .
 خير الدين الزركلي ، الاعلام (١١ مجلدا) الطبعة الثالثة ، بيروت سنة ١٩٦٩ .
 الادريسي (الشريف) ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق) طبع ليدن سنة ١٩٦٦ .
 صفى الدين (بن عبد المؤمن بن عبد الحق) ، مرصد الاطلاع ، تحقيق محمد ابو النجار ، القاهرة سنة ١٩٥٤ .
 كتاب الاستبصار في عجائب الامصار ، مؤلف مغربي من كتاب القرن السادس الهجري ، نشر زغلول عبد الحميد ، طبع الاسكندرية ، سنة ١٩٥٨ .
 ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، تحقيق Wüstenfeld ليبزيغ ، ١٩٦٦ .

Couassin de Parceval, Essay sur l'Histoire des Arabes, (2 vol.) Paris, 1858.

De Slasse (traduction) l'Histoire des Berbères, Alger, 1852-1856.

Dureau de la Malle, l'Afrique, Esquisse Général de l'Afrique Ancienne, Paris, 1852.

F.E. Gauthier, le Passé de l'Afrique du Nord, Payot, 1952.

(St.) Gsell, Atlas Archéologique de l'Algérie, Paris, 1911.

(St.) Gsell, Histoire Ancienne de l'Afrique du Nord, Paris, 1913-1928.

L. Golvin, le Maghreb Central à l'Epoque des Zirides, Alger, 1957.

Saluste, Conjuraton de Catilina, Guerre de Jugurtha, Produit par J. Roman, Paris, 1924

لَا فَاطِمَةُ نَسُوم

1863 - 1830

حياتها :

أبوها سيدى محمد بن عيسى مقدم زاوية
الوالى الشيخ سيدى أحمد أمزيان شيخ الطريقة
الرحمانية المدفون فى قرية ايتسوراغ دوار يلتن
فى بلدية عين الحمام - فى هذه القرية ولدت لالة
فاطمة بنت سيدى محمد بن عيسى حوالى سنة
١٨٣٠ ونشأت فى عائلة مرابطية تنتمى الى
الشرفاء وتخلقت بمكارم الاخلاق وتحلت بالسجايا
الحسنة متمسكة بالعوائد الجارية والتقاليد المتبعة
فى البلاد - وكان أبوها شيخ طريقة ومقدم زاوية

عسرة مرتنة
مفتش أكاديمية

يتمتع بالسمعة الحسنة ويتحكم فيما يحدث بين الناس من شجار وخلاف وكان مقره مزارا يقصده المريدون من كل حدب وصوب يأتون زرافات ووحدانا وكان لهذا الشيخ الوقور خمسة أولاد ولم ندر هل كان له بنات غير لالة فاطمة كما لا نعلم هل تعلمت لالة فاطمة في صباها شيئا من القرآن الكريم في الزاوية وشيئا من المبادئ العربية تبعا لعادات بنات المرابطين في الزاوية أدركت لالة فاطمة السادسة عشرة من عمرها وكانت وسيمة الطلعة ربعة القد * جميلة الوجه أنيقة الهندام ترتدى الحرير لباسا فيزيدها براعة في الجمال وسحرا في الإبهة *

شخصيتها :

أشتهرت لالة فاطمة نسومر بجمالها البارع في الأوساط وعرفت في القرى بمكانة أبيها سيدي محمد بن عيسى صاحب الطريقة ومقدم المعصرة غير أنها لم ترغب في الزواج وقد خطبها رجال كثيرون من ذوي الجاه والشرف فرفضت وأثرت التنسك والانقطاع للعبادة في خلوة بمنزل أبيها ثم تزوجت على كره منها بمرابط من سكان تيروردة اسمه سى يحيى بن يخولاف من ايتسوراغ فتظاهرت له ليلة الزفاف بالجنون والخيال فحطمت له الأواني ومزقت الثياب فما أصبحت حتى أرجعها إلى أهلها متيقنا بأنها مجنونة حقا فلا يحتمل عشرتها إلا أنه لم يطلقها وتركها معضلة انتقاما منها لنشوزها فلم تتزوج بعده * انصرفت لالة فاطمة نسومر إلى بيت أخيها الكبير سى الطاهر الساكن بقرية سومر واليها نسبت فيما بعد ، واشتهر سى الطاهر بالوقار والنظر في الفلك والعرافة واليقشة وكان بيته مزارا يأتيه الزوار رجالا ونساء من كل مكان ولم تلبث لالة فاطمة أن قلده وصارت

هي الأخرى تنظر في الغيبات وتكشف للسوار عما كتب لهم في الباطن من خير وشر - وكانت لالة فاطمة تستقبل في خلوتها النساء على أفراد والرجال على أفراد - وفي هذه الفترة بين سنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٤٥ توغل جيش الاحتلال داخل البلاد وقعت معارك عديدة : معركة تادميت. ١٨٤٤ قادها الماريشال (بيجو) نفسه ضد الحاج محمد بن زعموم فغلب الحاج محمد بن زعموم وأسر - وقصد الجينيرال رندون قرى فليسة فعمل فيها الحديد والنار وأخضعها سنة ١٨٥٠ بينما زحف بيجو على تيزي وزو ١٨٤٥ - ١٨٤٦ ، ١٨٤٧ وعلى دلس وحاول اقتحام الأربعاء نات ايرتن فانهمزم - وتوجه الملازم بوربريط والجينيرال رندون لاختضاع نزليوة وقشطولة وبومهنى سنة ١٨٥١ - في هذه الفترة ظهر بويغلة محمد بن عبد الله مولى الساعة قادما من سور الغزلان فهاجم الملازم بوربريط في بني منصور ففرق قلوبله ثم انسحب بجيشه إلى جرجره فزحف إليه بجيشين عرمرمين رندون آتيا من العاصمة وماكناحون قادما من قسنطينة والتحمت المعركة حامية الوطيس في ربوة تيمسقيدة - قصد بويغلة بني بني ودعا إلى الجهاد المقدس فرفع شيوخ الزوايا وكلاء مقامات أولياء الله سناجقهم وجندوا اخونهم ومريديهم ونظموا الكفاح المقدس دفاعا عن الشرف والعرض والوطن والتحقوق بواجهة واضية حيث أخذ العدو زحفه على قراها بقيادة الجينيرالين يوسف وروندون ومعهم الخائن لافاسي الجودي فوقع عدة معارك في الناحية ، وكانت لالة فاطمة نسومر إلى جانب بويغلة تخوض غمار الحرب وتحرض المجاهدين وقيل رأت لافاسي الجودي في المعركة فقصدته فقتلته بيدها * وفي معركة أخرى سقط الشريف بويغلة جريحا قربها

المجاهدين على القتال والاستماتة في سبيل الدفاع عن العرض والشرف والوطن الحبيب ووراء البطلة لآلة فاطمة نسومر حاشيتها من أشجع الفتيات والسيدات الشابات يقاتلن معها ويزغردن لتحريض المقاتلين المفاوير ويسعفن الجرحى ويضمنون جروحهم ويزودون المحاربين بالعتاد الحربي - وبالزاد ويقضين على جرحى العدو استعملت في هذه المعركة كل أنواع الأسلحة حتى الحجارة وثبت المجاهدون الميامين وأظهروا بسالة نادرة اعترف بها العدو المهاجم ثم شن المجاهدون هجوماً موحداً على صفوف العدو فضعضوهم وفرقوا شملهم قولوا الادبار وفروا منهزمين فصاحت أبواقهم بالانسحاب من المعركة فتابعهم المجاهدون حتى أخرجوهم من عرش يلاتن فعاد القائدان روندون وماكماحون بفلول جيشهما إلى تيزي وزو يجران وراءهما عار الهزيمة أمام بويغلة ولآلة فاطمة نسومر *

نهاية جهادهما :

تابع جيش الاحتلال توسعه في الجبال فدخلوا العزازقة في أفريل ١٨٥٤ بقيادة الكلونيل والف وتمركزوا بالمراكز الهامة وبنوا الثكنات واستوردوا المعمرين للأرض من أخلط الأروبيين وأوباشهم واقطعوا لهم الأرض في سهول يسر وبرج أمنايل وسيدى داود بعد أن انتزعوا من أيدي الأهالي واتخذوا دلس مركزاً لقيادتهم ومبعثاً لنشاطهم العسكري من سنة ١٨٤٤ ثم اتخذوا مركزاً آخر في تيزي وزو ليكون منطلقاً فيالقهم لغزو القرى التي لا تزال محاربة لهم معارضة لتقدمهم بعد أن القى السلاح اغاوات الجهات أثر انهزام الحاج محمد بن زعموم في معركة تادميت في سنة ١٨٤٤ وأسره كما سلف

فأسعفته ونجته من السقوط بيد العدو - فاعجب بشجاعتها وبسالتها كما أعجب بجمالها البارخ وخلقا الكريم فخطبها من أخيها سى الطاهر أكن زوجها أبى طلاقها فأراد بويغلة أن يفديها منه بمبلغ بليغ فرفض سى يحيى بن ليخولاف الفداء وفي سنة ١٨٤٥ كانت شهرة لآلة فاطمة نسومر قد انتشرت في القبائل الكبرى وأقلقت فكر بيجو وأركان حربه وبعثت في قلوب الجيش المتوغل في البلاد الرعب بعد أن ذاق شر الهزيمة في المعارك التي قادتها إلى جانب بويغلة فعزم الحاكم توجيه حملة عارمة للقضاء على الشريف بويغلة والولية لآلة فاطمة نسومر التي وصفها قادة جنوده بجاندارك القبائل الكبرى وعدها البعض منهم بأنها نبية فلا قبل لهم بها فقصدوا الجينيرال روندون بجيش جرار من العاصمة إلى جبال جرجرا واستقدم المارشال دي ماكماحون من قسنطينة فقدم بفيالقه العرممة وكانت الخطة المسطرة اكتساح القرى النائرة وتحطيم القرى التي انسحب إليها بويغلة ولآلة فاطمة نسومر في جرجرا - قصد رندون وماكماحون قرية توريرت عمران حيث أقاما معسكرهما وكانا قد اكتسح عسكرهما في طريقه كل شيء بالنار والحديد وارتكبوا الأفاعيل وأجرموا الجرائم ولوثوا الأعراض وأهلكوا الحرث والنسك - وبعد أيام رسما خلالها خطة الهجوم اقتحمت فيالقهما مواقع المجاهدين في ربوة تيمسقية وتشكرت وأقروا بورجة وتيزي بويرو واشتدت المعركة وأبدى المسيلون شجاعتهم واستماتتهم في القتال بالسلاح الأبيض وقاوموا مقاومة الأبطال ودافعوا دفاع الأسود عن العرين * وكانت لآلة فاطمة نسومر في وسط الممعة تخوض غمار الحرب مرتدية لباسها الحريري الأحمر اللون وببدها السلاح تقاتل العدو وتحرض

ثم نفى الى جزيرة سانت مرجريت التابعة لفرنسا ومن هؤلاء الاغوات بلقاسم اقاى اغا عمروة ٠٠ وبن سالم اغا جرجا وكلاهما وليا للامير عبد القادر انظم الى العدو بعد استسلام الامير عام ١٨٤٧ - وفى سنة ١٨٥٧ أعاد الجنيرال دهوت بول الكرة على الاربعاء بنى ايراثن فدخلها بخيانة خابث من أهلها لا يزال اسمه مضرب المثل فى الخديعة والخيانة الوطنية وقد جرت معركة هائلة فى قرية ايشريضن التحم فى وطيسها المجاهدون بالمعتدين واستبسل فيها المسبلون استبسال الاسود الاساوس وجاهدوا حتى ماتوا عن آخرهم فى ربوة لا يزال ذكرها يرد فى أفواه الشعراء شعرا حماسيا وأغانى والحانا فى أفواه الشعب غير أن المقاومة انتقلت الى جبال جرجا وقرى ايللتن وتخليجث ناث عسو وأقرو بورجة وتوريرت عمران وتيزى بوايرو المنتشرة على ربوة تمسقية وكلها قرب عين الحمام والقرى لا تزال عامرة الى اليوم وفى هذا العرش أو الدوار توجد قرية لالة فاطمة نسومر حيث لا تزال البطلة الشهيرة تنظم المقاومة وتستعد لقتال المعتدين الاجانب . وقد هاجمت مركزهم بالاربعاء وقطعت عليهم طريق المواصلات فاشتد أمرها وقوى جانبها وانظمت اليها قياد الاعراش وأمناء القرى فراحت تناوش كتائب الاعداء وتهاجمهم فى المراكز المتقدمة وتبعث الرعب فى قلوبهم حتى خشيت الولاية العامة بالعاصمة خطر لالة فاطمة نسومر فقدم الجنيرال روندون وقصدها بجيش عظيم واستنجد بالمريشال ماكماحون فأتاه بالعتاد والعدد وقصد الجيشان جبال جرجا والتقى فى الحادى عشرة جويلية ١٨٥٧ فى أعراش آيت استوراغ وايللتن يقود كتائب هذا الجيش المتألف من ٤٥٠٠٠ جندي الجنيرالان السفاكن : يوسف

وروندون فيدات المعركة واحتدم فيها القتال وجاهدت لالة فاطمة جهاد الابطل ثم رأت الخطر يحرق بالنساء والاطفال فأمرت باللجوء الى قرية ثيخليجث ناث عتسو فخرجت بالنساء والاطفال والاموال الى هذه القرية ثم أراد قادة الثورة الاستسلام ودارت مفاوضات بينهم وبين رندون على الا تمس الاعراض بسوء ولا تخرب القرية لكن القبطان فورشو اقتحم القرية بفرقة الزواف فأسر لالة فاطمة نسومر ومن معها من الاطفال والنساء (٢٠٠ امرأة) فقدمها للجنيرال رندون فأكرمها اعجابا بشجاعتها وكفاحها ثم سيرها ومن معها من زميلاتها فى الكفاح الى زاوية سى تابلط وكان هذا قد رافق العدو فى هذه الحملة حيث وضعها وأتباعها من أهلها ومناصريها تحت الطاهر بن محى الدين باشغا بنى سليمان فى الاقامة الجبرية وكانت قد بلغت من العمر السابعة والعشرين وكان معها فى المعتقل اخوتها : سى الطاهر وسى أحمد وسى شريف وسى الهادى وآخرون من أقاربها نحو الثلاثين وقد بقيت فى هذه الزاوية سبع سنوات فرقت نفسها للعبادة محترمة الجانب عظيمة القدر تزورها الوفود من جبال جرجا خاصة ومن قرى القبائل عامة وتأتيها حتى من الجهات الاخرى للتبرك بالجلوس اليها والسماع الى احاديثها المملوءة بالعظمة والنصيحة حتى أدركتها الوفاة اثر التهاب أصابها فى بطنها أشل أعضائها مدة ذقت خلالها العذاب الاليم - توفيت البطلة لالة فاطمة نسومر فى شهر سبتمبر سنة ١٨٦٣ ببني سليمان ودفنت الى جنب أخيها سى الطاهر الذى مات قبلها سنة ١٨٦١ .

نهب العسكر منزلها فأخذوا ١٠٠,٠٠٠

دينار فضة *

الخاتمة :

لعبت لالة فاطمة نسومر دورا هاما في المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وتسرب العدو الى داخل الوطن في بلاد القبائل خلال الثورة العارمة ما بين ١٨٤١ و ١٨٥٧ وكافحت الاستعمار كفاح الابطال اظهرت شجاعة نادرة في المعارك وواجهت عشر جنيرالات لقنتهم دروس الفروسية والبطولة الجزائرية في جبال جرجرا ولم تستسلم الا امام القوة الجبارة تجاه جيش بلغ عدده ٤٥٠٠٠ جندي . فاذا كان لكل امة بطلة يفتخر بها تاريخه فان لامة الجزائر زعيمتها وبطلتها لالة فاطمة نسومر التي توجت هامة جرجرا اكبل الفخار وزينت جبين لالة خديجة بغار الشرف *

وكل صيغة النساء

و ٨٢ راسا من البقر

و ١٠ بغال

و ٢٥٠ شاة

و ٥٠ بندقية

و ١٥٠ مجلدا من ائمن الكتب وأشهر

التأليف في مختلف العلوم والفنون في اللغة

العربية وقد سعى أخوها سي الطاهر على استرداد

هذه المجلدات لكن بدون جدوى *



الحل الامريكى السوفياتى لن يرضى العرب

وفى يقينى ان معركة قادمة يجب ان تتجه الى تحطيم القوة الاسرائيلية المقاتلة دون اعتبار لما تذييعه اسرائيل عن اقترابها من دمشق أو القاهرة لان توسعها جغرافيا هو اضعاف لها *

لهذا قلت فى البداية ان لغة المؤتمر كانت لغة المعركة ولذا فان امامنا ثلاثة احتمالات للحلول *

حل عربى : وهذا اسمى الحلول وهو يتطلب ان نكون فى مركز قوة *

وحل امريكى : سوفياتى وهذا الحل لن يرضينا ابدا مائة بالمائة *

حل امريكى : وهذا الحل سيكون على حسابنا كعرب *

تكرر السؤال مرة ثانية عن مؤتمر السلام وعن اتجاه المؤتمر هل هو يدعو الى جنيف أو الى الجبهة *

واجاب رئيس مجلس الثورة لكى اكون صريحا فان طريق جنيف يجب ان يمر بالجبهة وهذه هى الفلسفة العامة للعمل العربى *

وحول قضية النفط وما تردد من تهديدات قال الرئيس بومدين :

لسنا فى حاجة لجيوش ولا لدبابات لندافع عن نفطنا لا عددا بسيطا من فدايين ان يمكننا بتسبب فى كارثة عالمية اذا ركب الغرب رأسه *

وأنا اقول اذا حاول الغرب ان يتصرف بعنجهية ويحاول ممارسة القوة فان الكارثة ستقع بالنسبة له وستحترق كل الابار وتحطم كل الانابيب وسيدفع الثمن *

وبعد ان عرض الرئيس على الصحفيين طريقة العمل داخل اطار مؤتمر القمة مؤكدا لهم الطابع الموضوعى الصريح البناء للمناقشات ومشيرا الى ان المعركة لم تنته بعد وان دور مؤتمر القمة هو ضمان التضامن العربى ورفض اعطاء أى معلومات عن مساهمات الجزائر فى المعركة واكتفى بالقول بأنه خلال لقائه بالرئيس السادات فى القاهرة علم منه انه هناك فى الافق احتمالات عمل عسكري فطلب من الرئيس المصرى ان يحدد احتياجاته وقد تمت الاستجابة لها *

الرئيس بومدين فى ندوة مع ممثلى الصحف العربية



ملف الملتقى

كلمة السيد محمد أنور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية الى ملتقى الفكر الاسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

الاخ الرئيس

الاخوة العلماء

ابناءنا الطلاب

تحية طيبة مباركة ابعثها اليكم فى ملتقاكم
السابع للتعرف على الفكر الاسلامى ، الذى
أصبح علامة منيرة فى طريق العمل الاسلامى على
الصعيدين الجزائرى والاسلامى .

فهذا المؤتمر يضم كل عام صفوة من العلماء
جاءوا يحملون اقدس رسالة وهى رسالة العلم .

وهو يضم ممثلين للجيل الجديد الذى نرجو
أن يكون أسعد منا حظا وأقدر على حمل الامانة ،
وفى هذا تواصل بين الاجيال وتدريب كريم
للقيادات الشابة .

وهو يعنى بقضايا حيوية تربط بين الدين
والحياة بكل ما تحمل الحياة الاسلامية المعاصرة
من مسؤوليات وما نحتاج اليه من خلق كريم
ويقظة فكرية ودأب على العمل الجاد الهادف .

ومن هذا التواصل بين الاجيال الجديدة
والعلماء ، وبين الدين والحياة وبين الكلمة والعمل
يسلك الملتقى طريقه الصاعد الى أفق أوسع فى
خدمة العقيدة والمجتمع .

أدعو الله أن يجعل كل هذه الجهود مددا
لرفعة الاسلام والمسلمين وإقامه الحياة على سلام
عادل نسترد فيه أرضنا المفتصبة ومقدساتنا
السلبية ونعيد به السلام الى أرض السلام .

وتحية الى اخى الرئيس هوارى بومدين
والى حكومته الموقرة والشعب الجزائرى الشقيق
والى علمائنا وشبابنا فى مسيرتهم الراشدة الى
الايمان والعلم والعمل .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
تحريرا فى :

٥ جمادى الثانية سنة ١٣٩٣ هـ

٥ يوليو سنة ١٩٧٣ م

رئيس جمهورية مصر العربية
محمد أنور السادات

كلمة الاستاذ احمد توفيق المدنى وزير الاوقاف سابقا
وسفير الجزائر بباكستان حاليا
فى جلسة افتتاح الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

سعادة الوزير المصلح الجسور ،

سادتى العلماء الامجاد ،

ابنائى رجال الغد المشرق فى جزائر الاسلام ، والعروبة والنهضة الانشائية الكبرى انى لجد مغتبط وسعيد ، اذ يسر الله لى اسباب حضور ملتقاكم هذا ، واتاح لى من جديد ، شرف الانغماس فى معين الحياة الفكرية والادبية والاندفاع الثورى الخلاق الذى هو شعار جزائرنا الحرة الجديدة .

وانى ، علم الله ، كنت منذ امد طويل اتوق لحضور هذا الملتقى ، واذوب شوقا لسماع محاضراته ومناقشاته البناءة التى كانت والحق يقال ، مشعلا وضاء القى نوره الساطع على ماضينا ، وبين لنا اخطار حاضرننا ، وحدد لنا الى امد بعيد ، معالم مستقبلنا السعيد ، فما حال بينى وبين تحقيق تلك الامنية الغالية ، الا تلك الواجبات الكبيرة التى القيت على كاهلى ، فى آخر حلقة من هذا العمر الذى طال ، فمثلت بلادى الحرة العاملة فى شتى اقطار العالم الاسلامى

النائية ، وازددت بذلك علما ، واتسعت آفاق التجربة عندى ، وكنت ، كما قلت ، ممثلا لبلادى بدينها ، بلغتها ، باخلاقتها ، بثورتها ، بكل هذه القيم العالية التى جعلت منها دولة بناءة رفيعة العماد ، متينة الاساس ، شديدة المراس .

اننى اتخطى اليوم عتبا ، باب السنة الخامسة والسبعين ، ولقد اسعدنى الله بتحقيق كل آمالى فيما جاهدت من اجله ، نحو من ستين سنة ، مما كان يعتقد اكثر الناس فى ذلك الاوان خيالا واوهاما ، وبالميتهم يرون اليوم جزائرنا الفتية العملاقة ، تتقلب على بساط الاستقلال التام ، وترتفع فوق ربوعها اعلام الحرية الغالية مصبوغة بدماء شهداء الاجيال ، اذن لراوا ان الحرية تؤخذ قوة واقتدارا ولا تمنح هبة وفضلا ، واذن لراوا ان اوهام الاستقلال والحرية ، تصبح حقيقة ثابتة راسخة كالاطواد اذا ما بذلت فى سبيلها المهج والارواح ، واذا ما قدمت فى سبيلها مواكب الضحايا ، يتلو بعضها بعضا .

من اعز هذه الامنيات الغالية التى شاهدت تحقيقها ، هذه المعاهد الاسلامية العربية النادرة المثال ، المنبثة فوق اديم الارض الجزائرية والتى ان كنت اعتر فى حياتى بشيء فأننى اعتر بشرف ابتكارها وتأسيسها واخراجها من عالم الخيال الى عالم الحقيقة الوضاءة منذ عشرة اعوام ،

العلوم الاسلامية « التي تفجر امام جيلنا الصالح الدراسات الاسلامية العليا ، وتميط اللثام عن اسرار عظمتنا الغابرة ، وتأخذ بيد النابغين من ابنائنا الى ميادين التخصص المثمر ، حتى نستطيع ان نجارى علما وعملا ، جهود كبار الباحثين والمستنيطين ، فى الشرق وفى الغرب ولتدع - اذا رايتم - كلية عبد الحميد بن باديس ، تحقيقا للفكرة التي كانت ترواد قلوبنا الراحل اثناء جهاده الموفق »

هذه الكلية - سيادة الوزير - موجودة قانونا ، فقد صدر لانشائها امر وادرج بالجريدة الرسمية يوم ١٧/٦/١٩٦٤ - وقد ان فيما ارى اوان التنفيذ وما ذلك على همتمكم وهمة رجال الحكومة الفضلاء ، بالامر العسير ، وليكن مقرها - اذا رايتم - نفس مدينة تيزى وزو التي نجتمع فى رحابها اليوم ، هذه المدينة التي اختارها الاستعمار قديما لتكون مركزا راسخا لبث دعايته التبشيرية الهدامة الخرية ، فكانت على عكس ما كاد وما اراد ، مركزا للاصلاح الاسلامى الذريع ، وموقدا هائلا للثورة العارمة وستكون غدا بحول الله ، منبع النور والهدى ، ومركز البعث الاسلامى العظيم ، بهذه الديار »

ابنائى الطلبة الميامين :

اراكم ، فانظر فوق جباهكم الوضاعة ، نور الاسلام ، وشرف العروبة ، ومجد الوطن وسمو مازيغ ، وشهادة قحطان »

اراكم ، فاثمتم فيكم فصول الرستميين ، وعظماء الحماديين ، وكبراء الزيانيين ، وأبطال العثمانيين »

اراكم ، فأرى هذه الجزائر قد سمت بكم وباخوانكم - فى مستقبل قريب - نحو أوج العلا وأدركت شأرا ربما لم يصل اليه أبناء العموم - وأبناء الخؤولة »

انما ، تذكروا دائما - اينائى ، قول الشاعر الاسلامى الكبير ، احمد شوقى :

ايام كنت وزيرا لاوقاف الجمهورية الجزائرية وياالله ، كم قاسيت يومئذ فى سبيل انشائها من عنت ومن ارهاق ، وكم تحملت من اذى نوى القريبى الذين وحدت بينى وبينهم الاوطان وفرقت بينى وبينهم الاهداف ، انما ذلك الجيل المجاهد من المؤمنين الصادقين الذى التف حولى وشده ازرى ، وذلك المدد السخى الذى امدنا الله به على يد البطل العربى الصادق جمال عبد الناصر رحمه الله ، ورجال الازهر الشريف ، واوقاف مصر المسلمة ، وذلك الاقبال المخلص المضى من علماء الجزائر وطلبتها ، قد اكد لنا النصر العزيز المؤزر ، ولينصرون الله من ينصروه ، قاصبحت المعاهد بين عشية وضحاها قائمة عاملة ، جادة ، وفتح امام الجزائر طريق الاسلام والعروبة والوطنية الصحيحة المجاهدة على اوسع ابوابه »

والآن ، وبهذه المناسبة ، اجد واجبا على مفروضا ان اتقدم بآيات من جميل الشكر ، وخالص التهنية والثناء ، لهذا البطل الاسلامى الكبير ، وهذا المجاهد الجزائرى العظيم ، اخى وصديقى الاستاذ مولود قاسم ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، وللصفوة المختارة من رجال الدولة الجزائرية الذين اعانوه وايدوه ولرأس الدولة العملاق المجاهد الهوارى بومدين ، الذى نفخ فى هذا العمل الجبار روحه واخلاصه ، واحساسه المزهف الشريف ، فبفضلهم جميعا راينا الجدار يرتفع ، وراينا البناء يشمخ وراينا المعاهد ينمو عددها ويعم نفعها ، ويتوطد نظامها وراينا هذه الطائفة المختارة من ابناء الجزائر الابرار يلتفون حولها قلبا وقالبا ، فتخرج هذا الجيل الغفير الحى ، وتجمع مثل هذا الملتقى الذى شاع نكره وذاع ، واصبح حديث العرب والمسلمين فى كل اقطارهم ، ومنه يتفجر النور والهدى ، ويتجلى الكتاب المنير »

واظن انه قد ان الاوان ، سيادة الوزير والمربى الحكيم ، وقد بلغت المعاهد هذا الشأو العظيم من الرسوخ والانتشار ، لاشاء « كلية

وما نيل الرغائب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

فاذا كنتم تمثلون ابطالكم ، وتجسمون تاريخكم ، وتحملون امانة امتكم ، وتفتحون ابواب المستقبل السعيد في وجه وطنكم ، فلن يكون ذلك والله الا نتيجة جهاد ، وثمره جهود ، فالعلم والمعرفة يبتدان على مقاعد المعهد ، وينمو بالسهو والمطالعة والحوار الصالح ، ويعظم بالمشاركة في الحياة العامة ، وبناء الجيل ، الفاضل والامة الصالحة والوطن العزيز .

جمع دراستكم التي هي عدتكم في الحياة ، طالعوا وتنقروا وادخلوا ميادين العمل الصالح المثمر ، تعلموا كل علم وتدارسوا كل فكر ، ومحسوا كل رأي وارتابوا كل ميدان ، سلاحكم القرآن ودرعكم الايمان ، حتى تساهموا من جهة مساهمة فعالة في هذه النهضة العالمية الكبرى ، وحتى تستطيعوا - من جهة اخرى - ان تردوا غائلة كل مبشر اثم ، وتداروا دسائس كل دخيل زعيم .

كونوا ابنائي مسلمين حق الاسلام ، فالاسلام دين الله الحنيف ، وهو عزكم والاسلام كيانكم ، والاسلام فخاركم ، لتكونوا مسلمين قولا وفعلا ، لتكونوا مسلمين سرا وعلانية ، ان الاسلام هو الثورة العالمية الاولى ، وهو الثورة العالمية الاخيرة . الاسلام قوة دافعة لا تقاوم ، نحو كل رقى وكل سمو مادي ومعنوي ، ان الاسلام ثورة مستمرة ، تبشر وتتفاعل مع كل طور من اطوار الحياة ، تحرر الفكر وتعتمد على العقل وتحث على العمل الصالح المثمر ، وتدفع بالفرد ، وبالجماعة وبالدولة نحو الكمال المطلق ، وبلوغ نهاية الارب .

كونوا عربا كما يجب ان تكون العروبة : لغة وفصائل واخلاقا ، وكفاحا في سبيل المثل الاعلى ولتغلبوا على رواسب عقد النقص التي الحقنها سنوات البوار والاستعمار لعروبتنا الطاهرة النقية ، ففي العالم العربي كله نجد

اليوم جهادا ، وجهودا جبارة لنفض رمد الانحطاط عن هذه الحيرة التي لا تزال تحت الرماد متقدة حامية ، جمرة العروبة الحية الخالدة ، انها ستعود بفضلكم ، ويفضل اخوانكم في شتى ميادين العروبة الفسيحة للاشراق المنير لاعلى العالم العربي والاسلامى فقط بل على العالم اجمع

كونوا - واقولها صراحة ، دون غموض او التباس : كونوا اشتراكيين صادقين ضمن دائرة الاسلام ، والعروبة ، والوطنية ، هذه الاشتراكية الصالحة الغير المستوردة ، النابعة من صميم واقعنا ، وفي حاجة شعبنا ، هذه الاشتراكية التي جعلت كل مصادر الثروة في بلادنا ملكا خاصا للشعب العامل المكافح - هذه الاشتراكية التي تعيد لذلك الفلاح المنبوذ تحت حكم الاستعمار ، شرفه وعزته ومكانته الاجتماعية

وحذار حذار ابنائي ، ان تندس بين صفوفكم شرانم من الانهزاميين المعوقين دعاة الفساد والافساد ، الذين ينتقدون كل عمل ، ويشككون في كل مسعى ، وينادون وراء العاملين بالويل والتنبؤ ، سعيا وراء كسب حرام ، واثرء فاجر ، ومال سحت : لهم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله انى يؤفكون .

ابنائي : لا تعيشوا بعد تخرجكم ، ليطلونكم او لجيوبكم ، بل عيشوا لمجتمعكم ووطنكم ليكن منكم المجتهد في الدين والمخترع في الخير ، والمكتشف في مجاهل الحياة ، كفى عيشنا تحت كنف الاجنبى : هو المخترع ، والمكتشف ، والباحث ونحن التابعون واتباع التابعين .

ابنائي : لا تكونوا في حياتكم من قوم «كان» بل لتصبحوا ومنذ الآن ، من قوم «صار» .

كفانا بكاء على الاطلال ، ولتفتح ابصارنا وبصائرنا على مستقبل سعيد نبنيه بسواعدنا وبأيامتنا .

قد تغنينا مئات السنين بذكر ابن خلدون - والفاربي ، وابن سينا ، والغزالي ، وابن رشد ، وابن الفحام ، وابن ماجد ، والمازري ، وابن

بذلك - لا محالة - اسفل ساقطين ، والله يقول :
ولكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون
بالعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم
المفلحون .

واخيرا ، ابنائى : انها لنعمة من الله عليكم
ان قيض لكم ، على يد وزارتم الحكيمة ، هذه
الطائفة الصالحة ، من اعلام امة الاسلام ، ومن
كبار مفكرها وعلمائها ، يحاضرونكم فى هذا
الملتقى ، ويمدونكم بقبس من روحهم وفيض من
تفكيرهم وتوجيهاتهم الصالحة فلتكن اذانكم
صاغية ، ولتكن قلوبكم واعية ، ولتكونوا من
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، فانتم
اليوم الشباب المتعلم ، وانتم غدا القادة الواعون
الصالحون ، فالمستقبل ينتظركم ، والله مؤيدكم
وناصركم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

النفيس ، وما لا يحصىه العد من امثالهم من
العظماء لكننا خلال ذلك لم ننتج من يضاهيهم ،
او من يسجل اسمه الى جانب اسمائهم ، فصرنا
من قوم «كان» كفى ! لنصبح من قوم «صار»
ولندفع بقوة وبإيمان فى ميادين الاعمال الذهنية
والفكرية والانشائية ، فالفكر البشرى واحد ،
والعلم واحد ، وميادين الاكتشاف والاختراع
مفتوحة امام الجميع ، انما هى عزيمة الرجال
تخور وتتضاءل ، فيصاب المجتمع بالشلل ويسير
فى طريق الموت البطيء ، بينما الآخرون يتقدمون
ويرتفعون .

ان الامة العربية لا تزال ولودا ، انما
المجتمع المنحل المريض هو الذى يثد ابناءها .

ابنائى : قوموا الاخلاق ، فالاخلاق فى
تدهور عظيم ، وما سقطت اخلاق شعب الا سقط



تعقيب السيد مولود قاسم نايت بلقاسم ، وزير التعليم الاصلى والشؤون الدينية على كلمة السيد احمد توفيق المدني

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرات الاخوة ،

تعلمون انه من تقاليد هذه الملتقيات ان يكون اثر كل محاضرة تعقيب على تعقيب ، ومناقشة لكل محاضرة ، ونفتح مناقشة هذا الملتقى وتعقيباته بتعقيب على المجاهد الكبير الاب الروحي لاجيال واجيال الاخ احمد توفيق المدني ، الذى كما قلت هو اب روى لاجيال بفضل ما قدمه من آثار لشباب هذه البلاد بصفة خاصة ، وخدمة للامة الاسلامية الكبرى بصفة عامة .

ففى العشرينات ، كتب كتباً كانت نبراسا لشباب هذه الامة الصغيرة فى اطار الامة الكبيرة فى وقت كانت ركزت فيه كل وسائل المسخ والاذابة وكل وسائل الادمج والسلخ على هذا الشعب ، وبالضبط فى سنة ١٩٢٥ - اذا ما كانت ذاكرتى صحيحة - نشر الاخ الجليل كتاب الجزائر الذى ذكر فيه مراحل تطور هذه الامة الصغيرة ، كما قلت فى اطار الامة الكبيرة ، وجهادها ومساهمتها فى اطار الحضارة الاسلامية وفيه كذلك ذكر وتفصيل حقا للاستعمار الفرنسى فى مراحلها العديدة ، وهذا الكتاب نشر فى سنة ١٩٢٥ م قبل ان اولد ببضع سنين ، وله كتب اخرى مثل كتابه هذا ، واهد الله لنا وللامة

الاسلامية فى عمر الاخ الذى يفيض شبابا كما رايتم روحا وجسما . وكتب اخرى مثل عثمان باشا ، ومثل حرب الثلاثمائة سنة - الذى نشر اخيرا منذ سنين قليلة - عن المدة التى استغرقها كفاح هذا الشعب ضد المد الصليبي الاسبانى بسقوط الاندلس ، تعلمون ان الاستعمار الاسبانى او الحقد الصليبي امتد الى المغرب العربى الكبير المغرب والجزائر وتونس ووصل الى ليبيا ثم امتد بعد كما تعلمون الى الفلبين وآثاره ما تزال باقية الى اليوم وتعلمون ان امتداده بقى فى وهران ، والمرسى الكبير ، ومستغانم ، وتنس ، وشرشال ، والجزائر العاصمة ، وبجاية ، وجيجل ، وعنابة ، والقل ، وربط الحمير فى جامع الزيتونة فى تونس ، ووصل الى ليبيا ، الى ان طرده مجاهدون ابطال ، مثل خير الدين بربروس وابناؤه ، وعثمان الكبير . الخ ، وطرد هذا المد من هذه البلدان فيما بعد .

وهذا الكتاب - فيما اعلم - هو آخر ما انتجه اخونا الكبير الاستاذ احمد توفيق المدني ، الذى كان الوزير الاول للوقوف بعد استرجاع الجزائر لاستقلالها والذى هو الآن سفير الجزائر بباكستان .

وهو منشئ المعاهد الاسلامية بالجزائر سنة ١٩٦٢ م بمجهود متواضع وبصراع ومقاومة وكفاح الخ .

كلية اصول الدين وتاريخ الاديان المقارن وكلية الشريعة ، وكلية اللغة العربية الى كليات اخرى ، ككلية العلوم ، وكلية التجارة ، والزراعة ، وكلية الهندسة ، وكلية الطب فستكون جامعة كاملة الخ . . . ، فلا بد للاستاذ والمفتي والامام ، وكما يقال (لرجل الدين) ان يطلع ايضا على ما يجرى في بلدان اخرى ، وفي اديان اخرى وعلى ما يحاك ضدنا من مؤمرات ليرد علينا برفق .

وستكون مزروعة - ان سمحتم لي بالتعبير - وممتدة من اقصى شرق البلاد الى اقصى غربها ، فستكون كلية في سوق اهراس وفي عنابة ، وفي قسنطينة ، وفي سطيف ، وفي بجاية ، وفي الجزائر العاصمة ، وفي وهران وفي تيارت ، وفي الاصنام وتلمسان ، وبسكرة وطولقة وتمنراست ، ليعم شعاعها البلاد كلها .

هذا ما أردت ان اضيفه بخصوص الكليات وشكرا .

واستمر على منواله في تطوير هذه المعاهد الاخوان اللذان تلياه ، وهما الاخ التجاني هدام ، وزير الاوقاف سابقا والآن سفير الجزائر في تونس والاخ العزبي سعدوني ، وزير الاوقاف ايضا سابقا ، والذي هو الآن سفير الجزائر في دمشق .

اعود الآن الى الكلية بكلمة قصيرة ، فالكلية التي تكلم عنها الاخ احمد توفيق المدني هي الآن في طور البناء ، وجدرانها صاعدة ، وقد زارها الرئيس منذ اقل من اسبوع في قسنطينة ، وهي الكلية الاولى ، ولكننا سوف لا نبقى عند حدها ، لقد اعلن الرئيس هواري بومدين في خطابه في جامع عقبة بن نافع رضى الله تعالى عنه في القيروان ، في السنة الماضية ، ان هذه الكلية التي سينتهي بنائها في آخر السنة المقبلة ان شاء الله وستفتح ابوابها في اكتوبر سنة ١٩٧٤ م اذا تم كل شيء على ما هو مخطط ، اقول هي نواة فقط لجامعة اسلامية شاملة ، كاملة الكليات بمختلف انواعها ، من الكليات التقليدية كما يقال اليوم ،



كلمة السيد راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت في الملتقى

بسم الله الرحمن الرحيم
السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

أيها الأخوة والأخوات :

انه ليسعدني في أن أشارك في هذا الملتقى الإسلامي للتعرف على الفكر الإسلامي الذي تنظمه وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بمدينة تيزي وزو والذي يضم نخبة كريمة من العلماء والمثقفين ويحضره الشباب الجزائري المؤمن بدينه وعرويته .

ويسرني أن أحمل تحية الكويت الى هذا الملتقى وتمنياتها لكم بالتوفيق والنجاح .

والفكر الإسلامي أيها السادة يتميز عن غيره من الأديان والنظريات لانه الدين الذي جاء لجميع البشر ليعالج مشاكل الانسان الذي ينبغي أن يعيش على وجه الأرض كريما عزيزا (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) (الاسراء) .

لقد اتسم الفكر الإسلامي بالموضوح والسهولة واليسر ، فالعقيدة الإسلامية لا تعترف إلا باله واحد وتنكر تعدد الالهة ، والإيمان بالكتب

السمائية والأنبياء والرسل واجب ، ولكن محمدا (ص) هو خاتم الأنبياء والرسل والقرآن ناسخ لجميع الكتب وكل من أدرك الإسلام وجب عليه الإيمان وحمل دعوة الإسلام للآخرين وفي الوقت الذي يضع الإسلام للناس نظاما يسرون عليه (هو الشريعة) لمعالجة مشاكلهم وتسيير حياتهم يقرر أن الدين والدولة شيان متلازمان على الدولة أن ترعى الدين وبالدين تصان الدولة وأن الناحية الروحية تعتبر عاملا مؤثرا في حياة المسلم وتصرفاته ، وهي غريزة من إحدى غرائز الانسان فالمسلم لا يحتاج الى واسطة في عبادته وصلته بربه فلا رهبانية ولا كرسي اعتراف (اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك) .

وفي الوقت الذي يقرر فيه الإسلام والعدالة الاجتماعية حرية الفكر والتعبير وان الانسان يجب أن يعيش ويعمل لمصلحة المجموع ، نرى أصحاب النظرية الرأسمالية لا يقيمون وزنا لمصلحة الكثرة من الفقراء في سبيل مصلحة نفر من المحتكرين والأغنياء ، كما نرى ان الشركات الاحتكارية هي التي تسيير السياسة وتسيطر على الحكام في البلاد الغربية ، أما أصحاب النظرية المادية من الشيوعيين والوجوديين الذين يزعمون أنهم ساووا بين الناس في الرزق نجدهم قد

ولا تخلو بلد في العالم اليوم في الشرق أو الغرب من مسلم يوحد الله أن هذا التميز في الفكر الاسلامي وهذا الموقع الممتاز للمسلمين هو الذي جعل أعداء الاسلام يحيكون المؤامرات ضد وحدة الامة العربية الاسلامية فبالامس كانت مؤامرات السباية واليهودية ثم الشعوبيين والزنادقة والقرامطة والباطنية حتى تعرض الاسلام الى حركتين من اخطر الحركات في التاريخ حركة من الشرق تزعمها القنار فاحبط الله كيدهم في عين جالوت ، وحركة من الغرب تزعمها الصليبيون الذين كسر صلاح الدين شوكتهم في حطين الى جانب محنة الاندلس .

وعندما شعر الكفر بأن قواته العسكرية لا تكفي وحدها استعان بقوتين خطيرتين هما الاستشراق والتشهير الاول لتشويه الثقافة الاسلامية والثاني لهدم العقيدة الاسلامية واليك ما قاله (بلقور) صاحب الوعد المشؤوم ، والذي كان آنذاك رئيس شرف للجنة تبشيرية : « أن المبشرين هم ساعد جميع الحكومات المستعمرة وعصدها في كثير من الامور » لقد ظل الكفر ينقذ مخططة الرهيب في تحطيم معنويات المسلمين بالغزو الفكري وركز هجومه على المصدر الذي يمد المسلمين بالقوة وهو القرآن الكريم الذي رفعه (جلاستون) بيده ونادى في مجلس العموم البريطاني (لن يقر لنا قرار بين المسلمين ما دام فيهم هذا الكتاب) .

واليوم ايها الاضوة :

في الشهر الماضي وقع في يدي كتاب بعنوان (القرآن عقيدته وتعاليمه) منسوب الى محي الدينوف سفير الاتحاد السوفيتي بسوريا مرسل من سفارة الاتحاد السوفيتي في بكستان ، وهذا الكتاب كله هدم للقرآن وعقيدة الاسلام وتعاليم المسلمين وانكار لنبوته محمد (ص) وان كل ما جاء عن النبي (ص) هو مجموعة من الخرافات وقد تحققت من الموضوع من حكومة الاتحاد السوفيتي رسميا فنفت صدور مثل هذا الكتاب عنها ..

حجروا على الانسان حرية التعبير ومنعوه نعمة التفكير وسيطرة قلة من الحزبيين الملحدون على مجموع الشعب المغلوبين وهم بذلك لا يفرقون بين الناس ذى الميول والاتجاهات والمشاعر والغرائز وبين الجماد أو الحيوان البهيم أو الالة الصماء التي تحرك فتعمل .

ايها السادة :

ان الاسلام عقيدة ونظام وهو ذلك الفكر الذي خرج على العالم فأوجد دولة وحضارة بل يمكننا القول بأنه خلق انسانا جديدا قد تكون من الروح والجسد .

فقد خاطب القرآن القلب والفكر والعقل (افلا تذكرون) في ٢٧٥ موضع وردت كلمة العلم والحث عليه في العلم في ٧٦٠ موضع وحث القرآن الناس على النظر (قل انظروا ماذا في السموات والارض) في ٢٠٠ موضع وحث القرآن من الناس السير والنظر (قل سيروا في الارض فانظروا ١٢ آية (كيف بدء الخلق) وحث القرآن الناس على العمل (وقل اعملوا قسيري الله عملكم) ٢٨٠ مرة ان هذا التميز في الفكر الاسلامي عن غيره هو الذي جعله ينساب في نفوس الناس وتتقبله ملايين البشر والشعوب ويدخل الناس في دين الله افواجا ويصل الى اقاصى بلاد العالم .

والى جانب هذا فقد حبا الله العالم الاسلامي والعربي موقعا جغرافيا وسطا ممتازا بين الامم ، وافاض عليه من نعمه ثروات المعادن والبتروال والغاز والزراعة والحيوانية ما يجعل مصانع دول الغرب توصل ابوابها لو توقفت تصدير هذه الثروات .

اما مركزهم السياسي فانهم يشغلون ثلث اعضاء المنطقة الدولية الى جانب ٤٠ مليون في الاتحاد السوفيتي و٧٥ مليون مسلم في الهند واغلبية ساحقة في افريقيا السوداء .

أيها الأخوة :

كان شعار المعركة (الله أكبر لا اله الا الله)
فانتزعت حريتها واستقلالها وبارك الله لها
ولا الهيا .

واليوم نلتقى على أرضها الطيبة في هذا
الملتقى الاسلامي الكبير الذي يعقد لسابع مرة
والمتتبع لبرنامج العمل والمحاضرات يجد نفسه
في مدرسة اسلامية كبيرة جامعة ٠٠٠ والمتتبع
لسير الاعداد والتنظيم والتوجيه يشعر بثورة
عربية تعلوها ثورة اسلامية .

فتحية للشعب الجزائري العربي المسلم ،
وتحية لحكومة الثورة وللأخ هواري بومدين
ونخص بالذكر الزميل مولود قاسم ونشكره من
عميق قلوبنا على هذه الدعوة الكريمة وتنظيم
هذا الملتقى وعلى ما لقيناه في هذه البلدة واملها
الكرام من حفاوة وتكريم .

ان هذه الجهات رغم تناقضها والاختلاف
فيما بينها قد اتفقت كلمتها على محاربة المسلمين
في كل مكان وهدفهم الاول هو السيطرة على
العالم الاسلامي ماديا وفكريا والقضاء على
عقيدته وحضارته واقامة وحدته .

ان الجواب الصحيح على تحديات أعداء
الاسلام - في الداخل والخارج - هو التنظيم
ووحدة العمل الاسلامي المشترك ، رسميا وشعبيا
ومن أهم الامور العاجلة تنفيذ صندوق الدعوة
المقترح .

ولقد ضربت لنا ثورة الجزائر المناضلة المثل
الحى عندما ضحت بلميون شهيد في سبيل الله
دفاعا عن عقيدة الاسلام وأرض المسلمين يوم أن



كلمة الدكتور التيجاني هدام
وزير الاوقاف سابقا ، وسفير الجزائر بتونس حاليا
في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي

مرحلة تاريخية عظيمة في هذا البلد العظيم ، فلا شك أن الاسلام يأخذ مكانه الاصيل في هذه البلاد وأن يكون له مفهوم حقيقي يتماشى مع العصر ، وكلنا نعلم أن شبابنا يتساءل عن الاسلام وفلسفة الاسلام ومعنى الاسلام في الميدان الاقتصادي والصناعي والثقافي هذا الاسلام جدير بأن يتماشى والعصر ، بل هل هذا الاسلام يمكن له أن يكون داعيا لا في الميدان العاطفي أو العقائدي في الوسط الاسلامي فقط بل في ميدان الحياة التي نحن نحياها كلنا ، وكل واحد في مستواه .

فالاسلام هو الذي جعل - مثلا - الاستعمار لا يحقق لا في ميدان الثقافة ، ولا في ميدان اللغة كل ما كان يرمى اليه من خرخشة ومن تفكيك ومن تجزئة فكان الاسلام بهذا الشأن حصنا قويا ، وهو الذي جعل في الشعب الجزائري رجالا مثل أخى الكبير الاستاذ توفيق المدني ، والاسلام هو الذي جعل في الشعب الجزائري مثل الامام عبد الحميد بن باديس ، والشيخ البشير الابراهيمي أو الملي والتبسي رحمهم الله ، أولئك الرجال هم الذين هياؤا في افكار الجميع وهم الذين كانوا بالمرصاد بين منغلق ولا منغلق ، فاليوم والجزائر مستقلة والجزائر تبني معية مستقبلا مشرقا فشاب الجزائر من حقه أن يتساءل أو أن يسأل عن مفهوم الاسلام في هذا العصر .

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام
على اشرف المرسلين ، ولا عدوان الا على
الظالمين وما النصر الا من عند الله للمجاهدين *

أيها الاخ الكريم معالى الوزير ،

أيها الاخوان الحاضرون ،

أيها الضيوف الكرام ،

أيها الطلبة ،

ما كنت انتظر أن آخذ الكلمة وأنا أت من بعيد ، وما كنت في استعداد لهذا ، غير أن الكلمات الراقية التي سمعتها منذ حين ، هي التي جعلتني أرحب باقتراح أخى العزيز الذي يقوم حاليا في بلاد الثورة ، بل في بلاد الثورات ، بمجهود جبار في استحياء الاصاله في الشعب الجزائري الاصيل ، فاييت الا أن أرحب بهذا الاقتراح وأقول كلمة قصيرة ، كلها روح واجلال وتقدير لهذا المجهود الجبار .

فلا شك أن الاسلام الذي كان مادة قوية والذي كان المحرك الاول للثورة الجزائرية وللشعب الجزائري فلا بد لهذا الاسلام أن يراجع نفسه وأن يسترجع قواه ، ولا شك أن هذا الشباب الذي هو في صدام مع لغات أخرى ، والذي يعيش

الذهبي بين جيل قديم ، وجيل جديد ، ولا شك انه قول نأخذ منه كل ما نأخذ ولا شك اننا نأخذ منه المفيد ، ولكن هذا الجسر لمن حقه لمن واجبه ايضا ان يأخذ التفهيم بمرونة ، وان يأخذ شبابنا ، بكل دقة وبكل حكمة ، وان يكون متفتحا وان يكون متبصرا ، وان يكون هو الذى يقود الشباب *

فأيها الاخوان شكرا ، كنا ننتظر هذا اليوم السعيد ، فكنا ننتظر ان نشارك فى هذا الحقل العظيم الذى نتلاقى فيه مع اخواننا وشاء القدر ان تلقى فى تيزى وزو ووجوه الاخوان تنتظر الينا وتنظر اليها ، وأرواح اخوان سسقطوا فى المعركة التحريرية وارواحهم حاضرة بيننا ، ونحن فى هذه الجبال الشامخة ، ونحن فى هذه الاراضى الطاهرة التى سقيت بدماء الشهداء ، فشاء القدر ان نلتقى فى مثل هذا اليوم وفى مثل هذا البلد الطيب وبين هذا الشعب الكريم الابى المجاهد العظيم ، وشكرا ايها الاخوة ، وشكرا مرة أخرى ايها الاخ الوزير شكرا جزيلا على هذه الفرصة السعيدة ، ومعذرة ايها الاخوان ، ما كنت انتظر ان اصطدم بمثل هذا النور وبمثل هذه الطاقة التى هى امامى اليوم ، قمعة اليكم وشكرا *

والسلام على من اتبع الهدى

فما موقف الاسلام من الاقتصاد او الثورة الاقتصادية ؟ فما هو الاسلام من الثورة الثقافية ؟ ومن الثورة الفلاحية ؟ ونحن الآن كلنا نسعى الى تفهيمها فى وسط شبابنا ، وكلنا فوجئنا حين رأينا ان أعز شبابنا هو فى القدوة وفى الصف الاول فى هذه الثورة الفلاحية فما نرى ان الجزائر وان السلطة الثورية الجزائرية التى اليوم تبني وتشيد النهار والليل ، فلا شك ان هذه الثورة ، ان هذه السلطة الثورية هى التى تتحمل فى كامل العالم الاسلامى دورا طلائعيا وتاريخيا للنجدة للثورة الاسلامية الشاملة ، ونحن كلنا نعلم ان أعداء الاسلام يتربصون به ، وان أعداء الاسلام ومنهم الصهيونية والاستعمار القديم والجديد هم الذين ينتظرون ، هل نحن اهل لدورنا ؟ هل فى استطاعة المسلمين ان يحققوا افكار الاسلام ؟ وكان المسلم يعتز بافكاره وكان المسلم هو الذى يقود النشأ ، هو الذى يحرر الانسان ، هو الذى كان كما قال الشاعر :

لنا الصدر دون العالمين او القبر

وكان هو فى التضحية قبل اى بشر آخر ، ومعجزات الاسلام قد فاقت الايام ، وانتم الجسر



ملتقى الاجتماع

كلمة الاختتام للسيد مولود قاسم نايت بلقاسم

نعم ، قد انعقدت اجتماعات ومجالس بين علماء مسلمين في مناسبات عدة وفي عواصم مختلفة من عالمنا الاسلامي الاوسع ، ولكن لأول مرة ربما في العصر الحديث يجتمع رجال من سائر المذاهب الاسلامية في صعيد واحد ، لتبادل وجهات النظر حول المصير الواحد ، للامة الواحدة !

فهنيئاً لك يا تيزي وزو بما اتيت لك ان يتلاقى فيك السادة المالكية ، والزيدي ، والشيعي ، والاباضية ، والحنفية ، والشافعية ، والحنابلة ، والظاهرية ، ولم يخلف لك احد الميعاد ، بل جاء كل منهم بحسن النية ووافر الزاد ، وكنت لعلماء الاسلام المجمع ، والمسجد الجامع !

لقد تباحثوا في ربوعك شؤون الشريعة الواحدة ، واتفقوا على ضرورة ارجاع الامة بها الى الطريق المستقيم ، الواضح المعالم ، على هدى النقل والعقل ، وحصنوا البنيان بالاركان ، وجعلوا السقف يحمي الديار ، ويقيها من العار والدمار ، وتركوا بهذا الشرط باب الاجتهاد واسعا مفتوحا !

ولقد عنيتم كل العناية بموضوع الوحدة الاسلامية ، وما تعرضت له بالامس من مؤامرات ومناورات كادت تؤدي بالامة الاسلامية ، واقترحتم بعض التدابير التمهيدية لاعادة الوحدة الروحية ، التي كانت بالامس العامل الفعال في الوحدة الكاملة .

وأوليتم عظيم اهتمامكم موضوع التبشير ، وخاصة لدى الشباب الذي تركز عليه مختلف

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف المرسلين

حضرات الاساتذة الافاضل ،

حضرات السادة والسيدات ،

اخوتي الطلبة والطالبات ،

بعد ثلاثة عشر يوما من نشاط متواصل ها نحن في آخر الشوط بالنسبة للملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ، الذي نسميه بعد اليوم ملتقى الفكر الاسلامي .

لقد جنينا جميعا من محاضرات خصبة ، تلتهنا تعقيبات ومناقشات لم تكن اقل خصوصية وحثا على التفكير ، فشكرا للاساتذة الافاضل الذين تجشموا من اجل هذا وعناء السفر ، وهنيئاً لهم بما زرعوا واقدروا ، وليست تهنئتي للجميع اقل بما جنوا وحصدوا !

حضرات الاساتذة الافاضل

اخوتي الطلبة والطالبات

قد قضينا اياما مفعمة بجو اخوي عارم ، سادت فيه العاطفة حيناً ، وتغلب فيه العقل في اكثر الاحيان ، وفي حمية النقاش المفتوح ، بقصد ، للجميع ، وفي حرارة تيزي وزو الشديدة عادة والتي ازدادت بالملتقى ، من الممكن الا يكون الكثير منا قد أدركوا سائر ابعاد هذا الحدث الاسلامي العظيم ، وقدره حق قدره ، وتخلوا كل ما يمكن ان ينتج عنه لامتنا الاسلامية الكبرى !

ان مثل هذه التوصيات تتخذ للمرة الاولى فيما نعلم على مستوى العالم الاسلامى ، واننا لندرجو من متابعة تنفيذها العلاج لكثير من امراض مجتمعاتنا الاسلامية ، والانطلاق من جديد نحو تدارك ما فات ، واسترجاع ما فقد ، وتحقيق المجتمع الفاضل الذى تسعى اليه الانسانية كلها ، ويحثنا عليه الاسلام *

حضرات الاساتذة الافاضل ،
حضرات السادة والسيدات ،
اخوتى الطلبة والطالبات ،

اظن انكم جميعا قمتم بعمل كبير ستكون له آثاره الفعالة ، واننى لاشكر مرة أخرى حضرات الاساتذة الافاضل الذين ضحوا بجزء من راحتهم الصيفية ، وخاصة الكبار منهم ، امد الله لنا فى حياتهم ، لافادة الجميع ، وهو شكر صادق لا يعادله الا خلوص الطوية ، وصدق النية ، الذى أرجو ان يشفع لى عندكم جميعا فى كل ما يكون قد بدر منى من حدة أو صرامة فى الحفاظ على النظام ، لضمان نجاح الملتقى ، الذى هو ملتقى الجميع ، ولصالح الامة الاسلامية الكبرى ، والانسانية جمعاء *

وأخيرا ، أود ان اشكر باسمكم جميعا ولاية تيزى وزو ، جماهير وسلطات ، على ما استقبلتنا به من حرارة ، وغمرتنا به من كرم وحسن ضيافة ، وأولتنا والملتقى من عناية ورعاية ، وهل ننسى ما لقيناه من الجميع فى حلنا وترحالنا ؟ ونود أن نخص بالذكر منهم سكان مدينة تيزى وزو ، والشرقة ، وأغيل باماس ، وبنى يانى ، وبوعدنان ، الذين أثروا الملتقى ببعد اضافى لا يقدر بقيمة أو ثمن !

الاساط الايديولوجية من تنصيرية ، وصهيونية ، والحادية ، وانحرافية ، وأوصيتم المسؤولين بتحسين البلدان الاسلامية ضد هذا التضليل المخطط والمزود بأعظم المغريات وأحدثها ، وأكثرها تأثيرا على الشباب خاصة ، وعلى المرأة بصفة اخص ، وهى العمود الفقرى للأسرة ، وبالتالي عماد الامة *

ولم تكن عنايتكم أقل بالجاليات والاقليات الاسلامية ، أو ما يسمى كذلك ، وأكدت كل التأكيد على ضرورة رعايتها ، والعمل على تحسينها من التفتت والذوبان فى بعض الجهات ، وانقاذها من الابداء والانقراض فى جهات أخرى ، وهى التى تكون جزءا لا يتجزأ من امتنا ، فضلا عن الاعتبارات الانسانية المحضة ، التى تفرض على كل ذى ضمير وانسانية مراعاتها والعمل بها *

وأخيرا ، وليس آخر ، هل يمكن لهذه التدابير كلها ، ولكل ما يقام به من جهود هنا وهناك ، ويشيد من بناء ، أن يكون له مفعول ، وان يكون ذا نتيجة ، ما لم يوضع حد نهائى صارم لوسائل التفتت والابداء الروحية الجماعية لمجتمعات اسلامية بكاملها ، وبالتالي للامة كلها ، هذه الوسائل التى تتمثل فى الطرق الحالية لأجهزة الاعلام ووسائل التأثير على الجماهير ، من صحافة ، وإذاعة ، وتلفزة ، وسينما ، ومسرحية ، وكتاب ، بما تعرضه من انتاج قتال مبيد للمجتمعات والامم ، يحث على الإلحاد ، والانحلال ، والجنوح ، والاجرام ؟

هل سيؤخذ بما نصحتكم به من جعل هذه الأجهزة تؤدى دورها الحقيقى الذى هو التكوين والتوجيه الصحيحان ؟

الملتقيات المقبلة بأن يكونوا معكم أكثر ضبطاً
وصرامة ، فى صالحكم ولخير الأمة .

وأخيراً ، فعملنا بسنة التنقل بالملتقى كل
سنة من ولاية الى أخرى ، أود أن أقول لكم الى
اللقاء فى الملتقى الثامن فى ولاية سطيف ، وفى
الناصرية بالذات ، عاصمة الناصر بن علناس
الحمادى ، مدينة النور قبل باريس بقرون ، المدينة
التي جابت البحار بأساطيلها ، وبهرت الانسانية
ببلازاتها ، ولآلئها ، وغمرتها بعلومها وفنونها ،
وأضاءت أوروبا والعالم بجامعاتها وشموعها :
بجاية !

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ولا أختم هذه الكلمة قبل أن أشكر الاخوة
هنا من أجهزة الاعلام الذين حاولوا جهودهم أن
يضمنوا للملتقى امتدادا الى حيث هو ضرورى ،
واخوانا من الرئاسة ، ووزارة الشؤون الخارجية
واكاديمية تيزى وزو ، وكذلك سائر الذين ساهموا
من قريب أو بعيد ، فى أداء هذا الملتقى رسالته .
وأنتن ، أخواتى الطالبات ، فشكرا وهنيئاً
لكن بحسن السلوك والانضباط ، والحرص على
الاستفادة ، والمساهمة الواعية فى مناقشات
الملتقى ، وفى اعطائه صبغته الاصيلية ، وأما انتم
أخوانى الطلبة ، قهنيئاً لكم بنضجكم واهتمامكم
المتجلى فى استئلتكم . ولئن استعملنا مع بعضكم
الشدة أحيانا ، فلا يسعنى الا أن انصح لمنظمى



رأينا من افريقيا ما لم يكن الكثير قبل اليوم ليصدقه ، وهو تضامنها الملتمزم ، والمتجلى فى قطع علاقاتها بالصهيونية ، نصرة للحق ، وتضامنا مع دول افريقية كانت ضحية لعدوان صارخ متكرر ، ومطمعا لتوسع استعماري عنصري تؤيده الامبريالية العالمية التى غرسته جسما غربيا كراس جسر واصل لها فى المنطقة ، ووتد فاصل ، لا بين اجزاء العالم العربى فحسب ، بل وبين افريقيا وآسيا ، ومقبض ماسك بخناقهما ومهدد لهما فى كل لحظة واوان . ولا غرابة فى هذا الموقف الافريقى ، فان ما يربط بين القارة الافريقية والعالم العربى من روابط حضارية عريقة فى القدم اصيلة فى نوعها ، وما يجسم تلاحمها فى الحاضر من تحالف موضوعى وتداخل فى المصالح ، وما يشير المستقبل اليه من آفاق شاسعة ، وآمال واسعة ، ومصير مشترك ، كل ذلك يجعلنا نؤمن ايماننا راسخا بانه قد آن الاوان لاحكام الترابط العضوى وذلك على مستوى المبادرات السياسية والتعاون فى المجالات المختلفة .

وسنعمل جاهدين على جمع الشروط الموضوعية لنتيح فرصة اللقاء المشترك ، انطلاقا من المنعرج التاريخى ، للمؤسسات السياسية والفنية بين دول منظمة الوحدة الافريقية وبلدان الجامعة العربية ، وبمجرد ما تتوفر اسباب النجاح سنسعى لخلق الاتصال المباشر بين المسؤولين فى القارة والعالم العربى ، وذلك على اعلى المستويات واثقين بان لقاء كهذا بما يمثله من طاقات بشرية ومادية سيصبح قوة هائلة يحسب لها حسابها فى المجال الدولى ويزداد وزنها البناء فى خدمة قضية العدالة والسلام فى العالم .

الرئيس بومدين فى اختتام مؤتمر القمة العربى السادس بالجزائر

توصيات الملتقى السابع

تلاها الاساتذة :

- الدكتور عبد القهار مذكر رئيس اللجنة الاولى
- الدكتور عثمان امين نيابة عن معالى الدكتور
عبد العزيز كامل رئيس اللجنة الثانية
- الاستاذ عثمان الكعاك رئيس اللجنة الثالثة
- الدكتور عبد الرحمن بيصار نيابة عن الاستاذ
محمد الفاسي رئيس اللجنة الرابعة
- الاستاذ سيدى محمد يوسف جبرى رئيس اللجنة
الخامسة

اللجنة الاولى

روح الشريعة الاسلامية وواقع التشريع
اليوم في العالم الاسلامي

التوصيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ، وكانت رحمة الله - عز شأنه - في الشريعة الغراء التي أمر نبيه بتبليغها ، ودعوة الناس الى الاخذ بها ، قبلها الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعلمها أصحابه الذين شاهدوا وعانوا ، ووحى الله ينزل من السماء .

وسجلها القرآن الكريم في محكم آياته ، وكان تطبيقها عزا للمسلمين ، وتكريما للإنسانية ، ورفعاً لقدر الانسان ، حيث جاء الاسلام نظاماً كاملاً شاملاً قائماً على التكافل والتضامن والعدالة الاجتماعية ، يوفى للأخذين به كل عوامل التقدم والرقى والانطلاق في ميادين مختلف العلوم ، بما يفرضه من الاخذ بكل أسباب القوة والعزة ، في الناحيتين الروحية والمادية .

ولما هجر المسلمون شريعة الله تعالى ، واتبعوا أهواء الانسان في قوانينه الوضعية ذلوا وهانوا ، ولا شك أن التخلف الذي أصاب الأمة الاسلامية ناشئ عن ترك المسلمين تنفيذ أوامر شريعتهم ، ومسئولية ذلك محيطة بأعناقهم ، فكان حقاً عليهم أن يعودوا الى شريعة الله تعالى ، ويعملوا بها في التشريع والقضاء والتربية والتعليم ، استعادة لجدهم وانقاذاً لوجودهم الانساني ، وتمهيدا لطريق النصر أمامهم .

ولقد اتجهت المحاضرات والتعقيبات التي القيت في هذا الملتقى المثمر الى ضرورة العودة لشريعة الله : شريعة الحق والعدل والعزة ، وتطبيقها تطبيقاً كاملاً غير منقوص ، حتى يعيدوا لانفسهم العزة الاسلامية ، والرفعة في الارض .

واستحياء من هذا كله يقرر الملتقى ما يلي :

١ - الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وهي علاج حاسم لكل الادواء الاجتماعية في البلاد الاسلامية .

٢ - يجب على كل دولة اسلامية أن يكون قانونها مأخوذاً من الشريعة الاسلامية ، ولها أن تجعله من المذهب الفقهي الاسلامي السائد بين أهلها .

٣ - يجب أن يتعاون حكام المسلمين وعلمائهم وشعوبهم على العودة الى الاحكام المستمدة من القرآن والسنة .

٤ - القرآن الكريم هو أصل الشريعة الغراء والاساس في تنظيم العلاقات فيما بين المسلمين ، وبينهم وغيرهم ، والسنة هي المبينة له ، وأثار السلف الصالح هي الموضحة .

٥ - باب الاجتهاد مفتوح لاهله القادرين عليه ، ولا يجوز بحال من الاحوال أن يكون الاجتهاد مخالفاً لنص أو اجماع ، ولا ينبغي الاجتهاد في مسألة اذا كان في الفقه الاسلامي بمذاهبه المختلفة ما يصلح علاجاً لها .

٦ - يجب أن يكون حكم الشورى - بقواعدها الاسلامية - هو الطريق الملتزم في نظام الحكم .

والفلسفة وتاريخ العلوم والآداب الخاصة بالاسلام
كل حسب اختصاصها *

- (٧) انشاء مجمع فقهي اسلامي ، تمثل فيه
كل المذاهب الفقهية في البلاد الاسلامية ، على
أن تكون له صفة العالمية ، ولا يرتبط بدولة معينة *
- (٨) انشاء موسوعة فقهية تحت اشراف هذا
المجمع الفقهي *
- (٩) احياء التراث الاسلامي في شتى
الفروع الاسلامية *

اللجنة الثانية

المؤامرات التي تعرضت لها وحدة الامة
الاسلامية بالامس ويتعرض لها ما تبقى منها
اليوم من طرف الصهيونية وغيرها وما يجب علينا
حيثما ذلك *

التوصيات

لما كانت الوحدة ركنا وطيدا من أركان
الاسلام ، وكانت مكانة الوحدة في الشريعة
الاسلامية قد بلغت أسمى درجة في الرعاية الدينية
حتى جعل اجماع الامة واتفاقها على أمر من
الامور كاشفا عن حكم الله ، وعد الخروج عليه
مروقا من الدين *

وتأييدا لما دعا اليه رواد الوعي الاسلامي ،
وتعبيرا عن رغبات الشعوب الاسلامية ، ودرءا
للاخطار المحدقة بالامة ، واستجابة لما دعت اليه
ملتقياتها ومؤتمراتها ومجامعها من وجوب العمل
الجاد السريع على تحقيق هذه الوحدة ، بالتاكيد
على جوانب الالتقاء بين الشعوب الاسلامية ، مع
تجنب الخوض في المسائل الخلافية ، وتقوية كل
تحرك اسلامي في هذا الاتجاه - يوصى الملتقى
بما يلي :

التوصيات

ويوصى الملتقى بما يلي :

- (١) العمل على اقامة الحدود الشرعية ، مع
ملاحظة أن الحدود تدرأ بالمشبهات ، فلا يقام حد
الا اذا اتفقت المذاهب الفقهية على اقامته *
- (٢) تنفيذ عقوبات القصاص في النفوس
والاطراف والديات ، ومالم يرد فيه تقدير شرعي
من حد أو قصاص تكون العقوبة فيه تعزيزية *

(٣) اقامة نظام اقتصادي واجتماعي متكامل،
مستقل ومتميز عن المذاهب والنظريات الفلسفية
والاجنبية ، ويقوم على الاقتصاد غير الربوي ،
وعلى التكافل والتضامن الاجتماعي ، ويجاد
الفرص المتكافئة للجميع *

ويصر الملتقى بصورة خاصة على وجوب
منع التعامل بالربا في أية صورة من صوره ،
وفي أي تعامل بين الآحاد والمؤسسات *

(٤) ١ - احكام الاسرة بكل فروعها لا تأخذ
الا من الفقه الاسلامي في شتى مذاهبه *

ب - لا يجوز تقييد تعدد الزوجات ، ولا
تقييد الطلاق بقيد *

(٥) وضع مشروعات قوانين مدونة في مواد
من الشريعة الاسلامية ، لتحل محل القوانين
الاجنبية ، مع الشروع فورا في تطبيق القوانين
الاسلامية *

(٦) ان التعاليم الاسلامية يجب أن تدرس في
كافة المعاهد والمدارس والجامعات ، على أن يكون
في المدارس الابتدائية والثانوية اهتمام خاص
بالجو الصالح والتربية العملية ، وفي الكليات
المتنوعة تدرس المواد الاقتصادية والهندسية

٣ - وحيث أنها ذات سيادة على بحار أساسية وبوارجز جوهري وطرق استراتيجية من الطراز الاول .

٤ - وحيث أن ذلك يجعلها مخيفة في نظر أعدائها ومناقسيها وحاسديها من اشخاص وجماعات وطوائف دينية وعقائدية وغيرها .

٥ - وحيث ان هذا الموقف جعلهم يعقدون النية على مصارعتها بجميع الوسائل والتألب عليها بأى حجة وبأية حيلة فى حملة تبشيرية عارمة شاملة .

٦ - وحيث أن هذا التبشير يصطبغ باصطبغات دينية مختلفة او عقائدية متنوعة أو ثقافية قاتلة لاصلاتها الثقافية ورسالتها الحضارية العالمية واجتماعية هدامة للفرد والاسرة والمجتمعات وبالتالي للامة الاسلامية جمعاء .

٧ - وحيث ان ذلك يهدف فى المقام الاول الى القضاء أو الحط أو التشويه لقيمتها ويتناول أولا وبالذات الاقليات وتقسيم دولها الكبرى والسعى الى تخريب مؤسساتها والتشكيك فى كل عنصر من عناصر مقوماتها والسعى بالايهام والسفسطاء والترويج والدعايات بجميع وسائل الاعلام المرئية والسمعية والمقرؤة السافرة أو الخفية على السواء .

ب - السندات

وبعد الاستماع الى المحاضرات التى القاها أصحابها بخصوص هذا الموضوع وما جرى فيها من مناقشات وتحريرات وتعليقات جعلت الموضوع واضحا ودقيقا ومحددا .

١) أن يقوم كل بلد اسلامى بتنسيق العمل بين مختلف هيئاته المعنية بالشؤون الاسلامية ، تمهيدا لتوثيق الارتباط بين هذه الهيئات وبين نظيراتها فى البلاد الاخرى .

٢) تشكيل مجلس يسمى : « مجلس الامة الاسلامية » يتألف من ممثلى المؤتمرات والملتقيات والمجالس والجامع والهيئات الاسلامية فى كل بلد ، للاجتماع مرة على الاقل فى كل عام ، لرسم الخطط ووضع البرامج اللازمة للنهوض بالامة الاسلامية ، ومواجهة ما يقابلها من تحديات ، والتمهيد لاعادة وحدتها واستعادة مجدها .

انشاء هيئة تنفيذية لهذا المجلس ، تقوم بتنفيذ قراراته ومتابعتها ، على أن يكون من مهامها جمع الوثائق المتصلة بقضايا المسلمين فى مختلف اقطار العالم .

اللجنة الثالثة

نشاط التبشير ودوره الاستعماري التخريبي بالامس واليوم ، وما يجب القيام به ازاء هذا الخطر .

١ - الحثيات

١ - حيث أن الكثير من الاقطار الاسلامية قد خرجت من الحرب العالمية الثانية مستقلة بعد أن كانت تحت نير الاستعمار المكشوف أو المقنع وبعد أن كان خصومها يظنون انه لم تعد قوة سياسية أو عقائدية أو معنوية فى العالم .

٢ - وحيث أنها محتوية فى الدرجة الاولى على الطاقات الحضارية من نطف وغاز وخامات غذائية وبنائية .

القيم الإسلامية من مصادرها الاصلية والعيش مدة ما في محيط اسلامي *

٤ - تنظيم مدارس للآباء والامهات حتى يكونوا على بينة من الاخطار المحدقة بهم وبابنائهم وعلى بينة من اصالة الاسلام ورسالته التاريخية والاطلاع على المناهج التوجيهية الراجعة الى البيئة التربوية الاولى التي هي الاسرة وبتجهيز دقيق بوسائل الكشف عن جرائم التخريب والحط من القيم *

٥ - تنظيم الشباب المسلم تنظيما يجعله في مأمن من الدعايات الهدامة والتشكيكية *

٦ - دعم وكالة الانباء الاسلامية العالمية بوسائل اعلامية اسلامية تخبر عما يجرى في العالم الاسلامي سواء في الاقطار الاسلامية ذوات السيادة او اقطار الاقليات يوما بيوم ودقيقة بدقيقة حتى يمكن الاسراع العاجل بالاسعاف والنجدة في الزمان السكولوجي وقبل فوات الوقت *

٧ - تأليف تقويم للعالم الاسلامي يعطى معلومات عن كل قطر منه وكل اقلية بدقة مع أحدث المصادر وأوثقها *

٨ - اعداد مراجع شاملة تكون مستندا ومقياسا كاشفا لاسالييه وأهدافه *

٩ - اعداد سلسلة شعبية من الكتب فيها كتاب عن كل قطر اسلامي أو اقلية اسلامية حتى يعرف المسلمون بعضهم بعضا *

١٠ - ترجمة الكتب الموضوعية التي ألفها الاجانب المنصفون والتي تتعلق بالرسالة الحضارية الاسلامية العالمية في ميادين العلوم والآداب والفنون والثقافة *

ج - التوصيات

فاعتبارا للحيثيات الواردة اعلاه وبالاطلاع على المستندات والوثائق والمصادر توصي اللجنة بما يلي :

١ - انه من واجب الحكومات والشعوب الاسلامية ان تكون واعية مرهفة الحس لهذا الخطر الماحق فتنبه في جد وصرامة لوضع حد لاسبابه من هيآت تيشيرية ومدارس اجنبية تقوم بدعايات خفية وسافرة ضد الاسلام وصحافات محلية أو واردة مناوئة أو وسائل اعلام مقوارية سافرة يدرس فيها السم في الدسم وكتب دعايات وشعارات مستوردة وما اشبه ذلك مما يخطط له تخطيطا دقيقا شاملا بعد دراسات تقنية جامعة للوثائق المعنية وممتدة سطحا وعمقا *

٢ - الوقوف بالمرصاد للهجرات الاجنبية الواردة على ديار الاسلام التي يقوم اصحابها في خفاء بواسطة التعليم أو العمل أو المحاضرة على تخريب ديار الاسلام بأي وجه من الوجوه ، وأيضا ندعو الحكومات الاسلامية الى عدم منح جنسيتها لاي اجنبي الا بعد التأكد من اعتناقه للاسلام وممارسته له فترة طويلة تثبت انه لا يخفى وراء طلب التجنيس اهدافا تخريبية في المجتمع الاسلامي ، ونرى ان أولى الدول الاسلامية بتطبيق هذه المبادرة هي دول شبه الجزيرة العربية التزاما بالمبدأ الذي قرره الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الجزيرة لا يجوز أن يكون فيها الا دين واحد *

٣ - حماية المسلمين المغتربين بتأسيس المساجد وحلقات الوعظ والمدارس ونشر الصحف والكتب المصححة للاوضاع وتنظيم رحلات أبناء المغتربين وبناتهم الى الوطن للارتواء من مناهل

الهدامة مثل القاديانية والاحمدية والبهائية وما الى ذلك فى جدول اعمال جميع الملتقيات الاسلامية وما اشبه ذلك .

١٩ - نطلب من الحكومات الاسلامية وضع الحد للعمل التبشيري فى البلاد الاسلامية ومنع نشر الكتب والنشرات التبشيرية بين الشعوب الاسلامية .

٢٠ - نشر اللغة العربية بين المسلمين فى البلاد الاسلامية غير العربية بوضع كتب للاطفال والكبار على طريقة تربوية علمية تراعى فيها الاصطلاحات الاسلامية لكل قطر اسلامى .

٢١ - مع الاشادة والتنويه بالاعمال الكبرى والنتائج النظرية والتوضيحية والعملية الناتجة عن مؤتمرات الفكر الاسلامى وشكر وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية وعلى رأسها الاخ الفاضل مولود قاسم والحكومة الجزائرية والشعب الجزائري على حسن الضيافة والتنظيم الدقيق واختيار المواضيع التى تعرض مشاكل العالم الاسلامى راجين مواصلة هذه المؤتمرات الى الاستيفاء .

اللجنة الرابعة

أخطار العزلة والاندماج التى يتعرض لها أبناء الجاليات الاسلامية فى الهجرة وواجب الدول الاسلامية نحوهم .

التوصيات

ان اللجنة الرابعة المنبثقة عن الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى ، بعد الاستماع الى محاضرات الاساتذة الدكتور محمد عبد الله عنان والدكتور محمد عبد الرحمن بيسار ، والدكتور

١١ - احداث كراس فيما يتيسر من الجامعات الاسلامية بخصوص تاريخ العلوم والآداب والفنون والفلسفة عند المسلمين وتأثيرها على أوروبا وأمريكا .

١٢ - ارسال بعثات تعليمية الى اقطار الاقليات الاسلامية لتعليم أبناء المسلمين هناك .

١٣ - اعداد المعلمين المرسلين للاقطار الاسلامية للقيام بمهمة التعليم الاسلامى واللغة والآداب العربية والمشاركة المتطوعة أو المأجورة فى الاطار التعليمى المحلى .

١٤ - اعداد مجموعات من الكتب المبسطة باللغات الاسلامية المحلية لبيان محاسن ومبادئ وعشائر تاريخ الاسلام ورسالته الحضارية .

١٥ - ايجاد معهد أو معاهد لتعليم اللغات الاسلامية الافريقية أو الاسياوية او لغات اللام التى تحسن الدعاية الاسلامية لديها حتى تمكن الصلة المباشرة .

١٦ - ايجاد معاهد اسلامية أصيلة لتخريج شباب مسلم نظيف ومتحمس ومزود بالمعلومات والمصادر من أبناء الاقطار الاسلامية التى ليس فيها أو لا يمكن أن يكون بها معاهد اسلامية سليمة

١٧ - اعادة النظر فى برامج التعليم وكتبه ولا سيما تعليم التاريخ حتى تتطهر برامج التعليم وكتبه من المفاهيم الخارجة عن الاسلام وتتجرد من المعلومات الكاذبة المغرضة التى تحط من قيمه وتشوه صورته .

١٨ - تقترح اللجنة أن يكون موضوع مقاومة التبشير والتيارات الالحادية والمذاهب

٤) انشاء هيئة اسلامية حرة تساندها الدول والمنظمات الاسلامية ، تهتم بالاقليات الاسلامية فى مجال الثقافة والتربية الاسلامية وحمايتها من الاضطهادات العنصرية والطائفية البغيضة مع القيام بمساعدتها على تحسين أوضاعها بالوسائل المستطاعة وتقوم هذه الهيئة فى نفس الوقت بتنسيق عملها مع المؤسسات الموجودة الآن التى تهتم بشؤون الاقليات الاسلامية .

٥) يطلب من الحكومات المضيفة أن تساعد المسلمين المقيمين عندها على تربية ابنائهم وتنشئتهم وفق شريعتهم وكل ما تتطلبه حقوقهم شخصيتهم .

وترى اللجنة بناء على هذه التوصية أن تعمل الدول الاسلامية على عقد اتفاقات ثقافية مع الدول التى بها اقلية اسلامية لتتمكن المنظمة بواسطتها من القيام بواجبها نحو هذه الاقليات فى مجال الثقافة الاسلامية وضمان حقوقهم الانسانية وممارسة شعائرهم الدينية والاتصالات باخوانهم فى العقيدة ومشاركتهم فى كل مجال يخدم الاسلام والمسلمين فى جميع بقاع الارض .

٦) نطالب الحكومات الاسلامية بالتدخل لدى هيئة الامم المتحدة بصفتها منظمة ترعى حقوق الانسان أن تتدخل لحماية الاقليات الاسلامية من أخطار الاضطهاد العنصرى والطائفى والعقيدى التى تتعرض لها فى كثير من البلاد التى بها اقلية اسلامية حتى لا يلجأ الى المعاملة بالمثل فتتعرض العلاقات الدولية الى فوضى ما اغنى الانسانية عنها .

٧) يحىيى الملتقى قرار الحكومة الجزائرية الخاص بانشاء مؤسسة ثقافية فى فرنسا تعنى بتعليم اللغة القومية لابناء الجالية الجزائرية

العربى الزبيرى وكذلك سائر التعقيبات والملاحظات وبعد الدراسة الوافية لكل ذلك .

ونظرا لما تتعرض له الجاليات الاسلامية فى المهجر من أخطار العزلة والاندماج .

ونظرا لانعدام وجود منظمة اسلامية رسمية تعنى بشؤون الجاليات الاسلامية روحيا وماديا .

ونظرا الى عدم وجود الوسائل الكافية لمجابهة أخطار التبشير والشعوذة وحملات التشكيك .

ونظرا لما تتعرض له الاقليات الاسلامية من أخطار العنصرية والاضطهاد ، وضرورة العمل على حماية حقوقها الانسانية وممارسة شعائرها الدينية والمحافظة على مقوماتها الروحية .

توصى بما يلي :

١) انشاء منظمة اسلامية رسمية تشارك فيها كل الدول الاسلامية لترعى شؤون الجاليات الاسلامية روحيا وماديا ومربويا .

٢) انشاء مصالح (مكاتب) خاصة بكل سفارات الدول الاسلامية لرعاية شؤون الجاليات الاسلامية فى المجالات الروحية والمادية والتربوية وحماية ابنائها من الانعزال والذوبان فى المجتمعات الغربية عنها .

٣) انشاء مراكز اسلامية بالبلاد التى تكثر فيها جاليات اسلامية يشرف عليها سفراء الدول الاسلامية فى تلك البلاد وتهتم على الخصوص بالناحية الثقافية والتربية الدينية لضمان ارتباطها بقيمها ومثلها العليا وحمايتها من أخطار التبشير وحملات التشكيك اللاحادية .

الاسلامية واشاعة الانحلال وتغذية نزعات الاجرام والعنف والتشكيك فى اوساط المجتمع وبالاخص الشباب .

ونظرا لما تشكو منه مجتمعاتنا الاسلامية من مظاهر التفسخ والانحراف الفكرى ، والخلقى فى الزى ، والسلوك والمتفشية بشكل مزعج فى جل طبقات مجتمعاتنا تأثرا بما تشيعه أجهزة الاعلام من صحافة ووكالات انباء ، وسينما ، وتلفزة ، واذاعة ومسرح ، ودور نشر وذلك انسياقا وراء التبعية والتقليد .

ونظرا الى ان تلك الاخطار تعمل فى الدرجة الاولى لمحاولة تخريب المجتمع الاسلامى على حساب القيم الاخلاقية فان الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامى يوصى بما يلي :

(١) ضرورة ابراز حقائق الايمان والاسلام وتقديمها وعرضها فى اجهزة الاعلام بصورة واضحة مبراة الشوائب ، وبلغة عصرية على أساس من الاصاله والتفتح معا ، وعرض وتقديم الثقافة والفكر الاسلامى بخير ما فى الاسلوب التقليدى من عمق وباحسن معطيات الوسائل الحديثة من فن وامكانيات وبافضل مناهج التأثير والاقناع .

(٢) التعريف بالاسلام فى مختلف جوانب العقيدة والعبادات والمعاملات مع مراعاة التبسيط والكشف عن عظمة الشريعة والفكر والثقافة الاسلامية وراثتها وتأثيرها فى تمدن أوربا وابرار صلاحياتها لدستور كامل فى كافة جوانب الحياة .

(٣) العناية بقضايا التراث الاسلامى والحضارة الاسلامية ، وكذلك العناية بموضوعات السيرة النبوية وشخصية الرسول عليه الصلاة

والجاليات الاسلامية عموما ، وانشائها عن طريق وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية مفتشية فى أوروبا لتعنى بالشؤون الروحية والتربوية للجالية الجزائرية والاسلامية عموما .

(٨) واذا يحىي الملتقى هاتين البادرتين من الجزائر ، التى اتخذت أو ستتخذ من دول اسلامية أخرى ، يوصى بضرورة تنسيق الجهود حتى لا تتبعثر ، وحتى تكون لها نتائجها المرجوة .

اللجنة الخامسة

دور وسائل التأثير على الجماهير ، وخاصة منها الصحافة والسينما والتلفزة ، فى البناء أو التخريب الذاتى لما تبقى من الامة الاسلامية المفروض أنها فى صميم معركتها لاسترجاع نفسها ، ومسؤولية هذه الاجهزة فى مكافحة أو نشر جنوح الاحداث ، بل والاجرام نفسه ، والانحلال الخلقى والالحاد .

التوصيات

نظرا للمرحلة التاريخية الصعبة التى تجتازها الامة الاسلامية فى مواجهة الحروب النفسية والاجتماعية والعقائدية والثقافية والاقتصادية والسياسية التى تشن ضدها من القوى المعادية للعالم الاسلامى .

ونظرا للدور الخطير الذى يلعبه الاعلام بطاقاته غير المحدودة فى تكييف الراى العام ، وتوجيهه بل وخلق .

ونظرا للاخطار التى تهدد المجتمع الاسلامى عن طريق أجهزة الاعلام الصهيونى ، والصليبي والراسمالى والشيوعى الهادف الى تشويه القيم

٣ - تمكيننا لمؤسسات الاعلام من أن تؤدي دورها كاملا يجب أن تكون اجهزة الاعلام في ايد أمينة مؤمنة كما يجب انشاء معاهد اعلامية اسلامية في مختلف البلاد لتكوين اطرارات اعلامية في كل مجالات الاعلام تؤمن بالكلمة الصادقة ، المخلصة وتعتبر العمل في الحقول الاعلامية واجبا دينيا ، لا مجرد عمل روتيني وتكون مزودة بالعلم والمعرفة قادرة على التعرف على كل جوانب الفكر الاسلامي ، وعلى تقديم مواد اعلامية جيدة في ثوب مشوق يحجب الجماهير اليها ، وبصفة خاصة يرى اعضاء المنتدى ان الصحافة في البلدان الاسلامية قد اسرفت في الغالب في نشر الاخبار المثيرة والجرائم ، والموضوعات غير الهادفة وغيرها .

وهم يطلبون من المشرفين على الصحافة الامتناع عن نشر ذلك كله وذلك أنه اذا كانت الصورة العارية قد أصبحت - في بعض الصحف - خطرا شديدا فإن الكلمة العارية قد أصبحت أكثر خطورة ان الصحافة في البلاد الاسلامية ينبغي أن تكون دائما صحافة رسالة لا صحافة تجارة تباع وتشترى .

٤ - دعم وكالة الانباء الاسلامية ومطالبة الصحف والاذاعات الاسلامية بأن تنقى كل ما يرد اليها من وكالات الانباء الاستعمارية والاجنبية التي تحاول بها الاساءة الى الاسلام والمسلمين .

٥ - مطالبة الصحف والمجلات الاسلامية بأن تصدر اعدادا خاصة بالاسلام والشخصيات والمناسبات الاسلامية وأن تفتح ابوابها وصفحاتها للعلماء والفكرين والمتخصصين في الدراسات الاسلامية للاستفادة من عملهم وتجاربهم .

والسلام وبالتاريخ الاسلامي مع تصحيح النظرة اليه وتنقيته من محاولات التزييف على أن تحظى اللغة العربية بعناية خاصة .

٤) مواجهة حملات الغزو الفكري الضارية وموجات الالحاد التي تسلط على عقول وافكار أبناء الامة الاسلامية ، والتصدي لها - على اختلاف مصادرها - بالفكر الاسلامي الصحيح ، على الا ينطلق موقف اجهزة الاعلام وادوات الاتصال الجماهيري من موقف الدفاع دائما ، وانما ينبغي أن يكون لها زمام المبادرة في كل المجالات .

وفي سبيل تحقيق هذه الاهداف يؤكد المنتدى على ما يلي :

١ - ضرورة الاستفادة من اجهزة الاعلام في توسيع قاعدة الثقافة الاسلامية وفي القيام بدور ايجابي ونشط في مجال التعليم المدرسي والجامعي وتعليم الكبار وفي محاربة الامية وفي ترسيخ القيم الاسلامية ومحاربة الجهالات والخرافات .

٢ - أنه من الضروري أن يكون هناك ميثاق اخلاقي يتعهد به العاملون في مجالات الاعلام ويلتزمون فيه بقيم الاسلام ومبادئه وبالتقاليد الاسلامية الصحيحة ، ويقفون ضد كل ما يسيء الى المجتمعات العربية والاسلامية ، وبصفة عامة ضد كل ما يمس بالاخلاق التي تستلهمها من دينها ومن الاقتداء برسولها الذي وصفه ربه فقال : « وانك لعلي خلق عظيم » ويتعهدون على أن يمنعوا ذلك بكل الطرق الممكنة ليس فقط بالتعليمات التي ينبغي أن تصدر اليهم ، ولكن أيضا بوحى من ضمائرهم ووعى جاد بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم .

٦ - المطالبة بالاكثار من اصدار الصحف والمجلات الاسلامية فى صورة تكفل اقبال الجماهير عليها والاستفادة منها .

٧ - ويسجل الملتقى بمزيد من الارتفاع اهتمام بعض الاذاعات الاسلامية بالامور الدينية ، والتزامها ببرامج مخططة ومتوازنة ويسجل بكل أسف أن بعض الاذاعات فى بعض البلاد الاسلامية قد اسرقت فى تقديم البرامج السطحية والاغاني السوقية وغيرها مما يسئ الى جماهير المستمعين ولذلك يجب الاهتمام بالامور الجادة والاكثار من البرامج والاحاديث الدينية وخاصة ما يتعلق منها بالشباب المسلم ، لكي تؤدى الاذاعات الاسلامية دورها فى خدمة الدعوة الاسلامية كما يجب .

٨ - يرجى من كل دولة اسلامية ان تخصص موجة أو أكثر من موجاتها للدعوة الاسلامية على أن تبحث الدول الاسلامية موضوع انشاء اذاعة اسلامية قوية تذيع بمختلف اللغات الحية ولغات الشعوب الاسلامية .

٩ - لقد اخطأت السينما والتلفزة فى بعض البلاد الاسلامية ، فى حق مستقبل الامة الاسلامية وفى حق شبابها بنوع خاص لما تقدمه من افلام ، وبرامج هابطة المستوى مثيرة للغرائز ، والمشاركين فى الملتقى يطالبون المشرقيين على السينما والتلفزة فى البلاد الاسلامية بأن يمتنعوا بتاتا عن تقديم الافلام ، والبرامج ، التى تشيع الانحلال والانحراف والاحاد ، وكذلك الامتناع عن تقديم الافلام العنصرية والاجرامية التى قد تخدم الاستعمار والصهيونية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، ويطالبون بالابتعاد عن كل ما من شأنه المساس بالقيم والاخلاق وتقديم الافلام والبرامج التى تنشر الوعي الاسلامي . كما

يطالبون بعمل افلام سينمائية طويلة ، وقصيرة ، تخدم العقيدة الاسلامية ، وتصور الشخصيات الاسلامية التاريخية .

وتمكينا للسينما من أداء دورها يجب انشاء شركة افلام اسلامية تجمع الجهود ، والطاقت الاسلاميه وتقدم الافلام الجيدة الصالحة التى تخدم الفكر الاسلامي والعقيدة الاسلامية .

١٠ - وفى المسرح يجب منع كافة المسرحيات غير اللاموضوعية والمترجمة التى تخدم الاهداف الاستعمارية ، وتقديم مسرحيات جادة مستمدة من التاريخ الاسلامي .

١١ - المطالبة بتبادل الخبرات والمواد الاعلامية الاسلامية داخل البلاد الاسلامية .

١٢ - التحذير من نشر وتوزيع الكتب التى تدعو الى الاحاد والآراء الهدامة ، ومطالبة دور النشر والتوزيع بالاكثار من نشر وتوزيع كتب التراث الاسلامي .

١٣ - تشكيل أجهزة الرقابة على الاعمال والمصنفات الادبية والفنية من عناصر ذات مستوى رفيع فى العلم ، والورع ، ويجب أن يكون عمل تلك الاجهزة محكوما بضوابط صارمة ، لا تتساهل فيها يمس الدين ، والضمير والمثل العليا .

١٤ - يوصى الملتقى بالدعوة الى عقد مؤتمر لوزراء الاعلام فى البلاد الاسلامية يدعى اليه رؤساء التحرير ، المسئولون عن الصحافة الاسلامية ، لتبادل الرأى ، شئون الاعلام الاسلامي كما يوصى بتبليغ مقررات وتوصيات الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي .

١٥ - ان أعضاء الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي ليتطلعون الى يوم قريب يتحقق فيه للعالم الاسلامي اعلام اسلامي قوى يخدم العقيدة الاسلامية ، ويلتزم بالخط الاسلامي القويم ، ويهتم بالجواهر والمظهر بالشكل والمضمون ويخدم الجماهير المسلمة بالاسلوب الذى ترتضيه وتبغيه .

"الحق في جانبا، والقوة لا تعوزنا، فعلينا الإستعداد لمواجهة
الكفاح حتى نحرر أراضي الدول العربية المحتلة، ويسترجع الشعب
الفالسطيني حقوقه الوطنية المشروعة بين الدول والأمم، ويوضع
مخططا في لهذه المسألة التي تحزينا، ولا تسرف هيئة الأمم المتحدة
ولابشرية القرن العشرين"

الرئيس هواري بومدين
مؤتمر القمة العرب بالجزائر 1973

NEWSWEEK APRIL 2 , 1973

مجلة نيوزويك ٢ افريل ١٩٧٣

عمل نسائي جاد

جاء في عدد مجلة نيوزويك الامريكية بتاريخ ٢ افريل ١٩٧٣ نبا هام عن عمل نسائي جاد ويصح أن يكون قدوة لاعمال الجمعيات النسائية في العالم أجمع . فقد قامت اكثر من اثني عشرة امرأة أمريكية بعمل ضخم لتوعية المرأة الامريكية التي هي في الحقيقة كمثيلتها في بريطانيا تحتاج لتوعية اجتماعية وثقافية خلافا لما تعتقده . وهذا العمل الجاد هو وضع كتاب يتضمن كل ما يجب ان تعرفه المرأة الامريكية عن نفسها وعن صحتها الجسدية ووصفها في المجتمع وكل ما يتعلق بمشاكلها مع عرض حلول لهذه المشاكل .

واسم الكتاب : أجسامنا وكل ما يتعلق بنا .

OUR BODIES , OURSELVES

وتمنه ٣ ريالات في متناول الجميع . ومما يتناوله الكتاب الزواج والعمل وتربية الاطفال والحمل والولادة والغذاء والعفة والرياضة والصحة ، في ضوء الاوضاع القائمة في الولايات المتحدة . ولا شك أن هذا أفضل بكثير من تناول هذه المشاكل في الصحف او الاذاعات ونشرها بما فيها من مسائل دقيقة على الملأ .



طلّاع نخضة إسلامية جديدة

شهدت بدعوة كريمة من الحكومة الجزائرية مؤتمر الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي المنعقد بالجزائر خلال شهر يولية الماضي . وقد كان هذا المؤتمر الكبير ، وهو السابع من نوعه ، يضم علماء ومندوبين من سائر الامم الاسلامية ، الافريقية والاسيوية وكان مسرحا كبيرا للاتصال والتعارف بين ابناء الامم الاسلامية ، من ماليزيا واندونيسيا في أقصى الشرق ، الى تونس والمغرب في أقصى الغرب ، والى أمم القارة السوداء ، من أوغندا ومالايا وتنزانيا شرقا ، الى السنغال ومالي غربا .

محمد عبد الله عثمان
مؤرخ مصرى

وقبادة موحدة ، تستطيع رد عدوان الاستعمار الغربى ، وتعيد الى الاسلام مجده . وحمل من بعده دعوته تلميذه الامام محمد عبده . ولكن هذه الصيحة ، كانت يومئذ تلقى على أرض صخرية اذ كان العالم الاسلامى يرزح يومئذ فى سبات الجهل والتأخر . وكانت الاستجابة لمثل هذه الصيحات الثورية الاصلاحية ، تبدو كحلم بعيد المثال . ثم انه لم يمض على ذلك قليل من الزمن حتى اضطرت الحرب العالمية الاولى ، وانتهت بانتصار الدول الاستعمارية الكبرى ، وسقوط عدد من الامم الاسلامية ، تحت نير الاستعمار ، وتمزيق العالم الاسلامى بصفة عامة . وكان من العسير ان تثمر أية صيحة فى سبيل نهوض الاسلام ، أو جمع كلمة الامم الاسلامية على أمر من الامور الهامة .

بيد ان هذه الصيحة المدوية لبشت مع ذلك راسخة فى اذهان المفكرين والكتاب ، رسوخ الثورة الكامنة التى قد تنبت يوما ثم تزدهر ، وتنساب فروعها الى مختلف الامم الاسلامية . فتتحرك من سباتها العميق الى عالم جديد .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية ، وانتهت بالعكس بانهيار الامبراطوريات الاستعمارية الكبرى ، تحت وطأة الحركات التحريرية التى اضطرت بها سائر الامم المغلوبة ، فى افريقية وآسيا ، وقامت دول اسلامية عديدة حرة ، واضحى العالم الاسلامى ، الذى تبلغ أممه اليوم نحو ستمائة مليون من الانفس ، قوة فى العالم الجديد يحسب حسابها .

إنان اجتماعه بالجزائر ، وهو البلد الذى كان شعاره الاسلام ، والجهاد الاسلامى ، فى معركة التحرير المجيدة ، التى فقد فيها مليوناً من الشهداء ، يضفى على هذا الجمع الاسلامى الحاشد، لونا عميقا من الخطورة الدينية ، ويرسم لأول مرة معالم المعركة . التى يراد ان تشهر باسم الاسلام والامم الاسلامية كلها ، على سائر القوى المعادية ، وفى مقدمتها الصهيونية المعتدية ، والاستعمار الغربى ، بسائر وسائله ، وغزواته الفكرية والاقتصادية ، والتبشيرية وغيرها .

والواقع انه قد اجتمعت فى العامين الآخرين عدة مؤتمرات اسلامية متعاقبة ، فى شبه الجزيرة العربية ، وفى مصر ، وفى ليبيا وغيرها . ولكن الاهداف لم تكن واضحة أو محددة فى هذه المؤتمرات ، مثل وضوحها وتحديدها فى مؤتمر الجزائر ، الذى اعلنت فيه الاهداف واضحة ، وهى تلخص الى جانب حماية الاسلام من غزو القوى الحاصية ، بالاخص فى العمل على احياء الشريعة الاسلامية ، وتطبيقها كقانون وضعى وأخلاقي ، فى سائر البلاد الاسلامية .

منذ نحو قرن من الزمان ،لقى المصلح الكبير السيد جمال الدين الافغانى ، صحبته المدوية بوجوب جمع كلمة الاسلام ، وتحريره من شوائب الاوهام والخرافات ، ومقاومة الامم الاسلامية لعدوان الغرب ، ولبث فترة من الزمن ، يدعى بقلبه ولسانه ، الى تحرك اسلامى قوى ، سواء فى ميدان الفكر أو العمل . وكانت غايته البعيدة هو ان تجمع كلمة الامم الاسلامية تحت خلافة قوية

والدبلوماسية لرعاية الاقليات الاسلامية في مختلف البلاد التي تعيش فيها وحمايتها من الاتجاه الى الذوبان تحت وطأة العزلة والانفصال عن الدول والامم، وتنظيم وسائل الاعلام وتسييرها وفق المبادئ الاسلامية، والاهداف الثقافية والاخلاقية الفاضلة .

ثم انه يجب في نفس الوقت ان توضع الخطط والوسائل الفعالة لمقاومة غزوات التبشير الغربي الدينية والثقافية . فهذه تعتبر في الواقع أخطر ما يجب التنبيه اليه . والاحتياط لدفعه، خصوصا بعد ان اصبحت هذه الغزوات تتخذ في عصرنا ضروبا شتى، من المحاولات الثقافية والتدنيية والانسانية، التي لا يفتن اليها الا ذوو البصائر النافذة .

ونستطيع على ضوء ما تقدم، ان نقول اننا نشهد اليوم طلّاع نهضة اسلامية جديدة، تمتاز بجديتها، واندفاعها نحو الاهداف الجديدة بقوة، وأهم ما يميز هذه النهضة هو اعتمادها على جمع كلمة الامم الاسلامية المختلفة في افريقيا وآسيا، وتقوية الصلات بينها . ولقد كان الاسلام في القارة السوداء، يوم ان كان تحت نير الاستعمار بعيدا عن الاتصال بالامم الاسلامية المتقدمة، ولكنه اليوم يتجه اليها دون عائق، ويستمع الى ندائها وتوجيهها . ولقد كان مؤتمر الجزائر في الواقع أكبر مظاهرة اسلامية من نوعها في عصرنا . وهو يعتزم السير قدما في نشاطه، بالاجتماع كل عام، على نفس التنسيق والتكامل، ليضع خططا جديدة ويتقدم خطوات الى الامام . ومن سبق لقول ان نحاول التنبؤ بما يترتب على هذا النشاط الاسلامي الكبير من النتائج العملية . ولكن الذي لا شك فيه هو أنه نذير بأن الاسلام يتحرك نحو آفاق جديدة، ربما كانت ذات أثر حاسم في مصيره في هذا العالم الجديد .

ان هذا العالم الاسلامي الجديد المنحرف، هو الذي يراد اليوم، ان تجمع كلمته على حماية الاسلام من القوة الحصينة التي تترىص به بمختلف الوسائل والخطط الجديدة، من غزوات ثقافية واقتصادية وتبشيرية وغيرها . وأول وأهم الوسائل التي يجب التدرع بها لاحباط هذه الغزوات الاستعمارية الخطيرة، هو ان تبدا الدول الاسلامية بأن تجعل الاسلام شعارها القومي، وان تقوم بتطبيقه تطبيقا عمليا حقيقيا . ولن يتحقق ذلك الا باحلال الشريعة الاسلامية، مكان القوانين الوضعية، التي استعارتها الدول الاسلامية من القوانين الغربية، أيام ان كانت ترزح تحت نير الاستعمار، وكان الاستعمار يملأ عليها كل ما شاء . فالآن وقد تحررت من الاستعمار فعليها ان تلغي هذه القوانين الوضعية المستوردة، وان تطبق احكام الشريعة الاسلامية في سائر المواد المدنية والجنائية والاجرائية . وفي معظم الدول الاسلامية يطبق اليوم جانب ضئيل من الشريعة الاسلامية، هو قانون الاحوال الشخصية المتعلق بالزواج والطلاق والموارث . ولكن ذلك لم يعد كافيا في بلد يدين ابناءؤه بدين الاسلام .

هذا هو اهم التوضيحات والاهداف التي أقرها مؤتمر الجزائر بقوة واصرار، ولقد ارتفعت بعض أصوات تقول، ان تطبيق الشريعة الاسلامية في المواد الجنائية أمر عسير، ولا يتفق مع روح العصر، ولا مع الاتجاهات العلمية الجديدة . وكان الرد هو ان التعزيز في الشريعة الاسلامية، هو باب واسع، وان الاجتهاد المستنير كفيلا بايجاد الحلول العادلة والقضاء على كل اعتراض من هذا النوع .

والى جانب ذلك، وهو ما يتصل به أشد الاتصال، هو ان توضع الوسائل الفعالة العملية

من انتصاراتنا هزمنا الخوف

انا لست زعيما للعروبة ولا اطمح لهذا وجل ما اطمح اليه ان نتغلب على مشاكل التنمية والبناء الداخلى فى الجزائر *

وعن انجازات الحاضر وترقيات المستقبل وامكانيات جولة قادمة فى ظروف الوفاق العالمى ، قال رئيس مجلس التورة والحكومة :

للاجابة الكاملة عن سؤال كهذا لا بد من التعرض لعدة مواضيع *

هناك ظروف الوفاق الدولى الذى يسعى طرفان لتدعيمه ولكل منهما مصلحته *

واذا كان الطرفان الآن فى نقطة الانطلاق فهل سيستمر تكامل المصالح بينهما الى ما لا نهاية ام ان هناك نقطة معينة سينفجر عندها التناقض من جهة اخرى ؟

بفرض ان كلا من الطرف العربى والاسرائيلى سيحضر مؤتمر السلام فان لكل منهما تصوره الخاص للسلام الذى يتناقض مع تصور الطرف الثانى ، هذا يعطيك صورة عن ترقبات المستقبل الاخر *

ولست احب ان نغالى فى تقدير انتصاراتنا حتى لا يقع المواطن العربى فى الخطأ الذى وقعت فيه اسرائيل بعد 1967 *

ونحن لم نهزم اسرائيل ، ولكننا هزمنا الخوف وهذا من اهم مكاسب المعركة ، وهكذا سيحارب الجندي العربى فى معركة قادمة بمعنويات اكثر ارتفاعا من الماضى فى الوقت الذى يحارب فيه الاسرائيلى بمعنويات اضعف من معنوياته فى الماضى *

لقد خلقت بعض اجهزة الاعلام العربية من فانتوم العدو - عزرائيلا - لا يمكن قهره وتمكنت طائرات عربية اضعف امكانيات من - الفانتوم - اسقاط هذه الطائرة محطمة بذلك الشبح الذى كان العدو يخيف به العرب ، وكان هذا تحطيم لاسطورة السلاح المتفوق *

ولقد اثبتنا ان انتصار اسرائيل على العرب مستحيل ولن تكون الكلمة لها فى معركة قادمة لان عوامل نصرها تتناقض يوما بعد يوم يضاف الى هذا وجودها فى حالة استنفار دائم *

الرئيس بومدين فى ندوة مع ممثل الصحف العربية

خواطر وانطباعات حول الملتقى السابع للتعرف على الفكر الإسلامي

1

يا ليت شعري متى تؤسس جامعة اسلامية ، في
الجزائر ، للدراسات الدينية الاكاديمية ؟ فقد
لاحظنا أن المعقبين الجزائريين في معظمهم كانوا
ينتمون الى كليات الآداب ، وربما الطب . وما كان
أحد منهم يعتزى الى كلية شريعة. أو جامعة دينية
وذلك جعلنا نشعر بفراغ رهيب في الفكر الاسلامي
لدينا ، بالرغم من الاستعداد الطيب ، والعقلية
المنظمة المستنيرة ، والتفتح الذهني النقي . فمتى
تفتح أو تؤسس هذه الكليات الاسلامية في الجزائر
فما اشد حاجتنا الى مثل هذه المؤسسات ، ليتخرج
فيها اساتذة وباحثون مختصون في الشريعة
الاسلامية اختصاصا اكاديميا عاليا .

د. عبد الملك مرتاض
كلية الآداب
جامعة الجزائر

2

وانه يحب «الآباء البيض» حبا شديدا ، وأنه يستمع الى اذاعة النصارى فى روما يوميا . وان المسلمين حين جاؤوه ليلتمسوا منه مساعدة لبناء مسجد تيزى وزو ، رفض ذلك رفضا باتا . فقلت له : انت تظلم الاسلام ، لانك تحكم عليه وانت له من الجاهلين ، فهلا ذهبت الى هذا المؤتمر العظيم ، فسمعت فناقشت ، وهناك تصدر حكما ... فقال : لا ايمان لى ! فلم اكذب او اتافق؟ ... فقلت للشيخ الزبير : لقد احسنت وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية بعقد هذا المؤتمر فى هذه المدينة التى استعصمت فما دخلتها حركة الاصلاح التى تزعمها العلماء ، بالحاح شديد من جمعيات التنصير التى جاهدت نفسها جهادا شاقا لتتخذ من هذا الوجه من ارضنا العزيزة مجالا فسيحا للتنصير والتنفير من الاسلام ، والعبث بعقول المواطنين .

لقد دفعتنى هذه الحادثة الى شيء قاتم من التشاؤم اول الامر ، ثم ما لبثت ان تفاءلت واستبشرت خيرا كثيرا حين اتصلت باهالى المدينة الآخرين كالحاج صالحى . والرجل الصالح السيد محمد فرج . فقد وجدت محبة فى الاسلام عظيمة ، وقياما بواجبات الاسلام قياما حسنا ، وان ذلك الكهل الضال لم يك الا فلتة شاذة .

4

انعقد المؤتمر فى قاعة المحاضرات التابعة لمعهد تخريج المعلمات . وقد اعجب الناس اشد الاعجاب بهذه القاعة الفخمة الضخمة ، المكيفة

كان ملتقى الفكر الاسلامى السابع عبارة عن «عكاظ» تبارى فيه الخطباء ، وان لم يقصدوا الى هذا التبارى . وقد كان المعقبون والخطباء (واقول: الخطباء ، لان بعضهم كان يحلو له ان يخطب باستنارته مشاعر الطلاب الشباب ، وانتزاع التصفيق منهم انتزاعا شديدا) يصطنعون لغة عربية عالية فى معظم الاحوال . كما كانوا يعالجون امورا وقضايا اكتست فى كثير من مظاهرها صبغة اكاديمية . وكان الدكتور الشرباصى احسن خطيب ومعقب ، من حيث جمال اللغة ، وفصاحة المخرج . اما الذى سحر الملتقى بقوة الحجة ، واستحوذ على ألبابهم بعلمه ولطفه وهدوئه وابتسامته ، فقد كان الامام موسى الصدر . ان الله حبا هذا الرجل بسره عظيم لم يحب به جميع الناس . وقد زاده محبة فى قلوب الملتقىين ما كان فى رأيه من جرأة وحرية واجتهاد ، فى كل قضية عاجلها ، او درس قام به ، او محاضرة القاها .

3

قمت بجولة قصيرة فى مدينة تيزى وزو ، فى اليوم الاول من حياة الملتقى ، مصحوبا بالشيخ الزبير ، فدخلنا دكان تاجر كهل فى المدينة . فانساق بيننا وبينه الحديث ، الى ان وصلنا الى ذكر المؤتمر ، واننا ما جئنا الى المدينة الا لحضوره . فانبرى يتحدث عن الاسلام فى لهجة يفهم منها ان هذا الرجل لم يك مسلما ، لانه اخذ يمتدح النصرانية واصحابها ، ويذم الاسلام ورجالها ،

وكانهم عادوا الى ما قبل قيام هذه المذاهب الفقهية ، او هذه الطوائف الاسلامية نفسها . أى انهم عادوا الى اصول الدين الاسلامى . تلك الاصول التى لا تخرج عن مصدرين رئيسيين : هما الكتاب والسنة .

واحسب انه لو خصص مؤتمر لمناقشة القضايا التى يختلف فيها علماء المسلمين الذين ينتمون الى الثمانية المذاهب الرئيسية . وهى قضايا جزئية ، واحكام فرعية ، لامحت هذه الخلافات واندثرت . واعتقد مخلصا ان هذا المؤتمر الاسلامى قرب بين المسلمين الى حد كبير ، وبرز كثيرا من العيوب التى يجب ان تزول ، وكثيرا من الامراض التى ينبغى ان يسارع المسلمون الى مداواتها وعلاجها .

6

فى يوم الجمعة الاول من عمر المؤتمر ، استضاف اهل المدينة وفود الملتقى ، بمن فيهم الطلاب ، فتجلت ، فى هذه الاستضافة ، روعة الكرم والسخاء لدى سكان هذه المدينة العزيزة . فعكاظ فى حقيقة الامر ، لم تك داخل القاعة الفخمة الضخمة التى آوت المؤتمر وسعته ، وانما كانت ايضا فى هذه الصفة التى اتصف بها الجزائريون وهى استضافة الوفود المشاركة فى المؤتمر الاسلامى كلما انعقد . فلقد حدث ذلك فى المؤتمر الاسلامى كلما انعقد . فلقد حدث ذلك فى تلمسان . أثناء انعقاد الملتقى فى وهران ، وفى المدينة أثناء انعقاد الملتقى السادس بالعاصمة ، وفى المؤتمر السابع بتيزى وزو ، وبني ينى والشرفاء ، ببلاد القبائل الكبرى .

الهواء ، الواسعة الارضاء ، الجميلة الاضواء ، الفسيحة الفناء ، وقد كانت هذه القاعة فلتة من الفلتنات التى قل ان حظيت بها مؤسسة للتعليم . ينبغى ان تكون مفخرة من مفاخر ثورتنا العظيمة ، ودليلا ناطقا على العمل البناء ، والتشييد الجاد . وهذه القاعة ليست كل ما بنى فى البرنامج الخاص طبعا ، فان تيزى وزو أصبحت بحرا عارما من الاوراش والاعمال المستمرة النشيطة التى شملت المدينة وضواحيها ، فاذا بنايات تقام ، واذا الطرق تشق ، واذا المؤسسات تشاد . ومن ذلك المسجد العظيم الذى بنى ايضا فى نطاق البرنامج الخاص . وقل مثل ذلك فى هذه العمارات الضخمة التى ازدانت بها المدينة ازدهاء . والحق ان هذه المدينة لم تك شيئا على الاطلاق ، قبل منجزات البرنامج الخاص . هذه هى الحقيقة .

5

لقد سرنى منظر اسلامى رائع ، ولا أحسب الا انه سر جميع الحاضرين المتأملين ، وقد تمثل فى جلوس رؤساء الفئات الاسلامية او اعضاء مذاهبها البارزين جنبا لجنب . فكان الامام موسى الصدر بجوار الشيخ ابي زهرة ، كما كان الاباضية يجلسون بجانب الامامية واهل الجماعة . وقد كا كل واحد من هؤلاء العلماء ينشد الحق . ويبغى الخير للاسلام الذى مزقته المذاهب ، وأضعفت من قواه هذه الخلافات التى نشأت عن الفروع اكثر مما نشأت عن الاصول . وقد حادثت الشيخ سليمان فى مقهى المؤتمر ، فقلت له : أتمثل فقهاء المسلمين وعلماءهم فى هذا المؤتمر

بزرابي جزائرية جميلة الصنع . قد علقبت بصورة منتظمة بحيث وزعت على القاعة توزيعاً منظماً يدل على سمو ذوق الذي قام بتعليقها على الجدران الاربعة . وقد عدتها فالفيتها تسعا . كما علقبت لافتة في صدر القاعة كتب عليها بخط في منتهى الجمال والكمال هذه الآية الكريمة : « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** » . وقد كانت هذه الآية هي شعار المؤتمر ، وما اعظمه واحكمه من شعار !

9

لقد شارك في هذا المؤتمر الشعراء ايضا . ولكن لا تحسب هذه الاشعار الخليعة السفيفية ، بل كانت موضوعات هذه الاشعار دينية وتاريخية ووطنية واجتماعية . فكان ينشد مفدى زكرياء طائفة من شعر « **الياذة الجزائر** » بين محاضرة ومحاضرة ، او بين تعقيب وآخر . ولم يقف امر الشعر عليه وحده ، بل جاوزه الى صالح جودت الذي انشد قصائد جميلة رقيقة جدا في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي موضوعات اخرى اسلامية . وقد تقدم حسن حموتن الذيلقى قصيدة ميمية طويلة عرض فيها الى كثير من الحوادث التاريخية ، والبطولات الوطنية ، ولاسيما المتعلقة بالقبائل الكبرى . وقد اعجبني في قصيدة وصفه الطبيعة الجزائرية في منطقة القبائل ، وهي طبيعة لا تضاهيها في جمالها وكمالها وعظمتها اي طبيعة ! وهي لفحة طريفة من هذا الشاعر تجدر بالتقدير الكبير . ذلك بان الشعر الجزائري

وقد عرفت هذه العادة اول مرة في الجزائر ، فيما اعلم ، في تلمسان سنة 1937 بمناسبة تدشين مدرسة دار الحديث ، حيث استضاف التلمسانيون الوفود التي جاءت لتحضير تدشين تلك المدرسة . ثم وقع مثل ذلك بعده في قسنطينة بمناسبة ختم تفسير القرآن الكريم للعلامة ابن باديس . وقد أبدى القسنطينيون يومئذ من حسن الضيافة وسعة الكرم ما فاق كل تقدير .

7

من الطف التعقيبات واخفها . تعقيبات الشيخ عبد الله المجاهد اليماني ، فقد كان هذا الشيخ يمثل الرجل العربي القديم كما نقرأ عنه في الادب العربي ، في خفة روحه ، وحلاوة لفتته ، وصفاء ذهنه ، وجمال عبارته . فقد كان كلما اراد ان يعقب على محاضر بادر اليه طبعه الخطابي ، فخطب وقد كانت تاتيه اسجاع لطيفة تدل على سلامة الطبع العربي الاصيل . كما انني لم افهم النطق بالقاف المعقودة التي تجرى على السنة بعض الناس لدينا في الجزائر حتى هذه الايام التي كنت اسمع فيها الشيخ المجاهد ناطقا هذه القاف على النحو الذي ذكرت آنفا .

8

لقد كانت القاعة الضخمة التي اجتمع فيها المؤتمر مزودة بالواح زيتية تمثل شخصيات اسلامية بارزة ، وقد لاحظنا من بين هذه الالواح ، رسوما لابن باديس ، والابراهيمى ، والعربى التبسى ، ومحمد عديم . كما ازدانت هذه القاعة

على البديهة ، وقد أخبرنا ان كل عالم دين أو فقيه فى اليمن ، يجمع الى علمه وفقهه وفضله قول الشعر .. فهو ان قال الشعر ، لا يعدو أن يكون رجلا مسلما يمانيا .

11

استرعى الانتباه ، يوم الاثنين 16 جمادى الثانية 1393 ، ان شابا اوغانديا قام ليتحدث معقبا ، ولكن لا بالعربية ، بل باللغة الانجليزية فاضطر منظمو المؤتمر الى وضع مترجم باللغة العربية بجانبه ، وكان مما قال : « ان المنصرين (ولا أقول المبشرين ، لانها لفظة جميلة لا ينبغي ان تطلق على اعمال اولئك القوم) استغلوا جهل الافارقة فأسسوا لهم المدارس . كما استغلوا مرضهم ، فأقاموا لهم المستشفيات ، فاوشكوا ان ينجحوا نجاحا كبيرا » . وقد لاحظ المعقب الاوغاندى انه ما من مسجد يقام ، الا وتقام حوله كنيسة فى افريقيا ...

واذا كان هذا الاوغاندى عقب بالانجليزية ، فان مفاجأة المؤتمر حقا ، تمثلت فى شاب سنغالى يسمى محمودا ؛ عندما انبرى يعقب باللغة العربية الفصحى ، فبهر الناس بطلاقة لسانه ، وحلاوة تعبيره ، ونقاوة أسلوبه . واحسب ان تعقبيه كان من أنجح التعقيبات اطلاقا فى هذا الملتقى . كما ان هذا الشاب كان أفصح المسلمين غير العرب : تحدثا بالعربية والماما بها ، وتصرفا فى ألفاظها .

يكاد يخلو من وصف الطبيعة لغلبة الالتزام الاجتماعى او السياسى عليه . ليس ان هذه الطبيعة هى التى كيفتنا وساعدت على تكوين أذواقنا ووعينا ؟ ثم ليس انها ساعدت على تحرير ارضنا من المغتصبين ، فغطت كثيرا من رجالنا واخفتهم بين احضانها فنجوا من بطش الاستعمار الذى ادرك هذا ، فسلط على كثير من غاباتنا العظيمة نار طائراته فاحرقتها ، ولا تزال من ذلك آثار باقية ، وامارات بادية ؟ ابعده كل ذلك يسكت شعراؤنا فلا يصفون هذه الغاب ، ويتبدل كتابنا فلا تستهدهم هذه المناظر العجيبة . بجبالها الشاهقة ، واشجارها الباسقة ، وسواقيها الجارية ، وعيونها الثرثرة ؟

فمتى يستقيظ أدبنا من سباته الطويل، ويصحو من سكرته الضالة ، فينبه الى جمال هذه الطبيعة الفاتية الخالدة ؟

أما حموتن فقد استقيظ بعد ، وقد أنشدنى بعض قصائده الاخرى ، فاذا فيها عناية بادية بالطبيعة الجزائرية وذكر لها، واعجاب شديد بها .

10

لم نلبث ان استكشفنا شاعرا جديدا من الطراز اللطيف ، ذلكم هو الشيخ عبدالله المجاهد اليماني الذى انشأ فى أواخر المؤتمر يشنف أسماع المحاضرين بأشعار تسيل عذوبة وجمالا وحماسة، الفاظ جزلة ، فيها حرارة العاطفة ، ولطف التكتة وصدق المشاعر . وقد كان الشيخ يقرض الشعر

لقد اقتنع كل من حادثتهم من مفكرى الاسلام
أن هذه الطبيعة بلغت حد الفتنة ، وإن هذا الجمال
بلغ حد الاعجاز ، وإن الجوائر تضاهي أجمل
بلاد الدنيا . حتى أن أحدهم زعم لصاحبه فى
عبارة مرحة - وذلك بعد اداء صلاة الجمعة والتنزه
بين اشجار الحور - أن هذه هى الجنة ! أم لا يرى
العيون والاشجار ، والفواكه والثمار ! أم عى
عن هذه الزراوى الميثوثة فى هذه الظلال الوارفة ؟

أما أنا فقد قلت لمراسل صحافى : لا يمكن
أن يصاب أحد من هؤلاء السكان الكرماء بمرض ؟

ثم قلت فى نفسى : كيف لا يكون من هذه الارض
العظيمة شعراء عظام ؟ أن كل ما فى هذه الفلات
الكثيفة ، والقمم العالية ، والادوية الرهيبة يدعو
الى الشعر ويوحى به ! هذه الاطيار المفردة وهى
تشدد الحان الحياة كمانا تسبح عظمة هذه
الطبيعة الرائعة . وهذه القرى البسيطة الصغيرة
المنبثة هنا وهناك ، كأنها خلية النحل فى تركيبها
الهندسى ، ثم هذه الديار التى كانت تقع فى قمم
الجبال والربى ، كأنها قناديل علقت على اشجار
بل كأنها تيجان وضعت على رؤوس حسان .

إنه جمال وجلال وكمال !

إنها طبيعة خليقة بالتمجيد والتعظيم ؛ لأنها
محراب الشعراء ، وبهجة هذه الحياة .

لا أحسب انى تمتعت بجولة فى حياتى كلها ،
مثلما تمتعت هذا اليوم . وذلك هو الشعور العام
الذى آب به أكثر من ألف سائح فى هذا اليوم .

فمرحى بهذا الشاب الافريقى المسلم ، مرحى !

كان يوم الجمعة 20 جمادى الثانية فى برنامج
الملتقى ، يوم سياحة وتجوال فى بلاد القبائل
الكبرى ، وما أن أزفت الساعة الثامنة صباحا حتى
كانت الحافلات التى بلغ عددها زهاء خمس وعشرين
تزحف نحو المرتفعات فى طريق شديد الالتواء ،
وكان المركب يسير وثيدا لوعورة الطريق ، وكثرة
الحافلات التى كانت غاصة بالاساتذة والطلاب .

وقد انبهر السياح بجمال هذه الطبيعة العظيمة
التي سحرت الباب الضيوف والجزائريين جميعا .
وقد بلغ اثر ذلك فى نفس الشيخ عبد الله المجاهد
اليمنى . انه انشأ قصيدة أثناء صعودنا فى وصف
هذه الطبيعة العذراء . فقد كانت الجبال شاهقة
والطريق وعرا ، تدب الحافلات ، فيها ديبيا ثقلا
كأنما أثر عليها ما فى هذا الطريق من منعرجات
متصلة اتصالا مستمرا . ولكن هذه الجبال
لم تك جرداء عارية ، أو صخرية قاحلة ، وإنما
كانت مكسوة بخميلة شديدة الاخضرار ، كأنما
نسجت نسجا خاصا ثم كسيتها .

ما أجمل بلادى ! ما أروع هذا المنظر العجيب
الذى تشكل من صنع الله الواحد القهار ! فقد
أرسى الجبال الشاهقة ثم كساها بهذه الاشجار
التي كانت مختلفة فى أنواعها من بعيد تمثل
منظرا واحدا ، وصورة واحدة ، ووجها واحدا ،
هو الاخضرار . هو الجمال الفياض .

برهن مرة أخرى على سخاء هذا الشعب وسبقه
الى عمل الصالحات .

14

من أروع ما يستوقف الملاحظ ركوب السيد
الوزير في إحدى الحافلات العامة كغيره من الملتقى
انه سلوك رفيع شأن الجزائر في أعين الضيوف الى
حد العبادة . ان الأمم ترقى بالعمل والتواضع ،
لا بالكسل والتعالي ، فهل يدل سلوك السيد
الوزير من حيث تواضعه على رقينا ؟ قد يكون
أو يدل على بساطة الانسان الجزائري بوجه عام ؟
قد يكون ذلك ايضا .

والفضل في كل ذلك يعود الى وزارة التعليم
الاصلي والشؤون الدينية ، فهي لا تنشر الثقافة
وتناقش الفكر ، وتنقي عقول الاجيال الصاعدة
من الاحاد والكتلة والفساد فحسب ، وانما تشارك
في رفع كلمة الجزائر ، وتشريف سمعتها بمثل
هذه الملتقيات الهادفة ، وهذه الجولات السياحية
التي تعرف بها للجزائر من خامات سياحية ذات
ثراء ليس له مثيل .

13

أعجب جميع الملتقى بسكان قرية الشرفاء الذين
استقبلونا بحر استقبال . وكرمونا اكراما سخيا



INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE, THURSDAY, MARCH 29, 1973

صحيفة هيرالد تريبيون (الدولية) الامريكية عدد ٢٩ مارس ١٩٧٣

بعض محاسن نظامنا الاجتماعى عن الاسرة والزواج تقتبسها المانيا الغربية

جاء فى صحيفة هيرالد تريبيون الامريكية (الطبعة الدولية) بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٧٣ أن مجلس الوزراء فى حكومة بون (المانيا الغربية) أقر مشروع قانون يسمح للزوجة بالآ تأخذ اسم زوجها (أى يبقى اسمها قبل الزواج واسم اسرتها قائما بعد الزواج كما فى بلادنا الاسلامية) - كذلك أقر المجلس المذكور اباحة الطلاق (بالطبع حينما يوجد من الاسباب ما يدعو لسه) -

واباح المشروع نظاما جديدة غير مألوفة مثل أن يسمح للزوج اذا شاء أن يأخذ اسم أسرة زوجته (! !) أو أن يتخلى الزوجان عن اسمى أسرتهما ويتفقان على اسم جديد (ربما لحل مشاكل الاطفال غير الشرعيين والتبنى فلا يكون هناك تمييز حقيقى بين الاب الشرعى وغير الشرعى) *

وينفذ هذا القانون الجديد من نوفمبر ١٩٧٦ •



التطوع والاسلام

لسماحة الامام موسى الصدر ، رئيس المجلس الاسلامي الشيعي
الاعلى في لبنان ، بمناسبة مشاركته في الملتقى السابع للتعرف
على الفكر الاسلامي في تيزى وزو

ايتها الشبيبة المتطوعة :

لقد وقفت امام حركتكم التطوعية خلال
رحلتى الى الجزائر البتلة بانتباه واحترام ،
فشعرت ان هذه الحركة تزرع في القلوب بذور
الامل الكبير .

لم أقصد بهذه الكلمة تشجيعكم ، فقد
لاحظت مقابلتكم مع الرئيس القائد بومدين ،

ولكنى احببت في كلمة وداعية ان احدثكم
عن انطباعاتي عن عملكم ، وان ارسم لكم ابعاده
وامتداداته ، املا مني بان اكون قد ساهمت فيه
متطوعا مساهمة متواضعة .

ايها الشباب المتطوع !

ان عملكم التطوعي هذا يتجاوز في ابعاده
بناء القرية ومساعدة الفلاح ، وحتى تطوير
الزراعة في البلاد بشكل شوري .

بل انه في نفس الوقت بداية صنع انسان ،
وخلق مواطن ، وصناعة امة . ان المحنة الكبرى
في حياة الانسان ، منذ ان كان ، انه كان يعيش
لنفسه ، يحس بمصالحه الخاصة ، يتحرك لكي
يبني ذاته ، ويشبع اناانياته ، وبالتعبير القرآني
« اتخذ الله هواه » ، فعبد نفسه .

وجاء الانبياء ، وجاء المصلحون وقادة
الامم يحاولون يشتي الوسائل ان يوسعوا دائرة
احساسه وتحركه ، ويشعروه بالام الآخرين
وامالهم ، ذلك لكي يسعى لبناء مجتمعه الذي
ينمو باستمرار فيسعد ويسعد .

ان الدين هو هذا السلوك ، اى التحول من
عبادة الذات الى عبادة الله ، وافضل عباداته
خدمة خلقه .

والاسلام في كافة تعاليمه ، في ثقافته
وعقائده ، في واجباته وأخلاقه يرسم تفاصيل
هذا التحول العميق .

القرآن الكريم يؤكد ان أساس التقوى ،
بعد الايمان بالله وبعد ترسيخ هذا الايمان
بالصلوة ، هو اشراك الآخرين فيما وهب الله
للانسان من مال ، أو جاه ، أو طاقة ، أو علم
وخبرة (١) وهذا كله يتخلص في كلمة التطوع .

ان رسولنا العظيم يعتبر هذا التطوع في
حديث له هو الطريق الى الجنة (٢) ، كما انه ينفي
الايمان عن الذين يتكبرون لآلام الآخرين ولا
يتحركون لخدمتهم (٣) .

انكم تتحدون العصر ، وكم فى تاريخ
الجزائر من تحديات ومعجزات !

أيها الشباب المتطوع !

هذه رؤيتنا لعملكم ، بل ان هذه رؤية
التاريخ لكم * فسيروا على بركة الله ، وقدموا
عملكم .

انكم تصنعون اليوم على الارض وعلى
الانسان أسس المستقبل الذى يرفض التقلص
والانانية ، ويتنكر لعبادة الذات ، مستقبل مفتوح
يعبد فيه الله رب العالمين ، ويخدم فيه الانسان
كل انسان .

ان عملكم التطوعى أيها الاعزاء بداية
لاشرف أنواع الثورات المعاصرة ، وأكثرها شمولا
وانسانية ، انها ثورة على النفس وعلى الغير ،
ثورة على كل انحراف وتخلف ، انها الجهاد ،
فى أرض الجهاد ، يا أبناء المجاهدين !

أيها الشباب المتطوع :

ان عملكم التطوعى هذا له بعدان * فهو
ببعده الخارجى يعمر الارض ، ويبنى القرية ،
ويرفع مستوى الحياة لدى المزارع ، ويقوى الوطن
والامة .

وفى بعده الداخلى والنفسى يبني ويعمر
انسانا جديدا ، كبيرا فى تحسسه وتفكيره ،
واسعا فى اهتماماته ومسؤولياته ، فتقدمون بذلك
من انفسكم اناسا ومواطنين لرفع مستوى وطنكم
وأمتكم .

انكم باتجاهكم نحو القرية ونحو توسعة
الذات تتحركون بعكس اتجاه العالم اليوم ، فانه
بشرقه وغربه يتحرك نحو المدينة ونحو تضيق
الذات ، يعمق الانانيات ، ويرسخ المناقع الذاتية .

انكم تحولون انفسكم الى امة واحدة ،
والعالم يحول الامة الى فئات وافراد ، ويضع لكل
منها ولكل منهم اطارا صلبا .



(١) القرآن الكريم . سورة البقرة آية ٢

(٢) حديث شريف قال الرسول (ص) لاصحابه « هل أدلكم على طريق الجنة ؟ » قالوا نعم ، قال
« انفقوا مما انفق الله عليكم » .

(٣) حديث شريف « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شعبانا وجاره جائع » ، والقرآن الكريم ،
سورة الماعون « أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين » .



سياسة فرنسا تجاه العرب

من ديغول
إلى بومبيدو

يحتوي الكتاب على تسعة فصول مختلفة الأحجام ، وهي تمثل ما يمكن تسميته « صلب العلاقات » العامة بين فرنسا والعالم العربي ، وعلى عدد من الملاحق التي تعالج العلاقات التجارية والثقافية الثنائية بين فرنسا والبلدان العربية ، كلا على انفراد .

تأليف : بول بالطا
عرض : اسماعيل العربي

الا تنص هذه المعاهدة التي عقدت في القرن الثالث عشر الميلادي ، على حرية غير مقيدة للمسيحيين بالاستقرار في تونس وبممارسة عقائدهم الدينية ؟ الا تسمح للكهنة ببناء الدير والكنايس وبتخطيط المقابر للمسيحيين في الاراضي التي تمنحها لهم الدولة التونسية ، وتحت حماية الامير ورعايته ؟

ومن جهة اخرى ، يمكننا نحن (أو على الاقل ، أولئك الذين حرّموا من الاطلاع على هذه التطورات) أن نستخلص درساً وعبرة من الإشارة الى العلاقات التي قامت بين فرانسوا الاول ، وسليمان الثاني الذي يلقيه الاتراك القانوني ، ويسميه الأوروبيون ، سليمان العظيم . وهذه العلاقات لم تكن علاقات مباشرة بين الفرنسيين والعرب ، ولكنه ، نظراً لان العرب كانوا (فيما عدا مناطق محدودة ، مثل المغرب الأقصى) تابعين للخلافة العثمانية ، فهم سيعانون من آثارها الوخيمة حتى بعد زوال الخلافة ، بل وحتى بعد زوال الاستعمار شكلياً .

فان المعاهدة التي تبلورت اليها هذه العلاقات (١٥٣٥ م) هي التي نصت لأول مرة على ما أصبح يعرف بالامتيازات الأجنبية ، تلك الاغلال التي ظلت كثير من البلدان العربية والبلدان الاسلامية ترزح تحتها قرابة اربعة قرون ، اذ لم تلغ احكام هذه المعاهدة الا بموجب نصوص معاهدة لوزان (١٩٢٣ م) .

وهذه المعاهدة التي عقدت (لمواجهة توسع شارل كينت) في عهد كانت الامبراطورية العثمانية

ويبدأ الكتاب بفصل بعنوان « من شرلمان الى عهد الاستعمار » . وهذا الفصل الذي بذل المؤلف (أو بالأحرى المؤلفان) مجهوداً ، صعباً بدون شك ، لتركيبه ، محاولة قد يرى البعض أن موضوع الكتاب في غنى عنها . لانه لو تراءى أن من الضروري تعميق الموضوع ، لاحتاج هذا الفصل الذي أريد منه أن يشكل خلفية الصورة ، الى ضعف حجم الكتاب ولكنه ما دام من الصعب تسليط ضوء كاف على النقائص التاريخية الاساسية ، فان هذه الصورة هي اشبه ما تكون بالصورة التي تؤخذ من الاقمار الصناعية للمكرة الارضية . والحق أن من الصعب تلخيص تاريخ يمتد على عشرة قرون في خمس عشرة صفحة

ذلك ، على الاقل هو رأي قارئ عربي يهتم بالتاريخ ، ولكنه يجب الا ننسى ان الكتاب يتجه الى قارئ اوروبي غير متخصص . وبالتالي ، فان تنوير ذهنه بلمحات خاطفة من الاحداث التاريخية الهامة ، امر من شأنه ان يتيح له قاعدة لفهم احداث الساعة ولتتبع التطورات التي مرت بها السياسة الفرنسية تجاه العرب .

وكذلك يبدو ، مثلاً ، ان اهمال الإشارة ، في معرض الحديث عن سياسة فرنسا المعاصرة ، الى المعاهدة التي عقدها فليب الثالث بن سان لويس ، مع ابي عبد الله محمد المستنصر بالله ، ملك تونس ، أمر سيحرم اطار العلاقات العربية الفرنسية من خلفية هامة للصورة . وذلك لان نصوص هذه المعاهدة تلقي ضوءاً ساطعاً يبدد كثيراً من الاكاذيب والخرفات الشائعة بين الجماهير الاوروبية عن تعصب المسلمين المزعوم .

(1) P. Balta et C. Rulleau, la Politique Arabe de la France, de De Gaulle à Pompidou, Ed. Sindbad, Paris, 1973 275 pages, avec annexes.

التطورات ، ولكننا رأينا أن من واجبنا أن نقف لحظة عندها لتأملها ولإستخلاص العبرة منها .
وفي مرحلة تالية من هذا الفصل نفسه ، يستعرض المؤلف بإيجاز ، تاريخ العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين فرنسا ودول المغرب ، تلك العلاقات التي سمحت لفرنسا بإقامة قاعدة للتجارة والاستخراج المرجان في منطقة القل ، كانت لها فروع في جيجل وبجاية .

وفي عهد لويس الرابع عشر ، عقدت فرنسا أول معاهدة صلح مع المغرب الأقصى ، تنص خصوصا على تبادل الأسرى والرهائن بين الطرفين .

وفي سنة ١٦٤٩ ، أعلن لويس الرابع عشر (أو بالأحرى والدته التي كانت وصية عليه حيث كانت سنه لا تتجاوز الحادية عشرة) حماية فرنسا للأقلية المسيحية المارونية في لبنان .

وفي غضون القرن الثامن عشر ، وحده ، عقدت فرنسا ما لا يقل عن ١٧ معاهدة واتفاقية وبرتوكولا مع دولة الجزائر ، و ١٦ اتفاقية مع تونس و ٥ اتفاقيات مع المغرب الأقصى ، و ٤ اتفاقيات مع طرابلس الغرب .

ولكن هذه الاتفاقيات والمعاهدات التي تنظم العلاقات (وخصوصا العلاقات التجارية) بين بلدان المغرب وفرنسا ، لم تمنع الأخيرة ، من محاصرة ميناء تونس عامين (١٦٧٠ - ١٦٧٦ م) ومن إحراق أسطول طرابلس ، ومن ضرب مدينة الجزائر بالمدافع في عدة مناسبات ، ولا سيما في عهد لويس الرابع عشر .

وهذه الشبكة من الاتفاقيات والمعاهدات التي حصلت فرنسا بموجبها على عدد من

فيه في أوج عظمتها ، تفرض قيودا خطيرة الشأن على سيادة الدولة في مختلف أطراف الامبراطورية . انها بكل بساطة تجرد الدولة الاسلامية من كل سلطان على الاجانب (المسيحيين) الذين يعيشون في ارضها ، وتجعل كل اجنبي خاضعا لقوانين بلاده والسلطات الدبلوماسية والقنصلية التي تمثل بلده .

وبقبوله هذه النصوص ، تنازل هذا الخليفة العظيم . (كما يسمى) على واحد من النظم الاساسية التي نص عليها القراءان ، ونعني بذلك ، التزام الدولة الاسلامية بحماية اهل الذمة ، وتحريرهم من بعض الواجبات المفروضة على المواطن المسلم (مثل الخدمة العسكرية) ، في مقابل دفع الجزية .

والامتيازات الاجنبية التي منحت لأول مرة لفرنسا ، ثم حصلت عليها بريطانيا وغيرها من الدول الأوروبية ، ستتبلور فيما بعد الى فرض حماية حقيقية على الاقليات المسيحية التي تعيش في ارض الاسلام وتستظل بعلمه اسميا . وبموجب نصوص هذه الامتيازات ، ستتدخل فرنسا (الموارنة في لبنان) وغيرها من الدول الأوروبية مباشرة في شؤون الدولة العثمانية الداخلية .

والذين يهتمون بدراسة تطور الاستعمار الغربي ، سيجدون ، بدون شك ، في الامتيازات الاجنبية الصخرة التي قفزت منها الدول الأوروبية لتمزيق أوصال الدولة العثمانية (استقلال دول البلقان) في المرحلة الاولى ، ثم فرض سلطانها المباشر على رقعة فسيحة من العالم الاسلامي .

ليس من مهمة المؤلف ، بطبيعة الحال ، ان يلتفت انظارنا ، معشر المسلمين ، الى هذه

وفي ابريل من نفس السنة :

« الواقع ان تحرير المستعمرات امر من مصلحتنا ، وبالتالي ، فهو سياستنا »

وفي ١٠ نوفمبر من نفس السنة :

« ان مصلحة بلدنا تقضى بان تتولى الجزائر امرها بنفسها ، لا ضدنا ، بل معنا »

... في مدحه .

ونحن نذكر موقف الجنرال دوجول ، حينما سقطت فرنسا في سنة ١٩٤٠ ووقعت تحت الاحتلال الالمانى . فقد صاح الجنرال فيجان في فورة من اليأس في إحدى المناسبات قائلا : « لقد ضاع كل شيء » . ولكن الجنرال دوجول اجابه غير هازل قائلا : « والامبراطورية ؟ ! »

وقد كان أول ما فكر فيه دوجول بعد تحرير فرنسا ، فعلا هو المحافظة على الامبراطورية . ووعده الجنرال كاترو سورية ولبنان بالاستقلال في سنة ١٩٤١ ، لم تكن له الا قيمة لفظية ، كما استدل على ذلك أحداث طرد البريطانيين للفرنسيين من لبنان فيما بعد . واما المغرب والهند الصينية فهي بلدان لم تكن تحتلها جيوش الحلفاء ، ومن ثم ، فقد كانت سياسة الجنرال دوجول نحوها أكثر تحفظا ...

وقبل ان نختم هذا القوس ، نريد ان نستشهد باعتراف المؤلف نفسه ، بان دوجول قد « ضيع على نفسه الفرصة ليكون محرر المستعمرات » (ص ٤٤) .

ويعضى المؤلف في عرض سياسة دوجول بشأن الجزائر ، فيقول ، استنادا على مذكرات دوجول ، ان الجنرال كان مقتنعا لدى عودته الى الحكم ، بان استقلال الجزائر ، امر محتم (ص ٤٨)

سنوات . واذا كان قد فشل في هذه المهمة ، فان ذلك كان بدون شك نتيجة لتصميم الشعب الجزائري ولقوة عزمته ، وليس اثر لوخز ضمير متأخر ، او لتحول سياسى مفاجئ . ولقد كانت سياسة الجنرال دوجول استعمارية ، وكذلك افكاره ، ولا يمكن القول بانها تكتسى طابع الاستعمار الجديد الا على سبيل التجوز والمبالغة في مدحه .

وسياسة دوجول الجزائرية ، مرت بمراحل متميزة ، او ضحها المؤلف باقتباسات من تصريحاته - وهي نفسها تثبت لنا ان دوجول ، انما يتقدم تحت ضغط الظروف الخارجية وبخطى وثيدة ... -

١٣ يوليو ١٩٥٨ :

« القضاء على العصيان في الجزائر

Pacification

حتى يظل هذا البلد جسما وروحا الى الابد مع فرنسا »

وفي سبتمبر من نفس السنة :

« ان الاستقلال مستحيل . وكذلك الاندماج بالشكل المقترح » .

وفي ٢٩ ابريل ١٩٥٩ :

« سلام الشجعان ! »

وفي نفس السنة (مخاطبا المعمرين) :

« ان جزائر الاجداد قد ماتت » .

وفي يوليو ١٩٦١ :

« نريد ان تكون سنة ١٩٦١ ، بالنسبة للجزائر سنة عودة السلام الى ربوع هذا البلد ، بحيث يقرر السكان مصيرهم بحرية وبحيث تولد « الجزائر الجزائرية »

تحقيقها الا بتخطيط دقيق لعلاقات فرنسا الخارجية ذلك التخطيط الذى ينبغى أن يرتكز فى نظره على منطقة حساسة وغنية بالامكانيات المادية والادبية، مثل المنطقة العربية (التي تكملها افريقية السودان) فهذه البلدان الغنية بموارد النفط والتي تمثل رأس حربة فى العالم الثالث ، تصلح لان تكون بوتقة لتجربة سياسية واسعة النطاق .

الى أي حد تصدق تهمة خصوم الجنرال دوجول لهذه السياسة بأنها تكتسى طابع الاستعمار الجديد ؟

فى رأى المؤلف أن هذا النقد ينطبق على تطبيق سياسة الجنرال دوجول للتعاون ، أكثر مما ينطبق على المبدأ نفسه .

ولكننا عند هذه النقطة ، مضطرون لفتح قوس لتسجيل رأى مخالف لرأى المؤلف ، ولنذكر بأن سياسة « العظمة القومية » كانت ترتبط ارتباطا وثيقا باستراتيجية دوجول السياسية ، وأن دوجول كان من الزعماء الغربيين القليلين الذين لا نكاد نلاحظ التطور الذى طرأ على أفكارهم ... والحق أنه كان منذ أن كتب كتابه الاول ، « على حد السيف » فى سنة ١٩٣٢ - حينما كان ضابطا شابا - لم يتغير الا تحت وطأة الظروف ، ولم يكن يتنازل على آرائه الا شيئا شبرا . ونحن هنا لا نريد أن نذكر بحرب الفيتنام الاولى وبحوادث القمع الوحشى التى وقعت تحت حكمه فى مختلف المستعمرات (بما فى ذلك حوادث سطيف) ، ولكننا نكتفى بأن نعيد الى الاذهان انه لم يكن من محض الصدفة أن يعود دوجول الى الحكم على حراب الجنرالات المتمردين ، حيث كان أملهم الوحيد فى انقاذ « الجزائر الفرنسية » ، وأنه فعلا ، بذل كل ما فى وسعه لهذه الغاية خلال اربع

الاحتكارات والامتيازات ، بالدهاء والمكر حيننا ، وبالتهديد ، او باستعمال القوة حيننا آخر ، سيكون من نتائجها (ولا سيما بعد حملة نابليون على مصر) ، تيقض بريطانيا ومناقستها للتوسع الفرنسى ، بتثبيت اقدامها فى اماكن اخرى من العالم العربى . وقد كانت الخطوة الاولى فى هذا الاتجاه ، عقد شركة الهند الشرقية البريطانية اتفاقية مع امام مسقط (١٧٩٨ م) ، بوحى من حاكم الهند البريطانى .

وفى هذه الاثناء ، كانت الجزائر ، عقب الثورة الفرنسية وخلال الادارة الخماسية Directoire تمتد فرنسا بالقمع ، بما فى ذلك القمع الذى سيمون به نابليون حملته على مصر . وكذلك قدمت الجزائر ما قيمته ٧٠ ٠٠٠ قرشا Piastres اي ما يساوى ٢.٥٠٠٠ فرنك ذهبيا ، بواسطة اثنين من رجال الاعمال الذين يمثلون الداي ، بكبرى وبوشناق . وهذا الدين الذى رفضت فرنسا تسديده ، هو الذى سيؤدى الى « ضربة المروحة » المشهورة والى اعلان فرنسا الحرب على الجزائر فى يوليو سنة ١٨٣٠ .

العناصر الاساسية فى سياسة دوجول :

يقول الكاتب « ان سياسة دوجول ، لا يمكن فهمها الا اذا وضعت داخل الاطار الشامل للدور الذى حدده دوجول لفرنسا فى العالم ، وللمصير الذى كان يتصوره لبلده ، ولتطور الحقائق القومية والدولية » (ص ٣٤) .

ليس من شك ، فى ان العمود الفقرى لسياسة دوجول الدولية ، هى رغبته فى تحقيق « استقلال » فرنسا وفى استرجاع عظمتها القديمة . وقد رأى ان هذه الغاية البعيدة المثال ، لا يمكن

ومعبرا الى الشرق الاقصى ، ومتفذا الى البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج .

والعالم العربي يشكل وحدة تقوم على أسس اللغة والتراث المشترك ، وهي عناصر أقوى من الاسس التي تقوم عليها الوحدة الأوروبية . ومن هنا ، فان للعالم العربي ثقلا خاصا في ميزان العلاقات الدولية وبالتالي ، في سياسة الجنرال دوجول .

وفي مجال التجارة ، بلغت قيمة مشتريات البلدان العربية في سنة ١٩٧٠ من فرنسا ، ما قيمته ٤٤٠ مليون دولار ، ومشتريات فرنسا من البلدان العربية ١٩٦ مليون دولار . وبذلك يكون العالم العربي في مجموعه اكبر عميل تجارى لفرنسا ، بعد المانيا الغربية . ويلاحظ المؤلف ان العلاقات التجارية العربية الفرنسية قد شهدت نموا ، خصوصا ، نتيجة لموقف دوجول بعد العدوان الاسرائيلي في سنة ١٩٦٧ .

والعامل الاقتصادي الآخر المهم في سياسة فرنسا العربية ، هم العمال العرب الذين يقومون بدور حيوي في الاقتصاد الفرنسي . واذا استثنينا بعض العمال الاسبان والبرتغاليين ، نجد ان اليد العاملة الاجنبية في فرنسا كلها تقريبا من العرب . وقد قدمت اليد العاملة المغربية مساهمة حاسمة في نهوض الاقتصاد الفرنسي خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية . والعمال المغاربة الذين يعملون في فرنسا حاليا يبلغ عددهم اكثر من مليون عامل ، حوالى ثلاثة ارباعهم من الجزائريين .

وهنا قد يتساءل القارئ معنا : وفي هذه الحالة ، ما هي الضرورة التي قضت باستمرار اوراق الدماء ونشر الخراب اربع سنوات كاملة ؟

يجيب الكاتب بما معناه ، ان دوجول ، لم يكن ليبقى في الحكم لو اعلن هذا الاعتقاد .

وهذه النقطة دقيقة، وتحتاج الى استيضاح : الم يكن في امكان الجنرال دوجول الذي يرى فيه الفرنسيون محرر بلدهم ، والذي يتمتع بنفوذ لا مثيل له على الجيش ، ان يعلن في امانة ونزاهة موعدا او مهلة معينة لحل مشكلة الجزائر او يستقبل من الحكم ان عاجز عن ذلك ، كما صنع مندريس فرانس قبل ذلك باربعة سنوات حين التزم بان ينهي الحروب في الهند الصينية في ظرف شهر واحد ، او يعتزل الحكم ؟

المسألة هي ان مشكلة الجزائر ، ومشكلة الاستعمار بصفة عامة ، كانت مشكلات ثانوية في نظر دوجول ، بالقياس الى « رسالته الكبرى » في اعادة عظمة فرنسا ومجدها . ومن ثم ، فهو لم يكن ليترك الشجرة تحجب عنه الغابة (كما يقول المثل الفرنسي) ، فيعتزل الحكم من اجل الجزائر (في حالة عاجزه عن حل المشكلة في الموعد المحدد) ، ويضيع بذلك فرصة مواتية لتحقيق اهداف سامية لسياسته .

تقوم سياسة دوجول العربية على ضرورات اهمها الاستراتيجية ، والسياسة ، والاقتصاد ، والنقط ، والتكامل الثقافي .

فعلى الصعيد الاستراتيجي ، يمثل العالم العربي الذي تبلغ مساحة اراضيه ١٣،٥ مليون كيلو متر مربع ، مدخلا الى افريقية السوداء ،

تلك الحضارة التي انتقل عن طريقها التراث الحضاري القديم الى اوروبا التي كانت شعوبها لا تزال في دور الطفولة . وكذلك استعرض في هذا السياق عددا من الاسماء اللامعة ، مثل ابي الريحان البيروني والخازن وغيرهما من حملة علم الثقافة والعلم في عصر الظلمات ، واشاد بدور دمشق وبغداد والقيروان بوصفها مراكز الحضارة البشرية في تلك العصور ، وقال ان الحروب الصليبية لم تكن مجرد مواجهة بين ديانتين ، بل كانت ايضا سببا في قيام نهضة ادبية علمية في العالم اللاتيني ، ومن ثم ، فان تقديم اوروبا المساعدة التقنية للعالم العربي انما هو بمثابة تسديد بعض الدين المستحق له .

وقد كانت الخطوة الاولى في طريق تقرب فرنسا من الثقافة العربية ، هي انشاء كرسي في « الكوليج دو فرانس » للغة العربية في سنة ١٥٨٧ ، تحت هنري الثالث . وكذلك كان استجلاب لويس الثالث عشر مطبعة عربية الى فرنسا حدثا آخر مهما في هذا السياق . وقد تلت هذه الخطوات خطوات اخرى ، من أهمها ارسال لويس الرابع عشر بعثات الى الشرق الاوسط لتعلم اللغة العربية . ثم جاءت حملة نابوليون على مصر . فقد حمل معه نابليون الى مصر مطابع عربية ، كما اصطحب معه عددا من المستعربين والخبراء في مختلف الشؤون الشرقية .

وفي غضون القرن التاسع عشر ، قام عدد من الكتاب والرسميين والعلماء والرحالين بزيارات لمختلف البلدان العربية وتصويرها والكتابة عنها . وقد كان في مقدمة هؤلاء شاطوبريان وترفال ولامارتين وفلوبير . وكذلك كانت فرنسا ، قبل ان تغرق وادي النيل بالراسماليين ورجال الاعمال ، والمغرب بالجيوش والمعمرين ، تصدر بضاعة أساسية ، هي الافكار التي حافظت على كثير من سمعتها عبر الاجيال .

والنفط يشكل اهم مادة تستوردها فرنسا من العالم العربي . والنفط ، مثل اليد العاملة ، يلعب دورا هاما في الصناعة الفرنسية ، وذلك بوصفه مادة اولية للصناعات المتفرعة عن النفط وبوصفه مادة للوقود حلت تدريجيا محل الفحم . والميزة الاساسية للنفط العربي ، هي قرب موارده من الناحية الجغرافية من جهة ، وانخفاض تكاليف استخراجه والبحث عنه ، من جهة اخرى وفي هذا السياق يقول المؤلف ان الذين يرددون ان « النفط كريحه الرائحة » انما هم اشخاص « عديمو الشعور ، ومن ذوى النيات السيئة ، أوهم ممن ينادون بالانتحار الاقتصادي . السيئة ، أو هم ممن ينادون بالانتحار الاقتصادي » . وصدق هذه الملاحظة من الوضوح بحيث لا يحتاج الى اثبات حيث تكلفت الظروف بان تثبت ان النفط ، ليس موردا للثورة فحسب ، بل هو ايضا سلاح سياسي خطير عرّف قيمته أولئك الذين يحتقرونه ، قبل غيرهم .

وقد كانت سياسة دوجول تتلخص في ضمان تمرين فرنسا ومحاولة رفعها الى مستوى كبريات الدول النفطية وتخليصها ممن قبضة الشركات الاحتكارية الامريكية . وفيما يتعلق بعلاقات فرنسا النفطية بالجزائر ، ندد المؤلف بالاعلاط التي ارتكبتها فرنسا - تلك الاعلاط التي كلفتها كثيرا والتي كان من الممكن تجنبها - وأورد نصوصا طويلة للتصريحات التي تمثل وجهة نظر الفرنسيين وللتصريحات التي تمثل وجهة المسؤولين الجزائريين ، وفي مقدمتهم الرئيس هواري بومدين .

العلاقات الثقافية :

شرح المؤلف في عرض هذه العلاقات بان لاحظ ان التعليم في فرنسا يفتقر من العصور الهلينية الرومانية الى العصور الوسطى دون ان يعرج على العصور الذهبية للحضارة العربية

العربية في المشرق والدول العربية في المغرب .
وقد بلغ عدد هذه المراكز الثقافية في سنة ١٩٧٠ ،
ثلاثين مركزا ، وذلك بالإضافة الى عدد كبير من
المدارس الثانوية والمدارس المتخصصة والكليات .
وفي نفس الوقت تقدم فرنسا دورات تدريبية
وتستقبل بعثات دراسية في مختلف المجالات ،
بقصد توسيع نطاق عملها الثقافي وتحسين
نوع تعليم اللغة الفرنسية .

ولكن المؤلف يعترف بوجود نواحي النقص
في برنامج التعاون الثقافي العربي الفرنسي .
وذلك لان الثقافة ، فيما يقول ، تتطلب تبادلا بين
الجانبين . وفرنسا لم تبذل سوى مجهودا ضئيلا
لتشجيع تدريس اللغة العربية ولتعرف العالم
العربي الاسلامي . فان عدد الطلبة الذين
يختارون اللغة العربية لغة ثانية في المدارس
الثانوية الفرنسية لا يتجاوز ٥٠٠ طالبا ، بينما
تبلغ نسبة الذين يختارون اللغة الانجليزية ثلث
مجموع الطلبة . وهذه الحالة غير مقبولة اذا
نظرنا اليها على ضوء سياسة الجنرال دوجول
العربية ، وعلى ضوء التطور التاريخي ، حيث
كونت فرنسا مدرسة عظيمة من المستعربين .
والاسوء من ذلك ، ان نرى انه في الوقت الذي
اعتمدت فيه اليونسكو اللغة العربية لغة للعمل
زحزحت هذه اللغة من المكانة التي كانت تحتلها
في المدارس الثانوية الفرنسية بين اللغات الاجنبية
المهمة .

واما معهد اللغات الشرقية الذي يستقبل
في السنة الاولى نحو ٢٠٠ طالبا وكثير
منهم من الاجانب ، فانه لا يتابع
الدروس فيه سوى ٢٥ طالبا في السنة النهائية .

وهذا الرصيد ، هو الذي حاول الجنرال
دوجول أن يبني عليه علاقات جديدة لفرنسا مع
العالم العربي . ولكنه اذا كانت سياسة دوجول
الثقافية نحو العالم العربي واضحة المعالم ، فان
تطبيقها اليومي كان يجرى طبقا لمقتضيات
الحوادث ولحاجات فرنسا وامكانيات البلدان
العربية ، ولا سيما بلدان المغرب التي تحتل مكانا
بارزا في برنامج فرنسا للتعاون الثقافي والعلمي
والتقني .

ولكن برنامج التعاون الثقافي مع بلدان
المشرق كانت تعترضه عقبة مهمة ، وهي أن هذه
البلدان باستثناء لبنان (١) ، كلها ، بحكم العوامل
التاريخية تقع في نطاق النفوذ الثقافي الانجليزي ،
وذلك على الرغم من ان مصر كانت تملك عددا من
المؤسسات والمدارس الفرنسية ، قبل الخمسينات
وقد تجمدت العلاقات الثقافية المصرية نتيجة
لحوادث قناة السويس .

وفي المغرب ، نجد أن تونس تعتمد نظام
الازدواجية (العربية والفرنسية) في اللغة ،
بينما لا تزال الجزائر ، على الرغم من سياسة
التعريب التي تنهجها ، تعتمد الى حد بعيد على
اللغة الفرنسية .

فان اكثر من نصف تلامذة المدارس الذين
يبلغ عددهم ٢٠٠٠ ٠٠٠ طالبا في الجزائر
يتعلمون اللغة الفرنسية ابتداء من السنة الثالثة .
وكذلك نجد ان عدد الجزائريين الذين يتعلمون
لغتنا خمسة اضعاف العدد الذي كان يتعلمها
قبل الاستقلال (٢) .

وكذلك تعددت المراكز الثقافية الفرنسية
والمؤسسات المشتركة بين فرنسا وبعض الدول

(١) نسي المؤلف ذكر سورية
(٢) علامة الاهمية من الناقد .

الابيض المتوسط ، وهو موضوع كان الجنرال دوجول يوليه اهمية قصوى منذ اوائل العقد السادس ، حيث انه يتصل اتصالا وثيقا بسياسة « الاستقلال » التي كان ينتهجها بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي . ولكن محاولات الرئيس الفرنسي لحمل دول المنطقة على تنسيق جهودها من اجل اقرار السلام ، وبالتالي تضيق مجال تدخل الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ستتهار ، نتيجة للعدوان الاسرائيلي الذي كانت له تلك النتائج الدولية المعروفة .

وتحليل الكاتب لدوافع سياسة دوجول في البحر الابيض في الفترة التالية ، وربه لهذه السياسة بمختلف المصالح والتيارات الدولية ، تحليل موضوعي بارع ويتسم بكل ما نبحث عنه عادة ، لدى الكتاب الاوروبيين من الدقة والنزاهة . والجداول التي يوردها المؤلف والتي تشتمل على عدد ما تملكه كل واحدة من دول المنطقة من الطائرات والسفن الحربية ، ذات قيمة خاصة ، بالنظر الى ما تحيط به جميع الدول ما تملكه من الاسلحة من السرية التامة .

وقد قارن المؤلف بين الحالة في الهند الصينية وفي البحر الابيض المتوسط من الناحية الاستراتيجية ، فخلص الى نتيجة مؤداها أن اسباب المنافسة بين العملاقين الروسى والامريكى لا ترجع الى اعتبارات اقتصادية فقط ، وانما يعمل الطرفان خصوصا لرحضة الدول الاوروبية التي ظلت تمارس سيطرتها على هذه المنطقة منذ نهاية القرن الخامس عشر ، اثر تقلص النفوذ العربى في الشرق الاقصى .

ولما تعرض لسياسة الاتحاد السوفيتي التي تقوم على ما يسمى بمبدأ « لا حرب ولا سلام ،

والكتب العربية المترجمة الى اللغة الفرنسية في التاريخ والجغرافيا والادب ، لا تزال مجهولة لدى الجمهور ، وذلك مع العلم بان عددا كبيرا من الكتب العربية في حاجة الى الترجمة . والناشرون باستثناء اثنين او ثلاثة ، لا يهتمون بنشر الآثار الادبية العربية . والمجلات القليلة التي تتناول الشؤون العربية في فرنسا ، ليست في مستوى متيلاتها من المجلات التي تعالج شؤون الثقافة العربية في البلدان الكبيرة الاخرى ، مثل بريطانيا والولايات المتحدة .

والمشترقون مجمعون على أن من الضروري تدارك هذا النقص في تعليم اللغة العربية ونشر الثقافة الاسلامية ، وعلى أنه ينبغي بذل مجهود على مستوى الدولة لتحسين الاتصالات بالعالم العربى . والامل معقود على أن قرار السيد بومبيدو الذى يقضى بانشاء جائزة خاصة في سنة ١٩٧٢ لتتوج الناجح في مسابقة عامة في اللغة العربية ، ستكون الخطوة الاولى في هذا الاتجاه .

وقد خصص المؤلف فصلا خاصا للعلاقات الفرنسية الجزائرية تحت عنوان « محور الجزائر باريس » ، استعرض فيه تطور هذه العلاقات منذ استقلال الجزائر ، وهى حوادث معروفة ، كما خصص فصلا آخر بعنوان « القاهرة ، محور الشرق الاوسط » ، عالج فيه الحوادث التي تلت العدوان الاسرائيلي في سنة ١٩٦٦ ، وصلتها باحداث اخرى وقعت بعد ذلك في المنطقة ، وقال ان سياسة الجنرال دوجول تجاه هذه المنطقة ، سياسة طويلة الامد وتتسم ببعد النظر .

والفصل الآخر المهم في الكتاب ، هو الذى خصصه الكاتب لاستراتيجية الدول في البحر

الآن ، فلاحظ أن نسبة ما تخصصه فرنسا من الدخل القومي الاجمالي لمساعدة الدول المتطورة ، قد نقص من ١٣٥٪ في سنة ١٩٦١ الى مجرد ٦٧٪ في سنة ١٩٧١ ، (ولو أن مساعدة القطاع العام ارتفعت نسبتها قليلا) .

وقما يتعلق بالتعاون الثقافي مع البلدان العربية ، ركز المؤلف على تبين ما يشوبه من النقص ، وضرب لذلك مثلا ، تطبيق الاتفاق الذي عقد بين العراق وفرنسا في سنة ١٩٦٩ ، والذي كان مخيبا للامال . ويلج المؤلف بصفة خاصة على عدم اعداد « المتعاونين » اعدادا كافيا بحيث يصلون الى البلدان التي ارسلوا للعمل فيها وهم يجهلون كل شيء تقريبا عن حاجات المجتمع ونفسية الشعب الذي سيعيشون بين ظهرانية .

تلك هي الملامح البارزة للكتاب ، استعرضها بما ينبغي من الامانة ، راجين ان يجد القارئ العربي في ذلك ما يساعده على تكوين فكرة واضحة عن العلاقات العربية الفرنسية . والملاحظات التي ادرجناها ضمن هذا العرض ، هي كل ما يتطلبه المقام للتعليق على آراء المؤلف ، أو لتوضيحها . ولكنه مع ذلك ، يجب الايفوتنا ان نشيد بالروح المتحررة التي تسود الكتاب في مجموعة . فان القارئ العربي لما يكتبه الاوروبيون عن العرب ، تعود - بحكم التجربة - ان يتدرع بروح النقد ، بل والتشكك احيانا . فان الطعن والغمز واللمز ، لدى الحديث عن تراث العرب وقضاياهم المقدسة ، هو دأب الاغلبية الساحقة من الكتاب الاوروبيين والامريكيين ولذلك ، فان مما يثلج صدر الناقد أن يقع على كتاب يعرض حقائق للاوروبيين عن العرب بطريقة موضوعية وبأسلوب رزين دقيق ، بعيدا عن الرغبة في الاثارة والاستفزاز .

في الشرق الاوسط « لاحظ المؤلف أن هذه السياسة التي تخدم مصالح روسيا ، قد استفادت منها الولايات المتحدة أيضا ٠٠٠ وهي حقيقة من الوضوح بحيث يندهش الانسان كيف تفوت سياسيا عربيا مهما كان أفقه الفكري ضيقا .

وفي نفس السياق ، سجل المؤلف ملاحظة لا تقل عمقا ووضوحا عن الملاحظة السابقة ، وهي أن الولايات المتحدة التي تعمل لتضييق « الخناق » على الدول العربية التقدمية التي قد يخطر لها ان تعمل لاحداث انقلابات سياسية ، مثل سورية والعراق وجنوب اليمن ، فأحاطتها بحجر صحي ، تعتمد خصوصا على المملكة العربية السعودية وإيران .

وكذلك تحدث المؤلف عن الاستراتيجية الامريكية في الخليج العربي وفي البحر الاحمر ، وذكر بان الولايات المتحدة سجلت في هذه المنطقة « اهدافا » مهمة خصوصا بالفشل الذي مني به الانقلاب في السودان في سنة ١٩٧١ ، والذي حرم الكرملين من نافذة على البحر الاحمر وبتقلص النفوذ المصري ، بعد وفاة عبد الناصر ، في البلدان الواقعة على الخليج .

وفي الفصل الاخير ، استعرض المؤلف حالة العمال الجزائريين ولفت الانتظار الى ما يعانونه من الصعوبات ، ولا سيما فيما يتعلق بتوفير السكن الملائم ، كما نوه بتقصير ارباب الصناعة والسلطات العمومية في العمل لتذليل هذه الصعوبات .

ولما تعرض لموضوع التعاون ، اشار الى التقرير الذي قدمته لجنة جورج جورس ^{Gorse} في سنة ١٩٧١ ، والذي لم تنشر محتوياته حتى

بالنقص الذى يشوب سياسات التعاون وبرامج المساعدة الثقافية والتقنية .

والكتاب ، أخيرا ، بناء ، لأنه يفتح حوارا جديا بين العالم العربى وبلد مستعمر سابقا .
وكم يستفيد ملف القضايا العربية لو تظهر كتب أخرى من نفس النوع تحت عناوين ، مثل «سياسة بريطانيا تجاه العرب من ايدن الى ماكميلان» .

وأخيرا ، فهذا الكتاب يعالج قضايا خطيرة الشأن بروح من الجد والنزاهة . وأقل ما يمكن ان يقال فيه انه لا يستغنى عنه القارئ العربى الذى يريد فهم العلاقات العربية الفرنسية فى اواخر العقد الخامس وفى غضون العقد السادس .

وكتاب بول بالطاوكلودين رولو ، هو بدون شك من هذا النوع .

وهو كتاب بناء من عدة اوجه ، اولاً من حيث رصد المعلومات التى تشتمل عليها والتى لا يتاح جمعها وتصنيفها تصنيفاً علمياً الا للتمرسين فى مهنة الاعلام مثل المؤلفين . فهذه المعلومات ، ستساعد الساسة والمفكرين العرب على تحديد مواقفهم فى عدد من القضايا الهامة فى العلاقات العربية الفرنسية .

وهو بناء ، لأنه يضع رجال الدولة والرأى العام الفرنسى امام مسئولياتهم ، فيما يتعلق

معركة البترول أيقظت أوروبا

وفي إطار ايجابيات مؤتمر القمة دائما هناك موضوع الطاقة .
لقد اتخذ وزراء البترول العرب في الكويت قرارات استعجالية طارئة فرضتها
المعركة وكان لا بد ان نلتقي لمناقشة هذا الموضوع لنخرج بنصير على ضوء مؤتم قرارات
الكويت لنحدد معالم سياستنا في المستقبل وفي هذا الميدان كان الاتفاق كاملا .
وهنا يجب ان ندرك بان التحرك الفردي سواء في المجال الديبلوماسي أو المجال
الاقتصادي ليست له سوى آثار هزيلة خاصة في هذا الطرف الخطير .
ذلك اننا لن نستطيع التأثير على المجموعات الدولية الكبرى الا اذا تحركنا في كل
الميادين كمجموعة عربية .
وهكذا بالنسبة لاوروبا تم تحديد موقف أساسه المستقبل وليس مجرد موضوع
الطاقة ، ولقد مددنا يدنا لاوروبا وعليها ان تتعامل مع العرب كمجموعة بشرية
لها دورها في الحضارة الانسانية ولها مصالحها المرتبطة بمصالح أوروبا التي يجب الا
تتصر كل اهتماماتها في قضية البترول وارتباطه بالتدفئة وعطلات الاحد .
لانه ثبت اليوم بانه لا يمكن ان يكون هناك استقرار حقيقي في أوروبا ما لم
تؤخذ مشاكلنا بعين الاعتبار .
ويبدو ان معركة البترول قد أيقظت أوروبا من سباتها العميق والطويل
وأصبحت تشعر اليوم بوجود العرب كقوة مؤثرة على الاحداث .
هذه باختصار صورة عن ظروف عقد المؤتمر .
وحول قضية فلسطين قال الرئيس :
لم يبق مجال للسؤال عن ممثل الشعب الفلسطيني ، فقد اجبنا على ذلك
واصبحت منظمة التحرير هي الطرف الشرعي الفلسطيني المعترف به عربيا ليكون
هذا بداية الاعتراف الدولي به ، ولهذا انعكاساته في المستقبل .
وعن القضية نفسها قلنا بان قضية فلسطين هي القضية الام واحتلال سيناء
والجولان هي شروع عن الاصل .
الرئيس بومدين في ندوة مع ممثل الصحف العربية



من وراء البحار أفكار ومذاهب

أفكار ومذاهب من وراء البحار

الديمقراطية والتضخم النقدي - في طريق
اصلاح نظام النقد الدولي - اوروبا الغربية والعالم
الثالث - تلوث المحيط الطبيعي والبيئة الاخلاقية -
الرياضة قبل السياسة ام العكس ؟ هذا الكتاب
عن افريقية السوداء *

إعداد :
إسماعيل العروبة

الديمقراطية والتضخم النقدي :

تعانى الدول الصناعية المتقدمة في الاعوام الاخيرة من داء عضال ، وهو التضخم النقدي وارتفاع الاسعار . وهذه ظاهرة عامة في جميع الدول الصناعية ، وهي تزداد تفاقمًا مع مرور الزمن ، متحدية جميع الاجراءات النقدية والاقتصادية والضريبية التي لا تفتأ الحكومات تتخذها .

وهذا الموضوع ، هو الذي سلطت عليه الاضواء في التقرير النصف السنوي الذي أصدرته في أواخر شهر يوليو الماضي ، منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (O.E.C.D.) التي تضم الدول الصناعية الرأسمالية (١) وأهمية بعض الفقرات التي وردت في هذا التقرير ، هي في انها تربط ، لأول مرة منذ نهاية الحرب ، بين ظاهرة التضخم النقدي وانهيار الديمقراطية وقيام الفاشية والنازية . جاء في التقرير :

« ان أخطر مشكلات الساعة وأعوصها ، هي بدون شك ، مشكلة التضخم النقدي الذي تضاعفت نسبته في جميع الدول الاعضاء ، تقريباً » .

صحيح انه توجد علاقة واضحة بين التضخم النقدي والتشغيل الكامل ، والنمو الاقتصادي (ولكن أي نوع من النمو ؟) ، والتوسع في تداول النقد الذي يغذي شرابين الحياة الاقتصادية . ولكن المسألة التي تستعصى الاجابة عنها . هي : ما هي درجة التضخم التي يمكن اعتبارها « مقبولة » ؟ . فان التضخم المالي في

نهاية التحليل لا تستفيد منه الا الطبقات المستغلة والتي تبنى ثروات غير شرعية على حساب الطبقات الكادحة والفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود . لان هذه الفئات لا تكاد تعرف زيادة في دخلها . وبينما ترتفع الاجور والمرتبات بمعدل يتراوح بين ٤ و ٦٪ سنوياً ، تسجل تكاليف المعيشة ارتفاعاً بنسبة تتراوح بين ٧ و ١٠٪ سنوياً . وبعبارة أخرى ، فان مستوى معيشة الجماهير الذي يفترض فيه ان يرتفع مع التوسع الاقتصادي وسرعة النمو ، يتجه على العكس الى الانخفاض ، سنة بعد سنة . فهل ترضى الجماهير بهذا الوضع الى الابد ؟

العلاج الذي يقترحه تقرير منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية هو : « العمل لتحقيق نتيجة معتدلة في نمو الطلب » بحيث ينجم عن ذلك انخفاض في الطاقة الانتاجية .

ولكن الخطر ليس هو من النوع الاقتصادي فقط . لان النظم السياسية الديمقراطية نفسها ، هي التي تواجه التهديد . « فان المخاوف قائمة في ان تواجه الحكومات صعوبات متزايدة لاتخاذ اجراءات فعالة للتثبيت (النقدي) ، مما سيؤدي في نهاية الامر الى ظهور حالة عدم اكتراث وتضعف الثقة في الاوساط الشعبية التي ترى كل محاولة لمعالجة الموقف وهما وعبثاً » .

« وهذا الموقف ، قد تكون له عواقب مؤسفة ... للمجتمعات الديمقراطية . فان ارتفاع نسبة التضخم ، أمر سيؤدي الى خلل واضطراب كبير في هياكل الدخل والثروة . وهذه الحالة لا تنقسم بالظلم والاحجاف فحسب ، بل هي تتولد عنها أيضاً توترات اجتماعية دائمة ... من النوع الذي لم تتسلح المجتمعات الديمقراطية لمقاومته » .

(١) يمكن للقارئ ، الذي يهيم معرفة اهداف هذه المنظمة ووظيفتها ومختلف الاجهزة المنفردة عنها ، مراجعة : اسماعيل العربي ، التعاون الاقتصادي للتنمية ، في نطاق المنظمات الدولية ، نشر وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1972 ، توزيع الشركة الوطنية الجزائرية للنشر والتوزيع ، ص 367 - 392

تطور الانتاج والاسعار في الدول الصناعية الكبيرة

| نسبة النمو السنوي في اسعار الناتج المحلي الاجمالي (%) | | نسبة نمو الناتج المحلي الاجمالي سنويا بالحجم (%) | | |
|---|------|--|------|-------------------|
| ١٩٧٣ | ١٩٧٢ | ١٩٧٣ | ١٩٧٢ | |
| ٥,٥٠ | ٤,٦٠ | ٧,٢٥ | ٥,٨٠ | كندا |
| - | ٣,٠٠ | ٧,٢٥ | ٦,٤٠ | الولايات المتحدة |
| ٧,٥٠ | ٤,٩٠ | ١٣,٥٠ | ٩,٢٠ | اليابان |
| ٦,٧٥ | ٥,٧٠ | ٦,٠٠ | ٥,٥٠ | فرنسا |
| ٦,٢٥ | ٦,١٠ | ٦,٢٥ | ٢,٩٠ | المانيا الاتحادية |
| ١١ | ٦,٠٠ | ٤,٥٠ | ٣,٤٠ | ايطاليا |
| ٦,٥٠ | ٦,٧٠ | ٦,٢٥ | ٣,٤٠ | المملكة المتحدة |

صفوف الرفقاء الاقتصاديين : تريباب الصناعة والحكومات ، من جهة ، وتقابات العمال من جهة اخرى . وهذه الحالة قد تستمر حتى يعم السخط بين الطبقات الكادحة . وحينئذ ستضطرب الحكومات الى فرض نظام جبري للأسعار ، وبذلك يتحول الاقتصاد الذي يسمى « ليبراليا » من احتكار الشركات الى احتكار الدولة . وان لم تفعل ، فسيفلت زمام الموقف من يدها كلية .

في طريق اصلاح نظام النقد الدولي :

اصيب نظام النقد الدولي الذي اقامته اتفاقية برتن وودز (١) على معيارى الذهب والدولار بانتهيار مفاجئ في سنة ١٩٧١ ، حينما

والذين كانوا يتتبعون التطورات الدولية خلال الفترة بين الحربين العالميتين ، يذكرون بدون شك ، ان من الاسباب الاساسية التي ادت الى قيام ، الفاشية في ايطاليا ، والنازية في المانيا ، التضخم النقدي وفقد العملة قيمتها الشرائية . فان فتجان القهوة ، مثلا ، كان يكلف في المانيا في منتصف العشرينيات ، عدة آلاف من الماركات .

ونحن نعرف ان الرأسمالية تعيش خصوصا على اساس نوع من التوازن بين متناقضاتها ولكن التضخم النقدي وما ينجم عنه من اتساع الفجوة بين الطبقات بحيث يزداد الفقراء فقرا ، والاغنياء ثراء ، قد احدث اضطرابا خطيرا في

(١) عقد مؤتمر برتن وودز (Bretton Woods) الذي اسفر على هذه الاتفاقية والذي اشتركت فيه 45 دولة ، خلال الفترة بين 1 - 22 يوليو ، 1944 ، للقارىء الذى يهمه الموضوع ، الفصل الذى قصصته فى المصدر المذكور : لصندوق النقد الدولى ، ص 258 - 259

والادخار) ، بنسبة تساوى أكثر من عشرين بالمائة . وإذا أضفنا الى ذلك ، أثر اضطراب قيمة النقد فى حركة التضخم وارتفاع اسعار الآلات والخدمات التى تستوردها الدول المتطورة من الدول الصناعية ، ادركنا مدى خطورة الخسائر التى تتكبدها الدول المتخلفة اقتصاديا .

على أن بارقة من الامل أخذت تساور الناس فى الايام الاخيرة اثر الاجتماع الذى عقدته لجنة الدول العشرين فى نهاية شهر يوليو الماضى فى واشنطن . وقد ظهرت البوادر الاولى التى تشير الى امكان وجود مخرج من الازمة ، بعد التصريح الضافى الذى ادلى به السيد جيسكار ديستنج وزير المالية الفرنسى لصحيفة التايمز اللندنية (٧٣/٧/٢٧) ، قبل سفره للاشتراك فى اعمال اللجنة على رأس الوفد الفرنسى . فان هذا التصريح الذى اتسم باعتدال فى اللهجة وانطوى على تنقيح لبعض المواقف الفرنسية المتشددة ، اثار اهتمام المعقبين والاطراف الديبلوماسية العالمية بصفة خاصة .

وفى واشنطن ، أحدث وزير مالية فرنسا أول ثغرة فى الازمة التى كانت تسود اجتماعات الدول العشرين حينما اقترح فرض عقوبات صارمة على الدول التى يتجاوز الاحتياطى الذى تملكه مستوى معيناً (وكان هذا موقف الولايات المتحدة الذى تعارضه فرنسا) . ويقضى الاقتراح الفرنسى بأن تقوم الدول التى تسجل فائضاً (فى نظام النقد الجديد) بإيداع هذا الفائض فى صندوق النقد الدولى (F.M.I.) وتتلقى فى مقابلة حقوق السحب الخاصة (D.T.S.) ثم تتخذ الاجراءات الضرورية لتخفيض فائضها .

ظهرت الفجوة الساحقة التى تفضل بين قيمة الذهب وقيمة الدولار الحقيقية . وبعد عدة محاولات بذلت على صعيد وزارى ، أو على مستوى البنوك المركزية ، لترقيق هذا النظام ، توصلت الجماعة الدولية (أو بالاحرى ، جماعة الدول الثرية) الى ادخال اول تعديل جذرى على نظام النقد الدولى فى شهر ديسمبر ١٩٧١ . وبموجب هذا الاتفاق ، اعيد النظر فى علاقات تبادل النقد بين الدول الصناعية ، فخفضت قيمة الدولار ، بينما رفعت قيمة عملات معظم الدول الغربية واليابان .

ولكنه ، بدلا من أن يؤدي هذا الاصلاح الى الاستقرار المنشود ، ظلت الحالة دقيقة ، تهدأ حيناً وتضطرب أحيانا اخرى ، خصوصا تحت هجمات المضاربين فى اسواق العملة الراسمالية . وفى اوائل هذه السنة ، انفجر الموقف واقتضى الامر اجراء تخفيض جديد من قيمة الدولار الأمريكى .

وفى مايو ويونيو الماضى ، اقلت زمام الامر من يد الحكومات والمنظمات الدولية المتخصصة تماما ، وعمت الفوضى اسواق تبادل النقد التى أصبحت لا تخضع الا لوامر كبار المضاربين العالميين . وكذلك أصبح هؤلاء يتحكمون الآن ، بعد تعويم العملات الرئيسية ، لا فى اسواق الدول الصناعية الراسمالية فحسب بل وخصوصا فى مصير مئات الملايين من ابناء الدول المتطورة التى تعمل جاهدة لتنمية اقتصادها ولرفع مستوى معيشة سكانها . فان تخفيض قيمة الدولار ، معناه ، بالنسبة الى هذه الدول ، تناقص قيمة احتياطياتها من الدولار (ذلك الاحتياطى الذى جمعه لا بالقمار والمضاربة ، بل بالعمل والتكشف

تعرف عنه آراء متحجرة في الموضوع ، كما هي الحالة بالنسبة الى بعض الاختصاصيين الفرنسيين ، مثل جاك رويف I. Ruoff مستشار دوجول سابقا في شئون النقد الدولي ، وصاحب النظريات المشهورة في معيار الذهب .

قال الفريد سوفى ، ان تخفيض قيمة الجنيه الاسترليني ، كانت هي الخطوة الاولى في طريق انحدار العالم الى الازمة . ونظرا لان لندن ، هي المحكمة في اسواق المواد الاولية (التي تعتمد عليها الدول المتطورة اساسيا في الحصول على دخلها) ، فقد ظلت اسعار هذه المواد بالجنيه بدون تغيير ، مما نجم عنه هبوط كبير في تلك الاسعار بالدولار والفرنك الخ .

« وبعد الحرب العالمية الثانية ، جرت محاولة في برتن وودز لبناء منزل جديد على انقاض المنزل القديم . وقد اعتقد الذين قاموا بهذه العملية ، انهم احسنوا صنعا ، اذ رفضوا رفع قيمة الذهب ، وأحلوا اوراق خضراء (الدولار) محله . وهذه التجربة نجحت بعض الوقت . ولكن الولايات المتحدة استغلت هذا الوضع واغرقت العالم باوراقها الخضراء . وهذا العامل هو الذى ادى الى انهيار نظام النقد الدولي » .

وبعد ما وجه الفريد سوفى سهمها الى الخبراء الاقتصاديين الذين يتحملون على عاتقهم مسئوليات ثقيلة ، أضاف قائلا :

« ان الاغلبية الساحقة من رجال النقد ، ترفض الآن نير الذهب لان نظام معيار الذهب من مخلفات العصور القديمة ، ولان الشعوب لم تعد تستطيع مواجهة تهديد مستمر بازيمات مفاجئة بالبطالة وانهيار الاسعار » .

وفى مقابل هذه الترضية ، قدم وزير الخزانة الامريكى ومندوب الولايات المتحدة فى اللجنة ، ترضية اخرى ، حين اعلن ان بلده لا يصبر على المطالبة بادخال تعديل على قيمة العملة ، هبوطا وارتفاعا ، بطريقة آلية ، كلما اقتضى الامر ذلك (وهو موقف كانت تعارضه جميع الدول الاعضاء فى لجنة العشرين التابعة للأمم المتحدة) .

والتعديل الآخر الذى وقع فى موقف فرنسا فى ازمة النقد الدولي ، يتصل بالمكانة التى تشغلها الدول الاشتراكية فى اوروبا الوسطى فى نظام النقد الجديد (وهذه الدول لا تتمتع بالعضوية فى الوقت الحاضر فى صندوق النقد الدولي) . فقد صرح السيد جيسكار ديستانج (صحيفة لوموند ١٩٧٣/٨/١) فى جلسة مضيق عقدتها اللجنة بانه « يجب ان يسمح نظام النقد الجديد بتسوية المعاملات مع هذه الدول وان يترك الباب مفتوحا على مصراعيه امامها للدخول فيه » .

انه لما لا يخلو من مغزى عميق ان نرى فرنسا تتخذ هذه الخطوة فى نفس الوقت الذى يقوم فيه مجلس المساعدة الاقتصادية المتبادلة Comecon الذى يضم الدول الاشتراكية فى اوروبا الشرقية وآسيا ، بخطوات للتقرب من السوق الأوروبية المشتركة .

وعلى الصعيد الاكاديمي ، ينبغى ان نختتم هذه الفقرة دون ان نشير الى مقال قيم نشره العلامة الفريد سوفى A. Sauvy فى صحيفة « الجرنان دوجنيف (١٤ - ١٥/٧/٧٣) وعالج فيه نظام النقد الدولي ، تحت عنوان : « مات انسيدي ، فمن سيخلفه فى تركته ؟ » . ومما يزيد من قيمة آراء هذا العالم فى شئون النقد أنه لم

الثالث وتدفع ثمنها على أساس السعر الذى يحدده المنتج * ولكن سعر الحديد (الخام) والمطاط الذى صنعت منه تلك السيارة والذى تنتجه بعض البلدان المتطورة ، وانما يحدد فى بورصة المواد الأولية فى لندن أو فى نيويورك * وهذا ظلم وإجحاف ، لا بالمقياس الى توزيع العمل والتخصص الدولى فحسب ، بل وأيضا ، فى تقييم ثمرة العمل والالم البشرى *

وهذا الوضع وما ينطوى عليه من المخاوف بالنسبة الى اقتصاد الاغلبية الساحقة من الدول المتطورة ، كان ، بدون شك ، يشكل الصورة الخلفية للمؤتمر الوزارى الذى عقدته ثلاثون من الدول الافريقية فى لا جوس فى منتصف يوليو الماضى والذى كانت مهمته الاساسية ، تحديد موقف افريقى مشترك فى المفاوضات الواسعة النطاق التى ستجرى فى بروكسال بين هذه الدول والسوق الاوروبية المشتركة * ونتيجة هذه المفاوضات ، هى التى ستضبط ، بدون شك ، العلاقات بين اوروبا الغربية والعالم الثالث ، على الاقل ، خلال العقد السابع الجارى *

وغاية هذه المفاوضات غاية بعيدة ، ولكنها تستهدف فى المرحلة الاولى تجديد اتفاقية ياوندى الثانية التى ينتهى أجلها فى ٣١ ديسمبر ١٩٧٣ * ومن المعلوم أن هذه الاتفاقية تربط ١٩ دولة افريقية ومدغشقر وموريشيوس بالجماعة الاقتصادية الأوروبية *

« وقد ذكر السيد روبرت موسى فى كتابه الاخير ان ازمنة النقد لن يحلها حيوان بدائى منقرض (الذهب) ، وانما يحلها الانسان بما أوتى من الذكاء والحكمة وحسن النية » *

واختم الباحث مقاله ، فقال : « ان الغرب لم يعثر على سيد يخلف الراحل * وهذا السيد لن يولد الا بعد مخاض مصحوب بآلام كبيرة » *

اروبا الغربية والعالم الثالث :

يواجه العالم الثالث (تلك التسمية التى ليس لها مدلول سياسى أو اقتصادى أو ثقافى) التى تدين بها للعلامة الفريد سوفى (١) ، وضعا ينطوى على اخطار لا يستهان بها لتجارة هذه البلدان واقتصادياتها ، نتيجة لقيام كتكتل اقتصادى هائل فى اوروبا الغربية * فان العراقيل والحواجز المرتفعة التى تقف فى طريق منتجاتها فى الاسواق الامريكية وفى اوروبا الشرقية قد تضاعفت الآن بقيام هذا التكتل * وهذه الحالة تثير قلقا متزايدا فى الدول المتطورة التى تعتمد فى دخلها خصوصا على المواد الأولية غير المصنعة او التى لم تحول الا تحويلا طفيفا *

ومما يزيد من دقة هذه الحالة ، ان اسعار المواد الأولية ، لم تنزل ، كما كانت منذ أن كان الاستعمار ييسط سلطانه على آسيا وافريقية ، تتحكم فيها اسواق المراكز الصناعية (٢) فنحن ، على سبيل المثال ، نشترى سيارة فى العالم

(١) استعمل ألفريد سوفى تعبير « العالم الثالث » لأول مرة حينما اتخذ عنوانا لكتاب نشره فى سنة ١٩٥٦ (A. Sauvy, Tiers Monde, Paris 1956) وهذه التسمية ، على الرغم من شيوعها ، لا تعجبني كثيرا لعدة اعتبارات شرحتها بالتفصيل فى مكان آخر (راجع اسماعيل العربى ، هيئة الامم المتحدة والتنمية الاقتصادية فى البلدان المتطورة ، نشر دار الافاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٤٣ - ٢٤٦ ، توزيع الشركة الوطنية الجزائرية للنشر والتوزيع)

(٢) راجع John Picas, The Rich and The Poor Nations, Mac-Graw-Hill, New York, 1967, P. 236.

الاولية التي تشكل المورد الاساسى ان لم يكن الوحيد لها من العملة الصعبة .

والدول الافريقية التي اشتركت في مؤتمر لاجوس تنقسم الى قسمين : الدول المرتبطة بالجماعة الاقتصادية الاربوية ، والدول التي يطلق عليها وصف « قابلة للارتباط » . والفئة الاولى ، وهى من الدول الناطقة باللغة الفرنسية ، تتخوف من ان تفقد وضعها « الامتيازى » فى السوق الاربوية المشتركة ، ومن ثم ، فهى تنظر بعين القلق الى الفئة الثانية من الدول ، وهى من البلدان الناطقة باللغة الانجليزية . بل ان دول اتفاقية ياوندى الثانى ، نفسها ، تتعارض مصالحها فى كثير من المجالات . ومن هنا اهمية ازالة الشكوك وتسوية الخلافات وتنسيق المصالح بين الدول الافريقية الثلاثين ، قبل ان تدخل معمة المفاوضات مع الدول الصناعية فى اوروبا الغربية .

والامر الذى يستلقت النظر بصفة خاصة ، هو الاهمال الذى قوبل به مؤتمر لاجوس ، فى اجهزة الاعلام الغربية . واذا استثنينا صحيفة « الجرنال دوجنيف » (١٤ - ١٥ / ٧ / ٧٢) التى خصصت افتتاحية للاشادة باهميته ، فان جميع الصحف الغربية اكتفت بالاشارة اليه فى اسطر معدودة .

تلوث المحيط الطبيعى . . والبيئة الاخلاقية :

شهدت اوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ، وخصوصا اليابان ، فى الاعوام الاخيرة ، ظاهرة تزداد خطورتها مع مرور الايام ، وهى ظاهرة التلوث - تلوث مياه البحار والانهار والهواء والغابات والمحيط الطبيعى الذى خلقه

وفى المرحلة الثانية ستطرح على بساط البحث فى هذه المفاوضات قضية تجديد اتفاقية اروش Arusha التى تضبط العلاقات بين دول افريقية الشرقية الثلاث (التى هى اعضاء ايضا فى مجموعة دول الكمنويلث) ، كينيا وتانزانيا واوروغوايا .

وفى مرحلة ثالثة ، تستهدف هذه المفاوضات وضع اسس للارتباط بين السوق الاربوية المشتركة وحوشرين دولة متطورة من الدول الاعضاء فى الكمنويلث ، نتيجة لانضمام بريطانيا الى الجماعة الاقتصادية الاربوية .

واما اتفاقية ياوندى الثانية التى عقدت فى سنة ١٩٦٩ ، لمدة خمس سنوات ، فهى تضمن حرية دخول منتجات الدول الافريقية الى اسواق دول الجماعة الاقتصادية الاربوية ، فيما عدا بعض المنتجات الزراعية التى تخضع لقيود . وكذلك تضمن اتفاقية ياوندى مساعدة مالية للتنمية للدول الافريقية المرتبطة . وفى مقابل ذلك تمنح هذه الدول لمنتجات دول الجماعة الاقتصادية الاربوية تفضيلا جمركيا (اصبح يعرف الآن باسم « التفضيل المعكوس ») فى اسواقها القومية ، مع الاحتفاظ بحقها فى اقامة الحواجز من جديد متى واجهت صعوبات .

واتفاق اروش ، يشبه فى مضمونه اتفاقية ياوندى الثانية ، ولكنه لا ينص على مساعدة مالية للتنمية .

ونظرا لاهمية القضايا المطروحة على بساط البحث فى هذه المفاوضات ، فقد شعرت الدول الافريقية بالحاجة الى خلق جبهة موحدة للحصول على مساعدة مالية وتقنية اهم ، وخصوصا للحصول على اسعار ملائمة لمنتجاتها من المراد

الله نقيا طاهرا ليستوحى منه الانسان سلوكه الاخلاقي ويستلهمه فى خلق روائع الفن وفى استكشاف الكون *

واى انسان ركب سفينة سارت به فى نهر الراين وتجول فى الهضاب والتلال الوارفة الظلال التى تمتد على جناحه ، وهو يخترق سويسرا والمانيا وهولندا ، لا يحز فى نفسه ان يعرف ان هذا النهر الذى كانت ضفافه مسرحا لابطال الاساطير الجرمانية والذى خلده شعراء ، وفى مقدمتهم هنريش هاين ، فى قصائدهم واغانيتهم ، قد اصبح الآن نهرا ميتاخاثر المياه ولا يستطيع السمك الحياة فيه بسبب ما يودع فيه من القاذورات والعناصر الكيميائية التى تصب فيه يوميا من النفايات الصناعية والمواد المهلكة للحيوان والنبات *

وانه لما لا يخلو من دلالة بالغة أن نعرف ان الولايات المتحدة قد منعت مؤخرا بيع السمك المعروف بقنديل البحر والذى يصطاد فى سواحل كليفورنيا ، لا حتوائه على كميات كبيرة من عنصر الزئبق *

وفى اليابان ، حيث يشكل السمك الغذاء الشعبى الرئيسى ، بلغ تلوث البحار ، من جراء ما تدفع به المركبات الصناعية من القاذورات كل يوم ، درجة اضطرت معها وزارة الصحة الى وضع قائمة « سوداء » بالاسماك الممنوع اصطيادها وتناولها (لوموند ١٩/٧/١٩٧٣) * وقد اكد وزير الصحة فى بيان له ان اخطر انواع التلوث ، هو التلوث الذى يزيد عنصر الزئبق فى السمك * وهذا الحظر الذى يحرم اليابانى من تناول غذائه الاساسى (والمفضل ايضا) ، يمس حياة مئات الآلاف من صيادى السمك ويحرمهم من كسب قوتهم *

وفى ايطاليا ، اضطرت بلدية مدينة فنتميل Vintimille المشهورة بمصايفها التى يقصدها الآلاف للتمتع بنقاوة الهواء وبمياه البحر الدافئة ، الى اصدار امر باغلاق سبعة من شواطئها التسعة وخطر السباحة فيها ، بسبب التلوث (لوموند ١٥ - ١٦/٧/١٩٧٣) *

وفى فرنسا ذكرت صحيفة « لوبوان » Le Point الاسبوعية فى عددها الصادر فى منتصف يوليو الماضى ، ان وزارة الصحة قد قامت باجراء تحقيق شامل بشأن حالة التلوث على الشواطئ الفرنسية * ولكن التقرير الذى وضع اثر هذا التحقيق ، منع نشره (لاسباب مضمومة) *

لقد انتبهت الدول الصناعية الى خطر التلوث فى زمن متاخر ، ولكن الوقت لم يفت لمعالجة هذه المشكلة التى تجاوزت الحدود القومية واصبحت مشكلة عالمية خصوصا لانها تمس عرض البحار والاقيانوسات التى هى تركة مشتركة بين ابناء البشر فى مختلف القارات * وكذلك تدخلت الامم المتحدة فى هذا المجال ايضا وعقدت مؤتمرا دوليا فى صيف العام الماضى فى استوكهولم ، اسفر ، بعد دراسة مستفيضة للوضع الراهن ، على قرارات هامة ، سيؤدى العمل بها ، اذا نفذت بما ينبغى من الحزم ، الى التخفيف من آثار التلوث الذى يهدد الانسان فى طعامه وشرابه وهوائه *

وعلى الصعيد الاقليمى ، توصل الوزراء المسئولون عن شئون البيئة فى البلدان الاعضاء فى الجماعة الاقتصادية الاوروبية ، الى اتفاق ، اثر اجتماع عقده فى بروكسل فى ١٩ يوليو الماضى ، على برنامج ينص على الاجراءات التى

الامن العام معه مشلولة . فقد ذكر مراسل صحيفة لوموند في لاهاي في رسالة له (٧/١٥) (٧٣) حادثة تعطينا فكرة عما وصل اليه تدهور الاخلاق والسلوك الاجتماعى في هذا البلد الشمالى المشهور بالهدوء ودمائه الاخلاق .

قال ان مغنية مشهورة ذكر اسمها ، كانت تنتظر القطار على الرصيف في المحطة في مدينة هارلم ، حينما احاطت بها زمرة من الاحداث واخذوا يضايقونها . ولما مسها احدهم صفعته . وبدلا من ان يتركوها وشأنها انهالوا عليها بالضرب حتى كسروا انفها وفقتوا عينها ، وكل ذلك امام جمع من الناس ، ممن كانوا ينتظرون القطار مثلها ، ودون ان تمتد يد او ينطلق لسان لنجدتها على الرغم من صياحها واستنجاها . ولما وصل البوليس الى مكان الحادث كان الاحداث قد هربوا فلم يحاول تتبعهم او حتى فتح تحقيق .

وكذلك انتشرت حوادث الاعتداء على العقاف في الشوارع الكبيرة وعلى مرأى من المارة والتجار ، حتى اصبح خروج الفتاة من منزلها ينطوى على مخاطرة حقيقية . وقد نشرت صحيفة التلغراف ، التي هي اكبر الصحف الهولندية، مؤخرا رسالة لاحدى الامهات الهولندية تحث على الوصايا التي قدمتها الى ابنتها لمقاومة الاعتداء . وهذه «الوصايا» من الدقة والتفصيل بحيث تمنعنا اعتبارات الحياء من الاقتباس منها او حتى تلخيصها للقارئ المسلم .

ما هي اسباب هذا الانجراف والانحدار المذهل للاخلاق والسلوك الاجتماعى في كثير من البلدان الصناعية ؟

ان هذه الاسباب متعددة ومتنوعة بحيث يحتاج استقصاؤها الى سفر كامل ، ولكننا ، مع ذلك نحاول اجمالها في النقاط التالية .

يجب ان نتخذها دواء المجموعة والاعمال التى تشترك فى القيام بها فى غضون السنوات المقبلة لمقاومة التلوث وللمحافظة على البيئة البشرية .

على ان تلوث المحيط الطبيعى - على خطورته - لا تكاد تقاس اضراره بنوع آخر من التلوث ، التلوث الاخلاقى الذى اصبح يهدد ما شيدته اوروبا عبر القرون من القيم والنظم الفلسفية . فان المجتمع الغربى أصبح الآن ، باستثناء بعض الجيوب والحواشى الاجتماعية ، يدور فى دائرة مقفلة : الانتاج - الاستهلاك . وما دام الانتاج وسيلة وليس مطلوبا لذاته ، فان هذا المجتمع فى الحقيقة ، هو مجتمع استهلاك . والاستهلاك فى الغرب ، يتركز ، خصوصا ، فى الكماليات التى تصورها دعابة بالالوان محكمة التوجيه ، وكأنها من الضروريات الحيوية .

ونظرا لان الدخول من عمل شريف لا يمكن ان يضمن الا حدا معينا من الكماليات ، فان الاتجاه الى السرقة والسطو والاعتداء تزداد خطورته فى كثير من البلدان الغربية بشكل يقض مضاجع السلطات فيها . وهذه الجرائم تنتشر خصوصا ، بين الاحداث .

فان الاحصاءات الرسمية فى هولندا ، تدل على ان اغلبية حوادث السرقة والاعتداء انما يرتكبها اطفال تتراوح اعمارهم بين الثانية عشرة والثالثة عشرة . ومن الامثلة التى وردت فى التقرير الذى يستعرض هذه الاحصاءات المخيفة ، ان صبيا قتل جدته للحصول على المال لشراء سيارة .

وكذلك تزداد موجة الاعتداء فى الطريق فى وضوح النهار فى هولندا بشكل أصبحت سلطات

الحالي لا انفراج له وإن الأسس التي تقوم عليها الحضارة والتعايش البشرى نفسها مهددة بالخطر . ومما لا يخلو من مغزى عميق في هذا السياق ، ذلك الخبر الذي نشرته صحيفة الهerald تريبيون (انترنا شيونال) الامريكية في مكان بارز واحاطته باطار للالاحاح على اهميته في عددها الصادر في ٢٣ يوليو الماضى . فقد ذكرت الصحيفة ان الواعظ الانجيلي المشهور في اوروبا وامريكا . بيلى جراهم ، خطب في جمع قدر عدد المشتركين فيه بـ ٢٨،٦٥٠ شخصا في مدينة سان بول ، وصرح بان الحياة العامة في الولايات المتحدة تبدو عليها أعراض مشابهة للأعراض التي بدأت تظهر في روما اثناء سقوط الامبراطورية الرومانية .

ومضى الدكتور جراهم ، فقال : « ان روما القديمة تشبه الولايات المتحدة في العصر الحاضر من عدة اوجه . وقد كانت روما ، مثل الولايات المتحدة تتزعم العالم ، ولكن زعامتها تفوضت من اثر الانحلال الداخلى » . وقد عدد هذا الزعيم الدينى خمسة اسباب رئيسية لسقوط روما وكلها تشكو منها الحياة الامريكية : سرعة ازدياد الطلاق ، ارتفاع مستوى الضرائب ، جنون طلب الملذات ، بناء وتكديس اسلحة هائلة المفعول ، وانحلال الدين .

الرياضة قبل السياسة أم العكس ؟

واجهت بريطانيا في اوائل شهر اغسطس مشكلة أو شكت ان تطغى على بقية المشكلات التي يعانى منها هذا البلد الصناعى، بما في ذلك تدهور سعر الجنيه الاسترليني العائم الذي فقد حوالى ٢٠ ٪ من قيمته تجاه الدولار منذ تعويمه في سنة ١٩٧١ . والمشكلة تلخص فيما يلي :

١ - تنمية اقتصادية مفرطة السرعة بدون تخطيط ودون ان تراققها تنمية اجتماعية أو مجهود للتوعية بـ « اخطار الرخاء » .

٢ - افلام السينما والتلفزيون التي تتبارى في القحش والقسوة تحت شعار « الليبرالية » . وهذه الحرية التي لا تعرف حدا ، هي التي تحدث عنها احد كبار علماء الاجتماع الامريكيين مؤخرا ، الاستاذ ليبرت (Libert) حينما قال (صحيفة هراالد تريبيون ١٤ - ١٥/٧/١٩٧٣) : « نظرا لان بلدنا من اكبر مصدري الافلام ، فنحن الامريكيين بصدد اعداد العالم في ظرف عشرين سنة للوحشية والبربرية » .

٣ - الدعاية في الصحف والتلفزيون بأحدث الاساليب السيكلوجية ، بدون اية رقابة قانونية أو اخلاقية .

٤ - انتشار المخدرات خصوصا في اوساط الشباب والاطفال بشكل ذريع .

٥ - تقلص دور الكنيسة في المجتمع وازدياد الاقتناع بان الانسان هو الغاية القصوى في التطور الاقتصادى والاجتماعى .

هذه ، كما قلنا ، بعض اسباب التدهور الخلقى في البلدان الصناعية ، ولعلنا ان نستخلص منها العبرة ، ونحن نعيش في مجتمع اسلامى متطور . فان تدهور الاخلاق وانحطاط السلوك الاجتماعى وراء حدود معينة ، سيكون من علامات الزوال والتقلص الحضارى . والسلطات الدينية في اوروبا والولايات المتحدة ، أدركت ، بعد ما عجزت عن اداء رسالتها في المجتمعات التي نصبت نفسها راعية عليها ، ان المازق الاخلاقى

وقد صرح اللورد البورت ، زعيم حزب العمال في مجلس اللوردات ، في المناقشة التي جرت بهذا الشأن في المجلس ، بأنه « إذا قدر لمؤتمر أتاوة أن يقدم خدمة لبلاد الكومنويلث على الصعيد الدولي ، فينبغي لأولئك الذين يجلسون حول مائدة المفاوضات أن يثبتوا تجردهم من العواطف الوطنية الضيقة ومن المصلحة الشخصية » (صحيفة التايمز الاندنية ٢٦/٧/١٩٧٣) . وفي ختام المناقشة حذر اللورد شيفرد رئيس الوزراء ، فقال انه اذا صح ما وردت به الاخبار من ان رئيس الوزراء مصمم على مغادرة مؤتمر أتاوة قبل نهايته ، فسيكون ذلك مأساة لرئيس الوزراء وللمؤتمر نفسه ! فان هذا العمل سيعتبر اهانة كبيرة لروساء حكومات دول الكومنويلث الذين يسهمون في هذا المؤتمر .

نحن نكتب هذه السطور في أوائل اغسطس ومؤتمر أتاوة لا يزال يواصل مناقشاته . فماذا سيكون قرار السيد هيث ياترى ؟ ان المسألة طريفة حقا . ولربما لم يخطر ببال القارئ قط أن يضع الرياضة في كفة والسياسة في كفة أخرى ، ثم ينتظر ليرى أي الكفتين يكون لها الرجحان . ولكن هذا هو ما نفعله نحن الآن .

هذا الكتاب !

تاريخ افريقية السوداء

منذ امبراطوريات العصور الوسطى

حتى العصور الحديثة (١)

وصف الاستاذ فرناند برودل المجهود الذي بذله كيزربو خلال عشر سنوات لاعداد هذا الكتاب الضخم عن دول وممالك افريقية الواقعة خلف الصحراء الكبرى ، بأنه « مجهود جبار » . وهو

عرف السيد هيث ، رئيس الوزارة ببراعته في الرياضة البحرية وبانه يملك يختا يقوده بنفسه في المباريات فاز به في عدة مسابقات دولية . وحدث ان مباراة دولية وصلت بريطانيا فيها الى الشوط النهائي ، ستجرى في ١١ اغسطس . والمحقق انه اذا لم يمثل السيد هيث في هذه المباراة بريطانيا التي تعز بسمعتها الرياضية بقدر ما تعز بزعامة دول الكومنويلث ، فانها ستخسر الكأس العالمية .

ولكن السيد هيث ، هو الذي يمثل حكومته في مؤتمر رؤساء حكومات الكومنويلث الذي ينعقد في تلك الفترة في أتاوه ، بكندا . وهذا المؤتمر يعالج مسائل دولية ذات اهمية قصوى ، وفي مقدمتها مسئوليات بريطانيا تجاه نظام روديسيا العنصرى والتفجيرات النووية التي قامت فرنسا باجرائها مؤخرا في المحيط الهادى وانضمام بعض دول الكمنويلث الى السوق الاوربية المشتركة ، ووضع برنامج ضخم لتقديم المساعدة المالية والتقنية للدول التي لم تستكمل بعد نموها الاقتصادي من دول المجموعة . فهل يترك رئيس الوزارة مؤتمر أتاوة ليعمل للفوز بالكأس السحرية ؟ وما يزيد المشكلة تعقيدا ، ان الملكة اليزبث ، ملكة بريطانيا ورئيسة الكومنويلث ، هي التي ترأس بنفسها هذا المؤتمر .

فاما السيد هيث ، فقد كان ، فيما يبدو مصمما على مغادرة المؤتمر في منتصف الشوط ليمسك بعجلة قيادة يخته حتى لا يضيع على نفسه فرصة العمر . ولكن حزب العمال ، حزب المعارضة وجه انتقادات شديدة في البرلمان الى رئيس الوزراء حينما عرفت نيته في هذا الصدد .

(1) Joseph Ki-Zerbo, Histoire de l'Afrique Noire, Hatier, 702 pages, photos, cartes 70 FF.

ولكن وطنية كيزربو ليست من النوع الضيق وهو لا يريد أن يعزل وطنه عن محيطه الجغرافى والبشرى *

« يجب الا يكون تاريخنا ملجأ ، بل منبعاً رفراقاً ، منبعاً يسمح لنا برؤية انفسنا وتامل ملامحنا ، كما يرى الانسان نفسه فى المرآة ، منبعاً تغترف منه لانفسنا ولتروى منه غيرنا » *

وهذا الكتاب يهمنى نحن فى المغرب العربى بصفة خاصة، بسبب الامتداد الجغرافى والعلاقات الوثيقة التى كانت تربط معظم دول المغرب ، خصوصاً عن طريق سجل ماسة واودغست ووحدات ورقلة ، بافريقية السودان ، التى امتدت الفاطميين بالذهب الذى سمح لهم بعزو مصر والشام ، والتى دخلت فى العصور الوسطى فى دائرة التجارة والاقتصاد الدولى التى كان العالم الاسلامى قطب الرخى فيها * ثم ان صنهاجة الجزائر ، هم اخوة لصنهاجة افريقية الغربية الذين لا يزال السينغال يحمل اسمهم ، بتحريف ، حتى الآن * ومن هؤلاء خرجت امبراطورية المرابطين التى حكمت المغرب والاندلس خلال عهد هو من اكثر عهود المغرب ازدهاراً *

كذلك ، خصوصاً ، اذا اعتبرنا أن هذه هى المرة الاولى التى يقوم فيها مؤرخ من ابناء تلك البلاد بوضع تاريخ شامل لشبه القارة السوداء * فان المؤرخين الافريقيين الذين سبقو كيزربو ، وفى مقدمتهم الغينى ، وابراهيم كايى ، والنجري ، وصاليفو ، والدهومى جليلو ، انما عالجوا فى دراساتهم ممالك ودولا معينة *

واما العمل الذى وضعه المؤرخ الفرنسى ، روبر كورنفان R. Cornevin بعنوان « تاريخ شعوب افريقية السوداء » ، فانه غير كامل ، حيث انه يعالج تاريخ هذه المنطقة قبل ظهور الدول الجديدة فيها ، اى قبل حصولها على الاستقلال *

والمؤلف ، استاذ يحمل شهادة التبريز فى العلوم التاريخية كما يشغل منصب امين عام لحركة تحرير الفولتا العليا * وقد بدأ العمل فى وضع كتابه تحت تاثير عواطفه الوطنية ، حيث كان يستهدف خصوصاً تسليط الضوء على النواحي المجيدة فى تاريخ بلاده وابرار العلاقات الايجابية التى تربط بلدان المنطقة والتى تصلح اساساً للوحدة الافريقية *





الحياة الثقافية

نشاط المركز الثقافي الاسلامي

المحاضرات ، وعرض الافلام في الصحافة الوطنية .

ومن الجدير بالاهمية ، ان نعطي فكرة ولو ملخصة عن نوع المحاضرات التي تلقى في المركز ، ليطلع القارئ على مدى ما يبذله المركز والاساتذة من جهد في سبيل احياء تراثنا الوطني ، ونشر الثقافة الاسلامية .

قام الاستاذ عثمان الكعاك ، المؤرخ التونسي الشهير ، بسلسلة من المحاضرات التي بعضها في العاصمة الجزائرية ، والبعض الآخر في مناطق متعددة من بلادنا كبرج منايل ، ودلس ، واقبو ، وجيجل وبجاية ، وغيرها وذلك اثناء زيارته لبلادنا للمشاركة في الملتقى السابع للتعرف على الفكر الاسلامي . وقد راينا ان نسجل هنا خلاصة المحاضرات التي القيت بالجزائر ، لعلنا بذلك نسلط الاضواء على ما جاء فيها من القضايا الفكرية الجديدة ، ومن الحجج والنتائج العلمية الدامغة التي توصل اليها .

قسم الاستاذ عثمان الكعاك محاضراته الى شطرين . اما الشطر الاول : فقد تناول فيه الحياة الثقافية في العصور القديمة . وتناول في الشطر الثاني : نفس الموضوع في العصر الحاضر يقول :

اسس المركز الثقافي الاسلامي ، بامر رقم ٧/٧٢ مؤرخ في ٦ صفر ١٣٩٢ هـ الموافق لـ ٢١ مارس ١٩٧٣ م ، وهو مؤسسة عمومية ، موضوعة تحت وصاية وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، ومن ذلك الحين اخذ يشق طريقه لخوض المعركة التي تعيشها بلادنا اليوم ، وهي معركة العلم ، والاصالة ، والتفتح والقضاء على الجهالة والامية ، وأول المسائل التي يهتم بها المركز نشر الثقافة الاسلامية ، والسهر على ان تكون هذه الثقافة وسيلة لازدهار الفكر الاسلامي ، لدى الامة وهدفنا من كل ذلك هو البحث والتنقيب عن التراث الوطني ، وحياته ومعاشته ، ومن ثمة كانت نشاطات المركز متعددة . منها المشاركة في الملتقيات الاسلامية على الصعيد العالمي ، ومنها تنظيم الحفلات الفنية الوطنية ، واخيرا تنظيم المحاضرات التي يلقيها اساتذة متخصصون وقد احرزت هذه المحاضرات نجاحا كبيرا لدى الجمهور ، ورغبة ملحّة من طرف الطلبة ، مما اغرانا بالقاء محاضرة كل اسبوع ، تعقبها اسئلة ومناقشات بين الاستاذ المحاضر والسادة المستمعين . وبالإضافة الى كل هذا ، يحتوى المركز حاليا على مكتبتين وقاعة للمحاضرات ، واخرى للمحاضرات وعرض الافلام السنمائية ، سيعلم عن افتتاح كل من المكتبتين ، وقاعة

العديدة تهضة شاملة في البلاد الإسلامية ، فأسست الجامعات ، وبثت المعاهد ، وكان الأوربيون يدرسون في هذه المعاهد والجامعات الى جانب المسلمين . ولم يكتف المسلمون بهذا ، بل جعلوا لاوربا جامعة طبية بمدينة (سابرن) .

ونترك اوربا جانبا لنعود الى الجزائر في هذه الفترة ، ونسال ما مدى انتشار الثقافة والعلم في هذه البلاد ؟ يجيبنا الاستاذ قائلا : « اذا نظرنا الى الجزائر من هذه الناحية ، نجد ان العواصم الاولى التي نشأت فيها حضارة فكرية هي مدينة طينة ، وتخرج منها جماعة من الطبنيين ، امثال زيادة الله الطنبلي ، وغيره ممن تولوا الوزارة ابا عن جد في دولة بني امية بالاندلس . وبعد طينة ، ظهرت المسيلة ، وفيها كان الادب اغزر واظهر من الفقه . ثم يخرج لنا الاستاذ برأى مخالف تماما لما هو شائع ومعروف في الكتب الادبية ، فقد عرف لدى جل النقاد ، ان ابن هانيء اندلسي الاصل والمنشا ولكن الاستاذ عثمان الكعاك ، يرى ان ابن هانيء ولد بالمسيلة ، ونشأ فيها ثم ذهب الى الاندلس ونسب اليها غلطا ، وهو الذي وضع علم الانتولوجيا (علم المختارات الادبية) وله رواية خيالية . ثم يذهب المحاضر ، الى ان رواية بن رشيق الخيالية هي التي اثرت في دانتي ، وليس كتاب رسالة الغفران ، لابي العلاء المعري ، ولا كتاب التوابع والزوابع ، كما كان شائعا ومعروفا ، لان رواية ابن رشيق ، هي التي انتشرت في صقلية .

ثم يذكر الاستاذ المحاضر ، ان مركز الثقافة قد تحول من طينة والمسيلة الى بونة (عنابة) ، التي ظهر فيها فقيه من اكبر الفقهاء وهو ابو مروان البونى ، الذي شرح كتاب الموطا .

كان القطر الجزائري قديما وثنيا في العصر البربري ، والروماني ، ثم صار نصرانيا ، وما ان دخل القرن الاول الهجري حتى صار كل سكان الجزائر مسلمين . ولم يقتصر دخولهم في الاسلام باعلان الدين الاسلامي فحسب ، وانما كانت لهم اليد الطولى في نشره .

واثناء الحديث عن الدين الاسلامي الحنيف يقوم المحاضر بمقارنة بينه وبين الحضارة الغربية . فيذكر ان الدين الاسلامي ، نادى بضرورة العلم قبل قرنا ولم تتوصل اوربا الى ذلك سوى بعد قيام الثورة الفرنسية سنة والتي قررت التعليم الاجباري نظريا على الرجال دون النساء .

ثم يتلو علينا الاستاذ عثمان الكعاك ، مجموعة من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، التي تنادى بضرورة تعليم المرأة ، وتثقيفها باعتبارها الاستاذة الاولى في البيت . وينتقل الاستاذ بعد هذا الى جمع اللغة والحديث ، ثم اجتهاد العلماء في تفسير القرآن ، وكيف احتذى النصارى واليهود بالمسلمين في تفسيرهم للقرآن . يقول : « فلما جاء التفسير عند المسلمين ، قاس عليه اليهود والفوا تفسيرهم للتوراة وكذلك فعل النصارى بالانجيل الذي لم يكن مفسرا قبل ان ياتي علماء المسلمين ويضعوا علم التفسير » .

كان من اعتناء المسلمين بدينهم الاسلام ، ان جرهم ذلك الى اختراعات عديدة كالساعة ، التي اخترعها عباس بن فرناس لمعرفة اوقات الصلاة ، والمكية وهي سفينة خاصة بالحج ، والاسطرلاب ، والبوصلة ، والارقام العربية ، والصقر الخ ... وتبع هذه الاختراعات

تأخذ منه المرأة نصف حصة الرجل . هكذا أراد الله حتى لا يقع أى لبس ولا اختلاف وكل ما سوى ذلك . انما اتانا به القرآن جملة لا تفصيلا . قال « امرهم شورى بينهم » وصف المسلمين بأن امرهم شورى بينهم ، ولم يذكر لنا كيف تتحقق هذه الشورى ، وذكر الصلاة ولم يذكر كيف تؤدي ، وذكر الصيام ، وعلاقة الحاكم بالمرعية ، الخ

كل هذه العلاقات لم يشرحها القرآن الكريم شرحا تفصيليا ، وانما ترك هذه المهمة للنبي عليه الصلاة والسلام ، وعلى هذا كان لا بد الى جانب القرآن الكريم الذى خط الخطوط العريضة من مبين وشارح لهذه الخطوط والاحكام الاجمالية ، فكانت السنة النبوية ، التى تتضمن كل شرح ، وكل تفصيل جزئى . والسنة النبوية ، لا تقتصر على اقوال النبي (ص) فقط ، بل اقواله وافعاله ، وسكوته ، واقصراره لما رأى . واذن فالحديث هو كل ما ينقل عن الرسول الكريم . واذا عدنا نتتبع مراحل جمع الحديث النبوى ، فاننا نجد اول من تنبه الى جمعه ، هو عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وكان ذلك فى القرن الثانى للهجرة . فكتب الى عامله بالمدينة المنورة (ابى بكر بن حزم) قائلا : انى اخشى ان يضيع الحديث ، واذا ضاع حديث رسول الله ضاع الاسلام ، فانظر من عندك فى مدينة الرسول (ص) من العلماء ، فخذ عنهم ، وسجل ما يحفظونه ، وخصص له اناسا يبدأ بهم ، كعمرة بنت عبد الرحمن . ومن ذلك التاريخ بدأ تدوين السنة النبوية الشريفة ، التى بقيت ليومنا هذا مصدرا لا يستغنى عنه من مصادر الشريعة الاسلامية . ولكن ما يدعو الى الاسف ، هو ما يقوم به بعض

وهكذا يأتى دور قسطنطينة ، التى يمتد تأثيرها من اوائل القرن الماضى ، الى الثلث الاول من القرن الحاضر ، وقبل هذا اشتهرت مدينة تلمسان ، التى كانت على صلة بالاندلس ثم نقفز مع الاستاذ الى عصرنا الحاضر ، فيحدثنا عن الدور الجبار الذى تقوم به وزارة التعليم الاصلى والشؤون الدينية ، فى ميدانى التعليم والثقافة . اما التعليم قد اختارت ان يكون تعليما اصليا مشتقا من اصلتنا ، ودينيا مستمدا من ديننا . وزيادة على هذا ، اضافت اليه الميادين العلمية الاخرى ، كالرياضيات ، والحساب وغيرهما من المواد التى تدرس فى المدارس الحكومية الاخرى .

واما الثقافة ، فتتمثل فى عقد المحاضرات التى يقوم بها المركز الثقافى الاسلامى ، وتنظيم الملتقيات الاسلامية ، التى تدعو اليها الوزارة اساتذة وعلماء من كل بلاد العالم ، يبحثون ، ويناقشون ويدرسون ، قضايا الاسلام والمسلمين .

كانت هذه محاضرة الاستاذ عثمان الكعاك باختصار شديد . لننتقل بعدها الى محاضرة مصطفى الزرقاء ، استاذ الحقوق المقارنة والشريعة بجامعة الاردن ، وكان قد اختار لمحاضرتة عنوان : « الحديث النبوى الشريف ، شأنه فى بناء الاسلام ، وتيارات اعداء الاسلام من حوله » يقول : تعتمد الشريعة الاسلامية على مصادر لا بد من الرجوع اليها وهى اولا : القرآن الكريم ، ثم الحديث النبوى الشريف ، والاجماع والقياس الخ . . . القرآن الكريم ، هو دستور الاسلام الذى اتانا بالخطوط العريضة ، وترك التفاصيل والشرح للرسول ، الا فى بعض المسائل التى ارادها الله ان تكون كذلك ، كالميراث الذى

وهناك في كلية الاداب لطهران ، واصفهان قسم لتدريس اللغة العربية ، فضلا عن الكلية الالهية التي تتكون كل مواد دراساتها بالعربية كما انها ضرورية لكل طالب يدرس في قسم الادب الفارسي ، ان يجيد اللغة العربية قراءة ، وكتابة ، وصرفا ، ونحوا .

اما الاستاذ احمد الشريافي ، فقد تناول في محاضراته موضوع « الرسول كما يصوره القرآن » .

فيلاحظ الاستاذ المحاضر ، ان القرآن الكريم قد صور شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام في خمسة معارض أو ملامح .

المعرض الاول : هو معرض التشريف والتمجيد والتكريم والمعرض الثاني : هو التكليف والامر ، والطلب ، والنهوض والقيام بالمتابعات والمسؤوليات ، والواجبات .

المعرض الثالث : هو الجمع لموقف واحد بين التكليف ، والتشريف . المعرض الرابع : هو معرض التذكير بالبشرية ، وعدم السلطة امام قدرة الله عز وجل . والمعرض الخامس : هو معرض العتاب أو الوأخذة أو المحاسبة .

وفي كل معرض من هذه المعارض ، يستشهد الاستاذ بآيات من القرآن والاحاديث النبوية الشريفة ، واهيانا بحوادث وقعت للنبي أو لبعض الصحابة . وهي محاضرة غنية جدا لا بد من الاطلاع عليها لمن يريد ان يوسع معلوماته في هذا المجال .

اعداء الاسلام ، من تشكيك ، وتكذيب ، لسنة نبي الله ، وادعائهم ان القرآن الكريم ، هو الذي ينبغي ان نعود اليه ، ونترك السنة . وهم يريدون بذلك ، ان يهدموا الاسلام من الداخل ، حين يزعمون ثقة الناس في حديث رسولهم . والسنة هي ديوان الاسلام التي بدونها لا يمكن تطبيق الكتاب الذي يبقى بدون الحديث حبرا على ورق . وهذا ما لا نقبله ، ولا نرضاه للاسلام .

اما محاضرة الدكتور السيد جعفر الشهيدى فقد تناول فيها موضوعا آخر غير هذا الذي تكلمنا عنه ، وهو « دور الايرانيين في نشر اللغة العربية والحضارة الاسلامية » .

وقد شرح فيها اتصال العرب بالفرس ايام الفتوحات الاسلامية . ثم تغلغل اللغة العربية داخل الكيان الفارسي ، الى ان ازدهرت على يد علماء افاضل ، امثال الزمخشري ، والخوارزمي ، وابى سعيد بن عباد الرازي وغيرهم ، فتشابتكت اللغتان وبلغتا من ناحية التعبير عن الافكار ، والقيم الانسانية الحد الذي يمكن ان نعبر عنه بانه ماء افرغ في اناثين .

ثم ينتقل الاستاذ المحاضر بعد هذا العرض الى الكلام عن اهمية اللغة العربية في العصر الحاضر .

فيذكر لنا ان الشعب الفارسي ، من اشد الشعوب الشرقية تمسكا باللغة والادب العربي وفي الاطار الجامعي والثانوي ضروري لكل طالب ان يتعلم شيء من الصرف ، والنحو ، والادب العربي ، ونصوصه .

هذا وقد عادت قاعة الموقار لنشاطها بالإضافة الى الافلام التي كانت تعرض من مختلف البلدان المشاركة في المؤتمر استضافت في ردهتها معرضا للفنان الجزائري زعبدور وآخر لمورا الطيب وثالث للفنانة الالمانية السيدة كريستانيا زين العابدين التي قدمت مجموعة من اللوحات استوحتها من الواقع الجزائري حيث انها تقيم مع زوجها العراقي المتعاون الفني في الجزائر ونوعت الصحافة برسومات هذه الرسالة .

واما في مجال الكتب فقد شهدت المكتبة الجزائرية كتابا مهما طبع في بيروت للمؤرخ الجزائري محمد الميلي بعنوان « ابن باديس وعروبة الجزائر » وهو كتاب كما يتضح من عنوانه يبحث في مواقف ابن باديس النضالية العنصرية والعلمية من اجل الكفاح في سبيل عروبة الجزائر وتخليصها من طغيان الاستعمار الفرنسي . كما شهدت المكتبة قصة طويلة كتبها عرعار محمد العالي بعنوان « ما لا تدروه الرياح » يتحدث فيها عن المجتمع الجزائري خلال الحرب التحريرية والروح النضالية السائدة فيه ومعالم القهر والاستعباد الفرنسي وقد طبعت ونشرت هذا الكتاب الشركة القومية للنشر « سيند » .

واما الشاب الفلسطيني حسين ابو النجا والمقيم في الجزائر منذ سنوات فقد اصدر مجموعة قصصية بعنوان « رصاص في عقل متعب » وقد طبعت هذه المجموعة ونشرت في بيروت ولم تصل الاسواق الجزائرية بعد على عكس الكتابين الدوليين المعروضين الآن في المكتبات .

ولكن لم يشأ شهر سبتمبر ان يقادرونا دون ان يحدث مأساة فقد اعلن عن وفاة الشاعر الجزائري جان سيناك وهو من اصل فرنسي ناضل مع الثورة الجزائرية وكان آخر مقال كتبه في جريدة لوموند تحت عنوان « الجزائر من تحرر الى تحرر » استعرض فيه تطورات الادب الجزائري وقد اعلنت دوائر الامن ان مقتل الشاعر كان جريمة ارتكبها سارق .

وقد وقعت احداث تشيي خلال شهر سبتمبر ايضا اذ قامت الرجعية المحلية والامبريالية العالية بانقلاب ضد سلفادور اليندي الرجل الوطني الاشتراكي فقامت هذه الزمرة بقتل الشاعر الشيلي الدائع الصيت بابلو نيرودا الذي كان تحت العلاج .

اذا كانت الحياة الثقافية في شهرى جويلية واوت قد اعترها شىء من الهبوط بسبب الاجازات الصيفية كما قلنا ، فانها شهدت في شهرى سبتمبر اكتوبر نوعا من النشاط المتزايد والمركز فقد ابتدا التركيز اولا على دول عدم الانحياز نتيجة انعقاد المؤتمر الرابع لهذه الدول في الجزائر فقد خرجت الاذاعة والتلفزة ببرامج مثل من ياندونغ الى الجزائر استعرضت فيه نشاط هذه الكتلة و « قصة الثورة الكوبية » والجزائر في عشر سنوات كما ان الصحف كانت تنشر يوميا المعلومات الواسعة والمركزة عن كل بلد من البلدان المشاركة وقد لوحظ اهتمام الصحافة بالادب الافريقى والثقافة الافريقية فنشرت القصص والاشعار والمقالات المختلفة عن ادب هذه البلدان .

كما تابعت الصحافة اليومية والاسبوعية تعليقاتها المرة على مهرجانى تيمقاد للفنون الشعوب ومستغانم لمسرح الهواة وكانت كلها تعليقات تنبها بنهاية هذه المهرجانات اذا ما استمرت على طريقتها الحالية وهكذا تكون الصحافة قد دقت ناقوس الانذار .

وكانت الصحافة الجزائرية خلال مؤتمر علم الانحياز مكانا لتجمع الصحفيين من جميع انحاء العالم فانهزمتها صحافتنا فرصة واجرت مقابلات صحفية مع العديد من هؤلاء الصحفيين ومنها مقابلة مع نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب الذى اشار ككل الصحفيين العالمين بانجازات الجزائر . وايضا خلال المؤتمر كان يقام في بلادنا معرض الجزائر النوى العاشر الذى احتوى زيادة على معروضاته التجارية والصناعية ومنجزات البلدان المشتركة مجموعة من العروض الثقافية والفنية احتيتها فرق من امريكا اللاتينية ومن اوروبا بالإضافة الى فرق الفريقة واسبوية عرضت فولكلورها الشعبى وتقاليدها الوطنية فكان ان اصبح المعرض معرضا تجاريا - ثقافيا وركزت الاممات الشعرية المقامة فيه هذا التحول الذى يجرى بالتأكيد لمصلحة الحياة الثقافية في بلدنا .

وشاهد المسرح الوطنى في العاصمة عرضا لمسرحية المائدة وهذه المسرحية هي عمل جماعى لفرقة المسرح الجهوى في وهران تابعة من الحياة الشعبية للباحثين من مفهوم الثورة الزراعية وتجري احداثها في القرية النموذجية المسماة بالمائدة ومن هنا اخذت هذه المسرحية اسمها وقد لاقت ترحيبا واسعا في اوساط المثقفين والصحافة الوطنية التى تابعتها باهتمام .

وفي نفس القاعة عرضت مجموعة من الافلام الجيدة وشهدت له ندوة للجنة الفكر والثقافة في حزب جبهة التحرير الوطني شارك فيه العديد من المثقفين الجزائريين الذين تسارعوا للبحث عن افضل الوسائل للمساهمة في معركة التحرير العربية التي اندلعت في المشرق العربي يوم 6 اكتوبر .

واعلن ان رواية « اللز » التي كتبها الناصر الجزائري الطاهر وطار هي في طريقها الى الطبع في شركة سيند كما ان هناك رواية اخرى لنفس الكاتب بعنوان « الزلزال » .

واما عبر الولايات فقد اقيمت محاضرات دينية وثقافية بالإضافة الى المحاضرات في العاصمة . ومن محاضرات الولايات محاضرة القاها بلقاسم حماني في ولاية عنابة حول حماية الاسرة ومحاضرة في مدينة سعيدة اقيمتها الكتابة العامة للجنة الولاية لاتحاد النساء الجزائريات عن الهجرة الجزائرية في فرنسا كما اقيمت محاضرة بالنادي الثقافي للحزب في ولاية تلمسان حول التربية والثقافة العمالية .

وفي مدينة المدية اقيمت ندوة بعنوان « الجهاد في الاسلام وعدالته » وذلك في قاعة سنيما العالية اشترك فيها العديد من اساتذة المعهد الاسلامي والطلبة .

واما ولاية باتنة فقد شهدت برنامجا ثريا فلالا بالانظارات الثقافية مثل المحاورات الدينية والعروض السنيماية والمحاضرات الاقتصادية والسياسية وشهدت مسرحية اقامتها فرق مغربية .

وقد امتاز هذا الشهر بنشاط حثيث من قبل وزارة التعليم الاصل والشؤون الدينية ان كان ذلك في المحاضرات او في الاحاديث الاذاعية والتلفزيونية واما في الوطن العربي فقد صدرت عن دار الكتاب العربي في مجلدين ضخمين مجموعة اعمال كل من توفيق الحكيم وطه حسين كما سيصدر الدكتور محمد خلف الله احمد كتابا آخر يضم مجموعة ابحاث حول الثقافة العربية وكان آخر كتاب قدمه هذا المثقف العربي المعروف كتاب « من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده » عام 1947 واعتبر من اهم الكتب النقدية في حينه .

كما صدرت في عمان مجموعة قصصية للكاتب لغوي نعموار بعنوان « لماذا بكت سوزى كثيرا » كما كان قد صدر قبلها في بيروت رواية « ايام الحب والموت » لرشاد ابي شاوور . وصدرت في العراق مجموعة اعمال الشاعر محمد مهدي الجواهري في ديوان سمي « ديوان الجواهري » .

اما في مصر فقد اصدر الرئيس محمد انور السادات عفوا عن الادباء والمثقفين الذين حظر انتاجهم وطردهوا من اماكن عملهم وصار بإمكانهم العودة الى الكتابة والى ممارسة اعمالهم المعتادة وكان هذا امر حسن اذ تم خلال انعقاد مؤتمر اللجنة التحضيرية للصحافيين الديمقراطيين العالميين في بغداد والذي اكد تأييد الصحافة الديمقراطية لمسألة التحرر العربي من الاحتلال الصهيوني وبنفس الوقت الذي وجه فيه المؤتمر الخامس لاتحاد ادباء المشرق واسيا المنعقد في المسا - آتاسا عاصمة جمهورية كازخستان السوفيتية رسالة الى الرئيس انور السادات يطلب فيها العفو عن الادباء المصريين وقد وقع هذه الرسالة مجموعة من الادباء منهم كاتب ياسين ومحمود درويش وكذلك اعلن في اواخر شهر سبتمبر وفاة الاديب القصصى الكبير محمود تيمور في مدينة لوزان بسويسرا حيث كان فيه المعالجة والاستجمام .

اما شهر اكتوبر فقد كان حافلا هو الآخر بالنشاطات الثقافية ذلك لانه توافق مع شهر رمضان المعظم وعليه فقد جرت عدة أنشطة عبر التراب الوطني ابتداء بالعاصمة التي شهد مسرحها الوطني فرقة بالية القرن العشرين البلجيكية فهي من ارقى الفرق العالمية لرقص البالية غير ان مدير المسرح تصرف تصرفا ازعج الصحافة فبالاضافة الى انه رفع سعر التذكرة الى 45 دينارا لأول مرة في تاريخ المسرح منذ الاستقلال فانه منع الصحافيين من الدخول مما جعل الصحافة الوطنية تهاجم مدير المسرح الذي شهد مسرحنا في عهده اطول فترة من الجمود .

وبعد ذلك شهدت خشبة هذا المسرح مسرحية باب الفتوح وهي مسرحية مأخوذة من التراث العربي الاسلامي تتحدث عن القهر الثقافي والسياسي للشعوب كتبها محمود ذياب واقتبسها واخرجها المخرج محمد سليم رياض الذي شهد له قاعات السنيما ايضا فيلم الطريق .

كما ان فرقة مسرح البحر قامت خلال هذا الشهر بعروض مسرحية خاصة بالعمال وكانت هذه العروض تتناول الهجرة الى فرنسا وما يلاقيه العامل الجزائري من صعاب .

واما قاعة الموقار فكانت تشهد كل خميس وجمعة وسبت وطوال الشهر مهرجان الاغنية الجزائرية الاول الذي اخصيت فيه اللون الغناء الجزائري واشترك فيه العديد من الفرق المحترفة والهواة ووُزعت في نهايته جوائز على الفرق الفائزة .

دور المثقف في المعركة

الوطن العربي ، ومن أجل استعادة الشعب الفلسطيني حقوقه الشرعية . فهل يستطيع المثقف العربي ان يعيش بعد الآن ، على هامش المعركة ذات الابعاد المتعددة ، أمام سيل الاخبار المزيفة التي تذيبها قطاعات صحافية واذاعية معينة يوميا ، وأمام حملات التضليل والتبرير لقضية خاسرة مسبقا ، لانها تقوم على العدوان والعنف ، كيف يواجه المناورات التي يحبكها السياسة والدعاية التي تتخذ الحقد والكذب سلاحا لها .

يجب ان تعلم الحقيقة كلها الى الراى العام العالمى الذى شلته الدعاية الصهيونية عن المصير الذى اعدته الدولة العنصرية للشعب الفلسطينى .

القلم والسيف :

ان حالة الشعب الفلسطينى الذى وقع ضحية لأكبر ظلم ارتكب فى التاريخ ، معروفة فى خطوطها العريضة ، ولكنها لم تؤثر كثيرا على النفوس ولا تزال بعيدة عن ان تهز ضمير العالم . فان هذه الدولة العنصرية التوسعية ، قد ظلت تراوغ منذ ربع قرن وتتهرب من مواجهة حق الشعب الفلسطينى فى كيان قومى وفى تقرير مصيره بنفسه . وهى تتجاهل كل مجهود دولى بذل لهذه الغاية .

لم يعد أحد يجهل بعد الآن ما تبديه هذه الدولة الفاصبة من الكبرياء والاحتقار تجاه القرارات الدولية التى لم تتخذ فى صالحها . ومن ذا الذى يصدق الآن قصة الشعب الصغير الذى لا يطمح

الى متى سيظل المثقف العربى بعيدا عن المعركة التى يخوضها الشعب العربى ضد القوات الصهيونية والامبريالية والرجعية المتحالفة مع الاقطاع ؟

ما هى اهمية تجديد الجماهير نفسيا فى المعركة ؟ وما هو التأثير الحقيقى الذى تمارسه اجهزة الاعلام على سلوك الجماهير ؟

تلك هى الموضوعات التى دار حولها "بحث والنقاش فى ندوة فى قاعة الرعد ، اشترك فيها كل من السادة عبد الله ركيبي الاستاذ بجامعة الجرائر ، وعلى بن محمد المستشار التقنى لدى وزارة التعليم الابتدائى والثانوى ، ومحجوب بوشنافه . وقد جرت المناقشة امام جمهور غفير من طلبة الجامعة والمناضلين واطارات الحزب والمثقفين الذين يتتبعون الاحداث وقد حضر هذه الندوة أيضا السيد محمد شريف مساعدة المسؤول عن شؤون الاعلام والتوجيه فى الحزب ، الى جانب عدد كبير من كبار الموظفين .

وقد كان الهدف من هذه الندوة التى نظمتها لجنة الاعلام والثقافة بالحزب ، هو التوعية بعدالة قضيتنا وبمعنى نضالنا وتفنيد المزاعم التى تذيبها اجهزة الاعلام والدعاية الصهيونية وتغدى بها عقول الذين تنقصهم المعلومات .

والسؤال هو : ماذا ينبغى أن يكون دور المثقف فى المعركة التى يخوضها اخوانه العرب من أجل استعادة الارض التى اغتصبها الصهاينة من

التي يعيش فيها الشعب الفلسطيني الذي ينتظر منذ أكثر من ربع قرن نهاية عهد الظلم الذي حاق به *

تعبئة الجماهير نفسياً :

وأما الخطيب الثالث ، فقد عالج تأثير أجهزة الاعلام في سلوك الجماهير وتحدث بعد ذلك عن خرافة مناعة اسرائيل واستحالة قهر قواتها العسكرية التي انهارت وكانها منزل من الأوراق . وقال ان انتصار القوات العربية في ردها على العدوان الصهيوني في ٦ أكتوبر ، قد اثبت ان الجيش الذي نفخته الصحافة الصهيونية ، كان قابلاً للعطب ، بل وللانهيار . وكذلك اثبتت عملية اجتياز قناة السويس واقتحام خط بارليف ، ومقتل الجنرال الذي كان يقود قوات المصفحات في سيناء ، بعد ساعات معدودة من اعلان انتصارات وهمية امام صحافة تصدق كل شيء ، ما كان يعانيه الجيش الصهيوني من الاضطراب النفسي ذلك الجيش الذي بلغ به الأمر ان صدق الاكاذيب التي يذيعها هو نفسه !

الم تنشر صحيفة فرانس سوار ، باحرف ضخمة وفي مكان بارز ، بعد بدء عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، باقل من ساعة ، أن مصر قد هجمت على اسرائيل ؟

الم تلجأ صحيفة الفيغارو الى نفس الخديعة لتعلن منذ اسبوع أن حشود الصهاينة قد اجتازت قناة السويس ، فوقعت بذلك في غلطة كانت ماثرة الهزة والسخرية ؟

ان هذه الصحف المتسرعة لخدمة اسيادها ، كثيراً ما يبلغ بها الامران تتخذ مواقف مضادة لموقف الرأي العام ولموقف قراءها ، وبذلك تضدى

الا الى العيش في سلام ودعة ؟ لا يمكن ان يصدق هذه الخرافة حتى اولئك الساسة الذين اصيبوا بالخدلان وراحوا يبحثون عن حظوة الناخبين ، ويذرقون دموع التماسيح على مصير الشعب اليهودي . ليس في مقدور أحد ، بعد الآن القاء الستار على الحقيقة الناصعة *

والدور الاساسي للمثقف العربي ، هو ان يقف لدحض الاكاذيب والترهات ولتذكير من نسى الحقائق بأن ارسال الملايين من اليهود الى افران الغاز اثناء الحرب العالمية الثانية ، عمل لم يكن للعرب فيه يد ، وأن عددا كبيرا ممن يتبنون قضية الصهيونية اليوم ويدافعون عن اليهود ، هم من النازيين أو من المتعاونين المشهورين مع النازية والجستابو سابقا *

كانت هذه في مجملها هي الملاحظات التي أبدأها الخطيب الاول في الندوة وأما الخطيب الثاني * فقد تعرض لاهمية التعبئة النفسية للجماهير في المعركة ، ووضع الحاحا خاصا على تبين وسائل الدعاية الهائلة التي يستعملها الصهاينة للاستمرار في تضليل الرأي العام ولتغذية عقد الذنب في قطاعات مهمة ممن لا يزالون يخلطون بين المعتدي والمعتدى عليه ولا يهتمون بمصير الشعب الفلسطيني المطرود من ارضه والذي يهدده موت بطيء *

ولما تعرض المحاضر لنتائج هذا التحذير للرأي العام العالمي الذي استعملت له وسائل فعالة والذي ضمن استمرار الاعتقاد في اسطورة الشعب الصغير « المتفوق » ، أشار الى الوسائل التي ينبغي اعتمادها لاذاعة الحقيقة عن اسرائيل ومطامحها التوسعية ، ثم عرج فذكر الحالة المزلة

المقاتلين العرب الذين قرروا مواصلة المعركة حتى النصر النهائي .

وقد اختتمت الندوة بمناقشة مثمرة وباتخاذ المساهمين فيها قراراتين يؤيد احدهما مجلس الثورة والحكومة والمقاتلين العرب الذين اعدوا في معمة القتال معنى الكرامة والشرف الى العرب ، ويناشد القرار الثانى المثقفين العرب بان يساهموا بطريقة فعالة فى معركة التحرير .

ان فى المعركة حقيقة يجب اعلانها ، وواجبا لا بد من القيام به . والمثقف العربى لا يحق له بعد الآن ان يتهرب من مسؤولياته التاريخية .

بمصالح شعوبها . وهؤلاء الخونة لبلادهم وللقواعد التى تقوم عليها مهنتهم اصبحوا الآن معروفين من الجميع ، ومن ثم ، فان اختلاقاتهم لم تعد تخدع أحدا .

ان القوات العربية فى جبال الجولان وفى صحراء سيناء قد اثبتت انه لا يوجد ما من شأنه ان يعوق القوة العربية او يحطم عزيمة شعوبها التى قررت ان تعيش حرة كريمة .

والمرتزقة الذين يعملون فى خدمة الصهيونية ، مثل الامبيرىالية العالمية ، لا يستطيعون وقف



تبرعوا بالكتب لمكتبات المساجد

إذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث :
صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له ، او علم نافع
ينتفع به .

حديث شريف

ابعثوا بكتبكم الى :

المكتبة المركزية لوزارة التعليم الاصلى
والشؤون الدينية

قصر حسن - ساحة ابن باديس
الجزائر العاصمة



مع المجلات العربية

الفكر الوطني المبدع هو طريق النجاة

خصصت مجلة « البيان » الكويتية دراسة عن
(كاتب الكتاب) ابدى فيها كاتب الدراسة
المشاكل التي تطرح على الدول النامية في ميدان
الثقافة والفكر . ومن بين هذه الدول الوطن العربي
الذي يتخبط في مشاكل التخلف ، ومما جاء في
الدراسة :

رصيدا جهود علماء كثيرين من جنسيات مختلفة وفلسفات شتى .

هؤلاء ، هم الذين يكتبون - في غالب الامر - عن مشكلات الساخنة التي تضغط على البلاد النامية وتأتي اليونسكو، فتتشر مئات من هذه الكتابات المهمة ، التي ينتسب الجانب الاعظم منها الى «فكر» أوروبا وأمريكا وبلتحق القليل منها بخبرات العلم والعقل المفكر ، في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

واليونسكو تملك العذر والتبرير .

انها تحاول ان تجعل الباحثين والعلماء من البلاد صاحبة مشكلات التنمية ، هم الذين يقدمون نتائج عملهم وخبراتهم .

وفي هذا الاطار ، تظهر اسماء مؤلفين من بلاد مثل غانا والنيجر والسينغال، أو تطفو على السطح اسماء من الهند ومن بعض البلاد العربية . لكن مشكلات الفكر والحضارة اضخم الف مرة، من التعبير عن مشكلات التنمية في البلاد المتخلفة وحديثة العهد بالاستقلال .

الانسان يواجه في عالمنا المعاصر أخطار «التفرق» الهائل الذي تحققه « الاقلية » القوية من الامم ، كما يواجه أيضا مصائب التخلف الذي ورثته شعوب الارض فيما ورثت من اعباء الزمن .

ومواجهة « خطر » تفوق الاقوياء ومصائب تخلف الذات تحتاج الى نهضة فكرية مبدعة وشاملة . في وجه هذه الضغوط الجهنمية حقا ، يكون الفكر القومي المبدع ، هو طرق النجاة .

وبغير هذا الفكر القومي القادر على اع ، تفقد كل الجهود الاخرى طريقها ، فأكبر المشروعات والمؤسسات ، تتحول الى منابع لمشكلات لا تقف الانتاجية ، تظل تدور في مكانها ، وأعظم الابنية عند حد .

في كل سنة تنشر اليونسكو مجموعة ضخمة من الدراسات العلمية الموضوعة باللغات الكبرى وفي مشكلات الانسان المعاصر .

في هذه المجموعة يتكرر ضعف الاصوات العربية كل سنة ، وتتكرر قلة عددها .

وقد حدث ان نشرت اليونسكو في ديسمبر الاخير ، قوائمها للكتب المنشورة عام 1973 ، وكان الجهد العلمي العربي فيها محدودا ونادرا .

ولعل أوضح جوانب هذا الجهد بعض الدراسات المعقودة في مسائل « التعليم » و « التربية » في الوطن العربي .

ولكن هناك « موضوعات » أخرى تنصف بالسخونة والاهمية بالنسبة للوطن العربي كله ولم نزل نفتقد فيها الجهد الفكري المؤثر والذائع على مستوى رفيع .

هناك مشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومشكلات تخطيط الصناعة والمدن وربط القرية بالمدينة ، والمشكلات الحطيرة التي يطرحها التقدم التكنولوجي على حياة الناس في البلاد التي لم تأخذ حقها الكامل من هذا التقدم العلمي والحضاري كل هذه المشكلات الحاسمة ، يكتب فيها علماء وباحثون من البلاد التقدمية التي شبت حضارة ونالت ما هو أكثر من الترف الثقافي ، يكتب فيها علماء من السويد ذات الثراء العريض ، ومن ألمانيا التي تحتل بشطريها مكانين بين الدول العشر الصناعية الكبرى في زماننا .

ويكتب فيها علماء وباحثون من فرنسا ، ذات المكانة القيادية بالنسبة لأوروبا ، وعلماء من بريطانيا التي تعتبر واحدة من البلاد المصدرة للعقول العلمية .

ويكتب فيها علماء وباحثون من الولايات المتحدة التي انشأت بنوكا للعقول البشرية وضمت الى

رحلة المصير

تستحق التقييم الموضوعي الدقيق * وهذا هو الحب الذي يتعين على نقاد الادب في المشرق ان يتحملوا جزءا منه بشجاعة * انهم بذلك يسهمون في الحركة على اكثر جبهاتها حدة واشتعالا والمؤمنون منهم بمستقبل اللغة العربية ووحدة الثقافة العربية تتضاعف مسؤوليتهم في هذا الصدد *

ذلك ان الادب في المغرب العربي لا يتأصل فحسب على جهة اللغة ، وانما رواسب الفكر والشعور المتخلفة عن الاستعمار الفرنسي ، تترك بصماتها في وضوح على بناء هذا الادب وروحه * * ان القضية عند الاديب الجزائري او التونسي او المغربي لا تنتهي بمعرفته لاسرار اللغة العربية ، وانما هي تبدأ بعد ذلك * تبدأ مع القاعدة العريضة من القراء الذين تربوا في مناخ مشبع بالثقافة الاجنبية * تبدأ ايضا مع رد فعل المحتمل ضد الثقافات الاجنبية ، وما ينشأ عن ذلك من تعصب يرفض الفكر العربي المستنير * تبدأ كذلك مع اجهزة السلطة المزقة بين التعريب والتعريب * تبدأ اخيرا مع الادب العربي في المشرق ، حيث الابنية والاخليل تعكس تراثا عميقا في الارض المحلية *

هكذا تبدو لي رحلة الكاتب في المغرب العربي ، رحلة عسيرة غاية العسر ، باللغة العذاب والفضى * واكثر الشعاع عذابا هو احساسه بأنه يمضي في رحلته وحيدا * والناقد العربي في المشرق ، مرشح بالضرورة ، لان يكون رفيقا له في رحلة المصير الواحد *

* * * شكوى *

- البلاغ - اللبنانية

من المفارقات الغريبة ان اهتمامنا بالاداب المغربية المكتوبة بالفرنسية لادباء من تونس والجزائر والمغرب ، يفوق اهتمامنا بالادب العربي في هذه المنطقة من الوطن الكبير * ان مؤلفات كاتب ياسين ومحمد ديب ومالك حداد اكثر شعبية في المشرق من مؤلفات عبد الكريم غلاب وعبد الله القويري * وربما كان ابو القاسم الشابي هو الشاعر التونسي الوحيد المعروف عندنا * وايا كانت مشكلات التوزيع وتحويل العملة ، فان المسؤول الاول في تقديرى هو النقد الادبي ، الرسول المؤهل والمكلف بعقد الصلات بين اجزاء الوطن عبر الادب والفن *

ولافتتاح المغرب العربي مشكلاتها الخاصة غير المزلولة عن مشكلاتنا ، بل ان بعض هذه المشكلات الخاصة تلزمنا بالكثير مما نستطيع القيام به ، كمشكلة اللغة * * فالتعريب في هذه البلدان معركة حقيقية لا تنفصل عن بقية المعارك التي تخوضها الشعوب المغربية ضد التخلف والاستعمار والرجعية المحلية * واذا كان التعليم بالعربية يقوم بواجبه في هذه الحركة القصارية ، فالثقافة - وفي مقدمتها الادب والفن - تقوم بدور اكبر * ان التعليم يتوقف عادة عند اعتاب اللغة بمفرادتها وقواعدها ولكن الثقافة تخالف العقل والوجدان وتغير الفكر والشعور *

ومن هنا كانت الرسالة الملقاة على عاتق الادباء والمنقذين عامة في المغرب ، كبيرة وثقيلة * وهم يقومون بها في شرف وصلابة ومثابرة تستحق ما هو اكثر من الاكبار والتقدير * *



كتب :

- ٤ - نقل القرآن وترجمته .
- ٥ - نقل الاسماء الحسنى وترجمتها .
- واشار المؤلف الى ما دعا اليه الرسول من نشر العلم وقال : ان هذه الدعوة التى اطلقها الرسول بين قومه فى صحراء العرب منذ حوالى ١٤ قرنا سوف يستمر رنينها فى اذن كل انسان عاقل وبالاخرى فى اذن المؤمن الذى حصل على المعارف الدينية وهذا ما جعلنى اؤلف هذا الكتاب .
- واضاف : وهناك سبب آخر وهو ان الاسلام وانا اعتبره ديننا كاملا وشاملا ما زال يساء فهمه فى افريقيا السوداء اذ يرى البعض انه يحرم كل شئ ويصف كل شئء بأنه اثم وهذا ما يؤدى الى فساد منطق الانسان الذى تصل اليه الصورة مشوهة ومما يشكل اكبر تهديد للاصلاح فى افريقيا السوداء هو اساسا نقص المعلومات وكذلك الافتقار الى الجدية فى اتباع قواعد الدين .
- وعزى المؤلف ذلك الى عدة عوامل منها ما يتعلق بملقنى القرآن الذين يكتفون بتلقين الشباب المسلم آيات من الكتاب الكريم دون اهتمام بشرح معناها او مدلولها ومنها ان اغلب الشباب الذين تلقوا العلم فى المدارس الفرنسية يجاهرون بعداء شديد لمبادئ القرآن ويرون انها بالغة التزمّت فى حين انهم يجهلون كل شئ عن الدين .
- اصدرت (دار النشر والطبع فى مالى) مؤخرا كتابا بعنوان « تطبيق مبادئ الاسلام فى افريقيا السوداء » وهو من تأليف بابا مختار ندياي نفوس الحاصل على مؤهل عال فى الشريعة الاسلامية وعلى ديبلوم معاهد الدراسات الاسلامية العليا فى كراتشى وباريس وعلى عدة جوائز فى تفسير القرآن ويقوم بابا مختار باعداد برنامج « الامام بالاسلام » الذى يذيعه رايدو مالى .
- وقد توجهت صحيفة « ليسور » التى تصدر فى مالى بعدة اسئلة الى المؤلف عن هذا الكتاب فقال انه ينقسم الى خمسة ابواب :
- ١ - اقوال لبعض الشهود عن صور لممارسة الدين فى الدول الافريقية الواقعة جنوب الصحراء وفى شرق افريقيا .
- ٢ - حياة محمد منذ مولده الى وفاته بما فى ذلك شبابه وزواجه والوحى الذى نزل عليه بالقرآن والهجرة والاسراء والحج الى مكة وغير ذلك .
- ٣ - باب بعنوان « ما هو الاسلام » وهو تفسير لقواعد الاسلام الخمس وهى الشهادة والصلاة والزكاة والصوم والحج مع ايراد العبارات التى تقال فى الصلاة .

رسالة تونس

ابن هانيء لم يكن تونسيا فهو مغربي



من مراسلنا صالح الحاجة

الشروع في دراسة عن لغته وبلاغة شعره ، ولكن تبين لي بعد قليل انه من واجب التونسيين عامة ان يهتموا بترات هذه الرقعة من العالم العربي الاسلامي ، خصوصا وان جانبا كبيرا من هذا التراث لا يزال مجهولا مغمورا ، ومن ناحية أخرى فان ابن هانيء كان يعتبر ولا يزال اعظم شعرائنا القدامى ولهذا استحق لقب « متنبى الغرب » فوجهت عنايتي الى هذا الشاعر الاندلسي ولادة والمغربي نشأة والشمعي ملة وانتسابا ، أملا مني في مواصلة معاشرتي لابي الطيب المتنبى بمعاشرة صنوه المغربي ابن هانيء ، ثم ان اهتمامي القديم بالمذاهب الاسلامية والنحل المختلفة دفعني الى دراسة شاعر الفاطميين الذي خصص كامل ديوانه للاشادة بفضائل الائمة الاسماعيليين واعلاء كلمة الدولة التي أسسها عبيد الله المهدي .

وسألت الاستاذ اليعلاوى عن الجوانب التي أثارها في اطروحاته فقال

الاستاذ محمد اليعلاوى رجل من رجال الثقافة في تونس يدرس في الجامعة ، ويكتب بين الحين والآخر في صفحتنا ومجلاتنا ، ويشارك في اغلب المناقشات والندوات التي تنظمها النوادي الثقافية وهذا الاستاذ شغوف بالثقافة العربية كاشد ما يكون الشغف ، مطلع على كنوزها ، عليم بخباياها وذواقة للادب العربي حديثه وقديمه .

ومنذ فترة قصيرة تحصل الاستاذ اليعلاوى على الدكتوراه من جامعة السوربون الجديدة ، وتناول في اطروحاته حياة وأثار الشاعر الاندلسي المغربي ابن هانيء بالبحث والتحليل .

في لقاء لي مع الاستاذ محمد اليعلاوى سألته عن الاسباب التي جعلته يختار ابن هانيء بالذات ليكون موضوع اطروحاته فقال :

كنت ولا ازال مشغوقا بالشاعر الكبير ابي الطيب المتنبى وكنت انوى بعد حصولي على التبريز

طبعاً ، ما فائدة البحوث ان بقيت في دفاتر اصحابها ؟ انى بصدد ترجمة الكتاب الى اللغة العربية حتى اخرجه لجمهور القراء والباحثين في المغرب والمشرق العربيين ، وحتى في الشرق الاسلامي البعيد اذ من المعلوم ان طوائف الاسماعيلية القاطنين بالهند يهتمون بالتراث الفاطمي اهتماما كبيرا ، ولعلمهم حين يقتنعون باهتمام الباحثين التونسيين بالدولة الفاطمية ورجالها في الفترة الافريقية من تاريخها ، سيمدون الينا يد المساعدة باطلاعنا على كثير من الوثائق التي يحتفظون بها في منتهى السر والكتمان .

وكان آخر سؤال طرحته على الاستاذ اليعلاوي هو : هل صادفته صعوبات في العثور على المصادر التي اعتمدها لاطروحته ؟ فاجاب بقوله :

نعم ، واولى هذه الصعوبات تعذر الوصول الى جانب من نسخ ديوان ابن هانيء المحفوظة عند طوائف البهرة بغربي الهند . واخص بالذكر شرحا جزئيا لديوان الفه أحد علماء الطائفة وهو الشيخ حميد الدين علي ، لكن والحق يقال قد وجدت بعض ضالتي في الشرح الوافي الذي نشره منذ اربعين سنة حفيده المرحوم زاهد علي الاسماعيلي الحيدر آبادي ، وانتهز الفرصة لشكر صديقنا الحاج الحبيب اللمسي على اعارتي نسخة من هذا الشرح النفيس النادر .

وقد اسعفني الحظ بأن وجدت بالمكتبة الوطنية نسخة نفسية من الديوان لم ينتبه اليها زاهد

القسم الاول خصصته لضبط ترجمة ابن هانيء فبينت بتتبعي لمراحل حياته القصيرة انه يكاد يكون عديم الانتساب الى الاندلس ، وانه ان لم يكن تونسيا ابن تونسي ، حسب عبارة العلامة حسن حسني عبد الوهاب ، فهو بدون شك مغربي اذ قضى اثنى فترات حياته بالمسيلة في الشرق الجزائري ثم بالقيروان والمنصورية (صبرة) .

اما القسم الثاني وهو الاهم في نظري ، فقد خصصته لا استخراج الاشارات التاريخية والمعلومات المضاربية من خلال مدائح هذا الشاعر للمعز الفاطمي وللكبار قواده وامرائه .

ومعلوم ان بحث المؤرخين العرب للآثار الادبية حتى ينبروا بها الفترات التي يدرسونها ، كان ولا يزال زهيدا . فلذلك ركزت اهتمامي في هذا القسم على الجوانب التاريخية من ديوان ابن هانيء وارجو ان اكون قد وفقت الى اكتشاف حادثة لم يذكرها مؤرخو الفاطميين كالمقريري وابن حماد والاستاذ فرحات الدشراوى مؤخرا : وهي ان المعز العبيدي قد عهد بامارة افريقية الى ابنه عبد الله قبل ان يسندها الى بلقين يوسف بن زيسرى الصنهاجي ، ولا يخفى على ان هذه الفكرة قابلة للنقاش والتدعيم .

وفي القسم الاخير حللت مقومات فن ابن هانيء في شعره ومقومات شاعريته تلك التي جعلت النقاد يقارنونه بالمتنبى .

وحول ما اذا كان ينوي الاستاذ نشر اطروحته قال لي :

يبدو انه يعرف عبد الواحد ابراهيم أكثر من غيره الشيء الذي يقدم للقارئ مساعدة حقيقية على فهم القصص المنشورة في الكتاب .

قسم الكاتب مجموعته القصصية الى قسمين قسم بعنوان - اظلال حمراء - ويضم 7 قصص ، وقسم آخر بعنوان - وظلال أخرى - ويضم 10 قصص .

وأول قصة في الكتاب (ثمن الحصر) كتبت في شتاء 1956 ، وآخر قصة كتبت في شتاء 1973 وبين هاتين القصتين مر الكاتب بمراحل مختلفة ، مما يدل على انه كاتب متطور ، فالبدائية كانت بداية عادية خصوصا من حيث الشكل ، ذات التزام مباشر ثم تجاوزها الى قصص غارقة في الوصف وهامشيتها أكثر من رئيسياتها وتهدف الى تقديم النصح والارشاد ، قصص لها بداية وعقدة ونهاية واستطاع الكاتب ان يتجاوز هذا اللون الى قصص متمردة على الشكل والمضمون لا تخضع للمتعارف عليه (قصة مربعات البلاستيك) .

وخلال جميع هذه المراحل لم يخرج الكاتب من بلاده سواء في ماضيها القريب أو في حاضرها لقد التزم منذ البداية (قصة ثمن الحصر) بقضايا وطنه وبقي مخلصا لها حتى وهو يجرب كتابة القصة الحديثة ويستعد لمغامرة أخرى (ذلك ان عبد الواحد ابراهيم لم يكن في عمله القصصي واقباله على هذا النوع من الفن الادبي بالذات منفصلا عن مدرسة ، اذا صح هذا التعبير ، ظهرت قبيل الاستقلال .

على ، وهي تحتوي على عدد من القصائد والمقطوعات المجهولة وقد حققتها ونشرتها بحوليات الجامعة التونسية .

وكم كنت أود ان اعثر على الشرح الذي نسبه العلامة حسن حسني عبد الوهاب الى التيفاشي القفصى بعنوان « الديباج الحسرواني في شرح ديوان ابن هاني » ولكن لم يرشدنا العلامة المرحوم الى مصادره ومراجعته ، وحتى الاستاذ محمد أبو القاسم كرو واهتمامه باعلام قصة معروف لم يجد آثرا لهذا الشرح .

ومن الصعوبات التي قد تعترض كل باحث في الفترة الفاطمية من تاريخنا ، الكراهية الشديدة التي تستشف من مؤلفات السنين كلما تحدثوا عن الشيعة مما قد يؤدي احيانا الى التحريف والتشويه والاتلاف لآثار الكتاب أو الشعراء المنتهين الى الدعوة الاسماعيلية .

★ ★ ★

دما وحب و بلاستيك

مجموعة قصصية جديدة تضاف الى المجموعات القصصية التي صدرت خلال هذا العام في تونس كاتب هذه المجموعة هو عبد الواحد ابراهيم صاحب كتاب « في بلاد كسرى » الذي تحدث فيه عن رحلته الى ايران .

المجموعة صدرت عن الشركة التونسية للتوزيع وغنواها « اظلال على الارض » وتحتوي على 17 قصة ومقدمة كتبها الاستاذ بشير بن سلامة الذي

وترعرعت بعده ، واكتملت على صفحات مجلة الفكر ببروز البشير خريف وتزعمه لهذا الفن القصصى .

هذه المدرسة التي تعتمد واقع الشعب كما هو وتقترب في لغتها منه أشد القرب ، ليست الا ترجمانا لحدث عظيم اهتزله كيان هذا المجتمع وهو انتصار الشعب بطبقاته كلها ، وزوال الحكم الاجنبى ، وتقلص هيمنة صنف من التونسيين احتكروا المناصب السياسية ، واستقلوا بالثروة واحتلوا الصدارة الادبية وفرضوا على اللغة نظرتهم وحنطوا العربية ليفوزوا بها في متحف الشهرة وان بلا خلود من مقدمة الاستاذ بشير بن سلامة) .

واذا تجاوز عبد الواحد ابراهيم وطنه في بعض الاحيان الى اوطان أخرى كما حدث في قصة (رجل لبي النداء) فما ذلك الا ليؤكد ان تونس والجزائر والمغرب وطن واحد ، له ماض مشترك وحس واحد وقضايا متشابهة ، وان الحدود التي اصطنعها الاستعمار ما هي الا حدود مفتعلة لم تصمد امام نيران الثورات التي اشتعلت في بلاد المغرب العربى .

القسم الاول (ظلال حمراء) أهم بكثير من القسم الثانى و (ظلال أخرى) فلقد جمع بين سبعة قصص كلها تتحدث عن الدماء والشهداء والاستعمار وتصف المعارك التي خاضها هذا الشعب من أجل استرداد كرامته واستعادة حريته وبناء مستقبله فمن معركة المحافظة على الاصاله ومقومات واسباب

بقاء الشعب (قصة ثمن الحصيد) مروراً بمساهمة الحركة النقابية فى الكفاح والنضال ووقوف العملة وقفة الرجل الواحد يوم استشهاد فرحات حشاد (قصة رجل يستقيظ) الى تحقيق الجلاء وانتصار الشعب على قوى البغى (عندما تصرخ الدماء) كلها قصص تسجل تسجيلا فنيا بضعة سنوات هامة وحاسمة فى عمر هذا الشعب الذى دفع ثمن الحرية غاليا .

ان العيب الوحيد فى هذه القصص هو تمجيدها للبطولات الفردية والاقتصار على ابراز نواحي الشهامة والشرف والتضحية فى الانسان والارتفاع بهذا الانسان الى سماء المثالية بدون مراعاة لضعفه وخذلانه وانهزامه وهى اشياء طبيعية فيه وكثيرا ما اغاقت الثورة فى تونس عن الاستمرار فى مسيرتها .

القسم الثانى الذى احتوى على 10 قصص يمكن ان نقول انه اقل قيمة من حيث الموضوعات المطروقة ومن حيث وعى الكاتب الذى اصيب وعيه بشئ من الضبابية فى هذا القسم - و (ظلال أخرى) على عكس ما كان عليه من انفتاح ووضوح فى القسم الاول فأغلب ما نشر فى هذا القسم يحوم حول الحب والخيانة والزواج والفراق وهى موضوعات متهرئة وقع استهلاكها بألف طريقة مما جعلها تتحول الى جثث لا تثير القارئ ورغم ذلك فيمكن ان تكون هذه الموضوعات منطلقات هامة نحو الغموض فى مشاكل المجتمع والكشف عن امراضه العارضة والمزمنة .



ان قصة (مربعات البلاستيك) تشير الى اكثر من قضية وتبسط أكثر من رأى وتدل على التناحر الفكرى والفوضى المذهبية وعلى المفهوم الخاطيء للحرية وتعرض الى الصراع بين الاجيال ولذلك فان هذه القصة تحتاج الى مناقشة عريضة للآراء الخطيرة التى تحملها فى ثناياها وتدعو الى التأمل والامعان فيها وهى جديرة بالتحليل والتحرير .

ان هذه القصة تبشر بعطاة ووعود سيفجرها عبد الواحد ابراهيم في قصصه القادمة .

قبل ايام زار بلادنا الكاتب المصرى المعروف الدكتور مصطفى محمود ، وقضى بها حوالى عشرة ايام فى زيارة خاصة ، وفى اليوم الاول التقيت به وتحدثنا طويلا

قبل تونس كان فى الجزائر حيث حضر ملتقى التعرف على الفكر الاسلامى وغادر الجزائر قبل ان ينتهى الملتقى وهو يحمل معه انطباعات من هذا المؤتمر اهمها ان الملتقى متخم بالحاضرات ، وذهب الى المغرب حيث امضى عدة ايام وجدت فيها جريدة « العلم » المغربية الفرصة لمهاجمة بعض الفكار مصطفى محمود التى ركز عليها فى كتبه اهمها الفكرة التى انطلق منها فى كتابه « القرآن » الذى فسره بطريقة عصرية من زاوية المؤمن والواقع بدبته كبديل لجميع المذاهب الاخرى التى تحاول ان تجد لها مكانا تحت شمس العرب وكعسل لجميع المشاكل التى تعاني منها الشعوب الاسلامية .

واهتم الدكتور مصطفى محمود فى تفسيره العصرى للقرآن بالنواحي الميتافيزيقية واعمل النواحي الدنيوية ، وهو شىء اخذه عدد كبير من المثقفين وهو نفس الرأى الذى عبرت عنه جريدة « العلم » المغربية ، الذين يؤخذون الدكتور مصطفى محمود يقولون ان اوضاعنا تفرض علينا ان نهتم بالمواكب

لا بأس من الوقوف عند المشاكل الفرعية لبعض الناس وعند بعض الهموم الخاصة بفئة من فئات القوم ولكن ليكن كل ذلك فى اطار من الوعى الحركى بالقضايا الحقيقية وربط الفرع بالاصل .

ان هذه الملاحظة لا تنفى وجود بعض القصص الذكية التى تشير بحذر واحتشام (!) الى بعض القضايا فى مجتمعنا (قصة باب البحر ، وقصة كنز السعادة) مما يدل على ان عبد الواحد ابراهيم يحاول ان يتخطى القضايا الهامشية كقضايا الحب والخيانة والبطولات الفارغة التى تهدف الى تحقيق الشرف والكرامة عن طريق الالتزام الاخلاقى اللاواعى ، ويحاول ان يجعل قصصه تحتضن القضايا الحيوية الواحدة لتكون شاهدا حقيقيا على عصره كما فعل فى القسم الاول من المجموعة .

ان القصة التى يعتبرها عبد الواحد ابراهيم (قصة جلد ثعبان) بداية مرحلة جديدة فى عمره القصص لم أجد فيها ما يوحى بأنى امام أدب جديد لا من حيث الشكل ولا من حيث المضمون، لا شىء فيها يلفت الانتباه لو يصدم أو يلسع الموضوع عادى ووقع استخدامه بطرق افضل والشكل أيضا عادى لا يمكن ان يعطى للقصة حق الانتماء الى الادب الجديد ولذلك فاننى اعتبر قصة (مربعات البلاستيك) هى البداية الحقيقية لمرحلة جديدة يدخلها عبد الواحد ابراهيم وان كان دخوله اليها لم يفقده خيبتة ككاتب محافظ فلقد ظل يحافظ على رصانته وحذره حتى وهو يقف على اعتاب مرحلة جديدة .

ولكن يمكن ان اقول منذ البداية ان تونس تختلف تماما عن البلدان العربية التي زرتها ، انتم في تونس استطعتم التوفيق بين ضرورات العصر وضرورات المحافظة على الشخصية التونسية اى اخذتم من الحضارة بدون ان تدويوا في هذه الحضارة .

اتهام آخر موجه الى مصطفى محمود :

هذا الاتهام يتمثل في انه يكتب وينتج كثيرا وترتيبه ياتي الرابع بعد العقاد (90 كتابا) وتوفيق الحكيم (70 كتابا) وانيس منصور (60 كتابا) ، اما هو اى مصطفى محمود فله (51 كتابا) فقط ، ويقولون عنه ان يكتب بنفس السهولة التي ياكل بها ، اما موضوعاته فانها تتناول كل شئ تقريباً الجيولوجيا والفيزياء ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس ، والتاريخ ، والادب ، والسياسة ، والمرح والقصة وله كتب عن « لغز الموت » و « لغز الحياة » و « النسبة » و « الاحلام » و « الشعوب البدائية » .

ويحس المتتبع للحياة الادبية العربية ان هناك تنافسا واضحا بين انيس منصور ومصطفى محمود ، الاول يصدر الكتب بشكل غريب ، كل شهر له كتاب جديد ، والثاني يحاول ان يفعل نفس الشئ . ومع انهما دخلا الميدان في نفس الوقت فان انيس منصور بقي متفوقا على مصطفى محمود ، وتفسر ذلك كما قال لي مصطفى محمود ان انيس منصور يعتمد في كتاباته على الترجمة ، ومن يترجم يستطع ان يعطيك ما تشاء . من الكتب :

في البداية ، بداية حياة مصطفى محمود الادبية اى بعد ان ترك مهنة الطب ، فهو طبيب وكانت له عيادة ، كان يكتب في السياسة والادب واهتماماته محدودة جدا « في البداية كنت ماركسيا ، وقرأت كل ما يتعلق بالماركسية ، اظنان من الكتب هضمتها اولها كتاب « راس المال » لكارل ماركس وأخرها اتفه كتاب عن الماركسية ، ودرست « اليوغا » على ايدى الهندو وبالذات على يدى « المهاريشي ماهيش » . وبعد رحلتى مع الماركسية ، وهى رحلة فكرية كلفتنى الكثير من الجهد والطاقة والقراءة ، بالنسبة اقول لك ان اغلب الذين يدعون الماركسية في العالم العربى لم يقرأوا كتاب راس المال ولم يطلعوا عليه وان حتى اطلعوا فانهم لم يقرأوا الا مقتطفات منه فقط ، انه ادعاء يدعوونه وموضة يتبعونها .

بعد رحلتى الفكرية مع الالذهب الشيوعى اقتنعت ان الماركسية مذهب فانسل لا يصلح للانسان عموما وللانسان العربى خصوصا وسأؤلف كتابا حول هذا الموضوع اسميه

الاجتماعية الحياتية في القرآن ، يجب ان نضى دعوات «القرآن» التي تدعو الى العدل والمساوات والتحرر للجميع وتكافؤ الفرص والمحبة والسلام لا ان نضى . يوم القيامة والاخرة .

وهذا الكتاب - اى « محاولة عصرية لفهم القرآن » اثار حينها صدى ردود فعل عنيفة جدا جاءت من مصادر مختلفة ، ثار عليه بعض رجال الدين واستنكروه وقالوا ان باب الاجتهاد اغلق منذ زمن بعيد ويجب ان يبقى هكذا لا يفتح ابدا ، وراى البعض الآخر من رجال الدين ان محاولة مصطفى محمود محاولة عبثية قام بها رجل عبث ليست له الكفاءة التي تجعله قادرا على فهم القرآن .

اما الدكتوروة بنت الشاطى . فلقد ذهبت الى ابيد حد ممكن ، اتهمته بفساد دينه وضلاله وبانه من المخربين للدين وان ثقافته طيبة لا تعطيه حق النقوص في القرآن وتحليله ووطالبت بان لا يتقدم الى القرآن الا من كانت له ثقافة دينية وان لا يكتب في امور الدين الا من درس الدين .

اكثر من ذلك اتهمت بنت الشاطى . الدكتور مصطفى محمود بانه سطا على كتبها ونهبها ولحق منها كتابه 1 !

وحول هذه النقطة بالذات قال لي : ان الدكتوروة بنت الشاطى . امرأة مخرفة ، شاخت وفقدت القدرة على التركيز ، وانها تريد ان تجعل من الاجتهاد في مجال الدين وفقا عليها وعلى قلة من الناس والدين يرفض ذلك ويبح لكل انسان النظر فيه والله يطالبنا بسل يلزمنا بالنظر في تكويننا الفزيولوجى والنظر في امور ديننا وكوننا وخلقنا ، الدين لا يعرف الاحتكار .

قبل تونس والمغرب والجزائر زار الدكتور مصطفى محمود اغلب البلدان العربية وكتب عنها بضعة مقالات نشرها في كتابه « حكايات مسافر » ، كتب عن لبنان وليبيا والمملكة العربية السعودية ، وقال ان لبنان كبرى كبرى . واذا كان في القاهرة « بين المقهى والمقهى مقهى » فان في بيروت « بين الكبارى والكبارى كبرى » وعاجموه في لبنان وقالوا انه نظر الى بيروت بعين جنسية ولو نظر اليها بعين اخرى لوجد فيها البلد الذى يجمع بين الكبارى والكنيسة وبين الويسكى والكتاب ، اى ان في بيروت اشياء جادة تتجاوز الكبريات وزجاجات الويسكى والليالى الحمراء .

وقلت لـ مصطفى محمود : ماذا وجدت في تونس ؟ هل عندنا بين المقهى والمقهى مقهى ام عندنا بين الكبارى والكبارى كبرى فقال لي اننى لم ار بعد بلدكم ، فانا مازلت في يومى الاول

عجزوا عن تقديم أي شيء ، أما انتقال من مهنة الطب إلى الكتابة فإن ميول الأدبية هي التي رخصت على ذلك ، وفي الطب لا تستطيع أن تعالج إلا مريضاً واحداً ، بينما بالكتابة تستطيع أن تعالج آلاف المرضى .

القريب أن مع ازدياد عدد الكتب الدينية والاجتهادات في مجال الدين وانتشار هذه الكتب وتضاعف أرقام المبيعات منها لا شيء يدل على تغيير في العالم العربي ، بل أن الظواهر المعاكسة للدين هي التي في ازدياد من حيث الكم والأحجام .

حول هذا الموضوع قال لي الدكتور مصطفى محمود أن القراءة السلبية لا تغير ما بنفوس الناس وإنما القراءة الجيدة التي تقضي إلى الاقتناع هي التي تغير وإلى الآن لم تتحول هذه القراءة إلى حالة عامة يعيشها جميع الناس وإنما ما زالت في حدود بعض الأفراد القلائل ، ولذلك أنتظر التغيير بعد أن ينتقل القارئ العربي من حالة القراءة السلبية إلى القراءة الواعية التي تؤدي إلى الاقتناع بما جاء في الدين الإسلامي ، ولا يمكن أن يحدث أي تغيير طالما أن الإسلام الحقيقي لم ينتشر بين عامة الناس وطالما أن هؤلاء لا يخلدون إلا بقصور الدين الإسلامي ، لا يمكن أن نخرج مما نحن عليه الآن من تخلف إلا إذا تغيرت الدهنية العربية واقتنعت بجوهر الدين الدين الإسلامي الذي يقول لنا (اقرأ) ونحن لا نقرأ وحتى إذا قرأنا نقرأ التافه من الكتب أو نقرأ قراءة سلبية وسريعة .

الدين الإسلامي يقول لنا (اعملوا) ونحن لا نعمل وإنما نحبذ البطالة والتسكع والعيش في فراغ ، وحتى إذا عملنا فإننا نعمل بلا إخلاص وبتكاثر ونذهب إلى مواقع عملنا لتعيش حالات الارتخاء ولنتشرر ولندخن ونشرب القهوة ، بينما مصالح الناس معطلة وتنام في الملفات .

الدين الإسلامي يقول لنا (قاتلوا) ونحن نجلس في المقاهي ونحدث عن الحرب وعن معو آثار العدوان ونحارب إسرائيل بالآغاني والناشيد الحماسية والمحطبات والبرامج الأدبية . الإسلامي الذين يقول لنا (اقرأ) ونحن لا نطلب العلم والمساجد ، وإنما نذهب إلى قاعات السينما ونقبل على الأفلام التافهة والتفسخ والانحلال الأخلاقي والمهر الفكسوري .

لماذا رفضت الماركسية ؟ وكيف تجاوزتها ونخطتها نحو الدين الإسلامي الذي تجد فيه ما تشاء ، إذا أردت العلم ، فإن القرآن بحث عليه ، وإذا أردت تنظيم الحياة ، فإن القرآن يوصي به وينص عليه ، وإذا أردت المساواة ، فإن القرآن يصير عليها ويلزم بها كل مسلم .

الإسلام هو البديل الذي يحفظ لك كرامتك ويعاملك على أساس أنك مخلوق من قلب وعواطف وعقل وفكر ، الماركسية تلقي فيك كل هذه الأمور وتجعل منك مسماراً في آلة كبيرة اسمها المجموع أو المجتمع أو الجماعة .

وهناك شيء آخر أن كل النظريات التي جاء بها ماركس أثبتت عقمها وفراغها ، لم تصمد أمام التطور الحاصل في الفكر الإنساني ، خذ مثلاً هذه النظرية والماركسية التي تقول أنه لا يمكن أن تتعايش الاشتراكية والراسمالية سلمياً ، هذه النظرية سقطت مؤخراً وثبت أنها خاطئة ، التقت الراسمالية والاشتراكية بالاحضان واتفقا على التعايش السلمي والتعاون الذي يوطد أركان هذه وتلك .

خذ أيضاً نظرية قيام الثورة في ألمانيا بعد التجمع والتصدع الثورة لم تقم في ألمانيا وإنما قامت في روسيا .

كل نظريات ماركس سقطت في الماء وثبت تاريخياً وعملياً أنها فاشلة وأنها عاجزة على الحياة ، بينما كل ما جاء في القرآن سليم ولم يظهر إلى الآن ما يؤيد أنه على خطأ في أي كلمة من كلماته التي تكون في النهاية نظريات وأفكار وأساليب لتنظيم المجتمعات بل أن كل ما ظهر في العالم من اكتشافات علمية وظواهر اجتماعية تؤكد أن القرآن على صواب ودستور للحياة متماسك .

ويقال أن الدكتور مصطفى محمود تحول من مهنة الطب إلى الكتابة لأن الكتابة تدر أكثر مالا ويقال أيضاً أنه تحول من الكتابة في الموضوعات الأدبية إلى الكتابة في المسائل الدينية لنفس السبب ولأن الكتب الدينية سولها رائجة وأرقام هذا النوع من الكتب في تضاعف مستمر (إحصاءات رسمية تؤكد ذلك) ولكن مصطفى محمود ينفي ذلك ويقول : إنه كلام فارغ ، واتهامات سخيفة جداً ، عندما أكتب لا أرى قارئاً وأكتب من منطلقات فكرية لا من منطلقات تجارية . أنا لست تاجراً ، أود رويشاً كما يقول عنى الحاسدون الذين

ALLOCATION D'OUVERTURE DU VIIème SEMINAIRE
DE LA PENSEE ISLAMIQUE

prononcée par M. Mouloud-Kassim NAIT BELKACEM
Ministre de l'Enseignement Originel
et des Affaires Religieuses

TOUT MILITE EN FAVEUR DU REGROUPEMENT
DE LA OUMMA

Excellences,

Distingués Professeurs,

Permettez-moi, tout d'abord, de vous souhaiter au nom du Président Boumediène, du Gouvernement et de toute l'Algérie une chaleureuse bienvenue en Algérie, en ces lieux mêmes, au pied de ces monts altiers qui ont affronté la conquête et l'occupation et combattu, à travers les siècles et les différents conquérants, un même ennemi : le colonialisme et l'avilissement, son corollaire !

Contrées combien chargées de gloire et d'Histoire, citadelles de la protestation et du témoignage, de l'abnégation et du sacrifice devant les émules de Ad et de Thamoud, ces montagnes du Djurdjura dont la cime la plus haute a pour nom Lalla Khadidja, mère de l'héroïque et prestigieuse Lalla Fatma N'Soumer, une femme, mais qui pourtant compte parmi les hommes les plus braves, et qui, en 1856-1857, à la tête d'une petite armée improvisée de moussebiline, a infligé à l'armée d'agression innombrable, où figuraient non moins de sept généraux, sous la conduite du commandant supérieur français en Algérie, le général et futur maréchal Randon, les pires épreuves, léguant ainsi à la postérité une image vivante et impérissable de la résistance et du sacrifice suprême !

Excellences,

Distingués Professeurs,

Mesdames et Messieurs,

Frères et sœurs étudiants et étudiantes,

Nous nous retrouvons aujourd'hui, alors que se concentrent sur la nation islamique — je dis bien la nation islamique — ou sur ce qui en demeure, tous les moyens de destruction, de déchirement et d'égarement ! Nous nous retrouvons pour examiner en commun certains problèmes en rapport avec l'essence même de sa vie, et susceptibles, s'ils n'étaient résolus, de précipiter sa mort !

1°) LA LEGISLATION : Nous en attendons qu'elle lui montre sa voie et lui garantisse, si elle était appliquée, sa sauvegarde et sa cohésion, et même son développement et sa prospérité. Cette législation est, dans son état actuel, et ceci dans la majorité écrasante, sinon dans la totalité, du monde de l'Islam, aussi éloignée, dans la plupart de ses aspects, de la religion que Dieu lui a prescrite, des fondements et des sources de cette loi islamique qui fut et reste l'âme des lois, la religion de l'action, de la lutte et de l'effort.

2°) SON UNITE : qui a été sa force et le support essentiel de son existence, Dieu sait dans quelles circonstances elle l'a risquée, par la faute de responsables aussi naïfs qu'insouciant, prompts à emboîter le pas à ceux-là mêmes qui ambitionnaient ni plus ni moins que sa destruction et son enterrement vivante, après avoir patiemment mis au point les complots destinés à en desserrer les liens et à en consommer la désagrégation.

Notre nation s'est trouvée, ô infamie ! applaudissant à tout corbeau croassant, à une multitude de corbeaux aux formes et aux plumages disparates, mais fortement unis et solidaires quant à leurs buts et à leurs objectifs. La haine s'installa entre ses fils Touraniens et Kahtanis, les nationalismes étroits achevèrent de la déchiqueter, la Dawnama eut beau jeu de la précipiter sur le chemin de sa décomposition ! Lawrence témoigna — piètre consolation ! — de son courage et de son génie, Abdulhamid II, parce qu'il ne voulait pas composer, ne voulant pas accéder aux propositions de la Dawnama de lui troquer la Palestine contre l'effacement des dettes de la Sublime Porte, fut déposé et notre première Qibla, Jérusalem, disparut avec lui ! La nation sombra dans la léthargie, et le monde debout fit des gorges chaudes de son ignorance et de son impéritie !

La revue allemande «Der Spiegel» a publié très récemment un article sur l'Islam où il est dit notamment : «La constitution d'un nouveau «Khalifat» unissant la Oumma, de l'Indonésie au Maroc, demeurera un rêve d'idéalistes et une espérance d'utopistes».

Au siècle des grands ensembles qui s'opèrent à travers les continents et par-dessus les races, les langues et les confessions, est-il concevable que pour la nation de l'Islam les choses demeurent en leur état actuel de dispersion et de discorde, de querelles et de déchirement, alors que tout milite en faveur de son regroupement et que rien ne justifie sa division ?

RELEVERONS-NOUS LE DEFI ?

Relèverons-nous le défi ? Ou bien le collier restera-t-il éparpillé et la gloire à jamais enfouie ?

3°) L'intégrité de sa doctrine et l'authenticité de sa foi :

Ne s'est-on pas suffisamment diverti au détriment des esprits crédules de nos fils et de nos filles, alors que nous pensions qu'ayant recouvré son indépendance contre laquelle les missionnaires avaient prêté main forte aux généraux en préparant le terrain à l'occupation, la nation islamique, dans son ensemble, allait sans plus tarder extirper chez elle les racines de ce mal et en détruire les germes ?

Oublierons-nous en Algérie, par exemple, le rôle joué par de Foucauld dans ce domaine, et par le Cardinal Lavignerie, qui a déployé toutes ses forces pour christianiser les orphelins de la famine de 1866, même si son entreprise n'a pas eu tout le succès qu'il en escomptait ?

Beaucoup de naïfs parmi nous sous-estiment les tentatives de ceux qui prêchent le détournement du droit chemin et l'apostasie et disent à leur propos qu'ils ne font que gaspiller inutilement leurs forces. Ils oublient qu'un Zweemer, orientaliste et missionnaire connu, disait que le but des missionnaires en terre d'Islam ne consistait pas nécessairement à évangéliser les musulmans mais surtout à semer la confusion dans leurs esprits et à les faire douter de leur foi et de leur authenticité.

Nous avons souligné à plusieurs reprises aux hommes de la religion chrétienne qui nous ont rendu visite, à leur initiative : protestants, catholiques et orthodoxes, que, tout en étant la tolérance même, l'Islam ne saurait démissionner, et que nous étions toujours disposés à les aider dans leur tâche, mais pour qu'ils accomplissent leur mission auprès des adeptes de leur religion, et qu'ils n'avaient pas à s'immiscer dans les affaires de nos enfants.

Malgré cela, nous recevons sans cesse des montagnes de lettres émanant de milieux missionnaires et de pays divers, orientaux et occidentaux, que nous apportent les pères des enfants à qui elles sont adressées par le courrier, ou distribuées devant les écoles. Ces pères viennent protester de ce que nous ne faisons rien pour arrêter ce déferlement d'entreprises criminelles visant à égarer des enfants innocents et désarmés, ce qui équivaut au viol de leur conscience.

4") Les enfants de cette nation à l'étranger — je parle toujours de la nation islamique dans son ensemble —, les tentatives d'évangélisation, et d'autres encore plus séduisantes ou plus pressantes auxquelles ils sont exposés : que peut, à leur égard, cette nation, ou ce qu'il en subsiste ?

Il y a des millions de musulmans en Europe, en Amérique et en Océanie, et le nombre de leurs enfants croît de façon constante.

COORDINATION ET COOPERATION

N'est-il pas temps de multiplier les cercles culturels, les écoles primaires et les lycées bilingues ? C'est ce que certains Etats, telle l'Algérie, ont été amenés à envisager et qu'ils commencent, de fait, à réaliser.

Mais, comme dit le proverbe, «une seule main ne peut applaudir». Alors, ne peut-il y avoir coordination et coopération, au moins sur ce plan particulier ? Ne peut-il y avoir intervention agissante de la part d'associations de bienfaisance et initiatives individuelles, qui viendront s'ajouter aux efforts des Etats ?

5") Dernier point — et ce n'est pas le moindre —. Cette nation souffre de ses tensions et de ses contradictions internes plus peut-être que des entreprises extérieures. Dieu n'est pas injuste envers ses sujets. Nous reprochons à autrui de nous vouloir du mal, alors que le mal est en nous. Nous reprenons la génération actuelle, le temps, le 14ème siècle de l'hégire ou bien le 20ème siècle chrétien, alors que tous les défauts sont en nous. Et c'est Abou Attayeb al Moutanebbi qui disait : «Nous blâmons notre temps, et le mal est en nous. Le temps, à part nous-mêmes, n'est condamnable en rien».

De fait, est-ce que cette nation n'est pas en train de travailler elle-même à sa propre perte ? Ne cherche-t-elle pas à détruire sa maison de ses propres mains ? Et ses Etats, n'exposent-ils pas l'innocence de leurs enfants aux poisons et aux virus, avec les spectacles de débauche et autres turpitudes qui sont programmés par leurs organismes officiels, sous forme de films appelant à l'athéisme et à la dissolution des mœurs, ce qui incite les jeunes à la délinquance et les adultes au crime, comme nous en avons constaté, hélas ! des exemples dont nous pourrions citer les noms ?

Nous voudrions souligner ici, sans exagération aucune, que certains films projetés par les télévisions de nombreux pays islamiques poussent directement à la dissolution des mœurs, à l'athéisme, à la délinquance juvénile et au crime, tous maux qui vont généralement ensemble ou se suivent.

Ne profiterons-nous pas des expériences des Etats qui exportent en nos pays de tels produits ? Ou bien voulons-nous créer chez nous les mêmes problèmes dont souffrent ces Etats, sans que nous ayons pour autant les moyens qui sont à leur portée pour les résoudre ou en atténuer l'impact ?

Le journal «Le Monde» du 30 mars 1973 a révélé que les Etats-Unis dépensaient 750 milliards d'anciens francs par an pour combattre la délinquance et le crime.

Avons-nous le droit — pour le plaisir de boire du vin et de nous pâmer devant les films policiers et criminels — de dépenser pareilles sommes — si nous en disposons — et d'exposer notre société aux secousses et aux tempêtes ?

C'est là toute la question !

Un journal européen a relaté récemment le cas d'un Français qui a actionné en justice une compagnie aérienne parce qu'elle avait projeté dans l'un de ses appareils en vol un film contraire aux bonnes mœurs alors qu'il s'y trouvait en compagnie de sa petite fille.

Cette initiative peut apparaître à d'aucuns comme une sorte de rébellion contre l'ordre des choses, mais ne mérite-t-elle pas de notre part considération et respect ? Ou bien aimons-nous n'emprunter à l'Europe que les exemples négatifs, tant il est vrai que la pente est toujours douce et que l'homme est facilement enclin au vice ?

ROLE DES MOYENS D'INFORMATION

5°) Les mass media sont — selon ce que nous voulons en faire — un redoutable et gigantesque moyen de pénétration de tous les maux, ou des universités populaires plus complètes et plus efficaces que les autres, s'infiltrant jusqu'aux fins fonds des foyers. Comment concevons-nous leurs programmes et que désirons-nous qu'y apprennent nos enfants ? Que voulons-nous faire — par leur intermédiaire — de notre nation ?

Telles sont les questions que les musulmans devraient poser à leurs moyens d'information et à leurs responsables. Car le mal est général et profond pour la plupart des parties de notre nation qu'il nous a été donné de visiter ou dont nous avons lu et lisons encore les nouvelles alarmantes. Combien sont nombreux ces pays qui méritent le reproche et le blâme ! Et l'Algérie se trouve, hélas ! en tête du groupe !

La responsabilité n'aura pas de sens tant que dans le monde de l'Islam ne se dresseront pas face aux responsables des interrogateurs, et si meurt dans les âmes le sens du bien et du mal ; si disparaît l'esprit de l'incitation au bien et de détournement du mal ; si les hommes de religion se contentent d'émettre des fetwas approuvant après coup et de souhaiter, dans leurs prières, longue vie et prospérité aux responsables de l'heure ; si, enfin, les intellectuels et les artistes se satisfont d'enjôliver, de polir et d'applaudir !

VIVRE DANS L'EXIL

N'existe-t-il pas des films scientifiques, historiques, musicaux, éducatifs, d'un haut niveau, pour remplir les programmes et nourrir les esprits et que la famille réunie peut voir sans appréhension ni réserve ?

Il est des pays européens qui interdisent certains spectacles non seulement dans la rue, mais même sur leurs plages et dans leurs campagnes et réservent les punitions les plus sévères aux contrevenants.

Et nous voyons ces spectacles, nous, non seulement dans les rues de nombreux pays musulmans, mais ces images nous poursuivent jusque dans nos foyers et pénètrent au cœur des familles.

Au bout du compte, sommes-nous sincèrement musulmans ou bien des musulmans au titre de l'hérédité et de l'imitation ? Sommes-nous en Islam ou bien y sommes-nous affiliés seulement de loin par les souvenirs, par une sorte de filiation nobiliaire, à l'exemple des ducs, des marquis, des princesses, des enfants des rois, des patriciens et des Césars qui, déchus de leurs pouvoir et chassés de leurs pays, vivent dans l'exil et ne possèdent des royaumes de leurs pères et de leurs mères que le titre honorifique dont ils ont hérité ?

Permettez-moi de terminer ce «prêche» — comme le verraient certains — avec cet avertissement dont les Allemands n'ont pas tenu compte dans l'une des phases de leur Histoire, ce qu'ils ont amèrement regretté par la suite, à savoir :

«Wehret den Anfaengen ! », autrement dit : «gare au commencement ! ».

R E C O M M A N D A T I O N S
DU 7ème SEMINAIRE POUR LA CONNAISSANCE
DE LA PENSEE ISLAMIQUE

TIZI - O U Z O U

10 - 23 djoumada II 1393

10 - 23 juillet 1973

(Ce texte n'est qu'une traduction, c'est l'original arabe qui fait foi)

RECOMMANDATIONS
DU 7ème SEMINAIRE POUR LA CONNAISSANCE
DE LA PENSEE ISLAMIQUE

TIZI-OUZOU

10 - 23 djoumada II 1393

10 - 23 juillet 1973

Les recommandations ont été lues par Messieurs :

- | | |
|---|---------------------------------|
| — Dr. Abdelqahhar MOUDHAKKIR | Président de la 1ère commission |
| — Dr. Othmane AMINE, en l'absence du Dr. Abdelaziz KAMEL | Président de la 2ème commission |
| — Professeur Othmane AL-KAAK | Président de la 3ème commission |
| — Dr. Abderrahmane BAYSSAR, en l'absence du Prof. Mohamed AL-FASSI | Président de la 4ème commission |
| — Prof. Sidi Mohammad Youssef DJIRI | Président de la 5ème commission |

PREMIERE COMMISSION

«L'esprit du droit musulman et la réalité de la législation aujourd'hui
dans le monde musulman»

LES RECOMMANDATIONS

Au Nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux.

En préambule, le 7ème Séminaire pour la Connaissance de la Pensée Islamique réaffirme les points fondamentaux suivants :

1°) La loi islamique est valable en tout temps et tout lieu. Elle est le remède décisif à tous les maux dont souffrent les sociétés des pays islamiques.

2°) Chaque Etat musulman doit puiser sa législation de la loi islamique, toute latitude lui étant permise de se baser sur le rite adopté par son peuple.

3°) Les dirigeants musulmans ainsi que leurs savants qualifiés doivent conjuguer leurs efforts en vue d'un retour aux règles prescrites par le Coran et la Sunnah du Prophète.

4°) Le Coran est la source fondamentale de la loi islamique. Il constitue également la base de l'organisation des rapports tant entre les musulmans, qu'entre eux et les autres peuples.

La Sunnah explicite le Coran et l'héritage Salafi en donne l'exégèse.

5°) Les portes de l'IDJTihad restent ouvertes à ceux qui en sont qualifiés. En aucun cas cet Idjtihad ne peut aller à l'encontre d'un texte ou d'un consensus (Idjmaa). Il ne peut y avoir d'Idjtihad à propos d'une question donnée si le droit musulman avec ses différents rites peut y apporter une solution.

6°) Le système consultatif (CHOURAH) avec ses règles islamiques doit constituer la voie à suivre dans l'organisation du pouvoir.

LES RECOMMANDATIONS.

1°) Oeuvrer à l'application des peines légales sauf dans les cas de présomption. Aucune peine légale ne peut être appliquée à moins d'un accord de tous les rites du droit musulman sur la question.

2°) Appliquer les peines entre personnes, (QISASS) les peines corporelles et les indemnités de rachat (DIYYA).

Pour les cas envers lesquels les textes n'auraient prévu ni peine légale, ni Qisass, il y a lieu d'appliquer des sanctions correctionnelles : (TAAZIR).

3°) Institution d'un système socio-économique cohérent, indépendant et distinct des idéologies et système philosophiques étrangers. Ce système doit être fondé sur l'entraide et la solidarité sociales assurant des chances de promotion égales pour tous, et sur une économie excluant les rapports régis par l'intérêt produit par l'argent.

Le séminaire insiste fermement, et d'une manière toute particulière sur l'obligation d'interdire tout rapport économique basé sur l'intérêt produit par l'argent, sous quelque forme que ce soit, et ce, aussi bien entre les personnes qu'entre les entreprises.

4°) a - Les règles de droit concernant la famille, y compris leurs ramifications, ne peuvent être déduites que du droit musulman dans tous ses rites.

b - Le nombre des épouses toléré en Islam ainsi que la répudiation ne doivent pas être subordonnés à des conditions autres que celles prévues par la législation islamique.

5°) Elaboration de projets de codes, à partir de la législation islamique, appelés à se substituer aux codes étrangers tout en entreprenant sans délai l'application des lois islamiques.

6°) Les enseignements islamiques doivent être dispensés dans l'ensemble des instituts, écoles et universités. A charge pour les enseignements primaire et secondaire de réserver une attention particulière à l'instauration d'un climat sain et d'une éducation adéquate sur le plan pratique.

Dans l'enseignement supérieur, les différentes facultés devront inscrire dans leur programme, chacune selon sa spécialité, des matières telles que l'économie, la technique, la philosophie, l'histoire des sciences et des lettres, propres à l'Islam.

7°) Création d'une académie de droit musulman où seront représentés tous les rites en usage dans les pays musulmans, à condition que cette académie soit à vocation universelle et ne soit liée à aucun Etat.

8°) Elaboration d'une encyclopédie de droit musulman sous l'égide de cette académie.

9°) Faire renaître le patrimoine islamique dans tous les domaines.

DEUXIEME COMMISSION

Les complots ourdis contre l'Unité de la nation musulmane hier
et auxquels est confronté ce qui en reste aujourd'hui
de la part du sionisme et d'ailleurs,
et les moyens d'y faire face.

LES RECOMMANDATIONS

— Considérant que le principe de l'Unité Islamique constitue une base essentielle parmi les fondements de l'Islam qui lui accorde une importance extrême, au point qu'il considère l'IDJMAA (consensus) de la Nation sur un point donné comme un moyen de connaître la loi divine et qu'il tient comme une déviation le fait de s'en écarter.

- Considérant les solutions préconisées par l'élite de la conscience musulmane.
- Exprimant les vœux des peuples musulmans.
- Prévenant les dangers qui menacent la Nation Islamique.

— Répondant à l'appel des différents séminaires, congrès, assemblées islamiques qui ont proclamé la nécessité d'une action sérieuse et rapide en vue de réaliser cette UNITE, et qui ont insisté sur les multiples aspects des rencontres entre les peuples musulmans, tout en évitant d'y soulever des questions controversées ou de cautionner toute action allant dans ce sens.

Le 7ème Séminaire de la Pensée Islamique

R E C O M M A N D E :

1°) Que chaque pays musulman coordonne l'activité de ses divers organismes chargés de l'action islamique, en vue de faciliter les relations entre ces organismes et les organismes similaires existant dans d'autres pays.

2°) La création d'un «Conseil de la Nation Islamique» rassemblant les représentants des congrès, séminaires, unions, organes islamiques existant dans chaque pays.

Ce CONSEIL établira les projets et tracera les programmes adéquats pour promouvoir la Renaissance du Monde Musulman et faire face aux défis.

3°) La création d'un organisme exécutif issu de ce Conseil qui sera chargé d'appliquer ses décisions et d'en suivre les étapes. Parmi ses tâches figurera nécessairement celle qui consiste à réunir les documents ayant trait aux problèmes qui intéressent les musulmans dans les différentes régions du monde.

TROISIEME COMMISSION

L'activité des missionnaires et leur rôle
colonialiste et destructeur hier et aujourd'hui.
Les mesures à prendre contre ce danger.

LES RECOMMANDATIONS

A) Les considérants :

1") Considérant que les pays musulmans sont devenus indépendants à l'issue de la deuxième guerre mondiale, alors qu'ils se trouvaient sous le joug de régimes colonialistes ouverts ou déguisés et que les adversaires pensaient qu'il n'existait plus de force politique, idéologique ou morale à travers le monde.

2") Considérant que ces pays disposent, au premier chef, d'énergie de civilisation de premier ordre (pétrole, gaz, matières premières d'alimentation et de construction.

3") Considérant que ces pays détiennent la maîtrise de certaines voies maritimes et stratégiques de première importance.

4") Considérant que cette situation inspire la crainte aux adversaires, aux rivaux et aux envieux, qu'ils soient des personnes, des groupes, des communautés religieuses, idéologiques ou autres.

5") Considérant que cette conjoncture fait que les dits adversaires projettent de combattre les pays musulmans par tous les moyens et de s'allier contre eux en saisissant tous les prétextes et en usant de tous les stratagèmes et ce, en déchainant une campagne générale et violente dans le domaine de l'activité missionnaire.

6") Considérant que celle-ci revêt divers aspects, religieux, idéologiques, ou sociaux qui menacent la vie de notre culture, de notre mission universelle de civilisation, et qui détruisent l'individu et le groupe familial et constituent par là même une menace pour la survie de la nation islamique toute entière.

7") Considérant que cette activité tend, au premier chef, à abolir, diminuer ou défigurer les valeurs propres de la nation islamique, et vise, d'une manière précise, les minorités et les grandes puissances musulmanes, en sapant leurs institutions, en semant le doute sur chaque élément qui en constitue la base, en utilisant dans ce but la tromperie, les arguments fallacieux, les rumeurs, ainsi que tous les moyens audio-visuels d'information (presse écrite et orale) qu'ils soient apparents ou clandestins.

B) Documents :

Après avoir entendu les communications faites à ce sujet ainsi que les discussions et commentaires qui en ont précisé et éclairci le sens et la portée.

C) Recommandations :

Compte tenu de tous ces éléments et des sources et documents qui s'y rapportent, la commission ad hoc recommande :

1ère Recommandation :

Il est du devoir des gouvernements et peuples islamiques de prendre conscience de ce danger mortel et de faire preuve de vigilance. Ils doivent mettre fin d'une manière ferme aux causes qui le provoquent : organismes de missionnaires, établissements scolaires étrangers menant sournoisement ou ouvertement une propagande contre l'Islam ; publications subversives locales ou importées ; organes d'information clandestins ou déclarés qui distillent le poison, livres de propagande et slogans importés, etc... Tout ceci est élaboré d'une manière déterminée et exhaustive, après des études techniques complètes se référant à des documents précis, en étendue et en profondeur.

2ème Recommandation :

Nous devons prendre garde aux immigrants étrangers en direction de pays musulmans lorsque leurs membres opèrent, à l'occasion de l'enseignement ou des causeries qu'ils dispensent ou du travail qu'ils accomplissent, une œuvre de destruction visant à saper par tous les moyens les pays d'Islam. Nous appelons également les gouvernements islamiques à n'accorder leur nationalité à tout étranger, quel qu'il soit, qu'après s'être assurés qu'il a embrassé la religion musulmane et qu'il l'a pratiquée pendant une période suffisamment longue pour prouver qu'il ne nourrit aucune intention subversive à l'égard de la société musulmane. Nous pensons que les premiers pays islamiques qui devaient appliquer cette initiative sont ceux de la presqu'île arabique, conformément aux principes établis par le Prophète (sur Lui la prière et la bénédiction) puisqu'il a dit qu'une seule religion doit exister en terre d'Arabie.

3ème Recommandation :

Protéger les musulmans émigrés : en créant des mosquées, des centres de prédication, des écoles ; en diffusant des journaux et des livres contenant des rectifications aux erreurs ; en organisant pour les fils et filles d'émigrés des voyages au pays d'origine, en vue de leur permettre de s'abreuver aux sources des valeurs musulmanes authentiques et de vivre un certain temps dans une atmosphère islamique.

4ème Recommandation :

Instituer des écoles pour les parents pour qu'ils soient au courant des dangers qui les menacent, eux et leurs enfants ; qu'ils sachent ce que représentent l'Islam authentique et sa mission historique ; qu'ils apprennent les méthodes d'éducation qui sont à l'origine de la formation de l'enfant au sein de sa famille, se doter d'une manière minutieuse en moyens de détection des germes destructeurs et des tentatives d'aviilissement des valeurs.

5ème Recommandation :

Organisation de la jeunesse islamique, de manière à la prémunir contre les propagandes destructrices et génératrices du doute et de la perplexité.

6ème Recommandation :

Soutien de l'agence de presse islamique mondiale en l'alimentant par des moyens d'information proprement islamiques, qui rapporteront les nouvelles du monde musulman, que ce soit dans les pays musulmans souverains, ou dans les pays où sont implantées des minorités musulmanes, et ce, avec toute la diligence désirable, afin de porter un prompt secours, au moment psychologique, aux situations nécessitant une intervention immédiate, avant qu'il ne soit trop tard.

7ème Recommandation :

Elaboration d'un recueil de statistiques concernant le monde musulman, contenant les informations précises sur chaque pays et chaque minorité, en se basant sur les données les plus récentes et les plus sûres.

8ème Recommandation :

Préparation d'un index général qui servira de document de base et d'instrument indiquant les modalités d'utilisation et les objectifs du recueil.

9ème Recommandation :

Préparation d'une série de livres populaires, présentant dans chaque volume un pays musulman ou une minorité musulmane, afin de permettre aux musulmans une connaissance mutuelle.

10ème Recommandation :

Traduction d'ouvrages à caractère objectif écrits par des penseurs étrangers impartiaux, et traitant de la mission civilisatrice islamique mondiale, sur les plans des sciences, des lettres, des arts et de la culture.

11ème Recommandation :

Création de chaires dans le plus grand nombre possible d'Universités islamiques, qui seront consacrées à l'histoire des sciences, des lettres, des arts, de la philosophie, chez les musulmans, et l'influence qu'ils ont exercé sur l'évolution de l'Europe et de l'Amérique.

12ème Recommandation :

Délégations de missions d'enseignement auprès des minorités musulmanes, dans les différents pays, pour prendre en charge l'instruction et l'éducation de leurs enfants.

13ème Recommandation :

Formation adéquate des enseignants envoyés vers les pays musulmans, de manière à ce qu'il soient en mesure d'assumer la tâche de l'enseignement islamique, des langues et littérature arabes et de coopérer, bénévolement ou contre rétribution, en s'intégrant dans le corps enseignant local.

14ème Recommandation :

Elaboration de collections de livres simplifiés en langues islamiques locales, mettant en relief les vertus, les principes, et les hauts faits de l'histoire de l'islam et de sa mission civilisatrice.

15ème Recommandation :

Création d'un ou de plusieurs instituts d'enseignement de langues islamiques africaines et asiatiques, ainsi que des langues d'autres nations, dont l'acquisition facilitera l'introduction de l'islam auprès d'elles, permettant ainsi l'établissement d'une liaison efficace et directe.

16ème Recommandation :

Création d'instituts islamiques authentiques destinés à préparer une jeunesse islamique saine, enthousiaste et militante.

Ces instituts seront pourvus d'informations et de documentation en provenance des ressortissants de pays islamiques qui ne disposent pas ou ne peuvent disposer d'instituts islamiques dignes de ce nom.

17ème Recommandation :

Révision des programmes d'enseignement et des manuels scolaires et principalement en histoire, afin de les épurer des concepts étrangers à l'islam, et des notions mensongères et tendancieuses qui le déprécient et en dénaturent le visage.

18ème Recommandation :

La commission propose que toutes les rencontres islamiques inscrivent dans leur ordre du jour le problème de la lutte contre l'activité missionnaire, les courants athées, les hérésies destructrices telles que le Qadianisme, l'Ahmadisme, le Bahaïsme etc...

19ème Recommandation :

La commission demande aux gouvernements des pays musulmans de mettre fin à l'activité des missions religieuses en pays musulman et d'interdire la diffusion de leurs publications diverses auprès des peuples islamiques.

20ème Recommandation :

La commission préconise la diffusion de la langue arabe auprès des musulmans dans les pays islamiques non-arabes, par l'intermédiaire de livres pour les enfants et les adultes conçus selon les méthodes pédagogiques scientifiques et répondant à la terminologie islamique en usage dans chaque pays musulman.

21ème Recommandation :

La commission souligne enfin l'importance des travaux accomplis par les séminaires de la pensée islamique, ainsi que les résultats théoriques et pratiques enregistrés sur les plans de la clarification et de l'affranchissement idéologiques.

Elle exprime sa gratitude au Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses et à sa tête le frère Mouloud KASSIM, ainsi qu'au gouvernement de la République Algérienne Démocratique et Populaire, pour leur chaleureux accueil, l'excellente organisation de ce séminaire, et le choix des thèmes qui exposent les problèmes du monde musulman.

Souhaite le renouvellement continu de ces rencontres afin d'apporter une solution aux problèmes du monde musulman.

QUATRIEME COMMISSION

Les dangers d'isolement et d'assimilation
auxquels sont exposés les enfants des communautés musulmanes
dans l'émigration et le devoir des Etats musulmans à leur égard.

LES RECOMMANDATIONS

La 4ème commission issue du 7ème Séminaire pour la Connaissance de la Pensée islamique, après avoir entendu et étudié avec soin les conférences de Messieurs les Docteurs : Mohammad INAN, Mohammad Abderrahman BISSAR, Larbi ZOUBIRI, ainsi que les discussions et remarques qui ont suivi ces exposés,

CONSIDERANT :

Les menaces qui pèsent sur les communautés musulmanes à l'étranger, du fait de leur isolement et des périls d'assimilation.

L'absence de toute organisation islamique officielle s'occupant des communautés musulmanes sur les plans matériel et moral.

L'absence des moyens suffisants pour faire face aux dangers des missionnaires, des charlatans et des semeurs de doute.

Les dangers qui menacent les minorités musulmanes exposées au racisme et à la persécution ; la nécessité de défendre leurs droits humains et de leur permettre d'exercer le culte de leur religion et de préserver leurs valeurs spirituelles.

RECOMMANDE :

1°) La création d'un organisme islamique, chargé de s'occuper des questions spirituelles, matérielles et éducatives des communautés musulmanes à l'étranger. Cet organisme sera composé de représentants de tous les Etats islamiques.

2°) Création de services (bureaux) auprès de chaque ambassade islamique, chargés plus particulièrement de ces problèmes, afin de préserver les émigrés musulmans des dangers de l'isolement et de la fusion dans les sociétés non-musulmanes.

3°) Création de centres islamiques dans les pays étrangers où la communauté musulmane est nombreuse. Ces centres seront placés sous l'égide des ambassadeurs musulmans auprès des dits pays. Ils s'occuperont des aspects culturels et de l'éducation islamique afin de permettre à nos émigrés de conserver leurs valeurs propres et leurs idéaux et de les protéger contre les dangers des missionnaires, et des campagnes athées visant à ébranler leur foi.

4") Création d'un organisme islamique indépendant qui sera soutenu par les Etats et organisations islamiques. Cet organisme aura pour tâche de s'occuper des minorités musulmanes ; de les protéger contre les persécutions racistes ou religieuses et de les aider à améliorer leur sort par tous les moyens possibles. Il aura en même temps un rôle de coordinateur entre les autres institutions qui existent déjà et qui se préoccupent des intérêts des minorités islamiques.

5") Il sera demandé aux gouvernements des pays d'accueil d'aider les musulmans résidant sur leur territoire à élever leurs enfants et à les éduquer conformément aux principes de leur religion et à tous les impératifs des composantes de leur personnalité.

Se basant sur cette recommandation, la quatrième commission estime que les Etats islamiques devraient conclure des accords culturels avec les Etats où vivent des minorités islamiques, afin de permettre à cet organisme de remplir son devoir à leur égard dans le domaine de la culture islamique, de la sauvegarde de leurs droits humains, de l'exercice du culte religieux et de leurs rapports avec leurs coreligionnaires ainsi que de leur participation à toute activité au service de l'Islam et des Musulmans à travers le monde.

6") Nous demandons aux gouvernements islamiques d'intervenir auprès de l'Organisation des Nations Unies, en tant que protectrice des droits de l'homme, afin qu'elle agisse à son tour pour préserver les minorités musulmanes contre les dangers de la persécution raciale, confessionnelle et doctrinaire menaçant les Musulmans minoritaires dans de nombreux pays. Cette protection éviterait de déclencher des réactions légitimes qui exposeraient les relations internationales à une perturbation dont l'humanité n'a nul besoin.

7") Le 7ème Séminaire salue la décision du gouvernement algérien de créer en France, un Office Culturel chargé d'enseigner la langue nationale aux jeunes émigrés algériens ou musulmans d'une façon générale et d'avoir institué en Europe par la voie du Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses une Inspection dont la mission est de veiller aux intérêts spirituels et éducatifs de la communauté algérienne et islamique en général.

8") Le 7ème Séminaire, en rendant hommage à ces deux initiatives algériennes et à celles qui ont été prises ou le seront par les autres Etats islamiques, souligne la nécessité de coordonner ces efforts afin qu'ils ne soient pas dispersés et qu'ils puissent porter les fruits souhaités.

CINQUIEME COMMISSION

"Le rôle des mass-media, tout particulièrement la presse, le cinéma et la télévision dans l'édification ou l'auto-destruction de ce qui reste de la nation musulmane sensée être en pleine bataille et récupération d'elle-même, et la responsabilité de ces organes dans la lutte contre l'athéisme, la délinquance juvénile, la criminalité même, et la dissolution des mœurs ou la propagation de ces maux."

LES RECOMMANDATIONS

Considérant l'étape historique difficile que traverse la nation islamique face à la guerre psychologique, sociale, culturelle, idéologique, économique et politique, et aux assauts déclenchés par les forces hostiles au monde musulman.

Considérant le rôle redoutable que joue l'information, avec ses moyens puissants illimités, dans l'orientation de l'opinion, sa formation et sa création même.

Considérant les dangers menaçant la société musulmane du fait des appareils d'information dont disposent le sionisme, la "nouvelle croisade" le capitalisme et le communisme, tendant à dénaturer les valeurs islamiques, à propager la dépravation et à nourrir le vice, la criminalité, la violence et à semer le doute dans tous les milieux sociaux et plus particulièrement auprès des jeunes.

Considérant les maux dont souffre notre société sur le plan de la dissolution des mœurs, de la déviation dans le domaine des idées, de la morale (costume, comportement), tendances répandues d'une façon alarmante dans la plupart de nos classes sociales et provoquées par les organes d'information (presse, agences de presse, cinéma, télévision, radio, théâtre, maisons d'édition) conséquence du suivisme et de l'imitation servile.

Considérant que ces périls visent, au premier chef, la destruction de la société islamique, au détriment de toute valeur morale, le Septième Séminaire de la Pensée Islamique,

RECOMMANDE

1) La nécessité de faire apparaître par les divers organes d'information, la réalité de la foi musulmane et de l'Islam, d'une manière claire et purifiée, en utilisant un langage moderne et basé à la fois de l'ouverture et l'authenticité. Il recommande de présenter la culture et la pensée islamique avec la profondeur propre au style traditionnel et l'attrait artistique qu'offrent les moyens et possibilités modernes, en recherchant les meilleures voies d'influence et de persuasion.

2) De faire connaître l'Islam et les divers aspects de la foi, du rituel, des relations humaines, tout en s'efforçant de simplifier et de mettre en relief leur grandeur et leur richesse ainsi que leur influence, si grandes dans la civilisation européenne ; de montrer leur aptitude à être considérés comme un code parfait dans les différents domaines de la vie.

3) La nécessité de s'intéresser aux grands problèmes de l'héritage culturel des musulmans en traitant les sujets se rapportant à la vie du Prophète. Il faudrait en même temps rectifier les points de vue sur notre histoire et la protéger contre la falsification, tout en accordant à la pureté de la langue arabe une place de choix dans ces préoccupations.

4) Nécessité d'affronter les tentatives d'invasion culturelle et les vagues d'athéisme qui s'abattent sur la pensée et l'esprit des musulmans. Il faudrait opposer à ces fléaux, d'où qu'ils viennent, une pensée islamique véritable, sans pour cela observer constamment la défensive, car les appareils d'information islamique et les appareils de contact avec les foules devraient être en mesure de prendre l'initiative dans tous les domaines.

Pour arriver à ces résultats le Septième Séminaire appuie sur les points suivants :

1) La nécessité de voir tout appareil d'information islamique (que ce soit sur le plan national ou celui d'institutions adéquates) agir selon un plan général dont les buts tendent à servir la cause de l'Islam.

2) Nécessité d'augmenter en quantité les matières traitées par les organismes d'information (accroître les surfaces consacrées dans la presse aux questions islamiques, augmenter la durée des programmes islamiques diffusés par les postes de radio et de télévision ou présentés par les cinémas, les théâtres ou autres) tout en élevant le niveau des matières traitées et en veillant à leur tenue artistique.

3) Nécessité de les utiliser pour élargir la base de la culture islamique et remplir un rôle à la fois positif et actif sur le plan scolaire et universitaire et dans le domaine de l'enseignement pour adultes, de la lutte contre l'analphabétisme, l'obscurantisme et la superstition.

4) Le 7ème Séminaire estime qu'il est nécessaire d'établir un code de déontologie en matière d'information, par lequel les personnes qui appartiennent à cette activité seront obligées d'observer les valeurs, les principes et les traditions du vrai Islam, tout en s'engageant à combattre, par tous les moyens, ce qui porte atteinte à la société musulmane.

Ils ne se contenteront pas d'attendre les instructions qu'ils pourraient recevoir en cette matière, mais devront agir spontanément selon leur conscience et le sentiment qu'ils ont de leur responsabilité.

5) Pour que les appareils d'information remplissent parfaitement leur tâche, il faut qu'ils soient placés sous l'autorité d'hommes sûrs, animés par la foi et choisis par les penseurs musulmans.

Il est également nécessaire de créer des instituts islamiques d'information, dans les différents pays, afin de former dans ce domaine, des hommes spécialisés dans toutes ces techniques, ayant confiance en des principes vrais et sincères et considérant leur activité comme un devoir religieux et non comme un simple travail de routine. Ces agents doivent être instruits, expérimentés, capables d'accéder à tous les niveaux de la culture islamique et de présenter des productions de bonne qualité, avec un certain attrait qui les fasse aimer par le public. D'une manière générale, l'opinion des membres de ce septième séminaire est que la presse des pays musulmans a dépassé toute mesure dans la diffusion des nouvelles «excitantes» ou ayant trait aux crimes ou aux sujets dénués de sens.

C'est pourquoi ils demandent aux responsables de la presse de mettre fin à cet état de choses et de s'intéresser aux nouvelles ou questions qui consolident l'unité du monde musulman. Si le fait de publier des « nus » est devenu un danger dans certains journaux, le fait de diffuser des mots « crus » constitue en lui-même un danger plus grand.

Car le journaliste doit être, en pays musulman, une vraie mission et non point un négociant.

Les membres du Séminaire demandent instamment que l'Agence de Presse Islamique soit appuyée, aidée, et que les journaux et radiodiffusion islamique éliminent toutes matières en provenance d'agences de presse colonialistes ou étrangères qui essayent de nuire à l'Islam ou aux musulmans.

Ils demandent aux journaux et revues islamiques de publier des numéros spéciaux sur l'Islam, ses grandes dates et ses personnalités, d'ouvrir leurs colonnes aux savants, aux penseurs et spécialistes des questions musulmanes, afin de profiter de leur savoir et de leur expérience.

1) Il convient également d'augmenter le nombre de journaux et revues islamiques et de les faire paraître sous un aspect qui puisse attirer les masses.

Enfin, il faut créer des revues pour les enfants.

2) Le 7ème Séminaire enregistre avec satisfaction l'intérêt que portent certaines radios islamiques aux questions religieuses et le soin qu'elles mettent à présenter des programmes orientés vers un but utile. Il déplore par contre le fait que d'autres pays musulmans aient exagéré dans la diffusion de programmes superficiels et de chansons vulgaires et nuisibles aux auditeurs.

Il faudrait donc s'occuper beaucoup plus de sujets sérieux, augmenter la durée des programmes religieux, surtout ceux consacrés à la jeunesse musulmane.

De cette manière, la radiodiffusion musulmane aura rempli convenablement son rôle au service de la cause de l'Islam. Tout pays musulman devrait consacrer une chaîne ou plus à la propagation de l'Islam. Les Etats devraient étudier le projet de création d'une station islamique puissante, émettant dans toutes les langues vivantes et dans les langues parlées par les peuples musulmans.

Afin de permettre au cinéma et à la télévision de remplir parfaitement leur tâche, il est nécessaire de créer une société de films qui conjuguerait les efforts et les moyens des musulmans et présenterait des productions convenables et susceptibles d'être montrées dans de très nombreux pays. Une telle initiative serait certainement couronnée de succès.

3) Dans le domaine du théâtre, il faudrait interdire toutes les pièces insignifiantes ou traduites lorsqu'elles servent la cause colonialiste, encourager les œuvres sérieuses s'inspirant de l'histoire de l'Islam.

4) Procéder à des échanges inter-islamiques afin de profiter de toutes les expériences et des programmes de chaque pays.

5) Interdire l'édition et la diffusion de livres ou sujets traités lorsqu'ils encouragent l'athéisme et la subversion, il serait excellent d'encourager par contre la publication des œuvres héritées de la civilisation islamique.

6) Créer des organismes de contrôle composés par des éléments de haute valeur morale et scientifique qui n'admettent aucune indulgence lorsqu'il s'agit de productions qui portent atteinte à la religion, à la conscience et aux valeurs morales.

7) Le 7ème Séminaire déplore l'attitude négative qu'adopte la plupart des organismes d'information en pays musulmans, lorsqu'il s'agit de rendre compte des activités de congrès consacrés à l'Islam. Il appelle ces organismes à accorder le maximum d'attention à ces assemblées, conformément au sentiment d'honneur qui devrait les animer alors qu'il s'agit de défendre l'Islam et les intérêts de ses adeptes.

8) Le Séminaire recommande la tenue d'un congrès rassemblant les ministres d'information des pays islamiques.

Les rédacteurs en chef et les responsables de la presse islamique y seraient conviés pour échanger leurs points de vue sur les problèmes d'information islamique. Il recommande également que leur soient communiquées les recommandations et décisions du 7ème Séminaire de la Pensée Islamique.

Les membres de ce Séminaire attendent avec impatience le jour où, dans un proche avenir, sera créée en faveur du monde musulman, une information islamique puissante, au service de la foi ; une information qui progresse dans la voie droite de l'Islam ; une information qui accorde de l'importance aussi bien à l'essentiel qu'à l'aspect extérieur, à la forme qu'au fond ; une information qui serve la masse des peuples musulmans selon un style qui s'accorde avec le dogme et la loi islamiques.

ALLOCUTION DE CLOTURE DU VIIème SEMINAIRE
DE LA PENSÉE ISLAMIQUE

par M. Mouloud-Kassim NAIT BELKACEM

SEMINAIRE DU CONSENSUS

«Au Nom de Dieu, le Clément, le Miséricordieux. Que Son Salut et Sa Bénédiction soient sur Son Prophète».

Messieurs les distingués professeurs,
Mesdames et Messieurs,
Frères étudiants, sœurs étudiantes.

Après treize jours de travaux continus, nous voici arrivés au terme de ce 7ème Séminaire pour la Connaissance de la Pensée Islamique, que nous appellerons désormais «Séminaire de la Pensée Islamique».

Nous avons tous recueilli les fruits des conférences fertiles qui ont donné lieu à des commentaires et à des débats non moins enrichissants et qui invitent avec insistance à la réflexion. Nous en remercions Messieurs les professeurs qui ont accepté pour cela les fatigues du voyage et nous les félicitons pour ce qu'ils ont semé, ainsi que pour les services qu'ils ont rendus, et les profits mutuels qu'ils ont retiré les uns des autres.

Messieurs les distingués professeurs,
Frères étudiants, sœurs étudiantes.

Nous avons vécu des journées marquées par une atmosphère hautement fraternelle et, si le sentiment s'y est donné parfois libre cours, la raison a prévalu le plus souvent. Il se peut, d'ailleurs, que dans le feu des débats ouverts délibérément à tous, et dans la chaleur de Tizi-Ouzou, assez forte d'ordinaire, et qui a augmenté avec le Séminaire, beaucoup d'entre nous n'aient pas appréhendé toutes les dimensions de ce grand événement islamique, qu'ils n'en aient pas saisi toute l'importance ni imaginé tout ce qui peut en résulter pour notre grande nation islamique !

Certes, des réunions et des assemblées se sont tenues entre des savants musulmans dans de nombreuses occasions et dans des capitales diverses de notre vaste monde islamique. Mais c'est, peut-être, la première fois dans notre époque moderne que des hommes appartenant à l'ensemble des rites islamiques se rencontrent en un séminaire commun, pour échanger leurs points de vues sur le destin unique de la nation unique !

Sois donc félicitée, ville de Tizi-Ouzou, puisqu'il t'a été donné d'accueillir et de réunir les docteurs malékites, zaïdites, chiïtes, ibadites, hanéfites, chaféïtes, hanbalites et dhahirites, qu'aucun d'entre eux n'ait été absent du rendez-vous, que tous aient répondu à ton appel, animés de bonne volonté et pourvus de viatique substantiel, et pour avoir été enfin aux oulams de l'Islam à la fois un lieu de rassemblement et une mosquée universelle !

Ils ont examiné à l'ombre de tes murs les causes de la loi islamique commune à tous, et se sont accordés sur la nécessité de ramener la nation, grâce à cette loi, vers la voie droite et clairement tracée, en conformité avec la lettre des textes et avec la raison. Ils ont fortifié l'édifice en consolidant ses bases et ont fait en sorte que le toit protège la maison et la préserve de l'opprobre et de la destruction, laissant, à cette condition, les portes de l'idjtihad largement ouvertes !

Vous vous êtes préoccupés au plus haut point du problème de l'unité islamique. et des manœuvres et complots auxquels elle a été exposée hier et qui ont failli sonner le glas de la nation islamique. Vous avez préconisé des mesures préparatoires destinées à ramener l'unité spirituelle qui a été hier le facteur décisif de l'unité totale.

Vous avez accordé la plus grande attention au problème des missions religieuses dites «d'évangélisation» et, d'une manière générale, à la question de la pénétration des masses, et plus particulièrement de la jeunesse, sur laquelle se concentrent les efforts des différents milieux idéologiques, aussi bien chrétiens que sionistes, athées ou prônant la déviation des mœurs. Vous avez recommandé aux responsables des pays musulmans de prémunir la Oumma contre cette entreprise d'égarement planifiée et pourvue d'un potentiel considérable et moderne de séductions, qui ont le plus d'influence, notamment sur les jeunes, et singulièrement sur la femme, cette épine dorsale de la famille, et, partant, la base de la nation.

Votre souci n'a pas été moindre, s'agissant des communautés et des minorités islamiques ou dénommées telles. Vous avez fortement insisté sur la nécessité de les protéger et de les garantir, ici, contre la désintégration et l'assimilation, et de les sauver, là, contre l'extermination et l'extinction, étant une partie indivisible de notre nation, sans parler des considérations strictement humanitaires qui doivent être respectées par toute conscience.

Est-il maintenant possible à toutes ces mesures et à tous les efforts d'édification qui s'accomplissent un peu partout d'avoir un effet positif et un résultat tangible, tant qu'il n'est pas mis résolument et définitivement un terme aux moyens de désintégration et d'extermination spirituelle collective qui sont dirigés à l'encontre de collectivités islamiques entières et, partant, de la Oumma toute entière, lesquels moyens sont représentés par les voies actuelles des organes de l'information et des mass media, c'est-à-dire la presse, la radio, le théâtre, le livre, et, particulièrement, LE CINEMA ET LA TELEVISION, avec leurs productions mortelles pour les sociétés et les nations, tant elles incitent à l'athéisme, à la dissolution des mœurs, à la délinquance juvénile et au crime ?

Prendra-t-on en considération vos conseils tendant à permettre à ces rouages d'assumer leur rôle véritable qui est la formation et l'orientation saines et authentiques ?

De telles recommandations sont énoncées, à notre connaissance, pour la première fois à l'échelle du monde musulman. De leur application, nous espérons un remède à beaucoup des maux dont souffrent nos sociétés islamiques, et un nouvel élan pour rattraper et récupérer ce qui a été perdu, et réaliser la société honorable à laquelle tend l'humanité entière et que l'Islam nous invite à promouvoir.

Messieurs les distingués professeurs,
Mesdames et Messieurs,
Frères étudiants, sœurs étudiantes.

Je pense que vous avez tous ensemble accompli un travail considérable qui aura des résultats efficaces. Qu'il me soit permis de remercier encore une fois Messieurs les distingués professeurs qui ont sacrifié une partie de leurs vacances estivales, et plus particulièrement les âgés d'entre eux — que Dieu nous prolonge leur vie —, afin d'être utiles à tous. Ces remerciements sincères, qui n'ont d'égal que la probité profonde et la pureté de l'intention, je voudrais qu'ils intercèdent auprès de vous tous pour toute rudesse ou fermeté dont j'aurais fait preuve afin de faire régner l'ordre et la discipline et d'assurer le succès de ce séminaire, qui est le séminaire de tous, dans l'intérêt de la grande nation islamique et de l'humanité.

Je voudrais, enfin, remercier en votre nom à tous la Wilaya de Tizi-Ouzou, population et autorités, pour le chaleureux accueil qu'elles nous ont réservé, pour l'hospitalité généreuse dont elles nous ont comblés et pour la bienveillance et les soins dont elles nous ont entourés, toutes choses qui ont contribué largement au succès du Séminaire. comment oublier les marques de sympathie et de sollicitude qui nous ont été témoignées tout au long de nos déplacements et de nos périples, et je voudrais citer en particulier les populations de la cité de Tizi-Ouzou, de Cheurfa, d'Ighil Bamas, Beni Yenni et Bouadnane, qui ont ajouté au Séminaire une dimension supplémentaire inestimable !

Je ne terminerai pas cette courte allocution sans remercier nos frères des mass media ici présents qui ont déployé tous leurs efforts pour garantir au séminaire un prolongement là où il est indispensable, ainsi que les frères de la Présidence, des Affaires Etrangères, de l'Académie de Tizi-Ouzou, et tous ceux qui ont contribué, de près ou de loin, à l'accomplissement de la mission de ce Séminaire.

Comme je vous remercie et vous félicite, sœurs étudiantes, pour la bonne conduite et la discipline dont vous avez fait preuve, pour votre souci de vous instruire, et pour avoir contribué de manière effective aux débats pour donner à ce séminaire son visage authentique. Quant à vous, frères étudiants, je vous félicite pour la maturité et l'attention qui sont apparues dans vos questions, et, si nous avons été parfois durs avec certains d'entre vous je ne pourrais que conseiller aux organisateurs des futurs séminaires d'être avec vous encore plus fermes et plus attachés à la discipline dans votre intérêt et pour le bien de la nation.

Et puisqu'il est de tradition de déplacer le Séminaire chaque année d'une wilaya à une autre nous vous donnons rendez-vous pour le 8ème Séminaire dans la Wilaya de Sétif.

Ce sera plus précisément à An-Nassirya, capitale d'Annasser Ibn Illinas le Hamadite, cette cité qui, bien des siècles avant Paris, a été la Ville Lumière, a sillonné les mers avec ses flottes, suscité l'admiration de l'humanité avec ses Palais Ballara et Lou'lou'a, où se réunissaient rois et savants en présence du peuple, inondé cette humanité de ses sciences et arts, et éclairé l'Europe et le monde avec ses Universités et ses bougies : BIDJAIA !

COMMUNIQUE

8ème Séminaire de la Pensée Islamique

Le Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses organise à Bidjaia (Bougie), du 01 au 12 rabiâ al awwal 1394 (25 mars au 5 avril 1974), le 8ème Séminaire de la Pensée Islamique, à l'intention des étudiants et étudiantes et des élèves des classes de première et terminale des Universités et lycées d'Algérie et d'ailleurs.

Des enseignants et autres fonctionnaires ayant le niveau sus-indiqué peuvent y participer dans la limite des places disponibles.

Le régime du Séminaire est l'internat. Cependant, les séminaristes qui le désireraient pourraient être admis en externat.

Les frais de séjour et de déplacement, à l'intérieur du territoire national, dans le cadre du Séminaire, seront pris en charge par le Ministère. Pour les Séminaristes venant d'Europe, le Ministère prendra en charge, en plus du séjour, leurs frais de voyage aller-retour par bateau à partir de l'un des ports méditerranéens. Une contribution symbolique n'excédant pas cinquante Dinars sera demandée aux participants. En seront dispensés ceux et celles venant de l'extérieur du pays et ceux et celles résidant à Bidjaia.

Les candidats devront joindre à leur demande un certificat de scolarité ainsi qu'un certificat médical.

D'éminents professeurs et chercheurs d'Algérie, du monde de l'Islam en général et d'autres pays seront invités à ce Séminaire pour faire des conférences et animer des débats entre eux en présence des Séminaristes et avec leur participation.

Les demandes de participation doivent être adressées à la Direction de la Recherche Islamique, Sous-Direction des Séminaires, Ministère de l'Enseignement Originel et des Affaires Religieuses — 4, rue Timqad, Hydra, Alger.

En prenant le soin de préciser sur un coin de l'enveloppe SEMINAIRE.

Le dernier délai d'envoi des demandes de participation sera le 07 moharram 1394 (31 janvier 1974), le cachet de la poste faisant foi.

L'ordre du jour du Séminaire sera le suivant :

1^{re}) Situation des minorités et des communautés d'émigration en général et musulmanes en particulier dans divers pays des cinq continents et le devoir des savants, penseurs et hommes des mass-media à leur égard.

2^{re}) Rôle du penseur à travers les âges, et particulièrement aujourd'hui, dans sa nation et à l'égard de l'Humanité, de ses problèmes de l'heure et de ses perspectives d'avenir.

3^{re}) Contribution de Bidjaia (Bougie) la Hammadite à la pensée et à la civilisation islamiques et universelles - Causes et effets de sa décadence.

4^{re}) Contribution de la pensée et de la civilisation islamiques dans les divers domaines des sciences et des arts et du patrimoine humain en général. Facteurs de leur épanouissement. Causes de leur décadence et conditions de leur renaissance.

5^{re}) Authenticité et ouverture. Que signifient-elles ? Sont-elles conciliables ? Degré d'importance de cette conciliation dans le monde d'aujourd'hui pour l'individu et la société et pour le sort de l'Humanité toute entière.

DU CONGRES DE BAKOU AU SOMMET D'ALGER

par Paul BALTA

Le 18 avril 1955 à Bandoung, le Tiers-monde avait fait une entrée spectaculaire sur la scène internationale : face à un Occident encore sûr de lui et dominateur, une trentaine de pays d'Asie et d'Afrique avaient alors affirmé leur volonté d'être partie prenante dans les affaires du monde contemporain. Si l'on a parlé de «l'esprit de Bandoung» c'est que cette conférence en mettant l'accent sur la nécessité de la libération nationale, avait marqué la renaissance politique de l'Orient et avait été, par la même, un «tournant de l'histoire».

Le 9 septembre 1973, à la clôture de la IVème Conférence au Sommet des Non-alignés on pouvait déjà, pour différentes raisons, parler de «l'esprit d'Alger». Tout d'abord, à cause de la maîtrise apportée dans l'organisation de ces assises. Pour un pays indépendant depuis onze ans seulement, la réussite matérielle ne pouvait manquer d'avoir une résonance politique et morale et de prendre valeur d'exemple : elle confirmait à la fois, l'œuvre d'édification accomplie dans le pays hôte et la rentabilité des efforts consentis. Plus, que tout, sans doute, cette réussite démontrait que le sous-développement n'est pas une tare congénitale mais un phénomène historique que la volonté soutenue des Etats et des peuples peut dominer.

Comment ne pas évoquer à ce propos, ce que nous disaient des Québécois, il y a quelques années, lors de l'exposition universelle de Montréal : «Organiser cette gigantesque manifestation, avec toute l'infrastructure matérielle et humaine qu'elle suppose, était pour nous capital. Capital parce que les Canadiens anglais n'avaient cessé de nous répéter, depuis plus d'un siècle que nous n'avions pas le sens de l'organisation, que la technique et le management se pensaient en anglais, que le français était tout juste langue de culture et de littérature, que les Canadiens français étaient des agriculteurs ou des juristes, mais qu'ils ne pouvaient faire de bons industriels.

Nous nous devons de prouver à nous-mêmes et au monde que la technique, l'industrie et l'organisation s'exprimaient aussi en français». Montréal-Alger. Québec-Algérie. Singulier parallélisme entre deux peuples qui, après avoir subi les tribulations que l'on sait, ne cessent d'affirmer leur vocation à la modernité dans la fidélité à leurs racines culturelles et le dialogue avec le monde extérieur, l'un au seuil des Etats-Unis, l'autre aux portes de l'Europe.

«L'esprit d'Alger», c'était aussi le nombre et la qualité des participants. De ce point de vue, la présence au Palais des Nations, de douze des vingt-quatre Etats du continent latino-américain était un phénomène nouveau, révélateur de toute une évolution. En effet,

dans les années 1945-1950, alors que les Afro-asiatiques représentaient à l'O.N.U. le grand courant de la décolonisation, les latino-américains, trop dépendant encore des Etats-Unis, se tenaient à l'écart du mouvement de libération.

Ce fut d'ailleurs, grâce à l'appoint de leurs voix, que put être votée, par exemple, en 1947, la résolution sur le partage de la Palestine. Par la suite, ils ne manifestèrent — à travers leurs observateurs — qu'un intérêt de curiosité pour le non-alignement. En plus de la crainte du «gendarme américain», ils ne se sentaient guère concernés par les problèmes de l'Asie et de l'Afrique. Cuba fut donc le seul Etat du continent à adhérer comme membre à part entière dès le Sommet de Belgrade en 1961 et ce n'est sans doute pas un hasard si La Havane a été aussi la première capitale de l'hémisphère nord à rompre ses relations avec Israël.

L'importance de la participation latino-américaine et le dynamisme manifesté par les représentants du Chili — avant le putsch militaire — du Pérou et de l'Argentine, sont le corollaire de trois orientations qui se sont confirmées au Sommet d'Alger : la puissance d'attraction du non-alignement qui s'affirme comme une force morale autonome ; la nécessité de la solidarité des pays du Tiers-monde, par delà les zones géographiques auxquelles ils appartiennent ; la prise de conscience du fait que l'indépendance politique demeure limitée et précaire si elle ne s'appuie pas sur l'indépendance économique et culturelle. Trois thèmes qui ont non seulement été au centre des débats mais qui ont aussi permis au mouvement des non-alignés, composé d'une mosaïque d'Etats aux régimes différents et parfois opposés, de trouver un dénominateur commun. Pour toutes ces raisons, la rencontre d'Alger devrait constituer une étape majeure dans la longue marche du Tiers-Monde vers sa libération, chacun sachant fort bien, au demeurant, que la route est semée d'embûches et qu'échecs et succès alterneront.

Les observateurs occidentaux ont souvent eu tendance à juger les différentes rencontres des non-alignés indépendamment les uns des autres. Aussi, concluaient-ils généralement, que chacune d'elles ne donnait que de maigres résultats. Le fait est que de Colombo à Alger en passant par New Delhi, Kaboul, Belgrade, Le Caire, Dar Es Salem, Addis-Abeba, Lusaka La Havane Lima, Santiago du Chili ou Georgetown, la voix des peuples du Tiers-monde s'est trop souvent perdue dans le désert de l'indifférence ou de la mauvaise volonté occidentale.

Les peuples riches, étourdis, par les sirènes de la société de consommation, ne prennent guère le temps, il est vrai, de réfléchir au sort de plus de deux milliards d'hommes à qui ils achètent pourtant, à bas prix, les matières premières qui assurent leur bien être tout en accroissant leur enrichissement. Quant à leurs gouvernements, en dépit de quelques déclarations de principe, ils se sont, pour la plupart, efforcés de perpétuer dans la pratique le système en vigueur qui favorise la prospérité des Etats qu'ils dirigent : la décolonisation politique — qui n'est d'ailleurs pas achevée — n'a guère aboli, en général la domination culturelle et économique. Pour ce qui est de la décolonisation des esprits, elle reste, malheureusement, largement à faire.

En dépit de ces aspects négatifs, la réalité prend un autre visage si on considère les assises organisées par le Tiers-monde dans leur continuité historique au lieu de les analyser séparément. On s'aperçoit alors que l'idée d'indépendance nationale qui paraît

sait illusoire et bien lointaine en 1900, a pris corps en moins d'un quart de siècle avant de s'imposer comme une des réalités de notre temps depuis la seconde guerre mondiale. Qui se souvient, en effet, en Europe, du «Congrès pour le progrès des peuples opprimés», organisé à Paris en 1920 par un panafricaniste noir américain, Du Bois ?

Sans doute le «Congrès des peuples opprimés», convoqué en septembre 1920 par le Komintern, et qui est entré dans l'histoire sous le nom de «Congrès de Bakou», est-il plus connu, mais qui lui avait accordé quelque crédit à l'époque en Occident ? Or, à cinquante ans d'intervalle, on constate qu'il existe un fil d'Ariane qui va du Congrès de Bakou au IV^{ème} Sommet des non-alignés à Alger. N'avait-on pas vu, dans la capitale de l'Azerbaïdjan, plusieurs congressistes s'opposer, déjà, aux positions euro-péo-centristes de certains des organisateurs ? Ce fut notamment le cas de l'indien M.N. Roy et de Sultan Galiev, soviétique originaire du Turkestan et commissaire-adjoint aux nationalités. Galiev soutenait alors que «L'orientation exclusive de la révolution socialiste internationale vers l'Occident, en raison de l'ignorance de l'Orient et de la crainte qu'il inspire, est une erreur». (1).

A la même époque, Lénine s'écriait : «L'Orient, c'est-à-dire l'Asie, est maintenant dans une phase de révolution... L'Inde et la Chine surtout... qui constituent une majorité gigantesque de la population du globe». Lénine avait-il cependant saisi avec la même acuité l'importance du facteur islamique qui se traduira, selon les circonstances par le pan-islamisme, le pan-arabisme et la recherche d'un socialisme qui ne soit pas calqué sur le modèle soviétique ? En tout cas, Galiev n'hésita pas, alors, à proclamer : «Les peuples musulmans sont des nations prolétariennes. On peut affirmer que le mouvement national des pays musulmans a le caractère d'une révolution socialiste». Ce langage que n'auraient pas renié des hommes aussi différents que Nasser, Gueïdafi ou Boumediène dut paraître bien insolite aux dirigeants communistes de l'époque et c'est sans doute ce qui valut à Galiev d'être déchargé en 1923 de ses fonctions.

Comment ne pas constater, cependant, que les prédictions de Lénine se sont réalisées, du moins en ce qui concerne la Chine, et que celle de Sultan Galiev s'appliquent à une partie au moins du monde arabe ? Comment ne pas souligner, non plus, qu'en dépit de l'aide matérielle et politique apportée par l'Union Soviétique aux mouvements de libération nationale et aux pays du Tiers-monde, la thèse chinoise sur la division du monde en riches et pauvres — mais est-ce une thèse exclusivement chinoise ? — tend à s'imposer parce qu'elle correspond à une réalité, sans exclure pour autant, les conflits idéologiques ? Comment ne pas noter, enfin, que sur quatre conférences au sommet des non-alignés, deux se sont tenues dans des capitales arabes, Le Caire et Alger ? N'était-ce pas une façon de reconnaître le poids politique, économique et culturel que le monde arabe — en dépit de ses divisions et des problèmes auxquels il est confronté — a acquis au sein du Tiers-monde ?

(1) Cité par Anouar Abdelmalek «du fondamentalisme islamique au modernisme libéral», In. Le Monde du 15 mars 1973.

Le Caire (1964) et Alger (1973) représentent, en tout cas, deux tournants dans l'histoire du non-alignement. Née dans les années 1950 — alors que la guerre froide battait son plein — l'idée d'une politique de non-alignement exprimait un double refus de la part des Etats nouvellement indépendants, celui d'être «marginalisés» et celui d'accepter la bi-polarisation du monde en blocs idéologiques antagonistes. Le 2ème Sommet du Caire se tient alors que s'amorce la coexistence pacifique entre les deux super-grands.

Dans son discours inaugural, le président Nasser déclarait alors d'une façon prémonitoire : «Nous ne voulons pas que la division du monde en un bloc occidental et un bloc oriental prenne fin pour que d'autres blocs plus grands et plus dangereux surgissent à leur place : un bloc des pauvres et un bloc des riches, un bloc des développés et un bloc des sous-développés, un bloc septentrional qui a droit à la prospérité et un bloc méridional qui n'a pour tout lot que la privation, un bloc des blancs et un bloc d'hommes de couleur».

Neuf ans plus tard, à quelques jours de l'ouverture de la Conférence d'Alger, le Président Boumediène devait constater que la récente rencontre Nixon-Brejnev avait «Constitué une nouvelle page dans les relations internationales». Et d'ajouter : «si, dans le passé, le monde était divisé en deux blocs, le bloc communiste et le bloc capitaliste, aujourd'hui, il est à notre avis composé de deux parties, le monde riche et le monde pauvre, celui des habitants du nord et des habitants du sud».

Que constate-t-on, en effet ? Dans le domaine culturel, trente deux pays développés représentant 30 % de la population du globe produisent plus de 80 % des livres publiés chaque année : 410 000 titres imprimés à 7 milliards d'exemplaires. Les autres pays — dont beaucoup ont une culture traditionnelle prestigieuse — ne produisent que 90 000 titres tirés à moins de 700 millions d'exemplaires alors qu'ils réunissent 70 % de la population mondiale.

Pourtant, nombre d'Etats font des efforts louables pour combattre l'analphabétisme comme le prouve la scolarisation intensive entreprise, par exemple, par la plupart des pays arabes. Il est vrai, cependant, que les enseignants sont souvent médiocrement payés ce qui incite les meilleurs d'entre eux à trouver dans d'autres administrations des postes plus rémunérateurs, que les recherches dans le domaine de la pédagogie en vue de renouveler et d'améliorer les méthodes d'enseignement — en particulier en ce qui concerne la langue arabe — sont des plus réduites, pour ne pas dire inexistantes, à quelques exceptions près, que le niveau de la recherche scientifique, enfin, reste quantitativement et qualitativement insuffisant. Il n'en demeure pas moins que pour assurer une véritable renaissance culturelle, des moyens considérables sont souvent nécessaires. Mais où se les procurer lorsque l'ordre international économique, financier et commercial si préjudiciable au Tiers-monde est défendu avec apreté par la plupart des Etats riches ?

En admettant que l'objectif fixé pour la seconde décennie du développement (1970-1980) puisse être atteint, le revenu national brut des pays en voie de développement n'augmenterait que de 85 dollars contre 1200 pour les Etats industrialisés. Au cours de la première décennie, le pourcentage des revenus des pays pauvres avait d'ailleurs

baissé, passant de 0,84 % du P.N.B. des pays de l'O.C.D.E. en 1960-1961 à 0,73 % en 1970-1971. Dans le même temps, l'aide accordée par les riches tombait de 0,53 % de leur P.N.B. à 0,35 % tandis que les prix des matières premières demeuraient faibles pendant que ceux des produits industriels montaient régulièrement perpétuant ainsi le cercle vicieux du sous-développement.

Un rapport sur l'énergie présenté au Sommet par l'Algérie rappelle opportunément que les pays du Tiers-Monde qui «fournissent presque les 2/3 du pétrole mondial, la moitié des quantités de cuivre, de fer, de plomb, de soufre et de zinc qui se consomment dans le monde, 80 % de la production de bauxite et d'étain, le tiers de la production de nickel», devraient pouvoir, eux aussi, tirer parti de ces matières premières pour se développer.

Le rapport soumet un problème, parmi d'autres, à la méditation des habitants des nations industrialisées, lorsqu'il rappelle qu'à vouloir situer chez eux toutes les activités de transformation des matières premières, y compris les produits agricoles achetés aux pays pauvres, les pays riches ont multiplié à l'excès les concentrations industrielles au point de transformer le milieu naturel en milieu hostile à la vie.

Mais la pire des pollutions n'est-elle pas celle qui affecte l'homme dans sa dignité ? Au rythme actuel — et si aucun changement majeur ne se produit — le monde industriel (Europe, Etats-Unis, U.R.S.S. et Japon) comprendra en l'an 2000 1,5 milliard d'habitants qui consommeront chacun de 5000 à 10 000 dollars par an alors que le Tiers-monde sera peuplé de 4,5 milliards d'hommes dont la consommation ne dépassera pas 300 dollars en moyenne. Ainsi, dans 25 ans — le temps d'une génération — la planète comptera trois fois plus de pauvres que de riches. A l'aube du XXIème siècle une telle situation ne serait pas seulement malsaine, elle serait profondément immorale.

Le Sommet d'Alger aura également contribué à préciser certaines idées. S'il a insisté sur la notion de riches et de pauvres, il n'a pas nié, pour autant, la division du monde en pays socialistes et en pays capitalistes tout en notant qu'il existe aussi des sous-groupes à l'intérieur de chacun des deux camps : les pauvres des riches et les riches des pauvres.

Ainsi, l'Europe, bien que riche, n'a pas le poids politique des super-grands, tandis que l'U.R.S.S. bien qu'industrialisée et puissante, n'est pas encore un pays vraiment riche. A l'inverse, l'Arabie Séoudite, malgré sa richesse, demeure un pays en voie de développement. Dans son discours de clôture, le Président Boumediène a ingénieusement introduit une utile précision qui contribue à clarifier le débat en rappelant qu'un des principaux clivages s'établit entre nations industrialisées et nations non-industrialisées.

Alors que, jusqu'ici, le non-alignement s'était surtout défini par des refus, le Président Boumediène a proposé qu'il s'affirme d'une manière positive et se dote même d'une stratégie autonome. «Il ne faut pas oublier, déclarait-il dans l'interview qu'il nous a accordée (2), que nous disposons de moyens pour résister aux pressions. C'est

(2) Le Monde du 5 septembre 1973.

une question de détermination et de volonté. Il est logique de s'attaquer au néo-colonialisme, au racisme, à l'impérialisme, mais nous ne devons pas oublier pour autant que nous avons aussi à assumer nos responsabilités au niveau national, au niveau régional, au niveau des non-alignés. Il ne faut pas rejeter toute la responsabilité sur les autres. Nous devons analyser nos propres faiblesses et nous efforcer de les corriger. Nous devons d'abord compter sur nous-mêmes et utiliser plus efficacement nos moyens humains et matériels. Ce faisant nous finirons par imposer le respect».

Ce langage qui est celui du courage et de la dignité a été compris et le Sommet a adopté ces idées. Reste à savoir dans quelle mesure la solidarité qui s'est dégagée à Alger résistera à l'épreuve du temps et des événements. On peut penser, néanmoins, que la Commission chargée de la préparation du prochain Sommet qui se réunira à Colombo, veillera à maintenir «l'esprit d'Alger» qui a permis au Tiers-monde de s'affirmer comme il ne l'avait jamais fait auparavant.

A partir de là, deux voix sont possibles, ou bien une concertation s'établira entre les puissances industrielles et les pays en voie de développement pour promouvoir une coopération équitable, ou bien on s'orientera vers une série d'épreuves de force qui risquent d'être dommageables pour tous.

Dans un monde devenu multipolaire, l'Europe, si proche du monde arabo-africain, mais qui est familière de l'Asie et a bien des affinités avec l'Amérique latine, aurait vocation pour jouer un rôle de médiation. Evoquant une telle coopération entre les deux rives de la Méditerranée, le Président Boumediène nous déclarait : «Si l'Europe s'organise en fonction d'une véritable coopération fondée sur les intérêts réciproques — nous ne demandons pas plus — sur l'existence de complémentarités réelles, dans tous les domaines, chacun y trouvera alors son compte». Et d'ajouter «L'Europe a des choix fondamentaux à faire et elle doit les faire à l'échelle planétaire. Si elle assume ses responsabilités et agit en vue de favoriser la fin de l'emprise de l'impérialisme américain dans la région, elle trouvera un point de rencontre avec ses voisins d'Outre-Méditerranée. Mais pour le moment, cette vision de l'avenir et cette dimension historique semblent faire défaut à l'Europe. Et c'est dommage».

Comment ne pas évoquer à ce propos une confidence (3) que nous avait faite le Général de Gaulle, et à laquelle ces propos font écho. «Le commerce, l'économie, la culture, nous disait-il à propos des relations franco-arabes, c'est très important. Il faut parler de ce qui se fait parce que cela prépare l'avenir, et il faut voir loin. Voyez-vous, il y a de l'autre côté de la Méditerranée des pays en voie de développement. Mais il y a aussi chez eux une civilisation, une culture, un humanisme, un sens des rapports humains que nous avons tendance à perdre dans nos sociétés industrialisées et qu'un jour nous serons probablement très contents de retrouver chez eux. Eux et nous, chacun à

(3) In. *La politique arabe de la France*, d. Sindbad. Paris 1973.

notre rythme, avec nos possibilités et notre génie, nous avançons vers la civilisation industrielle. Mais si nous voulons, autour de cette Méditerranée — accoucheuse de grandes civilisations — construire une civilisation industrielle qui ne passe pas par le modèle américain et dans laquelle l'homme sera une fin et non un moyen, alors il faut que nos cultures s'ouvrent très largement l'une à l'autre».

Non, finalement, que les Sommets des non-alignés se soient tenus jusqu'ici dans trois capitales méditerranéennes et dans une capitale africaine, n'est pas fortuit et il est dans la logique des choses que le cercle s'élargisse maintenant à l'Asie et à l'Amérique latine.

PAUL BALTA.

24-9-1973.



LE VOLONTARIAT DE L'ISLAM

De son Eminence l'Imam Moussa ASSADR,
Président du Conseil Supérieur Islamique Chiite du Liban,
à l'occasion de sa participation au VII^e Séminaire de la Pensée Islamique
à Tizi-Ouzou.

Jeunesse volontaire,

Au cours de ma visite en Algérie, j'ai suivi avec intérêt et respect votre mouvement volontariste et j'ai senti qu'il était porteur d'un grand espoir. Mon propos n'a pas la prétention de vous apporter un encouragement, car j'ai observé votre rencontre avec le Président Boumediène et j'ai vu votre élan et votre enthousiasme.

J'ai voulu seulement, dans un mot d'adieu, vous dire mes impressions et vous expliquer à mon tour les dimensions et les prolongements de votre action, espérant ainsi y avoir participé moi-même, volontairement et modestement.

Jeunesse volontaire,

Votre travail volontaire dépasse, dans ses dimensions, l'édification du village, l'aide au fellah, et jusqu'au développement de l'agriculture dans votre pays de façon révolutionnaire.

Car il annonce, dans le même temps, la naissance d'un homme et d'un citoyen, le façonnement d'une nation. Le plus grand malheur dans la vie de l'homme, depuis qu'il existe, a été de vivre pour lui-même, d'avoir uniquement conscience de ses intérêts particuliers, de se mouvoir pour construire sa propre personne et satisfaire ses égoïsmes.

Selon l'expression coranique, l'homme «a pris pour Dieu sa passion» et a adoré son moi. Les Prophètes, ceux qui prêchent le bien et les dirigeants des nations se sont, par la suite, efforcés, par différents moyens, d'élargir le cercle de sa conscience et de son action, en l'éveillant aux souffrances et aux espoirs d'autrui, pour l'amener à participer à l'édification de sa société en perpétuelle évolution, et à œuvrer — dans ce cadre — à son bonheur et à celui des autres.

C'est cela la religion, c'est ce comportement, c'est le transfert de l'adoration de soi-même à l'adoration de Dieu, et la meilleure façon de l'adorer est de servir ses créatures.

Tous les enseignements de l'Islam, sa culture, sa doctrine, ses obligations, son code moral, déterminent les détails de cette mutation profonde.

Le Coran souligne que la base de la vertu, après la foi en Dieu et son enracinement par la prière, consiste à associer les autres à ce que Dieu a donné à l'homme : les

richesses, la considération, la puissance, la science, l'expérience (1), en fait tout ce que résume le mot «volontariat».

Notre grand Prophète considère ce volontariat dans l'un de ses hadiths comme la voie qui mène au Paradis (2).

Il dénie la foi à ceux qui se désintéressent des souffrances d'autrui et qui ne se dépensent pas pour venir en aide à leur prochain (3).

Jeunesse volontaire

Votre travail volontaire a deux dimensions essentielles : une dimension extérieure qui réside dans l'aménagement du territoire, la construction du village, l'élévation du niveau de vie des populations rurales, la consolidation de la patrie et de la nation.

La dimension intérieure, psychologique, c'est que ce volontariat bâtit un homme nouveau, grand par sa conscience et son esprit, large par ses préoccupations et ses responsabilités. Vous êtes en train de forger à partir de vous-mêmes des hommes et des citoyens qui rehausseront le niveau de leur patrie et de leur nation.

En vous dirigeant vers le village et vers l'élargissement de votre personnalité, vous êtes mûs par le contraire de ce qui constitue les motivations du monde d'aujourd'hui. Celui-ci, en effet, dans son Orient comme dans son Occident, est en marche vers la ville, vers l'étouffement de la personne, approfondissant ainsi les égoïsmes et enracinant davantage le besoin de satisfaire les intérêts particuliers.

Vous êtes en train de vous transformer en une nation unique, alors que le monde transforme les nations en fractions et en individus et qu'il assigne à chaque catégorie un cadre rigide.

Vous défiez le siècle, et l'histoire de l'Algérie est tellement fertile en défis et en miracles !

Jeunesse volontaire,

C'est ainsi que nous voyons votre action, c'est même ainsi que vous voient l'Islam et l'Histoire. En avant donc avec la bénédiction de Dieu et que votre travail soit sacré !

Vous façonnez aujourd'hui sur l'homme et sur la terre les bases d'un avenir qui refuse le repli sur soi-même et l'égoïsme, et rejette l'adoration du moi, un avenir ouvert où est adoré Dieu, le Créateur des Mondes, et où est servi l'homme, tout l'homme.

Votre travail volontaire, mes chers amis, est le commencement des plus nobles révolutions contemporaines, des plus complètes aussi et des plus humaines. Il est une révolution contre soi et contre les autres, une révolution contre toute déviation ou régression, il est le djihad. Au djihad donc, dans le pays du djihad, ô fils des moudjahidine !

(1) Coran, Sourate de la Vache, verset 2.

(2) Hadith. Le Prophète a dit à ses Compagnons :

«Vous indiquerez le chemin du Paradis ? » «Certes, oui». «Donnez de ce que Dieu vous a donné».

(3) Hadith : «N'a pas foi en Dieu et au Jugement dernier celui qui dort la nuit, le ventre plein alors que son voisin a faim».

Coran, Sourate «Al Ma'oun» :

«Connais-tu celui qui ne croit pas à la religion ? C'est celui qui repousse l'orphelin et ne nourrit pas le pauvre».